

# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف  
الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.



من إنتاج  
الجمعية المغربية  
للتأليف والترجمة والنشر

نشر  
مكاتب سلا

1998 - 1419



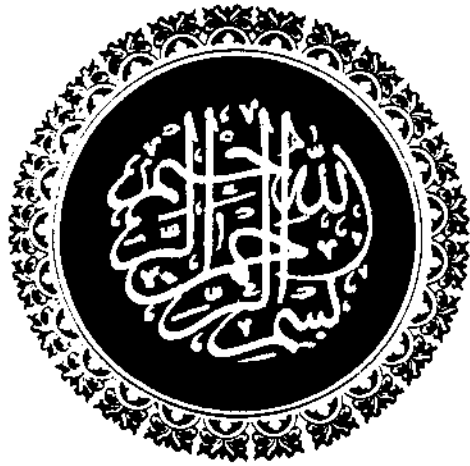




الليلة الأضوى

رقم الإبداع القانوني  
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط  
1984 / 629

جميع حقوق النقل والترجمة . جزئياً أو كلياً بأي شكل كان . محفوظة  
للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولطابع سلا







المدير المشرف

: محمد حجي

لجنة التحرير

: أحمد التوفيق، أستاذ التاريخ بكلية الآداب،

الرباط

محمد حجي، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

لجنة العلوم الإنسانية

: محمد بنشريفية، أستاذ الأدب المغربي والأندلسي

بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية،

الرباط

إبراهيم بوطالب، أستاذ التاريخ بكلية الآداب،

الرباط

سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط

مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي

بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافيا : عبد الله العوينة، أستاذ الجيومورفولوجيا بكلية

الآداب، الرباط

مصطفى عياد، أستاذ الجغرافيا البشرية بكلية

الآداب، الرباط

إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية

الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة،

الرباط

عبد المالك بنعبيد، أستاذ بالمدرسة الوطنية

الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة

والبيطرة، الرباط

محمد رمضان، باحث في البيولوجيا الحيوانية

بالمعهد العلمي وأستاذ بكلية العلوم، الرباط

## اختصارات

ت. =	توفي
تح. =	تحقيق
تر. =	ترجمة
خ. ت. =	خزانة تطوان
خ. ح. =	الخزانة الحسينية (الملكية) بالرباط
خ. ص. =	الخزانة الصبيحية بسلا
خ. ع. =	الخزانة العامة بالرباط
خ. ق. =	خزانة القرويين بفاس
خ. ي. =	خزانة ابن يوسف بمراكش
د. ت. =	دون تاريخ
د. د. ع. =	دبلوم الدراسات العليا
د. م. =	دون مكان
ط. =	طبعة
← =	انظر

\* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

## المشاركون في تحرير هذا الجزء

- محمد أخريف، وزارة التربية الوطنية - القصر الكبير.
- محمد الأخصاصي، باحث - الرباط.
- أحمد أشعيان، باحث - تطوان.
- سعيد أعراب، باحث - تطوان.
- مصطفى أعشي، معهد الدراسات الإفريقية - الرباط.
- عمر أفا، كلية الآداب - الرباط.
- إبراهيم ألوزاد، كلية الآداب - فاس ظهر المهرارز.
- حسن اميلي، كلية الآداب - المحمدية.
- مهند آيت الحاج، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء.
- عبد الكبير باهني، وزارة السكنى والتعمير - الرباط.
- الهادي بجيبجو، وزارة التربية الوطنية - الرباط.
- محمد الهدراوي، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط.
- ثريا براودة، كلية الآداب - القنيطرة.
- عكاشة برحاب، كلية الآداب - المحمدية.
- محمد الأمين اليزاز، كلية الآداب - الرباط.
- الحسين البعاوي، وزارة التربية الوطنية - العرائش.
- محمد بكرروي، كلية الآداب - فاس.
- عبد الرحمان اليكروي، كلية الحقوق - الرباط.
- محمد بلعربي، باحث - الرباط.
- المختار بلعربي، كلية الآداب - القنيطرة.
- عائشة البلغيشي العلوي، كلية الآداب - الرباط.
- عبد العزيز بلقفايدة، كلية الآداب - القنيطرة.
- البضاوية بلكمال، كلية الآداب - الرباط.
- رقية بلمقدم، وزارة التربية الوطنية - مكناس.
- عبد الإله بللمليح، كلية الآداب - وجدة.
- علي البليشي، كلية الآداب - الرباط.
- أحمد بنجلون، باحث - الرباط.
- عبد العزيز بن عبد الوهاب بنجلون، باحث.
- لطيفة بنجلون العروي، باحثة - الرباط.
- زليخة بنرمضان، كلية الآداب - المحمدية.
- محمد بنشرفة، كلية الآداب - الرباط.
- عبد المالك بنصعيد، المدرسة الوطنية للغابوية - سلا.
- عثمان بناني، كلية الآداب - الرباط.
- محمد بوخيرة، باحث - تطوان.
- عبد القادر بوراس، وزارة التربية الوطنية - القنيطرة.
- أحمد البوزيدي، كلية الآداب - فاس ظهر المهرارز.
- محمد بوسلام، وزارة التربية الوطنية - الرباط.
- أحمد بوشرب، كلية الآداب - الدار البيضاء عين الشق.
- مصطفى بوشعراء، باحث - سلا.
- عبد الله بوصحابة، كلية العلوم - فاس.
- إبراهيم بوطالب، كلية الآداب - الرباط.
- أحمد بوعزيز، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط.
- بوشتي بوعسرية، كلية الآداب - مكناس.
- أحمد بومزكو، كلية الآداب - أكادير.
- جامع بيضا، كلية الآداب - الرباط.
- محمد ابن تاويت الشطواني، باحث - تطوان.
- عبد العزيز توري، وزارة الثقافة.
- أحمد التوفيق، كلية الآداب - الرباط.
- عبد العزيز تيلاني، كلية اللغة العربية - مراكش.
- خليل بن أحمد جزوليت، باحث - الرباط.
- حسن جلاب، كلية اللغة العربية - مراكش.
- الحسين جهادي، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء.
- أحمد جوماني، باحث - الرباط.
- محمد جوماني، باحث - الرباط.
- جعفر ابن الحاج السلمي، كلية الآداب - تطوان.
- حسن حافطي علوي، كلية الآداب - مراكش.
- محمد حجاج الطويل، كلية الآداب - الدار البيضاء بن مسيك.
- ميمون حجوط، المندوبية السامية لقدماء المقاومين - الرباط.
- محمد حجي، كلية الآداب - الرباط.
- عبد الرحمان المرادجي، كلية الآداب - وجدة.
- فاطمة الحراق، معهد الدراسات الإفريقية - الرباط.
- إبراهيم حركات، كلية الآداب - الرباط.
- عبد الرحمان الحرشي، باحث - الرباط.
- عبد الجليل حليم، كلية الآداب - فاس ظهر المهرارز.
- علال الحديمي، كلية الآداب - الرباط.
- محمد خربوعة، المعهد العلمي - الرباط.
- إسماعيل خياط، كلية الآداب - الجديدة.
- نجاة الخياطي، كلية العلوم - الرباط.
- مارية داوي، كلية الآداب - وجدة.
- محمد بن عبد العزيز الدباغ، وزارة الثقافة - فاس.

- المهدي الدليوي، وزارة الثقافة - الرباط.  
 نفيسة الذهبي، كلية الآداب - القنيطرة.  
 محمد رابطة الدين، كلية الآداب - مراكش.  
 شفيق الرفاغة، كلية الآداب - أكادير.  
 علاال رگوگ، كلية الآداب - بني ملال.  
 محمد رمضان، كلية العلوم - الرباط.  
 بوجمعة رويان، كلية الآداب - القنيطرة.  
 محمد زروال، باحث.  
 محمد زنيهر، كلية الآداب - الرباط.  
 قاسم الزهيري، باحث - الرباط.  
 عبد الفتاح الزين، البحث العلمي - الرباط.  
 محمد السعديين، وزارة التربية الوطنية - سلا.  
 عبد السلام السعدي، وزارة التربية الوطنية - مراكش.  
 رشيد السلاسي، كلية الآداب - مراكش.  
 مصطفى الشابي، كلية الآداب - الرباط.  
 أحمد الشرقاوي إقبال، باحث - مراكش.  
 صالح شكاك، وزارة التربية الوطنية - تمارة.  
 المصطفى شويكي، كلية الآداب - الدار البيضاء - عين الشق.  
 محمد الشياظمي، باحث - الرباط.  
 منير صالح، باحث.  
 أبو بكر الصبيحي، باحث - سلا.  
 محمد الصوفي، باحث.  
 عبد الرحمان الطيبي، وزارة التربية الوطنية - سلا.  
 عبد العزيز بن عبد الجليل، وزارة الثقافة - مكناس.  
 توفيق العبقري، باحث - الرباط.  
 زكية عراقى سيناصر، وزارة الثقافة - الرباط.  
 أحمد عزوي، كلية الآداب - القنيطرة.  
 محمد ابن عزوز حكيم، باحث - تطوان.  
 عبد الرحيم العطاوي، كلية الآداب - الرباط.  
 أحمد عمالك، كلية الآداب - مراكش.  
 عبد الله العمراني، باحث - تطوان.  
 محمد عمراني، كلية الآداب - القنيطرة.  
 الحاج موسى عوني، كلية الآداب - فاس.  
 مصطفى عباد، كلية الآداب - الرباط.  
 عبد الخالق غازي، باحث.  
 حياة الفراس، باحثة - مراكش.  
 إدريس الفاسي، كلية الآداب - الرباط.  
 عبد الإله الفاسي، كلية الآداب - القنيطرة.
- حسن الفكيكي، كلية الآداب - القنيطرة.  
 بوشتي الفلاح، باحث.  
 المصطفى فنيتر، كلية الآداب - مراكش.  
 عبد الإله فونعير، كلية الحقوق - الرباط.  
 عبد القادر القادري، كلية الحقوق - الرباط.  
 محمد مصطفى القبياح، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.  
 محمد، القبلي، كلية الآداب - الرباط.  
 أحمد قدور، كلية الآداب - الرباط.  
 محمد كربول، كلية الآداب - الرباط.  
 محمد كلال، وزارة التربية الوطنية - أسفي.  
 محمد اللبار، كلية الآداب - وجدة.  
 سيمون ليقي، كلية الآداب - الرباط.  
 حسن ليمان، وزارة الثقافة - ويلي - مكناس.  
 محمد ماگامان، وزارة التربية الوطنية - مراكش.  
 أحمد متفكر، وزارة التربية الوطنية - مراكش.  
 محمد مجدوب، كلية الآداب - المحمدية.  
 المكسي مرهي، وزارة التربية الوطنية - مراكش.  
 محمد مرزاق، وزارة التربية الوطنية - وجدة.  
 نجاة المريني، كلية الآداب - الرباط.  
 أحمد مزيان، كلية الآداب - فاس.  
 الرشيد المصلوت، باحث - تارودانت.  
 عز المغرب معنينو، وزارة التربية الوطنية - الرباط.  
 محمد المغراوي، كلية الآداب - الرباط.  
 أحمد المكاوي، باحث.  
 عبد الرحمان الملحوني، باحث - مراكش.  
 محمد المنصور، كلية الآداب - الرباط.  
 محمد المنوني، كلية الآداب - الرباط.  
 محمد منيوي، المعهد العلمي - الرباط.  
 عبد الحي مودن.  
 شاكر الميلود، باحث.  
 محمد الناصري، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط.  
 مططفى ناعمي، البحث العلمي - الرباط.  
 عبد الله نجمي، كلية الآداب - الرباط.  
 زهرة، النظام، كلية الآداب - المحمدية.  
 محمد هشمي، المدرسة الوطنية الغابوية - سلا.  
 أحمد هوزالي، كلية الآداب - مراكش.  
 أحمد الوارث، كلية الآداب - الجديدة.  
 مصطفى يعرف، باحث - وجدة.



## ببليوغرافيا إضافية إلى ما ذكر في الأجزاء السابقة

- ع. ابن إبراهيم،  
إظهار الكمال في تميم مناقب أولياء مراكش السبعة رجال، مخ. خ. ح. رقم 232.
- م. أخريف،  
إطلالة على أولياء مدينة القصر الكبير، مارس 1989.
- إ. الإدريسي،  
إعلان الصناعة الفاسية بنهضتها السامية، فاس، 1938.
- ع. الإدريسي،  
كشف الغطا عن سر الموسيقى ونتائج الغناء، الرباط، 1935.
- س. أدي شير،  
معجم الألفاظ الفارسية المعربة، بيروت، 1980.
- م. الأسدي،  
التيسير والاعتبار والتحرير والاختيار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختيار، تج. ع. طليعات،  
القاهرة، 1968.
- ي. أشباخ،  
إسبانيا والبرتغال في عهد سيادة المرابطين والموحدين، تطوان، 1939.
- س. أعراب،  
جامع البيضا، معلمة المغرب.  
تاكطشت، معلمة المغرب.
- م. أعشي،  
العلاقات السياسية والعسكرية في موريتانيا الطنجية بين المور والرومان من 140 إلى 285 م، د. د. ع. الرباط،  
1980.
- م. أعفيف،  
الحركات الحسنية من خلال مؤلفات ابن زيدان، مجلة كلية الآداب الرباط، ع 7، 1980.
- ع. أفضاض،  
تأسيس جيش التحرير المغربي في الشمال، مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع 12.
- ح. أميلي،  
الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن 17، د. د. ع. الرباط، 1989.
- ح. أنوش،  
بورحيم، معلمة المغرب، ج 5.
- أ. باكرا،  
المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة، [د. م] : [د. ت]، 2 ج.

- ب. باه النعمة،  
الشعر الحسناني المجال النقدي والمرجع، الدار البيضاء، 1992.
- ب. البخاري،  
الجامع الصحيح، بيروت، [د. ت].
- ع. بدوي،  
أفلاطون في الإسلام، تهران، 1974.
- م. برادة غزبول،  
مدونة وتنظيمات الجمارك والضرائب غير المباشرة، 1995.
- ع. بردلة،  
رسالة إلى مولاي إسماعيل، مخ. خ. ع رقم د 163.
- م. برگاش،  
مراسلات مخزنية، مخ. خ. ع الرباط، ميكروفيلم.
- ع. البكريوي،  
الوجيز في القانون الإداري المغربي، الرباط، 1990.
- ع. البلغيشي،  
المنار، مخطوط.
- ر. بلمقدم،  
أرقاب مكناس في عهد مولاي إسماعيل، الرباط، 2 ج.
- ع. بنعبدالله،  
الأثر الاسلامي في الفن المغربي، البينة، ع 10، فبراير 1963.
- ع. بنعبيد،  
التوت، معلمة المغرب، ج 8.
- م. بنعلي،  
جوانب من نشاطات جيش التحرير بمنطقة فكيك، مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع 2.
- م. بناني،  
فهرسة أحمد بن العربي ابن الحاج، مخ. خ. ح.
- م. بنصيرة،  
الجماعات المحلية والممارسة المالية بالمغرب، مراكش، 1994.
- م. بوجندار،  
ترجمة صاحب الفضيلة والمعالي محمد بن الحسن الحجوي، السعادة، ع. 6054، 19 يناير 1944.
- م. بوخلفة،  
الطريق لمعرفة القصر الكبير، 1972.
- ر. بورقية،  
حول القبيلة في المجتمع المغربي في القرن 19 م، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، ع 14، 1988.
- إ. ابن بوزيد السلاوي،  
الكناشة العلمية، مخطوط.

- ج. البوسليمانى،  
روضة الأزهار ونزهة الأبصار، مخطوط.
- أ. بوشرب،  
المغاربة والبحر، مجلة بحوث، ع 4، 1991.  
وثيقة برتغالية جديدة تتعلق بواقعة المليحة، مجلة كلية الآداب فاس، ع 2 - 3، 1979 - 1980.
- إ. بوطالب،  
الإدارة، معلمة المغرب، ج 1.  
ب. بوعسرية،  
مكاس المدينة الجديدة : التأسيس، البنيات الإدارية، التناقضات، 1911 - 1939، د. التاريخ، الرباط، 1995.
- ح. بوعباد،  
الحركة الوطنية : الظهير البربري 1348 / 1930، الدار البيضاء، 1979.
- ي. بوغانم،  
سوسيولوجيا الأغنية : أغنية جيل جيلالة نموذجاً، الدار البيضاء، 1990.
- م. البومسهولي،  
من المسؤول عن إفلاس تعاونية الدباغين في مراكش، الاتحاد الاشتراكي، ع 3621، 9 يوليوز 1993.
- إ. التادلي،  
أغاني السيقا ومعاني الموسيقى، مخطوط.
- ع. التازي،  
دور الطرق الصوفية في المحافظة على التراث الموسيقي العربي، المناهل، 1986.
- ع. التاغرغارتي،  
تراجم بعض علماء وفقهاء سوس، مخطوط.
- إ. التامري،  
المتعة والراحة في تراجم أعلام حاحة، الدار البيضاء، 1995.
- ص. التجميبي بن إدريس،  
زاد المسافر، بيروت، 1970.
- ح. التريكي،  
المساجد ووظائفها بمراكش زمن المرابطين والموحدين، ضمن أشغال الملتقى الأول حول مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدى، الدار البيضاء 1989.
- أ. التستاوتي،  
ذيل ممتع الاسماع، مخطوط.
- ج. التستاوتي،  
مجموع، مخ. خ. ع. رقم ك 309.
- أ. التفاتيني،  
فتاوى فقهاء جزولة، مخطوط.
- التقي العلوي،  
أصول المغاربة : الاتحاديات الأطلسية، آيت عطا، البحث العلمي، ع 23، 1974.

- ع. التليدي،  
المطرب في مشاهير أولياء المغرب، طنجة، 1987.
- ح. التمنوكالي،  
العقود الجوهريّة، مخ.
- م. التنسي،  
تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تح. م. بوعبيد، الجزائر، 1985.
- الثعالبي،  
تحفة الوزراء، تح. ح. الراوي وأ. م. الصفار، بغداد، 1977.
- م. ابن جابر،  
منية العابر، تح. ع. العمراني.
- ع. الجادري،  
اقتطاف الأتوار من روضة الأزهار، ضمن كتاب علم المواقيت أصوله ومناهجه، تح. م. ع. الخطابي، المحمدية،  
1986.
- م. الجاني،  
مقمع الكفرة باللسان والحسام في بيان إيجاب الاستعداد وحرب النظام، مخ. خ. ح.
- خ. ع. الجباري،  
تيسير الباري في ثبوت النسبة النبوية الشريفة لأولاد الجباري، الدار البيضاء، 1989.
- ع. الجراري،  
الخصيب في آثار الحبيب، مخطوط.  
مدخل لرحلة الحضيكي، المناهل، ع 10.
- م. ابن الجزري،  
غاية النهاية في طبقات القراء.
- م. الجزري،  
النشر في القراءات العشر، تح. م. علي الضباع.
- م. الجزولي،  
ذكريات من ربيع الحياة، الرباط، 1971.  
المواهب القدسية، مخ. خ. ع رقم ج 97.
- خ. جزوليت،  
المختار جزوليت شهيد انتفاضة المطالبة بالاستقلال سنة 1944، مخطوط.
- ع. الجشتيمي،  
الحضيكيون، مخطوط.
- ح. جلاب،  
معجم عراصي مراكش، مجلة التراث الشعبي، ع 5، 1981.
- إ. ابن جلون،  
التراث العربي المغربي في الموسيقى، 1981.  
الدروس الأولية للموسيقى الأندلسية.  
الجهة، الجهوية والتنمية المحلية، المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، ع 8، 1996.

- ع. الجيلالي،  
تاريخ الجزائر العام، بيروت، 1965.
- ابن الحاج،  
الدر المنتخب المستحسن، مخ. خ. ح، رقم 1920.
- م. أيت الحاج،  
مظاهر الحياة الثقافية بحاحه وإبداوتان، د. د. ع.
- ج. ابن الحاج السلمي،  
وثائق بيت شيخ الجماعة أحمد بن العربي ابن الحاج السلمي بتطوان، ضمن كتاب تطوان خلال القرن 18، 1727 .  
1822، تطوان، 1993.
- ط. ابن الحاج السلمي،  
الإشراف على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف، مخ.  
رياض الورد، تح. ج. ابن الحاج السلمي، دمشق، 1993.
- م. ابن الحاج السلمي،  
إسعاف الإخوان، الدار البيضاء، 1992.
- م. ابن الحاج العبدري،  
المدخل، بيروت، 1977.
- ط. الحبيب بن الملوي،  
تاريخ درعة، مخطوط.
- م. حجاج الطويل،  
الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، د. د. ع، الرباط، 1988.
- أ. حجي،  
الفتوحات الالهية.  
مواهب الملك الحق المعبود، مخطوط.
- م. حجي،  
موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996 . 10 ج.
- ع. الحجرتي،  
الروض الطيب العرف، مخطوط.
- م. الحجوي،  
الأحداث السياسية على عهد مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ، مخ. خ. ع.
- إ. حركات،  
النشاط الاقتصادي الاسلامي في العصر الوسيط، الدار البيضاء، 1996.  
النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، الدار البيضاء.
- م. حركات،  
الاقتصاد السياسي : مراحل تكوين المعرفة الاقتصادية، الرباط، 1996.
- حزب الاستقلال،  
قائمة الشرف، الرباط، 1988.

الحسن الثاني،

التحدي، الرباط، 1983.

ع. الحسيني،

الإلام ببعض من لقيت من علماء الإسلام، مخطوط.

ع. الحسيني،

أضواء حول مشاركة قبيلة أولاد جرير في صفوف جيش التحرير بالمنطقة الشرقية، مجلة المقاومة وجيش التحرير،

ع 9.

م. الحضيكي،

الرحلة الحجازية، مخ. خ. ح رقم 405.

فهرست، مخطوط.

ق. الحلقاوي،

شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة، مخ. خ. ابن يوسف مراكش، رقم 171.

ب. الحمومي،

رسالة فيما اشتمل عليه الاتاي من المنافع وبيان طبخه وطريق استعماله وسبب ظهوره، فاس، ط. حجرية،

1908.

ت. الحمومي،

المقصد في التعريف بالشيخ أبي العباس أحمد بن الحسن الحمومي وشيخه المولى التهامي، مخ. المسجد الأعظم،

وزان.

س. الحوات،

نمرة أنسي في التعريف بنفسه، مخ. خ. ع. رقم ك 1264.

السر الظاهر فيمن أحرز بقاس النسب الطاهر، فاس، ط. حجرية.

م. ع. الخطابي،

الطب والأطباء بالأندلس الإسلامية.

أ. خطوري،

أضواء على انطلاق عمليات جيش التحرير بإيموزار مرموشة، مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع 14.

م. خليل،

محمد المختار السوسي : دراسة لشخصيته وشعره، الدار البيضاء، 1985.

ع. الحيارى،

الرأسمالية والصناعة التقليدية، د. اقتصاد، الدار البيضاء، 1983.

م. الحياطي،

جواهر السماط في ذكر مناقب سيدي عبد الله الحياطي، مخطوط.

الخوجة، ترتيب العسكر، مخ. خ. ع رقم د 2733.

م. الداودي،

طبقات المفسرين، بيروت، 1983.

م. الدباغ،

من أعلام الفكر والأدب في العصر المريني، الدار البيضاء، 1992.

- م. أ. دهمان،  
معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دمشق، 1990.
- ع. الدوماني،  
روضة التحقيق في فضائل آل الصديق، مخطوط.
- ح. الذهبي،  
المشبه في الرجال، تح. م. البجاوي.
- ت. ابن رهمون،  
شذور الذهب في خير نسب، مخ. خ. ع رقم د 1484.
- مناقب الشيخ الكامل والقطب الجامع سيدي عبد السلام بن مشيش، مجموع مخطوط، خ. ع. رقم 1484.
- هـ. هـ. رشيد،  
ما يجب أن تعرف عن جامعة الدول العربية، تونس 1980.
- ع. ركوك،  
بعض الدلالات التاريخية من خلال العيطة، بيان اليوم، 10 فبراير 1992.
- التصوف الغنائي في منطقة الصويرة والشياطمة، بيان اليوم الثقافي، 12 / 3 / 1992.
- أ. الرهوني،  
مختصر عمدة الراوين، مخطوط.  
حاشية على شرح عبد الباقي الزرقاني، القاهرة.
- أ. الريفي،  
تقييد في أسرة الجيدين، مخطوط.
- ع. الرياحي،  
تعطير النواحي بترجمة سيدي إبراهيم الرياحي، تونس، 1320 هـ.
- م. ابن زاكور،  
الاستشفاء من الأثم في التلذذ بذكر صاحب العلم، مخ. خ. ح. الرباط.
- م. ابن زكري الفاسي،  
حاشية على صحيح البخاري، مخ. خ. ح. رقم 11149.
- ع. زمامة،  
ابن حسون الوزاني، البحث العلمي، ع 17، 1971.
- م. الزميلي،  
لباس المرأة وزينتها في الفقه الإسلامي، عمان، 1982.
- م. زنيبر،  
ابن بطوطة، معلمة المغرب، ج 4.
- ز. زوكاغي،  
أحكام القانون الدولي الخاص في التشريع المغربي : الجنسية، الرباط، 1992.
- أ. زوكاغي،  
وثائق الجنسية المغربية، الرباط، 1994.
- ع. ابن زيدان،  
معجم طبقات المؤلفين في عهد الدولة العلوية، مخ. خ. ح رقم ز 12564.

- ع. الزين،  
العلاقات بين المدينة والبادية بحوض الرباط، د. د. ع، علم الاجتماع، الرباط، 1987.
- ح. الزيات،  
ثياب الوثني، مجلة الشرف، ع 4، يناير - مارس 1947.
- أ. الزياني،  
عقد الجمان في شمائل مولاي عبد الرحمان، مخ. خ. ع. رقم 40.
- م. الزيادي،  
سلوك الطريق الوارية، مخطوط.
- ع. سالم،  
المغرب الكبير، بيروت، 1981، 2 ج.
- ع. السعود،  
تطوان في أواخر القرن 19، د. د. ع، الرباط، 1992.
- أ. سكيرج،  
نزهة الاخوان في تاريخ تطوان، مخطوط.  
كشف الحجاب، القاهرة.
- ع. سكيرج،  
مذكرة الزبير سكيرج 1850 - 1932، مجلة دار النياحة، ع 8.
- أ. ع. سلامة،  
المبسوط في نظام الجنسية، القاهرة، 1993.
- السلطان مولاي حفيظ،  
داء العطب قديم، مخطوط.
- السملاي،  
مطالع الحسن واتباع السنن بطلوع راية مولانا الحسن، مخ. خ. ح. رقم 81.
- ع. السوسي السملاي،  
منتهى القول ومشتهى العقول، مخ. خ. ع. الرباط، رقم 633.
- م. ع. سيناصر،  
مسجد الحسن الثاني، بنيراك (فرنسا)، [د. ت].
- ع. السبوطي،  
لب اللباب في تحديد الأنساب، بغداد.
- ع. الشاذلي،  
أسفي، معلمة المغرب، ج. 2.
- ح. الشبيهي،  
الجراوي، شاعر الموحدين.
- م. الشراط،  
الروض، تح. ز. النظام، الرباط، 1997.
- م. شفيق،  
أمازيغ، معلمة المغرب، ج 2.



- أ. الشقيري،  
الجامعة العربية : كيف تكون جامعة وكيف تصبح عربية، تونس، 1979.
- م. شماعو،  
المجتمع المغربي كما عرفته، الرباط، 1980.
- أ. شوارق،  
حقائق تاريخية عن عملية افراغ الباخرة دينا، مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع 18.
- ح. شوقي،  
قبيلة السراغنة خلال القرن 19، د. د. ع، الرباط، 1990.
- م. شويكي،  
إنتاج وهيكلية المجال الحضري بالدار البيضاء، د. الرباط، 1985.
- م. صالح،  
من الفقيه بن صالح إلى ميلانو : الهجرة الدولية المغربية إلى إيطاليا وتأثيرها على مناطق الانطلاق، د. د. ع،  
الرباط، 1996.
- أ. الصبيحي،  
الرحلة الحجازية، مخ. خ. ص.
- م. صلك،  
من معارك إقليم وادي الذهب سنتي 1957 - 1958، مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع 33.
- ع. الصنهاجي،  
مذكرات من تاريخ حركة المقاومة وجيش التحرير المغربي من 1947 إلى 1956، المحمدية، 1987.
- م. الصوفي،  
ديبلوماسية مؤتمرات القمة في العلاقات العربية، د. د. ع، القانون العام، الرباط، 1982.
- م. الصومعي،  
التشوف الصغير، مخ. خ. ع رقم د 1103.
- أ. طرين،  
انجازات جامعة الدول العربية في دعم الاستقلال السياسي للأقطار العربية، مارس 1912.
- ط. الطويل،  
حوار مع الحاج الحسين التولالي، جريدة كل الفنون، 9 أبريل 1994.
- ع. العافية،  
الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون وأحوازها، المحمدية، 1982.
- م. ابن عبود،  
مراكز الأجنبي في المغرب، الرباط، 1988.
- إ. عبد الباقي،  
الجنسية في قوانين دول المغرب العربي الكبير، تونس، 1971.
- ع. ابن عبد الجليل،  
معجم مصطلحات الملحنين.  
طرب الملحنون المغربي، مجلة التراث الشعبي، ع 10، 1980.  
الموسيقى الأندلسية المغربية، عالم المعرفة، ع 129، 1989.

- ص. ابن عبد الحلیم،  
 كتاب الانساب، مخ. خ. ع الرباط، رقم ك 1275.
- ف. عبد الرزاق،  
 المطبوعات الحجرية في المغرب، الرباط، 1989.
- ح. ح. عبد الوهاب،  
 شهيرات النساء التونسيات، تونس، 1353 هـ.
- م. ابن عثمان المراكشي،  
 الجامعة اليوسفية بمراكش في تسعمائة سنة، 1937.
- م. العجلان،  
 تأليف في الأشربة والمعاجين والأدهان والسفوفات والمراهيم والأكحال والمربيات واللطوخات، مخ. خ. ع رقم د 761.
- ح. العرائشي،  
 انطلاق المقاومة المغربية وتطورها، الرباط، 1982.
- العروسي،  
 السلطنة الحفصية - بيروت.
- أ. عزاوي،  
 رسائل موحدة جديدة، د. د. ع، الرباط، 1986.
- م. ابن عزوز حكيم،  
 باب الثوت، معلمة المغرب، ج 8.
- التطور الطبوغرافي لمدينة تطوان، مجلة تطوان، ع 4 - 5، مارس 1993.
- حاكمة تطوان، الرباط، 1983.
- م. ابن أبي عسيرة الفاسي،  
 رحلة، مخطوطة.
- أ. ابن عطية،  
 سلسلة الأنوار، مخ. خ. ع، رقم ك 2458.
- ع. عفيفي،  
 الملامتية والصوفية وأهل الفتوة، القاهرة، 1956.
- ع. العكاري،  
 البدور الضاوية في ذكر الشيخ وتلاميذه وبناء الزاوية، مخطوط، خ. ع رقم د 88.
- إ. العلوي،  
 بني مالك، معلمة المغرب.
- ع. العلوي،  
 صناعة النسيج في المغرب الوسيط : الانتاج والمبادلات، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية فاس، ع 2، 1985.
- م. ابن علي الدكالي،  
 السفينة المنجية في أخبار أهل الزاوية الحجية، مخطوط.
- ك. علي،  
 جامعة الدول العربية والمنازعات الاقليمية العربية، د. د. ع، الرباط، 1980.

ع. عمرو،

اللباس والزينة في الشريعة الاسلامية، عمان، 1985.

أ. العماري،

مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر، د. كلية الآداب الرباط، 1981.

ف. العيسوي،

جوانب من علاقة المخزن بالحرف، د. د. ع. الرباط، 1989.

م. عياد،

الشريف الإدريسي، معلمة المغرب.

ح. الفراس،

هدية البارود بجامع الفنا على لسان شاهد عيان، مجلة أطلس مراكش، ع 2، 1994.

أ. غرسباخاين،

الفن والفنانون المسلمون، مدريد، 1951.

ع. غلاب،

تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، الرباط، 1987، ج 2.

ط. الغنيمي،

جامعة الدول العربية، الاسكندرية، 1974.

ر. م. غورضو،

تعقيب وتوضيح حول مقال دور مركز كارمة إبان المقاومة وتأسيس جيش التحرير، مجلة المقاومة وجيش التحرير،

ع 31.

ع. الله الفاسي،

الإعلام، تح. ف. نافع د. د. ع. الرباط.

علائ الفاسي،

الشاعر عبد الرحمن حجي، العلم، 21 يونيو 1965.

م. الفاسي،

شاعر الخلافة الموحدية أبو العباس الجراوي، الرباط.

شعراء الملحنون السلاويون، المناهل، ع 33.

م. المهدي الفاسي،

تحفة أهل الصديقية. خ. خ. ع. رقم: ج 79.

س. الفشتالي،

تقييد. مخ، خ، ع، د 283.

س. فنيش،

الفقيه عبد السلام حركات. د. د. ع. التاريخ، الرباط، 1994.

أ. القادري،

- العلامة المفتي أحمد الجبري : شيخ الجماعة بسلا 1277 - 1353 هـ الرباط، 1985.

- محمد حصار.

- مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930 إلى 1940، الدار البيضاء، 1992، ج 1.

م. القصار،

فهرس، مخ، خ. ع. رقم : ك 1427.

ع. الكاديكي،

الامراض المعدية.

كتاب القوانين الداخلية المتعلقة بمشاة العسكر الجهادية في سبيل الله. مخ. خ. ع. رقم : 1258.

ع. الحمي الكتاني،

الآيات النفاعات فيما يتعلق بالحمامات. مخ. خ. ع. رقم : ك 2942.

أشرف بقعة، مجلة المغرب، يونيو 1936.

إعلام الأئمة، فاس : ط. حجرية.

تبليغ الأمانة في مضار الاسراف والتبرج والكهانة. مخ. خ. ع. رقم : ك 2729.

توفير المنة. مخ. خ. ع. رقم : ك 2404.

زهر الآس في بيوتات فاس. مخ. خ. ع. رقم : ك 1281.

كتاب في الخطاب. مخ. خ. ع. الرباط، رقم : ك 3208.

م. الكتاني،

الاعلام ببعض ما يتعلق بالمكانات المجلاة من الأحكام. مخ. خ. ع. رقم : ك 1180.

رفع الألباس وكشف الضر والباس ببيان ما للعلماء النحارير الاكياس في مسألة الجرير التي وقع فيها الخوض بين الناس. مخ. خ. ع. رقم : ك 1180.

ع. كنون،

أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي، بيروت [د. ت].

ابن عبيدون، أحمد بن شعيب الجزنائي، تطوان [د. ت].

جني زهر الآس في شرح نظم عمل فاس، القاهرة [د. ت].

م. كنون،

كفاية المحتاج في استعمال المحلي والديباج. مخ. خ. ع. رقم : د 1231.

م. لشكر،

ملحمة جيش التحرير بالصحراء المغربي، مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع 19.

ح. المباركي،

الري وندرة الماء : مشكل الفلاحة العصرية بحوز مراكش. د. د. ع. الرباط، 1987.

م. المجاطي،

شرح الدرر اللوامع في أصل مقراً نافع.

م. مجدوب،

مملكة المورين وعلاقتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م. د. د. ع. فاس، 1990.

مجهول،

تمسك الفقير الحقيير بطريقة الولي الشهير الخطير سيدي محمد بن عيسى الكبير. مخ.

ورقات في أسرار بعض الصنائع. مخ. خ. كلية الآداب الرباط، رقم : 216 مكل.

محمد الخامس،

خطاب بمناسبة استقبال جيش التحرير سنة 1956، مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع 2.

- أ. المدني،  
مراحل الكفاح الوطني بالجنوب المغربي وانطلاقة جيش التحرير ومقاومة قبائل ايت أوسا نموذجاً مجلة المقاومة  
وجيش التحرير. ع 35.
- أ. ت. المدني،  
حرب لثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، الجزائر، [د. ت].  
كتاب الجزائر، الجزائر، 1350 هـ.
- أ. المرابي،  
تحفة الإخوان ومراهب الامتنان في مناقب سيدي رضوان. مخ. خ. ع. رقم : ك 154.  
المرأة المغربية والحلي، العلم، ع. 870، 28 أبريل 1974.  
م. المرغيتي،  
العوائد، مخطوط.
- ع. المريني،  
النضال الجبلي : الأنظمة الاجتماعية الجبلية، طنجة 1988.
- ع. المزيوي،  
مذكرات. مخ.  
م. ع. المشرفي،  
مشموم عرار النجد.  
ج. مطر، ع. هلال،  
النظام الاقليمي العربي : دراسة في العلاقات السياسية العربية، بيروت، 1983.
- أ. معينون،  
تكوين جيش التحرير بقبيلة الحزناية بإقليم تازة مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع 20.  
ش. مفيد،  
جامعة الدولة العربية ميثاقها وإنجزاتها، القاهرة، 1978.
- أ. المقري،  
أزهار الكمامة في أخبار العمامة ونبذة من ملابس المخصوص بأسرار الإمامة. مخ. خ. ع. رقم : د 984.  
ع. ابن المقفع،  
الأدب الصغير تم الأدب الكبير في رسائل البلغاء. تح. م. كرد علي، القاهرة 1954.  
م. المكودي التازي،  
الإرشاد والتبليغ لرد ما أحدثه الروساء من أهل تطوان، مخطوط.  
م. ابن المليك،  
بإدارة الاستعجال في مناقب السبعة رجال. مخ. خ. ع. الرباط.  
ع. المنتوري،  
الفهرسة. مخ. خ. ع. رقم : 1578.  
ابن منظور،  
لسان العرب، بيروت، [د. ت]..

- ح. المنفلوطي،  
تحفة الكرام في بعض مناقب غوث الانام قطب جزولة. مخ. خ. ع. رقم : 925.
- م. المنوني،  
التخطيط المعماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور - مجلة الثقافة المغربية، ع 7، 1972.  
حل مشكلة تتصل باسم وعصر مؤلف الروض العطار، المناهل، ع 10، نونبر 1977.
- ح. مهديوي،  
الزي التقليدي لقبائل الأطلس، جريدة الأنوار، ع 122، 31 دجنبر 1996.
- م. مولاي رشيد،  
المغرب الأقصى عند الاغريق واللاتين، الدار البيضاء، 1993.
- م. ميارة،  
الدر الثمين، شرح المرشد المعين، القاهرة، 1306 هـ.
- ج. الناصري،  
قضاة سلا. مخطوط، خ. ص.
- م. ناعمي،  
ازوافيط - معلمة المغرب، ج 2.
- ع. نجيمي،  
عكاكرة. د. د. ع. الرباط.
- أ. الهشتوكي بن داود،  
هداية الملك العلام. مخ. خ. ع. رقم : ق 147.
- ن. همزان،  
تدوين تاريخ جيش التحرير بالجنوب المغربي - مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع 12.
- أ. همشي،  
انطلاقة جيش التحرير بتازة عجلت بارجاع الملك وعلان الاستقلال، مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع 38.
- ع. الهلالي،  
وفيات الهلالي، مخطوط.
- أ. هوذالي،  
التحولات المجالية والاقتصادية وحركة التمدين بالأطلس الكبير المراكشي. د. د. ع. الرباط، 1987.
- ف. م. الهوني،  
تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية.
- أ. هيل،  
النبات الاقتصادي، تر. عبد المجيد زاهر [وآخران] - القاهرة، 1962.

**Supplément**  
**à la bibliographie des ouvrages et des articles cités**  
**dans l'encyclopédie avec leurs abréviations**

- ABDEL JALIL, J.M. - *Le Maroc*, Paris, 1942.
- ABOU EL KARAM, F. - *Répertoire des gouvernements du Royaume du Maroc, 1955 - 1988*, Casablanca, 1988.
- ADAM, A. - *Le Costume de quelques tribus de l'Anti - Atlas*, Hesp., 3ème - 4ème trim., 1952.
- ADMINISTRATION DES EAUX ET FORETS ET CONSERVATION DES SOLS. - *Quantification de la consommation de bois de feu au Maroc*, Casablanca, 1994.
- AHERDANE, M. - *Signes symboliques et peintures corporelles*, Amazigh, n° 6, 1981.
- AIT HAMOU, H. - *Mutation de l'espace péri-urbain casablançais : le cas des communes des Ait Harrouda et Tit Mellil*, Th. 3ème cycle, Géo., Tours, 1988, 2 vol.
- ALAOUI, Y. A. - *Guide du chasseur au Maroc*, Rabat, 1992.
- ALARCON, - *Melilla*, Madrid, 1909.
- ALBERT, L. - *Les Ida Ubaqil*, Arch. S.H.A., 1915.
- ALBERT, L. - *Renseignements sur la tribu des Italen, Sous, Anti - Atlas*, Arch. S.A.H., 1914.
- ALBERT, P. - *Les Tribus du Sahel atlantique, Sous, Tazeroualt, Dra, Oued Noum, Seguiet et Hamra*, Paris, 1960.
- ALDECOA, M. De. - *Cours d'arabe marocain*, Paris, 1942.
- ALMAGRO CORREA, A. *Las Torres bereberes de la Marca Media, Cuadernos de la Alhambra*, 12, 1976.
- AL-MAKARI, A. - *Focus et topique en Hassaniyya*, Th. 3ème cycle, Rabat, 1987.
- APPIEN. - *Bellorum civilium liber, Libya, Punica in Historia Romana*, Teunber, 1906.
- ARSALANE, K. - *Le Foot-ball marocain*, Casablanca, 1990.
- ASEBRIY, L. - *Evolution tectonique et métanorphique du Rif central, définition du domaine subriftain*, Th. Doc. d'Etat, Rabat, 1994.
- AUBERT, Cap. - *Les Harratine de l'annexe de Tafingout*, Arch., S.H.A. 1913.
- AYMARD, A. - *Aspects de la défense romaine en Afrique, I.H.*, 1952.
- AZAN, P. - *L'Emir Abd el-Kader, 1808 - 1883 : du fanatisme musulman au patriotisme français*, Paris, 1925.
- BADUEL, R. - *La Production de l'espace national au Maghreb, A.A.N.*, XXIII, 1983.
- BAIDA, J. - *La Presse marocaine d'expression française, des origines à 1956*, Rabat, 1996.
- BALDOUI, J. - *L'Artisanat marocain à la croisée des chemins*, Alger, [s.d.].
- BALLETTO, L. - *Da Genova al Maghreb, 1222 - 1226, Archivio Storia Sardo di Sassari*, 1982.
- BELLOUCHE - DAMBLON. - *Nouvelles données palynologiques sur la végétation holocène du Maroc. Trav. Sci. Sc., Tech.* XXV.
- BARDON, H. - *Contribution à l'étude épidémiologique et chimique de la rougeole au Maroc. Bull. Inst. Maroc.* n° 3-4, 1951.
- BASRI, D. - *La Décentralisation au Maroc : de la commune à la région*, Paris, 1994.
- BASRI, D. / Dir. - *Précis de fiscalité des collectivités locales et de leurs équipements*, Rabat, 1993.
- BASSET, H. - *La Fête de Lalla Ksaba, F.M.*, n° 6, 1917.
- BASSET, H. - *Les Rites du travail de la laine à Rabat, Hesp.*, 1er - 2ème trim., 1922.

- BASSET, R. - *Hadjar al - Nasr*, E.L., T. 2.
- BAUDY, P. - *Economie forestière nord - africaine : description forestière du Maroc*, Paris, 1958.
- BAUMONT, G. - *L'Avenir des corporations artisanales au Maroc*, [s.l.], 1949.
- BEAUDET, G. - MAURER, G. - MARTIN, J. - *Remarques sur quelques facteurs de l'érosion des sols*, R.G.M., n° 6, 1964.
- BEAUDET, G. - *Types d'implantation humaine en pays Zaïan*, R.G.M., n° 8, 1965.
- BELLAOUI, A. - *La Place de Jamaa El Fna entre le visiteur et l'usager : premier bilan d'un sondage d'opinion*, Atlas, n° 2, 1994.
- BENABID, A. - *Etudes phytosociologique et phytodynamique et leur utilité*, Ann. Rech. Forest. du Maroc, n° 24, 1984.
- BENCHEHIDA - SBIHI. - *Proverbes de vieilles femmes marocaines*, Fès, 1930.
- BENCHEKROUN, M. - *La Vie intellectuelle marocaine sous les mérinides et les wattasides*, Rabat, 1974.
- BEN CHENEB, M. - *Proverbes arabes de l'Algérie et du Maghreb*, Paris, 1907.
- BENHALIMA, H. - *L'Artisanat traditionnel Sefrioui*, R.G.M., n° 1, 1977.
- BENKHALIFA, S. - *Le Costume dans la tradition*, Echanges, vol. 1, n° 3, 1979.
- BENSLIMAN - HASSAR, J. - *Aïn Karouach : un nouveau site archéologique dans le Gharb*, B.A.M., 12, 1980.
- BENTOLILA, F. / Dir. - *Proverbes berbères*, Paris, 1993.
- BERGIER, P. - *Les Falconiformes marocains. statut, répartition et écologie*, Annales C.E.E.P., n° 3, 1987.
- BERNES, J.P. - ALAIN, J. - *Arts et objets du Maroc : céramique, bijoux, armes*, ABC Décor, mars 1974.
- BERQUE, J. - *La criée publique à Fès*, Rev. d'Econ. publique, mai 1940.
- BERRADA, T. - *Aspects de la question militaire au 19ème S., Maroc Europe*, n° 7, 1994.
- BERTRAND, A. - *Tribus berbères*, Lausanne, 1977.
- BESANCENOT, J. - *Bijoux arabes et berbères du Maroc*, Casablanca, 1953.
- Bijoux*, E.B., 10.
- BIREBENT, J. - *Aquae Romanae : recherche d'hydraulique romaine dans l'Est algérien*, Alger, 1962.
- BLANCHERE, R. - *Contribution à l'étude de la littérature proverbiale des arabes à l'époque archaïque*, Arabica, I, 1954.
- BLANFORD, H.F. - *On the connection of the Himalaya Snowfall and seasons of drought in India*, Proceedings Royal Society London, 37, 3, 1884.
- BLOCK, D.P. - *Histoire et toponymie*, A.E.S.C., Juil.-Août 1969.
- BOIX, C. - *Années de disette, années d'abondance : sécheresses et pluies au Maroc*, B.S.G. (Paris), mars 1872.
- BON, G. - *Tatouages berbères*, Public mondial, n° 25, 1950.
- BONJEAN, P. - *Esquisse d'un portrait de la marocaine*, Casablanca, [s.d.].
- BORELY, J. - *Mon plaisir au Maroc*, Paris, 1927.
- BOUCHARB, A. - *Les Crypto - musulmans d'origine marocaine et la société portugaise au 16ème S.*, Th.
- BOUGIS, P. - *Les Poissons marins*.
- BOULARD, M. - *Les Orthoptères - Grande Encyclopédie Alpha des Sciences et des Techniques*, Zoologie, Paris, 1984.
- BOULNOIS, L. - *La Route de la soie*, Paris, 1963.
- BOURGUIGNON, Li. - *Reconnaissance aux Ida ou Zekri*, Arch., S.H.A., 1917.
- BOURNON, J.Y. - *Le Dictionnaire des proverbes et dictons de France*, Paris, 1986.
- BRADINET, P. - *Le Régime douanier du Maroc*, Th. Doct., Bordeaux, 1932.
- BROSSARD, L. - *Les Fils et les tissus*, Paris, 1977.
- BRUNOT, L. - *Au seuil de la vie marocaine*, Casablanca, 1950.
- BRUNOT, L. - *Proverbes et dictons arabes de Rabat*, Hesp., 8, 1928.
- BRUNOT, L. - MALKA, E. - *Proverbes judéo-arabes de Fès*, Hesp., 3ème trim., 1937.
- BUFFE, Cap. - *Les Ahl Tata*, Arch. S.H.A., 1938.
- BUFFE, Cap. - *Les Id ou Blal*, Arch. S.H.A., 1938.
- BURCKHARDT, J.L., *Arabic proberbs*, London, 1875.
- BURLET, J. - *La Laine et l'industrie lainière*, Paris, 1972.



- BUTTIN, J. - *Les Poignards et les sabres marocains*, Hesp., 26, 1936.
- CABRERA, A. - *Al-Maghreb Al-Aksa*, Madrid, 1924.
- CAMPS, G. - *Acridophages* - E. B., 1, 1984.
- CAMPS, G. - *Recherches sur les origines des agriculteurs noirs du Sahara*, R.O.M.M., n° 7, 1970.
- CAMPS - FABER, H. - *L'Origine des fibules en Afrique du Nord*, R.O.M.M., n° 13 - 14, 1973.
- CAMPS - FABER, H. - *Problèmes posés par l'origine de l'orfèvrerie émaillée en Afrique du Nord*, R.O.M.M., 1970.
- CANGARDEL, H. - *Essais anti-acridiens, campagnes 1957 - 1958 et 1958 - 1959*, Cah. Rech. Agron., 10, 1960.
- CAPPERON, L. - *Au secours de Fès*, Paris, 1912.
- CARRE, O. - *La Ligue des Etats Arabes*, Rev. Fr. de Sc. Pol., vol. XXI, n° 2, avril 1971.
- CASTRO, R.F. De. - *El Rif: territorios de Guelata y Quebdana*, Madrid, 1911.
- CENIVAL, P. de. - *La Zaouia dite de Berada'a*, Hesp., XV, fasc. 1, 1932.
- CESAR MORAN, A. - *Visita de Marruecos, Mauritania*, 1942.
- CHABÉRT, M. - *Situation et défense de la soirie lyonnaise*, B.E.M., I, 1933 - 34.
- CHAJAI, L. - *Langage d'artisans à Marrakech*, Doct. nouveau régime, Paris IV, 1986.
- CHAMPAULT, D. - *La Main: ses figurations au Maghreb et au Levant*, Paris, 1965.
- CHAMPION, M. - *La Situation des métiers et des arts indigènes*, Rabat, 1917.
- CHANTREAUX, G. - *Les Tissages décorés chez les Beni Mguild*, Hesp., 1945.
- CHATELAIN, L. - *L'Histoire militaire du Maroc antique*, Rev. int. hist. mil., 1950.
- CHATIN, B. - *Les Tanneries traditionnelles de Fès*, Th. 3ème cycle, Bordeaux I, 1985.
- CHAUMEIL, J. - *Histoire d'une tribu maraboutique de l'Anti-Atlas: Les Aït Abdellah ou Saïd*, Hesp., 1er trim., 1952.
- CHAUVEAU, A. - *L'Industrie du cuir au Maroc*, Chimie et industrie, 2ème trim., 1920.
- CHAVAGNAC, M. - *De Fès à Oujda*, [s.l.], 1887.
- CHIBEL, M. - *Le Corps dans la tradition au Maghreb*, Paris, 1984.
- CHEESMAN, T.L., - *The Auxilia of the Roman Imperial Army*, Oxford, 1914.
- CHENAIL, A. - *Dessins d'art marocain*, Rabat, 1930.
- CHERKAOUI, T.E. - HATZFELD, D. - *Evaluation de l'aléa sismique au Maroc*, 7ème congrès int. de l'AIIGI, Lisboa, 1994.
- CHOTTI, Cap. - *Aït Ounribete*, Arch. S.H.A., 1950.
- CHOUBERT, G. - *Histoire géologique du précambrien de l'Anti-Atlas*, Notes du service géologique, n° 162.
- CHOUKI, M. - *Settat et son rôle régional*, Th. 3ème cycle, Géo., Tours, 1989.
- CHIRAIBI, D. - *La Civilisation ma mère*, Paris, 1980.
- CHURCHILL, C.H., - *Vie d'Abd el-Kader*, Alger, 1974.
- CIASCA, R. - *Un centro marocchino del traffico genovese nel medio evo* - *Revista internazionale di scienze sociali*, T. XLIII, fasc. 4, 1935.
- CLEMENTE, G. - *La Notitia Dignitatum*, 1968.
- CLOUZOT, H. - *Les Arts du métal*, Paris, 1934.
- CLOUZOT, H. - *Les Métiers manuels à Fès*, Hesp., 1er trim., 1924.
- COHEN, D. - *Le Dialecte arabe Hassaniyya*, Paris, 1963.
- COLIN, G.S., *Chrestomatie marocaine*, Paris, 1955.
- COLIN, G.S. - *Noms d'artisans et de commerçants à Marrakech*, Hesp., 12, fasc. unique, 1952.
- CORRIENTE, F. - BOUZINEB, H. - *Recopilacion de refranes andalusies de Alfonso Del Castillo*, Zaragoza, 1994.
- CRESSIER, P. - *Prospection géophysique sur le site médiéval d'Aïn Karouach*, B.A.M., 14, 1981.
- DAKKI, M. - ARAHOU, M. - MOUNA, M. - *Les Insectes*, G.E.M. Faune, Rabat, 1987.
- DAOUD, Z. - *Interview avec Aherdan*, Lamalif, n° 175, mars 1986.
- DARMON, J.P. - *Nympharum Domus: les pavements de la maison des nymphes à Néapolis et leur lecture*, Leiden, 1980.
- DAVIES, - *Cohortes quitate*, *Historia*, 20, 1975.

- DAVIS, S.J. - *Osmanli proverbs*. London, 1898.
- DECAMPS, M. - *Contribution à la faune du Maroc - 3 : Acridoïder du Maroc saharien*, *Bull. Soc. Ent. France*, 75, 1970.
- Décentralisation - déconcentration*, *R.M.F.P.E.*, n° 8, 1992.
- DELANNOY, H. - *Aspects du climat de Marrakech et de sa région*, *R.G.M.*, n° 20, 1971.
- DELERIS, Lt. - *Les Ahl Tissint*, *Arch., S.H.A.*, 1915.
- DELPY, A. - *Notes sur le tissage dans les Zemmours*, *C.A.T.A.N.*, n° 3, 1954.
- DERENBOURG, J et H. - *Opuscules et traités d'Abul - Walid Marwan Ibn Janah de Cordoue*. Paris, 1880.
- DERINY, S.M. de. - *Marrakech et les ports du Sud*, Paris, 1918.
- DESANGES, J. - *Les Territoires gétules de Juba II*, *R.E.A.*, 66, 1964.
- DESANGES, J. - *Un Curateur de la sauterelle sur la portica de Carthage en 48 - 49 de notre ère*, *E.O.S.*, LXV, 1976.
- DESPUJOLS, P. - *Historique des recherches géologiques au Maroc : des origines à 1930*, *Notes et mémoires*, n° 25, n° 37.
- DEVILLETTE, J. - *La Collection de bijoux de la région de Taza au Musée de l'Homme*, *H.T.*, fasc. 2, 1960.
- DEZ, G. - *La Grèce et l'Orient*, Paris, 1964.
- DOLLFUS, H.-P. - *L'Etablissement d'un fichier ichtyologique du Maroc Atlantique de Tanger à l'embouchure de l'Oued Dra*, Rabat, 1955.
- DOMENECH LA FUENTE, A. - *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942.
- DRESCH, J. - *Recherches sur l'évolution du relief dans le Massif Central du Grand Atlas, le Haouz et le Sous*, Tours, 1941.
- DRESCH, J. - *Systèmes d'érosion en Afrique du Nord*, *R.G.L.*, vol. 28, n° 3, 1953.
- DUBOIS, A.L. - *A travers trois républiques*, Paris, 1972.
- DUBOIS, P. - *Tableaux économiques du Maroc, 1915 - 1959*.
- DUFOURCQ, Ch. - *Aperçu sur le commerce entre Gênes et le Maghrib au 13ème S.*, in *Mélanges offerts à E. Perrov*, Paris, 1973.
- DUMEZIL, G. - *Encore Genius*, in *Hommages à R. Shilling*, Paris, 1938.
- EANEZ DE ZURARA, G. - *Cronica da tomada de Ceuta por el Rei D. Joao I*, Lisboa, [s.d.].
- ECHIGUER, M.H. - *Les Aït Yadine*, *Doct. Sorbonne*, Paris, 1978.
- EDDIANI, A. [et al...]. - *Evaluation économique a posteriori des petits barrages réalisés entre 1984 et 1986*, Rabat, 1988.
- EL ALAOUI, My L. - *Le Droit douanier au Maroc*, Casablanca, 1997.
- EL- ATTAR, B. - *Les Proverbes marocains*, Casablanca, 1992.
- EL- FASSI, M. - *Lettres inédites de Moulay Ismaïl*, *H.T.*, 1962.
- ELMASTOUR, A. - *Contribution à l'étude de la biologie et du mode de vie du sanglier (Sus scrofa barbarus)*, *Mém. 3ème cycle. I.A.V.*, Rabat, 1982.
- EL MOUDDEN, A. - *Etat et société rurale à travers la harka au Maroc du 19ème S.*, *The Maghreb Review*, 8, n° 5-6, 1983.
- Etude sur les populations habitants dans les cités construites par la Compagnie Immobilière Franco-Marocaine*, Casablanca, 1955.
- EUDEL, P. - *Dictionnaire des bijoux de l'Afrique du Nord*, Paris, 1906.
- EVANS - PRITCHARD, E. - *La Femme dans les sociétés primitives*, Paris, 1971.
- FASSI, D. - *Les Formations superficielles du Saïs de Fès et de Meknès : du temps géologique à l'utilisation actuelle des sols*, Th. Paris I, Sorbonne, 1993.
- FAUR, J. - *Caligula et la Maurétanie à la fin de Ptolomée* - *Klio*, 55, 1973.
- FEGHALI, M. - *Proverbes et dictons syro-libanais*, Paris, 1938.
- FELZ, J. - *Au Maroc inconnu*, Grenoble, 1935.
- FERREY, E. - *La Réorganisation marocaine*, Paris, 1905.
- FONTANES, J. - *Histoire des métiers d'art*, Paris, 1950.
- FOSSET, R. - *Pression démographique et système de culture dans les plaines atlantiques*, in *G.E.M. : géographie humaine*, Rabat, 1987.
- FOSSET, R. - *Quelques aspects de la vie rurale dans l'arrière pays de Mohammédia*, *R.G.M.*, n° 13, 1968.

- FOUCHER, L. - *Inventaire des mosaïques, feuille 57*, in *Atlas archéologique de Sousse*.
- FOWLER, H.W. - *The Marine fisher of West Africa*, *Bull. Am. Mus. Hist.*, vol. LXX, fasc. 1, 1936.
- FRANCESCI, A. - *Costumes et bijoux au Maroc*, *L'Oeil*, n° 294-295, Janv. - Fév. 1980.
- FROMENTIN, E. - *Un été dans le Sahara*, Paris, 1952.
- GABUS, J. - *Sahara : bijoux et techniques*, Neuchâtel, 1982.
- GALLOTTI, J. - *Le Lanteron du Minaret de la Koutobia de Marrakech*, *Hesp.*, II, 1er trim., 1923.
- GALLOTTI, J. - *Les Métiers d'art au Maroc*, *F.M.*, n° 4.
- GARCIA DE RESENDE, - *Cronica de Dom Joao II e Miscelania*, Lisboa, 1973.
- GARCIA PEREZ, A. - *Isla del Perejil*, Madrid, 1906.
- GASCON, Cap. - *Les Aït Ouadrin*, *Arch. S.H.A.*, 1916.
- GASCON, Cap. - *Etude sur les leffs Tahouggat et Igouzoulen dans les tribus de l'annexe des Aït Baha*, *Arch. S.H.A.*, 1946.
- GASCOU, J. - *Marius et les Gétules*, *M.E.F.R.*, 61, 1969.
- GAUD - HENDLER, - *La Rougeole au Maroc*, *B.I.H.M.*, n° 3-4, 1950.
- GAYOT, H. - *La Broderie de Fès*, Rabat, 1959.
- GAYOT, H. - *Le Décor floral dans l'art de l'Islam occidental*, Rabat, 1955.
- GAYOT, R. [et al...]. - *Les Cordonniers de Fès*, *Hesp.*, 23, 1936.
- GENDRE, F. - *Voyageurs et géographe, pionniers inconnus ou oubliés de la France au Maroc*, *R.G.M.*, 1946.
- GHALI, B.B. - *La Crise de la Ligue Arabe*, *Ann. Fr. Dr. Int.*, 1968.
- GIRAUD, J.B. - *Les Origines de la soie*, Lyon, 1989.
- GODBARGE, H. - *Deux corporations berbères à Fès*, *B.E.S.M.*, 10, 1948.
- GOLVIN, L. - *Aspects de l'artisanat en Afrique du Nord*, Paris, 1957.
- GOLVIN, L. - *Le Métier à la tire des fabricants de brocart de Fès*, *Hesp.*, 37, 1er - 2ème trim., 1950.
- GOMAA AHMED, - *The Foundation of the League of Arab States*, London, 1977.
- GONTHIER, J. - *La Soierie de Lyon*, Paris, 1978.
- GOUDARD, J. - *Bijoux d'argent de la tâche de Taza*, *Hesp.*, 8, 1928.
- GRAND, R. - *L'Agriculture à travers les âges*, Paris, 1950.
- GROHMAN, A. - *Tiraz*, *E.I.*, T. 4.
- GSELL, S. - *Vieilles exploitations minières dans l'Afrique du Nord*, *Hesp.*, 1928.
- GUENNOUN, S. - *La Montagne berbère : les Aït Oumalou et le pays Zaïtan*, Paris, 1929.
- GUIZOT, F. - *Mémoire pour servir à l'histoire de mon temps*, Paris, 1858 - 1867, 8 vol.
- HAJJI, M. - *Les Droits de douane au Maroc*, Thèse, Paris, 1981.
- HAKIMI, R. - *La Ville de Berrechid dans l'espace casablançais*, Th. 3ème cycle, Géo, Tours, 1984.
- HARAKAT, M. - *L'Audit dans le secteur public au Maroc*, Rabat, 1994.
- HARAKAT, M. - *Le Droit de contrôle supérieur des finances publiques au Maroc*, Rabat, 1992.
- HARDY, A. - *Les Babouchiers de Salé*, *B.E.M.*, 5, 1938.
- Harir*, *E.I.*, T. 3.
- HART, D.M. - *Les Institutions des Aït Morhrad et Aït Haddidou*, *B.E.S.M.*, 1978.
- HASTENRATH, S. - HELLER, L. - *Dynamics of climatic hazards on North Est Brazil*, *Quarterly Journal of the Royal Meteorological Society*, 103, 1977.
- HERBER, J. - *La Boucle d'oreille et les lobes percés chez les marocaines*, *Hesp.*, 32, 1945.
- HERBER, J. - *Influence de la bijouterie soudanaise sur la bijouterie marocaine*, *Hesp.*, 37, 2ème trim., 1950.
- HERBER, J. - *La Main de Fathma*, *Hesp.*, 1927.
- HEUSCH, B. - *L'Economie dans le Prérif : une étude quantitative de l'érosion hydrique dans les collines mameuse du Prérif occidental*, *Ann. Rech. Forest., Maroc*, n° 12, 1970.
- HEUSCH, B. - *L'Erosion hydraulique au Maroc : son calcul et son contrôle*, *Al Awamia*, n° 36, 1970.
- HOUSNI, M. - *La Répression des fraudes commerciales en droit marocain*, Thèse, Paris X, 1985.

- HUMBERTO, F. - *Cornacero Henares, Alcazarquivir, 1950*, Tetuan, 1953.
- HÜVELIN, P. - *Mouvements pré-atlasiques et récents dans les Jbilets et sur leur pourtour. Notes et Mémoires du Service Géol., Maroc, 249*, 1973.
- L'Industrie marocaine des peaux, B.I.D.M., Juil. 1942.*
- JACOB, A. - *Arts et objets du Maroc, A.B.C. Décor*, 1974.
- JACQUET, P. - *Le Maroc de notre jeunesse*, Montpellier, 1987.
- JEHEL, G. - *Gênes et le Maghreb au Moyen Age, Studi Maghrebini, XXII*, 1990.
- JEHEL, G. - *Les Génois en Méditerranée occidentale, fin 11ème - début 14ème siècle*, Paris, 1993.
- JOHNSTON, R.L.K.N. - *The Songs of Sidi Hammou*, London, 1907.
- JOLY, A. - *L'Industrie à Tétouan, A.M., 15*, 1909.
- JOUDAMY, K. - *Périphérie Nord -Est de Casablanca : étude géographique. Th. 3ème cycle, Géogr., Bordeaux III, 2vol.*
- JULIEN, C.A. - *Histoire de l'Afrique blanche*, Paris, 1966.
- JULIEN, C.A. - *Histoire de l'expansion et de la colonisation française : les voyages de découverte et les premiers établissements XV - XVIème S.*, Paris, 1948.
- JULIEN, C.A. - *Histoire de l'Océanie*, Paris, 1942.
- JULIENNE, M. - *En dissidence*, Paris, 1933.
- JUSTINARD, L. - *Poèmes chleuhs recueillis au Sous. R.M.M., 2ème trim. 1925.*
- KADDACHE, M. - *L'Algérie dans l'antiquité*, Alger, 1972.
- KENBIB, M. - *Protection, protectorat et nationalisme, 1904 - 1938, H.T., 1978 - 1979.*
- KERR MALCOM, H. - *The Arab Gold War : Gamal Abd Al-Nasir and his rivals, 1958 - 1970*, London, 1971.
- KHALLOUK TEMSAMANI, A. - *Pays Jbala : Makhzen, Espagne et Ahmed Raïssoumi*, Tanger, 1996.
- KHATIB BOUJIBAR, N. - *Bijoux et parure du Maroc*, Casablanca, 1974.
- KILITO, A. - *Architecture et sacré : une saison au hamam*, in *Le Maroc : espace et société*, Passau, 1990.
- KOCHER, L. - *Présentation d'un ver luisant récemment découvert au Maroc, C.R. Soc. Sc. Nat. Maroc, 31.*
- KRUEGER, H.C. - *Genove trade with North Africa. Speculum, VIII, 1933.*
- LABRUSSE, C. - *Mariage, Encyclopaedia Universalis, vol. 10, 1962.*
- LACROIX, F. - *Procédés agricoles. R.A., 1870.*
- LACROIX, M. - *Notes sur les produits tinctoriaux, C.A.T.A.N., n° 5, 1959.*
- LAJUGIE, J. [et al...]. - *Espace régional et aménagement du territoire*, Paris, 1985.
- LAKHLIFI, N. - *L'Artisanat de production à Meknès*, Th. 3ème cycle, Toulouse, 1985.
- LAMAZIERE, A. - *Le Maroc secret*, Paris, 1952.
- LAMB, P.J. - PEPPLER, R.A. - *North Atlantic oscillation, concept and an application. Bull. Am. Meteo. Society, 68, n° 10, 1987.*
- LAMDOUAR BOUAZZAOUI, N. - *Maladies infectieuses du nouveau né, du nourrisson et de l'enfant*, Rabat, 1989.
- LAMOUREUX, M. - *Etude de sols formés sur roches calcaires : pédogenèse fersiallitique au Liban. Th. Strasbourg, 1972.*
- LANDAU, R. - *The Beauty of Morocco*, London, 1951.
- LAPANNE - JOINVILLE, J. - *Les Métiers à tisser de Fès, Hesp., T. 27, 1940.*
- LA PORTE DE VAUX, A. de. - *Notes sur le peuplement juif du Sous, BESM, XV, n° 54, 1952.*
- LA PUENTE, C. de. - *La Familia de Abu Ishaq Ibn Al-Hajj De Velefique : estudios onomastico - biograficos de Al-Andalus*, Madrid, 1992.
- LAUREL, A. M. - MARÇAIS, P. - *Les Coiffures à Tindouf, Travaux de l'Inst. Rech. Sah., n° 12, 1954.*
- LEGLAY, M. - *Le Culte du serpent dans les cultes africains, in Hommages à W. Deonna*, Paris, 1957.
- LEMOINE, P. - *Mission dans le Maroc occidental*, Paris, 1905.
- LENS, A.R. De. - *Pratiques des harems marocains*, Paris, 1925.
- LEVI-PROVENÇAL, E. - *Conférences sur l'Espagne musulmane*, Le Caire, 1951.
- LEWICKI, T. - *Banu Ifren, E.I., Nlle éd., T. 3, 1971.*

- L'HERITIER, G. - *Observation sur le comportement de Pelania mauritanica L. (Col. Lampyridae)*. Bull. Soc. Sc. Nat. Phys. Maroc, 35, 3.
- Livre d'or du Maroc, Paris, 1934.
- LOMBARD, M. - *Les Textiles dans le monde musulman*, Paris, 1978.
- LOPES, D. - *Os Portugueses en Marrocos*. in *Historia de Portugal / Dir. D. Pires, Parcelos*, 1931.
- LOPES, F. - *Cronica del Rei Dom Joao I da boa memoria*, Lisboa, 1973.
- LOPEZ, E. - *Yabala*, Madrid, 1947.
- LOPEZ, R. - *Studi sull economia genovese nel medio evo - I Genevesi in Africa occidentale*, Turin, 1936.
- LOUIS, A. - *Le Hamam au Maghreb, E.I.*, Tome 3.
- LYNEBORG, L. - *Mammifères d'Europe*, Paris, 1972.
- MADRAS, D. - *Au Sud de l'Atlas*, Casablanca, 1950.
- MANNEVILLE, R. - *L'Expérience Castor aux carrières centrales de Casablanca, Notes marocaines*, n° 7, 1956.
- MANZANO RODRIGUEZ, M.A. - *La Intervencion de los Benimerines en la Peninsula Ibérica*, Madrid, 1992.
- MARÇAIS, G. - *Le Costume musulman d'Alger*, Alger, 1930.
- MARÇAIS, W. - *Djellab, E.I.*, 1ère éd., Tome 1, 1913.
- MASCARELLO, A. - *Quelques aspects des activités italiennes dans le Maghreb médiéval, R.H.C.M.*, n° 5, 1968.
- MASSONNAUD, A. - *L'Evolution des corporations depuis notre installation au Maroc, B.E.S.M.*, 4, 1937.
- MAUSS, M. - *Manuel d'ethnographie*, Paris, 1967.
- MAZUDE, C. - *La Guerre du Maroc, R.D.M.*, 1860.
- MENSIA, M. - *Essai sur la bijouterie arabe*, Th. 3ème cycle, Paris, 1976.
- MERCIER, H. - *L'Arabe par l'image : textes ethnographiques*, Rabat, 1946.
- MESSAOUDI, L. et M. - *L'Art de vivre marocain*, Paris, 1981.
- MICHAUX - BELLAIRE, E. - *Le Gza et la Guelsa, R.M.M.*, 1911.
- MICHAUX - BELLAIRE, E. - *L'Impôt de la naïba et la loi musulmane au Maroc, R.M.M.*, VII - VIII, 1910.
- MICHAUX - BELLAIRE, E. - SALMON, G. - *El-Qçar El-Kebir : une ville de-province au Maroc septentrional, A.M.*, 1904.
- VILLES - LACROIS, A. - *La Lutte contre l'érosion dans le domaine rifain, Mines et Géologie*, n° 23, 1965.
- MILLOT, G. [et al...]. - *L'Epigénie calcaire des roches silicatées dans les encroutements carbonatés en pays subaride, Anti Atlas, Maroc, Sc. Géol. Bull.*, 30, 3.
- MINISTERE DE LA SANTE PUBLIQUE. Direction de l'Epidémiologie et des programmes sanitaires. - *Guide Lepre*, Rabat, 1993.
- Monographie de la ville d'El Hajeb, Bull. Econ. Soc. Province d'El Hajeb*, 1994.
- Monographie de la Province de Figuig, Figuig*, 1993.
- MONTAGNE, R. - *Où en est l'évolution sociale du Maroc, A.A.*, n° 9, 1er trim., 1950.
- MONTAGNE, R. - *Un essai de régionalisation au Maroc, C.H.E.A.M.*
- MONTALEMBERT, A. de. - *En colonne chez les Zaers, A.F.*, 1911.
- MONTLAHUC, Y. - *Les Oudaïas bastion des corsaires de Salé*, Casablanca, 1980.
- MONTMARIN, A. de. - *Les Nouvelles solutions en matière d'habitat, leur application au Derb Idid, B.E.S.M.*, n° 80.
- MOUREAU, Cap. - *Les Sociétés des Oasis : une race, les Harratin, Arch. S.H.A.*, 1955.
- MOZERE, L. - *Le Printemps des crêches : histoire et analyse d'un mouvement*, Paris, 1992.
- MUZI, J. - *Le Corps orné, le corps masqué*, Paris, 1978.
- NAVARRO AL BARRACIN. - *El Hayk en la zona atlántica del Marruecos español, Tamuda*, 2, 1954.
- NOGUES, G. - *Artisans et métiers marocains*, Casablanca, 1941.
- NORMAN, C. - *Une lettre inédite de Moulay Ismaïl aux gens de Fès, H.T.*, XV, 1974.
- OLIVEIRA MARQUES, A. H. - *Joao I*, in *Dicionario da Historia de Portugal*, vol. 3, Porto.
- OSSENDOWSKI, F.A. - *Le Maroc en flamme*, Paris, 1927.
- OTHMANI, M. [et al...]. - *Tizerzai : la fibule au Maroc*, Milan, 1987.

- OUACHI, M. - *La Maurétanie Tingitane. Mémorial du Maroc*, I, 1983.
- OUACHI, M. - *Les Rapports militaires, Memorial du Maroc*, III, 1983.
- OWODENKO, B. - *Le Bassin houiller du Jerada, Notes et Mém. Serv. Geol. Maroc*, n° 207, 1976.
- PARENT, Cap. - *Confédération des Ammelh, Arch. S.H.A.*, 1953.
- PASCON, P. - *Segmentation, stratification dans la société rurale marocaine, B.E.S.M.*, n° 138 - 139, 1979.
- PAUSSET, E. - *Histoire de la soie*, Paris, 1985.
- PAUTY, E. - *Les Hamams de Rabat-Salé, R.A.*, 1944.
- PEGOLOTTI, B. - *La Pratia della meratura, Cambridge (Mass.)*, 1936.
- PEGURIER, J. - *Espaces urbains en formation dans le Tensift, Rabat*, 1981.
- PEGURIER, J. - *L'Intégration urbaine dans le Sud-Ouest marocain, BESM*, n° 131 - 132, 1976.
- PERIGNY, M. de. - *Fès, capitale du nord*, Paris, 1917.
- PFISTER, R. - *Les Premières soies sassanides, Etudes d'orientalisme*, vol. 2, 1932.
- PHILIPPONEAU, M. - *Décentralisation et régionalisation*, Paris, 1981.
- PICARD, G.C. - *Authenticité du périple d'Hannon, C.T.*, 25ème année.
- PILLANT, M. - *Notes contributives à l'étude de la confédération Zaïan, A.B.*, T. V, 1919- 1920.
- PIQUE, A. - *Géologie du Maroc : les domaines régionaux et leur évolution structurale*, Rabat, 1994.
- PLAISANCE, E. - *L'Ecole maternelle aujourd'hui*, Paris, 1977.
- Les Psychologues et la psychologie dans les institutions de l'enfance, Psychologie scolaire*, 12, n° 12, 1982.
- RABATE, M. R. - *Les Bijoux de l'Atlas et du sud marocain*, Th. 3ème cycle, Paris 5, 1972.
- RAGOUG, A. - *Quelque réflexion au sujet de la sita, Al-Bayan*, 10 - 2 -1992.
- RAMDANI, M. - TOURENQ, J.N. - *Notes sur les chironomides de la merja Sidi Boughaba, Bull. Inst. Sc.*, 6, 1982.
- RENOU, A. - *Le Mouton*, Paris, [s.d.].
- Les Ressources naturelles et la mise en valeur actuelle de la plaine du Haouz, R.G.M.*, n° 17, 1970.
- REURE, Cap. de. - *Les Ahl Aglou, Arch. S.H.A.*, 1938.
- RÉVAULT, J. - *Le Tissage et le tatouage dans le Moyen Atlas, Fès*, 1933.
- RICARD, P. - *Arts et industries indigènes du Nord de l'Afrique, Fès*, 1918.
- RICARD, P. - *Les Arts marocains et leurs rénovations*, Bordeaux, 1930.
- RICARD, P. - *Le Batik berbère, Hesp.*, 5, 4ème trim., 1925.
- RICARD, P. - *L'Industrie indigène au Maroc, B.E.M.*, 1933.
- RICARD, P. - *Recherche sur le vocabulaire du vêtement hispano-mauresque, Bull. Hispanique*, 1951.
- RICARD, P. - *Une lignée d'artisans : les Ben Chérif de Fès, Hesp.*, T. 37, 1950.
- RICARD, R. - *Notes sur la tactique militaire dans les places portugaises du Maroc. Bulletin Hispanique*, XXXV, 1933.
- RICARD, R. - *Le Problème de l'occupation restreinte dans l'Afrique du Nord, A.E.S.*, 1936.
- RIERA, A. - *España en Marruecos : cronica de la campaña de 1909, Buenos Aires*, 1910.
- Rif et Jbala, B.E.P.M.*, n° 71, 1926.
- ROGERS, J.L. - *The Association between the North Atlantic oscillation and the Southern oscillation on the Northern Hemisphere, Month Wea. Rev.*, 112, 1982.
- ROMAN, J. - *Fragmentos sobre Al-Hocemas*, Melilla, 1994.
- ROMANELLI, P. - *Topographia e archeologia dell' Africa Romana*, 1970.
- ROSENDE - CASAS, J. - *El cultivo del gusano de seda en Marruecos, Mauritania*, n° 198, 1 mayo 1944.
- ROUACH, D. - *Bijoux berbères au Maroc*, Paris, 1989.
- ROUSSET, M. - *Politique administrative et contrôle social*, in *Le Maroc actuel*, Paris, 1992.
- ROUX, A. - *Quelques documents manuscrits sur les campagnes de Moulay El Hassan, Hesp.*, fasc. 1, 1936.
- ROXAN, M.M. - *The Auxilia or Mauretania Tingitane, Latomus*, XXXIII, 1973.
- RUHLMAN, A. - *A propos d'une plaquette de caractère militaire trouvée à Thamuda, PSAM*, I, 1935.

- RUHL MANN, A. - *Moules à bijoux d'origine musulmane*, *Hesp.*, 21, 1935.
- RUI DE PINA. - *Chronica del Rey Don Joao II*, in *Cronicas de Rui de Pina*, Porto, 1977.
- SABA, K.S., [et al...]. - *Maladies et ravageurs des plantes cultivées au Maroc*, Rabat, 1976.
- Safi et sa région*, Casablanca, 1951.
- SALMON, G. - *Le Droit d'asile des canons*, *A.M.*, vol. 3, 1905.
- SAUMAGNE, C. - *Les Piscines romaines de Capsa*, *R.T.*, 15, 16, 1933.
- SAVAIN, Capit. - *Tribu des Beni M'tir*, *Serv. Hist. Arm. Terre*, Février 1928.
- SAVINE, A. - *Le Maroc il y a cent ans*, Paris, [s.d.].
- SECRET, E. - *Les Hamams de Fès*, *B.J.H.M.*, 2, 1942.
- SEFRIQUI, A. - *Le Costume citadin*, *G.E.M.*, vol. 2, 1987.
- SEFRIQUI, A. - *Le Cuir*, *G.E.M.*, vol. 2.
- SEFRIQUI, A. - *La Sellerie*, *G.E.M.*, 2, 1987.
- SEGUY, R. - *Quelques experts de Fès*, in *La Renaissance du Maroc : dix ans de protectorat*, Rabat, 1922.
- SERRAO, J.V. - *Joao II*, in *Dicionario da Historia de Portugal*, vol. 3.
- SETHOM, S. - *Une paire de fibule marocaine*, *Cahiers des Arts et Traditions Populaire*, n° 4, 1971.
- SICAULT, G. - *Epidémiologie de la variole au Maroc*, *Bull. Inst. Hyg. Maroc*, Nelle série, T. II, 1942.
- SIERRA ARTES, A. - *Recuerdos de la guerra del Rif, 1911 - 1912*, Barcelona, 1914.
- SIMONPOLI, J.F. - *La Conversation enfantine*, Paris, 1991.
- SOUVILLE, G. - *Petits bronzes de Jupiter et de Vénus trouvés en Maurétanie Tingitane*, *Hesp.*, 1957.
- SPILMANN, G. - *Les Pays inaccessibles du Haut Draa*, *R.G.M.*, n° 2, 1929.
- STUMME, H. - *Dichtkunst und Gedichte der Shluch*, Leipzig, 1895.
- SUETONE, *Vie des douze Césars*, Paris, 1922, 3 vol.
- SUTER, G. - *Carte géologique du Rif au 1/500.000, Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc*, 1965.
- TACITE. - *Annales*, Paris, 1965.
- Tanger 1800 - 1956 : contribution à l'histoire récente du Maroc*, Rabat, 1991.
- TAUXIER. - *Les Deux rédacteurs du périple d'Hannon*, *R.A.*, 1882.
- TENESE, M.L. - *Introduction à l'étude de la littérature orale*, *A.E.S.C.*, n° 5, Sept. - Oct. 1969.
- TERRASSE, H. - *Notes sur l'origine des bijoux du sud marocain*, *Hesp.*, 11, 1930.
- THARAUD, J. et J. - *Les Seigneurs de l'Atlas*, Paris, 1918.
- THIAUVIN, J.P. - *Ressources en eau du Maroc : domaine du Rif et du Maroc oriental*, Rabat, 1971.
- THEWYS, G. - *Essais d'utilisation du DDVPC 2 : 2 (Dichlorovinyl - phosphate) en lutte antiacridienne, campagne 1968 - 1969*, *Al Awamia*, 1970.
- THODEN, R. - *Abū l-Hassan 'Alī : merinidenpolitik zwischen Nord-afrika und Spanien in den Jahren 710 - 752 H - 1310 - 1351*, Freiburg, 1973.
- TRABUT, L. - *Etude de l'halfa*, Paris, 1889.
- TREMEAU, H. - *Le Droit douanier*, Paris, 1988.
- TRIKI, H. - *Abdelmalek As-Saadi*, in *Le Mémorial du Maroc*, vol. 3.
- TRIKI, H. - DOVIFAT, A. - *Médessa de Marrakech*, Paris, 1990.
- TROIN, J.F. - *Montagnes et ville dans le Nord - ouest du Maroc*, *R.O.M.M.*, n° 41 - 42, 1986.
- TROTTESS, P. - *Our mission to the Court of Morocco in 1880*, Edinburg, 1881.
- TUCCI, R. Di. - *Documenti inediti sulla spedizione e sulla Mahona der Genovesi a Ceuta*, Gênes, 1935.
- VANACHER, C. - *Géographie économique de l'Afrique du Nord*, *Annales*, Mai-Juin 1973.
- VATTIER, J. - *Au Maroc utile*, *B.G.M.*, 3, 1923.
- VIGEL, L. - *Soieries marocaines : les ceinture de Fès*, Paris, 1913.
- VIGY, P. de. - *Notes sur quelques armes du musée de Dar Batha à Fès*, *Hesp.*, 2ème trim., 1923.
- VIGY, P. de. - *Les Sabres marocains*, *Hesp.*, 1er trim. 1924.

VIGNET - ZUNZ, J. - *Djebala*, E. B., XVI, 1995.

VINOGRADOV, A.R. - *The Ait Nadir of Morocco : A Study of the social transformation of a Berber tribe*, Ann.-Arbor, 1974.

WALKER, G.I. - *World weather. Quaterly Journal of the Roy. Meteo. Society*, 1928.

WALKER, G. T. [et al...]. - *World Weather, Mem. Roy. Meteo. Soc.*, 1932.

WEYRE, G. - *Au Maroc : dans l'intimité du Sultan*, 1950.

WILDI, W. - *La Chaîne tello - rifaine : structure, stratégie et évolution du trias au miocene*, *Rev. Géol. Dyn. Géogr. Phys.*, vol. 24, n° 3, 1983.

WITTE, C.M. - *Une lettre inédite du Roi Jean II au Pape Innocent VIII sur l'affaire de Graciosa*, *Studia*, 1958.

XIN, J. - *Notes sur le Souk el Attarine*, *La vie tunisienne illustrée*, n° 17, 1924.

XIN, J. - *Notes sur les parfums orientaux*, *La vie tunisienne illustrée*, n° 16, 1924.

YVER, G. - *Correspondance du Capitaine Daumas, consul à Mascara, Alger*, 1912.

YVERT, B. - *Dictionnaire des Ministres, 1789 - 1989*, Paris, 1990.

ZEIGLER, D.J. - FASSI, D. - *Rediscovering : the roots of moroccan geography in era of interdependence. The Geographical Bulletin*, 1966.



## Liste des principales abréviations des périodiques

- A.A* : *L'Afrique et l'Asie.*  
*A.A.N* : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*  
*Acad. Sc. Col.* : *Académie des Sciences Coloniales.*  
*A.E.S.C* : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*  
*A.F* : *Afrique Française.*  
*A.F : R.C* : *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*  
*A.I.E.A* : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*  
*A.I.E.O* : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*  
*A.M* : *Archives Marocaines.*  
*A.M.S* : *Archives Marocaines de Sociologie.*  
*And.* : *Al-Andalus*  
**Ann. Rech. Forest. Maroc** : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*  
*Ant. Afr.* : *Antiquités Africaines.*  
*B.A.M* : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*  
*B.A.R* : *British Archeological Reports.*  
*B.C.T.H* : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*  
*B.E.P.M* : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*  
*B.E.S.M* : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*  
*B.G.M* : *Bulletin de Géographie du Maroc.*  
*B.I.D.M* : *Bulletin de l'Information et de la Documentation Marocaine.*  
*B.J.F.A.N* : *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire.*  
*B.M.S.A.P* : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*  
*B.L.O.A.B* : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*  
*B.L.S* : *Bulletin de Liaison Saharienne.*  
*B.S.G* : *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*  
*B.S.G.A* : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*  
*B.S.G.Æ.O* : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*  
*B.S.H.M* : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*  
*B.S.O.A.S* : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*  
*B.S.P.M* : *Bulletin de la Société de Préhistoire du Maroc.*  
**Bull. Archéol.** : *Bulletin Archéologique.*  
*C.A.A* : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*  
**Cah. Rech. Agron.** : *Cahiers de la Recherche Agronomique.*  
*C.A.T.A.N* : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*  
*C.B.E.T* : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*  
*C.C.E.J* : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*  
*C.E.A* : *Cuadernos de Estudios Africanos.*  
*C.H.I* : *Cuadernos de Historia del Islam.*  
*C. Méd.* : *Cahiers de la Méditerranée.*  
*C.R.A.I.B.L* : *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*  
*C.R.A.S* : *Compte-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*  
*CT* : *Cahiers de Tunisie.*  
*E.B* : *Encyclopédie Berbère.*

E.I.1 : *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*  
 E.I.2 : *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*  
 E.T.A.M : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*  
 Et. **Medit.** : *Etudes Méditerranéennes.*  
 F.M : *France - Maroc.*  
 F.S.S.A.N : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*  
 G.E.M : *Grande Encyclopédie du Maroc.*  
**Hesp** : *Hespéris.*  
**H-T** : *Hespéris-Tamuda.*  
**H.T.E** : *Hommes, Terre et Eaux.*  
**I.G** : *Information Géographique.*  
**I.H.E.M** : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*  
**I.H.E.M : N-D** : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*  
**Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar.** : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*  
**I.S.C** : *Institut Scientifique Chérifien.*  
**Isl. Cult.** : *Islamic Culture.*  
**I.S.P.M** : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*  
**J.H.S.N** : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*  
**M.A.L.B.L** : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*  
**Medit** : *Méditerranée.*  
**M.E.F.R** : *Mélanges de l'Ecole Française de Rome.*  
**N.A.M.S.L** : *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*  
**P.I.H.E.M** : *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*  
**P.S.A.M** : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*  
**P.S.H.M** : *Publications de la Section Historique du Maroc.*  
**R.A** : *Revue Africaine.*  
**R.A.P** : *Revue de l'Action Populaire.*  
**R.C.C** : *Revue de la Chambre de Commerce.*  
**R.D.M** : *Revue des Deux Mondes.*  
**R.E.A** : *Revue des Etudes Anciennes.*  
**R.E.I** : *Revue des Etudes Islamiques.*  
**R.E.L** : *Revue des Etudes Latines.*  
**R.G.J.** : *Revue de Géographie de Lyon.*  
**Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn.** : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*  
**R.G.M** : *Revue de Géographie du Maroc.*  
**R.H.C.M** : *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*  
**R.H.E** : *Revue d'Histoire Economique.*  
**R.H.M.C** : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*  
**R.M.D.E.D** : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*  
**R.M.E** : *Revue Maroc-Europe.*  
**R.M.F** : *Revue Militaire Française.*  
**R.M.F.P.E** : *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie.*  
**R.M.M** : *Revue du Monde Musulman.*  
**R.P.P** : *Revue Politique et Parlementaire.*  
**Rev. Inst. Hist. Mil.** : *Revue Internationale d'Histoire Militaire.*  
**S.G.L** : *Sociedade de Geografia de Lisboa.*  
**S.I** : *Studia Islamica.*  
**S.I.H.M** : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*  
**Soc. Sc. Nat. Phys. Mar.** : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*

**جوان**، (الجنرال -) (Alphonse Juin) من أشهر المقيمين

العامين بالمغرب. ولد بعنابة بالجزائر سنة 1888. ويعد دراسته الثانوية بقسنطينة نجاح في مباراة ولوج المدرسة الفرنسية الشهيرة سان سير (Saint Cyr) بباريز، فتخرج فيها عام 1911 ضابطاً بالرتبة الأولى في الترتيب العام، وكان من بين زملائه في نفس الفوج شارل دوغول، كانت تربطهما علاقات حميمة.

وفي عام 1912، عينَ جوان عضواً في الديوان العسكري للجنرال ليوطي المقيم العام الأول بالمغرب وشارك في الحرب العالمية الأولى على رأس فرق عسكرية متألفة من الجنود المغاربة لا غير، فاستبسوا فيها ونالوا إعجاب الحكومة الفرنسية التي منحت جوان، بعد انتهاء الحرب، عدة ميداليات أهمها جوقة الشرف.

وبعد عودة جوان إلى المغرب عام 1920، ألحق مرة أخرى بالديوان العسكري للمقيم العام، ليوطي، ثم شارك في حرب الريف بالجنود المغاربة كما كان من الذين يخوضون المعارك ضد المقاومة المغربية في الأطلس وتخوم الصحراء.

وعندما رحل ليوطي عن المغرب عام 1926، جعله خلفه ثيودور ستيغ (Th. Steeg) من المقرئين إليه، وكذلك كان الشأن مع خلف هذا الأخير، لوسيان سان (Lucien Saint) الذي عينه رئيساً لديوانه العسكري، عام 1931. أما الجنرال نوغييس الذي تولى مهمة الإقامة العامة بالرباط عام 1936 فعينه قائداً لأركان الحرب بالمغرب وقائداً عاماً للجبهات القتالية بشمال إفريقيا ثم رفاه إلى رتبة جنرال في 25 دجنبر 1938.

وفي عام 1939، توجه جوان إلى ميادين القتال بفرنسا على رأس الفيالق المغاربة الذين استبسوا في معركة

فلاندر، إلا أنه وقع أسيراً بأيدي الألمان. وهنا بدأت مرحلة غامضة في حياة الجنرال جوان.

وبمساع من المارشال بيتان Pétain أطلق سراح جوان وأسندت إليه مهمة قائد عام لقوات الحلفاء بشمال أفريقيا، ثم أسندت له مهمة سياسية كمكلف بالقيام مقام المقيم العام بتونس من عام 1942 إلى عام 1943، ثم أصبح الجنرال جوان قائداً للقوات الفرنسية التي هاجمت قوات المحور (ألمانيا وإيطاليا) في عقر دارها. إذ نزلت بإيطاليا عام 1943 بطوابير عديدة تتألف من أهالي المستعمرات ومن المغاربة خاصة، فحالفه النصر في المعارك المتتالية، من أشهرها معركة جبل كاسينو التي قتل فيها عدد ضخم من هؤلاء الجنود.

وتقلد جوان من عام 1944 إلى شهر ماي 1947 مهام قيادة أركان الحرب العامة للدفاع الوطني بفرنسا وفي أثناء ذلك أي في أوائل عام 1946، عينت الحكومة الفرنسية إيريك لا يون مقيماً عاماً بالمغرب، فمضى يساند بعض الإصلاحات الإدارية وسمح بعودة عمال الفاسي ومحمد حسن الوزاني وأحمد بلا فريج من المنفى، ورفع الحظر عن المنشورات الوطنية وسمح بتأسيس المدارس الحرة. كما أن في عهد ولايته، قام الملك محمد الخامس بزيارة لطنجة (9 أبريل 1947) رغم محاولات سلطات الحماية بالدار البيضاء لعرقلتها. وكان للخطاب التاريخي الذي ألقاه الملك بطنجة والذي ندد فيه بالحماية مطالباً بالحرية والاستقلال وقع سيء في نفوس المعمرين في المغرب وفرنسا، وسرعان ما بدأت الأوساط الاستعمارية في المغرب وفرنسا وتونس تتحرك مدعية ان ملك المغرب زاغ عن "الطريق المستقيم ويجب ردة إلى الجادة" وأن ذلك لن يتم إلا بتعيين مقيم عام حازم". والتقط جوان هذه الفكرة وشكل حول شخصه جماعة من

المؤيدين لترشيحه للولاية على المغرب. فظهر أن العديد من أقطاب السياسة بفرنسا لا يؤيدون الإصلاحات السياسية بالمغرب، وأن قلوبهم تفيض غيظاً على الإسلام. وأكثرهم تطرفاً يومئذ ثلاثة من أصحاب اليمين المتزمت في الحكومة الفرنسية وهم : بول راماديي (Paul Ramadier) رئيس الحكومة، وبيير هانري تيتجن (Pierre Henri Teitgen) كاهته وجورج بيدو (Georges Bidault) وزيره في الخارجية الذي مضى يحلم باليوم الذي سيتمكن فيه الصليب من سحق الهلال للقضاء على الإسلام في هذا الركن من المعمور.

ترددت أخبار متضاربة في فرنسا عن الأوضاع في المغرب، وكان جورج بيدو يلق ما تحمله البرقيات السرية الصادرة من زعماء الاستعمار بالمغرب، ويطلع الحكومة على خطورة الأوضاع. فتعجّلت الحكومة في استدعاء إريك لابون وعينت له خلفاً هو الجنرال جوان العبوس المشكّر، الذي حل في أواخر ماي 1947 بالدار البيضاء. واستقبله بها الملك محمد الخامس وقال في خطاب الاستقبال : "... ان للمغاربة اليوم، بعدما شاركوا في تحرير فرنسا من الاحتلال الألماني، تطلعات ومطامح مشروعة ... فردّ عليه جوان : "إني أعتزم النظر في هذه الطموحات المشروعة بتفهم واسع ... ولكن توجد كذلك [لدى المغاربة] طموحات غير مشروعة ...". وبهذا الصدد، نقل هنا ما قاله إريك لابون لصديقه المؤرخ شارل أندري جيليان بمناسبة الإعلان عن تعيين جوان : "قالوا ان المغرب كاد يضيع لنا. لكن لا يوجد الآن بفرنسا إلا أنت وأنا اللذان ندرك أن المغرب ضاع الآن لفرنسا مع هذا التعيين ...".

لم تمض إلا أيام قليلة على نزول جوان بالمغرب، حتى أخذ ينتهك انتهاكاً سافراً سيادة المغرب واختصاصات الملك، وذلك بخلع بعض الباشوات والقواد والقضاة ويعين من تلقاء نفسه آخرين. وفي هذا الجو الذي دشنته بتعسفاته

واستفزازاته، دخل إلى مراكش يوم 9 يونيو 1947، في زيارة رسمية. فعطلت المصالح الإدارية والمدارس وخرج السكان لاستقباله بالخفاوة التي لا تليق إلا برئيس دولة. استحدث جوان مجلساً للوزراء والمديرين، وهي مؤسسة صورية أغلب أعضائها فرنسيون جاءت خرقاً لمعاهدة الحماية التي لم تنص على إنشائها، وأمست هي الأخرى انتهاكاً للسيادة المغربية. واحتج الملك، ومرة أخرى ذهب احتجاجه سدى لدى باريس، لأن الحكومة الفرنسية منحت جوان تركيبتها لهذا المجلس وهي تعلم أنه ليس سوى حكومة فرنسية أخرى في المغرب.

واشتدت الأزمة بين الإقامة والقصر الملكي بسبب سياسة جوان الرامية إلى إحلال السلطة الفرنسية محل السيادة المغربية، واشتكى محمد الخامس إلى الحكومة الفرنسية. وفي 6 أكتوبر 1950، لبى محمد الخامس دعوة فانسان أوريول رئيس الجمهورية الفرنسية، لكن جوان كتب رسالة لوزارة الخارجية الفرنسية قبل ذلك بأيام جاء فيها : "... قد يتعرّض السلطان في محادثات مع الرئيس أوريول، إلى عقد الحماية وإلى ما يسميه انتهاك السيادة والعبث باختصاصاته. وسيطلب حرية العمل النقابي وإصلاحات سياسية مألها الحرية للمغاربة والمغرب ... وأنا أقترح رفض كل مطالبه، لأنها عنصرية لأنكم في حالة تلبيتها أو تلبية بعضها ستفرون من قيمته أمام الوطنيين. وفي هذه الحال لن أستطيع ضمان أمن الفرنسيين، وعليكم تعيين مقيم عام آخر ...".

زيادة على هذه الرسالة، ندب جوان الفرنسيين إلى إرسال العرائض الجماعية إلى وزارة الخارجية الفرنسية التي كانت مسندة وقتئذ إلى روبرت شومان (Robert Schumann). ووعد فانسان أوريول الملك بمواصلة المحادثات الرامية إلى إقرار إصلاحات سياسية تضمن بعض الحريات للمغاربة وإبقاء المغرب مرتبطاً بفرنسا.

غدير أن جوان نسف كل مجهود في هذا السبيل، وعارض بوسائله الخاصة تأسيس "لجنة مشتركة" مغربية - فرنسية لم يكن اختيارها موكولا إليه. وكانت الحكومة الفرنسية تحاول التخلص منه، فعرضت عليه ولاية مستعمرة أخرى هي الطونكان في آسيا ولكنه رفض، وكثرت تقلباته بين المغرب وفرنسا، وكلما نزل من الطائرة بالدار البيضاء، يقول للصحفيين ولزعماء الاستعمار قولته الشهيرة : "ها أنا أعود وسأبقى". وانطلقت الشرارة التي ستشغل ناراً لن تخمد إلا مع الاستقلال، حيث أقدم جوان على طرد الوطنيين من مجلس شوري الحكومة.

وفي يوم 21 يناير 1951 طلب جوان من الملك بكل إلحاح أن يبعد العناصر الوطنية من ديوانه وأن يعلن عن شجبه وسخطه على حزب الاستقلال والوطنيين أجمعين. وأكره الملك على اتخاذ قرارات أخرى تحد من سلطه واختصاصاته لفائدة الإقامة العامة. وهكذا ظل جوان يذكي



احتدام الأزمة. فوضع الجيش في حالة استنفار قصوى، واشتدَّت المراقبة على التنقلات بين المدن، ومنع الاجتماع بين ثلاثة أفراد فما فوق، وجعلت الدوريات العسكرية تجول في المدن. وتذكَّر جوان التعليمات السرية التي أعطاهَا له جورج بيدو عام 1947 على غير علم من حكومته، فشاعت أخبار مفادها أن جوان هدد الملك كذلك بخلعه عن العرش إذا هو قُادى في معارضة سياسة الإقامة العامَّة.

وفي آخر يناير 1951، حضر جوان إلى نيويورك بمناسبة عرض القضية المغربية على أنظار الجمعية العامَّة للأمم المتحدة، فتزايد عدد أنصار المغرب، إلا أن جوان عارض بكل قواه اتخاذ أي قرار في هذا الموضوع. أما في فرنسا، فبدأ اتجاه الحكومة يتغير محتجاً على السياسة العنيفة التي ينتهجها الجنرال جوان في المغرب، وبدأ القوم يتفهَّمون حقيقة الأوضاع السائدة في هذا البلد، لاسيما بعد المذكرات الانتحالية التي كان يبعثها محمد الخامس إلى رئيس الجمهورية الفرنسية، وقد طلب في إحداها، وهي مؤرخة بـ 8 فبراير 1951، التحكيم بينه وبين جوان.

أمر جوان المراقبين المدنيين وضباط الشؤون الأهلية بتحريك القبائل البربرية ودفعها إلى المرابطة حول فاس دون إعطاء قوادها وشيوخها أي مبرر لذلك. وطلبت الحكومة الفرنسية من جوان أن يوقف هذه الحركة فأجاب: "لا أستطيع، فالقبائل ستنزول إلى فاس للمطالبة بخلع السلطان، وهذا من حقها" وبالتوازي مع ذلك، اتخذت إجراءات في حق الضباط الفرنسيين الذين رفضوا اتباع هذه الخطَّة.

وفي يوم 25 فبراير 1951، أعطى جوان أمراً نهائياً للملك بالتوقيع على بروتوكول تعسفي قبل الساعة الثامنة ونصف من مساء ذلك اليوم، مؤكداً أنه "في حالة الامتناع عن الإمضاء، فإن القبائل ستدخل فاساً، وسيعقب ذلك ما لم يكن في الحسبان".

في هذه الظروف كان الجنود بالرباط يطوقون القصر، وفرقة منهم تطوق بيت ولي العهد. وطلب شومان من جوان أن يتخلَّى عن هذه السياسة ووعده برتبة مرشال مقابل ذلك، وكان الملك ينتظر بفارغ الصبر أن يتدخَّل رئيس الجمهورية الفرنسية بمساعيه الحميدة لدى جوان، لكن بدون جدوى، ووقع الملك مرغماً على البروتوكول المشؤوم الذي ينص على إقرار "إصلاحات ديمقراطية"، وكان التوقيع إفشالاً مؤقتاً للمؤامرة.

أسدل الستار على هذا المشهد من المسرحية التي لم تنته بعد، وعادت القبائل من حيث أتت بأمر من الجنرال جوان الذي لاشك أن طنَّه خاب بضياح فرصة خلع الملك، وذلك باعتراف الجنرال نفسه الذي ما فتئ يتوعَّد الملك بإعادة الكرة والانتقام.

وفكَّر جوان بجدِّ في عصا المرشال والنجمتين اللتين ستضافان إلى نجومه الخمس، ورغب في هذه الرتبة العالية

التي ستلحقه بزمرة المرشالات الذين تفتخر بهم فرنسا بما حقَّقوه من انتصارات كبرى في ميادين الوغى. لكن الجنرال جوان كان يشعر بأن شيئاً ما يربطه بالمغرب، فأحزنه أن يبرح الإقامة العامَّة دون إتمام مهمته في تقديم مسرحيته للجمهور. واشترط الجنرال على الحكومة الفرنسية أن يكون له حق اختيار خلفه، فقبلت طلبه، وأسندت منصب الإقامة العامَّة بالمغرب إلى ضابط مارس مهنته في هذا البلد تحت قيادة الجنرال ليوطي وكان مسؤولاً عن إنجاح التوغل الفرنسي بكل الوسائل في الأطلس المتوسط، في عملية ما سمَّاه ليوطي نفسه "عملية التهذئة" وهو الجنرال جيوم، قائد القوات الفرنسية بألمانيا.

غادر الجنرال جوان المغرب نهائياً يوم 20 شتنبر 1951 وأسندت إليه ابتداء من فاتح أكتوبر 1951، قيادة القوات الأطلسية المشكَّلة من الحلفاء والخاصة بالدفاع عن أوربا الوسطى بما فيها القوات البرية والبحرية والجوية. وفي شهر ماي 1952، تمَّت ترقيته إلى رتبة مرشال دوفرانس، وانتخب عضواً في الأكاديمية الفرنسية في نونبر من نفس السنة. وفي عام 1956 قدَّم استقالته من الحلف الأطلسي أو أقبيل منه بطلب من الولايات المتحدة، ونشر كتاباً بعنوان: "البلاد المغاربية تحترق، ذكَّر فيه باستقلال المغرب وتونس. مستنكراً كون المغاربة والتونسيين "تتكرروا لما صنعت فرنسا بأوطانهم وتضحياتها في سبيلهم، وبواخذهم بإشعال النار في الجزائر والتأمر على فرنسا في كل مكان". توفي المرشال جوان في غضون عام 1967، وكان دوغول من الذين حضروا مراسم جنازته ودفنه بمقبرة "ليزانفاليد" (Les Invalides).

نضال ملك، اعداد سنتي 1956. 1957.

C.-A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, 1415 - 1956 ; G. Delanoë, *Lyautey, Juin, Mohamed V* ; P. Boyer de Latour, *Vérités sur l'Afrique du Nord* ; G. Grandval, *Ma mission au Maroc* ; F. Nataf, *L'indépendance du Maroc* ; R. Montagne, *Révolution au Maroc*.

أحمد بنجلون

## جواو الأول، أو يوحنا الأول ملك البرتغال، أول عاهل

من أسرة أفيس (Avis) التي وصلت إلى السلطة بعد الثورة الشعبية التي عرفتها البرتغال فيما بين 1383 - 1385، والتي استطاع من خلالها إبعاد المطامع القشتالية والحفاظ على استقلال البلاد. وفي عهد هذا الملك شرع البرتغال في التوسع بالاستيلاء على سبتة والتحكم في الجزر الأطلسية. جواو الأول ابن طيسنعي للملك دون بيدرو (1357-1367). ولد بلبشونة يوم 11 أبريل 1437، وتربى بعيداً عن البلاط، في دور بعض النبلاء، ووجه توجيهها دينياً لجعله يتحمل فيما بعد مسؤولية داخل الكنيسة البرتغالية. وبذلك حلت أسرة أفيس، محل الأسرة الحاكمة السابقة. ومعلوم أن مصير هذه الأسرة ارتبط بشكل وطيد بالتوسع

في المغرب الذي ابتدأ كما هو معلوم بغزو سبتة، وانتهى بمغامرة دون سيستيان.

Ferñao Lopes, *Crónica del Rey Dom Joao I da boa memoria*, Lisboa, 1973 ; Gomes Eanes de Zurara, *Crónica da tomada de Ceuta por el Rei D. João I*, Lisboa, s.d. ; A.H. Oliveira Marques, "João I", in : *Dicionário da História de Portugal*, Dir. Joel Serrão, Porto, III, pp. 383 - 387.

### جواو الثاني، ملك البرتغال، ابن الملك الفونصر

الخامس الملقب بالإفريقي (1438، 1481). ولد بلبشونة يوم 5 ماي 1455. وأشركه أبوه في تسيير شؤون البلاد في سن مبكرة، إذ أنابه عن نفسه حين قرر الهجوم على طنجة سنة 1464، وحين اكتساحه لقشتالة لمطالبته بعرشها (أبريل 1475)، كما جعله وصياً على العرش حين التحاقه بفرنسا طلباً لمساعدتها العسكرية (1476). وخاض "الأمير المثالي" كما تسميه المصادر البرتغالية، إلى جانب أبيه معارك حاسمة، منها مهاجمة مدينة أصيلا سنة 1471.

وابتداء من سنة 1474، كلف الأمير جواو بالإشراف على عمليات الكشوف الجغرافية بعد أن أصبح إشراف الدولة عليها مباشراً ونقلت مصالحها إلى العاصمة. واستمرت تلك العمليات في الاستئثار باهتمام جواو حتى بعد مبايعته سنة 1481. وقد حقق البرتغاليون في عهده نجاحات باهرة بسبب رعاية الدولة للكشوف وقبولها لها والاحتفاظ بأسرارها وإبعاد المنافسة عنها.

شغل جواو الثاني البحث عن طريق بحرية للوصول إلى الهند عن خوض حروب بالمغرب، فاكتفى بولاء اسمي لسكان مدينة أزموور الذين اعترفوا بسلطته على مدينتهم سنة 1486، كما جدد العمل سنة 1488 بمعاهدة الحماية التي كان قائد أسفي قد أمضاها مع أبيه قبل وفاته. وكان تحصين "الجزيرة" بوادي اللكوس، قرب مدينة القصر الكبير، سنة 1489، المحاولة الوحيدة لجواو الثاني للتوسع بالمغرب، إلا أن تلك المحاولة انتهت بهزيمة برتغالية بعد أن حال محمد الشيخ الوطاسي دون توصل الحماية البرتغالية بالإمدادات من البحر (راجع مادة الجزيرة).

J.V. Serrao, *João II*, in : *Dicionário da História de Portugal*, dir. Joel Serrão, Porto, T. III, pp. 387 - 391 ; Rui de Pina, "Crónica d'el Rey Dom João II", in : *Crónicas de Rui de Pina*, édit. Lopes de Almeida, Porto 1977, pp. 893 et s.s. ; Damiao de Góis, *Crónica de Príncipe D. João*, édit. Graça Almeida Rodrigues, Lisboa, 1977 ; Garcia de Resende, *Crónica de Dom João II e Miscelânea*, Lisboa, 1973 ; D. Lopes, "Os Portugueses em Marrocos" in : *História de Portugal*, dir. D. Peres, Barcelos, 1931, Vol. III, pp. 450 et s.s.

### جواو الثالث، ملك البرتغال "الملك التقي" (O. Piedoso)

كما تلقبه المصادر البرتغالية، هو ابن الملك إينويل السعيد (1494 - 1521). ولد بلبشونة يوم 6 يونيو

1502، وهو العاهل الخامس عشر للبرتغال، والسادس ضمن الأسرة الملكية الثانية المعروفة بأسرة أفيش المذكورة آنفاً. تولى الملك يوم 19 دجنبر 1521 وعمره ست وثلاثون سنة، بعد أن اكتسب تجربة سياسية إلى جانب والده. ورث يوحنا الثالث إمبراطورية شاسعة لا تغييب عنها الشمس، تمتد عبر ثلاث قارات، بعد ما كانت قد بلغت أقصى توسعها في عهد والده، وأضحت تشمل فضلاً عن الثغور المغربية والجزر الأطلسية، المراكز التجارية بغرب وشرق إفريقيا، وكذا إمبراطورية الشرق والبرازيل.

ويمكن الإشارة بسرعة إلى الأحداث التي عرفها البرتغال في عهده، والتي لها علاقة بالمغرب في ثلاثة أحداث أساسية :

1 - مرور الإمبراطورية البرتغالية بعد سنة 1521 بظرفية صعبة شملت كل المناطق التابعة لها، وذلك لثلاثة أسباب أساسية :

- المقاومة العنيفة التي واجهت الحاميات البرتغالية بالمغرب.

- تزايد نشاط التهريب وإفشال محاولة البرتغال احتكار التجارة بكل ربوع إمبراطوريتها.

- وتفاقم الأزمة المالية التي كانت الدولة البرتغالية تعاني منها منذ القرن الرابع عشر.

2 - الانسحاب الجزئي من المغرب والتخلي عن عدد من الثغور المغربية تفادياً لهزيمة عسكرية شبيهة بالتي تكبدتها الحامية البرتغالية بأغادير في ربيع سنة 1541. ومعلوم أن محمداً الشيخ السعدي استطاع منذ بداية الثلاثينات من القرن السادس عشر تجهيز جيشه بأعداد متزايدة من المدفعية التي تمكن منها عن طريق الإنتاج والشراء، وأنه بسبب ما توفر لديه من إمكانيات مالية جلب لها أطراً تركيبة وعلجية، وأنه شجع تجار فرنسا وإنجلترا وحتى البرتغال على الإقبال على مرفأى تروكوو وتافضنا للتزويد منهما بما يلزمه من عتاد وذخيرة. وبذلك تغير ميزان القوة لصالح جيوشه وجيوش أخيه كما تأكد ذلك للبرتغاليين خلال حصار أگادير سنة 1533 وخصوصاً خلال الحصار الطويل الذي اهتز له البرتغال كله والذي ضربه أحمد الأعرج على أسفي في ربيع السنة التالية. وبما أن أوضاع الخزينة البرتغالية وأوضاع البلاد الاقتصادية والاجتماعية لم تكن تسمح بمواجهة الأمرين السعديين، فقد قرر جواو الثالث إخلاء الثغور التي لا تمثل أهمية استراتيجية ولا تفيد البرتغال في شيء. وهكذا أرسل العاهل البرتغالي إلى أگادير لجنة يرأسها أحد القباطنة الذين سبق لهم الخدمة بالمغرب لدراسة ظروف ذلك الإخلاء. ويبدو أن معارضة النبلاء، أكبر المستفيدين من التوسع بالمغرب، للمشروع حال دون تنفيذه. إلا أن العاهل البرتغالي لم يتوقف عن التفكير في الموضوع بدليل مكاتبته البابا بطريقة مستعجلة قصد استئذانه في تخريب المدن ومعاهدتها

*Inédites de l'Histoire du Maroc. Série Sa'adienne. Archives et Bibliothèques de Portugal, T. 2, 3 et 4. Paris, 1939 - 1953 ; J.V. Serrão, "João III", in : Dicionário de História de Portugal, direc. Joel Serrão, T. III, pp. 391 - 396 ; D. Lopes, "Os Portugueses em Marrocos no tempo de D. João III", in : História de Portugal, dir. D. Peres, Barcelos, 1932, vol. 4 ; Dias, G.S. da Silva, A política cultural da época de João III, Coimbra : 1969, 2 vol., 1003 p. ; A. Boucharb, Les crypto-musulmans d'origine marocaine et la société portugaise au XVIème siècle, Thèse dactylographiée.*

أحمد بوشرب

### جواوة، أو أجواوة وإجواون حسب النطق المحلي،

يُحَدِّد أهم فرق قبيلة بني سيدال القلعية. لانعرف أصل الاسم. وأول علمنا بتداوله يعود إلى ما ذكره المجهول صاحب وثيقة نسب قبيلة قلعية الموضوع عام 939 / 1533، حيث قال : "إجواون التحتيين إهرن وإخوانهم في بني ورياغل، أهل أسعيد أهرن (؟)" إلى ما ردد آخر القرن الماضي بالوثائق المخزنية والمصادر الأجنبية. لجواوة حالياً مجالان : جواوة الجبل : هو الوطن الأصلي للتجمعات الجواوية. ونعرف أن جواون في الأصل مدشر صغير واقع عند منبع واد غساسنة (واد إبرهوشن بالمكان) من هضبة ممتدة غرب سفح تازوطا حيث آيت ياسين في شماله ومدشر إزرورن في شرقه، ثم شملت القسم الغربي من هضبة الكعدة.

يظهر أن شأن مدشر جواوة ازداد اتساعاً بانتقال دار المخزن من تازوطا إلى مركز تميزار بالكعدة على يد قائد قلعية عمر بن مسعود القيطوني ثم أخيه الطاهر، وهما من الأسرة القيطونية التي قادت حركة الجهاد ضد الوجود الإسباني بمليلة المحتلة على عهد الملوك العلويين بدءاً من المولى رشيد إلى محمد بن عبد الله (معلمة المغرب، ج 6 مادة تازوطا : ج. 8 مادة تميزار). لم يلبث مدشر جواوة أن ارتقى إلى فرقة كبرى منذ منتصف القرن الثالث عشر الهجري (19 م) بظهور أول شخصياته المخزنية من أسرة إغمان المتمثلة في القائد محمد بن يحيى بن المختار أغم على عهد السلطان المولى سليمان، قائداً على قبيلة قلعية كلها.

وفي أواخر القرن الماضي تكاد جواوة الجبل أن تندثر بعد أن تضاءلت سلطتها إثر تفكك قلعية إلى القيادات المعروفة على عهد المولى الحسن فأصبحت مجرد جماعة صغيرة، ولم يبق منها من المداشر سوى : إعذايا وتازروت جواوة وإغمان. أما مدشر جواوة الأصلي فقد انمحي اسمه من الخرائط الراهنة بسبب الهجرة، إذ لم يبق بالمكان سوى أربع دور (خريطة سنة 1967) و (الضابط 98.99).

جواوة التحتية أو الوطا : لها مجال أوسع بالوطا يتوزع على التلال المنتشرة على القسم الجنوبي الغربي من كتلة جبل وكسان بجوار الضفة اليمنى من مجرى واد كروط،

الدينية التي قد يتعذر الاحتفاظ بها (1532) وفك الحصار الذي ضربه المغاربة على أسفي سنة 1534، والذي تطلب الدفاع عنه تجنيد وسائل مالية وبشرية ضخمة فرض على جواو الثالث التفكير من جديد في الموضوع. وهكذا كاتب في نفس السنة عدداً من أعيان البلاد وكبار رجال الكنيسة وأطلعهم على أوضاع البلاد، وعلى ضرورة التخلي عن بعض الثغور المغربية.

وركزت الرسالة على عوامل جغرافية ومالية وسياسية لتبرير القرار الملكي. تتمثل الجغرافية في اقتتاد السهول الغربية لأية أهمية استراتيجية لبعدها عن البرتغال، وبالتالي فإخلاء ثغورها لن يمثل أي خطر على البلاد في حال استرجاع المغاربة لها، وأنها لا توفر للبرتغال أية حماية في حالة الاحتفاظ بها. وأشارت الرسالة إلى صعوبة الدفاع عن أسفي وأزمور في الوقت المناسب لسوء وخطورة ميناء الثانية وانعدام ميناء بالأولى، خصوصاً وأن مرابطة جيوش الشرفاء قربها أصبحت دائمة. كما أن وجود مرتفعات حول أسفي يجعلها عرضة للنيران والقذائف. ولإطلاع المخاطبين على أوضاع البلاد المالية التي لا تسمح بإرسال العون للثغور المحاصرة في كل وقت وحين، أرفقت الرسالة بتقرير مالي مفصل وسري عن أوضاع الخزينة. إلا أن النبلاء رفضوا الاقتراح الملكي. وحاول العاهل البرتغالي التخفيف من حدة الضغط السعدي بالتقرب من السلطان أحمد الوطاطي الذي عبّر عن رغبته في عقد حلف عسكري معه للقضاء على الشرفاء السعديين بتنظيم هجوم بري وبحري مشترك.

وزعزع تحرير محمد الشيخ لاگادير في ربيع 1541، الذي اعتمد فيه على المدفعية والسلاح الناري بشكل مكثف، الوجود البرتغالي بالمغرب. فمن مجموع حامية تتكون من 1600 شخص، قتل ألف وأسر الباقي. وخوفاً من أن يضم محمد الشيخ جيشه إلى قوات أخيه المرابطة ضد ثغور دكالة، أمر العاهل البرتغالي بإخلاء أسفي وأزمور في خريف سنة 1541 وتحصين مازيغن لجودة مينائها وللتخفيف من حدة الانتقادات التي واجه بها ما كان يعرف بـ "التيار لإفريقي" القرار الملكي. ويعد أن دخل محمد الشيخ السعدي إلى فاس سنة 1549، أمر يوحنا الثالث بإخلاء القصر الصغير وأصيلاً سنة 1550 تفادياً لهجوم سعدي. وبذلك لم يبق في يد البرتغاليين إلا سبتة وطنجة ومازيغن. وبالطبع لم يستغ الرأي العام البرتغالي هذا التراجع بالمغرب، واستمر يطالب بالهجوم من جديد عليه، وسيجد استجابة لدى دون الملك سبستيان مما أدى إلى المغامرة المعروفة التي انتهت بفقدان البرتغال لاستقلاله لمدة ستين سنة.

أ. بوشرب، دكالة والاستعمار البرتغالي، الدار البيضاء.

R. Ricard, Les Portugais et l'Afrique du Nord, extraits des Annales de Jean III de Luis de Sousa, Paris, 1940, 208 p. ; P. de Cénival, D. Lopes et R. Ricard, Sources

ويتوسط الجماعة واد المالح، أحد روافد واد كرط. يحدّ جواوة التحتية من الشمال أولاد ياسين الوطا وأولاد عبد الدايم من بني بويحيى من جهة الجنوب بينما تتاخم من جهة الشرق فرقة وكسان من بني بويغورور.

لا ندري متى بدأ النزول من جواوة الجبيل إلى الوطا الذي كان في البداية عزائب أهل الجبيل، ولكن صاحب وثيقة نسب قبيلة قلعية المؤرخة بسنة 939 / 1533 أشار فقط إلى جواوة التحتية، غير أن ذكره لجواوة التحتية يفترض وجود الفوقية والجبيلية قبلها ولا بد أن يكون هذا النزول قبل القرن العاشر (16 م).

مجال جواوة التحتية رعوي متمثل في انتشار العزائب التي هي أصل المداشر المنتشرة بالمكان مما يعرض النقص الواقع لجواوة الجبيلية : إفنطراس وإمساتن وإعلاويا وتازروت مكداد وإعذاين وگارة بوميا وإمعروفن وبرطوال وعزيب علال أقدور وإرافل وإبحجارن وبوشريقت.

ولاشك أن مخبر مولييراس حين عد كوانين جواوة وجعلها مائة وخمسين كانوا، كان يعني المجالين الجبلي والسهلي. وقد ارتفع العدد إلى ثلاثمائة وأحد عشر كانوا حسب إحصائيات الثلاثينات للقرن الحالي.

وكل الجواويين المعروفين لدينا من مدشر إغمان الواقع على الضفة اليسرى من مجرى حوض واد إزورون الأعلى، المنبع الرئيسي لواد المدور. وهو منضو بجماعة جواوة الجبيل السالفة الذكر.

**الجواوي، علال بن عمر أغم، خَلَفَ في الحكم المختار أغم الجواوي الآتي ذكره، ربما من شوال 1309 بعد أن عاشت جواوة فراغاً نحو العامين. وكيفما كان الأمر فقد وجدناه يمارس مهامه كقائد يوم 22 حجة 1309 ولم يبق بيده سوى جواوة الجماعة وأولاد ياسين (20 ربيع الثاني 1312 و27 محرم 1313). أما جماعات أولاد غانم وإحيانين وإدراين فكانت من ضمن إيالة جاره القائد حم بن الهادي الفكلاني (14 محرم - 3 صفر 1310).**

لم يلبث أن احتدم النزاع بين علال الجواوي وحم بن الهادي حول ضم الجماعات التي كانت موطن النزاع منذ وقت سابق على عهد قيادة القائد المختار أغم. وفي السنوات الموالية كان النزاع ما يزال قائماً (8 بيع الأول 1314). إلا أن منافسه حم بن الهادي القلعي استطاع جلب أولاد ياسين إليه واعتراف المولى الحسن بذلك (6 ذي القعدة 1316).

استمر القائد علال بن عمر الجواوي في قيادته حتى سنة 1318 (5 حجة 1318) حيث أُمِر بالتنازل عما أضافه لنفسه من الجماعات المتنازع عنها (إحيانين وأولاد غانم وإدراين) للقائد الجديد علال بن كروم الفكلاني المعين منذ 28 محرم 1318 على بني فكلان (5 حجة 1318). ومنذ هذا التاريخ انقطعت عنا أخبار الجواوي علال بن عمر.

**الجواوي، محمد بن يحيى بن المختار أغم القلعي، قائد قلعية على عهد المولى سليمان، إذ تعرفنا به وثيقة عدلية بتاريخ 26 رجب 1210 / 5 فبراير 1796 حيث أشارت إلى أن له قطعة أرض بجهة مدينة غساسة (القلعة) بالمكان المعروف بالزوية.**

نجد خبره أيضاً على عهد المولى عبد الرحمان حيث كان مسجوناً على يد عبد القادر أشعاش بالعرائش ونعت برأس الفتنة. وتشفع له حاكم طنجة القائد محمد بن عبد المالك الريفي مرتين : آخر عام 1262 / 1845 ثم سنة 1264 / 1847 فتم تسريحه. لا ندري مصيره بعد تاريخ تسريحه، وما إذا كان قد أعيد إلى القيادة أم لا. وكل ما هناك أن منصب القيادة انتقل إلى ابنه المختار الآتي الذكر.

**الجواوي، المختار بن محمد بن يحيى بن المختار أغم القلعي، يمكن التأكد من أنه كان بمنصب قائد قبيلة قلعية كلها وعلى أقسامها الخمسة قبل 12 جمادى الأولى عام 1288 حسبما جاء في وثيقة أهل تيلزات ( المعلمة، ج 8، ص. 2739)، أي على عهد محمد بن عبد الرحمان. ونعلم أنه نقذ آخر عهد السلطان ما أمر به من بناء قصبة فرخانة لتكون دار المخزن ومركز إقامة رئيس الإدالة المخزنية لحراسة نقط الحدود المنوحة لمليحة المحتلة بناء على اتفاق 1859. ( المعلمة، جنادة). بناها عن طريق مساهمة أخماس قلعية ورتبت للإدالة مؤونتها موزعة على قبائل الريف الشرقي.**

امتدت قيادة المختار على الأقسام الخمسة المعروفة بقلعية، وهي : بني شكر ومزوجة وبني بوگافر والگعدة وبني بويغورور، على أساس مبدأ القيادة الواحدة حسبما كان معروفاً قبل عهد المولى الحسن. وقد دلت أحداث قلعية في بداية حكم المولى الحسن على صعوبة الاحتفاظ بنظام القيادة القديم وانفراد الجواوي المختار أغم بحكم قلعية جميعها، في وقت كان المخزن الحسنى على استعداد لتطبيق نظام تعدد القيادات عملاً بتفكيك نظام القيادة الواحدة.

نسجل رفض قبيلة قلعية لحكم المختار أغم منذ بداية حكم المولى الحسن، حسبما عبرت عنه وثيقة 10 ذي القعدة عام 1290. ويتتبع الوثائق نجد أن الموقف نفسه استمر تجاه القائد الجواوي خلال السنوات الست التالية. ويمكن تتبع الأحداث على الشكل التالي :

أجمعت قلعية على هدم دار المختار أغم تعبيراً عن إخلاء المكان لغيره، مما ألزمه الفرار والتوجه إلى فاس التي كان بها في رجب 1295 وتطلب تدخل المرابط محمد الحضري لإسكان الفتنة (17 شعبان و10 رمضان 1295).

وربما عاد قائد قلعية إلى منصبه خلال السنة الموالية تحت ظروف التصالح ومعالجة الوضع، فالقلعيون عاودوا



الهجوم على داره حسبما أدلت به مراسلة 15 رجب 1296  
نما اضطره للعودة إلى فاس (14 ذي القعدة 1296). وفي  
آخر السنة كان الوضع كسابقه باستثناء ما قيل عن تراجع  
بني شكر عن رأيها (24 حجة 1296).

ويمكن اعتبار سنة 1297 سنة تفكك الوحدة القيادية  
بقلعية وتعددها لا على حسب نمط الأخماس فقط بل تجاوز  
ذلك إلى أدنى المراتب على مستوى الفرق والجماعات، إذ  
أن المخزن الحسني لم يكن يراعي في هذا التقسيم سوى  
رغبات الأعيان والجماعات واتجاه ميلها إلى هذا الشخص  
أو ذاك، ولم يكن للتناسق الجغرافي أي اعتبار في هذا  
التقسيم.

ونتيجة للتقسيم الجديد الذي كان على حساب الجواوي  
المختار أنفصلت من قيادته على مستوى الأخماس :  
خمس بني يوكافر المجاور لجواوة، ظهر به محمد بن العربي  
البوگافري الذي وجدناه يمارس مهامه حسب وثيقة 9 شوال  
1298. (معلمة المغرب، ج. 6 : 1833) ؛ خمس بني  
بويغورور: قائده حميدة بن شلال العلاطي حسب وثيقة متم  
صفر 1298 / 31 يناير 1881 (انظر معلمة المغرب، مادتي  
البويغوروري حميدة بن شلال وجزولة) ؛ بني شكر : محمد  
ابن الهادي الشكري الداودي حسب مراسلة 29 محرم  
1298؛ مزوجة : لحسن بن محمد المزوجي في نفس التاريخ.  
ولم يستقل الجواوي المختار أنعم بعد انفصال الأخماس  
الأربعة المذكورة بخمس الكعدة وحده (بني سيدال فيما  
بعد) بل واجه منافسة أعيان فرقة بني فكلان الداخلة في  
تقسيم الخمس. وبذلك اقتضت قيادة الجواوي على فرقة  
جواوة وحدها، حسبما ذكرناه عن مجالها سابقا.

ظل المختار أنعم الجواوي غير راض بما بقي بيده من  
السلطة. وسيفتح باب النزاع مع منافسيه الفكلانيين على  
جملة من المداشر كانت إطار نزاع دائم بين فرقتي جواوة  
وبني فكلان : إدراجن الجبل، دراكنة، على الضفة اليمنى  
من مجرى واد تازوفا عند مخرجه إلى أربعة، ثلاث. ولها  
ما يقابلها من إدراجن الوطا (ثلاث الوطا) ؛ إلبانن  
الجبل، اللحائنة، الزاوية الجنوبية الشرقية من كتلة كعدة  
بني فكلان. ويمثلهم فرقة الوطا (ثلاث الوطا) ؛ أولاد غانم  
بالجبل والوطا والمدشر الكائن بالوطا (ثلاث الوطا).

ويعتبر المختار أنعم الجواوي أن التجمعات المذكورة  
كانت مندرجة في فرقة جواوة، فهو يقول : كانوا معنا في  
أول الزمان سلفا عن خلف. وربما كان مدشر ثلاث ضمن  
إيالة المختار الجواوي، إذ أنه اشتكى من غريمه محمد بن  
الهادي العديوي لتراميه عليه. (6 شعبان 1306).

ففي هذا الإطار الجغرافي الضيق احتدم التنافس بينه  
وبين حم بن محمد الفكلاني : 1298 إلى 1300 (29 محرم  
ومتتم جمادى الأولى عام 1298) ومع الخضر بن محمد  
العديوي (138 جمادى الثانية - رمضان 1300 : 15 ومتتم  
رجب، 5 شعبان، 8 شوال، 17، 9 ذي القعدة، 6 حجة

1301) ثم مع محمد بن الهادي الفكلاني (5 جمادى الآلى  
6 شعبان 1306).

ولم ينج القائد المختار أنعم الجواوي من إثارة  
الصعوبات مع فرقة جواوي نفسها مركز قيادته. فقد وصل  
بها الحد إلى الفرار من ثقل واجباته العالية إلى الأمين علال  
ابن المختار الفكلاني، لأن المختار حين ألزمها بدفع هدية  
300 ريال فرض الزيادة على الزكاة والواجب المخزني. (فاتح  
صفر 1302. كناش 360 / 55).

لذا قبض على المختار أنعم وأودع السجن في آخر  
سنة 1306 أو بداية التي تليها ؟ لا يظهر ذلك من الوثائق  
بوضوح. هناك رسالة القائد محمد بن أحمد الكبداني رفيق  
المختار الجواوي في السجن يشير إلى أن سبب القبض  
عليهما اتهامهما بحيازة مال المخزن ومتاع القبيلة (23  
ربيع الأول 1309). غير أننا لا نملك التفاصيل.

ترتكز الرواية الشفوية على نخوة المختار أنعم، ولا بد  
أن نقيم الوزن للنكسة التي لحقته بسبب تفكيك وحدة  
قيادته ومضايقته في خمس الكعدة نفسه. وقد لاحظنا أنه  
منذ ذلك لم يلب دعوة السلطان لزيارته كالعادة، بل اكتفى  
بارسال أخيه الحسن خليفته (8 رجب 1300) ونضيف إلى  
ذلك عدم مشاركته في حركة الغرب الشهيرة التي أخذ بها  
العديد من المخالفين من عمال الريف الشرقي وقلعية بصفة  
خاصة، كان منهم القائد محمد بن أحمد الكبداني رفيق  
المختار أنعم في سجن مصباح بالعرانش، ربما منذ بداية  
1307 حيث وجدنا أهل أنعم توجهوا للاحترام بمولاي  
إدريس، يتزعمهم أخوه الحسن وصهره الزناسني.

بقي المختار أنعم بسجن العرائش (21 جمادى الأولى  
1307) ومن هناك بدأ في مراسلة أهله، ولذلك أو عز القائد  
حم بن الهادي الفكلاني خلال السنتين الموالتين إلى  
السلطان بنقل المختار إلى سجن مراكش دون أن ينال  
مبتغاه (26 جمادى الأولى 1307 - 22 رجب 1308). وأبتداء،  
من هذا التاريخ تحتجب عنا أخباره.

وثائق خ. ح. بالرباط ؛ وثائق الهاديين بالناظور ؛ وثائق أولاد  
داود لصاحبها أولاد عالوش ووردة والحاج ميسون الداودي ؛  
مجهول، وثيقة نسب قبيلة قلعية، مخطوطة 1533 / 939 ح.  
الفكيكي، قلعية ومشكل الوجود الإسباني بجليلة. ج 1 / 137 ؛  
ضابط الأمور الوطنية، تطوان 1951 ؛ الخريطة الطبوغرافية لسنة  
1954 و1967 معلمة المغرب، ج. 6 ؛ بحث ميداني سنة 1973.

A. Moulieras, *Maroc inconnu*, I / 166 ; R.F. de  
Castro y Pedrera, *El Rif*, Málaga 1911, p. 82 - 82 ;  
*Geografía de Marruecos. Protectorados Y Posesiones de  
España en Africa*, T. 2, p. 226 ; *Vademecum*, p. 58, Ceuta  
1931.

حسن الفكيكي

**جوبيتر** (Jupiter)، معبود روماني عشر على بعض  
آثاره في المغرب لما كان تحت سلطة الرومان.  
يعتبر جوبيتر أكبر معبودات الجمع الديني الروماني

السرية بمدينة الدار البيضاء في التشكيلية التي كانت تحت مسؤولية السيد حسن الشياطي، ثم بعد ذلك عمل تحت إمرة الأزهاري عبد الرحمان في ابن مسيك ونواحيه، وكان يعرف باسم (جولي) قام بعدة أعمال فدايية منها : اغتيال حارسين مدنيين كان يحرسان متجراً لبيع الخمر والتبغ، كما كان مشاركاً في لجنة للإسعاف مكونة من أربعة أفراد (إسعاف المقاومين).



أُلقي عليه القبض بتاريخ 10 مارس 1955 وسُجن بالدار البيضاء حيث تم اغتياله من طرف حراس السجن المدني بتاريخ 21 مارس 1955.  
كتاب شهداء الاستقلال، 3 : 79.

**جوذر باشا،** أو جوذر، قائد جيش الأندلس أيام السعديين. من أبرز رجال الدولة والشخصيات العسكرية الأساسية في عهد السلطان أحمد المنصور، تعرض عقب معركة وادي المخازن سنة 986 / 1578 م. لتفكيك المنصور في فترة بطشة بقواد أخيه عبد الملك المتوفى، رؤساء جيش الأندلس، حيث استشهاده من القتل وحجزه في منزل بالبادية حتى سنة 998 / 1590 م، حيث عفا عنه وأسند إليه قيادة حملة السودان.

انطلق جوذر من مراكش في ذي الحجة عام 998 / أكتوبر 1590 م، وتمكن من هزم قوات أسكيا إسحاق بن داود، واستولى على كاغو ثم تبيكت في ظرف وجيز. لكن توقعه عن مواصلة الحرب استجابة لطلب التفاوض حول السلم مع الأسكيا المهزوم دفع المنصور إلى خلعه من قيادة الجيش، وأسند ذلك إلى القائد محمود باشا الذي وصل إلى تبيكت في شوال عام 999 / غشت 1591.

وقد ظل جوذر في السودان تحت أوامر القائد محمود باشا إلى أن قتل هذا الأخير في كمين نصبته الفلول السودانية، فوزع السلطان المنصور الذهبي السلطات بين القائد منصور بن عبد الرحمان الذي ترك له القيادة العسكرية، وولى جوذراً إدارة المناطق المفتوحة، وذلك في رجب عام 1003 / مارس 1595. وقد استخلف أحمد المنصور القائد محمد التبايع بعد وفاة القائد منصور في ربيع الأول عام 1005 / نوفمبر 1596، لكن قيادته لم تدم

وسوف تعرف عبادته انتشاراً واسعاً في مختلف الولايات الرومانية بما فيها الولاية الإفريقية. وفي موريطانيا الطنجية (المغرب القديم) عشر على عدة دلائل تدل على عبادته، فبعض النقائش حملت اسمه وهي عبارة عن هدايا مقدمة إلى جوتير الأفضل الأعظم (J. O. M) أو مقدمة له إلى جانب معبودات وثنية أخرى. ففي تموسيدا (A.E., 618 : 1996) عشر على لوحة مقدمة إلى جوتير، حامي الدولة الرومانية من طرف إحدى الفرق العسكرية التي تطلب حمايته، وبما يؤكد ذلك وجود بعض الرموز الخاصة به كالنسر والصاعقة. أما في وليلي فقد ارتبط اسم جوتير باسم الامبراطور سبتيموس سيفر (S. Sévère) ذلك أن الإهداء موجه إلى جوتير بمناسبة تخليد الذكرى العاشرة لحكم الامبراطور (202 م) ويسجل بعض الاحتفالات وكذا توزيع الهدايا وإقامة الألعاب (IAM, 2, 354) وهناك دلائل أخرى على وجود هذه العبادة في موريطانيا، عثر عليها في كل من تموسيدا (IAM, 2, 248) ووليلي (AM, 2, 353) وهي عبارة عن هدايا مقدمة إليه لكن لا نجد ذكراً للأفراد الذين قدموا هاته الهدايا. وهناك هدايا مقدمة إليه إلى جانب معبودة أخرى قديمة "Dii mortales" (IAM, 2, 356, 357, 361) وإلى جانب بنينوس الامبراطور (IAM, 2, 359, 361, 361).

وفي سلا (IAM, 300) وطنجة (CIL, 9988) قُدس جوتير في إطار الثالوث الكابتولي. إلى جانب النقائش عشر على تماثيل تحمل صورته، ففي بناصا تماثل من البرونز في إحدى منازل الهي الشمالي للمدينة حيث يظهر جوتير في شكله الكلاسيكي، يحمل في يده اليسرى نسرًا وفي يده اليمنى ربما يحمل الصاعقة. والتماثل في صورته النهائية عبارة عن إنجاز هيلني. ويمكن أن نقرب هذا التماثل من غودجين آخرين من البرونز عشر عليهما في وليلي، الأول يمثل جوتير وهو يحاول رمي الصاعقة، والثاني أحسن إنجازاً وهو على نفس مستوى تماثل بناصا من حيث الصنع والأداء.

إن جوتير أكبر معبوداتهم، قُدس في المغرب القديم، سواء وحده أو في إطار الثالوث الكابتولي تحت أشكال رومانية وبالتالي فهو يمثل الديانة الرسمية الرومانية.

Daremberg - Saglo, *Dictionnaire des antiquités grecques et romaines, s.v. Jupiter* ; A. Ruhlman, *A propos d'une plaquette de caractère militaire trouvée à Thamuda*, PSAM, I, 1935, p. 33 - 45 ; G. Souville, *Peintures bronzes de Jupiter et de Venus trouvés en Maurétanie Tingitane*, Hesp. 1957, p. 146 - 151 ; R. Thouvenot, PSAM, II, 1954, p. 121 pl. XXVI, I ; *Inscriptions antiques du Maroc - 2 - Inscriptions latines*, Paris, 1982.

عبد العزيز بل الفايذة

**جودار، محمد** بن عبد الله مقاوم، ولد سنة 1930 بالشياطمة إقليم الصويرة، وشارك في صفوف المقاومة

أكثر من سنة ونصف حيث توفي في شوال عام 1006 / ماي 1598 م، وقيل إن وفاتها كانت من تدبير الباشا جوذر. ويأمر من المنصور الذهبي غادر جوذر السودان عائداً إلى مراكش في رمضان عام 1007 / 1599. وكلف هو والقائد منصور النبيلي سنة 1011 / 1602 م بالقبض على محمد الشيخ المامون أثناء زحف المنصور على فاس لمجاوبة تمرده ؛ وإلى جوذر أسندت مهمة سوق المامون سجيناً إلى مكناس.

مصادقة العاهل الإنجليزي شارل الأول عليها، وأيضاً للقيام بمساع لدى الدولة الإنجليزية من أجل الحصول على مساعدتها في تمكين السلطان السعودي من بعض السفن. وقد مكث جوذر بلندن من جمادى الأولى عام 1047 / أكتوبر 1637 إلى محرم عام 1048 / ماي 1638، حيث نجح في المهمة الأولى، في حين لم نلمس حدوث أي شيء فيما يخص النقطة الثانية.

H. de Castries, S.I.H.M., 1ère série - Ang. T. III.

حسن أميلي

**الجورائي**، بيت من البيوتات القديمة بفاس. قال فيهم صاحب جنى زهر الآس : "ويبتهم بيت فقه وعلم وصلاح" وينسبون إلى بني غفجوم قبيلة بتادلا. ومن المتأخرين منهم بفاس المعلم أحمد بن قدور الجورائي، كان يملك ريع جنان حبة خلوة قرب جبل زالغ عام 1057؛ والحاج محمد بن بلقاسم الجوراري عام 1079؛ وعبد الله بن الحاج محمد الجوراري مالك الدار الكائنة بدرب النوار من حومة النواعيين عام 1085. وقد انقرضوا من فاس.

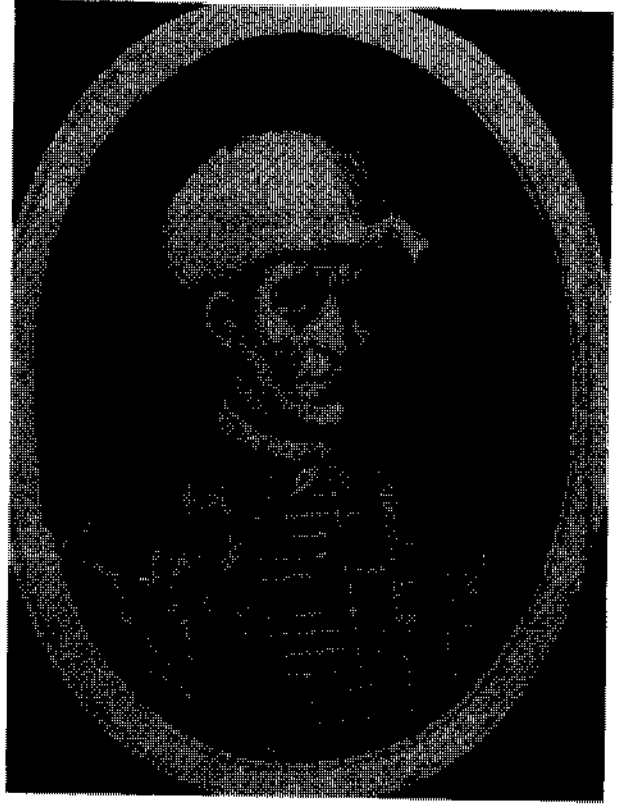
**الجورائي**، أو الجراوي، يسكن بن موسى الغفجومي التادلي ثم الفاسي، يكنى أبا محمد. نشأ بمدينة تاجنيت بتادلا، وانتقل إلى فاس طلباً للعلم، فأخذ عن أبي خزر يخلف الأوربي وسليمان التلمساني، وصحب الإمام علي ابن حرزهم واستقر نهائياً بفاس. ولقي الشيخ أبا يعزى يلتزم فأخذ عنه ولم يعد ينقطع عن زيارته، وكان يعرج بعد ذلك على مسقط رأسه في تادلا قبل أن يعود إلى فاس. كان الجورائي فقيها متمكناً من فروع المذهب المالكي، عليه المدار فيه بفاس في عصره، وله حواش على المدينة. إلى صلاح وزهد واجتهاد في العبادة، وخاصة في رمضان. إماماً وخطيباً في جامع القرويين، وكان لا يدعو في الخطبة للخليفة الموحد، فكاد يجر عليه بلاء، فتخلى عن الخطبة متعللاً بعجمة كانت في لسانه، وبقي إماماً أربعين سنة لم يسه فيها قط.

أخذ عنه جماعة من أعلام فاس منهم أبو محمد صالح الهسكوري شارح الرسالة. وتوفي ضحى يوم السبت 11 قعدة عام 598 / 3 غشت 1202. ودفن بالقلة خارج باب عجيسة.

ي. التادلي، التشوف، تح. أ. التوفيق، 337؛ أ. الصرمي، المعزى، مخطوط؛ أ. ابن القاضي، جذوة الاقباس، ط. الرباط، 1: 57، 58 و 70، 72؛ أ. باب التنيكي، نيل، 360؛ كفاية، مخطوط؛ م. ابن عيشون، الروض، مخطوط؛ م. الكتاني، سلوة، 3: 164؛ ع. الكتاني، جنى زهر الآس، مخطوط.

محمد حجي

**جوردان**، فردينان - جورج - Jourdan, Ferdinand Georges، معمر فرنسي حل بالمغرب سنة 1920 كمقاول بعد أن عرف متاعب مع العدالة في بلاده أدت إلى طرده من



وإثر وفاة المنصور في ربيع الأول عام 1012 / غشت 1603، سارع الباشا جوذر إلى نقل الأمير المعتقل ليضعه بين يدي شقيقه أبي فارس بمراكش لمنع مولاي زيدان من البطش به. كما انحاز جوذر في حروب أبناء المنصور إلى صف أبي فارس وتمكن من هزم زيدان في أول مواجهة بين مملكتي فاس ومراكش، لكن هذا النجاح ستلوه هزيمة مريرة أودت بحياة جوذر عام 1015 / 1606 أمام قوات عبد الله ابن الشيخ المامون الزاحفة على مراكش.

م. الغربي، موريطانيا ومشاعل المغرب الإفریقیة، الرباط، د. ت، ص. 152، 157.

**جوذر بن عبد الله**، من قواد العهد الأخير للدولة السعودية، وأحد وزراء محمد الشيخ الأصغر. أوفده في سنة 1047 / 1637 سفيراً إلى البلاط الإنجليزي لتقديم مشروع اتفاقية السلم والصداقة التي أعد مشروعها في مراكش في جمادى الأولى 1047 / سبتمبر 1637، قصد الحصول على

**جوريو، المعطي** كان ضمن الجماعة التي احتجت سنة 1340 / 1921 على شق الطريق في المقبرة وعلى ما يعرف "بضريبة الكياب" وبسبب ذلك أُبعد إلى طنجة ونُفي الحاج محمد البحرأوي إلى الضويرة والحاج بوكري بلكوره إلى أسفي والمحبوب الأزرق إلى الجديدة، وقد لقي نفس المصير بمدينة سلا عبد الله بن سعيد القائد والدبلوماسي الشهير الذي نفي إلى وجدة - وينعسى العلو السلأوي إلى جهة أخرى.

ع. الجبراري، *شذرات تاريخية من 1900 إلى 1950*، الدار البيضاء، 1976، ص. 196-197؛ ع. السوسي، *تاريخ رباط الفتح*، الرباط، 1979، ص. 209؛ م. الأمين بلگناوي، *روايات شفوية*، في 30 / 10 / 1995.

عبد الإله الفاسي

**الجَوْزُ**، أو "الكوز" أو الكرگاغ، شمرُ شجرة تسمى علمياً *يُوگْلَانْسُ رِيگِيَا* Juglans regia وهو من فصيلة الجوزيات Juglandaceae.

لشجرة الجوز تاج كبير شبه كروي الشكل، ويمكن أن يتجاوز علوها عشرين متراً. قشرة جذعها وأغصانها رمادية اللون ملساء في الصغر، تتشقق مع بداية سن النضج، أوراقها مركبة ذات وريقات عريضة، نفضية. أزهارها الذكرية مجتمعة على شكل هرمي الشكل. أم الأثوية فهي منفردة. ثمارها كروية في حجم بيضة الدجاج أو أكبر بقليل، خضراء قبل نضجها ثم تصفر بعدد. يجب إزالة الغلاف الخارجي أو تقشيرها لإخراج لب الجوز الذي يوجد بداخل النواة أو البذرة الصالحة للاستهلاك.

تصادف أنواع أخرى من الجوز طبيعياً بأمريكا الشمالية منها الجوز الأسود الذي زرع في مناطق عديدة من العالم.

أما فيما يخص الجوز "الملكي" (ترجمة للاسم العلمي) المعروف عندنا بالمغرب والموصوف أعلاه فقد عرفت زراعة سلالاته العديدة انتشاراً واسعاً بمنطقة البحر المتوسط وجنوب أوروبا وآسيا وأمريكا. وكان معروفاً إلى حدود السنوات الأخيرة أن أصل الجوز "الملكي" لا يخرج عن نطاق بلاد الفرس، وأن العرب هم الذين أدخلوه إلى شمال أفريقيا. غير أن الدراسات الحديثة المتعلقة بحبب اللقاح في الرسوبات والمخفآت (مناطق رطبة تتراكم فيها الرسوبات من طمي وطين ومواد عضوية لا تتحلل، قد يصل عمرها إلى آلاف السنين) في المنطقة الشرقية من الأطلس الكبير، أثبتت أن الجوز "الملكي" كان يوجد بواديان جبلي العياشي ومعسكر، وربما بواديان جبلية أخرى بالمغرب، وذلك منذ ثمانية آلاف سنة على الأقل.

من البديهي التذكير أنه لا توجد حالياً غابات طبيعية

هيثة المحامين بمدينة تولون التي كان يشتغل فيها. وبمساعدة مواطن تونسي يدعى عثمان بن بجي بن عمور، أسس جوردان بالدار البيضاء جريدة أسبوعية تحت عنوان *La Guêpe Marocaine* (الزنبور المغربي). وذلك في ماي 1920. وكان جوردان يسخر هذه الصحيفة لابتنزاز أموال الشخصيات الميسورة؛ ذلك أنه يتقرب أخبارها، خاصة تلك التي لا يرغب أصحابها في إعلانها على الملأ، فيهدد بتشهيرها إذا لم يؤد مقابل كتمانها تعريض مادي. وقد استهدفت هذه الحملة بعض الأعيان المغاربة والأوربيين، كما حاولت النيل من مؤسسات تجارية وإعلامية. وضمن قائمة الذين تعرضوا للقتل عبد اللطيف التازي (باشا الدار البيضاء سابقاً)، ومولاي أحمد بن منصور (باشا الدار البيضاء)، والحاج عمر التازي (وزير الأملاك المخزنية)، والتاجر اليهودي مردوشي دهان، وييسر ماص (مدير جريدة *Le Petit Marocain*)، الخ. ولما ضاقت الإدارة الفرنسية درعا بتجاسر "الزنبور المغربي"، أصدر المقيم العام ليوطي قراراً بطرد كل من جوردان وابن عمور من المغرب (5 نونبر 1922).

J. Baida, *La presse marocaine d'expression française des origines à 1956*, Rabat, 1996, p. 106 - 107 et 116 - 118.

جامع بيضا

**جوريو**، من الأسر الأندلسية الرباطية التي لم تلعب أي دور تاريخي في أحداث المدينة عكس الأسر الأندلسية الأخرى التي تحدث عنها محمد الضعيف ومحمد بوجدار وغيرهما، لكن برز منها أفراد خلال القرن الرابع عشر (20م) مثل :

**جوريو، إبراهيم** (الحاج -) الذي كان مهتماً بالتجارة للتصدير والاستيراد خصوصاً مع مصر والحجاز، وهو أخو الحاج محمد جوريو آتي الترجمة.

**جوريو، الطيبي** بن الحاج المعطي. كان مدرساً بالمدرسة الحرة بالزاوية المباركية سنة 1341 / 1922 التي كان يديرها الفقيه العدل محمد بن القاضي أحمد بناني.

**جوريو، محمد أمين** أحباس المرمين الشريفين بالرباط، كان يحج كل سنة تقريباً لدفع الحصيلة العائدة من أحباس مكة والمدينة إلى مستحقها. وكان لا يتنقل في الرباط إلا من المسجد الأعظم إلى الزاوية الحمدوشية، ويشد الرحلة دائماً لزيارة ضريح سيدي علي ابن حمدوش وسيدي أحمد الدوغوي ومولاي إدريس الأكبر بجبل زرهون. وكانت أسرة جوريو تنتمي كلها إلى الزاوية الحمدوشية.

مكونة من هذا النوع، ولكنه يصادف مفروساً بجانب مجاري المياه في جميع المناطق الجبلية من الريف إلى الأطلس الكبير، واستثنائياً بالأطلس الصغير. إنه يتلاءم مع البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة والربطة جداً، ولا يخرج عن الطابق النباتية المطابقة للمتوسطي الدافئ والمتوسطي وفوق المتوسطي، ذوات الأشكال الحرارية المعتدلة والقارسة والباردة.



أما من حيث التربة فإن شجر الجوز يحبذ الأراضي الخصبية والسميكة والغنية بالظمي الموجودة بجانب المياه الجارية. ويفرس الجوز لحشبه ولثماره ولسواكه ولمواد أخرى. ويعطي الجوز أجود وأغلى ما ينتج بالمغرب من الأخشاب الجميلة الصلبة المستعملة في صناعة الأثاث الثمين.

ثمار الجوز غنية وذات قيمة غذائية وطاقوية عالية تحتوي على فيتامينات وأملاح معدنية كثيرة، كما تُستخرج منها زيت المائدة ذات الجودة الممتازة، وتدخل الثمار في عدد كبير من المأكولات والحلويات، وحدها أو مع اللوز والتين المجفف والتمر، والحمص المقلّي. وبالإضافة إلى هذه الفوائد يؤكل الجوز لتقوية الشهوة الجنسية، وكذلك لمقاومة السموم.

تستعمل قشرة الجوز كسواك للتجميل وذلك لتبييض الأسنان وتنظيفها، ولتحميم الشفاه والللها، وضد الرائحة الكريهة للفم.

أما الأوراق فلها فوائد أخرى وخاصة فيما يخص التطبيق التقليدي ضد السموم وديدان الأمعاء، وضد مرض السكري والبواسير وقرح المعدة إلى غير ذلك.

أبحاث شخصية : ألبرت هيل، النبات الاقتصادي، 1962، تر. د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة.

Ballouche et Dambon, *Nouvelles données palynologiques sur la végétation holocène du Maroc*, Actes X Symposium APLF, Bordeaux 1987, Trav. Sci. Sci. Tech. t. XXV, pp. 83 - 90.

عبد المالك بنعبيد

**جوستينار،** ليوبولد Justinard, Léopold, أحد ضباط مصلحة الاستعلامات الفرنسية بالمغرب إبان الفترة الاستعمارية، ولد في سنة 1878، وتخرج من المدرسة العسكرية الفرنسية المشهورة سان سير Saint Cyr عام 1899.

عندما أرسل إلى المغرب في مهمة عسكرية، فظن مبعوثاً إلى أهمية دراسة لغات وعادات ساكنة البلاد كوسيلة لإخضاعهم. فتعلم اللغتين العربية والأمازيغية، وبرع في إتقان لهجة تاشلحيت إلى درجة مكنته من أن يخصص لها كتاباً مدرسياً منذ سنة 1914. وشكل ذلك أحد العوامل التي جعلت المقيم العام ليوطي يعتمد على هذا الرجل في بسط الاحتلال الفرنسي على منطقة سوس. فكلفه بمهمة في تيزنيت من 1916 إلى 1921. وبعدها التحق بمنطقة تافيلالت حيث احتاجت السلطة العسكرية إلى خبرته لاستكمال عملية إخضاع القبائل هناك. وفي غشت 1925 كلف بمهمة مراقبة البريد بتازة، نظراً للدور الذي كان لهذه المنطقة في نشر أخبار أحداث الريف في مجموع أرجاء المغرب. لكن، في العام التالي كان جوستينار ضحية حادثة طائرة حربية في منطقة "تارگيست" أصيب على إثرها بجروح خطيرة في وجهه. ولما لم تعد أحواله الصحية تسمح له بمزاولة نشاطه العسكري، تقاعد فاختار مدينة سلا كمقر لاستقراره لردح من الزمن خصص معظمه للتأليف. وفي شتنبر 1955 أنعمت عليه الحكومة الفرنسية بوسام من درجة عالية Croix de la Légion d'Honneur تسلمه من يدي المارشال جوان.

توفي جوستينار بفرنسا سنة 1959 بعد أن خلف عدداً مهماً من المقالات والكتب التي تعتبر، حتى يومنا هذا، من المراجع الأساسية لكل دارسي التاريخ الاجتماعي والسياسي والثقافي للجنوب المغربي. ومعظم إنتاجه الفكري كان نتيجة إقامته بالمناطق الجنوبية. فقد ألف عن قبائلها (تازروالت، أيت باعمران...) وأعيانها (الطيب الكندافي...) معتمداً على الرواية الشفوية أحياناً وعلى الوثائق والمخطوطات المحلية أحياناً أخرى. وقد كان احتكاكه بأهل المناطق الجنوبية، خاصة منها السوسية، كبيراً إلى درجة جعلت عامة الناس تلقبه بـ"القبطان الشلح".

Maroc-Presse, 22 septembre 1955, p. 2 ; *Revue de l'Afrique Française*, Mai-juin 1959, p. 62 ; Justinard (Colonel), *Un grand chef berbère : le caïd Goundafi*, Casablanca, 1951 ; *Un petit royaume berbère : le Tazeroualt : Un saint berbère : Sidi Almued Ou Moussa*, Paris ; *La Rihla du marabout de Tasaft*, Paris, 1940 ; Dossier au S.H.A.T., Vincennes, n° 35657/41.

جامع بيضا

**الجوصي، محمد بن الأحسن** كان سنة 1271 / 1854 من عدول مدينة سلا القائمين بالإشهاد في الأنكحة والمعاملات. ويظهر أنه طارئ على المدينة لامن أهلها.

مصطفى بوشعرا،

**الجوطيون**، شرفاء أدارسة من ذرية القاسم بن إدريس الأزهر بن إدريس الأكبر، ومن أشهر فروعهم العمرانيون بفاس، والشيبهيون بمكناس وزرهون. كان أول من استوطن منهم جوطة ونسب إليها يحيى جد الشرفاء الجوطيين قاطبة. إلا أن المصادر اختلفت في ترتيبه ضمن عمود النسب الجوطي. ذكر البعض أن أول من نزل بجوطة هو يحيى بن القاسم بن إدريس الثاني، أثناء ولاية والده علي طنجة وما والاها من بلاد المصامدة، أو بعد هجرته على يد أخيه عمر وأنزوانه في رباطه بساحل أصيلا. ويرجح هذا القول صاحب الدر السني، بناء على كتاب أهل فاس إلى الشريف يحيى العدم وهو في جوطة، مستنجدين به من استيلاء عبد الرزاق الخارجي على عدوة الأندلس، أما القول الثاني فهو لابن خلدون، ويذهب إلى أن جد الشرفاء الجوطيين هو يحيى بن محمد بن يحيى العدم بن القاسم أي فقيه.

تكاثر أبناء يحيى الجوطي وشكلوا فروعاً ظلت تسكن جوطة إلى غاية بداية الدولة المرينية حيث تزودنا المصادر بشذرات حول انتقال الشرفاء الجوطيين جملة إلى مدينة مكناس وفاس في فترات متقاربة، وقد تكون هذه الهجرة الجماعية نتيجة للفتن والحروب الواقعة في منطقة أزغار بين بني مرين وعرب رباح وخراب جوطة، وكذلك بفضل الدعم الذي لقيه الشرفاء الأدارسة بصفة عامة من طرف ملوك الدولة المرينية الأوائل بدءاً بأبي يوسف يعقوب بن عبد الحق (656-685)، أول من نظم الاحتفال بعيد المولد النبوي.

كان للمرينيين اعتناء بالشرفاء، والبحث في أنسابهم وجمع شتاتهم من الجهات المختلفة وتسجيلهم في ديوان العطاء، مما أدى إلى انبعاث الشرف الإدريسي. وتدخل السياسة المرينية تجاه الشرفاء في إطار البحث عن سند ديني قوي واكتساب المشروعية. في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق قدم الشريف الجوطي عبد الواحد ابن عبد الرحمان إلى مكناس، وهو الأب الثاني عشر لشرفاء مدينة مكناس؛ وقد استصحبه معه السلطان أثناء فتح فاس للتبرك به، وبعد رجوعه إلى مكناس رتب له جوايات شهرية وسنوية توارثها أبناؤه. وكان دخول السلطان إلى فاس سنة 668 / 1259. وفي نفس الفترة رجع الشرفاء الطالبيون الجوطيون إلى فاس كما يستفاد من كلام ابن السكاك ولحق بهم العمرانيون. استقر الطالبيون بجوار ضريح مولاي إدريس الأزهر في دار القيطون وتولوا تسيير الحرم الإدريسي، ثم انتزع منهم العمرانيون هذه الولاية وأخرجوهم من دار القيطون على يد السلطة المرينية وبإيعاز من صهرهم الفقيه ابن مرزوق. وعوضهم عنها السلطان أبو الحسن المريني بفتوحات سيدي علي أبي غالب، كما تولى

**جوطة**، قرية مندثرة من القرى الإدريسية الكبرى في سهل الغرب، وإليها ينسب الشرفاء الجوطيون. وهي أقرب القرى إلى فاس التي ظلت تأوي الأدارسة بعد نكبتهم على يد موسى بن أبي العافية وضياح الحكم منهم وانغمارهم في الجبال زمن المرابطين والموحدين. ويقترب اسم جوطة في المصادر بالبحث في النسب الجوطي. ولم يسعفنا التحري الميداني في ضبط الموقع، ولذلك سنقتصر على جمع شذات ما عثرنا عليه من معلومات على قلتها وتكرارها.

يقول العربي الفاسي في مرآة المحاسن (ص. 188) عن جوطة: "وهي قرية عظيمة على نهر سبو في العدوة الجنوبية، خربت ولم يبق منها إلا آثار". ويسدو أن خراب جوطة وقع أثناء الحروب التي جرت في أزغار بين المرينيين وعرب رباح أنصار الموحدين (الاستقصا، 3: 7) في غضون توطين الحكم المريني. وقد كانت أكثر شدة بعد مقتل الأمير عبد الحق قرب وادي سبو مما دفع المرينيين إلى الانتقام وتشريد عرب رباح وما رافق ذلك من خراب. ثم غمر فيضانات نهر سبو أنقاض جوطة فانطمست معالمها واستعصى على النسابين والمؤرخين ضبط موقعها. فكانت اجتهادات صاحب مرآة المحاسن الذي توصل من خلال الروايات التي التقطها إلى مقاربة المكان، فأشار إلي وجود "مسيل شتوي يعرف بمخرط جوطة" في بلاد بني عمران من الخلط، وإلى قبر السيد يحيى الجوطي الذي كان مزارة مشهورة في ذلك الوقت.

وجاء في كتاب الدر السني ما يؤكد هذا القول، من وجود قبر الشريف المذكور في حدود سنة 830 / 1426 وهو تاريخ المصدر الذي اعتمد عليه والذي يحمل عنوان الفتح المبين، لكن القبر لم يعد كذلك في تاريخ تأليف الدر السني حوالي سنة 1090 / 1679. وهناك التباس في قبر عليه قبة كان مزارة دعي صاحبه سيدي حسون الغريب يُعتقد أنه ليحيى الجوطي. كما يوجد بالقرب منه أثر لجدران قرية يحتمل أن يكون دالاً على موضع جوطة. ( الدر السني، ص. 13) ويبقى الغموض وارداً في تحديد موقع جوطة بالضبط، مما يتطلب المزيد من التحريات الميدانية والبحوث الأثرية لاكتشاف هذه القرية العظيمة حسب تعبير العربي الفاسي.

ع. الفاسي، مرآة المحاسن، ص. 188 : أ. الناصري، الاستقصا،  
الدار البيضاء، 7: 3 : ع. القادري، الدر السني، طبعة حجرية،  
فاس، ص: 13.

العمرائيون الجوطيون خطة النقابة. وأصبحت لهم مكانة مرموقة في حاضرة فاس ووجاهة لدى سلاطين الدولة المرينية وحققوا ثورة عظيمة نتيجة للتراكم المادي الهائل الحاصل من الجرايات والعطاءات والهدايا السلطانية فضلاً عن إسقاط التكاليف والإعفاء من الضرائب، إلى درجة أن الشرفاء العمرائيين الجوطيين أصبحوا يشكلون خطراً على السلطة المرينية خاصة وأنهم صاروا يقودون "حزباً" دينياً قوياً يضم شيوخ التصوف الشاذليين والعلماء والأعيان. وهذا مادفع المرينيين إلى تغيير سياستهم تجاه العمرائيين فضلاً عن الضغوط التي كانت على بيت المال. ويتلخص هذا التحول الذي بدأ مع حكم أبي فارس عبد العزيز (768-823)، في تنحية الوزير من السلطة وعزل النقيب محمد بن علي العمرائي من خطة النقابة وتفضيل الشرفاء الصقليين الوافدين الجدد على العمرائيين وحرمان هؤلاء من الامتيازات السابقة.

انتظر الشرفاء العمرائيون فترة ضعف الدولة المرينية واستغلوا ظروف الأزمة العامة وتعاكس المرينيين عن القيام بفريضة الجهاد وبصفة خاصة تدهور الأوضاع داخل مدينة فاس زمن عبد الحق الثاني (823-870) ونظموا انتفاضة شعبية ضد السلطة المرينية، بمساندة التيار الديني الصوفي، حملت الشرفاء إلى السلطة، حيث تمت للنقيب محمد بن علي العمرائي الجوطي البيعة على يد الفقيه عبد العزيز الورياعلي، وأسس الشرفاء الأدارسة على أنقاض الدولة المرينية المنهارة إمارتهم، لكن حياتها كانت قصيرة (870-876)، كما أن سلطتها انحصرت في العاصمة ولم ترق إلى مستوى الدولة، لأن الأطراف كانت تحت نفوذ الأمراء المحليين. وكانت الإمارة الجوطية دون مستوى تحقيق طموحات شيخ التصوف فيما يتعلق بقيادة الحركة الجهادية من أجل وقف الغزو البرتغالي وتحرير الثغور المحتلة. وهذا عامل أساسي في ذلك الظرف السياسي لم يستغله الشرفاء العمرائيون في الحفاظ على السلطة. أضف إلى ذلك فشل الشرفاء في حل المشاكل القائمة على مستوى مدينة فاس، لذلك كان من السهل على الوطاسيين القضاء على الإمارة الجوطية سنة 876 / 1471 بمساندة الطريقة القادرية. ففر الأمير محمد بن علي العمرائي مع جماعة من الشرفاء إلى تونس. وظل العمرائيون يستوطنون تونس إلى غاية صعود الشرفاء السعديين إلى الحكم. ففي عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي الذي كان أكثر عناية بالشرفاء الأدارسة اعترافاً منه بالدور الذي لعبه شرفاء الشمال في معركة وادي المخازن، أصبح الجوطيون يحملون لقب "التونسيين" ويظهر أنهم كرهوا هذا اللقب وغيروه بالإدرسيين وهو رجوع إلى الأصل، كما عادت إليهم نقابة الشرفاء الأدارسة وولاية الحرم الإدريسي. وفي عهد السلطان مولاي إسماعيل تم تقسيم نقابة الشرفاء في فاس إلى إثني عشر نقيباً للحد من احتكار العمرائيين.

ويلي العمرائيين الجوطيين في المرتبة الشبيهيون الجوطيون أهل مكناس وزرهون، وهؤلاء أذكروا خطة النقابة وتوارثوها أبا عن جد منذ قيام الدولة العلوية، حيث قام السلطان مولاي رشيد في إطار عملية ضبط الأنساب والحد من الفوضى التي تلت وفاة السلطان أحمد المنصور بتعيين النقيب عبد القادر بن محمد الشبيهي لهذا الغرض وحول حق الفصل في نزاع الشرفاء الأدارسة بمكناس وزرهون، فكان أول نقيب من الفرع الشبيهي الجوطي.

ع. القادري، الدر السني، ص. 13، 19. د. محمد القبلي، مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين ضمن مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار نيقال للنشر 1987 : محمد ابن السكاك، نصح ملوك الإسلام، طبعة حجرية، ص : 18 : إ. الفضلي، الدر البهية، 2، 16، 39، 52 : أ. الناصري، الاستقصا، 4 : 115. ع. ابن زيدان، الغز والصرلة، 85.

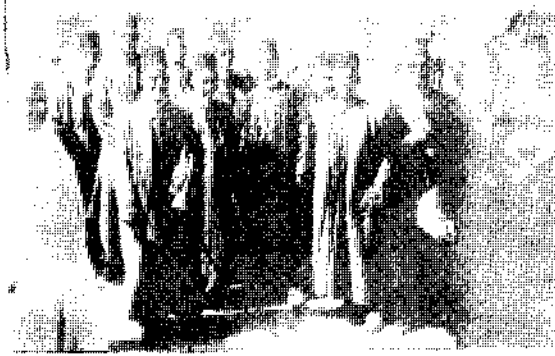
محمد عمرائي

**الجوق**، مجموعة من العازفين والمغنين يشتركون في أداء مقطوعات موسيقية آتية وغنائية، تحت قيادة عضو يتوفر على خبرة موسيقية واسعة. وترتبط ظاهرة الجوق بتعدد الأفراد المشاركين فيه ويتنوع الأدوار التي يضطلعون بها من إنشاد بنوعيه فردي وجماعي وعزف على الآلات. ينحصر إطلاق تسمية "الجوق" بالمغرب في مجموعات قليلة أبرزها : جوق طرب الملحون، وجوق الموسيقى الأندلسية، وجوق الموسيقى العصرية، في حين تظل المجموعات الفنية الباقية سواء منها الحضرية أو البدوية - مرسومة بأسماء دالة على أصناف ممارستها كأحواش، وأحيدوس، والعبطة، والطقوقة، أو منسوبة إلى الطوائف التي مارسها كطائفة عيساوة وهداوة، وحمادشة، وجيلالة. وبينما حافظت بعض المجموعات على مظاهرها التقليدية من حيث عدد أفرادها ونوع أدواتها الموسيقية كثنائيات القوالبين والمداحين، وثنائيات إنشاذن وإمذايزان وإملگازن، و"رباعة المعلمة"، وطوائف الطبايين والغباطين، فقد عرفت أغلب المجموعات الفنية الأخرى - وخاصة منها الموجودة بالخواضر - تحولات جوهرية بلغت مستويات متفاوتة من النمو الذي تبلور في تنوع الآلات الموسيقية وتعددتها.

تُركل قيادة الأجوام والمجموعات إلى أشخاص تختلف أسماؤهم من مجموعة إلى أخرى. وأكثر الاسماء شيوعاً : روايس أحواش، وشيوخ أحيدوس، والمعلمات الحضنارات، ومقدمو الطوائف الدينية، ونفاقو أجواق الأندلسية. ومن خلال تقصي الواقع الحالي للأجوام والمجموعات يمكننا استخلاص ما يلي :

• عرفت ظاهرة الجوق الشعبي المستعرب في مناطق السهول المغربية طفرة متميزة منذ القرن العاشر (16 م)، تجلت في تبني آلات جديدة تختلف من حيث طبيعة تركيبها

صفية على مقدار النفي تسمى "الطربيات" مما أحدثه أمير المؤمنين أيضاً في دولته، وزادت به دولته على غيرها فحماً وضخامة، تنبعت منها أصوات وتلاحين لا تحرك الطبع ولا تبعثه على شيء سوى الحرب ...



ومع قيام الدولة العلوية انقطع استخدام تلك الألحان وتحول الجوق إلى عزف مستعملات الموسيقى الأندلسية، من قبيل ما أورده ابن زيدان في الإتحاف عند حديثه عن مراسيم السلطان الحسن الأول في صلاة الجمعة إذ قال : "وعادته في ذلك أن يقف الطبال المعروف بالكومي بمزاميره بباب قصره قبل بزوغ الشمس من صباح الجمعة، فيضرب إلى أن تطلع الشمس ثم تعقبه الموسيقى بألحانها العربية الشجية ... فإذا أدرك باب المسجد صدح الموسيقيون بما يكون فالأحسنا كقولهم :

لك الهنا والسرور دائم يا أيها الطالع السعيد  
والبيت مطلع صنعة من قدام الحجاز المشرقي.

ع. ابن زيدان، العز والصلوة، 1 : 398 و410 و517 وهو يفسر هذه التسمية بكون الجوق كان مشكلاً من خمسة وخمسين عازفاً ؛ ع. الفشتالي، مناهل الصفا، الرباط، ص. 204.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الجوقة**، مصطلح كان يطلق على جماعة من الأعيان بالشاوية يجتمعون خلال القرن الماضي ويدعون (الجوقة). ويتألفون من كبار جماعات القبائل، يجتمعون كلما دعا الأمر، في "جوقة" للتداول في أمور الحرب والسلم. وبهذا فالجوقة والجوقة، لا تظهر إلا في أوقات الاضطراب عندما تأخذ الجماعات مصير قبائلها بين يديها، كما حدث في أيام "سبية" الشاوية بين 1902 و1906. وتُفسرُ الجوقة أو الجوقة جماعة قليلة العدد تتولى الحكم وتنفيذ ما حكمت به حسب أعراف القبيلة ؛ وحينئذ تسمى جماعة الحكام "زروفات" وينت حكما "بحكم زروفات".

وطريقة عزفها عن الآلات التقليدية المستعملة في الأغاني الأمازيغية. وإلى ذلك ألح المؤرخ البرتغالي مارمول كارخال في كتابه أفريقيا فذكر أن أعراب منطقتي نوميديا وليبيا كانوا يتغنون بقصائدهم المقفاة الموزونة على أنغام الدف والعود والكمان (يريد آلة الرياب - الفيول -) كما يحدث في بعض الرقصات البرتغالية، وذلك ما سيرف وشيكا بأغاني العيطة الحوزية التي أصبحت اليوم تعتمد بالدرجة الأولى على الكمنجة.

- تطورت التشكيلية التقليدية لجوق "طرب الآلة" في الحواضر التي استقبلت مهاجري الأندلس منذ سقوط غرناطة، وبعد أن كانت الأسرة الآلية لهذه التشكيلية منحصرة في العود والرياب والطرب، رُحِبَ مجالها لتحتضن آلات أخرى نقرية وترية هي الدربوكة والكمنجة والقانون، ثم لتتبنى في العقود المتأخرة البيانو وبعض آلات النفخ الغربية. وقد أفضى دخول هذه الآلات إلى حظيرة الجوق الأندلسي إلى ارتفاع عدد العازفين.

- من جهة أخرى عرف المغرب منذ العقد الثالث من هذا القرن نشوء ظاهرة الأجواق العصرية تحت تأثير عوامل متعددة. وعرفت هذه الأجواق بدورها تنامياً مطرداً، فبعد أن كانت في البدء محدودة الأعضاء تُذكرُ بالتخت المصري في شكله ونظامه وعدد أفراده ونوع آتانه (عود - كمان - قانون - دربوكة) تزايد عدد العازفين والمغنين وأصبح الجوق في واقعه اليوم أشبه بالأوركسترات الغربية من حيث تعدد العازفين ووفرة المنشدين.

مارمول كارخال، أفريقيا، تعريب مجموعة من المؤرخين المغاربة، 1 : 110. ع. ابن عبد الجليل، الموسيقى الأندلسية المغربية، سلسلة عالم المعرفة، عدد 129، 1988، ص 229 و251.

### جوق الخمسة والخمسين، مجموعة موسيقية

مختصة في عزف ميازين الموسيقى الأندلسية، تأسست بمبادرة من ملوك الدولة العلوية، ومنذئذ ظلت تابعة للقصر الملكي. ويستمد الجوق تسميته من عدد الميازين التي تحتضنها النوبات الإحدى عشرة التي انحصرت فيها مستعملات الموسيقى الأندلسية منذ أوائل القرن الثاني عشر : 11 نوبة × 5 ميازين = 55 ميزاناً.

ويختلف جوق الخمسة والخمسين عن الأجواق المغربية الأخرى من حيث اعتماده في عزف مستعملات "الآلة" على آلات النفخ النحاسية بدل الآلات الوترية (الرياب والعود والكمنجة) وعلى الطبول والصنوج بدل الطار والدربوكة.

وفي صدد استعمال هذه الآلات تشير إلى شهادة سجلها عبد العزيز الفشتالي مؤرخ أحمد المنصور السعدي في وصف موكبه : "أمامه الطبل العظيم الذي دوى صوته على البعد، ومن خلفه الطبول الأخرى التي تفرع مع المزامير المعروفة بالفيطات، يتولى النفخ فيها قوم من العجم أساتيذ يتعلمونها ... ومزامير أخرى، وجعاب طويلة



**جولي فيردينان F. Joly** مغامر ومليّس فرنسي تسمى بـ"الأمير" عبد الله بن علي. وكان قد فر من اللغيف الأجنبي بالجيش الفرنسي بالجزائر، وجاء إلى المغرب سنة 1879 زاعماً أنه شقيق السلطان مولاي الحسن، وأنه كان مسجوناً عند المارشال بوجو بعد أن اختطف في صغره، أي منذ معركة إسلي سنة 1844، وكان بذلك يريد المطالبة لنفسه بحقه في العرش، أو أن يعترف السلطان على الأقل بأنه أخوه. لكن عبد الله بن علي (أو ابن عالي كما كتبه بعض المصادر) ما كان إلا أميراً مزوراً. فهو فرنسي الجنسية صدرت عليه أحكام من القضاء الفرنسي مرات متعددة. وكان يزعم أنه أنجليزي ومن رجال الصناعة. وكان إلى هذا وذاك عميلاً للحكومة الألمانية. وقد أُلقي عليه القبض سنة 1879 وظل معتقلاً حتى مات بسجن طنجة. وكانت له علاقة أيضاً بمغامر فساوي تسمى بالحاج عبد الكريم باي واسمه الحقيقي غايلينغ Gayling.

م. بوشعراء، الاستيطان والحماية، 4 : 1527.

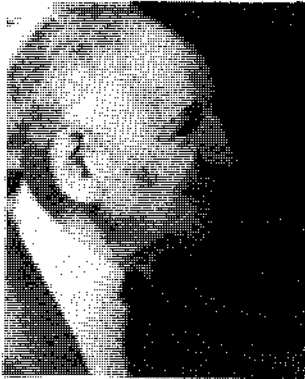
F. Weisgerber, *Au sein du Maroc moderne*, p. 89 ; J. Caillé, *La petite histoire du Maroc*, p. 109 ; J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome III, p. 481 et tome IV p. 172.

مصطفى بوشعراء.

### جوليان، شارل أندري، Charles-André Julien مؤرخ

وسياسي فرنسي من أنبل من تخرج من مدرسة المؤرخين الفرنسيين في هذا القرن، اختص بتاريخ الاستعمار لايقف عند جمع المعلومات ونشرها في الكتب، ولكن ليصدع بما كانت الدعاية الاستعمارية تروجه من الأكاذيب أو تسكت عليه من الحقائق، فكان من المناضلين ضد الاستعمار منذ شبابه وامتد به العمر حتى رأى الأمم المغلوبة على أمرها تعود إلى الاستقلال الواحدة تلو الأخرى.

وُلد في شنتنبر سنة 1891 في مدينة كان (Caen) من أسرة بروطسطنتية من جنوب شرق فرنسا متفتحة تقدمية حيث كان والده من أصدقاء الزعيم الاشتراكي الفرنسي جان جوريس (J. Jaurès) فلقد تعرف عليه منذ 1897 وهو في السادسة من عمره وأقنعه والده سنة 1898 ببراءة الضابط ألفريد دريفوس (A. Dreyfus) الذي أثارت محاكمته لحياة



### جولي، پيير July Pierre ولد بإقليم المارن في فرنسا

سنة 1906 وتوفي في باريس سنة 1982. كان محامياً إلى أن قامت الحرب العالمية الثانية فأدى واجبه الوطني فوق في أسر الجيوش الألمانية لكنه فر ليلتحق بصوف المقاومة. إلا أنه أُلقي عليه القبض من جديد فامتنحن أشد الامتحان إلى أن استطاع الفرار مرة أخرى ليستأنف نشاطه في المقاومة. ولما وضعت الحرب أوزارها عاد إلى سابق عمله في المحاماة مع دخول حقل السياسة حيث انضم إلى "تجمع الشعب الفرنسي" وكان ذلك حزب الجنرال دي گول، ثم إنه لما كان له الإمام متميز بالشؤون الإفريقية فإنه عين كاتباً للدولة لدى رئاسة الحكومة من 2 يوليو 1953 إلى 9 يونيو 1954 ثم وزيراً للشؤون المغربية والتونسية من 23 فبراير إلى 20 أكتوبر 1955 ثم وزيراً منتدباً لدى رئاسة الحكومة من 20 أكتوبر 1955 إلى فاتح فبراير 1956، مما يعني أنه واكب الأزمة التي مرت منها العلاقات بين المغرب وفرنسا فيما بين 1953 و1955 وكانت عاقبتها استقلال المغرب لما فيه خير الدولتين.

كان پيير جولي قد أدرك أن تلك الأزمة كانت من حيك "اللوبي" الاستعماري بالمغرب الذي كان يمّوه ويلبس على الحكومة الفرنسية في باريس في الوقت الذي كان يعمل على قمع الحركة الوطنية في المغرب، ولقد بسط القول في ذلك بتفاصيل مثيرة في كتاب أُلّفه في الموضوع تحت عنوان جمهورية من أجل ملك أصدره سنة 1974 وهو بمثابة وثيقة لا غنى عنها، يذكر في صفحاتها ما كان له ولصديقه رئيس الحكومة الفرنسية آنذاك إدغار فور من المواقف لانتزاع مصير المغرب من برائين "اللوبي" الاستعماري. ومما جاء فيه : "منح الاستقلال في نظرنا كان يعني إعادة الكرامة للأمة المغربية والمسؤولية للشعب المغربي عن مصيره. وهل من سبيل إلى الشك في أننا بلغنا الهدف بعد المظاهرات المنقطعة النظر التي استقبل بها ابن يوسف لدى عودته إلى وطنه، ثم بعد سنوات قليلة من ذلك لدى وفاته المفاجئة التي تلقاها الشعب وكأنها كارثة وطنية ؟ ألم يكن محمد بن يوسف قد صنع الوحدة الوطنية لأول مرة مما جعل حداً على ما يبدو للبيانات الفيودالية التي كانت أساس لحام هذا البلد [...] وكان هذا العاهل يشخص شعبه بما وقع حوله من الإجماع، وأنه أدخل المغرب في مسلسل المؤسسات الديمقراطية بعد أن أقام مجلساً وطنياً.

P. Joly, *Une république pour un Roi*, Paris, 1974 ; B. Yvert, *Dictionnaire des Ministres, 1789 - 1989*, Paris, 1990.

إبراهيم بوطالب

لم يقترفها ضجة كبرى، وقام سنة 1904 بتوزيع المناشير على العمال ضد شرب الكحوليات، ثم سنة 1906 حدث أول تحول حاسم في حياته حيث عيّن والده أستاذاً للتعليم في بعض ثانويات وهران، فكان أول اتصال له بالمغرب العربي وبداية تجنده ضد جور الاستعمار وتشوفاته لاحتلال المغرب الأقصى. وبما صدمه يومئذ وجود تلميذ جزائري مسلم واحد في ثانوية كانت تضم ألف تلميذ، ولشدة ما كان من صدمته أنه كتب مقالا دفاعاً عن اللغة العربية لكن الصحافة المحلية رفضت نشره.

ثم إن والد شارل أندري جوليان توفي فجأة فوجد نفسه مجبراً على كسب عيشه لإتمام دراسته، فاشتغل بالصحافة واشتد نضاله النقابي لفضح مساوئ الاستعمار، فمن أقواله في هذا الصدد : "لا أعدى لي من الامتيازات، والذي حولني إلى مناضل ضد الاستعمار هو بالضبط أن الاستعمار قائم على الامتياز، وهذا الامتياز لا يعتبر تفوقاً جماعياً للبلد المتقدم على البلد الذي يستعمره، ولكنه أيضاً امتياز للأفراد، فإن آخر صلوك يظا أرض المغرب ينظر إلى العربي وإن كان من المثقفين على أنه من الهمج بالقياس معه"

انخرط جوليان في الحزب الاشتراكي سنة 1910، وانتخب رئيس رابطة حقوق الإنسان في الجزائر وتونس، ثم انتخب مستشاراً في بلدية وهران، فكان أول مستشار اشتراكي ينتخب في الجزائر المحتلة مما جعله عرضة لنقمة الأوساط الاستعمارية، سيما بعد أن عينه ليون بلوم (Léon Blum) زعيم الحزب الاشتراكي مفوضاً للدعاية الحزبية في أفريقيا الشمالية، ثم إنه لما انشق الحزب إلى اشتراكيين وشيوعيين سنة 1920 مال مع التيار الشيوعي، فزار الاتحاد السوفييتي والتقى بكار زعمائه مثل لينين وطروفسكي، وتحوّل في أقطار آسيا الوسطى المسلمة التي كان الجيش الأحمر يمارس فيها ضغوطاً استعمارية صارخة مما لم يكن أندري جوليان ليسكت عليه، فلما عاد إلى فرنسا وأراد أن يصدح بحقيقة ما رأى حال قادة الحزب الشيوعي الفرنسي بينه وبين ذلك، فانتقطع عنهم وقال : "لقد جعلت قاعدة حياتي الكفاح ضد الاستعمار والكفاح ضد الكذب المنظم".

وفي سنة 1923 استقر نهائياً في باريس واشتغل بالتدريس في عدة ثانويات هنالك دون أن يكف عن النضال ضمن الهيئات المناوئة للفاشية وعن الكتابة المنتزعة في الصحف اليسارية وعن البحث العلمي الذي تكلم سنة 1931 بصدور أول كبريات مؤلفاته، وهو كتاب تاريخ إفريقيا الشمالية منذ الأصول إلى سنة 1830، ثم إنه جدد انخراطه في الحزب الاشتراكي سنة 1934 مما جعل زعيمه ليون بلوم، يوم انتخب رئيساً للحكومة ضمن الجبهة الشعبية في ربيع 1936، يسند إليه كتابة جلسات اللجنة العليا لشؤون البحر المتوسط، وهي الهيئة التي كان موكلًا بها شؤون المستعمرات الفرنسية المظلة على ذلك البحر، وقد

كان من أعمال تلك اللجنة إعداد مشروع استقلال سوريا ولبنان، والإصغاء إلى مطالب الوطنيين المغاربة، ومعلوم أن كل ذلك انتهى إلى الباب المسدود، وقال جوليان عن تلك التجربة : "إنها تجربة حاسمة علمتني أن رئيس الحكومة مهما كان من حسن إرادته فإنه لا طاقة له بتحالف قوات الرجعية الاستعمارية". ولم يغادر ذلك المنصب إلا سنة 1938.

ولما كانت الهزيمة على فرنسا، في الحرب العالمية الثانية، انضم إلى صفوف المقاومة إلى حدود 1944، وفي تلك السنة اقترح اسمه ليكون نائب كاتب الدولة في وزارة الخارجية مكلفاً بشؤون شمال إفريقيا في حكومة فرنسا الحرة، إلا أن وزير الخارجية يومئذ وهو جورج بيدو (G. Bidault) ما كان يستعين بمن كان يتفهم المطالب الوطنية للأمم المستعمرة، ولذلك أصبح التدريس مهمته الكبرى سواء في السوربون أو في بعض المدارس العليا كالمدرسة الوطنية للإدارة ومعهد الدراسات السياسية والمدرسة العليا للإدارة الاستعمارية، فاشتدت صلته بالشباب المغربي الذي تخرج جماعة منهم على يديه فكان يأخذ بيدهم ويرشدهم. وهكذا أعلن مساندته لبيان المطالبة باستقلال المغرب في مارس 1946، وكان ذلك بايعاز من المرحوم عبد الرحيم بوعبيد، كما أنه تدخل لدى المقيم العام إيريك لابون (Eirik Labonne) لإطلاق سراح الزعيمين علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني المعتقلين منذ 1937، وفي سنة 1947 انتخب ممثلاً للحزب الاشتراكي في مجلس الاتحاد الفرنسي المنشأ بمقتضى دستور الجمهورية الرابعة، مما مكّنه من زيارة العديد من المستعمرات ومن فهم أسباب الاستغلال والاضطهاد فيها، وأنه بعد زيارة المغرب سنة 1952 حاول إثارة انتباه رئيس الجمهورية فانسان أوربول (Vincent Auriol) إلى المؤامرة التي كانت تحاك ضد العرش المغربي وكان قد كتب في ظرف وجيز أواخر 1951 كتابه الذي كان له بالغ الوقع على مصير المغرب العربي، وعنوانه *أفريقيا الشمالية تتحرك*، ولذلك قال عنه الملك محمد الخامس بعد عودته إلى عرشه سنة 1955 : "إنه الصديق الفرنسي الذي طالما عمل من أجل تحرير المغرب" وجزء له على ذلك وثقةً به أسند إليه أمر تأسيس أول كلية آداب عصرية في المغرب فكان عميداً لها من سنة 1957 إلى 1961.

ثم عاد إلى وطنه وسنه تجاوز السبعين، لكن حيويته المتميزة وطاقاته العلمية كانت مازالت غزيرة نضاًخة، فألف في العقد الأخير من حياته كتباً قيمة منها تاريخ الجزائر المعاصرة : *الغزو ومنطلقات الاستعمار (1827-1871)* وذلك سنة 1964، كما ألف كتاباً عن المغرب بعنوان *المغرب أمام الأمبرياليات 1415-1956*. وذلك سنة 1978، ووضع كتاباً عن تونس بعنوان كيف حصلت تونس على الاستقلال وذلك سنة 1985، وكان في ذات الوقت يشرف على السلسلة الموقفة عن "الأفارقة" وهي ترجمات متسلسلة لبعض كبار وجوه تاريخ القارة، هذا وكان قد سبق له أن

ابن الجوهري، أبو بكر اللمتوني أحد كبار قواد الجيش في العصر المرابطي الأخير، خاصة في مرحلة المواجهة بين المرابطين والموحدين، فقد ظهر دوره جلياً في هذا الصراع، حيث إن أول ذكر له في المصادر يقتصر بمشاركته على رأس عسكر هسكورة في معركة البحيرة ضد الموحديين سنة 1129 / 524، وكان قد وصل إلى مدينة مراكش على رأس جيشه لتعزيز موقف المرابطين تجاه مهاجميهم، وكان ابن الجوهري قائداً لحصن "واشهور متاع هسكورة" (أخبار المهدي، 110).

ومع اشتداد الصراع بين الطرفين وسيطرة الموحديين على مناطق جبل درن وخضوع قبائله لهم بعد الانتصارات المتتالية التي حققوها بعد وفاة ابن تومرت، وانتقال الصراع إلى منطقة الشمال والشمال الشرقي، فإن البيهقي يشير من جديد إلى وجود ابن الجوهري قائداً عسكرياً بتلمسان إلى جانب عاملها اللمتوني محمد بن يحيى ابن فانو. وعندما أرسل عبد المومن بن علي قائده يوسف ابن وانودين بعسكر لمهاجمة مديونة قرب تلمسان، اندفع الجيش المرابطي للقتال بقيادة ابن الجوهري وابن فانو، لكنهما قتلا معاً بمنطقة وادي الزيتون قرب تلمسان سنة 1142 / 537 على يد ابن وانودين.

أ. البيهقي، أخبار المهدي، الرباط، 1971؛ ابن القطان، نظم الجمان، ت.ج. محمودة غلي مكي، بيروت، 1990؛ ابن عساف، البيان المغرب (قسم الموحديين) الدار البيضاء، 1985؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج 8) بيروت، 1978؛ ع. ابن خلدون، العبر (ج 6) بيروت، 1956؛ أ. الناصري، الاستقصا (ج 2) الدار البيضاء، 1956؛ ع. عنان، عصر المرابطين والموحدين، القاهرة، 1964.

محمد المفراوي

**جوهري الدار،** أو الياسمين البري، هو ياسمينيوم فروتيكانس *Jasminum fruticans* الذي ينتمي إلى فصيلة الزيتونيات Oleaceae وهو شجيرة قصيرة القامة لايتعدى علوها مترين، مستقيمة لكنها في بعض الحالات تستند إلى نباتات أخرى. جذورها مُشكَّرة. وأغصانها خضراء، عديدة الزغب ولها ضلع شبه مجنحة. أوراقها غير متقابلة، معنقة نفضية، لامعة الوجهين، مقسمة إلى ثلاث



جوهري الدار

نشر دراسات مقتضبة في سلسلة *Que sais-je* الشهيرة منها تاريخ إفريقيا ثم تاريخ إفريقيا البيضاء. ومن مؤلفاته المرموقة تاريخ توسع الاستعمار الفرنسي والرحلات الاستكشافية والمؤسسات الأولى في القرنين الخامس والسادس عشر، وذلك سنة 1948، وكتاب بالمشاركة مع آخرين بعنوان بناء فرنسا ما وراء البحار، سنة 1946 ضمنه نبذة عن حياة بعض أولئك الرواد مثل شامبلان (Champlain) فاتح الكاندا ودوبليكس (Dupleix) فاتح الهند، وبوجو (Bugeaud) فاتح الجزائر، وفيدرب (Faidherbe) فاتح السنغال، وفيري (Ferry) الوزير المنظر للتوسع الاستعماري، وگالييني (Galliéni) فاتح الطونكين ومدغشقر، وليوطي فاتح المغرب.

توفي شارل أندري جوليان في صيف سنة 1991 عن سن تناهز مائة سنة.

Ch. A. Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1931 ; *Histoire de l'Afrique*, Paris, 1941 ; *Histoire de l'Océanie*, Paris, 1942 ; *Histoire de l'expansion et de la colonisation française. Les voyages de découverte et les premiers établissements (XV-XVI s.)*, Paris, 1948 ; *L'Afrique du Nord en marche. Nationalismes musulmans et souveraineté française*, Paris, 1952 ; *Histoire de l'Algérie contemporaine. La conquête et les débuts de la colonisation (1827 - 1871)*, Paris, 1964 ; *Histoire de l'Afrique blanche*, Paris, 1966 ; *Le Maroc face aux impérialismes 1415 - 1956*, Paris, 1978.

إبراهيم بوطالب

**جونز، ه. إ. H.E. Jones**، منصرٌ إنجليزي من حياة "نورث أفريقيا ميشن : North Africa Mission استوطن الدار البيضاء من سنة 1872 إلى سنة 1900. وله تقارير عن المغرب ظهرت بجريدة "نورث أفريقيا" North Africa الإنجليزية الأسبوعية بالإنجلترا.

م. بوشعراء، الاستيطان والحماية بالمغرب، 4 : 1411.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome I, p. 125.

**جونستن، ر. ل. R.L.N. Johnston** كان نائباً قنصلياً لإنجلترا بالصويرة من سنة 1885 إلى سنة 1900. وهو من مواليد إنجلترا، وبقي مقيماً بالصويرة حتى أدركته الوفاة بها سنة 1918. كان يحترف التجارة والإقراض، لأنه فتح بالمدينة فرعاً للبنك الإنجليزي المصري سنة 1890. كان يكتب مقالات عن المغرب لمعرفة بعوائد أهله وأحواله السياسية والتجارية، وكان يوقعها تارة بمفرده تحت اسم مستعار هو م. مورتمر Magdes Mortimer، وكان يكتب تارة أخرى باشتراك مع مواطنه ج. كوان G. Cowan الذي أقام بالصويرة طيلة خمس وعشرين سنة كتب خلالها تأليفاً عن الجنوب المغربي.

م. بوشعراء، الاستيطان والحماية بالمغرب، 3 : 1078 و 1084.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome I, p. 94 et Tome IV, p. 260.

مصطفى بوشعراء

وربقات. أزهارها مجتمعة من اثنين إلى أربعة على أطراف الأغصان. تويجاتها صفراء. في شكل قمع ذي أنبوب طويل. ثمارها صغيرة الحجم عنبية وكروية الشكل، ذات لون أسود عند نضجها في فصل الصيف. جوهر الدار نبات طبيعي يوجد بحوض البحر المتوسط، ويصادف بالمغرب في جميع المناطق ماعدا الصحراوية والجافة منها والجبال العالية. يجاوز الأحرار والغابات التي تعيش في البيومناخات الرطبة وشبه الرطبة وشبه الجافة، وفي الطوابق النباتية تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ والمتوسطي، أما من حيث التربة فإنه يفضل الأراضي الخصبة الغنية بالديال. تستعمل سيقان جوهر الدار لصناعة أنابيب الغليون التقليدية.

أبحاث خاصة.

Metro et Sauvage. 955 - Flore des végétaux ligneux de la Mamora. La nature du Maroc. Soc. des Sc. Nat. et phys. du Maroc.

عبد المالك بتعبيد

في البداية بالفلاحة وكسب الماشية وتجارة القوافل في بداية القرن العشرين، وخاصة لما توفي الشيخ محمد بن مبارك بُوْرْكَسِيم، فكان جُوَان هذا يرسل جماله إلى مدينة تيزنيت يتاجر في مادة السكر والشاي والسلع الأخرى، وكانت فرنسا تشجع تجار أيت باعمران، حيث تبيع لهم بأثمان رخيصة، قصد ربط العلاقة بين شمال المغرب وجنوبه، خوفاً من أطماع ألمانيا التي ظهرت في أيت باعمران حينذاك.

وفي هذه الظروف نمت تجارة جُوَان مبارك، وسرعة أصبح من أغنياء البلد، فكون لنفسه هالة بفضل كرمه، وصارت داره دار ضيافة بين رائج وغاد، وخاصة ما بين سنوات 1920 و1930. وفي هذه الفترة كانت الأوضاع متدهورة في أيت باعمران، بسبب الجفاف من جهة، وطفغان ظاهرة السببة من جهة أخرى، وحدث أن ضعفت عائلة بني الشيخ هَمُو محل قيادة القبيلة بسبب استشهاد القائد محند ضد الجنرال دولاموط سنة 1917 وقتل أخوه الشيخ الحسن والشيخ مبارك بن القائد أحمد من نفس العائلة بالسّم، فظهر فراغ سياسي بالنسبة لقيادة قبيلة أيت اخلف.

وهنا برزت أسر لسد هذا الفراغ منها أسرة جُوَان هذا، لكن عارضتها عائلة الضَّلْعِيِّين الخلفية بزعامة عيسى بن عثمان، فتسبب هذان الشخصان في تقسيم القبيلة إلى قسمين، وبدأت المناوشات والاعتيالات بين الطرفين، والحق أن اليد الأجنبية لم تكن بعيدة عن تحريك تلك الفتن، والهدف هو إضعاف تلك الجهات التي وقفت أمام حملة الباشا حيدا ابن مَاس، وكذلك حملة الجنرال دولاموط، وإذا كانت فرنسا قد أصحابها بالمال من تيزنيت، فإن مطامع إسبانيا ظهرت كذلك في أيت باعمران إلى أن رجعت كفة هذه الأخيرة حسب تقسيم النفوذ الاستعماري. ولما خرجت إسبانيا من سيدي افني حسب اتفاقية ثلاثاء الاخصاص سنة 1934 اجتمع رأي القبيلة من جديد على الشيخ عبد الكريم الخلفي فوقع باسم أيت اخلف وثيقة ثلاثاء الاخصاص، كامغار للقبيلة إلى جانب أعيان أيت باعمران مثل القائد أحمد أصْبَايُو ... كما عين مبارك جُوَان أنْفَلُوساً علي فخذة - إذ علي - من أيت اخلف فكان

**الجواري، محماد بن محمد مقاوم، ولد سنة 1347 /**

1928 بفرخانة بالريف، عمل في صفوف المقاومة السرية وشارك في عدة أعمال فدائية، وكان وراء تحطيم طاحونة معمل المناجم بالريف وتخريب حوض وآلات ميكانيكية والقيام بعدة عمليات اغتيلية. كما كان يمد جيش التحرير بالقتال التي يصنعها بنفسه.

توفي سنة 1956 بعد انفجار قبيلة كان يعدها.

كتاب شهداء الاستقلال، 3، 89.

**جُوَان، أسرة باعمرانية كبيرة تنتسب إلى جدها**

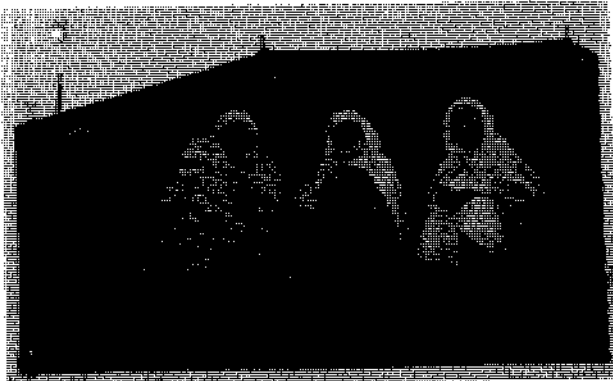
الحسين جُوَان (ت. 1359 / 1940) الذي كون لنفسه مركزاً قوياً في القبيلة بمساعدة أبنائه الأربعة مبارك ومحمد والبشير والظاهر، ومازالت أسرة جُوَان موجودة حتى اليوم، وقد لعب بعض أفوادها دوراً مهماً في جيش التحرير، ومنهم قواد وتجار في الخارج.

**جُوَان، الحسين الباعمراني الخلفي رأس أسرة جُوَان**

ولد عام 1249 / 1833 بأيت باعمران، واشتهر بالفلاحة والصيد البري، وخاصة الوعول والغزلان، وينتمي إلى فخذة إذ علي من قبيلة أيت إخلف، ورغم أن الرواية الشفوية ترجع أصله إلى قرية تامصلوحت خارج أيت باعمران، فإن الرجل استطاع أن يكون لنفسه مكانة بين قبيلته، مادياً ومعنوياً، ومات عن سن عالية (مائة وسبع سنوات).

**جُوَان، مبارك بن الحسين الباعمراني الخلفي، ثقافته**

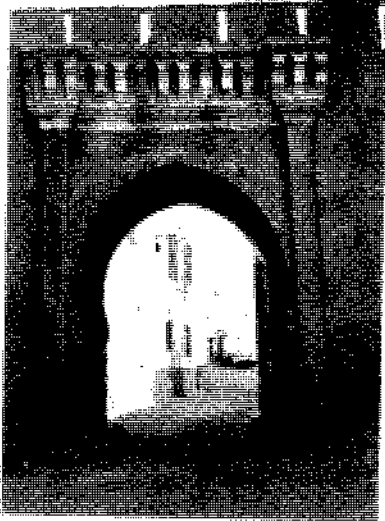
لا تتجاوز حفظ القرآن، لكنه كان ذكياً طموحاً، فاشتغل



الشيخ مبارك جُوَان (الثالث على اليسار)

1956 وعمل من أفراد فرقة المقاطعة الثامنة تحت مسؤولية المناضل الهاشمي بمرکز الروضة الساقية الحمراء، شارك في عدة معارك ضد قوات الاحتلال قبل أن يستشهد في إحدى المعارك سيدي أحمد العروسي بالساقية الحمراء.  
كتاب شهداء الاستقلال، 2 : 117.

**الجيايف (باب -) بتطوان،** يقع بالواجهة الشمالية لسور المدينة القديمة، حيث فتحت الباب مباشرة على مقبرتها الشمالية الشرقية. أعطي هذا الباب ثلاثة أسماء : باب الجيايف، وباب الفونسو الثالث عشر، وباب السفلي. يعتبر هذا الأخير اسماً خاطئاً سمي به الباب مؤخراً إذ باب السفلي كان داخل المدينة في اتجاه شمالها الغربي. وارتبط الاسم الثاني بفترة احتلال إسبانيا لمدينة تطوان سنة 1860. أما اسم "باب الجيايف" فهو الاسم المعروف به في السابق والآن. فسر أصل اسم "الجيايف" من خلال الروايات الآتية :



تعرضت مدينة تطوان وقائدها عبد الرحمان عشعاش في عهد المولى عبد العزيز بن الحسن إلى هجوم بعض القبائل الريفية التي حاصرتها أكثر من ستة أشهر، كان الانتصار بعدها للتطوانيين الذين قاموا بذبح عدد من المحاصرين وألقوا بجثثهم أمام الباب ؛ تركت بعد مدة روايت كريمة ننته فسميت لذلك باب الجيايف.  
تحكي الرواية الثانية نفس سياق الأحداث، وتختلف عن الأولى في ترك الريفيين موتاهم من المحاصرين أمام الباب ولانتشار رائحة الجثث أطلق عليها "باب الجيايف".  
تفسر الرواية الثالثة أصل الاسم بارتباطه بالباب المستعمل من طرف اليهود للخروج بجنازتهم إلى مقبرتهم جنوب شرق القصبة.

وهناك معطى آخر لا بد من إضافته هنا ويتعلق بالتحريات الأثرية التي قمنا بها حول مدينة تطوان سنة 1981-1982، ومنها متابعة أشغال بناء مؤسسة اجتماعية تابعة لجمعية حنان في غشت 1982. فقد تبين فعلاً أن

يشارك في مجلس الحكم الذي يرأسه الضابط الإسباني بتيمغزي كل يوم خميس.  
كتب مبارك جُوَّان هذا كناشة سجل فيها إحصاء ربع قبيلة أيت أحلف، وخاصة الولادات والوفيات والذكور والانات والمهاجرين والعسكريين.

وفي دار أنفلوس جُوَّان هذا نزل الجنرال كَبَّاصُ عندما قام لأول مرة بوضع الحدود بين إسبانيا وفرنسا صحة أعيان أيت باعمران إلا أن الجَوَّ بين هؤلاء الأعيان وهذا الضابط كان مُكفَّهراً، وخاصة عندما تنازل كَبَّاصُ لفرنسا عن جزء مهم من قبيلة أيت بويكر في الساحل، وكان النقاش حول ذلك سيثار معه في دار جُوَّان هذا، فإذا بيرية مستعجلة ترد عليه من مدينة سيدي إفني فغادر منزل جُوَّان، وصارت مسألة الحدود تتقادم بتمكن الاستعمار وتقويته، وتوفي مبارك جُوَّان عن سن عالية في سنة 1377 / ماي 1957، لكن عائلته مازالت مستمرة، فمنهم من لعب دوراً هاماً، في جيش التحرير، ومنهم القادة ومنهم تجار في الخارج.

مذكرة عند عائلة جُوَّان : الحسين الجهادي، جانب من تاريخ ايت باعمران، مخطوط : رواية شفوية عن الشيخ عبد الكريم الذي عايش الأحداث.

الحسين الجهادي

**الجويزي، قاسم بن أحمد الملقب حسام الدين،** أديب عالم زحال، أخذ بفاس عن أحمد المنجور وأحمد الزموري وأحمد بن القاضي والحسيدي، ثم رحل إلى المشرق ودخل تركيا والشام والحرمين وتوفي غريقاً بقرب ساحل جدة سنة 1001 / 1592.

م. مخلوف، شجرة النور الزكية، 1 : 294.

محمد ماكامان

**جيانني،** أسرة يهودية تنتمي لمدينة صفرو عُرف أعضاؤها بوظائف حاخامات وقضاة (ديانيم) في القرنين التاسع عشر والعشرين. منهم، راحاميم جيانني : حاخام صفرو، توفي سنة 1891. تاركا وراءه تأليفا سماه ويأكيد لأبراهام (وقال لإبراهيم) الذي أنجزه بمعونة صديقه أبراهام حليسي. ومن بين حاخامات صفرو جيانني شلومون أنيسر وصموئيل. هذا الأخير الذي عاش طويلاً بمدينة تونس قبل أن يعود إلى مسقط رأسه صفرو. ترك عدة مقبيدات (قرارات شرعية يهودية تشكل جزءاً من مجموعة كتابات يوسف بن النعيم).

Benaim Josef, *Malkhe Rabbanam*, Folio, 105.

سيمون لفي

**ابن جيانني،** علال، مقاوم من مواليد سنة 1934 بالساقية الحمراء. انخرط في صفوف جيش التحرير سنة

وجدت هذه الغلايين بالفرشة الثالثة، بعد فرشة الأزيال وفرشة الهياكل العظمية. وترتبه هذه الفرشة ذات لون رمادي، ربما هو تعبير عن مكان أفرنة، كما وجدت بنفس الفرشة مواد فخارية أخرى.

م. داود، تاريخ تطوان، 1957، المجلد الأول : م. ابن عزوز حكيم، التطور الطبوغرافي لمدينة تطوان، مجلة تطوان، العدد 4-5. مارس 1993.

Ahmad R'Honi, *Historia de Tetuan*, Traducida por M. Ibn Azzuz Haquim, Tétuan 1953 ; M.A. Joly, *Tétouan*, A.M., volume IV, n° II - II, Juil.-Août 1905, Paris, 1905. أحمد أشعيان

**الجيبتوليون** أو الجيتول أو الكيتول Gaetuli، اسم لعدة تجمعات قبلية في التاريخ القديم، شغلت نطاقاً جغرافياً واسعاً من الشمال الإفريقي، يمتد من المحيط الأطلسي إلى خليجي السيرت.

نستقي معلوماتنا عن هذه العناصر البشرية الإفريقية من بعض المصادر الإغريقية واللاتينية التي مكنتنا من التعرف عليهم في مدى زمني يتراوح بين القرن الثاني قبل الميلاد والخامس الميلادي. بيد أن هذه المعلومات غير كافية للإحاطة بكل المسألة المطروحة حول هؤلاء الأقوام، شأنهم في ذلك شأن كل قضايا التاريخ القديم بشمال إفريقيا، التي لا تتوفر حولها إلا على معلومات متناثرة في المصادر القديمة لكتاب غير أفرقه. ومع ذلك فقد أمكن رسم الإطار الجغرافي الذي شغله الجيتوليون، ورصد دورهم السياسي والعسكري خلال التدخل الروماني بشمال إفريقيا.

أفادنا المؤرخ الروماني سالوست في تكوين صورة عن مواطن الجيتوليون ودورهم العسكري، في نصرة الملك التوميدي يوغرطة وهو يحارب الرومان الذين تدخلوا في نويميدية للقضاء عليه. ففي الكتاب الذي سماه المؤرخ حرب يوغرطة *Bellum Jugurthinum*، أفرد في المقدمة مدخلاً للتعريف بحغرافية إفريقيا وسكانها حيث قال : "سكان إفريقيا الأولون الجيتوليون والليبيون، وهم قوم غلاظ متوحشون يقتاتون بلحوم الحيوانات المتوحشة ونبات المراعي كما تفعل القطعان. لم تحكمهم عادة ولا قانون ولا رئيس، يهيمنون علي وجوههم مشتتين، ولا يقفون إلا حيث يداهم الليل" (الفصل 18).

أضاف الكاتب إشارة للتمييز بين الليبيين والجيتوليون قائلاً : كانت مساكن الليبيين أقرب إلى بحر إفريقيا، بينما كانت مساكن الجيتوليون أقرب إلى الشمس غير بعيد عن المنطقة الحارة". ثم قال : "إن الليبيين كانوا أقل حباً للحرب من الجيتوليون" (الفصل 18).

وأخيراً أوضح الكاتب مايلي : "يوجد، على ما يقال، بداخل نويميدية الجيتوليون الذين يعيش بعضهم في الأكواخ وبعضهم الآخر رُحل وهم أكثر همجية. وأخيراً يوجد خلف

الفرشات الأثرية أمام هذا الباب تتكون من فرشة عالية من الأزيال . كما أشارت إلى ذلك في سنة 1905، وأسفلها فرشة تزيد عن 70 سم في ارتفاعها تتضمن هياكل عظمية بشرية لا تخضع لشروط عمليات الدفن، نظراً لتراكم الهياكل بعضها فوق بعض وأخذ جماجمها اتجاهات مختلفة.

ارتبط تأسيس باب الجياف بتوسيع المدينة خلال منتصف القرن الحادي عشر (17 م) وفتحت الباب - وباب السعيدة أيضاً - في السور المضاف من باب العقلة إلى باب الجياف (محمد داود، تطوان، 1 : 102 : م. ابن عزوز حكيم، التطور الطبوغرافي، 101).

يقدم تصميم الباب شكلاً مربعاً تقريباً (3 م × 2.80 م) ولا تشغل مساحة المربع عناصر معمارية أخرى. ومادة بناء الباب من الحجارة المكسوة بملاط من التراب اللبل ولليل من الجير. جدد إطار فتحتي العقد الداخلي والخارجي بالأجر بتقنية "النائم" إلى حدود بداية انطلاقها واتكائها على الأرجل. وشكل العقد من النوع البيضاوي الشكل مع تجاوز خفيف في خط تقوسهما.

تعتبر الواجهة الخارجية المشرفة على المقبرة أهم ميزة معمارية تذكر في وصف الباب، فهي واجهة يتقدمها عمودان يحصران بينهما فتحة العقد ويحملان إطاراً زخرفياً أكثر بروزاً منهما في إشرافه على الباب. والزخرف عبارة عن تناوب بين تجويف مقعر ونسو محدد. يبدو أن هذا الإطار كان قاعدة لشرفة منحدره نحو الخارج مكسوة، ربما بالقرميد مثل سائر الشرفات التي تعلو الأبواب.

وكما سبقت الإشارة أعلاه، فإن التحريات الأثرية أمام الباب وخارج السور أسفرت فرشاتها الأثرية عن النتائج الآتية :

- على مستوى بقايا البنيات الأثرية الشابتة مكانها. فقد كشف الحفر عن سور يصل سمكه إلى 1.60 م، لم نتمكن من معرفة طوله تحت أكوام الأثرية وأسفل القدم الغربي لباب الجياف، ويأخذ اتجاهه اتجاهها معاكساً لاتجاه سور واجهة المسورة الحالية أي ش ج بدل شرش. ش غ. ومواد بنائه من الحجارة المتوسطة يربط بينها الجير بنسبة عالية والتراب. وقد تعرض هذا السور لتصدع طبيعي - خط انكسار - تعمق نحو أساسه.

- على مستوى البقايا الأثرية المتنقلة : إن أهم اللقى أمام باب الجياف هو العدد الكثير للغلايين الفخارية - أكثر من 28 وحدة - ، لم نعلم بعد يبحث تاريخي عن تاريخ التدخين أو الدخان بالمغرب، ولكن الإشارة إلى وجود هذه الغلايين شمال بقايا السور المشار إليه، يفيد كثيراً في إعادة النظر في تطور مدينة تطوان وفي علاقتها بإنتاج الغلايين الفخارية : بعض الغلايين المستعملة بها آثار الدخان والبعض الآخر مكسور وليس به أثر الاستعمال.

هؤلاء الاثيوبيون أصحاب المناطق التي تلفحها الشمس" (الفصل 19).

وذكر الكاتب الجيتوليين أثناء الحديث عن أطوار الحرب التي خاضها الملك يوغرطة ضد الرومان في مملكته بنوميديّة، وهي حرب استمرت من 111 إلى 102 ق.م، وأطلعنا على دورهم في هذه الحرب منذ سنة 108 ق.م، حيث قام ميتلوس، قائد القوات الرومانية، بهجوم على جنوب شرق نوميديّة، حيث تقع مدينة تھالة. وفي هذا السياق أورد سالوست ما يلي: "تأكد يوغرطة منذ أن أضاع تھالة أن لاشيء يمكن أن يقف في وجه ميتلوس. فذهب مع بعض رجاله مخترقاً صحاري عظيمة حتى وصل عند الجيتوليين، وهم قبائل همجية باريار، كانت لا تزال تجهل حتى اسم الرومان، فجمع هذه الكثرة من الناس، وعودهم شيئاً فشيئاً أن يقفوا مصطفين، وأن يتبعوا الأعلام وأن يحافظوا على النظام. وباختصار عودهم على جميع ما تفرضه المهنة العسكرية" (الفصل 80).

فمن خلال سالوست، يتضح أن قسماً من قبائل الجيتوليين، كانت مواطنهم تقع جنوب شرق نوميديّة (الجزائر الحالية) بالمناطق المتصلة بالصحراء، وأن معظمهم في العيش يغلب عليه التنقل وتربية المواشي. ومن الناحية السياسية فأغلب الظن أنهم كانوا رعايا الملك النوميدي يوغرطة. الأمر الذي مكّنه من تعبتهم في ظروف المقاومة ضد الرومان، في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد. وتتابع مع الجغرافي سترابون المعاصر لسالوست في النصف الثاني من القرن الأخير قبل الميلاد، وامتدت حياته إلى النصف الأول من القرن الميلادي الأول، تلمس النطاق الجغرافي المتضمن لمواطن الجيتوليين، وذلك على مدى واسع، بين جنوب موريطانية (المغرب القديم) وناحية خليجي السيرت.

ففي حديث الكاتب عن جغرافية موروسية، وهي موريطانية، يقول: "هناك سلاسل جبلية تخترق موروسية انطلاقاً من رأس كوطيس (وهو رأس سبارطيل)، وتمتد هذه الجبال حتى خليجي السيرت. فبينما يستوطن الموروسيون المناطق الغربية من هذه الجبال، فإن الجيتوليين ينتشرون في المناطق الداخلية منها (أي الشرقية)" ثم يصف الكاتب هذه العناصر بقوله: "إن الجيتوليين هم أقوى الشعوب الليبية" (Strabon, 17, 3, 2).

وفي حديث الكاتب عن بلاد الماسيسوليين، الذين أقاموا مملكتهم في القسم الغربي من نوميديّة، بين رأس تريتون شرقاً ونهر ملوية غرباً، وهو النهر الذي يفصل مملكتهم عن مملكة الموريين، أشار الكاتب إلى مواطن الجيتوليين على أنها بعيدة عن النطاق الساحلي، مناطق جبلية وقاحلة، تتخللها بعض الأراضي الصالحة للزراعة، يستغلها الجيتوليون (Strabon, 17, 3, 9). وفي المقدمة العامة التي خصصها الكاتب لمؤلفه

الجغرافي، قدم تعريفاً موجزاً عن القارات الثلاث المعروفة في القديم، وهي أوروبا وآسيا وليبيا (أي إفريقيا)، نجد عند هذا الكاتب نفس الصورة التي تحدث عنها سالوست، في توزيع العناصر البشرية الإفريقية من الجنوب إلى الشمال. وهكذا وضع سترابون الإثيوبيين في أقصى جنوب القارة الإفريقية، وشمالهم وطن الجيتوليين، ثم شمالهم في النطاق المتوسطي ذكر النوميديين في القسم الشرقي من هذا النطاق، والموريين في القسم الغربي المتصل بالمحيط الأطلسي. غير أن سترابون أضاف توضيحاً عن الواجهة الشمالية الشرقية من النطاق المتوسطي. حيث ذكر مواطن بعض الأقوام بين مصر وقرطاجنة حيث قال: "انطلاقاً من مصر نجد مواطن المارماريديين، التي تمتد حتى منطقة قورينة (التي استوطنها الإغريق في غرب ليبيا الحالية منذ القرن السادس ق.م)، وبعدهم نجد البسوليين والناسمونيين، وبعدهم نجد فرقة أخرى من الجيتوليين، ثم نجد الاسبوستيين والبوزاكيين الذين تتصل مساكنهم بقرطاجنة" (Strabon, 2, 5, 33).

وهنا نضيف إشارة الشاعر الروماني فرجليوس، الذي تحدث عن الجيتوليين في نواحي خليجي السيرت (Virgile, *Enéide*, 5, 192).

تعرف بواسطة بومونيوس ميلا وبلينيوس الشيخ على طوائف الجيتوليين في نواحي المحيط الأطلسي، جنوب موريطانية.

لقد وضع بومونيوس ميلا كتاباً جغرافياً في النصف الأول من القرن الميلادي الأول، وفي وصفه لساحل المحيط الأطلسي من الجنوب إلى الشمال، ذكر الإثيوبيين في أقصى جنوب القارة الإفريقية، سيراً على نهج الكتاب السابقين. وشمال الإثيوبيين ذكر الفاروسيين والنكريتين، الذين ذكرهم سترابون أيضاً جنوب غرب موريطانية. وبعد النكريتين ذكر بومونيوس ميلا الجيتوليين. نستفيد من هذا الكاتب أن الجيتوليين يعيشون حياة التنقل، يجوبون مناطق ليست قاحلة، بل تتوفر على المراعي والوديان، يكثر فيها المريف والأرجوان الذي تستخلص منه صباغة جيدة ذات شهرة كبيرة في كل البلدان (Pomponius Mela, 3, 104).

أما بلينيوس فقد ساهم في التعريف ببعض القبائل الجيتولية، وتحديد مواطنها جنوب غرب موريطانية، وذلك في كتابه الضخم الذي يدعى: التاريخ الطبيعي خاصة منه الجزء الخامس الذي خصصه لجغرافية أفريقيا. والمعلوم أن الكاتب عاش خلال القرن الميلادي الأول، وتوفي سنة 79 للميلاد شهيد الفضول العلمي، مختنقاً بغازات بركان الفيزوف الذي انفجر في هذا التاريخ.

تأتي أهمية معلومات بلينيوس الشيخ من كونه عرفنا عن الجيتوليين في المغرب القديم، ومن كونه استقى معلوماته من كتاب سبقه مثل بوليبيوس الذي قام برحلة

الجيتوليين كانوا يستخلصون الأعشاب الطبية التي تدعى بالأوفورب (Euphorbe من جبال الأطلس، Pline L'Ancien, 25, 78 - 79).

في جغرافية بطوليمايوس، الذي ينتسب لمدينة الاسكندرية، والذي عاش في القرن الميلادي الثاني، ورد ذكر للجيتوليين في البلاد التي أطلق عليها اسم ليبيا الداخلية، جنوب ولاية موريطانية الطنجية، موضحاً أن الأوطولول يشغلون مناطق تتصل بالمحيط الأطلسي، متقابلين مع جزيرة هيرة Héra، التي يظن البعض أنها جزيرة موغادور، التي تمت المقاربة بينها وبين الجزر الأرجوانية المشهورة في عهد يوبا الثاني (14، 6، 4، Ptolémée، انظر أيضاً : 1، 4، 6، 1، 1، 4، Ptolémée،).

وسبق أن تتبعنا بواسطة سالوست، أن الملك النوميدي يوغرطة جند عدداً كبيراً من الجيتوليين، في أحلك ظروف صراعه مع الرومان ابتداءً من سنة 108 ق. م تحت قيادة ميتلوس. وقد أضاف المؤرخ إشارة إلى وجود الجيتوليين في جيش يوغرطة كخيالة خلال مواجهته للقائد الروماني ماريوس الذي خلف ميتلوس على رأس الجيش الروماني من سنة 107 إلى 105 ق. م واليك إحدى هذه الإشارات : "إن ماريوس كثيراً ماهاجم الجيتوليين ويوغرطة، وهزمهم أثناء عودتهم بالغنائم التي استولوا عليها من حلفائنا، بل إنه أرغم الملك غير بعيد من كيرتة Cirta على أن يلقي بسلاحه" (انظر الفصول 88 و97 و99).

نستفيد من مصدر معاصر لسالوست يدعى حرب افريقيا *Bellum Africanum*، لكاتب مجهول، معرفة دور الجيتوليين في حرب يوغرطة، لصالح القائد الروماني ماريوس. واللافت للنظر أن سالوست الذي أرخ لهذه الحرب، لم يتحدث عن نصرة الجيتوليين لماريوس، رغم أن المؤلف متحيز جداً لماريوس، وكان همه في هذا الكتاب إبراز بطولات ذلك القائد الذي ينتسب للشعبيين الذين يدافع عنهم سالوست.

نستفيد من كتاب حرب افريقيا أن ماريوس جعل الجيتوليين حلفاء له في أواخر حرب يوغرطة، وأعطاهم حقوق المواطنة الرومانية، ومكنهم من أراضي لم يكونوا يملكونها من قبل (56؛ 35؛ 32، *Bel. Afr.*). والجدير بالذكر أن بعض النقائش اللاتينية المكتشفة في الجزائر أثبتت صحة ما جاء في هذا المصدر.

ثم نعلم بواسطة هذا الكتاب، كيف تطورت أوضاع هؤلاء الجيتوليين أنصار ماريوس، وذلك عند قيام الحروب الأهلية الرومانية، بين القائدين الرومانيين ماريوس وسولا. فقد أخبرنا صاحب هذا الكتاب بأن بومبيوس الذي تدخل في افريقيا سنة 82 ق. م لصالح سولا، ضد أتباع ماريوس، قد جرد الجيتوليين من امتيازاتهم، وألحقهم بمملكة هبسال (56، *Bel. Afr.*). ويعني ذلك أن الجيتوليين ظلوا أوفياء لماريوس، وناصروه في محنته مع سولا في إفريقيا.

حول ساحل المحيط الأطلسي سنة 146 ق. م، بعد سقوط قرطاجة. وقد ضاع الكتاب الذي يتضمن هذه الرحلة، ولا نتوفر حولها إلا على ما جاء عند بلينيوس. كما استقى الكاتب معلومات جغرافية من خريطة أگربا التي وضعها للشمال الافريقي في عهد الامبراطور الروماني أوغسطس، ثم أخذ معلومات عن الملك يوبا الثاني الذي كان عالم عصره.

هكذا عرفنا بلينيوس الشيخ على فرقة من الجيتوليين وهم الأوطولول Autoles أو Autoleles، على أن مجال نفوذهم ينحصر بين ميناء روسادير Rusaddir (نواحي أكادير) ونهر كوسينوم Quosenum، وهو واد تانسيفت حسب بعض الدارسين. ثم أوضح الكاتب أن الأوطولول ينتشرون في المناطق التي تخترقها الطريق الرابطة بين مدينة سلا وجبال الأطلس، مع الإشارة إلى أن مدينة سلا، التي تقع على الحدود الجنوبية لولاية موريطانية الطنجية، كانت تتعرض لهجوم الأوطولول (5، 5 et Pline L'Ancien, 9).

وفي كتاب آخر تحدث الكاتب عن الأوطولول على أن مواطنهم تتصل بالمحيط الأطلسي متقابلة مع الجزر الارجوانية التي كانت ضمن مجال نفوذ الملك يوبا الثاني (201، 6، Pline L'Ancien).

وفي تتبع الكاتب لوصف ساحل المحيط الأطلسي أشار إلى فرقة من الجيتوليين في أعالي نهر درعة Darat، وجعل اسمهم مشتقاً من هذا النهر على الصيغة التالية Gaetulos Daras (10، 5، Pline L'Ancien).

إلى جانب الأوطولول عرفنا الكاتب على قبائل أخرى جيتولية تدعى البنيبور Baniurae (انظر هذا العلم في الجزء الخامس من المعلمة). لقد أوضح الكاتب أن الأوطولول والبنيبور انتقلوا من مواطنهم، وزحفوا شمالاً على مواطن الموريين الذين أفنتهم حروب طاحنة لم يذكر تاريخها. وفي هذا السياق أشار الكاتب إلى أن فرقة جيتولية ثالثة تدعى النيسمي Nesimi، على أنها رافقت الأوطولول والبنيبور في هذا الزحف، لكنها تراجعت بعد ذلك، وفضلت العودة إلى الجنوب بجوار الإثيوبيين (17، 5، Pline L'Ancien).

وفي الحديث عن جنوب شرق نوميديا، أوضح الكاتب أن نهر نكريس Nigris (واد جدي عند البعض)، كان يفصل بين بلاد جيتولية والإثيوبيين (30، 5، Pline L'Ancien). وفي خاتمة الكتاب الخامس حول إفريقيا أورد الكاتب إشارة حول مواطن الجيتوليين على أنها تقع في المناطق المتصلة بالصحراء (3، 4، 3، Pline L'Ancien).

إشارات أخرى لبلينيوس الشيخ حول الجيتوليين ذكر فيها أن بلاد جيتولية تزخر صخورها بالمريق والأرجوان (12، 5، Pline L'Ancien). ثم أضاف في كتاب آخر أن أرجوان جيتولية يعطي أجود صباغة على الإطلاق (127، 19، L'Ancien). وأخيراً أشار الكاتب إلى أن



الثاني في غرب نوميديا التي خضعت للموريين منذ أواخر حرب يوغرطة. وكانت هذه المملكة متصلة بمجال نفوذ الملك النوميدي يوبا الأول الذي قضى عليه سنة 46 ق. م، ليمتد مجال نفوذ بكوس الثاني حتى نهر الاميساغا شرق نوميديا. وبعدها اندلع الصراع بين أوكتافوس وأونطونيوس تحالف بكوس الثاني مع الأول، ويكود مع الثاني.

إن هذا الصراع بين القائدين الرومانيين خلال الشوط الأخير من الحروب الأهلية الرومانية، كان له انعكاس سلبي على أوضاع المملكة المورية تحت حكم بگود، نظراً لانهزام صاحبه أونطونيوس في الحرب ضد أوكتافوس، الشيء الذي أدى إلى الإطاحة بحكمه سنة 38 ق. م، بسبب تدخل قوات أوكتافوس عسكرياً في موريطانية، انطلاقاً من إسبانيا. ولقد انضم الملك الموري بكوس الثاني إلى قوات أوكتافوس في هذا التدخل، الشيء الذي مكّنه من ضم موريطانية إلى مجال نفوذه منذ سنة 38 ق. م حتى تاريخ وفاته سنة 33 ق. م.

هناك أدلة تاريخية وأثرية على مقاومة رعايا بگود في موريطانية لتدخل بكوس الثاني في بلادهم، وهي مقاومة تصدى أيضاً للتدخل الروماني في شؤونهم، والمعلوم أن وفاة بكوس الثاني جعلت موريطانية، وكل مجال نفوذ الملك تحت رحمة أوكتافوس الذي قرر ضم موريطانية للأباطورية الرومانية. وفي اعتقادنا أن أوكتافوس لم يتمكن من التحكم في موريطانية أمام مقاومة أهلها، مما جعله يعدل عن مشروع الإلحاق، وينصب يوبا الثاني ابن يوبا الأول ملكاً على مجال نفوذ الموريين سنة 25 ق. م.

نعتمد إذن أن هذه هي الظروف التي يمكن أن نرجع إليها خبر بلينيوس الشيخ عن الحروب التي أفتت الموريين لدرجة أن البلاد أصبحت تحت رحمة الجيتوليين الذين حلوا محل الموريين. في رأينا أن القائد الروماني أوكتافوس حسم الحرب ضد الموريين لصالحه بعد وفاة بكوس الثاني، مما سمح له بإقامة عدة مستوطنات في مجال نفوذ هذا الملك، منها أربعة في المغرب القديم هي: طنجة، زليل، بناسا، وبابا. ونظن أن أوكتافوس هو الذي شجع الجيتوليين من الأوطولول والبنيسور على اكتساح المناطق التي كان يشغلها الموريون، حسب خبر بلينيوس الشيخ في هذا الصدد.

ففي ظننا، أن أوكتافوس أقدم على هذه السياسة ليجعل من الجيتوليين حزاماً أمنياً حول المستوطنات الرومانية التي أقامها داخل موريطانية، بعيداً عن الساحل وهي بناسا وبابا.

ومن الإشارات التي تندرج في إطار الدور العسكري للجيتوليين، ما ذكره المؤرخ الروماني تيتوس ليفوس، حول مشاركتهم في الحرب البونية لصالح حنبعل، قائد قرطاجة الشهير في هذه الحرب (Tite Live, 23, 18, 1).

ثم نتبع مع هذا المصدر مواقف الجيتوليين خلال الصراع بين القائدين الرومانيين بومبيوس وقبصر، في الشوط الثاني من الحروب الأهلية الرومانية. والمعلوم أن صاحب هذا الكتاب تتبع في مؤلفه هذا يوميات القتال الذي دار في إفريقيا سنتي 47 و46 ق. م لَمَّا حلَّ قيصر بإفريقيا بعد مقتل بومبيوس، ليحارب أبناء وأنصار عدوه. والمعلوم أن الملك النوميدي يوبا الأول ابن هميسال قد تحالف مع أتباع بومبيوس في إفريقيا ضد قيصر.

فمن خلال هذا المصدر، علمنا أن الجيتوليين كانوا ضمن رعايا الملك يوبا الأول، وكانوا مجندين في جيوشه كفرسان وكحرس ملكي. وقد انفصل عنه بعضهم خلال الحرب والتحقوا بقيصر (Bel. Afr., 55 - 56).

وفي حديث الكاتب عن حلفاء قيصر في إفريقيا، أشار إلى تدخل الملك الموري بكوس الثاني في غرب مملكة يوبا الأول، ومعه قائد روماني كان في خدمته، يدعى ستيوس Sittius. وهنا ذكر الكاتب مسابلي: "إن ستيوس والملك بكوس وُحِّدوا قواتهما. فعندما سمعا بذهاب يوبا (لالتحاق بأتباع بومبيوس في ولاية إفريقيا)، زحفا على مملكته، وهجما على كيرتة، أشهر مدن هذه المملكة. فتم الاستيلاء عليها بعد بضعة أيام من القتال. كما تم الاستيلاء على مدينتين للجيتوليين، ولقد عرض ستيوس على الجيتوليين إمكانية تسليم المدينتين بعد مغادرة السكان لهما. وبعد رفضهم لهذا العرض، ثم القبض عليهم وذبحهم جميعاً" (Bel. Afr., 25).

وإضافة إلى ذلك هناك إشارات إلى دور الجيتوليين في صفوف قوات أتباع بومبيوس بإفريقيا، بعضهم كمرتزقة، منهم الخيالة والبحارة (62؛ 61؛ 43 Bel. Afr.). وقد انفصل بعض الجيتوليين عن أتباع بومبيوس وانضموا لقيصر، كما فعل الجيتوليون الذين كانوا في قوات الملك يوبا الأول وحسب الكاتب فإن الدافع إلى هذا الانفصال هو ولاؤهم السابق لماريوس الذي يعد قيصر من أقربائه (Bel. Afr., 32, 35).

هذا عن واقع الحال في نوميديا التي تتوفر حولها على عدة إشارات حول دور الجيتوليين في التدخل الروماني بشمال إفريقيا. أما عن موريطانية، فإننا لا تتوفر إلا على خبر بلينيوس السالف الذكر، يمكن توظيفه في هذا الإطار. يتعلق الأمر بذكر الكاتب لزحف الأوطولول والبنيسور على مواطن الموريين الذين أفتتهم الحروب (Pline L'Ancien, 5, 17).

لقد سبق لنا أن تطرقنا لهذا الموضوع في بحثنا عن مملكة الموريين (د.ع.ع.)، وقمنا بتحليل هذا الخبر، في ضوء ظروف مملكة الموريين بعد الحروب الأهلية الرومانية بين أوكتافوس وأونطونيوس.

فخلال هذه الفترة كان مجال نفوذ الموريين ينقسم إلى مملكتين: مملكة بگود وهي موريطانية، ومملكة بكوس

ثم نجد أصداء عن دور الجيتوليين في الحروب البونية ضمن ملحمة الشاعر سليوس إيطالكوس، حيث جاء علي لسانه مايلي : "أنتم معشر الجيتوليين، قد غادرتم أكواخكم والتحقتم بالمعسكر. أنتم الذين تعودتم على العيش مع الحيوانات الضارية، تتحدثون مع الأسود غير المروضة، وتهدنون روعها. إنهم قوم لا منازل لهم، يسكنون في عرباتهم، اعتادوا الطواف في البراري ينقلون خيامهم، إنهم التحقوا بالمعسكر يمتطون ألفا من الخيول ذات السرعة الفائقة، لكنها في منتهى الترويض والطاعة". (Silius Italicus, 3, 285 - 294).

إشارة أخرى نوردها في هذا الصدد تتعلق بالجيتوليين من رعايا الملك يوبا الثاني، فلقد قاموا بالثورة ضده في السنة السادسة للميلاد حسب ماورد من خير هذه الثورة لدى المؤرخ ديون كاسيوس قائلاً : "لقد انتفض الجيتوليون ضد يوبا لكونهم رفضوا الخضوع للرومان. إنهم ثاروا على الملك، فخربوا وقتلوا عدداً من الرومان الذين قاموا بحمله على إحباط ثورتهم. ونظراً لقوة الجيتوليين وبسالتهم، فإن كورنيليوس كوسوس (Cornelius Cossus) القائد الروماني الذي حاربهم) قد حظي بالتكريم (في رومة) وأُعطى لقب الجيتولي (Dion Cassius, 55, 28, 4).

والجدير بالذكر أن الملك يوبا الثاني ساهم في إحباط هذه الثورة الجيتولية بما قدمه من مساعدة للرومان. وجزءاً علي ذلك حظي بتشجيع رومة، يتمثل ذلك في توصله بشعارات التكريم المعهودة في رومة، وهي مقعد من العاج وتاج من الذهب. وقد أصدر الملك صوراً لهذه الهدايا علي عملته التي ترجع لسنة هذه الانتفاضة. وبهذه المناسبة أصدر الملك علي قطع نقدية أخرى صورة إلهة النصر الرومانية Victoria، وهو تقليد روماني يخلد الانتصار علي الأعداء. هكذا يتضح ان الجيتوليين حظوا بشهرة في كتابات الأقدمين طوال فترة الوجود الروماني بإفريقيا، علي أن الأحداث البارزة التي شارك فيها الجيتوليون تتوقف في القرن الميلادي الأول حسيما تتوفر عليه من معلومات. ومع ذلك ظل اسمهم خالداً في القرون اللاحقة، لدرجة أن واحداً من أشهر كتاب العهد الروماني في القرن الثالث الميلادي الذي ينتهي لإفريقيا، وهو أبولي، قد اعتز بكونه نصف نوميدي ونصف جيتولي (Apulée, Apologia, 41, 5).

كما لم تغل مؤلفات القديس المسيحي الإفريقي أغوستين، الذي عاش في القرن الخامس للميلاد، من الإشارة إلى الجيتوليين (Augustin, De Ordine, 2, 5, 15). وفي نفس الفترة نجد إشارة إلى الجيتوليين في كتاب بول أوريوس عن التاريخ الروماني (Paule Orose, Adv. Pag. 1, 2, 90).

يبقى أن نشير إلى أن اسم الجيتوليين ورد في بعض النقائش علي صيغة Gaetuli أو Getuli، واحدة منها تعود إلى عهد الامبراطور الروماني كلاوديوس (C.I.L., 10, 797).

وخلاصة القول، إن الجيتوليين في المغرب القديم، كانوا ضمن المجال الذي خضع للمملكة المورية، التي امتدت حدودها إلى بلاد الإنسيبيين منذ عهد الملك بكوس الأول علي الأقل. وفي نوميديا نعلم أنهم كانوا ضمن رعايا الملوك النوميديين، يوغرطة هبسال، يوبا الأول، ليشملهم حكم يوبا الثاني الذي تولى حكم مجال نفوذ الموريين. إشارة أخيرة نوردها في هذا الصدد، هي مقارنة بعض المؤرخين المحدثين بين اسم الجيتوليين القدماء، وقبائل جدالة في العصر الوسيط.

محمد مجدوب، ملكة الموريين وعلامتها مع رومة لغاية سنة 33 ق.م. رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، فاس 1990.

G. Camps, *Massinissa ou les débuts de l'histoire. Libyca*, 8, 1960 ; J. Desanges, *Les Territoires gétules de Juba 2*. R.E.A., 66, 1964, p. 33 - 47 ; Idem, *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; Idem, *Commentaire de Pline L'Ancien*, Livre 5, Paris, 1980 ; J. Faur, *Caligula et la Maurétanie. la fin de Ptolémée*. Klio, 55, 1973, p. 255 - 257 ; E. Fesouls, *Les Baquates et la province romaine de Tingitane*. B.A.H., 2, 1957, p. 65 - 116 ; J. Gasco, *Marius et les Gétules*. M.E.F.R., 61, 1969, p. 555 - 568 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, Tomes 5, 7 et 8, Paris, 1912 - 1928 ; R. Rachet, *Rome et les Berbères : un problème militaire d'Auguste à Diocletien*, 110, 1970.

محمد مجدوب

**الجيد (آل -)**، أسرة حاخية من قبيلة أيت أمر بجنوب غرب بلاد حاحة، والنسبة إليهم بدون ياء يقال فلان الجيد. وانظر ما علاقتهم بالجيديين الغماريين بأقصى شمال البلاد. كان لآل الجيد الحاخيين مكتب قرآني تحول إلى مدرسة علمية وزاوية صوفية في أوائل هذا القرن، تقدم الدروس للطلبة وتنشر الطريقة التجانية.

**الجيد، أحمد بن أحمد الحاحي فقيه صوفي قضي** فترة طويلة من حياته في التعليم وتلقين الأواد التجانية، وإليه يرجع الفضل في تأسيس مدرسة الجيد الزاوية. وكان كريماً يحسن استقبال الوافدين لذلك كثر الإقبال عليها من جميع أنحاء المنطقة. توفي أحمد الجيد عام 1346 / 1927.

التامري، إبراهيم، *المنعة والراحة في تراجم أعلام حاحة*، الدار البيضاء، 1995، 1، 30.

محمد حجي

**الجيد، أسرة نبيلة في قبيلة بني زيات الغصارية القاطنة على ضفاف البحر المتوسط بإقليم شفشاون، أصلها من بني توزن ريع إغريبيين بالريف الشرقي. انتقل جدهم محمد بن عمر المرابط هو وأخوه محمد إلى قبيلة بني زيات في أواخر القرن الحادي عشر (17 م) ونزلا بقاع امرغانت بتجيساس المعروفة الآن بـ"سطيحة" أو "سطيحات". ثم**

انتقلا إلى فلات (بني جلا)، ثم افترقا فنزل محمد - جد الجيديين - بأزاغر الريفيين، وتناسل أبناؤه وأحفاده، وصار مدشراً خاصاً بهم، يعرف إلى الآن بـ"مدشر الريفيين"، وأقبر هناك، وقبره مشهور لديهم. أما أخوه محمد، فنزل بمدشر إجانف - بني يخت - حيث توفي هناك، ودفن بين اجانف وبديجلة مقبرة تدعى "تزكان".

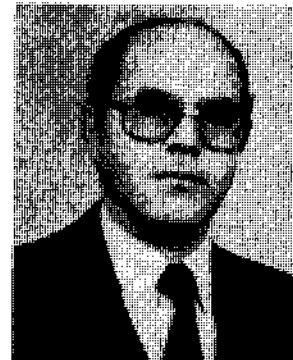
**الجيدي، عبد القادر بن عبد السلام الزياتي المدعو الريفي،** التصق به هذا اللقب دون غيره من أبناء عمومته ! وكان يكتبه هكذا بخط يده دون أن يرى في ذلك غشاضة. تعلم على شيوخ بلده، منهم عبد الغفور مهدي وهو من الغماريين الذين ندهم محمد بن عبد الكريم الخطابي، وعينه مدرسا بجامعة أوز بيقوية.

ولعل عبد القادر الريفي درس عليه في قريته دجلدت، ثم رحل إلى فاس وأنهى بها دراسته ! وبعد عودته إلى مسقط رأسه، عينه محمد ابن عبد الكريم الخطابي قاضيا بقبيلته بني زيات، ثم تولى خطة القضاء في عهد الحماية بقبائل بني بشير وبني بوشيب وبني أحمد بالريف، كما عين قاضيا بقبيلة بني رزين بناحية غمارة الجبلية، ثم على قبيلة بني سلمان، وأخيراً على قبيلة بني خالد - وكلها من قبائل غمارة.

وكانت وفاته سنة 1377 / 1957 م.

**الجيدي، عمر بن عبد الكريم بن عمر الريفي** التوزني، ينتهي نسبه إلى الجد الأعلى عمر المرابط. وتعني كلمة المرابط : النسب، أو كبير القوم. والجيدي - بفتح الجيم، وباء مشددة مكسورة - كذا أصلحه لي بعضهم ممن له خبرة بنسبهم ! والمشهور على ألسنة الناس أنه بكسر الجيم وباء ساكنة مخففة.

ولد عمر بمدشر الريفيين سنة 1368 / 1948، وتعلم على والده عبد الكريم، فحفظ القرآن وجوَّده، وأتقن رسمه وضبطه ؛ وبدأ دراسته بالبادية على الفقيه الورع العياشي ابن علي أعراب بجامعة تندمان بقبيلة بني بوزرة إحدى قبائل غمارة ؛ ثم التحق بالمعهد الأصلي بتطوان سنة



1960 / 1380، حيث حصل على شهادة البكالوريا، ثم عين بعد ذلك استاذاً بالتعليم الثانوي بالدار البيضاء ؛ وبعد حصوله على الإجازة من كلية أصول الدين بتطوان، التحق بدار الحديث الحسينية بالرباط، وتخرج منها سنة 1396 / 1975، حاصلاً منها على دبلوم الدراسات العليا، ثم على دكتوراه سنة 1401 / 1980، حيث عمل منذ ذلك الوقت أستاذاً بدار الحديث الحسينية إلى حين وفاته يوم الخميس 21 صفر 1416 / 22 يوليوز 1995 بمنزله بالرباط رحمه الله.

كان عمر لا يمل القراءة والكتابة، على ضعف بصره، وكان خص كل وقته للتعريف بمذهبه مالك في الغرب الإسلامي، وهو ميدان فسيح لم ينل حظه من عناية الباحثين والدارسين على كثرة ما كتب عنه ؛ وهي جوانب جديرة بالاهتمام ؛ فألّف في ذلك : **العرف والعمل في المذهب المالكي**، وهو موضوع أطروحته (طبع) ؛ **محاضرات في تاريخ المذهب المالكي** (طبع) ؛ **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب** (طبع) ؛ **التشريع الإسلامي، أصوله ومقاصده** (طبع) ؛ **الفقيه ابن عريون الكبير** : حياته وآثاره، وهو موضوع رسالته الأولى (دبلوم الدراسات العليا) (طبع) ؛ **من أعلام غمارة**، في جزء واحد (مخطوط)، وكان ينوي أن يخرج في جزئين بما سيضيفه إليه من إضافات، والأمر لله. ومن آثاره في التحقيق : **آداب الصحبة لابن عريون** (طبع) ؛ **الجزء الرابع من النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني تحت الطبع** ؛ **الجزء السادس عشر من التمهيد لابن عبد البر - بالاشتراك -** (طبع).

كما نشر مجموعة **أبحاث ومقالات في كبريات المجالات والموسوعات** ؛ مثل **دعوة الحق** ؛ ومجلة **دار الحديث الحسينية**، كان من أسرة تحريرها، وتسييرها ؛ ومعلمة المغرب، شارك في تحرير مجموعة من موادها، وكان من آخر ما حرره في حرف التاء (تيكساس) (8 : 2734).

**الجيدي، المفضل**، عم عمر سابق الترجمة وشقيق والده ؛ درس بفاس، وتولى عدة وظائف، منها نظارة الأوقاف، والعدالة، والخطابة بقبيلة بني زيات. ولد سنة 1301 / 1884 وتوفي في 18 ذي القعدة عام 1394 / 3 دجنبر 1974.

أحمد بن عبد القادر الريفي، تقييد في أسرة الجيديين (مخطوط) ؛ وثائق عائلية ؛ روايات شفهية.

سعيد أعراب

**الججير**، منه جبير طبيعي معدني ناتج عن الحرارة والضغط التكتوني، وجبير اصطناعي ناتج عن حرق الأحجار الكلسية والحجر الرملي في معزل عن الهواء. النوع الأول وكذا الجبس المعدني قليل الانتشار، وجد

كبيرة في سفح مشرف على بسائط تشققها جداول المياه العذبة، وعليها سور عظيم وقد بني بالجير والحصى بقي مع الدهر".

أما ابن أبي زرع فيتحدث في القرطاس (ص. 30) عن بناء إهريس لفاس قائلاً: "... فوصل إلي وادي سبو حيث هي حصة خولان فشرع في حفر الأساس وعمل الجير وقطع الخشب".

ويرجع انتشار كوش الجير وأقرانه وتجارته في المدن إلى تزايد حركة العمران والبناء وارتفاع المستوى المعاشي للسكان الذين أقبلوا على البناء والتشييد، إضافة إلى المنشآت العمومية ومنشآت المخزن من مساجد ومدارس وفنادق وحمامات وقصور وأسواق وغيرها. وقد بلغت المدن الكبرى قمة توسعها وعمرانها في العهد الموحد، لذلك قدم لنا صاحب القرطاس والجزناني إحصاءً عن عدد المنازل والمصريات في مدينة فاس في عهد الناصر الموحد وعن عدد كوش الجير (القرطاس، 48، 49، 63).

ولما تطورت المدينة وكثر إنتاج الجير أصبحت الأقران خارج الأسوار وأصبح ثمنه مرتفعاً لشدة الإقبال عليه خاصة وأن استعمالاً جديداً لهذا المادة دخل المغرب في العهد المريني وهو تبييض الجدران، حتى إن المدينة الجديدة التي بناها المرينيون في فاس عرفت بالمدينة البيضاء، ولعل هذه العادة أتت من الأندلس ضمن عادات أخرى تتعلق بالأكل واللباس (الباس الأبيض) والزخرفة والنقش والموسيقى وغيرها (القرطاس، 57).

وأمام تزايد الإقبال على استهلاك الجير عمد المكلفون بجامع القرويين وممتلكاته وأحباسه إلى الاستقلال بأقران خاصة لإنتاج الجير لسد حاجيات المباني الخيسية الكثيرة التابعة للجامع (وصف أفريقي، 1: 178، 216) أما ابن خلدون فقد أشار في معرض حديثه عن صناعة البناء إلى الكلس كمرادف لكلمة الجير (المقدمة، ص. 407).

ولا يمكن أن يفهم من كلام الإفرائني في نزهة الحادي (ص. 103) "... حتى إنه وجدت بطاقة فيها إن فلانا دفع صاعاً من جير حمله من تبيكت وظف عليه في غمار..." أن الجير كان مفقوداً أو نادراً بالمغرب يتكلف ذلك الشخص بحمل تلك الكمية الضئيلة منه من تبيكت إلى مدينة مراکش أثناء بناء المنصور الذهبي لقصر البديع، بل يتعلق الأمر بإبراز الكاتب لدى هيبية السلطان وسريان أمره حتى إلى المناطق النائية، أما الجير فكانت العادة في استعماله قد ترسخت في البلاد وصناعته قد تطورت وانتشرت. ويفهم من التفسير المقدم عن أصل اسم مدينة الدار البيضاء أن البيوت والمنازل المبيضة بالجير عند الغزو البرتغالي للمغرب كانت قليلة بل نادرة في تاسنا وجنوب المغرب عموماً حتى إن الموجود منها كان لافتاً للانتباه، واتخذ علامة بهتدي بها البحارة، فكانت الدار البيضاء في ساحل أنفا متميزة وبها عرف البرتغاليون المنطقة (Casablanca).

منذ القديم في جبل درن (الأطلس الكبير) يحفر السكان الأرض لاستخراجه ويستعملونه لتبييض أرضية المنازل مثل ما نجده اليوم عند سكان المنطقة ويزينون به التوافذ فيعطى منظرًا جميلاً: جدران خضراء أو وردية بنوافذ وكوات بيضاء تظهر من بعيد كإطارات مستطيلة الشكل ومربعة مرسومة على الجدران البنية.

للجير منافع عديدة فهو مظهر ومصفاً للمياه ومعقم ومضاد للحشرات والجراثيم إلى غير ذلك من المنافع، ففي أماكن خزن المياه من صهاريج ونطاف (مضفيات) يستعمل لتصفية المياه وقتل ما بها من ميكروبات والمحافظة على مذاقها، ويستعمل حتى في الآبار.

وقد أدرك الإنسان المغربي خصائص الجير ومميزاته منذ أمد بعيد، ففي الميدان الصناعي وخاصة صناعة الدباغة والنسيج استعمل الجير وبخار الجير كمادة مساعدة على نزع الصوف من جلود الأغنام (اللباطة) وتنتع الجلود في ماء الجير لتعقيمها والمحافظة على طراوتها قبل دباغها، ويستعمل الجير في الميدان الفلاحي لوقاية الأشجار من الطفيليات، ويستعمل مسحوقه عند غريلته فوق الجيوب في أماكن تخزينها لحمايتها من التسوس والحشرات، ويستعمل الجير اليوم استعمالات أخرى وخاصة بخار الجير لتصفية السكر وإكسابه اللون الأبيض.

وللجير استعمالات أخرى غير ما ذكر كصباوية وصيدلية إضافة إلى الاستعمال الشائع في تبييض جدران البناء والمنازل وفي مواد البناء، إذ كان فيما سبق يخلط مع الجص والطين لبناء الأسوار والجدران والسواقي والقناطر والسدود وغيرها بطريقة "الطابية" فهو يكسب هذه البناءات الصلابة ويقوم بدور الإسمنت اليوم.

يصنع الجير عن طريق وضع أحجار الكلس تحت حرارة مرتفعة بمزول عن الهواء مثل طريقة صنع الفخم الخشبي (الكوشة) فتحترق الشوائب والمواد الزائدة وتتبلور ذرات الكالسيوم مختزنة قسطاً كبيراً من الحرارة تعود للظهور عند تقاعثها مع الماء (ظفي الجير)، فتفاعل ذرات الكالسيوم مع (H<sub>2</sub>O).

ترجع الإشارات الأولى عن استعمال الجير في المصادر إلى القرن الثاني (8 م) وقد ارتبط هذا الاستعمال بالبناء، فقبل بناء المدن مثل فاس أو بناء الأسوار والمؤسسات الكبرى مثل جامع القرويين يتم التحضير لذلك بجمع المواد الضرورية، ومنها جمع الجير أو صنعه وطفه، ويمكن القول إن الاستعمال الأول للجير عرف في المغرب كمادة للبناء ثم انتشر أكثر وتوسع في استعماله فتطورت صناعته وانتقلت من الشكل التقليدي (كوشة وكوش) وهي طريقة بدائية منتقلة إلى الأفران الثابتة المبنية بالحجارة والتي انتشرت خارج المدن.

جاء في الاستبصار، ص. 186 "وقد بني ببلاد تازا في هذه المدة المذكورة (القرن 6 هـ) مدينة الرباط، وهي مدينة

تطورت صناعة الجير وتنوعت فأصبح فيه (البلدي) (الرومي) والفرق بينهما واضح في نوع الحجر المستعمل فهو في البلدي خليط من الحجر الرملي والحت يعطي جيراً صالحاً أساساً للبناء وبعض الاستعمالات الأخرى كالدباغة والفلاحة وخبز الحبوب وتطهير المياه العذبة، أما الجير الرومي الناعم فهو المستخرج من الكلس الخالص ويستعمل للطلاء وتبييض الجدران والأرضيات ويستعمل مخلوطاً بالرمال لتبليط الجدران إلى غير ذلك من الاستعمالات. وينتج الجير اليوم بطرق عصرية في معامل خاصة تستعمل أنواعاً جديدة من الطاقة، منها الطاقة الكهربائية والمحروقات، إلى جانب استمرار الأقران التقليدية في ضواحي بعض المدن، وتستقل معامل السكر بانتاج ما تحتاجه من كميات كبيرة من الجير في أفرانها العصرية الخاصة.

من الطريف أن كلمة الجير تطلق في بعض المناطق بالمغرب على الحرق أو الالتهابات التي تصيب البلعوم والجزء الأعلى من المعدة عند الإفراط في تناول بعض أنواع المأكولات والمشروبات، والعلاقة بين هذا المرض والجير تكمن في الشبه الكبير ما بين فعل الأحمضة في المعدة والبلعوم ويخار الجير الحارق عند تبريده (طفيه).

ع. ابن خلدون، المقدمة، بيروت د. ت : مجهول، الاستيعاب، الإسكندرية 1958 : ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1970 : ع. الجزناني، جنى زهرة الأس، الرباط 1970 : ح. السوزان، وصف إفريقيا، جزآن 1980 : م. الإفرائي، نزهة الهادي : بحث ميداني S.I.

محمد حجاج الطويل

### جيراردان، إدوار Gerardin, Edouard قنصل فرنسي

ولد في دجنبر 1889، ثم بعد حصوله على الإجازة في الأدب والقانون والعلوم السياسية دخل سلك القنصلية فتقلب في عدة مناصب بالإدارة المركزية بالكي دورسي Quai d'Orsay وفي الخارج، في ألمانيا وهولندا والطايلاند وإسبانيا حيث كان قنصل فرنسا في مالقه عند منتصف العشرينات، وهناك قام بزيارة لميلية تعرف أثناءها على هانري پونسو (H. Ponsot) المقيم العام في المغرب من 1933 إلى 1936 الذي كان يومئذ في وجدة ضمن الوفد الفرنسي المللكف بالتفاوض مع الزعماء الريفيين لجعل حد لجهادهم، ولذلك عندما عين پونسو مقيماً عاماً واحتاج إلى من يخلف مستشار الحكومة الشريفة جان جي (J. Guy) فإنه اقترح المنصب علي جيراردان الذي قبل المنصب فتم تعيينه يوم 16 شتنبر 1934، وكانت صلته بالسلطان سيدي محمد طيبة بدليل أنه لما وافاه الأجل المحتوم فجأة في أبريل 1936 أبي العاهل إلا أن ينتقل بنفسه إلى دار المستشار الراحل للتعزية، وكان في ذلك إشارة سياسية لم تخف على المسؤولين الفرنسيين حيث جاء في مذكرة أولى لوزارة

الخارجية يوم 22 ماي 1936 ما يلي : "لقد صرح السلطان أنه يُعبر بالغ الأهمية لأسباب التواصل مع الإقامة العامة وأنه يرغب في أن يُستند الوظيف إلى مسوظف من سلك القنصلية العامة حتى وإن كان لا يعرف العربية" ثم جاء في تعليق آخر لنفس المصلحة يوم 28 ماي 1936 مايلي : "لقد كان المولى يوسف يميل كل الميل لهذه الأطر (القناصلة) إدراكاً منه لما كانوا عليه من التمسك بروح الحماية وبما كانوا عليه أكثر من غيرهم من المراعاة للتقاليد المخزنية [...] وإن العاهل الحالي سيدي محمد على نفس ما كان عليه والده".

Annuaire diplomatique, 1935, AAE, MA, 428 : MA, 1300.

إبراهيم بوطالب

**الجيزي، عبد السلام الفاسي، أبو محمد، من بيت شهير بفاس بالعلم والصلاح. دَرَس على شيوخ القرويين في عهده أمثال الطيب ابن كيران والتاودي ابن سودة وحمدون ابن الحاج السلمي وغيرهم. وكان يعلم الصبيان في كتاب يحي التناكين أي الشرايين من عدوة فاس القرويين، وألف شرح المنفرجة لابن النحوي، وشرح دليل الشيخ المختار الكنتي، بالإضافة إلى صلوات ودعوات من إنشائه.**

توفي يوم الخميس سابع ربيع الأول عام 1264 / 12 فبراير 1848 ودفن خارج باب الفتوح.

م. الكنتي، سلوة، 3 : 26 : ع. الكبير الكنتاني، جنى زهرالأس، مخطوط.

محمد حجي

**الجيزيين (باب -) بفاس، يوجد عن يمين الخارج من باب الفتوح، ويعرف حالياً بباب الحمراء. كان باب الجيزيين مفتوحاً على عهد الأدارسة ثم أغلق سنة 357 في اليوم الذي سقطت فيه جنازة دُرَّاس بن إسماعيل أثناء حملته لقره خارج هذا الباب. وظل كذلك إلى أن أعيد فتحه في السنوات الأخيرة ليكون مخرجاً للسيارات التي تصعد من الطريق المجاورة لسيدي علي بوغالب.**

لم يؤثر إغلاق باب الجيزيين على السير العام نظراً لوجود بعض المنافذ الأخرى، ونظراً لكون باب فتوح قد أسس من بعده فكان من أهم الأبواب الميسرة للتعامل والمحافظة على كيان المدينة.

اشتهر باب الجيزيين بمقبرته القديمة وبعض المقابر القريبة منها، وقد أشار المؤرخون وكتاب التراجم إلى عدد من العلماء والصالحين الذين دفنوا هناك، نذكر منهم علي سبيل المثال بعض من ترجم لهم الكنتاني في سلوة الأنفاس وهم محمد الفشتالي ومحمد الطالب ابن سودة ومحمد بن أجروم النحوي صاحب المقدمة النحوية وأبو عبد الله الخراز ناظم مررد الضمان وعبد الكريم اليازغي ومحمد القوري

الناس العين وأدخلوا الألف واللام عوضاً منها فقالوا الجيسة.

أما ابن خلدون فقد رأى في تحريف الاسم الأصلي إلى الجيسة أن الناس خففوه لكثرة الاستعمال. ولعل ذلك هو الأقرب إلى الصواب. وتنطق العامة اسم هذا الباب بصيغة : باب الجيسة.

اعتنى المنصور الموحي وابنه الناصر بتجديد أسوار مدينة فاس وأبوابها، فجدد بناء باب الجيسة في عهد الناصر. وبقي على ما بناه عليه إلى أن تهدم وتخرّب أكثره بمر السنين، فجدد بأسره ماعدا القوس البراني في سنة أربع وثمانين وستمئة بأمر من أمير المؤمنين يعقوب بن عبد الحق المريني.

ولعل أهم مميزات باب الجيسة احتفاظه بطابعه الموحي المتميز بالمدخل الملتوي أو المدخل ذي الزاوية القائمة الذي لا تغيب فعاليته الدفاعية عن المهتمين بالعمارة العسكرية الوسيطة.

ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1973، ص. 42. وص. 111-112 :  
ع. الجزناني، زهرة الآس، نشر ألفريد بيل، الجزائر، 1922، ص. 31 : أ. الناصري، الاستقصا، 1، ص. 223، الدار البيضاء، 1954.

محمد اللبار

### الجيش المغربي - تاريخ قديم - لم يتحدث الكتاب

الكلاسيكيون من الإغريق والرومان عن الجيش المغربي وكيفية تنظيمه وتكوينه وإنما تعرضوا لبعض مكوناته والأسلحة التي يستعملها والخيول التي يركبها حينما تصطدم مصالح الغزاة بمصالح الممالك الأمازيغية وخاصة النوميديّة والموريتانيّة. من هذه الإشارات : "أنهم من الفرسان المتنازين والعارفين بفن رمي الحربة وكذلك من أحسن النبال. إذ يستعملون السهام المتصلة بالنار" وأنهم "بحاربون في غالب الأحيان راكبين الخيل وحاملين الحراب ومستعملين اللجام المصنوع من الأسل، كما يظهرون أيضاً سيفاً قصيراً وعريضاً ذا حد واحد" أما بالنسبة للمشاة فتذكر النصوص : "ويحمي المشاة أنفسهم بواسطة جلود الفيلة التي تقوم مقام التروس" وتشير النصوص كذلك إلى فصيلة الخيول المستعملة في الركوب أو في جر العربات الحربية وكذا الدروع إذ هم "يركبون الخيل القصيرة الشهم الذلول الذي يكفي قيادته بالقضيب" و"هم يستعملون في هذا السياق الترس الصغير المستدير والمصنوع من الجلد، وكذا الحربة من الحديد الواسع والقصير والأقمصة ذات الطرائد العريضة والمنعدمة الحزام".

وعليه فانطلاقاً من هذه النصوص يتضح أن الممالك الأمازيغية كان لها جيش متكون من الفرسان والمشاة وأن الفرسان كانوا يلبسون ملابس جلدية ويحملون التروس المصنوعة من الجلد بجانب الحراب الحديدية والسيف القصيرة، بينما مشاة هذا الجيش كانوا يحمون أنفسهم بواسطة جلود الفيلة ويستعملون النبال كسلاح.

وأبو الفرج الطنجي وإبراهيم بن عبد الرحمان التلمساني ومحمد بن الرمامة ويعقوب الخلفاوي وإبراهيم ابن الحاج وعلي الأنفاسي وعبد الرحمان الجزولي شارح الرسالة وأبو جيدة المشاط ومحمد ابن عباد شارح حكم ابن عطاء الله ويحيى السراج وعبد الواحد الوثريسي وأحمد الوجاري وأحمد الوثريسي صاحب المعيار ومنديل ابن أجروم وعبد الرحمان الجاديري وغير هؤلاء ممن يفخر بهم المغرب علماً وصلاًحاً.

وقد ارتبط ذكر بعض القبائل بأماكن مخصصة موجودة داخل هذا الباب، فمن ذلك مثلاً حسب ما جاء في كتاب ذكر بعض مشاهير أهل فاس في التقديم لمحمد بن عبد القادر الفاسي بيت بني القبايين وقال عنه : "إنه بيت قبيلة عربية قحطانية مع علم وثروة وكانوا من قرطبة الأندلس أتوا فاساً وقت مغراوة وسكنوا عدوة الأندلس. انقرض عقبهم وبقي ذكر جناتهم، فمن ذلك بخندق النمر الروض المعروف بالقبايية وكان في الجيزيين من فاس حيث اليوم المقابر داخل باب الفتوح، وديارهم كانت تعرف بديار القبايين.

وكما كانت تحدد قبور المدفونين داخل هذا الباب يذكره كانت تحدد قبور بعض المدفونين بخارجه كما هو الحال بالنسبة إلى قبر الفقيه دراس بن إسماعيل رحمه الله.

أ. ابن القاضي، جذوة الاتباس، ج 1 ص 97 و102 و194 و189 :  
م. الفاسي، ذكر بعض مشاهير أهل فاس في التقديم، الملمزة الأولى، ص. 7.

محمد بن عبد العزيز الدباغ

### الجيسة (باب -) أو الكيسة أو عجيسة بفاس، يقع

في شمال شرق المدينة العتيقة، في مقابل جبل زالاغ. بناه الأمير المغراوي عجيسة بن دوناس إبان استيادته بأمر عدوة القرويين، أيام دولة أخيه فتوح بن دوناس، ما بين شوال عام 452 وعام 455. بناه برأس عقبة السعتر فوق باب حصن سعدون الذي أنشأه الإمام إدريس.

وتعرف عقبة السعتر اليوم بفاس باسم عقبة الحفارين التي توصل ما بين باب الجيسة وساحة العشابين التي تتفرع منها الطرق نحو الصاغة والجوطية والعطارين وجامع القرويين ونحو واد زحوت.

قال صاحب القرطاس "فلما ظفر الفتوح بأخيه عجيسة وقتله أمر الناس بتغيير اسم الباب الذي بناه أخوه وترك إضافته إليه، فأسقط الناس العين من عجيسة وأدخلوا عوضاً منها الألف واللام. فقالوا باب الجيسة، فبقي ذلك إلى الآن".

زكى ابن أبي زرع في روايته هذه كل من الجزناني في زهرة الآس والناصر في الاستقصا، إلا أن لصاحب القرطاس نفسه رواية أخرى مفادها أن أمير المؤمنين محمد الناصر الموحي هو الذي أمر بتغيير اسم هذا الباب فأسقط

4 - تربية ابن يوما الأول ورومنته وتزويجه بابنة كليوباتره وتسليمه لمملكة موريتانيا قصد تهيين الظروف الملائمة للاستيلاء نهائيا عليها.

ورغم ولاء بطليموس ملك موريتانيا لروما وتنفيذه سياستها ومخططاتها فإن هذا لم يكن كافيا لإبقائه على العرش، فقتلته وتحولت السلطة الرومانية التي كانت غير مباشرة بواسطة الملكة الموريتانية إلى سلطة مباشرة بواسطة وكلاء وولاة وموظفي الأباطور. وقسمت مملكة موريتانيا إلى ولايتين :

- ولاية موريتانيا القيصرية التي كانت عاصمتها قيصرية شرشال حاليا بالجزائر.

- ولاية موريتانيا الطنجية نسبة إلى طنجة وذلك على الرغم من أن طنجة لم تكن هي العاصمة بل كانت وليلي.

وبعد هذا الالتحاق الرسمي اعتمدت روما في تركيز سلطتها ونفوذها على قوات الاحتلال الروماني التي تتكون من الفرق العسكرية المكونة من المواطنين الرومان فقط، وكانت تسمى الليجيو ؛ والقوات الاحتياطية أو القوات المساعدة التي كانت تجند من أبناء المستعمرات.

المصطفى مولاي رشيد، المغرب الأقصى عند الاغريق واللاتين، القرن السادس ق. م.، القرن السابع ق. م.، 1414-1993، الدار البيضاء ؛ محمد التازي سعودي، حرب بوغرطة، 1399-1979 ؛ مصطفى أعشي، العلاقات السياسية والعسكرية في موريتانيا الطنجية بين المور والرومان من 140 إلى 285 م. د.د.ع، الرباط، 1980.

M. Rachtet, *Rome et les berbères : un problème d'histoire militaire d'Auguste à Dioclétien*, Bruxelles ; M. Bemabou, *La résistance africaine à la romanisation*, Paris 1976 ; Y. Desanges, *Catalogue des tribus africaines dans l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; R. Cagnat, *L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs*, Paris, 1912 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 8 vol. Osnabruk, 1979 ; M. Kaddache, *L'Algérie dans l'antiquité*, Alger, 1972 ; Cahier du groupe de recherches sur l'armée romaine et les provinces, II, Paris, 1979 ; Suetone, *Vie des douze Césars*, ed. H. Ailloud, 3 vol., Paris, 1922 ; Appien, *Bellorum civilium liber, Libya, Pnnica*, in *Historia Romana*, éd. P. Viereck, A. C. Roos, Teumber, 1906 ; T.L. Cheesman, *The auxilia of the Roman Imperial Army*, Oxford, 1914 ; Davies, *Cohortes quitate*, *Historia*, 20, 1975, p. 751 - 763 ; L. Chatelain, *L'histoire militaire du Maroc antique*, *Rev. Int. Hist. Mil.*, 1950, pp. 161 - 172 ; M.M. Roxan, *The auxilia on Mauretania Tingitane*, *Latomus*, XXXIII, 1973, pp. 838 - 855 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, 1943, 3ème éd. ; L. Chatelain, *Le Maroc des romains*, 1949, 2ème éd. ; G. Clemente, *La Notitia Dignitatum*, 1968 ; A. Aymard, *Aspects de la défense romaine en Afrique*, *I.H.*, 1952 ; Ch. Courtois, *Les Vandales et l'Afrique*, 1955 ; P. Romanelli, *Topographia e archeologia dell'Africa romana*, 1970 ; R. Thouvenot, *Les diplomes militaires de Banasa*, *PSAM*, IX, 1951, p. 151 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 8 vol., Paris, 1912 - 1928 ; Tacite, *Annales*, trad. française de H. Geolzer, Paris 1965 ; G Camps, *Maisinissa ou les débuts de l'histoire*, *Libyca*, VII, 1er semestre, 1960 ; Cesar, *Guerre d'Afrique*, Trad. française

وعلى الرغم من أن هذه النصوص لا تشير إلى استعمال القبلة إلا أنه ليس من المستبعد أن تكون الممالك المغربية قد استعملتها في جيشها خاصة وأن سنيس وهانيبال اعتمدا كثيراً على القبلة.

وبالإضافة إلى القبلة فإن احتكاك الأمازيغ ومواجهتهم للإغريق والرومان والقرطاجيين جعلهم يقتبسون أدوات عسكرية جديدة وأساليب وطرقاً جديدة برزت لدى بعض قادتهم كماسينسا وبوغرطة وتاكفاريناس.

هذا والملاحظ أن هذه النصوص لا تشير إلى الجيوش المغربية إلا عرضاً وذلك عندما تصطدم قواتهم بالقوات الأمازيغية أو عندما يحتاجون إلى مساعدة عسكرية من الملوك الأمازيغ كما حدث مع ماسينسا الذي ساعد روما مرات بقوات من جيشه في حروبها ضد فيليب المقدوني سنة 200 ق. م. بألف فارس، وعشرة أقبال وألف فارس سنة 198 ق. م. في نفس الحرب. وفي سنة 191 ق. م. أعان الملك ماسينسا روما في حربها ضد انطيوخوس بخمسمائة فارس وعشرين فيلا الخ.

وانطلاقاً من هذه الإشارات يمكن أن نستخلص أن الجيش المغربي كان يتكون من ثلاث دعائم أساسية : الفرسان والمشاة وأهل القبلة.

وأظن أن هذه الدعائم الثلاث ظلت هي الأسس التي يبنى عليها الجيش المغربي سواء لدى ماسينسا أو بوغرطة أو تاكفاريناس ؛ أو لدى باقي الملوك الأمازيغ في شمال إفريقيا قبل الاحتلال الروماني. لأنه مع بداية اهتمام الرومان بإفريقيا الشمالية منذ الحروب البونية، وخاصة الحرب الثانية، سيدخل تغيير كبير على الجيش في المنطقة؛ نتيجة محاولات روما تأليب الممالك المحلية ضد قرطاج وخاصة ماسينسا الذي تعاون معها تعاوناً عسكرياً أدى إلى تدمير قرطاج سنة 146 ق. م. وبعد هذا أخذ اهتمام الرومان ينتقل بالتدريج من شرق شمالي أفريقيا إلى غربها. وساعد على هذا التقدم نحو الغرب الزعماء الموريتانيون والنومبيديون الذين كانوا يتعاونون مع المتنافسين على السلطة في روما أمليين من وراء ذلك الحصول على مكاسب ترابية. هذا في الوقت الذي كانت فيه روما تحاول الاستفادة من إقبال الزعماء الأمازيغ عليها عن طريق إذكاء التنافس بينهم والحصول على امتيازات. ولذلك فبمجرد انتصار يوليرس قيصر على منافسه بومبي وقتل الاكليد يوما الأول وأخذ ابنه رهينة إلى روما اتخذت المبادرات الرومانية اتجاهات متعددة :

1 - إنشاء ولايات جديدة ؛

2 - إنشاء مستعمرات رومانية في كل شمالي أفريقيا بما فيها موريتانيا الغربية ؛

3 - تشجيع المحاربين القدامى المسرحين من الجيش على الهجرة إلى شمال أفريقيا قصد الاستيلاء على الأراضي الزراعية والاستيطان بها ؛

وهذا ما يفسر حرص الحكام على احتكار حق القيام بالجهاد ما أمكن، لأنه مصدر رأس مال رمزي يتصل بالمشروعية من جهة ومصدر غنائم مهمة في مثل حالات القرصنة البحرية التي كان معظمها رد فعل على العدوان الأجنبي.

والحرص الاضطرابي للمغاربة على الجهاد وأسفر عن نتيجة تاريخية لا مراء فيها وهي إنقاذ المغرب من المآل الذي سقطت فيه بلدان إسلامية مجاورة أو بعيدة تعرضت لضغط أوروبا المسيحية بعد تفوقها في العصور الحديثة.

إن تأسيس جيش قوي كان لا يكتسب مشروعيته إلا في مشاريع الجهاد، ولذلك كلما أراد حاكم أن يفعل ذلك خارج هذا السياق واجه أحكاماً سلبية من الفقهاء كثيراً ما ردها المؤرخون، ومن الأمثلة على ذلك ما قيل عن جيش أحمد المنصور السعدي وعن جيش المولى إسماعيل.

فدور الجيش بالنسبة للدول المغربية المتعاقبة هو الاستعمال في فرض احترام وجهة نظرها السياسية والدينية، وفرض أداء الجبايات واحترام الأمن، وتكوين عدد من القادة كانت تسند إلى بعضهم مهام إدارية أيضاً، وتصدق هذه الأدوار بالخصوص على النواة الدائمة للجيش. بيد أن رؤساء القبائل الحاكمة كانوا في معظم الأحوال يتولون قيادة الجيوش ويشكلون حاشية السلطان ويعتبرون من أهل المشورة.

وإذا تتبعنا السياسة العسكرية للدول المغربية، سواء منها ذات الأصل الديني كالأداسة أو ذات الأصل القبلي المرتكز على دعوة دينية كالمرابطين والموحدين أو ذات الطابع القبلي المحض كالمربنيين أو العسكري كالوطاسيين أو ذات الأصل الشريف كالسعديين والعلويين، وجدناها سياسة تخضع لمعادلة واحدة : تقوية النواة العسكرية المخزنية لتصبح أداة فعالة أمام القبائل، مع الحرص على أن تبقى هذه النواة خاضعة للسلطة السياسية. وهذه المعادلة تفسر إلى حد ما التغييرات المختلفة التي عرفها الجيش المخزني سواء فيما يخص مكوناته العرفية أو الاجتماعية أو عدده ونفوذه حيث تراوح بين عهود القوة والاستداد، وبين فترات الضعف والتشتت.

فالتركيبة العرفية أو القبلية تشغل أكثر عند تأسيس الدول، ثم لا بليث رؤساؤها أن يعملوا على الاستغناء عن قواعدهم الحربية الأولى المبنية على عصبية متحركة، ومن ذلك تخلص الأداسة من أوربة وعمل المرابطين على سلخ الجيش من قاعدته الصنهاجية بإدخال عناصر سودانية وإيبيرية مسيحية وأغزاز ترك الخ. وكذا فعل الموحدون عندما أدخلوا على القاعدة المصمودية عناصر غوميين من المغرب الأوسط وعلوجا أندلسيين ثم عرب بني هلال.

وقد كانت لسياسة التنوع هذه عواقب سلبية في كثير من الأحيان بسبب ما كانت تؤدي إليه من التنافر وعدم الانسجام الذي أدى إلى هزائم في معارك حاسمة.

\* \* أما الجيش المغربي خلال العصر الإسلامي فإننا نقترح تركيب المعلومات المتوفرة لنا عن تطوره التاريخي في مواضع تربط بين الجيش وبين النسيج السياسي والاجتماعي في تاريخ المغرب قصد الخروج ببعض المعالم المميزة أو المتكررة في حياة المؤسسة العسكرية عبر القرون. لعب الجيش دوراً أساسياً في تاريخ المغرب سواء كان أداة للقبائل أو في يد الدولة. فالنظام القبلي كان يستعمل القوة العسكرية في حفظ التوازن بين المجموعات أي لنوع من "السلام المسلح"، كما يستعملها للحد من استبداد الرؤساء. لذلك ظهر في القبائل شيوخ الاستنفار "إمغارن ن تغيت" الذين يرجعون إلى حياتهم العادية بمجرد انتهاء القتال. فلم يكن على هذا الصعيد القبلي تخصص في العسكرية، وإن كانت مظاهر عديدة في حياة السلم تشير إلى جوانب الحرب ورموزه سواء في اللباس أو في الفن. ومن جهة أخرى، فكل القبائل تكون قاعدة محتملة للقوات العسكرية وتجهيزات الحرب، وربما كان تضخم هذه الإمكانية وما يطرحة من تأطير وضبط مشكلا لدى الحكام المركزيين.

ومع تأكيد استمرار الدول المركزية، تزامن لدى كل منها وجود نواة دائمة للجيش المخزني واللجوء إلى استنفار القبائل في المشاريع العسكرية المحلية الواسعة أو الخارجية المكلفة، وهذا يعني أن الشطر الأعظم من النفقات العسكرية كان على كاهل القبائل مباشرة.

فالعلاقات الداخلية تكون نواتها من الجيش المخزني وتكملها إضافات القبائل المستنفرة المتفاوتة الحجم بحسب أهمية الأهداف.

وفي العمليات الجهادية ضد الأجنبي، يتسع الاستنفار القبلي، ولا تعود أي أهمية لنواة الحرس المخزني الدائم. ويتجلى هذا من الوقوف على أرقام أعداد الجيوش في المعارك التاريخية الكبرى في تاريخ المغرب.

وكثيراً ما أعطت المشاريع الجهادية الكبرى فرصة للحكام لكي يبرروا شرعياً أحقيتهم في الزعامة من جهة، وفي فرض ضرائب جديدة من جهة أخرى، بل إن القضاء على بعض التمردات الداخلية أو على أذعيا منافسين سهل في ظروف استدعت التعبئة لمواجهة الخطر الأجنبي. وهذا المعطى يقابله معطى آخر يتمثل في كون تخلي الحاكم عن الجهاد يجعله عرضة لانتقاد الجماعة المحكومة على لسان سدة المشروعية من العلماء في الغالب، وفي ممارسة هذا اللجوء إلى القبائل يتم التنازل للمحاربين على ما هو شرعي من الغنائم أو على نسبة منها تفوق المنصوص عليه بكثير.



ومنذ عهد المرينيين صارت تتضح ملامح النواة الدائمة للجيش المغربي المحترف متمثلة في حرس كان يتكون في الغالب من علوج مسيحيين ومن بني هلال وبني سليم، وكانوا يشكلون حرس السلطان الخاص والحاميات المرابطة في المدن وفي ثغور البلاد. بيد أن إبعاد العنصر الزناتي ولا سيما إلى الأندلس لم يمنع تعرض الأمراء المرينيين لاستبداد عدد من قواد العسكر المحترفين من غير عصبيتهم القبلية، بل كان ذلك من أسباب الفوضى التي عرفها العهد الأخير لهذه الدولة.

وقد تكرر استخدام الأجانب من أتراك وغيرهم في الصراعات الداخلية السعدية، بل لجأ بعض أمرائهم إلى الاستنجاد بعناصر إيبيرية نصرانية. وكان رد الفعل الشعبي على ذلك تعبئة دينية عميقة تداركت كيان الدولة وتولت الدفاع عن الأمة وتحققت بها انتصارات كان لصداها فائدة في إبحام القوات الأوربية الحديثة عن مشاريع غزو المغرب الذي استرد جيشه سمعة جيدة في حوض البحر المتوسط الغربي.

وأهم ما تميز به الجيش السعدي التحرر إلى حد غير معهود من النفوذ القبلي بالاعتماد على العناصر المحترفة. فقد قام السعديون على الجهاد والشرف وعملوا على ربط القبائل العربية بنظامهم على أساس المصلحة. وهذا من أصول تكوين نظام "الگيش". وإلى جانب العناصر العربية أدخلوا في عسكرهم عناصر أجنبية مختلفة واتخذوا مصطلحات وألقاباً أجنبية. وكان الدافع إلى ذلك حفظ التوازن وعدم تمكين عنصر قبلي من إحكام قبضته على أداة الاستقرار والسلطة والجهاد. وهذا لم يمنع قيام العناصر الأجنبية في الجيش بتدبير قتل ثلاثة من أمراء السعديين.

وقد ضعفت أدوار الجهاد في تكوين الجيش بعد سقوط الأندلس واحتلال الأتراك للمغرب الأوسط وظهور سلبيات حملة المنصور لبلاد السودان. بيد أن ميزات خاصة للجندي المغربي قد تقوت بعد إدخال استعمال البارود مع الحفاظ على صفات التحمل وخفة الحركة.

لكن أزمات عميقة أضعفت كيان الدولة ثم الجيش النظامي وسمحت بعودة ظهور العصبية المسلحة على سطح الأحداث لا سيما في شكل أطماع إقليمية.

وقد استطاع الشرفاء العلويون أن يجمعوا بين مشروعية مستمدة من الشرف والجهاد، وبين الاعتماد على قاعدة عسكرية ابتداء من نواة جمعها مولاي امحمد.

وقد كان النظام العسكري الذي بناه المولى إسماعيل خاضعا لنفس المعايير السابقة التي استهدفت تكوين جيش نظامي وإبقائه ما أمكن مستقلا عن النفوذ القبلي وجعله متفوقا على القوات العسكرية الجهورية، وجعله في نفس الوقت خاضعا للسلطة المركزية.

وإذا كان المرلي إسماعيل قد استعمل لهذه الغاية وسائل تقليدية، وأخرى مبتكرة فإن النتيجة التي وصل إليها بعد خمسين سنة في الحكم فاقت بكثير ما وصل إليه

سابقوه وخصوصا فيما يتعلق بالتفوق العسكري الداخلي وبتحرير الجيش من النفوذ القبلي.

فمن وسائله التقليدية :

1) ما ورثه من السعديين من نظام قبائل "الگيش" المبني على إعفاء بعض القبائل من الغرامات وإقطاعها أراضي للفلاح مقابل خدمات عسكرية عند الاقتضاء، وأهم تلك القبائل جيش الأودايا المتكون من رحى أهل سوس ورحى المغافرة ورحى الأودايا ثم جيش شراغة وجيش آيت إيور.

2) عناصر عسكرية ظرفية تستنفر في حالات خاصة كآيت أومالو. ورماة المدن في فاس والرباط وسلا.

3) قبائل المجاهدين التي حصرت في عناصر معينة أغلبها من أهل الفرض، وقد ترك لها خيلها وسلاحها، ومهمتها تحرير الشفور.

أما الوسائل المبتكرة، فمنها عنصر العبيد الذي جمع في إطاره أعداداً هائلة من عبيد كان آباؤهم في ديوان السعديين ومن آخرين اشتروا أو أسروا. وقد ربطوا بالولاء على الدولة على أساس قسّم على كتاب صحيح البخاري فسموا بجيش البخاري. وقد وُزِعوا على قصبات تحرس أماكن استراتيجية في البلاد لضمان الأمن والحيلولة دون تسرب قبائل جبلية زاحفة نحو السهول ولا سيما صنهاجة الظل بالأطلس الكبير الأوسط والأطلس المتوسط. وقد وصل عدد هؤلاء البخاريين خمسين ألفاً.

- وإلى جانب العبيد كانت فرقة تسمى الانكشارية يترأسها الباشا مساهل وتألفت من الرماة الراجلين وإن كان قوادها من أهل الخيل.

- والعنصر الثالث فرقة كانت بوجه عروس وعدد أفرادها خمسة آلاف وكانوا يحملون لقب "قواد رؤوسهم" والواحد منهم يسمى "قايد راسو".

وقد كان في القصور الملكية عبيد شداد تسند إلى بعضهم مهمات عسكرية أو مدنية.

كان تكوين هذا الجيش يتم بالوعظ والتخريب المعنوي الذي يشارك فيه حتى السلطان وبالتفرغ للتدريب وتسليح أفرادها بآليات أكثر تطوراً من الآليات التي تتوفر عليها القبائل، وأغلب أسلحة جيشه مستورد من أوروبا وهي أخف مما كان يصنع بالمغرب.

كان أطفال العبيد يربون ابتداء من سن العاشرة تربية على طريقة الانكشارية التركية، وكانوا يتعلمون الصانع وركوب الخيل واستعمال السلاح، ويلتحقون بالجيش في سن السادسة عشرة.

وكان جيشه في الحركات (الحمالات) يتقدم على صفين على شكل هلال يكون الفرسان جناحيه، وكان استعمال المدفعية أساسياً، يجرها في كثير من الأحيان الأسرى المسيحيون ويستعملها العلوج. بيد أن تكتيك الجيوش كان لا يختلف عن أسلوب الكرواغر المعروف عند القبائل، بيد

أن التجربة أكسبت القدرة على عدد من الحيل ربح بها عددا من المعارك.

إن هذا العنصر الجيوشي أدخل تغييراً على التوازن التقليدي بين الجيش النظامي والقوة العسكرية للقبائل لا سيما بعد نزع السلاح والخيل من هذه الأخيرة. غير أن مولاي إسماعيل لم يترك لهذا الجيش فرصة الاستعداد سيما وأن عناصره لا تجمعها روابط عرقية ولا اجتماعية، إذ كان مكونا من شراكة والأودايا وجيش البخاري وجيش المجاهدين وجيش أيت إمسور والعلوج. وكان تقسيم هذا الجيش إلى فرق وإلى قيادات تشهد تغيرات مستمرة مثل تقسيم الأودايا إلى فرقة فاس تحت قيادة محمد بن عطية وفرقة مكناس وعليها أبا الحسين المعروف بـ"بوشفرة". ولما قسم السلطان المغرب عمالات بين أبنائه أعطى كل واحد منهم فرقة من الجيش. وقد تعرض عدد من قواد الجيش لعقوبات من السلطان دون أن يكون لذلك أثر على طاعة الجيش، بينما أهدقت على قواد آخرين نعم جعلتهم من أكبر الأغنياء المترفين.

كان التحكم في هذه الآلة العسكرية العظمى يرجع إلى شخصية السلطان، وهذا ما يفسر الفوضى التي قامت بسبب تصرفات الجيش بعد موت المولى إسماعيل وتنازع أبنائه لمدة ثلاثين سنة، لا سيما بسبب اضمحلال التجارة التي كانت مصدر تمويل هذا الجيش. وهذا ما يفسر طغيان عناصر البخاري خاصة، حيث دفعوا أبناء المولى إسماعيل إلى تجاوزات ضريبة فادحة من أجل إرضائهم وضمان ولائهم المتقلب وإلى ضعف عام للبلاد.

وكان الدرس المستخلص من هذه الفتنة عمل السلاطين منذ عهد سيدي محمد بن عبد الله على إعادة التوازن بين عناصر الجيش وإعطاء الأسبقية للمفاوضات على الحرب وانحصر دور الجيش في استعماله كوسيلة للضغط على الخصم. وكان العنصران المكونان لهذا الجيش هما جيش البخاري وقبائل "الغيث"، مع وجود بعض العلوج المختصين في المدفعية (الطبيعية) أو البحرية.

وقد استمرت ملامح التنظيم الإسماعيلي، وبالرغم من الضعف الذي نال عناصر الجيش (البخاري والغيث) فقد كانت لها امتيازات على القبائل ومن البارزين منها يؤخذ خدام سامون "كأصحاب الكمية" من ذوي المهام العسكرية وأصحاب "الشكارة" المدبرين للمال، والحجاب والوزراء والكتتاب وأصحاب الخناطي أي المكلفين بمختلف مهام الخدمة داخل القصور الملكية وصارت هذه الوظائف عمليا شبه وراثية من عائلات أصلها "غيث" أو من عبيد البخاري. لكن هذه العناصر "البخاري" و"الغيث" كانت تنقل من مقر إلى مقر حسب ما يقتضيه نظر السلطان. وكانت مناطق التوطن هي على الخصوص مناطق المرور السلطاني بين العواصم، وكان يحال دونها ودون التحالف مع القبائل التي استقرت بين ظهرانيها.

وقد أضيفت إلى هذه العناصر قبائل أخرى اختبرت طاعتها مثل الرحامنة التي كون منها سيدي محمد بن عبد الله نظاما على غرار الاتكشارية التركية. وكان مولاي سليمان قبل ذلك أضاف قبيلة غروان إلى الجيش بعد كسر شوكتها. وأضاف مولاي عبد الرحمان شراكة بعد هدم زاويتهم إلى الكيوش. وقام الملوك بحذف بعض القبائل من "الكيوش" لأسباب مختلفة كالتنمرد.

وكلما تقوت فرقة من العناصر في مقرها قسمت ونقل بعضها وسُلط عليها غيرها لمراقبتها. وكان المخزن يحرص على التوازن الضروري بين قوته العسكرية وبين القوة العسكرية للقبائل، ويتدخل لإضعاف الجهة التي يتوقع خطرها، ووقع تكييف هذه السياسة وكذا خريطة توزيع الجيش مع المقتضبات الأمنية والاقتصادية، فقد صارت أغلبية الجيش تشكل حاميات الموانئ بعد استعادة نشاط التجارة مع الخارج، وذلك لحمايتها من قراصنة أوروبا ومن القبائل المجاورة ومن أدياء الملك. وكان النشاط التجاري سببا في رفع أجور العسكر وتجديد سلاحهم بانتظام، ولما تقلصت هذه المداخيل في عهد المولى سليمان سقط الجيش في دورة جديدة من الضعف، حتى اكتفى المخزن بنواة من بقايا عبيد البخاري وكيوش الودايا وشراكة، وقد انشغلت خاصة بتحركات قبائل تجدد عنفوانها، وظهر تفوقها في عدة مناسبات. وقد حاول مولاي عبد الرحمان تدعيم الجيش في إطار استعادة توازنه مع قوات القبائل، لكن مع عدم وجود الوسائل المادية لذلك، مما اضطره إلى إجراءات مفروضة تحت الضغط الأوربي كإغراق آخر سفن الأسطول المغربي بعد تعرض موانئ مغربية لهجمات السفن الأوربية.

وقد احتفظ الجيش بمظهر التكامل بين النواة المخزنية والقوة العسكرية القبلية، ولكن في وضعية تنسم بكثير من الضعف، ومع هذا كله ظل الجيش المغربي محتفظا إلى حدود احتلال فرنسا للجزائر بمظهر القوة والانسجام مع المؤسسات الاجتماعية الأخرى؛ كما كان يحتفظ بسعة في الخارج مبنية على انتصارات شهيرة في الماضي.

بيد أن احتلال الجزائر طرح على المغرب قضية الجهاد، مخاطر المغامرة فيه وعواقب التخلي عنه. وقد كانت النتيجة انهزام إسلي في 14 غشت 1844. وقد استنتج المخزن والعلماء خاصة أن تكوين جيش مغربي على غرار الجيش الأوربي هو "الجواب" عن هذا التحدي. وزادت هزيمة حرب تطوان عام 1860 تأكيد هذه الضرورة، وأدت تلك الاجراءات إلى محاولة أمرين :

(1) تكوين جيش نظامي، يجمع من كل القبائل والمدن وتدريبه تدريبا عسكريا عصريا.

(2) تقوية هذا الجيش بالسلاح المتطور.

ومن أجل الهدف الأول صار المخزن يفرض على كل مدينة أو قبيلة عددا من الأفراد يدخلون في الجندية، والعدد متناسب مع عدد سكان القبيلة ودرجة طاعتها، وكذا

بحسب الظروف والأحوال. وعلى سبيل المثال فرض مولاي الحسن على العرائش 200 مجند وعلى فاس 500 وعلى دكالة 2000 وعلى الشاوية 2000 وعلى الرحامنة 3000 الخ.

وكان المؤطرون إما مغاربة تكونوا في المغرب أو الخارج أو أجانب جاءوا في بعثات عسكرية إلى المغرب، وذلك تأثراً بالنسودجين الأوربي والتركي معا. وقد استدعى المغرب في البداية مدربين جزائريين وتونسيين. وأرسل طلبه للتدريب في مصر في عهد سيدي محمد واستعملت مراجع تركية ترجمت إلى العربية لوضع التنظيمات العسكرية، وقسم الجيش الجديد الذي أطلق عليه تسمية "العسكر" على النمط التركي، واقتبست مصطلحات جديدة كالطابور والأنباضي والشاوش والبلوكمير والظنبرجي والظريبي الخ. كما تأثرت بذلات الجيش بالنموذج التركي.

وشينا فشيئا تجاوز المخزن مرحلة النموذج التركي ليمر إلى مرحلة النموذج الأوربي ولا سيما عن طريق إرسال البعثات إلى الخارج، مثل بعثات سيدي محمد إلى جبل طارق وقوامها 200 من العسكر بين 1870 و1873 وبعثات مولاي الحسن إلى نفس المكان وقوامها 425 عسكريا بين 1873 و1877، وفي عهد محمد الرابع وخلفه مولاي الحسن أرسلت بعثات أخرى إلى بلدان أوروبا بل وحتى إلى الولايات المتحدة. وقد دام تكوين بعضهم ست سنوات ورجعوا للعمل على تدريب الجيش أو في معامل السلاح أو في الهندسة العسكرية. وكان يشترط في المبعوثين صغر السن والقابلية للتعليم والرجاهة الاجتماعية.

أما المدربون الأجانب فقد كانوا إما من الأتراك أو من الأوربيين. وكان بعضهم مرتزقة جاءوا يبيعون مهاراتهم الشخصية ومن ذوي السوابق في بلدانهم، وكان البعض الآخر ضمن بعثات حكومية من فرنسا سنة 1877 ومن ضمنها القبطان إركمان Erekman والدكتور لينارس Linarès، وكلاهما اكتسب مع الأيام أهمية في حاشية المخزن. وبقيت هذه البعثة الفرنسية تتجدد باستمرار إلى انعقاد الحماية، وبالرغم من محاولات مولاي الحسن ومولاي عبد العزيز ومولاي حفيظ الاستغناء عنها.

وكان قد تم الاتفاق بين السلطان مولاي الحسن ووزير بريطانيا المفوض بطنجة دريموند هاي Drumond Hay على مجي، ضباط بريطانيين إلى المغرب، فكان ماكلين McLean أول ضابط أجنبي لدى المخزن عام 1877. وقد درب الطبجية ثم الحراية على استعمال المدفع من نوع غاردنر Gardener والمدفع من نوع Maxims.

وفي إطار التنافس بين الدول الأوربية على المغرب تهاافتت إيطاليا وإسبانيا وألمانيا على تقديم الخدمات الحربية للمغرب مثل بناء ماكينات السلاح الإيطالية بفاس سنة 1888 وتسييرها، وفي نفس السنة وصل الضابط الألماني هوغو تمبورگ المكلف باستقبال مدافع من نوع كروب Krupp وتركيبها بعد أن اشتراها المخزن. وقد جاء بعده ألمان آخرون في مهمات أخرى.

ويعد سنتين من المحاولات استطاعت إسبانيا في عام 1889 أن تعين لدى المخزن مدرين وطبيبا عسكريا اسمه كورتيس Cortes الذي استطاع اتخاذ مكان في دوائر المخزن إلى غاية 1904.

أما إجراءات التجهيز والتسلح العسكري فقد تناولت تقوية وسائل الدفاع البحري ببعض الشغور وترميم التحصينات وبناء أبراج جديدة وقواعد لبطاريات المدافع. كما حاول المخزن تحديث الأسطول باشتراء باخرة من إيطاليا تم أداء ثمنها مسبقا، ولم تصل إلا بعد موت السلطان وهي التي أطلق عليها "بشير الإعلام بخوارق الأعلام"، واشترت باخرة أخرى من بريطانيا سنة 1882 وسيت بالمحسني، واشترت مقبلة من ألمانيا سنة 1892 سميت السيد التركي.

وفي هذا الصدد أيضا اشترت أسلحة حديثة من عدة بلدان بواسطة مفاوضات مع الحكومات أو الشركات بعد أن كان الشأن في عهد مولاي عبد الرحمان منحصرا في شراء السلاح من جبل طارق مقابل القمح بواسطة القنصل المغربي اليهودي بنعليل، ومن جهة أخرى أنشئت نواة محلية لصنع السلاح كمعمل القرطوس باگدال بمراكش ودار السلاح بفاس.

وقد أدت هذه السياسة العسكرية التي نهجها المخزن خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى حدود 1912، إلى تحولات هيكلية في الجيش، وإلى تطوير تقني ضعيف، وكان لهذا نتائج سياسية سلبية، لأن السياق الذي قمت فيه تميز بممارسة عدد من الضغوط الأجنبية على المغرب، لم يكن المغرب مؤهلا لمواجهة متطلباتها لا ماديا ولا بشريا.

فالجيش صار يتكون من ثلاثة عناصر هي :

1. العسكر ، وهو العنصر الجديد المحترف، وكان فيه من المشاة أو "الرجلية" 12.000 جندي، وينقسم إلى طوابر تحمل أسماء القبائل أو المدن التي تأصلت منها، وكان تحت أوامر السلطان ويرأسه العلاف الكبير (عبد الله بن أحمد في عهد سيدي محمد، ومحمد العربي الجامعي خال السلطان مولاي الحسن، ثم خلفه محمد الجامعي الصغير وسعيد بن موسى في عهد مولاي عبد العزيز ثم الجياص ثم العربي المنهبي ثم الجياص مرة أخرى).

لم يتم هذا العكسر بما فيه الكفاية لعوائق، منها صعوبة التجنيد بصفة دائمة وهو ما لم يألفه الناس، وقلّة الإمكانات المالية وتأطيره بغير المسلمين.

2. الكيش، هو العنصر التقليدي المكون من قبائل "الكيش"، ومن بقايا جيش البخاري. لم يعد يتعدى عدده خمسة آلاف أهمها الحياالة (1.300) والمسخرين، وكانت رئاسته لقائد المشور (إدريس بن العلام في عهد مولاي الحسن).

3. الطبجية أو المدفعية، وهو القسم العسكري الذي ركز عليه المخزن في الإصلاح إلى جانب العسكر، وقد التحق به

الطلبة المستفيدون من البعثات إلى الخارج. وكان عدد أفرادها سدس مجموع الجيش الجديد (2000) وكان تحت أوامر السلطان مستقلا عن العسكر وعن الكيش، وكانت تشرف عليه عناصر إما تركية أو من العلوج أو من الأوربيين.

أما في الجانب التقني فلم تؤد هذه الجهود إلا إلى نتائج هزيلة بسبب قلة الإمكانيات المادية وعدم الاستفادة من الموظفين في البعثات، وبسبب عمل الأوربيين على مضايقة "إصلاحات" المخزن بشتى الوسائل.

أما الأسلحة المستوردة، وإن استنزفت بيت المال، فلم تكن لها فائدة كبيرة إذ كان بعضها مما تجاوزته الدول الأوربية وأرادت التخلص منه باستعمال وسائله وسماسرة، ومنها ما كان فاسدا. ومنها ما لم يكن استعماله في تناول الجنود المغاربة. وقد كانت متعددة الأنواع والمصادر، محتاج بعد استعمال معين إلى قطع غيار، ومنها ما أهمل كالسفن الحربية لارتفاع مصاريف الإصلاحات. ويضاف إلى هذا كله ما أدى إليه ترويح الأسلحة من تهريبها إلى القبائل. أما البعثات الأجنبية فقد اشتغل عدد من أفرادها بالتجسس أو بمشاغل ضارة بمصداقية المخزن.

أما من الناحية السياسية فقد أدت متطلبات هذه الإصلاحات إلى خلق نوع من العنف الجبائي بين الحاكمين والمحكومين، والتركيز على قطاع لا ينتج وهو الجيش، وهذا كله كان يهيئ لتفويض التوازنات التقليدية ويهيئ لتكريس التبعية للأجنبي، تبعية في أشياء تبدو اختيارية في البداية ثم تتحول إلى متطلبات لازمة تثقل من النفقات وبالتالي من الجبايات التي يؤدي الإسفاف فيها إلى توتر العلاقات السياسية الداخلية وتسهيل تنفيذ أطماع الأجانب.

ومع الزمن ظهر أن مهمة البعثات وخصوصا منها الفرنسية منذ 1905 صارت منكنفة، وهي "جعل الجيش المغربي قوة منظمة تساند وتضمن الغايات الفرنسية" وهكذا عرضت فرنسا عدة مشاريع قوانين "لإصلاح الجيش المغربي"، وهي مشاريع وجدت في قرارات مؤتمر الحزيرات 1906 قاعدا لها. وهكذا تم الرفع من عدد المدربين الفرنسيين داخل الجيش المغربي، وتوسعت الرقعة الجغرافية لنفوذ البعثة، وأوكل لها الإشراف حتى على جيش الحدود، ودفعت المخزن إلى الاستغناء عن كل البعثات الأخرى بما فيها البعثة العسكرية التركية التي أحضرها مولاي حفيظ إرضاء للذين ساندوه كسلطان للجهاد وظنوا أن المغرب سزال بإمكانه أن يستغني عن التعاون مع النصارى باللجوء إلى التعاون مع مسلمين أكثر تقدما كالعثمانيين.

وفيما بين 1909 و1911 تضخم نفوذ البعثة الفرنسية داخل الجيش المغربي بتوجيهات من وزارتي الخارجية والحربية الفرنسيين. وقد نفذ القائد الفرنسي مانجان Mangin هذه السياسة وحدد عدد الجيش المغربي في 6.000 بتاريخ 15 غشت 1911 ورفع من عدد المؤطرين الفرنسيين داخل كل طابور (7 طوابير من المشاة في كل منها 5 ضباط

و5 ضباط صف من الفرنسيين، وطابوران من المدفعية في كل منها ضباط و3 ضباط صف و4 طوابير من الخيالة في كل منها ضابطان و6 ضباط صف، وطابور للهندسة فيه ضابط و6 ضباط صف وطابور للإدارة فيه 26 ضابطا و16 ضابطا صف).

وبازدياد هذا الاستحواذ كانت المؤسسة العسكرية المخزنية قد سقطت رسميا تحت السيطرة الأجنبية. ولكن انتفاضة العسكر في 17 أبريل 1912 أي بعد خمسة وثلاثين يوما من فرض نظام الحماية على المغرب، هذه الانتفاضة قد دلت على أن هذه المؤسسة وبالرغم من كل التغييرات التي أدخلت عليها تحت الضغط الأوربي، لم تنسلخ عن المجتمع المغربي، وظلت قادرة على أن تعبر عن عدم رضاها على الأمر المفروض من الخارج. لكن القضاء على الجيش النظامي المغربي لم يكن يعني القضاء على القوة العسكرية المغربية، إذ كان على الجيش الفرنسي أن يواجه القوة العسكرية للقبائل التي كبدته خسائر لأكثر من عشرين سنة على الرغم من أن فرنسا دفعت مؤتمر الجزيرة الخضراء إلى تحريم دخول الأسلحة إلى المغرب.

فالأحداث وقعت في العاصمة فاس عدة أيام بعد توقيع عقد الحماية أي في مدينة يعمها الاستياء والغضب وتحتلها الجيوش الفرنسية بقيادة الجنرال برولار Brulard وكان عددها يتعدى 1500، منقسمة إلى طابورين من الرماة، وطابور من المدفعية، وفصيلة من الرشاشات، وفرقة من الإصباحية وفرقة من القناصة الإفريقيين، بينما كان الجيش المخزني الذي يبلغ 5.000 فرد بما فيه الحرس الملكي، والمهندسون، متفرقا بين قصبة شراردة، بقرب باب الساكنة، والبرج الشمالي (برج النور) والبرج الجنوبي، وتكنة تامديغت بقرب باب فتوح.

وقد انطلقت الشرارة الأولى من قصبة شراردة حيث أطلق الطابور رقم 4 للمشاة النار على المدربين الفرنسيين وانطلق الجنود من القصبة ينادون "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وتبصعهم السكان، وهجم "الشوار" على كل الأماكن التي يسكنها المدربون الفرنسيون وعلى الملاح الذي التجأ أغلبية سكانه لدار المخزن.

وقد قابل الجيش الفرنسي هذه الانتفاضة "بالمدفعية" التي كانت يظهر المهرز، حيث رمى الكومندار فيليبو Philipot كل الأحياء، كما خرجت طوابير الجيش الفرنسي من دار الديبغ متجهة نحو الملاح، ولكنها حوصرت من طرف العسكر المغربي وخيالة القبائل. وقد دامت المعارك ثلاثة أيام، استنجد فيها الجيش الفرنسي الموجود في فاس بالجيش الموجود في مكناس تحت قيادة الكومندار دودو Doudous الذي جاء لنجدته بفرقة من المدفعية وفرقة من الفيلق الأجنبي والإصباحية. ومع ذلك لم يستطع الجيش الفرنسي أن يجعل حدا لهذه الانتفاضة، إلا بإعانة طوابير مغربية كطابور المهندسين (الذي درته البعثة الفرنسية) وطابور بوجمعة بن مبارك المسفيوي (الذي درته البعثة كذلك)، وإعانة العلماء والشرفاء الذين صاروا يهدنون

ح رقم 1258 : كناش ابن اليسني خ ع فيلم ر 4 : رسائل سلطانية إلى المحتسب مولاي عبد الله البيركليبي خ ع : كناش بين الحكومتين البلجيكية والانجليزية من جهة، والحكومة المغربية من جهة لشراء الأسلحة، شوال 1302.

L. Arnaud, *Au temps des Méhallas ou le Maroc de 1860 à 1912*, Casablanca, 1952 ; E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1904 ; E. Michaux-Bellaire, *L'impôt de la naiba et la loi musulmane au Maroc*, R.M.M., T. VII et VIII, 1910 ; T. Beirada, *Certains aspects de la mission française au Maroc*, H.T., VI XXV, 1987 ; *Aspects de la question militaire au XIXème siècle*, Maroc Europe, N° 7, 1994 ; B. Augustin, *Le Maroc*, Paris, 1915 ; E. Burke, *Prelude to protectorate in Morocco precolonial. resistance 1860-1912*, Chicago, 1976 ; N. Cigar, *Une lettre inédite de Moulay Ismaïl aux gens de Fès*, H.T., Vol. XV, 1974 ; Cossé Brissac, P. de, *Les rapports entre la France et le Maroc avant la conquête de l'Algérie (1830-1847)*, Hesp., 1931, T. XIII, Fascicule 1 et 2 ; M. Delafosse, *Les débuts des troupes noires au Maroc*, Hesp., 1923 ; E. Doutté, *Les moyens de développer l'influence française au Maroc*, Paris, 1900 ; *Mission au Maroc : en tribu*, Paris, 1914 ; *Marrakech*, Paris 1905 ; Andrez Dzuibinski, *L'armée et la flotte marocaine à l'époque des sultans de la dynastie saadienne* ; M. El Fassi, *Lettres inédites de Moulay Ismaïl, Etudes, textes et photocopies des lettres*, H.T., 1962, N° spécial ; A. El Moudden, *Etat et société rurale à travers la harka au Maroc du XIXème siècle*, *The Magreb Review*, N° 5-6, septembre-décembre 1983 ; J. Erckman, *Le Maroc moderne*, Paris, 1905 ; E. Ferrey, *La réorganisation marocaine*, Paris, 1905 ; J. Caillé, *Au lendemain de la bataille d'Isly. Correspondance inédite*, Hesp., 1947 ; *La véritable histoire de l'ingénieur Abderrahmane Desautly*, Hesp., 1949, 3ème et 4ème trimestre ; *La mission du capitaine Burel au Maroc en 1808*, Paris, 1953 ; *Les marocains à l'école du Génie de Montpellier (1885-1888)*, Hesp., T. XLI, 1er et 2ème trimestre, 1954 ; *Quelques renseignements sur le capitaine Erckman*, Hesp., T. XLI, 3ème et 4ème trimestre, 1954 ; P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905*, Paris, 1967 ; W. Harris, *Le Maroc disparu*, Paris, 1921 ; C.A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes, 1415-1956*, Paris, 1978 ; M. Lahbabi, *Le gouvernement marocain à l'aube du XXème siècle*, Rabat, 1958 ; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain, 1830-1912*, Paris, 1977 ; Ch. René Lerlerc, *L'armée marocaine*, Alger, 1905 ; *Les tribus guiches au Maroc. Essai de géographie agraire*, R.G.M., N° 7, 1965 ; R. Le Tourneau, *Fès avant le protectorat*, Rabat, 1949 ; AGP Martin, *Quatre siècles d'histoire marocaine*, Paris, 1923 ; C. Mazude, *La guerre du Maroc*, RDM, 1860 ; J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe 1830-1894*, Paris, 1961-1963, 4 vol. ; R. Montagne, *Les herbères et le Makhzen dans le sud du Maroc*, Paris, 1930 ; M. Morsy, *Moulay Ismaïl et l'armée de métier*, RHMC, TXIV, avril, juin 1967 ; A. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, Oran 1925 ; D. Nordman, *Les expéditions de Moulay Hassan*, H.T., Vol. XIX, 1980-81 ; *La Pacification du Maroc : 1907-1934*, Paris, 1936 ; C. Penz, *La mission du capitaine Burel, envoyé de Napoléon auprès du sultan Moulay Slimane (1808-1810)*, Hesp., T. XXXVII, 3 et 4ème trimestre 1949 ; R. Reynaud, *En marge du livre "jaune", le Maroc*, Paris, 1923 ; J. W. Rollman, *The new order in a pre-colonial muslim society : military reform in Morocco 1844-1904*, University of Michigan, Thèse inédite, 1983 ; A. Roux, *Quelques documents manuscrits sur les campagnes de Moulay El Hassan*, Hesp., T. XXII,

السكان، وكذلك بحضور الجنرال مواني Moigner من تفلت بـ 9 فيالق من المشاة، وفيلقين من الحياالة وفرقة من المدفعية وفرقة من الرشاشات. وقد بلغ عدد القتلى الفرنسيين 9 من المدربين و19 ضابطا وضباط صف، و35 من الرماة من بينهم ضابطان و70 جريحا، كما جرح 70 من يهود الملاح.

أما القتلى المغاربة فليس بين يدينا وثائق تسمح لنا بتقدير عددهم.

واغتنمت فرنسا هذه الثورة لإعطاء الضربة القاضية للعسكر المغربي فجردته من سلاحه وسجنته في التكنات وأعلنت حالة الطوارئ في فاس وأعطت كل السلطات المدنية والعسكرية لحاكم عسكري هو الجنرال ليوطي.

وقد كان على المغرب أن ينتظر عهد الاستقلال ليحيى المشروع الذي أحبطه الضغط الغربي وقلة الموارد المالية والفوضى العسكرية والسياسية التي عاشها في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي، ليؤسس في ماي 1956 أول جيش نظامي ذا طابع وطني، هو القوات المسلحة الملكية التي كانت نواتها الأولى من أعضاء المقاومة وجيش التحرير، والجنود المغاربة الذين كانوا داخل الجيش الفرنسي، ومن متطوعين من كل الأوساط الاجتماعية، سواء من المدن أو من البادية.

كاتب مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، الاسكندرية، 1957 ; أ. الناصري، الاستقصاء، الدار البيضاء، 1954 ; ابن أبي زرع، القرطاس : ابن الخطيب، إعمال الاعلام بمن يبيع من ملوك الاسلام قبل الاحتلال، مخطوط : ابن زيدان، اتحاد : م. شفيق، إماميغين، معلمة المغرب، ج. ال. الرباط 1989 ; بردلة العربي، رسالة إلى مولاي إسماعيل، مخطوط خ ع، رقم D163 ; ع. ابن خلدون، كتاب العبر، بيروت 1967 ; م. القادري، نشر الثاني : اكنسوس، الجيش العرمرم : الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، الرباط 1976 ; بليمني بوعشرين، التنبيه المغرب عما أصبح عليه الآن حال المغرب، تج. المانوني، الرباط 1994 ; ابن الحاج، الدر المنتخب المستحسن، خ ح رقم 1920 ; مجهول، الانبسام عن دولة مولاي هشام، خ ح 12420 ر : الجاني محمد الحسني، مقمع الكفرة بالسنان والحسام في بيان إيجاب الاستعداد وحرب النظام، مخطوط خ ح : حفيظ، السلطان، داء العطب قديم، مخطوط : محمد الحجوي، تقييد تاريخية، خ ع : الخوجة، ترتيب العسكر، مخطوط خ ع رقم 27333 : ديبكو دي طوريس، تاريخ الشرفاء، تر. محمد حجي والأخضر، الرباط 1988 ; محمد الدكالي، الإتحاف الرجيز : المشرفي، الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية، مطبعة حجرية، خ ع، رقم D1463 ; محمد النوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، الرباط 1987 ; السمالي، مطالع الحسن وأتباع السنن بطولع راية مولانا الحسن، مخطوط خ ح رقم 81 ; أبو قاسم الزباني، البستان الطريف، مخطوط خ ع، رقم د 1577 ; عقد الجمان في شمائل مولاي عبد الرحمان، مخطوط، خ ع، رقم 40 ; كنايش تتعلق بشؤون الجيش، خ ح من 1 إلى 553 ; كتاب القرانين الداخلية المتعلقة بشاة العسكر الجهادية في سبيل الله، خ

دور فعال في مساعدة تكوين هذا الجيش حيث تم الاتفاق على أن تشجع إسبانيا إنشاء جيش التحرير وأن تساعد معنوياً على تنظيم الجيش بمساعدة قواد مغاربة مدربين ذوي تكوين عسكري سابق في الجيش الفرنسي..  
عمليات جيش التحرير بالشمال :

(1) - انطلاقاً جيش التحرير ببولمان. يعدّ فاتح أكتوبر 1955 يوم الانطلاقة الأولى لعمليات جيش التحرير بشمال المملكة، حيث بدأ التفكير في خلق مجموعات من المقاومين قصد شن هجمات منسقة ومنظمة على المواقع التي توجد فيها قوات الاستعمار، وقد أعطيت الشرارة الأولى في إيماز مرموشة بإقليم بولمان، حيث شن هجوم على ثكنة الجيش الاستعماري أدى إلى غنم أسلحة وذخائر مهمة مما أربك المستعمر، وكان ردّ فعله على هذا الهجوم وحشياً باستعماله لمختلف أنواع الأسلحة الفتاكة الموجودة آنذاك، ورغم شراسة العدو وقواته الضخمة، بقيت قبائل مرموشة صامدة في وجه الاستعمار تكبده الخسائر تلوح الحاسرات.

(2) - انطلاقاً جيش التحرير بإقليم تازة. في الساعة الواحدة من ثاني أكتوبر 1955 هاجم أفراد جيش التحرير عدة مراكز فرنسية مهمة بمناطق متعددة، منها مراكز بورد وتيزي وسلي وأكنول (مثلث الموت) وقد كللت هجوماتهم بالنجاح واستولوا على مستودع تابع للعدو يضم أسلحة ومعدات حربية. وبعد هذا الانتصار الذي رفع من معنويات أفراد جيش التحرير اتجهوا إلى مركز بوزنيز لمواجهة الفرنسيين الذين اندحروا رغم توفرهم على أسلحة من الطراز الحديث، كما دارت معارك أخرى في كل من أجدير وتيزي وسلي، وقد استطاع جيش التحرير محاصرة القوات الفرنسية فيها وألحق بها أضراراً فادحة اعترف العدو بأهميتها.

(3) - انطلاقاً جيش التحرير بالحسيمة. بعد أن استعادت



fascicule 1, 1936 : St. René Taillandier, *Les origines du Maroc français*, Paris, 1930 ; (Docteur) Tringa et A. de la Motte, *Un correspondant de révolution, ou journal d'un Israélite de Fès, 1908-1910*, Bibliothèque Générale de Rabat ; F. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, Rabat, 1947 ; G. Weyre, *Au Maroc dans l'intimité du sultan*, 1905 ; Archives Ministère de la Guerre, Paris, série C, série 3H: Ministère des Affaires Etrangères, Quai d'Orsay, Paris : Correspondances politiques, 38 à 74 ; Correspondances : Mémoires et documents.

ثريا برادة

### جيش التحرير المغربي يعدّ امتداداً للمقاومة التي

خاضها المغاربة منذ إقدام الاستعمارين الإسباني والفرنسي على فرض حمايتهما على المغرب، واجه المغاربة بانتفاضات في مختلف ربوعه الوجود الاستعماري إلى حدود سنة 1934 ليأخذ الكفاح شكلاً جديداً تمثل في النضال السياسي، وتميز بتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال سنة 1944، ثم خطاب طنجة التاريخي سنة 1947، ليدخل هذا الكفاح منعطفاً حاسماً بعد نفي المغفور له محمد الخامس وأسرته الملكية الشريفة في غشت 1953، حيث انطلقت المقاومة الفدائية السرية المسلحة لتتكامل بانطلاقة جيش التحرير بإيموزار مرموشة وأكنول وبورد وتيزي وسلي في أكتوبر 1955، تلك الانطلاقة التي عجلت بعودة الملك الشرعي حاملاً لواء الحرية والاستقلال.

مرحلة التكوين وانطلاقة جيش التحرير. جاء تكوين جيش التحرير المغربي نتيجة طبيعة طبيعة الكفاح الذي ظل يخوضه المغرب بعد امتداد أيادي الاستعمار إلى رمز سيادته، فبعد أن بدأ الوطنيون مواجهة الاستعمار في عمليات فدائية، كانت بادرة تنظيم الخلايا المسلحة في المدن الرئيسية التي ضمت في صفها أهم العناصر الحية من الشباب، وكونت قياداتها السرية وغدت بعد 20 غشت 1953 حركة وطنية مسلحة لها رجالها المنتمون لمختلف الأقاليم، وبها تنظيماتها الدقيقة، وبعد انكشافها من طرف السلطات الفرنسية في يناير 1954 التحقت أهم عناصرها بمنطقة الوجود الإسباني في الشمال حيث تألفت قيادة جديدة للمقاومة المسلحة بتطوان، ولقد شهدت تطوان والناظور وغيرها حركة دؤوبة بإشراف عدد من الزعماء والقادة وتنسيق داخل الوطن وخارجه، إذ تكونت عدة خلايا منها ومن مثيلاتها انطلق التنظيم لجيش التحرير وتعزيز صفوفه بالمجاهدين والعمل للبحث عن الأسلحة والتخطيط للهجوم على الفرنسيين، وإجراء التدريبات على السلاح وإعداد المقاتلين للهجمات.

وهكذا تم تكوين جيش التحرير الذي مهدت له حركة المقاومة، فتم تنظيم هذه الجماعات ودرّب أفرادها بالمنطقة الخليفية، وتألقت منها ما أطلق عليه اسم جيش التحرير المغربي، وقد كان لموقف إسبانيا المعادي للسياسة الفرنسية

4) - انطلاقاً جيش التحرير بإقليم الناظور. تكمن الأهمية الحيوية لهذا الإقليم في اختيار جيش التحرير الوطني لمدينة الناظور مركزاً لاستقراره وتجنيد فرق وتدريب متطوعيه، ويذكر التاريخ أن هذه المدينة لعبت دور خزان للسلاح لفائدة جيش التحرير، وتجدر الإشارة إلى أن أول سفينة لشحن السلاح حلت بها. ويتعلق الأمر بالسفينة "دينا" القادمة من المشرق العربي، تبعها في شهر غشت 1955 سفينة "النصر" التي أفرغت ثلاثين طناً من الأسلحة. وهذه الأحداث تدل على دور الناظور في تزويد المجاهدين بالسلاح إلى أن شن جيش التحرير هجماته البطولية على مركز إيموزار مرموشة بإقليم بولمان ومركز أكنول وبورد وتيزي وسلي بإقليم تازة وسيدي بوزنيز بإقليم الحسيمة وقيامه بعمليات فدائية موازية بمراكز أخرى بشمال المملكة ابلت فيها فرق هذا الجيش وأبناء إقليم الناظور البلاء الحسن لتحقيق النصر وإعلاء صوت الحق حتى يرضخ دهاقنة الاستعمار لمطالب الشعب المغربي بالاعتراف بالاستقلال وعودة جلالته المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه وأسرته الكريمة من المنفى، وبدل حجم إسهام هذا الإقليم على تنوع مراكز تدريب جيش التحرير بكارمة ورفافيسي وعين زورة، كما تكونت مجموعة من الشباب مهمتها جمع الرجال والأسلحة والمؤن، منها أولاد داوود وأولاد بوعبيد السيد ورأس كبداثة واحديدان وبني شكبير وبني توزين وغيرها.

فبعد شهر ونصف من الحرب الطاحنة مع المستعمر الأجنبي لاحظت الإقامة العامة الفرنسية أن دائرة المعارك في اتساع مطرد والخسائر الفرنسية تزداد يوماً بعد يوم استفحالاً في الجنود والعتاد، مما اضطرها إلى إعادة النظر في القضية المغربية وأعلنت عن عودة بطل التحرير جلالته المغفور له محمد الخامس وعائلته الشريفة من المنفى طالبة من المغاربة وقف القتال.

\* \*

انطلاقاً جيش التحرير بالجنوب. بعد استقلال المغرب سنة 1956 بقيت المناطق الجنوبية ترزح تحت نير الاستعمار الأجنبي، في هذه الفترة انتقل جيش التحرير إلى الجنوب المغربي لمواصلة الكفاح واستكمال الوحدة الترابية، وقد سبق هذا الانتقال دراسة شاملة وعمامة للمنطقة كتمهيد لاختيار الطريق الأسهل للجيش، وبالتالي معرفة مراكز العدو ومدى قدرته العسكرية، هذه المجموعة انتقلت من آيت أورير إلى أولوز إذ وجد آنذاك 150 رجلاً متمركزين في أولوز، وكذا بالنواحي المجاورة، ومنه تابعت الطريق لتستقر باستييك التي تمركزت فيها القيادة العليا، بالإضافة إلى مراكز أخرى خصصت للتدريب وتنظيم العمليات العسكرية ونقطة انطلاقاً لخوض المعارك ضد الدخيل الأجنبي خاصة ضد إسبانيا. وفي هذه الفترة توافد العديد من أبناء الصحراء

إسبانيا سيطرتها على المنطقة حاولت تغيير أسلوبها مع السكان، فاتبعت سياسة التعايش بدل سياسة المواجهة المباشرة، لكن المنطقة عرفت حركات احتجاج بين الفينة والأخرى إلى أن بدت في الأفق بوادر المقاومة المسلحة، فأسهمت منطقة الحسيمة بالمال والرجال، فمدینتا الحسيمة وترجست شهدتا إشعاعاً سياسياً ساهم في بلورته عدة أحزاب وطنية، كحزب الاستقلال وحزب الإصلاح الوطني وحزب الشورى والاستقلال، ونجم عنه اندلاع عدة مظاهرات جماهيرية ما بين 6 و20 مارس 1955 ضد الإدارة الاستعمارية من أجل المطالبة باستقلال البلاد، وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الإسباني ميكل مارتين في كتابه *الاستعمار الإسباني بالمغرب* (ص. 200) "كان الوطنيون يسيطرون بشكل كامل على منطقة شمال المغرب: تجمعات سياسية وتظاهرات وأغان ورقصات ورايات وصور الأبطال الرئيسيين للمنظمة السرية ظهرت في القبائل الأقل تسييساً، ووقعت عدة حوادث مع جيوش الاحتلال".

وقد شارك أبناء المنطقة قبيل انطلاق العمليات الأولى لجيش التحرير في استقبال الوطنيين اللاجئين إلى المنطقة الخلفية، كما شاركوا في نقل الأسلحة خصوصاً من تطوان إلى مركز باب الحيط التابع لجيش التحرير، ولقد كان مركز "بوزنيز" الواقع بنفوذ إقليم الحسيمة عرضة لهجوم عناصر جيش التحرير في صباح يوم 2 أكتوبر 1955، حيث استولت عليه، وهو مركز ذو موقع إستراتيجي يتحكم في عدد كبير من المناطق المحاذية سواء التابعة حالياً لإقليم تازة أو لإقليم الحسيمة.

إن سهولة أخذ هذا المركز من طرف أفراد جيش التحرير بالقياس إلى قلة سلاحهم، بالمقارنة مع الترسانة العسكرية الفرنسية، يؤكد مدى عزم المقاومين على استعادة ما اغتصبه المحتل، وتوخى المقاومون في هجوماتهم تلك التصدي لقوات العدو على أكثر من محور ومركز، ولم يكن هدف قادة جيش التحرير فتح مواجهة مفتوحة مع العدو، وإنما اتباع سياسة حرب المواقع نظراً لرجحان ميزان القوى العسكري لفائدة قوى الاحتلال، ثم اعتباراً لدور الحرب المخاطفة من إنزال أكبر الخسائر بالعدو مع الاحتفاظ ما أمكن بمعنويات المجاهدين في مستوى عال.

وإزاء اتساع عدد المراكز التي أنشأها قادة جيش التحرير "كأحور" و"الما علي" و"مرجانة" و"باب الحيط" وزواعونام" و"تاوفا"، وغيرها، فإن المجاهدين تمكنوا من تكييد قوات الاحتلال هزائم نكراء في أماكن تجمعها وكذا قوافل التموين.

وللتقليل من وقع حجم هذه الصدمات المتتالية على قوات الاستعمار سعى إلى استرداد بعض المراكز ذات الوزن الاستراتيجي، فركز اهتمامه على مركزي "باب الحيط" و"بوزنيز" حيث نظم عمليات عسكرية جوية وبرية واسعة النطاق ولا سيما ضد مركز "بوزنيز".

للانخراط في الجيش، مما أدى بالقيادة إلى الانتقال إلى أقاليمها إلى غوليم الذي أصبح المركز الأول لجيش التحرير.  
- تقييم حركة التحرير بالجنوب المغربي. بدون استثناء من الشمال إلى الجنوب تعدد حركة التحرير جزءاً لا يتجزأ من حركة التحرير بالمغرب حيث ظهرت في ظرف زمني حاسم متشعبة بنفس المبادئ التي التزمت بها باقي الحركات الوطنية والتي تتمثل في المشروعية والاستقلال والوحدة الترابية.

كانت إذن هذه النقاط الثلاث المطلب الأول والأساسي لحركة التحرير بالصحراء المغربية، وهذا الطرف الزمني جاء ليبرز لنا مدى ارتباط أبناء الشمال بأبناء الجنوب، وكذا مدى التواصل والتماسك الموجود بين حركتين ظهرتتا في فترة زمنية واحدة يجمعهما هدف مقاومة الاستعمار. وقد تزامنت الفئسرة التي أوجدت هذه الحركة مع مخططات العدو الهادفة إلى القضاء على وحدة البلاد، وبث روح التفرقة، وكان سلاح المقاومة في هذا الميدان هو إيمانه بعدالة قضيته، كما أن الجهود التي بذلتها حركة التحرير بالجنوب المغربي طالما سجلها التاريخ وردد صداها، إذ استطاع هذا الجيش أن يحقق الانتصار على الاستعمار، متخطياً بذلك الحدود الوهمية التي لا صلة لها بالتاريخ ولا بالقانون، وذلك من أجل تحقيق هدف أسس طالما ضحت الحركات التحريرية بالجنوب من أجل تأكيده والمتمثل في استكمال السيادة الوطنية للمغرب.

وحول المكانة التي حظي بها جيش التحرير ضمن باقي الحركات الوطنية والدور البارز الذي لعبه في فترة ما بعد الاستقلال يأتي واضحاً من خلال الكلمة المولوية لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله التي جاء فيها :

"قليل من يعرف ما قام به جيش التحرير في جنوب المغرب، وإن كان أحد يعرف ما قام به هذا الجيش منذ سنة 1958 وقبل سنة 1958 فهو خادم هذه البلاد...". فحركة التحرير استطاعت أن تسيّر المعارك بوعي وحكمة وعظمة. وهذا الموقف تدعم على الإيمان بالنصر وإرادة الشعب المغربي بقيادة رمز الكفاح الملك الشرعي للبلاد. وأما تحالف القاعدة والقمة فاضطر الاستعمار إلى احترام السيادة المغربية، والأكثر من ذلك وحدة الصف والإيمان الصادق بعدالة مطالب أبناء المغرب، لذلك شكلت أروع صورة للالتحام البطولي، كما شهدت ساحة المعركة نشاطاً سراء على الصعيد الميداني أو على صعيد النشاط الدبلوماسي، وذلك في إطار توعية المواطنين بقضيتهم وإبعاد الوجود الاستعماري".

موقف القبائل الجنوبية من الدخيل الأجنبي. انتفاضة قبائل أيت باعمران. انطلقت هذه الانتفاضة يوم 23 نونبر 1957، إذ قام جيش التحرير بالتنسيق مع قبائل أيت باعمران للهجوم على مجموعة من المراكز الإسبانية تمكن من تحريرها ما عدا مركز سيدي إيغني. لقد بدأت حرب التحرير بعدما أخفقت الاتصالات

والمشاورات التي دارت بين الوطنيين الباعمرانيين والسلطات الإسبانية في سيدي إيغني بهدف التوصل إلى حلول سلمية لحسم النزاع، وانطلقت العمليات الأولى فجر يوم الجمعة 23 نونبر 1957 بقيام طلائع جيش التحرير بشن هجوم موحد ضد جيش الاحتلال الإسباني في 18 مركزاً عسكرياً، وكانت قوات جيش التحرير التي يناهز عددها 3000 جندي تتصدى بإقدام وبساله نادرة للجنود، وبالرغم من أن ميزان القوى كان غير متكافئ عدة وعدداً فقد استطاع جيش التحرير أن يشن بطلاعه هجومات ناجحة ألحقت خسائر فادحة بقوات الجيش الإسباني، وأهم ما يسترعي الانتباه في هذه العملية العسكرية هو التنسيق المحكم بين مختلف فرق جيش التحرير، حيث نظم الهجوم في نفس الساعة وفي نفس اليوم على كل المراكز، ولم يتوقف إلا بعد أن استسلم المستعمر وقبل المفاوضة. والجدير بالذكر أن هذه الانتفاضة تتعدى المنطقة المذكورة لتصل إلى حدود طرفاية، مما جعل إسبانيا تشعر بالخطر وتتوجه من وادي الذهب، وقد أسفرت هذه المواجهة عن تحرير 18 مركزاً. - حرب الصحراء. إيكوفيون. لم تقتصر مقاومة جيش التحرير على جبهة أيت باعمران بل امتدت إلى الصحراء قام جيش التحرير بتقسيم الصحراء إلى جبهتين. الجبهة الشرقية قام فيها جيش التحرير بعمليات عسكرية أسفرت عن عدة خسائر مادية ومعنوية في جانب العدو.

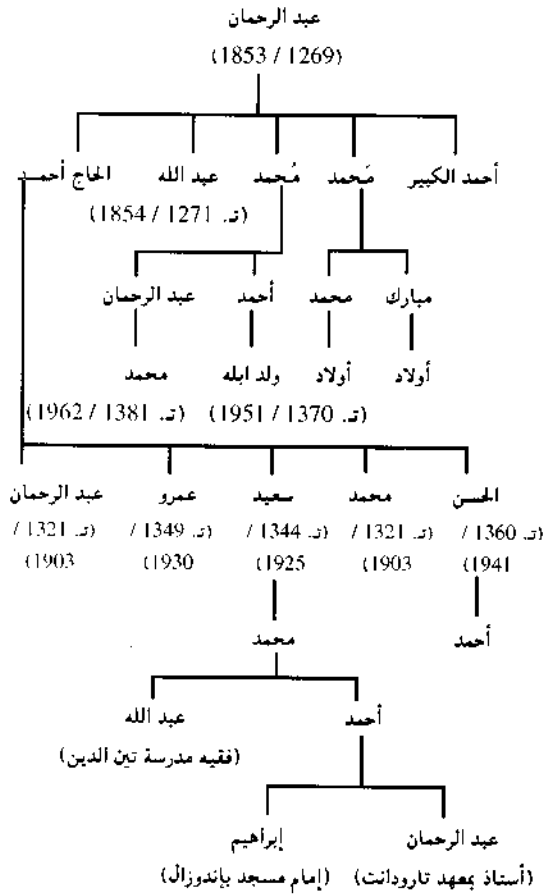
أما في الجبهة الغربية، فقد عرفت هذه المناطق عدة معارك ضارية أهمها المسيد التي فوجئ بها جيش التحرير، إذ كان العدو الإسباني مزوداً بالذخيرة والعتاد والجيش لكن جيش التحرير قدم للمستعمر الإسباني بطاقة تعريف عن الجندي المغربي وشجاعته في تحرير أرضه، وخرج المستعمر عنها كيفما كانت قوته وعتاده، ثم معركة الدشيرة المشهورة (13 يناير 1958)، إذ أراد الإسبان أن يحوا بها عار الهزيمة التي مني بها جنودهم، لكن الانتصار كان حليف المغاربة مرة أخرى فعزموا على حملة أخرى أكثر انتقامية، وهذه المرة ستتحالف فرنسا وإسبانيا للقضاء على قوات جيش التحرير المغربي فيما سمي بعملية إيكوفيون.

دارت المعركة في المناطق الخاضعة لإسبانيا، إلا أنه حسب الاتفاق المبرم بباريز فإن التدخل الفرنسي يجب أن لا يتعدى الخط 40 / 27 ومن جهة الغرب ناحية السمارة. ومن جهة أخرى فإن المدة التي يجب أن لا تتجاوزها المعارك خارج منطقة النفوذ الفرنسي هي 15 يوماً.

خطاب محمد الخامس بمناسبة استقبال جيش التحرير سنة 1956 :  
مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع. 2، ص. 6 : بنعلي مصطفى،  
جوانب من نشاطات جيش التحرير بمنطقة فكك : عبد الملك الحسيني، أضواء حول مشاركة قبيلة أولاد جرير في صفوف جيش التحرير بالمنطقة الشرقية، عدد 9، ص. 33 : عبد العزيز أفضاض،  
تأسيس جيش التحرير المغربي في الشمال، عدد 12، ص. 13 :  
هزنان نجية، تدوين تاريخ جيش التحرير بالجنوب المغربي، عدد



لنا صياغة شجرة أنساب الأسر الجيشتيمية كما يلي :



(شجرة أنساب الأسرة الجيشتيمية)

عبد الرحمان الجيشتيمي، الحضيكيون، مخطوط : م. المختار السوسي، المعسول، ج. 6 : ح. جهادي، تقييد خاص : الراضي اليزيد، مراسلة خاصة عن الأسرة الجيشتيمية : روايات شفوية. عمر أفا

**الجيشتيمي، أحمد بن عبد الرحمان بن عبد الله** التلمي البكري الجزولي، ويكتب أحياناً بدون ياء بعد الجيم (الجيشتيمي). ينتسب الجيشتيميون إلى إمي أگشتيم من قبيلة أملن بضاحية تافراوت، ويتصل نسبهم بأبي بكر الصديق، وهذه الأسرة - يقول المختار السوسي - "من الأسر التي يقل نظيرها في الأسر العلمية المغربية". ولد أحمد الجيشتيمي عام 1231 / 1815 وأخذ عن والده عبد الرحمان ولازمه في المدرسة الجيشتيمية وبه تخرج في العلوم اللغوية والشرعية والعقلية، ولما حج أخذ عن علماء المشرق واستجازهم وفي مقدمتهم المحدث عبد الغني الدهلوي (ت. 1296). ولما آل إليه أمر التدريس في مدرستهم الجيشتيمية جد

12، ص. 63 : أحمد خطوري، أضرأء على انطلاقة عمليات جيش التحرير بإيموزار مرموشة، عدد 14، ص. 33 : شوراق أحمد، حقائق تاريخية عن عملية إفراغ الباخرة "دينا"، عدد 18، ص. 49 : لشكر محمد، ملحة جيش التحرير بالصحراء المغربية، عدد 19، ص. 40 : أحمد معنينو، تكوين جيش التحرير بقبيلة اگزنانية بإقليم تازة، عدد 20، ص. 3 : الرحمان ميمون غورضو، تعقيب وتوضيح حول مقال دور مركز كارمة إبان المقاومة وتأسيس جيش التحرير، عدد 31، ص. 48 : أيت المداني أحمد، مراحل الكفاح الوطني بالجانب المغربي وانطلاقة جيش التحرير ومقاومة قبائل ايت اوسا غموجا، عدد 35، ص. 57 : هشي أحمد، انطلاقة جيش التحرير بتازة عجلت بارجاع الملك وعلان الاستقلال، عدد 38، ص. 119 : صلح محمد، من معارك إقليم وادي الذهب سنتي 1957، 1958، عدد 33، ص. 51.

ميمون محوط

### الجيشتيمي، أسرة تنسب إلى قرية أگشتيم الواقعة

على سفوح جبال "الگست" بالأطلس الصغير على بعد حوالي 7 كلم من تافراوت، وينفتح طريق هذه القرية على وادي أملن بمدخل يدعى "إمي أگشتيم"، وكلا الموقعين يعرف تجمعاً سكنياً قديماً لم نثر على تاريخ بدايته.

تعتبر هذه الأسرة من الأسر العلمية الكبيرة بمنطقة سوس، وقد أنجبت كثيراً من العلماء المشهورين (المعسول، 6 : 163) ينتمون إلى نسب واحد، وكان جدهم الأعلى هو العلامة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد ابن محمد بن إبراهيم بن مسعود بن أبي بكر بن محمد بن محمد بن عمر بن أبي بكر بن الحسن الجيشتيمي، وإلى هنا تنتهي هذه السلسلة.

وقد انقرض ما يقرب من ثلاث عشرة أسرة من الأسر الجيشتيمية. أما الفروع المشهورة التي ما تزال إلى اليوم، فهي :

- أسرة أيت أقديم نسبة إلى عبد الله بن أحمد أقديم من نفس السلسلة، وإلى هذه الأسرة يرجع نسب عبد الرحمان ابن عبد الله صاحب الضريح المشهور بإمي أگشتيم.

- أسرة أيت الفقير وتنسب إلى محمد بن عبد الله الملقب بأكرامو.

- أسرة أيت منصور، وتنسب إلى أيت إبراهيم بن إبراهيم.

- أسرة أيت موسى التاسكديتين. ويبلغ علماؤهم واحدا وعشرين عالماً.

- أسرة النجارين وقد اشتهر من علمائهم ثلاثة. يُرفع نسب الأسرة الجيشتيمية وفروعها إلى أبي بكر الصديق في رواية غير متصلة كما أوردها عبد الرحمان الجيشتيمي في كتابه الحضيكيون عند ترجمته لوالده عبد الله بن محمد، وكذا صاحب المعسول. وبعد التحري يمكن

واجتهد في الإقراء والنصح، وتكاثر عدد الطلبة فيها من مختلف نواحي سوس حتى عد شيخ جماعتهم، ثم بدا له أن يحج، فاستخلف بعض تلاميذه وحج وجاور، وكانت له مساجلات مع فقهاء الحجاز على اختلاف مذاهبهم نظماً ونثراً، كما كانت له مساجلات أدبية وعلمية مع السوسيين وغيرهم. وهو شاعر فحل طويل النفس.

كان لأحمد الجيشتيمي اتصال بالملوك ولاسيما المولى الحسن الأول الذي اتخذه إماماً راتباً له في الصلوات مدة طويلة، ثم رجع إلى سوس وتصدّر للتدريس في تارودانت من سنة 1304 إلى ما بعد 1312 حيث أخذ عنه كثير من الأعلام مثل الطاهر الإفرائي والعربي الساموگني. وقد أورد في المعسول قائمة بأسماء ثلاثة وأربعين من أعلام سوس الأخذين عنه.

توفي في تيبوت بضاحية تارودانت في 18 ذي القعدة عام 1327 / فاتح دجنبر 1909، ودفن في داره وبنيت عليه قبة حافلة.

م. المختار السوسي، المعسول، 6 : 161، 83 : خلال جزولة، 4 : 121 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 2 : 462.

**الجيشتيمي، الحسن بن عبد الله بن محمد التلمي**  
البكري الجزولي، ولد قبل سنة 1190 / 1770 وأخذ عن أحمد بن عبد الله الهوزيوي الروداني وغيره، وذهب إلى السودان لشراء العبيد، فلقى في بلاد تكتته الشيخ المختار الكنتي "وكان يربي المريدين ويدخلهم الخلوة الصوفية" فلأزمه سنين عديدة وتزوج بنته وأنجب منها، ومكث هناك حتى مات الشيخ الكنتي سنة 1226، فلأزم ابنه خليفته السائر على هدي أبيه حتى مات الابن، فبقي في الزاوية الكنتية مجتهداً في العبادة والتعليم وتربية المريدين إلى أن أدركته الوفاة هناك في رجب عام 1246 / دجنبر 1830 وكانت مدة إقامته عند الكنتيين نحو ثلاثين سنة. وكان يرأس أهل من السودان نظماً ونثراً.

م. المختار السوسي، المعسول، 6 : 19، 20.

محمد حجي

**الجيشتيمي، عبد الرحمان بن عبد الله التيروتي،**  
ولد في منتصف جمادى الثانية عام 1185 / أواخر شتنبر 1771 وتلقى العلم في عدة مراكز بسوس مثل أجشتيم وتارودانت، وتعلم على عدة شيوخ أمثال أحمد الجرفي الإيبوركي وعبد الله بن محمد الكرسيفي الذي قرأ عليه النحو والحديث، وأحمد بن عبد الله الهوزيوي الذي قرأ عليه علوم اللغة العربية، ومحمد بن أحمد وأحمد بن محمد الحضيكي ومحمد بن عبد الرحمان الفاسي وابن سالم الروداني وعبد الله الورديمي الهوتاني ومحمد بن إبراهيم الامزوري العبدلاوي والبوزيدي الذي قرأ عليه الآداب في كتب المقامات والدريدية والمعلقات والطغرائية.

انتقل عبد الرحمان الجيشتيمي بعد ذلك إلى مراکش حيث لقي عدداً من العلماء أمثال القاضي محمد بن إبراهيم الزدافي، ومحمد المكي ابن مريدة السرعيني الصبيحي الساوري الصنهاجي المراكشي المتوفى بفاس عام 1234 / 1818 مؤلف الكواكب السيارة في البحث والحث على الزيارة الذي ذكر فيه رجال مراکش السبعة، وشارح خطبة السلطان المولى سليمان المشهورة.

عرف المترجم بالورع والتسكف والتشبيث بالناصرية وهي الصفات الغالبة على الجيشتيمين ( المعسول، 6 : 59 : الإعلام، 8 : 124). كما عرف كأحد أدباء سوس أواسط القرن الثالث عشر بحيث وصفه مؤلف الإعلام بأنه "مجدد الأدب العربي بسوس". ومن مؤلفاته : البراهين والقواطع اللوامع في الرد على ابن داود التيملي والمتابع، وهو الذي يسمى أيضاً إرسال الصواعق على ابن داود الناعق، وهي رسالة كتبها جواباً عن رسالة الشيخ أحمد التيمكوشي لما نزل على أحمد بن داود التيملي وأعرض عن المترجم : مختصر طبقات علماء سوس لمحمد بن أحمد الحضيكي، وفيه تعرض الحضيكي لغاربة ومشاركة من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر. أما في المختصر فقد اقتصر الجيشتيمي على السوسيين مثل ما فعل محمد بن عمر السوسي الدغوي المتوفى أوائل القرن الثالث عشر (19 م) وعبد الرحمان السوسي الترغوتي (ت. 1279 / 1862) : الحضيكيون وهو مجموعة تراجم خصصها الجيشتيمي للحضيكي سابق الذكر ولعاصريه من الفقهاء والصلحاء السوسيين. ويضيف ع. ابن سودة أن للمؤلف ذيلاً على ما سبق ترجم فيه لنفسه يقع في نحو الكراسة ويوجد بخزانة محمد المختار السوسي (دليل، 1 : 224 ع 882) : إعراب القرآن في سفرين : ومختصر أراجيز فقهية : ومراجعة بعض الإبلانيين في كراسة وأثار أخرى في الترسيل.

توفي يوم ثامن رمضان عام 1269 هـ / 1853. 52  
ودفن بأجشتيم، وبذلك يكون قد عاش ثلاثاً وثمانين سنة.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ط. الرباط - الأجزاء، 1، 2، 6، 1974 : 8.

1977 : ع. ابن سودة، دليل، الدار البيضاء، ط. 1، 2 : 1960، ج

2 : 1965 : م. المختار السوسي، المعسول، الجزء، 6 والجزء، 1

(1960، 1963) : سوس العالمة، 1380 / 1960 : م. المنوني،

المصادر العربية لتاريخ المغرب، الجزء 1 (1983) الجزء، 2، 1989 :

م. خليل، محمد المختار السوسي، دراسة لشخصيته وشعره، الدار

البيضاء، 1985.

المكي مربي

**الجيشتيمي، عبد الله بن عبد الرحمان التلمي**  
البكري الجزولي، ولد قبل عام 1231، وقرأ على والده في المدرسة الجيشتيمية مبادئ العلوم، ثم رحل إلى فاس فأتم دراسته على كبار شيوخها. ولما رجع إلى مسقط رأسه

اشتغل بالتدريس إلى جانب والده، وصار عمدة المدرسة بعد أن شاخ أبوه وضعف عن عقد المجالس العلمية، واستمر عمله زهاء عشرين سنة أخذ عنه فيها الجم الغفير من طلبة سوس، أورد في المعسول قائمة بأسماء ستة عشر منهم.

حجَّ عبد الله الجيشتيمي بعد وفاة والده عام 1269 / 1852 ولقي إمام المالكية بمصر الشيخ عليش وسأله - نظماً - عن بعض الموضوعات الفقهية، وبعد أن حج وزار أدركنته الوفاة على ست مراحل من المدينة المنورة في 18 محرم عام 1271 / 11 أكتوبر 1854.

م. المختار السوسي، المعسول، 6 : 78-82.

### الجيشتيمي، عبد الله بن محمد بن عبد

الرحمان الرحمانى. وُلد في "إيمي أوغشتيم" سنة 1350 / 1952، وتلمذ على والده في حفظ القرآن، ثم تنقل في عدد من المدارس العلمية العتيقة بسوس لتلقى مختلف العلوم، فأتقن مبادئ اللغة العربية : الجرومية والنزواوي والجمل على يد الفقيه الحسين أوصالح بـ"مدرسة إيگضي" لمدة عامين، ودرس المينيات وألفية ابن مالك وجزءاً من مختصر الشيخ خليل والمعلقات السبع على عبد الله بن محمد الإغشاني بمدرسة بومروان، ثم عاد إلى المدرسة الجيشتيمية فاستكمل على يد فقيها محمد البيزدي العلوم اللغوية والفقهية، وكان متفوقاً مما جعله يقوم بتدريس بعض العلوم للطلبة المبتدئين، ويتقن تفسير الدروس باللغة الأمازيغية. ولما كانت سنة 1376 / 1956 انتقل إلى مدرسة أيت عبد الله زمناً يسيراً، ونظراً لظموحه اقترح على والده الانتقال إلى القرويين بفاس فدرس بها ثلاث سنوات، لكنه لم يستطع أن يتأقلم مع النظام الجديد، فانتقل إلى جامع ابن يوسف براكش، كما حاول الالتحاق بجامع الأزهر بالقاهرة، لكن الظروف المادية كانت تعوقه عن ذلك.

انتقل إلى الرباط عام 1385 / 1965 واشتغل بالتربية والبحث العلمي وتوجيه الطلبة المنتمين إلى الجامعة، كما أنه ساهم بفعالية في دروس محاربة الأمية في إطار جمعية التبادل الثقافي سنة 1388 / 1968، وكانت له صلة بالعلماء المشهورين يناقشهم في القضايا الكبرى، وله جرأة في التعبير عن آرائه، وشارك في مجال التأليف والنشر، ومن بين إنتاجاته المنشورة : تحقيق كتاب المحوض في الفقه المالكي باللسان الأمازيغي للشيخ محمد بن علي أوزال طبع بالدار البيضاء 1977 : وشرح العمل السوسي في الميدان القضائي، نظم عبد الرحمان الجيشتيمي، طبع بالرباط 1984 : ومقالات وأشعار بالأمازيغية نشرت في مجلتي التبادل الثقافي وأركتن، ومساهمات في بعض الندوات.

توفي بالرباط يوم الأحد 13 حجة عام 1404 / 9 شتنبر 1984 ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط.

ع. الجيشتيمي الرحمانى، كتاب المحوض وكتاب العمل السوسي : ج. جهادي، مراسلة خاصة عن حياة عبد الله الرحمانى الجيشتيمي، 1996 : إ. أخياط، ملف تأبين عبد الله الجيشتيمي، 1984 : م. اباصور، رواية شفوية.

عمر أفا

### الجيشتيمي، عبد الله بن محمد بن عبد الله بن

سعيد التمللي البكري الجزولي، هذا هو جد الجيشتيمين العلماء الذين بلغ عددهم اثني عشر. مات أبوه وهو صغير فاعتنت أمه بتعليمه في مسقط رأسه ثم ذهبت به إلى بعض المدارس النشيطة في سوس ودرعة، وأخذ الطريقة الناصرية فاشتهر بالعلم والصلاح. وبعد تخرجه شارط في مساجد بلده، واشتغل إلى جانب التدريس بنساخته الكتب وفلاحة الأرض فاكتسب من ذلك أموالاً كان يصرفها في مصالح المساجد، كما كان شديداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد حج ولقي علماء مصر والحجاز وأخذ عنهم وأجازوه، كالشيخ مرتضى الزبيدي شارح القاموس، والدريد شارح المختصر الخليلي، والشيخ الأمير.

كما أجاز هو عدداً من تلاميذه، ومما جاء في بعض هذه الإجازات "أخبرته بجميع مروياتي ومسوعاتي وكل مقروء منه لنا خصوصاً ومسوعاً من فقه كمختصر خليل وغيره، ونحو كألفية ابن مالك وغيرها، وحديث كالصحيحين وغيرهما، وأصول كالورقات وجمع الجوامع، وتوحيد كعقائد السنوسي، ومنطق المختصر والسلم، وبيان كالتلخيص وغيره، وبجميع الفنون الشرعية، وذلك كله بأسانيدنا إلى أربابها ... لثمان خلون من ربيع النبوي عام 1182".

وللجيشتيمي تأليف أجلبها شرح الشفا للقاضي عياض. توفي حاجاً في البقاع المقدسة يوم 17 جمادى الثانية عام 1198 / 2 ماي 1784.

الجيشتيمي، محمد بن الحسن بن عبد الله التمللي البكري الجزولي، ولد قبل عام 1220 / 1805 وأخذ فيما يظن على عمه عبد الرحمان بن عبد الله الجيشتيمي في مدرستهم، وعلى فقهاء فاس مع ابن عمه عبد الله. تخرج فقيهاً متمكناً وأقبل على الإنتاء إقبالاً كلياً. وقد وقف المختار السوسي على بعض فتاويه في مجموعة فقهية بسوس، وقال عنه : "كان من كبار الفقهاء المفتين المنكبين على النوازل في تلك الجهة حتى هلك بذلك".

يذكرون أنه كتب حكماً على أبناء الأمين التمليين فانقضوا عليه فقتلوه في الثامن عشر من ذي القعدة عام 1280 / 25 أبريل 1864.

م. المختار السوسي، المعسول، 6 : 20 .

محمد حجي

علميا ومنهجيا، مع الاحتفاظ بإيجابياتها المتمثلة في الكفاءة العالية لخريجها من مشاهير الفقهاء والعلماء، خاصة في مجال الدراسات القرآنية واللغة العربية والعلوم الإسلامية، والسعي إلى الحصول على تلاحق موادها بالعلوم الحديثة واللغات، دون الانحراف مع بعض سلبيات التعليم العصري، وقد كان هذا هو الهدف الأساسي لدى الكثيرين ممن اهتموا بشؤون التعليم منذ بداية الاستقلال، في إطار المطالبة بتحقيق فكرة "المدرسة الوطنية" لمجابهة التحديات التي تعرفها الحياة المعاصرة.

م. المختار السوسي، سوس العالمة، 123، 165 : جمعية علماء سوس، مذكرة حول مشروع إنشاء مدرسة قرآنية علمية بتارودانت، مرفوعة لوزارة التعليم ووزارة الأوقاف، وعامل الإقليم سنة 1971 : أحمد الأدوزي اليعقوبي، تقرير عن المدرسة سنة 1977 : م. اليعقوبي البرنوصي، تقرير عن المدرسة سنة 1996.

عمر أنا

**جيكو (الأب -)** بهذا عرف، واسمه الحقيقي محمد بلحسن التونسي العفاني الروداني، ينتمي إلى أسرة ثرية عالمة، وكُد سنة 1900 بإساقف ناحية تارودانت وتلقى مبادئ القراءة والكتابة في سن مبكرة على يد والده الذي ارتبطت شهرته بسرائه وتخرجه من جامعة الزيتونة بتونس. وبحكم ارتباط الوالد بالميدان التجاري هاجرت الأسرة جميعها إلى مدينة الدار البيضاء، وبها قضى المترجم له سنوات التعليم الابتدائي والثانوي إلى أن نال شهادة البكالوريا سنة 1918 حيث كان أول مغربي ينال هذه الشهادة بالمدارس الفرنسية. وفي سنة 1922 رحل إلى الديار الفرنسية لدراسة الاقتصاد وبعد تخرجه عاد إلى المغرب فشغل منصب وكيل مفروض للقروض العقاري للجزائر وتونس لمدة خمس عشرة سنة أي من سنة 1932 إلى أواخر 1947.

وبحكم دراسته المتينة واحتكاكه بالجاليات الأوروبية كان يجيد اللغة الفرنسية حتى إنه كان كاتباً مبدعاً نظم الشعر



الأب جيكو أول الواقفين على اليسار

**الجيشتيمية (المدرسة -)**، هناك مدرستان بهذا الاسم، إحدهما مدرسة علمية عتيقة توجد بـ"إبي أوغشتيم" في قبيلة أمّسن قرب مركز تافراوت بالأطلس الصغير، كانت قديمة صغيرة، فلما قدم عليها جد الأسرة الجيشتيمية عبد الله بن محمد من "تامغروت" جدّها وملاها علماً وجهاداً حتى توفي عام 1198 / 1780، فتابع أولاده وأحفاده وأساتذة آخرون - إلى اليوم - نفس المسار بنفس الجِدِّ في الدراسة والتحصيل، واستطاعت أن تخرُج العديد من العلماء، وهي في عداد المدارس الكبرى التي لها تاريخ حافل بسوس.

أما المدرسة الثانية فهي "المدرسة الجيشتيمية بتارودانت" أسستها جمعية علماء سوس والمجلس العلمي بالمدينة سنة 1392 / 1972، وكان هدف المؤسسين هو المحافظة على دراسة القرآن الكريم واللغة العربية والعلوم الإسلامية، ولذلك تستقبل هذه المدرسة التلاميذ المستظهرين لكتاب الله استظهاراً حسناً، ويطبق فيها برنامج يشمل التفسير والتجويد والحديث والفقہ الإسلامي واللغة العربية والإنشاء والأدب والتاريخ والجغرافيا والعروض والبلاغة والمنطق والأصول ومصطلح الحديث والفرائض والتوقيت والرياضيات والطبيعات واللغة الأجنبية. وقد وقع تطبيق هذا البرنامج منذ شروعها في العمل. وابتداء من السنة الدراسية 74 - 1975 أصبحت المدرسة تطبق برامج المرحلة الابتدائية المقررة في التعليم الأصلي مع تطعيمها بدراسة بعض المتون، زيادة على حفظ القرآن، وقد برهنت التجربة على نجاحها انطلاقاً من النتائج الإيجابية التي حققت هدف جمعية علماء سوس - صاحبة المشروع - حيث أصبحت هذه المدرسة مصدراً لتزويد معهد محمد الخامس بتارودانت بالتلاميذ الجدد على مستوى الدراسة الثانوية.

ومن الجانب المادي تم التعاون بين عدة أطراف، فمن جهتها قامت جمعية علماء سوس بتهيئ بناية خاصة مجهزة للعمل الدراسي، كما أوجدت أماكن للإيواء وإطعام الطلبة الأتاقين، وساهمت وزارة الأوقاف بدفع رواتب بعض المدرسين، وأمنت منحة تشجيعية لأكثر من مائة من التلاميذ الوافدين على هذه المدرسة، وخصصت نيابة وزارة التعليم مدرسين في المواد الحديثة إلى جانب أساتذة متطوعين من المعهد المذكور. وقد تعاقب حتى الآن على إدارة هذه المدرسة - بانتداب من الجمعية - ثلاثة من العلماء منهم المرحومان مولاي سعيد العلوي قاضي المدينة الأسبق وعضو المجلس العلمي، وأحمد الأدوزي اليعقوبي أستاذ بالمعهد وعضو المجلس العلمي، والثالث أمد الله في عمره هو الأستاذ أحمد شاعري الزيتوني الذي ما يزال يتولى إدارة هذه المؤسسة.

كانت نتائج هذه المؤسسة التابعة لمعهد محمد الخامس تستهدف تطوير ما يعرف "بالمدراس العلمية العتيقة" المنتشرة في البوادي المغربية، وذلك بتجاوز بعض نقائصها

قبيل : ألعاز أبويا (1973) - گولو لخليلي (1974) .  
السفينة (1985) - هذا وعذكُ يامسكين (1985) : ووطنية  
مثل : لعيون عينياً (1975) - تحية لجنود الصحراء (1981)  
السبتية (1983) : وقومية من قبيل : القدس (1974) - دوما  
أنا عربي.



ومن جهة أخرى سعت مجهودات المجموعة إلى إخراج بعض قصائد الملحن المعروفة في حلة جديدة ينساق لها الشباب المغربي كمرحلة أولى وبالتالي الشباب العربي في مرحلة ثانية. ومن هذه القصائد : قصيدة "الشمعة" لابن علي، وقصيدة "يالطف الله الخافي" لعبد القادر العلمي. وقد كان عملها هذا موضوع معارضة وانتقاد لما ينطوي عليه من تحريف لفن الملحن، وهو تحريف الملح إليه شيخ هذا الفن المنشد الحاج الحسين التولالي الذي سبق له أن سجل مع جيل جيلالة بعض القصائد حيث قال : "كانوا لا يأخذون القصيدة كي يغنوها كاملة حتى يكتمل معناها، وإنما يكتفون منها بأقسام صغيرة وأبيات قليلة، ويخضعونها لإيقاع مغاير لما هو موجود في الملحن، وهم يعتقدون أنهم بذلك يحسنون صنعا، ولكن ذلك غير صحيح لأن الملحن ينبغي ألا يخرج عن إطاره الموسيقي الغنائي". تعتمد فرقة "جيل جيلالة" في أدائها علي آلات موسيقية تقليدية إيقاعية في مجملها وهي : الطبلة المزوجة، والتعريجة في حجسها المتوسط والصغير، والبندير، والهرآزي أو الدعدوع، وهو عبارة عن تعريجة كبيرة الحجم.

وقد أنتجت المجموعة شريطاً سنمائياً مطولاً بعنوان "أحداث بلادي" وآخر قصيراً بعنوان "صورة" حظي بالجائزة الأولى في مهرجان قرطاج بتونس.

صابر بوغانم، سوسولوجيا الأغنية : أغنية جيل جيلالة نموذجاً. الدار البيضاء، 1990. ع. العزيم بن عبد الجليل، طرب الملحن المغربي، مجلة التراث الشعبي، ع 10، 1980، ص 99-102 : الطاهر الطويل، حوار مع الحاج الحسين التولالي، جريدة، كل الفنون، السبت 9 أبريل 1994، ص 7.

عبد العزيم بن عبد الجليل

وحرر المقالات الأدبية والسياسية والرياضية في العديد من الجرائد التي كانت تصدر في فترة الحماية وإلى عهد الاستقلال.

عمل الأب جيگو في جل الميادين ذات الصبغة الوطنية : شارك في الحركة الوطنية بماله وقلمه وناضل ضد السلطات الاستعمارية بمشاركة في عمليات فدائية أصيب في إحداها وكاد أن يهلك، ثم انخرط في العمل النقابي بالاتحاد المغربي للشغل وكان عضواً نشيطاً به إلى آخر أيامه. كما عمل في الميدان الصحافي.

أما في المجال الرياضي فقد كان معلماً رياضية وطنية فهو المؤسس لأعرق الأندية الوطنية في فترة الاستعمار : الوداد البيضاوي الذي حقق معه العديد من الألقاب المحلية وعلى صعيد شمال إفريقيا في فترة الحماية : بدأ مساره الرياضي كلاعب ومسير أشرف على تدريب فريق USA "اليوسا" أولاً ثم فريق الرجاء سنة 1947 كما كان من بين الأعضاء المؤسسين للجامعة المغربية لكرة القدم.

كوّن الأب جيگو أول مدرسة لكرة القدم تركز على أصول علمية، وقد دخل ميدان التدريب والتسيير معتاداً على سلاح العلم حيث كان يتراسل ويتعامل مع أشهر المدربين العالمين. جال في أرجاء المعمور وكان أول مغربي يحضر تظاهرة كأس العالم لكرة القدم بدعوة من الجامعة الدولية FIFA. كان في عصره مفضلاً على غيره متفوقاً بالعلم والحلم والسخاء حريصاً على تلقين الشباب المغربي حبّ الدين والوطن ذا همة عالية وباع كبير في الميدان العلمي والرياضي. كان ميسوراً وقضى مُعدماً بعد أن أنفق كل ممتلكاته وماله في خدمة بلده والرياضة المغربية على الخصوص.

توفي بالدار البيضاء يوم السبت 25 جمادى الثانية عام 1390 / 29 غشت 1970. ولتخليد ذكره أطلق اسمه على ملعب لكرة القدم بالدار البيضاء ملعب الأب جيگو. الرواية الشفوية : تحريات خاصة.

La Vigie marocaine, 25/8/1953 ; Le Petit marocain, 1960.

محمد بلعربي

**جيل جيلالة**، مجموعة موسيقية شعبية أسستها عام

1392 / 1972 جماعة من الفنانين الذين كانوا يمارسون المسرح بالدار البيضاء ضمن فرقة الفنان الطيب الصديقي. وتعتبر فرقة "جيل جيلالة" من أبرز فرق "الأجيال" التي تأسست بمختلف المدن المغربية في السبعينات.

أنجزت هذه الفرقة على امتداد عقدين كاملين مجموعة من الأغاني أكثر أشعارها مما نظمه أعضاؤها الستة : مولاي الطاهر الأصبهاني، ومحمد الدرهم، وعزيز الطاهري، ومحمود السعدي، وعبد الكريم القصبجي، وأحمد مفتاح. وتعكس جل نصوص هذه الأغاني قضايا اجتماعية، من

ابن الجليلي، أحمد الأمفاري الحسني رئيس المجلس العلمي بفاس بعد وفاة الشيخ أحمد ابن الخياط. كان من الفقهاء العظام الذين لا يقوى على حضور درسه في الفقه والأصول وما إلى ذلك من علوم الدين إلا أفضأذ الطلبة النجباء النبغاء. قرأ على كبار شيوخ عصره في القرويين أمثال محمد بن المدني گنون، والمهدي ابن الحاج، والمهدي ابن سودة، وأحمد بناني كلاً وأضرابهم، وسلك طريق القوم على يد الشيخ محمد بن عبد السلام ابن عبود السلاوي. شاهده يلقى درسه بالقرويين في شرح الزرقاني على مختصر خليل، ويده مستمسكة بحق "طابا" التي كان أنفه يرشح بمحلولها فيعلم على طوق "فرجيته" وأطراف "نقابه" المسدولة على منكبیه.

لقد كان الشيخ أحمد ابن الجليلي من المهابة والوقار بحيث لم يكن مطلقاً يجرؤ عليه "جنرال" فاس ولا مراقبها الطاغية "شكور". كما كان في علمه الفقهي خاصة لا يقاربه إلا سيدي الراضي الخنش السناني، وكان يتمتع بتقدير العلماء واحترامهم، فكان خاتمهم في هذا وذاك الوضع المهيب.

ولما فُرض نظام التعليم بالقرويين اعتراه مرض ألزمه المكوث بداره فكان صهره - أخو زوجته - الفقيه البگراوي يقوم نيابة عنه بمهمة الرئاسة للمجلس العلمي. وظل الأمر كذلك إلى ان توفي رحمه الله، في خامس ذي الحجة عام 1352 / 21 مارس 1934، ودفن بزواوية الشرفاء الوزانيين بالشرشور ولم يخلف ولداً ذكراً فانقطع عقبه.

معرفة شخصية : إ. الفضلي، الدرر البهية، 2 : 69 ؛ ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، عام 1352 ؛ سل النصال، الترجمة، 83. محمد ابن تاويت الطراني

ابن الجليلي، الجليلي مقاوم ولد سنة 1343 / 1924 بدوار الزكامة قيادة السماعلة إقليم خريبكة، شارك في الانتفاضة التي عاشتها مدينة واد زم. وأثناء تدخل الجيوش الاستعمارية لتفريق المتظاهرين بعد إطلاق النار عليهم سقط الشهيد صريعاً بتاريخ 20 غشت 1955.

كتاب شهداء الاستقلال، 4 : 192.

ابن الجليلي، حسين مقاوم ولد سنة 1357 / 1938 بدوار أمهروق بإقليم خنيفرة. تشعب بالروح الوطنية منذ صغره وانضم إلى المقاومة السرية المنبثقة من الدار البيضاء والمتسربة إلى جبال الأطلس. كان يعمل تحت مسؤولية الأمكنوني الإدريسي محمد بن عمر، ولما نُفي رمز البلاد تحمس للعمل النضالي، وشارك في عدة أعمال فدايية واغتيالات في صفوف الخونة والمعمرين، واستشهد أثناء القيام بالواجب الوطني يوم 20 غشت 1955.

كتاب شهداء الاستقلال، 2 : 56.

ابن الجليلي، عبد السلام مقاوم ولد بابن أحمد سنة 1341 / 1922. عمل ضمن المقاومة السرية المغربية بمدينة الدار البيضاء ويعتبر من أكبر أفراد قيادة حركة الهلال الأسود، أعماله الفدايية لا تحصى، اعتُقل سنة 1376 / 1956 واختطف من مركز الدائرة السابعة للشرطة بالدار البيضاء فلم يظهر له أثر، تغمده الله برحمته الواسعة.

كتاب شهداء الاستقلال، 2 : 165.

ابن الجليلي، العربي مقاوم ولد سنة 1354 / 1935 بالمزمزة إقليم مراكش والتحق بصفوف المقاومة السرية بالدار البيضاء وسطات وسيدي حجاج - مزاب، وعمل تحت مسؤولية رجال المسكني وخلفه الحاج عبد الله صطراشي منذ سنة 1953. ومن الأعمال التي قام بها اغتيالات وحرائق وإتلافات، وأثناء عمله الفداي أصابه رصاص المستعمر فسقط شهيداً يوم 11 جمادى الأولى عام 1374 / 8 يناير 1955 في قبائل أولاد حريز المذاكرة.

كتاب شهداء الاستقلال، 2 : 209.

ابن الجليلي، مصطفى مقاوم ولد سنة 1349 / 1930 بدوار الشرفاء ملحققة تويست إقليم وجدة. انخرط في صفوف جيش التحرير بالصحراء بإقليم فكيگ مع



المسؤول بلحاج بويو سنة 1955 وأثناء اشتباك عنيف وقع في قرية الكبيشات مع جنود المستعمر سقط شهيداً، وذلك سنة 1377 / 1957.

كتاب شهداء الاستقلال، 3 : 216.

الجيلاني بن حم، من قواد المخزن العلوي، اشتهر باسمه، وهو ينحدر من أسرة بخارية، ولد بمدينة مكناس في أوائل القرن الثالث عشر (19 م)، وأقبل على التعلم منذ صباه، فدرس على شيوخ مدينة مكناس وفقهائها، وكان مواظباً على حضور مجالسهم فتخرج فقيهاً مشاركاً، ومهر في علم التوقيت وما يرتبط به من حساب وتنجيم وتعديل، وكانت له براعة تامة في علم الأوقاف وأسرار الحرف،



بضيعة پريو والتي لا بد من تصحيح موضعها "أن البقايا" توجد بقمة تعرج واد بهت، أي تحت ضيعة پريو بالضبط، بل على مساحة، في انتظار تصميم أو رفع عام لهذه البقايا، تقدر بـ 12 هكتاراً. حيث تشمل هذه المساحة بداية التعرج النهري وجنوب الضيعة بين الطريق المعبدة، التي تربط سيدي سليمان بدار العامري، وواد بهت. في الخنادق التي حفرت لبناء مصنع سيغفي جزءاً كبيراً من هذه الضيعة، وجدنا سنة 1994 بقايا بنايات من الأحجار، ولقى أثرية متعددة عدلنا عن جمعها بكاملها، أما شرق الطريق المعبدة، بالضبط في ملتقى هذه الطريق بمسلك الضيعة، فإن عملية حرق أشجار الزيتون قد أظهرت لقى أثرية كثيرة كذلك.

ثانياً : موقع غيغا يتوفر على سور يحيط بالمدينة، جزء كبير منه لا يزال بارزاً بالإضافة إلى بقايا باب ضخمة تقارب إحدى أبواب وليلي. نجد بهذا الموقع كذلك حمايات ومعاصر للزيتون ومنزلين بباحتين معمدتين (Péristyle) ومجموعة من البنايات الغير المعروفة بدقة.

أما بالنسبة لضيعة پريو فإن البقايا الأثرية قليلة، وأغلبها لم يعد بارزاً، منها جزآن من سور لوحظ سابقاً على صورة جوية للمنطقة، وبعض بقايا البنايات القديمة والتي ربما تنتمي لضيعة فلاحية كبرى بجميع مرافقها. إن استمرار البحث الأثري بهذه المنطق لكفيل بدحض هذه الفرضية أو تأكيدها.

للتمييز بين موقعين متقاربين جداً، لا تفيد إحدائيات بطوليسي في شيء. أما إشارات مرحلية أنطونان فهي في صالح جيلدا، إذا ما علمنا أن ضيعة پريو توجد بالقرب من أكواي دسيكاي Aquae dacicae. إن المسافات الواردة في مرحلية أنطونان الفاصلة بين مختلف المراكز أو المواقع المغربية فهي قصيرة إذا ما قورنت بالمواقع، فأغلب هذه المسافات أو بعضها، لم يتم قياسها بدقة بل تم تقديرها فحسب. تضاف إلى هذه العناصر معطيات جديدة ساعدتنا على الحسم في إشكالية موقع هذه المدينة. هذه المعطيات الجديدة جاءت نتيجة لعملية مسح أثري قمنا بها بمنطقة ضيعة پريو سنة 1992، مكنتنا من جمع لقى أثرية كثيرة أغلبها من الفخار. إن الموقع الذي يجب أن يقترن بجيلدا لا بد أن يزودنا بوثائق أثرية كثيرة تغطي أغلبها النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد. هذه الوضعية موجودة و مؤكدة بموقع غيغا، حيث نجد بوفرة الفخار ذا البرنيق الأسود المورخ بفترة ما قبل السنوات الخمسين قبل الميلاد. بالإضافة إلى أن الاستبارات التي أجريت بالموقع سنة 1957 تشير إلى أن هناك مستويات موريطانية من شأنها أن توفر الكثير من هذه الوثائق. أحد هذه المستويات يمكن أن يؤرخ بالقرن الثاني قبل الميلاد، يوجد تحت مستوى زدونا بالكثير من قطع الفخار ذي البرنيق الأسود، تليها فرشاة أفقية من الطين خالية من كل دلالة على الاستقرار، ومباشرة عشر على مستوى آخر للاستقرار يمثل بقطع كثيرة

شعب جيلديت حسب ما ورد في كتابه الثالث إن هذه الإشارة من الأهمية بمكان بحيث تؤكد أن هذه المدينة كانت توجد في سنة 70 ق. م. ووردت هذه الشهادة كذلك عند بيبونيوس ميلا في الفقرة 111. 107 التي تخص مدن المغرب بالرغم على أنها مدن صغيرة فقدت تعتبر مدناً ثرية "Quarum ut inter paruas opulentissimae habentur".

ولحسن الحظ فإن التحريف الذي تعرض له النص والذي وصل إلينا على الشكل التالي Gildane dubritania لم يمس اسم جيلدا، ومن المعروف أن بيبونيوس ميلا انتهى من كتابة مؤلفه حوالي سنة 41 وبدون شك بعد 44 بعد الميلاد، ولكن انطلاقاً من مصادر وجدت قبل تأسيس أو تكوين الولاية الرومانية الموريطانية الطنجية.

المصدر الثالث وهو لصاحبه بطليموس Ptolémée (4).

7. 1) الذي يعطينا إحداثيات جيلدا (7° 50' و 33° 55').

أما الجغرافي الراقيني Géographe de Ravenne فيستعمل اسم Gudaاء والذي لا يتناسب مع اسم جيلدا. أما مرحلية أنطونان فلا تشير إلا إلى المسافة التي تفصل ما بين جيلدا وفويسكيانيا في الشمال، ولكن يجب أن نصعد نحو الشمال إلى أن نصل إلى مدينة أويدوم نوقوم، لنجد موقعاً محددًا بدقة، يبعد عن جيلدا بـ 53 قدم، أما في اتجاه الجنوب نحو أكواي دسيكاي Aquae Dacicac والتي تبعد عن هذه المدينة بـ 12 قدماً، وكذلك مدينة وليلي التي تبعد عن جيلدا بـ 28 قدم.

وفي الأخير هناك وثائق أثرية يظهر عليها اسم جيلدا، هذه الوثائق هي أجر مختوم Facta gildae والتي تعني صنعت بجيلدا إلا أن هذا الأجر كله ضاع، أربع منها معروفة، يتم توزيعها على موقعين : ضيعة پريو على ضفة واد بهت، وأخرى وجدت بسيدي أحمد برحال على ضفة ورغة.

إلا أنه بالرغم من العثور مؤخراً على آثار لبقايا أجر محروق بضيعة پريو الشيء الذي يمكننا من اقتراح صنع الأجر المختوم Facta gildae بهذه الضيعة، ومع ذلك يمكن اقتراح أن ضيعة پريو كانت تدخل ضمن النطاق الإداري لجيلدا، وهكذا فإنه من الممكن كتابة جيلدا دون أن توجد بالموقع الحضري نفسه.

موقعان متقاربان الواحد من الآخر بحيث لا يبعد إلا بـ 7.5 كلمترات قد اقترحا كموقع لجيلدا : الأول شمال المدينة الحديثة لسيدي سليمان والتي تبعد بستة كلمترات عن التل المائتي الذي دمر في سنة 1939، والآخر يوجد جنوب المدينة حيث يبعد عن التل بكيلو ميتر ونصف. الأول هو موقع غيغا، أما الثاني فعادة يحمل اسم ضيعة پريو نسبة إلى اسم مالك الضيعة. إن الموقعين معاً يحتل كل واحد منهما تعرج واد بهت.

إن موقع جيلدا لا يمكن أن يقترن إلا بغيغا وذلك للعناصر التالية :

أولاً : قلة البنايات الأثرية التي عشر عليها إلى حد الآن



لجرر ذات أكتاف (Jarres à épaulements) ونقد لسينسا من البرونز المتوسط. بينما في ضيعة پريو لم نعرش إلى حد الآن ولو على قطعة صغيرة من الفخار ذي البرنيق الأسود. إن أغلب اللقى الأثرية التي عثر عليها بضيعة پريو تؤرخ الاستقرار بهذه الضيعة بالنصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد، وبالضبط في الفترة التي تغطي حكم بوغود Bogud ويخوس Bacchus وكذلك بين سنة 33 ق. م. وبداية حكم جوبا الثاني.

إن ما نعرفه عن غيغا ليقترّب بكثير مما نعرفه عن مستوى القرن الأول قبل الميلاد بتاموسيدا : كثرة الفخار ذي البرنيق الأسود، أنفورات القرن الأول قبل الميلاد تضاف إلى هذه الوثائق النقود القادسية Gaditaines ونقود مدن أخرى توجد في المضيق أو على المحيط الأطلسي.

هكذا إذن تكون المعطيات واللقى الأثرية التي عثر عليها في غيغا تجعل من هذا الموقع حالياً، المرشح الوحيد والجددي الذي يمكن أن يتطابق مع جبلدا. وعلى كل حال فإن الأكتاف التي توجد عليها غيغا تجلب الرؤيا من بعيد، وهي تشبه في تكوينها التلال التي أقيمت عليها مدينتا بناصا وتاموسيدا.

C. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*. Paris, 1877 ; L. Chatelain, *Le Maroc des romains, étude sur les centres antiques de la Maurétanie Occidentale*. Paris 1968 ; R. Thouvenot, *BCTA 1946 - 1949* ; M. Euzennat, *rapport sur l'activité de l'archéologie marocaine en 1955, sondage B.A.M.*, 1955 - 1956 ; M. Euzennat, *BAM II*, 1957, p. 205 - 206 ; *Les voies romaines du Maroc dans l'itinéraire Antonin. Mélanges Grenier*, 1952 ; R. Rebuffat, *Rirha. Enciclopedia dell'arte antica, classica e orientale*, VII, 1965 ; J. Marion, *Note sur l'apport de la numismatique à la connaissance de la Maurétanie Tingitane. Antiquités africaines*, I, 1967 ; M. Euzennat, "Rirha" *The Princeton Encyclopedia of classical Sites*, 1976 ; J. Gasco, *Inscriptions latines du Maroc. B.A.M.*, 1982 ; R. Rebuffat, *Recherches sur le bassin du Sabou I Gilda, SAM XVI*, 1985 - 1986 ; A. O. Akkerraz, Veronique Breuquier-Reddé, E. Lenoir, *Nouvelles découvertes dans le bassin de Sabou. VI Colloque international d'histoire et d'archéologie de l'Afrique du Nord*, PAU 1993, p. 11 (A paraître) ; H. Limane, R. Rebuffat, *Voie romaine et système de surveillance militaire sur la carte d'Arbaoua. VI colloque international d'histoire et d'archéologie de l'Afrique du Nord*, PAU 1993, Annexe 1 ; M. Chaker et G. Camps, "Agellid". *E.B. : Etienne de Byzance in Fragmenta Historicorum*, ed. Muller, III, 1849, p. 238 ; Pomponus Mela, ed. C. Frick, p. 79 ; R. Rebuffat, *Les erreurs de Plin et la position de Baba Iulia compestries. Antiquités Africaines*, I, 1967 ; *Itinéraire Antonin*, éd. Cuntz, 1929 ; R. Rebuffat, *Recherches sur le bassin de Sebou, I, Gilda. BAM XVI*, 1985 - 1986 ; G. Souville, *Atlas préhistorique du Maroc*, I, *Le Maroc Atlantique* ; R. Rebuffat, *Gilda. BAM XVI*, 1985 - 1986 ; M. Euzennat, *BAM*, 1957.

حسن ليمان

جيليز (جيل -) ← جيليز

جينينگز، Jeannings منصرة بروطيسطانية إنجليزية

وصلت إلى طنجة في يبرابر سنة 1886، وكانت منخرطة في بعثة "نورث إفريقيا ميشن : North Africa Mission. ثم رحلت إلى فاس سنة 1889 حيث أقامت ست سنوات. وكانت في المصيف ترحل هي ورفيقاتها إلى مدينة صفرو التي كتبت عنها مقالات وصفتها فيها ونشرتها بجريدة البعثة المذكورة.

غادرت جينينگز المغرب سنة 1895، بعد قضاء تسع سنوات في الميدان الطبي والتصويري.

م. بوشعراء، الاستيطان والحماية بالمغرب، 4 : 1424.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, I : 124.

مصطفى بوشعراء

جينون (Juno)، معبودة اللاتنيين القدامى، تطابقها

هيرا (Héra) عند الإغريق. يزعمون أن جينون هي أخت زوس ويوسيدون، وابنة كرونوس وRhéa، وهي المشرفة على الزواج وعلى المواليد الجدد (Juno Lucina). وقد أقيمت لها عدة معابد في روما أهمها معبد الكابتول الذي تقسمه مع كل من جويتير وميزفا ثم معبد جينون التي تبنى Juno (Moneta) أي تلك التي حذرت الرومان من الهجوم العالي. وبالنسبة للمدرسة الرواقية، فجينون تمثل الهواء (Aer) ومنه اسم "هيرا" على اعتبار أن العالم يتكون من أربعة عناصر الماء والهواء والنار والأرض. وحسب بعض الفلاسفة فإنها تمثل الأرض والهواء معاً.

عرفت عبادة جينون انتشاراً في مختلف الولايات الإفريقية وذلك نتيجة التشابه الحاصل منذ القديم بين المعبودة الفنيقية تانيت وجينون الاغريقية - الرومانية. وقُدست جينون تحت أشكال مختلفة حيث تصادف جينون الملكة (Juno Regina) وهذا يمثل مظهرها الروماني، أما المظهر المحلي فيبرز من خلال التقرب إلى جينون السماوية (Juno Caelestir)، وعشر في مدينة Thugga بولاية البيروفتنصية على إهداء موجه إلى جينون المشرفة على المواليد (Juno Licina).

أما في المغرب القديم فقد عثر على دلائل مادية عبارة عن أربع نقائش مقدمة إلى جينون، في كل من سلا (IAM)، 300 وتموسيدا (IAM, 247) وبناصا (IAM, 123). (AE, 1934, 123)

(87)

فبالنسبة لنقيشتي سلا وتموسيدا، لا نتعرف على مقدم الإهداء، في حين بالنسبة لبناصا يتعلق الأمر بإهداء مقدم إلى جينون الأوغسطية على شرف امرأة تدعى Pompeia Valenane، من طرف أحد أفراد عائلتها. إذن فجينون في المغرب القديم، قُدست تحت الشكل الروماني ولم يعثر لحد الآن على نقيشة مقدمة إلى جينون المحلية أي جينون السماوية، وبالتالي فهي تمثل إلى جانب جويتير الديانة الرسمية الرومانية.

جمع للأسياذ مهمته تكوين لجنة للتسيير (Junta Selecta) عرفت بمناهج عملها العتيقة. في سنة 1890 طالبت حركة الشباب التجديدية بدورات تنظيم انتخابات حقيقية، استطاعت هذه الأخيرة في نهاية المطاف تنظيمها حيث تم انتخاب لجنة تمثيلية تتكون من اثني عشر عضواً على رأسها حاييم بن شمول، لكن هذه اللجنة لم تحظ باعتراف موردهخي بن جيو وقسم من المسؤولين عن الجماعة اليهودية، ومن ثم نشب الصراع فكانت "اجتماعات واجتماعات مضادة" تلتها فوضى على الصعيد العام. عقب تلك الأحداث تدخل الباشا عبد السلام بن عبد الصادق من أجل إعادة الأمور إلى نصابها ومن أجل صيانة مرتبة الحاخام وضمان احترامه وحفاظاً على سلطة (La Junta).

إزاء الاتحاد الإسرائيلي العالمي الذي فتح مدرسة بطنجة سنة 1864 كان لموردهخي موقف مرن عن باقي الحاخامات. وفي 1887 أقيمت المدرسة أبوابها طيلة بضعة أشهر عقب الحصار الذي نظمته الحاخامات بسبب مناهج التعليم المتبعة التي تخلق فرقا بين المدرسة والإيمان، لكن الاتحاد الإسرائيلي كسب القضية بتحمل المسؤولية الشاملة في التوجيه المدرسي. وفي سنة 1899 أكد موردهخي بن جيو أهمية المدرسة العصرية في كونها تعطي الشباب اليهودي فرصة وإمكانيات العمل مؤكداً في نفس الوقت على ضرورة أن تشمل الدراسة الجمع بين التوراة وبين اهتمام العالم العصري:

توفي بطنجة سنة 1917.

Isac Laredo, *Memorias de un viejo Tangerino*, Rabat, 1994 ; Laskier, Michael M., *The Alliance Israélite Universel and the Jewish Communities of Morocco 1986 / 1962*, State University of N.Y., 1983.

سيمون لبني

**السييار**، أسرة تطوانية عريقة منسوبة إلى معالجة الجير أصلها من مدينة سيطة واستوطنت تطوان قديماً، ومازالت بها.

عرف منها أفراد، منهم الفقيه العدل الميقاتي الرياضي السيد محمد بن أحمد الجيار، كان يتعاطى الشهادة عام 1250هـ وما بعده، وهو شيخ المؤقت الرباطي السيد محمد بريدة.

أ. الرهوني، عمدة الراويين، مخطوط، 7 : 25 : مجهول، بلغة الأمانة ومقصد اللبيب، طبعة الرباط، ص 55.

**الجيار**، عائشة بنت محمد ابن الجيار السبتي محتسب سيطة وأحد وجهائها في العهد المريني. تعتبر بنته هذه من بين النساء المغربيات النابغات اللواتي تركن إرتسامات في تاريخ الحضارة المغربية، فقد نشأت في وسط علمي ودرست الطب على يد صهرها محمد الشريشي المتوفى سنة 771 / 1369 وتبغت فيه. وقد أدركها وهي في سن السبعين

ابن **جيو** (Ben Jio)، أسرة يهودية كانت تقطن بمدنتي أصيلا وطنجة منذ القرن الثاني عشر (18 م). ويحصل العديد من الحاخامات والقضاة في طنجة لقب ابن جيو. ظهرت طوال القرون الثلاثة الأخيرة (18-20 م) عدة شخصيات وشغلت مناصب هامة وأسندت إليها مسؤولية على رأس الطائفة اليهودية بطنجة، وهبنتها وأيضا في إطار جمعيات يهودية خيرية وثقافية ودينية. ومن ضمن الأسماء اللامعة التي انتمت لهذه الأسرة نذكر الحاخام أبراهام بن جيو الذي توفي سنة 1887 والقاضي يعقوب بن جيو الذي أسس في بداية القرن العشرين بيعة "بيت الإله".

ابن **جيو**، **سيليا** زوجة موردهخي ابن جيو آتي الترجمة، مؤسسة "ملجأ موردهخي ابن جيو"، بقيت سيليا أرملة ويدون أطفال. فاتخذت قرار إقامة مؤسسة تعتنى بالأطفال، وبذلك أحدثت "ملجأ موردهخي ابن جيو" في سنة 1949 بالدار البيضاء، اعتمدت سيليا التي كانت مدرسة على ثروة زوجها في جعلها الأساس الذي يبنى عليه ملجأ الأيتام الجديد. أما شؤون الملجأ فقد كانت تديرها جمعية تحمل نفس الاسم. عُرفت سيليا بنشاطها وحيوتها سواء على المستوى الجمعي أو على مستوى الجماعة اليهودية بالدار البيضاء.

وفي سنة 1996، وتخليدا لاسمها وزوجها، قرر مجلس الجماعة اليهودية بالدار البيضاء تأسيس متحف "اليهودية المغربية : سيليا ابن جيو" حيث وضعت جمعية بن جيو رهن مشروع إحداث المتحف مقرأ يشكل جزءاً من مقر ماوى الأطفال (زنقة جيل كرو، رقم 81 الوازيس الدار البيضاء).

ابن **جيو موردهخي**، شغل منصب الحاخام الأكبر لمدينة طنجة، ورئيس بيت الدين "محكمة الحاخام" وأيضا المدرسة التلمودية (يشيبا) وذلك لمدة اثنتين وستين سنة خلفاً لجده موشي بن جيو. وطيلة ممارسته للمهام السالفة حافظ موردهخي بن جيو على هالته القانونية والمعنوية، كما أن تأسيس بيعة "عيس حاييم" أي شجرة الحياة الذي تم في نهاية القرن التاسع عشر كان على يديه (Larédo, *Les Noms des Juifs du Maroc*)

واجه الحاخام موردهخي بن جيو كل التغييرات التي خضعت لها جماعته في ظل الظروف الخاصة التي عاشتها مدينة طنجة آنذاك "طنجة البعثات الدبلوماسية" ويحكم وظيفته الدينية كحاخام كانت له مبادرة دعوة "المعا ماد"

مؤلف كتاب بلغة الأمنية ومقصد اللبيب. ووصفها بأنها عاقلة تزيهة النفس، عارفة بالطب والعقاقير. توفيت قبل عام 1415 / 818.

مجهول، بلغة الأمنية، تج. م. بتناويت، مجلة تطوان، العدد 9 ص 173، 193. م. بتناويت، تاريخ سبتة، ص 163. م. المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، 1: 93. م. العربي الخطابي، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، 1: 79.

محمد ماكامان

من أقدم من عرف منهم المعلم قاسم جيبين كان بتطوان عام 1117 هـ ومن عرفنا منهم المحسن الكريم الوطني الحاج محمد الصفار الجيني حفيد الوزير المذكور، وابنه الأستاذ عبد السلام الصفار الجيني. وهي أسرة موفورة العدد ولهم عمومة بمدينة فاس وسلا.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، مخطوط، 3 حروف ج: م. داود، عائلات تطوان، حرف ج نسخة المؤلف بخطه بخزائنه بتطوان.

محمد بوخيزة

### الجيباني، عبد الله ابن خيسار. كان مقدما على

الجيبارين بفاس، أي خبيراً بشؤون البناء، ولعله قدم إلى المغرب فيمن ورد عليه من الأندلسيين المختصين في أشغال البناء والري. ولاشك أن كفاءته كانت وراء تعيينه مشرفاً على مدينة فاس، أي مكلفاً بأعمال الجباية بها، وذلك في عهد علي بن يوسف في حدود سنة 510 / 1116، فأصبح له حظ عظيم حتى لم يكن في زمن الحشم (المرابطين) أحظى منه، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ((أخبار المهدي، 24).

لا تذكر المصادر شيئاً عن الجيباني بعد ذلك، إلى أن كان حصار الموحدين لفاس سنة 540 / 1145، حيث وقع سر، تفاهم بين الجيباني وبين يحيى ابن غانية الصحراوي على إثر طلب هذا الأخير من المشرف الجيباني إمداده بالمال لمقاومة الموحدين، فاتصل الجيباني بأبي بكر بن الجبر قائد الموحدين الذي تركه عبد المومن محاصراً لفاس، واتفقا على أن يقوم الجيباني بمساعدة الموحدين على دخول المدينة، وفعلاً قدم لهم مساعدة ثمينة وفرت عليهم كثيراً من الوقت والدماء. لقد رحب الموحدون بمساعدة الجيباني لهم، فأقروه على وظيفته مشرفاً لفاس، وتركوا معه أحد شيوخهم وهو محمد ابن يحيى الكدميوسي، ثم أصبح قائداً عسكرياً لدى الموحدين، حيث نجده على رأس عسكر الغرب في محلة عبد المومن التي انطلقت من فاس في اتجاه دكالة لإخضاعها ومطاردة جيش يحيى ابن غانية.

ولم تزل مكانة الجيباني تتقوى لدى الموحدين، حتى جلت حاله. ولعب دوراً واضحاً في حركة "الاعتراف" التي تمت في بداية خلافة عبد المومن سنة 544 / 1149 والتي كان انطلاقها على إثر الرسالة التي بعث بها الجيباني للخليفة عبد المومن يخبره فيها عن قتل أهل مكناسة للفحامين في الجبل، ومحاصرة فاس، فأعد عبد المومن "جرائد" وهي قوائم بأسماء الآلاف من المعارضين للسلطة الجديدة من جميع قبائل المغرب الأقصى، وتم إعدامهم في عملية تطهير واسعة النطاق، وفي هذه العملية كان الجيباني مسؤولاً مع الشيخ الموحد يوسف بن سليمان عن تنفيذ الاعتراف بمنطقة الغرب بفاس ومكناسة، فقتل حوالي ثلاثمائة شخص ثم "قتلوا في مكلاتة مائتين، وقتلوا في فاس من المؤتئين والسوقة ثمانين" (أخبار المهدي، 71).

كما كان الجيباني قد ساهم بجانب القائد زكريا بن سعيد الوريكي في إخضاع منطقة ملوية ومحاربة الثائر بها معاذ

### الجيار، عبد العزيز بن محمد بن عمر التغلبي أو

الشعالي الفاسي، من الشعراء الذين لقبهم أحمد المقري وأعجب بهم في رحلته المغربية سنة 1009. حلاه في روضة الآس بقوله: "الأديب الشاعر المفلح، صاحب النادرة الغربية ... وله في الحمريات أخبار ينقلها عنه أهل ذلك المذهب".

وكد في حدود الستين وتسعمائة، وعمل كاتباً مع زيدان بن أحمد المنصور، وقد بعث به زيدان سفيراً إلى القسطنطينية بعشرة قناطير من الذهب إلى صاحبها وطلب منه أن يمده ببعض الأجناد كما فعل مع عمه عبد الملك، فجهز له السلطان العثماني اثني عشر ألفاً من جيش الترك وركبوا البحر، فلما توسطوه غرقوا جميعاً إلا غريباً واحداً فيه شردمة قليلة. وقد عد ذلك من نحس زيدان الذي كان يتناول على الصالحين ويهينهم.

حظي الجيار بتقدير كبير في القسطنطينية العظمى، وهناك تعرف عليه الأديب المصري الكبير شهاب الدين الخفاجي وعقد له ترجمة مطولة في كتابه ربحانة الألبا، وحلاه بأوصاف أدبية عالية، وامتدحه بقصيدة قافية مطولة أثبت مقتطفات فيها في الربحانة. وأشعار عبد العزيز الجيار معظمها ضاع والباقي متفرق في مؤلفات معاصريه. لم نقف على تاريخ وفاة الجيار، ولعله مات في حدود 1040 / 1630.

أ. المقري، روضة الآس، 342، 344. أ. ابن القاضي، درة الخجال، 3: 135. ش. الخفاجي، ربحانة الألبا، 174، 177. م. الإفرائي، نزهة، 214، 215. أ. الناصري، الاستقصا، 6: 70، 72. ع. الحميد الرندي، الكتابة والكتاب، ص 24.

محمد حجي

### الجيباني أو الجيبني أو جيبين، أسرة تطوانية نبيلة،

أصلها من مدينة جيان الأندلسية الشهيرة، حُرقت بمرور الزمن، منها من تجاوزها إلى الصفار وبهذا الاسم اشتهرت أخيراً وتنوسيت النسبة الأولى وإن كان بعض أفرادها يذبلون الصفار بالجيباني أو الجيبني كما كان يفعل الفقيه السفير الوزير السيد محمد بن عبد الله الصفار الجيبني الذي وُزِّرَ للسلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام وسفر له إلى فرنسا وكتب في ذلك رحلته الشهيرة التي طبعت مؤخراً.

المسطاسي وأسرته ونقله إلى مراكش حيث قتل مصلوباً.  
وقد أدت حركة "الاعتراف" إلى شيء من الهدوء  
"وتهدت الدنيا وأزال الله ما كان فيها من التخليط"  
(أخبار المهدي، 72).

وفي عام 1153 / 548، خالف أهل هرغة وتينمل فنقلهم  
عبد المومن، "وهجر بني أمغار، ودفعهم إلى فاس وأسكنهم  
فيها، وأمر الجياني واليهما أن يحوشهم، وأمر لهم فيها  
بسهام أعطيت لهم" (أخبار المهدي، 76).

ويتعلق الأمر هنا بأنباء أخوي محمد المهدي ابن  
تومرت. لكن هؤلاء الأمغاريين سيتمكنان من الفرار من  
مراقبة الجياني والتي فاس الذي سارع إلى الاتصال بالخليفة  
عبد المومن وإعلانه بذلك، الشيء الذي سيحول دون  
نجاحهما فيما كانا عزمًا عليه من إعلان ثورة بمراكش  
بمساعدة عدد من أتباعهما بها، وآل أمرهما إلى القتل  
وقتل أتباعهما.

أ. البيذق، أخبار المهدي، الرباط، 1991 : ابن عنزاري، البيان  
(قسم الموحدين) الدار البيضاء، 1985 : ابن أبي زرع، القرطاس،  
الرباط، 1973 : ابن الأبار، المغلة السيرة، نج. حسين مونس،  
القاهرة، 1963 : ي. التادلي، التشوف، نج. أحمد التوفيق، 1984.

**الجياني، علي بن محمد بن حسن عالم إشبيلي،**  
جياني الأصل، وسكن مدينة مراكش، يقول عنه تلميذه ابن  
عبد الملك المراكشي : "كان أديب النفس كاتباً بليغاً شاعراً  
مجيداً، رقيق الغزل بارع المنازع، فائق النظم والنثر مبرزاً  
في فهم المعاني، نحويًا ماهراً ذا كراً للغات والآداب، من  
أبرع من رأته خطأ، وكان لا يحسن بري القلم، إذ كان يبري  
له" (الذيل والتكملة، 5 : 287).

كان أول أمره قاضياً بحصن القصر من نظر إشبيلية، ثم  
استكتبه الخليفة الرشيد الموحدي مدة قليلة، وربما كان ذلك  
سبب مجيئه إلى مراكش وسكنهاها، وبها تتلمذ عليه عدد  
كبير من أبنائها، من بينهم ابن عبد الملك المراكشي الذي  
ذكره في الذيل والتكملة وأثنى عليه كثيراً، وذكر أنه  
استفاد من علمه كثيراً خاصة في "مذاكرته في الطريقة  
الأدبية".

وقد حظي بمكانة رفيعة لدى الخليفة الموحدي فكان  
"نفاعاً بجاهه"، كما ساعده يسره المادي على سخاء النفس  
واليد، إضافة إلى كرم أخلاقه.

بعد عزل الجياني عن الكتابة أسندت إليه خطة الإشراف  
(أي شؤون الجباية) على بلاد حاحة من نظر مراكش.

وكان قد شرع في تأليف كتاب يجمع بين "تفسيري  
الزمخشري وابن عطية" لكنه توفي قبل أن يتمه. ونظم  
كتاب "الإحكام في معجزات النبي عليه الصلاة والسلام"  
لسعاصره أبي محمد حسن بن القطان الذي كان هو الآخر  
من شيوخ ابن عبد الملك. وللجياني منظومات كثيرة في

مقاصد شتى ورسائل متنوعة أورد ابن عبد الملك في  
ترجمته نماذج منها.

توفي الجياني بتامطريت بحاخة وهو يلي إشرافها سنة  
1264 / 663 ودفن بها، ولم يترك من يرثه، فورثه بيت مال  
المسلمين.

م. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة (ج 5) بيروت، 1965.

محمد الغراوي

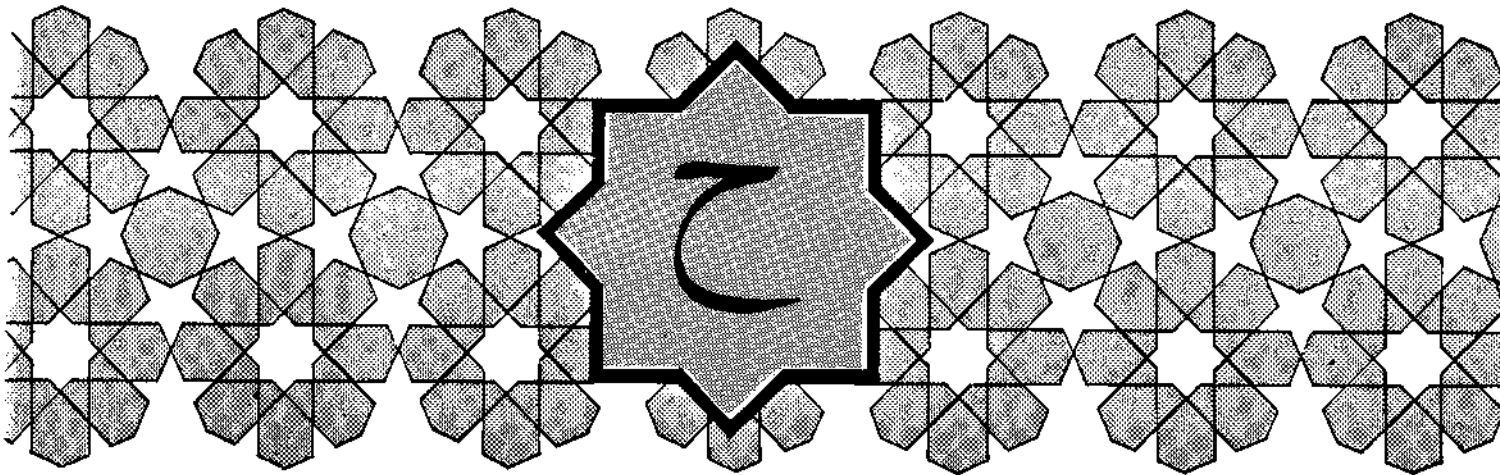
**الجياني، محمد السبتي، الطبيب المهندس المعماري،**  
أصله من جيان الأندلس، عاش بمدينة سبتة فعقد من  
رجاليتها وأهلها. كان عارفاً بخبايا الأمراض وأنواع  
الأدوية، وكانت حانوته في السوق الكبير بحضرة سبتة  
يقصدها المرضى وذوو العليل. كما عرف عنه براعته في  
الهندسة والعمارة حيث قلده السلطان أحمد بن أبي سالم  
المريني خطة نظارة المباني بنفس المدينة والإشراف على  
مباني الدولة وإخراج الأموال للإتفاق عليها. بالإضافة إلى  
ذلك كان مجاهداً محارباً للنصارى بالأندلس.

توفي في أواخر عام تسعة وثمانين وسبعمائة / 1387  
وقيل بداية عام تسعين وسبعمائة / 1388.

مجهول، بلغة الأمنية ومفرد الليب، الرباط، 1984، ص. 53 : م.

المنوني، ورفقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، الرباط،  
1979، ص. 66.

رشيد السلامي





**ابن الحاج الإشبيلي، محمد بن علي بن عبد الله**  
المهندس المعروف بابن الحاج الإشبيلي. وُلد ونشأ بإشبيلية  
في ظل الحكم القشتالي، ثم انتقل إلى فاس في عهد  
السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني. وعاد إلى الأندلس  
حيث وُزر لسلطانها أبي الجيوش نصر (708-713). وبعد  
خلعه لجأ ابن الحاج إلى أمير سجلماسة عمر، وربما كانت له  
يد في تمرده على أبيه السلطان أبي سعيد.

وُصف ابن الحاج بكونه من العارفين بالحيل الهندسية  
والمهرة في نقل الأجرام ورفع الأثقال، بصيراً باتخاذ الآلات  
الحربية. ومن الأعمال التي أشرف على إنجازها الناعورة  
على واد فاس للسلطان يعقوب، قال ابن الخطيب: "اتخذ  
له الدولاب، المنسج القطر، البعيد المدى، ملين المركز  
والمحيط، المتعدد الأكواب، الخفي الحركة حسبما هو اليوم  
(أي منتصف القرن الثامن الهجري) مائل بالبلد الجديد،  
دار المملك بمدينة فاس، أحد الأثار التي تحسود إلى  
مشاهدتها الركاب" (الإحاطة، 2: 140). وتُنسب صاحب  
القرطاس إلى "ابن الحاج المهندس" جلب ماء عين غبولة إلى  
قضية رباط الفتح سنة 683 بأمر السلطان يعقوب المريني  
(القرطاس، 406).

لكن أشهر عمل قام به المهندس فيما يبدو هو بناء "دار  
الصناعة" أي صناعة السفن بسلاح حيث كانت تجلب إليها  
الأخشاب من المعمورة، فربط دار الصناعة بالنهر بواسطة  
ترعتين وعبر بابين بحيث "جلب الماء من الوادي إلى الباب  
المسامت لجامع حسان من العدة الأخرى في ترعة عميقة،  
فإذا صنعت سفينة جديدة بهذا المحل وأريد إرسالها في  
الوادي، فُتحت الترعة المذكورة فيدخل الماء وتعم فيه  
السفينة فتخرج من الباب القبلي ساحة على وجه الماء إلى  
أن تقع في الوادي، ولذلك ارتفع قوس الباب القبلي جداً  
نحو المائة قدم ليخرج المركب منشور القلاع" (الاتحاف  
الوجيز، 63) وقد اهتم السلاطين المرينيون - كما فعل قبلهم  
المرابطون والموحدون - ببناء دور صناعة أخرى في المغرب  
والأندلس.

توفي ابن الحاج بفاس في شعبان سنة 714 / نوفمبر -

دجنبر 1314.

ل. ابن الخطيب، الإحاطة، 2: 139، 141، تح. عنان، ذ. القاهرة؛  
ابن أبي زرع، القرطاس، ص 406؛ أ. ابن القاضي، جذوة  
الاعتباس، 1: 288، 289؛ م. الدكالي، الاتحاف الوجيز، الرباط،  
1986؛ أ. الناصري، الاستقصا، 3: 22؛ م. المنوني، وراقات عن  
الحضارة المغربية عصر بني مرين، ص 20، الرباط، 1979.  
أحمد عزاي

**الحاج التطواني، أسرة أصلها من الأندلس وتتميز عن  
غيرها من يحمل هذا اللقب بالتطواني، مازالت موجودة  
حتى اليوم بذكر منهم :**

**الحاج التطواني، عبد السلام بن محمد، أول  
باشا بتطوان بعد استقلال المغرب، وبقي في وظيفته إلى أن  
توفي يوم الأحد 26 ربيع عام 1409 / 11.6.1988، ودفن  
قرب والده آتي الترجمة بضريح سيدي السعيد الشهير  
بتطوان.**

أ. الرهوني، عمدة الراويين، 2: 63، مخطوط؛ مختصره، ص 95؛  
الرخامة المشتة على قبره.

**الحاج التطواني، قاسم الأندلسي الولي الصالح  
الذي كان معاصراً للشيخ محمد بن علي ابن ريسون أحد  
أبطال معركة وادي المخازن الشهيرة المتوفى سنة 1018 هـ،  
وكان هذا يحض على زيارة المترجم له حياً ويشهد له بـ  
القدر، ولما عزم العامل حمو بجة أحد قواد دولة المنصور  
الذهبي السعدي من عام 986 إلى عام 1020 هـ على إذابة  
الشيخ محمد بن علي ابن ريسون المذكور قصد أحد مريديه  
المسمى أحمد بوقبة التطواني المترجم له وأخبره بما عزم عليه  
العامل بجة، وأظهر تخوفه الشديد على شيخه. انقبض  
المترجم له وصار يضرب الأرض مغضباً بإحدى رجليه ويقول  
: لا يقدر على ذلك بجة ولاقجة، وكرر ذلك مراراً، فلم ينل  
الشيخ بعد ذلك أذى.**

ويظهر من حوالة أحباس ضريح سيدي السعيد أن

أ. الرهوني، عمدة الراويين، 2، 63، مخطوط خاص؛ مختصره، ص 95 : الرحامة المقتبة على قبره.

محمد بوخيزة

**ابن الحاج السلمي**، أسرة فاسية عالمة أصلها من الأندلس حيث اشتهر منهم في القرن السادس (12 م) أبو إسحاق إبراهيم ابن الحاج السلمي البلفيقي الصوفي الكبير دفين مراكش (ت. 616 هـ) وحفيده أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم ابن الحاج البلفيقي شيخ ابن خلدون وابن الخطيب وابن خاتمة (انظر المعلمة، ص. 1356).

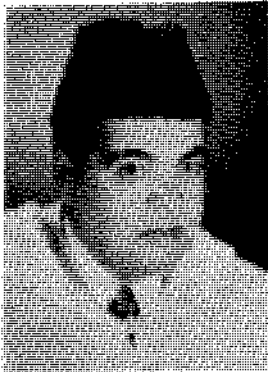
ينتسب بنو الحاج السلمي الأندلسيون إلى الصحابي الجليل العباس بن مراد السلمي. ولا نعلم متى استقروا في بلفيقي، وهي بلدة صغيرة في منطقة المرية، لكن من المؤكد أن استقرارهم فيها كان قبل القرن السادس حتى اشتهر إبراهيم الجدي بالبلفيقي. ويقارب مؤلف رياض الورد تاريخ انتقال بني الحاج السلمي إلى فاس بفترة سقوط الأندلس سنة 897 / 1492. وقد ظل هذا البيت بعيداً عن التعلق بالعلم حتى القرن الحادي عشر حيث ظهر منه أبو الفضل أحمد ابن الحاج السلمي قاضي فاس الجديد، ثم أولاده وأحفاده وجلهم من العلماء والأدباء. ويظهر أن الفتنة التي ارتج لها المغرب بعد موت المولى إسماعيل دفعت بعض أهل هذا البيت إلى الهجرة من فاس إلى تطوان أو المشرق وإفريقيا الغربية. وأجبرت البعض الآخرين على ترك التعلق بالعلم.

وفي نهاية القرن الثاني عشر (18 م) ظهر من بين بني الحاج السلمي أبو الفيض حمدون، ثم أولاده وأحفاده واستمر فيهم العلم إلى هذا القرن.

م. الطالب ابن الحاج السلمي، رياض الورد، تج. جعفر ابن الحاج السلمي، دمشق، 1413 / 1993.

C. De la Puente, La Familia de Abu Ishaq Ibn Al-Hayy De Velefique. Estudios monástico-biográficos de Al-Andalus. Editados por Manuela Marin y Jesus Zanon, Madrid, 1992, pp. 309-347.

**ابن الحاج السلمي، إبراهيم بن محمد**. وُلد بمدينة فاس في الربع الأول من القرن العشرين، وفيها درس



المتخرج له كان حياً في حدود عام 1018 هـ إلى عام 1025 هـ. وقد توفي ودفن بضريح سيدي السعيد، وهو الذي أظهر قبره، ومازال أحفاده يتولون سداثة الضريح ونظارة أوقافه إلى الآن. وأقدم من عرف من أحفاده - كما في رسوم أثرية وأحياس حوالة الضريح - أحمد بن محمد الحاج التطواني الذي اشترى أصلاً من بعض أولاد قزيان (وهي عائلة أندلسية انقرضت) - بتاريخ عام 1077 هـ. وهناك رسم آخر ذكر فيه السيد عبد الكريم بن الحاج محمد بن قاسم الحاج التطواني مؤرخ بعام 1186 هـ وآخر وصف فيه السيد أحمد بن الحاج التطواني محمد بن قاسم الحاج التطواني بأنه ناظر أحياس الضريح.

أ. الرهوني، عمدة الراويين في تاريخ تطوان، (4، 31)، مخطوط خاص؛ م. داود، مختصر تاريخ تطوان، ص 276، ط. تطوان؛ فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه الولد للحسن بن محمد ابن ريسون، ص 119، ط. تطوان.

### الحاج التطواني، محمد بن محمد الأندلسي،

عامل تطوان على عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام، ولي العمالة بتاريخ 19 شوال عام 1275 / 22 ماي 1859 بعد وفاة سلفه الحاج أحمد الحداد، فقام بالأمر خير قيام. وتصدى للحكم بين الناس بالعدل والنظر في مصالح المدينة والمواطنين إلى أن حدثت فتنة قبيلة (الحجرة) مع حاكم (سبتة) الإسباني. تلك الفتنة التي أدت إلى احتلال تطوان وهجرة أهلها منها. كان ذلك في رجب عام 1276 / فبراير 1860 م وكان ذلك آخر عهد المترجم له بالحكم، وتوفي بعد ذلك في تاريخ غير محدد.

أ. الرهوني، عمدة الراويين، (23 / 459)، مخطوط، مختصر عمدة الراويين، ص 84؛ م. داود، مختصر تاريخ تطوان، ص 125.

### الحاج التطواني، محمد بن محمد بن محمد

الأندلسي عامل تطوان على عهد الخليفة السلطاني مولاي المهدي بن إسماعيل العلوي أول خليفة لملك المغرب في منطقة حماية إسبانيا.

عين بعد وفاة سلفه السيد أحمد بن الحاج محمد بن العربي الطريس، واستمر عاملاً إلى أن توفي الخليفة المذكور في ربيع الأول سنة 1342 / أكتوبر 1923، فقام المترجم له مقامه باسم نائب الخليفة على مقتضى الأوقاف المبرمة في عقد الحماية بين دولتي فرنسا وإسبانيا. إلى أن تم الاتفاق على تعيين خلف للخليفة المتوفى وهو ولده الأمير مولاي الحسن بن المهدي الذي ظل في منصبه إلى استقلال المغرب. ولما عين المترجم له نائب الخليفة استقل نائبه السيد العربي بن الحاج أحمد الدليرو بالعمالة.

كان الحاج التطواني محل احترام الجميع لفضله ونسكه إلى أن توفي في ثاني قعدة عام 1344 / 14 ماي 1926 عن سن تناهز ثمانين وستين عاماً.



دراسته الابتدائية، ثم التحق بالقرويين طالبا، وتخرج منها في أواسط الأربعينيات من هذا القرن.

اشتغل في شبابه المبكر بالتدريس، ولا سيما في مدرسة المنية الابتدائية الوطنية بفاس. بيد أن نشاطه الوطني جعله عرضة للاعتقال عدة مرات، كما أمر الجنرال جوان بإيقافه عن عمله، فظل على ذلك صابراً محتسباً خمس سنوات، حتى جاء الاستقلال، فرجع إلى عمله وأرتقى فيه، فصار أستاذا بالتعليم الثانوي الأصلي. وعندما تكونت رابطة علماء المغرب انتمى إليها.

كتب إبراهيم ابن الحاج مسرحيات وطنية في الأربعينيات من هذا القرن، كان تلامذته بمدرسة المنية الابتدائية يمثلونها. بيد أنها ضاعت فيما نحسب. توفي بمدينة فاس يوم السبت 12 شعبان عام 1415 / 14 يناير 1995.

خطب تأبين العلماء له في ذكرى وفاته، ومرويات عن القرابة.

### ابن الحاج السلمي، أحمد بن عبد الرحمان

معلوماتنا قليلة عن هذا الفقيه. وكل ما نعلمه عنه ينحصر في كونه كان مستقراً بتطوان سنة 1150 / 1737، مع أخيه الأديب الفقيه السيد عبد الله. وتشير الوثائق إلى أنه كان يتمتع بالاحترام والتوقير الرسميين، لأجل صفته العلمية، بفضل تدخل أبيه عبد الرحمان لدى السلطان محمد بن إسماعيل، وسعيه في ذلك.

ويرجع من القرائن أنه ولد بفاس قبل عام 1130 هـ، على الأقل، وأنه توفي بمدينة تطوان، في تاريخ متأخر عن سنة 1150 / 1737.

وثائق بيت شيخ الجماعة أحمد بن العربي ابن الحاج السلمي بتطوان، نشر وتقديم، ج. ابن الحاج السلمي، أعمال ندوة تطوان خلال القرن الثامن عشر، 1727 / 1822، تطوان، 1993، ص 116، 131.

### ابن الحاج السلمي، أحمد بن العربي بن محمد

ابن علي بن محمد الداخل إلى فاس من الأندلس. لاشك في أن شيخ الجماعة، أبا الفضل، أحمد بن العربي ابن الحاج هو أول من اشتهر من البيت السلمي القادم من الأندلس إلى فاس. كما أنه رأس بيتا من العلماء كان هو مفتتحة.

ولد أحمد بن العربي بمدينة فاس، سنة 1042 / 1632 وبها حفظ القرآن وجوده. وأخذ عن علماء وقته من المغاربة، ولاسيما عبد القادر الفاسي، وحمدون الأبار، ومحمد ميارة، ومحمد بن أبي القاسم ابن سودة، وحمدون الموزار، وأحمد بن جلال التلمساني، وعلي الزرهوني. كما أخذ عن علماء المشرق ونزلاته من المغاربة عندما حج، ولاسيما علي الشيراملسي والخرشي، شارح المختصر، وعيسى الثعالبي الجزائري المكي.

وصفه محمد الطالب ابن الحاج بقوله: "برع في العلوم، كالعربية والأصليين، والمنطق والفقه، والحديث والتفسير والتصوف، وصار إماما في المعقول والمنقول، مقدما على علماء الحضرة الفاسية وصلحائها، كأنه البدر الطالع في أفق سمائها. واشتهرت فضائله، وانتشرت فواضله، وضرب به المثل في الورع وعلو الهمة، والتسليم للأقدار، والتوجه إلى الله الملك القهار، والاجتهاد في نشر العلم، ولزوم العبادة، والتحرر عن الشبه، وإخماد البدع التي جرت بها العادة".

رحل إلى المشرق حاجا سنة 1074 / 1633، ثم سنة 1078 / 1677. وهناك استجاز العلماء المشاركة فأجازوه، ووصل أسانيد أهل المغرب في الحديث وغيره بأسانيدهم.

اشتغل بالتدريس في القرويين. وتخرج عليه علماء، أعلام، ولاسيما عبد السلام جسوس، وعبد السلام بن الطيب القادري، ومحمد ابن زاكور الأديب، والطيب بن محمد الفاسي، وابنه محمد، ومحمد بن أحمد السناري الدلائي، وأحمد الجرندي، ومحمد بن عبد السلام بناني، ومحمد ابن زكري.

بيد أن أحمد بن العربي ابن الحاج لم يتصد قط للتأليف والتصنيف، شأن شيخه عبد القادر الفاسي. وإنما خلف فتاوى وأنظاما علمية في فنون متعددة، وشعرا لطيفا متفرقا في المصادر، ولا سيما في رياض الورد. وشعره لا يخلو من جمال ومن تعدد الأغراض. وكانت له مساجلات أدبية مع أدباء عصره. ومنهم من امتدحه بالقصائد الطنانة في حياته، ثم رثاه بعد موته.

عاش أحمد زاهداً في الدنيا، منصرفا عن زهرتها. ويظهر أن علاقته بشيخه عبد القادر الفاسي، ثم الطابع العام لثقافة العالم المغربي في عصره. والظروف الاجتماعية العامة التي عاش فيها، جعلته يختار التصوف. ونظن أنه كان متصوفا شاذليا على الطريقة الفاسية، مع شيء من الميل للطريقة الوزانية. ولا يخلو شعره من تصوير تعلقه بالأولياء أحيائهم وأمواتهم. وهذا ما جعل مؤرخيه ينسبون له شيئا من الكرامات.

وعلى الرغم من تولية السلطان المولى إسماعيل له القضاء بفاس الجديد سنة 1105 / 1693، ومكوثه على القضاء إلى وفاته، فإنه كان ممن أنكر من العلماء استعباد الحراطين، كعبد السلام جسوس، والقاضي بردلة، وكان ضمن وفد علماء فاس الذين اجتمعوا بالسلطان في شأنهم. ويشير رياض الورد إلى ما ناله من ضيق نفسي في قضية الحراطين، كما يشير إلى تصريحه بكرهيته للروسي، قائد فاس.

بيد أن وفاة أبي الفضل عصمته من الأذى الكثير الذي لحق العلماء الآخرين في قضية الحراطين، ولحق أهل بيته، ولاسيما ابنه محمدا.

توفي أحمد بن العربي ابن الحاج بمدينة فاس سنة 1109 / 1697.

م. القادري، التقاط الدرر، تع. هاشم العلوي، بيروت، 1403 / 1983 : نشر الثاني، تع. محمد حجي وأحمد التوفيق : م. الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب، الدار البيضاء، 1977 : إ. الفضلي، الدرر البهية، 1316، فاس، 1314 / 1896 جزآن : م. ابن الحاج السلمي، رياض الورد (1273)، تع. جعفر ابن الحاج السلمي، الجزء الأول، دمشق، 1413 / 1993 : م. الكتاني، سلوة الأنفاس : م. مخلوف، شجرة النور الزكية، د. ت. د. م. جزآن : م. الإفرائي، سلوة من انتشر : م. بناني، فهرسة أحمد بن العربي ابن الحاج، مخطوطة خ. ح. : ع. الكتاني، فهرس الفهارس، نشر إحصان عباس، بيروت، 1402 / 1982 : ج. ابن الحاج السلمي، وثائق بيت شيخ الجماعة أحمد بن العربي ابن الحاج السلمي، بتطوان، أعمال ندوة "بتطوان خلال القرن الثامن عشر"، بتطوان، 1994.

م. ابن الحاج السلمي، رياض الورد : م. الكتاني، سلوة الأنفاس : م. مخلوف، شجرة النور.

**ابن الحاج السلمي، إدريس بن محمد بن محمد.**  
من عدول فاس في القرن الثالث عشر الهجري. توفي بعد سنة 1316 / 1898. وهو والد الأديب محمد بن إدريس، من كتاب جريدة السعادة.  
إ. الفضلي، الدرر البهية، فاس، 1314 هـ / 1896 م، جزآن.

**ابن الحاج السلمي، حمدون بن عبد الرحمان**  
المرداسي الفاسي، أبو الفيض، أبرز علم من بيت بني الحاج السلميين الفاسيين. ولا ريب أنه قد شكل في ذاته "أمة" وحده من بين علماء فاس والمغرب، في زمنه وبعده، أو ظاهرة فكرية وأدبية وعلمية شديدة التميز، حتى لقب بحجة أهل المغرب على أهل المشرق.

وُلد بمدينة فاس حوالي سنة 1174 / 1760، وبها نشأ ودرس على أعلام كبار، منهم : محمد بن الحسن بناني، وعبد الكريم اليازغي، وسليمان بن أحمد الفشتالي، والتاودي ابن سودة، ومحمد ابن أحمد بنيس، وعبد القادر ابن شقرون، والطيب بن عبد المجيد ابن كيران. وعن أجازة في العلوم من أهل المغرب محمد بن عبد السلام ابن ناصر الدرعي التمكروتي، صاحب الرحلة الناصرية المشهورة، ومن أهل المشرق الشيخ مرتضى الزبيدي شارح القاموس.

وقد مكنته تحصيله العلمي الرفيع والمتنوع، ونسوغه المبكر، من أن يُحصّل على ثقة أشياخه، ويتصدر لتدريس العلوم بالقرويين وهو فتى قد جاوز العشرين بقليل، ثم على ثقة السلطان سيدي محمد بن عبد الله، الذي عينه مدرساً خاصاً لابنه المولى سليمان. وكان ذلك بسجلماسة، حيث كان يقيم الأمير وقتئذ. فانتقل إليها سنة 1202 / 1787.8. وهنالك بدأ اسم حمدون ابن الحاج يقترب باسم الأمير ثم السلطان المولى سليمان.

وعندما توفي السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وتولى ابنه المولى البيزيد عرش المغرب، ترك حمدون ابن الحاج التدريس بسجلماسة ورحل إلى المشرق قاصداً الحج والمجاورة. وكان ذلك سنة 1205 / 1791.90. وفي طريقه إلى الحج اتصل بمن استطاع من أعلام المشرق والمغرب وأفاد منهم، وربما مدح بعضهم، كالشيخ الصوفي الكبير، سيدي أحمد التجاني، وقاضي الجزائر محمد بن أحمد بن مالك. وفي تونس اتصل بالشيخ صالح الكواش التونسي، والشيخ قاسم بن عمر المحجوب، وكان هذا شأنه في القاهرة والمدينة المنورة.

وفي سنة 1206 / 1792.1، رجع الشيخ حمدون من رحلته المشرقية، ليجد تلميذه المولى سليمان متبونا عرش المغرب، فألحقه بحاشيته العلمية، وصار من جملة أدبائه

**ابن الحاج السلمي، أحمد بن محمد بن أحمد.** ولد بمدينة فاس سنة 1094 هـ / 1682 م، وبها نشأ في حجر أبيه وجده. وعليهما تتلمذ، ثم على محمد بن عبد القادر الفاسي، والقسنطيني الكماد، والغريبي بردلة، والمسناري، وابن زكري، والجرنودي.

وصفه صاحب رياض الورد بقوله إنه كان : "علامة درأكة، حافظاً متفنناً، ماهراً، ضابطاً، تام المشاركة في جميع علوم العربية، قوي العارضة في الأصلين والمنطق، والحديث والتفسير، لا يجارى في التصوف والتاريخ والأنساب، منفرداً بعلم الحساب والفرائض، مجتهداً في العبادة.

ويظهر أنه بعد وفاة والده سنة 1128 هـ، تولى التدريس والإمامة والخطابة والقضاء بفاس الجديد.

لا يذكر صاحب رياض الورد لأحمد هذا أنه تصدى للتأليف. إلا أن صاحب سلوة الأنفاس نسب إليه أنه ابتدأ تأليف حاشية على مختصر ابن عرفة في الفرائض، وأنه أنجز منها نحو الربع ؛ فيكون بهذا قد واطأ أباه على الاهتمام بفرائض ابن عرفة. ولربما كانت هذه الحاشية أو الشرح لوالده، فسعى هو في إتمامها، أو أن الأمر تنسب على صاحب السلوة، فنسب لابن ما كتبه الأب.

ويشير صاحب رياض الورد إلى أن له نشراً وشعراً في أعلى طبقات البلاغة، وعلى طريقة الأقدمين. وأورد له أبياتاً من قصيدة في المديح النبوي. بيد أنه لم يورد من نشره شيئاً يدل على طبقته في البلاغة، أو منزعه في الأدب. وقد نسب له سيدي عبد السلام ابن سودة ديواناً حافظاً. بيد أننا لا نعرف شيئاً عن هذا الديوان. أما صاحب سلوة الأنفاس، فيشير إلى أن له أشعاراً وقصائد في المديح النبوي.

توفي أحمد يوم 18 ربيع الثاني، عام 1133 / 16 فبراير 1721، ودفن بروضة ابن الحاج، بالدرب الطويل، من مدينة فاس.

م. القادري، التقاط الدرر : نشر الثاني : ع. ابن سودة، دليل :

الذين يعمرون مجالسه بالأمداح. ورفع منزلته وعامله معاملة فيها من رقة الشائل والبعد عن التكلف والحجاب شيء كثير، وأصدر في شأنه ظهيراً رسمياً بتوقيره وتجديد توقير أهل بيته.

اشتغل أبو الفيض حمدون في البدء مدرسا في القرويين، وربما كان يزواج بين التدريس وتعاطي التجارة في بعض حوانيت قيسارية فاس، لضيق معاشه. ثم صار مدرسا خاصاً للأمير المولى سليمان في سجلماصة، بيد أننا لا ندري بالضبط كيف كان يعيش في المدينة المنورة.

ولما رجع إلى فاس من رحلته الشرقية وصار من الحاشية السلطانية، رجع إلى التدريس، ولا سيما تدريس التفسير في جامع الرصيف ثم في القرويين، ثم اختاره السلطان المولى سليمان للحسبة بفاس، لما كان يعرف فيه من الشدة في الحق. وقد اشتهر فيها بالبالغة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإجبار الناس على صلاة الجماعة، حتى صارت "الصلاة الحمدونية" مثلاً يضرب في المغرب. ثم ولاه السلطان عاملاً على العرائش وأعمالها سنة 1219 / 5.

1804، فتابع سيرته السابقة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإجبار الناس على صلاة الجماعة. بيد أن هذه الولاية المخزنية وأعباءها ومشاكلها، وما واجهه فيها من الصعوبات، لم ترقه كثيراً، بل تبرم منها، كما هو واضح في شعره، فاستعفى منها السلطان فأعفاه بعد أن تقلدها حوالي ثلاث سنوات. والظاهر أنه لم يكن مهيباً للولاية المخزنية، بحكم شخصيته وأخلاقه وطبيعة تحصيله العلمي. وربما كان قد افتقد في العرائش، وهي مدينة عسكرية وتجارية، ما كان قد ألفه في فاس من بيئة علمية وفكرية. فأورثه كل هذا نفورا من العمل المخزني. فلما عينه السلطان عاملاً على وجدة استعفى السلطان فأعفاه.

وعندئذ، تفرغ الشيخ أبو الفيض للتدريس وعمر به أوقاته في القرويين وربما في غيرها من الجوامع وفي الضريح الإدريسي، فدرس علوماً مختلفة كالتفسير والفقه والبالغة والحديث. واستأنف نشاطه في التأليف والنظم إلى حين وفاته.

عاش أبو الفيض حمدون رجلاً عالمًا وزاهداً كبيراً في الدنيا على الرغم من صلته بالسلطان. وقد كتب ابنه محمد الطالب في وصف حياته وسلوكه وأخلاقه وشخصيته فصولاً ممتعة في رياض الورد الذي هو مصدرنا الأول عنه ومصدر المصادر المتأخرة. كما روى عنه أحفاده روايات كثيرة في زهده. وكان له ميل واضح إلى التصوف ولا سيما في كتبه وشعره، حتى نسب إلى الطريقة الوزانية وعده رجال الزاوية التجانية منهم.

من الصعب الحديث عن فكر أبي الفيض حمدون ابن الحاج بالنظر إلى تعدد اهتماماته وتعدد تأليفه، وبالنظر إلى أن الدراسات الحمدونية لمّا تزل في مهدها على الرغم من المجهود الكبير المشكور الذي بذله أحمد العراقي في

الكشف عن أدبه وتوثيقه وتحقيقه ودراسته وجهدنا في تحقيق رياض الورد وهو المصدر الأول عنه، ذلك أنه كان أديباً شاعراً كاتباً ينظم الشعر العمودي الفصيح والموشح والزجل ويكتب الرسائل والمقامة والخطبة مداحاً للسلطان وللنبي صلى الله عليه وسلم. وكان عالماً مشاركاً في أهم العلوم الشرعية والآلية، مفسراً محدثاً فقيهاً متكلماً، كما كان منطقياً عروضياً بلاغياً. وتدلنا قائمة مؤلفاته التي عشر عليها والتي ما تزال محجوبة أو ضائعة، على تفننه في العلوم والآداب، وهاك مسرداً بها، مرتباً على حسب الحروف الهجائية.

إمتاع الأسماع بتحرير ما التيسر من حكم السماع، وهو كتاب في السماع منسوب إلى السلطان المولى سليمان وليس له وإنما هو لأبي الفيض حمدون. وقد ألفه على لسان السلطان فنسب إليه. توجد منه نسخ في الخزائن المغربية والأجنبية؛ إجازات علمية مختلفة لتلاميذه؛ بقية الأرب وهي منظومة في علم الكلام. ولعلها هي عين أرجورته في علم الكلام التي وصلتنا نقول منها؛ الثمر المهتصر في روض المختصر. وهي حاشيته المشهورة على مختصر سعد الدين على تلخيص المفتاح للقسزوني، وهي من أجل مؤلفاته، ويشغل بتحقيقها الآن بعض الطلبة في كلية الآداب بالرباط؛ حاشية على تفسير البيضاوي ما تزال محجوبة؛ حاشية على شرح الحلبي على جمع الجوامع، لا تزال محجوبة؛ الخريدة في النطق، وهي منظومة في 111 بيتاً من الرجز. وقد شرحها ابنه محمد المحدث، وشيخه الطبيب ابن كيران. وكلا الشرحين مطبوع في المطبعة الحجرية؛ خطب جمعية ما تزال مخطوطة في الخزانة الحسينية بالرباط؛ ديوان شعر كبير حققه تحقيقاً ممتازاً د. أحمد العراقي ونال بتحقيقه ودراسته درجة الدكتوراه في الآداب ثم نشره، وهو يتضمن "وتريات"، توجد مستقلة أحياناً وفيه 545 نصاً، منها بعض ما استدركه د. أحمد العراقي، وهو دليل على أن ديوانه لا يتضمن كل شعره؛ ديوان النوافح الغالية في المذائح السلطانية. وقد حققه أيضاً د. أحمد العراقي ونال به درجة دبلوم الدراسات العليا. وهو خاص بمدح السلطان ويتضمن ثمان مقامات له في مدح السلطان ولما ينشر؛ رسائل متنوعة ومتفرقة إلى أعلام عصره؛ بعض منها على لسان السلطان؛ رسائل في التفسير، المعروف منها خمس كما أثبتته د. أحمد العراقي؛ رسالة في لفظة "قال" في الحديث، نشرها عبد الله گنون؛ رسالة النصر والتأييد، في اعتبارات اجتماع النفي والتقييد؛ رحلة حجازية. تحدث عنها محمد الفاسي، وما تزال محجوبة؛ شرح عقود الفاتحة، وهو شرح لمنظومته المطولة في السيرة الواقعة في حوالي أربعة آلاف بيت (4000) من بحر البسيط وروي الميم المكسور. وهي في خمسة مجلدات ضخام. وقد طبع منها المجلد الأول فقط في المطبعة الحجرية بأمر من السلطان المولى سليمان وطرف صغير من المجلد

الثاني، وهذا الكتاب أهم أعماله الدالة على موسوعية مؤلفه وفكره وعصره، ونرجو أن يوقفنا الله إلى نشره : شرح مقصورته في العروض والقوافي، وقف به عند القافية وأتمه ابنه القاضي محمد الطالب : مراقي الصعود على تفسير أبي السعود، وهو حاشيته على تفسيره : مقامات متنوعة بعضها متضمن في ديوانه النوافع الغالية وبعضها ضمن مجاميع خاصة : مقصورة في علمي العروض والقوافي وهي في معارضة المقصورة الخزرجية الشهيرة. ويرجع تاريخ نظمها إلى سنة 1203 / 8 . 1789. وله شرح عليها وقف به عند القافية وأتم الشرح بعده بمدة طويلة ولده محمد الطالب. ولهذه المقصورة شرح آخر، لمحمد بن أحمد التازي المصري عنوانه : "الحلل المقصورة على الخريدة المقصورة" بيد أننا لا نعرف شيئاً عن هذا الشرح : نفتح المسك الداري لقارئ صحيح البخاري. وهو شرح لنظمه لمقدمة ابن حجر لفتح الباري وهو مطبوع بالمطبعة الحجرية بفاس سنة 1329 / 10 . 1911 : نظم الحكم العطائية، ما تزال منه بعض الشذرات متفرقة في كتبه وكتب غيره.



إن كثرة هذه المؤلفات والآثار الأدبية وتنوعها المعرفي يؤكد "ظاهرة" حمدون ابن الحاج وكونه من أعلام المغرب الكبار وحاجتنا إلى إعادة اكتشاف هذا الرجل واكتشاف فكره وعصره وهذا سيكون من مهمة البحث العلمي المغربي المستقبلي. توفي الشيخ حمدون ابن الحاج بمسقط رأسه مدينة فاس سنة 1232 / 1817، ودفن بروضة العلماء الكائنة خارج باب الفتوح.

م. الطالب ابن الحاج السلمي، الإشراف على بعض من فاس من مشاهير الأشراف، مسخوط : رياض الورد، تح. ج. ابن الحاج السلمي، دمشق، 1993 : ع. إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1974 / 1983 : م. الأخضر، الحياة الأدبية، الدار البيضاء، 1977 : إ. الفضلي، الدرر البهية، المطبعة الحجرية، فاس 1314 هـ / 1896 م جزآن : ح. ابن الحاج، الديوان العام، تح. العراقي، 1995 م جرآن : أ. سكيج، رفع النقاب بعد كشف الحجاب، تطوان، د. ت : م. الكتاني، سلوة الأنفاس، المطبعة الحجرية، فاس، 1316 / 1898 : م. مخلوف، شجرة النور الزكية، د. ت. د. م. جزآن : فوزي عبد الرزاق، المطبوعات الحجرية في المغرب، الرباط، 1989 م : إ. الإدريسي، معجم المطبوعات المغربية : ع. كنون، السور المغربي، بيروت، 1960.

بعد طور التعلّم، اشتغل الطائع ابن الحاج بالعدالة والإفتاء والإشراف على شؤون الطلبة الأمازيغيين، ثم عمل مدرساً نظامياً في القرويين. وتقلب فيه. ثم عُين مستشاراً في الاستئناف الشرعي الأعلى سنة 1359 / 1939. فانتقل إلى الرباط حيث تلقى عنه الأمير مولاي الحسن دروساً. ثم رجع إلى فاس رئيساً للمجلس العلمي للقرويين سنة 1365 / 1945. وبقي رئيساً له، مع اشتغاله بالفتوى إلى سنة 1373 / 1953، حيث أعفي على إثر الأزمة المغربية الكبرى. فلابد من بيته إلى أن توفي بمدينة فاس سنة 1377 / 1957.

وصفه محمد بن الفاطمي ابن الحاج بقوله : "فقيه جهيد تحرير. له مشاركة في العلوم المتداولة وغيرها بالقرويين. وله الباع الطويل والمقدرة الكبيرة في الفقه والأصول والميزان (المنطق) والبلاغة والحديث والتفسير والفرائض والحساب وصناعة التوثيق وتطبيق الفقه على الجزئيات والنحو واللغة.

بيد أن الطائع ابن الحاج، على شهرته في وقته، والإعجاب الشديد الذي تمتع به من الناس، لم يشتغل بالتأليف إلا قليلاً. وقد ترك فتاوى شرعية متعددة، وتعليقاً على تنقيح القرافي في الأصول.

م. ابن الحاج السلمي، إسعاف الإخوان، الدار البيضاء، 1992 : ع. التازي، جامع القرويين، بيروت، 1972.

ابن الحاج السلمي، عبد الرحمان بن محمد ولد بمدينة فاس بعميد سنة 1090 / 1678، وبها نشأ، وأدرك والده وجده شيخ الجماعة.

تتلمذ بفاس على أبيه محمد، والعربي بردلة، وعبد السلام جسوس، والمسنوي، وأحمد الجرندي وغيرهم.

ابن الحاج السلمي، حمدون بن محمد الحفيد، من عدول فاس وموثقها المشهورين. ولد سنة 1234 / 1818. وتوفي قبل سنة 1314 / 1896. إ. الفضلي، الدرر البهية : م. ابن الحاج، رياض الورد، دمشق، 1413 هـ / 1993 م.

وصفه محمد الطالب ابن الحاج في رياض الورد بقوله :  
"كان رضي الله عنه، ممن تزلع في جميع العلوم ... قائما  
بتدريس الفنون، قيام محقق ضابط محصل محرر. مع قوة  
الفهم، وحسن العبارة، ولين الجانب، ومكارم الأخلاق،  
وسرعة الدمعة، مع الدين المتين.

بعد وفاة أخيه أحمد (الحفيد) سنة 1133 / 1720،  
بأيام قلائل، تولى ما كان بيد أخيه من المناصب الدينية  
والعلمية، من الإمامة بمسجد النار بفاس، وتدريس الفقه  
والنحو بمدرستي العطارين والمصباحية، والحديث بالقرويين،  
مع الاستفادة من حُسن هذه الكراسي.

بيد أن عبد الرحمان ابن الحاج كان مولعاً بالرحلة إلى  
الحجاز للحج، فحج مراراً، وحتى وُصف في الظهائر  
السلطانية بالرحالة. وكانت أول حجة له سنة 1115 / 1703.  
وهناك حصلت له صداقات مع بعض العلماء المشارقة،  
كزين العابدين بن سعيد المتوفي. ويظهر أن اضطراب  
الأحوال في المغرب، ابتداءً من فتنة المرابطين، ثم ما تلا  
وفاة المولى إسماعيل، سنة 1139 هـ، من أهوال، هو ما  
جعله يكثر من الحج والرحلة إلى المشرق، وفي الحج مناسبة  
وذريعة للتواري في انتظار تحسن الأحوال. وعند ذلك، وربما  
عند غير ذلك أيضاً، كان يستنيب ابن أخته أبا العباس،  
أحمد الشرايبي، على التدريس في مدرسة العطارين.

ولعل هذه الاستنابة جعلت الفقيه ابن إبراهيم يتطلع  
إلى احتلال كرسي مدرسة العطارين، وينازع أبا زيد وابن  
أخته أحمد الشرايبي، حتى صدر ظهير من السلطان محمد  
ابن إسماعيل، مؤرخ بربيع الأول سنة 1150 / يوليو 1737،  
يجدد له الاحترام والتوقير القديين ويصف عمل الفقيه ابن  
إبراهيم بالترامي.

ويظهر أن سوء أحوال المغرب، على العموم، وفاس على  
الخصوص، بعد وفاة المولى إسماعيل، هو ما جعل أبا زيد  
يستنيب عنه ابن أخته، بدلا من أولاده هو، وقد كانوا  
أيضاً من العلماء، نظراً إلى هجرتهم إلى تطوان،  
واستقرارهم بها طلباً للعاية.

وعلى الرغم من تمتع عبد الرحمان بما كان يتمتع به أهل  
بيته من التوقير والاحترام الرسميين فإنه قد جرت له محنة  
قُبض فيها، سببها مطالبة المخزن لعمه الحاج العربي،  
بنصيب من تركة الكاتب أحمد أكايز الكرفطي. وكانت  
النتيجة أن أفرج عنه بعد أن أدى للمخزن، على وجه  
الصلح، شطراً من المال المطالب به عمه الحاج العربي،  
القائب في السودان (إفريقيا الغربية) وكان ذلك سنة  
1136 / 1723.

توفي عبد الرحمان ابن الحاج بالمدينة المنورة سنة  
1170 / 1756، مخلقاً ذريته بمدينة تطوان.

م. الحاج السلمي، رياض الورد، تحقيق، جعفر ابن الحاج السلمي،  
دمشق، 1413 هـ / 1993 م (الجزء الثاني قيد النشر) ؛ وثائق بيت  
أحمد بن العربي ابن الحاج السلمي بتطوان ؛ ج. ابن الحاج  
السلمي، أعمال ندوة تطوان خلال القرن الثامن عشر (1727 -  
1822 م)، تطوان، 1993، ص. 116، 131.

ابن الحاج السلمي، عبد السلام بن عبد الله. لا  
نعلم شيئاً عن هذا الفقيه، لولا إشارة عابرة عنه في ظهير  
للسلطان محمد بن إسماعيل مؤرخ بسنة 1150 هـ، تضمنت  
أنه استفاد من التوقير والاحترام الرسميين، لأجل صفته  
العلمية، وذلك بفضل تدخل جده لفائدته وفائدة أخيه  
محمد، لدى السلطان محمد بن إسماعيل.

والأرجح أنه نشأ بتطوان، كأخيه، عندما هاجر إليها  
أبوه وعمه، إن لم يكن ولد بها. والأرجح كذلك أنه توفي  
بها، في تاريخ لاحق بمدة طويلة على السنة المذكورة.

وثائق بيت شيخ الجماعة، أبي العباس، أحمد بن العربي ابن الحاج  
السلمي بتطوان، نشر وتقديم، جعفر ابن الحاج السلمي، أعمال  
ندوة تطوان خلال القرن الثامن عشر (1727، 1822)، تطوان، 1993،  
ص. 116، 131.

ابن الحاج السلمي، عبد العزيز بن محمد بن  
المفضل بن محمد، وُلد بمدينة تطوان سنة 1936. وتلقى  
دراسته الابتدائية بالمدرسة الفرنسية الإسلامية. وبعدها  
التحق بالمعهد الرسمي، فنال شهادته. وفي نهاية  
الخمسينيات، اشتغل معلماً في التعليم الابتدائي.

وعندما جاء الاستقلال، ترك العمل في التعليم، لأجل  
ميوله السياسية المتعاطفة مع حزب الشورى والاستقلال،  
والتحق بالبعثة العسكرية المغربية التي أوفدها محمد  
الحامس إلى مدينة طليطلة بإسبانيا، للدراسة في  
أكاديميتها، فمكث بها عاماً واحداً، ثم رجع مع رفاقه  
ضابطاً برتبة ملازم أول سنة 1957.

وعندما قامت الفتن بمنطقة الريف سنة 1958، أرسلته  
القيادة العسكرية، ضمن من أرسلتهم لتسكين الهيجان،  
فبقي هنالك مدة، إلى أن عم الهدوء والطمأنينة. ثم بعثته  
ضمن القوات الأيمية إلى زاوية سنة 1960، عندما وقع  
التمرد فيه والحرب الأهلية. فمكث فيه مدة سنة. ثم رجع  
إلى المغرب، وارتقى في سلاح الطيران المغربي إلى رتبة  
عقيد.

توفي بمدينة الرباط، يوم الثلاثاء 14 ربيع الثاني عام  
1415 / 20 شتنبر 1994. ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه  
مدينة تطوان، حيث دفن.  
رواية عن أفراد العائلة والمعرفة الشخصية.

ابن الحاج السلمي، عبد الله بن عبد الرحمان  
الأصغر شقيق أبي الفيض حمدون الشهير. وُلد بفاس في  
حدود سنة 1178 / 1764. وتتمسك على أخيه وعلى  
التاودي ابن سودة، وعبد الكريم اليازغي، والجيلاني  
السباعي، وعبد القادر ابن شقرون، ومحمد بن أحمد بنيس،  
والطبيب ابن كيران.  
وصفه ابن أخيه، مؤرخ البيت السلمي بقوله في رياض .

الورد : "كان ... ممن برز في حلاتب الأدب [ ... ] وانفرد بتحقيق العلوم العربية، والمعارف اللدنية. كاملاً ملازماً للسيره النبوية، مؤثراً للخمول أكلا من كسب يمينه، دؤوبا على نسخ كتب العلم لضرورياته ... وأصوله كلها في غاية الصحة ونهاية الإتقان، لاهتمامه بمقابلتها وعكوفه على تصحيحها، مؤيدا على ذلك بحسن الخط، وإتقان التقييد والضبط.

وقد أورد له في رياض الورد بيتين في مدح شيخه التاودي ابن سودة، ولم يزد عليهما. وذكر أن الناس تغالوا في اقتناء ما خطه بيمينه من كتب زمنأ طويلاً.

ويظهر أنه في آخر عمره تخلى عن الدنيا، وعن كل نشاط اجتماعي، وتفرغ للعبادة والتصوف، إلى أن توفي مطعونا بمدينة فاس يوم 11 ذي الحجة سنة 1213 / 16 ماي 1799.

م. ابن الحاج السلمي، رياض الورد.

**ابن الحاج السلمي، عبد الله بن عبد الرحمان الأكبر**، ولد بمدينة فاس، قبل سنة 1128 / 1715، تاريخ وفاة جده، أو قتل في حدود سنة 1108 هـ. ذلك أنه مذكور في ترجمته أنه أخذ عن جده، وأنه بعث برسالة شعرية إلى عبد الله جسوس، يحمله ببلخ السلام إلى جده محمد بن أحمد بن العربي ابن الحاج.

تتلمذ على جده وأبيه وعمه وكانوا كلهم من كبار العلماء، ولازم أباه في السفر والحضر، وهذا يعني أنه كان يصاحبه إلى المشرق، وعلى العربي يردلة، ومحمد بن عبد السلام بناني، والمنساوي، وابن زاكور.

وصفه محمد الطالب ابن الحاج بقوله : "وبالجمله فقد اتصف صاحب الترجمة بكل فضيلة، وحصل من جل العلوم كل دقيقة وجليلة".

ووصف أدبه بقوله : "انفرد ببراعة الإنشا، وتحكم في القول كيف شا".

لا ندري متى استقر بالضبط بالزاوية العياشية. بيد أنه لا بد من أن يكون ذلك قبل سنة 1128 هـ، تاريخ وفاة جده. ولا لماذا استقر هنالك بعيداً عن فاس، ولا مدة استقراره، وهل كان ذلك طلباً للعلم، وهو احتمال ضعيف، أم سياحة وتصرفاً، وهو احتمال ضعيف، أم اعتصاماً بها وتوارياً من فتنة الحراطين، وهو الأرجح، وبدليل مراسلته وتعلقه بعبد الله بن عبد السلام جسوس.

وتشير وثائق بيت أحمد بن العربي ابن الحاج إلى أن استقرار عبد الله بمدينة تطوان، كان ابتداء من سنة 1150 / 1737، على الأقل، أي إبان الفتق التي أعقبت وفاة المولى إسماعيل، وترخيص السلطان المولى محمّد بن إسماعيل له بالتدريس بها ومزاولة العدالة، مع احترامه وتوقيره بها. ويظهر أنه خلف بها ولديه الفقهيين محمدا وعبد السلام، عندما توفي سنة 1190 / 1775، في خلافة

السلطان سيدي محمد بن عبد الله. ونرجح أنه توفي بمدينة تطوان.

م. الطالب بن الحاج السلمي، رياض الورد ؛ وثائق بيت شيخ الجماعة أحمد ؛ ابن الحاج السلمي، أعمال ندوة تطوان خلال القرن الثامن عشر، تطوان، 1993، ص 116-151.

**ابن الحاج السلمي، عبد الهادي بن محمد من علماء النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري بفاس.** اشتغل بالتدريس والتوثيق، وخلف ابنه محمد بن عبد الهادي عالماً فقيهاً أيضاً.

إ. الفضلي، الدرر البهية، المطبعة الحجرية، فاس 1314 / 1896 ؛ رواية عن الحسن بن الفضل بن محمد المحدث ابن الحاج السلمي.

**ابن الحاج السلمي، العربي بن أحمد** ورد ذكره في وثائق بيت شيخ الجماعة أحمد ابن الحاج. ويُفهم من الظهير الإسماعيلي الذي يُشير إليه، والمؤرخ بسنة ست وثلاثين ومائة وألف، 1136 / 1723، أنه كان فقيهاً تاجراً، وأنه حج وهاجر من المغرب إلى بلاد السودان (إفريقيا الغربية) للتجارة، وأنه كان شريكاً لبعض رجال المخزن، هو أحمد أكايز الكرفطي، كاتب الباشا غازي، في التجارة، وأن علاقته التجارية به، هو ما جعل السلطان المولى إسماعيل يأمر بالقبض عليه، وهو غائب بالسودان، عندما استصفي وتبع تركة أحمد أكايز الكرفطي، ثم يعفو عنه، لما سوى الأمر مع ابن أخيه، السيد عبد الرحمان. ويظهر أيضاً أن موقف أهل بيته من قضية الحراطين، وما صاحبها من فتق عمّت المغرب، هو ما جعله يتوارى في السودان، متظاهراً بالتجارة وتمتعشاً بها.

إننا نعلم على وجه القطع أنه كان حياً سنة 1136 / 1723. ولربما توفي ببلاد السودان.

وثائق بيت شيخ الجماعة أحمد بن العربي ابن الحاج السلمي، بتطوان، نشر وتقديم، جعفر ابن الحاج السلمي، أعمال ندوة تطوان خلال القرن الثامن عشر، (1727، 1822)، تطوان، 1993، ص 116-131.

**ابن الحاج السلمي، الفاطمي بن عبد الكبير.** أحد عدول فاس في القرن الرابع عشر الهجري. وصفه ابنه محمد بقوله : "الفقيه العدل المؤثق الرضى المرتضى". وُلد بفاس في مطلع القرن الرابع عشر الهجري. واشتغل أولاً كاتباً في بنينة السلطان المولى عبد الحفيظ، لما وهبه من جمال الخط وحسنه. ولما ساءت الأحوال في آخر عهد هذا السلطان، ترك العمل في دار المخزن، وتعاطى العدالة، وظل مشغلاً بها إلى وفاته. وقد خلف ذكراً جميلاً بين الناس، لما كان عليه من النزاهة والحزم في التوثيق.

م. ابن الحاج السلمي، إتحاف ذوي العلم والرسوخ، بتراجم من

أخذت عنه من الشيخ، الدار البيضاء، 1398، 1978 : معارف عن طريق القراءة العائلية.

**ابن الحاج السلمي، محمد بن أحمد بن العربي** هو ثاني علم أنجب بيت بني الحاج السلميين بعد هجرتهم إلى فاس، عند سقوط الأندلس. وكُد في مدينة فاس في حدود سنة ستين وألف هجرية. (1649 م) وتتلذذ على عدة كبير من العلماء، أولهم والده ومنهم أبو علي اليوسي، وعبد القادر الفاسي، الذي أجازته إجازة عامة.

وصفه محمد الطالب ابن الحاج، في *رياض الورد*، بقوله : كان "... علامة حافظاً متبحراً متفتناً، ماهراً في العربية، متضلعاً بالفقه والحديث، والتفسير والأصليين، والبيان والمنطق والتصوف، منفرداً بعلم الحساب والفرائض، بصيراً بالتاريخ ومُلح النوادر مع سلامة القريحة، ونزاهة الساحة، والاجتهاد وكمال الاعتنا، مطالعة ومباحثة وتقييداً، منتهجا طريقة الفقهاء، من العزلة والصبر والزهد، والورع والتهجد، والصيام والقيام".

انتصب للتدريس، بعد وفاة والده سنة 1109 / 1649، فدرّس الفقه بمدريستي الخصة والطارين، والحديث بالقرويين، وتولى كذلك القضاء والخطابة والإمامة بفاس الجديد. ويشير ظهيراً توليته القضاء وتزكيته إلى مبلغ التقدير الرسمي لعلمه وكفايته وخلقه، الذي حازه من السلطان المولى إسماعيل ومن علماء وقته، كمحمد بن بلقاسم عليلش الحضرمي، والعربي بردلة. وإذا كنا نعلم أنه ولي القضاء خلفاً لوالده، عند وفاته، فإننا لا نعلم كم استمر على القضاء، وهل مات على القضاء بفاس الجديد، أم ترك هذه الخطة الشرعية قبل ذلك بكثير، ولا سيما عند اشتداد أزمة الحراطين، وإعلانه بالإنكار لتسليحهم مع العربي بردلة، وعبد السلام جسوس، ومحمد ميارة الحفيد. وأغلب الظن أنه انصرف عن القضاء إبان اشتداد الأزمة.

بيد أن وظائفه الرسمية لم تمتعه قط من أن يقف موقف المعارض في قضية الحراطين المشهورة، حتى تعرض للأذى في نفسه من ذلك، ولا من الانحياز إلى الشيخ عبد السلام جسوس، ثم ابنه عبد الله جسوس ومواصلته، والتصريح بذلك في شعره، والتشفي من عدوه.

ألف محمد ابن الحاج، في الفقه شرحاً على *فرائض ابن عرفة*. ونظم الشعر، وكانت له أشعار وقصائد. بيد أنه لم يصلنا من شعره إلا شيء قليل وارد في *رياض الورد*.

توفي بمدينة فاس سنة 1128 / 1715، وبها دفن بروضة ابن الحاج بالدرب الطويل، بعدما عاش ثمانية وستين عاماً أو نحوها، مخلفاً من ذريته ولداً عالماً هو عبد الرحمان، وعالماً أديباً مثله، هو أحمد (الحفيد).

**ابن الحاج السلمي، محمد الطالب بن حمدون**

وكُد حوالي سنة 1217 / 1803 بمدينة فاس، وفيها قرأ في شبابه المبكر على أعلام عصره. منهم : شقيقه محمد المحدث، وأبو بكر بن زيان الإدريسي. وبعد ذلك صار مدرسا بالقرويين، ومكث في تدريسه زمناً طويلاً إلى أن عينه السلطان المولى عبد الرحمان قاضياً للجماعة بمراكش، وذلك حوالي سنة 1259 / 1843. وقد أقام على القضاء بمراكش زهاء ثلاث عشرة سنة ثم بعد وفاة عبد الهادي بن عبد الله العلوي قاضي فاس سنة 1272 / 1856 انتقل إلى فاس قاضياً بها وبقي على القضاء بها سنة واحدة توفي بعدها ولم يمنعه القضاء من القيام بالتدريس في مراكش والخطابة بجامع ابن يوسف ثم بفاس.

اتفق مؤرخو محمد الطالب ابن الحاج على وصفه بكل محمداً عندما ولي القضاء، فهو "آخر قضاة العدل" عند عبد الهي الكتاني، "وما عدت له هفوة"، حسب العباس بن إبراهيم المراكشي، "ولم يسمع بمثل عدله في الأعصار المتأخرة، كما قال أيضاً ؛ بل ضربه السلطان المولى الحسن مثلاً لقضاة العدل في رسالته إلى أهل مراكش.

عاش محمد الطالب متصرفاً علي الطريق الشاذلية الدرقاوية التي أخذها عن الشيخ محمد الحراق زاهداً في الدنيا وزخرفها. فلما مات "لم يُخلف شيئاً"، حسب العباس بن إبراهيم، "ولم يوجد في تركته ما يقوم على تجهيزه وإنما جهز إلى قبره بثمان دملج ذهبي لبنته كان قد اشتراه لها خالها، وهذا نهاية في الورع والزهد والإعراض عن الدنيا.

كتب محمد الطالب الكثير من المؤلفات بخط يده أكدت صفته من حيث هو عالم كبير من أعلام علماء عصره، له مشاركة في التاريخ والفقه وعلم النسب وعلوم اللغة. منها ما أنجزه وأتمه، ومنها ما منعه الموت من إتمامه، ومنها ما هو معروف موجود، وبعضها مطبوع، ومنها ما لا يعرف منه إلا الاسم، وهذه قائمة مؤلفاته :

*الأزهار الطبية الشرفية فيما يتعلق ببعض العلوم من المبادئ العشر*، مطبوع طبعة حجرية ويتناول أهم العلوم المتداولة في المغرب في القرن الثالث عشر الهجري ؛ *الإشراف على من بفاس من مشاهير الأشراف*، نعمل الآن علي تحقيقه ؛ *حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين*، طبعت عدة مرات ؛ *حاشية على شرح بحرق للامية الأفعال*، طبعت عدة مرات كذلك ؛ *السرور والابتهاج بترجمة الشيخ حمدون ابن الحاج*، وهو كتاب في تاريخ بيت بني الحاج السلميين في الأندلس والمغرب. وهو مصدرنا الأول في كتابة كثير من تراجم مادة ابن الحاج السلمي ؛ وقد نشرنا جزءه الأول محققاً ؛ *روض البهار في ذكر شيوخنا الذين فضلهم أجلى من شمس النهار*، لا يعرف عنه إلا اسمه ؛ *شرح إحياء الميت بفضائل آل البيت*، للسيوطي مخطوط ؛ *شرح مقصورة والده حمدون ابن الحاج في العروض والقوافي*، مخطوط ؛ *كناشتان مخطوطتان* ؛ *كتاب التعريف بالتاودي ابن سودة*، نشرناه محققاً ؛ *منظومات*

مختلفة؛ نظم الدرر والألآل في شرفاء عقبه ابن صوال، في أنساب الكتانيين مخطوط.

توفي محمد الطالب ابن الحاج يوم تاسع ذي الحجة من عام 1273 / 13 يوليو 1857. ودفن بضريح سيدي ابن الحاج بالدرج الطويل من مدينة فاس.

### ابن الحاج السلمي، محمد الطالب بن محمد

من ذرية شيخ الجماعة أحمد بن العربي ابن الحاج. عُرف فرع بيته بالمرباط. أديب فاسي من أهل القرن الثالث عشر الهجري. له شرح على مقامة أبي الفيض حمدون ابن الحاج.

### ابن الحاج السلمي، محمد بن عبد الرحمان

شقيق أبي الفيض حمدون الشهير. ولد بفاس في حدود سنة 1180 / 1766، وبها نشأ. وتلمذ على أخيه الأكبر، الشيخ أبي الفيض حمدون، وعبد القادر ابن شقرون، ومحمد الطيب ابن كيران. وتعلم الخط حتى برع فيه وتميز، وصار يُشار إليه في صناعة الخط والتزويق، تعلم على الخطاط الشهير، أبي الحسن، علي الوافلاوي.

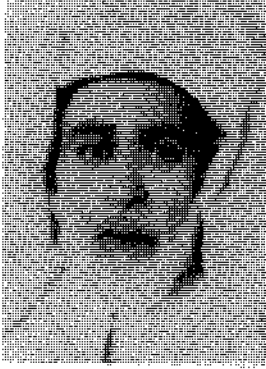
جمع محمد ابن الحاج، إلى ثقافته العلمية، وموهبته الفنية في الخط والتزويق بالذهب، قريحة أدبية، ومعرفة بالموسيقى وميلا إليها. وقد وصفه ابن أخيه محمد الطالب ابن الحاج بقوله إنه كان: "كثيرا ما يتأثر بالسماع، وينفعل بنغمات الألحان، عارفا بطبوعها، وقوالب أصواتها، متين الدين خاملاً، شاعراً مجيداً مطبوعاً. بيد أنه لم يورد أي شيء من شعره. ثم إننا لا نعرف شيئاً من شعره، ولا نعرف مصير تأليفه في أسرار العبادات. لا ندرى متى ولا أين توفي الشيخ محمد بن عبد الرحمان ابن الحاج، لأن ابن أخيه محمدا الطالب لم يقيده. ونظن أن ذلك كان في أواسط القرن الثالث عشر الهجري. ولربما كان ما يزال حياً عندما ابتدأ صاحب رياض الورد في وضع كتابه، في حدود سنة 1248 / 1832.

م. المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، الرباط، 1412 / 1991 : م.  
الطالب ابن الحاج، رياض الورد، فيما انتمى إليه هذا الجوهر الفرد، تج. د. ج. ابن الحاج السلمي، الجزء الأول، دمشق، 1413 / 1993.

### ابن الحاج السلمي، محمد بن عبد الكبير

العلامة الأديب وأحد بمدينة فاس سنة 1301 / 1883. وفي القرويين درس على أعلامها أهم المتون المتداولة عصرئذ في الفقه والنحو والأصول والحديث وغير هذا من العلوم. ذكر منهم ابن أخيه محمد بن الفاطمي ابن الحاج : أحمد بن الجيلالي المغاري، والتهامي جنون، وأحمد ابن الخياط الزكاري، ومحمد بن قاسم القادري، وعبد السلام ابن محمد الهواري، ومحمد بن جعفر الكتاني، ومحمد كنون، وخليل

بن صالح الخالدي التلمساني، ومحمد بن رشيد العراقي، وعبد العزيز بناني، وعبد السلام بناني، وأحمد بن المأمون البلغيشي، ومحمد بن محمد بناني، والعباس التازي، ومحمد بن محمد زويتن، وأبا شعيب الدكالي، وأحمد بن محمد العلمي، وعبد السلام بن الحسن بناني، وعبد الرحمان ابن القرشي، وأبا بكر بن العربي بناني.



ويعد أن أنهى دراسته، صار مدرسا بالقرويين. وجمع أحيانا بين التدريس والعدالة، وبين التدريس والإفتاء. وظل مدرسا للعلوم بها، ولاسيما علوم الآلة، إلى أن توفي. وصفه مؤرخه محمد بن الفاطمي بقوله : "فقيه علامة مشارك في كثير من الفنون المتداولة. إلا أن له تميزاً وتفوقاً في حلبة الفقه والنحو والأدب والبلاغة وعلوم اللغة." بيد أنه غلب عليه الأدب وعلومه. ومال طبعه إلى نظم الشعر في مختلف أغراضه من مدح ورتاء وإخوانيات وسوى ذلك. وامتنح من الملوك مولاي يوسف، ومحمدا الخامس، وربما من كان قبلهما. بيد أن شعره ما يزال مشتتا ينتظر من يجمعه. ولم يترك من المؤلفات إلا شرحاً كبيراً على المزهর للسيوطي، لم يتمه.

توفي بمدينة فاس يوم 28 ربيع الأول سنة 1378 / 12 أكتوبر 1958.

م. بن الفاطمي ابن الحاج السلمي، إسعاف الإخوان الراغبين، الدار البيضاء، 1412. 1992 : ع. التازي، القرويين، المسجد والجامعة بمدينة فاس، بيروت، 1972، 3 أجزاء : كناشة البشير أنيال (1410 هـ) مخطوط : ع. ابن زيدان، اليمن الوافر النوني، في امتداح الجناب المولوي المورسفي، 1932 م.

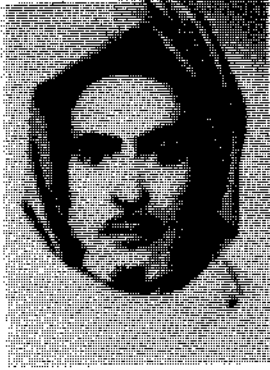
### ابن الحاج السلمي، محمد بن عبد الله، لا

نعرف شيئاً ذا بال عن هذا الرجل، لولا إشارة عابرة إليه في ظهير للسُلطان المولى محمد بن إسماعيل.

تمتع الفقيه محمد بن عبد الله ابن الحاج بالحماية الرسمية، أي بالتوقير والاحترام، لأجل صفته العلمية بمدينة تطوان التي استقر بها أبوه، والتي رسماً وكُد هو بها، وذلك



بالتدريس، وأفتى عمره فيه. وقضاه كله في فاس، إلا سنة واحدة في مدينة سيدي سليمان. وقد درس في سلكي القرويين الابتدائي والثانوي. وحين أحيل على التقاعد، سنة 1405 / 1984، شغل نفسه بالتوثيق حتى توفي. وعند إحياء الكراسي بالقرويين، عاد إلى تدريس النحو والفقه فيه.



أسهم محمد بن الفاطمي ابن الحاج في الحركة الوطنية المغربية. وكان له نشاط مرصق في حزب الاستقلال. ووقع عريضة المطالبة برجوع محمد الخامس مع رفاقه من العلماء يوم 27 ذي القعدة 1373 / 1953. وفي 12 ذي الحجة 1373، اعتصم مع من اعتصم من العلماء في الضريح الإدريسي. وعلى إثر هذا، سجنته السلطات الاستعمارية بمدينة الرباط.

ولما رجع محمد الخامس إلى فرنسا، سافر مع وفد العلماء لتهنئة جلالته بالعودة. وتشهد كتاباته الذاتية الخاصة على تعلق كبير بمحمد الخامس. بيد أنه بعد الاستقلال، كف عن النشاط الحزبي، وإن ظل بعد نفسه استقلالياً إلى آخر عمره، وانصرف بهسته المعهودة إلى العمل ضمن رابطة علماء المغرب، مؤمناً بوظيفتها غاية الإيمان. بل خصص نفسه لتاريخ العلم والعلماء المعاصرين، وجامعة القرويين. بل يمكننا أن نقول عنه إنه مؤرخ القرويين دون منازع على الطريقة القديمة. يستوي في ذلك ما تركه مخطوطاً وما نشره في حياته.

كان لمحمد بن الفاطمي ابن الحاج اهتمامات متنوعة. إلا أنه غلب عليه الأدب وكتابة التراجم. وقد خلف من الكتب التي تدل على اجتهاده الكبير، ومجهوده الميداني وغير الميداني، ما يأتي :

- 1 - إتحاف ذوي العلم والرسوخ، بتراجم من أخذت عنه من الشيوخ. وقد نشره في حياته. وهو أهم مصدر عنه.
- 2 - إسعاف الإخوان الراغبين، بتراجم ثلثة من علماء المغرب المعاصرين. وقد نشره كذلك في حياته. وهو يتضمن مئة ترجمة لعلماء المغرب. أما الباقي مما يلي، فهو ما يزال مخطوطاً.
- 3 - التحفة المسكية الغالية، في رحلتي الأولى إلى البقاع الحجازية.

بفضل تدخل جدّه عبد الرحمان ابن الحاج، لدى السلطان محمد بن إسماعيل سنة 1150 / 1737. وهذا يعني أنه كان شاباً أو حدثاً في ذلك التاريخ.

وقد كان هذا الفقيه على قيد الحياة سنة 1186 / 1772 مقيماً في تطوان ومتزوجاً بها، كما تثبت ذلك إشارة وردت عنه في ظهير للسلطان المولى محمد بن عبد الله.

وثائق بيت شيخ الجماعة، أحمد بن العربي ابن الحاج السلمي بتطوان. نشر وتقديم، جعفر ابن الحاج السلمي. أعمال ندوة تطوان خلال القرن الثامن عشر، تطوان 1993، ص 116 - 131.

**ابن الحاج السلمي، محمد بن عبد الهادي،**  
من رجال نهاية القرن الثالث عشر، وبداية القرن الرابع عشر.

اشتغل بالتدريس في القرويين. وورد اسمه مع أسماء العلماء الموقعين على العريضة المرفوعة إلى السلطان مولاي يوسف سنة 1330 / 1912 في شأن جامع القرويين.

كان فقيهاً معتنياً باستنساخ مخطوطات أسلافه، بخطه المغربي الجليل، مع الورع والزهّد والانقباض. ومنها ديوان حمدون ابن الحاج. (نسخة الخزانة العامة بالرباط)، ورياض الورد، وغير ذلك.

له كتاب "الأنوار المضيئة في الليل الداج".

ع. زيدان، الدرر الفاخرة، مجلّة الملوك العلويين بفاس الزاهرة، الرباط 1356 / 1937 : ع. بن عبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، المحمدية، 1395، 1396، 1401، 1975، 1976، 1981، 4 أجزاء : رواية الأستاذ الحسن ابن الحاج.

**ابن الحاج السلمي، محمد بن الفاطمي ولد**  
بمدينة فاس، حوالي سنة 1343 / 1924. وفي مكاتبتها حفظ القرآن وتعلم مبادئ العربية.

ثم أقبل على تعلم العلوم المتداولة في القرويين على شيوخها. وقد ذكر في فهرسته : إتحاف ذوي العلم والرسوخ جملتهم. وهم : الحسين ابن البشير، ومحمد بنونة الفاسي، ومحمد ابن سودة، ومحمد بوطالب، والعربي السعودي، وأبو الشتاء الصنهاجي، وأحمد ابن شقرون، وأضرايهم. وتخرج عالماً من القرويين من القسم الأدبي سنة 1368 / 1948.

وقد أجازته من العلماء : الحسن مزور، وعمه محمد بن عبد الكبير ابن الحاج، ومحمد ابن إبراهيم، وعبد الرحمان الفريسي، ومحمد بن العربي العلوي، وعبد الحفيظ الفاسي، والعباس بن إبراهيم المراكشي، والمدني ابن الحسيني الرباطي، وأحمد ابن الصديق الغماري، ومحمد الباقر الكتاني، ومحمد بن اليميني الناصري، ومحمد بن الحبيب القلاي الأمغاري.

اشتغل محمد بن الفاطمي ابن الحاج منذ شبابه الباكر

أحمد ابن الحاج، ومحمد أقصي، وعبد الرحمان الغريسي وأضرابهم. ثم تخرج عالماً من القسم الشرعي للقرويين سنة 1356 / 1936.



عُيِّن محمد بن محمد ابن الحاج أولا عدلا بفاس، ثم كاتبها بمجلس الاستئناف الشرعي الأعلى بالرباط، ثم قاضيا بأحواز الرباط عام 1357 / 1937، ثم قاضيا بقبيلة شراكة وسلاس وفشتالة وأولاد عيسى، في قرية أب محمد، سنة 1365 / 1945، ثم قاضيا بفاس الجديد سنة 1373 / 1953. كان محمد بن محمد بن أحمد ابن الحاج عالما فقيها مفتيا. وقد خلف فتاوى مجموعة. وكان أيضاً أديباً ذا نثر وشعر. وصفه إدريس بن الماحي الإدريسي بـ"العالم المدرس القاضي الأديب الكاتب المقتدر". وقد ذكر محمد بن الفاطمي ابن الحاج عنه، وهو أهم مصدر مفصل عنه، أن شعره كان كثيراً في موضوعات متنوعة. وأورد له قصيدة من شعره في المدح. بيد أن أهم ما خلفه، هو كتابه *خواطر*. وهو مجموعة مقالات في التبرية والإصلاح والأدب والثقافة، وفي مناقشة نظرية النشوء والارتقاء، تصور تطور تفكير عالم القرويين المغربي في الأربعينيات من القرن العشرين. وقد نشر المؤلف الجزء الأول منه. ولاندرى مصير الثاني.

وعندما جاء فجر الاستقلال، ناله أذى من الفدائيين وعُزل عن القضاء؛ فلزم الفتوى. ثم اشتغل بالتدريس بالشانوي في فاس أيضاً. ثم رجع إلى القضاء الشرعي بمحكمة فاس الإقليمية والاستئنافية. وظل قاضيا إلى أن توفي بمسقط رأسه يوم 8 شوال عام 1387 / 8 يناير 1968.

م. بن الفاطمي ابن الحاج السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين*، الدار البيضاء، 1412-1992؛ *خواطر*، فاس، 1367 هـ / 1948 م. الجزء الأول؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*.

### ابن الحاج السلمي، محمد بن محمد بن محمد

**المحدث.** ولد بفاس سنة 1223 / 1807. وصفه صاحب *الدرر البهية* بقوله: "كان محدثا خيرا ذا مروءة في دين متين. وهو أحد المحدثين الذين كانوا يسردون الصحيح بحضرة أمير المؤمنين مولانا عبد الرحمان بن هشام كان

4- الهدية السنية، في الرحلة الثانية، إلى الأضلاع المقدسة الحجازية.

5- ما صنع بالبال، من رحلة الحج والتجوال.

6- الخطب الجمعية السلمية. وقد أنشأها دون أن يشتغل بالخطابة.

7- اللآلئ الغالية البهية، في الأمثال العامية المغربية.

8- خطوات وخطرات من خلال رحلة سياحية وعلاجية.

9- الطريقة البهية، في رحلتي للربوع الأندلسية.

10- الدرر البهية السنية، في الرحلة الإرشادية المولدية، إلى الديار الفرنسية.

11- رحلة الوعظ والتوعية الدينية، إلى الديار الفرنسية.

12- الرحلة التوجيهية الرمضانية، إلى الديار الأوربية الهولندية.

13- تحقيق المطمح والمنية، بالرحلة الرابعة وشعائر الحج ومناسك العمرة.

14- النصيحة الدينية، لأعضاء الأمة الإسلامية.

15- الكشكول المتع، السلمي المتع.

16- بنات أفكاره، وقلذات أكبادي.

17- مذكرات عن محنة علماء فاس عند نفي محمد الخامس.

18- مذكرات ذاتية وتاريخية.

19- إنشاءات أدبية، في صورة قصص ومقالات وحكايات.

20- مراسلات كثيرة.

توفي بمدينة الرباط، يوم الأربعاء، 8 شوال 1413 / 31 مارس 1993، بعد مرض أعضله. ثم نقل إلى فاس فدفن بها في اليوم التالي، مخلفا وراءه حسن الأحدث والشأن من الناس عامة وخاصة.

م. الفاطمي ابن الحاج السلمي، *إحفاق ذوي العلم والرسوخ*، بتراجم من أخذت عنه من الشيوخ، الدار البيضاء، 1398-1978؛ *إسعاف الإخوان الراغبين*، بتراجم ثلثة من علماء المغرب المعاصرين، الدار البيضاء، 1412-1992؛ *مذكراته المخطوطة*، المعرفة الشخصية والقرابة.

### ابن الحاج السلمي، محمد بن محمد بن أحمد

ولد بمدينة فاس سنة 1332 / 1913 في بيت علم. إذ كان والده عالما محدثا، وعمه الطائع رئيسا للقرويين، وجده عالما مؤرخا كبيرا للدولة العلوية.

وبعد مرحلة التعليم الابتدائي، قصد القرويين للدراسة، عام 1348 / 1929. فدرس على علماء أجلة أهم العلوم المتداولة في القرويين، وهم محمد ابن سعيد المكناسي، والعباس بناني، وعمه الطائع ابن الحاج، ووالده محمد بن

ينتحل خطة الشهادة بسماط هذه الحضرة، ولازال عليها إلى أن توفي في حدود 1314 / 1896.

إ. الفضيلي العلوي، الدرر البهية، فاس 1314 هـ، 1896 م.  
جزءان : م. الطالب ابن الحاج، رياض الورد، تج. جعفر ابن الحاج السلمي، دمشق، 1413 / 1993.

### ابن الحاج السلمي، المهدي بن أبي بكر من

علماء القرويين، ولد بفاس وبها نشأ وتعلم وتخرج، أدرج مدرسا بها في الطبقة الرابعة عام 1337 / 1918. وقد جمع بين التدريس في القرويين وثانوية مولاي إدريس بفاس.

توفي بفاس شابا سنة 1343 / 1924.

ع. الهادي لتازي، جامع القرويين، بيروت، 1972؛ ع. ابن زيدان، الدرر الفاخرة، الرباط، 1356 / 1937.

### ابن الحاج السلمي، المهدي بن محمد إن

المعلومات عن هذا الفقيه قليلة جداً. وقد كتب في ترجمته ابن أخيه محمد بن عبد الهادي ابن الحاج في كتابه : الأنوار المضيئة في الليل الداج.

ولد المهدي ابن الحاج بفاس سنة 1244 / 1828. وتلمذ على أبيه محمد المحدث، وعمه محمد الطالب، وعلى من عاصرها من أعلام العلماء، كالوليد العراقي، ومحمد بن عبد الرحمان الفلالي، وأحمد المريني وغيرهم.

وصفه صاحب الدرر البهية بقوله : "الفقيه العلامة النحرير، المحرر الفهامة، السيد المهدي، المحدث الأصولي، المنطقي المحافظ الحجة، آية الله الكبرى في جميع فنون العلم، العقلية والنقلية. أقبل على التدريس في جميع الفنون، فهرع إليه طلبته من كل حذب لحسن تبليغه، وسلاسة عبارته وإتقانه، فانتفع به خلق كثير".

ووصفه صاحب سلوة الأنفاس بقوله : "كان فقيها علامة مدرسا نفاعا. له مشاركة في فنون عديدة، وصناعة بديعة في التدريس، حلو المنطق، كريم النفس، جميل الأخلاق، خيرا دينا هينا لنا خاضعا متواضعا متصفا".

تخرج على يده عدة علماء أعلام، منهم الشيخ عبد الكبير الكتاني، والمهدي الوزاني، ومحمد المدني ابن جلون. وقد حلف رسالة في أحكام الخنثى، ماتزال مخطوطة في مكتبة تطوان العمومية. ونسب له صاحب الدرر البهية حاشية علي الخرشى.

توفي بفاس سنة 1290 / 1873.

إ. الفضيلي العلوي، الدرر البهية، فاس 1314 / 1896؛ م. الطالب ابن الحاج، رياض الورد، تج. جعفر ابن الحاج السلمي، دمشق، 1413 هـ / 1993 م؛ م. بن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس، فاس، 1316 هـ / 1898 م؛ م. مخلوف، شجرة النور الزكية؛ ع. الكتاني،

فهرس الفهارس، بيروت، 1402. 1982؛ ع. بن عبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية؛ رواية المفضل بن محمد ابن الحاج عنه.

جعفر ابن الحاج السلمي

### ابن الحاج الشفشاوني، محمد بن أحمد قاضي

شفشاون على عهد الأميرين إبراهيم بن علي بن راشد وأخيه محمد بن علي بن راشد. كان فقيها مرموقاً له اهتمامات بالقضايا الشائكة في عصره يناقش فيها ويُنَاطِرُ ويُسائل علماء عصره حولها. ومن ذلك مسألة عقائد العوام التي كانت موضوع مراسلات بينه وبين شيخ فقهاء فاس آنذاك عبد الواحد الوثننيسي والتي كانت على ما يبدو واحدة من عوامل وأسباب النفرة والخلاف بينه وبين الشيخ المتصوف عبد الله الهبيطي وأبي القاسم ابن خجر وهو الخلاف الذي تطور ليصل إلى درجة إهانة الهبيطي بالضرب والحبس من طرف والي شفشاون بإيعاز من القاضي صاحب الترجمة كما أخبر بذلك ابن الضحية، محمد بن عبد الله الهبيطي في منظومته قائلاً :

كم ساهم بالضرب والتهاون والي وقاضي الجور في شفشاون  
سجنه القاضي عدو نفسه من غير جرم موجب لحبسـه

توفي صاحب الترجمة سنة 969 وقد أفتى في مجموعة من النوازل أثبتتها العلمي في نوازله.

م. الهبيطي، المنظومة، مخطوط؛ م. العلمي، النوازل، 1: 244، 2: 6 وما بعدها؛ العافية، شفشاون، 330 وما بعدها.

محمد مرزاق

### ابن الحاج العبدري، محمد بن محمد الفاسي مؤلف

المدخل. ولد في منتصف القرن السابع الهجري، ولعله من الطارئين على فاس، فقد جاء في بعض نسخ كتابه المدخل: "يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه .. محمد بن محمد بن محمد العبدري القبيلي الفاسي الدار"، ولا يقال فاسي الدار إلا لمن كان طارنا عليها - كما لا يخفى.

ولا ندري مدى صلته بأبي عمرو عثمان بن محمد بن عبد الله العبدري الفاسي، فهو سياسي الأصل من كورة جيان، استوطن فاس وتوفي بسبتة سنة 663 / 1264.

وهناك عبدري آخر له شرح على الرسالة ينقل عنه في المدخل ويترجم عليه. وهو بروكلمان فذكر أن ابن الحاج - مترجمنا - ولد للعبدري صاحب الرحلة. أخذ ابن الحاج العبدري عن شيوخ فاس، منهم : أبو عبد الله الفاسي، تردد ذكره في المدخل وهو من رجال التصوف.

غادر ابن الحاج فاسا - وهو شاب يافع، فدخل تلمسان، واتصل بالشيخ إبراهيم بن يخلف التنسي المظاطي، سمع منه، وكان من أهل الفضل والصلاح، انتهت إليه رئاسة التدريس والفتوى في وقته (ت. 670 / 1271).

ثم التحق ابن الحاج بتونس، فصحب أبا محمد عبد الله بن محمد المرجاني، وكان من الأئمة الأعلام في الفقه والحديث والتفسير والتصوف. رافقه في رحلته إلى المشرق، وعندما هاج عليهم البحر، توصل الناس إليه، فأمرهم بالصدقة، فأنجاهم الله من الفرق.

وبعدما أديا مناسك الحج، عاد الشيخ المرجاني إلى بلده تونس، وهناك توفي سنة 669 / 1270.

أما ابن الحاج، فقد شد الرحال إلى بيت المقدس، وزار المسجد الأقصى؛ وربما عزج على اليمن وبلاد الشام، وانتهى به المطاف إلى أرض الكنانة، فنزل الإسكندرية وتجول في بادية الصعيد، واستقر - نهائياً - بالقاهرة، فأخذ عن الحافظ تقي الدين عبيد الأشعري (ت. 692 / 1292) وسمع عليه الموطأ وحدث به. ثم لازم أبا محمد بن أبي جمرة (ت. 629 / 1299)، فبذت عليه بركاته، وصار ملحوظاً بالمشيخة والجلالة - كما يقول ابن حجر.

تتلذذ له أبو محمد المنوفى (ت. 748 / 1347)، وخبيل ابن إسحاق الجندي صاحب المختصر المشهور (ت. 776 / 1347) وشمس الدين الرفاء الملقب بحمام الحرم، سمع عليه كتابه المدخل وأجاز محمد بن علي بن ضرغام سكر من شيوخ ابن حجر.

وتذكر بعض الروايات أنه أجاز لمن أدرك حياته بعامة. كف بصره في أخريات حياته وأقعد، وتوفي عن نيف وثمانين سنة. ألف كتابه المدخل بإشارة من شيخه أبي محمد بن أبي جمرة، وأسماه المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات، والتنبيه على بعض البدع التي انتحلت، وبيان شاعتها وقبحها ..

وذكره الصفدي باسم كتاب البدع، وهو كتاب حافل، غزير العلم، كثير الفوائد، كشف فيه عن معايب وبدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها، وأكثرها مما ينكر، وبعضها مما يحتمل - كما يذكر ابن حجر. ولعله لم يؤلف غيره ونسب له بعضهم كتاب شمس الأنوار وكنوز الأسرار، وهو لابن الحاج محمد الكبير. بلوغ القصد والمتى في أسماء الله الحسنى.

وفي إيضاح المكنون أنه من تأليف ابن أبي الحاج. وذكر له بروكلمان - خطأ - كتاب: الأزهار العاطرة للنشر، وهو للطلاب بن حمدون ابن الحاج ونسب له بعض المفهرسين تقييداً في رسم القراء السبعة. وهو من تأليف ابن حاج آخر متأخر.

م. ابن الحاج العبدري الفاسي، المدخل، الطبعة الثانية، بيروت: 1397 / 1977؛ م. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، مصر، 1386 / 1967؛ م. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الخامس، (ق 1)، بيروت، 1960؛ إ. ابن فرحون، الديباج المنعجب، مصر، 1351؛ أ. ابن القاضي، جنوة الاقتباس، فاس، 1309؛ إسماعيل باشا، إيضاح المكنون، بغداد، بروكلمان، دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، بغداد؛ خ. الزركلي، الأعلام، طبع (1270، 1900)؛ ي. سركيس، معجم المطبوعات، طبع لبنان؛ ع. السيرطي، حسن المحاضرة، الطبعة الشرقية (1267)؛ ع. الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، مصر (1282، 1904)؛ خ. الصفدي، الرافعي بالرفعيات، الطبعة الثانية،

إيران، (1281، 1961)؛ ع. العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية، (1290)؛ ع. كون، مشاهير رجال المغرب (المسلسلة 22)، بيروت؛ م. مخلوف، شجرة النور الزكية، بيروت - لبنان. سعيد أعراب

**ابن الحاج، محمد ومجون بن سيمون بن محمد بن وركوت، قائد مرابطي من بطانة يوسف بن تاشفين وأخلص أصدقائه وأعظم قواده وخاصتهم، أبلى البلاء الحسن في محاربة النصارى وحلفائهم من ملوك الطوائف خاصة منهم بني هود وبني ذي النون، وكان يوسف بن تاشفين وابنه علي يُكلفانه بهذا الأمر ويعتمدان عليه فيه. وعن هذا يقول ابن خلدون: "ثم أجاز يوسف بن تاشفين الجواز الثالث سنة تسعين (490 / 1038) وزحف إليه الطاغية (الفونس 6) فبعث عساكر المرابطين لنظر محمد ابن الحاج فانهزم النصارى أمامه وكان الظهور للمسلمين ... ثم أجاز الأمير يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين سنة ثلاث وتسعين وانضم إليه محمد ابن الحاج وسير بن أبي بكر واقتحموا عامة الأندلس من أيدي ملوك الطوائف".**

وُلِّي صاحب الترجمة عاملاً على قرطبة سنة 484 / 1091 من قبل يوسف بن تاشفين بعدما اقتحمها وقتل حاكمها المأمون بن المعتمد. ولما سقط عبد الله بن فاطمة جريحاً في إحدى حروبه ضد الفونس السادس سنة 493 هـ خلفه محمد ابن الحاج على غرناطة فهب مع عامل إشبيلية لإيقاف هجومات هذا الطاغية لكنه فشل. ولعل هذا الفشل هو الذي أدى إلى عزله سنة 499 / 1105 من قبل علي بن يوسف الذي تولَّى زمام الأمر عند اشتداد المرض على والده، فبقي إلى أن رضي عنه وعينه سنة 501 هـ عاملاً على فاس ثم على بلنسية سنة 503 هـ، ومن هناك استمر يقاتل النصارى في كل مكان إلى أن سقط شهيداً في الميدان صحبة الأمير محمد بن مزدلي والأمير إسحاق بن دانية والأمير أبي بكر بن واسنو وجملة آخرين من الأمراء والحشم قدروا بشمانين، وذلك في مستهل صفر سنة 509 / 1115.

م. ابن عذاري، البيان، 4، 49؛ ع. ابن خلدون، العبر، 6، 221 وما بعدها؛ مجلة تطوان، 4، 3، 155؛ وما بعدها.

محمد مرزاق

**ابن الحاج النميري، إبراهيم بن عبد الله الغرناطي، يكنى أبا القاسم ويلقب برهان الدين، من أسرة عريقة في العلم والمجد. وُلِدَ عام 713 / 1313. أديب كاتب شاعر مؤلف مكثراً اضطلع بمهام سامية في غرناطة وسبتة وقسنطينة، وأقام مدة طويلة بفاس في خدمة السلطان أبي الحسن المريني وابنه أبي عنان. وكان معاصراً ومصاحباً لعبد الرحمان ابن خلدون ولسان الدين ابن الخطيب ومحمد ابن مرزوق الذين عملوا مثله في بلاط المرينيين بفاس.**

مؤلفات ابن الحاج : مذكرات نشر ما بقي منها  
المستشرق دي برمار De Prémare ورحلته المسماة فيض  
العباب وإفاضة قدام الآداب في الحركة السعيدة إلى  
قسنطينة والزاب، زار خلالها في ركاب مخدومه أبي عنان  
عدداً من مدن المغرب الأقصى، وكذا المغرب الأوسط الذي  
كان خاضعاً لبني مرين. تعدد هذه الرحلة من المصادر  
الأساسية لتاريخ الدولة المرينية، وأبي عنان على الخصوص،  
وقد نشرت أخيراً محققة مع دراسة وافية تعرّف بالمؤلف  
والكتاب.

توفي إبراهيم ابن الحاج بعد عام 774 / 1372 ولم يحدد  
أحد من مترجميه - على كثرتهم - سنة وفاته.

م- ابن شقرون، مقدمة فيض العباب، ص 109-5، الرباط د. ت،  
والمصادر الأندلسية والمغربية والشرقية التي اشتملت عليها  
المقدمة.

محمد حجي

أبو **حاج**، أسرة فاسية عريقة قيل في نسبها إنها  
قرشبية، وقيل إنها بربرية من عَفْجُوم فخذ من زناتة.  
والبها ينسب الفقيه الكبير أبو عمران الفاسي، ودرّب أبي  
حاج الشهير حتى اليرم يحي الطالعة بفاس، ومسجده  
المعروف بمسجد درب أبي حاج الذي ربما يكون من أبناء هذه  
الأسرة المنقرضة الآن في فاس، وقد تولى بعض آل أبي حاج  
القضاء أيام المرابطين بفاس وغيرها من جهات المغرب.

أبو **حاج**، **موسى بن عيسى** الغفجومي المشهور في  
كتب التراجم بكنيته أبي عمران الفاسي. نشأ ودرس في  
مدينة فاس ثم جاز إلى الأندلس ودخل قرطبة، فأخذ عن  
أعلامها أمثال أبي محمد الأصيلي وسعيد ابن مريم وعبد  
الوارث ابن سفيان وغيرهم. وانتقل بعد ذلك إلى القيروان  
فأخذ عن أبي الحسن القاسبي، وإلى بغداد فحضر مجالس  
القاضي أبي بكر ابن الطيب وأبي الفتح ابن أبي الفوارس،  
ودرس الأصول على القاضي أبي بكر الباقلاني، ثم رجع  
إلى القيروان واستقر بها، قيل لأنه أزعج عن فاس من قبل  
بعض الظلمة بسبب تشده في الحق.

من مؤلفاته كتاب التعاليف على المدونة لم يكمل. وذكر  
ابن فرحون في **الديباج** نقلاً عن حاتم بن محمد : "كان أبو  
عمران من أحفظ الناس وأعلمهم، جمع حفظ المذهب المالكي  
إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم ومعرفة معانيه،  
وكان يقرأ القرآن بالسبع ويجوّد، مع معرفته بالرجال  
وجرحهم وتعديلهم. أخذ عنه الناس من أقطار الأندلس،  
واستجازه من لم يلقه".

وأبو عمران هو الذي نذب الأمير يحيى بن إبراهيم  
الغدالي مرجعه من الحج لقتال برغواطة، ووجهه إلى الشيخ  
وجاج بن زلو اللمطي ببلاد نفيس وكتب إليه لبيعت معه من  
طلبته من يشق بعلمه ودينه وورعه وحسن سياسته ليقرب

الصنهاجيين بالصحراء القرآن ويفقههم في دين الله. فبعث  
معه بالفقيه عبد الله ابن ياسين الذي عمل على تأسيس  
دولة المرابطين.

توفي أبو عمران الفاسي بالقيروان في 13 رمضان / 430  
8 يونيو 1039.

ي- ابن الزيات، **التشوف**، تع. أ، التوفيق، 87، 89 : إ. ابن  
فرحون، **الديباج المذهب**، 344، 345 : إ. ابن الأحمر، **بيوتات فاس**،  
44، 45 : أ. ابن القاضي، **جنوة**، 1، 345 : أ. الناصري،  
**الاستقصا**، 2، 7، 5 : ع. ابن سودة، **رفع الاتباس**، مرقون.

محمد حجي

**أولاد الحاج المليلي**، فرقة مندرجة ضمن قبيلة  
كبدانة الواقعة جنوب شرق إقليم الناظور. تحتل الفرقة الجزء  
الشرقي من القبيلة بالقسم المعروف برأس كبدانة أو رأس  
الماء. يحدها من الجهة الجنوبية مجرى واد ملوية، ولها  
ساحل يحيط بها من جهتي الشرق والشمال. أما من جهة  
الغرب فتتمتد على طول حدودها فرقة آيت بوقيطون  
(القياطن).

تتألف الفرقة حالياً من سبعة مداشر، تعرف في التقويم  
الإداري بأسماء سلالية تدل على الجذ المتفرع منه، خلافا لما  
كان معروفا في بداية القرن الحالي، فهناك :

- أولاد يوسف الكبير أو أيديم، على الساحل الشرقي.
- المرابطون وهم أهل البرج.
- أولاد رحو ابن الحاج أو تغانينت.
- أولاد حدو بن رحو أو بني جبارة.
- أولاد موسى أو تازاغين.
- أولاد هرفوف أو الهرافيف.

تحتل فرقة أولاد الحاج المليلي بكبدانة المرتبة الأولى من  
الوجهة الاقتصادية بفضل اعتماد مواردها على الميدانين  
الفلاحي والتجاري. فأهم نقطة اقتصادية ساحلية هي رأس  
الماء أو رأس كبدانة المعروف في التاريخ الوسيط، وهو  
يوجد ضمن أراضي المرابطين وأولاد يوسف الكبير. يشرف  
الرأس على البحر بأجرف قوية الانحدار وينتهي بشاطئ  
صغير من الجهة الشمالية الشرقية حيث اتخذت المرساة  
(تامرسات)، مقابل جزر كبدانة المحتلة. كان للمرسى دوره  
في التجارة البحرية مع ساحل كل من الريف الشرقي  
والجزائر الغربية سيما مع وهران، ولم يحد من نشاطه سوى  
احتلال جزر كبدانة من طرف الإسبان عام 1264 / 1847.

وقبل القرن الحالي كان سوق أولاد الحاج هو يوم الجمعة  
مقره بجماعة البرج بأولاد حدو بن رحو، ثم استبدل في  
بداية الغزو الإسباني بيوم الثلاثاء، وهو بمقرية من مجرى  
واد ملوية، ويسمى أيضا سوق رأس الماء ويعد عنه بنحو  
سبعة كيلومترات. ويقصد السوق علاوة على أهل كبدانة  
تجار خمس بني بويفرور من قبيلة قلعبة ولعساري بني  
وكيل بني بويحيى.

وبموقع فرقة أولاد الحاج الهام وإشراف رقعتهما على الساحل أصبحت مساحتها معبر القوافل التجارية الذاهبة من قلعية إلى بني إزناسن وغيرها من بقاع الجزائر الغربية مما أضاف إليها ما نسميه بمداخل دور الوساطة.

وتتوفر أرض فرقة أولاد الحاج المليلي على مساحة هامة من نبات الحلفاء، مركز تجمع إنتاجها هو سوق ثلاثاء بني جبارة بجماعة أولاد حدو بن رحو، وهي مادة تجارية كانت تصدر وقت الأزمات عن طريق التهريب أو الترخيص السلطاني علاوة على زراعة الجبوب من قمح وشعير.

ويوجد بالفرقة مبنى رباط مسجد جنادة والبرج الذي كانت به الحراسة الساحلية منذ احتلال الإسبان للميلة، يقوم بتسييره أعيان المرابطين وتقوم كل فرق كبدانة بتنظيم العسة والمشاركة بحصة معلومة من رجالها.

لاحظ مٌخبر مولييراس أن عدد دور أولاد الحاج كان قد بلغ ثلاثمائة دار قبل 1892، أما الإحصاء المقدم من طرف الإسبان قبل سنة 1915 فقد بلغ ستمائة دار (5x 600 = 3.000 نفر، تقديراً). وإذا كنا نشك في حدوث هذا النمو السريع المفاجئ فإننا نميل أكثر إلى الإحصاء المقدم من طرف الإسبان.

ومن الناحية التاريخية يبدو أن تعمير أراضي فرقة أولاد الحاج المليلي لم يتم بصورة قارة إلا في بداية القرن العاشر (16 م) استناداً إلى الرواية الشفوية التي لها ما يساندها من الإشارات التاريخية، فهناك وثيقة صادرة في آخر القرن الثالث عشر (19 م) أشارت إلى الفرقة باسم أولاد الحاج المليلي، بينما سمتها وثيقة 28 ذي القعدة 1313 / 11 ماي 1896 أولاد المليلي.

تستعرض الرواية الشفوية التي قام الإسبان بنقلها في بداية القرن الحالي وقمنا نحن بتسجيلها أيضاً في استطلاع خاص، قصة خروج أيت الحاج المليلي من مدينة مليلة سنة 1496 / 902 بعد المشاركة في التمرد على حاكم محمد الشيخ الوطاسي والمساهمة في هدم المدينة تحسباً لغزو إسباني مرتقب، ثم انتقالها إلى رأس كبدانة بعد التأكد من التسرب الإسباني في السنة الموالية.

والمعلوم لدينا من الوجهة التاريخية أن جماعة أندلسية منتمية إلى ناحية مورتيل كانت قد استقرت بمليلة منذ ما قبل عام 1489 / 895 مرت بنفس الظروف التي تقصها رواية أيت مليلي، مما أدى بنا إلى الاعتقاد أن أسرة الحاج المليلي كانت من جملة المخارجيين من مليلة المحتلة ومن المتلجسين إلى برج كبدانة، حيث تشكلت فرقة أولاد الحاج المليلي.

استقر عميد الأسرة الحاج المليلي بعد عام 1497 / 903 ببرج كبدانة حيث تمكن من شراء أملاكه وتأسيس الأسرة التي احتفظت باسمه. ولا يزال التقويم الإداري الراهن حاملاً لبعض سمات القرن العاشر (16 م). فما يمكن استنتاجه أن أولاد رحو بن الحاج هم أقدم من تعرفنا عليهم من أولاد الحاج المليلي، وهذا ترك ابنه حدو بن رحو الذي شكل بدوره

دائرة مستقلة من نسله، ثم أولاد يوسف الكبير وأولاد موسى وأولاد حصو بن عمر الذين لا نعرف صلة القرابة بينهم وبين الحاج المليلي. كما أننا لا ندري ما إذا كان الهرايف من أيت مليلي أم لا. وقد أشرك أولاد الحاج في سكناتهم جماعة من المرابطين الذين يردون نسبهم إلى الأدارسة تيمناً بوجودهم إلى جوارهم مثلما جرت العادة.

وما نعرفه من تاريخ فرقة أولاد الحاج المليلي خلال العصر الحديث أن الفرنسيين كانوا قد تشوفوا أثناء القيام بمهمة استكشافية لسواحل الشمال الشرقي المغربي إلى امتلاك أرض الفرقة منذ بداية سنوات الستينات من النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17 م) كنتيجة لاهتمامهم بموقع جزر كبدانة حسبما أبرزته تقارير رئيس البحرية فرانسوا دو بوفرت إلى الوزير كولبير سنة 1662 / 1074. حين اقترح على الحكومة بناء برج في مقدمة رأس كبدانة، واستغلال الأراضي المجاورة وحقول الملاح، إلى جانب المتوفر من الثروات الحيوانية البحرية منها والبرية.

وبصادف الاقتراح الفرنسي تعرفنا على أول شيخ حاجي وحاكم كبدانة بأسرها، المدعو الشيخ علي بن سليمان الحاجي، وكان أغنى أهل كبدانة ومن المشهورين من شيوخ الشمال الشرقي في منتصف القرن الحادي عشر (17 م)، إلى جانب الشيخ عمر بن محمد الحمّامي التسماني وأحمد أعرّاص البيطفي.

ومن أحداث فرقة أولاد الحاج المليلي استقبالها للمولى الرشيد العلوي إثر مغادرته لتانيفاليت أثناء خلافه مع أخيه المولى محمد، وذلك حوالي 1660 / 1072 (المعلمة، 8، 2552) واحتضان الشيخ علي بن سليمان لمركته التي كانت في طورها المبكر، حيث بقي إلى أن تمكن من ضم بني إزناسن وقلعية وباقي جهات الريف الشرقي.

ومن شخصيات أولاد الحاج في العصر الحديث أيضاً المدعو البشير بن محمد بن أحمد المرابط الحاجي الكبداني، مقدم المجاهدين ما بين 1775 و1794، كان له دور في ميدان مليلة وحراسة ساحل كبدانة من القراصنة الأوربيين. وقد قدمنا نبذة عن جهاده في رسالتنا الجامعية.

وتبدو معرفتنا لأوضاع فرقة أولاد الحاج المليلي في الفترة المعاصرة على عهد المولى الحسن الأول والمولى عبد العزيز أفضل، والوضعية ظاهرة من خلال التعرف على سلسلة القواد المتعاقبين على حكمها، أولهم المدعو عمر هروف الحاجي الذي كان قائد كبدانة على عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان على ما يظهر. ثم ابنه عمر بن عمر هروف الحاجي الذي وجدناه في مرتبته ابتداءً من سنة 1297 / 1897 ثم خلفه محمد بوصفية الحاجي الكبداني الذي احتفظ بالقيادة ما بين 1301 / 1883 و1310 / 1892، وظهر بعد ذلك محمد بن محمد بن عمر هروف الحاجي المعين يوم 28 ذي القعدة 1313 / 1895 وأخوه ميمون بن محمد بن عمر هروف الحاجي الذي كان بتلك الصفة عام 1321 / 1903.

أغنى مراكز المنطقة وأكبر سوق للحبوب والمنتجات الغابوية والأغنام ومشتقاتها من الصوف والزراحي.

احتلت القوات الفرنسية التي كان يرأسها الضباط : غورو Gouraud ودالبيز Dalbiez وبرولار Brulard قصبه الحاجب في نهاية شهر يونيه 1911، وأقامت فيها معسكراً للجنود الشريفيّة والأجنبيّة، وفي بداية عهد الحماية الفرنسية صارت الحاجب تجمعا سكنيا محاطاً بسور سميك، وأقامت فيها القيادة العسكرية مكاتبها الخاصة ومصالحها الإدارية، ومن بينها مصلحة الاستعلامات، وتم تقسيم قبيلة بني مطير من الناحية التسييرية إلى قسمين شمالي وجنوبي على رأس كل منهما قائد، وكان أشهرهم إدريس أورهو - على القسم الجنوبي - وحدو نهموشة - على القسم الشمالي - وكلاهما تابعان للمركز العسكري بالحاجب الذي تحول منذ فاتح مارس 1913 إلى دائرة بني مطير، ثم صار منذ 9 يوليوز 1914 ملحقة أدمجت فيها قبيلة غروان الجنوبية ابتداء من 14 دجنبر 1923.

وقد تطور الحاجب بعد الاستقلال وأصبح مدينة عامرة.

Abes. *Monographie d'une tribu berbère, les Aïth Ndur (Beni M'fir)* : Savain (Capitain), *Tribu des Beni M'fir*. Février 1928, in Service Historique de l'Armée de Terre (S.H.A.T). 3H435 Doggier ; C28704 Fiche de tribu.

بوشتي بوعسرية

**الحاجب - جغرافيا - منطقة اتصال بين هضبة الحاجب \* المنتصبة من الجنوب (أزيد من 1000 م من الارتفاع) وسهل سايس المنخفض (600-800 م) الممتد شمالاً في اتجاه مدينة مكناس. وتنتمي هضبة الحاجب هاته إلى مجموعة الهضاب العليا المتدرجة للأطلس المتوسط الغربي (من 1000 إلى 2000 م) وهي مرتفعات كلسية تكسوها غابات الفلين الأخضر تارة، وتارة أخرى تظهر عارية جرداء تستغل كمراع صيفية في إطار حركة الانتجاع التي كان يعتمد عليها فط عيش القبائل البربرية النصف رحالية (أيت يوسي وبني مكيلد وبني مطير) بعد قضاء الفترات الباردة في منخفضات أزغار حيث المناخ معتدل والمراعي تخضر. ويشكل سهل سايس أحد هذه المنخفضات التي كانت تمثل مراعي الشتاء، وهي عبارة عن أراض منبسطة ذات تربة غنية كانت تنصب بها خيام بني مطير وتسرح بها الأغنام إلى أن عرفت استعماراً فلاحياً مكثفاً جعل منها منطقة فلاحية من أغنى المناطق المغربية.**

ويحكم جغرافية هذا الموقع يحتل الحاجب عمراً استراتيجياً هاماً يربط بين مكناس وتافيلالت ماضياً وحاضراً. عمراً جعله يستفيد من سهولة الاتصال بحيث تربطه شبكة كثيفة من المواصلات بمجموعة من المراكز الحضرية، إذ لا يبعد عن مكناس إلا 50 كلم وعن أزروو 30 كلم وعن إفران 25 كلم.

وقد تركت حركة الشريف محمد أمزيان ضد الروكي بوحامرة أولاً والغزو الإسباني لفرقة أولاد الحاج المليلي ثانياً بصماتها، فقد سبق له أن التجأ إليها ونال بها الشهرة بعد إصهار الحاجيين إليه والسماح له بتأسيس الزاوية التي لا تزال قائمة إلى اليوم بجوار الملك العقاري المحبس من أجلها.

وقد نالت فرقة أولاد الحاج اختيار مشروع التوسع الإسباني بالشمال الشرقي والسيطرة على معدن جبل ويسان، فاستغل حاكم مليلة الجنرال مارينا (Marina) تغلب الروكي بوحامرة على قلعية والتجاء القوات المخزنية المرابطة بقصبه فرخانة إلى مليلة لنشر قواته بفرقة أولاد الحاج ورأس كيدانة.

فبعد احتلال جزيرة سبخة بوعرك (Restinga) يوم 14 فبراير 1908، تقدم الجيش الإسباني إلى رأس كيدانة فاحتل المنطقة يوم 12 مارس من نفس السنة، ومن هناك تمت السيطرة على كيدانة لفتح الطريق أمام سهب بوعرك وقصبه سلوان وتطويق قلعية ومركز مقاومتها بجبل أكركور.

وثائق الخزنة الحسنية بالرباط : كناس 192، خ. ح. الرباط : معلمة المغرب، 8؛ خريطة طوبوغرافية لسنة 1921 : خريطة المصلحة الطوبوغرافية عام 1954 : استطلاع ميداني يومي 14 و15 غشت 1975.

S.I.H.M. France, 2eme série, T. 1 : Mouette. *Histoire de Mulay Rachid et Mulay Ismael* ; R. F. De Castro, *El Rif. Territorios de Guelala y Quehdana*, Madrid 1911 ; Capitan x, *Verdades Amargas*, Madrid, 1910 ; Comision Historica de las campanas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, T. 2 : *Vademecum* ; Carlos Martinez de Campos, *Espana Belica*, Madrid, 1973.

حسن الفكيكي

**الحاجب، قصبه يرجع تاريخ تأسيسها إلى القرن السادس (12 م) على عهد الدولة الموحدية، وكانت تسمى جامع الحمام، وفي بداية القرن التاسع الهجري (15م) هدمت جل بناؤها ولم يبق منها إلا بعض الأسوار، وقال عنها الحسن الوزان في بداية القرن العاشر (16 م) : "هي مدينة قديمة ... على بعد نحو خمسة عشر ميلا جنوب مكناس ... ولا يزال قاننا من أطلالها جميع السور المحيط بها تقريبا".**

وأعاد السلطان الحسن الأول بناء قصبه الحاجب كما ذكر عبد الرحمان بن زيدان "... وكذلك بني قصبه الحاجب بحبوحة برابرة بني مطير ...". وذلك حوالي سنة 1298 / 1880، حيث صارت مركزاً لأشهر منطقة بأحواز مكناس، وتحتل هذه القصبه موقعا استراتيجيا على ارتفاع 1000 م، إذ كانت تخترقها الطريق السلطانية الذاهبة من مكناس إلى تافيلالت، وتقع ما بين سهل سايس الخصب وبين الهضاب الكلسية بالأطلس المتوسط، مصدر عيش العديد من رعاة بني مطير، ومناخها معتدل، وبذلك صارت من

تتمتع مدينة الحاجب، إضافة إلى هذا، بموضع طبغرافي متدرج (بين 950 إلى 1050 م) وتُظَل من أعالي السفوح كأنها شرفة منتصبة يستمتع فيها المرء بجمال مشاهدنا الريفية وبهاء طبيعتها المتميزة وخرير مياه عيونها الرقراقة التي تستمد مياهها من التساقطات الثلجية والمطرية للمرتفعات (عين حند وعين كحلة وعين الذهبية). فالمناخ هنا قاري يستفيد في الفترات الباردة من التيارات الهوائية الرطبة التي تغذي المنطقة بمتوسط تساقطات يتراوح ما بين 400 و500 مم (446 مم سنة 1944) تنزل أساسا على شكل أمطار وتأخذ شكل تلوج، مرة على الأقل في السنة. أما الفصول فهي متباينة، فالصيف حار وجاف باستثناء العواصف الرعدية. أما الشتاء فهو معتدل ورطب.

التراب المطيري ويتحكم في العبور بين سهل سايس والمرتفعات المجاورة، وأُنزل بها جيوشه. غير أن هجرة هذه الأخيرة عن القصبة وتخليها عن حراستها فيما بعد فتح باب استعمالها كنفادق لاستقبال التجار اليهود المتنقلين الذين كانوا يتوافدون على السوق الأسبوعي المحلي. ولا زالت بقاياها تشغل موطننا بارزا في قلب المدينة، إذ نجدها تشرف على شارع محمد الخامس من الواجهة الغربية.

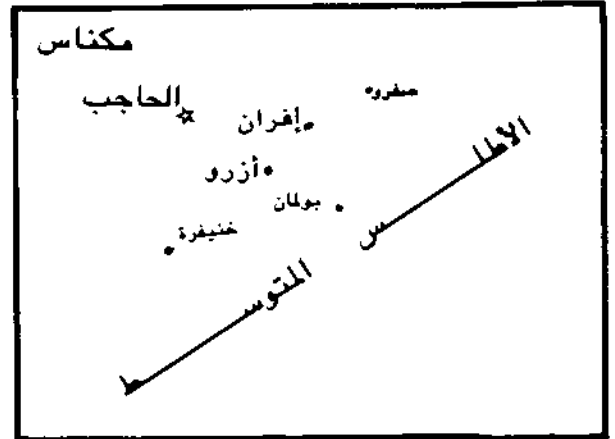
ومع احتلال الحاجب من طرف الجيش الفرنسي سنة 1912 أعطت إدارة الحماية اهتماماً كبيراً لهذا الموقع الاستراتيجي وعززت وظيفته العسكرية لدعم عمليات الغزو الموجهة إلى الأطلس المتوسط الذي وجدت فيه مقاومة عنيفة (إذ لم يتم الاستيلاء على أزرو إلا بعد عامين على فرض السيطرة على مركز الحاجب : 1914) وقامت بخلق معسكر للمراقبة والتكوين يعتبر من أهم القواعد العسكرية التي أسسها الاستعمار بالبلاد.

وباعتبار أهمية هذا الموقع عززت الإدارة المغربية وظيفته بعد الحصول على الاستقلال واحتفظت بالمعسكر الذي منحه اسم المقاوم الكبير موحى أحمو الزباني الذي تزعم المقاومة الجبلية ضد الاحتلال الفرنسي جاعلة منه بذلك رمزاً وطنياً.

فإذا برزت مدينة الحاجب في الماضي بوظيفة عسكرية متميزة فإنها تأثرت في الحاضر عقوداً طويلاً من ثقل هذه الوظيفة ومن وضعها العميق على بنائها الاقتصادي والاجتماعي، حيث كانت تعرف أساساً بشكائنها، وبقت وظائفها الأخرى من إدارة وخدمات محدودة بعد الاستقلال. هذا في الوقت التي اشتهرت فيه جارتها أزرو بإشعاعها الدراسي والثقافي وجلبت الكثير من أبناء الحاجب الذين تتلمذوا بشانوية طارق بن زياد التي كانت تحمل أيام الحماية اسم الشانوية البربرية. كما اشتهرت لقربها من إفران بإشعاع وطني في ميدان السياحة والاصطياف. وظلت تابعة إدارياً إلى عمالة مكناس إلى مطلع التسعينات.

إلا أن الإصلاحات الإدارية التي جاءت بها سياسة اللامركزية و"تقريب الإدارة من المواطنين" منحت الحاجب فرصة ترقية إدارية لم تكن من حظ مراكز حضرية أخرى تفوقها ديمغرافياً واقتصادياً، وأصبح الحاجب بذلك عاصمة إقليم فلاحي غني، مؤهلة لاستقبال بنيات إدارية وخدمية جديدة من شأنها أن ترفع من وضعها الاقتصادي والاجتماعي خاصة وأن إقليمها يتميز بمؤهلات طبيعية وفلاحية هامة من شأنها أن تساعد على خلق أنشطة من نوع جديد (صناعات تحويلية غذائية وغيرها).

ومما لا شك فيه أن أنشطة المدينة التجارية والخدمية ستعرف انتعاشاً يخرجها من ركودها. فالتجارة تتمثل في بيع المواد الغذائية والملابس والتجهيز المنزلي، وكذا مواد



لعبت مدينة الحاجب طيلة تاريخها وبحكم موقعها الاستراتيجي الهام دور بوابة الأطلس المتوسط. وقد عمل ملوك الدولة العلوية على التحكم فيها واستعمالها كقاعدة لفرض السلطة المخزنية على هذه المناطق الجبلية الوعرة التي قلما عرفت التوتر.

ففي القرن الحادي عشر (17 م) نظم المولى إسماعيل "حركات" متوالية تجاه هذه المنطقة للحد من تحركات وتنقلات القبائل الصنهاجية الرعوية النازحة من الجنوب الشرقي للأطلس الكبير نحو المناطق الشمالية الغربية للبلاد باحثة لها عن مراعى جديدة : قبائل بني حسن، زمور، آيت يوسي، بني مكبلد، غروان، بني امطير.

فإلى نهاية القرن الثاني عشر (18 م) نجد أن قبيلة بني مطير مازالت مقيمة بالأطلس المتوسط الشرقي بمنطقة إترز بأعالي ملوية. ولم تصل إثر هجرتها الطويلة إلى منطقة الحاجب إلا بعد مطلع القرن الثالث عشر (19 م).

وقد قام المولى الحسن الأول (1875. 1894) بالتصدي لتحركات هذه القبائل وأمر بتشبيد قصبة الحاجب في موضع يفرض المراقبة على بني مطير وصب الأطلس. واختار لها موضعاً سفحياً يشغل مكانة مركزية داخل



البناء وغيرها، وتتمركز بالحاجب السفلي، ويلعب السوق الأسبوعي الذي يقام يوم الاثنين جنوب غرب المدينة دور تبادل تجاري بين المدينة ومحيطها الخارجي ويشكل محطة إقليمية رئيسية لبيع المواشي والمنتجات الفلاحية يتوافد عليها سكان الأرياف المجاورة لقضاء حاجياتهم الشرائية وكذا للترفيه وربط الاتصال.

أما قطاع الخدمة فيعتمد على أنشطة البناء التي بدأت تنتعش بسبب عمليات استصلاح المدينة وامتدادها. وتبقى الخدمات الأخرى مثل الخياطة والحلاقة والمطاعم والمقاهي ضعيفة، فإلى حدود 1994 لازل الفندقان الموجودان بالحاجب مغلقين.

فيما يخص الخدمات التعليمية والصحية والرياضية يلاحظ أن مدينة الحاجب عززت مكانتها خاصة فيما يخص التعليم الثانوي، فهي الآن تتوفر على ثانوية واحدة بالإضافة إلى إعداديتين وأربع مدارس ابتدائية، كما تتوفر على مركز صحي ومستوصف وعيادات طبية خاصة فتحت أبوابها في الستين الأخيرة. ومن جهة أخرى توجد بالمدينة ملاعب رياضية لكرة القدم وكرة اليد وكرة السلة ومسيح، بالإضافة إلى المركب الرياضي الذي يوجد بحي المركز.

تعرف مدينة الحاجب تزايداً ديمغرافياً منذ مطلع القرن وتفيد الإحصائيات أن الحاجب مرت من ذلك المركز التجاري الأسبوعي القروي الضعيف الأهمية إلى صنف المدن الصفرى في بداية الاستقلال ثم إلى صنف المدن المتوسطة بعد ثلاثين عاماً.

لقد وصل عدد سكانها سنة 1960 إلى 7.817 نسمة وارتفع إلى 23.369 سنة 1994. ويرجع سبب هذا التكاثر إلى الهجرة القروية بالإضافة إلى الزيادة الطبيعية، فبالرغم من ظروفها الاقتصادية المتواضعة استطاعت هذه المدينة أن تفرض وجودها كقطب ديمغرافي رئيسي بالإقليم تأتي بعده عين تاجحطات وأغوراي، ولا تترك الصدارة إلا لمدينة أزرو خارج محيطها الجهوي القريب.

ساكنة الحاجب والمراكز القريبة منها

المراكز	1960	1971	1994
إقليم الحاجب	7.417	12.601	23.369
عين تاجحطات	2.113	4.137	16.070
أغوراي	1.898	3.047	10.033
إقليم إفران	3.260	6.014	11.147
أزرو	14.133	20.756	40.789

تعرف مدينة الحاجب منذ أن أصبحت عمالة تحولات مجالية و عمرانية هامة حيث بدأت تظهر إلى الوجود ملامح جديدة نتيجة المجهودات الكبيرة التي بذلت ولازالت تبذل في عمليات التهيئة والاستصلاح والتزيين. وها هي الآن تعرض محاسن موضعها البهي بفضل توسيع وتجميل شارع محمد الخامس، المحور الرئيسي الذي ينطبق مع الطريق الرئيسية المارة من قلب المدينة.

لقد عرفت كذلك في آيت بلال إقذارن عملية إعادة هيكلة وتزيين للواجهات السكنية جعلت منه حياً حضرياً منسجماً بعد أن ظهر على شكل فوضوي تنعدم فيه أبسط التجهيزات الضرورية. وما أسرع بتدهوره كونه يشغل موضعاً حساساً يتميز بمنحدرات وعرة مائلة على مدخل المدينة من الواجهة الشمالية، كما تم ترميم قصبة المولى الحسن الأول (الأسوار) وتهيئة حديقة للأمانة وعين كحلة. غير أن هذه المجهودات والإنجازات بقيت مقتصرة على قلب المدينة وعلى الحاجب العلوي.

يتسع الحاجب في إطار بنية مجالية متفجرة، ويفرض موضعها المتدرج (950.1050 م) وحتمية خلفيتها التاريخية تركيبها الحضري المعقدة وأشكال أنسجتها المتباينة. وتفرض لنا دراسة التصميم الحضري قطاعين أساسيين تنظم داخلهما مختلف أحياء المدينة التي أصبحت تغطي ما يقرب من 400 هكتار.

يمتد الحاجب السفلي فوق المنحدرات وعند قدم الإفريزات الصخرية للهضبة المنتصبة يتكون من نوايا قديمة وأحياء جديدة :

- حي القصبة، وهو أقدم حي بالحاجب تحيط به أسوار عالية ويشكل نواة تطل على الشارع الرئيسي.

- حي أقشمير (كهوف) وحي الشريشة يمتدان في معزل عن شارع محمد الخامس في اتجاه الشرق فوق تضاريس وعرة تشكو من ضعف التجهيزات وتدهور ظروف السكن، تتمركز فيها الفئات الاجتماعية الفقيرة.

- الأحياء الجديدة التي تحاذي من الجهة الجنوبية شارع المسيرة الخضراء وهي عبارة عن تجزئات خاصة أو قامت بها الدولة لمحاربة سكن الصفيح وحل مشكل السكني بالنسبة للفئات الاجتماعية ذات الدخل المحدود. ظهرت هذه الأحياء في فترة الاستقلال ولازالت تتسع في اتجاه فاس أساساً تقطنها فئات متوسطة من موظفين وتجار وحرفيين. معظم السكن بها يأخذ شكل سكن اقتصادي من النوع الجيد : تجزئة "بام" تجزئة بئر أنزاران وتجزئة روسطابلة.

- حي آيت بلال إقذارن (الذي سبق ذكره) ظهر في ظروف عشوائية نتيجة الضغط المتزايد في الحاجبات السكنية، اهتم استصلاحه أساساً بواجهات البيوت حيث تمت مراجعة تنظيمها في إطار تصميم عام أدخل عليها عناصر معمارية جديدة مثل السطوح المائلة والقرميد الأحمر التي لم تعرف سابقاً إلا في الأحياء الاستعمارية (Urbanisme de façade).

\* \* الحاجب إقليم ينتمي إلى مجموعة الأقاليم الفتية التي ظهرت إلى الوجود عند مطلع التسعينات نتيجة تطبيق اللامركزية الإدارية وتعزيز التسيير المحلي. ويشغل هذا الإقليم موقعا استراتيجيا داخل الجهة الاقتصادية الوسطى - الجنوبية إذ تحده يأخذ موطنه في منطقة اتصال الهضاب الأطلسية المتوسطة بسهل سايس الغربي الواقع جنوب العاصمة الجهوية مكناس، وتمر به الطريق الرئيسية الرابطة بين هذه المدينة ومراكز تاقيلالت (الرشيدية - أرفود - الريصاني) عابرة قبل ذلك أزرو وميدلت في الأطلس المتوسط.

يحظى إقليم الحاجب ببيئة طبيعية متباينة أفرز تباينها هذا ذلك التدرج الطبغرافي الذي نلمسه من الشمال إلى الجنوب. يمتد في الجزء الشمالي سهل سايس الغربي وهو عبارة عن أراضٍ منبسطة ذات ارتفاعات متوسطة تتراوح بين 600 و800 م تعلو في اتجاه الجنوب حيث تشرف الإقريبات الصخرية لحافة هضبة الحاجب المنتصبة فوق 1000م في الارتفاع، وتشكل هذه الهضبة الجزء الغربي من الأطلس المتوسط المنضدي الممتد في اتجاه أزرو وإيفران وتميزها بتضاريس قليلة التقطع وتخللها هنا وهناك متن وتلال تصل قممها ما بين 1300 و1400 م تحاذيها من الجنوب الغربي تقطعات الهضبة الوسطى.

تبدو المشاهد هنا عارية وفقيرة حيث انقضت الغابة في معظم المرتفعات ولم تنج من الاجتثاث إلا في اتجاه إيفران (غابة الجعبة) وبالقرب من أگوراي (رأس جدي وأيت ويخلفن) حيث نجدها مكسوة بأشجار الفلين الأخضر. أما التربة فهي هيكلية وصخرية مكونة من الكلس والحجري. غير أن في اتجاه سايس تختلف المشاهد تماما وترأها على شكل أراضٍ فلاحية غنية ذات المشارات الهندسية المنتظمة حيث جودة التربة وتنوعها (الترس الحجري الرمل) بالإضافة إلى الانبساط الطبغرافي الذي ساعد على انتشار الزراعات وتكثيف الاستغلال.

ويلعب المناخ كذلك دوراً حاسماً في خلق ظروف ملائمة للفلاحة بإقليم الحاجب، وهو مناخ قاري يتميز ببرودة ورطوبة فصل الشتاء وحرارة وجفاف فصل الصيف، ويميل إلى مناخ شبه جبلي فوق مرتفعات الأطلس.

ففي الفترات المناخية العادية يمتد الفصل الرطب من أكتوبر إلى أبريل، وقد تطول مدته إلى شهر ماي فوق الهضاب، ويستقبل الإقليم كميات هامة من التساقطات، ففي سنة 1994 وهي سنة عرف المغرب فيها جفافاً نسبياً سجلت المراكز التالية ما يلي: الحاجب 524 مم، أگوراي 465مم وعين تاوجدات 350 مم. ومثل عجز التساقطات ما يقرب من 50 مم في هذه المنطقة.

تنزل هذه التساقطات على شكل أمطار. غير أنه ليس من النادر أن تهبط على شكل ثلوج غزيرة فوق المرتفعات في الفصل البارد مغذية بذلك العيون الكثيرة فوق سطح

ينفرد الحاجب العلوي من المدينة بكونه يمثل المدينة الاستعمارية. وقد استوطنت هذه الأخيرة فوق سطح الهضبة (1020 . 1050 م) ولم تنشأ في هذا الموضع صدفة بل جاءت في إطار تخطيط وظيفي ومجالي مسبق استهدف خلق مركز للمراقبة يوفر الدعم العسكري والخدمات (من إدارة وخدمات اجتماعية) للنظام الاستعماري بالمنطقة ويكرس سياسة التمييز العنصري بين الساكنة المغربية والأوربيين. تتركب المدينة العليا من حيين أساسيين هما حي المركز الإداري والسكنى الذي يمتد غربا، وحي التكنة العسكرية التي تقع شرقا. وقد ظلت هذه الأخيرة سجيئة هذه البنية مدة طويلة بعد الاستقلال حيث تمت أهم التوسعات التي عرفها الحاجب بالجزء الأسفل.

يتميز المركز الإداري والسكنى بتنظيم مجالي اعتمد التعمير الحديث في مبادئه، ويتجلى ذلك من خلال هندسة التصميم وتهوية البنية وخضرة الشوارع والحدائق، كما أنه اعتمد في البناءات الطابع الأوربي المتميز بالسطوح المائلة المغطاة بالقرميد. وقد تركزت به أهم المصالح الإدارية والخدمات، كما كان يشكل موطن الساكنة الأوربية التي تدير شؤون المدينة والمناطق التابعة لها. وتمت مغربتها منذ السنوات الأولى للاستقلال.

تستغل التكنة العسكرية الأراضي الموالية شرقا للمركز والمنتصبة فوق الحاجب السفلي. تأخذ مساحة شاسعة ومكانة بارزة في النسيج الحضري للمدينة (تمتد على ما يقرب من ربع المساحة الشاملة) الشيء الذي يبرز استمرارية أهمية وثقل الوظيفة العسكرية في البناء الاقتصادي والاجتماعي الحالي.

ظهرت منذ التسعينات أساسا امتدادات جديدة على طول الطريق المؤدية إلى إيفران وكذا على طول الطريق الرابطة بين الحاجب وأزرو. وهي امتدادات على شكل تجهيزات مجهزة لازال معظمها فارغا.

ويمكن القول إن الحاجب بإعدادها لأحياء جديدة تطمح إلى توفير السكن وجلب الاستثمار لإنعاش اقتصادها الذي لازال كما سبق ذكر ذلك يعتمد على أنشطة ثلاثية. وتبحث الحاجب عن خلق قطاع صناعي لتعزيز بنيتها الإنتاجية. وهناك مشروع القيام بدراسة لخلق منطقة صناعية بمدينة الحاجب قصد جلب الاستثمارات المنتجة حولها.

Amal Rassam, Vinogradov, *The Aid Nadir of Morocco: A study of the social transformation of a Berber tribe*, Ann Arbor, 1974; *Monographie de la ville d'El Hajeb*; *Bulletin économique et social de la province d'El Hajeb*, Sem. I et II, 1994; *Etude régionale du SDAU de la ville de Meknès*, MHUT; *Recensement de l'habitat et de la population: 1971 - 1982*, Direction de la statistique 1984; *Plan de la ville d'El Hajeb au 1/5.000*, Direction de la conservation foncière et des travaux topographiques, 1983; *Carte topographique d'El Hajeb au 1/50.000*, Direction de la conservation foncière et des travaux topographiques, 1974.

الهضبة (تاغبالوت مواكوردان، تاغبالوت مو تقشيميرت عين بويودا ..) أو عند قدم الجبل (عين الخادم، عين أغبال، أغبالو بويوسف ..) ويفضل أهمية التساقطات هاته التي تفوق 800 مم فوق القمم تكثير كذلك الجداول المائية التي تجري من الجنوب نحو الشمال : واد تيزكيت، واد عين أغبال، واد الدفالي إلى غير ذلك من المجاري المائية التي تغذي الزراعات بمياهها الغزيرة والرقراقة.

أما درجة الحرارة فتبقى معتدلة بالسهل في فصل الشتاء وتادراً ما تنخفض إلى أقل من الصفر، غير أنها تبرد بشدة فوق المرتفعات ويكثر الصقيع. وفي فصل الصيف ترتفع الحرارة ويصل المتوسط الحراري إلى 33 درجة. وقد تفوق هذا العدد خاصة حين تهب رياح الشرقي الساخنة. وليس من النادر أن تتكون إذ ذاك فوق القمم عواصف رعدية وتهاطل أمطار قوية وعنيفة تزيد من حدة انجراف التربة وتؤدي إلى إتلاف المنتجات الفلاحية وإحداث فيضانات تأثرت منها مؤخرًا مدينة الحاجب.

يشكل هذا الوسط الطبيعي الملائم للاستغلال البشري موضوع اهتمام ونزاع بين القبائل الرعوية التي تعاقبت عليه منذ القرن الحادي عشر (17 م).

فخلال هذه الفترة التاريخية التي دامت حتى القرن الثالث عشر (19 م) عرف المغرب بسبب فترات الجفاف المتكررة انطلاق حركة تنقل واسعة النطاق دفعت بمجموعة من القبائل الرعوية إلى الهجرة من الجنوب الشرقي للأطلس الكبير نحو الشمال الغربي للبلاد باحثة عن مراعي جديدة وهي قبائل زعير، زمور، بني حسن، غروان وبني مطير. وقد حاول السلاطين العلويون الحد من هذا الزحف القبلي والنزاعات الناتجة عنه بتنظيم عدة حركات نحو الأطلس المتوسط، وشيدت عدة قصبات بهذه المنطقة، منها قصبة أغوراي التي بنيت في عهد المولى إسماعيل (1672 - 1727) وقصبة الحاجب التي أُنجزت على يد المولى الحسن الأول (1775 - 1894). ولم تستقر قبائل بني مطير بمنطقتنا هاته إلا في القرن الماضي حيث جعلت منها محاطها واستغلت مواردها حسب نمط عيشها النصف الترحالي.

كانت قبائل بني مطير تمارس نشاطا اقتصاديا يعتمد أساسا على تربية الماشية في إطار حركة انتجاع فصلية تنظم تنقلات الأسر وحياتهم بين أعالي ومنخفضات المحاط. تمتد هذه التنقلات على ما يقرب من 30 كلم. وتأخذ الزراعات داخل هذا النظام الفلاحي مكانة تكميلية حيث نجدها تنتج أساسا الشعير وشيئا من القمح الصلب والمحضرات.

ففي شهر مارس تسوق الأسر قطعان الغنم والمعز والأبقار وكذا الحمير والبغال المحملة بالأواني والأفرشة والخيام نحو مراعي المرتفعات بعد أن قضت الحريف والشتاء فوق "بلاد أزغار" وتنصب إذ ذاك هاته الخيام إلى غاية أكتوبر. غير أن الرجال يعودون إلى السهل في شهر

يونيو للقيام بأشغال حصاد زراعات الحبوب التي تم زرعها ويلتحقون بعد إنهاؤها بأسرهم في الجبل. وبهذا يمكن القول إن حياة قبائل بني مطير كانت تنظم بين رحلة الشتاء والصيف، كانت تستغل فيها هذه الأخيرة ما يقرب من 150.000 هكتار منها 65.000 ه. من الأراضي السهلية، جزء صغير منها كان يخضع إلى الملك الخاص وهو الجزء الذي كان يحمل الزراعات، والقسم الأوفر كان ينتمي إلى الملك الجماعي.

فمع الغزو الاستعماري الفرنسي للمنطقة عرف المجتمع المطيري تحولات عنيفة وسريعة أدت إلى تشويه وتفتيت النبات الإنتاجية القبلية القائمة. لقد تم الاستيلاء على قصبتي الحاجب وأغوراي سنة 1912، غير أن المقاومة الأهلية استمرت بالجبال سنين طوالاً إلى أن تدهورت الظروف الاقتصادية للقبائل المقاومة بسبب محاصرتها من طرف جيوش الاحتلال وعنائها من قساوة الفصول الباردة التي اعتادت أن تقضيها فوق المنخفضات ذات المناخ المعتدل.

وقد عمل الاستعمار الفرنسي على التحكم في هذه المنطقة باعتبار أنها كانت جزءاً مماً سماه المارشال ليوطي "المغرب النافع" المتوفر على موارد طبيعية هامة للاستغلال وإقامة المعمرين.

فمنذ السنوات الأولى من الوجود الفرنسي بالمنطقة عملت إدارة الحماية على تسهيل عملية السطو والاستيلاء، على الأراضي الجماعية وتشجيع المعمرين على الاستيطان بأغنى أراضي سهل سايس. فهناك من القبائل مثل آيت حرز الله وإبويلدمان التي فقدت معظم أراضيها على سبيل المثال وصلت مساحة الأراضي التي استولى عليها المعمرين 14.000 ه. أي ما يعادل 100٪ من أراضي هؤلاء (استعمار رسمي وخاص) وتم تهجير أسر ودواوير بأكملها. وأستطاع المعمرين الخواص أن يحتلوا ما يزيد عن 30.000 ه.

فمن المخلفات السلبية المباشرة للاستعمار الفلاحي لسهل سايس أن فقد الأهالي أراضي المراعي الشتوية وأصبح التخلي عن حركة الانتجاع أمراً مفروضاً. وانطلقت سيرورة استقرار السكان في أوضاع الهشاشة والتهيمش. واضطر هؤلاء للتعاطي إلى العمل المستأجر داخل ضيعات المعمرين أو إلى الهجرة نحو المراكز الحضرية بحثا عن موارد جديدة للعيش.

وفي الوقت الذي تعرضت فيه النباتات الإنتاجية العتيقة إلى التفسيح والتفتيت ظهرت بهذه المنطقة فلاحا رأسمالية عصرية في إطار صناعات ضخمة ذات طابع أوروبي (من حيث هندسة بناياتها وهيكلتها العامة)، سخرت لها كل وسائل الإنتاج من مواصلات وقروض وتقنيات متطورة. وازدهرت بذلك زراعات متخصصة تسويقية من حبوب وقطن وخضراوات. ويعيداً عن الحاجب في اتجاه تيفرت نجد زراعة الكروم. وقد ساعد على تنشيط وتعزيز الفلاحة

الإقليم حيث المسارح الرعوية الجماعية والمجالات الغابوية التي تشكل الأرضية المادية لنظام رعوي كان يعتمد على حركة الانتجاع، غير أن زعزعة هذا النظام وتكسير التوازنات القائمة على أساس استعمال الموارد المتكاملة للمحاطات منذ العقود الأولى من هذا القرن شكّلا العاملين الحاسمين في تراجع حركة الانتجاع وبداية ممارسة تربية الماشية في الاصطبلات.

ويلاحظ فعلا اليوم أن مرتفعات الهضبة بدأت تعرف نوعا من التكتيف البشري، الشيء الذي فتح الباب لممارسة الزراعات في أراض كانت تخضع بالأمس القريب لاستغلال رعوي في إطار تملك جماعي. فالمشاهد تتحول من حين لآخر من مسارح صخرية إلى أراض مستصلحة ومسيجة بحجارة الكلس البيضاء، التي أفلعت بأحدث الوسائل الآلية. وتبنى البيوت والاصطبلات بالمواد الصلبة، وهو ما يوحي لنا بأن ما يحدث من تطور في هذه المنطقة هو ناتج عن انطلاق سيورة التملك الخاص للأراضي الجماعية. وبدأت الزراعات الموسمية وكذا الشجرية تنتشر مستعملة المياه الجوفية المستخرجة بالمحركات البنزينية، وتقتل الخيام حدثا نادرا.

- استغلال المعادن، غير أنه هامشي، باعتبار الدور الاقتصادي والاجتماعي الذي يلعبه في الإقليم، ويتمثل هذا الاستغلال في استخراج معدن الحديد من منجم دولب الذي ينتج ما يقرب من 2.806 طن في السنة ويشغل 12 عاملاً.

سجل إقليم الحاجب كذلك تطوراً ملحوظاً نلمسه في بروز شبكة حضرية مهمة ودينامية هيكلت مجاله وخلقت بوجودها مراكز استقطاب ديمغرافي واقتصادي. وصل عدد سكان المراكز الحضرية سنة 1994 إلى 65.034 نسمة على مجموعة 180.459 أي ما يعادل 36٪ من مجموع الساكنة بهذا الإقليم الذي تشكل أريافه أراضي معطاءة توفر ظروف العيش لما يقرب من ثلثي السكان.

تتوزع هذه الساكنة على أربعة مراكز : أگوراي، عين تاوجطات سبع عيون، الحاجب العاصمة الإقليمية.

المراكز	1960	1971	1994
أگوراي	1.898	3.047	10.033
سبع عيون	500	1.122	15.573
عين تاوجطات	2.113	4.047	16.069
الحاجب	7.817	1.261	23.359

يلاحظ من خلال هذا الجدول أن عدد السكان يتزايد باستمرار، غير أن نسبة التزايد تختلف من مركز لآخر، ويظهر جليا من خلال هذه الأرقام أن مركز سبع عيون وكذلك مركز عين تاوجطات يتميزان بديناميتهما، فكلا

الاستعمارية بالمنطقة خلق مراكز خدمات تستجيب لمصالح المعمرين في ميادين الصحة والتعليم والتجارة، إلى غير ذلك. هذا بالإضافة إلى الوظائف الرئيسية التي أنيطت بها الإدارة والمراقبة العسكرية في كل من أگوراي والحاجب.

يلعب إقليم الحاجب اليوم دوراً اقتصادياً هاماً على مستوى جهوي ووطني، ويعتمد اقتصاده أساساً على ممارسة النشاط الفلاحي، غير أن ما يميز فلاحة اليوم عن فلاحة الأمس هو أن الإرث الاستعماري في هذا القطاع وكذا التآطير التنموي الذي استفاد منه هذا الأخير من طرف الدولة من بداية الاستقلال يعتبران من العوامل الأساسية التي أسهمت في تطوير النشاط الفلاحي بهذا الإقليم والرفع من منتجاته.

فبعد استرجاع الرصيد الفلاحي الاستعماري من طرف القطاع الخاص والدولة التي فوضت إلى شركات عمومية مسؤولية الجزء الأوفر مما استرجعته (شركة التنمية الفلاحية وشركة تسبير الأراضي الفلاحية) والباقي وزع في إطار عملية "الإصلاح الزراعي" على بعض الفلاحين الذين انتظموا داخل تعاونيات للإنتاج.

- سيادة الزراعات وتمركزها بالسهل. يعرف توزيع الزراعات بإقليم الحاجب تبايناً واضحاً بين الجبل والسهل وتسود أساساً سهل سايس، وهي زراعات كثيفة ومتنوعة ويغلب عليها إنتاج الحبوب والقطن، وهذا جدول يلخص أهم المنتجات الزراعية بالإقليم حسب المساحة لسنة 1994.

نوع الزراعة	المساحة بالهكتار
القمح الطري	54.160
الحبوب القمح الصلب	17.050
الشعير	12.250
المجموع	83.460
زراعات القطني والعلفيات	6.986
الزراعات الزيتية	5.640
الخضروات	2.312
أشجار الفواكه	10.799

تأخذ الحبوب الصدارة من ضمن المنتجات الفلاحية للإقليم. ويرجع انتشارها إلى ملاءمة الحبوب وخاصة القمح الطري مع مناخ المنطقة، وهي زراعات بورية تمارس في إطار تناوب مع زراعات القطني والعلفيات وكذا الزراعات الزيتية.

- انتشار تربية الماشية فوق الجبل مع بداية احتلال الزراعة لهذه المنطقة. تعتبر تربية الماشية المكونة أساساً من الأغنام وجزئياً من الماعز والبقر نشاطاً تقليدياً لمرتفعات

تعرفها هذه المنطقة قد أظهرت إلى وجود شبكة حضرية هيكلت تنمية المنطقة فإن تشكيلة مراكزها كثيراً ما وقعت في ظروف غير لائقة على مستوى مجالي وعمراني. فإلى جانب الأحياء المنظمة والمهياة التي نشأت في إطار مشاريع اجتماعية للسكن ظهرت قطاعات سكنية عشوائية في غياب أبسط التجهيزات، منها ما هي صلبة ومنها ما تأخذ شكل مدن صفيح وتغطي مساحة تقرب من 40 هكتاراً داخل الإقليم. وأبرزت استثماراً سنة 1994 التي قامت بها المصالح التابعة لوزارة السكنى أرقاماً توحى بمدى تفشي ظاهرة السكن غير اللائق بإقليم الحاجب.

الموطن	الحي	عدد البراريك	عدد الأسر
عين تاوجطات أغوراي	معمل الدوم والتوابل دواوير : القشلة، الرجاء في الله لشريفه لاروك	377	545
سبع عيون	وعين كوته بوكيار	287	304
الحاجب	أيت بلال	108	126
		30	33

وفي إطار سياسة محاربة السكن غير اللائق تحارول المصالح المسؤولة تنظيم عمليات اجتماعية تستهدف تحسين ظروف السكنى عن طريق إعادة إسكان سكان الصفيح، ونظمت لذلك مخزونات استفادات منها عين تاوجطات (معمل الدوم) وأغوراي (الرجاء في الله) أو بتطبيق مشاريع تهيئة وإعادة الهيكلة في عين المكان. همت قطاع أيت بلال بالحاجب ولاروك بأغوراي.

Brignon (et al.), *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1967  
: J. Celerier, *La transhumance dans le Moyen Atlas*, Hesp. 1927, vol. 7 ; A. Rassam Vinogradov, *The Ait Ndir of Morocco : a study of the social transformation of a berber tribe*, Ann Arbor 1974 ; *Etude régionale du schéma directeur de Meknès*, Rabat, 1979 ; *Projet Sebou*, 1970 ; *Bulletin économique et social de la province d'El Hajeb*, 1er et 2ème semestre, 1994 ; *Recensement général de la population et de l'habitat, 1960 - 1971 - 1994* ; *Carte topographique d'El Hajeb au 1/50.000*, 1974.

عائشة العلوي البلغيني

**الحاجبي**، أسر شتى، منهم من ينتسبون لقبيلة أولاد الحاج العربية العسكرية بسهل سايس في ضواحي مدينة فاس، ومنهم من ينتسبون إلى أولاد الحاج المليبي بإقليم الناظور (انظر ما سبق) أو إلى أسرة درعية تستوطن قصر تيسرغات بواحة ترناتة شمال مدينة زاكورة، ومنهم حاجيون يمثلون أسرة قيادية من أولاد بوالسباع بناحية سيدي المختار دوار البيرت بإقليم أسفي. كان أول من حصل من هؤلاء

هاتين المدينتين الصغيرتين تستفيدان من موقعهما الجغرافي الهام وسط سهل سايس الذي يعتبر من أغنى المناطق الفلاحية بالبلاد، وتشكل محاور استقطاب للهجرة القروية في الوقت الذي بدأ الاستقرار يستعصي فيه بكبريات المدن (فاس ومكناس القطبين الجارين).

إن تعميم الزراعات الكثيفة بسهل سايس كان له الدور الحاسم في تنشيط اقتصاد المراكز الحضرية لهذا الإقليم. وتعيش الأنشطة الخدمية والتجارية من تفاعل مستمر مع محيطها الاقتصادي الإقليمي. وتمثل هذه الأنشطة في الإصلاح الآلي من شاحنات وآلات فلاحية وغيرها ومطاعم وتزويد بالمواد الغذائية والملابس والتجهيز المنزلي. هذا بالإضافة إلى الخدمات الاجتماعية والإدارية ذات الإشعاع المحلي والإقليمي، كالتعليم والصحة والرياضة وغير ذلك. ففي ميدان التعليم يتميز توزيع التجهيزات بتركزها في الوسط الحضري، فالمراكز الحضرية هي الوحيدة التي تحظى بجمل الخدمات التعليمية الابتدائية والثانوية.

المستوى التعليمي	عدد المدارس حسب الوسط	
	حضري	قروي
روض	6	0
مركز دراسي	1	23
مدرسة ابتدائية	13	1
إعدادية	4	2
ثانوية	3	0

ولازالت أرياف الإقليم تشكو من ضعف المرافق الأساسية، وليست هاته المرافق الوحيدة التي لا تستفيد من وفرتها، ونذكر كذلك الخدمات الصحية التي نجدها هي الأخرى متمركزة في المدن (مستوصفات ومراكز صحية) هذا إضافة إلى الخدمات الاجتماعية الأخرى والإدارية. ومعروف أن هزالة الأوضاع الخدمية بالأوساط الريفية تعتبر من الأسباب الحاسمة في تشجيع الهجرة نحو المدن.

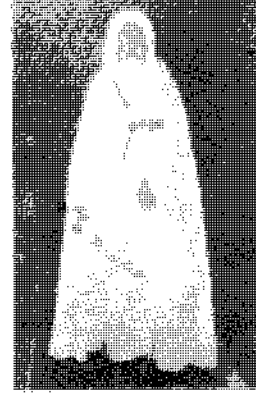
ومما زاد أهمية الشبكة الحضرية داخل هذا الإقليم كون مراكزها الأربعة ارتقت على مستوى إداري وأصبحت تخضع إلى التسيير البلدي، وتقلدت مدينة الحاجب منصب عاصمة إدارية مما عززها بمصالح إدارية وعمومية تسهر على تنمية المنطقة.

وبالرغم من تعزيز الدور الوظيفي لهذه الشبكة الحضرية تبقى قاعدتها الاقتصادية هشّة وغير قادرة على تسجيل وإدماج الفائض الديمغرافي المتزايد والناتج عن الزيادة الطبيعية والنزوح من الأرياف، فجل الأنشطة ثلاثية وغير منتجة وضعيفة التشغيل.

أفاق التحضر. إذا كانت ظاهرة التحضر المتواصل التي

على منصب القيادة هو سليمان الحاجي البيري الذي كان باشا مدينة الصويرة والشياطمة على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، لكنه أعفى من هذا المنصب، ولم تعد القيادة إلى هذه الأسرة إلا على عهد السلطان الحسن الأول حيث أسندت قيادة الشياطينة إلى القائد عباس بن مبارك الذي توفي حوالي 1318 / 1900. وخلفه ابن أخيه :

**الحاجي، أحمد بن الطاهر.** عاصر هذا القائد القواد الكبار أمثال الاكلاوي والكندافي والعبدي والمتوحي، وامتد نفوذه على عدة قبائل. وبعد وفاته سنة 1350 / 1931 تولى القيادة ابن عمه حميدة الحاجي الملقب بالقائد الحاجي



الصغير. وكان قبل ذلك يشغل منصب خليفة القائد، وعاصر ظهور الحركة الوطنية فكان من المؤيدين لها، وحافظ على الدور الثقافي والديني الذي كانت تمثله دار الحاجي إلى أن توفي سنة 1372 / 1952.

أ. الرجائي، الشمس المنيرة : م. الصديقي، إيقاظ السريرة : روايات شفوية.

**الحاجي، أحمد بن علي الدرعي،** شيخ صوفي ولد بقصر توغزة بواحة ترناتة على بعد بضعة كيلومترات شمال مدينة زاكورة في أوائل القرن العاشر (16 م) وانتقل إلى قصر أولاد الحاج على الضفة الشرقية لنهر درعة فنسب إليه. يرجع نسبه إلى إدريس الثاني حسب مشجر النسب الذي يبني حفدته. وبالرغم من نسبه في هذا المشجر فإن النعت الذي غلب على أحمد بن علي هو "المرابط" شأنه في ذلك شأن الكثير من أصحاب الزوايا بواحات درعة.

لا نكاد نعرف شيئاً عن تعليمه الأولي ولا مستوى مداركه العلمية. وتفيدنا مخلفات أحمد بن علي بزوايته، وهي عبارة عن مصاحف قرآنية ومخطوطات في الصلاة على النبي عليه السلام والسيرة النبوية، أنه كان على نصيب من العلم الديني، أوراده اليومية هي بعض الأحزاب من المصحف الشريف وأجزاء من كتب الصلاة على النبي والأمجاد النبوية.

تدل بعض الوثائق المحلية على أن أحمد بن علي كان

في مطلع شبابه يمارس العمل التجاري الذي يفرض عليه التنقل عبر أسواق درعة والمناطق المجاورة وخاصة بلاد تافيلالت التي كانت خلال العقود الأولى من القرن العاشر تروج باتباع الطريقة الزروقية، على عكس بلاد درعة التي انتشرت فيها الطريقة الجزولية على أيدي ثلة من العلماء السوسيين الطارئين على وادي درعة خلال العقود الأولى من هذا القرن، وكان شيخ الطريقة الزروقية بتافيلالت آنذاك هو عبد الله بن علي السجلماسي المعروف محلياً "بجبار التلايف". وقبل وفاته سنة 940 / 1533 عهد بأمر مشيخة الطريقة الزروقية إلى الشيخ أبي القاسم الغازي وأذن له في تلقين الذكر (هداية الملك للعلماء، 48). وعن هذا الأخير أخذ أحمد بن علي الحاجي ورد الطريقة الزروقية. وتذكر بعض الروايات أن أبا القاسم الغازي كان رقيقاً عند الشيخ الحاجي، اشتراه في بعض رحلاته التجارية ثم عرف مكانته الروحانية فأعتقه وأخذ عنه ثم خلفه في التربية وتلقين الورد بعد وفاته.

انتقل الشيخ أحمد بن علي من قصر توغزة إلى قصر أولاد الحاج بالضفة الشرقية لنهر درعة في تاريخ غير محدد، وأسس به "زاوية جبّار المكسور" في موقع ملائم لتجمع المريدين، وتفرغ فيه لتلقين الورد الزروقي الشاذلي وتربية المريدين، فأقبل عليه الخلق من كل الفئات الاجتماعية. ومدار أمره التوكل على الله والإعراض عما في أيدي البشر والقناعة بما تيسر. وقد شاع أمره في كل واحات درعة وقصده الناس للأخذ عنه من مزغيطة شمالاً إلى محاميد الغزلان على مشارف الصحراء، ويذكر صاحب الدرر أن أهل الفضل من درعة كانوا يلازمون زيارة زاويته ويعتقدون في كراماته، كما كان الشيخ أحمد بن إبراهيم التامگروتي يحض مريديه على زيارة زاوية سيدي أحمد بن علي جبّار المكسور، وكثيراً ما كان يردد : "لو يعلم الناس ما في زيارة سيدي أحمد بن علي لمشوا إليه على وجوههم فضلاً عن أرجلهم" (الدرر، 9).

ويفيدنا صاحب الدرر أن أمراء وقواد الدولة السعدية بواحات درعة كانوا يجلون هذا الشيخ ويتجنبون إغضابه ويعجلون بتلبية مطالبه ولا يردون له شفاعة بالرغم من أنه كان يتحرز من الوقوف ببابهم ولا يقف هذا الموقف إلا خدمة للضعفاء والمساكين وحمائيتهم من عسف الحاكمين.

ومن أتباع أحمد بن علي الحاجي بدرعة عبد الله بن حسين الرقي، أخذ عنه الورد الشاذلي والوظيفة الزروقية ولازمه مدة طويلة حتى تخرج عليه، فاستخلفه أحمد بن علي قبل وفاته على الطريقة الزروقية بدرعة. وعلى يد عبد الله بن حسين أخذ الشيخ محمد ابن ناصر الورد الزروقي وانتقل من أغلان إلى تامگروت حيث اشتهر به أمر الزاوية الناصرية. وما يزال الناصريون إلى اليوم يقومون في أوقات معينة من السنة بزيارة ضريح شيخ شيوخهم أحمد بن علي جبّار المكسور ويزودون مسجد الزاوية ببعض اللوازم الضرورية كالحصر والدلاء وأواني تسخين الماء.

توفي أحمد بن علي الحاجي سنة 589 / 998 م. وظلت زاويته منذ ذلك الوقت إلى الآن مقصد الزوار والمريدين من مختلف الجهات الجنوبية خاصة من بلاد أيت عطا وأيت اووزگيت.

م. المكّي الناصري، الدرر المرصعة، مخطوط : محمد بن لحبيب التمنوگالي، العقود الجوهريّة، مخطوط : أ. الناصري، طلعة المشتري : أحمد بن داود الهشتوكي، هداية الملك العلام، مخطوط، خ. ع. ق. 147 : ع. ب. منصور، أعلام المغرب العربي، ٢٠٤

### الحاجّي، عبيد الرحمان بن محمد بن محمد العربي

الدرعي وُلد بزواية جده محمد العربي في مطلع القرن الرابع عشر (20 م) ودرس على والده وبه تخرج إذ لم تعرف له رحلة علمية خارج درعة. وبعد وفاة والده سنة 1333 / 1914 تولى منصب القضاء. ولا تزال بعض أجوبته الفقهية التي عثرنا عليها بمختلف قصور ترناتة تدل على طول باعه في العلوم الشرعية. وفي غمرة الصراعات القبلية التي عرفتها بلاد درعة حوالي عام 1335 / 1916، اتهمت بعض قبائل أيت عطا والروحة القاضي عبد الرحمان الحاجي بممالة قبائل أولاد يحيى ومداهنة خلفاء الأگلاوي بالوادي فقامت عصابة منهم بمهاجمة زاوية القاضي واغتصابها بالقوة، وذلك يوم 23 ربيع الثاني سنة 1346 / 19 أكتوبر 1927. وحول هذه العملية يقول السيد الطيب بن لحبيب الملولي : "فقام أيت أونير والروحة ودخلوا الزاوية (زاوية القاضي) وقتلوا القاضي سيدي عبد الرحمان بن محمد .. وقتلوا أربعة من دراوة (حراطين الزاوية) وحاز الأعداء ما فيها من غلة وأثاث .. قيل وحازوا من كتب العلم أربعة عشر مائة، وشئتوا ما شئتوا وخربوا دار العلم وركن الشرع وتركوا أهل درعة في ظلمات، صم عمي فهم لا يبصرون" ( تاريخ الملولي، 76). وما زال المسنون من أهل درعة يذكر هذا الحادث البشع حيث قام غلاة هذه العصابة بصنع نعال خفيفة من أغلفة هذه الكتب ورموا جلعها في نهر درعة والقليل منها هو الذي بيع بثمن بخس في أسواق المنطقة. ويمقتل القاضي عبد الرحمان الحاجي انقرض العلم في هذه الأسرة وضاعت الخزانة العلمية النفيسة التي خلفها أجداده من قبله.

توفي عبد الرحمان الحاجي قتيلا بزوايته يوم 23 ربيع الثاني عام 1346 / 19 أكتوبر 1927.

### الحاجّي، محمد العربي بن محمد الدرعي (جد

عبد الرحمان سالف الترجمة) ينحدر من أسرة تعرف محليا بالحاجّي، وكانت إلى حدود العقود الأولى من القرن الثالث عشر الهجري (19 م) تستوطن قصر تسرگات بواحة ترناتة شمال مدينة زاگورة.

تلقى محمد العربي تعليمة الأول على يد بني قومه

بقصر تسرگات وقصر أولاد أوشاخ، وقد اشتهر هذا القصر الأخير خلال القرن الثالث عشر (19 م) بعلمائه وفقهائه من أسرتي أولاد ابن شخمون وأولاد ابن حاجّي. ثم انتقل إلى فاس لإتمام تعليمه، فأثار بقوة حفظه وإدراكه السريع لغوامض المعضلات العلمية والفقهية انتباه زملائه في الدراسة وشيوخه، فكانوا يطلقون عليه "نور المجلين" ( المعسول، 16 : 17) وبعد تخرجه عاد إلى درعة وتصدر للتدريس وبث العلم لمن رغب فيه من أهل درعة وأهل الفايجة (الأراضي الممتدة ما بين سوس ودرعة) وفي سنة 1241 / 1825 عين السلطان عبد الرحمان بن هشام محمد العربي الحاجي قاضيا على قبائل وادي درعة كافة بظهير مؤرخ بعاشر ذي القعدة، وبما يدل على مكانة محمد العربي الحاجي عند هذا السلطان أنه فوض له النظر في قضاة قبائل درعة والفايجة ليثبت من شاء ويعزل من شاء. ويظهر أن هذه الخطوة التي فاز بها القاضي محمد العربي الحاجي أثارت حفيظة بعض الشيوخ المحليين وخاصة الشيخ إبراهيم الباردي، فاستنجد القاضي بالسلطان الذي أصدر ظهيرا يسبغ على القاضي محمد العربي أودية التوقير والاحترام، "وألأ يُسام من الوظائف المخزنية بتكليف ولا يطالب بجليل من ذلك ولا حقير، ولا قليل ولا كثير". وقد أقام القاضي محمد العربي الحاجي في أخريات أيامه زاوية خاصة به ما تزال تعرف بزواية القاضي إلى اليوم، على مقربة من قصر تسرگات مقر أسلافه (العقود الجوهريّة، 65) وعكف فيها على التدريس إلى أن أدركته الوفاة عام 1261 / 1845.

### الحاجّي، محمد بن محمد العربي الدرعي، وُلد

بزواية والده في العقد الخامس أو السادس من القرن الثالث عشر (19 م)، وبها نشأ وتعلم على يد والده وقريبه البشير الحاجي، وبعد وفاة والده أخذ عن القاضي السهيل التسرگاتي، ثم رحل إلى فاس في حدود عام 1270 لإتمام تعليمه، فأخذ عن عبد الرحمان السجلماسي الحجرتي وغيره من علماء فاس (الإعلام، 7 : 213) وتخرج فقيها عارفا بالأحكام أديبا لامعا، يقرض الشعر، إلا أن جل أشعاره عبارة عن ابتهالات وتوسلات إلى الله تعالى.

عاد محمد الحاجي إلى وادي درعة وتصدى للتدريس في مجلس والده بزواية القاضي، فأقبل عليه الخلق من كل واحات درعة وجهة الفايجة وبلاد الساحل وطارت شهرته في الجنوب كله، فانتدبه السلطان الحسن الأول لمنصب القضاء وفوض له كذلك في اختيار نوابه على قبائل وادي درعة والمناطق المجاورة. لم يكن القاضي محمد الحاجي يتقاضى أجرا من بيت المال، وإنما يستخدم المتحاكمين عنده في مزارعه ويساتينه. واشتهر بالصدق بالحق وإلزام شيوخ القبائل وأعيانها بالروض لأحكام الشريعة، وهو أمر لم تحصله بعض القبائل خاصة عندما يتعلق الأمر بحماية

كان يمتحن التدريس. وموازاة مع ذلك كان يحارب المسيح المزيف شبتاي صبي Shabbetai Sbi الذي استطاع إقناع شريحة واسعة من الطائفة اليهودية المحيطة بالبحر المتوسط. إلا أن يعقوب حاجر قُضي ببدعته وبدعة أتباعه.

وليعقوب حاجر عدة مؤلفات، نذكر منها :

كتاب شجرة الحياة، "عيسى حاييم" طبع بليفورن 1654 -  
وبرلين 1716 ؛ كتاب "هلخوت قبطانوت" الفتاوى، طبع  
بالبنديقية سنة 1704 .

أبراهام لاريدو : "Les Noms des Juifs du Maroc".

شمعون ليفي

**حاحة**، قبيلة تعدّ في عرف النسابين من قبائل

مصمودة من جملة شعوب البرانس، وحاحة اسم قديم، ضارب في أعماق التاريخ منذ ما قبل الإسلام، كما يطلق اسم حاحة أيضاً على المجال الجغرافي الذي تستوطنه هذه القبيلة من باب الإضافة فيقال : "بلاد حاحة"، ثم حذبت كلمة بلاد للاختصار فأصبح إطلاق حاحة على الموطن يغني عن ذكر المضاف. وتختلف حدود بلاد حاحة باختلاف العصور، فهي في القديم تطلق على منطقة شاسعة تمتد كما في كتب التاريخ كالعبر والاستقصا إلى بلدة تاندست من جهة القبلة وتجاور دكالة غربا وتمتد بسيطا إلى السوس، ومن ناحية الغرب يمتد الساحل المتميز بخليج ظل المنفذ الرئيسي نحو العالم الخارجي طوال ثلاثة آلاف سنة (حيث أسس أمراء قبائل حاحة قلعة الصورة وقلعة أكادير منذ ما قبل الإسلام) (الزباني، الترجمانة، 255).

وفي القرن السادس (12 م) تقلص موطن حاحة من الشمال بسبب دخول العرب الهلاليين الذين استقدمهم يعقوب المنصور الموحيدي من إفريقيا، فقد تدفق هؤلاء على السواحل بالشاوية ودكالة فاختلفوا بالسكان الأمازيغ ونشروا في هذه السواحل اللغة العربية وحمولتها من الأعراف والتقاليد، فأخذت هذه المنطقة تتعرب تدريجيا إلى أن تغلبت العربية على اللهجات التي كانت سائدة قبل ذلك في كل من دكالة وعبيدة والشياطمة المستعربة حاليا، وبذلك تقلص موطن حاحة الأمازيغية ليقصر على منطقة محصورة بين مدينتي الصورة شمالا وأكادير جنوبا تستوطنه اثنتا عشرة قبيلة حاحية متجاورة على الشكل الآتي :

- 1 - الصف الساحلي : إداوكرض - إداوسارن - إداكبلول - أيت امر.
- 2 - صف الوسط الهضبي : إنكنافن - إمغراد - إداوكازو - إداوتغما.
- 3 - الصف الشرقي الجبلي : أيت زلطن - إداوزمزم - إداوبوزيا - أيت عيسي.

وبفضل موقع حاحة وسط المغرب كجسر رابط بين شمال المغرب وجنوبه فإنها تمثل قطب الرحى للحوادث التاريخية

الضعفاء والمساكين والوقوف إلى جانبهم، لذلك ما كاد السلطان مولاي الحسن يغيب عن مسرح الأحداث سنة 1311 / 1894 حتى قام المدني الأگلاوي، العامل المخزني علي مناطق الجنوب، بتحذير الحاجب احمد بن موسى من نفوذ القاضي الحاجي بدرعة، فاستقدمه الحاجب باسم السلطان مولاي عبد العزيز إلى مراكش، ووضعه في شبه إقامة جبرية (الإعلام، 2 : 445) وولاه قضاء قسبة مراكش. وبالرغم من العناية الخاصة التي لقيها من المخزن، فإن نفسه لم تظمن لوجوده بمراكش، خاصة وأن قبيلة أولاد يحيى قد أو عزت إلى بعض حلفائها من أيت حَسُو بالاستيلاء على أملاكه وتهديم ساقته، فأصبح بين ناري الغربية وضياح أملاكه، فأكثر من التوسلات لرجال المخزن وصلاح مراكش لفك أسرهم ورجوعه إلى مسقط رأسه. ونستشف من المراسلات التي وجهها السلطان مولاي عبد العزيز إلى القائد محمد بن العربي اليحيوي سنة 1313 / 1895، أن المخزن العزيزي حمل القائد اليحيوي مسؤولية ضياح أملاك القاضي وأزمه بردها، وسمح السلطان للقاضي الحاجي بترصد رجالات قبيلة أولاد يحيى بمراكش واعتقالهم لإرغام قبيلتهم على إعادة ما ضاع من أملاكه. ولما توفي احمد ابن موسى سنة 1318 / 1900 أذن السلطان مولاي عبد العزيز للقاضي محمد الحاجي بالعودة مكرما إلى وادي درعة، وجدّد له التعيين في منصب القضاء بها، فعاد إلى زاوية أبيه وجدّد مراسيمها، وأحیی بها ما اندرس من العلوم، وتخرج على يده الجم الغفير من الفقهاء من مختلف واحات درعة، وظل يزواج بين التدريس والقضاء إلى حين وفاته سنة 1333 / 1914. وقد خلف وراءه خزانة علمية نفيسة ضاعت في الأحداث التي عرفتها زاوية القاضي سنة 1346 / 1927.

محمد بن حبيب التونگالي، العقود المجرهية، مخطوط : ع.  
الكريم المزوي، مذكرات، مخطوط : الطيب بن حبيب الملولي،  
تاريخ درعة، مخطوط : م. المختار السوسي، المرسال، ج 16 : ع.  
ابن إبراهيم، الإعلام، ج 2 : 7 ؛ وثائق محلية من زاوية القاضي  
ودار القائد اليحيوي.

أحمد البوزيدي

**حاجز، سليمان بن يعقوب (أو حاجيز) Hajiz Samuel**

ben Ya'aqob كان ريباً بفاس. توفي سنة 1634. وهو صاحب مؤلفين في التأويل والحظب، طبعها بالبنديقية سنة 1596 تحت عنوان "ديبر شيمونيل" (كلام صموئيل) و"مبقيش هاشيم" (المتعطش للاسم أي لله).

**حاجز، يعقوب Hajiz Ya'aqob** ربي من مواليد فاس

سنة 1620، توفي باسطنبول سنة 1674. وقد استقر في ليفورن Livourne بإيطاليا ما بين سنة 1646 و1656 حيث



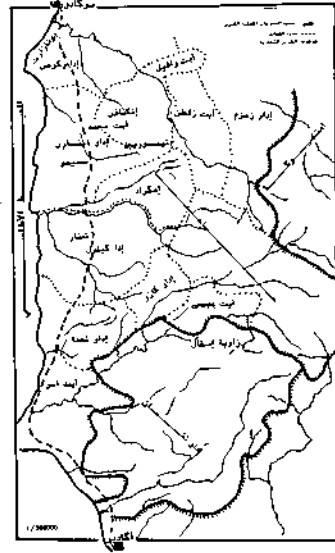
أن اختفت واحدة تلو الأخرى بسبب هجمات البرتغاليين والأعراب الذين دمروا عدداً كبيراً من تلك القلاع التي سماها الحسن الوزان بمدن حاحة، فوصف عمراتها وما آلت إليه من خراب.

وكرر فعل على التخريب الذي تعرضت له البلاد ظهرت بحاجة القوى الدينية التي عمل الإمام محمد بن سليمان الجزولي على إحيائها وسط الفوضى التي عمّت المغرب، وفي هذا الوقت كانت منطقة حاحة في طريقها لتصبح قبلة مخزنية يحاول الشرفاء السعديون المستقرون بتسكدهن أن ينظموها لصالحهم، وظهر في كل جهة زهاد متصوفون : أمثال الشيخ سعيد بن عبد المنعم (ت. 935 هـ) وتلميذه الصالح إبراهيم بن علي التغانيسيني الثاني (989 هـ) الذين استقطبوا سكان قبائل حاحة وإيدوتان، فأسسوا زوايا كبيرة وغنية تحت تأثير الحماس الشعبي إلى الجهاد ضد نصارى البرتغال المحتلين للموانئ الأطلنسية، وقد اكتسب هؤلاء الزهاد المتصوفون ثقة السكان وولاهم بفضل ما بذلوه من جهود صادقة في الدفاع عن الحق وحماية الرعية من الحكام الأجانب، فقاموا بينهم مقام أهل السلطة الزمنية في تسوية النزاعات القبلية، وتنظيم الشؤون الثقافية والاجتماعية للسكان في ظل الدولة السعدية الشريفة.

وفي ظل الدولة العلوية تحولت حاحة بالخصوص إلى قبيلة مخزنية في عهد مولاي رشيد (1075 - 1082) وأخيه مولاي إسماعيل (1082 - 1139 هـ) فعندما سلك الأول طريق حاحة على رأس الثمانينات في القرن الحادي عشر الهجري لم يلاق أي مقاومة في هذه المنطقة إلا من طرف سكان جبال ايدوتان الذين قرروا حمل السلاح في وجهه عند نقطة "كاب غير" جهة أكادير، فواجههم السلطان المولى رشيد الذي كان يقود جيشاً مكوناً من 75.000 جندي، وفي عهد المولى إسماعيل أصبحت سوس ملجأً للطامعين والمغامرين، وتواتت الحملات التأديبية بدون توقف، وكانت تمر غالباً عبر بلاد حاحة، ثم أصبح البلد مسرحاً للحروب بين أبناء السلطان المولى إسماعيل، فبقيت حاحة في الاطراف متمتعة باستقلالها إلى أن جاء عهد سيدي محمد بن عبد الله (1171 - 1206 هـ) فانضمت إليه حاحة - دون ايدوتان المتمتعة بجبالها - وانخرطت في سلك النظام المخزني، لكن رؤساء حاحة في عهد الحكم الذاتي، أمثال : علي يعيش الزلطني، وأغناج، والزوهوني محمد ابن مبارك الحاحي، توجهوا خيفة بما اقتترفته أيديهم، فرأوا أن يرسلوا إلى السلطان إنساناً هو منهم بمنزلة القدم من الراكب، فعمدوا إلى الطالب محمد بن يحيى أو مولود - وكان شريفاً من آل الشيخ سيدي سليمان بوتيت دفين أباينو قرب كلميم - فدفعوا له فرساً وهدية يقدمها عنهم إلى سيدي محمد بن عبد الله الذي نزل بمحلته في ذلك الحين بالشياطمة، وقد أرسل إليهم بملاطفة لعلهم يدخلون فيما دخلت فيه قبائل

والتفاعلات الثقافية والحضارية التي عرفها المغرب عبر العصور، فتألفت بسبب ذلك أساء حاحية لامعة في مجال السياسة والدين والأدب أمثال العيدري الحياحي وسعيد بن عبد المنعم الحاحي ويحيى الحاحي الأديب السياسي والقائد الحاج عبد الله الحاحي وأنفلوس الحاحي وغيرهم.

وفيما يخص علاقة حاحة بالمخزن يبدو أنها كانت من إيالة البرغواطين في بعض الأوقات التي تقووا فيها وامتد نفوذهم من (تامسنا) على ساحل البحر إلى (ماسة) بسوس، ثم لما اندفع اللمتونيون من الجنوب كانت حاحة والشياطمة (رگراگة) أول باب فتح لهم إلى الحوز، لأن الرگراگيين والدغوغيين الذين عمروا في القرون الهجرية الثالث والرابع والخامس الحوز إلى رباط شاعر على مسيل وادي نفيس كانوا دائماً ضد البرغواطين، فلذلك مدوا أيديهم للمرابطين، ثم كثر ذكر حاحة بعد ذلك في الدوائر المخزنية.



وفي العصر الموحدى ناصر أهل حاحة دعوة المهدي بن تومرت في بداية عهدها، وفي عام 541 / 1146 ارتد الحاحيون مع من ارتد من قبائل مصمودة عن المذهب الموحدى، لذلك وجه عبد المومن إلى حاحة جريدة بالوعظ والاعتراف على يد قائديه المخلصين وهما : صهر أبي سعيد - كما يعرف - وعثمان بن مناد، فقتلوا من الحاحيين من أهل التخليط والمعاندين ثمانمائة. وفي العصر المريني ظلت حاحة تعيش على شكل أحياء صغيرة تحيط نفسها بدائرة من الأسرار، وغالباً ما يحكم هذه الأحياء أعيان محليون يديرون شؤون قبائلهم الصغيرة الملتفة حول قلاع (ايگيدار) على شكل مخازن للحبوب وغيرها من ممتلكات الأسر، وحول هذا المخزن (أكادير) تتشكل الأحياء البربرية في الجنوب منذ قرون إلى أن ظهر الحكم السعدى حوالى عام 918 / 1512، فخلقت هذه التجمعات السكنية بحاحة وإيدوتان عدة صعوبات للمخزن السعدى، ولكنها لم تلبث

الحوز ومراكش، فمثل محمد بن بيهي بين يدي السلطان وأدى التحية وأبلغ خضوع حاحة، واعتذر عن الرؤساء المشهورين الذين تخلفوا عن الحضور أحسن اعتذار، فأغضى الملك وأظهر أنه اكتفى به، ثم عرض عليه أن يكون هو بنفسه واسطة بينه وبينهم فناوله ظهير القيادة وخلق عليه من نعمه، وحمله على فرس مطهم، ووهب له قينة جميلة على العادة المتبعة، وبذلك ملك محمد بن عبد الله زمام حاحة منذ عام (1182 . 1768 م). ومنذ عهده أصبحت حاحة قبيلة مخزنية تحكمها أسر حاحية مشهورة تسلم ظهائر القيادة من السلاطين العلويين أمثال :

- 1 - قيادة آل أبيهي أو مولود (1182 / 1768 - 1288 / 1871) / الملعمة ج 1 ص 103.
- 2 - قيادة إنفلاس الحاحيين (1288 / 1871 - 1331 / 1912) / الملعمة 3 / 851.
- 3 - قيادة أيت عدى النكنافين التي تناوت مع إنفلاس على الحكم في حاحة الشمالية.
- 4 - قيادة آل المحجوب الكيلوليين بتمنار (1299 / 1881 - 1351 / 1932) / الملعمة / كيلولي.
- 5 - قيادة آل تيكزيرين التامريين (1290 / 1873 - 1377 / 1957) / الملعمة 8 / 2733.
- 6 - قيادة آل بوفينزي بإداوبوزيا (1299 / 1881 - 1373 / 1953) / الملعمة 6 / 1907.

يبدو أن روح المقاومة والنضال في سبيل نصرة الحق والمشروعية متأصلة في قبائل حاحة مع ما يتطلبه ذلك من صفات الشجاعة والإقدام والتضحية، وتشهد بذلك الحروب التي خاضها ضد المارقين من برغواطة وكذلك جهادهم ضد البرتغال الغزاة لسواحل بلادهم تحت لواء كبار علمائهم ومتصوفهم من شيوخ الزوايا أمثال محمد ابن سليمان الجزولي (ت. 870 / 1465) وسعيد بن عبد المنعم الحاحي وغيرهما ممن رفع راية الجهاد والنضال من العلماء والرؤساء، لذلك نجد قبائل حاحة تعتبر نفسها مندمجة في نظام تحالف إينكزلن بالجنوب، وبهذه الصفة شارك الحاحيون في حروب سهل سوس والأطلس الصغير وتازة بزعامة قواد مخزنيين أشداء يحسب لهم حسابهم لدى ملوك زمانهم.

أ. البيذن، أخبار المهدي، 66 : ج. الوزان، وصف إفريقيا، 98 : م. المختار السوسي، رحلة من الحمراء، 21 : م. أيت الحاج، مظاهر الحياة الثقافية بعاحة وايداوتنان، د. د. ع (151 . 124).

محمد أيت الحاج

**الحاحي**، أُسّر شتى تنتسب إلى بلاد حاحة الواقعة بين الصويرة وأكادير على ساحل المحيط الأطلسي. وينسب إليها أيضاً على غير قياس بصيغة الحاحي والجاحاني. وأشهر سكانها رجراة المشهورون بشيوخهم الصالحين منذ عدة قرون.

ومن الأسر الحاحية العاملة الأسرة النعيمية المنانية، نسبة إلى الشيخ عبد المنعم أو النعيم من قبيلة إداوئوزيا بالجهة الشرقية من بلاد حاحة. ينتسبون إلى الشرف الحسني عن طريق أحمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله. ويرون أن نسبة المناني إلى منى الحجارة التي جاء منها أحد أجدادهم القدامى، وهو لا يستقيم. ولهم مدرسة علمية عتيقة تدعى المدرسة النعيمية مازالت قائمة نشيطة حتى اليوم في حاحة.

**الحاحي، أحمد بن الحسن بن عبد الله بن سعيد المناني**. قال عنه الرسموكي في الوفيات : "له نشر بليغ ونظم مليح، وهو أستاذ صالح"، قرأ في زاوية زداغمة بتافيلالت على عمه يحيى الحاحي أتى الترجمة وبه تخرج في الفقه والأدب. وخلفه في زوايتهم حين تأمر يحيى وانتقل إلى المحمدية (تارودانت). ولما توفي يحيى سنة 1035 كما سيأتي، رثاه بقصيدة دالية مطلعها :

أه قد ذك مجد آل سعيد بوفاة العلامة الصديد

وقد حاول الحاحيون التشبث بالملك وإقامة أحمد بن الحسن مقام عمه يحيى، وفي ذلك يقول محمد المرغيتي في العوائد : "ولما توفي يحيى ... بويع ابن أخيه السلطان الأسعد، الهمام الأمجد، أبو العباس مولانا أحمد ... غير أنه لم يقو على مجابهة أبي حسون السملالي الذي استعاد المحمدية إلى سلطته، وانكسح أحمد في زاوية زداغمة يدرس ويربّي على عادة أسلافه العلماء الصالحين. وألف شرحاً لقصيدة الهبطي، ونظم تخميساً لبردة البوصيري، وجمع ديوان النقااض التجلي فيما وقع بين سيدي يحيى وأبي محلي.

توفي بمسقط رأسه ليلة الاثنين زايغ عشر محرم عام 1052 / 14 أبريل 1642، ودفن خلف جده عبد الله بن سعيد داخل القبة الكبرى.

م. المرغيتي، العوائد، مخطوط : ع. التامنارتي، العوائد.

مخطوط : م. الحضيكي، طبقات، نج. أ. بومزكو، الترجمة، 70 :

م. المختار السوسي، خلال جزولة، 4 : 11 : المرسول، 19 : 83 : 92 :

سوس، 182 : م. حجي، الحركة الفكرية، 2 : 564.

**الحاحي، سعيد بن عبد المنعم (أو النعيم)**

المناني، رأس علماء هذه الأسرة وصالحيتها، حصل على نصيب من علم الظاهر والباطن، وأشهر شيوخه الصالحين عبد العزيز التباغ أكبر مردي الشيخ محمد بن سليمان الجزولي. قال عنه ابن عسكر في الدوحة : "شيخ السنة ومحبي الديانة ... كان من أكابر المشايخ وأشهرهم علماً وعملاً، وله في المعاملات الشأن الذي لا يُدرك مع شدة الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقوة الزهد والورع". وكان معاصراه الشيخ أحمد بن موسى السملالي وعبد الله الهبطي يتوهان به كثيراً، وبعده الهبطي من بين مشايخ ذلك العصر المنفردين بالتربية النبوية الصحيحة.

سلسلة نسب عبد الله بن سعيد، وأول نزول بالمحل الذي سينسب إليه في حاحة، ونعني به قرية آيت داود، غير أن أكثر الأسماء شهرة في سلسلة نسبه هو والده سعيد بن عبد النعم (أو المنعم) سابق الترجمة، وهو مؤسس الزاوية في قرية آياته آيت داود والمعروفة في كتب التاريخ بالزاوية الحاحية.

ولد عبد الله بن سعيد في آيت داود وفيها تربي وتعلم على يد والده. ثم قام بجولة لقي فيها الأئمة الأعلام، منهم الفقيه الزقاق والونشريسسي وأمثالهم من مشاهير علماء فاس والمغرب (المعسول، 19 : 80-82). ثم صحب بعد ذلك شيوخ التصوف وأخذ عنهم. ومن أشهرهم والده الشيخ سعيد بن عبد المنعم والشيخ أحمد أموسي السملالي دفين تازروالت بسوس، والشيخ محمد بن علي الشطبي دفين مدشر تازغدرة بقبيلة بني زروال، والشيخ عباد بن عبد الله السوسي. (المعسول، 19 : 81). غير أن الشيخ الذي عوّل عليه في الطريق وانتسب إليه هو عبد الله الهبتي دفين زاويته بالجبل الأشهب من بلاد بني زجل في غمارة (دوحة، 103 : صفوة، 10)، وهو أحد كبار أتباع عبد الله الغزواني تلميذ عبد العزيز التابع خليفة شيخ الجزوليين جميعاً محمد ابن سليمان الجزولي.

وهذا يعني أن عبد الله الحاحي جزولي الطريقة مثل والده، ومن أهل الطبقة الثالثة فيها. بل كان أيضاً، وعلى غرار آياته وأبائه، يمثل صورة الصوفي الجزولي النموذج، لانه - وعلى نحو ما عُرف عن مؤسس الطريقة الجزولية - كان يجمع بين العلم الظاهر والعلم الباطن. يعني أنه لم يتصوف إلا بعد أن تكون في العلم الظاهر. "ولا غرو - يقول المختار السوسي - أن يكون كذلك من تخرج بالإمام الهبتي النظار المشهور" (المعسول، 19 : 80).

وعلى كل حال، فالظاهر أن الشيخ عبد الله الحاحي بلغ في المجالين العلم الظاهر والتصوف مستوى عالياً أهله ليتولى مقاليد المشيخة في الزاوية الحاحية بأيت داود، بعد وفاة مؤسسها والده الشيخ سعيد وأخيه أحمد بن سعيد (المعسول، 19 : 78 : رحلة الوافد، 240).

غير أن المصادر التي ترجمت له لا تتحدث عنه إلا وهو شيخ لزاوية تُدعى زاوية زدأغة تافيلالت بدرن. فصاحب المعسول يقسول "إنه سكن أولاً في (بوشنين) من (آيت إيكاس) ... ثم صار يتعبد تحت سدره في (تافيلالت) حيث زاويته بعد. وكان المكان لرجل مسن، بُلغ خبر الشيخ (عبد الله الحاحي) فجاء إليه واسمه علي، وكان الوادي يسمى (وادي القطران) - فيما قيل - فسماه وادي العسل" (المعسول، 19 : 78).

فلماذا إذن هاجر عبد الله آيت داود بحاحة ؟ يجيب محمد حجي "... ربما كان لهجرة عبد الله بن سعيد من حاحة إلى تافيلالت زدأغة أسباب سياسية" (المحركة الفكرية، 2 : 560). وهذا الرأي المشوب بالحذر، لا نملك غير

ألف سعيد الحاحي عقيدة مبسطة لمريديه، وفتح بنفود روحي كبير في قبائل حاحة التي التفت حوله في الجهاد ضد المسيحيين المحتلين لشواطئ تلك المنطقة، وربما اشتمت منه رائحة الطموح إلى الاستحواذ على السلطة. فكتب إليه رفيقه وصديقه الحميم العالم الصالح أحمد بن عبد الرحمان التيزرگيني رسالة طويلة مؤثرة ينهاه عن طلب الرياسة ويحذره مغبة تفريق الكلمة بعد أن كادت تلتئم حول دولة السعديين الناشئة. وما جاء فيها : "بلغنا عنكم أنكم عازمون على مخالفة الشرع العزيز، وعلى الرمي بأديانكم وأبدانكم وأرواحكم وعقولكم وأولادكم وأموالكم وأجبابكم وأتباعكم وأزواجكم في بحور الهوى والردى، ولا سفينة ! وعلى التورط في مهواة الذنوب تتشبثون فيها بالصغيرة والكبيرة. وذلك طلب الملك والولاية، ومنازعة أرباب الدولة بالقتل والمشاقة. هاه ! هاه ! كلا لا ! كلا لا ! كلا لا ! أين عقولكم الراجحة ؟ أين علومكم الراسخة ؟ أين بصائركم الشاقبة ؟ أين عهدكم للسادة السالفة ؟ انتهوا خيراً لكم ! انتهوا خيراً لكم ! وإني لكم والله من الناصحين" !

وقد آتت هذه النصيحة الخائصة أكلها وصرفت الشيخ سعيد الحاحي عن الخوض في معترك السياسة والرياسة ليستغل بما يعنيه إلى أن أدركته الوفاة سنة 953 / 1546، وقبره مزارة كبرى ببلاد حاحة، يُقام حوله موسم تجاري كل سنة.

م. ابن عسكر، دوحة، موسوعة أعلام المغرب، 2 : 878 : وفيات الرسومي، ص 19 : م. المهدي الفاسي، متع الأسماع، 50 : تحفة أهل الصديقية، 27 : م. القصادري، الطرفة، مخطوط، م. المضيجي، طبقات، تح. أحمد بومزكو، الترجمة، 749 : م. المختار السوسي، المعسول، 13 : 272-275 و19 : 75 : م. حجي، المحركة الفكرية، 1 : 222، 221 : 2 : 560.

محمد حجي

**الحاحي، طلحة** بن الزبير بن سليمان بن تميم يكنى أبا الزبير، توفي في دولة المرتضى، (646 / 1248 - 665 / 1266) ولكيفية موته خبر غريب، وله تأليف سماه : الترجيح والتنقيح في الناسخ والمنسوخ وقيل : انما هو من تأليف أبي علي الكفيف الماجري، رواه عنه طلحة بن الزبير هذا

مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تح. ليسي بروفنصال، ص 69، الرباط.

محمد آيت الحاج

**الحاحي، عبد الله** بن سعيد بن عبد المنعم المناني، ينتسب إلى أحمد بن إدريس الأول دفين فاس (المعسول، 19 : 72-78). وجدّه الأعلى داود هو أول معروف من

توكيده، إيماناً منا بأن عبد الله الحاحي كان من بين شيوخ الزوايا الذين وقفوا في وجه السلطان الغالب، منتقدين سياسته السلبية في الجهاد. لذلك رأى الغالب أن يخرج من بين عصبة الحاحيين، إلى جبل ناء يتعذر الوصول إليه في أقصى جنوب البلاد (المصدر السابق، 2 : 560)، انتقاماً منه على موقفه المذكور، وعلى غرار ما فعله السلطان نفسه إزاء أمثال الشيخ الحاحي من الأولياء.

مهما يكن من أمر فقد أخلى الشيخ عبد الله الحاحي زاوية أهله بأيت داود، وانتقل إلى مكان آخر يعرف بزُدَاغَة تافيلالت بِمُنْحَدَرَات جبال الأطلس الكبير، شمال غرب تارودانت، بعيداً عنها بنحو سبعين كلم، في منطقة جبلية وعرة جداً. لكن بالرغم من وعورة المكان أصبحت الزاوية الحاحية الجديدة موطن إشعاع علمي وصوفي، يعم جنوب البلاد كلها، بفضل ما بذله شيخها عبد الله بن سعيد الحاحي من جهود متكاملة، بدءاً بتعمير المنطقة وتيسير سبل العيش والمقام بها، وانتهاءً بجلب العلماء للتدريس بالزاوية، وهي الأمور التي ساعدت على تقاطر وفود الزوار والمريدين وطلاب العلم عليها.

وفي هذا الصدد تذكر المصادر أن الشيخ عبد الله الحاحي قسم أيامه وكياليه بين التدريس والوعظ والإرشاد والتأليف والذكر والتبهد، وهكذا آلى على نفسه ألا يغادر زائر زاويته إلا بعد أن يحفظ عقيدته وفرضه وسننه "وإن كان لا يعرف حرفاً أو طعن في السن والهزم، وله في ذلك اختصار عجيب" (المعسر، 19 : 79 : 80).

وفي هذا الصدد يقول صاحب الفوائد : "حضرت مجلس تذكيره مرة فأسمعنا حكماً ومواعظ في الإنابة وتصفية الباطن، والتبيري من الحول والقوة، والتحذير من شوائب الأعمال وروعنات النفس وحب الدنيا والتأكيد على اتباع السنة ولزومها..."

كما ألف كتاباً آخر سماه شعب الإيمان ضم بين دفتيه "ما لا بد للمسلم منه في التوحيد، ذكر فيه أربعاً وسبعين شعبة، واحدة واحدة" (المعسر، 19 : 79). إلى جانب مجموع في المواعظ والأذكار في حجم سدس القرآن، "جمع فيه نقولاً من التفسير والأحاديث والأخبار، تتحدث عن نزول الموت بالمحتضر، وما يجب الاعتقاد والإيمان به من أحوال القبر وما بعده، يُبَسِّطُ على الناس بين العشاءين. وبعد العشاء يجتمع عليه جميع الواردين والزائرين، فلا يُرَى واحد يتخلف عن سماع ذلك، ولا يُمَكَّن من الرجوع إلى بلده حتى يحفظه ويفهمه، وذلك دأبه رضي الله عنه" (المصدر السابق، 19 : 82).

وما يحكى في هذا الإطار أن طائفة ممن يُنسبون إليه قدموا عليه بنية الخدمة في الحصاد، "فقال لهم لا نتفع بشيء من خدمتكم إلا إن تعلمتم ما فرض الله عليكم، وتأخذوا فيه ونياتكم على الإقامة فيه، وإلا لا حاجة لنا فيكم، فكان رضي الله عنه لا يعمل له إلا من يحافظ على

دينه، ويسخن الماء في الحرت ويتوضؤون ثم يصلون جماعة، هكذا عند كل عمل، حرتاً كان أو حصاداً، أو غيرها على الدوام" (المعسر، 19 : 81 : 82).

وإضافة إلى الزوار والمريدين وطلبة العلم كان "يؤوي إليه العلماء، كأحمد البوسعيدي الذي نسخ له مقدمة الحافظ ابن حجر... ومحمد بن عبد الواسع البعقلي مؤلف الكراسة في أخبار الجزوليين المسماة مناقب البعقلي، فقد ذكر أنه آوى إليه أزماناً" (المعسر، 19 : 79)، والشيخ محمد بن علي الجزولي الأنوسي المشهور بباعه الطويل في علوم القراءات والتجويد، والشيخ التمارتي والد أبي زيد عبد الرحمان مؤلف الفوائد الجمّة في أسانيد علوم الأمة، إلى جانب أبناء عبد الله الحاحي نفسه وخاصة منهم الحسن بن عبد الله الذي اشتهر بالفتوى (الحركة الفكرية، 2 : 562).

يقول التمارتي : "كان عبد الله الحاحي عظيم الهمة، له نظر دقيق واحتياط في طريقي العبادة والعبادة، أزهّد الناس وأورعهم في ذلك، وقصده الناس لذلك من جميع أفاق المغرب..." (الفوائد، 12). لذلك لا عجب إذا اكتسب شعبية هائلة واعصرت حوله معظم قبائل درن من علماء وطلبة ومريدين وعوام ؛ بعضهم يطعم في بركته، والبعض في التلمذ على يديه، أو سلوك طريق القوم بصحبته، والبعض يطعم في هذا كله. ولا عجب أيضاً إذا أصبحت الزاوية الحاحية من كبريات الزوايا المغربية خلال القرن العاشر (16 م) وأصبح لشبختها حضور في مجريات الأحداث السياسية والعسكرية زمنئذ.

لم يقتصر عبد الله الحاحي على التعليم وإطعام الطعام ومساعدة المحتاجين، أو ما يعرف عموماً بالأدوار الاجتماعية، وإنما لعب أيضاً أدواراً سياسية هامة، سواء عندما أصبح شيخاً لزاوية والده في أيت داود بحاجة أو عندما أسس زاويته الجديدة بتافيلالت زُدَاغَة. بل إن نقل مقر زاويته من المكان الأول إلى الثاني، يرتبط أساساً بهذا الدور السياسي كما قلنا.

لكن الظاهر أن حُطَّة عبد الله الغالب الرامية إلى إضعاف غريمه وسميه الحاحي بتجريد من عصيته لم تكن ناجعة، إذا علمنا أن النفوذ الذي حققه الشيخ الحاحي في زُدَاغَة تافيلالت بدرن فاق ما حققه بزواوية والده، بفضل الطريقة التي سنها في حياته هنالك والقائمة أساساً، كما رأينا، على الإحسان والعزلة حتى إذا جاءت الفرصة لرد الاعتبار إلى نفسه، ضد سياسة السلطان كان على أتبه الاستعداد.

وقد جاءت هذه الفرصة عندما عاد عبد الملك المعتصم وأحمد المنصور من منفاهما بالديار العثمانية ودخلا في صراع مع محمد المتوكل بن عبد الله الغالب حول العرش. نقول جاءت هذه الفرصة لأن الشيخ عبد الله الحاحي سوف يقف في هذا الصراع إلى جانب الأخوين عبد الملك المعتصم وأحمد المنصور ضد محمد المتوكل ابن عبد الله الغالب.

1974 : م. القادري، *التقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي، بيروت، 1403 / 1983 : أ. الزباني، *الترجمان المغرب*، مخطوط : ع. التاسفتي، *رحلة الوافد*، تح. علي صدقي ازايكو، القنيطرة، 1992 : م. المختار السوسي، *المعول*، ج 19، البيضاء : م. حجي، *الحركة الفكرية*، ج 2، المحمدية 1389 / 1978 : أ. اللوات. الأولياء، *ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرن (16 م)*، د. د. ع. فاس، 1988.

P. de Cénival, *La zaouia dite de Berada'a, Hesp.*, Tome XV, Fasc. I, 1932.

أحمد اللوات

**الحاحي، يحيى** بن عبد الله بن سعيد المناني. وُلد ونشأ في زاوية زداغة (تافيلالت سوس) في حُدود الأطلس الكبير، وأخذ فيها عن والده عبد الله بن سعيد وأحمد أذفال السوساني الدرعي العلوم الشرعية والصوفية، وأقام بفاس مدة طويلة يأخذ عن أعلامها : أمثال الإمام أحمد المنجور والقاضي عبد الواحد الحميدي والمفتي يحيى السراج والأستاذ أحمد الزموري وطبقتهم، كما درس بمراكش على الفقيهين محمد الرجرجي وأحمد بن محمد السالمي.

تكوّن يحيى الحاحي تكويناً متيناً في اللغة العربية وقواعدها وأدابها، وفي الفقه والحديث والعقائد وسائر العلوم الشرعية، إضافة إلى سلوك طريق القوم والتخلي بأخلاق الصوفية على سنن أبيه وجده، ورجع إلى مسقط رأسه ليشغل إلى جانب والده بالتدريس والتربية. ولما مات عبد الله بن سعيد سنة 1012 / 1603 خلفه يحيى في راسة الزاوية والتدريس بها، وتكاثر عدد طلبته ومريديه، فكانت أوقاته معمورة بالمجالس العلمية وحلقات الأذكار أثناء النهار وطقساً من الليل، يختم صحيح البخاري كل رمضان في مجالس مشهودة، وكان من جملة الأخذيين عنه فيها عبد الرحمان التامراتي ووصفها في كتابه *الفوائد الحجة*.

ولما ثار أحمد بن أبي محلي على السعديين سنة 1019 / 1610 تغلب على زيدان بن أحمد المنصور وأزعجه عن مراكش، استنجد زيدان بيحيى الحاحي، فأفججه - بعد تردد - وهاجم الشائر ابن أبي محلي وقضى عليه في معركة كيليز سنة 1022 / 1614. ولما رجع يحيى إلى زاويته فترت همته في التدريس وتلقين الأوراد، وأخذ يرأس السلطان زيدان ويمنّ عليه بمناصرته ويتجنّى كثيراً دون أن يفصح عساً يجول بخاطره، وأخيراً أعلن الثورة في سوس ضد زيدان مظهراً الرغبة في حماية الدين وجمع كلمة المسلمين، وملك تارودانت من يد أبي حسون السملالي المستبد بها واتخذها عاصمة لإمارته، لكنه لم يستطع أن يوسع دائرة نفوذه شمالاً ولا جنوباً إلى أن مات.

ألّف يحيى الحاحي كتاباً تعليمية أغلبها شروح، منها : *تحصيل النافع من كتاب الدرر اللوامع في القراءات* ؛ وشرح

فقد ذكرت المصادر التاريخية أن محمد المتوكل عندما هاجر مراكش عاصمة الجنوب أمام ضغط عميه عبد الملك وأحمد، قصد الأطلس الكبير، حيث آواه محمد بن ويسعدن من كبار أولياء الجبل. وبإشارة من ابن ويسعدن أيضاً اعصوبت حول المتوكل قبائل الأطلس الكبير الشرقي والسوس، مما جعله يقف ندا في مستوى جيوش خصمه التي كان يقودها عمه أحمد، في المعركة الفاصلة الشهيرة باسم "معركة تيزرت الكبرى" (الفوائد، 12).

غير أن نتيجة المعركة آلت في النهاية لصالح أحمد وعبد المالك وهلاك كثير من حُدّام زاوية ابن ويسعدن، وعلى رأسهم ابنه عمر. (الحركة الفكرية، 2 : 566)، وقد ساهم في صنع هذا الانتصار، الشيخ عبد الله الحاحي الذي وقف باتباعه وعصبيته الجديدة إلى جانب الأخوين، فقدم لهما خدمة جليلة، عندما عرض عن مساعدة المتوكل وحليفه ابن ويسعدن (المعول، 19 : 78). وكان باستطاعته، يقول محمد حجي، "... لو انضم إلى ابن ويسعدن أن يغير مجرى الأحداث" (الحركة الفكرية، 2 : 516). غير أنه فضل أن يحارب محمداً المتوكل وأن يبايع "عبد الملك ووفد عليه إلى مراكش" (نزهة، 47).

لكن بعد مرور عقد من الزمن على مبايعة أحمد المنصور ساءت العلاقات من جديد بين هذا السلطان وعبد الله الحاحي، ودخل الطرفان في صراع مسلح مكشوف. وحينما نقرأ أخبار هذه المواجهة نجد "الأرض والضرائب" محوراً لها. فقد جاء في الصفوة قوله : "لما نزل قائد المنصور عبد الرحمان بن المرید الشياطي بأسفل سوس، أضر ببعض أصحابه (عبد الله الحاحي) ممن له ضيعة هناك، فأثنى الشيخ شاكياً فانتصر له.

ولعل النكبة التي حلت بهذا الجيش هي التي دفعت بالمنصور إلى تجريد حملة ثانية برئاسة القائد منصور بن عبد الرحمان العليج في محاولة للنيل من الشيخ الحاحي وعصبته. غير أن هذا الأخير "رحل من داره إلى موضع آخر فوقها" مما يعني أن قوات المنصور حاصرت زاوية الحاحي، وأن أتباعها شردوا إلى أعالي الجبال. لكن الحملة توقفت، عند هذا الحد، لأن المنصور استدعى قائدها للمشاركة في الاستعدادات الجارية بمراكش لغزو السودان (صفوة، 10).

ولسنا ندري ماجريات الأحداث بعد ذلك، لكن الأكيد أن توفر المنصور على جيش عتيد فرض على شيوخ الزوايا كالحاحي وغيره الاستكانة والخمول، ولو مؤقتاً، وعاد عبد الله بن سعيد الحاحي إلى زاويته بمدرّس تافيلالت، وظل يمارس بها نشاطه العلمي والصوفي إلى أن وافاه الأجل يوم الجمعة 11 جمادى الثانية أو رجب عام 1012 هـ / نونبر - دجنبر 1603 م.

م. ابن عسكرو، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، الرباط، 1396 /

1976 : ع. التامراتي، *الفوائد الحجة*، مخطوط، الرباط، 1240 : م.

الإفراني، *صفوة*، ط. حجرية بفاس، د. ت. نزهة الحادي، الرباط،

قصيدة لامية له في التهنتة باسم الرشفة الهنتة من رسالة التهنتة ؛ وأجوبة في موضوعات شتى في مجلد ؛ ومؤلف في الجدول ؛ وأرجوزة في الشهداء، شرحها بعض علماء سوس. على أن أكثر إنتاجه شعر، وأغلبه في هجو خصمه أحمد بن أبي محلى والرّد عليه. وكانا صديقين أيام الطلب وعاشا معاً مدة طويلة في فاس، لكنهما اختلفا بعد أن استولت عليهما فكرة الحكم والسلطان. وهجّوهما - من الناحية الأدبية الصرفة - جيد على ما فيه من إقذاع. وقد جمع الحسن بن عبد الله الحاحي هذه الأشعار في مجلد ضخّم سماه التجلّي فيما وقع بين سيدي يحيى وأبي محلى، على غرار نقائض الفرزدق وجريز، وقف عليه غير واحد من الباحثين في خزائن سوس. وآخر من اطلع عليه الشاعر المرحوم الحسن البونعماني.

توفي يحيى الحاحي بتارودانت ليلة الخميس سادس جمادى الثانية عام 1035 / 5 مارس 1626، ونقل إلى زاوية زداغة حيث دفن بإزاء والده في مشهد واسع ما تزال جدرانه قائمة حتى اليوم.

م. التسنارتي، الفوائد الجمة، مخطوط؛ أ. ابن عطية، التفكير، مخطوط؛ م. الإفرائي، صفوة، 133؛ نزهة، 184، 185، 188، 209؛ م. الحضيكي، طبقات، نج. أ. بومزكو، الترجمة، رقم 783؛ أ. التفتازاني، فتاوى فقهاء جزولة، مخطوط؛ أ. الناصري، الاستقصا، 6، 33 وما بعدها؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 10، 222؛ م. المختار السوسي، إبلخ، 52 وما بعدها؛ خلال جزولة، 2، 113 و 4؛ 11، المعسول، 19، 84، 93، سوس، 183؛ م. العثماني، ألواح جزولة، مرقون، ص. 90 وما بعدها؛ م. حجي، الزاوية الدلالية، 136، 137 وهوامش 8، 12؛ الحركة الفكرية، 2؛ 563.

محمد حجي

**الحاحي، يوسف بن تغوريت**، الشيخ الفقيه الحاج الزاهد الورع الناسك القدوة، أقام بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم مدة، ولقي بها جماعة من أهل العلم، وتوفي ببلاد حاحة في عشرة الثمانين وستمائة الهجرية حوالي 1281 / 680.

مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تج. لبثي بروفنصال، ص. 73، الرباط.

محمد أيت الحاج

**الحاخام، haḥam**، يجمع عند اليهود على حاخاميم وبالعربية حاخامات. ويعني في الاستعمال المتداول بالمغرب الحبر اليهودي أي بالمعنى الواسع "رجل الدين عند اليهود". أما الكلمة نفسها "حاخام" عند اليهود فتطلق على ذي المعرفة الواسعة بالدين، وهم الذين يعملون بنفس المجال بحيث ينعكس على سلوكهم اليومي. ونجد من بينهم الربّي

- القضاي (م - ع ديان و ج - و ديانيم) والموثق (م - ع سوفير و ج - ع سوفریم). أو بعض الشخصيات التي تحمل بتواضع لقب تلميذ - حاخام (سباتي ذكره لاحقاً).

المصطلح العبري حاخام يحيلنا إلى نفس المصدر في اللغة السامية الذي أعطى لفظ حكيم وحكمة، وهو نفس المعنى الذي نجد في القواميس العبرية : حيث يرادف مصطلح حاخام كلاً من حكيم وعالم ورائد وذكي، ويحيلنا الفعل حاخوم إلى حَكَم، فهِمَ. أما الاسم فهو حُخْمَة أي حكمة وتبحر.

والحاخامات يتلقون دراستهم في مدارس دينية منذ الطور الشانوي إلى آخر لحظة من حياتهم، وهاته المدارس يطلق عليها بالعبرية لفظ "تيشيفاه" وتسمى في الاصطلاح العبري المغربي "بليسيبا".

يقضي الحاخامات حياتهم في دراسة وسير أغوار التوراة والتلمود سواء فرادي أو جماعات (اللفظ العبري كدليل)، ويستطيعون أيضاً المساهمة في تعليم المريدين في جماعات للدرس للكبار الذين يجتمعون بانتظام داخل هذا المعبد أو ذاك والذين نتعتهم في المغرب كذلك بلفظ "بليسيبا".

يحمل تلميذ حاخام عدة معان : المعنى الأول : طالب بليشيفاه، وله في الاستعمال معنى ثان وهو (عالم أو أديب متمكن من الثقافة العبرية) وهذا اللقب هو مدح رغم ظاهره المتواضع. إلا أن هذا المعنى لا يعود إلى القاعدة التي يعطيها Brunot و Malka في *Glossaire Judéo-Arabe de Fès, Rabat, 1940, p. 21*. "طالب العلم الذي يتابع دراسته ويحتل منصباً دينياً متواضعاً (...). مثله مثل الطالب المسلم بالمعنى المغربي للكلمة، بل على العكس هناك اعتبار بالنسبة لتلميذ حاخام". في اللغة الإسبانية اليهودية المتداولة في شمال المغرب أيضاً، فهو تابع لعالم، وكهنا يسمي العلماء بكل تواضع كما يكتب : Benoit José, *Dialecto judéo - hispano marroquí o Hakitia, Madrid, 1977, p. 255* "ولا أحد يجروء على تسمية نفسه بحاخام لأنه ملك لله". أما بالنسبة لحاييم الزعفراني في كتابه : *يهود المغرب*، فهو يقول : "المتشقف هو الذي يتمتع بالتقدير".

حاخامات بالمغرب : إن للمغرب حاخامات ذوي شهرة واسعة تمتعوا بالتميز في عصرهم وفي تاريخ اليهودية، وهذا راجع إلى أعمالهم وخصوصاً علمهم وكتاباتهم سواء باللغة العبرية أو باللغة العربية.

والجدير بالذكر أن مؤلفاتهم في اللغتين تندرج في الحركة الفكرية للفضاء الثقافي العربي وخصوصاً في العصر الذهبي سواء في المشرق أو الأندلس أو المغرب. فإذا كانت شخصية موسى ابن ميمون من قرطبة (المشهور برامبام أو ميمونيد بحروف مختصرة بالعبرية) فإن بعض مؤلفاته أنجزت بمدينة فاس ما بين 1160 و 1165م، هذه المدينة التي كانت في القرون التاسع والعاشر والحادي عشر مركزاً للعلم

اليهودي، فخلال هاته الحقبة كانت المدارس اليهودية (يشفون) بالمدينة تساهم بشكل كبير في خصوصية الفكر العلمي التلمودي واللّسني بالأندلس (لياسانا، قرطبة...).

وهكذا نجد يهودا ابن قريش التاهرتي، العالم والطبيب بمدينة فاس، يحرق "رسالته إلى جماعة يهود فاس" يضع الأسس المنهجية للمقارنة العلمية بين اللغات، كما يعترف بذلك علماء اللّسنيات (*Que sais-je ? La linguistique*). ويهودا حيوج من مواليد مدينة فاس، جدد النحو العبري باكتشافه للجذور الثلاثية، وداوود بن أبراهام الفاسي (القراني) في القرن العاشر الميلادي وضع أول قاموس عبري - عربي بعنوان "جميع الألفاظ".

ومن مواليد مدينة فاس كذلك، دوناش بن ليراط، وهو عالم لّسني كبير عاصر الحكم الأموي، وكان يقيم بالعاصمة الأموية.

وقام إسحاق هاكوهين الفاسي (المعروف عند اليهود بهاريف) عن سن متقدمة بمغادرة مدينة فاس ليستقر بلياسانا (قرب مدينة غرناطة)، لكي يقوم بتسيير المدرسة المشهورة (بشيفاء)، وقد كان ألف مقدمته للتلمود (هالافوت هاريف) والتي تسمى أيضاً "يتلمود قاطان" أي التلمود الصغير الذي ظل لمدة طويلة مرجعاً لأجيال من الحاخامات حتى داخل أوروبا الوسطى.

وفي القرن (12 م) نجد رجلين يحملان نفس اللقب العائلي - تألقا بالرغم من الظروف الصعبة التي عاشها اليهود تحت الحكم الموحد الذي عرف هلاك الحاخام الفاسي يهودا هاكوهين بن سوسان - وهما شمعون ابن عقتين من فاس ويوسف ابن عقتين من سبتة، شاعر وكاتب له عدة مراسلات مع ابن ميمون.

وخلال القرن (14 م) عاش بها الفيلسوف يهودا مالكا ابن نسيم، من مؤلفاته باللغة العربية "أنس الغريب".

بالإضافة إلى أن القرن (14 م) يؤرخ للسلالة الطويلة لأسرة ابن دانان بفاس، الميتدئة بالحاخام موسى بن ميمون (المعروف باسم رامبام الفاسي)، والتي امتدت حتى حدود القرن العشرين، مع الحاخام شؤول دانان آخر الرؤساء للمحكمة الموسوية العليا بالرباط. فقد أعطت لفاس وغرناطة حاخامات مغمورين مثل سعديا ابن دانان الذي رجع من غرناطة ليستقر بفاس بعدما كان آخر قاض بغرناطة سنة 1490 م، وهو صاحب كتاب "الضروري في اللغة العبرانية" وهو منهج باللغة العربية لتعلم اللغة العبرية، وهو من نفس سلالة المؤرخين الذين ساهموا سواء بالعبرية أو بالعربية في المجموعة التاريخية المعروفة باسم "ديبر هاياميم" والتي تحكي قصة الطائفة اليهودية من القرن 16 م إلى 19 م (أنظر *Vajda, Un recueil de textes historiques Judéo-Marocain, Hesp. 1948 - 1949*).

وسيكون من العبث محاولة جرد اللائحة الطويلة للحاخامات الذين طبعوا التاريخ اليهودي المغربي. غير أن

إحصاءً دقيقاً قام به الحاخام يوسف بنانيم في كتابه "ملخي راينان" وهو الباحث الفاسي في قرننا هذا (انظر البيوجغرافيا). وسنكتفي هنا بذكر الأسماء الأكثر شيوعاً (ومن أجل المزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى المقالات المخصصة لهاته الأسماء في نفس المعلمة).

أعطى مجي، اليهود المهاجرين من إسبانيا سنة 1492 م وهم الملقبون بـ (ميغوراشيم بالعبرية، أو العجميين والروامة بالعربية) دفعة جديدة للحاخامات المغاربة، وخاصة بالمدن التي استقروا بها. وقد تكتل القسم الكبير من هؤلاء المهاجرين بفاس ومكناس وتطوان وسلا.

عرف القرن 16 و17 م انصهار الفرق بين الشريحتين الإسبانية (السفردية) والمحلية إلى حد اندماج المناهج والأعراف في ميدان القانون والعادات المحلية.

أما بالنسبة للغة في نهاية القرن 17 م، فقد ظلت اللغة المحلية هي اللغة المسيطرة في كل من مدينة فاس ومكناس والرباط وسلا وصرور. أما اللغة اليهودية الإسبانية فقد ظلت بكل من تطوان ومدن الشمال.

بين بداية القرن (16 م) بفاس ونشر كتاب "سفرها تقانوت" "أي الفتاوي" في القرن (19 م) على يد الحاخام أبراهام أنقاوا من سلا، (أنظر *Haïm Zafrani, Les Juifs du Maroc : Vie sociale, économique et religieuse, Paris, 1972*) حل محلها الاندماج الذي سبّغ خلال النصف الأول من القرن العشرين، بجلسات جماعية للقضاة (الديانيم) تحت إشراف المحكمة الموسوية العليا.

هناك عائلات تخصص أفرادها في مجال القضاء، وتطبيقاً لعادات ما يسمى "بالسرار" التي تجعل اختيار الحاخامات من هاته العائلات يقوم على شرط توفرهم على قدرات تؤهلهم لذلك المنصب. ولهذا نجد سلالات كاملة من الحاخامات. ففي فاس، إلى جانب عائلة ابن دانان (وهم بلديون)، نجد على طول الخمسة القرون الماضية أسرة أبنسور (يعقوب : حاخام وشاعر 1673 م - 1753 م، وموشي وشلوم) وشعر هؤلاء الثلاثة نشر سنة 1893 م تحت عنوان "عبت لكول حفص" على يد الحاخام الكبير لفاس رثانيل أبنسور.

أما عائلة السرفاتي فلديهم أبنر في القرن (19 م) وهو صاحب مؤلف حول تاريخ الجماعة اليهودية بفاس بعنوان "يحاس فاس" وهناك كذلك بن أموزيغ ما بين القرن 17 م و19 م، وسريروا والمعروف منهم هو شؤول *Saül* (1566 م - 1655 م) صاحب كتاب أوريم وتوريم، وهو مؤلف حول القضاء.

ونجد أيضاً أسرة أفلالو (ميمون في القرن (17 م) وهو حاخام كبير بالزاوية الدلائية، زامن مرحلة ترحيل يهودها إلى فاس، وابنه سعديا حاخام بفاس، وهناك كذلك يهودشوع ويحين وكانا حاخامين بأكادير.

ونذكر من عائلة منسانو : أبراهام في القرن (18 م) وميمون في القرن (20 م).

وبين صفوف عائلة مونسينيغو نجد ياديدا الأول في القرن (19 م) وياديدا الثاني الحاخام الأكبر للمغرب المتوفي سنة 1995 م.

وهناك أسرة بوطبول وأسر أخرى نذكر منها حاخامات مثل أبرهام بن داويد ويوسف الملقب بدويدو، وقد كان عدلاً ما بين القرن 18 و19، وهو حسب يوسف بنايم في كتابه "ماخني رينان"، 16 - أ، صاحب مؤلف تاريخي لم يطبع بعد.

ونجد القبالي أزو لاي وهو صاحب كتاب "أورها حمًا" أي "ضوء الشمس". وبعض الأسماء لأكبر الحاخامات الذين كانوا يوجدون بمختلف المدن مثل أسرة ابن عطار بفاس، ومنهم المتوفي سنة 1604 م وشلومو وأبرهام ويعقوب وأخوه يحيى الملقب "بالرَّبِّي الكبير" وكان صانعاً وقاضياً توفي سنة 1698 م. وهناك عبيد وابنه رقائقيل بن عبيد في القرن (18 م).

ويسلا نجد حايم الملقب بالشيخ (هزقين بالعبرية) 1620 م - 1721 م. وبمراكش هناك داوود خلال القرن (17 م) وهو صاحب مقاطع دينية، وموردخاي القبالي.

ويمكننا نجد شيم طوب وموشي وخصوصاً حايم بن عطار ومؤلفه هو "أوهايميم" (أي نور الحياة) وهو كتاب في القبالة (التصوف عند اليهود) الذي كان يدرسه بليثورن ويعدها بالقدس. وبنفس المدينة مكناس نجد سلالتين قد هيمنتا في مجال الحاخامات وهما سلالة بردوكر، ومن بينهم نجد موشي الملقب بما شبيير في القرن (18 م) ومردخاي الملقب بما ريز في نفس القرن. ورفائيل ما بين سنة 1747 م و1822 م وأخيراً يهو شواع، وقد كان رئيس المحكمة الموسوية العليا للمغرب، وتوفي سنة 1946 م.

والسلالة الثانية هي سلالة طوليدانو التي تضم لاحتها الطويلة شخصيات كانت مقربة من مرلاي إسماعيل، ومن هاته السلالة نجد يا عاقوب (الملقب بما هريط).

ويسلا نجد سلالة أنقاوا التي أعطت الحاخام أبرهام في القرن (19 م) المذكور أعلاه والحاخام رقائقيل (1848 م - 1935 م)، قاضي ميحل ورئيس للمحكمة الموسوية العليا، ظل يمارس هاته الوظيفة إلى آخر لحظة من حياته. وهناك يوسف المالح صاحب كتاب في علم الشريعة "توقفواشيل يوسف" طبع بليثورن سنة 1829 م كان حاخام - قاضي الرباط وسلا.

وقد عرفت مدينة تطوان حاخامات كباراً من سلالة بو درهم والموزينو، وأشهرهم الحاخام إسحاق بن وليد الذي خلف مدرسة ومعهداً يمكن زيارتهما بنفس المدينة تطوان.

أما بمدينة طنجة، فأول حاخام قاض بها هو أبرهام طوليدانو في نهاية القرن (18 م) والأكثر شهرة بهاته المدينة هو الحاخام موردخاي بنجيو.

ومدينة الصويرة بالرغم من أنها حديثة العهد فقد عرفت حاخامات مشهورين مثل أبرهام كوريات صاحب كتاب

"بريت أبوط" أي (عهود الأجداد) وحايم بنظر (Haïm Pinto) في القرن (19 م) صاحب المعبد والضريح الذي يحج إليه اليهود في موسم سنوي (الهيولا).

وفي جنوب المغرب تميز حاخاماته في ميدان القبالة، فنجد أسرة يو حصيرة ومن بينهم إسحاق ثم يعقوب وقبره بدمنهو بمصر وإسرائيل (الملقب ببابا سالي) وقد لعوا بتافيلات وتقام لهم المواسم بكرامة.

أما "ميقوييلي" درعة الذين وسماو التصوف اليهودي ومن بينهم نجد بأقا يعقوب بو إفرغان ويتارودانت موشي ابن ميمون الباز وبمراكش شالوم بوزاگلو في القرن (18 م) وحديشاً بن باروخ هاكوهين ....

وقبلهم في القرن (15 م)، وصل الحاخام داويد هالقي من إسبانيا إلى تمغروت بواد درعة، ويعرف بربي داويد الدرعي، وهو قبالي وصاحب مؤلفات في هذا المجال مثل كتابه "سفر هالغوت" (الدار البيضاء 1930 م)، "أي كتاب الملك"، وقبره إلى يومنا هذا مزاراة لليهود في موسم سنوي (الهيولا).

انظر : Haïm Zafrani, *Kabbale, vie mystique et magie*, Paris, 1986

ولنفس الكاتب، انظر : *"Éthique et mystique, le commentaire kabbalistique du traité des pères de J. Bu lfergan"*, Paris, 1991.

ولا يمكن إنهاء هذا الإحصاء السريع، دون ذكر حاخامات مدينة دبدو، والسلالة الطويلة لأسرة كوهن العريفة، ومن بينهم شلومو هاكوهين الذي ألف كتاباً يؤرخ لفترة من فترات مدينة دبدو "ياحاس دبدو" وهو مقدمة لكتاب "واياجيل الشلوموا" (الدار البيضاء 1929 م).

أما عن حاخامات مدينة صفرو فنذكر شلوم مامان في القرن (18 م) وقبره مزاراة لليهود، وهناك أيضاً عوياديا ورفائيل موشي الباز في القرن (19 م) المشهور بقصائده اليهودية المغربية (الملحون) التي تتميز بالهام روحاني عميق (انظر عبد العزيز شهبير، "مجلة كلية الآداب بتطوان"، العدد 6، 1993).

ونشير أيضاً إلى حاخام كورليل : (الاشتقاق من كورليل، جماعة من الحاخامات بمدينة ما).

هذا اللفظ كان يدل سابقاً على "الربيين الرسل" القادمين من أوربا وكذلك من الششون من صفد وطبريا والقدس لمجمع الأموال والهبات من أجل الجماعات الربية والتلاميذ المغاربة الذين يقضون حياتهم في الدراسة الدينية بهاته المدن، ومن بينهم من توفروا في المغرب وأصبحت مقابرهم فيما بعد مزاراً لليهود مثل : ربي عمران بن ديوان المدفون في آسجن (قرب مدينة وزان).

ومن أهم الأنشطة للأخبار الرسل : قيامهم بنشر أفكار الأخبار الفلسطينيين عن طريق التعليم أو الوعظ أو بإعادة أو نسخ وتوزيع كتبهم أو كتب



في النصف الثاني من القرن العاشر (16 م) يتعدى ستين داراً.

ح. الوزان، وصف إفريقيا، تر. م. حجي والأخضر، 1: 278، ك. مارمول، إفريقيا، تر. م. حجي وآخرين، 2: 160-161، م. ابن عسكرو، دوحة، 81.

محمد حجي

### حارة المجذومين بالقصر الكبير (أو حارة

المجذامين) كانت تقع شمال المدينة في مكان يطلق عليه المنزه، أنشأها يعقوب المنصور الموحي حين جدد مدينة القصر الكبير وبنى أسوارها ومساجدها وحماماتها. وكانت الحارة محاطة بأسوار مزدوجة مبنية بالطابية (انظر الصورة).



صورة فرينة أعدت مباشرة بعد الاحتلال الإسباني  
لمدينة القصر الكبير تظهر فيها أسوار حارة المجذومين (الجزء من)

وحيثما احتل الإسبان المدينة سنة 1329 / 1911 وفرضت الحماية قاموا لاحقاً ببناء حي بجانبها سموه حي الحارة. ويوجد فيه الآن مركز القوات المساعدة.

م. بوخلفة، الطريق لمعرفة القصر الكبير، 1972، ص 39.

محمد أخريف

### حارة المجذومين بمراكش، مجال سكني خصص

لإيواء المصابين بداء الجدام من أهل المدن منذ العصر الوسيط على الأقل. يقع خارج الأسوار منها، انطلاقاً من قاعدة عزل المريض عن غير المريض كوسيلة لدفع انتشار المرض، وهو مؤشر على وجود تقاليد لها صلة بالحماية والوقاية خاصة من الأمراض المعدية. ومن المستبعد أن يكون تعيين موقع من محيط المدينة، بهذه المواصفات الجغرافية والوظيفية وليد أفعال تلقائية، والمرجح أنه نتيجة اختيار كان للمخزن نصيب فيه.

عرف محيط مراكش توالي وجود حارتين للمجذومين

هما :

البلدان التي كانوا يمرون بها والقيام بوظيفة قاضي القضاة عند الضرورة، ويحكمون في بعض القضايا التي لا يتخذ منها التملود والتوراة موقفاً واضحاً، وبذلك يصبح حكمهم قاعدة يقاس عليها.

ومن أشهر الحاخامات اليهود الرسل ذوي الأصل المغربي نجد : رفائيل أو حنا من مواليد مكناس سنة 1850 م، هاجر مع جده إلى طبرية سنة 1865 م، ورحل رسولاً في الثلاثين من عمره، مقتنياً آثار سابقه يوسف ميمران إلي بخارى ووجد سنة 1894 م في الهند ويورما وكردستان ثم قطع بعد ذلك كل بلدان الشرق العربي والغرب الإسلامي ...

"إسحاق عوزيل الفاسي، وهو نحوي وشاعر، عين حاخاماً بمدينة أمستردام حيث توفي بها سنة 1620 م. وتلميذه إسحاق عطية (Atias) في القرن (17 م) وكان حاخاماً بهمبورغ والبنديّة. وإيهو بن أموزيغ (Amozegh) الناشر المشهور اللقورني الذي نشر كثيراً من مؤلفات اليهود المغاربة، وقد ترك مسقط رأسه الصويرة، وذهب ليستقر بإيطاليا".

(انظر : "ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب" لحايم الزعفراني، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم).

شعرون لبني

### الحارة أو المحلة أو الرّيض تعني تجمعاً سكنياً خارج

أسوار المدينة، يسكنها الفقراء والمحترفون، وقد ذكر الحسن الوزان لمدينة فاس - في مطلع القرن العاشر (16 م) - عدة أرياض أو حارات، يقطن في معظمها فقراء القوم، ومنها حارة خاصة بالمجذومين، ولم تكن هذه الحارات خاصة بفاس وإنما كانت توجد خارج مدن أخرى، لا سيما حارة المجذومين الذين يجب عزلهم والتحرز من مخالطتهم تفادياً للعدوى.

### حارة المجذومين بدكالة ← الجدّام

#### حارة المجذومين بفاس، تحتوي هذه الحارة - كما

شاهدها الحسن الوزان - على نحو مائتي دار يسكنها المجذومون وحدهم، ولهم رئيسهم الديني الذي يجمع دخل الأملاك الموقوفة عليهم من طرف المحسنين، ويقدم إلى هؤلاء المرضى كل ما هو ضروري لهم بحيث لا يحتاجون إلى شيء.

يقوم الرؤساء بتخليص المدينة من كل مجذوم أو مبروص أو من هو على شاكلتهم من ذوي الأمراض المعدية. ولهم السلطة لإخراج المصابين من المدينة مهتماً كانت وضعيتهم الاجتماعية وإسكانهم بهذه الحارة. وإذا هلك مجذوم ولم يترك وارثاً آل نصف تركته إلى أهل الرّيض، ويختص ورثته بالنصف الآخر. وللمجذومين مقبرة خاصة في حارتهم يدفنون بها.

وقد نقص عدد دور رّيض المجذومين بعد ذلك فلم يعد

**الحارث،** قبيلة كبرى ضمن اتحادية سفيان الجُشمية الهلالية التي أنزلها الخليفة الموحد يعقوب المنصور بسهل تامسنا إلى جانب الخلط وبني جابر (العبر، 6 : 27)، وتعتبر قبيلة الحارث أو الحَرث - بحذف حرف المد - النواة الصلبة لاتحادية سفيان التي كانت لها الزعامة والقيادة في جُشم طيلة العهد الموحد، ولما ضعفت الدولة الموحدية دخلت سفيان في صراع ومنافسة مع قبيلة الخلط التي انتقلت إليها الزعامة في عهد بني مرين، وازدادت أسهمها وحظوتها بمصاهرة سلاطين بني مرين لها. فاندحرت سفيان حتى إن الحارث أصبحت هي البارزة على مسرح الأحداث، وبقيت في الواجهة تصارع من أجل استرجاع ما ضاع لسفيان من امتيازات ومن أراض خصبة في تامسنا، وتستغل ظروف بني مرين الصعبة خاصة في الأندلس أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق محاولة استعادة سيطرتها على المناطق التي فقدتها، وتعيثُ فساداً بقطع الطرق والتعرض للقوافل ومهاجمة التجمعات السكنية... فاضطر السلطان يعقوب إلى تقديم محاربتهم عن غيرهم : "ونهض السلطان من مراكش في 3 شوال عام 677 (17 فبراير 1279) وفر مسعود بن كانون (السفياني) وجموعه أمام السلطان فاتهب معسكرهم وحللم واستباح عرب الحارث من سفيان" (الاستقصا، 3 : 50) ورغم ما حل بالحارث من هزائم واضطهاد فإنها لم تستسلم وبقيت تشاغب وتنقل ما بين سوس والتخوم الصحراوية جنوباً وبلاد حاحة وأسفي شمالاً. وامتد عيشهم وطغيانهم ليشمل مدينة مراكش وضواحيها خاصة بعد ضعف الدولة المرينية وتصارع أمرائها ومشايخها على السلطة : "قلما استبد سلطان مراكش الأمير عبد الرحمان بن أبي يفوسن علي ابن السلطان أبي علي (سنة 776 / 777 م) استخلصهم ورفع منزلتهم واستقدمهم بعض أيامه للعرض بفرسانهم ورجلهم على العادة وشيخهم منصور بن يعيش من أولاد مطاع وتقبض عليهم أجمعين وقتل من قتل منهم وأودع الآخرين السجن..." (العبر) وبذلك اندثرت قبيلة الحارث الأم لتحل محلها البطون والفروع وأهمها أولاد مطاع.

ع. ابن خلدون، العبر، بيروت، 1959، ج. 6، ل. ابن الخطيب، معيار الاختيار، المعمدة، 1976 : نفاضة الجراب، القاهرة، د. ت. أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954.

محمد حجاج الطويل

**أولاد الحارثي،** من أهل فاس - كما جاء في إزالة الالتباس - وأصلهم من قبيلة الشياظمة، أهل ثروة وتجارة ومال ومعاش وحرفة، منهم الشيخ علي بن محمد الحارثي دفين حومة الرميطة من فاس ممن كان يشار إليه بالخبر والصلاح، وتوفي سنة عشرين وألف (1601) أو بعدها. وذكر في الأخير أنه وقف بعد مدة على ما يدل على أن أولاد الحارثي أصلهم من الأندلس. ولم يشر إلى قبيلة الحارث المذكورة قبل.

الحارة الأولى كان موقعها خارج أسوار المدينة من الجنوب قرب باب أغمات (التشوف، 312)، لا يعرف بالضبط تاريخ نشأتها. وتعود الإشارات المتداولة عنها إلى منتصف القرن السادس (12 م)، من الجائز التساؤل عن طبيعة هذه الحارة، هل كانت بالفعل تشكل حومة مستوفية لكل الشروط الضرورية التي تتطلبها تلبية حاجيات ساكنتها؟ ولعل الاختيار في الإجابة بالإيجاب يبدو أمراً وارداً. إذ يمكن رصد عدة مؤشرات لا تستبعد. انطلاقاً من بعض الإشارات الخاصة بها. منها ما يدل على وجود سكن (التشوف، 348 / 313). ومنها ما يستشف منه وجود استقرار بشري، لكونها كانت محطة تصوف بارزة، عرفت بتوافد غير منقطع واستقرار مؤقت للمريدين الذين لم يكونوا قلة (التشوف، 312) ومكان له وظيفة استشفائية تتطلب الاستقرار، ومن المرجح أنها كانت تتوفر على مسجد.

لا توفر الإشارات القليلة إمكانية استشفاف المساحة التي كانت تشغلها هذه الحارة، والمكونات المعمارية التي كانت تتضمنها. وهل كانت حياة المرضى القاطنين بها تخضع لتنظيمات خاصة؟ وهل كانت هناك ضوابط تحدد علاقتهم مع باقي المدينة؟ ما هي مصادر عيشهم؟ هل كانوا يستفيدون من أرزاق مخزنية، أو موارد وقفية؟ كيف كان يتم التعامل مع المجذومين من أهل الذمة؟...

الخ  
من الجائز أيضاً التساؤل عن تخصيص حومة بعينها للمصابين بهذا الداء، إذ من المرجح أن في التخصيص علامة كمية تحيل على اتساع دائرة المجذومين، وانتشار الإصابة بالعدوى. فهل كان الوسط البيئي للمدينة، ووجود أحوال الحفوف بين قسم من ساكنة مراكش من وراء إنشاء هذا الإطار الاستشفائي؟

الحارة الثانية : كان موقعها أيضاً خارج الأسوار، لكن في جهة الغرب أمام باب دكالة، ومن المرجح أن ظهورها يعود إلى زمن حكم الشرفاء السعديين، واستمر وجودها إلى بداية القرن الرابع عشر (20 م)، حيث قدر الطبيب رينو P. Raynaud عدد المرضى بها مع عائلاتهم سنة 1902 بحوالي 200 إلى 300 فرد. ما يقرب من المائة منهم كانوا قد قدموا إليها من نواحي الجديدة (G. Deverdun, Marrakech, T. I, pp. 589 - 590).

وقد أشار رونو إلى توفر هذه الحارة على مسجد وسوق وسجن، وتنظيم داخلي خاص يسكانها، تحت إشراف مخزني (رسالة مخزنية مؤرخة بـ 17 رمضان 1281هـ) وكان المصابون يباشرون بأنفسهم حرق أراضيهم وحقولهم (Marrakech, t. 1, 590). كما تحدث عن وجود إقامة فيها خاصة بالمجذومين اليهود مع بيعة لممارسة عبادتهم (Marrakech, t. 1, 590).

ي. ابن الزيات، التشوف، تج. أحمد التوفيق، البيضاء، 1984.

Gaston Deverdun, Marrakech, T. I, Rabat 1959.

محمد رابطة الدين

**الحارثي، أحمد بن عمر السفياني المكناسي، الشيخ الكبير، والصوفي الشهير، قال عنه ابن عسكر في الدوحة:** "من الأكابر الذين لهم التصريف الرياني، صحب الشيخ القطب محمد ابن سليمان الجزولي وأخذ عنه فهدي الله به أمة عظيمة، ومشايخ التصوف يعظمونه غاية التعظيم ويشنون عليه الثناء الجميل".

كان في بداية أمره شيخ قبيلته سفيان ورئيسهم، كريماً مضافاً. استضافه يوماً جماعة من أصحاب الشيخ الجزولي فأضافهم وأكرمهم غاية الإكرام، ولما أرادوا الانتصاف جمع ماله من ماشية وغيرها وذهب بذلك معهم إلى الشيخ. فقبل ماله وأعرض عنه، فتوجه الحارثي إلى مكناس وأقام بها يتعيش في كفاف إلى أن بعث الشيخ الجزولي أصحابه يبحثون عنه وأمدّمهم بمال اشتروا له به داراً وأصلحو حاله "فسرت في الناس نفحة أقبلوا بها إليه من الجهات، وظهرت له البركات، واشتهرت عنه الكرامات".

أخذ عن الشيخ أحمد الحارثي جمهور من الصوفية في مقدمتهم الشيخ الكامل محمد ابن عيسى الفهدي (شيخ الطريقة العيساوية)، وعمرو الحصيني صاحب الضريحين الشهيرين بمكناس.

توفي الشيخ الحارثي بمكناس في العشرة الأولى من القرن العاشر في حدود 1499/ 905 وقبره مزارة كبرى بمكناس، وعنده مسجد مهياً للعباد والزهاد.

م. ابن عسكر، دوحة، 75، 74 : م. المهدي الفاسي، تمتع الاسماع، 36، 35 : مؤلف مجهول، تمسك الفقير الحقيق بطريقة الولي الشهير الحظير سيدي محمد بن عيسى الكبير، مخطوط.

محمد حجي

**الحارثي، قائد إزاجن :** عرفنا به برنار رودريغيث

البرتغالي في مؤلفه حوليات أصيلا من غير الإدلاء باسمه الشخصي، ولم تتمكن من تعويض هذا النقص من مصادرنا. يبدو أن القائد كان من مساعدي محمد الشيخ الوطاسي ضد فاس الجوية، فتم تعيينه على ناحية مصمودة بمركزها مدينة إزاجن، ثم أصبح مكلفاً بالنيابة عن الشيخ الوطاسي لمباشرة شؤون الشمال الغربية مع البرتغاليين.

ظهر القائد الحارثي أول مرة إثر احتلال البرتغال لكل من أصيلا وطنجة، حين كلفه محمد الشيخ ببحث بنود الهدنة الموقعة يوم 7 صفر 876 / 24 غشت 1471. باشر الهدنة مع حاكم أصيلا النائب عن الفونص الخامس وتم توقيعها لمدة عشرين سنة، مقتضاها السيطرة البرتغالية على حوزي أصيلا وطنجة وإخضاع المستقرين بهما لأداء المغارم.

كلف محمد الشيخ قائده الحارثي مرة ثانية سنة 906 / 1500 بعد أن استوفت الهدنة المنصرمة مدتها عام 897 / 1491 لبحث الهدنة على أساس جديد يرمي إلى إلغاء

النفوذ البرتغالي عن حوزي أصيلا وطنجة المخول لهما بمقتضى الهدنة السابقة، وهو ما لم يقبله حاكم أصيلا البرتغالي ولم يتنازل عنه المفاوضات المغربي، وبذلك كُلف الحارثي بنقل جميع المغاربة المستقرين بالحوزين إلى جهة القصر الكبير جنوب واد المخازن.

وللحارثي دور في الحركة الجهادية بالشمال الغربي التي قادها أهل المدن والسلطان محمد الوطاسي البرتغالي ضد أصيلا وطنجة. ابتداء دوره بإلحاق مدينة إزاجن ضمن المراكز الجهادية إلى جانب المراكز الهبطية. وبناء على ذلك ساهم الحارثي باستمرار في الحركات التضامنية التي قادها حكام المدن الشمالية الغربية من إقليم الهبط إلى جانب علي المنظري حاكم تطوان وعلي ابن راشد العلمي حاكم شفشاون وطلحة العروسي حاكم القصر الكبير وعلي ابن شقرورن وأمين الفرناطي حاكمي العرائش على التوالي، وذلك إلى غاية 1516 / 922. كما أنه شارك في الحملات السلطانية التي قادها محمد البرتغالي ضد أصيلا ما بين سنوات 1508 و1516. وابتداء من هذا التاريخ توارت عنا أخباره.

ح. الفكيكي، مقاومة الوجود الإيبيري بالشغور المحتلة، أطروحة مرفوعة بكلية الآداب، الرباط 1991.

Bernardo Rodrigues, *Anais d'Azila*, t. 1.

حسن الفكيكي

**الحارثي، إبراهيم (مولاي -) بن محمد بن إبراهيم**

المراكشي. الأستاذ الشاعر. وكُذ عام 1357 / 1938 بمدينة مراكش بحي الحارة - باب دكالة - وإليه ينسب، ونشأ في بيت دين وعفاف. تلقى القرآن الكريم عن والده الذي كان له كتاب قرآني، وعن والدته التي كانت تحفظ كتاب الله العزيز بثلاث روايات : البصري، المكي، وحمزة. وكان لها هي الأخرى كتاب قرآني للنساء.

تلقى إبراهيم تعليمه الابتدائي والثانوي بمسقط رأسه مراكش، ثم حصل على الإجازة من كلية العربية، واشتغل بالتدريس في التعليم الابتدائي والثانوي وتفتحت موهبته الشعرية في سن مبكرة قبيل الاستقلال، فانكب على قراءة الدواوين الشعرية، وحفظ قصائد ومقطعات شعرية لمجموعة من الشعراء جاهليين وإسلاميين وعباسيين ... فتشبع بروح الشعر العمودي، ونصب العدا للشر الحديث أو القصيدة الشعرية. وتطرق في شعره لجلل الأغراض الشعرية من مدح وهجاء وثناء وغزل ... لكن في أخريات حياته أحرق الشعر الهجوي، ولم يُبق منه إلا على قطعتين، وله ديوان شعري ما يزال مخطوطاً.

توفي بمسقط رأسه مراكش يوم الأحد ثاني صفر عام 1413 / 2 غشت 1992. ودفن بمقبرة باب الخميس.

ديوان شعره المخطوط : أ. مستنكر، ذيل الإعلام، مخطوط : روايات شعرية.

أحمد متفكر

**حاسي**، (يُجمع على حسان وحواسي) كلمة عامية مرادفة لكلمة بشر تجاوزاً، ويُتداول في عدد من المناطق المغربية الجافة الشرقية والجنوبية الصحراوية منها خاصة، حيث يرد في تسمية العشرات من المواقع التي تطور بعضها إلى تجمعات سكنية بعد أن كانت عبارة عن موارد للسكان والمواشي، ومنها حاسي بركان وحسيان الذياب. وأصل هذه الكلمة عربي إذ هي تحريف دارج لكلمة "حسي" وتجمع على أحساء وحساء وتطلق على عدد من الأماكن بشبه الجزيرة العربية مثل الأحساء وأحساء بني سعد وأحساء القطيف وأحساء خرشاف وغيرها. وأصل هذه الكلمة الاحتساء ومعناه نبش التراب لخروج الماء في المناطق القاحلة حيث تختزنه قريبا من السطح في الغالب رواسب فتاتية نفيدة أساسها قعر صلب كتيم، وقد ورد في لسان العرب لابن منظور "الحسيُّ سهل من الأرض يستنقع فيه الماء" وكذلك "غلظ فوقه رمل يجتمع فيه ماء السماء، فكلمة نزلت منها دلوا جمت أخرى" وكذلك "الرمل المتراكم أسفله جبل صلد، فإذا مُطر الرمل نُشف ماء المطر، فإذا انتهى إلى الجبل الذي أسفله أمسك الماء ومنع الرملُ حرَّ الشمس أن يَنسُف الماء، فإذا اشتد الحر نُبت وجه الرمل عن ذلك الماء فنبع باردا عذبا...". ويتضح أن خصائص الأماكن التي تحمل هذا الاسم في المشرق والمغرب تؤكد هذا خلافا للبشر.

بحث ميداني.

**حاسي بركان**، مركز صغير يقع في الجانب الشرقي للطريق الثانوية رقم 412 الرابطة بين مدينة الناظور التي تبعد بحوالي 35 كلم شمالا ومدينة العيون التي تبعد بحوالي 50 كلم جنوبا. يتشكل من كلمة "حاسي" وهي تحريف لكلمة "حسي" العربية التي تعني البشر تجاوزاً وكلمة "بركان" أو أبرشان وهي أمازيغية تعني الأسود. وأصل الاسم مغارة يوجد بها حسيُّ ينبع ماؤه من صخر أسود اللون خلافا لبشر ينشق ماؤه من صخر أبيض يسمى "أنو أملال" (البشر البيضاء) يوجد قريبا في الناحية الغربية. وقد دخلت إدارة الاحتلال الإسباني إلى حاسي بركان سنة 1914 فجعلت منه مركزاً استعماريًا لمراقبة قبائل بني بويحيى؛ وهاجمت هذه القبائل المستعمر الإسباني بهذا المركز فألحقت به هزيمة فادحة سنة 1921.

يقع هذا المركز على ارتفاع 400 متر بين مجموعة من التلال المنتشرة ويعد في الهامش الشمالي لسلسلة جبال بني إزناسن على مسافة حوالي 13 كلم شمال غرب سد مشرع حمادي المشيد على وادي ملوية، موقعا استراتيجيا على أقصر طريق تربط مدينة الناظور التجارية والحدودية بالطريق الرئيسية رقم 1 التي تربط بين مدينة وجدة ومدينة الدار البيضاء. ولعل هذا ما جعل نسبة هامة من سكان حاسي بركان يشتغلون في قطاع النقل سائقين ينقلون الأشخاص والبضائع، بينما بقي النشاط الفلاحي للسكان هامشيا يشمل الرعي الواسع والزراعة البورية الاحتمالية في وسط قاحل زاده الاجتثاث الذي شجع عليه المستعمر الإسباني.



برنامجاً للكفاح الوطني. (كلمة التأبين التي ألقاها أحمد ابن سودة). وشجع إنشاء المدرسة الحرة "الحسنية" بسيدي قاسم، التي أشرف ولي العهد آنذاك، الأمير مولاي الحسن، على تدشينها يوم 26 شتنبر 1946، والتي أسهمت في نشر أفكار الحركة الوطنية بالمدينة، وتكوين الشباب القاسمي.



كان القائد الحافظ من المسؤولين الذين نددوا بخلع السلطان الشرعي ونفيه، الأمر الذي أدى إلى عزله حسبما ورد بجريدة السعادة التي أشرت في عددها 8663 بتاريخ 21 يناير 1953 بـ: "إقالة خمسة رؤساء مغاربة من وظيفتهم" كان منهم: "السيد إدريس بن عبد الرحمان الحافظ قائد الشراردة (سيدي قاسم)". وقد تم العزل المذكور بموجب ظهير وقعه محمد ابن عرفة بتاريخ 29 حجة عام 1372 ورد فيه: "أنا عزلنا خدينا القائد إدريس بن عبد الرحمان الدليمي من الولاية على الشراردة بسيدي قاسم وأسندنا النظر فيها لغيره، فليستخل عنها".

ونظراً لموقف القائد الحافظ من السياسة الاستعمارية، صُنِعَ من السكنى بسيدي قاسم، وفرضت عليه الإقامة الإجبارية خارجه لمدة سنتين، لم ترفع إلا بعد عودة محمد الخامس إلى عرشه. وكان القائد الحافظ ممن استقبلهم السلطان المذكور بسان جرمان آن لاي Saint Germain (En-Laye) بعد عودته من منفاه. وأرجعه السلطان إلى منصبه قائداً على الشراردة بظهير مؤرخ في 20 شعبان من سنة 1375 / 2 أبريل 1956، وهو المنصب الذي بقي به إلى أن طلب إعفاه لأسباب صحية في أبريل 1958.

توفي يوم 3 جمادى الأولى عام 1401 / 9 مارس 1981، ودفن بسيدي قاسم.

مجموعة ظواهر ووثائق في حوزة ورثة الحافظ؛ جريدة السعادة، عدد 8663 بتاريخ 21 يناير 1953؛ بومية L'Opinion عدد 6654 بتاريخ 2 نونبر 1984، بمناسبة الاحتفال بذكرى عودة المغفور له محمد الخامس إلى سان جرمان، حيث تظهر صورة المترجم له مع المغاربة المستقبلين لمحمد الخامس؛ الخطاب الذي ألقاه ولي العهد

يتكلم سكان حاسي بركان ونواحيها الأمازيغية بلهجة ريفية (بني بويحيى عموماً) وكذلك العربية (بني وكيل خصوصاً). ويلاحظ أن للزاويا تأثيراً في الحياة الروحية للسكان (القادرية، والعلوية بالخصوص).

بلغ عدد سكان جماعة حاسي بركان 10.534 نسمة سنة 1960 ليصبح 12.014 سنة 1971 ثم 12.109 سنة 1982. ويؤكد هذا التطور الضعيف لعدد السكان إحصاء سنة 1994 الذي سجل ما مجموعه 12.915 نسمة للوحدة المجالية نفسها التي انقسمت إلى جماعة حاسي بركان (8.483 نسمة) وجماعة أفسر (4.432 نسمة). ويعزى هذا الركود السكاني إلى الهجرة الداخلية (نحو المدن والمراكز المجاورة) والهجرة إلى بلدان أوروبا الغربية (هولندا وألمانيا خاصة وكذلك إسبانيا مؤخراً). ويلاحظ هذا الركود على المركز نفسه الذي لم يستفد كثيراً من موقعه إذ بقي هامشياً يضم بقايا بعض البنايات الموروثة عن المستعمر الإسباني مثل الثكنة العسكرية والسجن وبعض مقرات الإقامة والإدارة بعضها مهجور والبعض الآخر يستعمل سكناً وظيفياً لبعض الموظفين الوافدين.

لم يعرف هذا المركز إلا توسعاً محدوداً للنواة القديمة وللنواة الجديدة التي تبعد عنها بحوالي 500 متر والتي ظلت إلى حدود السبعينات تحتوي فقط على مقهى ومحطة بنزين بجوار الطريق. ولقد ظهر السكن الاقتصادي الحديث حالياً مترصاً ومتجمعاً حول النواتين بطابق واحد أو طابقين إلى جانب بضعة محلات للتجار والحرفيين. ويشتمل المركز على مسجد ومستوصف بطبيب واحد وممرض واحد، وعلى مكتب بريدي ومجموعة مدارس وسوق أسبوعية تعقد أيام الأربعاء.

بعث ميداني.

عبد الرحمان المرادجي

أولاد الحافظ، أو حافظ - بدون تعريف - من قبيلة الشراردة لهم ذكر بفاس - حسب إزالة الالتباس - وهم أهل معاش وحرفة.

**الحافظ، إدريس بن عبد الرحمان الدليمي الشراذي،** قائد أيام الحماية، متشبع بالروح الوطنية، وُلد سنة 1318 / 1900 بقرية الحافظ الموجودة بمشيخة العناترة، قيادة زكوطة، دائرة سيدي قاسم. ولاء السلطان محمد بن يوسف قائداً على قبيلة الشراردة بظهير مؤرخ في ثالث شعبان 1342. وأضيفت له بمقتضى الظهير المؤرخ في 21 ربيع الثاني من عام 1349 قبائل "زرارة والشبانان وتكنة من الشراردة". وقد كان من القواد المؤيدين لسياسة محمد الخامس الوطنية، رافقه خلال زيارته التاريخية لطنجة سنة 1947 "وكان بجانبه عند إنقائه تلك الخطبة الشهيرة التي أصبحت

أحمد بوشرب

الحسن إلى القائد عيسى بن عمر رسالة يستخيره فيها عن  
حالة أحد الأسيخ من إيالة القائد الشافعي الحافظي.

ويسبب هذه التجاوزات، وخلال الأحداث التي هزت  
الحوز عموماً وقبائل عبدة على وجه الخصوص إثر وفاة  
السلطان مولاي الحسن وتولية ابنه مولاي عبد العزيز من  
طرف الوزير الرصي احصاد ابن موسى سنة 1894. قامت  
قبيلة الربيعة ضد القائد الشافعي بن الحافظي الذي كان  
غائباً في مأمورية مخزنية إلى فاس. ويشير الكانوني في  
مخطوطه إلى ما أحدثته القبيلة بقائدها المذكور بقوله :  
"... فهدموا داره وهتكوا حريمه، وفعلوا الأفاعيل التي  
تستحي منها الإنسانية" (مخطوط، علاقة أسفي، ص  
108).

وكانت مدة ولاية القائد الشافعي الحافظي على الربيعة  
سبع سنوات، عرفت بعدها قبيلة الربيعة وضعاً آخر، حيث  
أدمجت في إيالة القائد عيسى بن عمر العبيدي الذي  
استأثر بقيادة كل مكونات عبدة.

كناش خرص الربيعة، 1309، مخطوط، خ. ح. رقم 406 : وتائق خ.  
ح : م. الكانوني، علاقة أسفي، مخطوط، ص 108.

المصطفى فيتر

**الحافي،** أسرة سلوية نابهة، تنتسب إلى قبيلة  
الحافات بالسراغنة. لا يعرف تاريخ بداية استيطانها بمدينة  
سلا، على أنها كان لها شغوف وحظوة بها خلال القرنين  
الثاني عشر والثالث عشر (18 و 19 م). وقد أنجبت عدداً  
من الفقهاء والمدرسين والعدول ورؤساء البحر. وتعد أسرة  
الحافي - اليوم - في عداد الأسر المنقرضة من سلا ومن أشهر  
أفرادها :

**الحافي، أحمد بن عاشر -** اسماً واحداً - بن عبد  
الرحمان السلوي، فقيه عالم مدرس ومؤلف. ولد بسلا في  
رمضان عام 1091 / 1682 وقرأ القرآن على شيخه  
محمد بن عبد السلام مَرصُو بكتّاب زركالة من حومة  
الطالعة بمدينة سلا، وأبتدأ قراءة الأجرومية على يد أبي  
البركات ابن عبد السلام مرصو، شقيق شيخه الأول. وهما  
من جبل العلم - ، ثم تلقى العلم على يد كيار شيوخ سلا  
وقاس ومكناس. أخذ عنهم الفقه والحديث والتفسير والمنطق  
والحساب وغيرها. وقد ترجم أحمد بن عاشر الحافي لشيخه  
في فهرسه، منهم أحمد بن ناجي السجلماسي، وأبو بكر  
الفرجي السلوي، ومحمد بن عبد الرحمان ابن زكري الفاسي  
وغيرهم. ونشير إلى أن الحافي لازم كذلك الأخوين أحمد  
ابن عبد القادر التستائوتي، والعباشي بن عبد القادر  
التستائوتي، وأخذ عنهما الطريقة الناصرية. وتجدد الإشارة  
إلى أن المصادر التي ترجمت للحافي اهتمت أساساً بهذه  
المرحلة من حياته، لا سيما وأنه ألف خلالها أشهر تراثه

**الحافظي، أحمد بن العبيدي** من أكبر قواد عبدة،  
تولى قيادة الربيعة بعد نكبة قائدها أحمد بن العياشي  
العبيدي الذي كان معدوداً آنذاك من أحسن القواد سيرة  
وأبعدهم صيتاً حسبما ذكره الكانوني (جواهر الكمال، ص.  
34)، وقد عيّن السلطان مولاي الحسن أحمد بن العبيدي  
الحافظي قائداً على إخوانه من قبيلة الربيعة سنة 1879  
فاستطاع خلال مدة قيادته أن يعطي بثقة المخزن وإن يضبط  
شؤون القبيلة التي كانت أراضيها تعتبر من أخصب أراضي  
عبدة، وصفها الكانوني بقوله "وأحسن تراب عبدة الربيعة"  
(أسفي وما إليه، 170).

دامت ولاية أحمد الحافظي على القبيلة ثمان سنوات،  
حيث وافته المنية سنة 1305 / 1887 فخلف عدداً كبيراً من  
رؤوس الماشية على اختلاف أنواعها، وعدداً كبيراً من  
الأسلحة والعتاد، وبعض العبيد، بالإضافة إلى كمية هائلة  
من الحبوب والزرع حسبما تركته العدلية، ويعود تاريخ هذه  
التركة إلى 4 ربيع الثاني عام 1305 / 1887.

كناش تركة بعض القواد، خ. ح رقم 96.

**الحافظي، الشافعي بن العبيدي،** تولى منصب  
قيادة الربيعة من عبدة بعد وفاة أخيه القائد أحمد سابق  
الترجمة، وذلك سنة 1305 / 1887. وبعد أن أخلص لجانب  
المخزن وقدم بيان تركة أخيه القائد أحمد. نعمت القبيلة في  
عهده بالرخاء واستأثرت بالنصيب الأكبر من حيث الإنتاج  
الفلاحي بالرغم من أنها لا تمتد على مساحة كبيرة، وقد بلغ  
خرص القبيلة سنة 1309 / 1891 ما مجموعه : 2.558 خروية  
مراكشية من القمح، و2.180 خروية من الشعير، في حين أن  
باقي قبائل عبدة لم يتعد خرصها 559 خروية من القمح  
و426 خروية من الشعير (كناش خرص الربيعة 1309. خ. ح  
رقم 406) وهذا يوضح المكانة التي كانت تحتلها قبيلة  
الربيعة وقائدها الشافعي الحافظي ضمن مجال عبدة.

وفي السنوات الأخيرة من ولاية القائد الشافعي بدأت  
تظهر عليه بعض التجاوزات مما جعل المخزن يراقب  
تصرفاته، وجعل قائد البحارة آنذاك عيسى بن عمر  
العبيدي عيناً عليه، وهذا ما تشير إليه بعض المراسلات  
المخزنية نورد بعضها على سبيل المثال : "... أن الخادم  
عيسى بن عمر، أخبرنا أنك منعت الشيخ مبارك بن  
البحاتري من استغلال أراضيها التي كان يستغلها منذ فترة  
أخيك، وبالضبط منذ عشرين سنة مضت، وأنت الآن تحاول  
منعه منها، وعليه فنأمرك أن تبين الأسباب التي دفعتك  
لهذا العمل ازاء الشيخ المذكور". كما بعث السلطان مولاي

الفكري : تحفة الزائر في مناقب الحاج أحمد بن عاشر،  
والفهرس.

أما التحفة فهي عبارة عن دراسة مفصلة لسميه الشيخ  
أحمد بن عاشر الجزيري السلوي المتوفى عام 1364 / 765 :  
في حين يضم الفهرس معلومات مفيدة عن عدد من علماء  
القرن الثاني عشر (18 م) ومادة تاريخية تتعلق بالمؤلف في  
الفترة الأولى من عمره، وهي الفترة التي سكنت عنها  
المصادر التي ترجمت له. ومن جهة أخرى، فإن أحمد بن  
عاشر الحافي كان مولعاً بالتقييد، حيث ترك لنا عدة  
كناشات علمية تضم فوائد تاريخية، ومساجلات أدبية.  
وما زالت بعض منتسحاته محفوظة بالخزانة الصبيحية بسلا،  
والخزانة العامة بتطوان، والخزانة الحسنية بالرباط. ونشير  
إلى أن كناشات أخرى للحافي أشارت إليها بعض المصادر  
تعد - اليوم - في عداد المفقود. وقد انتسخ الحافي بخطه  
الجميل شرح الأجرومية للمكودي في 16 ربيع الأول عام  
1107 هـ بمدينة سلا، ونزهة الناظر لأحمد بن عبد القادر  
التستاوتي، ودوحة الناشر لابن عسكر، وجزءاً من مغني  
اللييب لابن هشام وغيرها.

استخرج الحافي بعض الكتب من مسوداتها، منها  
حاشية شيخه ابن زكري الفاسي على صحيح البخاري،  
وانتهى منها يوم الأربعاء عاشر شعبان 1147 بمدينة سلا.  
إلى جانب ذلك قرظ الحافي بعض مؤلفات علي العكاري  
(الحفيد) منها : الدرر المفصلة في شرح البسلة والحمدلة ؛  
والمقصد الأسنى في الدعاء بالأسماء الحسنى ؛ وجوه  
القلائد في ذكر نبذة من العقائد، كما كتب تقریظاً على  
كتاب منهاج التوضیح لمسائل صلاة التسبیح لمحمد  
الهاشمي اشكلانظو.

وقد نال الحافي إجازات من عدة شيوخ كمسعود بن  
محمد جَمُوع الفاسي في أواسط شوال عام 1118، ومحمد  
ابن عبد السلام بناني، ومحمد بن أحمد المسناوي الدلائي،  
ومحمد بن عبد الرحمان ابن زكري الفاسي وغيرهم.

توفي بمسقط رأسه سلا عام 1163 / 1750 ودفن على  
بعد حوالي مائة متر من ضريح سمي الشيخ أحمد بن عاشر  
الجزيري في اتجاه القبلة، وقبره عليه حوش كبير، تم تجديده  
مؤخراً.

### الحافي، عبد اللطيف بن عبد الرحمان تولى عمالة

سلا عام 1217 على إثر اعتراض السلويين على تعيين عبد  
القادر بن الغماري الحسناوي عليهم وقالوا : "لا يحكم فينا  
إلا من كان منا، واتفقوا على عبد اللطيف الحافي" ( تاريخ  
الضعيف، 2 : 604) وقد بعث المرلي سليمان محمد بن عبد  
السلام البخاري المدعو السلوي وولاه على العدوتين وأمره  
بالقبض على الحافي والحسناوي فاعتقلا ثم أطلق سراحهما.  
واشغل عبد اللطيف الحافي في آخر عمره في ميدان النقل  
البحري سنة 1229 / 1813.

### الحافي، علي من أقران أحمد بن عاشر الحافي

ورفيقه في الدراسة، قرأ على الشيخ محمد بن عبد الرحمان  
ابن زكري الفاسي بمدينة سلا ( الفهرس، 44).

### الحافي، محمد بن عبد الرحمان شقيق أحمد بن

عاشر، كان عاملاً بمدينة سلا قبل عبد الحق فنيش الشهير  
الذي ولي العمالة في عهد السلطان عبد الله بن إسماعيل،  
وصدر من عهد محمد بن عبد الله. إلى جانب ذلك، أستند  
لمحمد بن عبد الرحمان الحافي مهمة سفير بالطة قصد  
إحصاء الأسرى الأتراك بها، وقد أصابته ورفاقه في  
السفارة محنة بسبب سوء التصرف في مال الفداء، واختفوا  
مدة بالشرق، ورجع محمد الحافي إلى سلا قبل سنة 1176 /  
1762 وخلف ذرية بها.

### الحافي، المعكي فقيه مشارك قرأ على الشيخ علي

العكاري ولازم مجالسه العلمية بالمسجد الأعظم بمدينة  
سلا، وكان أميناً بمرسى العدوتين سنة 1226 / 1811.

أحمد بن عاشر الحافي، الفهرس، تع محمد السعديين، رسالة، د.  
د. ع. بكلية الآداب بالرباط، 1991 : تحفة الزائر، تع، مصطفى  
بوشعراء، 1988 : كناشة خ. ص، رقم 868 : أحمد بن عبد القادر  
التستاوتي، نزهة الناظر، مخطوط خ. ع. بتطوان، رقم 11، ص  
248، 250 : العياشي التستاوتي، مجموع خ. ع. ك. 309، ص  
303 وما بعدها : م. ابن زكري الفاسي، حاشية على صحيح  
البخاري، خ. ح. 11149 : علي الكماري (الحفيد)، البذور  
الضاربة، مخطوط خ. ع. 88، ص 28 : م. الضعيف، تاريخ  
الدولة السعيدة، تع م. البوزيدي، 2، 604 : م. ابن علي الدكالي،  
الإتحاف الوجيز، تع مصطفى بوشعراء، 115 : إتحاف أشراف الملأ،  
مخطوط خ. ع. 11، ص 69 : م. بوجندار، الاغتباط، 466 : م.  
دينية، مجالس الانبساط، ط. 1986، ص 116-117 : ج. كوستي،  
بيرات سلا، تع نجمة المريني، 130 : عبد الله الصيحي، كناش  
خاص، 143.

K. Brown, An urban view of Moroccan history, Salé,  
1000 - 1800. H.T. vol. XII, 1971, p. 63 - 67.

محمد السعديين

### الحالة المدنية بالمغرب تعرف "الحالة" تعريفات

متعددة ومختلفة، يمكن الإعراض عنها والقول بإيجاز : إن  
"حالة شخص" هي مجموع صفات (qualités) يأخذها القانون  
في الاعتبار ليرتب عليها آثاراً قانونية أو ليربط بها حقوقاً  
والالتزامات، أو هي كل حالة من حالاته على حدة والوضعية  
التي ترتبط بها. وقد حاول البعض، وهو يعالج الحالة في  
القانون الفرنسي، تعريفها قائلاً : إن المؤلفين الذين عرّفوا  
حالة الأشخاص لفتوا الأنظار إلى مظهرها المزدوج :

1 - فالبعض ألحوا بالخصوص على كون الحالة طريقة

2 - وتفيد في إعداد لوائح بأسماء الشباب الممكن  
دعوتهم للخدمة العسكرية ؛

3 - كما تيسر إعداد اللوائح الانتخابية ؛

4 - لسجلات الحالة المدنية وظيفية إدارية تتمثل في  
تقديم مستخرجات الرسوم التي تتضمنها إلى مختلف  
الإدارات عمومية كانت أم خصوصية ؛

5 - وتعتبر كذلك أجهزة إحصاء تتمكن بها الدول التي  
تحسن تنظيمها من التعرف على حركة السكان أو وتيرة  
تطور النمو الديمغرافي فيسهل وضع خطط التنمية ؛

6 - يساهم نظام الحالة المدنية في الحفاظ على أصالة  
الأمة بالحفاظ على طبيعة الأسماء وخصائصها ونغما ؛

7 - لسجلات الحالة المدنية أهمية أيضاً من حيث  
الدراسات التاريخية لأن دراستها تفيد في معرفة تاريخ  
العائلات.

أصل نظام الحالة المدنية : يُرجع البعض أصل نظام

الحالة المدنية إلى 1250 سنة قبل الميلاد. ويقول إن

السجلات أو اللوائح التي كانت تدون فيها وقائع الحالة

المدنية لعبت دوراً هاماً في المجال العسكري والضريبي في

مصر الفرعونية وعند الاغريق وروما فيما بعد. لكن البعض

الأخر يذكر أن النظام الذي كان عند الاغريق خاصة في

أثينا، لم يكن نظاماً للحالة المدنية وإنما كان وسيلة لمعرفة

الحالة العامة للمدينة (Cité) أي مواردها البشرية والمالية،

دون الاهتمام بالحالة الخاصة للفرد. وهذا الكلام يصدق

كذلك على روما فيما بعد. إن معالم الحالة المدنية يتعين

البحث عنها في الأعراف الكنسية خلال العصور الوسطى،

ولا يمكن التحدث عن أي إرث عن القوانين القديمة. والأمر

في الحقيقة كان يتعلق بحالة دينية لا مدنية لأن الرهبان

كانوا يهتمون بالمراسيم الدينية. وهي (1) التعميد

(Baptême) الذي يدخل به مخلوق جديد في جماعة

المسيحيين ؛ (2) والزواج الذي يجعل اتحاد رجل وامرأة

مشروعاً ومقدساً ؛ (3) والدفن الذي يعتبر الشهادة الأخيرة

للإيمان. وهذا الثلاثي هو الذي يفسر حتى اليوم كون رسوم

الحالة المدنية ثلاثة : رسوم الولادة والزواج والوفاة. ويرجع

تاريخ رسوم الحالة المدنية في فرنسا إلى بداية القرن الخامس

عشر، واكتسبت الصفة الرسمية بصدور أمر ملكي

(L'ordonnance de villes - Cotteret) سنة 1539 (بالنسبة

للولادات والوفيات) وأمر ملكي آخر (L'ordonnance de

Blois) سنة 1579 (بالنسبة للزواج). وكان خاصاً

بالكاثوليك دون غيرهم إلى سنة 1787. ويصدر دستور

شتبر 1791 ومرسوم في شتبر 1792 أصبح هذا النظام

لائكياً تتولى إدارة البلدية إمساك سجلاته بدلاً من رجال

الكنيسة. وهذا النظام التوثيقي هو الذي استدخله سلطات

الحماية إلى المغرب فيما بعد.

دخول نظام الحالة المدنية إلى المغرب وتطوره فيه : لم

يعرف المغاربة نظاماً للحالة المدنية مثل هذا. وكانت الحاجة

للوجود بالنسبة للشخص. وتتكون باجتماع الصفات التي  
تخصه بالنظر لبعض مؤسسات القانون الفرنسي. فبالنسبة  
لتشريع الجنسية يكون فرنسياً أو أجنبياً ؛ وبالنسبة لقواعد  
الزواج والتطبيق وفصل الأجساد يكون اعزب أو متزوجاً أو  
مطلقاً أو أرملاً ؛ وبالنسبة لقواعد النسب يكون ولدأً شرعياً  
أو طبيعياً أو متبنى ... ومزج هذه الصفات المتعددة  
وتفاعلها يمكن أن يعطي "حالات مختلفة".

2 - والبعض الآخرون ركزوا على المظهر الاجتماعي  
للحالة أكثر من تكوينها فأوضحوا أنها قبل كل شيء،  
وضعية أو مركز الشخص في الحياة القانونية، ويعبارة  
أخرى أنها النظام (Statut) الذي يخضع له.

لكن المظهرين السابقين للحالة لا ينفصلان ؛ لأن  
الوضعية القانونية للشخص محددة بالصفات التي  
يحوزها. ثم إن التعبير عن الحالة في الفرنسية يكون  
باستعمال الفاظ متعددة هي : Statut, Situation,  
Position, Etat، والأمر في الحقيقة لا يتعلق "بحالة" بقدر  
ما يتعلق "بوضعية". وهذه الوضعية لا تتكون من حالات  
دائماً ؛ "فالنسب" مثلاً عنصر جوهري في حالة الشحص  
لكنه ليس صفة أو حالة وإن أمكن وصف ولد بأنه شرعي أو  
طبيعي أو متبنى ... "والاسم" عنصر لا غنى عنه للشخص  
وللسلطة العامة ولكنه ليس حالة أو صفة وإنما مرجع  
الصفات والحقوق والالتزامات والمجد والعز أو السقوط  
والذلة.

وهكذا نرى أن "الحالة" ليست صفة أو صفات بقدر ما  
هي "وضعية قانونية" خاصة بكل شخص تُعد بمثابة عَشْرَ  
قانوني له يتكون من مجموعة عناصر. لكن غلب استعمال  
لفظ "الحالة" الذي يميز فيه بين "الحالة العامة أو الجنسية"  
وبين "الحالة الخاصة أو الحالة المدنية". بالرغم من أن الحالة  
العامة تتولد غالباً عن الحالة الخاصة أو عن أهم عنصر فيها  
وهو "النسب". ونجمل القول فنقول : إن الحالة لا عمومية  
فيها ولا خصوصية. وإنما هي ما يسمى "الأحوال الشخصية"  
في جانبها الموضوعي والتوثيقي، لكننا نحن في المغرب لا  
نقصد بها إلا الجانب التوثيقي، بل بعضاً من الجانب  
التوثيقي فقط، وهو الذي يتولاه من يسمون ضباط الحالة  
المدنية، أما البعض الآخر فيتولى توثيقه من يسمون  
بالعدول وقضاة التوثيق والصوفيريم أو العدول العبريين،  
ولما يجمع بعد هذا التوثيق في يد واحدة بالرغم من بعض  
الجهود التي بذلت في هذا الاتجاه.

أهمية الحالة المدنية (توثيق الوضعية الشخصية) :  
لتوثيق الوضعية المدنية الشخصية أهمية بالغة في الحياة  
المعاصرة، بالنسبة للفرد وبالنسبة لبقية أفراد المجتمع.  
وبصفة خاصة بالنسبة للدولة. فهو يحدد هويات للأفراد  
ويقوم النظام داخل العائلات وفي المجتمع. فسجلات الحالة  
المدنية :

1 - تعتبر أجهزة استعمال بالنسبة للأمن بمعناه الواسع ؛



إلى إثبات أحوالهم المدنية غير ملحة في الغالب ؛ لأن المجتمع كان قبلياً منفلقاً وذا ثقافة شفوية. وكان الفرد عندما يحتاج إلى مثل هذا الإثبات . كما إذا رغب في إثبات العلاقة الزوجية أو النسب . يلجأ إلى النساين أو التقباء وخصوصاً العدول ليحرروا له ما يسمى شهادة اللفيف. وكان تاريخ الزيجات والولادات والوفيات وغيرها يربط بأحداث وظواهر معينة مثل نشوب حرب وازدياد ابن السلطان ومرور مجاعة ... ولم يكن المغاربة العبريون يختلفون عن نظرهم المسلمين ؛ فكانوا هم أيضاً يلجأون إلى عدولهم (صوفريم Souffrim) للحصول منهم على تبودات ليدا (Tioudat lida)، وظل الأمر كذلك حتى دخل نظام الحالة المدنية إلى المغرب مع الحماية.

لكن لا بد من بعض الإيضاح هنا. فالأجانب الذين كانوا يعيشون في المغرب حتى قبل الحماية بكثير كانوا يعتمدون في إثبات أحوالهم المدنية على رسوم الحالة المدنية التي كان يحررها لهم رهبانهم في المغرب الذين كانوا يتوفرون على كنانيش رسمية لهذا الغرض، كما كانوا يلجأون إلى قنصليات بلدانهم الموجودة في بعض المدن المغربية، غير أن الوصول إلى المكاتب القنصلية لم يكن سهلاً. فقد كان مكلفاً مادياً وصحياً، خاصة أن وسائل النقل كانت منعدمة أو قليلة وضعيفة جداً، كما استدعى - مع تزايد عددهم - تأسيس نظام للحالة المدنية لهم وهو ما قامت به سلطات الحماية.

أول نظام للحالة المدنية أنشئ بالمغرب - غير ما ذكر - نظام طبق منذ سنة 1907 على أفراد الجيش الفرنسي الذي دخل الدار البيضاء ووجدة. ثم صدر ظهير بتاريخ 18 يونيو 1913 (B.O. du 11 juillet) مؤسساً نظاماً للحالة المدنية خاصاً بالفرنسيين والأجانب الذين كانوا يقيمون بكثرة بالقنيطرة والمهدية. ويلاحظ على هذا النص أنه لم ينظم طريقة إمساك السجلات ؛ وأنه أسند مهمة ضابط الحالة المدنية لرئيس مكتب المراقبة بالقنيطرة والمهدية المكلف بالاستعلامات ؛ كما قرر قبول التصريحات بالولادات والوفيات فقط من الفرنسيين والأجانب دون غيرهم. ونص على ضرورة الإشارة إلى جنسية الأطراف في الرسم. لكن هذا الظهير لم يكتب له أن يعيش طويلاً لأن أسباب ممانته تضمنتها طبيعة أحكامه، وكان لا بد من نص آخر، فصدر ظهير شريف بتاريخ 04 شتنبر 1915 (B.O. du 6/9/1915) ينظم موضوع الحالة المدنية من جوانب مختلفة (ماعدات الجانب الموضوعي من أحوال الشخص). وما زال يعتبر حجر الزاوية في نظام الحالة المدنية بالمغرب. صدر هذا الظهير بعد تبادل الرأي بين مصالح الإقامة العامة والنيابة العامة محكمة الاستئناف بالرباط. فقد رفضت هذه النيابة مشروع الإقامة العامة واقترحت نظاماً بديلاً يطبق على الفرنسيين والأجانب وعلى المغاربة في نفس الوقت. تعلق الأمر بالتصريح بالولادات والوفيات أم اتصل بالزواج ؛ على أن

يتم تسجيل زواج المغاربة وطلاقهم في سجل الحالة المدنية المخصص للزيجات بناءً على ملخص لها يُعد بعد أن يتم توثيقهما بالطريقة التقليدية من قبل العدول. إلا أن الإقامة العامة رفضت مشروع النيابة العامة البديل بدعوى أنه سيثير مشاعر المغاربة الذين لم يفتتحوا بعد على الأفكار الغربية. ثم ما لبث النقاش أن تمخض عن ظهير 04 شتنبر 1915، الذي سمح للمغاربة بالتصريح بولادتهم ووفياتهم فقط. أما الفرنسيون والأجانب فيخضعون له حتى في زواجهم، إجبارياً بالنسبة للأوليين واختيارياً بالنسبة لغيرهم. بدأ تطبيق هذا الظهير في النواحي التي كان الأمن مستتباً فيها من منطقة الحماية الفرنسية، وفي فترات متعاقبة. ولم يمد إلى جميع نواحيها إلا سنة 1931. ولم يخضع له المغاربة بشكل منتظم ؛ فلم تكن كل القرارات التي كانت تصدر عن الصدر الأعظم لتطبيق الظهير في هذه الناحية أو تلك تنص دائماً على إمكانية تصريح المغاربة بولادتهم ووفياتهم. فقد كانت تذكر هذا أحياناً وتلتزم الصمت أحياناً أخرى. بل منعه من هذا التصريح القرار الصادر بتاريخ 05 يناير 1916 لتطبيق الظهير في مدينتي فاس ومكناس. وبتاريخ 13 شتنبر 1922 صدر ظهير عدل الفصل الأول من ظهير 04 شتنبر 1915 وقضى بأن الحالة المدنية المطبقة فوراً على الفرنسيين والأجانب لن تطبق على الرعايا المغاربة إلا حسب الشروط التي سيحددها فيما بعد قرار للوزير الصدر الأعظم. وصدر هذا القرار بتاريخ 23 دجنبر 1922 ألغى جميع القرارات السابقة المنشئة لمكاتب الحالة المدنية وأنشأ مكاتب بدلها ومكاتب أخرى جديدة، وسمح للمغاربة بالتصريح في جميع المكاتب بولادتهم ووفياتهم ابتداءً من فاتح يناير 1923، دون السماح لهم بإبرام الزواج أمام الضابط، مالم يتعلق الأمر بزواج مختلط بين طرف مغربي وطرف أجنبي (حسب عمل الإدارة واجتهاد محكمة النقض الفرنسية). ويمكن القول بأنه ابتداءً من هذا التاريخ أمكن للمغاربة التصريح بولادتهم ووفياتهم لدى ضباط الحالة المدنية إذا رغبوا. لكنهم لم يكونوا يفعلون إلا قليلاً، ما عدا أفراد الجماعة اليهودية الذين كانوا أكثر إقبالاً عليه.

ونظراً لأهمية نظام الحالة المدنية نادي بعض المغاربة المتفتحين بضرورة استفادة المواطنين منه وضرورة اخضاعهم له. وهذا ما كان أمنية المؤتمر الرابع لفدرالية الجمعيات العلمية لشمال إفريقيا، المنعقد بالرباط سنة 1938 ؛ وما طالبت به لجنة العمل المغربي في مخطتها للإصلاح سنة 1939. كما أن لجنة لأساتذة معربين ومثقتين للأمازيغية وحدت سنة 1935 طريقة كتابة الأسماء المحلية الشخصية والعائلية وأعدت فهرساً (Répertoire) أبجدياً بأسماء المغاربة المسلمين المستعملة في منطقة الحماية الفرنسية يتكون من 4302 اسم، وعُهد لضباط الحالة المدنية بكتابة

الأسماء وفقه. لكن اندلاع الحرب العالمية الثانية حال دون بحث الموضوع.

ما إن انتهت الحرب حتى استؤنف التفكير فيه من جديد. وكان هذا بمناسبة إعداد مشروع قانون يتعلق بالوضعية الإدارية للموظفين المغاربة العاملين في الإدارات العمومية. وقد استهدفت سلطات الحماية إخضاع المغاربة لجميع مقتضيات ظهير 04 شتنبر 1915، وجعلت هذا الخضوع إجبارياً لا اختيارياً كما كان. غير أن الصدر الأعظم رفض مشروع الإقامة العامة الذي قدمته له سنة 1945 مقدماً مشروعاً مضاداً ذا طابع إداري صرف لا يسس بقواعد الأحوال الشخصية والميراث التي كانت مطبقة أمام محاكم المخزن. وظل الجدال قائماً بين الطرفين ودائراً على تقديم مشروع بديل، وهذا المخزن باستشارة العلماء، لكن سلطات الحماية أصرت على تفاديها، بدعوى أن مثل هذه الاستشارة ستريك العمل بدون داع وتعمق عمليات الإصلاح أو التحديث الذي التزمت به في معاهدة الحماية. كما أن المخزن الذي كان قد قبل تصريح المغاربة بولاداتهم ووفياتهم صار يرفض أن يتم هذا التصريح أمام موظفي سلطات لانكية، مما يفيد أن موقفه كان ينبئ عن توجه سياسي جديد، وهو أمر مفهوم إذا استحضرننا ظروف الأربعينات وتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال. وقد أسفرت هذه المجاذبة بين الجهانيين عن توافق على أحكام ظهير 08 مارس 1950 (وقرار تطبيقه) الذي أتى بمقتضيات جديدة ومدد العمل بأحكام ظهير 04 شتنبر 1915 إلى المغاربة في ما يتصل بالتصريح بالولادات والوفيات إذا لم تتعارض مع قواعده والجراءات المتخذة لتنفيذه، كما نصّ الفصل الثامن منه على عدم جواز المساس "بما يجري به العمل من القواعد لدى المحاكم الراجع لها النظر في الأحوال الشخصية والميراث". وهذا الفصل هو الذي لمّا بزلّ يواعد في المغرب بين نظام الحالة المدنية والأحوال الشخصية بالرغم من أنهما واحد في العمق هو "الوضعية الشخصية أو المدنية للشخص".

صدرت فيما بعد نصوص متعددة تتعلق بموضوع الحالة المدنية لكنها كانت معدلة أو متممة أو ملغية، كما بدأ في استخدام النظام (المعلومات) في بعض مكاتب الحالة المدنية على سبيل التجربة.

في منطقة طنجة الدولية كان يطبق نظام خاص بالأجانب قبل أن يمد إليها نظام منطقة الجنوب بموجب ظهير 07 يوليوز 1958، كما مدد إلى منطقة الشمال بمقتضى ظهير 21 يوليوز 1959، وهي المنطقة التي كان يطبق فيها نظام إسباني على غير المغاربة - وان استفاد منه بعضهم طوعاً - إلى أن صدر ظهير خليفي بتاريخ 02 فبراير 1954 أنشأ ما سماه كناًشاً يقيد في كتاب الباشوات بالمدن والمراقبين بالبوادي ولادات ووفيات المغاربة. لكنه لم يكتب له النجاح أو بالأحرى التطبيق. وألغي بظهير التمديد المشار إليه. أما الأقاليم الصحراوية فقد طبق فيها النظام

الإسباني كما كان الأمر في الشمال، ثم طبق فيها النظام القائم الآن في شمالي المملكة مع استرجاعها أواخر السبعينات.

يبقى إذن ظهير 04 شتنبر 1915 (الذي لحقته عدة تعديلات تزيد عن 19 تعديلاً) وظهير 08 مارس 1950 حجرى الزاوية بالنسبة لنظام الحالة المدنية الحديث بالمغرب. ويمكن أن نذكر فيما يلي بعض خصائص هذا الظهير الأخير وبعض الخصائص العامة للنظام ككل.

بعض خصائص نظام الحالة المدنية بالمغرب :

- 1 - أن ظهير 08 مارس 1950 لا يطبق إلا على المغاربة من مسلمين وسواهم ولا يستفيد منه الأجانب.
- 2 - أنه يخص من الحالة المدنية التصريح بالولادات والوفيات دون الزواج وانحلاله الذي تركه الفصل 8 منه لنظام العدول وقضاة التوثيق.
- 3 - أن هذا الظهير ألزم جميع المغاربة بالتصريح لكنه علّق الإلزام على ما ينصّ عليه قرار تطبيقه. وقد ربط هذا القرار - الصادر بتاريخ 03 أبريل 1950 - الإلزام بالولادات والوفيات التي تخول أو تسقط إعانة عائلية قانونية. لكن أعقاب من تم تسجيلهم طوعاً أو كرهاً يصبحون هم أيضاً ملزمين بالتصريح. ومن عداهم من المغاربة لهم الخيار في التسجيل وعدمه.
- 4 - أسند مهمة ضبط الحالة المدنية في حينه إلى الباشاوات والقواد الذين يمثلون السلطة الإدارية المغربية. ثم أضيفت هذه الصفة بموجب الفصل 45 من الميثاق الجماعي لسنة 1976 وبعض النصوص اللاحقة على رؤساء الجماعة المحلية وبعض رجال السلطة. وهم وحدهم الضباط اليوم حتى بالنسبة لتطبيق ظهير 04 شتنبر 1915 على الأجانب.
- 5 - إن رقابة نظام الحالة المدنية أسندها في حينه إلى النيابة العامة بالمحاكم المخزنية - لا المحاكم الأجنبية في المغرب - كما أسند لنفس المحاكم النظر في طلبات إصدار الأحكام التصريحية والنظر في النزاعات المتصلة بالحالة المدنية.
- 6 - إن الرسوم تحرر بالعربية أو الفرنسية. وبعد تعديل 12 نونبر 1963 غدا تحريرها باللغة العربية فقط. مع نقل الأسماء العائلية والشخصية إلى الأحرف اللاتينية. وهو نفس ما يطبق على المغاربة خارج المغرب بموجب المرسوم رقم 646.66 المؤرخ في 29 يناير 1970 المتعلق باختصاصات الأعيان الديبلوماسيين والقناصل العاملين بالخارج.
- 7 - إن هذا الظهير نصّ على ضرورة اختيار كل رب أسرة اسماً عائلياً سيعرف به هو وأعقابه من بعده. وقد عدّد المشرع شروط اختيار هذا الاسم في الفصل السادس منه، المعدل بالظهير رقم 65.77.1 المؤرخ في 19 شتنبر 1977. لكن هذه الشروط يقع ألا تحترم من الناحية العملية.
- 8 - إنه أسس ما سماه كناًش التعريف والحالة المدنية،

يُضمّن مجموع معلومات تؤخذ من رسوم الولادات والوفيات لأفراد الأسرة ويسلم إلى ربها. وتنقل الأسماء بالأحرف اللاتينية. وهذا الكناش يسلم بدلاً من كناش العائلة المنصوص عليه في ظهير 04 شتنبر 1915 الذي يسلمه ضابط الحالة المدنية للزوجين بعد عقد زواجهما المدني.

9 - لم يشر هذا الظهير إلى حجية وثائق الحالة المدنية. ولذا نأخذها من الفصل 14 من ظهير 1915 الذي يعتبرها وثائق رسمية وذات حجية. ما لم يطعن فيها بالتزوير. والإدارة تعتمدها لكن المحاكم لا تعتبرها حجة في الغالب، لا سيما بالنسبة لإثبات النسب.

ويمكن إجمال الكلام عموماً والقول عن نظام الحالة المدنية بالمغرب بأنه :

أ - نظام مزدوج، يخضع الأجانب لظهير 04 شتنبر 1915 فقط الذي تحرر وثائقه باللغة الفرنسية ويخضع المغاربة لظهير 08 مارس 1950 الذي يحيل أحياناً على ظهير 1915. ويخضعون أيضاً لهذا الظهير الأخير بالنسبة للزواج المدني المختلط (ويمكن أن تضيف إلى هذا النظام المزدوج ما يقوم به العدول من توثيق بعض عناصر الوضعية الشخصية للمغاربة مثل الزواج وأنحلاله وشواهد الاستلحاق وشواهد إثبات النسب وكفالة طفل ... ولا ننسى كذلك النظام التوثيقي العبري الذي يخص المغاربة العبريين ويتولى تحرير رسومه العدول العبريون (Souffrim).

ب - نظام لائكي رغم أن أساسه كنسي.

ج - نظام يتناول الجانب التوثيقي فقط من الأحوال المدنية دون الجانب الموضوعي.

د - نظام يتميز بطابع تصريحي ؛ فليس للضباط أن يناقشوا من بصرح لديهم بوقائع الحالة المدنية.

هـ - إنه نظام يستلزم الإشارة إلى جنسية الأطراف في الرسم بالرغم من أن وثائق الحالة المدنية لا تثبت الجنسية.

و - إن النيابة العامة المكلفة برقابة تطبيق نظام الحالة المدنية لا تتمتع بسلطة رئاسية (وظيفية) على ضباط الحالة المدنية (كما هو الأمر في فرنسا) ما عدا في الزواج المدني.

ز - إن العديد من فصول الظهيرين، لا سيما ظهير 1915 تجاوزها الزمن.

بعض نصوص نظام الحالة المدنية :

1 - ظهير 04 شتنبر 1915 المؤسس لنظام الحالة المدنية بالمغرب، كما هو معدل ومتمم، خاصة بالقانون رقم 82. 01 الذي أضاف إلى هذا الظهير الفصل 61 المنشئ للبطاقة الشخصية والعائلية للحالة المدنية (ومرسوم تطبيقه)، وقد صدر للأمر بتنفيذه الظهير ش. رقم 178. 83. 1 بتاريخ 15 أكتوبر 1984.

2 - ظهير 08 مارس 1950، كما عدل وتمم بعدة نصوص

تالية، منها :

أ - الظهير رقم 1.63.240 المؤرخ في 12 نونبر 1963.

ب - الظهير رقم 1.77.65 المؤرخ في 19 شتنبر 1977.

ج - القانون رقم 35.95 الصادر للأمر بتنفيذ الظهير

ش. رقم 1.96.97 بتاريخ 02 غشت 1996.

وقد صدر لتطبيق هذا الظهير قرار وزيرى بتاريخ 03

أبريل 1950، المعدل والمتمم بعدة مراسيم لاحقة.

3 - الظهير رقم 1.60.191 المؤرخ في 10 غشت 1960

المتعلق بالتصريح بالوفيات في بعض الحالات.

4 - الظهير رقم 1.60.020 المؤرخ في 04 مارس 1960

المتعلق بانعقاد الأتكةة بين مغاربة وأجانب طبقاً لصيغة الحالة المدنية.

5 - بعض فصول قانون المسطرة المدنية وقانون التنظيم

القضائي والقانون الجنائي و...

د. عمر النافعي، نظام الحالة المدنية بالمغرب، إشكال التعميم

والضبط، نشر جمعية تنمية البحوث والدراسات القضائية، المعهد

الوطني للدراسات القضائية، الطبعة الأولى 1997 : أنور الخطيب،

الأحوال الشخصية، خصائص الشخص الطبيعي، الطبعة الثانية

1964 منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ؛ د. أحمد سلامة،

الأحوال الشخصية للمصريين غير المسلمين والأجانب، المدخل

والقواعد العامة، ملتزم الطبع والنشر، دار الفكر العربي، 1958 ؛

د. موسى عبود، الرجز في القانون الدولي الخاص المغربي، المركز

الثقافي العربي، الطبعة الأولى 1994 ؛ عبد الحسيد بن أبي زيان

بنشهو، النظام الإداري بالمغرب، الطبعة الرابعة، مطبعة الامنية

الرباط 1963.

Pierre Léonardi, *L'histoire des actes de l'état civil*,

thèse, Paris, 1961 ؛ P. Decroux, *L'Etat Civil au Maroc*,

*Hesp.*, 3 - 4 trim. 1950. ؛ S. Filizzola, *L'organisation de*

*l'état civil au Maroc*, Rabat, 1958 ؛ J. Le Calonnec, *Droit*

*civil. état et capacité des personnes*, Encyclopédie Dalloz,

2ème éd., Tome IV ؛ H. Benet, *L'Etat civil en Algérie :*

*Traité théorique et pratique de la constitution de l'état*

*civil des indigènes algériens*, Alger, 1937.

عمر النافعي

أيت **حامد**، وتكتب أيضاً بدون مد : "حمد" والنسبة

إليها حامدي، قبيلة سوسية تمتد موطنها على جزء من

مرتفعات الأطلس الصغير الغربي (عالية وادي والغاس).

وتتصل أراضيها بسهل إيداوگارَسْموَكْنُ واشتوكن عبر

ممرات جبلية معروفة. أما من الناحية الطبغرافية، فتطفي

على ترابها المرتفعات والأودية الضيقة. ومن أهم مرتفعاتها

جبل أضاض مدني الذي يشرف على حوض أداي،

أزروئعيسي ... ويشققها وادي والغاس، وهو من عالية

وادي ماسة. يحدها شمالاً أيت صواب وأيت وادريم

واشتوكن إلى الغرب والجنوب نجد إيداوگارَسْموَكْت، بينما

يحدها أيت صواب في الشرق. لا تعرف إن كانت القبيلة

من صميم اتحادية إيداوليت، أو أنها تكون قبيلة مستقلة

منذ القدم، وهذا ما يُستشف من إشارة صاحب ديوان قبائل سوس عندما صنّف مساهمة أيت حمّد الجبائية ضمن حساب قبائل إشتوكن بـ 200 نسجة، وحمد الذين رافقوا السلطان المنصور من صميم القبيلة. ومن أقدم مداخل القبيلة : تاسيلا أوزريف، أزاريف، تيلغات، أزرونغيسي. ويبدو أن تراب أيت حمد عرف استقراراً بشرياً قديماً، ومن الشواهد الدالة على ذلك : أطلال القرى المنذرة : حصن تيغمي أورو، قصبة الفرسان من العبيد ... كما أن محراب مسجد تيلغات كان مائلاً نحو الجنوب. وكانت هذه الأخيرة مركز قيادة جزولة في العهد السعودي، ومنها كان زعماء أيت حمد يسيرون أمور القبائل المجاورة، كما ساندوا إيليج مدة من الوقت خاصة على عهد أبي حسون السلالي. ونستشف من إشارة A. Le Chatelier أن القبيلة كانت تدبر شؤونها بنفسها. حيث يتولى النفايس (10 لكل فرقة) تنظيم الأمور الجماعية وفق أعرف معروفة.

ومنذ القرن العاشر (16 م) كانت مدارس القبيلة : أزاريف، تاسيلا، تيلغات، تمثل مراكز علمية ودينية مستقطبة. وما تجدر الإشارة إليه أن هذه الحركة الفكرية اقتترنت بأسرة آل عبد العزيز التيلغاتي، وقد نبغ منها ثلثة من العلماء والمتصوفة، نذكر منهم على سبيل المثال : أحمد بن داوود الحامدي وأحمد بن سعيد الحامدي وداوود بن عبد الله الحامدي وسعيد بن علي الحامدي وعلي بن محمد الحامدي ...

ونشير إلى أن القبيلة كان لها الدور البارز في مساندة حركة الشيخ أحمد الهيبة وخلفه مربيه ربه. كما تصدّت، وبمعية أيت وادريم، لحملات القانذ الكنتافي سنة 1917 ولهجومات الجنرال الفرنسي سنة 1934.

م. المختار السوسي، خلال جزولة، 2 : 116، 117، 140، 142 : م. الحضيكي، طبقات، نج. أحمد بومزكو، بحث لنيل د. د. ع. الرباط، 1994 : أ. الحساني، ديوان قبائل سوس، مخطوط. L. Justinard, Notes sur l'histoire du Sous au XVIème siècle, A.M., 1933, p. 69 ; A. Le Chatelier, Tribus du sud ouest marocain : bassins cotiers entre Sous et Draa, Paris 1891, p. 57.

أحمد بومزكو

**الحامدي، أحمد بن سعيد بن علي التلغاتي** نسبة إلى جبل أيت حامد في الأطلس الصغير، وتلغات قرية في واد منيسط بسفح هذا الجبل على ضفاف واد الغاس أحد روافد نهر ماسة بسوس. حلاه المختار السوسي بقوله : "عالم كبير ذو شهرة، قام مقام والده في رئاسة الأسرة بالعلم والوفادة على حضرات الملوك السعديين ورفع القصائد إليهم". ترجم له الرسموكي والكرومي والحضيكي، واتفقوا على وصفه بالعلم والخير والصلاح. لكن لم يصفوه بالأدب مع أن له مشاركة في الشعر وإن لم تدان ضلاعة

والده سعيد آتي الترجمة. واشتهرت له قصيدة لامية مدح بها عبد الله الغالب، اتسمت بالجزالة وسلامة التعبير. وقد أثبت م. المختار السوسي في خلال جزولة (2 : 138، 140) نصي ظهيرين سعديين في احترام المترجم وإخوته. أولهما لأحمد المنصور الذهبي في أوائل المحرم عام سبعة وثمانين وتسعمائة، والثاني لولي عهده محمد الشيخ المامون بتاريخ أواخر جمادى الأخيرة عام خمسة وتسعين وتسعمائة. ويصف الظهير الأخير أحمد الحامدي بالقاضي. والقضاء والرياسة عريقة في هذا الفرع من الحامديين. توفي أحمد الحامدي يوم السبت 26 صفر عام 997 / 14 يناير 1589.

الظهيران المشار إليهما أعلاه : م. الرسموكي، وفيات، نج. د. المختار السوسي، الرباط 1988، ص 33 : أ. ابن القاضي، درة المجال، 1 : 167 : م. الحضيكي، طبقات، نج. أ. بومزكو الترجمة، 27 : م. المختار السوسي، خلال جزولة، 2 : 137، 140 : م. حجي، الحركة الفكرية، 593.

**الحامدي، الحسن بن سعيد بن علي.** فقيه رئيس لمنطقة شاسعة تحيط بدار إقامته تيلغات. كان معتبياً بالعلم ونساخته الكتب يستأجر لذلك طلبة المنطقة، وقد وقف م المختار السوسي على كثير من الكتب المنسوخة لهذا الفقيه الرئيس وبعض مقيداته. توفي بتيلغات ليلة الأربعاء 25 ربيع الأول عام 1033 / 16 يناير 1624.

م. المختار السوسي، خلال جزولة، 2 : 142، 143.

**الحامدي، سعيد بن عبد الرحمان بن الحسن التيلغاتي.** وُلد في 20 ذي القعدة عام 1057 / 17 دجنبر 1647، الفقيه القاضي، قال عنه م. المختار السوسي : "عالم كبير مدرّس طائر الشهرة وهو الذي نقلنا عنه نسب الأسرة". لم تذكر كتب التراجم شيوخه ولا الأخذين عنه إلا مقيدات بعض تلاميذه، ولعله كان قاضياً بسوس أيام السلطان المولي إسماعيل في منطقة هشتوكة.

توفي بعد عصر يوم الخميس غرة ربيع الأول عام 1135 / 10 دجنبر 1722. (في الأصل : الخميس غرة اليوم الأول، ولعل الصواب ما أثبتناه).

م. المختار السوسي، خلال جزولة، 2 : 145.

**الحامدي، سعيد بن علي بن محمد بن عبد العزيز،** واسطة عقد الحامديين وأديبهم الكبير، الشاعر المفلق والكاتب البار. درس في مسقط رأسه علي والده الفقيه علي وطبقته ثم شد الرحلة إلى فاس فأخذ عن كبار علمائها : شيخ الجماعة محمد ابن غازي، وعبد الوهاب بن محمد الزقاق، وموسى ابن هارون وأضرابهم. واشتغل مدة

بالتدريس أخذ عنه فيها أحمد بن سعيد الجزولي المراكشي وغيره. وخصه الأديب التامنارتي في الفوائد الجمة بفقرة فنية تتم عن إعجاب بالغ : "سهم القريض المغرب، وإمام الأدب العريض بالمغرب، مُرْتَمِّمٌ في زمام أئمة البلاغة، متمسك بتمام الإبداع وحسن الصياغة، بشعره نافح أقصى المغرب أدناه، ويسحر بيانه كافح جيش المحاوراة فعاد ملك مينا، والأدب له عبد يجيب متى دعاه، وسهم يصيب الغرض متى رماه. دوحة اللسان بقطره بتلقيحه أنثرت، وروضة البيان بتحقيقه أمرعت وأعطرت، وقصائد شعره التي سحرت الألباب، وفاضت فيضان العباب، تشهد له".

اتصل بالسعديين في المراحل الأولى لنشأة دولتهم، وعمل كاتباً مع السلطان أحمد الأعرج، وكان على اتصال وثيق بأخيه وخليفته في سوس محمد المهدي الشيخ، ولا ندري إن كان كتب له كذلك. وقد مدحه بشعره وعرض عليه شكاة قومته، ورثى ولده محمد الحران حين قُتل في مواجهة أتراك الجزائر. كما اتصل بعد ذلك بالسلطان عبد الله الغالب ومدحه وأشاد بتجديده مدرسة ابن يوسف العظيمة.

وبالرغم مما أجمع عليه مترجموه معاصروه فمن بعدهم من رسوخ قدمه في ميدان الأدب وطول نفسه الشعري فإن ما بقي من قصائده الطوال لا يتجاوز العشر، أتى م. المختار السوسي بمطالعتها في خلال جزوته وأثبت نصوصها في المترجمات. وبعد ذلك وقف له على ديوان أشعار في مجلد، وشروح لقصائده الطوال.

ومن أهم شعره السياسي مقصورة من سبعة وأربعين بيتاً وجهها إلى محمد المهدي الشيخ - وهو ما يزال بسوس - يطلب منه باسم سكان البوادي والقرى أن يعيد بناء حصن المنكب (أكادير - إيفير) بعد أن هدمه على رأس محتليه البرتغاليين مطلعها :

فقل لإمام الهدى المرتضى عماد العباد وطرد العلى  
إلبك تظلم هذى الثغور وشكوى البوادي وشكوى القرى

وبذلك تعد هذه القصيدة لبنة أدبية في صرح مدينة أكادير التي شيدها محمد المهدي الشيخ السعدي بالقرب من حصن المنكب المحطم سنة 947 / 1541.

توفي سعيد الحامدي بمراكش - جاء إليها لحاجة فأدرسته الوفاة - ليلة الأحد رابع ربيع الأول عام 973 / 29 شتنبر 1565.

أ. ابن القاضي، درة، 3 : 301-302، رقم 1386 : لقط، موسوعة أعلام المغرب، 2 : 915 : ع. التامنارتي، الفوائد الجمة، مخطوط، 39 : م. الحضيكي، طبقات، تج. أ. بومزكو، الترجمة رقم 750 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 9 : 146، 145 : م. المختار السوسي، خلال، 2 : 133، 130 : سوس، 69، 180 : ع. ابن سودة، دليل، 2 : 386 : م. ابن تاويت، الوافي بالأدب، 3 : 656، 659 : م. حجي، الحركة الفكرية، 592.

**الحامدي، عبد الرحمان بن علي بن محمد بن عبد العزيز،** أخو الأديب سعيد سابق الترجمة، عالم صوفي كبير

القدر شهير الذكر في سوس، يذكر مع الشيخ أحمد بن موسى السملالي ومحمد بن إبراهيم الشيخ التامنارتي وسعيد بن عبد المنعم الحاحي وأضرابهم. ذكره جميع مؤلفي كتب التراجم السوسيين وأجمعوا على تقديره والتشويه به. قال عنه محمد البعيطي : "الفقيه العالم المتبرك به حياً وميتاً، شيخنا ... من العلماء العاملين بما علمهم الله، له قدم راسخة في طاعة الله ورسوله". وزاد الحضيكي : "كان فقيهاً محدثاً حافظاً ذا فنون في علوم جملة ورعاً تزيهاً". أخذ عن والده وطبقته، وتلمذ له عدد وافر من طلبة قطره وخاصة التامنارتيين العلماء.

توفي يوم السبت السابع عشر من ذي القعدة عام 984 / 5 فبراير 1577. ومشهده مزارة كبيرة حتى الآن.

ع. التامنارتي، الفوائد، مخطوط : م. البعيطي، مناقب، 29، 31 : الرسموكي، وفيات، 23 : م. الحضيكي، طبقات، تج. أ. بومزكو، الترجمة، 721 : م. المختار السوسي، خلال جزولة، 2 : 137، 133 : م. حجي، الحركة الفكرية، 2 : 592.

**الحامدي، علي بن محمد بن سعيد** فقيه متمكن،

اشتهر بالإفتاء في مسقط رأسه تيلكات، ثم استدعاه أبو حسون بودميعة السملالي حين بنى حاضرة إمارته إيليج وعينه قاضي الجماعة بها. قال عنه تلميذه الرسموكي في وفياته : "عاصرته وعاشرته وصاحبته نحو سنتين آخر عمره، وكان ظريفاً ذكياً ذا سمت ووقار".

توفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من رجب عام 1043 / 25 يناير 1634.

م. الرسموكي، وفيات، 15 : م. الحضيكي، طبقات، تج. أ. بومزكو، الترجمة 627 : م. المختار السوسي، خلال جزولة، 2 : 140، 141 : رجالات سوس، 37 : م. حجي، الحركة الفكرية، 2 : 606.

**الحامدي، علي بن محمد بن عبد العزيز،** جد

الحامديين المذكورين في العصر السعدي. فقيه مشارك وأديب بارع، درس في سجلماسة على الشيخ إبراهيم ابن هلال صاحب النوازل، وفي فاس على شيخ الجماعة محمد ابن غازي، ولم يبق من آثار قلمه سوى رسالة بليغة وجهها لشيخه ابن هلال سنة 898 "تدل على تضلع في الأدب ورقة في التعبير، وتكُن في حسن التحبير". أثبتتها م. المختار السوسي في كتاب المترجمات.

درس في مسقط رأسه، وكان من الأخذيين عليه أباؤه سعيد وإخوته، ثم انتقل في آخر حياته إلى أفا بالقرب من تامنارت، وهناك أخذ عنه الشيخ محمد بن إبراهيم التامنارتي وآله العلماء الصلحاء.

توفي بأفا حوالي عام 920 / 1514.

م. الرسموكي، وفيات، 46 : م. الحضيكي، طبقات، تج. أ.

Aquae Sirenses  
 Aquae Caesaris : في نوميديا :  
 Aquae Flavianae  
 Aquae Hereulis  
 Aquae Novae  
 Aquae Thibiltanae  
 Aquae Aptuccensium : في البرقنصية :  
 Aquae Carpitanae  
 Aquae Persianae  
 Aquae Traiane  
 Aquae  
 Ad Aquas  
 Ad Aquas Alifanae  
 Djebel el oust  
 Aquae Tacapitanae : في الطرابلسية :

Aquae Albenses : حامة غير موطنية :

H. Jouffroy, *Les Aquae Africaines, caesarodunum*  
 XXVI. Actes du colloques d'Aix les Bains, 1990, p. 87 -  
 99 : Ould Dada, *Le Thermalisme en Afrique*  
*Proconsulaire, TER, Tunis : L. Poinsot - Ch. Saumagne,*  
*Les piscines romaines de Capsa, R.T., 15, 16, 1933, 235 -*  
*239.*

عبد العزيز بل القايدي

**حاميم**، متنبئ شهير في تاريخ المغرب، اسمه عبد الله ابن من الله (أبو خلف) بن حريز بن عمر بن وجفوال بن زروال، ادعى النبوة في الشمال الغربي المغربي في النصف الثاني من القرن الثالث (9 م) بقبيلة واد رأس الواقعة بين مدينتي تطوان وطنجة.

لا نعرف المتنبئ حاميم عبد الله إلا من خلال ما نقله أبو عبيد الله البكري عن مصدره محمد الوراق، كما أننا نجهل أصل مدلول لقبه. وهو ينتمي إلى أسرة بني وجفوال التي مثلها في النصف الأول من القرن الثاني الهجري جده الخامس واجفوال بن زروال.

كانت الأسرة منذئذ مستقرة بقبيلة واد رأس بالجبل المدعو آنذاك بجبل حاميم الذي لا يمكن أن يشار إلى غير المسمى حالياً جبل المخالد (627 م)، مصدر منابع واد رأس أو واد الحميس، أحد روافد واد تطوان (مارتيل فيما بعد)، إذ أن البكري وضع جبل حاميم قريباً من آخر سماه جبل "تيطسوان" ويسمى حالياً رغم التحريف الذي لحقه جبل تيطسويرا الداخلة في حدود جنوب قبيلة أنجرة. ويمكن تحديد موطن بني وجفوال القرن الثاني الهجري بمدار الوقت الراهن : اللواو والمخالد وخنقد الكبش والرمل والمجعة.

ربما كانت لأسرة حاميم سوابق في استقطاب الجماعات نتيجة اشتهاها في احتراف العرافة والكهانة. وقد شكل والده من الله وعمته تانفت وأخته دجو الجماعة المحترفة لذلك الفن، أما حاميم فقد أدى به الأمر إلى التنبؤ. والإعلان عن النبوة مصرح به في تعاليمه التي رفضت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ومشاراً إليها من طرف شاعر

بومزكو ترجمة، 582 و720 : م. المختار السوسي، خلال جزولة، 2 : 129، 130 : رجالات، 20 : م. حجي، الحركة الفكرية، 2 : 591.

**الحامدي، محمد بن أبي بكر البضاوي، فقيه**  
 أديب شاعر من آخر الحامديين العلماء المعاصرين، اشتغل بالقضاء، وكان عضواً بمحكمة الاستئناف الشرعي بالدار البيضاء، له كتاب مشارق الأنوار في ذكر مولد النبي المختار، نشره بالمطبعة الوطنية بالرباط، وبآخره قصيدة في المديح النبوي، عام 1365 / 1946. وكانت وفاته بعد هذا التاريخ.

إ. الإدريسي، معجم المطبوعات المغربية، 98.

**الحامدي، محمد بن عبد الرحمان بن الحسن يلقب بالسوق، فقيه مشهور في قومه إلى الآن، له مؤلف في الطب : ومؤلف في الصلاة على النبي عليه السلام : وتوسل في ورقتين نظمه سنة 1085، وذكر عقبه أن أهل الجريد بتونس اتخذوه ورداً لهم لما تركه عندهم في حجته. توفي بعد سنة 1085 / 1674.**

م. المختار السوسي، خلال جزولة، 2 : 143، 144.

محمد حجي

**الحامات، Aquae في المغرب القديم.** لقد تردد الرومان إلى جانب الحمامات العادية (Balnea, Thermae) على مبان خاصة تعرف في الهندسة الرومانية تحت اسم الحمامات Aquae التي كانت تتغذى من العيون المعدنية. فهذا النوع من البنايات اعتبر كأماكن للعبادة واعتقدوا أن الإله المشرف على الحامة هو الذي يشفي المرضى عن طريق هاته المياه المعدنية ذات الخاصية الطبية. وضعت أغلب هاته الحمامات تحت حماية آلهة الطب أو آلهة المياه حيث عشر في حامة Djebel el oust بتونس على بقايا معبد صغير بداخله نقش حجري يحمل نصاً لاتينياً يفيد بأن المتعبدين هم الذين تقدموا بالإهداء، ويدخل حوض ربما استعمل للاغتسال والتطهر عشر على تمثالين لآلهة الطب، "إسكولاب وهيجيا".

وفي المغرب القديم تشير الوثائق إلى حامة وحيدة هي المعروفة تحت اسم "الحامة الداككية" Aquae Dacicae التي توجد شمال غرب ويلي، فقد تم تقريب هذا الاسم من أحد شعوب شرق أوروبا (Daces) التي شكل أفرادها فرقا مساعدة ضمن الجيش الموريطاني. إن أغلب هاته الحمامات بنيت خارج التجمعات الحضرية وبالقرب من العيون، وقد تقام بنايات مرافقة كالمساكن مثلاً والخاصة بالمتعبدين والمرضى. وهذه لائحة لهاته الحمامات التي وجدت بأفريقيا.

- في موريطانيا الطنجية : Aquae Dacicae

- في موريطانيا القيصرية : Aquae Calidae

طنجة المدعو أبا العباس فضل بن مفضل المدحجي في هجائه.

جعل حاميم عبد الله النبوة ثلاثية : الإيمان به ويوالده من الله وعمته تانفيت. واختلق من أجل ذلك ما ادعى أنه قرآن حرره باللهجة الأمازيغية المحلية، وهو مؤلف من تهاليل وابتهالات في شطره الأول، ومن تعاليم محرفة عن الشريعة الإسلامية من صلاة وصوم وزكاة مع إبطال للحج في شطره التالي، ساق منهما البكري عدة أمثلة.

وربما كان عبد الله حاميم كثير التحرك فدُبر مقتله بناحية الساحل بين طنجة وأصيلا سنة 315 / 927 وترك من الأولاد ثلاثة : محمد وعبد الله وعيسى الذي كان له ذكر بعد والده. وعلى الرغم من بعد الزمن فإن الذاكرة الشعبية مازالت تختزن في ذهنها اسم حاميم مما يعكس قول البكري عن كثرة أتباعه بالشمال الغربي المغربي.

أ. البكري، المغرب في ذكر أخبار إفريقية والمغرب، ص. 100 و107؛ ضابط الأمور الوطنية، ص. 40-41؛ خريطة طبوغرافية سنة 1965.

حسن الفكيكي

**حانون** والمغرب القديم. أصل حانون من مدينة قرطاج ولا نعرف تفاصيل حياته. وكل ما نعلم أنه من عائلة الماغونيد (Magonides)، إحدى الاسر القرطاجية الثرية. لقد زودت هذه الأسرة دولة قرطاج بالرؤساء والقادة العسكريين وبالرحالين المشهورين كحانون وأخيه هميلكون (Himilcon).

تذكر المصادر أن حانون قام برحلته إلى ما "وراء أعمدة هرقل" في إبان أوج قرطاج وبطلب من الدولة. ويفترض أن هذه الرحلة تمت خلال القرن الخامس. ومعلوم أنه في نفس الإبان قام أخوه هميلكون باكتشاف السواحل الشمالية للمحيط الأطلسي (وصل لغاية إيرلندا حسب بعض الدراسات).

وللإشارة، فيذكر حانون لاسمه فقط وإغفاله لذكر نسبه يكون قد اتبع الطريقة القرطاجية في كتابة أسماء الأعلام التي تظهر وتتردد من خلال بعض شواهد القبور. وهذه النقطة لصالح مصداقية هذه الرحلة التي أثارت ومازالت تثير الكثير من ردود الفعل.

وفي اعتقادنا تعد رحلة حانون من أقدم وأهم الرحلات التي همت الشواطئ الجنوبية للمحيط الأطلسي. وقد احتفظ صاحب الرحلة بتقريره منقوشا على صفائح معدنية علقت بمعبد الإله كرونوس (Cronos) (التسمية إغريقية) الذي يوافق عند القرطاجيين الإله بعل - ساتيرن (Baal-Saturne). ومن المفترض أن معبده كان موجوداً بالعاصمة قرطاج. وإذا كان التقرير الأصلي قد ضاع أو لم يصلنا بعد فإننا نعرف الرحلة من خلال الترجمة الإغريقية ولعلها اختصار لها بما أنه وردت معلومات أخرى ضمن مصادر قديمة.

وهذه الترجمة الإغريقية للرحلة يُرجعها الباحثون المعاصرون تبعاً للغتها إلى أواسط القرن IV ق.م ويتوفرون على نسختين منها إحداهما موجودة اليوم بروما وكانت في السابق بمدينة هديلبرغ (Hedelberg) الألمانية؛ والنسخة الثانية توجد حالياً بلندن. ونعتمد من جهتنا الترجمات الفرنسية للنص الإغريقي المنشورة ضمن العديد من المراجع ومن ضمنها أساساً مؤلف رايموند روجي (R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, pp. 17 - 18).

أدى تقرير الرحلة إلى خلق مواقف عديدة ومتباينة بين الباحثين المعاصرين نحصرها في ثلاث هي :

\* موقف المجموعة الأولى : يشك أصحابها في صدق الرحلة، وقضية الشك ليست أمراً جديداً فقد أعلنتها كتاب قدامى نذكر منهم أيليس أريستيد (Aelius Aristide) من القرن الثاني الميلادي، ومن مترجمي النزعة الشكية في تاريخنا المعاصر طوكسيي (Tauxier) الذي اعتبر التقرير نسيجاً من الأكاذيب (Un tissu de mensonges) بل إن الباحث موني (R. Mauny) اعتبر النص أكبر أكذوبة في تاريخ ملاحه العصر القديم.

\* موقف المجموعة الثانية : يتخذ أصحاب هذه المجموعة موقفاً وسطاً حينما يحتفظون من التقرير بالفقرات الست الأولى، ويقرون بصحتها الرسمية وبمصادقتها، في حين يحكمون على باقي الفقرات بأنها موضوعية. بل إن جيرمان S. Germain يعتبر جل فقرات الرحلة منتحلة من مؤلف هيرودوت Herodote (القرن V ق.م) ويقسم لذلك مقاربات بين نص الرحلة وفقرات من كتاب هيرودوت وبين بأن كثافة المعلومات بهذا المصدر دليل على أن الناسخ أخذ منه مادته.

\* موقف المجموعة الثالثة : هو موقف تصديق للرحلة، وعدد المنضوين كبير إلا أن الآراء حول المدى الذي وصل إليه الرحالة متشعبة ويمكن حصرها بدورها ضمن موقفين أساسيين : فريق أول يصدق كل ما جاء في الرحلة بل يحاول أن ينسب الأخطاء للناسخ أو لتغيرات طبيعية همت الساحل المغربي وغيرت بعض معالمه. ولذا فهذا الفريق يصل مع الرحالة إلى ما وراء المغرب، إلى السنغال والكاميرون. بل وإلى حدود خليج غينيا، ونجد من أصحاب هذا الرأي فيفيان دوسان مارتان Vivien de St. Martin الذي قال : "يشكل هذا التقرير رغم إيجازه أحد النصوص النفيسة التي ورثناها عن العصر القديم". ويتبنى غزيل Stéphane Gsell نفس الموقف عندما يقول بأن نص رحلة حانون هو فريد من نوعه فيما يتعلق بوصف الشواطئ الإفريقية لجنوب المغرب".

فريق ثان : لا يؤمن أصحابه بتمكن القائمين بالرحلة من تجاوز حدود المغرب؛ بل منهم من يوطن المواقع المذكورة بالتقرير ضمن خط طنجة - ليكسوس أو طنجة - ليكسوس. فكأي المواقف تنهني ؟

نعتبر الرحلة من الوثائق الهامة : ويحق أن نطلق عليها تقيواً "شهادة ميلاد المغرب" لكونها سندنا الأساسي في معرفة المغرب القديم قبل القرن ٧ ق.م وأثاره. وليست مصادره المكتوبة. فموقعا ليكسوس وموگادور يعودان للقرن VII ق.م بتأريخ فخارهما فحسب، وحتى إذا كان نص هيرودوث المشهور حول المقايضة يتطرق للتجارة المنتظمة التي ربطت "القرطاجيين" بالأهالي" المستوطنين وراء أعمدة هرقل، فإن معلوماته تتسم بصيغة العمومية وبذلك تبقى رحلة القرطاجي حانون من أقدم الوثائق المكتوبة التي تزودنا بمعلومات ضافية عن الساحل الأطلسي الجنوبي.

لا نخفي بأن الرحلة تتخللها ثغرات وهفوات عديدة. فهل نرجع ذلك إلى رغبة قرطاج في أن تظل رحلاتها وتقاريرها سرية حتى لا تزاحمها دول أخرى ؟ وإذا كان الأمر كذلك لماذا تم تعليق تقرير الرحلة الحانونية بمعبد بعل ساتيرت (كرونوص عند الإغريق) ؟ هل لتبين إحرارها لقصب السبق في مجال الملاحة البحرية وفي ميدان الاكتشافات ؟ ما هي إذن الأهداف الحقيقية لهذه الرحلة ؟ كثير هي الأسئلة التي ليس لها جواب كاف، وسنحاول أن نبحث في الأهداف.

جاء في مقدمة الرحلة ما يلي :

"١ - قرر القرطاجيون أن يبحر حانون إلى ما وراء أعمدة هرقل ويؤسس مدنا قرطاجية ؛ فأبحر بستين سفينة ذات خمسين مجدافا رفقة 30.000 من الرجال والنساء والأقوات وكل ما يحتاجون إليه". فالهدف المسطر من وراء الرحلة حسب هذا التقرير هو تأسيس مستعمرات قرطاجية على ساحل المحيط الأطلسي. ولكن بلين القديم في كتابه التاريخ الطبيعي (الكتاب 5، الفقرة 8) يذكر سببا آخر وهو الطواف حول إفريقيا. وحول هذه النقطة أيضاً تضاربت آراء الباحثين المعاصرين : فقد حلل كاركوينو J. Carcopino بإسهاب الفكرة القائمة على كون الدافع الحقيقي للرحلة هو ضمان تجارة الذهب السوداني ؛ ولكن لو كان الغرض الحقيقي هو البحث عن الذهب لكان الرحالة حانون قد اقتصر على أملاك جزيرة سرنى Cerné كسوق وافر بالذهب حسب الكتاب القدماء. يبعد جاك رامين J. Ramin افتراض كاركوينو ويذكر من جهته بأن العلاقات التجارية كانت تربط باستمرار جنوب الصحراء بشمالها وكان بالامكان أن يحصل التجار على ذهب السودان عن طريق التبادل البري، ويقدم تبريراً آخر للرحلة يتمثل في بحث الرحالة حانون عن مواد أخرى يصعب نقلها براً ومنها نحاس منطقة أكروزوت Akjoujt بموريطانيا الحالية التي تبعد بحوالي 200 كلم عن العاصمة نواكشوط، ولكن لم يتم الكشف بالمنطقة المذكورة عن مواد فنيقية تؤكد رأي جاك رامين.

إذن هل نعتبر محرك هذه الرحلة هو الدافع السياسي ؟ الظاهر أنه لم تكن لحانون طموحات سياسية خاصة مادام تنفيذ أوامر المجلس الأعلى لمدينته بتحقيقه للرحلة ثم العودة بالتقرير الذي علقه بمعبد قرطاج يدلان على ولائه لمدينته.

هكذا يبدو أنه عندما ألق حانون من قرطاج كانت له أهداف تتفق مع أهداف مدينته اتسم بعضها بطابع السرية وكان بعضها الآخر واضحاً، من ذلك "إنزال المعمرين وراء الأعمدة" ؛ يعني ذلك من جهة التخفيف من الضغط السكاني على قرطاج ؛ ومن جهة ثانية فتح أسواق جديدة على ساحل المحيط الأطلسي. ومن هنا يفسر العدد الضخم من فنيقي قارة ليبيا الذين رافقوه، فقد وصل عددهم إلى 30.000 معمر، ونمّل إلى تصديق إمكانية نقل السفن القرطاجية لهذا العدد من الركاب لأنه باعتماد شهادة المتخصصين في ميدان الملاحة البحرية كان بإمكان السفن ذات صفين من المجداف (Pentecontores) أن تستوعب ما قدره 40 طناً ؛ بل إن روزنرجير (Rosenberger) يذكر بأن حمولة السفن البونيقية والقرطاجية كانت تصل إلى 300 طناً. ومن غريب الصدفة أن يحمل القائد الروماني سيبون (Scipion) الملقب بالافريقي 30.000 راكبا على ظهر 60 وحدة ١

\* \* \*

ويتبعنا لتقرير الرحلة نذكر بأن حانون أنشأ أو عمر سبع مستعمرات تقع جميعها وراء الأعمدة (مضيق جبل طارق) على ساحل المحيط الأطلسي.

أولى هذه المحطات التي ذكرها حانون هي : مستعمرة تيميياتيريون Thymiatieron. ويظن أغلب الدارسين (Tissot, Besnier, Gsell, Marcy...) أن المدينة توجد عند مصب نهر سبو حيث تقع المهديّة حالياً ؛ بينما يرى آخرون (Rousseaux, Ponsich...) بأنه يجب البحث عن هذه المدينة حول المضيق حيث مدينة طنجة حالياً.

والواقع أن تحديد موقع أعمدة هرقل هو الذي سيترتب عنه تحديد دقيق لموقع المستعمرة فإذا عينت الأعمدة بقادس فإن موقع تيميياتيريون (Thymiatieron) سيكون على الشاطئ الأطلسي على بعد مسافة تقدر بيومين من الإبحار ابتداءً من الجنوب الغربي الإسباني في اتجاه نهر سبو. أما إذا حددت الأعمدة بداخل المضيق فإن المستعمرة يمكنها أن تطابق موقع طنجة الحالي. ونمّل إلى اعتقاد أن مدينة طنجة ليست هي المقصودة نظراً لقدمها، فهي سابقة الإنشاء وجدت قبل عصر حانون ولا يمكن أن تكون قد أسست من طرفه.

بأقي المحطات التي عمرها حانون تقع وراء رأس سلويس Cap Soloeis. فماذا تطابق حالياً ؟

ورد مصطلح "رأس سلويس" عند عدد من الكتاب الكلاسيكيين وأقدمهم هيرودوث (التاريخ، 11، 32 : 1٧، 43). واتخذ بعض الباحثين من نصوص هيرودوث منطلقهم ليجعلوا من رأس سلويس رأس سبارطيل Cap Spartel غرب طنجة، إلا أن هذا الرأي يبقى على مستوى فرضية لأنه من المعلوم أن رأس سبارطيل اشتهر أساساً بأسماء ترتبط بغراسة العنب، من ذلك مصطلحاً كوتيس Cotes وأمبلوزيا Ampelusia (انظر مادة أمبلوزيا).

أما رأس كانتان (Cap Cantin) فقد أخذ اسم (Solis)



القريب من مصطلح (Soloeis) ونميل إلى مطابقة رأس كاتان، أو بدوزة، بسلويس.

تكريس معبد للإله بوسيدون Poseidon برأس سلويس ينم عن مدى تشبث القرطاجيين بمعبوداتهم وعلى رأسها إله البحر بوسيدون. ومعلوم أن تسميته هذه إغريقية ويطلق عند الرومان الإله نبتون Neptune ومن المعروف أن الشعوب القديمة قدست آلهة المياه واتخذت لها تسميات مختلفة، ومن البديهي أن يخص القرطاجيون إله البحر بالقدس بحكم أنهم شعب بحري. يشير هيرودوث إلى وجود إله البحر عند اللوبيين قبل تأسيس قرطاج ويضيف قائلاً : "... إن عبادة الإله نابعة من ليبيا وأن الإغريق قد ورثوها عنهم ...". (التواريخ، II، 50) فهل إله رأس سلويس ليبي - فنيقي ؟

يذكر الرحالة سيلاكس المزعوم (Le Pseudo - Scylax) (IV ق. م) بأنه وجد بنفس الرأس مذبحاً Autel مكرساً لبوسيدون، ولاشك أنهما يشيران لنفس المكان. ويقول الرحالة سيلاكس المزعوم إن عبور المسافة بين الأعمدة ورأس سلويس تتطلب خمسة أيام إبحار. ويرى غزيل Gsell بأن المسافة الفاصلة بين الأعمدة وكاتان هي خمسمائة وسبعون كلم وهي مناسبة لعدد الأيام التي ذكرها سيلاكس المزعوم (انظر مادة بوليبي Polybe حول المسافات من الأعمدة إلى باقي المحطات على الساحل الأطلسي).

وإذا كانت المؤسسات التي عمرها حانون تبدو من خلال التقرير بأنها تقع جميعها بعد رأس سلويس، فالدراسات المعاصرة لا تتفق على ترتيبها بنفس الكيفية التي جاءت عليها في النص، فمستعمرة كاريكون تيكوس Caricon Teichos (الجدار القوي) تطابق من خلال عدة باحثين موقع أسفي، ومن خلال آخرين موغادور، ومن خلال فريق ثالث أگادير. وباعتقاد عدة مؤشرات وعلى رأسها التحليل اللغوي نميل إلى اعتبار موغادور هي المعنية : ومستعمرة مليطا (Melitta) تم تقريبها من مليسا (Melissa) وهي مدينة "ليبية" أشار إليها إيتيان البيزنطي Etienne de Byzance استناداً إلى هيكتاتي المليتي Hecatee de Milet وقررت أيضاً من الاسم القديم لوادي ماسة Massasat جنوب أگادير ؛ وحسب كاركوينو توجد مليسا بجوار Gutté بالشمال المغربي وعزز مقولته هاته بالاستناد إلى نص بلين القديم ( التاريخ الطبيعي، 2 / 5) وقد ورد به المعلومات التالية : "أن أول شناخ على المحيط يسميه الإغريق أمبلوزيا ؛ وهنا وجدت في الماضي Melissa وقررت المحطة الموالية Cotté من Gutté وسيلي ذكرها.

إذن، من المستعمرات الأخرى التي أنزل بها حانون المعمرين القرطاجيين نجد ما يلي :

- أكرا Akra : يرادف مصطلح أكرا الإغريقي مصطلح رأس (Rus) المتداول في اللغات السامية، ومن المعلوم أنه لا يوجد بين رأس كاتان ومضيق جبل طارق سوى مركز فنيقي واحد يبدأ بكلمة "Rus" ونقصد بذلك مدينة (Rusibis) التي

توافق عند مجموعة من الباحثين المعاصرين مازغان (الجديدة).

- گيت (Gytte) : وتذكرنا بمصطلح كوطا (Cotta) التي أشرنا إليها نقلاً عن بلين القديم، وقد موضَّعها وراء أعمدة هرقل بالقرب من مليسا، وهي أيضاً قريبة من مصطلح كوطيس (Gotes) أحد الأسماء القديمة لرأس سبارطيل.

ويذهب رامين Ramin إلى اعتقاد أن گيطي Gytte توجد على بعد سبعة عشر كلم جنوب طنجة حيث عشر الأثريون على عدد من المخلفات الفينيقية التي تعود إلى القرن السادس وبداية القرن الخامس ق.م وهي حسب بوشيك Ponsich على بعد ثلاثة كلم جنوب رأس سبارطيل في موضع الجبيلة Djebila الحالي.

- أرامبيز (Arambys) : تعني هذه الكلمة حسب مارسي Marcy مصب (Embouchure) وتطابق عنده سلا (شالة) أما كاركوينو فتعني عنده رأس العنب (Har - Aulus) وتشكل بذلك مرادفاً آخر لمصطلحي كوتيس الأمازيغي وأمبلوزيا الإغريقي. يشير التقرير أيضاً إشكالية تسميات الأودية المغربية.

ورد في الفقرة السادسة ما يلي :

"ومن هنا وصلنا إلى نهر كبير اسمه لكوس ينبع من ليبيا ؛ ويعيش على ضفافه اللكستيون الرحل، يرعون قطعانهم، فأقمنا مدة بينهم ..."

يرى بعض الباحثين المعاصرين أنه يجب البحث عن هذا النهر جنوب المغرب ويطلقونه بنهر درعة الحالي ؛ في حين يرى البعض الآخر أنه يجب موافقته مع اللوكوس الحالي الذي لا يزال يحتفظ بنفس التسمية.

ولمصطلحي لوكوس ودرعات (Darat) حسب مارسي لهما نفس المعنى، وهو النهر ذو المياه الغرينية. ويخالف روسو Rousseaux هذا الرأي ويعتبر وادي درعة من الأودية الجافة وبالتالي من الصعب أن تتوفر فيه مياه غرينية. يرفض كاركوينو بصفة قطعية مطابقة ليكوس الذي تشير إليه رحلة حانون. بكسيون Xion الذي تشير له رحلة سيلاكس المزعوم، ويعتقد أن النهر الوارد في رحلة حانون هو وادي اللوكوس الحالي الذي يحافظ منذ القديم على نفس التسمية. أما رامين Ramin فيرى أن وادي اللوكوس الوارد اسمه في الرحلة الحانونية يطابق أحد أودية الجنوب المغربي، ويميل من جهته لترويج كفة وادي درعة.

\* \* \*

نصل إلى المحطة التي أثارنا العديد من الافتراضات والتساؤلات وهي جزيرة سرنى Cerné.

ورد اسم هذه الجزيرة عند عدد كبير من الكتاب القدماء مما يبين أهميتها. ومن خلال استعراض النصوص القديمة يتبين بأنه من الصعب ضبطها بتدقيق فهي جزيرة بشرق أفريقيا من خلال مصادر، ويفرغها من خلال أخرى.

Aethiopes والتروكلوديت Troglodytes. وتحدد هذه القبائل بالجنوب المغربي ؛ فالأثيوبيون بعد عصر حانون تفرعوا إلى عدة فروع استوطنت ضفاف الأنهار المغربية الجنوبية وبالأساس درعة ؛ في حين حُد مقرر سكنى التروكلوديت بسلسلة الأطلس.

هكذا يزودنا هذا التقرير بمعلومات إضافية تحتاج إلى مزيد من البحث المتروى للتحقق من بعضها وضبط بعضها الآخر.

يسترعي انتباهنا اختفاء جل المدن التي عمرها أو أنشأها حانون فلم يعد لمعظمها ذكر في المصادر اللاحقة. فهل هي مدن أشباح كما صرح بذلك كاركوبينو ؛ وهل اندمجت عناصرها الوافدة بسكان المغرب الأوائل فلم يعد باستطاعة الرحالة والكتاب اللاحقين التمييز بين المدن "اللببية والفنيقية" ؛ هل اندثرت هي وغيرها من المدن بفعل الحروب ؛ فالجغرافي سطرابون Strabon نقلنا عن الرحالة Ophélas يقول إن أكثر من 300 مدينة فنيقية قُضي عليها خلال الحروب التي دارت رحاها بين سكانها والأهالي (النكريت Nigrites) والفاروسيين (Pharusiens).

أين موضع المدن على خريطة اليوم ؟

لاحظنا أن بعض الباحثين غيروا من المعطيات الطبيعية للمغرب ليخضعوها للنص ؛ وأرجع البعض الآخر أخطاء النص للناسخين واجتهد فصاحه ليحصل على معلومات توافق منهجيته. نقول للمجموعة الأولى التي بذلت المعطيات الطبيعية للمغرب بأن عملها يخالف تصريح الجيولوجيين الذين أثبتوا بأن المغرب جيولوجيا لم يتغير منذ الزمن الرابع. ونقول للمجموعة الثانية، لا يمكن أن نستخرج من النص مالا يوجد فيه. صحيح أن الناسخ معرض للوقوع في الخطأ، ولكن لا يلزم أن نعلق جهلنا بخطاء الآخرين.

إذن فلنتظر أن تتطافر جهود العديد من العلوم وأن يصبح المسح الأثري شاملاً لتتوزد بمعلومات إضافية عن تاريخنا القديم.

بـ. بلكامل، مجموع محاضرات 1988. 1991 : الصورة في

عصورها القديمة من خلال الكتابات التاريخية : (اشكالية التسميات) أعمال الأيام الدراسية بالصورة، أكتوبر، 1990، ص.

51.33

J. Carcopino. *Le Maroc antique*, Paris, 1943 ; J. Desanges. *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; Id., *Recherches sur l'activité des méditerranéens aux confins de l'Afrique*, Rome, 1978 ; S. Gsell. *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, Paris, 1913, Tome I ; G. Germain. *Qu'est ce que le périple d'Hannon ? Document. amplification littéraire ou faux intégral*, Hesp. XLIV, 1957 ; A. Jodin, *Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique*, Tanger, 1966 ; G. Marcy, *Notes linguistiques autour du périple d'Hannon*, Hesp. XX, 1935 ; Id., *Le périple d'Hannon, dans le Maroc antique de J. Carcopino*, *Journal asiatique* 1943 - 1945, ; R. Mauny, *Les siècles obscurs de l'Afrique du Nord*, Paris ; G-Ch. Picard, *Authenticité du périple d'Hannon*, C.T., 25ème année ; J. Ramin, *Le périple*

وإذا اقتصرنا على سرنى الغربية فليس من السهل تحديدها. يجعلها حانون "على خط واحد مع قرطاج، ذلك أن الوقت الذي [أمضاه] في الإبحار من قرطاج إلى الأعمدة هو نفس الوقت الذي يمكن استغراقه للذهاب من الأعمدة إلى سرنى ...". ويقول بوليبي Polybe (القرن II ق. م) بأن "سرنى توجد بحدود موريطانيا في مواجهة الأطلس، وعلى بعد ثمان سطات من اليابسة" ووصفها الجغرافي أفينوس Avinus بالثانية. وكان سطرابون أكثر المؤلفين تشككا، فقد صرح بأن سرنى في عصره لم تكن توجد بأي مكان :

"Cerné ne se retrouve aujourd'hui nulle part"

ونجم عن تضارب آراء الكتاب القدماء تباين مراقف الباحثين المعاصرين ؛ فهناك من طابق سرنى بجزيرة فضالة أو جزيرة موغادور، وذهب فريق ثان إلى البحث عنها عند مصب نهر الساقية الحمراء بين رأس بوجدور ورأس جوبي (Juby) (طرفاية) أو بوادي الذهب حيث الجزيرة الصغيرة هرني Herné واعتقد فريق ثالث بأنها توجد خارج حدود المغرب المعاصر فطابقها بأرگون Arguin بموريطانيا، وحاول فريق آخر البحث عنها في السنغال فوافقت عندهم سان لوي St. Louis أو غوري Gorée ...

وكلمة سرنى تعني "آخر سكنى" أو "دار أخيرة" حسب باحثين، وتعني قرن Krn حسب آخرين. ومن المعلوم أن الفنيقيين الذين أبحروا طويلا كان من الطبيعي بالنسبة لهم أن يعطوا اسم سرنى Cerné للمركز البعيد عن قاعدتهم الأساسية ؛ وهذا الأمر هو الذي شجع رامان Ramin على قول بأنه ليست هناك سرنى واحدة. في حين يميل بعض المؤرخين والأثريين إلى مطابقة هذه الجزيرة بموگادور اعتماداً على آثارها. وإذا اتفقنا مع هذا الرأي هل يلزم أن نبحث عن موضع آخر لمستعمرة كاريكون تيكوس التي قوضت بدورها بموگادور ؟

وإذا كان من الصعب أن نتحدث بصفة يقينية عن مواضع بعض المستعمرات والأنهار الوارد اسمها ضمن الرحلة الحانونية، فماذا عن القبائل ؟

يعسر أيضاً أن نتعرف بدقة على مجال شعب اللكستيين Lixites. فقد يدل على سكان مدينة ليكسوس القديمة القريبة من مدينة العرائش الحالية، وهذه وجهة نظر كاركوبينو؛ وفي المقابل يحدد رامان مجال اللكستيين بالارتكاز على فط عيشهم، وبما أنهم حسب رحلة حانون "رحل" يعتمدون الرعي فإنه يفضل توطينهم بجنوب المغرب.

هل تساعدنا المصادر القديمة على حل هذا الاشكال ؟

يذكر المؤرخ القديم پوزنياس Pausanias (القرن II ق.م) بأن اللكستيين يشبهون في معيشتهم الأطلنيس Atlantes والناصمون Nasamons ؛ وهم يقطنون على حدود الأطلس ويقتاتون فقط بثمار الكروم البرية. وقوله هذا يشجعنا على اعتبار اللكستيين من سكان الجنوب المغربي.

وأشارت الرحلة إلى شعوب أخرى منهم الأثيوبيون

d'Hannon, B.A.R., série 3, 1976 ; R. Roger, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; Rousseaux, *Hannon au Maroc*, R.A. 1949 ; Tauxier, *Les deux rédacteurs du périple d'Hannon*, R.A. 1882 ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1876 ; Vivien de St. Martin, *Le Nord de l'Afrique dans l'antiquité grecque et romaine*, Paris, 1863.

بلكامل البيضاوية

هندي وطرزه بخيوط الذهب مما لا يملكه إلا السلاطين وكبار رجال المخزن والقواد والأعيان. أما الفقراء من الناس من لم تكن تتوفر لهم الإمكانيات المادية الكافية وكان لابد لهم من الحائطيات في أفراحهم فكانوا يعمدون إلى كراء أدنى هذه الحائطيات مرتبة من بعض "السراجين" أو "الفراشين" أو "النكافات" (الماشطات) لتغطية الجدران أثناء الحفلات. وقد لا يقوى أكثرهم إملاقاً إلا على اقتناء حائطي صغير الحجم لا يغطي الجدران بكاملها بل المكان المخصص لجلوس العروسين فقط يدعى "الحائطي الزخاف" إشارة إلى أنه قصير لا يستطيع أن يغطي من الحائط إلا أعلاه.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المساجد في سائر الحواضر المغربية كانت لا تخلو جدرانها من حائطيات تغطي جدرانها، ومازالت، لكنها كانت كلها من حصر تتخللها أنواع من الرسوم ينسجها "الحصارون". ومازالت هذه الحائطيات تستعمل إلى يومنا هذا في بعض الحفلات سواء في المنازل أو الخيام.

L. Brossard, *Les fils et les tissus*, Paris, 1977 (réédition) ; Louis Capperon, *Au secours de Fès*, Paris 1912 ; L. Chajai, *Langage d'artisans à Marrakech*, Université de Paris 4, Doctorat nouv. régime, 1986 ; A. Chenail, *Dessins d'art marocain*, Rabat 1930 ; J. Felz, *Au Maroc inconnu*, Grenoble, 1935 ; Jean Fontanes, *Histoire des métiers d'art*, Paris, 1950 ; Henri Gayot, *Le décor floral dans l'art de l'Islam occidental*, Rabat, 1955 ; La broderie de Fès, Rabat, 1959 ; A.M. Goichon, *La broderie au fil d'or à Fès*, Hesp., tome 26, 1er trim. 1939 ; L. Golvin, *Le métier à la tire des fabricants de brocart de Fès*, Hesp., tome 37, 1er et 2ème trim. 1950 ; A. Grohman, *Tiraz*, E.I., tome 4 ; A. Jacob, *Arts et objets du Maroc*, ABC Décor n° hors série, Paris, 1974 ; J. Lapanne - Joinville, *Les métiers à tisser de Fès*, Hesp., tome 27, 1940 ; P. Ricard, *Une lignée d'artisans, les Ben Chérif de Fès*, Hesp., tome 37, 1950 ; R. Seguy, *Quelques experts de Fès*, *La Renaissance du Maroc, dix ans de protectorat*, Rabat, 1922 ; J. et J. Tharaud, *Fès ou les bourgeois de l'Islam*, Paris, 1954.

**الحايك أو الكساء**، رداء غير مخيط يلف به الشخص جسمه حتى يغطيه به من الرأس إلى القدمين. لم يكن خاصاً بالرجال دون النساء، فهو يدعى الحايك عند النساء والكساء عند الرجال، ويكون لونه في الغالب هو البياض وحجمه خفيف وملبسه ناعم شفاف، كما قد يكون من صوف غير أبيض ونسيجه متين وغيرشفاف، ويسود هذا النوع الأخير في البوادي الواطئة من المغرب الأطلنتي ويدعى عندئذ "الشملة"، وإذا كان من صوف غليظ مما يلبس في الفصول الباردة وتجاوز طوله أحد عشر ذراعاً سمي "الهداشي".

وقد كان الحايك ينسج قطعة مستطيلة الشكل تنجز خرقتهما دفعة واحدة ويتراوح طولها بين خمسة وستة أمتار ولا يقل عرضها عن المتر والنصف لكنه لا يتعدى المترين. وهو يتخذ عادة من قماش صوف خفيف في فصل الصيف والفصول الحارة ومن صوف غليظ في فصل الشتاء والفصول الباردة. وتختلف أنواعه حسب الجودة والشفافية

الحائطي، نسج غليظ ملون من صوف وحرير يعلق على الحيطان لأجل التدفئة والزينة، ولم تكن جدران منازل السواد الأعظم من سكان أهل الحواضر المغربية، باستثناء القصور والإقامات الفخمة التي كانت في حوزة الأثرياء والأعيان، مغطاة بالزليج والفسيفساء ولا بأنواع الطلاء الحديثة والصبغة اللامعة. ما كان متداولاً عند عامة الناس هو السقوف الخشبية المسماة "بالجاجة" التي يتخذ أجزؤها من شجر الأرز، والجدران المبنية بالطوب أو الحجر والمطوية بطبقة واحدة أو طبقتين من خاتر الجير أو طبقة سميكة من عجين الجبس إن كان الشخص من الموسرين المتوسطين. لذلك كان اللجوء إلى تغطية الجدران بالحائطيات شيئاً مألوفاً بالنسبة إلى سكان الحواضر المغربية، إلى فترة قريبة، وخاصة في الأقراع والمناسبات. وقد سُمي هذا الغطاء بالحائطي لأنه يغلف الحائط ويغطيه ويعطيه رونقاً وجمالاً. وانتشرت الحائطيات أكثر بالمغرب أيام السعديين، واشتهر بها قصر البديع بمراكش أيام أحمد المنصور الذهبي.

كانت الحائطيات تنسج على يد "الزرادخي"، وأحسنها يُصنع في مدينة فاس. وقد اشتهر عبد القادر بن الشريف وأخوه عثمان بإنتاج أحسن بسائط الحائطيات من أقمشة القظيفة والطللس والكمخة والحرير مع ما كانا ينتجان على منوالهما الرفيع من رايات مخزنية وأحزمة وأقمشة حريرية موشاة بخيوط الذهب والفضة. وبعد الانتهاء من بساط الحائطي يسلمه النساج إلى المعلمة "الطرارة" لترقم على مختلف قطعه مجموعة من الرسوم والأشكال الهندسية كالأقواس والزهور والورود وغيرها، وتحرص على تنسيق رسومها مع بساط الحائطي فتدمج مثلابن اللون الأخضر والأحمر أو الأحمر والأصفر أو الأزرق والأصفر أو غيرها من الألوان الفاتحة المناسبة، مما يثير النظر ويضفي على المكان جمالاً وبهاءً. لذلك كانت قيمة الحائطي كبيرة كلما كان بساطه من طلس أو حرير وكانت أرضيته مملوءة بالطرز. وفي نهاية تحضيره يتسلم "الحياط" مختلف القطع المطروزة ويباشر وصلها ببعضها إلى أن يصبح الحائطي كله قطعة واحدة، فلا يبقى إلا دور "الفراش" الذي توكل إليه مهمة تثبيت الحائطي على الجدران أو بداخل الخيمة.

كانت الحائطيات من أنواع مختلفة، منها ذات البسائط الكتانية والقطنية والحريرية، ومنها ما يحمل رسوماً قليلة، وما كانت الرسوم تملؤه بالربع أو الثلث أو النصف أو أكثر من ذلك أو أقل منه. وأحسنها ما كان بساطه من حرير

والإتقان تبعاً لاختلاف المناطق ومستوى الثروة والمنصب الاجتماعي وفصول السنة. ويرتديه الفقراء من الناس من صوف ضعيف الجودة خشن المنظر والملبس أبيض اللون أو مخطط. أما الموسرون من أهل الحواضر العريقة فلا يتخذون الحايك أو الكساء إلا من صوف رفيع دقيق النسج ناعم الملمس يتخلله بالنسبة لأكثرهم ثراءً أشرطة متوازية مستطيلة من الحرير تنسجم انسجاماً رائعاً مع لون الصوف الأبيض. وقد استمر تداول هذا الرداء في حواضر المغرب إلى منتصف القرن الحالي وفي البوادي إلى ما بعد ذلك وخاصة في السهول الساحلية والداخلية.

وكان يرتدي أحسن أنواع الأكسية في حواضر المغرب السلاطين والوزراء والقواد والباشوات والعلماء والقضاة والفقهاء. فإذا كان سدى الكساء من خيط رقيق النسج ولحمته من غزيرتين من صوف أبيض تتخلل خرقته حبيبات صوف ناعمة ناتئة دعي "المحريل" أو "المحب"، أما إن كان سداه ولحمته معا من صوف رقيق فإنه يسمى "السوسدي". إلا أن أحسن الأكسية على الإطلاق وأكثرها غلاء وأقلها تداولاً بين الناس كان هو "الكساء الرقيق" الذي يسمى أيضاً "كساء الشعرة" و"كساء خرقة البزوي"، وهو من صوف طويل الألياف ناصع البياض شديد الرقة يكاد المرء أن يطبق عليه راحة يده الواحدة من فرط دقة نسج غزيله.



والكساء. الحايك رداء عريق في القدم إلى حد أن بعضهم اعتبره هو الجد الأول لكل اللبوسات الخارجية. وهو يشبه إلى حد كبير الرداء الذي كان يلبسه الرومان القدامى (La tige). وتشهد كتب التاريخ على أن استعماله كان سائداً في شمال إفريقيا منذ عهود غابرة حيث كان يرتدى عند الجنسين دون الاستعانة بأي مشد أو مشبك خارجي على نفس الطريقة التي مازال سكان ليبيا الحالية يلفونه بها حول أجسامهم بعد ارتداء ملابسهم الداخلية.

وكانت طريقة ارتداء الحايك في القرن الثالث عشر (19م) بالنسبة للذكور والإناث معاً تتم على الشكل التالي: يمرر الشخص أحد طرفي الكساء على كتفه الأيسر ثم يعقده بحزام يشده إلى بطنه ثم يلقيه من وراء ظهره ليغطي به جسمه من الخلف ثم ينزل به ليغطي به أسفل جسمه ويقبض حاشيته اليسرى بيده اليسرى قبل أن يرميه من جديد خلف ظهره ويمرره من تحت إبطه ليغطي به صدره. وبعد أن يكمل بالحايك دورة أولى بالرجوع به إلى الكتف الأول الذي انطلق منه يلفه على رأسه مرة واحدة أو اثنتين ويستأنف عملية الشد من جديد على الظهر والصدر، وبعد تغطية الجزء الأعلى جسماً ورأساً ينتقل الشخص إلى القم الأسفل ليلفه بنفس الطريقة الموصوفة.

وتلتحف المرأة بحائنها ثم تضع اللثام على وجهها، وهي تستطيع أن تتحكم فيه وتحركه كيفما تشاء بالاعتماد على يديها الاثنتين وخاصة يدها اليمنى.

وهناك طريقة بسيطة وسريعة للالتحاف بالحايك تستعملها بعض النساء في حالات الاستعجال والطارئ وأثناء التنقل العادي داخل الحي أو أثناء الخروج لقضاء الحاجات في الأسواق القريبة. تسمى هذه الطريقة السريعة في الالتحاف "الشددة والردة"، وهي لا تتطلب أكثر من شد طرفي الحايك وتغطية الجسم والرأس به ووضع الطرف الآخر فوقه، أي رده عليه، وإمساك هذا الطرف بإحدى اليدين، فتكون المرأة وكأنها ترتدي جلباباً بدون قب مفتوح من الأمام من وسطه. وتعود هذه الطريقة على التخصص في سهول المغرب الأطلنطي وخاصة في عبدة ودكالة وحاحة والشياظمة والشاوية.

م. المختار السوسي، المسول، الجزء 18، الدار البيضاء، 1960 :

م. الحلوي، معجم الفصحى في العامية المغربية، الدار البيضاء،

1988 : أ. الصبيحي، في بعض العادات المغربية، فاس 1925.

G. Charmes, Une ambassade au Maroc, Paris, 1844 :

P. Jaquet, Au Maroc de notre jeunesse, Montpellier,

1987 : E. Douité, En tribu, Paris, 1914; Marrakech, Paris,

1905 : A. Renou, Le mouton, Paris [s.d.]; J.M. Abdeljalil,

Le Maroc, Paris, 1942 ; H. Mercier, L'arabe par l'image,

textes ethnographiques, Rabat, 1946 ; H. Basset, La fête

de Lalla Ksaba, France - Maroc, n° 6, p. 36, juin 1917 ;

M. Julienne, En dissidence, Paris, 1933; F. Bonjean,

Esquisse d'un portrait de la marocaine, Casablanca [s.d.]

. M. De Aldecoa, Cours d'arabe marocain, Paris, 1942 ;

C. Didier, Promenade au Maroc, Paris, 1844 ; G.S. Colin,

La vie marocaine, Paris, 1953 ; Navarro Al Barracín, El

Hayk en la zona atlántica del Marruecos español.

Tamuda, tome 2, 1954.

محمد بوسلام

\* \* الحايك، استغله البرتغاليون وكان يصنع بكثرة في بادية دكالة وفي أسفي والبريجة عند احتلالهم لهذه المنطقة في القرن التاسع (15 م). وعرف إنتاج المنسوجات الصوفية

من تطوان. ولم يبق الآن منهم إلا أسرة اشتهرت بلقب (الطينطن).

وذكر في رفع الالتباس : أن أولاد الحايك كانوا يفاس منذ القرن التاسع (15 م) والغالب على الظن أنهم من الأندلس، وكانوا يكتبون بياء النسبة (الحايكي).

م. داود، عائلات تطوان، حروف نسخة المؤلف بخطه بخزانه : أ. الرهوني، عمدة الراوين، ج 3 حرف ح و 5، 130، مخطوط : ع. ابن سوادة، إزالة الالتباس، مرقون خ. ح.

### الحايك، عبد الرحمان بن محمد الزواكي الحسني

المصمودي السعيدى ثم التطواني قاضيها، ينتسب للشرف ويلتقي مع الوزانيين في السيد عمر النجاري والد الأخوين إبراهيم جد الوزانيين، وعثمان جد فرع المترجم له. الفقيه العلامة المدرس التوازي المفتي المؤلف المشارك الواعية، ولي قضاء زاوية أبي زيان مدة، ثم نقل إلى قضاء تطوان فوليه المرة الأولى في شعبان عام 1205 إلى عام 1212 هـ ثم أحر، ووليه مرة ثانية في 15 رمضان عام 1228 إلى رمضان عام 1231.

كان عبد الرحمان إلى جانب القضاء والفتوى يتعاطى التدريس والتأليف مولعا بالتقيد والنسخ، وكلما شرع في إقراء كتاب بدأ في شرحه والتعليق عليه. فما تم تدريسه تم شرحه. وما لا، ظل ناقصا. فمن ذلك التفسير، والنصيحة الزروقية، والمرشد المعين لابن عاشر وغيرها. افتتح إقراء هذه المواد بالجامع الكبير بتطوان. ومن عاداته أن يذكر هذا في أول الشروح. وما تم إقراؤه وشرحه كثير. وقفت منه على : إعراب مختصر خليل، وإعراب لامية الزقاق، وشرحها مستقلا، وحاشيتان على الكودي على ألفية ابن مالك، وحاشية على الدر المنظم للحكام لابن سلمون، ألفها بطلب من صديقه الوزير النقيب السيد محمد بن الصادق الريسوني، وشرح فرائض المختصر، والتوازل، وأربعين حديثا من رواية الأئمة الأربعة : أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل، عشرة أحاديث عن كل واحد منهم. وذكروا له مما لم نقف عليه : حاشية على تفسير الجلالين، وحاشية على التاج والإكليل لمختصر خليل لأبي عبد الله المواق.

هذه الكتب الكامل منها والناقص مازالت بخطه في خزنة تطوان العامة وخزانة بعض حفدته وبعض الخواص. ومن منسرخاته مجموع يضم أكثر من عشرة كتب مختلفة بخط دقيق وصادق باهت، وعلى هوامشه طرر وتعليق، محفوظ بخزانة تطوان تحت رقم : 852 م. ومن الجدير بالذكر أن نوازه الفقهية المخطوطة (ومنها نسخة بالخزانة الحسنية) ضمنها الفقيه المفتي المهدي الوزاني نوازه الكبرى (المعيار الجديد) والصغرى وكلاهما مطبوع.

كما أنه من المفيد أن نشير إلى أن المترجم له كان ضد المتصوفة. فكان وراء نكبة الشيخ محمد الحراق التطواني

طفرة كبيرة بعد تنظيم البرتغاليين للتجارة بغرب أفريقيا بجزيرة أرغان أولا - ساحل موريطانيا - ، ابتداء من سنة 1455، ثم بلامينا (Lamina)، بساحل الذهب، بعد 1481. فقد أضحوا يقايضون هناك العبيد بما أصبحت الوثائق البرتغالية تسمته بـ : "أثواب أرغان (Roupa de Arguim) التي كانت تتمثل في الحياك والحنابل، وإلى حد ما في الجلابيب. وكانت تلك الأثواب أهم ما ينتج هناك، والإقبال عليها كبير إلى حد أن عبدا كان يبادل ببضعة أمتار منها. لذا حظي إنتاج واقتناء الحياك - والحنابل - باهتمام الملك البرتغالي الذي كان آنذاك أكبر تجار بلاده، ومحتكر الأنشطة التي تضمن أهم ربح.

وتزودنا الإيصالات، أو وثائق إبراء الذمة التي كانت السلطة المركزية تسلمها لموظفين بعد انتهاء مأموريتهم، بفكرة عن الكميات التي اقتناها مشلو الملك البرتغالي بأسفي وأزمور. فقد بلغ مجموعها بالمدينة الأولى 58019 حائك موزعة على الإيصالات كالتالي :

المجموع	1521.1517	1510.1508	1501	1500.1498	1498.1495	1495.1491
58019	26930	293	9781	3273	8265	7477

وكانت الكميات التي وردت بالإيصالات التي تهتم أزمور قليلة. ويعود ذلك إلى الدور الذي أوكله البرتغاليون للمدينة بعد احتلالها، والتمثل في جمع الحبوب والتحويل وصيد الشابل.

أحمد بوشرب، دكالة والاستعمار البرتغالي، الدار البيضاء، 1984 : رينهارت دوزي، المعجم الفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل، اللسان العربي، المجلد العاشر، الجزء الثالث، يناير 1973، ص 31-33.

Robert Ricard, *Etudes sur l'histoire des portugais au Maroc*, Coimbra, 1955 ; P. de Cenival (et al...), *Sources inédites de l'histoire du Maroc, série Sa'adienne*, Paris, tome 1 et 2 ; P. Pereira, *Esmeraldo de Situ Orbis*, Lisboa, 1975 ; P. de Cenival, Th. Monod, *Description de la côte d'Afrique, de Ceuta au Sénégal par Valentin Fernandez (1506 - 1507)*, Paris, 1938.

أحمد بوشرب

### الحايك، أسر تطوانية من أصول مختلفة : من

الأندلس وقبائل مصمودة ويني سعيد ويني مصور ويني حُزمر، استوطنوا تطوان قديما. وفي أواخر القرن العاشر كان بتطوان أبو علي الحسن الحايك من أصحاب الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي ورفقاء الشيخ محمد نوار البسطي المتوفي عام 1006 هـ.

ومن اشتهر من المصموديين منهم الفقيه القاضي عبد الرحمان الحايك أتى الترجمة قيل إنه شريف علمي وإن أحد أجداده انتقل من بني عروس إلى مصمودة، ومنها إلى قبيلة بني سعيد ثم إلى تطوان. وقد انقطع الآن عقب الفقيه هذا

الشهيرة، كما كان من المشاركين في نكبة الشيخ أحمد بن عجيبة وأخيه ومريدهما المفضية بهم للسجن والامتحان والتعنيف. ويذكر الأستاذ الصوفي التهامي الوزاني التطواني في مذكراته الصوفية (الزاوية) أن المترجم له كان يخرج يوم الجمعة من مقصورة الجامع الكبير حاملا عصا الخطيب فيضرب بها سيقان الفقراء الحراقيين وهم يرقصون في المسجد قبل بناء زاويتهم.

توفي المترجم له في 10 جمادى الثانية عام 1237 / 6 مارس 1822 بتطوان ودفن بالزاوية الرسونية.

أ. سكيرج، نزهة الإخوان، في تاريخ تطوان، مخطوط : أ. الرهوني، عمدة الراوين، مخطوط : أ. ابن عجيبة، أزهار البستان، في طبقات الأعيان، مخطوط : م. داود، تاريخ تطوان، 6 : 275 : م. المرير، النعيم المقيم (نهرسة) الجزء الأول ص 114 (مخطوط بغزاة المؤلف).

محمد بوخيزة

**الحايك، محمد بن حسين الأندلسي التطواني ثم الفاسي، عاش في القرن الثالث عشر (19 م) على عهد السلطان محمد الثالث وخلفه المولى سليمان، واشتهر بكناشه الذي ضمنه المستعملات الغنائية الخاصة بالموسيقى الأندلسية من توشيحاح وأزجال وأشعار، انتهى من جمعه عام 1214 هـ. وقد أصبح كناش الحايك عمدة الموسيقيين ومرجعهم وحكمهم، وما يزال كذلك حتى اليوم.**

قسم الحايك كناشه إلى خمسة أقسام :

(1) مقدمة ضمنها فصولا ثلاثة :

- الفصل الأول في جواز السماع واستحكامه. استعرض فيه جملة من الأخبار التي تؤكد على جواز السماع وتبيح الغناء.

- الفصل الثاني في منافع السماع وأحكامه. وقد ذكر فيه أن في كل لذة ما يتعب الجسد إلا الغناء ففيه راحة له. - الفصل الثالث في أصل السماع وأحكامه. وفيه تحدث عن أصول الغناء العربي التي ترعرعت في أمهات القرى من الجزيرة العربية، وهي غناء الركبان، والترجيع الكثير النغمات، والغناء الخفيف.

(2) كلمة موجزة عن الموسيقى، وعن آلة العود. وفيها عرف الموسيقى بأنها "علم الألحان، أي صناعة الطرب والصوت، وهو الغناء". ثم تحدث عن العود وأصوله الأولى.

(3) طوبوع الموسيقى الأندلسية. وقد قرر أنها بلغت في عهده خمسة وعشرين طبعاً، وأن أهل زمانه اقتصروا على استعمال إحدى عشرة نوبة، وأنهم كانوا يضيفون إلى كل نوبة ما يناسبها من الطوبوع.

(4) ميازين النوبة، وفي هذا القسم استعرض الميازين الأربعة التي كانت تقسم النوبة عليها في زمانه، وهي البسيط، والقائم والنصف، والبطايجي والقدام، ثم عرف هذه الميازين وضبط نقراتها.

(5) الأشعار والأزجال والتوشيحاح المستعملة في الموسيقى الأندلسية. وهي تشكل جملة ما كان متداولاً في عهد الحايك من مستعملات النوبات الإحدى عشرة، والتي كانت تغطي سائر ميازينها باستثناء ميزان قائم ونصف نوبة الرصد، وقائم ونصف الحجاز الشرقي الذي كانت مستعملاتهما الشعرية ضائعة على عهد الحايك.

وقد جرت مراجعة كناش محمد بن الحسين الحايك مرتين.

أولهما أيام السلطان محمد بن عبد الرحمان. وكان هدفها اعتماد ترتيب جديد للنوبات والصنائع.

والثانية عام 1303 / 1885 بدعوة من محمد بن العربي الجامعي وزير السلطان الحسن الأول. وقد انعقدت لهذا الغرض لجنة من شيوخ "الآلة" انكبت على مراجعة كناش الحايك وإعادة ترتيب ميازينه، واختزال بعض صنعائه، واستبدال بعض أشعاره بأخرى جلتها في المديح النبوي. ويمكن حصر أبرز التعديلات التي طلع بها المجموع الجديد والذي أصبح يعرف باسم مختصر كناش الحايك في الآتي :

- الاستغناء عن المقدمة بسائر فصولها وماتلاها من حديث عن الموسيقى والعود والطوبوع والميازين.

- استبدال أشعار نوبة رمل المائة التي كانت في الغزل ووصف العشي بأخرى مختارة مما نظم في المديح النبوي والتشوق إلى الديار المقدسة.

- إضافة ميازين الدرج إلى النوبات الإحدى عشرة.

- إضافة البراول إلى الميازين، وهي الأشعار الملحونة، وقد أصبح مختصر الجامعي مرجع شيوخ هذا الفن وعمدتهم في أكثر المحاضرات المغربية التي تحمل بمذهب أهل فاس. وتوجد له عدة نسخ مخطوطة بالخزانة العامة من بينها :

- مخطوط رقم 1327. كان الفراغ من استنساخه في مستهل رجب عام 1330.

- مخطوط رقم 488 د. تحدث عنه محمد بوجندار في كتاب "الاغتيال".

- مخطوط تحت رقم 1031 د.

وقد عمل بعض المهتمين حديثاً على طبع مختصر الحايك وإصداره في طبعات خاصة هي حسب ترتيبها الزمني على النحو التالي :

(1) مجموع الأغاني الموسيقية الأندلسية المعروف بالحايك. أنجزه الفنان الرباطي محمد بن الحاج الدكالي المعروف بلقب "حبيبي امبيركو" المتوفى عام 1354 / 1935. وهو يحتوي على ست نوبات هي : رمل المائة، والعشاق، والاصهبان، وغريبة الحسين، والرصد، ورصد الذيل. وقد جرى طبعه بالمطبعة الاقتصادية بالرباط.

(2) مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المعروف بالحايك. أعده ورتب ميازينه وحقق مستعملاته عبد اللطيف بن منصور عام 1397 / 1977. وهو يتميز باحتوائه مقدمة الحايك.

3) التراث العربي المغربي في الموسيقى - مستعملات نويات الطرب الأندلسي المغربي - شعر - توشيح - أزجال - براول، أنجزه الحاج إدريس ابن جلون التومجي عام 1981، ومهد له مقدمة الحايك.

- من وحي الرياب جمعه وحققه الفنان الحاج عبد الكريم الرايس عام 1982، وهو أكثر المجاميع والمطبوعات قريبا من مختصر المجامعي لخلوه من مقدمة الحايك، وقائم ونصف كل من الرصد والحجاز المشرقي.

أما كناش الحايك الأصلي فتوجد له نسخ مصورة من مخطوط كان الفراغ من استنساخه في 15 شوال عام 1325، وأصله من ممتلكات ورثة الحاج عبد السلام بن الحسن الرقيواق بطنجة، ظل هذا المخطوط مرجع شيوخ الفن في المدن الشمالية خاصة شفشاون وتطوان، مما يدل على تسمك فناني هذه المنطقة بكناش الحايك بعيداً عن التأثر بالتعديل الذي أقرته لجنة الوزير الجامعي عام 1303.

توفي محمد الحايك بفاس بعد عام 1214 / 79 - 1800.

ع. ابن سورة، دليل موزع المغرب الأقصى، 2 : 452 : المطبوعات المذكورة داخل النص.

عبد العزيز بن عبد الجليل

### الحايك، محمد بن عبد الرحمان بن محمد

المصمودي السعيدي ثم التطواني. العلامة القاضي النوازي الموثق البارع المفتي. وكّد عام ألف ومائة ونيف وتسعين وحفظ القرآن والمتون، ثم أخذ عن والده وعلماء بلده، ولم تعرف له رحلة، ومارس التوثيق والفنوى والنوازل والقضاء طول عمره، ودرّس وقبّد وأفاد واستفاد.

ولي قضاء تطوان المرة الأولى عام خمسين ومائتين وألف واستمر إلى أن أخرج عنه في رمضان عام اثنين وخمسين ومائتين وألف. واستمر في عافية إلى أن ولي المرة الثانية بتاريخ 29 جمادى الثانية عام 1271 هـ واستمر قاضيا إلى أن توفي بتطوان في 22 ربيع الأول عام 1273 / 20 نونبر 1856.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، مخطوط، 5 : 131 : مختصر، ص 106، مخطوط : م. داود، مختصر تاريخ تطوان، ص 258 : تاريخ تطوان، 7 : 14، تطوان.

محمد بوخيزة

حايين (أهل -) أهم الفصائل المكونة لقبيلة أزوافيط دعامة لف أيت عثمان المشكل إلى جانب أيت الجمل لاتحادية تكتة بوادي نون، ويصعب في ضوء المعطيات المتفرقة التي توفرها الرواية الشفوية حصر الأصول الإثنية لأهل حايين ولا حتى تفسير أو تأويل هذا الاسم في غياب مشتقات مساعدة، على أننا نلقت الانتباه إلى أن الرواية سواء داخل الفصيلة أو داخل القبيلة وحتى خارجها تتفق

على اعتبار أهل حايين قادمين من موريطانيا ثم استقروا بمدشر أسير حيث لا توجد لهم فروع خارجه. وتنسب هاته الفصيلة نفسها إلى شخص يدعى مبارك الذي يؤكد البعض أنه جاء من صحراء التراززة في حين نجد روايات تؤكد على مقدمه من ناحية "أزواد" بموريطانيا وإن كنا نجهد بالضبط موقع هاته الأخيرة، لكن اقتراب التسمية من "أزفاط" أو أصفاد" بتحوير أحد الحروف لاشك يصب في قالب وحدة الهوية والمناورة الانتسابية لإيديولوجيا النسب في ظروف لاحقة، وعلى العموم ففي فترة يصعب تدقيقها قدم جد أهل حايين من الجنوب وترك من الأبناء هيبية ولحسن (جد أهل مبارك أعلي) وزبير، بينما تميز أحد إخوتهم بالزبيرات على أن أهل بوخيار وأهل الشفيري يكادون يغيبون بحكم الاضمحلال البيولوجي ونقص التوالد الذي حكم بتقلصهم إلى مستوى الفرد الواحد كما هو الشأن بالنسبة لأهل الشفيري مثلاً، ونؤكد هنا على تغييب الإناث كاستراتيجية لتمييز الأصول وتنقية الفروع إن لم يترك مبارك فعلاً إناثاً.

ولكي نفهم الدور الكبير الذي سيلعبه أهل حايين داخل القبيلة يجب أن نبين أولاً مواجهاتهم الرئيسية مع الأمازيغ الذين كانوا يعلنون انتماءهم اللامحدود لمدشر أسير في وقت زاد فيه ضغط الأوائل على التوازن الداخلي، فقد كان على أمازيغ أن يترجموا خضوعهم بالذبح على أهل حايين وتقديم الغرامات، بينما سيكون عيسى ولد إعيش بحكم أنشطته التجارية التي وسعها مع الأنجليز بالصويرة، أول مجسد لرغبة الاستقلال وترجمة الطموح المكبوت لرفع ما كان أمازيغ يسمونه "ظلم أهل حايين"، كما أن دخول أيت حماد أعلي وأهل المحفوظ إلى المدشر سهلاً بفضل درجة الانقسامات والصراعات ورغبة كل طرف في تدعيم سلطته على الآخر مع تفوق كبير لأهل حايين الذين اعتبروا إلى مطلع القرن الثالث عشر (19 م) أسياء المنطقة كما تشهد على ذلك الرواية الشفوية، من هنا نفهم أهمية تحالف أهل المحفوظ بجانب أضراب عيسى ولد إعيش المازيفي مع أهل المعطي وصراعات عيسى ولد إعيش المازيفي مع أهل المعطي نتيجة للروابط غير المنضبطة التي كان يلتزم بها هؤلاء والتي حتمها عليهم وجودهم على نقطة التماس بين أمازيغ وأهل حايين، هؤلاء الذين دفع بهم الحصار من الناحية الغربية إلى تكثيف وضبط سلطتهم من الناحية الشرقية بإجهاض محاولات أيت ياسين الطامحين بدورهم إلى فرض كلمتهم التي كان من نتائجها درس مسجد لالأ بيت الله والذي لم يكن انتهاكاً لحرمة المقدس ولكن صرامة تتطلبها المصالح الحيوية لأهل حايين المتخوفين من تقارب أيت الخنوس وأيت حماد أعلي وأيت مسعود، وهو ما يجرتنا إلى التأكيد على أن أسطورة القرابة بين أيت محند وأهل حايين على اعتبار أنهم أولاد مبارك (يجري تقسيم الأخماس تحت هاته القاعدة) ليس في الحقيقة إلا تغطية

لتقارب المصالح التي يعطيها الرابط الدموي متانة الديمومة، وإن وصلت المواجهة المجالية إلى حد تخريب منازل أهل بايزيد بأيت مسعود، فإن التحالف الصريح لهؤلاء مع أيت الخنوس ساهم في تراجع زحف أهل حايين، كما أن المواجهة لم تكن تعني سحق الخصم نظراً لأهمية الاحتفاظ بالموازين علاوة على قيمة المغارم التي كان يحصل عليها أهل حايين مثلاً من عند أيت ياسين (السويلمات) بأسير، وأيضاً فيما قبل من عند أمازيغ لحد أن العقاب مثلاً بعد وفاة عيسى ولد إعيش لم يتجاوز فرض الأشغال على أمازيغ.

وإذا كان الطابع المميز لأهل حايين كباقي الفصائل القبلية متساوية بدرجة عالية من الانقسامية، فإن الانفصال عبر فروع متعددة لا يعني إطلاقاً المساواة بين هاته الأخيرة، فحتى على مستوى الأملاك يلاحظ تفوق بعض الفروع وسيطرتها على أراضي واسعة في وقت يتوارث البعض ملكيات صغيرة تحولها الانشطارات البيولوجية إلى محاصيل وراثية لا تلبث أن تتحول إلى قطع مجهرية (ميكروسكوبية) كما أن درجات التفاوت أيضاً، وخلافاً لما كان يراه گلنر، تتأسس على تقسيمات اقتصادية وسياسية، فقد سمحت مثلاً التوجهات الزراعية والتجارية لعائلة أهل لحسن (خصوصاً مبارك أعلی) بتراكم أكبر قدر من الملكيات، بينما استغل أهل هيبه سلطانتهم القيادية لتعزيز مكانتهم ومحاولة الاستحواذ على نوبات الماء والأراضي، وإن كان ذلك في الغالب لا يعني سوى أشخاص منفردين، إذ نتساءل هل كانت القيادة في أهل حايين تخدم مصالح المخزن وتدعمه أم أنها كانت تابعة لتطورات مجالية داخلية كرس خلالها هؤلاء خدمتهم فقط لتنمية وترقية استفادتهم؟ بالرغم من ضرورة التلميح إلى تكامل الوظيفتين، وبالرغم من أننا نتوفر على وثائق تثبت مراسلات السلطان عبد العزيز (De La Chapelle) إلا أن ذلك كان في مجمله رداً على استئثار أيت الخنوس في شخص عائلة الكوري الشهير خاصة محمد حماد ولد حماد الكوري ويوسف من بعده من أهل حماد أسالم التي أصبحت حتى أواخر القرن الثالث عشر (19 م) من أهم فصائل قبيلة أزوافيط (Le Chatelier, 83) ثم لحبيب من عائلة أهل المعطي اللذين استفلا دعم السلطان الحسن الأول الباحث عن زعامات محلية، فالتبادل المصلحي بين المخزن والقبائل يفجر حدود هاته الأخيرة على المستوى الخارجي ما في ذلك شك (بورقية : 45) لكنه في الوقت نفسه يوجب مظالم أخرى تكون مسؤولة في مثالنا بالفعل عن عمالة محمد يحيى من أهل هيبه مع الفرنسيين، بل إنه سافر إلى تزيت قبل دخولهم إلى وادي نون، وهو عمل بالغ الدلالة، خاصة إذا علمنا أن تحالف أهل علي منصور غيب أهل حايين من جدول مصالحيه في وقت كان الاستحواذ على الأراضي يكرس أهمية الأملاك لكنه أيضاً ينظم عن طريق سلطة الفصائل والتطورات العسكرية والسياسية على الأقل إلى حدود سنة 1729 كما تشهد بذلك إحدى الوثائق (أزوافيط، 365).

وعلى المستوى الخارجي تؤكد الرواية الشفوية على الأدوار الرئيسية التي لعبها أهل حايين في صراع أيت عثمان مع أيت الجمل لحد أن الفصيلة تفتخر بالوقائع التي هزمت فيها أيت لحسن ونهبتهم. فأولية الانشطار والانصهار تفرض نفسها بشكل لافت للملاحظة حتى إن اعتبار العلاقة الحميمة التي يقول أهل حايين إنها ربطتهم بولد العيد بأدوار لا يجب أن نفهم منها أكثر من رغبة ملحة في الارتباط بعثمان بن مندي خاصة وأن مكان وموقع أدرار يعود بالفصيلة إلى الجذر الأصلي لتلتقي عبر شبكة من الرموز بلف أيت عثمان عبر يحيى وبلة أبناء عثمان (يحيى جد أهل عيداً)، مكملة بذلك أيديولوجيا النسب لفروع متفرقة لا يجمعها في الحقيقة إلا وحدة الجوار وارتباط المصالح، على أن ظرفية المواجهات وتمايز الفخذات من حيث القوة والضعف تجعل من هاجس التكاثر أمراً ملحاً من أجل تسليح أكبر عدد من الذكور (Pascon, 111) لذلك نجد أن الإحساس بالتراجع دفع بأهل حايين إلى احتواء أكبر عدد من الدخلاء فيما نضطلع عليه بالتكاثر الاستراتيجي لضمان الحق في الأراضي والماء. غير أن ذلك اليوم ما يزال يؤرخ لظرفية تراجع كبير يشهد عليها كثرة الهجرة إلى المدن الداخلية منذ بداية القرن وسيع الأملاك إضافة إلى تراجع العائلات بل وانقراض بعضها.

رحمة بورقية، "حول القبيلة في المجتمع المغربي في القرن (19 م)"  
مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع 14، الرباط، 1988 :  
مصطفى ناعمي، "أزوافيط" معلمة المغرب، الجزء الثاني.

F. De La Chapelle, *Les Tekna du sud-ouest marocain. étude géographique, historique et sociologique*, B.A.F.C.M., 1934 ; A. Le Chatelier, *Tribus du sud-ouest marocain*, Paris 1891 ; P. Pascon, *Segmentation, stratification dans la société rurale marocaine*, B.F.S.M., N° 138 / 139, 1979.

أحمد جوماني

**هيايب،** جارية رومية تزوجها الأمير الموحد إدريس المامون بن يعقوب المنصور، وولدت له عبد الواحد الذي سيحمل لقب الرشيد بعد توليه الملك بجهود والدته وتدخلها في شؤون البلاد، حيث إنها تعتبر من دهاة النساء وأبرعهن في المناورات السياسية واستمالة قادة الجيش. وقد أبانت عن حنكته السياسية وتطلعها إلى الحكم يوم وفاة زوجها المامون بوادي العبيد، فكنمت الوفاة واستدعت ثلاثة من قادة الجيش كانوا عمدة المامون لكل واحد منهم عشرة آلاف جندي من بين قومه وعشيرته، وهم كانون بن جرمون السفيناني وشعيب أوقاريط الهسكوري والقائد الرومي رئيس فرقة الأفرنج، فأبلغتهم بالأمر وأظلمتهم على ما تعترضه من تولية ابنها عبد الواحد الملك وهو في سن الرابعة عشرة، وأعدت عليهم العطايا بسخاء ووعدتهم بأن



تجعل مدينة مراكش فينا لهم إن دخلوها ، فامتثلوا لرغبتها  
وجرت بيعة الأمير في اليوم الثاني لوفاة المأمون وهو فاتح  
محرم عام 630 / 18 أكتوبر 1232 ، وتوجه الجميع إلى  
مراكش ومعهم جثمان الهالك في تابوت ، وتابعت حباب  
مسيرتها في نصرة ولدها طوعاً أو كرهاً بالترغيب والتهديد  
غير مبالية بالثورات التي قادها منافس ولدها يحيى بن  
محمد الناصر بن يعقوب المنصور . وفي هذا الصدد يقول  
ابن أبي زرع : " فسمع أهل مراكش بما شرطته حباب للرومي  
والقواد من نهب المدينة فخرجوا مع يحيى لقتال الرشيد  
والتقى الجمعان وأتى الرشيد حتى وقف بباب المدينة  
فتحصن منه أهلها وغلقوا الأبواب فأمنهم وبعث إلى  
القائد الرومي وأصحابه بقيمة في مراكش فقبضوه... " .  
لكن حباب لم تستمتع بفترة ملك ولدها الرشيد بسبب  
المعارك المتوالية التي خاضها إلى حين وفاته سنة 640 / 42 .  
1243 .

ع. ابن أبي زرع، القرطاس، ص 254 ؛ أ. الناصري، الاستقصا، 2  
: 241 - 242 .

محمد ماكامان

**الحبابي، أسرة فاسية على فرقتين - كما جاء في رفع**  
**الالتباس - فرقة من قبيلة كرجامة بقصر ربحانة من جبل**  
**حبيب، وما زالت طائفة منهم بهذا الجبل. وهؤلاء هم**  
**السكانون بزنقة حجامة، أهل طلب ومال وتجارة وحرفة**  
**ومعاش، منهم الحاج محمد الحبابي (ت. 1152 / 1739) من**  
**أكبر مردي الشيخ أحمد التجاني. وفرقة ثانية من أهل**  
**فاس بيدهم توقيت منار القرويين يتوارثونه جيلاً بعد جيل**  
**حتى الآن. وستأتي تراجم بعضهم..**  
ع. ابن سودة، إزالة الالتباس عن قبائل سكان مدينة فاس،  
مخطوط، خ.ج.

**الحبابي، إدريس بن محمد بن الطاهر الفاسي.** كان -  
كأبيه أتى الترجمة - ملماً بالحساب والتوقيت والتعديل،  
وخلفه في منصب موقت منار جامع القرويين وظل على ذلك  
إلى أن توفي ليلة الجمعة تاسع ربيع الأول عام 1299 / 27  
يناير 1882 . ودفن قرب والده بروضتهم بالقياب.  
ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 7 : 2671 .

**الحبابي، عبد القادر بن محمد بن الطاهر الفاسي،**  
عالم مشارك يغلب عليه جانب الرياضيات والفلك، ولا  
يُذكر أنه تولى منصب التوقيت رغم ضلوعه في هذا العلم.  
توفي في مهل ذي الحجة عام 1298 / 25 أكتوبر 1881  
ودفن قرب قبة الشيخ أحمد اليصني بالقياب مع والده.  
ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 7 : 2670 .

**الحبابي، عبد الله بن عبد القادر الفاسي،** موقت  
منار القرويين. كان - كأبيه وأخيه - رياضياً فلكياً موقتماً  
معدلاً، وإلى ذلك كان فقيهاً فرضياً مشاركاً. أخذ عن  
أخيه محمد أتى الترجمة، وعن الشيخ إدريس بن الطابع  
البلغشي وأحمد بن الطالب ابن سودة وعبد الله بن إدريس  
البدراري وغيرهم.

تولى التوقيت بالقرويين بعد وفاة أخيه عام 1316 /  
1898 ، وبقي يزاوله إلى قرب موته حيث حصل له شبه  
ذهول عقب وفاة ابنه الوحيد. ومن اتصل به واستفاد منه  
عبد السلام ابن سودة الذي ذكره من جملة أشياخه في  
فهرسه سل النصال، وأثنى على علمه وشهامته.  
توفي صباح يوم الجمعة ثالث عشر قعدة عام 1359 /  
13 دجنبر 1940 . ودفن بروضتهم بالقياب.  
ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، سل النصال، موسوعة أعلام المغرب،  
8 : 3079 ؛ إ. الإدريسي، وفيات، مخطوط، ص 20 .

**الحبابي، عثمان بن محمد الفاسي.** وُلد عام 1282 /  
1865 بفاس، وبها نشأ وتعلم على شيوخ عصره كمحمد بن  
التهامي الوزاني وعبد المالك بن محمد العلوي الضريز  
وأحمد ابن الخياط.  
تخرج عالماً مشاركاً في مختلف العلوم الشرعية  
والعقلية، وانقطع للتدريس بالقرويين طوال حياته. وقد  
وصفه تلميذه ابن سودة في سل النصال بالعالم العلامة  
المشارك المدرس النفاة الخير الناسك المتبتل، وذكر أن له  
تأليف عديدة منها رفع الإبهام في حكم سجود التلاوة.  
طبع على الحجر بفاس عام 1338 .  
توفي يوم الجمعة رابع حجة عام 1343 / 26 يونيو  
1925 . ودفن في روضة أهله بالقياب.  
ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، سل النصال، موسوعة أعلام المغرب،  
8 : 2944 ؛ إ. الإدريسي، معجم المطبوعات المغربية، ص 98 .

**الحبابي، محمد بن الطاهر الفاسي،** جد الحبابيين  
الموقتين بفاس كان متضلعا في الحساب والتوقيت والتعديل  
متولياً منصب موقت منار القرويين إلى أن توفي عشية يوم  
الجمعة سابع عشر رمضان عام 1267 / 16 يوليوز 1851  
ودفن قرب قبة الشيخ أحمد اليماني بالقياب.  
ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 7 : 2592 .

**الحبابي، محمد بن عبد القادر الفاسي،** موقت  
منار القرويين وأحد المتضلعين في العلوم العقلية. كان -  
مثل أبيه - متمكناً في الرياضيات والتعديل والتوقيت  
والتنجيم.  
توفي صبيحة يوم السبت سادس جمادى الثانية عام  
1316 / 22 أكتوبر 1893 .

بالرغم من شفاء الطفل وعودته إلى بيت أبيه فإن الحادثة أثرت على ذاكرته : فقد لازمه خلل الذاكرة طيلة حياته. فكان يعول في تفكيره الشخصي على تداعي المعاني أكثر من فعل التذكر. بل لعل ذلك هو الذي يفسر ميله للتأمل الفلسفي والخيال الشعري. كما يفسر لاحقا عدم تمكنه من متابعة دروس الألمانية واللغات القديمة المقررة في شهادة تاريخ الفلسفة بالسوريون.

بعد هذه الحادثة اطمأن الولد إلى عطف زوجة أبيه وأولادهما (إخوته) فنعّم لأول مرة بالاستقرار العائلي. وفي تلك الأثناء بدأ يتردد بانتظام على المدرسة الإبتدائية (بعد أن اجتاز مرحلة الكتاب) ثم انتقل إلى ثانوية المولى إدريس بفاس. وهو امتياز تفرد به أبناء الأعيان في عهد الحماية الفرنسية. يقول م. ع. الحبابي لاحقا وهو يتحدث عن بداية الممارسة الفلسفية في المشرق والمغرب : "علينا أن نتذكر أن الانطلاقة الأولى كانت لأبناء الأعيان، فهم الذين كانوا يذهبون إلى المدارس المزودة وفي البعثات إلى الخارج..." (مجلة الفرسان، ع. 23). لكن هذا الامتياز لم يخف الواقع المتخلف لهذه الفئات المحظوظة، إنها "لم تكن ممتزجة بالشعب ولم تكن تعرف همومه". كما أنها لم تخلق "تسارات فكرية وفنية ولا أسلوبا سلوكيا ولا إيديولوجية..." (من يصنع النهضة، 3 : 210).

من خلال إشارات قليلة وغامضة نفهم أن م. ع. الحبابي، وهو ما يزال تلميذا بثانوية المولى إدريس، أصبح مناضلا في الحركة الوطنية التي كانت في عنفوان انطلاقتها. وسبب ذلك حكم عليه في يناير 1945 بالسجن مدة ثمانية عشر شهرا قضى منها ثمانية شهور حيا نافذا. تشير زوجته الأستاذة فاطمة الجامعي إلى أنه في أعقاب حوادث 1944 تعرض للضرب العنيف على دماغه، وهو "بالمنفى بالأطلس المتوسط"، وتضيف زوجته أن هذه الضربات جعلته بعد مدة يخضع لعملية جراحية في الدماغ أصبح بعدها "ضعيف البنية يقاوم دائما ويعاني نظاما في الحياة جد متعب" (مدخل، ص. 11).

اهتم التلميذ أيضا بالنشاط الثقافي، فأسس جمعية لهواة المسرح. وبدأ ينشر محاولاته الأولى في الشعر والفلسفة. وهي محاولات سيقلل من شأنها لاحقا. فالأشعار مجرد "بهلوانيات فيها كل شيء، إلا الشعر". أما الفلسفة فلم تكن المحاولة "جادة". لكن هذا التلميذ الطموح سيمارس الترجمة، فنقل إلى العربية قصائد فرنسية رومنطيقية ونشرها في المجلات والصحف المغربية آنذاك. كما ترجم كتابا في الفلسفة هو كتاب كارادي فو : مفكرو الإسلام. ولن ينسى كيف لقيت ترجمة هذا الكتاب إقبالا فنفتت طبيعته الأولى، وعلل ذلك لاحقا بالروح العقلانية التي سادت صفحات هذا الكتاب والتي كان يفتقر إليها المحيط الثقافي المغربي وينزع إليها ويتحمس لها (تعاليت على جيل الظمأ، 68 - 69).

### الحبابي، محمد عزيز بهذا اشتهر، واسمه الكامل

محمد بن عبد العزيز بن عثمان الحبابي. وُلد بفاس يوم 16 جمادى الأولى عام 1342 / 25 دجنبر 1923. كان جده فقيها. أما والده فكان يمارس الأعمال التجارية بفاس بنجاح. تزوج عبد العزيز من إحدى بنات أسرة القادريين المعروفة بالعلم والوراقة وأنجب منها بنتا وولدا هو المترجم. توفيت أمه بعد مرور سنة على ولادته فكفلته جدته (أم والدته) هو وأخته الكبرى واستمر ذلك إلى أن بلغ سن السابعة من عمره حيث عاد إلى كنف والده الذي كان قد تزوج مرة أخرى وانتقل إلى أطراف مدينة فاس.

لم يرتح الولد في بيت أبيه فلجأ إلى الهروب من هذا البيت مرارا يجوب طرقات المدينة ويلج مساجدها، أو يقصد بيت أخواله. وفي تلك الجولات فتنته لعبة كرة القدم، فلم يكن مستغربا أن يتعرض هذا الطفل المتسرد لحادثة سير خطيرة أثناء ممارسته لهذه اللعبة في الطريق العام.



وفي الحي اللاتيني كان الطالب يستوعب بقلبه وعقله الحوار والجدال بين مختلف التيارات الفلسفية والسياسية والفنية : الوجودية (بزعامه سارتر) في مواجهة التيارات الماركسية الجارفة... أصداء التحول الفني الجمالي في أعمال ماتيس وبيكاسو والأدب الوجودي... يضاف إلى ذلك كله معركة التجديد التي خاضها الفكر المسيحي في أعمال إتيان جيلسون وإيمانويل مونيي.

في سنة 1949 حصل الطالب محمد عزيز الحبابي على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة من السوربون بعد أن اجتاز بنجاح اختباراه في مادتين رئيسيتين : الفلسفة البرجسونية والفلسفة الوضعية. وانكب بعد ذلك على إعداد أطروحتين جامعتين في الفلسفة : أطروحة رئيسية بعنوان من الكائن إلى الشخص : محاولة في الشخصية الواقعية التي نشرها سنة 1954 وأطروحة مكملتها تحت عنوان حرية أم تحرر نشرها سنة 1956. هيا الطالب المقرب ذلك كله في زمن قياسي وأمام لجان علمية لا تحامل ولا تتساهل. وضمن شعبة يندر فيها الأجانب.

لعل ذلك هو ما يفسر كيف استقبلت أطروحة محمد عزيز الحبابي الرئيسية كحدث ثقافي إعلامي وسياسي هام. سيقول جيلبير موري باستغراب في مجلة الفكر (1955) إن "السيد الحبابي هو أول دكتور مغربي في الفلسفة" : استغراب لهذا الطالب المغربي الرائد الذي كتب رسالة جامعية أصيلة في الفلسفة بلغة فرنسية رفيعة المستوى. لكن هذا الترحيب والاستغراب لم يمنع محمد عزيز الحبابي لاحقا من اعتبار أطروحته (وما رافقها من ملاسات) مساهمة نظرية في مقاومة الاستعمار الفرنسي. فمشكلته كانت آنذاك كما سيقول - "ما نوع المسؤولية التي يتحملها الفيلسوف إزاء المضطهدين والمتخلفين ؟".

سيعود محمد عزيز الحبابي إلى أرض الوطن سنة 1959، فقد ظل في "دار الهجرة بفرنسا إلى أن سمح له بالرجوع إلى المغرب. فما المقصود بالسماح ؟ ! لا تلك ما يسعفنا بالجواب. لكن ديوانه بؤس وضياء الذي صدر بباريس سنة 1958 يسجل لنا مشاعر هذا المثقف المقرب وهو يتحرق لوطنه. وتشتعل في نفسه الحماسة الوطنية ورموزها آنذاك، بل إن بعض القصائد تكاد تعد (نشيدا وطنيا). فشوقه للعودة كان قويا وعنيفا... فمن منعه من ذلك ؟ ! ما تعلمه أنه خلال الفترة الفاصلة بين سنة 1952 - 1959 عين باحثا ملحقا بالمركز الوطني للبحث العلمي C.N.R.S. وحصل على الجائزة الدولية (مرحا Bravo) التي يشرف عليها مانديس فرانس، وذلك سنة 1955. فهل لذلك صلة ما بتأخير الإذن له بالعودة إلى أرض الوطن ؟ ! مجرد احتمال. لكن حصول محمد عزيز الحبابي على جائزة المغرب في الآداب سنة 1959، أي بعد عودته مباشرة، شهادة اعتراف وإعادة الاعتبار لهذا الفكر المغربي في وطنه. يقول محمد عزيز الحبابي لاحقا، وهو يتذكر عودته إلى

لم يكن هذا النشاط الثقافي والسياسي في حياة هذا التلميذ غريبا عن التعارض الذي بدأ يُهيمن على فكره ووجدانه تحت تأثير الثقافة الفرنسية التي كان يتلقاها في ثانوية المولى إدريس ونتيجة لمفعول السلفية الوطنية التي رسخها روحيا في كيانه زوج خالته الفقيه السلفي الشهير الشيخ محمد بن العربي العلوي. فقد كان التلميذ معجبا بهذا الشيخ الفذ الذي قارنه بسقراط في إحدى إنشائهاته المدرسية. فكان ينقب في كتب الفلسفة بجهده الشخصي عله يقع من الشيخ موقع القبول وينال تقديره.

في سنة 1946 رحل الشاب محمد عزيز الحبابي إلى باريس حيث التحق بالسوربون (شعبتي الفلسفة والفيزياء). وقد ذكرت زوجته فاطمة الجامعي أن هذه المرحلة تمت في أعقاب حوادث سنة 1944 وما أصابه منها. فتقول إنه "طرده من التعليم وفر إلى باريس ليتابع دراسته وهو محروم من المنحة" (مدخل، ص. 11).

لكننا لا نعلم كيف توفرت لهذا الشباب أسباب الهجرة وشروط الإقامة في باريس وكيف أمكنه التسجيل في جامعة السوربون بالرغم من أنه تعرض للطرده من ثانوية المولى إدريس وهو لا يزال في القسم الثاني من البكالوريا (النظام الفرنسي). لكننا نعلم بعض أحاسيسه التي ظلت في ذاكرته. يقول محمد عزيز الحبابي لاحقا : "لقد تابعت دراستي العليا في فرنسا بالسوربون، وكان المغرب آنذاك ما يزال تحت الحماية. لم أكن أشعر بأني كائن كالكائنات الأخرى". كانت نظرة المستعمر تجرح الكرامة. إنه يريد ترسيخ نوع من "الإحساس بالدونية" ويدعى أنه "حامل حضارة وتمدن". إن جواز سفره آنذاك كان يطرح أزمة هذه الهوية. فعلى هذا الجواز "تعرف هويتي بكيفية غامضة ملتبسة عمدا وبنية مبيتة : من مواليد فاس، منطقة المغرب، حماية فرنسية".

لم يجد الطالب المغربي أمامه سوى عالم الفكر والأدب، يلجأ إليه ويتواصل معه هروبا من واقع يرفضه ويشعره بالدونية وفقدان الهوية. سيعترف لاحقا بأنه كان يرتاح في رفقة "مونطين وديكارت ولافوازيه وبول فاليري". بينما يشعر بالقلق (في محيطه الاجتماعي الجديد) من "الخطاب الجارح أو اللطف الأبوي المصطنع".

ونفهم أيضا أن هذا الطالب المغربي بالرغم من محتته النفسية في باريس لم يضر حقا ولا كراهية عمياء لمحيطة الجديد. كما أنه لم يتقلق على نفسه، ولم تتضخم لديه عقدة الآخر، ونقائص الآخر، كما حدث لبعض المثقفين (المهاجرين) أو (المنفيين). فقد أقبل بنهم على دروس السوربون وحياة الحي اللاتيني التي تميزت بها باريس بعد الحرب.

سيذكر لاحقا أشهر الأساتذة الذي كان يستمع إليهم في المدرجات : دروس جان قال في الفلسفة الوجودية، وجان هيبولت حول فلسفة هيجل، ومحاضرات ميرلوبونتي في الفينولوجيا وجاستون باشلار في فلسفة العلوم.

أرض الوطن، إنه "فوجئ بجو سياسي ومجتمعي محموم : الفرع جم والمشاكل أكثر. تغيرات سريعة تعتري الذهبيات والسلوك الفردي والجماعي". والواقع أنه عاد في فترة بدأت فيها أفراح الاستقلال تخمد وتنحسر في أفق أزمة سياسية تتفاقم باستمرار.

لكن الأزمة في العمق، كما سيرسمها محمد عزيز الحبابي بطريقته الخاصة، هي أزمة (وعى). والحل في يد المثقفين الحقيقيين. إن هذه النخبة هي التي تستطيع أن تقاوم كل مظاهر تخلف الوعي وزيفه : الدجل والشعوذة وغياب العقلنة... إن ذلك هو ما تفصح عنه روايته جيل الظلم التي كتبها في صيف 1958. (ولم تنشر إلا في سنة 1967). إن إدريس بطل الرواية المحاصل على الدكتوراه من جامعة السوربون سيقنع بأن "التوعية الوطنية" هي "أس الحضارة" و"نقطة الانطلاق".

لعل هذا التوجه وهذه القناعة الشخصية والفلسفية (بالتزام المثقف) هي التي رسمت مسار الحبابي في هذه الفترة وأثرت في اختياراته ومواقفه وآرائه. فبدون تردد سيتخلى عن صفة الباحث المتفرغ في فرنسا ليتولى سنة 1959 منصب أستاذ كرسي في جامعة الرباط (وهي لا تزال في نواتها الأولى). وفي نفس السنة سيعمل على تأسيس "اتحاد كتاب المغرب العربي" بمشاركة عدد من الأدباء المغاربة من بينهم : محمد براءة - عبد الجبار السحيمي - محمد العربي المساري - محمد الصباغ - مصطفى المعداوي - مولود معمري وغيرهم. سيصبح الحبابي رئيساً لهذا الاتحاد الفتى وسيهيئ له مقراً عرف بدار الفكر ومجلة تخصصه هي مجلة آفاق.

غير أن سنة 1961 ستعرف حدثين هامين في حياة محمد عزيز الحبابي : فقد اكتمل صدور ثالوثه الفلسفي بظهور كتابه من التعلق إلى المنفتح وهو يحمل دعوة أصيلة لحوار الحضارات والثقافات الإنسانية. وياكتمال هذا الثالوث نكاه نزعاً أن بناء النظرية الأساسي قد بدأ يكتمل.

والحدث الثاني تمثل في تعيين محمد عزيز الحبابي عميداً لكلية الآداب بالرباط. ولقب العميد سيطلق على غيره. فسيعرف الحبابي في سائر الأوساط بالعميد، وسيرته كعميد لهذه الكلية ستتردد على الألسنة. إن الحبابي كما يسجل مقال صحفي متأخر "لم يركن للراحة على أريكة العمادة، لكنه بقي أستاذاً بيت في الأمور الإدارية في قاعة المحاضرات أو في ردهات الكلية...". بالرغم من فتوة الكلية التزم هذا العميد "الصرامة العلمية" في معاملة الطلبة وهيئة التدريس. كلفه ذلك عنا، وعتاباً "إن لم نقل كراهية" من أخصبهم هذه الصرامة... كما التزم بدعم شعبية الفلسفة وتعميقها وإدراج فلاسفة الإسلام ضمن مقرراتها وفي مقدمتهم : عبد الرحمان بن خلدون.

كانت فترة (العمادة) التي امتدت ثماني سنوات فترة إرهاق ومحنة. ففي مراسلة خاصة لصديقه عبد الكريم

غلاب (يناير 1970) يقول محمد عزيز الحبابي بمرارة : "منذ سنوات وأنا كلما بدأت كتاباً حدث مشكل إداري (أيام محنة عمادة كلية الآداب) أو سافرت، فأضطر إلى توديع الكتاب...".

كانت العمادة محنة حقيقية للرجل : فهذا المثقف المعتل صحياً الذي كان يقضي سحابة يومه في مكتبه في القراءة والكتابة سيجد نفسه في دوامة يومية متجددة لا ترحم. تتراكم فيها مواعيد الاجتماعات والندوات والمحاضرات والملفات والاستقبالات... كان مكتبه الرسمي خلية نحل دائمة الحركة. ورنين جرس الهاتف يناديه جيشاً كان. كما كان في تنقل دائم ونجم الدعوات والحفلات الرسمية داخل الوطن وخارجه. لم تكن العمادة امتيازاً لكنها نضال يومي مرير.

ليس غريباً أن يتراجع الإنتاج النظري للعميد في هذه الفترة، إن الكتيب الذي نشره سنة 1964 بعنوان الشخصية الإسلامية يسجل هذا التراجع. فالكتاب كما يقول محمد عزيز الحبابي نفسه "قياساً إلى حجم اجتهاداتي وتنظيراتي في كتابي الأول والرئيسي من الكائن إلى الشخص يبقى متواضعاً".

لا نبالغ إذا اعتبرنا سنة 1968، بداية مرحلة جديدة في حياة الحبابي. ونهاية حلم (المثقف) في جيل الظلم. كانت وقائع هذه السنة قاسية كما كانت صدمتها عنيفة. فقد الرجل منصب العمادة دون أن يقترح لأي منصب آخر يليق بمقامه وريادته. وفقد رأسه اتحاد الكتاب الذي أسسه واكتفى بعضوية المكتب. لكن أهم واقعة هزت وجدانه وحياته في الصميم هي انفصام عري علاقته العاطفية برفيقة حياته آنذاك. ففي المجموعة الشعرية صوتي يبحث عن طريقه التي صدرت له سنة 1968 نجد قصيدة حزينة بعنوان وحيد في دار الندوة أي دارته في أگدال بالرباط. حيث وجد نفسه ينتظر عبثاً. فلكلمات الوداع التي تركها رفاقته مكتوبة كانت سيفاً قاطعاً، كسرت روحه... وفي قصيدة أخرى رقيقة يتحدث عن ذلك الحيوان الأليف : كلبه فيسكي الذي شهد لحظات سعادته العاطفية التي اختفت.

حدث ذلك في فترة كان فيها العامل السياسي يتفرد بالأولوية والحضور الفعال في المدارس والجامعة في المغرب وفرنسا. لكن محمد عزيز الحبابي فضل بإصرار أن يمارس دور المثقف المصلح، ضمير الأمة ومعيارها النقدي المتعالي، سيقول لاحقاً : "ما ذنبي إذا كنت لا أحب السياسة... إنني أقبل أن أخضع لأوامر الحكومة ولكنني أرفض وأتألم عندما أطلب بالتصفيق الحاد والتحمس لأوامر قد لا أرضى عنها وربما أكون أحياناً ضحية لها".

غير أن شخصية محمد عزيز الحبابي كان لها أثرها ومفعولها فيما حدث. فالرجل من موقع أكاديمي استهان بالدرجات الأكاديمية وألقابها وطقوسها. حيث فضل دوماً

15 / 10 / 1982 بحضور عمدة باريس آنذاك (جاك شيراك) والشاعر السنغالي اللامع سنغور.  
كما تم ترشيحه بصفة رسمية يوم 21 / 10 / 1987 للحصول على جائزة نوبل. وتأسست لجنة وطنية لدعمه. ومنح سنة 1988 على الصعيد الوطني جائزة الاستحقاق الكبرى على مجموع أعماله. وفي أواخر دجنبر 1988 أقيمت ندوة تكريمية لهذا المفكر بكلية الآداب بفاس وذلك بمناسبة بلوغه سن التقاعد المهني الرسمي.

بعد سنة 1988 ازدادت عزلة محمد عزيز الحبابي في بيته وقلت تنقلاته. فصحته المعتلة أصلا بدأت تتدهور. كان يستعيد بعض العافية بفضل رعاية زوجته ومهارة أطبائه لكن ذلك لم يدم طويلا. فقد وافته المنية يوم ثاني ربيع الأول عام 1414 / 20 غشت 1993. وتناقل الجميع النبأ المفجع. لكن الرجل ظل حيا في قلب زوجته ونفوس طلبته وفي إنتاجه وأعماله الفلسفية والأدبية.

ألف محمد عزيز الحبابي ما يناهز أربعين عنوانا بين مقال وكتاب. لكن أصالة فكره تكاد تنحصر في أعماله الفلسفية الرئيسية التي نشرها بين سنة 1954 - 1964 وهي أساسا : من الكائن إلى الشخص - حرية أم تحرر - من المغلق إلى المنفتح - الشخصية الإسلامية. هذه الأعمال تقدم مذهباً فلسفياً سماه صاحبه "الشخصانية الواقعية". معترفاً بكونه ظهر في سياق المدرسة الفلسفية المعاصرة. إنه بمعنى ما امتداد (لشخصانية) "إيمانويل موني" وشارل رنوفي... لكنه مذهب يقترح انفصاله وخصوصيته.

فشخصانية الحبابي تعتبر نفسها شخصية واقعية أي أنها تمنح الشخص "أبعاداً" أخلاقية واجتماعية بالحاحها على دور التواصل وقيمه في تحقق الكائن وتشخصه. فبفضل التواصل "يتم الامتلاء المعنوي والوجداني داخل الكائن فينفتح على الآخرين ويتشخص بهم ومعهم" وإذا كان ذلك يعني رفض الفردانية والأنانية كغاية فإنه يتعين التسليم بها كوسيلة. ففردية الشخص منطلق ضروري وحتمي "ليكتشف المرء وجوده ويكشف عنه". فالإرادة الخاصة وما تتمتع به من حرية هي التي تنجز التعالي والتواصل. فيمكن لهذه الإرادة الخاصة أن تتسجم مع الإرادة العامة أو تعارضها.

تبعاً لتحليلات محمد عزيز الحبابي لهذه الفلسفة يتم التركيز على صفتين جوهريتين : الصفة الأخلاقية والصفة الإنسانية. فالشخصانية الواقعية تحمل معاني ومقاصد أخلاقية : أبرزها الدعوة للتحرر والمساواة والالتزام بالقيم الإنسانية. "إنها فلسفة تحد لظروف عصبية ولسان حال المستغفلين والمسحوقين في التاريخ، إنها كما قال أحد الباحثين تريد أن تبرهن على أن المعاصرة يجب أن يصاحبها "مجهود إرادي لتحريك الزمان" مجهود لا ينفصل عن الشروط الواقعية للإنسان لكنه ضروري ليكتسب الإنسان حرية متجددة ومتحركة.

أسلوباً سقراطياً ساخراً في التدريس والحوار والنقاش... كان في قاعة الدرس "يستحيل أن تراه جالسا، وإنما تراه يتجول بين صفوف الطلبة مردداً : أنا أمشي إذن أنا أفكر. يرت على كتف أحدهم ويتكى طويلاً على الآخر..." يهتم بأبسط وأتفه الهفوات : "طالب يهمل الهامش وأول السطر والنقطة والفصلة". ولم يكن نادراً أن يصدم الأسماع بأسلوبه.

في سنة 1969، غادر محمد عزيز الحبابي وطنه مرة أخرى ليلتحق بالجزائر حيث عين أستاذاً بجامعة، كما عين هناك مستشاراً في التعليم العالي. لا نعلم تفاصيل مقامه في الجزائر، لكنه كان دون موارد مقام المهاجر المغترب عن وطنه وتلامذته وأصدقائه... وفي فترة هذه الإقامة سبهم محمد عزيز الحبابي بأزمة الشرق الأوسط التي أعقبت حرب 1967 والتي ترددت أصدائها في الأقطار المغاربية خاصة الجزائر ذات الاتجاه القومي الاشتراكي المتطرف. سيردد محمد عزيز الحبابي ما كان شائعاً في الصحف حول أسباب هذه الأزمة أو النكسة : "لنا ضباط بلا حنكة استراتيجية" ولنا جامعات ومعاهد عليا "ولكن الشهادات بضاعة مزجاجة تدور في دوامة الألقاب الزنانية..." "رأسمالنا الأمية".

إلا أن هذه الحماسة (القومية) ليست ظرفية في فكر محمد عزيز الحبابي فلها سوابق في كتاباته وأشعاره. فقد ظل حريصاً على الدفاع عن "العربية الفصحى" وحضور جلسات مجمع اللغة العربية بالقاهرة (الذي انتسب إليه) وأدان مراراً سوء التفاهم المغربي / المشرقي وكل أشكال التمزق والانشقاق في المنطقة. ولم تغب القضية الفلسطينية في هذا الاتجاه. فقد قام بترجمة فرنسية لنماذج من الشعر الفلسطيني والجزائري في مجموعته "آلام بإيقاع" Douleurs Rythmées (1974) وحرص على نشر أعماله بالعربية في مصر ولبنان بالرغم من نقده لدور النشر العربية وأساليبها التجارية السيئة.

في سنة 1974 عاد محمد عزيز الحبابي مرة أخرى إلى وطنه. يعود هذه المرة وقد اختار حياة هادئة. أصبح أستاذاً باحثاً متفرغاً منتسباً إلى جامعة فاس. واستقر مسكنه برفقة زوجته الأستاذة الفاضلة فاطمة الجامعي، في دارة تحف بها الأشجار وتملاً ساحتها الورود والأعشاب الخضراء بنواحي الرباط.

ستصبح هذه الدارة ملتقى لأصدقائه وطلبيته وزواره عموماً. كما ستصبح مقراً للجمعية التي أسسها باسم "جمعية الفلسفة بالمغرب" وفي مكتبه الفخم الذي يعج بالكتب والمجلات هياً عدداً هائلاً من المقالات والأشعار والمؤلفات التي تعرض في جملتها لقضايا ومواقف وآراء تتعلق بأزمة العالم الثالث أو ما سماه بـ"العديّة".

في هذه المرحلة ومنذ أوائل الثمانينات سيحظى محمد عزيز الحبابي بعدد إضافي من التكريمات نذكر منها حصوله على لقب "أمير للقصة" في حفل ببلدية باريس يوم

إنسورية هذه الشخصية الواقعية جعلتها تتبنى الدعوة لحوار إيجابي بين الثقافات، وتستنكر بشبات صريح كل أشكال التطرف والتعصب القومي والديني. فوحدة الجنس البشري "حقيقة علمية" يستحيل دحضها، والحضارة لا تكون إلا "إنسانية" : فهي "مجموعة تفاعلات الثقافات القومية المختلفة".

كل ذلك لم يمنع هذه الشخصية من تبني (هوية إسلامية) بديلا للهوية المسيحية الأصلية في سياقها لدى موني ورونويسي. بل إنها ذهبت بعيدا في الدفاع عن أصالة الثقافة العربية الإسلامية ووصفت نفسها مرار بكونها شخصية إسلامية. فالإسلام في أصوله حدد الأبعاد الحقيقية للشخص وخلصه من الشوفينية والقبلية والأثنية حيث نظمت تعاليمه (وفي مقدمتها الشهادتان) في آن واحد أبعادا أفقية (الشعور بانتماء الشخص للأمة) وأبعادا عمودية أي النزوع للتعالي. فينبثق الشخص المسؤول الملتزم بمصلحة الأمة والمتمتع بمواطنة قائمة على أسس روحية الشخص القادر على التغير الذاتي للأحسن وتغيير العالم، إن ذلك هو ما يعنيه الإسلام باستخلاف الله للإنسان في الأرض.

بالرغم من أن قيمة هذا المذهب ومنزلته الفلسفية مسألة أثارت الجدل إلا أن معظم الباحثين أقروا بكونه بعداً (ولا يزال كذلك) أفضل مجهود فلسفي عرفه الفكر المغربي منذ زمن ابن رشد. فهو إحياء للفلسفة والتأمل الفلسفي في تاريخ هذه المنطقة بعد زمن طويل هيمن فيه الفقه والتصوف. ولأنك أن الممارسين للفلسفة في مغرب اليوم يدينون بفضل عظيم لهذه المعاصرة الفلسفية الأولى وما ارتبط بها من إنجاز وانبثاق للتعليم الفلسفي في الجامعة المغربية.

لكن ذلك لا يمنعنا من ذكر بعض النقد الذي تعرضت له هذه الشخصية في أفق تطورها وجعلها مادة خاما لتراث فلسفي مغربي حديث وأصيل.

فقد أدرجت هذه الفلسفة ضمن المحاولات التي عرفها الفكر العربي المشرقي الحديث (جوانية عثمان أمين - وجودية عبد الرحمن بدوي...) بعد الحرب العالمية الثانية وتبعاً لذلك فقد شابها ما شاب هذه المحاولات من قصور ونقائص : انتقائية ونزوع مدرسي وإنهيار بالغرب والتزام بمفاهيم ليبرالية ساذجة، كل ذلك مع مسحة وطلاء ديني تراثي لا تتقبله المفاهيم الرئيسية .. وينتهي الأصلية..

يشار أيضاً إلى أن هذه الفلسفة تجمدت في زمن ظهورها. لم تستطع أن تستوعب لاحقا التحولات الفلسفية والعلمية خاصة ما عرفته العلوم الإنسانية من تطور وتجديد. وما عرفته الفلسفة المعاصرة من نقد جذري لعدد من المفاهيم المطلقة : الحقيقة - العقل - الإنسان - التاريخ.

لم يكن محمد عزيز الحبابي غافلاً عن خطورة التحولات التي شهدتها العالم على مذهبه، ففي مقال نشر له بدأ

يتحدث صراحة عن "فلسفة الغد" ويتساءل هل الشخصية تعتبر فلسفة للغد ؟.. يقول بدون تردد "ما أظن ذلك ! فدور الشخصية سيقصر على توجيه المشتغلين بعلم الغد في أفق إنساني" .. سيبأكد هذا الاتجاه (الغدوي) في استجواب أنجزه سنة 1988 حيث سيقول إن الأزمات "تجرب الماضي والحاضر" وأن الشخصية الواقعية باتت هي "نفسها متجاوزة ككل المنظومات الفلسفية الأخرى.

لم يتردد المحللون لفكر الحبابي في التقليل من شأن هذه (الغدية) : تأملاتها الخفيفة وخطاباتها الاتهامية (التقليدية) للغرب ومعلوماتها التقنية المحدودة. إنها تمثل مرحلة الآراء والمواقف في فكر محمد عزيز الحبابي ولا ترقى إلى مستوى إنتاجه الفلسفي في الخمسينيات. لكنها علامة على فكر لا يسكن قلقه النظري : يتحرك وينقب ويستمتع لعصره ومحيطه ويغامر في استشفاف المستقبل الإنساني.

لا بد، أخيراً، من الإشارة إلى أدب محمد عزيز الحبابي. فهو أدب يضم أعمالاً شعرية وروائية متعددة كتبت باللغتين العربية والفرنسية. في نظر عدد من النقاد تعتبر الأشعار المكتوبة بالفرنسية أفضل أقسام هذا الأدب. فهي ترمس صوتاً متميزاً مليئاً بشحن الهوية في الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية. أما بقية الإنتاجات فهي محاولات لإنتاج أدب شخصاني يماثل الأدب الوجودي. لكن أوان الأدب الفلسفي الذي يمزج بين إبداع الصورة والمعنى واللفظ لم يحن بعد في تاريخ الثقافة المغربية، وتظل محاولة محمد عزيز الحبابي محاولة رائدة، ويكفيه ذلك فضلاً.

أعمال محمد عزيز الحبابي : نورد لائحة بأهمها دون الإشارة إلى الترجمات أو النشرات المتعددة لنفس الكتاب : \* جيل الظمأ (رواية)، بيروت، المكتبة العصرية، 1967 ؛ - إكسبير الحياة (رواية)، القاهرة، دار الهلال، 1972 ؛ - مفاهيم مبهم في الفكر العربي المعاصر، القاهرة، دار المعارف، 1990 ؛ - تأملات في اللغو واللغة، ليبيا - تونس، الدار العربية للكتاب، 1980 ؛ - العوض على الحديد (مجموعة قصصية)، تونس، الدار التونسية للنشر.

- *De l'être à la personne : Essai de personnalisme réaliste*, Paris, 1954 ; - *Liberté ou libération*, Paris, 1956 ; - *Du clos à l'ouvert : Vingt propos sur les cultures nationales et la civilisation humaine*, Casablanca, 1961 ; - *Chants d'Expérience (Poèmes)*, épuisé ; - *Misère et lumière (poèmes)*, Paris, 1958 ; - *Le Personnalisme Musulman*, Paris, 1964 ; - *Ma voix à la recherche de sa voie (poèmes)*, Casablanca, 1968 ; - *Dondeurs rythmées (poèmes)*, Alger, 1974 ; - *Ibn Khaldun*, Paris, 1971, 3ème édit. (Collection : Philosophes de tous les temps) ; - *Espoir vagabond (Roman)*, Paris ; - *Espérance malgré la mort*, Rabat ; - *Adil (poèmes)*, Rabat ; - *La rose se meurt*, Paris ; - *La crise des valeurs*, Paris ; - *Le monde de demain*, Casablanca, 1980 ; - *Ere d'innocence (Poèmes)*, Paris.

\* أهم الدراسات التي تناولت فكر محمد عزيز الحبابي وأدبه :

الإنارة عن تأكسُد Oxydation مادة شعاعية Luciférine بواسطة خميرة Luciférase. تتكون الإنارة من تشعُّعات كلها مرئية تمتد من الأخضر إلى الأحمر. لكل نوع من الحباحب ضوء يتميز بطول موجته وبمدة لمعانه، ويعتبر هذا الضوء إشارة تعطيها الإناث للذكور للتقرب منها خلال فترة الولادة. تتعرف الذكور على الإناث من نفس النوع بواسطة مميزات الإنارة المنبعثة من بطونها. تضع الإناث البيض في التراب وتختفي اليرقات نهاراً تحت الأحجار ويداخل التراب وتخرج ليلاً لتبحث عن الحلزونات التي تكون غذاءها كما هو الشأن عند الكبار.

للذكور زوجان من الأجنحة، وتتكون قرونها الاستشعارية من 11 مفصلة وينتهي الفص الأخير من الأرجل بخمس قطع متداخلة. معظم الأنواع ليلية النشاط ويتراوح طولها بين 11-16 ملم لونها بني داكن. لكل من الكبار واليرقات جهاز فمي ماضغ قوي يلتهم أجسام الحلزونات.

تعيش عدة أنواع من الحباحب في المغرب منها :  
Lampyris noctiluca, Nyctophila reichei, Phosphaenus Pelania mauritanica hemipterus, Lucida lusitanica  
تقام حالياً في عدة مختبرات عالمية بحوث حول الضوء المنبعث من هذه الحشرات واستعماله لحاجيات الإنسان. وهو راجع إلى إنارة باردة تُبث على أمواج يتراوح طولها بين 418 و656 نانومتر، وهي محكمة الإتقان إذا قارناها مع الإنارة المصنوعة من طرف الانسان.

أ. المألوف، معجم الحيران، القاهرة، 1932.

G. L'Heritier, Observations sur le comportement de Pelania mauritanica L. (Col. Lampyridae), Bull. Soc. Sci. Nat. Phys. Maroc, 35 (3) : 223 - 224 ; L. Kocher, Présentation d'un ver luisant récemment découvert au Maroc, C.R. Soc. Sci. Nat. Maroc, 31 : 12 - 13.

نجاة الحياطي

**الحَبَّارِي،** والحَبَّارَة والحَبَّارِيَة جنس طيور بيرية من

رتبة طوال الساق Ralliformes ou Gruiformes ومن فصيلة الحباريات Otididae. تعيش في المناطق الحارة والمعتدلة وتعرف بهذا الاسم في جميع البلدان العربية. تسمى أيضاً في مصر دجاجة بيرة والخُرب والخُربج والحبيجر. تسمى بالبريرية حسب المناطق : أگاييس - أزايگ - أجوغر - تاسنينات. وتعرف بالفرنسية Outardes وبالإنجليزية Bustards.

تضم الفصيلة واحداً وعشرين نوعاً كلها قارضة تتغذى على براعم الأعشاب والأزهار والحبوب والحشرات والديدان والرخويات وصغار الزواحف.

العنق والساقان طويلان والمنقار طويل قوي. والجناحان دائريان وقصيران. الذنب قصير ويتكون من عشرين ريشة قوية. الذكور أكبر حجماً من الإناث. تكيفت قوائمها

- أعمال الندوة "للمفكر الكاتب : محمد عزيز

الحبابي"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، الرباط، ط 1، 1990 ؛ - "دراسات مغربية مهداة إلى المفكر المغربي محمد عزيز الحبابي"، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، ط 2، 1987 ؛ - فاطمة الجامعي، من هو محمد عزيز الحبابي، "مدخل إلى أعمال محمد عزيز الحبابي الأدبية والفلسفية، البيضاء، مطبعة النجاح، ط 1، 1986، ص. 11.

م.ع. الحبابي، حديث مع مجلة الفرسان بباريس، عدد 23 / 5 / 1988 ؛ "الإنسان والأعمال"، مطبعة النجاح، 1991، ص. 115 ؛ من يضع النهضة العربية، ج. 3، ص. 210 ؛ الأيدي المتشابكة (استجاب مع المجلة السويسرية VOIR في صيف 1988) ؛ نيات غدوية ؛ جيلبر موري Gilbert Mury، مجلة الفكر La pensée، عدد 1955 ؛ "محمد عزيز الحبابي من الشخصية إلى نوبل" ؛ رسالة إلى عبد الكريم غلام، حوار نشره بنسالم حميش في كتابه معهم حيث هم (الدار البيضاء، دار الحكمة، 1988، في ص. 148، 166) ؛ حوار مع م.ع. عبد الصادق (مجلة الفكر، تونس، عدد 4، 1971) ؛ محمد أفاية، قراءة في جيل الظمأ ؛ كلنا بدائيون (مقال نقله عن الفرنسية م. برادة) ونشر بالعربية في م.ع. الحبابي ؛ الإنسان والأعمال، ج. 2، ص. 11، ظهر مختصر للكتاب ؛ "أطروحات جديدة عن الإسلام" ؛ عالم الغد، مقال نشر في "مدخل إلى أعمال محمد عزيز الحبابي الأدبية والفلسفية"، ص. 157 ؛ حوار حول الشخصية والغدوية (نشر بنسالم حميش في كتابه معهم حيث هم، بيت الحكمة، البيضاء، 1988).

Eliana De Lera, Il personalismo Filosofia Specifica d'El Musulman, Université de Palermo, 1967 ؛ - Marcello Adlo Gronnasc, Il Pelsiero di Mohamed Lhabbi, Université de Milan, 1968 ؛ - Fadel Sidarouss, Les fondements de l'anthropologie philosophique de Mohamed Aziz Lhabbi, Université Saint-Joseph, Beyrouth, 1971 ؛ - Claudia Ginecco, La Produzione Letteraria di Lhabbi, Université de Rome, 1974 ؛ - Pierre Menenteau et Bernard Jourdan, Mohamed Aziz Lhabbi : homme de dialogue, Rabat, 1989, p. 19 - 20 ؛ M. Aziz Lhabbi, De l'être à la personne, 2édt., Alger, p. 125.

محمد ألوزاد

**الحَبَّاحِب،** حشرة تسمى في المغرب بُونُورَة، وفي

المعاجم أيضاً : اليراع ؛ جنس حشرة في ذنبيها شعاع كالسراج يضيء ليلاً، نارها ضئيلة يضرب المثل بضعفها. تنتمي إلى رتبة مغمدمات الأجنحة Coléoptères اللينيات الجلد وفصيلة اليراعيات Lampyridae التي تتميز باختلاف الشكل بين الذكور والإناث. من بين الأنواع الشائعة في المغرب Lampyris noctiluca يسمى بالفرنسية Ver luisant للأنثى وLampyre للذكر وبالإنجليزية Firefly وCommon glow worm يسمى بالأمازيغية أزأنفاض وتَبْدُونًا وتثليضور وذلك حسب المناطق المغربية.

الإناث عديدة الجناحين، دودية الشكل وشبيهة باليرقات. تحمل على مؤخرة بطنها جهازاً باثاً للضوء. تنتج

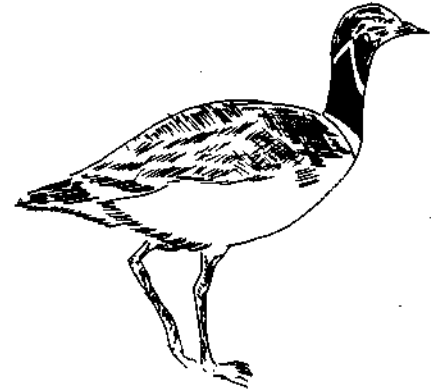
المتطورة مع الجري والركض حيث تنتهي بثلاثة أصابع فقط، وكثيراً ما تفضل هذه الطيور المشي عوض الطيران. يتكون العمود الفقري من أربع عشرة فقرة عنقية وثمان فقرات ظهرية وست فقرات ذنبية. معظم عظام الجسم مملوءة بالهواء مما يساعد الحيوان على الطيران، وتعتبر أنواع الحبارى من أثقل الطيور وزناً إذ يبلغ وزن بعض أنواعها 16 كلف.

تتوالد الحبارى في أواخر شهر أبريل وتضع الأنثى من 1 إلى 5 بيضات وسط حفرة غير مفروشة تخسارها بين الأعشاب. وتدم مدة الحضانة ما بين 25 و28 يوماً، وتغادر الصغار العش مباشرة بعد التفقيس، وتحسن الطيران بعد أربعة أسابيع.

تضم الفصيلة في العالم واحداً وعشرين نوعاً تعيش في أوروبا وآسيا وأفريقيا من بينها أربعة أنواع تعيش في المغرب :

- الحبارى المتوجة، تسمى علمياً Chlamydotis undulata وبالفرنسية Outarde houbara - ondulée وبالإنجليزية Houbara bustard، وتتميز بعنق أسود الريش على جانبيه ورمادي مبيض على مقدمته ومؤخرته. الرأس متوج بريش رمادي مسود. الظهر والجوانح بنية صفراء. البطن أبيض والقوائم رمادية مخضرة. يبلغ طول الجناح أربعين سم وبسطة الجناحين ما بين سائة وعشرين وسائة وثلاثين سم، ولا يتعدى طول الذكور أربعة وستين سم.

تعيش الحبارى في المناطق الجافة وشبه الجافة من المغرب وخاصة في النجود العليا الشرقية الغنية بالحلأ وفي الجنوب بين طانطان والعيون، وتعتبر من الطرائد المفضلة لدى الصيادين، وكثيراً ما يتم صيدها بواسطة الصقور.



حبارى رعادة

تلد الأنثى ما بين اثنتين وثلاث بيضات ونادراً أربعاً، لونها بني مخضر لامع، ويبلغ قطرها 62 x 45 ملم. ترافق الصغار الأمهات مباشرة بعد التفقيس وتتغذى على الحشرات والديدان. يعيش هذا النوع مزدوجاً وأحياناً وسط مجموعات صغيرة وهو شديد الحذر ويصعب الاقتراب منه مما يجعل صيده صعباً.

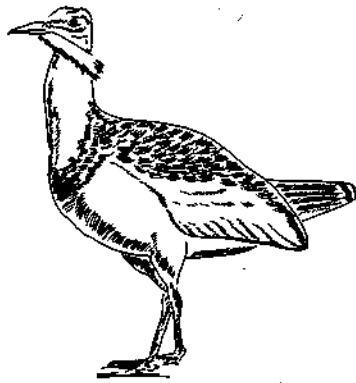
- الحبارى الصغيرة، تسمى علمياً Otis tetrax،

وبالفرنسية Canepetière وبالإنجليزية Little bustard. ريش الإناث موحد اللون، بني مصفر منقط بالأسود، وتتميز الذكور بعنق أسود الريش تتخلله حلقات بيضاء رمادية. لا يتعدى طول الإناث ثلاثة وأربعين سم وطول الجناح ثمانية وعشرون سم وبسطة الجناحين متر واحد. يبلغ طول الذكور 50 سم ويتراوح الوزن بين 800 - 1000 غرام، بينما لا يتعدى وزن الإناث ستمائة غرام.

تتوالد هذه الحبارى ما بين أبريل ويونيو وتضع الأنثى ما بين 2 و5 بيضات وسط حفرة مفروشة. لون البيض أخضر بني منقط ومخطط بالبني الدكن. يبلغ القطر 53 x 39 ملم. تحضن الأم البيض ثلاثة أسابيع وتعتنى بفراخها ريثما تحسن الطيران.

بعد هذا النوع من الطيور المهاجرة، يقضي فصل الشتاء في السهول الغربية الساحلية، ومنه عدد كثير يتوالد في السهول والنجود شمال الأطلس الكبير، إلا أنه خلال العشر سنوات الأخيرة عرف هذا النوع تقلصاً ملحوظاً في عدده.

- الحبارى العربية تسمى علمياً Ardeotis arabs وبالفرنسية Outarde arabe وبالإنجليزية Arabian bustard. يبلغ طول الإناث 74 سم وطول الذكور 90 سم ويتعدى وزنها 8 كلف. العنق رمادي والظهر والجناح بنية صفراء، والأقدام صفراء وقوية. تلد الأنثى 2.1 من البيض بنية مخضرة منقطة بالرمادي، يبلغ قطرها 53 x 71 ملم.



حبارى ملتحية

عرف هذا النوع تقلصاً شديداً في عدده حيث كان في بداية القرن يتوالد في السهول الساحلية الغربية الممتدة من سهول الغرب إلى ضواحي تزنيث. يحتمل وجود بضع وحدات في مناطق كولمين وسوس - ماسة. يعد هذا الطائر من الحيوانات المنقرضة في المغرب.

- الحبارى الكبيرة تسمى علمياً Otis tarda وبالفرنسية Grande Outarde - Bardu وبالإنجليزية Great bustard. تتميز بجسم كبير وقوي يصل وزنه إلى 16 كلف وتبلغ بسطة الجناحين 2.20 متر. طول الذكور 102 سم وتتميز بريش أبيض وراء المنقار يكون شوارب طويلة. الصدر مزين بحلقة عريضة من الريش المحمر. الأقدام رمادية وقوية. يبلغ طول الإناث 76 سم ولا يتعدى وزنها 10 كلف.



أما فيما يخص الأنواع الأخرى المذكورة أعلاه فإنها برية، تعيش منفردة دون أن تشكل غابات أو حتى باقات. فيرُوتوسُ أَقِيمُ يقطن أترية خصبة في البيومناخات الرطبة جداً من الطابقين النباتيين فوق المتوسطي والجبلي المتوسطي.

غيسر أن يرُوتوسُ مَحَالِيبٌ لا يصادف إلا على الأجراف الصخرية من جبال الأطلَس في المناطق البيومناخية شبه الجافة وشبه الرطبة من الطوابق النباتية للمتوسطي وفوق المتوسطي والجبلي المتوسطي. يرُوتوسُ يرُوتوسُ شجيرة تصادف مع نباتات التشكيلة السهبية في قمم الجبال.

ألبرت هيل، النبات الاقتصادي، 1962 : ترجمة، د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة : أبحاث شخصية.

عبد المالك بنعبيد

### الحَبَار Seicle، حيوان مائي ينتمي إلى الرخويات

وبالأخص إلى راسيات الصدر (أو الصدراسيات) أي حيوانات لا فقريات يتلاحم عندها الرأس والصدر ليكون جسماً واحداً (صورة 1) إلا أن هاته الحيوانات في الواقع، تتميز بقرب الرجل من الرأس حيث إن الرجل التي هي واضحة المعالم عند الرخويات الأخرى تعطي عند الصدراسيات عدة مجسات (ثمانية أو عشرة) تحيط بالفم كما تعطي قمعاً يسمح للماء بالخروج من جسم الحيوان. تعيش كل أنواع الحبار في المياه ذات نسبة هامة من الملوحة أي إما في البحر أو مصبات الأنهار أو البحيرات المالحة. وهو من الحيوانات اللاحمة التي تتغذى على حيوانات أخرى كرخويات أخرى أو قشريات بما في ذلك السرطان والإريبان إلا أنه إذا سمحت الظروف بذلك فالحبار لا يتهاون في اصطياد والتهام أسماك صغيرة.



يعيش الحبار فرادى أو جماعات، قرب السواحل أو في أعماق البحر الممتدة إلى أكثر من خمسمائة متر. فهو إما سابح كالعوالق غير معتمد على أية دعامة، وإما بين الأعشاب والطحالب وفوق الصخور والرمال "متكئاً" من فينة لأخرى على سطح القعر بواسطة مجساته.

تتوالد في أواخر أبريل وتضع الأنثى 4.2 بيضات محضرة رمادية منقطة بالبيني. يبلغ قطرها 80 x 57 ملم. تحضن الأنثى بيضها 25.28 يوماً وتعتنى بصغارها لمدة أربعة أسابيع. يقتصر موطنها في المغرب على المناطق المنحصرة بين سهول الغرب ووادي ورغة وطنجة. لم يبق من هذا النوع إلا بضعة أفراد مهددة بالانقراض.

الحبارى بكل أنواعها من الطيور المحمية في العالم خوفاً من انقراضها وفي المغرب يصدر في حقها قرار سنوي من وزارة الفلاحة ينظم مدة الصيد وأماكنه لكل من هذه الأنواع.

أ. العلوف، معجم الحيوان، القاهرة، 1932.

C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1977, 135 - 136 ; M. Thevenot, P. Beaubrun, R.E. B. Aouab, *Compte rendu d'ornithologie marocaine, Doc. hist. Sci.*, Rabat, 1982 ; M. Thevenot, P. Beaubrun et J. Schouten, *Breeding birds of the Khmifiss - La youne region and its recent developments, Trav. Inst. Sci.*, Rabat, hors série 1988, p. 141 - 160.

محمد رضاني

### حَبِّ المَلُوك بالمغرب أو الكروز أو الكريز، نوع

شجري يسمى علمياً بِرُوتوسُ سِيرُوتوسُ Prunus cerasus وهو من فصيلة الورديات Rosaceae. بالإضافة إلى هذا النوع المزروع توجد بالمغرب أنواع برية أخرى شجرية أو شجيرية تعطي ثماراً صغيرة الحجم لا قيمة لها بالنسبة للاستهلاك البشري. ومن أهم هذه الأنواع بِرُوتوسُ أَقِيمُ Prunus avium و بِرُوتوسُ مَحَالِيبُ Prunus mahaleb و بِرُوتوسُ يرُوتوسُ Prunus prosytrata.

لشجرة حَبِّ المَلُوك قامة متوسطة، تاجها كروي. جذعها ذو قلف مشقق. أوراقها بسيطة نفضية. أزهارها بيضاء أو قرمزية في مجموعات، ثمارها صغيرة ناعمة الملص حمراء أو برتقالية أو تميل إلى الاصفرار، ذات أعناق طويلة ونواة مستديرة وناعمة.

الموطن الأصلي لحَبِّ المَلُوك هو أوروبا وآسيا ومنطقة البحر المتوسط، ومن هذه المناطق انتشرت زراعته إلى أجزاء أخرى من القارات الخمس كأمريكا بعد اكتشافها.

ولحَبِّ المَلُوك أصناف عديدة تعطي ثماراً جد مختلفة في الحجم واللون ووقت النضج. تنحصر زراعة حَبِّ المَلُوك بالمغرب في المناطق الجبلية من الريف والأطلس المتوسط والأطلس الكبير. تتطلب زراعته الأراضي السقوية في البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة من الطوابق النباتية للمتوسطي وفوق المتوسطي والجبلي المتوسطي. وأشهر منطقة حَبِّ المَلُوك بالمغرب هي الناحية الوسطى من الأطلس المتوسط وبالضبط ما بين صفرو المدينة المشتهرة بمهرجانها السنوي لحَبِّ المَلُوك ومدينة عين اللوح.

يفرس حَبِّ المَلُوك لثماره المحببة المستعملة كفاكهة المائدة طازجة أو مثلجة أو معلبة أو كمرابي.

التوالد والتكاثر في فترات معينة مما سمي بالراحة البيولوجية.

**الحبارة، Calmar** حيوان مائي يختلف عن الحبار السابق في تصنيفه الحيواني ولو أن الحبارة تنتمي كذلك إلى الصدراسيات. فهي في شكلها تشبه إلى حد ما الحبار حيث إنها تتوفر على عشر مجسات (اثنتان منها أطول من الأخرى) كما تتوفر على زعانف جانبية تمكنها من السباحة إلا أنه يمكن التفرقة بسهولة بين الحبارة والحبار بشكل الزعانف التي هي طويلة تمتد تقريبا على طول الجسم عند الحبارة بينما هي قصيرة تقع في مؤخرة الجسم بالنسبة للحبارة (انظر الرسم). تتوفر الحبارة على قوقعة داخلية تتكون من منطقتين اثنتين: المحور والريشة (انظر الرسم). (2).



الحبارة رخوية مائية أيضاً لا تعيش في المياه العذبة وإنما في مياه البحر فقط ما بين سطح البحر ومئات الأمتار تحت الماء. إلا أن ما يميز هاته الحيوانات هو احتواؤها على أكبر اللاقنريات حجما ويتمثل ذلك في جنس "Architheutis" الذي يعيش في أعماق تفوق أربع مائة متر والذي يمكن أن يبلغ طوله إلى حوالي عشرين متراً ووزنه أكثر من ألف كيلو غراما والذي يكون الغذاء الأساسي لموت العنبر صاحب أكبر رقم قياسي في مدة وعمق الغوص. أما معظم الحبارات فهي تتغذى على حيوانات أخرى بما فيها أنواع أخرى من الحبارة أصغر منها حجما وتكون الغذاء الأساسي لعدد آخر من سكان المحيط كأسماك القرش والعديد من الحيتان وكذلك الإنسان.

تناسل الحبارة مثل الحبار عن طريق مجسات الذكر المختصة التي تنقل إلى الأنثى حيوانات الذكر المنوية التي تخترنها إلى حيث تضع بويضاتها التي تخصبها بنفسها (باستعمال السائل المنوي) وتضعها مجمعة على دعانته مثبتة. إلا أن أنثى الحبارة تضع عدداً أكثر بكثير مما تضعه أنثى الحبار حيث إن الحبارة يمكن أن تضع أكثر من 200.000 بيضة مملحة بينما لا تتعدى أنثى الحبار 400 أو 500 بيضة.

يرى الحبار في أغلب الأحيان سابحا ببطء نحو الأمام مستكشفا الوسط الذي يعيش فيه بواسطة مجساته الممتدة معتمداً في حركته وتنقلاته على تذبذب زعنفتيه الجانبيتين، كما يمكن أن يرى وهو يقفز كالسهم إلى الوراء إذا ما أحس بخطر ما معتمداً في سرعته على قذف الماء الموجود داخل الجسم بكل قوة إلى الخارج. في حالة خطرها يستعمل الحبار مادة سوداء، كالمداود يعكر بها الماء تحدث التهبابات في عيني مطارده وتحجبه عنه مما يعطيه الوقت الكافي للنجاة بنفسه.

والحبار حيوان مزدوج الجنس حيث إن هناك ذكراً وأنثى، إلا أن أغلبية الأنواع تكون الأنثى أكبر من الذكر حجماً. يتوالد ويتجانس الحبار عن طريق مجسات متخصصة لدى الذكر ناتجة عن تخصص إحدى (أو اثنتين) المجسات التي تحيط بالم فبتغير شكلها الخارجي لتكون جهازاً تناسلياً يسمح للذكر بحمل الحيوانات المنوية إلى مكان تلقيح البويضات الأنثوية والذي يمكن أن يوجد في مواطن شتى من جسم الأنثى كالظهر أو داخل الجسم ... الخ. تحتفظ الأنثى بالحيوانات المنوية للذكر إلى حين نضج بويضاتها حيث يتم تلقيحها وتخصيبها من طرف الأنثى نفسها ووضعها على شكل عنقايد ملتصقة بعضها ببعض مثبتة على دعائم صلبة في أماكن ذات حركية كافية لتطهير الماء باستمرار ولتزويد البويضات بالأكسجين الكافي.

تتطور البويضات وتنمو ما بين 30 و70 يوماً فتتفقس لتعطي كل واحدة منها نسخة مصغرة من الحبار عليها أن تنمو وتتغذى وترعرع لتعطي حباراً كما نعرفه. يوجد في العالم عدد كبير من أنواع الحبار يفوق طول بعضها 50 سنتم ويقل طول البعض الآخر عن 5 سنتم، تتوفر السواحل المغربية منها على حوالي اثني عشر نوعاً. إلا أن الأنواع ذات القيمة التجارية هي حوالي ستة أنواع تختلف فيما بينها بنوع وشكل القوقعة الداخلية التي يمكن أن تكون كلسية مثلاً أو مكونة من مادة قرنية، تختلف كذلك بشكل الزعانف الجانبية التي يمكن أن تكون إما طويلة تمتد على طول الجسم أو قصيرة مستديرة أو معينة الشكل. ونذكر على سبيل المثال بعض الأنواع التي توجد بالسواحل المغربية وبالأخص السواحل الصحراوية الجنوبية للمغرب حيث إن بعض الدراسات تقصد مصايد الصدراسيات في هاته المنطقة حوالي 100.000 طن يتكون 37% منها من الحبار. فهناك مثلاً *Sepia officinalis*، *S. bertheloti* أو *S. elegans*.

ورغم وجود أسطول مغربي وأجنبي كبير على الشواطئ الجنوبية للصحراء المغربية التي تهتم بصيد الصدراسيات فإن المغرب نظراً للأهمية التجارية للصدراسيات يولي أهمية كبرى لاحتياظه من هاته الحيوانات حيث إنه كل سنة تمنع البواخر من صيد هاته الحيوانات حتى تتمكن من

تقضي البويضات حوالي أربعين يوماً قبل أن تعطي حبات صغيرة لا تتعدى بضع مليمترات كاملة الحلقة لا ينقصها إلا نحو حجمها لتبلغ حجم الكبار. يوجد على السواحل المغربية عدة أنواع من الحبارات إلا أن أكثرها أهمية وخاصة من الناحية الاقتصادية هي أربعة فقط : Lotigo vulgaris ، A. subulata ، Alloteutis africana و L. forbesi

وتوجد على السواحل الجنوبية الصحراوية لبلادنا أكثر من أي ناحية أخرى وتكون الحبارات فقط حوالي 4/ مما يتم صيده من الصنديات.

محمد منبوي

**الحبّاسي**، أسرة تنتسب لفرقة من قبيلة بني مالك المستوطنة في سهل الغرب شمالي سلا، وكان الحباسيون منذ قرون خلت يسكنون بنواحي إيفيليزان من أحواز مستغانم بالقرب الجزائري قبل أن تصل أفواجهم الأولى إلى غرب المغرب وتستوطن الضفة اليمنى لنهر سبو، واشتهر الحباسة بأمرين :

- وجود مدينة سوق أربعاء الغرب بتراب الحباسة، وكانت تسمى قديماً سوق أربعاء سيدي عيسى بن الحسن المصباحي. وبها أيضاً قرى أخرى مثل قرية الحباسي الذي هو واحد من الحباسة المالكيين الذين تولوا مقاليد السلطة علي كافة إخوانهم وسائر القبيلة خلال عدة عقود من القرن الثالث عشر (19 م) كما سيأتي. وبالقرية تحيط خيام للحباسة من أقارب وأصهار وأصحاب ومسخرين متعصبين بالقائد المولى عليهم وحارسين لشخصه وأملاكه.

قبل منتصف القرن الماضي كان أحد عمال سفيان عبد السلام بن عبد الكريم ابن عودة متولياً على إخوانه وعلى بني مالك أيضاً. لكن بعد ذلك بمدة قصيرة أصبح لهؤلاء قائد منهم هو محمد بن الحاج (اسما) الحباسي وارد الذكر. ومن ذلك الوقت أي من سنة 1261 / 1851 إلى سنة 1328 / 1910 تبوأ الحباسة مكانة رفيعة بالسلطة يتداولونها فيما بينهم إلى أن حيل بينهم وبينها بولاية الطيب بن الشرفاوي الخلفي المالكي على بني مالك.

**الحبّاسي، أبو بكر بن محمد، ولي الأمر بعد موت أبيه القائد محمد بن الحاج سنة 1276 / 1859، واستمر كذلك فترة طويلة انتهت سنة 1301 / 1884.**

**الحبّاسي، أبو بكر بن محمد بن أبي بكر** استعمل على القبيلة حوالي سنة 1303 / 1885 ولربما قبلها. واستمر كذلك فترة من الزمن. وكان من الولاة الذين لهم معاملات واسعة مع الناس، وكذلك مع بعض الأجانب إلى حد أنه كان سنة 1307 / 1890 مديناً بمبلغ من المال لنائب

قتل فرنساً بالعرانش لوي ده لاروش. وفي سنة 1311 / 1893 تمرد أهل الغرب وشقوا عصا الطاعة بعد عزل القائد بوسلهام بن المصطفى ابن الرموش السفياني، فأسند السلطان مولاي الحسن أمر سفيان إلى القائد المجاور لهم وهو أبو بكر الحباسي. فلم يوفق في ردعهم وردهم لجادة الصواب.

وفي سنة 1312 / 1894 بعد موت السلطان بفترة قصيرة نكب أبو بكر الحباسي بالعزل والسجن معاً. ولا نعلم لذلك من سبب سوى أن يكون الحاجب احصاد بن موسى أراد الانتقام من الحباسيين مثلما فعل مع الجامعيين. وطبعاً اتهم الحباسي باكتساب ثروة فاحشة، فزعت منه كلا أو بعضاً وفرضت عليه ذعيرة. وقد أطلق سبيله بعد ذلك بعد أن أدى معظم المال الموظف عليه.

وفي سنة 1315 / 1897 عين عاملاً على مدينة وجدة لفترة لم أقف على مداها، كما رشع سنة 1327 / 1909 للولاية على قبيلة أنجرة المجاورة لطنجة لما وصف به من العقل والحزم والرفق بالناس.

ومما يذكر عنه أنه في السنوات الأولى من القرن العشرين كان من القواد الذين شاركوا في المحلة القامعة لبوحمارة بشرق المغرب. لكن لما طالت الحرب اشتكى أبو بكر بمرضه ربما لهرمه "وببقائه في الرفعة" (أي أنه لم يكن مهيب الجناح، لأنه كانت له صفة قائد) "فارغ الأشغال" بسبب تدهور أحوال النفس وشدة أحوال الطقس.

**الحبّاسي، إدريس بن الحسين** أحد القواد الخمسة المعينين سنة 1312 / 1894 بعد نكبة أبي بكر الحباسي وتوزيع إيالته عليهم. وكانت بينهما مصاهرة، فأخت إدريس كانت زوجاً لأبي بكر. ومكث في الولاية إلى وفاته سنة 1316 / 1898 ووجه المخزن أحد خبراء سلا هو أحمد بن عبد الرحمان بوعلو لإحصاء متروكه.

**الحبّاسي، العربي بن علي بن المسيح**، لعله عين مباشرة بعد موت إدريس. وكان سنة 1903 لا يزال قائداً. والغالب أنه توفي سنة 1328 / 1910، فعين مكانه الطيب ابن الشرفاوي الخلفي المالكي الذي كان سنة 1319 / 1901 سجيناً بسلا، فطلب العربي من عاملها الإفراج عنه وتوجيهه للقرية.

**الحبّاسي، محمد بن الحاج** - اسماً - وهو أول الحباسيين في الولاية. كان اسم أبيه هو الحاج كما نرى، لوجود أخ له اسمه عبد الرحمان بن الحاج الذي كان سنة 1290 / 1873 أحد المياعين للسلطان الحسن الأول ومعه ابن أخيه الذي كان قائداً وقته وهو أبو بكر بن محمد الحباسي. كان محمد قائداً حتى سنة 1845. لكنه في السنة الأخيرة

وقعت له حادثة غريبة (ركاز) سجن من أجلها بعض الوقت بمدينة مكناس.

وحتى سنة 1265 / 1848 كان محمد الحباسي لا يزال مبعداً بمكناس. والظاهر أنه أعيد إلى سالف منصبه بعد ذلك بقليل. فإذا كانت سنة 1851 وجدناه عاملاً. ولعله دام إلى ما قبل سنة 1276 / 1859.

إسماعيل العلوي، بني مالك، معلمة المغرب، ص 1556 : ع. ابن زيدان، إتحاف، 5 : 80 و 93 : أ. داود، تاريخ تطوان، 6 : 24 : ع. بن منصور، أعلام المغرب العربي، 1 : 330، 334، 351 : م. بوشعراء، الاستيطان والحماية بالمغرب، 2 : 698، 704، 706، 724، 729 وج 3 ص 1178 وج 4 ص 1339 : التعريف ببني سعيد، 1 : 112 و 251 وج 2 ص 249 : علاقة المخزن بأحوال سلا، ص 58، 124، 230، 249. 271 : مجلة الوثائق، ج 3 ص 166 : الوثائق الملكية والبنسعيدية والصبيحية.

E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui*, p. 98-99.

مصطفى بوشعراء.

**الحبّاك**، أسرة مكناسية عالة، أنتقل بعض أفرادها إلى فاس وكان لهم ذكر بهذه المدينة، وتولى بعضهم خطأً شرعية سامية فيها. ولم يعد لهم اليوم ذكر بفاس إلا زنقة تحمل اسمهم.

ع. ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون خ. ح.

**الحبّاك**، أحمد بن سعيد القيجميسي. ولد بمكناسة

عام 804 / 1402 وأخذ الفقه عن كثير من شيوخها كأخيه لأبيه الشيخ الفقيه محمد بن سعيد الحبّاك وابن جابر الفساني المكناسي وأبي عمران موسى الجاناتي وأبي القاسم التازغدوري وأبي محمد العبدوسي وعلي بن يوسف بن يشو التلاجدوتي وغيرهم. ويعتبر المترجم واحداً من علماء أسرة الحبّاك المنتشرة في المغربين الأقصى والأوسط خلال نهاية العصر الوسيط وبداية العصر الحديث، كما يعد من بين أعلام مكناسة البارزين حيث كان له التقدم في الفقه والأدب، كما كان له ذوق في التصوف.

تتلمذ عليه فقهاء كبار بمكناسة وفاس، ومنهم الإمام محمد بن أحمد ابن غازي الذي لازم مجلسه واستفاد منه كثيراً من العلوم وقرأ عليه شرح ابن عقيل على الألفية، ونظمه لسائل ابن جماعة التونسي في البيوع.

كان أحمد الحبّاك يدرس بالمدرسة المتوكلية المنسوبة للسلطان أبي عنان المريني ويخطب بجامع القرويين بعد الفقيه العبدوسي وكذلك بالجامع الأعظم بمكناسة. ولأسباب لا تذكرها المصادر عزل الفقيه الحبّاك إلى جانب القاضيين القوّري والجنباري في يوم واحد، ثم طلب منه بعد ذلك إمامة جامع الأندلس بفاس فرفض قبولها كرد فعل على عزله.

توفي أحمد الحبّاك بفاس عام 870 / 1466 مخلفاً ولداً اسمه أبو سعيد كان من عدول فاس.

م. ابن غازي، الروض الّهتون، الرباط، 1952، ص. 5، 11، 24. 27: التعليل برسوم الإسناد، تج. محمد الزاهي، الدار البيضاء، 1979، ص. 87 : أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1974، ص. 127، 128، 319، 516 : درة المجال، تج. محمد الأحمدني أبو النور، القاهرة، 1971، ج. 1، ص. 88، 89 : أ. باب التنيكتي، نيل الانتهاج، مصر، ط. 1، 1351، ص. 81، 82 : م. الكتاني، سلوة الأنفاس، المطبعة الحجرية الفاسية، 1316 هـ، ج. 3، ص. 246، 247 : ع. ابن زيدان، إتحاف، الدار البيضاء، ط. 2، 1990، ج. 1، ص. 313، 315، ج. 4، ص. 5، 5، 455 : م. مخلوف، شجرة النور الزكية، د. ت. ص. 264 : م. حجي (محقق)، ألف سنة من الوفيات، الرباط، 1976، ص. 149، 262.

**الحبّاك**، أحمد بن محمد بن محمد بن محمد

الأنصاري المكناسي، فقيه نحوي. أخذ عن ثلة من علماء المغرب في عصره كالمقرئ سليمان بن عبد الله الزيناسني الشهير ببونغريبن والإمام ابن غازي، والشيخ أحمد زروق. وتخرج على يديه فقهاء ومتصوفة مثل الولي الصالح عبد الله ابن حسون السلاسي والسلاوي والفقيه أبي شامة ابن إبراهيم الذكالي المشتراي الفاسي والفقيه محمد بن عبد الرحمان بصري الولهاصي المكناسي المعروف بسيدي بصري وأجازته في القراءات السبع والألفية والرسالة القيروانية واردة البوصيري، وقد أورد ابن زيدان نص هذه الإجازة في كتابه إتحاف أعلام الناس (4 : 29، 32). كما أخذ عنه أيضاً الشيخ رضوان الجنوي ومحمد بن عبد الله الدقاق وأبو القاسم بن علي ابن خنجر.

توفي أحمد الحبّاك مسموماً في محرم أو صفر من سنة 938 / غشت - أكتوبر 1531 بعد عودته من حركة الصلح التي أشرف عليها والتي جمعت بين الأشراف السعديين والأمير أحمد الوطاسي، ويُرجع سبب تسميمه إلى أنه كان قوالاً للحق منكرًا للظلم لا تأخذه في الله لومة لائم لذلك أمر الوطاسي بقتله. ومن الأمثلة على ذلك الفتوى الشهيرة التي أصدرها والتي تبطل تحزب التجار الفاسيين ضد من عرفوا بالإسلاميين ومنعهم من دخول الأسواق وتؤكد وقوف الحق إلى جانب هذه الفئة من المجتمع الفاسي.

م. ابن عسكو، دوحة الناشر، الرباط، 1977، ص. 6، 15، 49 : أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1974، ص. 133 : درة المجال، القاهرة، 1971، ج. 1، ص. 94 : ج. 3، ص. 62 : أ. باب التنيكتي، نيل الانتهاج، مصر، ط. 1، 1351، ص. 90 : م. الكتاني، سلوة، المطبعة الحجرية الفاسية، 1316، ج. 3، ص. 249 : ع. ابن زيدان، إتحاف، ط. 2، 1990، ج. 1 : 316 : ج. 4، ص. 32، 29 : م. ابن علي الذكالي، إتحاف الوجيز، تج. مصطفى بوشعراء، سلا، 1986، ص. 97 : م. حجي (محقق)، ألف سنة من الوفيات، الرباط، 1976، ص. 293 : الحركة الفكرية، الرباط، 1976، 1 : 275، 276.

المغرب الأقصى أيام بني أمية الأندلسيين" (الذيل  
والتكملة، 1/8 : 293).

وُلد ابن حبوس في حدود سنة 500 بفاس، وأخذ عن  
علمائها، ثم رحل إلى تلمسان ومراكش، وأقام مدةً  
بالأندلس إلى أن استقر الأمر للخليفة عبد المؤمن بن علي  
بمراكش، فرحل إليه، وخصّه وأبناءه بأمداح كثيرة.

قال عنه ابن الأثير في التكملة (1 : 371) : "كان عالماً  
محققاً، وشاعراً مقلقاً، يتقدم في ذلك أهل زمانه، ويوقف  
علي جودة شعره من ديوانه. امتدح الأمراء ؛ ووصفه ابن  
عبد الملك في الذيل والتكملة رواية عن بعض رواة شعره :  
(8 : 294) بأنه "كان شاعراً مقلقاً من جلة فحول الشعراء  
متفتناً في معارف سوى ذلك من كلام ونحو ولغة"؛ وحلّاه  
ابن دحية في المطرب بقوله (ص 200) : "شاعر المغرب  
الأقصى، ومفخره في صناعة المحاكاة والتخييل. وإن كان  
له غلو في الأمداح، وإفراط في الاختراع والافتداح".

أمّا ديوانه، فلم يصل إلينا، وإن كان مستداولاً في  
عصره ويعدّه اطّلع عليه ابن الأثير، ووقف عليه ابن عبد  
الملك، في مجلد متوسط قائلاً : "وشعره كثير، وقد جمع له  
بعض أصحابه المختصين به ما علق بحفظه منه أو أحضره  
ذكره، أو أسأرتّه عوادى التنقل والاضطراب إلى آخر  
ربيعي ستين وخمسائة، فناهز ذلك ستة آلاف بيت  
وخمسائة بيت، وقد وقفت عليه في مجلد متوسط" (8 : 1 :  
298) ورفع ابن دحية ديوان ابن حبوس إلى الملك الكامل بن  
أيوب سلطان مصر، وكان قد لقيه بمراكش سنة 564 / 1168.

ثم زاره في داره بمدينة فاس، فأخذ عنه وسمع منه ...  
يظهر من خلال هذه الإشارات أن الديوان كان متداولاً  
بأيدي الناس، وأن شعره حظي في عصره بدراسات  
ونظرات نقدية لخصّها المراكشي في كتابه "المعجب" (ص  
213)، إذ جعل لابن حبوس طريقة في الشعر أي مذهباً  
خاصاً به، يقول : "وكانت طريقته في الشعر على نحو  
طريقة محمد ابن هاني الأندلسي في قصد الألفاظ الرائعة  
والفقايع المهولة، وإيثار التقعير، إلا أن محمد بن هاني  
كان أجود منه طبعاً وأحلى مهياً".

كان ابن حبوس مقدماً على شعراء عصره في العدوتين  
ذا مكانة في دولة لثونة حتى نُقلت إليهم عنه حماسات،  
فهرب إلى الأندلس، كما كان "حظيماً عند عبد المؤمن بن  
علي، نال في أيامه ثروة، وكذلك في أيام ابنه أبي يعقوب"  
(المعجب، ص 214)، ومن مظاهر ذلك أنه أول شاعر أشد  
قصيدة في مدح عبد المؤمن بن علي عندما حلّ بجبل الفتح  
مهنتاً بالنصر مطلعها :

بلغ الزمان بهديكم ما أمّلا وتعلّمت أيامه أن تعدلا  
ويحبه أن كان شيئاً قابلاً وجه الهداية صورة فتشكّلا

ويعد كتاب الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي،  
المصدر الذي حفظ من الضياع قصائد مختلفة للشاعر ابن  
حبوس في المدح، والحكمة، وفي مدح المصحف العثماني،

ابن الحَبّاك، محمد، فقيه حيسوبي معدّل أحد أبرز  
العارفين بعلم الهيئة. كان إلى جانب أبي الحسن ابن القطان  
أو سليمان الغياش ممن وقفوا على اختيار موضع فاس  
الجديد الذي أمر بينائه السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني  
سنة 674 / 1276، كما ساهم في تحديد قبلة المدرسة  
اليعقوبية المعروفة بمدرسة الصفارين عندما شيدها السلطان  
المذكور سنة 675 / 1277. وما اشتهر عنه أيضاً وضعه سنة  
685 / 1287 لبدن من فخار في القبة العليا من جامع  
القرويين وجعل في هذا البدن ماءً ومن فوقه طستاً من  
نحاس فيه خطوط وثقب يخرج منها الماء بقدر محدد  
ومعلوم إلى أن يصل إلى الخطوط، فيسهل بذلك معرفة  
أوقات الليل والنهار في الأيام الغائمة.

لا نعرف تاريخ وفاة ابن الحَبّاك هذا غير أنه عاش في  
نهاية القرن السابع (13 م).

مجهول، النخيرة السنية، الرباط، 1972، ص. 161 : الجزائني، جنى  
زهرة الأس، ط. 2، الرباط، 1991، ص. 50-51، 81 : ع. ابن  
خلدون، العبر، بيروت، 1978، 7 : 402 : ابن الأحمر، روضة  
النسرين، الرباط، 1962، ص. 19، 20 : أ. ابن القاضي، جذوة  
الافتقاس، الرباط، 1974، ص. 54.

الحَبّاك، محمد بن سعيد القيجميسي، من فقهاء  
مكتنسة الزيتون. وصفه ابن غازي بالفقيه الزاهد الرباني  
المريني، وأخذ عنه أخوه أحمد بن سعيد المتقدم ذكره والإمام  
ابن غازي. عاش في القرن التاسع (15 م).

م. ابن غازي، الروض الهتون، الرباط، 1952، ص. 23، 24 : أ.  
باب التنكي، نيل الابتهاج، مصر، ط. 1، 1351، ص. 306 : ع.  
ابن زيدان، إتحاف، ط. 2، 1990، ج. 3، ص. 597.

الحَبّاك، محمد بن أبي الفرج، قاضي فاس  
وخطيبها. عده الونشريسي من بين أصحابه ووصفه بالفقيه  
الأجل والعالم العلم الأفضل، الحاج الأكمل، كما أورد في  
معياره نازلة تخص ابنة محمد الحَبّاك هذا واسمها عائشة،  
وتتعلق هذه النازلة بما تركته من أثاث وريع وعقار وحلي  
وكتب كارت لها من أبيها ومن أمها الزهراء بنت أبي يحيى  
الحَبّاك.

توفي محمد الحَبّاك سنة 871 / 1467.  
أ. الونشريسي، المعيار، بيروت، 1981، 6 : 532، 539 : ألف سنة  
من الوفيات، الرباط، 1976، ص. 149، 262.

رشيد السلامي

ابن حَبّوس، محمد بن حسين بن عبد الله الفاسي  
- بتشديد الباء - وتخفيفها.. شاعر الدولتين المرابطية  
والموحدية "وحبوس من موالي بني أبي العافية الذين ملكوا

وفي شكوى الدهر، يليه كتاب زاد المسافر وغرة محياً  
الأدب السافر لأبي بحر صفوان بن إدريس الذي أورد له  
مختارات شعرية من قصائد عديدة في مناسبات مختلفة.  
ويلخص عبد الله گتون رأيه في شعر ابن حيوس قائلاً:  
"ومجمل القول فيه، أن شعره يجمع بين الجزالة والإبداع،  
ويكثر فيه المجاز والصور الخيالية التي يقرب بها ما بعد  
من المعاني، وشرد من الأغراض، والكلمة فيه تخضع لمراد  
الشاعر ولا تتحكم فيه، ولو كان بيدنا كثير من شعره  
لحكما جزماً بأنه نسيج وحده في أسلوبه على ما ظهر لنا  
مما بيدنا من شعره ... تجربته الشعرية كانت تقتضي منه  
معاناة وعملية خلق فني كما هو الحال عند كل الفنانين  
والأدباء الكبار" ( ابن حيوس، ص 14). بينما يصنف  
محمد ابن تاويت الشاعر ابن حيوس ضمن مدرسة المتنبى،  
فهو "شاعر معان أكثر منه شاعر ألفاظ، فالجزية الحقيقية  
في شعره ليست الألفاظ الخداعة، ولكنها في المعاني التي  
تبرهن عن قيمتها وتعلن عن نفسها بواقعها" ( الوافي  
بالأدب، 1 : 100).

ص. ابن إدريس، زاد المسافر، ص 43 : ابن دحية، المغرب، ص  
200 : ابن الأثير، التكملة، 1 : 371 م. ابن عبد الملك، الذيل  
والتكملة، 1 : 294 ع. المراكشي، المعجب، ص 214 ع. گتون،  
ذكريات مشاهير رجال المغرب، عدد 39 م. ابن تاويت التطواني،  
الوافي بالأدب العربي، 1 : 100 ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 4 : 110،  
نحاة المريني

ابن حَبُوش، كنية لشخصين من قبيلة حُصين تولى  
منصب قيادة فرقة هذه القبيلة الواقعة جنوب شرق سلا على  
الضفة اليمنى من نهر أبي رقراق، وكلاهما من فصيلة أولاد  
عقبة :

ابن حَبُوش، الجيلالي ربما كان ولد العربي آتي  
الترجمة تولى قيادة فرقة حُصين بعد العربي إلى أن عزل  
سنة 1321 / 1903.

ابن حَبُوش، العربي بن بوعزة الحصيني تقلب في  
منصب القيادة على إخوانه في فترات تخللها السجن  
والعزل عدة مرات.

ففي سنة 1290 / 1873 كان قائداً إلى أن كانت سنة  
1292 / 1875 فعزل، لأن قيادة حُصين أسندها السلطان  
مولاي الحسن إلى قائد عامر الحاج العربي بن الفقيه  
السَّغُونِي، بعد أن كان ولي قبيلة أحمد بن العروسي  
الهلال العربي عليها. غير أن حُصين وجوارهم السهول لم  
يرضوا أن يولى عليهم غيرهم من عامر الحوزية.

وقد عدل السلطان عن رأيه بعد أن زال فسادهم وظهر  
له صلاحهم، وكان ذلك سبباً في تولية العربي بن حَبُوش

مرة أخرى بعض الوقت. غير أن هذا الأخير لما تداين بعض  
الأجانب وخصوصاً ليعقوب بن سعيد ترجمان نائب قنصل  
فرنسا بالرباط عزله السلطان حتى يؤدي ما بذمته، وأمر  
بسجنه سنة 1299 / 1882 طيلة شهرين ثم أفرج عنه بشرط  
أن يسدد ما عليه. وظل معزولاً عن الولاية نحو ثلاث  
عشرة سنة بقية العهد الحسني. فلما توفي السلطان عاد  
إلى الطمع في القيادة وأخذ يبذل المال لينال بغيته. وعلى  
الرغم من أن عبد الله بنسعيد عامل سلا أخبر الحاجب  
احمد بن موسى بأن العربي كان يريد الهجوم على سلا  
وبأنه رجل متصف بالنعسف على إخوانه وبأنه كذاب أحق  
لا يصلح للولاية، اعتبرها الحاجب ضغينة من العامل يكتها  
للعربي الذي كان على علاقة جيدة مع قاضي سلا الحاج  
علي عواد الذي كان يؤيد العربي ابن حَبُوش ضد خصمه  
بنسعيد. فما كان من المخزن إلا أن ولاه مرة ثالثة سنة  
1312 / 1895 وظل قائداً إلى حدود سنة 1319 / 1901،  
ويظن أنها كانت سنة وفاته.

م. بوشعراء، قبيلة بني حسن، مخطوط : وثائق، ج. ص وآل  
بنسعيد : الوثائق الملكية.

مصطفى بوشعراء،

## الحُبُس ← الوقف

الحَبِيق، نبات يسمى علمياً أوسِيمُومَ بَازِيلِيكُومَ  
Ocimum basilicum من فصيلة الشفويات Lamtaceae وهو  
نوع عشبي لا يتعدى علوه ثلاثين أو أربعين سنتيمتراً، ذو  
أوراق بسيطة عطرية وأزهار بيضاء شفوية الشكل.



يزرع الحيق عادة في المحايق أو استثنائياً في الحدائق  
المنزلية للزينة وإبعاد الباعوض والذباب، ولهذا نراه مرصعا  
للتوافذ والأبواب والمداخل. كما يستعمل في بعض  
المأكولات والحلويات نظراً لما له من ميزات طبية ضد  
أمراض الجهاز التنفسي والجهاز الهضمي، وضد السموم  
ولدغات الحشرات وضد البواسير...

أبحاث شخصية.

عبد الملك بنعبيد

**الحبوب،** هي مجموعة من النباتات المتتمية إلى عشيرة النجيليات التي تعطي حبا طحينيا يستعمل في تغذية الإنسان والحيوانات الداجنة، من ضمن هذه الحبوب القمح والشعير والذرة والأرز والذرة البيضاء والدخن والشوفان والخرطال والبشدة. الذرة البيضاء والصفراء والدخن والأرز وهي حبوب المناطق الحارة، أما باقي الحبوب فتنتهي على الخصوص للنطاق المعتدل.

بالنظر إلى محاصيلها، تمثل الحبوب أهم النباتات التي يزرعها الإنسان. يلعب القمح والأرز على رأسها الأدوار الأولى من حيث التغذية والاقتصاد على الصعيد الدولي. يعتبر القمح بعد الشعير الزراعة الوطنية للمغرب. بالإضافة إليهما تسهم الذرة والأرز والشوفان في تغذية الإنسان، في حين يختص الخرطال والشعير والذرة البيضاء بصفة أكبر في إطعام الحيوانات الداجنة. تستعمل العديد من الحبوب كذلك صناعيا (الشوفان، الشعير، الذرة، الأرز) في معاملة الجمعة والنشاء والتقطير ...

تمثل زراعات الحبوب نشاط حوالي المليون ونصف من الحيازات الزراعية، مغطية 80٪ من الأراضي المزروعة بالمغرب (4.500.000 هكتار)، وموفرة 75٪ من الحصة البروتينية في الوجبة الغذائية المغربية. كما تكون 46٪ من موارد التغذية المخصصة للقطيع (حب وتبن).

يتسبب ضعف انتظام التساقطات (من حيث الحجم والتوزيع خلال السنة) في تفاوتات عنيفة لإنتاج الحبوب بالمغرب : 69 مليون قنطار سنة 1968، 21 مليون في 1981، 78 مليون في 1986 ... المعدل السنوي للفترة 1968-1986 هو 43.5 مليون قنطار.

لكن اعتبار إنتاج الحبوب على المدى الطويل يظهر فورا واضحا يرتبط أساسا بتحسين تقنيات الإنتاج. نسبة النمو الملاحظة، وهي حوالي 1.1٪ في السنة، تبقى مع ذلك أدنى من نسبة نمو السكان الحضريين على الخصوص، وبذلك أدنى من الطلب الغذائي.

#### 1 - اعتبارات نباتية وتقنية.

الحبوب نباتات سنوية غالبا، ذات جذور حزمية، وسيقان أسطوانية مزودة بعقد بها أوراق موشحة مغمدة. تجتمع الحبات في سنابل أو سنبيلات، يشكل مجموعها سنبل بسيطة (الذرة) أو مركبة (القمح) أو عشكولا (الخرطال). تأتي الثمرة جافة، مطبقة (برة)، غالبا محبوسة داخل العصاف والعصفيات المعروفة بقشور الحبة، المغطاة بالسقا.

في المكان الذي تنفصل فيه الورقة المغمدة عن الساق، يتولد غالبا لسين عشائني وشفاف به سنان متفاوتة الطول تلتف حول الساق (أذينات). لهذه الزوائد أهميتها من الوجهة النباتية. حيث إنها هي التي تسمح بتمييز مختلف الحبوب في طورها العشبي. فللشوفان لسينات وأذينات شديدة القصر، وللقمح لسينات وأذينات متوسطة.

وللخرطال لسين طويل ومبتور وأذينات منعقدة، وللشعير أذينات طويلة وعريضة ومتقاطعة، ولسين قصير. أوراق القمح والخرطال خضراء فاتحة، وهي في الشعير تنزع إلى الأخضر المصفر. بعض ضروب القمح والخرطال والشعير محبولة، بمعنى أنها تبذر في الخريف لتحصد في الصيف الموالي، الشيء الذي يعرضها في بعض الحالات إلى الانقراض بفعل البرد القارس بدون ثلوج أو الجمد والذوبان المتتاليين في نهاية الشتاء، خاصة في الجبال. لذلك يكون لحبوب الخريف إن هي نجت مردود أكبر من حبوب الربيع. تجدر الإشارة إلى أن جل ضروب القمح المزروعة في المغرب هي وظائفاً ربيعية. أي أنها لا تتوقف على البرد الشتوي (الاسترياع) من أجل أن تسنبل، ومع ذلك فإنها تبذر في الخريف. هناك من ضروب الحبوب ما يزرع أكثر من غيره.

تتمتع الحبوب بخاصة الإشطاء، أي أنها ترسل شطوا، فراخا جديدة في قاعدة العقد السفلي. وهي ملكة ثمينة تسمح باقتصاد البذور أو بتغطية الفراغات الناجمة عن نيوت رديء. يتم تسهيل الإشطاء بواسطة تنعيم الحقل وتحرير القمح وخاصة التزويد بأسمدة منتجة. لكن يحسن تجنب المغالاة في تشجيع الإشطاء على الأثرية الغنية، وتخفيفه على الأراضي المتوسطة والفقيرة. وهو ما يحصل باستعمال بذور أقل في الحالة الأولى، وأكثر في الحالتين الآخرين، مثلاً : 150 كلف / هكتار من البذور بالنسبة للقمح المزروع مبكراً في الأثرية المتوسطة، 200 كلف / هكتار في أثرية فقيرة.

يساعد البذر المبكر كذلك على الإشطاء ويتطلب مقادير أقل من البذور. يلزم التحفظ بشأن استعمال ميزة الإشطاء إلى أبعد الحدود، ذلك أن آخر الفراخ في الظهور تعاني من إبطاء في التنبت وفشل في الإنبال العادي. لذا لا نلجأ إلا نادرا إلى البذر الخفيف. كما أن التبكير الزائد في البذر على الأثرية الجيدة، يتسبب في التكثر من الشطوء معطيا قمحا معشبا، كثير التبن، قليل الحب. متطلبات الحبوب هامة على الخصوص من حيث الأزوط : حيث تصدر 3 كلف للقطار المنتوج. لكن كل إسراف في الأزوط يحدث غزارة في الإنبات، ذبولا في قاعدة السيقان والضجعان. من أجل إعطاء محصول جيد، تحتاج الحبوب الرئيسية إلى قرابة 80 إلى 90 كلف من الأزوط، 40 إلى كلف من حامض الفوسفوريك و100 إلى 125 كلف من البوتاس. دفاعاتها ضعيفة في مواجهة النباتات الدخيلة لذا يجب بذورها في الأثرية النقية المعدة إعداداً جيداً. فمن أجل الحصول على مردود جيد، يستحسن مشط الأراضي وتحريرها، وبذورها حسب الخط، وإبادة الأعشاب في بداية التنبت.

#### 2 - حبوب الشتاء

##### أ - الشعير

يحتل الشعير حوالي 46٪ من الزراعة المغربية، ويعطي

45.3٪ من الإنتاج. فهو لا يغيب عن كل الأراضي المستصلحة، ويصير الزراعة الرئيسية كلما نزل معدل التساقط السنوي عن 300 ملم / سنة، كما هو الشأن في هضاب الشمال الغربي والوسطى، وفي سوس والأطلس الصغير وواحات درعة. في بعض الجهات بقي الشعير إلى أمد قريب الممثل الوحيد للحبوب، ولربما الزراعة الوحيدة.

وبما أنه الزرع الأكثر جلدًا، فإنه بقي مدة طويلة يوفر الإنتاج الأكبر والأكثر استقراراً. لكن استفادة الشعير، كغذاء للإنسان والحيوان من التقنيات المتطورة لم يحصل إلا بعد السبعينيات، الفترة التي تركز فيها المجهود على التحسين الوراثي للقمح، وموازاة مع جفاف الثمانينات. ضبط ضروب ذات مردود عالٍ أمر حديث حيث إن الضروب المنتقاة لم تستعمل على مدى واسع إلا في موسم 1985. 1986. صحيح أن النتائج كانت مرضية لكن، وكما هو الشأن بالنسبة للقمح، مقابل عمليات زراعية عالية الكلفة بالمقارنة مع الضروب المحلية، خاصة بتقوية معالجة الأرض، والتسميد المعدني... بالإضافة إلى أن هذه الضروب شديدة الحساسية إزاء الأمراض الفيروسية والفطرية، الشيء الذي يعمق الاستفادة التامة من التحسين. لم تعرف ضروب شعير الخطين الانتشار الكافي رغم مردوديتها العليا من نسق الستة خطوط بسبب العادات التفضيلية للفلاحين المغاربة.

#### ب - القمح الصلب

يمثل القمح الصلب 29.6٪ من الأراضي و30.4٪ من إنتاج الحبوب بالمغرب. يكون أكبر جزء من حقول الزروع في ظهير المدن بين طنجة وآسفي. ويلغى تقريباً شمال فحص طنجة، كل الحبوب الشتوية بما في ذلك القمح الطري والشعير. يحتل القمح الصلب الصدارة أمام الشعير والقمح الطري في جل جهات الريف الغربي وفي مقدمة الريف وسائيس وبلاد زمور وزعير وسهول الشاوية ودكالة وعبدة ومجموع الأطلس المتوسط الغربي من الحاجب إلى مشارف ميدلت، وفي أراضي السقي الكبير ومحيط تادلة. وذلك رغم مرونته الأقل إزاء الدورة المناخية السنوية. وقد استفاد هو الآخر من البحث الزراعي.

في إطار سياسة تنمية إنتاج الحبوب بعض الضروب الناجحة المضبوطة بالمغرب وفي دول أخرى: كيبيروندا (2777)، كوكوريت، جوري، وأحدث منها كريم ومرزاق... وغيرها كثير، كانت موضوع تكثير البذور. إذاعتها على مدى جغرافي واسع لم تصل إلى كل الفلاحين في الجهات المعتيرة، الذين لازالوا يشنون جلادة الضروب المحلية.

#### ج - القمح الطري

يغطي 11.7٪ من المساحات ويقدم 12.6٪ من إنتاج الحبوب. يحتل القمح الطري الصف الثاني بعد القمح الصلب أو الشعير في ظهير الرياط والدار البيضاء، في مقدمة الريف، الأطلس المتوسط الغربي، كل السهول بين أم

الربيع وتانسفت (بني مسكين، الرحامنة، أحمر)، والأراضي السقوية الكبرى، وفي السهول والمنخفضات بين سوس الأدنى وواد نون. نصيبه من زرعة الحبوب الحريفية يزيد على 15٪ ويمكن أن يتعدى 35٪ ويصل إلى 50٪. دخل في سياق الاستعمار الزراعي، وكان أول مستفيد من أبحاث التحسين الوراثي وبصفة خاصة خلال السبعينات، حيث تم إنتاج ضرب "نسمة 149"، وإدخال "سييتي سيروس". وسرعان ما عمت "النسمة" أقاليم البلاد حيث يمكن أن تعطي في أحسن الظروف التقنيّة مردود 30 إلى 40 قنطاراً في الهكتار خلال السنوات المواتية مناخياً، 30 قنطاراً في سنوات الخصاص مع بلوغ 60 قنطاراً في الهكتار المستقي.

وصل الاتساع العريض لزرعة القمح الطري أوجه خلال موسم 1985. 1986، بمساحة 1.034.400 هكتار مقابل 778.000 في 1984. 1985 و462.000 في 1961. 1962. وذلك تجاوباً مع إرادة وتجنّد السلطات المعنية للاستجابة للطلب المتزايد على هذه المادة من طرف التجمعات الحضرية الكبيرة.

#### د - الحبوب الشتوية الثانوية.

لم يبق من أقدم الحبوب وهي الشوفان والحنطة الرومية إلا مساحات صغيرة في الأراضي العالية، الرطبة شتاء، خاصة في الشمال الغربي الريف. في هذه المنطقة، وهي من أقدم الأراضي الزراعية، لازالت هذه الحبوب مستعملة في التغذية البشرية، لكنها على العموم اندثرت بسبب قابليتها الضعيفة للخبازة. أما قشها، الذي كان ضرورياً لبناء الشقوف فإنه فقد الكثير من قيمته بعد إدخال المطيلة المتسوجة قبل عشرين سنة. عرف الشوفان بعض الانتعاش كزراعة علفية في الحيازات الكبيرة لتربية الماشية.

#### هـ - بلاد القمح وبلاد الشعير

يلاحظ على الفور التوافق الحاصل بين الأراضي التي يغلب فيها القمح الصلب والنطاق الذي يعرف معدل التساقطات السنوية المتجاوز 400 مم. كيف يفسر هذا التوزيع بين بلاد القمح وبلاد الشعير. هل هي علاقة سببية مباشرة بين المناخ ونوع الحبوب؟ أم هو الربط بين انتشار القمح الصلب ومواقع المدن الكبيرة الأكثر تركيزاً في الشمال الغربي الأطلنطي؟

معلوم أن القمح الصلب هو نوع الحبوب الأكثر إكساباً في السوق، وأن الجهات الغربية من المراكز الحضرية هي المستفيدة الأولى من التدخلات التقنيّة. وفي هذا السياق من انتشار البذور المنتقاة للقمح الصلب... تطور هذا النوع واضح في الشاوية العليا التي كانت بلاد الشعير. أم هل هي تفاعلات بين تركيبة من العوامل منها التساقطات الأكثر غزارة، وأنواع التيرس والأترية فوق البازلت، وشبكة المواصلات الكثيفة... أما فيما يخص القمح الطري، فإنه يتمركز في الشطر الغربي من البلاد، عامّة في السهول



والهضاب، لكن لا يمكن ربطه بأية خاصية متميزة للبيئة الطبيعية (التساقطات، الرطوبة، النظام المناخي، الأتربة...) بالإمكان تمييز ثلاثة أنواع من المواقع : نواحي المدن الكبيرة، القطاعات المسقية الكبيرة والجهات المجتثة حديثاً وجزءاً بمحاذاة النطاق الجاف.

### 3 - الحبوب الربيعية

باستثناء بعض آثار الدخن في الأطلس الكبير وعلى رمال إقليم طنجة وفي الغرب الأعلى، حبوب الربيع الوحيدة غير المسقية هي الذرة والذرة البيضاء. مجال هاتين الزراعتين لا يمكن أن يتجاوز الجوار المحيطي الرطب إلا عندما يتوفر الري.

#### أ - الذرة :

تحتل الذرة 10,1٪ من أراضي الحبوب وتمثل 7,8٪ من الإنتاج. يدعم التغذية البشرية وتغذية القطعان معاً. تنمو الذرة بدون سقي في المجال الساحلي حيث يتراوح معدل التساقطات السنوية بين أقل من 300 إلى 400 مم / سنة، بزيادة التكثيف الخفي كما هو الشأن في عبدة ودكالة والشاوية... أما في الريف الغربي فهو قليل الانتشار. يستقبل معدلاً مطرياً من 900 إلى 1200 مم ما بين أكتوبر وأبريل. لكن ابتداء من أبريل - ماي يحل الجفاف بعنف. يتزايد المدى الحراري في اتجاه الداخل وتنقص التساقطات. الأتربة اللدنة بالرغم من مقدورها الجيد في احتجاز الماء، لا تفلح في مقاومة ظروف الصيف التي تصمتها وتصلبها.

#### ب - الذرة البيضاء

توجد الذرة البيضاء في موقع أدنى، فلا تغطي إلا 2,6٪ من الزرعة ولا تحقق إلا 3,9٪ من الإنتاج. كانت وحدها قشل حبوب الربيع في مجموع البلاد قبل إدخال الذرة الصفراء ابتداء من القرن السادس عشر. هي الآن محصورة في أقصى الشمال وتعاني من تراجع واضح.

#### ج - الأرز

الأرز ثالث حبوب الربيع المزروعة في المغرب، يدخل في المجال المسقي. استفادت زراعته من تدخل قوي للدولة. دخل المغرب خلال فترة 1925 - 1930 بدءاً بمناطق العرائش والسايس، ثم تطورت زراعته في منطقة الغرب ابتداء من 1949 التي تنفرد بها حالياً. عرف اتساع المزارع توجهات مختلفة وتقلبات حسب الظروف : 65 هكتار في 1949، 7.000 هكتار في 1955، 2.200 في 1961، 9.100 في 1978. ثم حصل تراجع واضح بسبب الجفاف والأوبئة (پانيكوم) : 879 هكتار في 1982 و 562 في 1985. مكّن تحسین التخزين المائي لسد إدريس الأول من تنشيط الزراعة سنة 1986، وذلك ببذر 4.860 هكتار.

عكس إنتاج الأرز التقلبات التي عرفتها المساحات : 430.000 قنطار في 1969، 25.000 في 1985 بمعدل 183.000 قنطار / سنة بالنسبة للفترة 1949 - 1986. ابتداء من 1980، أصبح من الضروري الاستيراد نزولاً عند رغبة المستهلكين.

### 4 - تدخلات الدولة في قطاع الحبوب.

ليست التقلبات المناخية وحدها العائق في وجه نمو إنتاج الحبوب. من جملة المشاكل الأخرى : البنيات العقارية غير المواتية، النقائص المرتبطة بقلة الخبرات التقنية عند الفلاحين، ضعف المكتنة داخل الحيازات، الاستعمال غير الكافي لمقومات الإنتاج، ضعف سياسات التعميم والبحث والتسويق والتحرير على الإنتاج. يفسر تظافر هذه الصعوبات هزال الإنتاج وسوء استغلال القدرات المغربية التي تقدر بحوالي 100 مليون قنطار (بلغ الرقم القياسي لسنة 1994، 94 مليون قنطار) أهم تدخلات الدولة هي :

- عملية الحرث : التي خصت الفترة بين 1957 و 1962 و همت 900.000 هكتار وأحدثت زيادات هامة في المردود (من 45 إلى 76٪).

- عملية التسميد : في الموسم 1965 و 1966، وهي امتداد لعملية الحرث، ركزت على الفائدة من الموازنة بين استعمال الأسمدة والبذور المنتقاة. تراوح زائد المردود بين 4 و 7 قناطر في الهكتار حسب الأقاليم.

- عقد تناوب : شرع العمل بها في 1969 بإصدار مدونة الاستثمارات الفلاحية. استفادت من التجارب السابقة محاولة إدماج عمليات معالجة التربة، التسميد، استعمال البذور المنتقاة وممارسة التناوب.

- عملية التوزيع : وهي عملية تعاون وطني مترتبة عن نداء ملكي، ترمي إلى تخويل الفلاحين فرصة تدارك ما فات من عمليات معالجة الأرض خلال المواسم غير المواتية. عولجت مساحات كبيرة في إطار هذه العملية :

1.600.000 هكتار في 1981 - 1982، 1.400.000 في 1982 و 1.000.000 في 1983 - 1984.

- عملية الأشغال المبكرة : بعد عملية الحرث الأولى التي كان الهدف منها تحسيس الفلاحين بأهمية الحرث الآلي بصفة عامة، جاءت هذه الحملة الثانية في 1984 - 1985 لتحسين مستوى الأشغال والتبكير بها. وهكذا عولجت 850.000 هكتار قبل متم شتنبر 1985 و 1986، وأكثر من مليون هكتار قبل التساقطات الأولى لنفس الموسم.

- العملية المندمجة : شرع فيها في 1981 داخل القطاعات المسقية. وقد سححت بمضاعفة مردود القمح الطري في هذه الأراضي. ونظراً للنجاح الكبير الذي حققته هذه العملية، كان من المعول تطبيقها على زراعات الذرة ابتداء من موسم 1986 - 1987.

- عملية تكثيف زراعة مليون هكتار من القمح الطري : تم تنفيذها تبعاً للتعليمات الملكية خلال موسم 1985 - 1986 بزراع أكثر من مليون هكتار بالقمح الطري، وهو مستوى لم يسبق أن تحقق من قبل. تطرقت هذه العملية إلى إمداد الفلاحين بقروض كافية (1600 درهم للهكتار في البور و 2200 من المسقي)، تزويدهم بمقومات الإنتاج، وكذلك التأطير المكثف للفلاحين بالنسبة لمختلف عمليات التسيير

التقني للزراعات مع تركيز خاص على مسائل مستحدثة مثل الوقاية الصحية للنبات. كما بذلت مجهودات خاصة في ميدان ابتكار حبوب ذات مردودية عالية، وتنمية توفير مقومات الإنتاج (أسمدة، بذور) بالمغرب وتوزيعها.

كما انتهجت سياسة للأسعار، الغرض منها تشجيع الفلاحين على الاستثمار في قطاع الحبوب (ارتفع ثمن القمح الطري من 85 درهما / قنطار في 1977 إلى 200 درهم في 1985، وثن الذرة من 65 إلى 180 درهما، وثن الشعير من 65 إلى 165 درهما) ومع ذلك لا يبدو أن معظم الفلاحين قد استفادوا من هذا الإجراء نظراً لصعوبات تسويق منتوجهم. تعود صعوبات التسويق أساساً إلى ضعف طاقة تدخل التعاونيات (CMA وDCAM) والتجار المقبولين، إلى اهتمام هؤلاء بالاستيراد، وإلى غياب تنظيم الفلاحين.

أقامت وزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي في 1981، تخطيطاً للحبوب يقوم وزن العوائق التي تحد من تطور القطاع ويضع برامج عمل لتفاديها، أنجز هذا العمل بتعاون مع منظمة الزراعة والأغذية (الفاو) وهو يمثل قاعدة لكل تدخلات الدولة في القطاع. لكن لم يهتم إلا بالحبوب الأربعة الأساسية، دون اعتبار للحبوب الثانوية (الشوفان، الذرة البيضاء، البشنة، الخرطال، الأرز...) نظراً لتنوعها الكبير والمحدودية النسبية لمساحتها.

#### 5. التسويق الداخلي للحبوب

يتم تمويل السوق الداخلية للحبوب بواسطة الإنتاج المحلي، مع تزايد تدريجي للاستيراد ابتداء من الستينات. يخص الاستيراد أساساً القمح الطري وقد أصبح يمثل ثلث المتوفر من الحبوب انطلاقاً من أوائل الثمانينات. هناك إذن طرق تمويل من الخارج وأخرى داخلية لتسويق الإنتاج الوطني.

فيما يخص تسويق الحبوب، يتعايش مسلكان مختلفان: "الحر" و"الرسمي" أو "المراقب" المنضوي في المكتب الوطني البيمهني للحبوب والقطني (أونيكل). على أن مقادير الحبوب الرئيسية الداخلة في المسالك المراقبة التي تخضع لنوع من التنظيم لا تمثل في المعدل إلا عشر الإنتاج الوطني وذلك منذ أواخر الستينات على الأقل. يمكن أن تصل هذه النسبة إلى أكثر من الثلث بالنسبة للقمح الطري وأن تنخفض إلى مادون الجزء العشرين في الشعير، حيث إن جل الإنتاج يدخل في الاستهلاك الذاتي أو يسلك السوق الحرة في ظروف يعاني منها الفلاح أكثر مما يتحكم فيها.

#### أ. السوق الحرة :

السوق الحرة، وهي الأهم بكثير، تضم الأسواق القروية والأسواق الحضرية للحبوب، حيث تتحد الأسعار بحسب العرض والطلب. يمكن أن تزود هذه الأسواق مباشرة من طرف الفلاحين ذاتهم (خاصة في الأسواق القروية)، لكن

جل العمليات يقوم بها الوسطاء في الغالب (تجار، مسامرة، مطاحن، مقسطون ومضاربون). ذلك أن الفلاحين، في فترات الضيق التي تزيد من حاجتهم إلى السيولة، يتخلون عن نصيب كبير من الإنتاج على مستوى الحيازات ذاتها، قبل الحصاد أو بعده. يتم هذا التخلي على أساس تقديرات تقريبية يندر أن تكون لفائدة الفلاح. وحتى داخل الأسواق والقروية منها على الخصوص فإن المعاملات لازالت تجري جزئياً باستعمال الأساليب التقليدية للقياس (العبرة، المد...)

يعرف النظام التقليدي لطحن القمح بواسطة الرحي الحجرية المحركة يدوياً تراجعاً كبيراً في الأوساط القروية. فهو لم يعد قائماً إلا في الجهات النائية والجبلية من البلاد. قسم متزايد من حبوب الاستهلاك الذاتي وأكبر نصيب من التي تسلك السوق الحرة، يسحق في المطاحن التقليدية وهي منشآت صغيرة مجهزة برحي حجرية أو بسحق أسطواني. يقدر عددها بـ 8752 وقدرتها بـ 25 مليون قنطار تقريباً. منها 385 وحدة تدار بالماء و 893 معطلة.

#### ب. السوق الرسمية :

يشارك في المدار الرسمي، تحت مراقبة المكتب الوطني للحبوب والقطني، ثلاثة أصناف من الفاعلين: تعاونيات التسويق، تجار خواص، ومطاحن صناعية.

التعاونيات (SCAM وCMA)، تضطلع مبدئياً بمهمة تأمين تصريف بضاعة الأعضاء حسب الثمن الرسمي المضمون، وتخزين المقادير المودعة لديهم بغرض تسليمها إلى المطاحن الصناعية. تجذب في الواقع العدد المحدود للتعاونيات (13)، تمركزها في بعض الأقاليم وبعدها عن مناطق الإنتاج، ضعف قدراتها التخزينية وأحياناً إمكانياتها المالية، تسييرها الناقص غالباً، الفروق الكبيرة بين المتعاونين والتبعية المبالغية إزاء سلطات الرصاية، كلها عوامل أسهمت في إضعاف دور السكيمات (SCAM) والسيامات (CMA)، بل وتحويلها عن مهمتها.

من ضمن التجار الخواص هناك التجار المقبولون من طرف المكتب الوطني البيمهني (190 في بداية 1987)، ومهمتهم في تجميع وتوضيب وتخزين الحبوب. وتجار التجميع (1126 في 1987) المتوفرون على رخصة السلطات الإقليمية، ومنهم المستثمرون الفلاحون، وتجار التقسيط. يوجد تقنين رسمي ينظم ويحدد حقوق وواجبات كل فئة من التجار، خاصة فيما يهم المقادير المحصلة والمخزنة.

المطاحن الصناعية (عددها 82، تتوفر على قدرة سحق 32 مليون قنطار) تتعامل أساساً مع التجمعات الحضرية. المفروض أنها لا تستطيع التزود مباشرة من السوق الحرة إلا بالقمح الصلب. أما القمح الطري، فهو يمر إليها عبر التعاونيات والتجار المقبولين. في الواقع، ركزت المطاحن أنشطتها منذ مدة على القمح الطري، خاصة في سنوات الخصائص حيث تمثل الاستيرادات أهم نصيب من تمويلها.

الأخرى حتى الصيف، باستثناء البترول. أثار هذه التوجهات الجديدة تساؤلات عدة منها تأثيرها على الإنتاج الوطني، والأمن الغذائي والتسعيرة عند الإنتاج والاستهلاك... الخ.

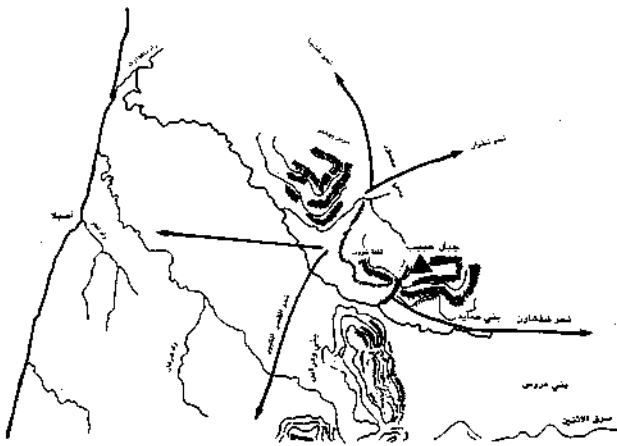
أحمد بوعزيز

**حَبِيب (جبل -) منطقة وقبيلة هبّطية بالشمال الغربي المغربي، ينسب جبل حبيب إلى أحد الفقهاء المرافقين للحملات الإسلامية الأولى، ربما حملة موسى بن نصير، يدعى حبيب بن يوسف الفهري، استقر بالمكان في أواخر القرن الأول الهجري. وتدل شهرته بالمكان إلى يومنا هذا على الدور الذي قام به لتعليم أهل الناحية مبادئ الدين الإسلامي. يشار إلى ضريحه المعين له في أعلى الجبل بجوار شجرة الخروب التاريخية.**

يرتبط جبل حبيب من الوجهة الجغرافية ببني حسان وبني يدر، ويحصر بين وادي الخروب (الواد الكبير) المحيط بالجبل من جهة الجنوب ووادي الحريشة الذي يوسم حدوده من جهة الشمال، وقد أدمج في إطاره الجغرافي قسم غربي سهلي.

يتوزع سكان قبيلة جبل حبيب على مجالين :

- جبل حبيب الفوقي : يحدد مجاله الجغرافي من الجهة الشمالية الشرقية بمجرى واد قتيبت أو الزاوية المنساب من قمة بوغارزبهان، ويتم حدوده من الجهة الشرقية مجرى واد الحجريين. وهو جبل حبيب الأصلي. تشكلت بهذا القسم من الجبل مجموعة سكانية عرفت منذ القرون الأولى بقبيلة جبل حبيب، اشتهرت بها قبل القرن الرابع (10 م) قرية وقلعة الخروب التي كانت تقطع عبور بين الشمال والجنوب. وخلال القرن العاشر (16 م). أمكن لنا عد سبع قرى مستقرة بالقسم الفوقي : الخروب، وهي أهمها وأشهرها الدالة عليه، ثم الجبيلة والريحانة وأخشابش



وقد مرت نسبة الاعتماد على الخارج في تحصيل الحبوب الرئيسية من 10٪ خلال 1969-1973 إلى أكثر من 40٪ في 1981-1985.

6. الواردات.

بالرغم من أن النظام الأساسي يسمح بذلك، فإن المكتب الوطني للحبوب لا يتزود بما يلزمه رأساً من الخارج، بل يقوم بالدراسات اللازمة (على مستوى السوق الداخلية لتحديد الحاجيات، والسوق الدولية لتقصي الفرص) ويصدر طلبات العرض لدى التجار المقبولين للحصول على مقادير محددة. يجتمع المستوردون (حوالي عشر شركات تجارية) بمقر المكتب يوم المائدة للمشاركة في المزاد على أساس مجموعة من الضوابط : الأسعار العالمية، قيمة الشحن، الثمن خالص القيمة والتأمين والنقل، قدرات التخزين، وسائل التمويل، ثمن التفويت إلى المطاحن... يؤمن بعد ذلك المستوردون المختارون تنفيذ مختلف عمليات شراء وإيصال المقادير المطلوبة. لكن منذ موسم 1985-1986 وفي إطار المستويات التي تمولها المعاونة الأمريكية، اعتمد المكتب الوطني أسلوباً جديداً يتم فيه التمويل عبر ثلاث مزادات منفصلة : واحدة لشراء القمح في المنطلق (نقطة الركوب)، الثانية للشحن، والثالثة للاستيراد الفعلي المسمى "بالتحويل". تبدو هذه الطريقة أفيد للبلاد، لأنها تسمح بتمكين أفضل من مختلف مكونات سعر الاستيراد ويتنافس مفتوح بين الوكلاء المعنيين. على أي فإنها حققت على ما يبدو توفيرات هامة. لكن بالرغم من ذلك فإن النقص في وسائل التمويل الذاتية (للمكتب وللشركات المستوردة) ووسائل النقل والاستقبال في الموانئ والتخزين لازال يتسبب غالباً في خلق زائد كلفة يشغل ثمن المنتج النهائي. ومع ذلك فالانعكاسات على المستهلك ليست تلقائية إذ التسعيرة العمومية محددة من طرف الدولة، ومدعمة عند الاقتضاء. فالمكتب الوطني البيهني للحبوب والقطاني هو الذي يراقب مختلف مراحل مسار تكريم أسعار الحبوب (القمح الطري أساساً) المجلوبة إلى المدار الرسمي. يأخذ مباشرة على عاتقه بعض التكاليف (تخزين، نقل...) ويصرف لمختلف الفاعلين (تجار مزودين، مطاحن...) وينجز معادلة الأسعار، مؤمناً الموازنة بين أثمان الكلفة والأثمان العمومية عند الاستهلاك.

منذ المصادقة على الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (الغات)، فإن ترتيبات دورة الأوروغواي تنص على التزام كل البلدان المضيفة بتفكيك العوائق التي من شأنها أن تعوق التجارة بين البلدان. من أجل ذلك التزم المغرب بتلبيح آليات تسيير تجارته الخارجية خاصة منها تلك التي تخص المواد الأساسية. وفعلاً ينص القرار الصادر عن وزارة التجارة الخارجية بتاريخ 19 أبريل 1994 على أن التحرير سيكون تدريجياً خلال 1995. لحد الآن، قررت السلطات العمومية في شهر فبراير من 1995 تأجيل المواد

والرواوس (وهم أولاد الروسي) والقلعة والفلالسة (ومنهم أولاد أقبال). وقد انضافت بعد ذلك إلى المجموعة مدائر دار بن صدوق ويو مزود والرمل والهباطة وبني اهداين وتيزروتان والصف، مما نلاحظه في الوقت الراهن. وبلغ عدد سكانه قبل سنة 1915 نحو أربعمئة وثمانية وثمانين داراً.

جبل حبيب السفلي : قسم سهلي ملحق بالجبل تمتد رقبته على شكل مثلث لانحصاره بين وادي الخروب والحريضة، تشكلت مجموعته قبل القرن العاشر (16 م). وتألف منذئذ من قريتي الكور وحذيفة، ثم أضيفت إليهما قرى : الزوة ودرش علوش وقنوعة وعين جبارة والخب والمذور والذشيرة والشرايخة والهار وافرغص والحجرة وأحريق وحميوش ودار فلاق والمنزلة وجبل الريح، حسب التقسيم الإداري الحالي، وبلغ سكانه نحو ستمائة دار.

ومما زاد في أهمية جبل حبيب الجغرافية كونه نقطة مرور أهم الطرق القديمة التي فرضت نفسها في الوقت الحاضر أيضاً، وهي متجهة نحو الشمال الشرقي اتجاه تطوان وسبتة والقصر الصغير عبر فج الصاري حسب البكري، أو بحر الكور أو اللاما حسب المصادر البرتغالية، بعد المرور بالقصر الكبير والعرائش وأصيلا.

ولقبيلة جبل حبيب حضور بارز في تاريخ الشمال الغربي. ففي العصر الوسيط الأول، وضع البكري الجبل في مرتبة محطة مرور القوافل التجارية العابرة من الجنوب نحو الشمال أو العكس. وجعل منه جبلا كثير العيون، وكانت به آنذاك قلعة ابن خروب، وهي قرية الخروب التي لا تزال إلى يومنا. ويبرز تاريخ جبل حبيب خلال القرن العاشر (16 م) ابتداء من الغزو البرتغالي لسبتة خلال مرحلتين :

1) أثناء تبعية الجبل لطنجة : فقد اهتم به صالح بن صالح الياباني المريني حاكم طنجة المتوفى عام 844 / 1440، وهو الذي أعاد بناء قلعة الخروب هناك وبني به قصراً ليكون مقر سكنى إحدى زوجاته. ونعرف من رؤساء الجهاد المسمى أبا علي الحسن الذي كان رفيق رئيس المجاهدين بجمال مجكسة (الجبال الرابطة بين سبتة وتطوان) المسمى عيو بن محمد المريني سنوات 818 / 1415 . 822 / 1419.

انتقل أبو علي إلى جبل حبيب بعد سنة 822 ليتخذ منه نقطة الحملات الجهادية نحو سبتة بتعاون مع جماعات جزولة المقيمة بمقربات الميدان السبتي، وبقي بالمكان إلى أن اختفت عنا أخباره سنة 830 / 1426. وتعود أخبار قيادة الجهاد أثناء مشاركة جبل حبيب في حصار المرينيين للقصر الصغير سنة 863 / 1458، ومما كان الجبل تحت قيادة أحد أبناء صالح بن صالح الياباني.

والظاهرة البارزة بعد سقوط القصر الصغير استقبال الجبل لعدد من أهل أنجرة وبني حزمارة وفحص طنجة بعد نزوحهم عن الجهات المحتلة أو المهدة من طرف البرتغاليين. وأتذكر وأضحت رئاسة الجهاد بيد العلميين، كان منهم أبو جصعة الحسن الذي تولى رئاسة الجهاد بعد ابن صالح الياباني حوالي 867 / 1462.

2) أثناء التبعية لشفشاون : كان مقتل أبي جمعة بجبل حبيب سببا لانتقال رئاسة الجبل إلى شفشاون الراشدية ابتداء من سنة 876 / 1471 ليصبح مركز جهاد ضد أصيلا وطنجة المحتلتين في نفس السنة، وذلك طوال حياة الإمارة الشفشأوية، تناوبت أثناءها رئاسة الجهاد أسر معروفة لدينا، خاصة الرواوسة العلميين (آل الروسي) وبني يعيش الأنجريين وبعض العروسيين. وقد تعزز المركز الجهادي بفضل المساعدات التي كان يقدمها نظام جامع القرويين من الرجال والمساعدات المالية.

وقد عانى جبل حبيب من جهة أخرى من الغارات البرتغالية المنطلقة من أصيلا خاصة طيلة الوجود البرتغالي بها ما بين 1471 و1550، ولم تنج منها سوى قلعة الخروب التي زاد في تحصينها وقوعها في مرتفع، كما أن قرب الجبل من أصيلا حال بينه وبين الاستفادة من المعازب المحيطة به.

لم يتوقف الدور الجهادي لجبل حبيب بالجللاء البرتغالي عن مدينة أصيلا عام 957 / 1550 بل تحول إلى ميدان مدينة طنجة ليفتح صفحة جديدة في تاريخه خلال ما تبقى من فترة العصر الحديث، ولم تستثن منها المشاركة في معركة وادي المخازن.

وللجبل أيضاً مواقف جهادية تجاه امتداد موجات الغزو الإسباني على الشمال الغربي خلال الفترة المعاصرة في نطاق مقاومة أحمد الريسوني إلى أن تم احتلاله في صيف سنة 1338 / 1920 بعد أن كان نقطة قطع الصلة بين سبتة وتطوان من جهة وأصيلا والعرائش من جهة ثانية.

م. البكري، المغرب، 107، 115، ح. الفكيكي، مقاومة الوجود الإيبيري بالشفشاون الشمالية المحتلة، 2، 430، 501 : ضابط الأمور الوطنية، 43 : البحث الميداني، عام 1959.

Zurara, Cronica de D. Pedro de Meneses ; Cronica de D. Duarte ; D. De Gois, Cronica de Rei D. Manuel ; Bernardo Rodrigues, Anais d'Arzila ; J. Martin Ruiz, Toponomia menor de Yebala : Vademeccum, 24 ; Geografia de Marruecos, 2 : 246 ; D. Berenguer, Campanas en el Rif y Yebala, 2 : 120.

حسن الفكيكي

ابن الحبيب، أسرة فاسية أصلها من لمطة تافيلالت، قال في حقهم صاحب إزالة الالتباس : "أهل معاش وحرفة وتجارة ... ومنهم فرقة من تلمسان أهل معاش وحرفة وتجارة دخلوا إلى فاس قريبا". ولم يشتهر من أولاد ابن الحبيب الفاسيين أحد بعلم، لذلك لم تتعرض لهم كتب التراجم، وإنما اشتهر بالعلم السجلماسيون، ويكتبون "الحبيب" بدون "ابن".

محمد حجي

ابن حبيب القفصري، فيلسوف من قصر كتامة، معلوماتنا عنه جد محدودة، فليس لدينا إفادات عن

أوليته، لكن المصادر القليلة التي تعرضت له تذكر أنه برع في العلوم القديمة، واشتهر أمره إلى درجة أن فقهاء عصره انتقدوا عليه بعض ما كان ينتج من مقولات فلسفية، فبلغ أمره إلى الخليفة أبي العلاء المأمون الموحدي، فكان مصيره أن أدرج ضمن لائحة "الزنادقة" الذين نظمت حملة رسمية لتابعيتهم، ولا شك أن ذلك قد تم في حدود سنة 626 / 1228 وهي السنة التي أعلن فيها المأمون براءته من مهدوية ابن تومرت وأخذ في محاربة البدع. فاعتقل ابن حبيب مع من اعتقل، ثم قتل وصلب.

ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب، ج. شوقي ضيف، القاهرة، 1978، ط 3 : أ. المقري، نفع الطب، ج. إحسان عباس، بيروت، 1968، 2 : 125.

محمد المغراوي

**الحبيب اللمطي، أحمد الحبيب بن محمد بن أحمد السجلماسي الفيلالي، حلاه في إتحاف المطالع** "بالشيخ الامام، العلامة الهمام" وذكر من مؤلفاته فريدة السمط الفريد في رثاء السبط ولعن البيزيد، والوظيفة السنوية في الأذكار السنوية، والدعوات النبوية. توفي في تاسع وعشري محرم عام 1243 / 22 غشت 1827.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 7 : 2527.

**الحبيب اللمطي، أحمد الحبيب بن محمد بن**

**صالح السجلماسي،** يتصل نسبه بأبي بكر الصديق، لذلك يقال له أيضاً الصديقي. كان من الأولياء الصالحين، والعلماء العالمين. قرأ بمسقط رأسه سجلماسة والصحراء، ولقي في مراكش الحسن اليوسي والأخوين العكارين محمداً وعلياً. ووصفه تلميذه أحمد بن عبد العزيز الهلالي في الزواهر الأفقية قائلاً : "فريد العصر، ذو المآثر التي لا يدركها الحصر، المتطلع من العقول والمنقول، المتحلي من الفضائل والفواضل بما يبهر العقول، المجلي في الحفظ والتحقيق بين مشاهير القراء، وسائر أرباب العلوم القراء...".

أخذ عنه جم غفير من طلبة الجنوب، وفي مقدمتهم قريبه أحمد بن المبارك اللمطي مؤلف الذهب الابريز في مناقب الشيخ عبد العزيز.

توفي بمسقط رأسه يوم رابع محرم عام 1165 / 23 نونبر 1751 ودفن بدار سكناه.

أحمد الهلالي، الزواهر الأفقية، مخطوط : م. القادري، نشر، موسوعة أعلام المغرب، 6 : 2176، 2175 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 2 : 385، 383 : م. الأخضر. الحياة الأدبية، 257، والمصادر المذكورة في الهامش 1.

محمد ججي

**ابن الحبيب، محمد الفيلالي المكناسي،** تلقى تعليماً صاعياً بإنجلترا بعد سنة 1880 التي رجع منها ضمن الوفد الثلاثي المتكون من الجصاص وسكيرج والحاج إدريس بن بوغزة.

كان ابن الحبيب من جملة عمال دور السلاح المغربية الذين قصدوا الديار الإنجليزية سنة 1884. ولم يرد بيان عن أسماء مرافقيه في هاته البعثة الثانية المحتملة. ويغلب على الظن أن هناك شيئاً من الخلط بين من أرسلوا للتعليم بجبل طارق ابتداء من سنة 1293 / 1876 وكانوا يعدون بالمتنات، وكلهم من العسكر وضمنهم بضعة أشخاص كانوا من الضباط الأطباء، وبين من وُجّهوا إلى الديار الإنجليزية. وقد يكون ابن الحبيب منهم وظهرت نجابتهم وكفايتهم. ويظهر من الآثار التي خلفها المترجم له أنه كان يتعلم بلندن سنة 1308 / 1891.

عُرف ابن الحبيب بالمواكبي، فقد تعلم صناعة الميكانيك هناك، كما أشرف على صنع البارود بمعمل القرطوش بمراكش ولاسيما سنة 1314 / 1897 حتى أصبح سنة 1328 / 1910 مديراً للمعمل المذكور أي لما كينة القرطوش. ومن اختراعاته :

• ساعة في غرفة المؤقت بمنار جامع ابن يوسف بمراكش، كتب على رخامتها أنه اخترعها سنة 1308 / 1891 وهو بمدينة لندن.

• ساعة كبيرة يزيد طولها على أربعة أمتار وعرضها على مترين كتب عليها : "ابن الحبيب عام 1318 - بمكناس"، ولا يزال هيكلها الخارجي موجوداً في بيت باكدال مولاي الحسن بمراكش.

• ساعة أخرى قيل إنها في مشهد مولاي إبراهيم قرب مراكش.

توفي بمراكش عام 1334 / 1916

• م. المنوني، مظاهر بقظة المغرب الحديث، 1 : 252، 253 : م. بوشعراء، الاستيطان والحماية بالمغرب، 4 : 1352 : وثائق الخزنة الصيحية بسلا.

J.-L. Miegé, *Le Maroc et l'Europe*, Tome IV, p. 97.

مصطفى بوشعراء

**حُبَيْب،** أسرة فاسية أصلها من الأندلس، ولعلها استقرت بفاس منذ القرن التاسع (15 م). ينتسب آل حُبَيْب إلى بني أمية، وقد انقرضوا الآن من فاس ولم يبق ينسب إليهم فيها سوى مسجد الشيخ أحمد حُبَيْب بالمخفية.

**حُبَيْب، أحمد بن محمد الرندي الفاسي،** حلاه في نشر المتاني بالولي الصالح العارف بالله تعالى. أخذ عن الشيخ محمد بن أحمد الغماري صاحب الزاوية بحومة

المخفية تلميذ عبد العزيز التابع ومحمد بن سليمان الجزولي بواسطتين. وقال عنه في المطح : "من أولياء الله الصالحين وعباد الله المتقين، من المشهود لهم بالبركات، وله مخالطة في العلم".

توفي بفاس عام 1013 / 1605 وضريحه مزارعة كبرى خارج باب الفتوح مقابل حيظ حوش أبي المحاسن الفاسي المستدير على القباب من أسفله، وعليه بناء قوس، ومقابر أصحابه أمامه عن سيار الطالع لقبة سيدي يوسف الفاسي قبلة برمية حجر أو رميتين. وما زال يُنسب إليه المسجد الذي عن يمين الداخل لدرج رأس الزاوية من حومة المخفية بفاس. وذكر في *إبتهاج القلوب* جيباً آخر يسمى أبا الحسن علياً كان يقرئ الصبيان بحومة المخفية، ومسجده ومكتبه معروفان بهذه الحومة، توفي عام 853 / 1449.

م. الطيب الفاسي، مطح النظر، مخطوط : ع. الفاسي، *إبتهاج القلوب*، مخطوط : م. القادري، نشر، *موسوعة أعلام المغرب*، 3 : 1140، 1142 : ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون.

**حَتَّى (سَي -) محمد بن الحسن الشرقي أبا الزموري أمّا ثمّ السلاوي.** فقيه متمكن من فروع الفقه المالكي. كان نائباً عن قاضي أزموور، ثم صار خطيباً بالخميسات بعد انتهاء العمل بالعرف البريري. استقر أخيراً بمدينة سلا، وكان معاصراً لقاضي سلا علاء ابن الفقيه الثغراوي وصديقاً لعاملها الحاج الطيب الصيحي.

اشتغل سي حتى في سلا بتدريس قواعد اللغة العربية وأخذ عنه جل طلبتها، وفي مقدمتهم محمد بن الطيب الصيحي (باشا سلا فيما بعد) درس عليه البلاغة بكتاب *المجهر المكنون*، وابن عمه أحمد بن محمد الصيحي (الناظر فيما بعد).

توفي سي حتى عام 1359 / 1940.

رواية شفرية عن الشيخ الحاج محمد بن الطيب الصيحي : ع. ابن سودة، *سل النصال*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3412، 3411 : ع. الجوازي، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 192.

محمد حجي

## حج المغاربة ← ركب الحاج

**حجّاج، الحسن بن أحمد الحسني التظواني.**

حفظ القرآن في صغره وبعض مبادئ العلوم، ثم تعاطى التجارة، ولشغوف نظره وجودة معاملته وفرط ذكائه أترى في وقت قصير ثراء كثيراً اتهمه لأجله بعض العجزة بأنه عشر على كنز، قال المؤرخ الرهوني - وما أحسن ما قال - : "وهو كذلك لأن الجد في الأعمال كنز من كنوز الأموال".

استخدم أمينا في مرسى مدينة العرائش ثم أمينا

لصائر دار اعديل بفاس أعوام 1315 . 1320 هـ ولما عاد إلى تطوان عين محتسبا للمدينة فقام بالمهمة خير قيام، وحارب الغش وغير المنكر، وشدد الخناق على العابثين بالأموال والأعراض والأرواح حتى سئم الناس جده وضجوا منه وقالوا المثل الدارج المعروف : (يرحم الحجاج قدام ابنو) لكرهه الناس للحق، ونفور أغلبهم من أهله. فأعفي من وظيف الحسبة.

كان أعجوبة زمانه في الحفظ مولعا بالمطالعة، يقرأ ما يقع عليه بصره ويسرده لمن شاءه باللفظ في الغالب، يكاد يحفظ تفسير *روح البيان* لإسماعيل حقي، مطلقا على الأحوال العصرية، متتبعا لما يجري في العالم. مع قوة ملاحظته وإدراكه للأسباب والنتائج، ثوري المنزع من دهاة السياسة قوالاً بالحق، ساعيا لتغيير الأوضاع وقلب الأحوال غير هيباب ولا وجل. امتحن بالسجن والتغريب بسبب لطمه لمحتسب تطوان السيد محمد السراج، إذ وجد أعداؤه بذلك السبيل لإيذائه فأغروا به عامل تطوان إذ ذاك السيد أحمد الخضر السلاوي فقبض عليه وجلده وبعث به سجنا لمكناسة. وسُرح بعد ذلك بشفاعة ورجع إلى تطوان، ومن موافقه الشجاعة أن بعض أصحابه عرض عليه الحماية الأجنبية وهو في محتته، وربما كانت تنفعه. فأبى بشم وصير إلى أن فرج الله عنه.

بعد إعفائه من الحسبة في أواخر عمره لزم بيته وانقطع لتلاوة القرآن ومطالعة الكتب إلى أن توفي رحمه الله عام 1331 / 1912. ودفن بالزاوية الريسونية بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 7 : 13، مخطوط : روايات شفرية.

محمد بوخيرة

**الحجّام، أسرة فاسية عريقة معروفة بهذه المدينة منذ القرن التاسع (15 م) يظن صاحب *إزالة الالتباس* أن منهم علي الحجّام (ت. 1132) دفين الزاوية المنسوبة إليه بواد الحريفي داخل باب بني مسافرين، ثم رأى في وثيقة أن أصلهم من تلمسان. ويوجد مسجد الحجّام أسفل رزاق الحجر.**

ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون خ. ح.

**الحجّام الإدريسي، الحسن بن محمد بن القاسم بن**

إدريس الأزهر، أمير إدريسي مثل الدور الأخير للدولة الإدريسية الأولى. عرف الحسن بالشجاعة والإقدام قبل توليه الملك، ولقب بالحجّام لضربه أعداءه في محاجمهم، ومُدح بذلك :

وسيت حجّاماً ولست بحاجم ولكن لضرب في مكان المحاجم  
قام الحسن الحجّام بثورة ضد نفوذ العبيديين بالمغرب، سنة 310 / 922 بعد انهزام ابن عمه يحيى بن إدريس بن عمر (يحيى الثالث) أمام قائد قوات العبيديين أصحاب

افريقية مصالة بن حبوس الذي خلع يحيى وأقام ربحان الكتامي والياً على فاس. فاجأ الحسن الحجّام مدينة فاس في جموع أنصاره وقتل عاملها ربحان الكتامي واجتمع الناس عليه ويايعوه ودخل في طاعته أكثر قبائل البربر، ثم طارد ولاية العبيديين وملك مدن مكناس والبصرة وأصيلة وغيرها واستقام له أمر المغرب إلى أن وقع خلاف بينه وبين موسى بن أبي العافية زعيم قبيلة مكناسة، وجرت بينهما معركة "شعاع" بفحص الزاد بين فاس وتازا أسفرت عن هزيمة ابن أبي العافية وقتل يزيد من ألفين من جنده، من بينهم ابنه منهال.

ولما رجع الحسن الحجّام إلى فاس، ترك جنده خارج الأسوار، ودخل المدينة وحده فغدر به عامله على المدينة حامد ابن حمدان الهمداني، دخل عليه ليلاً وقيده بالحديد وأغلق أبواب المدينة في وجه الجيش وأرسل إلى ابن أبي العافية يخبره بأن قاتل ابنه أسير في يده.

تمكن موسى بن أبي العافية بعد سلسلة من المعارك من الاستيلاء على فاس، وطلب من ابن حمدان أن يسلم إليه خصمه لينتقم منه. فماطله، وكان قد ندم على خيانتته، وفك قيود الحسن الحجّام وأدلاه من السور ليفر فوقع الحسن على الأرض وانكسرت ساقه ومات بعددوة الأندلس بعد ثلاث ليال، بعد أن حكم نحو سنتين، وكان موته في حدود سنة 925 / 313.

وبوته انتهت الدولة الإدريسية الأولى التي استمرت نيفاً وأربعين ومائة سنة.

أ. البكري، المسالك والممالك، 2 : 810، 809 : ع. ابن خلدون، العبر، 4 : 33-32 : ع. ابن أبي زرع، القرطاس، 82، 83 : أ. ابن القاضي، جفرة، 1 : 340 : أ. الناصري، الاستقصا، 1 : 168، 169 : إسماعيل العربي، دولة الأدارسة، 152، 153.

محمد حجي

**الحجّام الأسفي، عبد الخالق بن إبراهيم بن عبد الخالق أحد كبار علماء أسفي في الثلث الأول من القرن الثالث عشر (19 م).** يقول عنه الكاتوني : "كان نخبة زمانه وفريد أقرانه، أحد الفقهاء المحققين، والعلماء العاملين وقضاة العدل المعروفين بالتثبت والسيرورة الحسنة، مع المشاركة في الفنون المتداولة والإمامة في الفقه..."

تولى قضاء أسفي في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وزاده السلطان مولاي سليمان قيادة المدينة.

توفي عام 1234 / 1818.

م. الكاتوني، جواهر الكمال في تراجم الرجال، (القسم الثاني المخطوط).

عبد الرحيم العطارى

**الحجّام الأمغاري، عبد الله، يكنى أبا محمد**

ساهم في عدة غزوات بإسبانيا في عهد السلطان أبي يعقوب يوسف المريني، وغلب عليه لقب "الحجّام" لشجاعته تشبهاً له بالأمير الإدريسي الحسن الحجّام الذي كان يحرص في الحروب على ضرب أعدائه في مكان الحجامة.

توفي الحجّام الأمغاري سنة 745 / 1345، ودفن بزاوية تيط، جنوب مدينة الجديدة ونُسي على قبره حوش.

سلسلة مدن وقبائل، المغرب، ج 10، دكالة، تر. م. الشياظمي، مخطوط : م. الشياظمي، حسن الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة، مخطوط.

محمد الشياظمي

**الحجّام الزوهوني، عبد الله بن علي الصبيحي،**

عاش حول زاوية المولى إدريس الأكبر وأخذ عن عسر الخطاب عن التابع، وكان له أتباع كثيرون. ذكر صاحب الصفوة أنه كانت له زوجة سيئة الأخلاق. تؤذيه جداً، فأشار عليه أصحابه بطلاقها فقال : "لو فعلت لأبليت بها مسلماً غيري".

توفي سنة إحدى وألف / 92، 1593، ودفن بخيبر في أعلى زاوية المولى إدريس بزوهون، وبنيت عليه قبة، وقبره مشهور بزار.

م. المهدي الفاسي، مجمع، ملزمة 13 ص. 6 : م. الإفرائي، صفوة، ص. 21، 22 : م. القادري، الإكليل، مرقون ص. 402، ط. مرقونة : النقاط، ص. 19 : نشر، 1 : 39.

مارية دادي

**الحجّام السلاوي، أحمد بن محمد،** كان من الذين

أوفدوا للتعلم في ألمانيا حيث تدرّب بمدينة إيسن على استخدام مدافع كروب. وكان معه بَلَدِيَه محمد بن الحاج مَحْمَد (فتحاً) النجار المدعو بُولَان. وقيل ذلك كانا معاً مستخدمين بفريق المدفعية بسلا. عاد الحجّام السلاوي إلى المغرب سنة 1306 / 1888 واستخدم بالجيش.

لا نعرف التاريخ الذي توجه فيه إلى الخارج ولا التاريخ الذي توفي فيه.

م. بوشعراء، الامتيطان والحماية، ج 4 ص. 1349 : التعريف، ج 2 ص. 151 و 221.

مصطفى بوشعراء

**الحجّامى، محمد بن أحمد بن علي،** أحد المجاهدين

المفوسرين، قاد حركة الجهاد الشعبي بأحواز شمال شرق فاس، مباشرة بعد أن تمكن الجيش الفرنسي من إخضاع الانتفاضة الشعبية التي اندلعت بفاس أيام 17 و18 و19 أبريل سنة 1912، والمعروفة بأيام فاس الدامية. إذ رغم احتلال العاصمة فاس، فإن المقاومة الشعبية ضد المحتل الفرنسي لم تخمد، بل سرعان ما انتقلت شرارتها إلى





. أما قبائل شراكة وأولاد جامع وني ورياغل والحيانية فكان عليها أن تهاجم بين باب المحروق ودار ديبغ.

إنها خطة عسكرية جد محكمة باعتراف المقيم العام الجنرال ليوطي نفسه، لأنها محاصرة المدينة القديمة من جميع الجهات، مما يبرز مؤهلات الحجاجي العسكرية والتنظيمية وقد دام حصار فاس أكثر من ثلاثة أشهر (ماي - يونيو - يوليو 1912) استطاع المقاومون خلالها إحكام السيطرة على جل منافذ المدينة إذ تمكنوا عدة مرات من مدهامة العدو داخل أسوار فاس. ولقد قام سكان فاس البالي بدور مهم في شد عضد إخوانهم المجاهدين ومؤازرتهم طيلة مدة الحصار المضروب على المدينة.

وخلال ليلة 25 ماي 1912، أي بعد يوم واحد من وصول ليوطي إلى فاس، زحفت القبائل المجاهدة نحو العاصمة من الناحية الشرقية، من جهة نهر سبو وكذا من الشمال الشرقي حوالي الساعة العاشرة ليلاً. فنشبت معركة حامية الوطيس استمرت حوالي اثنتي عشرة ساعة، إلى غاية العاشرة صباحاً من يوم 26 ماي. وكان الحجاجي يسيّر العمليات الهجومية انطلاقاً من مركز قيادته بالصفة اليمنى من نهر سبو، أي على بعد عشرة كيلو مترات من المدينة. يقول ابن الأعرج السليمانى "... هجم على المدينة من ناحية باب الكيسة ودخل بعض الجبال ليلاً من مجرى الوادي وقتلوا حامية الباب وهلك من الفريقين جماعة، وأصبحوا يترددون بأزقة المدينة حتى وصل بعضهم لضريح مولاي إدريس..."

ويضيف ابن زيدان أن المقاومين "صعدوا لقبه الضريح الإدريسي، ويقال إنهم أخذوا منه علماً من الأعلام التي أخذ الحجاجي يصحبها معه في سائر أسفاره..."

أريك هذا الضغط القبلي الفرنسيين، وزاد من ارتباك الوضع قرار المرلى عبد الحفيظ مغادرة فاس والتوجه نحو الرباط. ولرفع الحصار المضروب على فاس قرر ليوطي تعزيز الإمدادات العسكرية من مجندين ومدفعية ثقيلة. ولقد مكنت هذه التعزيزات من فك الحصار عن العاصمة وإبعاد المقاومين عنها بعدما: "... رماهم المدفع. وبعد أن أبعدهم تبعتهم فرقة من الجنود حتى أقطعتم وادي سبو..." حسب محمد الحجوي.

إن الخسائر الكبيرة التي مني بها المقاومون في الأرواح أثرت على نفسياتهم، إلا أن الحجاجي أفتح رؤساء القبائل بمتابعة الجهاد حتى يتم تحرير فاس. فنظم المجاهدون هجومات أخرى أكثر ضراوة ما بين 27 و30 ماي 1912. على أن أكبر المعارك التي خاضتها المقاومة ضد جيش الاحتلال هي التي دارت بالحجرة الكحيلية على ضفاف نهر سبو يوم فاتح يونيو 1912. وقد كلف الجنرال ليوطي الكولونيل غورو (Cl. Gouraud). بقيادة وتنسيق العمليات العسكرية.

ولهذه الغاية حشد غورو جيشاً ضخماً يتكون من أربع

فرق من المشاة: سينغاليين وجزائريين وتونسيين وقوات إضافية من الكوم والمخازنية، إضافة إلى فرقتين من الخيالة... معززة بمختلف أنواع الأسلحة الفتاكة: من طيران ومدفعية ثقيلة (من عيار 75) ورشاشات...

وعلاوة على هذه الوسائل العسكرية لجأ ليوطي إلى الدهاء السياسي لتفكيك المقاومة كالاستعانة ببعض أعيان فاس وبمحمد المكي الوزاني، وبعض القواد كولد بآ محمد الشرقي.

كانت المعركة طاحنة واستمرت طيلة صبيحة فاتح يونيو استعمل فيها السلاح الأبيض، وأبان خلالها المجاهدون عن استماتة وشجاعة فائقة ابهرت الكولونيل غورو، وليوطي على الخصوص الذي اندهش أمام ما بلغه التنظيم والانضباط والصمود لدى المقاومين.

غير أن سلاح المدفعية الثقيلة والطيران لعبا دوراً حاسماً في حسم المعركة وإنهائها.

لقد نتج عن انهزام المقاومة حول فاس ما يلي:

(1) تفكيك صفوف المقاومة واعتصام المجاهدين بقمم الجبال. يقول ابن الأعرج السليمانى "... افترقت جموع الحجاجي ولحقت بجبالها ورجع الشريف الحجاجي لبلاد من قبيلة الجاية ثم لحق بجبال غمارة تاجياً بنفسه..."

(2) ترقية الكولونيل غورو لرتبة جنرال.

(3) انتقال الحجاجي وأنصاره لمساندة المقاومين في مناطق مغربية أخرى: بناحية تازا وشمال البلاد حيث التحق مع أبنائه بالمقاومة الريفية.

توفى محمد الحجاجي حسب الرواية الشفوية عام 1360 / 1941.

وثائق، خ.ع: أرشيف وزارة الحربية بفانسين، باريس، المحفوظات، أرقام 3943 و3945 و3978. ع: ابن زيدان، ملحق الانحساف، مخطوط، خ.ح، رقم 11769. م: ابن الأعرج السليمانى، زبدة التاريخ وزهرة الشاربخ، مخطوط، خ.ع: م. الحجوي، الأحداث السياسية على عهد مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ، مخطوط، خ.ع.

Bulletin de l'Afrique Française, 1914: L'Illustration, 1912, 1913, 1914.

محمد بكرأوي

**حججي**، أسرة سلوية عريقة موطنها الأول في بني ورياغل شمالي مدينة فاس حيث ما يزال قائماً ضريح الشيخ عمرو حججي أخي الشيخ أحمد حججي الجد الأعلى للحججيين السلويين. وللحججيين فروع قديمة في كل من فاس ومكناس لا يعرف تاريخ استقرارهم هناك ولا انتقالهم، وإنما المؤكد حسب رسوم عدلية وحالات حبسية أنهم كانوا يعيشون هناك خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 م).

وورد ذكر أسرة حججي من بين الأسر التطوانية في وثائق

مخطوط؛ م. القادري، نشر، موسوعة أعلام المغرب، 5 : 1825.  
1826 : أ. الناصري، الاستقصا، 7 : 110 : ج. الكتاني، إعلام  
الأئمة، ط حجرية فاس؛ م. الكتاني، سلوة، 1 : 180 : م. ابن علي  
الدكالي، السفينة المنجية في أخبار أهل الزاوية الحجبية، مخطوط؛  
الإتحاف الرجيز، 101 : 102 : إتحاف أشراف الملأ، مخطوط؛ م.  
داود، عائلات تطوان، نسخة المؤلف بخطه في خزائنه بتطوان.

**حجي، أحمد بن عبد السلام السلاوي** نزيل الدار البيضاء. ولد بمدينة سلا عام 1304 / 1886 وبها نشأ ودرس على علماء المدينة، خاصة الحساب والفرائض، وسلك طريق القوم على يد الشيخ المرثي محمد بن عبد السلام ابن عبود المكناسي الدرقاوي حين استوطن مدينة سلا ولازمه وأصهر إليه وأوغل في الزهد وقهر النفس على طريقة المتفكرة أهل التجرد من أصحاب الشيخ العربي الدرقاوي، فكان، رغم مكانته الاجتماعية، يلبس المرقعة ويتمنطق بحبل ويسير في أسواق سلا مكشوف الرأس حافي القدمين رافعاً صوته بالهيللة ماداً يده للصدقة، ثم يدفع في آخر المطاف ما تجمّع لديه إلى المساكين.



اشتغل بالعدالة في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى الدار البيضاء قبيل الحرب العالمية الأولى 1914، واشتغل بالتجارة مدة، ثم رجع إلى العدالة وعيّن موقناً وخطيباً بالجامع العتيق بهذه المدينة، وألف في ذلك الفتوحات الإلهية، المهوبة المستعجلة، لطالب حصة الدار البيضاء بالساعة الإدارية لمآت السنين المستقبلية، وألف كذلك الفردوس المفقود في بيان حال محمد ابن عبود أو الدر المنضود في ترجمة الشيخ ابن عبود، في جزء وسط. ثم توسع في الموضوع وألف كتاباً ضخماً سماه مواهب الملك الحق العبود لتعبير مرآتي أحمد حجي والتعريف بأبن عبود في جزئين كبيرين، وهو شبه مذكرات يومية ذات طابع صوفي روحاني يسجل فيها ما يراه في منامه ويعبّره بحسب ما يجده في اليقظة، مازجاً ذلك بأخبار شيخه محمد ابن عبود وبعض الأحداث الآنية التي عاشها. وله كذلك مجموعة رسائل إلى بعض إخوانه في موضوعات شتى، ومجموعة خطب جمعة.

القرنين الثالث عشر والرابع عشر (19-20 م)، لكنها انقرضت الآن من تطوان. ومن عقاراتها الباقية دار حجي بحي سيدي السعيد، وغرسة داخل تطوان اشتراها الحاج أحمد بن عبد الله حجي عام 1305 هـ. وخلال القرن الحالي وبخاصة بعد الاستقلال هاجرت أسر حجبية عديدة من سلا إلى الرباط والدار البيضاء وطنجة وغيرها لأغراض تجارية وحرفية وإدارية، وطاب لهم المقام فاستقروا هناك بصفة دائمة.

**حجي، أحمد**، الجد الجامع للحجيين السلويين، صاحب الضريح الشهير بحومة الصف، السوق الكبير بسلا. صوفي صالح مجاهد، هاجر في منتصف القرن الحادي عشر (17م) من موطنه ببني ورياغل إلى فاس ثم إلى مكناس قبل أن ينزل في سلا ويستوطنها. سلك طريق القوم على يد الشيخ الزاهد القوي الحال عبد الله الجزائر المكناسي (تـ 1061 / 1651) تلميذ الشيخ الحارثي بن موسى دفين بهت بسنده إلى الشيخ أحمد الحارثي دفين مكناس كبير مردي الشيخ محمد بن سليمان الجزولي. قال في حقه معاصره أحمد بن أبي عسرية الفاسي في رحلته : "الكامل الأوصاف على الإطلاق، الحائز الولاية بالاستحقاق، لكرم نفسه، وأعماله ليوم رمسه، أخلاقه صافية. حدثني من أثق به أنهم لم يشاهدوا في مشايخ عصره من يشبهه في أخلاقه، مع الاجتهاد، ودوام الأوراد، الجمال بغلبه، والجلال في الأسماء يلهبه، قد جمع بين الحالتين، وورث القستين".

وهكذا فإن طريقة الشيخ أحمد حجي شاذلية جزولية عيساوية، وأورادها هي أحزاب هؤلاء الشيوخ غير أن الورد الراتب فيها هو حزب "سبحان الدائم" للشيخ محمد ابن سليمان الجزولي، يُقرأ جماعة في الزاوية الحجبية مساء كل جمعة ويحفظه المريدون عن ظهر قلب ويقروونه فرادى في بيوتهم وكلما اجتمعوا في الزاوية أو في بيوت بعضهم.

كان للشيخ أحمد حجي مريدون كثيرون في العدوتين سلا والرباط، وفي قبائل زهور المنتشرة فيما بين مدينتي سلا ومكناس، وقد شاركه جماعة منهم في الحركة الجهادية ضد المهديّة بخلق الوادي التي انتهت بتحرير هذه المدينة من يد الإيسابانيين بعد أن ظلوا يحتلونّها اثنتين وستين سنة. وحضر الفتح السلطان المولى إسماعيل الذي استلم مفاتيح المهديّة عند صلاة يوم الجمعة خامس عشر ربيع الثاني عام 1092 / 2 ماي 1681. وقد أمر المولى إسماعيل في آخر حياته ببناء جامع بجوار ضريح الشيخ يعرف اليوم بجامع سيدي أحمد حجي، وأوقف عليه هو وأبناؤه أوقافاً كثيرة.

توفي الشيخ أحمد حجي بسلا ليلة الأربعاء السابع من شهر ربيع الأول عام ثلاثة ومائة وألف / 28 نونبر 1691.

أحمد بن عبد القادر التستائوي المباركي، ذيل تمتع الأسماح، مخطوط؛ محمد بن أبي عسرية الفاسي، رحلة، مخطوط؛ م. الإفراني، صفة، 204؛ علي العكاري، البدور الضاوية،

توفي بالدار البيضاء ليلة الأحد عشري شعبان عام  
1391 / 10 أكتوبر 1971.

أحمد حجي نفسه، مواهب الملك الحق المعبود، مخطوط المؤلف ؛  
الفتوحات الإلهية، مطبعة الجامعة بالدار البيضاء، د. ت. ع. ابن  
سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، 1 : 227 ؛ ع. المرزاري، أعلام  
الفكر المعاصر، 2 - 154.

**حجي، أحمد بن عبد الله بن الحارثي السلاوي،**  
اشتهر بسيد أحمد بن الحارثي. بإسقاط اسم أبيه عبد  
الله - وُلد بسلا في حدود عام 1265 / 1848، ونشأ في  
رعاية والده الذي كان من علماء المدينة المرموقين. كان  
المترجم - كما يقول قريبه أبو بكر الصبيحي في كناشته  
العملية - "مثالاً في العمل والاستقامة، كريم المائدة حلو  
الحديث، ذا تجارب في الحياة، جالس العلماء والفضلاء،  
تجري الحكم على لسانه، كثير الأسفار، له أصدقاء في  
جميع أنحاء المملكة ينزلون في ضيافته الأيام الطوال،  
وخارج المغرب في عدة أقطار".

اشتغل بالتجارة منذ نعومة أظفاره، ثم بصناعة  
الصابون، وكان شديد الصلة بإنجلترا كثير التردد عليها



حيث له أصدقاء من عليبة القوم وصلة بالأسرة المالكة،  
يستدعى للحفلات الرسمية ولحضور المعرض السنوي  
للصناعات البريطانية كل سنة. كما كان له متجر كبير في  
لندن للمصنوعات المغربية يديره ابنه محمد حجي المدعو  
"اللورد". وآخر في نيويورك يديره ابنه عبد الكريم حجي.

ولما زار أحمد حجي لندن سنة 1949 زار القسم العربي  
بهيئة الإذاعة البريطانية، ورسم له الفنان عبد السلام علي  
نور صورة جميلة بريشته حلّى بها غلاف مجلة *الاستمع  
العربي* وكتبوا له فيها ترجمة موجزة (ص 12) مما جاء فيها  
: "تاجر مشهور يحترمه إخوانه المغاربة، ويقدره أصدقاؤه  
الانكليز ويحبه كل من اتصل به، فهو المغربي المخلص  
لبلاده المتفاني في خدمة أمته، لا يالو جهداً في تنمية  
الصلات التجارية بين بلاده وبين البلدان الأوربية عامة  
وبريطانيا خاصة متسلحاً بعزيمة الشباب وحكمة الشيوخ  
وتجربة الخبراء. ولطالما نادى بوجوب محاربة الجهل والحمول،  
وساهم في كثير من أعمال البر والإحسان والنهوض بأبناء  
جنسه".

وبالرغم على أن المترجم لم يكن محمياً أنجليزياً، فإن  
ما كان يتمتع به من رعاية التاج البريطاني جعل الفرنسيين  
يتهمونه ولا ينتهكون حرمة. وبذلك أمكنه أن يرسل أبناءه  
لِلدراسة في نابلس ثم في دمشق ومصر وإنجلترا، ومنهم  
الصحفي الشهير سعيد حجي آتي الترجمة. كما كان منزله  
الفخم بسلا منتدى الوطنيين يجتمعون به في المناسبات  
المهمة. ومنها الجمع الوطني الكبير الذي عقد فيه سنة  
1933 للاحتفال بمناسبة مرور سنة على صدور مجلة *مغرب*  
بفرنسا، وخطب فيه محمد حسن الوزاني، وكان من جملة  
الحاضرين، علاوة على علماء سلا وأعيانها، علال الفاسي  
وأحمد بلافريج ومحمد البيزدي ومحمد غازي وممثلو الحركة  
الوطنية في مختلف الأقاليم. ولما قاوم الوطنيون سنة 1930  
الظهير البربري كان أحمد بن الحارثي حجي إلى جانبهم مع  
شيخ الجماعة أحمد المريري وأحمد الصابونجي وأبي بكر  
زنيبر ومحمد الطالبي يوقعون عريضة احتجاج واستنكار  
قدمت لجلالة الملك ولسلطات الحماية.

توفي بمسقط رأسه يوم الأحد تاسع صفر عام 1381 / 3  
يوليوز 1961. وقد ختم أبو بكر الصبيحي ما كتبه عنه في  
كناشته بقوله : "فبذهاب المترجم ذهب من سلا الأئس  
والكرم، وخفتت تلك الأصوات التي كانت تتعالى من بين  
جدران منزله : أصوات الخطباء والزعماء والأدباء الذين  
اتخذوا منه دار ندوتهم ومحل اجتماعهم واحتفالاتهم. كل  
ذلك عشته وشاهدته بالعيان وأحتفظ بذكره الخلوة  
الجيلة".

وثائق عائلية : أبو بكر الصبيحي، كناشة علمية، مخطوطة خ ص.

60 : مجلة *الاستمع العربي*، لندن 1949 العدد 13 ص 12.

كما كان مفكراً سياسياً ومصالحاً واقعياً. أسس مطبعة صغيرة بسلا كانت تطبع جريدة المغرب، والثقافة المغربية، وعدداً من كتب التراث والإبداع، ثم طورها وزاد في آلتها ونقلها إلى ساحة المأمونية بالرباط، ومع ذلك ظل يأمل في خلق مطبعة كبرى أو مجموعة مطابع تقوم بإحياء التراث الوطني وتستجيب لحاجات التوعية والتكوين والتشقيف المنشود للبلاد. وكان يفتتح مذكراته السنوية بعبارة: "المغرب بحاجة إلى مطبعة". كما كانت له مشاريع كثيرة يعمل على إنشائها، منها "مكتب الشؤون المغربية" يجمع كل ما له علاقة بالمغرب والمغاربية ويسعى في الحصول على أهم الجزئيات المغربية بكل دقة وأمانة عن طريق الصحف والكتب والنشرات، ويقسم إلى ثمانية فروع، يختص أولها بالناحية الاقتصادية، والثاني بالناحية السياسية، والثالث بالناحية الفكرية... والاجتماعية... والاستهلاكية... والتاريخية... والخارجية... والجغرافية.



لقد أصيب سعيد بمرض مفاجئ، وهو في ريعان الشباب والفتوة وعز النضال والكفاح، مرض لم يجد فيه علاج. ويتحدث أهله وأصدقاؤه عن عملية تسميم إجرامية. وتوفي يوم الاثنين ثالث عشر صفر عام 1961 / 2 مارس 1942 ولم يجاوز الثلاثين من عمره إلا بأيام معدودات ودفن

**حجي، بومدين بن عبد الله الجزار بن الشيخ أحمد حجي.** فقيه صالح درس بمسقط رأسه على علماء المدينة، وأجازته الشيخ أبو سرحان مسعود جموع الفاسي دفين الضريح الحجي (ت. 1119 / 1707) وقف على هذه الإجازة بخط المميز الجميل المؤرخ الأمين إبراهيم ابن بوزيد السلاوي وذكرها في كناشته العلمية أثناء الترجمة التي خصصها لأبي مدين حجي، وقال عنه: كان "علامة محدثاً خطيباً مدرساً متولي النظر على زاوية جده وأحباسها، وخطيب جامعها ومدرس العلم به".

أسند إليه السلطان المولى إسماعيل النظر في بناء الجامع المجاور لضريح الشيخ أحمد حجي نظراً مطلقاً لا يشرف عليه فيه أحد من الولاة أو غيرهم.

وأشار ابن بوزيد في الكناشة إلى ما كان يتمتع به أبو مدين حجي من حظوة لدى أمير وقته الذي كان مرتباً له راتباً حسناً على تدريس العلم بالجامع المذكور وقال: "وقد رأيت ظهير المرتب... ونص فيه على توقيره واحترامه".

توفي في حدود عام 1160 / 1747 ودفن بالزاوية الحجية بين أبيه وجدته.

ظواهر إسماعيلية: إبراهيم ابن بوزيد السلاوي، الكناشة العلمية، مخطوط: بلقاسم عشا، بيوتات سلا، تح. نجاة المريني، ص 74.

**حجي، سعيد بن أحمد السلاوي،** وكّد يوم الخميس 11 ربيع الأول عام 1330 / 29 فبراير 1912 بمدينة سلا، وبها نشأ ودرس مبادئ اللغة والدين، ثم انتقل في طلب العلم إلى نابلس ودمشق قمصر وانجلترا. وكان يعتمد على نفسه في تكوينه وتعميق معلوماته، مهتماً بالصحافة يريد أن يكون صحفياً وكاتباً يهتم بأحوال أمته ووطنه. أصدر وهو ابن خمس عشرة سنة جريدة الورداء الحظيية، وكتب في الجرائد الوطنية الأولى الحياة لعبد الخالق الطريس وعمل الشعب لمحمد حسن الوزاني والسلام لمحمد داود، والمغرب لمحمد الصالح ميسة.

وبعد رفض طلباته المتكررة لإصدار جريدة يومية من طرف سلطات الحماية، واحتجاجات كتلة العمل الوطني ومطالبتها بحرية الصحافة، سُحِّح لسعيد حجي في محرم عام 1357 / أبريل 1937 بإصدار جريدة المغرب أول جريدة يومية وطنية صدرت بالمغرب، كان سعيد يكتب افتتاحياتها بتركيز كبير على المشاكل الوطنية وخاصة الاجتماعية وما تتطلبه من حلول. وفي 6 صفر عام 1357 / 17 أبريل 1938 أصدر الملحق الثقافي لجريدة المغرب، شارك في تحريره الشباب الوطني الهني من كل أنحاء المغرب وخاصة من فاس، ولم يلبث الملحق أن أصبح مجلة مستقلة باسم الثقافة المغربية.

كان سعيد حجي صحفياً بطبعه "ويعتبر بحق - يقول أبو بكر القادري - خالق الصحافة الوطنية ومطورها ببلادنا"

بضريح جده أحمد حجي في مشهد جنازتي مؤثر لم تعرف المدينة له مثلاً، وأبن من طرف أصدقائه عند قبره، وفي حفل تأبين بقصر الماسونية بالرباط بعد مرور أربعين يوماً على وفاته شارك فيه الجم الفقير من الشباب الوطني المثقف.

سعيد حجي نفسه، افتتاحيات جريدة المغرب والثقافة المغربية ومحاضراته ومقالاته المنشورة في مختلف الصحف والدوريات : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 9 : 3163-1. القادري، سعيد حجي، دراسة عن حياته ونشاطه الثقافي والسياسي، جزآن، الدار البيضاء، 1979، وهي أوفى دراسة كتبت عنه.

**حجي، عبد الرحمان بن أحمد السلاوي**، وكُد يوم الخميس 15 ذي القعدة عام 1318 / 6 مارس 1901 بسلا، وبها نشأ وتعلم في الكتّاب وفي المسجد الأعظم على علماء المدينة أمثال أحمد ابن الفقيه الجبري وأحمد ابن عبد النبي، ومحمد الصبيحي ثم في الرباط على أبي شعيب الدكالي والمدني ابن الحسني ومحمد الرغاي ومحمد الحجوي. ولما بلغ الواحدة والعشرين من عمره انتقل إلى

فاس حيث مكث ثلاث سنين أخذ فيها عن أعلام القرويين، وكان إقباله على دروس العربية والأدب أقوى، كما كان يقرأ منفرداً ما يقع بين يديه من كتب أدبية ودواوين شعرية وما يصل من الشرق من جرائد ومجلات ويعجب بكتابات زعماء الإصلاح والتجديد أمثال محمد عبده ورشيد رضا ومصطفى المنفلوطي، وفي ذلك يقول عن نفسه : "وأنا منذ نشأت وأنا أميل إلى الأدب العربي حتى صرفت فيه معظم أوقاتي، وصار لدي من أعز ما أطلع".

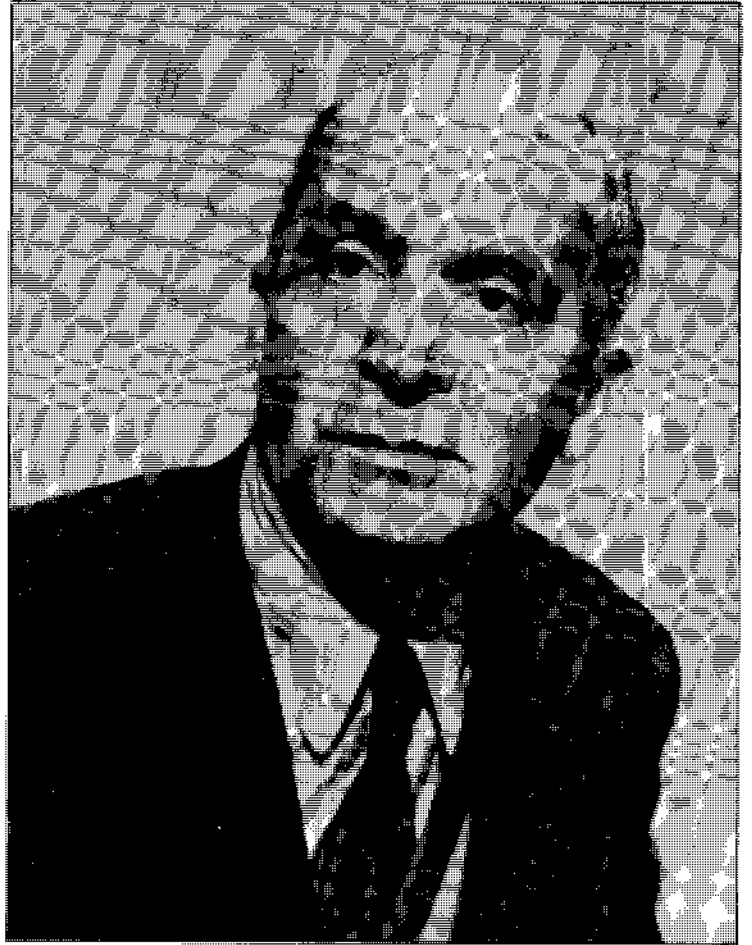
بدأ يقرض الشعر وهو طالب في فاس، فنظم في التشوق إلى مسقط رأسه، وانتقاد بعض عادات مجتمعه، ومهاجمة أديباء الفضيلة المائلين للاستعمار، والإشادة والتنويه بشورة ابن عبد الكريم الخطابي التي كانت أصدائها تدوي في أرجاء العالم.

وبعد رجوع عبد الرحمان حجي إلى سلا وجهه والده إلى لندن ليستغل فيها بالتجارة، لكنه لم يستطع المضي قدماً في هذا الميدان بالرغم على توفر كل أسباب النجاح فيه من مال ودور تجارية إنجليزية لها صلات وثيقة بوالده مستعدة لتعاون معه. هجر لندن بعد أن هجاها بقصيدته الشهيرة : ساقني الدهر لا متطاء البحار واقتحام الأخطار في الأسفار رجع عبد الرحمان حجي إلى سلا ليعيش بين دواوين الشعراء ومعاجم اللغة مع أديباء مدينته وعلمائها، وليستغل بالأستاذية في مدرسة أبناء الأعيان بسلا ثم في ثانوية مولاي يوسف بالرباط ومعهد الدراسات المغربية العليا وجامعة محمد الخامس.

لعبد الرحمان حجي شعر غزير نشر قليل منه في حياته، وجمع بعضه بعد وفاته في ديوان طبع في بيروت، وطبع له قبل ذلك كشف النقاب عن أخلاق الشباب، وتحقيق شرح بحرق الكبير للامية الأفعال، طبع بسلا، ونشر عدداً من الدراسات والمقالات الأدبية والنقدية في مختلف الدوريات. توفي بمسقط رأسه بعد مرض طويل يوم الخميس 27 ذي الحجة عام 1384 / 29 أبريل 1965 بعد أن أوصى أن تخرج جنازته على نعشات الآلة التي كان شديد الولع بها، ودفن بزاوية أصحابه شرفاء وزان التهاميين بحومة الصف.

م. ابن العباس القباچ، الأدب العربي في المغرب الأقصى، 2 : 25، 35 : علال الفاسي، الشاعر عبد الرحمان حجي، جريدة العلم، 21 يونيو 1965 : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 9 : 3388 : إ. الإدريسي، معجم المطبوعات المغربية، 95 : إ. السولامي، الشعر الوطني في عهد الحماية، ص. 233 : م. زنيبر، مقدمة ديوان عبد الرحمان حجي، بيروت، 1991، ص. 17، 58، وهي أوفى ترجمة كتبت له.

**حجي، عبد الله الجزار بن الشيخ أحمد السلاوي**. سماه والده تيمناً باسم شيخه عبد الله الجزار المكناسي، ولم يُرزق ولداً ذكراً غيره. واعتنى بتربيته وتعليمه غاية. درس المترجم في مسقط رأسه على علماء المدينة، ولازم مجالس



الشيخ علي العكاري المراكشي بالجامع الأعظم حين نزل مدينة سلا إثر إخلاء الزاوية الدلائية من طرف المولى الرشيد ابن الشريف العلوي عام 1079 / 1668. كان يحضر هذه المجالس العلمية، إلى جانب عبد الله الجزار حجي، كبار الطلبة السلاويين الذين سيتصدرون الحركة الفكرية في مدينتهم أمثال القاضي محمد المنصوري السوسي والقاضي محمد زنيير والمؤلف أحمد بن عاشر الحافي والأديب محمد ملأح، وكذلك الأمير عبد الواحد ابن السلطان المولى إسماعيل الذي كان يسكن بالرباط، ثم انتقل الشيخ العكاري إلى الرباط ليقتررب من الأمير، فصار الطلبة السلاويون، ومنهم المترجم، يحضرون مجالسه بالجامع الكبير في العودة الأخرى واستمر ذلك إلى وفاة الشيخ علي العكاري سنة 1118 / 1706.

كان عبد الله الجزار حجي، إلى جانب اهتمامه بعلم الظاهر، ميّالاً إلى علم الباطن متصوفاً سالكاً نهج سلفه في الاستغراق في التعبد والتفكير. وخلف والده في القيام بشؤون الزاوية الحجية والمريدين إلى أدركته الوفاة عصر يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من صفر عام 1122 / 29 أبريل 1710 ودفن خلف والده بالزاوية وبنيت عليه قبة حافلة ملاصقة لقبه والده.

رسم عدلية : علي العكاري الحفيد، الدور الضاوية في ذكر الشيخ وتلاميذه وبناء الزاوية، مخطوط : إبراهيم بن بوزيد السلاوي، الكناشة العلمية، مخطوطة : أ. الناصري، الاستقصا، 7 : 110. م. ابن علي الذكالي، الإتحاف الوجيز، 108. 109 : أ. الصيحي السلاوي، الروض، مخطوط خ ص : م. حجي، الزاوية الدلائية، ط 2، 1988، ص 126. 130. م. السعديين، دراسة فهرس أحمد الحافي، د. د. ع. الرباط 1991.

محمد حجي

ابن الحجر، إبراهيم بن يوسف، أبو إسحاق من أطباء البلاط في عصر الموحدين ! ترجم به ابن عبد الملك المراكشي في كتابه الذليل والتكملة، وذلك مع مَنْ يسميهم الغرياء، وهم الداخلون إلى الأندلس من غير أهلها، ومع الأسف فإن السفر الذي توجد به هذه الترجمة يعتبر الآن مفقوداً ؛ ولم ينقل أحد فيما وقفنا عليه هذه الترجمة عن ابن عبد الملك، ولهذا فإن ما نعرفه عن هذا الطبيب الخطير مأخوذ من إشارات وردت إليه في الأسفار الموجودة من الذليل والتكملة ؛ والجزء الأخير من البيان المغرب.

وأول هذه الإشارات ما أوماً إليه ابن عميد الملك من اتهامه بدس السم للخليفة الموحّد المستنصر ولد الناصر بن المنصور (ت. 620 هـ) وسبب ذلك - كما يذكر المؤرخ المذكور - أنه على إثر أزمة مالية في الدولة حدثت "وحشة بين المستنصر ورجال دولته حتى هم بالقبض عليهم واحداً بعد واحد واستصفاة أموالهم، ولما تحسسوا ذلك واستشعروه سعوا في تخلصهم منه بقتله، فدسوا عليه من سمّه فمات.

قال ابن عبد الملك : "وقد تقدّم الإيماء بذلك في رسم أبي إسحاق بن الحجر" وإذا كنا لا نعرف الآن ما كتبه ابن عبد الملك حول هذا الموضوع في ترجمة طبيبنا فإن عبارته المذكورة توهم إلى أنه كان لهذا الطبيب دور في سم المستنصر الذي تزعم الرواية المتداولة بين المؤرخين أنه نطحته بقرة فمات.

ونفهم من هذا أن الطبيب إبراهيم ابن الحجر كان من أطباء البلاط في عهد المستنصر إلى جانب أطبائه الآخرين الذين ذكرهم ابن أبي أصيبعة، وهم أبو الحجاج يوسف بن موراطير. وأبو إسحاق إبراهيم الداني وأبو يحيى بن قاسم الإشبيلي وأبو العلاء بن أبي جعفر بن حسان وأبو محمد عبد الملك الشذوني وعبد العزيز بن مسلمة الباجي وأبو بكر ابن القاضي أبي الحسن الزهري الإشبيلي وأبو جعفر أحمد ابن سابق القرطبي ؛ فجميع هؤلاء، خدموا بطبهم الخليفة المستنصر ؛ وكلهم ماتوا في عهد دولته. ومن الغريب أن ابن أبي أصيبعة لم يترجم لصاحنا، ويبدو أنه لم يبلغه خبره وهو يقف عند هؤلاء الذين توفوا في زمن المستنصر، وقد روى أخبارهم عن القاضي أبي مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك الباجي الإشبيلي الذي هاجر من إشبيلية واستقر في دمشق، وقد كانت هجرته سنة 633 هـ بعد فشل انتزاع ابن أخيه في إشبيلية. ورسمًا نفهم من هذا أن الطبيب إبراهيم ابن الحجر لم يشتهر ذكره قبل التاريخ المذكور.

والإشارة الثانية إلى هذا الطبيب في كتاب الذليل والتكملة تفيدنا أنه أصبح في عهد الرشيد (630. 640 هـ) "كبير أطبائه والمُدلّ عليه والكثير الخلوّة به" ويقصّ علينا ابن عبد الملك في ترجمة أبي البركات الفارسي الوافد على الخليفة المذكور خبراً يدل على حظوة الطبيب ابن الحجر عند الرشيد، ونورد الخبر بنصّه لما فيه من طرافة ولما له من دلالة، قال : "وكان قدومه (أبو البركات) على مراکش في أيام الرشيد من بني عبد المومن، فصرف إليه وجه الاعتناء به والتشويه ووالى بره وتكريمه وحظي عنده حظوة تامة وأجرى له ثلاثمائة درهم وسبعة قناطير ونصف قنطار من الحواري في كل شهر مرتبة سوى ما يتعاهده به من إحسان وكسبى وهدايا وتحف، فتدادى علي ذلك حاله معه مدة إلى أن رفع إليه مقالة في إثبات صنعة الكيمياء، وأنه واصل قد أدركها علماً وعملاً وأدعى إفادته إياها ؛ فقطع الرشيد عنه ما كان يُجره عليه ثلاثة أشهر حتى استوحش من ذلك أبو البركات وأثر في حاله، وكان موضع سكنه قريبا من مسكن أبي إسحاق ابن الحجر المذكور قبل، وكان كبير أطباء الرشيد والمُدلّ عليه والكثير الخلوّة به فألقى إليه أبو البركات ما ناله من فقد الجراية التي كانت تجرى له وجهل سببه، فتلطف أبو إسحاق ابن الحجر في إلقاء قضيته إلي الرشيد بعد رصده ساعة بسط منه وقال له : ياسيدي، عبيدكم الغريب المنقطع إلى جنابكم الفارسي هو من شملني وإياد نسب الاغتراب والأوي إلى كنفكم العزيز وهو مع ذلك

يُعزى إليه، فما زال مشتتاً عليه، وكان الفقيه أبو إسحاق خفيفاً على النفوس قليل قلوب الملوك لمداعبته، وحسن حديثه ودرأيته، واحتوائه على أخبار الدول وإحاطته، وكان للسيد أبي محمد سعد به اعتناء كثير أيضاً ويخلو معه في أكثر أوقاته، فكان أبو إسحاق المذكور يؤكد الوصلة بين السيد أبي محمد سعد وبين ابن وقاريط، ووثق ذلك كما يجب وكما أراد في حق صاحبيه، وعمل في ذلك ما زاد استمالة نفس ابن وقاريط عليه".

وفي هذا النص ما يزيدنا معرفة بشخصية هذا الطبيب الذي جمع بين العلم والأدب والطب من جهة والسياسة والحكمة والدهاء من جهة أخرى، وبدل هذا النص كما يدل كلام ابن عبد الملك السابق على الأدوار السياسية التي قام بها هذا الطبيب منذ عهد الخليفة الموحد الناصر حتى عهد الرشيد وربما ما بعده.

هذا كل ما نعرفه عن هذا الطبيب الكبير الذي شبيهه الشاعر جالينوس بل جعله جالينوس وقته. وسنعرف عنه أكثر مما ذكرنا عندما يظهر السفر المشتتل على ترجمته من كتاب *الذيل والتكملة* إن شاء الله.

م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، 6 : 124، 8 : 179، 241.

342 : ابن عسار، *البيان المغرب* (قسم الموحدين) ص 304.

الدار البيضاء : ابن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، 3 : 127، 132.

محمد بشريفة

## حجر بادس ← بادس

**الحجر (دار -)** بلدة بقبيلة أنجرة شمال تطوان بين المضيق وسوق خميس أنجرة. في موقع جميل بجانب الوادي المسمى أيضاً وادي الحجر. تحيط به جبال لا يتجاوز ارتفاعها ألف متر، تطل على البحر المتوسط وترتبط وتتواصل مع كل جبال المنطقة. تُنتج دار الحجر الخضار والزيتون والتين ويوجد بها مركز الجماعة القروية وبعض المؤسسات الاجتماعية.

F. Joly, *Les régions géographiques du Maroc* : L. Gentil, *Dans le Bled es-Siba*.

أحمد بنجلون

**حجر عيسى**، جبل بالأطلس الصغير في سوس ينطق به محلياً *أزرو عيسى* يقع في قبيلة أيت حامد، إلى الجنوب الشرقي من قرية تيلكات التاريخية. يتميز المكان بمناخ طبيعية، مما جعل السكان يحتفلون فيه عادة أثناء الصراعات المحلية. وبأسفله توجد آثار ساقية قديمة تعرف بساقية القائد وكانت تسقي مياها وادي والغاس.

ترتبط شهرة المكان بأسرة بني عبد العزيز الحامدية، وبه مشهد العالم الصالح عبد الرحمان بن علي الحامدي (ت. 1576 / 984).

جاري الجنب، ذكر لي ماعيل له صبره، وضاق من أجله ذرعاً، وذلكم توقّف ما كان يجري عليه من إنعامكم منذ ثلاثة أشهر ولا يعرف موجبه، فتبسم الرشيد وقال له : كيف يكون هذا ونحن نرى، وهو أنا أحوج إليه منه إلينا، فأكبر ابن الحجر هذا الجواب، وقال : معاذ الله يا سيدي، وأتى يمكن هذا ؟ فرفع الرشيد طرف بساطه الذي كان جالساً عليه وأخرج من تحته مقالة أبي البركات في صنعة الكيمياء، وقال له : من وصل إلى هذا العلم أو هذا العمل فالملوك مفتقرون إليه، فلما وقف ابن الحجر على بعض مضمونها سقط في يده ولم يحجر جواباً إلا بالاعتذار عنه بضعف العقل وسوء التدبير واختلال الذهن وفساد النظر وتلطف في استعطاف الرشيد له والرغبة إليه في إعادة ما كان يجري عليه من إنعامه فأسعه في ذلك وقضاه جميع ما فاتته منه في الأشهر السابقة".

نستنتج من هذا النص ما يلي :

- أن ابن الحجر كان كبير الأطباء في بلاط الرشيد، ومعنى هذا أنه كان في البلاط أطباء آخرون وأن ابن الحجر كان كبيرهم ورئيسهم.

- أن هذا الطبيب كان أثيراً لدى السلطان ومقرّباً جداً إليه يطلعه على الأسرار ويسعفه في المطالب والحاجات.

- أنه كان غريباً وأفدأ على الموحدين في حضرة مراکش،

فمن أين جاء ؟ ومن أين أصله ؟

كُنَّا نتحقّق من الجواب لو وصلت إلينا ترجمة الرجل في *الذيل والتكملة*، ولكن يبدو من اسمه أنه من ولد ابن الحجر زعيم مُسلمي صقلية في عهد ملكها غليام، وقد تحدّث ابن جبير في رحلته عن هذا الزعيم الحمودي الأصل وصموده ومحنته بسبب ما نسب إليه من مكائنه لدى الموحدين وتشوفه إلى هجره صقلية، ويبدو أن هذا الزعيم انتقل هو أو بعض أولاده من صقلية إلى بجاية حيث كان فيها. وفي قسنطينة أعلام من هذا البيت، فلعله وفد من بجاية أو نقل منها إلى حضره مراکش مثلما نقل منها الطبيب أبو إسحاق إبراهيم الداني الذي توفي بمراكش في دولة المستنصر.

والإشارة الثالثة والأخيرة التي نجدها عند ابن عبد الملك حول صاحبنا هي أنه كان مقصوداً من الكبراء، ويمدحه الشعراء، جاء في ترجمة أبي العباس محمد ابن عفير ما يلي : "ومن شعره يخاطب أبا إسحاق بن يوسف بن الحجر . الآتي ذكره في الغرباء من هذا الكتاب إن شاء الله . ويصف له شكاية ألمت به ويستدعي طبها منه" وبعد هذا قصيدة في مدحه تتألف من 21 بيتاً فمنها :

حبر هو البحر إن جاشت غوارثه بالعلم فاضت على العبرين بالعبر  
حوى المعارف طراً واستقبل بها قطبا بغير النهى والفضل لم يندر  
أما الإشارة التي وردت حول هذا الطبيب الخطير في *البيان المغرب* فهي :

"وكان ابن وقاريط أيضاً معنياً بالفقيه أبي إسحاق ابن الحجر غرة مصره، ونادرة عصره، العلم والأدب والطب

أحمد بومزكو

**الحجر (عين -)** منطقة على بعد ثلاثين كيلومترا في الشمال الشرقي لمدينة الصويرة، على يسار الطريق الوطنية المؤدية إلى أسفي، تحدها على اليسار الطريق الشاطئية الجديدة الرابطة بين أسفي والصويرة.

تشكل هذه المنطقة شبه مستطيل طوله نحو ثلاثين كيلومترا وعرضه نحو عشرة كيلومترات. يُشرف عليها من اليمين جبل الحديد الذي يهيمن على مسافات شاسعة من عين المكان. أغلب الأرض مساحات حجرية، بنيت فيها مع ذلك شجر أركان وتتخللها حقول خضراء تعتمد أساسا في سقيها على مياه عين جارية لها صبيب هام تسمى "عين الحجر". تعدّ هذه المنطقة من الشياظمة، وبها بعض القرى أهمها سوق عين الحجر، الذي يوجد به مركز إداري ومدرسة ومؤسسات اجتماعية أخرى.

وثائق إدارية مختلفة.

Province de Marrakech, Monographie.

أحمد بنجلون

**الحجر (قصر -)** يسمى أيضاً دار الحجر (البيان، ق. م : 28 : الحلل، 144) ودار الأمة (الاستبصار، 209) وهو القلعة التي كانت بها الإقامة المخزنية بمراكش على عهد حكم المرابطين وقسم من زمن حكم الموحدين. كان موقعه في الجنوب الغربي من داخل أسوار مراكش المرابطية.

ويبدو أن تاريخ الشروع في تأسيسه يعود إلى عام 1070 / 462 من جهة لموافقته للتاريخ الأكثر ترجيحاً لبناء المدينة، ومن جهة ثانية لاتفاق مختلف الروايات على أنه أول بناء بدأ العمل بإنجازه (البيان، ج 3، 19 : الحلل، 25) أما تاريخ انتهاء الأشغال فغير معروف، والظاهر من خلال الإشارات المتداولة، أن مدة البناء شملت مدة وجود أبي بكر بن عمر اللمتوني في مراكش، وفترة من زمن حكم يوسف بن تاشفين، وحسب نتائج الحفريات التي أجريت على قطاع من موقع قصر الحجر، فإن هذا الأخير عرف بناء قصر إبان حكم علي بن يوسف (G. Deverdun, Marrakech, 1 : 91-98).

يمكن تحديد المكونات المعمارية لهذه الإقامة المخزنية في عنصرين هما :

1 - السور وملحقاته : استغرقت مدة إنجازه مائة شهر (20، البيان، ج 3) ولا توفر المصادر أو أعمال الحفريات الجزئية، إمكانية تكوين ولو صورة مختزلة لهذا الجانب بالذات، فإشارات الأولى تتحدث عن سور وأبواب، وأعمال

الثانية همت فقط الواجهة الجنوبية للقصر وقسما من الواجهة الشرقية على امتداد 218 متراً. وإذا التقت الدلالة الطبونيمية لهذه البناية مع نتائج الحفريات، حول استخدام الحجر ضمن مواد البناء. فقد استخلص دوڤردان من نفس النتائج أن المساحة لم تكن صغيرة. مرجحا إمكانية اقترابها من اتخاذ شكل مربع (57 : 1 : Marrakech) ومن الأسئلة التي تبقى مطروحة : طول السور، وشكله الهندسي.

من النعوت التي أطلقت على قصر الحجر : القصبية (البيان، ق. م. 28 : الحلل، 139) والحصن (الحلل، 25) ولعل مما يجمع بين الاثنين ارتباطهما الوثيق بمعمار له وظيفة أمنية صرفة : مراقبة، حماية، دفاع، حراسة... وإذا كان السور هو قاعدة هذه الحصانة، فإن إنجاز هذه الوظيفة كان يستوجب دعمه بعناصر دفاعية وأمنية أخرى أهمها : الأبراج والشرفات والأبواب، أما ما تعلق بالأول والثاني فلا شيء عنهما سواء في المصادر أو في الميدان، وأما ما يخص الأبواب، فإن الإمكانيات المرجعية المتاحة لا تسمح بضبط عددها وأسمائها وتوزيعها الجغرافي، والمؤكد أن قصر الحجر كان به أكثر من باب (البيان، 4 : 22 : الحلل، 25) والمعروف إلى حد الآن كاسم باب السراجين "الذي كان بمقرية من جامع الكتبيين من سور الحجر" (البيان، م. 352) كانت له أبواب من حديد، أعيد استخدامها في أبواب سور تارودانت عام 665 / 1266 (البيان، ق. م) وكان ينعت بباب السراجين القديم تمييزاً له عن باب من أبواب حومة الصالحة كان يحمل نفس الاسم، وأصبح يعرف بباب القواقين خلال القرن السابع (13 م) (الذليل والتكملة، سفر ق 1 : 351-352 : البيان، ق. م. 358).

2 - المكونات المعمارية الداخلية : من غير المستبعد أن قصر الحجر يتوفر على جامع. ويستشف من الإشارة التالية لصاحب الحلل : "فبنى الخليفة عبد المومن بدار الحجر مسجداً آخر" (الحلل، 144) وجود مسجد يعود إلى فترة المرابطين لعله مسجد الطوب (حامد التريكي، المساجد ووظائفها، 161).

وردت الإشارة إلى القصر في ارتباط مع هذا المعمار المخزني تحت اسم "دار علي بن يوسف" في سياق أحداث افتتاح مراكش عام 541 هجرية 1146 ميلادية (البيان، ق. م. 28) وفي أخبار عام 566 / 1171، تمت الإشارة إليه بالقصر (المن بالامامة، 346 : البيان، ق. م. 118) ويرى دوڤردان أن بناء القصر المرابطي بدار الحجر، يعود إلى عهد حكم علي بن يوسف، واعتماداً على الزركشي صاحب كتاب : تاريخ الدولتين فإن عام 520 / 1126 يمثل تاريخ انتهاء أشغال البناء، ويربط بين تخريبه، وإيجاد مكان لتأسيس جامع الكتبيين، أما استنتاجات الحفريات الجزئية فلم تأت بجديد يذكر.

لعل تأمل هذه العناصر يدفع إلى تسجيل بعض الملاحظات، منها :





الساحة الشرقية : تحتل القسم الشرقي، ويوجد بزوايتها الجنوبية الشرقية باب الحصن الوحيد، وهو عبارة عن مدخل منحوت في الصخر، يرقى إلى الساحة بعد تدرج في الصعود بخمسة أمتار. ويحيط بالساحة الكبرى سور حجري منحوت هو بدوره على صخر أصلي في المكان استغل لتلك المهمة. ولا تزال أسس السور الجنوبي الغربي ظاهرة. وتشكل الساحة مقدمة القصبة.

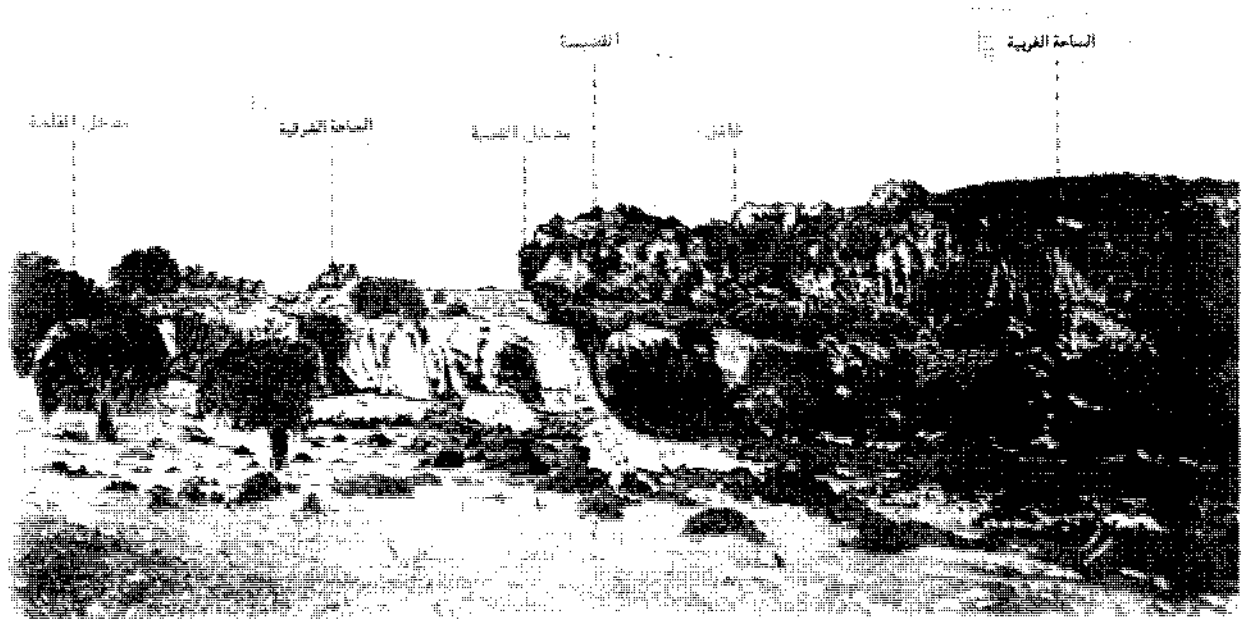
القصبة : اختير لبنائها تل صغير يحتل المرحلة الوسطى ويشرف على الساحة من الجهة الغربية، وهي مقر إقامة صاحب القلعة، زاد في حصانتها ارتفاعها بنحو 780 م. يظهر رسمها على شكل مستطيل باتجاه غربي شرقي. تحمل آثار سور وخرائب بالوسط لا تظهر علاماتها بسبب نمو الأشجار والأحراش. وللقصبة مدخل يوجد بالزاوية الجنوبية الشرقية، وهو وعر وضع بين الصخر المنحوت لا يسمح بالدخول سوى لشخص واحد.

الساحة الغربية : وهي أوسع مساحة وأكثر ارتفاعاً، الغاية من وجودها حماية القلعة من الناحية الغربية المقابلة لحصن تاوينت ببني غرفط، مركز المراقبة خلال أي حصار. وتبدو حصانة الساحة طبيعية فلا أثر في الوقت الراهن لعلامات امتداد الأسوار، وربما اكتفي بما كانت توفره الحافات والخنادق المميّزة لشكلها من الحصانة والحماية، سيما الخنادق الذي يجري فيه منبع واد صاف الحسام، أحد روافد واد المخازن عند عين بيطا (847 م).

من المؤكد أن أول اتصال الأدارسة بالمكان خص "دوار الحجر" المجاور لموضع القلعة قبل بنائها بنحو القرن. نعرف ذلك من وجود قبة المجاهد المزوار أحمد بن علي بن محمد ابن إدريس الثاني الملتجئ الأول إلى المكان قبل وفاة والده سنة 234. مفضلاً التنسك بالجبل المسمى إلى الآن بجبل الخلوة، ربما كانت وفاة المزوار أحمد سنة 250. وتكنيته بأمزوار تعبير عن ذلك السبق. توجد قبته بالقرب من مدخل القلعة، مما يلي الشرق وبجوارها مقبرة قديمة.

ويعود الفضل إلى أبي عبيد الله البكري الذي قدم لنا تاريخ ظهور قلعة حجر النسر، محصنة قادرة على حماية الأدارسة المعتصمين بها من بطش موسى بن أبي العافية. فمؤسسها هو إبراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس، رئيس بني محمد، وذلك سنة 317. وبالطبع فإننا لا نستطيع الفهم من قول البكري تأسيسها سنة حصار الأدارسة بها. ويمكن أن نحدد بداية تاريخ التأسيس بسنة مقتل الحسن الحجام بفاس عام 313، فمنذ ذلك الحين تأكد انحياش الأدارسة من فاس والبصرة وغيرها إلى سماتة وبناء القلعة، وتجمعهم مما دفع الزعيم الكناسي إلى تجريد قواته لإخراجهم من معقلهم.

تبين النتائج الأركيولوجية السطحية الأولى والأخيرة إلى يومنا هذا أن خرائب القلعة تتألف من ثلاثة أقسام نعدّها من الشرق نحو الغرب :



تقسيم تخطيطي لقلعة حجر النسر الأدارسية

ويجوار قلعة حجر النسر مياه عيون غزيرة، مثل عين القرمود التي تجري عند الحافة الشمالية من القلعة وهي مصدر تزويد أهل القلعة بالمياه، إلى جانب عين الطلبة وعين دار الغشام المتدفقتين بالشمال الغربي من القلعة. كما أن هناك أربعة منابع أخرى موزعة على المنحدر المؤدي إلى دوار عين الراطي.

والملاحظ أن القلعة لم تكن مدينة مثلما ذكر ابن حوقل، بل كانت مجرد قلعة يتحصن بها المحاكم الإدريسي بأهله وكنوزه وقوته وقت الشدة. ربما عاد إلحاق صفة المدينة بها إلى وجود دوار الحجر بجوارها. وتشير الرواية الشفوية المحلية إلى امتداد السكن على التلال الواقعة بالشمال الغربي، حيث اليوم جماعة الشنافة، بين مجرى واد مرحلة وجبل الخلوة. أما دوار "دار الراطي"، حسب النطق الجبلي نسبة إلى شخص يدعى الرضي، فقد ظهر بعد القرن الرابع بدون تحديد.

ولقلعة حجر النسر تاريخ يمتد على مدى طول القرن الرابع (10 م) مرتبط بانتشار الأسر الإدريسية بالشمال الغربي المغربي منذ بداية القرن السابق. فمثلما نعلم أن موسى بن أبي العافية الكناسي كلف بمهمة حصار الأدارسة بالقلعة منذ تأسيسها قانده أبا الفتح الذي رابط بمحلته في موضع يدعى بتاوينت (لا يزال الاسم معروفا بقرية الصخرة ببني غرفط حاليا)، ومن القلعة دبر الأدارسة بعد مضي أربع سنوات على بدء الحصار (317. 321 هـ) هزيمة القائد الكناسي بحصنه الذي بناه هناك، وبسبب ذلك الانتصار دعاه الأدارسة حصن الكرم تفاقولا وتمنا بينهم.

ولا يعني هذا الحصار سوى مراقبة الطرق والمسالك المحيطة بالقلعة وعزلها عن المراكز والمدن الشمالية التي كانت لا تزال بيد بني محمد الأدارسة، وعلى الأخص منها الطريق الشرقية المسيرة لوادي أزلة، أحد روافد واد لكوس المؤدي نحو مدينة البصرة أولا، ثم الطريق المؤدية نحو كل من قصر كشماسة (القصر الكبير) وأصيلا بموازاة الدير الجنوبي من جبل بني غرفط.

وبعد فك الحصار عن القلعة عينت الأسرة الإدريسية على رأسها ابتداء من سنة 312 القاسم بن محمد الملقب بكنون الذي سيحتل مناطق الشمال باستثناء مدينة فاس، ويقدم الطاعة للعبيديين إلى أن توفي بحجر النسر سنة 337. وخلفه ابنه أبو العيش أحمد الذي فضل بعد ذلك الانصراف للجهاد بالأندلس، ليقوم بالأمر بعده أخوه المشهور الحسن بن كنون.

بدأ حصار الأمير الإدريسي بقلعة حجر النسر من جانب الأمويين أيام عبد الرحمان الثالث وابنه الحكم بسبب تحوله إلى طاعة العبيديين أثناء حملة بولكين بن زيري بن مناد، ففي سنة 362. وجه الحكم الثاني محمد بن القاسم بن طلس نحو الحسن بن كنون، مما جعله يغادر البصرة بحرمه وذخائره نحو حجر النسر.

ويعد مقتل القائد الأندلسي محمد القاسم بجبل مهران بالقرب من حجر النسر غربا بعث الحكم الثاني قانده ووزيره الغالب الأموي وحاصر حجرة النسر من جديد سنة 363 ويعد احتلاله لحصن الكرم بجيش كبير تمكن به من الوصول إلى الأسوار، مما جعل الحسن يطلب الأمان مع سبعائة من رجاله، فتم نقلهم إلى قرطبة. ومن الأندلس انتقل الحسن بن كنون إلى مهدية إفريقية فمصر سنة 365.

وبعد ثماني سنوات من النفي عاد الحسن بن كنون سنة 373 إلى حجر النسر من جديد، فظل بها إلى أن استنزله القائد الأندلسي أبو الحكم عمر المعروف بعسكلاجة سنة 375. ليتم قتله قبل وصوله إلى قرطبة.

لم تتعرض قلعة حجر النسر للتخريب من طرف الأندلسيين كما هو المتوقع، بل إن الحكم الثاني فضل إبقاء حاميتها بها. ففي سنة 386. كان قانده الأندلسي مازال بها إلى أن تسلم القلعة الأمير زيري بن عطية المغراوي بإذن من الخليفة المرواني هشام المؤيد القائم آنذاك ضد المنصور ابن أبي عامر. ومنذ هذا التاريخ اختفت عنا جميع الإشارات المتعلقة بالقلعة الإدريسية بعد ثمانين عاما من حياة صاحبة.

ابن حوقل، صورة الأرض : ابن حيان الأندلسي، المقتبس : أبو عبيد الله البكري، المغرب في أخبار بلاد إفريقية والمغرب : الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق : مجهول، مفاخر البربر : ابن أبي زرع، الأئیس المطرب : ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب : ع. ابن خلدون، العبر : أ. الناصري، الاستقصا : استطلاع مبدئي خلال أيام 10 و11 و12 يونيو 1993 المنظم من طرف "كاسادي فيلاتيكث" : الرواية الشفوية المأخوذة عن المرحوم شيخ دار الراطي عبد الله الجميلي.

A. Almagro Correa, *Las torres bereberes de la Marca Media. Cuadernos de la Alhambra*, 12/1976 ; R. Basset, *Hadjar al-Nasr. E.L. T. 2* : A. Cesar Moran, *Visita de Marruecos. Mauritania*, 1942.

حسن الفكيكي

**الحجر (واد -)** منطقة فلاحية صغيرة، تقع على بعد نحو عشرين كيلومترا من مراكش، على الجانب الأيسر للطريق الوطنية المؤدية إلى قلعة السراغنة. وسميت بواد الحجر لوجود الأحجار البيضاء فيها بكثرة مما يعرقل إدخال التقنيات الزراعية الحديثة. ومع ذلك، فيفضل ما يحتويه باطن أرضيتها من حوض مائي، ويفضل واد تانسيفت الذي يمر بها، فإن هذه المنطقة تنتج بعض الخضار على ضفاف النهر، والشعير، وبها جهات مغروسة بالزيتون والمشمش والبرقوق، كما توجد بها واحة من النخيل تشكل الطرف الأيمن لنخيل مراكش. يحتضن واد الحجر جماعة قروية ومدرسة ابتدائية مختلطة ومؤسسات أخرى.

F. Joly, *Les régions géographiques du Maroc* : L. Gentil, *Dans le Bled es-Siba*.

أحمد بوجلون

**حجرة النكور**، جزيرة صغيرة قريبة من مصب وادي النكور في البحر المتوسط احتلها الإسبان يوم 28 / 1084 غشت المولى إسماعيل في 15 جمادى الأولى عام 28 / 1084 غشت من سنة 1673 (Geografía de Marruecos, T. II, p. 301).  
فما هي الظروف التي قادت إسبانيا لإضافة مركز جديد إلى نفوذها على الساحل الريفي؟

لا نستغرب من استعمار إسبانيا لهذا الشجر، علما أن جذور الوجود الأجنبي ازدادت توغلا بآثارها ومجالها بعد أن تبين بأن العاهل الإسباني خوان الثاني مصمم العزم على تعزيز الموقع العسكري لمدينة مليلية وجزيرة بادس. إذن، الهدف من استيلاء الإسبان على جزيرة صغيرة لا أهمية اقتصادية لها غير التسابق إلى ربح أكبر عدد من المواقع الإستراتيجية الساحلية (Rafael Pezzi, p. 78) في انتظار إتاحة الفرصة للتوغل داخل الأراضي. مع العلم أن إسبانيا كانت قد أولت اهتمامها للحجيرة أثناء محاولة فريجوس إقامة شركة المزمة سنة 1666، بإيعاز من الملك الفرنسي لويس الرابع عشر. ومهما حاولنا تقديم الإيضاحات عن الظرف المناسب الذي اغتنمه قائد الأسطول الإسباني مونتي ساكرو (Monte Sacro) للنزول بحجيرة النكور فلن نجد أي شيء، على الرغم من اعتقادنا أن قائد الحملة لم يجد صعوبة لاستقراره بها بجنوده ونقل معداته الحربية إلى الحجيرة والتسكن من نصب أربعة مدافع تجاه أراضي سهل النكور مما يفسر عدم وجود أي مقاومة دفاعية بالحجيرة كان في وسعها صد الغزاة. هذا إلى جانب عجز عامل الريف دح الخطيب عن القيام بأي محاولة تذكر.

لا ندري الأثر الحقيقي الذي تركه الغزو الإسباني داخل البلاط العلوي، فهذه هي الخسارة الأولى التي لحقت السواحل المغربية بعد توحيد البلاد واسترجاع معظم الثغور المحتلة. ففي سنة 1673 / 1084 بدا أن مسألة حجرة النكور كانت قد بلغت نهايتها بالسقوط في يد الإسبان. وما زاد من تخوفات الريفيين وتدمرهم ضعف المقاومة الرسمية. هذا ما ظهر لنا من مصدر مغربي وحيد تناول أحداث الغزو الإسباني للجزيرة حيث أشار إلى أن قصبة حجرة النكور: "بقيت دار إسلام حياة مولانا الرشيد ونحو عامين من خلافة مولانا إسماعيل، إلى أن باعها للنصاري دح الخطيب، كما روي عن كثير من أهل الريف، وكان دح المذكور هو العامل على الريف في كثرة الهرج والفتن، ونازلها النصاري في المراكب والسفن وحاصروها وداروا بالقصبة من كل جهة إلى أن دخلوها صلحا بعد الحصار الشديد وذلك في أواخر 1673 / 1084" (الريفي، زهرة الأكم، ص. 22).

ويبدو من خلال هذا النص أن عبد الكريم الريفي لم يكتف أنفاسه عن المسألة حين صب كل المسؤولية على عامل الريف بما ذكره من تهم تخص تراجع العامل عن صد الغزاة عن احتلال الجزيرة. وربما يعود ذلك إلى ضعف مصادره أو إلى جهله بالمخطط الإسباني الرامي إلى غزو المنطقة.

فحسب المصادر الإسبانية التي تتبعت خبر الغزو أشارت إلى أن الحصار الذي ضرتته السفن الإسبانية وفعالية مدفعيتها هي التي أجبرت الحامية المغربية المكونة من اثنين وعشرين مقاتلا على مغادرة الحصن تاركين وراءهم اثني عشر مدفعا (Historia de las Campañas en Marruecos).

فإذا كانت مصادرنا قد عودتنا عدم الحديث عن الغزو الإسباني لسواحل الريف، فإن المؤلف عبد الكريم الريفي أضاف إلى ما أشرنا إليه أنه بعد تولية الباشا عبد الكريم الخطيب (ابن عم دح الخطيب) احتل الإسبان البرج المقابل لحجيرة النكور رغم المقاومة الشديدة التي أبدتها السكان، بينما الباشا قائم في تلابادس (قصبة سنادة) يستعد للرحيل عن الريف إلى مراكش، الشيء الذي أثار استياء في صفوف المجاهدين الريفيين. واتهموه بأنه باع للنصاري وقبض ثمنه. وما يدل على صدق ذلك: "أن الذين ساروا من أهل الريف إلى أمير المؤمنين لتارودانت لم يظهر لهم خبر ولا أثر لأجل شكايتهن بما فعل بالبرج المذكور" (زهرة الأكم، ص. 22).

أما موقف السلطان من هذا الاحتلال الجديد فلا نعرف عنه أي شيء، نظراً لغيباب المصادر التي تعرضت لهذا الغزو مما لم يسمح لها بإبداء أي رأي. ونعتقد أن انشغال السلطان مولاي إسماعيل آنذاك بإخماد الفتن في المنطقة الجنوبية هو السبب في عدم إعطاء أهمية لاحتلال الإسبان لحجيرة النكور.

عبد الكريم بن موسى الريفي، زهرة الأكم، تج. بتعدادة آسية، د.د.ع. الرباط، 1992؛ أ. الناصري، الاستقصا، ج. 7.

Estat Mayor Central del Ejército, Geografía de Marruecos, Madrid, 1947; Historia de las Campañas de Marruecos, Madrid, 1950; Pezzi Rafael, Los presidios menores de Africa y la influencia española en el Rif, Madrid, 1983.

عبد الرحمان الطيبي

## الحجرتي ← السجلماسي...

**الحجرتي، إبراهيم بن أبي الفضل بن صواب، أبو إسحاق مؤدب وطبيب متجول، أدب وطبب بالأندلس والمغرب خلال عصر المرابطين. وُلد بشاطبة حوالي سنة 425هـ.**

تدل كلمة الحجرتي على أنه ينحدر من أسرة تنتسب - فيما يبدو - إلى حَجْر بن ذي رعين من حمير، وقد كانت هذه الأسر تستقر في شاطبة ومن أعلامها مترجمنا ووالده المؤدب أبو الفضل، وجعفر بن أحمد بن أمية الحجرتي. نشأ هذا الأديب الطبيب بمدينة شاطبة التي اشتهرت بإنتاج الورق الجميل وإحجاب علماء جلة، وبها درس على والده أبي الفضل ثم على الإمام أبي عمر بن عبد البر النمري، الذي كان أهل شاطبة يفتخرون بوجوده في بلدتهم.

كما أخذ عن لغوي الأندلس أبي الحسن علي بن سيدة،  
وينبغي أن يكون قد درس عليه إما بمرسية أو بدانية حيث  
توفي سنة 458 هـ.

ويعد أن أصبح الحجري من أهل المعرفة بالنحو واللغة  
والأدب غادر بلده شاطبة وتجول في أرجاء الأندلس مشتغلاً  
بالتعليم والتأديب. ومن أخذ عنه الشاعر المشهور ابن  
خفاجة ولا تعرف هل قرأ عليه في جزيرة شقر بلده أم في  
شاطبة التي كان يتردد عليها.

ويبدو أن صلة مترجمنا بشاعر الطبيعة كانت كبيرة فقد  
كان له أستاذاً وصديقاً وعاشاً معاً مدة .. على أنه ما  
يكون الأصفياء اصطحاباً ولذلك مدح ابن خفاجة سميته  
وشبَّهه فيما يذكر ابن الأبار، وفي ديوان الشاعر رسالة  
كتبها إلى الأستاذ عندما انتقل إلى المغرب يتحسر على  
فراقه، ويتشوف إلى لقائه ويتذكر ماضيها متسائلاً:  
"فأين ما كان من تلك الأيام، المتخيلة من الأحلام؟ وأين  
من قد عرفنا وألفنا من الإخوان؟ بانوا، وكأنهم ما كانوا؛  
وفقدوا، وكأنهم ما وجدوا". ويعد أن يشير الشاعر في  
رسالته إلي طائفة من أخباره وأحواله يقول:

"هذه - جمع الله بك - جملة حالي، فليت شعري كيف  
حالك؟ وما آمالك؟ وقيم اعتمالك؟ وبم اشتغالك؟  
وإلى من تستريح مغاوضاً، أو من تجادل معارضاً، والخليل،  
قليل، بل ليس بغريب، أن تقول ما بالدار من قريب" ويذكر  
أنه كان يأمل زيارته في المغرب لولا .. أن الجزيرة - حرسها  
الله - بحيث لا يسافر عنها ولا يُورد عليها" ولنا نعرف  
هل يقصد جزيرة شقر أم جزيرة الأندلس، ومهما يكن الأمر  
فلعله يلمح إلى ظروف حصار وانعدام أمن قبل انتشار نفوذ  
المرابطين، ويخبر الشاعر أستاذه وصديقه أنه سكن بعده إلي  
صديق خيره فأحبه ويقول "وكننت قد استرحت إليه من  
بعُدك، وسددت بموضعك من حَلَّةِ بَعُدك .. وما هذا  
الصديق الجديد إلا أبو عبد الله ابن عائشة الذي يقول ابن  
خاقان في ترجمته إنه ابن عائشة الذي كان كما يقول ابن  
خاقان "كثيراً ما ينشرح بجزيره شقر ويستريح" وكان ابن  
خفاجة "منزع نفسه، ومصرع أنسه" ويستفاد هذا من  
مقدمة الرسالة. وقول الشاعر فيها: "ومازلنا بحال ارتباط  
واغتباط، حتى استدعي من العدو، فلي تلبية الإجابة،  
وانتقل باسم تقلد رسم الكتابة".

فالإشارة هنا إلى انتداب ابن عائشة للكتابة عن أمير  
المسلمين ابن تاشفين، وابن عائشة هذا الكاتب الشاعر  
الحيسوبي هو غير معاصره ابن عائشة القائد الأعلى، فهذا  
صحراوي لتوني، وذاك أندلسي بلنسي.

كان ابن خفاجة يود أن يزور أستاذه وصديقه إبراهيم بن  
صواب "مجدداً للمعهد ولو بلفظة، ومتزوداً قبل الفوت ولو  
بلحظة"، ويفهم من شعره أنه وفي بالعهد فوفد على المغرب  
ولعله لقي صاحبه. ويبدو أن سوق مهنة الطب كانت نافقة  
يومئذ، ولهذا نجد ابن صواب ينتقل من التأديب إلى

التطبيب، فيعد أن "تجول في البلاد معلماً بها" تعلم الطب  
واشتغل به في آخر حياته، ويذكر ابن الأبار أنه "قعد  
للعلاج بطنجة". ولنا نعرف على من درس علم الطب،  
وقد كان أبو مروان ابن زهر الجدي أشهر طبيب في الأندلس  
وقد أقام مدة في دانية عند مجاهد حيث كان أيضاً ابن  
سيدة أستاذ مترجمنا في علم اللغة، فمن الممكن أن يكون  
ابن صواب أخذ عنه الصناعة أو عن ولده أبي العلاء مثلما  
أخذها عن هذا شاطبي آخر هو أبو عامر محمد بن ينيق  
الشاطبي، وإذا كان هذا قد ذكر في طبقات الأطباء فإن  
صاحبنا ابن صواب لم يرد له ذكر فيها.

لنا نعرف كذلك تاريخ انتقال مترجمنا من الأندلس  
إلى المغرب وانشغاله بعلاج الناس في طنجة كما لا نعرف  
مدة مكوثه بهذه المدينة.

وقد ذكر ابن الأبار أن المترجم "استقر آخر عمره بمدينة  
فاس في نحو ست وخمسمائة" ثم قال بعد هذا: "وتوفي  
بمكاسة الزيتون وهو ابن إحدى وثمانين سنة". ولم يرد في  
التكملة المطبوعة تاريخ ميلاد الرجل صراحة ولا تاريخ  
وفاته كما رأينا، وجاء في جذوة الاقتباس، وهي تنقل عن  
التكملة ما يلي: "واستقر آخر عمره بمدينة فاس، توفي في  
نحو ست وخمسمائة". وإذا لم يكن ابن القاضي تصرف في  
عبارة ابن الأبار أو وهم في نقلها فإن تاريخ ميلاد هذا  
الطبيب - إذا كان قد عاش إحدى وثمانين سنة وتوفي سنة  
ست وخمسمائة - هو سنة 425. وهذا التاريخ ينسجم مع  
تلمذته لابن سيدة (ت. 458 هـ) وابن عبد البر (ت. 460 هـ)  
كما ينسجم مع أستاذه ابن خفاجة (ت. 533 هـ).

ديوان ابن خفاجة، 63، 67، تج. مصطفى غازي: ابن الأبار،  
التكملة، 172 (ط. الجزائر، تج. ابن شنب) التكملة، 1، 42، (ذ).  
مصر بعناية عزت العطار) التكملة، رقم 2496، (الاركون  
وبالنشأ)؛ بغية الوعاة، 1، 422 (نقلاً عن صلة ابن الزبير)؛ أ.  
ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 88.

محمد بشرية

## الحجري، أحمد ← أفواقي

الحجري، عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله  
السبتي. والحجري منسوب إلى حَجْر بن ذي رُعين في  
حُمير. من أصحاب القاضي عياض. وُلد بالمرية في ذي  
الحجة سنة 505 هـ، وبها نشأ ودرس وتأدب، وكان لا يرضى  
الأخذ إلا عن ذوي الجلالة والشهرة بالعدالة. فشبَّهه  
أعيان. وبعد تنقله في بلاد الأندلس في طلب العلم القى  
عصا التسيار ببلده، فولِّي إمامة الجامع والخطبة به. ودُعي  
للقضاء فأبى وامتنع.

وفي سنة 542 / 1147 خرج مع أهله. بعد طول حصار  
العدو لقصبة ألمرية. فأرأى إلى مرسية فسالقه، ومنها توجه

إلى مدينة فاس فأقام بها مدة. ثم انتقل إلى سبتة فاتخذها وطناً، وأنزل في مسجد يصلي فيه إماماً، وقعد فيه لإقراء القرآن والحديث والفقه والنحو والأدب، فبعد صيته، وعلا ذكره، وكان الناس يرحلون إليه للأخذ عنه.

كان خاتمة المسنين وآخر الجلة العلية من المحدثين، يجمع إلى ذلك كله العناية بالرواية، والمشاركة في أنواع الدراية من القراءات والحديث والفقه واللغة والعربية والأدب. أما مؤلفاته فضاعت كلها في كائنة المربة.

ثم نقل قبل وفاته إلى حضرة مراكش، فأجلسه يعقوب ابن يوسف الموحدي في جامعها لإسماع الحديث النبوي، ما يروى عن السنة. ولما عزم المنصور على غزو الأندلس سأله الحجري الرجوع إلى سبتة إلى أن يقفل من غزوه فأسعهف. فرجع إلى سبتة وأقام بها مدة، وتوفي ليلة الأحد أول شهر صفر من عام 591 / 15 يناير 1195، ودفن يوم الأحد عند صلاة الظهر بالموضع المعروف بالمنارة جوفي رابطة أبي الخليل من سبتة.

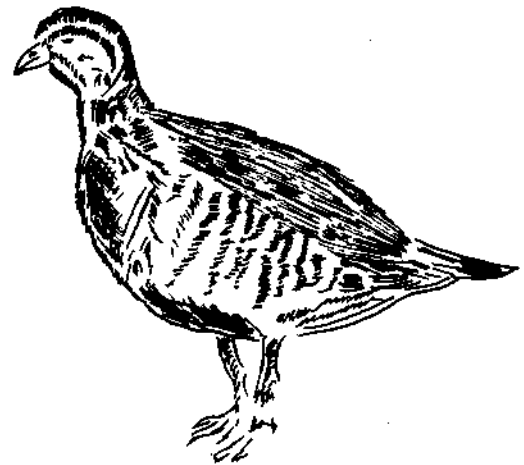
أ. ابن قنفذ، شرف الطالب، موسوعة أعلام المغرب، 1: 383؛ عنوان الدراية، ص 88، هامش 3.

أحمد متفكر

**الحجل**، جنس طيور برية من رتبة الدجاجيات Galliformes ومن فصيلة التدرجيات Phasianidae. تعرف بهذا الاسم في الدول العربية وتسمى أيضاً في مصر قبيج، والكلمة فارسية معربة. ويسمى الحجل بالأمازيغية أسكور وأحيكون للذكور وتاسكورت للإناث. يسمى الفرخ سلك والأنثى سلكانة وسلكة. يسمى بالفرنسية Perdrix وبالإنجليزية Partridge وبالإسبانية Perdiz moruna.

يعرف لجنس الحجل Alectoris أربعة أنواع مستقرة في أوروبا الجنوبية والوسطى ونوع واحد يعيش في شمال أفريقيا وجزيرة سردينيا وجزر الكناري هو Alectoris barbara.

يتميز الحجل المغربي بأجنحة قصيرة ودائرية. القوائم الخلفية قصيرة وقوية تكيفت مع المشي والركض وجرف التربة بواسطة المخالب المعقوفة في مؤخرة الأصابع. المنقار



أحمر قصير قوي، جزؤه الأعلى أطول وأكثر انحناء من الجزء الأسفل. الذيل دائري وقصير. الذكور تشبه الإناث في ألوان الريش ويصعب التمييز بينهما. يتراوح طول الكبار بين 28-34 سم، ووزنها 450-600 غرام.

الرأس بني ناعم، العنق رمادي، الصدر بني - أزرق، البطن والظهر بنيان محمران، جوانب البطن مخططة برش أسود، الأقدام حمراء تنتهي بثلاثة أصابع أمامية وأصبع خلفي.

يعيش الحجل في مختلف مناطق المغرب الغابوية منها والصحراوية الساحلية والجبلية التي لا يفوق ارتفاعها 3000 متراً، يكثر عدده في المرتفعات الأولية من الجبال وفي الغابات المنفرجة، ويقل عدده في الغابات الكثيفة. حواسه السمعية والبصرية قوية جداً مما يجعله شديد الحذر ولا يقترب من الإنسان. يكثر نشاطه في بداية النهار ونهايته، ويتغذى على الحشرات والديدان في بداية نموه، وبعد ذلك يأكل الحبوب وراعم النباتات الرطبة والثمار المعينة. يقطع مسافات طويلاً مشياً على الأقدام ولا يطير إلا عند إزعاجه وشعوره بالخطر.

يعيش وسط مجموعات يتعدى عددها أحياناً عشرين فرداً، وفي أواخر فصل الشتاء يعيش مزدوجاً وتبتدى مرحلة التوالد في شهر مارس، وتحفر الإناث حفرة تحت الأعشاب وتفرشها بقليل من قطع النباتات والريش وتضع فيها من 8 إلى 18 بيضة مصفرة ومنقطة بالبني والأحمر، يبلغ قطرها 31 x 43 ملم. تحضن الإناث البيض 24-25 يوماً ويقوم الزوج بالحراسة. تترافق الصغار الأبوين مباشرة بعد التفقيس طوال ربيعها الأول مما يجعلها تكون مجموعات خلال الخريف والشتاء وكثيراً ما يتعرض الأفراد للأمراض وللصيد المحظور من طرف رعاة الغنم مما جعل عدد هذا الطائر يقل سنوياً، ولتهويض هذا النقص وتقويته تسهر عدة وحدات على تربية الحجل قصد إكثاره وإطلاقه في الأماكن المخصصة للصيد السياحي.

بعد الحجل من الطرائد الأساسية للصيادين في المغرب، وصيده رياضي أكثر مما هو ترفيهي، إذ يتطلب مجهودات لقطع مسافات طوال بين الهضاب والجبال والصخور، كما يتطلب مصاحبة الكلاب الممرنة على الصيد للبحث عنه وإجباره على الطيران والتقاطه بعد إصابته حيث إنه قادر على الاختفاء بعد جرحه وكثيراً ما يصعب العثور عليه.

صيد الحجل بواسطة الرخصة مفتوح كل يوم في المغرب ابتداءً من فاتح أكتوبر إلى غاية فاتح يناير ويستمر الصيد في الأماكن المعدة للصيد السياحي بالنسبة للأجانب إلى نهاية شهر فبراير. تمنح الرخص من طرف وزارة الفلاحة، ويوجد بأماكن الصيد مراقبون يعاقبون المخالفات الغير المشروعة في حق الطرائد، كاستعمال أسلحة وآلات غير قانونية وأخذ البيض وصيد عدد من الطرائد يتجاوز الحد المحدود.

**الحجمري**، أسرة رباطية أوردها محمد بوجندار في اللاتحة الطويلة لأسر الرباط لكنه لم يشر هو ولا غيره من التسابين إلى أصلها. يقول البعض إنها من الأسر التي هاجرت من شمال المغرب إلى الرباط، ولعلهم من قبيلة بني حزم. انقلب الزاي جيماً. القاطنة بموقع جبلي يشرف على المجرى الأدنى لوادي مرتيل بجوار بني معدان القبيلة التي توجه منها هي أيضاً أفراد قطنوا الرباط منذ مدة طويلة وكونوا أسرة تحمل اسم المعداني. لا يوجد ذكر "الحجمري" في تاريخ الضعيف الذي يتضمن أسماء العديد من أسر مدينة الرباط، والذي تمت أحداثه على قرنين من سنة 1043 هـ إلى سنة 1233 / 1633 إلى 1818، ولا في الاستقصا للناصري.

**الحجمري، إبراهيم (الحاج -)** من رؤس البحر عاش أواخر القرن الثالث عشر (19 م) وأوائل القرن الذي يليه، اشتغل بوظيفة قائد للسفن في عهد السلطان الحسن الأول (1873-1894) وكان يتوفر على خبرة فنية لتسيير السفن واستخدام آلاتها، وعلى بيئة من معرفة ساعات المد والجزر، كما كان يلقي دروساً في "علم البحر" ولا تعرف سنة وفاته. وخلف أولاداً منهم :

**الحجمري، بنعيسى بن إبراهيم**، شبّ في أحضان الحركة الوطنية حيث كان من المساهمين في تنظيم الاحتفالات بعيد العرش سنتي 1933 و1934 الذي كان يعد تحدياً للسلطات الفرنسية ومظهراً لتشبث المغاربة برمز بلادهم. كما شارك في النشاط الكشفي حيث كان عضواً في الكشفية الحسنية وغيرها من التنظيمات، ومات قتيلاً بيد مجهول في إحدى الرحلات الكشفية.

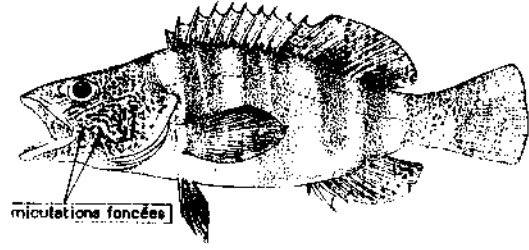
**الحجمري، محمد بن إبراهيم**، من نجباء تلاميذ المدرسة العصرية، وتوظف في إدارة البريد وشارك في الإضراب الذي شنه موظفوها سنة 1944 فأوقف عن العمل لكنه سرعان ما عاد إلى وظيفته بتدخل من المفتش العام للبريد الذي كان يعرف كفاءته وأخلاقه الحسنة.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري، الرباط 1986 : م. بوجندار، *مقدمة الفتح : الرباط 1345* : م. الأمين بلكناري، *روايات شفوية* : ع. الجراري، شيخ الجماعة أبو إسحاق التادلي الرباطي، ص 153، الدار البيضاء 1980.

عبد الإله الفاسي

### الحجلة، جنس من الأسماك العظمية البحرية من

شعاعيات الزعانف ومن رتبة الفرخيات Perciformes ومن فصيلة لحميات الشفاه Labridae. تتميز الأنواع بزعنفة ظهرية واحدة طويلة وأسنان أمامية مخروطية وحادة تليها أسنان شبيهة بالأضراس. الزعنفة الذيلية دائرية ألوانها زاهية تذكر بألوان طيور الحجل.



تضم الفصيلة عشرين نوعاً تعيش في البحار الدافئة، خمسة أنواع منها تعيش في البحر المتوسط فقط بينما تعيش الأنواع الأخرى في السواحل الأطلنطية والمتوسطة.

من بين الأنواع الشائعة في أسواق الأسماك المغربية : نوع Xyrichtys novacula المسمى بالفرنسية Rason و Douzelle lame وبالإنجليزية Pearly razorfish وبالإسبانية

Pao. لا يتعدى طوله ثلاثين سم وشائع بين خمسة عشر وعشرين سم، جسمه مضغوط جانبياً تكسره حراشف كبيرة ودائرية. الفم صغير جداً والأسنان حادة كالآنياب، الأمامية منها طويلة. الزعنفة الظهرية طويلة تبتدئ من مؤخرة الرأس وتنتهي غير بعيدة عن الذنب. تبتدئ تسع أو عشر شوكات وتنتهي بأحد عشر أو اثني عشر شعاعاً. تبتدئ الشرجية بثلاث شوكات ولها 11-13 شعاع.

تختلف الألوان بين الذكور والإناث، فهذه الأخيرة وصفارها وردية حمراء وبنية صفراء تذكر بألوان الحجل البري، الذكور برتقالية ومخضرة اللعان، الرأس مخطط بالأزرق والبرتقالي.

يعيش هذا النوع في السواحل المتوسطة والأطلنطية الشرقية منها والغربية قرب الشواطئ بين أعماق لا تتعدى خمسين متراً، ويألف الأماكن الرملية والمعشوشية ويتغذى من القشريات والديدان ومن الرخويات الصغيرة. كثيراً ما يختفي وسط الرمال ويخرج نهائراً ليتغذى من الأحيوانات والحلزونات والقشريات الصغيرة والديدان. يرافق أحياناً الأسماك الكبيرة ويقوم بتنظيفها من الطفيليات.

يتوالد ما بين أبريل وغيشت ويصير بالغاً بعد سنة، صيده رياضي وتقليدي ونادر في أسواق الأسماك المغربية.

**الحجوجي، محمد بن محمد الحسن بن الفاسي** ثم الدمناتي، من آل الحجوجي المعروفين بفاس المنتسبين إلى المولى إدريس بن إدريس. ولد بفاس يوم الخميس السابع والعشرين من شهر رمضان عام 1297 / 2 شتنبر 1880. قرأ القرآن الكريم على ابن عمه أحمد الحجوجي، ثم علي الفقيه محمد بن محمد الخمسي، ودخل القرويين لطلب العلم عام 1315 / 1897 فأخذ عن الشيوخ محمد گتون ومحمد القادري ومحمد بن جعفر الكتاني وأحمد ابن الخياط وأحمد ابن الجيلالي وعبد المالك العلوي الضير وغيرهم. وبعد أن تخرّج عالماً محدثاً مشاركاً صوفياً درّس بفاس ثم انتقل إلى مدينة دمنات لنشر العلم وتلقين أوزاد الطريقة التجانية التي كان يعدّ من أعظم رجالها. فأكرم وفادته تلميذه عمر الأگلاوي قائد المنطقة، واعتنى به عناية خاصة، وتفرغ الفقيه الحجوجي لدروس العلم والتربية والإرشاد وتلقين الأوزاد، والإمامة بالناس إلى آخر أيام حياته.



كان له ولوع كبير بالتأليف والتحرير، حتى بلغت مؤلفاته اثنين وتسعين كتاباً في موضوعات شتى، منها : تفسير القرآن الكريم في ثلاثة أجزاء ؛ الحلل السندي، وهي حاشية على شرح محمد جسوس علي شمائل الترمذي في أربعة أجزاء ؛ ضخام ؛ بغية السائل في تخريج أحاديث الشمائل في مجلد ؛ فتح القدير في شرح التاريخ الصغير للإمام البخاري، في أربعة أجزاء ؛ منحه الوهاب في تخريج أحاديث الشهاب، في مجلد ؛ إرشاد المقيم والساعي لفهم أحاديث القضاء، في مجلدين ؛ شرح مسند الدارمي في ثمانية أجزاء ؛ سر الرحمان فيما في مسند الدارمي من تراجم الرواة والقبايل والبلدان، في ثلاثة أجزاء ؛ شرح كتاب الشكر لابن أبي الدنيا في مجلد ؛ فيصل فيض الله المددود في شرح مسند أبي داوود ؛ سلاقة الصفا في تراجم رجال الشفا في مجلدين ؛ شفاء الغرام في حج بيت الله الحرام وزيارة قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام، وهي رحلة إلى الديار الحجازية ؛ فهرسته المسماة ؛ نيل المراد في معرفة رجال الإسناد في أربعة أجزاء، إلى غير ذلك.

ألقى يوم السبت ثاني جمادى الثانية عام 1370 درسه المعتاد الأول في صحيح البخاري على الساعة الحادية

عشرة صباحاً، ودرسه الثاني بين العشاءين. ووافق الموضوع قوله (ص) : (موت قبيلة أهون عند الله من موت عالم) فأبدأ وأعاد في موت العلماء ببيانه الساحر، ومنطقة الباهر، ويعد أن فرغ من درسه، وأم المحاضرين في صلاة العشاء دخل منزله. وفي الساعة الثانية والنصف صباحاً أيقظ أهله، وطلب منهم إحضار ماء الوضوء، ولما أراد أن يشرع في الوضوء أحس بوهن في أعضائه، فجلس على فراشه يستغيث بالله تعالى، وأيقظ جميع أفراد أسرته، وودعهم في كنف الله الذي لا تضيع ودائعه. وأخر ما فاه به : (إني أقر لله بالوحدانية، ولسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة) ثم فاضت روحه على الساعة الثالثة والنصف صباحاً، قرب طلوع فجر يوم الأحد ثالث جمادى الثانية عام 1370 / 11 مارس 1951. ودفن بمدينة دمنات.

ع. ابن سرودة، إتحاف المطالع ؛ سل النصال ؛ موسوعة أعلام المغرب، بيروت 1996، 9 : 3258، 3259. أ. متفكر، أعلام مراكش، مخطوط ؛ روايات شفيوية.

أحمد متفكر

**الحجوجي، أسرة فاسية** استقرت بمدن أخرى كتازا

والرباط وغيرهما، تنتمي إلى الشعالية الجعفريين نسبة لجعفر ابن أبي طالب وزينب بنت علي بن أبي طالب. والجعفريون أو بنو جعفر كانوا طردوا في القرن الرابع (10 م) عندما كانوا مع أبناء عمهم بني حسين مكلفين بالإشراف على أمور مكة المكرمة، فلجأوا إلى موقع بين مكة والمدينة قبل أن يطردهم ثانية من طرف بني حرب، فعزموا على الهجرة إلى مصر البعليا فقتنوا بها المكان الواقع بين أبولينوبوليس الصغرى (كوس) وبين سوانيات Syene على ضفة النيل في اتجاه أول شلال لهذا النهر، وقد اقتسموا تلك البلاد مع أبناء كزدهأنه Kenzedanha.

وبعد ذلك انضم عدد منهم إلى الموجة الهلالية السلمية المكتسحة لإفريقية والمغربين خلال القرن السادس (12 م)، وفي القرن الثامن تم تشتيتهم من قبل السلطان المريني أبي ثابت ؛ فاستقرت أسرة الفقيه الحجوجي بجوار وادي سبو شرق المكان المدعو مشرع بلأرج ثم بكان حجر الوقاف بضواحي فاس. وأخيراً استقرت بناحية سيدي قاسم. ومن دون شك فإن المكان المسمى حجاوة الموجود بالضفة اليمنى لنهر سبو والمحدود في شماله الشرقي بقبيلة أولاد عيسى ونهر ورغة قد أخذ اسمه من هذه الأسرة.

وفي بداية عهد السلطان المولى إسماعيل بعد انتفاضة محلية نقل جدهم عبد السلام بن الحسن الحجوجي مع ذويه إلى تازا ولم يقادرها آل الحجوجي إلا من أجل أسفار إلى الخارج وبالاخص إلى الشرق.

كان لآل الحجوجي أسفار إلى أوروبا، فكان منهم التجار والعلماء، يُذكر منهم التاجر الحاج العربي الحجوجي جد الوزير محمد بن الحسن وكان دائم الأسفار إلى باريس وإلى



توفي بطنجة في أواخر صفر عام 1380 / غشت 1960،  
وبها دفن.

ع. ابن سودة، إنحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 9 : 3354 ؛  
إ. الإدريسي، معجم الطبوعات المغربية، 97 : وفيات القرنين  
الثالث عشر والرابع عشر، مخطوط، ص 97.

**الحجوي، محمد بن الحسن الفاسي.** وُلد ظهر يوم  
الجمعة رابع رمضان عام 1291 / 17 أكتوبر 1874 بمدينة  
فاس، وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم والأمهات وتلقى  
دروساً على والده في العقائد والفقه والتاريخ والسير  
والشمال. وفي سنة 1307 دخل القرويين ودرس على  
شيوخها العلوم النقلية والعقلية، أمثال محمد بن التهامي  
الوزاني ومحمد گنون ومحمد القادري وأحمد ابن الخياط  
وأحمد بن سودة وعبد السلام الهواري والكامل الأمراني  
وأحمد ابن الجيلالي، وقد ترجم لهم في فهرسه العروة  
الوثقى بمشخة أهل العلم والتقوى، ومختصره وذكر ما قرأه  
عليهم من علوم وفنون. وبعد عشر سنوات بدأ يلقي دروساً  
في القرويين بعد أن أذن له شيوخه بذلك، ويؤلف كتبه  
الأولى في الأدب والفقه. وبعد أن اشتغل بالتجارة مدة  
عُين عدلاً في صوائر دار المخزن بمكناس، ثم أمين ديوانة  
وجدة على الحدود المغربية الجزائرية فكان ذلك بداية  
الوظائف المخزنية التي تقلب فيها.



مكة المكرمة مع أبيه محمد بن بوعزة. وأصبح الحاج العربي  
نفسه عالماً وتوفى سنة 1286 / 1869. وابنه الحسن الحجوي  
تعاطى العلم والتجارة وتلمذ على الشيخ الحاج محمد  
گنون الذي زوجه ابنته وهي أم الوزير العالم محمد الحجوي.  
هناك فرع آخر من آل الحجوي ثبت أن أصلهم من  
الأندلس ولهم وجود بمدينة الرباط، من بينهم الهاشمي بن  
محمد الحجوي الرباطي الأندلسي المتوفى بالدار البيضاء  
عام 1315 / 1897 عندما كان يزاول عمله بمرساها، وهو من  
المتفوقين من تلامذة الشيخ إبراهيم التادلي الرباطي الذي  
وصفه بالطالب الأمل للوطني. وقلمما وصف الشيخ  
التادلي أحد تلامذته بمثل هذا الوصف الدال على شغوفه في  
العلم والفهم. واليوم أسرة الحجوي متفرعة ولها وجود في  
مختلف المدن المغربية.

م. بوجندار، الاغتباط، الرباط، 1987 - ص 469 : ترجمة صاحب  
الفضيلة والمعالي محمد بن الحسن الحجوي : جريدة السعادة، عدد  
6054 - 19 يناير 1944.

Mission scientifique : Villes et tribus du Maroc.  
Rabat et sa région, T. I, Carte p. 3 - 5 : Gouyon, Edmond  
et Marthe, Aayane Al Maghrib al Akça, Paris VI 1939, p.  
263.

عبد الإله الفاسي

**الحجوي، الحسن بن العربي الثعالبي الفاسي، والد**  
الفقيه الوزير محمد الحجوي مؤلف الفكر السامي. درس  
بفاس على الشيخ محمد گنون الكبير وأحمد بناني كلاً  
ومحمد بن قاسم القادري وغيرهم، وسلك طريق التصوف  
على يد الشيخ العربي الوزاني شيخ زاوية وزان وولده عبد  
السلام الوزاني دفين طنجة.

اشتغل الحسن الحجوي بالتجارة فلم تكن له دروس إلا  
بداخل منزله مع أهله. ومنهم ولده محمد المذكور، قال :  
"أخذت عنه العقائد والفقه والأخلاق (التصوف) والتاريخ  
والحساب والجغرافيا وتراجم الرجال وغير ذلك، واستفدت  
منه مالم أستفد من غيره أدباً وسياسة وأخلاقاً ودينياً  
وأحوال دنيا".

توفي في حدود 1331 / 1912.

م. الحجوي، الفكر السامي، 4 : 201، 206 : مختصر العروة  
الوثقى، سلا، 1938، ص 50.

**الحجوي، عمر بن الحسن الثعالبي الفاسي.** أخو  
الفقيه الوزير مؤلف الفكر السامي. ولد عام 1301 / 1883،  
وشارك أخاه المذكور في الدراسة على والده وبعض شيوخ  
القرويين. وصفه في إنحاف المطالع بأنه "كان وجيهاً حاذقاً  
متيقظاً مطلعاً على ما يجري من الأمور" ولا يعرف من  
آثاره إلا مسامرة أخلاقية ألقاها بالمدرسة الشانوية  
الإدرسية، وطبعت بفاس عام 1342 / 1923 في ثلاثين  
صفحة.

يحضر جنازته أحد - يقول عبد السلام ابن سودة - بعدما امتنع الحزابيون من القراءة عليه. وبعد دفنه امتنع سكان القصبية من الصلاة في ذلك المكان فأخرج من قبره ونقل إلى مكان مجهول.

م. الحجوي نفسه، الفكر السامي، 4، 30، 36، 199، 213؛ العروة الوثقى، فهرس شيوخه، مخطوط؛ مختصر العروة الوثقى، سلا، 1938 الكتاب كله؛ ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 9، 3320؛ ع. رضى كحالة، معجم المؤلفين، 9، 187؛ الإدريسي، معجم المطبوعات المغربية، 96، 97.

**الحجوي، محمد الفاسي،** درس بمسقط رأسه، واشتهر بين رفاقه تلاميذ ثانوية مولاي إدريس بالاستقامة الخلقية والروح الوطنية. وبعد تخرجه في الآداب عمل أستاذاً بثانوية مولاي إدريس، ثم مديراً لثانوية ابن عباد بسطات فثانويتي مولاي الحسن ومحمد الخامس بالدار البيضاء. وقد عُيِّن بعد ذلك نائباً لوزارة التربية الوطنية بمراكش ثم مديراً للتعليم الأصيل بوزارة التربية الوطنية.



شارك في عدة لقاءات علمية، ونشر مقالات دينية وأدبية في بعض الدوريات والمجلات المغربية، منها بحث عن فلسفة الحج وأساره. توفي بالرباط يوم الجمعة 28 جمادى الثانية عام 1418/ 31 أكتوبر 1997. ودفن يوم السبت بمقبرة الشهداء بالرباط، حيث أبنه أحد رفاقه بكلمات مؤثرة.

معرفة شخصية : جريدة العلم، العدد 17 367 في 14، 11، 1997. محمد حجي

**الحجوي، المهدي بن محمد بن الحسن الشعالبي** الفاسي. وكّد بفاس سنة 1322 / 1904، وتلقى تعليماً مزدوجاً : تقليدياً في القرويين وعصرياً في ثانوية مولاي إدريس، حيث حصل على الشهادة الثانوية. كما نال شهادة الترجمة من معهد الدراسات المغربية العليا بالرباط، وشهادة البكالوريا من ثانوية غورو بالرباط أيضاً. رافق والده الوزير محمد بن الحسن الحجوي في العديد من الأسفار والرحلات إلى الجزائر وتونس وأوربا وبلاد المشرق. شغل وظائف في السلك المخزني، أهمها : الكتابة بالمحكمة

وبعد فرض الحماية على المغرب سنة 1330 / 1912 عين محمد الحجوي نائب الصدر الأعظم في التعليم، وحاول تنظيم القرويين. حسب مخطط حكومي. عن طريق ما سُمي بالمجلس التحسيني لإصلاح التعليم بالقرويين فلم يوفق وأعفي من منصبه، وأقبل من جديد على التجارة والتدريس بالقرويين. وبعد تسع سنوات أعيد إلى نيابة الصدارة في التعليم واتصلت وظائفه المخزنية إلى وفاته، وكان في أثناء ذلك يعقد بداره القريبة من جامع السنة بالرباط دروساً خاصة يحضرها طائفة من علماء العدوتين.

كان محمد الحجوي عالماً متمكناً في مختلف فروع المعرفة، ولاسيما الفقه وأصوله، إلا أنه كان "يحب الفخر" وينوّه "بأوليائه"؛ ألف كتاباً بلغت سنة 1930 خمسين - حسب ذكره - وهي في موضوعات شتى، أهمها : الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، طبع بالرباط وتونس في أربعة أجزاء، وهو نظرة شاملة وعميقة للفقه ومفاهيمه وتطوره من عهد النبوة إلى الآن.

ومن آثاره المطبوعة أيضاً محاضرات تتسم بالتجديد والتفتح، منها :

- مستقبل تجارة المغرب، ألفت بثانوية فاس وطبعت بتونس.

- تعليم المرأة تعليماً عربياً، ألفت في المؤتمر الأدبي بالرباط ونشرت في تونس.

- الفتح الإسلامي لإفريقيا الشمالية ودفع المثالب عنه، محاضرة ألفت في الخلدونية بتونس وطبعت هناك.

- نقد كتب الدراسة في إفريقيا الشمالية، محاضرة ألفت في مؤتمر الآداب بتونس وطبعت هناك.

- تطور الإنشاء بالمغرب الأقصى، محاضرة ألفت بفاس وصدرت ملحقاً مستقلاً بمجلة المغرب بالرباط.

- التعااضد المتين بين العقل والعلم والدين، محاضرة ألفت بمكناس وكان لها صدى واسع ونشرت أكثر من مرة بالمغرب وتونس.

- مختصر العروة الوثقى، فهرس لشيوخه طبع بمدينة سلا.

ومن تأليف الحجوي المهمة التي لم تطبع بعد :

- انتحار المغرب بيد ثورة، مذكرات تاريخية كتبها لما كان موظفاً بوجدة نائباً عن المخزن في قضية الحدود، وعن الثورات العديدة التي قامت بالمغرب آنذاك.

- تاريخ إفريقيا الشمالية في نحو أربعة أجزاء.

- فهرس الشيوخ المسمى العروة الوثقى بمشخة أهل العلم والتقى.

اتخذ محمد الحجوي موقفاً مخالفاً لإجماع الأمة أثناء الأزمة السياسية سنة 1953، وهو يومئذ نائب الصدر في العدالة، لذلك ساءت حالته النفسية والجسدية بعد حصول المغرب على الاستقلال، ومات بأحد مستشفيات الرباط عشية يوم الأحد فاتح ربيع الأول عام 1376 / 6 أكتوبر 1956 وحمل من الغد إلى فاس ودفن بقصبة ابن دباب ولم

## الحدج ← الحنظل

**حدَّ كُرت**، مدينة صغيرة في منطقة الغرب سميت باسم جبل كرت الواقع على مسافة ثمانية كيلومترات إلى الشمال الغربي منها. تبعد مدينة حد كرت عن القنيطرة بمسافة تسعين كيلومتراً، وهي اليوم بلدية تابعة لإقليم سيدي قاسم بعيدة عن العاصمة بمسافة خمسة وأربعين كيلو متراً. بلغ عدد ساكنة حد كرت 4.276 نسمة موزعة على 742 عائلة حسب نتائج إحصاء 1994، أو ما يعادل 5,7 فرد للعائلة الواحدة.

كان لحد كرت دور مهم أيام الحماية نظراً لخصوبة أرضها ولقربها من الحدود الفاصلة بين منطقتي التسيير الإسباني والفرنسي : هذا ما يفسر تعيين المستشرق الفرنسي الشهير جاك بيرك (1910 . 1994) مراقباً مدنياً في حد كرت.

المختار بلعربي

**الحدَّاد**، أحمد بن عاشر الخليلي الرباطي، الشيخ العالم الصوفي، غلب عليه لقب الحداد وعرف بشيخ الدرقاوين. تتلمذ على الحاج محمد بن العربي الدلاني مؤسس الطريقة الحراقية بالرباط وشيّد أركانها بعد وفاته. استوعب الحداد أذكار الزاوية، وحفظ ما كان رجالها يزمزون به على نغمات طربوع الموسيقى الأندلسية في حلقاتهم من أشعار ملحنة بنوعيتها : السماع - ويراد به إنشاد القصائد والمولدات كالبردة والهزيمة والبغدادية - والمديح، ويقصد به المقطعات الصوفية القائمة على أنساق صناعات النوبة الأندلسية من أزجال وتواشيح وبراول، وما يتخللها من بيتينات.

تقلد أحمد الحداد مشيخة الزاوية، وأصبح وارث سر التقاليد الغنائية التي أرسى قواعدها من قبله عميد المادحين بالرباط الشيخ محمد بن العربي الدلاني صاحب كتاب فتح الأنوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار، وهي تقاليد تتصل بأسلوب إنشاد وصناعات النوبة من حيث العمل بوحدة الطبع الموسيقي.

ألف أحمد الحداد صلوات وأحزاباً وتوسلات نشرية وزجلية يذكرها الحراقيون وينشدونها. ولما حجّ لقي بعض شيوخ المتصوفة العلماء في مصر فأعجبوا به وحلّاه أحدهم في مؤلّف له بأوصاف روحانية عالية وأخذ عنه جميع أوراده. وقد وقف عبد الله الجراري على مجموع أحزابه ومؤلفاته الصوفية وأورد نبذة منها في أعلام الفكر، وهي تدل على ذوق صوفي رفيع، وعبارات صقيلة سامية.

وقد تتلمذ على الحداد جملة من أقطاب السماع، تهيأ لتقاليد المدرسة الحراقية أن تظل قائمة بفضلهم حتى اليوم، وكان على رأس هؤلاء الفقيه المقدم المتصرف عبد السلام

العليا (الجنبايات) في الرباط، ثم تولى منصب باشا مدينة وجدة. وقد تعرض خلال مزاولته لهذه الوظيفة لمحاولة اغتيال من لدن أحد الوطنيين، وهو يؤدي صلاة الجمعة، حيث ضُرب في عنقه، لكن إصابته لم تكن قاتلة، أما ضاربه فقتل على التو. بقي محمد المهدي الحجوي باشا في وجدة إلى حين إعلان استقلال المغرب، فأعفي من الخدمة. وقد ورد اسمه ضمن لائحة أولية للأشخاص الذين شملهم قرار الحرمان من التصرف في أملاكهم باعتبارهم متعاونين مع الاستعمار. حسبما ورد في بلاغ صادر عن رئاسة الحكومة المغربية بتاريخ 6 صفر 1376 الموافق لثاني شتنبر 1957 (جريدة العلم، 4.9.1957).

كان محمد المهدي الحجوي كاتباً وشاعراً ومترجماً. خلف عدة مؤلفات، منها : حياة الوزان الفاسي وآثاره، حيث ضمن هذا الكتاب ترجمة مفصلة للرحالة حسن بن محمد الوزان نقلها عن عدة مصادر، وقدم عرضاً موسعاً لرحلة الوزان "وصف إفريقيا" اقتباساً من ترجمتها الفرنسية. والكتاب، في الأصل، بحث قدمه صاحبه خلال مؤتمر المستشرقين الثامن الذي عقده معهد الدراسات المغربية العليا بفاس، في جلسة بتاريخ 20 غشت 1933. وقد طبع الكتاب بالمطبعة الاقتصادية بالرباط سنة 1354 / 1935. وفي هذا المؤلّف، أشار محمد المهدي الحجوي إلى كتاب له بعنوان الجغرافية وأطوارها، لكن أحداً من الدارسين لم يُحل عليه، ولعله من الكتب المفقودة. ومن مؤلفاته : المرأة بين الشرع والقانون، الذي عكس ثقافته القانونية والإسلامية، وتضمن فصلاً هامة، منها : الولاية العامة، تصرفات المرأة، المرأة والحقوق. وقد فرغ منه بمكة المكرمة في 6 ذي الحجة سنة 1365 هـ. ونشر ملخصاً له في مجلة الثقافة المغربية سنة 1942 / 1943، بعد أن حاضر به في النادي الفرنسي بالدار البيضاء، كما أشار إلى ذلك محمد المهدي الحجوي نفسه في كتابه هذا الذي صدر بالدار البيضاء سنة 1967. والذي تضمن ترجمة لمحتواه باللغة الفرنسية. كما خلف الحجوي ديوان شعر.

توفي ليلة الجمعة 11 ذي الحجة سنة 1388 / 28 فبراير 1969.

م. القباچ، الأدب العربي في المغرب الأقصى، ط. 1، الرباط، 1929، 2 : 11 : ع. ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ط. 2، الدار البيضاء، 1960، 1965، ج 1، ص. 205، ج 2، ص. 397 : ع. الجراري، التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين من 1900 إلى 1972، الرباط، ط. 1، 1985، ص. 265 : م. المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، مجلة كلية الآداب، الرباط، ع. 17، 1992، ص. 159 : جريدة العلم، الرباط، ع. 2647، 4.9.1957.

أحمد المكاوي

## حُجِيوة ← قلعية

كديرة الذي أخذ عنه الشيخ المتفنن عبد القادر حفيد محمد ابن العربي الدلاني المتوفى عام 1380 / 1960، ومحمد بن محمد بن عمر الريش المتوفى عام 1392 / 1972، وصهره محمد بن أحمد بن منصور الرباطي المتوفى عام 1938. وقد آلت هذه التقاليد اليوم إلى المسمع المتفنن عبد اللطيف بمنصور الذي أخذها عن جده لأمه عبد السلام كديرة.

توفي أحمد بن عاشر الحداد بالرباط في ثاني ربيع الثاني عام 1326 / 4 ماي 1908، ودفن بالزاوية الحراقية بالرباط ورتاه محمد بن اليميني الناصري بهمزية طويلة مطلعها :

غارت عيون الأرض أين المَاءِ      واغْبِرَّتْ الآساق والأَنْحَاءِ  
ع. المراري، أعلام الفكر المعاصر، 2، 20، 25. م. حجي، الزاوية  
الدلانية، ص 260.

عبد العزيز بن عبد الجليل

### الحداد، أحمد بن عبد الكريم التطواني (الجيد)

الحسن بن العلمي، ينتمي نسبه إلى أحد أبناء أبي بكر الجيد الجامع للأشراف العلميين. ومعلوم أن مسقط رأس هؤلاء جميعا قبيلة بني عروس، انتقل منها أحد أجداده إلى قبيلة بني كرفظ. ثم منها إلى قبيلة بني ليث، ومنها انتقل جده الأعلى محمد بن علي الحداد إلى مدينة تطوان في حدود عام 1120 / 1708.

كان في أول أمره يتَّجِر في العطر والحلي إلى الجزائر والشام فأثرى من ذلك لما كان يتحلى به من الصدق والأمانة والديانة الشيء الذي لَقَّتْ نظر السلطان عبد الرحمان بن هشام إليه. فاستخدمه أمينا برباط الفتح، وكلفه بالإشراف على الأبنية السلطانية، فأظهر أمانة وحسن تدبير، وأنشأ مصالِح عديدة، أطلقت ألسنة الناس بالثناء عليه، وعلى همته وسداد رأيه، كما أشركه مع ابن المكي القباچ المكلف باستقصاء أموال أولاد أشعاش ومصادرتها. ثم عين عاملاً عاما على تطوان وما إليها، فأحسن السيرة كعادته، وأقام ميزان العدل، مع حُسن أخلاق ومروءة وعفة ونزاهة، واستمر كذلك حميد الذكر ذائع الصيت إلى وفاته. وهو جد الفقيه الصدر سميّه أحمد بن عبد الكريم الحداد أتى الترجمة بتطوان.

ومن مآثره بناء قنطرة (بوصفيحة) التي تبعد عن تطوان بنحو ثماني كيلو مترات وما زالت ماثلة للعيان، كما أحدث غيرها. وفي أيامه حدث الطاعون الجارف الذي خرب البلد عام 1272 / 1855.

توفي بتطوان عام 1274 / 1857.

أ. الرهوني، عمدة الراويين، 2، 58. م. داود، تاريخ تطوان، 3.

335

### الحداد، أحمد بن عبد الكريم التطواني

(الحفاد) الحسن بن العلمي الفقيه العلامة الخطيب المفوه المدرس الصوفي الكاتب البارع الصدر، آخر وزير أول في الحكومة الخليفية بمنطقة حماة إسبانيا بالمغرب.

ولد بتطوان في 26 جمادى الأولى عام 1309 / 28 دجنبر 1891 وخفظ القرآن على الفقيه السيد عبد السلام الدهري والفقيه أحمد ابن حمزة، ثم حفظ بعض المتون العلمية، وفي عام 1327 / 1909 شرع في الدراسة فأخذ عن علماء بلده كابن الأبيار والمؤذن والعمرائي والبقالي والزواقي والرهوني والفرطاخ وأقبيلال والمرير وغيرهم، ولم تعرف له رحلة علمية، بل من غريب أمره أنه لم يخرج من تطوان إلا مرة واحدة رئيسا لوفد الحكومة الخليفية إلى مدريد لإبلاغ الجنرال فرانكو احتجاج الشعب المغربي واستنكاره لسياسة فرنسا المفضية إلى خلع الملك محمد الخامس، ولعله زار طنجة، كما أخبرني.

ثم تعاطى الشهادة والخطابة والتدريس، ونظراً إلى ما امتاز به من معرفة وذكاء وألمية وبراعة إنشاء وخط حسن عين على كره منه كاتباً بوزارة المالية بتاريخ 6 شعبان 1332 / 26 يونيو 1914 م؛ وبتاريخ 10 جمادى الثانية 1338 / 1 مارس 1920 م عين كاتباً أول بالصدارة العظمى على عهد الصدر الفقيه محمد ابن عزوز، وبعد ذلك عين على التوالي مدرساً من الدرجة الثالثة ومدرساً خاصاً لسو الخليفة السلطاني الحسن بن المهدي، وعضواً أول بالمجلس الأعلى للتعليم الإسلامي بشمال المغرب، ومدير الأحياس الإسلامية، ونائباً عن الصدر بالمحكمة العدلية المخزنية العليا، ورئيساً للمحكمة العليا للاستئناف المخزني. وفي 27 جمادى الأولى 1367 / 7 أبريل 1948 عين صدراً أعظم (وزيراً أول) في آخر حكومة خليفية، وظل كذلك إلى استقلال المغرب.

وقد وُسم بعدة أوسمة ملكية وخليفية آخرها وسام العرش من الدرجة الثالثة، وكان له مقام رفيع في اللطف والظرف والذكاء والمعرفة والنزاهة والعفة والورع، ومن حرصه على العلم وتعلمه للمعرفة أنه لما عين السلطان مولاي عبد العزيز أستاذاً رياضياً لتعليم رجال المدفعية بتطوان (الطنجية) انضم المترجم إليهم قصد الاستفادة وتلقى معهم دروساً أفادته جداً.

وكان خلقه الذي امتاز به وأجمع عليه عارفوه : التواضع الجم، فكان متفرداً به كيفية وممارسة مبالغاً لدرجة الابتذال، وقد لوحظ عليه أنه - وهو الصدر الأعظم - يأتي إلى مكتبه بالصدارة العظمى ممتطياً سيارته الفخمة الحاملة للمعلم الخليفني الأخضر ولكنه يتنكب الدخول من الباب الكبير ويدخل من باب خلفي صغير، ولما سأله أحد خواصه عن ذلك قال : إنني أتضايق من صوت البوق ومسارعة الجند والمخازنية إلى الاصطفاة صفين وانحنائهم لتحياتي.

ومن ورعه أنه كان لا يضيف إلى اسمه نسبة "الحسن بن العلمي" رغم ثبوت ذلك شرعاً، وسئل عن ذلك فقال : إنني

لم أعرف بذلك، فلماذا أعرض نفسي للقبل والقال، والعلم عند الله وهو المسؤول أن يلحقني بنسب رسوله صلى الله عليه وسلم.

ومن أسائته ونزاهته وعفته أنه مع هذه الوظائف السامية وعلى رأسها الصدارة العظمى التي تقلب فيها معظم سني حياته لم يملك ثروة ولم يتأثر مالا إلا ما لا بد منه، مكتفيا بعيش الكفاف قنوعا بما عنده لا يمد عينيه إلى ما سُمع به غيره ممن يعملون تحت نظره مفضلاً أن يعيشر كسائر الناس مثلما عاش أسلافه.

وهو إلى جانب هذا كان برزخاً بين الإدارة الإسبانية والخليفة السلطاني في ظروف دقيقة عاشها الشمال إذ ذلك، فكان الموظفون عموماً حزبين : حزبا خليفيا وحزبا إسبانيا، والصراع بينهما محتدم. وكان هؤلاء يكيدون للخليفة ويزنون للإدارة الإسبانية الاستقلال بالمنطقة، وجررت في ذلك مشاورات واتخذت خطوات والمترجم له يتلقى الصدمات وهو صامد في مهب الرياح مستحيت في الدفاع عن الخليفة وكشف مكايدهم وإبعاد خطرهم عن البلاد، واستمر كذلك رغم الأراجيف والإشاعات التي كان يبثها الخصوم ضده إلى أن أفسد خطة الظالمين وجنّب البلاد ما كان يمكن أن تتعرض له من مصائب وويلات. وهو هاش باش يتلقى الجميع بالقبليات والترحاب والمدائح، لا يظهر عليه أدنى تأثر ولا غضب ولا انفعال. وبعد أن حظي بوسام العرش خصص له معاش يستعين به على تكاليف الحياة، فأمضى بقية أيامه في ستر وعافية محبوباً من الناس جميعاً يتردد بين البيت والزاوية الكتانية إلى أن قضى نحبه يوم الخميس 19 جمادى الأولى 1406 / 31 يناير 1986، ودفن يوم الجمعة خارج باب المقابر على أمتار معدودة من ضريح أبي الحسن المنظري.

أ. الرهوني، عمدة الراويين، 2 : 58 مخطوط : أ. الحداد، فقيد العلم والفضيلة العلامة الوزير، في الذكرى الثانية لوفاته، سلسلة 3 من منشورات جمعية قدما، معهد مولاي المهدي.

محمد بوخيزة

**ابن الحداد، التهامي بن عبد القادر المراكشي** ثم المكتاسي، أستاذ مجود مقرئ بالقراءات السبع. درس هذا العلم على شيوخ فاس ومكتاس مثل عبد الله الكامل الأمراني ومحمد گون ومحمد بن التهامي الوزاني ومحمد القادري وأبي جيدة الفاسي، واشتغل مدة من الزمن بتربية الأمراء العلويين حيث اختاره السلطان الحسن الأول لتأديب إخوته بمكتاس ثم انتدبه لتعليم أولاده ووجهه معهم لقبيلة احمر. وقد أشار إلى مشيخته السلطان مولى عبد الحفيظ في نظمه لشرحه معنى اللبيب بقوله :

كشينا طرد العلوم الراسي بحر الهدى التهامي المكتاسي

ولما ولي السلطان عبد الحفيظ الملك أسند إليه قضاء فاس الجديد. وفي سنة 1328 هـ أدى فريضة الحج ووقعت له في هذه الرحلة خلاقات مع الفقيه الأديب أحمد بن المامون البلغيشي في شأن زيارة قبر عم النبي أبي طالب وزيارة دار أبي سفيان، فهجاه البلغيشي بقصيدة مطلعها :

رمانى ابن حداد بهجل ديانتى بمحفل علم بين قوم أفاضل  
وقد اعتذر ابن الحداد للبلغيشي، وعلاوة على خطة التدريس والقضاء اللتين زاولهما اشتغل بالتأليف أيضاً وترك شرحاً على نظم الياقوتة للمولى عبد الحفيظ في القضاء في جزئين ؛ وشرحاً لمولد محمد بن جعفر الكتاني لم يكمله وتأليفاً في الجهاد ؛ وقد ضاع هذان المؤلفان الأخيران.

توفي في آخر يوم من شعبان عام 1336 / 9 يونيو 1918 ودفن بضريح سيدي بوطيب بمكناس.

ع. ابن زيدان، الإتحاف، 2 : 107، ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 3 :

198، ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 8 :

2901، 2902 : ع. رضى كعالة، معجم المؤلفين، 3 : 94.

محمد ماگامان

**ابن الحداد، محمد بن عبد الرحمان بن أحمد الصنهاجي.** أحد فقهاء مكناسة الزيتون. برع في الحديث والأدب خاصة الشعر الذي كان يقرضه منذ شبابه ويمدح به الملوك. وبعد أن نزع عن ذلك لزم التصوف سلوكاً وعبادة، فكانت له اتصالات وزيارات لكبار أولياء ومتصوفة عصره مثل عبد الرحمان الهزميري المتوفى سنة 707 / 1307. ثم انتقل إلى الشرق فلقني في طريقه بمدينة بجاية الشيخ أبا البركات ابن الحاج البلغيشي الذي أفاد بأن ابن الحداد هذا لم تكن له منزلة كبيرة بين العلماء ومع ذلك تعجب من التفاف طلبية بجاية حوله وأخذهم عنه علوم الفقه. وترجع دوافع سفره إلى الشرق لأسباب شخصية تتمثل حسب بعض المصادر فيما ذكره في خطبة أمام طلبته بمكناسة حيث قال: "الحمد لله الذي خلق الإنسان على صورته، وذكر اسم الله الرحمن الرحيم في ملاك شريف من شرفائها" عندها قام عليه طلبته ثم خرج بسبب ذلك إلى الشرق:

ذكر ابن القاضي أن ابن الحداد كان حياً سنة 723 / 1323. أما ابن حجر العسقلاني فقد حدد تاريخ وفاته في ثامن ذي الحجة من عام 722 / 18 دجنبر 1322، وقد توفي في مكناسة وقبره يوجد بمسجدها المعروف بمسجد الشجرة.

ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، د. ت. 3 : 496، أ. :

الزورنريسي، المعيار، بيروت، 1981، ج. 4، ص. 162، ج. 11،

ص. 175، 177، ج. 12، ص. 175، أ. ابن القاضي، درة المجال،

تج. محمد الأحمدى أبو النور، القاهرة، ط. 1، 1971، ج. 2، ص.

108، 109 : أ. المقرئ، نفع الطيب، بيروت، 1986، ج. 8، ص.

رشيد السلامي

### الحدادى، أحمد بن إدريس بن التهامي المنقاري.

كان جده وعائلته يتعاطون مهنة الحدادة فنسبوا إليها. أما والده فكان من رجال الدين وأهل الخير، له مدرسة للقراءات. ولما توفي في العشرة الأخيرة من القرن الثالث عشر للهجرة، خلف عدة أولاد نبغوا كلهم في العلم والقراءات.

أخذ أحمد الحدادي بمدرسهم عن الفقيه يوسف الزويني، ثم رحل إلى فاس فأخذ عن شيوخها، أمثال عبد المالك الضربير العلوي ومحمد بن قاسم القادري ومحمد بن التهامي الوزاني وغيرهم. وبعد رجوعه من فاس، أصبح يساهم في التدريس بمدرسهم بمعية قريبه الشيخ علي بن الزوين.

توفي أحمد الحدادي سنة 1329 / 1911 ودفن بمقبرة سيدي الوافي على مقربة من سوق خميس الزمامرة. م. الكانوني، جواهر الكمال.

محمد الشياطي

### الحدود المغربية (في القديم والوسيط). عرفت عدة

تغييرات وتقلبات ولم تتوقف منذ آلاف السنين في الاتساع تارة والتراجع أخرى. اتسعت هذه الحدود في بعض الحقب وامتدت من طرابلس شرقا إلى السوس الأقصى غربا، ومن نهر النيجر جنوبا إلى أقصى حدود الأندلس شمالا، كما تراجعت وتقلصت في حقب أخرى تبعا لقوة الدول التي توالى على حكم البلاد أو ضعفها. فكلما كانت هذه الدول قوية وعتيدة توسعت حدودها، وكلما ضعفت قوتها تنازلت عن مساحات شاسعة كانت تحت حكمها من قبل.

بدأت الملامح الأولى للحدود المغربية تبرز مع الفينيقين الذين قاموا بتأسيس مراكز ساحلية بالمغرب من أجل التبادل التجاري مع أهلهم. والفينيقيون كما هو معلوم عرب كنعانيون كانت بلادهم تقع بالساحل السوري - الفلسطيني. واستمر هذا التبادل التجاري حتى بعدما أسس الفينيقيون دولتهم الجديدة بقرطاجة، على الساحل الشرقي بتونس، ومنها اختلطوا مع المغاربة الذين اعتنقوا ديانتهم وتبنوا لغتهم. لكن الحضارة القرطاجية سرعان ما سقطت تحت هجمات الرومان الذين دمروا قرطاجة واستولوا على شمال إفريقيا، عندئذ قسم الرومان الشمال الإفريقي إلى ثلاثة أقسام هي: (1) نوميديا، وتمتد من مصر إلى نهر ملوية - دون مملكة قرطاجة - (2) موريطانيا وتمتد من نهر ملوية شرقا

إلى المحيط الأطلنطي غربا حيث كانت تشكل شمالي المملكة المغربية. (3) بلاد الجيتول Getules وهم سكان جنوب موريطانيا.

حكم بوخوس Bocchus موريطانيا (18 - 81 ق. م) أي شمالي المغرب في حدوده الممتدة من ملوية إلى المحيط الأطلنطي. ولما قام صهره يوغرطة (18 - 105 ق. م) بحاربة الرومان بقصد إجلائهم عن الشمال الإفريقي، حارب بوخوس إلى جانبه ضد الرومان، ثم انقلب عليه خوفا من قوتهم وسلمه أسيراً إليهم، فكافؤوه بتوسيع مملكته، ومنتحوه المنطقة الممتدة من شرقي ملوية شرقي موريطانيا إلى وادي ستيف. وبهذا عرفت حدود مملكة موريطانيا توسعا جهة الشرق في عهد بوخوس.

وفيما بين سنة 80 وسنة 62 ق. م انقسمت موريطانيا جغرافيا إلى قسمين: قسم شرقي يحكمه بوخوس الثاني Bocchus II وقسم غربي يحكمه بوغود Bogud. وحاربت موريطانيا إلى جانب روما ضد يوبا الأول Juba ملك نوميديا الذي انهزم أمام الرومان في معركة تامبوسوس سنة 46 ق. م. ولما اعتلى أكتافيوس Octave عرش روما عين بوخوس الثاني ملكا على القسمين معا الشرقي والغربي من موريطانيا.

ولما مات بوخوس الثاني سنة 38 ق. م عادت روما إلى تقسيم موريطانيا إلى القسمين السابقين، وعينت عليهما والين سنة 33 ق. م. لكنها سرعان ما قسمت البلاد إلى ثلاثة أقسام جديدة هي: زيليس (أصيلا) وبابا كسترين (قرب مدينة وزان) وبناسا (سيدي علي بوجنون). وفي سنة 25 ق. م قام الامبراطور أوكتافيوس بتعيين يوبا الثاني Juba II ملكا على موريطانيا التي توحدت من جديد تحت حكمه الذي دام من سنة 25 ق. م إلى سنة 23 بعد الميلاد. يوبا الثاني هذا هو ابن يوبا الأول، كان الرومان قد أخذوه رهينة، وهو في الخامسة من عمره بعد هزيمة في معركة تامبوسوس السالفة الذكر، وعهدوا إلى "أوكتافيا" شقيقة الامبراطور أغسطس Auguste بتربيته. ولما اشتد عورده وتأكدت قوته العسكرية في المعارك التي خاضها بجانب الامبراطور، ولاء على موريطانيا وعلى ما تبقى من ملك أبيه بنوميديا. وقد أصبحت موريطانيا تمتد في عهده من المحيط الأطلنطي غربا إلى الوادي الكبير شرقا، كما أنها أصبحت تضم كذلك جزءاً من بلاد جيتول جنوبا. وخلفه ابنه بطليموس Ptolémée سنة 23 م. وفي سنة 40 م، قتله الامبراطور كاليغولا Caligula غدراً. فقامت ثورة في موريطانيا ضد الرومان بزعامة ايدمون Aedemon مولى بطليموس، دامت أربع سنوات. كانت من أشد الثورات، كما تشهد على ذلك التنقيبات الأثرية بكلوسوس وتامودا، حيث اتضح أن هاتين المدينتين أحرقتا ودمرتا عن آخرهما خلال القرن الأول الميلادي. وهو تدمير ينسبه علماء الآثار

وفاته قامت نزاعات وفتن استمرت فترة طويلة عرف المغرب خلالها حروباً دامية انتهت بقيام دولة المرابطين.

عرفت حدود المغرب في عهد المرابطين اتساعاً كبيراً لم تشهده البلاد من قبل، فقد شملت النصف الغربي من الشمال الإفريقي، وأوقف المرابطون المسيحيين في إسبانيا عند حدودهم، ذلك أنه في عهد يوسف بن تاشفين انضمت الأندلس إلى المغرب واتسعت الإمبراطورية المرابطية وبلغت حدودها بجاية شرقاً والسوس الأقصى غرباً والسودان جنوباً وسرقسطة شمال الأندلس. لكن الخلفاء الذين خلفوه من أبنائه لم يستطيعوا الحفاظ على اتساعها، واستغلت الأندلس الفتنة التي قامت بين المرابطين والموحدين فانفصلت لمدة وجيزة عن المغرب، فتراجعت الحدود إلى ما كانت عليه.

وفي عهد الدولة الموحدية اتسعت رقعة المغرب اتساعاً كبيراً لم تعرفه البلاد من قبل ولا من بعد، إذ كانت تمتد حدوده شرقاً من طرابلس إلى السوس الأقصى، وفتحوا معظم بلاد الأندلس، ذلك أنه بعدما تمت بيعة عبد المؤمن الموحيدي سنة 527 هـ، استولى أول الأمر على الجنوب الغربي ثم توجه نحو الشمال الشرقي فضمه إلى دولته، وفي سنة 535 هـ انتصر الموحدون على الإسيان وضمت الأندلس من جديد داخل الحدود المغربية. بعد ذلك جهز عبد المؤمن جيشاً لفتح المغرب الأوسط والأدنى وتم فتحهما، وبذلك توحد الشمال الإفريقي في دولة الموحيدين.

وفي عهد المنتصر بدأت الحدود تتراجع بسبب الثورات والفتن. وأخذ الإسيان يستولون على البلاد الأندلسية. وظهر بنو مرين الذين استقروا بناحية فاس بزعامة أميرهم عبد الحق بن محيو المريني. وبعد وفاة المنتصر قامت الفتنة بين الموحيدين، فاستغلها الحفصيون واستقلوا عن المغرب بتونس. وفي سنة 628 هـ، استقل عدد من جهات الأندلس بدورها عن المغرب. وفي سنة 636 هـ، استولى الإسيان على قرطبة بالأندلس، وبذلك تقلصت حدود المغرب بشكل كبير. وعلى إثر انقراض دولة الموحيدين بالمغرب ظهرت ثلاث دول مستقلة في القرن السابع الهجري، فالحفصيون أعلنوا استقلالهم بالمغرب الأدنى واستولى الزناتيون على المغرب الأوسط، بينما استولى المرينيون على المغرب الأقصى، فأصبحت حدود المغرب لا تمثل إلا ثلث ما كانت عليه أيام ازدهار الموحيدين.

حاول المرينيون الحفاظ على الامتداد الواسع الذي عرفته الحدود المغربية في عهد الموحيدين، لكنهم لم يستطيعوا ذلك إذ سرعان ما ضعفت دولتهم وفقدت نفوذها في المغرب الأدنى والمغرب الأوسط، وعاد المغرب إلى حدوده الأولى، بل إن دولا أجنبية كالبرتغال وإسبانيا بدأت تطمع في الاستيلاء على المغرب والنيل من استقلاله. فقد احتل البرتغال مدينة أسفي وطنجة وأصيلا،

إلى حروب إيدمون ضد الرومان. لكن بالرغم من سحق هذه الثورة فقد قامت روما مرة أخرى بتقسيم موريطانيا إلى ولايتين يفصلهما نهر ملوية، فالمنطقة التي تمتد شرقي النهر تسمى موريطانيا القيصرية نسبة إلى عاصمتها القيصرية (شمال) والمنطقة التي تمتد غربي النهر حتى المحيط تسمى موريطانيا الطنجية، نسبة إلى عاصمتها طنجة. ومع أواخر القرن الثالث الميلادي لحقت روما أزمة شاملة أدت إلى تلاشي سلطتها على المناطق التي كانت تحكمها. وأصبح وجود الرومان مقتصرًا على منطقة طنجة وعلى بعض المراكز بالسواحل المغربية إلى أن تحول حكم البلاد من أيديهم إلى أيدي الوندال، ذلك أنه لما تأكد ضعف الرومان قام بونيفاس أحد القواد الرومانيين بالشمال الإفريقي سنة 427 م، بتوجيه بعثة إلى جونزيرق Genserik ملك الوندال بإسبانيا يعرض عليه اقتسام الشمال الإفريقي إن هو وقف إلى جانبه ضد روما.

وكان الوندال مستقرين مع بداية القرن الخامس الميلادي في جنوب إسبانيا، وأصبحت المنطقة تسمى باسمهم (فندالوسا) أي أندلسا، فيما بعد، وفي 427 م، عبر الوندال مضيق جبل طارق إلى شمال المغرب، وداهمت فلور جيوشهم الجيوش الموالية لروما وطاردهم إلى أن تخلوا عن الشمال الإفريقي. وبعد انتصارهم على الرومان لم يكتفوا بأخذ نصف البلاد بل استولوا عليها كلها ثم توجهوا بعد ذلك نحو روما وحاربوها في عقر دارها، وحققوا انتصارات عليها. لكن هيمنة الوندال لم تستمر طويلاً إذ في عهد الإمبراطور البيزنطي "غستين" Gustin سنة 533 م، هزمت جيوشهم وأعيدت البلاد ثانية تحت السيطرة الرومانية، واكتفى البيزنطيون بالاحتفاظ ببعض المراكز على السواحل المغربية حتى سنة 683 م. وهكذا ظلت حدود البلاد غير مضبوطة المعالم في كتابات المؤرخين طيلة هذه الفترة الطويلة من الزمن إلى أن حل بها العرب المسلمون في القرن الأول الهجري لنشر الإسلام بها.

وصل الإسلام إلى الشمال الإفريقي في خلافة معاوية ابتداء من سنة 26 هـ. واستمر الفتح الإسلامي على يد عقبة ابن نافع في عهد يزيد بن معاوية إلى أن وصل إلى مدينة أسفي سنة 62 هـ. وبعد مقتل عقبة بن نافع عين موسى بن نصير عاملاً على إفريقيا والمغرب في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، فاستطاع توحيد المناطق البربرية وإخضاعها، وأصبح المغرب جزءاً من ولايته في هذا العهد. وتم فتح الأندلس على يد طارق بن زياد البربري سنة 92 (711 م) وبعد انقراض الدولة الأموية في المشرق سنة 132 هـ. استقل المغرب وظهرت به إمارات محلية، وأسس المولى إدريس الأول دولة الإدارة في المغرب واستطاع توحيد معظم البلاد في دولته الجديدة. ولما خلفه ابنه المولى إدريس الثاني أسس مدينة فاس التي أصبحت عاصمة ملكه، وبعد

واستولى الإسبان على جبل طارق. وبدأت دولة بني مرين تتقلص بعد خروج المناطق المغربية عن طاعتها، ويسقط مدينة فاس في أيدي الأشراف السعديين انهارت دولتهم. ولما تولى السعديون الحكم لم يكن للمغرب أسطول بحري يدافع به عن نفسه، كما أن سواحلها كانت محتلة من طرف الأجانب الذين كانوا يهاجمون حدوده باستمرار، ومع ذلك قد استطاع محمد الشيخ الملقب بالمهدي أن يسترجع عدداً من المراكز الساحلية من أيدي البرتغاليين كأزمور وأسفي والقصر الصغير وأغادير. وفي هذا الوقت كان العثمانيون قد تمكنوا من احتلال ليبيا وتونس والجزائر، وأخذوا يستعدون للانقضاض على المغرب. وكانت وقعة وادي المخازن في عهد عبد الملك السعدي سنة 986 هـ التي دارت رحاها بين الفزاة البرتغاليين والسعديين بالقرب من مدينة القصر الكبير، وكان النصر فيها حليف السعديين، وبذلك ردت للمغرب هيئته ومكانته في المنطقة. وفي عهد أحمد الملقب بالمنصور اتسعت حدود المغرب بفتح بلاد السودان (والمقصود بالسودان آنذاك هي منطقة نهر النيجر والساحل حتى المحيط الأطلسي). وبعد موت أحمد المنصور ضعفت دولة السعديين بسبب الثورات الداخلية من أجل الحكم. وظل الوضع هكذا إلى أن قامت دولة العلويين. وفي عهد المولى إسماعيل العلوي تم استرجاع طنجة والعرانش وأصيلا، ونظم هذا السلطان جيشاً قوياً ووحد البلاد ونشر فيها الأمن. وقام هؤلاء الملوك بجهود متوالية لتحرير سبتة ومليلية ولكن مشاكل متعلقة بالحدود استجدت ففرقلت هذه الجهود.

الهادي بيجو

\* \* وقد أصبحت الحدود المغربية في العصر الحديث، موضوع أطماع أجنبية. فموقع المغرب الجيوسياسي وإمكاناته كمصدر محتمل للثروة، تفسر اهتمام الدوائر العامة في السياسات الخارجية الأجنبية. وقد اهتمت به القوات الأوربية في أوقات وأزمنة مختلفة. وهذا ما أدى إلى كون حدود المملكة المغربية قد تعرضت للعدوان غير ما مرة تبعاً للابسات تاريخية.

الحدود الشمالية : أظهرت إسبانيا أطماعها لاحتلال المغرب منذ نهاية الوجود العربي في الأندلس عام 1492. وهي الآن تحتل على الشاطئ المتوسطي للمغرب خمسة مواقع قارس عليها سيادتها : سبتة ومليلية وحجرة بادس وحجرة الحسيمة والجزر الجعفرية.

وقد فرضت على المغرب حدود الاحتلال لسبتة ومليلية منذ 1859، إذ تؤكد معاهدة تطوان بتاريخ 24 غشت 1859 بمقتضى مادتها الأولى أن المخزن يسمح لإسبانيا بالسيطرة على الأراضي القريبة من مليلية إلى الحد الذي يضمن الدفاع عنها وضمان سلامتها وهدوئها، ومن جهة أخرى نجد

المادة الثالثة تنص على أنه ستجري تحديدات جديدة امتداداً في شاطئ المتوسط جنوبي مناطق الأماكن التي تسيطر عليها إسبانيا وعلى أساسها سيتحدد مجال مفعول القضاء التابع لمليلية، كما وقع النص على أن أرضاً محايدة ستحدد بين القضاء الإسباني والمغربي ؛ وسيتولى المخزن تعيين قائد عند حدود مليلية وفي الجهات المجاورة لحجرة بادس والحسيمة وذلك للحيلولة دون هجومات القبائل المجاورة (Donnadieu, *Les relations*).

أما تحديد مجال السيطرة على سبتة فقد جاء عقب المعاهدة التي فرضتها إسبانيا ووقعت بتطوان يوم 26 أبريل 1860. فقد توقعت مادتها الثانية توسيع "الأرض الخاضعة للقضاء القائم بسبتة إلى المدى الذي يضمن الأمن التام والدفاع المؤكد عن الحامية الإسبانية هناك".

وتقرر أن تقوم لجنة بهذا التحديد على الميدان بواسطة وضع علامات وأعمدة (Rezette, *Les enclaves...*).

ولما استرجع المغرب استقلاله عام 1956 أظهر قادة المغرب رغبتهم في استرجاع الأراضي المغربية التي تحتلها إسبانية وذلك عن طريق المفاوضات وحسب مبادئ القانون الدولي، وبهذا الصدد اقترح جلالة الملك الحسن الثاني على إسبانيا إنشاء خلية تفكير مشتركة من أجل إيجاد حل ودي لقضية المستعمرات.

الحدود الشرقية : آثار تحديد الحدود الشرقية للمغرب عدداً من الخلافات في الرأي بين المغرب وفرنسا من جهة وبين المغرب والجزائر من جهة أخرى. فقد جرى تخطيط أولي للحدود الشرقية نتيجة معاهدة للأمغنية بتاريخ 18 مارس 1845، وفيها تم تخطيط جزء من الحدود على امتداد 250 كلم بين خليج عجرود وفكيك مروراً بمر تبة الساسي.

وفي جنوب فكيك اعتبرت المعاهدة في مادتها السادسة أن الأمر يتعلق بالصحراء ولا حاجة فيها إلى تحديد. وقد استغل هذا الغموض لخدمة الأطماع الفرنسية في المنطقة، فقد خدمتهم في مشاريعهم لغزو هذه الجهات الصحراوية بالتدرج تبعاً لمراحل السيطرة النهائية على المناطق الغربية والجنوبية الغربية للجزائر. وهكذا ففي مارس 1912 وهو تاريخ عقد الحماية على المغرب تبنت فرنسا بطريقة أحادية خطأ إدارياً تحت اسم خط شارنبي تتوزع بمقتضاه الاختصاصات الإدارية الفرنسية في المغرب وفي الجزائر، فكانت كل الجهات الواقعة غربي هذا الخط وشماله تابعة للمغرب والجهات الواقعة في الشرق والجنوب تدعى جزائرية (Maazouzi, *L'Algérie...*).

بيد أن هذا الخط لم يُسَوَّ مسألة السيادة الترابية في منطقة تيندوف، وفي الأخير وبعد أن مدت فرنسا سلطتها يوم 10 مارس 1934 في الجهات التي بين نون ودرعة اعتبرت الحكومة الفرنسية أن احتلال تيندوف سيتم باسم



فرنسا وليس باسم المغرب، وقد فسر الجنرال شاربونو المشارك في عملية "تهدئة" جنوب المغرب الدواعي التي جعلت فرنسا ترفض إدماج تيندوف في المغرب حيث قال : "ومهما يكن، ففي النظام الدولي قد تكون هناك عوائق لتوسيع مجال المخزن في اتجاه الجنوب على حساب بلدان الجزائر وموريطانيا التي هي فرنسية بالخصوص" (Charbonneau, *Sur les traces...*).

وهكذا وضع احتلال تيندوف نهاية مؤقتة للتنازع حول الأراضي الصحراوية جنوبي فيجيج.

غير أن مشكل تحديد الحدود المغربية الجزائرية عاد ليوضع بعدة غداة استقلال الجزائر. وبعد حرب الرمال في أكتوبر 1963 وبعد عدة فترات توتر قررت الجزائر والمغرب في عام 1970 تصفية نهائية لنزاعهما الترابي. وهكذا أنشأ الطرفان لجنة متساوية الأعضاء لتخطيط الحدود بين فيجيج وتيندوف على حسب الحدود الإدارية للعهد الاستعماري. وقد وقع التخصيص مرة أخرى على مقتضيات اتفاق تلمسان في الاتفاقيتين الموقعتين بين البلدين أثناء انعقاد قمة منظمة الوحدة الإفريقية بالرباط ما بين 12 و15 يونيو 1972. وتتعلق الاتفاقية الأولى المتصلة بموضوعنا بتخطيط الحدود وتكرس حدوداً دولية تمتد من ثنية الساسي إلى تيندوف، وينص الفصل السابع من هذه المعاهدة على أن مقتضيات هذه الاتفاقية تسوي بشكل نهائي قضايا الحدود بين المغرب والجزائر.

الحدود الجنوبية :

بعد انهزام المغرب في حرب تطوان أمام هجوم إسبانيا عام 1860، حصلت حكومة إسبانيا من المغرب على تنازل قهري يؤسس بمقتضاه مركز للصيد على ساحل المحيط الأطلسي. وقد استقر هذا المركز فيما بعد بإفني. ومن جهة أخرى قامت إسبانيا ابتداء من أعوام الثمانين باحتلال جزء من ساحل وادي الذهب وأعلنت حمايتها على الساحل الإفريقي أي ما بين الرأس الأبيض ورأس بوجدور. وقد أدى الوجود الإسباني في هذا الجزء من التراب المغربي إلى إقدام كل من فرنسا وإسبانيا على تعيين ممتلكاتهما في المغرب بمقتضى معاهدة 27 / 11 / 1912. وهكذا نص الفصل الثاني من هذه المعاهدة على ما يلي :

"تحدد الحدود بين المنطقتين الفرنسية والإسبانية بتلعة وادي درعة ومنها تمتد ابتداء من البحر إلى غاية خط الطول 11° شرق باريس. ثم تحاذي هذا الخط جنوباً إلى أن تلتقي بخط العرض 27.40° شمالاً، وفي جنوب هذا الخط يبقى التطبيق جارياً بالبندين 5 و6 في اتفاقية 3 أكتوبر 1904. أما المناطق المغربية الواقعة شمالي وشرقي هذا التحديد والمعنية بهذه الفقرة فتكون تابعة للمنطقة الفرنسية".

وبعد استقلال المغرب قام يطالب باسترجاع الأراضي الباقية تحت سيطرة إسبانيا. وهكذا استرجع المغرب طرفاية

في فاتح أبريل 1958. ولكن المناورات التسوية من جهة إسبانيا جعلت المغرب يختر لجنة تصفية الاستعمار التابعة للأمم المتحدة من أجل أن تسجل في جدول أعمالها قضية إفني والصحراء الغربية. وقد أدانت مقررات الأمم المتحدة الموقف المتصلب لإسبانيا واضطرتها بمقتضى معاهدة فاس إلى التخلي للمغرب عن إفني بتاريخ 4 يناير 1969. وقد تمسكت إسبانيا بالصحراء الغربية وقررت أن تنظم بصفة انفرادية استفتاء خلال النصف الأول من عام 1975، بهدف خلق دولة صحراوية.

ومن أجل إفضال المناورة الإسبانية قام المغرب بإخطار الجمعية العامة للأمم المتحدة يطلب منها رأي محكمة العدل الدولية. وقد أصدرت هذه الأخيرة رأياً بتاريخ 16 أكتوبر 1975 وفيه أكدت مغربية الصحراء ووجود روابط البيعة التي تربط بين قبائل الصحراء بسلاطين المغرب. وعلى إثر صدور هذا الرأي قام جلالة الملك بتنظيم المسيرة الخضراء وهي مسيرة سلمية لاستعادة الأراضي المغتصبة.

وقد عجلت هذه المسيرة بعقد اتفاق مدريد الثاني بتاريخ 14 نونبر 1975 ونص على ضرورة استشارة سكان الصحراء بواسطة الجماعة. وقد أعلنت هذه الأخيرة يوم 26 فبراير 1976 ارتباط الصحراء بالمغرب.

وبالرغم من كون حقوق المغرب الترابية غير قابلة للمناقشة، فإن الجمعية العامة للأمم المتحدة قررت تطبيق تقرير المصير بالنسبة لسكان الصحراء. وقد انضم المغرب إلى هذه الأطروحة خلال عام 1981. ومنذ 1986 والأمم المتحدة تقوم بدور وساطة انتهت عام 1991 إلى خلق بعثة للأمم المتحدة لإجراء الاستفتاء في الصحراء الغربية. وقد توالى الاتصالات من أجل تنظيم استفتاء لتقرير المصير يواجه عرقلة أساسية تتعلق بقضية تحديد هوية الهيئة الناجية التي يمكن لها المشاركة في التصويت.

محمد العموري

**الحدودي، علي بن محمد بن عبد الكريم،** كان والياً لبني مرين على مدينة فاس، وفي أيامه أشرف على تحقيق مجموعة من المنجزات منها بناؤه سنة 689 / 1291 أو 692 / 1293 للباب الكبير المدرج الذي بقبلة جامع القرويين وجلب إليه الماء من عيون ابن اللصادي المعروفة بعيون الكوازين (أو الكزارين، الكرازين، الكوزين)، ثم صنع بركة الزيب سقاية وأجرى بها من ذلك الماء. غير أن السلطان يوسف بن يعقوب المريني لم يعجبه الأمر وأنكر على واليه فتح ذلك الباب دون استئذانه فنكبه وأمر بإغلاق الباب المذكور.

توفي بعد سنة 692 / 1293.

ابن أبي زرع، الفطاس، الرباط، 1972، ص. 66 : الجزائني، جنى

زهرة الأس، ط. 2، الرباط، 1991، ص. 74، 77.

والتلال، لأن الأراضي ذات الطبقات الطباشيرية لم تكن تقتص هذه المياه إلا قليلا. وكان العمرون الأوريون الأول، والمسافرون منهم والمستكشفون يضربون خيامهم في هذه الناحية المعتدلة الجرد، أثناء الصيف.

لكن طبيعة منطقة جبل الحديد تحولت مع هبوط مقاييس الأمطار وهيمنة الجفاف. فصارت الحقول الخضراء أراضي حمراء لا ينبت فيها شيء، وقد أمست غلالها تتراجع، وتردى اقتصادها للغاية، إلا ما كان من الجهة التي يطل عليها شرق هذا الجبل، وهي الجهة التي تنبع فيها عين جارية منذ قديم الزمان ومن صبيها يشرب الناس ويزرعون وترد الأنعام. وتسمى هذه الناحية "عين الحجر" لأن العين تنبع بين أراض كثيرة الحجر على العموم (انظر عين الحجر).

يتكون جبل الحديد من صخور سوداء. لأن التعرية بلغت هنا درجتها القصوى. تشكلت في الحقبه البليوسينية، وتتألف من جهات أخرى من صخور طباشيرية فقدت غشاها الطيني. وتحتوي الصخور الأولى علي الحديد. ومن هنا اسم الجبل وسلسلته. الذي كان القدامى يستغلونه بوسائلهم التقليدية. وجاءت عام 1916 شركة فرنسية لاستغلاله كما كان يفعل السابقون إلا أن عدم وجود سكة حديدية جعلتهم يعدلون عنه سنوات قليلة من بعد.

أما من الناحية التاريخية، فإن جبل الحديد شهد معركة حامية الوطيس عام 1046 / 1636. بين محمد الشيخ الأصغر السعدي وفرقة من هشتوكه المعززة بالشياطمة، أسفرت عن انهزام الملك السعدي. ومن غريب الصدف أن سلفه أحمد الأعرج انتصر هناك على أعدائه في حركة تأسيس الدولة السعدية.

أ. الناصري، الاستقصا، 5 : 14 و 6 : 84.

F. Joly, Géographie du Maroc : les plaines atlantiques ; L. Gentil, Explorations au Maroc ; Ministère des Mines et de l'Énergie, Panorama de l'industrie minière

أحمد بنجلون

**الحديد (معدن -)** من أصل لاتيني فيروج، رمزته الكيميائي Fe، ووزنه الذري 55.85، نظامه البلوري مكعب، كثافته 7.8، صلابته 4.5، غالبا ما يحتوي الحديد الخام على النيكل والكوبلطة والنحاس والكبريت والكاربون. الحديد معدن أبيض أشهب أو أسود؛ ورغم أنه من أصلب المعادن المستعملة، فإنه لين ولدن، لمعانه معدني، وشديد المغناطيسية.

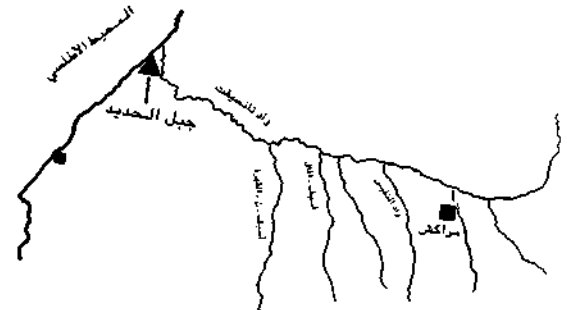
الحديد سهل التآكل عند الاتصال بالهواء، حيث يعطي قشرة متكونة من الصدأ أو الليسْمُونِيْتِ على شكل خبث بُرْكَانِي.

**الحدودي، محمد بن عبد الكريم،** أشرف على بناء الجامع الكبير بفاس الجديد إلى جانب والي مكناسة أبي علي الأزرق وذلك برسم السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني، وانتهى منه في شهر رمضان من عام 677 / 1279، كما قام سنة 682 / 1284 بإصلاح وبناء الحائط الشرقي للجامع القرويين بعد أن ظهرت عليه علامات الانهيار والخراب. يضاف إلى ذلك بناؤه للفندق الكبير الذي بسوق الشماعين بفاس والذي كان محسبا عليه من طرف السلطان يوسف بن يعقوب المريني.

مجهول، الذخيرة السنية، الرباط، 1972، ص. 162؛ ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972، ص. 68؛ الجزائني، جنى زهرة الأسر، ط. 2، الرباط، 1991، ص. 80، 79؛ أ. الوتشرسي، المعيار، ط. 1، الرباط، 1982، 7 : 186-187؛ م. المتوني، ورقات، الرباط، 1979، ص. 16.

رشيد السلامي

**الحديد (جبل -)** في الشياظمة يبلغ ارتفاعه نحو خمسمائة متر ويمتد مع هذا الارتفاع عبر مسافة طويلة لأنه يشكل سلسلة من الجبال والتلال تخترق منطقة الشياظمة الواقعة بإقليم الصويرة من الشرق إلى الغرب، وتصل هضباته إلى الشاطئ الأطلنطي حيث تتوغل في البحر لتشكل بدورها نقطة تسمى رأس الحديد، حسب ما هو ظاهر على الخريطة، جنوب مصب تانسيفت.



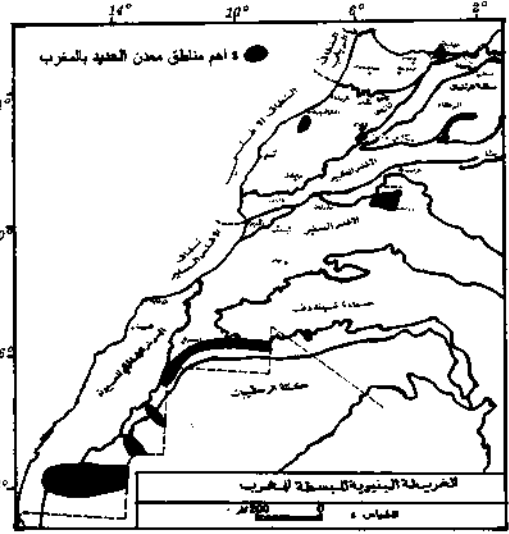
يبدو هذا الجبل شامخا بلونه المائل إلى السواد، في منطقة بلدة تالمست الواقعة بالطريق الرئيسية المؤدية من أسفي إلى الصويرة، بمحاذاة مجرى تانسيفت.

كانت منطقة جبل الحديد إلى الخمسينات من هذا القرن تتضمن حقولا غناء، تبيت فيها الزروع المختلفة وأشجار الزيتون وأرغان واللوز، وذلك بفضل مياه الأمطار التي تتجمع في الأخاديد والآبار وتتدفق من سفوح الهضاب

من بين المعادن التي تفرز الحديد نذكر الحديد الخام، حجر الدم، المغنيتيت، الجوثيت، الليمونيت، كربونات الحديد، البيروتيت والبيريت.

للحديد مصدران، الأول فضائي ويخص الحديد النزكي، والثاني أرضي ويخص الصخور الصهارية، والتحولية (كصخور سكاران) وكذلك الرسوبية.

يستعمل الحديد بخاصة في الصناعات المعدنية، والخضوب.



يُجد الحديد بالمغرب في المناطق الآتية :

- منطقة الريف الشرقي وتمثل بها رواسب وكسان قرب الناظور، المنجم الوحيد المنتج حالياً للحديد (يتراوح إنتاجه السنوي ما بين 400.000 و 800.000 طن من الركاز المعدني بنسبة 62%) حيث عليه أن يسد حاجيات المعمل الوطني لصناعة الحديد الذي أنشئ بنفس الناحية.

- منطقة غرب تافيلالت (مكمن إمينتورزة) والذي يحتوي على 50 مليون طن من المعدن بنسبة 52% من الحديد، إلا أنه يتعذر استغلالها لسبب صعوبة موضعه الجغرافي.

- منطقة ساحل المحيط الأطلسي (تشيلة - زوارزمين، أولاد سعيد، تيفلت) التي استغلّت ولكن بشكل متقطع وذلك لسوء نوعية الحديد بهذه المنطقة.

- مناطق آيت عمار وخنيفرة بالمغرب الأوسط.

- المنطقة الجنوبية بالأقاليم الصحراوية، ونذكر منها على سبيل المثال ناحية طويلة وسفاريات وعجاشة.

تطور إنتاج الحديد (بالطن) في بعض المناجم المغربية

المنجم	نسبة الحديد	1937	1938	1940	1947	1948	1949	1950	1951
مناجم تيفلت	-	-	6.490	-	3.365	3.575	5.578	22.766	4.405
مناجم آيت عمار	45%	52.749	236.749	51.093	151.041	301.264	353.790	316.048	521.347
مناجم قطارة	52%	-	15.377	7.537	2.619	3.600	3.028	3.142	19.252
مناجم المغرب الشرقي	55%	2.335	3.033	1.605	1.558	1.871	-	-	-

تنقسم رواسب الحديد في المغرب إلى صنفين :

1 - رواسب الإحلال المائي الحراري وتوجد أساساً بالمناطق التالية :

- ووزال قرب خنيفرة حيث يحل التمعدين الحديدي محل الحجر الجيري التابع للحقب الكربوني ؛

- النجد الساحلي بالقرب من بن سليمان وذلك في الأحجار الجيرية التابعة للحقب الديفوني ؛

- الأطلس المتوسط الغربي (تانيفرت) وذلك في صخور الدولوميت التابعة للباس ؛

- ويشان (منطقة الناظور، الريف الشرقي) حيث يرتبط المعدن بتداخل صخور الديوريت في الشيبست، وعلى الأخص في الأحجار الجيرية التابعة للموزوي.

2 - رواسب بركانية - رسوبية وتمثل على الخصوص في الرواسب الكربونية لقطارة بالجبال حيث الأجام التمعدة شبه رأسية مثل صخور الشيبست المحيطة بها تشمل معادن كبريتية في العمق، والتي تأكسدت في السطح حتى عمق 50 متراً حيث تحولت من بيروتيت، بيريت، كالكوبيريت إلى جيبيت من الليمونيت بنسبة 45-55% من حديد.

3 - رواسب يعود فيها التركيز الأصلي إلى ظواهر ثانوية، ونذكر منها الرواسب الرسوبية في سلسلة جبال اسفاريات (إقليم بوجدور) الما قبل الكمبري ؛ والرواسب المرتبطة بحركة المياه الحارة الحديثة بالقرب من تدرك بالأطلس الصغير الغربي حيث تشتت الصخور الجيرية والدولوميتية التابعة للجزوروي بالحديد الناتج عن حركة هذه المياه الحارة.

ولقد أنتج المغرب حوالي 43 مليون طن إلى حدود سنة 1977 موزعة كالآتي :

+ 80% من رواسب منطقة الناظور (الريف الشرقي)

+ 15% من رواسب آيت عمار (المغرب الأوسط)

+ الباقى من عدد الرواسب الصغيرة الغنية التي استغلّت بشكل متقطع.

وفي سنة 1987 وصل إنتاج المغرب إلى ما يناهز 126.021 طن من الحديد حيث صدر منها حوالي 88.236 طن ؛ أما في سنة 1993 مثلاً فلم يبلغ الإنتاج إلا 83.946 طن، حيث صدر منها ما يناهز 55.142 طن.

عبد الله بوحصاية وصالح شكاك

\* \* وعن الحديد في التاريخ لم ترد في المصادر العربية معلومات كافية عنه بالمغرب وعن المعادن بصفة عامة. فصاحب القرباس يذكر بأن "من باب الحديد تمتد الطريق الذهبية من فاس إلى جبال فزاز ومعادن العوام" ويشير عبد الواحد المراكشي في المعجب إلى أنه "فيما بين سلا ومراكش قريبا من ساحل البحر الأعظم بمقدار يوم أو أكثر قليلاً، موضع يدعى إسنتار، فيه معدن حديد أيضاً، وليس هذا الموضع على طريق السّفار، وإنما يقصده من أراد حمل الحديد منه".

إلا أن أهم المعلومات عن مناجم الحديد نجدها في الجزء الأول من وصف إفريقيا للحسن الوزان. فحين حديثه عن مدينة "الجمعة" من ناحية "هسكورة" يذكر بأنها مسكونة بـ "عدد وافر من الصّناع لا سيما الدباغين والسراجين والحداين، لأن هناك منجماً للحديد على عمق كبير، ويصنع هؤلاء الحداون كثيراً من صفائح الخيل، يصدر أهل هذه البلدة جميع الأدوات التي يصنعونها مع بضائعهم [...] فيصنعون منها دروعاً جميلة في غاية المناعة" وعن معدن عوام، يشير الوزان إلى "وجود منجم للحديد هناك يتردد الناس عليه كثيراً". وقد كانت مدينة مليلة "مزدهرة جداً لأنها كانت عاصمة المنطقة، وبها إقليم كبير ينتج كمية هامة من الحديد والصلب". ثم يقول :

وجميع الجبال المجاورة لمدينة أمجّاو "مناجم حديد يعمر العمال المشتغلون فيها العديد من المداشر والقرى". وتستخرج من جبل "بني سعيد" الواقع شرق نهر نكور "كمية كبيرة من الحديد [...] ولكل عامل في المعدن داره قرب المنجم مع ماشيته ومعمله الذي يصفى فيه الحديد، وينقل التجار هذا الحديد إلى فاس في شكل سبائك، لأن عمال المعادن لا يعرفون كيف يحولونه إلى قضبان، ومالا يباع منه يستخدم آلات كالمجارف والفؤوس والمناجل، وكذلك لصنع أسلحة لهؤلاء الفلاحين، إذ لا يمكن استخراج الفولاذ من هذا الحديد". ثم يقول :

وفي منحدرات جبل "بني يستيتان" مناجم حديد، يعالج فتصنع منه صفائح تحذى بها الخيل [...] ويصنعون منه الخناجر كذلك [...] وتحلى النساء بخواتم وأقراص من حديد".

ومنذ أواخر القرن الثالث عشر (19 م) وبداية القرن الموالي حظي معدن الحديد كباقي المعادن باهتمامات الرحالين والباحثين الجيولوجيين الأوربيين، والمصالح الاستعمارية الأروبية بشكل عام.

ولم يكن البحث الجيولوجي منفصلاً عن البحث المعدني، وفي هذا الإطار يمكن الإشارة إلى مجموعة من الأسماء

التي لعبت دوراً ريادياً في استكشاف الجيولوجيا والمناجم المغربية أمثال (Louis Gentil)، (Aubel Brives)، (الإخوان) (Ph. Russo)، (Mannesmann).

ومن مناجم الحديد التي تم التصريح باستكشافها في القنصليات الفرنسية : حديد "جبل الحديد" وحديد "تازروالت" سنة 1907، وحديد "شمال غرب تارودانت" سنة 1912 وشرع في استغلال هذه المناجم على الشكل التالي :

السنة	المنتجم	الشركة المستغلة
1908	حديد ويشان	الشركة الإسبانية لمناجم الريف
1929	مقطع الحديد	شركة الدراسات والاستغلالات المنجمية بتادلة
1937	حديد أيت عمار	الشركة المغربية للمناجم والمواد الكيماوية
1943	قطارة	شركة المناجم وتقنية القلريات
1948	جبل عوام	شركة جبل عوام

ولا يمكن فصل استغلال مناجم الحديد في عهد الحماية عن سياسة منجمية متكاملة اتضحت ملامحها بعدة ظواهر منظمة كظهير 18 يناير 1914، وظهير 15 شتنبر 1923، وظهير 1 نونبر 1929 وظهير 16 أبريل 1951 ... مروراً بخلفيات الصراع الفرنسي الألماني، وتأسيس المصالح المختصة وتكوين "مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية" بظهير 15 دجنبر 1928.

وشكلت سنة 1926 البداية الفعلية لاستغلال مناجم الحديد بالمغرب، حيث صدر ظهير 28 ماي 1926 الذي أعفى الحديد والفضة من حقوق التداول. أما إنتاج فالبرغم من غزارته، فإن مضامينه والوضعية الجغرافية للمناجم لم تساعد على تطوير الاستغلال كما كان مرغوباً فيه، كما أن تباعد مناجم الحديد عن مناجم الفحم لم تساعد على تطوير مشاريع الأبحاث.

وعليه، فقد ظل الإنتاج ضعيفاً إلى غاية 1937، حيث أصبح ميدان المناجم قطباً مهماً في توجيه السياسة الاقتصادية الجديدة. ومنذ هذا التاريخ عرف قطاع مناجم الحديد انتعاشاً ملحوظاً بفعل تزايد الطلب الأوربي نتيجة التطور الحاصل في الصناعة الحديدية لتطور الدفاعات الوطنية للعديد من الدول، ونتيجة توقف إنتاج مناجم إسبانيا، وبفعل الشروع في استغلال منجم الحديد بأيت عمار.

وشكلت مناجم الحديد مصدراً مهماً لأرباح عدة شركات، كما ساهمت في خلق عدة تحولات محلية، وساهمت في توسيع قاعدة "الطبقة العاملة".  
وفيما يلي بعض المعطيات الإحصائية حول إنتاج مناجم لحديد بالمغرب :

السنة	الإنتاج المسوق	المحتوى المعدني
1919	151.000	-
1920	299.000	-
1925	800.000	-
1930	648.000	22
1935	799.000	0
1938	1.067.171	131.000
1940	466.233	279.500
1945	835.000	522.000
1949	1.350.818	707.780
1950	1.379.190	726.856
1951	1.482.648	820.968
1952	1.584.952	871.088
1953	1.492.083	835.751
1954	1.265.893	722.379
1955	1.342.853	770.346
1956	1.868.008	1.061.438
1957	1.868.122	1.039.887
1958	1.538.426	865.930

تطور إنتاج الحديد (بالطن) في بعض المناجم المغربية

ع. المراكشي، المعجب ؛ ابن أبي زرع، القرباس ؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا، ج 1 ؛ الجريدة الرسمية.

B.E.S.M. ; P. Despujols, *Historique des recherches géologiques au Maroc, des origines à 1930, Notes et mémoires n° 25 et 37* ; P. Dubois, *Tableaux économiques du Maroc, 1915 - 1959* ; S. Gsell, *Vieilles exploitations minières dans l'Afrique du Nord, Hesp., 1928.*

صالح شكاك

أبو هديد، كنية لفتح، أحد أولاد الأمير أبي يحيى بن عبد الحق المريني. وقد ساهم مفتاح هذا إلى جانب والده في محاربة أواخر ملوك بني عبد المومن وتوسيع نفوذ بني مرين بالمغرب الأقصى. وهكذا حارب أبو حديد الخليفة السعيد

الموحدي بمنطقة تامسنا سنة 643 / 1246. وفي سنة 653 / 1255 قام أبو يحيى المريني بتنظيم حملة واسعة إلى بلاد الجنوب من المغرب الأقصى تمكن خلالها من فتح سجلماسة ودرعة بمساعدة ابن القطوانى الثائر على الموحدين، فعقد عليها لابنه أبي حديد، غير أن المرتضى الموحدى حاول سنة 654 / 1256 استرجاع سجلماسة، لكن التحدي المريني بزعامة أبي يحيى وأبي حديد استطاع الإبقاء على المدينة تحت النفوذ المريني. وفي أيام الخليفة المرتضى الموحدى تمكن أبو حديد كذلك من السيطرة على مدينة فاس واعتراض الجيش الموحدى الذي كان يستهدف إخماد ثورة أهل المدينة ضد الموحدين. وفي خضم الصراع الذي احتد بين عرب بني جابر من جهة والأمير أبي يحيى من جهة أخرى بمنطقة تادلا سنة 651 / 1253 قتل أبو حديد أميراً مريبيا بنواحي مكناسة هو علي بن عثمان بن عبد الحق ابن أخي أبي يحيى وذلك بإيعاز من هذا الأخير بعد أن أحس بمبول علي إلى الثورة والتمرد عليه. وبعد وفاة الأمير أبي يحيى اتجه أبنائه أبو طاهر وأبو سالم وأبو حديد إلى ناحية طنجة للاستقرار بها، لكنهم سرعان ما أبانوا عن نيتهم في الاستبداد بالمنطقة حيث سخرروا حوالي ثلاثمائة فارس قبائلها في إفساد تلك الناحية والعبث في ساكنتها ولم يتوقفوا عن ذلك إلا بعد الاتفاق مع صاحب طنجة ابن الأمين على تأدية خراج معلوم. ثم ما لبث هؤلاء الأمراء أن نقضوا الاتفاق وغدروا بصاحب طنجة وقتلوه في قصره، الشيء الذي أغضب أهالي طنجة وثاروا حينهم على المرينيين وقتلوا أولاد أبي يحيى الثلاثة بمن فيهم الأمير أبو حديد، وكان ذلك سنة 661 / 1263.

ابن عذاري، البيان المغرب...، قسم الموحدين، بيروت، 1985، ص. 371، 433 ؛ مجهول، الذخيرة السنية، الرباط، 1972، ص. 82 ؛ م. ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، تج. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1985، ص. 114 ؛ ع. ابن خلدون، المعبر، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 362، 364، 384.

رشيد السلامي

أيت حديدو، اتحاد مجموعة من القبائل الرغوية يمتد موطنها عبر مساحات شاسعة من أعالي وادي دادس إلى أعالي وادي غريس وأسيف مكرول. وكذلك أعالي وادي زيز. وقد تمت إزاحة هذه القبائل عن المناطق المجاورة للواحات ودفعت إلى المرتفعات الجبلية للأطلس الكبير الأوسط، وفي هذا الصدد يقول مؤلف نعت القطريس (ص. 150). أما أيت حديدو فقبيلة كبيرة بالجبال التي على رأس وادي تدغة و دادس وانتشروا هناك إلى جبال أيت سخمان وتنقسم قبيلتهم أولا على قسمين : قسم أيت إبراهيم - وقسم أيت يعزى. وأما قسم أيت إبراهيم : فيضم أيت سعيد وعلي وأيت وزدوز - إزناكن - أيت عمر وحمي

أيت أورزي ملوان - أيت الثلث وهم أيت موسى ويشو، أيت عتو ويكو - أيت علي ويكو وأيت هرهور.

أما قسم أيت يعزى فقسمان : أيت حمو وعلي وقسم إحوضيكن ويقال لهم أيت النصف، وكل قسم من هذه الأقسام شعب تحته قبائل وعمائر ويطون وأفخاد وفصائل وعشائر ..."

وقد ركز الباحث دافيد هارت على دراسة قبائل أيت حديدو في حاضرها وذلك للوصول إلى أن هذا الحاضر هو في نفس الوقت ماضٍ وهو تاريخ هذه القبائل على أساس أن هذه القبائل احتفظت بسماتها إلى اليوم. وتكثرت أشياء كثيرة من الصمود ومغالبية الزمن إلى وقتنا الحاضر ! وهذا يعني أن هذه المجتمعات مجتمعات جامدة. وهذا فيه كثير من الغلو والمبالغة.

والجدير بالذكر أن أيت حديدو ينتمون إلى الاتحاد القبلي أيت يافلسمان : (أي الذين وجدوا السلم بينهم) ويضم هذا الاتحاد إلى جانب أيت حديدو كلا من أيت مرغاد وأيت يتريديك وعرب الصباح (تافيلالت) وهو اتحاد تم تكوينه لمجابهة اتحاد قبائل أيت عطا. إذ كثيراً ما كانت تقع نزاعات بين الطرفين حول المراعي والمجال الزراعي الضيق، وتنتهي هذه الصراعات بانتصار أحد الطرفين أو بتدخل الزوايا والصلحاء للتحكيم وإحلال السلم. ولزوايا أحنصال نفوذ قوي لدى أيت حديدو، وكذلك الزوايا الدراوية لسيد الهواري (فركلة).

يعتمد مجتمع أيت حديدو على التكافل لمواجهة قساوة الظروف الطبيعية. إذ ينقسم أفراد القبيلة الواحدة إلى رعاة منتجين ومزارعين مستقرين. كما أن موارد عيشهم جد متواضعة تكاد لا تلي حاجياتهم، وغالبا ما كان المخزن يجد صعوبات في استيفاء الواجبات منهم كما جاء في رسالة السلطان الحسن الأول أثناء قيامه بالحركة إلى تافيلالت، وقد أوردها صاحب الاستقصا (9) : (204) : "... وفيما قبل كنا وجهنا من يستوفي من أيت حديدو ما وظف عليهم في المغارم، ويأتي من عندهم بما هو لهم لازم، فلم يظهر منهم ما يفيد، ورجع الموجهون بغير طائل ولا عتيد، وقبضنا عليهم بأجمعهم جزاءً وفاقاً حتى يؤدوا جميع ما فُرض عليهم بحول الله ..."

وبسبب قساوة الظروف الطبيعية. كان أيت حديدو من أشد القبائل دفاعاً عن مصدر عيشهم وأكثر تمسكاً بوطنهم. يتمتعون بخصال حربية عالية، ولهذا واجهوا الاستعمار الفرنسي في كل المعارك التي شاهدها الناحية الوسطى للأطلس الكبير ومنها معركة أيت يعقوب.

ففي يوم 29 حجة عام 1347 / 8 يونيو 1929 تمكنت فرقه من أيت حديدو وأيت يحيى من مباغنة طابور فرنسي يقوم بعملية التمشيط بحثاً عن المقاومين على مقرية من قصر أيت يعقوب في أعالي واد زيز، وتمكن المقاومون من إبادة الطابور الفرنسي المفير، فكانت الحصيلة اثنين

وخمسين قتيلاً وعلى رأسهم قائد الطابور المقدم إيمانويل Emmanuel، ولم يتم القضاء على مقاومة أيت حديدو بأيت يعقوب إلا يوم 19 يونيو بعد استعمال كل وسائل الإبادة من طيران حربي ومدافع لتدمير القصر الشهيد.

وقد أثار مقاومة أيت حديدو ضجة كبرى وزعزعت أركان الحماية، وطُرحت قضية أيت يعقوب في البرلمان الفرنسي بسبب الخسائر البشرية التي تكبدتها جيوش الاحتلال مما عرض هيبة فرنسا للإذلال، إذ تمكن أفراد قلائل من الرعاة الشجعان من إلحاق هزيمة نكراء بجيش دولة قوية.

كما خاضت قبيلة أيت حديدو معارك تازگزوات وسط منطقة جبلية عالية شمال الأطلس الكبير الأوسط بين أعالي وادي العبيد شمالاً وأسيف ملول جنوباً، وهو موطن قبائل أيت حديدو، وقد انضمت إليهم قبائل أيت سخمان وأيت يحيى وزاين والتف الجميع حول قائد المقاومة المكي أمهاوش وإخوانه المهدي والمرتضى والمصطفى وكلهم ينتمون إلى عائلة أمهاوش المعروفة بعدائها للاستعمار. وقد شكلت تازگزوات عقبة كأداء أمام الزحف الاستعماري وتكبدت جيوشه بفضل المقاومة الشديدة للقبائل السالفة الذكر خسائر مادية وبشرية فادحة واستمرت المفاوضات من 12 يوليو إلى 16 شتنبر 1932.

وقد شاركت قبائل أيت حديدو في معارك مقاومة الاستعمار الفرنسي إلى جانب أيت مرغاد في عدد من المعارك، وأمدوا أهل تدغة بالمقاومين أثناء امتداد نفوذ الأغلاري وقاوموه من 1918 إلى حين دخول الاستعمار إلى المنطقة سنة 1931. وقد انتقم المستعمرون من أيت حديدو بعد أن تم إخضاعهم فقسموهم إلى مشيخات عديدة أسندوها إلى شخصيات حربية استمالوها إليهم، وقربوا إليهم رؤساء آخرين كونوا من بعضهم مجلساً استشارياً لتطبيق الأعراف القبيلية القديمة في المخالفات وألحقوا الآخرين بالجيش، وبذلك تفتتت قبيلة أيت حديدو وبقيت معزولة في الجبال لا تتصل بالعالم الخارجي إلا مرة كل سنة خلال موسم الخطوية بإميلشيل.

أ. الناصري، الاستقصا، 9 : 204 ؛ المهدي الناصري، نعت الفطريس الفيس، مخطوط ؛ محمد المعزوزي وهاشم العلوي، الكفاح المغربي المسلح، الرباط 1986.

D. M. Hart, *Les institutions des Aït Morhrad et Aït Haddidou*, in *Actes de Durham. B.E.S.M.*, Rabat, 1978, p. 57 - 83 ; A. Guillaume, *Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas Central*, Paris, 1934; Gl. Huré, *La pacification du Maroc*, Paris, 1952 ; G.H. Bousquet, *Le droit coutumier des Aït Haddidou des Assif Melloul et Isvelaten. Confédération des Aït Yafelman. A.I.E.O.*, XVI 1965.

عبد القادر بوراس

**هديقة التجارب** بمكناس، أرسل المسؤلون الفرنسيون بباريس بعثات دراسية إلى المغرب للتعرف على

أهمية أراضي الزراعة، وترأس الماركيز دو - سغونزاك Le Marquis De Segonzac أول بعثة وصلت إلى طنجة في شهر أبريل 1912 وتوجهت بعد ذلك إلى إقليم مكناس، حيث أقامت به أيام 31 ماي وفاتح وثاني وثالث يونيو، فنزرت نزلة بني عمار (معسكر بوتى جان) بزهرهون وأراضي سايس تعرفت من خلالها على المؤهلات الفلاحية للمنطقة، ودخل أعضاء البعثة المذكورة إلى مكناس، وبعد ثلاثة أيام رجعوا إلى زهرهون.

كانت هذه الجولة العلمية فرصة لأعضاء اللجنة الاقتصادية المكلفة بمهمة الاطلاع على الإمكانيات الفلاحية للمناطق التي زارتها وخاصة مكناس وأحوازها، مما شجع الملكيين في مديرية الفلاحة بالرباط . بعد توصلهم بالتقارير المفصلة الخاصة بأعمال اللجنة المذكورة . على التركيز على مكناس لتكون نموذجاً في القطاع الفلاحي، فصارت بمثابة مختبر طبيعي لإجراء التجارب الزراعية، ووقع الاختيار على جنان بنحليمة لإقامة أول حديقة تجارب في المغرب، ويعتبر هذا الجنان من محاسن السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة 1201 / 1788 على المسجد الأعظم، إلا أن إدارة الأملاك المخزنية ادعت ملكيتها له، وطلب السلطان مولاي يوسف من هذه الإدارة تقديم تعويض مالي لنظارة الأوقاف مقابل الاستيلاء على الجنان المذكور، فلبت طلبه، وتم تفريغ هذه الملكية إلى إدارة الفلاحة بمكناس التي أنشأت عليها حديقة للتجارب الزراعية سنة 1913، قدرت مساحتها بـ : 29 هكتارا، غرست بمختلف أنواع الأشجار والمزروعات.

تقع هذه المشتلة على ارتفاع (60) م تقريبا، ما بين جنوب دار المخزن، وشمال أكدال، قرب صهريج السواني وقصر الدار البيضاء (مقر الأكاديمية العسكرية الحالية)، محاطة بسور يقبها من هبوب الرياح العاصفية، وترتيبها خصبة، تخترقها المجاري المائية، مما سهل عملية الري دون صعوبة أو تكلفة لد القنوات، وقد ساعدت هذه الظروف الطبيعية على تهيئة هذه الحديقة التي كانت تتوفر على مجموعات شجرية متنوعة من زيتون ويرتقال وبرقوق ولوز وكروم وخوخ ورمان ... ونقله تنبت بسرعة نظراً لتوفر الظلال والحرارة المعتدلة، وكل ما من شأنه أن يساعد على خلق هذا "المختبر" الذي وضع في خدمة المعمرين الذين بدأوا يتوافدون على مكناس وأحوازها، وبدأت هذه الحديقة تعطي إنتاجاً وافراً منذ السنة الأولى لإنشائها وصلت قيمته المالية إلى 760 ريال قابلة للارتفاع بعد إدخال الإصلاحات عليها. بدأت التجارب الأولى لبعض المزروعات بإقليم مكناس في نهاية سنة 1913 وأقيمت أولاها على القطن الذي زرع في "بوتى جان" بزهرهون، وبحديقة التجارب في جنان بنحليمة، وأعطت هذه المحاولات نتائج مشجعة، وتم إرسال نماذج

منها إلى مديرية الفلاحة بالرباط، لتعميم التجارب في مناطق أخرى، وتويعت هذه التجارب فيما بعد على الحبوب التقليدية والزوان والجلبان والخردل . Moutarde . واللفت والبنجر والتبغ ونوارة الشمس وغيرها من المزروعات.

أصبحت الإدارة الفرنسية بالرباط تولي عناية كبيرة للقطاع الفلاحي، آخذة من التجربة الناجحة في مكناس وأحوازها نموذجاً يحتذى لمخلق مشاريع مستقبلية في أقاليم أخرى، فراح تفتتح على السلطان إصدار ظاهري تدعم بها خطتها، وتعطيها الفعالية، وهكذا صدر ظهير 28 غشت 1915، أحدثت بموجبه إدارة كبرى للفلاحة والاستعمار بالإيالة الشريفة، لما تقتضيه المنفعة وتنمية الاقتصاد.

وعملت الإقامة العامة بالرباط على ربط كل ما له علاقة بالفلاحة بالكتابة العامة للحماية، وأسند إليها حق التصرف في الأراضي الزراعية مهما كان نوعها، وتوزيعها بالطريقة التي ترضيها على الأشخاص الذين لهم اهتمام بالقطاع الفلاحي من مختلف الدول الأوروبية، وخول لها الظهير المذكور جعل إدارة الفلاحة والتجارة والاستيطان، وإدارة المياه والغابات ومصحة الأملاك المخزنية والمحافظة العقارية تحت نظرها.

ازدادت أهمية حديقة التجارب بمكناس بما أصبحت تقدمه للمعمرين من مساعدات، وما صارت تدره من أموال على إدارة الفلاحة بالمدينة كان مصدرها بيع المنتجات الشجرية وأعواد الحطب، التي كانت تغطي نفقات الحديقة، وما فضل يوضع في صندوق هذه الإدارة، فمثلاً كان وفر سنة 1914 هو 12.637 بسيطة حسنية، وصارت سنة 1915 : 8485 ب. ح، لينزل سنة 1916 إلى : 7095 ب. ح، ويرجع سبب انخفاض هذا الوفر إلى الزيادة في أجور العمال المياومين، وكثرة الإنفاق على الإصلاحات التي أدخلت على الحديقة، ومنها إقامة منزله بها - للأهالي وللأوربيين، وبناء سور من الجهة الجنوبية الذي يفصلها عن أكدال بما قدره 3101 ب. ح، وكذلك إلى عدم بيع غلة عرصتي الشطرخبة والبحراوية (ملعب الكولف الحالي) اللتين كانتا تابعتين لجنان بنحليمة، وأصبحتا تحت تصرف أمين مستفاد دار المخزن، كما أثرت ظروف الحرب العالمية العظمى على السير العادي للحديقة المذكورة، حيث صدر جزء من إنتاجها دون مقابل . لفرنسا لخدمة مجهودها الحربي.

وخوفاً من تدني مداخيل جنان بنحليمة أكثر مما وصلت إليه، بادرت السلطات الفرنسية إلى جعل إدارتها مشتركة بين مصلحة الأملاك المخزنية وإدارة الفلاحة بمكناس، حفاظاً على استمرارية أداء هذه الحديقة لدورها الذي أنشئت من أجله وهو تقديم المساعدات والإرشادات للمعمرين.

ب. بوغسرية، مكناس المدينة الجديدة، التأسيس، البنيات الإدارية، التناقضات، 1911-1939 : أطروحة دولة، مرقونة، كلية الآداب بالرباط، 1995.

بوشى بوغسرية

الهدية أو الهدأة، وفي بعض المعاجم أبو الخطف، جنس طيور برية من رتبة الكواسر النهارية Falconiformes ومن فصيلة الصقريات Accipitridae. تسمى باللهجة البربرية أصيون للذكر وتاصيوناتُ للأُنثى. يسمى الجنس علمياً *Milvus* ومنه نوعان يعيشان في المغرب يتميزان عن باقي الصقور والعقبان والبزاة بذيلهما المتفرع أثناء التحليق في الفضاء.

إنها طيور لاحمة ونشالة، المنقار نصف دائري، قصير ومعقوف يقوى على الفتك بالحيوانات الحية والجثث. تنتهي الأقدام بأربعة أصابع تتوقف على مخالب معقوفة وقوية تمسك بالطراند وتحفظ بها وقتاً طويلاً.



النوع الشائع في المغرب هو الهدية السوداء *Milvus migrans* وهو طائر من القواطع يشتهر في ضواحي إفريقيا الاستوائية ويقضي فصل الصيف في أوروبا، ومنه عدة أفراد تتوالد في المغرب، وهو شائع في البلاد منذ سهول سوس إلى شمال المغرب وشرقها. يخشاها سكان البادية لأنه يفترس أحيانا صغار البط والدجاج والأرانب.

يبلغ طوله ستة وخمسين سنتيماً ولا يتعدى وزنه ثمانمائة غرام. تبلغ بسطة جناحيه مائة وخمسة عشر سنتيماً، وريشه بني مسود على ظهره وبطنه ورمادي مسود تحت جناحيه وذيله. تصعب أحيانا مشاهدة تفرع الذيل ويكثر تشابهه مع عقيب مرزة القصب *Busard des roseaux*.

يألف البحيرات وأماكن رمي الأزيال بالمدن والقرى، وكثيراً ما يختلط بمجموعات الغربان ليأكل ما تبقى من الجثث. يعيش في الغالب مزدوجاً وتكثر مشاهدته في فصل الخريف وفي فصل الربيع حيث تضاف إلى الوحدات المستوطنة في المغرب ما بين خمسين ومائة وخمسين فراداً تستريح في البلاد خلال هذين الفصلين ثم تستأنف هجرتها.

فهو طائر يأكل القادورات وجثث الأسماك والشديدات الصغيرة والضفادع والزواحف ويفترس أحيانا الحيوانات الحية كالغيران والأسماك وصغار العصافير والدجاج. يُشاهد منها ما يزيد عن ستمائة فرد بضواحي مضيق جبل طارق في أواخر شهر أبريل، كما شوهد في مختلف

مناطق المغرب حوالي ثمانين فراداً وضعت لها الخواتم وهي صغيرة بداخل أعشاشها في كل من سويسرا وألمانيا وفرنسا وإسبانيا.

يسمى النوع الثاني الهدأة الحمراء - *Milvus milan royal* يبلغ طوله واحداً وستين سنتيماً ووزن كيلو غراماً واحداً. تبلغ بسطة جناحيه مائة وخمسين سم وذيله متفرع جداً، مما يساعد على تمييزه بين الصقور. ريشه أشقر محمر على ظهره وبطنه ورمادي بني يميل إلى البياض تحت جناحيه.

لا يفوق عدده في المغرب ثلاثين فراداً تعيش مستقرة في أعالي جبال الريف والأطلس المتوسط ويضاف إليها حوالي مائتي فرد أثناء مرحلة الهجرة. يألف الغابات الكثيفة والمناطق الصخرية ويتغذى على الفيران والزواحف والطيور الصغيرة وجثث الحيوانات.



الهدية الحمراء.

تتوالد هذه الأنواع ما بين أبريل وماي وتبني الأعشاش عادة فوق الأشجار العالية وأحياناً بين الصخور، وتلد الأنثى ما بين 2.3 بيضات ونادراً 4 بيضات. منقطة أحيانا بالبني والأحمر، يبلغ قطرها 57 x 45 ملم بالنسبة للهدأة الحمراء و53 x 43 بالنسبة للهدأة السوداء. تدوم مدة الحضانة 28-31 يوماً وتغادر الصغار العش ما بين 40 و45 يوماً.

تعد أنواع الهدأة من بين الطيور المحمية في المغرب، يمنع صيدها وبيع بيضها، وذلك بمقتضى الظهير الشريف الصادر في 6 ذي الحجة 1341 الموافق 21 يوليوز 1923.

أمين العلوف، معجم الحيوان، القاهرة، 1932.

P. Bergier. *Les falconiformes marocains : Statut, Répartition et écologie, Annales C.E.E.P., n° 3, 1987, p. 33 - 40.*

أبو حوآب، أو المهيا *(Cretzchma, Oryx dammah)* (1826) من فصيلة الظباء ومن المجترات الكبيرة. طوله عند الغارب 1.10 إلى 1.25 م وطوله جميعاً بين الرأس والجسم يفوق 2.35 م، طول ذيله 70 سم ويصل وزنه إلى 200 كغ. يكسوه شعر أبيض مصفر جهة ظهره وجوانبه وبني جهة



الموجود بطرف المركز، وهو ضريح الشيخ محمد ابن حرازم شيخ الصوفية بالمغرب والأندلس المتوفى عام 633 / 1235 . ولعله من قرابة الشيخين علي ابن حرزهم دفين باب فتوح بفاس، وابن عمه صالح ابن حرزهم. الصديق ابن العربي، كتاب المغرب، ط 1984، ص 234 - 235 . محمد حجي

### الحراطين بالمغرب، يطلق مصطلح حراطين على

السكان السود أو الملونين الذين يقطنون بالمناطق الصحراوية وشبه الصحراوية. وقد اختلف في أصل الكلمة، فالبعض يقول بأن أصل الكلمة هو تحريف لكلمة حراطين (مفرد : حراث) أي الذين يحرقون الأرض، والبعض الآخر يقول بأن أصل الحراطين يعني "الحر الثاني"، أي الذي كان رقاً وعتق.

وحسب مجموعة من الباحثين أمثال لاووست ومارسي و Ph. Marçais و E. Laoust فإن أصل الكلمة سامي من اللهجة البربرية بالأطلس المتوسط والكبير وتايفيلالت بل وبجوريطانيا حيث يستعمل الناطقون بهذه اللهجة كلمة "أحرضان" (الجمع : إحرضان). بينما يعتقد باحثون آخرون أن استعمال كلمة "حراطين" له بعد سوسيو-اقتصادي أكثر مما هو عرقي. فالحراطين هو بستاني سخر من طرف العناصر السوسيو-ثقافية من بربر وعرب التي استولت على المنطقة. لكن ما هو مؤكد أن استعمال مصطلح "حراطين" فيه نوع من التحقير، لذا فالسكان السود يتفرون من إطلاقه عليهم.

يوجد تضارب كذلك حول أصل هؤلاء السكان، فهناك رأي يعتقد أن أصلهم من السودان، ورأي آخر يقول إنهم منحدرون من سكان سود كانوا يعمرن المناطق الصحراوية. حسب المراجع القديمة فإن شعوباً تعرف بالأثيوبيين الغربيين كانت تسكن بالصحراء الحالية. خلال زمن النيوليتيك، اعتبر هؤلاء الأزوج الجنس الأكثر انتشاراً بهذه المناطق ؛ وتقول السيدة M. C. Chamla بأنهم يتكونون من ثلاثة عناصر : عنصر رقيق وعنصر قوي ويسمرون بالسودانيين إلى جانب عنصر آخر ناتج عن قمازح العنصرين السابقين. من هذه العناصر انحدر الحراطين لكنهم فقدوا عبر التاريخ مميزات العناصر الأثيوبية.

فالحراطين سكان محليون من سلالة الأثيوبيين اختلطوا مع بعض العناصر البيضاء المتوسطية (البييون - بربر ثم عرب - بربر) في الشمال ووسط الصحراء، كما تمازجوا مع عناصر زنجية سودانية في الجنوب والغرب. تجدر الإشارة إلى ضرورة التفريق بين الحراطين وإكلان، فإكلان منحدرون في أغلبهم من السودان ويشتغلون بالمنازل، ولعل هذا العنصر الأخير هو الذي خلق خلطاً لدى البعض فيما يخص أصل الحراطين.

عنقه ومؤخرة ذيله وأبيض فاتح جهة بطنه. لكلا الجنسين قرنان حلقبان ملوليان ومنحدران قليلاً إلى الوراء، يبلغ طولهما 80 سم وقد يصل إلى 115 سم عند الأنثى. صيغة أسنانه كالتالي : قوارض 3 / 0 أنياب 1 / 0 أضراس أمامية 3 / 3 ، أضراس 3 / 3 = 32 سنا.

قام المصريون بتربيته قديماً، وهو حالياً مطارد كأبي عدس من طرف القبائل الصحراوية والصيادين مما أدى إلى تقلص عدده. يتكون قطيعه عادة من اثني عشر فرداً وقد يفوق أحياناً ستين فرداً ولا يعيش منفرداً إلا نادراً. كثيراً ما ينضم قطيع هذا الحيوان إلى باقي قطعان المحيرات التي تلتقي حول البرك بعد سقوط الأمطار.



يُعد أبو حراب من أكثر الحيوانات تنقلاً، يقطع مسافات طويلة من فصل لآخر بحثاً عن الأعشاب والقطناني كقرون السنط (أفاقبا) وبعض الفواكه التي تكون غذاءه اليومي.

كان هذا الحيوان خلال القرن الماضي يعيش في المناطق شبه الصحراوية والصحراوية بجنوب الأطلس مكوناً قطعاناً مهمة وخاصة أثناء تنقلاته الفصلية. يبدو أنه اندثر في المغرب في بداية هذا القرن باستثناء الصحراء المغربية حيث تكلم عنه الصيادون في ناحية زمور خلال الأربعينيات، إنه الآن منعدم بالمغرب ولا يوجد إلا في الصحراء الوسطى منتقلاً بين آبيير وإبيدي.

محمد رضاني

### حرازم ← ابن حرزهم

حرازم (سيدي -) مركز للاستحمام بالمياه المعدنية الدافئة التي تبلغ حرارتها 35 درجة الصالحة لعلاج الأمعاء والكبد. يبعد عن مدينة فاس بنحو 15 كلم إلى جهة الشمال وكان يدعى قديماً حامة خولان.

جهز مركز سيدي حرازم بعد الاستقلال بسقايات وبنائات حديثة للمصطافين مع جميع المرافق الضرورية من سوق وفنادق وحمامات وحدائق. وينسب إلى الضريح



Camps, *Recherches sur les origines des agriculteurs noirs du Sahara*, R.O.M.M. n° 7, 1970, pp. 35 - 45 ; G. Toutain, *Sur une évolution économique de la vallée du Drâa*, *Alawamia* n° 53, 1974 ; A. Jacques Meunié, *Le Maroc des origines à 1670. vie politique, économique et sociale*. Doctorat d'Etat, 4 vol., Paris I, 1975 ; *Les structures agraires et les systèmes d'irrigation dans la palmeraie de Fezouata, Drâa moyen-Maroc*. Thèse de Doctorat d'Université de Rouen-France, janvier 1990.

عبد الكبير باهني

ولد **حُرَاكَة** البهشير بن علي البورزگاوي (ينتمي لفخذة أولاد بورزگا) السلماي الزعري. تولى قيادة قبيلة السلامة مدة طويلة، في عهد الحسن الأول وابنيه عبد العزيز وعبد الحفيظ. كان ولد حراكة قائداً مقتدرًا تمكن من التلاؤم مع جميع التيارات. وهكذا ظل في منصبه بعد الانقلاب الحفيظي، حيث جدد له سلطان الجهاد ظهير القيادة بتاريخ 28 ربيع الثاني عام 1328 / 9 ماي 1910. وتمكن ولد حراكة من ربط علاقات ود مع الفرنسيين الذين أبقوه قائداً على قبيلته بعد فرض الحماية. لكن القبيلة سرعان ما ثارت على قائدها فعزل، وانتهى به المطاف بأن قتل في سوق الأحد بالسلامة وهو السوق الذي حوّل إلى خميس سيدي بطاش. وقد عين الفرنسيون القائد عمار بن منصور السلماي الشعالي خلفاً للقائد ولد حراكة. وثائق، خ. ح : ابن سودة، زعيم قديماً وحديثاً، الجزء الثاني.

علال الحديدي

**الحرباء**، ويدعوها المغاربة "تأنا"، نوع من الحيوانات ينتمي إلى العظاءات Squamates - Reptiles Sauriens وإلى فصيلة الحرابي أو الحرباويات الدوديات الألسنة Chamaleonidae التي تشمل ما يقرب من مائة نوع في العالم معظمها يعيش في مدغشقر وإفريقيا وآسيا. يعيش في المغرب نوع واحد يسمى في المعاجم حرباء والكلمة فارسية معربة ويدعى في الشرق حرباء وحرباية ويسمونه في الشام أيضاً حرذونا وبريختي وجمل اليهود يُدعى علمياً Chamaleo Chamaleon وبالفرنسية



لتبيان الاختلاط والتنوع الموجودين داخل عنصر ما يعرف بادراوي أو حراطين درعة، نقدم مثال قصور تيمتيك: تتكون تيمتيك من قصور تيمتيك الحذب، الوسطانية، أيت بوطحلاط، أيت مولاي الكبير وأيت بلوليد، لكن بعد توزيع الأراضي الجماعية الخاصة بالسكن في أواخر الثمانينات، تمركزت القصور على شكل تجمع واحد حول قصر تيمتيك الحذب ويوضح الجدول التالي الأصل الجغرافي لادراوي تيمتيك.

الانتماء الجغرافي	اسم العظم أو الفخدة	العائلات		الأفراد	
		العدد	النسبة	العدد	النسبة
قصور تيمتيك	أهل إيمارلان	3	2,4	37	3,8
	أهل إكرنفة	3	2,4	39	4,0
	أهل تاووزينت	5	4,0	50	5,1
	أهل أقلمون	8	6,3	67	6,8
قصور فزواطة	عدد من العائلات	30	20,8	210	21,5
واحات : ترنانة، محاميد وتاكونيت بدرعة الأوسط	-	26	20,6	217	22,2
منطقة تاغيات	-	3	2,4	34	3,5
مناطق أخرى من المغرب	-	10	7,9	96	9,8
عائلات لم تصرح	-	38	30,1	228	23,3
المجموع	-	126	100,0	978	100,0

أصل حراطين أو ادراوي قصور تيمتيك بفزواطة

يتضح من خلال هذا الجدول أن حوالي 15٪ من السكان انحدروا من أسر قديمة بالقصر، ويعرفون بأهل البلاد، بل إن كل واحدة منها تحمل اسم مجموعة من الحقول التي كانت في الأصل موقع قصر كل عائلة قبل أن تجتمع في القصور المكونة لتيمتيك. نضيف إلى هؤلاء ما يقرب من 24٪ الذين قدموا من مختلف قصور فزواطة وأثبتوا انتماءهم العرقي إلى إحدى الفخدات من أدراوي بهذا القصر أو ذلك. أما بالنسبة لثلث الأسر التي قدمت من مختلف جهات المغرب فإن ما يزيد عن الثلث منهن منحدر من أصل عبيد تم تحريرهم. أما 30,6٪ الذين لم يصرحوا بانتماهم العرقي فإنهم ينتمون إما إلى مختلف العناصر الاجتماعية الأخرى خصوصاً من العرب أو من زواج مختلط ما بين أدراوي وأحد هذه العناصر.

نشير إلى أن أغلبية السكان الأصليين يعتبرون من النبلاء المحليين ولا يشتغلون كخماسية بل إنهم أحياناً يلجأون إلى استغلال أراضيهم عن طريق وسطاء.

G. Spillmann, *Villes et tribus du Maroc*, vol. IX, *Tribus berbères*, Tome II, *Districts et tribus de la haute vallée du Dra*, Paris, 1930 ; A. Azam, *Les structures politiques et sociales de l'oued Dra*, CHEAM, n° 2.039, Paris, 1947 ; D. Jacques Meunié, *Hiérarchie sociale au Maroc présaharien*, Hesp. T. XIV 3 - 4ème trim. 1958 ; G.

الجسم مضغوط جانبياً وليّن، يتراوح طوله ما بين 25 - 28 سم وطول ذيله 12 سم. يتوفر على عدد كبير من الخلايا الصبغية أو الملونة التي يتمكن بفضلها من تغيير لونه بكيفية مفاجئة ليتستر ضمن الوسط المحيط به دون أن يمكن تمييزه بسهولة. يتغير اللون حسب كمية ونوعية الضوء من جهة وألوان الوسط المحيط به من جهة ثانية. وهكذا يمكن أن يتخذ لونا رمادياً أو أخضر أو داكناً لكي يباغت ويضطاد فرائسه الممتثلة عادة في الحشرات والعناكب أو للدفاع عن النفس في حالة الخطر. وهو حيوان بطيء يعيش على النباتات الشجرية في الأماكن التي لا تكثر فيها أشعة الشمس، وتساعده مخالب أصابعه على تسلق الأشجار، وكثيراً ما يستعمل ذيله للتقليل بين الأغصان وذلك بالتوائه على الغصن عدة مرات. يقضي معظم أوقاته في مكان واحد بدون أن يتحرك حيث يملك جامداً يراقب ما حوله بعينيه المستقلتين إحداهما عن الأخرى، ذلك أنه بينما تنظر العين الأولى إلى أعلى اليسار، تراقب الثانية الأسفل واليمين، وما إن يلمح حشرة حتى يسدد نحوها عينيه ثم يتلقتفها في سرعة مذهلة بواسطة لسانه اللزج والأخاذاً.

يتوالد في أواخر فصل الصيف وتضع الأنثى من ثلاثين إلى أربعين بيضة تتردمها في التراب وتبقى هناك ما بين ثمانية أو تسعة شهور لتعطي الصغار في فصل الربيع. تصبح الحرياء بالغة بعد سنة وتعمر ما بين أربع وخمس سنوات.

يعيش في إفريقيا الشمالية وفي آسيا الغربية وفي بعض الأماكن من جنوب إسبانيا (قادس ومالقة). إنه حيوان مهدد من طرف الأطفال ومن السواح.

أمين العلاف، معجم الحيوان، 1982، القاهرة.

A. Salvador, *Guía de los anfibios y reptiles españoles*, 1974 ; J. Anthony, *Grande Encyclopédie Alfa des sciences et des techniques*, Zoologie 2, 1984.

محمد رضاني

**الحَرْمِيَّة**، جزء من قصيدة الملحن وموقعها من القصيدة بعد جزء الدخول. وهي منها بمنزلة السمط من الموشح أو اللازمة من النشيد، ولذلك يعاد إنشادها مرة بعد كل قسم من أقسام القصيدة كما تُكرر في نهايتها، ويضطلع بترجيع الحربة الشداة، أي مجموعة العازفين والمنشدين، سموها كذلك لأنهم يشدون أزر المنشد الذي ينفرد بأداء الأقسام ويتيحون له الاستفادة من لحظات الإنشاد الجماعي.

والعادة أن تنشد الحربة على نفس لحن القسم السابق لها ونفس مقامه وإيقاعه، غير أن هذا الأخير ينجح إلى السرعة المتدرجة في ختام القصيدة.

والعادة أن تعرف القصيدة بحريتها، حتى أصبحت بعض القصائد تسمى بحرياتها. وأن تقوم من حيث الوزن الشعري على "قياس" أبيات القصيدة.

ومن نماذج الحربة، حربة قصيدة "طامو" للعلمي :

طامو يا بهيج الخُدادا      بالحر من الكادا زيا غيت لمجيد  
ديري اللعاشق امرادوا      ينكي خُصيع لعُسنُرد  
وحربة قصيدة "التوبة" لابن سليمان :

توب يا راسي لا تنفي اسدي يا سيدي      يالناعب لأبد من الرحيل  
لا تامن في الدنيا بناسها غرأرا

ع. الجراري، القصيدة، ص 347 : ع. ابن عبد الجليل، مجلة

التراث الشعبي، ص 11 ع 10 ص 121 : م. الفاسي، معلمة

الملحون، القسم الأول من الجزء الأول ص. 82.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **حريبط**، محمد بن الطاهر من مواليد مدينة فاس في العقد الأخير من القرن السابق. احترف مهنة التجارة منذ صغره مع والده السيد الطاهر ابن حريبط، وتفنن في صناعة الآلات الموسيقية، خاصة آلة العود، وقد نال ميدالية ذهبية عن أعماله في المعرض الدولي بباريس سنة 1915. ومنذ ذلك الحين ذاعت شهرته.

كانت عيادته مطلوبة داخل المغرب وخارجه لجودة صنعها ومقاييسها. وقد عاش كبار رجال الموسيقى المغربية بفاس كالبريهي، والمطيري، ومولاي أحمد الوكيل. توجد آلات من صنعه في متاحف عربية كمتحف القاهرة وبغداد. انقطع عن العمل منذ سنة 1396 / 1976 فاعتكف في منزله إلى أن وافته المنية يوم 28 رجب 1414 / 11 يناير 1994 عن عمر يناهز مائة عام.

أبت **حريبط**، قبيلتان تحمل كل منهما اسم أبت حريبط، الأولى بأحواز مراكش لا تعرف عنها شيئاً، وقد تكون من جيش المخزن السعدي خلال مرحلة السلطان أحمد الأعرج. والثانية بسوس سنعرف بها من خلال الشوارد القليلة الواردة في المصادر، والتي تحمل معلومات يكتنفها الغموض لا تساعد كثيراً على تلمس معالم تطورها بشكل قطعي.

اختلفت الروايات حول أصل أبت حريبط، فمنها من ينسبهم إلى قبيلة جالوت الفلستينية كما جاء في كتاب روضة الأفتان للمؤرخ الإغراري، وسنده في ذلك مروج الذهب للمسعودي. لكن تبيّن بعد التحقيق أن هذا الرأي لا أصل له، وبالمقابل تذهب رواية أخرى إلى أن أصلهم من قبائل الصحراء اللمتونيين والكداليين، انتقلوا إلى سوس إثر جانحة الطاعون التي أصابت المغرب سنة 749 / 48.

م. 1349

كيفما كان الأصل، فالقبيلة اعتبرت دائماً دخيلة في

سوس مما جعل محاولات الاستقرار تواجهها عدة مشاكل باستمرار، من أبرزها تكتل الجزوليين ضد الحرييليين الذين عملوا - حسب بعض المصادر - على تأسيس حلف تحركات. وبواسطة هذه القوة العسكرية في إطار الحلف، استطاعت القبيلة الصمود أمام قبائل "الشرگ" و"باني" الغرب.

ورغم أن الغلبة كانت لتحركات حتى بداية القرن الحادي عشر (17 م) أثناء تحالف الجزوليين مع إمارة إبليغ، فإن رسم معالم حدود ومجالات تنقل الحرييليين وانتجاعهم من الصعوبة يمكن.

كما أن تقسيمات القبيلة المورفولوجية غير محددة بدقة؛ فنحن نجهد الكثير عن الفروع المجاورة لقبائل مجاط وإبغشان وإفران، اللهم إلا ما يتعلق بالفروع القاطن بقصبة أيت حرييل بتامنارت.

عند نهاية القرن الثامن (14 م) أو بداية التاسع ظهرت بسوس شخصية مغمورة تدعى "أمنصاك" (أو أمزناك)، تضاربت الروايات حول نسبها، فإذا كان بعضها يرجع أصلها إلى أيت حرييل، فإن ثمة أخرى تعتبره مجاطي الأصل؛ فإن كانت الرواية الأولى صحيحة، فإن ذلك سيساهم في بسط نفوذ القبيلة بتمددت ونواحيها سيما وأن أمنصاك كان قائداً من قواد الميرنيين الذين خربوا مدينة تامدولت.

ومهما كان الأمر، فارتباط القبيلة بهذه الشخصية قد يكون محاولة منها - لا غير - لإثبات كيانها، والتقليل من صفة "الدخلاء" التي ينعتون بها. ومع نهاية القرن التاسع (15 م) لم يرد اسم القبيلة ضمن القبائل التي أبرمت اضطراراً معاهدة تگاووست يوم 25 رجب عام 904 / 8 مارس من سنة 1499 م مع سلطات الاحتلال الإيبيري.

لماذا اقتصر نص المعاهدة على ذكر التامنارتيين والإفرانين دون جيرانهم الحرييليين؟ هل يعني ذلك تراجع نفوذهم السياسي بالمنطقة؟ يذهب محقق النص إلى أن قرية تگاديرت التي وردت في المعاهدة، والتي كانت تحت سلطة التامنارتيين قد يقصد بها تگاديرت نايت حرييل التي وطئها شمال شرق أكرض. إلا أن التثبت من ذلك أمر صعب لا سيما وأن أغلب أسماء الأعلام الجغرافية الواردة في النص مصحف ومحرف. وحري بالذكر أن هناك بناء يسمى "تگاديرت" بين القصبة وأكرض معمولاً للحراسة.

تطرح المعاهدة تساؤلات يصعب الإجابة عليها في هذا الموضوع. غير أننا يمكن أن نستخلص أن نفوذ الحرييليين قد تقلص وأصبحوا ضمن قبيل تامنارت سواء تعلق الأمر بفروع قصبة نايت حرييل المجاور لأكرض، أو تعلق الأمر بالفروع الأخرى.

شارك الحرييليون في عهد السعديين، بتصيبهم في كتيبة من جيوش رافقت السلطان أحمد الأعرج إلى مراكش بعد استقراره بتامدولت وأقاً زهاء سنتين. وقد يكون هؤلاء هم الذين أسسوا فرعا للقبيلة بأحواز مراكش كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

من أبرز ما يميز هذه المرحلة أن فيجحة تامنارت كانت قاعدة بلاد جزولة حسب شهادة عبد الرحمان التامنارتي، إذ حظيت باهتمام المخزن السعدي، ولعب الشيخ محند إبراهيم التامنارتي (ت. 970 / 563 م) وخلفاؤه من بعده دور الوسيط بين السلاطين والسكان. لذلك لا مناص من أن يستأثر أهل أكرض التامنارتيين بالحكم في المنطقة ويمتد نفوذهم إلى مجال الحرييليين. ومع نهاية القرن بدأ هؤلاء يستعيدون جزءاً من قوتهم ومكانتهم السياسية، ففي صيف سنة 988 / 1580 م قام السلطان أحمد المنصور السعدي بحركة إلى بلدة جزولة، حسب ما جاء في ديوان قبائل سوس لإبراهيم ابن علي الحساني. وكلفت القبيلة هي وقبيلتنا إذا أكاگمار وإبغشان بتوفير ما يلزم المحلة المخزنية التي نزلت بمرکز إبليغ، من مؤونة وشراب. بعد ذلك رافق السلطان وفد من أرمعمانة فرد يمثلون القبيلة وقبيلتي أيت وإفقا وإبغشان. من خلال هذه المعلومات يمكن أن نستشف - لأول مرة - المجال الذي تشغله الفروع الكبرى لقبيلة حرييل دون فرع قصبة نايت حرييل، فهي تجاور إذ أكاگمار (مقاطعة إبليغ) وإبغشان وأيت وإفقا. غير أن رسم حدودها الحقيقية من الصعوبة يمكن خلال هذه المرحلة، ونكتفي بالإشارة إلى أن علاقة هذه الفروع بجيرانهم يطبعها الصراع. فمنطقة تاگنزا - على سبيل المثال - التي كانت تحت إمرة التامنارتيين فيما مضى، غدت مجالاً للصراع بين أيت وإفقا وأيت حرييل.

من جهة أخرى نلمس تراجع نفوذ التامنارتيين، فيمكن أن نتساءل لماذا لم يذكر وفد التامنارتيين ضمن الوفود التي رافقت السلطان السعدي، مع العلم أن الديوان أشار إلى نزالتهم ضمن نزالات المحلة المخزنية؟ هل يعني ذلك أن ممثلهم أدرجوا ضمن الحرييليين؟ إضافة إلى ذلك، قدر الديوان عدد سروج قبيلة حرييل بمائتي سرجة، أي ما يقارب ثلاثمائة كانون.

وهذا العدد من السكان مهم إذا قورن بالجيران، فهو يعادل ساكنة إفران ويعادل كذلك ساكنة أيت وإفقا، بينما هو أكثر من ضعف ساكنة أيت إبغشان.

استمر الحرييليون بعد سنة 988 / 1580 م في بسط نفوذهم، إذ استولوا على حصن أيت علي الإستراتيجي بواحة تامنارت الذي كان للسموگيين، وخصص للمراقبة لما يتمتع به من مناعة طبيعية، وخصص كذلك لتخزين مذخرات القبيلة. ويذكر المختار السوسي كذلك أنهم عمروا منطقة "تزلمي" التي كانت مقاطعة مستقلة وكانت مجاطة أحد فروعها. غير أن هذا الوضع سيتغير بعد سنة 1012 / 1603، حيث دخل الجنوب بصفة عامة مرحلة خطيرة نتج عنها تطلع زعامات سياسية للحكم، نافست السلطة المركزية في جهات مختلفة بتازروالت وبجاجة وبتافيلالت. في هذا الظرف بالذات تقوى حلف تگزولت بدخول الإيلغيين ورتاستهم للحلف، واستمر نفوذهم قويا طيلة

مرحلة بودميعة (1022 / 1049) بينما عانى حلف تحكات من ضعف قوته ونفوذه. قد يكون المجاطيون وهم من حلف تگزولت خلال هذه المرحلة، بسطوا نفوذهم في مجسوع مقاطعة "تزلمي" وتمازجوا مع كثيرين من الحرييليين. وبالمنقابل، مع صعود العلويين عرفت موازين القوى بسوس تحولا كان في صالح الحرييليين مؤقتا : فمن جهة، ألحق السلطان المولى الرشيد شللا بمركز الإمارة الإبليغية (1081 هـ / 1670 م) ترتب عنه ضعف حلف كزولة لمدة من الوقت.

ومن جهة أخرى، استمال فرع الحرييليين القاطن بالقصبة ابن السلطان مولاي إسماعيل : محمد العالم سنة 1110 / 1699-1700 م، ودبروا مكيعة للقيادة الكثيرة التي حوصرت ثم طردت من قرية أغرض مقر قيادة تامنارت، وتولى الرئاسة حلفاؤهم المرابطون من ذرية الشيخ محند أبراهيم التامنارتي. بينما امتد نفوذ حرييلة على باقي مجموع قرى وادي تامنارت.

استطاع الكثيرون بعد ثمان سنوات دخول أغرض من جديد وتمت تركبتهم فيما بعد بظواهر مخزنية، وأمر السلطان القائد الحسن الحرييلي أن لا يتعرض لها ولا ينازعها في أولادها وأملاكها ومن انحاز إليها من سكان. لقد استمر المخزن في تأييد الأسرة، لكن انشغاله وضعف أجهزته وإمكانياته المالية حال دون توطية نفوذها، وغدا حكمها لا يتجاوز قرية أغرض ونواحيها. بعد وفاة السلطان المذكور دخل الجنوب من جديد مرحلة عصيبة كما هو الحال بالنسبة لمجموع المغرب. وهي مرحلة نجعل فيها ما جد من أخبار وأحداث في المنطقة، ويعزى سبب ذلك إلى غياب المصادر. ويمكن القول إن غياب التأييد المخزني للأسرة الكثيرة - وإن كان تأييدا معنويا فقط - قد شجع الحرييليين على تمديد مجال نفوذهم وسلطتهم السياسية.

بعد سنة 1214 / 1800 غدت يد الأسرة متصلة - من جديد - برؤساء إبليغ الذين برأسون حلف تگزولت الذي استرجع جزءا كبيرا من قوته إلى حدود سنة 1315 / 97-1898 مما حصر الحرييليين في مجالهم الأصلي ومنعهم - على الأقل - من توسيع حدودهم على حساب تراب الكثييين. غير أن هذه القوة لم تكن مطلقة، فترجع إمارة إبليغ مرتين أمام الجيوش المخزنية سنتي 1224 و1262 تسبب في تراجع قوة الجزوليين تراجعاً مؤقتاً، وبالتالي أمست الأسرة في وضعية حرجة قد تستفيد منها قبيلة حرييل.

لقد توترت العلاقات بين الاثنين طيلة قرنين ونيف من الزمن : من سنة 1131 / 1719 إلى سنة 1352 / 1933 حيث ثارت حروب ومصادمات شديدة حول مواقع استراتيجية ثلاثة على الضفة اليمنى لوادي تامنارت نحو الجنوب الشرقي، وهي : إبغيسر ولؤلن وإيشت وإبگواز. وتمكن الكثيرون قبل سنة 1327 / 09-1910 من الحفاظ على هذه المواقع بعد أخذ ورد.

يلاحظ أنه كلما بلغ الصراع أشده بين الحلفين : تحكات وتگزولت، وأحسن المناصرون من كلا الطرفين بتأثير ذلك في التوازن الذي يطبع الحلفين بالأطلس الصغير وواحات باتي، إلا وتتدخل شخصيات سياسية أو صوفية لدفع القبيلتين للدخول في الصلح. كما وقع - على سبيل المثال لا الحصر - في فترة الشيخ / القائد محمد بن حمو التامنارتي (ت. 1293 هـ) حين استمر الصراع سبع سنين، تدخل على إثره رئيس إبليغ الهاشم بن علي - رغم أن الحلف الجزولي كان قويا آنذاك - لإيقاف الحرب والدخول في الهدنة.

من هنا يمكن أن نتصور الخسائر المادية والبشرية التي يمكن أن يتكبدها المتنازعون الذين صرفوا كل مذكراتهم، مما كان له تأثير واضح على وضعهم الاجتماعي.

بعد سنة 1327 / 1910، أصبحت الكفة راجحة لصالح الحرييليين من جديد حيث توسع مجال القصبة المذكورة ليشمل إبغيسر ولؤلن وإيشت وإبگواز، بينما بقي مركز إيشت تحت نفوذ التحوگاتيين.

لا يعني هذا استسلام الكثييين، بل استمر التوتر إلى حين دخول فرنسا المنطقة دون أن يتمكنوا من استرداد نفوذهم على المراكز المذكورة. لعل السبب الأساسي لهذا التراجع يعود إلى اعتمادهم على إمكانياتهم الذاتية، نتيجة ضعف حلف تگزولت إثر هزيمة زعيم إبليغ الحسين أهاشم أمام القائد سعيد الكيلولي سنة 1317 / 1899. 1900، ونتيجة انتقال ثقل الصراع من تامنارت إلى قبيلة مجاط زعيمة الحلف آنذاك أثناء نزاعها - في نفس الفترة - مع الجزائر المدعمن من لدن الجيش المخزني بقيادة محمد أنفلوس الحساحي، ثم أثناء نزاعها مع القائد المدني الأخصاصي فيما بعد.

إن اهتمام الحرييليين بضبط رسم حدودهم في الجنوب الشرقي بدعم نفوذ الفرع القاطن بقصبة نايت حرييل، لم يُسهم الفروع الأخرى التي تشغل مجالاً يسامت حدود قبائل آيت تيكني، آيت عبد الله أو سعيد، مجاط إفران، إدبراهيم، آيت أوسا، آيت أومرابط، خلال القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر (19-20 م).

يمكن أن نبدي ملاحظتين حول هذه الفروع :

- الأولى أنه تأكد من خلال الشوارد الواردة في المصادر صيرورة الصراع مع الجيران، فأغلب أملاك قبيلة آيت عبد الله أُسعيد بتازروالت تم شراؤها من أصحابها الحرييليين، الذين دأبوا - من حين لآخر - على السطو عليها ومحاوله استرجاعها بالقوة. كما اندفعت قبيلة آيت أومرابط نحو أراضي الحرييليين بعد تضررها الاقتصادي من بناء مركز تندوف.

- الملاحظة الثانية هي أن المخزن في عهد السلطان المولى الحسن الأول وخلفه، أدرج قبيل حرييل بجميع فروعها ضمن قبيلة إدبراهيم، التي غدت تحت إدارة القائد الحاج أحمد التامنارتي، لذلك اختفى اسم حرييل من الظاهر والرسائل

المخزنية. غير أن نفوذ القائد التامنارتي الحقيقي قلما تجاوز أكرض ونواحيها.

بعد هذه المرحلة، ما بين سنوات 1346 / 1348 / 1928 - 1930 ذكر دولا شابيل أن قرى أيت حربيل دخلت في إطار محمي إذ براهيم ومجاط وأيت أمربط مما يعطي فكرة عن تراجع نفوذ وقوة القبيلة. لكنها لم تنسحب كلياً من مسرح الأحداث بالمنطقة، بل كانت متورطة في أحداث عصبية ما بين سنتي 1347 و 1352 حول قضية "تسكدشت" (التفاصيل في المعمول، 19 : 399 وما بعدها).

أما عن مرحلة الحماية الفرنسية، فمراكز الاستعلامات بكل من أقا وفم الحصن وعلى وادي صياد (أسيف أونگمار) كانت تراقب تحركات الحربيين، وأذكت نزاعاتهم مع الجيران، وعملت كذلك على تقوية جانب التحركات في "قضية إشت". بهذه الطرق تمكنت الجيوش الفرنسية من عزل فروع القبيلة بعضها عن بعض وخنقها اقتصادياً، وتفكيكها من الداخل مما فسح المجال بعد احتلال مركز أيت وأبلي، لاحتلال كل المنطقة سنة 1352 / 1934.

خلال هذه المرحلة، حوفظ على التسيير الإداري المعمول به مع تغييرات شكلية منها إشراف القبطان الفرنسي بمركز فم الحصن على قضية نابت حربيل ومجموع تامنارت مع إدخال الفروع الأخرى في إيالة أيت إيسوس وأد براهيم. منذ أواسط الأربعينات من هذا القرن، شاركت شخصيات في تنشيط حركة المقاومة السرية ثم العسكرية بالمنطقة.

وعن مكونات قبيل حربيل السكانية، فإن موقعها الاستراتيجي بجبل باني وبالأطلس الصغير سمح بدمج وانصهار عناصر مختلفة ومتداخلة، ويلاحظ أن بنية السكان، عرفت تجمداً استمر إلى عهد قريبة جداً.

أما فيما يتعلق بنمط العيش السائد فثمة مزج بين النجعة والاستقرار، غير أن تراجع منسوب المياه بشكل خطير والحصار المضروب على الرجل وأنصاف الرجل غداة دخول الحماية المنطقة، سببا - بدون شك - خللا في التوازن بين النمطين، نتج عنه تراجع في مستوى العيش، لذلك ما فتئت فروع من القبيلة تبحث عن حياة جدد.

ومن ناحية أخرى، انحصرت الفلاحة المسقية في قرى محدودة : أداي، تيمولاي، القصبة ... بينما انتشر الرعي وتربية الإبل والغنم في أغلب المجالات الأخرى.

كما استفادت قلة قليلة من التجارة الصحراوية والسودانية، لكن احتلال الصحراء وتحويل التجارة الدولية جعل التجار يقتصرون على أسواق محلية : تاغجيجت، تيمولاي، أداي، القصبة ... الخ.

على صعيد آخر، بالرغم من ظروف المنطقة السياسية والبيئية، نشطت الحركة العلمية في مدارس مشهورة في قرى حربيل مثل : القصبة وأداي. ونشطت كذلك الحركة الصوفية بالخصوص في زاوية الشيخ علي بن أحمد الإلغي

(ت. 113 هـ) التي كانت تعتمد في مواردها على صدقات الحربيين الساموگنيين.

كما كانت حربيل باتفاق مع قبائل منافسة حول المجال: مجاط وبعقيلة، تُخرم كل من اقترب جرمياً في حرام زاوية دوكادير، وهي نفس الزاوية المذكورة آنفاً ومقرها قبيلة أيت عبد أوسعيد بتازروالت. ومن المثير للانتباه أن علماء حربيلة قلما يعتمدون نسباً حربيلاً، لذلك صعب علينا الآن - استقصاء الإعلام المشهورة.

**حربيل** (قصة نابت -) تقع على الضفة اليمنى لوادي تامنارت على كيلو مترين ونيف من قرية أكرض بتامنارت. ولا تعرف تاريخ بناء القصبة بالتحديد. هل كان زمن انتقال الحربيين من الصحراء إلى سوس عند منتصف القرن الثامن (14 م) ؟ أم أن التأسيس كان على يد الحربيين الذين استقروا بالأطلس الصغير، وقد يكون انتقل منهم فرع إلى القصبة ؟

كيفما كان الجواب، فالثابت أن ظهور القصبة على مسرح الأحداث بالمنطقة بشكل مكثف كان أثناء بداية توتر العلاقة مع الجيران الكثيرين، حسبما ذكرناه آنفاً.

ونشير إلى وجود أطلال قلعة منيعة فوق ربوة تشرف على قرية أكرض مقر القيادة الكثيرة، يطلق عليها اسم تگاديرت ومعناه القبة الصغيرة، بنيت بالحجارة واللبن، يخترقها خندق سري وبجواره نطفية للتزود بالماء أثناء الحصار. تحتوي البناية كذلك على أبراج للمراقبة، لاتفارقها ليل نهار كتببة من الحراس الحربيين تربو على خمسة عشر حارساً حتى دهمت جيوش الاحتلال الفرنسي القصبة أواخر سنة 1352 / 1933.

لقد كان موقع القصبة مؤهلاً لمراقبة بسيط تغزارين الذي استغله مالكوه الكثيريون خلال القرن الحادي عشر (17 م) لزراعة الحبوب وفق تقنيات مقتبسة من الإبلين. ولمراقبة جنان عين تيملت الذي يحاذي الربوة يساراً ويزود أكرض بما يلزمها من ثمار النخيل ومزروعات مسقية. لذلك ما فتئت قصة نابت حربيل تُلحق من حين لآخر أضراراً بهذا الجنان مما حدا بالكثيرين إلى تسويره.

فيما يتعلق بإمكانيات القصبة البشرية فقد قدر الرحالة الفرنسي شارل دو فوكو دورها سنة 1301 / 1883 بمائتي دار، وهو يعادل نفس عدد دور قرية أكرض. وهما بذلك يمثلان أكبر تجمعين سكينين بمجموع واحة تامنارت مقارنة بقرتي : إغير ولولن وإبگواز.

ومن اللافت للانتباه أن هذا العدد تقلص كثيراً، إذ بلغ مائة كانون فقط حين زار المختار السوسي القصبة سنة 1362 / 1943، ولعل مرد ذلك تراجع منسوب العين التي تغيض من حين لآخر والتي كانت تزخر ماء - فيما مضى - وكلما نضب الماء استعان السكان بعين إغيرولولن. لقد سمح موقع القصبة في مجال انتقالي بين المناطق شبه الصحراوية

(الأطلس الصغير وبداية مجال باني) والمناطق الصحراوية، بتعدد أصول ساكنتها كما هو الحال بالنسبة للقرى المجاورة. ولكن ما يميزها أن فئة الحراطين قليلة بها مقارنة مع نسبة البيض.

سمح الموقع كذلك بتجدد بنية السكان نظراً لمرونة تقبل الدخيل؛ كان المرابطون حفدة الشيخ محند أبراهيم التامنارتي المطرودون من قرية أكرض إثر تورطهم مع الخصوم الحرييليين، أهم الدخلاء. وهم يتكونون من فشتين؛ التحقت الأولى بالقصبة واستقرت بوسطها بصفة نهائية سنة 1706 / 1110 ورجعت الثانية إلى أكرض سنة 1727 / 1140 بتدخل من الشيخ الصالح الحسين الشرجيلي ثم ما فتئت أن فارقت سنة 1841 / 1256 لتستقر بأطراف القصبة.

أصلح هؤلاء مسجداً من المسجدين المعروفين في القصبة خصص لدراسة القرآن فقط. لذلك رحلت نخبة منهم إلى المدارس السوسية الأخرى لإتمام التعلم، وبعد التخرج شارط المؤهلون منهم في مدارس علمية مشهورة كمدرسة تانكرت بإفران، وعلى رأسهم الفقيه الصوفي محمد بن إبراهيم بن أحمد مفتي ومقدم الطريقة الدرقاوية بالمنطقة.

لعل ظروف الصراع مع الجيران حال دون التفرغ للعلم؛ إذ أقبل سواد المرابطين القصبين على الخوض في مجاذبة رؤساء أكرض التامنارتيين، بل منهم من أقبل على الخوض في السياسة والرئاسة. فقد كان عبد السلام بن محمد بن عبد الرحمان رئيساً بعد منتصف القرن الثالث عشر (19م) على أهله إلى أن شاخ فخلفه ولده الطاهر. أما الحفيد الهاشم القصبي فقد كان قائداً على إيالة تشمل قرى القصبة إيغورولون وإيگواز في عهد الاحتلال الفرنسي. كما كان عبد الرحمان بن عبد الله على رأس القصبين الذين ساندوا شيخ آيت إابلي؛ محمد أزنكض في نزاعه مع قائد أقا الحسن بن إبراهيم بن بلعيد الذي اعتمد على عتاد جيوش الاحتلال الفرنسي. وقد مهد هذا النزاع الطريق لاحتلال القصبة يوم الأحد 16 ذي القعدة سنة 1352 / 4 مارس 1934. وسجن عبد الرحمان بن عبد الله بتارودانت عاماً ونصفاً ثم أمضى نصف عام في سجن كلميم ليخلى سبيله بعد ذلك.

قبل أن يتسأثر المرابطون بالسلطتين السياسية والعلمية، عرفت قيادة محلية اعترف بها المخزن العلوي على عهد السلطان المولى إسماعيل، غير أننا لم نتسكن لحد الآن من تحديد قائمة هؤلاء القواد. وقد اكتفى المختار السوسي بذكر شخصين يحملان اسم الحسن الحرييلي. ودخلت القصبة في عهد السلطان الحسن الأول في إيالة الكثيرين كما رأينا آنفاً.

م. الإغزاري، روضة الأفيان، تج. حسدي أنوش، بحث لنيل د. د. ع؛ ع. التامنارتي، الفوائد الجملة، مخطوط، كلية الآداب. بالرباط؛ إبراهيم الحساني، ديوان قبائل سوس، تج. أنا عمر، نشر دراسات ع. ا. 1987. أمجادير؛ علي بن محمد، الدوماني، روضة التحقيق في فضائل آل الصديق، مخطوط؛ م. المختار السوسي،

إيلينغ قديماً وحديثاً، 1966، صفحات 234، 238، 240، 304؛ خلال جزولة، 35، 25، المعسول، 1960، 1963، 1؛ 123، 122، 43، 42، 27؛ 1، 145، 132، 197، 2؛ 161، 160، 3؛ 102، 119، 141، 205، 399، 5؛ 145، 146، 7؛ 52، 68، 18، 42، 9؛ 117، 10، 160، 19؛ 20، 264، 250؛ 232. وما بعدها؛ معلمة المغرب، مواد مختلفة، صفحات 290، 1997، 1995، 1129، 1127.

P. Albert, *Les tribus du Sahel Atlantique : Sous - Tazeroualt - Dra - Oued Noum - Segueit et Hamra*, Paris, 1906 ; P. de Cenival et F. de Lachapelle, *Possessions Espagnoles sur la côte occidentale d'Afrique*, Hesp., 1935, 2 - 4 trim ; A. Le Chatelier, *Tribus du Sud Ouest marocain*, Paris, 1891 ; J. Chaumeil, *Histoire d'une tribu maraboutique de l'Anti-Atlas - Les Ait Abdellah ou Saïd*, Hesp., 1952, 1er trim., T. 39 ; Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc 1883 - 1884*, Paris, 1888 ; L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XVIe S.*, Paris 1933 ; F. de Lachapelle, *Les Tekna du Sud marocain*, B.C.A.F.M., 1933 - 1934 ; D. Jacques Meunier, *Le Maroc Saharien*, Paris, 1982 (index) ; *Cartes des tribus du Maroc 1/100.000* (1934), *Foum El Hassane 1/100.000* (1968).

### الحرييلي، محمد بن أحمد الزهالي شيخ صوفي

كبير الشأن، له شهرة في عصره ونسبت له كرامات، نزل بقرية أكرض أو سول من تجكالت التي كانت في إيالة تاهالا وغدت من إيالة إيغشان فيما بعد.

توفي في ربيع الثاني من سنة 1020 / يونيو - يوليو 1611 ودفن بإيبي عند مشهد سيدي بلقاسم الفلالي.

م. الحضيكي، طبقات الحضيكي، تج. أحمد بومزكو، بحث لنيل د. د. ع الرباط، 1994، الترجمة 345؛ م. المختار السوسي، رجالات العلم العربي في سوس، 1989، ص 54 الترجمة 13؛ المعسول، 3، 6.5؛ داود بن علي الكرامي، بشارة الزائر، مخطوط، خزنة الإغزاري؛ وفيات الرسومي، تج. السوسي محمد المختار، الرباط، 1988.

شفيق الرفاڭ

### هَرْتُوكة، جنس أسماك بحرية من الغضروفيات

Chondrychtyens Pleurotremata ومن فصيلة Scyliorhinidae التي تضم سبعة أنواع في العالم كثيرة الشبه بسماك القرش في حجمها وتختلف عنه في ثوبه المبرقع بعدة بقع بيضاء. الاسم شائع في أسواق الأسماك المغربية ويعرف في الشرق العربي بكلب البحر المبرقع والكوسج، والغراء هو اسمه في المعاجم وفي اللسان العربي.

تتميز الأنواع بوجود خمس فتحات خيشومية منفصلة على كل جانب خلف الرأس بعكس الأسماك العظيمة التي تتوفر على فتحة واحدة. اثنتان من الفتحات موجودتان فوق الزعنفة الصدرية، وتتميز هذه الصفة أنواع هذه العشييرة من أنواع سمك القرش.



- حرتوكة الصغيرة كما هو شائع في الأسواق السمكية المغربية و"الگطة" في طنجة. تسمى علمياً Scyliorhinus canicula وبالفرنسية Petite Roussette وبالإنجليزية Smallspotted catshark وبالاسبانية Pintarroja. لا يتعدى طول هذا النوع 100 سم وشائع بين 20 - 50 سم. الظهر بني فاتح، البطن مصفر، الجوانب والزعانف مبرقعة بعدة نقط بنية داكنة وبيضاء. يعيش غير بعيد عن قاع البحر في أعماق تتراوح بين 50 - 150 سم وخاصة منها الغنية بالرمال والوحل. تلد الأنثى بيضتين في كل مرة (96. 115 بيضة في السنة) وذلك منذ نونبر إلى يوليوز. تخرج الصغار من البيض بعد 5. 11 شهراً بطول لا يفوق 10 سم، وتصير بالغة عندما يصل طولها إلى 35. 45 سم. تتغذى من الإريبان والسرطانات والرخويات والأسماك الصغيرة. صيد هذا النوع شبه صناعي وتقليدي وهو موجود باستمرار في الأسواق السمكية وشائع في السواحل المتوسطية والأطلسية.

- حرتوكة سوداء الغم تسمى علمياً Galeus melastomus وبالفرنسية Chien Espagnol وبالإنجليزية Blackmouth Catshark وبالاسبانية Pintarroja. لا يتعدى طولها 90 سم وشائع بين 10 - 50 سم. تعيش في أعماق لا تتعدى ألف متر. تلد الأنثى البيض داخل كبسولة تلتصق بالأحجار والأعشاب. وهي شائعة في السواحل المتوسطية والأطلسية وموجودة باستمرار في أسواق الأسماك.

ينحصر التوزيع الجغرافي لنوع Galeus atlanticus على السواحل المتوسطية الجزائرية والمغربية والإسبانية، وكثيراً ما يصعب التمييز بينه وبين حرتوكة سوداء الغم لكثرة التشابه بينهما. لا يتعدى طولها 45 سم وتعيش في أعماق لا تتعدى 600 متر.

تستعمل جلود هذه الأسماك لإزالة خشونة الحمامات الصلبة في المعادن وتلميعها، كما يمكن تصنيعه إلى جلود. تُستخدم زعانفه بعد تجفيفها بأشعة الشمس كغذاء عند الصينيين.

G. Bianchi, *Guide des ressources halieutiques de l'Atlantique marocain. Fiches F.A.O. d'identification des espèces de la pêche*. Rome, 1984 ; W. Fisher, M. Schneider et M.L. Bouchot, *Méditerranée et Mer Noire. Fiches FAO d'identification pour les besoins de la pêche*. Rome, 1987.

محمد رمضاني

**الحرث بالمغرب في العصر الوسيط استمر تقليدياً بالطريقة التي كانت قبله، غير أن العملية أصبحت لها قدسية وتم وفق طقوس مصطبغة بصبغة دينية من استخارة وطهارة وأداء الفرائض وتوزيع الصدقات على الفقراء قبل بدء عملية الحرث وأثناءه، وتشوبها بعض العادات القديمة والأساطير المرتبطة بالشعوذة وبالخرافات.**

يتكون الهيكل من مادة غضروفية Cartilage تتحول عند غليها في الماء إلى مادة مرنة تشبه الجيلاتين. تتصلب بعض أجزاء الهيكل بالتشبع بأملاح الكالسيوم. الجمجمة عبارة عن علية غضروفية يلتصق بها الفك الأسفل بواسطة أربطة عضلية بسيطة. الجلد مسنن بنتوءات صلبة وخشن جداً. الفم موجود في الجهة البطنية بداخله أسنان صغيرة مرتبة في عدة صفوف متوازية واحدة خلف الأخرى والصف الأمامي كثير الاستعمال. تتجدد الأسنان في حالة كسرها أو إسقاطها، كلها حادة ومخروطية الشكل وليست قوية جداً، تستعمل للإسماك بالفريسة حتى يتم ابتلاعها برمتها وليس لتقطيعها. العينان بيضاويتا الشكل وكبيرتان. الزعنفتان الظهرتان متساويتان ومنحنيتان إلى الوراء.

تعيش الأنواع غير بعيدة عن قاع البحر وذلك في أعماق تتراوح بين خمسة وعشرين وخمسمائة متر. لا تحسن السباحة مما يجعلها لا تقطع مسافات طويلة وتفتتت من الإريبان والأخطبوط والحبار والأسماك الصغيرة الحجم. تستعمل الأنواع المصطادة من طرف السفن في أعالي البحار في صناعة دقيق الأسماك. تعرض الأنواع المصطادة من طرف الزوارق الصغيرة في الأسواق للاستهلاك.



تعيش في السواحل المغربية أربعة أنواع من حرتوكة : حرتوكة الكبيرة وتعرف بحرتوكة في جميع الموانئ المغربية عدا طنجة فتسمى القطة "الگطة" تسمى علمياً Scyliorhinus stellaris وبالفرنسية Grande Roussette وبالإنجليزية Nursehound وبالاسبانية Alitán.

يتميز هذا النوع بطول يتراوح ما بين 150 - 190 سم، وشائع بين 40 - 55 سم. الفم صغير دائري، الظهر بني فاتح، البطن أبيض، الجوانب والزعانف مبرقعة بعدة نقط مختلفة الشكل بنية داكنة وبيضاء. الزعنفتان الذنبية والشرجية محفوفتان بالسواد.

يعيش في الأعماق الصخرية والمرجانية التي لا تتعدى 400 متر. يلد البيض طول السنة ويكثر في فصل الربيع والصيف. تضع الأنثى في كل مرة بيضتين داخل كبسولة صغيرة تلتصق بالأعشاب وتخرج الصغار من البيض بعد 9 أشهر لا يتعدى طولها 16 سم وتصبح بالغة عندما يبلغ طولها 75. 80 سم. النوع موجود باستمرار في الأسواق السمكية المغربية وشائع في السواحل المتوسطية والأطلسية.

أساس المحرث "الزوجة" وهي مكونة من المحراث الخشبي أو الحديدية تجرّه بقرتان أو ثوران، وفي غالب الأحيان وخاصة في العصر الوسيط الأعلى والأوسط زوجان من الأبقار (أي أربعة من رؤوس البقر). ويمكن القول إن المحراث الخشبي بأجزائه المعروفة حتى اليوم في الفلاحة التقليدية المغربية هو نفسه المحراث التاريخي.

وقد كان المحراث بسكة من حديد وأحياناً بدونها. خاصة في مناطق التربة الرملية والهشة، أما التغيير الكبير الذي عرفته عملية المحرث فيستعلق (بالزوجة)، وهو تغيير يمكن اعتباره سلبياً في ذلك الوقت إذ استبدلت الأبقار والثيران في جر المحراث بالخمير، والإيجابي فيه هو ربط المحراث إلى صدرها ثم الجر، وقد كان المحراث من قبل يربط إلى قرون الأبقار على اعتبار أن قوة الأبقار والثيران في قرونها (1911 / 17e AM). وما يمكن أن نستنتج من معيار الوثائقي في هذا الموضوع هو أن الأبقار المعدة للمحراث والأشغال الفلاحية الأخرى قد قل عددها فأصبحت نادرة في العصر الوسيط الأدنى لعدة أسباب منها تعطل الإنتاج وتدهور النشاط الفلاحي عموماً بسبب الاضطرابات الاجتماعية والحروب، لذلك كثرت المنازعات حول الأبقار وإعارتها وحول الغش في عملية البيع والشراء (المعيار، ج. 6 و8).

وقبل أن يصبح المحرث بالدواب أمراً مألوفاً مرّ بفترة انتقالية كانت (الزوجة) فيها تضم خليطاً من الثيران أو الأبقار والخمير والبغال والخيول، ولعل الحسن الوزان هو الذي أثار انتباهه عملية المحرث بالخمير في إقليم حاحة فسجلها (وصف إفريقيا، 1: 77).

أثر هذا التغيير في الزوجة على المردودية، فالأبقار أصلح لعملية المحرث من غيرها، فهي تجر المحراث بقوة وعمق ويطء، ولها فوائد عديدة أكثر من غيرها، إلى جانب القيام بالمحرث، وإن التحكم فيها أثناء المحرث أسهل (L'agriculture à travers les âges, t. 3, p. 272)، ولعل انتشار العمل بالبقرة في الفلاحة في حوض البحر المتوسط له ما يبرره في المناخ وطبيعة الأرض، وأيضاً لغلاء الدواب خاصة الخيول والبغال، والحاجة الماسة لها في الحروب والتنقل.

أما "سكة الحديد" فقد انتشر استعمالها في المحراث الخشبية منذ العهد الروماني وتوسع استعمالها أكثر في المغرب خلال العهد الموحد بسبب ازدهار صناعة التعدين نسبياً. والحاجة إلى تطوير وسائل الانتاج ومنها المحراث الخشبي.

لكن المحراث الخشبي عاد للانتشار أكثر على هيئته القديمة دون سكة، ابتداءً من العهد المريني لعدة أسباب، منها: الاضطرابات السياسية والحروب المستمرة فتراجعت الزراعة والصناعة ومنها صناعة التعدين، وأيضاً نزوب مناجم الحديد السطحية السهلة الاستغلال. وابتداءً من العهد الوطاسي تركزت صناعة الحديد والحداثة في يد

اليهود الذين يطوفون في مختلف الجهات لعرض خدماتهم ومصنوعاتهم، ومنها إصلاح المحارث وتزويدها بسكك الحديد (وصف إفريقيا، 1: 83، 95، 110، 121، 129، 146).

من الدارسين من جعل العبيد من وسائل العمل الفلاحي اعتماداً على بعض النوازل التي تحدثت عن العبيد والدواب للمحرث، ونص النازلة "المحرث بالبقرة والعبيد" (المعيار، 5: 138) ومن الجائز في هذه المسألة أن يكون استخدام العبيد السود في الفلاحة منتشراً أكثر في الواحات جنوب وشرق جبال درن وأن استعمال (الزوجة) في هذه الواحات نادر إذ تقوم الزراعة هناك على شكل أحواض صغيرة المساحة، وقد يستخدم البشر هناك لجر المحارث، ولا يقتصر الأمر على العبيد بل يشمل النساء والأطفال، وقد استخدمت النساء في عمل مماثل في المدرجات الجبلية حيث الرقعة الزراعية لا تتعدى بضعة أمتار.

تتم عملية المحرث في غالبية المناطق على مرحلتين: الأولى: عند نزول الأمطار الخريفية الأولى للقضاء على النباتات الطفيلية وتهيب الأرض، وتعرف العملية "بالقليب"، وقد تكون مرة واحدة أو عدة مرات (الفلاحة النبوية).

الثانية: في أوائل فصل الشتاء، يتم المحرث بعد زرع الحمير وفق منازل محددة معروفة عند الفلاح، ويعرف المحرث المبكر بالكري؛ أو في بداية فصل الربيع بالمزوي، وتتم عملية الزرع بنثر البذور على وجه الأرض خاصة الحبوب (الشعير والحنطة)، أما الذرة والقطاني فتوضع في الحفر أو الأثلام حبة حبة (كتاب الفلاحة).

تستغل المحقول وفق دورة ثنائية في الزراعة الخفيفة البورية، تقسم فيها الاستغلاليات إلى قسمين، يترك القسم الأول بدون حراثة أو قليلاً للاستراحة، ويزرع القسم الثاني، ويتم التناوب بينهما في الموسم الموالي. أما في الزراعة المسقية فالعملية تتم في دورة ثلاثية تتبادل فيها الحبوب حسب المناطق، وقيل البذر يقوم الفلاح بتنقية الحقل المحروث وتكبير الطوب بواسطة مشط تجره البهائم أو يجره إنسان، وفي غالب الأحيان كانت النساء يقمن بتكسير الطوب وراء أزواجهن وهم يحراثون (المقصد، 141) أما المحقول المراد زراعتها خضراً أو غراستها بالأشجار المثمرة فتتم تسويتها بالمحرث والمشط وقياس ميلها (بالمرجيل) (مادة الميم... Supplément...) وتقسيماً إلى أحواض صغيرة متقاطعة بشكل هندسي حتى تتم عملية سقيها بسهولة.

اتخذت الزوجة في المغرب وفي حوض البحر المتوسط كوحدة لقياس مساحة الأراضي الزراعية، فعند F. Braudel أن معدل ما يحتره زوج من الثيران في اليوم هو عشرة هكتارات، وما زالت هذه التقديرات مستعملة في البادية المغربية، إذ يقاس غنى الفلاحين بمدى المساحات المزروعة، وهذه تقاس بعدد أزواج حراثتها، فيقال مثلاً "فلان يحرث بخمسة أزواج" أي أن ما يحتره في اليوم حسب القاعدة

المعروفة في البحر المتوسط هو 50 هكتاراً ويضرب هذا العدد في عدد أيام الحرث.

قال الحسن الوزان مستنداً على غنى سكان مدينة بولهران "إنهم أغنياء جداً يحبونهم وماشيتهم، لكل واحد من السكان مائة زوج من الثيران أو أقل أو أكثر..." (وصف إفريقيا، 1: 123).

أ. الونشريسي، المعيار، فاس 1315: ح. الوزان، وصف إفريقيا، الرباط 1980: أبو خير الأندلسي، كتاب الفلاحة، فاس 1357: ابن وحشية، كتاب الفلاحة النبطية، فرانكفورت، ألمانيا 1984: ع. البادسي، المقصد الشريف، الرباط 1982: محمد الطويل، الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، بحث مرقون، كلية الآداب الرباط 1988.

Dozy, *Suppléments aux dictionnaires arabes*, Leyde, Paris 1927: Roger Grand, *L'agriculture à travers les âges*, Paris, 1950: *Archives marocaines*, Vol. 17, 1911.

محمد حجاج الطويل

**الحرّاق**، أسرة شريفة علمية من ذرية موسى بن مشيش أخى الشيخ عبد السلام ابن مشيش الولي الشهير، مسقط رأسها الأول قبيلة بني عروس (من إقليم العرائش الآن) ثم انتقل أفرادها إلى مدينة شفشاون ومنها إلى تطوان وغيرها.

ومن الجدير بالذكر أن هناك عائلتين تحملان هذا الاسم وليستا منها، إحداهما من قبيلة أهل سريف قرب مدينة القصر الكبير استوطنت تطوان مؤخراً. والأخرى بقبيلة بني حُزمار قرب تطوان استوطنت قديماً تنتسب إلى الشرف ولكنها نوزعت فيه.

أ. الرهوني، عمدة الراويين، ج. 3 حرف ح، مخطوط: م. داود، عائلات تطوان، حرف ح، نسخة المؤلف بخطه بخزانة بتطوان.

محمد بوخيرة

**الحرّاق، أحمد بن عبد السلام بن الطاهر العلمي السريفي**. وُلد بمدشر الصفصاف على الضفة اليمنى لوادي المخازن في منتصف القرن الثالث عشر (19 م) وتعلم على أبيه الذي كان من علماء المنطقة بقبيلة آل سريف، والذي كان يزوره بعض العلماء من فاس، ثم ذهب المترجم إلى فاس لاستكمال دراسته، وهناك أخذ عن الشيخ عبد الهادي ابن أحمد الصقلي ومحمد بن الشاهي الوزاني ومحمد بن جعفر الكتاني ومحمد گتون وأضرابهم.

كان أحمد الحرّاق عالماً مشاركاً وأستاذاً مقرئاً عارفاً بالروايات ذا سند فيها، لذلك عينه السلطان الحسن الأول لتعليم أبنائه، ومنهم الأمير عمر بن الحسن الذي تخرج على يديه وظل يكنّ له التقدير والاحترام. وقد سماه السلطان عبد العزيز قاضياً بجبل العلم ونواحيه، ثم أقره على ذلك السلطان عبد الحفيظ. ومن تأليف أحمد الحرّاق، محفة

الأبرار في التعريف بالشيوخ والسادات الأخيار، وهي فهرسة ألفها لتلميذه الأمير عمر بن الحسن العلوي.

وفي 4 جمادى الثانية 1331 / 11 ماي 1913 انعقد مؤتمر عام للمجاهدين أطلق عليه "مؤتمر عين دالية"، حضره ممثلو القبائل، منهم: الفقيه أحمد بن عبد السلام الحرّاق الذي مثل قبيلة آل سريف. ثم اتصل بأحمد الريسوني وأصبح كاتباً له. وكان يقوم بالوعظ والإرشاد، والحث على الجهاد. وشارك في عدة معارك أهمها معركة ركيبة الحياي، والقليعة، وتاركونت، والرطة، وبني اسفار، وبوجديان، وجزولة.

ولما ظهر ابن عبد الكريم الريفي وتغلّبت سلطته على القبائل الريفية وبعض الجبلية، ذهب إليه الأستاذ أحمد الحرّاق فتلقاه ابن عبد الكريم بالترحيب وبالغ في إكرامه وأمده بأسلحة فائقة هو وأتباعه...

توفي أحمد الحرّاق قتيلاً حينما وقع له خلاف مع محمد ابن عبد الكريم الخطابي هو وابنه محمد وزوجته الثانية الشريفة الريسونية التي توفيت بعد مقتله بعد عشرة أيام نتيجة هول الحادثة، ودفن بمقبرة حومة ريف الغابة في صيف 1344 / 1925.

ع. الحى الكتاني، فهرس الفهارس، نج. احسان عباس، 1: 285. 286: ح. الزركلي، الأعلام، 1: 145: ع. ابن سودة، دليل، 294: العياشي المريني، جسر من التاريخ البطولي لمنطقة جبال، ج. 1 ص. 55: م. ابن عسوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة، ج. 1 ص. 88 والملاحظ أن المؤلف أخطأ فسماء محمد عوض أحمد: م. ابن خليفة، القصر الكبير، أعلام، ص. 44-46: وثيقة عدلية، مؤرخة في ثامن صفر عام 1357 عند حفدة المترجم: مجلة دار النيابة، العدد 8 سنة 1983، ص. 33-36.

محمد أخريف

**الحرّاق، محمد بن محمد بن عبد الواحد العلمي الموسوي**، الشيخ الصوفي الشهير العلامة الفقيه الأديب الشاعر شيخ الطريقة النسوية إليه المنتشرة في بعض جهات المغرب، انتقل أجداده من قبيلة بني عروس إلى شفشاون، وبها وُلد عام 1186 / 1772 وأخذ مبادئ العلوم فيها، ثم سافر إلى فاس فأخذ عن علمائها ورجع منها إلى تطوان فاستوطنها وتعاطى بها الإمامة والخطابة والفتوى والتدريس. لكن بعض منافسيه من أقرانه حسدوه فدبروا له مكيدة مستعينين ببعض سكان حي العيون حيث المسجد الذي كان يخطب به، انتهت بعزله عن جميع الوظائف، فتغير مزاجه، وفسد دمه، ومرض مرضاً أشرف منه على الهلاك، أنشأ فيه قصيدته الهمزية يتوسل فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم مستشفياً، وبعد إبلاله من المرض تصوّف، وذهب إلى الشيخ العربي الدرقاوي بقبيلة بني زروال وأخذ عنه سنة 1228، فرضيه الشيخ وأذن له في إعطاء الورد والدعوة إلى الطريق في حكاية طويلة.

عل الحجر بفاس، وعلى الحروف بتونس؛ عبد القادر الوردغي،  
بغية المشتاق، طبع على هامش سعد الشموس والأقمار لنفس  
المؤلف، بمصر، النصف الثاني كله من الكتاب.  
محمد بوخيزة

**الحمرالي، علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم**  
التجيسي المراكشي، الأندلسي المرسي، كنيته أبو الحسن.  
ورد اسمه بالنون (الحمراني) في النجوم الزاهرة (ص. 317)  
ولسان الميزان (4: 304) وميزان الاعتدال (3: 114) وهو غير  
صحيح، فانتسابه ثابت لحركة قرية قرب مُرسية، وهي  
قبيلة بربرية سمي البلد بها، ولأم الكلمة مشدد حسب  
القاموس، ومهمل في التاج حسب ما جاء عند الجوهري  
والصاغاني وأكثر أهل اللغة.

ولد الحمرالي بمدينة مراكش ولم تذكر المصادر تاريخ  
ميلاده، وبها نشأ ودرس على مجموعة من العلماء، وكانت  
المدينة آنذاك العاصمة العلمية للغرب الإسلامي كله.  
والمرجح أن يكون ذلك قد تم في آخر عهد يوسف الموحي  
وبداية حكم ابنه يعقوب المنصور. ومن الذين أخذ عنهم أبو  
الحجاج يوسف بن نهوي حسب ما جاء في نيل الابتهاج  
(ص. 201) أو ابن هوى حسب ما أورده صاحب عنوان  
الدرارية (ص. 143)، ويعتقد محقق الكتاب أن المقصود  
هو يوسف بن محمد البلوي المؤلف المشهور.

كانت للحمرالي رحلات وجولات عديدة: فقد ذهب إلى  
الأندلس وأخذ بها عن أبي الحسن بن خروف وابن القطان  
وابن الكتاني. وحج فأخذ عن أبي عبد الله القرطبي إمام  
الحرم الشريف، ودخل مصر فأقام ببلييس مدة، ثم سكن  
طرابلس، وانتهى به المطاف بحماة الشام، ولقى جلة من  
المشايخ شرقاً وغرباً.

وجاء في طبقات المفسرين للداودي 1: 392، وفي  
طبقات المفسرين للسيوطي، 65: (وجال في البلاد وشارك  
في عدة فنون). هذه الجولات ولقاءات العلماء مكنته من أن  
يكون نفسه تكويناً علمياً متيناً وأن ينبغ ويتفوق في عدد  
من العلوم، وهي الملاحظة التي يلاحظها كل مطلع على  
المصادر التي ترجمت له وأجمعت على ذلك.

وملخص ما يمكن أن يقال عن علمه حسب تعبير  
المصادر أنه إذا تكلم في علم، يعتقد المرء أنه لا يعرف  
غيره، وما من علم إلا وله فيه تصنيف وتأليف، إلا أن ما  
يستوقف المراجع لهذه التراجم قولها بأنه كان لا يفتقر  
إلى مطالعة أو مراجعة شيء لإحاطته وتحصيله، وجميع ما  
صنفه من الكتب ما كان يراجع فيه كتاباً ولا يطالع فيه  
سوى مجرد فكره وتسديد نظره (عنوان الدرارية والأعلام).

وهذا التقدير لقيه المؤلف في عصره وبعده، فقد كان  
شرف الدين البارزي قاضي حماة يعظمه، وكان مجد الدين  
التونسي يتغالى في تعظيم مؤلفاته. إلا أن علماء آخرين  
ناقشوا كتبه ودخلوا معه في حوار، وخاصة عز الدين بن

عاد الشيخ الحراق إلى تطوان، وتصدر للتلقين والتربية،  
فأقبل الناس عليه بالرغم من عداة الفقهاء له. كان رقيق  
الطبع شاعراً متفنناً زجالاً، عازفاً على العود، حافظاً  
لأزجال الموسيقى الأندلسية وصنائعها. يأخذ بعض ما يروقه  
من مقطعاتها وتواشيحها فيعارضه بثله في نفس صوفي.  
ويستعملها بالعزف. كما نظم أزجالاً رقيقة ما زالت  
تستعمل (براول) في طرب الآلة إلى الآن، من ذلك صنعة:  
الصبح كشریف برخي ذبل إزارو ولسن من الديباج أغفارا  
فنسج الشيخ على منواله قوله في غرض صوفي:  
صافي الحبيب تظفر ببدع أنوارو ونحوه من بهاء إمارا

وقوله:  
جاد الزمان واستبشر قلب الهائم وتحلى بالسعد حين صاب انماة  
وكان يعمد إلى قصائد ابن الفارض وأزجال الششتري  
فينسج على منوالها وهي كثيرة تعرف بمراجعة داوينة  
الثلاثة وهي مطبوعة.

يعتبر الشيخ الحراق من أحسنوا التعبير والإفصاح عن  
الاتحاد ووحدة الوجود، فشعره طافح بشرح ذلك وتقريبه،  
ولا يوجد في متأخري الصوفية من يدانيه في ذلك. وله  
مؤلفات صغيرة، منها: تعليقه على المشيشية وحكم ابن  
عطاء الله وغيرها؛ ورسائل كثيرة كتبها لمريديه على عادة  
الشيوخ، جمعها تلميذه الشيخ محمد بن العربي الدلاني  
الرباطي في كتابه النور اللامع البراق في التعريف بالشيخ  
الحراق، توجد نسخه المخطوطة بتطوان: رقم 44، وخزانة  
الريسط، رقم: 960. وللشيخ عبد القادر الوردغي  
الشفشاوني تلميذ الدلاني كتاب بغية المشتاق، طبع بمصر،  
نقل فيه كثيراً من رسائله وأشعاره. وللشيخ تانية طويلة  
أودعها أفكاره وأذواقه وأشار إلى مقامه في السلوك  
الصوفي، اشتهرت بالمغرب وغيره. شرحها تلميذه الشيخ  
المكي ابن سوادة الفاسي، وشرحه مطبوع على الحجر بفاس،  
وشرحها أيضاً تلميذ تلميذه هذا ابن القاضي العباسي شرحاً  
أطول وأزفى سماه مجلى الآمات وإئتمد الأحداث، يوجد  
مخطوطاً بالخزانة الحسينية 11478. كما جمع ابن القاضي  
هذا نوازك وفتاوي الشيخ الحراق في جزء وتتبع تعاليقه  
وطرره على شرح الخطاب لمختصر خليل في جزء، يوجدان  
بخزانة تطوان ضمن مجموع، وتحدث التهامي الوزاني  
التطوانني في مذكراته الصوفية المسماة: الزاوية عن تقاليد  
الزاوية الحراقية بتطوان وأخبار الطريقة وشيخها ومريديه بما  
لا يوجد في غيرها.

توفي الشيخ الحراق بتطوان في 21 شعبان عام 1261 /  
25 غشت 1845 م ودفن بزوايته الشهيرة قرب باب المقابر.  
م. الكتاني، سلوة، 1: 342؛ أ. الرهوني، عمدة الراوين، 4:  
142؛ م. داود، تاريخ تطوان، 6: 289؛ ت. الوزاني، الزاوية،  
الكتاب كله؛ م. بن العربي الدلاني، النور اللامع البراق،  
مخطوط؛ خ. الزركلي، الأعلام، 7: 4673؛ المهدي الدليوي، مجلة  
الحديقة التطوانية، سنة 1 عدد 2؛ م. الحراق، الديوان، مطبوع

عبد السلام الذي لم يقبل قوله بمخالفة التهذيب للمدونة، وهو الأمر الذي جعل بعض فقهاء عصره يتهمونه بعدم معرفة المذهب لاشتغاله بالمعقولات نفع الطيب (2 : 188) طبقات الداوودي وطبقات السيوطي.

وإلى جانب التوقيت الذي تولى أمره بجوامع الملك المؤيد برز الحركي في التدريس، فإنه كان يقرئ أحد عشر علما، منها : التفسير والفقه وأصوله والتصوف. ومن الكتب التي درسها : كتاب النجاة لابن سينا، وكتاب التهذيب والمدونة.

ومن أشهر تلامذته : محمد بن علي بن العابد الأنصاري الفاسي والقاضي أبو فارس بن كحيبلا. واليوني صاحب شمس المعارف، ويحيى بن زكريا القرشي، وعبد المنعم بن محمد الجزائري، وعبد الحق بن ربيع، وعبد العزيز بن عمر بن مخلوف، ومحمد بن الحسن التميمي القلمي المسمى بالأديب ويحيى بن زكريا السطيفي.

ويبدو أن منهج الحرالي في التدريس والشرح والتحليل كان مخالفا لمنهج معاصريه، لذا كان إما محل تقدير وإكبار، أو محل اعتراض واستنكار، فقد أقام في تدريس الفاتحة نحو من ستة أشهر يلقي في التعليل قوانين تنزل في علم التفسير منزلة أصول الفقه من الأحكام (نفع الطيب، 2 : 188). وقد سبقت الإشارة إلى منهجه الفريد في المقارنة بين التهذيب والمدونة. أما كتاب النجاة لابن سينا فكان ينقذه عروة عروة بعد أن يوضح منه ما يليق، ويقرره بأحسن طريق (عنوان الدرزية، ص. 144) وقيل عنه في مجمل دروسه : "كان من العجائب في جودة الذهن واستخراج الحقائق (تاج العروس، 7 : 377).

وقد عرف الحرالي بالورع والصلاح والزهد في الدنيا، والصبر على الشدائد وأذى الناس، وأعطت المصادر نماذج من حلمه وصبره سواء على المسيئين له من عامة الناس أو من أهل بيته، فقد كانت زوجته تسيء معاملته وكان يقابل تصرفها بالصبر والمجاعة. وكان معظما لأهل البيت محترما لهم معترفا بالاسترقاق لهم والعبودية، وإذا قدم عليه أحد من أهل البيت يقوم له من مجلسه (عنوان الدرزية، ص. 147).

وكان صوفيا له حزب من تأليفه يلازمه بعد صلاة الصبح ولم يتخل عن ذلك حتى أثناء مرضه الذي مات به، ونصه وارد في عنوان الدرزية (152-153)، وهو عبارة عن الاستغفار والهيلة والصلاة على النبي وتلاوة آيات من القرآن الكريم. وهو حزب لا يبدو من خلاله ما قيل عن صاحبه من أنه كان فلسفي التصوف، الشيء الذي جعل ابن تيمية يحط من كلامه ويقول : تصوفه على طريقة الفلاسفة (طبقات المفسرين، 1 : 392).

خلف الحرالي عدداً من المؤلفات في موضوعات مختلفة، منها :

أسماء النبي عليه السلام : إصلاح العمل لانتظار

الأجل، وفي تاج العروس (7 : 377) (لانقضاء الأجل) وفي كشف الظنون (2 : 1082) صلاح العمل : الإلحاح بطرف من الانتفاع (في علم الحروف) : الإيمان التام بالنبي عليه الصلاة والسلام، ذكر صاحب معجم المؤلفين (7 : 13) أنه مخطوط : تفهيم معاني الحروف، ذكر الزركلي في الأعلام (4 : 257) أنه مخطوط : السر المكتوم في مخاطبة النجوم (في السحر) مطبوع، قيل إنه منحول عليه وليس من تأليفه : شرح الأسماء الحسنى : شرح الشفا : شرح الموطأ : شمس مطالع القلوب ويدر طوالع الغيوب (في سر الحرف). وقد أخذ عليه بعض معاصريه زعمه بأنه استخرج من علم الحروف وقت خروج الدجال، ووقت طلوع الشمس من مغربها وباجوج وماجوج، ولعل زعمه ذلك هو السبب في طعن بعضهم في عقيدته : فتيا صلاح العمل لانتظار الأجل (لعله مختصر الكتاب السابق الذكر) (كشف الظنون، 2 : 1241) : كتاب التوشية : كتاب التوقية : كتاب العروة، ورد ذكره في تاج العروس (7 : 377) وهدية العارفين (1 : 707) : لعة الأنوار وبركة الأعمار، وفي هدية العارفين (لمحة الأنوار) : اللمعة في حل الكواكب السبعة : المعقولات الأولى (في المنطق) : مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل، وفي بعض المصادر : مفتاح اللب المقفل وهو أهم كتبه. قال عنه صاحب نفع الطيب (2 : 188) تفسير حسن، وعليه نسج البقاعي مناسباته، وذكر أنه وقف على جزء منه من أول القرآن الكريم إلى الآية 37 من سورة آل عمران : النصح العام لمن قال ربي الله ثم استقام، مخطوط خ. ابن يوسف مراکش 139 / 1 : الوافي في علم الفرائض : وأورد له صاحب عنوان الدرزية (ص. 155) نموذجين من نظمه يتصفان بالضعف والضحالة يتزع فيهما منزعا فلسفيا، ويتبين زجليين في وصف بستان.

اتفقت أغلب المصادر على أن وفاته كانت بحماة يوم 12 شعبان عام 637 / 13 مارس 1240 باستثناء الداوودي في طبقات المفسرين نقلاً عن ابن الأبار، والغبيرني في عنوان الدرزية الذي حكى بتفصيل خبر موته ومرضه بالإسهال ومدامته على قراءة حزية، وكان يقول لأصحابه إذا كان يوم 12 شعبان نسافر معكم، وعندما حل اليوم طلب منهم الحضور وتلاوة القرآن وإشعال الشموع، وكانت وفاته بعد صلاة عصر اليوم المذكور سنة 638 هـ.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام : م. مرتضى الزبيدي، تاج العروس : محمد بن علي الداوودي، طبقات المفسرين، بيروت، 1983 : ج. السيوطي، طبقات المفسرين : أ. الغبيرني، عنوان الدرزية، تج. عادل نويهض، بيروت : حاجي خليفة، كشف الظنون، بيروت : ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، بيروت، 1971 : م. الذهبي، ميزان الاعتدال، تج. علي محمد البجاوي، القاهرة، 1963 : يوسف بن تغري بردي الاتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن دار الكتب، مصر : أ. المقرئ التلمساني، نفع الطيب، تج. احسان عباس، بيروت 1968 : أ. بابا السوداني، نيل

الابتهاج، بيروت : إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين،  
اسطنبول، 1951 : ع. كحالة، معجم المؤلفين، بيروت.

حسن جلاب

### الحركان السعدي (محمد -) هو ابن السلطان محمد

الشيخ المهدي، الأمير الشجاع المقدم، كان العضد الأيمن  
لوالده طوال فترة تهيئه للدولة الناشئة سواء عند ما كان  
بالسوس الأقصى أو حين طلع إلى مراكش بعد أن نحى  
أخاه الأكبر أحمد الأعرج.

كان مشايخ الصوفية المناصرون للسعديين يتجاوبون مع  
الحركان، ومنهم الشيخ أبو الرواين دفين خارج مكناس الذي  
كان يناديه قبل أن يكون للأشراف السعديين ذكر بالمغرب  
قائلاً : "يا حركان ! جئ فإني قد أعطيتك الغرب". ولم يكن  
الناس يفهمون كلامه، إلى أن ظهر الحركان مع والده محمد  
الشيخ "فكان - يقول الإفرائي - هو الذي يتقدم للحروب، ولم  
يُفتح لأبيه من البلاد إلا ما فُتح على يده".

ولما دخل محمد المهدي الشيخ إلى فاس عام 956 /  
1549 ووحّد المغرب كله تحت سلطته، أراد أن يُبعد عنه  
خطر الأتراك الذي كانوا يحتلون الجزائر ويترصون بالمغرب  
الدوائر، فهاجمهم بجيوش جرارة ترأسها هو وإبنه محمد  
الحركان وعبد القادر، وحاصر تلمسان تسعة أشهر إلى أن  
دخلها يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الأولى عام  
957 / 9 يونيو 1550 بعد أن مات في حصارها ولده الهكر  
محمد الحركان.

ع. الفتالي، مناهل الصفا، تج. ع. گنسون، ص 290-292 : م.  
الإفرائي، نزقة، ص 27، 28 : م. المهدي النفاي، مجمع الاسماع، ص  
106 : أ. الناصري، الاستقصا، 5 : 25 و 37 : م. حجي، الحركة  
الفكرية، 1 : 45، 46.

محمد حجي

### الحركان العلوي، هو ابن الشريف بن علي وأحد

إخوة السلطان المولى إسماعيل. كان الأمير الحركان مقيماً  
بتافيلالت مع عدد من إخوته. وفي سنة 1088 / 1677 قام  
بينه وبين أخيه حمادة صراع دفعه إلى طلب النجدة من  
السلطان، وكان آنذاك متوجهاً لقتال برابرة الأطلس من  
أتباع الدلائيين، فأبقى عليه بجانبه واستعمله بعض الوقت  
في هذا القتال، لكن الحركان فر من محلة السلطان ليعود إلى  
الصحراء. وهناك دخل من جديد في الصراع مع إخوته، وهو  
ما أدى إلى اعتقاله وتقديمه "مقيداً مغلولاً" إلى السلطان  
الذي أشفق عليه فأطلقه ومنحه خيلاً وأقطعته مديناً  
بالصحراء بتعيش منه.

وفي السنة التالية خرج الحركان مع بعض إخوته وبني  
عمه واستنصروا بقبائل آيت عطا، فنهض إليهم المولى  
إسماعيل والتقى بهم بجبل صاغرو، وكانت الواقعة عظيمة

حيث هلك من رماة فاس، دون غيرهم، حوالي أربعمائة  
مقاتل. وانتهت المواجهة بهزيمة الحركان وشيعته وفراره إلى  
الصحراء. وفي طريق رجوعه إلى الغرب اعترضت السلطان  
وجيشه عاصفة ثلجية بثنية الأكلواي فهلك العديد من  
الجيش في هذه المحنة.

وفي سنة 1097 / 1687 قام الحركان من جديد على أخيه  
السلطان وساند أحمد ابن محرز الذي قاد تمرداً ضد عمه  
لسنوات عديدة. وعندما حاصر ابن محرز مدينة تارودانت  
بدعم من الحركان نهض إليهما السلطان وحاصرها لمدة  
طويلة، وفي هذا الحصار قُتل أحمد بن محرز بعد فترة من  
العصيان دامت أربع عشرة سنة، وبقي الحركان مُعتصماً  
بتارودانت شهوراً عديدة، وهلك في هذا الحصار ما يناهز  
ستمائة جندي. وفي سنة 1099 / 1689 اقتحم السلطان  
المدينة وأرغم الحركان على الفرار باتجاه الصحراء. ولا يذكر  
له المؤرخون خبراً بعد ذلك.

أ. الزياتي، البستان الطريف، تج. رشيد الزاوية، القسم الأول،  
الرباط، 1992 : أ. الناصري، الاستقصا، الجزء السابع، الدار  
البيضاء، 1956.

محمد المنصور

الحرّة، لقب تشريف في المغرب لا يراد به مقابل  
الأمّة، وإنما توصف به الأميرات أمهات الملوك وزوجاتهم  
وبناتهم، منذ عهد المرابطين إلى العصر الحديث.

### الحرّة، حواء بنت تاشفين أخي أمير المسلمين يوسف

ابن تاشفين، أمه، وزوج سير بن أبي بكر اللمتوني القائد  
الشهير والي إشبيلية. لم تذكر المصادر سنة ولادتها ولا  
تاريخ وفاتها ولا مراحل تعلمها غير أنها كانت تحفظ  
القرآن وتحصل جوانب مختلفة من العلوم الإسلامية والأدبية  
المتداولة في عصرها.

لم يكن المرابطون يجدون حرجاً في ظهور زوجاتهم  
وبناتهم ومقابلتهن للناس وهن سافرات، فقد كانت زينب  
النفزاوية زوجة يوسف ابن تاشفين تدبّر شؤون الدولة من  
وراء ستار، وكذلك زوجة ابنه علي.

نشأت الحرّة حواء في أحضان الحضارة المرابطية  
الأندلسية، ومن حولها الجواري يخدمنها. تستمع إلى  
الشعراء وتقرأ الشعر بكل حواسها. فنمت مداركها  
واتسعت آفاق معارفها. يقول ابن عذاري : "وكانت هذه  
الحرّة حواء أديبة شاعرة جليلة ماهرة".

ويبدو أن دواعي هذا الشغف بالشعر والأدب التي قد  
تهيأت لها وتوافرت لديها جعلتها تستقطب أنظار الشعراء  
والأدباء كابن القصيرة وابن المرخي ومالك بن وهيب، فهب  
هؤلاء وأمثالهم إلى المحضور في مجالسها ومنتدياتها  
الشعرية التي كانت تعقدها، ومحاضرتهم فيها في مراكش،  
ونقرأ في البيان ما يؤكد ذلك.

1528، ولعل سبب ذلك اشتغاله بقيادة مجاهدي شفشاون في هجماتهم المتتالية على البرتغاليين في سبتة. وخلال فترة حكم الست الحرة شارك التطوانيون في هذه الحركات الجهادية بقيادة بعض أعيان تطوان.



ولما استدعى ملك فاس أحمد الوطاسي الأمير إبراهيم ابن راشد وعينه وزيراً في بلاطه سنة 935 / 1528 أسند في نفس الوقت حكم شفشاون إلى ابن عمه هلال بن سعيد بن موسى ابن راشد. وبقيت الحرة عائشة حاكمة مستقلة في تطوان ثلاث عشرة سنة أخرى إلى أن تزوجها السلطان أحمد ابن محمد الوطاسي، (رسم الصداق مؤرخ بيوم الخميس خامس ربيع الأول عام 948 / 30 يونيو 1541) فصارت الست الحرة خليفة زوجها في حكم تطوان. بعد رجوعه إلى فاس، لكنها سرعان ما دخلت في نزاع مع أخيها محمد ابن راشد حاكم شفشاون الجديد، وزاد في ذلك تأمر البرتغاليين، وتمكن أحمد الحسن المنظري أخيراً من إخراج الحرة من تطوان يوم 12 رجب عام 949 / 22 أكتوبر 1542 ومصادرة جميع أملاكها، فرجعت إلى مسقط رأسها شفشاون وماتت بعد قليل، ودفنت بزاوية ابن الحسن بالقرب من القصة.

م. ابن عزوز حكيم، حاكمة تطوان، الرباط، 1983، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في آخر الكتاب.

**الحرة، عودة بنت أحمد الوزكيتي الملقب بأمير الجيل**  
أم أحمد المنصور الذهبي - وعودة تخفيف مسعودة في لسان قومها - اشتهرت أيام حكم ابنها المنصور بالاهتمام بالقضايا الاجتماعية والقيام بمشاريع إحسان كبرى. يقول عنها معاصرها أحمد ابن القاضي في *درة الحجال* - وكان يكتبها في بعض المصالح العامة - : "كان لها اعتناء ببناء القناطر، وإصلاح السبل والمساجد وديار مبيت القوافل في الطريق ... وكانت شفيقة رفيقة بالرعية، تحض ولدها - أيده الله - كل ساعة وحين على الرفق بهم والنظر إليهم بنظر الوالد".

و هناك ملاحظة أخرى تتعلق بسكوت المصادر عن التاريخ الذي كانت الحرة حواء تحضر فيه هذه المحاضرات في مراكش. أكان ذلك قبل انتقالها إلى إشبيلية رفقة زوجها سير بن أبي بكر أم بعد وفاته سنة 507 / 1113 وعودتها إلى المغرب؟ وليس واضحاً كذلك سبب وجودها بأغمات. فمن المرجح أن رحلتها إلى هذه المدينة كانت بسبب إشراف زوجها على نفي المعتمد بن عباد وسجنه هناك. وكان هذا الأمير السجين، قد طلب من الحرة خباء فلم تلب طلبه. ونقرأ في *نفع الطيب* شعراً للمعتمد في هذا الموضوع.

ومهما يكن من أمر فإن ولع الحرة حواء بالأدب والشعر استمر أو زاد بعد انتقالها واستقرارها بإشبيلية صحة زوجها. وكانت هذه الحضرة قد أصبحت أبرز موطن للإشعاع الفكري بالأندلس. ومن شعر الأعمى التطيلي فيها، من قصيدة طويلة، قوله :

أما رأيت ندى حواء كيف دنا بالفورث إذا كان يأتي دونه العطب  
دنبا ولا ترف، دين ولا تشف ملك ولا سرف، حرك ولا طلب  
لقد كانت الحرة حواء تفيض حيوية، متفتحة مقبلة على مشاريعها، قوية الثقة بنفسها، مؤمنة أشد الإيمان بمواهبها ومؤهلاتها، شديدة الرغبة في المزيد من المعرفة، مساهمة في تنشيط الحركة الأدبية في مراكش وإشبيلية. لذلك فهي لا تقل أهمية عن أديبات عصرها في الأندلس والمغرب كولاتة بنت المستكفي ونزهون الغرناطية وقيصة بنت يوسف بن تاشفين وغيرهن ممن كن يشغلن بال الناس بأخبارهن.

ع. المراكشي، *المعجب*، تج. سعيد العريان، القاهرة، ص. 171 ؛  
ابن عذاري، *البيان المغرب*، 57.56 : أ. المقرئ، *نفع الطيب*، تج.  
إحسان عباس، م. 4 : 217 ؛ ع. غنون، *النسب المغربي*، 1975 ج 1  
ص. 75 ؛ إ. حركات، *النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين*،  
الدار البيضاء، ص 129 ؛ إ. القادري بوتشيش، *المغرب والأندلس في عهد المرابطين*، بيروت، 1993، ص. 46.

عبد السلام السعيد

**الحرة، (الست -) حاكمة تطوان، وهي عائشة (وقيل فاطمة) بنت علي بن موسى ابن راشد العلمي أمير شفشاون وحفيد المولى عبد السلام ابن مشيش. أمها إسبانية من إقليم قادس بالأندلس، أسلمت. ولدت الحرة عائشة حوالي عام 900 / 1494 وترتت في كنف أبيها تربية تليق بمقامها كأميرة شريفة، وكانت تحسن إلى جانب العربية لغة أمها الإسبانية. تزوجت أولاً بالمنظري الثاني حاكم تطوان (ابن أخي المنظري الكبير مجدد مدينة تطوان) فكانت تنوب عنه في الحكم كلما تغيب عن المدينة إلى أن توفي عام 925 / 1519، وأصبحت تطوان خاضعة لأمير شفشاون إبراهيم بن علي بن راشد، أخي الست الحرة.**

وفي سنة 931 / 1525 تنازل الأمير إبراهيم لأخته الست الحرة عن قيادة تطوان فحكمتها تحت نظره إلى سنة 935 /

ويُذكر في سبب بنائها جامع باب دكالة بمراكش أنها دخلت بستانا من بساتين قصرها وهي في حالة الوهم، فرأت به خوفاً ورمانياً فتناولتهما وأكلت منهما في نهار رمضان، ثم ندمت على ما صدر منها، وفلعت أفعالا كثيرة من باب البر رجاء أن يتجاوز الله عنها. ولازال النساء والصبيان يسجعون بقصيتها إلى الآن فيقولون : (عودة) أكلت رمضان بالخوخ والرمان) في أسجاع غير هذه (الاستقصا، 5 : 118). يحتوي جامع الحرة على بيت للصلاة من سبعة بلاطات، تفصل بينها أعمدة ضخمة، وتنتهي بعقود حذوية، والصحن يكاد يكون مربعا (38 م x 36 م) تحيط به المجنبتات من نواحيه الثلاث، ولا تشتمل كل مجنبة منها على غير رواق واحد. ويمتاز الجامع بقبتين تعلوان طرفي بلاطين محاذيين للصحن من جهة بيت الصلاة. وثلاثة أبواب في جهات الشرق والغرب والشمال. وبنيت في قبلة الجامع مكتبة أوقفت عليها الحرة عودة جملة وأقرة من الكتب العلمية، وتنافس في إهداء الكتب إلى هذه الخزانة كل من أحمد المنصور وأبنائه ورجال حاشيته، ولم يبق من هذه المكتبة اليوم سوى مخطوطات قليلة محفوظة في خزانة ابن يوسف بمراكش عليها تحييس الحرة عودة.

كان جامع الحرة أيام السعديين عامراً بالمدرسين والمتعلمين، وذكر المقرئ هذا الجامع في روضة الآس قائلا "أكشرت عليه من الأوقاف والجرايات وخزائن الكتب وكراسي أنواع العلوم، وقد صليت فيه الجمعة مرارا ورأيت جماعة أعلام يدرسون به أنواع العلوم".

أورد ابن القاضي في المنتقى المقصور نص وثيقة ما حبسته الحرة عودة من عقارات داخل المدينة وخارجها على جامعها بباب دكالة، وهي جميع السبعين حانوتا غير نصف حانوت الواجة لها في نصفها من القيسارية وسط المدينة، وجميع بيت الأرحي الجديدة التي لها على وادي تسلطانات المشتمل على أربع مندارات مع جيب داره والعين الكبرى التي تملكها بالمخالص خارج باب تاغزوت مع أرضها وجناتها ومائتها.

توفيت الحرة عودة بمراكش يوم الثلاثاء 27 محرم عام 1000 / 12 نونبر 1591.

أ. ابن القاضي، درة المجال، 3 : 182-183 : المنتقى المقصور، تج. محمد رزوق، 1 : 256-260 : أ. المقرئ، روضة الآس، 63-67 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 7 : 269-271 : أ. متفكر، تقييد عن جامع باب دكالة.

الحرة، هريم، زوجة السلطان أبي سعيد المريني، وكان السلطان أبو الحسن المريني يعدّها كامه بعد أن توفيت والدته الحبشية. ذهبت الحرة مريم إلى الشرق مع ركب الحج الذي وجهه السلطان أبو الحسن المريني سنة 738 / 1337 مع

الرّبعة التي كتبها بخطه من المصحف الشريف وأهداها للحرم المكي. وأرسل معها إلى السلطان الملك الناصر بن قلاوون صاحب مصر هدية عظيمة تشتمل على كمية وافرة من الزمرد والزبرجد والجوهر النفيس الملوكي والحلل المذهبة والسيوف المحلاة بالذهب والسروج بركاب ومهاميز الذهب ومآت الخيول العتاق العرباب والجمال والبيزان وغير ذلك مما تحدث عنه بكثير من التفصيل والإعجاب المؤرخ المصري المقرئ في كتاب السلوك، فنزل الركب بالقرافة قرب مسجد الفتح، وكان يوم طلوع الهدية من الأيام المذكورة، ففرق السلطان الهدية على الأمراء على قدر مراتبهم عدا الجواهر فإنه اختص بها.

يقول المقرئ : "ثم نقلت الحرة إلى الميدان بين معها ورتب لها من الفم والدجاج والسكر والحلوى والفاكهة في كل يوم بكرة وعشية ما عمهم وفضل عنهم ... ولما تهبأ المحمل نذب السلطان للسفر معها جمال الدين متولي الجزيرة وأمره أن يرحل معها في مركب لها بمفردها فقام المحمل ويمثل كل ما تأمر به، وكتب لأميري مكة والمدينة بخدمتها أتم خدمة".

م. ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، نج. م. خ. بغيرا، الجزائر، 1981، ص. 452-454 : ع. ابن خلدون، العبر، 6 : 551-553 : أ. المقرئ، السلوك : ينقل أ. المقرئ، نفع الطيب، 4 : 400-403 : أ. الناصري، الاستقصا، 3 : 127-130.

محمد حجي

**حُرُودَة (عين -)** مركز تشكلت نواته في إطار الاستعمار الفلاحي الذي اكتسح بلاد زناتة منذ العقد الثاني لعهد الحماية. ونشأت هذه النواة كقرية للأوربيين بدوار أولاد إطو البحر، عند ملتقى الرباط - الدار البيضاء والمحمدية - برشيد، وظلت لمدة طويلة تتمحور حول حانة وكنيسة، الشيء الذي جعلها تشتهر أكثر كمحطة طريقية تحت اسم " 17 كلم" وظل حجمها صغيراً ووظيفتها تجارية بالأساس، لقربها من الدار البيضاء والمحمدية. ولم تنه ترقية هذا المركز إلى مستوى تجمع حضري إلا سنة 1992. وجاءت هذه الترقية في إطار تشجيع حركة التمدين بالضواحي الشمالية الشرقية للدار البيضاء وفق مقتضيات المخطط التوجيهي الأخير الذي جعل توسع هذه المدينة يتجه بالأساس نحو المحمدية. ويتوقع هذا المخطط حركة تعمير واسعة بعين حرودة في ارتباط بانتشار الصناعة في هذا الاتجاه.

أصبحت عين حُرُودَة حينئذ جماعة حضرية، بعد أن تم فصل جماعة الشلالات عنها. وبحجم 27.741 نسمة سنة 1994 أصبحت تشكل أكبر تجمع حضري بالضواحي الفاصلة بين الدار البيضاء والمحمدية. هكذا تحولت عين حرودة من قطب لمجال تسود به زراعة البواكر وتربية الدواجن إلى



ابن **حرزهم**، **علي** بن إسماعيل بن عبد الله الأموي، وتسمية العامة سدي حرازم. من حفدة عثمان ابن عفان. وليس هو دفين حامة خولان البعيدة عن فاس بنحو خمسة عشر كيلومتراً.

وُلد بفاس ونشأ بها، وكان من كبار الفقهاء. عارفاً علامة متبحراً في غاية اللطف والسخاء. زاهداً في الدنيا تخلى لأخيه أبي القاسم عن جميع ما ورثه عن أبيه وكان مالا ذا بال، سالكاً طريق القوم أهل التحقيق، بنحو طريق الملامية ولم تكن تعرف إذاك بالمغرب. أحكم كتاب إحياء علوم الدين وضبط مسائله وكان يستحسنه ويشني عليه. قصده الناس من كل جهة للأخذ عنه.

وللشيخ ابن حرزهم أشياخ عدة، منهم من أخذ عنه علم الظاهر فقط كالقاضي أبي بكر ابن العربي. ومنهم من أخذ عنه على سبيل التمركز والاستفادة كالشيخ يوسف ابن النحوي والشيخ محمد الحياط دفين حومة الدوح من طالعة فاس، والشيخ أبي بكر بن عثمان ابن مالك. وأخذ أيضاً عن والده الشيخ إسماعيل ابن حرزهم وعمه صالح ابن حرزهم سابق الترجمة وهو شيخه الحقيقي وعليه اعتماد.

رحل إلى مراكش فدرس بها، وتاب على يده أناس كثيرون وزهد أميرها الصنهاجي وكثر أتباعه وتلامذته. ودعا الناس لجنادة ابن بركان، وكان السلطان بفتوى الفقهاء أمر أن يلقي في المزيلة.

أخذ عن صاحب الترجمة جماعة منهم أبو مدين الفوت دفين تلمسان قرأ عليه رعاية المحاسبي، ومحمد الناودي دفين خارج باب الجيسة من فاس. والشيخ يسكر الجوراني والشيخ أبو يعزى يلنور.

توفي ابن حرزهم بفاس آخر يوم من شعبان سنة تسع وخمسين وخمسمائة / 22 يوليوز 1164 م. ودفن خارج باب فتوح من أبواب فاس. وبنيت عليه قبة كان تاريخ بنائها واسم من بناها من أمراء بني مرين منقوشا في رخامة على ضريحه، ثم أمر السلطان العلوي محمد بن عبد الله بهدمها وإعادة بنائها، قال القادري في الإكليل : (وجدد البناء عليه أمير وقتنا في هذا الزمان وهو عام ثمانية وسبعين ومائة وألف) وهي القائمة البناء الآن وهي قبة عظيمة واسعة الفناء والشكل والبناء.

ي. ابن الزيات، *التشريف*، 173، 168 : التميمي، *المستفاد*، مخطوط : أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*، 12 : أ. ابن أبي زرع، *القرطاس*، 265 : أ. ابن القاضي، *جدوة*، 2 : 464 : ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 9 : 49 : أ. بابا السوداني، *نيل*، 182 : م. القادري، *الإكليل*، *تح. مسارية دادي*، ص. 464، ع 562 : أ. الناصري، *الاستقصا*، 2 : 200 : م. الكتاني، *سكرة*، 3 : 71.

مارية دادي

ابن **حرزوز**، أسرة مكناسية. في *الديوان الإسماعيلي* أولاد حرزوز عباسيون. ويعتبر بيتهم من أعرق الأسر

قطب لمنطقة تنتشر بها الصناعة والسكن الاقتصادي. وبذلك فقدت عين حرودة تدريجياً مكائنها كمركز قائم الذات لتصبح مجرد امتداد للمجال الحضري البيضاوي. وفي هذا الإطار تم فصلها سنة 1992 عن عمالة المحمدية لتصبح تابعة لعمالة البرنوصي زناتة. وبهذا التحول من جماعة قروية شاسعة ومتباينة الأطراف يرتبط حوالي ثلثي سكانها بالسكن غير اللائق، إلى جماعة حضرية، تم فصلها عن ضواحي الدار البيضاء - وفتح الباب أمام تحولها على المستوى العمراني والوظيفي في آن واحد.

H. Ait Hamou, *Mutations de l'espace peri-urbain casablancais : Le cas des communes des Aïn Harrouda et Tit Mellil*, Thèse 3ème cycle, Géo, Tours, 2 t, 513 p., 1988 ; R. Fosset, *Quelques aspects de la vie rurale dans l'arrière - pays de Mohammédia*, RGM, n° 13, 1968, p. 103 - 119 ; K. Joudamy, *Périphérie Nord - Est de Casablanca : étude Géographique*, Thèse 3ème cycle, Géo, Bordeaux III, 2 t, 490 p.

المصطفى شويكي

**حُرْبِقَة** أو حُرْبِقَة أو قُرْبَصَة، أسماء تطلق على عدة أنواع نباتية من جنس أورتيكا *Urtica*. وفصيلة القُرْبَصِيَّات *Urticaceae*، تنمو طبيعياً بالمغرب. وهي نباتات عشبية حولية تظهر في فصل الربيع. لها سيفان يمكن أن يتجاوز طولها المتر والنصف بالنسبة لبعض الأنواع. أوراقها بسيطة ومسننة. أزهارها ثنائية المسكن لكن محمولة على ساق واحد. الأزهار الذكورية مجتمعة على شكل هري والأزهار الأنثوية مجتمعة على شكل كروي.

ما يميز أنواع الحريققة هو أن جميع الأعضاء الظاهرة للنبات من سيفان وأوراق وأزهار مكسوة بزغب مُحْرَق لاسع عند لمسها من طرف الإنسان.

تعيش أنواع الحريققة في الأماكن المحاذية لمساكن الإنسان أو للمزابل حيث تكثر المواد النيتروجينية. تختلف البيومناخات الملائمة للحريققة حسب الأنواع التي قد تصادف في الجفاف وشبه الجفاف وشبه الرطب واستثنائياً الرطب.

أبحاث ميدانية.

عبد المالك بنعبيد

ابن **حرزهم**، **صالح** بن محمد، ويدعى أيضاً **حرازم**. قال الساحلي في *بغية السالك* : رأيت بخط أهل العناية بالضبط والتصحيح : ابن حرازم. هذا العابد هو عم أبي الحسن علي ابن حرزهم. وقال صاحب *التشريف* إنه رحل إلى الشام ولقي أبا حامد الغزالي.

التميمي، *المستفاد*، مخطوط، وعنه نقل صاحب *جدوة الاقتباس*

وصاحب *الروض العاطر الأنفاس* : التادلي، *التشريف*، 8.

أحمد الترفيق

العلمية بمكناس يستدئ ذكروهم من القرن السابع (13 م).  
ومن المشهورين منهم :

- ابن حرزوز، عهد الرحمان

- ابن حرزوز، عهد الرحيم

- ابن حرزوز، عيسى

- ابن حرزوز، محمد بن عهد القادر

- ابن حرزوز، محمد بن عيسى

- ابن حرزوز، منصور (الجد)

- ابن حرزوز، منصور (الحفيد)

- ابن حرزوز، أبو يعزى

كل هؤلاء المذكورون فيما يلي حسب تواريخ وفياتهم  
دون ترتيب هجائي.

جدهم الشيخ أبو علي منصور ابن حرزوز، حيث يوقّت  
في الذخيرة السنية وفاته بعام 655 / 1257 محلياً إياه  
"بخطيب مكناسة وإمام جامعها، الحاج الصالح المجاهد".

وذكره نفس المصدر وهو يشير لانتفاضة مكناس ضد  
الموحدين أيام السعيد : "... فأقبل السعيد حتى نزل بظاهر  
مكناسة، فقتله جميع أهلها ... والشيخ الفقيه الخطيب  
الصالح أبو علي منصور ابن حرزوز في مقدمتهم ...".

وفي تعبير القرطاس، ووصل أمير المؤمنين علي السعيد  
إلى مكناسة، فخرج إليه أهلها يطلبون منه العفو، وقدموا  
بين أيديهم الشيخ الصالح أبا علي منصور ابن حرزوز ..."

ونحو هذا في الروض الهتون مخطوط المترجم بخطيب  
مكناس الشيخ الصالح المتبرك به، وعاود هذا المصدر نفس  
الحلية، وهو يذكر أسرة بني حرزوز بين البيوتات العلمية  
بالبلد ذاته : "... ومنهم بنو حرزوز، ومن جملتهم الشيخ  
الصالح المتبرك به أبو علي منصور بن حرزوز".

عيسى ابن حرزوز، ذكره ابن مرزوق بين خواص أهل  
مجلس السلطان المريني أبي سعيد الأول (710. 730 هـ)  
وذكره ابن بطوطة بين المجاورين قائلاً : ومنهم أبو مهدي  
بمكة، عيسى ابن حرزوز المكناسي، فتبين من هذا المصدر  
وسابقه أن المنوه به كان بقيد الحياة صدر القرن الثامن  
الهجري، كما نستفيد من المصدر الأول أن المترجم معدود  
من جلة أعلام عصره.

ومن هذه الأسرة محمد بن عيسى بن عبد الله بن الشيخ  
أبي علي منصور ابن حرزوز، هكذا يحدد اسمه وآبائه في  
طالعة إحدى مخطوطات كتابه : الكوكب الساري في  
اختصار البخاري (مخطوط، خ. ع. 3388 د) وإذا لم يقع  
حذف في سلسلة آباء هذا المؤلف، فيكون ابناً للمذكور  
قبله، حيث يستنتج أنه عاش خلال المائة الهجرية الثامنة.

ولنتعرف - إلى حد - على الأفق الثقافي للمترجم،  
نعرض افتتاحيته لكتاب الكوكب الساري : "الحمد لله

المنيع حجابيه، الجليل جنابه، الباطن أسراه، الظاهر أنواره،  
الشديد محاله، الجزيل نواله، السديد مقالته، الذي شرح  
صدور أهل السنة باليسقين، وهداهم السبيل المستقيم  
والتمسك بالحبل المتين، وخصهم بالدعوة إلى أركان الدين،  
ووقفهم بالاعتداء بسيد المرسلين، واقتفاء آثار الصحابة  
والتابعين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول رب  
السموات والأرضين، وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى  
يوم الدين.

أما يعد : فإن أجل العلوم وأنفعها حديث رسول الله  
صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم، إذ هو الأصل لجميع  
العلوم وكل العلوم فرع منه، فاستخرت الله في اختصار  
كتاب الشيخ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري،  
الذي هو أجل كتب الحديث وأصحها وأكثرها فائدة، أردت  
أن أسهله ليصغر جرمه، ويقرب حفظه وفهمه، وسويت  
كتابي هذا بالكوكب الساري، في اختصار البخاري، ومن  
الله أسأل العون والمغفرة فهو الغفور".

نتبين من هذه الافتتاحية اهتمام المترجم بمادة الحديث  
الشريف وخصوصاً صحيح البخاري، فبمن اختصاره له عن  
ممارسة طويلة وعميقة للكتاب، ثم ينم أسلوب الافتتاحية  
عن اقتدار في صناعة الإنشاء، ويلاحظ في هذه الصياغة  
استخدام الأسجاع المتوازية، والشبيهة بأسلوب الخطب  
الجمعية، مما قد يشف عن اضطلاع المؤلف بخطة الخطابة في  
مكناس، وهي خطة مارسها بعض أفراد أسرة حرزوز بالجامع  
الكبير في مكناس.

ومن الواضح أن براعة المترجم في الكتابة وفي مادة  
الحديث يستتبع ذلك معرفته للعلوم اللسانية والفقهية، وهي  
استنتاجات ربما لاحظها ابن زيدان عندما يحلي المنوه به  
بالعلامة المشارك النقاد، خلال الترجمة القصيرة التي كتبها  
له.

بقي أن نشير إلى أن الكوكب الساري جرده المؤلف من  
الأحاديث المكررة عند البخاري، واقتصر على الراوي الأخير  
وحذف ما في السند.

والكتاب لا يزال مخطوطاً في نسخ متعددة، وبالإضافة  
إلى المخطوطة المشار لها صدر هذه الترجمة، نذكر مخطوطة  
أخرى (خ. ع. 240 د) في سفر متوسط الحجم، يشتمل على  
237 ورقة.

أبو علي ابن حرزوز، منصور بن أحمد بن إبراهيم  
الحفيد، هكذا يسميه منصور تلميذه عبد الوهاب الزقاق  
بخطه، وبهذا ذكره كل من التامراتي والحضيكي، وسماه  
ابن زيدان والكتاني باسم الحسن، وهو سبق قلم، لمخالفته لما  
يعتمده تلميذه الزقاق والحامدي، وكان الغلط سري لمن سماه  
بالحسن من تكتيته بأبي علي.

ولتقييم الدرجة العلمية للمترجم نشبت التحلية التي  
يصفه بها تلميذه عبد الوهاب الزقاق : "الشيخ الإمام،  
المحدث الراوية المكثرة الضابط، الخطيب البليغ المصقع".

هل رأس الناج دونكم ما نعلم دون

إلى أن يقول :

باين حرزوز بو علي دره لفنون ورجال حدهاء في الرواضي مكتونا  
ورأس الناج كان يطلق على ما يسمى - الآن - يحي  
سيدي عمرو الحصيني.

\*

\* \*

وسيكون أبو علي ابن حرزوز رابع المعروفين من أعلام  
الأسرة، ونذيل عليهم بأربعة أسماء من النابيين منهم، وقد  
صاروا يحذفون "ابن" من لقبهم العائلي، ويكتفون بكلمة  
حرزوز"، وتبتدئ هذه اللائحة من صدر المائة الهجرية الحادية  
عشرة :

عبد الرحيم بن علي حرزوز كانت له مصاهرة بفاس مع  
الفقيه الكاتب أحمد الغرديس.

محمد بن عبد القادر حرزوز عدل في وثيقة عام 1063.

عبد الرحمان بن علي حرزوز عدل أول في وثيقة عام

1082. وعدل أول في وثيقة مؤرخة بأوائل محرم 1086.

وعدل أول في وثيقة عام 1101.

أبو يعزى حرزوز قيم مشهد أبي علي منصور الجند  
الأعلى للأسرة ويقع هذا المشهد أعلى حارة بني موسى غرب  
المدينة.

حوالة المساجد الكبرى بمكناس، 217. 250. 360 : حوالة المساجد

الصغرى بمكناس، 77 : حوالة أحباس لزوايا بمكناس، 8 : 200 : م.

ابن أبي زرع، القرطاس، 257 : مجهول، الذخيرة السنية، 90. 77 -

الجزائر : م. ابن حرزون، المسند الصحيح الحسن، الجزائر، 119 :

ابن بطوطة، تحفة النظارة، 1 : 74 : م. ابن عسكر، دوحه الناشر، 62.

63 : ع. الرحمان التامنارتي، الفوائد الحجة، مخطوط، 8. 12. 100.

104. 105. 114 : مجهول، تاريخ الدولة السعدية، 30 : م.

الحضيكبي، طبقات، البيضاء، 1 / 154. 155. 159. 209. 301 : ابن

إدريس، أرجوزة في صلحاء مكناس، مخطوط : م. الكتاني،

سلوة، 3 : 307. 308 : ع. ابن زيدان، إتحاف، 3 : 597 : ع.

الكتاني، فهرس الفهارس، 1 : 266.

محمد المتوني

**حرس المدينة في تاريخ المغرب الوسيط.** يقصد

بحرس المدينة الإطار البشري المكلف بضمان أمن المدينة  
وسكانها في أنفسهم وتملكاتهم، وهو عبارة عن مجموعة  
من الفرق كانت منتظمة في هيكله جهاز الأمن، وعملها  
موزع حسب الزمان والمكان بشكل يضمن تغطية أمنية  
شاملة للمدينة ليلاً ونهاراً، ومن خلال جرد للمصادر  
المتداولة التي تخضع أخبار فترة حكم المرابطين والموحدين،  
أمكن رصد والتقاط أسماء مجموعة من هذه الفرق هي  
كالتالي :

- الحرس : قوة لحفظ الأمن داخل المدينة، ولعلها الجهة

ثم يقول عنه تلميذه ابن عسكر : "الفقيه المحدث،  
العلامة، الخطيب، الأديب، العارف، الفهامة ... لم ير  
بالمغرب خطيب أفصح منه، ولم يكرر خطبة قط".

ولا يزيد على هذا في التعريف بالمركز العلمي لأبي  
علي بن منصور، ونحيل على ترجمته عند ابن عسكر  
والحضيكي وابن زيدان والكتاني، مع إشارات عند مؤلف  
مجهول كتب تاريخ الدولة السعدية.

غير أنه لا يفوتنا أن لنحق إضافات جديدة لمضمون هذه  
المصادر، ونذكر أن المترجم ألف ثبنا صغيراً حلله الكتاني  
في فهرس الفهارس، وهو بين مخطوطات خ. ح 12767،  
حيث يوجد في مجموعة - من حجم متوسط - تنصدها  
أسانيد المؤلف إلى طائفة من المؤلفات الحديثية وغيرها،  
والمسلسلات مما رواه بتونس ومصر، ثم إجازته - بخطه -  
لعبد الوهاب الزقاق، عدد صفحات هذه الأسانيد سبعة  
ويعدها يأتي نص الثبث في عشرين صفحة. ومن هذا الثبث  
ساق التامنارتي ستة أسانيد متصل بالمترجم. وقد أشرنا  
- سلفاً - إلى ثلاثة من الرواة عن المترجم : عبد الوهاب  
الزقاق، أجازته المترجم بتاريخ أوائل شوال سنة 957، وقال  
عنه : "وأجزت الفقيه الصدر العلامة، علم المغرب : سيدنا  
عبد الوهاب ...".

- ابن عسكر مؤلف دوحه الناشر، فيذكر فيها عن  
شيخه : "لقيته وسمعت منه".

- ثم عبد الرحمان بن علي بن محمد بن عبد العزيز  
الجزولي الهامدي، ومن طريقه ساق التامنارتي الأسانيد  
الستة المشار لها وشيكا.

الرابع من الرواة عن المترجم : أبو بكر بن أحمد بن  
سعيد الجزولي نزيل مراكش، كتب له إجازة قال في صدرها  
: "قدم علينا السيد الكامل، العالم العلم العلامة العامل،  
الجامع لخصال الفضائل، الفقيه الجليل : سيدنا أبو بكر بن  
أحمد الجزولي ...".

وعن استشهاد أبي علي بن حرزوز نشير إلى تاريخ  
الدولة السعدية لمؤلف مجهول الاسم، حيث يحتفظ بفقرات  
من خطبه في فترة ظهور الدولة السعدية، ثم كانت وفاته هو  
وولده شهيدين عام 960.

والمترجم هو الذي أشار له الوزير ابن إدريس في  
أرجوزته في صلحاء مكناس وذكره في هذا البيت :

وبو علي الولي حرزوز ونجله والطيب ابن عزوز

وذكر الطيب ابن عزوز، وهذا لا يزال مدفته معروفاً  
بداخل إحدى الدور في حي العروية، وقد يكون مدفن  
المترجم بالزقة التي كانت تضاف لأسرته في حي حمام  
الجديد : درب حرزوز والآن درب العنوب حسب النطق  
الناجح.

وأشار للمترجم - أيضاً - الشيخ عبد القادر العلمي في  
زجليته في صلحاء مكناس، غير أنه ذكره ضمن المدفونين  
براس الناج.

المسؤولة عن فرض احترام النظام العام، وضمان حقوق الأفراد والجماعات ولها حق التدخل لردع المعتدين وإنصاف المظلومين (التشوف، 394).

- حرس الليل، فرق خاصة حسبما يبدو بمراقبة أمن المدينة كلها خلال الليل. ومن الجائز أنها كانت تخضع لتنظيم داخلي في قمته صاحب حرس الليل أو العريف الذي كانت هذه الفرق تعمل تحت إمرته (التشوف، 119-455).

- حرس السوق : يستفاد من إشارة لابن الزيات في "التشوف" أن أسواق المدن كان لها حرس خاص بها ليلاً ونهاراً. ومن الوسائل التي كان يستعين بها في الحراسة الليلية، استخدام الكلاب، ويبدو أن الردع والزجر كان يحق لأفراد استعماله (التشوف، 370-398).

- حرس السور : فرق أمنية كانت محطات عملها موزعة على طول السور خلال النهار (العبر، 6 : 548) ومن غير المستبعد أن مهامها اليومية في الأحوال العادية كانت تستهدف المراقبة والإشعار والحماية، إما عند الضرورة كالحصار وغيره. فيتعزز السور بقوة استثنائية منها ما يكون تابعا للمخزن (العبر، 6 : 548)، ومنها ما يتشكل من المتطوعة (البيان، ق. م. 326)

- حرس أبواب السور : (انظر مادة : باب تنظيمات ووظائف. معلمة المغرب الجزء الثالث).

- السُّمَّار : مفردة : سامر فرق أمنية تعمل بالليل، أمكن رصد نوعين منها، تتلخص مهام الأولى في التغطية الأمنية لسور وأبراج المدينة بالليل (البيان، ق. م. 127-416) ويبدو أن وظائفها كانت مركزة على ترصد ومراقبة الأخطار المحتملة من خارج المدينة بشكل خاص، والإخبار بها في أسرع وقت، أما الثانية فكانت مكلفة بالحراسة الليلية للسجناء (التشوف، 171).

- الدراجون : صنف مكلف بالحراسة الليلية للدروب، وكانت المحطة الرئيسية لتوضع الحارس هي باب الدرب، ومن العناصر التي كان يستعين بها في أداء مهامه : سلاح وفانوس وكلب (Lévi - Provençal, Conférences, p. 82).

- عناصر التجسس : يبدو أن من مهام هذا الصنف البحث عن المجرمين الفارين، والتحقيق في هوية المتهمين. ومن الحالات التي أمكن التقاطها في هذه الباب، البحث والمتابعة التي تمت في حق الأشخاص الذين انتهزوا حادث إحراق قيسارية مراكش للنهب والسرقة عام 607 / 1210 (البيان، ق. م. 258) وهو مخالف للتجسس ذي الطبيعة السياسية الذي كان حاضراً أيضاً، واستهدف ترصد العناصر التي لم يكن المخزن يطمئن إلى ولائها، وهي حالة ملاحظة بصفة خاصة في علاقة المخزن مع أهل التصوف (الذليل، 250، 1 : 8) واستهدف أيضاً أية جهة تستشم منها معارضة ما (البيان، 437).

- المؤذنون : هم أهل الأبراج وأهل المنارات ومسمعو المدينة في المواضيع (الفتيس، 58) مهمة هذا الصنف مزدوجة، أولاها الإنذار بالأخطار التي تحدث داخل المدينة،

أو تصل إليها من الخارج وثانيتها تبليغ الأوامر الأمنية الواجب تنفيذها على الفور وفي أسرع وقت ممكن (أخبار المهدي، 78).

- الرقباء : من غير المستبعد أن هذا النوع من الحرس كانت له مهام ظرفية، تظهر عندما تستدعي الأحوال تدخلا يتطلب حراسة ومراقبة غاية في دقة الضبط للجهة المستهدفة. ومن بين الحالات المسجلة في هذا الجانب ما وقع لوفد أهل إشبيلية الذي قدم إلى مراكش لمبايعة عبد المومن، وبسبب وشاية محتواها ارتداد أهل اشبيلية عن بيعتهم، اتخذ المخزن إجراء احتياطيا سريعا، كاد الوفد الإشبيلي، وعلى رأسه القاضي أبو بكر ابن العربي، أن يكون ضحيته إذ "رغب عليهم الرقباء ليلاً ونهاراً، ورأوا الموت عياناً وجهاراً. ودام ذلك ثلاثة أيام إلى أن وصل الحق ببراءة أهل اشبيلية ... فاستدرك الأمير لرواحهم، وعجل بسراحهم" (البيان، ق. م. 34).

أ. البيذق، أخبار المهدي، الرباط، 1971 : المقتبس من كتاب الأنساب، تع الرباط، 1971 : ي. ابن الزيات التادلي، التشوف، تج. أحمد التوفيق، البيضاء، 1984 : ابن عبد الملك المراكشي، الذليل والتكملة، تج. محمد بن شريفة، السفر الثامن، القسم الأول الرباط، 1984 : ابن عذاري المراكشي، البيان، قسم الموحدين، تج. محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، بيروت، 1985 : ع. ابن خلدون، العبر، المجلد، 6، بيروت، 1967.

E. Lévi-Provençal, Conférences sur l'Espagne musulmane, Le Caire, 1951.

محمد رابطة الدين

آيت النحرش بن سعيد بن حمادي، مقاوم وُلد سنة 1333 / 1914 بتميسنت العليا قبيلة بني ورياغل قيادة امزورن إقليم الحسيمة. انخرط في صفوف جيش التحرير، وعمل ضمن الوحدات التي كانت تحت مسؤولية السيد عباس ومحمد علال. وقد شارك في عدة معارك ضد جنود الاحتلال بالمنطقة الشمالية قرب جبل بوزينب وجاهد في سبيل حرية واستقلال البلاد إلى أن استشهد يوم السبت 26 ربيع الأول عام 1375 / 12 نونبر 1955 ببوزينب. وثائق المقاومة وجيش التحرير، الملف رقم 791 421.

الحرف، أو الصناعات التي يُرتزق بها، يدخل الاهتمام بتاريخها ضمن مشاغل التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، ذلك أن حضور الحرف كان ضرورة لازمة في حياة المجتمع والمخزن، فالفلاح محتاج لأدوات الإنتاج وإلى ما يلبي حاجياته غير الفلاحية، والتاجر مرتبط بالحرفي لأجل التبادل، إما لمنتجات أولية كالصوف وهو اختصاص حرفة اللبابة أو نصف مصنعة كالذهب أو تامة الصنع كالملايس، أو لتهيئ وسائل النقل والتخزين. والمخزن محتاج إلى الحرفي لتلبية متطلباته المختلفة : عسكرية معمارية ...

الجهة	عدد وحداتها
السكة	
النسيج	3.064 دارا
الصابون	47 دارا
الدباغة	86 دارا
هيكل الحديد والنحاس	12 دارا
الزجاج	11 دارا
الكاغد	400 دارا
الصباغة	116 دارا
الفخار	188 دارا
الجير	135 كوشا

ومن المؤشرات كذلك أن الجنوب المغربي وحده : من وادي أم الربيع إلى الصحراء، وُجدت به خلال هذه الفترة أكثر من ثلاثين مدينة ومركز استقرار (هذه الاحصائية مستخرجة من : مسالك البكري، والاستبصار، والتشوف، وكتاب الجغرافيا لابن سعيد) ومن الجائز أيضاً أن الحرف ساهمت في تحديد مورفولوجيا المدن. المرجح إذن أن مراكز الإنتاج لم تكن مبتعدة عن بعضها، ومتداخلة مع السكن الذي لا يستبعد أن نسبة هامة منه كان يشغلها الحرفيون. ولعل الجانب الشرقي من مراكش يقدم حالة واضحة في ذلك.

أما العنصر الثاني فتلاحظ مؤشرات بصفة خاصة في التخصصات الدقيقة التي عرفتها حرف مختلفة، وهي مسألة تعكسها بجلاء بقايا التراث المعاصري للفترة بالذات بمدينة فاس ومراكش ...

انطلاقاً من هذه الملاحظات تبدو العلاقة عضوية بين المستوى الذي وصلت إليه الحرف خلال الفترة، والطاقة البشرية التي تطلبها تحقيق ذلك.

- آليات الإنتاج : إن الحالة التقنية التي توجد عليها آليات الإنتاج الحرفي عبر العصور هي دون شك تراكم لمختلف التطورات التي عرفتها أدوات المعمل الحرفي بالمغرب، على أن فهم هذا التطور لا يمكن أن يكتمل إلا إذا وُضع في إطار جغرافي أشمل، هو القرب الإسلامي، نظراً للعلاقات الكثيفة التي كانت تربط المغرب بهذا المجال خلال العصر الوسيط ومساهماتها في تشجيع تنقل الأشخاص ومنهم الحرفيون بخبراتهم واجتهاداتهم. فمن خلال نموذج مراكش مثلاً يمكن ملاحظة أهمية التأثير الأندلسي خاصة في الآثار الموحدية، وبصمات قبيلة تدغة من الجنوب المغربي التي كانت متخصصة في الأعمال الخاصة بالخطارات.

ولعل من شأن نفس الإطار استششاف تاريخ هذه الآليات، وإمكانية رصد الأصول، والاقتراب من معرفة نوعية التطور.

وعموماً يبدو أن آليات الإنتاج التي كانت تعتمد عليها حرف الفترة كانت من مستوى له قيمة بارزة، ولذا كانت

ولأخذ فكرة مجملية عن هذا الموضوع خلال العصر الوسيط يمكن حصره في الملاحظات التالية :

أولاً : شروط الإنتاج : مواد أولية وفيرة ومتنوعة :

- مواد أولية ذات أصل فلاحى، من أبرزها :

المادة	أماكن إنتاج مشهورة
القطن	سجلماسة، تادلة، الغرب
الصوف	سجلماسة، أغمات
الجلود	هسكورة، أغمات
قصب السكر	سوس، سبتة
أرغان	الأطلس الكبير الغربي
الحناء	درعة
شهد العسل	سوس
القنب	سوس
منتجات الغابة	الريف، الأطلس، المعمورة

يبدو إذن وجود تنوع في هذا الصنف من المواد الأولية، مع عدم استبعاد أن إنتاج أغلبها كان يغطي الحاجيات، وقد ساهم إنتاج البعض منها في التجارة مع خارج المغرب. مواد أولية معدنية : يبدو أن موارد المغرب المعدنية خلال هذه الفترة، كانت لها أهمية معتبرة، من جهة لأهمية الرصيد المعدني المستخرج محلياً، الذي تجاوز البعض منه حاجيات الحرف لبيته جزء منه نحو التصدير كالنحاس. ومن جهة ثانية لتزوده بكميات أخرى من الخارج، إما موجودة كالذهب، أو منعدمة كالعاج، ويمكن رصد المعادن الأكثر استغلالاً من خلال اللوحة التالية :

المعدن	مواقع إنتاج مشهورة
الذهب	تازة، سجلماسة
الفضة	سوس
النحاس	الأطلس الصغير
الحديد	الساحل المتوسطي
الملح	شمال فاس

- طاقة بشرية ذات قيمة. من غير المستبعد أن الطاقة البشرية التي كانت تشتغل في الصناعة خلال هذه الفترة كانت لها قيمة معتبرة كما وكيفا، فمن مؤشرات العنصر الأول، الأهمية العددية لمجموع الحرف التي وجدت بالبلاد آنذاك ومساهماتها البارزة في اقتصاد المدن بشكل خاص، ويمكن الاقتراب من هذه الملاحظة من خلال معطيات اللوحة الإحصائية التالية والخاصة ببعض حرف فاس زمن حكم الموحدين :

الفترة : السفن، النحاس، الحديد، الزجاج، السكة، الصباغة، السروج، السكر، النسيج، الخياطة، الصابون، التجارة، الجلد، الصياغة، الكاغد، الوراقة، البناء، النقش، الفخار، الجير...

ويوضح النص التالي للمقري دقة بعض التخصصات الحرفية وتداخل عمليات الإنتاج من خلال العناية البالغة التي خص بها خلفاء بني عبد الومن مصحف عثمان بقول "لما أراد عبد المؤمن تفخيم مصحف عثمان ... حشد له الصناع المتقنين ممن كان يحضرتهم العلية، وسائر بلادهم القريبة والقاصية، فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة ومهرة كل طائفة من المهندسين والصواغين والنظاميين والجلالين والنقاشين والمرصعين والنجارين والزواقيين والرسميين والجلدنيين ... ولم يبق من يوصف ببراعة أو ينسب إلى الحذق في صناعة إلا حضر" ( حضارة الموحدين، 159، 160).

ولذا كانت محاولة تقويم الإنتاج وفق المعايير والشروط المطلوبة أمراً عسيراً في الوقت الحالي. فإن تسجيل أهميته الكمية والنوعية تبدو أمراً ممكناً، وهي ملاحظة يمكن رصدها على الأقل من خلال شهرة الإنتاج خارج المغرب. مثل الدرق اللطيفة (الإدريسي، وصف أفريقيا، 37) والسلهام السجلماسي (المغرب، 147) والدينار السجلماسي (البيان، 2: 231) وفي أهمية مساهمة الإنتاج في عدد الصادرات، فضمن لائحة هذه الصادرات التي أوردها الإصطخري أحصى حوالي ثلاثة عشر مصنوعاً أكثر من نصفها يعود إلى الحرف مثل : اللبورد، الذهب، الحرير (المسالك، 37) وأضاف إليها الحميري فيما بعد منتجات أخرى كالصوف والنحاس (الروض، 134).

ثالثاً : الخصائص والمميزات. إلى جانب الخصوصية الوظيفية للإنتاج الحرفي كمادة تلبى رغبة أو رغبات نغية، فإنه يختزن وبامتياز قيمة فنية وإبداعية، تقدم مؤشراً قوياً على طبيعة الإبداع والابتكار، ومستوى مهارات الحرفيين في فترة من الفترات. جانب يستشف أكثر من خلال الأشياء التي تمر قرائنها الجمالية عبر العين كالمعمار والمنسوجات والأسلحة ... ويبدو أن هذا الجانب من الفن بالذات كانت له أهمية بالمجتمع المغربي خلال العصر الوسيط، لذا علمنا أن الفن المرتبط بالسمع والطرب كان مضايقاً سواء من طرف المخزن أو من بعض الطوائف الصوفية، فقد أمر المنصور الموحدي "أصحاب الشرطة بقطع الملهين والقبض على من شهد من المغنين، فثقف من وجد منهم بكل مكان، فغيروا هيأتهم وتفردوا على الأوطان وبارت سوق القيان" (البيان، ق. م 174)، أما الطائفة الغماتية فلم تخف تحفظها من الإنشاء والسمع (إنمد، 1: 192).

الخصائص الدينية : تسمح كتب المناقب بملاحظة وجود ارتباط بين المتصوفة وأهل الحرف، ويمكن رصد بعض

هذه الآليات ذاتها غير متوفرة، فإن ما تم مجازته بواسطتها سواء ما أشارت إليه المصادر ولم يبق له وجود كالمقصورة الميكانيكية التي كانت بداخل جامع الكتبيين (الحلل، 145) والساعة التي كانت بأحد أبوابه (ورقات، 301) أو ما بقي من تراث مادي يرجع إلى هذه الفترة، يمثل شهادة صريحة على قيمة هذه الآليات، فجلب المياه على مسافات بعيدة وإقامة القناطر والجردة العالية للمسكوكات وبلوغ صناعة السفن أرقى عهود إنتاجها ... منجزات لم يكن تحقيقها ممكناً دون رقي الحالة المتطورة التي كانت عليها آليات الإنتاج.

ومن غير المستبعد أن طرق الإنتاج كانت هي الأخرى مسايرة للحالة الإيجابية التي كانت عليها باقي مكونات العمل الحرفي. ملاحظة تبدو بعض مؤشراتنا على سبيل المثال في الكيفية التي بنيت بها الصوامع الثلاث الكتبيين وحسان والجيرالدا، ودقة قياسات المنشآت المعمارية المتبقية، وفي بناء مدينة مخزنية كاملة بلغت مساحتها 44 هكتاراً (Marrakech. I, pp. 211 - 248) في أقل من عشرين عاماً. والعمل فيما يبدو بقاعدة الإنجاز تحت الطلب لإنتاج كثير في وقت محدود (البيان، ق. م. 201).

يستشف من بعض الإشارات المتداولة أن مختلف الحرف انتظم أهلها في إطار مجموعات مهنية ذات مصالح مشتركة في الإنتاج والتسويق، ولربما ظروف العيش، عرفت باسم الحنطة (انظر الحنطة) قاعدتها التضامن ويشرف عليها شخص عرف بالأمين يكون عادة من بين عرفائها وأهل الثقة بينهم. وكل أمناء الحرف كانوا يعملون تحت إشراف مخزني يمثله المحتسب، ومن مهام هذا الأخير في هذا الشأن محاربة التطفيف في الميزان والغش والتدليس في الإنتاج والاحتكار له خاصة في أوقات الشدة.

ثانياً : أنواع الحرف. من المرجح أن المغرب توفرت له خلال العصر الوسيط كل الحرف التي كان في حاجة إليها. خاصة وأن الشروط المشجعة لذلك كانت حاضرة، نظراً لاتساع خريطة الأوراش التي أقامها المرابطون والموحدون والمرينيون، ولأهمية ديمغرافية البلاد والمداخل المحترمة لقسم لا بأس به من السكان. وظهور نزوع إلى الرفه في العيش خاصة في المدن الكبرى وعلى رأسها مراكش وفاس. إلى جانب ما يقتضيه إنجاز ما حدهه المخزن من مشاريع، وما تستوجبه المصالح والخدمات ذات النفع العام، وتأمين حاجيات المدن.

في إطار هذه الظرفية يبدو أن الحرف عرفت انتعاشاً معتبراً، وهو أمر يمكن ملاحظته من خلال عدة مؤشرات، منها : الأهمية الكمية لوحدة الحرفية التي كانت بفاس في الفترة ذاتها، والطلب على الحرفيين المغاربة داخل المغرب والأندلس، ودقة بعض التخصصات وتداخلها في الإنتاج.

وفيما يلي لائحة بمجموعة من الحرف المعروفة خلال

مؤشرات من خلال علاقة المتصوفة أفراداً أو طوائف مع الحرفيين. فمن خلال هذه المؤلفات أمكن استخراج أسماء مجموعة من الحرف مثل : الغزال، الصواف، الحلاج، الخياط، الحصار، الكتاني، الوراق، السفار، الخراز، الدباغ، النعال، الصباغ، العطار، الفصال، الحداد، السراج ... (لائحة مستخرجة من التشوف).

وقد تم استخراج هذه اللائحة من أسماء مجموعة من المتصوفة، تحمل أسماءهم صفة مهنية، أو تتضمن المعلومات المقدمة عنهم الإشارة إلى ممارستهم لحرفة معينة. ويبدو أن التوزيع الجغرافي للصلحاء والأولياء داخل المدن، ارتبط بمواقع وجود أهل الحرف، وهذا ما يلاحظ على الأقل في مراكش، فالجانب الشرقي منها الذي اشتهر بحضور بارز لأهل التصوف فيه، شكل الإطار الجغرافي الذي توطنت به أغلب الحرف داخل المدينة، ومن الجائز أن هذه العلاقة بقيت مستمرة حتى في الفترة التي ظهرت فيها الطوائف الصوفية بالجنوب المغربي، مسألة يمكن رصد بعض مظاهرها من خلال نموذج الطائفة الغماتية، فمن جهة تركيز عمل هذه الأخيرة في مراكز حضرية عرفت نشاطا حرفيا متميزاً : أغمات، مراكش، فاس، ومن جهة ثانية في الأسماء العائلية لعدد من المردين التي تحمل مضامين أنشطة حرفية مثل : السراج، الخياط، الحداد، النجار، وأخيراً زيارة حرفيين لشيخ الطائفة في أغمات ( إئتمد، 1 : 225) وإلى المساعدة المادية التي قدمها هذا الأخير إلى بعض النساكين بفاس ( إئتمد، 1 : 235).

وإلى سنوات غير بعيدة كانت تقام بمراكش مواسم دينية خاصة بالحرفيين بجانب ذلك، فقد كانت لعدد من الحرفيين طقوس وتراويل دينية أثناء عمليات الإنتاج.

انطلاقاً من مبدأ منع إلحاق الضرر، ومنه الأضرار البيئية المترتبة عن نشاط بشري الذي يدخل ضمن المعايير التي اعتمدها قاعدة المشهد المورفولوجي للمدن المغربية خلال العصر الوسيط، يلاحظ أن الحرف التي من شأنها أن تلحق أضراراً وإزعاجاً للسكان، إما برائحة كريهة أو بدخان أو ضجيج، قد تم توطينها في مواقع بعيدة عن السكن، مثل حرفة الدباغين والفخارين والحدادين، وحتى المنشآت التي تلبى حاجيات يومية للسكان كالأرحية والأفران والحمامات إذا كان عملها ينتج عنه ما يلحق ضرراً بالسكان، فقد أفتى الفقهاء بمنعها.

ملاحظة ثانية في هذه الخاصيات، تتعلق بظهور أسماء حومات في بعض المدن، تحمل مضامين حرفية، مثل حومة الأبروانين في مراكش ( الذليل، 4 : 22) وزقاق الوراق في سبتة (تاريخ الوراثة، 34) علماً بأن الطوبونيمية التي ترمز إلى مشاغل اقتصادية، كانت فيما يبدو حكراً على الأسواق ونقط الإنتاج. ولعل لهذا الظهور علاقة بحركية وانتعاش الاقتصاد الحرفي خلال هذه الفترة، وبالأهمية الديمغرافية لنسبة السكان النشيطين العاملين في الحرف داخل المدن.

الاصطخري، المسالك والممالك، القاهرة، 1961 : أ. البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، بغداد، 1857 : الإدريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، الجزائر، 1957 : مجهول، كتاب الاستبصار، تج. سعد زغلول عبد الحميد، البيضاء، 1985 : ابن الزيات، التشوف، تج. أحمد التوفيق، البيضاء، 1984 : ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تج. إسماعيل العربي، بيروت، 1970 : الحميري، الروض العطار، تج. احسان عباس، بيروت، 1975 : ابن عبد الملك، الذليل والتكملة، بقية السفر الرابع، تج. احسان عباس، بيروت، د. ت. الجزائني، جنى زهرة الآس، تج. عبد الوهاب ابن منصور، الرباط، 1991 : ابن عذاري، البيان، ج. 2، تج. جورج كولان وليفي بروفنسال، بيروت، د. وقسم الموحدين، تج. محمد إبراهيم الكتاني، وآخرين، الرباط، 1985 : مجهول، الحلل الموشية، تج. سهيل زكار، وعبد القادر زمامة، البيضاء، 1979 : ابن تكلت، إئتمد العينين، تج. محمد رابطة الدين، الجزء الأول، غير منشور : م. المنوني، وريقات عن الحضارة المغربية، الرباط : تاريخ الوراثة المغربية، البيضاء، 1991 : حضارة الموحدين، البيضاء، 1989.

G. Deverdun, Marrakech, Tome I, Rabat, 1959 ; A. Brignon, Histoire du Maroc, Casablanca, 1967 ; C. Vanacher, Géographie économique de l'Afrique du Nord, Annales, Mai - Juin 1973, pp. 659 - 680.

محمد رابطة الدين

### الحَرْقُوص، مرهم معطر للتجميل يعطي نضاعة

الوجه والجلد ويعطر الذات كلها. مثل الحناء التي تستعمل لتزيين اليدين والرجلين وتجميل شعر الرأس، والكحل الذي يعتمد لإذكاء سواد العينين والرموش، والسواك لتنظيف لثة الفم وتنضيع بياض الأسنان، والعمار لتأجيج حمرة الخدود والشفاة. يستعمل الحرقوص في بلدان المغرب العربي، ويبقى أثره على الوجه لعدة أسابيع ثم يزول تلقائياً شأنه شأن الحناء.

والحرقوص لفظة عربية فصيحة تعادلها أدال بالأمازيغية. وهو مستحضر للتجميل ساد استعماله في السهول والهضاب الداخلية زيادة على مرتفعات الأطلس، إلا أنه كان قليل التداول في الحواضر الكبرى. يتم تحضيره على يد نسوة متخصصات في ذلك يعرفن "بالحرقاصات" أو "الحراقات" غالباً ما يكنهن أنفسهن اللواتي يحضرن أيضاً الكحل والحناء ومواد الزينة والتجميل الأخرى من المدقوقات والمسحوقات والمحروقات والمراهم والأدهان.

تقوم هؤلاء النسوة بجمع نبات "تاسرغيننت" و"تارة" وتنظفهما من الشوائب ثم تضيف إليهما عطر الجاوي الصلب وتباشر دق الكل وسحقه. وبعد خلط هذه المواد ودمجها بما فيه الكفاية تعمد إلي طبخها في موقد خاص إلى أن تتبخر ويتقطر ماؤها. وعندما تنتهي من عملية التقطير تضيف إلي ما توفر لها من ماء مقطر ومعطر قدرأ معلوماً من السواك والقرنفل والصبغة البلدية الحمراء، ثم

تخلط ذلك بيدها اليمنى وتباشر ذلك كما تدلك الحناء حتى يندمج سائله المعطر بجماده المسحوق وتحصر على أن يبقى هذا الخليط رخواً لرجاً تحتفظ به في وعاء تقليدي غالباً ما يكون قرن ثور أو غزال أو في قارورة من زجاج أو قنينة طين أو جلد أو ثوب سميك أو أي وعاء آخر في المتناول.

ويستعمل الحرقوص على الخصوص لتجميل الوجه وتعطيره في الأفراح والولائم والأعياد والمواسم وحفلات الرقص الجماعي في المناطق الأمازيغية. وتوضع نقطة منه بأحد الأصابع الوسطى بين الحاجبين أو أسفل الصدغين، ومن النساء من تضعه فوق الأنف وأسفل الشفة الدنيا. وهو يتميز برائحته الجذابة، لذلك كان الرجال والنساء في مغرب القرن الماضي يعشقون رائحته ورائحته.

لكن استعمال الحرقوص كمادة للتعطير بدأ يتراجع بشكل كبير وأصبح وجوده مهدداً في الحواضر والبيوادي بسبب انتشار مواد التعطير والتجميل العصرية. وعلى الرغم من استمراره ضمن البضائع التجارية في بعض أسواق البوادي النائية إلى جانب الكحل والحناء والعكار وغيرها من مواد التجميل التقليدية، فإن بقاءه في طريق الزوال نتيجة اكتساح مواد التجميل الحديثة للأذواق وأيضاً بسبب صعوبة تحضيره أكثر من غيره من وسائل الزينة التقليدية.

م. شفيق، المعجم العربي الأمازيغي الجزء الأول، الرباط 1990 : جعفر بن إدريس الكتاني، كتاب في الحضاب، مخطوط، رقم

3208 ك.

A. Pignol, *Costumes et parures dans le monde arabe*, Paris, 1978 ; Jean Muzi, *Le corps orné, le corps masqué*, Paris, 1978 ; Jean Herber, *Peintures corporelles au Maroc, la peinture au harqas*, Hesp. vol. 9, 1921 ; M. Lacroix, *Notes sur les produits tinctoriaux*, C.A.T.A.N., n° 5, 1959 ; M. M. Barde, *Coffures féminines du Maroc au sud du Haut-Atlas*, Aix-en-Provence, 1990 ; Gilbert Bon, *Tatouages berbères*, *Public mondial* n° 25, 1950 ; Marquis De Segonzac, *Au cœur de l'Atlas*, Paris, 1910 ; J. Xin, *Notes sur les parfums orientaux, La vie tunisienne illustrée* n° 16, 1924 ; *Notes sur le souk el Attarine, La vie tunisienne illustrée* n° 17, 1924 ; M. Aberdane, *Signe symboliques et peintures corporelles*, Amazigh n° 6, 1981.

محمد بوسلام

**حركات، أسرة، الأصل في نطق الكلمة بفتح الراء، والكثيرون يسكنونها، ولا فرق. وهناك فريقان من آل حركات : 1 - فريق ينحدر من حركات بن الزبير الذي هو من فريق الأدارسة العُمرَوِيين، حسبما ورد في الدرر البهية لإدريس الفضيلى. 2 - فريق ينتسبون إلى بني رياح، إحدى قبائل بني هلال، وجددهم حركات بن عساكر. وكان عساكر هذا أخاً لمسعود بن سلطان بن زمام الذي كان رئيس بني رياح في عصر الموحدين. ونقل النصور الموحدى قسماً كبيراً من بني رياح إلى المغرب، وترك فريقاً منهم بإفريقية، وبينهم بنو عساكر الذين منهم حركات. وفي القرن الثامن**

حدد ابن خلدون مواطن آل حركات بضواحي الأريس من إفريقية، ولكن مجموعات أخرى منهم توزعت في أوقات غير محددة بني أقطار الشمال الإفريقي حيث يوجدون حول طرابلس وبالقطر الجزائري، كما يوجدون بذكالة. وقد ساهموا بروح نضالية في الحرب ضد البرتغال. بل إن بعض أسرهم توجد بالأطلس المتوسط أيضاً ويعد من مدن المغرب كالدار البيضاء والرباط وسلا.

وبرز وجود أسرة الحراكطة (أو الحركاتيين) بسلا منذ القرن الحادي عشر (17 م) حيث كان عامر حركات من باشواتها (محافظيها)، وعاصر السلطان محمد بن عبد الله العلوي (1757-1790 م) فقيهان كبيران من أسرة حركات، هما عبد السلام بن عبد الله الذي ترك مؤلفات عديدة في الفقه والتنازل، لا سيما شرحه الضخم على تحفة الحكام لابن عاصم (خ. ع. بالرباط)، وابن عمه القاضي عبد السلام بن بوعدة، الذي كان أحد المستشارين البارزين لدى العاهل المذكور. ووجود هؤلاء الثلاثة في وقت واحد، مع دراسة الأخيرين بسلا، يعني أن وجود أسرة حركات بهذه المدينة كتابت بالتأكيد لعصر السلطان المذكور.

ومن أعلام الأسرة بعد هؤلاء : الفقيه الشاعر محمد بن بناصر حركات (ت. 1316 / 1898)، والعربي حركات الذي كان من البعثة الطلابية إلى إيطاليا حيث تخرج في الهندسة. وأبو بكر بن بناصر حركات (ت. 1349 / 1930) انتقل إلى الدار البيضاء واشتغل بالتوثيق والتوثيق.

وتوزعت الأجيال المتأخرة من الأسرة المنحدرة من سلا بين تخصصات عديدة كالمحاماة والتدريس والطب والمسؤوليات العسكرية والأعمال الحرة. ويشغل حراكطة ذكالة بالفلاحة، وبعضهم بمختلف الأعمال الحرة الأخرى. وفي ليبيا يوجد ضريح الشيخ بو عجيلة من آل حركات، والذي قيل إنه هاجر قبل بضعة قرون من المغرب. ولهذه القبيلة هناك حسن صيت بين سكان المنطقة.

وأغلب الحركاتيين يجمعون بين حدة الذهن والوقار الفطري، كما أن معظمهم لا يدخلون في عداد الأثرياء، فهم بين متوسط الحال وفقير معوز. وفي كل عمل يمارسه أحدهم، يأخذه بالجدية والحزم. ومع كثرة تجمعاتهم عبر الشمال الإفريقي فهم باستثناء العصر الموحدى لم ينشئوا تكتلاً ولم يدخلوا في المزايدات السياسية على حساب المصلحة المشتركة التي تربطهم بالآخرين.

ع. ابن خلدون، *العمر، بيروت، 1959 م*، 6 : 47، 70، 288 : م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ص. 125، 159، تحقيق مصطفى بوشعرا، الرباط، 1406 / 1986 م : إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، طبعة حجرية بفاس : م. الباقر الكتاني، ترجمة الشيخ محمد الكتاني، الرباط، 1380 / 1960 م : عبد الله الجرازي، من أعلام *الفكر المعاصر*، 2، 106، 368، الرباط، 1971 : السعيد فيش، *الفقيه عبد السلام حركات*، د. د. ع. في التاريخ بكلية الآداب بالرباط، 1415 / 1994.

إبراهيم حركات



**حركات، أبو بكر بن بناصر السلاوي، فقيه مفسر،**  
 مبيقاتي حيسوبي، أديب شاعر ينظم الشعر الفصيح  
 والملحون ويتقن اللغة العبرية. اشتغل مدة طويلة في مسقط  
 رأسه بالتدريس في الجامع الأعظم والعدالة في القاعة  
 (سوق الإدام). ضاقت حاله بمسقط رأسه فطلب من قاضي  
 الدار البيضاء أحمد بن المامون البلغيشي أن يلحقه بسماط  
 العدول هناك ومدحه بقصيدتين طويلتين، ففعل وأصبح أبو  
 بكر حركات من عدول الدار البيضاء وموقت الجامع العتيق  
 بها، وبقي على ذلك إلى أن توفي بها عام 1349 / 1930.

**حركات، عامر بن محمد السلاوي،** أول من وقفنا  
 على ذكره في تاريخ المدينة، تولى القيادة بسلا بعد أن  
 تخلى له عنها سعيد الجنوي قائد سلا وحاكم العدوتين من  
 طرف الدلايين. وذلك قبل سنة 1065 / 1655. وهناك  
 سلاوي آخر يدعى الحاج عامر حركات، لعله حفيد الأول،  
 كان سنة 1126 خليفة لأمين المستفاد بالعدوتين الحاج محمد  
 ابن إبراهيم معين.

أ. حجي، *الفتوحات الإلهية* : م. الباجر الكتاني، ترجمة الشيخ  
 محمد الكتاني، سلا، 1962 : ص. 163 : م. حجي، *الزاوية  
 الدلالية*، ط 2، سنة 1988، ص. 187، 188 : م. بوشعرا، *ملحق  
 الإتحاف الوجيز*، ص. 159 : عبد الملك، البلغيشي، *النار، مخطوط،  
 خ. ص.*

**حركات، عبد السلام بن عبد الله السلاوي،** الفقيه  
 المتكمن من فروع المذهب المالكي وأصوله، درس على شيوخ  
 سلا قبل أن يتوجه إلى فاس للأخذ عن أعلامها، وفي  
 مقدمهم الشيخ محمد التاودي ابن سودة شارح *التحفة*، ولم  
 يكن يتردد في انتقاده وانتقاد معاصره محمد الرهوني  
 محشي الزرقاني على المختصر بالرغم مما يكن لهما من  
 تقدير كما سنرى.

خصص له المؤرخ السلاوي محمد ابن علي الدكالي  
 سبعة عشر بيتاً في *إتحاف أشرف الملا*، وترجم له كذلك في  
*الإتحاف الوجيز* وأشاد بعلمه وفضله. وذكر أنه أخذ  
 التصوف عن القطب أحمد الصقلي الفاسي ولازمه وانتفع  
 به كثيراً ونشر طريقته في سلا متخذاً من ضريح أبي علي  
 الشريسي بباب حساين (الزاوية الدرقاوية حالياً) زاويةً  
 يجتمع فيها المريدون الصقليون. قال في حقه ابن زيدان في  
*الإتحاف* (5 : 358) "أية محكمة في التحصيل والإدراك  
 وجوده التعبير واسع العارضة فقيه نوازلي مفت مرجوع له،  
 علامة جليل مشارك فاضل محقق لبيب، المعني مهذب  
 أريب، ورع خاشع مثيل، تصدر للإفتاء بالعدوتين بلده سلا  
 والرباط فأحى بهما ما اندرس وحل منهما محل السواد من  
 العيون وأخصبت به البلاد بعد المحول".

ولي قضاء مدينة مكناس والصوريرة ودرّس وأفتى في

مسقط رأسه سلا وفي غيرها من الحواضر، وكان على صلة  
 وثيقة بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله يحضر مجالسه  
 العلمية ويصحبه في بعض تحركاته، وقد سار معه مرة إلى  
 فاس، وأمره السلطان بتدريس التفسير في القرويين، وكان  
 فارس هذا الميدان، حضر أحد مجالسه فيه العالم الصالح  
 إبراهيم الرياحي شيخ الجماعة بتونس حين جاء سفيراً  
 لسلطان المغرب عام 1218 / 1803 فوجه السلطان لزيارة  
 القرويين وحضر مجلس الشيخ عبد السلام حركات في  
 التفسير وقال عنه : "وهو أي حركات - بحر زاخر يقول :  
 ألم يتقدم لنا كذا ؟ ألم أقل لكم كذا ؟ ألم تسمعوا مني  
 كذا ؟ من سورة البقرة إلى أن وصل إلى قوله تعالى "لكل  
 جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً" قال : فتقدمت إليه وقلت له يا  
 سيدي : هذه الآية محكمة أو منسوخة ؟ فقال لي محكمة،  
 فقلت له ربما تكون دليلاً لأهل الكتاب في عدم عموم بعثة  
 النبي صلى الله عليه وسلم، فأجابني بجواب غير مقنع  
 فسكت لأنه رجل مهيب".

ألف عبد السلام حركات كتباً ورسائل ونوازل عديدة،  
 منها واحد وعشرون في الخزانة العلمية الصباحية بسلا  
 أكثرها أصول بخطه :

• أحكام المجلس والأجزئة بسلا والرباط، انتهى من  
 تبييضه يوم الخميس ثامن أو تاسع جمادى الثانية عام  
 1230.

• إرشاد الكبير المتعال في قول أئمتنا بالحق يعرف  
 الرجال.

• تحفة الإخوان في زجر من يترك الشرع ويرتكب  
 البهتان.

• شرح تحفة ابن عاصم في أحكام القضاء، قال عنه ابن  
 علي الدكالي : "في غاية الجودة والتحرير، يعترض فيه  
 على شيخه سيدي التاودي ابن سودة غالباً".

• الفتح الخلاق في صرف الجامعة للأوراق، شرح به  
 منظومة ابن الأبار.

• تقدير فرض النفقة، فرغ من تبييضه قرب الزوال من  
 يوم السبت 17 جمادى الأولى عام 1232.

• تنبيه الإخوان على ما وقع بين التواتي وأهل فاس  
 فيما مضى من الزمان.

• نازلة تتعلق بالجائحة في الكراء، فرغ من تبييضها  
 بعد صلاة الظهر من يوم الاثنين السادس عشر من شهر  
 رجب عام 1232. وهذا آخر تاريخ وقفنا عليه مما كتبه  
 المترجم الذي تضاربت الآراء في تحديد سنة وفاته، فجعلها  
 معظمهم بعد عام 1218. وقد عقد له عبد السلام ابن سودة  
 ترجمتين في *إتحاف المطالع الأولى* باسم عبد السلام بن  
 بوغزة حركات وجعل وفاته عام 1218، والثانية باسم عبد  
 السلام بن عبد الله حركات وجعل وفاته في عشرة 1240.

توفي عبد السلام حركات بمسقط رأسه سلا بعد 16  
 رجب عام 1232 / 2 يونيو 1817. ودفن بالزاوية الناصرية  
 أسفل العقبة الكبرى المفضية للجامع الأعظم.

م. ابن علي الدكالي السلاوي، *إتحاف أشراف الملا*، مخطوط، ص 75؛ *الإتحاف الوجيز*، 125؛ عمر الرياحي، *تعطير النواحي* بترجمة سيدي إبراهيم الرياحي، تونس، 1320 هـ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 362، 358؛ 5.

محمد حجي

**حركات، الهريبي بن محمد بن بناصر السلاوي**، أديب شاعر - كاتيبه وأخيه - التحق بإيطاليا بمدينة طرينو ضمن البعثات التعليمية ليدرس الفنون الحربية ابتداءً من سنة 1306 / 1888. وقد عاد إلى المغرب سنة 1315 / 1897 بعد تخرجه، فوجه لتدريب جنود المدفعية بالجديدة وأسفي. ويحكي عنه رفيقه الحسين الزعري أن همته كانت منصرفة دائماً إلى النحو والشعر.

ولما بسطت الحماية على المغرب انتقل من أسفي واستوطن سلا والرباط. فكان في أواخر أيامه إماماً بأحد مساجد الرباط لا يفتأ يقرأ الصحف الأجنبية. وله قصائد طوال في مدح السلطان المولى يوسف.

توفي في حدود 1320 / 1902.

ع. ابن زيدان، *اليسن الوافر الوفي*، في *امتداح الجناب المولوي اليوسفي*، فاس، 1342 هـ؛ عبد الله الجاروي، *من أعلام الفكر*، ج 2، 368؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، ج 4، 1358؛ *التصريف*، ج 2، 242.

مصطفى بوشعراء

**حركات، محمد بن بناصر السلاوي**، فقيه فرضي

حيسوبي، وأديب شاعر طويل النفس، لا تعرف الشيوخ الذين أخذ عنهم إلا أنه كان رفيق الشيخ أحمد بن خالد الناصري مؤلف *الاستقصا* الذي يعبر عنه بصاحبنا. فيكون من شيوخه السلويين محمد بن عبد العزيز محبوبية المتوفى بالهجاز سنة 1279 / 1863 وأبو بكر بن محمد عواد. ولا تعرف إن كانت له رحلة علمية إلى فاس. اشتغل مدة في مسقط رأسه بالتدريس والعدالة حيث كان مبرزاً في علم الفرائض، وألف فيه *ألفية* (1120 بيتاً) اشتهرت وقرطها كبار فقهاء العصر؛ ومنظومة في أحكام *المساقاة الفقهية*، كما عُرف بقصائده الطوال في المديح النبوي وفي مختلف الأغراض الشعرية، جمعت في *ديوان* وقف عليه مؤلف *أعلام الفكر المعاصر* وقال عن المترجم: "كان شاعر عصره، وأديب مصره، له ديوان ضخم اشتمل على قصائد مطولات، سلطانيات وإخوانيات، ومقطعات وأمداح في علماء بلده كأنها السحر الحلال، أو العذب الزلال".

كان محمد بن بناصر حركات على صلة بالسلطان الحسن الأول، يمدحه ويسجل الأحداث التاريخية البارزة في عصره، ومن ذلك قصيدة نونية تهازل ثمانين بيتاً سجل فيها ثورة الدباغين بفاس وما قام به الحسن الأول لاحتوائها والقضاء على فتنها، مطلعها:

لله يا تلك التي تأوي الفنا لا تنقضي ما كان صبري قد بنى  
ولعل المترجم اشتغل في أواخر حياته كاتباً بالباط، فكان يصاحب الحركات السلطانية في مختلف أنحاء البلاد.

توفي بسلا يوم السبت خامس وعشري ربيع الأول سنة عشر وثلاثمائة وألف / 13 غشت 1898. ودفن خارج باب المعلقة.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 9، 139، 142؛ أ. الصبيحي، *الروض*، مخطوط، ص 100؛ م. ابن علي الدكالي، *إتحاف أشراف الملا*، مخطوط، 107؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9، 2817؛ ع. الجاروي، *من أعلام الفكر*، 2، 106.

**حركات، محمد بن محمد بن بناصر السلاوي ابن**

من قبله، وورثه في الأدب والقريحة الشعرية، كان من وجهاء العدول في سلا، جلس في دكان العدل الطيب ابن بوزيد بعد وفاته، وهو دكان برأس سوق الغزل تعاقب على العمل فيه عدول أعيان لعدة أجيال. كما اشتغل مدة في نظارة الأحباس، وكان من الأدباء الذين يحضرون حفلات عييد المولد النبوي بالقصر السلطاني أيام المولى يوسف ومحمد الخامس، وينشد فيها مولديات طويلاً نشر كثير منها مما يتعلق بالعهد اليوسفي في مجموع *اليسن الوافر الوفي*. ولمحمد حركات ديوان شعري مخطوط عند ولده، ومقيدات فقهية وأدبية.

توفي بالرباط عشية يوم الجمعة ثالث وعشري محرم عام تسعة وثمانين وثلاثمائة وألف / 11 أبريل 1969 ودفن بمقبرة سيدي الخطاب بالعلو.

ع. ابن زيدان، *اليسن الوافر الوفي*، في *امتداح الجناب المولوي اليوسفي*، فاس، 1342 هـ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9، 3414.

محمد حجي

**الحركة**، مصطلح مخزني - بسكون الراء - وتعني ما يشبه الغزوة أو المسيرة العسكرية، والمشارك فيها يسمى الحارك. وقد احتفظت الكلمة في اللسان الدارج بمعنى يرتبط بالفرس والركض به، وكذا ألعاب الفروسية.

وربما كان أول مؤرخ استعمل مصطلح "الحركة" هو ابن صاحب الصلاة في كتابه *المن بالإمامة* (ص 174، 190) عندما تحدث عن فتوحات الموحدون في إفريقية والأندلس. كما استعملها للدلالة على تنقل المخزن تنقلاً خالياً من أي عمل عسكري، وظل مصطلح الحركة يحمل مفهوم الجهاد والفتح، من العصر المرابطي إلى العصر المريني وذلك ما نجده عند بعض المؤرخين كعبد الواحد المراكشي.

ومن منتصف القرن العاشر (16 م) لم تعد الكلمة تعني أعمال الفتح والجهاد خارج البلاد بل أصبحت تعني تلك

العمليات العسكرية الداخلية التي تنظمها السلطة المركزية لإثبات سيادتها على جهة ما من البلاد. وهذا ما قام به سلاطين الدولتين السعدية والعلوية.

فالسلطان أحمد المنصور السعدي قام بأربع حركات بين سنة 986 / 1578 و 990 / 1582 داخل البلاد قبل أن يستقر حكمه. أما في عهد الدولة العلوية فقد قام السلطان المولى الرشيد بإحدى عشرة حركة، والمولى إسماعيل بحركات عديدة لإخضاع الخارجيين عن الطاعة وخاصة في الجبال، أما أهم حركات السلطان محمد بن عبد الله التي قام بها فهي إما حركات قادها عند ما كان خليفة لأبيه في مراكش حيث حرك نحو سوس وحاجه، ثم حركاته عندما أصبح سلطاناً وهي نحو عشرين حركة.

وفي عهد المولى سليمان الذي تميز بشورات القبائل والزوايا قام السلطان بحوالي خمس عشرة حركة أغلبها بين فاس ومراكش عبر مكناس، ثم حركات عبر خط آخر يقصد تازا وبني مكيلا والشاوية.

أراد كثير من المؤرخين الأوربيين أن يجعلوا أسباب الحركات المخزنية هي الرغبة في إخضاع الجزء الأكبر من المغرب الذي اعتبروا أنه يعيش في حالة "سبية" مستمرة : فهنرى طيراس H. Terrasse يعتبر أن السلطان لم يكن ييسط حكمه على كل البلاد، وأن العلاقة التي تربطه مع القبائل هي علاقة عنف وقوة، وأن بلاد السبية تمتد على الأطلس المتوسط وشمال الأطلس الكبير ومنطقة زمور والحدود مع الجزائر والواحات الصحراوية، واعتبر أن حالة السبية ابتدأت في عهد المرينيين واستمرت قبائل السبية تروم الاستقلال سواء كانت من القبائل المستقرة أو المتنقلة أو نصف المتنقلة.

وقد سار جون واتربري John Waterbury على نهج طيراس عندما قال بأن المخزن هو عبارة عن "نسق قار من العنف المستمر" يريد بذلك أن يفسر بأن الهدف من الحركات السلطانية هو إرغام القبائل على الخضوع بالقوة وأداء الضرائب للمخزن.

لاشك أن الغرض من هذه النظرة الاستعمارية واضح، ذلك أن هناك عدة أهداف كانت ترمي إليها الحركات السلطانية، كما أن العلاقات بين المخزن والقبائل حتى من كانت منها تبدو خارجة عن الطاعة هي علاقات يدخل فيها المخزن على الأقل دخول الحكم والمؤدب لا دخول المبتز للضرائب انطلاقاً من المعلومات المتوفرة عن القرن الثالث عشر (19 م) وما قبله.

نعم، عرف هذا القرن تزايد الحركات الموجهة إلى القبائل لدفع ما عليها من واجبات كالزكاة والأعشار التي هي ضرائب شرعية تكون أساساً مهماً من أسس بيت المال. لكن هذا القرن الذي هو قرن التسرب الأوربي ووجهت فيه إلى المغرب ضربات متنوعة الوسائل والأشكال، ضربات عسكرية واقتصادية وتجارية ونقدية، وأخرى ضد سيادة

السلطة السياسية والقضائية والتشريعية. كان من نتائجها افتتار البلاد إلى المال وعلى الخصوص بعد الضربة العسكرية القاسية التي تلقاها المغرب عندما أجبر على خوض حرب تطوان سنة 1277 / 1860 وبعد دفع مقادير هامة من الغرامة المالية الباهضة التي فرضتها عليه إسبانيا كشرط للتخلي عن المدينة المحتلة تطوان، فلم يجد المخزن إلا أن يسلك طريق التماس المساعدة من مختلف الفئات، كما اضطر إلى فرض عدد من المكوس. لكن مع ذلك كانت الحركات الموجهة إلى القبائل سواء في عهد محمد بن عبد الرحمان أو في عهد الحسن الأول، وحتى في عهد جد هذا الأخير المولى عبد الرحمان بن هشام لا تهدف فقط إلى جمع المال ولكن إلى أهداف أخرى.

إذا كانت المعلومات متوفرة نسبياً عن الحركات التي قام بها سلاطين القرن الثالث عشر (19 م) فإن مسألة تنظيم الحركة وتموينها ومكوناتها نجد أوفر المعلومات عنها في العهد الحسني.

كانت الحركة تحتاج إلى عدة أنشطة واستعدادات تستدعي عمل عدة حرفيين مثل خياطي الخيام، وكان أغلبهم من اليهود، وصناع الدوم لتهيئة الشواريات والحصائر وصانعي الخبال ذات السمك المختلف حسب الحاجة لشد الخيام، كما تدخل فيها خدمات الأتماء لشراء العلف للبهائم وطحن القمح للتموين، وإحصاء الخيل والبغال والإبل الموجودة تحت أيدي عمال القبائل.

قبل انطلاق الحركة كان يسبقها مهندس وميقاتي لمعاينة الطرق الصالحة لمروها وتصويرها وتقسيم مراحلها بالساعات والدقائق ووصفها من أجل تعيين ميادين الاستراحة ومواضع الماء وتقييد القبائل التي سيكون المرور بترابها وعادة كل قبيلة في الحركة وما تقوم به من الخدمات، وما يلزم الحمارك من التموين وما يكفى لعلف الدواب ... الخ

وكان تقرير المهندس والميقاتي يعرض على عمال كل ناحية فيما أن يسلموا به وإما أن يبدوا نظرهم فيه. وكانت الحركة في عهد السلطان المولى الحسن تضم ما بين 15.000 و70.000 رجل. فكل قبيلة تعطي 200 حارك من فرسان ورماة، وكانت بعض القبائل لا تعطي إلا الرماة مثل جبالة، بينما تمنح قبائل السهول الفرسان.

في بيان تقييد المشاركين في إحدى الحركات الحسنية نجد أن عدد المشاركين 15.900 موزعين كآتي : 8.000 من العسكر، 1.500 من المسخرين، 1.000 من رماة الخناطين البرانيين والداخليين (المقصود أصحاب الحرف الموجودين خارج القصر وداخله) 400 من الحمارة و1.000 من الراجلين و400 من أصحاب الخيل، وغيرهم.

وهناك بيانات عن عدد كل نوع من البهائم المسيرة في الحركة وكمية العلف التي تحتاج إليه في اليوم وفي الشهر وفي ثلاثة أشهر.

قبل انطلاق الحركة يكون العمال قد أرسلوا جلود البقر والمعز والضأن، وحبال الثقب وخبوط الكتان، والفؤوس والمعاول والمطارق إلى الفرائيكي وهو صاحب أفراگ أو خيام السلطان.

كانت هذه الخيام تنصب قبل انطلاق الحركة لاستقبال الذاهبين فيها، من وزراء وقضاة وعلماء وأعيان وشرفاء وروساء الجند ورجال الدولة، وتقام حفلات دينية تستمر ثلاث ليالٍ. وعندما تجتمع الوفود تنطلق الحركة متتبعة الطريق الموصوفة من طرف المهندس والميقاتي.

كانت الحركة تتوقف في محطات معينة للاستراحة، وإذا كانت المشاكل الواجب حلها من طرف المخزن لدى القبائل متعددة أو شائكة فإن مدة سفر الحركة تطول وتنتد إلى ستة أشهر من فاس إلى مراكش على سبيل المثال.

كانت الحركة تنتظم على شكل خاص يبدو كهيئة مدينة مسورة دائرية تتوسطها خيام السلطان حيث السيوان وهو خيمة السلطان وبازائه المسجد، فخيمة اجتماع الهيئة المخزنية ثم خيام المكلفين بالخدمات الشخصية للسلطان مع عبيد الدار وأخوية أسرة السلطان وخيام الطبجية (المكلفين بالمدايع) والحرايين وكبار الموظفين.

تحيط بهذه الدائرة دائرة ثانية تتكون من خيمة الفرائيكية وخيمة مسخري أهل سوس ثم أيت الربيع، فعبيد البخاري الحارسين بخزينة المال. ولا بأس أن نورد بعض المعلومات المتعلقة بخزينة المال. لقد كان انعدام الأوراق المالية في ذلك الوقت يجعل حجم كمية متواضعة من القيمة المالية كبيراً ثقيل الوزن. فما بالك بخزينة مال مدينة متقلبة كالحركة. لقد كان المال المكون لـ"خزينة المال" يحمل على خمسين بغلة. على كل بغلة 4.000 ريال موزعة على أربعة صناديق في كل واحد ألف ريال.

إزاء هذه القافلة قبائل الشراودة - الرحامنة - زمران - شراغة، الأوداية - جيش أهل سوس الخ... ووراءها من الناحية القبلية الشمالية السوق، ثم مخيم محلة العسكر فخيما محال القبائل المساحبة للسلطان من جميع أنحاء البلاد. ويفصل بين هذه الخيام ممرات كأزقة عمومية وحومات.

سبق القول إن هدف الحركة لم يكن فقط استخلاص الضرائب، لأن ذلك كان موكولا إلى أمناء مختصين أحدثوا في عهد السلطان المولى الحسن للإشراف على قواد القبائل يقومون بهذا الواجب في الحالات العادية - كما أن القبيلة كانت مقسمة إلى فرق يمكن لفرقة واحدة أن تخرج عن الطاعة أو تقتنع عن أداء ما عليها للمخزن، ولكن هذا الامتناع لم يكن نابعا دائما من الحب في الانفصال بقدر ما كان راجعا للحالة الاقتصادية للقبيلة، إذ قد تكون أرضها جذبا، أو تعيش حالة فقر ربما زاد الجفاف من حدتها، وما أكثر ما وقع ذلك.

هكذا يمكن أن نلاحظ عدة وظائف أو أهداف ترمي إليها الحركات السلطانية :

أ - تفقد الرعية : حيث يقوم السلطان في هذه الحركات التشفعية بالنظر في أحوال الرعية والاتصال بالأماكن البعيدة لإثبات حضور المخزن، ولتلقى وفود القبائل من أجل تحديد الطاعة والولاء. وتمارس السلطة خلال الحركة السياسية اليومية، يقول السباعي في كتابه البستان الجامع "إن السلطان المولى الحسن كان في تنقله يمارس السياسة والقضاء والأحكام. لقد كان إذن يستمع إلى شكاوي الناس بعية المخزن، ويفصل في النزاعات.

تبين الوقائع أن القبائل المتنازعة كانت تستدعي المخزن للفصل في النزاعات فيما بينها والتي كانت تقوم إما على الأرض أو الماء أو الغنابة... الخ. وكانت أخرى لا تمنع على الأقل في توسط المخزن أو السلطان نفسه في حل النزاعات والخضوع لأوامره، مثال تدخل مخزن السلطان المولى عبد الرحمان والتي هي أحسن بين قبيلة هنتيفة عند قدم الأطلس الكبير وبين أولاد بوسيع. ولم يستعمل المخزن القوة، مما يفند أطروحة بعض مؤرخي الاستعمار. مثال آخر من عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان حيث وقع نزاع سنة 1288 / 1871 بين الفرق الثلاث لأيت يوسي المعروفة بضراوتها والموجودة في جاني الأطلس جنوب فاس وصفرو، وكانوا لا ينضبون لأوامر القائد الذي لم يكن يستطيع الهيمنة على كل تراب القبيلة لشاعته، واستمر النزاع فاستغاثت إحدى فرقهم بالسلطان الذي كان نداؤه لهم بالرجوع إلى الصواب والتأخي وخضوعهم له سبباً كافياً لنهاية الحرب ووسيلة لاستتباب الأمن عندهم، وهذا يفند أطروحة طيراس التي تدخل هذه القبيلة ضمن قبائل السبية.

ب - تأديب القبائل. كانت بعض الحركات تستهدف تأديب بعض القبائل إما لطغيانها وتعديها على جيرانها من القبائل الأخرى أو لفسادها وقطعها للطرق، فينظم المخزن حركات من هذا النوع مثل حركة المولى عبد الرحمان ضد بني موسى الذين قتلوا عاملهم أحمد بن زيدوح، ومثل حركة المولى الحسن ضد زمور الذين قتلوا نائب عاملهم أحمد بن المودن الفرجي، وحركته ضد بني مطير الهاجميين على مكناس، وحركته ضد بني إزناسن الذين أجبروا عامل السلطان ابن الشليح على التنازل لصالح ابن البشير سنة 1293 / 1876 فتمكنت هذه الحركة من إرجاع ابن الشليح إلى منصبه.

أما الحركات من أجل استخلاص الجبايات فهي عديدة ولكن ليست وحيدة - كما رأينا، وكما أراد بعض المؤرخين الأجانب أن يوهسوا بذلك - وتكفي الإشارة إلى أن أهم القبائل التي نظمت ضدها حركات من هذا النوع هي زمور سنة 1259 / 1843 و1270 / 1853 وتافيلالت 1271 / 1854 والرحامنة 1292 / 1875 وسوس 1304 / 1886.

كان الهدف من بعض الحركات وبالمخصوص تلك التي قام بها السلطان المولى الحسن، مرتبطا بظروف المغرب

آنذاك تجاه الدول الأوروبية المتنافسة عليه. ففي سنتي 1330 / 1882. 1886 نظم السلطان حركتين إلى سواحل سوس التي كانت محل توافد مكثف للأجانب. كانت الحركة الأولى تضم ما بين 40 ألف و70 ألف رجل لم تحدث خلالها أية مواجهة، ولكن يمكن القول إن الحركتين حققتا بعض الأهداف مثل إلغاء بعض الوكالات التجارية الأوروبية بسوس، وكذلك تحقيق إصلاحات إدارية، وإعادة تقسيم المنطقة الواقعة في يد كبار القواد إلى عدة قيادات أسندت إلى قواد جدد. وفي محرم عام 1311 / أواخر يوليوز 1893 توجه نفس السلطان إلى تافيلالت على رأس حركة قوامها 30.000 نفر إضافة إلى حركة ابنه المولى محمد، والغرض من ذلك الاتصال بوفد سكان توات للتنسيق في أمر مواجهة الجيوش الفرنسية الراغبة في احتلال توات.

وكخلاصة يمكن القول إن "الحركة" كانت ممارسة مخزنية عادية ومظهراً لتنقل السلطان عبر أنحاء البلاد لممارسة السياسة على الرعية. ولا ننسى ما تحمل هذه الكلمة من معنى الحركة ليس بالنسبة للحاركين فقط، وإنما بالنسبة لتنشيط الحياة الاقتصادية بتعينة العديد من أهل الحرف والصنائع وما يتبع ذلك من تبادل الأنشطة والخدمات وحركة البيع والشراء.

ع. ابن زيدان، العز والصلوة، 1962، العدد 1 ص. 189 : إتحاف أعلام الناس، 2، 5، الرباط، 1930 : م. أعفيف، الحركات الحسنية من خلال مؤلفات ابن زيدان، مجلة كلية الآداب بالرباط، العدد السابع، 1980 : ج. عياش، دراسات من تاريخ المغرب : الوظيفة التحكيمية للمخزن (Rabat 1979) : ع. العروبي، الأصول الثقافية والاجتماعية للوظيفة المغربية، باريس 1977 : أ. العلمي، الحركة كممارسة إصلاحية في عهد مولاي الحسن، في ندوة المغرب من العهد العزيمي إلى سنة 1912 : الجامعة الصيفية المحمدية يوليوز، 1987، ج 2 : أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1956 ج 9. عبد الإله الفاسي

## الحركة الديمقراطية الاجتماعية

### ← الحركة الوطنية الشعبية

**الحركة الشعبية** أول حزب سياسي تأسس بعد استقلال المغرب. ولم يكن ميلاده أمراً سهلاً، بسبب هيمنة فكرة الحزب الوحيد لدى بعض السياسين المسيطرين آنذاك. أُعلن عن تأسيس الحركة الشعبية في شهر شتنبر 1957 من طرف بعض زعماء المقاومة وقادة جيش التحرير، وخاصة الدكتور عبد الكريم الخطيب وعبد الله الوگوتي والمحجوبي أحرضان والصنهاجي والطيب بلعربي وحدو أبرقاش، واختيار هذا الأخير كأول كاتب عام للحزب، لكن وزارة الداخلية أغلقت مقر الحزب بشارع علال بن عبد الله بالرباط. وبالرغم من منع الحزب وإغلاق مقره فإن المؤسسين

لم ييأسوا، فأصدروا جريدة المغرب العربي، بالعربية، والعمل بالفرنسية، وظلوا يناضلون حتى صدر قانون الحريات العامة يوم 15 نونبر 1958. ولذلك فإن الحركة لم تستفد من نظام الحزب إلا بعد صدور هذا الظهير.

عقد المؤتمر التأسيسي للحركة الشعبية في أكتوبر 1959 ولم يصدر عنه أي برنامج سياسي واضح، ومع ذلك فقد بعث هذا التأسيس الأمل في سكان العالم القروي الذين ضحوا بالفعالي والنفيس من أجل الاستقلال وعودة الأسرة الملكية من المنفى، إلا أنهم لم يتمتعوا به، وهذا ما جعل المحجوبي أحرضان يقول : "لم نطالب بالاستقلال لكي نفقد الحرية"، ولم تمنع الاضطهادات المواطنين من مختلف الفئات من الانضمام إلى الحزب الجديد الحركة الشعبية، وخاصة في العالم القروي.

وبعد سنة 1959 حاولت مجموعة من الشباب المتحمس تنظيم وهيكل الحزب فشرعت في تأسيس المنظمات الموازية بدءاً بالشبيبة الشعبية التي يعود الفضل في تأسيسها إلى إدريس بلحسين (31 / 7 / 1960)، وفي الميدان النقابي أنشئ اتحاد نقابات العمال الأحرار سنة 1963 الذي أصبح يحمل منذ 1983 اسم اتحاد النقابات الشعبية.

ثم توالى الأحداث وصوتت الحركة الشعبية بنعم على أول دستور مغربي سنة 1962 ثم دخلت في جبهة الدفاع عن المؤسسات الدستورية وشاركت في انتخابات 1963 : واستطاعت أن تحصل على 43 مقعداً، مما هبها لتترأس أول برلمان مغربي في شخص الدكتور عبد الكريم الخطيب. وتأثرت الحركة بالجو السياسي العام في المغرب بين المد والجزر، وواجهت زعيم الحركة الشعبية المحجوبي أحرضان تحركات عديدة في إدارة الحزب سنوات 65 و66 و67 و75 و78 و79 و1985. كانت تسعى إلى وضع الحزب على المسار الصحيح الذي يرضى المصلحة العليا للبلاد والشعب المغربي. فكان رد فعل المحجوبي أحرضان طرد العديد من الحركيين القداماء المخلصين للحزب وللجماهير الحركية.

إذا كان المؤتمر التأسيسي للحركة الشعبية سنة 1959 لم يصدر عنه بيانات ولا مواقف سياسية واضحة، فإنه انطلاقاً من المؤتمر الثاني للحركة المنعقد في أكتوبر 1962، أخذت تتبشق بعض المواقف والمبادئ منها ما سمي آنذاك "بالاشتراكية الإسلامية" كقاعدة للبرنامج السياسي، وذلك بتوزيع أراضي الدولة وأراضي الأحياس على القبائل والجماعات المحلية. كما برز في هذه المواقف الاهتمام بالثقافة الأمازيغية بحيث طالب المؤتمر بالعمل على تشجيع تعليم اللهجات الأمازيغية.

وقد عزا الدكتور الخطيب تبني الاشتراكية الإسلامية إلى أنه يستهدف "منع الشعب المغربي من الاتجاه إلى المادية وخاصة الماركسية، وأنا نريد أن نبني دولة عصرية تظل جذورها ثابتة في الإسلام. ونحن لا نعتقد أن في وسعنا أن نتقدم بالنسبة لطبائنا ودخائل نفوسنا بدون

الدين. والإسلام هو الذي يفرض علينا تحرير المرأة عندنا، وهو الذي يحل لنا مشاكل الملكية وتوزيع الأرض وحتى مشاكل المال والتجارة، وأنا لا أعني ما طرأ على الإسلام من صور مشوهة في الألف سنة الأخيرة وإنما أعني روحه الأصيلة وطهره".

وبعد ذلك عقدت مؤتمرات أخرى ودائما وسط خلافات على الزعامة في صفوف قادتها. وقبل مؤتمر 1966 أي في سنة 1965، وقع خلاف بين المحجوبي أحرسان وعبد الكريم الخطيب سببه تأييد عبد الكريم الخطيب للمتمسك بالرقابة الذي تقدمت به أحزاب المعارضة ورفض أحرسان له. وعقد المؤتمر الخامس سنة 1966 وسط خلاف بين أحرسان والخطيب مما أدى إلى أول انقسام الحركة إلى حركتين :

1 - الحركة الشعبية بزعامة المحجوبي أحرسان التي ظلت محافظة على اتجاهها التقليدي.

2 - الحركة الشعبية الدستورية الديمقراطية التي تأسست سنة 1967 بزعامة الدكتور عبد الكريم الخطيب وعن سبب الانقسام يرى الدكتور عبد الكريم الخطيب أنه يعود إلى تأييد المحجوبي أحرسان لحالة الاستثناء المعلنة سنة 1965 في البلاد بعد أحداث مدينة الدار البيضاء. ورفض الخطيب لها.

أما المحجوبي أحرسان فيذكر أنه "في الواقع لم يقع أي انقسام داخل الحركة الشعبية، فقد انعزل الدكتور الخطيب بنفسه عن الحركة الشعبية، وأضاف قائلا، وأريد أن أقول إن الدكتور الخطيب صديق كفاح قديم، وأكن له كل تقدير، وقع بيننا سوء تفاهم فقط، لكن لم يحدث أي انقسام داخل صفوف الحركة الشعبية، والدليل على ذلك أن الخطيب كان له نائب واحد في البرلمان الحالي (برلمان 1977-1983). وإن القول بوقوع انقسام داخل الحركة الشعبية ليس صحيحا. كل الذين خرجوا عن الحركة الشعبية إما طردوا أو استقالوا، ولم يقع أي انقسام".

وحول اتهام الحزب بأنه "حزب عنصري" أمازيغي يقول أحرسان : "نحن ندافع عن الشخصية المغربية، ونعمل من أجل الحفاظ على الأخوة بين العرب والأمازيغ، ولقد كان الأمازيغ هم سيف الإسلام. والاستعمار هو الذي حاول التفريق بين العرب والأمازيغ، نحن ندافع عن الشخصية المغربية وعن الثقافة المغربية ولا يمكن أن نقبل بخلق نزاع، والحسد لله لا يوجد أي نزاع في المغرب من هذا النوع، والذين يقولون بهذه الفكرة هم هيئة سياسية معينة ترمي إلى تحطيم حزينا، نحن نقول إن اللغة العربية هي لغة القرآن والإسلام ولغة الرحمة".

ويضيف : "أنا أكن للغة العربية كل تقدير، ويجب أن يكون كذلك للغة الأمازيغية وضعها. لا توجد مشكلة بين العرب والأمازيغ، المشكلة حول التراث الثقافي فقط، ولا بد من المحافظة على التراث وعلى الشخصية المغربية".

وبعد انتخابات 1983 و1984 اتخذ الأمين العام للحركة

الشعبية المحجوبي أحرسان موقفا مناهضا للحكم واتهمه بتزوير الانتخابات وبالضغط على مرشحي الحركة وعرقلة تجمعاتهم ودفهم ليرتكوا أماكنهم للمرشحين المساندين من طرف السلطة. كما أنه رفض المشاركة في الحكومة الجديدة إثر خلاف حول مشاركته فيها، وفضل أن يبقى في المعارضة دون مناقشة الأمر مع هياكل الحزب. وقام بطرد عدد من أعضائه ؛ وبذلك أصبحت مسألة إجراء تغيير ملح وضرورة لإرساء الديمقراطية داخل الحزب. وهكذا وبعد معاناة انعدام نشاط الحزب وشلل هياكله وعدم قدرة قيادته على مساندة تطور المجتمع المغربي وتلبية طموحات وآمال مناضلي الحركة الشعبية وعدم وجود أي اتصال بين أجهزة الدولة والحزب طالبت القرات الحية في الحزب بتغيير الهياكل وتجديد القيادة وتدبير أحسن لشؤون الحزب. وهذا ما أدى إلى تكتل عدد من القياديين الحركيين وقيامهم بحملة واسعة في أوساط الحركيين لتفسير وضعية الحزب والفراغ الذي يعيشه الحركيون من جراء الجمود والتوقف الذي عرفه نشاط الحزب نتيجة المواقف الانفرادية لزعيمه. فتسكنوا من جمع النصاب القانوني لأعضاء المجلس الوطني طبقا للقانون الأساسي للحزب. وعقد مؤتمر استثنائي أيام 4 و5 و6 أكتوبر عام 1986. تبنى نظاما أساسيا جديدا يعتمد على قيادة جماعية تتكون من ثمانية أمناء وطنيين. وانفتحت القيادة الجماعية على إسناد منصب الأمين العام للسيد محند لعنصر. وفي هذا المؤتمر أقال المؤتمرون زعيم الحزب السيد المحجوبي أحرسان. ومنذ هذا الوقت انفصلت الحركة الشعبية عن شخص المحجوبي أحرسان.

ومنذ المؤتمر الاستثنائي للحركة بدأ العمل على جميع المستويات المركزي والمحلي منها. فعلى الصعيد المركزي شاركت القيادة الجديدة في العمل السياسي الوطني والدولي وذلك باتخاذ المواقف اللازمة إزاء مشاكل الساحة السياسية، هذا فضلا على أن الأمانة العامة كانت تعقد اجتماعاتها بانتظام بجانب اللجنة المركزية والمجلس الوطني.

وعلى الصعيد المحلي عُقدت التجمعات الإقليمية والمحلية، وفتحت العديد من المكاتب وفق خطة إعادة تنظيم وهيكلية الحزب. وقد أعطى التنظيم والهيكلية نتائجه إذ تمكن الحزب خلال انتخابات 1992 الجماعية من فرض وجوده في عدد من الجماعات الحضرية كالرباط وسلا والبيضاء ومراكش والعرراش وطنجة الخ .. أما الانتخابات البرلمانية فقد جعلت من الحركة الشعبية القوة السياسية الثالثة في البلاد بـ 54 برلمانيا، وهذا ما سمح لها بأن تشارك في الحكومة الحالية، حكومة الدكتور عبد اللطيف الفيلالي بشمانية وزراء.

وآخر مؤتمر عقدته الحركة الشعبية هو المؤتمر الثامن بالرباط أيام 11 و12 و13 نوفمبر 1994 ؛ وفيه صادق المؤتمرون على قانون أساسي جديد وتم انتخاب السيد محند

لنعصر أمنيًا عاما للحزب.

يتضمن القانون الأساسي الجديد 39 فصلا موزعة بين أهداف الحزب وشروط العضوية وتنظيم الحركة الشعبية، كالمؤتمر الوطني ومنصب الأمين العام والمجلس الوطني واللجنة المركزية والمكتب السياسي والهيئة الاستشارية واللجنة التأديبية وأموال الحركة.

1 - أهداف الحزب : تؤكد فيه الحركة الشعبية تشبها بالقيم الوطنية المقدسة وتعلقها بالملكية الدستورية التي تعتبرها الإطار الوحيد الذي يضمن للأفراد والجماعات حريتهم وتؤكد الحركة انتماء المغرب للأمة العربية الإسلامية وتسعى بصورة خاصة إلى تحقيق ما يلي :

أ - في المجال السياسي :

1 - تدعيم ممارسة الديمقراطية المحلية بإرساء أسس جهوية حقة في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

2 - الدفاع عن سيادة المغرب ووحدته الترابية وتعبئة كل الطاقات من أجل تحرير باقي الأراضي المستعمرة.

3 - تدعيم دولة القانون والدفاع عن حقوق الإنسان والتشبيث باحترام الحريات الفردية وكرامة المواطن المغربي.

4 - تنظيم المواطنين لجعلهم قادرين على تسيير شؤونهم في مختلف المجالات وتوعيتهم لممارسة العمل الديمقراطي في إطار الملكية الدستورية.

5 - تعبئة الشباب من أجل توجيه طاقاته الخلاقة للمساهمة في تنمية البلاد مع دعم دور المرأة المغربية وجعلها تمارس حقوقها كاملة.

6 - دعم تطلعات المغرب الوجدية مع دور المغرب العربي والتضامن العربي الإسلامي.

7 - تأييد كفاح الشعب الفلسطيني من أجل تقرير مصيره والتضامن مع الشعوب المكافحة من أجل استقلالها.

8 - التضامن مع كل المبادرات الساعية إلى تحقيق سلم دائم وعادل.

ب - في المجال الاقتصادي :

1 - تدافع الحركة الشعبية عن الحرية الاقتصادية حيث يجب علي الدولة أن تضمن احترام إطار تدخل المواطنين.

2 - تساند لامركزية القرارات الاقتصادية مع تدعيم موارد الجماعات المحلية التي تعتبر أساس وقاعدة لتنمية اقتصادية حقة للبلاد.

3 - التطور الاقتصادي لتحقيق المزيد من العدالة الاجتماعية والرفع من المستوى المعيشي لكل الفئات الشعبية.

4 - تؤكد الحركة الشعبية بالخصوص تشجيع الفلاحة التي تمثل مورد أغلبية السكان والنهوض بالعالم القروي حتى يساير بصفة موازية الركب التنموي للمناطق الحضرية.

5 - كما تطالب بتزويد العالم القروي بتسهيلات مالية

وإدراية لتمكينه من مشاركة فعالة في التنمية الاقتصادية دون إفقاره. كما تطالب الحركة بإصلاح زراعي يمكن من ازدهار وتطور هذا القطاع الحيوي الذي يعتبر مورد عيش لكثير من السكان. مع توفير الماء والكهرباء والطرق.

ج - في المجال الاجتماعي :

1 - إن السياسة الاجتماعية للحركة الشعبية تهدف إلى الدفاع عن مصالح الفئات الاجتماعية الأكثر فقرا بإرساء عدالة اجتماعية. وتؤكد بالخصوص على الدفاع عن العالم القروي والشبه الحضرى لتمكينهم من ممارسة حياة اجتماعية مستمرة وكفيلة بالتوازنات الاجتماعية والديموغرافية الضرورية لتطور اقتصادي شامل.

1 - على مستوى التعليم تناضل الحركة من أجل وضع قواعد سياسية تعليمية واضحة في إطار ميثاق وطني يحظى بإجماع التيارات السياسية، وبأخذ بعين الاعتبار العوامل الحضارية والثقافية والتاريخية للبلد.

2 - كما تنادي الحركة بالتعليم للجميع، وكل طفل له الحق في التعليم كيفما كان انتماؤه الاجتماعي.

3 - على صعيد الثقافة تطالب الحركة بتدعيم كل الوسائل الكفيلة بتمكين المواطنين من المحافظة على ثقافتهم المبنية على الحضارة والتاريخ والتقاليد، ومقاومة كل تشويه وإهمال للثقافة الوطنية بمكوناتها الأساسية : الثقافة العربية والثقافة الأمازيغية. ومن اللازم صيانة هذه الثقافة وذلك بإجراء البحوث والدراسات.

4 - في ميدان الشغل تناضل من أجل ضمان الشغل لكل المواطنين واحترام حقوق الطبقة العاملة.

5 - وفي مجال الصحة يعتبر الحزب أن التطبيب حق أساسي لكل مواطن، ويهيب بالسلطات العمومية إلى تعميم المراكز الصحية والعيادات وضمان الشروط الضرورية لاستفادة المواطنين من العلاج وخاصة سكان العالم القروي.

ج - ميدان المحافظة على البيئة

إيمانًا من الحركة بأن كل تغيير للبيئة يترتب عنه خلل في النظام البيئي، ووعيا منها بخطورة مشاكل البيئة الناجمة عن التلوث، والتعمير العشوائي، والتصنيع غير المحكم ببعض المناطق، والعواقب الوخيمة التي يمكن أن تنتج عنه، فإن الحركة الشعبية تناضل من أجل :

1 - المحافظة على البيئة وعقلنة استغلال وتدبير الموارد والثروات الطبيعية، مع الأخذ بعين الاعتبار النمو الديمغرافي للبلاد.

2 - المحافظة على كل الثروات الوطنية واستثمارها بطريقة تسمح بالتحكم في التوازن البيئي.

3 - مقاومة كل أشكال القضاء على الغابة، وانجراف التربة، والتصحر، وأي خلل يسبب بالأنظمة الطبيعية للواديان والمسطحات المائية والمياه الجوفية والشواطئ.

يخضع الانخراط في الحزب لشروط نجد بعضها في جميع الجمعيات طبقاً لظهير 15 نوفمبر 1958 وهي كالآتي :

1 - أن يكون المنخرط مغربياً متمتعاً بحقوقه المدنية. 2 - أن يبلغ من العمر الأقل 18 سنة. 3 - أن يلتزم صراحة بالدفاع عن مبادئ الحركة. 4 - أن ينتظم في خلية من خلايا الحركة ويحضر اجتماعاتها. 5 - أن يدفع اشتراكاته بانتظام ويحصل على بطاقة العضوية.

### ١١١ - تنظيم الحركة الشعبية :

تتألف الحركة الشعبية من تنظيمات خلوية وإقليمية وهيئات وطنية :

أ - فالخلوية تشكل الوحدة الأساسية للحركة على مستوى الحي في المدن والقرى والجماعات المحلية في العالم القروي.

تفتح المكاتب بقرار من الأمانة العامة لهذا الغرض.

يكون كتاب الخلايا في الجماعات هيئة الحركة على مستوى الدائرة. ومن مكاتب الدوائر يتكون المجلس الإقليمي الذي ينبثق عنه المكتب الإقليمي الذي يسهر على تنظيم النشاط السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي على مستوى الإقليم.

ب - وعلى المستوى الوطني تباشر الحركة مسؤولياتها بواسطة هيئاتها الوطنية التالية :

١ - المؤتمر الوطني : وهو أعلى جهاز للحركة ويضم ممثلي المكاتب المحلية، وأعضاء المجلس الوطني، وأعضاء المجالس الإقليمية، والمكاتب الإقليمية واللجنة المركزية، والمكتب السياسي، والهيئة الاستشارية، وممثلي الشبيبة والنقابات والطلبة والاتحاد النسوي وغيرها من الجمعيات والمنظمات المنتخبة للحزب. وينعقد المؤتمر مرة كل ست (6) سنوات. كما أنه يمكن أن يعقد في دورة استثنائية يطلب من ثلثي أعضاء المجلس الوطني، كما حدث سنة 1986، وباستدعاء من الأمانة العامة.

والمؤتمر الوطني هو الذي يقوم بإعداد سياسة الحزب وتنظيمه، والبحث عن الموارد المالية، وانتخاب الأمين العام والمصادقة على المجلس الوطني.

2 - الأمين العام : ينتخبه المؤتمر الوطني ويحق له أن يختار أعضاء من المكتب السياسي يساعده في مهامه. والأمين العام هو الذي يسهر على تنفيذ قرارات المؤتمر الوطني، ويسير إدارة الحزب، ويدير أموال الحركة، ويترأس اجتماعات المكتب السياسي، واللجنة الإدارية واللجنة التأديبية. ويمثل الحزب أمام السلطة الإدارية والقضائية. كما أنه يعتبر الناطق الرسمي للحزب، ويقوم بتعيين المفتش العام للحزب والمفتشين الإقليميين ونوابهم.

3 - المجلس الوطني : يصادق المؤتمر الوطني على تكوين المجلس الوطني الذي يتألف من ممثلي المجالس الإقليمية في

حدود خمسة إلى عشرة أعضاء اعتماداً على عدد منخرطي الإقليم، بجانب أعضاء الفريق البرلماني وممثلين عن الشبيبة والنقابات والطلبة والاتحاد النسوي والجمعيات الموازية : هذا فضلاً عن خمسين (50) عضواً يقترحهم الأمين العام.

يجتمع المجلس الوطني مرة كل سنتين في دورة عادية، كما أنه بإمكانه عقد دورات استثنائية. ويسهر المجلس الوطني على تطبيق توجهات المؤتمر ودراسة السياسة العامة للبلاد، ويحدد مواقف الحزب طبقاً لتوجيهات المؤتمر الوطني. ويقوم المجلس الوطني بانتخاب من بين أعضائه ممثلي المجالس الإقليمية في اللجنة المركزية.

4 - اللجنة المركزية : تتكون من أعضاء المكتب السياسي والفريق البرلماني وعضو واحد عن كل إقليم (20) عضواً يقترحهم الأمين العام. وتجتمع اللجنة المركزية مرة كل ستة أشهر على الأقل باستدعاء من الأمين العام. وتناقش تقرير المكتب السياسي، كما تقيم نشاط مختلف الأجهزة الحزبية، وتوجه المكتب السياسي، وتسهر على احترام السياسة العامة للحزب تمسباً مع مقررات وقرارات المؤتمر الوطني.

5 - المكتب السياسي : يعتبر أداة تنفيذ وعمل مستمر وهو الذي يحدد مواقف الحزب ويوجه إعلامه ويتابع أعمال مختلف هيكل الحزب ومنظماته، ومن بين أعضائه يعين أعضاء الأمانة العامة. يجتمع المكتب مرة في الشهر على الأقل وكلما دعت الضرورة إلى ذلك.

6 - الهيئة الاستشارية : تتكون من حركيين أسدوا خدمات جليلة للحركة، ويستعين بها المكتب السياسي عند الحاجة. وقد يكلف أعضاؤها مهام لدى منظمات الحزب. وبالإضافة إلى الأبواب السابقة هناك بنود خاصة باللجنة التأديبية وأموال الحركة. ففيما يتعلق بموارد الحركة فإنها تتكون من واجبات انخراط الأعضاء، والإعانات والفوائد العامة. وتتم مراقبة تدبير أموال الحزب من طرف لجنة مكونة من أربعة أعضاء ورئيس يتم انتخابهم لمدة سنة من طرف اللجنة المركزية. وتقوم اللجنة المالية بإعداد التقرير السنوي وتسليمه للأمين العام وتعرضه على اللجنة المركزية.

## الحركة الشعبية الدستورية الديمقراطية

### ← الحركة الشعبية

**الحركة الوطنية الشعبية**، تكونت بزعامة المحجوبي أحرضان سنة 1991 بعد إقالته من الحركة الشعبية على إثر مؤتمرها الاستثنائي في أكتوبر 1985. فبعد خمس سنوات من الركود دعا المحجوبي أحرضان إلى عقد مؤتمر تأسيسي في مراكش أيام 18 و19 يوليو 1991 أسفر عن تأسيس حزب جديد يحمل اسم الحركة الوطنية الشعبية.



وقد دخل أحرضان مع مناصريه انتخابات سنة 1992 الجماعية و1993 البرلمانية. وبالرغم من حداثة حزبه فإنه فرض وجوده في عدد من المناطق والمدن التي كانت خاصة فيما سبق بالمعارضة التقليدية كمراكش والدار البيضاء وسلا، هذا فضلاً عن مناطقه التقليدية المعتادة وأصبح للحركة الوطنية الشعبية فريق في البرلمان يتكون من 25 برلمانياً.

إلا أنه وفي هذه المرة أيضاً عرفت الحركة الوطنية الشعبية ومن خلال الفريق البرلماني انشقاقاً تكون على إثره فريقان برلمانيان : أحدهما تابع لأحرضان يتكون من اثني عشر برلمانياً، والآخر تزعمه محمود عرشان ويبلغ عدده سبعة عشر برلمانياً، وأطلق عليه فريق الحركة الوطنية الديمقراطية الاجتماعية. وتطور هذا الفريق الجديد إلى حزب جديد عقد مؤتمره في شهر يونيو 1996 وحمل اسم الحركة الديمقراطية الاجتماعية وأصبح السيد حمود عرشان أول أمين عام لها.

وفيما يتعلق بالقانون الأساسي للحركة الوطنية الشعبية فهو نفس القانون الأساسي للحركة الشعبية الأم.

لقاءات وجلسات خاصة مع بعض القادة التاريخيين للحركة : فائزة سارة، الأحزاب والقوى السياسية في المغرب، 1990 : المهدي بن بركة، الاختيار الثوري في المغرب، بيروت، 1966 : روم لاندو، مراكش بعد الاستقلال، تعريب خيرى حماد، بيروت، 1961 : جون واتر بوري، الملكية والنخبة السياسية في المغرب، تر. ماجد نعمه وعبود عطية، بيروت، 1982 : الحركة الشعبية نضال واستمرارية، نشر حزب الحركة الشعبية، بدون تاريخ : استجاب مع محمد لعنصر الأمين العام للحركة الشعبية مجلة : *Le Libéral* 2 - 12 pp. Mars 1989 n° 15. *magazine* : استجاب مع السيد المعجمي أحرضان في مجلة : *Le Libéral magazine* n° 23 : 19 - 15 pp. Janvier 1990 : حدو أبرقاش، مذكرة إلى السادة أعضاء الأمانة العامة للحركة الشعبية مؤرخة في 20 / 4 / 1989 محررة بالرباط : حدو أبرقاش ومحمود عرشان، بلاغ إلى أعضاء الحركة الشعبية موقعة باسم لجنة الاتصال.

Conseil National du Mouvement Populaire, Rabat Hilton le 30/9/78 "Contribution pour une nouvelle société" : Zaky Daoud : interview avec "Aherdan" Lamalif n° 175, Mars 1986, pp. 8 - 9.

مصطفى أعشى

الحُرْم، هو المكان الذي يحرم فيه القتل وإراقة الدماء وكل أشكال العنف، وهو بالتالي المكان الآمن الذي يسوده السلم والذي يقصده كل شخص يخاف على نفسه من عقوبة أو انتقام، وفصيحه الحَرَم . يفتح الحاء والراء . وينطق به عامة أهل المغرب الحُرْم - بضم الحاء وسكون الراء ..

والحَرَم كمؤسسة دينية واجتماعية عُرِفَت لدى جميع

المجتمعات التقليدية التي لم يبلغ فيها تمركز السلطة درجة متقدمة، كما هو عليه الحال في المجتمعات القبلية. ونظراً لأهميته لدى هذه المجتمعات فقد اكتسب الحَرَم صبغة دينية متميزة وأصبح جزءاً من معتقدات الكثير من الشعوب كعرب شبه الجزيرة العربية حيث كانت مدينة مكة تلعب دور مجال مقدس تقصده القبائل للتجارة أو العبادة أو النظر في شؤون السلم والحرب. وبمجيء الإسلام احتفظت مكة بوضعها كحَرَم، بل إن الإسلام أضاف حرماً ثانياً هو حرم المدينة المنورة، وبذلك أصبحت شبه الجزيرة العربية تتوفر على حرمين بدل حَرَم واحد.

وفي المغرب كرس الإسلام هذه المؤسسة التي عرفها البربر بالتأكيد قبل وصول الإسلام تحت أشكال مختلفة. والتقليد الموجود والمعروف بالعار أو أزواك هو خير دليل على أن المجتمعات القبلية في شمال إفريقيا كانت تتوفر على آليات مختلفة لتنظيم العُنْف وتقنينه. وإلى وقت قريب كانت قبائل الأطلس المتوسط تحرم القتال خلال أوقات معينة كأوقات الحرث أو جمع الغلال الزراعية. كما أن قبائل الريف كانت تعتبر السوق الأسبوعي مجالاً لا يُسمح لأحد بانتهاك حرمة أو اقتراف شكل من أشكال العنف فوق أرضه، وذلك حفاظاً على استمرار بعض الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية الحيوية.

ومنذ العصور الأولى للإسلام ارتبطت مؤسسة الحُرْم بالشرف والصلاح، فأصبحت بعض أضرحة الشرفاء أو الأولياء أماكن يُستجار بها، وتُقصد من طرف كل فار من ثار يلاحقه أو عقاب يهدده. ولقد لاحظ واستمرمارك، عالم الإثنوغرافيا الفنلندي، الذي وصف بشكل دقيق المعتقدات والمؤسسات الدينية بالمغرب عند مطلع القرن العشرين، أن أماكن الحُرْم هي في الغالب أضرحة الأولياء، وأن المسجد على الرغم من كونه يتمتع بالقدسية كبيت لله فإن العامة لا تعتبره حرماً وتُفضل أن تستجير بيوت الأولياء.

وأشهر الأضرحة التي تحتل الصدارة في هذا المجال ضريح مولاي إدريس بفاس وضريح مولاي عبد السلام بن مشيش بجبل العلم، ويستمد هذان الضريحان أهميتهما من انتساب دفينيهما إلى السلالة الشريفة. وكان لكل حُرْم من هذين الحرمين مجال محدد وحدود معروفة مثبتة في المواثيق والنظائر السلطانية، يحترمها الخاص والعام ولا يقدر أحد أن يتعداها. وكان حُرْم مولاي إدريس بفاس يمتد إلى عدة أزرقة حول الضريح الإدريسي، وقد وضعت علامات خشبية عند منافذ هذا الحُرْم يُصبح كل من تجاوزها باتجاه الضريح أمناً وفي ذمة الشرفاء الأدارسة الساهرين على أمور ضريح جدهم. وكان حرم مولاي عبد السلام بن مشيش يغطي مساحة أوسع تشمل أراضي عدة قبائل مجاورة.

ولم تكن كل الأضرحة تتمتع بنفس القدر من الاحترام،

فضريح ولي يتوفر على شرف النسب وشهرة قديمة وسمعه ذائعة كان يأتي في الغالب قبل غيره من الأضرحة. وكان هذا الاحترام يزيد في حالة وجود عصبية قوية متمثلة في أهل الولي وعشيرته. فإذا كان الناس بشمال المغرب يفضلون الضريح المشيشي ويضعونه في المقام الأول كملجأ يُحتسب به فذلك راجع إلى درجة كبيرة إلى عصبية الشرفاء العلميين الذين كانوا يشملون برعايتهم وحمائيتهم كل من قصدهم واستجار بضريح جدهم. وكان السلاطين على الرغم من قوتهم وهيبتهم يُراعون هذا الحُرْم ولا يقتحمون حدوده حتى عندما يُستعمل كملجأ من طرف الثائرين والخارجين على الدولة. والأمثلة كثيرة في هذا المجال نشير منها إلى حالة اليزيد بن سيدي محمد بن عبد الله الذي بقي مُحترماً بالضريح المشيشي إلى أن توفي والده في سنة 1204 / 1790، فخُرج حينئذ ليتولى مقاليد الحكم. وبعد ذلك بقليل لجأ إلى حُرْم مولاي عبد السلام بن مشيش أمير آخر هو المولى مسلمة بن سيدي محمد بن عبد الله الذي استفاد من حماية الشرفاء العلميين في صراعه مع إخوته على العرش، ولم يفادره بصفة نهائية إلا بعد توسط الشرفاء والتوصل إلى مخرج سلمي للأزمة.

كما أن قدرة الضريح على توفير الحماية للفارين من عدالة المخزن كانت تتوقف إلى حد بعيد على المكانة التي كان يحتلها هذا الضريح وأصحابه لدى المخزن نفسه. فالسلطان كان هو الذي يمنح ظواهر التوقير والاحترام، وبالتالي كان بوسعه أن يقوي جانب حرم ويُضعف جانب حُرْم آخر. وخير مثال على ذلك هو الاحترام الذي أصبحت زاوية الفاسيين تتمتع به بالحضرة الإدريسية كنتيجة للعلاقة المتميزة التي كانت تربط المولى إسماعيل بعلما الأسرة الفاسية. وكننتيجة لذلك استفادت الزاوية الفاسية من عدة امتيازات مخزنية، كان في مقدمتها بناء وتوسيع الزاوية التي تضاعفت مساحتها أربع مرات حسب صاحب نشر الثاني. كما استفادت الزاوية الفاسية من الدعم المخزني في شكل هبات أو تهبيس ممتلكات وغير ذلك. ويسبب هذا العطف المخزني أصبحت الزاوية حسب محمد بن الطيب القادري حرماً متميزاً يقصده الراغبون في الملجأ والهاربون من أحكام الولاية دون أن يستطيع أحد من هؤلاء أن يسهم بسوء مهمما كان نوعُ جريمتهم، بل إن الباحثين عن الحماية بمدينة فاس أصبحوا يفضلون زاوية الفاسيين ويشعرون فيها بالأمن أكثر مما كان الحال بأضرحة تقليدية أخرى.

وعلى ضوء ما سبق يُمكن التأكيد أن الحُرْم، عكس ما قد يتبادر إلى الذهن، لم يكن دائماً موجهاً ضد المخزن يتوفيره الملجأ للمتتمردين والفارين من العدالة. ففي الحالة المشار إليها أعلاه يظهر بوضوح أن المخزن نفسه كان يعزز ويقوي مؤسسة الحُرْم لأنها كانت تُشكل مظهراً من مظاهر التوازن الاجتماعي والسياسي وتسمح بإيجاد حلول سلمية للكثير من الخلافات المستعصية. فلجوء أمير متمرد إلى

ضريح مولاي إدريس أو مولاي عبد السلام بن مشيش مثلاً كان يعني في الواقع نهاية للمواجهة العنيفة وبداية الحوار تحت رعاية أصحاب الحُرْم الذين كانوا يضمون حلاً سلمياً يوقف خطر التمرد بالنسبة للمخزن ويحفظ ماء الوجه بالنسبة للأمير المهزوم، الذي يُطلب منه في الغالب أن يعتزل الحياة السياسية أو يرحل إلى منطقة يُتقى فيها شره.

إلا أن رغبة الدولة الحديثة في مركزة شؤونها والحد من نفوذ القوى المحلية والدينية قد حدا ببعض السلاطين إلى إضعاف مؤسسة الحُرْم عندما أصبحت تشكل في نظرهم خطراً على الدولة وسيادتها. وقد تقوى هذا التوجه خلال القرن الثالث عشر (19 م) بشكل خاص عندما اتسع نفوذ القوى الدينية وأصبحت بعض الزوايا تتحدى سلطة المخزن بربطها علاقات مباشرة مع الأوربيين، بل إن بعض المرابطين والشرفاء وضعوا أنفسهم تحت حماية النصاري، وهو ما أضر بمكانتهم في المجتمع وأثر سلباً على مؤسسة الحُرْم بشكل خاص.

وفي هذا الإطار، ومع حرص الدولة المستمر على كسر الاحتكار الذي كانت تُمارسه القوى الدينية على مؤسسة الحُرْم، أصبحنا نشاهد خلال القرنين الماضيين بروز حُرْم من نوع جديد لا يرتكز على أية قاعدة دينية. وهكذا ظهر ما يُسمى "بزواك المدفع"، وهو "حُرْم مخزني" صرف، ذلك أن الشخص الذي كان يرغب في الحماية أو الذي كان يريد أن يلفت انتباه المخزن إلى ظلم أصابه، أو يلتمس العفو والصفح من الدولة لجرم ارتكبه كان يتوجه إلى مدفع في ملك المخزن ويستجيز به واحضاً نفسه تحت رحمة السلطان. وهكذا يشير صاحب كتاب الاستقصا على سبيل المثال إلى تضرع قبائل إشقيرن الأطلسية إلى السلطان مولاي الحسن وطلبهم عفوهم عندما "استجاروا بالمدفع" خلال إحدى الحركات المخزنية. ومن خصائص هذا الحُرْم أن كان في متناول غير المسلمين كاليهود الذين لم يكن يسمح لهم بولوج الأضرحة والزوايا.

وختاماً نشير إلى أن العلماء، وخاصة المتشيعين منهم بالأفكار السلفية، كان لهم بعض الدور في إضعاف مؤسسة الحُرْم كما كانت تُمارسه الزوايا وأتباعها من العامة. فمند نهاية القرن الثالث عشر (19 م) وبداية القرن الرابع عشر (20 م) أصبحنا نرى بعض العلماء يفتون بعدم شرعية الحُرْم إذا كان يؤدي إلى معارضة نصوص الشرع ويكرس ممارسات اعتبروها جاهلية مثل "الزواك" أو "العار". فرمي العار على الأولياء، يقول محمد بن جعفر الكتاني، طليباً لحمايتهم أو رغبة في شفاعتهم، هو عمل لا يُقدم عليه إلا "الجهلة الأغبياء" ويتضمن سوء أدب مع أولياء الله لما ينطوي عليه من نية الإكراه، وهو بالتالي مرفوض شرعاً. وفي نفس الاتجاه أفتى العديد من العلماء باستباحة الأضرحة والزوايا إذا استعملت لحماية العصاة والخارجين عن طاعة أولي الأمر.

العدد	مدشر الحرم	القبيلة
9	تازروت - أغيل أبو علقمة الحارش - دار المحيط - افرو طردان - بغورة - تاجزرت العجالية - خندق أبران أدجاز - الحصن - المعروقة	بني عروس بني ليث
6	تالجمين السلام - بوسواس	بني يوسف
4	تازجلوت - النشير	
3	أغبالو - الحامة - أرايون	بني يدر

إن تمثل الحرم في المجتمع داخل هذه المساحة يناقض الحلال، ويقننه تشريع خاص مقتبس من الحرم المكي، متجدد بفعل الظواهر والرسائل السلطانية، ويتألف من ثلاثة بنود : "لا يقربه المخزن ولا يطوف حوله ولا يُصطاد فيه وحش ولا يُقطع منه شجر". وفي العرف الشفوي، لا يدخله اليهود والنصارى. وقد كان أصحاب الحرم الأشراف أكثر تشدداً في هذا الصدد، فضلاً عن رسوخ التقاليد الجهادية في المنطقة، مما جعل الحرم العلمي مجالاً ممتنعاً على الرحالة الأجانب الذين زاروا الشمال خلال القرن الثالث عشر (19 م) كشارل دوفوكو الفرنسي ودي كوفاس الإسباني الذي فشلت رحلته إلى جبل العلم.



ومن الأعراف الشفوية أن لا يدخله أحد من ذرية ابن أبي الطواجن قاتل القطب مولاي عبد السلام، وذرية أتباعه في بني سعيد. كان شيوخ الأشراف العلميين يميزونهم بعلامات فيزيولوجية خاصة، كما حكى راوية مولييراس في كتاب المغرب المجهول. ومن أدب السير فوق تراب الحرم العلمي، إزالة النعال والحفاظ على الطهارة كما كان يفعل العلماء أمثال الشيخ التاودي ابن سوادة الذي كان شديد الارتباط بالعلم. غير أن تصور الحرم وتوقيره كان يختلف

م. القادري، نشر الثاني، الجزء 3، تج. محمد حجي وأحمد التوفيق، الرباط، 1986 : م. الكتاني، سلوة الأنفاس، الجزء 1، طبعة حجرية، فاس، 1899 : أ. الناصري، الاستقصا، الجزء 9، الدار البيضاء، 1954، 1956.

G. Salmon, *Le droit d'asile des canons*, A. M., vol. 3, 1905, pp. 144 - 153 ; E. Westermarck, *Ritual and Belief in Morocco*, 2 vols., New-York, 1968.

محمد المنصور

**الحرم العلمي**، من أكبر حرمان المغرب وأشهرها، وأغلب الظن أن تأسسه كان في عهد السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي، بعد معركة وادي المخازن نتيجة لتطور الشرف العلمي في الشمال الغربي وظهور الأشراف العلميين على رأس الحركة الجهادية، ويندرج ضمن الامتيازات التي منحها السلطة السعدية للأشراف.

يرتبط الحرم العلمي بالقطب المؤسس مولاي عبد السلام بن مشيش دفين جبل العلم في قبيلة بني عروس. ويرجع الفضل للشيخ عبد الله الغزواني في تأسيس وتنظيم زيارة قبره، أواخر القرن التاسع (15 م) حيث بين القبر وبني عليه ضريحاً متواضعاً أثناء وجوده في بني زگار زمن الوطاسيين. وقد أضفى علماء المغرب على الزيارة المشروعية بفعل كثرة ترددهم على الضريح المشيشي، فضلاً عن زيارة الأمراء والسلاطين له. وكانت الزيارة في الذاكرة الجماعية الشعبية تُعرف بحج المسكين، يبدو فيها التماثل بين العَلَم ومكة في توقيت الزيارة وطقوسها. ويتألف المقدس العلمي من جميع مآثر الولي في قمة الجبل، وتشمل مغارة الخلوة، وجامع الملائكة، وعين البركة وموضع ارتقاب الفجر وعقبة الحياة وحجرة مولاي عبد السلام. ويمكن القول إن تراب الجبل وما ينبت فوقه وما ينبع فيه من ماء كان يعتبر في نظر عامة الناس مقدساً حلت فيه بركة الولي. وقد اقتنر الجبل المقدس بالهوية النسبية التي استحقتها الأشراف المنحدرون من نسل مولاي عبد السلام وأخويه وأعمامه الذين استوطنوا جبل العلم منذ القديم دون سواهم من الفروع الإدريسية.

لقد شكل الجبل مركز الحرم العلمي ويُعتقد أن مركز الحرم هو الحوش المحيط بالضريح، إلا أن الحرم التاريخي والعرفي شمل نطاقاً أوسع تجاوز مساحة الجبل المقدس، ومن الصعب تمثيل حدود الحرم العلمي على الخريطة بدقة اعتماداً على الوثائق التي بين أيدينا، وعلى الخريطة الطبوغرافية لأن معالم الحدود القديمة قد تغيرت أسماؤها ولا أثر لبعضها في الذاكرة المحلية. قدرت مساحة الحرم القديمة بنحو خمسين ألف هكتار، موزعة بين أربع قبائل جبلية متجاورة هي : بني عروس التي حازت معظم مساحة الحرم لاعتبارات تاريخية، وقبيلة بني ليث، وبني يوسف وبني يدر. ويتحدد الحرم العلمي، في الوثائق بالمداشر، وعددها اثنان وعشرون مدشراً حرمياً، موزعة على النحو الآتي :

من قبيلة إلى أخرى، فالحرم العلمي في نظر أهل الأخصاس العليا، ينحصر في الضريح المشيشي والحوش المحيط به؛ والمقدس لا يتجاوز هذا الفضاء، وهذا التصور يبدو جلياً في ممارسات رجال القبيلة أثناء موسم مولاي عبد السلام، كانوا يدخلون الحرم حاملين السلاح، يقدمون الذبائح ويمارسون طقوس الزيارة وفي طريق العودة إلى قراهم، لا يتورعون عن نهب أقرب مداخل الحرم وهو الحصن أو سفك الدماء، وعلى النقيض من ذلك كان حلفاء الأشراف، ومعظمهم من القبائل البربرية الأصل، يغالون في تقديس القطب الشهيد والحرم العلمي.

لقد تمتع الحرم العلمي بحماية السلاطين، عن طريق الظهائر الموجهة للأشراف والرسائل التي تعني المخزن المحلي، وبذلك ضمن حق الاستحجارة أو "أزواك". والاستحجارة نوعان، استحجارة رمزية يستغث فيها المحترم بالولي، كما يدل على ذلك الملفوظ الشفوي في طلب الشفاعة والبركة، لقضاء حاجات مختلفة. وفي هذه الحالة يكون حضور المقدس في نفس المستحجر قوياً. أما النوع الثاني، فهو اللجوء إلى الحرم بحثاً عن الأمان. وتؤكد الوثائق المخزنية أن الحرم العلمي كان مجالاً للتمتع من السلطة المركزية من طرف الأفراد والجماعات. وقد أفرز الاستحرام أحداثاً ووقائع ذات أهمية في تاريخ المغرب السياسي، بفضل الحصانة القانونية التي حظي بها الحرم العلني، ومن بين الظهائر المؤسسة لهذه الحصانة، ظهير السلطان المولى إسماعيل للأشراف العلميين، وهو بمثابة إجراء زجري لقواد الشمال وللقائد سعيد الزراري بالذات، نص على العقوبات التي تذهب إلى حد قطع الرقبة في حالة اختراق الحرم العلمي.

إلا أن تاريخ الحرم العلمي يسجل أن توظيفه لم يكن في صالح السلطة المركزية، بل وظف أحياناً ضد السلطان حامي الحرم. ومن أبرز الأمثلة التي نستحضرها هاهنا، استخدامه من طرف مولاي اليزيد ضد والده السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ومن طرف المولى مسلمة ضد أخيه مولاي سليمان. كما لجأ إليه قواد تطوان وغيرهم للنجاة من بطش السلطان كما هو حال القائد محمد بن عمر لوقاش.

وعلى مستوى آخر استخدمت القبيلة الحرم العلمي في التملص من الوظائف السلطانية ومن التكاليف، وغالباً ما حدث الهروب القبلي الجماعي إلى الحرم العلمي، بعد صدور الأوامر السلطانية بانزال العقوبة بالقبيلة المتردة. وتعكس الوثائق المخزنية المعتمدة، أن الحرم خلال القرن الثالث عشر (19 م) شكل سلطة عظمى في المنطقة الشمالية الغربية، تجاوزت السلطة المخزنية في حالات عديدة، جعلت المخزن في مواقف حرجة، ما بين تنفيذ الأوامر السلطانية واحترام تشريع الحرم؛ خوفاً من ردود فعل قبيلة بني عروس وحلفائها الداخلين في حدود الحرم وغيرهم. ونظراً لاتعدام ضوابط تفسير الحرم العلمي والتحكم في مجاله وأخر

القرن الأخير وانحراف بني عروس عن الجادة في علاقتها بالسلطة المركزية، غدا الحرم العلمي ملجأً للجنّة واللصوص، مما تسبب في اختلال النظام في المنطقة. وقد تنبه السلطان الحسن الأول إلى خطورة الوضع واتخذ في إطار الحركة المنظمة إلى شمال المغرب في صيف 1306 / 1889، إجراءً إدارياً وعسكرياً استهدف إضعاف القبيلة المتحصنة بحرمها بكيفة مرنة حيث خصص زيارتين للضريح المشيشي، فأحاط به الأشراف إحاطة السوار بالمعصم وطيب خاطرهم بالعطاء وجدد حدود الحرم ليمرر إجراءً إدارياً فصل بموجبه حرم سيدي المزوار بسماطة عن الحرم العلمي، وسماطة عن بين عروس، رتبها كقبيلة مستقلة عن بين عروس. إلا أن هذا الإجراء كان مفعوله محدوداً وظرفياً، في زمن تفتت فيه الظواهر القبلية السلبية واختل نظام المخزن في المنطقة واستفحل داء الحميات الشخصية، ولم يعد الحرم العلمي كما كان يضمن الأمان. والأدهى من ذلك أن الأشراف العلميين لم يتنزهوا عن أعمال النهب وحمل السلاح داخل الحرم، وكان من ضحاياهم العربي المشرفي صاحب الرحلة إلى الشمال وراويّة موليراس الطالب الجزائري محمد بن الطيب؛ مما ساهم في تراجع الحرم العلمي.

محمد ابن زاكور، الاستشفاء من الألم في التلذذ بصاحب العلم، مخطوط، خ. ج. ص. 16.11؛ التهامي بن رحمون، مناقب الشيخ الكامل والقطب الجامع سيدي عبد السلام بن مشيش ضمن مجموع، خ. ج. ع. الرباط رقم 1484، د. ص. 253.244؛ وثائق خصوصية نشر بعضها الطاهر اللهبوي في حصن السلام بين يدي أولاد مولاي عبد السلام، الدار البيضاء، 1978.

محمد عمراني

**الحرم، أحمد بن عبد الرحمان، من أهل طنجة** ومات بمصر عام 612 / 1215 قدم مراكش. قال عنه ابن الزيات في التشوف، إنه جال في بلاد الاعاجم وانتفع به خلق كثير، ولعله يقصد بلاد البربر، وكان مقامه في التوكل. كان يدخل الصحراء بأولاده ويتكلم على الخاطر. ي. التادلي، التشوف، 432.

أحمد التوفيق

**الحَرْمَل**، نوع نباتي يسمى علمياً بـ *Peganum harmala* وهو من فصيلة الزقوميّات Zygophyllaceae. ويسمى أيضاً "سَدَاب بَرِّي" أو "حِمْحِم" أو "مَجَنَّة".

إنه نبات عشبي معمر جد متفرع، يبلغ طوله خمسين سم. أوراقه مركبة. أزهاره كبيرة نسبياً بيضاء أو تميل إلى الاصفرار. ينتج بذوراً كثيرة سوداء.

يعيش الحرمل طبيعياً في المناطق البيومناخية شبه الجافة والجافة والصحراوية. وعلى أتربة رملية أو طينية.

سنة 722 / يونيه - يوليو 1322.

ل. ابن الخطيب، الإحاطة، نج. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1975، 2 : 184، 242 : 3 : 36، 89، 97، 144، 185، 201 : النباهي، الرقبة العليا، بيروت، د. ت. ص. 176 : إ. ابن فرحون، الديباج الذهب وبهامشه نيل الانتهاج، مصر، ط. 1، 1351، ص. 290 : مجهول، بلغة الأمنية ومقصد اللبيب، الرباط، 1984، ص. 29 : ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، بيروت، د. ت. 4 : 319 : أ. الونشريسي، المعيار، بيروت، 1981، 1 : 135 : أ. ابن القاضي، درة الحجال، نج. محمد الأحدي أبو النور، القاهرة، ط. 1، 1971، 2 : 248 : أ. المقرئ، نفع الطيب، بيروت، 1986، 7 : 166 : أزهار الرياض، نج. عبد السلام الهراس وسعيد أحمد أعراب، المحمدية، 1980، 5 : 59 : ابن العماد، شذرات الذهب، بيروت، د. ت. 6 : 58.

رشيد السلامي

**الحريير بالمغرب**، دخلت زراعة شجر التوت الضرورية

لتغذية دودة القز التي تنتج الحرير إلى المغرب والأندلس مع الفاتحين العرب، وكانت قد انتقلت إلى بلادهم من آسيا الوسطى والصين والهند. وعرفت تربية دودة القز وصناعة الحرير المرتبطة بها لعدة قرون خلّت درجة كبيرة من الازدهار "في دولة بني أمية بالأندلس والطوائف من بعدهم ودولة العبيديين ومن كان على عهدهم من ملوك العجم بالمشرق (العبر، 1 : 472).

ارتقت أشكال اللباس وتطور هندام المسلمين في المغرب الإسلامي بما أدركوه من تحسن في أحوال معاشهم فخرجت عادة التزين بملابس الحرير عن نطاق القصور لتعم أوساط الأثرياء والمترفين وتعدت بالتدريج الأوساط العليا لنتشر في صفوف الفئات الوسطى. لكن تربية دودة القز بقيت مع ذلك قليلة وظلت منتجاتها محدودة التداول لعدة قرون ولم تتطور بشكل واسع في المغرب إلا مع نهاية القرن التاسع (15 م) على يد القزازين الأندلسيين المهاجرين المستقرين بمدن الشمال بعد سقوط غرناطة فاعتنى هؤلاء أشد الاعتناء بأشجار التوت الأبيض وتنافسوا في غرسه وتشذيبه وتوفيره كغذاء أساس للدودة المنتجة للحرير في سبتة وتطوان وفاس ( وصف افريقي، 1 : 216 و362).

لا بد من الإشارة إلى أن الحرير كان أقل المواد النسيجية وفرة واستعمالاً في إنتاج اللباس بالمغرب بالمقارنة مع القطن والكتان والصوف التي كانت محاصيلها تحقق الاكتفاء الذاتي للبلاد وتوفر فائضاً للتصدير (تاريخ تطوان، 6 : 355)، ويرجع سبب ذلك إلى عاملين رئيسيين، أولهما طبيعي وثانيهما ذهني. يتجلى العامل الأول في ارتفاع درجات حرارة المناخ المغربي مما لا يتلاءم كثيراً مع تربية دودة القز ويجعل تكاليفها مرتفعة، في حين يرجع العامل الثاني إلى استنكاف السواد الأعظم من الرجال



عرف الحرمل منذ أقدم العصور كنبات سام تستعمل بذوره في التطبيب الشعبي ضد أمراض عديدة ولتسكين وتنويم الأطفال ولتهدئة الأوجاع والمفاصل وضد الروماتيزم والإسهال عند الأطفال، كما تستعمل مع زيت الزيتون لتقوية الشعر عند النساء.

أبحاث شخصية.

عبد الملك بنعبيد

### الهرناشيون (مورسيكيون) ← الهرناشيون

**ابن حريث، محمد بن محمد بن علي بن إبراهيم العبدري القرشي**، ولد بسبتة سنة 1243 / 641 وأخذ العلم عن شيوخها وشيوخ مدن أخرى، كعبد العزيز الحراني وعبد المومن ابن خلف التونسي وأبي الحسن بن أبي الربيع. كان محدثاً بالموطأ، ميرزاً في العلوم والقراءات والعربية حتى عد من كبار فقهاء سبتة المشاركين. وقد أهلته هذه المكانة العلمية لتبوء مناصب دينية هامة منها إمامة الجامع الأعظم بسبتة والخطبة به، ثم إمامة المسجد الحرام عندما رحل إلى المشرق، وأقرأ الفقه والحديث بمكة المكرمة مدة سبع سنوات. وقد أشارت كتب التراجم إلى أسماء كثير من العلماء الذين تتلمذوا على الفقيه ابن حريث سواء في المغرب أو المشرق، منهم الفقيه محمد بن أحمد ابن حيون والقاضي المؤرخ محمد بن أحمد بن علي ابن شيرين، والفقيه محمد بن علي ابن أحمد الخولاني والفقيه محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم النميري، وكذلك الفقيه محمد بن علي بن عمر بن يحيى بن العربي الغساني، والفقيه محمد بن علي بن هانئ اللخمي السبتي، والقاضي محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن خميس الأنصاري، والإمام محمد بن أحمد بن إبراهيم التلمساني الأنصاري ومحمد الفشتالي والفقيه محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الحسيني السبتي ومحمد ابن محمد القرموني وغيرهم.

وما يعرف عن ابن حريث أيضاً أنه تزهد في آخر عمره ووقف كتبه وعقاره على العلم والعلماء وبقي مجاوراً بالحرمين الشريفين إلى أن توفي بمكة في جمادى الآخرة من

المغاربة عن ارتداء ملابس الحرير تمكساً بتعاليم الإسلام، لذا لم يكن يلبس الحرير في المغرب إلا النساء والقليل من ذوي الحيشيات بكيفية حركية.

كانت تربية دودة القز قائمة في شمال المغرب بضواحي تطوان والشاون وفي بني عروس وبني حزم وبني حسان وغمارة من منطقة جبال وكذا بضواحي فاس ومكناس وسلا والرباط. لكن القزازة ازدهرت بتطوان وفاس أكثر من غيرها وساد الاعتناء بها لعدة قرون من لدن القزازين إلى مطلع القرن الثالث عشر (19 م) حيث تسجل المستندات التاريخية أن القزازين في هاتين المدينتين كانوا يرعون أشجار التوت في الأجنة والعرصات المتاخمة ويتنافسون من أجل الرفع من مردوديتها. ففي تطوان "كان الناس في القرون الماضية إلى العشرة الأولى من القرن الرابع عشر (20 م) معتنين غاية الاعتناء باستخراج الحرير من الدود... وكان يحصل لهم من ذلك أرباح طائلة ومنها تكتسي العائلة وتشور لنفسها الأبقار (عمدة الراوين، 1: 365). كما كان القزازون في فاس يتعهدون أشجار التوت حتى إذا انتصف فصل الشتاء جلبوا إليها دودة القز ونشروها على أوراقها بهدف إنتاج الحرير الخام. وفي ضواحي فاس أحصى الملاحظون الأجانب في مطلع القرن العشرين بما بقي من هذه القزازة المزدهرة أكثر من 6000 شجرة كل واحدة منها كانت تنتج حوالي 150 كلغ من الأوراق الصالحة لتغذية دودة القز وكان ما لا يُحصى عدده من نساء فاس وفتياتها يشتغلن بفتح خيوط الحرير وغزلها فوق سطوح المنازل. وكان إنتاج الحرير في السنوات العادية يضمن الشغل في المدينتين معا لأعداد لا يستهان بها من العاملين والعاملات في الجني والجمع والغسل والفتح والتبييض والصيغ والغزل والقتل والنسج والجندل والطرز وغيره.

أما في جنوب المغرب فكانت دودة القز تربي في مسفوية وبعض الجهات المسقية في الحوز وفي عرصات مراکش وأجنتها وضواحي أسوارها. وكانت العديد من النساء المراكشيات اللاتي يربين دودة القز يذهبن كلما اقتضى الحال إلى البساتين المجاورة لاقتناء ورق شجر التوت الضروري لتغذيتها (E. Douité, *En tribu*, p. 167, Paris, 1914). وقد أشار مارمول إلى وجود سوق كبير في رحاب مدينة مراکش خلال القرن العاشر (17 م) للاعجار في أقمشة القطن والكتان والحرير، وكان إلى جواره سوق للمنسوجات الرفيعة بالقرب من جامع الكتبيين.

هذا وكانت أنواع الحرير المنتجة في المغرب حسبما تداولته أيدي التجار في أسواق المنسوجات في القرن الماضي وخاصة بين الحرارين لا تتعدى ثلاثة أو أربعة رئيسية. فهناك "الحرير الخم"، وهو أجود الأنواع وأكثرها بياضا وبريقا ونعومة ملمس، وقد أخذ هذه التسمية من خم الطيور وهو الغطاء الناعم الذي تفرشه الطيور لصغارها في

الأعشاش. ونظراً لأن أكثر هذا الحرير الرفيع المستوى كان يستورد من الهند فإن الكثير من الحرفيين كان يسميه أيضاً الحرير الهندي. ويأتي بعد هذا النوع الأول نوع ثان يدعى "حرير ورق السهل" وهو أقل جودة من حرير الخم وبياضه يميل قليلاً إلى الزرقة. أما "حرير الاقتصاد" فهو نوع ثالث متوسط الجودة والنعومة واللعمان والبياض ويناسب كل من يسعى من الناس إلى أن يكون وسطاً ومقتصداً في هندامه وأشكال ارتدائه، وهو أرفع مستوى من نوع رابع يدعى "الحرير المكرش" يبدو بياضه ميالاً إلى الصفرة ويميل إلى الخشونة ويكاد أن يلتصق بالبصمات عند اللمس.

ونظراً لتنوع الصناعات الحريرية والمهن التابعة لها في المغرب من طرز على الحرير وجدل للخيوط الحريرية وصناعة المناديل والسبنيات النسوية والأحزمة والأقمشة الحريرية وأثواب الزردخان التي تختلط فيها خيوط الحرير بخيوط الذهب أو الفضة فإن خام الحرير الوطني لم يكن كافياً لتحقيق الاكتفاء مما جعل مدن تطوان وفاس والرباط وغيرها من الحواضر الكبرى تستورد منه ما يكفيها سنوياً من مراكز إنتاجه بالشرق. ففي فاس كان عدد العاملين في الصناعات الحريرية وحدها يتعدى ألف شخص في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) بين متعلمين وصناع ومعلمين. وفي تطوان كانت صناعة الحرير تستهلك سنوياً في القرن الماضي أكثر من أربعة أطنان من خام الحرير "وكان يحصل للعاملين في صناعته أرباح طائلة" (عمدة الراوين، 1: 365). وقد اشتهرت في صناعة الحرير عدة أسر كانت أشهر من نار على علم في المغرب، نذكر من بينها أسرة آل ابن الشريف بفاس، وأسرة الداليسرو في تطوان. يقول أحمد الرهوني في عمدة الراوين إنه "أدرك منها خمسمائة منوال في تطوان وأن الحاج عبد الله الداليسرو كان ممن يتعاطى حرفة نسج الحرير وكان له منها مرمتان واتخذ حانوتاً لبيع ما كان ينسجه صناعه" (نفس المصدر، 369).

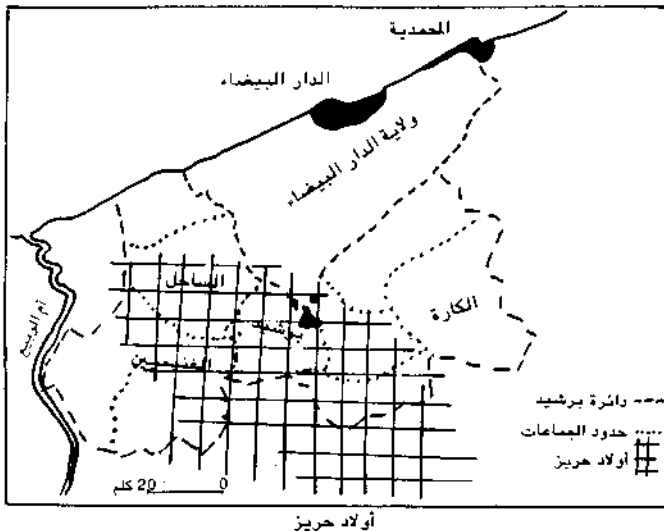
لكن انفتاح المغرب على التجارة الأجنبية وتوقيع العديد من الاتفاقيات مع الإنجليز والفرنسيين وغيرهم في سنوات 1856 و1860 و1863 و1880 و1906 وجه ضربة قاضية لصناعة الحرير المغربية. وعلى الرغم من أنها حاولت أن تصون وجودها وتدافع عن استمرارها، فإن مصيرها قد آل بالتدرج إلى التلاشي أمام منافسة المنسوجات الحريرية الفرنسية والإنجليزية والألمانية والنمسوية التي غزت الأسواق والأذواق بدقة صنعها وجودتها وانخفاض أسعارها مقارنة مع المنسوجات المغربية، فما أن حلت سنة 1912 حتى أصبح الاستيراد هو القاعدة واستهلاك الحرير المحلي هو الاستثناء (تطوان في أواخر القرن، ص. 45).

ع. ابن خلدون، العبر، ج 1 و ج 7 بيروت، 1960؛ ح. السوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1983؛ م. الكسائي، رفع الألباس وكشف الضر والباس ببيان ما للعلماء النحارير الأقباس في مسألة الحرير التي وقع فيها الخوض بين الناس، مخطوط، خ. ع رقم 1180 ك؛

السكانية ؛ وقد جاء ذلك نتيجة لانتشارها من طرف حزام الحضارات المحيط بالدار البيضاء. أي أنها تتحول من التناوب السنوي للحبوب مع القطني إلى تناوب زراعات الحضر خلال السنة الواحدة. ويتم هذا التكتيف للاستغلال الفلاحي في ارتباط بالسوق البيضاء وبالتصدير نحو الخارج، وتحت تصاعد تأثير الشركات الصناعية والتجارية المحلية والأجنبية.

أدت هذه التحولات إلى اكتشاف الروابط بين أولاد حرير والدار البيضاء. فبالإضافة إلى تيارات الهجرة القروية التي تستقطبها هذه المدينة منذ بداية هذا القرن تكتفت التيارات الاقتصادية والمالية والتنقلات اليومية. وساعد على ذلك كثافة شبكة محاور المواصلات التي تبلغ حوالي 30 كلم من الطرق في كل 100 كلم<sup>2</sup> وتمحور هذه الشبكة حول مدينة برشيد التي تعتبر عاصمة أولاد حرير وحلقة أساسية في ترابط المنطقة بالدار البيضاء. فرغم كون أولاد حرير تنتمي إدارياً إلى دائرة برشيد التابعة لإقليم سطات، تزداد المنطقة وعاصمتها ارتباطاً بالدار البيضاء، وتلعب الأسواق الأسبوعية دوراً لا يستهان به في تصاعد هذا الارتباط سواء من حيث تزويدها بالبضائع أو من حيث توافد التجار، خاصة وأن معظم الأسواق الكبرى بالشاوية السفلى توجد بأولاد حرير أو تدور في فلكها، وعلى رأسها سوق اثنتين برشيد الذي يعتبر أكبر أسواق الشاوية على الإطلاق.

إذا كانت قوة الارتباط بالدار البيضاء في تصاعد، فذلك لأن هذه المدينة قد شكلت عاصمة للشاوية قبل أن تكون العاصمة الاقتصادية للمغرب. غير أن كثافة هذا الارتباط تعوق توسع الحياة الحضرية بالشاوية على العموم وبلاد أولاد حرير على الخصوص، فحتى التطور الاقتصادي والعمراني الذي تشهده مدينة برشيد قد جاء شديد التبعية للدار البيضاء، وتطور مركز الدروة يتم بدوره في ارتباط بها.



أ. الرهوني، عمدة الراوين، مخطوط، خ. ع بنطوان رقم 676 ؛ ع. ابن زيدان، إتحاف، الرباط، 1931 ؛ م. داود، تاريخ تطوان، 6 تطوان، 1978 ؛ جامعة الدول العربية، معجم اللباس، الرباط، 1975 ؛ ع. العزيز العلوي، صناعة النسيج في المغرب الوسيط، الانتاج والمبادلات، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية فاس العدد الثاني 1985 ؛ ع. العزيز السعدي، تطوان في أواخر القرن XIX، د. ع الرباط، 1992 ؛ ع. المالك بتعبيد، الثوت، معلمة المغرب، ج 8 ص. 2614 ؛ م. ابن عزوز حكيم، باب الثوت، معلمة المغرب، ج 8 ص. 2615.

Lucien Golvin, *Le métier à la tire des fabricants de brocart de Fès*, Hesp. vol. 37, 1er - 2ème trim. 1950 ; Lucien Vigel, *Soieries marocaines, les ceintures de Fès*, Paris, 1913 ; Prosper Ricard, *Le baïk berbère*, Hesp. vol. 5, 4ème trim. 1925 ; Maurice Lombard, *Les textiles dans le monde musulman*, Paris, 1978 ; *L'Islam dans sa première grandeur*, Paris, 1971 ; Juan Rosende - Casas, *El cultivo del gusano de seda en Marruecos, Mauritania* 198, 1949 ; Halima Ferhat, *Sabta : des origines au XIVème S.*, Rabat, 1993 ; E. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, Paris, 1899 ; E. Douité, *En tribu*, Paris, 1914 ; R.L. de La Charrière, *Le long des pistes maghrébines*, Paris, 1939 ; M. De Perigny, *Fès capitale du nord*, Paris, 1917 ; E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1904 ; L. et M. Messaoudi, *L'art de vivre marocain*, Paris, 1981 ; *Revue du Monde Musulman*, tome 58, 1924 ; Prosper Ricard, *L'industrie indigène au Maroc*, B.E.M. 1933 ; R. Letourneau, *Fès avant le protectorat*, Casablanca, 1946 ; A. Joly, *L'industrie à Tétouan*, A.M., vol. 15, 1909 ; *Harir E.I.* T. 3, pp. 214-217 ; M. Chabert, *Situation et défense de la soierie Lyonnaise*, B.E.M. tome 1, 1933 - 34 ; Gabriel Rousseau, *Le costume au Maroc*, Paris, 1938 ; A. Pignol, *Costumes et parures dans le monde arabe*, Paris, 1987 ; Jean Baldoui, *Les arts indigènes au Maroc*, Paris [s. d.] ; L. Boulnois, *La route de la soie*, Paris 1963 ; J.B. Giraud, *Les origines de la soie*, Lyon, 1989 ; J. Gonthier, *La soierie de Lyon*, Paris 1978 ; E. Pausset, *Histoire de la soie*, Paris, 1985 ; R. Pfister, *Les premières soies sassanides, Etudes d'orientalisme*, vol. 2, 1932.

محمد بوسلام

أولاد حرير جغرافياً (منطقة وقبيلة). تنتمي قبيلة أولاد حرير إلى مجموعة قبائل أولاد عطية التي تقطن الجزء الشمالي من سهل الشاوية. وتتكون في أكثر من ثلثها من قرويين تشكل الفلاحة نشاطهم الأساسي. ويعتمدون في ذلك على سهل برشيد الذي تنتشر به تربة التيرس الخصبة والذي يستقبل متوسط سنويا من الأمطار يقدر بحوالي 350 مم.

شهدت أولاد حرير استعماراً فلاحياً مكثفا أدى إلى تركيز كبير للملكيات في شكل استغلاليات شاسعة تعتمد على آليات حديثة. وبذلك أصبحت من أكبر مناطق إنتاج الحبوب بالمغرب (القمح والذرة). ومنذ حوالي عقدين من الزمن دخلت بلاد أولاد حرير في مسلسل من التحول، من سيادة زراعة الحبوب إلى سيادة زراعة الحضر. وبشكل مواز يعرف السكن مزيداً من التشتت وتتصاعد الكثافات

المصطفى شويكي

\* \*\* تاريخ قبيلة أولاد حرير. تشكل هذه القبيلة مع اثنتي عشرة قبيلة أخرى اتحادية الشاوية المشهورة بمنطقة تامسنا. تقع أرض أولاد حرير بين قبيلتي أولاد سعيد والمزامزة من الغرب والجنوب الغربي، ومديونة من الشمال وأولاد زيان والمذاكرة في الشرق ومزاب في الجنوب الشرقي. ترجع أصول قبيلة أولاد حرير إلى فروع مختلفة، فهي تتكون من فرق ترجع أصولها إلى المجموعة العربية الهلالية، التي ينتمي إليها الخلط وسفيان وبني جابر. وإلى هذا الفرع الأخير تنتمي فرقة أولاد جابر الحريرية. ومن المعلوم أن قبائل جشم الهلالية قد نقلوا إلى المغرب الأقصى من طرف يعقوب المنصور الموحدي، الذي أسكنهم بلاد تامسنا. ويظهر أن فرقة رياح الحريرية، تنتمي بدورها إلى القبائل العربية التي نقلت إلى المغرب الأقصى في هذا العهد. وبدون شك، فإن قبيلة أولاد حرير تشمل عناصر أصلية محلية أي من سكان تامسنا الأولين وهم بقايا برغواطة، وتتفق الروايات التاريخية على اعتبار أولاد صالح من العناصر السكانية الأصلية للمنطقة. وعلى كل حال، تكون الفرق الثلاث : أولاد صالح ورياح وبني جابر، العناصر السلالية الأكثر قدماً وتعميراً لتامسنا. وهي بالتحامها تبرز خصوصيتها في مقابل عناصر أخرى أحدث تعميراً للمنطقة.

ويعتبر أولاد يوسف الذين يضمون : أولاد علال وأولاد عبيد الله وأولاد سيدي الجيلالي وأولاد عثمان وأولاد حجاج، من العناصر الأصلية لقبيلة أولاد حرير بالرغم من أن استقرارهم كان أحدث من استقرار أولاد صالح ورياح وبني جابر.

كما استقرت بالقبيلة عناصر أخرى ذات أصول بربرية وعربية ؛ مثل أولاد سيدي الجيلالي العميري الذين جاؤوا للمنطقة من بني عمير بتادلا في أواخر القرن الثاني عشر (18 م) في حين ينسب الحباشة إلى أصول أمازيغية استقرت بالقبيلة في عهد مولاي عبد الرحمان أي خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر (19 م).

وبالجملية يمكن القول، إن قبيلة أولاد حرير الشاوية، تتكون في تركيبها السلالي من عناصر سكانية أصلية تنتمي لبرغواطة وعناصر عربية بثلتها بشكل واسع العنصر الهلالي من القبائل التي نقلها الموحدون والمرينيون إلى تامسنا بخاصة، والسهول الساحلية بعامة. وهذه العناصر العربية هي التي عبرت المنطقة وأعطتها اسمها الحالي الشاوية. وتضم قبيلة أولاد حرير عناصر بشرية من القبائل المجاورة كدكالة مثلاً.

والملاحظ أن العناصر السلالية المكونة لقبيلة أولاد حرير هي التي تنتمي إليها مختلف قبائل الشاوية، حسب نسب متفاوتة، وخاصة القسم المعروف بأولاد بوعطية، وهو القسم الذي يتكون من أولاد حرير - المذاكرة - أولاد علي - الزيادة مديونة أولاد زيان - مزاب - الأعشاش. ويقابل هذا القسم، قسم أولاد بورزك الذي يتكون من : المزامزة - أولاد سعيد - غدانة - أولاد بوزيري - أولاد سيدي بندادو - زناتة (راجع مادتي : بورزك - بوعطية).

لعبت قبيلة أولاد حرير أدواراً رئيسية في تاريخ اتحادية الشاوية، إذ ساهم أعيان أولاد حرير في صنع هذا التاريخ منذ أواخر القرن الثاني عشر (18 م) على الأقل. وهكذا شارك أولاد حرير في نسج أحداث الشاوية في الفترة المضطربة التي أعقبت وفاة سيدي محمد بن عبد الله. فقد برز الخطاب بن عثمان النياربي الحريري كقائد قوي مؤيد لمولاي اليزيد. بل تشير بعض الروايات التاريخية إلى مصاهرة الرجل مع مولاي اليزيد (عبيد الزهور، 165).

وبعد موت مولاي اليزيد لعب الخطاب دوراً بارزاً في بيعته أخيه مولاي مسلمة الذي توسط له مرابط أبي الجعد عند أعيان الشاوية وكان الخطاب من بينهم. لكن مولاي مسلمة سرعان ما فشلت محاولته ؛ حتى إن المؤرخ السلاوي محمد بن علي الدكالي، سماه سلطان شهرين وهو يعلق على بيعته بالدار البيضاء وطرده منها.

وقد نكل مولاي سليمان بأعيان أولاد حرير الذين أبدوا أخاه مسلمة، وعلى رأسهم الخطاب الذي سجنه مع ابني مسلمة في سجن فاس.

وقد برز محمد بن عبد الخالق الحريري المعروف بغيران الحريري، في هذا العهد، ثم سرعان ما أصبح عاملاً على الشاوية كلها من طرف مولاي سليمان الذي كبد أولاد حرير هزيمة شنعاء سنة 1209 / 1794 إثر تأييدهم لموقف عبد الملك ابن إدريس ابن عم السلطان وخليفته بالشاوية.

وفي عهد مولاي عبد الرحمان (1822 - 1859 م)، خلفت أسرة آل برشيد الحريرية أسرة غيران الحريري، في قيادة القبيلة، وظلت تتوارث قيادتها من 1844 إلى عهد الاحتلال الفرنسي. وفي ظل قيادة آل برشيد ظهرت قصبة برشيد كمرکز حضري وسط القبيلة (انظر برشيد).

وقد عرفت قبيلة أولاد حرير اضطرابات مزمنة بعد وفاة قائدها، ساهمت فيها منافسات وأطماع أبناء الأسرة الحاكمة، كما أثرت فيها أحوال المنطقة التي عرفت انتفاضات عامة بكل قبائل الشاوية منذ 1903 إلى حدود 1907 ؛ حيث بدأت المواجهة مع جيش الاحتلال الفرنسي الذي نزل بالدار البيضاء في غشت 1907.

ساهم أولاد حرير كغيرهم من قبائل الشاوية في عمليات المقاومة ضد الاحتلال. وخاض مجاهدو القبيلة غمار المعارك التي دارت حول الدار البيضاء طيلة النصف الثاني من سنة 1907. وبعد احتلال برشيد في يناير 1908،



وقد شهدت قبيلة أولاد حريز تطورات وتحولات سريعة خلال القرن الرابع عشر (20 م) نظراً لقربها من الدار البيضاء ولوجودها في الطريق الرابطة بين الدار البيضاء ومراكش وهكذا نمت مدينة برشيد بسرعة. وتحولت اليوم إلى مركز صناعي متطور. ويبدو أن مطار النواصر محمد الخامس الموجود على أرض القبيلة قد ساهم بدوره في التحولات السريعة التي شهدتها أولاد حريز.

هاشم المعروفي، عبير الزهر، الدار البيضاء، 1987.

Villes et tribus du Maroc. Casa et les Chaouia, T. 1-2.

علال الحديبي

**الحريزي، بوشعيب بن الحسن** من تعلات، فخذة من قبيلة أولاد حريز، زعيم مشهور من زعماء الشاوية أيام الانتفاضة، ومجاهد صلب حارب الفرنسيين حول الدار البيضاء وبالشاوية وخاض عدة معارك ضد جيش الاحتلال. وبعد احتلال الشاوية، انتقل إلى فاس مع كثير من زعماء الجهاد الذين انسحبوا مع مولاي عبد الحفيظ. ويبدو أن الرجل كانت له علاقات متينة مع الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، فكان من أتباعه حينما قرّر الشيخ الخروج من فاس. ولذلك عندما تعرضت أسرة الشيخ للسجن كان بوشعيب بن الحسن من بين المسجونين سنة 1327 / 1909 وإذا كنا لا نعلم المصير الذي آل إليه الرجل، فقد دلت وثائق جيش الاحتلال الفرنسي على أنه كان يعتبر من العناصر المجاهدة والمطلوبة من طرف جيش الاحتلال. وأن المطالبة به تجددت سنة 1328 / 1910 بالرغم من كونه كان مسجوناً في ذلك التاريخ بفاس.

مراسلة من قائد جيش الاحتلال الجنرال مواني Moinier إلى وزير الحربية بتاريخ 24 دجنبر 1910 : وثائق الحربية الفرنسية.

**الحريزي، بوشعيب الرداد**، صديق بوشعيب بن الحسن ورفيقه في الجهاد، شارك بدوره في عدة معارك، ويظهر أن هذا المجاهد هو الذي تشير الرواية المحلية إلى أنه كان يحمل معه أدوات موسيقية لتحريض المجاهدين وإثارة حماسهم ؛ حتى إذا جد الجند وحمي الوطيس استبدل الآلة الموسيقية بالبندقية وخاض غمار المعركة. كان بوشعيب الرداد سنة 1328 / 1910 من بين الأعيان المطلوبين من طرف جيش الاحتلال، ومعنى ذلك أنه كان خارج الشاوية أي أنه تمكن من الانسحاب من الشاوية بعد السيطرة عليها.

**الحريزي، الحطاب بن الحاج حمو**، ينتمي إلى فخذة أولاد علال. كان أبوه الحاج حمو بن أحمد خليفة للقائد عبد السلام بن رشيد، ثم تولى القيادة، كان الحطاب من أعيان أولاد حريز والساعد الأمين لأخيه الحاج محيد بن

تحول بعض أعيان أولاد حريز إلى مرشدين ومتعاونين مع قيادة الجيش الفرنسي المحتل للشاوية.

وفي ظل الاحتلال نظمت الدولة المحتلة إدارة الشاوية، فعينت على إدارة قبيلة أولاد حريز القائد محمد بن عبد السلام برشيد. وفي الحقيقة، لم يزد المحتلون على أن ثبتوا ذلك القائد، بعد أن كان أحد أبناء عمومتهم وهو الحاج محمد بن حمو الحريزي قد طرده من القبيلة (راجع مادة الحاج محمد بن حمو الحريزي).

كانت قبيلة أولاد حريز حوالي سنة 1910 مقسمة إلى الفرق الآتية :

أولا : أولاد يعقوب : ويتكونون من الأفخاذ الآتية : الحلالفة - تاعلاوت - المباركين - الجباشة. ثانياً : أولاد يوسف : أولاد علال - أولاد عثمان - أولاد سيدي الجبالي - أولاد حجاج - دغنة - العبارة. ثالثاً : أولاد جابر : أولاد صالح - رباح - أولاد رحال - غوفير. رابعاً : النواصر : زاوية النواصر والمرابطين الملحقين بها.

ونظراً لقرب أرض قبيلة أولاد حريز من ساحل المحيط، ومن مدينة الدار البيضاء، يبدو أنها كانت مكاناً ملائماً للمرابطة والجهاد ضد الغزو النصراني للشواطئ المغربية. يشهد على ذلك عشرات الأضرحة والقباب المنتشرة بالقبيلة. زد على ذلك انتشار الزوايا التي كانت تقوم بدور التربية الروحية والتعليم والدعوة للجهاد والتدريب على الرماية. وأسطق مشال نجده في زاوية النواصر المشهورة بالقبيلة.

تتكون زاوية النواصر من زاويتين صغيرة وكبيرة. لعبت أدواراً هامة في حياة أولاد حريز بخاصة والشاوية بعامه، إذ كانت في الأصل مقرأً للتدريب على الرماية لأجل الجهاد. كما قامت بدور الإرشاد الديني وبدور التعليم حيث كانت بمثابة ثانوية تمنح طلبتها تكويناً اعدادياً لولوج جامعة القرويين.

من الزوايا الأخرى التي وجدت بأولاد حريز نذكر زاوية سيدي المكي، وزاوية شنتوف، وزاوية أولاد سيدي أحمد بن بوعزة، وزاوية بوعزة بن بوعزة، وزاوية أولاد سيدي إدريس، وزاوية أولاد سيدي الجبالي.

ونظراً لخصوبة أرض أولاد حريز واستوائها عرفت الاستغلال الرأسمالي منذ أواسط القرن الثالث عشر (19م) كثر فيها المخالطات مع التجار الأجانب وانتشرت بها الحمايات القنصلية. وامتلك فيها الأجانب العقارات وقطعان الماشية.

وفي ظل الاحتلال الفرنسي أصبحت أولاد حريز منطقة مثالية للاستيطان. وهكذا بينت الإحصائيات سنة 1912، استقرار حوالي 28 مستوطناً بالقبيلة. وقد استحوذ المستوطنون على حوالي 12.000 هكتار أي عشر أراضي القبيلة الفلاحية منذ 1913.

حمو زعيم ومقدم أولاد حريز المشهور خلال الانتفاضة في العقد الأول من القرن العشرين.

وثائق. ج.

Villes et tribus, Casa et les Chaouia, T. 2.

### الحريزي، الخطاب بن عثمان المنياري الشاوي، من

كبراء أعيان قبيلة أولاد حريز لعب دوراً رئيساً في الأحداث السياسية التي كانت الشاوية مسرحاً لها إثر وفاة السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ويظهر أن الخطاب بن عثمان، أصبح في عهد مولاي اليزيد، من الركائز الأساسية في تثبيت ولاء الشاوية للسلطان، إذ يفهم من الأخبار التي نقلها الضعيف أن السلطان تصاهر مع الخطاب الحريزي، وولاه القيادة خلفاً للقائد عبد الله الرحمان.

وفي بداية عهد مولاي اليزيد، أي سنة 1204 / 1789. 1790 أمر صهره القائد الخطاب بأخذ غرامة كبيرة من قبيلة مديونة المجاورة لأولاد حريز، وقدرت تلك الغرامة التي استوفها الخطاب قهراً من القبيلة المذكورة بـ 500 من الخيل دفعت للجيوش و1.000 رأس من البقر و17.000 مثقال. وقد قرضت هذه الذعيرة عقاباً لهجوم مديونة على مدينة التار البيضاء، كما جند الخطاب بن عثمان مائتي شاب من أبناء الشاوية بأمر من مولاي اليزيد، لتتعلم الرماية بالمدفع بالدار البيضاء، وكلف يهم المعلم الطنجي محمد بن غسلان الرباطي لتدريبهم.

ونتيجة لخلاف لا ندري سببه ألقى مولاي اليزيد القبض على الخطاب بن عثمان عندما مر بالشاوية سنة 1205 / 90. 1791 وأرسله إلى سجن مهديّة. ولا ندري كيف تقلبت الأحوال بالخطاب الحريزي، بين سنة 1205 هـ وسنة 1208 هـ. ويبدو أن الرجل أخرج من سجنه إثر وفاة مولاي اليزيد أو قبيل ذلك، إذ نصادفه وقد انغمس من جديد في الأحداث السياسية المتعلقة بتنافس أبناء سيدي محمد بن عبد الله على الملك. وهكذا نرى الخطاب وقد انضم للفرق الذي بايع مولاي مسلمة بالشاوية سنة 1208 / 93. 1794. وقد حدثت هذه البيعة بتوسط مرابط أبي الجعد العربي بن المعطي الشرقاوي. وقد بظ السلطان الجديد أو سلطان شهرين، علاقة مصاهرة مع الخطاب، إذ تزوج ابنته. لكن مسلمة لم يلبث أن فرّ من الدار البيضاء إلى أزموور أمام قوات مولاي سليمان الذي ولى على الشاوية أخاه مولاي الطيب. وقد ألقى القبض على الخطاب وأرسله السلطان ليسجن في فاس البالي.

ولما فشلت محاولة مولاي مسلمة، سجن مولاي سليمان ولديه الرشيد وجعفر وأدخلهما السجن حيث قرنا في سلسلة واحدة مع صهر أبيهما الخطاب بن عثمان الحريزي.

وتشير أخبار التاريخ إلى أن الخطاب بن عثمان، رفض أن يقابل عبد الخالق بن المحجوب الحريزي أو ينظر إليه لما أدخل السجن معه. وكان عبد الخالق هذا المعروف بغيران قد تولى القيادة إثر فرار مولاي مسلمة من الدار البيضاء

وقتل بعض أعيان أولاد حريز إخوانه ومنهم أخ للخطاب بن عثمان سنة 1209.

وهكذا فالبرغم عن قساوة ظروف السجن، ظل الخطاب محافظاً على أنفته وكبريائه كرجل من كبار المغرب في ذلك التاريخ.

م. الضعيف، تاريخ لدولة السعيدة : هاشم المعروفي، عبيد الزهور.

### الحريزي، حمو (الحاج -) بن أحمد بن الجبلاي،

ينتمي إلى فخذة أولاد علال من قبيلة أولاد حريز، وهو من أبناء عمومة القائد عبد السلام برشيد. كان الحاج حمو خليفة للقائد عبد السلام برشيد الذي كان قائداً لقبائل أولاد حريز والمذاكرة وأولاد علي طيلة الثلث الأخير من القرن الثالث عشر (1870 . 1903).

وبعد وفاة القائد عبد السلام برشيد، أصبحت قيادة برشيد محل تنافس بين أبنائه وخليفته الحاج حمو الذي تمكن في النهاية من تولي قيادة أولاد حريز والمذاكرة وأولاد علي، ثم أضاف إليه السلطان قيادة مدينة الدار البيضاء. وظلت سلطة الحاج حمو نافذة حوالي سنتين. وبعد وفاته اشتد التنافس بين ابنه الحاج محمد وبين محمد بن القائد عبد السلام برشيد.

وإذا تمكن الحاج محمد من الحصول على قيادة القبيلة فإن السلطان عين قائداً جديداً على الدار البيضاء. وبما أن الحاج محمد بن الحاج حمو كان من زعماء الحركة الشعبية بالشاوية، فقد تعرض للسجن والمحاكمة من طرف جيش الاحتلال. كما أصدر السلطان ظهائر بمصادرة أملاك القائد الحاج حمو وابنه الحاج محمد بتاريخ 6 محرم 1326 الموافق 9 فبراير 1908، بالنسبة للأول؛ وبتاريخ 10 جمادى الأولى 1326 الموافق 10 يونيو 1908، بالنسبة للثاني. وقد حدد ظهير المصادرة حوالي سبعة عشر ملكاً من أملاك الحاج حمو بالدار البيضاء منها 8 دور كبيرة وحوالي عشرة حوانيت ومخازن.

### الحريزي، سليمان (الحاج -) ولد كريس، ينتمي

إلى دوار أولاد غوفير. وهو من زعماء قبيلة أولاد حريز وأعيانها. لعب أدوراً رئيسية في انتفاضة الشاوية بين 1903 . 1906، شارك في الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي واستشهد في معركة سطات الأولى التي جرت يوم 10 حجة عام 1325 / 15 يناير 1908.

م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة : هاشم المعروفي، عبيد الزهور.

### الحريزي، الشافعي (الشيخ -) بن النور، ينتمي

لفخذة أولاد حجاج موالين الساحل، اشتهر بالشجاعة والحزم بين الزعماء الذين شاركوا في جهاد الشاوية. ساهم كغيره

من أعيان القبيلة بأدوار بارزة في الانتفاضة. وأظهر عداً شديداً للاحتلال ولم يستسلم للفرنسيين إلا بعد احتلال برشيد وخضوع قبيلة أولاد حريز.

**الحريزي، عبد الخالق بن المحجوب المعروف** بـ **بكريان** من أعيان قبيلة أولاد حريز وأبطالها، صعد نجمه وهو صغير في بداية عهد مولاي سليمان لما فشلت محاولة مولاي مسلمة بن محمد بن عبد الله في الدار البيضاء سنة 1208 / 1793 - 1794. ولى مولاي سليمان أخاه مولاي الطيب على الدار البيضاء والشاوية. وقد وفد أعيان الشاوية وكبرائها على القائد الجديد، وكان من بينهم عبد الخالق بن المحجوب. ويظهر أن مولاي الطيب اختار عبد الخالق وخلفه مكانه في ولاية الدار البيضاء وأولاد حريز لما انتقل بأمر السلطان إلى مراكش حوالي سنة 1209 / 1794 - 1795. بعد أن كان السلطان قد ألقى القبض على قائد أولاد حريز الخطاب ابن عثمان.

ويلاحظ من الأعمال التي بدأ بها عهد بكريان الحريزي، أنه تولى المسؤولية وهو لا يزال صغيراً يظفي عليه حماس الشباب وتهوره. وهكذا نجده يعمد إلى قتل بعض كبار الشاوية مثل ولد الحمراء المحمدي المزابي. ومزاب آنذاك قبيلة كبيرة تكون مع أولاد حريز ومديونة والمذاكرة وأولاد علي قسم أولاد بوعطية من الشاوية. كما قتل بكريان أبا القائد السابق الخطاب بن عثمان. وبهذه الأفعال ثارت قبائل مزاب عليه ولم يستطع إخضاعها، فذهب مستنجداً بالسلطان في مكناس. ويظهر أن سوء سيرته، زيادة على ما اتهم به من ميل إلى مولاي الطيب، قد دفعا مولاي سليمان إلى سجنه ووضع في حبس فاس البالي مع سلفه الخطاب الحريزي. وقد رفض هذا الأخير الاجتماع به أو رؤيته لأن عبد الخالق كان قد قتل أخاه كما سبق.

ويظهر أن بكريان خرج من السجن وأعيد إلى منصبه. ذلك أن الأخبار التاريخية، تشير إلى أن مولاي سليمان لما عزل قائد المزامرة وأولاد بورزق، الغازي بن المدني المزمري سنة 1230 / 1814 - 1815؛ ولى مكانه عبد الخالق بن المحجوب الحريزي، لكن قبائل أولاد بورزق بزعامة المزامرة، رفضت بكريان الذي ينتمي إلى أولاد بوعطية، وربما كان الرفض بسبب سوء سيرة القائد؛ فذهب القائد مستنجداً بالسلطان الذي زحف إلى الشاوية بجيوش كثيرة، منها قبائل بني حسن بقيادة الباشا محمد بن الجيلالي الحسناوي وأعراب الويدان بقيادة الباشا العربي بن بلال التجدي الزعري (عبير الزهور، 201، 203).

ولما أخضع مولاي سليمان الشاوية لعبد الخالق الحريزي تقدم إلى الحوز. وقد سكنت المصادر عن بكريان الحريزي بعد هذا التاريخ إلى سنة 1238 / 1822 وهي السنة التي توفي فيها مولاي سليمان. فقد أشار الناصري، في الاستقصا، إلى أن عبد الخالق

بن بكريان الحريزي شهد وقعة زاوية الشراي مع السلطان، وبعد هذا التاريخ سكنت المصادر عن أخبار عبد الخالق بكريان الذي كان نفوذه ينسحب على بعض قبائل تادلا كورديفة (الضعيف) ولا ندري المصير الذي انتهى إليه. ويبدو أنه قُتل في بعض المعارك. تشير بعض الروايات إلى مقتله بتادلا بعد هزيمة مولاي سليمان سنة 1818 بزيان. وهذه الرواية تتعارض مع ما أشار إليه الناصري فيما بعد. وآخر خبر عنه بهم قصته المعروفة بـ "مراجعة": فلما تولى مولاي عبد الرحمان، ولي على الشاوية ابن عمه محمد بن الطيب، وكان قائداً قاسياً شديداً الشكيمة. وقد عمد الوالي الجديد إلى التنكيل بقبيلة أولاد حريز حوالي 1240 "أوقع بهم وقعة شنعاء، فقبض على جماعة كبيرة منهم وضرب منهم نحو مائتي رقبة وهدم قصبة بكريان الحريزي المسماة "مراجعة". (الاستقصا، 9: 12).

م. الضعيف، تاريخ الدولة السعودية: أ. الناصري، الاستقصا؛

هاشم المعروفي، عبير الزهور.

Villes et tribus. Casablanca et les Chaouia, T. 1.

**الحريزي، عمر (الحاج -)** بن الطاهر المشهور بـ "دويدو"، أحد أعيان قبيلة أولاد حريز ورجالها المعروفين الذين كانت كلمتهم مسموعة في فرقهم قبيل الاحتلال الفرنسي للشاوية وخلاله. وإذا كان الحاج عمر دويدو قد شارك جماعته في كل الأعمال التي قامت بها خلال انتفاضة الشاوية بين 1903 و1907، وساهم بدوره في مقاومة الاحتلال الفرنسي للدار البيضاء والشاوية في البداية أي سنة 1907، فإنه تطوع ليكون رهينة عند قيادة جيش الاحتلال بعد أن تمكن الفرنسيون من السيطرة على مدينة برشيد في بداية 1908. لقد طلب المحتلون من قبيلة أولاد حريز أن تقدم رهائن كضمانة على عدم عودتها إلى الجهاد.

وقد انقلب الحاج عمر دويدو (الرهينة) وربط علاقات متينة مع قيادة جيش الاحتلال، حيث أصبح عنصراً ملازماً للقيادة العليا مع الجنرال داماد. فاستخدمه هذا الأخير دليلاً، ومخبراً من الدرجة الأولى في العمليات الحربية والمعارك التي خاضها جيش الاحتلال بالشاوية سنة 1908. كان الحاج عمر دويدو شيخ فرقته الحلالفة، إحدى فرق أولاد حريز، ويعترف الفرنسيون بأنه قدم لهم خدمات ثمينة باستعلاماته خلال معارك احتلال الشاوية!

**الحريزي، محمد (الحاج -)** بن حمو بن أحمد بن الجيلالي، ينتمي إلى فخذة أولاد علال من قبيلة أولاد حريز، وهو من أبناء عمومة القائد محمد بن عبد السلام برشيد. وكثيراً ما نجد المصادر تنعته بولد الحاج حمو، ويظهر أن هذه التسمية أصقلت به بعد الحوادث التي نجمت

عن خلافه مع أبناء القائد عبد السلام برشيد حول القيادة على القبيلة سنة 1905، 1906.

ينتمي الحاج محمد إلى أسرة غنية، كان أفرادها يتوارثون قيادة قبائل أولاد حريز والمذاكرة وأولاد علي طيلة القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر (19-20 م).

فالحاج محمد بن حمو، هو ابن الحاج حمو بن أحمد الجيلالي الحريزي، خليفة القائد عبد السلام بن رشيد المشهور (انظر برشيد). وقد تمكن الحاج حمو من تولي قيادة قبائل حريز والمذاكرة وأولاد علي بعد وفاة القائد عبد السلام برشيد سنة 1903. وبعد وفاته نشب خلاف على القبيلة بين ابنه الحاج محمد وبين محمد بن عبد السلام برشيد. وأخيراً تمكن الحاج محمد من السيطرة على الأوضاع وتولي القيادة؛ بالرغم من حصول محمد برشيد على ظهير التولية كان الحاج محمد بن حمو زعيماً ومقديماً في قبيلته؛ بما تعنيه كلمة مقدم من حملات دينية وأخلاقية واجتماعية وعسكرية، في مغرب القرن الثالث عشر (19م).

كان مقدم القبيلة شخصية محترمة مسموعة الكلمة. وكان التقديم يعترف به للرجل المستقيم، المدافع عن جماعته والمنتمي - غالباً - لطائفة الرماية التي كانت تدرج المجاهدين - أصلاً - على كيفية حمل السلاح لأجل الجهاد. زد على ذلك، أن الحاج محمد اشتهر خلال انتفاضة الشاوية، كزعيم من زعمائها وقائد من قواد الجماعات التي كانت تتولى السهر على الأمن والفضل في النزاعات بين الناس. لكل ذلك، لا نستغرب السهولة التي تمكن بها الحاج محمد بن حمو من السيطرة على قصبه برشيد بمساعدة زعماء الجماعات الثائرة من القبائل الأخرى. وقد تعرضت دار برشيد إلى التخريب صيف 1906، بعد هروب القائد إلى فاس، كما خرب الثوار بزعماء الحاج محمد دار قائد أولاد زيان في بداية 1907.

اعترف المخزن بالقائد الجديد وتبادل معه المراسلات التي دار أكثرها حول علاقة الحاج محمد مع التجار والمحميين. والظاهر أن علاقة الرجل مع التجار الأجانب واليهود المحميين كان يشوبها التوتر، فطالما اشتكى التجار على المخزن من كون الحاج محمد لم ينصفهم ولم يرد لهم ديونهم عليه فصدرت له الأوامر السلطانية في الموضوع (كناش الطابع الشريف : محرم 1325).

ويدون شك، يدخل توتر علاقات ولد الحاج حمو مع المحميين والتجار الأجانب في إطار ظرفية شهدت استفاراً شعبياً بالشاوية ضد مظاهر الاستغلال الأجنبي والظلم الاجتماعي، وتحفزاً لإبعاد أخطار الأطماع الأجنبية في المغرب إثر إعلان ميثاق الجزيرة في ربيع 1906.

وإذا علمنا أن انتفاضة الشاوية التي بدأت منذ 1903، قد تحولت إلى جهاد منذ إعلان ميثاق الجزيرة، نتأكد من أن "ولد الحاج حمو"، كان - بالفعل - من الزعماء الشعبيين،

الذين عارضوا مظاهر التدخل الأجنبي بالشاوية. وتتهمه المصادر الأجنبية بأنه كان صديقاً للمواظ محمد بن الطيب البوعزاوي الذي تنسب له الدعوة للجهاد بالشاوية، ولولاي عبد الحفيظ الذي أعلن الجهاد رسمياً إثر نزول جيش الاحتلال الفرنسي بالدار البيضاء في غشت 1907.

اتهم الفرنسيون الحاج محمد بن حمو بالتحريض ضد الأجانب القاطنين بالدار البيضاء، الأمر الذي تسبب في حادث 30 يوليوز 1907، الذي أسفر عن قتل تسعة عمال أجنبى بمرسى الدار البيضاء. وتدعي المصادر الفرنسية بأن هدف الرجل هو نيل قيادة الدار البيضاء بدل القائد بويكر ابن بوزيد الذي عينه المخزن عليها. وواضح أن هذا الاتهام لا يصمد أمام حقيقة أن الفرنسيين سجنوا ابن بوزيد عامل الدار البيضاء والحاج محمد قائد أولاد حريز. متهمين الأول بالتواطؤ مع الثاني، فهل يتواطأ العدو مع عدوه؟! !

الواقع، أن اتهامات الأوساط الاستعمارية لبعض المسؤولين المغاربة كانت اتهامات سياسية، الهدف منها الانتقام من رجال صمدوا في وجه الضغوط الأجنبية ورفضوا التنكّر لمصالح بلادهم. زد على ذلك أن تلك الاتهامات جاءت لتبرير تعسفات جيش الاحتلال الفرنسي بالشاوية. فبعد احتلال برشيد في يناير 1908، ألقي القبض على الحاج محمد بن حمو في بيته، وسبق للسجن بالدار البيضاء. تم قدم للمحاكمة مع حوالي عشرة من المغاربة، أمام المجلس الحربي، بتهمة التسبب في الأحداث التي سبقت الاحتلال. وقد أسفرت المحاكمة عن نتيجة بينت بأن تلك المحاكمة كانت سياسية لإرضاء الأوساط الاستعمارية بالمغرب وعلى رأسها الوزير الفرنسي المفوض بطنجة : E. Regmault، فقد حكمت المحكمة العسكرية بقيادة الجنرال داماد، بتسليم المغاربة المتهمين، وعلى رأسهم الحاج محمد، إلى سطات بلادهم "التي يرجع لها تطبيق العقوبات اللازمة". وقد عارض المفوض الفرنسي الحكم العسكري الصادر في 26 شتنبر 1908، مدعياً أن ذلك سيسيئ للنفوذ الفرنسي، وتدخل لدى وزير الخارجية الفرنسية ليوضح له بأن الجنرال داماد قرر دفع ولد الحاج حمو ومن معه للسلطات المغربية، في حين أنه كان قد حكم ونفذ الحكم في متهمين آخرين، وهذا تعارض سيسيئ للعدالة العسكرية. حسب زعمه، وأبدى معارضته لتسليم الرجل للسلطة المغربية قائلاً: "لا ننسى أن أحداث 30 يوليوز كانت سبباً في قيام مولاي عبد الحفيظ بحركته. ولهذا لا يعقل أن يعاقب المتسببون فيها دون أن يكونوا عرضة لعداوة المحيطين به الذين يؤيدونه في الجهاد، وأنت لا يمكن أن نحاكم الجنّة بتسليمهم إلى سلطات ستعمل على تحريرهم أو تعلن براءتهم".

وهكذا تغلّبت سياسة الانتقام على "العدالة العسكرية" لجيش احتلال الشاوية، وأبقى الحاج محمد ومن معه في السجن. ويستفاد من بعض التحريات الميدانية أن الرجل

ظل محبوباً بوجدة إلى وفاته. ويستفاد من بعض الوثائق أن المحتلين، عملوا على استصدار ظواهر من مولاي عبد العزيز صودرت بموجبها أملاك الحاج محمد الحريزي وأبيه حمو بن أحمد بن الجليلي الحريزي.

وثائق، خ. ح : ع. الحديبي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب.

Archives de guerre, Vincennes, Paris : Villes et tribus du Maroc, Casablanca et les Chaouia, T. 1 - 2.

ونظراً لمؤهلات الرجل ولأه الفرنسيون منصب شيخ فرقة النواصر. فجمع بذلك بين مهنة العدالة والشيخافة زيادة على دوره الموروث كمتقدم روحي لزواية النواصر، وكل هذه الوظائف تولاها خلال العقد الثاني من القرن العشرين.

علال الحديبي

**الحريشي**، أسرة أموية مكناسية. من أشهر أفرادها :

**الحريشي**، أحمد بن أبي الفرج بن حبيب

**الحريشي**، حسين بن أبي علي بن حبيب

**الحريشي**، أبو القاسم بن حبيب

**الحريشي**، محمد بن أبي سعيد

اشتهرت أسرة الحريشي باسم فقيه مرموق. يقول عنه ابن غازي وهو يعدد أعلام مكناس : "ومنهم الفقيه المشاور المفتي الحجة أبو القاسم بن حبيب الحريشي، كان أبو محمد عبد الله العبدوسي يشي عليه في مجلسه، وقد أدركته بالسن فقط". وتفيد الفقرة الأخيرة من هذا النص، أن المترجم كان من شيوخ أواسط القرن التاسع (15 م) ومشهده لا يزال قائماً بمكناس، حيث يقع في الزنقة التي تحمل لقبه العائلي أسفل حي الزرقاء.

وقد كرر ابن غازي النقل عنه في كتابه تكميل التقييد، ومن ذلك ما جاء به عنه في كتاب القسم : "...ووجدت بخط بلدنا شيخ شيوخنا أبي القاسم بن حبيب الحريشي المكناسي، ناقلاً من كتاب أبي محمد عبد الله التادلي الموضوع على المدونة...". أولهم محمد بن أبي سعيد الأموي بن حبيب الحريشي.

ثم حسين بن أبي علي بن حبيب الأموي الحريشي.

وثالثاً : أحمد بن أبي الفرج بن حبيب الأموي الحريشي.

له ترجمة مختصرة عند ابن زيدان، وأخصر منها عند أحمد بابا التنيكتي.

وإلى أبي القاسم الحريشي، جاء ذكر ثلاثة من أحفاده في وثيقة نسب عدلية تحمل تاريخ أواسط شوال عام 930 هـ.

م. ابن غازي، تكميل التقييد، مخطوط، خ. ع رقم 3217 د. ص

172 : الروض الهنون، المطبعة الملكية. الرباط، ص 65 : أ. باب

التنيكتي، نيل الإبتهاج، منشورات كلية الدعوة الإسلامية.

طرابلس، ص 310 : وثيقة واردة عند الشيخ جعفر الكنتاني في

الرياض الربانية، مخطوط، خ. ع، رقم 497 ك : م. الكنتاني، سلوة

الأنفاس، 3 : 302. 303 : ع. ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، 5 :

536.

محمد التونني

**الحريشي**، أسرة فاسية عريقة، تُنسب إما إلى

حريش - وهو الجاري على الألسن بفاس وغيرها - : قبيلة

**الحريزي**، محمد بن العربي المدعو سحور، سجل

التاريخ اسم هذا الرجل لمشاركته في حادث 30 يوليوز 1907 بالدار البيضاء، ذلك الحادث الذي اتخذته الأوساط الاستعمارية الفرنسية ذريعة لاحتلال الشاوية. كان محمد بن العربي هو البرّاح الذي نادى ذلك اليوم بمقاطعة الأجانب بالدار البيضاء وعدم التعامل معهم. وبعد تلك المندادة قامت طائفة من الناس بالهجوم على أورايش المشتركة الفرنسية بمرسى المدينة حيث وقع اشتباك بين العمال الأوربيين والمغاربة أسفر عن قتلى من الجانبين لم تسجل منهم إلا أسماء تسعة عمال أوربيين ثلاثة فرنسيين وثلاثة إسبانيين وثلاثة إيطاليين.

ولقد ألقى القبض على محمد بن العربي بعد احتلال الدار البيضاء واتهمه الفرنسيون بالتحريض ضدهم وحكم عليه بالسجن مع أحد عشر من أبناء الشاوية أشهرهم الحاج محمد بن حمو الحريزي.

**الحريزي**، محمد (الشيخ -) بن الحاج محروق

الرياحي. ينتمي لفخدة رياح الحريزية من أعيان أولاد حريز وزعمائها المشهورين، لعب دوراً بارزاً في انتفاضة الشاوية، وكان من زعماء الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي حيث أبان عن صمود ومثابرة في مقاومة المحتلين. وقد رفض الخضوع للفرنسيين في البداية إلى أن تمكنوا من بسط سيطرتهم على القبيلة. وبالرغم من كونه كان أمياً فقد اشتهر بالاستقامة ومكارم الأخلاق.

**الحريزي**، محمد بن المكي بن محمد بن عيسى،

ينتمي إلى فرقة النواصر من أولاد حريز، يعتبر من الذين ساهموا في خدمة بلادهم في الميادين الدينية والثقافية والإدارية.

لقد حصل محمد بن المكي على تعليم متين إذ درس على أبيه في زواية النواصر مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن، ثم ذهب إلى فاس فاستكمل تعليمه في القرويين. مكث بفاس أربع سنوات حصل خلالها على ثقافة لغوية وفقهية كافية، أهله لخلافة أبيه كمتقدم على زواية النواصر وفي مهمة العدالة. وبذلك قدم محمد بن المكي خدمات كثيرة لأهنا، قبيلته في ميادين العدالة والتربية الروحية والتعليم.

مكتب لتعليم كتاب الله عز وجل، مُعَرِّفٌ بِالْأَمْذَاحِ النَّبَوِيَّةِ لا سيما في شهر المولد الشريف، وتخرج على يده في ذلك أناس كانوا معبد عصرهم وغريز مصرعهم. ذكره حمدون ابن الحاج في عقود الفاتحة. "وقد رأيت نسخة من صحيح البخاري بخط حسن، وبآخرها ما نصه : على يد العبد عبد الواحد بن عبد السلام الحريشي" (تقييد في الحريشيين).

**الحريشي، العربي** بن أحمد الفاسي. كتب ترجمة لنفسه في آخر التقييد جاء فيها أنه وُلِدَ بفاس عام 1298 / 1880 وبه حفظ القرآن الكريم على يد الأستاذ الشيخ الشهيد محمد المدعو حدو بن موسى، ثم التحق بالقرويين وأخذ عن علمائها وبالحصوص العلامة محمد الهواري درس عليه النحو والتوحيد والفقه والتصوف والمنطق، ثم لازم دروس الشيخ المحقق أحمد بن الجبلائي في نفس المواد السابقة وفي الأصول بكثير من التوسع والتعمق.



ولما بلغ المترجم الحادية والعشرين من العمر انخرط في سلك كتّاب المخزن المرسلين، وخصص بعد ذلك بمكاتب الإنشاء الصادرة عن وزير الحربية المهدي المنبهي، وصاحبه في حركته للقبائل الجبلية وفتح تازا، ومطاردة الشائر أبي حمارة. ثم مع خلفه في وزارة الحربية محمد الجبّاص، وصحبه كذلك في حركة مطاردة الريسوني، وانتقل مع الجبّاص إلى طنجة للاشتغال معه ومع الحاج محمد الطريس بدار النيابة، ثم كتب لوزير المالية الطبيب المقرّي وصحبه إلى أوروبا لما ذهب للعلاج وزارا معظم الأقطار الأوربية.

ولما تقرر إحداث النظام بجامعة القرويين وقع الاختيار على المترجم لشغل منصب أول مراقب في الجامعة، وتقلب في مختلف مناصب إدارة الجامعة إلى أن وقع تقديم وثيقة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال فكان المترجم في جملة العلماء الذين حملوا عريضة التأييد إلى المغفور له محمد الخامس، وبعد إبعاد محمد الخامس عن عرشه عزلت السلطات الفرنسية المترجم وامتنحتته مع جماعة من علماء القرويين، وبقي معتزلاً إلى أن توفي يوم السبت عاشر شوال عام 1386 / 21 يناير 1967.

من بني عامر كما عند الجوهرى صاحب الصحاح والشيخ مرتضى على القاموس. وحريش هذا هو الحريش بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة إلى آخر النسب الواصل لمضر كما عند صاحب الكامل وغيره، وعليه فيكون أصحاب هذا النسب عربياً. وإما إلى حريش - بالتصغير - : قبيلة من البربر بالمغرب كما عند الشيخ مرتضى أيضاً، وبه ضبط هو وصاحب نشر المثنائي هذا اللفظ في ترجمة الشيخ أبي الحسن الحريشي الآتية، لكن لم نطلع على ذكر لهذه القبيلة في قبائل البربر لدى من ألف فيهم. والمعروفون الآن بنسبة الحريشي فرقٌ بحسب سكناهم من حومات فاس وإن كان لا يجمعهم قُعدٌ معروف، منهم فرقة أهل غدِير الجوزة من حومة السياج، وفرقة سيدي أحمد الشاوي ودرب الحمام بجرتيز، وفرقة أهل درب مشماشة، وفرقة المصاري، وفرقة أهل درب الغرياء، وهم التونسيون، ومنهم شعبة بمصر عددهم وأفر، ولهم فيها قرية وأراض زراعية، بالإضافة إلى فرقة أهل زقاق الحجر، وفرقة أهل درب أمنة بالتجارين وهو رهط صاحب التقييد.

**الحريشي، بوعزة** أو أبوعزة بن علي بن أحمد الفاسي، قال في سلوة الأنفاس : ومنهم الفقيه النبيه المحدث النزبه سيدي أبو يعزى المدعو بوعزة بن الفقيه العلامة المحدث الشهير أبي الحسن سيدي علي بن أحمد بن محمد الحريشي الفاسي. سمع من والده، وكان فقيها مدرساً يدرس الرسالة وغيرها لمن يحضر مجلسه من بعض الطلبة والعوام، وله معرفة بعلم الحديث والسير، وقد أخذ صاحب الترجمة عن والده كما ذكر وعن تلاميذه الشيوخ أحمد بن مبارك وأحمد بن عبد الله الغربي السلاوي، وقد أجازوه كلهم، كما وقف حفيده صاحب التقييد على إجازة كل بخطه.

توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف / 1769، ودفن بروضتهم التي يدفنون بها قرب سيدي علي بن أبي غالب بسريوة داخل باب الفتوح من فاس الأندلس.

**الحريشي، عبد الرحمان** بن عبد السلام، الفقيه الجليل العلامة النبيل النحوي النحرير، ذكره تلميذه الشيخ أبو الحسن الحريشي الآتي بعده في اختصاره لنفع الطيب. وقال بعدما ذكر : لما توفي الشيخ المذكور وأدخل قبره لم أقالك أن قلت عند ذلك، وهي قصيدة صدرت مني في صغري، مطلعها :

لألربا ما تُعِيدُ وما تُبِيدُ ولله ما يحوي حشائي من الصُدُ  
توفي في خامس عشر جمادى الأولى سنة تسعين  
وألف / 24 يونيو 1679.

**الحريشي، عبد الواحد** بن عبد السلام كان صاحب

**الحريشي، علي بن أحمد بن محمد الفاسي داراً**  
ومنشأ، الشيخ الإمام المحافظ الحجة الهمام، القدوة الثابت  
المسند المعتمد، شيخ الجماعة الوجه المعمر. أخذ عن الشيخ  
الإمام عبد القادر الفاسي، وولديه محمد وعبد الرحمان  
وغيرهم. وأخذ عنه جماعة منهم الشيخ أحمد ابن مبارك  
وأبن زكري وغيرهما، وبالمشرق من شيوخ الشيخ مرتضى  
الشيخ إسماعيل بن عبد الله وعمر بن يحيى بن مصطفى  
ومحمد بن الطالب ابن سودة ومحمد بن عبد الله ابن أيوب  
ومحمد بن محمد بن مسعود الوزاني وغيرهم.

قال في نشر الثاني : وكان لصاحب الترجمة إقدام على  
التأليف فشرح موطاً إمامنا مالك. وشرح الشفا للقاضي  
عياض واختصر الإصابة لابن حجر، واختصر نفع الطيب  
للإمام المقرئ، وله غير ذلك من التأليف، وذكر الشيخ  
مرتضى من تأليفه شرح السمائل، وتوفى وجهته للحج  
بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع عام 1145 / 1732 عن سن  
عالية.

**الحريشي، أبو القاسم بن حبيب المكتاسي.** قال  
ابن غازي في الروض الهمداني : كان فقيهاً مفتياً مشاوراً  
حجة أدركته بالسن فقط، وكان عبد الله العبدوسي يثني  
عليه في مجلسه، ونقله الشيخ أحمد باب في نيل  
الابتهاج.

**الحريشي، محمد بن أحمد الفاسي** علامة فقيه،  
شرح في شرح مختصر خليل ولم يكمله، وله شرح على  
شمائل الترمذي، أخذ عن أحمد الزوار وعن عبد القادر  
الفاسي، وشرحه على المختصر المذكور كان من جملة الكتب  
التي حيزت من خزنة السلطان السابق مولاي عبد الحفيظ  
من طنجة وأدخل بعضها للمكتبة الرباطية وعُيِب البعض.  
توفي أوائل ذي الحجة عام 1102 / أواخر غشت 1691.

الجوهري، الصحاح : مرتضى الزبيدي، حاشية على القاموس ؛  
حمدون ابن الحاج، عقود الفاتحة، مخطوط ؛ م. ابن غازي، الروض  
الهمداني ؛ أ. باب التنبه، نيل الابتهاج ؛ م. القصادي، نشر  
الثاني، 4 : 193 ؛ م. الكتاني، سلوة الأنفاس ؛ العربي الحريشي،  
تقييد في الحريشين، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، إتحاف المطالع ؛  
سل النصال ؛ موسوعة أعلام المغرب، 9 : 3395، 3396.

عبد الرحمان الحريشي

**الحريشي، محمد (الحاج -) الفاسي أمين مخزني**  
بالقصر الملكي بفاس على عهد الحسن الأول، يظهر أنه  
كان مكلفاً بالإشراف على الوارد من الزكوات والواجبات  
المخزنية من القبائل. ونعرف عنه مرافقته للمحلة المخزنية  
الموجهة إلى الريف الشرقي، حسيماً يمكن لنا تتبع أشغاله  
من خلال مقامه بالقصبة الإسماعيلية بسلوان الكائنة بالحد

الجنوبي من قبيلة قلعية من خمس بني بويفرور، المجاور  
لقبيلة أولاد ستوت من ناحية الريف الشرقي. كان قد حل  
بها يوم 24 ذي القعدة من سنة 1309 / 22 ماي 1892  
وسظل بالمكان إلى آخر جمادى الأولى من السنة الموالية.

ظهر الأمين الحاج محمد الحريشي مستقلاً في مهمته  
عن سلطة قائد المحلة المولى عثمان، وسبق له أن استلم من  
السلطان المولى الحسن قبل رحيل المحلة، مجمل القوائم  
المبينة لمقادير الواجبات المفروضة على كل قبيلة أو فرقة،  
وهي معلومة باسم القواد المخزنيين المتولين عليها، طبق ما  
سبق إلى أولئك من المرسلات السلطانية في نفس الموضوع.

بادر الأمين الحريشي بمجرد استقراره في القصبة إلى  
استدعاء قواد قلعية ومعهم أمناؤهم للحضور في يوم معلوم  
مرتب حسب يوميات موزعة على مختلف الجماعات بنوع  
من التناوب. وفي 5 محرم 1310 / 30 يوليوز 1892 كان  
مستعداً لمباشرة مهمته مع قبيلة مزوجة.

جلس الأمين برفقة مساعديه من الكتاب خاصة منهم  
الجلاني بن بلخير الميقاتي والطلالان عمر والشباني بحضور  
قاضي قبيلة قلعية، لقبض الواجبات في مجلس يدعى  
بالقائمة، لم تتمكن من تحديد موقعه داخل محيط القصبة  
بسبب حالة التخريب التي توجد عليه والتغييرات المحدثة  
من طرف الإسبان، وحضر المساعدون والمكلفون بتسجيل  
الحاصل من الداخل في دفاتر خاصة.

وقد حدث تنافر بين الأمين الحريشي ورئيس المحلة  
بسبب تطلع رئيس المحلة إلى مراقبة المداخل اليومية، أدى  
أخيراً إلى إضافة المولى عثمان بعض قواد الرحي لمراقبة  
عملية القبض، فبتلك الوسيلة بيعت الرسائل المتضمنة  
للمقادير المقبوضة إلى السلطان بقصد مقابلتها مع مثيلاتها  
المبعوثة من طرف الأمين الحريشي، مثلما حدث في مستهل  
ربيع الثاني من سنة 1310 / 23 أكتوبر 1892.

يرسل الأمين المقادير المقبوضة، سواء كانت عينا أو نقدا  
على مراحل ودفعات. ففي مستهل ربيع الأول سنة 1310  
بعث خمسة وعشرين كبشا وخمسة قناطير من السمن  
ومثيلها من الزيت، ومائتي درهم نقدا إلى بيت المال بفاس  
على يد حامية ومسؤول بحوزته قائمة الأحمال المرسله  
ومحتوياتها.

عاد الحاج محمد الحريشي قبيل يوم 3 جمادى الثانية  
إلى فاس وطلب مقابلة السلطان لتقديم تقرير عن المستوفى  
من حركة محلة سنة 1310. ونعلم أنه كان بفاس قائماً  
بمهامه الرئيسية حسب مراسلة مؤرخة 28 رمضان 1311 / 4  
أبريل 1894، وكان آنذاك مهتما بتوجيه البريد إلى مدينة  
العرش، ومنذ هذا التاريخ انقطعت أخباره عن الريف  
الشرقي.

كتايب الخزانة الحسينية، 185، 192، 204، 707 ؛ وثائق الخزانة  
الحسينية بالرباط، سنتا 1909 و1310.

حسن الفيكيكي

**حريلي**، بستان سلطاني بمراكش لا يقل أهمية عن بساتين المنارة، وأكادال والصالحة بالرغم على أنه الآن لم يعد محافظاً على خضرته وحالته كما هو الشأن بالنسبة لاكادال والمنارة. وهدفنا من تسجيله هو ما يوجد حوله من وثائق، وما كان يعرفه من عيون متدفقة، تسقي منطقة جبل جيليز وما حولها، في اتجاهي المدينة وسيدي بوعثمان. ومساحته كبيرة، وكان مغروسا كساتر البساتين المحيطة بالمدينة بالنخيل والزيتون والرمان والتين، تقسيم به الأسر النزوات والحفلات، وقد سجل شعراء الملحون، وزجل الدقة المراكشية ذلك :

التزآها وقت السوار فآخريلي وآخريسي  
وفي الكناشة 26 من خ. ح أن أغلب عيون هذا البستان  
أشترها السلطان مولاي عبد الرحمان فيما بين سنتي 1226  
و1267 / 1849. 1850. وهي :

- عين دادة 6 نوب من أصل 8 نوب، في شعبان 1266 /  
1849.

- عين الشراط الثمن 202 مثقال بتاريخ 13 شعبان  
1266 / 24 يونيو 1850.

- عين هنتانة، نوية من أصل 8 نوب، بثمان 380 مثقالا  
بتاريخ : 17 شعبان 1266 / 28 يونيو 1850.

- عين حميدة مول أناي، الثمن 430 مثقالا بتاريخ : 16  
شعبان 1266 / 27 يونيو 1850.

- عين مولاي بوسته، الثمن 146 مثقالا بتاريخ : 15  
رمضان 1266 / 25 يوليوز 1850.

- عين الجبابدي : الثمن 430 مثقالا بتاريخ : 7 شوال  
1266 / 16 غشت 1850.

- عين البقال : الثمن 125 مثقالا بتاريخ : 13 شوال  
1266 / 22 غشت 1850.

- عين بوشارب بتاريخ : 13 شوال 1266 / 22 غشت  
1850.

- عين أجازمية : نويتان، بثمان 66 مثقالا و6 أوقيات  
بتاريخ : آخر ذي القعدة 1266 / 7 أكتوبر 1850.

- وأشترى أربع نوب من أصل تسع بثمان 473 مثقالا  
بتاريخ : 25 ذي الحجة 1266 / فاتح نونبر 1850.

- عين البطار : نوية من أصل 8 نوب بثمان 60 مثقالا  
في 12 صفر 1267 / 17 دجنبر 1850.

- عين فريمة بتاريخ : 3 ربيع الأول 1267 / 6 يناير  
1851.

- عين الفقيه بن بلا، بثمان 390 مثقالا، في ربيع الأول  
1267 / يناير 1851.

- عين حمو بن سالم : 4 نوب بثمان 64 مثقالا.  
- عين الصواف 8 نوب بثمان 429 مثقالا.

وشهد على هذه المشتريات العدلان : مولاي اليزيد بن  
الطاهر الإدريسي من سكان القصور، والمكي بن محمد  
الفيلاي الهلالي. نسخ رسوم أملاك السلطانين مولاي عبد

الرحمان وابنه محمد بمراكش بين 1266. 1283 / 1850.  
1866. وهي وثيقة تؤكد غزارة مياه وعيون بساتين مراكش.  
وكان جزء من عرصة حريلي في ملك الزاوية البوعمرية  
بمراكش، وقد وقفنا في وثائقها على تقيدين هاميين :

1 - حساب المحجور أحمد بن بوعمر بن أحمد بن محمد  
البوعمر من غلل عرصة حريلي نكتفي بذكر ثلاث سنوات  
منها تجنباً للتطويل :

الإنتاج	1922 / 1341	1926 / 1345	1932 / 1351
الرمان	625 فرنك	580 فرنك	500 فرنك
الزيتون	213 فرنك	750 فرنك	-
الليسون	-	200 فرنك	180 فرنك
المشمش	-	15 فرنك	35 فرنك
البلح	-	20 فرنك	17 فرنك
الشعير	15.50 عبيرة بثمان	50 عبيرة	18 عبيرة بثمان 5
	10 فرنكات للعبيرة بثمان 17.5 فرنك للعبيرة		فرنك للعبيرة

2 - ووقفنا على حساب محجورة أخرى هي الطفلة غيثة  
في عرصة حريلي عن نفس المدة، لا يختلف كثيراً في قيمته  
عن حساب المحجور السابق الذكر.

كناشة رقم 16، خ. ح : كناش مصاريف ومداهيل الزاوية البوعمرية  
بمراكش رقم 4 : في ملكية حفدة الشيخ أبي عمرو : ح. جلاب،  
معجم عراسي مدينة مراكش : التراث الشعبي، العدد 5، السنة  
12. 1981.

حسن جلاب

### الحريات العامة، يعتبر قانونون الحريات العامة

من بين أهم القوانين التي صدرت خلال السنوات الأولى  
لحصول المغرب على الاستقلال، وهو يتكون من ثلاثة  
نصوص قانونية، صدرت في شكل ظهائر شريفة بتاريخ 15  
نونبر 1958، وتم تعديل بعض مقتضياتها بتاريخ 10 أبريل  
1973، بالإضافة إلى التعديل الأخير الذي أدخل على  
الظهائر الشريف المتعلقة بحق تأسيس الجمعيات بموجب  
المرسوم بمثابة قانون الصادر في 28 شتنبر 1992 والخاص  
بموضوع مساهمة الدولة في تمويل الحملات الانتخابية، وهذه  
الظهائر هي على التوالي :

1 - الظهير الشريف رقم 1.58.376 الصادر في 3 جمادى  
الأولى 1378 الموافق 15 نونبر 1958 يُضبط بموجبه حق  
تأسيس الجمعيات.

2 - الظهير الشريف رقم 1.58.377 الصادر في 3 جمادى  
الأولى 1348 الموافق 15 نونبر 1958 بشأن التجمعات  
العمومية.



3 - الظهير الشريف رقم 1.58.378 الصادر في 3 جمادى الأولى 1348 الموافق 15 نونبر 1958 بشأن قانون الصحافة بالمغرب.

وتحدد هذه النصوص الإطار القانوني لممارسة الحريات العامة في المغرب، بالإضافة إلى ذلك، فإن دستور المملكة الصادر في 4 دجنبر 1962 قد تضمن جملة من الأحكام المتعلقة بمجال الحريات العامة، ولا سيما منها حرية ممارسة الشؤون الدينية وحرية ممارسة الحقوق المدنية والسياسية، وحرية التجول، وحرية الاستقرار بجميع أرجاء المملكة، وحرية الرأي، وحرية التعبير بجميع أشكاله وحرية الاجتماع، وحرية تأسيس الجمعيات، وحرية الانخراط في أي منظمة نقابية وسياسية حسب اختيار المواطن، ولا يمكن أن يوضع حد لممارسة هذه الحريات إلا بمقتضى القانون. وبالعودة إلى بعض النصوص التشريعية نجد عدداً من المقتضيات التي تتناول تنظيم مجال وحدود ممارسة بعض هذه الحريات.

وقد أكدت مختلف الدساتير المراجعة التي عرفها المغرب سنوات 1970، و1972 و1992 و1996 نفس الحريات إلى جانب إضافة واحدة وردت في الدستور المراجع لسنة 1996 والمتعلقة بضمان حرية المبادرة الخاصة التي تعتبر من الحقوق الاقتصادية في النظام الليبرالي الذي يمثل نهجا يسلكه المغرب منذ الاستقلال.

وهذه الحريات جميعها تعتبر جزءاً أساسياً من حقوق الإنسان الذي أكد المغرب تشبثه بها كما هي متعارف عليها عالمياً من خلال الدستور المراجع سنة 1992، لا سيما وأن المغرب قد صادق على جملة من الصكوك الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان، كما هو الشأن بالنسبة للإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في سنة 1948 واتفاقية الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية سنة 1966، وغيرها من البروتوكولات والملاحق والمواثيق الدولية المتعلقة بمحاور ومجالات عديدة، كحقوق المرأة وحقوق الطفل وغيرها، علماً بأن ثمة بعض التحفظات التي أبدتها الدولة المغربية على بعض أحكام هذه المواثيق والتي تتعارض مع المرجعيات الدينية والسياسية والتاريخية للمغرب.

وبالرجوع إلى قانون الحريات العامة نجد أن المشرع المغربي قد وضع إطاراً قانونياً محدداً لممارسة هذه الحريات، فالظهير الشريف المتعلق بحق تأسيس الجمعيات، بعد أن حدد تعريفاً قانونياً للجمعية، معتبراً إياها اتفاقاً لتحقيق تعاون مستمر بين شخصين أو عدة أشخاص لاستخدام معلوماتهم أو نشاطهم لغاية غير توزيع الأرباح فيما بينهم، أكد على خضوع الجمعيات في تصرفاتها القانونية لقواعد الالتزامات والعقود المطبقة على الفروض، وأقر مبدأ تأسيس جمعيات الأشخاص بكل حرية، وبدون سابق إذن شريطة التصريح لدى السلطات العمومية بمجموعة من المعلومات حول تأسيس الجمعية وأعضائها وأجهزتها ونشاطها

وقوانينها الأساسية. كما أقر مبدأ إضفاء صفة المنفعة العامة على بعض الجمعيات تبعاً لتوعية نشاطها ووسائل عملها. وأجاز حق تكوين الاتحادات وجامعات بين عدة جمعيات تسعى لتحقيق نفس الهدف أو بينها أهداف مشتركة. وقد حدد المشرع كذلك مقتضيات وأحكاماً خاصة بالأحزاب السياسية والجمعيات ذات الصبغة السياسية، حيث وضع مفهوم النشاط السياسي وحدد شروط تأسيس الأحزاب، وبين العقوبات المفروضة في حالة مخالفة هذه الشروط، كما خص الجمعيات الأجنبية ببعض المقتضيات الخاصة من حيث شروط تأسيسها والضوابط التي يجب أن تخضع لها. وقد وضع جملة من الأحكام الخاصة المتعلقة بفئات الكفاح والفرق المسلحة المخصصة إلى جانب مقتضيات عامة وانتقالية تهم الحسابات المالية للجمعيات والعقوبات المفروضة في حالة وقوع بعض المخالفات التي تعتبر مساً صريحاً بالنظام العام.

أما الظهير الشريف المتعلق بالتجمعات العمومية فقد نص على حرية الاجتماعات العمومية، وقد حدد إجراءات التصريح بإقامتها لدى السلطات العمومية، والشروط الواجب مراعاتها حفاظاً على النظام العام، والعقوبات المفروضة في حالة ارتكاب بعض المخالفات أو الجنح أو الجرائم.

ولم يفت المشرع في هذا القانون تحديد الاجراءات المتعلقة بتنظيم المظاهرات والتجمهرات في الطريق العمومية، حيث وضع مقتضيات خاصة لمنع التجمهر المسلح وبين حالاته، والعقوبات المطبقة في حالة وقوعه.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المقتضيات قد ألغت وعضت الأحكام القانونية التي كانت مطبقة أثناء فترة الحماية بخصيص الاجتماعات العمومية، والتجمهرات العمومية والمظاهرات في الطرق العمومية.

وأما الظهير الشريف المتعلق بقانون الصحافة بالمغرب، فقد أقر المشرع من خلاله جملة من الأحكام مقسمة إلى خمسة أبواب وثمانية فصول، همت أساساً القواعد القانونية المتعلقة بالطباعة وترويج الكتب والصحافة الدورية وما تخضع له من إجراءات سواء تعلق الأمر بحق النشر والادارة والملكية والتصريح والابداع والاستدراكات وحق الجواب، أو تعلق الأمر بالجرائد والنشرات الأجنبية، كما همت المسطرة الإدارية الواجب اتباعها فيما يتعلق بإلصاق الاعلانات والنشرات والتجول بها وبيعها في الطريق العمومية، والعقوبات النافذة بخصوص الجرائم أو الجنح المرتكبة عن طريق الصحافة أو غيرها من وسائل النشر، علماً أن المشرع في هذا الباب قد صنف هذه العقوبات وميز بين مجالات تطبيقها من خلال تحديد قواعد خاصة تطبق في حالة التحريض على ارتكاب الجرائم والجنح، وقواعد تخص الجنح المرتكبة ضد الشؤون العامة، وأخرى تتعلق بالجنح الماسة بالأشخاص. ومقتضيات بشأن الجنح المرتكبة ضد رؤساء

الدول والممثلين الديبلوماسيين الأجانب. وقد أقر المشرع إلى جانب ذلك عدداً من الأحكام القانونية بخصوص النشرات المنوعة والحصانات الخاصة بالدفاع، والعقوبات المطبقة في حالة انتهاك حرمة الآداب العامة، أو في حالة توزيع أو عرض نشرات متنافية مع الأخلاق والآداب العامة، وحدد عدداً من القواعد المسطرية والإجرائية الواجبة التطبيق بخصوص المتابعة والزجر في حق الأشخاص المسؤولين عن ارتكاب الجرائم والجنح عن طريق الصحافة. ويبيّن قواعد الاختصاص والإجراءات الواجبة التطبيق من الناحية القضائية بما في ذلك جهة الاختصاص، والقواعد التي يتعين مراعاتها حسب طبيعة ونوع بعض الجرائم، والزجر الاحتياطي، وآجال تقادم الدعاوى العمومية والمدنية الناتجتين عن الجرائم والجنح المتعلقة بمجال الصحافة. ونعتقد أن تطبيق قانون الحريات العامة من خلال مقتضيات القانونية المذكورة، وإن كان في حاجة إلى إعادة النظر في كثير من أحكامه، فإنه مع ذلك قد عرف تطوراً مهماً في اتجاه ترسيخ ممارسة الحريات السياسية والمدنية انسجاماً مع التطورات العالمية في مجال حقوق الإنسان.

عبد الإله فونيتير

تتغذى الحزازيات على العوالق الصغيرة وعلى المواد العضوية، وكبافي الحيوانات المائية تستمد الأكسجين الضروري لها مباشرة من الماء. ونظراً لبداية تكوينها وعدم توفرها على خياشيم كالأسماك مثلاً أو الرخويات فهي تمتص الأكسجين عن طريق كل الجسم وخاصة الزوائد المحيطة بالفم.

كل الحزازيات مائية ومعظمها بحري، إلا أن هناك أنواعاً قليلة تعيش في المياه القارية، ويمكن أن تتخذ لنفسها دعائم مختلفة الشكل والنوع والحجم كالصخور وهياكل السفن وأرصفت الموانئ والأخشاب العائمة فوق الماء، بل وحتى الطحالب وقواقع الحيوانات الأخرى. بل وهناك كذلك أنواع تعيش في الأوجال والرمال.

يوجد في المغرب أكثر من أربعمئة وثلاثين نوعاً للحزازيات، لبعضها توزيع شاسع يمتد على كل البحار والمحيطات تقريبا، وللبعض الآخر توزيع محدود في المنطقتين الأطلسية والمتوسطية، كما أن هناك واحداً وثلاثين نوعاً اكتشفت لأول مرة في المياه المغربية ولازال لحد الآن توزيعها الجغرافي منقصرراً على المياه الوطنية، إما المتوسطية منها وإما الأطلسية وخاصة المناطق الصحراوية.

محمد منيري

**حزازيات،** حيوانية Bryzoaires، تعيش معظم الحزازيات متكاملة ومتناسقة من عدة أفراد. وإن كانت في غالب الأحيان كل الأفراد متشابهة في شكلها ففي أحيان أخرى تحتوي كل مجموعة على أفراد ذوي أشكال مختلفة، وذلك باختلاف الوظيفة التي يؤديها كل فرد داخل المجموعة حيث إن هناك أفراداً تمثل وظيفتهم في التكاثر والتوالد، وهناك أفراد مهمتهم تجديد الماء والأكسجين في محيط المجموعة، وأفراد كذلك تكمن مهمتهم في الحصول على الغذاء الكامل للمجموعة. أما شكل المجموعة في رمتها فيختلف كثيراً باختلاف الأنواع، وحتى داخل نفس النوع فإن الأشكال يمكن أن تختلف باختلاف شكل الدعامة التي يعتمدها هذا النوع أو الآخر.

**ابن حزب الله،** أسرة فاسية عالية ينسبون إلى بيت بني حزب الله الذين يرجعون أصولهم الأولى إلى الصحابي قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج. وفدوا على الأندلس ثم استوطنوا مدينة فاس. يعرف من أهل هذا البيت علماء وفقهاء أمثال الفقيه المدرس الخطيب أحمد بن هلال وابنه الفقيه القاضي علي بن هلال وابنه أبي غالب حزب الله بن علي بن هلال وابنه محمد بن حزب الله ثم ولده أحمد آني الترجمة. وقد انقرضت هذه الأسرة من فاس.

وحتى نيسط الأمور فإذا أخذنا فرداً من مجموعة يتشابه أفرادها فإن كل فرد يكون على شكل صندوق صغير ذي هيكل خارجي صلب يمكن من تدعيم وتشبيث المجموعة كلها كما يمكن من حماية الفرد داخله والذي هو نفسه ذات تكوين عضوي بسيط جداً. فالجهاز الهضمي برتمته يوجد على شكل حرف "U" اللاتيني يحمل في أحد طرفيه الفم مُحاطاً بعدة زوائد مكسوة بشعيرات دقيقة جداً تمكن بحركاتها الدائمة من خلق تيار مائي قرب الفم، كما تمكن من تصفية هذا التيار واستخلاص ما فيه من مواد عضوية صالحة للأكل. أما في الطرف الثاني لهذا الجهاز الهضمي فهو الإست تقذف منه مخلفات الهضم، وهو تستعمل في شكله وموضعه بالنسبة للزوائد المحيطة بالفم كأداة لترتيب وتصنيف الحزازيات.

**ابن حزب الله، أحمد بن محمد الخزرجي الفاسي** أحد الفقهاء المشهورين في هذا البيت الفاسي حيث مارس الخطبة والتدريس والإقراء.

توفي شهيداً في وقعة طريف سنة 741 / 1341 وهي الوقعة التي انهزم فيها الجيش المريني بقيادة السلطان أبي الحسن أمام التحالف القشتالي البرتغالي.

ل. ابن الخطيب، ربحانة الكتاب، نج. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1981، 2 : 428. إ. ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، الرباط، 1972، ص. 19 : أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1974، ص. 119، 305 : أ. باب التنيكتي، نيل الانتهاج، مصر، ط. 1، 1351، ص. 68 : أ. القرني، أزهار الرياض، نج. عبد السلام الهراس وسعيد أحمد أعراب، المعمدية، 1980، 5 : 73 : نفع الطيب، بيروت، 1986، 7 : 250 : م. حجي (محقق)، ألف سنة من الوقيات، الرباط، 1976، ص. 110، 192.

رشيد السلامي

**الحَزَّانُ** Hazzan يقصد به الكلام العام المغربي رجل دين يهودي، يتولى أمر ذبائح اليهود أو يشرف على معيبتهم. أو على الأقل هذا المعنى الواسع الذي يتداوله المسلمون المغاربة.

أما عند اليهود المغاربة خصوصاً في كلام جنوب مراكش والصويرة وأسفي والجديدة وسوس وتاقيلالت... فالمعنى أكثر تحديداً فهو يطلق على مدرس بالمدرسة اليهودية التقليدية يتقاضى من راتبه خبزاً (خبزة الحزان) حسب حاييم الزعفراني. في كتابه (*Pédagogie en terre d'Islam*, p. 52). كما أنه هو الذي يسبّر الصلاة، والغريب في الأمر أن هذا المصطلح غير مستعمل عند يهود فاس ومكناس الذين يستعملون الرّبيّ لرئيس المدرسة، وشاليم سيبور للمفوض المتدوب عن الحاضرين لدى من يسير الصلاة.

ورغم ذلك فإن الحزان هو لقب شائع لبعض العائلات بكل البلاد. إيتيمولوجيا أو من جهة الاشتقاق اللغوي : فالأصل العربي حزان معنيان : الأول مراقب، والثاني مسير للصلاة. الأول مشتق من المصدر حَزَّ (أي بصر) وحَزُون = رؤيّة. وهناك (حَزَنُو باللغة الأثورية أي مفتش) وهذا المعنى الأخير هو الوارد في التلمود (أنظر : عدداً من الأمثلة في كتاب أبرهام لاريدو) *Les Noms Juifs du Maroc*, Madrid 1978, pp. 569 - 570.

لكن المعنى قد تطور في اللغة العبرية المتداولة بعد فترة تدوين التوراة، ليصبح الحزان لقباً لشخص يقوم بالمراقبة فيما يكلف به من معبد : والقارئ للتوراة (مسمّع) وأخيراً المادح الذي يتغنّى أو يرتل الصلاة والبيوطيم (أي شعر ديني مغنى). ومن هنا جاء المصطلح الحدي حزّنوت الذي يعني فن الترتيل.

والحزّان في كتابات متنوعة هو اسم شخصي شائع لدى اليهودية الأوربية والمتوسطية في القرنين 18 و19، وقد ورد ذكر أسماء ربيين بهذا اللقب، نذكر منهم : إليعزر حزان، إلحزّار حزان، شلومو والياهو حزان، وقد كانوا قضاة (ديانيم) بمراكش وخلفوا عدة مؤلفات. وداوود حزان، الربّي الأكبر بالصويرة، توفي سنة 1828 وترك بعض الكتب المخطوطة، وهي عبارة عن تفاسير القوانين الموسوية، ومنذ عهد قريب يحتفظ تاريخ المطبعة بالمغرب بأسماء مثل شريط وحزان أي الشريكين مسعود شريط وعمران حزان اللذين أسسا مطبعة ودار نشر بفاس. وبما صدر عنها كتب بالحرف العربي وذلك منذ حوالي 40 سنة.

يوسف تدغي، الكتاب والمطبعة العبرية بفاس، القدس 1994 :  
الكتاب باللغة العبرية : يوسف بناييم، مالخي رينام Makhe  
Rabbanam

شمعون ليفي

ابن حَسَّانٍ أو ابن حسين . دون مدّ، أسرة رياضية تنتمي إلى مولاي عبد الله أمغار. اشتهر من هذه الأسرة تجار اشتغلوا بالتصدير والاستيراد منذ عهد المولى الحسن وكانوا ممثلين لدار لامب Lamb الانجليزية يتجرون في الأثواب والكتان، ومن أشهرهم :

ابن حَسَّانٍ، صالح بن المعطي، كان يتاجر هو وأخوه الغزواني في الصوف على عهد المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ.

ابن حَسَّانٍ، صهر الشيخ فتح الله بناني، كان صوفياً مقدماً للزاوية البنانية الفتحية.

وفي عهد الحماية اشتغل آل ابن حَسَّانٍ بالتعليم في المدارس الرسمية منهم محمد ابن حَسَّانٍ الذي تخرج كأول معلم مغربي رسمي سنة 1929. وتلمذ على يده عدة أفراد. وكانوا كذلك من السباقين في البعثات الطلابية إلى الخارج، كمحمد بن عيد القادر ابن حَسَّانٍ الذي كان ضمن وفد طلابي متكون من ثلاثة وعشرين طالباً رياطياً للدراسة في فرنسا سنة 1932 وكان من أوائل المتخرجين منها بشهادات عليا.

محمد الأمين بلكتاوي، رواية شفوية، في 30 / 10 / 1995.

عبد الإله الفاسي

**الحسبية بالمغرب**، تعبير خُطّة الحسبة من الوظائف الدينية التي تنشق عن المبدأ الإسلامي "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" الذي "هو القطب الأعظم للدين، وهو المهّم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين" (إحياء علوم الدين، 2 : 269). كانت الحسبة في العصر الراشدي يباشرها الخلفاء أو ولاة المدن (الأحكام السلطانية، 258)، ثم أصبحت توكل لمن يقوم بها مع توسع مهام ومسؤوليات الخلفاء بقية عصر الراشدين، وفي الدول الإسلامية اللاحقة. لقد أثّرت بصدد أصول الحسبة مناقشات عديدة خاصة بين المستشرقين، فذهب جوزيف شاخْت إلى القول بأن أصولها بيزنطية، في حين حاول آخرون البحث في تطورها في البيئة الإسلامية، ورصد علاقتها بتطور كل من حركة التمددين وحركة الفقه لارتباطها الوثيق بهما.

ترسم الحسبة للمدينة الإسلامية معالم النموذج الأخلاقي والتنظيمي المميز للحياة الإسلامية، وينطوي هذا النموذج على جملة من المفاهيم والعلاقات التنظيمية التي تراهن على الانسجام الأخلاقي بين المجتمع والشريعة. لكن الحسبة بمفهومها الاصطلاحي ستختصر أكثر في الجانب الذي يخص الإجابة على الاحتياجات التي كانت تعنى "بأحكام السوق" في المدينة الإسلامية التي تعتبر الخلية الأكثر نشاطاً في المجتمع. وهكذا جاءت أحكام الحسبة النظرية والتطبيقية

كحصولها للتجربة التاريخية للمجتمع الإسلامي، ولم تكن مجرد فقه افتراضي تخيله الفقهاء كما يرى شاخت.  
لقد أجرى أبو الحسن الماوردي مقارنة بين الحسبة والقضاء : الحسبة توافق القضاء في : الاستعداد على المدعى عليه، ثم إلزامه برد الحق الذي عليه. وأنها تقصر عن القضاء في كونها تنظر في الدعاوى المتعلقة بالمنكرات فقط دون سائر الخصومات، وأنها مقصورة على الحقوق المعترف بها. لكنها تزيد على القضاء في كونها تنظر في القضايا حتى وإن لم يوجد خصم يستعدي، كما يجوز للمحتسب استعمال التعزيز والترهبة وهو ما لا يجوز للقاضي.

- استقرت الحسبة في كتب الفقه النظري كوظيفة شرعية تهتم بتكاليف واسعة، ولكنها ما فتئت تحصر وتدقق أحكامها، وهي عموماً تدور حول الأبواب الرئيسية الآتية :
- 1 - الأسواق ؛
  - 2 - المكاييل والأوزان والنقود (مراقبة الجودة وقمع الغش) ؛
  - 3 - التنظيمات الحرفية ؛
  - 4 - المساجد والصلاة ؛
  - 5 - السلوك العام (محاربة مختلف المنكرات والمفاسد والبدع) ؛
  - 6 - مرافق المدينة : الطرف - الحمامات - المياه - البناء... ؛
  - 7 - القضاء ؛
  - 8 - أهل الذمة ؛

وللقيام بهذه المهام اشترط الفقهاء في المحتسب مجموعة من الشروط وهي :

- 1 - الإسلام 2 - التكليف (البلوغ والعقل) 3 - العلم بما يحتسب فيه 4 - القدرة على التغيير والقيام به (ابن المصنف، تنبيه الحكام، 314) وفصلوا في شروط أخرى مكمله.

لقد تبلورت الكتابات النظرية حول الحسبة في حدود القرن الخامس (11 م) مع أبي الحسن الماوردي (ت. 450 هـ) في كتابه الأحكام السلطانية ثم الإمام أبي حامد الغزالي (ت. 505 هـ) في فصل مهم من كتابه إحياء علوم الدين.  
أما كتب الحسبة التطبيقية بالغرب الإسلامي فأقدمها كتاب يحيى بن عمر الأندلسي (ت. 289 هـ) أحكام السوق، ثم انقطعت الكتابة بعده في الموضوع إلى حدود القرن الخامس حيث ظهرت مؤلفات أندلسية مهمة مثل رسالة ابن عبيدون، ونوازل ابن سهل (ت. 486 هـ) وفي القرن السادس ظهرت رسالة في آداب الحسبة للسقطي المالقي، ورسائل ابن عبيدون والجرسيفي، وكلها لفقهاء مالكيين. وقد عرفت الحسبة بالأندلس بـ"ولاية السوق"، وكانت لها أهمية بالغة منذ العهد الأموي. وقد ظهرت ابتداء من القرن الخامس مؤلفات أخرى في الحسبة بالمشرق لفقهاء شافعية بالأساس. وقبل هذين القرنين فإن المعلومات التي كانت ترد عن

الحسبة لم تكن في الغالب سوى شذرات وأخبار متفرقة في كتب التاريخ والتراجم والفقهاء.

الحسبة بالمغرب الأقصى في العصر الوسيط، لم نقف في المصادر التي تؤرخ للإمارات المغربية الأولى (المدرايون، الأدارسة، مغراوة وبنو يفرن، إمارة نكور) على أية إشارة إلى الحسبة أو إلى محتسبين في المدن التي كانت خاضعة لهم. ورغم معرفتنا بأسماء قضاة بعض المدن المغربية في هذه المراحل المبكرة، فإن معلوماتنا عن المحتسبين قليلة جداً، ويمكن القول إن مهام الحسبة كانت داخلية ضمن مسؤوليات القضاة وفقاً للعرف المالكي الذي سار عليه قضاة إفريقية مثل سحنون (ت. 240 هـ) في الجمع بين القضاء والحسبة، خاصة وأن أول قاض لفاس الإدريسية عينه إدرس الثاني سنة 189 هـ هو عامر بن محمد بن سعيد القيسي أحد تلاميذ الإمام مالك، وقد ورد فاساً ضمن وفد إفريقية (القرطاس، 27)، بينما عرفت ولاية السوق بالأندلس في مرحلة مبكرة وعلى يد بعض تلاميذ الإمام مالك أيضاً. ويظهر أن أهل المغرب الأقصى تبنا إدماج النظر في شؤون الحسبة إلى القضاء، وكان بعض العلماء أحياناً يقومون بالحسبة تطوعاً، مثل أبي عمران الفاسي (ت. 430 هـ) الذي أُخرج من فاس على يد حكام مغراوة بسبب تصديه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي العصر المرابطي، قامت دعوة عبد الله بن ياسين على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد، وقد مارس أثناء مقامه بالصحراء مهام الحسبة، فاستنكر بعض عادات قبيلة لمتونة فتذمروا منه وقاطعوه، كما اجتهد في تعزيز أتباعه فكان يضرب كل متخلف عن صلاة الجماعة عشرين سوطاً، خمسة سباط عن كل ركعة، وكان يؤدب بالضرب كل من رفع صوته بالمسجد، ولم يكن يفكر في التأديب بين الخاصة والعامة (البيكري، المسالك، 667؛ القرطاس، 81؛ أعمال الأعلام، 228، 231؛ حسن محمود، قيام دولة المرابطين، 164-165).

وعندما فتح المرابطون سجلماسة سنة 447 هـ أمر عبد الله بن ياسين بتغيير المناكر، والقضاء على مظاهر اللهو والظلم التي كانت سائدة، فقطعت المزامير وأحرقت محلات الخمر.

يظهر من خلال استعراض تاريخ المرابطين بعد استقرار دولتهم أن الحسبة بشكلها المؤسسي لم تكن ضمن خطط الدولة كما كان عليه الشأن بالأندلس مثلاً. ويظهر أنها لم تستقل عن نظر القضاة، حيث نجد أن الفقيه محمد بن عبد الرحمان ابن العجوز قاضي فاس في عهد يوسف بن تاشفين قد أزم الناس بليس السراويل رجلاً نساءً (المجدوة، 253) ولاشك أن دمج الحسبة مع القضاء كان من دواعي عدم التأليف فيها في المغرب الأقصى خلال هذا العصر. وأول إشارة تصادفها في التأليف في الحسبة تخص الفقيه عيسى بن أصيغ الجياني المعروف بابن سهل (ت. 486 هـ) صاحب كتاب "الإعلام بنوازل الأحكام"، وقد ضمنه فصلاً مهماً عن الحسبة. وبالرغم من أن هذا الفقيه قد استقصى بكل من

طنجة ومكناسة فإنه لم يشر في كتابه إلى قضايا تتعلق بالحسبة في هذه المدن، وكل ما ذكره في الموضوع يخص الأندلس.

يتبين إذن أن المرابطين لم يعملوا بخطة الحسبة، بل ظلت من اختصاص القضاة ومن حق كل قادر عليها سيراً على عمل السلف، وذلك ما تدل عليه بعض الأخبار الخاصة بمحمد بن تومرت، فإنه لما حل بمدينة فاس قافلاً من المشرق في حدود سنة 510 هـ أثار انتباهه وجود حوانيت لبيع الآلات الموسيقية في أحد أسواقها، فهاجمها هو وأتباعه وكسر آلاتها وأحدث جلبة في السوق، وعندما اشتكى أرباب الحوانيت ما حل بهم إلى قاضي فاس عبد الحق بن معيشة الفرناطي أقر عمل ابن تومرت قائلاً: "لو لا ما رأى من السنة، فما كسرهما ومزقها، مروا، فإنهم مخالفون للحق" (أخبار المهدي، 44) وهاجم ابن تومرت بمدينة مراكش موكب أخت أمير المسلمين علي بن يوسف مستنكراً تبرج جواربها، فلم يلمه أحد على ذلك (المعجب، 180)، واستنكر في مجلس علي بن يوسف والفقهاء بجامع مراكش بيع الخمر علانية وتربية الخنازير وشيوع المنكرات، فكانوا يعتبرونه محققاً في حسبته إلى درجة أن أمير المسلمين بكى من لومه.

ومع ذلك فإن استغناء المرابطين عن خطة الحسبة يبقى أمراً مثيراً للتساؤل خاصة وأن أغلب أطر الخطط الشرعية والإدارية في دولتهم كانوا من الأندلسيين، ثم إن المدن في عهدهم قد بلغت شأواً عظيمياً من التطور خاصة مدن مراكش وفاس وسبتة.

وفي العصر الموحيدي في مرحلة الثورة: ركز ابن تومرت على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كأداة أساسية في نضاله السياسي، فلا يذكر الفقيه السوسي قبل لجوئه إلى جبال المصامدة إلا من خلال قيامه بواجب الاحتساب، سواء على ظهر السفينة التي أقلته من الإسكندرية أو في مدن قسنطينة وبيجة وملاحة وتلمسان ووعدة وأجرسيف وفاس ومكناسة ومراس (أخبار المهدي، 30-48). ولا شك أن جرأة ابن تومرت وعلمه وإخلاصه لأهدافه كانت عوامل حاکمة في طبيعة استخدامه للمبدأ المذكور، إضافة إلى تقبل عمله سواء من طرف المجتمع أو من طرف الفقهاء والقضاة.

ومن منطلق إصلاح مجتمع القبائل الموحدية، كرس ابن تومرت الحسبة في بيئة تينمل، فكان يضرب الناس على الخمر بالأكمام والنعال وعسب النخل، متشبهاً في ذلك بالصحابية (المعجب، 193). وتشدد في أمر الرب الذي كان سكان الجبل "لا يستغفون عن شره لشدة برد الجبل وتلجه" (الروض المعطار، 235). ومع أن تنظيمات الموحيدين قد تضمنت فئة المحتسبين أو المزاور، فإن المصطلح استعمل بمعناه اللغوي العام، ولم يكن يعني القائمين بأمر الحسبة (البيذق، 54).

وفي مرحلة الدولة: أعتبر الخلفاء الموحدون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجباتهم الأساسية، وتتضمن الرسائل الموحدية تأكيداً واضحاً على ذلك. ويبدو أن عبد المؤمن بعد استقراره بمراكش عمل على استكمال بناء مؤسسات الدولة، وقد عني بتعيين المحتسبين سواء بالأندلس أو بالمغرب، فقد عين في مرحلة مبكرة من حكمه سنة 541 هـ شخصاً يدعى يوسف بن أحمد على الاحتساب بمدينة إشبيلية بعد زيارة وفد من أهلها إلى مراكش (البيان المغرب، 36). ولم يكن تعيين المحتسبين مقتصراً على المدن الكبرى فقط، بل كان المحتسبون يعينون ببعض المدن الصغيرة مثل داي التي أكره أحد الصوفية وهو يوسف بن علي المؤذن (ت. 557 هـ) على ولاية الحسبة بها (التشوف، 168). وفي عاصمة الموحدين كان قاضي الجماعة هو الذي يختار محتسبها، حيث أرسل القاضي حجاج بن يوسف الهواري (ت. 572 هـ) إلى شخص يدعى مروان بن عبد الملك اللمتوني "أن يصل إليه من فاس ليقدمه على خطة الحسبة بمراكش" (التشوف، 238)، وتلاحظ أن مهام الحسبة في مرحلة بداية الدولة كان يختار لها في الغالب أشخاص ذوو ميول صوفية.

وإضافة إلى المحتسبين، تذكر المصادر "أمناء الأسواق"، فنجد عند عبد الواحد المراكشي أن المنصور "كان قد أمر أن يدخل عليه أمناء الأسواق وأشياخ الحضر في كل شهر مرتين، ويسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم" (المعجب، 189). وتتضمن بعض الرسائل الرسمية الموحدية أوامر بتكليف "أمناء" للقيام بمراقبة أسواق الجوارى وتبني الخمر ومستعمليها، ومراقبة الصلاة وتعليم الناس الفاتحة وسورة من القرآن (نظم الجمان، 150-167؛ رسائل موحدية، نشر بروقنصال، 126-138) مما يدل على أن الأمناء كانوا إما محتسبين أو مساعدين للمحتسبين، ولم يكونوا أمناء للحرف كما ذهب إلى ذلك هو بكنز (النظم الإسلامية، 229).

وقد عرفت خطة الحسبة في العصر الوحيدي "بحسبة السوق" لارتباطها أكثر بمراقبة الأسواق وحماية الحقوق بها. ومن بين من ولي هذه الخطة في أواخر الدولة نذكر: ميمون بن علي الخطابي المكنى بابن خبازة (ت. 637 هـ) الذي كان محتسباً للطعام في محلة الخليفة إدريس المأمون عند توجهها إلى مراكش سنة 625 هـ ثم ولي حسبة السوق بها (الذيل والتكملة، 8: 239)، وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري التطيلي (ت. 645 هـ) وقصد ولي نفس الخطة فحمدت سيرته فيها (الذيل والتكملة، 4: 177).

الحسبة العامة: إضافة إلى الحسبة التنظيمية كانت الدولة الموحدية تولي عناية خاصة للحسبة العامة التي كان يمارسها مجموعة من أطر الدولة كالطلبة والحفاظ والقضاة والحكام بصفة عامة، وكذلك بعض العلماء (جدوة، 85). كان الخلفاء الموحدون الأوائل جادين في مراقبة الأوضاع

العامية في دولتهم، وكانوا يوجهون أوامره لأطر الدولة بأمرهم بمراقبة الأوضاع ومحاربة المنكرات والمفاسد ( البيان، 37، 267 : نظم الجمان، 150-167 : رسائل موحديّة، 126-138).

لقد كان يعقوب المنصور أكثر الخلفاء صراحة في القيام بشؤون الحسبة العامة وصراحته في تطبيق أحكام الشريعة (المعجب، 278 : وفيات الأعيان، 3 : 109 : البيان، 171 : القرطاس، 216)، وكان من عادته أن يتلقى شكاوي أهل المدن التي يحل بها.

وتابع الخلفاء الموحدون بعد ذلك السير على خطى مؤسسي الدولة، فقد أصدر يوسف المستنصر سنة 617 هـ رسالة إلى كافة الجهات المغربية والأندلسية تحت عنوان "أخذ الناس بإقامة الدين والحفز على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا في ذلك ما فعله جده عبد المؤمن"، (البيان، 267). وفي سنة 628 هـ "فدّت كتب المأمون إلى سائر البلاد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" (الاستقصا، 2 : 240).

مظاهر الحسبة العامة : يرى الدارس لتاريخ الموحدين أن القوة والصراحة كانتا طابعا مميزاً لعهود عدد من الخلفاء، وقد تجلّى ذلك في مظاهر الحسبة العامة التي توخى منها الخلفاء الحفاظ على رسوم الشريعة ومحاربة الفساد، ومن مظاهر ذلك التشدد في منع الخمر بما فيه الرُّب، إلى درجة أن المنصور "قتل في بعض الأحيان على شرب الخمر" (وفيّات الأعيان، 7 : 11)، كما تشدّد الخلفاء في أمر الصلاة، فقد كان عبد المؤمن "بعظم أمر الدين ويقويه، ويلزم الناس في سائر بلاده بالصلاة" (نهاية الأرب، 22 : 427) وأصدر أوامره بأن "من رُكّي في وقت الصلاة غير مصل قتل" (نفسه، والتشرف، 220) إلى درجة أن عبد المؤمن قد اعتُبر "كثير السفك لدماء المسلمين على صفار الذنوب" (نهاية الأرب، 427). ولم يعد القتل على ترك الصلاة معمولاً به بعد عبد المؤمن، ولكن العقوبة على ذلك استمرت، فالمنصور كان "يعاقب على ترك الصلاة، ويأمر بالنداء في الأسواق بالمبادرة إليها" (وفيّات الأعيان، 7 : 11).

ومن إجراءات الحسبة العامة التي تبناها الموحدون بصرامة منعهم للمكوس والضرائب غير الشرعية "فأمّنوا السبل وسلبوا الجسور دون قبالة" (المن بالإمامة، 234-463 : البيان، 164) و"طاردوا المتقبلين واستحلوا قتلهم" (الروض العطار، 541) وقد لفت انعدام المكوس بالمغرب نظر الرحالة الأندلسي ابن جبّير (540-614 هـ) فسجل إشادته بالموحدين لما رأى من تهاون الدول الإسلامية بالمشرك قائلا : "إنه لا عدل ولا حق ولا دين على وجهه إلا عند الموحدين أعزهم الله، فهم آخر أئمة العدل في الزمان، وكل من سواهم من الملوك في هذا الأوان فعلى غير الطريقة، يعشرون تجار المسلمين كأنهم أهل ذمة لديهم، ويستحلون أموالهم بكل حيلة وسبب" (الرحلة، 56).

يستعود الضرائب غير الشرعية إلى الظهور عند ضعف الدولة ويبرز مشاكلها المالية مع استفحال التمزق السياسي للمغرب بعد وفاة الرشيد سنة 640 هـ. وقد عمل آخر الخلفاء الموحدين إدريس أبو دبوس على "رفع الكلف والمحدثات بالبوادى والحواضر، واقتصصر على الحقوق الواجبة التي جرى عليها قديما العمل المتواتر [...] وسرح الأبواب للداخل والخارج دون غرم شيء من الأشياء لا في سلاع ولا في زرع ولا في غير ذلك مما كان يغرم قبل ذلك من مدد الأمراء. وكما أمر برفع غرم الأبواب كذلك أمر برفع المعونة في الرحاب" (البيان، 448).

وما يلاحظ أنه مع ممارسة الحسبة بجميع وجوهها في العصر الموحدي إلا أن الكتابة في الموضوع قد قلت بشكل ملحوظ، فلا تتوفر على مدونات خاصة بالحسبة، باستثناء فصل مهم في كتاب تنبيه الحكام لابن المناصف الأزدي (563-620 هـ)، ورسالة لأبي الحسن ابن القطان (ت. 628 هـ) حول المكابيل والموازن، لم تصلنا.

أما في العصر المريني فبقيت وظيفة الحسبة قائمة بعد زوال دولة الموحدين وقيام دولة بني مرين، واستمرت معها قلة التأليف في الموضوع. ويعود ذلك ولا شك إلى الاكتفاء بالمدونات والرسائل الأولى في فقه الحسبة والتي يظهر أنها كانت مفصلة بالقدر الكافي، ثم إنها كانت منطلقة من المذهب المالكي فلم تدع الحاجة إلى تجاوزها. وأهم مؤلف معاصر للمرينيين هو لقاضي الجماعة بتلمسان محمد بن أحمد العقباني التلمساني (ت. 871 هـ) المعنون بـ "تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشرائع وتغيير المناكر" وهو أشبه بكتب الأحكام الفقهية منه بكتب الحسبة التنظيمية.

وكان محتسب فاس في عهد يعقوب بن عبد الحق المريني تحت نظر قاضي الجماعة بها مفضل بن محمد العذري (جدوة، 339). وقد توسعت مهام المحتسب بعد ذلك، فكانت تضاف إليه مسؤوليات أخرى، حيث كان يشارك الوالي والقاضي في تسيير شؤون مدينة فاس، ويختص بشؤون الأسواق ودار العيار، ومراقبة الأماكن العامة مثل الطرقات والحمايات والحارات. وقد بنى محتسب المدينة في قيساريتها نموذجاً لذرّاع مضبوط ليكون أساساً لمقاييس التجار والمتعاملين، عرف بقالة سوق العطارين (ورقات، 106) وكان إضافة إلى ذلك يقوم بدور الحكم في النزاعات بين أهل الحرف والصنائع، كما كان يفصل في الخلافات بين التجار وزبائنهم، وكان يعتمد في مسؤولياته هذه على مجموعة من الأئمة وأرباب الحرف المعروفين بالخبرة والورع.

ويظهر أن بعض سلاطين بني مرين كانوا يميلون إلى إشراك السكان في اختيار المحتسبين، فقد قال أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني : "أوصى جدنا عبد الحق -رضي الله عنه- بوصية التزمناها وهي : أن ثلاثة من الولاة لا مدخل للرعية فيهم مع السلطنة، وهم : صاحب القصبية، وصاحب الشرطة، والوالي، وثلاثة المرجع

فيها للرعية، وهم : إمام الصلاة والخطبة، والقاضي،  
والمحتسب" (السند، 233).

ومن محتسبي العصر المريني نذكر : الشاعر عبد العزيز  
الملزوزي المكناسي (ت. 697 هـ) "كان جعل له النظر في  
أمر الحسبة ببلاد المغرب" (مختصر الإحاطة، مخطوط، خ.  
ع. د. 1582، ورقة 279)، وعلى يده كان تعديل الصاع  
المغربى ليوافق المد النبوي (روض القرطاس، 282).

- وغالب بن علي بن محمد الشقوري الغرناطي (ت.  
741 هـ) محتسب مدينة فاس، وكان ذا إمام بالطلب، وخدم  
أبا الحسن المريني (جنوة، 506).

- الشيخ الحاج أبو الضياء منير بن أحمد بن منير  
الهاشمي الجزيري، نزيل أسفي وصاحب السوق وناظر  
المارستان بها. وبها لقيه ابن الخطيب السلیماني سنة 761 هـ  
(نفاضة الجراب، القاهرة، 72).

- أبو عبد الله ابن الجيار، كان محتسباً بمدينة سبتة  
(بلغة الأمنية، 55).

- يعقوب بن عبد الله الخاقاني الفاسي "انتصب سنة  
817 هـ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وردع المفسدين،  
حتى صار له أنصار وأتباع" (الضوء اللامع، 10 : 115 ؛  
عن خطة الحسبة، 89).

- علي بن أحمد الحسيني السبتي الشهير بالكفاد  
(ت. 839 هـ) كان يجمع بين الحسبة والنظر في الأحباس  
بفاس (المناهل، 14).

وقد أدخل أبو عنان المريني منصب "صاحب الصلاة"  
ضمن إدارة دولته، وكانت مهمته أمر الناس بالصلاة في  
أوقاتها وفي جماعة، والمحافظة على صلاة الجمعة ومعاينة  
المتخلفين والمتهاونين. وقد كانت هذه الخطة مشهورة  
بالأندلس، وجعلها الموحدون ضمن مهام المحتسب والأمناء  
والحفاظ وغيرهم. وكان تعيين صاحب الصلاة في العصر  
المريني يتم بظهير سلطاني، وكان يفرض له مرتب، ويعين  
أعوان يساعدهونه، ويحصلون هم أيضاً على مرتبات (قيض  
العباب، 22، 23). وقد ذكر صاحب بيوتات فاس الكبرى  
أن أبا المكارم منديل بن زنيق "كان يحرض الناس على  
الصلاة في أوقاتها، ويضربهم عليها بالسياط والمقارع بأمر  
السلطان أبي عنان المريني" (البيوتات، 50).

وفي العصر الوطاسي يبقى أهم مصدر عن معلوماتنا  
عن الحسبة هو وصف إفرقيما للحسن الوزان الذي يؤكد أن  
منصب الحسبة أصبح السلطان يسنده إلى الأعيان بطلب  
منهم بالرغم من أميتهم وعدم إلمامهم بمتطلبات المنصب، في  
الوقت الذي كان المحتسب في السابق يختار من ذوي  
المروءة والكفاءة. ولعل هذا ما ساعد على تفشي ظاهرة  
الرشوة لدى المحتسبين ولجوتهم أحيانا إلى بعض العقوبات  
المبالغ فيها. ويظهر أن هذا التحول رافق تحولا آخر تمثل في  
تقليص مهام المحتسب وحصرها في بعض شؤون السوق بما  
لم يكن يتطلب إلماماً بالفقه والأحكام، ولا شك أن تراجع  
أهل العلم والتصرف عن قبول بعض المناصب وإحجامهم  
أحيانا عن التعامل مع السلطة الوطاسية كان من العوامل

المساعدة على تراجع أهمية منصب الحسبة، وشيوع مفسد  
ومخالفات كثيرة لم تفد الخطب النارية للشيخ الوريابلي  
في القضاء عليها، وهو الذي عرف بشدته في إنكار المنكر  
والتشنيع حتى على ذوي السلطان.

وقدم الحسن الوزان أيضاً معلومات مفيدة عن مرور  
موكب المحتسب بأسواق فاس مخفورا بعدد من الحرس،  
وعن بعض الطرق والوسائل التي كان يستخدمها لكشف  
العش في المواد الغذائية وبعض العقوبات التي كان ينزلها  
بالمخالفين.

وتتميز المعلومات عن الحسبة في العصر السعدي بقلتها  
وتشتتها، ويظهر أنها تجاوزت التدهور الذي لحق بها في  
العصر الوطاسي، حيث شغلها بعض الفقهاء المعروفين  
بعلمهم ومكانتهم، وأصبح التركيز أكثر على إمام المحتسب  
بأحكام الفقه، فحسبت مجموعة من مصادر الفقه والحسبة  
ووضعت في دكان المحتسب بفاس ليرجع إليها عند  
الضرورة، وقد عاينها الشيخ ميارة في صغره، وذكر ذلك  
في شرحه للامية الزقاق، وتعتبر هذه أول إشارة إلى  
تخصيص دكان للمحتسب بأحد أسواق المدينة، ويظهر أن  
هذا الإجراء قد اتخذ في العصر السعدي لتأكيد حضور  
المحتسب في السوق بصفة دائمة، حتى يسهل على الناس  
الوصول إليه وقت الحاجة. وقد كانت لبعض محتسبي هذا  
العصر تدخلات تتجاوز مراقبة الأسواق، مثل محتسب  
عدوة الأندلس بفاس الحاج صالح الذي قطع تدخين الدخان  
حين دخل إلى المغرب في عهد السعديين ومنع بيعه، كما  
منع بيع آلات الطرب للنساء. وألزم الناس بالصلاة، وفرض  
التستر في الحمامات وغير منكر شتى، وكان قد ولي  
الحسبة سنة 1049 / 1639 م.

ومن بين محتسبي العصر الفقيه أحمد ابن مواس الذي  
كان أبوه موقتا بجامع القرويين بفاس، ومحتسب درعة  
أحمد بن سعيد التونسي الذي كان هو الآخر من الفقهاء.

وفي العصر العلوي بعد تجاوز مرحلة الاضطراب  
الطويلة التي عرفها المغرب بعد وفاة أحمد المنصور الذهبي  
وأستتباب الأمر للمشرفاء العلويين بدأت خطة الحسبة تنتعش  
بدورها وأصبح حضورها ملموسا سواء في كتابات الفقهاء  
أو على المستوى التطبيقي. فقد أصبح الفقهاء أكثر  
انشغالا واهتماما بقضايا نظرية تدخل في باب الحسبة،  
وألفت في ذلك تآليف. أما من الناحية العملية فقد  
أصبحت مكانة المحتسب في المدينة المغربية منذ عهد المولى  
الرشيد تأتي في المرتبة الثالثة بعد الوالي والقاضي،  
وأصبح المحتسب يختار من الفقهاء ذوي المكانة والاحترام  
ويعين بظهير سلطاني. ومن خلال الوثائق المخزنية نلاحظ  
أن أخبار المحتسبين أصبحت تصل إلى السلطان ويتواصل  
بشأنها مع عماله في مدن شتى.

وتجد أيضاً أن أخبار المحتسبين وقصصهم أصبحت أكثر  
تداولاً في كتب التراجم والتاريخ. ويظهر من هذا الأهمية

التي أصبحت مكانة المحتسب تكتسبها داخل الحكومة المغربية، وأيضاً داخل المدينة، وقد تجلت هذه الأهمية في المهام الواسعة التي أصبحت توكل إلى بعض المحتسبين، حتى صار عدد منهم يتجاوزون اختصاصاتهم لتوسيع نفوذهم، مما كان يؤدي بهم إلى الاصطدام سواء مع القضاة أو العمال، وذلك ما تعالجه وثائق عديدة.

في حين نجد أن الميزات الشخصية لبعض المحتسبين وحزمهم كانت كافية لإقناع بعض السلاطين بتكليفهم ببعض المهام الخارجة عن تخصصهم، فقد كلف مثلا الطاهر بادو محتسب مكناس في عهد مولاي سليمان بصائر الدار السلطانية، ووكل إلى محتسب آخر بكناس الإشراف على صناعة البارود في عهد الحسن الأول، كما أسند لمحتسب فاس مراقبة طباعة الكتب بالمطابع الحجرية، وغير ذلك من المهام التي تشير إليها المصادر.

ونجد الضعيف الرباطي يرجع مسألة بناء الملاحات لليهود ببعض المراسي إلى فكرة اقترحها محتسب فاس أبو القاسم الديبوري على السلطان مولاي سليمان لفصل سكن اليهود عن سكن المسلمين، وقد نقل هذا المحتسب ليصبح قاضيا بسلا بعد اصطدامه مع قاضي فاس.

وتحتفظ الوثائق المخزنية وكتب التراجم والتاريخ بأسماء عدد هام من المحتسبين يتجاوز بكثير الأسماء المعروفة لمحتسبي العصور السابقة، كما تحتفظ بوقائع وأخبار تساعد على تكوين صورة أدق عن موقع المحتسب في الإدارة المغربية في هذا العصر والمهام اليومية التي كان يزاوئها وطبيعة القضايا التي كان يعالجها وغير ذلك.

وفي مرحلة الحماية : تضررت خطة الحسبة وهيبتها كما تضررت الإدارة المغربية من نظام الحماية القنصلية ونظام الامتيازات الأجنبية في المغرب خلال القرن الثالث عشر (19 م)، ومع فرض الحماية على المغرب سنة 1912، بدأت مهام المحتسب تنقلص في إطار الإصلاحات الإدارية التي اقترحتها الإدارة الاستعمارية، فتم إحداث مصلحة قمع الغش، فكانت بذلك إبعاداً للمحتسب عن ميدان ظل يراقبه لقرون.

وفي بداية الاستقلال تم في عهد الملك محمد الخامس رحمه الله إحياء خطة الحسبة وإعادة الاعتبار لها عن طريق العودة بها إلى تقاليد المعهودة، لكن القوانين والتنظيمات التي وضعت في عهد الحماية بقيت تعترض تطور خطة الحسبة عن طريق التداخل الذي أصبح يصل بين اختصاصات المحتسب وبعض المصالح الإدارية الأخرى، إلى أن كان ظهير سنة 1982 الذي حدد اختصاصات المحتسب وأوكل إليه مراقبة الأثمان في المواد الغذائية والمشروبات ومواد التزيين والنظافة، وكذا خدمات ومنتجات الصناعة التقليدية والمنتجات الفلاحية، ونظم نفس الظهير مهمة أمناء الحرف وحدد العلاقة بينهم وبين المحتسب، وبذلك أصبح لخطة الحسبة مكانة قانونية في النظام الإداري

المغربي وتعززت سلطتها في المراقبة والتدخل في حسم بعض النزاعات.

وأصبح المحتسب يزاوئ عمله بشكل يومي يساعده في ذلك أعوان إداريون ويعمل أمناء الحرف تحت إشرافه.

أ. المارودي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، بيروت، دار الكتب العلمية، 1978؛ أ. الفزالي، إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، د. ت. م. أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، تج. محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987؛ م. م. العقباني التلساني، كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المنكر، تج. علي الشوفي، مجلة معهد الدراسات الشرقية بدمشق، 1967؛ ع. ابن خلدون، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، 1967؛ يحيى بن عمر الأندلسي، أحكام السوق، تج. محمود علي مكي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، مجلة 4، 1956؛ م. السقطي المالقي، رسالة في آداب الحسبة، باريس، 1931؛ ابن عبدون، ابن عبد الرؤوف، ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة، نشر ليثي بروقنصال، القاهرة، 1955؛ ابن سهل الجياني، فصل من الأحكام الكبرى حول الاحتساب، نشر التهامي الأزموري وحليمة فرحات، هسبريس تودا، مجلد 14، 1973، ص. 108.7؛ م. ابن المناصف الأزدي، تنبيه الحكام على مآخذ الأحكام، تج. عبد الحفيظ منصور، تونس، دار التركي 1988؛ موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، الجزائر، 1971؛ ع. الرحمان الفاسي، خطة الحسبة في النظر والتطبيق والتدوين، الدار البيضاء، 1984؛ م. المغراوي، ملاحظات حول مسألة الحسبة في الدولة الموحدة، مجلة دراسات، كلية الآداب، أكادير، ع 2، 1988 (47، 16)؛ الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تر. م. حجي وم. الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي؛ المجيلدي، التيسير في أحكام التسعير، تج. موسى لقبال، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع؛ الظهير الشريف رقم 1.82.70 بتاريخ 28 شعبان 1402 الموافق 21 يونيو 1982 يتضمن الأمر بتنفيذ القانون رقم 02.82 المتعلق باختصاصات المحتسب وأمناء الحرف، الجريدة الرسمية، عدد 3636 بتاريخ 7 / 7 / 1982؛ حسن بكرم، الحسبة، تطورها قديما وحديثا، المحمدية، مطبعة فضالة، ط 1، 1990.

Claude Cahen et Mohamed Talbi. *Hisba*, E.12, T. III, (503 - 505) ; G. Marçais, *Considérations sur la ville musulmane et notamment sur la fonction du Muhtasib*, dans *Recueils de la Société Jean Bodin*, VI, Bruxelles, 1954 ; E. Tyan, *Histoire de l'organisation judiciaire en Islam*, T. II, 1943 ; J. Schacht, *An Introduction to Islamic Law*, Oxford, 1964 ; *The Origins of Muhammedan Jurisprudence*, Oxford, 1975.

محمد المغراوي

ابن حسان، أحمد بن الحسن بن أحمد القضاعي أبو جعفر، رفيق محمد بن جبير الكناني في رحلته الأولى إلى المشرق لأداء فريضة الحج سنة 578 / 1182، ويعتبر من الأعلام الأندلسيين الذين استقروا بالمغرب حيث قدمته



كفاءته العلمية ليصبح طبيب الخليفة الموحد يعقوب المنصور ويخصه بتأليف في الطب يدعى *الجملة والتفصيل في تدبير الصحة*، كما وضع مختصراً في *الموسيقى* لكتاب أبي نصر محمد الفارابي. وتميز ابن حسان بمشاركته العلمية وخاصة في اللغة العربية، ذلك أنه سبق أن كتب للسيد أبي سعيد بن عبد المؤمن الموحد حسب رواية أحمد المقرئ في *نفع الطبيب*، وجمع بين تحصيل العلوم والفني، فكان يملك عقاراً وضيعاً بفاس وصار من سراً البلد وأفاضلهم، غير أنه لم يعمر طويلاً حيث وافاه الأجل وهو دون الخمسين، سنة 598 أو 1201 / 1202 بفاس، وقيل بمراكش حسب رواية ابن الأثير في *التكملة*.

ابن الأثير، *التكملة*، تج. إبراهيم الأبياري، 1: 126؛ أ. المقرئ، *نفع الطبيب*، 2: 383؛ ابن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء*، 3: 129؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2: 99؛ م. العربي الخطابي، *الطب والأطباء بالأندلس الإسلامية*، 1: 62؛ ع. بنعبيد الله، *الطب والأطباء بالمغرب*، ص. 35.

محمد ماكانان

**حسان** (جامع)، أكبر جوامع الغرب الإسلامي على الإطلاق، وثاني أكبر الجوامع الإسلامية قاطبة، بعد جامع سامراء بالعراق، شيد فوق بقعة أرضية تفوق مساحتها 25.500 متر<sup>2</sup>، حيث يمتد طوله على 183,12 متراً، وعرضه على 139,32 متراً بالتحديد.

لم يكتب لهذه المعلمة العظيمة أن يكتمل بناؤها، ولا أن تؤدي وظائفها كما ابتغاه لها بانيها الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور الموحد (580 - 595 / 1184 - 1199 م)، إذ توقفت بها الأشغال بوفاته. وبخصوص الإنشاء نفسه، ذهب الباحث الفرنسي "كايي" (J. Caillé) إلى أن الأمر بالإنشاء، بل وربما المدشن للأعمال، لم يكن المنصور، وإنما هو والده وسلفه أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، حيث كان مشروع الجامع داخلاً في مشروع إنشاء مدينة رباط - الفتح التي اختطها. وقد اعتمد "كايي" في رأيه على نص المراكشي، حيث أوله ليصل إلى مبتغاه، مع أن هذا الأخير صريح بما هو عكس ذلك حيث نجاه يشير حرفياً إلى المنصور وليس إلى أبيه بقوله: "وبنى فيها مسجداً عظيماً" (المعجب، ص 384).

ولما اشتهر المنصور بميله لشماعة الصنع وجودة الإتقان في كل ما وقف على إنشائه، فإن جامع حسان هذا، جاء قصة من قسم الإنجاز الديني الموحد، حيث يظهر أن تطور العمارة الموحدية التي أعلنت عن قواعدها في أولى إنجازاتها بتازة، وصقلتها وأبدعت لها طرقاً وقوانين أصبحت مرجعية في كل من الكتبية وتينمل، وصلت في حسان منتهاها. وإن كنا اليوم في عجز عن تلمس جزئيات هذا المنتهى في أطلال الجامع، فإن ذلك لا يزال متجلياً في صومعته الشاهقة وفي تصميمه العام الذي لا يشبهه تصميم.

لم يتفق اثنان من بين كل من اهتم بجامع حسان عن أصل تسميته ولا إلى من تعود لفظه "حسان"، بل ذهب كل طريقه في التفسير والتأويل، فأعاد البعض إلى القِيم على البناء، وقرنه آخرون باسم مهندس أندلسي اعتقد أنه واضع تصميمه، لينتهي الباقي إما إلى أن اسم حسان يعود إلى قبيلة بني حسان (بني حسن) العربية، المستوطنة لجزء من سهل الغرب، وإما إلى أن اللفظ إنما يعود على الحسن والجمال اللذين كانا للجامع. ويرتكز صاحب هذا الرأي الأخير في استنتاجه هذا على كون العادة عند المغاربة أن يشتقوا لفظ حسان من كلمة حسن (د. الكحلوي، *العمارة الإسلامية*، ص. 288)، ليلاحظ بعد ذلك أن الجامع لم يذكر لا عند صاحب *المعجب*، وهو شاهد عيان، ولا عند ابن بطوطة مثلاً بهذا الاسم، وإنما ظهر هذا الأخير لأول مرة في نص تاريخي عند ابن أبي زرع المتأخر.

ومهما يكن، فإن من اهتموا بدراسة أطلال جامع حسان عمارة وفنا كانوا هم الفرنسيين، وذلك مع مطلع هذا القرن؛ فلهم يعود الفضل في فحصها فحصاً أثرياً وفنياً، حافظت لنا نتائجها على الكثير من الجزئيات التي طمستها فيما بعد الأعمال والتغييرات التي تمت بالموقع. ويعود أول رفع هندسي للجامع إلى سنة 1902، تلتها عملية مماثلة سنة 1913، ثم ثالثة سنة 1914، وهكذا إلى أن كانت آخرها تلك التي قام بها "كايي" السالف الذكر، سنة 1949 م. ولهذا الأخير دراسة مفصلة جامعة انطلق منها في محاولة وضع مشروع ترميم وإعادة بناء الجامع، كانت ستكون أعظم ورش ترميم أقيم لمعلمة، لو كتب لها النجاح.

ورغم كون هذا الاهتمام ساهم في إنقاذ معملته من النسيان، حيث أعيدت لها مكائنتها في سلسلة الفنون المعمارية الإسلامية، فإن ما ضاع من معلومات كثير ومهم بسبب الجهل بالتاريخ، وبسبب ضعف المنهج، وكذلك لعدم الاهتمام بجزئيات الأمور في دراسات كان المفروض فيها أن تدقق وتحقق. والمتصفح لأعمال "ديولافوا" (Dieulafoy) وزوجته (1914 - 1915) أو "جول بوريلي" (Jules Borely) بعدهما (1933 - 1934)، على وجه الخصوص، سيجد من الهفوات ومن الخلط والنقص في المعطيات ما يؤكد ما نقول، هذا، وقد حاول "هنري طيراس" (H. Terrasse) بمساعدة كل من "جان هينوت" (Jean Hainaut)، وهو أكبر تقني - رسام عرفته مصالحي الفنون الجميلة بالمغرب في عهد الحماية، و"جاك كايي" السالف الذكر تدارك النقص والإجابة عن الكثير من التساؤلات التي بقيت معلقة بسبب الضياع المذكور.

اختار المنصور لجامعه بقعة أرضية بشمال شرق الرباط، وكان بها انحدار في اتجاه الشمال، إذ لم تكن منبسطة تمام الانبساط؛ وقد أدى هذا الأمر إلى جلب كميات هائلة من الأتربة ودكها لتتملأ المواضع المنحدرة. ومن شأن هذا الأمر، أن يشير تساؤلاً عن أسباب اختيار المنصور ومهندسه لهذه

الهندسي ليست وليدة مشروع حسان، بل هي تقليد سنه عبد المؤمن ومهندسوه في أولى إنجازات الموحدين، ووصلت منتهى الدقة في مسجد تينمل (J. Hassar - Benslimane, *Tinmel*, p. 303).

وكما هو الشأن في المساجد الموحدية الأخرى، فقد جاءت القبلة منحرفة عن الاتجاه الصحيح، إذ هي في حسان جنوبية محضة، عوض أن تكون جنوبية شرقية.

هذا وقد اتفق الباحثون على أن تخطيط جامع حسان معقد ولا يشبهه أي تصميم آخر، فقد جاء منقسماً إلى قسمين أساسيين هما بيت الصلاة والصحن، لكن تتخللهما عناصر جديدة لم تعهد فيما عرف من مساجد وجوامع قبل حسان.

أما بيت الصلاة فينتظم على الشكل التالي (انظر التصميم) :

- على طول جدار القبلة، تجرى ثلاثة بلاطات أفقية، يخترقها 21 بلاطا عموديا ؛

- في الوسط، ينتظم 18 بلاطا عموديا يخترقها 11 بلاطا أفقيا ؛

- على جانبي هذا القسم الأوسط، تموضع صحنان مستطيل الشكل ؛

يحد كل واحد جنوبا ثلاثة بلاطات عمودية بثلاثة

البقعة بالذات وليس غيرها، مع العلم أن الرباط بنيت على أرض الكثير من مواضعها منبسطة أو ضعيفة الانحدار. إن الذي يظهر، هو أن هذا الاختيار يعود لعوامل أخرى غير الطوبوغرافية، قد يكون أساسها تموضع نقطة التأسيس في نظام هندسي شامل، وزع المساكن والمعالم، بشكل محكم ومدروس، جاعلا من البقعة التي خصصت للجامع نقطة مركزية ومحورية في نظام عام. ومما يميل بنا إلى هذا الافتراض الذي لا يزال يفتقر إلى أدلة قاطعة، المسافات التي تفصل جامع حسان عن أهم أبواب المدينة الموحدية، وعن قصبتها (الأوداية)، وعن جامع حاضرة سلا الكبير، الموحدية كذلك. وهناك في هذا الأمر دراسة في طور الإنجاز، قد تفضي إلى تثبيت هذه الفرضية وتفسيرها.

وعلى المستوى الهندسي المعماري، نجد الإنجاز مرتكزا على فكرة مدروسة، وتصميم محكم موضوع أصلا، وليس إلى فكرة مجردة، ترامت مكوناتها شيئا فشيئا حتى كونت وحدة تامة. فكل المقاييس التي أخذت في أدق الرفوعات سواء منها الأرضية أو العلوية، كلها تدل على أن الجامع إنجاز لتصميم مدروس. فهو بناء مستطيل الشكل، متوازن في كل جزئياته، اختير المربع له كقاعدة لتقسيم تفاصيله، كما اختيرت المقاييس في تقابل بسيط (مارسي، العمارة، ص. 207). على أن مسألة الدقة في الحساب والتخطيط



جامع حسان : منظر عام أخذ سنة 1934

بلاطات أفقية، وشمالا ثلاثة بلاطات عمودية كذلك لكن بسبعة بلاطات أفقية ؛

- على طول الجدارين الغربي والشرقي، يجري بلاطان عموديان، لهما نفس اتساع البلاط العمودي الأوسط، المؤدي إلى المحراب.

أما ما يخص الصحن، فكان يمتد على عرض مساحة الجامع، ليمتد عموديا على ما يناهز ربع (1/4) طولها. وكان بالصحن خزان ماء ضخم، مستطيل الشكل كذلك وعميق. وقد بقيت هذه الساحة فضاء فسيحا فارغا لكون الجامع لم يكتمل بناؤه ؛ ولو اكتمل هذا البناء لكان الصحن سيحاط ببلاطات من جهاته الثلاث كما أكدت ذلك الدراسات الأثرية. وما يعزز هذا الافتراض، كون القسم الأسفل من الصومعة بقي مجرداً من كل زخرفة، وهو ما يعني أن سقوا كانت ستلصق بواجهات الصومعة الداخلية.

ومن مميزات جامع حسان التي ينفرد بها عن غيره ؛ الصحنان المستطيلان اللذان أدمجا في بيت الصلاة، وهو اختيار قد يكون الداعي له ضرورة توفير إنارة كافية لبيت صلاة شاسع الأطراف. ويعتقد "مارسي" أن نموذج هذين الصحنين أت من بلاد أفريقية أي تونس الحالية، وبالضبط من مسجد المهديّة الفاطمي (Marçais, Architecture, p. 209).

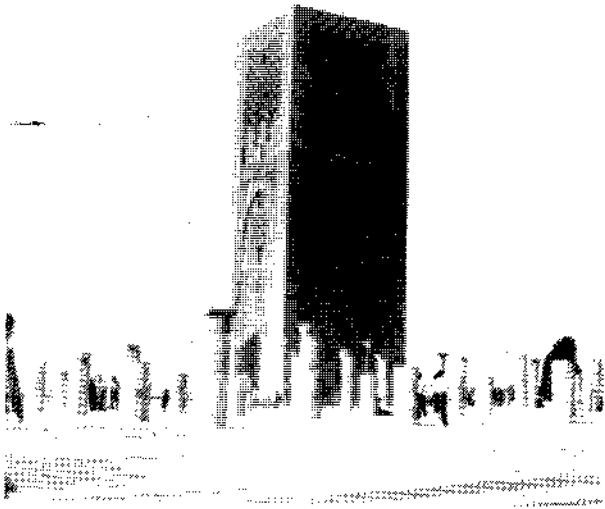
- علو كل من البلاطات الثلاثة المحاذية لجدار القبلة، والبلاطين العموديين المحاذيين لجداري الجانب الغربي والجانب الشرقي، بنسبة تفوق علو البلاطات الأخرى. وهذا الخلل المعاري أريد به الزيادة في توفير إنارة إضافية لبيت الصلاة، لكننا لا ندري أكان هذا العلو عاديا، أي زائداً عن علو باقي البلاطات دون تغيير في القسم العلوي للأقواس، أم أن هذه كانت مزدوجة كما كان عليه الحال بجامع قرطبة مثلاً ؟

### حسان (صومعة) نصبت الصومعة في وسط الجدار

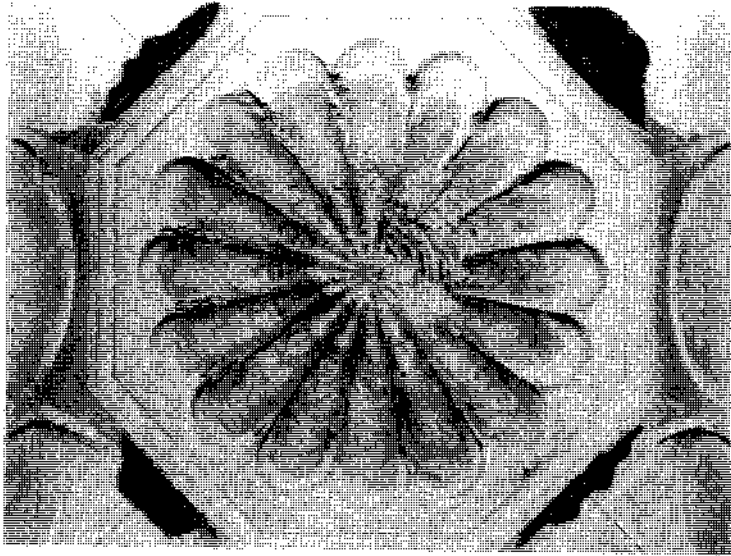
الشمالي، أي في المحور العمودي قبالة المحراب، مع بروز نصفه من جانبي الجدار. وهذا التوضع جديد وفريد في صوامع الغرب الإسلامي، وإن كان المرينيون قد إقتدوا به - كما إقتدوا بعناصر أخرى من جامع حسان نفسه - في إنشائهم لمسجد المهديّة بتلمسان.

هذا، وتصل صومعة جامع حسان في العلو الذي توقف عنده البناء، إلى 44 مترا، أي أكثر بقليل من ثلثي العلو الذي كان مقرراً أن تصله لو كتب لها أن تكتمل. أما مادة بنائها فالحجارة المنجورة، بينما الزخارف التي تزين واجهاتها هندسية لعب فيها الشكل المعروف بـ "درج وكُتِف" دوراً رئيسياً، كما أن عدد الأقواس المفصصة فاق عدد الأشكال الأخرى.

أما داخل الصومعة، فيتكون من مركز به غرف موزعة على طوابق ستة، وهو ما نجده بالكتيبة كذلك، تغطي كل



واحدة قبة يختلف شكلها عن شكل القباب الأخرى. ويدور حول المركز مَطْلَع (وليس درج) خفيف الانحدار، عرضه متران، وفي هذا العرض قال الحسن الوزان : "يمكن لثلاثة فرسان أن يصعدوا ... جنباً إلى جنب" (وصف أفريقيا، ج 1، ص. 201).



جامع حسان إلى اليوم ملتقى الزوار والسواح من داخل البلاد وخارجها، يلتقي في رحاب موقعه الناس، ويتأملون في عظمة فكرة الإنشاء، وضخامة الصنع، في غياب إمكانية تأملهم في حكم هذا الصنع، اللهم إلا ما كان من عظمة وزخرفة الصومعة، الدالة في سموها على قوة السلطان مع الخضوع لله عز وجل، والتي كثيراً ما يبقى المرء مشدوداً إليها، يتخيل انطلاق الأذان من أعلاها، يدعو المؤمنين للصلاة وذكر الله. وقد كان في وقت ليس بالبعيد بإمكان الواقفين على الموقع، أن يصعدوا إلى الصومعة، والتمتع من أعلاها بأجمل المناظر وأبهاها. ولعل ما يمثله موضع حسان في طوبوغرافية الرباط، ولعل قدسية الموقع كذلك، كانا سببين رئيسيين في اختيار هذا الأخير لتشييد ضريح محمد الخامس والمسجد الملاحق له.

ع. المراكشي، المعجب، القاهرة، 1949؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، بيروت، 1960؛ ع. ابن أبي زرع، الأئیس المطرب؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا، بيروت، 1983؛ ع. السويسي، تاريخ رباط الفتح، الرباط، 1979؛ م. م. الكحلوي، العسارة الإسلامية في المغرب الإسلامي، عتاتر الموحدين الدينية في المغرب، دراسة أثرية معمارية، جامعة القاهرة، (رسالة دكتوراة) 1986.

J. Caillé, *La ville de Rabat des origines à 1912*, Paris, 1945 ; *La mosquée de Hassan à Rabat*, Alger, 1947 - 48 ; Dieulafoy, *La mosquée de Hassan*, Paris, 1914 ; G. Marçais, *L'architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954 ; H. Terrasse, *L'art hispano - mauresque des origines au XIIIè siècle*, Paris, 1932 ; *Le plan de la mosquée de Hassan*, dans C.R.A.I.B.L., Paris, 1951 ; J. Benslimane, Ch. Ewert , A. Touri et H. Wisshak, *Timmel: fouille de la mosquée almohade*, B.A.M., XIV, Rabat, 1981 - 82, p. 277-312.

عبد العزيز توري

عشوره على كنز أثناء القيام ببعض أشغال الحفر في منزله، فكان سبب ازدياد نعمته وبقائه بمراكش بعد وفاة مخدومه الرشيد وتركه للكتابة السلطانية وقد توفي سنة 641 / 1243.

ابن سعيد المغربي، اختصار القدر المعلي، تج. إبراهيم الأبياري، القاهرة، ط 2، 1980، ص. 126، 127؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب (قسم الموحدين)، تج. جماعة من الأساتذة، بيروت، 1985، ص. 299؛ ابن عبد الملك المراكشي، اللذيل والتكملة، تج. محمد بنشرينة، الرباط، 1984 (8 : 455، 457)؛ أ. المصري، نفع الطيب، تج. محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1949 (4 : 288)؛ أ. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، 1979 (3 : 129).

محمد المفراوي

**حسان**، Hassan عائلات يهودية من تطوان وطنجة وجبل طارق، كان أجدادهم من أحبار يهود إسبانيا منهم : يقوت إلى ابن حسان (Yekuti il Ibn Hassan) كان من أعيان بلاط سرقسطة خلال القرن الحادي عشر الميلادي قبل أن يقتل نتيجة ثورة بالبلاط كلفت الملك المنذر حياته كذلك.

ويوسف ابن حسان كتب في القرن الخامس عشر مؤلفاً باللغة العربية عنوانه (مُحسن الأدب).

ونذكر مردفاي حسان من بين ربيبي تطوان في القرن الثامن عشر، وفي آخره سليمان حسان الذي كان يتمتع بثقة السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلا أنه قتل على يد مولاي البيزيد.

وفي القرن التاسع عشر استقر يشوم حسان Yeshia (Hassan المشهور "بسلفا دور" بطنجة حيث أسس سنة 1895 بنك حسان وكان من المسيرين للطائفة اليهودية وقد عرف بأعماله الخيرية.

وقد خلفه ابنه أبرهام حسان في رئاسة البنك، وفيما بعد عُيِّن رئيساً للطائفة اليهودية بالمدينة، وخلفه في مهامه أخوه يوسف المعروف بجو (Joe)، الذي أصبح عضواً (للمجلس التشريعي) لمنطقة طنجة خلال النظام الدولي.

وهناك فرع من عائلة حسان استقر منذ نهاية القرن الثامن عشر بجبل طارق، فالسير يوشوم حسان (Sir Josna Hassan) أصبح خلال سنوات 1970 رئيساً للحكومة المحلية لجبل طارق (انظر : لا ريدوا أبرهام : *Les noms des Juifs* (du Maroc, Madrid, 1978).

شعون ليثي

**الحساني**، محمد الدرعي، قرأ بزواوية سيد الناس بواحة فزواطة وتخرج على يد الشيخ أبي القاسم الدرعي (الدر، 261) ويبدو أن الحساني كان من جملة العلماء

ابن حسان، محمد بن عبد الحق بن أبي علي المرسي ثم المراكشي، أبو العلاء. ينتمي إلى أسرة علمية، فقد كان جده أبو علي كاتباً للأمير محمد بن سعيد بن مردنيش صاحب مرسية، وبعد وفاة هذا الأخير سنة 567 / 1171، التحق أبو علي بالموحدين وحظي لديهم. أما والده أبو جعفر عبد الحق، فقد اهتم بالفلسفة والطب ونال حظاً من بقية العلوم القديمة، وشهر بذلك في بلده مرسية. تلقى أبو العلاء ابن حسان علومه بالأندلس، وقد أثرت بيئته العائلية في تكوينه العلمي، حيث برع مثل أبيه في الطب والفلسفة والعلوم القديمة، كما برز في الأدب والكتابة مثل جده لأبيه، كما أنه كان ينتمي من جهة أمه إلى بيت علمي شهير، فقد كان جده لأمه هو أبو محمد ابن عطية صاحب التفسير الشهير.

رحل أبو العلاء ابن حسان إلى مراكش في المرة الأولى، وصحب بها الوزير أبا سعيد ابن جامع واستفاد من صحبته، وكان خلال هذه المدة طبيباً في بلاط الخليفة يوسف المستنصر الموحد (ت. 620 / 1223) لكنه لم يلبث أن عاد إلى الأندلس بعد تبدل الأحوال السياسية على إثر الصراعات التي أعقبت وفاة المستنصر، فسكن مدينة إشبيلية مدة ثم الجزيرة الخضراء مقرباً من صاحب أعمالها من قبل ابن هود، أبي عمران موسى بن سعيد.

ثم انتقل من جديد إلى مراكش، لينخرط في سلك كتاب الخلافة في عهد الخليفة أبي محمد عبد الواحد الرشيد (630 و640 هـ)، ولا ندري السنة التي انتقل فيها إلى العاصمة الموحدية، لكن إحدى رسائل أبي المطرف ابن عميرة المخزومي إليه سنة 639، تحليه بـ"رئيس الكتاب وعميد الآداب"، وهي رسالة وجهها له بغرض التوصية بأحد العلماء المشارفة الذي زار مراكش وهو نجم الدين المازندراني.

وكان من بين ما حصل لابن حسان أثناء إقامته بمراكش

الذين ساروا في ركب الدولة السعدية حيث استقر به المقام بمدينة مراكش، ويذكر ابن عسكر الشفشاوني أنه التقى بالحساني في مدينة مراكش وشاركه في عدة مسائل (الدوحة، 94) وقد أعجب ابن عسكر بقوة حافظة الحساني واطلاعه الواسع ومعرفته بأسماء الكتب ومطائنها.

فلما قتل القاضي علي بن أبي بكر السكتاني صحبة السلطان محمد الشيخ السعدي سنة 1556 / 964 انتدب الفقيه الحساني لتولي خطة الإنشاء بمراكش، إلا أن وياء الطاعون الذي نزل بالمدينة لم يمهله طويلاً فتوفى مطعوناً سنة 1557 / 965.

م. ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، طبعة الرباط : م. المكي الناصري، الدرر المرصعة، مخطوط : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 5 : م. حجي، الحركة الفكرية، ج. 2.

أحمد البوزيدي

**الحسانية** (لهجة وشعر) لهجة عربية مستعملة في الصحراء المغربية وموريطانيا. وتشكل الحسانية اللغة الأم لسكانة تعيش في مساحة جغرافية تمتد من وادي نون في الجنوب المغربي إلى نهر السنغال جنوب القطر الموريتاني. تنسب الحسانية إلى اللهجات العربية البدوية التي تختلف عن اللهجات الحضرية بخصائصها الصوتية والصرفية. وبالرغم من اتساع مجال الحسانية فإنها لا تختلف كثيراً من منطقة إلى أخرى. وتسمى الحسانية عند الناطقين بها "كلام البيضان" أو "كلام البيض" لتمييزها عن اللهجات الزنجية والبربرية التي تحيط بها. يقول أحمد الأمين الشنقيطي في كتابه الوسيط : "وهي - الحسانية - خليط من العربية الفصحى المزوجة بالعامية (...). ويسمونها أهلها بكلام حسان ولا أعلم من حسان هذا ...". تنتمي الحسانية إلى اللهجات العربية البدوية كما أسلفنا إلا أن ما يميزها على الخصوص هو غنى معجمها بالكلمات والتعبيرات البربرية خاصة في ميدان الفلاحة والأعشاب والأعلام الجغرافية، وهذا ليس غريباً إذ أن المناطق التي تستعمل فيها الحسانية كانت أصلاً بلاد بربر وكان دخول هذه اللهجة عامل تغيير لساني واضح أحدثته القبائل المعقلية والهلالية على فترات متفرقة من التاريخ الإسلامي لشمال أفريقيا.

تعرف الحسانية كسائر اللهجات اختلافات على المستوى الصوتي والمعجمي من منطقة إلى أخرى. وأهمها نطق القاف غينا "ق / غ" والغين قافاً "غ / ق" خاصة في القطر الموريتاني على عكس الصحراء المغربية. كأن يقول المرء "غاضي" "قاضي" أو الغلم" بذل "القلم" على سبيل المثال. كما يمتاز القطر الموريتاني باستعمال صوامت لا وجود لها في مناطق أخرى كالألف اللاتينية وال "P" كأن يقول المرء "القضة" بدل "الفضة" بمعنى المال. وأهم ملاحظة هي أن الحسانية استطاعت أن تحافظ على بنية تركيبية هي

أقرب إلى الفصحى من غيرها من اللهجات الحضرية والبدوية في شمال إفريقيا. ودراسة هذه اللهجة قد تأتي بالكثير حول بعض مظاهر تطور اللهجات العربية عبر التاريخ.

أما الشعر الحساني فبالرغم على وجود شعر عربي فصيح ذي تاريخ عريق في الصحراء المغربية وموريطانيا فإن الشعر الحساني يحتل مكانة مرموقة في هذه المجتمعات، فهذا الشعر له أشكال وأوزان متعددة، وأهم ما يميزه هو أنه شعر غنائي بالدرجة الأولى، ومن الصعب التفريق بين الجانب الغنائي والجانب العروضي فيه. إن أصغر وحدة في الوزن الحساني تتكون من شطر واحد وتسمى "تيفلوت". ويمكن تقسيم أنماط الشعر الحساني إلى ثلاثة أنواع :

1) التبراع : وهو غنط خاص بالنساء ينشد في المناسبات التي تجتمع فيها النساء. وهو ذو قالب شعري سهل وبسيط لا يتجاوز في غالب الأحيان شطرين قد يتساويان في الوزن أو يختلفان، ويظهر "التبراع" على الشكل التالي :

شطر قافية (حرف) شطر قافية (حرف) (والحرف يعرض أحد حروف الهجاء) كمثال على ذلك :  
ش وامر حذ لسقام غلبية ألا تشند  
(ماذا يفعل من اشتد به المرض)

2) الكاف : وهو الأكثر شيوعاً في الشعر الحساني نظراً لسهولة نظمه وهو يبدع عادة في الأفراس والمناسبات وينقسم الكاف إلى أربعة أنواع :

1.2 - "الكاف لمرايح" وهو الأكثر شيوعاً لقلة أشطره. وهو عبارة عن أربع "تيفلوات" أو أشطر متعاقبة، فالشطر الأول والشطر الثاني يعرفان بالمكيم لاعتماد الكاف عليهما، والشطران الثالث والرابع يعرفان بالمكعدة لأنهما يكملان الكاف.

2.2 - "الكاف لمسخ" : وهو أصلاً كافي مرابع لوروده بأربعة أشطر إلا أن الشطر الرابع منه يختلف عن البقية.

3.2 - "الكاف لمسات" وهو قليل الاستعمال ويتكون من ستة أشطر.

4.2 - "الكاف المشامن" ويتكون من ثمانية أشطر.

3) الطلعة : وهي تلعب دوراً هاماً في الشعر الحساني لأنها أقرب إلى القصيدة بمعناها العام وهي تعبر بوضوح عن قدرة الشاعر الإبداعية وطول نفسه على عكس الكاف المستعمل كثيراً نظراً لقصره وتعبيره عن حالات آنية ومنعزلة. وكما هو الشأن بالنسبة للكاف فإن الطلعة أنواع من ناحية الشكل. فقد تكون مستقلة في بنائها أو مبتدئة بكاف أو منتهية به.

الوزن والعروض : إن أهم ما يميز الشعر الحساني على العموم هو أنه غنائي بالدرجة الأولى كما قلنا أي أنه ينظم ليغنى به، وهذا ما يطرح مشكلاً كبيراً للباحثين بسبب التداخل الكبير بين الجانبين الإيقاعي والغنائي والعروضي.

والتمييز بين بحور الشعر الحساني "أظهر تلحن" يتم عند مستعمليه بطريقة عفوية أو فطرية. وتنوع المقامات الغنائية الحسانية إلى ثلاث مقامات هي :

- "الجنبية البيضاء" و"الجنبية الكحلة" ثم الجنبية الزرقة" أو "جنبية لكيندية"، وتتميز كل واحدة بإيقاعها الموسيقي، يعرفها المغنون "إكاون" جيداً ويتطلب شرحاً ومعرفة خاصة بالموسيقى على العموم والموسيقى الإفريقية على الخصوص. وهذا المظهر جعل أغلب من يبحثون في العروض الحسانية يقعون في غلط الخلط بين الجانب الموسيقي المحض والجانب الشعري والعروضي. وهذا ميدان يفتح آفاقاً هامة للبحث.

م. الأمين الشنقيطي، الرسيط في تراجم أديبا، شنقيط، القاهرة، 1958 : بهاء النعمة، الشعر الحساني، المجال النقدي والمرجع، الدار البيضاء، 1992.

D. Cohen, *Le dialecte arabe Hassaniyya*, Paris, 1963 ; Ahmed Al Makari, *Focus et topique en Hassaniyya*, Thèse 3ème cycle, Université Mohammed V, Rabat, 1987.

أحمد المقرئ

أيت حسو، قبيلة كبرى بالتحادية أيت عطا. وهي صحراوية بالأصالة والمحتد تضرب بجذورها في صنهاجة اللثام من أهل الطبقة الثالثة حسب تصنيف ابن خلدون، وبعد تشكيل اتحادية أيت عطا في العقود الأخيرة من القرن العاشر (16 م) انضمت إلى قبيلة أيت حسو بعض العناصر من صنهاجة الأطلس (البحث العلمي، 23، 120). تتكون قبيلة أيت حسو من عدة قبائل صغرى من أهمها : أيت بوداود، أيت علي وحسو، أيت يزو، أيت خردوي، أو شن، أوزليكن (Les Ait Atta, 80) وتشكل مجموعة أيت حسو ثلثاً واحداً من خمس أيت وأحليم الذي يتشكل بالإضافة إلى أيت حسو من قبائل أيت بونكنيفن وإلمشان. ويؤكد المتخصصون في تاريخ اتحادية أيت عطا أن قبائل خمس أيت وأحليم تعتبر من القبائل التي وضعت الأسس الأولى لهذه الاتحادية بجبل صاغرو. وتفيدنا الرواية التي ما تزال متداولة إلى اليوم أن مجالات انتشار قبيلة أيت حسو إبان تشكيل اتحادية أيت عطا، كانت محصورة ما بين السفوح الجنوبية لجبل صاغرو ومنطقتي تازرين وتاغبالت المجاورتين، وكانت تصل بقطعانها إلى هوامش الواحات الجنوبية من درعة.

يؤكد بعض الدارسين أن اتحادية أيت عطا، كانت منذ نشأتها تشكل مصدر تعب ومشقة للدولة ومركز رعب وفزع لسكان الواحات من بانني إلى توات شرقاً (البحث العلمي، 23 : 118) ولعل ما يؤكد ذلك أن قبائل أيت عطا ما كادت تشعر بوفاء السلطان مولاي إسماعيل سنة 1139 / 1727، وانشغال أبنائه بأمور السلطنة وقتنة عبيد البخاري حتى انطلقت في عمليات دفع كبرى من جبل صاغرو في اتجاه واحات درعة وتاغبالت، وهكذا ما كاد القرن الثاني عشر (18 م) يشرف على نهايته حتى كانت بعض قبائل أيت

عطا قد وصلت في زحفها إلى مشارف واحات درعة، وبدأت طلاعتها تضيق المستقرين بالأسواق المحلية والطرق التجارية. وفي هذا الوقت بالذات تحركت قبيلة أيت حسو من سفوح جبل صاغرو في اتجاه مناطق تازرين وتاغبالت، وقد تمكنت بعض فرق هذه القبيلة من الاستبداد بسكان هذه المناطق. ويفيدنا محمد بن عبد السلام الناصري في رحلته الحجية سنة 1196 / 1781 أن أيت يزو وأيت علي وحسو من قبيلة أيت حسو قد بنوا لهم بعض المداشر على طول الطريق بين تازرين وعشيش في اتجاه تاغبالت، ويؤكد الناصري أن الحجاج كانوا يتخذون لهم آلة الحرب من البارود والرصاص لحماية أنفسهم من لصوص أيت عطا (الرحلة الناصرية، 5، 8).

زوح أيت حسو إلى درعة : استغلت قبائل أيت عطا وفاة السلطان سيدي محمد ابن عبد الله سنة 1204 / 1789 وانشغال أبنائه بالنزاع على كرسي الحكم، فتقدمت إلى واحات درعة واستولت على بعض القصور بالقوة. ولما استتب الأمر للسلطان مولاي سليمان، أهماه ما تقوم به قبائل أيت عطا بالجنوب، لذلك جهز حركة مخزنية بقيادة كاتبه أحمد التينفراسي ووجهه سنة 1216 / 1801 إلى وادي درعة، فاسترجع القصور الغصورية من أيت عطا وأعاد إليها سكانها (الجيش، 282)، إلا أن الحركة المخزنية ما كادت تغادر المنطقة حتى عادت قبائل أيت عطا خاصة وقبائل الرحل بصفة عامة إلى اغتصاب القصور من المستقرين ونهب المنتجات الزراعية، الأمر الذي جعل السلطان مولاي سليمان يجهز حملة عسكرية لردع قبائل أيت عطا بتاغبالت ودرعة، عهد بقيادتها إلى حمان الصريدي، وذلك سنة 1218 / 1804. فلما وصل إلى تاغبالت فرق المحلة علي أقاليم الصحراء : درعة والفايجة وتدغة وفركلة (الجيش، 272). ونستفيد من بعض إشارات الضعيف الرباطي أن حمان الصريدي توجه بنفسه على رأس المحلة التي قصدت بلاد درعة، فلما جبي أموال الوادي تربصت له قبائل أيت عطا بثنية تاغبالت في المدخل الشرقي لواحة ترناتة "وأرادوا أكل المحلة" إذ كان الصريدي قد قبض منهم أناسا وبعثهم مكبلين إلى سجلماسة، وقد اضطر الصريدي إلى الهرب بعد أن ترك بيد أيت عطا جملة من المهاريز والأنفاض.

وأمام عجز القواد المخزنيين المحليين عن ردع قبائل الرحل وتوفير ظروف الأمن والاستقرار لسكان واحات درعة، خاصة منها الواحات الجنوبية المفتحة على المجالات الصحراوية، قام الشيخ عمامو من واحة إكتاوة بالسفر إلى جبل صاغرو. وتذكر الرواية الشفوية المتداولة بالمنطقة أن الشيخ عمامو حرص على التظاهر بالشراء والغنى أثناء تفاوضه مع بعض قبائل أيت عطا حتى يقنعها بالنزول معه إلى درعة لحماية قبيلته من هجمات الرحل الصحراويين. وقد استجابت لدعوته مجموعة من قبائل أيت وأحليم المنتمبة إلى قبيلة أيت حسو. وبعد ظهورهم بواحة إكتاوة،

الممتلكات التي تسلموها من أولاد إدريس بمقتضى إتفاقية 1311 / 1893 ثم غادروا قصر بونو من أولاد إدريس وأسسوا لهم قصر الرقبة بقُطة أولاد إدريس حيث لا يزالون بهذا القصر إلى الآن. وأمام تحالف قبائل أيت علوان مع أيت إسفول استنجدت قبيلة حَسُو بقبيلة أيت خباش التي نزلت بثقلها بواحة محاميد الغزلان، وقد أحدث وصول أيت خباش اختلالاً في التوازنات القبلية لصالح أيت حَسُو التي أضعفتها الحروب القبلية، ثم ما لبثت قبائل أيت خباش أن زاحمت قبائل أيت إسفول بواحة اكتاوة، ويذكر التمنوگالي أن أيت خباش "احتلوا اكتاوة احتلالاً لليوث وهلكت بينهم وعدوهم (أيت إسفول) الضروع والنفوس ... وخربوا مداشر منها : القصر الكبير وقصر غريب وخسوان (العقود المجرهية، 7-8).

وبعد وصول طلائع القوات الفرنسية إلى درعة في شهر يناير 1931 وجدت الصراع على أشده بين أيت إسفول و أيت حَسُو المعاضدين بأيت خباش. وتحت قوة الضغط النفسي التي باتت قبائل أيت خباش تقامسه على قبائل أيت إسفول بواحة اكتاوة، سافر بعض أعيان أيت إسفول إلى مزگيطه حيث اتصلوا بضابط الشؤون الأهلية بأنكدر جورج سيلمان وطلبوا منه تسليحهم لمواجهة أيت خباش و أيت حَسُو. ولتعميق الهوة بين القبائل قام سيلمان بتزويد أيت إسفول بمجموعة من البنادق والفتل من الرصاص، إذ كان يعتقد أنه من الخطأ ترك قبيلة أيت إسفول تنهزم أمام أيت خباش المناصرين لبلقاسم النكادي الشائر آنذاك بتافيلالت (Souvenirs d'un colonialiste, 97). وفي نفس الوقت حاول هذا الضابط الإتصال ببعض أعيان أيت حَسُو الذين طلبوا منه عدم التدخل في صراعهم مع قبيلة أيت إسفول. إلا أن سيلمان وهو يحاول إقناع أيت حَسُو بالانضمام إلى صفوف المخزن، فوجئ بصعود بعض قبائل أيت عطا إلى جبل صاغر لمقاومة القوات الفرنسية بالمنطقة، وكانت قيادة قبائل أيت عطا بيد أيت واحليم في شخص عسو أوسلام من قبيلة إلسان إحدى القبائل القوية بخمس أيت واحليم، فانضمت قبيلة أيت حَسُو إلى إخوانها في الخمس الواحليمي لمقاومة القوات الفرنسية. وبعد نهاية معارك جبل صاغر واستسلام عسو أو سلام في أواسط مارس سنة 1935، ركزت القوات الفرنسية كل جهودها لإخضاع الواحات الجنوبية بدرعة بصفة نهائية، فدخلت قبيلة أيت حَسُو تحت سلطة الحماية كغيرها من قبائل الوادي وظلت محتفظة بكل المواقع التي وجدت بها قبل وصول الفرنسيين إلى درعة.

وثائق محلية في حوزة الكاتب : محمد بن حبيب التمنوگالي، العقود المجرهية، مخطوط : م. الناصري، الرحلة الكبرى، مخطوط، خ. ع. د. 2327 : م. أكنسوس، الجيش العرمرم الحماسي، ط 1994 : أ. الناصري، الاستقصا، ج 8 : م. الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة : التقى العلوي، أصول المغاربة، الامحاديات الأطلسية، أيت عطا، مجلة البحث العلمي، ع. 23.

1974.

قام كل من الشيخ محمد الحبروني والشيخ المعطي الصبيحي باستقدام مجموعة من قبائل أيت اسفول. وما لبثت هذه القبائل من أيت عطا أن وجدت نفسها في بؤرة الصراعات المحلية التقليدية، وبالتالي الدخول في مواجهات مسلحة فيما بينها. وعن هذه الصراعات بين قبائل أيت عطا بقول الفقيه التمنوگالي : "ثم نزل بساحتهم عطا فصكوا ثم كثر بين الداخلين الفتن الجمة .. فجعلوا أعزة أهلها أذلة والأكابر أصاغر (العقود المجرهية، 9.5) .. وتؤكد كل المعطيات التاريخية أن قبيلة أيت حَسُو قد تحركت في هذا الوقت بالذات في اتجاه واحات درعة. ونظراً لقوة هذه القبيلة ووفرة عناصرها، قامت قبيلة قصر بني هنيث بواحة اكتاوة بعقد إتفاقية تكفيلية مع قبيلة أيت حَسُو (Les cités rurales). (44). وما جاء في هذه الإتفاقية التكفيلية على الخصوص أنهم أعطوهم ربع ما يملكون من الأرض والنخيل والدور والأملك المهونة والأراضي الميتة والحية والبهائم والأثاث والمنازل الموجودة داخل قُطة (المجال الزراعي والرعي للقبيلة) قصر بني هنيث من حدود أملاك قصر نصراط إلى حدود أراضي قصر خسوان ...

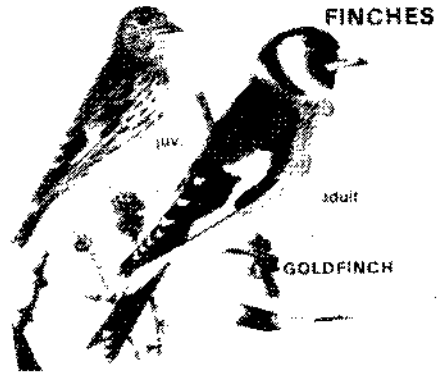
وبعد عقد هذه الإتفاقية التكفيلية انتقلت عدة أسر من أيت خسردي وأيت بوداوود وأيت يزو وأزولدكن إلى الاستقرار بقصر بني هنيث إلى جانب السكان الأصليين، وبذلك دخلت هذه الإتفاقية حيز التنفيذ حيث بات دور قبيلة أيت حَسُو هو حماية قبيلة قصر بني هنيث وممتلكاتها من هجومات الرحل الذين كانوا يباغتون المستقرين فينبهون المحصولات الزراعية. وهكذا سمحت هذه الإتفاقية التكفيلية لقبيلة أيت حَسُو بالاستقرار داخل واحة اكتاوة، ومنها تحولت بالتدريج بحثاً عن المراعي لقطعانها إلى الاستقرار والارتباط بالأرض. وقد وجدت هذه القبيلة نفسها في مواجهة مع قبيلة أيت اسفول التي تكفلت بدورها بمجموعات من قبائل القصور بأكتاوة كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وقد أدى تعارض المصالح والتنافس الحاد إلى خوض حروب طاحنة بين أيت حَسُو ومن في صفها وأيت إسفول ومن لفها. وفي غمرة هذه الصراعات القبلية قامت قبيلة قصر أولاد إدريس بواحة محاميد الغزلان سنة 1311 / 1893 بعقد إتفاقية تكفيلية مع قبيلة أيت حَسُو لحمايتها من هجومات الرحل الصحراويين مقابل الربع من ممتلكاتها. ويظهر أن هذه الإتفاقية التي فتحت أبواب واحة محاميد الغزلان أمام قبيلة أيت حَسُو ومن في حسابها. أثارت قبائل أيت علوان ومن معهم على اعتبار أن محاميد الغزلان كانت مجال تصرف قبائل أيت علوان وأيت إسفول. ودخل المتنافسون من أيت حَسُو وأيت علوان في صراع انتهى بانتقال أولاد إدريس سنة 1321 / 1903 إلى كفالة أيت سيدي وأيت بومسعود العلوانيين (Districts et tribus). (190) ورغم الضغوط القوية التي مارستها قبائل أيت علوان على أيت حَسُو، فإن هؤلاء تشبثوا بحقهم في الحفاظ على

G. Spillmann, *Les Aïr Atta du Sahara et la pacification du Haut Draa*, Rabat, 1936 ; *Districts et tribus de la haute vallée du Draa*, A.M., n° 9, T. II, 1931 ; P. Azam, *Les cités rurales du Ktawa*, CHEAM, 1946 ; *La structure politique et sociale de l'oued Draa*, CHEAM, Paris, 1947 ; *Sédentaires et nomades dans le sud marocain*, CHEAM, Paris 1946.

أحمد البوزيدي

## حسون البقيوي (الحاج -) ← الحسونية زاوية

حسون، طائر يسمى أيضاً أبا حسون، وحسون ذهبي. نوع من الطيور البرية حسن الصوت وألوانه زاهية. ينتمي إلى رتبة الجوارث Passeriformes وفصيلة الشرشوريات المخروطيات المناقير Fringillidae. يسمى علمياً Carduelis carduelis وبالفرنسية Chardonneret وبالإنجليزية Goldfinch. له أسماء كثيرة في المعاجم كتنار الشوك والشوئكي وعروس الطير. يسمى في المغرب سطيطة ومزينة ومزينة وأم قنين ويسمى بالبربرية تاسليت نيكغضاض وتوكرورغ وأمقنين وأمقني.



لا يتعدى طوله اثني عشر سم ولا تتعدى بسطة جناحيه اثنين وعشرين سم. المنقار مخروطي ودقيق يلتقط بسهولة الحبوب بداخل ثمار النباتات المشوكة. الوجه مزين بريش أحمر زاهي محاط بلقافة من الريش الأبيض تليها لقافة من الريش الأسود. البطن والظهر لهما ريش بني، الجناحان مزينا بريش أسود على الجوانب ويتوسطه ريش أصفر زاهي. الذيل مثلث وريشه أسود على جانبيه ويتوسطه ريش أبيض. ريشه المزين بألوان زاهية جذابة وصوته الحسن جعلها منه طائراً يصاد ويربى في الأقباص بداخل المنازل.

إنه طائر شائع في المغرب ماعدا الأماكن الصحراوية، يألف البساتين والحدائق والغابات القليلة الأشجار، وتكثر مشاهدته في فصل الربيع والصيف، ويتكون غذاؤه من الحبوب الدقيقة يلتقطها من النباتات الغنية بالأشواك.

يتوالد مرتين إلى ثلاث مرات في السنة ما بين مارس ويوليوز ويضع أعشاشه على أغصان الأشجار العالية منها والقصيرة.

تصنع الأنثى العش بإتقان محكم يتطلب منها أسبوعاً

كاملاً تغرشه بقطع من الصوف والزغب والريش وتضع فيه من 4 إلى 6 بيضات بيضاء يميل لونها إلى الأزرق منقطة بالسواد والبني. يبلغ قطرها 18.5 x 13.5 ملم. تحضن الأم البيض 12-14 يوماً ولا تغادر الصغار العش إلا بعد أسبوعين ويعتني بها الأبوان بعد ذلك مدة أسبوع ريشاً تحسن الطيران وتعتمد على نفسها.

لهذا الطائر أعداء كالثعابين والكواسر النهارية والإنسان، لكن تكاثره القوي يعوض ما يُباد منه، فهو مازال متوازناً في جميع البلدان التي يعيش فيها. يشمل توزيعه الجغرافي شمال إفريقيا وآسيا وأوروبا الجنوبية والوسطى، ويعد من الطيور الغير المضرة للإنسان وللزراعة.

مصطفى شهابي، *مصطلحات العلوم الزراعية*، لبنان، 1988.

W. Reade et E. Hosking, *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids*, Paris, 1968.

محمد رمضاني

ابن حسون السلاسي السلاوي، عبد الله بن أحمد الخالدي. كان فقيهاً صوفياً زاهداً مقصوداً للانتفاع به تبركاً وكتابة. لا تنبئ المصادر التي ترجمت له كثيراً بتاريخ حياته كولاته وأصله وفرعه. وإنما يذكر أنه وُلد بقلعة سلاس الواقعة على بعد ستين كيلو متراً من شمال مدينة فاس، في خط يرتفع من الجنوب إلى الشمال مستقيماً حتى يصل إلى الضفة الجنوبية لنهر ورغة، في منطقة وعرة ومشجرة، تسكنها قبائل مصمودية، منها غمارة التي تمتد مواطنها إلى يادس وشفشاون، وعن غمارة يتفرع بنو خالد الذين ينتهي إليهم الشيخ ابن حسون.

وإذا كنا نعرف مكان ولادته بقرية سلاس الجبلية، فإننا لا ندرى تاريخها. فقد رحل إلى فاس للأخذ عن علمائها ومنهم عبد الواحد الونشريسي الذي قتل سنة 955 / 1548. فيكون إذن قد وُلد على وجه التقريب في العقد الثالث من القرن التاسع (15 م).

أما نسبه فهو كما جاء مكتوباً في رسم إرثته : عبد الله بن أحمد بن محمد (فتحاً) بن الحسن بن أبي حسون، (وليس ابن حسون) وأخواله بنو يلىصوت آل الشيخ عبيد الوارث اليلصوتي. دفين بني درگول من قبائل غمارة قرب شفشاون.

ويستفاد من رسم الإرثته المشار إليه أن عبد الله ابن حسون تزوج من عائشة بنت عمرو بن محمد (فتحاً) السمادي الودغيري وأنه رزق منها بنت اسمها عائشة وشلاثة أولاد هم : عبد الله (وكان في وقت الإرثته سنة 1013 غائباً بفيجيج عند الوداغير الذين هم أخواله طبعاً) وأحمد ومحمد.

وهناك بقرية سلاس استظهر القرآن يقينا، وحفظ المتون الأولى احتمالاً، والا فقد تعلمها بفاس التي قصدها وهو



بلاريب في عنفوان شبابه وفي وقت لم تحدد المصادر له تاريخاً، وبها أخذ عن بعض علمائها وفقهائها مبادئ العلوم الوقتية من فقه ونحو ولغة وأدب. وكان منهم أحمد الحبيّك وعبد الرحمان بن إبراهيم الدكالي المشنراتي وعبد الوهاب وعبد الواحد الرنشيسي وعلي بن هارون الطغري.

ويعد أن ملأ وطأه علماً رجوع إلى سلاس في تاريخ نجهله، ولعله في العقد السادس من القرن العاشر، ومكث بقريته مدة كانت تجرى أثناءها بين أهل سلاس - كما رواه الناصري - حروب ومقاتلات. فكان إذا غلب أهل مدشره فرح، وإذا انهزموا حزن. ففكر في نفسه وقال: "محبة الغلبة تستدعي محبة الشر للمسلمين. وعلي عهد الله لا جلست في موضع أفرق فيه بين المسلمين وأبغى الشر لهم". فارتحل إلى سلا بعد ذلك. وتقول الرواية الشفوية إنه وفد على مدينة سلا وهو طاعن في السن تاركاً أهله بمسقط رأسه.

وما ذكر من أن جماعة من عشيرته جاءوا يراودونه على الرجوع إليهم فضرب لهم مثلاً بما البحر الهائج فيه والهادئ عند اغترافه منه مقالة لا ينبغي أن تفهم على ظاهرها..

ونفترض أن بعض أهل سلا دعوه للمجيء إليهم، وذلك أنهم استقبلوه بالتمر والخليب. فكانوا إذن يعلمون بقرب قدومه. وهناك أسطورة تقول إن جميع صلحاء سلا قد استقبلوه وكان منهم سيدي يدّر دفين يفرط المعروف أيضاً بباب قرص القريب من باب الخميس، والذي وصفته الرواية المذكورة بأنه كان قادري الطريقة ذا أتباع وأوراد.

استوطن عبد الله ابن حسون مدينة سلا وأخذ ينشر العلم قائماً على مختصر خليل، فتخرجت على يديه طائفة من العلماء والمتصوفة مثل محمد بن سعيد العتابي المتوفى سنة 1032 والمذوق بجوار ابن حسون، ومحمد (فتحا) القُجيري ومحمد بن أحمد العياشي الزباني المالكي المجاهد السلاوي المعروف، وكان شيخه ابن حسون قد أهده فرساً وأمره بركوبه والتوجه إلى دكالة وأزمور لمنازلة البرتغاليين. ومنهم صوفي آخر هو محمد (فتحا) بن أبي بكر الدلائي أحد أعلام المغرب، أخذ عنه والتقى به. أما الشيخ ابن حسون فقد أخذ التصوف عن عبد الله الهبطي عن الغزواني عن التابع عن الجزولي.

كان ابن حسون من المتصوفة، الفقهاء. لكنه لم يكن من أهل الحديث. وذلك ما رواه بنفسه لابن القاضي من أنه ما استجاز أحداً. غير أنه كان يتخوف من البلاء الذي قد يصيب المغرب عند وفاة أحمد المنصور الذهبي.

كانت لابن حسون أحوال مشكلة ومحيرة أولها الحسن اليوسي وحملها محملاً جميلاً في كتابه المحاضرات، منها أن أرباب الطبول والمزامير كانوا يصبحون كل يوم يضربون أمام بابه النوبة الموسيقية.

وما يؤثر عن هذا الشيخ جلوسه بالمسجد الأعظم

وكتابتة حروزاً وتقامت للناس بدويهم وحضريهم، إذ كان لهم اعتقاد راسخ فيه وصل بعضهم إلى أن يتساقطوا على رجله بالتقبيل. ولما رأى ذلك أهل العلم من بعض زوار الشيخ أنكروا هذا التقبيل وهذا التهافت عليه، فرد عليهم الشيخ بجواب يبرر ذلك العمل.

ولا يزال بعض الحسونيين إلى اليوم يكتبون الرقى ويصفون لمرضاهم أدوية بسيطة. وقد حظوا بتقدير السلاطين فكانت تعطي لهم ولغيرهم من أبناء المرابطين والصلحاء صكوك التوقير والاحترام. وهذا ما أدخل في سلوك بعض حفدة الشيخ شيئاً من التعالي إلى حد أن تشرفوا لأن يكونوا أشرفاً ينادون بالتسييد والموالة. مع أن بني خالد الذين ينتسب إليهم الشيخ غماريون ريفيون لا صلة لهم بالبيت. وشهامس بعض السلاويين بأن هؤلاء المنتسبين إلى الشيخ ليسوا بحسونيين أصالة، لأن أفراداً من بيت سلاوي معروف كانوا يسكنون بجوار الشيخ ويخدمونه قيد حياته، فلما مات أصبحوا سدنة لضريحه بعد أن تصاهروا مع أولاد سيدي عبد الله، فصار الناس يدعونهم بالحسونيين.

توفي عبد الله ابن حسون في الثاني عشر من المحرم عام 1013 / 10 يونيو 1604 ودفن بضريحه الشهير بحومة باب مصدق قرب المسجد الأعظم، ولم يخلف بسلا ريعاً. ففي رسم تركته التي كتبها عدلان سلاويان هما علي حمدوش ومحمد بن سعيد العتابي نجد أن الشيخ ابن حسون خلف ثلاثة رباح فلاحية بسلاس قيمتها 1750 ريالاً وعدداً من الأنعام والدواب والمنقولات قيمتها 1680 ريالاً وكلها كانت بمدشره زيادة على ألف ريال كانت مالاً ناضاً.

أ. ابن القاضي، درة الحجال، 3: 62. 63؛ القادري، نشر الثاني، ج 1، ص. 45. 46. 76. 82. 91. 125. 129. 130. 331؛ أ. الناصري، الاستقصا، ج 6، ص. 109. 110؛ م. ابن علي الدكالي، الإتحاف الوجيز، ص. 69. 97، وإتحاف أشرف الله، ص. 42. 43؛ م. حجي، الزاوية الدلائية، ص. 51. 53. 81. 85، الطبعة الثانية؛ محمد مزين، فاس وباديتها، ج 1، ص. 94. 98. 99. 222؛ م. التطواني، كناشة، الورقة 42؛ رسم تركة الشيخ؛ تحريات ميدانية.

K. L. Brown, *People of Salé*, p. 69, *An Urban View of Moroccan History, Salé, 1000 - 1800, H.T.*, Vol. XII, p. 41 - 42.

مصطفى بوشعراء

## أبو حسون السلاوي ← بودميعة

ابن حسون الكدميوي، محمد بن أبي العلاء، أحد رجالات المخزن الذين تقاتروا في خدمة بني مرين. عينه السلطان أبو عنان واليا على أسفي والمناطق التابعة لها ومكلفا بجمع ضرائبها. ويستفاد من ظهير صريتي مؤرخ سنة 755 / 1355 أن السلطان المذكور كان قد أمر محمد بن حسون خلال ولايته تلك بتسكين شرفاء آل أصغاز من

ابن **حسون الوزاني**، أحمد بن العربي بن حنيني الحسنسي الوزاني . بلداً - ويبدو أنه وإن كان شريفاً حسنياً فإنه ليس علمياً يملحياً من آل عبد الله الشريف دفين وزان، ويسميه بعضهم ابن حساين بدل ابن حسون لكن هذه الكنية الأخيرة هي المشهورة.

نشأ بوزان وبها درس على الشيخ محمد بن علي البرنوسي ومحمد بن قاسم الصواف الضرير . ثم توجه إلى فاس عام 1258 / 1842 لإتمام دراسته على شيوخ القرويين أمثال محمد بن عبد الرحمان السجلماسي المجرتي ومحمد ابن العربي قسارة ومحمد المجاوي التلمساني والوليد العراقي والطالب ابن الحاج السلمي وأضرابهم.

ذكره رفيقه في الطلب عباس السجلماسي المجرتي في مقدمة كتابه *الروض الطيب العرف* حين أورد فهرسة ابن حسون المسماة *بهجة الأنفاس فيمن أخذت عنه بوزان وفاس*، ووصفه بالقاضي وذكر بعض أخباره بفاس. وفيما عدا ذلك لم يهتم به أصحاب كتب التراجم ولو أنه كان عالماً نحرياً وكاتباً مقتدرًا على ما يبدو من بقايا مؤلفاته.

ولما رجع ابن حسون إلى وزان، أسند إليه منصب القضاء فيها، فكان إلى جانب ذلك يلقي دروساً متنوعة في المسجد الكبير، ويراسل كبار فقهاء وأدباء عصره، كقاضي الرباط الطيب بسير، والمؤرخ محمد أكنسوس المراكشي وشاعر الملحون الفصيح قدور العلمي المكناسي. ولابن حسون أشعار وموشحات وأزجال على غرار ما كان ينظمه معاصره الشيخ محمد الحراق التطواني، ذكر بعضها في *كنائشة العلمية*، وكان عازماً على جمع آثاره الأدبية في ديوان مرتب على خمسة أبواب - كما جاء في الكناشة - الأول في النسيب والمديح والتهنية، والثاني في الهجاء والمرثي والتعزية، والثالث في الاعتذار والتحلية، والرابع في المخاطبات والتعمية، والخامس في الموشحات والتخميس وما التحق به، والسادس في النثرية كالمقامات والمراسلات. ولا ندرى إن كان هذا المشروع قد تحقق. وتجدر الإشارة إلى أنه كانت لابن حسون معرفة بالموسيقى ينظم "براول" تغنى في بعض النوبات، ذكر بعضها في *كناش الهايك*.

توجه ابن حسون لأداء فريضة الحج سنة 1269 / 1852 صحبة شريف وزان عبد السلام بن العربي وطائفة من أعيان هذه المدينة، وكتب في ذلك رحلة سماها *الرحلة الوزانية المزوجة بالناسك المالكية*. وفي سنة 1271 / 1854 أسندت إليه الإمامة والتدريس بالمسجد الكبير بوزان فكان القيم على خزائنه العلمية وأقبل على مخطوطاته النادرة يستفيد ويفيد، ولعله كان قد تخلى عن القضاء.

وذكر في الكناشة مشروع كتاب آخر سماه منهاج المستريح فيما قيل في غالب مدن الدنيا من هجو ومدح، وذكر في الكناشة بعض ما قيل في فاس ومكناس وصفرو وتازا وتطوان من هجو ومدح.

جرايتهم السنوية التي تبلغ مائة دينار ذهبية والتي كانوا يتقاضونها كعاداتهم من ملوك بني مرين منذ بداية دولتهم وذلك رعيًا لنسبهم الشريف ولما يتمتعون به من صلاح ودين. بعد ذلك عينه السلطان أبو سالم واليا على مراكش وأعمالها ومشرفًا على جباية ضرائب المصامدة. وقد ناقسه على هذا المنصب شيخ هنتاة عامر بن محمد الذي كان أجداده يحتكروونه منذ عهد يعقوب بن عبد الحق. وعند وفاة السلطان أبي سالم سنة 762 / 1361 انتهز عامر بن محمد الفرصة للانتقام من ابن حسون وقتله بمراكش سنة 763 / 1362، ثم استقل بولاية المدينة تحت إمارة الأمير أبي الفضل ابن السلطان أبي سالم.

وقد أشار ابن الخطيب إلى المزاي والمخالف التي كان يتمتع بها ابن حسون وأهمية العلاقات التي كانت تجمعها به. فخلال زيارته لمراكش في إطار رحلته داخل المغرب الأقصى بين 760 هـ و763 هـ نزل ضيفا عند واليها فوصف كرمه وحفاوته وأكد أنه "سورة الفضل والكمال، ومعنى الجلال والجمال، وسيف الجباية والمال... وهو العامل العالم، والعدال الذي تكف به المظالم..." (نفاضة، ج. 2، ص. 161). كما أورد بعض المخاطبات الشعرية التي كانت بينهما وهي تعكس نوع العلاقات التي كانت تجمع بين رجل دولة ومثقف في فترة عرف فيها المغرب الأقصى اضطرابات سياسية وصراعا على السلطة.

ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، نج. أحمد مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، 2: 59، 61، 161، 162، 320، 321؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، 6: 570، 7: 661، 662؛ محمد بن عبد العظيم الزموري، *بهجة الناظرين*، مخطوط، خ. ع. حرف ج، رقم 377، ورقة 34 ب. 35 أ. أ. القرني، *نفع الطيب*، بيروت، 1986، 9: 210، 211؛ *أزهار الرياض*، نج. عبد السلام الهراس وسعيد أحمد أعراب، المحمدية، 1980، 1: 289، 290؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 1976، 4: 379، 381.

رشيد السلامي

ابن **حسون الكفيف**، الحسن بن علي الماكري، أبو علي نزيل أسفي والمتوفى بها. وصف بالفقيه الحافظ المحدث، له تأليف سماه: *الترجيح والتنقيح في الناسخ والمنسوخ*. وقد أورد صاحب *مفاخر البربر* رواية تنسب هذا الكتاب إلى طلحة بن الزبير بن سليمان الحاحي - من رجال الأدب المتوفى في دولة المرتضى الموحدي - غير أنه لم يرجح هذه الرواية مبرراً أن طلحة هذا إنما روى الكتاب عن ابن حسون الماكري. ولم يذكر تاريخ وفاة المترجم، ويظهر أنه من رجال القرن السابع (13 م).

مجهول، *مفاخر البربر*، مخطوط ضمن مجموع في خ. ع. 1275، ص. 95، 96.

ابن حسون المراكشي ← ابن البزرك

أ. ابن حسون نفسه، بهجة الأنفاس، مخطوط؛ كناشته العلمية، مخطوط؛ عباس السجلماسي المجرتي، الروض الطيب العرف، مخطوط؛ م. الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر، 1907؛ ع. الهبي الكتاني، فهرس الفهارس، تج. إحسان عباس، 122؛ ع. زمامة، ابن حسون الوزاني، البحث العلمي، ع. 17، 1971 ص. 145، 155؛ م. المنوني، المصادر العربية، ج 2 أرقام 948 و 972 و 1140.

**الحسونية (الزاوية -)** تقع في الجهة اليسرى من قرية أودز على الطريق المؤدية إلى حد الرواضي الواقعة بمجال قبيلة بقيوة بجبال الريف، وقبر الشيخ المؤسس الحاج حسون البقيوي يوجد بجوار الزاوية (A. Ghirelli, p. 76).

يحتل الموقع الذي اختير للزاوية سفح هضبة يبلغ ارتفاعها 552 م بين مدشر حَرْشُون في الجهة الشرقية ومدشر أيت بُويذَر في الجهة الجنوبية، ويظهر أن تأسيس الزاوية كان خاضعا أيضاً للممر التجاري المخترق لجبل بُويَحْمَد المظل على جزيرة بادس مع أن قرية أودز كانت تعتبر أهم مركز تجاري في القبيلة خلال القرن الثالث عشر (19 م) (A. Moulieras, p. 91)، كما أن الممر المتجه نحو الشرق عبر جبل برقوق أصبح محطة تأسيس زوايا أخرى مثل زاوية "أَغْبَال" الواقعة بقرب وادي تَرْمَاسْت و زاوية بُوسْكَور.

إن دارس تاريخ الزاوية الحسونية سيلمس أنها مرت بثلاث مراحل: الأولى التي ملاً فراغها الشيخ المؤسس الحاج حسون المتوفى أواخر القرن السادس (12 م)، وهي مرحلة نشر الطريقة، لأن المؤسس كان رجل علم وشيخ تربية صوفية (البادسي، المقصد، ص. 63-64) وقد بلغت الزاوية في عهده أعلى مكانتها ببلاد بَقْيُوسَة، وعلى الرغم من اعتقادنا أن خلفاء من أبنائه وأحفاده حافظوا على تلك الدرجة بشكل من الأشكال، فإن الزاوية قد دخلت مرحلة ثانية تميزت باستغلال الإرث الصوفي الموروث عن الشيخ المؤسس. وبما يلاحظ على شيوخ هذه الزاوية في القرون الأخيرة أنهم كانوا من حملة العلوم الدينية، هذا ما لاحظناه أثناء قراءة الظهائر. فمنهم العالم والفقير والقاضي، ويتتبع هذه النعوت المسجلة بالظهائر نجد أن صيغتها قد انتهت بالظهائر المسلمة للأسرة على عهد محمد بن عبد الله ونشير على سبيل المثال إلى الظهير التالي الذي جاء فيه:

"الفقيه الأجل العالم القاضي، محبنا السيد محمد بن عبد الحق حفيد الولي الصالح البركة سيدي الحاج حسون القاطن بزواية أودز من قبيلة بقيوة". (ظهير مؤرخ في 23 صفر 1174 / 4 أكتوبر 1760).

أما الظهائر المتأخرة فتكتفي بذكر "المرابطين أهل أودز" ولا تزيد على ذلك شيئاً من النعوت العلمية. ويعني هذا أن الزاوية الحسونية كانت آنذاك قد دخلت المرحلة الأخيرة التي يميزها ظهور "المقدم" على رأس الزاوية. وبالفعل فإننا نلاحظ أنه لأول مرة نعت شيخ الزاوية الأودزية بالمقدم منذ سنة 1207 / 1792. وهو شيخ الزاوية. وبموجب الظهائر السلطانية كان يترك لشيخ الزاوية حق التصرف في الأعشار التي توزع داخل الأسرة، علاوة على إعفائها من أداء الواجبات المخزنية. وهنا كذلك نجد أن المقدم أو شيخ الزاوية مرتبط بالحياة المادية، فهو يصرف جل أوقاته في البحث عن أسباب المعيشة على غرار باقي السكان، كما أنه يستفيد من الزيارات الفردية أو الجماعية الموسمية منها

**أبو حسون الوطاسي**، ثالث ملوك الدولة الوطاسية، واسمه الكامل أبو الحسن علي بن محمد الشيخ، مؤسس دولة بني وطاس. تولى أبو حسون الملك بعد وفاة أخيه محمد البرتغالي سنة 932 / 1524 بعهد منه، لكنه كان شديد البخل لا يحسن تصريف دواليب الدولة. وفيه يقول معاصره الكراسي التطواني:

وكان في البخل على أمواله ما لم يكن في غيره من ألم  
فلم تمض بضعة شهور حتى عَزَل وخلفه ابن أخيه أحمد  
ابن محمد البرتغالي الذي عانى الأمرين من الشرفاء  
السعديين القانمين بالجنوب، وانهزم أمامهم أكثر من مرة  
إلى أن أسروه في دخولهم إلى فاس أوائل سنة 956 / 1549  
وقبضوا على الوطاسيين. عدا أبا حسون. ويعثوا أميرهم  
أحمد الوطاسي سجيناً إلى مراكش حيث توفي بعد بضع  
سنوات.

تمكن أبو حسون من الفرار وتوجه إلى إسبانيا لطلب المعونة من شارلكان، لكن بدون جدوى، ثم توجه إلى الجزائر واتصل بدياتها الذين كانت أطماعهم متجهة إلى المغرب، فكونوا جيشاً قوياً من الانكشارية بقيادة صالح الرايس التركماني، فسار في أوائل سنة 961 / 1553 مع أبي حسون الوطاسي واقتحموا فاساً على محمد المهدي الشيخ السعدي بعد معارك طاحنة، ودخل أبو حسون مع الأتراك إلى فاس في ثالث صفر عام 961 / 8 يناير 1554 فاستقبل بها استقبالاً حافلاً. "وترجل هو عن فرسه - يقول الاستقصا - وصار يعانق الناس كبيراً وصغيراً شريفاً ووضيعاً، ويكي على ما دهمه وأهل بيته من السعديين، واستبشر الناس بمقدمه وتيمنوا بطلعته" وقد صرف أبو حسون الجنود الأتراك إلى الجزائر بعد أن كثرت شكاية الناس بهم ودفعت إليهم المال الذي أتفق معهم عليه.

وفي أواخر نفس السنة رجع محمد المهدي الشيخ إلى فاس بجيوش جرارة وجرت بينه وبين أبي حسون معارك انهزم فيها أبو حسون وتحصن بفاس مدة، ثم لقي حتفه في معركة حاسمة بموضع يعرف بمسلمة بضاحية فاس يوم السبت 24 شوال 961 / 22 شتنبر 1554 وموته انقضت دولة الوطاسيين.

م. الكراسي، عروسة المسائل، الرباط، 1963؛ أ. الناصري، الاستقصا، 4: 159-161؛ إ. حركات، المغرب عبر التاريخ، 2:

وأنواعاً من النباتات تثمر أشواكاً تعلق بالملابس ويصوف الغنم. وربما أخذت الحسكة اسمها من الحسكة النباتية لإسماكها بالشمعة وامتعاها من الميل والسقوط من باب القياس والتشبيه. وأخذ العرب اسم الشمعدان الذي يدل عليها وعلى شبيهاتها ذوات الساق المتفرع إلى فرعين أو أكثر عن الفرس.

ورغم احتكاك المغاربة بحضارات متعددة، فإنهم فضلوا صناعتهم المحلية في إنتاج أدوات الإنارة كالقنديل وغيره على صناعة غيرهم. ومع دخول الإسلام إلى المغرب، اتسع انتشار القنديل، وأصبحت تنار به المساجد، وعرف تحسناً ودقة في الصنع. وأدخل العرب الشمع إلى المغرب، فكان يصنع من أحجام وألوان مختلفة. وأدى استعماله وتداوله إلى إنشاء صناعة الفانوس في المحاضرات الكبرى كفاس ومراكش. واستعمله سكان المدن في تجوالهم ليلاً، وفي إنارة صحون المساجد وأبوابها، ولا زالت بعض الفوانيس شاهدة على ذلك حتى الآن في بعض المساجد العتيقة وبعض الأضرحة.

وفي القرن السادس الهجري (12 م) بدأ المغاربة يستعملون النحاس في صناعتهم، وذلك بعد ظهور استعماله بأوروبا والأندلس. واستبدلت القناديل في المساجد بالثريات النحاسية أو المصباحيات كما يسميها أهل فاس. فكانت تحمل على دوائرها كزوسا مملوءة بالزيت، توضع فيها فتائل توقد ليلاً.

وفي القرن الثاني عشر (18 م) نشطت صناعة النحاس بالمغرب، فظهرت الصينيات، والأباريق، والغلايات، والطيسان والمواقد والمباخر وأيضاً الحسكة بصناعتها المحلية. وقد كانت كل هذه الأواني والأدوات التي أصبحت تصنع بالمغرب تستورد وتستعمل من طرف مترفي المدن ورجال المخزن، إلا أن صناعتها المحلية جعلتها تغزو معظم البيوتات. وهكذا أصبحت الحسكة المغربية منذ القرن الثالث عشر (19 م) تنافس أدوات الإنارة الموجودة آنذاك واستعملت في المناسبات الدينية والحفلات والأعراس ومع ظهور الكهرباء أصبحت تفقد دورها في الإنارة تدريجياً، وتراجعت صناعتها لتندرج أخيراً ضمن القطع الأثرية التي تعرض في المتاحف. ولو أنها مازالت تستعمل في بعض الاحتفالات الدينية الكبرى بالمساجد والزوايا.

R. le Tourneau, *Fès avant le protectorat*, Casablanca, 1949 ; P. Ricard, *L'industrie indigène au Maroc : enquête sur les principales industries d'art*, B.E.M., vol. 1, n° 6, 1934 ; J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe, 1830 - 1894*, Rabat [s. d.] ; H. Clouzot, *Les arts du métal*, Paris, 1934 ; *Les métiers manuels à Fès, Hesp.*, tome IV, 1924, 1er trim. ; *Le Dictionnaire Colin* (sous la direction de Zakia Sinaceur), Rabat, 1993 ; E. Laoust, *Mots et choses berbères : notes de linguistique et d'ethnographie - dialecte du Maroc*, Paris, 1920 ; *Grand Larousse encyclopédique*, tome 2 [Paris], 1960 ; *La Grande Encyclopédie du Maroc (Arts traditionnels : 2 tomes)*, Rabat.

الهادي بجيجور

والسنوية. فالمعلوم أن سكان بقبوية قد ألفوا عقد موسم تكريماً لشيخ بقبوية الحاج علي ابن حسون الأودزي (Ghirelli, p. 75). لكن الذي يسترعي الانتباه هو أن نفوذ هذه الزاوية ظل منحصراً داخل القبيلة نفسها، وهذا فسح المجال لشيخي الطريقة الوزانية والخمليشية للتدخل في بعض القضايا الاجتماعية والسياسية للقبيلة، وعلى سبيل المثال: تم تشكيل وفد بقبوي مع أحد الشرفاء الوزانيين الذي توسط بينهم وبين المخزن نتيجة ما اقترفه أهل بقبوية من مخالفات للأوامر السلطانية. وقد أصدر السلطان مولاي الحسن عفوه عنهم (رسالة من السيد عبد الله بن إبراهيم الوزاني إلى أخيه سيدي حميدو الوزاني بتاريخ 6 صفر 1311 / 19 غشت 1893).

ويلاحظ في الفترة الأخيرة قيام روابط بين الزاوية الحسونية وزارية تيقيت، مدشر واقع ضمن فرقة تيكيديت، وقد كان التيقيتيون منضوين تحت الزاوية الحسونية، وصار الموسم السنوي الذي يقام لإحياء عيد المولد النبوي يتبدى في زاوية أودز وينتهي بزاوية تيقيت.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، تج. سعيد أعراب، الرباط، 182، ص. 63-64 : *ظواهر الأسرة الحسونية : مصلحة الخرائط*

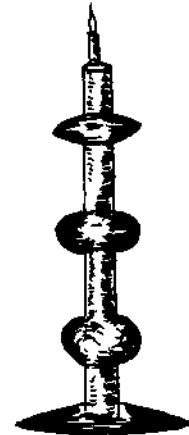
الطبوغرافية، خريطة، مقياس، 100.000 / 1، الرباط، 1974.

A. Ghirelli, *Monografia de la kabila de Bokoia*, Archivos del Instituto de Estudios Africanos, Año VIII, n° 32, 1955 ; A. Moulieras, *Le Maroc inconnu, Exploration du Rif*, 1er partie, Paris, 1885.

عبد الرحمان الطيبي

## الحسونيون ← ابن حسون السلاسي السلاوي

الحسكة، أداة من نحاس لحمل شمع الإنارة، وتصنع عادة من النحاس الأصفر. وهي عمودية الشكل غالباً مما تتكون من قاعدة فارغة من الداخل، ينتصب فوقها ساق مجوف، منحوت الأطراف، ينتهي برأس مقعر تثبت عليه الشمعة. هذا معنى الحسكة في اللسان المغربي الدارج، وتعني أيضاً الفخ، والعمود الملتصق بالجدار الذي تزين به بعض الأبواب، وركبزة الدراينين (الدريوز)،



البلاد، من ذلك "حركة" في بلاد تادلا وأخرى لبلاد سوس وحاحا، فتجلت قدرات الأمير "سيدي حسن" على ما كانت تسميه كتابات العصر، وبدا مؤهلا لتحمل أعلى المسؤوليات استناداً إلى أحكام التشريعة وإلى التقاليد المرعية.

ولذلك بويح له بدون ممتنع لدى وفاة والده، مع أنه كان في "حركة" في بلاد حاحا وأدركه النيب الفاجع والبيعة وهو في بوريقي محلته وسط تلك القبيلة، فأقبلت عليه الإمامة طائعة، وأقبل عليها بروح الراشد المرشد، وقبض بزمام الأمور بلا عنف فتمرض فيها القلوب ولا وهن فتنتهي إلى الشغب والفتنة. وكان المغرب في أشد الحاجة إلى حزمه وعزمه لأنه كان قد فقد حرمة العسكرية منذ هزيمتي إسلي سنة 1844 أمام الجيوش الفرنسية وتطوان سنة 1860 أمام الجيوش الإسبانية، ولم تنتزع هذه المدينة من مخالاب الاحتلال إلا بالتزام المخزن بأداء غرامة ثقيلة أفرغت بيت المال وأجبرت المخزن على الاقتراض من إنجلترا لأداء الجزء الأول من تلك الغرامة، مع وجوب أداء الجزء الثاني منها من مدخول الجمارك وجلس قباضين إسبان إلى جانب أمراء المراسي المغاربة استخلاصاً لذلك.

وكان السلطان سيدي محمد قد اضطر إلى نهج سياسات جديدة في ترتيب الجيوش وجباية الأموال وإصلاح

حَسَن، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس مازالت بتطوان إلى الآن، وأول من عرف منهم القائد المجاهد قاسم ابن القائد المجاهد الفارس محمد حسن المتوفى يوم الجمعة 14 ذي الحجة عام أربعة وخمسين وتسعمائة / 25 يناير 1548. كما هو مرسوم على رخامة قبره داخل روضة الشيخ علي الفحل خارج باب المقابر بتطوان، وهي أقدم رخامة هناك. ومن عرف من أفراد هذه العائلة السيد محمد حَسَن من شعراء الملحنون وحفاظه توفي منذ سنوات. وسألت الأستاذ محمد داود عن القائد المذكور فأخبرني أن له ذكراً في المصادر الإنجليزية بعلاقات اقتصادية كانت لهم معه، ولم يرد له ذكر في المصادر العربية.

رخامة خارج باب المقابر، بتطوان؛ م. داود، عائلات تطوان، حرف الحاء، نسخة المؤلف بخطه في خزائنه.

محمد بوخيزة

### الحسن الأول، السلطان ابن السلطان سيدي محمد

ابن عبد الرحمان بن هشام ابن السلطان سيدي محمد بن عبد الله بن السلطان الأعظم المولى إسماعيل. بويح له بدون منازع لدى وفاة والده سنة 1873 وامتد عهده وحكمه إلى وفاته سنة 1894، وكان من أكبر ملوك المغرب في القرن الثالث عشر (19 م) رغم تفاقم ما أصبح يحيط بالبلاد من المخاطر لكنه تصدى لها بكل ما أوتي من قوة ودهاء واجتهد لإنقاذ مفعولها بحيث تجسدت في شخصه تناقضات الأمة المغربية في تلك الحقبة المألقة يوم وقعت سجيناً بين معتقداتها وأعرافها وممكناتها المتواضعة وتطلعات الرسمالية الامبريالية وتهافتها على خيرات البلاد اعتماداً على تفوقها العسكري المطلق.

ولد في نهاية الثلاثينات من القرن التاسع عشر، وأمّه من قبيلة آل الجامعي إحدى قبائل الجيش المخزني المستوطنة بأحواز فاس الشمالية، ونشأ في أحضان جده السلطان المولى عبد الرحمان الذي توسم فيه باكراً أمارات النبوغ والأهلية للأمانة الكبرى، فاعتنى بتربيته وانتخب له أحسن المرين لينشأ نشأة إسلامية خالصة على أساس من التقوى والورع والإمام بالأصول والفروع من العلوم العربية. وسعياً في ذلك أمر بأن يُربي في بلاد احمر بين أسفي ومراكش ليسيقي على الفطرة الأولى ولشلا يفتتن بمفاتن الحضارة والرفاهية. وهكذا عند ما توفي المولى عبد الرحمان وخلفه ولده سيدي محمد المقدم لولاية العهد منذ قديم فإنه وجد في ولده المولى حسن خير معين على صغر سنه بالنظر إلى باقي إخوته، حيث تجلّت فيه معالم الحكمة والرصانة والحزم وبعد النظر، وصار السلطان سيدي محمد يستخلفه في مراكش عاصمة الجنوب كلما اقتضى الحال أن يتفقد هو أحوال البلاد في الشمال، وأسند إليه وهو في العشرين الأولى من حياته قيادة "الحركات" قهيداً لبعض جهات



السكة والصراف محاولة منه للنهوض بالبلاد على أسس تحفظ لها شيئا من سالف عظمتها، لكن الموت استعجله قبل أن يضع القواعد الثابتة لذلك، فما كان من المولى حسن إلا أن يسير في خطاه وأن يسعى في إتمام ما كان قد أدرك أن لا سبيل إلى نهج غيره من وجوه الحكم، إذ كانت البلاد في حاجة إلى من يضبط شؤونها الداخلية بمنتهى الصرامة وكانت في حاجة إلى من يرتب تلك الشؤون على أسس جديدة تنظافر فيها أساليب العصر مع الأعراف المغربية وأحكام الشريعة، وكانت أكثر من ذلك كله في حاجة إلى من يحميها من تكالب النصارى ومن دسائسهم، وهذا البرنامج هو الذي تجند المولى حسن لإنجازه من أول ما يبيع له إلى أن وافاه الأجل المحترم.

فبخصوص تهديد البلاد شهد كل المعاصرين مقاربة وأجانب بأن عرش هذا العاهل كان على سهوة جواده، وأدرك الجميع باكراً أنه لم يحكم المغرب مثله إلا جدّه المولى إسماعيل، وذلك أن "حركاته" بلغ عددها تسع عشرة حركة في عهد لم يتجاوز إحدى وعشرين سنة، مما يعني أنه كان لا يقيم في عواصمه وفي قصوره إلا بقصد الاستراحة وتفقد أحوال دار المخزن وبيوت المال والحاميات العسكرية المقيمة هناك، وأطول مدة كف فيها عن "الحركة" هي التي قضاها في مراكش سنة 1878 إشفافاً على الرعية بما نزل بها من المجاعة والأمراض وانتشار الجراد بسبب انحباس الأمطار، وفي ما عدا ذلك فإن عهده كان كله ظعنًا وترحالاً حتى إنه يبيع له وهو في حاجة، وتوفي وهو في تادلا في طريقة إلى الرباط وأقاليم الشمال، وكان المحور الرئيسي لحركته يدور حول الطريق الرابطة بين عواصم المملكة كمراكش والرباط ومكناس وفاس، وعادة ما كان يتم الربط بينها من خلال تادلا وسهول الشاوية ثم تامسنا فسهول الغرب فسهول سايس الذي تقسمه مكناس وفاس، وأثناء تلك "الحركات" ينظر في شؤون القبائل فيجبي الضرائب ويؤدب من يستحق التأديب مثلما حصل للسماطة في تادلا ولبنى مطير جنوب مكناس عدة مرات.

وقد اعتنى المولى حسن عناية خاصة بشؤون سهول سايس سعياً في جعله في مستوى ما كانت عليه قبائل الحوز المراكشي من الطاعة والتمهيد، وكان من أول أعماله المدوية في فاس إخماد ثورة عامتها بقيادة طائفة الديباغين سنة 1873 الذين ظنوا أنهم يستطيعون فرض إرادتهم على السلطان الجديد بأن ربطوا بيعتهم بإسقاط المكوس عنهم، فلما دخلها المولى حسن أول مرة ثاروا عليه فاضطر إلى قمع الفتنة بقوة المدافع وجاء ذلك دليلاً على ما كان عليه من الحزم والعزم.

لكن هذا المحور المركزي ما كان ليضبط لو لم يعمل المولى حسن على دعمه من جهة ما وراءه من الأقاليم والقبائل، فلقد أدرك أن شؤون بني مطير لا سبيل إلى التمكن منها بدون التمكن من بني مكيلد وطيغان في

جنوبها وشرقها، ولذلك قام بحركة إلى تلك الأوعار سنة 1888 واستطاع أن يرتب شؤونها بتعيين موحا وحمر الطياني قائداً على تلك الأقاليم مع مهمة مراقبة تحركات باقي قبائل الأطلس المتوسط مثل اشقيرين وآيت شخمان. ومن تدعيم هذا المحور المركزي أيضاً زيارته للشغور الأطلسية كالجديدة وأزمور والدار البيضاء منذ 1874 / 1875 وعنايته بتقوية وسائل الدفاع عنها من جهة البحر كما زار طنجة ومنطقة الهيط لنفس الغاية سنة 1889.

على أن أهم ما تميزت به "حركات" المولى حسن عنايته بأطراف البلاد وبأقاليمها النائية من جراء ما بات يهددها من تهافت الأجانب عليها وترويجهم لدعايات سامة مفادها أن تلك الجهات ليست من المغرب ولا تدين له بالطاعة، فإنه تفقد أحوال القبائل الريفية الشرقية لمجاورتها لميلية المحتلة (1874) كما انتقل إلى إقليم وجدة الذي كان عامله قد تمارض في الانصياع لأوامر المخزن. ومعلوم ما كان لوجدة من الخطورة الإستراتيجية على أبواب الجزائر المحتلة (1876) ثم إنه قام بحركتين إلى سوس الذي لم يكن دخله السلطان منذ عدة عقود، فانتقل إلى هناك سنة 1882 ثم سنة 1886 فمسهد شؤونه بأن أقام بيتاً للمال في تارودانت وجعل تيزنيت عاصمة للتخوم الصحراوية وميناء أساكة سوقاً للمبادلات مع الخارج، وعين القواد على القبائل مع إثباتها على أعرافها، وكانت الغاية الأساسية من كل ذلك جعل حد للجدل مع الإسبان الذين كانوا قد اشترطوا على المغرب غداة واقعة تطوان بأن يتخلى لهم عن مرفأ للصيد مقابل الجزر الخالدات كانوا يدعون أنه كان في ملكهم منذ العهد السابقة تحت اسم "سانطاكروث دي ماريكينيا"، وأراد المولى حسن أن يقف بنفسه على كنه تلك الدعوى ولكن الأمر ظل معلقاً بين الدولتين. أما الغاية الثانية من هاتين الرحلتين فكانت ترمي إلى جعل حد لنشاط تاجرين إنجليزين هما ماكينزي (Mac Kenzie) وكورتيس (Curtis) اللذين صاروا يتصلان مباشرة بالقبائل المحلية وسعيان في إخراجها من طاعة المخزن، وأقاما لنفسهما وكالات تجارية بطفاية مما كان خطراً على وحدة البلاد الترابية، فأمر المولى حسن في رحلته السوسية الثانية بتقويض كل ما كان التاجران المذكوران قد أقاماه من التجهيزات هناك.

وكان آخر كبريات حركاته تلك التي قام بها سنة 1892 انطلاقاً من فاس إلى واحات تافلات، ولئن كان القصد المصرح به من ذلك هو زيارة ضريح أسلافه الشرفاء مؤسسي الدولة فإن الغاية الأساسية كانت هي إعلان حقوق المغرب على واحات توات في الجنوب الشرقي التي كانت أعناق الفرنسيس قد أشرأبت إليها ورام والي الجزائر جول كامبون (Jules Cambon) إلى احتلالها في مطلع التسعينات، فجاءت زيارة المولى حسن إلى تافلات إشارة دبلوماسية بأن واحات توات جزء لا يتجزأ من المغرب، وانتهزت الفرصة لتجديد ما كان بيد خدام الدولة والشرفاء

وعامة القبائل هنالك من الظواهر والرسوم المخزنية، كما كانت مناسبة لتمهيد شؤون قبائل الأطلس الكبير الشرقي مثل أيت يزدك وأيت مرغاد وأيت حديدو.

وهكذا كانت أيام المولى حسن كلها حركة دائبة غايتها ضبط أمور البلاد وترخيص الصفوف حتى لا يجد الأعداء أدنى سبيل للنبيل منها أو التسرب إلى قلبها، ولقد كللت تلك الجهود بالنجاح وأضحى المغرب طوع يدي السلطان بعد أن أصبح عدد القواد يناهز 330 قائداً رغم الاعتماد على مجرد أدوات التواصل التقليدية كالقافلة للنقل والرقاص للبريد مما عرضه للمعاناة من عتو بعض القبائل حتى استحبال عليه تأديبها، من ذلك قبيلة غياثة التي ترأس السلطان نفسه "سوقة" إلى قلب جبالها فوق في بعض كمائنها ولم ينج منه إلا بشق الأنفس (1877)، كما عانى من افتيات أيت شخمان في حركة 1888 إلى أوعارهم حيث بعث بكتيبة لجباية ضرائهم برأسها ابن عمه المولى سرور، فتظاهرت القبيلة بالامتنال وأوغلت بالكتيبة في الثنيات حتى إذا جن الليل عليها قتلت أفرادها بمن فيهم الأمير، وكانت تلك الوقعة الشنيعة دليلاً على ما كان يعترض الدولة يومئذ من العقبات لضبط شؤون القبائل ضبطاً محكماً، وما كانت تلك الحادثنان لشحراً في خاطر المولى حسن لو لم تكن البلاد معرضة لأراجيف الأوربيين ومنكشفة أمام أنظارهم، ولذلك كانت المهمة الثانية التي انصرف إليها عزمه ترمي إلى تجديد حرمة المغرب باعتماد بعض أدوات العصر، فحاول السير فيما كان والده قد سار فيه من الترتيبات والتنظيمات الجديدة مع مراعاة مقتضيات الشريعة والمستوى المعنوي والثقافي للرعية.

وأول ما اعتنى به أمر الجيش النظامي فإنه كان واعياً بضرورة تأطيره بالضباط الأكفاء ويتزويده من العتاد الحربي العصري، ولقد هاله ما رأى من سوء انضباط جيوشه في وقعة غياثة (1877) حيث استطاعت تلك القبيلة على ضعف سلاحها أن توقع العسكر السلطاني في كمين كاد العاهل نفسه يذهب ضحيته، مما دعاه لدى وصوله إلى وجدة إلى مطالبة الفرنسيس بأن يكونه ممن يدرّب جنوده تدريباً نظامياً، وبادرت فرنسا إلى تلبية الرغبة لما كان لها فيها من الفوائد، وحاول المولى حسن أن يخفف من أخطار الضباط الأجانب بأن حصر مهمتهم فيما جاؤوا من أجله وأمرهم بالمقام في الرباط لتدريب الجنود المغاربة على المدفعية، ولم يترك احتكار ذلك لجنس من الأجناس وإنما استقدم مدرّبين من إنجلترا وإسبانيا، وكان يسهر بنفسه على شراء المعدات، وكل سفارة مغربية إلى أوروبا كان من مهامها الرئيسية زيارة معامل السلاح والسعي في اقتناء أحسن ما جد منه. فمن ذلك على سبيل المثال سفارة العربي الزيدي سنة 1876 إلى باريس وبروكسيل ولندن والطيالين، ثم سفارة ابن رشيد إلى ألمانيا سنة 1892، ومع ذلك لم يشف الاستيراد غليل السلطان فإنه أقدم سنة 1885 على

إنشاء معمل مغربي لصناعة الرصاص والبنادق بمساعدة بعض المهندسين الطالين، وأقيم المعمل بجوار القصور السلطانية في فاس، وتتبع السلطان أحواله عن كثب، ولكن النتيجة ظلت دون ما كان يطمح إليه لا من حيث الكيف ولا من حيث الكم، إذ لم يتجاوز الإنتاج خمسة بنادق كل يوم على هول ما كان ينفق عليه، وظلت البلاد في حاجة إلى التزود من المعامل الأوربية رغم ما كانت تفرض من باهظ الأسعار، كما أن مجهودات المولى حسن ذهبت سدى في مجال الأسطول فإنه اقتنى بأعلى تكلفة مركبا من إيطاليا للاستغناء عن الأساطيل الأوربية في حركة النقل بين الموانئ المغربية إلا أن هذا المجهود لم يجد فتيلاً لانعدام الشروط التقنية والبشرية لاستثماره يومئذ.

ونفس الملاحظة تجوز بالنظر إلى المجهود التعليمي والبعثات الطلابية التي انطلقت بأمر من السلطان إلى مختلف المدارس العليا الأوربية لتعلم الهندسة أو المدفعية أو الطب وما إلى ذلك من الفنون العليا، وكان المولى حسن مقتنعاً مثل والده بضرورة تدارك العجز المغربي في العلوم البحتة كالرياضيات وعلوم الطبيعة إلا إنه كان منفرداً بذلك الإدراك وسط حاشيته المكلفة بالتنفيذ ووسط مجتمعه العريض الذي لم ير في المبعوثين إلى أوروبا قبل رحيلهم إلا شباباً مسلماً معرضاً للضباع وبعد عودتهم منها رجالاً خرجوا عن أطوارهم، ولذلك انحصرت البعثات عند أفراد معدودين منهم من لم يكن صالحاً لما قُدم له فلم يحصل على طائل، ومنهم من حصل على بعض المعلومات لكنه لم يجد بعد رجوعه إلى المغرب مجالاً لتطبيقها فضاغت معلوماته، والقليل منهم مثل محمد الجياص والوزير سكيرج هو الذي طفا على وجه الأحداث فأفاد واستفاد. أما عامتهم فكان في حالة محمد ابن الكعاب الذي ذهب إلى بلجيكا "لأخذ علوم الصنائع المفقودات عن المغرب" وبعد سنوات من ذلك تناسى المسؤولون أمرهم فما كان من هذا الطالب إلا أن كتب إلى الحاجب أحمد بن موسى (1886) يقول: "هذه سبع سنين ونصف ونحن مفقودين عن الأهل والوطن والأعداء لا ننظرنا إلا بعين الاحتقار" مما يفيد أن عدم تمتع المبادرات كان ينتهي إلى إبطالها لعدم استعداد الأمة يومئذ للتمسك بأسباب حضارة غريبة عنها، شأنها في ذلك شأن المؤرخ أحمد بن خالد الناصري الذي قال عن عهد المولى حسن: "إنما النصراري أجربوا سائر البلاد فأرادوا أن يجربوا هذا القطر السعيد الذي طهره الله من دنسهم" وذلك تعليقاً منه على اقتراحات الفرنسيين على المولى حسن بتجهيز البلاد من "بابور البر والتلغراف" فكيف كان بوسعه أن يقدم على ذلك والرعية متحفظة ممتعة، سواء في ذلك الخاصة والعامة؟ ومع ذلك فإنه أبي إلا أن يقيم بعض المعامل كمعمل للسكر في مراكش ومعمل للقطن في نفس المدينة بغاية التخفيف من استيراد تلك المواد الذي تكاثرت استهلاكها بين الرعية، كما اعتنى

بشؤون المعادن وسعى في النهوض باستغلالها مما يثبت وعيها واضحا لديه بضرورة الاعتماد على النفس. ومن مبادراته في هذا الصدد ترتيبه لأول جهاز بريدي مغربي سنة 1892 بناء على طائفة الرقاصة الذين صاروا بظهير مخزني مدقق ينطلقون من الرباط مرتين في الأسبوع في اتجاه الشمال والشمال الشرقي وفي اتجاه الجنوب والجنوب الشرقي لتمكين تجار المدن الواقعة في تلك الجهات من رسائلهم والرجوع من عندهم بما يكتبون به لمختلف الآفاق. وكان يريد إعداد المهندسين في الطرق والجسور للنهوض بأسباب التواصل البري في البلاد وفتح السفير الإيطالي في ذلك لكن أبعد ما أتى له هو إصلاح بعض المراسي وبناء منار رأس سبارطل في أحواز طنجة، وذلك لأن إرادته الإصلاحية كانت لا سند لها من جهة الرعية ولا بالأحرى من جهة نواب الأجناس الذين كان لا يعينهم إلا الفوز بالامتيازات للموسة.

ولذلك كان مصير الإصلاح النقدي الذي أقدم عليه سنة 1881 نفس المصير، فإنه كان قد استطاع أن يملأ من جديد بيت المال عند اقتراب موعد التخلص من الديون الإسبانية سنة 1885، فأقبل على سك عملة جديدة أصبحت تعرف بالحسني جعلها على الضوابط الشرعية مع اعتماد المصطلحات النقدية الإسبانية كالبيسطة والدورو والريال وربع الريال والبليون، إلا أن هذه العملة سرعان ما تحولت إلى خسارة لأن الريال الحسني كان يزن 29,216 غراما بناء على وزن الدرهم الشرعي بينما كان الريال الإسباني لا يزن إلا 25 غراما، وحيث إن المعاملات كانت تتم بالعملة فإن الحسني سرعان ما اختفى إما تصديراً للخارج وإما اكتنازاً في الداخل، واضطرت الدولة تخفيفا من الخسارة إلى سحبه من الرواج (1893) وأقدم السلطان على سك عملة أخرى جعلها في وزن الريال الفرنسي لكن أسعار الفضة كانت يومئذ في انهيار، ففقدت تلك العملة 30٪ من قيمتها حال إصدارها وأقدمت الأجهزة المخزنية نفسها على رفضها في الأداءات الجمركية وما إليها، فتفاقت الفوضى النقدية في البلاد رغم رغبة السلطان في جعل حد لها.

وكان مصير الترتيبات المالية والجبائية كذلك إلى العجز مع أن المولى حسن سهر من أول ما تربع على كرسي الحكم على ملء بيت المال الذي أرهقته غرامة حرب تطوان فلم يتردد في العقد الأول من عهده عن التشدد في جباية الضرائب واستيفاء كل ما يجب للدولة سواء من قبل الأجانب أو من قبل الرعية، فمن جهة الأجانب ألح على ممثلي الدول الأوروبية لعقد مؤتمر مدريد (1880) لجعل حد للحماية القنصلية التي كان من يحملها يستطيع التملص من الضرائب، ولذلك جاء في مقررات المؤتمر فصل يجعل بعض الحدود لمنح الحماية وآخر يلزم الجميع بأداء الضرائب سواء منها المستفادات في المدن أو الزكوات والأعشار في البوادي، على أن يتم تنظيمها تنظيمياً محكماً. ولهذه

الغاية أصدر المولى حسن ترتيباً جديداً سنة 1884 وعين أمراء متخصصين للقيام بالجباية في القبائل وانتزع من القواد ما كانوا عليه من الالتزام بذلك سابقاً هادفاً بذلك إلى جعل حد لتجاوزاتهم وتعسفاتهم، وأمر لهم برواتب مضبوطة في المقابل، لكن حسن استعداد السلطان لم يكف لإنجاح تدابير كانت تمس بمصالح رجال السلطة وبالأعراف الموروثة، فلا الحماية القنصلية خفت ولا الأجانب أدوا الضرائب ولا تجاوز الترتيب الجديد حدود بعض قبائل السهول الأطلسية إلى أن طواه النسيان.

ومن أسباب هذا الفشل الرئيسية المناورات الامبريالية وضغوط نواب الدول الأوروبية وتجارتها وسماسرتها على المخزن، ولا سبيل إلى استكناه عهد المولى حسن إذا ما غضضنا الطرف عن تفاقم التسرب الامبريالي خلاله داخل البلاد، على أن نميز بين مرحلتين، ففي العقد الأول منه فيما بين 1873 و1882 استطاع العاهل حصر تلك الضغوط عند بعض الحدود والحالة هذه أن الظروف في أوروبا كانت مساعدة،فرنسا كانت منشغلة بتجاوز هزيمتها أمام ألمانيا سنة 1871 كما كان عليها أن تتغلب على نزاعاتها الطبقية مما لم يتأت لها إلا في مطلع الثمانينات، ودخلت إسبانيا فترة جديدة من الاضطراب سنة 1868 وظلت تتأرجح بين النظام الملكي والنظام الجمهوري إلى أن بويع للملك الفونصور الثاني عشر فصارت الأمور إلى شيء من الاستقرار، أما إنجلترا فإن مصالحها كانت تملئ عليها منذ منتصف القرن ضرورة الحفاظ على الأوضاع القائمة بالمغرب بحكم تصدرها في مبادلاته الخارجية ولحاجتها إلى مراقبة الضفة الجنوبية لمضيق جبل طارق، وفي ما عدا هذه الدول فإن إيطاليا وألمانيا كانتا يومئذ منشغلتين بتدعيم صرح وحديتهما الوطنية لحدثة عهدهما بها، وكانت باقي الدول مثل بلجيكا والنمسا لا يتجاوز اهتمامها بالمغرب مستوى المصالح التجارية والديبلوماسية الضيقة، بل يمكن أن نجزم بأن مجموع الدول الأوروبية كانت في العقد الأول من عهد المولى حسن لا تسعى في تجاوز تلك المستويات لأن الرسمال الأوربي كان ما زال لم يدخل بعد عصر التوسع الامبريالي وكان مازال سجين الأساليب الاستعمارية العتيقة التي كانت تخلي بين القناصل وبين الدولة التي يقيمون لديها ليتصرفوا بحسب النوازل والمصالح الآتية. ولقد أدرك المولى حسن ذلك وألح على الأجناس في أمر مراجعة ضوابط الحماية القنصلية واعتمد في ذلك على ممثل إنجلترا جون درومند هاي (J. D. Hay) الذي كان مقيماً في المغرب منذ 1845 وكان يتظاهر بشيء من التعاطف مع السلطان ويساعده في بعض مواقفه دون أن يفرط في مصالح بلده، ولولاه لما انعقد مؤتمر مدريد (1880). ولئن كان المغرب قد انتزع بعض الفوائد من المؤتمر إلا أنه التزم بالاعتراف للأجانب بحق تملك العقار في المغرب وتوسيع مفهوم الحماية القنصلية لغير التجار السماسرة والمخالفين، مما يعني أن



مؤتمر مدريد كان بمثابة صيحة في واد، وذلك أن الطرفية الأوربية تغيرت مع مطلع الثمانينات حيث أصبحت الامبريالية الأوربية لا تحتاج إلى المواد الأولية بقدر ما تحتاج إلى أسواق تصرف فيها فائض منتجاتها وأموالها، وتحمل ذلك في المغرب الحسني فاشتدت الضغوط على السلطان بما لم يسبق له مثيل حتى أثر ذلك في صحته، ولم تنج البلاد من الدسانس الأوربية إلا بسبب تنافس الأقطاب، ففرنسا مثلاً عينت في مطلع الثمانينات سفيراً لها في المغرب أورديكا (Ordya) وكان من الغلظة والفظاظة بما لا حد له، وكان يريد أن يطبق على المغرب ما كان قد فرض مؤخراً على تونس من الحماية، فاتخذ الزاوية الوزائية أداة لمناوراته فمنح قطبها عبد السلام الوزاني الحماية القنصلية وصار يشوش به على المخزن حيث صار الشريف المذكور يقطع الأراضي ويمنح الامتيازات للفرنسي شافنيك (Chavagnac) فمر المولى حسن من لحظات حالكة فيما بين 1882 و1884 وكانت فرنسا يومئذ تحت حكم جول فيري (Jules Ferry) وهو مؤسس إمبراطوريتها في تونس ومدغشقر والهند الصينية، ولو لم تتحرك باقي الدول التي لم تكن بعد قابلة للتخلي عن المغرب لكان بوسع أورديكا أن يلعب في المغرب الأدوار التي أداها روسطان (Roustan) في تونس سنة 1880.

وأكبر دليل على انقلاب الطرفية الامبريالية تحول إنجلترا نفسها إلى سياسة الضغط والإكراه الصريح، وذلك بعد انسحاب هاي سنة 1886 وتعيين كربي كرين (Kirby Green) مكانه، فجاء إلى مراكش (1890) يزيد ويرعد ضغطاً على السلطان، لكنه توفي فجأة فتنفس السلطان الصعداء لكن جاء بعده إيوان سميث (Ewan - Smith) الذي حل بفاس سنة 1892 ليلة انطلاق المولى حسن في اتجاه تافلات وتجرأ على رفع العلم الإنجليزي فوق مقر إقامته مما كاد أن يؤدي إلى فتنة وخيمة العواقب، وكانت الغاية من تلك الضغوط رفع الحواجز التي كانت تعرقل تصدير البضائع المغربية مثل الحبوب والقطن والماشية والزام المخزن بتجهيز البلاد من السكك الحديدية والمراسي العصرية وأسباب التواصل السريع.

وكان من علامات الطرفية الجديدة دخول ألمانيا في نفس المضمار منذ الثمانينات واشتداد اهتمامها بالسوق المغربية، فكانت أول من حصل على تسريح الصادرات المغربية بمعاهدة تجارية أبرمت بين الدولتين سنة 1890 وكان المولى حسن قد أصغى لأقوال نوابها الذين كانوا يدعون مساندة البلدان الإسلامية، والواقع أن الألمان كانوا كثيرهم إنفا تعنيهم مصالحهم بدليل دخولهم في مناورة عامة جرت سنتي 1887 و1888 بقصد إرغام المغرب على الانفتاح، ولم تفشل المناورة إلا بسبب تحاسد الأقطاب وتزاحمهم على الأبواب، فالدول الصغرى مثل بلجيكا وإيطاليا كانت لا ترغب في الحلول الدولية لما كان يوافقها من ميل المولى

حسن للاستعانة بها، أما إسبانيا فالبرغم من أنها صارت تتحرك بنشاط في الصحراء الغربية المغربية إلا أنها كانت متخلفة في التصنيع وكان يكفيها الضغط على المغرب من جهة سبتة أو مليلية كما حدث سنة 1893 وانتزاع الغرامات منه، ولذلك كانت يومئذ تدافع عن مبدأ المحافظة على الأوضاع القائمة مما كان فيه متنفس للمولى حسن الذي قضى هكذا عهده محاصراً بين شعب كانت خيرة نخبته مثل المؤرخ الناصري ترى في مخالطة النصارى عين الضرر وبين الدول الأوربية التي أطلقت العنان لقنصلها وتجارها ليزعزعوا الأوضاع في المغرب تمهيداً للفرض الوصاية الأجنبية عليه في وقت لاحق، ولذلك كثيراً ما ورد في رسائل السلطان عبارات التضرع مثل "أشكو بئس وحزني إلى الله".

وقد وصف المشرفي صاحب الحلل البهية ما نزل بالمولى حسن من الحيرة والكآبة يوماً جاء السفير الإنجليزي كربي كرين إلى مراكش بإنذاره وتهديداته فقال: "وما يستغرب ويعد من مناقبه وكراماته أنه ورد عليه سفير إنجلترا [...] فلما اجتمع به ذكر مطلوبه الذي يريد وجعل له أجلاً يوماً واحداً وكان ذلك يوم الاثنين فقال إنني مسافر لا محالة يوم الأربعاء إما بتنفيذ الغرض المطلوب أو بعدمه قولاً واحداً فاختر لنفسك واستشر في أمرك، وكان السلطان يومه ذلك صائماً ... فبقى ... متحيراً ينظر في عاقبة ما طلب منه ... لم يبرح من محله ذلك اليوم لما أصابه من هول ذلك الطلب وعظم أمره ولم تغد حيلة ولا سياسة تدافعه زماناً ما فبات ليلته يتقلب ساهراً من أجله، فحينئذ عزم على الالتجاء إلى مولاه إذ هو المجيب المضطر إذا دعاه، ومن يتوكل عليه كفاه، فأصبح يوم الثلاثاء مناديه ينادي بأهل الفضل والديانة من العلماء والأشراف والأعيان وأكابر دائرته وكل من توسم فيه الخير من المسلمين وأمرهم بذكر اسمه تعالى اللطيف العبد المعروف مع قراءة صحيح البخاري وكتاب الشفا للقاضي عياض توسلاً باسمه العظيم وحديث نبيه الكريم ليكشف عنه ما دهم السلطان من أمر السفير، وعين أمناً بكل مرسى يقفون على ما عسى أن يكون من النفير. وكان من أطفاف الله بالمولى حسن ومن رضاه عليه أن خرج السفير المذكور للقنص يوم الثلاثاء، فناله ما ناله من الإرهاق وعاد إلى مبيته فأصبح ميتاً بثوبة قلبية يوم الأربعاء. قال المشرفي: "وأذن في الوقت بموته مؤذن صيت ووصل الخبر حيناً للإمام والوزراء وكافة المسلمين وفرح الكل بما تيقنوه من حماية الدين ... وفي هذه الإشارة دلالة على ما أضحق المغرب عليه من الوهن السياسي حيال الضغوط الأوربية فانفتح باب الاحتلال الأجنبي وتأجل ولو له ليضع سنوات من جراء الازدحام.

توفي الحسن الأول بتادالا ليلة الخميس ثالث ذي الحجة عام 1311 / 7 يونيو 1894. ودفن بالرباط.

م. السباعي، البستان الجامع لكل نوع حسن ومن مستحسن في

بعض مآثر السلطان مولانا الحسن، مخطوط، خ. ع رقم 1364 : أ. ابن الحاج السلمي، الدر المنتخب المستحسن في بعض مآثر أمير المومنين مولانا الحسن - مبيكو فيلم خ، ع رقم 590 : علي السلافي، تأليف في الدولة الحسنية، مخطوط، خ. ع د. 480 : م. المشرفي، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية، مخطوط، خ. ع. د. 1463 : م. غريبط، فواصل الجماع، فاس 1347 / 1928 : ع. ابن زيدان، إتحاف إعلام الناس، الجزء الثاني، فاس 1930 : العز والصلوة، المطبعة الملكية، الرباط، 1961 : أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954 : ع. ابن منصور، مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد سنة 1880، الرباط، 1977 : مجلة الوثائق، 8 أجزاء صادرة عن المطبعة الملكية، الرباط : أ. التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر إنبولتان، 1850 / 1912، الرباط، 1983 : مصطفى بوشعرا. الاستيطان والحماية بالمغرب، الرباط، 3 أجزاء، 1984 : نعيمة التوزاني، الأبناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن، الرباط، 1979 : م. المنوني، مظاهر بقعة المغرب الحديث، بيروت، 1985 : ط. 2 : م. الأمين البزاز، تاريخ الأويبة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، الرباط 1992 : خالد ابن الصغير، المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر 1856. 1886، الدار البيضاء، 1990 : المغرب في الارشيف البريطاني، مراسلات جون دراموند هاي مع المخزن 1846-1886، الدار البيضاء، 1992 : مصطفى الشابي، النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر، الرباط، 1995.

P. Trottes, *Our mission to the court of Morocco in 1880*, Edinburg, 1881 ; E. de A... *Le Maroc*, Paris, 1882 ; J. Erckmann, *Le Maroc moderne*, Paris, 1895 ; Fumey, *Choix de correspondances marocaines*, Paris, 1900 ; B. Meakin, *The Moorish Empire. A Historical Epitome*, London, 1889 ; *The Land of the Moors. A comprehensive description* ; Nehlil, *Choix de lettres chérifiennes*, Paris, 1915 ; A. G. P. Martin, *Quatre siècles d'histoire marocaines 1504 - 1912* ; J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe 1830 - 1894*, Paris, 1961, 4 vol. ; *Moulay Hassan in Les Africains* ; Brignon, Amine, Boutaleb, Martin et Rosenberger, *Histoire du Maroc*, Paris, 1967 ; P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905*, Paris, 1967 ; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain*, Paris, 1977 ; M. Kenbib, *Les protections étrangères au Maroc au XIXe et au début du XXe siècles*, Thèse III cycle, Paris VII, 1980 (inéédite) ; *Juifs et musulmans au Maroc (1859 - 1948)*, Rabat, 1994. إبراهيم بوطالب

**الحسن الداخل**، أول قادم من الشرفاء العلويين من المشرق، وهو الحسن بن القاسم بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي بكر بن علي بن الحسن ابن أحمد بن إسماعيل بن قاسم بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وُلد الحسن الداخل في أوائل المائة السابعة للهجرة

بالحجاز من ينبع النخل بمدشر يعرف بمدشر بني إبراهيم. وكان دخوله إلى المغرب حوالي سنة 664 / 1266 في دولة يعقوب المنصور المريني يطلب من وفد من الحجاج المغاربة من أهل سجلماسة يتكون من أولاد البشير وأولاد المنزاري وأولاد المعتصم وأولاد بن عاقلة. وكان رئيس الوفد إذاك السيد أبو إبراهيم العمري.

وتذكر الروايات أن سبب استقدامه إلى المغرب أن الأشراف قد قتلوا في المغرب خلال القرن السابع وأن سجلماسة قد خلت نهائياً منهم فرأى أهلها أن يعملوا على استقدام بعض الأشراف من وطنهم الأصلي تيمناً بمعاشرتهم واستدراكاً للخير بفضلهم، وتذكر رواية أخرى أن أهل سجلماسة لم تكن تصلح الثمار ببلدهم فأتوا بالحسن الداخل (فحقق الله رجاءهم وأصلح ثمارهم حتى عادت بلادهم هي هَجْر المغرب).

استقر الحسن الملقب بالداخل في سجلماسة بمكان يدعى المصلح. ولما اطمأنت نفسه زوجه الشيخ أبو إبراهيم ابنته، وقد عرف هذا الشريف بالفضل والتقوى والعلم خصوصاً علم البيان الذي كانت له فيه اليد الطولى حتى قيل إنه من أوائل الذين أدخلوا هذا العلم إلى المغرب.

توفي الحسن الداخل بسجلماسة بعد أن أقام بها اثنتي عشرة سنة، وذلك حوالي 676 / 1277 ودفن بمكان وسط سجلماسة حسماً للنزاع بين أهلها. وقبره شهير قرب قصر كريفود بالريصاني. وخلف الحسن الداخل ولداً واحداً يسمى محمداً، وخلف محمد هذا ولداً واحداً أيضاً يسمى الحسن باسم جده، ومنه تفرع الشرفاء الحسنيين السجلماسين.

ع. السلام القادري، *الدر السني*، 52 : أ. العلوي، *الأنوار الحسنية*، 28.26 : م. القادري، نشر، 1 : 31 : م. الإفرائي، *روضة*، 12.18 : أ. الزباني، *البيستان، المقدمة* : أ. الناصري، *الاستقصا*، 3.88.5 : 7.3 : 7.51 : المشرفي، *الحلل البهية*، 1 : 53 : خ. الزركلي، *الأعلام*، مارية داداي

**الحسن بن عيد العمون الموحدية**، كثيراً ما يقع الخلط بين اسم الحسن واسم شقيقه الحسين خاصة وأن كليهما يكنى أبا علي. كان الحسن أحد فواد العساكر لأخيه الخليفة يوسف بالإضافة إلى ثلاثة إخوة آخرين (البيان، 166). ولاء أخوه يوسف أول سنة 565 على سبحة وغمارة خلفاً لأخيه أبي سعيد عثمان الذي أصبح والياً على غرناطة (البيان، 109 : المن، 395.396 : العبر، 6 : 498) وشارك مع الخليفة يوسف في حصار ويدة سنة 567 على رأس عساكر غمارة (المن بالإمامة، 594) والمعروف أن هذا الحصار كان الهدف منه محاولة إفضال التحالف القشتالي الأركوني، لكنه انتهى بالفشل بسبب سوء التنظيم في المعسكر الموحدية وقبل أن يغادر يوسف إشبيلية نحو المغرب سنة 571 ترك على ولايتها أخاه الحسن، ورغم أن هذا حدث بعد عقد هدنات بين الموحدين والإسبان فإن هؤلاء لم يلبثوا

أن نقضوها حيث تحرك جيش من ليون نحو جهات إشبيلية في السنة اللاحقة، غير أن الأمير الحسن تمكن من إفسال هذا الهجوم ( البيان، 138 ) ولم يتوقف الضغط الإسباني على الأراضي الإسلامية خاصة وأن المغرب أصبح يعاني من انتشار وباء الطاعون. ولعل استدعاء والي إشبيلية سنة 573 إلى مراكش للمفاوضة في "مصالح المسلمين" يعني تدارس مشكلة الضغط الإسباني على الأراضي الأندلسية. ثم استقر الوالي الحسن بإشبيلية منذ محرم عام 574 / يونيو - يوليو 1178، وذكر ابن عذاري وفاته بها في نفس السنة ( البيان، 139 ) غير أن ابن عبد الملك المراكشي يذكر أن الحسن حضر جنازة أحد مترجميه المتوفى في إشبيلية في ربيع الأول سنة 575. ولعله توفي في هذه السنة أو قريباً منها. وما تجدر الإشارة إليه، أننا اعتمدنا البيان المغرب (ط البيضاء) غالباً لتجنب الخلط الواقع في طبعة تطوان بين اسمي الحسن والحسين، وكذلك في المعجب للمراكشي والبن بالإمامة لابن صاحب الصلاة.

ابن صاحب الصلاة، البن بالإمامة، تح. ع. الهادي التازي، ص. 222، 223، 295، 396، 494. ع. المراكشي، المعجب، ص. 271. ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ط. البيضاء، ص. 80، 109. 110، 134، 136، 137، 148. (يقارن مع طبعة تطوان، ص. 107، 110. ابن أبي زرع، القرطاس، 267. ع. ابن خلدون، العبر، 6: 498. أحمد عزاوي

**أبو الحسن المريني علي بن أبي سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني.** بويع بعد وفاة أبيه يوم الجمعة الخامس والعشرين لذي القعدة سنة 731 / 30 غشت 1331. ذكر أنه كان "طويل القامة، عظيم الهيكل، عبل العضدين، معتدل اللحية، حسن الوجه" وأنه كان "عفا مانئاً إلى التقوى ... محباً في الصلحاء، عادلاً في رعيته". ومن أبرز ما احتفظ به عن نهجه العام أنه "كان عالي الهمة مهتماً بضخامة الملك" كما كان له "مذهب في الفخر معروف". وما يؤكد هذا التوجه لدى أبي الحسن سعيه الدؤوب إلى الاستئثار بزعامة الغرب الإسلامي وميله إلى التعريف بمنجزاته السياسية والعسكرية لدى أهل المشرق أشرفاً وملوكاً ورعاياً. وقد يتصل بنفس هذا التوجه إعطاؤه الأولوية لمقام الدولة وهيبتها في سائر الأحوال، فلم يتردد في إعدام ابنه أبي عبد الرحمان بسبب انتحاله الدعوة لنفسه سنة 742 للهجرة، كما أنه لم يتخل عن الاقتصاص من أخيه أبي علي وتصفيته بمجرد ما انتقض عليه بسجلماسة سنة 733 / 1333 بتواطؤ مع أبي تاشفين العبد الوادي أمير تلمسان. وبالتالي فإن سياسة هذا السلطان قد اتصفت منذ البدء، بوضوح الهدف وقوة الشكيمة فجاء عهده منسجماً مع اختياراته الرسمية الغالبة وإن كان قد تأثر بالظرفية المحيطة إلى حد بعيد.

ترتكز هذه الظرفية في مطلع عهد أبي الحسن على عنصرين اثنين، يتلخص أولهما في تقدم مملكة قشتالة شمالاً نحو مياه البوغاز، بينما يتمثل العنصر الآخر في تهديد إمارة تلمسان من جهة الشرق لإفريقية بلاد الحفصيين. وتجدر الإشارة إلى أن المطامع العبد الوادية كانت قد ظهرت في آخر عهد أبي سعيد فمهدت بذلك لتقارب الخلافة الحفصية وإمارة بني مرين قبل تنويع هذا التقارب بانعقاد المصاهرة بين أبي الحسن وأبي يحيى في ابنة هذا الأخير قبيل وفاة أبي سعيد. وهكذا سوف يكون على الإمارة المرينية أن تتحرك في اتجاه كل من الشرق والشمال على التوالي قبل أن تعتمد إلى التركيز على قضايا الشمال الإفريقي بالدرجة الأولى. أما مرحلة المواجهة بين الاتجاهين فتقف عند الانكسار الأول للأسطول المريني بوقعة طريف في السابع من جمادى الثانية سنة 741 / 28 نونبر 1341. من أهم محطات هذه المرحلة غزو أبي الحسن لبلاد سواحل المغرب الأوسط في منتصف سنة 732 / ربيع سنة 1332 واسترجاعه لشجر جبل طارق في السنة الموالية قبل العودة إلى السواحل وضبطها ثم محاصرة مدينة تلمسان ودخولها في السابع والعشرين من شهر رمضان من سنة 737 / 29 أبريل 1337. وأما المرحلة الثانية التي تم التركيز فيها على التحكم في الفضاء المغربي بوجه عام، فإن من أبرز ما يميزها اهتمام أبي الحسن بتوحيد مختلف فصائل العصبية الزناتية وإشراكها مع دعم هذه الخطة نفسها بسياسة دينية تقوم على اصطفاء رجال المذهب وتقريب الشقة بين علماء المالكية بالمغرب الأقصى والأوسط في انتظار أن ينضم إليهم علماء إفريقية بعد سقوط مركز الخلافة الحفصية ودخول الجيوش المرينية الزناتية مدينة تونس في الثامن من جمادى الثانية من سنة 748 / 15 شتنبر 1347. ورغم ما يطبع هذه المرحلة من اهتمام خاص بقضايا المغرب بالمعنى الواسع، إلا أن قضية الجهاد لم تكن لتغيب كلياً من استراتيجيته أبي الحسن كما يتضح من خلال تتبعه الدقيق لأحوال المحاصرين بالجزيرة الخضراء ومدته إياهم بالمؤن قبل أن يضطروا آخر الأمر إلى الاستسلام والخروج إلى العدو المغربية عند اشتداد وطأة الجيوش القشتالية بقيادة ألفونسو الحادي عشر في غضون شهر شوال من سنة 743 / مارس 1343.

وإذا كانت خطة أبي الحسن قد اعتمدت محاولة ضبط السواحل وإعادة بناء الأسطول بعد وقعة طريف بهدف التحكم في مجموع المنافذ المرتبطة بتجارة القوافل وإحكام مجمل وسائل الضغط على مستوى التعامل مع الممالك المسيحية بالشمال، فالملاحظ أنها باءت بالفشل آخر الأمر بسبب ما ترتب عنها من تلاحق الحركات العسكرية التي أدت إلى تدمير العديد من زعماء القبائل المرينية وغيرهم من أشياخ القبائل المعبأة بعيداً عن المواطن الأصلية. ولقد تفجر هذا التدمير مباشرة بعد تغلب البدو المناوئين لسياسة أبي

الحسن الجبائية بإفريقية وانكسار المعسكر السلطاني بين أيديهم بضاحية القيروان قبل أن ينجو أبو الحسن بنفسه إلى مدينة تونس في الثامن من محرم من سنة 749 / 8 أبريل 1348. ولقد تزامن ظهور الطاعون الجارف أو "الطاعون الأسود" بالبلاد الإفريقية مع هذه الهزيمة النكراء ثم اشتدت وطأته ابتداء من شهر ربيع الأول الموالي فصعب الاتصال وعزت المؤن ودعا أبو عنان لنفسه بتلمسان بسند من جمهور الأشباح في الشهر ذاته. وبذلك انقسمت الدولة على نفسها، فاضطر أبو الحسن أن يغادر إفريقية على التو فأبحر من تونس "أيام استفحال فصل الشتاء" في منتصف شهر شوال من سنة 750 / نهاية دجنبر 1349. وكان أن غرق الأسطول ومعه الجم الغفير من العلماء ورجال الدولة وغيرهم من عامة الناس. ورغم نجاة السلطان ووفود أوليائه عليه من بين عرب سويد وأمراء مغراوة بالمغرب الأوسط، فإنه قد دافع من قبيل مَنْ نُصِبَ بهذه الأتحاء من حلفاء أبي عنان فانتهى به الأمر إلى اللجوء إلى مدينة سجلماسة ثم غاردها مضطراً سنة 751 للهجرة في اتجاه الجبل حيث حظ الرحال بأرض هنتاتة إلى أن عبأ جيشاً من المصامدة وعرب الحوز وتانسيفت بهدف استرجاع مراكش والانطلاق منها كقاعدة لاسترجاع ملكه. ومع أنه قد وفق في احتلال مراكش واستعد لمواجهة الخصم، إلا أن لقاء المعسكرين على ضفاف أم الربيع قد أسفر عن انهزام السلطان في آخر صفر سنة 752 / منتصف أبريل 1351. وخلص أبو الحسن مهزوماً إلى بلاد هنتاتة فنزل ابنه على الجبل واستعد للتضييق على أهله فلم يجد السلطان بدا من استعطافه فبعث إذاك أبو عنان من يلتمس له العفو والرضى من أبيه "قرضي عنه وكتب له بولاية عهده" قبل أن يعتل بمنفاه ويهلك أواخر شهر ربيع الأول أو ربيع الثاني على اختلاف في الروايات سنة 752 / مايو أو يونيو سنة 1351.

وهكذا يكون أبو الحسن قد دفع بمجال الحكم المريني إلى أقصى الأراضي الإفريقية فضمن بذلك لدولته الحضور والإشعاع شرقاً ببلاد مصر والحجاز وبلاد الشام وكذا بالجنوب الغربي مما وراء الصحراء وخاصة بمملكة مالي. لذا فإن عهده قد ظل مقترنا بفترة الأوج المريني رغم ما آلت إليه التجربة بالنسبة لصاحبها من فشل ذريع ومتاعب. وما زاد من شأو أبي الحسن أثناء مدة حكمه وبعد مماته أنه قد أرفق مشروعه الشمولي بسياسة دينية - اجتماعية مرنة سمحت له بالتعامل مع كل من الفقهاء والمتصوفة والأشراف ونيل المحظوة لدى الكثيرين منهم ولدى العامة من جمهور الرعية. ومن جهة أخرى فإن هذه السياسة قد تجسدت فيما خلفه السلطان نفسه من منشآت دينية ومؤسسات علمية أو اجتماعية بكثير من مدن المغرب وخاصة بفاس وسبتة وسلا ومكناسة ومراكش حيث حرص على إقامة المعابد وتأسيس المدارس وبناء القناطر وتنظيم الجبايات وإنشاء المحارس و "المنابر" بغية تأمين السواحل والطرق. ومع أن أبا عنان

سوف يعمل على استلهاهم نفس التوجه واقتفاء أثر والده مع تعديل الخطة والأسلوب، إلا أن الهزة العميقة التي كان قد تسبب فيها هو نفسه قد حكمت على المد المريني بالتوقف رغم المظاهر كلها كما حكمت على الدولة بولوج منعطف تقهقري لا رجعة فيه.

ابن الأحرار، روضة النسريرين في دولة بني مرين، الرباط، 1382 / 1962، ص. 25، 26؛ ع. ابن خلدون، كتاب العبر، بيروت، 1379 / 1959، المجلد السابع، ص. 525، 598؛ التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، القاهرة، 1370 / 1951، ص. 19، 55؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الدار البيضاء، 1988 / 1409، ص. 106، 153؛ م. ابن مرزوق، المسند الصحيح للحسن، الجزائر، 1401 / 1981؛ ملعبة الكفيف الزرهوني، الرباط، 1407 / 1987؛ م. المنوني، وراقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، الرباط، 1401 / 1980، خاصة ص. 137، 179؛ وكذلك؛

M. A. Manzano Rodriguez, *La intervención de los Benimerines en la Península Ibérica*, Madrid, 1992, 215-308. M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen-Age*, Paris, 1986؛ R. Thoden, *Abū l-Hassan 'Alī, Merinidenpolitik zwischen Nordafrika und Spanien in den Jahren 710-752 H. / 1310-1351*, Freiburg, 1973.

محمد القبلي

**حَسَن - ن - وأهراً، مقاوم لعب أدواراً مهمة في**  
مساعدة المجاهدين بسوس وأيت باعمران. وُلد حوالي سنة 1298 / 1880 في أگدال - ن - تالامت بوادي سوس، ومات والده وهو صغير، فعاش مع أمه قائماً بمسؤولية رب الدار، فأكسبه ذلك حنكة وقوة الشخصية، ومع ذلك كان إنساناً مرناً محبباً لدى العامة والخاصة.

اشتغل منذ صغره بالتجارة البسيطة بين مراكش وتارودانت والأطلس الصغير، لكن لساً وصلت جيوش الحماية إلى تارودانت توقفت التجارة عن طريق القوافل، فكانت جبال جزولة (الأطلس الصغير) معقلاً للمقاومة السوسية بزعامة المجاهد أحمد الهبيبة وأخيه من بعده مربيته ربه، وكان حسن هذا من الشخصيات التي عملت على نقل السلاح وخاصة البندقية الرباعية التي تعد في ذلك الوقت سلاحاً فعالاً بالقياس إلى الأسلحة التقليدية العتيقة، مثل بوشفر و بوشفر وساسبو القصير و بوجبا وأصوهائي. كانت مهمة حسن - ن - وأهراً الحصول على البندقية الرباعية إما عن طريق الفتك بحاملها من الجنود الفرنسيين، أو عن طريق التوصل لها من مهربي هذه البنادق من القبائل المجاهدة في الأطلس المتوسط وخاصة أيت عطا وأيت خباش ...

أما كيف ينقل حسن هذا السلاح، فإنه يعمد إلى شراء الأسطل التي ينقل بها الماء، فيعمد إلى تشقيبها وتجويفها ماعدا السطل الذي في أسفل الكرز (الشواري) ثم الذي

في أعلى الأسطل، بينما البندقية داخل الأسطل المجوفة المربوطة على ظهر البغل، وليس معها أي شيء، فكل سطل داخل في الآخر، ولا يعقل أن يتاجر الرجل في أسطل مجوفة في نظر الحراس.

أما الطريقة الثانية لنقل السلاح فكان يخيظ بندقية واحدة في برْدعة بغله، وبهذه الطريقة استطاع هذا الرجل أن يزود كبار القوم في جبال جزولة بالسلاح الضروري. ولا ننس أن ثمن البندقية الرباعية في ذلك الوقت يصل إلى مائة ريال حسنية، لذلك لا يحصل على هذا السلاح إلا القادة الكبار، لذلك أفاد واستفاد وكان مشهوراً ببائع السلاح.

لذلك قامت فرنسا بمراقبته، ولما ثبت لديها اتصاله بأيت باعمران، سلطت عليه ابن القائد مالك ليراقب حركاته وسكناته، مما جعل مترجمنا هذا يرد على ابن القائد بقوله : "ما عرف قيمتك الكفريّة إلا النصارى الذين عينوك علينا هنا" فأجابه ابن القائد مالك، والله سأتابعكم حتى أصادر أموالكم، وأبيع حتى ما تسدون به بيوتكم. وفعلاً نفذ ذلك ظلماً وعدواناً، وما أكثر أمثاله في ذلك الوقت، فويل لهم مما كسبت أيديهم، وويل لهم مما يكسبون، أما حسن . ن . واهرا فقد قبضت عليه سلطة الحماية وسلم للقائد علي ولد منصور بأگدال بوادي سوس سنة 1930 / 1349 إلى أن مات في السجن بعد عدة شهور من إلقاء القبض عليه في نفس السنة.

الحسين الجهادي، جانب من تاريخ أيت باعمران.

الحسين الجهادي

### الحسناوي، أحمد بن العربي بن المكي المعمرى

المحمدي المعروف عند السلاويين "بالفقيه الحسناوي" وُلد حوالي سنة 1295 / 1878 بدوار البكاراة الواقع على الضفة اليسرى من نهر الردم بقبيلة بني حسن، ولاشك أنه تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه، ثم أكمله بالأخذ عن شيوخ المدن التي كان يقيم فيها أبوه، ولا سيما فاس، حتى اكتسب مسكة من العلوم الرقمية أهله لينخرط في الأسلاك المخزنية.

لما انتقل أبوه إلى السكنى بسلا اشترى "سانية" بستاناً كبيراً بوسط مدينة سلا أمام السوق البلدي وبنى بها دار سكناه التي ما تزال قائمة حتى اليوم. وقد جزئت السانية وأصبحت حياً سكنياً كبيراً يحمل اسم "سانية الحسناوي".

ظل الفقيه الحسناوي يسكن بالمدينة السلاوية معظم حياته معدوداً من أعيان كتاب دار المخزن، ثم رُقي إلى درجة نائب للصدر الأعظم الحاج محمد بن عبد السلام المقرئ وكان في آخر حياته يقيم أحياناً بالرباط مع بقاء سكناه بسلا.

ومع أنه كان منقبضاً منزلاً فقد كان من مرافقيه فقيه أديب سلوي وموظف مخزني مثله هو العربي معنيو

المعروف بابن زطيطو، ورجل آخر من أعيان سلا هو حماید بنفموش الذي عرف عنه أنه كان يخاطب رجال السلطة. وكان يتردد على منزله بعض الشخصيات المرموقة التي أصلها بدوي أو التي تنتمي مثله إلى قبيلة بني حسن : مثل القائد العيادي الرحماني والقائد بوجمعة بن مبارك المسفيوي باشا بني ملال والقائد إبراهيم الزهاني قائد أولاد يحيى من بني حسن قرب سيدي سليمان.

كان الفقيه الحسناوي كريماً مضافاً إذا طرق باباه ولو ليلاً أحد معارفه من أمثال المشار إليهم قدم إليهم قرى لا يقل عن أربعة أصناف من الأطعمة. وما يذكر عنه أيضاً أنه كان ولوعاً بالميكانيك، عندما يرجع من دار المخزن يتزع ثيابه الفخمة ويرتدي لباساً عادياً مثل الفريول ويشمر عن ساعده لإصلاح الساعات الجدارية التي كانت عنده، ويصلح سيارته التي كان يقودها بنفسه.

أدرسته الوفاة بمدينة الرباط حوالي سنة 1958 / 1378 عن نحو ثمانين سنة ولم يخلف عقباً.

معرفة شخصية ورواية شوية عن محمد البوعناني السلاوي، (حلاق الفقيه الحسناوي وملازمه).

### الحسناوي، العربي بن المكي المعمرى المحمدي

السلاوي ينتمي إلى فرقة أولاد محمد من قبيلة بني حسن شمالي مدينة سلا، تقلب في مناصب مخزنية وقضائية، وكان في صدر القرن العشرين الكاتب الثاني للصدر الأعظم، ذا جاه عند قبيلته التي كانت تلجأ إليه لإخياره بما يروج عندها. له مراسلات بالخرزانة الصبيحية بسلا. ولما أصبحت الرباط عاصمة إدارية انتقل إلى السكنى بسلا مع أهله، وخلف بها ذرية، منها ولده الأديب الكاتب أحمد سابق الترجمة الذي خلفه في الوظائف المخزنية.

توفي العربي الحسناوي يوم 16 حجة 1332 / 14 أكتوبر 1913.

م. بوشعرا، علاقات المخزن بقبيلة بني حسن، 1860. 1912، ص. 24 : تمهيد بالخرزانة الصبيحية.

E. Aubin, Le Maroc d'aujourd'hui, p. 208.

مصطفى بوشعرا،

### الحسناوي، محمد بن يوسف الفاسي، صوفي

كبير ومرتب شهير، قال عنه الخوات في الروضة المقصودة : "الشيخ القوي الإمداد والإيراد الولي الصالح، والمتبحر الرابع، أبو عبد الله محمد بن يوسف الحسناوي، نسبة على غير قياس للبلد المعروف في المغرب في ساحل وادي سلا الذي يسكنه أهل العهد من عرب الحجاز سليم وهلال الذين أدخلهم للمغرب السلطان يعقوب المنصور الموحد. كان صاحب الترجمة ... شيخاً مملوماً أسراراً، تتلألاً طلعتة أنواراً، ويخير بالمغيبات، وتقضى عند دعائه الحاجات. كان له أتباع ظهرت عليهم آثار الانتفاع. أخذ رضي الله عنه

انخرط في سلك العدالة، غير أن ميوله الشديدة للتدريس والتربية جعلته يتطوع بإعطاء دروس خاصة إلى جماعة من الشباب والكهول.



وفي سنة 1350 / 1931 فتح مدرسة حرة تعتمد برامجها على أسس بيداغوجية حديثة وتستمد روحها بالأساس من فكرة الحركة السلفية. فاعتنت هذه المؤسسة التي عرفت إقبالا كبيرا بتربية تلاميذها تربية وطنية ونشر الثقافة والعلم والمضاربة العربية الإسلامية مع التفتح على الحضارات الأجنبية والأفكار الحديثة. ورغم الصعاب ومضايقات الإدارة الاستعمارية فإنها نجحت في مهمتها واستطاعت أن تؤدي الرسالة التي أحدثت من أجلها، وتخرج منها بالفعل مجموعة من الشبان الأسفيين الذين كان لهم فيما بعد حضور متميز بشكل مباشر أو غير مباشر في المجالين السياسي والثقافي.

ولقد زار المرحوم غلال الفاسي عام 1351 / 1932 "مدرسة مولاي عبد السلام" وتعرف على برامجها وسير الدروس بها فأعجب بها ونوه بصاحبها في وثيقة كتبها بيده، توجد الآن بحوزة أسرة المترجم وما جاء في آخرها : "... فيجب على كل من يستطيع الإرشاد والتنوير أن يفتح للناس بصائرهم وينبهمهم إلى مواقع الغلط التي يأتيهم منها الخطر ويكون على بينة من أمره لا ينكر القديم لقدمه، ولا يستنكف من الانتفاع بما استجد في العصر لحدوثه، عاملا بقول الشاعر :

إن هذا القديم كان جديداً وسيغدو هذا الجديد قديماً  
عليه أن يكون من الذين ينظرون إلى الأساليب  
فيقتبسون أنفعها ويستمعون القول فيتبعون أحسنه ... 15  
جمادى الأولى 1351، كتبه بمدينة أسفي عن استعجال  
محمد غلال الفاسي".

توقف نشاط "مدرسة مولاي عبد السلام" عام 1366 / 1946. ومنذ ذلك الحين وإلى غاية وفاته اعتزل المترجم الناس ولازم بيته، ولم يكن يستقبل إلا أفراد عائلته الأقربين وبعض تلامذته ... إلى أن توفي يوم الخميس 23 ربيع الأول عام 1393 / 26 أبريل عام 1973 ودفن بمقبرة سيدي منصور بأسفي. ولقد ودعت المدينة ابنها البار في

عن الشيخ الأشهر الولي الأكبر أبي الحسن علي ابن حمدوش وإليه ينتسب".

يبدو من خلال هذا النص أن صاحب الترجمة من تلامذة علي ابن حمدوش المجدوب (ت. 1135 / 1722) دفين جبل زرهون الذي تنسب إليه طائفة حمادشة المشهورة. وحسب الحوات فهو وارث سر علي بن حمدوش، حيث كان يدير شؤون الطائفة الحمدوشية بفاس.

ويعد الحسنوي من شيوخ التاودي ابن سودة في التصوف، كما في الفهرسة.

توفي بالطاعون كما في فهرسة التاودي ابن سودة حيث يقول : "دخلنا عليه زمن الوباء وهو مريض بداره، فعدناه وقتلنا له ادع للمسلمين فإن هذا الأمر كاد يفنيهم، فقال : هذا أمر الله وليس بأيدينا شيء". وكانت وفاته سنة ست وخمسين ومائة وألف / 1744 ودفن بزوايته الكائنة بسبوسة قرب درب اللمطي من عدوة فاس الأندلس.

التاودي ابن سودة، فهرسة : م. الحوات، الروضة المقصودة، نج. ع. تيلاني، الدار البيضاء، 1995.

عبد العزيز تيلاني

## الحسني، أحمد بن محمد ← الشريف السبتي

**الحسني الإدريسي**، أسرة أسفوية شريفة من حفدة المولى إدريس بن إدريس، استقر جدهم يوسف بن عبيد الصمد الحسني الإدريسي خلال القرن الثامن (14 م) بأدار في بلاد الشياظمة حيث كان معدوداً من مشاهير العلماء والصلحاء. وما يزال قبره مزار في قرية أوناعي بالقرب من الصويرة، واستوطن حفدته مدينة أسفي وعرفوا بأولاد الناظر واشتهر منهم عدد من الأعلام.

م. الكانوني، أسفي وما إليه : جواهر الكمال، القسم الثاني المخطوط.

## الحسني الإدريسي، إبراهيم بن عبد الله الأسفي

أحد مشاهير فقهاء مدينة أسفي ومحتسبها، من حفده الولي الصالح يوسف بن عبيد الصمد الحسني الإدريسي جد أولاد الناظر الأسفيين. توفي عام 1270 / 1853.

## الحسني الإدريسي، عبد السلام بن مولاي الحاج

الأسفي، أحد أبرز وجوه العلم والثقافة والتربية والتعليم في النصف الأول من هذا القرن. وُلد بأسفي عام 1311 / 1893 في بيت علم وشرف وتلقى تعليمه على يد نخبة من علماء المدينة وخاصة على أبيه مولاي الحاج. وانتقل عام 1340 / 1921 إلى مدينة فاس للدراسة بجامعة القرويين فقرأ على الشيوخ أحمد القادري وعبد العزيز بناني وأحمد بن المامون البلغيشي ... وبعد تخرجه رجع إلى مسقط رأسه حيث

النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17 م) ومن ثم سموا علويين نسبة إلى جدهم مولاي علي الشريف (ت. 847 / 1443) دفين الرصاني من تافيلالت. وسميت دولتهم الدولة العلوية.

### الحسني السجلماسي، أحمد بن عبد الواحد.

أديب شاعر نائر نشأ في مراكش على عهد أحمد المنصور الذهبي، والعلماء والأدباء متوافرون في حاضرة الدولة، وفي مقدمتهم والده المفتي الخطيب الأديب عبد الواحد آتي الترجمة، فلزم مجالسه الخاصة ودروسه في جامع الشرفاء بالموازين، كما لازم دروس ومجالس غيره من علماء الحاضرة وأدبائها. اجتمع به أحمد المقرئ صاحب نفع الطيب أثناء زيارته لمراكش وأعجب بذكائه وقريحته الشعرية وأثنى عليه كثيراً في روضة الآس وأورد نماذج من شعره، وسجل بحزن وتأثر موت هذا الأديب الياق في ذي الحجة متم عام 1009 / يونيو 1601 متأثراً بالوباء الذي حل بمراكش في هذه السنة.

أ. المقرئ، روضة الآس، ص. 202، 204 : م. الإفرائي، صفوة، 104، 105 : م. القادري، التقاط الدرر، تج. هاشم العلوي، ص. 36 : نشر، موسوعة أعلام المغرب، 3 : 1108 : إ. الفصيلي، الدرر البهية، الجزء الأول : ع. گون، النبوغ، 3 : 79 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 2 : 250، 251 : م. حنجي، الحركة الفكرية، 2 : 384.

### الحسني السجلماسي، أحمد بن محمد بن الحسن

الشريف، وألده المفتي عبد الواحد الحسني آتي الترجمة. لم تتحدث عند كتب التراجم إلا ما ذكره ولده عبد الواحد في فهرسه الإمام مما يفهم أنه كان محدثاً مجازاً من قبل الشيخ عبد الرحمان سقين، لقيه عام 956 وأخذ عنه وأجازه بجميع ما اشتملت عليه فهرستا ابن حجر وابن غازي، وأجاز بالتبعية له ولده عبد الواحد، صاحب الفهرس وذكر نص الإجازة. ولأحمد الحسني إجازة أخرى من الشيخ محمد خروف التونسي، أجاز كذلك بالتبعية عبد الواحد الحسني. توفي بعد سنة 956 / 1549.

ع. الواحد الحسني، الإمام ببعض من لقيت من علماء الإسلام، مخطوط، ص. 73، 74.

### الحسني السجلماسي، أحمد بن يوسف بن بركة

الشريف. انفرد بترجمته معاصره ويلدیه عبد الله الفاسي في الإعلام من غير، ولم يذكر شيوخه المغاربة، ويفهم من وصفه بالحاج المجاور أنه مكث مدة طويلة بالشرق، وربما التحق به وهو ما يزال في عهد الطلب، لأنه أخذ في الحجاز عن شيخه صفي الدين أحمد القشاشي المكي عن شيخه أحمد الشناوي عن شيخه صيغة الله الهندي بأسانيده

موكب رهيب إلى مرقد الأخير، كما أقامت يوم 2 جمادى الأولى عام 1393 / 3 يونيو 1973 حفلاً تأبينياً كبيراً شاركت فيه نخبة من المثقفين بكلمات ثرية وقصائد شعرية. وجاء في آخر كلمة تليده الأستاذ التهامي بن علال الوزاني : "... لقد كنت أول مؤسس لأول مدرسة للعلم والعرفان ينهل منها شباب ذلك الجيل من علمك ووطنيتك الصادقة ورجولتك الفائقة وتضحياتك الغالية ... إن حياتك تاريخ وعملك رسالة وخلقت قدوة وكفايتك ثروة ومصائبك مصاب أمة لامصاب أسرة ..."

ورقات مرقونة من إعداد اللجنة المشرفة على إحياء الذكرى الأربعينية لوفاة العالم عبد السلام بن مولاي الحاج الحسني (3 يونيو 1973) : وثيقة المرحوم علال الفاسي بخطه : شهادات شرفية.

عبد الرحيم العطاري

### الحسني، (أزمة -) يقصد بها تلك الأزمة النقدية

التي عرفها المغرب غداة صدور ظهير 21 محرم عام 1338 / 16 أكتوبر 1919 الذي ينص على تحرير الصرف وانتهاء عهد التكافؤ بين العملتين الرائجتين بالمغرب آنذاك، وهما "الحسني" (نسبة إلى السلطان المولى الحسن، وهي عملة فضية) والفرنك الفرنسي.

ويرجع ذلك التكافؤ إلى فترة الحرب العظمى حيث إن هذه الظرفية الاستثنائية أفرزت ندرة الفضة في الأسواق العالمية، خاصة بعد أن توقفت المكسيك عن تزويدها بهذا المعدن. وكانت نتيجة ذلك أن ارتفع سعر الفضة عبر العالم. وقد تأثر المغرب بانعكاسات السوق العالمية، فشهد حالة من عدم الاستقرار في الصرف فيما بين "الحسني" والفرنك، ولجعل حد لهذا الاضطراب فرضت السلطات، ابتداء من 8 أكتوبر 1917، تكافؤا بينهما.

وهكذا، إذن، عادت للصرف حريته بعد ظهير 1919. وفجأة أصبح "الحسني" موضوع المضاربة والاحتكار، فوصل سعره إلى أرقام قياسية أزعجت المعمرين، خاصة منهم أولئك الذين كان عليهم أن يردوا ديوناً بهذه العملة. وكان فزعهم مصدر شرارة غضب تجلبت أسداؤه في مظاهرات صاخبة بشوارع الدار البيضاء لم تهدأ إلا بعد أن تشكلت لجنة عهد لها بالتفاوض مع السلطات الرسمية من أجل رفع الضرر عن المعمرين. ورغم هذا الاحتجاج، فقد استمر "الحسني" في التداول بحرية حتى إلغاء رواجه رسمياً في مارس 1920.

J. Baida, La presse marocaine d'expression française des origines à 1956. Rabat, 1996, p. 103-105.

جامع بيضا

### الحسني السجلماسي، أسرة شريفة بتافيلالت،

هكذا كانت تنتسب قبل أن يؤول إليها ملك المغرب في

المذكورة في الجواهر الخمس له. ولقي جماعة عنده من مشايخ المشرق والمغرب وانتفع بهم.  
كان المترجم عارفاً "بطريقة الأسماء والأوفاق". وتوفي بفاس يوم الثلاثاء تاسع عشر ربيع الثاني عام 1072 / 13 دجنبر 1661.

عبد الله الفاسي، الإعلام بين غير : موسوعة أعلام المغرب، 4 : 1509.

مناسبات الآيات والصور : والدر الأزهر المستخرج من بحر الاسم الأظهر، جمع فيه اثنين وسبعين فناً من فنون القرآن على غرار كتاب الإتقان في علوم القرآن للجلال السيوطي؛ والدر الأزهر في السيرة النبوية، وعقيدتان : صغرى وكبرى؛ معارضة بانث سعاد ؛ وديوان أشعار في مدح الرسول الكريم. ولباب مراقى الجنة مما ورد في الجهاد في السنة ؛ والإسعاف والإنجاء في ذكر الآيات الواردة في الجهاد.

توفي بمسقط رأسه يوم السبت 12 جمادى الثانية عام 1042 / 24 دجنبر 1632 . على أصح الروايات - وقبره مزارة شهيرة في بلاد مدغرة على الضفة اليسرى لوادي زين بعيداً عن الرشيدية (قصر السوق) بنحو ثلاثة كيلو ميترات إلى الجنوب. وخصه قريبه علي بن المصطفى المدغري بتأليف : فتح القدوس القاهر في نسب أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر.

- م. العربي الفاسي، مرآة، 186 : أ. العياشي، رحلة ماء الموائد، 1 : 15 : ع. الفاسي، بستان الأذهان، 26 : أ. العلوي، الأنوار، 65، 66 : ح. اليوسي، المحاضرات، 1 : 278 : م. ابن العياشي، زهر، 62 : م. الإفرائي، صفوة، 4 : 3 : نزهة، 134، 135 : م. الناصري، فتح الملك، 86، 87 : م. القادري، الإكليل، 55 : م. النقط، 97، 100 : نشر الثاني، موسوعة أعلام المغرب، 3 : 1318، 1325 : م. الحضيكي، طبقات، 2 : 213، 215 : م. الزكي العلوي، المطالع، 220 : 222 : م. ابن الحاج، الإشراف، 85 : م. إ. الفضيلي، الدرر البهية، 1 : 263، 265 : ع. المدغري، فتح القدوس، الكتاب كله : م. الأهرى، البيواقيت، 177، 178 : م. الوقت، السعادة الأبدية، 1 : 75 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 8 : 302، 309 : ع. الكتاني، فهرس الفهارس، 469، 471 : م. العلوي، شرفاء سجناسة، 5 : 6 : ل. بروفسنال، الشرفاء، 260 وفي هامش 4 بعض مراجع ترجمته : م. حجي، الحركة الفكرية، 2 : 522.

### الحسني السجلماسي، عبد الهادي بن عبد الله

بن علي بن طاهر. عالم مشارك أديب ناظم ناثر، غيور مجاهد. تخرج بوالده وبأقرانه من علماء العصر في تافيلالت وفاس والدلاء. أقبل في بداية أمره على التعليم والإقادة في جامع قصر القصبية بمدغرة يدرس علوم اللسان والشريعة، وكان كأبيه مهتماً بنشر العلم والحدب علي الطلبة، فنظم لهم أصعب المصنفات وشرحها ليسهل عليهم إدراكها واستذكارها، كجمع الجوامع للسبكي. وتلخيص المفتاح للقرظوني. ونظم لهم ألفيات في السير، ومصطلح الحديث، والنحو، وغير ذلك.

اهتم عبد الهادي الحسني بمشكل الحكم القائم آنذاك إثر تمزيق وحدة المغرب السياسية على يد أمراء الزوايا، فناصر المجاهد العياشي السلوي بالسيف والقلم، وحج إلى مكة في آخر عمره فأدركته الوفاة بالمدينة المنورة. على أن أهم مؤلفات عبد الهادي هو فلك السعادة

الحسني السجلماسي، عبد الله بن علي بن طاهر. عالم مشارك أستاذ محدث، وصالح زاهد ناقد. وكلم بمدغرة قرب الرصاني في حدود عام 960 / 1552. ودرس بها قبل أن ينتقل إلى مدينة فاس ويأخذ عن أعلامها وفي مقدمتهم عالم العقول والمنقول أحمد المنجور، وإمام أهل الحديث محمد بن قاسم القصار. وأخذ عنه جماعة من أعلام عصره كأبي بكر التظاني فقيه سجناسة ومدرستها، ومحمد بن سعيد المرغيشي صاحب المؤلفات الشهيرة في الفلك والتوقيت، ومحمد العربي بن يوسف الفاسي، وولده عبد الهادي ومحمد آتيا الترجمة.

كان المترجم يعد أحد حفاظ المغرب الثلاثة المبرزين في عصره، وأرجف بعض حساده بقولة نسبوها إلى معاصره الشيخ المحدث محمد بن أبي بكر الدلالي - وهو منها براء - : "حفاظ المغرب ثلاثة، حافظ ضابط ثقة هو أحمد بن يوسف الفاسي، وحافظ ضابط غير ثقة هو أحمد المقرري، وحافظ غير ضابط ولا ثقة هو عبد الله بن علي بن طاهر" وقد استنكر هذه المقولة كل من سمعها أو رواها منذ عصر ابن طاهر إلى اليوم. ولا عجب أن يكثر خصوم المترجم وحساده ويختلقوا ضده الأباطيل والأراجيف، فقد كان شديد الإنكار على أصحاب البدع مهما علت درجاتهم الاجتماعية، ومع ذلك كان يتمتع بتقدير كبير من لدن السلطان أحمد المنصور الذهبي وكبار رجال بلاطه والمنصفين من أقرانه العلماء والصلحاء.

درس عبد الله بمرآكش وتافيلالت وامتاز بمزايا عديدة في ميدان التعليم : إحكام صناعة التدريس وجودة الإملاء والتعبير، لا سيما في تفسير القرآن الكريم، حيث يمزجه بأسباب النزول وأحوال النبوة وقواعد اللغة والبلاغة، كما امتاز بالمعرفة الواسعة بأيام العرب وأنسائها وسيرة الرسول عليه السلام والخلفاء الراشدين وتاريخ المسلمين عامة، والفرق الدينية من سنية ومبتدعة معتدلة أو مغالية، إلى فهم ثاقب للإسلام المصفى، ورسوخ العقيدة السمحة النقية، فكان "سلفي" عصره يشنع على المزيفين من المتصرفين، والمتجبرين من الولاة الظلمة، فلحقه منهم أذى عظيم ولم تلق قناته.

ألف عبد الله بن علي بن طاهر في التفسير والحديث والعقائد والجهاد والأدب، من ذلك : الدر الأزهر في



الدائر بفضل الجهاد والشهادة، وهو أهم كتاب ألف في الجهاد أواخر عهد السعديين، إذ كان المؤلف يعرف أكثر من غيره ظروف الجهاد ومشاكله آنذاك، لمراسه واحتكاكه بالمجاهد العياشي، وربما كان العياشي هو الذي دفعه إلى تأليف الكتاب كما تشعر بذلك المقدمة وأن لم تفصح عن اسمه.

وفلك السعادة إنما هو مختصر من أصل ضخم يبدو أن المؤلف لم يتمكن من تنقيحه بسبب مشاغله الجهادية. على أن هذا المختصر هو بنفس تصميم الأصل أبواباً وفصولاً، ولا تنقصه إلا بعض النصوص والتفصيلات الإضافية.

يشتمل الكتاب على مقدمة، واثنى عشر باباً (بعدد بروج الفلك) وثمانية وعشرين فصلاً (بعدد المنازل)، وخاتمة. يتحدث الباب الأول عن الأمر بالجهاد وحكمه وأدابه، والثاني في معرفة من يحارب، وشروط النكابة والمهادنة، ومنع الاستعانة بالمشرك، والثالث في فصل المسارعة إلى الجهاد، والرابع في ذم الفرار وفضل الثبات في الصف، .. والسادس في ترجيح الجهاد على الحج، وغزو البحر وشهادته وفضل الجرح في سبيل الله، والسابع في وجوب النفقة في سبيل الله بتجهيز الغزاة، وفي أمانة المجاهدين .. بينما تختص الخاتمة بأحكام النفل والسلب والأمان.

يعتمد أسلوب ابن طاهر في هذا الكتاب على الخطاب والتساؤل المثير، مع نفس طويل وتحمس شديد، حتى لتكاد تشعر بالرجل خرج عن طور الاعتدال كلما ذكر ما حل بالبلاد من البلياء، بل إن كلامه أشبه بالخطابة المرشحة أمام الجمهور منه بالكتابة المدونة في القراطيس. وإنك لتجد عنده من نضاعة الأفكار وتسلسلها المنطقي ما تجده عند كبار الكتاب والخطباء المعاصرين، وتعثر في ثنايا كلامه على ألفاظ "الكفاح" و"الجلاد"، و"الاسترقاق" و"الاستعباد"، وعبارات "تصوص الدفاتر" و"حماية الأوطان"، فتخالك تقرأ مقالات وخطب مصطفى كامل وسعد زغلول وأضرابهم من زعماء الوطنية العربية في القرن العشرين.

لم يقف عبد الهادي في الجهاد عند مرحلة النظر والكلام، وإنما شارك في المعارك إلى جانب المجاهد العياشي السللاوي، ورحب إلى مكة في آخر عمره فأدرسته الوفاة بالمدينة المنورة في أواخر عام 1056 / أوائل 1647.

م. العربي الفاسي، مرآة، 186 : ع، الفاسي، ابتهاج، 224 : أ. العلوي، الأنوار، 66 : ح. اليسوي، المحاضرات، 2 : 674 : ع. القادري، الدر السنني، 55 : م. القادري، نشر الثاني، موسوعة أعلام المغرب، 4 : 1423 : م. الإفرائني، صفوة، 130 : م. الزكي العلوي، المطالع، 222 : 223 : م. ابن الحاج، الإشراف، 86 : و. ط : إ. الفضلي، الدرر البهية، 1 : 265 : 267 : ع. المدغري، فتح القدس، الباب الرابع : م. الأزهرى، البراقبت، 235 : م. العلوي، شرفاء سجلماسة، 7.6 : م. حجي، الحركة الفكرية، 2 : 523.

الحسني السجلماسي، عبد الواحد بن أحمد بن محمد الشريف. وُلد بسجلماسة يوم الأربعاء 12 رمضان عام 933 / 12 يونيو 1527، ونشأ بين يدي الشيخ العالم الصالح الزاهد محمد ابن مهدي الجبراري صاحب الزاوية المعروفة اليوم بزاوية الحنفا في أرياض مدينة زگورة بدرعة. ولعل أسرة عبد الواحد الشريف انتقلت حوالي سنة 934 أو 935 / 1529 إلى درعة. إذ يحدثنا المترجم في فهرسه الإلام أنه اتصل بالشيخ ابن مهدي وهو ابن سنة ونصف ونشأ تحت مطارح نظره" وصار يغدو ويروح إلى مجالسه وهو ما يزال "في خدر الصبا" واستمر ملازماً له إلى أن كبر وصار من خلصائه.

قرأ عليه بلفظه أو سماعاً بقراءة غيره كثيراً من الكتب العلمية في الفقه والعقائد والفرائض والحساب والحديث والنحو والتصريف والعروض. منها صحيح البخاري مرتين وثالثة إلى كتاب المناقب، وتهذيب البراءعي، وأرجوزتا التلمساني والونشريسي في الفرائض؛ والخزرجية في العروض، والتفسير أزيد من ختمتين بعضه بابن عطية، ومغني اللبيب لابن هشام، وقوانين ابن أبي الربيع في النحو، وتنقيح القرافي وشرحه في الأصول، وكتب كثيرة في التصوف ذكرها. "وأما مختصر ابن الحاجب وخليل وألفية ابن مالك ولايته ورسالة ابن أبي زيد فلا أحصيا عدداً لأن هذه الكتب كان إقراؤه فيها مستمراً على الدوام في المساء والإصباح، فختمنها عليه مراراً وتفقهنا فيها مع الأصحاب بين يديه ليلاً ونهاراً، وجرت فيها في كل ختمة مع أعيان الأصحاب محاورات ومراجعات ودار بيننا فيها أبحاث. ودرس عبد الواحد في نفس الزاوية على كبير طلبة ابن مهدي سعيد بن علي السوسي الأوزالي.

تكوّن عبد الواحد إذاً تكويناً متيناً في زاوية ابن مهدي، ولم يكن تردده على فاس بعد ذلك إلا لأجل إشباع نهمه العلمي بالأخذ عن الإمام أحمد المنجور وطبقته، أو الحصول على إجازات كبار الشيوخ وأسائدهم. ومن مجيزه في فاس مباشرة أبو النعيم رضوان الجنوي، كما أجازته بالتبعية لوالده أحمد الشريف آتي الترجمة وكل من الشيخ محمد خروف التونسي والشيخ عبد الرحمان سقين. وأجازه من علماء المشرق بواسطة بعض الحجاج الفيلايين محمد النشاء الشافعي ومحمد العلقمي الشافعي ومحمد الفيثي المالكي المصريين، ومحمد المقدسي وغيرهم.

اتصل عبد الواحد الحسني بالسعديين وعمل في بلاطهم منذ المراحل الأولى لتأسيس دولتهم، وتولى أيام أحمد المنصور خطة الفتوى بحاضرة الدولة، والإمامة والتدريس بجامعة الأشراف في حي المراسين. وقد كثر الأخذون عن عبد الواحد الحسني من الطلبة والعلماء حتى عُدَّ شيخ الجماعة في عصره.

كان عبد الواحد من جلساء أحمد المنصور المقربين إليه، ينيبه عنه في قضايا المظالم التي كان المنصور يجلس لها

بنفسه أيام الجُمع بعد الصلاة للاستماع إلى شكاوى الناس وإنصافهم، ويكلفه بتحرير بعض المراسلات والوثائق المهمة، كما كان يقدمه - بعد قاضي الجماعة - في إنشاد القصائد المولديات بين يديه في حفلات عيد المولد النبوي. ولعبد الواحد قصائد طوال في مدح الرسول الكريم يختصها بمدح حافذه أحمد المنصور. كما كان السلطان يقترح على المترجم تأليف بعض الكتب، ومنها جمع ديوان أشعار أهل البيت الذي اخترمته المنية قبل إقامه، ويوجد اليوم بخط مؤلفه في الخزانة الزيدانية بالإسكوريال. ومن مؤلفات عبد الواحد الحسني - علاوة على ما سبق - : شرح مقصورة المكودي في المديح النبوي : تعاليق على ألفية ابن مالك : اختصار نكت السيوطي على الألفية : حاشية على شرح المرادي على الألفية : أدبيات عبارة عن مساجلات وقصائد مبعثرة في مؤلفات معاصره.

توفي بمراكش يوم الخميس 25 رجب عام 1003 / 6 أبريل 1595 ودفن بضريح القاضي عياض.

ع. الواحد الحسني نفسه، الإلام ببعض من لقيت من علماء الإسلام، الفهرس كله (مخطوط) : أ. ابن القاضي، درة، 3 : 140. 142، رقم 1096 : لفظ الفرائد، موسوعة أعلام المغرب، 2 : 851 : المنتقى المقصور، نج. م. رزوق السباط، 1986، 1 : 248 و376 و406 : ع. الثمارتي، الفرائد، 44. 41 : العلوي، الأتوار، 58 : م. القادري، الدر السني، 58 : م. الطيب الفاسي، مطع، 1003 : م. الإفرائي، نزهة، 134. 135 : م. الحضيكي، طبقات، 2 : 277. 279 : أ. الناصري، الاستقصا، 5. 111 : وفي مواضع متفرقة : أ. الفضلي، الدر البهية، 1 : 103. 104 : م. الأهرى، اليواقيت، 227. 228 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 8 : 522. 525 : ع. الكتاني، فهرس الفهارس، 2 : 775 : أ. النيسبي، تاريخ الشعر، 25 : م. ابن تاويت التطواني، الوافي بالأدب، 3 : 660. 663.

### الحسني السجلماسي، محمد بن عبد الله بن

الصيد، خطيب الجامع الأعظم بالقصبة السجلماسية، لقيه به الرحالة أبو سالم العياشي في طريقه إلى الحج، وكتب عنه في الرحلة : "له دراية بالفقه والنحو، وله مشاركة في العلوم، أديب كاتب ... مسرع الجواب محققه، لا يتكلم في مسألة علمية إلا وكشف عنها الغطاء".  
توفي بعد عام 1072 / 1662.

أ. العياشي، رحلة ماء الموائد، 1 : 17 : أ. العلوي، الأتوار، ص. 73 : م. حجي، الحركة الفكرية، 2 : 528.

### الحسني السجلماسي، محمد بن عبد الله بن

علي بن طاهر، يعرف في تافيلالت بسيدني ابن علي. درس بفاس على الشيخ عبد القادر الفاسي، ورحل للحج فلقى مشايخ هناك وأخذ عنهم. آتاه الله بسطة في العلم والمال، وجمع له بين حسنتي الدين والدنيا. فكان مدرسا نفاعا،

وثرنا معطاء، وعابداً متبتلا. ولي قضاء تافيلالت فحدث سيرته فيها، وتعلم له الكثيرون في مدغرة وفاس، وكان من جملة الآخذين عنه عبد الرحمان الفاسي صاحب الأقتوم، والرحالة أبو سالم العياشي مؤلف ماء الموائد.

توفي بمسقط رأسه مدغرة مطعوناً عام 1089 / 1678.  
أ. العياشي، التحاف الاخلاء، 4 : رحلة ماء الموائد، 1 : 16. 15 : ع. الفاسي، ابتهاج، 298 : أ. العلوي، الأتوار، 66 : ح. اليوسي، المعاضرات، 39 و235. 236 : م. الإفرائي، صفوة، 203 : م. القادري، نشر، موسوعة أعلام المغرب، 4 : 1719 : م. الحضيكي، طبقات، نج. أ. بومزكو، الترجمة، رقم 357 : أ. الحيايط القادري، تقييد، 9 : م. الزكي العلوي، المطالع، 223 : ع. المدغري، فتح القدوس، الباب الرابع : ع. الكبير الفاسي، تذكرة المحسنين، موسوعة أعلام المغرب، 4 : 1618 : إ. الفضلي، الدر البهية، 267. 268 : م. العلوي، شرفاء سجلماسة، 7 : م. حجي، الحركة الفكرية، 2 : 524.

### الحسني السجلماسي، محمد بن عبد الواحد

ابن أحمد الشريف. وُلد بمراكش وبها درس على والده الفقيه المفتي الأديب عبد الواحد في جامع المومنين وعلى غيره من شيوخ التدريس المتوافرين آنذاك بحاضرة السعديين، فكان هو وأخوه أحمد سابق الترجمة كفرنسي رهان في ميدان الأدب والشعر، إلى جانب جيل من الشبان العلماء أبناء رجال البلاط وعلية القوم. لقيه أحمد المقرري في رحلته الأولى إلى مراكش وعاشه مدة وأعجب بذكائه وعلمه وخاصة شعره الرائق. وكتب عنه في روضة الآس : "لقيته بمراكش - جماها الله - فشاهدت منه أديبا برع في فنه، وجمع العلوم على حداثة سنه، طلع هو وأخوه الآتي بعده بأفق الحضرة بدري هاله، وكل منهما قد انتمى له الفهم الشاقب وانتهى له، ولم لا وقد درت عليهما الدولة الأحمدية المنصورية المولوية أيدها الله من أخلائها، ومن قبل على أبيهما شيخ الجماعة الإمام المفتي، فلا غرو إن كانت الفروع تابعة لأصولها وأسلانها... إلا أنه عاجله الحِمام، وكسف بدره قبل التمام".

خلف محمد الحسني والده في إلقاء القصائد المولديات بين يدي أحمد المنصور، وبالرغم على أنه عمّر ستة أعوام بعد والده أي يفترض أن تكون له خمس أو ست من هذه القصائد الطوال، إلا أنه لا يعرف منها الآن سوى واحدة همزية أنشأها وأنشدها في قصر البديع في ربيع السنة التاسعة التي توفي فيها أثبت المقرري منها ستين بيتاً، كمقاطع فقط، تدل على متانة لغة الشاعر الشاب وسلاسة تعبيره وطول نفسه الشعري. والنماذج الشعرية الأخرى التي أوردها المقرري في أغراض مختلفة هي كل ما بقي من شعر المترجم.

توفي مطعوناً في مراكش في ذي القعدة عام 1009 / ماي 1601.

المسجد الكبير متكئاً على سارية خلف صف الطلبة، لا يُحضر معه كتاباً ولا يناقش، صامت هادئ دائماً يمشي الهيونا ويتحدث بصوت منخفض، وإذا انبسط أتى بنكت أدبية وتاريخية طريفة وتبسم وأشرق أسارير وجهه الأشقر الوضاء، ولملت عيناه الشهلوان تحت نظارتيه السميكتين.



يحسن المذاكرة في مختلف الموضوعات الفقهية واللغوية والبلاغية، ويمتاز في تاريخ الإسلام والأندلس والمغرب بصفة خاصة. قليل الكتابة لكنه إذا كتب أفاد وأغنى. نشر في مجلات مغربية وعربية كانت تصدر في الثلاثينات والأربعينات بحوثاً تاريخية قيمة بتوقيع "ابن خلدون الصغير"، وقليل منها بإمضائه الصريح لا سيما ما يتعلق بعيد العرش. كان محط تقدير كبير من طرف المؤرخ النقيب عبد الرحمان ابن زيدان، والمترجم هو الذي قدم كتابه إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس وراجعوه ووضع فهرسه الثمانية في كل جزء من أجزائه الخمسة المطبوعة، وهي أصح وأدق فهرس ما نُشر بالمغرب من كتب التاريخ والتراجم قبل نحو سبعين سنة.

عاش عبد الكريم ابن الحسين مع والده بمنزله الفخم قرب المسجد الكبير بالرباط، في عفاف وكفاف واقتصاد أكلاً وشرباً ولباساً، رغم ما آتاه الله من بسطة في الرزق، ووظيفته السامي بدار المخزن، إلى أن أدركته الوفاة مساء يوم الأحد سادس وعشري شوال عام 1392 / 3 دجنبر 1972.

ع. ابن زيدان، إتحاف، الجزء الأول + فهرس الأجزاء 5 : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 9 : 3443 : مجلة رسالة المغرب، الرباط، 19 : معرفة شخصية وصحية.

محمد حجي

### ابن الحُسَني العلمي، محمد الغازي بن الحاج

الحُسَني الرباطي، فقيه مشارك ميسال إلى الحساب والتسوية والأدب. زواج بين طلب العلم والتجارة. ومن شيوخه العالم الصالح العربي ابن السايح وشيخ الجناعة

أ. المقرئ، روضة، 192. 204 : م. الإفرائي، صفوة، 104. 105 : م. الطيب الفاسي، مطمح، مخطوط : م. القادري، الأكليل، 8 و 37 : التقاط، 35 : نشر، موسوعة أعلام المغرب، 3 : 1107 : إ. الفضلي، الدرر البهية، 1 : 104. 105 : م. ابن الموقت، السعادة، 2 : 128 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 5 : 190. 191 : م. حجي، الحركة الفكرية، 2 :

384.

### الحسني السجلماسي، محمد بن محمد (بن

محمد) بن أبي القاسم الشريف ابن عم المفتي عبد الواحد الحسني سابق الترجمة، درس بفاس على الإمام أحمد المنجور وشيخ النحاة محمد بن مجير المساري حلاًه صاحب المجتود "بالفقيه الخطيب المشارك النحري المتفنن" وذكر له تعليقا على ألفية ابن مالك.

انتقل إلى مدينة مراكش ودرّس بها حيث أخذ عنه قاضيه عيسى السكتاني. وتولى الخطابة بجامعة الأشراف لأول مرة بعد أن أتم بناء السلطان عبيد الله الغالب السعدي.

توفي محمد الحسني بمراكش عام 988 / 1580.

أ. ابن القاضي، جذوة، 1 : 325 : درة المجال، 2 : 213 : لفظ الفرائد، موسوعة أعلام المغرب، 2 : 938 : م. الإفرائي، صفوة، 42 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 5 : 171.

محمد حجي

### الحسني الشفشاوني ← ابن راشد العلمي ...

ابن الحُسَني العلمي، أسرة رباطية من شرفاء جبل العلم اليملاحيين، لم يرد في المصادر المعروفة من أين أتت ولا متى حلت بمدينة الرباط ولعل الوثائق العائلية للأسرة تنبئ بذلك. وأول من يُذكر منها هو محمد الغازي ابن الحسني أتى الترجمة.

وهناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن هذه الأسرة أتت من وزان، ففي بداية القرن الثالث عشر (19 م) وجد بالرباط أفراد يحملون اسم ابن الحسني مثل المكّي بن عبد الله ابن الحسني الذي كان قاطنا بالرباط في جمادى الثانية عام 1211 والحُسَني بن التهامي الذي توفي بالرباط يوم الأحد 12 محرم 1214، وهذان الأخيران جاءا من وزان كما يذكر الضعيف، لكن لا نعلم هل كانا هما الأصل الذي تفرعت عنه أسرة ابن الحسني الرباطية.

م. الضعيف، تاريخ الدولة السعدية، تج. أحمد العساري، الرباط

1986.

عبد الإله الفاسي

### ابن الحُسَني العلمي، عبد الكريم بن محمد

المدني بن محمد الغازي، وُلد بالرباط وبها نشأ ودرس على علمائها وبخاصة والده. كان يلزم دروسه في البيت، وفي

إبراهيم التادلي الرباطي. تزوج محمد الغازي ابن الحسين بنت الأمين عبد السلام التازي المعروف بموفا وكان من كبار رجال دولة السلطان الحسن الأول، وحضر حفلة الزواج عدد من أعيان الرباط، ومنهم الشاعران أحمد جسوس وأحمد الزعيمي فأنشدا قصيدتين مطولتين في التنويه بشرف أسرة ابن الحسين وكريم خصال محمد الغازي.

توفي محمد الغازي بالأسكندرية مرجعه من الحج عام سبعة وثلاثمائة وألف / 1889.

ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الرباط، 1930، أجزاء 2، 3، 5. م. بوجندار، *الاغتباط*، الرباط 1987 : م. دينيسة، *مجالس الانتباط*، الرباط 1986 : ع. الجارري، *من أعلام الفكر*، الرباط 1969.

عبد الإله الفاسي

ابن الحُسَني العلمي، محمد المدني بن محمد الغازي الحَسَني الرباطي. وُلِدَ فجر يوم عيد المولد النبوي ثاني عشر ربيع الأول عام 1307 / 6 نونبر 1889، وهي السنة التي توفي فيها والده بالأسكندرية مرجعه من الحج، فكفله جده لأمه الأمين الشهير عبد السلام التازي سابق الترجمة. ودرس في مسقط رأسه على علماء العدوتين، أمثال عمه محمد ابن الحُسَني وعبد الرحمان بريتيل ومحمد المكي البطاوري والجيلالي ابن إبراهيم وأحمد بن قاسم جسوس ومحمد الرنذة الرباطيين، والحافظ السلفي أبي شعيب الدكالي، وأحمد ابن موسى الهمسائي السلاوي تلميذ الشيخ أبي المواهب العربي ابن السائح ووارث سره في الحديث الشريف حفظاً وفهماً وإلقاءً، فكان المترجم نسخة طبق الأصل للشيخ ابن موسى وشيخه أبي المواهب ابن السائح في الدروس الحديثية التي سارت بذكرها الركبان. وهي دروس عالية في غاية الإمتاع والإفادة، معدةً الدرس



ساعتان، يلقيها في ضريح أبي المواهب ابن السائح أو الجامع الكبير بالرباط. ومثلها في المتعة والظول دروسه في الأصول والنحو والبلاغة والفقه والسيره وغيرها. حضرت جملة منها لوضع سنوات فأدركت بالمشاهدة والمشاركة ما كنت أقرأ عن حفاظ الإسلام أمثال الذهبي وابن حجر والسيوطي. وإلى جانب علمه الرصين كان المترجم أديباً ناثراً شاعراً ينهج نهج الأندلسيين في السجع والتجنيس، ويكاد يحفظ كتاب نفع الطيب الذي لا ينتهي من قراءته حتى يعيده ويعيده. وقصائده الطوال رائقة لم ينشر منها إلا القليل.

قضى ابن الحسين معظم حياته متحرراً من كل وظيف مقبلاً على التدريس والتأليف، وكان موسعاً عليه في الرزق، يكثُر من الأسفار والنزهات والاجتماعات العلمية والأدبية. وفي عام 1348 / 1980 عين عضواً بمجلس الاستئناف، ثم ناب عن رئيسه مدة قبل أن يصبح رئيس مجلس الاستئناف عام 1363 / 1944 إلى نهاية سنة 1372 / 1953 حيث عاش الظرف السياسي الخطير الذي تكالب فيه الاستعمار على المغرب وأطاح بملكه الشرعي محمد الخامس، فأصاب المترجم شرارة هذه الفتنة وأتهم بالتواطؤ ثم ثبتت براءته.

ألف المدني ابن الحسين كتباً ورسائل ومنظومات وخطبات مازالت كلها مخطوطة عند أبنائه، منها :  
- الفتح القدسي على قافية الأوسي شرح فيه قافية الشاعر ابن عمرو الأوسي الرباطي. وهو من أول ما ألف.  
- نفائس الدرر على خصائص المختصر (مختصر خليل).

- شرح النصيحة، لشيخه محمد بن جعفر الكتاني (نصيحة أهل الإسلام).  
- الفوائد اللطيفة في ذكر كتب السنة الشريفة، نظم فيه الرسالة المستطرفة لشيخه الكتاني المذكور.  
- حداثق البهجة في الرحلة إلى طنجة.  
- دليل السائل إلى أجوبة المسائل، مجموعة فتاويه الفقهية.

على أن أعظم مؤلفات المترجم علماً وحجماً وابتكاراً هو كتاب منار السبيل إلى مختصر خليل بالحجة والدليل تتبع فيه مسائل المختصر المعقدة المعصاة وحللها تحليلًا فقهياً شافياً مدعماً كل مسألة فيه بدليلها من الكتاب والسنة، وهو عمل لم يسبق أن اهتمدى إليه أحد من فقهاء المالكية الذين كتبوا مآت الشروح والحواشي والتعليق على المختصر. يقول المترجم في مقدمة هذا الكتاب : "إنه لما من الله تعالى علينا فافتتحنا درس المختصر الخليلي وسطنا ذلك الخوان، حسب أمر بعض مشايخي واقتراح من الإخوان، الذين لازموا دروسه فهم فيسما بينهم أعوان، تلازموا معه فكانوا كندماني جذية ونخلتي حلوان، وذلك في شوال عام تسعة وثلاثين وثلاثمائة وألف 1339 هـ عن

لى تقيد هذه الكتابة عليه، على نسق لم أسبق فيما أعلم إليه، قصدت به إبداء أصول فقهه من الكتاب والسنة والأثر، أجمع من ذلك واستجد منه ما اندثر. وذلك ليفرق اللبيب بين النصوص من الفروع والمستنبط، فرميا ظن الكثير أن الكل منصوص أو أنه مما استنبط فقط، فنقبت عن الأصول التي يعتمد عليها في تفتيس هذه الكرية، وترقبت طلوع شمسها من آفاق الدواوين الحديثية حتى سطعت أنوارها بعد أن لقيت عرق القرية".

توفي بمسقط رأسه الرباط عصر يوم الاثنين خامس وعشري شوال عام 1378 / 4 ماي 1959، ودفن في فناء زاوية سيدي الشيخ بن أحمد الدرعي بالعلو غير بعيد عن ضريح أبي المواهب العربي ابن السائح. وبعد مرور أربعين يوماً على وفاته أقيم له حفل تأبين بالجامع الكبير بالرباط ألقى فيه كلمات وقصائد شعرية في التنويه بالعالم الراحل.

ع. ابن زيدان، إتحاف، 2: 187 و 241؛ ع. ابن سودة، إتحاف الطالب، سل النصال، موسوعة أعلام المغرب، 9: 3342. 3341؛ ع. الجراي، أعلام الفكر المعاصر، 2: 206. 201؛ الحافظ الواعية محمد المدني ابن الحسني، ضمن سلسلة شخصيات مغربية (2) الكتاب كله؛ إ. السولامي، الشعر الوطني في عهد الحماية، ص. 234. 233؛ محمد بن الفاطمي ابن الحاج السلمي، إتحاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين، الدار البيضاء، 1992.

## الحسني، محمد بن أحمد ← الشريف الفاسي

### الحسنيّة السجلماسية، صفية بنت الفقيه المفتي

عبد الواحد بن أحمد الشريف سابق الترجمة، من النساء العالمات القتائل اللاتي عُرقت أسماءهن في العهد السعدي، ذكرها والدها في فهرسه الإلام بمناسبة حصولها بالتحية له على إجازة الشيخ عبد الرحمان بن عبد القادر الهاشمي العلوي الشافعي (خادم العلم والحديث الشريف، بحرم الله المظهر الشريف) بتاريخ يوم الخميس الثامن عشر من شهر شعبان عام 988.

وقد أثبت صاحب الفهرس نص الإجازة العامة له ولايته "الذرة المصونة، يقول المجيز - الفاخرة المكنونة، ذات الحجاب المنيع، والستر الرفيع، الفقيهة النقية البهية، السيدة الشريفة صفية، صان الله حجابها ..."

توفيت صفية بعد عام 988 / 1580.

ع. الواحد الحسني، الإلام بعض من لقيت من علماء الإسلام، مخطوط، ص. 93. 94.

محمد حجي

الحسنيّة، مدرسة لتعليم اللغات الأجنبية أسسها السلطان الحسن الأول في طنجة ليتدرّب فيها طلبة البعثات

المتوجهون إلى الخارج ليتسروا دراستهم هناك ويصبحوا مهولين لخدمة المخزن والجيش، لم يكن لهذه المدرسة بناية متميزة بارزة العنوان وذات مدير معروف ولا أساتذة ذكّرت أسماءهم ولا برامج ومقررات واضحة. حقاً إنها بعد سنة 1303 / 1885 تميزت بنظام جديد مخالف لما كان من قبل.

ووصفها بالمدرسة الحسنية لم يأت في أية وثيقة وقعت بين يدي وإنما كان الحديث عن مدرسة الألسن ولو أن مولاي الحسن هو صاحب الفكرة. ولما مات أصبح البعض يُسمونها مدرسة الطالبان. وهي ليست مدرسة التطبيق الإسبانية التي كانت تابعة للمستشفى الإسباني بطنجة وتستقبل القليل من الشبان المغاربة لتعليمهم مبادئ الطب والعلاج. وليست أيضاً هي المدرسة الحسنية المحدثّة بطنجة التي اكتتب أهل البلد وجمعوا مالا لإصلاحها سنة 1322 / 1905، فهي مخالفة في مناهجها للمدرسة الحسنية لأنها كانت تدرس مواد "العلم الشريف" (العلوم الدينية والشرعية) لا العلوم الحديثة (من حساب وهندسة ولغات أجنبية) التي كان تلقن بمدرسة الألسن.

وأختم هذا الاستطراد لأقول إن شباناً مغاربة كانوا في أواخر القرن الماضي يأتون للتدرب على العلوم البحرية والعسكرية التي كان يلقنها إياهم ضباط ومهندسون أجانب سواء في المراكب أو في الأبراج والتحصينات. وليس هؤلاء الشبان العسكريون ومتعلمو الطب وطلاب المدرسة الحسنية لتدريس العلوم التقليدية من طلاب المدرسة الحسنية.

ما كاد الحسن الأول يتربع على العرش حتى بدأ بإدخال إصلاحات وتنظيمات عسكرية، وكانت هاته المؤسسة وهذا التعليم الحربي من أكد اهتماماته. انطلقت المرحلة الأولى من هذا التعليم باختبار خمسة عشر شاباً من أهل الفطنة والنجابة ومن صفار السن، وكلف بعض الولاة المدنيين والعسكريين بانتخابهم من الذين توفرت الشروط فيهم. لكن عددهم كان قليلاً، إذ عين لكل من ألمانيا وفرنسا وإنجلترا وإيطاليا وإسبانيا ثلاثة منهم، تعلموا اللغة المناسبة بطنجة طيلة سنتين على يد موظفين في المفوضيات قبل أن يُوجّهوا إلى الخارج لإتمام معارفهم.

وبعد عودتهم حوالي سنة 1298 / 1880 دعت الضرورة إلى اختيار شبان آخرين للتعليم. فلم تتحمس للمشروع الثاني ألمانيا ولا إنجلترا ولا إسبانيا، وبقيت كل من فرنسا وإيطاليا في الميدان. وبعد مشاورات تقرر أن تعلم لغتنا البلدين الأخيرين بطنجة ابتداءً من سنة 1303 / 1885.

وكان لا بد من الدخول في تجربة ثانية لتعليم اللغة أولاً ثم انتخاب بعض النجباء للسفر إلى الخارج ثانياً، وقد حدد لها إطار جغرافي هو الرباط وسلا، وكلف الحاج محمد بركاش نجل النائب السلطاني بإجراء الاتصالات مع عاملي العدوتين: عبد السلام السويسي قائد الرباط والحاج محمد بنسعيد قائد سلا. وكان كل من الثلاثة متفتحا، لأنهم كانوا من قبل من السفراء إلى أوروبا، فكانوا يجرون

الاتصالات مع الناس لإقناعهم بتوجيه أبنائهم وذلك بشرح الفوائد التي يمكن أن يجنوها. ولذلك إذا فحصنا قائمة هؤلاء التلاميذ لنجدها تشتمل إلا على السلاويين والرباطيين.

لكن برغاش مات قبل أبيه سنة 1304 / 1886 فعين السلطان مولاي الحسن أمين الأمان الحاج محمد التازي موخا الرباطي للسير على منوال برغاش، وهو أيضاً كان ممن عاشوا بالخارج وعرفوا مزايها هذه الخطوة الجديدة.

لم تكن مهمة برغاش والعاملين سهلة، لأن اختيار الشبان وترشيحهم إنما كان بالإقناع حتى الاقتناع، دون إكراه. كان يلقي القبول تارة والإعراض أو التملص تارة أخرى، وكانت تأتيه التشفعات بعد الترشيح لإعفاء الأبناء لسبب من الأسباب، وفي بعض الأحيان كان الأب يزوج ولده في الحال حتى يفلت من التعليم ببلاد النصارى وقراءة علومهم. وأحياناً أخرى كان الآباء يستحيون أو يتظاهرون بالاستحياء ليتخلصوا من ولد لهم عاصٍ أو مشاكس، قاصدين تأديبه وزجره. ولتقرأ طرفاً من رسالة للحاج محمد برغاش سنة 1885 لتعرف البعض بما أشرنا إليه أعلاه. فقد كتب إلى الطريس في شأن تفسيره شباناً من الرباط وسلا إلى طنجة "وجها لك بالأمس صحة البابور تسعة نفر من الاولاد المتعلمين سبعة منهم تمتة العدد 15 المعين قبل، واثان : أحدهما من الرباط والآخر من سلا هما اللذان طلب باشدور الطليان زيادتهما أخيراً. وأسماء الجميع مقيدة بالطرة. ولا عمل على البعض من الأسماء المقيدة في الكتاب الذي صحبوه معهم، لأنه وقع التبديل في ذلك. وهؤلاء المتعلمون هم غاية ما تسر في الوقت مع طول المدة. فكل من توفرت فيه الشروط لا يسمح به أهله. ولا يخفاك كثرة الشفعا الذين يتعين قبول شفاعتهم".

التطور : بعد أن كان المشروع مؤيداً من لادن أقطار أروبية في البداية، لم تعد في الخلية كما قدمنا سوى إيطاليا وفرنسا، وكانت لغة الدولة الأولى تدرس بطنجة أكثر من الفرنسية مدة تزيد على الستين.

قال برغاش في رسالة أخرى للحاج محمد الطريس سنة 1303 / 1885 في شأن اختياره شباناً من العدوتين : "واعلم أن الأناس المشار إليهم كلهم صغار السن، ومن طلبة القرآن، وجلبهم خرجوا من المكاتب، فنحيك أن تنظر لهم داراً لتزولهم وامرأة تكون تباشر مأكولهم وغيره لعدم قدرتهم على القيام بشؤونهم. والأمناء يصيرون ما يجب في ذلك كما يصير على من كان قبلهم".

هاته المرة لم يعد الأمر كما كان، بل أصبح المخزن متكفلاً باستئجار دار لهم والإنفاق على إركابهم وإيوائهم وإطعامهم وإكسانهم. فإذا كان الإنفاق اليرمي سارياً عليهم فقد كان الإنفاق الموسمي مثل الكسوة متعشراً. ففي سنة 1885 قالت رسالة للطريس إنه أعطي لكل واحد منهم "بدعية وجابضولاً وسزولاً وجلاية بُراية مع طربوش وبلغة دون شهرية لمن يتعلمون اللغة". فقد صارت المدرسة مدرسة معروفة إذن بزى أصحابها، لكن دون منحة شهرية، لأن الأمناء كانوا ينفقون عليهم. وأضاف النائب السلطاني :

"أما البحرية المتعلمون فقد جعل لهم عشرة ريال في الشهر لكل واحد منهم، زيادة على مونة بسيطتين في اليوم، على أن يتكفوا بالكسوة لأنفسهم".

كانت الكسوة تصرف للطلبة، لكن كان يقع إهمال أحياناً مثلما حدث سنة 1309 / 1891 لما كتب نائب الطليان إلى محمد المفضل غريط وزير الشؤون الخارجية ذكراً أن متعلمي "اللغة الإيطالية بقصد توجيههم لإيطاليا لتتيم قراءتهم فهم تقريباً عريانين. هذا نحو عام ونصف قبل قدومهم لم يقبضوا كسوة أخرى ..."

بقي تعليم اللغة الإيطالية مستمراً سنة 1885 بخمسة عشر متعلماً سنة 1887 باثنين وثلاثين تلميذاً نصفهم من سلا والنصف الآخر من الرباط. ومع مرور السنين ظهر فتور ونقصت أعداد المتعلمين وأصبحوا سبعة سنة 1318 / 1900 وجه منهم اثنان إلى إيطاليا بعد رجوع الفوج الثاني الذي كان مشتملاً على أزيد من عشرين فرداً، ثم لم يعد يتعلم اللغة المذكورة سنة 1325 / 1907 إلا شابان فقط.

أسماء المتعلمين بالمدرسة الحسنية بطنجة، وهم صنفان : أ - صنف تعلم اللغة بطنجة ثم وجه إلى الخارج لتتيم دراسته وعددهم واحد وعشرون ؛ ب - وصنف تعلم اللغة بطنجة ولم يسافر إلى البلدان الأروبية وعددهم اثنان وثلاثون دون من تعلموا اللغة بالخارج. أ . المتعلمون بطنجة والخارج معاً

اسم المتعلم	أصله من	تعلم اللغة	رحل ابتداء
		ابتداء من سنة	من سنة... إلى
1. الميلودي الزيايدي	الرباط	الألمانية - 1874	ألمانيا - 1876
2. الحسين بن الحاج خلووق	الأولداية	الألمانية - 1874	ألمانيا - 1876
3. عبد السلام التسولي	فاس	الألمانية - 1874	ألمانيا - 1876
4. محمد الكياص	فاس	الإنجليزية - 1874	إنجلترا - 1876
5. الزبير سكيرج	فاس	الإنجليزية - 1874	إنجلترا - 1876
6. إدريس بن بوغزة	فاس	الإنجليزية - 1874	إنجلترا - 1876
7. أحمد بن العباس	فاس	الإسبانية - 1874	إسبانيا - 1876
8. محمد الشداوي	الرباط	الإسبانية - 1874	إسبانيا - 1876
9. عبد السلام الفاسي	الرباط	الإسبانية - 1874	إسبانيا - 1876
10. قاسم بن محمد	الأرداية	الفرنسية - 1874	فرنسا - 1876
11. الطاهر بن الحاج	الأرداية	الفرنسية - 1874	فرنسا - 1876
12. محمد ابن الكعاب	شراكة	الفرنسية - 1874	فرنسا - 1876
13. المختار الرغاي	البواخر	الإيطالية - 1874	إيطاليا - 1876
14. عبد السلام عينوش	الأرداية	الإيطالية - 1874	إيطاليا - 1876
15. محمد بن أحمد بناني	فاس	الإيطالية - 1874	إيطاليا - 1876
16. عبد الله النيبال	سلا	الإيطالية - 1885	إيطاليا - 1888
17. محمد القجيري	سلا	الإيطالية - 1885	إيطاليا - 1888
18. محمد البوهالي	الرباط	الإيطالية - 1886	إيطاليا - 1888
19. قاسم بن بوزكري	الأرداية	الإيطالية - 1886	إيطاليا - 1888
20. الصادق التونسي	طنجة	الإيطالية - 1893	إيطاليا - 1900
21. أخوه المختار	طنجة	الإيطالية - 1893	إيطاليا - 1900

وقد توفي الطالبان السلاويان الحاملان لرقمي 16 و17 بإيطاليا سنة 1897 قبيل رجوعهما إلى المغرب.  
ب - من تعلموا اللغة الإيطالية بطنجة ولم يسافروا إلى الخارج

الاسم	أصله من	تعلم ابتداء من سنة	ملاحظات
1. محمد برطل	سلا	1885	-
2. عبد الله برطل	سلا	1885	-
3. أبو بكر بن الحاج	سلا	1885	-
عبد القادر اشاعو	سلا	1885	-
4. أخوه محمد	سلا	1885	-
5. محمد بن العربي	سلا	1885	-
اعمار	سلا	1885	-
6. محمد المكنسي	سلا	1885	-
7. محمد العوفير	الرباط	1886	-
8. محمد الشبحاني	الرباط	1886	-
9. محمد الزيفي	الرباط	1886	-
10. الغازي الزعري	الرباط	1886	-
11. عبد الكريم بوهلال	الرباط	1886	-
12. بوعزة اللبحاني*	الرباط	1886	-
13. إبراهيم غالب**	الرباط	1886	-
14. محمد بن التهامي الدكالي***	الرباط	1886	-
15. بوبكر يعكوب	الرباط	1887	-
16. محمد بيرو	الرباط	1887	-
17. الحاج محمد الغريسي	الرباط	1887	-
18. أحمد التزاني	الرباط	1887	-
19. أحمد بن المختار	الرباط	1887	-
20. المكي بن مبارك	الرباط	1887	-
21. بوعزة بن بنعاشر العشاب	سلا	1887	-
22. المعطي الزردالي	سلا	1887	-
23. حجي الحصري	سلا	1887	-
24. المدني جلريم	سلا	1887	-
25. المدني المصلوحي	سلا	1887	-
26. أبو بكر بن الحسن بن مريدة	سلا	1887	-
27. عمر الطرابلسي	سلا	1887	-
28. عبد العزيز الأبيض	سلا	1887	-
29. محمد الزواوي	سلا	1887	-
30. محمد بن إدريس الطنجاوي	سلا	1887	-
31. مصطفى السالمي	سلا	1907	-
32. بناصر بن بوسلهام	سلا	1907	-

(\* بدلاً من المكي كليطو

\*\* بدلاً من التهامي بن يوسف

\*\*\* بدلاً من قدور بن عبد السلام

ولا يفوتني في الختام أن أشير إلى أن خمسة من الأبناء المعروفين بنسبهم السلاوي كان رشحهم عاملاً سنة 1294 / 1877 بأمر من السلطان، وهم :

- 1 - المكي بن الفقيه التيال
- 2 - عبد السلام ابن القاضي
- 3 - عمر بن بناصر حركات
- 4 - محمد عواد
- 5 - عبد العالي ابن عبد السلام

لكنني لم أقف على ما يفيد أنهم التحقوا بالمدرسة الحسينية بطنجة، ولا أعرف مصيرهم كما لا أعرف مصير الاثنين والثلاثين المذكورين في الجدول الثاني أعلاه ما عدا واحداً منهم وهو قريبي أبو بكر بن الحاج عبد القادر اشاعو، خال أبي الذي كانت جدتي تنعته بالمتعلم. كان يزورنا في بعض الأحيان بعد صلاة الجمعة ويطلب مني أن أقرأ له آيات من القرآن يتولى تفسيرها بعد ذلك لي ولكافة أعضاء الأسرة. وكنت أعلم أنه كان سلفياً يقرأ ما كتبه الشيخان محمد عبده ورشيد رضا. كان حتى العقد الخامس من القرن العشرين يتجر بالسوق الكبير في حانوت يبيع فيها الحناء. وتوفي حوالي سنة 1368 / 1948.

ع. ابن زيدان، العز والصولة، 2: 150-151؛ عبد الغني سكيرج، مذكرة الزبير سكيرج، 1850، 1932، مجلة دار النيابة، العدد 8 ص. 28 وما بعدها؛ م. المنوني، مظاهر نقطة المغرب الحديث، ج. 1 ص. 147؛ مصطفى بوشعرا، الاستيطان والحماية، ج. 2 ص. 826؛ ج. 4 الباب الرابع عشر، من ص. 1335 إلى ص. 1385؛ التعريف بيني سعيد السلاويين، ج. 2 ص. 163-165-167-186-188؛ مجلة الوثائق، ج. 3 ص. 442 و494؛ الكناش 2720 (خ ع) ص. 194-195؛ وثائق مكتبة تطوان؛ الوثائق الملكية؛ الوثائق البنسعيدية؛ الوثائق الصبيحية؛ وثائق الخزنة العامة بالرباط.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome 4, p. 97.

مصطفى بوشعرا،

### حَسِيَّانُ الذِّيَابِ، (أحساء، الذئاب) مركز منجمي

صغير يقع في شمال الهضاب العليا على بعد حوالي 60 كلم غرب مدينة عين بني مطهر بإقليم جرادة. ولقد كان في الأصل عبارة عن نقطة ماء (حسني) يرتحل حولها مربيو الماشية قبل أن يكتشف بجوارها على بعد حوالي نصف كيلو متر (راس محمد) حقل من العروق المعدنية سنة 1930، وفي سنة 1947 عشر على معدن "الثلفرام" مما أدى إلى إنجاز العديد من الأشغال المنجمية من بحث واستغلال إلى حدود سنة 1954 حيث تم إغلاق المنجم. ومنذ ذلك الحين تراجع هذا المركز ليعود إلى وظيفته الأصلية وهي تزويد الرحل بالماء، ولم تبق به إلا بضعة مساكن ريفية تعقد حولها سوق أسبوعية أيام الجمعة إلى أن أصبح مركزاً لجماعة قروية اقتطعت من جماعة المريجة تحت إسم أولاد

غزّيل، وقد بلغ عدد سكانها 5596 نسمة سنة 1994 وأغلبهم من الرجل. ويتزايد استقطاب هذا المركز للسكان حالياً إذ تم تزويده بالكهرباء، ويُني فيه مؤخراً مجمع سكني ومركز صحي.  
بحث ميداني.

عبد الرحمان المرادجي

**حُسيْسَن**، أسرة تطوانية قصريّة، لا يعرف بالضبط أصلها الحقيقي، والمؤكّد أنها توجد في المنطقة الشمالية الغربية في المدن والبوادي، فهي موجودة في بني صالح قرب تطوان، وفي مدشر أعنان ببني سعيد بين تطوان ووادي لار. كما توجد بقبيلة اغزاوة.

وفي سنة 1320 / 1902 هاجر رجلان من آل حُسيْسَن إلى مدينة القصر الكبير هما الأخوان عبد الرحمان وعبد السلام حُسيْسَن. واتصلا بأسرة شعشوع التي تصاهر معها هذا الأخير. وما زال حيا بمدينة طنجة عن عمر يناهز 116 سنة.

اشتغل آل حُسيْسَن في القصر الكبير بالتجارة والعقار. وكلهم ينتمون إلى الحاج عبد السلام حُسيْسَن، الذي أصبح بعد وفاة أخيه عبد الرحمان من أكبر أغنياء المدينة، وبسبب ذلك أطلق اسم "حُسيْسَن" على عدة أحياء منها : - دوار الحُسيْسَن في القصر الكبير الذي هو اليوم جزء من حي الأندلس. وغرسة الحُسيْسَن التي تحتوي على دار تحمل نفس الاسم بنيت حوالي سنة 1355 / 1936. وفي طنجة أيضاً حومة الحُسيْسَن التي ينطلق منها شارع بلجيكا.

والحاج عبد السلام حينما كان في القصر الكبير كانت له علاقات تجارية مع كثير من الدول، مثل : إنجلترا والصين وفرنسا والجزائر، ولديه وثائق تجارية مهمة عن هذه الفترة.

م. داود، مختصر تاريخ تطوان، ج 1، الباب السابع حرف ح 334 : معرفة شخصية وروايات شعرية.

محمد أخريف

**الحسبيكة، محمد بن علال الفطاويكي ثم المراكشي،** من أشياخ الملحن ويعرف أبوه علال باخشاش (ت. 1389 / 1969).



وُلد الحسبيكة بحومة باب الدباغين بمراكش سنة 1344 / 1925 ودخل الكتاب في بداية الثلاثينات ثم التحق بمدرسة "الحياة" الحرة حيث أخذ قسطاً من التعليم قبل أن يلتحق بدار الدباغة مع أبيه.

كان الحسبيكة إلى جانب عمله في الدباغة مواظباً على مشاركة زملائه الحرفيين في حفلات "النزاهة" التي كانوا ينظمونها كل يوم جمعة بالبساتين المجاورة للمدينة. وقد أتاحت هذه الحفلات الأسبوعية تألق المترجم في ميدان الملحن إلى جانب صديقيه بلحمجوب صرفاق ومحمد ناموس. جمع قصائد في الملحن ورحل إلى المدن المغربية التي لها علاقة بهذا الفن كفاس والرباط وسلا ومكناس وتارودانت والراشدية وأسفي وذلك منذ أواخر الأربعينات، حيث اتصل برواد الملحن وروى عنهم القصائد النادرة، وبعد فترة توقفت دامت حوالي خمس سنوات بتأثير من والده استأنف نشاطه عام 1377 / 1957، وساهم في تأسيس جمعية لرواد الملحن بمراكش باسم "جمعية هواة طرب الملحن".

ومنذ سنة 1970 ساهمت عدة عوامل في تطور نشاط المترجم خاصة انقسام الجمعية في هذه السنة على إثر انفصال مجموعة من الأعضاء برئاسة محمد بن عمر الملحوني في إطار جمعية "الجيلالي متيرد". وقد التحق الحسبيكة بالمعهد الموسيقي بدار السي سعيد بروض الزيتون لتدريس مادة الملحن، واستمر في أداء مهمته بعد انتقال المعهد إلى مقره الجديد بجنان الحارثي بكيكيز.

قام الحسبيكة بمجهود كبير في جمع القصائد ونسخها وحفظها منذ بداية شبابه إلى أواخر حياته، وساعده على ذلك معرفته بقواعد اللغة العربية وخطه الجميل وتذوقه لأوزان الشعر، وقد مكّنه ذلك من إتمام عدد من القصائد المتبورة و"تنقية" قصائد أخرى.

ورغم اهتمام المترجم بالجمع والنسخ والحفظ والإنشاد يلاحظ أنه لم يهتم بالنظم إلا في أواخر حياته حسب ما نعلم. ومن القصائد التي نظمها قصيدتان في إطار العرشيات بمناسبة الذكرى الفضية لمحمد الخامس، وأولاهما في قياس "الوردة" تتركب من ستة مقاطع، المقاطع الخمسة الأولى كل منها يضم خمسة أبيات، بينما المقطع السادس يضم ستة أبيات، عشرنا عليها ضمن الوثائق الخاصة بخزانته. أما القصيدة الثانية فهي في قياس "محبوب القلب".

توفي محمد الحسبيكة بمراكش يوم الثلاثاء خامس ذي الحجة عام 1411 / 11 يونيو 1991 وأقبر بروضه باب أغمات وراثه بعض رفاقه الأشياخ بقصيدة عدد فيها مواهبه وأعماله في ميدان الملحن.

مقابلات شخصية، الوثائق الخاصة المحفوظة بخزانة المترجم : صالح الشرقي، أضواء على الموسيقى المغربية، ص. 45.

المكي مريني



نهاراً ويرجعون مساءً إلى قبائلهم. بينما بدأ تزايد السكان الإسبان الذين يفدون إليها من الأندلس ومن شمال إسبانيا ببعض عائلاتهم وكونوا أحياء تجارية وحرفية بالمدينة.

وقد تعرضت المدينة لكارثة طبيعية غيرت من حياة التجمع السكاني بالمدينة، إذ شهدت المدينة ليلة 21 صفر عام 1369 / 13 ديسمبر 1949 رياحا شمالية عاتية أتلفت عدداً كبيراً من المنازل الهشة وأغرقت جميع المراكب الراسية في الميناء الذي بناه الإسبان.

ولما استقل المغرب سميت المدينة باسم "الحسيمة" الذي كانت تحمله جزيرة النكور المحتلة من طرف الإسبان والستمد - بتحريف - من اسم مدينة المزمة القديمة كما رأينا.

عرفت مدينة الحسيمة بعد الاستقلال نمواً ديمغرافيا سريعا حيث انتقل عدد سكانها من 18.686 نسمة سنة 1971 إلى 41.662 نسمة سنة 1982، وإلى أكثر من 65.000 نسمة حالياً. وأغلب سكان المدينة ينتمون إلى القبائل الريفية المجاورة. كما كانت المدينة تضم إلى عهد قريب طائفة من الإسبان الذين فضلوا المكوث في المدينة بعد الاستقلال وطائفة يهودية، لكنهم غادروا الحسيمة في اتجاه إسبانيا أو في اتجاه إسرائيل.

ونظراً للهجرة القروية التي تعرفها الحسيمة منذ السبعينات فإنها عرفت توسعاً مجالياً الأمر الذي جعل قطاع البناء يشهد حركة قوية قصد الاستجابة لحاجيات السكان خاصة من طرف العمال المهاجرين إلى الخارج، مما أدى إلى ارتفاع مهول في ثمن الأرض نتيجة قلة الأراضي من جهة والمضاربة العقارية من جهة أخرى. كما ارتبط هذا التوسع العمراني بتوافد الموظفين المثقلين لمختلف الوزارات والإدارات والشركات بعد أن أصبحت الحسيمة عاصمة الإقليم.



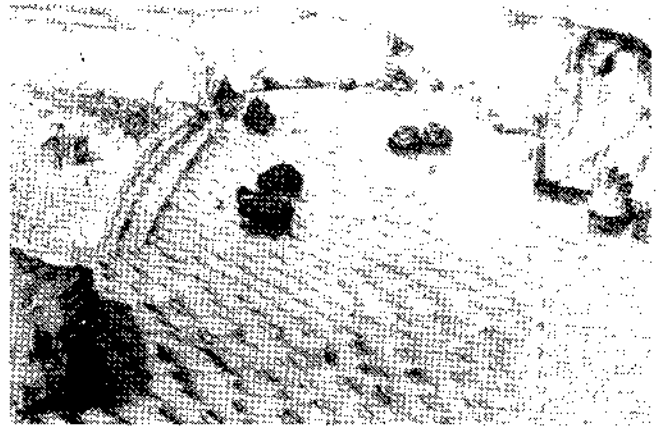
الحسيمة (هسانخورخو) سنة 1934

ومع ذلك فإن الحسيمة تعاني من مشاكل متعددة، وبقي أفق نموها اقتصاديا واجتماعيا محدوداً في ظل

الحسيمة، مدينة على ساحل البحر المتوسط في الجزء الأوسط من منطقة الريف يحدها شمالاً البحر المتوسط وغرباً قبيلة بقبوة وشرقاً قبيلة قسمان وجنوباً قبيلة بني ورياغل.

ويحكم موقع المدينة الساحلي توجد تحت هيمنة المناخ المتوسطي حيث الاعتدال طوال السنة. ويبلغ معدل كميات الأمطار ما بين 300 مم و400 مم في السنة.

تقع الحسيمة الحديثة في موقع مدينة "المزمنة" التاريخية وهي من أولى المدن التي أسسها العرب بالمغرب في عصر الفتح الإسلامي" (المغرب، 124).



مرسى الحسيمة سنة 1667

اقترن إنشاء مدينة الحسيمة ونموها بدخول الاستعمار الإسباني إلى منطقة الريف الأوسط مع بداية سنة 1345 / 1926 م. بعد انتهاء حركة المقاومة العنيفة التي خاضها الريفيون بقيادة محمد ابن عبد الكريم الخطابي، وسموها "جبل ملموسي"، غير أن هذا الاسم لم يعمر طويلاً وتغير ببيياً سان خورخو (Villa Sanjurjo) نسبة للجنرال سان خورخو الذي نزل بالقوات الإسبانية في منطقة الريف الأوسط.

ومنذ سنة 1349 / 1930 وُضع أول تخطيط للمدينة الجديدة من طرف الضابط المكلف بالشؤون الأهلية دون إيليو بلانكو إزاغ (Don Emilio Blanco Izaga) الذي راعى فيه التقاليد الريفية. حيث شرع في بناء حي وسطي يتكون من قصريات وفندق وحمام ومسجد وسوق ومحكمة ومحل للصناعة التقليدية ومستشفى وسجن ومدارس إسبانية - ريفية. ومن هذا الحي التجاري والعسومي تفرعت باقي البنايات المستقلة.

واللافت للانتباه أن المدينة إلى غاية الأربعينات لم تعرف أي ساكن ريفي من القبائل المجاورة باستثناء بعض التجار والعمال الذين يتعاملون مع الإسبان يشتغلون بها

الظروف العامة الراهنة. اللهم إذا أعطيت لها الأهمية في إطار مشروع تنمية المنطقة الشمالية، نظراً لما تتوفر عليه من إمكانيات مهمة خاصة في المجال السياحي.

\* \* إقليم الحسيمة أُحدث سنة 1379 / 1959 بمقتضى الظهير الشريف الصادر في 6 دجنبر 1959 المعدل الظهير 13 أكتوبر 1956. وأصبح الإقليم يتكون من جماعتين حضريتين وتسع عشرة جماعة قروية موزعة كالتالي :

بلدية الحسيمة : جماعة حضرية  
دائرة تارغيست : جماعة حضرية + 8 جماعات قروية  
دائرة أجدير : 8 جماعات قروية  
دائرة بني بوفراج : 3 جماعات قروية

ويضم الإقليم إحدى عشرة قيادة وغرفتين مهنتين لقطاعي الفلاحة والتجارة والصناعة. وبناء على القانون رقم 128 المتعلق بمراجعة التقسيم الجماعي بتاريخ 16 يونيو 1987 نظراً للنمو الديمغرافي الذي عرفه الإقليم تمت عملية إعادة تقسيم إقليم الحسيمة إدارياً على النحو التالي :

الدوائر	القيادات	الجماعات الحضرية والقروية
-	-	الحسيمة (بلدية)
-	-	بني بوعياش "
-	-	امزورن "
-	-	تارغيست "
بني بوفراج	بني بوفراج	بني بوفراج
-	-	استادة
-	-	بني كميل مكصولين
بني ورياغل	أربعا - توريرت	بني كميل
-	-	شقران
-	-	أربعا - توريرت
-	-	تتغوين
-	-	بني عبد الله
-	-	زاوية سيدي عبد القادر
-	-	بني حذيفة
-	-	أيت يوسف
-	-	أوعلي
-	-	امراضن
-	-	ازمورن
-	-	ارواقي
-	-	أيت قمر
تارغيست	بني عمارت	سيدي بوزنيب
-	-	بني عمارت
-	-	عبد الغاية السواحل
-	-	مولاي أحمد الشريف
-	-	إساكن
-	-	كتامة
سيدي بوقيم	سيدي بوقيم	كتامة
-	-	زرقت
-	-	بني بونصار
-	-	بني بشير

وقد وقع تغيير في هذا التقسيم بناء على القانون الصادر بوضع ومراجعة اللوائح الانتخابية العامة وتنظيم انتخاب مجالس الجماعات الحضرية والقروية رقم 90. 92. 1 بتاريخ 9 ذي الحجة 1412 / 11 يونيو 1992.

تبلغ مساحة إقليم الحسيمة نحو 3555 كلم<sup>2</sup>. يحده من الجهة الشمالية البحر المتوسط، ومن الجنوب إقليم تازا وتاونات، ومن الشرق إقليم الناظور، ومن الغرب إقليم شفشاون وتغطي الغابات مساحة 95.400 هكتار.

وقدرت ساكنة إقليم الحسيمة سنة 1982 بـ 311.298 نسمة منهم 59.490 يعيشون في الوسط الحضري و251.808 بالوسط القروي.

ومن خلال نتائج الإحصاءات السكانية لبلدية الحسيمة ودوائر الإقليم نلاحظ أن 76٪ من سكان الإقليم يعيشون بدائرتي بني ورياغل وتارغيست، بينما سجل تراجع سكان دائرة بني بوفراج بنسبة 10.5٪ نسمة سنة 1982 بالمقارنة مع سنة 1971 التي كانت تصل نسبتهم إلى 12.7٪ نسمة. وهذا راجع إلى الهجرة القروية.

أما بالنسبة لمدينة الحسيمة فقد عرفت نمواً مطرداً في عدد سكانها إذ أصبحوا يمثلون سنة 1982 نسبة 13.4٪ من مجموع سكان الإقليم. وهذا التطور راجع إلى هجرة سكان القبائل المجاورة لها.

ويخصر النشاط الاقتصادي للإقليم يعتمد على النشاط الفلاحي بالدرجة الأولى إذ يعتبر مصدر الدخل الرئيسي للسكان بسبب انعدام بنية صناعية في الإقليم. كما أن الفلاحة تواجه بعض المشاكل الطبيعية. فبالإضافة إلى أهمية المناطق المرتفعة غير الصالحة للزراعة يبرز كذلك مشكل الماء الذي يعود إلى ظاهرة الجفاف وعدم انتظام التساقطات. وهذا ما يجعل الأراضي الصالحة للزراعة لا تتعدى 123.200 هكتار من مجموع المساحة. كما أن النسبة العقارية السائدة بالإقليم والأساليب التقليدية المستعملة تجعل المردود الفلاحي ضعيفاً بالمقارنة مع باقي المناطق المغربية.

وتحتل الحبوب المرتبة الأولى من حيث المساحة، فالشعير يشغل 63٪ والقمح الطري 27.4٪ والقمح الصلب 9.4٪ ثم الذرة 0.2٪ من الأراضي المزروعة. ويكتسي قطاع تربية الماشية أهمية على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي إذ يعتبر المحرك الأساسي لبعض القطاعات المنتجة كالصناعة التقليدية التي تزود بالمواد الأولية كالصوف والجلد، ويبلغ قطع الإبقار 36.955 رأس وقطيع الأغنام 37.300 رأس وقطيع الماعز 65.517 رأس حسب إحصاء مديرية الحسيمة سنة 1991.

ويُعد قطاع الصيد البحري العمود الفقري لاقتصاد المنطقة لكونه يحتل مكانة مهمة في نشاط غالبية السكان ويساهم بشكل ملموس في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للإقليم. كما يلعب دوراً أساسياً في تغذية السكان. غير أن

القطاع أصبح يعيش مشاكل نتيجة قلة الثروة السمكية وارتفاع ثمن السمك مما انعكس سلباً على غالبية السكان. وفي المجال السياحي تبقى البنية الأساسية لهذا القطاع جد ضعيفة رغم ما تزخر بها المنطقة من مقومات طبيعية تؤهله لأن يكون قطبا سياحيا مهما. فشواطئه تعتبر من أجمل شواطئ المغرب. إلا أن الإقليم لا يتوفر على فنادق شاطئية تسمح للسياح الأجانب بالتوافد عليها، بالإضافة إلى قلة المحاور الطرقية التي تصل إلى الشواطئ والمرتفعات والمآثر التاريخية.

وبسبب هذه العزلة نشطت حركة الهجرة منذ الستينات خاصة إلى أوروبا ثم إلى بعض المدن المغربية كطنجة والرباط والدار البيضاء.

عبد الرحمان الطيبي، المجتمع بمنطقة الريف قبل الحماية، د. د. ع. ج. 1: وزارة الداخلية والإعلام، عمالة إقليم الحسيمة؛ وثائق المديرية العامة للصناعات الحولية؛ وزارة السكنى والتعمير، تعداد السكان 1982، مديرية الإحصاء بالحسيمة.

Juan Roman, *Fragmentos sobre Al Hocemas*, Melilla, 1994.

عبد الرحمان الطيبي

ابن حسين، أحمد التطواني، ويُنطق به ممدوداً في لهجة تطوان وما إليها: "ابن حسان" الفقيه العالم العلامة المعدل المفتي المدرس. أخذ عنه المؤرخ سكينج فرائض مختصر خليل وأثنى عليه كثيراً، قال الفقيه الرهوني: وقفت على عدة رسوم عليها شهادته، وعدة فتاوى تدل على مكانته الفقهية.

وأصل هذه العائلة من قبيلة بني يزيد الريفية، ولهم مصاهرة مع عائلة أقبال الشهيرة بتطوان. وخصوصاً الأديب المفضل منهم فهم أحوال أولاده. توفي بعد عام 1218 / 1803.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، مخطوط، 6: 52؛ أ. سكينج، نزعة الإخوان في تاريخ تطوان، مخطوط، ص. 62.

محمد بوخيزة

حسين داوود بن أهارون، Hasin David ben Aharon أحد كبار الشعراء اليهود المغاربة باللغة العبرية، عاش بمكناس (1722-1792 م)، عارف بالأدب ومتمرس بقوانين الشعر على غط القصيدة التوراتية، البيوط (Le piyyut) (غناء ديني متداول خلال القرون الأولى للميلاد)، والعصر الذهبي الأندلسي، كما كان عارفاً بالعلاقة الوثيقة بين القصيدة والطرب الأندلسي.

خلف حسين داوود عدة مقطوعات جُمع الجزء الكبير منها في ديوانه تهيللا لدويد أي "مدح داوود" على شرف الملك الذي يُنسب له الزبور (زبور داوود). نشر في أمستردام سنة 1807، ثم أعيد طبعه عدة مرات من ضمنها طبعة الدار البيضاء سنة 1931.

يعرف الكاتب في المقدمة وبعض الصفحات من النص بالدوافع والأهداف للإبداع الشعري، وكذلك الصفات المطلوب توفرها في الشاعر وفي الشعر. والشاعرية هي بالأساس موجة نحو المقدس، الحب الرياني. وتصل مراراً إلى الدرجة الصوفية. وفي هذا الإطار أدخلت عدة قصائد شعرية له في طقوس الحفلات الدينية، وحفل الختان، والأعراس...

ومن ضمن مكونات مقدمته نجد بعض القطع ذات المدلول التعليمي مثلاً سفر مقومات شيل زياحيم (تدور حول القرابين المهداة لله) وهي قصيدة مكونة من 451 بيتاً. على طريقة القصيدة العمودية، تدور حول قوانين طقوس الذبح الحلال. وله مؤلف آخر وهو "تهيللا لدويد" (صلاة على داود) يلخص فيه قواعد الأخلاق والحياة الدينية كما دونها الربى يوسف قرروا في مدونته التي تحمل اسم "شولحان عروخ".

ومن جهة ثانية نجد الشاعر يغفل قصائد المناسبات على شرف الشخصيات المهمة، أو رثاء شخصية تستحق الذكر. وهكذا خلف داوود حسين عدة قينان (بكاتيات) في نفس سياق الشعر اليهودي الحزين. واحدة منها مخصصة لأحزان الطوائف اليهودية بالمغرب تحت حكم مولاي اليزيد (92). (1790). وكان يحب كذلك أن ينشد في عجائب الخلق والمخالف مثل قصيدته التي نظمها أثناء مروره بتاقيلالت عن واحة وادي زيز والتي حركت قريحة الشعر فيه.

حاييم الزعفراني، *Poésie juive en Occident Musulman*, Paris, 1977؛ بناييم يوسف، *Maikhe Rubbanam*, Jerusalem, 1931.

شمعون ليثي

ابن حسين، عهد الكروم التطواني اشتهر بالتدريس والعدالة وتعاطي الشهادة، وكان مقصوداً للفتوى في النوازل.

توفي بعد عام 1251 / 1835. أ. الرهوني، عمدة الراوين، مخطوط.

محمد بوخيزة

الحسين بن عهد الصومن الصودي، أمير وق الحظ في بعض المصادر بين اسمه واسم أخيه الأمير الحسن سابق الترجمة. ويبدو أن أهم ولايات الحسين هي إفريقية. وربما تولى على سجلماسة قبل ذلك مع إمكانية الحظ بين اسمه واسم أخيه الحسن (العبر، 6: 501) أما ولايته على إفريقية فقد حدثت بعد إعادة فتح قفصة سنة 576 من طرف أخيه الخليفة يوسف، ونظراً لأهمية هذه الولاية وبعدها عن مركز الدولة وإمكانية تعرضها للفتن أكثر من باقي الجهات، فقد وُزعت بينه وبين أخيه أبي موسى. وخلال اشتغال

مجهول، تاريخ الدولة السعودية التكميلية، ص. 95، ط الرياض : م. داود، مختصر تاريخ تطوان، ص. 38، ط تطوان.

**الحُسَيْنِي**، أسرة تطوانية شريفة تنتسب للحسين السبط بن علي بن أبي طالب. أصلها من قبيلة الأخصاس من مجشر الحارك، عمالة شفشاون، استوطنت تطوان قديماً وكانت تتولى الإشراف على الزاوية الرسونية بمركز تازروت بقبيلة بني عروس الجبلية وتطوان. ومنهم الشيخ الصالح عبد السلام الحُسَيْنِي من أخص أصحاب الشيخ علي بن محمد بن علي ابن ريسون والمشرف على زاوته بتطوان وتربية أبنائه وعلى رأسهم الشيخ ذائع الصيت السيد عبد السلام بن علي ابن ريسون صاحب مجالس الطرب والأمداح والعلم. نبغ من أفراد هذه العائلة الفقيه المجود حسن الصوت السيد عبد السلام الحُسَيْنِي، وابن أخيه الأستاذ الأديب الشاعر السيد عبد السلام بن عبد السلام (خمس مرات) الحُسَيْنِي وكانوا يُعرفون بالحسسي، ومنهم من يُدعى (ابن تامة) وهي كنية أحدهم قديماً. إلا أنهم بعد ذلك انتسبوا لجدهم الأعلى الحسين السبط وبه يعرفون الآن. ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء الأشراف من الفروع الحُسَيْنِيَّة القليلة بالمغرب. وهم غير الصقليين والعراقيين بفاس. وليسوا من حُسَيْنِي سبتة الذين اشتهر منهم الشريف ابن أبي رافع، فإن هؤلاء انقرض عقبهم كما قال النسابة سليمان الخوات.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، صك شجرة الشرف الحسيني، مخطوط : سليمان الخوات، السر الظاهر فيمن أحرز بفاس النسب الظاهر... ط حجر بفاس، ص. 75.

محمد بوخيزة

**الحشرات**، طائفة من الحيوانات المتعددة الخلايا، عديمة الهيكل العظمي وتنتمي إلى اللافقريات المفصليّة Arthropoda. تعرف بهذا الاسم في البلدان العربية اللسان وتسمى بالبربرية أبورغس ويجمع على بُورغس وأبوخو وأبخوش ويجمع على بُخشاش. تطلق كلمة بخوش على عدة أنواع من هذه الطائفة وتسمى بالفرنسية Insectes. أول من أطلق على هذه الكائنات كلمة Entoma هو أرسطو (384-322 ق. م) استعملت أزيد من قرنين، وكانت تضم أنواع العنكبوتيات وعديدات الأرجل والقشريات والحشرات. ومنذ ظهور التصنيف الذي مثلته أعمال عالم الطبعة السويدي ليني سنة 1788 إلى يومنا هذا، عرف تصنيف طائفة الحشرات تغيرات وتعديلات متعددة ومازال قيد المراجعة والتدقيق لكثرة تعقده.

يمر نمو الحشرات من عدة مراحل تطورية. فبعد التفقيس من البيض تصبح يرقانة، وبعد ذلك تتحول إلى عذراء أو خادرة وهو طور انتقالي بين الحشرة الكاملة

الجيش الموحدية بأحدث الأندلس في نهاية السبعينيات تحركت القبائل العربية بإفريقية واصطدم معها الواليان في منطقة قابس وانتهت المعركة بأسرها ثم افتكا بغدية قدرها ستة وثلاثون ألف مشقال زائفة (العجب) فتحرك أبو موسى عائداً إلى المغرب فوقع في أسر بني غانية بعدما احتلوا مدينة بجاية قادمين من جزر شرق الأندلس سنة 580 إلى أن فك أسره بعد ذلك. أما الحسين المترجم فاستقر بمدينة تونس (وسميه المراكشي أبا علي الحسن 1) ويسبو أن المذكور استمر على ولاية إفريقية إلى حركة يعقوب المنصور إليها سنة 583 وهي الحركة التي كانت بسبب عيث بني غانية في المنطقة مع حلفائهم من القبائل العربية خاصة وما جرى خلالها من هزيمة جيش المرينيين شمال بلاد الجريد في واقعة "عمرة" ثم انتقام المنصور لهذه الهزيمة في معركة الحسة وما أعقبها من نجاحه في إعادة فتح بلاد الجريد ومدينة قفصة. وعندما قرر العودة إلى المغرب سنة 584 ترك على ولاية إفريقية ابن عمه السيد عبد الرحمان بن عمر بن عبد المؤمن (انظر عبد الرحمان بن عمر).

ع. المراكشي، العجب، 271 : ابن عساري، البيان المغرب (ط. البيضاء) 110. 111. 139 : م. ابن عبد الملك المراكشي، النيل والتكلمة، ص 8 : 302 (ويسمى الوالي أبا علي الحسن بن عبد المؤمن 1).

أحمد عزاري

**ابن حُسَيْنَة**، المشير، مقاوم وكُد سنة 1338 / 1919 بأساً وانخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1376 / 1956 وعمل بالمقاطعة السابعة مركز أسا تحت مسؤولية السيد التاملك ايدي بن محمد.

بقي يعمل بكل نزاهة وإخلاص، وشارك في عدة معارك بصحراء المغرب منها أم العشار، الرشيوة، وأبلى بلاء حسنا في هذه المعارك. معارك الساقية الحمراء إلى أن استشهد بهذه الأخيرة في ساحة الوغى سنة 1379 / 1959.

**حُسَيْنُو**، أسرة عريقة بتطوان لا أعرف أصلها ومازالت موجودة موفورة العدد، كان منهم مقدمون مجاهدون أيام السعديين. ففي تاريخ الدولة السعودية أن المامون الشيخ السعدي بعد اغتياله المجاهد التركي (مراد برتقيش) المرباط بمدينة تطوان، ارضاءً لتصارى سواحل الأندلس وسبتة وجبل طارق الذين أقض مضاجعهم بانتصاراته فأهدوا للمأمون هدية نفيسة جزاء له على إراحتهم من عدوهم التركي، أبرم مع التصاري هدية لمدة أربعين سنة، وأمر بالكف عن الجهاد فامتثل بعض المقدمين منهم بعض أولاد (بو الليف) (وأولاد حسيينو) فسوزع عليهم أراضي للحرثة. ويوجد منهم الآن بتطوان كثير منهم حريون ومعلمون.

واليرقانة. يختلف الشكل ونمط العيش ومكان التطور بين الحشرات الكاملة ويرقانتها وخادراتها.

تتميز الحشرات بجسم حلقي يتكون من الرأس والصدر والبطن ومن زوائد متمفصلة تتمثل في الأرجل والسواري والملاقط، وهي زوائد متمفصلة منقسمة بدورها إلى عدة قطع تعرف بالفصلات، مفككة فيما بينها بما يكفي لتمكينها من إنجاز عدة حركات.

يحمل الرأس زوجة من القرون الاستشعارية وعينين مركبتين وثلاثة عيون بسيطة تقع في الطرف الأعلى من الرأس، وهذا الجهاز البصري المعقد يمكن هذه الكائنات من النظر حولها إلى جميع الجهات. يتكون الفم من فكين علويين وفكين سفليين يختلف تركيبها حسب العادات الغذائية لكل نوع. يكون الفم إما ماضغاً كما هو الشأن عند الجراد ووجعران ومعظم أنواع رتبة مغمدات الأجنحة، أو مصاصاً لدى أنواع الفراشات، أو لحاساً لدى الزنبور والنحل، أو لحاساً ومصاصاً في نفس الوقت عند أنواع الناموس (البعوض).

يحمل الصدر ثلاثة أجزاء يتوفر كل واحد منها على زوج من الأرجل مما يفسر تسمية الحشرات سداسيات القوائم. غالباً ما تكون قوائم الزوج الأول أصغر من باقي القوائم الأخرى، ويختلف شكلها حسب الأنواع لمواجهة متطلبات البيئة الطبيعية.

تتمفصل الأجنحة على الصدر بالنسبة للحشرات المجنحة، وهي أجنحة تتميز بخصائص مختلفة من حيث البنية والمظهر. إنها أجنحة غشائية مكونة من ورقتين صفيحتين تسري بها عروقه تعطي للجنح مظهر تشبيك غير منتظم. يتضاعف سمك الزوج الأول من الأجنحة ويقوم بوظيفة ترسيخ الأجنحة الحقيقية ووقايتها أثناء الاستقرار. تتوفر عدة أنواع من الحشرات المجنحة على أفراد مجنحة وأخرى عديمة الأجنحة، ويرجع هذا الاختلاف إلى التمييز الجنسي، وكثيراً ما يلاحظ هذا في أنواع الفراشات حيث تكون الذكور مجنحة والإناث منعدمة الجناحين. يرجع هذا الاختلاف أيضاً إلى الانتماء إلى طبقة معينة كما هو الشأن عند ملكة النمل من خلال التنظيم الاجتماعي.

يتكون البطن من قطع حلقيه متواصلة تلج فيها الأعضاء الحسية وأعضاء التناسل وفي بعض الحالات أعضاء الهجوم والدفاع كالمخس المتصل بالفهد السامة، وتوجد على بطن إناث بعض الأنواع حامل البيض الذي يقوم بوظيفة وضع البيض.

تنقسم طائفة الحشرات إلى مجموعتين كبيرتين هما سداسيات القوائم البسيطة أو اللأجنحية وتتمثل في أربع رتب، ومجموعة الحشرات المتطورة المعروفة بالمجنحة وتتمثل في خمس وعشرين رتبة. تتكون طائفة الحشرات على وجه اليأس من مليون نوع أي ما يعادل 80% من مجموع الحيوانات الفقرية والأفقرية، وهذه الوفرة تبين مدى أهمية

هذه الطائفة إلى جانب تعقيد بنيتها وأشكالها غير المتجانسة. أصنافها متوزعة في كل مكان، فمنها ما يعيش فوق الأرض، وأخرى طائرة في الهواء، وأخرى تعيش في الماء.

بدأت دراسة الحشرات في المغرب منذ أواخر القرن الثالث عشر (19 م) وما تزال مستمرة إلى يومنا هذا، ومعظم الأنواع محنطة ومعروضة في المتحف الوطني بالمعهد العلمي بالرباط. من بينها عدة أنواع يقتصر توزيعها الجغرافي العالمي على المغرب وحده.

أُحصي إلى يومنا هذا حوالي 12.000 نوعاً من الحشرات بداخل التراب الوطني، ويحتمل ارتفاع هذا العدد إلى 15.000 نوعاً. تنتمي هذه الأنواع إلى كل رتب طوائف الحشرات، من بينها سبع رتب مجنحة تضم لوحدها 11.000 نوعاً أي ما يعادل 90% من مجموع الأنواع المعروفة في المغرب. وهذه الرتب هي: مغمدات الأجنحة 4.000 نوع، الفراشات 2.200 نوع، غشائيات الأجنحة ومنها النحل والنمل والزنبور 2.000 نوع، مزدوجات الأجنحة ومنها الذباب والناموس 1.000 نوع، مختلفات الأجنحة 850 نوعاً، ومنها البق، متشابهات الأجنحة ومنها الصرار 450 نوعاً، مستقيمات الأجنحة ومنها الجراد والجندد 400 نوع. باقي الرتب الأخرى وعددها 22 تقتسم ما بينها ألف نوع في المغرب، ويحتمل ارتفاع عددها مستقبلاً نظراً لقلة دراستها وهي على التوالي:

- عديمات الأجنحة ومنها أربع رتب: البدائيات تتكون من 60 نوعاً والبدائيات المذنبية ومزدوجات الذنب عُرف منهما 40 نوعاً ودراستهما قليلة في المغرب. ثم رتبة المذنبات أو هديبات الأذنان ومنها قارضات الكتب ولاحسات السكر ولها حوالي 20 نوعاً.

- الحشرات المجنحة ومنها 18 رتبة: البيوميات أو اليأقوفات وسميت هكذا لأن الحشرة الكاملة تعيش زماً قصيراً لا يتعدى أسبوعاً بينما تعيش اليرقانات في المياه أزيد من سنة ومنها 22 نوعاً تعيش في المغرب. اليعاسب ومنها حوالي 60 نوعاً كل يرقاتها تعيش في الماء. الوردانيات ومنه بنت وردان (سراق الزيت) ويضم 80 نوعاً. متساويات الأجنحة ومنها الأرضيات (Termites) لا يتعدى عدد أنواعها في المغرب 10 تعيش كلها داخل مملكات ذات نظام اجتماعي محكم.

العصويات Phasmoptères ومنها حوالي عشرة أنواع. الجمانات أو اللؤلئيات Pléoptères ومنها 22 نوعاً تعيش كلها في المياه الجارية العذبة. ثاقبات الأذن Dermoptères ومنها 15 نوعاً. عصبيات الجناحين ومنها 80 نوعاً. شعرات الأجنحة ومنها 80 نوعاً. البرغوثيات ومنها حوالي 50 نوعاً في المغرب. القمليات Anoploures ومنها أقل من عشرة أنواع. هديبات الأجنحة ومنها حوالي عشرة أنواع.

ليس في الطبيعة أنواع من الحشرات يتغذى بها

الإنسان بينما توجد عدة أنواع نافعة وتلعب دوراً هاماً في الميدان الاقتصادي، ونذكر منها النحل ودوره في صنع العسل. توجد أيضاً عدة حشرات ضارة بالنباتات والفواكه والخشب وحياة الإنسان كذبابة الحبوب وذباب الفواكه والناموس ودوره في مرض الملاريا.

مصطفى شهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، بيروت.

M. Dakki, M. Arabou et M. Mouna, *Les Insectes. G.E.M., Faune, 1987* ; M. Ramdani et J.N. Tourenq, *Notes sur les chironomides de la merja Sidi Boughaba. Bull. Inst. Sci., 6, 1982, 179 - 185* ; F.S. Saba, K. S. Schluter, H. U. Fischer et Thewys, *Malafies et ravageurs des plantes cultivées au Maroc*, Rabat, 1976.

محمد خربوعة

## الحشاش ← الوكيل عبد المالك بن محمد الحشمي ← الجزائري، علي...

**الحصّاد**، العملية قبل الأخيرة من العمل الفلاحي الموسمي، يتم حصاد الحبوب في الواحات والمناطق الجبلية عن طريق الاقتلاع، وفي الاستغلاليات الكبيرة يتم بمعناه التقني إما عن طريق الحمل المأجور باستئجار الحصادين مقابل أجره عينية أو نقدية، أو عن طريق التضامن ما بين القبائل في ما عرف بعد باسم (التبوية)، وفي العمل المأجور يخرج الحصادون جماعات لقطع السنابل بالمناجل تحت إشراف صاحب الفدان ووفق رغبته، يبدأ العمل جماعياً من طلوع الشمس إلى ما بعد الزوال أي في الفترة التي يكون فيها الجو معتدلاً ويتفق أصحاب الفدادين عادة مع الحصادين على التسمين وطريقة أداء الأجر (التشوف، 101، 102، 103، 111، 113، المعيار، 8، 137 و138 وما بعدها) والملاحظ أن عنصر العبيد أو العمال الزراعيين السود قد تطورت خبرتهم بالعمل الزراعي منذ أن أدخلهم المرابطون إلى المغرب كعبيد الخدمة أو رعاة (نظم الجمان، 211 و242؛ التشوف، 119، 245 و248).

تتم عملية الحصاد في الأراضي الجماعية عن طريق التوزيع تناوبية بين القبائل أو العائلات، ويتطوع شباب قرية أو عدة قرى أو قبيلة لحصاد فدان العجزة والأشخاص المسنين أو المنتصرة والصلحاء (التشوف، 111 و113).

كان الاتفاق هو أساس التعامل ما بين الحصاد وصاحب الفدان وتخضع شروطه إلى قانون العرض والطلب، فعند كثرة الحصادين تتدنى الأجر وتصبح شروط صاحب الفدان هي الغالبة، والعكس في حالة قلة الحصادين؛ ففي العصر الوسيط كان التعاقد الغالب هو (المقاطعة) أي يتم الاتفاق بين صاحب الفدان والحصادين على (الحصاد والجمع والنقل) مقابل جزء محدد من المحصول وأحياناً مقابل التبن أو اللقطة (أي التقاط ما سقط من سنابل الفدان) إلى غير

ذلك من الأشكال التي اختلفت حسب الظروف والفترات التاريخية، من ذلك مثلاً أن اللقطة (أو الالتقاط) في السنوات الخصبية تكون مباحة للجميع خاصة للفقراء، وفي السنوات العجاف تصبح اللقطة أجرة للحصاد أو للدارس أو الحراث... أو تُوقف لأعمال الخير. (المعيار، 8، 265، 266)؛ في العصر الوسيط كانت عملية تنقية الحبوب والفدادين من الأعشاب الضارة التي تسبق عادة عملية الحصاد تكلف بها النساء مقابل أجره نقدية أو عينية يومية أو إلى أجل الحصاد وجمع المحاصيل، وفي غالبية الاستغلاليات الكبرى كانت العملية تتم مقابل اللقطة أي السماح لأصحاب ذلك العمل بالتقاط السنابل التي تسقط بعد الحصاد، وأحياناً تتم العملية مقابل ما يجمه العسال من عشب وحشيش خاصة في الاستغلاليات المجاورة للمدن.

لم تعرف أدوات الحصاد تغييراً منذ التاريخ القديم وإلى الآن في مناطق الفلاحة التقليدية، فالمنجل مازال على حاله وشكله (التشوف، 85، 103؛ المقصد، 141) ثم أغطية الأصابع من أعواد الذقلى المجوفة أو من قصب توضع على الأصابع اليد اليسرى وقاية لها من ضربات المنجل الطائشة.

عرف عن الحصادين حشرتهم وغلظتهم في المعاشرة بينهم وفي التعامل مع أصحاب الفدادين، فانعدام الثقة بين الطرفين هي الغالبة، ويضرب بهم المثل في عدة مناسبات، مثل الأكل الشره (ماكلت الحصادة) ومن ذلك ما رواه صاحب التشوف عن أبي جليل يعلى من أهل فاس (ص. 101-103) : "... فأنصرف إلى مدينة فاس فلما قرب منها وقد أصابه جوع شديد أبصر الحصادين قد سبقت لهم ثردة الفول بالسمن، فاستولت عليه شهوة الطعام ومالت به رائحته، فقال في نفسه : أنا أسمر وهؤلاء الحصادون من جنسي فلعلهم يدعوني للمؤاكلة معهم، فمال إلى جهتهم فصاحوا عليه وانتهروه".

من المناطق التي اشتهر أهلها بالبراعة في الفلاحة منذ القديم وإلى اليوم جبال الريف، واشتهر منهم في ميدان الحصاد على الخصوص جباله فالي وقت قريب، أي قبل انتشار المكننة بشكل واسع، كانوا يكتسحون السهول الأطلسية والداخلية في موسم الحصاد ابتداءً من أواخر شهر ماي، فكانت الأسواق الأسبوعية في البوادي تعج بهم. ي.

ابن الزيات، التشوف، الرباط، 1958؛ أ. الوشيري، المعيار، بيروت، 1981؛ البادسي، المقصد الشريف، الرباط، 1982؛ ابن القطان، نظم الجمان، تطوان، د. ت؛ محسد الطويل، الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، د. د. ج. كلية الآداب الرباط، 1988؛ بحث ميداني في قبائل الشاوية.

محمد حجاج الطويل

**الحصبة**، مرض طفحي من الأمراض المعدية التي

1134	1941
1254	1942
1812	1943
2444	1944
2555	1945
2030	1946
3201	1947
3947	1948
2412	1949
6433	1950

ولا تمثل الإحصاءات المسطرة داخل هذا الجدول، باعتراف من اعتمادها، سوى نسبة قليلة بما كان عليه الأمر من خطورة داء الحصبة واتساع رقعة انتشاره. فعدد المصابين من المغاربة بهذا الداء، ومعظمهم من الأطفال، لم يكن يقل عن 24.000 سنويا، كما أكد ذلك الدكتوران Gaud وHendler في دراسة لهما سنة 1950، عن داء الحصبة بالمغرب. وكان الموت يحصد ما بين 10 و20٪ من عدد الحالات، بمعنى أن تأثير الحصبة بالمغرب كان خلال فترة الحماية، مضاعفا بعشرين مرة، عما كان عليه الحال بفرنسا في تلك الفترة.

ويظهر من خلال الجدول، وكما سبقت الإشارة إلى ذلك، أن طائفة الحصبة كان يلم بالمغاربة كل سنة. كما لو كان من الأدوية المترطنة بهذا البلد. وتظهر دراسة Gaud وHendler المذكورة، أن داء الحصبة كان يدهم البلاد في بعض السنوات على شكل زخات وبائية لا تتوفر احصائيات حقيقية بشأنها، كما كان الحال في السهول الأطلنطية سنوات 1935 و1937 و1938 و1944 و1947، والأطلس المتوسط في سنتي 1942 و1946، والأطلس الكبير سنتي 1939 و1947، وتافيلالت في 1938 و1947 وورزازات في سنة 1940.

كيف كان المغاربة يعالجون الحصبة ؟ استخدم المغاربة في علاج المصابين منهم بالحصبة وصفات بقي بعضها يستعمل، ربما إلى يومنا هذا، في بوادي المغرب، وتتجلى في تغطية المريض أو رأسه بغطاء أحمر، أو تبخير المريض بشعر الماعز، وأحيانا بشره لقليل من العسل. وعمد بعض الناس في ذلك إلى طبخ كروش البقر أو الغنم مع كميات من الكسبرة والكرفس، فيشرب المريض من طبخها ويُدثر بكثير من الأعطية ليعرق.

ولا يمكننا الجزم بفعالية هذه الوصفات أو عدم نجاعتها في علاج الداء، ولو أن كثيراً ممن تم استجوابهم في هذا الباب، كانوا يشقون في تلك الوصفات وخاصة الأخيرة منها. وقد بقي هذا الداء يبعث في المغاربة حتى بعد فترة الحماية، ومجيء الاستقلال، حيث تخيرنا الدكتورة نعيمة لدور البوعزاوي في كتابها عن أمراض الأطفال أن داء

تصيب الأطفال بنسب كبيرة، يُسمى في المغرب بوحمرورن بالعربية الدارحة وبوزگانغ بالبربرية. وقد وصفه الرازي بأنه داء يعطي للجلد لونا أحمر وبنفسجيا، وهو مرض خطير وقاتل.

تشح المعلومات حول داء الحصبة في الفترة السابقة للحماية الفرنسية، فلم يرد له أي ذكر لدى ما اطلعنا عليه من مؤلفات مؤرخينا وإخباريينا. وقد درس الأطباء الأوربيون الذين توافدوا على المغرب غيب توقيع الحماية، داء الحصبة وانتبهوا إلى ما كان يشكله من خطر على صحة أبناء جنسهم ومن يعيش قريبهم من المغاربة، فجعلوه منذ البداية في قائمة الأمراض ذات الإعلان الإيجابي. ثم حاولوا أن يهينوا له من وسائل العلاج ما يحد من استشرائه وانتشار عدواه. غير أن محاولاتهم في هذا الباب لم تُجد نفعاً، حيث عجز الكبار من هؤلاء الأطباء عن علاج الحالات التي كانت تتوافد على المستوصفات بالمدين، أو على خيام الوحدات الصحية المتنقلة بالبروادي، فعدل المغاربة عن الذهاب بالمصابين منهم بالحصبة إلى الطبيب، وبلغ الأمر بالكثيرين منهم إلى حد الاعتقاد بأن هذا الداء يستعصي على العلاج. وأنه سيصيب الجميع بشكل جنمي، ثم ينزاح دون علاج.

وكم كان اندهاش الفرنسيين كبيرا أثناء تفصياتهم حول هذا المرض من الأجوبة التي كانوا يتوصلون بها من المغاربة، ومعظمها عبارات تنم عن استخفاف بهذا المرض وتقليل من شأنه، مثل "كيف والو" أو "لاشي" أو "إنه بوحمرورن فقط"، مع أن له مضاعفات خطيرة كالتهاب القصبات والرئة والتهاب الأذن ومضاعفات معوية وعصبية أخرى. لذلك عاث داء الحصبة بشكل كبير في المغاربة خلال فترة الحماية، وخاصة الأطفال منهم، حيث كان يطرق البلاد كل سنة، كما يوضح ذلك الجدول التالي :

السنوات	عدد حالات الحصبة
1927	1756
1928	1985
1929	1723
1930	1498
1931	1640
1932	2404
1933	2679
1934	1819
1935	2206
1936	1715
1937	1987
1938	3008
1939	2483
1940	3988

الحصبة تسبب فيما بين 1957 و 1970 في 1.110.000 حالة وفاة بالمغرب.

وتجدر الإشارة ونحن نختم حديثنا عن داء الحصبة إلى وجود نوع آخر من الحصبة يسمى الحميراء أو الحصبة الألمانية La Rubéole، وهي تشبه الحصبة كما تحدثنا عنها، وخطورتها تكمن في ما يلحق الجنين من تشويه كالصمم والبكم، عندما تصاب بها المرأة الحامل في الشهور الثلاثة الأولى.

د. عثمان الكاديكي، الأمراض المعدية : د. فرج محمد الهوني،

تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية : الرواية الشفوية.

H. Bardon, Contribution à l'étude épidémiologique et clinique de la rougeole au Maroc. A.H.M., N° 3 - 4, Tome XI, 1951 ; Gaud et Hendlér, La rougeole au Maroc. B.I.H.M., N° 3 - 4, Tome X, 1950 ; N. Lamdouar Bouazzaoui, Maladies infectieuses du nouveau-né, du nourrisson et de l'enfant. Rabat, 1989.

برجمة رويان

**الْحَصْبَةُ** نوع من غناء العَيْطَةِ يدعى أيضا الحصباي نسبة إلى منطقة الحصبة التي تقع شمال أسفي بثلاثين كلم على الطريق الرابطة بين أسفي والجديدة عبر دكالة وقسم من قيادة الربيعية. وإلى هذه المنطقة يرجع ظهور فن العيطة الحصبائية التي تعتبر من أصعب العيوط من حيث العزف والإيقاع والأداء. بحيث لا يمكن لأي فنان أن يؤدي فن الحصبة باستثناء شيوخ الحصبة، وقد انتقلت عدة عيوط من الحصبة إلى المرسي، تغيرت وأصبحت مطبوعة بطابع جديد. تمتاز عيوط الحصبة من حيث الشكل بكونها جد طويلة، وأطولها "الرادوني" أو "برغالة" وتتكون من تسعة فصول، وأقصراها تتكون من خمسة فصول مثل "كبت الخيل". أما من حيث الأدوات فإنها تمتاز بحفاظتها على الآلات الأصلية كالسويسدي والگنتيري والشعريجة. وبخصوص الموضوعات نجد أنها متنوعة بحيث تختلف من المجال العاطفي إلى مجال الهجر، ومن الاختلاجات النفسية إلى الفروسية ثم الصراع مع السلطة وغير ذلك مما يرتبط بحياة الإنسان وبالأحداث التي تقع له.

تعتمد الحصبة من الناحية الفنية على الإيقاع أكثر من النقع، وعلى الكلمة أكثر من الرنة الموسيقية، وعلى الصوت الذي يجب أن يوفر مختلف الطبقات الصوتية. من جهة أخرى نجد هذا النوع من العيطة بقي محصوراً في منطقة أسفي نظراً لصعوبة تناوله كما ذكرنا، ولا نجد يتناول في مجالات العيطة الأخرى كالمرسي أو الحوزي أو ورديفة.

ونجد من أهم شيوخ هذا النوع مثلاً الشيخ مصطفى ولد الضوء والبدري والدعماحي وعبيدة.

تضم الحصبة العديد من العيوط أهمها الرادوني أو البرغالة وهي أطول العيوط إذ تتكون من تسعة فصول، ونجد من باقي العيوط :

وليتي ولتي، وهي من العيوط الميتة

كاسي فريد، وهي من العيوط الميتة كذلك

سيدي حسن، نسبة للسلطان الحسن الأول

اغريب في المحلة أو على قبلك بايتا عساسة

بين الجمعة أو بين الثلاث

ارجانا في العالي، أو الخادم

حاجتي في غريني، أو سيدي أحمد

كبت الخيل

خريوشة

العمالة أو ابا غلال ساجني

الواد يالتي ما عندو گرواد

وقد أخذت عيطة (ارجانا في العالي) اسم "الحصبة" لكونها كانت أول عيطة من منطقة الحصبة تم تسجيلها على شريط "45 لفة" سنة 1963 وبهذا تم ترويجها تحت اسم الحصبة.

أصبحت بعض الفرق حالياً تستعير بعض الفصول من هذه العيوط ثم تغني، وقد لقيت إقبالا كبيراً نظراً لعدولتها. وتتكون هذه العيطة من سبعة فصول "قاطبات" وست "حطات" وانصراف. ويفوق عدد الأبيات عشرة في كل قاطبة.

ونظراً لذلك التبادل والتلاقح الذي وقع بين مختلف المناطق المتجاورة مثل : الحصبة، المرسي أي منطقة في عبدة ودكالة. انتقلت هذه العيطة إلى منطقة الشاوية فأصبحت تدعى "ارجانا في العالي البيضاوية أو المرساوية ... وقع عليها الكثير من التغيير بحيث أصبحت تتركب فقط من فصلين وحطة واحدة وانصراف. الفصل الأول بطي، ويدخل ضمن المقدمة، والثاني إيقاع سريع ويدخل ضمنه الانصراف. ونظراً لقصر هذه العيطة فقد أدمج في إطارها وخاصة في الانصراف عيطة الكافرة وأغدر بي ... أما من حيث الأبيات فنلاحظ أن بعضها لازال يحتفظ بأصالته، وذلك بحكم وجودها في كل من العبدية والبيضاوية، وتبقى الأبيات الأخرى مطبوعة بطابع المرسي. وبالنسبة للإيقاع الذي تتخذه هذه العيطة فهو إيقاع لا يتغير منذ البداية حتى النهاية .. ويمكن استشفاف العديد من الملاحظات من خلال مقارنة نصوص عيطات الحصبة. ومن نماذج الحصبة.

ارجانا في العالي الحصبائية أو الحصبة أو الخادم

ارجانا في العالي غريب أو برانسي

الحصبة ولأفنة سوارتها عطابنة

راعسي للخساوة كلشي يفوت تبقى لعداوة

باب هيا ما يدوم حال يا سيدي

إدريس الإدريسي، كشف الغطاء عن سر الموبينقي ونتائج الفناء،

الرباط 1935 : ع. الجسراي، القصيدة، الرباط 1969 : م.

الكانوني، أسفي وما إليه : أ. الصبيحي، باكورة الزبدة، تعليق

عبد الرحيم العطاروي ومحمد ظريف، الرباط، 1994 : غلال

رگوگه، بعض الدلالات التاريخية من خلال العيطة، بيان اليوم

الثقافي 92.2.10 : نماذج من الزعري، 92.3.15 : الرواية الشفوية

في منطقة الحصبة.



وفي سنة 483 خرج الحُصْرِي من الأندلس راجعاً إلى المغرب فنزل بطنجة حيث اقتعد مجلس الإقراء وتصدر منصب التدريس بيت معارفه القرآنية بعدما اعتزل ركب الشعراء وأحرق أشعاره، وجعل القرآن شعاره... (مقدمة "اقتراح القريح") إلى أن هدأ الدهر من قواه، واجتمع إليه على كبر السن عماء، وضاق ذرعه، وتراجع طبعه، واستكان إلى الوحدة والحلوة، ونفض يده من الترحال (الذخيرة، 7: 246).

ترك الحُصْرِي مكتبة أدبية ذكر له منها المترجمون ما يلي : المستحسن من الأشعار : ولعلها هي المجموعة التي يسميها ابن قنفذ "كتاب القصائد" (الوفيات، 260) وهي مجموعة من القصائد نسجها في مدح المعتمد بن عباد. وقدمها إليه عند اجتيازه إلى طنجة سنة 484 هـ (المعجب، 211، 212) : المعشرات : جملة قصائد في الغزل والنسب رتبها على حروف المعجم، ومجموع أبياتها تسعون ومائتان، وربما كانت من وحي مأساته بفرار زوجه الشابة عنه وكان بها شغوفاً (المحليات، 1964 ع. 1 ص. 127) وقد اعتُبرت من "أروع ما عرفه الأدب العربي من أغاني الغزل الصافي الكتيب" وقد قام بطبعه المرزوقي والجيلاني في كتابهما عن الحُصْرِي، وأفاداً أنه أول من ابتدع نظم المعشرات : ديوان اقتراح القريح واقتراح الجريح : يشتمل على واحد وتسعين وخمسمائة وألفي بيت من الشعر موزعة على حروف الهجاء، كله في رثاء، ولد له مات صغيراً اسمه عبد الغني، ويرى الشاذلي تويجر أنه كتاب ضمه الحُصْرِي قسماً منشوراً وآخر منظوماً. وليس ديونا فحسب.

ديوان شعر قال عنه حسن حسني عبد الوهاب : "منه قطعة صالحة ضمن مخطوط في مكتبة الإسكوريال" (صدور الأفارقة، 5) : رسائل الحُصْرِي لم يبق منها إلا فقرات قليلة نشرها الأستاذان في كتابهما عن الحُصْرِي : أشعار أخرى متفرقة منها قصيدته السائرة "بالليل الصب" وقصيدة "سهم الشهم" فيها هجاء عصره وقربه ابن الطراوة.

وأما في علم القراءات فقد كان فيها "الأستاذ الماهر" و"الأستاذ الأعلى" و"شيخ القراء" وأهم ما يجلي منزلة الحُصْرِي القرائية هي ما تركه من مؤلفات في هذا الجانب المعرفي - علم القراءات - وقد قال الذهبي عنه : "وله تصانيف في القراءات" (سير أعلام، 19 : 27)، ومبلغ علمي أن ما خلفه الحُصْرِي في هذا الميدان لا يعدو أن يكون : لغزه القرائي المشهور، وقصيدته في قراءة نافع التي اشتهرت بالمغرب قبل سنة 603 هـ .. وتداولها الناشئون بحفظها في الكتاتيب. وقد حكى المجاطي عن شيخه أنه : "أدرك في مدينة فاس أناساً يقرؤون حرف نافع من الحصرية قبل قدوم المؤلف أبي الحسن بن برّي إليها وقبل قدوم تأليفه إليها حتى إلى باب الرامات، فيقرؤونها

الحُصْرِي، علي بن عبد الغني الفهري القيرواني السبتي، الأديب الشاعر المقرئ الضرير. نسبة إلى صناعة الحُصْر. وهو من حفدة الفاتح عقبة ابن نافع الفهري، وقريب إبراهيم الحُصْرِي مؤلف زهر الآداب.

وُلد علي الحُصْر في حدود سنة 420 هـ بمدينة القيروان وبها نشأ وتعلم على كبار شيوخها وبرز في علوم العربية والقراءات - على الخصوص - تميزاً بؤاه أن ينتهض بهمة التدريس والإقراء بجامع القيروان نديداً لأشياخه وبأدأ لأقرانه وأترابه، على أن ذلك لم يدم طويلاً، فقد كانت الزحفة الهلالية على القيروان سنة 449 هـ قاصمة الظهر، أضحت بعدها القيروان حصيداً كأن لم تغن بالأمس، فنزح علي إلى مدينة سبتة، حيث ألقى فيها مقاماً طيباً ونزل بها منزلاً مباركاً تحت إيالة حاكمها سگوت بن محمد البرغواطي (معلمة المغرب، 4 : 1170) وبعدها ونجده بهاء الدولة يحيى (الذخيرة، 2 : 662) فقد هباً له من أسباب التفرغ للتدريس والإقراء ما جعله مدنياً لهما بإجراء جميل الذكر وكريم الدعاء، يقول : "ومن الحق الواجب أن يدعو للمنصور (لقب لسگوت) والحاجب (لقب لابنه) فهما فُجراً هذا النهر من بحري، واستخرجا هذه الدرر من نحري، بصفحهما الجميل، وإحسانهما الجزيل، جزاهما الله حسن ثوابه، كما أجلساني لإقراء كتابه، وأخرجاني من ظلمة الشعراء إلى نور القراء" (منح الفريدة، 2 : 17).

وفي سبتة ذاع صيت الحُصْرِي وضاع عرفه في الأفاق، فوفد إليه الطالب وكثر عنه الأخذ وراستته ملوك الطوائف تبتغي وده وترتجي مديحه. ولما أن أمضى بسبتة ردحاً من الزمن، حوالي عشر سنوات، اجتاز إلى الأندلس. ولعله قصد إشبيلية استجابة لاستدعاء قديم من المعتمد ومنها جاب القطر الأندلسي وتنقل بين أرجاء ممالكة ينتجع ملوكه، ويمتاع نوالهم، فأمر أمره وذاع سره وضاع عرفه (الذخيرة، 7 : 246) زار الحُصْرِي في رحلتته : المرية وبنسبة ومالقة ومرسية ودانية - كما تدل على ذلك إشارات كثيرة وردت في شعره وتراجم أصحابه - وطاب له الشواء بالأندلس رغم ما كان يقع بينه وبين أترابه ومعاصريه من "مناقرات ومناقرات" والمعاصرة حجاب. ونحن وإن كنا نرى أن في بعض ما جرى من ذلك اهتضاماً لحق مترجمنا وتظلماً فواحاً على شخصه، فإننا لا نسقط عنه - أحياناً - معرفة التشريب وملامة التائب، إذ كان فيما قيل عنه : "ضيق العطن، مشهور اللسن، يتلفت إلى الهجاء تلفت الظمان إلى الماء" (الذخيرة، 1 : 246)، كما كان له اعتداد بالنفس يصل إلى حد الغرور جعله يتشامخ على أهل الأندلس بما كان يطرح عليهم من المسائل العلمية في قالب الألفاظ والتعمية. (أخبار وتراجم أندلسية، 111).

من الشاطبية الكبرى لأنه سلك في نظمه سلوك أبي عمرو في التيسير" (شرح المجاطبي على الدرر، 122).  
توفي بطنجة سنة 488 / 1095 ودفن بإزاء سورها خارج باب الحدادين (إشارة فريدة عزيزة وردت في النسخة الناصرية من القصيدة المحصرية).

ع. ابن بسام، الذخيرة في معاني أهل الجزيرة، تج. إحسان عباس، بيروت، 1979؛ م. ابن خير، فهرس ما رواه عن شيوخه، بيروت، ط. 2، 1979؛ أ. السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، تج. إحسان عباس، بيروت، 1405؛ خ. ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تج. السيد عزت العطار، 1955؛ ع. ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، تج. إ. الأبياري وصاحبيه، بيروت؛ ع. المراكشي، المعجب، تج. س. العريان، العربي العلمي، الدار البيضاء، 1978، ص. 7؛ م. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تج. السيد عزت العطار، القاهرة، 1375؛ ع. الرعيني، برنامج شيوخ الرعيني، تج. إ. شبح، دمشق، 1962؛ أ. ابن خلكان، وفيات الأعيان، تج. إحسان عباس، دار صادر؛ ع. الدياغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، 1320؛ ع. م. المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، الرباط؛ م. ابن رشيد، ملكة العيبة بما جمع بطول الغيبة، الأجزاء 3 و 2، تج. م. بلخوجة، تونس، 1982؛ ق. التنجي، البرنامج، تج. عبد الحفيظ منصور، 1981؛ م. الذهبي، المشبه في الرجال، تج. م. البجاوي، ص. 1، 1962؛ م. المجاصي، شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ نافع، رقم 2705؛ بي. السراج، الفهرسة، مخطوط، خ. ع. رقم 2643؛ م. ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 1352؛ النشر في القراءات العشر، تج. م. علي الضباع؛ ع. المنتوري، الفهرسة، مخطوط، خ. ح. رقم 1578؛ ع. السبوطي، لب اللباب في تحديد الأنساب، بغداد؛ م. ابن غازي، التعليل برسوم الإستاذ، تج. م. الزاهي، الرباط، 1979؛ ح. خليفة، كشف الظنون، بيروت، 1990؛ ع. ابن العماد، شذرات الذهب، 1350؛ م. ابن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس، ط. حجرية؛ م. مخلوف، شجرة النور الزكية، ط. 1، 1349؛ ك. بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر. عبد الحليم النجار وآخرين، مصر، 1975؛ ح. ج. عبد الوهاب، صدور الأفارقة؛ إبراهيم الحصري ضمنه مجلة الثريا، س 1، ع. 109، 1944؛ المرزوقي والجيلاني، علي الحصري، دراسة ومختارات، ط. 2، 1974؛ ش. بويحي، حوليات الجامعة التونسية، ع. 1، 1964.

توفيق العبقرى

**حصار، أسرة سلوية** ربما كانت من مهاجري الأندلس، استوطنت سلا منذ عهد بعيد. وقد عرف منها تجار كبار وأمناء وعدول، وكان منها العمال أيضاً. أمثال محمد بن قاسم حصار أمين مرسى الدار البيضاء سنة 1280 ومحمد ابن عبد الله حصار الذي كان فيما بين سنة 1304 و1322 أميناً يمرسى تطوان وأسفي، والمعطي بن عبد الله حصار ناظر الأحباس بأسفي وسلا (ت. 1356 / 1937).

**حصار، عبد الله (الحاج -)** بن قاسم السلوي كان تاجراً وأميناً يمرسى أسفي وبالدار البيضاء. وقد خلف محمد بن إدريس الجراري في ولاية الدار البيضاء، وفيها توفي سنة 1296 / 1879 بسكنة قلبية.

**حصار، قاسم (الحاج -)** بن الحسن السلوي، كان تاجراً كبيراً له امتياز في بيع البقر بطنجة للوسق إلى الخارج. كما كان أميناً يختلف المراسي. توفي سنة 1285 / 1868.

**حصار، محمد بن عبد الله السلوي، طبيب، مهتم** بشؤون الثقافة والفكر كثير التردد على الخزانة العلمية. قضى معظم حياته في التطبيب بالدار البيضاء. إلى أن أدركته الوفاة بالرباط يوم الجمعة 29 شعبان عام 1414 / 11 فبراير 1994 ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط. جريدة العلم، عدد 15998 بتاريخ 15 يراير 1994.

**الحصار، محمد القاسي، فقيه أستاذ مقرئ، كان** يدرس بالقرويين. ولم يزد مترجموه على هذه العبارة القصيرة التي تناقلوها.

توفي بفاس يوم السبت عاشر جمادى الأولى عام 908 / 12 نونبر 1502 ودفن خارج باب الفتوح.

أ. ابن القاضي، جذوة، 1 : 244؛ دة المجال، 2 : 144؛ لقط الفرائد، موسوعة أعلام المغرب، 2 : 815؛ م. الكتاني، سلوة، 2 : 159.

**حصار، محمد بن المعطي السلوي، الوطني** الكبير. وُلد بسلا في رجب عام 1328 / يوليو 1910. ويعد أن تلقى التعليم الابتدائي بمسقط رأسه تحول إلى الدراسة بالرباط بثانوية مولاي يوسف.



ظهرت عليه ملامح الاستعداد الصحافي منذ صغره، فكان في شبابه القصير يكتب لبعض الجرائد الوطنية مثل عمل الشعب وجريدة الحياة التطوانية. وأشرف على تحرير مجلة المغرب التي كان يصدرها محمد الصالح ميسة.

كان شغوفاً بالمطالعة والتحصيل وظهرت عليه ميول إلى الميدان السياسي والأدبي، فكان من المؤسسين للنادي الأدبي الإسلامي بسلا سنة 1347 / 1928، ثم انخرط في جمعية المحافظة على القرآن الكريم، وانضم إلى حركة مقاومة الظهير البربري. كان من الرعيل الأول للجماعة الوطنية الأولى التي نشأت بسلا.

كان شجاعاً جريئاً، نظم مع الحاج أحمد معينو مظاهرة ضد انتشار الخمر بسلا فسجن من أجلها طيلة شهر. خلف بعض الأبحاث والمقالات جمعها أبو بكر القادري في كتيب وضعه في ترجمته، يظهر منها ما كان يتمتع به من رأي ثاقب.

توفي بسلا يوم الأحد 6 جمادى الأولى 1355 / 26 يوليو 1936، وأبنته جماعة من الوطنيين والشعراء والأدباء. ويسمى اليوم بسلا شارع باسمه.

أ. الناصري، الاستقصا، 9: 150، عشاش، بيوتات مدينة سلا، نج. نجحة المريني، ص. 99، 98، وثائق بنسعيد، م. بوشعراء، الذيل الجديد في الإتحاف الرجيز: الاستيطان والحماية بالمغرب، ج. 1: 77، ج. 2: 804، 805، 922، ج. 3: 1025، التعريف، ج. 1: 197، ج. 2: 249، 258؛ أبو بكر القادري، محمد حصار، ص. 8، 11؛ ع. الجرابي، من أعلام الفكر المعاصر، ج. 2: 480. مصطفى بوشعراء.

**حصين**، إحدى الفرق الثمان التي تكوّن قبيلة بني حسن الموجودة بين وادي سبو وأبي رقرق وهي أصغر هاته الفرق سكاناً ومساحة.

ذكر بعض المؤلفين أن موطن حصين كان بضاحية سلا وهو موقع مدينة كوديس الفينيقية بعين اسمير إلى أن حطمها الوندال وتركوها بلاقع، ويظن أن مكان أطلالها هو المقابر الموجودة هناك. كما يذهب آخرون إلى أن بني يفرن لما أسسوا إمارتهم بسلا وشالة في القرن الرابع (10 م) لمقاومة بورغواطة اتخذوا موقع حصين مركزاً هجوماً لمقاومتهم (كبينيث ل براون، نبذة حضرية عن تاريخ المغرب: سلا، 1000، 1800، ص. 92).

لا نعرف متى استوطن حصين مجالهم الحالي. والمظنون أنهم أنزلوا شرقي سلا ونهر أبي رقرق في العهد المريني. وبعد ذلك صار لهم دور دفاعي عن مدينة سلا من غارات المجاورين لهم ولا سيما في القرن الثالث عشر (19 م) مثل زمور. ولهذا يرى حصين أنهم من قبائل الكيش ينبغي أن يعاملوا كذلك.

يحد حصين قبيلة عامر الحوزية شمالا والسهول جنوباً وشرقاً ونهر أبي رقرق ومدينة سلا غرباً، ويمر بها نهر أبي

رقرق فيشطرها شطرين. ومرور هذا النهر بها يؤهلها لدور زراعي ممتاز (مدن المغرب وقبائله، الرباط وناحيته، المجلد الأول، أحواز سلا القسم الرابع ص. 244 و248).

وهكذا عرفت منطقة الوجبة في القرن الثالث عشر (19م) زراعة سقوية غنية مثل القطن والحناء والعصفور والنيلة سنة 1864 و1868 (التعريف ببني سعيد، 2: 65 و120).

ولما انتصبت الحماية الفرنسية أحصى سكان حصين وعدد خيامهم، وظهر أنهم ينقسمون إلى قسمين مجموعهما 171 خيمة (أسرة):

- العشيرة الأولى (85 خيمة): رباح 65 خيمة، والعساكرة 20 خيمة.

- العشيرة الثانية (86 خيمة): ذو رافع 13 خيمة، وأولاد عقبة 73 خيمة، وهم يتجرون هكذا: أولاد هلال 36 وأولاد مبارك 28 وأولاد موسى 9 (مدن المغرب وقبائله، ص. 252).

واليوم تشهد منطقة حصين تطوراً بشرياً وعمارياً واقتصادياً بسبب قربها الشديد من مدينة سلا، قصارت اليوم بلدية خاصة ضمن المجموعة الحضرية لمدينة سلا (الموسم الصادر في 28 حجة 1412 / 30 يونيو 1992 الصادر بالجريدة الرسمية عدد 4157 بتاريخ فاتح يوليو 1992 بشأن التنظيم الترابي).

وقبل ختام هذا العرض أشير إلى أن حصين كانت تُسَمَّى من سنة 1860 إلى 1912 من لدن قواد وأشياخ، هم: - محمد بن الطيب دريهمو حتى عزل سنة 1283 / 1867.

- العربي بن بوعزة ابن حبوش 1290 / 1873 وبقي يحكم أولاد عقبة إلى غاية 1319 / 1901.

- خليفة ابن الداودي وهو رياحي عين سنة 1283 / 1867 حتى توفي سنة 1306 / 1889.

- محمد بن سليمان، وهو رياحي أيضاً وولي على رباح والعساكرة مثل سلفه إلى أن سجن سنة 1311 / 1894 وعزل.

- علي بن شردود من أولاد مبارك، وكلي من سنة 1299 / 1882 إلى سنة 1309 / 1891.

- الجيلالي ابن حبوش، ولي سنة 1321 / 1904.

- علاء بن محمد ابن سليمان من رباح وكلي عليهم وعلى العساكرة سنة 1321 / 1904.

- أحمد وبعده محمد (فتحاً) بن جلول وقد ولي كل منهما سنة 1328 / 1910، وهما معاً من رباح.

- محمد بن علي بن شردود من أولاد مبارك أي من أولاد عقبة، وقد عين سنة 1326 / 1908 بعد أبيه.

- الحاج الطيب الصبيحي ولي سنة 1330 / 1912 على كافة حصين زيادة على مدينة سلا، وصار محمد بن جلول خليفة له هناك. (مدن المغرب وقبائله، ص. 250، 251).

م. بوشعراء، التعريف ببني سعيد، الجزء الثاني؛ قبيلة بني حسن 1860، 1912، مخطوط؛ وثائق آل بنسعيد والحزنة الصيحية؛ الجريدة الرسمية، العدد 4157 في فاتح يوليوز 1992.

K. L. Brown, *An urban view of Moroccan history, Salé, 1000 - 1800, H.T.*, vol. XII, 1971 : *Villes et tribus du Maroc, Rabat et sa région, Tome I, Banlieue de Salé.*

مصطفى بوشعراء.

وتوفي بفاس زوال يوم الأربعاء فاتح محرم (أو متم ذي الحجة) 1214 / 5 يونيو 1799. ودفن خارج باب الفتوح من جهة قبة الشيخ ابن حزمهم.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 7 : 2466.

محمد حجي

### الحصيني، عمرو (سيدي -) بن مبارك الكناسي

نسبة لحصين من قبيلة بني حسن المعروفة بضواحي سلا من عرب معقل. شيخ صوفي زاهد ناسك أخذ عن الشيخ الكبير محمد بن سليمان الجزولي وتلميذه عبد العزيز السباع. ظهرت له كرامات عديدة في حياته. أشار إليه ابن عسكر في *دوحة الناشر* (ص. 111) قائلاً "كان كثير التنسك والانقطاع إلى الله تعالى وكان ورده كل ليلة أن يختم القرآن العظيم ما بين العشاءين في ركعتين، يفتح القراءة في أول ركعة بعد صلاة المغرب ويختمها في الثانية فإذا سلم علم الناس بدخول وقت العشاء الأخيرة فيسمعون أذان المؤذن في الحلي..."

وكان يستمتع بصوت شجي ويرتل القرآن ترتيباً من غير هدر منه ولا عجلة، كما كان يزور الشيخ أبا يعزى سنوياً يمشي إليه حافياً من مكناس إلى قبره مسيرة يومين.

توفي بمكناس حوالي عام 945 / 1538 ودفن بروضة رأس التاج التي تنسب إليه وبنى عليه المولى عبد الرحمان ابن هشام عام 1252 / 1836 ضريحاً، أصبح من أشهر المزارات بمكناس.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر، موسوعة أعلام المغرب*، 2 : 866، ص.

111 : ع- ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 495.

رقية بلقلم

### الحضانة (دور -)، مؤسسات اجتماعية ارتبطت

نشأتها بتطور حياة المرأة التي لم يعد لها متسع من الوقت لرعاية أبنائها نظراً لانشغالها بالعمل إلى جانب الرجل أصبح من الضروري فتح هذه المؤسسات لتتولى عنها في حضانة الأبناء، ووضعت لهذا الغرض برامج ومناهج تربوية ونفسية تراعي السن المبكر للطفل. وقد عرف هذا النوع من التمدرس حالياً نمواً سريعاً خاصة في الدول الصناعية. ويختلف نوع هذه الدور من حيث المضمون من بيئة إلى أخرى، ومن واقع اجتماعي إلى آخر، وتختلف تنظيماتها في البلد الواحد.

تستقبل دور الحضانة الأطفال الصغار والرضع الذين تتراوح أعمارهم ما بين ثلاثة أشهر - عندما تنتهي رخصة الولادة عند الأم الموظفة - وثلاث سنوات.

ليس في المغرب قانون ينص على إنشاء دور الحضانة، لكنها موجودة، بعضها تشرف عليه وزارة الصحة العمومية وتحتضن أطفالاً ما بين الرضاعة والسنة الثالثة، وبعضها يندمج في التعليم الأولي (رياض الأطفال) وهي تابعة

الحصيني، بنعيسى بن المحبوب المعروف بالمقدم. نشأ بمدينة مكناس في أواخر القرن الماضي. وقد ولع منذ شبابه بالسماع، فكان يلازم الزاوية العلمية ويحفظ مستعملات المادحين والمسمعين أمثال محمد شويكة ومحمد وقادة. وفي بداية العقد الثالث انتقل إلى الرباط حيث تعرف على الفنان عمر الجمعيدي والقائد الكروالي قائد الفرقة النحاسية للقصر الملكي وأخذ عنهما مستعملات النوبات الأندلسية، وأتقن العزف على الرباب والعود.

وقد عاد إلى مكناس، فتقلد مهمة مقدم الزاوية العلمية واجتمع حوله هواة الموسيقى الأندلسية يأخذون عنه، وكان مما لقنهم ميزان بطايحي رصد الذليل.

وقد كان من بين مجموعة الشباب المكناسي الذين سعوا في إحداث قسم خاص بتعلم "الألة" في متحف دار الجامعي سنة 1932 / 1351.

روايات شغوية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

### الحصيني، عبد السلام السلاوي، فقيه أستاذ

مقرئ يعرف القراءات السبع، كان من القراء المؤدبين الصبيان الذين يأخذون الصلة الموزعة عليهم بمناسبة الأعياد وغيرها. كما كان اسمه يُدرج في قائمة الفقهاء الذين يحفظون القراءات السبع.

توفي بعد عام 1278 / 1862.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، 2 : 54، 56 : ذيل الإتحاف الوجيز، 161.

### الحصيني، عبد الله السلاوي، مجاهد من رياس

البحر، كان يشغل أكثر من وظيف في السفن الجهادية. ويتقاضى صلات بهذه الصفات. وكانت له عقارات كثيرة بمدينة سلا وخارجها مفصلة في رسم تركته المؤرخ في سابع عشر شعبان عام ستة وخمسين ومائتين وألف. ولعل وفاته كانت في نفس سنة التركة 1256 / 1840.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، 2 : 155 و160 : رسم عدلي بشركة المترجم في حوز العدل السيد عبد النبي البخاري سلا.

### الحصيني، علي بن إدريس الحسنائوي الفاسي. فقيه

مشارك مطلع، تولى القضاء والإفتاء بمدينة فاس وغيرها.

للأندية النسوية، وتشرف عليها وزارة الشبيبة والرياضة، كما توجد دور للحضانة تابعة لمنشآت عمومية أو شبه عمومية أو خاصة كالجيش الملكي ومكتب الفوسفاط ومكتب الطاقة والهلال الأحمر... وهناك دور الحضانة التابعة للبعثات الثقافية الأجنبية.

تبتدئ دور الحضانة باستقبال الأطفال قبل ساعات العمل عند الأمهات وتعطى وجبات الأكل فيها في أوقات معلومة : ففي الساعة التاسعة صباحا يعطى للأطفال عصير فواكه، وفي الحادية عشرة يتناول الأطفال وجبة الغذاء، بعدها ينامون في الأفرشة المخصصة لهم؛ فالرضع لهم أسرة محاطة بقضبان تحفظهم من السقوط، أما الكبار فينامون على أفرشة موضوعة مباشرة على الأرض. وفي الساعة الرابعة بعد الزوال تقدم لهم أكلة خفيفة. وتتوفر دار الحضانة على عدد كبير ومتنوع من اللعب توزع على الأطفال حسب سن كل واحد منهم من طرف المربيات، وتتكلف كل مربية بحضانة خمسة رضع، أما إذا كبر سنهم فيرتفع العدد إلى ثمانية.

يبدأ الأطفال في المشي عند بلوغهم سنة تقريبا وتساعدهم المربيات على القيام بذلك، وتستمر مساعدتهم حتى الشهر الرابع عشر بالنسبة للمتخلفين منهم. وتختلف الأنشطة داخل المؤسسة إذ يسمح للكبار منهم بتصنع الكتب المزينة بالصور، وتقص عليهم المربية القصص التي تناسب سنهم وذلك قصد إعدادهم لولوج رياض الأطفال عند بلوغهم سن الرابعة من عمرهم.

تقوم بإدارة الحضانة مديرة يشترط فيها أن تكون ممرضة مختصة في تربية الأطفال الرضع، مهمتها تنشيط دار الحضانة بتنظيمها العمل التربوي وتوفير متطلبات المؤسسة وتأدية أجور العائلات من مربييات ومنظفات وغيرهن، وتسهر على زيارات الطبيب للمؤسسة بكيفية منتظمة للاطلاع على صحة الأطفال، كما تحرص على إقامة علاقات ودية مع الآباء. ويجتمع الآباء مرة كل ثلاثة أشهر قصد استشارتهم في التنظيم اليومي للمؤسسة وشرح الانجماحات التربوية والأنشطة الموجهة لأطفالهم.

وثائق وزارة الشبيبة والرياضة، ووزارة الصحة.

E. Plaisance. *L'Ecole maternelle aujourd'hui*. Paris, 1977 ; *L'Education en France : Notre petit frère va à la crèche*. BTJ, 10 / 1985 n° 0267 ; J.F. Simonpoli, *La conversation enfantine*, Paris, 1991 ; L. Mozere, *Le printemps des crèches : histoire et analyse d'un mouvement*. Paris, 1992 ; *Ouvertures : Fécole, la crèche, les familles*. Paris, 1985 ; *A la mode des petits. Enfance*, 12/1993 n° 04/93 ; *Les psychologues et la psychologie dans les institutions de l'enfance*. *Psychologie scolaire*, 12/1982 n° 42.

الهادي بجيجو

**الحضرمي، أبو بكر محمد بن الحسن المرادي حسب**

ماورد في ذخيرة ابن بسام (ق 4، ج 1 : 364-367). وهي نسبة إلى قبيلة مراد بحضرموت كما صنفها ابن حزم في جهمته. على أن نشأته قد تمت بالقبيروان حسب مارواه ابن

بشكوال نقلا عن القاضي عياض. مجهل مع ذلك تاريخ ولادته وظروف نشأته إذ أن المصادر لا تذكر له شيوفاً قرويين أو مغاربة أو أندلسيين. وحتى إذا كان قد أخذ كتاب فقه اللغة للشعالبي عن المغربي أبي قاسم عبد الرحمان بن عمر بن محمد التميمي القصديري، فإن مشاركته المعروفة في الأدب وقرض الشعر لم تكن أكبر اهتماماته العلمية. فقد اتفقت المصادر على أنه كان عالماً وإماماً في أصول الدين، وله نهوض في علم الاعتقادات والأصول. بل إن تلميذه يوسف الكلبي الملقب بالضرير أخذ عنه علم الكلام حيث يعتبر الحضرمي المرادي "أول من أدخل علم الاعتقادات إلى المغرب الأقصى". وبذلك نستبعد أن تكون نشأته العلمية قد تمت كلها بالقبيروان. لقد كان ذا ثقافة كلامية أصولية خلافاً لما هو متداول بين مالكية المغرب الأدنى والأندلس والمغرب الأقصى. كما حمل معه إلى المغرب العقيدة الأشعرية شأنه في ذلك شأن "نظار أهل السنة... ومن المشتغلين بعلم الكلام على مذهب الأشعرية" (الغنية، 282) فقد وصلتنا أسماء بعض مؤلفاته في العقيدة الأشعرية بفضل تلميذه يوسف الكلبي الضرير (ت. 520 / 1127). كما سجل ذلك المغربي في *أزهار الرياض* (3 : 161)، بل إن مما يؤكد ابتعاذه عن أجواء المالكية بالمغرب إهمال فقهاءهم له متجاهلين بذلك شيخاً كبيراً في علمي الأصول والكلام.

وصل الحضرمي إلى أغمات وريكة حوالي سنة 450 / 1059. ولم تقض إلا أربع سنين حتى أصبح مشهوراً بما دعا أبا بكر بن عمر اللمتوني أمير المرابطين إلى اصطحابه معه لدى عودته النهائية إلى الصحراء لتبابعة الدعوة والجهاد (465 / 1072). السؤال المطروح هنا هو لماذا اصطحب أمير المرابطين إمام المتكلمين الأصوليين؟ وهل يمكن على ضوء هذه العلاقة الإبقاء على الانتقاد الذي يصف المرابطين بالسلفية التي تحارب النظريات العقلية في علم الكلام والتي ترفض كل تأويل عقلي للعقائد؟

لم يتردد أبو بكر بن عمر في تعيين الإمام الحضرمي قاضياً لمدينة أزكي التي لا تبعد عن موقع مدينة أطار الحالية إلا بحوالي ثمانية كلمترات إلى الغرب. تتجلى أهمية أزكي يومها في كونها أول مراقي الصحراء. ومنها إلى سجدلماسة ثلاث عشرة مرحلة ومنها إلى نول سبع مراحل. وهذه المدينة ليست بالكبيرة لكنها متحضرة وأهلها يلبسون مقدرات ثياب الصوف ويسمونهم بلغتهم القداور. وقد أخبر بعض من دخل هذه المدينة أن النساء اللواتي لا أزواج لهن بها إذا بلغت المرأة منهن أربعين سنة تصدقت بنفسها على من أرادها من الرجال فلا تدفع عن نفسها ولا تمنع من يريدتها. وتسمى هذه المدينة بالبريرية أزقي. وبالجنناوية قوقدم. ومن أراد الدخول إلى بلاد سلى وتكرور وغانة وبلاد السودان فلا بد له من هذه المدينة (صفة المغرب، 60) وإذا كان الزهري قد أكد على أن أزكي هي حاضرة المرابطين (جغرافية، 190) فإن مهمة الحضرمي تبدو

ذات أهمية بالغة. ما يميز هذه المهمة وأين يمكننا العثور على أهميتها التاريخية؟ إن دراسة العلاقة القائمة بين أبي بكر بن عمر اللمتوني ويوسف بن تاشفين تكشف للمدقق عن صياغتين لمفهومين أساسيين للدولة يتناقضان شكلاً ومضموناً. وتتخلص صياغة هذا التناقض المفهمي في إيمان أبي بكر بن عمر بضرورة الفصل بين مهمني الإمام والأمير واحتياج الدولة لكليهما، بينما لا يرى يوسف بن تاشفين ضرورة للإبقاء على إمام بعد وفاة عبد الله بن ياسين. كانت مهمة الفقهاء هي إرشاد الجند المرابطي وتعليمه أمور دينه. هذا ما يمكن أن نستشفه من القاضي عياض حين أوضح في الغنية (ص. 282)، أن أبا الحجاج الكلبي الذي يكون قد زار أركي بعد انتقال أبي بكر بن عمر إليها حمل منها أراجيز وتجويداً في العقائد والأصول للإمام الحضرمي. واضح إذن أن وظيفة الحضرمي بالمعنى المحدد آنفاً، مرتبطة قام الارتباط بكل النيات والمقاصد التي كان يعلن عنها الأمير أبو بكر بن عمر، فالجهاد يقتضي ضرورة الفصل بين وظيفتي الإمام والأمير كما أكد على ذلك عبد الله بن ياسين بأساليبه العنيفة، وما على الإمام سوى أن يدمج نفسه في صيغة متميزة باعتبارها معياراً حاسماً. كان على الصيغة أن تأخذ بعين الاعتبار التخطيط المحكم الذي قام به العلماء بالقيروان والأندلس وسوس من أجل إرساء الدولة المرابطية. لقد كان شعار "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" هو دعامة الدعوة المرابطية. كان اهتمام أبي بكر بن عمر بالفقه والحديث دليلاً على تشوفه لفروع الفقه الذي انبثقت عنه أصول الفقه وأصول الكلام والنحو والعلوم العقلية. ودون أن نتوقف عند مراحل نمو هذا التوجه الأميري المرابطي، نتنقل إلى ذكر خصائص المدرسة التي أنشأها الإمام الحضرمي كتعبير أكثر تألقاً عن السائد يومها.

لم يكتب أبو بكر الحضرمي بالأرجوزة والمختصر أسلوباً منهجياً في التعليم السريع. بل تجده يدفع أفكاره وتاملاته بعيداً شابغاً كل السمات الجوهرية لوظيفته كإمام في تثبيت "رسوم الملك" المرابطي وأدابه. فقد جاء مختصره المشهور الإشارة إلى أدب الإمارة كأداة منهجية يقترحها علي الأمراء المرابطين من أجل توضيح مبادئ علم السياسة. فسواء طلب منه الأمير أبو بكر بن عمر كتابة المؤلف ليكون منهجاً له وللمرابطين أم لا، فإن الحدث يكفي وحده لبلورة الخلاف القائم مع يوسف بن تاشفين حول الفصل بين الوظيفتين. ولاشك أن فكرة كتاب الإشارة إلى أدب الإمارة كنظام أدلة مستدولة وعقلانية في الجوهر لدى أمراء الصحراء تبرز خصائص منظور الفصل بين سلطتي الأمير والإمام. لقد أضفى الحضرمي على كتابه هذا وضوحاً ودقة استقاهما على ما يبدو من الجنس الأدبي المسمى مرايا الأمراء Fürstenspiegel. فهو يؤكد في مدخل الكتاب بأنه لم يتبع سبيلاً جديداً بل سار سير الذين "جرّدوا في الآراء والحكم الكتب الباقية. وضرّبوا للتجارب والنظر الأمثال

الشافية". لقد ارتأى الحضرمي أن يكتب لأحداث الأمراء لكي يتحول تهذيبهم إلى مسار صائب من العادات والسلوك. اعتمد من بين أشكال جنس مرايا الأمراء شكلين يعودان إلى العصور الهيلينستية هما التديبير والدولة. يتخذ القسم الأول من الكتاب شكلاً هرمياً ابتداءً من تدبير الرجل نفسه ثم دخله وخرجه فتدبيره مع أهله وخدمه لينتقل بعد ذلك إلى العلاقات العامة. ويبدأ القسم الثاني من الكتاب بالحديث عن الملك والملك وأدابه ليتحدث بعد ذلك عن سياسة الخاصة ثم العامة فالجند فالخراج والأموال والحرب والسلم لينتهي بأساليب السلوكات السياسية.

يكون الحضرمي بذلك قد استند إلى التاج في أخلاق الملوك للجاحظ وسر الأسرار لأرسطو الذي تمت ترجمته إلى العربية خلال القرن الثالث الهجري علاوة عن كتب يونانية أخرى. ويتضح أنه قد أخذ عن الأدب الكبير لابن المقفع وعن كليله ودمته مما جعله يتأثر أيضاً بالأدب الإيراني الساساني. أهم ما يميز موقف الحضرمي من شرعية حكم المرابطين هو ارتباطهم بالشرعية وحقهم في الاحتفاظ بخلافة جديدة بمعزل عن الحكم العباسي. فقد نظر إلى دولة المرابطين بالصحراء خاصة على أنها ضرورة خاضعة لأحكام الشريعة الصرفة. فحدد مسؤوليته في تنويرهم من أجل تأسيس تقاليد سلطانية وبلاط أميري قد لا تعتمد رسوم الملك التي كان يرفضها أبو بكر بن عمر رفضاً تاماً.

إذا نحن تصفحنا كتاب الإشارة وجدناه يعهد نماذج السلوك السياسي السليم التي لا يمكن اختزالها أو تقليصها إلى أية نماذج إيدولوجية كيفما كانت الظروف المعاشية والواقع أن هذه النماذج والصيغ تتوقف على مدى انطباقها على حياة الصحراء. هنا يتضح للمتصفح أن الواقعة الأكثر دلالة بالنسبة لهذه النماذج السلوكية هي الهوة التي تفرق بين هذا الجنس من مرايا الأمراء المقصود هنا وبين الخصوصيات المحلية لكبار الرحل من إيزناكن (صنهاجة) ما يجعل من هذه الهوة قنطرة يستحيل عبورها هو غياب أي قاسم مشترك بين نماذج كتاب الإشارة والمنطق الذي يسود نظام التحالفات بين قبائل الصحراء. فالرعية هنا قبائل يسوسها الوازع العصبي، وسلطان دولة أبي بكر ابن عمر يتعلق بالرعي اللمتوني المبني على قوانين تحالفه صرفة. وعلى العكس من الهدف المرابطي الذي عرف تدهوراً كبيراً بعد صراع يحيى بن عمر مع إيكدالين (كذالة) ووفاته بالصحراء. لم يعد هناك ما يذكي لهيب الحركة الإصلاحية. فكيف نعتير قبائل الصحراء عبيداً للأمير المرابطي اللمتوني الذي واجبه الوحيد نحوهم أن يعدل بينهم؟

لقد ارتكز الاتجاه الأساسي للحضرمي على دوره كإمام. وهنا يتضح من ممارساته الصارمة تجاه العامة والخاصة مدى اقترابه من خطة ابن ياسين، فهل كان يطمح إلى خلافة هذا الأخير في تزعم الدعوة المرابطية كما أشار إلى ذلك ابن بسام؟ (الذخيرة، 1: 364). لا يمكن أن نتصور جهل

بيروت، تج. احسان عباس، 1979؛ ابن بشكوال، الصلة، جزآن، القاهرة، 1955؛ ابن عساكر، تبیین كذب المفتري فيسا نسب إلى أبي الحسن الأشعري، القاهرة، د. ت. الشمالي، تحفة الوزرا، تج. حبيب الراوي وابتنام مرهون الصغار، بغداد 1977؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تج. أحمد بكير محمود، بيروت، 1967؛ الغنية، فهرست شيخ القاضي عياض، تج. محمد بن عبد الكريم، 1978؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تج. عبد السلام هارون، القاهرة، 1971.  
Abd Al Wedoud Ould Cheikh et Bernard Saison, *Vie(s) et mort (s) de el imam al Hādrāmī : autour de la postérité saharienne du mouvement almoravide : 11e - 17e siècle*, Arabica, XXXIV, 1987؛ M. Naïmi, *Le pays Tekna, commerce, histoire et structures*, à paraître.  
مصطفى ناعمي

**الحضرمي، عبد المهيم بن محمد بن عبد المهيم السبتي.** وُلد بسنة عام 676 / 1277 وبها نشأ في كنف والده محمد الذي أصبح قاضي الجماعة بالمدينة منذ سنة 683 في عهد العزفيين أقربائه. فلما احتل النصريون مدينة سبتة عام 705 / 1305 ونفوا العزفيين عنها إلى غرناطة انتقل معهم بنو الحضرمي، وفي الأندلس استكمل عبد المهيم تكوينه العلمي على جملة مشايخ أورد أسماهم ابن الخطيب.

ولما عادت سبتة إلى النفوذ المريني وعاد العزفيون إليها ومعهم بنو الحضرمي كان عبد المهيم قد أصبح في مستوى الخدمات الرسمية خاصة بعد وفاة أبيه سنة 712 / 1312 فجعله السلطان أبو سعيد المريني صاحب علامة ابنه الأمير أبي علي عمر. ومنذ سنة 718 / 1318 تولى عبد المهيم هذا المنصب مع الكتابة للسلطان نفسه، واستمر كذلك في عهد أبي الحسن ورافقه في رحلته إلى تونس فأدركته الوفاة هنالك بسبب الطاعون الجارف.

وصفه معاصره ابن مرزوق في المسند بكونه شيخ المسندين والمؤرخين (ص. 116)، والإمام الأجدد حامل لواء الحديث والأدب (ص. 117) وصاحب العلامة وإمام الكتبة وأحد علماء الحضرة وأهل المشورة، تقلد ذلك لأبي سعيد ثم لأبي الحسن... وكان قوياً مهيباً معظماً عند الخاصة والعامة مقداماً موحداً متقياً، نادرة وقته وأعجوبة زمانه، أحفظ الناس بعلم اللسان واللفظة والأدب بحر في ذلك... مع إمامته وتقدمه في علم الحديث والمعرفة برجاله (164). وتحدث عنه ابن الخطيب لكونه أحد شيوخه ووصفه بالرئيس صاحب القلم الأعلى بالمغرب، وذكر شيخ عبد المهيم ومن أجازوه بالأندلس والمغرب والمشرق، واعتبره "تاج الفرق وفخر المغرب على المشرق".

توفي بتونس مطعوناً في شوال عام 749 / دجنبر 1348 - يناير 1349.

ل. ابن الخطيب، الإحاطة، تج. ع. عنان، 4: 18، 11: م. ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، ط. الجزائر، 1981؛ ع. ابن

الحضرمي لدى مصاحبه لأبي بكر بن عمر إلى الصحراء حقيقة الخلاف مع ابن تاشفين. لقد كان الإمام يعلم بأن حدود مأموريته لن تتجاوز الصحراء إلى شمالها. بهذه الكيفية يصير طموح الإمام الحضرمي قد تحدد بفعل الظروف السياسية التي كانت تميز الصحراء عن سلطة ابن تاشفين. لقد ربط الحضرمي تدعيم أسس السلطة المرابطية في الصحراء بدوره كإمام يستند إلى أسس عملية. كان يذوق عن مبدأ "انتهاز الفرص" بحرارة متأثراً في ذلك بابن المقفع في كتاب السياسة. وقد تجلت استقلالية فكره عن فكر أبي بكر بن عمر وحتى عن عبد الله بن ياسين ويوسف ابن تاشفين بإصراره على تجنب الحرب بأي وسيلة. بل نجدته يختلف مع الفكر السياسي الإسلامي حين يؤكد على أن المكيدة ليست كذبا وإنما هي القانون العام للسلوك السياسي. نفهم من هنا أن منطلق الإمام الحضرمي لم يكن هو الوازع الديني وأن الذي شكل بالنسبة إليه الظاهرة الأساسية يومها هو سلطة الدولة. ويترتب عن ذلك أن أهم شيء هو بالضبط الأسلوب والصيغ الممكنة للدولة. فهو يرى أن مسؤولية الأمير تقتضي منه ألا يعتمد على عصبية واحدة في الجيش تحسباً لكل انقلاب ممكن. تقف هنا العلاقة بين الإمام الحضرمي والأمير أبي بكر بن عمر بوصفها معياراً صارماً غير خاضع للأخطاء القياسية. الدليل على ذلك أن الإمام ظل قاضياً صارماً بأزجي بعد وفاة الأمير أبي بكر بن عمر حوالي سنة 468 / 1076-75. بل إن ممارساته القياسية ظلت تجري بنفس الكيفية حيث نجد ممارسات عبد الله بن ياسين امتدادها في صورة الإمام المرابطي. وعندما يؤكد ابن بشكوال على ظهور الإمام الحضرمي المفاجئ بقرطبة سنة 487 / 1095-94 (الصلة، 2: 605)، فإن ذلك لا يعني انتهاء مهمته بأزجي التي سيتوفى بها سنة 489 / 1096-95. لقد أقام مدة سنتين تقريباً بالأندلس ولم يحاول خلال عبوره شمال الصحراء الاتصال بيوسف ابن تاشفين. وبذلك تتحدد خصائص علاقته بالأمير أبي بكر بن عمر فيما يبدو قطعة تامة بينه وبين ابن تاشفين الذي سمي نفسه "أمير المسلمين".

هكذا يتضح أن هذا القاضي الفقيه المتكلم الأشعري الذي حاول أن يخلف عبد الله بن ياسين يفصح عن مقاربة متباينة مع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين. لا وجود لشخصية الحضرمي شمال الصحراء ولا وجود لابن تاشفين بالصحراء كأمير إلا بقدر ما استطاع أن يجلب إليه ما تبقى من الفصائل اللمتونية. هذه الحقيقة التاريخية تستعمل بشكل أساسي لنقل الخطاب الداخلي لأفكار الإمام الحضرمي ومشروعه الذي جعل منه اسماً ميجلاً إلى يومنا هذا، وقبراً يؤمه الحجاج وتتكرر حول خوارقه المقولات الشفوية المحلية.

ع. ابن المقفع، الأدب الصغير ثم الأدب الكبير في رسائل اليلفاء، تج. محمد كرد علي، القاهرة، 1954؛ عبد الرحمن بدوي، افلاطون في الاسلام، تهران 1974؛ ابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي الإمام علي الصديقي؛ ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،

خلدون، العبر، 7: 515، 517؛ ابن الأحرر، مستدرج العلامة، 50،  
51، ط. تطوان؛ ابن الأحرر، تثير الجمان، 223، ط. بيروت؛  
النباهي، المرقبة العليا، ج. ليفي، بروفصال، 132، 133؛ أ. ابن  
القاضي، جذوة الاقتباس، 444، 445؛ أ. المقرئ، نفع الطبيب، 5،  
240.

أحمد عزاي

### الحَضْرِي، أسرة نبيلة أندلسية الأصل تُنسب إلى

مدينة (حَضْرَة) الواقعة بين غرناطة والمرية بالأندلس،  
استقرت بعد الهجرة إلى المغرب بمدينة شفشاون وتطوان  
وقبيلة الأحماس، وهناك عائلة أخرى بقبيلة الأحماس يطلق  
عليها (الحطري) بالطاء المشالة. مازال الحَضْرِيُّون موجودين  
بالمدينتين والقبيلة، ويقال إن أصلهم من عرب حضرموت  
(باليمن الجنوبي) ومنه جاء اسم مدينتهم الأندلسية  
(حَضْرَة) حسب عميد الأسرة الآن الفقيه الخطيب الحاج عبد  
السلام الحضري التطواني.

كانت شفشاون مُهاجرهم الأول ومنه انتقلوا إلى تطوان  
واشتهروا بالتجارة بداخل المغرب وخارجه كأوربا والشرق  
وتركيا، عرف نشاطهم التجاري منذ سنة 1203 / 1788 ومُن  
لُح اسمه في هذا الميدان بتطوان السيد قاسم بن علي  
الحَضْرِي المتوفى بتطوان ليلة السبت سابع شعبان عام 1243  
ودفن بالزاوية الريسونية. ومنهم السيد محمد بن العربي  
الحضري كان يتجر بفاس ويكتب زبناه ورفاقه في المهنة  
من أهل تطوان سنة 1270 منهم الحاج عبد الرحمان مدينة،  
والحاج محمد بايص والحاج أحمد بايص.

ومن أعيان تجار هذه العائلة: الحاج عبد الرحمان بن  
محمد الحضري والحاج عبد الكريم، وكانت لهذا الأخير  
تجارة بتركيا، ويذكر من بقي من أهله بشفشاون أنهم كانوا  
يحتفلون بمقدمه بالطبول والأعلام، وكذلك بتطوان، وهذا  
يدل على سعة تجارتهم ووفرة أموالهم وما يحملهم من سلع  
وتحف ومركزه الاجتماعي بين أهل بلده.

ومن أفراد هذه العائلة من يذكر بالعلم والفقه، وعلى  
رأس هؤلاء الفقيه عبد الكريم الحضري أتى الترجمة. ومنهم  
الفقيه العدل السيد أحمد بن علي الحضري الذي كان  
يتعاطى الشهادة بتطوان عام 1088. وانظر هل منهم أبو  
الصون المحجوب الحضري أحد كتاب دولة السلطان محمد  
ابن الشريف أخي مولاي إسماعيل.

وما عرفت به هذه الأسرة محبتها للأشراف العلميين  
وامتزاجها بهم بالمصاهرة، وخصوصا الريسنيين منهم قديما،  
فقد حدث عميد الأسرة الآن بشفشاون أن تحت يده رسالة  
تقدير واحترام لأحد أجداده من الفقيه النسابة الحسن بن  
أحمد ابن ريسون صاحب كتاب فتح التأييد المطبوع بتطوان  
والمتوفى بفاس عام 1055 وبه ذُفن، كما حدث الحاج عبد  
السلام المذكور آنفاً أن جده لأمه انتقل من تطوان إلى  
سكنى شفشاون بإشارة من الشيخ عبد السلام ابن ريسون  
المتوفى بتطوان عام 1299 لما طلب منه دواء لمرض أصابه.

وما يجدر ذكره مما يتعلق بتاريخ هذه الأسرة أن الإمامة  
والخطابة بجامعة ريف الأندلس من شفشاون كانت ومازالت  
قاصرة على أفراد هذه الأسرة يتوارثونها بينهم، وفيهم الآن  
عدول وأساتذة وتجار بالمدينتين شفشاون وتطوان.

أ. الرهوني، عمدة الراويين، 3: 61، مخطوطة؛ ع. ابن زيدان،  
إتحاف أعلام الناس، 3: 134؛ م. داود، عائلات تطوان، حرف  
الحاء، نسخة الخزنة الداودية بتطوان بخط المؤلف؛ روايات شفوية  
عن عميد الأسرة بشفشاون الحاج عبد السلام الحضري وعن مؤرخ  
شفشاون علي بن أحمد الريسوني.

### الحَضْرِي، عميد الكريمة بن عبد السلام. وُلد

بشفشاون وبعد ألح شخصية في هذه العائلة لما عرف به من  
العلم والفضل والأدب، فقد تولى القضاء والفتوى والعدالة  
والخطابة بجامعة (ريف الأندلس) بشفشاون مدة، ومازالت  
فتاويه وتقاييده بأيدي الناس بشفشاون ونواحيها.

كما كانت له مساجلات أدبية وإنشادات وإفادات مع  
معاصريه من الفقهاء والقضاة والأدباء أمثال محمد بن  
الصادق الريسوني، وصالح بن أحمد الحكومي الرباطي  
والرحالة محمد بن عبد السلام الناصري، وعبد الرحمان  
الحايك قاضي تطوان، والفقيه قاضي تطوان عبد الرحمان بن  
محمد البرنوسي. ولما توفي القاضي عبد الرحمان الحايك  
رثاه المترجم بقصيدة طويلة حزينة.

ظل المترجم له قائما بهذه الوظائف مع النزاهة وذيرع  
الصيت وطيب الأخذوث إلى أن وافاه الأجل بسقط رأسه قبل  
زوال يوم الاثنين 5 شعبان عام 1250 / 8 دجنبر 1834.

كناش خاص تضمن كثيراً من فتاوي المترجم ونظمه: كناش عدلي  
بخط المترجم له بخزانة تطوان رقم 535؛ كناشته بخزانة مؤرخ  
شفشاون علي بن أحمد الريسوني.

محمد بوخزة

### الحَضْرِي، أسرة تبدو أخبارها غامضة خاصة ما

يتعلق بظروف استقرارها بحوض تارسواط (قبيلة أمانوز)  
ويعمرود نسبها. فلا نعرف على وجه التدقيق متى استقرت  
بالحوض، وإن كان الراجع، كما عند المختار السوسي، أن  
ذلك حدث قبل القرن الثامن (14 م)، أي في نفس الفترة  
التي استقرت فيها أسرة آل محمد بن إبراهيم والشيخ  
التامنارتي بقرية إيمي أوغادير. وتذكر الروايات أن أصل  
أسرة الحَضْرِي من قبيلة إيداوسلال من قرية آيت عباس،  
وانتقل فرع منها إلى إيغالن، بعدها هاجرت إلى حوض  
تارسواط بقبيلة أمانوز. وقد أورد السوسي في موضع آخر  
إشارة يُرجع فيها أصل الأسرة إلى قبيلة سموغن، ثم تعرض  
لبعض أملاكها الموجودة بقرية أوغرض من نفس القبيلة.  
وأشار إلى أن أفرادها كانوا من أعيان قبيلتهم. إن هذا



الطرح لا يعدو كونه موعزاً من ذلك التحفظ الذي سجله السوسي في حق الحضيكي عندما نسب جد أسرة الإلغيين إلى قبيلة سموغن.

مهما يكن، فإن استقرار الأسرة الحضيكية في تارسواط قديم، وشكل ذلك مرحلة متميزة في مسار الأسرة، وتبقى أخبار أدوارها الاجتماعية والدينية مجهولة، كما يخيم الصمت على رجالاتها قبل بروز شخصية الإمام الحضيكي. وقد أورد هذا الأخير في كتابه الطبقات بعض أجداده الأبعدين والأقربين، إلا أنه لم يسجل لنا معلومات كافية عن تراجمهم ومستواهم الفكري، وإنما اقتصر على الثناء عليهم، وتعظيمهم وذكر كراماتهم. منهم: محمد بن داود ابن الحسن التارسواطي، وعبد الله بن عثمان الأوغرزاوي، ومحمد بن أحمد بن يحيى الغنر وعبد الله بن إبراهيم ومحمد بن محمد بن سليمان وحواء بنت عبد الله.

**الحضيكي، محمد بن أحمد اللكوسي المانوزي**  
الإسبي اشتهر بالحضيكي، وكنيته أبو عبد الله. ويلاحظ في بعض المصادر التي ترجمت له زيادة ألقاب أخرى ذات صبغة عامة كالسوسي والجزولي. وُلد بقرية تارسواط في شعبان 1118 / 1706، وبها قضى طفولته وقسطاً كبيراً من شبابه. نشأ في أسرة مشهورة بالصلاح، محاطاً بعناية ورعاية مخصوصة بسلوك صوفي. تلقى مبادئ القراءة والكتابة، وكان تعليمه الأولي على يد الفقيه عبد الله بن إبراهيم الكرسيفي. ويبدو أن هذا التلقين غير كاف مما حدا بأسرته إلى إرساله إلى زاوية الشيخ أحمد بن موسى بتازروالت، ومنها انتقل إلى منطقة آقا حيث أخذ عن الشيخ أحمد بن محمد بن الكوري المرابطي الدرعي. كما أخذ عن الشيخ أوهبول بقرية تاكديرت أو شعيب. ويشير التاغرغاري إلى كونه أبدى استعداداً للتحصيل، وبرز نهمة العلمي وحبه للمعرفة وهو مازال صغيراً. لذا أصبح مؤهلاً لحضور مجالس علماء عصره. فسار إلى زاوية أكدال مرزگون بماسة عند الشيخ أحمد الصوابي، وهو عمدة تكوينه الفقهي. كما أخذ عن جملة من علماء سوس أمثال: عبد الله بن إبراهيم الرسموكي ومحمد بن الحسن الحامدي وأحمد ابن عبد الله الهشتوكي وأحمد بن يحيى الرسموكي ومحمد ابن يحيى الأزاريقي وأحمد بن محمد العباسي ومحمد بن علي الهوزالي... دون أن ننسى اتصاله المبكر بالشيخ حسين الشرحبيلي أثناء نزوله بقرية تارسواط.

يبدو أن الحضيكي لم يقتصر على مركز علمي واحد، وإنما عمل على الأخذ عن الفعاليات الفكرية الموجودة آنذاك، وكان تأثير شيوخه الصوابي والعباسي أساسياً في تكوينه الفكري والصوفي. كما أن جد شيوخه من تلامذة الشيخ أحمد ابن ناصر ومن أعمدة الطريقة الناصرية بسوس. بعد ذلك شد الحضيكي الرحال إلى مراکش. ولا يورد تاريخاً محدداً لمقامه بالمدينة وأخذه عن بعض علمائها

أمثال: محمد بن عبد الله الدرعي، ومحمد الصغير الإفرائي، ومحمد الحاج أبو عبدلي، بيد أنه لا يستبعد أن يكون ذلك قد تم قبل رحلته إلى المشرق، لورود أخبار تحصيله بمراكش في رحلته الحجازية. علماً بأنها تتضمن فقط مشايخه من سوس ومراكش والمشرق، ولا تشمل أخبار عودته إلى المغرب ومقامه بفاس وسلا.

سافر الحضيكي إلى المشرق في سنة 1152 / 1739، وأهم مصدر للتعريف بأخباره خلال مروره بطريق الحاج المغربي ومقامه بمصر، هي رحلته الحجازية. وكانت الرحلة أيضاً مناسبة استغلها لزيارة بعض علماء سجلماسة كأحمد بن محمد اللمطي وأخيه صالح. مباشرة بعد أدائه فريضة الحج، أقام بمصر لمدة سنتين، وهي كافية للتحصيل المعرفي ولقاء علماء الأزهر من مختلف المذاهب الفقهية أمثال: أحمد بن محمد العماري وأحمد بن مصطفى الاسكندري وعمر الطحاوي، وأحمد الجوهري... وإجمالاً كانت الفترة التي قضاها بالمشرق ذات أثر مهم في تكوين شخصيته المعرفية. وفي هذا الإطار لم يترك الحضيكي، الطالب المشبع بثقافة الأزهر، فرصة مروره بمدينة فاس، دون أن يتصل بعلمائها رغم الظروف السياسية المتسمة بالاضطراب وعدم الاستقرار بسبب تنازع أبناء المولى إسماعيل على الحكم. وهكذا أخذ عن محمد بن الحسن البناني ومحمد بن قاسم جسوس وعمر بن عبد الله الفاسي، وكلهم أجازوه. بعد ذلك عرج على مدينة سلا التي مكث بها ثلاثة أشهر في بداية عام 1154 / 1741، وفيها لازم الشيخ أحمد بن عبد الله الدكالي. وبعد رجوعه إلى سوس انتهى به المطاف إلى زاوية أبي القاسم الفيلالي ضمن قبيلة إيسي. ولا نعرف متى استقر بهذا الموضوع ولا الأسباب التي دفعته إلى ذلك. ومهما يكن فإن هذا الاستقرار ارتضاه لنفسه، حيث انصرف إلى التدريس والوعظ، وانعقدت أولى حلقات تدريسه، وتخرج عليه عدد من الطلبة. كما هيا له مقامه بالمنطقة الظروف الملائمة للتفرغ إلى التأليف في جميع العلوم: الفقه، الحديث، السيرة، التصوف، النحو، الآداب، التراجم، الفهارس. ويعتبر كتابه في التراجم المعروف بالطبقات من أهم إنتاجاته الفكرية، ضمنه أكثر من 820 ترجمة للفقهاء والعلماء والصلحاء من الرجال والنساء ممن عاشوا بين القرنين العاشر والثاني عشر (16، 18 م).

للإشارة فقد وظف الحضيكي مكانته العلمية والدينية في تعامله مع محيطه القبلي، ويبدو أن زاويته أصبحت جزءاً لا يتجزأ من البناء الاجتماعي بسبب الأدوار التي اضطلعت بها. وتشيد المصادر بمواقف الشيخ المتشددة ضد الممارسات البدعية. كما كان يستعمل نفوذه الروحي والمعنوي لإحلال التصالح بالمنطقة وإصلاح ذات البين بين القبائل، والتصدي لأفكار المكاوي وبلاء بن عزوز التي اعتبرها بدعاً وزندقة. ودعا تلامذته إلى عدم اتساع الشخصين المذكورين. وما يبين إسهام زاوية الحضيكي في المجال الاجتماعي، تلك الأعمال النفعية ذات الصالح العام

التي كان يوجه مردييه إلى القيام بها : توفير مخازن المياه،  
حفر قنوات إيصال الماء بمنطقة أمكدول وايسي ...  
توفي محمد الحضيكي يوم السبت 19 رجب عام 1189 /  
15 شتنبر 1775.

م. الحضيكي، الرحلة الحجازية، مخطوط، خ. ح رقم 405 :  
فهرسته، مخطوط : عبد الرحمان الجشتيسي، الحضيكيون،  
مخطوط : عبد الله الهلالي، وفيات الهلالي، مخطوط : ع.  
الحفيظ الفاسي، معجم الشيوخ، المطبعة الوطنية، 1350 : ع. الحى  
الكتاني، فهرس الفهارس، بيروت، 1982 ج 1، 353 : ع. ابن  
إبراهيم، الإعلام، ج. 4 ص. 81، الرباط 1975 : ع. ابن سودة،  
دليل مؤرخ المغرب الأقصى، الدار البيضاء، 1960. 1965 : م.  
المختار السوسي، المعول، ج 11 / 3، رجال العلم، ص. 70.  
44 : سوس العالمية (عدة مواضع) : ع. ابن عبد الله، معجم  
المحدثين والمفسرين والقرآن بالمغرب الأقصى، 1972، ص. 29 : ج.  
البنوعمان، حول تاريخ الحضيكي، جريدة السعادة، عدد 4623.  
1938 : عبد الرحمان، التاغرغاري، تراجم بعض علماء وفقهاء  
سوس، مخطوط : ع. الجساري، مدخل لرحلة الحضيكي، مجلة  
الناهل، عدد 10، 1977.

أحمد بومزكو

**الحطب**، مادة عضوية متكونة من الخشب (80).  
90٪) والقشرة والأوراق (10. 20٪) التي تستعمل جافة  
عند احتراقها. استعمل الإنسان الحطب منذ اكتشاف النار  
لإنتاج الطاقة الحرارية لتلبية حاجياته فيما يخص الطبخ  
والتسخين والتدفئة. وإلى حد الآن يبقى الحطب المصدر  
الرئيسي بالنسبة للقسط الأكبر من سكان العالم ولا سيما  
في بلدان العالم الثالث. لقد قدرت المنظمة العالمية للتغذية  
والزراعة (F A O) بأن 80٪ من الخشب المستهلك هو في  
العالم الثالث مستعمل على شكل حطب. وهذا يدل على  
مدى ارتباط هذا الاستهلاك بالموارد الغابوية التي تعرف  
مزيداً من الضغط الناتج عن تكاثف السكان وتزايد  
حاجياتهم للطاقة الحرارية. فإن هذا الاستغلال المفرط يعتبر  
بدون شك خطراً على توازن الأنظمة البيئية الغابوية، كما  
حدث في بلدان الساحل الإفريقي. وتجدر الإشارة كذلك إلى  
وجود عامل آخر يساهم في تزايد الضغط على الغابة وهو  
الحالات غير العادية من التغيرات المناخية كما هو الشأن  
في المغرب.

يستهلك المغرب كمية كبيرة من الحطب، تقدر بمائة  
وثلاثة عشر مليون قنطار سنوياً، 92٪ منها تستعمل  
بالخصوص من طرف الأسر المغربية، و8٪ الباقية من طرف  
المؤسسات الاجتماعية كالحمامات والفرن والمصنات. تدل  
هذه المعطيات على مدى ارتباط الأسر المغربية باستعمال  
الحطب كمصدر للطاقة الحرارية، إن هذا الارتباط يلاحظ  
بشكل وثيق بالنسبة للأسر القروية حيث تصل نسبة  
الاستهلاك إلى 89٪ مقارنة مع 3٪ فقط التي تستهلكها  
الأسر الحضرية.

إن معدل الاستهلاك الإجمالي للحطب يقدر بـ26 قنطاراً  
سنوياً لكل أسرة مغربية، يمثل فيها الحطب الغابوي وحده  
14 قنطاراً سنوياً لكل أسرة. تتغير هذه المعدلات حسب  
تغيرات مناخات المناطق بالمغرب حيث نجدها ترتفع مع  
قساوة المناخ وتنخفض في المناطق الدافئة. وهذا ما تؤكد  
المعطيات الآتية المتعلقة بمعدل لاستهلاك لكل أسرة :

- نسبة الاستهلاك من 0 إلى 10 قناطر : مناطق الدار  
البيضاء، الناظور، طنجة، أكادير، بوجدور ...  
- نسبة الاستهلاك من 10 إلى 20 قنطاراً : مناطق  
مكناس، تطوان، سطات، مراكش، كلميم ...  
- نسبة الاستهلاك من 20 إلى 30 قنطاراً : مناطق  
الحسيات، أزيلال، بولمان، تيزنيت ...  
- نسبة الاستهلاك ما فوق 30 قنطاراً : مناطق إفران،  
خنيفرة، شفشاون ...

تتكون الكمية الإجمالية المستهلكة من الحطب في  
المغرب كما يلي :

- 53٪ : من خشب الغابات  
- 19٪ : من خشب أشجار البساتين والأشجار المثمرة  
- 28٪ : من موارد مختلفة كالتين، ويقايا المزروعات،  
وما نتج من فضلات المصانع الخشبية ...

وفيما يخص الحطب الصادر عن الغابات المغربية فإنه  
يتعلق بالخشب غير المستعمل في الظروف الحالية في  
التجارة ولا في التصنيع ولا للتحويل إلى مشتقات الخشب،  
وذلك يرجع إلى كون البحوث الخاصة بتطوير التقنيات  
اللازمة لم تنجز بعد. والأنواع الشجرية الغابوية المنتجة  
لهذا الحطب هي :

- أشجار البلوط وخاصة البلوط الأخضر : 34٪  
- أنواع شجرية مختلفة : 42٪  
- أوكالبتوس : 15٪  
- أرغان : 5٪  
- المخروطيات : صنوبر، عرعر ... 4٪

أما من حيث المنظور البيئي فيجب أن نشير إلى أن  
هناك عجزاً كبيراً ما بين ما تستهلكه الأسر المغربية من  
حطب والذي يقدر بـ113 مليون قنطار سنوياً، وما تنتجه  
الغابات المغربية سنوياً والذي لا يتعدى حسب التقديرات  
15 مليون قنطار من القدرة الإنتاجية. وهذا يعني أننا  
نستهلك حوالي 100 مليون قنطار سنوياً من الحطب زيادة  
على ما تنتجه الغابات. مما يدل على أن الاستهلاك الحالي  
للحطب سيؤدي لا محالة إلى اندثار الغابات المغربية على  
المدى المتوسط، دون الإشارة إلى العوامل الأخرى للتدهور  
التي لا تقل خطورة.

Administration des Eaux et Forêts et Conservation  
des Sols. Cellule des études de Casablanca, 1994.  
Quantification de la consommation de bois de feu au  
Maroc : Rome, 1980 : Le bois comme source d'énergie.  
Comité des forêts, 5<sup>e</sup> session.

محمد هشمي

**الخطاب،** أسرة دكالية عربية نبيلة ولعل منهم آل الخطاب الذين هاجروا إلى الشرق واشتهر منهم هناك في القرن العاشر (16 م) الفقيه الكبير الباقعة محمد بن محمد ابن عبد الرحمان الخطاب المغربي الأصل المكي المولد (ت. 1547 / 954) وولده يحيى الخطاب آخر فقهاء الحجاز من المالكية (ت. بعد 1385 / 993) وقد كان هؤلاء يضيفون في توقيعاتهم "الرعيي" وهم من عرب اليمن. ويوجد آل الخطاب اليوم في مدينة الجديدة انتقلوا إليها من بادية دكالة أيام السلطان عبد الرحمان بن هشام لنشر العلم بين أهلها.

**الخطاب، أحمد بن صالح** المجدي المدعى مؤلى النخل، أورد نسبه الكانوني في جواهر الكمال، بناء علي شجرة يقول إنها توجد بيد حفدته بالجديدة تصل إلى إدريس ابن إدريس مؤسس مدينة فاس. وقد كان مقر هذه العائلة عند جدهم المشهور عمرو بن الحسن الخطاب بالسرغنة فانتقل ولده عثمان إلى الشاوية وتنازلت ذريته هناك في أولاد حريز فكان منهم العلماء والصلحاء والأعيان.

ولما انتدب السلطان عبد الرحمان بن هشام عدداً من سكان دكالة وسوس لعمارة مدينة الجديدة بعد إعادة بنائها (انظر مادة : الجديدة)، قام كذلك بانتداب عدد من العلماء والفقهاء لتأطير هؤلاء السكان البدو الذين لم يكن لهم إمام كبير بشؤون الدين والحضارة. وكان أول من انتدب لهذه الغاية الفقيه أحمد بن صالح الخطاب. وكان أستاذاً عاماً مجدداً في نشر القرآن والدين، فأخذ يطوف على الناس ويحجب إليهم الدين والصلاة ويبالغ في تأليفهم بالإطعام تارة وبالمال أخرى، ولا يترك سبيلاً من سبل الإرشاد إلا طرقة حتى انتشر الدين والقرآن في أولئك النزلاء، كما عمل أبناؤه على تفقيه الناس في أمور الدين وعمارة المساجد.

توفي الفقيه أحمد الخطاب صدر القرن الثالث عشر (19 م) ودفن على مقربة من نخل كان هناك فعرف بسيدي أحمد مؤلى النخل. ومنذ تلك الفترة غلب اسم سيدي أحمد مؤلى النخل على اسمه الحقيقي وأصبحت المقبرة التي دفن بها تحمل اسم "مقبرة سيدي أحمد مؤلى النخل".

م. الكانوني، جواهر الكمال في تراجم الرجال، مخطوط : روايات شفوية.

**الخطاب، أحمد بن محمد** المجدي، وكند بمدينة الجديدة سنة 1351 / 1932 وتربى في أحضان والده بعناية كبيرة لأنه لم يترك من الأولاد غيره، وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بالجديدة ثم التحق بمدرسة المعلمين براكش، وبعد تخرجه منها عين بالمدرسة الابتدائية بالجديدة

وقضى بالتعليم الابتدائي مدة قصيرة ثم حصل على شهادة العالمية من كلية ابن يوسف براكش، فالتحق بالتعليم الثانوي سنة 1378 / 1958، وبعد ذلك أسندت إليه إدارة ثانوية أبي شعيب الدكالي سنة 1318 / 1961. فكان هذا الشاب الفقيه شعلة من الذكاء، وقام بواجبه على رأس تلك المؤسسة بكفاءة ودراية، كما كان ينوب أحيانا عن والده في إلقاء خطبة الجمعة بالمسجد الأعظم بالجديدة.

انخرط صغيراً أيام الحماية في الحركة الوطنية، فكان يناضل في حزب الشورى والاستقلال، ولما رفض والده الفقيه محمد الخطاب الدعوة لابن عرفة على منبر المسجد، سنة 1373 / 1953، ألفت سلطة الحماية القبض عليه هو وولده لأنهم كانوا يعتقدون أنه هو الذي حرض والده بحكم انتمائه إلى الحركة الوطنية على اتخاذ ذلك الموقف، غير أنه أطلق سراحهما بعد مدة.

توفي في حادثة سير بين مدينة الجديدة والجرف الأصفر ولم يتجاوز عمره الأربعين يوم السبت 28 ذي الحجة سنة 1389 / 7 مارس 1970.

معرفة شخصية : وثائق إدارية : ج. بنسودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 9 : 3418.

**الخطاب، محمد بن أحمد بن المعطي بن أحمد بن صالح** سابق الترجمة. وُلد بالجديدة عام 1304 / 1886 وبعد أن حفظ القرآن الكريم أخذ عن عدد من علماء الجديدة وفي مقدمتهم والده الفقيه أحمد بن المعطي الخطاب (ت. 1328 / 1910) والقاضي سعيد بن الهيبة الدكالي البوعزيزي والقاضي أبي شعيب المبخوت والفقيه الفيلسوف محمد الرافي والقاضي محمد الرفي، ثم رحل إلى فاس بصحبة والدي إسماعيل الشياطي بقصد اتمام دراستهما بالعاصمة العلمية فكان من رفقاتهما في الدراسة عباس بناني الفاسي فتوطدت صداقة كبيرة بين الثلاثة لم تنفصم عراها إلا بوفااتهم.

ولما عاد محمد الخطاب إلى مسقط رأسه، التحق بسماط العدول، ثم لم يلبث أن أسندت إليه مهمة الخطبة بمسجد بلحمونية المعروف الآن بالمسجد البراني، وظل يمارس ذلك أزيد من خمسين سنة أي إلى أواخر حياته. وبما أن أهل الجديدة كانوا في ذلك العهد لا يبذون رغبة كبيرة في إرسال أبنائهم إلى المدرسة الابتدائية الوحيدة التي كانت سلطة الحماية قد أنشأتها بهذه المدينة، فإن تلك السلطة عملت على توظيف الفقيه محمد الخطاب كمدرس للغة العربية ومبادئ الدين بالمدرسة المذكورة، الشيء الذي جعل أولئك الآباء يطمئنون على مصير أولادهم فيقومون بتسجيلهم بتلك المدرسة التي كانت توجد بالدرب الطويل.

واعتماداً لما كان يمتاز به الفقيه الخطاب من حيوية ونشاط، فانه بالإضافة إلى العدالة التي لم يكن يمارسها إلا

حاله إلى أن توفي في آخر المحرم سنة ستين وخمسائة / 17  
دجنبر 1164 ودفن بالقراة الصغرى.

**ابن الحطيطنة، محمد اللخمي الفاسي**، لعله ابن من  
قبله كان متصدراً للقراءات بفاس في النصف الثاني من  
القرن السادس (12 م) أخذها عنه علي بن موسى ابن  
النقرات السالمي الجباني حين انتقل إلى مدينة فاس، المتوفي  
بعد عام 593 / 1196.

أ. ابن القاضي، جدوة، 1: 116، 2: 481؛ أ. ابن فنفذ، شرف  
الطالب، موسوعة أعلام المغرب، 1: 364.

محمد حجي

**الحفرة (مؤالين -)**، فرقة كبيرة من فرق قبيلة أولاد  
سعيد بالشاوية الجنوبية. كانوا في بداية القرن العشرين  
يتألفون من خمسة دواوير هي: أولاد معمر، أولاد سيدي  
أحمد بن اليمني، شرقاوة الحوارثة، أولاد سي شكال،  
عراوة. وحسب الإحصاءات الإدارية التي أنجزتها إدارة  
الحماية كان مؤالين الحفرة يتكونون حوالي سنة 1913 من  
ألف وخمسائة وخمس وتسعين خيمة. وبذلك كانت فرقة  
مؤالين الحفرة تأتي في الرتبة الثانية من حيث عدد الخيام  
بعد فرقة الهدامي (1887 خيمة) تليها فرقة أولاد عريف  
(1261 خيمة) وكدانة (1027) وأولاد عيسو (917 خيمة)  
ومزورة (774 خيمة). وهذه الفرق الخمس هي التي تكوّن  
قبيلة أولاد سعيد.

ينتمي مؤالين الحفرة إلى أصول شاوية من قبائل  
مجاورة وأصول دكالية وتادلية، وتوجد بديارهم آثار قصبه  
أحد قواد أولاد سعيد المشهورين بالشاوية وهو القائد عير  
ولد مؤال الطابع، قرب سوق أربعاء أولاد سعيد مؤالين  
الحفرة التي تقع إلى الغرب من مدينة سطات.

علال الحديبي

**الحفصي، عبد الواحد بن أبي حفص عمر بن يحيى**  
محمد بن وانودين، ويرفعون نسبهم إلى عمر بن الخطاب  
كما عند ابن خلدون.

كان والده أبو حفص عمر الهنتاتي أول من بايع المهدي  
ابن تومرت من قومه وحملهم على ذلك فأطاعوه لمكانته  
بينهم، لذلك كان يسمى بين الموحدين بالشيخ كما كان  
المهدي يُسمى الإمام وعبد المؤمن بالخليفة، وهذا يدل على  
مكانته في الدولة، تلك المكانة التي ورثها أبناؤه من بعده،  
ومنهم صاحب الترجمة الذي عُرف بشجاعته وشدة بطشه  
ونفاذ كلمته والذي وطد علاقاته أكثر مع الأسرة الموحدية  
الحاكمة عندما تزوج بأخت الناصر بنت يعقوب المنصور.

ولما نهض الناصر إلى إفريقية سنة 601 / 1204 حين  
بلغه استيلاء ابن غانية على تونس؛ سرح إليه أبا محمد

لماماً وإلى التدريس بالمدرسة الحكومية وخطبة الجمعة  
بالمسجد الأعظم، أخذ ينظم في نفس المسجد بعد صلاة  
المغرب دروساً في الفقه والدين والنحو والصرف والبلاغة  
والسيرة النبوية لفائدة عدد من تلاميذ المدرسة الحكومية أو  
من تلاميذ الكتاتيب القرآنية المنبثة في المدينة، لذلك كان  
يطوف باستمرار على تلك الكتاتيب لتقديم بعض  
الإرشادات التربوية للمدرسين ولاختيار التلاميذ النجباء  
لتمكينهم من حضور الدروس التي كان يلقونها بالمسجد  
الأعظم. وهكذا كان له الفضل في تمكين عدد كبير من  
الشباب من إتمام دراستهم الثانوية، بل وحتى العالية، فهو  
لم يكن يقتصر على التدريس والإرشاد، بل كان يتعدى  
ذلك إلى تقديم الإعانات المادية لا للطلبة الذين كانوا  
يدرسون بالجديدة فحسب، بل حتى لأولئك الذين كانوا  
يدرسون خارجها لا فرق عنده بين من كان يدرس بالتعليم  
العصري أو التعليم الأصيل. كما كان الفقيه الخطاب  
بالإضافة إلى ذلك من دعاة تعليم البنات ومن أول من شجع  
على إنشاء مدرسة خاصة بالفتيات بالجديدة.

كنت أحضر دروس الفقيه الخطاب بالمسجد الأعظم بين  
العشاءين بعد أن أدخلني إلى المدرسة الحكومية إثر وفاة  
والدي، فكان يشتري من ماله الخاص كتب المطالعة  
ويوزعها علينا، وعندما ينتهي دراسة فن من الفنون يقوم  
بجمع كتب تلك المادة ليوزعها على فئة أخرى من الطلبة  
وهكذا دواليك. وكان يمتاز بصوت جهوري وفصاحة لسان،  
لذا كان الإقبال على دروسه وخطبه شديداً.

تأثر الفقيه كثيراً بوفاته ولده أحمد سابق الترجمة  
فتدهورت صحته ولم يلبث أن توفي بالجديدة في عشرين ذي  
القعدة عام 1390 / 17 يناير 1971.

معرفة شخصية وروايات شفوية؛ ع. ابن سودة، إتحاف المطالع  
وسل النصال، موسوعة أعلام المغرب، 9: 3425، 3426.

محمد الشياطي

**ابن الحطيطنة، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن هاشم**  
اللخمي، من أهل فاس ولو أن هذا البيت لم يذكره ابن  
الأحمر في بيوتات فاس الكبرى. وُلد الحطيطنة بفاس يوم  
الجمعة 17 جمادى الأخيرة عام 480 / 18 شتنبر 1087 وبها  
نشأ ودرس على ما يبدو. قال عنه ابن القاضي في الجفوة:  
"كان من مشاهير الصلحاء وأعيانهم، وكان مع صلاحه فيه  
فضيله ومعرفة بالآداب، وكان رأساً في القراءات السبع،  
ونسخ بخطه كثيراً من كتب الآداب وغيرها، جميل الخط  
حسن الخطب".

انتقل إلى مصر، وحج ودخل الشام، واستقر أخيراً  
بضاحية القاهرة، وللمصريين فيه اعتقاد كبير لما رأوا من  
صلاحه وفضله، وكان عالي الهمة يتعيش من نساخة  
الكتب. وقد حلت بمصر مجاعة شديدة وجاءه أعيان القوم  
يرغبون في مساعدته فأبى وأصهروا إليه بابنته وظل على

وُلد محمد المامون في حدود سنة ثلاث وألف / 1594 بمراكش، وبها درس على القاضي عيسى السكتاني وأبي بكر السكتاني المغارتي، وأحمد الحريري وغيرهم، فنبغ على صغر سنه في العلوم الشرعية واللغوية، وألف كتباً تعليمية نالت إقبالاً عظيماً منذ عصره إلى الآن، منها شرح للأجرومية، مركز واضح مفيد؛ وشرح العقيدة الصغرى للسنوسي تناول فيه بالشرح والتعليل بعض عبارات المؤلف السنوسي في شرحه لصفراء، وقد طبع على الحجر بفاس عام 1324 / 1906 وشرح العقيدة الكبرى للسنوسي؛ ومنظومة في المنطق.

توفي بمراكش، وهو في عنفوان الشباب، يوم الاثنين 23 شوال عام 1037 / 26 يونيو 1628.

م. الإفرائي، صفوة، 109؛ م. المضكي، طبقات، تج. أ. بومزكو، الترجمة، 446؛ أ. ابن عجيبة، أزهار البستان، 241، 242؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 5؛ 254؛ ع. كسون، النبوغ، 1؛ 258؛ إ. الإدريسي، معجم الطبوغرافيا المغربية، 90.

محمد حجي

**الحفارة** Pholade، حيوانات مائية تنتمي إلى الرخويات كالحبار والحلزون، كما تنتمي إلى ثنائيات الصفة كالمحار وبلع البحر مثلاً، فهي بذلك حيوانات مائية وبحرية بالأخص تتغذى بالعوالق والمواد العضوية الموجودة في الماء، بعد تصفيته، كما تمتص الأكسجين الضروري لوظيفة أعضائها مباشرة من الماء عن طريق خياشيم متطورة بالنسبة لثنائيات الصفة الأخرى. أما التوالد فيتم عن طريق الصدفة بعد إلقاء كل من الحيوانات المنوية والبويضات في الماء.

تعتبر الحفارة من الرخويات القلائل التي تعيش في ثقب داخل الصخور، فهي ذات صفة طويلة ورقيقة نسبياً مكسوة "بأسنان" وأشواك دقيقة تمكنها من حفر مشاهات داخل الصخور. أما بالنسبة لبعض العلماء وبالإضافة لهاته الطريقة الميكانيكية فإن حفر الشقب والمشاهات داخل الدعامات يتم كذلك عن طريق فرز لعاب حامضي تذوب تحت تأثيره المواد المكونة للصخور خاصة الكلسية منها. أما إذا فضلت اللجوء إلى صخور صلبة غير كلسية فهي تدور حول نفسها تبرد وتسحل حبيبات الصخر إلى أن تتمكن من تهيب ثقب في حجم قوقعتها وبالمئات اللازمة، وقد يتطلب حفر جحر واحد بضعة أسابيع.

إذا كانت الحفارة تعيش عادة في المستويات السطحية وخاصة في منطقة المد والجزر فإن وجودها في بعض السلسلات الجيولوجية العميقة تحت سطح البحر يفسره العلماء بانحدار مستوى الساحل، كما أن وجودها في مغارات وأثار أعلى حالياً من مستوى البحر فهذا يؤكد تراجع مستوى مياه البحر، وخاصة لذلك فإن بقايا هذه الحيوانات يمكن استعمالها كدليل على تغيرات مستوى مياه البحر خلال العصور الجيولوجية.

عبد الواحد فأوقع به في تاجرا من نواحي قابس وأثنى في أتباعه وجنده قتلا وسيباً، أما ابن غانية ففقه فر إلى صفراء برقة لاسترجاع أنفاسه ولم شتاته.

وبعد ما أتم الناصر تمهيد إفريقية وأرجع الأمور إلى نصابها واعتزم الرجيل إلى دار ملكه بالمغرب الأقصى اختار عبد الواحد بن أبي حفص ليكون والياً عليها لمواجهة ابن غانية وأمثاله وشيختهم من الملتهمين والأعراب، لكنه امتنع أول الأمر ثم قبل بعد مدة مقابل شروط، أهمها أن يعود إلى المغرب عند انتهاء ثلاثة أعوام وأن يولي ويعزل كيف شاء؛ فقبل الناصر شروطه دون تردد وعاد إلى المغرب سنة 603 / 1207. هذه التولية التي أجمع عليها شيوخ الموحدين كانت مبعث شك بالنسبة لكثير من المؤرخين وغيرهم من المهتمين والمتبعين لأخبار الموحدين إذ رأوا فيها مظهراً من مظاهر الصراع على النفوذ الداخلي في بلاط السلطان الموحدي بين هؤلاء الشيوخ ومؤامرة منهم لإبعاد أبي محمد عبد الواحد الحفصي، "وكانهم أرادوا إبعاده عن الخلافة ليجدوا السبيل إلى أغراضهم" كما يقول التجاني في رحلته.

لم يرجع صاحب الترجمة إلى مراكش بعد ثلاث سنوات كما كان مقرراً، بل استبقى هناك رغم إلحاحه على الناصر بالرجوع خصوصاً بعدما تم له الانتصار الباهر على ابن غانية في معركة نفوسة سنة 606، فراح يرتب أمور البلاد ويدير شؤونها ولم يحدث بينه وبين السلطة المركزية الموحدية ما يعكر صفو العلاقات إلا تأخره على مبايعة المستنصر بالله الموحدي الذي قدمه الأشياخ لخلافة والده الناصر المتوفى في شعبان عام 610 / دجنبر 1213 وهو لا يزال بعد طفلاً.

ومع ذلك فقد استبقى عبد الواحد في إفريقية واستكفي به وعول عليه في ضبط أحوالها وتدير شؤونها، ولم يزل بها إلى أن هلك في المحرم من سنة ثمان عشرة وستمئة 618 / فبراير 1221، وسيكون لأبنائه وأحفاده شأن فيها خصوصاً بعدما أعلنوا انفصالهم عن الدولة الموحدية وكونوا إمارة بني حفص في تونس.

ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين؛ ع. ابن خلدون، العبر، 6؛ 327. 332؛ التجاني، الرحلة، 360؛ العروسي، السلطنة الحفصية، 69.

101.

محمد مرزاق

**الحفصي، محمد المامون بن محمد المراكشي، من ذرية الحفصيين ملوك تونس آل أبي حفص عمر الهنتاتي أحد أصحاب المهدي ابن تومرت. قدم جده محمد على السلطان محمد المهدي الشيخ بعد أن استولى الأتراك على تونس وأزعجوا الحفصيين عنها. فأكرمه وظنه يريد إعانتته على استرجاع ملكه لكن الحفصي اختار المسكنة والاشتغال بالعلم وظل في حظوة إلى أن مات.**

يوجد في المغرب نوع واحد من الحفارات في معناها اللاتيني، أي التي تنتمي إلى جنس Pholas وهو نوع Pholas dactylus إلا أنه إذا اعتبرنا أنواع ثنائيات الصفة التي تعيش داخل الصخور والتي بالتالي يمكن أن نطلق عليها اسم حفارة فهناك ثلاثة أنواع أخرى هي Lithodomus lithophaga و Lithophaga lithophaga كذلك Lithophaga aristota.

Alfa science 1974 : Les animaux. Encyclopédie des animaux dans la nature, vol. 3, Animaux de la mer, Paris, 1980 ; H. Boue et R. Chantal. Biologie animale, Zoologie, Invertébré. Paris, 1962. 723p.

محمد منبوي

ابن حفني، صموئيل ها كوهين (Samuel ha Cohen) بن Hofni كان ابن حفني ها كوهين رئيس المحكمة اليهودية بفاس بين القرن العاشر والحادي عشر للميلاد. وقد ولد بفاس سنة 1034 م وانتقل بالعراق، وهو عضو أكاديمية ربي مدينة سورا (Sura) وكان آخر رئيس لها (كاؤون). وتعلم أن كاؤون شغل منصب كبير الطوائف اليهودية خلال الحكم العباسي وكان الكاؤون كذلك المرجع الديني والقضائي لعموم اليهود.

وفي هذا الصدد قام صموئيل ابن حفني بالجدل ضد الانفصاليين (le schisme) المعروفين بالقرائين، في كتابه المحزر باللغة العبرية "عرووت" (Earavot) وتعني : (مقت) وأغلب مؤلفاته باللغة العربية وهي حول القوانين الموسوية ونذكر منها : البلوغ والإدراك، في الطلاق، في النفقات، الضرائب، الشفعة، الشروط، المجاورة، البيع، ومدخل إلى التلمود.

شمعون ليفي

**الحفول**، هو الاحتفال في اللهجة الحسانية، ويطلق على العمليات التي تتبعها المرأة والوسائل التي تعتمد عليها للتزيين أو الزينة والتي تشمل تقريبا كل المناطق الظاهرة من الجسد، حيث يتم توظيف الكحل لتزيين العين كما كان يدهن الوجه بالدهن الخالص مخلوطا بالقليل من ورق الزعفران الحمر، بينما توظف النيلة التي تجلب من السودان وجنوب موريتانيا في صبغ لأنف ورؤوس الشفاه (حتى تسود لكامامة) وبعدها تأخذ المرأة المسراك وتلوكة في فمها حتى يصبح لونه أحمر، ثم ترسم خطا صغيراً على الخدين باستعمال "الحسيرة" وهي عبارة عن حصى صغيرة تفرز لونا أحمر ولتزيين أطراف أخرى كأعلى الخدين والحاجب والجبهة، وتشارك المناطق الصحراوية كلها تقريبا في أفاط ووسائل الحفول، كما أن الجواهر والحلي الفضية بشكل خاص تعتبرها المرأة من المكونات الرئيسية للزينة كالحواتم والحلاخل، الكلايد، أمزرد، الطوائك... ليس فقط لأن الاعتقاد على انعدام الأمن وضرورات الترحال

تفرض على المرأة أن تحمل كل أنواع الحلي حيث تغطي الرأس وال عنق واليدين (26 Puigaudeau) بل إنه في مناطق تزواج الاستقرار والترحال كوادي نون نجد نفس المعطيات.

وتعد الظفرة بدورها مظهراً من مظاهر الحفول لا يمكن فصلها عنه كما فعلت دي بيغودو. وهي العملية التي تنجزها نساء متخصصات في تصفيف الشعر، وتختلف الظفرة حسب نوع الشعر والمناطق، وإذا كانت العملية تعاد كل شهر تقريبا فإن الظفرة العادية كما نجدها في أطار بموريتانيا ووادي نون تشتهر بتوفرها على خمس ظفائر تقليدية : كطب وكرنين وظفرتين (20 Puigaudeau) إلا أن ظفرة العرس تختلف نسبيا إذ يقسم الشعر إلى قسمين، الأمامي يقسم بدوره إلى ثلاثة أجزاء : أزور يعلق عليه خيط مزين بـ"لخرز الحمر" (لكرز - الكركوب - التيل الحمر...) ثم "الجدابل" وهي خمس ظفائر صغيرة تزين "بأمجون" و"شعيل" و"الليال" ثم تلبه "اخاطيم" وهما ظفيران تجذبان إلى الأمام وتزينات "أمجونة" كبيرة. أما القسم الخلفي فتجد فيه "أتبيب ظفرة صغيرة لا تزين، ثم "العتاتيگ" وهي ظفائر تزين بأمجون ولخراب.

وتعتبر العطور أيضاً مكملة للحفول حيث نجد فيها ما هو محلي وما هو مستورد خاصة من جنوب الصحراء. وما يهم في هذه العملية في الثقافة المحلية لوادي نون هو كونها مرتبطة بعدد من الطقوس والمحددات، إذ باعتبار "الحفول" رغبة في البحث عن التزيين والتجميل الاصطناعي، فإنه بالمقابل يكتنز نسبة هامة من الرموز (99 Mauss).

إن الضوابط الاجتماعية التي ترافق وترتبط بتنظيم هذه العملية تُظهر باكراً عن ارتباطها بالعلاقات الجنسية وشروط الاتصال (امرأة ← رجل) وبالتالي عن تكامل النسق الاحتفالي الذي تنطوي عليه مكوناتها، فليس من حق الفتاة التي لم تتزوج بعد أن تمارس "الحفول" بل يسمح لها بذلك ابتداءً من صبيحة عرسها شرط أن تكون قد أثبتت عذريتها وأصبح الحفول "حلالاً" عليها، كما لا يحق للمرأة / الزوجة أن تواصل وتستمر في "حفولها" في حالة غياب زوجها، في حين يجوز للمرأة المطلقة أو الأرملة بعد أن تكون قد أنهت فترة "العدة" أن تتحفل لأنها تعتبر في الثقافة المحلية "ديبارة" أي أنها ما زالت ترغب في الزواج ثانية.

إن الطقوس الموازية للحفول تتناسل فيها أيضاً مفاهيم الاستعراض والإغراء، وكذا وضعيات وظروف المرأة في المجتمع الصحراوي. كما أنها تخفي عدداً من المتغيرات المتلاحقة في قرون من الزمن، إذ ضمن هاته المعطيات يجري الصمود ضد تحولات القيم الاجتماعية وشروط المتابعة (1105 Annales) هكذا نجد أمازيغ بوادي نون يختلفون نسبيا عن تكنة في بعض مراسيم وشروط الحفول. ومع غياب معلومات ومعطيات مونوغرافية حول الموضوع

يظل اللجوء إلى الوصف والمقارنة أمراً أولياً ولكنه على مستوى معرفي يصعب من خلاله إصدار أحكام بل تجميع نتائج البحث المعاصر (E. Prichard, 33).

M. Mauss, *Manuel d'ethnographie*, Paris, 1967 ;  
Evans Pritchard, *La femme dans les sociétés primitives*,  
Paris, 1971 ; A. Puigauveau, *Arts et coutumes des  
Maures, H.T.*, vol. XI, 1970 ; M. L. Tenèse, *Introduction à  
l'étude de la littérature orale*, A.E.S.C. N° 5,  
Sept.-Octobre 1969.

جرماني أحمد وجوماني محمد

### الحفيان، العمري بن الحاج، من الأعيان المعروفين

بقبيلة أولاد سعيد المنتمة للشاوية الجنوبية. اشتهر بولد الحاج الحفيان، ولعب دوراً بارزاً في انتفاضة الشاوية، تلك الانتفاضة التي بدأت بأولاد سعيد، وهو ينتمي إلى فرقة أولاد عريف السعيدية، من دوار أولاد قاسم. كان مقرباً من المرابط البوعزاوي، سابق الترجمة، لذلك رشحه لقيادة القبيلة خلال الانتفاضة وخلال عمليات الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي (1907. 1908). ولما سيطر الجيش الفرنسي على الشاوية هاجر ولد الحاج الحفيان إلى مراكش - وظل على عدائه للفرنسيين الذين اعتبروه بدورهم من أخطر المعارضين لهم حسبما أكدته استخبارات الجيش الفرنسي التي بينت سنة 1910 أنه كان مخالطاً لبعض البلجيكيين ربما لحماية نفسه من الفرنسيين.

علال الحديبي

### ابن الحفيان، محمد البرهمي العمري، كان سنة

1268 / 1851 وربما قبلها قائداً للبراهمة الذين هم بطن من فرقة عامر الحسناوية، ولا سيما عامر الحوزية المحيطة بمدينة سلا من الشمال. ورد ذكره قائداً في الوقت الذي كان الأسطول الفرنسي عازماً على قصف مدينة سلا بسبب القمع المنهوب، فطلب منه أن يكون على أتم استعداد لكل طارئ.

وقد قام ابن الحفيان بواجبه بجمعة إخوانه عامر وبما لهم من حمية ومجدة حتى خلد ذلك محمد بن الحاج عبد الغني بلحسن السلاوي المتوفى سنة 1273 / 1856 في قصيدة ملحونية مشيداً به وبإخوانه "ناس المُشَالِيَا" أي أهل المبارزة والقتال، فقال :

ابن الحفيان مَعَا اقبيلتو وَخَوْتُو هَاذُو اَجْسَوَاذُ  
لُقْبَايِلِ عَامَسِر

هاذو عامر ناس المُشَالِيَا يَتَمَجَّدُو لِحَرَار  
وكانت لهاته القصيدة التي نشرها ج سونيك G. Sonneck في كتاب *Chants Arabes du Maghreb* سنة 1903 صدى كبير وصلت مقاطعها إلى مدينة قسنطينة وشيوخها الذين كانوا يحفظونها وينشدونها.

على أن ابن الحفيان قد رُزِيَ بطريقة غير مباشرة في بعض أملاكه بفعل ذلك العدوان الفرنسي. ذلك أنه كان قد

اشترى داراً بحومة باب سبتة من مدينة سلا من ورثة أحمد زنيبر ولا سيما ولده بناصر. لكن المخزن الذي كان يطالب الورثة بمبلغ 1600 ريال منع بيعها ضماناً لحقوق الدولة وأراد حيازتها بالثمن الذي اشتراها به ابن الحفيان. وأثناء البيع صفقة تهدمت الدار بفعل البارود الذي كان فيها لجانب المخزن لمواجهة العدوان فانفجر وتهدمت الدار كلها. فطلب القائد من مولاي عبد الرحمان إعانته بنصف ثمنها حتى يصلحها، فوافق السلطان لكن ذلك لم يكتب له التنفيذ، فبقيت الدار المذكورة متهدمة وخالية إلى أن أصبحت محلاً لرمي الأزيال طيلة أربعين سنة. وإلى ذلك نيه عامل سلا الحاج محمد بن سعيد في رسالة منه إلى الحسن الأول فأمر السلطان أمناء الرباط بإجراء تقويمها على يد الخبراء. ولما حاول يوحوش السلاوي حيازتها جادله في ذلك القائد محمد بن محمد بن الحفيان سنة 1308 / 1890 ذاكراً أن أباه كان يملكها ولا يجوز أن تصح ملكاً لغيره.

وبعد مدة قصيرة عزل محمد بن الحفيان، لكنه رد إلى سالف منصبه فكان قائداً على عامر كلها سنة 1272 / 1857 أو قبلها بيسير واستمر في وظيفة إلى ما بعد سنة 1281 / 1864 حيث أدركته الوفاة.

م- ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، هامش الصفحة 33 من الطبعة الثانية : أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 63 : م. بوشعراء، *علاقة المخزن بأحواز سلا*، ص. 99 : 100 : محمد عز الدين الذبيبي، *دور الزوايا والصلحاء في التنظيم الاجتماعي بالمغرب*، بحث مرفوع لنيل الإجازة في علم الاجتماع بكلية الآداب بالرباط، سنة 1983-1984.

### ابن الحفيان، محمد بن محمد البرهمي العمري،

ولد القائد الحفيان المذكور أعلاه ولي على البراهمة وغيرهم من قبيلة عامر مثل أولاد مبارك والمغايشة والنخاخسة، فكان سنة 1307 / 1890 قائداً إلى أن كانت سنة 1313 / 1896، فأودع السجن.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن بأحواز سلا*، ص. 166.  
مصطفى بوشعراء

### حفير السهّاج، خندق بسبتة، وهو أحد الحفائر

الأربعة التي كانت موجودة بسبتة الإسلامية، وثاني الحفائر التي أمكن تحديد موقعها بسبتة الحالية. إنه عبارة عن خندق كبير يفصل المدينة عن أرياضها الغربية في الجهة الضيقة من شبه الجزيرة. أقدم إشارة إلى هذا الحفير تعثر عليها في كتاب *المسالك والممالك* للبيكري (القرن الخامس - 11 م). وقد يعود تاريخ إنجازها إلى أقدم من ذلك. والراجح أنه حفر لغرض عسكري محض، لحماية ظهر المدينة القديمة من أخطار البر، ومن ثم تقوية الحماية العسكرية الطبيعية التي كانت تشكلها الجبال المحيطة بسبتة. وعند ما توسع النسيج الحضري وتجاوز حفير السهّاج كنتيجة لارتفاع عدد ساكنة سبتة الإسلامية، أصبح الاتصال بين الأرياض الخارجية والمدينة يتم عبر قنطرتين : قنطرة باب المشاطين

وقنطرة باب الفرج. لقد أدرك البرتغاليون فيما بعد الأهمية الاقتصادية والعسكرية لهذا الحفير الجاف فحوكوه إلى قناة مائية صالحة للملاحة.

أ. البكري، كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ط. دوسلان، باريس، 1965، ص. 103؛ الأنصاري، اختصار الأخبار، الرباط، 1983، ص. 46.

M. Gordillo Osuma, *Geografía urbana de Ceuta*, Madrid, 1972 ; Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIème et XIVème siècle : essai de reconstitution de la civilisation musulmane*, Thèse 3ème cycle, Aix-Marseille I, 1987.

زليخة بنرمضان

**الحق**، جريدة أسسها الإسبان في طنجة يوم 8 يناير 1911 للذود عن مصالحهم ومناقسة جريدة "السعادة" المناصرة للفرنسيين. وعندما فرضت فرنسا هيمنتها على المغرب بموجب معاهدة فاس (30 مارس 1912) صعدت جريدة الحق من لهجتها ضد الفرنسيين وحاولت تحريض المغاربة ضدهم، سيما وأن انتشارها أصبح يتجاوز مدينة البوغاز ليشمل بعض المناطق الداخلية من البلاد، مثل حاضرة فاس. وقد تضايقت الإقامة العامة من هذه الدعاية، الشيء الذي جعلها تعتقل، بتاريخ 3 شتنبر 1912، المصيرين اللذين كانا يشرفان على تحريرها، وهما أحمد رفعت ومحمود زكي. ويعد المشول أمام المحكمة العسكرية بالرباط، حكم على الأول بخمس سنوات سجنًا مع الأشغال الشاقة، وعلى الثاني بثلاثة أشهر سجنًا. وكان من انعكاسات هذه المحاكمة أن عكفت الإدارة الفرنسية على إعداد قانون ينظم الصحافة في المغرب.

عكست جريدة الحق نوع التحالفات السائدة في أوروبا قبيل الحرب العظمى؛ فسبحت باسم إسبانيا، وتعاطفت مع ألمانيا، وشرحت بفكرة الجامعة الإسلامية التي كان يُروجها العثمانيون. واستمرت في الصدور حتى سنة 1914.

أعداد جريدة الحق في خ. ع.

جامع بيضا

**حقوق الإنسان**، يمثل الاهتمام المتزايد للمجتمع الدولي بضرورة تمتع جميع بني البشر في كل بقاع المعمور بكافة الحقوق والحريات أهم تقدم أخلاقي عرفه التعامل الدولي خلال هذا القرن.

وإن هذا الاهتمام البارز الذي حظيت به اليوم مسألة حقوق الإنسان على المستوى الدولي، وإن وجد ما يبهره، فإنه لا يعني أنه اهتمام طارئ أفرزته طبيعة الحياة الراهنة. ذلك أن حقوق الإنسان كانت - دوماً - حاضرة في عمق الصراعات التي خاضتها الإنسانية خلال تاريخها الطويل؛ إذ أن قيم الحرية والكرامة والعدل والمساواة قيم نادت بها الديانات وعانقها الفكر الإنساني وضحت من أجلها الأمم والشعوب.

ومع ذلك، فإن درجة الاهتمام بحقوق الإنسان، ونوعية هذا الاهتمام وطبيعته قد تباينت بتباين المراحل التي مر منها تطور الفكر البشري؛ مما ترك بصمات واضحة على أساليب التأسيس المرجعي التي عرفتتها هذه الحقوق.

مرجعيات حقوق الإنسان؛ لقد اختلفت مرجعيات حقوق الإنسان وتنوعت، وعكست في اختلافها وتنوعها تعدد الزوايا التي قد ينظر من خلالها لهذه الحقوق، وتنوع الإشكاليات التي ترتبط بها.

1- المرجعية الدينية: أكدت الديانات السماوية على كرامة الإنسان وعلى المنزلة الخاصة التي أنزله الخالق بين سائر المخلوقات، فقد جاء في القرآن الكريم "ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً" كما جاء على لسان رسول الله (ص) في خطبة حجة الوداع "أيها الناس: إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لأدم وآدم من تراب. ليس لعربي فضل على عجمي، ولا لعجمي فضل على عربي، ولا لأبيض فضل على أسود، ولا لثقوى، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد."

وقد أكد البيان الإسلامي العالمي لحقوق الإنسان (المعلن عنه سنة 1981) ثلاثة وعشرين حقاً من حقوق الإنسان الأساسية مستمدة من القرآن والسنة؛ كما بين أن هذه الحقوق هي حقوق ذات مصدر إلهي لا بشري "شرعها الخالق سبحانه، فليس من حق بشر - كائناً من كان - أن يعطلها أو يمتدني عليها".

كما أكدت وثائق أخرى نفس التوجه حيث ركزت على الأصول الإسلامية لحقوق الإنسان.

2- المرجعية الفلسفية: اتسمت أغلب الاتجاهات الفكرية التي برزت مع عصر النهضة بنزعة إنسانية Humanisme، فأعلنت من قيمة الإنسان، وأقرت بتميزه عن غيره من الكائنات الأخرى؛ كما أكدت على تميزه بالعقل والإرادة والحرية كماهيات تشكل وجوده؛ وعلى أن له حقوقاً تستمد وجودها من وجوده الطبيعي (فلسفات الحق الطبيعي) أو من وجوده الاجتماعي (نظريات العقد الاجتماعي). وحددت هذه الحقوق في: الحق في الحياة، الحق في التملك، الحق في الأمن، الحق في الحرية، الحق في المساواة، والحق في حرية المعتقد. واعتبرت أن هذه الحقوق تدخل في صميم الوجود البشري؛ وأن هذا الوجود هو المصدر لهذه الحقوق، كما اعتبرت أنه بدون التمتع بهذه الحقوق فلن يكون الإنسان إنساناً على الإطلاق.

3- المرجعية السياسية: رغم الحضور القوي لقيم حقوق الإنسان في كل من الفكر الديني والفكر الفلسفي خاصة الحديث منه، فإن "فكرة حقوق الإنسان" في نشأتها قد ارتبطت - تاريخياً - وبشكل أوضح بالفكر السياسي الحديث الذي برز في الغرب مع نهاية القرن الثامن عشر، وخاصة



مع الثورة الفرنسية ؛ قبل أن يكتسح هذا الفكر السياسي مجموع الفكر العالمي لتتخذ "فكرة حقوق الإنسان" عندئذ صبغة عالمية وتصبح محركاً دافعاً لنضالات الكثير من الدول والشعوب.

لقد شكل بالفعل "إعلان حقوق الإنسان والمواطن" - الذي تبنته الجمعية الوطنية التأسيسية الفرنسية يوم 26 غشت 1789 - مرحلة أساسية وحاسمة في تاريخ الفكر السياسي الحديث ؛ حيث كان هذا الإعلان أول إعلان صدر عن مؤسسة سياسية وقدم صياغة واضحة لمفهوم حقوق الإنسان في علاقتها بالمؤسسات السياسية والاجتماعية. من هنا كان لهذا الإعلان أثر بالغ في توجيه الاهتمام - في كل ممارسة سياسية - لقضية حقوق الإنسان ؛ باعتبارها قضية تحدد طبيعة للعلاقة التي ينبغي أن تحكم السلطة التشريعية والتنفيذية في إدارتها للمؤسسة الاجتماعية خدمة للإنسان - المواطن.

كما شكل هذا الإعلان لحظة تاريخية فاصلة توّجت ما سبقها من أحداث ارتبط فيها الفكر السياسي الغربي بقضية حقوق الإنسان وحقق خلالها طفرات نوعية تمثلت في الثورة الإنجليزية سنة 1688 وإعلان الحقوق المتخض عنها سنة 1689، وفي استقلال الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1776 وإعلان دستورها سنة 1787. وفي نفس الوقت شكل لحظة تاريخية مهدت لما تلاها من وقائع وأحداث وتطورات عرفت فيها قضية حقوق الإنسان ؛ كانت أهمها ؛ نشأة عصبة الأمم سنة 1919، وميلاد منظمة الأمم المتحدة سنة 1945، وتبني الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1948، وانطلاق حركات تحرير الشعوب مع بداية هذا القرن.

4 - المرجعية الوطنية : يشكل تاريخ النضال الوطني للشعوب من أجل التحرر - الذي شهده هذا القرن - تراثاً مرجعياً لحقوق الإنسان بالنسبة للكثير من الدول ومن ضمنها المغرب.

فلقد شهد المغرب - مع بداية هذا القرن - نضالات سياسية من أجل الإفلات من قبضة الاحتلال الأوروبي الذي كان يهدده. وقد ساهمت تلك النضالات في بروز حركة دستورية أدت إلى نشأة فكر سياسي إصلاحي وطني.

ومع بداية الثلاثينات تبلورت حركة وطنية قادت بتلاحم مع العرش مسيرة نضالية للمطالبة بالحقوق السياسية والمدنية للإنسان المغربي، وفي مقدمتها حقه في الحرية والكرامة، وتميزت بتقديم وثائق للمطالبة بالاستقلال وهي : وثيقة مطالب الأمة المغربية سنة 1931، ووثيقة مطالب الشعب المغربي سنة 1934، ثم وثيقتي المطالبة بالاستقلال المؤرختين بـ 10 و13 يناير سنة 1944.

كما برزت - في نفس الفترة - حركة المجتمع المدني للدفاع عن حقوق الإنسان ؛ حيث شهدت مدينة تطوان سنة 1933 تأسيس أول تنظيم مدني للدفاع عن حقوق الإنسان بالمغرب حمل اسم " اللجنة الفرعية للدفاع عن حقوق الإنسان".

5 - المرجعية الدولية : مع نهاية الحرب العالمية الأولى بدأ الاهتمام الدولي بحقوق الإنسان يتخذ طابعاً عملياً، إذ بدأ يترجم - تدريجياً - إلى نصوص في القانون الدولي. وهكذا تضمنت المادة 23 من ميثاق عصبة الأمم التزام الدول الأعضاء في هذه العصبة بالسعي نحو إيجاد ظروف إنسانية أفضل لكل العاملين من رجال ونساء وأطفال، وبالحرص على ضمان شروط المعاملة العادلة لوطائني المستعمرات الواقعة تحت نظام الانتداب الذي سنته عصبة الأمم.

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية، وكرد فعل للمجتمع الدولي إزاء الأوهال التي عانت منها الإنسانية بسببها، فإن ميثاق الأمم المتحدة عكس وبشكل واضح - في مواد عديدة منه - اقتناع المجتمع الدولي بأن الحماية الدولية الفعالة لحقوق الإنسان تشكل أهم الشروط لضمان السلم والتقدم الدوليين. إلا أن هذا الميثاق لم يتضمن أي تفصيل لمضمون هذه الحقوق، الشيء الذي تم تداركه في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة بباريس يوم 10 دجنبر 1948.

ويمثل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان - كما جاء على لسان الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة السيد خافيير بريز دي كويلار - "علامة رئيسية على طريق التقدم البشري أدت إلى إعمال المبدأ الذي قرره الميثاق وهو أن الاحترام العالمي لحقوق الإنسان هو محل الاهتمام المشترك لجميع الحكومات والشعوب". وعلى الرغم من عدم إلزاميته القانونية، فإن أهمية الإعلان العالمي تكمن في سلطته المعنوية، باعتباره أول وثيقة دولية رسمية في التاريخ، فهو وثيقة "تمثل في مجالها ضمير العالم ومعياراً يمكن أن تقاس به مواقف المجتمعات والحكومات".

وقد أدى استقلال عدد كبير من الدول والتحاقها بالأمم المتحدة منذ الخمسينات، إلى توسيع مجال حقوق الإنسان لتشمل حقوقاً لم يشر إليها الإعلان العالمي كحق الشعوب في تقرير مصيرها وفي السيادة على ثرواتها الطبيعية وحققها في اختيار أنظمتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

هكذا فإن التطور الذي ميز المجتمع الدولي منذ الستينات أدى إلى ظهور حاجة إلى إضفاء الإلزامية القانونية على ما تضمنه الإعلان العالمي من حقوق وما برز من حاجات جديدة في هذا المجال. فاعتمدت الأمم المتحدة منذ سنة 1966 العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والثقافية ؛ والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، وبروتوكوله الاختياري.

ومع بدء نفاذ هذه العهود سنة 1976، أصبحت الشرعة الدولية لحقوق الإنسان حقيقة واقعة، وأصبحت بقوة القانون ملزمة لكل الدول التي صادقت عليها ؛ وبذلك شكلت خطوة جريئة إلى الأمام في طريق إقرار الحقوق الأساسية للإنسان، كما أصبحت مصدراً للمبادرات التي اتخذتها

منظمة الأمم المتحدة فيما بعد لإقرار حقوق أخرى بصفة دقيقة على شكل موثيق تخص مجالات متعددة.

ومن بين هذه الموثيق نجد الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري، والاتفاقية الدولية لمنع جريمة الفصل العنصري والمعاقبة عليها، واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، والاتفاقية بشأن الحقوق السياسية للمرأة، واتفاقية حقوق الطفل، والاتفاقية الخاصة بالرق، واتفاقية تحريم السخرة، واتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة، واتفاقية الحرية النقابية وحماية حق التنظيم النقابي، والاتفاقية الدولية لحماية حقوق جميع العمال المهاجرين وأفراد أسرهم، وغيرها من الاتفاقيات والإعلانات والبروتوكولات والقواعد الدولية التي تهدف إلى حماية الحقوق الأساسية للإنسان والحفاظ عليها.

وهكذا فإن المجتمع الدولي ومنظمة الأمم المتحدة على وجه الخصوص قاما - خلال الخمسين سنة الماضية - بمجهودات جبارة من أجل إقامة نظام شامل ومتكامل لحماية حقوق الإنسان غطى كافة المجالات المتعلقة بالإنسان.

تصنيف حقوق الإنسان : يمكن تصنيف حقوق الإنسان - من زاوية تطورها التاريخي - إلى أجيال ثلاثة.

الجيل الأول : يشتمل هذا الجيل من حقوق الإنسان نمطاً من الحقوق تضمن للفرد حريات تدخل في مجال الفكر والاعتقاد (الحق في حرية التفكير والتعبير والعبادة) وحقوقاً تدخل في مجال الوجود (الحق في الحياة الطبيعية وفي الحياة الخاصة) وأخرى تتعلق بحرية الفعل (الحق في حرية العمل وفي ممارسة التجارة وفي المشاركة في الجمعيات) وثالثة تتعلق بالسياسة (الحق في المشاركة في الشؤون العامة وفي عدم التعرض للاعتقال التعسفي وفي عدم التعرض للتعذيب وفي محاكمة عادلة). ويوجد هذا النمط من الحقوق تجسيدا له في العهد الدولي المتعلق بالحقوق المدنية والسياسية.

وتؤسس هذه الحقوق (التي هي في نهاية التحليل حريات) على توجه فلسفي - ليبرالي يضع حدرداً لسلطة الدولة، ويلزمها بالامتناع عن اتخاذ أي تدابير تحد من حرية الأفراد والجماعات، بل ويطالبها بتوفير أقصى الضمانات لممارستها : وهو توجه ارتبط بفلسفات الحق الطبيعي القائلة بأن حقوق الإنسان حقوق طبيعية لا يحق لأية سلطة مهما كانت حرمانه منها.

الجيل الثاني : يشمل هذا الجيل من حقوق الإنسان نمطاً من الحقوق تتطلب تدخل الدولة بشكل إيجابي لضمانها سواء عن طريق تقديم مساعدات للأفراد حين لا يستطيع هؤلاء الأفراد أن يوفرها لأنفسهم وسائل العيش بسبب البطالة أو العجز، أو عن طريق توفير الشروط الضرورية للقادرين منهم لضمان مستوى عيش ملائم. ومن أمثلة هذه الحقوق : الحق في الأكل، وفي المسكن، وفي الصحة، وفي

التعليم، وفي الضمان الاجتماعي وفي العمل وفي الحصول على أجر يتناسب ونوعية العمل المنجز وفي المشاركة في الإضراب عن العمل وفي الحياة الثقافية. ويوجد هذا النمط من الحقوق تجسيدا له في العهد الدولي المتعلق بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وتؤسس هذه الحقوق التي هي في نهاية التحليل واجبات تقع على الدولة إزاء الأفراد على توجه فلسفي - اشتراكي يلزم الدولة بواجبات نحو الفرد، وهو توجه يرى أن الإنسان ليس فقط فرداً معزولاً عن المجتمع له حقوق مدنية وسياسية، بل هو أيضاً كائن اجتماعي منتج ومستهلك مما يستوجب على الدولة أن تضمن له حقوقاً اقتصادية واجتماعية وثقافية.

الجيل الثالث : يشمل هذا الجيل من حقوق الإنسان ما اصطلح على تسميته بالحقوق التضامنية ذات البعد الكوني. وهو نمط جديد من الحقوق وسعت دائرة ومجال حقوق الإنسان أدى إليها التحول الحضاري الذي ميز المجتمع الدولي خلال النصف الأخير من هذا القرن. وقد برزت الحاجة إليها مع تزايد الإحساس بالمخاطر التي بدأت تتربص بالإنسان وبمحيطه الطبيعي والاجتماعي نتيجة ظهور نزعة جديدة تهتم بالمحافظة على التوازنات البيئية والاجتماعية لما لهذه التوازنات من أهمية في استمرار النوع البشري. ويوجد هذا النمط من الحقوق تجسيدا له في المعاهدات الدولية المتعلقة بالحق في التنمية، والحق في السلام، والحق في التواصل، والحق في بيئة سليمة، والحق في التراث المشترك للإنسانية.

وقد ترسخ هذا التوجه الجديد لحقوق الإنسان مع سيطرة ما أصبح يعرف بالعولمة mondialisation نتيجة التقدم الهائل الذي عرفه مجال التواصل والاعلاميات.

حماية حقوق الإنسان : مهما تنوعت أصناف حقوق الإنسان وتطورت أجيالها، فإنها تطرح على المستوى الدولي والإقليمي عدة إشكالات ترتبط ليس فقط بضرورة المصادقة على العهود والمواثيق المتعلقة بها، ولكن أيضاً بمدى نجاعة المؤسسات الدولية والإقليمية الموكول إليها ضمان مراقبة احترام هذه الحقوق.

إن المؤسسات الدولية والاقليمية الموكول إليها أمر السهر على مراقبة الالتزام بحقوق الإنسان تواجه معضلة التأثير على الدول للالتزام بهذه الحقوق التي قبلتها من خلال التوقيع على المعاهدات المتضمنة لها، وذلك نظراً لبنية النظام الدولي المحكومة بسيادة الدولة.

ويمكن تصنيف هذه المؤسسات إلى رسمية وغير رسمية :

1 - المؤسسات الرسمية : يفتقر المجتمع الدولي إلى وجود مؤسسات قضائية تتولى النظر في الحفوقات المتعلقة بحقوق الإنسان، وقد برزت الحاجة إلى هذا النوع من المؤسسات لتصدي لجرائم الإبادة الجماعية Génocide التي شهدتها كل من البوسنة ورواندا، مما حمل الأمم المتحدة على

استصدار قرارات لمتابعة المتورطين في تلك الجرائم ودفع مجلس الأمن إلى إحداث محكمتين دوليتين لمحاكمتهم. وهكذا، وفي ظل غياب أجهزة قضائية تعنى بالنظر في المخروقات المتعلقة بحقوق الإنسان على المستوى الدولي، فقد عهد ميثاق الأمم المتحدة بذلك إلى كل من الجمعية العامة والمجلس الاقتصادي والاجتماعي الذي يعمل تحت إشرافها.

وقد أنشأ المجلس الاقتصادي والاجتماعي سنة 1946 لجنة حقوق الإنسان التي يوجد مقرها بجنيف (سويسرا) وهي أهم جهاز أمني يمارس الاختصاصات المتعلقة بحقوق الإنسان على المستوى الدولي. وتتشكل هذه اللجنة من أعضاء يتم اختيارهم لمدة ثلاث سنوات على أساس التمثيل الجغرافي للدول. وتعقد اجتماعاتها خلال دورة سنوية واحدة تستغرق ستة أسابيع، يحضرها ممثلون عن المنظمات غير الحكومية بصفة استشارية ويمثلون عن الدول الأعضاء في الأمم المتحدة كمرائين. وتتولى هذه اللجنة تقديم مقترحات وتوصيات إلى المجلس الاقتصادي والاجتماعي من خلال التقارير التي ترفع إليها من طرف اللجان الفرعية التي تشكلها، وكذلك من خلال المداخلات التي تستمع إليها خلال انعقاد دورتها السنوية.

أما على المستوى الإقليمي، فيوجد تفاوت هائل بين المناطق والقرارات فيما يتعلق بتوفر أو غياب مؤسسات تعنى بحماية حقوق الإنسان، ويرجع هذا التفاوت إلى درجة تطور المجتمع المدني وتقدم الممارسة الديمقراطية حسب كل منطقة.

وهكذا، فإذا كانت أغلب المنظمات الإقليمية قد صاغت مبادئ حقوق الإنسان كما هو الأمر بالنسبة للاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان سنة 1950، والاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان سنة 1969، والميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب سنة 1981؛ فإن بعض المبادئ لم تنص على آليات لضمان احترام هذه الحقوق.

فعلى خلاف العجز الحاصل في الميثاق الإفريقي، فإن الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان أوجدت العديد من مؤسسات المراقبة، منها اللجنة الأوروبية لحقوق الإنسان، والمحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان وهما من ضمن أهم المؤسسات النشيطة والفعالة في مجال حماية حقوق الإنسان على المستوى الإقليمي.

2 - المؤسسات غير الرسمية : وهي هيئات دولية وإقليمية تنتمي إلى المجتمع المدني، وقد بلغت من العدد والتنوع درجة يصعب معها حصرها، الشيء الذي يعكس المكانة التي أصبحت تحتلها قضية حقوق الإنسان لدى الرأي العام العالمي. فلقد أصبحت هذه الهيئات تمثل مكوناً أساسياً في حماية حقوق الإنسان، وذلك نظراً لفعاليتها.

ويتعلق الأمر بالأساس بمنظمة العفو الدولية Amnesty International التي تأسست سنة 1961 ويوجد مقرها بلندن،

كما توجد فروع لها بمختلف مناطق العالم ومن ضمنها المغرب. وتهتم هذه المنطقة - بالأساس - بمتابعة أحوال سجناء الرأي أو ما يسمى بالمعتقلين السياسيين. كما يتعلق الأمر باللجنة الدولية للصليب الأحمر CICR التي تأسست خلال النصف الأخير من القرن الماضي، والتي يوجد مقرها بجنيف، وتوجد فروع لها بمختلف مناطق العالم؛ وتهتم بالأساس بالقانون الدولي الإنساني في وضعية الحرب.

وتتمثل أعمال هذه الهيئات في إجراء التحريات، ومراقبة المحاكمات وزيارة السجناء وتقديم الإغاثة، ونشر تقارير دورية، كما تعمل على ممارسة ضغوط على الحكومات المعنية عبر تنظييمات المجتمع المدني الدولي والمحلي.

\* \* \*

ومهما يكن من أمر، ورغم التقدم الحاصل في احترام حقوق الإنسان بالمقارنة مع العقود السابقة، فإن التجاوزات والممارسات المنافية لحقوق الإنسان، وانتهاك حقوق الأفراد والشعوب أمور ما تزال قائمة.

فلا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ولا العهد والمواثيق المتعلقة بها، ولا المؤسسات الدولية والإقليمية المختصة بحمايتها، تكفي لوضع حد للانتهاكات التي تظال حقوق الإنسان؛ حيث لا تزال أنظمة - في مناطق متعددة من العالم - تنتهك الكثير من هذه الحقوق، وتقف من وراء العديد من الأزمات الإنسانية، بل ومن وراء حروب الإبادة الجماعية Génocide التي تستهدف الإنسان في أهم حقوقه الأساسية وفي مقدمتها حقه في الحياة.

وهكذا، فإن قضية حقوق الإنسان لا ترتبط فقط بمسألة توقيع أو مصادقة أو انضمام إلى إعلانات أو عهود أو معاهدات، أو مسألة نجاعة أو فشل المؤسسات الدولية والإقليمية والوطنية الموكول إليها ضمان مراقبة احترام هذه الحقوق؛ بل قضية ترتبط أيضاً - وبشكل أساسي - بسلوك يتحدد في إطار أخلاق مؤسسة على احترام كرامة الإنسان؛ سلوك يستمدح قيم الحرية والعدل والكرامة والمساواة بين الأفراد والشعوب باختلاف أجناسها وأديانها ومعتقداتها السياسية، وانتماءاتها الفكرية والثقافية والحضارية.

ولقد انتبه المنتظم الدولي لأهمية هذه القضية، حيث أكد على ضرورة نشر ثقافة تقوم على احترام حقوق الإنسان؛ ثقافة يستدمجها الأفراد والمجتمعات يكون هدفها الارتقاء بالإنسان في تعامله مع الآخر إلى مستوى احترام الكرامة الإنسانية، لتتحول بذلك حقوق الإنسان من مجرد نصوص وإلزامات قانونية إلى مواقف وسلوكيات حضارية.

ورغم ما قد يمثله هذا الموقف من تقدم في مجال أعمال حقوق الإنسان، فإنه قد يبدو بالنسبة للبعض كضرب من الطوباوية التي اعتاد أن يعانقها الفكر الإنساني في كثير من الفترات، كما قد يرى فيه البعض نية مغرضة يسعى من

ورائها الغرب إلى إحكام سيطرته على العالم، وإلى بسط سيادة ثقافته على باقي الثقافات الأخرى؛ في حين قد يدركه البعض الآخر كهدف أعلى تسعى الإنسانية إلى بلوغه، بالرغم مما يطرح من إشكاليات لا حصر لها.

الإشكاليات المرتبطة بنشر ثقافة حقوق الإنسان: إن ثقافة حقوق الإنسان - ككل ثقافة - يمكن أن تحدد من زاويتين اثنتين:

- من حيث ارتباطها بموضوعها

- ومن حيث ارتباطها بمصدرها

• فعندما نحاول تحديد ثقافة حقوق الإنسان من حيث ارتباطها بموضوعها، يتبادر إلى ذهننا محتوى هذه الثقافة ومادتها، وبالتالي فإن ثقافة حقوق الإنسان تتخذ هنا بُعداً معرفياً، وتصيح واحدة من ثقافات متعددة: ثقافة صحية، ثقافة علمية، ثقافة أدبية، ثقافة فنية... الخ.

وإذا تبيّننا هذا الاتجاه، سيكون النشر الذي نتوخاه هو تبليغ إخباري لمعلومات أو معارف عن هذه الحقوق. وهنا تواجهنا الإشكالية التالية: أية معارف، وأية معلومات عن حقوق الإنسان ينبغي نشرها؟ وما الغاية التي ينبغي أن ننشدها من وراء هذا النشر؟

• لكن الثقافة تتحدد أيضاً في ارتباطها بمصدرها، ذلك أن الثقافة هي نتاج جماعي لفئات اجتماعية ضيقة (ثقافات فرعية داخل المجتمع الواحد) أو نتاج جماعي للمجتمع بمختلف فئاته (ثقافة وطنية) أو نتاج جماعي لمجتمعات ترتبط بمحددات الدين أو اللغة أو التاريخ المشترك (ثقافة قومية). والثقافة بهذا التحديد، هي مجموع التمثلات والأفكار والقيم المرتبطة بالمخيلة الجماعية للفئات التي أفرزتها، من خلال تفاعل أفرادها فيما بينهم، وتفاعلهم مع محيطهم، عبر تطور تاريخي جدلي. إن هذا التحديد يقودنا إلى ربط ثقافة حقوق الإنسان بمصدرها الغربي (الأوروبي - الأمريكي)، وبالتالي يؤدي بنا إلى التساؤل عن المبرر لتعميم ونشر ثقافة رأيت النور في مجتمعات غربية عن مجتمعاتنا. ويزداد التساؤل حدة عندما ينصب الاهتمام على أوجه الاختلاف بين بعض مكونات هذه الثقافة ومكونات ثقافتنا المحلية.

إن هذا التساؤل هو ما تعبر عنه الإشكالية المطروحة والمتداولة حالياً في ساحتنا الثقافية والمتعلقة بكونية حقوق الإنسان وخصوصيتها الثقافية. وعندما تطرح هذه الإشكالية فذلك يعني أن مبدأ قبول تلك الثقافة أمر غير مسلم به سلفاً، باعتباره مطروحاً للنقاش. عندئذ يبرز السؤال: كيف يمكن الإقدام على نشر ثقافة يشكل مبدأ قبولها موضوعاً للنقاش؟

تساؤل ثان يفرض نفسه عند مناقشة الإشكاليات التي يطرحها نشر ثقافة حقوق الإنسان ويتعلق الأمر بمدى العلاقة الموجودة بين نشر هذه الثقافة وبين الديمقراطية؟ وبنوعية هذه العلاقة؟ فهل هي علاقة سببية؟ وإذا كان الأمر

كذلك، فأيهما السبب وأيهما النتيجة؟ أم أنها علاقة ارتباط تزامني؟ أم أنها علاقة جدلية؟ تلك أهم الإشكاليات التي يطرحها نشر ثقافة حقوق الإنسان، وسنحاول معالجتها باقتضاب فيما يلي:

1 - إشكالية كونية حقوق الإنسان والخصوصية الثقافية: تطرح هذه الإشكالية في ارتباط مع مواقف بعض الدول الغربية التي استعملت مفهوم الكونية Universalité استعمالاً مغرضاً جعلها تضحى بالمبادئ والقيم المؤسسة لحقوق الإنسان، في سبيل المحافظة على مصالحها الاقتصادية وعلى هيمنتها؛ وذلك عن طريق تسخير تلك الحقوق لإضعاف سيادة الكثير من الدول، من أجل السيطرة على مواردها الطبيعية والبشرية.

هذا التصور لحقوق الإنسان "كإيديولوجيا مغرضة" لا ينحصر فقط في دائرة التحليل الهادئ للمفكرين (ومنهم مفكرون غربيون أنفسهم)، بل يتعداه ليشمل أجهزة دول تشعر بسيادتها مهددة، يجعلها تتعامل بنوع من الحيطة والحذر مع حقوق الإنسان. ويتجلى ذلك في التردد الذي يطبع وضع آليات التطبيق الداخلي لنشر هذه الحقوق والدفاع عنها، رغم مصادقتها على الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان.

لكن الحيطة والحذر يتطوران لدى فئات مجتمعية ارتبطت في ذهنها الكونية بإيديولوجيا توسعية استعمارية، لازالت تذكر بماض استعماري قريب، ضحمته أحداث ومواقف جديدة للدول الغربية، أذكت الوجدان والعراطف لهذه الفئات الاجتماعية لتتجسد في رفض أو مقاومة تتخذ هي بدورها إحدى الصورتين الآتيتين:

صورة الاكتفاء الذاتي في مجال حقوق الإنسان، وبالتالي الاستغناء عن المصادر الكونية لهذه الحقوق، على اعتبار أن الخصوصية الثقافية غنية بقيم الإنسان وتعتبر منبعاً لها. أو صورة الاحتما، وراء هذه الخصوصية لرفض هذه الحقوق بحجة تعارضها مع هذه الخصوصية Spécificité.

ولا بأس أن نذكر - رغم أن الأمر لا يحتاج إلى ذلك - أن هذه الإشكالية قد تمحورت في دولنا العربية الإسلامية حول الإسلام، مما جعلها تصيح أكثر تعقيداً بحضور البعد الديني في مكوناتها.

وإن موقف المفكرين من إشكالية الإسلام وحقوق الإنسان - وبغض النظر عن البعد الإيديولوجي لهذا الموقف - هو نفسه موقف متباين. ويمكن تلخيص هذا التباين في ثلاثة اتجاهات:

• اتجاه توفيفي يرى أن قيم حقوق الإنسان قيم نادية بها الإسلام (حرية التعبير، حرية التفكير، حرية الملكية...)، بل يعتبر موقف الإسلام طلائعياً في مجال حقوق الإنسان، ويكفي الرجوع إلى النصوص الدينية لإبراز هذه الحقوق.

• اتجاه يرى أن هناك تعارضاً بين الإسلام وبين حقوق الإنسان، ومرجعياته في ذلك ما تتضمنه بعض الآيات من دلالات تتنافى مع مبدأ المساواة مثلاً بين الرجل والمرأة، بين المسلم وغير المسلم، بين الرجل الحر والعبد، فضلاً عن إقراره للعقاب الجسدي والقصاص.

• اتجاه ثالث يتجاوز الاتجاهين السابقين، ليربط إشكالية الكونية والخصوصية بالأسس التي تنبني عليها حقوق الإنسان، لا بمضامينها من قيم ومبادئ. هذا الاتجاه لا ينفي إمكانية التطابق بين قيم ومبادئ حقوق الإنسان وبين القيم الإسلامية، إلا أنه يرى أن الفرق يكمن في كون حقوق الإنسان، من منظورها الكوني (أو الغربي كما يريد البعض) مؤسسة على اعتبار أن هذه الحقوق هي من بناء الإنسان، نتيجة صراعاته عبر التاريخ؛ ويتعبّر آخر، على اعتبار أن الإنسان هو مصدر هذه الحقوق، وفي نفس الوقت هو غايتها؛ لا على اعتبار أن هذه الحقوق منحة إلهية.

بقي أن نشير قبل الانتقال إلى معالجة إشكالية العلاقة بين نشر ثقافة حقوق الإنسان وتحقيق الديمقراطية أن هناك من لا يرى تعارضاً بين الكونية L'Universalité والخصوصية La Spécificité لدرجة تقتضي أن نختار إحداها على حساب الأخرى. فالكونية لا يمكن أن تنفي الخصوصية، وإلا لأصبحت حقوق الإنسان وسيلة للاعتداء على حق مؤسس لهذه الحقوق، وهو الحق في الاختلاف Le Droit à la différence؛ بل ولتتأقت هذه الحقوق مع مبدأ يشكل أحد مقوماتها وهو مبدأ التسامح La tolérance وقبول الآخر، كما أن الخصوصية ينبغي ألا تكون انغلاقاً على الذات أو رفضاً للآخر.

وهكذا يمكن تجاوز هذه الإشكالية عن طريق التوفيق بين الخصوصية التي هي الشعور بالذات والهوية (فالذي لا يشعر بذاته وبهويته، أو يشعر بأنهما مهددتان، لا يمكنه أن يحاول الآخر) وبين الكونية التي تنطلق من الوعي بأهمية الذات وبأهمية الآخر للسبب معاً نحو ما هو مشترك بين جميع أفراد الإنسانية.

2. إشكالية نشر ثقافة حقوق الإنسان وتحقيق الديمقراطية: إن العلاقة التي يمكن أن نجدها بين حدي هذه الأطروحة، أي العلاقة بين حقوق الإنسان وبين الديمقراطية، قد تختلف باختلاف نوع مقارنتنا لها وعمق هذه المقارنة، لتتراوح بين التطابق والتباين بينهما عبر درجات متعددة من التقارب والتباعد.

وحتى لا ندخل في التحديدات الدقيقة، ولا في التحليلات التاريخية لنشأة الديمقراطية، سنكتفي بما يقتضيه إبراز العلاقة بينهما على مستوى الواقع، أي علاقة الترابط والتبعية المتبادلة بينهما.

إن الديمقراطية في ارتباطها بالتنظيم السياسي للمجتمع باعتبارها أسلوباً لاختيار الحاكمين أو للمشاركة في تدبير الشؤون العامة للمجتمع - تحيل على البعد السياسي

للمجتمع، وبالتالي على الأفراد كمتوقعين داخل تنظيم سياسي ومؤسسي معين، أي على الأفراد باعتبارهم مواطنين Citoyens. في حين ترتبط حقوق الإنسان بحقوق هذا الأخير المرتبطة بطبيعته كإنسان كائن وراء مختلف الأنظمة السياسية وسابق عليها.

التمييز إذن بين الديمقراطية وحقوق الإنسان هو تمييز بين المواطن والإنسان، بين السياسي والإنساني.

لكن الديمقراطية هي أسلوب محدد لتعيين الحكام، ونوع معين في تسيير شؤون المجتمع. فالنظام الديمقراطي حسب التعريف الكلاسيكي هو النظام الذي يحترم فصل السلطات، والحريات العامة، ومشاركة المواطنين في الانتخابات الحرة. الوقوف عند هذا المستوى من التحليل يجعلنا ندرك نوعاً من العلاقة بين المفهومين، لكنها علاقة تظل مع ذلك محدودة؛ ذلك أن الممارسة الديمقراطية تبدو مرتبطة ببعض حقوق الإنسان التي يتم الاعتراف بها للمواطن، ويتعلق الأمر بالحرية السياسية والحريات العامة. الترابط الموجود هنا يجعلنا على الجيل الأول من حقوق الإنسان.

إلا أن التطور الذي عرفه المفهوم جعلهما يرتبطان أكثر فأكثر. فالمقاربة الحديثة لمفهوم الديمقراطية تجعلها أكثر استقلالاً عن الدولة، لا لتهميش هذه الأخيرة، وإنما للحد منها وإضفاء مشروعيتها أكبر عليها، وبالتالي تنقل التسيير الديمقراطي من حدود المجتمع السياسي إلى مجموع المجتمع المدني وإلى مجسوع الحياة الاجتماعية عندئذ لم تعد الديمقراطية معناها الواسع مشروطة فقط بتوفر الحرية السياسية والحريات العامة، بل تصبح مشروطة أيضاً بتوفر شروط أخرى تتوقف عليها الكرامة الإنسانية. الترابط الموجود هنا يجعلنا على الجيل الثاني من حقوق الإنسان.

يمكننا إذن أن نعتبر أن حقوق الإنسان هي الروح التي بدونها تظل الديمقراطية "تقنية لحل الشؤون العامة". فلا ديمقراطية بدون احترام الكرامة الإنسانية لكل إنسان جسماً واجتماعياً وروحياً، ودون تنمية الحريات الشخصية في بعدها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

من هنا تظهر أهمية نشر ثقافة حقوق الإنسان بالنسبة لتدعيم الديمقراطية. فإحساس الأفراد بكرامتهم وحرمتهم وممارستهم لحقوقهم هي المحرك الذي يدفع بدناميكية الديمقراطية إلى الأمام، والضامن للتطبيق الفعلي لها؛ إذ بدون هذا الإحساس تصبح الديمقراطية مجرد قوانين، وتصبح مؤسساتها مفتعلة وفارغة. ولكن في نفس الوقت تظهر أهمية الديمقراطية بالنسبة لتطبيق حقوق الإنسان، فبدون توفر حد أدنى من الحرية ومن المؤسسات والقواعد التي تضمن تلك الحرية لا يمكن احترام تلك الحقوق أو المطالبة بها.

العلاقة إذن بين حقوق الإنسان والديمقراطية هي علاقة سببية دائرية، فكلاهما يدعم الآخر عبر سيرورة تاريخية تسيير باستمرار نحو التقدم.

جانب أساسي ينبغي إذن الانتباه إليه في تعاملنا مع حقوق الإنسان والديمقراطية - سواء عبر الثقافة التي نريد نشرها أو عبر ممارستنا لحقوقنا وللديمقراطية - وهو البعد التطوري لحقوق الإنسان وللديمقراطية باعتبارهما بناءً إنسانياً ينمو ويتطور عبر التاريخ.

قضية نشر ثقافة حقوق الإنسان وتدعيم الديمقراطية قضية ينبغي أن تعالج في إطار مواكبة المجهود الإنساني من أجل تحقيق القيم التي يتأسسان عليها معاً، وعلى رأسها قيمة الكرامة الإنسانية.

أما حقوق الإنسان بالمغرب : فرغم التفتح الذي طبع سياسة المغرب الخارجية عبر الحقب التاريخية، فإنه - نتيجة لموقعه الجغرافي الواقع على مرمى حجر من أوروبا، وللظروف التاريخية التي جعلته مستهدفاً من طرف العديد من دول هذه القارة - كان لابد أن يلتزم نوعاً من الاحتراس مع هذا التفتح. ومع ذلك شكل تاريخ نضاله الطويل في مواجهة الاستعمار - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - تراثاً مرجعياً وطنياً في مجال حقوق الإنسان.

ورغم تمسك المغرب باستقراره الداخلي - وحرصه الشديد على هذا الاستقرار منذ الاستقلال - فإنه قد راهن على التوجه الديمقراطي مبكراً، حيث تبنى سياسة التأسيس المتأني والشابث للمسلل الديمقراطي بالبلاد منذ إصدار ظهير الحريات العامة (20 ماي 1958)، واختيار نظام الملكية الدستورية (دستور 14 نوفمبر 1962).

والمتحيز لما عرفه المغرب من تقدم في مجال حقوق الإنسان منذ استقلاله سنة 1956، يدرك مدى التطور الذي أحرزه في هذا المجال ؛ وهو تطور نبع من إيمانه بقيم الحرية والكرامة، ومن تضحياته ونضاله الطويل من أجلها ؛ ذلك "أن من جاهد من أجل الحرية لا يمكن إلا أن يكون معها، ومن ناضل من أجل فرض حقوق الإنسان والمواطن على الاستعمار لا يكون إلا وقياً لها في عهد الاستقلال، بشرط أن لا يقع المس بقدسية مفاهيم المثل، وأن تحترم قدسية الواجبات و قدسية الحقوق، وأن تمارس الحقوق والحريات في نطاق المسؤولية لئلا تعيث بها الفوضى" كما جاء في خطاب العرش لجلالة الملك الحسن الثاني يوم 3 مارس 1991.

وهكذا فقد تبنى المغرب الالتزام بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان منذ دستور 1962 حيث نصت ديباجته على تعهد المملكة المغربية بالالتزام بما تقتضيه مبادئ المنظمات الدولية من مبادئ وحقوق وواجبات. كما صادق سنة 1979 على العهدين الدوليين المتعلقين بالحقوق المدنية والسياسية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وانضم وصادق سنة 1993 على جملة من الاتفاقيات المتعلقة بحقوق الإنسان ومن ضمنها اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة، واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة واتفاقية حقوق الطفل والاتفاقية الدولية لحماية حقوق جميع العمال المهاجرين وأفراد أسرهم.

كما قطع خطوات هامة في مجال سن القوانين التي تضمن للإنسان حقوقه في مختلف مجالات الحياة المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وكان من الطبيعي - نظراً للتطورات التي عرفها المغرب داخلياً من جهة، وللتطورات التي عرفها العالم من جهة أخرى أن تعرف السنوات الأخيرة تسارعاً في مجال إرساء دعائم الديمقراطية بالبلاد، واكمه تسارع في وثيرة أعمال حقوق الإنسان، حيث نص دستور 4 شتنبر 1992 بصراحة على أن "المملكة المغربية .... تؤكد تشبثها بحقوق الإنسان كما هي متعارف عليها عالمياً" معرباً بذلك عن إرادة سياسية واضحة فيما يتعلق بالالتزام المغرب بحقوق الإنسان. وقد تُرجمت هذه الإرادة السياسية وهذا الالتزام الدستوري إلى جملة من التدابير شكلت دعماً مؤسسياً مهماً في مجال أعمال حقوق الإنسان بالمغرب منذ بداية التسعينات، نقتصر على ذكر بعضها فيما يلي :

#### 1 - على مستوى المؤسسات الاستشارية :

• إنشاء المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان (ماي 1990) : وهو مؤسسة استشارية مستقلة عن السلط التشريعية والتنفيذية والقضائية، مهمته مساعدة جلالة الملك في جميع القضايا المتعلقة بحقوق الإنسان. وتعكس تشكيلة أعضائه التعددية السياسية والنقابية والثقافية والدينية للمجتمع المغربي.

• إنشاء المجلس الوطني للشباب والمستقبل (بوليز 1990) : وهو مؤسسة استشارية تهتم بقضايا الشبيبة الحضرية والقروية في مجال الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من منظور التشغيل ؛ وتعمل على تقديم اقتراحات للحكومة تتعلق بالحلول التي تراها مناسبة لتلك القضايا.

وتمتاز هذا المجلس بتنوع في تركيبته حيث يضم جميع الفرقاء الاجتماعيين والسياسيين، وبأصالة في منهجية عمله، حيث يعتمد في إسقاطاته على الدراسات الميدانية.

• إنشاء المجلس الاستشاري لمتابعة الحوار الاجتماعي (يناير 1995) : وهو مؤسسة استشارية لدى جلالة الملك، ويتكون من ممثلين عن جميع الفرقاء الاجتماعيين (الحكومة - الفرق المهنية - أرباب العمل ونقابات العمال)، ويعتبر فضلاً للحوار وللتشاور، كما يقوم بفحص ودراسة مشاكل عالم الشغل ويقدم اقتراحات وتوصيات في هذا المجال.

#### 2 - على مستوى المؤسسات التنفيذية :

• إنشاء الوزارة المكلفة بحقوق الإنسان (نوفمبر 1993) : وتتولى - بتنسيق مع الوزارات المعنية - إعداد وتنفيذ سياسة الحكومة المتعلقة بالدفاع عن حقوق الإنسان واحترامها والنهوض بها ؛ وذلك بالعمل - في مجال الدفاع - على تعزيز مجال الحوار والتشاور مع منظمات المجتمع

المدني وعلى فحص ومتابعة الشكايات الواردة من المواطنين، وبالسهر - في مجال النهوض - على مطابقة النصوص التشريعية والتنظيمية لتطلبات حقوق الإنسان وعلى نشر الثقافة المرتبطة بحقوق الإنسان وتمييزها ودعمها من خلال النسيج الاجتماعي.

• إنشاء الندوة السامية المكلفة بالأشخاص المعاقين (مارس 1994) : وهي جهاز حكومي يعمل على تأمين الرعاية والإدماج الاجتماعيين لصالح الأشخاص المعاقين، وذلك بتعاون مع الوزارات ومع الجمعيات المعنية، كما يعمل على ضمان كرامة الشخص المعاق عن طريق ضمان حقوقه كمواطن.

### 3 - على مستوى مؤسسات المراقبة :

• إنشاء المحاكم الإدارية (1991) : وهي مؤسسات قضائية تم إحداثها بمختلف أقاليم المملكة، بموجب قانون تبناه البرلمان في شهر يوليوز 1991 وجاء استجابة لما جاء في الخطاب الذي ألقاه جلالة الملك يوم 8 ماي 1990 بمناسبة تنصيب المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان. وتتولى هذه المحاكم النظر في القضايا المتعلقة بالتجاوزات التي قد تصدر عن الإدارة في علاقتها بالمواطنين.

• إنشاء المجلس الدستوري (1992) : يعتبر إحداث هذا المجلس من أهم المستجدات التي جاء بها الدستور المعدل لسنة 1992. ويتولى هذا المجلس مراقبة دستورية القوانين، وقانونية الانتخابات التشريعية.

ولقد عرف المجتمع المغربي منذ السبعينات حركة نشيطة للمجتمع المدني فيما يتعلق بحقوق الإنسان حيث شهد ميلاد أربع جمعيات للدفاع عن حقوق الإنسان وهي : العصبة المغربية لحقوق الإنسان سنة 1972، والجمعية المغربية لحقوق الإنسان سنة 1979 والمنظمة المغربية لحقوق الإنسان سنة 1988، ولجنة الدفاع عن حقوق الإنسان سنة 1992، كما شهد ميلاد عدد هائل من الجمعيات المهتمة بقضايا المرأة والنظف والمعاق وقضايا البيئة وغيرها من القضايا المرتبطة بالدفاع عن حقوق الإنسان.

كما عرف اتخاذ جملة من التدابير في مجال حقوق الإنسان كان أبرزها إعلان العفو الشامل وإلغاء ظهير 1935 وذلك سنة 1994، وتعديل مدونات الأحوال الشخصية والشغل والتجارة وقانون المسطرة الجنائية، كما تم تعديل الدستور سنة 1996 الذي أحدث نظام الفرقتين بالبرلمان.

وكلها تدابير تسعى إلى تحسين أوضاع حقوق الإنسان بالمغرب وإلى دعم الديمقراطية وترسيخ دولة القانون. إلا أنه "... كيفما كانت القوانين، وكيفما كانت الدساتير لا بد أن ننظر إلى الديمقراطية كنهج، إذن كسلوك وكتطبيق ...". كما جاء في الخطاب الذي ألقاه جلالة الملك الحسن الثاني بمناسبة الذكرى الثانية والعشرين للمسيرة الخضراء يوم 6 نونبر 1997.

وبهذا المعنى فإن قضية الديمقراطية وقضية حقوق

الإنسان (وهما وجهان لعملة واحدة) تصطدمان - في كل المجتمعات بما فيها المغرب - بمعيقات شتى، وتطرحان إشكاليات متعددة قد لا تجد حلها فقط في تفعيل مؤسسات المراقبة بما فيها المؤسسات الدستورية والقضائية، وإنما أيضاً في تفعيل المؤسسات الاجتماعية والتربوية والثقافية والإعلامية، وكذا تنظيمات المجتمع المدني من أجل دعم الديمقراطية عبر نشر ثقافة حقوق الإنسان : ثقافة تهدف إلى تعميق الوعي بكرامة الإنسان عن طريق استمداج قيم الحرية والعدل والمساواة، هذه القيم التي تستمد أصولها من مقومات المغرب الدينية والوطنية والحضارية وتشكل ضماناً لتحقيق طموحات المغرب في التنمية الشاملة في أفق الانخراط الإيجابي والفاعل في المسيرة الحضارية للإنسانية جمعاء.

فاروق حمادة، الوصية النبوية الإسلامية، نشر دار الثقافة، الدار البيضاء، ص 42-41؛ البيان الصادر عن المجمع الإسلامي العالمي بمناسبة بدء القرن الخامس عشر الهجري والمؤرخ بـ 21 ذي القعدة 1401 (19 شتنبر 1981) : الشافعي محمد بشير، قانون حقوق الإنسان - ذاتية ومصادر، في كتاب : حقوق الإنسان، المجلد الثاني، دراسات حول الوثائق العالمية والإقليمية 1989، ص 45 وما بعدها : إعلان حقوق الإنسان وواجباته في الإسلام الصادر عن رابطة العالم الإسلامي سنة 1979، ومشروع وثيقة حقوق الإنسان في الإسلام الذي تم تقديمه إلى مؤتمر القمة لمنظمة المؤتمر الإسلامي بالطائف سنة 1989 : علي زبير السلاوي، وثيقة "حفظ الاستقلال ولفظ سيطرة الاحتلال" : ومشروع دستور سنة 1908 الذي وردت في مسواده من 12 إلى 34 ذكر هذه الحقوق : محمد المنوني، مظاهر : محمد حسن الوزاني، مذكريات حياة وجهاد : الوثيقة التي قدمتها الهيئة الوطنية في شمال المغرب إلى رئيس الجمهورية الأسبانية سنة 1931 : والوثيقة التي قدمتها كتلة العمل الوطني إلى جلالة المغفور له محمد الخامس سنة 1934 : الوثيقتان اللتان قدمتهما زعماء الحركة الوطنية بتسليم مع جلالة الملك المغفور له محمد الخامس، الأولى تقدم بها حزب الاستقلال بزعماء المرحوم علال الفاسي، والثانية تقدمت بها الحركة القومية برعاية المرحوم محمد حسن الوزاني : حقوق الإنسان، مجموعة صكوك دولية - المجلة الأولى - الجزء الثاني - صكوك عالمية - الأمم المتحدة - نيويورك 1993، ص 10.1 : الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان، الأمم المتحدة، نيويورك 1988، ص 1 : المرجع السابق : حقوق الإنسان، مجموعة صكوك دولية، المجلد الأول والثاني، نيويورك، 1993 : انبعاث أمة، 1961.

J. Locke, *Deuxième Traité du gouvernement civil*, in *Anthologie des Droits de l'Homme* (textes réunis par W. Liqueur et B. Brun), Paris, 1994 ; J.-J. Rousseau, *Du contrat social*, Ibidem pp. 93 - 100 ; *La Déclaration française des Droits de l'Homme et du Citoyen*, Ibidem pp. 152 - 155 ; *Pacte de la Société des Nations* in *Anthologie des Droits de l'Homme*, op. cit. p. 196 ; *Charte des Nations Unies* (articles 1, 55, 56, 60, 62, 68, 76) in *Les Nations-Unies et les Droits de l'Homme* 1945 - 1995. Série livres bleus des Nations-Unies, volumes VII, New-York, 1995 pp. 151 - 153 ; A. Saaf, *Université et*

spécificité dans les Droits de l'Homme, in *Le Maroc et les Droits de l'Homme*, collection Edification d'un Etat moderne sous la direction de MM. Driss Basri, Michel Rousset et Georges Vedel, Paris, 1994, p. 130 ; A. Belhaj, *Démocratie et Droits de l'Homme*, in *le Maroc et les Droits de l'Homme*, op. cit., p. 148 ; P. Meyer-Bischoff, *La culture démocratique*, Commission National Suisse pour l'UNESCO, Paris 1993, p. 8.

خالد عبد الزواق

## الحكاية الشعبية المغربية، جنس أدبي نشري

تقليدي متداول باللسانين العربي الدارج (خرايف) والأمازيغية (دمين)؛ يدخل ضمن الممارسات الترفيهية التي كانت سائدة في الأوساط العائلية وفي الساحات العمومية قبل بضعة عقود. في الوقت الراهن تراجعت الحكاية الشعبية بفعل طغيان أساليب التسلية الحديثة من سينما وتلفاز؛ بالرغم من أنها كثيراً ما تشكل اللحمة الرئيسية للمادة السردية للأفلام والقصص الحديثة. وما زالت بعض بقايا هذا التقليد، على ندرتها، موجودة في الأسواق الأسبوعية والمواسم الفصائلية حيث ترتبط بظاهرة "الحلقة" التي أصبحت بدورها تميل إلى الزوال.

وعلى غرار الأجناس الأخرى في الأدب الشفوي، فإن للحكاية الشعبية ضوابطها وأعرافها وطقوسها بدءاً بقواعد افتتاحها وانتهاءً بطقوس ختمها مروراً بتمفصلات وتسلسل أجزائها. فسواء كانت باللسان الدارج أو اللسان الأمازيغي، فإن الحكاية المغربية تُستهل دائماً بعبارات طقوسية تقليدية شبه قارة، تدرج السرد في المقام المتعارف عليه ثقافياً واجتماعياً، حيث يُعلن بذلك الخروج من عالم الواقع لولوج عالم خيالي وزمن أسطوري يفسح المجال لامتزاج المعقول بالخرائبي والخرافي والأسطوري في أماكن وأزمنة من نسج الخيال الجماعي. ومن أشهر عبارات الاستهلال: "كان يا ما كان... ومتغيراتها الجهوية، ومهما كانت الصيغة الافتتاحية، فإن عنصر الإسلام ثابت فيها، حيث يبدأ الراوي بذكر الله تعالى وبالإسلام على رسوله الكريم: "صليوا على النبي"؛ يقول الراوي، فيجيبه الحاضرون المتحلقون حوّه: "الصلاة على الحبيب والسلام".

فكأن هذا الاستهلال الطقوسي - الدينني بداية ميشاق عرفي بين الراوي وجمهوره الذي يتخلص طوال مدة الحكاية من قيود العقل والمنطق ليسبح في الدوام الخرافية التي تسلب لبه بفعل بلاغة وحذق الراوي وقدرته الخارقة على مسرحة وتمثيل وإبعاء مختلف الأدوار والمواقف والمشاهد والشخصيات.

والحكاية الشعبية من هذا المنظور عملية تواصلية حيّة بين الراوي وجمهوره. فالراوي يتفاعل تلقائياً وباستمرار مع سامعيه، حيث قد يغير مجرى الأحداث التي يحكيها في أي لحظة وقد يتوقف عن الحكاية ليتأكد من تتبع السامعين

للسرد ولاندماجهم مع المحكي. ويلجأ في ذلك لعدة صيغ وتعبير تقليدية القصد منها ضمان استمرارية مؤازرة الجمهور له وسط العالم العجيب الذي ينسجه من حوله:

"دَارَتْ أَيَّامٌ وَمُشَاتٌ لَيْسَالٌ .. وَأَنَا وَ أَيَّاكُمْ  
يَا السَّامِعِينَ نَصَلِيوَا عَلَى الْحَبِيبِ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا".

ويُختتم السرد الحكائي عادةً بعبارات طقوسية، تظهر وكأنها تضع رمزياً حداً لعالم الخيال لتعود بالذهن إلى عالم الواقع: "ومُشيت وخببتهم ورجعت في حالي".  
وفضلاً عن عبارات الاستهلال والاختتام، يتخلل السرد مجموعة من الإشارات اللفظية ذات شحنة بلاغية وتعبيرية ترسخ خاصية التواصلية المباشرة للحكاية الشعبية المعتمدة أساساً على الشفهية والتمثيلية، حيث إن الراوي كثيراً ما يلجأ إلى حركة شبه مسرحية يمثل فيها بصرته وجسمه وتقاسمه كل أدوار الحكاية التي يسرد أحداثها. وهذه الخاصية المتميزة للحكاية الشعبية تجعلها لا تتكامل لبنائها إلا إذا توفرت لها ظروف الإلقاء المباشر من قبل رآو يمتلك ناصية الحكاية والتشخيص، وذلك ما يجعل النصوص المستنسخة من الحكاية المروية شفاهياً شبه مبتورة لاقتصارها فقط على عنصر دون باقي المكونات الأخرى المرتبطة بعملية الإلقاء.

في التصنيف المعتاد للحكاية الشعبية، يورد المتخصصون أربعة أنواع حكاية يتميز كل واحد منها بخصوصياته الموضوعاتية وطقوسه السردية. فهناك الحكاية العجائبية، والحكاية الخرافية، والحكاية المناقبية، والحكاية الساخرة.

الحكاية العجائبية، أو العجيبة: تدور موضوعاتها حول تيمات من عالم السحر ودنيا الخوارق والجن وكل ما يتجاوز حدود المألوف. غالباً ما يكون البطل الأدمي في صراع أو تفاعل مع شخصيات خارقة من تلك العوامل العجيبة. ذلك أنه كثيراً ما يجتاز اختبارات ومحنناً تضعه في مواقف حرجة يتعين عليه إظهار ملكاته وقواه الأسطورية للوصول إلى هدفه. أما الأحداث فهي مزيج من الواقعي والخرافي أو تآرجع بينهما، حيث يتنقل البطل بين دنيا البشر وفضاءات "العقول" و"الجن" بسهولة لا يحكمها سوى منطق الحكيم وقانون السرد. ومن أشهر هذه الحكايات العجيبة في التراث الأمازيغي، حكاية "حصو تامير" (أو "حصاد أو تامير"، حسب المناطق) وهو بطل له عائلة غريبة مع حوريات من العالم الآخر، كما أن الثقافة المغربية برافديها الأمازيغي والعربي الدارج تعج بحكايات عجيبة من أصل مشرق، وخاصة من "الف ليلة وليلة" والتي تتداول عبر السنين في صيغ مكيفة مع السياقات المحلية، إلى درجة أن بعضاً منها قد تمت "مغربته" شكلاً ومضموناً.

وحسب الدارسين والسيمائيين المهتمين بهذا الجنس الحكائي، وعلى رأسهم فلاديمير بروب<sup>1</sup>، Vladimir Propp،



الحكاية الساخرة أو (الضحكة) : غالباً ما تكون قصيرة وغير متقنة من الناحية السردية والبلاغية، كونها شبيهة بالنكتة. أبطالها جد قلائل (اثنين أو ثلاثة) وموضوعاتها تدور حول السخرية والحدق والبلاهة والسذاجة وغير ذلك من القيم والاخلاق والصفات السلبية والمكروهة داخل المجتمع. وهناك في المتن الغربي بعض المواضيع والشخصيات النموذجية التي تتمحور حولها أغلب الحكايات الشهيرة ومنها : المرأة بمختلف العيوب المنسوبة إليها في الثقافة الشعبية ؛ الفقيه وما ينسب إليه من صفات قذحية ؛ الأحمق وما يصدر عنه من أفعال وتصرفات. وتعتمد الحكاية في تقديمها للأحداث والشخصيات على عنصر المفارقة والتناقض واللامعقول لإثارة الضحك. ومن أشهر الحكايات الساخرة في المغرب، حكايات جُحا التي يُرجع أصلها إلى المشرق، ولكنها جد متأقلمة مع المناطق المغربية، حيث يسمى "جُحا" في الثقافة الدارجة وأسماؤه أخرى في المناطق الأمازيغية. إلا أن خصائصه المعروفة غالباً تبقى ثابتة، ومنها بالخصوص بلائته الذكية التي تشكل المفارقة الأساسية التي تحرك السرد وتعطيه النكهة الساخرة المتوخاة منه.

الحكاية الكاذبة : وهي أقل الأنواع تداولاً، إذ لا يتعاطاها سوى العارفين بالتلاعب باللغة المحلية وبيلاغتها. وهي أقرب من الحكاية الساخرة، إلا أنها تعتمد على سرد متناقض وغير متجانس ولا معقول. وتهدف جبكتها المطرزة بإتقان إلى تدويخ السامع والزج به في متاهة فكرية لا يخلصه منها سوى نهاية الحكاية القصيرة بموقف مُضحك من فرط ما يراكمه من متناقضات. وفيما يلي نموذج من هذه الحكايات المتداولة باللسان الأمازيغي وله متغيرات مماثلة في عدد من لهجات الدارجة المغربية.

"اجتمع أربعة أشخاص وانفقوا على الخروج للسرقة : الأول أصلع، والثاني أعرج والثالث أبكم وأخرس والرابع أعمى.

وبينما هم في إحدى جولاتهم المعتادة، صاح الأعمى :  
 "انتبهوا، إني أرى أناساً قادمين نحونا"  
 ثم قال الأخرس الأبكم : "حقاً ! إني أسمع من هنا أصوات سهيل خيلهم"  
 وصاح الأصلع من الخوف : "لقد أفرغتموني حتى وقفت شعرات رأسي كالأسواك !"

وأخيراً صاح الأعرج " د. هللاً نهرب بعيداً !"

H. Basset, *Essai sur le littérature des berbères*, Alger, 1920 ; A. Boukous, *Langage et culture populaires au Maroc*, Casablanca, 1977 ; Drouin, *Un cycle oral hagiographique dans le Moyen-Atlas marocain*, Paris, 1975 ; M. Galley et Z. Iraqui-Sinaceur, *Dyab, Jha, La'iba. Le triomphe de la ruse. Contes marocaines du fonds Colin*, Paris, 1994 ; E. Laoust, *Contes berbères du Maroc*, Paris, 1949.

الحسين المجاهد

فإن السرد في الحكاية العجيبة قائم على منظومة محكمة تتمثل في السيرة السردية (Discours Narratif) الذي يتمحور حول "بحث" (quête) البطل على شيء محدد (أو شخص معين)، يقوده إلى العدد من المحن والمآزق (غالباً ما يكون عددها سبعة) ويكون عليه الإفلاح في تجاوزها رغم المخاطر المهددة لحياته، وينتهي به اللطاف في الأخير إلى حلّ المعضلة القائمة بالانتصار على الأشرار (عفريت، غول، ظالم .. الخ). وتخليص الضحايا (غالباً ما يتعلق الأمر بأميرة حسناء). وهكذا نجد في الثقافة المغربية نماذج عالمية مصوغة في قالب محلي، أمازيغي أو دارجي : من ذلك مثل سندريلا (Cendrillon) المتمثلة في عيشة رُمادة و "الخنصر الصغير (Petit Poucet) في "خديدكان" أو مقيدش".

حكايات الحيوان : هي من أشهر الحكايات وأوسعها انتشاراً نظراً لبساطتها وقصر سردها اللذين يسهلان تداولها من لدن الجميع. أبطالها من الحيوانات التي تتخذ خصائص وطبائع وسلوكات محاكية للإنسان، لكونها أساساً ترمز إلى هذا الأخير في حياته وقيمه وقضاياه وانشغالاته. ففي الحكاية الأمازيغية يشتهر ابن آوى (موشن) والقفند (بومحمد) بأدوارهما المتنافرة (رابح / خاسر، شاطر / بليد ؛ ذكي / ساذج ...). حيث تطفئ حكاياتهما وطرائفهما على جميع حكايات الحيوانات الأخرى. وكثيراً ما تسند لبعض الحيوانات كالأسد والفأر والحمامة، والضفدعة والغراب وغيرها، أدوار ثانوية في الحبكة المنسوجة حول مغامرات الحيوان الرئيسي. أما في الدارجة المغربية، فإن الذئب أو الثعلب يحتل مقام ابن آوى، بينما القفند يبقى قاراً كبطل محوري.

وهناك من حكايات الحيوانات ما يدور حول إشكاليات فلسفية، تجعل من الموضوع ذريعة لتفسير بعض الظواهر الكونية أو أصل بعض السلوكات الغريبة، كأصل عداء بعض الوحوش للإنسان (كالأسد مثلاً). وهناك من الحكايات ما يستمد جبكته من المواضيع العالمية المنتشرة في المشرق أو المغرب والموجودة في المتن العربي (كلميلة ودمنة) أو المتن الغربي (لافونتين).

الحكاية المناقبية : هي حكايات أبطالها من الأولياء والصالحين ذوي الكرامات التي تتجاوز في بعض الأحيان حدود الواقعية وتندرج في عالم الخوارق والكرامات. ولا تخلو أي ثقافة محلية في المغرب من مثل هذه الحكايات التي غالباً ما لا يكون العنصر الواقعي فيها سوى شخصية الولي الصالح. ويظهر أن هذا النوع من الحكايات موجود في مختلف ثقافات العالم، حيث إن مواضيع الخوارق والأحداث المنسوبة إلى الأشخاص تكاد تتشابه من ثقافة إلى أخرى : القدرة على بعض الإنجازات الخارقة : إشفاء العلل الجسدية والروحية، التنبؤ بالغييب الخ. وما يميز هذا النوع الحكائي عن غيره من الحكايات الأخرى، هو كونه لا يسرد للاستمتاع أو للتسلية بقدر ما يأتي في سياقات معينة، كمحافل ذكر مناقب الأولياء أو استحضار الكرامات الشهيرة مثلاً.

**الحكم والأمثال المغربية**، إذا كان العديد من الحكم والأمثال الفصيحة والأندلسية قد تم إنقاذه بفضل مجهود المؤلفين والباحثين الذين سهرروا على تدوينها وتحقيقها فإن الكثير من الحكم والأمثال المتداولة يوميا بين الفئات الاجتماعية بالمغرب لم ينشر منه إلا النزر القليل. فما هي إذن خصائص هذه العبارات المليئة باللفظ والحكمة التي نفوه بها بالعربية الدارجة أو بالأمازيغية؟ ومتى نستعملها؟ ما هي وظائفها؟ أي صورة للمجتمع المغربي تعكس لنا؟

ليس من السهل التمييز بين الحكمة والمثل بصفة قاطعة. فكلمة "حكمة" تعبر عادة على النضج والرأي النابع عن التجربة والرصانة؛ للحكمة علاقة بالقصة أو الحكاية حيث تشير هذه اللفظة إلى جملة قصيرة من شأنها أن ترشد المرء الذي تقصده وتوجه سلوكه ومعاملته إلى الصواب. الحكمة الشعبية إذن تلخص جوهر الموضوع أو الحالة، فتعتبر بمثابة نصيحة أو قاعدة سلوكية تتجلى فيها خبرة القدماء وتتسم بالخيطة والحذر.

وغالبا ما يتميز "المثل" بأسلوب مجازي يُستخدم فيه الرمز والاستعارة، كما يتميز بتركيب وجيز ودقيق؛ وللمزيد من الجمالية والرونق في الأسلوب تلجأ الحكم والأمثال إلى طرق تُستعمل عادة في الشعر، كالكافية والسجع.

تارة يكون المثل أو الحكمة على صيغة سؤال أو تعجب يحتوي على مقارنات وأضداد؛ وتارة أخرى يكون على صيغة حوار أو أحجية. كل هذه الوسائل تسهل تلقين وحفظ هذه العبارات كما ترسخ بنيتها وتحميها من التحريف طيلة تسلسلها عبر الأجيال.

من خلال دراسة الأمثال والحكم يعمل بعض الباحثين على بلورة "الحكمة العامة" والعقلية المشتركة بين الشعوب. من الملاحظ فعلا أن جل الحكم والأمثال تكون رصيذاً عاماً وملكية مشتركة، وأن معظم الأمم تعبر عن نفس الشعور بواسطة أمثالها، وفي هذا المضمار نلاحظ أحيانا علاقة وطيدة بين أمثال من دول مختلفة ويلفات متباينة، وذلك من حيث المضمون والمندلول أو حتى من حيث الشكل. ويبدو أن المثل الشائع، بفضل ما يتضمنه من حكمة، خرق تخوم المكان والزمان وشيد جسورا بين الأمم:

اللي عضه الحنش، يخاف من الطوأل  
لهذا المثل مقابل بالأمازيغية: يان أبي ولغم ارت  
يسود يترك yan ibbi ulgmad art issiwid izikr  
وبالفرنسية Chat échaudé craint l'eau froide  
وبالإنجليزية He who is bitten by a snake fears  
even a rope

لا تنحصر الأمثال حسب هذه النظرية في حقل ثقافي واحد بل تتجاوز حدوده وتشاع عبر الأوساط الثقافية المختلفة.

وهناك نظرية أخرى، أساسها العلاقة الموجودة بين

الأمثال والمجتمع الذي يستعملها. وحسب هذه النظرية، تعتبر الأمثال والحكم كمرآة تتجلى فيها الحياة اليومية والتجربة الشعبية. ومن خلال الأمثال يستطيع الباحث أن يتعرف على العقلية السائدة في شعب وعلى مزاجه وأفكاره واعتقاداته وتقاليده. والحقيقة أننا لا نجد تناقضا بين النظريتين الاثنتين. فعندما نتعمّن في دراسة الأمثال والحكم الشعبية المغربية، نجد صنفين من الأقوال: الصنف الأول كما أشرنا إليه، يحتوي على كل ما يتعلق بالبرية بصفة عامة ويمكن تطبيق هذا الصنف من الأقوال على أي مجتمع في أي قطر:

التواض بـكـري، بالذهب مشري  
أما الصنف الثاني من الأمثال فيبدل على خاصيات ينفرد بها الشعب المغربي، ولا يمكن إدراك تلك الأقوال إلا في محيطنا الاجتماعي والثقافي:

بحال العربي قالشعاعين  
اللي حب الصخ، يشي للقروين  
قبل أن نلقي نظرة على أهم المحاور التي تدل عليها الحكم الشعبية المستعملة في بلادنا، سنقف عند شكل هذه الحكم، أي جانبها اللغوي والأدبي.

الحكم والأمثال من الناحية اللغوية: للأمثال صيغ ونيات وأساليب خاصة بها، وبالأمازيغية "النظم" و"لمعاني" تعبران على ما يشير الانتباه في دراسة الأمثال. ترجع الكلمة الأولى إلى أصل عربي: نظم أي صنع أبيات شعر؛ وتشير الثانية "لمعاني" إلى المعنى المجازي للمثل؛ وللمزيد من التوضيح سنأتي بنماذج من التراكييب البنسرية والأساليب المستعملة في هذا النوع الأدبي:

- تسلسل من الجمل لها نفس المضمون:  
ما يحك لك غير ظفرك، ما يبكي لك غير شفرك

- يتركب المثل من شطرين: الشطر الثاني نتيجة إيجابية أو سلبية للشطر الأول:  
اعسل الخير، نصيب الخير  
غرسه، يقلعك!

- تأتي بعض الأمثال على شكل سؤال أو سؤال وجواب أو تعجب:

آ المبيض من برأ، آش خبارك من الداخل؟  
آش خصك آ العريان؟ الخاتم آ مولاي  
آ الشاري، تفكر يوم تبع!

- من الحكم، ما يشبه الأحاجي:  
الثلث الخالي في الدنيا هو رأس بين آدم  
- تستعمل حكم على شكل حوار:

قال له: آش صنعة بك؟  
قال له: نقار  
قال له: حمد الله على رمضان ثقاضى  
وضمن هذه التراكييب تلجأ لغة الحكم والأمثال إلى

أساليب تستعمل عادة في الشعر كالمجاز والسجع والقافية :

النهارُ بَعُونَانُهُ وَاللَّيْلُ بَوْدِينَانُهُ  
إِذَا فَاتَكَ الطَّعَامُ قُلْ شَبِعْتَهُ، وَإِذَا فَاتَكَ الْكَلَامُ قُلْ  
سَمِعْتَهُ

ومن الوسائل التي تشير الانتباه وتعطي للمثل صبغة شبيقة نجد :

- تكرار الألفاظ : نهيته، نهيته وإذا عَمِيَ سِرٌّ وَخَلِيَّةُ  
الإيحاءات اللفظية : الَّذِينَ كَايَهُمُ الدِّينُ

- كما تتميز لغة الحكم والأمثال باستعمال المتناقضات والأضداد في التعبير :

إِذَا طَرَدَكَ الْبَخِيلُ عِنْدَ الْكَرِيمِ تَبَاتُ  
اللَّيْ قَنَّعَ بِالْقَلِيلِ كَايَعِطِيهِ اللَّهُ الْكَثِيرُ  
وظائف الحكم والأمثال :

نظراً للخصائص اللفظية التي أشرنا إليها، كالسجع والقافية، تعتبر الحكم والأمثال بمثابة نوع أدبي من ضمن أصناف الأدب الشعبي، لا فرق في بعض الحالات بين أمثال منظومة وأبيات شعرية. واعتباراً لصقل قلبها وجمالية شكلها، تُضفي الأمثال على حديثنا اليومي رونقاً فيصير عذبةً شيقاً، ومن ثم نلاحظ أن استعمال الأمثال يسترعي الانتباه ويجعلنا نصغي إلى من يتكلم بواسطتها لنستوعب كلامه. فلهذا الكلام دور معين في علم الأخلاق وتأديب الأشخاص وتهذيب المجتمع. تبلور تلك العبارات حقائق جذرية مستنتجة من التجربة البشرية أمام مواقف معينة، كما تعبر بصفة عامة عن شعور إنساني مثل التفاؤل والبخل والتفادع والظلم. يُدَمِّ التناقض والافتخار والأثنية في كل مجتمع بنفس الأساليب، وعلى عكس ذلك يُنَوِّه بالصدق والكرم والحلم. هذه مواقف ثابتة تعبر عن الحكمة الشعبية وتُخَلد بواسطة الأمثال. من أجل ذلك يُعتبر المثل حجة قاطعة أو دليلاً مقديساً يبرهن عن كلام صادر عن الأجداد منذ العصور الغابرة وورثناه عنهم فأصبح ملكاً للجميع، ومن واجبنا احترام هذا الكلام وأخذه بعين الاعتبار.

وفي غالب الأحيان يُنطق بالحكمة لهدف معين وفي ظروف خاصة : هذه العبارات، من شأنها أن تخفف آلامنا في حالة التشاؤم والفشل، كما من شأنها أن ترشد إلى الحيلة وتوجه أفعالنا. نظراً لهذه السمات، تبدو الحكم والأمثال، على غرار الحكايات والقصص، كأنها تثير في نفس المتبوع تتخلص فيه حكمة الأجيال المتلاحقة.

والحقيقة أن هذا الموقف تجاه التراث اللغوي يختلف من مجتمع إلى آخر ويبدو متمكناً راسخاً في المجتمعات التي تسودها تقاليد شغوية عريقة. ولتأخذ قبيلة اشتوكن بمنطقة سوس مثلاً لذلك. يلاحظ أن الحكم شائعة بكثرة في هذه القبيلة، ولأعضاء القبيلة اهتمام كبير بالحكم المتداولة، يعنني كل واحد بفك الألفاظ المستعملة وما ترمز إليه،

وتعتبر هذه الكفاءة من شروط انسجام المرء في مجتمعه، وفي نفس الوقت تقوي مصداقية حديثه. أما الشخص الذي ينقصه اكتساب الحكم فيعتبر قليل الذكاء ويبقى مهمشاً.

للحكم وظيفة من الناحية الدينية حيث تدعو بعض الحكم إلى احترام مبادئ الدين وتوصي بالصبر والرصانة وهي من مميزات الرجل المؤمن :

الصَّلَاةُ فِي وَقْتِهَا أَحْسَنُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا  
الصَّبْرُ مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ  
الثَّقَالَةُ مِنَ اللَّهِ وَالْحَقَّةُ مِنَ الشَّيْطَانِ

من الحكم ما يوجه أو يرشد، ومنها ما يلقي معرفة علمية مستنتجة من تجربة القدماء، وعلى سبيل المثال نذكر مجال الفلاحة لما يوزر به من معلومات ونصائح عملية حول الفصول وحول الطقس والتغيرات الجوية. يعتمد الفلاح على الحكم الشعبية ليتذكر ما يجب العمل به عندما تحل مواسم الحراث والزرع والحصاد :

إِذَا حَمَارَتُ مَعَ الْعَشِيِّ، غَيْرِ حَلَسُ حَمَارِكُ يَمِشِي  
وَإِذَا حَمَارَتُ مَعَ الصُّبْحِ، رَدَّ حَمَارِكُ لِلْمَرَاحِ  
فَاتَكَ الْغَرَسُ قَبْلَ مَارَسِ وَالزَّرِيعَةُ قَبْلَ حَيَّانِ

بعد هذا السرد الوجيز لوظائف الحكمة والمثل في المجتمع علينا أن نتساءل في شأن مجموعة من الأمثال المستعملة لأغراض خاصة. وقد تصبينا الحيرة وبعترنا الضجر إذا اعتبرنا الأمثال الموجهة إلى المرأة كخلاصة لحكمة القدماء :

اللَّيْ مَا يَدْبِجُ شَأْنُهُ، وَمَا يُسَوِّطُ مِرَاتَهُ، مَوْتُهُ خَيْرٌ  
مَنْ خَيَّانُهُ

دوا الضَّرْسَةِ وَالرَّوَا : الْكُلَّابُ وَالسِّرَا

إن الأمثال من هذا القبيل شائعة في جل البلدان ويرجع أصلها إلى تعايش فئات مختلفة واحتكاك مجموعات ذات مبادئ دينية أو لغوية أو عرقية متباينة. من المحتمل أن تضلح هذه الأمثال أو تكتسي معنى مجازياً بدل المعنى الأصلي نظراً لتطور الأحداث وتغير الوقائع التاريخية.

واليوم ما زلنا نسمع البعض منها في حالات يطغى عليها نوع من العنصرية. للأمثال من هذا الصنف ضد المرأة والحادم (العبد) واليهودي والأمازيغي (الشلح) ... وظيفة نفسانية. وبواسطة ما قاله الآخرون ينقل المرء هذه الأمثال ويعبر بتهمك واستهزاء عن اللاشعور وبذلك يتبين ما هناك من غيظ وما يجيش في النفس من انفعالات.

م. بن شريفة، أمثال للعوام في الأندلس لأبي يحيى الزجاني : ح. اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق د. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، ثلاثة أجزاء، 1981 : م. شمساعو، منه وألف من الأمثال الشعبية، الرباط، طبعة الكاتب، 1985. 1986 : الحسين بن علي بن عبد الله، قصص وأمثال من المغرب، الجزء الأول، الدار البيضاء، النجاح الجديدة، 1996.

Benchehida et Sbihi, *Proverbes de vieilles femmes marocaines*, Fès, 1930 ; M. Ben Cheneb, *Proverbes arabes de l'Algérie et du Maghreb*, Paris, 1907 ; F. Bentouïla (sous la direction de.), *Proverbes berbères*,

كواندور روجي، *قراصنة سلا*، تر. محمد حمودة، الرباط 1991 :  
وثائق وزارة الخارجية الفرنسية، ملف 770، الإدارة العامة.

عبد الإله الفاسي

**الحكماوي أو الحَكَمَوي**، محمد بن محمد الصنهاجي، فقيه أديب اشتغل مدة كاتياً في بلاط السلطان سيدي محمد بن عبد الله وولده المولى سليمان، ثم ولاء هذا الأخير عاملاً على تطوان بعد عزل العامل قبله حُمان الصريدي. ولما قدم الحكماوي تطوان لم يتقبله أهلها، وخصوصاً حيصة حمر النعم (على حد تعبير الفقيه الرهوني) وتوجه وفد من أعيانهم، على رأسهم علي ابن ريسون وأولاد الشيخ عبد الله بن العربي الوزاني حاملين رسالة شفاعة من الفقيه الصالح محمد بن علي الوردزي (الوردزي) وكان صديقاً للسلطان يطلبون عزل الحكماوي وإعادة سلفه الصريدي، فقبل شفاعة الفقيه وهدية الوفد، وعزل القائد الحكماوي وولى عليهم بدله السيد عبد الرحمان أشعاش، وكان ورود هذا الوفد على السلطان في 14 أو 15 رمضان عام 1210 / 23. 24 مارس 1796 وبعد ذلك قلد المولى سليمان محمد الحكماوي إمارة السواحل وقبائلها وثغورها إلى أن توفي بمدينة طنجة في حدود عام 1240 / 1825 وبها دفن.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. العماري، ص. 301 : ع.  
سكيرج، *نزهة الإخوان*، ص. 39، مخطوط : أ. الرهوني، صدة  
الراوين، 2 / 46 مخطوط : ع. ابن سودة، *إنحاف المطالع*، موسوعة  
أعلام المغرب، 7 : 2521.

محمد بوخيزة

## الحكماوي الرباطي ← الحكمي

**الحَكَمَوي**، أحمد بن أحمد الرباطي، أصله من بني حكم فخذة من زمور الشلح بين سلا ومكناس ويدعى أيضاً بالحكماوي. على غير قياس. نشأ بالرباط وأخذ مبادئ العلوم قبل أن يرحل إلى فاس ويأخذ عن شيوخها كالتاودي بن سودة والشيخ البناني. ورجع إلى الرباط ليستغل بالتدريس، تخرج على يده عدة علماء منهم ولده صالح الحكمي والقاضي محمد ابن جلون ومحمد بن التهامي ابن عمرو، وغيرهم كثير.

تقلد أحمد الحكمي خطة القضاء بالعدوتين الرباط وسلا يوم الثلاثاء 2 رمضان 1214 / 28 يناير 1800 وكانت إشاعة تقلده القضاء قد راجت قبل ذلك بحوالي أربع سنوات على حد قول المؤرخ الضعيف أيام قضاء محمد الغربي. لكن الذي خلف محمد الغربي هو القاضي اليسع الفيلاي ثم عزل وعوض بالحكمي. وقد مكث الحكمي من الخطة مدة خمس سنين إلى أن أعفي منها يوم السبت 23 جمادى الثانية 1219 / 29 شتنبر 1804 وولى مكانه القاضي الطيب

Awal, 1993 ; R. Blachère, *Contribution à l'étude de la littérature proverbiale des arabes à l'époque archaïque*, Arabica 1, 1954 ; L. Brunot, *Proverbes et dictons arabes de Rabat, Hesp.*, T. VIII, 1928 ; L. Brunot et E. Malka, *Proverbes judéo-arabes de Fès, Hesp.*, 3ème trim., 1937 ; J.L. Burckhardt, *Arabic proverbs*, London, 1875 ; G.S. Colin, *Chrestomathie marocaine*, Paris, 1955 ; *Proverbes inédits de Marrakech* ; F. Corriente, H. Bouzineb, *Recopilacion de refranes andalusies de Alfonso Del Castillo*, Zaragoza, 1994 ; S.J. Davis, *Osmanli proverbs*, London, 1898 ; Jean-Yves Bournon, *Le dictionnaire des proverbes et dictons de France*, Paris, 1986 ; B. El Attar, *Les proverbes marocains*, Casablanca, 1992 ; M. Feghali, *Proverbes et dictons syro-libanais*, Paris, 1938.

زكية عراقي سينا

**حَكَم**، أسرة رباطية كانت موجودة بالرباط، على الأقل منذ القرن الحادي عشر (17 م). يتحدث كواندرو R. Coindreau في كتابه *قراصنة سلا* عن واحد من هذه الأسرة لعله جد أفراد الأسر الحالية الحاملة لهذا الاسم بالرباط، وهو الرايس حكم واسمه الشخصي علي، وكان يحمل لقب "نائب أميرال سيفن سلا" والمقصود بسلا ما يشمل الرباط التي سكنها المورسيكيون بعد قرار الطرد من الأندلس الذي أصدره فيليب الثالث سنة 1609 في حق المسلمين هناك. وامتد النشاط البحري لعلي حكم هذا من سنة 1671 إلى 1715 على الأقل، حسب نفس المؤلف. ومن المعلوم أن مجاهدي أبي رقسراق كانوا من السلويين والأندلسيين المطرودين، لكن وجدت أسماء محلية في لائحة هؤلاء المجاهدين ورؤساء البحر. كما كانوا يسون. فلا نعلم هل كان علي حكم من الأندلسيين المطرودين أم كان ينتمي إلى قبيلة تحمل نفس الاسم تقريبا وهي قبيلة بني حَكَم الزمورية (يسكون الحاء والكاف والميم) وهي الموجودة قرب قبيلة الحودرآن، وكانتا تحسبان من تراب مركز تيدرس أيام الحماية، وكانت قبيلة بني حكم تضم أكثر من 6.800 فرد حسب إحصاء 8 مارس 1936.

وإذا رجعنا إلى مصطفى بوجندار فإنه لا يعدُّ أسرة حكم من الأسر الأندلسية. وعلى كل حال برز فيها زيادة على رياس البحر عدد من العلماء أمثال أحمد بن علي حكم الرباطي، ومن أساتذته القاضي الشهير أحمد الحكمي المتوفى سنة 1226، ويقول بوجندار إن والد أحمد حكم هذا لعله هو المذكور في كتاب *دوحة البستان* من جملة تلامذة الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان.

ويتحدث الضعيف عن المدعو حكم وكان من أئمة المسجد الكبير بالرباط سنة 1227 / 1812. كما يتحدث عبد الله الجبراري عن عبد العزيز بن أبي بكر حكم المتوفى سنة 1362 / 1943 وكان من الوطنيين المشاركين في حركة الظهير البربري سنة 1930.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. م. العماري، الرباط 1986، ص. 770 : م. بوجندار، *الاعتباط*، الرباط، 1987، ص. 38 : ع. الجبراري، *من أعلام الفكر*، الجزء 2، الرباط، 1969، ص. 453 :

بَسِير. ثم طلب منه تولي القضاء مرة أخرى فامتنع. وكان خلال خطته يستعمل نائباً عنه بسلا الفقيه الهاشمي أطوي السلاوي، ونائباً عنه بالرباط تليمنه ابن عمرو. عرف القاضي الحكماوي بكثرة التعبد وعدم الاكتراث للشدائد، وقد تعاطى الموسيقى كما أشار إلى ذلك حافده إبراهيم التادلي.

توفي يوم الثلاثاء 19 رمضان 1226 / 8 أكتوبر 1811 بعد مرض ألزمه الفراش أربعين يوماً.

م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، تج. أ. العماري، 1986 : ع. ابن زيدان، إتحاف، 1 : 346 : م. بوجدار، الاغتباط، ص. 30 : م. دينية، مجالس الانبساط، ص. 138 : ع. ابن سوادة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 7 : 2485.

### الحَكْمِي، صالح بن أحمد القاضي الرباطي سابق

الترجمة. تلقى العلم عن شيوخ بلدته، ومنهم والده، وحينما شب اشتغل بالتدريس وأوكلت إليه مهمة الخطبة بجامع القصبة بالرباط سنة 1230 / 1814 بعد عزل خطيبه عبد القادر مورينو. وقد تحدث عنه الضعيف مراراً مساً يدل على أنه كان من وجهاء المدينة، فذكر أنه كان مثلاً من ضمن الفقهاء الذين قدموا التعازي للسلطان المولى سليمان بعد موت أخيه مولاي عبد السلام في شعبان من سنة 1227 / غشت - شتنبر 1812، كما كان من ضمن الوفد المهني للسلطان بمناسبة عيد المولد وهو بمراكش في 6 صفر 1228 / 8 فبراير 1913 ولما كان صالح الحكمي من أصدقاء الضعيف، ذكره مراراً عندما كانا ينظمان الأسفار الجماعية مع ثلة من الأصدقاء. ففي يوم الخميس 27 قعدة 1228 / 22 نونبر 1813 خرجوا لزيارة الأرياء وفي 12 ربيع الثاني عام 1229 / 3 أبريل 1814 توجهوا لزيارة ضريح عبد الله بن ياسين بكريفة... الأمر الذي يدل على أنه كان متصوفاً محباً للصالحين.

تولى صالح الحكماوي قضاء مكناس وقضاء الرباط وعُرف بالصرامة في الأحكام. وتولى هذه الخطة مراراً، وكان مع القاضي بسير يتداولان قضاء الرباط مع قضاء مكناس نحو الستة أشهر أو العام لكل واحد على عادة السلطان المولى سليمان في تولية القضاء لمدة قصيرة ثم يأمر بالتبادل أو البديل. وكان خلال مدة قضائه بمكناس يتولى الخطبة في جامع قصبته وجامعها الأعظم، وكان من الشعراء ملازماً لصديقه أديب الرباط ابن عمرو الأوسي وقعت بينهما مساجلات شعرية ومراسلات نشرة أورد ابن زيدان في الإتحاف نماذج منها.

توفي سنة 1251 / 35 : 1836.

م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، تج. أ. العماري، في صفحات عدة : م. بوجدار، الاغتباط، ص. 358 : ع. ابن زيدان عبد الرحمن، إتحاف، 4 : 382 : م. دينية، مجالس الانبساط، ص. 156.

عبد الإله الفاسي

### الحكومة بالمغرب، من المسلم به أن تاريخ الحكومة

في النظام السياسي المغربي قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ مؤسسة السلطان المغربي منذ دولة الأدارسة إلى العلويين في أواخر القرن العشرين، إذ غير خاف في حقائق التاريخ ووقائعه المتوافرة طبيعة العلاقة التي كانت سائدة بين سلطان المغرب، الحاكم الفعلي من جهة، وبين حكومته من جهة ثانية والتي كانت تعرف بحكومة السلطان، أو بحكومة جلالة الملك كما هو مصطلح عليه اليوم في القاموس السياسي المغربي المعاصر.

ولعل استقرار تاريخ الحكومة المغربية يفضي بنا إلى التأكيد على أن مهمة أعضاء الحكومة هي بالأساس تنفيذ تعاليم السلطان، وإحجاز التكاليف والمهام التي كان يسندها لهم، كل في مجاله وميدانه، فكانوا بذلك وزراء تنفيذ يقومون بأعمالهم بناء على قواعد التفويض والإنابة.

وفي هذا الإطار كان سلاطين المغرب، على خلاف السلاطين الأتراك، يحتفظون دائماً بحكومة مصغرة في تشكيلها مما جعل هياكل السلطة المركزية مبسطة في تركيبها وتكوينها، فقد كانت الحكومة تتشكل قبل الحماية من خمسة وزراء وهم : الصدر الأعظم، ووزير البحر، ووزير المظالم، ووزير الحرب، ووزير المالية.

أما الصدر الأعظم، فقد كان يعتبر رئيساً لجهاز المخزن يشرف على السياسة الداخلية للدولة، ويمارس سلطة مباشرة على قواد القبائل وعمال المدن بالنسبة للمناطق المعترف بشريعية السلطة المخزنية والخاضعة لسيطرتها. وبالإضافة إلى ذلك، كان يباشر مراقبة على المسائل التي لا تدخل في اختصاصه مباشرة، وهي مراقبة تنفاوت فعاليتها ودرجتها حسب مقدار الثقة التي يحظى بها من قبل السلطان.

أما وزير البحر، والذي يقابله في التنظيم الحكومي الحديث وزير الشؤون الخارجية، فلم يكن يحمل هذه الصفة إلا استثناء، حيث كانت تضي عليه عندما كان يمثل الدولة في إطار العلاقة مع الأوربيين، وذلك من أجل تحديد مهامه في إجراء حوار أو إبرام اتفاقات مع الأمم الأوربية، لا سيما بخصوص قضايا قرصنة وشرء العبيد المسيحيين، والقضايا التجارية التي تحدث في الموانئ.

وصفته كوزير للبحر في الإدارة المخزنية، رغم ما يوحي به إطلاقها، لا تمت بأية صلة أو علاقة مع الشؤون البحرية، فقد كان إلى جانب ما ذكره يتلقى تظلمات الجاليات الأوربية، ويجري المفاوضات مع الأعوان الدبلوماسيين من ممثلي الدول الأجنبية.

أما وزير المظالم أو وزير الشكايات، وهو منصب ترجع أصوله إلى تاريخ قديم، حيث كان معروفاً لدى الدولة الإسلامية في الشرق تحت عنوان "ولاية المظالم"، فقد كانت مهامه تنحصر في تلقي مختلف الشكايات الواردة من القبائل أو بعض الخواص ضد الموظفين وأعوان الدولة، ولم يكن في بعض الأحيان، سوى كاتب يعمل وفق أوامر الصدر الأعظم.

فأما وزير الحرب، فهو الآخر لم يكن يحمل صفة وزير في إطار التنظيم المخزني، وإنما كان يعرف باسم "العلاف"

بمعنى المومن، إذ كان مكلفا بتموين الجيش أكثر من كونه قائداً له، فهو لم يكن يكلف بإدارة العمليات في فترة الحرب، ولكنه كان يشرف على تسيير وإدارة تشكيلات الجيش وأداء أجهزه.

وفيما يتعلق بوزير المالية وهو الذي كان يعرف في النظام المخزني بأمين الأمان أو رئيس الأمان، فقد كان يقوم بمهام الخازن العام أكثر من كونه وزيراً للمالية، فهو لا يقوم بتحضير الميزانية، أو تقدير العجز، أو تحديد المداخيل الضرائبية - على غرار قواعد التدبير المالي الحديث للدولة - وإنما كان يكتفي بتجميع المداخيل التي تحول إلى بيت المال وتسجيل المصاريف التي ينفقها جهاز المخزن من أجل تدبير شؤون الدولة، أما مالية الدولة فتحدد من قبل الخازن الخاص للسلطان.

وقد كان لكل وزير أو عضو من أعضاء الحكومة عدد من الكتاب يساعده في مهامه، والحكومة في أغلب الأحيان تكون متنقلة، إذ السلطان غالباً ما ينتقل إلى عدد من المدن خلال السنة، كفساس أو مراكش أو مكناس أو الرباط، حيث يقيم هناك مدة طويلة قد تدوم شهراً عديدة. وعلى مستوى الأقاليم كانت هناك إدارات تمثل الحكومة المركزية في المناطق الخاضعة لسلطة الجهاز المخزني، وهكذا كان حكم القبائل والمدن موكولا إلى القواد والباشوات الذين كانوا يطبقون التعليمات والأوامر الصادرة لهم من السلطان أو الصدر الأعظم، بالإضافة إلى مهامهم في حفظ الأمن وجباية الضرائب. وقد كان لكل قائد خليفة يساعده في أداء مهامه، بالإضافة إلى كاتب خاص يتولى أمر التسجيل والتوثيق، إلى جانب بعض عناصر القوة العمومية الذين كانوا ينعنون بـ"المخازنية"، أما في قبائل البرابرة فقد كانت تساعد القائد وتنب عنه في بعض الأحيان الجماعة أو هيئة الأعيان.

والسلطان على غرار ما يقدمه الصدر الأعظم والوزراء له من رأي ومشورة واقتراح، فإنه كان يستعين بفتاوى ومشورة عدد من العلماء وفقهاء الأمة فيما يتبعه من سياسة وما يتخذ من قرارات.

وبعد خضوع المغرب لنظام الحماية الذي جعل للبلاد تحت نير الاستعمار، عرفت مؤسسة الحكومة عدة تغييرات جوهرية في تنظيمها وتأليفها، حيث إن بنود معاهدة الحماية نفسها التي أبرمت بفساس في 30 من شهر مارس 1912، كانت تنص على عدد من المقتضيات والأحكام التي قيدت من السيادة الوطنية التي يمثلها سلطان المغرب، وجعلت البلاد تحت الوصاية الأجنبية، حيث تم اشتراط قبول السلطان قيام الحكومة الفرنسية بعد إعلام المخزن، بالاحتلال العسكري للتراب المغربي الذي يراه ضروريا لحفظ النظام وأمن المعاملات التجارية، وأقرت أن تصيب الإجراءات التي يفرضها النظام الجديد للحماية تتخذ من قبل السلطان أو من قبل السلطات التي يفرض لها ذلك، بناء على اقتراح من الحكومة الفرنسية التي يمثلها لدى السلطان المندوب المقيم العام الذي يتمتع بجميع السلطات والصلاحيات المفوضة له من حكومته لتنفيذ معاهدة

الحماية. كما أصبح المقيم العام كذلك بمقتضى أحكام هذه المعاهدة، الوسيط الوحيد بين سلطان المغرب وممثلي الدول الأجنبية، فيما يرجع لعلاقة هؤلاء مع الحكومة المغربية، إضافة إلى تكليفه بجميع المسائل المتعلقة بالأجانب في الامبراطورية الشريفة، وفي نفس السياق تم تكليف الأعوان الدبلوماسيين والقنصلين لفرنسا في الخارج بتمثيل الرعايا المغاربة.

وبالتالي، فإن المعاهدة قد فرضت على سلطان المغرب التزامه بعدم إبرام أي اتفاق ذي صبغة دولية بدون موافقة مسبقة لحكومة الجمهورية الفرنسية، وأقرت في الميدان المالي التزام حكومتى البلدين بتحديد أسس تنظيم مالي جديد، بناء على اتفاق مشترك بينهما. ولا يخفى ما تتضمنه هذه الاتفاقات من شروط وتقيدت للسلطة الشرعية التي كان يمثلها سلطان المغرب، سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي.

وفي هذا الخصوص أقرت المعاهدة، إلى جانب التزام سلطات الحماية بالمحافظة على الوضعية الدينية لمؤسسة السلطان.

تنظيم المخزن الشريف وإصلاح جهازه.

وفي هذا السياق تمت إعادة تنظيم هيكل الدولة بإقرار نظام جديد للحكومة، قتل أساساً من خلال الظهير الصادر عن السلطان بتاريخ 31 أكتوبر 1912 بشأن تنظيم حكومة المخزن، والقاضي بجعل إدارة البلاد تحت إشراف حكومة تتكون - تحت سلطة الجلالة الشريفة - من :

- وزير أول يحمل اسم الصدر الأعظم،
- وزير للحرب،
- وزير للمالية،
- وزير للعدل،

وقد حصرت أحكام هذا الفيرمان مهام الصدر الأعظم في المحافظة على أرواشيف الدولة، والإدارة العامة للبلاد، والأمن العام، والتعليم والصحة، والأشغال العمومية، والفلاحة والغابات، والمناجم، وبصفة عامة جميع الأمور التي لا تدخل في اختصاص باقي الوزارات، كما اشترطت أن يقوم الصدر الأعظم عند اتخاذه لأي إجراء أو قرار بالاتفاق مسبقاً مع ممثلي المقيم العام، وهم الكاتب العام، والمدير العام للمالية، ومدير الأشغال العمومية، وذلك بحسب مهام كل واحد منهم.

أما وزير الحرب فقد قضت أحكام الفيرمان بتكليفه بالإشراف على شؤون الدفاع عن البلاد، وتم بموجب نفس الأحكام تفويض هذه المهام إلى الجنرال القائد رئيس الجيوش الفرنسية.

كما أن وزير المالية قد كلف بجميع المسائل المتعلقة بالمداخيل والنفقات الخاصة بالحكومة المغربية، لا سيما تحضير وتنفيذ وتصفية ميزانية البلاد، وإحداث وتحصيل الضرائب، وإدارة الممتلكات العامة. وهو مطالب على غرار الصدر الأعظم، بضرورة الاتفاق المسبق مع المدير العام للمالية.

وقد كلف وزير العدل بجميع المسائل المتعلقة بالعدالة

وتنفيذ المقررات الصادرة عن المحاكم وبالنظام العقاري، مع التزامه بالاتفاق مقدماً مع الكاتب العام لدى الإقامة العامة أو مندوبه.

وقد خول هذا الفيرمان للصدر الأعظم ووزير المالية والعدل، إمكانية الاستعانة بمندوبين خصوصيين من أجل تسيير مصالحهم.

أما وزارة الشؤون الخارجية فقد كلف بمهامها بمقتضى معاهدة الحماية، المقيم العام نفسه.

وفي سنة 1913 تم إحداث وزارة للأوقاف، بناء على ظهير شريف صدر في الثالث عشر من شهر يوليو، وفي نفس السنة أُحدث منصب مندوب لدى الصدر الأعظم مكلف بالتعليم.

وفي سنة 1914 تم إلغاء وزارة المالية بموجب ظهير شريف صدر في الخامس من شهر غشت، حيث أُسندت اختصاصاتها إلى الصدر الأعظم نفسه، ثم بعد ذلك إلى المديرية الشريفة للمالية.

وقد أُحدثت سنة 1919 وزارة للأموال المخزنية بمقتضى ظهير شريف صدر في السابع والعشرين من شهر أبريل، ولكن وجودها كان مؤقتاً، حيث تم حذفها سنة 1927.

وهكذا أصبحت حكومة المخزن مكونة فقط من : الصدر الأعظم، ووزير العدل، ووزير الأوقاف، في حين خُضعت القطاعات الحيوية كوزارة الحرب والخارجية والمالية وغيرها من القطاعات التقنية لسلطات الحماية، إما تحت إشراف المقيم العام مباشرة، أو تحت إشراف المديرية التقنية التابعة للحماية بكيفية غير مباشرة.

وبالموازاة مع ذلك، فقد كانت السلطات التي تمثل فرنسا لدى حكومة المخزن المركزي هي من جهة المندوب المقيم العام، والمفوض العام لدى الإقامة الذي تمثل مهمته الأساسية في النيابة عن المقيم العام، والكاتب العام للحماية ومهمته الأساسية هي تجميع المسائل الإدارية على الصعيد المركزي.

وقد كانت المصالح المقيمية (وتسمى بهذا الاسم لارتباطها المباشر بالمقيم العام، حيث كانت تعمل وفق التنظيمات السائدة في الإدارة الفرنسية)، كانت هذه المصالح تتشكل أساساً - بالإضافة إلى المساعدين المباشرين للمقيم العام : الدواوين المدنية والعسكرية والديبلوماسية والإعلامية من ثلاث مديريات كبرى هي :

- المديرية المكلفة بربط الاتصال مع المخزن، والقيام بمراقبته، وكانت تعرف بمديرية الشؤون الشريفة.

- المديرية المكلفة أساساً بالمراقبة السياسية العامة، والمخولة لفرنسا وفق معاهدة الحماية. وقد عرفت هيكلتها عدة تعديلات، حيث كانت تحمل اسم مديرية الشؤون الأهلية، ثم مديرية الشؤون السياسية فيما بعد. وأصبحت في سنة 1946 مكونة من جهازين : الكتابة السياسية ومديرية الداخلية، إلى أن تم توحيدهما في بداية سنة 1948 في إطار مديرية للداخلية.

- وأخيراً، مديرية مصالح الأمن العام.

وإلى جانب هذه المديرية التي كانت تتكلف أساساً

بالمراقبة وتقديم خدمة أمنية واستخبارية للإدارة الاستعمارية، كانت الإدارة المركزية للحماية تتكون من سلطات ومصالح تعرف بالمصالح الشريفة الجديدة، وهي عبارة عن وزارات أهلية بإشراف فرنسي، حيث كانت إدارتها خاضعة للسلطة المباشرة لممثلي الاستعمار الفرنسي، (المقيم العام، مفوض الإقامة العامة، الكاتب العام للحماية). وقد تم إحداث هذه الوزارات الجديدة في مختلف المجالات التقنية، كما خضع تنظيمها الداخلي وتعيين موظفيها إلى الطرق والكيفيات السائدة في مباشرة الاختصاصات المحلية، (أي بناء على ظواهر شريفة وقرارات وزارية).

وقد كانت تضم كلا من مديريات المالية والأشغال العمومية والإنتاج الصناعي والمعادن والفلاحة والتجارة والغابات والتعليم العمومي والصحة العمومية والشغل والبريد والمواصلات اللاسلكية.

وهكذا كانت البلاد خاضعة خضوعاً تاماً لمراقبة سياسية وأمنية وعسكرية وخارجية تباشرها مصالح الإقامة العامة، كما كانت المصالح الإدارية في مختلف المجالات خاضعة للأطر التقنية الفرنسية، بتنسيق تام بل ومباشر مع الإدارة الفرنسية، في حين ظل الحضور الغربي باهناً ومحسوراً ورمزياً، ولم يكن يتمتع بأي سلطات فعلية.

وفي هذا الإطار، كان الجهاز الذي يلعب دور الوسيط بين مصالح الإقامة وإدارة المخزن هو مديرية الشؤون الشريفة، التي يوجد على رأسها مستشار الحكومة الشريفة، الذي يلعب دوراً مزدوجاً من خلال جهاز واحد، فهو يراقب عمل جميع السلطات الحكومية المخزنية، وهو في نفس الوقت الذي يشرف على ربط الاتصال بين الإقامة العامة والمخزن، إذ يقدم للسلطان والصدر الأعظم - حسب الحالة - مشاريع الظواهر أو القرارات الوزارية التي يرفعها لهما المقيم العام، كما يحضر جلسات مجلس الوزراء الذي يرأسه السلطان.

وإلى جانب ذلك، شكلت الإقامة العامة ضمن هيكل إدارتها المركزية، بموجب قرار مقيمي صدر في الثامن عشر من شهر مارس 1919، مجلساً للحكومة كانت تهدف من وراء تأسيسه ضمان تنسيق ثابت ومستمر بين مختلف مناطق البلاد المستعمرة والإدارة. وقد كان مجلساً يجتمع بصفة دورية كل شهر، ويتكون من رؤساء غرف التجارة والفلاحة ونواب رؤساء لجان الدراسات الاقتصادية، بالإضافة إلى مندوبين عن اللجان البلدية المحلية. وقد سعى المقيم العام ليوطي عند إحداث هذا المجلس إلى جعله مجلساً خاصاً من أجل الحصول على بعض التوضيحات والاستشارات في المجالات الاقتصادية.

وقد عرف هذا المجلس الذي كان يضم شعبة فرنسية واحدة تتكون من الفرنسيين، تغييراً في تركيبه سنة 1923، حيث أصبح يضم - بمقتضى قرارات للمقيم العام صادرة في العاشر من شهر ماي - شعبة مغربية تضم رؤساء ونواب رؤساء الشعب المغربية بالغرف الاستشارية.

وفي 13 أكتوبر 1926 تم، بقرار مقيمي كذلك إحداث

شعبة فرنسية ثالثة تمثل الجالية الفرنسية داخل المجلس، من غير الفلاحين والتجار والصناع الذين تمثلهم الغرف التي ينتسبون لها.

وفي الخامس من شهر ماي 1945 تم توسيع قاعدة تمثيل المغاربة اليهود في المجلس ليصبحوا ممثلين بستة مندوبين، بعدها تم إعادة تنظيم لجان الجالية اليهودية بالمغرب بموجب الظهير الشريف العام في 5 ماي 1945.

ولعل أهم التعديلات التي أدخلت على تشكيلة المجلس وطريقة تعيين أعضائه، لا سيما بالنسبة للشعبة المغربية، هي التعديلات التي تمت خلال سنة 1947 بموجب الظهير الشريف الصادر في 20 ديسمبر، حيث تم توسيع قاعدة تمثيل المغاربة كذلك ليشمل ممثلين عن المصالح المختلفة، إلى جانب ممثلي قطاعات الفلاحة والتجارة والصناعة، كما تم إقرار قاعدة الانتخاب في اختيار هؤلاء الممثلين.

أما القراران الوزيران الصادران في 30 أكتوبر و15 ديسمبر من نفس السنة، والمتعلقان بالغرف الاستشارية، فقد كانا يهتمان بالأساس للشعبة الفرنسية. والحاصل أن مجلس الحكومة، انطلاقاً من تشكيلته وطبيعة أعماله وصلاحياته، كان مؤسسة تابعة للإقامة العامة ذات طبيعة مهنية ومالية، كما أنه بقي مجرد مجلس استشاري لدي الإقامة العامة التي بقيت صاحبة السلطة والتقرير، إذ كانت الغاية منه بالدرجة الأولى تزكية عمل أجهزة الحماية.

أما جهاز المخزن فقد بقي موجوداً بنفس التشكيلة يعمل في حدود ضيقة وفق آليات تتحكم فيها السلطات الاستعمارية من خلال التوجيه والمراقبة والتدخل في جميع الشؤون والقضايا بكل الوسائل المتاحة. ولم يعرف هذا الجهاز تعديلاً جوهرياً إلا في سنة 1947 حيث صدرت ثلاثة ظهائر شريفة بتاريخ 21 يونيو، يتعلق الأول منها بإعادة تنظيم المخزن المركزي الذي أصبح جهازه يتكون من الصدر الأعظم، ووزير العدل، ووزير الأحباس، ومدير البروتوكول، ونائب الصدر الأعظم الملوك بالتعليم، بالإضافة إلى خمسة مفوضين من قبل الصدر الأعظم مكلفين بمهمة دائمة للتنسيق مع الإدارات الشريفة، ويتعلق الأمر بمفوضين في المالية والفلاحة والتجارة والأشغال العمومية والإنتاج الصناعي والبريد والمواصلات اللاسلكية، وهي القطاعات التي يشرف عليها مدراء فرنسيون.

أما الظهير الشريف الثاني فيتعلق بمجلس الوزراء المصغر الذي أصبح - بمقتضى هذا الظهير - يجتمع بالقصر الشريف تحت رئاسة السلطان، كلما ارتأت ضرورة ذلك.

في حين يتعلق الظهير الثالث بإحداث مجلس للوزراء والمدراء، يجتمع مرة كل شهر تحت رئاسة الصدر الأعظم، من أجل دراسة مشتركة للمسائل ذات الصبغة العامة، من قبل أعضاء المخزن من جهة، ومدراء الإدارة الشريفة من جهة أخرى. وقد صدر بعد ذلك قرار وزيري بتاريخ 15 سبتمبر 1947 يحدد كيفية تسيير هذا المجلس.

وهكذا يبدو أن نظام الحكومة التي عرفها المغرب خلال فترة الحماية، كان نظاماً يقوم على تركيب مزدوج للهياكل الحكومية التي تتحكم فيها سلطات الإقامة العامة بفضل

ما كانت تتمتع به من امتيازات وصلاحيات ونفوذ ومراكز قرار. وبقي الجهاز المخزني جهازاً للإشراف على الإدارة التقليدية في البلاد، دون أن تكون له سلطة فعلية باستثناء سلطة المصادقة على مشاريع القرارات التي تقترحها سلطة الحماية، ممثلة في الإقامة العامة ومصالحها المختلفة، بالإضافة إلى أن السيادة المشتركة الذي كانت تسعى إلى تطبيقها سلطات الحماية من خلال تركيبة هذا المجلس، لم تكن من خلال الصلاحيات وسلطات القرار سوى نظام من الهيمنة المقتنة التي جعلتها الإقامة العامة أمراً واقعاً ومفروضاً.

وبعد استقلال البلاد سنة 1955، إثر عودة سلطان المغرب الشرعي المرحوم محمد الخامس من منفاه بمدعشقر، تأسست أول حكومة مغربية في السابع من ديسمبر 1955 تحت رئاسة السيد البكاي بن المبارك الهبيل، ضمت خليفة للرئيس، وأربعة وزراء للدولة، واثنى عشر وزيراً، وكتاباً للدولة ملحقاً برئاسة الوزارة، وكتاباً للدولة في الشبيبة والرياضة.

وفي العاشر من شهر ديسمبر من نفس السنة، أحدثت كتابة عامة للحكومة، وعين على رأسها أول كاتب عام للحكومة هو السيد الحاج محمد باحيني، كما صدر ظهير شريف في السادس من يناير 1956، قضى بأن تسند للوزير الأول جميع الاختصاصات التي كان يمارسها رئيس الحكومة المغربية (أي الصدر الأعظم) بمقتضى النصوص النافذة في انتظار توزيع سلطات التقرير الإداري. وقد أحدثت في نفس السنة وزارة للدفاع الوطني، ووزارة للخارجية.

وبتاريخ 25 أكتوبر 1956، قدمت الحكومة استقالتها إلى جلالة الملك محمد الخامس الذي كلف من جديد السيد بن المبارك البكاي بتشكيل حكومة جديدة، ضمت 14 وزيراً ووكيلين للوزارة، من بينهم أول شخصية حكومية إسرائيلية أسندت لها حقيبة وزير البريد والتلغراف والتليفون هو الدكتور بن زكين.

وقد صدر في نفس السنة أول ظهير الشريف بعد الاستقلال، يسمح للوزراء، وكتاب الدولة والكتاب العام للحكومة وكلاء الوزارة بتفويض إمضاءهم لمدراء الدواوين الوزارية ورؤسائها، وكذا لعلية مرطفي الإدارة الذين يحتلون مرتبة مدراء مساعدين أو مهندسين رؤساء. كما صدر ظهير شريف آخر خلال شهر نونبر، يسمح للوزراء وكتاب الدولة بنقل بعض اختصاصاتهم وسلطتهم إلى وكلاء الوزارات.

وفي 16 أبريل 1958 تم حل هذه الحكومة وأعلن جلالة الملك المغفور له محمد الخامس عن العهد الملكي الذي أكد فيه على جملة من المبادئ الأساسية التي أصبح يقوم عليها النظام السياسي المغربي، والمتشكلة أساساً في جعل سيادة البلاد تتجسم في الملك، والسعي لإقرار نظام ملكي دستوري تتحقق بفضل ديمقراطية مبنية على روح التعاليم الإسلامية وواقع التطور المغربي، وإشراك الشعب تدريجياً في تدبير شؤون البلاد ومراقبة تسييرها.

وفي نفس السياق، تم التنصيص على مبدأ فصل



السلطتين : التشريعية والتنفيذية، مع التأكيد على إصدار ظهير شريف مستقبل، من أجل تعيين سلطة رئيس الحكومة وسلطة كل وزير، واختصاصات مجلس الوزراء. وقد اعتبر الملك آنذاك، من خلال أحكام العهد الملكي، أن الوزراء يستمدون سلطتهم منه، وأنهم مسؤولون أمامه بصفة جماعية وانفرادية، كما أن مسؤوليتهم تضامنية، في حين جعلت السلطة التشريعية بيد الملك والمؤسسات التي ستقام فيما بعد. وقد جاء إعلان هذا العهد رداً على بيان اللجنة السياسية لحزب الاستقلال الذي صدر غداة أزمة وزارية حصلت بسبب عدم انسجام أعضائها الصادر في 20 أبريل 1958.

وقد تم إثر ذلك تأليف حكومة جديدة في 12 ماي 1958، تتكون من عشرة وزراء وسبعة وكلاء للوزارة، ترأسها شخصية معتدلة من حزب الاستقلال هي شخصية الحاج أحمد بلاتريج، ولكن هذه الحكومة لم تعمر أكثر من سبعة أشهر ليتم إعفاؤها من مهامها، وتشكيل حكومة جديدة رابعة تحت رئاسة السيد عبد الله إبراهيم في 24 ديسمبر 1958، احتفظ فيها بمنصب وزير الشؤون الخارجية إلى جانب منصب الوزير الأول. وقد كان السيد عبد الله إبراهيم ينتمي إلى الجناح اليساري لحزب الاستقلال آنذاك، قبل حدوث انشقاق في هذا الأخير خلال سنة 1959 تولد عنه حزب آخر هو الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. وقد كانت تضم هذه الحكومة إلى جانب الوزير الأول، منصب نائب لرئيس الوزارة، الذي شغله السيد عبد الرحيم بوعبيد، إلى جانب منصب وزير للاقتصاد الوطني والمالية، بالإضافة إلى تسعة وزراء ووكيلين، مع احتفاظ وزير العدل السيد الحاج امحمد باحيني بمهام الأمين العام للحكومة، إلى أن تم إعفاؤها من مهامها في 21 ماي 1960، والإعلان عن تشكيل حكومة جديدة هي الحكومة الخامسة في 27 ماي من نفس السنة تحت رئاسة جلالة الملك المغفور له محمد الخامس. وإسناد مهمة نائب لرئيس الحكومة لولي عهده آنذاك، الأمير مولاي الحسن. وقد وجه جلالة الملك - آنذاك - نداء إلى الأمة، أعلن فيه عن تشكيل هذه الحكومة، وحدد برنامجها السياسي والاقتصادي، وحدد سنة 1962 أجلاً لوضع دستور للبلاد يحدد السلط وينظمها، ويمكن جميع المواطنين من المشاركة بواسطة ممثلهم في تسيير الشؤون الوطنية ومراقبة أعمال الحكومة. وفي نفس التاريخ أصدر جلالة الملك ظهيراً شريفاً يفوض فيه جميع الاختصاصات والسلط المخولة لرئيس الحكومة إلى ولي العهد. وقد عرفت هذه الحكومة بعض التعديلات الجزئية المتعلقة بحقائب العدل والفلاحة، كما تم تعيين الأمير فال ولد عمير وزيراً للدولة.

وبعد وفاة المغفور له محمد الخامس، بتاريخ 26 فبراير 1961 الموافق للعاشر من رمضان 1380، ومبايعة ولي عهده الأمير مولاي الحسن ملكاً للمغرب من قبل الحكومة، ترأس نفس الحكومة، وأقر جميع الوزراء في مناصبهم طبقاً للتشكيلة التي عينها المغفور له محمد الخامس. كما وضعت وزارات الدفاع والفلاحة تحت سلطته المباشرة.

وهكذا تميزت هذه الفترة التي تعاقبت خلالها خمس حكومات، منذ استقلال المغرب سنة 1955 إلى سنة 1961، بعدة تطورات وأحداث سياسية ودستورية وحزبية، كان أهمها : تأسيس مجلس وطني استشاري، وصدور وثيقة العهد الملكي، وتكوين حكومات ائتلافية، وقيام صراعات سياسية حزبية، كان طابعها الخاص طموح حزب الاستقلال للمشاركة الفعلية في ممارسة السلطة رغم تحمل أعضاء من لعدد من المسؤوليات الوزارية. إلى جانب بروز أزمات وزارية بسبب انعدام الانسجام الحكومي. ولكن الموجه العام لهذه الفترة تمثل أساساً في السعي نحو إقامة أسس نظام ملكية دستورية، وهو الهدف الذي أعلن عنه المغفور له محمد الخامس، وسعى لتحقيقه عندما قام بإحداث مجلس الدستور في شهر نونبر 1960. الذي حالت الصراعات الحزبية ومواقف بعض الأحزاب دون قيامه بمهامه.

وفي 2 يونيو 1961 شكل الملك الحسن الثاني حكومة سادسة تحت رئاسته، ووضع وزارة الشؤون الخارجية تحت سلطته العليا. وفي نفس الشهر أصدر قانوناً أساسياً للمملكة جعله نظاماً مؤقتاً لنظام الحكم إلى حين صدور دستور البلاد.

وبالفعل فإنه في 14 دجنبر 1962، قام الملك بعرض مشروع الدستور المغربي الأول علي استفتاء شعبي، حيث حظي بموافقة شعبية شبه إجماعية. تلاها بعد ذلك تشكيل حكومة سابعة، حددت مهمتها في الإشراف على الانتخابات التي أفضت إلى انتخاب أول برلمان مغربي. انعقد لأول يوم 18 نونبر 1963. ومنذ ذلك التاريخ، سيعرف المغرب عدة أحداث وتطورات سياسية ستؤثر بكيفية مباشرة على طبيعة التشكيلات الحكومية، ومسيرة العمل الحكومي، ووضع جهاز الحكومة ضمن المؤسسات السياسية والدستورية للبلاد، كان أهمها فشل التجربة البرلمانية الأولى، وإعلان حالة الاستثناء، والأحداث السياسية والعسكرية الخطيرة في مستهل السبعينات، بالإضافة إلى التطورات التي عرفتها المؤسسات الحزبية الموجودة في الساحة السياسية وما أفرزته من صراعات وانشقاقات وتحالفات، فضلاً عما كان للأحداث الاقتصادية والاجتماعية الداخلية من دور خلال عقد الثمانينات والتسعينات في التأثير على التوجهات التي كانت تقوم عليها السياسة العامة للدولة في ترجيح بعض الاختيارات السياسية، دون أن يغفل التذكير بما كان للأوضاع والمتغيرات الدولية من تأثير مباشر على الوضع السياسي الداخلي بالمغرب، كانت الدولة مجبرة على أن تأخذ في الاعتبار.

كل ذلك أثر - بكيفية أو بأخرى - على طبيعة التشكيلات الحكومية التي كان يتم تأليفها، بالإضافة إلى التعديلات التي كانت تعرفها في الأشخاص والبرامج وآليات العمل.

وهكذا عرف المغرب خلال أكثر من أربعة عقود مضت على حصوله على الاستقلال خمسة دساتير تم وضعها على التوالي خلال سنوات : 1962. 1970. 1972. 1992. 1996.

وباستثناء الدستور الأول، فإن الدساتير اللاحقة كانت عبارة عن دساتير مراجعة أكثر من كونها دساتير جديدة، وذلك بالنظر لمضامينها ومحتوياتها والمرجعيات التي اعتمدها في رسم معالم وتحديد مكونات النظام السياسي والدستوري المغربي، علما بأن ثمة بعض التعديلات الجزئية الطارئة قد أدخلت على هذه الدساتير في بعض الأحيان، كما هو الشأن : بالنسبة لمراجعة سن الرشد بالنسبة للملك، أو تحديد السنة المالية من أجل تحضير قانون المالية .. الخ. وفي العموم فإن جميع هذه الدساتير أو المراجعات الدستورية قد تم اعتمادها بواسطة استفتاءات شعبية، وكلها كانت بمبادرات ملكية.

والمتضمن في النص الدستوري المغربي في نسقه العام، وعلى الرغم مما عرفه من مراجعات وتعديلات، يدرك أن المؤسسة الملكية تحتل في النظام السياسي والدستوري المغربي مركز الحكم في البلاد، انطلاقا من كون الملك يوجد على رأس السلطة العليا التي تشكل مصدرا لباقي السط الأخرى، وهو يعتمد في احتلال هذه المكانة التي تجعل الملكية الدستورية متصفة بجملة من الخصوصيات عن باقي الأنظمة المماثلة، على ثلاث مرجعيات أساسية تتمثل أولا في المرجعية الدينية التي تجعل منه أميراً للمؤمنين وتضفي بذلك على حكمه مشروعية دينية، وثانيا في المرجعية التاريخية التي تجعل منه سلطانا أو ملكا يحكم البلاد بناء على عقد البيعة الذي يربط بينه وبين الشعب، وبالتالي تضفي مشروعية تاريخية على استمرارية النظام الملكي بالمغرب باعتباره نظاما له أصول تاريخية في البلاد، لم تستطع فترة الحماية الاستعمارية أن تنال منه على خلاف ما حصل في كثير من البلاد الأخرى، بما فيها البلاد العربية الإسلامية. وأخيرا المرجعية الدستورية المعتمدة على النص الوضعي التي تجعل منه ملكا ورئيسا عصريا للدولة، بحيث ترسخ موقعه داخل النظام الدستوري، وتمكنه من أدوات الحكم وآلياته الحديثة، وتحدد علاقاته بباقي السط والمؤسسات الأخرى، وهو أمر يضفي على الملكية طابعا عصريا أساسه المشروعية القانونية الوضعية.

وفي إطار هذا النسق يتحدد موقع مؤسسة الحكومة داخل هرم السلطة في النظام الدستوري المغربي، فالملك طبقا للدستور المراجع الصادر في 7 أكتوبر 1996، هو الذي يعين الوزير الأول ويعين باقي الوزراء الذين تتشكل منهم الحكومة باقتراح من الوزير الأول، وله أن يعفيهم من مهامهم، سواء بمبادرة منه أو بناء على استقالتهم، ولذلك فهم مسؤولون أمامه كما أنهم مسؤولون أمام البرلمان.

والحكومة في ضوء اختصاصاتها الدستورية تمارس عملها انطلاقا من مستويات متعددة :

1- المستوى الأول : ويتمثل في القطاعات الوزارية المختلفة التي يشرف فيها كل وزير على قطاع معين، سواء في المجالات السياسية أو الاقتصادية أو المالية أو الاجتماعية أو الثقافية أو التعليمية .. الخ. ويعتبر الوزير المسؤول الأول عن إدارة هذا القطاع مسؤولية سياسية وإدارية، ولذلك فهو يساهم انطلاقا من القطاع الذي يشرف

عليه في رسم السياسة العامة للدولة، ويسهر على تطبيق التوجيهات العامة للحكومة، وتنفيذ القوانين والأنظمة الصادرة في دائرة اختصاصه.

2- المستوى الثاني : وبهم مسؤولية ودور الوزير الأول في الإشراف على تنسيق النشاط الحكومي، من خلال توجيهاتها وتعليماته وقراراته التي يتخذها في إطار سلطته التنظيمية التي يمارسها دستوريا، والتي يمكن في إطارها أن يفرض بعض سلطه لبعض الوزراء، فضلا عن توقيع هؤلاء بالعطف على المقررات التنظيمية الصادرة عنه والتي يكلفون بتنفيذها.

وعلاوة على ذلك، فالوزير الأول هو الممثل القانوني للدولة وهو يرأس المجالس الإدارية لعدد من المؤسسات العمومية، وله صلاحيات واختصاصات محددة بمقتضى نصوص خاصة. وهو الذي يعرض برنامج الحكومة الذي تعتمد تطبيقه أمام البرلمان بمجلسيه، ذلك بعد تعيينها من لدن الملك، ويتضمن هذا البرنامج الخطوط الرئيسية للعمل الذي تنوي الحكومة القيام به في مختلف مجالات النشاط الوطني، وبالأخص في ميادين السياسة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والخارجية.

وفي نفس الإطار، فإن الحكومة تعمل على تنفيذ القوانين تحت مسؤولية الوزير الأول، ومن أجل ذلك، فإن الإدارات العمومية موضوعة رهن إشارتها.

3- المستوى الثالث : هو المجالس الحكومية التي تعتبر مجالس للتداول والتنسيق، تنعقد تحت رئاسة الوزير الأول بناء على دعوة منه، ووفق جدول محدد يتم تحضيره من قبل الأمين العام للحكومة. وفي الغالب الأعم فإن مجلس الحكومة ينعقد مرة كل أسبوع، يقدم خلاله الوزراء عروضاً حول القطاعات التي يشرفون عليها، أو حول بعض المهام الخاصة التي يكلفون بها، أو بعض القضايا المستعجلة التي تتعلق بمجالات اختصاصهم، أو حول بعض البرامج التي يقترحونها في إطار تنفيذ السياسة العامة للحكومة.

كما يتم خلال مجلس الحكومة كذلك اتخاذ الإجراءات والتدابير اللازمة لتنفيذ البرنامج الذي التزمت به الحكومة أمام البرلمان، واتخاذ القرارات اللازمة لذلك، والدراسة والمصادقة على الصيغة النهائية للنصوص التشريعية والتنظيمية التي ستعرض لبيت فيها من قبل مجلس الوزراء، وفقا لمقتضيات الفصل (66) من الدستور.

4- المستوى الرابع : هو مجلس الوزراء الذي يرأسه الملك ويجتمع بناء على تعليمات منه، ووفق جدول أعمال يتم تحضيره من قبل الأمين العام للحكومة، بتنسيق مع المصالح المختصة بالديوان الملكي. وتتحدد الأمور والمسائل التي يتعين عرضها على مجلس الوزراء من أجل البت فيها في جميع القضايا التي تهم السياسة العامة للدولة والإعلان عن حالة الحصار، وأشهار الحرب وطلب الثقة من مجلس النواب قصد مواصلة الحكومة تحمل مسؤوليتها، ومشاريع القوانين قبل إيداعها بمكتب أحد مجلسي البرلمان، والمراسيم التنظيمية، والمراسيم المتعلقة بختم الدورات البرلمانية العادية والدورات الاستثنائية والمراسيم التي تكون بمثابة

تدابير تتخذها الحكومة بناء على قانون الإذن في ظرف محدود من الزمن ولغاية معينة، والمراسيم التي تكون بمثابة قوانين متخذة من قبل الحكومة خلال الفترات الفاصلة بين دورات انعقاد البرلمان، ومشروع المخطط، وأخيراً مشروع مراجعة الدستور.

انطلاقاً من هذه المستويات تمارس الحكومة عملها باعتبارها جهازاً يمثل السلطة التنفيذية داخل الدولة، ولكنها تمارس كذلك اختصاصات وصلاحيات دستورية في المجال التشريعي، فالوزير الأول له - كما لباقي أعضاء البرلمان - حق التقدم باسم الحكومة بمشاريع القوانين التي تعرض على البرلمان بعد اعتمادها من قبل مجلس الوزراء، وللحكومة أن تعترض على كل اقتراح أو تعديل لا يدخل في اختصاص السلطة التشريعية، ويحق لها كذلك في حالة الخلاف بينها وبين البرلمان أن تلجأ إلى طرح الخلاف على المجلس الدستوري للفصل فيه، كما يمكنها - كما ذكر سلفاً - أن تتخذ مراسيم قوانين خلال الفترات الفاصلة بين دورات البرلمان، كما أنها تتدخل خلال المسطرة التشريعية، سواء في تحديد مشاريع ومقترحات القوانين التي يمكن أن يدرسها البرلمان حسب الأسبقية والترتيب الذي يحدده أو المشاركة في تقديم ومناقشة مشاريع ومقترحات النصوص المعروضة داخل اللجان البرلمانية أو في الجلسات العامة للبرلمان، أو الاعتراض على بحث التعديلات المقترحة إدخالها على النصوص المعروضة للتصويت والتي لم يسبق لها أن نوقشت داخل اللجان البرلمانية، أو طلب التصويت دفعة واحدة على نص معين أو جزء منه من قبل المجلس المعروض عليه. كذلك يمكن للحكومة أن تطلب تشكيل لجنة ثنائية مختلطة في حالة عدم اتفاق مجلس البرلمان على نص واحد للمشاريع أو المقترحات المعروضة.

بالمقابل فإن الحكومة تخضع لمراقبة البرلمان فيما تقوم به من أعمال ونشاط، سواء من خلال الأسئلة الشفوية التي يطرحها أعضاء البرلمان في الجلسات الأسبوعية، أو الأسئلة الكتابية التي يتعين أن تقدم الحكومة جوابها بخصوصها خلال العشرين يوماً التالية لإحالة السؤال عليها، أو من خلال ملتزمات توجيه تنبيهات يمكن أن يقدمها مجلس المستشارين لها، أو ملتزم رقابة يمكن أن يقدمه كل مجلس من مجلسي البرلمان، علماً بأن الموافقة على هذا الملتزم يؤدي إلى استقالة الحكومة استقالة جماعية.

كما أن الحكومة يمكنها في إطار طلب مواصلة تحمل مسؤوليتها أن تطالب بمنح الثقة لها من قبل البرلمان عن طريق التصويت لفانديتها بشأن نص تطلب الموافقة عليه، أو تصريح يقدمه الوزير الأول في موضوع السياسة العامة، وفي حالة الرفض فإن ذلك يعتبر سبباً للثقة يترتب عليه نفس ما يترتب على ملتزم الرقابة من استقالة جماعية للحكومة.

وتجدر الإشارة إلى أن الجهاز الحكومي، من أجل أن يقوم بهذه المهام ومباشرة هذه الاختصاصات، يتكون من مجموعة من الوزارات، كل وزارة تختلف عن الأخرى حسب طبيعة وحجم القطاع أو القطاعات التي تشرف عليها. أما

النظام الهيكلي الداخلي للوزارات، فيكون أساساً من ديوان الوزير الذي يتكون من رئيس للديوان وعسدد من المستشارين، وكتابة عامة، ومفتشية عامة، ومديريات وأقسام ومصالح على الصعيد المركزي، ثم مصالح خارجية على مستوى العمالات والأقاليم والجهات منتظمة في شكل مديريات جهوية أو نيابات أو مندوبيات على الصعيد المحلي.

وقد عرف المغرب منذ فترة الاستقلال إلى اليوم ثلاثة وعشرين حكومة، أولها برئاسة السيد امبارك البكاي في 7 ديسمبر 1955، وآخرها برئاسة السيد عبد الرحمان اليوسفي التي تم تعيينها من قبل جلالة الملك في 14 مارس 1998.

ملحق خاص بالحكومات المغربية منذ استقلال المغرب إلى اليوم (1955 . 1998)

• الحكومة الأولى (7 ديسمبر 1955 . 25 أكتوبر 1956)

رئيس الوزارة : السيد البكاي بن مبارك الهبيل

خليفة الرئيس : السيد محمد الزغاري

وزراء الدولة : الأستاذ إدريسي المحمدي. الأستاذ عبد الرحيم بوعبيد. الأستاذ محمد الشرقاوي. الأستاذ أحمد رضا اجديرة.

وزير العدل : الأستاذ عبد الكريم ابن جلون التويحي

وزير الداخلية : القايد الحسن اليوسي

وزير المالية : الأستاذ عبد القادر ابن جلون

وزير الأحياس : السيد محمد المختار السوسي

وزير العلوم والمعارف والفنون الجميلة : السيد محمد الغاسي. وزير الأشغال العمومية : السيد محمد الدويري

وزير الفلاحة : السيد أحمد بن منصور النجاعي

وزير التجارة والصناعة التقليدية والسياحة والملاحة

التجارية : السيد أحمد الزيودي. وزير الإنتاج الصناعي

والمعادن : الأستاذ التهامي الوزاني. وزير الشغل والشؤون

الاجتماعية : السيد عبد الهادي بوطالب. وزير الصحة

الدكتور عبد المالك فرج. وزير التعمير والسكنى : الدكتور

محمد بن بوشعيب

كاتب الدولة للأبناء الملحق برئاسة الوزارة : السيد عبد

الله إبراهيم

كاتب الدولة للشبيبة والرياضة : السيد أحمد ابن سرودة

ملاحظات : - بتاريخ 10 ديسمبر 1955 تم تعيين السيد

الحاج محمد (فتحاً) باحنيني كاتباً عاماً للحكومة.

وفي 22 مارس 1956 أحدثت وزارة الدفاع الوطني.

وفي 26 أبريل 1956 أحدثت وزارة الشؤون الخارجية. وفي 5

ماي 1956 يكلف السيد إدريس المحمدي وزير الدولة مؤقتاً

بمهام وزارة الداخلية. وفي 25 أكتوبر 1956 قدمت الحكومة

استقالتها إلى جلالة الملك محمد الخامس فقبلها وكلف

السيد البكاي بتشكيل حكومة جديدة.

\*\*\*

• الحكومة الثانية (28 أكتوبر 1956 . 16 أبريل 1958)

- رئيس الوزارة : البكاي بن مبارك الهبيل

• الحكومة الخامسة (27 ماي 1960 - 16 ماي 1961)

- رئيس الحكومة : جلالة الملك محمد الخامس  
- نائب رئيس الحكومة : صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير مولاي الحسن. وزير الشؤون الخارجية : إدريس المحمدي. وزير الداخلية : البكاي بن مبارك. وزير الاقتصاد الوطني والمالية : محمد الدويري. وزير التربية الوطنية : عبد الكريم بن جلون. وزير الوظيفة العمومية والاصلاح الإداري : محمد بوستة. وزير الأشغال العمومية : عبد الرحمان بن عبد العلي. وزير الفلاحة : حسن الزموري. وزير التجارة والصناعة العصرية والمعادن والصناعة التقليدية والملاحة التجارية : إدريس السلاوي. وزير الشغل والشؤون الاجتماعية : عبد الكريم الخطيب. وزير الأنباء والسياحة : مولاي أحمد العلوي. وزير الصحة العمومية : يوسف بن العباس. وزير البريد والتلغراف والتلفون : محمد الشراوي.

• بتاريخ 26 فبراير 1961 (العاشر من رمضان 1380) توفي جلالة الملك المغفور له محمد الخامس، وقت مبايعة ولي عهده الأمير مولاي الحسن ملك المغرب من قبل الحكومة. وفي نفس التاريخ جعلت الحكومة تحت رئاسة جلالة الملك الحسن الثاني الذي أقر تعيين جميع الوزراء في مناصبهم.

\*\*\*

• الحكومة السادسة (2 يونيو 1961 - 5 يناير 1963)

- رئيس الحكومة : جلالة الملك الحسن الثاني  
وزير الشؤون الخارجية : تحت السلطة العليا لجلالة الملك الحسن الثاني. وزير الدولة مكلف بشؤون موريطانيا والصحراء المغربية : فال ولد عمير. وزير الدولة مكلف بالشؤون الإسلامية : غلال الفاسي. وزير الدولة : محمد بن الحسن الوزاني. وزير الدولة مكلف بالتربية الوطنية : محمد رشيد ملين. وزير الدولة مكلف بالشؤون الأفريقية : عبد الكريم الخطيب. وزير الداخلية وزير الفلاحة : أحمد رضا كغديرة. وزير العدل : أحمد بوستة. وزير الاقتصاد الوطني والمالية : امحمد الدويري. وزير الدفاع الوطني : محجوبي أحرضان. وزير منتدب في الشغل والشؤون الاجتماعية : عبد القادر بنجلون. وزير الأشغال العمومية : محمد بنهيمة. وزير الأنباء والسياحة والفنون الجميلة : مولاي أحمد العلوي. وزير التجارة والصناعة الحديثة والمناجم والصناعة التقليدية والملاحة التجارية : أحمد الجندي. وزير الشغل والشؤون الاجتماعية : عبد الكريم الخطيب. وزير الصحة العمومية : يوسف بن العباس. وزير البريد والتلغراف والتلفون : محمد بن عبد السلام الفاسي

\*\*\*

• الحكومة السابعة (5 يناير 1963 - 13 نونبر 1963)

- رئيس الحكومة : جلالة الملك الحسن الثاني  
الممثل الشخصي لجلالة الملك ووزير الشؤون الخارجية : الحاج أحمد بلا فرج. وزير الدولة المكلف بشؤون موريطانيا والصحراء المغربية : فال ولد عمير. وزير الدولة المكلف بالشؤون الأفريقية ووزير الصحة العمومية : عبد الكريم

- وزير الشؤون الخارجية : الحاج أحمد بلا فرج. وزير الدولة المكلف بالوظيفة العمومية : محمد الرشيد ملين. وزير العدل : الحاج عبد الكريم ابن جلون التومي. وزير الداخلية : إدريس المحمدي. وزير الدفاع الوطني : محمد الزغاري. وزير الاقتصاد الوطني : عبد الرحيم بوعبيد. وزير التهذيب الوطني : محمد الفاسي. وزير الفلاحة : الحاج عمر بن عبد الجليل. وزير الأشغال العمومية : محمد الدويري. وزير الأخبار والسياحة : أحمد رضا كغديرة. وزير الشغل والشؤون الاجتماعية : عبد الله إبراهيم. وزير الصحة العمومية : الدكتور عبد المالك فرج. وزير البريد والتلغراف والتلفون : الدكتور بن زكين. وكيل وزارة الاقتصاد الوطني في التجارة والصناعة : السيد أحمد اليزيدي. وكيل وزارة الاقتصاد الوطني في المالية : السيد شريف عبد الله الشفشاوني

\*\*\*

• الحكومة الثالثة (12 ماي 1958 - 3 ديسمبر 1958)

- رئيس الوزارة ووزير الخارجية : الحاج أحمد بلا فرج  
- نائب الرئيس ووزير الاقتصاد الوطني ووزير الفلاحة : عبد الرحيم بوعبيد. وزير العدل : الحاج عبد الكريم ابن جلون. وزير الدفاع الوطني : أحمد اليزيدي. وزير التربية الوطنية : الحاج عمر عبد الجليل. وزير الأشغال العمومية : محمد الدويري. وزير الشغل والشؤون الاجتماعية : البشير بن العباس. وزير الصحة العمومية : عبد المالك فرج. وزير البريد والتلغراف والتلفون : محمد عواد  
صدر ظهير سمي وكلاء الوزارات ابتداء من 12 ماي 1958، ويتعلق الأمر بالسادة : محمد بوستة : في الشؤون الخارجية. شريف عبد الله الشفشاوني : في المالية. أحمد بن كيران : في التجارة والصناعة والصناعة التقليدية والملاحة التجارية. محمد المهدي عبد الجليل : في الانتاج الصناعي والمعادن. عبد الحفيظ القادري : في الفلاحة. إدريس السلاوي : في الداخلية. محمد الطاهري : في التربية الوطنية

\*\*\*

• الحكومة الرابعة (24 ديسمبر 1958 - 21 ماي 1960)

- رئيس الوزارة ووزير الخارجية : عبد الله إبراهيم  
- نائب الرئيس ووزير الاقتصاد الوطني والمالية : عبد الرحيم بوعبيد. وزير العدل : الحاج محمد أبا حني. وزير الداخلية : إدريس المحمدي. وزير الدفاع الوطني : محمد عواد. وزير التربية الوطنية : الحاج عبد الكريم بن جلون. وزير الفلاحة : التهامي عمار. وزير الأشغال العمومية : عبد الرحمان بن عبد العلي. وزير الشغل والشؤون الاجتماعية : محمد المعطي بوعبيد. وزير الصحة العمومية : يوسف بن العباس. وزير البريد والتلغراف والتلفون : محمد المذبح.  
- بتاريخ 31 أغسطس 1959 يكلف مؤقتا السيد محمد عواد وزير الدفاع الوطني، بمهام وزارة البريد والتلغراف والتلفون خلفا للسيد محمد المذبح المستقيل.

\*\*\*

- الوزير الأول : أحمد أبا حنيني  
- وزير العدل : عبد الهادي بوطالب  
- وزير الشؤون الخارجية : أحمد بنهيمه  
- وزير الشؤون الاقتصادية والمالية : محمد الشرقاوي  
- وزير الدفاع الوطني : الجنرال أمزيان محمد الزهراوي  
- وزير الداخلية : الجنرال محمد أو فقير  
- وزير التربية الوطنية : يوسف بن العباس  
- وزير الأشغال العمومية : محمد بنهيمه  
- وزير الأبناء والسياحة والفنون الجميلة والصناعة التقليدية : أحمد العلوي

- وزير الصحة العمومية : العربي الشرايبي  
- وزير الأوقاف المكلف بوزارة الشؤون الإسلامية : الحاج أحمد بركاش  
- وزير الوظيفة العمومية والاصلاح الإداري : التهامي الوزاني

- وزير الشبيبة والرياضة : عبد الرحمان الخطيب  
- وزير البريد والبرق والتلفون : حدو الشيكرك  
- وزير الشغل والشؤون الاجتماعية : محمد عمور  
- وزير شؤون موريطانيا والصحراء المغربية : يكلف بها

الوزير الأول  
- وكيل الوزارة في المالية : مامون الطاهري  
- وكيل الوزارة في التجارة والصناعة العصرية والمناجم : أحمد بناني  
- وكيل الوزارة في الداخلية : عبد الحفيظ بوطالب  
- وكيل الوزارة في التعليم التقني والتكوين المهني وتكوين الإطارات : محمد التادلي  
- وكيل الوزارة في الأبناء والسياحة والفنون الجميلة والصناعة التقليدية : عبد الرحمان الكوهن  
\* \* \*

• الحكومة التاسعة (8 يونيو 1965 - 6 يوليو 1967)  
- رئيس الحكومة : جلالة الملك الحسن الثاني  
- الوزير الأول : السيد محمد الزغاري. وزير شؤون موريطانيا والصحراء المغربية : الأمير مولاي الحسن بن إدريس. وزير العدل : السيد عبد الهادي بوطالب. وزير الشؤون الخارجية : السيد أحمد الطيب بنهيمه. وزير التنمية : السيد محمد الشرقاوي. وزير الدفاع الوطني : الجنرال محمد مزيان الزهراوي. وزير الداخلية : الجنرال محمد أو فقير. وزير الشؤون الإدارية : السيد الحاج محمد أبا حنيني. وزير التربية الوطنية والفنون الجميلة والشبيبة والرياضة : الدكتور محمد بنهيمه. وزير المالية : السيد مامون الطاهري. وزير الفلاحة والاصلاح الزراعي : السيد المحجوبي أحرضان. وزير الصناعة العصرية والمناجم والسياحة والصناعة التقليدية : السيد محمد الاغزاوي. وزير الأشغال العمومية والمواصلات : السيد أحمد العسكري. وزير التجارة : السيد عبد الحميد الزموري. وزير الصحة العمومية : الدكتور العربي الشرايبي. وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية : السيد الحاج أحمد بركاش. وزير البريد والتلغراف والتلفون : السيد حدو الشيكرك. وزير

الخطيب. وزير الدولة : محمد بن الحسن الوزاني. وزير الداخلية وزير الفلاحة : أحمد رضا آكديرة. وزير العدل : أحمد أبا حنيني. وزير المالية : إدريس السلاوي. وزير الدفاع الوطني : محجوبي أحرضان. الوزير المنتدب في الشغل والشؤون الاجتماعية : عبد القادر بنجلون. وزير التربية الوطنية : يوسف بن العباس. وزير الأشغال العمومية : بنسالم جسوس. وزير التجارة والصناعة العصرية والمناجم والملاحة التجارية : محمد بنهيمه. وزير البريد والتلغراف والتلفون : محمد بن عبد السلام الفاسي. وزير السياحة والصناعة التقليدية والفنون المحلية : أحمد العلوي. كاتب الدولة في الأبناء والشبيبة والرياضة : عبد الهادي بوطالب. وزير الأوقاف المكلف بوزارة الشؤون الإسلامية : الحاج أحمد بركاش.

- بتاريخ 5 يونيو 1963 تم إجراء تعديل حكومي تعلق بإعفاء وتعيين عدد من الوزارة السادة :  
- بنسالم جسوس : الاعفاء من مهام وزير الأشغال العمومية

- أحمد الحمياني : التعيين في مهام وزير الداخلية  
- محمد بنهيمه : التعيين في مهام وزير الأشغال العمومية

- إدريس الدباغ : التعيين في مهام وزير التجارة والصناعة والمناجم والملاحة التجارية  
- عبد الهادي بوطالب : التعيين في مهام وزير الأبناء والشبيبة والرياضة بعد أن أصبحت كتابة الدولة في الأبناء والشبيبة والرياضة وزارة.

\* \* \*

• الحكومة الثامنة (13 نونبر 1963 - 8 يونيو 1965)  
- الوزير الأول : أحمد باحنيني  
- وزير الدولة مكلف بشؤون موريطانيا والصحراء المغربية : فال ولد عمير. وزير الشؤون الخارجية : أحمد رضا آكديرة. وزير منتدب لدى الوزير الأول : عبد الهادي بوطالب. وزير العدل : عبد القادر بنجلون. وزير الداخلية : عبد الرحمان الخطيب. وزير الشؤون الاقتصادية والمالية والفلاحة : إدريس السلاوي. وزير الدفاع الوطني : المحجوبي أحرضان. وزير التربية الوطنية : يوسف بن العباس. وزير الصحة العمومية : العربي الشرايبي. وزير البريد والتلغراف والتلفون : محمد بن عبد السلام الفاسي. وزير الأبناء والسياحة والفنون الجميلة والصناعة التقليدية : أحمد العلوي. وزير الشغل والشؤون الاجتماعية : التهامي الوزاني. وزير الأوقاف مكلفا بوزارة الشؤون الإسلامية : الحاج أحمد بركاش. وكيل الوزارة في المالية : مامون الطاهري. وكيل الوزارة في التجارة والصناعة العصرية والمناجم والملاحة التجارية : أحمد بناني. وكيل الوزارة في الفلاحة : نور الدين الغرفي. وكيل الوزارة في الداخلية : حدو الشيكرك. وكيل الوزارة في الأبناء والسياحة والفنون الجميلة والصناعة التقليدية : عبد الرحمان الكوهن.  
- بتاريخ 20 غشت 1964 أصبح تشكيل الحكومة كما يلي :

الشغل والشؤون الاجتماعية : السيد عبد الحفيظ بوطالب.  
وزير الأنباء : السيد أحمد بن جلون. وكيل الوزارة في  
الشؤون الخارجية : السيد عبد الله الشرفي. وكيل الوزارة  
في الشؤون الإدارية : السيد بدر الدين السنوسي. وكيل  
الوزارة في السياحة والصناعة التقليدية : السيد عبد  
الرحمن الكوهن.

. بتاريخ 11 مارس 1967 تم إجراء تعديل حكومي آخر  
تعلق تعيين السادة :

. امحمد الزغاري : وزيراً للفلاحة والاصلاح الزراعي  
مكلف بالشؤون الاقتصادية. أحمد العراقي : وزير للشؤون  
الخارجية. أحمد العلوي : وزير للتجارة والصناعة التقليدية  
والصناعة العصرية والمناجم. محمد العيماني : كاتباً لدولة  
لدى الوزير الأول في تكوين الاطارات. الطيب زعمون :  
نائب كاتب الدولة لدى الوزير الأول. عبد الوهاب العراقي :  
نائب كاتب الدولة في التجارة.

\* \* \*

• الحكومة العاشرة (6 يوليو 1967 - 4 غشت 1971)

. الوزير الأول : الدكتور محمد بنهيمة

. وزير موريطانيا والصحراء المغربية : الأمير مولاي  
الحسن بن إدريس. وزير التربة الوطنية والفنون الجميلة :  
عبد الهادي بوطالب. وزير العدل : علي بنجلون. وزير  
الشؤون الخارجية : أحمد العراقي. وزير الداخلية : الجنرال  
محمد أوفقيير. وزير الشؤون الإدارية الأمين العام للحكومة:  
الحاج امحمد أبا حنيني. وزير المالية : الأستاذ عبد القادر  
ابن جلون. وزير الأحياس : السيد محمد المختار السنوسي.  
وزير العلوم والمعارف والفنون الجميلة : السيد محمد  
الفاصي. وزير الدفاع الوطني : محمد حدو الشيكري. وزير  
المالية : مامون الطاهري. وزير التجارة والصناعة التقليدية  
الصناعة العصرية والمناجم : أحمد العلوي. وزير الفلاحة  
والاصلاح الزراعي مكلف بالإنعاش الوطني : امحمد  
بركاش. وزير الأشغال العمومية والمواصلات : يحيى  
الشفشاوتي. وزير الشغل والشؤون الاجتماعية : عبد  
الهادي بوطالب. وزير الصحة العمومية : العربي  
الشرايبي. وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية : الحاج أحمد  
بركاش. وزير البريد والبرق والتيليفون : بدر الدين  
السنوسي. وزير الشغل والشؤون الاجتماعية : عبد الحفيظ  
بوطالب. وزير الأنباء : أحمد السنوسي. وزير السياحة :  
حسن اعيابو. كاتب الدولة المكلف بشؤون قداماء المقاومين  
وأعضاء جيش التحرير وقدماء المحاربين لدى الوزير الأول :  
عبد السلام بنعيسى. كاتب الدولة المكلف بالشؤون  
الاقتصادية لدى الوزير الأول : أحمد بناني. كاتب الدولة  
المكلف بالتخطيط وتكوين الاطارات لدى الوزير الأول :  
محمد العيماني. كاتب الدولة ومكلف بالشبيبة والرياضة  
لدى الوزير الأول : المهدي بنبوشتي. نائب كاتب الدولة في  
الشؤون الخارجية : عبد الله الشرفي. نائب كاتب الدولة في  
الداخلية : محمد بن العالم . نائب كاتب الدولة في  
الفلاحة : الطيب زعمون. نائب كاتب الدولة في التجارة :  
عبد الوهاب العراقي

. بتاريخ 17 يونيو 1968 تم تعيين السادة :  
عبد الهادي بوطالب، وزيراً للدولة. الجنرال محمد  
مزيان، وزيراً للدفاع الوطني. محمد حدو الشيكري، وزيراً  
للتعليم العالي. قاسم الزهيري، وزيراً للتعليم الثانوي  
والتقني

. بتاريخ 17 أكتوبر 1969 تم إعفاء السادة :

. الدكتور أحمد العراقي، وزيراً أول  
. صاحب السمو الأمير مولاي الحسن بن إدريس، وزيراً  
للدولة

. الدكتور محمد بنهيمة، وزيراً للدولة مكلفاً بالفلاحة  
والاصلاح الزراعي

. عبد الهادي بوطالب، وزيراً للشؤون الخارجية

\* \* \*

• الحكومة الحادية عشرة (6 غشت 1971 - 5 أبريل  
1972)

. الوزير الأول : محمد كريم العمراني

. وزير العدل والأمين العام للحكومة : الحاج امحمد أبا  
حنيني. وزير الدفاع الوطني ماجور عام للقوات المسلحة  
الملكية : الجنرال محمد أوفقيير. وزير الداخلية : أحمد بن  
بوشتي. وزير الشؤون الخارجية : عبد اللطيف القبلاي.  
وزير الثقافة والتعليم العالي والثانوي والأصلي وتكوين  
الاطارات : أحمد المسكي. وزير الأوقاف والشؤون  
الإسلامية : الحاج أحمد بركاش. وزير التعليم الابتدائي :  
حدو الشيكري. وزير البريد والتلغراف والتلفون : إدريس بن  
عمر العلمي. وزير الشؤون الإدارية : أحمد مجيد بن جلون.  
وزير الفلاحة والاصلاح الزراعي : المعطي جوريو. وزير  
الأشغال العمومية والمواصلات : محمد البرنوصي. وزير  
الصحة العمومية : الدكتور عبد المجيد بلماحي. وزير  
العمل والشؤون الاجتماعية والشبيبة والرياضة : أرسلان  
الجديدي. وزير الأنباء : عبد القادر الصحراوي. نائب كاتب  
الدولة في الثقافة والتعليم العالي والثانوي والأصلي  
وتكوين الاطارات : محمد شفيق

وابتداء من 11 غشت 1971 :

. نائب كاتب الدولة في المالية : محمد المدغري

. نائب كاتب الدولة في التجارة والصناعة العصرية  
والمناجم والبحرية التجارية : عبد العزيز بنجلون

. نائب كاتب الدولة في السياحة : عبد الكامل الرغاي

\* \* \*

• الحكومة الثانية عشرة (12 أبريل 1972 - 20 نونبر  
1972)

. الوزير الأول : محمد كريم العمراني

. نائب الوزير الأول وزير العدل والأمين العام للحكومة:  
الحاج امحمد أبا حنيني. وزير الدفاع الوطني ماجور عام  
للقوات المسلحة الملكية : الجنرال محمد أوفقيير. وزير  
الداخلية : الدكتور محمد بنهيمة. وزير الشؤون الخارجية :  
الدكتور عبد اللطيف القبلاي. وزير الأوقاف والشؤون  
الإسلامية : الحاج أحمد بركاش. وزير التعليم الابتدائي :  
حدو الشيكري. وزير البريد والتلغراف والتلفون : الجنرال

إدريس بن عمر العلمي. وزير الشؤون الإدارية : أحمد مجيد بنجلون. وزير الفلاحة والإصلاح الزراعي : المعطي جوربو. وزير المالية : مصطفى فارس. وزير الثقافة والتعليم الأصلي والعالي والثانوي : الحبيب الفهري. وزير التجارة والصناعة العصرية والمناجم والبحرية التجارية : عبد العزيز بنجلون. وزير الأشغال العمومية والمواصلات : عبد اللطيف الفسافي. وزير التعمير والسكنى والمحافظة على البيئة الطبيعية : الحسن الزموري. وزير العمل والشؤون الاجتماعية والشبيبة والرياضة : أرسلان الجديدي. وزير الصحة العمومية : عبد الرحمان التهامي. وزير السياحة : عبد الرحمان الكوهن. كاتب الدولة لدى الوزير الأول : محمد شفيق. كاتب الدولة لدى الوزير الأول مكلف بالتخطيط والتنمية الجهوية وتكوين الإطارات : عبد اللطيف العيماني. كاتب الدولة لدى الوزير الأول مكلف بالشؤون الاقتصادية والتعاون : عبد الله الفاسي الفهري. كاتب الدولة لدى الوزير الأول مكلف بالإنعاش الوطني والتعاون الوطني والصناعة التقليدية : عبد الله غرنيط. نائب كاتب الدولة في الداخلية : عباس القيسي - بتاريخ 20 نونبر 1972 تم إنهاء مهام الحكومة. \* \* \*

• الحكومة الثالثة عشرة (20 نونبر 1972 - 5 أكتوبر 1977)

- الوزير الأول : أحمد عصمان

- وزير الدولة : الحاج امحمد ابا حنيني. وزير العدل : البشير بلعباس التعارفي. وزير الداخلية : الدكتور محمد بنهيمة. وزير الشؤون الخارجية : أحمد الطيبي بنهيمة. وزير المالية : بنسالم جروس. وزير التربية الوطنية : محمد حدو الشيكرو. وزير البريد والبرق والتليفون : الجنرال إدريس بن عمر العلمي. وزير الأنباء : أحمد مجيد بنجلون. وزير التعمير والسكنى والمحافظة على البيئة والطبيعة : الحسن الزموري. وزير الشغل والشؤون الاجتماعية والشبيبة والرياضة : محمد أرسلان الجديدي. وزير الصحة العمومية : عبد الرحمان التهامي. وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية : محمد المكي الناصري. وزير السياحة : عبد الرحمان الكوهن. وزير الشؤون الإدارية الأمين العام للحكومة : عباس القيسي. وزير الفلاحة والإصلاح الزراعي : عبد السلام براءة. وزير التجارة والصناعة العصرية : عبد القادر بنسليمان. وزير الأشغال العمومية والمواصلات : صالح المزيلي. كاتب الدولة لدى الوزير الأول مكلف بالتخطيط والتنمية الجهوية وتكوين الإطارات : عبد اللطيف العيماني. كاتب الدولة لدى الوزير الأول مكلف بالإنعاش الوطني والتعاون الوطني والصناعة التقليدية : عبد اللطيف غرنيط. نائب كاتب الدولة في التعليم العالي : عبد الكريم حليم. نائب كاتب الدولة في التعليم الابتدائي والثانوي : محمد بوعمود. نائب كاتب الدولة في الشبيبة والرياضة : منير الدكالي

- بتاريخ 25 أبريل 1974، تم إجراء تعديل حكومي موسع، شمل أغلب الوزارات حيث أصبحت التشكيلة

الحكومية كما يلي :

- الوزير الأول : أحمد عصمان

- وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية : الحاج امحمد ابا حنيني. وزير الدولة المكلف بالتعاون وتكوين الإطارات : الدكتور محمد بنهيمة. وزير الدولة المكلف بالشؤون الخارجية : الدكتور أحمد العراقي. وزير الدولة بالمكلف بالاعلام : أحمد الطيبي بنهيمة. وزير العدل : عباس القيسي. وزير الداخلية : محمد حدو الشيكرو. وزير الشؤون الاسلامية والأوقاف : الداي ولد سيدي بابا. وزير البريد والبرق والتليفون : الجنرال إدريس بن عمر العلمي. وزير المالية : عبد القادر بنسليمان. وزير الفلاحة والإصلاح الزراعي : صالح المزيلي. وزير التعمير والسكنى والسياحة والمحافظة على البيئة الطبيعية : الحسن الزموري. وزير الشؤون الإدارية، الأمين العام للحكومة : امحمد بنبخلف. وزير الصحة العمومية : الدكتور أحمد رمزي. وزير التجارة والصناعة العصرية والمناجم والبحرية التجارية : عبد اللطيف الفيساسي. وزير الأشغال العمومية والمواصلات : أحمد التازي. وزير التعليم العالي : عبد اللطيف بن عبد الجليل. وزير التعليم الابتدائي والثانوي : محمد بوعمود. وزير الشغل والشؤون الاجتماعية : محمد العربي الخطابي. كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالتعاون الوطني والصناعة التقليدية : عبد الله غرنيط. كاتب الدولة في المالية : عبد الكامل الرغاي. كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون العامة : عبد السلام زينند. كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الاقتصادية : محمد بلخياط. كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالتخطيط والتنمية الجهوية : الطيب ابن الشيخ. كاتب الدولة في الداخلية : إدريس البصري. كاتب الدولة في التعمير والسكنى والسياحة والمحافظة على البيئة الطبيعية : جلال السعيد. كاتب الدولة في الاعلام : محمد المحجوبي. كاتب الدولة في الشؤون الاسلامية والأوقاف : الحسن الوقاش. كاتب الدولة في التجارة والصناعة العصرية والمناجم والبحرية التجارية : موسى السعدي. \* \* \*

• الحكومة الرابعة عشرة (10 أكتوبر 1977 - 27 مارس 1979)

- الوزير الأول : أحمد عصمان

- وزير الدولة المكلف بالشؤون الخارجية والتعاون : امحمد بوستة. وزير الدولة المكلف بالبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية : المحجوبي أحرسان. وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية : الحاج امحمد ابا حنيني. وزير الدولة المكلف بالداخلية : الدكتور محمد بنهيمة. وزير العدل : المعطي بوعبيد. وزير التجهيز والإنعاش الوطني : امحمد الدويري. وزير المالية : عبد اللطيف الفيساسي. وزير الفلاحة والإصلاح الزراعي : مصطفى فارس. وزير الاعلام : محمد العربي الخطابي. وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية : الدكتور أحمد رمزي. وزير الشغل والتكوين المهني : محمد بوعمود. وزير الشؤون الإدارية : امحمد

رجال رحالي. وزير الطاقة والمعادن. وزير التجارة والصناعة: عز الدين جسوس. وزير السياحة: عبد السلام ازينند. وزير الإعلام عبد الواحد بلقزيز. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول: عبد اللطيف الجواهري. كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالتخطيط والتنمية الجهوية: الطيب بنشيخ. كاتب الدولة في الشؤون الخارجية: عبد الرحمان بادو. كاتب الدولة في التعليم العالي والبحث العلمي: سعيد بن البشير. كاتب الدولة في تكوين الأطر: عبد الحق التازي. كاتب الدولة لدى الوزير المكلف بالشؤون الصحراوية: خليهن ولد الرشيد.

\*\*\*

• الحكومة السادسة عشرة (8 نونبر 1981 - 30 نونبر 1983)

الوزير الأول: المعطي بوعيد

وزير الدولة المكلف بالشؤون الخارجية: المحجوبي أحرسان. وزير الدولة: الحاج امحمد اباحيني. وزير الدولة مولاي أحمد العلوي. وزير العدل: مولاي مصطفى بن العربي العلوي. وزير الداخلية: إدريس البصري. وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية: الهاشمي الفيلاي. وزير التخطيط وتكوين الأطر والتكوين المهني: امحمد الدويري. وزير التربية الوطنية: الدكتور عز الدين العراقي. وزير المالية: عبد اللطيف الجواهري. وزير التشغيل والإنتاج الوطني: محمد أرسلان الجديدي. وزير التجارة والصناعة والسياحة: عز الدين جسوس. وزير الصناعة التقليدية والشؤون الاجتماعية: عباس الفاسي. وزير الإعلام والشبيبة والرياضة: عبد الواحد بلقزيز. وزير النقل: المنصوري بن علي. وزير الطاقة والمعادن: موسى السعدي. وزير الصحة: رجال رحالي. وزير الصيد البحري والملاحة التجارية: بنسالم الصميلي. الأمين العام للحكومة: عباس القيسي. وزير الشؤون الثقافية: سعيد بن البشير. وزير السكنى وإعداد التراب الوطني: المفضل لملو. وزير التجهيز: محمد القباچ. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول: عبد الكريم غلاب. وزير البريد والمواصلات: محند العنصر. وزير الفلاحة والإصلاح الزراعي: عثمان الدمناتي. الوزير المكلف بالعلاقات مع البرلمان: أحمد بلحاج. كاتب الدولة في الشؤون الخارجية: عبد الحق التازي. كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الصحراوية: خليهن ولد الرشيد. كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الإدارية: محمد التوكاني. كاتب الدولة في الشبيبة والرياضة: عبد اللطيف السملالي. كاتب الدولة في السكنى وإعداد التراب الوطني: عبد اللطيف الهجاجي.

\*\*\*

• الحكومة السابعة عشرة (30 نونبر 1983 - 11 أبريل 1985)

الوزير الأول: محمد كريم العمراني (ابتداء من 19 نونبر 1983)  
وزير للدولة: أحمد عصمان. وزير للدولة: المعطي

بنخلف. وزير مكلف بالعلاقات مع البرلمان: محمد حدو الشيكري. وزير التربية الوطنية وتكوين الأطر: الدكتور عز الدين العراقي. وزير الشبيبة والرياضة: عبد الحفيظ القادري. وزير السكنى والتعمير: عباس الفاسي. وزير الشؤون الاجتماعية والصناعة التقليدية: عبد الله غرنيط. وزير النقل: محاند ناصر. وزير التجارة والصناعة: عبد الكامل الرغاي. وزير الصحة العمومية: الدكتور رجال رحالي. وزير الطاقة والمناجم: موسى السعدي. وزير السياحة: المنصوري بن علي. كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالتخطيط والتنمية الجهوية: الطيب بن الشيخ. كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون العامة: عبد السلام زينند. كاتب الدولة في الداخلية: إدريس البصري. كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الاقتصادية: عثمان السليمان. كاتب الدولة في الشؤون الخارجية: عبد الرحمان بادو. كاتب الدولة في التعليم العالي والبحث العلمي: سعيد بلشير. كاتب الدولة في تكوين الأطر: عبد الحق التازي. ملاحظات: تم تعيين السيد عباس القيسي، أمينا عاما للحكومة بنفس التاريخ.

التعديلات التي أدخلت على الحكومة الرابعة عشر: بتاريخ 10 أكتوبر 1978، تم إنهاء مهام السادة:

- محمد العربي الخطابي، كوزير للإعلام

- محمد بنخلف، كوزير للشؤون الإدارية

- المنصوري بن علي، كوزير للسياحة

وقد تعين السادة:

- عبد الهادي بوطالب، وزيرا للدولة مكلفا بالإعلام

- المنصوري بن علي، وزيرا للشؤون الإدارية

- عبد اللطيف الجواهري، وزيرا منتدبا لدى الوزير الأول

- عز الدين جسوس، وزيرا للسياحة.

\*\*\*

• الحكومة الخامسة عشرة (27 مارس 1979 - 5 نونبر 1979)

الوزير الأول ووزير العدل: المعطي بوعيد

وزير الدولة المكلف بالشؤون الخارجية والتعاون:

امحمد بوستة. وزير الدولة المكلف بالبريد والمواصلات:

المحجوبي أحرسان. وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية:

الحاج امحمد اباحيني. وزير التجهيز والإنتاج الوطني:

امحمد الدويري. الوزير المكلف بالعلاقات مع البرلمان:

محمد حدو الشيكري. وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية:

الدكتور أحمد رمزي. وزير الفلاحة والإصلاح الزراعي:

عبد اللطيف الفاسي. وزير الداخلية: إدريس البصري.

وزير المالية: عبد الكامل الرغاي. وزير التربية الوطنية

وتكوين الأطر: عز الدين العراقي. وزير الشغل والتكوين

المهني: محمد أرسلان الجديدي. وزير الشبيبة والرياضة:

عبد الحفيظ القادري. وزير الشؤون الاجتماعية والصناعة

التقليدية: عبد الله غرنيط. وزير السكنى وإعداد التراب

الوطني: عباس الفاسي. وزير الشؤون الإدارية: منصور

بن علي. وزير النقل: محمد ناصر. وزير الصحة العمومية:



الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الاقتصادية : مولاي الزين الزاهدي. وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية : عبد الكبير المدغري العلوي. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بتنمية الأقاليم الصحراوية : خليهن ولد الرشيد. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالتخطيط : الراشدي الغزواني. وزير الصناعة التقليدية والشؤون الاجتماعية : محمد أبيض. وزير الطاقة والمعادن : محمد فتاح. وزير التجارة والصناعة : الطاهر المصرودي. وزير الشؤون الثقافية : محمد بنعيسى. وزير السكنى : عبد الرحمان بوفتاس. وزير التشغيل : حسن العبادي. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالعلاقات مع البرلمان : الطاهر عفيفي. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الإدارية : عبد الرحيم بن عبد الجليل . بتاريخ 30 سبتمبر 1986 تم إنهاء مهام السادة :

- محمد كريم العمراني، كوزير أول

- الدكتور عز الدين العراقي، كناطق للوزير الأول،

ووزير التربية الوطنية.

وتم تعيين السادة :

- الدكتور عز الدين العراقي، وزيرا أول

- محمد الهلالي، وزيرا للتربية الوطنية

- محمد السقاط، كاتبا للدولة في الشؤون الخارجية،

مكلفا بالعلاقات مع المجموعة الاقتصادية الأوربية.

\* \* \*

• الحكومة التاسعة عشرة ( 11 صفر 1413 / 11 غشت 1992 )

- الوزير الأول : محمد كريم العمراني

- وزير للدولة : مولاي أحمد العلوي. وزير الدولة

المكلف بالشؤون الخارجية والتعاون : عبد اللطيف

الفيلاي. وزير العدل : مولاي مصطفى بن العربي العلوي.

وزير الداخلية والاعلام : إدريس البصري. وزير الصحة

العمومية : عبد الرحيم الهروشي. وزير المالية : محمد

برادة. وزير التربية الوطنية : الطيب الشكيلي. وزير الصيد

البحري والملاحة التجارية : بنسالم الصميلي. الأمين العام

للحكومة : عباس القيسي. وزير الأشغال العمومية

والتكوين المهني وتكوين الأطر : محمد القباچ. وزير النقل:

الراشدي الغزواني. وزير البريد والاتصالات السلكية

واللاسلكية : عبد السلام أحيوزن. وزير الفلاحة والإصلاح

الزراعي : عثمان الدمناتي. وزير الشبيبة والرياضة : عبد

الله بلقزيز. وزير التجارة والصناعة وتحويل المنشآت العامة

إلى القطاع الخاص : مولاي الزين الزاهدي. وزير الأوقاف

والشؤون الإسلامية : عبد الكبير المدغري العلوي. وزير

التشغيل والصناعة التقليدية والشؤون الاجتماعية : محمد

الودغيري. وزير الطاقة والمعادن : مولاي إدريس العلوي

المدغري. وزير الشؤون الثقافية : محمد علال سيناصر.

وزير الاسكان : عبد الرحمان بوفتاس. الوزير المنتدب لدى

الوزير الأول المكلف بالشؤون الإدارية : عزيز حسي. وزير

التجارة الخارجية والاستثمارات الخارجية والسياحة : حسن

أبو أيوب. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالجالية

بوعبيد. وزير للدولة : عبد الرحيم بوعبيد. وزير للدولة :

أحمد بوستة. وزير للدولة : المحجوبي أحرضان. وزير

للدولة: مولاي أحمد العلوي. وزير للدولة : محمد أرسلان

الجديدي. وزير الداخلية : إدريس البصري. وزير الشؤون

الخارجية : عبد الواحد بلقزيز. وزير الإعلام : عبد اللطيف

الفيلاي. وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية : الهاشمي

الفيلاي. وزير التخطيط وتكوين الأطر والتكوين المهني :

أحمد الدويري. وزير التربية الوطنية : الدكتور عز الدين

العراقي. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون

الاقتصادية : الطيب بن الشيخ. وزير المالية : عبد اللطيف

الجواهري. وزير التجارة والصناعة والسياحة : عز الدين

جسوس. وزير الصناعة التقليدية والشؤون الاجتماعية :

عباس الفاسي. وزير النقل : المنصوري بن علي. وزير

الطاقة والمعادن : موسى السعدي. وزير الصحة العمومية :

الدكتور رحال رحالي. وزير الصيد البحري والملاحة

التجارية: بنسالم الصميلي. الأمين العام للحكومة : عباس

القيسي. وزير الشؤون الثقافية : سعيد بن البشير. وزير

السكنى وإعداد التراب الوطني : المفضل لولو. وزير

التجهيز : محمد القباچ. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول

عبد الكريم غلاب. وزير البريد والمواصلات : محمد

العنصر. وزير الفلاحة والإصلاح الزراعي : عثمان

الدمناتي. الوزير المكلف بالعلاقات مع البرلمان : أحمد

بلحاج. وزير الشبيبة والرياضة : عبد اللطيف السلاي.

الوزير المكلف بالتعاون : عبد الواحد الراضي. وزير

التشغيل والإنعاش الوطني : مولاي الزين الزاهدي. كاتب

الدولة في الشؤون الخارجية : عبد الحق التازي. كاتب

الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الصحراوية :

خليهن ولد الرشيد. كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف

بالشؤون الإدارية : محمد التوكاني. كاتب الدولة في

السكنى وإعداد التراب الوطني : عبد اللطيف حجاجي.

\* \* \*

• الحكومة الثامنة عشرة ( 11 أبريل 1985 . 11 أغسطس 1992 )

- الوزير الأول : محمد كريم العمراني

- وزير الدولة : الحاج أحمد باحنيني. وزير الدولة :

مولاي أحمد العلوي. وزير العدل : مولاي مصطفى بن

العربي العلوي. وزير الشؤون الخارجية والتعاون والاعلام :

عبد اللطيف الفيلاي. وزير الداخلية : إدريس البصري.

وزير التربية الوطنية : عز الدين العراقي. وزير الصحة

العمومية : الطيب بن الشيخ. وزير المالية : عبد اللطيف

الجوهري. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف

بالعلاقات مع المجموعة الاقتصادية الأوربية : عز الدين

جسوس. وزير السياحة : موسى السعدي. وزير الصيد

البحري والملاحة التجارية : بنسالم الصميلي. الأمين العام

للحكومة : عباس القيسي. وزير التجهيز والتكوين المهني

وتكوين الأطر : محمد القباچ. وزير النقل : محمد

بوعمود. وزير الفلاحة والإصلاح الزراعي : عثمان

الدمناتي. وزير الشبيبة والرياضة : عبد اللطيف السلاي.

\* \* \*

الحكومة الحادية والعشرون (7 يونيو 1994 - 31 يناير 1995)

- الوزير الأول ووزير الشؤون الخارجية والتعاون : عبد اللطيف الفيلالي  
- وزير للدولة : مولاي أحمد العلوي. وزير الدولة في الداخلية والاعلام : إدريس البصري. وزير العدل : محمد الإدريسي علمي المشيشي. وزير الصحة العمومية : عبد الرحيم الهروشي. وزير المالية : محمد سكوه. وزير التربية الوطنية : محمد الكنديري. وزير الصيد البحري والملاحة والتجارة : مصطفى ساهل. وزير الأشغال العمومية والتكوين المهني وتكوين الأطر : محمد حصاد. وزير النقل : الراشدي الغزواني. وزير البريد والمواصلات : وزير عبد السلام أحيوزون. وزير الفلاحة والاستثمار الفلاحي : عبد العزيز مزبان بلفقيه. وزير الشبيبة والرياضة : مولاي إدريس العلوي المدغري. وزير التجارة والصناعة : إدريس جطو. وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية : عبد الكبير المدغري العلوي. وزير التشغيل والشؤون الاجتماعية : رفيق الحداوي. وزير الطاقة والمعادن : عبد اللطيف الكراوي. وزير الشؤون الثقافية : محمد علال سيناصر. وزير الإسكان : إدريس التولالي. وزير التجارة الخارجية والاستثمارات الخارجية والصناعة التقليدية : مراد الشريف. وزير السياحة : سيرج بيردوكو. الأمين العام للحكومة : عبد الصادق الربيع. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الإدارية : عزيز حسبي. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالجمالية المغربية القاطنة بالخارج : أحمد الوردي. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالعلاقات مع البرلمان : محمد معتصم. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بتنشيط الاقتصاد : عمر القباح. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بحقوق الانسان : عمر عزيمان. وزير الخوصصة المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بمنشآت الدولة : عبد الرحمان السعيدي. كاتب الدولة في الشؤون الخارجية والتعاون : الطيب الفاسي الفهري. نائب كاتب الدولة لدى وزير الدولة في الداخلية المكلف بالمحافظة على البيئة : شوقي السرجيني

\* \* \*

الحكومة الثانية والعشرون (27 فبراير 1995 - مارس 1998)

- الوزير الأول ووزير الشؤون الخارجية والتعاون : عبد اللطيف الفيلالي  
- وزير للدولة : مولاي أحمد العلوي. وزير الدولة في الداخلية : إدريس البصري. وزير العدل : عبد الرحمان أمالو. وزير المالية والاستثمارات الخارجية : محمد القباح. وزير الفلاحة والاستثمار الفلاحي : حسن أبو أيوب. وزير الصيد البحري والملاحة التجارية : مصطفى ساهل. وزير الاتصال الناطق الرسمي باسم الحكومة : مولاي إدريس العلوي المدغري. وزير التجارة والصناعة والصناعة

المغربية القاطنة بالخارج : رفيق الحداوي. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الاقتصادية والاجتماعية : محمد المدغري العلوي. كاتب الدولة في الشؤون الخارجية : أحمد الشرقاوي. كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون العامة : عبد الرحمان السباعي. نائب كاتب الدولة لدى وزير الداخلية المكلف بالمحافظة على البيئة الطبيعية : شوقي السرجيني.

\* \* \*

الحكومة العشرون (11 نوفمبر 1993 - 25 ماي 1994)

- الوزير الأول : محمد كريم العمراني (ابتداء من 9 نوفمبر 1993)

- وزير للدولة : مولاي أحمد العلوي. وزير للدولة مكلف بالشؤون الخارجية والتعاون : عبد اللطيف الفيلالي. وزير الدولة في الداخلية والاعلام : إدريس البصري. وزير العدل : محمد الإدريسي علمي المشيشي. وزير الصحة العمومية : عبد الرحيم الهروشي. وزير المالية : محمد سكوه. وزير التربية الوطنية : محمد الكنديري. وزير الصيد البحري والملاحة التجارية : مصطفى ساهل. وزير الأشغال العمومية والتكوين المهني وتكوين الأطر : محمد حصاد. وزير النقل : الراشدي الغزواني. وزير البريد والمواصلات : عبد السلام أحيوزون. وزير الفلاحة والاستثمار الفلاحي : عبد العزيز مزبان بلفقيه. وزير الشبيبة والرياضة : مولاي إدريس العلوي المدغري. وزير التجارة والصناعة : إدريس جطو. وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية : عبد الكبير العلوي المدغري. وزير التشغيل والشؤون الاجتماعية : رفيق الحداوي. وزير الشؤون الثقافية : محمد علال سيناصر. وزير الإسكان : إدريس التولالي. وزير التجارة الخارجية والاستثمارات الخارجية والصناعة التقليدية : مراد شريف. وزير السياحة : سيرج بيردوكو. الأمين العام للحكومة : عبد الصادق الربيع. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الإدارية : عزيز حسبي. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالجمالية المغربية القاطنة بالخارج : أحمد الوردي. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالعلاقات مع البرلمان : محمد معتصم. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بتنشيط الاقتصاد : عمر القباح. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بحقوق الانسان : عمر عزيمان. الوزير المكلف بتحويل منشآت عامة إلى القطاع الخاص منتدبا لدى الوزير الأول : عبد الرحمان السعيدي. كاتب الدولة في الشؤون الخارجية : الطيب الفاسي الفهري. نائب كاتب الدولة لدى وزير الداخلية مكلفا بالمحافظة على البيئة الطبيعية : شوقي السرجيني

ملاحظة : - بتاريخ 25 ماي 1994 تم إعفاء السيد محمد كريم العمراني من مهامه كوزير أول، وتعيين السيد عبد اللطيف الفيلالي خلفا له، حيث تم تشكيل حكومة جديدة.

التقليدية : إدرس جطو. وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية: عبد الكبير المدغري العلوي. وزير الطاقة والمعادن : عبد اللطيف الكراوي. الأمين العام للحكومة : عبد الصادق ربيع. وزير الخوصصة المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بمشآت الدولة : عبد الرحمان السعيد. وزير الشؤون الثقافية : عبد الله أزمان. الوزير المكلف بالعلاقات مع البرلمان : عبد السلام بركة. وزير الصحة العمومية : الدكتور أحمد العلمي. وزير التعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي : إدرس خليل. وزير التربية الوطنية : رشيد بن المختار. وزير النقل : سعيد أمسكان. وزير البريد والمواصلات : حمزة الكتاني. وزير الشبيبة والرياضة : أحمد أمزيان. وزير التشغيل والشؤون الاجتماعية : أمين الدمناتي. وزير الإسكان : سعيد الفاسي. وزير السياحة : محمد العلوي المحمدي. وزير البيئة : الدكتور نور الدين بنعمر العلمي. وزير التكوين المهني : عبد السلام بروال. وزير التجارة الخارجية : محمد العلوي. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول : عبد الرحمان السباعي. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الإدارية : مسعود المنصوري. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بتنشيط الاقتصاد : محمد حسا. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بحقوق الإنسان : محمد زيان. الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالسكان : لامين بنعمر. كاتب الدولة في الشؤون الخارجية والتعاون : الطيب الفاسي الفهري. نائب كاتب الدولة لدى وزير الشؤون الخارجية المكلف بشؤون الجالية المغربية القاطنة بالخارج : الحسن جبون. نائب كاتب الدولة في الشؤون الخارجية المكلف بالعلاقات مع اتحاد المغرب العربي : عبد العزيز السبوي

بتاريخ 13 غشت 1997، تم إعفاء السادة :

عبد الرحمان أمالو، وزير العدل والوزير المكلف بحقوق الإنسان بالنيابة. محمد القباچ، وزير المالية والاستثمارات الخارجية. حسن أبو أيوب، وزير الفلاحة والاستثمار الفلاحي. عبد الله أزمان، وزير الشؤون الثقافية. عبد السلام بركة، الوزير المكلف بالعلاقات مع البرلمان. الدكتور أحمد العلمي، وزير الصحة العمومية. سعيد أمسكان، وزير النقل. حمزة الكتاني، وزير البريد والمواصلات. أحمد أمزيان، وزير الشبيبة والرياضة. أمين الدمناتي، وزير التشغيل والشؤون الاجتماعية. سعيد الفاسي، وزير الإسكان. محمد العلوي المحمدي، وزير السياحة. الدكتور نور الدين بنعمر العلمي، وزير البيئة. عبد السلام بروال، وزير التكوين المهني. محمد العلمي، وزير التجارة الخارجية. مسعود منصوري، الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الإدارية. محمد حسا، الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بتنشيط الاقتصاد. لامين بنعمر، الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بالإسكان. الحسن جبون، نائب كاتب الدولة لدى وزير الشؤون الخارجية المكلف بشؤون الجالية المغربية بالخارج. عبد العزيز المسوي، نائب كاتب الدولة لدى وزير الشؤون الخارجية المكلف بالعلاقات

## مع المغرب العربي

وينفس التاريخ تم تعيين أو الاحتفاظ بالسادة :

مولاي أحمد العلوي، وزير الدولة. إدرس البصري، وزير الدولة في الداخلية. عمر عزيمان، وزير العدل. إدرس جطو، وزير المالية والتجارة والصناعة والصناعة التقليدية. عبد العزيز مزيان بلفقيه، وزير الفلاحة والتجهيز والبيئة. عبد الكبير المدغري العلوي، وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية. مراد الشريف، وزير السكنى والتشغيل والتكوين المهني. مصطفى ساهل، وزير الصيد البحري والشؤون الإدارية والعلاقة مع البرلمان. مولاي إدرس العلوي المدغري، وزير الاتصال الناطق الرسمي باسم الحكومة. عبد اللطيف الكراوي، وزير الشؤون الاجتماعية : الصحة والشبيبة والرياضة والتعاون الوطني. الأمين العام للحكومة عبد الصادق ربيع. عبد الرحمان السعيد، وزير تنشيط الاقتصاد والخوصصة المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بمشآت الدولة. عبد السلام أحيوزون، وزير المواصلات. إدرس خليل، وزير التعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر. رشيد بن المختار، وزير التربية الوطنية. إدرس بنهيسة، وزير النقل والملاحة التجارية والسياحة والطاقة والمعادن. عبد الرحمان السعيد، الوزير المنتدب لدى الوزير الأول المكلف بإدارة الدفاع الوطني. الطيب الفاسي الفهري، كاتب الدولة لدى وزير الشؤون الخارجية والتعاون. عزيزة بنتاني، كاتبة الدولة لدى وزير التعليم العالي والبحث العلمي المكلفة بالثقافة. عبد الفتاح بنمنصور، كاتب الدولة لدى وزير المالية المكلف بتسيير الاقتصاد. عبد الرزاق المصمودي، كاتب الدولة لدى وزير المالية المكلف بالتجارة والصناعة والصناعة التقليدية. عبد العظيم الحافي، كاتب الدولة لدى وزير الفلاحة والتجهيز والبيئة المكلف بالاستثمار الفلاحي. الحسين التجاني، كاتب الدولة لدى وزير الفلاحة والتجهيز والبيئة المكلفة بالطاقة والمعادن بنخبة القطع المعدني. فؤاد حمادي، كاتب الدولة لدى وزير الشؤون الاجتماعية المكلف بالصحة. زليخة الناصري، كاتبة الدولة لدى وزير الشؤون الاجتماعية المكلفة بالتعاون الوطني. نوال التوكل، كاتبة الدولة لدى وزير الشؤون الاجتماعية مكلفة بالشبيبة والرياضة.

\*\*\*

• الحكومة الثالثة والعشرون (15 ذي القعدة 1418 / 14 /

مارس 1998)

- الوزير الأول : عبد الرحمان يوسف

- وزير الشؤون الخارجية والتعاون : عبد اللطيف الفيلاحي. وزير الداخلية : إدرس البصري. وزير العدل : عمر عزيمان. وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية : عبد الكبير المدغري العلوي. الوزير المكلف بإعداد التراب الوطني والبيئة والتعمير والإسكان : محمد البيازغي. وزير الاقتصاد والمالية : فتح الله والعلو. وزير الفلاحة والتنمية القروية والصيد البحري : الحبيب المالك. الأمين العام للحكومة : عبد الصادق الربيع. وزير الصناعة والتجارة

معتمد، النظام السياسي الدستوري المغربي، إبيس للنشر، الدار البيضاء، 1992؛ ع. ابن زيدان، العز والصلوة في معالم نظم الدولة، تقديم وتعليق عبد الرهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1961؛ ع. بنعيد الله، تاريخ المغرب، مكتبة المعارف، د. ت. ع. العسوي، تاريخ المغرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977؛ ع. القادري، الرقيب في المؤسسات السياسية والقانون الدستوري والنظم السياسية، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1982؛ ع. بوطالب، النظم السياسية العالمية المعاصرة؛ ع. بنشهر، البيان المطرب لنظام حكومة المغرب، مطبعة الأمانة، الرباط، الطبعة الثانية، 1952؛ ع. غلاب، التطور الدستوري والتباين في المغرب (1908-1977)، شركة الطبع والنشر، الدار البيضاء، 1978؛ ع. الفاسي، حفريات عن الحركة الدستورية في المغرب قبل الحماية، مذكرة مرفوعة من كاتب مجهول إلى السلطان مولاي عبد العزيز، سلسلة الجهاد الأكبر رقم 6، مطبعة الرسالة، الرباط دون تاريخ؛ نعيمة هراج التوازين، الأمانة بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن (1873-1894)، مساهمة في دراسة النظام المالي بالمغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1979؛ محمد أشركي، هيكل الدولة المغربية، السلطان والحكومة، ضمن أعمال الجامعة الصيفية حول موضوع المغرب من العهد العزبي إلى سنة 1912، المحمدية، 1987؛ عبد اللطيف أكتوش، المخزن المغربي وامتداداته المحلية قبل سنة 1912، ضمن أعمال الجامعة الصيفية حول موضوع المغرب من العهد العزبي إلى سنة 1912، المحمدية، 1987؛ عمر العسوي، التنظيمات الإدارية الإقليمية في المغرب خلال القرن التاسع عشر، ضمن أعمال الجامعة الصيفية حول موضوع المغرب من العهد العزبي إلى سنة 1912، المحمدية، 1987؛ أعداد من الجزيرة الرسمية خلال الفترة الممتدة ما بين 1913 و1998.

A. Benjelloun, *Droit administratif*, 2ème éd., Rabat, 1992 ; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain 1830 - 1912*, Casablanca, 1993 ; A. De Laubadère, *Les réformes des pouvoirs publics au Maroc*, Paris, 1949 ; J. Bonjean, *L'unité de l'empire chérifien*, Paris, 1952 ; Bremard, *L'organisation régionale du Maroc*, Paris, 1949 ; E. Durand, *Traité de droit public marocain*, Paris, 1955 ; P. Espérandieu, *Lyautey et le protectorat*, Paris, 1947 ; H. Gaillard, *La réorganisation du gouvernement marocain*, Paris, 1916 ; *L'histoire et l'organisation du protectorat marocain, sa politique indigène*, Rabat, 1915 ; A. Gilaut, *Principes de colonisation et de législation coloniale*, Paris, 1908 ; H. Blet, *Histoire de la colonisation française*, Paris, 1946 ; L. Holtz, *Traité de législation marocaine*, Paris, 1914 ; M. Schimi, *La notion de constitution au Maroc*, thèse de doctorat d'état, Faculté de droit de Rabat, 1984 ; M. Rouss (et al.), *Droit administratif marocain*, 5ème édition, Rabat, 1992 ; P. L. Rivière, *Précis de législation marocaine*, Caen, 1942 ; H. Gaillart, *L'histoire et l'organisation de l'empire chérifien, conférences Franco-Marocaines*, Tome I, Paris, 1916 ; M. Berge, *La justice française au Maroc, conférences Franco-Marocaines*, Tome I, Paris, 1916 ; N. Bouderbala, *Aspects de l'idéologie juridique coloniale, R.J.P.E.M.*, n° 4, 1978 ; *Traité du Maroc*, publiés et commentés par P. L. Rivière, Paris, 1924 ; *Les codes marocains, recueil des actes et traités constituant le droit international public du Maroc*, Casablanca, [s.d.] ; *Recueil législatif des juridictions chérifiennes au Maroc*, Elaboré par Tahar Essafi, Casablanca, 1926 ; *Bulletin officiel de 1913 à 1998*.

عبد الإله فونتير

والصناعة التقليدية : العلمي التازي. وزير التنمية الاجتماعية والتضامن والتشغيل والتكوين المهني، ناطق رسمي باسم الحكومة : خالد عليوة. وزير السياحة : حسن الصبار. وزير التجهيز : بوعمرو تغوان. وزير النقل والملاحة التجارية : مصطفى المنصوري. وزير الطاقة والمعادن : يوسف الطاهري. وزير التربة الوطنية : إسماعيل العلوي. وزير التعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي : نجيب الزروالي. وزير مكلف بالعلاقات مع البرلمان : محمد بوزويج. وزير مكلف بحقوق الإنسان : محمد أوجار. وزير الشؤون الثقافية : محمد الأشعري. وزير الصحة : عبد الواحد الفاسي. وزير الشبيبة والرياضة : أحمد الموساوي. وزير الاتصال : محمد العربي المساري. وزير الوظيفة العمومية والإصلاح الإداري : عزيز الحسين. وزير القطاع العام والخصوصية : رشيد الفيلالي. وزير منتدب لدى الوزير الأول مكلف بإدارة الدفاع الوطني : عبد الرحمان السباعي. وزير منتدب لدى الوزير الأول مكلف بالشؤون العامة للحكومة : أحمد الحلبي علمي. وزير منتدب لدى الوزير الأول مكلف بالتوقعات الاقتصادية والتخطيط : عبد الحميد عواد. وزير منتدب لدى وزير الدولة وزير الشؤون الخارجية والتعاون مكلف بالشؤون المغاربية والعالم العربي والإسلامي : عبد السلام زينند. وزير منتدب لدى وزير الفلاحة والتنمية القروية والصيد البحري مكلف بالصيد البحري : التهامي الخياري. وزير منتدب لدى وزير الفلاحة والتنمية القروية والصيد البحري مكلف بالمياه والغابات : سعيد اشباعو. وزير منتدب لدى وزير التربة الوطنية مكلف بالتعليم الثانوي والتقني : عبد الله ساعف. كاتب الدولة لدى الوزير الأول مكلف باليسريد والتقنيات الإعلامية : العربي عجول. كاتبة الدولة لدى وزير الدولة وزير الشؤون الخارجية والتعاون مكلفة بالتعاون : عائشة بلعربي. كاتب الدولة لدى الوزير مكلف بإعداد التراب الوطني والبيئة والتعمير والإسكان مكلف بالبيئة : أحمد العراقي. كاتب الدولة لدى الوزير المكلف بإعداد التراب الوطني والبيئة والتعمير والإسكان مكلف بالإسكان : محمد المباركي. كاتب الدولة لدى وزير الصناعة والتجارة والصناعة التقليدية مكلف بالصناعة التقليدية : حسن الماعوني. كاتب الدولة لدى وزير التعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي مكلف بالبحث العلمي : عسمر الفاسي. كاتب الدولة لدى وزير التنمية الاجتماعية والتضامن والتشغيل والتكوين المهني مكلف بالرعاية الاجتماعية والأسرة والطفولة : محمد سعيد السعدي. كاتب الدولة لدى وزير التنمية الاجتماعية والتضامن والتشغيل والتكوين المهني مكلف بالتضامن والعمل الإنساني : حمو أوحلي. كاتبة الدولة لدى وزير التنمية الاجتماعية والتضامن والتشغيل والتكوين المهني مكلفة بالمعاقين : نزهة الشقروني.

محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، نشر الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، 1985؛ محمد أشركي، الوزير الأول، مركزه ووظيفته في النظام المغربي، أطروحة لنيل دكتوراة الدولة، كلية الحقوق الدار البيضاء، 1985؛ محمد



جامع الفنا  
الساحة العمومية الشهيرة بمراكش  
انظر صفحة 2869



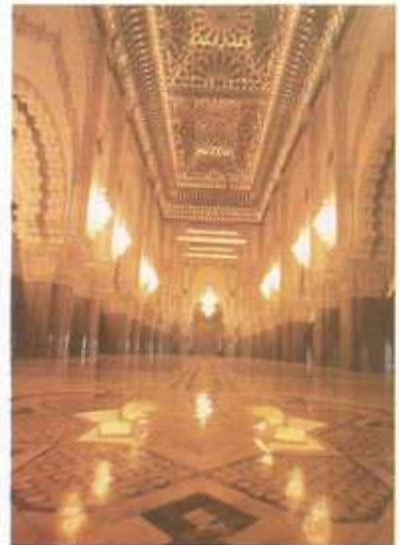
الثلج بقمم الأطلس الكبير  
انظر صفحة 2846



جاوش  
صنف من أصناف الطيور بالمغرب  
انظر صفحة 2896



جامع الحسن الثاني بالدار البيضاء  
الباب الخارجي - البلاط الرئيسي  
انظر صفحة 2864







جكراندا  
عشكول هرمي من الأزهار  
انظر صفحة 3051



الجيس  
كتلة من الجيس الخام  
انظر صفحة 2917



الجمال  
انظر صفحة 3087



الجحموم أو الشحرور  
انظر صفحة 2925

الحبارى الصغيرة  
انظر صفحة 3304



جرجير أو الخردل  
انظر صفحة 2952





حُرْبُقَة أو حُرْبُكَة

انظر صفحة 3369



الحبارى العربية

انظر صفحة 3304



حَسُون أو أَم قُنِين

انظر صفحة 3416



الحجل

انظر صفحة 3334

أبو جراب أو المَهَا

انظر صفحة 3352



الحجلة

انظر صفحة 3335



تم طبع هذا الجزء من معلمة المغرب بمطابع سلا  
في صفر عام 1419 / يونيو 1998  
وأعيد طبعه في جمادى الأولى عام 1433 / أبريل 2012



مطابع سلا

19، زينة العافظ السلفي  
المعاليق - الدار البيضاء



© : 05.22.25.65.65



Directeur de publication : **Mohamed Hajji**

Comité de rédaction : **Ahmed Toufiq**  
**Mohamed Hajji**

Comités scientifiques :

Pour les sciences humaines

Mohamed BENCHERIFA, Faculté des Lettres, Rabat.  
Mohamed ZNIBER, Faculté des Lettres, Rabat.  
Salem YAFOUT, Faculté des Lettres, Rabat.  
Mustapha NAIMI, Institut Universitaire Pour La Recherche  
Scientifique, Rabat.

Pour la géographie et les sciences de la nature

Abdellah LAOUINA, Faculté des Lettres, Rabat.  
Dris EL-FASSI, Institut agronomique et vétérinaire Hassan II, Rabat.  
Mustapha AYAD, Faculté des Lettres, Rabat.  
Abdelmalek BENABID, Ecole Nationale Forestière, Salé.  
Mohamed RAMDANI, Institut Scientifique, Rabat.

Tous droits réservés, y compris le droit de traduction ou de reproduction

même partielles sous quelque forme que ce soit.

**Imprimerie de Salé**



**19, Rue El Hafid Salafi**  
**Maârif - Casablanca**  
**Tél.: 05.22.25.65.65**

# Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.



Publiée par

**L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication**

Editée par

**L'Imprimerie de Salé  
"SALA"**

**1998 - 1419**

Copyright © IMPRIMERIE DE SALÉ - 1998  
ISBN (Ensemble) 9981 - 03 - 000 - 7  
ISBN ( Tome X ) 9981 - 03 - 010 - 4

Encyclopédie  
du  
Maroc

# معلمة المغرب

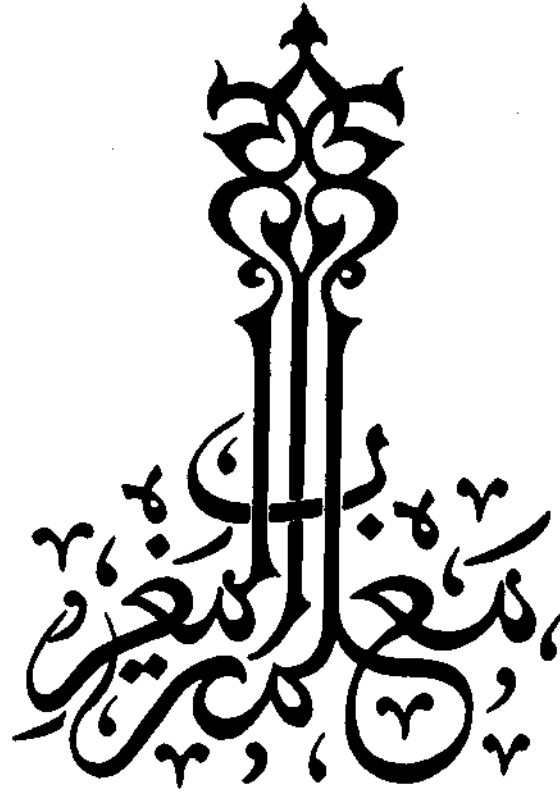
قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.



من إنتاج  
الجمعية المغربية  
للتأليف والترجمة والنشر

نشر  
مكاتب سلا





التغريب للأفضى

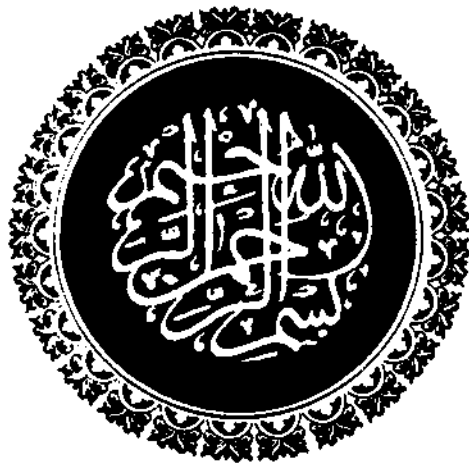
رقم الإيداع القانوني  
بالمخزنة العامة للكتب والوثائق - الرباط  
1984/629

جميع حقوق النقل والترجمة - جزئياً أو كلياً بأي شكل كان - محفوظة  
للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولطابع سلا

رد مك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)

رد مك 0 - 012 - 03 - 9981 (الجزء 11)





أعد هذا الجزء من معلمة المغرب  
بدعم من وزارة الثقافة والاتصال  
ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة  
أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق  
عبارات الشكر والامتنان.



المدير المشرف

: محمد حجي

لجنة التحرير

: أحمد التوفيق، أستاذ التاريخ بكلية الآداب،

الرباط

محمد حجي، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

لجنة العلوم الإنسانية

: محمد بنشريفقة، أستاذ الأدب المغربي والأندلسي

بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية،

الرباط

إبراهيم بوطالب، أستاذ التاريخ بكلية الآداب،

الرباط

سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط

مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي

بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافيا : عبد الله العويّنة، أستاذ الجيومورفولوجيا بكلية

الآداب، الرباط

مصطفى عياد، أستاذ الجغرافيا البشرية بكلية

الآداب، الرباط

إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية

الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة،

الرباط

عيد المالك بنعبيد، أستاذ بالمدرسة الوطنية

الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة

والبيطرة، الرباط

محمد رمضاني، باحث في البيولوجيا الحيوانية

بالمعهد العلمي وأستاذ بكلية العلوم، الرباط

# اختصارات

= توفي	. ت
= تحقيق	. ق
= ترجمة	. ت
= خزانة تطوان	. خ. ت
= الخزانة الحسينية (الملكية) بالرباط	. خ. ح
= الخزانة الصبيحية بسلا	. خ. ص
= الخزانة العامة بالرباط	. خ. ع
= خزانة القرويين بفاس	. خ. ق
= خزانة ابن يوسف براكش	. خ. ي
= دون تاريخ	. د. ت
= دبلوم الدراسات العليا	. د. د. ع
= دون مكان	. د. م
= طبعة	. ط
= انظر	←

\* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

## المشاركون في تحرير هذا الجزء

- محمد أخريف، وزارة التربية الوطنية - القصر الكبير  
 محمد أديوان، كلية الآداب - الرباط  
 محمد أزهار، كلية الآداب - المحمدية  
 محمد الأسعد، كلية الآداب - الدار البيضاء - عين الشق  
 أحمد أشعيان، باحث - تطوان  
 سعيد أعراب، باحث - تطوان  
 عمر أفا، كلية الآداب - الرباط  
 ع. العزيز أكرير، كلية الآداب - بني ملال  
 العربي أكنينج، المدرسة العليا للأساتذة - فاس  
 حسن أميلي، كلية الآداب - المحمدية  
 محند أميت الحاج، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء  
 محمد أميت حمزة، كلية الآداب - الرباط  
 الهادي بجهيجو، وزارة التربية الوطنية - الرباط  
 محمد البدرأوي، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط  
 محمد الأمين البزاز، كلية الآداب - الرباط  
 منير البصكري، وزارة التربية الوطنية - الرباط  
 الحسين البعاوي، وزارة التربية الوطنية - العرائش  
 ع. العزيز بل فائدة، كلية الآداب - القنيطرة  
 محمد بلعربي، باحث - الرباط  
 عائشة البلغيشي العلوي، كلية الآداب - الرباط  
 رقية بللمقدم، كلية الآداب - القنيطرة  
 علي البليشي، كلية الآداب - الرباط  
 أحمد بنجلون، باحث - الرباط  
 زليخة بنرمضان، كلية الآداب - المحمدية  
 محمد بنشريفقة، كلية الآداب - الرباط  
 عبد المالك بنعبيد، المدرسة الغابوية - سلا  
 عثمان بناني، كلية الآداب - الرباط  
 محمد الأمين بوخبزة، باحث - تطوان  
 ع. القادر بوراوي، وزارة التربية الوطنية - القنيطرة  
 أحمد البوزيدي، كلية الآداب - فاس  
 محمد بوسلام، وزارة التربية الوطنية - الرباط  
 أحمد بوشرب، كلية الآداب - الدار البيضاء - عين الشق  
 مصطفى بوشعراء، باحث - سلا
- عبد الله بوصحابة، كلية العلوم - فاس  
 إبراهيم بوطالب، كلية الآداب - الرباط  
 أحمد بوعزيز، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط  
 بوشتي بوعسرية، كلية الآداب - مكناس  
 أحمد بومزكو، كلية الآداب - أكادير  
 جامع بيضاء، كلية الآداب - الرباط  
 ع. الله المرابط الترغفي، كلية الآداب - تطوان  
 ع. العزيز توري، وزارة الثقافة والاتصال - الرباط  
 أحمد التوفيق، الخزنة العامة - الرباط  
 ع. العزيز تيلاني، كلية اللغة العربية - مراكش  
 حسن جلاب، كلية اللغة العربية - مراكش  
 الحسين جهادي، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء  
 أحمد جوماني، باحث - الرباط  
 محمد الحماقي، كلية الآداب - أكادير  
 حسن حافظي علوي، كلية الآداب - مراكش  
 محمد حجاج الطويل، كلية الآداب - الدار البيضاء - بنمسك  
 محمد حجي، كلية الآداب - الرباط  
 ع. الرحمان المرادجي، كلية الآداب - وجدة  
 ع. الجليل حلیم، كلية الآداب - فاس  
 محمد حمام، كلية الآداب - الرباط  
 العربي الحمدي، كلية الآداب - بني ملال  
 محمد حنداين، وزارة التربية الوطنية - أكادير  
 محمد حنيني، كلية الآداب - الرباط  
 علال الحديدي، كلية الآداب - الرباط  
 محمد خربوغة، المعهد العلمي - الرباط  
 أحمد الخنوي، كلية الآداب - بوردهو  
 إسماعيل الخياطي، كلية الآداب - الجديدة  
 نجاة الخياطي، كلية العلوم - الرباط  
 مارية داداي، كلية الآداب - وجدة  
 محمد بن عبد العزيز الدباغ، وزارة الثقافة - فاس  
 نفيسة الذهبي، كلية الآداب - القنيطرة

إدريس الفاسي، كلية الآداب - الرباط  
ع. الإله الفاسي، كلية الآداب - القنيطرة  
محمد فتحة، كلية الآداب - الدار البيضاء - عين الشق  
حسن الفكيكي، كلية الآداب - القنيطرة  
المصطفى فنتيتر، كلية الآداب - مراكش  
أحمد قدور، كلية الآداب - القنيطرة  
مصطفى قلوب، كلية الحقوق - الرباط  
محمد كروط، كلية الآداب - الرباط  
محمد غلاد، وزارة التربية الوطنية - أسفي  
محمد بن حسن، كلية الآداب - بني ملال  
شمعون ليثي، كلية الآداب - الرباط  
حسن ليمان، وزارة الثقافة والاتصال - الرباط  
محمد ماگامان، وزارة التربية الوطنية - مراكش  
أحمد متفكر، وزارة التربية الوطنية - مراكش  
محمد مجدوب، كلية الآداب - المحمدية  
الحسن المعداد، كلية الآداب - أكادير  
المكي مرهي، وزارة التربية الوطنية - مراكش  
محمد مرزاق، وزارة التربية الوطنية - وجدة  
نجاة المريني، كلية الآداب - الرباط  
زهرة المزكدي، كلية الآداب - الدار البيضاء  
أحمد مزبان، كلية الآداب - فاس  
محمد المغراوي، كلية الآداب - الرباط  
أحمد المكاوي، باحث -  
محمد المتوني، كلية الآداب - الرباط  
محمد منيوي، المعهد العلمي - الرباط  
مصطفى ناعمي، البحث العلمي - الرباط  
عبد الله نجمي، كلية الآداب - الرباط  
زهرة النظام، كلية الآداب - المحمدية  
محمد هشمي، المدرسة الوطنية الغابوية - سلا  
عثمان هناك، كلية الآداب - أكادير  
أحمد هوژالي، كلية الآداب - مراكش  
أحمد الوارث، كلية الآداب - الجديدة  
إبراهيم ياسين، كلية الآداب - الجديدة  
مصطفى يعرف، باحث - وجدة

محمد وابطة الدين، كلية الآداب - مراكش  
شفيق الرفاگ، كلية الآداب - أكادير  
علال رگورگ، كلية الآداب - بني ملال  
محمد رمضان، المعهد العلمي - الرباط  
بوجمعة رويان، كلية الآداب - القنيطرة  
أحمد زروال، باحث - مراكش  
قاسم الزهيري، باحث - الرباط  
زكية ازوانات، معهد الدراسات الأفريقية - الرباط  
ع. الفتاح الزين، البحث العلمي - الرباط  
ع. الصادق ساسو، المدرسة الغابوية - سلا  
ع. العزيز الساوري، وزارة الثقافة والاتصال - الرباط  
الحبيب السباعي الإدريسي، وزارة المالية - الرباط  
العياشي السربوت، باحث - وزان  
محمد السعديين، وزارة التربية الوطنية - سلا  
ع. السلام السعدي، وزارة التربية الوطنية - مراكش  
رشيد السلامي، كلية الآداب - مراكش  
مصطفى الشابي، كلية الآداب - الرباط  
عبد السلام الشداوي، معهد البحث العلمي - الرباط  
صالح شگاگ، وزارة التربية الوطنية - تمارة  
المصطفى شويكي، كلية الآداب - الدار البيضاء - عين الشق  
محمد الشياظمي، باحث - الرباط  
ع. الرحمان الطيبي، وزارة التربية الوطنية - سلا  
حسن العباسي، كلية الآداب - الجديدة  
ع. العزيز بن عبد الجليل، وزارة الثقافة والاتصال - مكناس  
ع. العزيز عديدي،  
أحمد عزاوي، كلية الآداب - القنيطرة  
محمد ابن عزوز حكيم، باحث - تطوان  
عبد الرحيم العطاوي، كلية الآداب - الرباط  
بوشعيب العركود، وزارة التربية الوطنية - بني ملال  
أحمد عمالك، كلية الآداب - مراكش  
محمد عمراني، كلية الآداب - القنيطرة  
علي العموري،  
الحاج موسى عوني، كلية الآداب - فاس  
عبد الله العوينة، كلية الآداب - الرباط  
مصطفى عياد، كلية الآداب - الرباط

## ببليوغرافيا إضافية إلى ما ذكر في الأجزاء السابقة

- عبد الله إبراهيم،  
- نداء الحرية بين المغرب العتيق والمغرب الحديث، الدار البيضاء، 1995.
- محمد أتكاف وأحمد باسلام،  
- مناقشة كتاب سبيلمان بحث مرقون لنيل الإجازة أكادير، 1989.
- أحمد أحضري،  
- ديوان الأمداح النبوية وذكر النغمات والطبوع، مخطوط.
- إدريس بن الماحي الإدريسي،  
- معجم الطبوعات المغربية، سلا، 1988.
- شكيب أرسلان،  
- حاضر العالم الإسلامي، (تعليق) 4 أجزاء، مصر، 1352 هـ.
- ابن عبد العظيم الأزموري،  
- بهجة الناظرين، مرقون كلية الآداب، د. د. ج. ع. الرباط، 1985 - 1986.
- محمد أزهار،  
- الإنسان والبيئة في الواحات السهبية الفاصلة، واحة ميسور نموذجاً (المغرب الشرقي). مرقون.
- محمد الأسعد،  
- دفاتر دكالة - عبدة، الدار البيضاء، 1997.
- خ. إسماعيل،  
- تحول البنيات الفلاحية في القطاعات المسقية... رسالة. د. د. ع. في الجغرافيا، الرباط، 1988.
- محمود إسماعيل،  
- الخواص في بلاد المغرب، 1976.
- أبو إسحاق الإصطخري،  
- كتاب مسالك الممالك، ليدن، 1927.
- عمر أفا،  
- مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب، أكادير، 1988.  
- النقود في العهد السعدي - نماذج ببليوغرافية، مجلة تاريخ المغرب عدد 7 - 8 - 1998.  
- النقود المغربية في القرن الثامن عشر، الدار البيضاء، 1993.
- إبراهيم أقديم،  
- إسهام في الدراسة الهيدرولوجية والمرفولوجية لحوضي دادس وتدغة، د. د. ع. كلية الآداب الرباط، 1983.
- أبو القاسم الأنصاري،  
- اختصار الأخبار، الرباط، 1983، ط. 2.
- علي أنكام،  
- قصر زاوية تامكروت، مخطوط.
- محمّد أيت الحاج،  
- مظاهر الحياة الثقافية بحاحة وإد اوتنان خلال القرن 14، د. د. ع. مرقون.
- محمد أيت حمزة،  
- ملامح التحولات السيسومجالية بحوض أسيف أمكون. د. د. ع. كلية الآداب الرباط، 1986.
- أحمد باب التنبكتي،  
- نيل الابتهاج، القاهرة، 1351 / 1932.
- ع. الحق البادسي،  
- المقصد الشريف، الرباط، 1982.

- أندريه پاكار،  
- المغرب والحروف التقليدية الإسلامية في العمارة، أتولييه، 1974.
- عبد الرحمن بدوي،  
- مؤلفات ابن خلدون، القاهرة، 1962.
- عادل سعيد بشتاوي،  
- الأندلسيون المواركة، دمشق، 1985.
- محمد ابن بطوطة،  
- تحفة النظار، بيروت، د. ت.
- إبراهيم باشا البغدادي،  
- إيضاح المكنون، في الذيل على كشف الظنون، استانبول، 1364 / 1945 /  
- هدية العارفين، استانبول، 1951 - 1955.
- أبو عبيد البكري،  
- المسالك والممالك، بيروت، 1992.
- بلعسري،  
التحديث الفلاحي ونمو المراكز الحضرية، مثال الدائرة السقوية لدكالة، رسالة د. د. ع، الرباط، 1988.
- أحمد البلوي الوادي آشي،  
ثبت البلوي، تح. عبد الله العمراني، بيروت، 1973.
- عبد المجيد بنجلون،  
جولات في مغرب امس، 1972، الرباط، 1974 - 1975.  
هذه مراكش، مصر، 1949.
- عبد العزيز بنعيد الله،  
- الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، تطوان، 1953.  
- معجم الألوان، الرباط، 1969.  
- المعجم التاريخي، آخر كتاب تاريخ المغرب، الدار البيضاء، د. ت.  
- معلمة الفقه المالكي، 1983، ص. 83.  
- معلمة المدن والقبائل، فضالة، 1397 / 1977.
- علي بنعياش،  
الخط المغربي المليح، قراءة في جمالياته (بحث مرقون، 1998).
- عبد الوهاب بنمنصور،  
- انبعاث أمة، الرباط، (سلسلة).  
- المحسس الثاني، حياته وجهاده ومنجزاته، الرباط، 1969.  
- قبائل المغرب، الرباط، 1968، الجزء الأول.  
- مشكلة الحماية الفنصلية بالمغرب إلى مؤتمر مدريد 1880، الرباط، 1977.
- أبو بكر بناني،  
الفتح الوهبي في التعريف بشيخنا مولاي عبد الواحد وشيخه مولاي العربي.
- عثمان بناني،  
النشاط السياسي للوطنيين المغاربة بالقاهرة في عام 1947، (أعمال ندوة النهضة والتراث).
- عبد القادر بوراس،  
مجموعة من رسائل أحمد بن المدني ابن حيون، مداخلة ندوة الحركة الوطنية، القنيطرة، أبريل، 1998.
- أحمد بوزيد الكناني،  
من تاريخ الوراثة والوراقين بمنطقة سوس، مجلة كلية الآداب، الرباط، عدد 21 - 22 - 96 - 1997.
- م. بن البشير بوسلام،  
تاريخ قبيلة بني ملال، 1854 - 1916.
- مصطفى بوشعرا،  
- التعريف ببني سعيد، الرباط، 1991.  
- علاقة المخزن بأحواز سلا، بني حسن، الدار البيضاء، 1996.



- إبراهيم بوطالب،  
التاريخ المعاصر، البحث العربي حول المجتمع المغربي في الفترة الاستعمارية، حصيلة وتقييم.  
م. البوطاهري،  
جهة الرباط وسلا زمور زعير، خريطة إقليم الخميسات.  
أبو بكر البيهقي،  
أخبار المهدي بن تومرت، الرباط، 1971.  
فرانسوا بيرجي،  
سوحى وحمو الزياني، 1877 - 1921، فاس، 1999.  
عبد الهادي التازي،  
الاسطول المغربي عبر التاريخ، مجلة البحث العلمي، الرباط، العدد 33 نونبر 1982، ص. 15 - 47.  
- أمير مغربي في طرابلس، جولة في تاريخ المغرب الدبلوماسي، ج. 4.  
- مذكرات من التراث المغربي الدبلوماسي للمغرب، المحمدية، 1988.  
محمد التاشفيني،  
اللؤلؤ المكنون في اختصار ابن عيشون، مخطوط.  
م. ابن أبي بكر التطواني،  
كناشة، مخطوط، خ. ص. رقم 407.  
ع. العزيز التمشماني خلو،  
جوانب من تاريخ جباله المعاصر، 1996، مجلة دار النياحة، عدد 14 سنة 1978، ص. 54.  
ابن لحبيب التمشوگالي،  
العقود الجهرية في الأنبياء الدرعية، مخطوط.  
ع. العزيز توري وجودية حصار بنسليمان،  
قاسوس أفاظ البناء في العمارة التقليدية، مخطوط.  
أحمد التوفيق،  
مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، الدار البيضاء، 1978.  
م. عابد الجاهري،  
العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، الدار البيضاء، 1971.  
عثمان الجاحظ،  
كتاب الحيوان، تج. ع. السلام هارون، مصر، 1364 / 1945.  
جامعة الدول العربية،  
معجم الملابس، الرباط، 1975.  
عباس الجراري،  
القصيدة، الرباط، 1390 / 1970.  
ح. ابن الجزائر،  
كشف الرموز في بيان الأعشاب، الجزائر، 1928.  
حمدون الجزناني،  
الأصداف المنفضة في أحكام صناعة الذهب والفضة، مخطوط.  
ابن جزوي،  
القوانين الفقهية، الرباط، 1962.  
حسن جلاب،  
الحركة الصوفية في مراكش وأثرها في الأدب، مراكش، ج. 3.  
- في تاريخ الماء وأساليب الري، تانسيقت، مجلة جغرافية الأطلس والحوز، العدد، 1، مراكش، 1992.  
- معجم عراصي مراكش، مجلة التراث الشعبي، 1981.  
أحمد جماني،  
المدينة المغربية في العصر الوسيط، مرقون.

ع. جمجمة،

اللامركزية مع اللامركز والديموقراطية المحلية في الخطاب الملكي، من إرسال التجربة إلى إعلان الإصلاح الجمهوري  
1955، 1995، الرباط، 1996.

الحسين جهادي،

من تاريخ أيت باعمران، مخطوط.

شارل أندري جوليان،

تاريخ إفريقيا الشمالية، تر. محمد مزالي والبشير بن سلامة، تونس، 1952.

م. ابن الحاج السلمي،

إتحاف ذوي العلم والرسوخ، الدار البيضاء، 1978.

م. ابن الحاج النميري،

فيض العباب وإفاضة قدامح الأدب في الحركة السعيدة إلى قسطنطينة والزاب، الرباط، ط. الأولى، 1984.

حاج صادق،

صفة المغرب وأوروبا في ق. 3 / 9 - الجزائر، 1949.

حازم القرطاجني،

مقصورة حازم، 1 : 193.

أحمد بن عاشر الحافي،

تحفة الزائر بمناقب الحاج أحمد بن عاشر، تج. محمد بوشعراء، سلا، 1988.

محمد حجاج الطويل،

- الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، د. د. ع. مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1989.

- النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط، أطروحة مرقونة، كلية الآداب بالرباط سنة 1998.

محمد هجي،

- البرناوي عبد الله بن عبد الجليل، معلمة المغرب، 4، 1196.

- بوطالب أو الطالبيون الجوطيون، معلمة المغرب، 5، 1738.

م. ابن حجر العسقلاني،

- تهذيب التهذيب، اثنا عشر جزءاً، حيدر آباد الدكن، 1325 - 1327 هـ.

م. الحجوي،

- الفكر السامي، في تاريخ الفقه الإسلامي، الرباط، وفاس وتونس، 1345 هـ.

- مختصر العروة الوثقى، سلا، 1938.

علي حسان حلاق،

تعريب التقود والدواوين في العصر الأموي، بيروت، 1978.

الحسن الثاني،

ذاكرة ملك، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، 1993.

ح. حسني عبد الوهاب،

شهيرات النساء التونسيات، تونس، 1353.

س. الحصري،

دراسات عن مقدمة ابن خلدون، مجلدان، بيروت، 1943.

أحمد الحلبي،

ريحان القلوب فيما للشيخ عبد الله البرناوي من أسرار القلوب، مخطوط، خ. ع مصور على الشريط جائزة

الحسن الثاني، 1148 - 1983، 18 ق.

ابن حمادوش،

لسان المقال، تج. سعد الله، الجزائر.

محمد حموش،

دفتر عين علي مومن (مذكرات سجين) مخطوط.

ع. حميدة،

- أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر، دمشق، 1980.

سليمان الخوات،

- قررة العيون في الشرفاء الدباغين القاطنين بالعيون، مخطوط.  
- كشف القناع، كناشة مخطوطة.

قاسم ابن خجوع،

ضياء النهار، مخطوط.

علال الخديمي،

أثر استقرار الأجانب بالدار البيضاء خلال القرن التاسع عشر، أعمال ندوة الدار البيضاء، 1982.

الخزانة الحسينية - الرباط،

محفظة مولاي عبد الرحمان بن هشام رقم 21 - 4520.

الخزانة الصبيحية - سلا،

وثائق آل بنسعيد.

الخزانة العامة - الرباط

وثائق آل بركاش.

ع. ف. خشيم،

أحمد زروق، و الزروقية، طرابلس، 1980.

م. ابن أبي الخصال،

رسائل ابن أبي الخصال، تح. محمد رضوان الداية، دمشق، 1987.

ع. الله ابن خضراء،

الرحلة الحجازية، مخطوط.

إسماعيل الخطيب،

الحركة العلمية في سبتة خلال القرن السابع، تطوان، 1406 - 1986.

رائد الصحافة بالمغرب، طبع بتطوان.

لسان الدين ابن الخطيب،

نفاضة الجراب، تح. أ. مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985.

ع. الرحمن ابن خلدون،

المقدمة، دار الفكر، بيروت، 1981.

يحيى ابن خلدون،

بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، نشر ألفريد بيل، الجزائر 1903 - 1910.

محمّد بن محمد الخلفي،

رسائل أحمد الهببة، مخطوط.

ع. العزيز الخلنجي،

- تقييد في ترجمة الشيخين محمد الخلنجي وولده عبد الله، مخطوط.

- شرح الصلاة المشيشية، مخطوط.

م. بن عبد الرحمن ابن خليفة،

القصر الكبير، أعلام فكرية أدبية وتاريخية، طنجة، 1994.

محمد الحمار الكونني،

زماد هسبريس، الدار البيضاء، 1987.

محمد الحمال الطنجي،

رسوم عدلية شهد فيها سنة 1940، مخطوطة.

نجاة الخياطي،

- بوجعران، معلمة المغرب، ج. 5، ص. 1640.

- حياحب، ج. 10، ص. 3303.

جون جيمس دافيسن،

حركة المدارس الحرة بالمغرب، 1919 - 1970، الدار البيضاء، 1991.

- محمد داود ،  
عائلات تطوان، مخطوط.
- ع. الكريم الداودي،  
كناشة علمية تحتوي على تسع وأربعين ورقة، مخطوطة.
- القايد الحاج محمد بن الهادي الداودي،  
وثائق القايد الداودي، مخطوطة.
- رضوان الداية،  
ابن أبي الحصال رئيس كتاب الأندلس، سلسلة أعلام الفكر، رقم : 5.
- ع. الرحمن الدباغ،  
معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح. محمد ماضور، تونس، 1978، ج. 3.
- م. الطيب الدباغ،  
شجرة الأسرة الدباغية، مخطوطة.
- محمد ابن الدراج،  
الإمتاع والانتفاع في مسألة سماع السماع، تح. م. ابن شقرون.
- م. بن محمد الدلائي،  
بغية الراي في العريف بالشيخ أبي عبد الله محمد المكي الدلائي، مخطوط.
- شمس الدين عبد الله الدمشقي،  
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بغداد، 1923.
- بوفلوس الدمناطي،  
مداخلة ندوة الحركة الوطنية، القنيطرة، أبريل، 1998.
- نجيب الدمناطي،  
القول الجامع في تاريخ دمناط وما وقع فيها من الوقائع، مخطوط، خ. ع.
- يوسف دنون،  
قديم وحديث في أصل الخط، مجلة المورد، عدد 4، سنة 1986.
- محمد دنية،  
النسبات الندية من نشر ترجمة أبي العباس أحمد دنية، الرباط، 1355.
- ك. دوفردان،  
مراكش من التأسيس إلى سنة 1912، الرباط، 1959 مترجم جزئياً).
- اوركاديو دي لريا،  
نوبة الصبيان، تطوان، 1956، ص. 29 - 31.
- ويل ديورانت،  
قصة الحضارة (مترجم) القاهرة، 1956.
- عبد النبي ذاكر،  
الرحلة الحجوية إلى الديار الإسبانية، مجلة كلية الآداب أكادير، العدد 7 السنة 1995.
- نقيسة الذهبي،  
اقتفاء الأثر، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1996.
- محمد الرايس،  
الرحلة المرصعة ببديع اللآل في ترحال الشريف سيدي محمد الخمال، مخطوط.
- ابن رزين،  
فضالة الخوان في طببات الطعام والألوان، تح. م. بنشقرون، الرباط، 1981.
- م. ابن رشد الجدي،  
فتاوى ابن رشد، بيروت، 1987.
- م. ابن رشيد،  
إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح، مخطوط.

- أ. الرفاعي، ملء العيبة، تح. محمد الحبيب، بلخوجة، تونس، 1982.
- حلية الكتاب ومنية الطلاب، مخطوط، خ. ع. الرباط، رقم 254، ج. د.  
- الجامعة العربية وقضايا التحرير، ط. 2.
- نجم الدين الأنصاري ابن الرفعة،  
الإيضاح والتبيين في معرفة المكيال والميزان، دمشق، 1980.
- أحمد الرگراكي،  
الشموس المنيرة في أخبار مدينة الصويرة.
- خ. الله الرگراكي السعيدي،  
السيف المسلول على من أنكر على الرجراجيين صحبة الرسول، 1987.
- عبد الله بن محمد الرگراكي،  
السيف المسلول فيمن أنكر على الرگراكيين صحبة الرسول الصويرة، 1987.
- علال رگوگ،  
المحدث التاريخي من خلال النصوص الشفوية : المقاومة وبعض أوجه التاريخ الاجتماعي 1890 - 1956،  
دكتوراة، 1998.
- محمد رمضان،  
الأركة، معلمة المغرب، ج. 1، ص. 324 - 325.
- البغل بالمغرب، معلمة المغرب، ج. 5.
- أندرى روسي،  
طرابلس تحت حكم الإسبان، ص. 58 - 59.
- م. بن الصادق ابن ريسون،  
الاستشفاء من الالم في التلذذ بصاحب العلم، مخطوط، خ. ح. رقم : 3585.
- علي الريسوني،  
أبطال صنعوا التاريخ، تطوان.
- علي الغالي الريسوني،  
مغرب لا يقهر، تطوان، 1992.
- محمد الريفي،  
جواهر السماط في مناقب سيدي عبد الله الخياط، مخطوط.
- محمد بن علي الزبادي،  
سلوك الطريق الوارية في التلميذ والشيخ والزاوية، مخطوط، خ. ع. الرباط، رقم 245 ك.
- أحمد ابن الزبير،  
صلة الصلة، تح. ع. السلام الهراس وسعيد أعراب، فضالة، 1413 / 1993.
- أحمد زروق،  
قواعد التصوف، صححه ونقحه : م. ز. البحار وراجعهم م. فرغلي، بيروت، 1992.
- محمد. الزرهوني،  
رحلة الوافد، الدار البيضاء، 1992.
- أحمد زروال،  
دراسة جيومورفولوجية لدير أطلس مراكش .... الرباط، 1987.
- معروف زريق،  
موسوعة المخطوط العربية وزخارفها، دار المعرفة، دمشق، 1993.
- أحمد زكي،  
في سبيل موسوعة علمية، ط. ج. دار الشرق، 1994.
- ع. القادر زمامة،  
علي بن ميمون الغماري، مجلة الثقافة المغربية، الجزء السادس، 1972.
- محمد الزنادي،  
دوحة البستان، في مناقب الشيخ علي بن عبد الرحمان، مخطوط، خ. ع. 390 د.

- قاسم الزهيري،  
مذكرة عن الدبلوماسية المغربية، أرشيف وزارة الخارجية، مرقون، الرباط.  
ع. الرحمان ابن زيدان،  
الدرر الفاخرة، الرباط، 1356 / 1937.  
اليمن الوافر الوفي في امتداح الجناب اليوسفي، فاس، 1342.  
ع. الزين،  
العلاقات بين المدينة والبادية بحوز الرباط، د. د. ع. في علم الاجتماع، الرباط، 1986.  
يوسف، ابن الزيات التادلي،  
كتاب التشوف، الرباط، تح. أ. التوفيق، 1958 - 1984.  
العزیز سالم وأحمد مختار العبادي،  
تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، 1969.  
محمد السجلماسي وع. الكبير الخطيبي،  
ديوان الخط العربي، 1980.  
العباشي السريوت،  
دار الضمانة، مجلة أبعاد فكرية، ع 2، 1983.  
يحيى السراج،  
فهرست، مخطوط.  
سركيس،  
معجم المطبوعات، مصر، 1928.  
سعد الله،  
تاريخ الجزائر، 2، 438.  
علي ابن سعيد،  
- اختصار القدر المعلى.  
- روايات المرزبن، تح. رضوان الداية، ص. 72.  
ع. الكبير سكيروج،  
الخط المغربي، مجلة الثقافة المغربية، عدد 2، سبتمبر 1947.  
عبد الرحيم ابن سلامة،  
المغرب قبل الاستقلال، الدار البيضاء، 1980.  
رشيد السلامي،  
وثائق مرينية، دراسة وتحقيق، د. د. ع. الرباط، 1989.  
محمد السنوسي،  
السيبل المعين في الطرائق الأربعين، مخطوط، خ. ع. 1521، 85 - 86.  
المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق، مخطوط، خ. ع. 1243، ك 9.  
ابن سهل الاشبيلي،  
ديوان ابن سهل، تح. محمد قويقة، 1985.  
التاودي ابن سودة،  
فهرسة، مخطوط.  
ع. السلام ابن سودة،  
رفع الالتباس، مرقون.  
محمد التاودي ابن سودة،  
زغير قديماً وحديثاً، الجزء الأول.  
عبد الرحمن السيوطي،  
الرحمة في الطب والحكمة، بيروت، د. ت.  
السعيد بن سعيد الخوري الشرتوني،  
أقرب المواد في فصيح العربية والشوارد.

- صالح الشرقي،  
أضواء على الموسيقى المغربية.  
جُلُّ تر المعاني، الدار البيضاء، د. ت.  
محمد ابن شريفة،  
ابن لبال الشريشي، 508 - 582، الدار البيضاء، 1996.
- شرفي،  
خطوط الخط حق عند المشاركة والمغاربة من القرن الرابع إلى القرن العاشر الهجري، الجزائر ...  
ع. الله شقرون وآخرون،  
العربي الدغمي إبداع مغربي أصيل، الرباط، 1996.
- فتيحة الشقيري،  
جوانب من التطور التاريخي للخط المغربي، الدار البيضاء، 1990.
- أ. ابن الأمين الشنقيطي،  
الوسيط في أدباء شنقيط، القاهرة، 1989.
- مصطفى الشهابي،  
معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، لبنان، 1988.
- م. شويكي،  
إنتاج وهيكله المجال الحضري بالدار البيضاء، دكتوراة مرقونة بكلية الآداب، الرباط، 1995.
- محمد الشياظمي،  
ضواحيها - مدينة أزموور و، الرباط، 1987.  
- دكالة، مدن وقبائل المغرب، ج. 10، تر. محمد الشياظمي، مخطوط.
- أ. الشيباني،  
مصابيح البشرية في أبناء خير البرية، ص. 156.
- المهدي الصالحي،  
أعلام درعة، مخطوط.
- م. الصباغ القلعي،  
بستان العارفين الأزهار، مخطوط، خ. ع. 243 د.
- محمد الصديقي،  
إيقاظ السريرة بتاريخ الصورة، الدار البيضاء، د. ت.
- صلاح الدين الصفدي،  
الوافي بالوفيات، بيروت، 1997.
- محمد الصفار،  
رحلة باريس، مخطوط، خ. ع. رقم 113.
- محمد الفاطمي الصقلي،  
النفحة الشمالية العاطرة الأنفاس في الرحلة الخمالية لحاضرة فاس، مخطوط.
- ح. الطاهري،  
تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان، طبعة حجرية - فاس، 1324.
- الطاهر محمد عالوش،  
وثائق عالوش، مخطوطة.
- محمد الصادق عبد اللطيف،  
الخط العربي في المغرب العربي الكبير، المجلة العربية، عدد 85، 1984.
- محمد ابن عبد المنعم،  
الروض المعطار، بيروت، 1957.
- أحمد ابن عبود،  
مكتب المغرب العربي في القاهرة.
- أحمد ابن عجيبة،  
أزهار البستان، مخطوط.

- زين العابدين العراقي،  
فهرسة، مخطوطة.  
الصديق ابن العربي،  
مقدمة فهرس مخطوطات خزانة ابن يوسف براكش، بيروت، 1414 / 1994.  
محمد ابن عرضون،  
مقنع المحتاج في آداب الأزواج، مخطوط.  
محمد عزاوي،  
الغرب الإسلامي من خلال رسائله، ق. 1 (ص. 80 وما بعدها).  
محمد ابن عزوز حكيم،  
- بطل جبال حميد وولد السكات، تطوان، د. ت.  
- كشافه أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى 1900)، تطوان، 1999.  
- لماذا نطالب باسترجاع مدينتي سبتة ومليلية؟ تطوان، 1979.  
- مولاي علي ابن راشد مؤسس شفشاون، تطوان، 1998.  
- ومضات مضيئة عن الحرب الريفية من خلال مذكرات شاهد عيان إسباني، الرباط، 1986.  
العربي العزوزي،  
نشر المحاسن والمآثر لرجال الشاوية المشاهير، مخطوط.  
أحمد عطية،  
القاموس السياسي، بيروت، 1974.  
محمد العلمي،  
عبد الكريم الخطابي، الرباط، 1968.  
مصطفى العلوي،  
الحرب المغربية الفرنسية الإسبانية 1906 - 1936، الرباط، 1994.  
محمد ابن علي الدكالي،  
- الإنحاف الوجيز، تح. م. بوشعراء، الرباط، 1988.  
- إنحاف أشرف الملا، مخطوط.  
محمد العمراني،  
سعد الشموس في مكارم الأخلاق وقمع النفوس، مخطوط.  
ابن فضل الله العمري،  
مسالك الأبصار، الرباط، 1979.  
م. عبد الله عنان،  
لسان الدين بن الخطيب، حياته وتراثه الفكري، القاهرة، 1954.  
م. عودة فاروق،  
بداية ونهاية.  
ابن العوام،  
كتاب الفلاحة، مخطوط.  
محمد بن عبد الكريم العيدوني،  
يتيمة العقود الوسطى، مخطوط.  
محمد ابن عيشون،  
الروض العاطر الأنفاس، تح. ز. النظام، د. د. ع. مرقون.  
أبو سالم العياشي،  
اقتفاء الأثر، تح. نفيسة الذهبي، الرباط، 1996.  
محمد ابن غازي،  
- الروض الهتون، الرباط، 1964.  
أحمد الغرابوي،  
البحث الجغرافي والالتزام السياسي في المغرب، البديل الرباط 1983.



- م. ن. د. الغزي،  
الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تح. ج. س. جور، بيروت، د. ت.
- ع. الكريم غلاب،  
التطور الدستوري والنيابي بالمغرب 1908 ، 1992 - 1993 ، الدار البيضاء.  
محمد خبير فارس،  
تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب، 1912 - 1939 ، دمشق، 1972.
- ع. الحفيظ الفاسي،  
- رياض الجنة، الرباط، 1931، ج. 2.  
- مختصر العروة الوثقى، سلا، 1938.
- علال الفاسي،  
النقد الذاتي، تطوان، د. ت.
- م. العابد الفاسي،  
- الخزانة العلمية بالمغرب، الرباط، 1380 - 1960.  
- فهرس مخطوطات خزنة القرويين، الدار البيضاء، 1400 - 1980.
- محمد الفاسي،  
ابن خيابة، مجلة رسالة المغرب، العدد 4، السنة السادسة، دجنبر 1947.
- إسماعيل أبو الفداء،  
المختصر في أخبار البشر، القاهرة، 1325.
- الفزاري،  
كتاب جغرافية الفزاري، مخطوط.
- حسن الفكيكي،  
- جبال، مجموعة البحث المتعددة الاختصاصات.  
- محمد بن العربي البوگافري، معلمة المغرب، 10 : 3096.
- عبد السلام القادري،  
الدر السني في بعض من بفاس من أهل النسب الحسن، ط. حجر فاس، 1308.
- م. العربي القادري،  
كناشة، مخطوطة.
- محمد القادري،  
التقاط الدر، تح. هاشم العلوي، بيروت، 1981.
- أحمد ابن القاضي،  
المنتقى المقصور، تح. محمد رزوق، الرباط، 1986، جزآن.
- محمد المهدي ابن القاضي،  
النور القوي في ذكر شيخنا المولى عبد الواحد الدباغ وشيخه مولاي العربي الدرقاوي، مخطوط.
- أحمد القسطلاني،  
إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، بولاق، 1276 هـ.
- أحمد ابن قنفذ،  
شرف الطالب / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 2.
- محمد الكانوني،  
- أسفي وما إليه قديما وحديثا.
- محمد الباقر الكتاني،  
ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد، سلا، 1962.
- محمد بن جعفر الكتامي،  
سلوة الأنفاس، ط. حجر فاس، 1300.
- ع. بن عبد العزيز الكرسي،  
- رسالة في تحرير السكك المغربية في القرون الأخيرة، ملحق كتاب النقود المغربية في القرن الثامن عشر.  
- رسالة في تحقيق أوزان النقود بسوس، ملحق بكتاب النقود المغربية في القرن الثامن عشر.

- انسطاس الكرملي،  
النقود العربية والإسلامية وعلم النميات، ط. 2، القاهرة، 1987.
- إيف لاکوست،  
العلامة ابن خلدون، تر. ميشيل سلمان، بيروت، 1974.  
- جريدة لسان المغرب، 14 فبراير 1908.
- ع. لغماري، م. البوطاهري،  
جهة الرباط وسلا زمور زعير، خريطة إقليم الخميسات، مخطوط.  
أحمد اللطفي،  
الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، بيروت، د. ت.  
موريس لومبار،  
الإسلام في مجده الأول، ترجمة إسماعيل العربي، الدار البيضاء، 1990.
- م. مارتين،  
الاستعمار الإسباني في المغرب، 1861 - 1956، باريس، 1973.
- ح. المياكي،  
الري وندرة الماء، مشكل الفلاحة العصرية بحوز مراكش، د. د. ع. الرباط، 1987.
- أحمد متفكر،  
ذيل الإعلام لعباس ابن إبراهيم المراكشي، مخطوط.  
محمد مجدوب،  
- أضواء حول تاريخ المغرب قبل العهد الفنيقي، النشرة الأثرية، ع. 20.  
- دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد، أطروحة مرقونة.  
مجهول (غير مذكور)،  
- الاستبصار في عجائب الأمصار، الدار البيضاء، 1984.  
- استراتيجية تنمية الري في أفق 2000، (وزارة الفلاحة).  
- أعمال ندوة الحركة الوطنية في أفق سنة 2000، كلية الآداب القنيطرة، 1994.  
- أنس العاشق ورياض الحب الوامق، مخطوط.  
- بغية الراوي في مناقب المسناوي، مخطوط.  
- بلغة الأمنية، الرباط، 1984، ص. 24 - 26.  
- تاريخ الدولة السعدية، نج. ج. كولان، الرباط، د. ت.  
- التعريف بنسب الشيخ الإمام سيدي أحمد بن يوسف، مخطوط، نج. ح. 1457 د.  
- تقييد في أسر طنجة، مخطوط.  
- تلخيص الحاوي للفتاوى، مخطوط.  
- جهة دكالة - عبدة، الحوار الوطني حول إعداد التراب، 1999، (وزارة إعداد التراب الوطني).  
- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، الدار البيضاء.  
- دليل تعريف الموارد البحرية الحية في المغرب، روما، 1998 (المنظمة العالمية للتغذية).  
- ديوان في أمداح الشيخ محمد بن أبي بكر الدلاتي، مخطوط.  
- الذخيرة السنية، الرباط، 1972.  
- الرباط، السكان القرويون حسب إحصاء 1971، كتابة الدولة في التخطيط، 1973.  
- الروضة السليمانية، مخطوط، نج. ع. 1275.  
- السدود التلية، الرباط، ماي 1988 (المجلس الأعلى للماء).  
- السكان القرويون حسب إحصاء 1982، المنطقة الوسطى الجنوبية، (وزارة التخطيط).  
- شجرة نسب أسرة الخمال، مخطوطة.  
- شهداء الاستقلال، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.  
- مجموع ظواهر تتعلق بأسرة الخمال، جائزة الحسن الثاني للمخطوطات، 1988.  
- المدونة القانونية للجماعات المحلية بالمغرب، مراكش، 1997، الجريدة الرسمية.  
- مفاخر البربر، نج. ليثي بروقتسال، الرباط، 1934.  
- المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، الرباط، 1911.

- منظومة في أسرة الخصال، مخطوطة خزانة غنون بطنجة.  
- نبد تاريخية في أخبار البربر.  
- ندوة البيعة والخلافة في الإسلام، فضالة، (وزارة الأوقاف).  
- هدية السرور من الملك الخلاق في كرامة أبي القاسم بن عبد الرزاق، مخطوط.  
- وثيقة المطالبة بالاستقلال، 1996، حزب الاستقلال.
- أحمد بن أبي محلي،  
سلسبيل الحقيقة والحق في سبيل الشريعة للمخلق، مخطوط.  
عبد العزيز محمود،  
الخط العربي الأندلسي وتطوره، رسالة نوقشت بجامعة الاسكندرية، كلية الآداب، 1981.  
ميمون المختار،  
وثائق، مخطوطة.  
أ. المريطو،  
المآثر الجليلة في رجوع نسب أولاد العلوي للشعبة الحمودية الإدريسية الحسنية، مخطوط.  
عبد الحق المريني،  
دليل المرأة المغربية.  
محمد المشرقي،  
الخلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية، مخطوط، خ. ع. رقم د. 1463.  
محمد مشيش العلمي،  
القنيطرة مباد المدينة والحركة الوطنية 1913 - 1937، القنيطرة، 1998.  
محمد المصلوحي،  
الأثر الإسلامي في إبداع الخط العربي، بحث للإجازة بكلية الآداب بالرباط، 1985، (بحث مرقون).  
أحمد معنيو،  
ترجمة عبد العزيز الحوات، مرقونة.  
الشيخ المجدد المبدع في فن الملحن، مجلة البحث العلمي، ع. 28، 1977.  
عز الدين المعيار الإدريسي،  
مقدمة نفس الصباح، المحمدية، 1994.  
محمد المغراوي،  
جماعة التبليغ، معلمة المغرب، ج. 6، ص. 2266 - 2268.  
الخط المغربي، الإبداع والتاريخ، (بحث مرقون، 2000).  
محمد المقدسي،  
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، 1957.  
محمد المكلاطي،  
المقامة الزهرية في مدح المكارم البكرية، مخطوط.  
أحمد المكناسي،  
أهم مصادر التاريخ والترجمة في المغرب، تطوان 1963.  
الطيب بن لحبيب الملولي،  
تاريخ درعة، مخطوط.  
صلاح الدين المنجد،  
دراسات في تاريخ الخط العربي، بيروت، 1972.  
دليل الموارد البحرية الحية في المغرب، روما 1998، المنظمة العالمية للتغذية.  
محمد المنوني،  
- دليل القصة الإسماعيلية، مجلة دعوة الحق، ع. 4، سنة 1967.  
- العلوم والآداب والفنون على عهدالموحدين، الرباط، 1977.  
- مكتبة الزاوية الحمزية، مجلة تطوان، ع. 8، 1963.  
- ندوة البيعة والخلافة في الإسلام، فضالة، ج. 2، ص. 543.  
- ورقات من الحضارة المغربية، الرباط، 1979.

- ع. العزيز منير،  
الجهاز الحضري لدير أطلس دمنات، بني ملال، مدن صغيرة في تحول بطيئ، د. د. ع. مرقون، الرباط، 1999.
- محمد ابن الموقت،  
الرحلة المراكشية أو مرآة المساوي الوقتية، الدار البيضاء، د. ت.  
السعادة الأبدية، طبعة حجر فاس، 1910.
- المصطفى مولاي ارشيد،  
طنجة والمساكن الرومانية، مجلة دار النيابة، ع. 10، 1986.
- جعفر الناصري،  
- تقييد في آل ابن خضراء السلويين، مخطوط.  
- ابن الخطيب بسلا، سلا، 1988.
- م. المكي الناصري،  
الروض الزاهر، تح. المهدي الغالي، د. د. ع. كلية الآداب، الرباط، 1999.
- عبد الله نجمي،  
- بين زروق ولوثر الرباط والزوايا، الرباط، 1997.  
- العكاكرة، د. د. ع. مرقون كلية الآداب، الرباط، 1986.  
- الملاماتية، مجلة تاريخ المغرب، السنة الأولى 1981، ع. 1.  
- من تاريخ التصوف المغربي في القرن العاشر الهجري، مخطوط.
- ح. نصار،  
الموسيقى والغناء في ألف ليلة وليلة، منشورات إقرأ، مصر.
- عادل نويهض،  
معجم أعلام الجزائر، بيروت، د. ت.
- محمد الهبتي،  
الألفية السنية، مخطوط.
- أحمد هوزالي،  
التحولات المجالية والاقتصادية وحركة التمدين بالأطلس الكبير المراكشي، د. د. ع. الرباط، 1987.
- جورج هوست،  
تاريخ امبراطور المغرب سيدي محمد بن عبد الله، تح. عبد الرحيم زحل، جريدة العلم، أبريل 1990.
- ابن وحشية،  
الفلاحة النبطية، مصورة مرانكورت.
- علي وزا،  
دراسة جغرافية لوادي دادس، بحث للإجازة، كلية الآداب، الرباط، 1979.
- حسن الوزان الإفريقي،  
وصف إفريقيا، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1980.
- حسن الوزاني،  
دليل الكتاب المغاربة، أعضاء اتحاد كتاب المغرب، الرباط، 1993.
- عبد الله الوزاني،  
الروض المنيف في التعريف بأولاد مولانا عبد الله الشريف، مخطوط.
- أحمد الوكيل،  
مذكرات، مخطوطة.
- محمد اليازغي،  
حدائق الأزهار الندية، مخطوط.
- عبد الوارث البالصوتي،  
المسلك القريب الموصل إلى حضرة الحبيب، مخطوط، خ. ع. 5723.
- الحسن اليوسي،  
فهرسة، مخطوطة.

**Supplément**  
**à**  
**la bibliographie des ouvrages et des articles**  
**cités dans l'encyclopédie**

- ABDESSELAM, A. - *Ibn Khaldun, et ses lecteurs*, Paris, 1983.
- ABDUL WAHAB, H. H. - *Un témoin de la conquête arabe de l'Espagne, R.T.*, 1932.
- ABITBOL, M. - *Le Maroc et le commerce transaharien du 16<sup>e</sup> au 19<sup>e</sup> S.* - *R.O.M.M.*, n° 30, 1980.
- ABRE, R.D. - *Moha ou Hamou chef zaïan* - *F.M.*, n° 81, 1923.
- ADIDI, A. - *Espace minier et formes de croissance : le bassin phosphatier de Khouribga* - Th. 3<sup>e</sup> cycle. Univ. Lyon III : 1986.
- ADMINISTRATION DES EAUX ET FORETS ET DE LA CONSERVATION DES SOLS. - *Etude de l'aménagement des nappes alfatières* - Rabat, 1983.
- AGERON, C.R. - *Politiques coloniales au Maghreb* - Paris, 1973.
- AIT HAMZA, M. - *L'Emigration facteur d'intégration ou de désintégration des régions d'origine* - Rabat, 1988.
- AKHMISSE, M. - *Hommes et choses de Smara* - Rabat, 1987.
- ALARCON, S. M. - GARCIA, L. R. *Los Documentos arabes diplomaticos del Archivo de la Corona* - Madrid, 1940.
- AL AZMEH, A. - *Ibn Khaldun : an essay in interpretation.* - Londres, 1980.
- AL AZMEH, A. - *Ibn Khaldun in modern scholarship.* - Londres, 1981.
- ALAOUI [et al...], - *Salé cité millénaire*, Salé, 1997.
- AL BARRACIN, N. - *El Hayk in la zona atlantica* - *Tamuda*, 2, 1954.
- ALKOUFFE, A. - *Tafilalet : étude de la nappe phréatique de Rissani.* - (Rapport).
- ALLAIN, C. - *Une organisation agricole almohade* - *Hesp.*, 2<sup>e</sup> - 3<sup>e</sup> trim., 1954.
- Antiguos tratados de paces y alianzas entre algunas reyes de Aragon y diferentes principes infieles de Asia y Africa desde et siglo XIII hasta. al XV* - Madrid, 1974.
- Au Maroc avec le Colonel De Castries : exposition commémorative du cinquantenaire de la collection des Sources Inédite de l'Histoire du Maroc.*, 1905-1955 - Rabat, 1955.
- AYDOUN, A. - *Musiques du Maroc.* - Casablanca, 1992.
- BAHIR. - *Le Changement spatial, économique et social dans les communes rurales de la Wilaya de Casablanca.* - Montpellier, 1992.
- BAIDA, J. - *La Presse marocaine d'expression française : des origines à 1956.* - Rabat, 1996.
- BANQUE DU MAROC. - *Caractéristiques des monnaies marocaines en argent frappées entre 1881 - 1920* - Rabat (Ronéot.)
- BARBIER, M. - *Voyages et explorations au Sahara occidental* - Paris, 1985.
- BARTHELEMY, A. - *Tazra, tapis et bijoux de Ouarzazate* - Aix-en-Provence, 1990.
- BELLAKHDAR, J. (et al...). - *Tissint : une oasis du Maroc présaharien* - Rabat, 1992.
- BELLAOUI, A. - *Le Dir septentrional à l'Adrar N'Dern : un espace de transition en pleine mutation in les Régions de piedmont au Maghreb* - *Etudes méditerranéennes*, n° 18, 1994.
- BENABID, A. et CUZIN, F. - *Population de dragonniers au Maroc ; valeurs taxinomique, biogéographique et phytosociologique.* C-R Académie des Sciences de Paris. 1977.
- BEN CHEIKH, J. E. - *La Poétique arabe* - Paris, 1975.
- BENHALIMA, H. - *Sefrou : de la tradition du Dir à l'intégration économique moderne : étude de géographie urbaine.* - Th. 3<sup>e</sup> cycle : Montpellier : 1977.
- BENHIMA, M. - *La Cité de Derb Jdid.* 1959.
- BERNARDO DA CRUZ, Fr. - *Chronica del Rey Don Sabastian* - Lisboa, 1837 - 1903.
- BENASSAR, B. et L. - *Les Chrétiens d'Allah : l'histoire extraordinaire des renégats, 16<sup>e</sup> et 17<sup>e</sup> S.* - Paris,
- BENSLIMANE, J. - *Les Equipements commerciaux de détail à Casablanca : leur rôle dans l'organisation de*

*l'espace*. - Th. 3<sup>e</sup> cycle : Géo : Paris II. 1982.

BERQUE, J. - *Cent vingt-cinq ans de sociologie maghrébine*. - *Annales: E.S.C.*, Juil - Sept 1956.

BERTI, V. - *Les Evenements de Casablanca, 5 Août 1907*. - *France Outre - Mer*, Août - Sept 1953.

BERNARD, A. - *Une nouvelle carte du Maroc* - *Bull. Soc. Géo. Archéo. d'Oran*, T. 17, Fasc. 72, 1907.

BERTRAND, P. Y. - *Les Noms de plantes au Maroc* - Rabat, 1997.

BIDWELL, R. - *Morocco under colonial rule : French administration of tribal rule, 1912 -1956* - London, 1973.

BIREBENT, J. - *Aquae Romanae : recherche d'hydraulique Romaine dans l'est algérien* - Alger, 1962.

BOLOMAC, N. de - BOGROS, D. - *L'Arabe ; premier cheval de sang* - Paris, 1978.

BONJEAN, M. - *L'Epidémiologie du paludisme au Maroc* - Rabat, 1947.

BOSSARD, P. R. - *Mouvements migratoires dans le Rif oriental : le travail en Europe. Aspect contemporain majeurs des migrations dans la province de Nador*. - Th. 3<sup>e</sup> cycle : Montpellier : 1978.

BOSSAVY, M. - *L'Economie montagnarde chez les Aït Seri du Tadla* - *R.G.M.*, n°1, 1939.

BOUASLA, E. - *La Zawiya tunisienne des Doukala : histoire sociale et économique, 18<sup>e</sup> - 20<sup>e</sup> S -H. T.*, Vol. 28, 1990.

BOUBEKRAOUI, M.E.H. - *La Crise des palmeraies de la plaine du Tafilalet*. - Toulouse, 1983.

BOUGIS, P. - *Le Plancton* - Paris, 1977.

BOUHAMIDI, A. - *Le Village des Asphodèles in Littérature de langue française hors de France*, n° hors série.

BOURGUIBA, H. - *La Tunisie et la France* - Paris, 1954.

BRAUDEL, F. *Civilisation matérielle, économique et capitalisme. XV - XVII siècle* - Paris, 1979.

BROCKEL MANN. - *Geschichte der Arabischen Literatur* - Leyde, 1937 - 1949 - 5 vol.

BROWN, K. - *Résistance et nationalisme in Abd-el-Krim et la République du Rif* - Paris, 1973.

CAMPS. FABER, H. - *L'Origine des fibules en Afrique du Nord* - *R.O.M.M.*, n° 13 - 14, 1973.

CANAL, J. - *Les Troubles de la frontière marocaine* - *Bull. Sc. Géo. Archéo d'Oran*, T. 6, Fasc. 29-30, Mars-avril 1886.

CAPAZ, F. - *Caberillas rebeldes de Gomara* - 1949.

CAPDEFERRO, M. - *Historia de Cataluna* - Barcelona, 1967.

CAPMANY Y MONPALAU, A. de - *Memorias sobre la marina, comercio y artes de Barcelona* - Madrid, 1779 - 1792, 4 vol.

CASODO, R. - *Politica marroqui de Carlos III* - Madrid, 1946.

CELERIER, J. - *L'Economie montagnarde dans le Moyen Atlas* - *R.G.M.*, n° 1, 1939.

CELERIER, J. - *Le Maroc* - Paris, 1946.

CELERIER, J. - *La Montagne au Maroc : essai de définition et de classification* - *Hesp.*, 1938.

CENIVAL, P. de - *Le Comte Henry de Castries* - *Hesp.* VII, 3<sup>e</sup> trim. 1927.

CENIVAL, P. de - *La Légende du juif Ibn Mechaal et la fête du Sultan des Tolba à Fès* - *Hesp.*, 2<sup>e</sup> - 3<sup>e</sup> trim. 1954.

CHAMPION, M. - *Les Finances publiques au Maroc* - Rabat, 1961.

CHATINIERES, P. - *Dans le Grand Atlas*. Paris, 1919.

CHEDDADI, A. - *Ibn Khaldun revisité* - Casablanca, 1999.

CHEVALIER, J - GHEERBRAN, A. - *Dictionnaire des symboles* - Paris, 1974.

CHICHE, J. - *Contibution à l'étude de l'élevage dans le sud - est marocain, in Actes du colloque international : intégration économique des provinces sahariennes et développement national, Rabat, 9-10 Juillet 1984*. - Casablanca.

CHOUIKI, M. - *Système de santé et inégalités socio - spatiales à Casablanca* - *R.G.M.*, vol. 13, n° 1, 1989.

C.I.F.M. - *Etude sur les populations habitants dans les cités construites par la Compagnie Immobilière Franco - Marocaine* - Casablanca, 8 Oct. 1950.

CLEMENT, J.F. - *Tanger avant le statut international* - *Horizons maghrébines*, n° 31 - 32, 1996.

COLIN, G.S. - *Des juifs nomades retrouvés dans le Sahara marocain au 16<sup>e</sup> S.*, in *Mélanges d'études 'uso marocaines* - Lisbonne - Paris, 1945.

COLIN, G. S. - *Fès, port de mer* - *B.E.P.M* n°, 183, 1945.

- CONJEAUD, M.H.G. - *Histoire militaire de la Chaouia depuis 1894* - Casablanca, [s.d].
- CROIZARD, M - GALANTE, P. - *Les Hommes bleus au Maroc* - Paris, 1956.
- CUBELLS, M. - *Documentos diplomaticos aragoneses. Revue Hispanique*, 37, 1916.
- DALCHE, G, [el al ...] - *Villes et montagnes marocaines* - Rabat, 1964.
- DAOUD, Z - *Amine Demnati - Lamatif*, n° 18, mars 1968.
- DARMON, J. P. - *Nymphorum Domus : les pavements de la maison des Nymphes à Neapolis et leur lecture.* Leiden, 1980.
- DAWOOD, N.J. - *Ibn Khaldun : The Muqaddimah.* - Londres, 1967.
- DE GAULLE, Ch. - *Mémoires de guerre* - Paris, 1958 - 1959.
- De Gaulle et le Maroc*, textes recueillis par M. Sehimi - Paris - Rabat, 1990.
- De Gaulle et le Tiers-Monde* - Paris, 1984.
- DENOUN, D. - *Notice sur la tribu arabe saharienne des Aribis* - [s.l], 1929.
- DESNOTTES, J - CELERIER, J. - *La Vallée de Debdou.* - *La Géographie.* vol. 50.
- DESPOIS, J. - *L'Utilisation du sol dans les montagnes du Maghreb.* - *Acta Geographica*, 2è - 3è Trim. 1963.
- DEVERDUN, G. - *Glaoua - E.I*, 2.
- DEVILLETTE, J. - *Bijoux - E.B*, vol. 10.
- Diccionario enciclopedico Salvat* - Madrid, 1920.
- DIEZ, E. - *L'Art de l'Islam.* - Paris, [s.d].
- DOGHMI, M. - *Le Rôle de la Banque du Maroc dans le système monétaire et bancaire* - 1966.
- DOTOUT, O. - *Extension saharienne du type Mechta - Afalou.* - *Cah. ORSTOM. (Géo)*, 14, 2, 1984.
- DOULS, C. - *Voyages d'exploration à travers le Sahara occidental* - *Bull. Soc. Géo*, 3è trim. 1888.
- DOUTTE, E. - *Les Djebals du Maroc d'après les travaux de M.A. Mouliéras* - Oran, 1899.
- DOUTTE, E. - *Enquête sur la dispersion de la langue berbère en Algérie* - Alger, 1913.
- DOUTTE, E. - *L'Islam algérien en l'an 1900* - Alger, 1900.
- DOUTTE, E. - *Magie et religion dans l'Afrique du Nord* - Alger, 1909.
- DOUTTE, E. - *Marrakech* - Paris, 1905.
- DOUTTE, E. - *Notes sur l'Islam maghrebin : les Marabouts* - Paris, 1900.
- DOZY, R - ENGELMANN, W. H. - *Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de l'arabe* - Beyrouth, 1974.
- Dubdu - E. I*, vol. 2.
- DUFOURCQ, Ch. E. - *Catalogue chronologique et analytique du registre 1389 de la chancellerie de la couronne d'Aragon intitulé Guerre Sarracenorum 1367 - 1386.* in *Miscelanea de textos Medievales* - Barcelone, 1974.
- DUFOURCQ, Ch. E. - *L'Espagne catalane et le Maghrib aux 13è et 14è siècles* - Paris, 1966.
- DUFOURCQ, Ch. E. - *La Question de Ceuta au 13è siècle- Hesp.* 1er 2è trim. 1955.
- DUFOURCQ, Ch. E. - *Vers la Méditerranée orientale et l'Afrique*, in *Xe Congreso de Historia de la Corona de Aragon* - Zaragoza, 1976.
- ECOCHARD, M. - *Casablanca : le roman d'une ville* - Paris, 1955.
- EDDIANI, [et al...]. - *Evaluation économique à posteriori des petits barrages réalisés entre 1984 et 1986* - Rabat, 1988.
- EL GHALAMI, M. - *Planification urbaine et actions économiques des collectivités locales* - Mem. INAV : Rabat, 1998.
- EL GHARBAOUI, A - *Cartographies et géographes arabo-musulmans aux temps de leurs splendeurs* - *Rev. Esp. Geo. et Soc. Ma.* , 1999.
- EL HAJRAOUI, M.A. - *L'Industrie osseuse artérienne de la grotte d'El Mnasra ( région de Temara, Maroc)* - Tours, 1994.
- EL HARRADJI, A. - *Le Massif de Debdou : étude géodémographique* - Th. 3è cycle : Paris I : Géo : 1985.
- EL HARRADJI, A. - *Structure géologique et évolution géomorphologique du Massif de Debdou, Maroc oriental* - *R.G.M.* 1996.
- ELKHIATI, N. - *Biotypologie et biogéographie des charophycées du Maroc.* - *Doct d'Etat : Fac. Sc : Marrakech* : 1995.

- EL KRARI, J. - *Le Sciage du cèdre au Maroc : étude technico - économique* - Mem. 3<sup>e</sup> cycle : INAV : Rabat : 1989.
- EL MOUNTASSER, A. - *La Croissance urbaine de Casablanca : étude des facteurs économiques et psychosociologiques*. - Th. 3<sup>e</sup> cycle : Paris VIII : 1980.
- EMBERGER, L. - *Les Arbres du Maroc et comment les reconnaître* - Paris, 1938.
- EUSTACHE, D. - *Corpus des dirhams idrisites et contemporains*. - Rabat, 1970.
- EUSTACHE, D. - *Histoire de la monnaie arabe et sa métrologie* - Rabat, 1970 - (Ronéot).
- EUZENNAT, M. - *Remarques sur la description de la Maurétanie Tingitane dans Pline* - *Antiquités africaines*, 25, 1989.
- EUZENNAT, M. - *Volubilis : nouveaux documents* - *B.A.M.*, 2.
- FABIEN, F. - *Le Maroc au bout de ma seringue* - Rabat, 1988.
- FAMCHON, Y. - *Le Maroc d'Algésiras à la souveraineté économique* - Paris, 1957.
- FARAJ, A. - *Contribution à une étude quantitative et qualitative des protéines de l'agarophyte *Gélidium sesginpedale** - Doct. 3<sup>e</sup> cycle : Fac. Sc : Rabat : 1987.
- FEREMBACH, D. - *Les Cromagnoides de l'Afrique du Nord, l'Homme de Cromagnon* - Paris, 1970.
- FEREMBACH, D. - *Diagrammes craniens sagittaux et mensurations individuelles des squelettes ibéromaurusiens de Taforalt* - Paris, 1965.
- FERHAT, H. - *Sabta : des origines au XIV<sup>e</sup> siècle* - Rabat, 1993.
- FISCHEL, W. J. - *Ibn Khaldun and Tamerlane : their historic meeting in Damascus 1401 AD = 803 HA* - Los Angeles, 1952.
- FISCHEL, W. J. - *Ibn Khaldun in Egypt 1382 - 1406 : his public functions and his historical research* - Berkeley, 1967.
- FRANCHI CONSETAGGIO, J. - *L'union du royaume de Portugal à la Couronne de Castille* - *S. I.H.M, France*, pp. 506 -570.
- FROIDEVAUX, H. - *Henry de la Croix, Comte de Castries* - *Larousse, mensuel illustré*, T. 7, n° 249, Nov. 1927.
- GARCIA, L. R. - *Cronica de Don Pedro IV de Aragon*, - Toulouse, 1942.
- GATINEAU, L. - *Notes sur le montage d'une cure à indigo* - *C.A.T.A.N.*, n° 5, 1959.
- GAUDIO, A. - *Fès joyau de la civilisation islamique* - Paris, 1982.
- GAUTIER, E. F. - *Medinat -ou- Daï - Hesp.*, 1926.
- GAUTIER, E. F. - *Le Sahara* - Paris, 1950.
- GAYRAL, P. - *Algues de la côte atlantique marocaine* - *La Nature au Maroc*, n° 2, 1958.
- GAZULLA, F. - *Jaime I y los estados musulmanos* - Barcelona, 1919.
- GAZULLA, F. - *Livre del feyts : Cronica de Don Jaime I* - Barcelona, 1926.
- GELLNER, E. - *Muslim society* - Cambridge, 1981.
- GENTIL, L. - *Dans le bled Essiba* - Paris, 1906.
- GIBB, H. A. R. - *Islamic background of Ibn Khaldun's political theory* - *BSOAS*, VII, 1933 - 1935.
- GIBB, H. A. R. - *Studies on the Civilisation of Islam* - Londres, 1962.
- GOICHON, A. M. - *La Vie féminine au Mzab*. Paris, 1927.
- GOUDINEAU, Ch. - *La Céramique arétine lisse : fouille de l'École Française de Rome*. - Paris, 1968.
- GOULVEN, J. - *La Place de Mazagan sous la domination portugaise* - Paris, 1917.
- GRAS, M. - *La Mémoire de Lixus : de la fondation de Lixus aux premiers rapports entre Grecs et Phéniciens* - Rome, 1992.
- GRAND, R. - *La Grèce et l'Orient* - Paris, 1964.
- GUENNOUN, S. - *Les Voix des monts : mœurs de guerre berbères* - Rabat, 1934.
- HADDADOU, M. A. - *Guide de la culture et de la langue berbères* - Alger, [s.d].
- HAJOUI, M. O. - *Histoire diplomatique du Maroc, 1900 - 1912* - Paris, 1938.
- HAKAM, A. - *La Cartographie au Maroc. Le Topographe*, n° 4, Mars 1984.
- HAMDOUCH, B. - *Spécialisation subie et sous-développement au Maroc* - Casablanca, 1983.
- HART, D. - *De Ripublik à République* - in *Abd-el- Krim et la République du Rif*. - Paris, 1973.



- HARTL, E. - EDWARD, Y. - *Races et types de chevaux* - Paris, 1977.
- HAULOTTE, E. - *Symbolique des vêtements*. Paris, 1964.
- HENINGER, R. - *Notes sur l'Akhmif* - C. A. T. A. N, n° 7, 1974.
- HERBER, J. - *Les Hmadcha et les Dghoughiyyin* ; *Hesp*, T. III, 1923, 2° trim. ,
- HEROUARD, E. - *Holothuris de la côte atlantique du Maroc et de Mauritanie* - *Bull. Soc. Sc. Nat. Phys. Maroc* - Rabat, 1929.
- HIRSCHBERG, H. - *A history of the jews in North Africa* - 2° ed. - Leiden, 1974.
- HMAM, M. - *La Cartographie au Maroc : situation et perspective* - *Topographe et foncier*, n° 2, Juillet 1992.
- HNAKA, A. - *Taroudant et Ouled Taïma, bipôle urbain du Souss* - Agadir, 1995.
- HOLSTEAD, J. P. - *Reviath of Nation : the origins and rise of moroccan nationalism, 1912 - 1944* - Harvard, 1967.
- IBN KHALDOUN. - *Discours sur l'histoire universelle*, Trad. V. Monteil - Beyrouth, 1967 - 3 vol.
- IBN KHALDOUN. - *Histoire des Berbères et des dynasties musulmanes de l'Afrique Septentrionale* - Paris, 1852 - 4 vol.
- IBN KHALDOUN. - *Peuples et nations du monde, extraits des 'Ibar*, Trad. A. Cheddadi - Paris, 1986 - 2 vol.
- IBN KHALDOUN. - *Les Prolégomènes*, trad. en français et comment. De Slane. - *Notices et extraits*, vol. 19 - 21, 1862 - 1868.
- IBN KHALDOUN. - *Le Voyage d'Occident et d'Orient : autobiographie*, Trad. A. Cheddadi. - Paris, 1980.
- AI - IDRISSE, *le Maghreb au 6° siècle de l'Hégire*. Traduction M. Sadok - Paris, 1983.
- L'industrie du tannage des peaux au Tafilalet* - *B. E. M*, vol. 3, 1936.
- JACQUETON, G. - *Henry de Castries et son oeuvre* - Paris, 1917.
- JODIN, A. - *Les gravures rupestres du Yagour (Haut - Atlas) : Analyse stylistique et thématique*. *B. A. M, T. V*
- JOLY, F. - *Place des pays de piémont dans la vie économique et humaine du Maroc*. - *Notes marocaines*, n° 13, 1960.
- JOLY, F. - *Les Régions géographiques du Maroc* - *I.G*, n° 2, 1950.
- JOLY, F - MARGAT, I. - *Remarques sur les bassins hydrauliques du Ziz et du Ghriss* - Rabat,
- JOUMADY, K. - *Casablanca : métropole économique du Maroc* - *Doct. : Bordeaux III* : 1988.
- JULIEN, C. A. - *L'Afrique du Nord en marche : nationalismes musulmans et souveraineté française* - Paris, 1952.
- KAIKAI, I. M. - *Le Commerce des bois tropicaux au Maroc, evolution et perspective* - *Mem. 3è cycle : Ecole Nationale Forrestière d'Ingénieur : Salé* : 1995.
- KATAN, Y. - *Oujda. une ville frontière du Maroc* - Paris, 1990.
- KERBOUT, M. - *L'Eau dans le Dir de l'irrigation sociale à l'irrigation économique, la pénurie, ses conséquences et les stratégies d'adaptation*, in *Les Régions de piémont au Maghreb. - Etudes méditerranéennes*. n° 18, 1994.
- KERBOUT, M. - *Originalité des zones de piémont : le cas du Dir du Moyen Atlas* - *G. E. M : géographie humaine* - Rabat, 1987.
- KERBOUT, M. - *Les Périmètres irrigués du Dir moyen atlasique septentrional d'Agouraï à Al Manzal : étude géographique*. *Th. 3 è cycle : Tours* : 1981.
- KIDD, J. - *L'Elevage des chevaux et des poneys* - Paris, 1977.
- KIDOU, B. - *Contribution à l'étude démographique de la population urbaine du Grand Agadir*. - *Th. Doct. : Lille* : 1994.
- KOUADRI, M - RICARD, P. - *Procédés marocains de teintures des laines* - Rabat, 1938.
- LABICA, G. - *Politique et religion chez Ibn Khaldun* - Alger, 1968.
- LA CHAPELLE, F. de - *Le Sultan Moulay Ismaïl* - *A.M*, 1927.
- LACOUTURE, J. - *Cinq hommes et la France* - Paris, 1961.
- LADREIT DE LA CHARRIERE. - *Les Procédés d'irrigation dans la plaine du Haouz de Marrakech* - *La Nature*, n° 1149, 1910.
- LAGDIM SOUSSI, My B. - *Les Activités artisanales à Marrakech et leurs retombées économiques : étude géographique*. - *Tours*, 1984.
- LASQUETTI. - *Episodios de la campana del Lucus* - Tetuan, 1929.

- LAVOIX, H. - *Catalogues de monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale* - Paris, 1891.
- LAWRENCE, B. B. - *Ibn Khaldun and Islamic ideology* - Leyde, 1984.
- LEBOUTEUX, A. - *Regards sur le passé* - Paris, 1974.
- LEMOINE, P. - *Le Royaume de Marrakech*. - Bull. Soc. Géo, Juil. 1905.
- LEMPRIERE, G. - *Voyage dans l'Empire de Maroc* - Paris, 1801.
- LE TOURNEAU, R - PAYE, L. - *La Corporation des tanneurs et l'industrie de la tannerie à Fès* - Hesp. vol. 20, fasc 2, 1935.
- LE TOURNEAU, R. - *La Vie quotidienne à Fès* - Paris, 1965.
- LOMBARD, M. - *Arsenaux et bois de marine dans la Méditerranée musulmane, 7è - 11è S. in Le navire et l'économie maritime du Moyen Age au 18è S.*, Travaux du 2è colloque int. d'hist. marit. - Paris, 1958.
- LOZE, M. - *Les Finances de l'Etat*. - Rabat, 1971.
- LOURIDO DIAZ, R. - *En torno al ensanche de limites de Ceuta en 1782* - H.T, 1982.
- LOURIDO DIAZ, R. - *Los Misioneros franciscanos y su participacion en el tratado de paz hispano marroqui de 1767* - Archivo Ibero - Americano, 133, 1974.
- LYAUTEY, H. - *Lyautey l'Africain*. - Paris, 1953 - 57, 4 vol.
- MAHDI, M. - *Ibn Khaldun's philosophy of history* - Londres, 1957.
- MAJDOUB, M. - *La Lutttes du début du 1er siècle Av. J. C au nord de la Maurétanie*- Rome, 1992.
- MARAINI, T. - *Ecrit sur l'art* - Rabat, 1990.
- MARTINI, J. - *Les Potentialités agro - pastorales du Moyen Atlas Central : première approche cartographique* - RGM. vol. 20, n° 1 - 2, 1986.
- MASSIGNON, L. - *Tarika - E. I*, 1987.
- MATEU Y LLOPIS, F. - *Nota para estudio de los origines del sistema monetario espanol - numisma*, année 14, n° 67, Marzo - Abril 1964.
- MAS-LATRIE, L. DE - *Traités de paix et de commerce concernant les relation des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentionale au Moyen-Age* . - Paris, 1866.
- MAUNY, R. - *Autour de la répartition des chars rupestres du Nord - Ouest africain* - in Congrès panafricain de préhistoire, Actes de la 2è session - Alger, 1952.
- MC CARTHY. - *Africa antiqua : lexique de géographie comparée de l'ancienne Afrique* - R. A, 1887.
- MEDIANO, F. R. - *Familias de Fez* - Madrid, 1995.
- MENIOUI, M. - *Diversité biologique de la faune marine du Maroc* - 1997.
- MENIOUI, M. - *Peuplements infralittoraux superficiels des côtes atlantoméditerranéennes du Maroc : étude faunistique, écologique et biogéographique* - Th. : Sc. : Rabat.
- MERCANTON, J - ROUGET, B. - *Maroc : terre et ciel*. - Lausanne, 1954.
- MICAUD, E. Ch. - *Arabs and berbers : from tribe to nation in North Africa* - London, 1973.
- MICHAUX - BELLAIRE, E. - *Les Crises monétaires au Maroc* - R. M. M., vol. 38, mars 1920.
- MICHAUX - BELLAIRE, E. - *L'Organisation des finances au Maroc* - A.M, vol. 11, 1905.
- MIEGE, J. L. - HUGUES, E. - *Les Européens à Casablanca au 19è S, 1856 - 1906*, Paris, 1954.
- MIEGE, J. L. - *Les Origines du développement de Casablanca au 19è S.* - Hesp. 1953.
- MIEGEVILLE, Dr - *La Situation économique de la région de Béni Mellal*. - R.G.M, 4, 1927.
- MINER, H. - *Le Déclin des corporations de Fès*, B.E.S.M, Vol - 3, n° 109, Avril - juin 1968.
- MINISTERE DES PECHEES MARITIMES. - *La Mer en chiffres : synthèse 1995* - Rabat, 1995.
- Monographie de la province de Khouribga* - Khouribga, 1994.
- MOSQUETERO, R, [el al ....]. - *Moluscos de la ria de Vigo II* - Rev. de Ciencia del Mar, 1990.
- MOULAY RCHID, M. - *Le Maroc septentional selon Claude Ptolémée* - R. G. M, 3, 1979.
- M'RABET, K. - *Peinture et identité, l'expérience marocaine* - Paris, 1987.
- NACIRI, M. - *Déterminants et contextes de la production du savoir géographique au Maroc de la fin du 19e au milieu du 20e siècle*, in la recherche géographique sur le Maroc, Rabat, 1989.
- NASSAR, N. - *La pensée réaliste d'Ibn Khaldun*, Paris, 1967.
- NIETO, L. de. - *Relación de las guerras de Berberia y del sucesso y muerta del Rey Don Sebastian* - Codoin, vol. 100.

- NOIN, D. - *Casablanca - La Documentation Française*, n° 3797, 3798, 1971.
- NOLLY, E. - *Gens de guerre au Maroc*.
- OJEDA, L. - *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian - S.I.H.M., France I*.
- O.R.M.V.A.H. - *Les Ressources naturelles et la mise en valeur actuelle de la plaine du Haouz R.G.M.*, n° 17, 1970.
- O.R.T. - *La Filière bois au Maroc : étude de la production et la commercialisation du bois et des produits dérivés - Projet Gharb Mamora*, 1992.
- OUMLIL, A. - *L'Histoire et son discours : essai sur la méthodologie d'Ibn Khaldun* - Rabat, 1979.
- OVED, G. - *La Gauche française et le nationalisme marocain* - Paris, 1984, 2 vol.
- PALACIO ATARD, V. - *Primeras negociaciones entre España y Marruecos en 1765* - *Hispania*, 11, 1951.
- PALLARY, P. - *Classification générique des mollusques terrestres et d'eau douce de la Berberie* - *Journal Conchyl*, n° 83, 1939.
- PALEOLOGUE, M. - *Un grand tournant de la politique mondiale, 1904 - 1905* - Paris.
- PERETIE, M. A. - *Les Médersas de Fès*, - *A.M.*, vol. 18, 1912.
- PEREZ, L. - *La Corona de Aragon y el Maghreb en el siglo 14, 1331 - 1410* - Barcelona, 1955.
- PEREZ, R. - *Ibn Khaldun : la voie et la loi ou le maître et le juriste* - Paris, 1991.
- PEYRONNET, R. - *Livre d'or des officiers des affaires indigènes* - Alger, 1930.
- PICHON, J. - *El Herri* - Paris, 1936.
- PLANHOL, X. de - *Caractères généraux de la vie montagnarde dans le Proche - Orient et dans l'Afrique du Nord* - *A. G.*, vol. 71, n° 384, 1962.
- PLOQUIN, Ph. - PEURIOT, F. - *Les Chevaux du Royaume*. - Paris, 1990.
- PONSICH, M. - *Exploitation agricoles romaines de la région de Tanger* - *B. A. M.*, V, 1964.
- PONSICH, M. - *Le Musée Michaux - Bellaire à Tanger* - *B. A. M.*, IV, 1960.
- POUE - CHANTAIL, R. - *Biologie animale : zoologie invertebrata*. Paris, 1962.
- PROST, H. - *Le Plan de Casablanca* - *F. M.*, n° 8, 1911.
- RAGGABI, A. - *Promotion immobilière et production de logement en milieu urbain : cas de l'opération Dar Dmana* - Mem. INAV : Rabat : 1985.
- RAMDANI, M. - ELKHIATI, N. - *FLore et faune marines du Maroc, biodiversité, biogéographie* - Expo 96. Lisbonne - Rabat, 1998.
- RAMDAN, M - DAKKI, M - KHARBOUA, M, [et al...] - *Les Gasteropodes dulcicoles du Maroc, inventaire commenté*. - *Bull Inst. Sc.*, n° 11, 1987.
- RAYNAUD, L. - *Etudes sur l'hygiène et la médecine du Maroc*. - Alger, 1902.
- REBUFFAT, R. - *Recherches sur le Bassin de Sebou. 2 : Le périple d'Hannon*. - *B. A. M.*, 16, 1985 - 1986.
- RENAUD, H. P. J. - *Trois études d'histoire de la médecine arabe en Occident* - *Hesp*, vol. XII, fasc.2, 1931.
- Répertoire alphabétique des tribus et confédérations du Maroc*, - Rabat, 1939.
- REZETTE, R. - *Les Partis politiques marocains* - Paris, 1955.
- REVOIL, P. - *Journal tenu pendant la conférence d'Algésiras, 12 janvier - 9 avril 1906* - Paris, 1939.
- RIVET, D. - *Commandement français et ses réactions vis - à - vis du mouvement rifain, 1924 - 1926* - in *Abd-el-Krim et la République du Rif* - Paris, 1973.
- ROBLES, R. - *Implantation humaine dans le Dir de Béni Mellal* - *R. G. M.* n° 8, 1965.
- ROSENTHAL, F. - *Ibn Khaldun : the Muqadimah an introduction to history* - Princeton, 1958 - 3 vol.
- ROUGET, B. - *Voyages à travers l'histoire du Maroc* - Casablanca, 1958
- ROUX E. J. - *Le Cheval barbe*. - Alger, 1987.
- ROY, A. - *La Laine* - Paris, 1946.
- RUMEN DE ARMAS, *Espana en el - Africa atlantica* - Madrid, 1957. ,
- SALAS, J. de - *Marina espanola de la edad media*, 2è éd. - Madrid, 1925 - 1927.
- SALAVERT Y RACA, V. - *La Corona de Aragon en el mundo mediterraneo del siglo 14* - Valencia, 1967.
- SALMON, G. - *Notes sur Salé* - *A. M.*, III, 1905.
- SANS BARTHELONY. - *L'égende marocaine au sujet de Dar el Beida, nom arabe de Casablanca*. - *Bull. Trim. Soc. Géo. d'Archéol. d'Oran*, vol. 45, 1925.

- SAULNIER, J. - *Beni Mellal* - BSGM, N° 2, 1916.
- SCHMITT, P. - *La plus ancienne carte géographique du Maroc* - B. A. M., II, 1977 - 78.
- SEBAULT, P. L. - *Les Amitiés africaines et les Diar el Askri du Maroc*. - C. H. E. A. M, N° 717.
- SERIEYX, Col. - *L'Oeuvre des amitiés africaines* - Nlle Rev. Franç. d'Outre - Mer, n° 6, Juin 1955.
- SIDBON, B. B. - *La Question monétaire au Maroc* - Paris, 1921.
- SIJILMASSI, M. - *L'art contemporain au Maroc* - Paris, 1989
- SJOSTROM, E. - *Wood Chemistry : fundamentals and applications* - London, 1981.
- SLANE, W. M. de - *Autobiographie d'Ibn Khaldoun* - J. A, 4è série, III, 1844.
- SLANE, W. M. de - *Autobiographie d'Ibn Khaldoun* - in *Notices et extraits*, vol. 19, 1863.
- SLOUSCH. - *Les Juifs de Debdou* - R. M. M, 1913.
- SOLER, G. - *La Corona de Aragon y Granada* - Boletín de la Real Academia de Buenas Letras de Barcelona, T. 3, 1905 - 1907.
- SOURDON, - *Le Marocain, son âme et sa ville* - Paris, [s. d]
- SPILLMANN, G. - *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Draa*. - Rabat, 1936.
- STEWEST, CH. F. - *The Economy of Morocco 1912 - 1962* - Harvard, 1964.
- STOUKY, A. - *Un pro de la diplomatie*, *Le Matin du Sahara*, 28 - 8 - 2000.
- SWEARINGEN, W. D. - *Moroccan mirages, 1912 - 1986* - Princeton, 1987.
- TAG, B. - *Les Hauts Plateaux du Maroc oriental : la destruction du nomadisme et ses conséquences* - *Revue Fac. Lettre de Fès*, N. S, n° 1, 1985, Départ. Géo.
- TAIEB, M. - *L'Industrie de la chaussure au Maroc* - Rabat, 1961.
- TALBI, M. - *Ibn Khaldun et l'histoire* - Tunis, 1973.
- TARDIEU, G. - *La Conférence d'Algésiras : histoire diplomatique de la crise marocaine* - Paris, 1907.
- TARRIOT - *Monographie de Casablanca de 1907 à 1914* - Casablanca, 1924.
- TAXONERA, L. de - *El Duque de Ripperda* - Madrid, 1945.
- TAYLOR, A. J. P. - *La Conférence d'Algésiras* - *Rev. Historique*, T. 208, 1, oct. déc. 1952.
- TILLON, G. - *Le Harem et les cousins* - Paris, 1966.
- TISSOT, Ch. - *Itinéraire de Tanger à Rabat* - *Bull. Soc. Géogr.* (Paris), 1876.
- TISSOT, Ch. - *Sur les monuments mégalithiques et les populations blondes du Maroc* - *Rev. anthropol.* V, 1876.
- TOUTAIN, J. - *Cultes païens dans l'empire romain*.
- TRIMINGHAM, J. S. - *The Sufi order in Islam* - London, 1971.
- TROUSSET, P. - *L'Image de nomade saharien dans l'historiographie antique* - *Bull. de l'équipe d'écologie et d'anthropologie des sociétés pastorales*. CNRS, n° 10, 1982.
- TROUSSI, De. - *Les Rhétaras de Marrakech* - F.M., 1919.
- TROUT, F.E. - *Morocco saharian frontiers* - Genève, 1969.
- VIDALENC, G. - *L'Art marocain* - Paris, 1925.
- WEISGERBER, F. - *Contribution à l'histoire de la cartographie marocaine* - R.G.M., vol. 7, Fasc. 7, 1928.
- WESTER MARCK, E. - *Histoire du mariage* - Paris, [s.d.].
- WINKLER, J.R. - *Coléoptères : atlas illustré* - 2e éd. - Paris, 1973.
- WOOL MAN, D. S. - *Rebels in the Rif : Abdelkrim and the rebellion* - London, 1968.
- YATA, A. - *Presse démocratique au Maroc : bilan et difficultés* - Casablanca, [s.d.].
- YVERT, B. - *Dictionnaires des Ministres, 1789 - 1989* - Paris, 1990.
- ZURITA, J. de. - *Anales de la Corona de Aragon* - Zaragoza, 1669



**الحسن الثاني (1929-1999)\*)، ملك المغرب الراحل**  
 طبيب الله ثراه، امتد عهده من 1961 إلى 1999، وذاع صيته  
 وطأطأت له الرقاب داخل البلاد وخارجها بما جيل عليه من  
 سامي الخصال وخلف من كبير المنجزات. كان من أعظم  
 ملوك المغرب إن لم يكن أعظمهم، بما أتى له من ممارسة  
 السلطان في أشكاله الإمامية الموروثة عن المخزن التقليدي،  
 وفي أشكاله الإدارية العصرية المقتبسة من نظام الحماية  
 الأجنبية. فهو الذي جدد للدولة المغربية هيبته وشبابها،  
 ممكنا إياها من أدوات التدبير العصري ومحتفظا لها  
 بالركائز العتيقة التي أقيمت عليها منذ أقدم العصور.  
 وككل من نشأ يستعد للأمانة الكبرى، فإن حياته تنقسم  
 إلى المرحلة التي كان فيها يتمرن على المسؤولية، وتمتد من  
 يوم مولده إلى وفاة والده المنعم محمد الخامس سنة 1961،  
 والمرحلة التي تحمل فيها عبء الملك، ودامت ثمانا وثلاثين  
 سنة، فلم يتقدم عليه من حيث طول الملك إلا جده الأكبر  
 المولى إسماعيل.

1 - مرحلة ولاية العهد

تنقسم هذه المرحلة بدورها إلى ثلاث مراحل، مرحلة  
 النشأة الأولى التي تجلّى فيها ما جيل عليه من النبوغ،  
 والمرحلة الثانية التي وقف فيها إلى جانب والده مناضلا في  
 معركة الانعتاق من الحجر الاستعماري، والمرحلة الثالثة  
 التي تحمل فيها أعباء ولاية العهد وكان فيها أول مساعد  
 لوالده في ترتيب شؤون المغرب المستقل.

أ - النشأة الأولى وأمارات النبوغ (1929 - 1942)

ولد الحسن الثاني يوم الثلاثاء فاتح صفر 1348 / 9  
 يوليوز 1929، من والده الملك المقدس محمد الخامس، ومن  
 والدته السيدة عيلة. نشأ نشأة الأمراء العظام المتشبعين  
 بروح المسؤولية والحلم والهمة العالية. وترعى على رموز  
 الملك ومعاني الشرف الذي هو من الإشراف، تحت أنظار  
 والده الذي سهر بكل ما أوتي من حنان وإحساس بروح  
 الأمانة الكبرى على نشأة فلذة كبده وخليفته، حيث توسم

(\* مكانه بعد الحسن الأول (10 : 3426) لكن استدركناه هنا على  
 أن يرتب أبجدياً في طبعة قادمة.

فيه باكرا خير من يتلقى عنه وخير من يرث السر. وقد تجلّى  
 في الأمير منذ نعومة أظفاره ما لا يكون إلا في الأقداد.  
 فإنه كان شعلة من الذكاء والتيقظ، جبار الذاكرة، بليغا  
 فصيح اللسان، تجتمع فيه محاسن المنطق والبيان. كما أنه  
 جبل على حب الوطن وعلى الغيرة عليه والنفور من كل ما  
 يمس بكرامته. وإن مولده يواكب مولد الحركة الوطنية  
 المغربية التي التحمت صفوفها حول عاهل البلاد وحول  
 الأمير المولى الحسن الذي أطلقت عليه اسم أمير الأطلس  
 سنة 1934، تشوقا لما يعد له من المسؤولية في المستقبل.  
 وقد صار يقف منذ تلك السنوات الأولى من عمره إلى  
 جانب والده في المناسبات الرمزية الكبرى، ويبدو للجمهور،

وتنشر الصحافة صورته عبر البلاد كلها، فأحبه المغاربة مثلما كانوا يحبون والده الهمام.

ب - مرحلة النضال من أجل الاستقلال (1942-1955)

إن النشأة في أحضان الملك مدرسة في حد ذاتها، لما فيها من الاحتكاك بكبار رجال الدولة من مغاربة وأجانب. لكن التحدي الاستعماري كان يلزم ولي عهد المغرب، بعد تعلم لغة القرآن وحفظ سوره، بتعلم لغتي الدولتين الحاميتين فرنسا وإسبانيا. وتحلى نبوغ الأمير في تعلمهما بسهولة في طور الكتاب والتعليم الابتدائي. ويوم جرى تدشين المدرسة المولوية في مطلع عام 1942 التي كان عليه أن يتابع دراسته الثانوية والعليا فيها، هو وباقي الأمراء والأميرات، ألقى خطابين بالعربية والفرنسية بفصاحة انبهر لها الحضور الذي كان يتصدره والده عاهل البلاد والمقيم العام الجنرال نوكتيس وكبار رجالات الدولة. وفي هذه المؤسسة تابع دراسته مع بعض أبناء عمومته ونخبة من شباب المغرب من أقرانه، الذين صاروا من أقرب مساعديه فيما بعد، هم والأساتذة الذين تخرج على يدهم مثل محمد الفاسي ومحمد باحيني والمهدي بن بركة وعبد الهادي بوطالب.

وكانت سنة انتقال الأمير إلى الطور الثاني من التعليم هي أيضا سنة نزول جيوش الحلفاء على شواطئ المغرب في شهر نونبر منها. وقد ترتب على ذلك زعزعة السلطة الاستعمارية في البلاد، بما توالى على فرنسا من الهزائم جراء الحرب والتناحر الحزبي، وبما كان من لقاء محمد الخامس بالرئيس الأمريكي روزفيلت في الدار البيضاء في يناير 1943، واعتراف هذا الرئيس بأن المعركة ضدا على النازية كانت معركة الاعتاق من كل أنواع الغبن والقهر. فتجددت أسباب المطالبة بالاستقلال. ووجد الأمير الناشيء نفسه في الصفوف الأمامية من الكفاح الوطني وهو يدخل طور المراهقة. وأضحى أول مستشار لوالده، يقود إلى جانبه النضال على الجبهتين، جبهة داخلية، وغايتها الأخذ بيد الشعب وإرشاده لنفض غبار الجهل والحمول وإدخال البنين والبنات المدارس بأكثر عدد ممكن، بعد أن تبين من النقد الذاتي أن سبب الاستعمار هو ما كانت عليه الأمة من الغفلة والجهل سنة 1912. أما الجبهة الثانية، فهي جبهة مجادلة الفرنسيين بالحجج الدامغة من أجل جعل حد للحماية. ولكن الاستعمار الفرنسي خرج من الحرب العالمية مصمم العزم على التغطية على اهتزاز أركانه بتشديد القبضة على المغرب. وتوالت معارك الشعب تتناوب مع معارك العرش. وكان ولي العهد يقوم بواجباته أحسن قيام، إما في السير رسولا بين والده وبين قادة الأحزاب الوطنية لدى تحرير وثيقة المطالبة بالاستقلال في يناير 1944، وإما في إلقاء الخطب التوجيهية مثلما فعل أثناء رحلة طنجة (أبريل 1947)، التي ورى بها محمد الخامس عن نفور المغرب من الانخراط في المنظومة الاستعمارية الجديدة

المخفية تحت عبارة "الاتحاد الفرنسي"، مذكراً بانتماء المغرب إلى الأمة العربية الإسلامية دون غيرها. وصار الأمير الشاب ممن يحرق المراسلات والتقارير التي أخذ والده يبعث بها للحكومة الفرنسية منذ تعيين الجنرال جوان مقيما عاما، ليشير انتباهها إلى ما أقدم عليه هذا المقيم العام من التجاوز ومن التلاعب بحقوق المغرب، حيث شرع يهدد الملك بعزله عن العرش إن لم يتصل من الحركة الوطنية. وقد نال ولي العهد نصيبه من غضب السلطات الاستعمارية لما هالها من مكانته في المشورة والقرار، سيما بعد أن اختار دراسة الحقوق في الطور الأخير من التعليم وتخرج في ذلك على عادته في الإدراك والتفوق سنة 1951. وظلت سلطات الحماية ترفض الاعتراف له بولاية العهد بدعوى أن ذلك ليس من عادة الدولة المغربية. ويوم أقدمت على عزل محمد الخامس (غشت 1953)، فإنها نفت ولي العهد معه وكافة أعضاء الأسرة الشريفة. ولكن الشعب رد بانتفاضة عارمة أرغمت الحكومة الفرنسية على إلغاء الحماية وإرجاع الملك إلى وطنه وعرشه بعد سنتين من النفي، وذلك هو ما يعرف في تاريخ المغرب المعاصر بثورة الملك والشعب (نونبر 1955).

ج - ولاية العهد وبداية ممارسة الحكم (1955-1961)

كان الأمير الشاب يوم الاستقلال مكتمل التكوين، قادراً علما وعملا على تحمل كل ما يسند إليه عاهل البلاد من جسيم المسؤولية. وقد تحلى ذلك في تقديمه رسميا لولاية العهد يوم 9 يوليوز 1957، المقترن بعيد ميلاده الثامن والعشرين الذي بات من يومئذ عيد الشباب المغربي. وارتبط بذلك الماضي بالمستقبل والأصالة بالحدثة، إشارة بتحمل ولي العهد لأعباء شباب الوطن في انتظار أن يتحمل الأمانة الكبرى. وكان يقوم بكل ما يقوم به أقرانه من الواجبات الوطنية فنال نصيبه من متاعب بناء طريق الوحدة التي ألغت الحدود بين منطقتي الاحتلال الفرنسي والإسباني، مخترقا أو عار سلسلة الريف بين تاونات وكنامة، في صيف تلك السنة. وما أن تم إنشاء القوات الملكية المسلحة في شهر ماي 1956 حتى أسند إليه محمد الخامس رئاسة أركان الحرب فيها تحت قيادته السامية. وسرعان ما تجلّت مواهبه القيادية في إرساء السلطان المغربي في مجموع ربوع المملكة، وبخاصة في طرفاية التي كانت من جيوب الاحتلال الإسباني على الساحل الصحراوي واسترجعت في شهر رمضان 1377 / أبريل 1958، وأيضاً في إخماد بعض التصدعات القبلية والحزبية في الأطلس الكبير الشرقي (1957) وفي سلسلة الريف الشرقية (1958). وصار والده يستنبيه على حكم البلاد كلما كان عليه أن يسافر إلى الخارج. وتوج كل ذلك بما أسند إليه من نيابة رئاسة الحكومة يوم اقتضى نظر محمد الخامس تقلد تلك المهام بنفسه (ذي القعدة 1379 / ماي 1960)، بحيث كان ولي العهد في قام الاستعداد لتحمل أعباء الحكم

عندما توفي والده فجأة في العاشر من رمضان عام 1380 الموافق ليوم 26 فبراير 1961، فانعقدت البيعة العامة خلفه ووارث سره، يوم 3 مارس، تحت اسم الحسن الثاني، فهو ثاني الحسينين من الدولة العلوية.

الملك الحسن الثاني

لا يتسع المقام للإقاضة في كل ما قام به الحسن الثاني من المنجزات على طول ما كتب له من الملك. ثم إن المؤرخ ما زال قريبا من الأحداث، فلا يملك ذلك الحيز من البعد الزمني الذي تتضح به الرؤية بما ينشر من الوثائق ويتسع من المنظور. لكن الحسن الثاني دخل التاريخ من بابه الكبير. فلا مناص من ذكر شيء من منجزاته ولو في خطوطها العريضة. ويمكن التمييز بين ثلاث مراحل، مرحلة أولى قلقة مضطربة بسبب المنافسة على الحكم واحتدام إشكالية المحافظة والتغيير، وقد امتدت من 1961 إلى 1975، ومرحلة ثانية تميزت بالتحام الصفوف حول العرش وانتظام قواعد الملكية الدستورية واستكمال وحدة التراب الوطني، وامتدت من 1973 إلى 1989، وكانت المرحلة الثالثة هي السنوات العشر الأخيرة من العهد، وتتميز بتعمق الوعي بخطورة شأن المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وبضرورة إعادة ذلك الأسبقية على تراحم الأشخاص والأحزاب على السلطة، فعم الاتزان السياسي درءاً لسوء توازن البنيات التحتية.

أ - إرساء هيبة الدولة وإشكالية المحافظة والتغيير (1961-1973).

ظل العرش المغربي مسلوب أدوات سلطته مدة أربع وأربعين سنة جراء الحماية الأجنبية. وكان من عواقب ذلك أن التمس على المغاربة من بيده مقاليد الحكم. حتى إذا كان الاستقلال دعا محمد الخامس إلى الجهاد الأكبر الذي هو مجاهدة النفس. وصارت النخبة السياسية المتولدة عن الكفاح الوطني ملزمة بتجديد الصلة بقواعد المسؤولية السياسية أصلاً وفرعاً. ولما استعجلت المنية محمد الخامس في قلب تلك المعركة، كان على الحسن الثاني أن يقود الصفوف وأن يجدد للدولة هيبتها ويضع للصراعات الحزبية ما يقتضيه العصر من الوسائل والشروط، محتفظاً بما لا مناص من المحافظة عليه من الأصول ومتنبهاً كل ما لا بأس به من أدوات التغيير.

وأول ما بادر إليه إثبات أركان الملكية الدستورية من خلال دستور 1962 الذي استفتي فيه الشعب فأجمع عليه مقراً ما تضمنه من إعلان للحريات العامة ومشاركة المواطنين في القرار على كل مستوى بما اعترف لهم به من حق التصويت الشامل السري وحق الصدع بالرأي المخالف وتعدد الأحزاب وفصل السلط ووقوف العرش موقف الحكم الساهر على المقدسات. وانتخب أول برلمان مغربي سنة 1963 وكان في غرفتين. وواكب هذا العمل السياسي داخل البلاد نشاط دبلوماسي على الصعيدين الأفريقي والعالمي،

حيث شاركت القوات الملكية المسلحة في إرجاع السكينة للكونكو - كينشاسا. وكان المغرب من الركانز المؤسسة لمنظمة عدم الانحياز (سنتبر 1961) ومن مؤسسي منظمة الوحدة الإفريقية (1963). وبدا اعتدال الحسن الثاني وحكمة تصرفه في الحرب التي جرت بين المغرب والجزائر حول واحة تيندوف سنة 1963. وكان يوسع المغرب أن ينتصر فيها لولا نزول الحسن الثاني عند ما أقرته منظمة الوحدة الإفريقية من عدم المس بالحدود الموروثة عن الاستعمار. وظل يعمل بالتالي هي أحسن ليسترجع ما بقي بيد الإسبان من الأقاليم الصحراوية، مثل إفني التي استرجعت سنة 1969، ومثل الساقية الحمراء ووادي الذهب اللذين لم يفتأ المغرب يذكر بحقوقه عليهما في جلسات الأمم المتحدة، بعد أن اعترف بالدولة الموريطانية. واتضح منذ السنوات الأولى من عهده حرصه على السلم والمسالمة، ذلك أنه سعى في فك المشاكل القائمة مع الدولتين الحاميتين السابقين بلطف خال من كل وهن ويحزم مترفع عن كل تعنيف، فتم جلاء جميع القوات العسكرية الأجنبية عن البلاد واسترجعت كل الأراضي التي كانت في قبضة المعمرين الأجانب. كما سعى السعي الحثيث في جمع كلمة المسلمين حيث تأسست برعايته منظمة المؤتمر الإسلامي في الرباط في ستمبر 1969.

وسهر الحسن الثاني في المجال الاقتصادي على أن يسير المغرب على النهج الليبرالي، يوم كان العديد من الدول النامية يرى أن لا مخرج من التخلف إلا باقتفاء خطى المعسكر الاشتراكي. أما هو فكان على بينة من ضعف الرأسمال المغربي ومن الحاجة إلى الاستثمار الأجنبي. فلا يمكن لاقتصاد البلاد أن يتكل على نفسه، سيما وأنه لم يزل مرتبطاً باقتصاد فرنسا. على أن حالة التخلف تلزم الدولة بأن لا تترك الحبل على الوارد للمقاولين، فلا بد من مراقبتها ولا بد من العمل بالمخططات المضبوطة التي توالت إما ثلاثية وإما رباعية وإما خماسية، سعياً في استثمار خبرات البلاد، مثل الفوسفات لبيعها في الخارج في شكل أسمدة أو مواد كيميائية رخيصة القيمة وليس في شكلها الخام وحسب. وأنه أدرك خطورة شأن الفلاحة في المغرب اقتصادياً واجتماعياً، فاعتنى ببناء السدود التي يسجل التاريخ أنه بني منها في عهده ما لا يقل عن ثمانين سداً، مما يعني بلغة الإحصاء أنه بني منها سدان في كل سنة خلال عهده، ولو لم يكن إلا هذا من مفاخره لكفاه فخراً.

وأما على الصعيد الاجتماعي فإنه كان على بينة من خطورة شأن التعليم. وأنه ظل ملتزماً بما وقع عليه الإجماع الوطني غداة الاستقلال من المبادئ الكفيلة بالنهوض به من بين تعميم وتعريب وتوحيد ومغربة. وقد بادر إلى إصدار ظهير بتاريخ 13 نونبر 1963 يقضي بتعميم التعليم على الأطفال البالغين سن التمدرس. وبذلت جهود ماثلة في ميادين الشغل ومراعاة حقوق الطبقة العاملة، وكان من منجزاته الأولى إحداث برنامج الإنعاش الوطني سنة 1961

لتوفير الشغل ومقاومة البطالة وإعداد اليد العاملة للأشغال الوطنية الكبرى. وهو الذي أرسى قواعد الضمان الاجتماعي المغربي وجعله يجاري أرقى ما يوجد منها في الدول المتقدمة.

إلا أن الحاجيات في هذا المضمار كانت تفوق الممكثات بكثير. وترتب على ذلك ما ترتب من الجدل والصراع بين الأحزاب، واختلفت الآراء في مفهوم "ثورة الملك والشعب". فالملك كان يرى أن حتمية التغيير تلزم بمزيد من الاحتياط حفاظاً على الثوابت. وكانت الأحزاب الوطنية ترى أن التغيير إما أن يكون حثيثاً شاملاً وإلا فلا تغيير. وسرعان ما تحول الجدل إلى محاكمات لبعض قادة تلك الأحزاب الذين سجن منهم من سجن واضطر آخرون إلى الهجرة، وإلى مواجهات في الشارع مثلما جرى في الدار البيضاء في شهر مارس 1965، وكان لا بد من استعمال وسائل القمع القسوى للتمكن منها. وأمر الحسن الثاني بحل البرلمان في شهر يونيو من نفس السنة. ثم في شهر أكتوبر منها، اختطفت الشرطة الفرنسية أحد زعماء الحركة التقدمية الاشتراكية المغربية المهدي ابن بركة في باريس، ثم اغتيل في ظروف لم تقل العدالة بعد قولتها النهائية فيها. ولكن وزير الداخلية المغربي الجنرال محمد أوفقير كان له ضلع في الجريمة. ودليل ذلك أنه رام انتهاز الفرصة لتعميق الهوة بين الملك وبين الحركة الوطنية. ونظر هو بدوره إلى مفهوم الثورة على أنه انقلاب عسكري تقضى به بعض الأغراض الآتية. فامتدت الأيدي الأثمة مرتين إلى الحسن الثاني، في شهر يوليو 1971 في قصر الصخيرات، وفي شهر غشت 1972 وهو على متن الطائرة العائدة به من فرنسا. وكانت نجاته من المؤامرتين معجزة جاءت دليلاً على صدق طويته الوطنية، فضلاً عما أتاحت من فرصة التخلص من بطانة السوء التي كانت تود لو انقطع ما بين الملك وبين أنصار العرش الطبيعيين المنضوين في الأحزاب الوطنية. وبالرغم من تحرك بعض العناصر المتطرفة سنة 1973، في البادية في منطقة الهضبة الوسطى، وفي المدن بين صفوف الطلاب، فإن الرأي العام المغربي لمس عن كتب ما في عشرة صفوف وإضاعة الجهد في الصراعات السياسية من المخاطر على بلد يعاني من الفقر والأمية وضعف الطاقة الإنتاجية.

#### ب- الإجماع على الملكية الدستورية

ترتب على الهزات الأتفة الذكر وعي بما أشرفت عليه البلاد من المزالق. وكان من طلائع ذلك تصحيح المسار في الحركة التقدمية بانتظام صفوف الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية وانعقاد الكتلة الوطنية بين هذا الحزب وحزب الاستقلال، على أساس دعم النظام الملكي الدستوري وإرساء أساليب الديمقراطية في البلاد ومتابعة النضال من أجل استكمال الوحدة الترابية. وبناءً عليه استفتى الحسن الثاني المغاربة بشأن تعديل الدستور فأجمعوا على دستور

1972 الذي جعل الغرفتين غرفة واحدة، ثلثها منتخبان بالاقتراع السري العام والثلث الأخير منتخب من لدن الجماعات المحلية والهيئات المهنية والنقابية. وبعد محاولة فاشلة أولى لاستئناف العمل النيابي سنة 1971، فإن الحياة النيابية انتظمت بصفة ثابتة منذ سنة 1977 فاكتملت جميع حيثيات النظام الملكي الدستوري على المستويين المركزي والجهوي.

لكن أسمى ما أنجز في هذه المرحلة من عهد الحسن الثاني هي المسيرة الخضراء يوم 6 نونبر 1975 التي مكنت من استرجاع الصحراء المغربية من قبضة الأسيان، بتعبئة للجماهير المغربية فريدة من نوعها، إذ زحف ما لا يقل عن 350.000 مغربي ومغربية على الحدود الاستعمارية، مسلحين بالقرآن وبالراية الوطنية، وداسوا الحدود دوساً وأجبروا المعمر الإسباني على الانسحاب. وكان ذلك نصراً للحق ويرهانا على عبقرية العاهل المنبئ على الحلم والتبصر والعمل في السياسية بعمل الفلاح، كما كان يقول، فالفلاح ملزم بقلب التربة وتنقيتها وإعدادها للبذرة. ثم إنه بعد كل ذلك ملزم بالتمسك بالصبر والانتكال على الله لبلوغ المرام. وكثيراً ما كان أيضاً يذكر بأن السياسة فن الممكن من المستحيل أو فن إتيان الحلول الوسطى من كل المعضلات. وهذه الحكمة هي التي جعلته يربط الاتصال بقيادة إسرائيل في الوقت الذي بعث بالجنود المغاربة ليقفوا إلى جانب إخوانهم العرب في ميادين منازلة الصهاينة، مثلما وقع سنة 1967 في الجولان وسنة 1973 على قناة السويس. وأضحى الحسن الثاني منذ تلك السنوات قطباً لا يستغنى عنه في معالجة النزاع العربي الإسرائيلي، مما حمل قادة الدول الإسلامية على انتخابه رئيساً للجنة الدفاع عن عروبة مدينة القدس منذ شهر ماي من سنة 1979، التي أنشئت للتصدي للنية الصهيونية في جعلها عاصمة إسرائيل.

وكانت سنة 1973 هي سنة ارتفاع الأسواق العالمية جراء ارتفاع أسعار النفط، فارتفعت معها أسعار باقي المواد الأولية، ومن جعلتها الفوسفات الذي يحتل المغرب رتبة الصدارة في تسويقه في العالم. وكان ذلك مناسبة لطفرة جديدة من الاستثمار المغربي رسم الحسن الثاني خطوطه العريضة وأثبت بعض نتائجه المرقومة في كتابه التحدي الصادر في مطلع الثمانينات.

بيد أن السباق بين حاجيات الجماهير المغربية، التي تضاعفت أعدادها ثلاث مرات في عهده، حيث انتقلت من عشرة ملايين نسمة سنة 1961 إلى ثلاثين مليون سنة 1999، وبين القدرة الإنتاجية للبلاد، ظل يعاني من سوء التوازن الصارخ. وتجملى هذا التناقض في غضب الشارع في كبريات المدن مثل الدار البيضاء في يونيو 1981 وفاس ومراكش وتطوان في يناير 1984. وكان ذلك نتيجة سنوات متتالية من الجفاف ونتيجة التغيير الاجتماعي الذي جعل



المدن وما فيها من صناعات عصية تتضخم على حساب البوادي التي قل وزنها في الدخل الوطني الخام دون أن يقل عدد سكانها. ولكن الدولة باتت راسخة الأركان قادرة على تحمل أعتى العواصف. ولا أدل على ذلك من شروع الحسن الثاني ابتداءً من سنة 1982 في تشييد المسجد الفخم البهيج الذي يحمل اسمه في الدار البيضاء والذي يعد مفخرة من مفاخره إلى جانب المفاخر الهندسية الأخرى التي سهر على إقامتها، مثل ضريح محمد الخامس في الرباط والعديد من المباني الملوكية والإدارية والصناعية. فإنه كان مولعاً بالبناء والتشييد شأن عظماء الملوك في كل زمان ومكان. ومن أبرز ما سعى فيه في هذه المرحلة من عهده بناء وحدة إفريقيا الشمالية، وقد تأسس اتحاد المغرب العربي برعايته في مدينة مراكش (فبراير 1989).

ج - الاتزان رغم انعدام التوازن

كانت السنوات العشر الأخيرة من عهد الحسن الثاني كلها برهانا على دهائه وبعد نظره وغيرته على كرامة الوطن، بالرغم من تفاقم التناقضات الاقتصادية والاجتماعية ووجوب التصدي للحرب المفروضة على البلاد من قبل أعداء وحدتها الترابية منذ استرجاع الصحراء سنة 1975، ذلك أن انهيار المسكر الاشتراكي سنة 1989 أثبت حصافة رأيه وعمق تبصره بما كان من اختياره للنهج الليبرالي قبل أن تنادي به السيدة ماركيت تاتشر في إنجلترا أو الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريگان. وقد اعترف المجتمع الدولي بذلك يوم قبل أن ينعقد المؤتمر التأسيسي للمنظمة العالمية للتجارة بمدينة مراكش (أكتوبر 1994). كما انعقدت برئاسة الحسن الثاني بالدار البيضاء (أكتوبر 1995) القمة الاقتصادية الأولى للشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وذلك أول ملتقى عربي إسرائيلي لوضع أسس التعايش بين الجانبين، جاء على إثر اتفاقية أو سلو بين الفلسطينيين وإسرائيل سنة 1993 التي أقر الجميع بما كان للحسن الثاني من الأيدي البيضاء في التمهيد لها. ولكن ما أن تغيرت الأغلبية الحاكمة في إسرائيل لصالح اليمين الصهيوني المتطرف حتى قطعت كل الصلات من جديد.

أما على الصعيد الداخلي فمن آخر منجزاته الكبرى حرصه على تعديل الدستور عبر استفتاء شتبر 1996، إذ انقسمت الفرقة الواحدة إلى غرفتين، ومنح الوزير الأول مزيداً من الصلاحيات لتشكيل الحكومة وتسييرها. وأبى الحسن الثاني إلا أن تتبرأ الأحزاب الوطنية مقاعدها من مسؤولية الحكم على أساس التناوب بالتراضي. وتم ذلك بعد سنوات من المخاض في شهر مارس 1998، فتشكلت حكومة برئاسة السيد عبد الرحمان اليوسفي، الكاتب العام للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، ومشاركة حزب الاستقلال وحزب التقدم والاشتراكية وحزب التجمع الوطني للأحرار وحزب الحركة الشعبية ومعظم الأحزاب التقدمية. وكان ذلك مسك الختام من منجزات الحسن الثاني المرموقة،

وتعويضاً عما حصل من سوء التفاهم بينه وبين الحركة الوطنية في مطلع عهده. وتوفي رحمه الله من المرض الذي ألم به منذ أواخر 1995. فتجلد له وصبر وظل يزاول واجبات الإمامة والقيادية خدمة لشعبه وإعزازاً لصيته إلى أن توفي وفاة المجاهدين وسط الميدان، عصر يوم الجمعة تاسع ربيع الثاني عام 1420 الموافق ليوم 23 يوليوز 1999، بضعة أيام فقط بعد الاحتفاء بعيد ميلاده السبعين. فيكاه شعبه وخرج يشيعه عن بكرة أبيه في مشهد رهيب، بثت صورته في العالم أجمع وحضره كبار الملوك والرؤساء. وكان عزاء المغاربة فيه تلك المواساة المعتبرة التي جعلت جنازته مأتماً ومفخرة في آن واحد، امتزجت لديهم فيها لوعة الفراق بمشاعر الاعتزاز والشموخ، كما أنهم ساروا وراء نعشه مستبشرين مبتهجين بطلعة ولي عهده وخليفته على العرش صاحب الجلالة الملك محمد السادس الذي بينت السنة الأولى من عهده أنه خير خير لمخبر سلف، دام له النصر والتمكين.

الحسن الثاني، التحدي، الرباط، المطبعة الملكية، 1983 : الحسن الثاني، ذاكرة ملك، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، 1993 : عبد الوهاب بن منصور، الحسن الثاني، حياته وجهاده ومنتزاته، الرباط، المطبعة الملكية، 1969 : عبد الوهاب بن منصور، سلسلة نبغات أمة، وتضم خطب الحسن الثاني وتصريحاته العلنية في ستة وثلاثين مجلداً، (من العدد 6 إلى العدد 42).

إبراهيم بوطالب

**الحكيم، أسرة أسفية عريقة أنجبت فقهاء وعلماء وتجاراً كباراً.** قيل إن أصلها من عبدة وقيل من تطوان، نظراً لما لبعض أفرادها من صلوات مع عائلات تطوانية وليس لها أي فرع بعيدة، وكلهم ينتمون إلى جدٍ مشترك اسمه عبد المالك الحكيم، ويشكلون ثلاثة فروع : أولها منحدر عن أحمد بن الطيب بن عبد الملك، والثاني، عن الطاهر بن الطيب بن عبد الملك والثالث عن عبد الواحد بن الطيب بن عبد الملك.

وستدرج فيما يلي أبرز أفراد هذه الأسرة :

**الحكيم، أحمد بن الطاهر بن الطيب بن عبد الملك،** ولد بأسفي عام 1263 / 1846، وبها تلقى تكوينه الأساسي المناسب لوقته، على يد فقهاء بلده، مثل الشيخ بوزيد المطاعي والشيخ محمد بن إدريس، ثم رحل إلى فاس عام 1291 / 1874 حيث أخذ عن الشيخ محمد بن عبد السلام گنون والشيخ المهدي الوزاني والشيخ محمد بن قاسم القادري. ولما عاد إلى أسفي انضم إلى هيئة التدريس بمدرسة أسفي، وكان الطلاب يواظبون ويهتمون بحلقاته الدراسية، وبقي على هذه الحال إلى أن صار مفتي البلد، واشتهر بتواضعه وبأخلاقه الحسنة وسعة معرفته.

توفي بأسفي عام 1329 / 1911.

**الحكيم، البشير بن الطاهر بن الطيب بن عبد**  
المالك، شقيق الأول، وُلد عام 1251 / 1835 وتلقى العلم  
بأسفي أولاً ثم ذهب إلى فاس لمتابعة تكوينه ولم يرجع إلى  
مسقط رأسه إلا بعد عشرة أعوام. فكان يتطوع للإلقاء  
الدروس، وولي قضاء مدينة أسفي مدة.  
انتهج البشير طريقة النساك في الحياة إلى أن توفي  
بمسقط رأسه وهو أعزب عام 1296 / 1878.

**الحكيم، الطيب بن عبد القادر بن الطاهر بن**  
الطيب، وُلد بأسفي عام 1322 / 1904 وحفظ القرآن وتلقى  
دروسا في العربية والفقه على شيوخ المدينة مثل عبد الله  
بن محمد بنهيمه وإدريس بن محمد بن هيمه. واشتغل  
بالتجارة فكان من كبار التجار والملاكين، ومن أعيان المدينة  
ووجهائها.  
توفي بأسفي عام 1392 / 1972.

**الحكيم، عبد القادر بن الطاهر بن الطيب وُلد**  
بأسفي عام 1284 / 1867 وكان له إلمام بالثقافة العربية، وهو  
أحد كبار تجار المدينة وفلاحها. ذو أخلاق كريمة وغيره  
وطنية، الأمر الذي جعله يحظى بتقدير أهالي أسفي واحترام  
السلطات.  
توفي عام 1345 / 1926.

**الحكيم، عبد القادر بن الطيب بن أحمد بن**  
الطيب، وُلد بأسفي عام 1325 / 1907 وتلقى تكوينه  
الأساسي في المدرسة الابتدائية الفرنسية واستكماله بتكوين  
عربي شمل القرآن والنحو والفقه على يد الفقيه المعطي  
العبيدي. ثم كان من الرعيل الأول المزدوجي اللغة، مما أهله  
لشغل منصب بمصلحة تابعة لمديرية الفلاحة، وتم إلحاقه  
بمطاحن أسفي، ثم تاجراً في الحبوب. كان من وجهاء المدينة  
وأعيانها، اتصف بحسن الأخلاق والكرم وتواضعه مع  
الناس.  
توفي بمسقط رأسه عام 1399 / 1978.

**الحكيم، محمد بن الطاهر بن الطيب. وُلد بأسفي**  
عام 1289 / 1864 الفقيه التاجر الملاك السخي، كان ينفق  
على عدد من الأسر الفقيرة، ويرابط أياما معدودة في كل  
شهر للعبادة برباط المدينة.  
توفي عام 1350 / 1930.  
م. الكانوني، جواهر الكمال : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع،  
موسوعة أعلام المغرب، 7 : 2665 : أحمد بنجلون، عائلات أسفي،  
مخطوط : تاريخ أسفي، مخطوط.

أحمد بنجلون

**الحلاليف،** قبيلة تنتمي إلى اتحادية زعير وتكوّن مع  
الرواشد والغوالم والتغاشمة وأولاد دحو وأولاد زيد  
والسلامنة ويني عبيد قسم "الكُشَيَان" الذي يمثل نصف  
زعير مقابل النصف الثاني الذي يطلق عليه "المزَارَعَة".  
تقع أراضي الحلاليف في المنطقة الغابوية المجاورة  
للشاوية، يشتركون مع قبائل المذاكرة في حذور وادي الدالية  
وگلثة الذّيب. كما يجاورون قبائل الزبايدة والأعشاش من  
الشاوية. أما جيرانهم من إخوانهم الزعيرين فهم : السلامنة  
والرواشد والغوالم.

ينقسم الحلاليف إلى مجموعتين : الحلاليف العليا  
(الحلاليف الفوقانيين)، وهذه المجموعة تتكون من الأقباض  
الآتية :

أولاد مسعود والعطاطرة وأولاد عُميرة ؛ والحلاليف  
السفلى (الحلاليف التحتانيين) وتشمل الأقباض الآتية :

السعيدية وأولاد أحمد وأولاد شميصة والسدراتة.  
ساهمت قبيلة الحلاليف ومجموعات أخرى من مجاهدي  
زعير في مقاومة الاحتلال الفرنسي للشاوية، وكانت أرضها  
ملجأً يتحصن به المجاهدون المنسحبون من المناطق المحتلة  
بالشاوية. وبعد إتمام احتلال منطقة الشاوية كلها انتشر  
النفوذ الفرنسي في قبيلة الحلاليف ابتداء من سنة 1908.  
انطلاقاً من مركز بوشرون (الكارّة) بالمذاكرة. وفي سنة  
1910، قدرت الاستخبارات الفرنسية عدد خيام الحلاليف  
بحوالي 400 خيمة، وعلى ذلك فسكان القبيلة كانوا  
يتراوحون بين 2000 و2400 نسمة في بداية القرن العشرين.  
أهم نشاط اقتصادي يعتمد عليه سكان الحلاليف هو  
تربية الماشية واستغلال أشجار الغابة زيادة على الزراعة.  
وللحلاليف علاقات واسعة مع أسواق الشاوية، خاصة  
أسواق قبيلة المذاكرة.

ع. ابن سودة، زعير قديماً وحديثاً، الجزء الأول.

Sicard, L'organisation des Zaërs, R.M.M., 1910 ;  
Villes et tribus du Maroc, Rabat et sa région.

علال الحديدي

**الحَلْبَة،** بالعربية، و"تيفيناس" بالأمازيغية، تطلق  
على نوع نباتي أو على بذوره، اسمه العلمي تريغونيلا  
فينوم تريغونوم *Trigonella foenum-graecum*. أما  
الفصيلة التي تنتمي لها الحلبة فهي الفراشييات  
*Papilionaceae*. وهي نبات بقلبي حولي، ذو أزهار بيضاء،  
وقرون طويلة رفيعة، ولها منقار واضح، وتحتوي على بذور  
صغيرة ذات لون أصفر. والموطن الأصلي للحلبة هو حوض  
البحر المتوسط وآسيا. وقد زرعت منذ زمن قديم وذلك لعدة  
أغراض.

أما في المغرب فإنها تزرع في بعض السهول لإنتاج  
البذور المستعملة في تغذية الماشية أو للاستهلاك الآدمي.  
فبالرغم من مرارتها تُتناول بذور الحلبة خاصة من طرف  
النساء ليزددن سمته وجمالاً أو ليكثر حليب الرضاعة

عندهن. وتُعطى للأطفال النحيلي الجسم أو للمرضى الذين هم في طور النقاها.



ومن مساوئها بعد تناولها التسبب في إفراز عرق أصفر ورائحة كريهة للجسد.

أبحاث شخصية : ألبرت هيل، النبات الاقتصادي، 1962، ترجمة د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة.

عبد المالك بنعبيد

**الحلبي، أحمد بن عبد الحي الفاسي.** قال المترجم له في آخر كتابه الدر النفيس : "خلقت ونشأت أنا وآبائي وأجدادي في مدينة حلب من أرض الشام ... وكان أصل أجدادي قبل ذلك من مدينة تدمر ... وقد سمعت أن نسبنا ينتهي إلى سيدنا ومولانا عبد الرحمان بن عوف الزهري". عالم أديب فقيه صوفي ناظم ناثر. له ولوع بالأمداح النبوية والأشواق المصطفوية وله قصائد وأزجال في المديح النبوية كثيرة جداً.

ورد على مدينة فاس من البلاد المشرقية بعد أن زار مصر وتونس. وكان شافعي المذهب لم يتحول قط إلي المالكية رغم إقامته الطويلة بالمغرب.

ومن أشياخه محمد الرفاعي الحسيني شيخ مشايخ البصرة في وقته، أخذ عنه صاحب الترجمة وانتفع به ولازم القراءة بمدينة فاس بعد وروده عليها على الشيخ عبد القادر الفاسي وطبقته.

ذكر القادري في النشر أن المترجم له كان يسير عند السلطان مولاي إسماعيل لمكناسة في موسم ربيع الأول : وقرأ بباب دار السلطان قصائد الأمداح، وكان له صوت حسن ويحسن تلك الصنائع، وكان السلطان وأولاده وموالي الدار والأتباع يعطونه ويكرمونه بالعطاء المخصوص.

وكان اليوسي من المعجبين بشعر الحلبي حتى نظم قصيدة تكلم فيها على لسان الحق فنقم عليه الشيخ اليوسي ذلك ونهاه سداً للذريعة فلم يقبل، وأدى ذلك إلى نزول قيمته عند الناس بعد أن كان مكرماً عند السلطان فمن دونه وضاعت عليه معيشته.

للحلي مؤلفات كثيرة في أغراض مختلفة. منها ديوان في الأمداح النبوية ؛ ومقامات عارض بها المقامات الحزبية سماها : الحلل السندسية في مدح الشمائل المحمدية ؛ وكشف اللثام عن عرائس نعم الله تعالى ونعم رسوله عليه

السلام ؛ والدر النفيس في مناقب مولانا إدريس و السيف الصقيل في الانتصار لمدرح الرب الجليل، ألّف هذا الكتاب إثر المقاطعة التي وقعت بينه وبين الحسن اليوسي ؛ ومعراج الوصول في الصلاة على أكرم نبي ورسول ؛ ومناهل الصفا في جمال ذات المصطفى ؛ ومناهل الشفافي رؤية المصطفى ؛ والروض السام في رؤية غيره عليه السلام ؛ والكنوز المختومة في الساحة المرسومة لهذه الأمة المرحومة في أربعة أسفار ؛ وفتح الفتاح على مراتع الأرواح وهو شرح لقصيدة له طويلة سماها مراتع الأرواح في كمالات الفتاح ؛ والسيف السلول في قطع أوداج الفلوس المخذول (وهو رجل أنكر عليه نداء النبي صلعم مجرداً عن السيادة في قصيدة له) ؛ وريحان القلوب فيما للشيخ عبد الله البرناوي من أسرار الغيوب في مجلد، وله قصائد رفيعة في الأمداح النبوية، وأزجال شهيرة.

وقد أثنى عليه أهل عصره فيما كتبه بخطوطهم على تأليفه، ومنهم الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي وأخوه عبد الرحمان، والقاضي العميري وأبو عبد الله القسنطيني، والقاضي أبو عبد الله المجاصي، والقاضي أبو مدين السوسي وغيرهم...

وقد أشار إليه الشيخ المدرع في منظومته فقال :

ومنهم الإمام مداح النبي الشيخ أحمد الأديب الحلبي

وفي الأسرة الكتانية بالمغرب فرع يعرف بفرع الحلبيّة، نسبة إلى ابنة لصاحب الترجمة اسمها فاطمة، تزوجها أحد الكتانيين فتنسبوا إليها.

توفي أحمد الحلبي بفاس في جمادى الثانية عام عشرين ومائة وألف / غشت - شتنبر 1708 ودفن بمطرح الجنة خارج باب فتوح على مقربة من ضريح دراس بن إسماعيل، وقبره معروف مقصود للزيارة.

م. العلمي، الأنيس، 6، 19 : م. الإفرائي، صفوة، 215 : م.

القادري، نشر، 3، 197، 201 : الإكليل والتاج، د. د. مرقون، ص.

183 : النفاط، ص. 302 : أ. الناصري، طلعة المشتري، 1 : 265 :

م. الحضيكي، طبقات، 1، 84 : م. الكتاني، سلوة، 2 : 164 : م.

داوود، تاريخ تطوان، 3، 118 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 2 : 332.

352 : خ. الزركلي، الأعلام، 1 : 144 ط 4، سركيس، معجم، 373.

Levi-Provençal, Les historiens des chorfa, p. 286.

Brocketmann (G.A.L.), S. 2, p. 683.

مارية دادي

**الحلبيّة، سارة بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح** الفاسية. عالمة أدبية، وصالحة صوفية. وصفها معاصر لها أندلسي في كتابه أنس العاشق بقوله : "من المتطرفات من أهل زماننا هذا بمن فاقت نساء عصرها، أديبة شاعرة، وطبيبة ماهرة، تتصرف بيدها في جميع الصناعات فتجيد في ذلك، وتكتب الخط المستحسن، وتحل الذهب بصناعة

ومقسمة بالنسبة للأنواع الأخرى. لها رائحة عطرية. أزهارها مجتمعة على شكل سنبله تختلف كثافتها حسب الأنواع.



طحال الكعبة

يعيش بعض هذه الأنواع في البيومناخات الرطبة وشبه الرطبة وشبه الجافة، والبعض الآخر يقطن المناطق الصحراوية أو الجافة. أما من حيث التربة فإن جل هذه الأنواع لا تنبالي بالتنوع الصخرية ما عدا نوعين اثنين لا يتحملان الأراضي الكلسية. وتستعمل أنواع الحلحال في التطبيق التقليدي، ويستخرج منها عطر. كما تستعمل مع الشاي.

أبحاث شخصية.

عبد الملك بنعبيد

**الحلزون**، والواحدة حلزونة، جنس من الرخويات منه أنواع تؤكل. والحلزون عند عامة المغاربة يدعى "غلالة" ويسبوش، وعند عامة أهل الشام ومصر سلتطح وزلتطح. والحلزون من شعبة الرخويات Mollusca ومن طائفة معديات الأرجل أو بطنيات القدم Gasteropoda وهو أجناس وأنواع عديدة منها ما يعيش في البحار والبحيرات الساحلية ومنها ما يعيش في المياه العذبة ومنها البرية. كلها حيوانات زاحفة تسير ببطء شديد على الأرض بعضلتها الشبيهة باللسان وتعرف بالقدم. تغطي جسمه صدفة كلسية أحادية الصمام ولولبية يفرز موادها بنفسه ويتخذها هيكلًا ومسكنًا له. تتخذ الصدفة أحجامًا وأشكالًا مختلفة باختلاف المياه العذبة بينما يتعدى طولها عشرين سنتيمترا عند البوقسان البحري. تحمل القدم في طيها المعدة مما أدى إلى تسمية هذه الطائفة ببطني القدم أو معديات الأرجل.

تلتوي أحشاء الحلزون في قوقعته أو صدفته وينطوي بعضها على بعض وتلتف بأكملها حول القدم مما يترتب عنه انتقال الغلاصم والفتحة الشرجية إلى الجزء الأمامي بجانب القدم.

تتميز هذه الحيوانات بتجويفة تنفسية تقوم مقام الرئتين تنتهي بثقب تنفسي. تتكون الأعضاء البطنية من طوق مريئي وغدد لعابية معوي وجيب معوي وشرح وقلب وكليتين وأعضاء تناسلية. تظهر الرأس على مقدمة القدم وبها زوجان من قرون الاستشعار.

أثناء التنقلات، يفرز الحلزون في سيره لعابًا لزجًا

رائقة فتكتب، وكان لها إقدام في الكلام، ووفادات على الملوك والأشراف."

وفدت في طريقها إلى المغرب على المستنصر الحفصي بتونس وأنشدت بين يديه قصيدة بائية في مدحه وأقامت عنده حولاً، ثم دخلت الأندلس ولقيت ملكها محمد بن محمد بن نصر ابن الأحمر وأنشدته قصيدة دالية طويلة في مدحه كذلك. وراسلت شعراء الأندلس وكتابتها وناظرتهم، ثم وفدت على فاس واتصلت بملكها المريني يعقوب بن عبد الحق فأكرمها وخلع عليها وأجرى لها راتباً دائماً فعاشت في المغرب أرغد عيش.

لقبها بفاس الفقيه عبد الله بن علي ابن سلمون (ت. 741) فأجازته وألبسته خرقة التصوف وأنشدته قصيدة رائية أجابت بها الرحالة محمد ابن رشيد السبتي مطلعها :

وافى قريض منكم قد غدا لبعض أوصادكم ذاكرة  
أطلع من أنفاسه أنجماً ومن شذاه نَفَساً عاطراً

قال ابن القاضي في الجذوة (532) : قدمت (سارة الحلبية) على سبته في آخر المائة السابعة فمدحت رؤساءها بني العزفي العلماء وأختهم العالمة صفية بنت محمد العزفي، وخطبت كتاب سبته وشعراءها كمالك بن المرحل وإبراهيم التلمساني وابن البواب وأحمد الرنداحي. وشعرها في غاية الرقة والرشاقة مع متانة أسلوب وسلامة لغة، ونشرها بليغ كشعرها، منه ما أجابت به مالك بن المرحل :

"وصلتني أبيات سيدنا أبقى الله مطلع سعادته، ومجمع سيادته، ومنبع كل حسن وريادته، فكانت ألد من الأمن عند الخائف، والانقياد من الخل المخالف، فنشقت مسكها المختوم، وحليت بصرى وبصيرتي من درها المنظوم ووشيتها المرقوم، فرأيت من السحر، ما طوق النحر، ومن البيان، ما أخرس اللسان، ومن بديع المعاني، ما ألكن ابن هاني، وأبكم الكنعاني..." وقد أتى في الجذوة بنماذج رائقة من شعرها ونثرها. توفيت بفاس الجديد في حدود عام 1300 / 700.

مؤلف أندلسي، أنس العاشق ورياض الحب الواسع، مخطوط بنقل ح. حسني عبد الوهاب : أ. ابن القاضي، جذوة، 2، 434 و522 و529 : ح. حسني عبد الوهاب، شهرات النساء التونسيات، تونس، 1353، ص 77. 74 : خ. الزركلي، الأعلام، 3 : 69 : ع. رضى كحالة، أعلام النساء، ط 2، 1958، 2 : 136. 137 : م. المتوني، تاريخ الوراقة، 59.

محمد حجي

**الحلحال**، أو "خرامى" و"كحيلة" بالعربية و"أمزير" بالأمازيغية، ألفاظ تطلق على عشرة أنواع نباتية من جنس لا فاندولا Lavandula وفضيلة الشفويات Lamiaceae. وهي أنواع معمرة شجيرية يختلف ارتفاعها حسب الأنواع. أصغرها يتجاوز ثلاثين أو خمسين سنتيمترا. أكبرها يبلغ أو يتعدى المتر والنصف. أوراقها بسيطة بالنسبة لنوعين،

الجافة من الطوابق النباتية المتوسطة الدافئة والمتوسطة واستثنائياً تحت المتوسطة أي ما بين سطح البحر و2000 م تقريباً. هذا التوزيع البيوجغرافي لا يخرج عن النطاق المتوسطي، في اتجاه الجنوب من شمال إفريقيا. عندما تختفي تشكيلات الحلفاء تكون قد مررنا من النطاق المتوسطي إلى النطاق الصحراوي.



أما من حيث التربة فإن الحلفاء تعيش على الأراضي المحصنة وحسنة الصرف بالنسبة للمياه بخلاف الشبغ الذي يفضل في نفس البيومناخات التربة الغنية بالعناصر الدقيقة من الطمي والطين.

تغطي الحلفاء بالمغرب مساحات شاسعة تقدر بـ2.200.000 هكتار معظمها يوجد في المناطق الشرقية منتشرة ما بين تازا والناظور وفيكيك والرشيدية بالإضافة إلى مناطق أخرى من الوجه الجنوبي للأطلس المتوسط والأطلس الكبير حتى الهضاب الغربية لإدوتان شمال أكادير.

أما من ناحية إنتاجها السنوي من الأوراق فإنه قد يصل إلى القنطار الواحد في الهكتار في المحطات الفقيرة، وإلى خمسة عشر قنطاراً في الهكتار في الأماكن الخصبة. وبخصوص كمية الحلفاء الممكن استغلالها سنوياً فإنها قد تناهز ثمانين ألف طن. من الممكن استعمال هذه الكمية كمورد طبيعي لعدة أغراض، كصنع الألواح، أو عجينة الورق (في بلدان أخرى مثل الجزائر وتونس) أو الحبال إلخ... كما تعتبر الحلفاء أيضاً مصدراً للطاقة لسكان المناطق التي توجد بها، حيث تستعمل للتدفئة والطبخ ولصناعة أشياء عديدة مثل القفف والخيام والحصر...

تلعب الحلفاء دوراً اجتماعياً واقتصادياً هاماً جداً نظراً لاستعمالها في شتى الميادين وحتى في الرعي. وفي هذا المجال تعتبر تشكيلات الحلفاء المصدر الرعوي الوحيد في المناطق المذكورة أعلاه والتي توجد بها أكبر أعداد من قطعان الأغنام. تغطي تشكيلات الحلفاء على مدار السنة من 70 إلى 80 في المائة من الحجم الإجمالي لمتطلبات تغذية المواشي بهذه المناطق. للحلفاء قيمة علفية تقدر بـ0,25 إلى 0,35 وحدة علفية في كل كلغ يابس من الأوراق.

ولامعا يلبث على الأرض وذلك لتسهيل الزحف ووضع حد للاحتكاك بالتربة. تتميز الحلزونات بحمل الأعضاء التناسلية الذكرية والأنثوية من طرف فرد واحد ويتم التناسل بالتقاء فردين. يوضع البيض عادة داخل حفرة ويردم بالتراب. وبعد التفقيس، تظهر الصغار على وجه الأرض وكثيراً ما تلتجئ إلى المناطق الرطبة وتختفي بين الأعشاب وتحت الصخور.

تتكون طائفة معديات الأرجل البرية في المغرب من 17 فصيلة ومن 73 جنساً ومن ما يزيد عن 600 نوع، يستهلك الإنسان من بينها حوالي 24 نوعاً. نذكر منها حلزونات

الكرم، *Helix ahmarina*, *Helix aspera*, *Helix atlantica*,

*Helix brocha*, *Archelix steppica*, *Archelix surrodonta*, *Albea marocana*.

كل أنواع الحلزون عاشبة مما يجعلها تخلف أضراراً بالنباتات المزروعة وكثيراً ما يستعمل في شأنها عدة مبيدات بداخل البيوت الزراعية المغطاة للقضاء عليها.

تألف الحلزونات المناطق الرطبة الغنية بالأعشاب وأعداؤها كثير من الزواحف وبعض أنواع الطيور.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة 1988 : أ. الملعوف، معجم الحيوان، مطبعة المتوقف، القاهرة 1932.

M. Ramdani, M. Dakki, M. Kharboua et M. Elagbani, *Les Gastéropodes dulcicoles du Maroc. Inventaire commenté. Bull. Inst. Sci., Rabat, n° 11, 1987; P. Pallary, Classification générique des mollusques terrestres et d'eau douce de la herbérie. J. Conchyl, n° 83, 1939.*

محمد خربوعة ومحمد رمضان

**الحلفاء**، تُعرف باسمها العلمي سُتِيْبًا تِنَاسِيْسِيْمًا

*Stipa tenacissima*، وهي أحد الأنواع النباتية العديدة من جنس *Stipa* وفصيلة النجيليات Gramineae أو Poaceae التي تشمل الشعير والقمح والأرز والذرة. وهي نبات بري يلعب دوراً هاماً في الميادين الاجتماعية والاقتصادية، وذلك بفضل المساحات الشاسعة التي يغطيها بشمال إفريقيا.

الحلفاء نبات عشبي من فصائل ذوات الفلقة الواحدة عديم الأغصان. له أوراق عديدة خيطية مستطيلة وضيقة ذات وجهين لكنه في أغلب الأحيان تلتف حولها مغطية بذلك الوجه العلوي تغادياً للنتح. تكون قواعد الأوراق على شكل غمد يحيط بالساق الذي يحمل الأزهار. تكون الأزهار صغيرة ومختزلة مجتمعاً على شكل عُقُود أو عُشُكول كثيف يوجد في أعلى الساق الذي يمكن أن يبلغ المتر والنصف أو المترين من الارتفاع.

تنتشر الحلفاء بواسطة الريزومات التي تعطي باقات يمكنها أن تتوسع مع مرور الزمن. كما يمكنها أن تنتشر بواسطة البذور. وتصادف في البيومناخات الجافة وشبه

1978 ; M. Chavagnac, *De Fès à Oujda*, 1887, [S.J.] ; H. Dugard, *La colonne du Sous*, Paris, 1981 ; Yvette Katan, *Oujda une ville frontrière du Maroc*, Paris, 1990 ; L. Voinot, *Oujda et l'amalat*, Oran, 1912.

محمد بوسلام

**الحلفاوي، أسرة أندلسية ماجدة كانت تسكن إشبيلية** وبقيت مستوطنة فيها حتى بعد احتلال النصارى لها، فعَدَّ الحلفاويون لذلك مدجنين. ثم انتقلوا إلى مدينة فاس في النصف الأول من القرن الثامن (14 م)، واستوطنوها (انظر الحلفاوي محمد بن موسى) ونجد في النصف الثاني من القرن العاشر (16 م) بعض الحلفاويين في مراكش، يسكنون حياً يحمل اسمهم حتى اليوم بحومة باب دكالة.

### الحلفاوي ← الفاسي الحلفاوي

**الحلفاوي، قاسم بن أحمد بن محمد المراكشي،** لم تتعرض المصادر كثيراً لحياته فلم تذكر تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته، وكان تركيز كل المترجمين له على مسألتين :  
- الأولى : كتابه شمس المعرفة في سيرة غوث التصوفة الذي عرف فيه بشيخه محمد الكامل بن أبي عمرو القسطلي المراكشي (960 / 1552 - 997 / 1588).  
- الثانية : انتماؤه للزاوية المذكورة وارتباطه الوثيق بشيوخها ومريديها.

وقد اعتمدنا - إلى جانب المعلومات القليلة المتوفرة - على كتاب شمس المعرفة لنستقي منه ما يمكن أن يفيدنا في التعرف بمؤلفه.

والد الحلفاوي هو أحمد بن محمد روى عنه المؤلف وذكر أنه كان من أتباع عبد الكريم الفلاح (شمس المعرفة، 58) وهو شيخ أبي عمرو القسطلي كما هو معروف. وكان للحلفاوي أخ اقتسم معه أموال أبيهما، فأشهد الأخ الناس بعدم رضاه عن ذلك، وشكا الحلفاوي أمره لشيخه محمد الكامل فنصحه بالصبر، فلم تكدهم حتى توفي الأخ وعاد الإرث كله للمترجم له (شمس المعرفة، 91).

درس الحلفاوي بمراكش على بعض علمائها منهم : أبو بكر بن داوود، كان يحضر دروسه في أول النهار ؛ وإبراهيم ابن الحسن، كان يحضر دروسه في آخر النهار (الإعلام، 10 : 28 - 29).

وأخذ التصوف والطريقة الجزولية التباعية عن شيخه أبي عبد الله محمد الكامل بن أبي عمرو القسطلي المراكشي مع صغر سنه، وكان معجبا به شديد التقدير والاحترام له، إذ كان يلقبه "شمس القرن العاشر" والشمس رتبة من مراتب الولاية. وله معه مواقف وحكايات عديدة رواها في مؤلفه عنه. منها ما حدث عند اتصاله به أول

أبحاث شخصية.

Administration des Eaux et Forêts et de la Conservation des Sols, 1983. *Etude de l'aménagement des nappes alfatières*, Rabat, 1983.

محمد همشي

الحلفاء، في المنطقة الشمالية الشرقية وشرق الريف. هذه أهم مناطقها في المغرب. تمتد من ضواحي وجدة إلى مشارف فكيك، وتحتل مساحات واسعة في أراضي غزناية والمطالسة وغمارة، حيث يستعملها السكان لقتل الحبال وضفر أغطية الرؤوس وصناعة الففف. وكان المطالسة يصنعون منها زيادة على ما ذكر شباكاً للنقل وأكياساً للحمل على الدواب. وقد أشار الحسن الوزان إلى أن سكان هذه المنطقة كانوا "يمشون حفاة ... وإذا أراد أحدهم أن يتجول فتل لنفسه نعلا من أسل (حلفاء). لكنه قبل أن يتم فتل الزوج الثاني يكون الزوج الأول قد بلي" (وصف إفريقيا، 1 : 259).

ويذكر بعض الرحالة الأجانب أن الحلفاء كانت توجد أيضاً بضواحي مدينة سلا إلى جوار الأسل (السمار)، وفي أطراف سوس وضواحي مراكش وبعض جبال الحوز. وكانت الحلفاء في هذه المناطق تتخذ مادة أولية لإنتاج الحبال والحصر والأكياس المخصصة لاحتواء عجين الزيتون بهدف استخراج الزيت منه، وتستعمل في صناعة الأفرشة والمطارج وبعض أثاث البيت والأدوات المنزلية ولوازم النقل على الدواب. وكان سكان إلبيغ على الخصوص يصنعون منها "أحذية تُلبس في أوقات الشتاء" (المعسول، 1 : 38). واشتهر أيت وافقا منهم بقدرتهم الفائقة على تطويع ألياف الحلفاء الصلبة وإنتاج كل ما يحتاجه المجتمع المحلي من أدوات ولوازم خاصة بالأثاث المنزلي والنقل والأكل واللباس، كالأطباق والغرابيل والبساط الضروية للأكل والصلاة والنعال والترازات والأخزمة. لذلك قال أحد الشعراء السوسيين فيهم على سبيل الدعابة :

خلق الله للحرير أكفأ وأكفأ لصنعة الحلفاء  
حرفة الإلعيين فتل جبال وشباك وديغهم للبلاد

ح. الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1983 ؛ م. المختار السوسي، المعسول، ج 1، الدار البيضاء، 1960 ؛ م. ابن علي الدكالي السلاوي، الإتحاف الرجيز، الرباط، 1986 ؛ عثمان بوفناس، أمانوز، الدار البيضاء، 1991.

A. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, tome 2, Paris, 1899; B.E.S.M., vol. 6 n° 24, 1939 ; E. Fromentin, *Un été dans le Sahara*, Paris, 1952 ; E.J., tome 3, p. 94 ; L. Trabut, *Etude de l'halfa*, Alger, 1889 ; Ali Bouhamidi, *Le village des asphodèles*, in *littérature de langue française hors de France*, n° hors série, p. 410 ; A. Sefrioui, *Le cuir*, in G.E.M., vol. 2, 123, Rabat, 1987 ; F.A. Ossendowski, *Le Maroc en flamme*, Paris, 1927 ; L. Rousselet, *Sur les confins du Maroc : d'Oujda à Figuig*, Paris, 1912 ; H. Ferhat, *Sabta : des origines au XIVème s*, Rabat, 1993 ; P. Jacquet, *O Maroc de notre jeunesse*, Montpellier, 1987 ; M. Lombard, *Les textiles dans le monde musulman*, Paris,

ويدعو له ويقول له "يا قاسم قسمتك تاتيك".  
ومع ذلك كان الشيخ يظهر التلطف والرأفة عندما يمرض  
مريده، وقد سأل أمه عن حال ابنها مرة ( شمس المعرفة،  
327) وسأل عن حاله مرة أخرى بعدما سُفي من حمى (شمس  
المعرفة، 325) ونصحته بالكي مرة ثالثة (شمس المعرفة،  
326).

وكان الحلقاوي يسلك مسلك شيوخه في الاهتمام  
بالفلاحة ويستشيرهم في ذلك، فقد اقترح عليه محمد  
الكمال أن يغرس أرضاً له رماناً، فغرس إلى جانبه العنب  
والزيتون، فازدهر الرمان دون غيره من المغروسات (شمس  
المعرفة، 343) وساعده بالمال على بناء صهريج لسقي جنان  
له بجبلز (شمس المعرفة، 326-327).

وإلى جانب الذكر والصلاة والتدريس، اقرأ الحلقاوي  
صغرى السنوسي وعبادات مختصر خليل للطلبة والمريدين  
حين طلبوا منه ذلك (الإعلام، 10 : 28).

ويعتقد عباس بن إبراهيم أن الدرب الموجود بحومة باب  
دكالة المسمى بدرب الحلقاوي منسوب إليه، دون أن يثبت  
ذلك (الإعلام، 10 : 25) إذ المعروف بمراكش أن الدرب  
يسمى باسم الولي إذا كان مدفوناً فيه، أو توجد به  
زوايته... والحلقاوي عاش في زاوية الحضر بدرب سيدي  
بوعمره أمام مسجد ابن يوسف حيث كانت - وما زالت -  
الزاوية البيوعمرية. ودرب الحلقاوي المذكور كان يسكنه كبار  
رجال الدولة العلوية والشخصيات العلمية المرموقة بالمدينة  
التي اختارت التدريس بجامع باب دكالة المشيد من طرف  
مسعودة الوزكيتية.

ومن آثار الحلقاوي : شمس المعرفة في سيرة غوث  
المتصوفة، أشهر كتبه، عرف فيه بشيخه محمد الكامل بن  
أبي عمرو القسطلبي المراكشي ورتبه في مقدمة وخمسة  
أبواب وخاتمة، وقد وقع تداخل كبير بينه وبين كتاب (شمس  
القلوب لكل محبوب) الذي ألفه الزروالي في شيخه أبي  
عمرو القسطلبي.

- شعر كثير أورده في كتابه شمس المعرفة في مدح  
شيوخ التصوف وأدب الطريقة وما إلى ذلك من الموضوعات  
الدينية بلغ مجموعه حوالي اثنتين وسبعين قصيدة ومقطوعة  
تجاوز بعضها مائة بيت وهو - من نوع شعر الفقهاء - أقرب  
إلى النظم التعليمي.

- بغية السائل في أشرف الوسائل في الصلاة على  
المبعوث من خير القبائل. في ثلاثين باباً و360 فصلاً و4  
آلاف صلاة و12 نوعاً. ولهذا الكتاب أسماء أخرى ذكرها  
في (شمس المعرفة، 230) منها : غنيمة البائع والمشتري /  
كنز أهل المعارف والأسرار / نزهة أهل الجذب والتيسير / ...  
والمسمى واحد هو كتاب الصلوات المذكورة.

توفي - حسب تقدير ابن سودة - بعد عام 1000 / 1591.  
قاسم الحلقاوي نفسه، شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة،  
مخطوط خزنة ابن يوسف بمراكش، رقم 171 : ع. ابن إبراهيم،

مرة، فقد نظر إليه وأمر بتكشيطه (كذا) من ثيابه النفيسة  
وهو دليل - إذا أضيف إلى مسألة خصومته مع أخيه على  
الميراث - يبين انتسابه إلى أسرة مسورة. وألبسه ما فيه  
رضاه. ثم قال لا بد من جلده، قال الحلقاوي : "وجلدني في  
وسط الناس، وكان أحسن وقت عندي وأحسن يوم وأحسن  
ساعة وقتي ذلك، ولا أحسب شيئاً في أيام عمري أفضل  
من ذلك اليوم..." (شمس المعرفة، 323).

والراجح أنه ألف كتابه شمس المعرفة حوالي سنة 993 /  
1585 لقوله عن الشيخ عبد الكريم الفلاح في ترجمة أبي  
عمرو : "من كلامه ما شاهدنا صدقه بعد ستين سنة كقوله  
سأغرس في موضع كل سدره شجرة. ولا يزال مراكش يعمر  
حتى يباع معطن البقرة بقيمة البقرة" والمعروف أن وفاة  
الفلاح كانت سنة 933 / 1526. وبذلك يكون الحلقاوي قد  
كتب كلامه سنة 993 / 1585.

وقد دأب شيوخ التصوف على فعل شيء ما لدخول  
مريديهم مقام التوبة، منهم من كان يقص خصلة من الشعر  
كالتباع... وقد كاشف الحلقاوي شيخه فيما بعد بما كان  
يدور في نفسه قبل التوبة :

- إنه كان متردداً في اتباع الطريقة فأجابته الكامل :

"الناس كلهم شربوا من مائنا إلا أنت تقيس وتنجر".

- إنه كان من المعترضين على المبالغين في قراءة دلائل  
الحجيرات وهو من أذكار أتباع أبي عمرو، وبعد أخذه عن  
شيخه الكامل أصبح من الذين يختصونه" في اليوم مراراً  
عديدة "وكتب نسخاً عديدة منه بخط يده" بعضها الآن  
بمدينة المصطفى عليه السلام" (شمس المعرفة، 320).

ويبدو أن الحلقاوي أخلص للطريقة ولازم رباط شيخه  
وكان لا يغادره إلا نادراً : فقد زاره رجل من أصدقاء أخيه  
السابق الذكر، فغادر معه الرباط، ولما علم الكامل بذلك  
نهاه قائلاً : "ما لكم وللخروج (كذا) بعض الناس يجعلكم  
مزاراً من أجلنا ومغارة لكلام لا يجمع علينا..." (شمس  
المعرفة، 324).

وكان الحلقاوي يداوم على قيام الليل، وشجعه شيخه  
على ذلك يوماً عندما قال له : "أنت ممن يقوم الليل... إنني  
أطوب عليكم في بيتكم فأعلم القائمين والنائمين" (شمس  
المعرفة، 345). وكان الشيخ يركز في تلقينه على كتب  
الطريقة والتربية الصوفية فكان الحلقاوي يقرأ الألفية خفية،  
وعندما بلغ باب الحال، علم الشيخ بذلك فنهاه عن عمله،  
فتاب عنه، (شمس المعرفة، 345).

ويبدو أن تقدير محمد الكامل لمريده كان سبباً في  
القسوة عليه من حيث الالتزام والدراسة.. وربما طلب منه  
يوماً التخفيف عنه فأجابته : "الناس كلهم أوسع عليهم إلا  
أنت أضيق عليك" وهو يبتسم. فانكب الحلقاوي على يديه  
يقبلهما، واشتد عليه البكاء، فلما رأى حاله قال له : "ما  
يكون إلا خير" (شمس المعرفة، 323-324). وكثيراً ما  
كان يسدعيه ويجالسه ويعظه وينصحه بالذكر والصلاة

الرجال بالمغرب وتولى منصب قاضي الجماعة بفاس، طلب من السلطان يعقوب المريني تأسيس هذه المدرسة. ويذكر صاحب ( الجندوة، 335 ) أن أبا أمية الدلائي أول من سن سنة بناء المدارس بحضرة فاس.

عُرقت مدرسة الحلفاويين بأسماء كثيرة، فقد أطلق عليها في البداية اسم المدرسة ( الذخيرة، 162 ) لكن لما تعددت المدارس بفاس خلال القرن الثامن ( 14 م ) نعتت بأسماء لتمييزها عن غيرها، فسميت باليعقوبية نسبة إلى مؤسسها السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني الذي حكم ما بين 656. 685 / 1258. 1286 (جنى زهرة الآس، 75) وسميت كذلك مدرسة الحلفاويين (فهرس المنجور، 63) ولعل الحلفاويين اسم الحي الذي بنيت فيه، وسُمي بعد ذلك بالصفارين عند انتقال أهل هذه الحرفة إليه في فترة متأخرة. وأصبحت المدرسة تسمى - حتى اليوم - مدرسة الصفارين، وقد يكون للمدرسة علاقة بمسجد قديم يعرف بالحلفاويين وكان مزاراً ينزل به أهل الصلاح والفضل (ماضي القرويين وحاضرها، 49- 50).

أقيمت مدرسة الحلفاويين على مساحة كبيرة، ويمتاز بأبها ببساطة شكله وخلوه من الزخارف عكس أبواب المدارس المرينية، يؤدي مدخلها المنعرج إلى فناء فسيح يتوسطه صهريج يضفي حيوية وبهاء على البناية. تتوزع حول الصهريج مختلف أقسام المدرسة، ففي الجهة الجنوبية الشرقية تقوم قاعة الصلاة، ويجوارها إلى الشرق دار الوضوء. في حين أن بيوت الطلبة تحتل الجوانب الأخرى، إذ يتم الوصول إليها عبر أروقة مغطاه. ويؤدي السلم إلى الطابق العلوي الذي يشتمل أيضاً على بيوت الطلبة. وتتميز قاعة الصلاة بشكلها المربع - وتستعمل كذلك لإعطاء الدروس - حيث ينتصب في جدار القبلة محراب يعد من أقوم محاريب مساجد فاس (جنى زهرة الآس، 75). تشتمل المدرسة على صومعة مربعة الشكل، بُنيت من الأجر وكسيت بالفسيفساء، وبناءً على شكل الصومعة وعلى حجمها وعناصرها الزخرفية يمكن اعتبارها النموذج الأصلي للصومعة المرينية التي ستبلغ أوج تطورها خلال القرن الثامن (14 م).

منذ تأسيس الحلفاويين، سكنها الطلبة والقراء حيث أعطيت لهم الجرايات والمرتبات، واعتمد يعقوب المريني على جزية اليهود باعتبارها مورداً قاراً للإنفاق على مدرسته، ويظهر أن مداخيل الجزية كانت كبيرة لأنها استخدمت أيضاً في الإنفاق على صنع ثريا المسجد الأعظم بالمدينة البيضاء ( الذخيرة، 162 ) ويبدو أن مداخيل الحلفاويين من جزية اليهود لم تصحح كافية لتغطية نفقاتها وحاجياتها المتزايدة، إذ خصصت لها حسب حوالة الأحباس الموجودة بنظارة أوقاف القرويين عدة أملاك وأوقاف. فحسب الحوالة المذكورة كانت المدرسة تستفيد سنة 992 من مداخيل عدة أرحية وحوانيت موجودة بالصفارين والسيبطين والرصيف والنيارين ... ولقد ساهمت الموارد

**الحلفاوي، محمد بن أحمد المراكشي،** لعله أخو قاسم الحلفاوي سابق الترجمة، فيكون حينئذ أكبر منه سناً لأنه كان من مردي الشيخ أبي عمرو القسطلي نفسه بينما صحب قاسم محمد الكامل ابن الشيخ أبي عمرو كما سبق. وصفه ابن إبراهيم في الإعلام بالفقيه الأرضي الأعدل. وذكر له كرامة مع الشيخ من خوارق العادات حين خرج لزيارة أخ له بشعر تاغزا راكبا على فرسه في الأرض فنأدى الشيخ، قال الحلفاوي : "فإذا أنا بالشيخ سيدي أبي عمرو رضي الله عنه أنظر إليه بعين رأسي نظراً لا أشك فيه حققته بعيني ذاته وهيئته كما تركته براكش ...". ولعل وفاته لم تكن بعيدة عن وفاة شيخه أبي عمرو القسطلي عام 974 / 1566.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 5 : 185. 186.

**الحلفاوي، محمد بن موسى الفاسي.** من مدجني إشبيلية، لعله أول مهاجر من الحلفاويين إلى المغرب. استوطن مدينة فاس أيام أبي الحسن المريني وكان حافظاً للقرآن ولكتير من الحديث، تتلمذ في العلوم الشرعية للفقيه محمد بن سليمان السطحي الفاسي شارح المدونة، وأخذ التصوف عن الشيخ يعقوب الزيات الفاسي. قال ابن القاضي في الجندوة : "وكان ممن له قدم في الطريقة ... صاحب صدقات ومكاشفات ... وله مع أبي عنان حكايات مشهورة".

عُرف الحلفاوي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان مأذوناً له في ذلك من سلاطين بني مرين "حسم به أدواء الفساد، وقمع الأشرار عن بغيتهم المعتاد". توفي بفاس سنة 758 / 1356.

أ. ابن القاضي، جندوة، 1 : 305، 2 : 231.

محمد حجي

**الحلفاويين (مدرسة -) بفاس** تعتبر أم المدارس المرينية، فالرغم من اختلاف الباحثين حول تاريخ ظهور المدرسة بالمغرب فإنهم يتفقون على كون الحلفاويين أولى المدارس التي بناها بنو مرين. فقد شيدها أبو يوسف يعقوب سنة 670 / 1271 (جنى زهرة الآس، 75) أي قبل شروعه في بناء المدينة البيضاء دار الملك.

وأشرف أبو أمية الدلائي قاضي الجماعة بفاس على بنائها. ويبدو أن هذا القاضي هو صاحب فكرة تأسيس المدرسة، فلقد رحل من المرية ببلده الأصلي إلى المشرق الإسلامي طلباً للعلم، فتتلمذ عن كبار العلماء كعز الدين بن عبد السلام ( الجندوة، 1 : 339 )، ولاشك أنه أخذ قسطاً من معارفه بالمدارس المنتشرة آنذاك بالمشرق فلما حظ



في تعزيز مكانة مدرسة الحلفاويين وفي تأمين استمراريتها إذ ظلت محجاً للطلبة والأساتذة والعلماء الكبار مثل الشيخ محمد بن سليمان الجزولي مؤلف دلائل الخيرات (المجلد، 1 : 319) وعثمان بن عبد الواحد المكتاسي اللطفي، فكانت مركزاً علمياً تلقى فيه أساسا العلوم الشرعية، ومن هنا ساهمت مدرسة الحلفاويين في تطوير الحياة الثقافية بفاس وفي ترسيخ إشعاعها الحضاري.

وقد احتضنت المدرسة خزانة للكتب، إذ أوقف عليها مؤسسها يعقوب المريني ثلاثة عشر حملاً من الكتب كان حصل عليها في اتفاقته مع الملك القشتالي سانشو عام 1285 / 684 (القرطاس، 363).

شهدت مدرسة الحلفاويين إصلاحات عديدة غيرت نسبياً من ملامحها الأصلية، إذ ضاعت تماما الزخارف الجسدية التي كانت تزين الجدار المحيط بالفتا، كما فقدت المدرسة زخارفها من الزليج (بيل، 93) وبالرغم من هذه التغييرات فإن مدرسة الحلفاويين ما زالت تحافظ على طابعها القديم وعلى بعض زخارفها الأصلية كالقبة الخشبية التي تغطي قاعة الصلاة، فهي تشتمل على عناصر كتابية ونباتية وهندسية متناسقة وبديعة. وهكذا تعد مدرسة الحلفاويين من المعالم الرئيسية بفاس وحلقة هامة في تاريخ العمارة والفن المغربي عامة والمريني خاصة.

وقد أجريت إصلاحات بالمدرسة سنة 1987 قصد تهيئتها وإعدادها لإيواء الطلبة الذين يتابعون دراستهم العلمية بجامعة القرويين. فهي حالياً سكنى للطلبة الأفاقين الشيء الذي يذكرنا بإحدى وظائفها الأصلية.

أ. المنجور، فهرس، نج. م. حجي، الرباط، 1976 : ع. ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، الرباط، 1972 : القرطاس، الرباط، 1972 : ع. الجزائري، زهرة الأس في بناء مدينة فاس، الجزائر، 1923 : أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1973، 319، 240، 339. M.A. Peretié, *Les médersas de Fès*, A. M., T. 18, 1912, p. 257 - 373 ; A. Bel, *Inscriptions arabes de Fès*, Paris, 1919 ; Ch. Terrasse, *Médersas du Maroc*, Paris, 1927.

الحاج موسى عوني

**الحلقي**، مقاوم ولد سنة 1914 بمدشر أزغار بني أحمد تيرانت دائرة ترجيست إقليم الحسيمة، كان متزوجاً وأباً لستة أبناء يعيش في مسقط رأسه فلاحاً متواضعاً إلى أن انخرط في صفوف جيش التحرير ضمن التشكيلة التي كان يرأسها محمد الفزاري المريني، شارك في عدة معارك مع رفاقه في الجهاد إلى أن استشهد بعدما أصيب بالرصاص في إحدى المعارك مع جنود المستعمر الفرنسي ببوزينب في ربيع الثاني - جمادى الأولى عام 1375 / دجنبر 1955.

حلق المعمورة ← المهدية

**حلقة الدار**، الحلقة في اللغة "كل شيء استدار" وفي العمارة الإسلامية المغربية تُطلق على القسم الأوسط العاري من صحن الدار أو "وسط الدار"، سواء في المدن أو في الأرياف، وإن كانت كلمة الحلقة غير مستعملة في الوسط الأمازيغي إذ يحل محلها لفظ "تازنونت"، وهي التي نجدها في الدارج المغربي بصيغة "الزنونة" أو "الجنونة" حسب المناطق. ومعلوم أن هذا القسم العاري أساسي في العمارة التقليدية، خاصة في الوسط المدني، إذ منه تستمد الدار ضومها وتهويتها. فالنازل التقليدية في الحواضر تكون قليلة المنافذ على الخارج، وتكون النوافذ الموجودة بها ضيقة أو صغيرة الحجم، تحتل فتحاتها عموماً شبابيك حديدية أو خشبية (على شكل المشربية)، وفي غير هذه الحالات نجد مكان الشباك إطاراً خشبياً مقوساً، مما يقلل من فتحة النافذة كذلك، ويقلل من دخول الضوء والهواء. ثم إن المنازل في المدن العتيقة كثيراً ما تحتل دروباً ضيقة، تكون الجدران بها قريبة من بعضها، حتى إن دروباً قد لا تتسع لمرور شخصين. كما أن بعض المنازل تقع داخل دروب مسقفة (وهي المسماة بالساباط)، بعضها غير نافذ. وهذه الحالات كلها لها تأثير كبير على تهوية المنازل وإنارتها بالقدر الكافي والمرغوب.

وفي أغلب المنازل التقليدية المغربية، تتحدد الحلقة على طول جوانبها الأربعة بإفريز من الترميد، أو بكنة من خشب، قد يكون ألواحاً عادية وقد يكون ألواحاً منقوشة جميلة الصنع. أما الفتحة نفسها فتحتلها أحياناً شبكة من قضبان حديدية تتقاطع بينها بشكل يفرض مربعات صغيرة، وأحياناً يغطيها زجاج، على أن العنصرين معا دخيلان على العمارة التقليدية لم يظهر إلا في هذا القرن. هذا ونجد الحلقة تعني كذلك مطرقة الباب، وإليها يشير ابن منظور عند قوله "حلقة الباب وحلقته بإسكان اللام وفتحها".

ابن منظور، لسان العرب : معجم كولان للعامة المغربية، 2 : 364.

365 : ع. توري وجودة حصار بنسليمان، قاموس، ألفاظ البناء في العمارة التقليدية، ص. 62 (تحت الطبع).

عبد العزيز توري

**حلقة الفرجة بالمغرب**، هي مجلس ترفيهي يتحلق فيه الناس في السوق أو الساحة العمومية حول قاص أو مقن أو منشد أو بهلواني يبهر العيون ويستهو الأفتدة. وتجمع على "حلقاتي". وهي غير حلقة التدريس التي يتحلق فيها الطلبة حول الشيخ في المسجد أو المدرسة، وحلقة الذكر عند الصوفية الذين يستعملون الرقص والسماع، وحلقة الدار التي هي فناء تحيط به أروقة محمولة على سوار وأقواس من حجر (انظر حلقة الدار).

إذا اقتصرنا على العصر الحديث في حلقة الفرجة وجدنا

الحسن الوزان (ت. بعد عام 1550/957) أثناء حديثه عن مدينة فاس في وصف إفريقيا يذكر ما فيها من مغنين ومشعوذين ينشدون في الساحات قصائد وأغنيات وترهات لاعبين بالدف والرباب والقيثار وغيرها من الآلات. ووجدنا الشيخ عبد الله الهبطي (ت. 1556/963) يستنكر في الباب العاشر من الألفية السنية ظاهرة الزفان وهو المعنى الشطاح الذي ولع جباله بشطحاته حتى لا يكاد يتخلف منهم أحد عن "حلقته" وتتبارى النساء في الرقص بين يديه وهو ينشد الأشعار الغزلية الخليعة باللسان الدارج الذي يفهمه الجميع ويظرب له.

كما نجد الحسن اليوسي في المحاضرات يستشهد على اختلاف طبائع الناس في الطعام باختلاف الإلف والعادة، بأنه دخل في أعوام الستين وألف مدينة مراكش، وهو يومئذ طالب علم، خرج بروح ذات يوم عن نفسه في الرحبة (جامع الفنا) ووقف على رجل مسن عليه حلقة عظيمة وهو يحكي الأمور المضحكة قائلاً: "اجتمع الفاسي والمراكشي والعربي والبربري والدرراوي فقالوا تعالوا فليذكر كل منا ما يشتهي من الطعام، ثم ذكر ما قناه كل واحد بلغة بلده وما يناسب بلده... تمنى الفاسي مرق الحمام ولا يبغى الزحام، والمراكشي تمنى الخالص (خبز السميد) واللحم الغنمي، والعربي تمنى البركوكش بالحليب والزبد، والبربري تمنى عصيدة انلي، وهو صنف من الذرة بالزيت، والدرراوي تمنى تمر الففوس في تكمدارات مع حريرة أمه زهراء".

وقد تكاثرت "الحلقات" في الفترة المعاصرة، وخاصة أيام الحماية وتنوعت مشاربها وأخذت تستقطب جمهوراً واسعاً في الحواضر كمراكش وفاس ومكناس وسلا وتطوان. وساعد على انتشارها في الأوساط الشعبية أمران:

1 - التوقيت الشمسي المعمول به آنذاك عند الحرفيين والصناع التقليديين الذين كانوا يشتغلون من شروق الشمس إلى العصر.

2 - قلة أو انعدام وسائل التسلية داخل البيوت وخارجها، حتى أجهزة الراديو كانت محدودة لا يقتنيها إلا بعض الأسر الموسرة.

ولنضرب المثل بمدينة سلا التي كانت لها ساحتان لعقد "الحلقات"، تقع الأولى خارج باب فاس المسمى أيضا باب الخميس، قتلتى من العصر إلى الغروب حيث يكثُر فيها القصاصون والممثلون الذين يقدمون قصصاً قصيرة وملحاً طريفة عن طريق الحكى الفردي أو الجماعي المصحوب أحياناً بالدف والبندير أو الكنتيري، أو عن طريق الحوار بين اثنين أو جماعة يمثلون منافرة البدو والحضر، ومفاخرة النساء والأزواج، وعادات سكان مختلف الأقاليم في الطعام واللباس والأفراح والمواسم. وأشهر الحلقاتية في هذه الساحة المسمى "العكر" الذي لا يُبارى في التعبير بلامح وجهه وتكييف صوته وتغيير لهجته البدوية والحضرية: و"الحاج" حاكمي القصص الطوال كسيرة ذات الهمة وولدها

عبد الوهاب وعنترة ابن شداد وابنة عمه عبلة بنت مالك. وتقع الساحة الثانية داخل المدينة وسط السوق الكبير وتعمر بين العشاءين، ويغلب عليها طابع الغناء والرقص عندما تزور "رباعة الروايس" المدينة، والحركات البهلوانية مع فرق "عبيدات الرمسى" أو "أولاد سيدي أحمد أو موسى". وتزدحم فيها كذلك حلقة البودليين الذين يشربون الماء في شدة غليانه ويأكلون الرجاج المسحوق... ويذعن الحاضرون بالتسليم عندما يطلب منهم ذلك فيصبحون بصوت جهوري جماعي تدوي له الساحة "التسليم لله" وحلقة هداوة ذوي الشعور المشعثة الذين يدقون في طبول كبيرة موضوعة على الأرض ويرددون أزجالاً حلوة في تمجيد الخالق تعالى والرسول الكريم وشيخهم سيدي هدي. وكان من ألع نجوم هذه الساحة الحسين السلاوي ورفيق له لا أذكر اسمه، تزدحم حلقتهما بالشباب، وتحضرها بعض النساء المنتقبات فيتنزل الحسين ببعضهن أحياناً بزجله وهو يطوف بالحلقة شبه راقص قائلاً: "ذوك العيون الكوخل... محققاً في إحدى المتحولات التي قد تخجل وتنسحب.

لقد تضاعف شأن "الحلقات" بعد الاستقلال نتيجة وفرة وسائل التسلية المرئية والمسموعة داخل المقاهي والبيوت، باستثناء جامع الفنا الذي لا تكاد تخلو ساحته منها ليلاً ولا نهاراً.

ح. الوزان، وصف إفريقيا، الترجمة العربية، بيروت، 1983؛ ح. اليوسي، المحاضرات، بيروت، 1982؛ ع. الله الهبطي، الألفية السنية، مخطوط: اطلاع ميداني.

محمد حجي

## حَلَقِيَّاتٌ أَوْ الْعَلَقُ، دِيدَانٌ بَحْرِيَّةٌ تَتَمَيَّزُ - كَمَا يَدُلُّ

اسمها على ذلك - بجسم ديداني الشكل مقسم إلى عدد كثير من الحلقات، وقد تم تصنيفها إلى ثلاث مجموعات:

1 - المجموعة الأولى تتميز بتوفرها على رأس ذي أعضاء حسية وجسم تحمل معظم حلقاته زائدتين اثنتين جانبيتين تتوفر كل واحدة منها على العديد من الشعيرات تساعد على السباحة والتنقل ممّا حدا بالعلماء إلى تسمية المجموعة بـ "Polychètes" أو "متعددات الشعيرات" كما يمكن لهاته الزوائد أن تحمل ملامس قد يكون لها دور أساسي في وظيفة التنفس. وتوجد داخل "متعددات الشعيرات" حلقيات "أوابد" تعيش في مسالك محفورة في الصخور مصنوعة بلعاب خاص وحيات الرمال، كما توجد حلقيات رحالة لا تستقر بمكان، وهي دائمة التنقل بين النباتات والصخور بحثاً عن الغذاء.

تعيش معظم متعددات الشعيرات في المياه البحرية إما في الرمال والأحوال أوفوق ودخل الصخور، كما أن هناك عدة أنواع تعيش ضمن العوالق أو كطفيليات لحيوانات أخرى. وهي إما لاحمة خاصة منها الرحالة وإما كالأوابد بحكم طريقة عيشها مضطرة للانتظار داخل "جحرها" لما

لقليلات الشعيرات كذلك طريقتان في التكاثُر، فهناك طريقة جنسية، وتجب الإشارة إلى أن كل الأفراد عند هاته الحلقيات تلعب في نفس الوقت دور الذكر ودور الأنثى، والتجانس لا يمكن أن يحصل إلا بين فردين اثنين تلحق الحيوانات المنوية لكل واحد منهما بويضات الآخر، كما أن هناك طريقة غير جنسية وذلك بانشطار جسم الفرد الواحد إلى قسمين اثنين يجدد بعد ذلك كل واحد منهما ما ضاع منه في القسم الآخر.

3 - وأخيراً المجموعة الثالثة وهي ما يمكننا تسميتها بـ "عديمات الشعيرات" (Achètes) فهي ميدنياً حلقيات لا تتوفر على شعيرات ولا على زوائد، إلا أنه رغم تسميتها هاته فهي تحتوي على بضعة أنواع مازالت رغم تطورها تحتفظ ببعض الشعيرات في الحلقيات القريبة من الرأس. ومن الخصائص الرئيسية كذلك لهاته المجموعة توفر أنواعها على محجمين اثنين أحدهما محيط بالفم والثاني في الطرف الخلفي. ومن الخاصة الأخيرة يمكن استنتاج طريقة عيش هاته الحلقيات حيث إن وجود محجم محيط بالفم يُمكن تلك الديدان من الالتصاق بضحاياها وامتصاص دمها.

وأشهر الأنواع المعروفة ببلادنا ما يسمى بالعلقة وهي ديدان صغيرة حمراء توجد في المستنقعات ومياه الآبار والتي إذا نفذت إلى جسم الإنسان أو الحيوان عن طريق الماء غير الصالح للشرب تحدث نزيفاً خطيراً يمكن أن يؤدي إلى وفاة المصاب. تتغذى إذن هاته الحيوانات بدم ضحاياها وتتغذى عن طريق جلد الجسم كله تمتص بواسطته الأوكسجين الضروري لها مباشرة من الماء، أما التكاثُر فلا يتم إلا بطريقة واحدة وهي الطريقة الجنسية. وبالفعل فإن كل عديمات الشعيرات تحمل في نفس الوقت أعضاء تناسلية ذكورية وأنثوية ولا يمكن للفرد أن يخصب نفسه، بل على كل فرد الالتقاء بفرد آخر حتى تخصب حيواناته المنوية بويضات الفرد الآخر.

أما عن أنواع الحلقيات الموجودة في المياه الإقليمية بالمغرب فهناك أكثر من 340 نوع يتوزع معظمها في أعالي البحار والمحيطات، والقليل منها فقط ذو توزيع متوسطي وأطلسي، كما أن هناك تسعة أنواع لا توجد إلا في المياه المغربية، وآخر نوع اكتُشف في المغرب سنة 1995 هو Diopatra marocensis اكتُشف في منطقة أسفي وهو كما يدل اسمه على ذلك يحمل إهداءً للمغرب.

محمد منيوي

ابن **حَلَام**، أسرة علم ومروءة يمكناس من أهم أفرادها :

ابن **حَلَام**، **أحمد**

ابن **حَلَام**، **إدريس بن قاسم**

ابن **حَلَام**، **التهامي بن عبد الوهاب بن أحمد**

يمكن أن تحملها لها التيارات البحرية من عوائل أو مواد عضوية. أما عن طريق تزويدها بما تحتاجه من مادة الأوكسجين فيتم ذلك أساساً بواسطة الزوائد الجانبية لكل حلقة من حلقات الجسم، وكذلك الملامس المحمولة على هاته الزوائد، بل وعند العديد من أنواع الأوبد توجد لواصم أخرى محيطية بالفم لها كذلك دور كبير في وظيفة التنفس. وقد ذهب العديد من العلماء إلى تأكيد أن الحلقيات متعددة الشعيرات يمكنها كذلك امتصاص الأوكسجين الموجود في الماء عن طريق جلد الجسم كله.

أما عن التكاثُر لدى متعددة الشعيرات فقد أثبتت الدراسات أنه يتم بطريقتين اثنتين : طريقة جنسية بواسطة حيوانات منوية وبويضات تتكون وتنمو داخل تجوف الجسم فيلقى بها فيما بعد في الماء ليخصب بعضها البعض، وطريقة لا جنسية كالتبرعم أو انشطار الجسم إلى عدة قطع تعطي كل واحدة منها فرداً كاملاً. بل وأثبتت دراسات أخرى أن التكاثُر عند متعددة الشعيرات يمكن أن يتم عن طريق التوالد العذري أي دون تدخل الحيوانات المنوية، كما أن هناك حالات نادرة يمكن فيها للأنثى أن تلد صغاراً مباشرة ومن دون بيض وهي الطريقة الولادية.

2 - المجموعة الثانية من الحلقيات وهي ما يمكن تسميتها "تادرة الشعيرات" (Oligochètes) وهي ديدان تختلف أساساً عن المجموعة الأولى بعدم وجود أية أعضاء حسية في الرأس الذي لا يُرى هو نفسه. كما تختلف عن متعددة الشعيرات بعدم وجود زوائد جانبية في حلقات الجسم، وحتى الشعيرات فهي قليلة ومغروسة مباشرة في الجلد.

من أشهر هاته الحلقيات دودة الأرض، إلا أن هناك أنواعاً أخرى تعيش في المياه القارية الجارية منها والراكدة، وكذلك المياه البحرية. وإذا كان لا يُعرف لقليلات الشعيرات المائية دور مهم غير المساهمة في التوازن البيئية داخل وسطها فإن لقليلات الشعيرات التي تعيش في اليابسة دوراً مهماً وأساسياً في إغناء الأرض بالمواد العضوية الضرورية لنمو النباتات، بل ولديدان الأرض الفضل الكبير في إنتاج الدبال أي التربة العضوية، وأن أكبر كمية من هاته المادة الحيوية في العالم تنتجها الحلقيات لقليلات الشعيرات حيث إنها تلتهم التربة (بالنسبة للأنواع التي تعيش على اليابسة) أو الرمال والأوحال (بالنسبة للأنواع المائية) فيمتص جهازها الهضمي ما يحتاج منها من مواد مغذية للجسم ويلقي بالباقي خارج الجسم غنياً بمواد أخرى صالحة للنباتات، لذا سميت هاته الحيوانات "آكلات التربة".

ليس لقليلات الشعيرات جهاز تنفسي، حيث إنه سواء بالنسبة للأنواع التي تعيش على اليابسة أو في الماء فإن الاستفادة من مادة الأوكسجين الموجود في الوسط يتم عن طريق جلد الجسم كله.

عبود، والطالب إدريس بن قاسم ابن حلام، مثقالين لكل واحد منهم في كل شهر من أحباس الجامع الكبير، إغاثة لهم على طلب العلم الشريف، فنامر ناظرها في حينه أن يكون يدفعها لهم في كل شهر، والسلام.

في 3 ربيع الثاني عام 1277.

مجهول آخر، تلخيص الحاوي للفتاوى لمجهول، وفرغ من كتابة أواخره بعد عشاء الأحد رابع جمادى الأولى عام 1269 هـ، خ. ع. ك 1855 : ع. ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، 4، 168، 296.

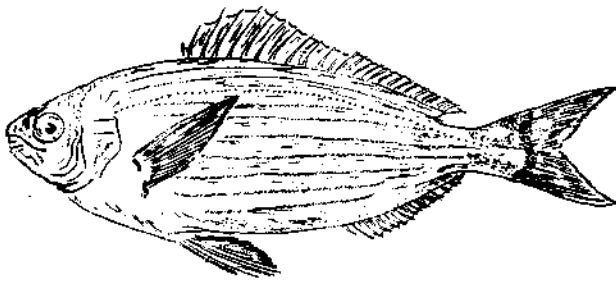
محمد المنوني

### حَلَامَة، نوع من الأسماك العظيمة الشعاعيات

الزعانف Actinoptérygiens ومن رتبة الفرخيات Perciformes ومن فصيلة الأسبوريات Sparidae يسمى علمياً Salpa (Boops) salpa وبالفرنسية Saupé وبالإنجليزية وبالاسبانية Salema. لا يتعدى طوله 51 سم وجسمه مضغوط جانبياً. بالفكين صف واحد من الأسنان كلها قاطعة. تتكون الزعنفة الظهرية من 11-12 شوكة ومن 14-17 شعاع كلها لينة وتتكون الزعنفة الشرجية من 3 شوكات و13-15 شعاع. الزعنفة الصدرية قصيرة. يتكون الخط الجانبي من 70-80 حرشفة.

اللون رمادي ويتخلل كل جانب 10-11 خطاً طويلاً مصفراً ومذهباً مما أدى إلى تسمية النوع في أكادير وطرفاية والعيون بتالوزيت نسبة للون الذهب.

يعيش هذا السمك غير بعيد عن السواحل في أعماق لا تتعدى 20 م وخاصة منها الصخرية والرملية الغنية بالطحالب والنباتات البحرية التي تُكوّن قوته اليومي. يعيش وسط مجموعات متعددة الأفراد ويتوالد في فصل الربيع والخريف وهو من الحيوانات الحثثى. يصير بالغاً بعد أن يصل طوله إلى 20 سم. صيده في المغرب رياضي وتقليدي بواسطة صنارة طعمها قطع من النباتات البحرية وبواسطة الشباك. يصاد منها كل سنة ما بين 80 و110 طن بالنسبة للمغرب وما بين 1200-1500 طن في البلدان المحاطة بالبحر المتوسط.



حَلَامَة (سمك)

ابن حَلَام، عبد السلام بن أحمد  
ابن حَلَام، عبدالعزيز بن محمد بن قاسم  
ابن حَلَام، العربي بن محمد بن أحمد  
ابن حَلَام، قاسم الخطيب  
ابن حَلَام، مَحْمَد (الجد -) دفين جنوب زرهون  
ابن حَلَام، محمد الخطيب  
ابن حَلَام، محمد بن قاسم بن محمد

كل هؤلاء الأعلام مذكورون فيما يلي حسب تسلسل أفراد الأسرة دون اعتبار الترتيب الهجائي.

وهم ينتسبون إلى الشيخ مُحَمَّد ابن حلام دفين مركز خمراوة جنوب جبل زرهون جنوب مدينة مكناس، حيث سكنها أوائلهم - تخميناً - من أواسط القرن الثاني عشر (18 م) من الزمن تفرعوا إلى فرقتين :

أ - فرقة محمد بن قاسم بن محمد بن القاسم بن عبد العزيز بن عبد المجيد، ومن هذا الفريق محمد بن قاسم ابن حلام، المتوفى عام 1234، حلاه ابن زيدان بخاتمة أعلام عصره في تقرير المختصر الحليلي بالزرقاتي وبناني، كما استنتج من بعض الوثائق العدلية ولايته لنيابة القضاء بمكناس.

ومن مقيدات المترجم كناشة بخطه تحمل رقم خ. ع. ك 3246 ثم الفقيه قاسم ابن حلام أول خطيب بالجامع العلمي.

وثاني هذا الفريق الفقيه العدل الحاج إدريس بن قاسم ابن حلام، المتوفى حوالي عام 1300.

وثالثاً : الشقيقان الحاج محمد وعبد العزيز ابنا الفقيه السيد محمد بن قاسم ابن حلام، وهو - أيضاً - جد العالم محمد بن أحمد بن المفضل برادة من بنته السعدية.

ب - فرقة أحمد بن حلام :  
من هذا الفريق الفقيه العدل المبرز، النوازلي البارع مُحَمَّد بن أحمد ابن حلام، المتوفى عام 1331، وهو والد الفضل الحبي الحسيب السيد العربي، والد نخبة من منوعي الثقافة بين عربية وأجنبية.

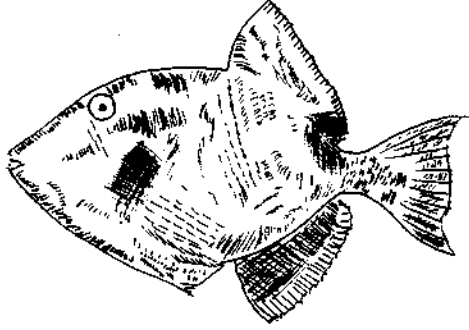
ومن الفريق الفقيه العدل الخطيب السيد عبد السلام بن أحمد ابن حلام، والد الفقيه العدل العالم الخطيب محمد ضما المتوفى عام 1362.

ثم منهم التاجر الأريحي الفضال السيد التهامي بن الوهاب بن أحمد.

نذيل هنا بظهير إنعام بمنح من السلطان محمد الرابع تشجيعاً لفئة من طلبة مكناس، رابعهم الحاج إدريس بن قاسم ابن حلام سابق الذكر، ونصه بعد الافتتاح :

"نفذنا - بحول الله وقوته - للطلبة الأربعة من أهل مكناس، وهم الطالب أحمد بن محمد ابن عزوز، وسيدني السعدي بن محمد المنوني، والطالب إدريس بن محمد ابن

لا يتعدى طول الكبار 60 سم وشائع بين 20 - 30 سم. الجسم بيضوي الشكل ومضغوط جانبيا. الفم صغير جداً ويحمل أسنانا قارضة على صف واحد في الفك الأسفل، وعلى صفيين في الفك العلوي. على الظهر زعنفتان تتكون أولاها من ثلاث شوكات فقط والثانية من 24 - 27 شعاع كلها لينتة. الزعنفة الصدرية صغيرة. اللون رمادي أخضر اللعان، وغالبا ما تتخل جوانبه ثلاث بقع كبيرة تميل إلى الأزرق. الحراشف صغيرة الحجم ومكثفة.



الحلوف البحري

يعيش في السواحل المتوسطية والأطلنطية الشرقية منها والغربية منذ البحر الشمالي إلى ضواحي أنغولا جنوبا، وكذلك في السواحل الاطلنطية الأمريكية إلى جنوب السواحل الأرجنتينية. إنه سمك لاصق يأكل القشريات الصغيرة والرخويات ويعيش بين الصخور في أعماق تتراوح بين 10 و100 متر. يتوالد في الصيف وتضع الإناث بيضاها في حفر بين الصخور تحرسها الذكور. صيده تقليدي وشبه اصطناعي بواسطة الصنابير والشباك وموجود في أسواق الأسماك المغربية بصفة غير منتظمة.

تضم الفصيلة حوالي 30 نوعا تعيش في البحار الاستوائية والمعتدلة الحرارة منها نوع - Baliste royale Balistes vetula نادر في أسواق الأسماك.

مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، لبنان، 1988.

W. Fischer, M. Schneider et M.L. Bouchit, *Fiches d'identification des espèces pour les besoins de la pêche. Méditerranée et Mer Noire*. Rome, 1987, p. 972 - 973 ; J.R. Schouten et M. Ramdani, *Fish of the Khnifiss lagoon and the Tarfaya coast. Trav. Inst. Sci., Rabat*, 1988, p. 101 - 104.

محمد رضاني

**الحلوف**، (البري) أو الخنزير، واسم الحلوف شائع في بلدان المغرب العربي، والرت والعر في بعض المعاجم، حيوان وحشي من الفقريات اللبونة ومن الحافريات المزدوجات الأصابع السريعة الجري وغير المجتررة لأن معدته مقسمة إلى جزئين فقط.

يشمل توزيع حلأمة الجغرافي كلاً من السواحل المتوسطية وسواحل المحيط الأطلسي الشرقي ابتداءً من بحر الشمال إلى سواحل إفريقيا الجنوبية الغربية. وتوجد باستمرار في جميع أسواق الأسماك المغربية وتستهلك طرية.

W. Fisher, M. Schneider et M.L. Bauchot, *Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche. Méditerranée et Mer Noire*. Rome, 1987, p. 1346 - 1373 ; G. Bianchi, *Guide des ressources halieutique de l'Atlantique marocain*. Rome, 1984, p. 49.

محمد رضاني

**الحلاوي، إبراهيم بن أحمد الأسفي**، أحد الشخصيات التي عرفها الميدان النقابي المغربي خلال الأربعينيات والخمسينيات. ولد بمدينة أسفي عام 1322 / 1904. لعب رفقة زميله محمد البركة دوراً مهماً في تثبيت



أسس الحركة النقابية في ميدان الصيد البحري على الصعيد الوطني، وكانت له مساهمات فعالة في تنظيم الإضرابات الناجحة التي قامت بها نقابة الصيد لبحري في جميع موانئ المغرب خلال الخمسينيات. اعتقل عدة مرات من طرف السلطات الاستعمارية بسبب نشاطه السياسي والنقابي.

توفي بأسفي في 28 محرم عام 1385 / 29 مايو 1965. معلومات شخصية وروايات شفوية.

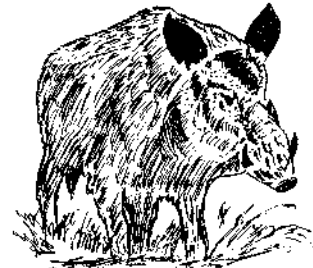
عبد الرحيم العطاوي

**الحلوف**، (البحري) نوع من الأسماك العظمية البحرية من شعاعيات الزعانف وملحومات الفك وفصيلة عنز الماء. Balistidae. اسمه العلمي Capriscus وبالعربي الفصح عنز الماء، وا لكلمة منقولة من اليونانية Kapros. ولكنه اشتهر في أسواق الأسماك المغربية باسم الحلوف ويسمى في طنجة وأصيلا البقلة، ويُلقب بالغار في كل من مولاي بوسلهام وأسفي والجديدة وأكادير وطرفاية والعيون، ويُعرف في الدار البيضاء باسم الذيب ولُبْحَر. ويسمى في الشرق العربي عنز، وعنز الماء وبالفرنسية Baliste cabri وبالانجليزية Greytriggerfish وبالاسبانية Pez Ballesta.

ينتمي إلى فصيلة الخنزيريات Suidae ويسمى علمياً  
Sus scrofa وبالفرنسية Sanglier أو Sanglier d'Europe وبالبربرية إلف ويجمع على  
commun وبالإنجليزية Wild boar وبالبربرية إلف ويجمع على  
إلفان وإلفيون ويسمى الخنزير المرابي Porc الأداكي ويجمع  
على الإداكين.

جسمه ضخم يكسوه شعر حريري صلب يختلف لونه  
حسب السن، فهو رمادي مخطط بالبنّي الداكن عند الصغار  
التي تسمى الخنوص، ويصير رمادياً بنياً ما بين سنة  
وثلاث سنوات، وبعد ذلك يصير رمادياً فاتحاً. يتبدل شعره  
في الصيف والشتاء كل سنة. رأسه كبير ينتهي بفتيحة  
قوية. الأذنان كبيرتان يكسوهما شعر أسود رمادي،  
والعينان صغيرتان.

يبلغ طوله جمعاً بين الرأس والجسم 115. 150 سم وطول  
الذيل 15. 20 سم وعلوه عند الغارب 65. 90 سم. يتراوح  
وزنه ما بين 75. 140 كلف. يبلغ عدد صيغياته  $2N = 38$ .  
قوائمه صغيرة وشبيهة بقوائم المعز.



الخلوف البري

صيفة أسنانه كالتالي : 3/3 قوارض، 1/1 أنياب، 4/4  
أضراس أمامية إلى أعلى مما يجعلها تبرز من فمه ويتجلى  
ذلك خاصة عند الذكور. تساعده الأنياب على حفر التراب  
بداخل المزروعات بحثاً عن العساقيل والجذور وديدان  
الأرض والحلزونات والحشرات الصغيرة التي تُكوّن غذاءه  
اليومي. يأكل كذلك الذرة وبعض الفواكه كالتين والبلوط،  
ومن الحيوانات يأكل صغار الأرانب والبيض.

نظامه الغذائي القارث جعل منه حيواناً سهل التدجين،  
ويرجع تاريخ تربيته إلى العصر الحجري الأخير (العصر  
النيوليتي) مما أدى إلى ظهور عدة سلالات داخنة تتميز  
بمردودية عالية في إنتاج اللحوم ابتداءً من مأكولات  
تكلّفَتها ضعيفة. يقبل العيش في مختلف الأماكن وينعت  
بالحيوان القدر Cochon لرائحته الكريهة وللأوساخ الذي  
يخلفها في مكان عيشه. كان في القدم يستعمل أضحية  
ترمز إلى عدة شعارات للعقائد وأكله محرم لدى المصريين  
القدامى والديانة اليهودية والإسلامية.

يألف الخنزير البري الغابات والجبال، ويشمل توزيعه  
الجغرافي أوروبا وآسيا وشمال إفريقيا. يوجد في المغرب في  
كل المناطق الجبلية الغابوية الأطلسية منها والريفية، ونادر

في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية. إنه حيوان ليلي  
النشاط يغادر الغابات ليبحث عن الأكل في المزروعات  
ابتداءً من الغروب إلى طلوع النهار مما يجعله يخلف خسائر  
في المنتجات الفلاحية. يقضي نهاره وسط الغابات وكثيراً  
ما يستحم في مياه العيون والأنهار ليتخلص من الطفيليات  
التي تعيش على جلده.

تكثر حرارته التناسلية ما بين نونبر ودجنبر وتدوم مدة  
الحضانة 112. 115 يوماً. تضع الأنثى 4. 8 صغار تضعها  
لمدة ثلاثة أشهر على الأكثر. ترافق الصغار أمها ابتداءً من  
اليوم الثاني من ولادتها وتصير بالغة ما بين سنة وستين.  
يعيش الخنزير البري وسط مجموعات تتكون من الأب  
ويضع إناث وصغارها، وكثيراً ما تعيش الذكور المسنة  
منعزلة ولا تلتحق بالمجموعات إلا في فترات الحرارة  
التناسلية. تعيش الأمهات بجانب صغارها ولا تفارقتها.  
يعمر الخنزير حوالي عشرين سنة.

تحريم أكله في الإسلام جعله يكثر في الغابات المغربية  
ويكون طريدة مهمة للقناصين الأجانب. يشترط في صيده  
الرخصة من مديرية المياه والغابات التي تحدد مكان الصيد  
وعدد الطرائد، والإحاشة Chasse en battue هي الطريقة  
الوحيدة المرخصة في المغرب، تتلخص في التناقص مجموعة  
من الناس مصحوبة بالكلاب حول الفريسة ودفعها نحو  
الصيادين لضربها بالرصاص. في حالة جرح الخنزير يشتد  
غضبه وهيجانه فيصبح خطيراً. أعطت الإحصاءات أن ما  
يقرب من 1600 رأس تصاد كل سنة في المغرب.

يختلف الخنزير البري الذي يعيش في شمال إفريقيا عن  
نظيره الذي يعيش في أوروبا في قامته وطوله مما جعل منه  
سلالة تسمى علمياً Sus scrofa barbarus تتميز بعلو عند  
الغارب لا يتعدى 90 سم ولا يتعدى وزنه 140 كلف بينما  
يبلغ وزن الخنزير الأوروبي أحياناً 300 كلف.

A. Elmastour, Contribution à l'étude de la biologie et  
du mode de vie du Sanglier (Sus scrofa barbarus). Mém.  
3ème cycle, IAVX, Rabat, 1982, 53 p. ; L. Lyneborg,  
Mammifères d'Europe, Paris, 1972, 237 p. ; Y. A. Alaoui,  
Guide du chasseur au Maroc, Rabat, 1992, p. 181.

محمد رمضاني

الخلو، أسرة فاسية عريقة، تنسب عند الإطلاق إلى  
محمد الخلو الوطاسي المريني أخي الوزير يحيى بن يحيى  
بن عمر بن زيان الوطاسي الذي قتله السلطان عبد الحق  
المريني هو وقرابته بعد سنة 863 / 1458 عدا محمد الخلو  
وأخيه محمد الشيخ اللذين فرّوا إلى الصحراء إلى أن  
استولى محمد الشيخ الوطاسي على ملك فاس فرجع إليها  
هو وأخوه محمد الخلو. وفي فاس قومٌ آخرون يدعون أيضاً  
"الخلو" لكن يميزون بلقب إضافي. واشتهر آل الخلو  
الوطاسيون في فاس بالعلم والخط الحسن وكان منهم  
نساخون مشهورون.

**الحلو، أحمد بن محمد الكبير بن قاسم الفاسي،** من علماء الشباب المتخرجين من القرويين. كان وطنياً مكافحاً خطيباً مفوهاً وكاتباً شاعراً.

توفي في ريعان شبابه، صباح يوم الجمعة خامس وعشري جمادى الأولى عام ثمانية وستين وثلاثمائة وألف / 25 مارس 1949. بأحد المستشفيات بالدار البيضاء، ونقل إلى فاس حيث دفن بروضة العلميين داخل باب عجيصة. وأبنة عند دفنه الزعيم محمد حسن الوزاني ثم أقيم له حفل تأبين كبير بفاس خطب فيه الجم الغفير من أصدقائه الشبان الوطنيين.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 9 : 3240.

**الحلو، عبد الرحمان بن عبد العزيز الفاسي،** وصفه في إتحاف المطالع بقوله : "علامة مشارك، أديب مطلع، له حظ حسن، وإنشاء وترسل، ذكر الجد المهدي (ابن سودة) أنه من أصحابه في تقييده".

توفي بفاس ليلة الخميس سادس وعشري قعدة عام 1269 / فاتح شتنبر 1853.

عباس المجرمي، الروض الطيب العرف، مخطوط، ص. 21 : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 7 : 2596.

**الحلو، عبد السلام بن أحمد الفاسي،** قال عنه في إتحاف المطالع : "علامة متفتن له حظ بارع ... ذكر الجد المهدي (ابن سودة) في التقييد أنه من أصحابه".

توفي عام 1241 / 25 . 1826، ودفن بالقباب. ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 7 : 2524.

**الحلو، عبد القادر بن عبد الرحمان الفاسي.** كان فقيهاً مشاركاً مطلعاً ناسكاً منتصباً للشهادة في سباط العدول، إماماً بالنيابة بمسجد الأبار.

توفي في سادس عشر ذي الحجة عام 1306 / 13 غشت 1889.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 8 : 2777.

**الحلو، عبد الوهاب بن محمد الفاسي،** فقيه مشارك أسند إليه منصب القضاء بفاس الجديدة مدة.

توفي بمسقط رأسه في رمضان عام 1194 / شتنبر 1780.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 7 : 1780.

**الحلو، محمد بن عبد السلام الفاسي.** من أكبر تجار فاس، متشبع بالروح الوطنية، وله مواقف مشرفة فيها، لذلك نفتت السلطات الاستعمارية إلى مدينة صفرو.

وإلى جانب ذلك، كان له حظ جميل وولع بنسخ أمهات المؤلفات. نسخ بيده الكتب السبعة في الحديث، ونحو خمسين مصحفاً، وقد أقام حفلاً كبيراً عند إتمام النسخ رجاء ثواب الآخرة. يُوجد أحد هذه المصاحف بخطه الجميل في الخزانة الحسنية بالرباط تحت عدد 287.

توفي بمنفاه بصفرو يوم السبت عاشر قعدة عام 1373 / 10 يوليوز 1954 ونقل إلى فاس من الغد ودفن بالقباب.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 9 : 3294 : م. المنوني، تاريخ الوراق، 295.

**الحلو، محمد بن عبد الواحد بن عبد النبي الفاسي،** الشيخ الصوفي الكبير والعالم المشارك النحير.

درس على كبار شيوخ القرويين في عصره، أمثال عبد الله البدرابي، وهو عمدته، وعبد المالك العلوي الضرير، وأحمد بناني كلاً، ومحمد بن المدني گنون، ومحمد بن التهامي الوزاني. ثم انصرف إلى التصوف حتى أصبح متمكناً عارفاً باصطلاح القوم مستحضراً نصوصهم لا يضاها في ذلك.

إلى دين متين، وصلح ويقين، فأقبل عليه الناس للتربية والسلوك، وتخرج على يده الجم الغفير من الناسكين وأهل التصوف "وما زالوا يلهجون بذكره ويعدون من أفضل أشياخهم في الطريق". ومن أخذ عنه وتبرك به عبد السلام ابن سودة ونوّه به في فهرسه سل النصال.

ألف الشيخ الحلو عدة كتب في التصوف اطلع عليها صاحب سل النصال في خزانة الشرفاء البدرابين أصهار الشيخ. منها بهجة الأفكار في حسن الظن وعدم الإنكار، أتى فيه بكلام نفيس يقبله كل ذي عقل سليم ؛ والحكمة اللقمانية والحديقة المحمدية، ضمنها وصيته النافعة لولده محمد وفرغ منها عام اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف ؛ ونصيحة الإخوان بما يرضي الرحمان ؛ وحلل الصدق والتمكين للفقير المسكين، إلى غير ذلك من التأليف.

توفي في شهر قعدة من عام واحد وأربعين وثلاثمائة وألف / يونيه - يوليوز 1923، ودفن بزواوية الشيخ أبي يعزى من حومة البلدة التي يتصرف فيها أصهاره البدرابون.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع ؛ سل النصال ؛ موسوعة أعلام المغرب، 8 : 2930 . 2931 : م. المنوني، مصادر تاريخ المغرب، ج 2، رقم

1447.

**الحلو، محمد بن محمد المهدي الفاسي،** وراق حسن الخط، بارع في زخرفة الكتب، تخصص في هذا الفن وخلف عدة أولاد ساروا على نهجه في الوراثة والزخرفة والتجليد. وتحتفظ الخزانة العامة والخزانة الحسنية بالرباط بعدد من المنتسحات البديعة بخطه وزخرفته، آخرها الشفا للقاضي عياض انتهى من نسخه في منتصف جمادى الثانية عام 1189 (خ ح رقم 574) وفي هاتين الخزانيتين

وغيرهما منتسختات جميلة مزخرفة كذلك لأولاده أحمد وعبد العزيز ومحمد. انظرها عند محمد المتوني في تاريخ الوراق.

توفي بعد عام 1189 / 1775.

م. المتوني، تاريخ الوراق المغربية، ص. 144 و155 و157.

محمد حجي

**الحلوي**، أسرة تطوانية أصلها من فاس وقد انقرضت الآن من تطوان. عرف من أفراد هذه العائلة الفقيه السيد العربي الحلوي، والتاجر السيد أحمد بن الحاج محمد من كبار الأثرياء والأعيان بتطوان خلف من العين ما يزيد على عشرين ألف مثقال عدا الربايع والعقار والأثاث وأوصى بجزء مهم من متخلفه أن يصرف في وجوه البر والإحسان. كان هذا عام 1189 وتوفي بعد ذلك. وفي حومة البلكد درب كان يحمل اسمه درب الحلوي، ثم غير إلى درب ابن جلون. من آخر من عرفنا من هذه الأسرة الحاج محمد الحلوي الملقب (بيگازان) توفي منذ سنوات ولم يعقب.

أ. الرهوني، عمدة الرايين، ج 3 حرف ح مخطوط؛ م. دورد، عائلات تطوان. حرف ج نسخة المؤلف بخطه بخزانته بتطوان. محمد بوخيصة

**الحلبي**، زينة من معدن نفيس أو جوهر أو ما أشبه ذلك، ولا ينفصل اللباس عند سائر الشعوب مهما دنا مستواها في سلم التطور عن الزينة والحلي مكملته الرئيسي. لهذا لم يكن أهل المدن والبوادي من سكان المغرب يتخذون الملابس من أجل تغطية الجسم وحمايته من غوائل الطبيعة فحسب، بل كانوا يزينون هذه الملابس نفسها وينمونونها ويوشونها بالطرز والمجذائل والهدب والصفائر والمشبوكات والمعلقات، ويحملون ذواتهم بغير ما ذكر من ملاحق اللباس المتنوعة الأخرى وعلى رأسها الحلبي والمجوهرات. ولم يكن تحميس الذات باللباس والتحلية مقتصرأ على فئة اجتماعية دون أخرى ولا على الإناث دون الذكور ولا الكبار دون الصغار وإن كان الاهتمام به أكبر بالنسبة إلى الفئات الموسرة والإناث والكبار من الأشخاص على الخصوص.

فبالنسبة إلى الذكور كان يسمح لهم في المغرب بارتداء كل أنواع الأثواب باستثناء الحرير والفرو والديباج. لكن التزين بالذهب والفضة كان أمراً محظوراً على العموم على الرغم من أنهما "من أعظم جمال الدنيا" على حد تعبير المقرئ (فتح المتعال، ص. 52) كما كان ليس تيجان الذهب محرماً على ملوكهم. ومع ذلك فإن هذه الأوامر والنواهي قليلا ما كانت تطبق وخاصة في صفوف أهل اليسر والثراء فكانوا لا يجدون حرجاً في ارتداء ملابس الحرير والفرو والديباج واتخاذ أردية جلها من الحرير المثقل بخيوط الذهب

أو الفضة.

أما عامة الناس فكانت ظروفهم المادية لا تسمح لهم باقتناء الرفيع من الثياب وملحقاتها من الحلبي والمجوهرات. لكن الجمهور من الفئات الوسطى كان يتوق مع ذلك إلى امتلاك بعضها مما تسمح به إمكانياته، فكان بعضهم لا يرى مانعاً في لبس الخواتم الفضية والذهبية وتقلد التجار وال"كيمات" المذهبة أو المفضضة. وكان أكثر الناس جاهلاً وغنى من سكان الحواضر والبوادي على السواء يشدون خصورهم بأحزمة الحرير والزرديخان (هو الديباج نفسه بتسمية مغربية) ويمتطون الخيول الفارحة ذات السروج المسومة المطرزة بخيوط الذهب أو الفضة ويتعلون أجود الأحذية ويتقلدون الحقائق الجلدية الرقيقة المطرزة بخيوط الحرير.

أما الإناث فقد أحل الله لهن لباس كل أنواع الأثواب والتزين بكل أشكال الحلبي (صحيح مسلم، ج 3 ص. 1641) وذلك مادأبت عليه النساء المغربيات منذ عدة قرون حيث كانت المرأة التي لا حلي لها، عند الذكور والإناث كليهما، تعتبر كأنها جسد بدون روح ولو ملكت أروع الملابس وأكثرها أناقة. لهذا لم يكن ارتداء النساء لأجمل الملابس وتخضيب الأيدي والأرجل بالحناء وتنصيع الشفاه والتخدود بالسواك والعكار وإبراز سواد العيون والحواجب والرموش بالكحل ووشم الأذقان والصدور والسيقان يعفهن أبداً من تأنيق ذواتهن وتزيينها بالحلي التي كانت المرأة بواسطتها تذكى جمالها وتصون مالها للأيام العسيرة.

وقد كان الحلبي والمجوهرات تصنع في الحواضر على يد صاغة مهرة يتقنون فن تحميص المعادن وتذويبها وسبكها وتزييقها. وكان أمهر هؤلاء الحرفيين يوجدون في تطوان وفاس ومكناس ويتألفون في معظمهم من اليهود الذين وفدوا على المغرب من الأندلس في فترات مختلفة فحافظوا على استمرار فنادج الحلبي الأندلسية في الحواضر الكبرى. وكان أتقنهم للصياغة يصنع قطعاً آية في الدقة والجمال مما تداولته نساء الطبقات الاجتماعية العليا، فعلى يدهم كان يسبك الذهب والفضة ومنه كانت تصنع أنواع مختلفة من الحلبي منها ما كان مرصعاً بالأحجار الكريمة كالماس والياقوت والجوهر واللؤلؤ والزبرجد والزمرد والسفير والصوان والفيروز ومنها ما كان مزخرفاً بالأصداق والعقيق والمرجان واللبيان الأحمر والأخضر والأصفر (يدعى الصيئال باللغة الفصحى). وقد جرت العوائد أن تسود الحلبي المرصعة لدى الفئات الاجتماعية الموسرة في الحواضر بينما تنتشر الفضية والفضية المذهبة في البوادي والأوساط الحضرية الفقيرة. أما أكثر الناس من ذوي الأحوال المتوسطة في المدن والبوادي على السواء فكانوا قليلاً ما يتعدون الحلبي الفضية والفضية المذهبة أو النحاس المذهب أو المفضض.

وتنقسم الحلبي المستعملة في المغرب إلى عدة أنواع،

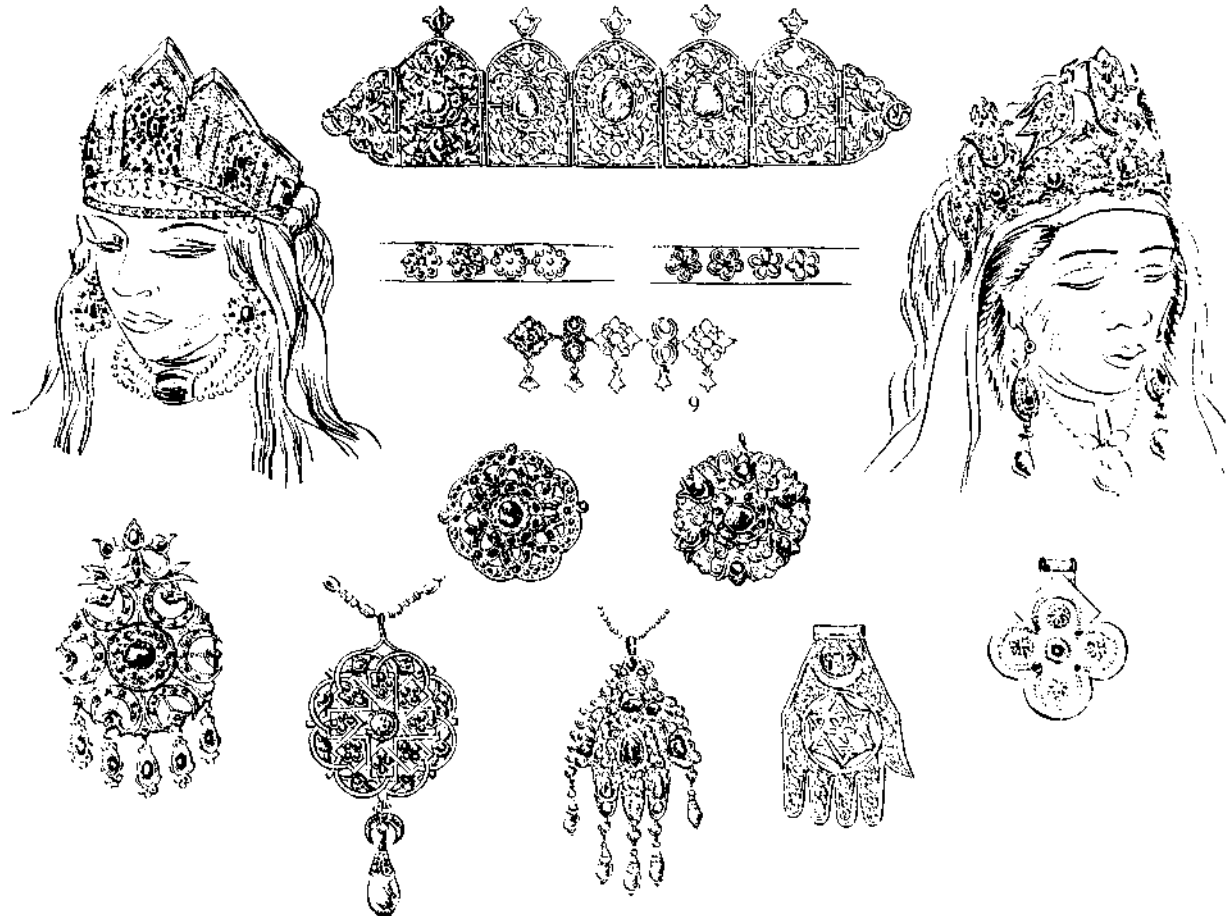


والسادس يعلوه كف من خمسة أصابع والسابع قلب والثامن لوزة والتاسع أحد الأحجار الكريمة والعاشر تتخلله كتابة عربية). وتختلف الأقراط بحسب المناطق وبحسب الحجم وتقنيات التزيين، فهي تسمى في فاس "الحلقات" و"العقارس" وفي الرباط "الدوايح" وفي طنجة وأسفي "خراس" وفي مراكش "المقاتل" وفي بني ملال وتادلا "التواتل" و"الزواهك".

هذا وتشهد المستندات التاريخية عبر مختلف العصور على أن الحلبي في المغرب كان جزءاً لا يتجزأ من هندام الذكور والإناث. فقد كان السلطان عبد المالك السعدي يتقلد خنجراً رقيقاً ويمتطي صهوة جواد سرجه من قماش مطروز، وكان حاجبه رضوان العليج يرتدي أحسن الملابس ويشد خصره بحزام من فضة. وكان السلطان سيدي محمد ابن عبد الله وابنه الأمير مولاي عبد السلام يرتديان أزهي القفاطين ويضعان على رأسيهما العمامة الموسومة بأشرطة الحرير. أما السلطان مولاي الحسن فكان حزامه من النسيج البلدي المعروف بالزردخان وخاتمه مفصصاً بالزمرد أو الياقوت الأحمر أو حجر الماس ( العز والصولة، 1 : 58 )  
وحين يمر تنبعث منه رائحة عطر عود الصندل وماه زهر الليمون. أما على مستوى المخزن المحلي فلقد رأى الأجانب في بداية القرن العشرين قائد الرحامنة العبيادي بن الهاشمي

منها ما يوضع على الرأس وهو "التاج" وما يوضع على الجبهة والرقبة والصدر ويدعى الحيط و"خيطة اللبّة" وما يعلق في الأذنين من الأقراط "الحلقات" وما يلبس في اليدين من الأساور "الدمالج" وما يحيط بالأصابع ويدعى "الخواتم" وما يشد إلى أسافل السيقان ويسمى "الخلاخل".

والتيجان نفسها كانت تنقسم إلى عدة أنواع نذكر منها "التاج المبرج" و"تاج الخمسة" و"تاج البيان" (التاج الأول مرتفع مثل البرج والثاني تتخلله كف يد من خمسة أصابع والثالث تشبه الأجزاء المتكونة منه شكل أبواب مترصة). وتنقسم الدمالج إلى دمالج "شمس وغمرة" أي أساور من ذهب وفضة، ودمالج "تعصار الصابون" وهي ملتوية تشبه في طبيعتها لي الملابس أو الأثواب المعصورة بعد تصبينها و"الدمالج المخرومة" التي تتخللها أشكال هندسية مخرومة و"الدمالج المفرومة" التي تتخللها عدة فراغات. كما أن أنواع الخواتم التي سادت في المغرب إلى نهاية النصف الأول من القرن العشرين كانت كثيرة لا حصر لها نذكر منها على سبيل المثال "خاتم الطير" و"خاتم التاج" و"خاتم العش" و"خاتم عين الهر" و"الخاتم الغرناطي" و"خاتم الخمسة" و"خاتم القلب" و"خاتم اللوزة" و"خاتم الحجر الحر" و"خاتم المكتوب" (الخاتم الأول يتخلله طائر والثاني تاج والثالث عش والرابع عين قط والخامس ينتسب إلى غرناطة



bijoux, armes, ABC Décor, n° hors série, mars 1974 ; Paul Eudel, *Dictionnaire des bijoux de l'Afrique du Nord*, Paris, 1906 ; J. Meunier, *Bijoux et bijoutiers du sud marocain*, C.A.T.A.N., vol. 6, 1961 ; N. Khatib Boujibar, *Bijoux et parures du Maroc*, Casablanca, 1974 ; Samira Sethom, *Une paire de fibule marocaine*, *Cahiers des Arts et Traditions populaires* n° 4, 1971 ; A.M. Laurel et P. Marçais, *Les coiffures à Tindouf*, *Travaux de l'Institut de Recherche Saharienne* n° 12, 1954 ; J. Buttin, *Les poignards et les sabres marocains*, *Hesp.*, vol. 26, 1936 ; P. De Vigy, *Notes sur quelques armes du musée de Dar Batha à Fès*, *Hesp.*, 1923, fasc. unique 2ème trim. ; *Les sabres marocains*, *Hesp.*, 1924, 1er trim. ; M. R. Rabate, *Les bijoux de l'Atlas et du Sud marocain*, Th. 3ème cycle, Paris 5, 1972 ; L. Belhomme, *Les armes dans le Sous occidental*, A.B., vol. 2, fasc. 2, 1917 ; A. Delpy, *Les divers types de poignards marocains*, C.A.T.A.N., n° 6, 1960 ; H. Cluzot, *Les bijoux indigènes au Maroc*, Paris, 1906 ; J. Goudard, *Bijoux d'argent de la tâche de Taza*, *Hesp.*, vol. 8, 1928 ; A. Ruhlmann, *Moules à bijoux d'origine musulmane*, *Hesp.*, vol. 21, 1935, fasc. 1 et 2 ; H. Terrasse, *Notes sur l'origine des bijoux du sud marocain*, *Hesp.*, vol. 11, 1930 ; J. Devillette, *La collection de bijoux de la région de Taza au musée de l'homme*, *Hesp.*, vol 1, 1960, fasc. 2 ; *Bijoux*, E.B., 10, p. 1496, B.E.S.M., vol. 17 n° 59, 3ème trim. 1953 ; A. Pignol, *Costumes et parures dans le monde arabe*, Paris, 1987 ; G. Rousseau, *Le costume au Maroc*, Paris 1938 ; D. Rouach, *Bijoux berbères au Maroc*, Paris, 1989 ; M. Othmani (et al.), *Tizerzaï, la fibule au Maroc*, Milan, 1987 ; A. Joly, *L'industrie à Tétouan*, A.M., tome 11, 1907 ; E. Laoust, *Mots et choses berbères*, Rabat, 1920.

محمد بوسلام

ابن حليلة (أولاد -) أسرة شريفة تنتسب إلى القطب عبد السلام بن مشيش من ولده محمد، موطنها الأصلي مدشر أدياز الواقع في تراب الحرم العلمي على السفح الغربي من جبل العلم عند المقطع في قبيلة بني ليث. وقد وصف ابن زاكور أولاد ابن حليلة بأهل الأرومة الكريمة، هاجر بعضهم إلى خميس آل سريف وتطوان، وإلى قرى في قبيلة جبل حبيب ومنكال من بين يدر. ويظهر أن أولاد ابن حليلة حسب مدونات الأنساب لم يشكلوا من الناحية الديموغرافية كثرة كما هو الشأن بالنسبة لأولاد ابن عبد الوهاب، ذكر منهم ابن رحمون ثلاث دور في الوقت الذي بلغ فيه عدد دور الأشراف العبد السلامين مائتين وعشرين داراً كانت تتقاسم هدايا الضريح في حدود عام 1104 / 1693. وفي ديوان محمد بن الصادق ابن ريسون بلغ عدد دور أولاد ابن حليلة ثمانين عشرة داراً موزعة على المواطن المذكورة وذلك في حدود عام 1191 / 1777. وكان من وجهاء أولاد ابن حليلة في ذلك العهد الحاج العربي بن الطاهر بمدشر أدياز وأخوه الطيب بشر بجبل حبيب وكانا مبجلين معظمين في منطقة جباله. وانظر ما علاقة آل ابن حليلة المكناسيين بهؤلاء العلميين.

التهامي ابن رحمون، شذور الذهب في خير نسب، مخطوط، خ. ع، الرباط، رقم 1484 د. ص. 182. 184 : م. بن الصادق ابن

في حفل زفاف أحد أبنائه وهو يرتدي ملابس فاتنة ويضع نبي أصبحه المختصر خاتماً من ذهب خالص، كما رأوا بعض أعيان الحوز في نفس المناسبة وهم في مثل أناقته وعلى رأسهم القائد المهدي المنهبي.

أما نساء البلاط فكان في عهد السلطان مولاي الحسن يلبسن أردية الحرير المنمقة بخيوط الذهب ويتسورن بأصناف رقيقة من الدمالج ويشددن خصورهن بأحزمة مثقلة بالزردخان ويغطين رؤوسهن بالمناديل والسبنيات الحريرية الرقيقة التي تتدلى منها على جباههن قلائد الذهب والجواهر والأحجار الكريمة. وكانت أخت السلطان المولى عبد الحفيظ تتخذ في أحد أيام زينتها حزاماً من ديباج منقوش على رأسها بمنديل من حرير لامع كانت أطرافه مزينة بذهبية تنوسطها أحجار كريمة من الزمرد وعلو قمة الرأس لفيف من ريش النعام ترصعه أحجار الماس، وكانت لها مزينتين بأقراط ذهبية ضخمة.

ابن الهيثم، البغية في ترتيب أحاديث الخلية، مخطوط، خ. ع، رقم 2842 ك : إ. بن الماحي، الإدريسي، إعلان الصناعة الفاسية بنهضتها السامية، فاس، 1938 : جامعة الدول العربية، معجم اللباس، الرباط، 1975 : م. بوسلام، التاكوثيون، معلمة المغرب، ج 7 ص. 2156 : التجميل التقليدي، ص. 2290 : ع. القادر زمامة، أسماء الحرف المعروفة بفاس، مجلة اللسان العربي، ع 4، السنة 1966 : فاس وصناعتها التقليدية، مجلة كلية الآداب بفاس، ع 5، السنة 1981 : مهدية الزميلي، لباس المرأة وزينتها في الفقه الإسلامي، عمان، 1982 : ح. الزيات، ثياب الوشي، مجلة المشرق، ع 4، يناير - مارس، 1947 : ع. العزيز عمرو، اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية، عمان، 1985 : م. الكتاني، الإعلام ببعض ما يتعلق بالمكائنات المحلاة من الأحكام، مخطوط، خ. ع، رقم 1180 ك : م. بن علي گنون، كفاية المحتاج في استعمال المحلى والديباج، مخطوط، خ. ع. رقم 1231 د : مؤلف مجهول، المرأة المغربية والحلى، جريدة العلم، ع 8706، 28 أبريل 1974 : ع. بن زيدان، العز والصلوة، ج 1 الرباط، 1961 : أ. القرني، أزهار الكمامة في أحبار العمامة ونبتة من ملابس المخصوص بأسرار الإمامة، مخطوط، خ. ع، رقم 984.

H. Camps - Faber, *L'origine des fibules en Afrique du Nord*, R.O.M.M., n° 13 - 14, 1973 ; *Problèmes posés par l'origine de l'orfèvrerie émaillée en Afrique du Nord*, R.O.M.M., n° spécial 1970 ; D. Champault, *La main: ses figurations au Maghreb et au Levant*, Paris, 1965 ; A. Francesci, *Costumes et bijoux au Maroc*, L'œil n° 294 - 295, Janv.-Févr. 1980 ; M. Chebel, *Le corps dans la tradition au Maghreb*, Paris, 1984 ; J. Herber, *La boucle d'oreille et les lobes percés chez les marocains*, *Hesp.*, vol. 32, 1945 ; *Influence de la bijouterie soudanaise sur la bijouterie marocaine*, *Hesp.*, tome 37, 1er - 2ème trim. 1950 ; *La main de Fathma*, *Hesp.*, 1927, fasc. unique ; J. Besancenot, *Bijoux arabes et berbères du Maroc*, Casablanca, 1953 ; J. Gabus, *Sahara bijoux et techniques*, Neuchâtel, 1982 ; M. Mensia, *Essai sur la bijouterie arabe*, Th. 3ème cycle, Paris, 1976 ; L. Bouvat, *La parure, les vêtements et le voile*, R.M.M., vol. 4, 1908 ; J.P. Bernes et J. Alain, *Arts et objets du Maroc, céramiques*

تلعب دورا هاما، حيث تنتظم فيها دوائر نباتية مختلفة الظروف، تتمثل في وسط تربته من الدقة والطين، تغمره المياه في بعض المراحل الرطبة، وحواشي عناصرها خشنة، تشرف عليها سفوح صخرية.

ويمكن التفريق بين نوعين من السطوح. فهناك حمادات مستوية كهضبة الكبير، وهضبة درا، وهي موافقة لطبقة كلسية تتفكك إلى رق فتاتي وتتوسطها حويضات. وهناك الحمادات المنقطعة إلى أودية معمقة، تجزئها إلى متون وعناصر. وهو حال هضبة گمگم وحمادة مسكي بجوار واد زيز، وكذلك حال هضاب گير ودرعة في أجزائها القريبة من الحافة، أي في مجال إشرافها على السهول المجاورة، كسهل تافيلالت، أو شريط سهل درا.

تلك الحافة التي تحد الحمادة، عبارة عن شكل طبغرافي وعر، به أفريز صخري كلسي، يطل على منحدر في صخور فتاتية. وتتجزأ الحافة إلى بروزات وثرغان، وتتقدمها أكمات شاهدة. ويختلف ارتفاعها النسبي ويمثل في كثير من الحالات حاجزا طبيعيا لعب دور حدود بشرية حقيقية. ويمكن في كثير من المواقع أن يعتبر الحد الفاصل بين الصحراء (على هضبة الحمادة) ومقدمتها الشمالية الممتدة في سهول ما قبل الأطلس.

تحريرات ميدانية.

عبد الله العرينة

**حمادة** أو الزاوية الحمدوشية نسبة إلى الشيخ علي ابن حمدوش دفين جبل زرهون آتي الترجمة. وقد أسس مريدوه عدة فروع لزواياهم عبر مناطق المغرب، وطبعا فإن لكل فرع إيقاعه وطريقته في إنشاد القصائد والأذكار التي هي في غالب الأحيان تضرع إلى الله تعالى.

وطائفة حمادة هاته قسمان : هناك مريدو الشيخ علي ابن حمدوش، وهناك أصحاب مريده أحمد الدغوغي وهم المشهورون بضرب رؤوسهم بالشواقير والمقدات مما حدا ببعض العلماء إلى استنكار صنيعهم.

تحتفل الزاوية الحمدوشية ببعض المناسبات خلال السنة كالإسراء والمعراج وسابع عيد المولد النبوي. ويعتبر موسم مدينة زرهون موسماً رئيسياً للطريقة الحمدوشية. أما المدن الأخرى فيتفق المريدون فيها على أوقات مختلفة حتى تتمكن وفود المدن من تبادل الزيارات.

وبخصوص الموسم الرئيسي لمدينة زرهون ينطلق خدام الزاوية بالطواف في أماكن معينة من شوارع المدينة حاملين الأعلام المختلفة الألوان تحت قيادة مقدم الزاوية الذي يقوم بتنسيق الحضرة، وأثناء الطواف يقودون الذبيحة التي تكون عبارة عن ثور ويجمعون الهبات والتبرعات (الفتوحات) ثم يقومون بذبح ذلك الثور على نغمات الموسيقى طبعا ويقضي هؤلاء المريدون ثلاثة أيام في ضيافة أصحاب الزاوية.

**الحمادات (أو لخمادات)**، هضاب صحراوية تمتد في المجال جنوب الأطلس من المغرب الذي يمثل قاعدة قديمة تنتمي للدرع الإفريقي. وهي مجال حيث سطح الأرض لم يعرف إلا تشوهات ضعيفة المدى وممتدة على آفاق واسعة. تظهر القاعدة القديمة جدا في تحذبات واسعة، تعرضت للتعرية والإزالة، مما سخر تنوع سطحها إلى أعراف صخرية ومنخفضات.

كل هذه البنية المعقدة تختفي تحت الغطاءات الحديثة للحمادات في الساقية الحمراء - تندوف - في الجنوب الغربي، ودرعة في الوسط، ثم گير وبودنيب في الشرق. والحمادات هضاب رتيبة تمتد على مساحات شاسعة، تغلفها طبقة كربوناتيية تنتمي لأجيال متعددة. جلها وأوسعها الهضاب المنتمة لنهاية الزمن الثالث. إلا أن بعضها مثل گمگم مسكي والعيون تنتمي للطباشيري. مما يعطي هضاب متدرجة يعلو بعضها بعضا.

ترسم هضبتنا مسكي (شمالا عند قدم الأطلس الكبير) وگمگم جنوبا، جانبي محدب واسع مفرع يحتله سهل تافيلالت. ففي هضبة مسكي تميل طبقات الطباشيري نحو الشمال ابتداء من الحافة المطلة على تافيلالت والتي يخترقها واد زيز. بينما تميل هضبة گمگم نحو الجنوب الشرقي وتغطي أجزاء منها شرقا حمادة گير، وغربا حمادة درعة وتشرف حافتها المنقطعة على النهاية الجنوبية لتافيلالت في منطقة الطاوس.

أما حمادة الكبير فهي مشرفة شرقا على كل هذه التضاريس، إذ تغطي هضبة مسكي شمالا على ارتفاع 1100 م وتمثل النهاية الشرقية لتافيلالت، وتعلو أخيرا هضبة گمگم جنوبا، إلى أن تنتهي في أقصى جنوبها في حوض الداورا على ارتفاع 550 م. وهي مكسوة بطبقة كلسية من نهاية الثلاثي، وتتوسطها عدة ضايات ومنخفضات مفرغة.

نحو الجنوب الشرقي تنتهي هذه الحمادات عند أعراف بارزة وسط منخفضات طولية، تمتد جنوبا في منطقة تندوف وموريتانيا.

جفاف المناخ يفسر خصوصية الأشكال : وضوح الاجراف الصخرية وتجزؤها الشديد، انحدار تدريجي عند أقدام الحافات، تعدد المنخفضات المغلقة عند السطوح.

وينعدم الجريان فوق سطح الحمادات، رغم انتظام أودية قديمة جافة في إطار أحواض كبرى مستقلة (أودية تنجه إلى العرق الكبير الغربي والساورا، أودية ضمن حوض الداورا، وأخرى نحو حوض تندوف). إلا أن تناقص تغذية هذه الأودية أدى إلى تدهور جريانها. وتمثل الضايات مجالات

إخوة يدعون "أولاد باغاز" كانوا في جوق الموسيقى الأندلسية أواخر القرن الثالث عشر (19 م) ونظموا هذه السواكن على شكل وصلات أندلسية أصبحت طوبوعاً مشهورة في هذه المدينة وتطورت على يد المرحوم "عبد القادر البخاري" ومازالت حتى يومنا هذا تتداول بين الشباب.

ومن خصوصيات هذه الزاوية أيضاً طريقة الحضرة فهي تنقسم عندهم إلى ثلاث مراحل : الذكر : القصيدة أو "لوناسة"، العيطة : بواسطة الكوال، بداية الساكن بالغيطة بشكل بطيء.

هكذا تطورت طقوس الحمدوشية. ونشير في الأخير إلى أن عدد المريدين بدأ يقل في العقود الأخيرة.

ع. الهادي النازي، دور الطرق الصوفية في المحافظة على التراث الموسيقي العربي، الماهل، 1986، ص. 207، 222 : استجابات محلية ووطنية مع فرق حمادشة في مختلف الزوايا : معانيات ودراسات ميدانية.

A. Aydou, *Musiques du Maroc*, Casablanca, 1992.

رگگ علال

ابن **حمادوش**، **عبد الرزاق** بن محمد بن محمد الدباغ الحسني الجزائري، الفقيه المؤرخ النسابة المؤقت المتطبيب الحيسوبي المشارك، ولد بالجزائر عام 1107 / 1695 وأسرته تعرف بأولاد الدباغ، وعاش طفولته بها وعانى من الضيق والفقر الكثير، وتزوج مرتين ولم يوفق ففارقته زوجته وأمّه وأخوه، أما أبوه فتوفي وهو صغير جداً. كان ميله للتعلم قوياً إلا أنه لم يستطع التفرغ له مع السعي في طلب المعاش والسفر للتجارة وعدم مفارقة الكتب كما قال في رحلته.

تلقى دراسته الأولى بالجزائر على مشايخ وقته كالمفتي محمد بن نيكرو، والقاضي مصطفى بن رمضان العنابي والقاضي الأديب محمد بن ميمون. ورحل إلى المغرب مراراً ولا سيما تطوان للتجارة والدراسة واستوطنها مدة، وقدم فاساً ومكناسة، وأخذ بفاس عن الشيخ أحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي، والطبيب عبد الوهاب أدراق، أخذ عن الأول علم المنطق ولازمه لذلك بداره إلى أن توفي مطعوناً فحضر جنازته وورثه بقصيدة وكان مدحه قبل ذلك برائية قرأها حَجْلاً، وأطراه إطراءً بالغاً، ووصف جنازته وأزدحام الناس عليه وكسرهم لنعشه للتبرك ورؤياه له في المنام، ولما فاته أن يستجيزه ندم على ذلك وكتب صورة إجازة بما قرأ عليه وطلب من قاضي فاس عبد القادر بوخريص أن يشهد بصحة ما كتب فأسغفه وكتب وأثبت نص الشهادة فكان هذا من غرائب ما يُسمع ! وتلقى عن الطيب أدراق مبادئ الطب ومدحه بلامية ألفها عليه ووصف مجلسه وروضه الملوكي، وإصابته بمجلسه بالحمى النافض وقيامه لبيته ونظمه سينية يصف فيها حاله ويستدعي العلاج، فقبلها

وأما الحضرة الحمدوشية فهي ممارسة طقوس الذكر والموسيقى الجذبة وهي عند حمادشة تمر عبر أربع مراحل : تبدأ الحضرة أولاً بقراءة الأوراد : من الاستغفار، والأمداح النبوية، وذكر الجلالة، ثم يأتي حزب الشيخ ابن حمدوش الذي يبتدئ بالصلاة على النبي عليه السلام وينتهي باللهم صل على كل الأنبياء صلاة كاملة عالية. ثم الأذكار. وتبدأ مرحلة الحضرة، وهي الجذبة التي تستوجب آلة النفخ والطارة والهراز والطنبل، ويبدأ بعض الأشخاص بالتصايل والانتحاء. ومن حيث المقامات نجدتها مثل نظيرتها في موسيقى الآلة... أما الإيقاعات فالغالب هو إيقاع 5/4 الذي يتحول إلى ميزان سريع جبّاحي وكذلك ميزان القائم ونصف، ويضبط الهراز الإيقاع كما يتضح من خلال التوزيع الموسيقي :

- 2 -

التعريجة

م م م

ونظراً للتطور الحاصل في الحياة اليومية اختلف نهج هذه الطريقة حسب المريدين أو حسب خصائص بعض المدن، فمثلاً جرت العادة بالزاوية الحمدوشية بمدينة أسفي أن يجتمع مريدوها يوم الجمعة للذكر وتلاوة حزب الشيخ وممارسة الحضرة لكن التطور الذي حصل في الحياة اليومية فرض اجتماع المريدين فقط يوم الأحد وفيه تتم كل طقوس الزاوية. وخلال السنة تحتفل الزاوية بهذه المدينة يوم الإسراء والمعراج. وفي اليوم السابع الذي يلي عيد المولد النبوي تنظم الزاوية موسمها السنوي الذي لا يختلف في جوهره عن الموسم الرئيسي الذي تخلده مدينة زهون وينظم هذا الموسم بتنسيق مع الزوايا الحمدوشية في منطقة تانسيفت. وطبعاً فإن مدينة أسفي كسائر المدن المغربية شهدت استقرار هذه الزاوية، وتطورت فيها الطريقة الحمدوشية بصفة مختلفة عن سائر المدن المغربية حيث نظمت سواكن خاصة بهذه المدينة تدعى "سواكن لبلاد" أما باقي السواكن المتعارف عليها في جميع أنحاء المغرب فتعرف بالسواكن الغرباوية نسبة إلى مدينة زهون. وسواكن لبلاد هذه شبيهة بوصلة أندلسية حيث تبتدئ بطيئة ثم تأخذ في السرعة نحو الانصراف. وهذه السواكن عبارة عن اثنين فقط وحينما تكون الفرقة الحمدوشية الأسفية في مدينة أخرى فإنها لا تشتغل سوى بالسواكن الغرباوية وتنسب هذه السواكن إلى

منه وأسعفه، كما لقي بها محمد القسنطيني الذي قيل له إنه عالم بالتنجيم فلما ذكره فيه وجده جاهلاً بفارقه. أما تطوان فقد وصف جوها وأهلها وأخلاقهم وعوائدهم في الاعياد وغيرها وما لقي من سوء تصرف أعوان الباشا أحمد بن علي الريفي في أخذهم المكس على سلعه التي كان يقدم بها إلى تطوان للتجارة، وتكرر قدومه إليها فكان بها عام 1145 وعام 1156 وحج قبل ذلك عام 1130 برآ عبر تونس، ودخل مصر ومكث بالإسكندرية ورشيد. وقد يكون حج مرة أخرى إلا أنه لم يتحدث عن حجه ومن لقي في وجهته تلك ولعل هذا فيما ضاع من رحلته.

أخذ بتطوان عن المشايخ : محمد بناني وأحمد السرايري - وكان ينزل بفندقه - وأحمد الورداني ولازمه، ولعله صحبه في رحلته للجزائر حيث نراه ملازماً له هناك لا يفارق مجالسه للقراءة والمقابلة والمعارضة.

أفاض ابن حادوش في وصف الحياة العلمية بتطوان والمدرسين والكتب والعلوم وطريقة تدريسها وما قرأه منها ولم يجد بها عناية بالطب والفلك، وما كان يتعانه من النظم والنسخ، وكيف استجاز علماءها وإجازاتهم له، ونصوص الإجازات. وذكر قصيدة لامية مدح بها بناني، ونظمه كله نازل بارد مختل الوزن، وأملى عليه شيخه بناني فهرسته كلها فأثبتها، كما أتى بمقامتين من إنشائه بطريقة السجع الهابط المتكلف. وكان في أثناء إقامته بتطوان يسافر إلى فاس والجزائر وغيرها ثم يعود. فقد نالته محنة بفاس نجا فيها بنفسه في أعقاب ثورة الباشا أحمد بن علي الريفي التي وصفها المترجم له وصف مشاهد لها وما آلت إليه حاله من مقتله وتشريد جموعه والاستيلاء على غنائمه وأسلابه وسلاحه، وقد نظم قصيدتين في مدح السلطان مولاي عبد الله وأخرى في تهنتته بالنصر على أخيه مولاي المستضيء وصاحبه الثائر الريفي. إلا أن القصيدتين لم تصلا إليه لغلظ حجابيه فيما قال، وقال مرة أخرى : أغناني الله عن لقيائه، ولعل السبب الحقيقي ركافة النظم وكثرة الأخطاء والخلل كما نرى في النصوص المثبتة.

وعاد مرة إلى تطوان فوجد شيخه السرايري توفي فرثاه، واستأنف الدرس والنسخ وأخذ يقرأ التروقيت مع الطلبة، وجرى له مع طالب مكتاسي اسمه عبد الله الجنان ما أوجب وصفه بأنه من شرار الطلبة، ولم يكتف بذلك حتى نظم قصيدة في هجاء الطالب ومدح تطوان. ثم ذكر قصيدتين في الحنين إلى أهله، ووصف حاله، وتعرض لبيان ما كان يتجر به من بضائع وبيع. وأعاد الشكوى من أصحاب المكس في مرسى مرتيل بتطوان وبالجزائر وسوء معاملتهم، وكيف كان يتهرب من أداء المكس، وأفاض في وصف مشاكله العائلية.

والرجل في دراسته العلمية كان يعتمد على التجربة والملاحظة، وهذا من محاسنه، فيقف بنفسه على الحشائش والأعشاب، ويلاحظ التربة والهواء. ويفاوض العشابين في

ذلك، وقد سجل نتائج دراساته في هذا الميدان في كتابه كشف الرموز الذي طبع قديماً بالجزائر والمغرب والذي هو الباب الرابع من كتابه الكبير الجوهر المكنون من بحر القانون أي قانون ابن سينا، وقد تُرجم كشف الرموز إلى الفرنسية وأثنى عليه المختصون في فنه. كما درس كتاب عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي في (البونية) أي القبلة وصنع المتفجرات وما يلزم لذلك من بارود وغيره، وحاول صنع ذلك وتحديد مسافة انطلاق القبلة، ووزنها وتدرّب على ذلك عملياً.

ألف المترجم له تأليف كثيرة في مختلف العلوم التي درسها علاوة على العلوم الشرعية، فألف في الهندسة والمساحة والطب والفلك والموسيقى وعلم البحر ويسميه (علم البلوط) ولم يبق من هذه المؤلفات - فيما نعلم - إلا جزء من رحلته المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال ؛ وكتاب كشف الرموز، والجزء الباقي من رحلته هو الجزء الثاني أو بقيته، ذلك أن النسخة الموجودة منه وهي أصل المؤلف بخطه عبارة عن كئاش مختلط أو كشكول ضم أخباراً وحكايات وتراجم وإحصاءات وألغازاً وأدعية وعقوداً عدلية وأنباء عن حكام الجزائر الأتراك، والخلفاء العباسيين، وأتى على ذكر فهرسة أحمد بن مصطفى الصباح الإسكندري التي ناولها مؤلفها إياه لروايتها ونسخها، وغير ذلك، ووقعت النسخة للشيخ عبد الحي الكتاني الذي كان أول من لفت إليها النظر واستفاد مما تضمنته من إجازات وأسانيد، ووقف على النسخة نفسها في الخزانة الكتانية بفاس الأستاذ محمد داود ونقل منها ما يتعلق بثورة الريفي.

هذا الرجل معجب بنفسه، يزعم تحقيق هذه العلوم فتراه يقول في علم البحر وأحواله ومسالكه : "إن يدي صحت في هذا العلم"، وقال عن كتابه الجوهر المكنون : "إنه كتاب جليل يتوشع به الأصاغر ولا تجده الأكابر"، ووضّع خريطة في مهاب الرياح وأخرى في صورة الأرض قال عنها: "لم أسبق إليها" متناسياً عمل الشريف الإدريسي السبتي قبله بزمان، وكل هذا في عبارة عامية تقريباً يتخللها لحن وخطأ كثير.

ويلاحظ أن الرجل كان معاصراً للأديب الرحالة ابن عمار، والشريف الرحالة الوردلاني ولكل منهما رحلة مطبوعة وللعلامة ابن المفتي، ولم يشر إليه أحد منهم ولا أجرى له ذكراً.

ويظهر أن ابن حادوش عُمّر إلى ما بعد عام 1168 / 1754 وتوفي في تاريخ ومكان مجهولين.

ابن حادوش نفسه، لسان المقال، تج. سعد الله، ط. الجزائر. الكتاب كله : م. داود، تاريخ تطوان، 2 : 224، ط. تطوان ؛ سعد الله، تاريخ الجزائر، 2 : 438 ؛ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص. 92، ط. أولى بيروت ؛ ع. ابن سوادة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، 2 : 362، ط. المغرب.

محمد بوخيزة

تربيته مطلوباً في البادية. ويتراوح عدد الحمير بالمغرب خلال العشرين سنة الأخيرة ما بين 710.000 و910.000 رأس تستعمل في الفلاحة ونقل البضائع والأسفار وجر العربات الصغيرة.

تهتم مرابض الخيول الوطنية بالمغرب بتربية أجود فحول الحمير وتستورد من فرنسا وإسبانيا لرفع مستوى تهجين وإنتاج البغال. وتوجد الآن في حيزها حوالي مائتي رأس من الفحول توضع بالمجان رهن إشارة المربين بمحطات تجريد نسل الخيول.

م. الشهابي، معجم الشهابي، بيروت، 1988.

H. Benjelloun, *Conditions d'utilisation des équidés dans le milieu urbain : cas de la médina de Fès*, Th. Doct. vétérinaire I.A.V. Hassan II, Rabat, 1990.

مصطفى يعرف

الحمار من الناحية التاريخية يعتبر أكثر الدواب انتشاراً بالمغرب سواء في العصر الوسيط أو في الوقت الحاضر لتعدد استعماله واستغلاله وصبره وقلة تكاليفه ورخص ثمنه. فقد استخدم منذ ذلك العهد إلى اليوم للركوب والنقل والأشغال الفلاحية وأشغال البناء إلى غير ذلك، وهو من الحيوانات الأليفة الصالحة لكل زمان ومكان ولكل الأشغال (*Tableau Géographique*). لكنه رغم تعدد منافعه ظل محترقاً من الإنسان دون أن يكون لذلك مبرر أو سبب معقول، فالحمار يضرب به المثل في الغباء وعدم الفهم إلى غير ذلك من الصفات والنعوت القبيحة.

استخدم المغاربة الحمير للركوب ونقل البضائع واستغلوها بكثرة في الأشغال الفلاحية : (الحراث والدرس ونقل المحاصيل والسقي وإدارة النواعير (التشرف، 172) (وصف إفريقيا، 1 : 77) (قبض العباب، 50)، وفي استخراج المعادن ونقلها. كما استخدمها الصيادون في نقل الأسماك والشباك وكل اشغال المراسي، واستخدمها الدباغون وسائر الحرفيين في نقل الجلود الخام والمدبوغة ونقل ما يحتاجه الصناع من مواد أولية ؛ وبصفة عامة فإن الحرف المختلفة والصناعات التي كانت معروفة في العصر الوسيط اعتمدت بشكل يكاد يكون كلياً على الحمير، وحتى إذا نقلت بعض المواد على ظهور الجمال أو وصلت عن طريق القوافل إلى المدن والقرى، فإن الحمير هي المؤهلة لنقلها وتوزيعها داخل المدن والمداشر ؛ ورغم سهولة تربية الحمير وقلة تكاليفها وصبرها وصلابتها فإن إنتاج الحمير وتربيتها تراجع كثيراً أواخر العصر الوسيط حتى إن الحسن الوزان في وصف إفريقيا (1 : 77 . 230 . 253 . 287) قدم لنا خارطة تقريبية للتوزيع الجغرافي للحمير في المغرب ولاحظ رداءة الأنواع الموجودة وقتها.

استخدمت الحمير أيضاً في إنتاج البغال وفي التشهير ببعض المتمردين والمجرمين الذين يُرغمون على ركوب أنواع

الحمار، حيوان داجن من الحافريات ومن رتبة مفردات الأصابع Perissodactyles ومن فصيلة الخيليات يسمى علمياً Equus asinus وبالفرنسية Ane domestique وبالإنجليزية Domestic ass وبالبربرية أغبول. يضرب به المثل في البلادة وقلة الفهم. تسمى أنثاه حمارة وأتان، وصغيره جحش، وصوته نهيق.

ينحدر الحمار الأهلي من سلالتين موطنهما الأصلي القارة الإفريقية :

- الحمار الوحشي الإفريقي Equus asinus africanus يسمى Ane sauvage de Nubie كان يعيش في شمال إفريقيا وقد دجنت جميع أفرادها مما أدى إلى انقراضه.

- الحمار الوحشي الصومالي Aquus asinus somalicus يعيش في إفريقيا الجنوبية الشرقية ولم يبق منه إلا حوالي مائتي فرد تعيش متوحشة في ضواحي الصومال وإثيوبيا، ومطاردته لأجل تدجينه جعلت منه حيواناً في حالة الانقراض.

\* \*

يعتبر السومريون أول من قام بترويض وتربية الحمار الوحشي، ويرجع ذلك إلى 8000 سنة قبل الميلاد. والحمار الأهلي الذي نعرفه اليوم هو نتيجة لقاح بين مختلف السلالات الإفريقية تمت عبر آلاف السنين. ففُدِرَتْه على تحمل الأعمال الشاقة في البادية وفي الجبال جعلت منه حيواناً نافعا للإنسان استعمله للحمل والجر، وما يزال الحمار يلعب دوراً هاماً في حياة المغربي سواء في القرى أو في بعض المدن.

يتميز الحمار بأذنين طويلتين ورأس طويل مستطيل وعينين كبيرتين محميتين بحفون ذات أهداب متفاوتة. يتوفر الفم على شفتين متحركتين لحميتين، ويبلغ عدد أسنانه أربعين سناً صيفتها كالتالي :

3/3 قوارض، 1/1 أنياب، 3/3 أضراس أمامية، 3/3 أضراس. توجد بين الأنياب والأضراس فجوة فارغة من الأسنان تسمى بالحاجر توضع فيها الشكيمة كما هو الشأن بالنسبة للبعغل والفرس. عنقه أهيء يعلوه عرف من الشعر الغزير لا يسقط جانبياً كعرف الفرس. تنتهي قوائمه بحافر واحد يقوم مقام مخالب الأصابع. طوله عند الغارب لا يتعدى 1.10 متر ومعدل وزنه مائة كلف و نادراً ما يصل إلى مائتين وستين كلف. عدد صيفاته اثنتان وستون.

يرتكز غذاؤه أساساً على العشب والتبن والشعير، فتقتلع القواطع العشب وتقوم الأضراس بمضغه، وهو حيوان غير مجتر. يشرب قليلاً مما جعله يتحمل العيش في مختلف الأماكن الحارة منها والرطبة. تلد الأنثى صغيراً واحداً وتُدوم مدة الحمل بين ثلاثمائة وأربعين وثلاثمائة وخمسة وثمانين يوماً، وتصير الأنثى بالغة بعد سنتين والذكر بعد خمس سنوات، ويعمر سبعاً وثلاثين سنة، ويبقى بالنظر للخدمات التي يسديها للإنسان ولصالة تكلفه

R. Mauny, *Tableau géographique de l'Ouest Africain au Moyen Age*, Dakar, 1966 ; D. et M. Fremy, *Encyclopédie "Quid"*, 1978 ; G. Dez, *La Grece et l'Orient*, Paris, 1964.

محمد حجاج الطويل

**الحَمَام،** جنس طيور برية عرفها الإنسان منذ أقدم العصور وحاول تدجينها. تنتمي إلى رتبة وقصيلة الحماميات Columbiformes Columbidae يفوق عدد أنواعها 300 في العالم، منها ثلاثة أنواع تعيش وتبيض في المغرب. وتعد من الطرائد المفضلة لدى الصيادين للذة لحمها.

يتوفر الحمام على أجنحة طويلة مسننة وعضلات صدرية قوية ومتطورة تمكنه من قطع مسافات طويلة بفضل مقاومته وسرعته وحاسته التوجيهية الحادة. إنه من الطيور القواطع يتغذى من حبوب المحصولات الزراعية يلتقطها بمنقاره القصير المخروطي. قوائمه قصيرة حمراء وذيله متوسط الطول.

يسمى الحمام الطوراني أو الطرآني علمياً *Columba livia* وبالفرنسية *Pigeon biset* وبالإنجليزية *Rock dove* وفي مصر الحمام الأزرق وبالبربرية في المغرب أزحوض وأزبيضوض وثُرُضاض. لا يتعدى طوله 33 سم وبسطة جناحيه 60. 63 سم وطول الجناح 22 سم وطول الذيل 12 سم ويزن حوالي 300 غرام. يتميز عن باقي أنواع الحمام ببقعة بيضاء مثلثة الشكل في مؤخرة الظهر وبخطين عريضين من الريش الأسود في مؤخرة الجناحين. الظهر والرأس والعنق رمادية مزرقة خضراء اللمعان على جوانب العنق. المنقار أسود، البطن رمادي.

يألف المغاور والأماكن الصخرية بأعالي الجبال وبالسواحل فيتخذها مسكناً له ينام فيها ويستريح وسط النهار. يتوالد عدة مرات في السنة ما بين فبراير وأكتوبر ويولد في كل مرة بيضة أو بيضتين ملساوين لامعتين يبلغ قطر الواحدة 39 x 29 ملم تحضنها الأنثى 17-19 يوماً وتبقى الصغار داخل العش ما بين 30-35 يوماً يطعمها الأبوان في البداية بسائل أبيض يُفرز من الحوصلة وبعد أسبوع تآكل الحبوب والحشرات الصغيرة.

يألف الحمام المدن، وكثيراً ما يتخذ صوامع المساجد والكنائس مسكناً له. يقتصر توزيعه الجغرافي على إفريقيا الشمالية وأوروبا الجنوبية وآسيا الغربية، وغالباً ما يعيش وسط مجموعات يفوق عددها مائة فرد.

ينحدر من هذا النوع الحمام الأهلي الذي عرف عبر التاريخ تهجينات عديدة أدت إلى عدة سلالات مختلفة الألوان والأشكال، أشهرها سلالة الحمام الزاجل *Pigeon Pigeon tabellaria* = *Columba* - *voyageur* - *volant* الذي كان يستعمل لنقل الرسائل.

قصيرة منها دون سرج أو بردعة فتتدلى أرجلهم حتى تشير الغبار ؛ ويطاف بهم في الأزقة والدروب بشكل يحمل على السخرية، وأحياناً تستخدم الحمير لحمل الأقفاص التي يسجن بداخلها المجرمون ويطاف بهم في الأسواق، لكن ذلك كان أواخر العصر الوسيط وفي العصور اللاحقة ؛ أما في العصر الوسيط الأوسط فلم يكن ركوب الحمير يثير أدنى شعور بالنقص، واستخدمت الحمير لتأدية عمل لا يستطيع غيرها من الدواب القيام به وهو بناء الأسوار ونقل مواد البناء إلى أعلى مستوياتها في أعلى السور. وفي العصور اللاحقة استخدمت لتقل الأسلحة والذخيرة بين مختلف الأبراج وتوزيعها عليها على طول الأسوار.

لم تتحدث المصادر الوسيطة إلا عن نوعين من الحمير في المغرب :

1- الحمير الكبيرة الضخمة الشبيهة بالبعال وهي في الغالب الأعم متأصلة من الحمير المصرية (أحسن التقاسيم، (238) (78, Quid) (وصف إفريقيا، 2 : 12).

2- الحمير الصغيرة الحجم والخفيفة، وهي ولاشك النوع المحلي الجبلي، فرغم صغر حجمها أُعجب بها الحسن الوزان وسرعته وتسلفها للمسالك الجبلية (وصف إفريقيا، 1 : 77) أما باقي الإشارات خلال العصر الوسيط الأوسط والأدنى، فإنها ترد مقرونة في الغالب بكرامات الأولياء والمتصوفة وغالباً ما تكون بركة هؤلاء سبباً في إفلات حمير زوارهم من افتراس الأسد، وحمائتها من الأذى (التشوف، 202-252) (أنس الفقير، 25-26).

تعتبر الحمير أكثر الحيوانات عرضة للأوبئة وخاصة وباء الطاعون والحروب والافتراس الحيوانات المتوحشة، مما جعل أعدادها تنذبذب بين الكثرة في أوقات السلم والسنوات الخصب، والقلة في أيام الحروب والسنوات العجاف ؛ ولذلك كان قانون العرض والطلب هو المتحكم في اتساع انتشارها أو تقلصه، فعلاء الخيول والبعال مثلاً يجعل الطلب على الحمير يرتفع وتصبح الحمير من دواب الركوب حتى في الأوساط التي كانت تأنف من امتلاكها وركوبها.

أما مناطق إنتاج الحمير الجيدة المعدة للتصدير فهي محدودة جداً لم ترد إلا إشارات معدودة عنها في العصر الوسيط الأعلى والأوسط وهي منطقة وجدة (التشوف، 202-252 ؛ أنس الفقير، 25-26 ؛ وصف إفريقيا، 2 : 12 ؛ احسن التقاسيم) بعكس مناطق الإنتاج المحلي الموجه للداخل فكثير لكنه رديء لا يرقى إلى مستوى التصدير، ويعود عدم اهتمام المصادر الوسيطة بما في ذلك المصادر المتخصصة - مثل كتب الفلاحة والبيطرة وكتب الحيوان بهذا النوع من الدواب إلى وجود خلفية الاحتفار المومل إليها عند الكتاب.

ي. ابن الزيات التادلي، التشوف، الرباط، 1958 و1984 ؛ أ. ابن قنفذ القسطنطي، أنس الفقير، الرباط، 1965 ؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1980 ؛ المقدسي، احسن التقاسيم، لندن، 1957 ؛ ابن الحاج، فيض العباب، الرباط، 1984 ؛ م. الطويل، الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، مرقون كلية الآداب، الرباط، 1988.

يُربى الحمام لأكل لحمه ويستعمل في بعض النوادي التي تنظم مسابقات في الرمي بالرصاص على الحمام. الحمام البري أو اليمام هو النوع الثاني ويسمى علمياً *Columbaenas* وبالفرنسية *Pigeon colombin* وبالإنجليزية *Stock dove* وبالبربرية أنثبير نثبيرن وتاتيبرت للأنثى، وتطلق هذه الأسماء أيضاً على الحمام الأهلي. لا يتعدى طوله 34 سم وبسطة جناحيه 69-72 سم وطول الجناح 23 سم وطول الذيل 14 سم ويزن حوالي 300 غرام. يختلف عن الحمام الطرآني في منقاره الأصفر وفي عدم وجود البقعة البيضاء على ظهره.

يألف الغابات والأشجار الكثيفة والساتين ويبني عشه بين شقوق الجدران والصخور وأحياناً في الحفر الموجود في جذوع الأشجار. يتوالد ابتداءً من شهر مارس وكثيراً ما يلد 3 مرات في السنة. تضع الأنثى بيضة أو بيضتين يبلغ قطرها 29 x 38 ملم ويحضنها الزوجان بالتناوب 16-18 يوماً. وهذا النوع موجود بكثرة في غابات جبال الأطلس المتوسط والكبير وجبال الريف. يتغذى من الحبوب يلتقطها على الأرض ويستريح ويتام على الأشجار.

- حمام ورشان أو الحيدوان، وبالبربرية أزيضوض، هو النوع الثالث يسمى علمياً *Columba palumbus* وبالفرنسية *Palombe Pigeon ramier* وبالإنجليزية *Wood pigeon* وهو أكبر أنواع الحمام طولاً ووزناً. يبلغ طوله 41 سم وبسطة جناحيه 73-79 سم وطول جناحه 25 سم وطول ذيله 18 سم ويتعدى وزنه أحياناً 500 غرام. يتميز بخط عريض دائري من الريش الأبيض يقطع جناحيه، وبقعة بيضاء على كل جانب من العنق. المنقار أصفر، الصدر رمادي وردي، مؤخرة الذيل سوداء وياقي ريش الجسم رمادي أزرق اللمعان.

يألف الغابات وخاصة منها المجاورة للحقول الزراعية، ومن بين الحبوب المفضلة لديه العدس والجلبان والحمص والشعير والقمح مما يجعل منه طائراً غير مرغوب فيه ومضراً بالمحاصيل الزراعية.

يختار الذكر زوجته ابتداءً من شهر مارس فينفع صدره ويفتح ذيله وجناحيه مقتربا من الأنثى، وفي حالة الرضى يبنيان العش فوق أعالي الأشجار، وتلد الأنثى بيضة واحدة أو بيضتين ما بين أبريل ومايو وغالبا ما تلد 3 مرات في السنة مما أدى إلى تكاثره. يبلغ طول قطري البيضة 44 x 30 ملم. يحضن الأبوان البيض بالتناوب 17 يوماً ويقدمان الأكل للصفار 29-35 يوماً داخل العش.

إنه طائر شائع في المناطق الغابوية بالمغرب ومفقود في المناطق الصحراوية الجنوبية ابتداءً من الخط الرابط بين أكادير - ورزازات وتختلف كثرتة حسب المناطق. يعيش أيضاً في شمال الجزائر وتونس وفي أوروبا وبعض البلدان في آسيا العربية.

منه عدة مجموعات تشتت في المغرب وفي جنوب فرنسا وإسبانيا ثم تعود إلى أوروبا الشمالية ابتداءً من مارس،

بينما تبقى المجموعات الأخرى مستقرة في نفس المكان أو تقوم بتنقلات بداخل التراب المغربي ولا تغادره.

فيما يتعلق بصيد الحمام بالمغرب هناك قرار وزيري رقم 62. 582 صادر في 3 نونبر 1962 يتعلق بقانون الصيد المستمر بداخل التراب المغربي بالنسبة للحيوانات المضرة للزراعة، وتوجد أنواع الحمام من بينها في المادة رقم 5. أغلب الصيادين يطاردون الحمام عن طريق الصدفة وليس هناك صيد تقليدي خاص بهذا النوع كما هو الشأن في فرنسا مثلاً. إنه طائر شديد الحذر وتتعدى سرعته عند الطيران 100 كلم في الساعة مما يزيد من صعوبة صيده.

م. الشهابي، معجم الشهابي في المصطلحات الزراعية، بيروت، 1988.

A. Alaoui, *Guide du chasseur au Maroc*, Rabat, 1992. 181 p. : C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1977, p. 190-195 : H. Heinzl, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*. London, 197, p. 170-171.

محمد رمضاني

**الحَمَام، عبد السلام** أحد زعماء قبيلة أنجرة، برز اسمه سنة 1309 / 1891 بمناسبة سماح السلطان لإنجلترا وإسبانيا بإنشاء أسلاك التلغراف بنواحي طنجة.

كان جون درامولد هي J. Drummond Hay وزير بريطانيا العظمى قد التمس من مولاي الحسن مد جهاز التلغراف بين جبل طارق وطنجة، فلم يقبل السلطان. ثم جدد الكرة خلفه وليام كربي كرين W. Kirby Green ونال موافقة العاهل، فجاءت شركة إيستيرن تيلغراف Eastern Telegraph ووضعت أول خط بحري له سنة 1304 / 1887، بعد أن كان المخزن جعل لها ذلك بخمسة شروط :

- 1- ألا يكون إلا بين طنجة من البحر،
- 2- ولا يكون يمرسى آخر،
- 3- ولا يكون في البر،
- 4- وأن يكون بطنجة بالمحل الذي يعينه عامل البلد ونائب المخزن بها،
- 5- وأن يقبل النواب الآخرون هاته الشروط.

وكانت إسبانيا من الدول التي قبلت تلك الشروط، فطلبت بدورها أن يرخص لها باتخاذها بين طنجة وطريفة أو الجزيرة الخضراء بحراً، فنالت رضى السلطان سنة 1307 / 1890. ومن شأن نصب خطوط التلغراف أن يمر بتراب أنجرة القريبة من طنجة وتغرس بها أعمدته. وقد وقع الاتفاق بين المغرب وإسبانيا على أن تبدأ أشغال نصب الأخشاب يوم 27 محرم 1309 : 2 شتنبر 1891.

وأشعر عامل تطوان السلطات المخزنية أن عبد السلام الحساء وأصحابه من أنجرة يريدون الحيلولة بين إسبانيا وذلك، بل وصرح الطريس لنائب تلك الدولة أن المعارضة الصادرة من عبد السلام ليست معارضة لها، بل معارضة



للجناب الشريف، وإسبانيا أن تشرع في وضع الركاثر ما بين الواد وطنجة" وصدرت من أجل ذلك أوامر إلى إدريس أمقش أحد عمال الهدادة بين سبتة وأنجرة وكذلك إلى عمال تطوان وطنجة وأصيلا "بترصد قائد قبيلة أنجرة عبد السلام الأنجري لاشتغاله بالفساد، لا على وجه الامتناع من نزول السلك بالقبيلة". ولما ألقى القبض على الحمام سنة 1309 / 1891 ظن الطريس أن "النازلة قد انتهت بوجه جميل" وبقي مسجوناً بضعة أشهر حتى أصدر السلطان أمره بتحويله إلى سجن مصباح براكش غير أنه استطاع أن يولد بالفرار بتواطؤ أو بدونه، فالتجأ إلى قبيلة وأدراش، واستقدم أصحابه متعصباً بهم. فما كان من السلطان إلا أن خوكه الأمان باستدعائه إلى مراكش، فلم يفلح الأمان في تهدئة الروعة التي أحدثها الأنجري حتى "تفاقم أمر ولد الحمام وانضم إليه ثلثا القبيلة وانضم إلى صفه بعض الأجانب". وكان من المتهمين بالتعاون معه تشارليز إيوان - سميث Ch. Evan Smith وزير إنجلترا بطنجة الذي خلف

جرين المتوفى لكن لم يثبت شيء من ذلك عنه.

وبدأ الحمام يعتقل الرهائن، فمنهم شاب فرنسي ذكرت مصادر فرنسية أنه كان في صيف 1892 يتجول "على شاطئ البحر حتى ملتقى النهر في طنجة القديمة، وإذا بشخصين يعتقلانه ويقودانه إلى قائد أنجرة المتمرّد، فحبسه عنده ثمانية أيام وذلك دون أن يضطهد أو ينهب متاعه".

غير أن المخزن لم يكن يرى في اعتقال هذا الفرنسي عدواناً عليه، وإنما كان في وجوده هناك تواطؤ ما مع الحمام. قال السلطان للطريس إن "النصراني الفرائصي قد اكرى بهيمة للخروج لبساتين البلد على العادة. ثم جد في السير لعند ولد الحمام، وطلب أن يقيم معه من جملة رفقائه، وبقي معهم نحو الثمانية أيام، حتى استرعى كبراء القبيلة على الحمام، خشية أن تلحقهم ملامة بسببه، ووجهوه في الأمان جبراً عليه".

واتخذ المخزن إجراءات وقائية وعسكرية. فلأجل حماية الأجانب وجه الطريس تحذيراً لنواب الدول لكي "يأمروا رعاياهم بالاحتياط والأخذ بالحذر في خروجهم لنواحي المدينة إلى أن تطفأ نار الفتنة".

أما قمع التمرد فقد عين المخزن القائد العربي بن عبو الرحماني ومعه القائد علي الأودي لقيادة المحلة. لكن بعض كبراء هذا الجيش تطاولوا في العسف وأضروا في العيث، فوصلت للمخزن شكايات بهم. كما أنهم عمدوا إلى التلاعب بالأموال ونفخ أعداد المشاركين في الحملة حتى يتقاضوا عن ذلك من أسماء مرسى طنجة مبالغ غير مستحقة تسمى تلاعباً في الحساب. ولما بلغ خبر هذا التدليس للسلطان قال للطريس: "وصل كتابك بما تقول على كبير المحلة السعيدة في التسراد الذي حضرته مع خدامنا أسماء المرسى المحروسة من كونه أكرى عدداً من الناس للوقوف فيه عوضاً عن من العدد الأصلي. ولم

تفتن لذلك حيث رأيت الجميع بالكسوة العسكرية، ورددت الأمر في ذلك إلى ما هو محقق عند جانبنا العالي بالله في كبير المحلة من صدق أو عدمه وصار بالبال.

"فالصدق اليوم عزيز، بل صار كعتقاء مغرب، يُسمع ولا يرى وإن لم يكن الكل فالبعض. وحتى إن هو يُتحرى فليس لأخ زيد أخ. والله أسأل أن لا يكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد سواه".

كما أن أهل طنجة تظلموا لدى السلطان، إذ اشتكى أهل قبيلة الفحص "من إضرار المحلة بهم ونهب أمتعتهم ... وصار النواب يسترعون من أجل ذلك ... ولما صدر من كبراء المحلة من القبض على بعض الصالحين من الأنجرة ... ومن جعلتهم رجل مخالط للمركان ... فاقترح عليك نائب المركان تسريحه ورد متاعه أو تأتي مراكبهم لأجل الفصال، حسبما يكتبه الواصلين طي كتابك ... وذكرت أن طول مكث المحلة بقرب طنجة لا يفضي إلا لمزيد التشوش، وصار بالبال.

"أما ما تشكى به أهل الفحص فلا غرابة في ذلك وكثيراً ما يقع ذلك من المحلة للصالح، ولكن يتدارك ذلك. وقد كتبنا لكبراء المحلة أن يفاصلوهم ... وأما أهل الأنجرة فليس فيهم رجل رشيد. وأما استرعاء النواب فهو ذلك. وأما المركان فكان من حقه أن لا يخالط أهل الفساد أو يحوز أمتعته من عندهم حيث فسدوا ... وأما ما خشيته من مكث المحلة بقرب طنجة، فقد أمرنا بنقلها من هناك ..."

وقد أتت سياسة السلطان أكلها، فوفد أعيان أنجرة سنة 1310 / 1892 على لسان قبيلتهم طالبين الأمان. فأمن السلطان "أهل الغابة المتظاهرين بالصلاح، إن لم يدخلوا في شيء من زمرة أهل الفساد".

وأخيراً في شعبان 1310 / مارس 1893 حملت الأنباء حسب رسالة السلطان إلى الطريس خبر القبض على "ظالم نفسه الحمام الأنجري وحلوله بسجن طنجة ... فقد حاق به سيئ مكره، وعاد عليه شؤم فعله وبغيه، فقد ضاعت بسببه رقاب وأموال" كان منها جنود مغاربة تولى فيليبسي أو بيلو إي كناليس F. Ovilo y Canalis "الطبيب الاصبنيولي والمكلف بتعليم متعاطي الصناعة الطبية" علاج مجاريح هاته المحلة.

وهكذا ترى أن إدخال التلغراف الإسباني كان سبباً في فتنة دامت نحو سنتين. ولم أقف بعد ذلك على شيء عن مصير عبد السلام الحمام الذي احتفظت الوثائق المغربية بأخباره وحدها. ولولا التلغراف لما سمع شيء عن هذا الأنجري.

م. بوشعرا، الاستيطان والحماية بالمغرب، ج 2، ص. 524، وص. 566.

570 : وثائق خ. تطوان.

J.-L. Miège, *Documents d'histoire économique et sociale marocaine au XIX siècle*, p. 199, Paris, 1969.

مصطفى بوشعرا،

**الحَمَام** (مغارة -) وتعرف أيضاً بمغارة تافوغالت، تقع بقلب جبال بني إزناسن في المغرب الشرقي، وبالتحديد على بعد 55 كم شمال غرب مدينة وجدة، ويتعلق الأمر بمغارة عمقها 53 متراً، وعرضها 30 متراً.

اكتشف المغارة الدكتور بنشون Pinchon في بداية هذا القرن، وقام الباحث رولمان Ruhlmann في الفترة الممتدة ما بين 1944 و1947 بعدة تنقيبات أبانت منذ الوهلة الأولى عن مدى أهمية وغنى الموقع، ومنذ 1961 قام الباحث جون روش J. Roche بدوره بعدة عمليات للتنقيب وهكذا تم تحديد 17 مستوى جيولوجي.

عرفت المغارة تعاقب عدة حضارات من بينها الحضارة المسترية (180.000 إلى 140.000 سنة) ثم الحضارة العظمية (40.000 - 25.000 سنة) ثم حضارة العصر الحجري الأعلى (20.000 - 10.000 سنة).

سوف لا نتطرق هنا إلى خاصيات كل هذه الحضارات لأننا سنعمل على الحديث عنها في الوقت المناسب ضمن أجزاء هذه المعلومة، ولكن سنركز حديثنا أساساً على المعطيات المهمة التي تخص هذه المغارة.

لعل ما يميز هذا الموقع هي الاكتشافات الأثرية التي تم العثور عليها والتي تعود إلى حضارة العصر الحجري الأعلى، إذ استطاع الباحثون من خلالها أن ينفقوا عند عدة خبايا وأسرار تخص عادات وتقاليد إنسان هذه الفترة، وهكذا تبين بأن إنسان تافوغالت كان يمتاز بمهارة يدوية فائقة وحس فني رائع وغط اجتماعي متطور. وبهذا تعتبر مغارة تافوغالت من أهم المواقع فيما يخص هذه الحضارة على صعيد شمال إفريقيا ككل.

إضافة إلى العديد من الأدوات الأثرية التي تم استخراجها والتي تعود إلى مختلف الحقب التاريخية السالفة الذكر والتي كان يستعملها الإنسان، تم كذلك استخراج حوالي 180 هيكل عظمي يعود إلى حضارة العصر الحجري الأعلى أغنت معلوماتنا حول طريقة دفنه، كما تم اكتشاف عدة جماجم أجريت لها عمليات جراحية وحلي ونقوش صخرية ...

سنركز في البداية بالأساس على العملية الجراحية التي أجريت على رأس مريض. تنتمي هذه الجمجمة إلى فصيلة إنسان "مشتة أفالو" الذي كان منتشراً في المنطقة على طول السواحل خلال الفترة الممتدة ما بين 20.000 و10.000 سنة.

قد يتساءل القارئ عن سر الأهمية العلمية والحضارية التي تكمن وراء هذه الجمجمة، سيما إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنه قد سبق الكشف عن عدة جماجم أجريت لها عمليات مماثلة في أغلب مناطق العالم. إن مميزات العملية الجراحية التي نحن بصدد الحديث عنها تتجلى في كونها أقدم عملية من هذا النوع على الصعيد العالمي، زيادة على ذلك فإن جميع الدراسات التي أجريت عليها أثبتت نجاحها وبقاء المريض على قيد الحياة. عند هذه الاستنتاجات يمكن

للقارئ أن يضع الأسئلة التالية : كيف يمكن إثبات كون هذه الثقبية الظاهرة على الجمجمة ناتجة عن عملية جراحية وليس عن كسر ؟ وما هي المعطيات التي تثبت أن هذا الإنسان استطاع العيش بعد إجراء العملية ؟

للإجابة يمكن أن نقول إن هذه الجمجمة ليست الوحيدة بهذه المغارة بحيث من بين المائة وثمانين هيكلًا التي تم استخراجها وُجدت خمس حالات متشابهة، هذا ما يؤكد أن هذا الإنسان القديم كان يلجأ إليها باستمرار، زيادة على ذلك تظهر بقايا التشريح على العظام، كما أن هذه الثقبية مستديرة الشكل وجد منظمة وهذا ما يشهد أنها ناتجة عن عمل إرادي ودقيق للإنسان.

ولعل التحام العظام المحاطة بالثقب دليل قاطع على نجاح العملية، كونه لا يمكن أن يحصل إلا إذا بقي الإنسان الذي أُجريت له العملية على قيد الحياة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الدقة والمهارة اليدوية التي كان يتميز بها إنسان هذا العصر. وبالفعل فقد أثبتت الدراسات أن العملية الجراحية قد أجريت على العظم الجداري الأيسر بثقب يبلغ قطره 23 ميليمتراً. وإذا كان الذي يحيط بالثقب رطباً ومسطحاً فإن ذلك يؤكد على أن العظم قد نما والتأم بعد العملية.

وبغض النظر عن المهارة والتطور الفكري الذي يمكن استنتاجه من خلال هذه الجمجمة فإن لذلك تفسيرات واستنتاجات ذات صبغة سوسولوجية، ذلك أن إجراء عملية من هذا المستوى تتطلب عناية فائقة، وهو دليل قاطع على أن المريض ينتمي إلى مجموعة بشرية تسود بين أفرادها علاقات اجتماعية وإنسانية معينة، وهذا عنصر كاف لخلق نواة مجتمع ذي ثقافة وعادات وتقاليد تستوجب المزيد من البحث التقني لكشف النقاب عنها. فمن خلال الدراسات التي قامت بها فرمباك Ferembach للهيكل العظمي، وجون روش للأدوات الحجرية (أدوات صغيرة الحجم، شفرات، حلي وأدوات من العظام انظر الصورة) تبين أن هذا الإنسان عرف حياة جماعية متماسكة وعادات غير واضحة المعالم، كطريقة الدفن المعقدة التي كان يمارسها وإزالة بعض الأسنان الأمامية لكل فرد بلغ عمره 14 سنة.

إن المجال هنا بطبيعة الحال لا يسمح بكشف النقاب عن كل المعطيات الأثرية والجيولوجية التي تزخر بها مغارة الحَمَام، ولكننا حاولنا التركيز بالأساس على بعض النقاط التي تميز هذه المغارة عما سواها.

٢- ع. الهجراوي، الحضارة الأثولية، معلمة المغرب، 2 : 473 - 472 ;

الحضارة الإبيروموروزية، 3 : 917 - 919 ; قنارة، 8 : 2533 - 2534.

M.A. El Hajraoui, *Nouvelles découvertes néolithiques dans la région de Rabat : Grotte d'El Mnasra, Méditerranée*, n° 2, 1993, pp. 105 - 121 ; *L'Industrie osseuse atérienne de la grotte d'El Mnasra (région de Témara, Maroc)*, LAPMO, Univ. de Provence, Tours 3, pp. 91 - 94, 1994 ; J. Dastugue, *Pathologie des hommes de Taforalt*, in Ferembach D., *La nécropole*

ربط اتصالات ودية مع أبي مناد باديس بن يوسف بن زيري (386-406) عدو مغراوة وأمويي قرطبة، وبعث إليه وقدماً بزعامته أخيه زاوي بن زيري متحفاً إياه بالهدايا وراغباً في التحالف مع بني زيري لمواجهة الخطر المغراوي. غير أن المصادر لم تذكر كيف تطورت الأحداث بعد ذلك ولم تشر أيضاً إلى تاريخ وفاة حمامة بن زيري الذي يظن أنه مات فيما بين سنة 406 / 1015 و 424 / 1033.

مجهول، مفاخر البربر، تح. ليفي بروقتسال، الرباط، 1934، ص. 26؛ ع. ابن خلدون، العبر، 7: 44.

T. Lewicki, *Banu Ifren, E.I.*, Nelle éd., T. 3, 1971, pp. 1066 - 1070.

رشيد السلامي

**ابن حمامة، محمد بن منصور بن مُنير الزناتي** المغراوي، السجلماسي، يكنى أبا عبد الله ويعرف أيضاً بابن منصور، من رجال الأدب والفقه والحديث ومن علماء اللغة المتضلعين. أول شارح لمقامات الحريري في المغرب، لم نر من ذكره من أصحاب كتب لتراجم، وإنما صنعنا ترجمته من بعض تواليغه المخطوطة.

روى عن أبي الحسن علي بن عبد الرحمن وأكثر عنه، وأبي بكر عصفور العبدري، وأبي الحسن علي بن أحمد بن أبي بكر الكناني المعروف بابن حنين.

وله تصانيف كثيرة تدل على إدراكه وإشرافه، منها :

1 - إعراب غريب البخاري : ذكر في شرح غريب الشهاب ص. 398.

2 - اقتراح سميري في شرح مقامات الحريري : ذكر في نبذة فهرسية ص. 2، ويعتبر شرحه أول شرح للمقامات الحريرية في المغرب. منه نسختان خطيتان : الأولى في الأسكوريال رقم 496 والثانية خ. ع رقم 1090 ق، بها 277 صفحة وبآخرها نقص.

3 - ألقاظ الموطأ : ذكر في شرح غريب الشهاب 321 وشرح أحاديث الشهاب ص. 22.

4 - البهجة المنيرة في شرح غريب السيرة : ذكر في اقتراح سميري ص. 115، 139.

5 - التهذيب لشرح ما في المدونة من غريب : ذكر في غرر المقالة ص. 82، 165.

6 - الروض الأنيق : ذكر في شرح أحاديث الشهاب ص. 44 وما بعدها.

7 - شرح أحاديث الشهاب للقضاعي : منه ثلاث نسخ خطية : الأولى في خزانة جامع القرويين بفاس رقم 709 ضمن مجموع من 55 ب إلى 100 ب ووقع الفراغ من نسخها عام 1002 هـ على يد كاتبها محمد بن علي السناني بداره برياط الولي الصالح أبي يعزى. والثانية بالخزانة العامة بالرباط رقم 585 ك ضمن مجموع من ص. 1 إلى ص. 313، وكان الفراغ من نسخها ضحوة يوم الأحد تاسع

*épipaléolithique de Taforalt (Maroc oriental), Etude des squelettes humains*, Casablanca, 1962 ; O. Dotout, *Extension saharienne du type Mechta-Afalou*, Cah. ORSTOM (Géol), 14/2, 1984 ; D. Ferembach, *La nécropole épipaléolithique de Taforalt (Maroc Oriental)*, avec la collaboration de Dastugue et Poitrat, Casablanca, 1962 ; *Diagrammes craniens sagittaux et mensurations individuelles des squelettes ibéromaurusiens de Taforalt (Maroc Oriental)*, Travaux du Centre de Recherches Anthropologique, Préhistorique et Ethnographique, Paris, 1965 ; *Les cromagnoides de l'Afrique du Nord, l'Homme de Cromagnon*, Paris, 1970 ; *On the origin of the Iberomaurusians (Upper Palaeolithic, North Africa). A New Hypothesis*, J. Hum., Evol., 14, London, 1970 ; *L'émergence d'Homo sapiens*, sous la direction de Bons J. et Delsol M., Paris, 1989 ; J. Roch, *L'Épipaléolithique Marocain*, Lisboa, 1963 ; *Les industries paléolithique de la grotte de Taforalt (Maroc Oriental)*, 2ème Congrès panaf. de Préhistoire, Alger, 1967 ; *Cadre chronologique de l'épipaléolithique Marocain*, 9ème Congrès Inter. Union Intern. Sc. Préhist. et Protohist., Septembre 1976, Colloque 2 Nice, Université de Nice, 1976 ; M. Zouak, *Variabilité de deux populations machtofdes du Paléolithique supérieur maghrébin (Taforalt et Afalou-Bou-Rhumel)*, Doctorat d'Université du Muséum National d'Histoire Naturelle, Paris ; *Etude anthropométrique des os longs du membre supérieur des deux populations du paléolithique supérieur du Maghreb (Taforalt et Afalou)*, (à paraître), *Etude statistique, Colloque sur l'Homme du Maghreb et son environnement depuis 100.000 ans*, Décembre 1989, Maghnia (Algérie).

محمد المغراوي

**أولاد حمامة، فخذة صغيرة من الأفخاذ المكونة لأولاد** محمد الفرقة الشاوية المشهورة في تاريخ المغرب بصلايتها ونفوذها ويكون أولاد حمامة مع أولاد عبد الله وأولاد الزبير وأولاد عطو ما يسمى بأعشاش السهل. قدّر عدد خيام أولاد حمامة سنة 1914 بثلاثمائة وخمسة خيام.

*Villes et tribus du Maroc, Casablanca et les Chaouia*, T. II.

علال المغمدي

**حمامة بن زيري بن يعلى أحد أمراء بني يفرن** ومؤسس دولتهم الثانية التي انتقلت من فاس إلى سلا. حكم إمارة بني يفرن بعد مقتل أخيه جوس ودخل في صراع عنيف مع أمير مغراوة زيري بن عطية حول السيطرة على منطقة فاس. لكن ضغط مغراوة وشدة قوتهم العسكرية دفعت بحمامة بن زيري إلى الانسحاب والتحيز بقبيلة بني يفرن إلى ناحية سلا حيث أسس إمارة جديدة تمتد من سلا إلى تادلا. لكن هذا الانتقال لم يحل دون استمرار الصراع بين الإماراتين المنتهيتين إلى نفس العصبية الزناتية، بل فرض على المترجم أن يبحث عن تحالفات جديدة ويطلب مساندة قوة كبيرة تمكنه من مواجهة مغراوة فاس حلفاء قرطبة ويعينهم في المغرب الأقصى. ولتحقيق هذا الهدف

شهر شوال سنة إحدى وستين وألف والثانية بمكتبة عبد الله  
گنون بطنجة.

8 - شرح جامع أبي محمد : ذكر في غرر المقالة ص.

.272

9 - شرح غريب الشهاب : تكرر ذكره في شرح أحاديث  
الشهاب. منه ثلاث نسخ خطية : الأولى في خ. ع. رقم 585  
ك ضمن مجموع من ص. 314 إلى ص. 400، وكان الفراغ  
من نسخها عشية يوم الاثنين الثالث والعشرين من شوال  
عام 1061 هـ. والثانية بالحزنة العامة بالرباط رقم 1824 ك  
ضمن مجموع من ص. 1 إلى ص. 53، وكان الفراغ من  
نسخها ضحوة يوم السبت الخامس عشر من شوال عام عشرة  
وماثنين وألف. والثالثة بمكتبة عبد الله گنون بطنجة.

10 - شرح غريب الموطأ : ذكر في اقتراح سميري ص.

85-122 و غرر المقالة ص. 79، وما بعدها.

11 - عيون الذهب في التنبيه على نكت من الأدب،

ذكر في اقتراح الأدب سميري ص. 40. 141. 235.

12 - غرر المقالة في شرح غريب الرسالة طبع بدار  
الغرب الإسلامي في بيروت سنة 1406 / 1986 بتحقيق  
الهادي حمو ومحمد أبو الألفان.

13 - فقه الموطأ : ذكر في شرح أحاديث الشهاب ص.

.303

14 - الفقهيات : ذكر في شرح غريب الشهاب ص.

381 وما بعدها.

15 - فك أغراض البخاري المبهمة في الجمع بين

الحديث والترجمة : - وهي مائة ترجمة - ذكر في شرح  
أحاديث الشهاب ص. 79، 211 ويسمى أيضاً حلّ أغراض  
البخاري المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة ذكر في  
إرشاد الساري 1 / 26 و ؛ وكشف الظنون 1 : 551.

16 - المسائل الفقهية المنوطة بالمعاني الشرعية : ذكر

في شرح أحاديث الشهاب ص. 189.

17 - توارد المعاني الفاضلة في مقابلة البخاري

بالعارضة : ذكر في شرح أحاديث الشهاب ص. 17.

وله شعر تعلقه مسحة دينية زهدية.

قدرنا أن المترجم ابن حمامة عاش في القرن السادس

الهجري. يرجح ذلك أن شيخه ابن حنين توفي بفاس سنة

569 / 1173.

م. ابن شريفة، ابن كِبال الشريشي 508. 582، الدار البيضاء.

1996 : ع. الله گنون، شخصيات مغربية، ابن منصور المغراوي،

مجلة دعوة الحق، ع 9 ص 3 ذو الحجة 1379 - يونيو 1960 - ص 29-30

: التبوع المغربي، بيروت، 1395. 1975. 1 : 227. 230 : دعوة الحق،

ع 9 ص 3 ذو الحجة 1379 - يونيو 1960 - ص 29-30 : م. العابد

القاسي، فهرس مخطوطات خزنة القرويين، الدار البيضاء، 1400.

1980. 2 : 303. 304 : أ. القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح

البخاري، خ. ع رقم 1229 ق 1 : 29 : حاجي خليفة، كشف الظنون،

بيروت 1402 / 1982، 1 : 551 : م. المنوني، ورفات عن الحضارة

المغربية في عصر بني مرين، الرباط 1979 - ص 350 هامش رقم

155 : نبذة فهرسية عن أبي محمد القاسم بن علي الحريري، انفردت

بها نسخة من الشرح الكبير للشريشي - السفر الأول - مخطوط خ.

ع، رقم 81 ح.

عبد العزيز الساوري

## حَمَامَة بن مَطَهْر الزناتِي من بطون بني القاسم

الذين ينتسبون إلى عصبية بني عبد الواد. ويعتبر حمامة  
هذا أحد قواد زناتة الذين حاربوا إلى جانب الأمير المرابطي  
تاشفين بن علي في مواجهاته العسكرية مع عبد المومن  
الموحدي. وعند تولية تاشفين لأبي بكر بن مزدلي على  
تلمسان سنة 537 / 1142 بعث عبد المومن وهو بالريف  
عسكراً موحدياً بزعمارة كل من ابن يغمور ويوسف ابن  
وانودين لمساندة أمراء بني ومانوا، حلفائهم هناك، على  
مواجهة هجومات الجيش المرابطي وحليفهم حمامة بن مطهر  
والتي انتهت باندحار لجيش الموحدية. لكن بعد ما تبين أفعال  
نجم المرابطيين وتحققت سيطرة عبد المومن على أجزاء كثيرة  
من المغرب الأقصى والأوسط وفد حمامة المترجم على أمير  
الموحدين عندما كان محاصراً لوهران سنة 538 / 1143 ودخل  
مع عشيرته في طاعته وتحالف معه ضد أعدائه المرابطيين.  
ويلاحظ أن المصادر تتوقف في أخبارها عن حمامة عند هذا  
الحدث ولم تعد تشير إلى مصيره أو تذكر مآل حاله مع بني  
عبد المومن بعد ذلك التاريخ.

ابن عذاري، البيان المغرب ...، قسم الموحدية، بيروت، الدار

البيضاء، 1985، ص. 19 : ع. ابن خلدون، المعبر، بيروت، 1978، 6

: 456 : 7 : 116. 150.

## حمامة بن المعز بن عطية المغراوي، يكنى أبا

العطّاف، تولى حكم إمارة مغراوة الزناتية بمنطقة فاس بعد  
وفاة ابن عمه المعز بن زيري بن عطية سنة 417 / 1026 أو  
422 / 1031. ورث عن سلفه من أمراء مغراوة مشاكل كثيرة  
وعلاقات متوترة مع جيرانهم أمراء بني يفرن بسلا وبني  
خزون بسجلماسة. وقد أدرك حمامة بن المعز ثقل هذا  
الإرث وتبين مدى خطورة التهديدات التي تمثلها إمارة بني  
يفرن على الخصوص مما ساهم في تجديد الصراع بين الطرفين  
والدخول في مواجهات عسكرية مباشرة، فعندما تولى  
الأمير أبو الكمال تميم بن زيري بن يعلى (ت. 448 / 1057)  
أمر بني يفرن بسلا ازدياد أطماعه في التوسع على المناطق  
المجاورة لمحدود إمارته، فزحف إلى فاس واصطدم بأمرها  
حمامة بن المعز ودارت بينهما حرب ضروس أسفرت عن  
عند كبير من القتلى في صفوف المغراويين وساكنة المدينة  
خاصة اليهود الذين قتل منهم حوالي ستة آلاف وانهزم  
المترجم وفرّ إلى مدينة وجدة، ودخل تميم إلى فاس في  
جمادى الثانية من عام 424 / ماي 1033 ليضمها إلى  
إمارته التي أصبحت تمتد على مجال واسع بين فاس وسلا

الحمرة وقبره مشهور بزاويته.

م. ابن عسكو، *دوحة، موسوعة أعلام المغرب*، 2 : 839-840 م.  
العربي القادري، *كنائس*، ص. 97 : ابن عيشون، *روض*، 85، د.د.ع.  
مرفون : م. المهدي الفاسي، *متنوع، ملزمة*، 24، ص. 1 : *تحفة أهل*  
*الصديقية*، ص. 25 : ع. الفاسي، *ابتهاج*، ص. 264 : م. القادري،  
*الإكليل*، ص. 480، د. د. ع. مرقونة : *الزهر الباسم*، مخطوط،  
ص. 33 وجه : م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 225.

ماربة دادى

ال حماية الإسبانية بالمغرب. شرعت الدول الغربية منذ مطلع القرن التاسع عشر في إضعاف المغرب بغية احتلاله. وتؤكد ذلك بعد احتلال الجزائر والقضاء على ثورة الأمير عبد القادر على يد فرنسا. فأجبرته على إبرام اتفاقات معها تسمح لها بامتيازات على حسابها. وكانت أقسى المعاهدات التي أبرمت في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بتاريخ 26 أبريل سنة 1860 على إثر الغزو الإسباني الذي أدى إلى احتلال مدينة تطوان وضواحيها. فطالبت إسبانيا بموجب هذه المعاهدة المغرب بغرامة مالية تعجيزية قيمتها 100.000.000 بسيطة، لا تتعدى مدة تسديدها ثمانية أشهر. لكن عند الدفعة الأولى فرغت خزينة الدولة، وعجز المغرب عن تسديد الدفعة الثانية، فطلب من بريطانيا قرضاً قدره 10.000.000 بسيطة لأداء الدفعة الثانية. لكن هذه الأخيرة قماطلت في تسليم القرض، ولم تدفعه له إلا في 10 مارس 1862، مما أدى به إلى تدارك الموقف وتوقيع اتفاق مع إسبانيا في 30 أكتوبر 1861 لمراجعة المعاهدة السابقة، تنازلت الحكومة الإسبانية بموجبه عن تحديد موعد الدفع والتزمت بالانسحاب من مدينة تطوان حينما تتوصل بنصف الغرامة. وفعلاً انسحبت إسبانيا من مدينة تطوان وناحتيتها عندما تم لها ما أرادت. وقيمت بذمة المغرب 50.000.000 بسيطة لإسبانيا و10.000.000 بسيطة لبريطانيا، زيادة على الفوائد ومصاريف التوكيل ليصل المجموع في النهاية إلى 69.000.000 بسيطة.

أخذ الإسبان يستولون على نصف مداخل الجمر المغمري والنصف الآخر يبقى للدولة المغربية لتسدده منه ما عليها من ديون لبريطانيا. وقد اختار الدائنون أخذ ديونهم عن طريق الجمارك، أولاً لأنها أهم مورد للمغرب، وثانياً لسهولة مراقبته. واستغرقت مدة هذه الديون 25 سنة قبل أن تنتهي. وبموجب معاهدة 1863، وقع التفاهم على نهج سياسة موحدة في المغرب بين الدول الأجنبية الممثلة في المغرب إلا إسبانيا فإنها أمضت تسوية مماثلة مع المغرب فيما بعد، نصت هذه المعاهدة الموقعة أصلاً مع فرنسا على حق هذه الدول في حماية جميع المغاربة الذين يعملون في المفوضيات والفتصليات الأجنبية وغيرهم من العاملين والوسطاء عند التجار الأجانب وكل المغاربة الذين يرغبون

وتادالا. وفي خلال السنة الواحدة التي قضاهها حماسة بن المعز في منفاه دب الضعف إلى جنده وتفرقوا عنه فاضطر إلى طلب العون والمساعدة من أمراء المغرب الأوسط حيث لجأ إلى مدينة تنس وحشد قبائل مغراوة هناك ونظم صفوفهم معلناً زحفه على فاس سنة 429 / 1038 ونجح في استرداد ملكه وطرد غريمه تميم اليفرنى إلى سلا واضعاً بذلك حداً لفترة أكثر من خمس سنوات من حكم بين يفرن لفاس. كما قام حماسة بتنظيم حملة عسكرية إلى سجلماسة لكنه فشل في تحقيق أهدافه للتوسع نحو الجنوب وأنهزم أمام قوة بني خزون. وفي سنة 430 / 1039 تحرك صاحب قلعة بني حماد بالمغرب الأوسط القائد ابن حماد في جيوشه الصنهاجية يريد مدينة فاس فخرج إليه حماسة المغراوي لصد غزوته لكن الحرب لم تقع بعد أن تم عقد الصلح بين الطرفين ورجع كل أمير إلى موقعه.

شهدت فترة حكم حماسة هذا ازدهاراً لفت انتباه المؤرخين ووصفوا الأمير بحبه للعلم والأدب وولعه بالسياسة، فكان قصره يرتاده العلماء والأمراء والأدباء والشعراء من الأندلس والمغرب. واختلف المؤرخون في ضبط سنة وفاة حماسة بن المعز، فابن خلدون يجعلها في سنة 431 / 1040، وابن عذاري وصاحب *مفاخر البربر* يريان سنة 433 / 1042 أما ابن أبي زرع وابن الخطيب فقد جعلوا وفاة حماسة في سنة 440 / 1049.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، ط. 3، 1983، 1 : 252-254 : ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 108-109 : مجهول، *مفاخر البربر*، نج. ليثي بروثنسال، الرباط، 1934، ص. 42 : ل. ابن الخطيب، *أعمال الأعلام*، نج. أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، النار البيضاء، 1964، القسم الثالث، ص. 86-161 : ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 352 : 7 : 45-73 : 74 : أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ص. 172-173 : أ. الناصري، *الاستقصا*، النار البيضاء، 1954، 1 : 220-221.

رشيد السلامي

**حَمَامُوش، علي بن محمد**، يعرف بسدي حَمَامُوش، يتصل نسبه ببيعقوب المنصور الموحدى، شيخ صوفي أخذ عن الشيخ عبد الله الغزواني عن عبد العزيز التبايع عن محمد بن سليمان الجزولي. تذكر المصادر أنه كانت له علاقة بالأرواح وأن طائفة من الجن كانت تقرأ عليه القرآن بداره بطالعة فاس التي بها توفي واستمرت قراءة القرآن تُسمع حتى بعد وفاته. قال محمد العربي القادري في *الكنائس* : "كان في قيد الحياة أواخر ذي الحجة خاتمة سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة. وأظنه توفي في هذه العشرة، أعني العشرة الرابعة من القرن العاشر" وذكر صاحب *الدوحة* أن الشيخ حماموش توفي بفاس في العشرة الثالثة (نحو 925) ودفن خارج باب

في ذلك. وقد كانت هذه المعاهدة تعفي كل المحميين من الضرائب ولا تطبق عليهم قوانين بلادهم.

أدى هذا الوضع إلى إضعاف المغرب ماليا وقضائيا، وإلى ظهور الفوضى وانتشارها في صفوف مواطنيه مما حدا بالسلطة المركزية إلى المطالبة بإلغاء هذه الامتيازات. ودعت إلى عقد مؤتمر شاركت فيه الدول ذات الامتياز للنظر في طلبه، لكنه باء بالفشل لأن كل دولة لم تكن مستعدة للتنازل عن (حق) سبق أن اكتسبته. وتقرر فيه وضع تشريع دولي جديد. وانعقد مؤتمر مدريد في 3 يوليوز 1880، حيث تقرر عدم التنازل عن الامتيازات السابقة، مضيفا إليها أنه إذا ما تعاطى محمي أو أجنبي الزراعة فإن الضريبة تدفع إلى قنصليته.

في هذه الظروف كانت فرنسا تستعد لاستعمار المغرب وضمه إلى ممتلكاتها بإفريقيا. وفي 3 أكتوبر 1904 أمضت اتفاقية مع إسبانيا تعترف فيها بمحتوى المعاهدة السابقة المبرمة مع بريطانيا وتحدد مناطق النفوذ التي تخولها لإسبانيا على الساحل المغربي المطل على البحر المتوسط، كما تؤكد تسليمها منطقتي سيدي إفيني، وترسم بالفرائط حدود البلاد التي خولت لإسبانيا فيما بعد.

لم تسكت ألمانيا على ما يجري من تنافس حول المغرب، وتآزمت علاقاتها مع بريطانيا وفضحت الاتفاقات السرية السابقة التي كانت تعقد بلا علم المغرب. ولما أدرك المغرب مناورات فرنسا وبريطانيا، دعا في 30 ماي سنة 1905 إلى عقد مؤتمر دولي بتأييد من ألمانيا. فانعقد مؤتمر الجزيرة الخضراء في 7 أبريل سنة 1906. وتمخض عن معاهدة أمضتها كل من فرنسا وبريطانيا وألمانيا والنمسا وإيطاليا والسويد وهولندا وإسبانيا وهنغاريا وبلجيكا وروسيا والبرتغال والولايات المتحدة الأمريكية تهم مجموعة من القضايا، أهمها:

تنظيم الشرطة وحفظ الأمن في المغرب؛

إنشاء بنك وتحسين دخل الضرائب؛

تنظيم الجمارك المغربية ومراقبة تهريب السلاح؛

وعهد إلى فرنسا وإسبانيا بحفظ الأمن داخل الموانئ

المغربية. وبهذا كان المؤتمر في صالح فرنسا وإسبانيا ولم يحفظ كرامة المغرب. ولم تستطع ألمانيا منع ما تقرر. وهكذا استمرت فرنسا وإسبانيا في سياستهما التوسعية بالمغرب. ويتنسق بين الدولتين احتل الإسبان سنة 1907 مدينتي العرائش والقصر الكبير، واحتل الفرنسيون مدينة الدار البيضاء.

نصت معاهدة الحماية الموقعة في 30 مارس 1912 في فقرتها الثالثة من مادتها الأولى على أن تدخل فرنسا في مفاوضات مع إسبانيا حول مصالح هذه الأخيرة في الشواطئ المغربية. وذلك ما وقع فعلا. فبموجب اتفاقية 27 نوفمبر 1912 الموقعة في مدريد لهذا الغرض، أصبحت المنطقة الشمالية خاضعة للحماية الإسبانية. وكم حاول

الإسبان إضافة مدينة فاس إلى هذا الجزء لكنهم لم يفلحوا. ومنذئذ أصبح الخط الجغرافي الممتد من عريارة جنوب القصر الكبير إلى مشارف مصب نهر ملوية في الشمال الشرقي للمغرب هو الحد الفاصل بين الجزء الشمالي والجزء الجنوبي الذي يدخل تحت السيطرة الفرنسية. كما نصت هذه المعاهدة على أن المنطقة الشمالية تعتبر من المناطق الخاضعة لسلطة السلطان، ينوب عنه فيها خليفة معين من قبله، يتمتع بنفس الحقوق التي هي للسلطان نفسه. ويكون مقر إقامته بمدينة تطوان، ومنسوب عن السلطان في منطقة طنجة، يمارس نفس السلطات المخولة له.

كانت المنطقة الشمالية تمثل 5% من مجموع التراب المغربي آنذاك، وسكانها 750.000 نسمة. تقطن في جهتها الغربية قبائل جبالية، ويتكون أغلب أهلها من فلاحين وصيادين. وكانت هذه المنطقة في ثورات مستديمة ضد الإسبان منذ سنة 1497، وهي السنة التي احتل فيها الإسبان مدينة مليلية لجعلوها قاعدة ينطلقون منها لاحتلال التراب المغربي، وبقيت تحت نفوذ إسبانيا مدينة مليلية وسبتة والجزر الجعفرية في الشمال ومدينة الداخلة في الجنوب الغربي.

أما من الناحية التنظيمية، فقد عرفت المنطقة الشمالية من المغرب تنظيما مشابها للمنطقة الفرنسية، بحيث استقرت الإدارة المركزية بمدينة تطوان، وأنشئت إدارة إقليمية وأخرى محلية في باقي المناطق، وكانت تتألف من أجهزة ثنائية خليفية يترأسها خليفة السلطان، تساعده في مهامه حكومة المخزن الخلفي، وإسبانية يترأسها مفوض سام إسباني يعين من طرف حكومته، يمثل بلاده في منطقة الحماية، وفي نفس الوقت هو الحاكم العام لمدينة سبتة ومليلية اللتين تعتبرهما إسبانيا جزئين من ترابها.

أما التنظيم الإداري في مدينة طنجة فقد تأثر بطبيعة الوضع الدولي للمدينة، والذي يعود إلى ما قبل الحماية، حينما كانت مقر إقامة القناصل المعتمدين لبلادهم بالمغرب. فقد منحوا حق إقامة بعض المؤسسات والإشراف عليها، وأقرت معاهدة الحماية ذلك. أما بالنسبة للأجزاء الجنوبية المحتلة من المغرب، فبعدما سعت إسبانيا إلى فصلها تدريجيا عن المغرب، قسمتها إلى أربع مناطق: منطقة سيدي إفيني والساقية الحمراء ووادي الذهب وجعلتها تابعة لرئاسة مجلس الحكومة الإسبانية، وجعلت طرفاية تابعة لإدارة تطوان.

وبانتهاء المقاومة المسلحة في الشمال، بدأت تظهر الحركة الوطنية غير المسلحة في قالب جديد وإطار سياسي واجتماعي وثقافي في حلة تجعلها تقاوم المحتل بسلاح الفكر والمعرفة معتمدة في ذلك على أبنائها النباه. فأحدثت من أجل هذا جرائد ومجلات باللغة الأجنبية داخل وخارج الوطن، لأن اللغة العربية كانت محدودة الاستعمال، وكذلك التشكيلات السياسية. لذلك بدأت هذه الحركة

الوطنية على شكل جماعات، ثم تكتلت في السر لتكون حزب الكتلة الوطني بزعامة عبد السلام بنونة في الشمال. أنشئ شميل له بزعامة كل من علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني في منطقة الحماية الفرنسية. ومن أهم ما نادت به الكتلة الاحتفال سنويا بعيد العرش للتعبير عن مدى التحام الشعب بالعرش. وبعد نجاح الجمهوريين وسقوط الملكية في إسبانيا في 14 أبريل سنة 1931، تكون وفد وطني من أعضاء المكتب السياسي للكتلة الوطنية بالشمال وتوجه إلى مدريد في 6 يونيو من نفس السنة لتسليم وثيقة المطالبة بالإصلاحات. لكن مطالبهم رفضت من الجمهوريين. وبالمقابل أعطيت تسهيلات كبيرة لليهود الاسبان من أجل الاستقرار في منطقة الشمال، وصدرت مراسيم للتنقيب عن المناجم في المنطقة، وفرض ترخيص على أبناء المنطقة للانتقال من جهة إلى أخرى. وفي 24 سبتمبر سنة 1931 تكون مجلس بلدي في مدينة تطوان عن طريق الانتخاب، كانت الأغلبية فيه للوطنيين. واستمرت الكتلة الوطنية في عملها النضالي وتكثرت من تنمية علاقاتها السياسية والثقافية مع المشرق العربي، فاشتركت في المؤتمر الإسلامي بالقدس في ديسمبر سنة 1931، كان من نتائجها التعريف بقضية المغرب. وفي سنة 1932 سلمت وثيقة مطالب إصلاحية جديدة للسلطات الاسبانية، حدث بعد تسليمها بعض الانفراج في العلاقات بين الوطنيين والإدارة الحامية أدى إلى ظهور جريدة الحياة الأسبوعية في فاتح مارس سنة 1934، لكن سلطات الحماية منعتها من الصدور بعد ذلك بقليل. وفي نفس السنة وبمناسبة العيد النبوي الشريف، قام الوطنيون بتظاهرات خطابية وتغنوا بالأنشيد الوطنية، فقامت سلطات الحماية على إثر ذلك باعتقال العديد من المواطنين وزجت بهم في السجون. وفي سنة 1935 توفي زعيم الكتلة الوطنية بالشمال عبد السلام بنونة في مدينة تطوان، وخلفه في الزعامة عبد الخالق الطريس. وتآزمت العلاقات بين الوطنيين وبين سلطات الاحتلال عندما قامت هذه الأخيرة بمصادرة أمتعة جريدة الحياة. واستمر هذا التأزم إلى أن قام "فرانكو" Franco بانقلابه ضد حكومة الجمهوريين في 18 يوليوز 1936. وجاء وعده للوطنيين على لسان الكولونيل "بيغيدير" في مدينة تطوان بما يلي : "إن انقلاب "فرانكو" سينجح، ويجب ألا يعرقله المغاربة. وفي ساعة النصر سيقطف المغاربة معنا أينع الورد، ومن الآن سيلمس الوطنيون أن هناك معاملة مغايرة : السماح بحرية الحركة، التوسع في التعليم، تكتيف العلاقة مع المشرق. وفعلا قدمت عدة تسهيلات للوطنيين، فحصلوا على بنائيتين، خصصت إحداهما للمعهد الحر، والأخرى للمدرسة الأهلية، وفتحت أبواب الإذاعة في وجوههم. وفي هذه الفترة ظهرت جريدة الريف للتهامي الوزاني. ويتعاون مع الخليفة السلطاني مولاي الحسن بن المهدي استطاعت الحركة الوطنية الحصول على وزارتي

العدل والأوقاف، إلا أن سياسة سلطات الحماية أحدثت انشقاقا داخل الكتلة الوطنية. أدت بالمكي الناصري وهو عضو فيها إلى الانشقاق عنها ليؤسس حزب الوحدة المغربية وجريدة تحمل نفس الاسم، وأنشأ معهد مولاي المهدي. وفي 7 ديسمبر سنة 1936، أسس عبد الخالق الطريس حزب الإصلاح الوطني. وفي 24 ديسمبر من نفس السنة أسندت إليه وزارة الأحباس. وعين محمد داوود مفتشا بوزارة المعارف، وهو عضو في الكتلة الوطنية كذلك. لكن إسبانيا سرعان ما غيرت سياستها في المنطقة تجاه الوطنيين، وذلك تحت ضغوط جاليتها المقيمة في الشمال المغربي. واستقال عبد الخالق الطريس من منصبه لما واجهته العراقيل ليؤسس جريدة الحرية في 14 مارس 1937. وفي هذه الفترة عمت المظاهرات والمناذاة بالإصلاحات في المنطقة الواقعة تحت الحماية الفرنسية بالجنوب. واصطدم الوطنيون بقوات الاحتلال الفرنسي، وزج بعدد كبير منهم في السجون، وأبعد الزعماء إلى المنافي.

وفي 29 أكتوبر من سنة 1937، قامت في مدينة تطوان مظاهرات احتجاج وتضامن مع الوطنيين بالجنوب. ورفعت لافتات تطالب بالحرية وبالوحدة في ظل العرش المغربي. وقامت تجمعات في المساجد، وخطب كل من عبد الخالق الطريس والمكي الناصري في الجموع. واحتشدت الجماهير في مدينة العرائش بالمواطنين القادمين إليها من كل حذب وصوب، وألقى فيهم المكي الناصري خطبا. وأرسلت من هناك رسائل احتجاج إلى الحكومة الفرنسية، ووجهت بقرقيات ولاء وإخلاص للسلطان محمد بن يوسف. ومع نهاية الحرب الأهلية الإسبانية بانتصار "فرانكو" في فاتح أبريل 1939، بدأت الاعتقالات في صفوف الوطنيين، وأوقفت جريدة الوحدة المغربية وجريدة الحرية. واقتضت سياسة الحرياء التي كانت تنهجها إسبانيا في المنطقة رغم تعاقب أنظمتها السياسية المختلفة في بلادها. وأثناء الحرب العالمية الثانية، تحولت مطالب الوطنيين من الإصلاحات إلى المطالبة بالاستقلال التام. ووقع كل من حزب الوحدة المغربية وحزب الإصلاح الوطني ووثيقة "الميثاق الوطني" في 18 ديسمبر 1942، التي نصت على تكوين جبهة وطنية موحدة للدفاع عن استقلال المغرب ووحدته الترابية.

وابتداء من سنة 1945 تقورت عملية إذكاء الوعي الوطني في نفوس المواطنين وأنشئت نواد ومكتبات وفرق رياضية للشباب. وجاءت سنة 1947، فعبر السلطان محمد الخامس عن رغبته في زيارة مدينة طنجة فزارها رغم رفض الإقامة العامة. وتحرك الموكب السلطاني في اتجاه شمال المغرب يوم الأربعاء 9 أبريل سنة 1944. وفي اليوم التالي استقبل السلك الدبلوماسي والوفود المهتمة، ثم خرج إلى شعبه مصحوبا بولي عهده آنذاك جلالة الحسن الثاني، فألقى خطابه التاريخي، الذي أكد فيه رغبة بلاده في الاستقلال والوحدة. وفي اليوم الثالث، وكان يوم جمعة، أم

**الحماية الفرنسية.** فُرضت الحماية الفرنسية على المغرب بمقتضى معاهدة 30 مارس 1912 وامتدت إلى أن أُعلن عن تحرر البلاد منها يوم 2 مارس 1956. وبالرغم من قصر هذه المدة فإن ما طرأ خلالها على المجتمع المغربي من التحولات في مختلف الميادين لم يسبق له نظير في تاريخه مما يوحي بما تخلل تلك التحولات من العنف ويوحى بأن الاحتلال الأجنبي كان معركة من البداية إلى النهاية، معركة بين الدولة الحامية والدولة المحمية ومعركة بين الجماهير المغربية والجمالية الاستعمارية ومعركة بين الأصالة المكلمة والمعاصرة المتعجرفة أو بين الإصلاح المفروض والإصلاح الذي تتبناه الجماهير.

ولقد مرت هذه المعارك من ثلاث مراحل امتدت أولها من 1912 إلى 1930 وكانت لصالح الاستعمار الذي استغل تناقضات المجتمع المغربي ليكتسح الأرض ويفرض سطوته، وامتدت الثانية من 1930 إلى 1942 وتبين فيها للقيادة المغربية الناشئة ما ينطوي عليه الاستعمار من جهته من التناقضات التي يمكن إمساكه منها وزعزعة أركانه من خلالها، فتشككت الحركة الوطنية وبدت قادرة على الاستفادة مما نزل بالدولة الحامية من النكبات بعد قيام الحرب العالمية الثانية، وكانت المرحلة الثالثة من 1942 إلى 1956 وكلها لصالح الدولة المحمية التي التحمت من جديد دواليها الحكومية بصفوف الجماهير فتكسرت على تلك الوحدة كل المناورات الاستعمارية واسترجع المغرب استقلاله وسيادته.

- المرحلة الأولى 1912-1930 : الحماية معاهدة بين دولتين غير متكافئتين تستعمر بمقتضاها الدولة القوية الدولة الضعيفة وتفرض عليها معمرها ورساميلها وأساليبها الإدارية والاقتصادية والثقافية فتلحقها بأسوأها ويمجال نفوذها في العالم، فهي حيلة قانونية تستغل بها خيرات الدولة المحمية اعتماداً على أموالها وسواعد أبنائها، وهي إذن اغتصاب تراخي واحتلال أجنبي.

ولقد دخلت الجيوش الفرنسية أراضي المغرب منذ سنة 1900 حيث انتزعت منها واحات توات وضممتها إلى الجزائر، ثم واحات شنكيط وضممتها إلى ممتلكاتها في السودان الغربي (1908) ثم إنها أوقعت البلاد كلها ابتداء من ذلك التاريخ بين فكي كماشة باحتلال السهوب الشرقية المغربية من وجدة ويني بزنانس في الشمال إلى فيكيغ ووادي جبير في الجنوب، وهذا من جهة الشرق، وياحتلال الدار البيضاء والشاوية من جهة الغرب (1907-1908) وفي سنة 1911 زحفت جيوش الاحتلال من الشاوية إلى فاس عبر الرباط وسهل الغرب ومكناس فأدخلت تحت سيطرتها كل الأقاليم

المصلين بالمسجد الكبير، وألقى خطاباً دينياً، ثم تلا قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم".

وقد قامت السلطات الإسبانية في المنطقة الشمالية في هذه المناسبة بقمع المواطنين المغاربة والزج بالكثير منهم في سجونها. وكانت المحاكم الإسبانية هي التي تبت في قضاياهم. وبعد نفي محمد الخامس اغتازت الحكومة الإسبانية من نفي السلطان دون استشارتها، فاحتجت على لسان مندوبها السامي في تجمع سياسي أقيم بمدينة تطوان في 21 يناير 1954، جاء فيه: "إن فرنسا خطت خطوة لارجعة فيها، وعليها الآن أن تواجه مسؤوليتها وحدها". وبعد خمسة أيام من هذا التصريح صدر عفو شامل عن المعتقلين السياسيين بمنطقة الشمال. وبدأت إسبانيا سنة 1955 بتعيين حكومة جديدة للخليفة السلطاني ضمت عدداً من الوطنيين أسندت إليهم وزارات العمل الاجتماعي والتربية الوطنية والعدل والأوقاف.

وبعد أن وقع محمد الخامس في 2 مارس 1956 مع فرنسا وثيقة الاستقلال. تلاها في 7 أبريل من نفس السنة توقيع اتفاقية ماثلة مع إسبانيا في مدريد. وفي طريق رجوعه إلى المغرب، استقبل محمد الخامس بتطوان استقبالاً يصعب وصفه. وفي 29 أكتوبر سنة 1956 انتهى النظام الدولي بطنجة. لكن العديد من الجيوب والثغور المغربية المحتلة ظلت تحت السيطرة الإسبانية كسبتة ومليلية والصحراء المغربية.

محمد الصفار، رحلة إلى باريس، مخطوط، خ. ع. رقم 113 ؛ ميكل (مرتين)، الاستعمار الإسباني في المغرب (1860-1956)، باريس، 1973 ؛ إ. حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 3 ؛ علي الغالي الريسوني، مغرب لا يقهر، تطوان، 1992، د. ن ؛ ع. الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، الرباط ؛ ع. ابن زيدان، إبحار ؛ عبد الرحيم ابن سلامة، المغرب قبل الاستقلال، الدار البيضاء، 1980 ؛ ع. المجيد بن جلون، جولات في مغرب أمس 1872، الرباط 1974 ؛ ح. بوعبياد، الحركة الوطنية والظهير البربري، الدار البيضاء، 1979 ؛ محمد العلمي، عبد الكريم الخطابي، الرباط 1968 ؛ عبد النبي ذافر، الرحلة المحجوبة إلى الديار الإسبانية، مجلة دراسات، كلية الآداب والعلوم الانسانية في أكادير، العدد 7 السنة 1995 ؛ الوثائق، مجموعة دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية (المجموعة الرابعة)، الرباط، د. ت.

G. Ayache, *Etudes d'histoire marocaine*, Rabat 1979 ; *Les origines de la guerre du Rif*, Rabat 1981 ; *Mémorial du Maroc* (tome 5) ; *Hassan II présente la marche verte*, Paris 1990 ; *Histoire du Maroc*, Paris 1987 ; C.-A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes (1415 - 1956)*, Paris, 1978 ; J. F. Clement, *Tanger avant le statut international, horizons maghrébines*, n° 31 - 32, 1996 ; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830 - 1912)*, Casablanca 1993, 2° éd. ; H. Amic, *Le Maroc hier et aujourd'hui*, Paris 1925 ; E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1904 ; W. Harris, *Le Maroc*



الموجودة على طريقها أو المتاخمة لها بحيث ما إن أبرمت معاهدة الحماية (30 مارس 1912) حتى كانت السيطرة الفرنسية تامة على جزء غير هين من التراب المغربي فبادرت غداة انعقاد الحماية إلى تعزيز غزوها باحتلال عاصمة الجنوب مراكش وباقي السهول الأطلسية شمالا وجنوبا وسهل تادلا والهضبة الوسطى والمرتفعات الأولى من الأطلس المتوسط وتم الربط بين جيوش الاحتلال الزاحفة من الشرق وتلك التي كانت تحتل القسم الغربي من خلال فجاج تازا وذلك قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى بقليل (يونيه 1914). فلما قامت الحرب خفت عمليات الغزو دون أن تنقطع، إذ تم الربط بين جيوش الاحتلال في بونتيب وبين جيوش الاحتلال في مكناس وذلك على سطوح الأطلس المتوسط بالقرب من ميدلت (1917) مما قسم معازل المقاومة هنالك إلى قسمين تمكنت العساكر الفرنسية من إسقاطهما الواحد تلو الآخر بعد نهاية الحرب، فسقط القسم الجنوبي فيما بين 1920 و1923، وتأجل مصير الثاني بسبب اندلاع حرب الريف في منطقة الحماية الإسبانية منذ سنة 1921. وبسبب امتدادها إلى منطقة الحماية الفرنسية سنة 1924 فلما انهزمت المقاومة الريفية سنة 1926 تم احتلال "بقعة تازا" وهي القسم الشمالي من الأطلس المتوسط ولم يبق ممتنعا على الجيوش الفرنسية إلا جبال الأطلس الكبير والأطلس الصغير وما يتصل بهما من الأقاليم الصحراوية، لكنها تجندت لذلك ابتداء من 1929 حيث تشكلت أربع فيالق ضخمة انطلاقا من مراكش ومن تادلا ومن مكناس ومن التخوم الجزائرية المغربية الجنوبية، فصارت تلك الفياق تتسرب كل واحد من جهته إلى قلب الأوعار الأطلسية خطوة خطوة وترغم القبائل على الاستسلام تحت وابل من قنابل المدفعية الثقيلة والطيران، فوقعت سلسلة جبال العياشي في قبضتهم (1931) ثم واحات تافاللت (1932) ثم جبال صغرو (1933) ثم الأطلس الصغير وسلسلة بادو في قلب الأطلس الكبير (1934) وهي السنة أيضاً التي اكتسحت فيها الصحراء المغربية.

وكان سبب انتصار الجيوش الفرنسية تفوقها المطلق في العتاد والتنظيم العسكري ووحدة القيادة وانسجام الرؤية، ومع ذلك فإنها لم تتغلب على ما كان من مقاومة القبائل المغربية إلا بعد اثنتين وعشرين سنة. فلقد كانت المقاومة المغربية آية في الاستبسال شهد بذلك العدو نفسه، كما شهد بأن جيوشه لم تدخل أدنى بقعة من التراب المغربي دون أن يكون سكانها قد استنفدوا جميع وسائل الامتناع، وكانت تلك المقاومة شاملة تلقائية يكاد لا يتميز فيها رئيس عن مرؤوس وإن ذاع فيها صيت بعض الزعماء مثل الشيخ ماء العينين وأبنائه في الصحراء الغربية وسوس ومُحًا وسعيد الوراكوي في تادلا ومُحًا ومُحُو الزباني في الأطلس المتوسط الجنوبي وسيدي رحو في الأطلس المتوسط الشمالي والحجّامي في الحباينة وأهل زاوية أحنصال في

الأطلس الكبير الشرقي ومُحًا نيفروتن ويلقاسم النكاوي في تافاللت ومُحًا وسلام في صغرو والمدني الخصاصي والقائد الناجم الخصاصي في الأطلس الصغير ومحمد بن عبد الكريم الريفي الذي سارت الركيان باسمه، وآخرين لا يتسع المقام لذكرهم جميعا. ويكفي أنهم استماتوا ومن كان وراءهم من المجاهدين في الدفاع عن الوطن والكرامة وكالوا لجيوش الاستعمار ضربات موجعة وألحقوا بها الفضيحة كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، مثلما حدث في معارك المتكار (1901) وتاغيت (1903) ورتيشيت (1905) والقصبية (1913) والهري (1914) وتافاللت (1181) وجباله (1920). 1922) وورغة (1924-1925) وأبت يعقوب (1929) وتازكراوت (1932) ويوگافر (1933) وجبل بادو (1934)، لكن بطولات المقاومين لم تكن لتوقف الاكتساح الاستعماري لا لأن سلاحهم كان دون سلاحه ولكن لأن المقاومة كانت تتم متفرقة على العموم ولا يتجنّد السكان للقتال إلا عندما تدخل الجيوش الفرنسية ترابهم، ولم يكن قتالهم متفرقا من شدة التمسك بالعصية بقدر ما كان من افتقار إلى وحدة القيادة ومن وقوف الدولة في جهة ووقوف القبائل في جهة أخرى بما نجح من دعاية الاستعمار الذي كان يردد ليل نهار أنه لا يغزو المغرب وإنما يمهد أقاليمه لفائدة المخزن، وكانت النتيجة سنة 1934 أن جردت القبائل من كل سلاحها ورست مستقراتها بصفة نهائية عبر التراب المغربي.

وتلك نتيجة ما كان المخزن ليتغافل عنها لما كان منصرفا إليه منذ أقدم العصور من محاولة إدخال القبائل في طاعته، فلأول مرة أصبحت الأحكام المخزنية تنال جميع أنحاء البلاد وذلك من مميزات عهد المولى يوسف الذي تربع على العرش في غشت 1912 خلفا للمولى عبد الحفيظ أخيه، وسارت الدولة في عهده بسيرة من تنزل به أشد النوازل فيكون شغله الشاغل المحافظة على الأصول والتزام الصمود والحرص على أن لا يقع أي تفریط في شؤون العقيدة ولا في مرتبة اللغة العربية في الدولة. وهكذا قاوم المولى يوسف والتي هي أحسن سياسة التفرقة بين القبائل العربية والقبائل البربرية التي رامت سلطات الاستعمار فصلها عن حظيرة الإسلام منذ ذلك العهد، حيث امتنع عن مسابقتها في ذلك وأحسن استغلال ما كان المقيم العام الفرنسي الأول في المغرب الجنرال ليوطي (Lyautey) الذي امتدت مقيميته من 1912 إلى 1925 بيديه من المراعاة للتقاليد المخزنية ومن الأدب مع العاهل والتظاهر بالوقوف عند بعض الحدود من الاستعمار، فإنه كان يردد بأنه ليس سوى "خادم سيدنا الأول" وكان يلح حتى لا تتحول الحماية من إدارة لمراقبة الأجهزة الحاكمة المغربية والأخذ بيدها إلى إدارة فرنسية مباشرة تمسك بزمام الأمور كلها وتهتمش المسؤولين المغاربة، وسعى السعي الحثيث في أن تسترجع الدولة كامل حرمتها لتتلاقى ما لحق بها من الأضرار من

جاء فتن العهدين السابقين، وكان ذلك مما حملته على اقتراح الرباط عاصمة جديدة للمملكة ليكون في هذا إشارة بتجديد النهضة المغربية في عهد المولى يوسف، وكان ماهراً في سياسة "مد اليد" للنخبة المغربية، وكانت ميوله الشخصية للأئمة الملكية الارسطقراطية تساير ما وجد عليه المجتمع المغربي من التراتب ومن الالتزام بالتقاليد الموروثة، فكان حريصاً على استقطاب كل ذوي النفوذ إما بالكلام المعسول وإما بالضغط على مصالحهم، وبذلك اكتسب إلى جانبه أرباب الزوايا مثل عبد الهى الكتاني وعبد الرحمان الدرقاوي، واستطاع أن يتحكم في حوز مراكش وقيائل الأطلس الكبير الغربي بواسطة كبار القواد هنالك، أمثال الأكلادي والكندافي والتوگي، فنال على العموم رضى النخبة الحاكمة التقليدية التي زاد في انبهارها بما أقدم عليه ليوطى من "الإصلاحات" احتفاظها برتبتها وحرمتها مع وعيها من جهة أخرى بما كان عليه المغرب من التخلف عن العصر فلم تبخل على ليوطى بالتنويه والتمجيد، وكيف لا ينبهر الجيل الذي كان على بينة مما عاناه السلطان المولى الحسن ويعده المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ يوم راموا إدخال بعض الترتيبات والتنظيمات على أساليب الدولة إذ صارت كل المجهودات يومئذ إلى الفشل الذريع، بينما نزل كل ما كان يقترحه ليوطى على المولى يوسف مكانه المناسب من الدولة. وتم كل ذلك في ظرف وجيز حتى بدا وكأنه من المعجزات، ففي أقل من عشر سنوات تم تجهيز البلاد من أهم ما كانت تحتاج إليه كل دولة عصرية سواء في ميدان التجهيزات الأساسية كبناء الطرق والجسور والسكك الحديدية والموانئ وبخاصة منها ميناء الدار البيضاء، أو في ميدان القانون والاقتصاد حيث صدرت الظواهر التنظيمية الأساسية في مجال العدل والمعاملات التجارية والضرائب وترتيبات الميزانية العامة ومحاسباتها، أو في مجال الشؤون الاجتماعية كالصحة والتعليم والحالة المدنية والتشغيل، هذا فضلاً عن التنظيمات الإدارية التي قسمت البلاد إلى جهات عسكرية وأخرى مدنية مع انقسام كل واحدة منها إلى مقاطعات تنقسم إلى دوائر منقسمة هي نفسها إلى مكاتب وملحقات. ويشرف على كل وحدة إدارية موظفان فرنسي ومغربي مما أدخل التراب المغربي برمته مع تقدم التمهيد العسكري في شبكة موحدة متماسكة الأطراف تستطيع السلطة المركزية أن تفصل في أمورها مباشرة من العاصمة الرباط، وكان ذلك ثورة في حد ذاته بالقياس مع أساليب المخزن وأدوات حكمه قبل الحماية، ولذلك ما كان أقطاب النخبة المغربية إلا لينهروا، وقد انبهر أمثال محمد الجياص ومحمد المقرى ومحمد السليمانى وأحمد ابن المواز وعبد الرحمان بن زيدان، وكان انبهار آخرين من أمثال الشيخ شعيب الدكالي ومحمد الحجوي ومحمد بن العربي العلوي مدعاة لمراجعة النفس والتفكير في أمجاد السلف الصالح وانتقاد مساوئ الجيل الذي وقع تحت نير الاحتلال

الأجنبي من شدة تفرطه في الأصول مما كان يوحي بمدى اتساع الهوة بين النخبة والجمهور، وتلك الهوة هي التي مكنت ليوطى من إمضاء قراراته في ظرف وجيز إلى أن قامت حرب الريف فجاءت نذيراً في أواسط العشرينيات بقدرة الشعب المغربي على رص الصفوف وصياغة الشعارات الموحدة الصادقة.

المرحلة الثانية 1930-1942: أول ما تتميز به هذه المرحلة جلوس سيدي محمد بن يوسف (محمد الخامس) على العرش على إثر وفاة والده في نونبر 1927 ولم يكن مقدماً لولاية العهد وإنما وقع اختيار السلطات الفرنسية عليه بموافقة أولي الحل والعقد من الحاشية المخزنية والعلماء لصغر سنه فإنه كان في السابعة عشرة من عمره وكان الأمل معقوداً لدى الأوساط الاستعمارية بأن يكون طوع إشارتها بما كان من تقديدها إياه على أخويه المولى إدريس والمولى حسن، لكن جلوسه على العرش جاء مقترناً بتصدر جيل جديد كان جل أعضائه من سن العاهل الشاب أو قريباً منه وكانوا إما ممن تخرج من المدارس العصرية التي أحدثتها الحماية كأمثال محمد بن الحسن الوزاني وعمر ابن عبد الجليل وأحمد بلقريج ومحمد الفاسي وإما من التعليم الإسلامى ومن القرويين بالخصوص بعدما دخله من التفتح والوعي والإصلاح على يد علماء الحركة السلفية ومن هؤلاء الشباب الجديد غلال الفاسي وإبراهيم الكتاني والهاشمي الفيلاي والمكي الناصري الذين ربطوا الاتصال من توهم بإخوانهم في المنطقة الشمالية وأدركوا أن السبب الرئيسى في انهيار المغرب هو انحطاط العلم والتعليم وسيطرة الحرافات والشعوذة على العقيدة السليمة فدعوا إلى تنقية الثقافة الوطنية بما كان يشوبها وشيدوا مدرسة جديدة على قيم مشرقة.

وبالرغم من أن هؤلاء الشباب كانوا من النخبة الحضرية فكانوا أقلية إلا أن صفوفهم صارت تتعزز بما تقاطر شيئاً فشيئاً على المدن من شباب البادية الذين فروا من الاحتلال الاستعماري ولم يكن لهم هنالك لكسب عيشهم سوى سواعدهم فتحولوا إلى طبقة عاملة مدركة لما كان ينطوي عليه الاستعمار من الخيف السياسي والاجتماعي، سيما وأن الاستغلال الاستعماري كان قد تجاوز فترة الدهشة الأولى وصار يجتني ريع ما كان قد وظف من الأموال في المرحلة السابقة، ففي الفلاحة مثلاً أضحي المغرب خزان حبوب جديد للسوق الفرنسية، وفي نهاية العشرينيات صار يتحول إلى كاليفورنيا موقوفة على تلك السوق تنهل منها حاجياتها من الحوامض والبواكير، كما أن المصانع في المدن صارت قادرة على تزويد العمرين من المصنوعات الضرورية لهم سواء من الصناعات التحويلية أو في الصناعات الغذائية، فتوثقت بذلك الصلات بين المغرب وفرنسا وباتت جل مبادلات المغرب في الواردات والصادرات مع الدولة الحامية في الغالب، فاطمأنت الأوساط الاستعمارية لذلك

أما اطمئنان، وتحلى ذلك في بعض التظاهرات مثل المعرض الاستعماري لسنة 1930 الذي أشرف على تنظيمه المارشال ليوطي بنفسه وبدا المغرب من خلاله وكأنه جوهرة الإمبراطورية الفرنسية. والواقع أن الحماية كانت قد تحولت إلى إدارة مباشرة يمسك فيها الموظفون الفرنسيون بمقاليد الأمور ولا يقوم المغاربة إلا بالأدوار الثانوية، وقد سار في هذا الاتجاه المقيسون العامون الذين خلفوا ليوطي مثل ستيغ (Steag) من 1925 إلى 1929 فهو الذي فتح أبواب المغرب أمام الفئات الدنيا من المعمرين الذين هرعوا من الجزائر وكانوا في أشد الحاجة لتدارك ما فاتهم من فرص الثراء هنالك، ومثل لوسيان سان (Lucien Saint) من 1929 إلى 1933 الموظف الاستعماري الذي ما كان ليخفى شيئاً من معاني الحماية الحقيقية أو زميله مارسيل بيروتون (Marcel Peyrouton) الذي لم يقض إلا بضعة أشهر في الإقامة العامة (مارس إلى شتنبر 1936) لكنه يادر إلى استصدار جملة من الظواهر كلها لفائدة المعمرين، وكان الجيل الجديد من هؤلاء أشد وطناً على البلاد إذ بدأ وكأن كل شيء بات طوع وإشارتهم، هذا مع العلم بما اشتد من شرهم وتطاولهم على حقوق المغاربة بسبب انهيار فوائدهم غداة الأزمة العالمية لسنة 1929 فأرادوا التخلص من عواقبها على حساب الميزانية المغربية، وساندتهم في ذلك الجيش العرمرم من الموظفين الفرنسيين الذين كانوا يتقاضون مرتبات باهظة ويشكلون قوة ضاغطة ليس على المقيمين العامين في الرباط وحسب بل وعلى الحكومات الفرنسية المتعاقبة في باريس بما كان لهم من قنوات الاتصال بها والتأثير على قراراتها.

ولا أدل على ما دخل تلك الأوساط من الزهو والغطرسة من إقدامها على إصدار الظهير البربري (16 ماي 1930) فإنها أيقنت أن حان الوقت لإمضاء سياسة التفرقة بين القبائل العربية والبربرية دفعة واحدة وإخراج القبائل البربرية من حظيرة الشريعة وإحاقها بالمحاكم الفرنسية، وتم استغلال شباب السلطان سيدي محمد وتواطؤ الصدر الأعظم محمد المقرئ لاتخاذ ذلك القرار، ولكن الضمير الوطني كان في طريقه إلى اليقظة فاستفاق من تلك الضربة واستقام وتمثل في الشباب الوطني الذي دعا الجماهير للاحتجاج على الظهير المشؤم بقراءة اللطيف في المساجد عقب الصلاة، واستجاب المغاربة بما دلّ على أنهم لم يكونوا لا مستسلمين ولا متخافلين، وأن المقاومة المسلحة إن كانت على وشك التصفية في الجبال فإنها كانت في المدن تتخذ أساليب أخرى وأسلحة أمضى من الأسلحة النارية لما كان فيها من استقطاب للجماهير ومن التشهير بالبهتان الاستعماري، وظنت الأوساط الاستعمارية أن جلد بعض أولئك الشباب الوطني مثلما فعل باشا فاس بوشتي بن البغدادي محمد بن الحسن الوزاني ورفاقه قد يكفي لإخماد

الغليان، لكن القمع لم يزد الوطنييين إلا قوة والتحاماً، وكان من أهم نتائج الظهير البربري أن تجدد الاتصال بين سلطان البلاد وأولئك الشباب، إذ التقى وقد برتاسة علال الفاسي معه فاجتمعت الكلمة الوطنية من جديد حول العرش وتأكد ذلك بما أقدم عليه الوطنيون من الاحتفاء بعيد جلوس سيدي محمد على العرش يوم 18 نونبر من كل سنة، وأصبح هكذا للشعب عيد وطني إلى جانب الأعياد الدينية يعبر فيه عن وحدة صفوفه وعن تطلعاته السياسية وذلك على مرأى ومسمع من المسؤولين عن الحماية الذين وجدوا أنفسهم ملزمين بمسيرة ذلك القرار الشعبي الذي كان عليهم نصراً مبيناً، وقد تعزز بنصر آخر يوم قرر المقيم العام بونصو (1933 . 1936) (H. Ponsot) وكان من المتبصرين أن يتراجع عن الظهير البربري حيث أقيمت محاكم استئناف للقبائل البربرية بناء على أعرافها تابعة لأحكام السلطان وليس للمحاكم الفرنسية، كما أن الشباب الوطني انتزع حق إصدار صحف ناطقة بلسانه مثل مجلة "مغرب" في الحارج و"عمل الشعب" في الداخل. وبالرغم من أن التجربة لم تمتد أزيد من سنتين، إلا أنها مكنت الحركة الوطنية من صياغة الشعارات النضالية ومن تحبير مطالبها، وأصبح الضغط الوطني بما لا سبيل للإقامة العامة أن تتخالف عنه سيما بعد صدور "برنامج الإصلاحات الوطنية" (دجنبر 1934) الذي جاء بمثابة مرافعة على الحماية أدرجت فيها مآخذ الجماهير المغربية على الأنظمة الاستعمارية وفضحت فيها تناقضاتها مع النص الصريح لمعاهدة 1912 إذ كان من المفروض أن تساعد الحماية المغاربة على النهوض بشؤونهم فإذا بها تتحول إلى أداة لتمكين المعمرين من أجود الأراضي وأرباب الصناعة الأوربيين من خيرات البلاد والتجار من تصريف بضائع فرنسا وإقصاء البضائع المغربية مع وقف التمدرس على أبناء المعمرين والمستشفيات على مرضاهم ومحاصرة المغاربة في أحيائهم بجيش عرمرم وشرطة شرسة يتعاون معها قواد وباشوات جائرون مفسدون، وكانت تلك المطالب من الجرأة بمكان إذ ذهبت إلى مطالبة دعاء الإصلاح بإصلاح شؤونهم وأفسدت عليه دعايتهم وأكاذيبهم، واسترجع المغرب بذلك صوته ومكانته وأصبح جزءاً لا يتجزأ من جهاد الشعوب العربية المناضلة يومئذ كلها عن حريتها وسيادتها ضد فرنسا أو إنجلترا، بل عرف الشباب الوطني كيف يستفيد من تناقضات الدولة الحامية نفسها التي كان في الثلاثينيات تعاني من التفسخ السياسي والتمزق الاجتماعي، فكانت تتجاذبها أشد التيارات الإيديولوجية تطرفاً وعصفت بها عواصف لا تنذر بخير، وسال الوطنيون ناحية التيارات الفرنسية الجماهيرية وفي طليعتها يومئذ الحزب الاشتراكي، ولما أسفرت انتخابات ربيع 1936 عن فوز الجهة الشعبية بمشاركة الرادكاليين والاشتراكيين والشيوعيين ظن الشباب الوطني المغربي أن أصدقاؤهم الاشتراكيين سوف يكونون خير معين

لهم على انتزاع بعض الحقوق من الأوساط الاستعمارية في المغرب.

لكن سرعان ما خابت تلك الآمال إذ عزلت الجبهة الشعبية مارسيل بيروطون عن الإقامة وعوضته بالجنرال نوغيس (Noguès) الذي تخرج على يد ليوطي وكان من كبار المسؤولين عن صدور الظهير البربري، فإنه كان يومئذ مدير الشؤون الأهلية ورئيس الديوان العسكري للمقيم لوسيان سان، وكان لا يضاهاى في المكر والمخادعة. فأمسك بزمام الأمور بمنتهى الصرامة ومنتهى المداينة واستغل اندلاع الحرب الأهلية في إسبانيا وما أحدثته من قلق في المنطقة الشمالية ليحاول فصل الحركة الوطنية عن السلطان وزرع أسباب الانقسام بين الوطنيين الذين انشقت صفوفهم إلى أنصار علال الفاسي وأنصار محمد بن الحسن الوزاني مما مهد السبيل للجنرال نوغيس لقمع الجميع ولما يمض على تعيينه في الإقامة أزيد من سنة، فنفى علال الفاسي إلى الكابون والوزاني إلى الصحراء الغربية وأمر بسجن باقي المناضلين وساعده على ذلك انشغال الرأي العام بما أصبح يلوح في الأفق من شبح الحرب العالمية الثانية، فتفتست الأوساط الاستعمارية الصعداء من جهة الضغط الوطني.

ولما اندلعت الحرب يادر المغرب بلسان ملكه ولسان الوطنيين إلى إعلان قام المساندة لفرنسا، ولم يكن ذلك حياً فيها ولكنه كان إحساساً بضرورة الوقوف في تلك المعركة الكبرى في معسكر الديمقراطية والحرة. ولما توالى الهزائم على الدولة الحامية لم يبخل المغرب لا بأبنائه ولا بخيراته والتزم السكنينة بالرغم من ضائقة الحرب كما التزم الحياد في النزاع الحزبي الفرنسي بين أنصار بيطان وأنصار دي گول، وجاء جزء المغرب عن تلك المواقف الرشيدة بعد نزول الحلفاء على شواطئه الأطلسية (نوفمبر 1942) وبمناسبة انعقاد مؤتمر أنفا (يناير 1943) حيث اجتمع السلطان بالرئيس الأمريكي فرانكلين روزفيلت (Roosevelt) فيدا المغرب من جديد دولة ذات حرمة وسيادة، حقوقها ثابتة بالرغم من الحجر الاستعماري، حيث تعهد الرئيس الأمريكي بمساعدة الملك على استرجاع استقلاله بناء على ميثاق الأطلسي المعلن لحقوق الشعوب في صيف 1941.

وهكذا انتهت المرحلة الثانية من الحماية لصالح المغرب واضطر نوغيس للاتسحاب في يونيو 1943 بعد سيطرة دي گول على حكومة فرنسا الحرة الموقته وياتت الأحزاب الوطنية المغربية وفي طبيعتها ملك البلاد متشوفة لما قد يترتب على الفوز على النازية من أسباب الاعتناق من الاستعمار.

المرحلة الثالثة 1943-1956: لقد أدركت الحركة الوطنية غداة مؤتمر أنفا أن وقت مطالبة الحماية بالتعجيل بالإصلاحات قد ولى وأن لا أحد يستطيع أن يصلح شؤون المغاربة إلا المغاربة أنفسهم، ولذلك أعيد النظر في التشكيلات الحزبية وأحدث حزب الاستقلال في نهاية 1943.

ويادر إلى وضع بيان المطالبة بالاستقلال (11 يناير 1944) بعد موافقة الملك عليه، ومجمله أن الحماية أضحت عائقاً لتقدم المغرب وأن لا سبيل إلى النهوض بشؤون البلاد إلا باسترجاع تمام الاستقلال وبناء صرح دولة ملكية دستورية تستظل بظل الإسلام، وأصدر أنصار محمد بن الحسن الوزاني الذين أسسوا حزب الشورى والاستقلال بياناً مماثلاً بحيث كانت الأمة على كلمة سواء وكان من حقها أن تطمئن إلى نتيجة مبادرتها لما كانت تقدمه من المساعدة للحلفاء عامة وفرنسا الحرة بوجه خاص.

لكن الاعتراف بالجميل ليس من خصال الاستعمار، فما أن رفع الوطنيون شعار الاستقلال حتى قررت الأوساط المسؤولة عن الحماية قمع ذلك في الحين، فرمت الحركة الوطنية بالتأمر مع الألمان، ثم أمرت بإلقاء القبض على محرري بيان المطالبة بالاستقلال، ولما نزلت الجماهير إلى الشوارع للاحتجاج في الرباط وسلا وفاس تصدت لها الجيوش التي كانت تعد لتحرير فرنسا فسقط من سقط من المتظاهرين شهيداً وألقى القبض على الآخرين وتزعم ذلك المقيم غابرييل بوهو (G. Puaux) الذي خلف نوغيس في الإقامة العامة (يونيه 1943) وحاول أن يغطي على أعمال القمع باقتراح إصلاحات في ميادين التعليم والعدل والإدارة والفلاحة كانت كلها متجاوزة بعد المطالبة بالاستقلال، على أن "فرنسا الحرة" بزعمه دي گول لم تكن مستعدة للتخلي عن الحماية، وأقصى ما كانت تفكر فيه لإدخال بعض التغيير على العلاقات الاستعمارية أن تعرض الحماية برابطة جديدة تحتفظ بتبعية المغرب للإمبراطورية الفرنسية. وتمهيداً لذلك استدعى الملك لزيارة باريس زيارة رسمية (يونيه 1945) ومنح وسام رفيق التحرير من قبل دي گول الذي وعده خيراً بخصوص مستقبل العلاقات المغربية الفرنسية وليسى مطلبه باستبدال المقيم غابرييل بوهو بأخر أكثر لباقة وتفهما لتطلعات المغاربة، وهكذا أسندت مسؤولية الحماية للسفير إيريك لابون (Eirik Labonne) الذي كان مهذباً وواعياً بنضج الشعب المغربي وبضرورة الأخذ بيده لينال نصيبه من الرقي، فما أن حل بالرباط في مارس 1947 حتى اقترح عدة ترتيبات إيجابية لنشر التعليم على أوسع نطاق وإشراك نخبة من المقاولين المغاربة في المشاريع والمؤسسات الاقتصادية الكبرى، وكان يرى في ذلك خير مهد لحمل البلاد على الانخراط في "الاتحاد الفرنسي" وهو الاسم الجديد للإمبراطورية الفرنسية في دستور الجمهورية الرابعة.

لكن مجهودات إيريك لابون ما كانت إلا لتذهب سدى شأنه في ذلك شأن كل من يسعى في التوسط بين جانبيين تجلج تناقروهما بما لم يبق معه مجال للإصلاح بينهما، فأما الأوساط الاستعمارية فإن تمسكها بمصالحها في المغرب كان قد اشتد غداة الحرب بما تكسده في البلاد من أموالها منذ هروبها من ميادين القتال في أوروبا، وأما الحركة الوطنية

بقيادة الملك فإنها لم تعد تطبق تصرفات تلك الأقلية الدخيلة، وتحلّى تنافر الجانبيين في أحداث أبريل 1947، بعد سنة فقط من تنصيب إريك لابون حيث سمح للملك بأن يزور الأقاليم الشمالية باتجاه طنجة ومروراً من المنطقة الخليفية، وكانت تلك الزيارة إشارة إلى وحدة تراب البلاد وإلى وحدة الدولة المغربية، وجاء في الخطاب الذي ألقاه العاهل في طنجة (10 أبريل 1947) تصريح بأن لا ارتباط للمغرب إلا من جهة إخوانه العرب ومن جهة القارة الأفريقية، ولم يفت الأوساط الاستعمارية ما كان في ذلك من الخطورة على أوضاعها ومن الجرأة على سطوتها، وحيث لم يكن إريك لابون ممن ينصاع لأوامرها فإنها دبرت لمجزرة في الدار البيضاء ليلة بداية الرحلة الملكية، ذهب ضحيتها مئات الأبرياء، وتفظن الملك لما كان يقصد من ذلك فلم يُلغ رحلته وإنما تغافل في خطابه في طنجة عن ذكر ما كان يذكر في الخطاب الرسمية من إنعامات فرنسا على المغرب، فردت الحكومة الفرنسية بأن عزلت إريك لابون عن الإقامة (أبريل 1947) وعوضته بالجنرال جوان الذي توترت في فترة مقيمته العلاقات بين القصر والإقامة العامة بصفة نهائية. ذلك أنه حل بالرباط بأمر واضح من وزير الخارجية جورج بيدو بأن يحصل على انقياد السلطان أو يقبله، فاشتبكت خيوط المعركة الحاسمة بين أرياب الاستعمار وبين الوطنية المغربية، فقد صارت الجالية الدخيلة تسعى في إقحام نفسها في السيادة المغربية من خلال مقترح إصلاح لنظام البلديات والجماعات القروية بدعوى إرساء الديمقراطية في البلاد وجعل حد للملكية المطلقة مع أن الغاية الحقيقية من ذلك كانت ترمي إلى إرساء وطأة المعمرين في البلاد بعد أن أضحت مهزوزة منبوذة، ولذلك امتنع الملك عن إمضاء مشاريع الظواهر المقترحة عليه وسافر إلى فرنسا لإثارة انتباه رئيس الجمهورية الاشتراكي فانسان أوريول (Vincent Auriol) إلى تنافي تلك المشاريع مع سيادة المغرب ومع عقد الحماية لكن بدون جدوى، ولم يزد النزاع بينه وبين جوان إلا تفاقماً، فحرك جوان بعض كبار القواد مثل النهامي الكلاوي وأرياب الزوايا مثل عبد الحفي الككتاني في طليعة 1951 وكاد الأمر ينتهي إلى عزل الملك يوم 25 فبراير 1951 ولكن العملية أرجئت لانشغال جوان بوظائفه الجديدة في الحلف الأطلسي، فتم تعريضه في الإقامة العامة بالجنرال جيوم (A. Guillaume) أحد أتباعه وضابط سابق في الشؤون الأهلية، فاشتدت المضايقات على العرش وققدت الأوساط الاستعمارية كل بصيرة بما أصابها من الخوف على مصالحها. فلما أقرت المنظمات الوطنية شن إضراب احتجاج على اغتيال الزعيم النقابي فرحات حشاد (8 دجنبر 1952) انتهزت سلطات الحماية ذلك فرصة لتحويل الاحتجاج السلمي إلى مجزرة ذهب ضحيتها مئات الأبرياء في حي الكاربارسانترال في الدار البيضاء وأردفتها بإلقاء القبض على جميع من كان معروفاً من القادة الوطنيين،

وكان ذلك مجرد تمهيد لعزل الملك يوم 20 غشت 1953 وإرهاب الشعب حتى لا يحرك ساكناً يوم يعلن عن بيعة سلطان من اختيارهم واختيار أذنانهم من الخونة وهو المدعو محمد بن عرفة. لكن ما أن تمت تلك المناورة اليائسة حتى أعلنت بمنتهى التلقائية "ثورة الملك والشعب" وخرج من الصفوف قادة جدد ونزل إلى شوارع المدن جماعة من الفدائيين زرعوا الهلع في صفوف الأقلية الاستعمارية برصاصهم وقتابلهم وقطعوا عن المسؤولين في ظرف وجيز أسباب الاستخبار والتجسس بما كان من تصفيتهم لعملاء الحماية وجواسيسها، وظنت الشرطة الاستعمارية أنها تستطيع إيقاف الفداء بارتكاب أعمال إرهابية منهجة، فدخلت البلاد في مرحلة من الصراع العنيف عجز عن التمكن منه لاغيوم الذي اعتزل في شتنبر 1954 ولا فرانسيس لاكوسط (Francis Lacoste) الذي خلفه في الإقامة وبدافشله هو بدوره في يونيو 1955. كانت الحكومة الفرنسية برئاسة إدغار فور (Edgar Faure) قد أدركت منذ تشكيلها في فبراير من تلك السنة مدى فداحة الخطأ الذي ارتكب يوم عزل الملك الشرعي فجددت الاتصال به وهو في منفاه في مدغشقر وأطلق سراح العديد من الوطنيين إعداداً لفتح باب التفاوض معهم، ولم يبق على الحكومة إلا أن تراوغ الأوساط الاستعمارية المتطرفة وذلك ما وكل بالمقيم العام جيلبير غرانفال (Gilbert Grandval) في يونيو 1955، لكنه سرعان ما رفض أن يقع بين المطرقة والسندان فاستقال في بداية شتنبر بعد ثلاثة أشهر من تعيينه وحل محله الجنرال بوايه دي لاطور (Boyer de Latour) وكان من أقطاب ضباط الشؤون الأهلية لكنه استقال بعد أسابيع قليلة عند ما أدرك أن لا سبيل إلى إيقاف الحرب الناشئة في المغرب إلا بإعلان استقلاله وذلك لأن الفدائيين كانوا قد زرعوا الحماية من أركانها ومنهم من استشهد في تلك المعارك مثل محمد الزرقطوني وإبراهيم الروداني وحماد الفطواكي وعلال بن عيد الله، ومنهم من أدرك ضرورة الانتقال إلى تنظيم صفوف جيش للتحرير في الجبال والأوعار ومد يد الاتصال بالثورة الجزائرية التي كانت قد اشتعلت نيرانها منذ فاتح نونبر 1954، ومن هؤلاء عبد الله الصنهاجي والحسن الأعرج ومحمد البصري وعبد الرحمان اليوسفي على سبيل المثال لا الحصر، وما أن بدأت معارك التحرير في الريف الغربي والأطلس المتوسط الشمالي حتى بادرت الحكومة الفرنسية إلى الشروع في التفاوض مع القادة الوطنيين في مدينة إيكس ليبان (Aix-Les-Bains) وفك النفي عن محمد الخامس فعاد إلى فرنسا حيث تم الاعتراف بنهاية عهد الحماية من خلال تصريح لاسيل سانكلو (6 نونبر 1955) (La Celle Saint-Cloud) فعاد الملك إلى وطنه وعرشه مظفراً بمجداً وشُرع في مباحثات مدققة بين الجانبيين لنقل السلطات من الإدارة الاستعمارية إلى الإدارة المغربية، وتوج ذلك بإعلان الاستقلال واسترجاع

*Paroles d'action. 1900 - 1926*, Paris, 1927 ; R. Montagne, *Naissance du prolétariat marocain*, Paris, 1951 ; *Opérations militaires au Maroc* (sous direction Jean Maxwell), Paris, 1931 ; G. Oved, *La gauche française et le nationalisme marocain*, 2 vol., Paris, 1984 ; L. Paye, *Enseignement et société musulmane au Maroc : Introduction et évolution de l'enseignement moderne au Maroc*. Rabat, 1992 ; R. Rézette, *Les partis politiques marocains*, Paris, 1955 ; D. Rivet, *Lyautey et l'institution du protectorat au Maroc*, 3 vol. Paris, 1988 ; G. Spillmann, *Les Ait Atta du Sahara et la pacification du Haus-Dra*. Rabat, 1936 ; *Du protectorat à l'indépendance. Maroc 1912 - 1955*. Paris, 1967 ; *Souvenirs d'un colonialiste*. 1968 ; R. Bidwell, *Morocco under colonial rule. French administration of tribal rule 1912-1956*. London, 1973 ; R. Dunn, *Resistance in the desert : Moroccan responses to french imperialism 1881 - 1912*. The University of Wisconsin Press, 1977 ; E. Ch. Micaud, *Arabes and berbers : from tribe to nation in North-Africa*. London, 1973 ; J. P. Holstead, *Revival of a Nation : The origins and rise of Moroccan nationalism, 1912 - 1944*. Harvard University Press, 1967 ; D. M. Hart, *'Assû à Bâ - Slâm in Les Africains V*, Paris, 1977 ; W. Hoisington, *The Casablanca French Connection* ; A./ Scham, *Lyautey in Morocco. Protectorate administration 1912 - 1925* ; Ch. F. Steward, *The economy of Morocco 1912 - 1962*. Harvard University Press, 1964 ; W. D. Swearingen, *Moroccan Mirages. 1912 - 1986*. Princeton University Press, 1987 ; F. E. Trout, *Morocco Saharian frontiers*. Genève, 1969 ; David S. Woolman, *Rebels in the Rif, Abdelkrim and the rebellion*. University Press, 1968.

إبراهيم بوطالب

### الحماية القنصلية، الحماية حامين : حماية وزعت

بالتقسيم من قبل قنصل الدول المقيمين في المغرب على من كان يرغب فيها من المغاربة وذلك إلى حدود 1912 وكانت في الحقيقة احتفاء وتسمى باللغات الأوربية "بروتكسيون" (Protection)، وحماية فرضت على المغرب فراضاً بمقتضى معاهدة دولية يوم 30 مارس 1912 وتسمى بلغاتهم "بروطكطورا" فلا مناص من أن تميز بينهما بأن نخص الأولى بعبارة "الحماية القنصلية" ونحتفظ بلفظ الحماية مجرداً للدلالة على المرحلة التي وقع فيها المغرب تحت الاستعمار الفرنسي والإسباني إلى أن تخلص منه سنة 1956. على أن الحماية مرتبطتان ارتباطاً الجنيين بما يصير إليه بعد الولادة، فإن الحماية القنصلية على الأفراد كانت مقدمة للحماية بالجملة على البلاد، فلنعرض أول الأمر للحماية القنصلية.

إن لها أصولاً قانونية تعود إلى ما كان الأمراء المسلمون يُنعمون به على تجار التصاري وقناصلهم من الإنعامات جزاء لهم على ما كانوا يقومون به من أعباء التجارة بين ديارهم وديار الإسلام فكانوا لا يُحْمَلُونهم شيئاً من الكلف المخزنية ويحلون بينهم وبين الفصل في ما يقوم بينهم من أسباب النزاع ويدون ذلك في ما يكتب بينهم وبين قناصل الأجناس من الشروط منذ أقدم العصور، بحيث

المغرب لكامل سيادته يوم 2 مارس 1956 وانتهى بذلك عهد الجهاد الأصغر ليبتدئ عهد الجهاد الأكبر كما جاء في بعض خطب محمد الخامس، وهو عهد التغلب على مخلفات الاستعمار مع استثمار خيرات البلاد لفائدة كافة أبنائها وبناء صرح الملكية الدستورية في ظل العروبة والإسلام.

إ. بوطالب، الإدارة، معلمة اللب، (ج 1 ص. 212-216) : ب. بوعسيرة، أحداث بوفكران بكناس، الرباط، 1990 : ح. بوعباد، الحركة الوطنية، الظهير البربري، 1348 / 1930، الدار البيضاء، 1979 ; الحسن الثاني، التحدّي، الرباط، 1983 ; ق. الزهيري، محمد الخامس الملك البطل، الرباط، 1984 ; عبد الله الصنهاجي، مذكرات في تاريخ حركة المقاومة وجيش التحرير المغربي من 1947 إلى 1956، المحمدية، 1987 ; ع. غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، (جزآن)، الرباط، 1987 ; م. الحبيب الفرقاني، الثورة الخامسة، صفحات من تاريخ المقاومة وجيش التحرير، (الجزء الأول)، الدار البيضاء، 1990 ; محمد خير فارس، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب، 1912-1939، دمشق، 1972 ; علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، طنجة، 1948 ; التقدي الذاتي، تطوان، د. ت. : أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930 إلى 1940 (الجزء الأول)، الدار البيضاء، 1992 ; إبراهيم الكنتاني، مذكرات سجين مكافح، الرباط، 1977 ; م. الرشيد ملين، نضال ملك، الرباط، د. ت. : محمد بن الحسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد (6 أجزاء)، بيروت، 1982-1986 ; م. الموقت، الرحلة المراكشية أو مرآة المساوي الوقتية، الدار البيضاء، د. ت.

A. Adam, *Casablanca : essai de transformation de la société marocaine au contact de l'occident*. Paris, 1969, 2 vol. ; Ch. R. Ageron, *Politiques coloniales au Maghreb* Paris, 1973 ; A. Ayache, *Le Maroc : bilan d'une colonisation*, Paris, 1956 ; *Le mouvement syndical au Maroc*, Paris, T. I, 1912 - 1942, Paris, 1982, T. II ; G. Ayache, *Les origines de la guerre du Rif*, Rabat, 1981 ; G. Babin, *Le Maroc sans masque : Son Excellence*, Paris, 1932 ; S. Bernard, *Le conflit franco-marocain 1945 - 1956*, Bruxelles, 1963, 3 vol. ; J. Berque, *Le Maghreb entre deux guerres*, Paris, 1962 ; H. Bleuchot, *Les libéraux français au Maroc 1947 - 1956* ; Aix-en-Provence, 1973 ; P. Boyer de Latour, *Vérités sur l'Afrique du Nord*, Paris, 1956 ; L. Cerych, *Européens et marocains, 1930 - 1956*, Bruxelles, 1964 ; J. Couleau, *La paysannerie marocaine*, Paris, 1969 ; A.-L. Dubois, *A travers trois républiques. I. Sous le signe de l'amitié*, Paris, 1972 ; R. Gallissot, *Le patronat européen au Maroc, 1931 - 1942*, Rabat, 1964 ; G. Grandval, *Ma mission au Maroc*, Paris, 1956 ; A. Guillaume, *Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas central 1912 - 1933*, Paris, 1946 ; *Histoire du Maroc* (Ouvrage collectif), Paris, 1966 ; A. Huré, *La pacification du Maroc: Dernière étape 1931 - 1934*, Paris, 1952 ; A. Juin, *Le Maghreb en feu*, Paris, 1957 ; *Mémoires*, 2 vol, Paris, 1959 - 1960 ; Ch. A. Julien, *L'Afrique du Nord en marche: Nationalismes musulmans et souveraineté française*, Paris, 1952 ; *Le Maroc face aux impérialismes 1415 - 1956*, Paris, 1978 ; P. July, *Une république pour un roi*. Paris, 1974 ; R. Letourneau, *Evolution politique de l'Afrique du Nord musulmane, 1920-1961*. Paris, 1962 ; H. Lyautey, *Lyautey l'Africain*, 4 vol. Plon, 1953 - 1957 ;



حريص

يطلب من غير السانحة العطاء... من غير السانحة العطاء... من غير السانحة العطاء...

الحولمة و...

مصر من غير السانحة العطاء... مصر من غير السانحة العطاء... مصر من غير السانحة العطاء...

الاول

الم

والشروط التي تليها... والشروط التي تليها... والشروط التي تليها...

الثاني

الم

وتوا في حياض... وتوا في حياض... وتوا في حياض...

الثالث

الم

وانما جاز... وانما جاز... وانما جاز...

الرابع

الم

انما اذ... انما اذ... انما اذ...

الخامس

الم

الذروة... الذروة... الذروة...

السادس

الم

اسلح... اسلح... اسلح...

السابع

الم

نزل... نزل... نزل...

الثامن

الم

بالحية... بالحية... بالحية...

التاسع

الم

التصوير... التصوير... التصوير...

العاشر

الم

ادع... ادع... ادع...

الحادي عشر

الم

عن... عن... عن...

الثاني عشر

الم

رغم... رغم... رغم...

الثالث عشر

الم

وتعد... وتعد... وتعد...

الرابع عشر

الم

والمن... والمن... والمن...

الخامس عشر

الم

جميع... جميع... جميع...

السادس عشر

الم

من... من... من...

تمض أربع سنوات على تلك المعاهدة حتى أرغم المغرب على التنازل لإسبانيا بمثل شروطها وذلك على إثر انهزامه في حرب تطوان (مارس 1860) حيث وقّع مع إسبانيا اتفاقيتين مجحفتين جاء في الشرط 13 من أولاهما (26 أبريل 1860) أن المغرب يعقد مع تلك الدولة اتفاقية تجارية يعترف فيها لرعاياها بما تحظى به أكثر الدول حظوة لديه، وجاء في الاتفاقية الثانية (20 نونبر 1861) بقناصيل تلك الشروط بصيغة ما جاءت به الاتفاقية مع إنجلترا، وهكذا افتتح باب الحماية القنصلية على مصراعيه وعمت البلوى بها في ظرف وجيز مما كتب به السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان إلى نائبه في طنجة محمد برغاش (27 شوال 1279 / 1863) فقال : "ققد اتسعت دائرة الحماية وصار يسارع للدخول فيها كثير ممن كان متبوعاً بحق أو جنى جناية حيث رأوا نواب القنصوات وسائر التجار يقبلون كل من احتسى بهم وانحاش لجانبهم ولم يقفوا على الشروط المتعقدة بين الدول ولم يسيروا بالسيرة التي يسير بها الموجود منهم والأول، فحصل الضرر لبيت المال وللرعية بسبب ضياع حقوقها المرعية، وذلك المحتسى يسقط من الزكاة والأعشار واجبه فيقوم بادائه إخوانه وأقاربه فإن عجزوا عنه سقط من الداخل على بيت المال وأدى ذلك إلى فساد الأعمال على العمال لكونهم يبتقون في حيرة من أجل واجبه"، ولذلك رأى هذا السلطان أن يقع الإلحاح على نواب الأجناس وبخاصة منها نائب فرنسا بيكلار (Béclard) لجعل حد لكل ما أصبح يجري من التجاوزات بسبب الحماية الفوضوية، ويادر بيكلار هذا للإصغاء لمفاتيح المخزن لما كان يخشى من تأخر فرنسا عن آخر ما حصلت عليه إنجلترا وإسبانيا من الامتيازات فأبرم وفقاً مع المغرب بتاريخ 19 غشت 1863 تأكيد فيه أن الحماية القنصلية أمر فردي وموقوف على ممارسة الخدمات القنصلية وأنها لا تمتد إلا للزوجة وللأولاد الساكنين مع المحتسى وأنها ليست وراثية إلا في أسرة آل ابن شمول اليهودية لدخولها في خدمة فرنسا منذ أجيال، وأن المحميين من صنفين : صنف "المستخدمين عند التجار الفرنسيين في أمور تجارتهم" على أن لا يزيد عدد السماسرة المحميين على اثنين لكل دار تجارية إلا إن كان لها "دار أخرى في مرسى أخرى فيكون لها في كل دار سمساران محميين"، كما نص الوفاق على أن لا تمتد الحماية إلى سكان البادية "في مثل أمور الحراثة والفلاحة ورعي الغنم وشبه ذلك". ولكن حيث كان ذلك قد صار من الأمور الجارية بها العمل فإنه تقرر أن لا يتم الكف عنه إلا ابتداء من فاتح دجنبر 1863، علماً مع ذلك أن من كان يتعامل من أهل البادية مع التجار الفرنسيين "حين تجب مطالبتهم بالأحكام فيعلم نائب الفرنسيين ليأمر صاحب الغنم أو الحرث بتوجيه من يقف على مناعه لئلا يبقى للضياع" وتقرر ختاماً أن يسكن العمال "بزمام من هو في حماية الفرنسيين" وأن يكون بيد كل محمي "بطاقة

عندما أقدم السلطان سيدي محمد بن عبد الله على النهوض بأسباب التجارة الخارجية مع دول أوروبا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر فإنه لم يتعد عن المعهود ولا ارتكب أدنى بدعة يوم أبرم اتفاقية صلح وتجارة مع الدولة الفرنسية (28 ماي 1767). فاعترف لها في الفصل 11 من شروطها بحق إقامة قنصلتها في مراسي المغرب للنظر في شؤون تجارها "لئلا يتعرض لهم أحد من حكام البلاد وغيرهم" ومن يستخدمه أولئك القناصل "من كاتب وترجمان وسامير وغيرهم فإنه لا يتعرض لمن يستخدمه بوجه ولا يكلفون بشيء من التكاليف أيا كانت في نفوسهم وبيوتهم" كما لا يلزم القناصل بأي ضريبة على ما يجلبون من البضائع لحاجياتهم الخصوصية، "ولهم أيضاً أن يذهبوا حيث شاؤوا من إيالة سيدنا نصره الله من غير مانع". وجاء في الشرط 12 أن النزاع بين المسلم والفرنسي لا يفصل فيه القاضي وإنما يفصل فيه السلطان أو نائبه "حاكم البلد". وجاء في الفصل 13 أن الدعوى إن كانت على الفرنسي من قبل المغربي "فلا يحكم فيها إلا بعد إحضار القنصلو لجيب ويدافع عنه"، وقد حصلت دول أخرى على مثل ذلك كالسويد (16 ماي 1763). والدانمارك (25 يوليوز 1767) والبرتغال (27 نونبر 1773) وكان المولى إسماعيل قد أنعم على تجار إنجلترا وقناصلها بما لا يختلف إلا لفظاً عن تلك الشروط بمقتضى معاهدة 17 يناير 1720 التي كانت تنص في مجملها على أن ما يمنح من الفوائد لرعايا إنجلترا في المغرب يمنح مثله تماماً لرعايا المغرب في إنجلترا، فيؤمّنذ كانت الكفة متساوية.

لكن تعميم أسباب الثورة الصناعية في أوروبا وعجز المغرب عن الصمود أمام السلاح الأوربي عند منتصف القرن التاسع عشر سرعان ما أدخل بتلك المساواة فاستفادت إنجلترا من انهزام الجيوش المغربية أمام الجيوش الفرنسية في إسلي (غشت 1844) التي كان بوسعها أن تكتسح العاصمة فاس لولا التدخل الإنجليزي لتفرض على المولى عبد الرحمان معاهدة تجارية جديدة (9 دجنبر 1856) اشتدت فيها الشروط بما دخلها من التدقيق والتضييق وبخاصة في أمر من يستعمله القناصل من المغاربة لخدمتهم فإن "لهم أن يختاروا ترجماناً واحداً وبواباً واحداً ومتعلمين من المسلمين أو من غيرهم ولا يلزمهم الجزية ولا الغرامة ولا ما يشبه ذلك، وإذا جعل النائب المذكور خليفة في خدمة قنصوات بمراسي سلطان مراكش من رعية السلطان يكون هذا وعياله الساكنون بداره موقرين ولا يلزمهم جزية ولا غرامة ولا ما يشبه ذلك" ويؤكد هذا الشرط أن لا يكون لهذا الخليفة القنصلي "أحد تحت حمايته من رعية هذه الإيالة إلا عياله فقط" (الشرط 3) وجاءت الشروط الموالية الأخرى (4 و8 و9 و10 و11 و14) تثبت الامتيازات القانونية المخولة للقناصل للفصل في ما يقوم من الدعاوي بين رعيّتهم وفي الدفاع عنهم في حالة قيام دعوى بينهم وبين المغاربة. ولم



مند هاي (John D. Hay) للدعوة إلى عقد مؤتمر دولي يفصل في الأمر فاجتمع المؤتمر في مدريد في ربيع سنة 1880 إلا أنه سرعان ما طغى ما جاء منظوماً عليه من السلبيات على ما أقره من الإيجابيات شأنه في ذلك شأن وفق بيكلار قبله، فإنه أقر شروط الحماية السابقة دون أن يخفف منها شيئاً واكتفى بالتعهد بعدم تجاوزها، لكن في مقابل ذلك التعهد اللفظي حصل ممثلو أوروبا على اعتراف المخزن لهم بحق الملكية العقارية (الشرط 11) على "أن شراء هذه الأملاك يكون بتقديم إذن الدولة المراكشية ورسوم هذه الأملاك تكون مكتوبة بقوانين مقررة في شريعة البلد وأن يلتزم أصحاب تلك الأملاك بأداء الأعشار والزكوات عليها لكن "الوجوه والكيفية والتاريخ والقدر من هذه الزكاة والأعشار سيقع فيها ترتيب مخصوص بين نواب الأجناس ووزير الخارجية للحضرة الشريفة" كما تقرر أن يؤدي التجار الأجانب والمحميون واجبات الأبواب على أن يكون في ذلك ترتيب مخصوص بين الأجناس بطنجة ووزير الأمور البرانية للحضرة الشريفة" (فصل 13) وجاء في الشرط 16 "حتى حماية خارجة عن القانون أو بوجه التوسط لا تعطى في المستقبل" باستثناء "حماية كنستدينير وهي الحماية المعتادة ستحفظ في صورة واحدة لتكون جزءاً لبعض الخدمات العظيمة الصادرة من مراكشي لإحدى دول الأجناس أو لأسباب غريبة الوقوع" مما يعني أن المغرب لم يستفد شيئاً من مؤتمر مدريد فلو فرضنا أن الحماية القنصلية الفوضوية قد طردت من الباب فإنها عادت فدخلت من النافذة على شكل "الحماية المعتادة" أو كنستدينير (Consuetudinaire) وهي التي تعطى على غير شروط الأوفاق وتمنع جزءاً وفاقاً لمن يكون قناصل الدول راضين عنه من الشخصيات المغربية وهي الحماية التي منحها ممثل فرنسا أورديگا (Ordéga) سنة 1884 لشيخ



جماعة من المعيين بحديقة القنصلية الفرنسية بالرباط أواخر القرن 19

مذكور فيها اسمه وتعيين الخدمة التي هو بها وتكون هذه البطاقة مكتوبة بالعربي وبالفرنسيص" ولا يسلم هذه البطاقة "إلا الباشدور المقيم في طنجة" وانضمت إسبانيا وانجلترا من حينها لهذا الرفق الذي كان ظاهره لصالح الدولة المغربية ولكن جوهره كان وبالا عليها بما أسبغ على الحماية القنصلية من المشروعية وبما كان من ركوب التجار الأوربيين إياها ليتسربوا إلى قلب البلاد ويبشوا فيها بضائعهم ويلتقطوا ما يرغبون في تصديره من منتجات المغرب. فأضحت الدولة المغربية منذ الستينيات من القرن التاسع عشر مغلوبة على أمرها في عقر ديارها ولا تستطيع إلا إحصاء ما بات نواب الأجناس يكيلون لها من الضربات كما تشهد بذلك مراسلات السلطان المولى حسن، فإن تهافت المغاربة على الحماية القنصلية كان مخلاً بالأحكام لأن كل متابع بحريرة كان يكفيه أن يحتمي ليصبح في مأمن من القضاء المغربي وكان مخلاً ببيت المال لسقوط الضرائب والكلف عن المحميين، وهذا فضلاً عن أن دعاوهم على غير المحميين من الرعية سواء كانت مبنية على الحق أو على الافتيات فكان المخزن مضطراً لأداء الواجب فيها في انتظار استصفاء ذلك من الرعية التي أرهقتها الواجبات فمالت إلى العصيان والتمرد بينما اشتدت جسارة المحميين وبخاصة منهم المحميين اليهود الذي لم يتخلصوا من الذمة وحسب وإنما صاروا بمثابة حصان طروادة في قلب المغرب يطلعون الأوربيين على عوارته ويزرعون في ثنايا المجتمع أسباب التفسخ والفساد، فقد جاء في رسالة للمولى حسن إلى محمد بركاش (13 جمادى الآخرة عام 1293) قوله: "فقد تفاحش أمر الحماية حتى صار يتليس بها من يستحقها ومن لا يستحقها" وفي رسالة أخرى بتاريخ 24 ربيع الأول 1298 عن ظالم يدعى ولد عبد الله بن مالك من قبيلة مسمودة تغلب على قبيلته وتجر لا لشيء إلا لكونه شريكاً مع ترجمان سفير البروس (ألمانيا) في الغنم والتجارة "ومثل هذا إنما يحتمي لبقى على عتوه وافتياته ولا يقدر حتى العامل أن يتكلم معه ومهما عارضه أحد في شيء إلا ويدعي عليه أنه ملك مال التجار". وجاء في رسالة ربيع النبوي عام 1295 أن الحمالة أصحاب النقل صاروا ينسبون إبلهم لتجار الأجناس وللمحميين حتى لا يؤدي عن السلع المنقولة شيء "ولا يخفى ما في ذلك من الضرر الفادح والحرق الكبير المفضي إلى تضييع المستفادات وقلة النفع بطامع أن جل المصاريف الآن إنما يخرج منها" وجاء في رسالة بتاريخ 7 رمضان عام 1296 بخصوص متابعة خليفة قنصل الفرنسيس ليهودي من رعية السلطان وأمره بسجنه خرقاً للمعاهدات قول المولى حسن بأن "مثل هذا هو السبب في وقوع النقص في رعيتنا والزيادة في رعية أخرى".

ولذلك سعى هذا العاهل سعياً حثيثاً في جعل حد لفوضى الحماية القنصلية واستعان بسفير إنجلترا جون درا

م. برغاش، مراسلات مخزنية، مخطوط، ميكرو فيلم، خ. ع : ع. الوهاب ابن منصور، مجلة الوثائق (العدد 4)، الرباط : مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد، سنة 1880، الرباط، 1977 : م. بوشعراء، الاستيطان والحماية بالمغرب، 1280. 1311 (1863. 1894) 3 أجزاء، الرباط، 1984، 1988 : م. المتوني، مظاهر بقعة المغرب الحديث (جزآن)، بيروت، 1985 : م. حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد (6 أجزاء)، بيروت، 1984.

Mas-Latrie, *Traité de paix et de commerce entre les pays chrétiens et l'Afrique septentrionale au Moyen-Âge* Paris, 1866 ; J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe, 1830 - 1894* (4 vol.), Paris, 1963 ; P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1805*, Paris, 1963 ; M. Kenbib, *Protections, protectorat et nationalisme (1904 - 1938)*, H.T., Vol. XVIII, 1978 - 79, p. 173 - 197 ; *Les protections étrangères au Maroc au XIXème siècle et au début du XX.* Doctorat de IIIème cycle - Université de Paris VII, 1980 (Inédit) ; E. Burke, II, *Prelude to protectorate in Morocco Precolonial Protest and Resistance 1860 - 1912*, The University of Chicago Press, 1976.

إبراهيم بوطالب

**حَمَايْدُوش**، أسرة باعمرانية قديمة حسب ما اطلعنا عليه في عقودها العقارية، وأعرافها القبلية، وكانت من العائلات الكبرى فتشعبت، ومنها انحدرت فروع كثيرة ذات شأن كبير وموقف معروف في العلم والتصرف والجهاد والرئاسة.

ومن فروع هذه العائلة فخذة أيت محند بمدينة تيزنيت وعلى رأسها بيت العلم والقضاء عائلة أوعمو، ثم فخذة أيت عمرو بويجان، شرق تيزنيت، ثم آل الصالح سيدي إبراهيم أو علي الولي المشهور في قبيلة إداوتانان المتوفى سنة 989 هـ.

**حَمَايْدُوش أنفلوس أحمد**، وعرفت عائلته أحيانا بإدسي لكثرة الطلبة فيهم، وقد برزت شخصية حَمَايْدُوش هذا من بين إخوته الثمانية، حيث وقع انتخابه كنارس شجاع في معركة إيكالفن ضد حملة الباشا حيدا بن مئيس سنة 1917.

قال حَمَايْدُوش نفسه .. كنت فارسا في هذه المعركة وفرض علينا أن نقوم نحن الفرسان بما يعرف في حرب أيت باعمران - بعادا - ومعناها أن نقض على الخصم بأقصى سرعة ونخالطه. ولما قتل الباشا حيدا اختل توازن المحلة بكاملها فاستسلم الجانب الآخر فتهاقت الناس على جمع الغنائم فقصدت رجلا على بغلته، وحوله نساء فصويت إليه بندقيتي، لكنه قال لا تضربني. وفعلا توقفت، فإذا به هو صوب إلي رصاصة فقتلت فرسي وفي الحين أرديته قتيلا، ثم ركبت بغلته قاصداً داري".

وأكد لي ابن أخيه أن حمل تلك البيغلة كان كله من الدراهم الحسنية وبفضل ذلك المال تمكن حَمَايْدُوش من شراء العقارات الواسعة، كما انخرط منذ ذلك الوقت في تجارة

الزراوية الوزانية عبد السلام بن العربي وذهب بها إلى محاولة فصل الشمال الغربي من البلاد عن أحكام السلطان لوتبعته حكومته، كما أن المؤتمر أقر لرعايا الأجناس حق امتلاك العقار على أن يؤدوا الحقوق الجبائية عليه بعد وضع ترتيب لذلك بين الجانبين، ومعلوم أن ذلك الترتيب لم يوضع إلا في ظل الحماية الاستعمارية، وكل ما تأتي للدولة المغربية من المؤتمر أن موعد الاستعمار أرجئ لأزيد من ثلاثين سنة نظراً لتنافس الأقطاب.

وهكذا ظلت الحماية القنصلية تنال من التسريح السياسي والاجتماعي المغربي حيث تفاقم أمرها وتحولت إلى أداة ثراء وتناور في يد القناصل والتجار، فالذين لم تكن بلدانهم تتشوف لاستعمار المغرب مثل طوماس ماتيويز (Thomas Mathews) قنصل الولايات المتحدة أو كلاصو (Colaço) قنصل البرتغال واسكوفاسو (Scovasso) الايطالي مقترح "الحماية كنستدينير" فإنهم جعلوها وسيلة للكسب السريع، والذين كانت لبلدانهم طموحات ترابية في المغرب فإنهم جعلوها أداة ضغط على المخزن وإفساد لسلطته إما لحمله مكرها على إدخال إصلاحات تتنافى والأعراف المغربية وذلك ما عمل به الانجليزي جون درامند هاي، وإما لإضعافه وفسخ أحكامه للتمكن من استعمارها في الوقت المناسب، وذلك ما سار عليه ممثلو أسبانيا وفرنسا، فكانوا يبيعون الحماية القنصلية من المغاربة بسخاء كله مكر وعداء حتى انتهى الأمر إلى إنفار الدولة في الرعية وإنفار الرعية في الدولة وإلى تشويه أسباب الرقي في أعين المغاربة ليثبت عجزهم عن إدراكها بوسانلهم الذاتية ويتبين أن لا سبيل لإدخالها عليهم إلا بقوة الاستعمار، هذا فضلا عن كون تهاقت النخبة الاجتماعية على الحماية القنصلية أعد للاستعمار جيلا قابلا للتعامل معه يوم تنحل البلاد ولذلك ما فتئ الفقهاء والعلماء ينددون بالمحميين "أصحاب الباسورط الحثالي" ويتعتونهم بأقبح النعوت، علما مع ذلك أن أعدادهم لم تتجاوز بضع مئات من الأفراد فكانوا أقلية إلا أنهم كانوا من النخبة الطلائعية في مجتمع محكوم عليه بالانفتاح.

لكن كم من نخبة في طيها نعمة، فمن مفارقات الاستعمار أن أدوار أولئك المحميين لم تنته مع فرض الحماية الاستعمارية سنة 1912 فإن فرنسا وإسبانيا لم تستطعا على ما كان لهما من النفوذ إلغاء ما كان لبعض أعضاء تلك الطائفة من الاحتماء باستثناء من كان منهم تحت الحماية الألمانية أو النمساوية فإنهم حرموا منها مع بداية الحرب العالمية الأولى، أما من كان محتما بالانجلترا أو إيطاليا أو الولايات المتحدة مثلا فإنهم احتفظوا بالاحتماء، ومنهم من استغل ذلك ليعمل على مرأى ومسمع من سلطات الاستعمار في تنظيم الصفوف الأولى للحركة الوطنية كالحاج الحسن بوعبياد والحاج عبد السلام بنونة والأخوين الديوري وعبد القادر برادة على سبيل المثال.

القوافل التي تربط بين تيزنيت والصحراء ضمن رأسه قافلة الشيخ محمد بوزالم.

طال عمر المترجم أكثر من تسعين سنة كلها جد وعمل، وقد استفاد كثيراً من تاريخ العائلة المجيد، ومن معايشة كبار القوم والعلماء وخاصة أساتذة مدرسة إيسنك الباعمرانية، وهي بجانب داره وفيها وعلى يد أستاذها أحمد بن غود الذي تنسب إليه الزاوية الدرقاوية هناك زاوية غود أقول على يد هذا الدرقاوي مسته مسحة من التصوف حتى سُمي في آخر حياته حَمَايْدُوش الفقير أحمد.

هذا وقد كانت حياة هذا الرجل حافلة بمواقف تستحق أن تسجل وتخلد، منها القيام بتسيير قبيلة آيت النص ضمن مجموعة من - إنفلاس - لما قتل قائد القبيلة محمد الوجداري في العشرينيات من هذا القرن، وكذلك الدفاع عن القبيلة عندما حاول القائد المدني الأخصاصي ضم هذه القبيلة فوقعت حروب قبلية طاحنة.

شارك أحمد حَمَايْدُوش في اتفاقية ثلاثاء الأخصاص سنة 1934 وبها اقتطع آيت باعمران من حماية فرنسا لصالح إسبانيا، لذلك أقرته إسبانيا على فخذته، كما شارك في وضع الحدود الفاصلة بين الحمايتين في شمال آيت باعمران برأسه الجنرال جَبَّاصُ سنة 1934.

ونظراً لمعرفته وخبرته وتجاربه كانت كلمته إلى جانب عيسى بن عثمان هي فصل الخطاب لدى الحكومة الإسبانية وخاصة ما يتعلق بالأعراف المحلية، ولدى هذه العائلة وثائق قديمة أهمها أعراف القبيلة ورسائل مخزنية ومراسلات في عهد الاحتلال الإسباني، وكذلك ما يتعلق بجيش التحرير.

توفي أحمد حَمَايْدُوش في بداية عام 1375 / 1956.

م. المختار السوسي، المسول، 13، 199 : كراسة شايلاه، مخطوط؛

ج. جهادي، جانب من تاريخ آيت باعمران، 1984 : استجواب مع ابن

أخ المترجم له محمد بن الحسن حَمَايْدُوش.

الحسين جهادي

**حَمَايْدُوش، قصبة جنوب أسفي على مقربة من**

مصب نهر تانسيفت. كانت فيما مضى بناية عظيمة بمشورها ودورها ومسجدها وأهرتها وأسوارها ... كما تشهد على ذلك آثارها التي مازالت قائمة حتى الآن. وقد ذكرها الفقيه الكانوني في أسفي وما إليه وقال : "إنها) مسورة في بسيط من الأرض بسور متين واسع عليه ثمانية أبراج، توجد مدافعها ساقطة على الأرض، وفي وسطها دار كبيرة يحيط بها سور عظيم كان بها مسجد ومنار هدمتا بعد سنة 1330 هـ. وحملت أنقاضهما إلى ما جاورهما من البلاد. وبين السورين عدة مخازن وأهوية منحوتة في الأرض مرفوعة على أبنية عظيمة يصعد إليها بمدارج. لست على علم من مؤسسها إلا أنها كان يسكنها عمال شياظمة من أولاد ابن حميدوش ... ويظهر أنها من تأسيس الدولة السعدية وهي اليوم خالية". كما أن الفرنسي "دوتي" (E.

(Doutté) وصفها في كتابه "En tribu" ووضع لها رسماً مفصلاً. وهو يرجع تاريخ تأسيسها إلى عهد المولى إسماعيل.

م. الكانوني، أسفي وما إليه.

E. Doutté, En tribu, Paris, 1914.

عبد الرحيم العطاوي

ابن حَمَدٍ أو الحَمَدِي، أسرة فاسية عريقة أصلها من بني يفرن الزناتيين، ويبتهم بيت علم وثروة منهم :

ابن حَمَدٍ، عبد العزيز بن محمد اليفرنى الفاسي، حلاه ابن القاضي في الجفوة "بالفقيه الفرضي الحيسوبي". وزاد ابن القاضي قائلاً : انقرض عقبه اليوم. ولعله يريد انقرض أسرة بني حمد عموماً من مدينة فاس في ذلك التاريخ - نهاية القرن العاشر (16 م) .. توفي بمسقط رأسه فاس سنة 853 / 1449.

ابن حَمَدٍ، عبد الله (سيدي -) أحد أولياء مدينة مكناس وصلحائها، من بيت بني حَمَدٍ الشهير بفاس، استوطن مدينة مكناس بإشارة من بعض المشايخ الأخيار الذين لقبهم أثناء عرقلته للمشرق لأداء فريضة الحج (الروض الهمتون، ص. 57) يصفه ابن زيدان في الاتحاف (4 : 498). (499) بقوله : "فقيه عالم صالح، ولي كامل فالح، متواضع حسن الخلق، متبرك به حيا وميتا، آية الله في الزهد والورع والعبادة واتباع السنة". تروى عنه عدة كرامات وخوارق ومناقب كثيرة، مجاب الدعوة، والدعاء عن قبره مستجاب. يقصده الكثيرون للاستشفاء.

وعن نسبه جاء في لوح خشب منقوش ملصق بجدار من جدران قبة ضريحه "هذا ضريح العارف بالله الولي الأشهر سيدي عبد الله بن حَمَدٍ الشريف الحسني نفعنا الله به" وقد جزم الشيخ محمد بن جعفر الكتاني في السلوة بشرف سيدي عبد الله بن حَمَدٍ، غير أن ابن زيدان في الاتحاف أنكر ذلك وقال : "ترجمه غير واحد من المحققين النسابين ولم يشر واحد منهم لكونه حسنيا بل وقع التصريح بمن يعتمد ويرجع لقوله بأن بيت بني حَمَدٍ الشهير بفاس الذي هو منه".

أخذ عن سيدي علي وقال عن والده وتصل سلسلته إلى أبي الحسن الشاذلي، أما الآخذون عنه فمنهم الإمام القوري وأبو الفتوح وأبو زيد القرموني وجماعة.

ومن مآثره الخالدة ما حبسه من أملاك داخل مدينة مكناس وخارجها على الضعفاء والمساكين والمرضى وذوي العاهات والغرباء والمقطعين، ولذلك نعت بأبي المساكين، وإليه ينسب المارستان المعروف بمارستان سيدي عبد الله بن حَمَدٍ الذي ظل قائماً حتى عهد الحماية. ولقد كانت أحجاسه

**الحمدداوي، محمد** (الشيخ) وُلد سنة 1354 / 1935 بإقليم بولمان. وأتم حفظ القرآن الكريم وعمره اثنتا عشرة سنة، ثم تابع دراسته بجامعة القرويين بفاس، وفي مطلع الاستقلال التحق بسلك التعليم الابتدائي.

تعرف سنة 1382 / 1962 على نشاط "جماعة التبليغ" التي كان أعضاؤها الهنود والباكستانيون يجوبون عدة دول مبشرين بمبادئ دعوتهم فرافقهم الشيخ محمد الحمدداوي في بعض هذه الرحلات وتعرف على مبادئهم، ثم زادت صلته عمقا بالجماعة بعد لقائه بالشيخ محمد يوسف الكندهلوي (ت. 1385 / 1965) المرشد العام لجماعة التبليغ وابن مؤسسها الشيخ محمد إلياس الكندهلوي (ت. 1365 / 1945).

وعلى إثر ازدياد نشاط الجماعة بالمغرب والتحاق أعداد من المغاربة بها، تم تأسيس فرع لها بالمغرب سنة 1384 / 1964، اختير على إثره الشيخ محمد الحمدداوي أميراً أو مرشداً لها. وظل على رأس الجماعة بعد أن ترك العمل في التعليم، وكان يصرف أوقاتاً طويلة في الرحلات الدعوية للجماعة المعروفة بـ "الخروج في سبيل الله"، والتي كانت تقوده إلى مختلف المدن والقرى المغربية رفقة أعضاء الجماعة وبعض المتعاطفين معها. كما زار عدداً كبيراً من دول العالم لنفس الأهداف، خاصة الهند لتنسيق استراتيجية الجماعة مع مرشدها العام هناك.

وكان الشيخ محمد الحمدداوي إلى جانب ذلك على قدر كبير من الهدوء والهيبة، ذا شخصية مؤثرة بخطبه ومواظبه.

توفي أثناء إحدى رحلاته الدعوية إلى مدينة القنيطرة حيث أصابته غيبوبة أثناء أداء صلاة العصر بأحد مساجدها، ثم مالبت أن توفي بعد نقله إلى المستشفى يوم الخميس 18 رجب 1407 / 19 مارس 1987.

جريدة الإصلاح، الرباط، س 1 / ع 2 / 27 مارس 1987 : م. المغراوي، جماعة التبليغ، معلمة المغرب، ج 6، ص 2266، 2268 : معلومات شقوية.

محمد المغراوي

ابن **حَمْدُوش**، أسرة مكناسية من الأنصار الحزرجيين.

ابن **حَمْدُوش**، عبد العزيز بن عبد الله بن أحمد

ابن **حَمْدُوش**، عبد الله بن أحمد

ابن **حَمْدُوش**، محمد بن عبد الله (المجدد -)

ابن **حَمْدُوش**، محمد بن عبد الوهاب

أساس ما عرف بأحباس المساكين أو أحباس سيدي عبد الله ابن حَمَد، وقد نمت وتكاثرت بسبب إقبال المحبسين على ذلك النوع من التحبيس.

توفي عبد الله بن حَمَد بمكناس عام 833 / 1430 ودفن خارج باب البرادعيين غرب ضريح الشيخ محمد بن عيسى الفهدي الشهير بالشيخ الكامل. وضريح ابن حَمَد أيضاً مزارة شهيرة وهو من بناء المولى إسماعيل.

أ. ابن القاضي، جدوة، 2 : 224، 225 : ع. ابن زيدان، إتحاف، 4 : 498 : 499. ر. بلمقدم، أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل، 1 :

287-288.

رقية بلمقدم

ابن **حَمَد**، **علي** اليفرنى الفاسي، فقيه مشارك، وصالح ناسك. ولي القضاء بفاس والخطبة بجامع القرويين. قال عنه صاحب بيوتات فاس الكبرى : "وكان من عباد الله الصالحين، وله مكاشفات وكرامات وأسرار وإجابة الدعاء". ولم يذكر تاريخ وفاته.

ابن **حَمَد**، **محمد** بن أحمد بن منصور اليفرنى الفاسي، ممن روى عن المحدث إبراهيم بن فرتون السلمي (ت. 538 / 1143).

ابن **حَمَد**، **منصور** بن أحمد اليفرنى الفاسي، حلاه ابن الأحمر في البيوتات بالفقيه، وذكر ابن القاضي في المنجوة أنه عالم الأسرة الحمديّة. توفي بفاس في رمضان سنة 560 / يوليو - غشت 1165.

ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، الرباط، 1972، ص. 26 : أ. ابن القاضي، جدوة، ص. 533-468 : درة المجال، 3 : 127 : م. الكتاني، سلوة، 3 : 306.

محمد حجي

**حمداوة**، فرقة كبيرة من الفرق المكونة لقبيلة أمزاب :

أملال، أولاد مزاح، بني إبراهيم وأولاد شبانة، أولاد فارس. تنتمي حمداوة إلى "احلال"، وترجع أصول حمداوة إلى الأطلس المتوسط فالرواية ترجع أصلهم إلى بني مطير، حيث أجداد حمداوة من عين اللوح وكان عدد الذين رحلوا من الأطلس إلى الشاوية سبعة خيام، كل خيمة أعطت اسماً لدواوير حمداوة. والدواوير التي كانت تكون حمداوة في النصف الأول من القرن الرابع عشر (20 م) هي : عين الضربان، أولاد بوعبو، بني سكتن، بني زيتون الاحلاف.

والجدير بالإشارة أنه فرقة حمداوة، هي التي ينتمي إليها قواد أمزاب المشهورون خلال القرن الثالث عشر (19م) وبداية القرن الرابع عشر (20 م) مثل عائلة محمد بن الشرفي التي منها القائد ابن أحمد باني "قصة ابن أحمد" والعربي بن الشرفي الذي حكم أمزاب عند بداية

**حمدوش، عبد الله بن العربي** كان سنة 1209 رئيساً بحرياً بمرسى العدوتين.

م. ابن علي الذكالي، الإتحاف الوجيز، ص. 47، الهامش 45.

**حمدوش، العربي بن عبد القادر بن محمد** من فقهاء سلا، ولد سنة 1282 / 1865 وكان من عدول سلا في تلقي الشهادات من الناس. وقد نسخ بخطه كتباً سنة 1298. وكان سنة 1334 مازال بقيد الحياة.

م. حجي، فهرسة الخزنة الصيحية، ص. 180 : كناشة الحاج عبد الله الصيحي.

**حمدوش، علي** أقدم من عرف من آل حمدوش السلاويين، كان من عدول سلا المنتصين للإشهاد بها في صدر القرن الحادي عشر، وهو من الذين كتبوا رسم إرثته الشيخ عبد الله ابن حسون دفين سلا في فاتح رمضان عام 1013، وكان معه رفيقه وتلميذ الشيخ ابن حسون محمد بن سعيد العتابي.

رسم إرثته الشيخ ابن حسون في فاتح رمضان 1013.

مصطفى بوشعراء

**حمدوش، علي** (سيدي -) بن عمران العلمي العروسي كما هو مقيد في عقد إرثته والده المؤرخ ب 11 صفر 1119 / 14 ماي 1707 حسب ما جاء عند ابن زيدان في الإتحاف (5 : 459) لا نعرف تاريخ ميلاده في حين نعلم أنه تتلمذ على يد شيوخ كثيرين ومنهم المدعو الحفيان.

عاش سيدي علي بن حمدوش في بداية حياته بمدينة فاس حيث كان يجلس بباب القرويين المقابلة لباب الشاعين عدة سنوات أعطى خلالها دروساً في مختلف علوم عصره كما ورد عند بول برتسي Paul Berthier، وبعد ذلك انتقل إلى جبل زرهون الجنوبي.

والمعروف عن هذا الولي أنه من أهل الجذب يحب السماع والامداح، وأظهر الله على يده كرامات وخوارق عادات - ابن زيدان - فهو من أولياء الله الصالحين له مريدون وأتباع كثيرون داخل المغرب وخارجه، يقصدون زاويته على مدار السنة خاصة في سابع المولد النبوي، حيث يقيمون موسماً يجتمع فيه هؤلاء الأتباع القادمون من مختلف أنحاء البلاد. وتتخلله ممارسات وعادات تم تحويرها عنه، أقل ما يقال عنها إنها لا تمت لعمل السلف الصالح بصلته، وتمثل في شدة الرؤوس بالشواكير والسكاكين تؤدي أحياناً إلى هلاك العديد منهم أو إصابتهم بعاثات مستديمة، في الوقت الذي يعتقدون فيه أن هذه الممارسات

لح فيهم بعض الفقهاء والأدباء، ويرتقي أقدم اسم معروف منهم إلى أواخر ربيع الثاني عام 1041 هـ، وهو الفقيه محمد بن عبد الله ابن حمدوش.

ومنهم الفقيه عبد الله بن أحمد إمام مسجد مكتب ابن جابر (مسجد حي التوتة) إلى أن توفي فخلفه فيها ولده الفقيه عبد العزيز.

وفي العصر السلطاني نبغ في الأدب محمد بن عبد الوهاب ابن حمدوش، فيقول عنه ابن زيدان : "فقيه أديب أريب ناظم نائر". ومن شعره تخميس قصيدة عالم تونس وأديبها الشيخ إبراهيم الرياحي التي مطلعها :  
صاح اركب العزم لا تُخلد إلى الناس

واصحب أبا العزم ذا جد إلى فاس

ومن مرتبة للمترجم في أحد علماء مكناس محمد الرجراجي :

من للجالس بعد قد محمد كنه العلوم وعمدة الإقراء  
من للسنابر والمحابر بعده من للفصاحة حالة الإلقاء  
ملاحظة : لا تلتبس هذه الأسرة ببيت الحمد وشيين في ضواحي مكناس، فهؤلاء أشرف علميون. والأولى تبينا أنهم أنصار خزرجيون، وكلتا العائلتين لا تزالان قائمتين.

حوالة الجوامع الكبار بكناس، رقم 5 : حوالة المساجد الصغار بكناس، ص 159، عام 1127 : ع. ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، 4 : 300-301 : سكيرج، رفع النقاب، 3 : 138، فيه التخميس بتمامه.

محمد المنوني

**حمدوش، أسرة** سلاوية عريقة، جاء جدهم من تافيلالت في تاريخ غير محمد. وعرف منهم تجار وحرفيون وفلاحون وعدول وشعراء ورؤساء بحريون. وكان منهم :

**حمدوش، أحمد** كان سنة 1292 / 1875 من الرؤساء البحريين بمدينة سلا، وكان سنة 1311 / 1894 ما يزال بهذه الصفة.

م. بوشعراء، التعريف، 2 : 156 و226.

**حمدوش، عبد الرحمان** كان مشتغلاً بالفلاحة، لكنه كانت له موهبة في نظم الشعر الملحون، وخلف بعض القصائد فيه. وقد تتلمذ الشيخ حمدوش على الشيخ عبد السلام الشراوي السلاوي المتوفى أوائل القرن الثالث عشر (19 م) بينما توفي حمدوش في منتصف القرن.

م. الفاسي، شعراء الملحون السلاويين، المناهل، العدد 33، ص. 9 و17 و31 : م. بوشعراء، ذيل : أ. الحافي، تحفة الزائر بمنابح الحاج أحمد بن عاشر، تج. م. بوشعراء، ص. 149.

## الحمدي ← ابن حمد

ابن حمدين، أسرة سلوية نبيلة أصلها من الأندلس عرفت بالعلم والكرم، واشتهر منها هناك أبو القاسم ابن حمدين الذي حُكف ابن رشد الجد في قضاء قرطبة بتولية من أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين سنة 513 / 1119.

كان ابن حمدين، علاوة على ضلوعه الفقهية أديباً شاعراً أريحياً جواداً يقصده الشعراء من أنحاء الأندلس ويجتمع بيابه منهم العدد العديد بمدحونه وينالون جوائز السخية. وقد انتقل بعض بني حمدين إلى العدة الجنوبية واستقروا بمدينة سلا الحديثة بعد تأسيسها من طرف بني عشرة. وقد نزل الشيخ الصوفي الشهير أبو علي الشريفي لما حط رحاله بسلا في منتصف القرن السادس (12 م) عند علي ابن حمدين (حمدين في التشريف) وكانت له معه صحة وعشرة ومودة وحضر معه جنازة الزاهد الصالح عبد الله بن يوسف بن علي ابن عشرة.

تحدث المؤرخ السلوي محمد ابن علي الدكالي عن هذه الأسرة قائلاً: "بنو حمدين بيت خير وفضل من قديم، ولم تزل فيهم بقية خير وصلاح. فقد رأيت غربي برج الدموع على شاطئ بحر سلا المحروسة قبراً عليه لوحان من حجر الكدان مكتوباً على أحدهما التعوذ وبسملة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى الثاني: "هذا قبر الحرة المصونة الصالحة المباركة المحرومة مسعودة بنت الشيخ المرحوم الوجيه ابن حمدين، توفيت رحماً الله في اليوم التاسع من شهر شعبان الأبرك عام ستة وثمان مائة. واستمروا مستوطنين بسلا المحروسة إلى صدر المائة الحادية عشر، فقد كان منهم من صاهر سيدي عبد الله الجزار بن الشيخ سيدي أحمد حجي، وهو المكرم الطاهر ابن حمدين. وقد انقروا لعصرنا هذا، والبقاء لله وحده".

ي. ابن الزيات التادلي، التشريف، تح. أ. التوفيق، 1984، ص 201.  
202: أ. المقرئ، نفع الطيب، 3: 537 م. ابن علي الدكالي، الإتحاف الوجيز، تح. م. بوشعراء، 87.

محمد حجي

الحصْر، حصن ومعركة. يقع حصن الحمر (وهو اليوم مدشر) في قبيلة الساحل التي تحد غرباً بالمحيط الأطلسي وشمالاً بقبيلة الغربية وشرقاً وجنوباً بالخلط. وأهم مدينة في قبيلة الساحل هي أصيلا.

وقعت في هذه المنطقة عدة معارك بين قائد القصر الكبير عبد الواحد العروسي - في عهد الوطاسيين - بدعم من القبائل المجاورة وبين البرتغاليين. يقول الحسن الوزان "ويضايق قائد القصر البرتغاليين كثيراً، إذ تحت تصرفه

تقر بهم إلى الله، وقد ورثوها - على ما يبدو - عن أحد أتباع الشيخ ابن حمدوش المسمى سيدي أحمد الدغوغي الذي كان غائباً أثناء وفاة شيخه، فلما قدم إلى زرهون وعلم بالخبر، أخذ يضرب رأسه على الجدران حزناً وألماً عليه، فما كان من باقي الأتباع إلا أن اتخذوا هذه البدعة عادة ثابتة. وأغلب أتباع سيدي علي بن حمدوش يقيمون في المداشر الجنوبية لجبل زرهون وأهمها: بني وواد وبني راشد وبني جناد والقلبعة وحمراوة، وكان هؤلاء يلتقون وراً مكوناً من 18.000 من الهيللة حسب ما ورد عند أبي العباس القراوي الجبلي - ابن زيدان - ومن الآخذين عن سيدي علي ابن حمدوش: محمد بن يوسف الحمدوشي وأبو عبد الله الحمدوشي وأبو العباس الدغوغي وغيرهم (انظر حمادشة زاوية).

توفي الشيخ علي ابن حمدوش عام 1135 / 22. 1723.

م. القادري، نشر الثاني، موسوعة أعلام المغرب، 56: 1979.

P. Berthier, Essai sur l'histoire du massif de Moulay Idriss : de la conquête musulmane à l'établissement du protectorat français. Rabat, 1938.

بوشتي بوعسرية

## الحمودوني، أحمد بن النادي العلمي السريفي حسب

إجازة السلطان أبي الربيع سليمان للفقير الحمودوني التي وقف عليها الكتاني صاحب فهرس الفهارس، وهي ترجمة موجزة لا تقدم إلا التزير القليل من سيرته وحياته. ومن خلال الإجازات التي قدمها الحمودوني لغيره من علماء القرن الثاني عشر (18 م)، نكتشف أنه عاش بفاس فأخذ عن غيره وأخذ الناس عنه من أمثال أبي عبد الله محمد التهامي ابن رحمون من أهل فاس، ويذكر الكتاني أنه أخذ عن أحد بقايا تلاميذ الحمودوني ويتعلق الأمر بالناسك إدريس بن الطابع بن التهامي الينوسي (فهرس الفهارس، 1: 331).

وتفيدنا وثيقة إجازة السلطان سليمان للحمودوني أنها أُخذت إبان تربع هذا الملك على عرش البلاد. (1207 - 1238 / 1792 - 1822).

ع. الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1: م. بن عبد الرحمان بن خليفة، القصر الكبير، أعلام فكرية أدبية وتاريخية، 1994.

الحسين البعاري

ابن الحمودونية محمد بن يحيى البوعزيزي الحساني الدكالي أحد مشاهير قواد مدينة الجديدة ودكالة في القرن الثالث عشر (19 م) وهو الذي أتم بناء المسجد الكبير بداخل المدينة الذي يحمل اسمه بعد أن توقفت عملية تشييده مدة من الزمن. وكان سلفه القائد الحاج الهاشمي بن العروصي الهلالي الدكالي هو الذي شرع في تأسيسه.  
م. الكانوني، أسفي.

عبد الرحيم العطارى

عشر (18 م) وبداية القرن الذي يليه. ينتمي ولد الحمراء لفرقة أولاد محمد المشهور بصلايتها في الحق، وهي إحدى فرق قبيلة الأعشاش التي تنتمي إلى أمزاب.

ساهم ولد الحمراء، في الأحداث السياسية عقب وفاة السلطان محمد بن عبد الله، ويظهر أنه كان من الأعيان المؤيدين لمولاي سليمان إثر وفاة أخيه اليزيد. نفهم ذلك من موقفه من بيعة مسلمة بالشاوية بتوسط من مرابط أبي الجعد العربي بن المعطي الشراوي سنة 1208 / 1793 فقد عمل ولد الحمراء مع بعض كبراء أعيان الشاوية على طرد مسلمة من الدار البيضاء إلى أزموور.

ويبدو أن نشاط الرجل السياسي ومكانته كعنصر فاعل وصانع للأحداث السياسية بقبائل الشاوية آنذاك هي التي انتهت به إلى القتل على يد قائد أولاد بوعطية محمد بن عبد الخالق الحريزي المعروف بغيران. وتؤكد مكانة الرجل من كون مقتله أثار أحداثاً خطيرة وتسبب في حروب كثيرة بين أولاد بوعطية أنفسهم، إذ أعلنت عصيبة ولد الحمراء من قبائل مزاب والأعشاش العصيان والثورة على القائد الذي لم يستطع إخضاعها، فأعانه السلطان بجيوش من قبائل الغرب بقيادة القائد إدريس بن الغازي السكيري. ولم تستطع تلك الجيوش أن تلحق الهزيمة بقبائل مزاب والأعشاش الذين تحصنوا بالغابة. واكتفى قواد المخزن بحصارهم مدة طويلة.

وقد خلد التاريخ اسم الرجل بالدار البيضاء حيث يوجد مسجد ولد الحمراء، الذي يرجع بناؤه إلى سنة 1204 / 1789 وتجديده في عهد السلطان الحسن الأول سنة 1310 / 1892. م. الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة : هاشم المعروفي، عبيد الزهرور.

ولد الحمراء، عبد الرحمان المعروف المزابي الشاوي، متفقه متأدب شغل وظائف داخل بلاط المخزن. وكم من كاتب حاذق نبهه توصل إلى المجلس بينيقات المخزن بفاس ليكتب لهذا الوزير أو ذاك، وكان صاحبنا من هؤلاء. لا نعرف تاريخ ولادة الرجل ولا درجة ثقافته، لكن الثابت المحقق أن ولد الحمراء، كان من الذكاء والجرأة والدهاء بحيث استطاع أن ينال الوظائف السامية داخل المخزن، وأن يترشح لمهام خطيرة وينغمس في مغامرات ومؤامرات انتهت به إلى القتل.

يذكر صاحب فواصل الجمان، أن ولد الحمراء صحب أبا حمارة الثائر المغربي المشهور قبل ادعائه الإمارة وتعلم منه أشياء كثيرة في السحر والتحايل. ويظهر أن هذه السابقة هي التي رشحت الرجل - بعد ذلك ليقوم بمهمة سرية لصالح المخزن عند بوحمارة لما ادعى الإمارة. لكن ولد الحمراء لم ينل شيئاً من الثائر واكتفى من الغنيمة بالإياب سالماً.

ثلاثمائة فارس يغير بهم ويتوغل إلى أن يصل أحيانا إلى أبواب أصيلا" ولم تتحدث عن معركة أو معارك الحمر من المصادر العربية غير هناك مصادر تصف هذه المعارك باستثناء دوحة الناشر في ترجمة علي بن عثمان الشاوي الذي "استشهد في وقعة الحمر التي كانت في حدود الأربعين (940 / 1533) بين النصاري والقائد عبد الواحد بن طلحة العروسي على مقرية من أصيلة، حدثني غير واحد ممن يوثق به عن حضر الوقعة وبعضهم يصدق بعضها، لما هزم الناس استقبال الشيخ أبو النصاري وسيفه في يده وهو يتلو بردة الإمام البصري".

كما أشار إلى هذه المعركة صاحب كتاب القصر الكبير Alcazarquivir بما ملخصه : السيد أحمد العروسي كان أكبر نبلاء مملكة فاس، كان يقضي جل أوقاته بفاس لاحتياج البلاط إلى شجاعته ومواهبه الحربية. وأثناء غيابه كان يخلفه على القصر أخوه عبد الواحد، ولو أنه كان يعود مرات للغارات على البرتغاليين في أصيلا لطمانة المدينة. ولهذا عينه السلطان على تازا، وقد ساعد محمد البرتغالي أثناء مهاجمته لأصيلا سنة 1517. وفي سنة 1523 مات دون مامويل دي منسيس. ولما قتل أحمد حوالي 1530 خلفه أخوه عبد الواحد الذي قام بحملة على أصيلا سميت بمعركة الحمر التي مات فيها الشيخ المشهور أبو الحسن بن عثمان دون أن يرضى إعطاء ظهره للنصاري، فكان السيف في يده وهو يتلو البردة. وتعرض أيضاً لمعارك الحمر صاحب حوليات أصيلا Anais de Arzila. حيث تعرض لها في عدة صفحات، فأثناء تحدته في الفصل 16 عن غزو أصيلا وقتل مانويل دي كوستا (ص. 262) تحدث عن الحمر باعتبارها حصنا للقائد المغربي الذي حاول البرتغاليون التجسس عليه. وأشار إلى أن الحمر كانت تابعة لقائد القصر (ص. 223) واستقرار قائد القصر وقائد العرائش في الحمر (ص. 219) وفي الفصل 31 تحدث عن إحدى المعارك التي وقعت في الحمر والتي أدت في نظره إلى تراجع قائد القصر الذي جمع الرجال والعتاد وعاد للمعركة. وفي الفصل 20 (ص. 253) تحدث عن معركة الحمر بين قائد القصر عبد الواحد العروسي والبرتغاليين، استشهد فيها أحمد ابن قائد القصر.

ح. الوزان، وصف إفريقيا، تر. م. حجي وم. الأخضر، 1 : 311 : م. ابن عسكرو، دوحة الناشر، تج. م. حجي، ص. 35 : ح. الفكيكي، جبال، مجموعة البحث المتعددة الاختصاصات، ص. 7.6 : م. بوخلفة، الطريق لمعرفة القصر الكبير، 1972، ص. 45.

Bigues, Anais de Arzila, p. 41 - 53 - 147 - 201 - 219 - 223 - 262 ; Cortacero F. Hernares, Alcazarquivir, 1950, p. 176 - 1777.

محمد أخريف

ولد الحمراء، رجل شهير من رجالات الشاوية، عرفه التاريخ كأحد أعيان الدار البيضاء في أواخر القرن الثاني

كبير ومنها على الخصوص : القواعد الصخرية الكاربوناتية والبيومناخات المتوسطة.

فالقواعد الصخرية الكاربوناتية (كلس، دولومي، حث كلسي) هي التي تهيكل جبال الأطلس، كما أنها تحكمت في تفرش جل السهول والهضاب المحيطة بالأطلس خلال الحُقب الثالث، وهي كذلك التي رصفت الشريط الساحلي بموادها المنتمية لفترات جيولوجية مختلفة كالكريطاسي والنيوجين والرباعي.

أما المناخ المتوسطي فهو ليس وليد الحاضر، بل يبدو أنه ساد مجموع الحقب الرابع على الأقل، لكن مع تفاوت واضح في نزعات الرطوبة وتساقط الأمطار بين فترات مطيرة وأخرى بيمطيرة، وان الأتربة الحمراء قد تكونت أساساً خلال المراحل الأكثر رطوبة.

- لكن التربة المدعوة بالحمري عند الأهالي ليست إلا عضواً من العائلة الكبيرة للأتربة الحمراء حيث تقتضي الأهلية لهذه التسمية مجموعة من الشروط. اللون الأحمر للأتربة ضروري بالطبع لكنه غير كاف، حيث يلزم توفر نسج متوازن لا غنى فيه عن الطين. بالإضافة إلى أن جل هذه الأتربة مورثة عن دورين من الحقب الرابع هما العميري والسلطاني على الخصوص. بدايةً بهذه المواصفات يقع الحمري في ما يُسمى بالتربة الحمراء المتوسطة أو التربة المتحدسلة حسب التصنيف الأكاديمي. لكن ليس كل الأتربة المتحدسلة مواتية. يقترب الحمري أكثر ما يكون من فرع الأتربة المتحدسلة ذات الاحتياطي الكالسيومي وبالتالي الضعيفة التصويل.

أما عندما يكون التصويل قد تمكن منها فأفقر خزيتها من العناصر القاعدية ثم خُفّف حمولتها الطينية إلى أقصى الحدود، فإن مسكاتها العلوية تتحول إلى رمال مع إبهات لونها الأحمر. التصنيفات المحلية التي غالباً ما تعنى بمظاهر السطح على الخصوص أخرجت هذا الصنف من الحمري معتبرة إياه رملًا.

كما أنها تصنف ضمن "الرمل" أو "الساحل" أتربة حمراء أخرى هي على ما يبدو مورثة عن مراحل سابقة للرباعي (النيوجين)، وقريبة في خصائصها من الأتربة المتحددة المدارية. يغلبُ هذا الصنف في السهول الساحلية الممتدة بين إقليم الغرب وطنجة.

- حالياً، لم يعد الربط بين الأراضيات الكاربوناتية وتكوين أتربة الحمري هو القاعدة. ذلك أن وصفها بالقديمة والمورثة عرّضها خلال الفترات الأحدث إلى عمليات تعرية بواسطة السيل المتفرق عملت على كشطها الجزئي من فوق الأراضي الكاربوناتية وتفرشها على مجالات صخرية لا فضلُ لها في تكوين الأتربة الحمراء. بل أكثر من ذلك أن هذه العملية هي المسؤولة عن أسمك أتربة الحمري، وعلى انتشارها الواسع عبر البلاد ("تيرا روسا").

نلاحظ هذه الظاهرة جنوب سهل تريفنة الذي تلقى

عين ولد الحمراوية كاتباً ببنيفة وزارة الداخلية، التي كان يتولاها الصدر الأعظم المفضل غريط، وخلال مزاولته عمله أتهم بالسعاية بين الوزراء فسجن بسبب ذلك، وأُبعد إلى سجن جزيرة الصويرة المعزول وسط البحر. وكان هذا السجن مأوى ذوي الجرائم السياسية الكبرى. وقد تمكن ولد الحمراوية من الإفلات من سجنه، ثم اتصل بالشيخ ماء العينين الذي تشفع له عند السلطان فعفا عنه.

وصعد نجم ولد الحمراوية من جديد لما بويع مولاي عبد الحفيظ براكش في صيف عام 1325 / 1907. فقد أعلن السلطان الجديد الجهاد وأرسل قوة من المجاهدين لمساعدة الشاوية أخواله. ولمواجهة نفوذ سلطان الجهاد بالشاوية ودفع القبائل إلى مهادنة الفرنسيين في إطار سياسة التعاون بين مخزن مولاي عبد العزيز وبين الحكومة الفرنسية كُلف ولد الحمراوية بالعمل مع أعيان الشاوية لخدمة أهداف الحزب العزيمي. وتشير بعض الأخبار إلى أن عبد الرحمان المعروف كلف بالعمل على دفع القبائل إلى عقد هدنة مع الجيش الفرنسي وقطع الطريق على قوات مولاي عبد الحفيظ.

ويبدو أن ولد الحمراوية وضع رهن قواد الجيش العزيمي الذي أرسل من الرباط إلى الشاوية بقيادة محمد بن بوشتي البغدادي. ونظراً لتعرض هذا الجيش إلى الانكسار بالزيادة وعودته منهزماً إلى الرباط فقد اتهم ولد الحمراوية بالتآمر مع الزبايدة، وحملته قواد الجيش جانباً من مسؤولية الهزيمة التي لحقتهم.

وأُدخل ولد الحمراوية السجن من جديد إلى أن أطلق سراحه مولاي عبد الحفيظ، ويظهر أنه قام ببعض المهام في حكومة المخزن الجديد. لكن الثابت أن الرجل أُدخل السجن وأتهم بمراسلة المتمردين على سلطة مولاي عبد الحفيظ سنة 1911، فحكّم عليه بالإعدام.

وهكذا انتهت حياة ولد الحمراوية، التي حفلت بالدسائس والمغامرات السياسية. ولا نستغرب من أن ينغمس رجل طموح فيما انغمس فيه ولد الحمراوية. فقد كان الجو المحيط بالمخزن العزيمي وبعده المخزن الحفيظي موبوءاً بالدسائس والتآمر. وكان الوزراء ورجالهم هم المسؤولين عن تلك الدسائس والمشجعين عليها ماداموا يتوصلون من ورائها إلى ممارسة استبدادهم ونهب أموال الحكام المحليين بالقبائل خاصة وأموال الرعية بصفة عامة.

م. غريط، فواصل الجمان ! هاشم المعروفي، عبير الزهور.

A.G.P. Martin, *Quatre siècles d'histoire marocaine*.

علال الحديدي

**الحمري**، تربة من أهم وأرقى الأتربة الحمراء، ومعلوم أن الأتربة الحمراء تغطي مساحات واسعة من المجال المغربي إلى حد أنها تعتبر دالة طبيعة ولون البلاد كلها. السبب في ذلك أن العوامل الأساسية في تكوينها قد توفرت بسخاء



ويحل محلها (77, Millot et al.).

تختلف علاقات القشرة بالحمري حسب الدور الذي تنتمي إليه التربة من أدوار الرباعي، مع زيادة عامة في حدة القشرة في الجهات الجافة من المغرب (المغرب الشرقي، تادلا، الحوز) باستثناء الصحراء بالطبع بدءاً بهوامشها حيث تقل أو تختفي ظاهراً التربة الحمراء والقشرة معاً.

فالأتربة الحمراء الأقدم، إذا ما وجدت في أوضاع تصونها من القشرة، غالباً ما تتوفر على مقادير مهمة من أطيان الكاولينيت والإليت وهي بذلك تكون ضعيفة الخصوبة.

لكن عندما نجدها في مكان صوات لاستقبال المواد الثقيلة، والأمر صحيح كذلك بالنسبة للحمري الرباعي الوسطي، فكثيراً ما تكون كبيرة السمك، تتخللها وتغطيها تماما سحنات القشرة الكلسية التي تحمل فوقها أتربة سطحية صحلة كلسمغيزية وضييفة.

تجدر الإشارة إلى أن هذه هي أمثل الأوضاع المستعدية للتقشير الآلي والكشف عن التربة الحمراء المدفونة التي تكون إذاك ذات قيمة زراعية عالية بوصفها مشحونة بأطيان السمكيت. أفضل الأمثلة نجدها في الأراضي الزراعية الغنية لسائس فاس (الفاسي، 93).

- أخيراً، تتميز أحدث الأتربة الحمراء بوجودها طبيعياً مكشوفة وخالية من التكلس في جل المناطق، وأنها تمثل أهم وأوسع المجالات الزراعية داخل الأودية النهرية، من بينها المصاطب العريضة لوادي أم الربيع ووادي ورغة وغيرها كثير. عدانة هذه المستويات شديدة الاختلاط، منها الموروث الهزيل القيمة (كاولنيت، إليت، كلوريت)، وبها كذلك أطيان عالية الخصوبة (السمكيت والفدميكوليت).

- على العموم، يُشَمَّنُ المزارعون مختلف أنواع الحمري لأنها تشترك كلها في جودة خصائصها الآلية وارتفاع إمكاناتها من حيث الخصوبة الكيماوية. فهي بالمقارنة مع التيرس مثلاً، تتمتع في مجملها بأوضاع تضارسية تصونها من الفيضانات وبميزات ذاتية تمنح عنها المبهة والاحتقان وبالتالي الاختناق الطارئ للمحاصيل. كما أن فلاحتها أيسر بسبب الخفة النسبية لأنسجتها.

توازن تركيباتها النسيجية، على سمك كاف، يخول لها كذلك ذخيرة مائية نافعة مهمة وتديراً طبيعياً جيداً لهذه الذخيرة خلال مجموع السنة. ولا يخفى ما لهذه الصفة من وزن خاص في السنوات الفلاحية الجافة.

وبما أن الحمري تربة غير متخصصة فهذا يعطيها صلاحية إنتاج مردود مقبول إلى جيد بالنسبة لكل الزراعات.

G. Aubert, Cahier ORSTOM, série pédologie. Volume 3, fascicule 3, 109 p., 1965 ; CPCS, Grignon, Classification des sols de la commission de pédologie et de classification des sols. 96 p., 1967 ; D. Fassi, Les formations superficielles du Saïs de Fès et de Meknès, du

مقادير هائلة من التراب الأحمر انطلاقاً من كتلة بني يزناسن (Ruellan, 71 : العوينة، 90)، وجنوب سهول السائس الموجود في وضع استقبال مواد الأطلس المتوسط الهضبي. كما نجد نماذج متعددة في باقي السهول الداخلية الموجودة بأقدام الجبال، وكذلك في السهول الأطلنتية كما هو الشأن مثلاً في الشاوية ودكالة وجنوب سوس.

هي إذن أتربة وافدة، تختلف عن الأتربة الأصلية من حيث إنها تتميز ببنيات الترسيب كما أنها غالباً أخشن إلى حد أنطوانها في بعض الحالات على عدسات رملية أو حصوية بالإضافة إلى غناها من الطمي.

يُضاف إلى هذه الفصائل كلها، دائماً بصفتها حمري، بعض السطوح الصخرية الغنية أصلاً بالأطيان والأطماء الحمراء وأهمها بالمغرب المنكشفات الفتاتية لأدوار الترياس وكذلك تلك المنتمية للكريطاسي السفلي والسينوني في صيغتهما القارية، مادامت هذه المنكشفات غير مالحة.

- لم تقتصر العمليات اللاحقة لتكوين الأتربة الحمراء على التعرية والنشر بمختلف الصور فحسب، ولكن عمليات تترب أخرى طرأت على سطحها، ينسبها المختصون إلى أنها عمليات نكوص وتراجع، من ذلك أنها أصبحت مشربة بالدكنة عبر إغناء نسي بالمادة العضوية الديالية الناتج على ما يبدو عن تدهور الغابات الأصلية أمام التوسع الكبير للسهوب المتميزة بدورة إنباتية سريعة. وهكذا تتحول الأتربة الحمراء المتحدسة إلى أتربة سيدبالية سماء وكستنائية حسب تصنيف Aubert (1965) أو سيدبالية بُنية (C. P. C. S) 67 دون أن تخرج من صنف الحمري في سجل الأهالي.

- من ضمن المعطيات التخيلية لأتربة الحمري أنها حيادية إلى خفيفة الحموضة وأنها خالية من الجير والأملاح. لوئها الأحمر ناتج أولاً عن تحرير الحديد عبر تفسخ المعادن الأولية التضمنية له وإطلاق الحديد المندمج. وهو أمر يتطلب رطوبة أعلى من المتوفرة حالياً. الشرط الثاني هو حصول التناوب الزمني بين فترات رطوبة وجفاف يخول أكسدة الحديد وترسبه على شكل معادن ثانوية، منها الهيماتيت. ظاهرة مهمة بالنسبة لهذا النوع من حركية الحديد في القطاعات الترابية أنه يُكوّن التربة بالأحمر بصفة متجانسة دون تبقيع ولا عزل لأية تعقدات حديدية، مما سمح بربط الدينامية بغطاء نباتي غابوي (Lamouroux, 71). أصنف ذلك أن هذه العمليات تتم عبر أحجام كبيرة، ذلك أن الحمري يتمتع بسمك معتبر مقارنةً بجبل الأتربة المغربية.

- وكما هو الشأن بالنسبة للعديد من الأتربة الأخرى، فإن للحمري علاقات بالقشرات الكلسية التي تُعتبر ظاهرة خطيرة من الظواهر التي تعترى التترب في مجموع الشمال الإفريقي، حيث تشكل مستويات إعاقفة لتجذر النيات وفي بعض الحالات كيانا توسيعاً يسطو على التربة

temps géologique à l'utilisation actuelle des sols. Thèse Paris I - Sorbonne, 2t., 876 p., 1993 ; M. Lamouroux, *Etude de sols formés sur roches calcaires. Pédogenèse fersiallitique au Liban. Th.*, Strasbourg, Mém. ORSTOM, 1972, 56, 266 p. ; A. Laouina, *Le Maroc Nord-Oriental, reliefs, modelés et dynamique du calcaire*. Oujda, 1990, 1, 605 p. ; G. Millot, D. Nahon, H. Paquet, A. Ruellon et Y. Tardy, *L'épigénie calcaire des roches silicatées dans les encroûtements carbonatés en pays subaride, Anti-Atlas, Maroc. Sci. Géol. Bull.*, 30, 3, p. 129 - 152 ; A. Ruellon, *Contribution à la connaissance des sols des régions méditerranéennes : les sols à profil calcaire différencié des plaines de la basse Moulaya (Maroc Oriental)*. Thèse Strasbourg, Mém. ORSTOM, 54, 1971, 302 p.

إدريس الفاسي ومحمد البدرابي

### الحمري، التهامي بن محمد بن مبارك الأوبيري

نسبة إلى فخذة الأوبيرات التي تتفرع إلى فرعين : الأوبيرات الكنتور قرب اليوسفية، والأوبيرات الحمراء على بعد بضعة أميال من زيم بالشماعية. وإلى هذه الأخيرة ينتسب التهامي الحمري وبها كرس حياته للتدريس، فكان له الفضل في نشر العلم بقبيلة احمر وخصوصاً القراءات، فصار شيخ القراء بحوز مراكش، ومن أشهر تلاميذه في هذا الفن الشيخ الزوين صاحب المدرسة المشهورة (مدرسة سيدي الزوين) الواقعة على بعد اثنين وأربعين كلم من مراكش.

ترك الشيخ التهامي الأوبيري مؤلفاً بعنوان : *تحاف الخلل المراطي ببعض مناقب الأمام السكياتي، والسكياتي* هو رفيقه واسمه عبد الله بن علي الرجراجي وكانت وفاته عام 1244 / 1828، وكانت بين الاثنين مودة خالصة، وتعاهدا على أن من مات قبل الآخر يؤلف في ترجمة صاحبه، وهذا الكتيب يقع في أربعة كراريس، وقد أخرج المؤرخ عبد السلام ابن سودة بأن خزائنه الأحمديّة تشتمل على نسخة منه في مجموع دخلت لها عن طريق خزانة عبد الحفيظ الفاسي.

توفي عام 1246 / 1830.

ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، ص. 297 و847 و849 : ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 1 : 176 : رضى كحالة، معجم المؤلفين، 3 : 94.

محمد ماكامان

### الحمري، محمد بن عبد الله، وتدعوه الوثائق كذلك

الحميري. نسبة إلى أحمر أو حمير، القبيلة العربية المشهورة التي تحدها عبدة من الغرب، ودكالة من الشمال والرحامنة من الشرق.

أول وثيقة تحدثنا عن المترجم جاءت على لسان الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي حين قدّم الحمري على أتباعه الناصريين بمراكش، مكان الحاج بوسنة ؛ الذي قال بصدد عزله : "فلم نر له عيباً، وإنما أشفقنا على دينه وحاله ...

فإننا لم نعزله عن سخطه، لكن محبة فيه ..." والرسالة موجهة إلى أهل مراكش ؛ وهي مؤرخة في منتصف رجب عام 1118 / أكتوبر 1706 (رسائل ناصرية، ص. 55) وليدعم مكانة مقدمه، كتب رسالة إلى ولاة الأمر والعمال بمراكش وأحوازاها يوصيهم به خيراً يُستفاد منها مكانة الحمري الكبيرة لدى شيخ الناصريين، وبعدها أكد عليهم باحترامه بيّن حظوته لديه فقال : "فإنه منا وإلينا، دمه دمنا، ولحمه لحمنا، له مالنا، وعليه ما علينا، ومن آذاه فقد آذانا، ومن وقّره فقد وقّرنا .." (م. س. ن. ص. 98) وبذلك صار الحمري من كبار مقدمي الزاوية الناصرية ؛ حتى إن الفقيه أحمد بن سليمان الرسموكي - وهو تلميذ ناصري راسخ القدم في العلم - كان يتوّد إليه سعياً في التقرب منه.

ووجه إليه الحسين الشرحلي رسالة - نيابة عن الشيخ - ينوه به ويشني عليه، ويخاطبه بما يلي : "لأن هذا الأمر [أي التقديم على الفقهاء] لم يكن بمراى منك ومسمع، وإنما غبت حتى اختارك الله له واقبله ..." (م. س. ن. ص. 56) ؛ أي ينبغي أن يكون في مستوى المهمة المنوطة به، في زاوية مراكش الناصرية. ويعدّد الشيخ أحمد ابن ناصر شروطاً يجعلها بمثابة تعليمات تربط بين المقدم والأتباع، فيقول : "واسمعوا له وأطيعوا ما أقام فيكم سنة وأحياها، وأخذ بدعة وأماتها، وإلا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" (م. س. ن. ص. 52) وبذلك يكون الحمري نموذجاً للمقدم الناصري الذي يضطلع بنشر هذه الطريقة.

وقد تبلور دوره خاصة حين انبرى إلى الذب عن الطريقة الناصرية والمنافحة عنها، لما انفصل عنها أبو العباس أحمد الشراذي المتوفى عام 1160 / 1747 (نشر الثاني، 4 : 59) فقد انزعج الناصريون في مختلف جهات المغرب بسبب ذلك انزعاجاً كبيراً ؛ لما قد يترتب عنه من سريان مفعوله إلى فرع الطائفة بمراكش ؛ لا سيما وأن دعوة الشراذي قد لاقت قبولا بين سكان المدينة ؛ كما يلوّح إلى ذلك الحمري في رسالة أجاب بها أحمد بن عبد القادر التاستاوتي (طلعة المشتري، 2 : 116 - 118). هذا في وقت كان فيه شيخ الناصريين ببلاد الحجاز، لأداء فريضة الحج، سنة 1121.

وقد تصدّى مقدم الناصريين بمراكش إلى الرد عن رسالة التاستاوتي، مبينا أن المنشقين شردمة قليلة لا يتجاوز عددهم تسعة قائلاً : .. وأماما طرق سمع سيدنا من التبديل .. إنما وقع لرهط تسعة، ولا يخفى عليك ما في التسعة، منهم رجل دباغ حاد عن الطريق وزاغ، يقال له ابن زيد ومازال في عمايته يزيد، والمتفقه السيد إبراهيم الخواص، وهو يزعم فيمن رجع إليه أنه من الخواص، والسبعة الباقون من الفوغاء الأخلاط، الذين لا يُعتدّ بهم في حل ولا رباط .." (طلعة المشتري، 2 : 118 ؛ إعلام المراكشي، 6 : 17).

وقد طمأن الحمري التاستاوتي بأن أهل مراكش ما يزالون متشبثين بأذيال شيخهم أحمد ابن ناصر ؛ بل لم

تزدحم دعوة الشراي إلا تمسكا بطانفتهم، وتماسكا فيما بينهم ؛ ولم تزحزحهم عنها قيد أنملة ؛ عضوا عليها بالأيدي والنواجذ ... لا يبغون عنها حولا، ولا يريدون بها بدلا .." (طلعة المشتري، 2 : 116).

ومن ثم يعتبر الحمري أن ما طرقت أسامع الناصريين في بعض الجهات من الانحراف عن الطائفة الناصرية لا عبية به، إذ أنه لا يعدو أن يكون من باب التهويل الذي لا يؤبه له (م. س. ن. 118) ويتضح مما سبق أن الحمري كان من بين مقدمي الناصريين الذين نافحوا عن طانفتهم بكل ما أوتوا من قوة.

وإذا كنا لا نعرف شيئا عن مستوى الحمري من الناحية العلمية، فإننا نستطيع أن ندرك مدى مبلغه من العلم، من خلال الرسائل التي كتبها إلى كل من شيخه أحمد ابن ناصر، وأخيه في الطريقة أحمد بن عبد القادر التاستاوتي. إذ نستوضح منها جميعاً أن الرجل كان متفهماً، بل ربما من علماء زمانه. ذلك لأن اللغة التي يكتب بها رفيعه والأسلوب جميل متقن ؛ يطفئ عليه السجع الذي لا نلمس فيه أي أثر للتكلف أو التمحل ؛ تبدو سجعاته محكمة، تطفئ عليها أحياناً العفوية. أما مضامينها فتنبئ عن إطلاع واسع في عدة فنون كالفقه والتصوف والأدب لأنها ترشح بالتضمينات التي تبين عن إطلاع واسع. ومع ذلك يظل محمد بن عبد الله الحمري من الأعلام المغمورين، إذ لولا انخراطه في سلك الناصريين وتصدره للتقديم بزواية مراكش لبقى من المجاهيل. وكما نجعل تاريخ ولادته، نجعل كذلك تاريخ وفاته، لكننا على يقين من أنه كان حياً سنة 1121 / 1709.

الرسائل الناصرية، مخطوط ؛ الروض الزاهر، مخطوط، خ. ع.، 187، ق ؛ الدرلة الجليلية، مخطوط ؛ أ. الناصري، طلعة المشتري ؛ ع. إبراهيم، الإعلام ؛ علي أنكاش، قصر زاوية تامكروت. أحمد عمالك

### الحمرية للأهنية، إحدى الولايات الصالحات بمدينة

أسفي خلال القرن الثالث عشر (19 م) كانت لها خبرة في علاج الأطفال ومعرفة واسعة بمختلف الأعشاب. توفيت عام 1280 / 1863 ودفنت بمقبرة حي الرباط التي ظلت تعرف "بمقبرة للأهنية الحمرية" إلى أن زالت هذه المقبرة قبل عشرين سنة تقريباً. وكان على قبرها حوش للتمييز مزاراة خاصة من طرف النساء. يوجد قبرها الآن بمقبرة "بوديس". م. الكانوني، جواهر الكمال، ج 2، مخطوط.

عبد الرحيم المطاوي

### حمرية مكناش، هضبة خصبة تقع شرق مدينة مكناش

بين وادي ويسلان ويوفكران جرت فيها أحداث تاريخية مهمة، وغرسها المولى إسماعيل زيتوناً وحبسها.

ولم تكن تعرف بهذا الاسم في العهود السابقة لفترة حكم المولى إسماعيل، فقد وصفها صاحب الاستبصار - وهو معاصر للموحدين - وصفاً لا ذكر فيه لكلمة حمرية قال : "وأحدث فيها الأمر العالي بحائر عظيمة في نهاية من الاتساع، وجلب لها ماء نهرها، وأمر بغرسها زيتوناً وكروماً (الاستبصار، ص. 187-188)، كما سماها أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق بالكدية البيضاء : " اعلم أن الله تعالى لما أمر بخروج المعصوم من فاس نزلنا بمقيلة ... ثم منها نحو مكناش فلما أشرفنا على الكدية البيضاء نظر المعصوم الكدية فإذا بها مملوءة رجالاً ونساء" (أخبار المهدي بن تومرت، ص. 25). ولما ولي محمد بن عبد الله ابن وجاج في أوائل عهد الموحدين بلاد المغرب سيفا وعملا غرس بها بحيرات أكثر غراستها الزيتون ... " كما أن ابن غازي في الروض الهمتون (ص. 12) أشار إلى تلك الغراسات دون أن يطلق على أراضيها اسم "حمرية".

وإذا غابت كلمة "حمرية" في هذه النصوص التاريخية وغيرها التي تحدثت عن غراسات مكناش وبحائرها قبل حكم المولى إسماعيل فإن الحوالات الحبسية الإسماعيلية الخاصة بمكناش أشارت إليها صراحة، فمن ذلك ما جاء في حوالة الأحياس الكبرى رقم 5 (ص. 276) في وثيقة تقويم متخلف أحد الأشخاص (علي الفتان) المؤرخة بأوائل شوال عام 1091 / أواخر أكتوبر 1680 "جميع الأرض الكائنة برأس غيل السقي المسماة بحمرية المجاورة للمشط". ويبدو أن كلمة حمرية التي أطلقت على كل البلاد التي حبسها المولى إسماعيل استمدت اسم تلك الأرض، التي أصبحت تكون جزءاً منها، وذلك من باب إطلاق الجزء على الكل. كما أن ابن زيدان أشار إلى أن حمرية كانت تسمى "بأبي حفص" قبل أن يتملكها المولى إسماعيل بالمعاوضة مع مالكيها. وفي قول ابن زيدان ما فيه من عدم التدقيق، لأن أرض أبي حفص المذكورة كانت مجرد جزء فقط من الأراضي التي أصبحت تعرف بحمرية. كما أنها لم تكن في ملك شخص واحد حسب ما جاء بقلمه، وهذا ما يتضح من نص ظهير المولى إسماعيل لقائده علي بن يعقوب لينوب عنه في عقد معاوضات الأراضي التي تكونت منها حمرية (حوالة أحياس المساكين، رقم 3، ص. 67-68).

بل إن محتويات هذا الظهير تؤكد أن أرض حمرية تكونت من مجموعة من الأراضي بعضها كان في ملك المولى إسماعيل أو بيت المال، والبعض الآخر كان ملكاً للأحياس أو لبعض الأشخاص، ثم انتقلت بالمعاوضة مع مالكيها، ومنها : الأراضي الكائنة برأس غيل المسماة بحمرية وأرض أبي حفص وأرض سهب الطبال المجاورة لها وأرض الشلوكي وغيرها. (يمكن الاطلاع على المعاوضات بحوالة أحياس المساكين، ص. 10، 68، 76، أو رقية بلندقم، أوقاف مكناش .. ج 1، ص 268-274).

ويعد أن تم تجميع أراضي حمرية أمر المولى إسماعيل

بغرسها زيتونا وتحبيسها. فقد وردت الإشارة إلى ذلك عند أبي القاسم الزياتي في البستان الظريف في دولة أولاد مولانا إسماعيل ابن الشريف (ص. 188) : "فقد كان عنده بجنان حمرية مائة ألف شجرة من الزيتون حبسه على الحرميين الشريفين".

وكان إنتاج حمرية قبل ذلك لا يقتصر على الزيتون بل يشمل أنواعا كثيرة من الفواكه الصيفية والخريفية والورد مما كان له غلة جليظة كما كانت فيها أرض بيضاء للمخضر والكتنان تكثرى بمال جسيم (ابن غازي، الروض، ص. 12).

وأمر المولى إسماعيل بحر الماء إليها من وادي بوفكران وسط جدار ضخّم وأحاطها بسور. ومع ذلك يبقى أمر تحبيس حمرية من قبل المولى إسماعيل في حاجة إلى المزيد من التأكيد، لأنه لم يرد في الحوالات المحبسية ما يشير إلى ذلك التحبيس، خاصة وأن ظهيري تحبيس المولى محمد بن عبد الله لها ليس فيها ما يؤكد أنها كانت محبسة من قبل، بل نص صراحة على أنها من أملاك السلطان : "اقتضى نظره السيد ورأيه الموفق الرشيد أن خرج عن بعض ما يحبه من ماله، رجاء ثواب الله ونواله، وهو جميع الغاية من الزيتون المسماة بحمرية ... فجعلها حيسا في سبيله ..." (حوالة الأحباس الكبرى والاحمدية رقم 7 ص. 255).

وقد حل الخراب بزياتين حمرية بعد وفاة المولى إسماعيل وعلى حد قول الزياتي : "ومرت عليه هذه العصور والفتن والفترة والناس يحطبون منه" (البستان، ص. 188) إلى أن يبيع السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757-1790) فأمر بإصلاح ما حل بها من خراب وإعادة غرس ما أتلّف من أشجارها وجر الماء إليها من وادي بوفكران ثم جدد تحبيسها بتاريخ 28 ذي القعدة 1184 / 15 مارس 1771 وصرف مستفاد غلتها على المساجد داخل القصبة والأروى وقصبة هدراش وبريمة، ولصالح ما هو من المساجد داخل المدينة محتاج، وما يفضل عن ذلك يبعث لمكة والمدينة، ثلثه الواحد لمكة، وثلثاه الاثنان للمدينة المشرفة (حوالة الأحباس الكبرى، رقم 5 ص. 318).

ثم أعاد السلطان النظر في هذا التحبيس فأصدر في 2 جمادى الأولى عام 1193 / 18 ماي 1779 ظهير تحبيس آخر حدد بموجبه حصة كل من الجهات المنتفعة، فقسمت حمرية إلى قسمين، أولهما وهو الواقع شرق الهضبة للحرمين الشريفين، تختص المدينة المنورة بالثلثين ومكة المكرمة بالثلث، بينما عين النصف الثاني حيسا على الجامع الأعظم بمكناس على أن يصرف جزء من مستفاده على روضة مولاي علي الشريف وروضة أبي زكرياء الحبان ويخصص قدر من زيتة لضريح مولاي إدريس بفاس ومولاي أبي يعزى.

بقيت وضعية حمرية على حالها إلى أن دخل الفرنسيون مكناس (8 يونيو 1911) وتقرر - لضروريات دفاعية وإدارية ونفعية - بناء مدينة عصرية خاصة بالأوربيين، فوقع

الاختيار على هضبة حمرية لتبنى فوقها تلك المدينة.

وضع المهندس هنري بروسط Henri Prost رئيس مصلحة المدن وتنظيمها أول تصميم للمدينة الجديدة فوق هضبة حمرية (15.1916)، قبل أن تتمكن الإدارة الفرنسية من تسوية وضعيتها العقارية مع الأحباس. وأسندت مهمة الانجاز للكولونيل پويميرو Poeymirau فعمل على تنفيذ المشروع باتفاق مع بلدية المدينة وشرع في البناء في صيف 1917.

لم يكن الحصول على أرض حمرية المحبسة بالأمر الهين نظراً لوضعيتها العقارية، ولذلك أخذت الإدارة الفرنسية تتحائل لإيجاد صيغة قانونية تمكنها من الاستحواذ على أرض حمرية، وراحت تتبكر الخطط التي تمرر عبرها مشاريعها مثل نزع الملكية للمصلحة العامة وتنمية العمران، والمعاوضات النقدية، وتفويت مساحات شاسعة من أرض حمرية لمصلحة الأملاك المخزنية، وعرفت المحاكم صراعا طويلا بين الأحباس والأملاك المخزنية التي ادعت أن نصف أراضي حمرية هو ملك لها، وعندما صدر الحكم لصالح الأحباس كانت معظم أراضي حمرية قد فوتت، ونجح الفرنسيون في إقناع السلطان مولاي يوسف بإصدار ظهائر تجعل أرض حمرية قابلة للمعارضة والبيع، صدر أولها في يوليو 1917، وفي 17 أبريل 1918، صدر الظهير الخاص بتجزئة أرض حمرية إلى أحياء خاصة بالسكنى والتجارة بالتسقيط، وأخرى بالصناعة والتجارة بالجملة : "أذنا في تجزئة مساحة الأرض المعروفة بحمرية هناك المحكوم بملكية جميعها لجانب الأحباس الكبرى المكناسية وأحباس الحميرية الشريفين .."

وقد تهافتت الإدارة الفرنسية المدنية والعسكرية وكذا الشركات والجمعيات والخواص على اقتناء أراضي حمرية مقابل تعويضات نقدية بسيطة تراوحت بين 1.50 سنتم سنة 1918 م و10 سنتيمات سنة 1928 للمتر المربع. وهذا التعويض النقدي هو أقل بكثير مما بيعت به الأراضي التي أقيمت عليها المدن الجديدة في باقي المدن الأخرى، لأن حمرية بمكناس كانت محبسة، فلم تعرف المضاربات العقارية.

ويبدو من نصوص معاوضات أراضي حمرية بالحوالة المحبسية رقم 8 (ص. 400.790) أن الجزء الأكبر من تلك المعاوضات تم في الفترة ما بين 1920.1930 وهي المرحلة التي عرف فيها المعمار بأرض حمرية أقصى توسع له. وقد فازت مصلحة البلدية وإدارة الشؤون الحربية ومصلحة الأملاك المخزنية وشركة سكة حديد طنجة بالنصيب الأوفر من أراضي حمرية، فقد تمكنت مصلحة البلدية - مثلاً - في سنة 1922 من أن تستولي على جل القطع المجزأة من أرض حمرية بالمعاوضة النقدية مع الأحباس.

انطلق البناء فوق هضبة حمرية اعتماداً على تصميم "هنري بروسط" الذي قسم حمرية إلى أحياء ومناطق

متخصصة، وهذا ما تؤكدُه ظواهر التجزئة "تجزئة قسمتين منها تعرف إحداهما بمحج وهي المعدة للسكنى والتجارة بالتفصيل، والأخرى بحمرية وهي المعدة للصناعات والتجارة بالجملة ...".

وقد مر بناء حمرية بمراحل تمتد أُولاهَا من 1918 إلى 1921 وقع التركيز فيها على تلبية الحاجيات الملحة كالأمن والنقل والتطبيب والتعليم، واختارت المصالح البلدية المنطقة التي أطلق عليها معسكر بويلان Camp Poublan وحاولت أن تجعل منه حيا جميلا وأنيقا صالحا لأن يتوسط المدينة، خصصت مساكنة الأولى للضباط وضباط الصف والجنود وعائلاتهم، ولم يلبث أن توسع شرقا مكونا المحي العسكري. دشنت نهاية هاته المرحلة من قبل المقيم العام بالمغرب المرشال ليوطي والجنرال بومبيرو الحاكم العسكري للإقليم صعبة شخصيات أخرى في 15 ماي 1921 في حفل رسمي أقيم بقصر بناني، فكانت الانطلاقة الرسمية للتوسع العمراني الذي شمل فيما بعد الإقامات السكنية والأحياء الإدارية والتجارية والصناعية إضافة إلى المدارس والملاعب الرياضية والسوق والمسرح البلديين.

كانت المرحلة الأولى قصيرة ولهذا لم تظهر معالم معظم المنشآت التي وضعت لبناتها إلا في المرحلة الثانية 1921. 1930 مرحلة التوسع الحقيقي للبناء فوق هضبة حمرية، تميزت بظهور عدد من المؤسسات الإدارية الفرنسية تجمع في هندستها بين الطابع المعماري المغربي والأوروبي من بينها حتى حدود 1927 :

- المسبح البلدي، مقر بلدية الاقليم، بنك الدولة، محطة القطار، مجمع التبغ، مكتب بريد المدينة الجديدة، ثانوية بومبيرو.

وبموازاة هذه المنشآت العمومية تم بناء مجموعة سكنية قروية (قبيلات) ومشاركة (عمارات) من أشهرها عمارة "ماص"، كما منحت سنة 1922 أراضي في حمرية لمجرى الحرب لإقامة سكنهم الخاص.

وحوالي عام 1930 برزت مبانٍ جديدة هامة منها المكاتب المركزية لشركة خطوط السكة الحديدية طنجة فاس، والمؤسسة الخيرية قطرة الحليب La goutte de lait والمحكمة وعمارة الغرف التجارية والفلاحية والمعهد الموسيقي، وهكذا اكتملت المصالح الأساسية للمدينة العصرية فوق هضبة حمرية في نهاية 1931.

وفي المرحلة الثالثة 1931. 1940، شيد قصر البلدية وقصر العدالة ومركز البريد، كما شيدت بشمال وشرق المدينة ثلاث مجموعات معمارية :

- جناح مستشفى من 450 سرير، وثانوية للذكور مع داخلي للتعليم التقني تسع 1200 تلميذ، ومجزرة تحتوي على مخزن ومستودع للتبريد.

وفي هاته الفترة تم تشييد مجموعة فندقية : Volubilis و Exelsior و Touring Moderne Continental

و Trans-atlantique كما بنيت مجموعة من الدور العسكرية بعد أن تمكنت إدارة الهندسة العسكرية من الحصول على قطعة أرضية من أرض حمرية مساحتها 24 هكتارا و 88 أرا و 33 سنتيوار بالمعاوضة النقدية مع نظارة الأوقاف بمكناس بتاريخ 12 مارس 1932.

وانطلاقا من بداية المرحلة الرابعة 1941. 1952 أسس المكتب الشريف للسكنى الذي ركز مشاريعه العمرانية في بناء العمارات الكبيرة للآوربيين. وبنهاية هاته المرحلة 1952 كانت معظم معالم مدينة جديدة ذات طابع أوروبي قد شيدت على هضبة حمرية، وتمكن الفرنسيون من أن يقيموا فوق هضبة حمرية المحيصة ذات الزياتين مدينة عصرية بكل مقوماتها وخصوصياتها الأوربية.

أ. البيدق، أخبار المهدي، ص. 25 : حوالة الأحياس الكبرى، رقم 5، ص. 176 : حوالة الأحياس الكبرى والاحمدية، ج 2 ص. 255. 257 : حوالة الأحياس الكبرى، رقم 8، ص. 400. 790 : حوالة أحياس المساكين، رقم 3، ص. 10. 67. 68 : أ. الزياتي، السنان، ص. 188 : ع. ابن زيدان، الإتحاف، 1 : 173. 172 : م. ابن غازي، الروض الهنون، ص. 12 : م. المتوني، التخطيط المعماري لمدينة مكناس، مجلة الثقافة المغربية، ج 7، ص. 34 : ر. بلقلم، أوقاف مكناس، 1 : 168. 376 : أعمال ندوة المحاضرة الاسماعيلية، ص. 69. 88.

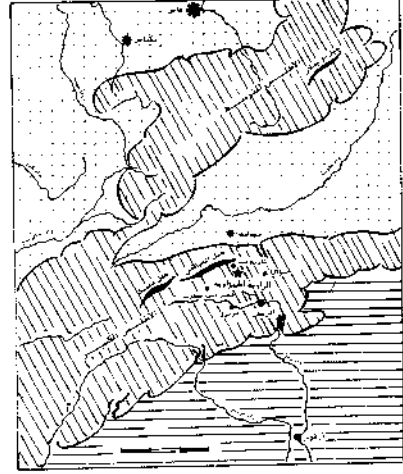
رقية بلقلم

### الحمزأوية (الزاوية -) أو زاوية سيدي حمزة نسبة

للشيخ حمزة بن أبي سالم عبد الله العياشي (ت. 1130 / 1717). الزاوية الحمزأوية عبارة عن قرية صغيرة تقع في الأطلس الكبير جنوب مدينة ميدلت، وتحدها من الشمال الغربي السفوح الجنوبية الشرقية لجبل العياشي، ومن الجنوب الغربي قمة جبل أفداير، وبذلك تنفتح أكثر على الجهتين الشرقية والجنوبية الشرقية في اتجاه تافيلالت ومدينة الريش، حيث تمتد أهم خطوط العبور القديمة.

أعطت هذه البيئة الجغرافية الجبلية للزاوية حصانة طبيعية، كما وفرت لها ثروة مائية هامة مستمدة من تلوج القمم أو من المياه الجوفية التي تغذيها مجموعة من العيون والأنهار الصغيرة لا سيما النهر الذي يحمل اسم الزاوية ويعدّ من أكبر روافد واد زيز. ويمكن اعتبار نفس المؤهلات عند الحديث عن دوافع الاستقرار البشري في المنطقة وقد كان لاستقرار أحد أفراد الأسرة المؤسسة للزاوية. دور في تكوين مجتمع القرية، وفي القيام بعدد من الوظائف الدينية والتعليمية قبل أن تنوج مجهودات أحفاده بحدث تأسيس الزاوية العياشية سنة 1044 / 1635 أسسها الشيخ محمد بن أبي بكر العياشي (ت. 1067 / 1656) من أجل إرشاد قومه وتربيتهم ونسبت إليه في البداية، ثم عرفت باسم ولده أبي سالم العياشي قبل أن تستقر شهرتها باسم حفيده حمزة. وإذا كان الحديث عن مؤسسة صوفية لها

تاريخ متميز في الأطلس الكبير الشرقي يقتضي الإلمام بطريقة التأسيس وأصول التنظير وكيفية الممارسة فإننا نكتفي في هذا السياق بالإشارة إلى نقطتين أولاهما طريقة الزاوية وأدوارها، وثانيهما اعتناء أبنائها بجمع الكتب وتأسيس مكتبة كانت ومازالت تعد من المكتبات النموذجية في عصرها.



موقع الزاوية الحمراوية

ويظهر أن النسخ غدا عنصراً أساسياً في تقاليد أبناء الأسرة العياشية فاضطلع به أعلام وشيوخ وطلبة بلغ عددهم تسعة، وإلى جانبهم كان هناك من يقوم بالنسخة للعياشين ولزاويتهم، كما كان علماءهم يستكتبون المؤلفات من خارج الزاوية. وإلى جانب الاقتناء والإنتاج والتلخيص والشروح مثل الإهداء مصدرراً من مصادر تزويد المكتبة وهناك عدة أمثلة مشرقية ومغربية.

كان للمكتبة الحمزاوية نظام خاص، يُنصَّب قيماً توكل إليه مهمة السهر على محتويات المكتبة والمحافظة عليها من المؤثرات الطبيعية أو من الضياع بحيث كانوا يسجلون الكتب التي يُعيرونها واسم المستعير ويطالبون بإرجاعها إذا اقتضى الأمر.

وتتوفر المكتبة على فهرس قديم وضعه مؤسرها الأولون لكن الفهرس المعتمد حتى الآن هو الذي كتبه السيد عبد النبي بن المجذوب الفاسي بتاريخ رجب 1268 / أبريل - ماي 1852 وهو محفوظ تحت رقم 245 فقد ظل معمولاً به دون سواه وهو عمدة المحافظين على المكتبة.

وبعد الاستقلال توجهت بعثتان علميتان إلى زاوية سيدي حمزة، أولاهما سنة 1961 ومكنت في مهمتها أسبوعاً وقفت خلاله على كل المخطوطات وتم ترقيم 250 مخطوطاً منها. كما وضعت قائمة مطولة تشتمل على قسمين الأول للمخطوطات التي تم ترقيمها وتسجيلها. والثاني للمخطوطات التي وقع تسجيلها ولم ترقم وعددها 356، والبعثة الثانية سنة 1962 ولبشت في مهمتها شهراً كاملاً وارتفع عدد المخطوطات المرقمة إلى 584. أو 864 مجلدات وضعت في خمس خزائن بالمكتبة.

ع. العياشي، الإحيا - والانتعاش، مخطوط : م. المنوني، مكتبة الزاوية الحمزية، مجلة تطوان، ع. 8، 1963 : ن. الذهبي، اقتفاء الأثر، منشورات كلية الآداب الرباط، 1996.

نفسية الذهبي

**الحمص**، نبات حولي يسمى علمياً سيسير أنيوم Cicer annuum، من فصيلة الفراشيات Papilionaceae وهو نبات حولي متفرع ذو أوراق مركبة ريشية وأزهار فراشية الشكل، وثمار قرنية يحتوي كل قرن على حبة واحدة أو حيتين من بذرة الحمص.

والوطن الأصلي للحمص هو حوض البحر المتوسط، حيث عرفت زراعته منذ أقدم العصور إذ زرعه المصريون والعمانيون والإغريق والرومان ثم العرب. ومنها انتقلت إلى أجزاء كثيرة من آسيا وأفريقيا وأمريكا الوسطى. ويزرع الحمص بالمغرب بوريا على مساحات شاسعة من الطوابق النباتية لتحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ والمتوسطي ذات الأشكال البيومناخية شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة واستثنائياً الجافة في السنوات الممطرة. أما من حيث التربة فإنه يتلائم مع جميع أنواعها.

تتصل أسانيد طريقة زاوية سيدي حمزة بالشيخين محمد بن سليمان الجزولي وأحمد زروق، وهي من الطرق الشاذلية البسيطة التي تتناسب مع طبيعة البيئة البدوية حيث يظهر من مبناها ووصفها الالتزام بالسنة، والتعلق بالرسول عليه السلام واستقلال النفوذ الروحي من أجل تشجيع المريدين على طلب العلم، والمشاركة في الأمور الدينية والتثقيفية. وإن كنا لا نعرف بالضبط صيغة الأوراد أو الأذكار التي رتبها شيوخها فإن الملامح المشار إليها تستنبط من سيرة شيوخها وعلاقاتهم مع طلبتهم، وكذلك مما سجله أبو سالم العياشي في مؤلفاته عن تعاليم الطريقة الشاذلية وخصائصها. فالشيخ المؤسس محمد بن أبي بكر العياشي تتلمذ للدلايين وخدمهم واقتدى بهم، بل إنه أسس زاويته بإشارة منهم، الشيء الذي جعل آثار انهزام الدلايين على هذه الزاوية حيث أمر السلطان المولى الرشيد بإقفال الزاوية الحمزاوية وتغريب العياشيين إلى فاس سنة 1082 / 1671 ففضوا سنة كاملة في المعاناة بسبب الروابط الروحية والعصبية القبلية التي تجمعهم مع الدلايين.

أما كتب الزاوية الحمزاوية فقد بدأ وفقها أيام الشيخ المؤسس وأخيه عبد الجبار، ووقع الاهتمام بها أكثر أيام الرحالة أبي سالم العياشي الذي جلب لها مخطوطات كثيرة من المشرق، اشتراها أو استنسخها. وزاد الاهتمام بالكتب لما ولي شؤون الزاوية وكده حمزة الذي كانت له - كأبيه - رحلات إلى المشرق. والمكتبة الحمزاوية اليوم عبارة عن حجرة صغيرة مرتفعة نسبياً توجد بها ست خزائن خشبية مختلفة الأحجام ومملوءة بالكتب.

يعتبر الحمص من أحسن القطناني المستهلكة إذ أن بذوره مغذية جدا، وتدخل في عدد كبير من المأكولات والحلويات.

أبحاث خاصة : ألبرت هيل، النبات الاقتصادي، 1962، ترجمة، د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة.

عبد الملك بنعبيد

**حَمُّ** - أورزَاكْ، سدّ تلي تم إنجازه سنة 1407 / 1986

لتروية الماشية وتوفير ماء الشرب. يقع جنوب الهضاب العليا الشرقية بالقرب من مركز بلغياة، وعلى مسافة مستقيمة تبلغ حوالي 60 كلم (جنوب شمال غرب بوعرفة) وحوالي 65 كلم (جنوب غرب تندرارة). ويكتب "حَمُّ" أحيانا بالواو لكننا وحدنا المداخل بدونها "حَمُّ" وأشرنا إلى من اشتهر اسمه بالواو "حَمُّو"، مثل : "حَمُّو أورزَاكْ".

استمد هذا السد تسميته من واد حَمُّ - أورزَاكْ الذي يوجد في العالية الشرقية لحوض كبير، والذي يعتبر أحد الروافد الثانوية لواذ بوعنان. من أهم خصائص هذا السد نذكر حجمه الذي يبلغ 180.000 م<sup>3</sup> من التراب المتباين، وحقينته التي تعادل 1.6 مليون م<sup>3</sup> من الماء، وعلوه عن الأساس بارتفاع 14 م، استغرقت مدة بنائه تسعة أشهر. وهو من أعلى السدود التلية المغربية تكلفة مالية (3.12) ملايين درهم) أما معدل حجم موارده المائية فيبلغ أربعة ملايين م<sup>3</sup> من الماء.

تأخذ السدود التلية المبنية أو المبرمجة أهمية خاصة في هذه المنطقة لكون مناخ الهضاب العليا قارياً وشبه صحراوي، يتسم صيفاً بالتحولة والحرارة المرتفعة بسبب رياح الشرقي، وشتاءً بالبرودة والعواصف العديدة المتقطعة والقصيرة. كما أن نقط الماء متباعدة وقليلة العدد، وكل المجاري المائية الرئيسية أو الثانوية توجد في الحواشي وعلى ارتفاعات مختلفة (ملوية، زا، بوعنان، زورفانة).

أما البحث عن مدخرات أخرى للثروة المائية الجوفية فلا زال في طور التنقيب. كل هذه الأسباب أبتت سكان البادية على نمط عيشهم الموروث المتمثل أساساً في الترحال والانتجاع عبر سهوب الشيح والحلفاء الشاسعة. يستفيد حالياً من ماء السد حوالي 4.200 رأس ماعز و22.000 رأس غنم.

الجلس الأعلى للماء، السدود التلية، الرباط، دورة ماي، 1988.

A. Eddiani (et al.), *Evaluation économique à postériori des petits barrages réalisés entre 1984 et 1986*, Rabat, 1988 ; Province de Figuig, *Monographie de la province de Figuig*, 1993 ; Division de la cartographie, *Carte du Maroc, Bouarfa*, 1/250.000, Rabat, 1986.

مصطفى عياد

**حَمُّ بن الجيلالي**، قائد عسكري اشتهر باسمه،

وتولى باشوية مكناس مباشرة بعد دخول السلطان مولاي

الحسن المدينة آخر شهر رجب من سنة 1296 / يوليو 1979، فبعد أن أقام بها شهراً عزل باشاها القائد إدريس بن محمد المدعو خنيشش وولاه مكانه.

بقي الباشا حم في منصبه طيلة المدة المتبقية من حكم السلطان المذكور وجزء من فترة حكم المولى عبد العزيز، وكان هذا الباشا يشغل - في نفس الوقت - منصب قائد الجيش المخزني المرابط في مكناس، هذه المدينة التي احتفظت بطابعها العسكري منذ أن ارتقى بها السلطان المولى إسماعيل إلى مستوى عاصمة اتخاذ القرارات للمغرب كله، وكان السلطان مولاي الحسن يعتمد على هذا الجيش في كبح جماح القبائل التي لم تعد تنالها الأحكام السلطانية بالجهال الأطلسية، كذلك ظل متأهبا للمشاركة في بعض الحركات الحسنية لا ينتظر سوى إعطائه الأوامر، كما حدث سنة 1306 / 1888 أثناء تمرد قبيلة بني مكيد بالأطلس المتوسط مما حدا بالسلطان إلى مطالبة الباشا حم بالنهوض في جيش جرار صحية متطورة باقي القبائل المخزنية المجاورة لمكناس (بني مطير وگروان ...) في اتجاه الجبال الواقعة جنوب المدينة قصد إعادة النظام داخل القبيلة المذكورة وتمهيد الطريق أمام محلة السلطان التي تبعت الجيوش المخزنية بعد شهر من تحركها.

وبالرغم من كثرة العساكر وقيادة الباشا حم المحنك، فقد كادت قبائل الأطلس المتوسط أن توقع بها لولا نجدة فرسان المحلة السلطانية وفكها الحصار عن الباشا وجيوشه، فكان ذلك وراء تويخ السلطان مولاي الحسن له، إلا أن هذا التويخ لم يفقده مكانته أو يقلل من أهميته بدليل احتفاظه بوظيفه كما كان عليه الأمر سابقا.

وبعد تولية السلطان عبد العزيز الحكم سنة 1312 / 1894، أمر بإيعاز من أحمد ابن موسى (أبا حماد) الذي صار صدراً أعظم فيما بعد، باشا مكناس حم بن الجيلالي بإلقاء القبض على أولاد الجامعي : الحاج المعطي الصدر الأعظم على عهد مولاي الحسن، وأخيه محمد الصغير وزير الحربية في نفس العهد وصهرهما العربي الزيدي واستئصال أموالهم وأثاثهم فبيعت تركتهم في العواصم المغربية.

ولما استقر الأمر لاحماد ابن موسى وأصبح صدراً أعظم، وعين إخوانه وأقاربه في المناصب الرئيسية قلب ظهر المجن للباشا حم بن الجيلالي فعزله من منصبه ونفاه إلى تارودانت التي بقي بها إلى أن وافاه الأجل المحتوم سنة 1318 / 1900، رغم السمعة الطيبة التي كان يتمتع بها عند أهل مكناس نظراً لتدينه واهتمامه بالثقافة واقتنائه لآلاف الكتب من فاس ومكناس كونت مكتبة خاصة مهمة، وعين مكانه على رأس باشوية مكناس ابنه بنعيسى.

ع. ابن زيدان، إصحاف، ج 1 و 2 : ب. بوعسيرة، مكناس المدينة الجديدة، التأسيس، البنيات الإدارية، التناقضات، 1911-1939، دكتوراه دولة في التاريخ المعاصر، كلية الآداب، الرباط، يوليو، 1995.

بوشتي بوعسيرة

**حَمُّ بن حميدة** (زاوية سيدي -) تقع هذه الزاوية بينائها الحالي على تل منبع شرق جبل الحديد قرب مركز يسمى بئر كوات على الطريق الرئيسية رقم 8 الرابطة بين الدار البيضاء وأكادير في إقليم الصويرة، وتعد من بين زوايا رگراگة المنتسبة إلى سيدي سعيد أحد رجالات رگراگة السبعة المسموع في حقهم صحة الرسول عليه السلام ويوجد ضريحه بموضع يدعى الشَّحِيحَة بوادي تامصت. اشتهرت الزاوية باسم دفينها سيدي حَمُّ (محمّد فتحاً) بن حميدة لأنه يعود له الفضل في إحياء الطائفة الرجراجية بعد توقف "دورها" لمدة خمس سنوات بسبب ما بلغ المولى إسماعيل عن طريق علماء فاس من عدم صحة صحة الرجراجيين للرسول عليه السلام، الأمر الذي دفع سيدي حَمُّ بن حميدة للرجيل إلى مكناس وإقناع المولى إسماعيل بطلان الرواية، فأعطى موافقته بإعادة تنظيم دور رجراجة وتجديد تقديم سيدي مَحْمَد بن حميدة عليهم يظهر مؤرخ بـ 22 رجب عام 1128.

وقد جدد المولى عبد المالك الشيخ ظهير والده المولى إسماعيل يظهر أخرى منها ذلك المؤرخ بـ 20 ذي القعدة عام 1139.

ومما يذكر أن زاوية سيدي حَمُّ بن حميدة أخلت مرات عديدة بفعل النكسات التي تعرضت لها على عهد بعض قواد المنطقة أمثال القائد عبد الرحمان بن ناصر العبيدي الذي هاجم الزاوية وهدمها بعد أن رفض مقدم هذه الزاوية السيد الظاهر بن محمد بن حَمُّ بن حميدة المتوفى سنة 1214 الرجوع عن بيعة المولى هشام، ثم بنيت وأعيد هدمها في فترة لاحقة على يد قائد آخر هو بوجمعة التلاوي. ولم يبق من بنائها القديم غير بعض الأطلال التي ما تزال قائمة إلى اليوم.

ع. الله الرجراجي السعيد، السيف المسلول فيمن أنكر على الرجراجيين صحة الرسول، 1987؛ م. الكانوني، أسفي وما إليه قديماً وحديثاً، 1933؛ زيارة ميدانية لزاوية حَمُّ بن حميدة. محمد غلاد

**حَمُّ الطالب** (سيدي -) ويكتب بالواو: "حَمُّو" شاعر يتردد في الأدب الشعبي بسوس. وقلما تجد شاعراً أمازيغياً بالمنطقة لا يستشهد بقول سيدي حَمُّ، أثناء الإنشاد، وما زال الشعراء يستهلون قصائدهم بقولة: "مرْحَمَكْ أسيدي حَمُّو يِنَّا، يَكْلِين" "يرحمك الله يا سيدي حَمُّو، قال المسكين"

وسيدي حَمُّو، شخصية غامضة مغمورة لا تعرف عن حياته إلا معلومات قليلة وغير دقيقة. كان موضوع دراسة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا في الأدب وهي مساهمة في التعريف بهذه الشخصية التي شكلت مجالاً للدراسات الأجنبية مثل (Stumme Hans 1905) ودراسة (Johnston 1907) كما أن محمد المختار السوسي أشار إلى

هذا الشاعر في بعض مؤلفاته قائلاً: "هذا شاعر سوس كان فقيهاً بالعلوم العربية ثم فتح له في الشعر بالشلحة فقل كثيراً ونسبوا إليه الكثير، ودفن في مشهد مولاي إبراهيم في "جيج" ويعيش في النصف الأخير من القرن الثاني عشر إلى أوائل ما بعده، وهو من جهة قبيلة "أونين" في قرية معروفة (الإلغيات، 2: 209).

وتختلف المصادر في تاريخ ومكان ميلاد هذا الشاعر، غير أن المناطق المذكورة في هذا الصدد لا تتجاوز الأطلس الصغير وسوس، وقد يكون موطنه "آرگروز" في مدشر "تاغ گوالت" بتيفنوت برأس الواد. أما بالنسبة لتاريخ ميلاده فقد اعتمد أمرير على عدة معطيات ليرجعه إلى سنة 1118 / 1706 بينما اكتفى المختار السوسي بتجديد تاريخه ميلاده في القرنين السابع عشر والثامن عشر (الإلغيات، 2: 209).

التحق سيدي حَمُّ منذ صغره بإحدى المدارس العتيقة بسوس، ليتخرج منها كفقيه، ثم تحول إلى شاعر متجول يشارك في قرض الشعر في "أسايس" عبر قبائل الأطلس الصغير وسهل سوس، والتقى بالشيخ حسين الشرحيلي أحد فقهاء النصف الأول من القرن الثاني عشر (18 م) وفي الروايات "أن سيدي حَمُّ كان تلميذاً في مدشر "تامگوت" بقرية "اولوز" أي أنه اتصل بحسين الشرحيلي قبل سنة 1142 التي توفي فيها. وكان هذا الأخير موجوداً في درعة في رمضان سنة 1132 / 19 - 1720. وفي شوال من نفس السنة في "أغلال"، وفي سنة 1134 / 1721 بفاس وفي سنة 1139 / 1726 شيد زاويته في [قرية] "أمان ملونين" فتقاطر عليه الناس لزيارته سنة 1141 / 1728، ولما اشتهر قام بجولة عبر سوس فبنى المدارس والأسواق، وأخذ عنه التلاميذ... ويبدو أن سيدي حَمُّ اتصل بالشيخ حسين الشرحيلي خلال تلك الجولة، وأخذ عنه في هذه الفترة كغيره من التلاميذ، فكل الروايات الشفوية المشهورة الآن تقول بذلك، وتتفق على أن سيدي حَمُّ نبغ في الشعر بقرية "أولوز" وبعض المصادر تذكر المدشر ذاته "تامگوت" الذي فيه مسجد مازال يذكره بعض الناس باسم "تيمزگيدان سيدي حَمُّو" أي مسجد سيدي حَمُّو (أمرير، ص. 15-16).

عاصر سيدي حَمُّ فترة مليئة بالاضطرابات والثورات خاصة في سوس أواخر حكم المولى إسماعيل وما صاحبها من ثورات انفصالية (حركة محمد العالم - م. زيدان) وكذلك تصادف فترة الاضطرابات التي قال عنها المختار السوسي: "ولأرب أن ما بين 1139 و1169 كان مولاي عبد الله بن إسماعيل الذي عرفناه بالانحلال والتمزق وكثرة الفوار خصوصاً من سوس حيث ثار (بوتگلا) و(المكاوي) و(الگرسيفي) (خلال جزولة، ج. 4: 85).

وعاصر أيضاً فترة سيدي محمد بن عبد الله وهي فترة وإن اتمت بنوع من الاستقرار السياسي بفضل سياسة هذا السلطان فإن المنطقة أصبحت ضعيفة اقتصادياً بإغلاق



مينا- أكاير و "تدهورت مدينة سان كروا، ولم يعد لهذا الإقليم [سوس] نفس الامكانيات" (Lemprière 1801, p. 12).

وستعكس هذه الأحداث التي عاصرها سيدي حم الطالب على شعره الذي تغلب عليه الحكمة والنظرة التشاركية.

توفي سيدي حمو الطالب حوالي عام 1203 / 1789 بعدما ترك للتراث الشعبي بسوس ثروة شعرية تساعد الباحث في الأدب والتاريخ لمعرفة بعض جوانب المجتمع بالسوس خلال القرن الثاني عشر (18 م).

م. المختار السوسي، الإلغيات، ج 2؛ خلال جزول، ج 4؛ ع. امير، الشعر الأمازيغي المنسرب إلى سيدي حمو الطالب، الدار البيضاء، 1984.

Johnston (R.L.K.N.), *The Songs of Sidi Hammou*, London, 1907; Stumme Hans, *Dichtkunst und Gedichte der Schluch*, 1895; G. Lemprière, *Voyage dans l'empire du Maroc*, Paris, 1801.

ابن حم، عيد السلام الوزاني - بلداً لا نسباً - ويكتب بالواو "ابن حمو" فقيه نوازلي متمكن من فروع المذهب المالكي، درس بفاس على شيخ الجماعة محمد بن عبد الرحمان العلوي، وأحمد المريني ومن في طبقتهما، وتولى القضاء بسقط رأسه وزان مدة طويلة، ثم نقل إلى مراكش وأسند إليه السلطان محمد بن عبد الرحمان بظهير مؤرخ في 4 محرم 1290 النظر في مساجين مراكش وفوض إليه أمر تسريح من يستحق منهم ذلك سواء في سجن المدينة أو سجن مصباح، وأقره الحسن الأول على القضاء والنظر في المساجين، ثم أُخِر عن ذلك ورجع إلى فاس واستوطنها، واشتغل بتدريس أحكام القضاء والفرائض، وانتصب لتلقي الشهادات في سباط العدول إلى أن خرج للحج في شوال عام 1298 / غشت - شتنبر 1881. صحبة الشريف الرئيس عبد الحبار الوزاني البلمحي، وبعد إنهاء مناسك الحج توفي بمكة يوم ثاني وعشري صفر عام 1299 / 13 يناير 1882، ووصل خير موته لفاس في 8 ربيع الأول الموالي.

ع. السجلاسي الحجرتي، الروض الطيب العرف، مخطوط، ص 8 و32؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 8: 489؛ ع. ابن سوادة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 7: 2679.

محمد حجي

ابن حماد، أسرة صنهاجية ماجدة عاشت في الأندلس والمغرب، واستقر بعض أفرادها بسبتة، وبعضهم بمراكش منهم :

ابن حماد، علي بن موسى السبتي ثم الفاسي، وكُد بسبتة عام ثلاثة وخمسمائة / 1109 م وانتقل إلى غرناطة وسكنها حين ولي أبوه موسى قضاءها. ثم انتقل بانتقاله

إلى قضاء الجماعة بمراكش "وكان من أهل العلم والأدب والنباهة"

توفي بفاس عام أربعة وستين وخمسمائة / 1168. أ. ابن القاضي، جذرة، 2: 479.

محمد حجي

ابن حماد، محمد بن علي بن أبي بكر الصنهاجي السبتي، أصله من قلعة بني حماد، ويسميه ابن عبد الملك: ابن حمادو، وابن كلا نون. أما عند صاحب مفاخر البربر فهو أبو الحسن بن حمادو الصنهاجي ويصفه "بالشيخ الأجل الفقيه الرئيس الأكمل، العالم الأوحد" قرأ ببلده وبجاية والجزائر وتلمسان وبيلاذ المغرب، وذكر ابن عبد الملك بعض شيوخه في الأندلس. ومن العلوم التي حصل عليها "علم القرآن والحديث والأصول والنحو والأدب والتاريخ ... له حظ وافر في كل فن من هذه الفنون" (الغبريني).

وله تصانيف متنوعة منها برنامج لشيخه رآه الغبريني؛ وديوان شعري بعنوان: عجالة المودع وعجالة المشيع، وفي التاريخ الدباجة في أخبار صنهاجة ذكره ابن عبد الملك وقال إنه غير كتابه النيد المحتاجة في أخبار صنهاجة في إقريقية وباجة (وكتبت غالباً بجاية). وقد نشر المستشرق ليقي بروقتصال بعض ما عشر عليه من هذا الكتاب تحت عنوان "نيد تاريخية في أخبار البربر" سنة 1933؛ ومن تأليف ابن حماد أيضاً أخبار ملوك بني عبيد المطبوع بالجزائر سنة 1927 إن لم يكن هو نفسه كتاب: الدباجة المذكور، وذكر عن نفسه أنه لخص تاريخ الطبري (الغبريني).

أسندت إلى ابن حماد مهمة القضاء في عدة مدن: في مرسية والجزيرة الخضراء، ثم نُقل منها سنة 612 أو 613 إلى قضاء رباط تازا (حسب ابن عبد الملك) ثم سلا، ثم ولي قضاء أزموور في مدة أمير المؤمنين المستنصر (الموحدي) وذلك في عام ستة عشر وستمائة (مفاخر).

توفي ابن حماد سنة 630 - 31 / 1232 (حسب ابن عبد الملك) وقيل في السنوات الأربعينية وعمره ينيف على ثمانين سنة.

م. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، س 8 / ق 1 / ص. 323. 325 (ت. بن شريفة)؛ ابن الزبير، صلة الصلة، ق 3 / ص. 30 (ت. الهراس وغيره)؛ مجهول، مفاخر البربر، ص. 94، خ ع / ك. 1275؛ الغبريني، عنوان الدرابة ... (218. 220)، بيروت، 1969؛ أ. ابن قنفذ، شرف الطالب، موسوعة أعلام المغرب، 1: 403؛ ع. ابن سوادة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ص. 167 - 292 - 386.

ابن حماد، موسى الصنهاجي الأندلسي ثم المراكشي، وكُد بالأندلس سنة ست وستين وأربعمائة / 1073 وبها درس على يد محمد بن علي الأزدي الطليطلي،

ويوسف ابن النحوي، وسليمان بن وليد، وأجازه أبو محمد ابن عتاب ما رواه بخطه.

"كان فقيها حافظاً للرأي، عالماً بالمسائل والأحكام، مقدماً في معرفتها" فأُسند إليه قضاء غرناطة، وكان يعد من جلة القضاة في عصره. وعلى إثر وشاية كاذبة قرّبه السلطان علي بن يوسف بن تاشفين "ونقله إلى قضاء حضرته، وألحقه بكرامته وميرته".

توفي بمراكش وهو قاض بها، في 23 قعدة عام 535 / 30 يونيو 1141.

ابن الزبير، الصلة، ص. 614، الترجمة 1342 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 7 : 288.

**ابن حمّادة، عثمان بن سعيد السبتي**، هكذا سماه القاضي عياض وذكر أنه بصري الأصل (من بصرّة المغرب)، سكن سبتة، وكان من أعيان فقهاءها وقال : "سمعت أنه لم يكن يقرب به في وقته بسبتة سواه، وأنه لم يكن بالمغرب أقوم منه بحجة، أُخْرِجَ عن سبتة عند دخول برغواطة بعد الثلاثين [وأربعمئة] للمنافسة التي كانت بين أهلها وبين قطنها من أهل بصرّة المغرب، فسكن غرناطة"، ولم يوضح عياض نوعية هذه المنافسة. ومن المعروف أن حكم البرغواطيين لسبتة استمر إلى سنة 477 عند فتح المرابطين لها ولم يذكر تاريخ وفاته.

القاضي عياض، ترتيب الملائك، تج. س. أعراب، ط 1983، 8 : 74.

85.

أحمد عزوي

**الحمّادي، أسرة تنتسب إلى أيت حمّادي**، فخذ من

قبيلة بني مطير المقيمة بناحية الحاجب، دخلوا إلى مدينة مكناس فتنسبوا إليها وصاروا يدعون : الحمّادي المكناسي، وهناك أولاد الحمّادي بسلا لعل لهم صلة ببني مطير، كانوا فقهاء ومؤدبين، منهم الجيلالي بن سليمان الحمّادي من فقهاء سلا وعدولها قبل عام 1250 / 1824 وولده محمد بن الجيلالي الحمّادي فقيه مؤدب اتخذه السلطان المولى عبد الرحمان إماماً للصلاة به، وكان عام 1278 / 1861 ما يزال بقيد الحياة. وقد انقرض بنو الحمّادي الآن من سلا.

رسوم الخزانة الصيحية : أ. الناصري، الاستقصا، 1 : 11 من مقدمة الكتاب : ع. الجبري، من أعلام الفكر المعاصر، 2 : 11 : م. بوشعراء، التعريف، 2 : 55.

**الحمّادي المكناسي، التهامي بن حمّاد بن عبد الواحد المطيري**، وكُلد بمكناس وبها نشأ وتعلم ثم ارتحل إلى فاس فأخذ عن الشيوخ حمدون ابن الحاج وأحمد بن التاودي ابن سودة وإدريس العراقي والطيب ابن كيران وأضرابهم،

فتخرج فقيهاً محدثاً مشاركاً، وأديباً شاعراً ناثراً. قال عنه في إتحاف المطالع : "كان أعجوبة الدهر في الحفظ والإتقان والتحرير والإجادة... تولى قضاء بلده مكناس ثم مراكش، وأقرأ في مجلس السلطان الحديث، له شعر يدل على عارضة كبيرة في الأدب. كان السلطان عبد الرحمان بن هشام لا يفارقه سفيراً وحضراً".

تخرج على يده الجمّ الفقير من علماء الحضرة الإدريسية وأجازهم كالتالي ابن الحاج ومحمد الكردودي والوليد العراقي، لكنه لم يخلف تالياً إلا قصائد موزعة في بعض الفهارس والكتابات.

مرض بمراكش فبعث به السلطان إلى داره بفاس لكن المرض اشتد عليه في الطريق ومات برباط الفتح حادي عشر صفر عام 1249 / 30 يونيو 1833 وعمره نيف وستون سنة، ودفن بدويرة الزاوية الناصرية بحي بوقرون.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 6 : 228، 229 : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 7 : 2541.

**الحمّادي المكناسي، محمد بن حماد المطيري**،

فقيه مشارك مطلع كأخيه إلا أن بضاعته الأدبية مزجاة. كان يدرّس بفاس الفقه والأصليين، ومن أخذ عنه فيها العباس السجلماسي الحجرتي وترجم له في الروض الطيب العرف وحلاه بقوله : "شبخنا العلامة الفصيح" وذكر أنه خرج إلى الحج عام اثنين وثمانين ومائتين وألف، وأدركته الوفاة بالينبوع في الحجاز، ووصل خبر موته إلى فاس في ثاني وعشري ربيع الأول عام 1283 / 4 غشت 1866.

ع. السجلماسي الحجرتي، الروض الطيب، مخطوط، ص. 26 : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 7 : 2631.

محمد حجي

**الحمّار، عائلة استوطنت تطوان قديماً ورد ذكرها عام 1122 / 1610 وقد انقرضت الآن. ومن أشهر المتأخرين منهم :**

**الحمّار العربي، المطرب المبدع كان من أصحاب**

الشيخ عبد السلام ابن ريسون بتطوان، ومن الملازمين لمجلسه وأمهر العازفين على آلة الرباب. يحكي أن شيخه المذكور أعطاه الآلة وأمره أن يعزف وهو لا يعرف فأخذها وعزف كأحسن ما يكون العزف، ومن ذلك اشتهر بجودة العزف على الرباب فكان لا يجاري في ذلك يذكرون هذا كرامة للشيخ المذكور.

توفي في حدود عام 1370 / 1950.

أ. الرهوني، عمدة الراويين، ج 3 حرف ح. مخطوط : م. داود، عائلات تطوان. نسخة المؤلف بخطه بخزائنه بتطوان.

محمد بوبخزة

**الحمام** بالمغرب، كانت الحمامات الخصوصية إلى عهد قريب قليلة جداً، إذ كانت الحمامات العمومية هي الوسيلة الرئيسية للنظافة، فكان المغاربة ذكوراً وإناثاً يرتادونها من عدة قرون مرة أو مرتين في الأسبوع. كانت هذه الحمامات ومازالت جزءاً لا يتجزأ من المرافق العمرانية الحضرية التي لا تستقيم حياة المدينة العربية الإسلامية بدونها شأنها في ذلك شأن المسجد والسوق وفرن الحلي وغيرها. لذلك لم يكن في الإمكان تصور أية مدينة بدون حمام مهما صغر حجمها. أما الحواضر الكبرى فكانت تضم العشرات من الحمامات الصغرى والمتوسطة والكبرى، بل كانت الأحياء المكتظة فيها تتوفر على حمامين أو أكثر تقع معظمها بالقرب من المساجد أو غير بعيد عنها لما للعبادة عند المسلمين من علاقة مباشرة بالطهارة.

أضف إلى ذلك أن الحمام كان يعتبر في نظر عامة الناس وخاصتهم إحدى نعم الدنيا التي لا تكتمل الحياة بدونها فكان الكثير من الناس يرتادونه للاستمتاع فيه بالسخونة والاسترخاء والنظافة. إنه بالنسبة إلى السواد الأعظم من أهل الحواضر بمثابة "الطبيب الأيكم" الذي يعالج شتى أمراض البرودة والمفاصل والجلد وغيرها، وقد ثبت عند السلف أنه "يذهب الدرن (الوسخ) والوصب (المرض) وينظف البدن ويبيض الوجه وينفع المريض والمناض والنفساء" (الآيات النفاعات، ص. 23).

وكان جل الناس يفضلون الذهاب إلى الحمام ليلة الجمعة وقبيل الأعياد الدينية وغيرها من المناسبات الدنيوية ويتمنون الصحة والعافية لمن قضى منه وطره. لكن فئة قليلة من الحضريين كانت تفضل ألا تشارك العموم في الحمام فكانت لا تذهب إليه إلا لصحة الأسرة والعائلة ومن إليها من المقربين بعد اكترائه لمدة ليلة بكاملها، يقول ابن أبي زرع بأن مدينة فاس كانت تحتضن ثلاثة وسبعين حماماً (القرطاس، ص. 48) ويذكر الوزان أن عدد الحمامات فيها وصل إلى مائة (وصف إفريقيًا، ص. 229). وقد وجد الأجانب فيها قبل الحماية واحداً وعشرين حماماً كانت في ملك الأحياس وأقل من عشرة في ملكية الخواص. ويتزايد عدد سكان هذه المدينة تزايد عدد حماماتها التي تجاوزت ثلاثين حماماً سنة 1942 ثمانية منها في ملكية الخواص والباقي في ملكية الأحياس تُكربها بالمزاد العلني لمدة سنة واحدة أو نصفها.

يصف الحسن الوزان حمامات مدينة فاس في مطلع القرن العاشر (19 م) فيقول: "وإذا أراد أحدهم أن يستحم في هذه الحمامات دخل من باب أول إلى قاعة باردة ثم من باب ثان إلى قاعة ثانية أشد حرارة ومن هنا يدخل إلى قاعة ثالثة أشد حرارة من الثانية حيث يوجد مرجل محكم البناء" (وصف إفريقيًا، ص. 229) مما يدل على أن التغيير لم يصب بنية الحمامات العمومية في سائر الحواضر المغربية فظلت على حالها كما كانت من عدة قرون إلى الآن.

يأشر العمل في الحمامات العمومية مجموعتان من العمال تشتغل المجموعة الأولى داخل الحمامات والثانية خارجها. أما المجموعة الداخلية فتضم زيادة على "الجلّاسين" المكلفين باستخلاص رسوم الدخول "الكياسين" المكلفين بإحضار الماء للزبون وغسل جسمه بدءاً من ذلك الأطراف ومسد الأعضاء الأساسية إلى حك الظهر والبطن وفرك العنق والساقين والفخذين. يدعى هؤلاء العمال أيضاً "العمارين" و"الكسّالين" و"الطيبابين".

ويتكون العاملون خارج الحمامات من "الوقاد"، وهو شخص مسؤول عن تسخين الحمام والسهر على توفير المياه الضرورية للاستحمام والتحكم في فتحها وإغلاقها عند الطلب. يسمى هذا الشخص في مدينة فاس "السحّان" وفي مراكش والرباط وغيرها من مدن المغرب "الفرنثشي" أي صاحب الفرن وأصلها "الفرنديجي" (مثل القهوجي وغيرها) ذات النبرة التركية انقلبت دالها إلى تاء. وقد كان الناس يكلفون هذا الشخص بشي رؤوس الأغنام والأبقار وأكارعها والسهر على طهي بعض المأكولات الشعبية اللذيذة على نار فرن الحمام كأكلة السقط و"الطنجية" و"الطاجين" وغيرها.

وكانت الرباط في سنة 1944 تتوفر على سبعة عشر حماماً أكبرها حمام السوق وحمام العلو وحمام القصري وحمام الشرفاء وحمام أگدال وحمام الأوداية زيادة على خمسة حمامات بمدينة سلا (مجالس الانبساط، ص. 49).

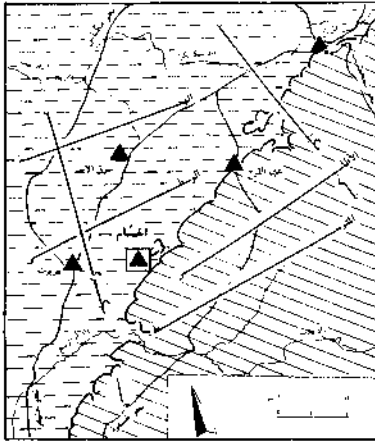
أما عدد الحمامات بطنجة فكان لا يتعدى سنة 1906 أربعة حمامات لكنها كانت كلها من النوع الكبير الذي يتقاطر عليه الوافدون من شتى أنحاء المدينة، ويتعدى المستحمون فيها مائتي شخص يومياً في المتوسط في الأيام العادية. وكانت حمامات طنجة تتميز عن غيرها من حمامات المدن الأخرى بأنها كانت كلها ملكاً للخواص من أعيان المدينة كالحاج محمد الطريس نائب السلطان بطنجة والتاجر الشهير مصطفى الدكالي وغيرها من الأثرياء وذوي الحيشات.

أما أهل البوادي وسكان المناطق النائية فكانوا يلجأون عند الحاجة إلى الاستحمام إلى مكان معين في فناء إقامتهم ينصبون فيه خيمة أو يرصون فيه مخبأً يشنون أركانها بما يوجد من عيدان وأخشاب ويغطونه بالأفرشة الثقيلة والأردية الضرورية ويحكمون إغلاقه. بعد ذلك تقوم السيدات بتسخين هذا المكان بمختلف أنواع الوقود القوية اللتهاب وتضع في أحد جوانبه كومة من الأحجار وتبشر إذكاء النار أسفلها حتى تكاد أن تتحول إلى شهب بركانية. وعندما يدخل المستحم يجد نفسه وكأنه في حمام حقيقي لا فرق بينه وبين حمام الحاضرة إلا في المظهر الخارجي فما عليه إلا أن يرش الأحجار الملتهبة أو بعضها ليتصاعد منها بخار كثيف يملأ جنبات المكان ويغري بالاغتسال. يتخذ هذا الحمام البدوي الطارئ عدة أسماء

الهضبة الوسطى، وعند نهاية طريق صغير مسدود متفرع عن الطريق الوطنية رقم 24 الرابطة بين فاس ومراكش عبر بني ملال.

كان مركز الحمام في مطلع القرن الرابع عشر (20 م) شأنه شأن تجمعات أخرى لأيت سكوغو على شكل "قصبات" علي طول الوديان بالجزء الجنوبي من المحاط السكوغوي. تم احتلاله من طرف القوات الفرنسية سنة 1917 خلال غزوها لمنطقتي الهضبة الوسطى والأطلس المتوسط.

وإذا كان الحمام قد شكل بين الخمسينيات والسبعينيات أحد مراكز أيت سكوغو الرئيسية، فلا يظهر أن حجمه كان كبيراً قبل ذلك ولو أن الإدارة الاستعمارية اختارته كنقطة لمراقبة القبائل، الشيء الذي فرض خلق مرافق إدارية وعسكرية "ومع بزوغ فجر الاستقلال أصبح الحمام جنة فيحاء يعج بالحيوية والحركة... يشتمل على قيادة ومحكمة، وثكنتين عسكريتين للقوات المساعدة والقوات المتنقلة، ومدرسة ومستوصف ومقر لطبيب بيظري ومركز لنسل الخيول... وتزايد عدد سكانه ولم لا وهو الذي يحكم آنذاك ما يقارب 18 مشيخة... لكن مع مطلع السبعينيات بدأ الحمام يتراجع أمام مركز مريرت الذي أصبح مقر السلطات الإدارية والنشاط التجاري للمنطقة.



أما النشاط التجاري في الحمام فيبقى ضعيفاً جداً، بحيث يفتقر إلى سوق أسبوعية ولا نجد به سوى عشرة دكاكين مستقرة. وباستثناء حداد واحد لا نجد هناك حرفيين آخرين مما يعني غياب الصناعة التقليدية.

ويعتمد سكان الحمام بجانب مواردهم المحلية على موارد قادمة من بعيد على شكل معاشات للمتقاعدين، وحوالات من الجنود والموظفين، والعمال في الخارج من أبناء القرية.

ونظراً للنقص الحاصل في الخدمات بعين المكان وفي إمكانيات الشغل وتطلعات السكان وتطور حاجياتهم وكذلك لتوفر بعض الإمكانيات المادية لدى العديد من

تختلف باختلاف المناطق، فهو يدعى "حمام العروسة" في الغرب و "المتروسة" في الشاوية ودكالة و "البرأية" في الرحامنة و "سكنى" أو "السكنية" في عبدة و "تالمياضيت" في سوس و"تاحامت" في الشياظمة وحاحة.

ولقد تطور واقع الحمام في الحواضر والوادي وخاصة في العقود الأخيرة وبدأت الحمامات تنتشر في القرى البديوية، وتندرج الحمامات الخصوصية ضمن التصاميم الأساسية في المنازل الحضرية. يشهد على هذا التطور عبد الفتاح كليطو فيقول: "إن حال الحمام اليوم تغير كثيراً عن حاله بالأمس. فقد اختفى نقل الغبار بواسطة الدواب وحلت محله الأخشاب التي أصبحت تنقل بالشاحنات وتراجعت الأخشاب والحطب بدورها لفائدة وقود البنزين وأصبحت أوعية الحمام الخشبية ودلاؤه من قصدير وبلاستيك، وعضو مرجل الحمام الذي كانت تغطس فيه الأقباب لا استخراج الماء بصنابير في كل الغرف، وأصبحت درجات الحرارة في جميع قاعات الحمام متساوية فلم يبق هناك فرق يذكر بين "البارد" و"الوسطى" و"الساخن" وتغيرت نظرة الناس إلى الحمام وبعدها كان جل الناس يتسابقون إلى الاستمتاع بتعمته أصبح الكثيرون منهم على العكس يفضلون الابتعاد من نعمته، ففقدت سخونة الحمام دفئها، ورحلتها المادية والمعنوية معناها مما قد يندر بقرب نهاية الحمام كمرق عمومي ومعلمة من معالم العمران الحضري المغربي.

أ. البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، باريس، 1965؛  
ع. ابن أبي زرع، القرباس، الرباط، 1972؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا، الجزء الأول، الرباط، 1983؛ ش. الإدريسي، نزهة المشتاق، الجزء الأول، القاهرة، د. ت؛ م. دينية، مجالس الانبساط، الرباط، 1986؛ ج. الكتاني، الآيات النفاعات فيما يتعلق بالحمامات، مخطوط، خ. ع رقم 2942 ك؛ ع. الكتاني، تليغ الأمانة في مضار الإسراف والتبرج والكهانة، مخطوط، خ. ع. رقم 2729 ك.

Y. Montlahuc, *Les oudaias bastion des corsaires de Salé*, Casablanca, 1980 ; L. Brunot, *Textes arabes de Rabat*, tome 1, Paris, 1931 ; L. Assy (et al.), *La vie familiale à travers ses rites*, Paris, 1980 ; A. Kilito, *Architecture et sacré, une saison au hamam*, in *Le Maroc espace et société*, Passau, 1990 ; E. Pauty, *Les hamams de Rabat-Salé, R.A.*, 1944 ; E. Secret, *Les hamams de Fès*, Bull. de l'Inst. hyg. du Maroc, vol. 2, 1942 ; A. Louis, *Le hamam au Maghreb, E.I.*, tome 3, p. 148 ; E. Michaux-Bellaire, *Description de la ville de Fès, A.M.*, 1907 ; H. Terrasse, *Trois bains mérinides au Maroc*, Paris, 1950.

محمد بوسلام

**الحمام** أو "حمام زيان" تجمع سكني صغير بالأطلس المتوسط لإقليم خنيفرة في الجهة الوسطى الجنوبية، تسكنه بالأساس أسر من فخذة أيت بوعريف. يقع على ارتفاع 1172م فوق سطح البحر، ويتموضع عند قدم إفريز الجزء الغربي من الأطلس المتوسط الهضبي الكلسي المشرف على

الأسر، يلاحظ أن علاقات سكان الحمام بمريرت وبخنيفرة تعرف تطوراً سريعاً نلمسه من خلال أهمية وتنوع وسائل النقل انطلاقاً من الحمام. فالتنقل يتم بواسطة سبع سيارات أجرة وحافلة للمسافرين وأربع سيارات شحن خاصة للنقل السري.

إن فهم ما آلت إليه وضعية الحمام غير ممكن بدون اعتبار مجموعة من العوامل لبعضها صيغة جغرافية وبعضها صيغة اقتصادية وللبعض صيغة اجتماعية - سياسية - فالحمام يعاني من عزلة نسبية بسبب موقعه ولا يسجل ظاهرة دينامية اقتصادية وديموغرافية من شأنها تحريكه وتنشيطه، إذ جل الأراضي جبلية تشغلها الغابة ويستعملها السكان الذين لهم كثافة ضعيفة للرعي. وما زاد في تفاقم وضع القرية فقدانها للتجهيزات والمرافق الإدارية والخدماتية بسبب منافسة مريرت التي تستفيد من موقعها على الطريق الرئيسي رقم 24 وتوسع من دائرة نفوذها عن طريق السوق والإدارة والخدمات المتنوعة، وبسبب الصراعات الداخلية بين الأسر والأشخاص ذوي النفوذ الذين تتضارب مصالحهم. وأمام هذه المعوقات فلا يظهر أنه من السهل إعادة الحيوية إلى هذا التجمع وجعله ينتعش من جديد ويشع على ظهير اللهم إذا توفرت التيات الحسنة والإرادة السياسية وتضافرت جهود المنتخبين والمسؤولين الإداريين. ولعل إعادة فتح القيادة سنة 1995. أول مؤشر لتحولات إيجابية لاحقة.

كتابة الدلة في التخطيط والتنمية الجهوية، مديرية الإحصاء، الرباط، السكان القرويون حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1971، المنطقة الوسطى الجنوبية، مجموعة س. المجلد الثاني، دجنبر 1973؛ وزارة التخطيط، مديرية الإحصاء، الرباط، السكان القرويون حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1982، المنطقة الوسطى الجنوبية؛ حُمام زيان - مريرت، من قلعة للمقاومة إلى أطلال تفازلها للقاتل، جريدة الاتحاد الاشتراكي ليوم 7 غشت 1991؛ بحث ميداني بمساعدة بعض المستشارين الجماعيين، مارس، 1995.

G. Beaudet, *Types d'implantations humaines en pays Zaïan*, R.G.M., n° 8, 1965, p. 49 - 60 ; *Les Beni M'guild du nord : Etude géographique de l'évolution récente d'une confédération semi nomade*, R.G.M., n° 15, 1969, p. 3 - 80 ; Bendaoud, *Notes sur le pays Zaïan*, B.S.G.M., n° 9, 1919, p. 21 - 56 et A.B., vol. II, fasc. 3, 1917, p. 276 - 306 ; S. Guennoun (Capitaine), *La montagne berbère : Les Aït Oumalou et le pays Zaïan*, Paris, 1929 ; S. Nouvel, *Nomades et sédentaires au Maroc*, Paris, 1919 ; M. Pillant, *Note contributive à l'étude de la confédération Zaïan*, A.B., Vol. IV, 1919 - 1920, p. 88.

محمد كربوط

**الحَمَامِي**، نسبة إلى أولاد الحَمَام أسرة ريفية من قبيلة تسمان بإقليم الناظور استوطنت تطوان قديماً ومازالت موجودة بها بقلة. اشتهر من أفرادها مقدّمون للجهاد وقواد

كبار كان عليهم الاعتماد في الفتوح الكبرى التي تمت على عهد السلطان المولى إسماعيل.  
أ. الرهوني، عمدة الراوين، ج 3 حرف ح مخطوط؛ م. داود، عائلات تطوان، حرف ج، نسخة المؤلف بخطه بخزانته بتطوان.

**الحَمَامِي**، أحمد بن حُدُو الريفي المعروف بالفايد أحمد الريفي، أحد وجوه أسرته المجاهدة التي مازالت إلى الآن بتطوان وطنجة، ومنهم أولاد ابن عبد الصادق الذين كانت فيهم القيادة والحسبة بطنجة منذ فتحها أسلافهم واستردوها من يد الإنجليز إلى أن استقل المغرب، وفي تطوان مازالت دار سكنى القائد الحَمَامِي معروفة بالزنقة المضافة إليه (زنقة القايد أحمد) بحي (الطنزكات) الشهير، وربما التبس على الناس بقريبه الشهير الذي جاء بعده الباشا أحمد بن علي صاحب القصر الكبير (القصر الملكي الآن) والمسجد المسمى باسمه (جامع الباشا) بتطوان.

ولاه السلطان مولاي اسماعيل عمالة تطوان وناحتها بعد القضاء على نفوذ أولاد النقيس عام 1084 / 1673. كان في ولايته نافذ الكلمة - كأته خليفة عن السلطان - في عدة مناطق من شمال المغرب وظل كذلك إلى وفاته، وكان له أخ يسمى عُمَر وابن عمه علي بن عبد الله والد الباشا أحمد. وفي هؤلاء الثلاثة (المرجم له القايد وأخيه عمر، وابن عمه علي بن عبد الله) كانت تنحصر رئاسة المجاهدين الذين كان السلطان مولاي إسماعيل يعتمد عليهم لقيادة الجيوش ورتاستها لجهاد الأفرنج وتحرير ما اغتصبوه من موائن المغرب وأراضيه.

ففي عام 1092 / 1681 كان فتح المهديّة التي كانت تسمى قبل ذلك المعمورة، حاصرها المجاهدون وضيقوا عليها الخناق، فاشتراط الإسبان حضور السلطان لتسليم المدينة وكان مكناس فأعلم وحضر واستنزل رئيس النصاري، فاستأمن ونزل مع أصحابه وكانوا ثلاثمائة وستة نفر، فأمنه السلطان وسبق الأسرى إلى مكناس للعمل في المباني السلطانية، وأحرز المجاهدون من أهل سلا ومن أهل الريف والفحص الغنيمة واقتسموها، وكان فيها عدد كبير من المدافع والمهارس، أمر السلطان بجرها إلى مكناس، وبعد الفراع توفي القايد عمر أخو المرجم له موبواً في طريقه إلى تطوان فتولى قيادة الجيوش بعده المرجم له.

وفي عام 1095 / 1683 حاصر المجاهدون من أهل الريف بقيادة المرجم له مدينة طنجة التي كان خوان السادس مالك البرتغال قدّمها هدية مع أخته إلى ملك الإنجليز كركلوس الثاني أول سنة 1074 / 1663. وظلت إلى أن حاصرها المجاهدون، ففر منها الإنجليز بحراً على حين غفلة، وهدموا أحسن ما فيها من مبان، ودخلها المجاهدون في ربيع الأول عام 1095 / فبراير - مارس 1684 فوجدوها خالية فأعمروها وقيمت بيد أبناء القايد علي بن عبد الله الحماسي يتوارثون

حكمتها إلى أن نكبهم السلطان مولاي عبد الله بعد مقتل الباشا أحمد بن علي المذكور، ثم عادوا إليها ومازال عقبهم بها إلى الآن.

وفي عام 1100 / 1688 حاصر المترجم له مع ذويه نفر العرائش، ونازلوا الإسيان ضارين أروع أمثلة البطولة والاستماتة إلى أن فتحوها يوم الأربعاء 18 محرم الحرام عام 1101 / 2 نونبر 1689 واستولوا على غنائمها ومعداتنا الحربية العظيمة وأسروا ألفا وثمانمائة أسير سيقوا إلى مكناس للعمل مع الأسرى الآخرين في بناء القصور السلطانية، وأمر السلطان مولاي إسماعيل القائد الحمّامي أن يبني بها مسجداً وحماماً ومدرسة وداراً له بقلعتها، وأسكن بها أهل الريف تحت رئاسة المترجم له، وبعد ذلك بسنة شارك المترجم له في فتح أصيلا حتى تم.

وبعد هذه الفتوحات التي كان لصداها وقع عظيم في نفوس المغاربة المسلمين، نهى السلطان عن لبس النعال السود التي لبسها الناس حزناً على استيلاء الإسيان على مدينة العرائش التي كان المأمون السعدي قدمها لهم، وأمر السلطان بلبس النعال الصفراء ذات اللون السار، كما ساهم المترجم له بجهد كبير في حصار سبتة الذي دام سنين طويلة وكانت على وشك الاستسلام لولا تراخي القواد وتهاونهم حتى لا يؤمروا بالتوجه لفتح البريجة (الجديدة) وقد طال بعدهم عن أهليهم الشيء الذي جعل السلطان يتهمهم بعدم النصح والتخاذل. وكان المترجم له تولى قبل ذلك شراء كثير من العبيد لاسترقاقهم بأمر السلطان من جميع أنحاء المملكة لتجنيدهم الإجباري، وهي قضية العبيد الحراطين المشهورة التي امتحن بسببها عدد من الفقهاء لامتناعهم من الإفتاء بجواز ذلك.

وقد انفرد المؤرخ سكيروج التطوانني بذكر سبب وفاة المترجم له - وما أراه يصح - وهو أن المترجم له كتب إلى الإسيان بسبتة أن يرسلوا له قميصاً مسموماً، من لبسه سقط لحمه عن عظمه، فبعثوا إليه به، فأودعه صندوقاً وحمله هدية للسلطان، فكتبت زوجة القائد بذلك إلى السلطان سراً، فلما حضر بين يديه وقدم الصندوق هدية، أمره بفتحه ففتحه فوجد القميص فأمره السلطان بلبسه، فلم يسعه إلا ذلك، فمات، ثم قال السلطان لأهل تطوان : من تريدون أن توليه عليكم ؟ قالوا : نريد من يريده سيدنا، فقال : من طلع علينا الساعة نولّه عليكم، فطلع القائد علي بن عبد الله الحمّامي ابن عم القائد حدو. ولقصة القميص هذه رواية أخرى يرويها أولاد لوقش. والسكيروج يسمي هذا القائد حدو وهو والد القائد أحمد، فلعل القصة - إن صحت - تتعلق بحدو والد المترجم له إلا أن المؤرخين لا يذكرون لهذا ولاية.

توفي المترجم له عام 1125 / 1713 ولم أقف على موضع وفاته ومدفنه، والغالب أنه بتطوان أو العرائش، والمترجم له، وأخوه عمر، وابن عمه علي بن عبد الله، وابنه الباشا

أحمد رموز في الجهاد والبطولة والتضحية تحتاج إلى دراسة خاصة.

ع. السلام سكيروج، نزهة الاخوان في تاريخ تطوان، مخطوط، ص. 10 : أ. الناصري، الاستقصا، 4 : 30.35، طبع مصر : م. أكنسوس، الجيش العرمرم الحمّامي، 1 : 134، ط. جديدة على الحروف بالمغرب : م. الشرقي، الحلال البهية، ص. 62-63، مخطوط : أ. الرهوني، عمدة الراوين، 3 : 66 : تد. الوزاني، تاريخ المغرب، 2 : 79، ط. تطوان.

محمد بوخيزة

### الحّمّامي، أحمد بن علي الريفني المعروف بالباشا

أحمد الريفني. كان مشاركاً لأبيه آتي الترجمة في رئاسة المجاهدين بالثغور الهبطية. فساهم في فتح المهديّة وطنجة والعرائش وأصيلا. ولما مات والده ثبتته المولى إسماعيل في منصبه كعامل على طنجة ومنطقة الشمال كلها وقائد للمجاهدين المحاصرين لسبتة ومفوض في الشؤون البحرية واقتداء الأسرى، فكانت له مراسلات مع الحكومات الأجنبية ومفاوضات مع مبعوثيها.

كانت بينه وبين قائد تطوان الفقيه الأديب عمر لوقاش نفرة وعداوة مستحكمة جعلته يزحف على المدينة بعد موت المولى إسماعيل لكن لوقاش برز له في أهلها وهزمه شر هزيمة.

بقي صاحب الترجمة مبعداً عن تطوان إلى أن تولى المولى المستضيء فلم يقدم عليه أحد من تطوان للمبايعة : فاغتنمها الباشا أحمد الريفني فرصة للإيقاع بخصمه الفقيه عمر لوقاش ففسد إلى السلطان بأن غريمه قد شق عصا الطاعة وطعم في الملك : فما كان من السلطان إلا أن أمره بالزحف على تطوان للإيقاع به وبأهلها ففعل وهدم أسوارها وقتل الكثير من أعيانها، ونظّمها في سلك ما كان مستولياً عليه، وبنى بها دار الإمارة واستقر هناك.

واستمرراً منه في تأييد المستضيء ضد أخيه المولى عبد الله زوجته ابنته وحاولا معاً دخول مدينة فاس في المحرم من سنة 1156 / فبراير - مارس 1743، لكنهما انهزما أمام جيوش المولى عبد الله وانتهت محلتهما، وأقسم صاحب الترجمة ألا يأكل لحماً ولا يشرب لبناً حتى يدخل فاساً وينهبها كما انتهبوا محلته.

ولما كان شهر جمادى الأولى من سنة 1156 / يوليو 1743 خرج أحمد الريفني من طنجة قاصداً فاس، ولما سمع به المولى عبد الله استنفر سائر شيعته وخرج بهم لمواجهة فالتقى الجمعان بموضع يسمى المنزه غير بعيد عن القصر وأصيب الريفني وانهزم جيشه واحتز رأسه وحمل إلى فاس وعلق بباب المحروق واجتمع الناس لرؤيته من كل فج، واستولى المولى عبد الله على متاعه وخزائنه، فكان الظفر بها من باب الظفر بالكنوز القارونية كما

يقول صاحب الاستقصا .

م. القادري، نشر المثاني، موسوعة أعلام المغرب، 6 : 2136 : أ.  
الناصري، الاستقصا، 7 : 115، 117، 153، 160، 166 : S. I. H. M  
المجموعة الفرنسية الثانية، 6 : 500، 512، الهامش 3.

### الحَمَامِي، علي بن عبد الله الريفي، والد الباشا

أحمد سابق الترجمة، ونظراً لشجاعته ولاءه السلطان منصب عامل على تطوان والقصر وسائر بلاد الغرب، وقيادة عمليات الجهاد ضد النصارى في الثغور الشمالية المحتلة.

وفي ربيع الأول من سنة 1095 / فبراير - مارس 1684 عقد له المولى إسماعيل على جيش المجاهدين ووجهه لحصار طنجة، فضيقوا على من بها من النصارى وطاولوهم إلى أن ركبوا سفنهم وهربوا في البحر بعدما خربوها، وشرع القائد علي بن عبد الله الريفي في بناء ما تهدم من أسوارها ومساجدها في فاتح جمادى الأول من السنة.

وفي تاسع وعشري صفر عام 1107 / 9 أكتوبر 1695 نادى السلطان بالجهاد وعيّن صاحب الترجمة على رأس القوات النظامية وجيش المتطوعة لحصار سبتة الذي استمر سنين متعددة دون تحقيق المراد وذلك لمناعة المدينة، ولعدم وجود أسطول قوي يمكن من حصارها بحراً ومنع وصول الإمدادات المتكررة إليها والتي كانت تصل من إسبانيا والبرتغال وحتى من المجلترا وفرنسا خوفاً من سقوطها حتى إن المفاوضات الفرنسية آنذاك القنصل إستيل Estelle اعتبر هذا السقوط، إن تم، كارثة على النصارية.

لم تكن الشجاعة وحدها هي ما عُرف به القائد علي بن عبد الله الحمامي لدي الخاصة والعامة، بل كانت ثروته كذلك مضرب الأمثال، إذ ملك أجود الأراضي وأوسعها بالمنطقة وجعلها حكراً على ماشيته ودوابه التي كانت لا تعد ولا تحصى، زيادة على الأموال الطائلة التي جناها من مشاركته في العمليات التجارية المختلفة مع التجار الأجانب واليهود في تطوان والقصر، وفي العمليات القرصية وتجارة الرقيق من الأسرى.

قام علي الحمامي إلى جانب مهامه العسكرية بمهام دبلوماسية كذلك، ذلك أن المولى إسماعيل أعطاه في جمادى الثانية عام 1108 / يناير 1697 تفويضاً عاماً للنظر والتفاوض في الشؤون البحرية والملاحية مع الأجانب، فباشر هذه المهام إلى أن مات ليلة 6 شعبان عام 1125 / 28 غشت 1713 وخلفه ابنه أحمد المعروف بالباشا أحمد الريفي سابق الترجمة.

م. القادري، نشر المثاني، موسوعة أعلام المغرب، 5 : 1946 : أ.  
الناصري، الاستقصا، 17، 64، 67، 78، 115 : S. I. H. M المجلد الثاني، 270، الثالث، 357، السادس 500.

محمد مرزاق

حماني، (سيدي -) بن محمد بن عزوز المباركي

العلوي، يعرف بسيدي حماني ويولد غنيمة، كان رجلاً صالحاً فاضلاً من أهل الديانة. من أتباع الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الذين يترددون عليه باستمرار. ويظهر أن الرجل كان هو مقدم الزاوية الكتانية بقبيلتي أولاد علي والمراكشية بالشاوية. ولذلك بني زاوية صغيرة في الحدود بين القبيلتين المذكورتين إلى الشرق من قرية عين السبيت التابعة لدائرة الرماني. وقد أشارت استخبارات جيش الاحتلال إلى بناء متهدم بقي كآثر من الزاوية. ويبدو أن تهدم الزاوية كان نتيجة للاحتلال نفسه. ذلك أن سيدي حماني، كان منذ احتلال الشاوية يدعو المجاهدين لقتال الفرنسيين بتحريض من شيخه الكتاني الذي تبادل معه عدة مراسلات في موضوع الجهاد.

توفي سيدي حماني حوالي عام 1357 / 1938.

م. ابن سودة، قبيلة زعير، جزء 1 : تحريات ميدانية.

علال الحنفي

### الحَمَامِيَّة، إنشاد يغنى مع رقصة الكدرة بمنطقة وادي

نون، وهي رقصة ذات أبعاد دلالية ورمزية كبيرة. و"الحَمَامِيَّة" هي تلك الكلمات الموزونة التي ينشدها أفراد الجوقة، ويغنونها بناء علي الإيقاع الخاص بالرقصة.

وتكنسى "الحَمَامِيَّة" صبغة دينية وأخرى غزلية. ومن خلال الأولى يتبين مدى ارتباط رقصة الكدرة بالممارس الديني، حيث إن قانون الرقصة يحتم أن تبدأ الممارسة بإنشاد الحَمَامِيَّة التالية :

ويا نبي الله أشفع لي يا رسول الله

إذ يردد فريق من أعضاء الجوقة شطرها الأول ويردد الفريق الآخر شطرها الثاني. وهذه الحَمَامِيَّة هي ما يسمى في الرقصة بـ "السباب" إذ تفتتح بها جولات الرقصة المتتالية.

وتعتبر الحَمَامِيَّة ذات الصبغة الغزلية هي الأكثر تردداً في الرقصة كما أنها تشكل مجال إبداع مستمر، ومنها على سبيل المثال :

وَيَا عُرَيْشَ الْبَنَانِ	خَلِّ زَيْنَكَ ذَاكَ يَبَانِ
رَأَيْ : يَا غُصْنَ الْمَسْوِزِ	دَعْ جَالِكَ يَتِيَسْدِي
وَيَا لَرَجَّةَ يَا الْغُرَالِ	كَيْفَ الْبُنَانِ إِلَى بَانِ
رَأَيْ : أَيُّهَا الْجَيْدُ جِدِ الْغُرَالِ	مِثْلَ تَقْطُهِرِ الْبَنَانِ

إن القيمة الإبداعية للحَمَامِيَّة في رقصة الكدرة ترتبط أساساً بالجمالية التي تكتنزها اللهجة الحسانية أحياناً في بعض عباراتها وإيحاءاتها.

ويشير مفهوم "الحَمَامِيَّة" هذا مسألة هامة تتعلق بارتباط رقصة الكدرة بالنار كعنصر ضمني ورمزي يتحكم في الممارسة. فأدواتها الموسيقية التي يضرب عليها لإحداث إيقاع خاص يوجه الرقصة هي في الأصل إناء للطبخ مرتبط بالنار أصلاً، كما أن الممارسين الذين يتقنون

هذه الرقصة يسمون هم أيضاً بـ "النار" والحماية دلالية تعني فضاء أو أداها توقد النار أو تشعلها. والشخص الذي يمارس رقصة الكدرة هو نفسه يسمى : "الحماي" وهذه كلها كلمات ترتبط بحقل دلالي يعني الحرارة المفرطة (الحمان) أو الاشياء والفضاءات المشتعلة (حامي - حامية).

معرفة شخصية ميدانية.

محمد جوماني

## حَمُو ← حَم

**بنو حَمُود**، أمراء أدارسة ينتسبون لجدهم حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس الأزهر، حاولوا لآخر مرة، وبعد سقوط دولتهم الثانية بالريف إثر مقتل ابن عمهم الحسن ابن كنون عام 375 / 985، أن يقيموا دولة إدرسية في الأندلس. لما اضطرت أحوالها واضطرت فيها نار الحرب الأهلية أوائل القرن الخامس (11 م). وكان علي ابن حمود الإدرسي آنذاك حاكماً لسبتة، وأخوه القاسم ابن حمود والياً على الجزيرة ومالقة، فولت بعض الأحزاب المتنافسة علي بن حمود قيادة الجيش المغربي في الأندلس ثم بايعوه بالخلافة في قرطبة في شهر محرم عام 407 / يونيه 1016 وتلقب بالناصر. ولم يلبث علي أن اغتيل بعد عامين، فخلفه أخوه القاسم بن حمود ولقب بالمأمون، لكن خرج عليه ابن أخيه يحيى بن علي، وتمكّن الأمويون بسبب هذا الخلاف من استرداد دولتهم لمدة قصيرة، ولم يحتفظ يحيى سوى بالجزيرة ومالقة، وطنجة وسبتة في العدة المغربية. ثم عادت قرطبة إلى طاعته مرة أخرى لكن ثار عليه والي إشبيلية ابن عباد وجرت بينهما معركة قتل فيها يحيى (427 / 1036) وبذلك انتهت خلافة بني حمود في قرطبة.

كان إدريس بن علي ابن حمود أميراً على سبتة وطنجة فاستدعاه أنصاره إلى مالقة وبايعوه بالخلافة بشرط أن يولي الحسن بن يحيى القتييل على سبتة وطنجة، وتلقب بالمتأيد بالله وظلت منطقة نفوذه بالأندلس محصورة في مالقة والجزيرة ورندة إضافة إلى الشغور التي يحكمها ابن أخيه في العدة المغربية، إلى أن توفي سنة 431 / 39 - 1040. فخلفه في مالقة ابنه يحيى بن إدريس، وفي سبتة بوع الحسن بن علي ابن حمود - ثالث الإخوة - وكثرت الفتن والتقلبات السياسية وانقسمت أسرة بني حمود إلى فرعين : أبناء القاسم وأبناء علي، ولو أن الخلافة الرسمية ظلت في أبناء علي. ولما بايع أمراء البربر إدريس بن يحيى بن علي بمالقة سنة 434 ولى علي سبتة وطنجة رجلين من عبيد أبيه من بورغواطة سقوط ورزق الله، وتكاثر المايعون والمعزولون والمقتولون من بني حمود، وانتهى أمر آخرهم

محمد بن إدريس بن يحيى الملقب بالمستعلي بالخروج من مالقة التي سقطت في يد ملك غرناطة والتوجه إلى مليلة حيث استمر حاكماً بها إلى أن مات عام 460 / 1067 وبذلك انقضت دولة بني حمود (الدولة الإدرسية الثالثة والأخيرة) بعد أن عاشت بين مد وجزر زهاء ستين سنة.

ع. الواحد المراكشي، المعجب، سلا، 1938، ص. 30-43؛ ع. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بولاق، 1274؛ إ. أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، القاهرة، 1325؛ ع. ابن خلدون، العبر، بيروت، 1958، 4، 336، 330، 6، 455؛ أ. المقرئ، نفع الطيب، 1، 431، 435؛ ي. أشياخ، إسبانيا والبرتغال في عهد سيادة المرابطين والموحدين، تر. عبد الله عنان، تطوان، 1939، 1، 32، 37؛ أ. الناصري، الاستقصا، 1، 186؛ إسماعيل العربي، دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، بيروت، 1983، ص. 225، 276.

محمد حجي

**الحَمُود** أو الحَمُودي، أسرة تطوانية أندليسة عربية شريفة تنتسب إلى بني حمود الأمراء الأدارسة سابقى الذكر، ومن فروعهم : العَلُويون - بسكون اللام - نسبة إلى علي بن حمود تفرقوا بعد ذهاب دولتهم، ثم بعد سقوط سبتة، فسكنوا قرية تسمى باسمهم قرب تلمسان بالجزائر ولعلهم أول من سكنها تسمى : (العَلُويين) وربما قيل لهم هناك : (الحمامدة). ومنهم جماعة سكنت مدشراً سمي باسمهم أيضاً : (العَلَاوية) بقبيلة الحوز قرب تطوان. استوطنوا تطوان قديماً وما زالوا بها، اشتهر منهم الفقيه العدل الميقاتي الموسيقي الحاج أحمد بن محمد العلوي الحَمُودي الملقب كأبيه وجده : المريطو، وغيره كثير. أ. المريطو، المآثر المجلية، في رجوع نسب أولاد العلوي للشعبة الحمودية الإدرسية الحسنية؛ أ. الزهوني، عمدة الراويين، ج 3 حرف مخطوط.

محمد بوخبزة

**حَمُوش**، أسرة ريفية عريقة، انتقل في القرن الثالث أو الرابع الهجري فريق منهم إلى مكناس يوم كانت مازال عبارة عن مجموعة حواثر منها حارة بني حَمُوش الذين زصبحوا اليوم يعرفون بالحمامشة (الحخاف، 1 : 57) (أولاد حميش)، ودخل فريق آخر منهم إلى الأندلس بعد فتحها، فكان منهم فقيه قرطبة الكبير مكى بن أبي طالب حَمُوش الذي عدّد ابن غالب في كتابه فرحة الأنفس مؤلفاته فبلغت سبعة وسبعين، منها كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية في التفسير في عشرة أجزاء.

**حَمُوش**، رحمة بنت محمد بن الطالب حَمُ، مقاومة ولدت سنة 1324 / 1906 بالخندي إحدى فرق مدينة البهاليل



**حموش، محمد** بن محمد الريفي الفاسي، اشتهر بالفقيه حموش. ولد بفاس عام 1338 / 1919، وبها نشأ ودرس على جملة من الشيوخ المتصدرين للتدريس، وأشهرهم آنذاك عبد الرحمان ابن القرشي والعايد ابن سوذة ومحمد العراقي سيدهم ومحمد بن سليمان العلوي وعبد الله الفضيلي.

عين مدرسا في النظام بالقرويين، وعزل لنشاطه الوطني في حوادث المطالبة بالاستقلال سنة 1944، وسجن مع جماعة من الوطنيين الفاسيين بسجن علي ومومن. وفيه كتب كناشة أدبية في نحو ثلاثمائة صفحة من الحجم الصغير، سماه كما في أعلى الصفحة الأولى : "دفتر عين علي مومن لصاحبه محمد بن الحاج محمد الريفي حموش سيجن بعين علي ومومن تحت عدد 12328 في 28 محرم عام 1364 / 13 جانفي سنة 1945".

تتضمن الكناشة مختارات أدبية وعلمية وتاريخية مما قرأه المترجم في السجن من كتاب البيان والتبيين للجاحظ، وتفسير النار لرشيد رضى. وفيه كذلك من أخبار السجناء الوطنيين وماعانوه مع السجناء الفرنسيين، من ذلك تهجم رئيس السجن المدعو كونطي الذي شتم الدين الإسلامي والقرويين وعلمائها وطلبتها، فحرر السجناء رسالة احتجاج من إنشاء الوطني السجين الطاهر غلاب وجهوها إلى جلالة الملك وإلى المقيم العام، أثبت الفقيه حموش نصها في كناشه، وهي بتاريخ رابع دجنبر سنة 1944.



وبعد الاستقلال أعيد إلى منصبه العلمي وأخذ مجلسه من جديد بين شيوخ التدريس بالقرويين إلى أن أحيل على المعاش. وقد أصيب في آخر عمره بمرض لم يمهله طويلا فأسلم الروح إلى بارئها بمسقط رأسه فاس يوم الأحد 24 محرم عام 1410 / 27 غشت 1989.

م. حموش نفسه، دفتر عين علي مومن، مخطوط : رسوم ووثائق عائلية وإدارية.

محمد حجي

القريبة من صفرو، والمعروفة لدى أوساط المقاومة وجيش التحرير برحمة البهلوية. تزوجت لأول مرة بنقيب الزاوية القندوسية بصفرو عبد السلام القندوسي لتتعلم منه مبادئ الفضيلة وحب الوطن ولتنجب منه ولذا ذكراً أطلقت عليه اسم لهيوب القندوسي. وبعد سنتين على وفاة زوجها اقترنت بمقاوم يدعى علي بن محمد زرع فيها بذور المقاومة والتضال ضد الاستعمار الفرنسي.

وفي سنة 1373 / 1953 هاجم المقاومون ثكنة الجيوش الاستعمارية بسيدي بوسرعين بصفرو "Fort Prioux" وغنموا الكثير من الأسلحة والعتاد الحربي أودعوه بأحد الإصطبلات بضواحي المدينة. وكان أحد هؤلاء المقاومين المدعو الحسن البرنوصي العضو النشط بطليعة عباس الفكيكي، كما أنه كان يسكن نفس البيت الذي تسكنه المقاومة رحمة حموش والمعروف حتى الآن بدار القندوسي بحي سيدي أحمد التادلي بصفرو، وهكذا أصبحت دار رحمة مقراً سرياً لرجال المقاومة تعقد فيه الاجتماعات ويأوي إليه المناضلون. ولما تجلت صعوبة نقل الأسلحة المغنومة من الإصطبل غير المأمون لوجود القوات الاستعمارية وجواسيسه عبر المدينة وضواحيها، تطوعت رحمة للقيام بنقلها إلى بيتها، وهكذا كانت تدس الأسلحة



وسط كومات الحطب، وتمر لمرات أمام الأضواء الكاشفة للجيوش الفرنسية وكأنها بدوية همها جمع الحطب. ويذكر أنها كانت آنذاك في فترة نقاهة نتيجة عملية قيصرية حديثة العهد، فأنحلت غروز بطنها لثقل الأسلحة التي تنقلها إلى بيتها فتودعها في سلال الغلغل من قمح وشعير، أما الرشاشات والبنادق فتحسرها في ملاحيف الصوف إلى حين مطالبة المقاومين بها. بل إن بعض الأسلحة بقيت مخزونة بدار هذه المقاومة إلى أن أهل فجر الاستقلال على المغرب وعاد المغفور له محمد الخامس من المنفى حيث سلم المقاومون تلك الأسلحة المتبقية إلى الجهات المسؤولة بالرباط.

وقد نالت رحمة حموش بطاقة المقاومة سنة 1379 / 1959 وليت نداء ربه بتاريخ 15 جمادى الأولى عام 1408 / 5 يناير 1988 ودفنت بمسقط رأسها البهليل.

إذ زُجَّ به في سجن مكناس بسبب غيرته على النسب الشريف ودفاعه عن شرف البوزيديين أهل بوجابر بأولاد جامع الذين كانوا مسجلين في زمام الخراطين. وهذا الامتحان دفعه إلى اعتزال القضاء من تلقاء نفسه، فوجهه شيخه إلى الجبل للقيام بإصلاح أحوال القبائل، فرحل إلى سلاس ثم انتقل إلى بني زروال حيث أسس الزاوية الحمومية سنة 1116 / 1705، ويبدو أن الزاوية الحمومية في حياة الشيخ المؤسس كانت تابعة للزاوية الوزانية بمثابة فرع لها، كما كان الشيخ يقدس دار وزان ويتردد عليها كثيراً قائلًا :  
"أنزلنا حرمتها عندنا كحرمة مكة".

عاش الشيخ أحمد بن الحسن الحمومي سنوات الفتن والمسغبات والأوبئة التي تلت وفاة السلطان المولى إسماعيل سنة 1139 / 1727. ويتبين من الترجمة المذكورة أنه لم يكن في خلوة أو في معزل عن الأحداث التي وقعت بالقرب منه، وحول مدينة فاس، بل كان حضوره بارزاً، مارس خلالها وظائف الولي الذي استثمر بركته ومكانته في التحكيم بين القبائل المتناحرة من أجل كبح موجات العنف المتبادل كالتى وقعت بين بني زروال وحلفائها الحيابنة وشراغة وأولاد جامع، وبين صنهاجة والريف ؛ وفي الشفاعة لدى السلطان في المساجين. ووقع الاختيار عليه عدة مرات للإصلاح بين سلاطين الوقت وبين بني زروال وحلفائهم مثل ما حدث أيام ولد عربية وعبد الملك. وقد رفض في حالات عديدة التوسط، كما وقع له مع الباشا أحمد الريفى الذي طلب منه في رسائل كثيرة تمهيد القبائل الداخلة في مجال نفوذه للحياد في زحفه على فاس، وكان امتناعه عن ذلك سبباً في غارة الريف كتامة على بني زروال التي لعب فيها الولي دور المحرض على القتال والمدافع عن قبيلته.

كان الشيخ أحمد الحمومي شاهد عيان في وقعة سيو، بين قوات الباشا أحمد الريفى بمعية المولى المستعزى، وجيوش المولى عبد الله سنة 1156 / 1743. وكان في صف هذا الأخير. وقد تحولت الزاوية الحمومية في خضم هذه الاضطرابات والفتن إلى حرم آمن يستقبل اللاجئين البهاريين من بطش مخزن أبناء المولى إسماعيل وقواد عبيد البخاري، وكان معظم المستجبرين من أهل فاس الذين ضاق بهم الحال في المدينة. وفي سنوات المسغبة قامت الزاوية الحمومية بالتخفيف من حدة المجاعة بإطعام الجائعين كما جاء في مناقب الشيخ الحمومي، الذي ساهم أيضاً بفعل بركته في علاج المطعونين.

توفي في العشرة السابعة من القرن الثاني عشر، حوالي عام 1165 / 1751.

التهامي الحمومي، المقصد في التعريف بالشيخ أبي العباس أحمد بن الحسن الحمومي وشيخه المولى التهامي، مخطوط المسجد الأعظم بوزان، ص. 139. م. القادري، نشر الثاني، موسوعة أعلام المغرب، 6 : 2255. م. البشير الفاسي، قبيلة بني زروال، الرباط، 1962، ص. 49-53.

محمد عمراني

**الحمومي**، أسرة من أولاد حَمُ الذين هم في عداد أولاد جامع النازلين معهم في بلاد لمطة خارج باب عجيسة من فاس، ينتسبون إلى الشرف ويصلون نسبهم بالأمير محمد بن إدريس بن إدريس الأكبر. دخل بعضهم مدينة فاس وبيتهم فيها بيت علم ومجد وديانة وتصوف وكرم وأريحية، نبغ فيهم عدد من العلماء ورجال التصوف، ورأسهم أحمد بن الحسن الحمومي أتى الترجمة أخذ عن شرفاء وزان وخرج سنة 1150 مع قبيلته أولاد جامع من بلادهم لمطة لما أصابها الجفاف، ولم يعد لما عادوا، واختار الاستقرار في بني زروال بفرقة بني إبراهيم حيث بنى الزاوية المسماة بالزاوية الفوقانية أو العليا لتلقين الأوراد الوزانية بعدما قلده الشيخ مولاي الطيب بن محمد الوزاني التقديم على الفقهاء من أولاد جامع. وبعد وفاته في العشرة السابعة بعد مائة وألف خلفه ولده العالم الجليل مولاي التهامي الذي تصدر مشيخة الزاوية الحمومية التي عرفت بنشر العلم والدين بين الجبلين، مع كرم البذل والسخاء ؛ والتي تفرعت فيما بعد إلى ثلاث زوايا، هي الزاوية الفوقانية المذكورة، وزاوية المقراوي، وزاوية الروض على ضفة وادي أمزاز بفرقة بني ملول الزروالية، وبها قبر الطيب ابن أحمد بن علي بن التهامي الحمومي.

قال البشير الفاسي : "بلغت أسرة الحموميين من الفخر والشرف غايته، وأدركت من الجاه ورفع القدر طارقه وتالده، وفي أحد أفرادها وهو سيدي بن التهامي دفين فاس قيلت تلك المقالة الشهيرة التي هي عنوان الجاه والثروة "السماء لله والأرض للحمومي" وذلك كناية عن كثرة أملاكه وتعدد رباعه".

م. القادري، نشر الثاني، موسوعة أعلام المغرب، 6 : 2255. م. البشير الفاسي، قبيلة بني زروال، 18، 79، 80.

محمد مزراق

**الحمومي**، أحمد بن الحسن الحسني صالح بني زروال ومؤسس الزاوية الحمومية. استوفى ترجمته ولده التهامي في كتاب المقصد السامي وهي خالية من تاريخ الولادة والوفاة، إننا لا نعرف شيئاً عن نشأته الأولى داخل أسرته، سوى أنه درس في فاس وقطن في المدرسة الرشيدية، وأخذ علم الظاهر عن الفقيه محمد القسطيني ومحمد المسناوي الدلائي. كما اتصل وهو طالب بالشيخ مولاي التهامي الوزاني في إحدى زيارته لفقراء فاس، فسلب له الإرادة وأصبح عمدته في علم الباطن.

تولى أحمد بن الحسن الحمومي خطة القضاء في أولاد جامع بأحواز فاس، بوساطة من شيخه مولاي التهامي ؛ وأثناء مزاوله مهامه القضائية حفظ أوراد الطريقة الوزانية وأذكارها، وكان تصوفه سنياً، يتجلى هذا في استنكاره ممارسات الطائفة العيساوية واختلاط النساء بالرجال في المواسم. وقد تعرض لمحنة شديدة في عهد المولى إسماعيل

أحمد المكاوي

**الحمومي، حساين بن محمد بن علي الفاسي،** سقط اسم "محمد" من إتحاف المطالع، وقال إن اسمه الحسن ويدعى حساين واستبدل بعلي عللاً. فقيه مشارك مدرس نفاع، أخذ عن عمه بدر الدين الحمومي، ومحمد بن عبد الرحمان السجلناسي المجرتي ومحمد المرينسي. وكان إلى جانب التدريس "مقصوداً للصالح بين القبائل وخصوصاً أولاد جامع وشراكة، نافذ الكلمة عند عمالهم فيما به يشير عليهم".

توفي يوم الجمعة ثامن وعشري رجب عام 1309 / 26 فبراير 1892 وقد جاوز السبعين، ودفن بزاوية وألده وجده من حومة البلدة.

عباس السجلناسي، *الروض الطيب العرف*، مخطوط، ص 42 : ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، موسوعة أعلام المغرب، 8 : 2788.

### الحمومية (الزاوية) ← الحمومي أحمد

**الحميات بالمغرب.** عرّف أبو القاسم الزهراوي (ت. 427 / 1035) الحمى بأنها : "حرارة غريبة خارجة عن الطباع". ونظم هارون بن إسحاق ابن عزرون الأندلسي (القرن الخامس الهجري / 11 م) أرجوزة في الحميات والأورام تربو آبياتها على المائتين بيت صنف فيها الحميات وبين أسبابها وطرق علاجها.

والحميات في التعريف العصري حالات مرضية تعترى الإنسان وتتميز بارتفاع درجة حرارة الجسم وجفاف الفم وسرعة النبض والتنفس، والشعور بالتعب والوهن والانهايار، وآلام الجسم وفقدان الشهية بالإضافة إلى تنابع القشعيريات وتصيب العرق. وتذهب الحميات في حالة استفحالها أو استمرارها بأرواح العديد من الناس.

وقد عانى المغرب في تاريخه الطويل من وباء الحميات كثيراً غير أن شح المعلومات في المصادر عن هذه الحميات لا تمكن من تصور واضح لها ولأصنافها بحيث لا ترد في كتب التاريخ إلا استطرادا في مواضع أخرى، وأقدم ما تمكنا من العثور عليه في هذا الشأن، ما ورد عند البكري في المسالك إثر حديثه عن سكان أو داغست، حيث ذكر أنهم يصابون كلهم بالحميات. وتعرض ابن خلدون في المقدمة للحميات وبين أسبابها. وأشار الحسن الوزان في معرض حديثه عن زواغة غرب فاس إلى أن "معظم سكانها صفر الوجه يعانون من حميات شديدة يموت بسببها عدد كثير منهم". وعرض كاستيلانو Castellanos لنوع خطير من الحمى عاث في المغاربة سنة 1688 أسماه الحمى القرمزية.

**الحمومي، بدر الدين أو محمد بدر الدين بن الشاذلي بن أحمد الحسني،** من مواليد سنة 1178 / 1764. كان من أبرز علماء وقته، مشاركاً في علوم شتى. أخذ عن عدد من الشيوخ، أبرزهم : التاودي ابن سودة وعبد القادر ابن شقرون ومحمد الزهوني.

عرف بدر الدين الحمومي بالصلاح والورع، وإعراضه عن الحاكمين، وقد أورد في السلوة أنه سمع والده "يحكي أن الوزير الأعظم في وقته كانت له وليمة وأتى إليه بنفسه يدعوه لها فامتنع ولم يذهب إليه" (1 : 178).

كان بدر الدين الحمومي مرجعاً في الفتيا بمدينة فاس في عهد القاضيين أبي حامد الزهوني وعلي التسولي. وقد استفاد منه عدد من العلماء، منهم : محمد بن عبد الرحمان الفيالي، ومحمد الطالب ابن الحاج وأحمد ابن سودة. وقد ذهب الحمومي إلى الحج أكثر من مرة، وعاش ما يقارب تسعين عاماً.

خلّف الحمومي عدداً من التأليف، منها : شرح على الشرائع، وشرح على الوظيفة الزرورية، وشرح على المرشد المعين. المسمى منهل الماء المعين في شرح المرشد المعين، طبع على الحجر بفاس. وكان الحمومي من أوائل علماء المغرب الذين ألفوا في موضوع الشاي والسكر، إذ نافع عن حلية استهلاك هاتين المادتين، كما يبدو ذلك من تقييده رسالة فيما اشتمل عليه الأتاي من المنافع وبيان طبخه وطريق استعماله وسبب ظهوره، وقد طبع أيضاً على الحجر بفاس سنوات قليلة قبل فرض الحماية الفرنسية على المغرب، وهو أمر لافت للانتباه، إذ نادراً ما تم طبع نصوص خارج إطار الفقهيات والتراجم، ويرجح أن يكون طبع هذا التقييد، بموازاة مع طبع رسالتين في نفس الموضوع لكل من سليمان الحوات والناصر الدرعي، قد تم للرد على منتقدي تناول مادتي الشاي والسكر. فرغم الإقبال الكبير عليهما في المغرب، ظلت بعض الشخصيات الدينية تقاوم استهلاكهما بسبب تأثيرهما السليبي على اقتصاد البلاد والإمكانات المالية المحدودة للأفراد، فضلاً عن السجال الفقهي بشأن طهارة هاتين المادتين من الوجهة الشرعية.

توفي بدر الدين الحمومي بفاس ليلة السبت ثامن محرم عام 1266 / 24 نونبر 1849 ودفن بزاويتهم بحومة البلدة وهو أول من دفن فيها.

بدر الدين الحمومي نفسه، رسالة فيما اشتمل عليه الأتاي من المنافع وبيان طبخه وطريق استعماله وسبب ظهوره، ط. حجرية، فاس 1326 / 1908 : العربي المشرفي، زهرة الأبيصار للدرعي المعرفة والاستبصار، مخطوط، خ. ع رقم 570 ك، ص. 436 : إ. الفضيلي، الدرر البهية، 2 : 136، م. الكشاني، سلوة، 1 : 178، 179 : م. المجري، الفكر الساسي، 2 : 300 : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 7 : 2888 : ع. بن عبد الله، معلمة الفقه المالكي، 1983، ص. 83 : إ. الإدريسي، معجم المضبوطات المغربية، 1988، ص. 84 : فوزي عبد الرزاق، المضبوطات المغربية

الموت منهم 399. ولا تملك أرقاماً يمكن الركون إليها بصدده وقع هذا الوباء على المغاربة، وإن كنا نميل إلى أنه جرف أرواح الكثير منهم.

وقد ظلت الحمى التيفوئيدية تعيث في المغاربة خلال فترة الحماية، رغم ما حاول الأطباء أن يعدوه لها من أسباب التطويق، ويوضح الجدول التالي عدد المصابين بها خلال بعض السنوات، وفي مدن البلديات فقط :

السنة	عدد المصابين
1928	985
1928	544
1929	580
1930	436
1931	485
1932	345
1937	857
1938	795
1939	468
1940	540
1941	716
1942	688
1943	1191
1944	1421

ورغم عدم توفر إحصاءات خاصة عن حمى التيفوئيد في البوادي، فإن تعرض مياه الشرب للتلوث باستمرار وعدم إقفال الآبار وتركها مفتوحة لكل ما تجره الرياح والسيول، بالإضافة إلى رفض السكان جوفلة المياه أو علاجها بمواد كيميائية أخرى، كان يخلق ظروفا ملائمة لترعرع الحمى التيفوئيدية وتفشيها.

وقد دأب المغاربة على علاج من "ضريته المكلفة"، بما يسمى "العركة" (بتغليظ الرء) وذلك بالعمل على تعريق المريض، حيث يوضع بعض الزعتر مع الماء في مرجل حتى يغلي ويقدم للمريض ويرفع عطاء الرجل فيصعد البخار إلى وجه المريض حتى يعرق، ثم تحزم بعض قشور الحامض حول رأسه. أما الطب العصري الذي وقد مع الاستعمار، فقد اعتمد في محاربة الحمى التيفوئيدية في البداية على التلقيح، الذي أثبت فاعليته في الحد من انتشارها، بالإضافة إلى محاربة تلوث المياه ومكافحة الذباب، ثم استعمال بعض العقاقير كالكلور فمكول.

## 2- حمى المستنقعات :

حمى المستنقعات أو البرداء وتسمى بالفرنسية Paludisme، وهي مشتقة من كلمة Palus التي تعني باللاتينية المستنقع أو المرجة ويسميتها الإيطاليون مالاريا Malaria، وتتكون من كلمتين هما Mala وAria

ولقد ظلت تصنيفات الحمى التقليدية متداولة بين المغاربة ومن كان يمتنهم مهنة الطب إلى مطلع هذا القرن حيث كان الكثير من الغموض يلف أصناف الحمى ويخلط بين بعضها البعض مما أفسح المجال أمام إرسال كثير من التسميات حتى إن مميزات العديد من الأمراض التي ترتبط ببعض أعراضها بارتفاع درجة الحرارة كانت تحشر ضمن الحميات.

قام الأطباء الفرنسيون بعد فرض الحماية على المغرب سنة 1912 بعدد من التجارب الطبية فاتضح أن الحميات بالمغرب أنواع كثيرة لا تقف عند حد ما عدده مؤلف المصنفات الطبية القدامى ولو أن عامة الناس ظلوا يطلقون عليها اسم "الحمى" أو "الحمة" أو "السخانة" وتسمى بالبربرية "تاوولا" أو "ترغي". ووعيا منهم بخطورة الحميات عليهم وعلى مشاريعهم والوافدين من أبناء جلدتهم، انكب أطباء الاستعمار الفرنسي على دراسة الحميات تحليلا وتشخيصا وتصنيفا، فعددوا أنواعا كثيرة منها، وبينوا ما يتسبب في ظهورها من حشرات وجراثيم.

ومن أخطر الحميات التي كانت منتشرة بالمغرب في مطلع هذا القرن :

1) الحمى التيفوئيدية : وهي حمى مستمرة غير متقطعة مركزها الأمعاء وتسمى أيضا الحمى المعوية. يطلق المغاربة على هذه الحمى اسم "المكلفة" أو "السالمة" أو "گردة".

يتسبب في ظهور الحمى التيفوئيدية ميكروب يسمى Bacille d'Eberth وهو ميكروب عصوي الشكل ذو قوة فائقة على الحركة، ينتقل عن طريق تلوث اليدين أو عن طريق تلوث ماء الشرب أو الحضر، بسبب الغبار الذي ينقل أثناء تعرضه للريح بقايا البراز الجاف إلى الآبار أو بساتين الحضر. تبدأ هذه الحمى بالألم في الرأس والشعور بالوهن وانقباض الصدر والأرق وارتفاع درجة الحرارة أثناء الليل وانخفاضها في الصباح، بالإضافة إلى الهذيان وانقباض العضلات، وكذا شدة العطش وتبدل لون اللسان.

وكما هو الشأن بالنسبة لكل الحميات أو الأمراض بصفة عامة فإن معلوماتنا عن حمى التيفوئيد بالمغرب في الفترات المتقدمة عن مجيء الحماية الفرنسية قليلة جداً، وترجع أقدم الإشارات إليها، حسب علمنا إلى القرن الماضي وبالتحديد إلى سنة 1279 / 1879 وهي التي ساقها في الاستقصا بقوله : "... حدث الوباء بالحمى في أعيان الناس وأماثلهم فهلك منهم عدد كبير". وأشار الدكتور وايزجرير Wiesgerber إلى إلمام ويا من الحمى التيفوئيدية بالمغاربة في سنة 1898. وأوضح أحد الأطباء المرافقين لجيوش احتلال المغرب في دراسة أنجزها عن حمى التيفوئيد في المناطق الساحلية من المغرب سنة 1911 أن هذه الحمى فتكت في هذه السنة فتكا ذريعا بجيوش الاحتلال، حيث بلغ عدد من أصيب منهم بالحمى التيفوئيدية 2471، حصد

ولا تتوفر على معلومات حول حمى المستنقعات في المغرب قبل هذا القرن، ولو أن البلاد كانت تعرف كثيراً من الأمراض ذات الارتفاع المفاجئ لدرجة الحرارة.

وأول ما يطالعنا من مؤلفات الأوربيين في الموضوع هو الدراسة التي قام بها الطبيب الإسباني Nobily Guitta سنة 1901 حول حمى المستنقعات بفاس حيث أشار إلى تفشي هذا المرض بكثرة هناك. وبعد سنة من هذا أي في 1902 صدر للطبيب الفرنسي رينو Raynaud كتاب عن الصحة بالمغرب تعرض فيه لحمى المستنقعات بمدينة الصويرة ولاحظ أنه من بين 3088 مريض مسجلين سنة 1899، كان عدد المصابين بحمى المستنقعات 121. وكانت فرق السيطرة على الجزء الغربي من المغرب من حمى المستنقعات، التي كانت تذهب بأرواح العديد من الجنود وتقرر منذ سنة 1914 توزيع (الكيننة) على الفياتق وتزويد الجنود بالأقراص المذهبة للحمى. ويبين الجدول التالي قوة عشيان هذا الداء في جنود الاحتلال :

السنة	عدد الإصابات
1907	119
1908	455
1909	272
1911	4734
1912	9453
1913	5248

ونظراً لما كانت تشكله حمى المستنقعات من خطر على الفرنسيين، ثم على من كان يعمل معهم أو يقطن بجوارهم من المغاربة، تمّ ابتداءً من سنة 1919 تأسيس مصلحة لمكافحة حمى المستنقعات، وحاول الأطباء الذين كانوا يعملون بهذه المصلحة دراسة حمى المستنقعات وحددوا مواصفاتها ومراحلها وظروف ظهورها وانتشارها، وأدركوا، على عكس ما كان معروفاً عند المغاربة من أن سبب هذه الحمى هو ما يوجد في الماء الراكد أو الجاري من أرواح شريرة أن هناك علاقة متينة بين عدد المصابين في سنة ومعدل التساقطات خلال نفس تلك السنة، إذ كلما كانت السنة مطيرة إلا وارتفع في صيف تلك السنة وخريفها عدد المحمومين. ذلك أن كثرة التساقطات وما تخلفه من مرجات وضباب وعلى الخصوص في المناطق ذات التربة القليلة النفاذية كثرة منطقة الغرب مثلاً، كانت تخلق للبعوض، وهو الحشرة الناقلة لحمى المستنقعات، ظروفاً مثالية للعيش والتكاثر، مما يفتح أمام الحمى آفاقاً واسعة للتفشي والانتشار.

وبوضوح الجدول التالي عدد المصابين بحمى المستنقعات في المغرب ما بين 1934 و1945 :

وتعني الهواء الفاسد. "وهي مرض خطير يظهر على الإنسان بارتفاع حرارته الطبيعية مع الرعدة واشتداد وجع الرأس وتصيب العرق ووجود التعب في كل حركة. وهو عبارة عن تسلط بعض المكروبات الأجنبية على دم الإنسان تعرف بالهيماتوزوير. أما الوقت الملائم لانتشار هذا الداء وتكثفه من الأجسام فيبتدىء من شهر ماي إلى غاية شهر نونبر". ويرجع الفضل في اكتشاف المكروب المسبب لهذا الداء إلى الطبيب الفرنسي ألفونس لافران Alphonse Laveran وذلك في ثمانينيات القرن الماضي.

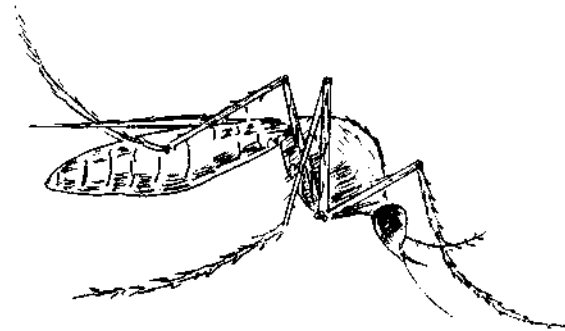
ينتقل داء حمى المستنقعات عن طريق لسعات البعوض، وخاصة الأنثى، ذلك أن البعوضة لا يمكنها أن تكون مهيأة ومستعدة للتلقیح من طرف الذكر إلا إذا امتصت وتغذت بعدة وجبات من الدم. الأمر الذي يدفعها إلى اللسع وإذا حدث أن لسعت شخصاً مريضاً بحمى المستنقعات فإنها تأخذ منه بذور المرض حتى إذا احتاجت إلى وجبة جديدة من الدم، فإنها تلسع شخصاً آخر قد يكون سليماً، فتنتفخ فيه لعابها المحمل بالطفيليات ويصاب بحمى المستنقعات.

وتتجلى أعراض هذا المرض في ما يلي :

- شدة الحمى كل يوم حيث تلمّ بالشخص على شكل نوبات تنتهي بالعرق الشديد.

- زيادة حجم الطحال حتى يأخذ من البطن أكثر من النصف.

- الضعف والهزال واصفرار اللون، والعجز عن الحركة والعمل.



صورة للبعوضة أو الأترفييل الناقلة لحمى المستنقعات

وتؤدي حمى المستنقعات في حالة استفحالها وتكثفها إلى ما يمكن تسميته بالحمى السوداء، بسبب اسوداد لون البول لدى المصاب، بفعل تكسر الكريات الدموية الحمراء، كما قد تؤدي إلى اشتداد القيء واستمراره مما يفقد الجسم سوائله. وقد ينقض المرض على صاحبه فيؤدي بحياته.

وتوسيع رقعة الزراعات المسقية، بالإضافة إلى ظهور زراعة الأرز، نقصت احتمالات القضاء على حمى المستنقعات، ذلك أن مياه السقي ومياه المرزات كانت توفر ظروفا ملائمة لعيش البعوض وتكاثره بشكل أحسن مما كانت توفره البرك والضائيات والمرجات، مما كان يعرض العاملين في الزراعات المسقية أو القاطنين بجوار المرزات للحمى، بمعنى أن سلطات الحماية أصبحت هي نفسها بدافع الضرورات الاقتصادية، تختلق ظروفا مثالية لتفشي الحمى وتساهم في نشرها، بعد أن كانت تبذل المحاولات لتطويقها والقضاء عليها.

### 3- الحمى الراجعة :

الحمى الراجعة *Fièvre récurrente* وتسمى أيضاً الحمى الراجعة العالمية *Fièvre récurrente mondiale*، هي من الحميات التي تنتاب الانسان وتتميز بارتفاع مفاجيء في درجة الحرارة لديه لعدة أيام قد تصل إلى أسبوع، ثم تنخفض الحرارة لتعود مرة أخرى إلى الارتفاع، لهذا أطلق عليها اسم الحمى الراجعة.

ولعل هذا النوع من الحمى هو الذي أورده الأنطاكي في تذكرة أولي الأبواب عندما عرض لأنواع الحمى فسماها حمى الغيب، لأنها تغيب يوماً ثم تعاود صاحبها، أو الحمى الفائته وتسمى المتراقية والمتعدية وتسمى باسم أدوارها فيقال حمى خمس إن وقعت كل خاص".

يتسبب في هذه الحمى ميكروبات تسمى لوليبات الحمى الراجعة وهي ما يعرف لدى المتخصصين بـ *Les spirochètes d'Obermeir*، وتنتقل عدوى المرض عن طريق القمل أو القراد.

تتجلى أعراض الحمى الراجعة في ما يلي :

- صداع في الرأس مصحوب بالأرق.
- ارتفاع درجة حرارة المريض من 39 إلى 40 درجة.
- ألم وتكسر في الجسد وآلام في البطن والظهر.
- قيء سرّي.
- تضخم الطحال والكبد، بالإضافة إلى تتابع القشعريات وإطرادها.
- يبدو لسان المصاب بالحمى الراجعة مذبذباً ضارباً إلى الصفرة عند جذره.

ومن مضاعفات هذا الداء إصابة المريض باليرقان أو الصفير، حيث تملوه صفرة يتبعها طفح جلدي بالإضافة إلى إصابة المريض بانقطاع البول أو ما يسمى بالزراء، كما تتسبب هذه الحمى في الإجهاض للحوامل من النساء، وتؤدي إلى التهاب القولون والإسهال المفرد وظهور قروح في العين.

لم يسبق أن تبين ظهور الحمى الراجعة بالمغرب رغم أن خطبة الحماية الفرنسية، كانوا قد لا يحضروا وجود بعض حالات المتفرقة لهذا المرض سنة 1917، على أن الحمى الراجعة غادت المغاربة في سنة 1945 وهي آخر سنوات الحرب العالمية الثانية، ذلك أن هذه الحرب خلقت بالمغرب

السنة	عدد المصابين
1934	168.742
1935	135.167
1936	190.000
1937	138.130
1938	144.398
1939	198.954
1940	176.877
1941	360.264
1942	286.068
1943	292.076
1944	166.858
1945	158.638

كان المغاربة قديماً يعالجون حمى المستنقعات التي كانوا يعتبرون المصاب بها "مضروباً على الماء" أو به مس من الأرواح الشريرة التي تسكن الماء، ببعض الوصفات التي أوردها صاحب كتاب الرحمة أو وصفات أخرى ذكرتها A.R. De Lens في كتابها الصادر سنة 1925 عن "ممارسات الحريم بالمغرب".

وتصدى القائمون بشؤون الصحة أيام الحماية لحمى المستنقعات لما كانت تمثله من خطر على المشاريع الفلاحية بالمغرب، بعدد من الاجراءات كتجفيف المستنقعات وتوزيع الأدوية (الكينينة).

ففيما يخص تجفيف المستنقعات كان الهدف هو القضاء على المياه الراكدة وجرها نحو الانهار، ووضع حد لتكاثر البعوض الذي كان يجد في امتداد المرجات والبرك وما بها من نباتات، مراتع يضع فيها بيضه ودعاميعه. وهكذا شهد الكثير من بوادي المغرب، فيما بين بداية العشرينيات وقيام الحرب العالمية الثانية، عمليات تجفيف وتصريف وتطهير بدءاً بالأراضي المخصصة للمعمرين ومناطق تركز السكان، وتحولت الأراضي المتجففة إلى ملكيات كبيرة. وقد اهتمت إدارة الصحة العمومية إلى زرع بعض أنواع الأسماك المسماة *Gambusias* في المياه التي تجري في قنوات التصريف أو في المرجات التي كان يصعب تجفيفها، لما عرفت به تلك الأسماك من قدرة كبيرة على التهام دعاميع البعوض.

أما فيما يخص توزيع (الكينينة) أو ما يعرف بأقراص الكينين المصنوعة من لحاء شجر الكينكينا، فقد كان يخضع لنوع من التفتيش، وكان ثمن الكينينة مرتفعاً جداً يتعدى معه على سكان البوادي التزود بها، الأمر الذي كان من شأنه أن يحد من فعالية تطويق الداء.

ومع نهوض الاقتصاد الاستعماري بالمغرب غداة الحرب العالمية الثانية وما رافق ذلك من تقدم في مشاريع الري

الثلاثي التكافؤ Les arsenicaux trivalents وخاصة منها Le novarsenobenzol، غير أن ظروف الحرب العالمية الثانية، بما رافق ذلك من حصار واضطراب في المبادلات كانت تؤثر في الكميات الواصلة إلى المغرب من الأدوية الكيماوية. وفي الختام نشير إلى أن الحميات كانت كثيرة بالمغرب، ركزنا على أهمها وأكثرها انتشاراً بين المغاربة، على أن هناك أنواعاً أخرى من الحمى لم تتمكن من الحديث عنها. إما بسبب شح المعلومات حولها كما هو الحال بالنسبة للحمى المتسوجة والحمى القرمزية والحمى المخية الشوكية والحمى الصفراء وحمى النفاس وغيرها، أو لأن بعضها يدرج ضمن أمراض قائمة الذات، لا يشكل ارتفاع درجة حرارة المصاب سوى عرض من أعراضها كالحمى المرتبطة بالتيفوس أو الحصبة أو الحميراء.

د. الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب، بيروت، د. ت. م. العربي الخطابي، تاريخ الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، بيروت، 1988؛ ج. السيوطي، كتاب الرحمة في الطب والحكمة، بيروت، د. ت. ع. الكاديكي، الأمراض المعدية، بنغازي، د. ت. ح. الرزان، وصف إفريقيا، تر. محمد جعي ومحمد الأخضر، الرباط، 1982؛ جريدة السعادة، 1915 و1930؛ الرواية الشفوية.

Archives de médecine et de pharmacie militaires ; M. Bonjean, *L'épidémiologie du paludisme au Maroc*, Rabat, 1947 ; B. I. H. M. : *Maroc - Médical* ; L. Raynaud, *Etudes sur l'hygiène et la médecine du Maroc*, Alger, 1902 ; H.P.J. Renaud, *Trois études d'histoire de la médecine arabe en Occident*, Hesp., T. XII, fasc. 2, 1931.

بوجعة رويان

حَمَيْش أو حميص أسرة من قدماء بيوتات مكناس.  
حَمَيْش، السعيد بن عبد القادر  
حَمَيْش، عبد الرحمان  
حَمَيْش، عبد الرحيم بن العربي  
حَمَيْش، عبد القادر بن أحمد  
حَمَيْش، علي بن أحمد  
حَمَيْش، علي بن عبد الرحمان  
حَمَيْش، العياشي بن محمد  
حَمَيْش، محمد إمام الجامع الأعظم  
حَمَيْش، محمد بن عبد الواحد  
حَمَيْش، محمد بن محمد بن عبد الرحمان

كل هؤلاء الأعلام المذكورون فيما يلي دون اعتبار الترتيب الهجائي. وقد تسلسل في هذه الأسرة جملة من أهل العلم والفضل، وتحفظ مصادر العصر الحديث بزمرة من الأسماء النابذة.

ظروفا من الشدة والضيق انتسفت على إثرها مظالم الجيوب، وقلت الأقوات فانتشر الجوع والعري وتدرت الأثواب والصابون وانهد الناس بما كان يعتبرهم من ضعف وهزال بفعل اشتداد المسغبة وما ترتب على هذه الحال من تفاحش أمر القمل والبق والقراد وغيرها من الحشرات الناقلة للأمراض.

وكانت الحمى الراجعة قد تسللت إلى البلاد عبر بمرات المغرب الشرقي من الجزائر ذلك أن هذه الحمى ظهرت أول ما ظهرت خلال سني الحرب العالمية الثانية في حشود الجنرال لوكليرك التي كانت مرابطة بجنوب ليبيا والتي وصلت في بداية سنة 1943 إلى الجنوب التونسي وهي تنقل معها عوامل العدوى فامتدت الحمى إلى ضواحي القيروان ومنها إلى الجزائر سنة 1944، ثم داهمت المغرب في بداية سنة 1945، وشاعت في معظم مناطقه واستمرت به إلى فبراير من السنة الموالية 1946.

وكان طروق هذه الحمى والمالم طائفها بالمغرب في هذه الظروف على شكل رخة وبائية قوية لم يسبق للمغاربة بها عهد، فعانت الحمى في السكان ضعيفي البنية، لا يقوون على مقاومة المرض في وقت تقاصرت فيه قدرة القائمين بأمور الصحة عن دفع ما كان يلم بالبلاد من صنوف الداء.

وقد وصل عدد من ابتلي بهذه الحمى حسب احصاءات إدارة الصحة العمومية : 27730 شخصا، وهو رقم ضئيل لا يعكس حقيقة ما كانت عليه الحال من فتك الحمى الراجعة بالمغاربة في سنة 1945. ذلك أن الدكتور G. Blanc، وهو من كبار أطباء الحماية الفرنسية لاحظ أن الإحصاء المذكور لا ظل عليه من الحقيقة، لأن أعداداً كبيرة من المرضى كانوا قد أفلتوا من الفحص في المدن الكبرى وعلى الأخص في البوادي. وفي هذا الصدد يرى الدكتور Sicault وهو من أطباء هذه الفترة، أن الرقم الذي قدمته إدارة الصحة العمومية يجب أن يضاعف أربع مرات حتى تقترب من الحقيقة. ويورد الدكتور G. Blanc أن عدد المصابين كان ما بين 120.000 و150.000. وكانت نسبة من لقي حتفه من المغاربة في هذه السنة من جراء استئصال الحمى الراجعة تصل إلى 20٪ في بعض المناطق وهو ما تؤكد الرواية الشفوية من كثرة الموتى في سنة 1945، حيث أصبح كثير من الدواوير بلاقع خاوية، وأصبح من كان ينجو من سكان الدواوير والمدامر من الموت يقضون يومهم ذهاباً وإياباً من المدشر إلى المقبرة ومن المقبرة إلى المدشر.

وكان المغاربة في كثير من البوادي يعالجون الحمى الراجعة بالتسائم وما إليها مما يرد عند صاحب كتاب الرحمة من وصفات لطرده "أم ملدم" بينما اتجهت سلطات الحماية إلى اعتماد مادة DDT، وهي عبارة عن مسحوق أثبتت فعاليته في إبادة الحشرات، وخاصة منها القمل والبق والقراد، وهي الحشرات المسؤولة عن نقل لوليبات الحمى الراجعة ونشرها بين الناس. كما استعملت حقن من الزرنيخ

ورد اسم أحد علمائهم عند عبد الله الفاسي في حوليات الإعلام بمن غير ... حسب الفقرة التالية عند وفيات سنة 1074 : "وفي هذه السنة توفي أبو الحسن علي بن أحمد حميص المكناسي، فمن قرأ على الشيخ أبي محمد عبد القادر بن علي الفاسي، سمع عليه في الحديث والفقه والعربية والأصول وعلم المعقول والمنقول، وتوفي ببلده مكناسة الزيتون".

ثم محمد بن بن عبد الرحمن حميص، جاء اسمه محلياً بالفقيه العالم في وثيقة عدلية بتاريخ 23 ربيع الثاني 1257.

محمد بن عبد الواحد حميص، وصف بالفقيه المدرس في ظهير صادر لأولاده عن السلطان العلوي محمد 4، بتاريخ فاتح ربيع الثاني 1276.

ومن الطلبة المرموقين عبد الرحمان حميص، حسب إشارة عند ابن زيدان.

ومن الوراقين علي بن عبد الرحمن حميص، كتب - بخطه - النصف الثاني من القاموس المحيط في مجلد فرغ منه أواخر ذي القعدة 1060 هـ، حيث يحفظ مع الملجد الأول بخط مغاير، في الخزانة الحسينية رقم 2587، ويلاحظ أن الناسخ مع علي بن أحمد العاتلي مرسوماً بالصاد آخره بدل الشين المعجمة.

أما الوراق الثاني فهو عبد الرحيم بن العربي، وقد كتب - بخطه عام 1239 - "رسالة في أسماء الأنوار الإلهية وبعض ظواهر الآيات القرآنية"، وتوجد نسخة منها سافرت من المغرب إلى تونس، حيث تحفظ في "دار الكتب الوطنية" رقم 1535، للناسخ شبه ترجمة عند أبي العباس أحمد سكيرج في معجمية : "كشف الحجاب" ثم رفع النقاب"، وفي هذا المصدر الأخير بصفة بالأديب الناشر الشاعر.

وفي الأسرة جماعات من الشهود الموثقين، آخرهم العدل عبد القادر بن أحمد حميص، المتوفي بتاريخ 8 ذي الحجة 1355.

وهو والد المرحوم السعيد الممدود من نخبة طلبة جيله، والمتوفى أواخر عام 1409.

على أن آخر فقهاءهم في مادة العلوم الأصلية، هو الفقيه الصالح سيدي محمد بن الإمام الراتب في الجامع الأعظم، المتوفى أواخر السبعينيات الهجرية، وهو والد الفيلسوف الأديب الأستاذ بنسالم حميص.

ونذيل - الآن - باسم الأمين المحسن الحاج العياشي بن محمد حميص، وقد كان السلطان العلوي محمد الثالث أحدث بمكناسة حلقة من الأمناء لمراقبة المسار المالي للأحباس وأملاك المخزن وما إلى ذلك، وكان المنوه به من جملتهم حسب إشارة لطائفة منهم وردت في وثيقة بحوالة مكناس الجديدة ص 117.

وقد جاء ذكر أسمائهم هكذا "... قام الأمناء بحضرة مكناسة : الأبر الأرضي السيد الحاج العياشي بن محمد

حميص، والطالب السيد الشافعي بن الحاج عبد الله بادو، والأبر السيد الحاج قاسم بن المرحوم السيد عبد السلام بن موصو، والأبر بن الأبر الحاج محمد أجانا، بمواقفة من عداهم من الأمناء الإثني عشر، بما إليهم من النظر في الأحباس بالأمر المولوي، تاريخ الوثيقة 26 جمادى الثانية 1186.

ومن مبرات العياشي حميص وقف جميع الثلث من الدار المزينة في روضة الشيخ سيدي عبد الواحد الأشقر، الواقعة بمصر القبايين من نفس المدينة، كما ذلك بوثيقة متخلفه المؤرخة بأواخر جمادى الأولى 1208.

كما كان أوصى بحبس معقب لعقاراته خارج المدينة، وبعد انقراض المحبس عليهم يرجع ذلك وقفا على المسجد الأعظم، حسب وثيقة ذلك بتاريخ أواخر صفر 1198..

وأخيراً : ها هو ظهير السلطان محمد الرابع بتجديد التوقير والاحترام، لأولاد الفقيه محمد بن عبد الواحد حميص سابق الذكر، ونصه بعد الافتتاح :

"... يعلم من كتابنا هذا أسماء الله وأعز أمره، وأشرق في سماء المعالي شمس المنيرة وبدره، انا جددنا بحول الله وقوته، وشامل بمنه ومنته، لأولاد الفقيه المدرس السيد محمد بن عبد الواحد حميص المكناسي حكم ما بأيديهم من ظهير مولانا الوالد طيب الله ثراه، المتضمن توقيرهم واحترامهم، وحملهم على كاهل المبرة والإكرام، والرعي الجميل المستدام، مراعاة لنسبتهم للعلم الشريف، فالواقف عليه يعمل به، ولا يحيد عن كريم مذهبه.

صدر به أمرنا المعترز بالله، في تاريخ ربيع الثاني عام 1276.

م. حجي، مصادر تاريخية، موسوعة أعلام المغرب، والنقل هنا من النص المخطوط : ظهير في مجلة، الوثائق التي تصدرها مديرية الوثائق الملكية، 2 : 378 ؛ ع. ابن زيدان، إنحاف أعلام الناس، 5 : 362.

محمد المنوني

**حُمَيْصَة**، أنواع نباتية عديدة تنتمي إلى أجناس وفصائل مختلفة ومن أشهر هذه الأنواع :

- رُومِيكْسُ بُوسِفَالُو فوروسُ Rumex bucephalopharus وهو نوع طبيعي يعيش على الأثرية الرملية وخاصة بفرجات غابة المعمورة.

- أوكساليسُ سِيرِنُوا Oxalis cernua الذي يتميز بأوراقه المفصصة إلى ثلاث وريقات والشبيهة بأوراق البرسيم، وبأزهاره الصفراء التي تظهر على أعناق طويلة تستعمل للاستهلاك الآدمي. أدخل هذا النوع عفواً إلى المغرب من جنوب أفريقيا وانتشر في الأراضي الحمضية تحت أشجار البرتقال.

أبحاث شخصية.

عبد المالك بنعبيد



**الْحَمَّيُّ**، محمد بن عبد الرحمان الفاسي، منسوب لِحَمَّة الأندلس الشهيرة في الجهة الشرقية. من فقهاء فاس وُعدولها المبرزين. قال في حقه القادري في *نشر الثاني* : "مقدّر الفرض يفاس وناظر مسجدها الأعظم والمنتصب لتلقى ما هو لجانب القضاء من التسجيلات ... شهير بالعدالة، معلوم بالجلالة محقق في الضبط والإلتقان، محرر لفصول الوثائق عن علم وعرفان" وأثبت نص رسم وقف عليه بخط محمد بن عبد القادر الفاسي شهد له فيه بالعدالة والضبط والإلتقان والثقة جماعة وأقرة تنيف على ثلاثين من علماء فاس وُعدولها وقضاتها، في مقدمتهم الشيخ عبد القادر الفاسي وابناه عبد الرحمان ومحمد، والعربي بردلة. كان ما يزال حياً في تاريخ الوثيقة المذكورة، وهو مهل ذي الحجة عام 1087 / 4 فبراير 1677.

م. القادري، *التقاط الدرر*، نج. هاشم العلوي، ص 251 : نشر الثاني، *موسوعة أعلام المغرب*، 4 : 1717-1718.

محمد حجي

**الْحَمَّيَّانِي**، علي بن أحمد التامنارتي، يظهر من خلال هذه النسبة الأخيرة أنه من تامنارت بالأطلس الصغير، وقد طفحت هذه المنطقة بالعلم ورجالته خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16-17 م) ولاشك أن الْحَمَّيَّانِي هاجر إلى درعة في أواسط القرن العاشر (16 م) ضمن جموع العلماء الذين هاجروا من بلاد جزولة إلى درعة. وقد حلاه صاحب *الفوائد الحجة بالمحقق المطالع*، الكبير الشأن (ص.47).

اشتهر علي الْحَمَّيَّانِي باطلاعه الواسع، فانتدبه بعض سلاطين الدولة السعدية لتولي القضاء بمراكش إلا أنه خاف على نفسه من فتنة القضاء ففر ورجع إلى درعة حيث عكف على التدريس وإفادة المتعلمين. ورغم أننا لا نتوفر على ما يحدّد المكان الذي نزل به الْحَمَّيَّانِي بدرعة، فإننا نرجح أن يكون قد نزل بواحة فزواطة أو أكتاوة نظراً للعلاقات الوطيدة التي كانت تربط آنذاك هاتين الواحيتين ببلاد جزولة. ويرجع الفضل للفقهاء الْحَمَّيَّانِي في جمع أجربة

ابن هلال (الإعلام، 9 : 187).

توفي علي الْحَمَّيَّانِي بوادي درعة في حدود 980 / 1572.

ع. التامنارتي، *الفوائد الحجة*، مخطوط ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج 9 : م. المختار السوسي، *مدارس سوس العتيقة*، ط. 1987 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، ج 2.

أحمد البوزيدي

قبيلة بني حسن شرقي إقليم القتيطرة. وهم مجاورون لدار ابن العاصري دائرة سيدي سليمان، ومنهم خيام صغيرة العدد مجاورة لقبيلة مختار.

أجرت سلطات الحماية في أول عهدها إحصاء لفخذات هذا البطن ولعدد خيامه، ثم جعلت أغلبهم تحت قيادة إبراهيم الزهاني ووضعت ستاً وسبعين خيمة تحت إشراف محمد بن محمد الكنداري المختاري. ومجموع أولاد حميد هو 703 خيمة مفصلة كما يلي مضافاً إليهم حجاوة الذين هم قبيلة أخرى :

أولاد سي العابد الغيائي وأولاد بن نايل وأولاد سعيد 160 خيمة ؛ أولاد ابن الحسن والزبانية والعرابيد والمغلييون 186 خيمة ؛ أولاد الغازي والنيبكات والدرهميون 150 خيمة ؛ أولاد برّوس والكرينات وحجاوة 131 خيمة ؛ أولاد شداد 23 ؛ والشهب 23 ؛ وأولاد سعيد والشعبيون والصحابيون 76 خيمة.

وكان أولاد حميد في العهدين السليمانى والرحماني إلى نظر آل ابن العاصري الذين هم من أولاد بوجنون فرقة أولاد يحيى لكن نجحهم أقل في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان. ولما تولى مولاي الحسن أدخل تنظيمياً جديداً فتت به الإيالات الكبرى فولى رجالاً من مختلف الفخذات على إخوانهم. فكان ثمة عدة قواد حميديون.

م. بوشعرا، *قبيلة بني حسن*، 1860. 1912 : *الوثائق الملكية والبسمعية والصبيحية*.

*Villes et tribus du Maroc, Béni Ahsen*, p.p. 281 et 287. مصطفى بوشعرا.

**الْحَمَّيَّانِي**، أسرة فاسية عريقة أصلها من بني حميد من صنهاجة بلاد ورغة. وبيتهم في فاس بيت فقه وعلم. وأقدم من أشارت إليهم كتب التراجم منهم الفقهاء محمد بن حسنون الحميدي المتوفى عام 705 وعلي بن محمد بن هارون الحميدي المتوفى عام 712 ؛ والفقهاء المدرس محمد بن الفقيه المدرس أبي بكر الحميدي المتوفى عام 804 شيخ إسماعيل بن الأحمر ؛ والقاضي عبد الرحمن الحميدي المتوفى عام 894.

على أن في الأندلس قبل هؤلاء محدثاً شهيراً ومؤرخاً كبيراً هو محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي تلميذ الإمام ابن حزم. ومؤلف كتاب *جدوة المقتبس* في ذكر ولاية الأندلس. المتوفى عام 488. ولا يعرف إن كان للحميديين الفاسيين علاقة قرابة به.

**الْحَمَّيَّانِي**، أحمد بن محمد، حلاه القادري في نشر الثاني "بالكاتب الأرفع، والبدر الأطلع، صاحب القلم الأعلى، واللفظ البالغ الأحملى ... أديب نحير، له أنظام

أولاد حميد، بطن من أولاد يحيى بن معبد من

رقيقة، وقدم إلى المعالي سبيقة، وخط حسن، وسمت مستحسن، عالي الهمة، عظيم الحرمة".

عمل كاتباً في بلاط السلطان المولى إسماعيل ثم مع ولديه عبد الملك فعبد الله. فكان يحسن الترسل والإنشاء والترتيب، ويأتي من البلاغة بالعجب العجيب".

لم يقف صاحب نشر الثاني على تاريخ وفاة أحمد الحميدي وإنما ذكره في خاتمة الكتاب ضمن من توفوا في القرن الثاني عشر (18 م) دون تحديد، ولعل وفاته لم تكن بعيدة عن وفاة مخدومه السلطان عبد الله بن إسماعيل سنة 1171 / 1757.

م. القادري، نشر الثاني، موسوعة أعلام المغرب، 6: 2253.

**الحميدي، عبد الواحد بن أحمد، أبو محمد وأبو مالك، عميد بيت الحميديين الذي سطع نجمه في سماء الحضرة الإدريسية على عهد الدولة السعدية، وارتبط مصيره بتاريخ الشرفاء الزيدانيين بفاس حتى كاد يتطابق معه نشوءاً وارتقاءً وانحطاطاً. رأى عبد الواحد الحميدي النور عام 930 / 1524.3، الذي استولى فيه أحمد الأعرج على مراكش. وكان في إبان حدثه يوم دخول محمد الشيخ المهدي فاس عام 956 / 1549، وبلغ أشده أربعين سنة عندما ولاه السلطان عبد الله الغالب بالله قضاء الجماعة بفاس عام 970 / 1563.2.**

لا تُفصل المصادر في هذه المرحلة الطويلة من حياة عبد الواحد الحميدي، والسابقة لاتصاله بالمخزن السعدي، والتي تغطي أكثر من نصف عمره. وتوجزها في أنه كان في ابتداء أمره يطلب العلم، ثم تركه واتخذ حانوتاً للتجارة يبيع فيها الثياب الخلفية بالسوق المعروف بالخرارقيين من فاس، ثم وقع له حادث تجهله أزعه إلى حثيث الطلب وتداركه قبل الفوت، فدأب عليه حتى صار من كبار الأئمة. ولا تفصح هذه المصادر عن داعي زهده في العلم، ولا تحدد مدة انقطاعه عنه، ولا تذكر ظروف عودته إليه وإقباله عليه. وتختلف الانطباع بإملاق الطالب عبد الواحد الحميدي، وإن العوز هو الذي اضطره إلى الانصراف عن حلقات الدرس والإقبال على بيع سقط المتاع.

وقد وافقت مرحلة تتلمذ عبد الواحد الحميدي وطلبه للعلم مرحلة احتلال فاس مكان الصدارة في الميدان العلمي بالمغرب، واختصاصها بالتعمق في دراسة الفقه المالكي، والعناية الفائقة بعلوم القرآن والحديث وغيرها من العلوم، فأفاد من أعيان علمائها، ولازم عبد الواحد الونشريسي نجل مؤلف المعيار، وعبد الوهاب الزقاق حفيد صاحب اللامية الفقهية المشهورة والمختص بمختصر خليل، وقرأ نفس الكتاب أكثر من عشر مرات على انفيقه الزاهد مبارك التارختي، وأخذ عن أحمد بن علي المنجور الذي أخذ بدوره عنه، وأجازة محمد بن أحمد الفيظي المصري ضمن من أجاز من أعلام الحضرة الفاسية بمشيخته.

وبالإضافة إلى أساتذة عبد الواحد الحميدي هؤلاء والمتواتر ذكرهم في مصادر ترجمته، فقد انفرد تلميذه إبراهيم بن عبد الرحمان الكلافي في كتابه تنبيه الصغير من الولدان بالإشارة إلى تتلمذه على محمد بن أحمد اليسيتي. وسجل الأثر البعيد الذي كان لأستاذه هذا في نفسه، وأنه كثيراً ما كان يشني عليه في مجالسه العلمية، ويجل ذكره كمن يذكر الإمام محمد بن علي المازري وأمثاله على الدوام والاستمرار، ويحكي عنه حكايات ويصف لطلبته الحظوة التي كانت له عنده. وترى أن التقارب في الطبع بين الأستاذ اليسيتي وتلميذه الحميدي، واتفاقهما في الجمع في شخصهما المتناقضات، أمر ربما كان من أسباب الصلة العميقة التي نظمت بينهما. وإذا علنا أن اليسيتي قد عرف كيف يستغل الظروف السياسية الخطيرة التي عاشتها فاس في منتصف القرن العاشر (16 م)، وذهب ضحيتها كثير من أقرانه، وعلى رأسهم عبد الواحد الونشريسي وعبد الوهاب الزقاق، فحظي بثقة السلطان محمد الشيخ المهدي لما ظفر بفاس، وصار من خاصته وأهل مودته، يحق لنا التساؤل عما إذا كان بعض الفضل يؤول إليه في وصل جبل تلميذه الحميدي بالسعديين، وبالأخص بعبد الله بن محمد الشيخ الخليفة على فاس؟

ولم يخل عبد الواحد الحميدي من الميل إلى التصوف والتشوف إلى رجاله، شأنه في ذلك شأن معاصريه من خاصة وعامة أهل القرن العاشر. وكان له اعتقاد ومحبة في رجلين لم يكن يرى أحسن منهما في الصلاح في عصره، وهما الشيخ رضوان بن عبد الله الجنوي والشيخ أحمد بن جامع الزروالي. وقد نظمت بينه وبين بلديه الشيخ رضوان الجنوي صلة وثيقة ومستمرة، دأب فيها على صادق خدمته وحسن الأدب معه والهروع إليه ساعة الشدة والضيق. وجرت بينهما محادثات ومكاتبات أثبتتها أحمد المرابي في كتابه تحفة الاخوان. كما شد الرحال لزيارة الشيخ أحمد ابن جامع بمدشر بني خالد من قبيلة غمارة، وأخذ عنه الوظيفة الزروقية.

ويشترك الشيخان الجنوي والزروالي في صلتهما بالحركة الجزولية المتمركزة في مراكش، والمشايع للسهديين منذ أولية استقرارهم بها في حدود عام 930 / 1524.3. فقد استخف الشيخ رضوان الجنوي - وهو في إبان الحدائة - ببطش حكام فاس، وخرج إلى مراكش منشوقاً إلى صحة الشيخ عبد الله الغزواني الذي كانت له يد في فشل ربح بني وطاس. كما أخذ الشيخ أحمد بن جامع عن الشيخ أبي عمرو القسطلبي صاحب أعظم زاوية جزولية بمراكش في وقته، والذي كان السلطان عبد الله الغالب يعظمه ويحترمه، ويعتقد له منزلة لا يعتقدها لغيره، ويصرح بأنه ما وجد البركة في دولته ومدته إلا له. فيكون الاتجاه الصوفي الذي انخرط عبد الواحد الحميدي في سلكه أو اشتهر بجبله إليه هو الاتجاه الذي حظي بعطف ورضى

السعديين منذ خضعت فاس لهم. وتكون الخطوة الرفيعة لمشاخه في الفقه والتصوف لدى السلاطين السعديين ودرجته العالية في الفقه المالكي ومشاركته الواسعة في علوم كثيرة هي المقومات الأكيدة التي أهلتة لولاية قضاء الجماعة. ونستبعد أن تكون هناك اعتبارات مادية وراء اختياره لهذه الخطة وأن البضاعة المزجاة التي تاجر بها قد بدلت عسره يسراً وحولت فقره غنى، وهذا قبل أن يصل حبله بالمخزن السعدي.

وقد اشتهرت ولاية الحميدي خطة القضاء بفاس عهد السعديين ومن قبلهم، بحيث لم تطل مدة غيره على هذه الخطة بهذه الحاضرة قبله مثلما طالت ولاية القاضي محمد بن عبد الله اليفراني المكناسي المتوفى عام 1522 / 928 الذي تولى هذه الخطة منذ عام 1481 / 885. وهكذا داوم الحميدي على قضاء الجماعة بفاس مدة تنيف على الثلاثة عقود، من عام تقلده له إلى عام وفاته (1594 / 1003). واستبد به في خلافة أربعة سلاطين هم عبد الله الغالب ومحمد المتوكل وعبد المالك المعتصم وأحمد المنصور. وبالإضافة إلى طول المدة امتازت هذه الولاية بتضارب الناس في شأنها : فبعد عام من وفاة الحميدي يخلد أحمد بن القاضي مثاليه في جنوة الاقتباس التي ألفها بفاس عام 1596 / 1004، ويترجم له بقوله : "أنه كان حافظاً لمذهب مالك، إلا أنه نبذ الشريعة المحمدية وراء ظهره، وكان يحكم بموافقة شهرته مع علمه بالفقه، إلا أنه لا يبالي بما فعل، حتى اكتسب هو ومن والاه أموالاً جلييلة لا حصر لها، من أخيه وأولاده وأولاد أخيه وأختانهم وأعوانهم وغير ذلك. ولما توفي قال فيه صاحبنا أبو زيد عبد الرحمان المشتزائي :

تولى الحميدي وأخزابه وأيام دولته الفاسية  
ومات وخفت مساويزه وصار إلى أمه الهاوية

ولا سبيل إلى الشك في عدالة ابن القاضي، الذي استغرقت ولاية الحميدي قضاء الجماعة بفاس حياته طفولة وشباباً وكهولة إلى حين تصنيفه *المجدوة*. والأكثر من ذلك فقد قصد بتأليفه هذا إلى السلطان أحمد المنصور تلميذ الحميدي، وفي ذلك درك عظيم عليه منه لو لمز أستاذه المذكور بما هو بريء منه.

ولم يُنظر بعين الرضى إلى ما كتبه ابن القاضي عن الحميدي في *المجدوة*، وتم التشطيب عليه بالحرمة، وذلك في نسخة المؤلف الأصلية بخطه، والتي لا شك أنها المهداة إلى مخدومه السلطان أحمد المنصور. ولولا وقوف المؤرخ محمد الصغير الإقراني على هذه النسخة المعتمدة ونقله لما شُطب عليه "لوجه لا يخفى على من له ممارسة بالعلم" كما نبه إلى ذلك بلفظه، وذلك في ذكره لأخبار عبد الواحد الحميدي في كتابيه *نزهة الحادي* و*صفوة من انتشر*، لصاح هذا النص وأندثر، والذي لا نعثر له على أثر في النسخ المتوفرة اليوم من *المجدوة* الخطية منها أو المنشورة.

ولم يفتر الرد على ابن القاضي في هذه القضية، واستمر الظن في قوله هذا إلى زمان قريب منا. وعبر عنه محمد الكتاني في الترجمة التي أفردها لعبد الواحد الحميدي في سلوة الأنفاس، وجاء فيها بقول أحد المعترضين على ابن القاضي، وهذا نصه : "قال بعضهم : لا يقبل ما ذكره ابن القاضي فيه. قال : والذي أدركنا عليه الأئمة المعتد بقولهم من أشياخنا وأشياخهم وهلم جرّاً أن الحميدي المذكور إمام ثقة مأمون من قضاة العدل، بل أعذل قضاة المغرب في زمانه وأورعهم، ولعدله طالت مدة ولايته بحيث لم تطل مدة غيره بفاس قبله مثل ما طالت ولايته إلا القاضي المكناسي اليفراني. وقد أكثر علماء فاس فيما جرى به العمل عندهم من رأيهم من النقل عن القاضي الحميدي المذكور".

والواقع أن ابن القاضي لا يتفرد بالظن في عدالة وأمانة القاضي عبد الواحد الحميدي، وقد سبقه إلى ذلك أستاذه أحمد المنجور الذي انتقد انتقاداً مرأً خطة القضاء في عصره، وقال إنها أفلس في آخر أيام الوطاسيين عندما أسندت إلى من لا تتوفر فيه الكفاية العلمية ولا النزاهة الأخلاقية، وأكد على ظهور داء القضاء من جديد أيام عبد الله الغالب ومن أتى بعده من الشرفاء، أي على عهد ولاية عبد الواحد الحميدي قضاء الجماعة بفاس بالذات. وقد أثبت المنجور انتقاده هذا في فهرسه الذي أجاز به تلميذه السلطان أحمد المنصور، والذي ألفه عام 1591 / 989، والقاضي الحميدي يرمها في أوج زعامته العلمية والفقهية وفي أزهى أبهته الدنيوية. ولعل هذا الانتقاد قد وجد من المنصور أذناً صاغية وقلبا واعياً، وكان وراء الأمر الاستعجالي الذي أصدره بعزل عبد الواحد الحميدي عن خطة القضاء، والذي ما لبث أن عدل عنه بنفس السرعة !

وقد يقال إن المنافسة الشديدة الناشبة بين المنجور والحميدي تضعف من هذا الانتقاد وما ترتب عنه من عزل ورد، فتعضده وتقويه نكبة الحميدي السابقة والقريبة من تأليف الفهرس المذكور، والتي تمت على يد السلطان عبد المالك المعتصم الذي نقم عليه شيئاً سكتت عنه المصادر فسجنه مدة، وتشفع فيه قوم فلم يقبل شفاعتهم، وبعث بأولاده إلى الشيخ رضوان الجنوي يطلبون منه أن يشفع له عند السلطان، فأبى وكتب له بيتين يحضه على التشفع بالخالق وترك التعلق بالخلق.

وقد أشتهر غنى عبد الواحد الحميدي بفاس، وحفلت سيرته بحبه المال وإقباله الشديد على الدنيا وسعة خلقه وكثرة انبساطه. وارتبطت جل الحكايات المستفيضه عنه بصلات كبراء المخزن له، وبالهباء والأطعمة الملوكية التي كانت تصله من السلطان أحمد المنصور. كما اتصلت جل الأبيات المأثورة عنه بهذه المناسبات، وما انفتح بها من أبواب المزاح والمباسطة والمداعبة بين أدباء الحاشية المنصورية، وليس هذا مقام التوسع في جلب هذه الحكايات

والمناسبات. وقد تعددت مصادر الجاه الديني والديني الذي تمتع به عبد الواحد الحميدي، فحظي بالجمع بين العديد من الوظائف ذات الأهمية البالغة على عهد السعديين من قضاء وإمامة وخطابة وتدریس، بالإضافة إلى استفادته من الهبات السلطانية والصلات المخزنية. وهكذا وعلاوة على خطة قضاء الجماعة التي اشتهر بها، تقلد خطابة جامع السلطان بالمدينة البيضاء حيث يصلي نائب السلطان وولي عهده، وأجرها أعلى من أجور خطباء مساجد فاس جميعاً. وكان له كرسي تدریس بالقرويين، وهو كرسي الونشروسي الذي يعد من الوجهة المادية من أثرى الكراسي العلمية وأغناها بالقرويين، وكان معروفاً لدى الناس بكرسي القاضي. كما ولي إمامة المدرسة المصباحية، وكذا التدریس بها. وكان عضواً في الديوان الذي اتخذته السلطان أحمد المنصور كل أربعاء تجتمع فيه وجوه الدولة ويتطرحون فيه وجوه الرأي فيما يتوب من جلائل الأمور وعظيم النوازل.

ومن مظاهر ثراء الحميدي داره الكبيرة ذات الأشجار بحومة المخفية من فاس الأندلس، وخزائنه التي وصفها أحمد بابا التنبكتي بالملوكية، والتي كانت واحدة من أشهر المكتبات الخاصة بفاس على هذا العهد. والعادة التي اتخذها عبد الواحد الحميدي من شراء في فصل كل شتاء عدداً عديداً من الحياك - وهي لباس العلماء والطلبة في العصر السعدي - وتوزيعها على طلبته بالمدرسة المصباحية. وما يحكى شائعا بفاس من أن ابنته كان في رجلها خلاخل من ذهب لا تحملها إلا بسلسلة في حزامها، ولها إمامة يتبعنها يحملن ما تخرج من حللها، واشتهر ابنه البكر محمد بلقب التاجر. وقد كان بفاس يهودي ساحر اسمه ابراهام يستطيع فتح جميع الأقفال دون حاجة إلى مفتاح، وكانت دار الحميدي من بين الدور الفاسية المشهورة بثرائها التي أغرت بالسرقة والسطو.

ومن بين مظاهر السطوة والنفوذ اللذين تحققا لبنت عبد الواحد الحميدي تكاثر أفراده من عقبه وعقب أخيه، ونظمه علاقة مصاهرات قوية من قبل نسائهم وبناتهم، وهو ما عبر عنه ابن القاضي بالأختان مع كثرة الأعوان والخدام، وعبر عنه عبد الرحمان بن إبراهيم المشنراي بالأحزاب والدولة. زيادة على دالة المشيخة التي كانت لعبد الواحد الحميدي على السلطان أحمد المنصور، وعلى العديد من أرباب دولته، وعلى غالبية أعيان الحضرة الفاسية. وقد بث أولاده في مختلف مراكز الأنشطة الاقتصادية والقضائية والعلمية بفاس، فكان ابنه محمد يشتغل بالتجارة، وقدم ابنا آخر له لتلقي الشهادة بسماط عدول فاس، ونبع ابنه عبد الوهاب المترجم بعده في الأوساط العلمية والأدبية الفاسية، وسيتولى قضاء فاس مدة والتدریس بالمدرسة العنانية.

ورغم تعدد وأهمية الوظائف التي تقلدها عبد الواحد الحميدي من قضاء وإمامة وخطابة وعمل في ديوان

السلطان، فقد كان من أنشط عناصر التدریس بفاس، ومن أبرز أعلام الحركة الفكرية على عهد السعديين، خصوصاً خلال الدرر الثاني من أدوارها، الذي أعقب معركة وادي المخازن ودام إلى وفاة السلطان أحمد المنصور. وقد اتسعت دائرة نشاطه التعليمي خلال هذا الدور، وشملت مراكز التي احتلت مكان الصدارة في الميدان العلمي على عهد هذا السلطان. وتتصل العديد من أخبار عبد الواحد الحميدي بترحاله الدائم بين حاضرتي البلاد مراكش وفاس، في ركاب الأمراء أو الدهماء، وخروجه مع السلطان أحمد المنصور في زيارته إلى المراكز الدينية والعلمية النشيطة في الأطلس والسوس وغيرها، مثل زيارته إلى رجال أغمات ورحلته إلى المحمدية. ولا تذكر رحلة عبد الواحد الحميدي إلى هذه الحاضرة إلا وتذكر معها فضيحتة على يد أحد علمائها وهو سعيد بن إبراهيم الهلالي الذي ألقى عليه أسئلة غريبة في الفقه وقواعد اللغة نظمها في ستة أبيات من البحر الطويل، فتوقف عن الجواب عنها، فرفعت القضية إلى المنصور الذي أمر أحمد المنجور فأجاب عنها بنفس الوزن والقافية.

وقد أفنى عبد الواحد الحميدي عمره في التدریس بفاس، والمواظبة على قراءة التفسير والفقه والتصوف والنحو في القرويين والمدرسة المصباحية. وخلف لنا تلميذه إبراهيم بن عبد الرحمان الكلاي وصفاً دقيقاً لبرنامج الدراسي اليومي الحافل، الذي يبدأ بحصة صباحية في القرويين يفتحها بدرس التفسير الذي يعتمد فيه تفسير الإمام ابن عرفة التونسي، ويعقب عليه بدرس الفقه فيقري رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ويختم حصته هاته بتدریس حكم ابن عطاء الله الإسكندري في التصوف. ثم ينتقل بعد ذلك إلى المدرسة المصباحية فيقري طلبتها تهذيب البرادعي على المدونة في الفقه، قبل أن يؤم بهم صلاة الظهر. ثم يكف على درسه المشهور الذي كان يحضره إلى جانب الطلبة الفقهاء المعتبرون، وهو درس مختصر خليل على الدوام بعد صلاة الظهر إلى العصر. وينتهي يومه بتدریس المغني لابن هشام في اللغة والأدب. وقد أفاض الكلاي في وصف الإقبال العظيم الذي كان على مجلس شيخه الحميدي، وأسهب في ذكر الفقهاء الذين كانوا يلزمونه، ومنهم من كان ينتقل إليه مع أكثر طلبته، مثل الشيخ علي بن عمران السلاسي. وذكر أن مجلسه كان حسنا له حلاوة ورقة، وربما مزح بعض الأوقات طلبته بحكايات ومضحكات تناسب المحل. وأنه كان غالب أمره لا يعقد مجلسه هذا يوم الأربعاء لحضوره ديوان السلطان.

وشابت علاقة عبد الواحد الحميدي ببعض كبار علماء الوقت منافسة حادة، واشتهرت خصومته الشديدة مع الإمام أحمد المنجور والشيخ أحمد الزموري، فكان لا يتورع عن الوقوع في أعراضهما أحياء وأمواتا، وفي أجل محافل الدين والعلم : وقد قدم السلطان أحمد المنصور أستاذه

أحمد المنجور مرة للصلاة، فلما أراد المنجور أن يدخل المحراب منعه الحميدي، فقال له السلطان دعه فقد قدمه علمه، فقال الحميدي إن قدمه علمه فقد أخره نسبه، تعريضاً بأصله اليهودي. ولما توفي الشيخ أحمد الزموري لم يحضر الحميدي جنازته، وأياماً قلائل بعدها هجر به الكلام - وهو في مجلسه العلمي الحافل - إلى التعريف بأولاد ابن إبراهيم المشنزاين، فذكر الشيخ أبا القاسم المشنزائي الذي تتلمذ عليه الزموري، فقال : "وأحمرهم ذاك بلقاسم خلافاً لمن استريح منه !". وعلق تلميذه الكلافي على عبارته هاته "ومراده التوصل إلى ذم سيدي أحمد الزموري بواسطة شيخه مبالغته بأنه إنما كان شيخه الذي هو الأستاذ الحافظ سيدي أبو القاسم حماراً، بل أتى به بأفعل الدال على المبالغة في الحمرة، فكيف يكون تلميذه المستراح منه ؟".

وعموماً لم يكن عبد الواحد الحميدي يكظم غيظه ويعفو عن الناس، ولم يسلم من لسانه العديد من معاصره من مشايخ الفقه والتصوف، ولم يكن يبالي بما يلحقه من إذايتهم من ضرر : فقد مر يوماً على الملامتي عبد المجيد بن أبي القاسم البادسي، وهو جالس بازاء صومعة القرويين والناس يتبركون به، فقال له قم يا بغل الناس كلهم يصلون وأنت لا تصلي والناس يزورونك ! فنظر إليه وقال له أنت معزول ! فجاهه أمر السلطان أحمد المنصور بالعزل بيوم أو يومين من ذلك. وتشفع الحميدي بالبادسي، فجاهه من الغد كتاب من المنصور بتوليته ورده إلى خطته. ووطئ الفقيه سعيد بن إبراهيم الهلالي على جبل من حبال خباء عبد الواحد الحميدي المضروب بباب المحمدية، وكانت على الهلالي أظمار بالية وهينة رثة، فصاح عليه الحميدي : من هذه البقرة التي قوّضت علي خيمتي ؟ مستحقراً به. فجاه الهلالي وقال له : البقرة هو الذي لا يجيب عن هذه المسائل! وألقى إليه قرطاساً مكتوباً فيه الأبيات الستة التي لم يحر لها جواباً.

وتذكر المصادر من حسنات عبد الواحد الحميدي حرصه على محبة الطلبة ونفعهم بعلمه وماله، وأنه كان يمازحهم في درسه بالحكايات والمضحكات، ويهديهم كسوة الشتاء، وأن أرباب الخصومات الذين كانوا يقصدون مجلس قضائه كانوا يعلمون منه ذلك فيتشفعون إليه بهم فيعفو ويتجاوز عنهم. وأيضاً محاولته نصح السلطان أحمد المنصور وندبه إلى العدل والرفق بالرعية، لما شاهد وهو في طريقة إلى مراكش سلسلة فيها رجال ونساء وفيهم امرأة أخذها الطلق وهي في كرب المخاض. وكذلك مبادرته إلى تبشير المجاهدين أولاد أبي الليث بنهاية اغترابهم ورجوعهم إلى وطنهم الهبط، بعد أن رحلهم السلطان أحمد المنصور إلى فاس عام 998 / 1590.

وقد تخرج علي يد عبد الواحد الحميدي خلائق، يتصدرهم السلطان أحمد المنصور، ووزيره وكاتبه عبد العزيز الفشتالي، ومن القضاة ابنه عبد الوهاب المترجم بعده، وعبد

العزیز المركني الفيلافي، وأبو القاسم بن أبي النعيم الغساني وإبراهيم الكلافي. وتتلذذ عليه أيضاً أبو المحاسن يوسف الفاسي، وأولاده أحمد الحافظ ومحمد العربي وأخوه عبد الرحمان بن محمد الفاسي "العارف". وقد سعى الحميدي إلى سكنى أبي المحاسن فاس بعد دخوله إليها عام 988 / 1580، وكتب إلى أهل الفصير يطلب منهم الكف عن مطالبته بعدم الخروج من بلادهم. ومن تلامذته أيضاً الحسن ابن يوسف الزياتي، وأخوه أحمد.

ويقال إن عبد الواحد الحميدي كتب شيئاً على أوائل مختصر خليل، وقد احتفظ ببعض أجوبته تلميذه القاضي إبراهيم الكلافي في تنبيه الصغير من الولدان والمسألة الشهية الامليسية، وكذلك عبد العزيز نجل تلميذه الحسن الزياتي في الجواهر المختارة.

رؤى عبد الواحد الحميدي في آخر أيامه بوفاة ابنه التاجر محمد، ولعل ميته لم تكن طبيعية، إذ ذكر تلميذه الكلافي أن لها سبباً لا يعرفه إلا القليل، وقد كان أحب أولاده إلى نفسه، ووجد عليه وجداً شديداً. وخرج لحفر قبره فحفر بمحضره، وأمر الحافر فحفر له قبر نفسه بجانبه، وهو يمازحه ويقول له وسع علي من كذا وسع علي كذا، حتى فرغ من حفرة، فأدلى رجله في القبر ويكي بكاء عظيماً أبكى الحاضرين معه لذلك، ثم رجع لداره. وكان قبل هذه المصيبة قد رأى رؤيا عبرها بموت ابنه محمد وأنه يلحق به، فكان كذلك، فما بقي إلا قليلاً ولحق به.

توفي عبد الواحد الحميدي عشية يوم السبت 18 ربيع الثاني 1003 / 31 دجنبر 1594، ودفن من غده بعد صلاة الظهر بروضة أبي زيد الهزميري خارج باب مصمودة من عدوة فاس الأندلس. وحضر جنازته الخليفة محمد الشيخ المامون بن السلطان أحمد المنصور، ووقف على قبره حتى فرغ من دفنه. وكان يوماً عظيماً خلّت الديار من النساء والأولاد فضلاً عن الرجال لحضور جنازته، حتى كاد الناس يقتتلون من شدة الازدحام. وصلى عليه مفتي فاس وشيخ الجماعة بها الشيخ يحيى بن محمد السراج.

- أ. المنجور، فهرس، 53-79 : أ. ابن القاضي، جذوة، 181، 80 :  
 درة، 3، 142 : لقط، 290 : أ. المرابي، تحفة الإخوان، مخطوط، خ.  
 ع، 154، ك، 367، 371، 373، 425 : أ. المقري، روضة، 18، 20، 35.  
 175، 181 : أ. الكلافي، تنبيه الصغير من الولدان، مخطوط، خ.  
 ع، 571، ك، 18، 21 : م. الشراط، الروض العطر الأنفاس، نج. ز.  
 النظام، الرباط، 1997، 98، 113، 114، 282 : م. الصغير الإفرائي،  
 نزهة هوداس، 53، 54، 56، 121، 130، 133، 134، 158، 159، 165،  
 171، 173 : صفوة، ط. حجرية، 14، 32، 46، 95، 96، 97، 102، 166 :  
 م. العربي الفاسي، مرآة، ط. حجرية، 10، 37، 85، 148، 166 : م.  
 القادري، نشر، موسوعة أعلام المغرب، 3، 1071، 1074 : النقاط، 2،  
 22، 1 : س. الفشتالي، تقييد، مخطوط، خ. ع، 283، د، و 87 ط  
 . و 88 ط : أ. الناصري، الاستقصا، 5، 46، 55، 57، 65، 167، 168،  
 198، 199، 192 : م. الكستاني، سلوة، ط. حجرية، 2، 60، 61 :

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 8: 525-532؛ ع. الكتاني، فهرس الفهارس، بعناية: إ. عباس، 2: 888-890؛ ل. بروفنسال، مؤرخو الشرفاء، تعريب ع. الخلاوي، 170؛ م. حجي، الحركة الفكرية، 95-112، 117-122، 124-128، 271-274، 309-310، 317-361، 378-382، 406-487، 540-541؛ م. مزين، فاس وياديتها، الرباط، 1986، 175-280، 281-282، 560-561.  
F. R. Mediano, *Familias de Fez*, C.S.I.S., 1995, p. 172-173.

**الحميدي، عبد الوهاب بن عبد الواحد، أبو محمد وأبو النصر،** يعرف بالقاضي الحميدي الصغير تمييزاً عن والده المترجم قبله. تتلمذ على والده المذكور، والحسن الدراوي ويحيى السراج ومحمد القصار وأبي المحاسن يوسف الفاسي وعبد العزيز المركني وعلي الجراري وأحمد الفاسي وأبي القاسم ابن أبي النعيم.

لقيه أحمد المقرئ لما دخل المغرب أول مرة عام 1009 / 1600، ومكث بفاس أسابيع معدودات ربما يلتحق بقاعدة الملك مراكش. وولد في روضة الآس مبادرته إلى إكرامه وقضاء مآربه ومراميه، وسجل علاقته الحسنة بالأمير محمد الشيخ المامون ولي عهد السلطان أحمد المنصور وخليفته على فاس، وأنه ناوله قصيدة له في مدحه.

قلد الأمير المذكور عبد الوهاب الحميدي قضاء الجماعة بفاس، وذلك أواسط عام 1012 / 1604.3. لما استبد بأمر هذه الحاضرة بعد وفاة والده السلطان أحمد المنصور، وعزل قاضيها ابن أبي النعيم لمبايعته أخاه زيدان وقوله فيه وفي شقيقه أبي فارس أولاد الإمام. ثم أقر عبد الوهاب الحميدي عن هذه الولاية وأعيد إليها أستاذه ابن أبي النعيم. كما ولي التدريس بالمدرسة العنانية، ومن تلامذته الفقيه الزاهد محمد بن عبد الوهاب الدكالي الفاسي الذي جمع بين الفتيا والقضاء.

اشتهر عبد الوهاب الحميدي باعتقاده الكبير ومحبه الزائدة في شيخه أبي المحاسن الفاسي وملازمته الكثيرة له وانتفاعه به، وبالألفة الأكيدة والمواصلة التي كانت بينه وبين محمد العربي الفاسي، ودأبه على حضور مجالس أحمد الفاسي الملقب بالحافظ، وهو مجاوره بالدار. وقد خرج معه من فاس عام 1019 / 1610 فاراً بدينه، وممتنعاً عن مملأة مخدمه محمد الشيخ المامون وموافقته على تسليم العرائش للإسبانيين. ولا نعلم هل ألقى عبد الوهاب الحميدي عصا التسيار بيادية بوزيري بالريف، والتي مات بها شيخه أحمد الفاسي عام 1021 / 1612، أم بقي متنقلاً بالبوادي إلى وفاته بعده بعام واحد.

وستوذن وفاة عبد الوهاب الحميدي الموافقة لمقتل محمد الشيخ المامون بانهيار بيت الحميديين بفاس انهياراً أساسياً. ويؤول الحال بأخته المذكورة في ترجمة والده، والتي اشتهرت ببذخ حليها وحللها وكثرة إيمانها إلى

الدوران على الديار وطلب من يستأجرها طحيناً أو غيره. ويختفي رسم دارهم الكبيرة بحومة المخفية، وتصبح عرصة براحاً مفترسة بالأشجار. وقد يكون عبد الله بن محمد الشيخ المامون هو الذي استصفى أموال الحميديين انتقاماً من موقف عبد الوهاب الحميدي من والده. وقد يكون ذلك من فعل حاقدين وناقمين من أيام القاضي عبد الواحد الحميدي انتهزوا الفتن التي أظلم لها جو فاس فأرأوا لأنفسهم من ذريته. وقد يكون نتيجة الشر الذي عم فاساً وخلا أكثرها بسببه، واستولى عليها الخراب حتى كادت تضمحل ويعفو رسمها. وتبقى ثروة الحميديين الطائلة مثلاً للشروات الخاصة التي نفذت كلمح البصر خلال هذه المرحلة المعتمة من تاريخ فاس.

صنف عبد الوهاب الحميدي تقييداً ترجم فيه لمشايخ العلم والتصوف الذين عاصروهم، وربما يكون قد قصد به التذليل على كتاب دوحة الناشر الذي ألفه محمد بن عسكر عاماً واحداً قبل معركة وادي المخازن. وقد ذكر فيه بعض شيوخه مثل الشيخ أحمد الشاوي، الذي يقول في حقه "سيدي وشيخي وقرّة عيني". وترجم فيه لبعض من كان له به اتصال من مشاهير صلحاء فاس مثل الشيخ علي ورزك، وللعديد من أتباع أبي المحاسن مثل الشيخ إبراهيم الصياد والشيخ حمادي وغيرهما. وقد ضنت مكتبة الأسرة الفاسية بهذا التقييد النفيس، فلم تتعهده الأيدي بالنسخ، ولم يحصل له الذبوع والانتشار، واقتصرت النفع به بخط مؤلفه على أبنائها ومعارفهم من كتاب التراجم الفاسيين، وتم النقل عنه في عدد محدود من مصنفات التراجم المشهورة، مثل *ابتهاج القلوب لعبد الرحمان الفاسي والروض العطر الأنفاس* لمحمد بن عيشون الشراط والإعلام بمن مضى وغير لعبد الله الفاسي. وقد عبر هذا الأخير عن نفاسة هذا التقييد بنعته لمصنفه عبد الوهاب الحميدي بالمؤرخ، وذلك في الترجمة التي عقدها له من كتابه المذكور.

وعفى الزمان على هذا التقييد، ونسجت عليه عناكب النسيان، فلا نجد له ولا لصاحبه ذكراً لا في مؤرخي الشرفاء ولا في دليل مؤرخ المغرب الأقصى. ونعتقد أن مادة هذا التقييد المفقود موجودة في التقييد المنسوب إلى المدعو سليمان بن أحمد الفشتالي، الذي يبدو أنه عاش في أواخر القرن الثاني عشر (18 م) وقد سطر في ديوانه أنه في "ذكر من توفي من الأعيان من أول العشرة الأولى بعد القرن العاشر إلى ثلاثين، وما وقع فيها من الأخيار من أحوال ملوك الوقت، وغير ذلك مما جمعه بعضهم". والمقصود تقييد عبد الوهاب الحميدي قطعاً، والذي يترجم له ولوالده عبد الواحد الحميدي ولشيخه علي الجراري، بل ويتفرد بذكر أخذه عن الشيخين الدراوي والجراري، ويخبر خروجه من فاس مع شيخه أحمد الفاسي الحافظ. وهذا التقييد محفوظ في الخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع

عدده 283 د، وعدد ورقاته خمسون، من الورقة 80 إلى الورقة 130.

توفي عبد الوهاب الحميدي عام 1022 / 1614.

أ. المقرئ، روضة الأسر، 223، 225؛ م. العربي الفاسي، مرآة، ط. حجرية، 130؛ ع. الفاسي، ابنهاج، تع. ح. الداوي، د. د. ع. كلية الآداب بالرباط، 381-443، 449؛ م. الشراط، الروض، تع. ز. النظام، الرباط، 1997، 256؛ ع. الفاسي، الإعلام، تع. ف. نافع، د. د. ع. الرباط، 23، 29، 39، 79، 82، 83، 91، 125، 126؛ م. الصغير الإفرائي، صفوة، ط. حجرية، 64، 142؛ م. القادري، نشر، موسوعة أعلام المغرب، 3، 1203؛ التقاطع، 2، 60، 61؛ م. الحضيكي، طبقات، تع. أ. بومزكو، د. د. ع. كلية الآداب بالرباط، 3، 294؛ س. الفشتالي، تمهيد، مخطوط، خ. ع. 283 و108، و111 و116 و120 ط.

عبد الله نجمي

### الحُمَيْدِيَّة، خديجة بنت أحمد بن عزوز الحميدي

الفاسي. قال عنها تلميذها عبد الحفيظ الفاسي: "الشيخة الصالحة المقرئة من أهل فاس... كانت حافظة لكتاب الله وما يلزم لأدائه من قراءة وتجويد، عارفة بمخارج الحروف قارئة بكثير من القراءات كقراءة ورش وقالون ومكي، عارفة بوجوه قراءة هذه الرويات وأحكامها، ملازمة لتعليم كتاب الله، كثيرة العبادة والتلاوة مشتغلة بما يعينها". أخذت القرآن الكريم بروايته على شيخ القراء الحسن جنبور، وتلقى عبد الحفيظ الفاسي عنها القرآن الكريم برواياته الثلاث وأجازته بذلك سنة 1323. وتوفيت بعد ذلك ببسر بمدينة فاس.

ع. الحفيظ الفاسي، رياض الجنة، الرباط، 1931، ج. 2، 26.

محمد حجي

**حميركاه** أو **حُميركا** - بالمد والقصر - كذا يُنطق بها في المغرب وفي المشرق العربي أيضاً - وتسمى أيضاً بوفسيو في بعض المناطق الشمالية من البلاد - طيور برية صغيرة القد تألف الغابات والأدغال واليساتين والمناطق الصخرية. تحرك ذيلها باستمرار وسميت بالحميراء لحمرة ريشها. تنتمي إلى رتبة الجواثم وفصيلة الشحوريات Turdidae. يسمى الجنس علمياً Phaenicurus وبالفرنسية - Rouge - queue وبالألمانية Redstart وبالإسبانية Collirojo وبالبربية أفضيض أزگاغ.

يُعرف جنس الحميراء في المغرب ثلاثة أنواع يعتمد على الذكور للتمييز بينها وذلك لألوانها الزاهية المختلفة. إناث هذه الأنواع كثيرة التشابه وألوانها حمراء بنية. يتكون غذاؤها من الحشرات والديدان وبعض الفواكه العنبية.

النوع الأول من الحميراء Phaenicurus moussieri من أكثر الأنواع انتشاراً في المغرب ويقتصر توزيعها الجغرافي

العالمي على تونس والجزائر والمغرب، منها عدة مجموعات تشتت في المناطق الصحراوية من هذه البلدان الثلاثة ثم تعود في فصل الربيع لتتوالد في المناطق الوسطى والشمالية.

لا يتعدى طولها 12 سم. تتميز الذكور بريش أحمر على الصدر والبطن والذيل. الرأس أسود يتوسطه خط أبيض يمر فوق العينين وينتهي على جانب العنق، الجناحان سوداوان تتوسطهما بقعة بيضاء، المنقار والأرجل رقيقة سوداء.



حميراء

تتوالد مرتين في السنة ابتداء من شهر أبريل وتبني عشها وسط الأدغال وفي حواشي الغابات وفي الأماكن الصخرية وأحياناً في الجحور الموجودة في جذوع الأشجار. يتكون العش من قطع الأغصان ويفرش بالريش. تلد الأنثى 6.4 بيضات تميل إلى الأزرق، يبلغ قطرها 15 x 20 ملم. تُحضن من طرف الأبوين 13-14 يوماً وتبقى الفراخ بداخل العش مدة أسبوعي.

إنه طائر شائع في جميع المناطق المغربية الجافة منها والرطبة، الشمالية منها والجنوبية.

ويسمى النوع الثاني الحميراء الدبساء Phaenicurus ochurus وبالفرنسية Rouge - queue. يبلغ طوله 14 سم. يتميز الذكور بذيل أحمر. العنق والصدر أسودان، الرأس والظهر رماديان مسودان، الجناحان رماديان تتخللهما بقع بيضاء. يعيش في المناطق المحيطة بحوض البحر المتوسط وفي أوروبا الوسطى الغربية. منه عدة مجموعات تشتت في جميع المناطق المغربية. عدة أفراد تتوالد في المغرب تبني عشها ابتداء من شهر أبريل في المنازل المهجورة ووسط الأدغال الكثيفة الأغصان. تلد الأنثى 6.4 بيضات تحضنها الأنثى وحدها لمدة 12-16 يوماً.

ويدعى النوع الثالث الحميراء بيضاء الجبهة يسمى علمياً Phaenicurus phaenicurus وبالفرنسية Rouge - queue à front blanc. تتوالد في أوروبا وشمال المغرب والجزائر وتونس وتشتت في إفريقيا وآسيا الغربية. يبلغ طولها 14 سم ويتميز الذكر بعنق أسود وبقعة بيضاء على جبهته، ريش الصدر والذيل أحمر ورمادي على باقي الظهر

والجناحين. يتوالد ما بين مايو ويوليوز ويوضع العش بداخل شقوق الصخور والجدران وفي الأدغال وعلى أشجار البساتين. تلد الأنثى 5-8 بيضات زرقاء مخضرة تحضنها الأنثى وحدها مدة أسبوعين.

مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، بيروت، 1988.

Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*. London, 1984, p. 250 - 251 ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*. Paris, 1977, p. 270 - 271.

من عرب اليمن في البعث الأول وكان يعرف بالعبد الصالح فاستخلص نكور لنفسه، وأقطعها إياها الوليد بن عبد الملك في أعوام إحدى وتسعين للهجرة (العبر، 6 : 439) وإذا كنا متحفظين من المراحل المضطربة التي مر بها الفتح الإسلامي بالريف، فمن المؤكد حسب المصادر التاريخية أن العناصر البربرية من صنهجة وغمارة أسلمت على يد صالح بن منصور (المسالك، ص. 91).

ويبدو أن سكان المنطقة ارتدوا عن إسلامهم، وقاموا بإخراج صالح من قبيلة تسمان، ونصبوا رجلاً من قبيلة نفزة لتولية شؤونهم يسمى داود ويعرف بالرندي (معيار الاختيار، ص. 94)، إلا أنهم سرعان ما تراجعوا عن ثبوتهم وعادوا لطاعة صالح، يقول البكري : "وتلاقهم الله بهداه وتابوا من شركهم وقتلوا الرندي واستردوا صالح" (المسالك، ص. 91) ومازال قبر هذا القائد العربي بقبيلة تسمان يقصده السكان للتبرك به، كما أن اسم هذه الأسرة (الصالحية) مازال موجوداً في نفس القبيلة.

أ. البكري، المسالك والممالك، باريس، 1965 : ج. ابن خلدون، العبر، ج 6، بيروت، 1968 : ل. ابن الخطيب، معيار الاختيار، تح. كمال شبانة، الرباط، 1977.

عبد الرحمان الطيبي

**الحميري، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي السبتي،** برز في علوم الحديث واللغة والنحو وكان يستظهر كتاب التاج للجوهري وكتاب سيبويه وجواهر ابن شاس وغيرها فاستحق أن يوصف بين علماء عصره باللغوي. إلى جانب ذلك كانت له دراية بالعلوم العقلية والطبية ولعبة الشطرنج، فدرّس تلك العلوم بالمسجد القريب من زقاق الفضل بسبتة. أخذ عن كبار أساتذة سبتة وفاس وغيرهما كشيخ النحاة والقراء إبراهيم بن أحمد بن عيسى الغافقي (ت. 716) وشيخ علم الأصول والفرائض بمدرسة سبتة أبي القاسم بن عبد الله ابن الشاط (ت. 723). وقد انضم إلى وفد سبتة الرسمي الذي ذهب إلى غرناطة لتقديم البيعة لبني الأحمر في شخص أميرها محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر (701. 708) بعد أن استولى على المدينة سنة 705 / 1306. وكان هذا الوفد يتكون بالإضافة إلى الحميري من أستاذه أبي القاسم ابن الشاط ومحمد بن علي ابن هانئ اللخمي. كما استقدمه السلطان أبو الحسن المريني إلى حضرة فاس لحضور مجالسه العلمية واستعراض محفوظاته من لغات العرب وشواهدهم.

وقد اعتقد كثير من الباحثين أن ابن عبد المنعم هذا هو مؤلف كتاب *الروض المعطار في خبر الأقطار*، وعلى رأس هؤلاء الدكتور إحسان عباس الذي حاول جاهداً في مقدمة تحقيقه لهذا الكتاب الربط بين *الروض* وبين ابن عبد المنعم اعتماداً على الترجمة التي خصه بها ابن الخطيب، علماً بأن كل الذين ترجموا لصاحبنا بمن فيهم ابن الخطيب لم يذكروا

**الحميري، إدريس بن صالح بن منصور** أتت الترجمة،

يرجع إليه الفضل في دخول الإسلام إلى الريف أيام عبد الملك بن مروان، إذ يشير الزياتي إلى أنه : "في أيام عبد الملك دخل المغرب من إفريقية إدريس بن صالح الحميري، ونزل الريف وهو الذي بني مدينة النكور وعليه أسلمت قبائل الريف" (الترجمة، ص. 81).

وبالرغم من طول المدة التي حكم فيها بنو صالح إمارة النكور، فإن تاريخها بقي غامضاً، وظلت المعلومات قليلة عن هذه الإمارة، بسبب إهمال المؤرخين القدامى تدوين أخبارها شأنها في ذلك شأن إمارة المدرايين بسجلماسة، إلا أن الجغرافي الأندلسي أبا عبيد الله البكري ذكر نفاً من تاريخ الإمارة، تعرفنا أن مدينة النكور كان تأسيسها على يد سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور الحميري (المسالك، ص. 91) الذي أتم بناء المدينة التي اختطها والده إدريس بن صالح عندما كان يفكر في إقامة عاصمة جديدة لإمارة الريف المستقلة بدلاً من بقاته في قبيلة تسمان إلا أن المنية وافته قبل إتمام مشروعه، وبذلك يكون سعيد هو أول من اتخذ مدينة النكور عاصمة له. (العبر، 6 : 440).

أ. البكري، المسالك والممالك، باريس، 1965 : ج. ابن خلدون، العبر، ج 6، بيروت، 1968 : أ. الزياتي، الترجمة الكبرى، الرباط، 1967.

**الحميري، صالح بن منصور** أول فاتح عربي وصل

إلى الريف وكان يعرف بالعبد الصالح (المسالك، ص. 91). حيث صحب الجيوش العربية برئاسة عقبة بن نافع الفهري في حملته الأولى عام 50. 55 / 670. 674. وربما أسندت لصالح قيادة حملة عسكرية إلى بلاد الريف خلال ولاية عقبة بن نافع الثانية عام 62. 64 / 681. 684 الذي قام بحملته إلى بلاد المغرب الأقصى. وقد استقر صالح بتسمان مع عصبته من العرب اليمنية، وتمكن الجيش بقيادته من الاستيلاء على بلاد النكور، ويشير ابن خلدون إلى أنه : "لما استولى المسلمون أيام الفتح على بلاد المغرب وعمالاتها واقتسموه ... وكان صالح بن منصور الحميري



قط أنه اشتغل بالجغرافيا أو ألف كتابا كالروض.

اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ وفاة ابن عبد المنعم. فقد ذكر ابن الخطيب أنه توفي أثناء عودته من زيارته لسلطان المغرب بأحواز تازة عندما داهمه الوباء الجارف. ولعل المقصود بذلك هو ما عرف بوباء الطاعون الذي ضرب المغرب ومناطق أخرى من العالمين الإسلامي والأوروبي سنة 1349 / 749 وخلف وفيات كثيرة من بينها الحميري نفسه. أما ابن حجر العسقلاني فقد أشار إلى تاريخ آخر هو سنة 1327 / 727. وعلى أية حال يظهر أن مارواه صاحب بلغة الأمنية هو الأقرب إلى الحقيقة حيث أكد بشكل واضح أن وفاة ابن عبد المنعم كانت سنة 1350 / 750 وأنه دفن بمقبرة المنارة بسبتة.

ولعل مؤلف الروض اسمه محمد بن عبد الله بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور الحميري التونسي الذي كان حيا سنة 726 وهو غير ابن عبد المنعم اللغوي صاحب الترجمة وإنما هو اتفاق في الأسماء أوجب هذا الالتباس.

م. الحميري، الروض المطار، مقدمة المحقق إحسان عباس، ط. 2، بيروت، 1984؛ ل. ابن الخطيب، الإحاطة، نج. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1975، 3: 134، 135، اللوحة البدرية، بيروت، 1978، ص. 66؛ مجهول، بلغة الأمنية، الرباط، 1984، ص. 24، 26؛ الأنصاري، اختصار الأخبار، الرباط، ط. 2، 1983، ص. 20؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، القاهرة، 4: 151؛ ج. السيوطي، بغية الوعاة، مصر، ط. 1، 1926، ص. 69؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس...، ص. 316؛ م. النوني، حل مشكلة متصل باسم وعصر مؤلف الروض المطار، مجلة المناهل، العدد 10، نوفمبر 1977، ص. 367، 372.

### خَمِيرٌ جَدَّةٌ أَوْ خَمِيرٌ نَائَةٌ، كما هو شائع في

المغرب، أو حمار قبان في المعاجم: دُوْبِيَّةٌ صغيرة من شعبة المفصليات Arthropodes وطائفة القشريات - Crustaces Malacostaces ورتبة متساويات الأرجل Isopodes. تشمل القشريات بالأساس حيوانات مائية، وأنواع حمار قبان هي الوحيدة التي تعيش في البر وتألف الأماكن الشديدة الرطوبة كالكهوف والمغاور وتحت الأحجار وبين أوراق الأشجار المتساقطة ويجانب ضفاف الأنهار والبحيرات.

تتراوح مقاييس الأنواع ما بين 8 و15 ملم. يتكون الرأس من خمس قطع حلقيية مشبكة. العينان مركبتان تتكونان من عدة عناصر بسيطة ذات قدرة بصرية قوية. يحمل الرأس زوجين من قرونات الاستشعار. الأولى صغيرة جداً وتتكون من مفصل واحد. والثانية Antennae طويلة وقوية. الصدر مرتبط بالرأس ويتكون من 8 قطع تحمل كل واحدة منها زوجة من الأرجل متشابهة فيما بينها وتنتهي بمخالب واحد. يتكون البطن من ست قطع تحمل الأخيرة منها الأعضاء التناسلية بالنسبة للأنثى وتلج في كل منها الخياشم وهي بمثابة الأعضاء التنفسية.

تحمل الأنثى البيض بداخل غشاء في مؤخرة البطن وتعطي صغاراً كثيرة أشبه بالكبار تمر بعدة مراحل تطورية في نموها.

تتغذى بالمواد العضوية ولا تؤذي الإنسان، وفي حالة إزعاجها تلتوي على نفسها فتكون كرويات صغيرة لتحمي بذلك أرجلها. من بين الأنواع الأكثر شيوعاً في المغرب: *Porcellio albinus* و *P. paleseneeri* التي تنتمي إلى فصيلة *Porcellinidae*. ومن فصيلة *Oniscoidae*: *Oniscus asellus*. تسمى هذه الحيوانات بالفرنسية *Cloportes*.

البحوث العلمية حول هذه الحيوانات قليلة في المغرب. وقد أجريت عليها عدة تجارب في المختبرات الأجنبية.

مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، بيروت، 1988؛ دراسة ميدانية. A. Vandael, Faune de France, n° 66, Isopodes terrestres, Paris 1963, p. 419-931.

محمد رمضاني

### الْحَنَايَة أَوْ الْحَنِيَّة - في المعمار المغربي، القوس

الذي يحد، في طرفي بعض الغرف من المنازل العتيقة، مجالاً صغيراً يتراوح عرضه ما بين متر ونصف ومترين يسمى "القبة" يوضع به سرير النوم. وقد اتسع مفهوم الحناية ليشمل كذلك "القبة" نفسها كما أن "القبة" اتخذت كمصطلح في بعض المدن (كمراكش مثلاً) للدلالة على الغرفة بكاملها. ويشير الناس إلى الغرفة التي بها حناية بعبارة: "البيت سُولُ الحناية" للتمييز بينها وبين الغرف التي لا تشتمل على حناية. وفي هذا التمييز طبعاً تقديم للغرف الأولى على الثانية.

ومن هنا فالحناية هي أحد العناصر المتميزة داخل البيوت المغربية التقليدية، تعلو أرضيتها بيضعة سنتيمات (10 إلى 15 سنتم على الأكثر) أرضية باقي الغرفة.

ويتسع مجال حضور الحناية في العمارة الإسلامية الغربية ليشمل أطرافاً شاسعة من المغرب الكبير وبلاد الأندلس. وأقدم مثال عندنا بالمغرب لهذا العنصر المعماري حنايا قاعتي القصر الذي تم اكتشافه بموقع بَلْيُونَشْ بالشمال والذي يعود تاريخه إلى القرن الرابع (10 م). وقد استمر وجود الحناية بالعمارة المغربية إلى عهد قريب، حيث احتفظت بها منازل النصف الأول من هذا القرن بالمدن العتيقة.

وكون قصر بليونش السالف الذكر وقصره الثاني الكبير الذي بـبرج الساحل وكذا المنازل التي اكتشفت بذات الموقع والتي تعود كلها إلى القرن الثامن (14 م) تحتوي على حنايات، فذاك يعني أن هذا العنصر المعماري ليس عنصراً حضرياً أي أنه لا يوجد في المنازل التي بالمدن وحدها. وإنما هو عنصر حاضر وقوي الحضور في العمارة

التقليدية في المدن وخارجها خاصة بالأرياف التي لها علاقة بالأوساط الحضرية.

ابن منظور، لسان العرب، حرف الواو والياء من المعتل، معجم كولان، 2 : 389، ع. توري وجودية حصار بنسليمان، قاموس، ص. 70.

عبد العزيز توري

والصباغة واستقدم تجارها الأصواف اللازمة لذلك من سائر أرجاء عبيدة وحاحة ودكالة فكادت صناعة المنسوجات الثقيلة أن تكون هي أول نشاط اقتصادي فيها قبل الصيد وصناعة الفخار التي سارت بذكرها الركبان كما يقول لسان الدين بن الخطيب (معلمة المغرب، 2 : 427).

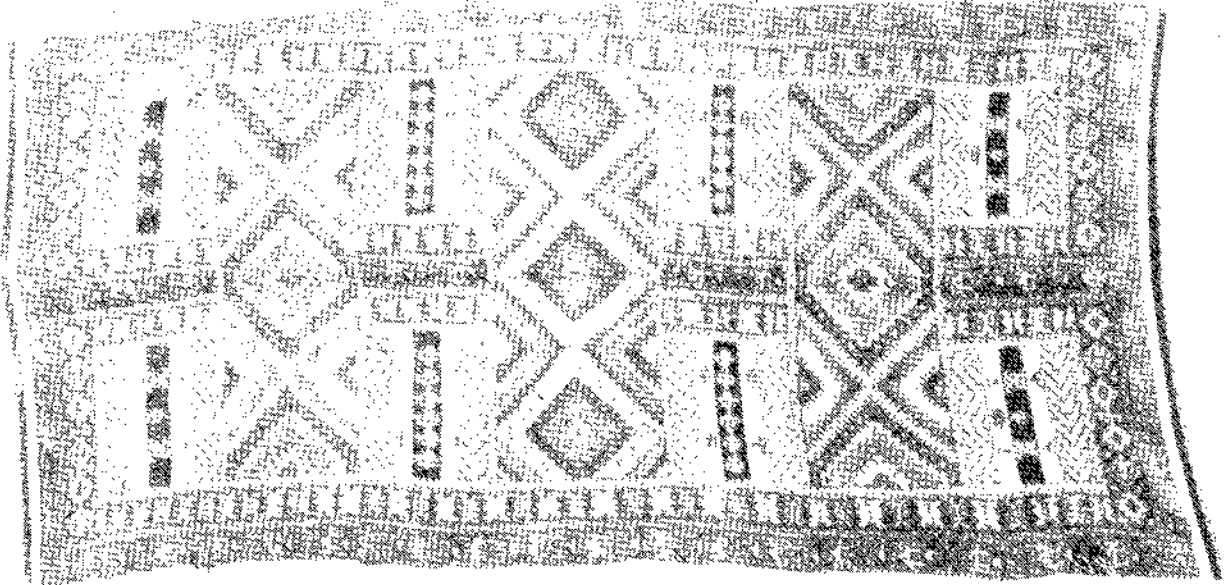
واشتهرت حنابل سلا في القرون الأخيرة وحتى اليوم إلى جانب الزرابي الرفيعة المدعوة بالزرابي الرباطية. وتصدر منها كميات وافرة إلى أوروبا وأميركا. وما زالت معالم صنع الحنابل ماثلة للعيان داخل أسواقها إلى اليوم.

أ. بوشرب، دكالة والاستعمار البرتغالي، الدار البيضاء، 1984 : م. الشباطي، مدينة أزموور وضواحيها، الرباط، 1987 : ل. ابن الخطيب، معيار الاختيار، الرباط، 1977 : ع. اللطيف الشاذلي، أسفي، معلمة المغرب، 2 : 428 : م. الكانوني، أسفي وما إليه، د. الحسن شوقي، قبيلة السراغنة خلال القرن 19، د. د. ع. كلية الآداب الرباط، 1990.

E. Michaux-Bellaire, *Azemmour, in Villes et tribus du Maroc*, vol. 10, Paris, 1932 ; *Les Doukkala, in Villes et tribus du Maroc*, vol. 10, Paris, 1932 ; J. Goulven, *La place de Mazagan sous la domination portugaise*, Paris, 1917 ; D. Noin, *La population rurale du Maroc*, Paris, 1970 ; N. Albarracin, *El hayk en la zona atlantica del Marruecos español*, Tamuda, tome 2, 1954 ; M. H. Echiguer, *Les Aït Yadine*, Doctorat es lettres, Sorbonne, Paris, 1978 ; A. Bertrand, *Tribus berbères*, Lausanne, 1977 (Suisse) ; J. Bulet, *La laine et l'industrie lainière*, Paris, 1972 ; A. Delpy, *Notes sur le tissage dans les Zemmours*, C.A.T.A.N., n° 3, 1954 ; E. Douuté, *En tribu*, Paris 1914 ; L. Gentil, *Dans le bled Essiba*, Paris, 1906 ; E. Laoust, *Mots et choses berbères*, Paris 1920 ; J.

الحنبل، نسيج من صوف متين خيوطه سدئى ولحمة تميل إلى الخشونة وغير مدكوكة عن قصد ليكون أكثر جلباً للدفء وحفاظاً لحرارة الجسم. وهو يشبه الحائك في طولهِ وعرضه ومميزاته العامة، وقد يكون أكبر منه في الطول والعرض ونساعة الألوان. والفرق بين الحنبل والحائك أن الأول فراش وغطاء، والثاني لباس.

وقد اشتهرت في إنتاج الحنابل والمنسوجات الصوفية المتينة عموماً كل من أزموور والجديدة وأسفي منذ عدة قرون وكانت الحياك والحنابل والعبائن من بين البضائع التجارية التي كانت تعتمد عليها البلاد في علاقاتها مع الإيبيريين خلال القرنين التاسع والعاشر (15 و16 م) (دكالة، ص. 111). ويذكر ابن الخطيب أن جودة إنتاج مدينة أسفي لهذه الحنابل كانت من أسباب شهرتها وازدهار الحياة فيها (معيار الاختيار، ص. 76). لذلك تخصصت نساؤها في إنتاج منسوجات صوفية موجهة بالأساس إلى التصدير وعلى رأسها الحنابل البديعة المنظر المتينة الحجم الدقيقة الصنع الناعمة الملمس فراجت أسواق المواد النسيجية



الحنبل (نسيج)

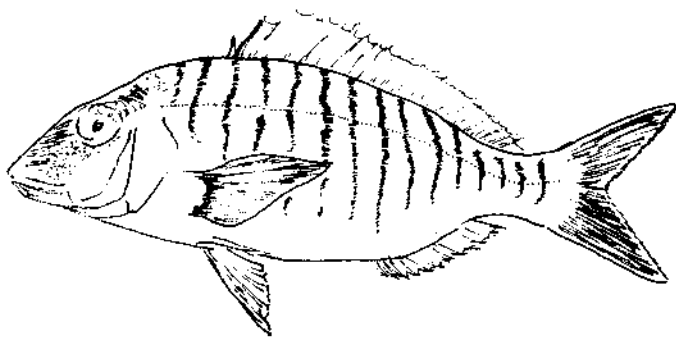
إنتاج وبيع تلك الأثواب الصوفية.  
وتشير الإيصالات، أو وثائق إبراء الذمة التي كانت  
الإدارة المركزية تسلمها للموظفين الذين أنهوا مامورياتهم،  
إلى الكميات من الحنايل التي دخلت المتجر الملكي، وقد  
بلغت بأسفي 21.409، موزعة على الشكل التالي :

1501	1500 . 1498	1498 . 1497	1495 . 1491	
17	7325	602	2455	حنايل عبان
المجموع	1521 . 1517	1510 . 1508	1504	
21.409	137	972	101	حنايل عبان

والكميات السالفة الذكر قليلة مقارنة مع الطلب الذي  
كان يعرفه ذلك الإنتاج، ومردّه إلى اعتماد الملك البرتغالي  
أساساً على التعاقد مع منتجين، كما سبقت الإشارة إلى  
ذلك.

أ. بوشرب، دكالة والاستعمار البرتغالي، الدار البيضاء، 1984.  
R. Ricard, *Etudes sur l'histoire des Portugais au Maroc*, Coimbra, 1955 ; P. de Cenival (et al...), *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc, série Sa'adienne*, Paris, Tomes 1 et 2 ; P. Pereira, *Esmeraldo de Situ Orbis*, Lisboa, 1975 ; P. de Cenival et Th. Monod, *Description de la côte d'Afrique de C'euta au Sénégal*, par Valentin Fernandez, 1506 - 1507, Paris, 1938.  
أحمد بوشرب

**حَنْبِيلٌ** أو حَمْبِل - بالنون والميم - نوع من الأسماك  
العظيمة البحرية يسمى هكذا في معظم أسواق الأسماك  
المغربية كالدار البيضاء والمحمدية والرباط ومولاي بوسلهام  
والعرانش وطرفاية والعيون. والرْمُولِي هو اسمه في طنجة،  
ويسمى تَقْبَة في أكادير. سمي بالحنبيل لأن جوانبه مخططة  
عمودياً مما أعطى لمظهره منظرًا يشبه النسيج المغربي  
التقليدي المعروف بالحنبيل.



الحنبيل (سمك)

Revault, *Le tissage et le tatouage dans le Moyen Atlas*, Fès, 1933 ; P. Ricard, *Recherche sur le vocabulaire du vêtement hispano - mauresque*, *Bulletin hispanique*, 1951 ; L. Massignon, *Enquête sur les corporations musulmanes*, R.M.M., tome 58, 1924.

محمد بوسلام

الحنبيل في دكالة. تميز الوثائق البرتغالية بين الحنبيل  
(lanbel, alenbel) والزربية (alcatifa). وقد عرفها الرحالة  
البرتغالي Pacheco Pereira بكونها أثواباً تشبه الأفرشة  
التي تحاك بمنطقة الألتيجو (Alentejo) البرتغالية. فهي  
مزركشة بشرائط حمراء وأخرى خضراء وثلاثة زرقاء، واربعة  
بيضاء، ويبلغ عرض كل شريط منها أصبعين أو ثلاثة،  
تستعمل الحنايل فراشا ليلاً وتقوم عند الاقتضاء مقام  
اللباس. وتعددت الإشارات بالمصادر البرتغالية إلى إقبال  
البرتغاليين على شرائها بأزمور، وخصوصاً بأسفي، وذلك  
لكونها كانت توجه لغرب أفريقيا، حيث كانت تعرض  
بوكالات أركان (Arguim) وأشين (Axem) وخصوصاً بلامينا  
(Lamina) الموجودة بساحل الذهب، وكانت تعتبر أهم سلعة  
يقبل السرد على اقتنائها، فكانت بضعة أمتار منها تقايس  
بعيد. وكانت أسفي، حسبما ورد ببعض الوثائق، قادرة على  
تزويد أسواق غرب أفريقيا بكل ما تحتاج إليه من تلك  
السلعة (1507). وتخبرنا رسالة مؤرخة في 15 يونيو 1500  
بأن الملك البرتغالي كان يدين لقائد أسفي بثمان الحياك التي  
اشترهاها منه. وسرعان ما انتقل الملك البرتغالي إلى  
الإنتاج بأسفي، ابتداءً من سنة 1507، أي سنة قبل  
احتلالها. وقد طالب الوكيل التجاري سنة 1512 بتعويض  
محل الإنتاج بأخر أرحب، ووعد بتوفير المكان. واعتمد  
الملك البرتغالي فيما بعد على نظام التعاقد مع منتجين  
حسب مواصفات كانت تحددها مصالحه المختصة بلشبونة.  
فقد تعاقد سنة 1512 في هذا الشأن مع "مايل ليفي"، أحد  
يهود أسفي.

ويخبرنا الوكيل التجاري بأن اليهودي المذكور أنتج في  
دجنبر 1512 حوالي مائة وحدة "متقنة وجيدة النوعية". وبما  
أن الكمية المتعاقد بشأنها كانت لا تغطي كل حاجيات  
السوق بغرب أفريقيا، فإن الملك كان يكلف بين الفينة  
والأخرى وكيله بأسفي بشراء تلك الأثواب. فقد أنفق  
Heitor Gonçavez في ذلك خلال دجنبر 1512 تسعمائة  
ألف ريال. كما اضطر "مايل ليفي" المذكور خلال نونبر  
1514 إلى الالتجاء إلى الحوز حيث اشترى ما قيمته 300  
أوقية من "أثواب أرغين"، مع أنه كان بحوزته في نفس  
الشهر 2000 من الحياك و100 من الحنايل.

وفي سنة 1519 تعاقد الملك البرتغالي مع بعض اليهود  
لكي يسلموه خلال ثلاث سنوات 9000 حنبيل، أي 3000  
خلال كل سنة. ولا شك أن اليهود المذكورين كانوا من آل  
ابن زميرو - أكبر الأسر اليهودية بالمدينة وأغناها - لأن أحد  
الإيصالات يذكر بأنهم فيما بين 1513-1519 يحتكرون

صيده شبه صناعي وتقليدي في المغرب ويصاد بواسطة شباك مختلفة وبالصنابير. وهو موجود باستمرار في أسواق الأسماك المغربية. ويطلق اسم الحَنْبَل أيضاً على بعض أنواع سمك بويرادع.

م. الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، بيروت، 1988.

J. Schouten et M. Ramdani, *Fish of the Khnifiss lagoon and the Tarfaya coast. Trav. Inst. Sci. Rabat, Mémoires hors série, 1988 p. 101 - 104*; W. Fischer, M. Schneider et M.L. Bouchot, *Méditerranée et Mer Noire, Fiches F.A.O. d'identification des espèces pour les besoins de la pêche, Rome, 1987, p. 1364.*

محمد رمضاني

**الحنديرة أو الحندير،** رداء خارجي تأتزر به النساء، وهي من الأقمشة الملتحفة وغير المخيطة مما يسدل على الجسم من الخلف لتغطيته جزئياً أو كلياً، تنسج دفعة واحدة على منوال أفقي. وتُتخذ الحنديرة عادة من صوف متين أو شفاف ومن قطن أو كتان بحسب المواقع الجغرافية وحسب فصول السنة، ويكون لونها في الغالب الأعم أبيض أو أبيض تنخلله أشرطة سوداء أو بُنية أو زرقاء أفقية أو عمودية، ويتراوح طولها في المحمل بين أربعة أمتار وأربعة أمتار ونصف ولا يتعدى عرضها المتر الواحد والنصف. وينطق بها في الأمازيغية: أحندير وتاحنديرت.

ينتمي سمك الحنبل إلى رتبة شعاعيات الزعانف Actinopterygiens وفصيلة الأسبوريات ويسمى علمياً *Lithognathus mormyrus* وكان يسمى سابقاً *Pagellus mormyrus*. اسمه بالفرنسية *Marbré* وبالإنجليزية *Striped Seabream* وبالاسبانية *Herrera*. يسمى في الشرق العربي الحَقَّار والمرمار وهي معربة.

لونه أشهب رمادي فضي اللعان، وجسمه مضغوط جانبياً ويضوي الشكل. تتخلل جوانبه 14. 15 بقعة طويلة بنية داكنة وأحياناً رمادية. لا يتعدى طوله 55 سم وشائع بين 25. 30 سم. فمه مستدق ويمتد إلى الأمام، بداخله أربعة صفوف من الأسنان. تتكون الزعنفة الظهرية من 11-12 شوكة ومن 11-12 شعاع في مؤخرتها تتكون الشرجية من ثلاث شوكات و10-11 شعاع.

إنه سمك لاصق يتغذى بالقشريات الصغيرة والديدان والأخينوسات ويألف الأماكن الرملية والطينية والأماكن العشوشية التي لا يتعدى عمقها 80 متراً.

يتوالد في الربيع والصيف وغالباً ما يعيش وسط مجموعات صغيرة ويصير بالغاً بعد سنتين يبلغ طوله خلالها 14 سم.

يعيش في السواحل المتوسطة والأطلنطية الشرقية الممتدة منذ خليج كاسكون شمالاً إلى رأس الرجاء الصالح جنوباً، ويوجد أيضاً في البحر الأحمر وفي الجنوب الغربي من المحيط الهندي.



حنديرة بنتي مكيلا



حنديرة زابان



حنديرة أبت مرغاد

D. Madras, *Au sud de l'Atlas*, Casablanca, 1950 ; E. Laoust, *Mots et choses berbères*, Paris, 1920 ; H. Dugard, *La colonne du Sous*, Paris, 1918 ; A. Delpy, *Notes sur le tissage dans les Zemmours*, C.A.T.A.N., n° 3, 1954 ; G. Dalche [et al...], *Villes et montagnes marocaines*, Rabat, 1964 ; G. Chantreaux, *Les tissages décorés chez les Beni-Mguild*, *Hesp.*, tome 32, fasc. unique, 1945 ; P. Chatinière, *Dans le Grand Atlas marocain*, Paris, 1919 ; A. Adam, *Le costume de quelques tribus de l'Anti-Atlas*, *Hesp.*, tome 39, 3ème - 4ème trim. 1952 ; J. Bellakhdar (et al...), *Tissint, une oasis du Maroc pré-saharien*, Rabat, 1992 ; A. Bertrand, *Tribus berbères*, Lausanne, 1977 ; M. Bendaoud, *Notes sur les pays Zaïan*, A.B., vol. 2, fasc. 3, 1917 ; G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara*, Rabat, 1936 ; Marquis de Segonzac, *Voyages à Maroc, 1899 - 1901*, Paris, 1903 ; J. Besancenot, *Costumes et types du Maroc*, Rabat, 1944.

محمد بوسلام

### الحنش، إدريس بن علي بن الغازي بن المهدي

السناني المالكي البكري الفاسي. فقيه صوفي وأديب شاعر، له ديوان بالعربية الفصحى يسمى *الروض الفائح* بأزهار النسيب والمدائح، وديوان آخر كبير في الشعر الملعون يحفظه الأشياخ وينشدونه. تشيع بالروح الصوفية ولازم شيوخها فأخذ الطريقة الكتانية عن الشيخ محمد الكتاني، وأخذ الطريقة الشاذلية عن الصالح إبراهيم بن علي الغماري، وعاش في فاس على الكفاف قنوعاً لا يملك شيئاً. ثم دخل مراكش في أوائل دولة المولى عبد العزيز وقد لحقته حرفة الأدب.

من تأليفه علاوة ما سبق رسالة *الشهاب الكاوي* لأهل التمشدق والدعاوي في الرد على أهل الدعاوي الكاذبة في الولاية؛ ورسالة *التذكير* في بعض ما يجب على الفقير؛ ورسالة *تأنيس المسجونين* وتنفيس المحرومين ألفها لما سجن محمد بن قاسم الصادقي؛ ورسالة *الأعيان* و**تبصرة الإخوان** في تبيين ما بُني عليه مقام الإحسان، كبير وصغير؛ وتأليف في *الصلاة على النبي عليه السلام* على نسق دلالات *الخيرات*؛ و**المقامة المغنية عن المدامة**.

توفي بفاس زوال يوم السبت خامس عشر جمادى الأولى عام 1319 / 31 غشت 1901 ودفن خارج باب المحروق.

ع. إبراهيم، الإعلام، 3، 42؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، موسوعة إعلام المغرب، 8 : 2826؛ ع. المالك البلغيشي، *النار*، مرقون خ. ص.

أحمد متفكر

### الحنشي، أسرة سلوية انقرضت في منتصف القرن

الحالي. تنتسب إلى الحنشة بطن من بطون عامر الحوزية المجاورة لمدينة سلا وعامر الوسطى القريبة من مركز مهديّة. وهم قسمان : الحنشة البزيرات والحنشة الغرارية. وكان منهم في العهد الحسني بعض القواد هم :

كان ارتداء الحنديرة سائداً بشكل واسع في سلسلة جبال الأطلس وسفوحها الشرقية والغربية والأراضي المتاخمة لها، وهي عند النساء الأمازيغيات تحمل محل الحائك أو المنزر عند العربيات البدويات أو الحضريات. لذلك لم تكن النساء الأمازيغيات يستغنين عنها وهن خارج بيوتهن لقضاء مآربهن أو في الأفراح والمناسبات.

تَرْتدى الحنديرة بطريقة بسيطة : تمر المرأة طرفها الأعلى على كتفيها وتشده عند ثدييها بمشبك من الفضة وتربطه عند خصرها إما بحزام من صوف أو تجمع أهدابه وتدخل بعضها في بعض (المعسول، 1 : 54).

تختلف أشكال الحنديرة وأطوالها وأنوانها ورسومها من منطقة إلى أخرى، إذ كانت الألوان والرسوم والرموز التي تتخلل كل حنديرة هي التي تميز بين القبائل. فاللون السائد عند أيت بوجماز وأيت بوعلي وأيت سخمان وغيرها من قبائل الأطلس المتوسط كان هو الأبيض. وكانت حنديرة قبائل أيت يافلمان (أيت حديدو، أيت مرغاد، أيت يوسي وغيرها) والقبائل الممتدة على السفوح الجنوبية للأطلس الكبير من عدة ألوان وتتخللها أشرطة زرقاء وحمراء وسوداء وصفراء. أما حنديرة أيت مكيلدو وزيان وزمور فكانت تتخللها سبعة خطوط أفقية ويحتوي بعضها على رسوم هندسية مستوحاة من رموز القبائل وأوشامها، كما كانت تتخللها قطع معدنية دقيقة دائرية لامعة تدعى "الموزونة" وتنتهي حواشيها بأهداب متنوعة.

تُلبس الحنديرية الصوفية في فصل الشتاء مع جوارب صوفية تسمى "تافريون" و"تارغويون" ونعال جلدية ذات كعب مرتفع مزخرفة برسوم ملونة بديعة. وفي فصل الصيف تُستبدل الحنديرة الصوفية المتينة بمتزر خفيف من قطن أو كتان يسمى في زيان وزمور وقبائل تادلة والحوز وسوس "تاميزارت" أ، "تابيزارت". وتحمل الحنديرة أسماء أخرى تختلف باختلاف المناطق، فهي تدعى "تافاكوت" في سوس وحوز مراكش والأطلس الصغير، و"تابرداوت" في أيت وارين بالأطلس المتوسط و"تاشكيون" عند أيت حديدو وأيت يزدك وأيت مرغاد، و"تيزاكين" بمنطقة درعة، و"أمنديل" في تيزنيت، وأردي في السفوح الشرقية الدنيا لجبال الأطلس المتوسط والكبير، و"تأحرويت" في جنوب شرق المغرب وخاصة بمنطقة الرشيدية، و"أفيداح" في تاهلة وعلى وادي أملن و"تأحملفت" في إيدأوسمال.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 1، الدار البيضاء، 1960؛ عثمان بن عابد بوقناس، *أمانوز لمحات تاريخية واقتصادية واجتماعية*، الدار البيضاء، 1991؛ الحسين مهديوي، *الزي التقليدي لقبائل الأطلس*، جريدة الأنوار العدد 122، 31 دجنبر 1996، ص. 10؛ م. شفيق، *المعجم العربي الأمازيغي*، ج 1، الرباط، 1990؛ أربعة وأربعون درسا في اللغة الأمازيغية، الرباط، 1991؛ أ. مزيان، *تلكيك مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن 19*، (1845-1903)، الدار البيضاء، 1988.

**الحنشي، بوعزة بن إبراهيم** قائد الحنشة الغرارية سنة 1309 / 1819 بعد أن كان أمرهم موكولاً إلى سلطة سعيد ابن العروسي الهلالي العمري. مكث بوعزة في منصبه إلى سنة 1313 / 1896 حيث عُزل وسجن. تقول عنه الوثائق إنه كان رجلاً حازماً حافظاً للطريق الرئيسية من حيث قطاعها، وإن مفاتلات كان تدور بين إخوانه وجيرانهم من عامر وزمور كانت تسفر عن ضحايا وخسائر في الأموال والرقاب.

**الحنشي، بوغاية** ولي علي الحنشة بعد عزل بوعزة وسجنه، ومكث كذلك إلى وفاته سنة 1315 / 1897.

**الحنشي، حميدوش** المدعو أيضاً بشي الحنشي، اضطلع بمنصب قائد بعد موت بوغاية. ثم أصبحت الحنشة بعده داخلة في إيالة سعيد ابن العروسي.  
م. بوشعراء، علاقة المخزن بأحوال سلا. ص. 167 و170 و296 ؛  
وثائق بنسعيد.

مصطفى بوشعراء.

**الحنشي، علي السريفي**، صالح شهير في بلاد جبالة، أخذ عن الشيخين علي الشلي وعمد الرحمان المجنوب، وكان الشيخ أبو المحاسن الفاسي يقول : "ما لقيت أقوى منه حالاً يعني في أهل الأحوال".

توفي في حدود 1020 / 1611 وقبره مزارة في مدشر بئر دوار بسريف فوق ريوه صغيرة في مقبرة تسمى باسمه.  
م. المهدي الفاسي، تمنع الاسماع، ط حجر فاس، ص. 157، 158.

محمد أخريف

**الحنشة (الحرفة)** تؤكد المستندات التاريخية أن سكان الحواضر المغربية في معظمهم كانوا إما "أهل حرف وصنائع" أو "أهل أسواق وحوانيت"، بمعنى أن الحرف والتجارة كانت هي مصدر عيشهم الرئيسي. ذلك ما نجده في روائد المكتبات الخاصة والعامّة من تقايد وفهارس وكتانيش مخزنية وبيانات أمناء ومحتسين، بالإضافة إلى لوائح الإحصاءات المتكررة التي كانت تجربها المصالح الاقتصادية التابعة لسلطات الحماية من 1912 إلى 1956.

وكانت الحرف التي يشتغلون بها قبل انفتاح المغرب على الخارج واتصاله بأوروبا على الخصوص، أي قبل انتشار الحرف المرتبطة بأشكال الحياة الجديدة وأنماط الإنتاج الحديث منظمة في "حناطي" مهنية تجمع أهل كل حرفة على حدة بشكل يتوارثه "المتعلمون" عن "المعلمين" بالتقليد، ويحافظون على استمراره في سائر المدن وخاصة في الحواضر الكبرى التي كانت أكبر مراكز الإنتاج التقليدي في البلاد.

وتعتبر مدينة فاس، بما تحتفظ عليه من تراث في هذا المجال، أحسن نموذج لذلك. فهي ليست وريشة علم وتجارة فحسب، بل إنها "مملكة للصناعات والفنون الجميلة، ولو أتبع لمسافر من القرون الوسطى أن يزورها من جديد لوجد نفسه في مكان ليس غريباً عنه، لاسيما في ميدان الحرف حيث تتواتر تراكمات القرون السالفة فيها بكل وضوح، من القرن الثاني (8 م) إلى القرن الرابع عشر (20 م) جولات في مغرب أمس بعيد الحماية، ص. 43. لكن هذه الملاحظة ليست خاصة بفاس وحدها بل تنطبق بدرجات متفاوتة على غيرها من المدن الأخرى كمكناس وتطوان والرباط وسلا ومراكش وغيرها من المدن الصغرى التي مازال سكانها إلى اليوم يعتبرون أن "صنعة اليدين خير من مال الجدين".

وكانت دكاكين تقع مجتمعة في وسط المدينة بجانب الأسواق وقرب المواد الأولية الضرورية للإنتاج في أحياء خاصة بها تحمل اسم "الحنطة" التي ينتمي إليها أفرادها من دباغين وحدادين ونجارين وسفارين وسمارين وتجارين وسكاكين وغيرهم، كما كانت الأشغال المرتبطة بها تتم في دكاكين صغيرة وتعتمد على أدوات إنتاج عتيقة وتقنيات عمل تضرب بجذورها في أعماق التاريخ، وكان تنظيمها الهرمي بسيطاً يبدأ من "المتعلم" إلى "الصانع" "المعلم" ثم "الأمين" الذي هو رئيس الحنطة ويشرف على جودة الإنتاج وعلاقات الحرفيين بالزبناء. وقد كان "أمين الحنطة" أو "أمين الطرقة" هذا يخضع بدوره لتوجيه ومراقبة "المحتسب" و"أمين المستفاد" في كل مدينة حرفية.

من أشهر "الحناطي" نذكر الفرائشين والحصارين وصناع الزرابي، والشماعين والفخارين والقشارين والسلالين والصفارين والقلالين والقشاشين أو الجوالقيين، والدرابين والدباغين والحرازين والحياطين والصباغين والظرافين والقشابين واللبادين والنيارين والصواغين والصياغين والجباادين والغسالين والصباغين والحراكين والصقليين والبرازين. إضافة إلى الحجامين والعطارين والوزانين والسفارين والكتيين والأبارين والصيادين والفسّالين والحفارين والصحافين. بعض هذه الحرف استمرت إلى اليوم، ومعظمها سادت في فترات سابقة ثم بادت واختفت.

ع. بن زيدان، إتحاف، الرباط، 1931 ؛ إدريس بن الماحي الإدريسي، إعلان الصناعة الفاسية بنهضتها السامية، فاس، 1938 ؛ ع. أمهان، الفنون المغربية الأصلية، مجلة أبعاد فكرية، العدد 2، 1989 ؛ أندري باكار، المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة، د. ت و د. م ؛ ع. المجيد ابن جلون، جولات في مغرب أمس بعيد الحماية، الرباط، 1975 ؛ ع. العزيز بن عبد الله، الأثر الإسلامي في الفن المغربي، مجلة البيئة عدد 10 فبراير 1963 ؛ م. البومستولي، من المسؤول عن إفلاس تعاونية الدباغين في مراكش، جريدة الاتحاد الاشتراكي عدد 3621، 9 يوليوز 1993 ؛ ع. الحق الحباري، الرأسمالية والصناعة التقليدية، دكتوراة دولة في العلوم الاقتصادية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 1983 ؛

القرعيات Cucurbitaceae ويدعى بالعربية الدارجة "الحديج" وبالأمازيغية "تَفْرَزِيْسْتُ" أو أَفْرَزِيْزُ" أو "تَفْرَزَزْت" أو تِيْمَحِيْدِيْجِيْتُ" أو "إِلِيْفُ".  
نبات عشبي معمر زاحف ذو أوراق شبيهة بأوراق الدلاح، مفصصة. أزهاره صغيرة ثماره كروية الشكل تشبه بطيخة صغيرة من سلالة "سويهلّة"، ذات لون أصفر ولب شديد المرورة، حتى إن الأشياء المرة تشبهه بالمنظّل. يعيش طبيعياً بالمناطق الجافة والصحراوية من إفريقيا وآسيا.



ينتشر المنظّل بالمغرب في البيومناخات الصحراوية والجافة واستثنائياً شبه الجافة. تناسبه الأراضي الرملية. تحتوي ثمرة المنظّل على مواد عديدة كمادة الكولوسينن التي تستعمل كمادة طبية ضد الإمساك. وتعرف ثمرة المنظّل استعمالات عديدة في التطبيب ضد مرض السل ومرض المفاصل وأمراض الاعضاء التناسلية وإيبعاد الحشرات مثل الباعوض...  
أبحاث شخصية.

Renaud et Colin, *Tufat Al-Abab*, Rabat.

عبد الملك بنعبيد

**الْحَنَفَاءُ** Caouanne، سلاحف بحرية، من الزواحف، وبالتحديد السلاحف التي تتميز عن باقي الزواحف بجسم محمي داخل قوقعة شديدة الصلابة (باستثناء نوع بحري واحد) تقيه خاصة من بطش الحيوانات المفترسة الأخرى كبعوض الثدييات وكذلك بعض الزواحف الأخرى. وتظهر هاته القوقعة سواء عند الأنواع البرية أو البحرية على شكل صفيحات قرتينية متعظمة إلى حد ما وملتحمة بالأضلاع. أما عن السلاحف البحرية فلا تتعدى أنواعها ثمانية قد يعثر على ستة منها فقط على السواحل المغربية، أما النوعان الباقيان فواحد منهما لا يوجد إلا على السواحل الأمريكية والثاني على السواحل الاستوائية. ومن بين هاته الأنواع الستة: الحنفاء.

تعتبر الحنفاء من أكثر السلاحف البحرية انتشاراً في العالم، فهي تستوطن تقريباً كل المحيطات والبحار في العالم ماعدا المناطق الباردة. قد يصل طول هذا النوع إلى حوالي 135 سنتمتراً وقد يتعدى وزنه 440 كيلوغراماً وهو

ع. القادر زمامة، أسماء الحرف المعروفة بفاس، مجلة اللسان العربي، العدد 4، 1966؛ م. العجلاتي، تأليف في الأثرية والمعاجين والأدهان والصفوفات والمراهم والأحمال والمربيات واللطوخات، مخطوط خ. ع. رقم 761 د؛ ع. العزيز العلوي، صناعة النسيج في المغرب الوسيط، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية العدد الثاني، فاس، 1985؛ ف. العيساوي، جوانب من علاقة الخزن بالحرف، د. د. ع. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1989؛ أنطونيو غرسيا خاين، الفن والفنانون المسلمون، مدريد 1951، ترجمة نجيب أبو ملهم، م. كنون، كفاية المحتاج في استعمال الحلى والديباج، مخطوط خ. ع. رقم 1231 د؛ مؤلف مجهول، ورقاق في أسرار بعض الصنائع، مخطوط خزانة كلية الآداب بالرباط رقم 216 مكل.

E. Adnan, *L'artisanat créateur au Maroc*, Paris, 1983 ; Anonyme, *L'industrie marocaine des peaux*, B.I.D.M., juillet 1942 ; J. Baldoui, *L'artisanat marocain à la croisée des chemins*, Alger [s. 1], [s. d] ; *Les arts indigènes au Maroc*, Paris, [s. d] ; H. Basset, *Les rües du travail de la laine à Rabat*, Hesp., tome 2, 1er et 2ème trim. 1922 ; Gu. Baumont, *L'avenir des corporation artisanales au Maroc*, 1949 [s. 1], [s. d] ; H. Benhalima, *L'artisanat traditionnel Sefroui*, R.G.M. n° 1, 1977 ; J. Berque, *La criée publique à Fès*, Revue d'économie politique, mai 1940 ; P. Bory, *Métiers et arts indigènes*, Casablanca, 1941 ; J. Burlet, *La laine et l'industrie lainière*, Paris, 1972 ; L. Chajai, *Langage d'artisans à Marrakech*, doct. nouveau régime, Paris 4, 1986 ; M. Champion, *La situation des métiers et des arts indigènes*, Rabat, 1917 ; P. Champion, *Le Maroc et ses villes d'art*, Paris, 1931 ; Bernard Chatin, *Les tanneries traditionnelles de Fès*, Université de Bordeaux 1, Th. 3ème cycle 1985 ; A. Chauveau, *L'industrie du cuir au Maroc*, Chimie et industrie, 2ème trim. 1920 ; G. S. Colin, *Noms d'artisans et de commerçants à Marrakech*, Hesp., tome 12, fasc. unique, 1952 ; J. Fontanes, *Histoire des métiers d'art*, Paris, 1950 ; J. Gallot, *Les métiers d'art au Maroc*, F. M., n° 4 ; H. Godbarge, *Deux corporations berbères à Fès*, B.E.S.M., vol. 10, 1948 ; L. Golvin, *Aspects de l'artisanat en Afrique du Nord*, Paris, 1957 ; R. Guyot (et al...), *Les cordonniers de Fès*, Hesp., tome 23, fasc. unique 1936 ; A. Hardy, *Les babouchiers de Salé*, B.E.M. tome 5, 1938 ; A. Lamazière, *Le Maroc secret*, Paris, 1932 ; R. Letourneau, *La vie quotidienne à Fès*, Paris, 1965 ; L. Massignon, *Enquête sur les corporations d'artisans et de commerçants au Maroc*, R.M.M., vol. 58, 1924 ; A. Massonnaud, *L'évolution des corporations depuis notre installation au Maroc*, B.E.S.M. vol. 4, 1937 ; G. Nogues, *Artisanat et métiers marocains*, Casablanca, 1941 ; P. Ricard, *Arts et industries indigènes du Nord de l'Afrique*, Fès, 1918 ; *L'industrie indigène au Maroc*, B.E.M. vol. 1, 1933 ; *Les arts marocains et leurs rénovations*, Bordeaux, 1930 ; A. Savine, *Le Maroc il y a cent ans*, Paris [s. d] ; A. Sefroui, *La sellerie*, G.E.M. vol. 2, 1987 ; M. Tajeb, *L'industrie de la chaussure au Maroc*, Rabat, 1961 ; H. Terrasse et J. Hainaut, *Les arts décoratifs au Maroc*, Paris, 1925 ; D. Chraïbi, *La civilisation ma mère*, Paris, 1980.

محمد بوسلام

**المنظّل**، نبات يسمى علمياً كولوسانتيسسُ فُولْكَارِيْسُ Colocynthis vulgaris الذي ينتمي إلى فصيلة

الحيوانات الأخرى المفترسة، كبعض الطيور الكاسرة والنورس والكلاب والذئاب وبعض سرطان البحر. أما بالنسبة للسلاحف فرغم خروجها من بيضها في حلقة الظلام وتوجهها بمجرد خروجها من الرمال مباشرة نحو البحر فأعدادها تتناقص بشكل كبير في هاته الفترة حيث تلتهمها حيوانات أخرى. وأما بالنسبة لبعض الحيوانات المفترسة كالسالف ذكرها فهي تنتظر خروج السلاحف الصغيرة من الرمل بكل لهفة حيث تكون جزءاً هاماً من غذائها.

تنتشر الحنفاء على السواحل المغربية على الواجهتين المتوسطية والأطلسية، ومجال وجودها يمتد من الحدود الجزائرية - المغربية حتى أبعد نقطة في السواحل الصحراوية لبلادنا، كما أن دراسات أثبتت توأدها في منطقة غير بعيدة عن مدينة القنيطرة.

Anonyme, *Sea Aurther of the world, FAO species catalogue*, vol. 11, 81 p., 1990 ; L. Laurent, Mouira S., N.M. Bradaf et J. Lescure, *Martuer marinier en Tunisie, en Algérie et au Maroc méditerranéen*. W W F / Fond Mondial pour la Nature Projet n° 3937.

محمد منبوي

**الحنفاء** أو الحنفة أو "الحناءة" بالعربية أو "قَعُو" أو "بِرْتة" بالأمازيغية، تسمى علمياً لفسونبا إينرميس *Lawsonia inermis* وهي من فصيلة الحنائيات *Lythraceae*. شجرة صغيرة يبلغ ارتفاعها أربعة أو خمسة أمتار إذا لم تقطع، لكنها لا تتجاوز في علوها المتر أو المتر والنصف في الحقل لأنها تقطع مرتين في العام بعد أن تقطع للمرة الأولى بعد ثلاث سنوات من عمرها. أوراقها بسيطة تشبه في شكلها وحجمها أوراق الرمان والريحان.



يقع الموطن الأصلي للحناء ما بين مصر والهند مروراً بشبه الجزيرة العربية وإيران وباكستان وأفغانستان حيث عرفت مزاياها بهذه المناطق منذ أقدم العصور، فزعت وانتشرت زراعتها بالمناطق الحارة وشبه الحارة بأفريقيا وآسيا وذلك للزينة والصبغة المستخرجة من أوراقها.

يتميز عن سائر السلاحف البحرية بخمسة أزواج من الصفائح الجانبية الظهرية تصغر الأمامية منها عن الأربعة الباقية، كما أن عدد الصفائح الجانبية البطنية لا يتعدى ثلاثة أزواج.

رغم أن هذا النوع بحري محض تكيّفت معظم أعضائه لتمكنه من العيش في وسط مائي وبالأخص بحري فإن العديد منه يمكن مشاهدته في مصبات الأنهار وفي البحيرات المالحة، كما أن الإناث، خاصة وقت التوالد، تسعى إلى الشواطئ الرملية الهادئة وغير المأهولة لتضع بيضها.

الحنفاء نوع من السلاحف البحرية اللاحمية تتغذى أساساً بالحيوانات القعرية كالقشريات والرخويات وشقائق البحر والحلقيات، وفي بعض الأحيان على أسماك صغيرة. كما أن هناك عدة حيوانات عالقة يمكن أن تكون نسبة لا بأس بها في وجبات الحنفاء كقناديل البحر مثلاً أو الرخويات العالقة. وقد أثبتت أبحاث عديدة أن صغار الحنفاء تتغذى بالأساس على الأعشاب البحرية بما في ذلك الطحالب.

وإذا كانت الحنفاء تلتهم العديد من الحيوانات (الصغيرة الحجم بالأساس) فهناك العديد من الأنواع الحيوانية الأخرى تتخذ من الحنفاء ومن السلاحف البحرية الأخرى طعاماً لها بما في ذلك أسماك القرش الكبيرة وحوث الأركة المسمى كذلك بالحوث القاتل، إلا أن أكثر الأنواع والأجناس تهديداً لحياة الحنفاء خاصة والسلاحف عامة هو الجنس البشري الذي يعتدي علي هاته الأنواع في كل مراحل حياتها منذ أن تكون على شكل بيضة حيث يطهونها كما تطهى بيض الطيور إلى أن تصبح كبيرة يتغذى على لحمها أو يصنع من قوقعتها أشياء لتزيين بيته.

أما عن توالد الحنفاء فيبدو أن سن التزاوج هو حوالي ست سنوات وأن هذا النوع يتوالد تقريبا مرة واحدة كل ثلاث سنوات. وما أن يحين وقت التوالد حتى تسرع الإناث للالتحاق بشواطئ غير مأهولة وفي غالب الأحيان نفس الشواطئ التي ولدت بها قاطعة بذلك آلاف الكيلومترات في متاهات المحيطات وبدون أي موجه. بعد ذلك تنتظر سدول الليل فتخرج من الماء وتتجه نحو أعلى نقط المد وتحفر لبيضا حفرة تكون فيها ظروف ومغذيات الحرارة والرطوبة مناسبة لتطور البيض.

تضع الحنفاء حوالي مائتي (200) بيضة على مرحلتين إلى خمس مراحل بين كل مرحلة وأخرى حوالي خمسة عشر يوماً، أما البيضة فهي على شكل كرة طاولة صغيرة لا يتعدى قطرها 55 ملمتراً وقد يناهز وزنها 35 غراماً فقط. يبقى البيض في الرمل حوالي عشرة أسابيع تعطي سحالف صغيرة لا يتعدى طولها حوالي الستين ملمتراً.

ويعتبر خروج السلاحف الصغيرة من البيض من أهم الفترات في حياة السلاحف البحرية، وكذلك العديد من



الأثنى عادة 4.6 بيضات ونادراً 9 بيضات لونها أبيض ملطخ بالأحمر ويبلغ قطرها 20 x 15.5 ملم. تحضنها الأثنى وحدها 12-15 يوماً وتغادر الصغار العش بعد أسبوعين. يقتصر توزيعه الجغرافي على دول حوض البحر المتوسط وأوروبا الوسطى والشمالية، ومنه عدة مجموعات تهاجر في فصل الربيع إلى شمال أوروبا بالتوالد. ويوجد أيضاً في آسيا الغربية.

إنه طائر شائع في المناطق الجبلية والساحلية الممتدة من الأطلس الصغير إلى شمال البلاد، ومنه عدة مجموعات تأتي من أوروبا لتشتو في المغرب ثم تعود عبر جبل طارق ابتداءً من شهر مارس. إنه نادر في المناطق الصحراوية التي قليلاً ما يزورها في فصل الشتاء.

م. الشهابي، معجم الشهابي في المصطلحات الزراعية، بيروت، 1988.

C. Harrison. *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1977, p. 272 - 273 ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*. London, 1984, p. 252-253. محمد رضاني

يوم الحناء هو اليوم الثالث من أسبوع الزفاف بمنطقة وادي نون يقوم خلاله أهل العروس بتحضير إناء من الحناء التي خلطت مع نسبة كبيرة من الماء ترفق معه مادة غذاء جاهزة ويحملان إلى دار العريس التي تعود إليها العروس صباح هذا اليوم حيث ستجرى الطقوس المرتبطة بالحناء، والتي يعتقد أنها تعمل على إطالة عمر العلاقة الزوجية أو تساعد على تفادي السليبات التي يمكن أن تنتج عن تعايش الرجل والمرأة (Mauss, 173) تظلي أثناءها يدا العروس ورجلاها بتلك الحناء لمدة قصيرة فقط لأنها تعتبر في هذه الحالة فألاً وليست زينة. ويتكرر هذا الطقس في مناطق عديدة بالمغرب، مع تقارب مهم وواضح في الدلالات التي تكتنزها المضامين الرمزية : فالحناء تجنب الفأل السيء عن المرأة، كما يفترض في تلك التي تتولى مهمة وضع الحناء على العروس ألا تكون طالقاً أو تزوجت أكثر من مرة حتى لا تتعرض العروس لنفس المصير (Westermarck, 202)، وحين تنتهي من ذلك يأتي الأطفال ليأخذوا بعض الحناء من على يدي العروس ورجليها أو كما يقال "أخوصو لحناء" لأن ذلك يترجم مفاهيم المحسوبة والنسل الكثير والرغبة في إنجاب طفل ذكر، فعبر الحناء يتم الإنتاج الرمزي للقيم الاجتماعية، فهي تطرد الجن، وتبعد العين عن البيت وكل المتلكات الشمسية، كما أنها تحفظ هذا الرباط الزوجي الذي يشهده الجميع (11, Puigaudeau) ويتم إشهارة واستهلاكه عبر الطقوس الاحتفالية، كما تشارك النساء والفتيات العروس في هذه الحناء ويسعين إلى إبطانها في أيديهن بتعريضها للحرارة حتى تسود، وذلك من أجل نيل بركة

يعتبر إنتاج الحناء في المغرب من أهم المحصولات الزراعية بالواحات الموجودة جنوب الأطلسين الكبير والصغير من فكيك إلى آسأ مروراً بتافيلالت ودرعة. وهي من الصبغات الثابتة، تستعمل دواء لبعض الجروح والأمراض الجلدية.

ويجب قبل أن تستعمل أوراق الحناء أن تجفف بعد قطعها، ثم تطحن، ويجعل منها عجينة تظلي على أيدي أو أرجل أو شعر النساء فتعطيها لونا برتقاليا أو أحمر أو أشقر وذلك حسب الكمية المستعملة. كما تستعمل ضد قشرة الرأس ولصباغة اللحية والحواجب والأظافر والأوشام وغير ذلك من وسائل الزينة الشخصية ولتلين الجلود وجعلها متينة.

أبحاث شخصية : ألبرت هيل، النبات الاقتصادي، 1962، ترجمة د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة.

عبد الملك بنعبيد

أبو الحناء، طائر صغير القد من رتبة الجوارث وفصيلة الشحروريات، يدعى هكذا لشدة حمرة ريش صدره وعنقه. يسمى علمياً Erithacus rubecula وبالفرنسية Rouge gorge وبالإنجليزية Robin بالاسبانية Petirrojo والعربية الدارجة "بُوحَنًا" وبالأمازيغية "أزكاغ ودمر" و"أزكاغ وول".

يتشابه الزوجان في ألوان الريش وفي الحجم. ريشه بني مخضر على رأسه وظهره وجناحيه وذيله، وأحمر برتقالي جهة العنق والصدر وأبيض على مؤخرة البطن. المنقار والقوائم بنية. طوله جمعا بين الرأس والذيل 13.5-14 سم. يتغذى من الحشرات وخاصة منها التي تطير كالذباب الذي يلتقطه عند الطيران ويألف الغابات والأدغال والبساتين، وهو طائر شديد التستر.



أبو الحناء

يحدد الزوج منطقة عيشه ويمنعها على سواه ابتداء من شهر شتنبر. يدافع عنها في حالة اقتراب زوج آخر من منطقته ويعيش مع زوجته فيها طوال فصل الشتاء، وتبتدى مرحلة التوالد في مارس فيبني عشه وسط الأدغال الكثيفة الأغصان ويداخل الجحور الموجودة في جذوع الأشجار. تلد

**الحنوني، معمر** بن يحيى استعمل على إخوانه سنة 1312 / 1894 بعد أخيه الحاج إدريس. ومكث في منصبه إلى سنة 1318 / 1900 التي لعلها كانت سنة وفاته.

**الحنوني، موسى** كان سنة 1326 / 1908 قائداً على طرف من أولاد حنون حسبما ذكره العربي بن الحاج يحيى الذي اشتكى من تعسقاته على إخوانه. لكنه لم يمكث في الولاية مدة طويلة، إذ سرعان ما عين إدريس بن بوسلهام على كافة أولاد حنون.

**الحنوني، يحيى** (الحاج -) هو أقدم أولاد حنون ولاية، أتى ذكره متولياً عليهم منذ سنة 1267 / 1850. ولعله كان آنذاك شيخاً لقومه أو مجرد واحد من الوجهاء. وقد ورد وصفه بالقائد سنة 1295 / 1878 لِمَا وجه السلطان إليه وإلى قواد بني حسن رسائل يأمرهم فيها بالعمل على حفظ الطريق الذاهية من سلا إلى شمال المغرب وشرقه. وقد استعمل على قومه طيلة ثلاثين سنة، إلى أن وافته المنية حوالي 1302 / 1884. وقد خلف أولاداً في الولاية هم الحاج إدريس ومعمر والعربي المذكورون أعلاه.

م. بوشعراء، علاقة المخزن بأحواز سلا : قبيلة بني حسن، 1860. 1912، ص. 99. 114. 116. 119. التعريف ببني سعيد السلاطين، ج 2، ص. 170.

مصطفى بوشعراء،

با حنيني (أسرة) ← با حنيني

**ابن حنيني، محمد** بن أحمد الزراري ثم التازي نسبة لزرار حوز مراكش، ذكره الشيخ التاودي ابن سودة في فهرسه ضمن شيوخه. وكانت تربطه بالشيخ عبد العزيز الدباغ صاحب الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز. علاقة متينة ومتميزة، إذ هو عمدته ووارث سره. ويحكي عنه الحوات في الروضة قوله : "وما من الله به علي أنني لما التقيت مع شيخنا الإمام الغوث الهمام مولاي عبد العزيز بن مولاي مسعود الدباغ، كان قلبي متعلقاً جداً بأمر الدنيا من حرث وتجارة ونحو ذلك. كنت من ذلك في غاية الكد والتعب. وكانت الدنيا هي المقصودة، والآخرة أضغاث أحلام. وكنت ممن رزقه الله شيئاً من العلم، وعزمت على أن أدخل في زمرة العدول، أو السعي في تولية خطة القضاء والعياذ بالله، فرحمني الله عز وجل حين لقيته، وطهر الله قلبي وذلك ببركته وحسن سياسته" وحسب هذه الرواية فقد أمره شيخه عبد العزيز الدباغ ببيع ما عنده من الثيران وغسل قلبه من الفلاحة، كما أمره ببيع ما عنده من الكتب والتجرد إلى الله تعالى.

العروس، كما أظهر جاموس أيضاً عند قبائل الريف (Jamous, 272)، نرى إذن أن مكونات هذا الطقس يوضح الصفة المقدسة للالتزام، يحققه الاحتفال عبر المشاركة والمراقبة الاجتماعية (Labrusse, 512).

R Jamous, *Honneur et Baraka : les structure traditionnelles dans le Rif*, Paris, 1981 ; C. Labrusse, *Mariage. Encyclopédia Universalis*. Vol. 10, Paris 1962 ; M. Mauss, *Manuel d'ethnographie*, Paris, 1967 ; O de Puigaudeau, *Arts et coutumes de Maures, H.T.*, Vol. XI, 1970 ; E. Westermarck, *Histoire du mariage*, Paris [s.d]

أحمد جوماني

**الحنواوي، محمد** بن سالم السلاوي، فقيه عدل وُصف بالتقوى والزهد. وكان مؤدياً للصبيان بداخل مدرسة أبي الحسن المريني بطالعة سلا. وله خط جميل يتولى به نسخ الكتب. كان سنة 1249 من عدول سلا المبرزين، وتوفي سنة 1325 / 1907 عن سن عالية. وتجدر الإشارة إلى أن من أشهر البساتين بسلا "سانية الحنا" ولعل الحناويين أصحابها أو منسوبون إليها. وقد انقرضوا اليوم.

م. بن علي، الإتحاف الوجيز، ص. 52 : إتحاف أشرف الملا، ص. 57 : كنانة الحاج أبي بكر الصبيحي، مخطوط، خ. ص. : رسوم الخزانة الصبيحية : رسوم ووثائق شخصية.

**أولاد حنون** فريق من الصنافعة قبيلة بني حسن القاطنين بالشمال الشرقي من إقليم القنيطرة في الجماعة القصبية حسب التقسيم الجماعي الأخير (1992). كان أولاد حنون يعدون في الصدر الأول في القرن الرابع عشر (20 م) بنحو 200 خيمة (أسرة) وقد تولى أمرها عدد من القواد الحنونيين :

**الحنوني، إدريس** بن بوسلهام كان سنة 1328 / 1910 قائداً بدلاً من موسى الحنوني آتي الترجمة. وكان لا يزال كذلك في عهد الحماية التي أضافت إليه فخذتي الرسوم وأولاد عبد الله الصنفاغيتين.

**الحنوني، إدريس** (الحاج -) بن يحيى، ولي القيادة على أولاد حنون إثر وفاة أبيه الحاج يحيى. واستمر في منصبه إلى أن أدركته الوفاة سنة 1312 / 1894.

**الحنوني، العربي** بن الحاج يحيى هو الابن الثالث للقائد الحاج يحيى آتي الترجمة، وكان آخر أولاده في الولاية. وقد عين بعد أخيه معمر بحيث كان قائداً سنة 1322 / 1904. وكان لا يزال سنة 1327 / 1909 في منصبه الذي نافسه عليه موسى الحنوني منذ سنة 1326 / 1908.

كان لمحمد ابن حنيني إخوان في الله وأتباع سالكون طريق السنة مجانبون الابتداع، أورثه سره الشيخ عبد العزيز، فراج عنه في الخلق من معارفه الخالص الأبريز وكثر قاصدوه من كل بلد وأخذ عنه أخذ انتفاع قوم ذوو عدد. توفي سنة 1153 / 1741 بمدينة تازا وضريحه زاوية يقصدها الزوار.

التاودي ابن سودة، فهرسة، مخطوط ؛ س. الحوات، الروضة المفصدة، 393-394.

عبد العزيز تيلاتي

**الحوالات الحيسية**، سجلات تضم الوثائق الحيسية فتشمل أسماء الأملاك الحيسية وأنواعها وأماكن وجودها ورسوم ملكيتها وتجييسها وأسماء محبسيها، وطرق استغلالها ومدخلها ونفقاتها على المساجد والمدارس والمشاريع الاجتماعية المتنوعة، إلى غير ذلك من الوثائق ذات الصلة بالأوقاف.

ويعتقد أنها سميت بالحوالات الحيسية لأنها أصلا وثائق وافية حوت إلى سجلات تجمعها، أو لعلها آتية من الحول بمعنى العام لملاحظة أنها تتجدد كل سنة في أكثر الظروف التي مرت بها الأوقاف، كما أنها تتعرض باستمرار للمراجعة والتنقيح، الأمر الذي يدل على اشتقاقها من الحول أو من التحويل، لأن وثائق التجييس تحول وتنقل لهذه الدفاتر.

ولا يعرف بالتحديد متى بدأ تدوين الحوالات الحيسية، إلا أنها عرفت بالمغرب منذ العصر المريني، غير أن أقدم الأصول الباقية منها إنما تعود للعهد الوطاسي ومنها "حوالة أحباس فاس العليا" و"حوالة أحباس المارستان بفاس"، وهما يعودان تاريخيا لسنة 905، والجزء الأول من "حوالة أحباس القرويين" بتاريخ 961.

ويعتبر العصر العلوي فترة تنظيم - أكثر - لهاته الحوالات، خاصة في عهد مولاي إسماعيل الذي أمر بإحصاء الأملاك الحيسية في كل البلاد. وتقييدها في سجلات خاصة عرفت بالحوالات الحيسية الإسماعيلية.

أول اهتمام بالحوالات الحيسية تناول حوالة أحباس طنجة فتم نشرها سنة 1914 مصورة في نصها العربي (330 لوحة) بعناية الفرنسي "ميشو بيلير".

ومن الذين اعتمدوا الحوالات الحيسية، عبد الرحمان ابن زيدان الذي استغل الحوالات الخاصة بمكناس بشكل كبير في تاريخه إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة فاس، سواء فيما يتعلق بالتراجم أو بالأخبار التي أوردها عن مدينة مكناس.

وقد استخدم محمد المنوني الحوالات في بعض كتاباته كما جاء في مقاله عن مكناس عبر أربعة عصور، وولجت الحوالات في الستين الأخيرة قطاع الدراسات الجامعية،

فاستغلها أحمد التوفيق في كتابه عن المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، ومحمد مزين في رسالته عن فاس وياديتها 1549-1637، ومحمد اللحية في رسالته حول الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس في القرن التاسع عشر. ومع ذلك ما تزال الحوالات الحيسية لم تدرس دراسة مفصلة ولم يعن بها أحد - فيما نعلم - ولا تصدى لبحثها باحث.

وتوجد بالخرزانة العامة بالرباط مصورات على الشريط لمعظم الحوالات الحيسية المغربية في 75 مصورة تحدث عنها محمد المنوني في مقال له بمجلة البحث العلمي، لكن ما زالت بالنظارات الجهوية ثروة هامة من الحوالات غير مصورة. وأخرى في بعض الخزانات، منها بخزانة القرويين بفاس قطعتان من حوالتين فاسيتين قديمتين الأولى تحمل رقم 399 والثانية رقم 395، و"حوالة أوقاف مدينة القصر الكبير" التي جددت عام 1284 وتحمل رقم 780.

من خلال الوثائق المدونة بهذه السجلات تتناثر معلومات بالغة الأهمية عبر الفترات المنوه بها، فتكشف - في بلد الحوالة - عن أسماء الخطط والآثار والأشخاص والأسر، علما بأن عددا من هذه صار غير معروف. كما تحتفظ الحوالات بمعلومات عن نظام التسيير لقطاع الأوقاف وأسماء القائمين به ومرتباتهم، فضلا عن الأنظمة الدينية والتعليمية والاجتماعية للمساجد والمدارس والمؤسسات الاجتماعية المندثرة. هذا إلى أن كثيراً من وثائق الحوالات يثبت بها تسلسل عدد من العائلات المغربية، مع مجموعات من أسماء الشهود والقضاة وتوقيعاتهم بأشكالهم المعقدة، مضافا لذلك بعض لوائح الكتب الموقوفة على المؤسسات التعليمية، ومجموعات الفتاوى مذبلة بأسماء المفتين، كما تقدم الحوالات الحيسية صورا للأخلاق الشعبية في مجال البر والإحسان بواسطة مضمون تجييسات الأفراد على مختلف المشاريع الإنسانية.

تحدث أحمد التوفيق عن حوالة أحباس دمنات قائلا : "وهذه الوثيقة، رغم صغر حجمها، مثال على ما للحوالات الحيسية من أهمية في تاريخ البنية الحضارية لحواضر المغرب، وفي إعادة تصور ولو جزئي للمنظر الزراعي بالنسبة لبواديه" ( المجتمع المغربي، ص. 25-26).

هكذا يبدو أنه بالرغم من الصبغة الوثائقية شبه المتخصصة للحوالات الحيسية (رسوم ملكيات، رسوم تجييس، عقود شراء وبيع إحصاءات) فهي تحوي معلومات كثيرة دقيقة ومتنوعة حول جوانب حضارية مختلفة، وتزداد أهمية الحوالات - كمصدر - عندما تهتم بمناطق ونواحي تشكل عناصر ثانوية في زحمة اهتمامات "المؤرخ التقليدي (أو الرسمي) الذي يهتم أول ما يهتم بالأحداث السياسية الكبرى التي لها ارتباط بالسياق التاريخي الذي ينصب أول ما ينصب على تاريخ الدول والأسر المالكية وما يندرج تحت هذا المعنى، فهي تقدم مجموعة من المعطيات الرقمية والمحددة للملكيات والمساجد والزوايا والمؤسسات

الإحسانية والمارستانات. كما أنها توفر - من جانب آخر - مجموعة متكاملة من المعطيات في مجال زمني واسع يعطي إمكانية المقارنة بين فترات مختلفة.

حوالات أحياس مدن مكناس وفاس وطنجة ؛ م. المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، 1: 130 ؛ مجموعة المصادر التاريخية المغربية، مجلة البحث العلمي، عدد مزدوج 20، 21، السنة 1972. ص. 86، 89.

رقية بلقلم

**الحوت، السمك لغم،** وقد غلب على الكبير منه، والعام في المغرب لا تفرق بين الحوت والسمك. وبالنسبة للمختصين في علم الحيوانات الحوت والحوتيات والحيتان Cetacea رتبة من الفقريات اللبونة تعيش في البحار، منها الدلفين والأركة وجمل البحر والبال والعنبر والهرقول. تحاكي هذه الحيوانات الأسماك في شكلها إذ تتوفر على زعانف ورأس ثابتة لا تتميز عن الجذع إلا أن هيكلها العظمي ووظائفها الفيزيولوجية تقربها من الثدييات البرية. الجسم منعدم الحراشف ويغطيه جلد عار توجد تحته دهنية سميكة تحمي الحيوان وتعزله عن التغيرات الحرارية الخارجية. ينتهي الجذع بزعنفة ذيلية عريضة وقوية وضعها أفقي تُساعد على السباحة. تحولت الفائمات الأماميتان إلى أعضاء سباحية ذات وظيفة استقرارية. تتوفر كل قائمة على خمسة أصابع.

تتنفس أنواع الحوتيات بواسطة رتتين كبيرتي الحجم بسبب متطلبات البيئة التي تعيش فيها وإضافة إلى ضعف حاجة المناطق الدماغية إلى الأوكسجين تختزن هذه الحيوانات كمية كبيرة من الهواء تمكنها من الغوص تحت الماء أقصى ما يمكن من الوقت. تسبح عادة غير بعيد عن سطح البحر وتغوص إلى أعماقه تتعدى 1500 متر. يدخل الهواء من المنخار الموجود فوق الرأس به ثقب أو ثقبين حسب الأنواع. تبقى هذه الثقب محكمة الإغلاق خلال الغوص وعند ما يطفو الحيوان يقذف النفس بقوة تثير الانتباه حيث يتكون مع ملامسة الهواء البارد انبجاس مائي حقيقي يختلف شكله وحجمه حسب الأنواع.

تتنقسم رتبة الحوتيات إلى مجموعتين :

أ - مجموعة ذوات الأسنان Odonticeta تتميز بثقبية واحدة على المنخار ويفر مزرد بأسنان متساوية فيما بينها. يمثل هذه المجموعة في الشواطئ المغربية أحد عشر نوعا على الأقل، منها خنزير البحر Phocaena phocaena والأركة Orcinus orca والأركة المزيفة Pseudorca crassidens وخمسة أنواع من التخص أو الدلاقيين : Delphinus، Stenella coeruleoalba، Tursiops truncatus، delphis، Seusa teuzei و Grampus griseus، ونوعان من البال Hyperoodon ampulatus و Ziphius cavirostris و Globicephala melaena.

تتميز هذه الحيوانات بخظم مستطيل يقوم مقام المنقار حيث يستعمل للبحث عن المأكولات وإمساکها، ويتكون قوتها اليومي من الرخويات والسرطانات والإريان وباقي القشريات.

ب - مجموعة منعدمات الأسنان Mysticeta تسمى أيضا الباليات أو الأقالبات منها الهرقول الأزرق Balaenoptera musculus والهرقول الشائع B. physalus وهركلو رُودُكف B. borealis وجمل البحر أو

**الحوامض،** تشمل الحوامض أو "الموالح" أو Agnemes بالفرنسية كل الأنواع الشجرية أو الشجيرية لفصيلة الروتاسيات Rutaceae. ومنها أنواع الليمون (انظر حامض) والساندرين والكليمنتين والبامبلُموس والنانج والترنج (انظر ترنج).

وهي أنواع شجرية أو شجيرية، بعضها قليل الأشواك، ولها رائحة عطرية، مستديمة الخضرة. أوراقها بسيطة أو شبه مركبة. أزهارها بيضاء أو مائلة إلى اللون الأرجواني، مفردة وذات رائحة عطرية وغزيرة الرحيق. ثمارها لبية تعرف بالبرتقالية غزيرة العصير نظراً لوجود أكياس عصارية.

الموطن الأصلي لجميع الأنواع البرية من الحوامض هو شرق آسيا وجنوبها. وقد استؤنست بعض الحوامض وزرعت منذ زمن بعيد جداً، قد يزيد عن ثلاثة آلاف سنة، فالترنج زرع في الحدائق المعلقة المشهورة في بابل لاستعماله في ماء الاستحمام والدهانات. ثم أدخلت الحوامض إلى المنطقة المتوسطية ومناطق أخرى حارة أو معتدلة من العالم، حيث أصبحت الآن من المحصولات الهامة.

جنس سيترُس غني بالأنواع التي يزيد عددها عن المائة بالإضافة إلى السلالات التي نتجت عن التهجين كالكليمنتين الصادر عن أبوية الساندرين والنانج (البرتقال المر) بعد العملية التي أجراها الأب كليمون Clément من منطقة وهران. إنها أنواع وأصناف كثيرة لكن القليل منها ذو أهمية اقتصادية.

تغرس الحوامض بالمغرب على نطاق واسع في السهول المسقية لتزينة وسائس والغرب ودكالة وعبدة وسوس، حيث تنتج كميات كبيرة من الفواكه التي تستعمل للأكل محلياً أو للتصدير، أو للعصير أو لصناعة المربي. ويعتبر المغرب من أكبر مصدري الحوامض بالمنطقة المتوسطية. إذ يصدر البرتقال والكليمنتين للسوق الأوروبية والروسية والبلاد العربية مما يمكن المغرب من الحصول على كميات وافرة من العملات الصعبة.

أبحاث شخصية ؛ ألبرت هيل، النبات الاقتصادي، 1962، ترجمة د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة.

عبد الملك بنعبيد

المتعلقة بها قليلة في إفريقيا وذلك نظراً لانتشار عبادة الاله "تبتون" إله المياه العذبة والمالحة.

لقد انتشرت عبادة الحوريات خاصة قرب الحمامات وأهمها حامة "Flaviana" بنوميديا، وأثبتت البقايا الأثرية التي عُثر عليها أثناء التنقيبات بأن هذه الحامة كانت تتمتع بخاصية استشفائية وبالتالي فالعبادة التي خصصت لهذه الحوريات وللصياح من طرف المتعبدين كان الهدف منها الحصول على شفاء من أمراضهم العضوية.

وقد عثر على مختلف النقائش بداخل البلاد، الشيء الذي يدل على أن الحوريات اقتصت في حماية المياه العذبة كما أثبتت ذلك الهدايا المقدمة لها، وهي عبارة عن قنوات ومعالم مائية (Nymphées) هذا فضلاً عن كون عدد من الطوبونيمات التي عثر بها على الهدايا ما زالت تحمل حتى الآن اسم "عين" مثلاً "عين موسى" قرب سطيف، وعين الشقور قرب ويلي.

وعادة ما نجد اسم الحوريات ملتصقا بأوصاف رومانية مثل "القديسات" "Sanctissimae" أو الفلافية "Flavianae" أو السبتيمة "Septimianae" الشيء الذي يدل على أن العبادة كانت تقام من طرف ممثلي روما، وهذا لا يعني أن الحوريات لم تكن ورثة القوى الليبية المشرفة على المياه في هذه المنطقة حيث الماء له قداسته.

إن الهة المياه أو جنة المياه الليبية التي كانت مقدسة من طرف الأهالي استمرت تحت اسم الحوريات أو جنة النافورات ولكن عند تسيح شمال إفريقيا، أصبح لمصطلح "حوريات" الذي حملته النقائش، دلالة أدبية فقط، أي تعبير شعري من أجل الحديث عن الماء.

ويمكن القول إن توزيع النقائش الخاصة بهذه الكائنات غير متعادل، فأغلبها عثر عليها بنوميديا وخاصة بحومة Flaviana كما رأينا. وفي المغرب القديم عثر على نقيشة واحدة بعين الشقور قرب ويلي وهي عبارة عن إهداء موجه للحوريات ولجنة المكان (IAM, 2, 822) من طرف أحد الولاة.

ولم يغفل الأفاقة تمثيل الحوريات فوق الفسيفساء فالحوريات التي ترمز للقوى الطبيعية المشرفة على الخصوبة، تتوفر أيضاً على خاصية حمائية (Valeur bénéfique) أي الحماية من القوى الشريرة وهذه الخاصية تصادفها في إحدى فسيفساء مدينة (IMGA Althibunos) (575, II, وسوسة (IMGA II, 138)، وتجدر الإشارة إلى أن عدداً كبيراً من صور الحوريات عثر عليها بإفريقيا سواء فوق الفسيفساء أو التماثيل، ولكن يصعب معرفة المضمون الأركيولوجي الذي وجدت فيه.

وقد حاول بعض الباحثين (R. Ginouvés) إقامة علاقة بين الحوريات وطقوس الزواج، فالحوريات تبدو بمثابة حاميات للزواج، فعادة ما يطلق على الفتيات المتزوجات اسم "حوريات" لأنها تدخل في علاقة تزاوج من أجل الإخصاب.

الكعب Physeter macrocephalus والعنبر Megaptera novaeangliae تتميز هذه الحيوانات بثقتين على المنخار ويفم بداخله صفائح مقرنة مثلثة الشكل ومهدبة جانبياً. تشكل صفورها مصفاة فعالة يمر من خلالها الماء فتحفظ بالأجسام الدقيقة الأوقيانوسية التي تشكل القوت اليومي لهذه الأنواع.

تعتبر أنواع اليباليات من أكبر الحيوانات على وجه الأرض طولاً ووزناً. يتراوح طولها ما بين 5 أمتار و33 متراً بالنسبة للهركول الأزرق. من المعروف عند هذه الحيوانات أن معظم الأنواع تهجر من المياه الباردة الشمالية إلى المناطق المعتدلة الحرارة خلال فترة التناسل والولادة وتعد الشواطئ المغربية من أكبر الممرات لعدد كبير من الأنواع. في حالة المرض أو الاصطدام بالصخور أو البواخر تلقي الأمواج بالأفراد المصابة إلى الشواطئ.

تدوم مدة الحمل ما بين 8 و16 شهراً وذلك حسب الأنواع. تضع الأنثى صغيراً واحداً يبلغ طوله 4 أمتار بالنسبة لأنواع الهركول ومتراً واحداً بالنسبة للدلافين. تبقى الأم ثابتة على جنبها لاتتحرك لتمكن صغيرها من الرضاعة والتنفس في آن واحد.

تعد الحوتيات من الحيوانات المهددة بالانقراض الناتج عن صيدها لاستغلال شحومها في الزيوت الصناعية وأكل لحومها. صيدها ممنوع في الشواطئ المغربية ونادراً ما تدخل بعض أفراد الدلافين وسط شبك صيد الأسماك فتصوت على إثر عدم التنفس.

م. رمضاني، معلمة المغرب، الأركة، ج. 1، ص. 324 - 325 :  
الباين، ج. 3، ص. 1013 : التخص، ج. 7، ص. 2299 - 2301 :  
الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة 1988. : المعلوم أمين، معجم الحيران، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

A. Bayed et P. C. Beaubrun, *Les mammifères marins du Maroc, Inventaire préliminaire, Mammalia*, 51, 3, 1987, 89 - 92 p. ; D. Lloris et J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, FAO, 1998, 263 p. ; M. Ramdani et N. Elkhiafi, *Flore et faune marines du Maroc, Biodiversité, Biologie, Ecologie et Biogéographie*. Expo 98, Rabat, 1998, 68 p. ; H. Aloncle, *Deuxième note sur les Cétacés de la baie ibéro-marocaine*, Bull. Inst. Pêche Marit., Maroc, 1967, (15) : 33 - 35 ; M. Menioui, A. Berraho, A. Idelhaj et A. Moumni, *Données récentes sur quelques mammifères marins et sur une tortue des côtes marocaines*. Rapp. Comm. Int. Mer. Médit., 34, 1998.

محمد رمضاني

**الحوريات "Nymphae"**، إن دور الكائنات التي تحمل في اللغة اللاتينية اسم "Nymphae" يتمثل في حماية العيون الطبيعية والحمامات، بهذه الصورة تظهر عبادة الحوريات في مختلف الولايات اللاتينية القديمة. وانطلاقاً من الشهادات الجغرافية يبدو أن النقائش

إن ما يمكن أن نستخلصه هو كون الحوريات اختصت بمجال المياه العذبة في هذه المنطقة من العالم الروماني والتي كان فيها للماء قيمة كبرى، كما أن عبادة الحوريات وجدت بدون شك قبل مجيء الرومان واستمرت خلال الوجود الروماني وحتى بعده ولكن تحت أشكال مختلفة.

J. Toutain, *Cultes païens dans l'empire romain*, p. 380 - 382 ; J. Birebent, *Aquae Romanae : recherche d'hydraulique romain dans l'Est Algérien*, Alger, 1962 ; J.P. Darmon, *Nympharum Domus : les pavements de la maison des Nymphes à Néapolis et leur lecture*, Leiden 1980 ; Darember et Saglio, *DAGR*, p. 124 - 127 ; *CIL VIII*, 17722, 17723, 17727 ; 4322 ; 2662 ; *AE*, 1910, 156; *AE*, 1928, 36 et 37 ; *IAM*, 2, 822.

عبد العزيز بل الغابدة

**الحوز**، مصطلح جغرافي يعني الضاحية. وفي المغرب حوزان مشهوران : صغير في الشمال هو "حوز تطوان" وكبير في الجنوب هو "حوز مراكش".

**حوز تطوان**، منطقة على البحر المتوسط تسكنها قبيلة تحمل نفس الاسم "قبيلة الحوز" وفي سفح أحد جبالها تقوم مدينة تطوان. تحد غربا وشمالا بقبيلة أنجرة، وشرقا بالبحر المتوسط، وجنوبا بقبيلة بني حزم وودراس، تضم فرقتي : - فرقة صدينة وتحتوي على تسعة مداشر هي : سمسة، بني عمران، الدشريين، صدينة، اجعياق، العلوية، الكدان، ترانت، واد أجلة. - وفرقة البحري وتضم 15 مدشرا وهي : القلالين، الملايين، بني سالم، السرور، العنصر، واد أليل، بلوازن، البين، الكوف السفلي، الكوف الفوقي، واد الزرجون، بوجميل، الكدانة، عين ليين، جبل زمزم.

ينقسم الحوز الآن إلى ثلاثة أقسام : بلدية الفينديق، جماعة سمسة (صدينة سابقا) سكانها حوالي 5.828 نسمة ومساحتها 75.85 كلم<sup>2</sup> ؛ وجماعة تغرمت سكانها حوالي 11.482 نسمة ومساحتها 255.15 كلم<sup>2</sup> بالإضافة إلى مدينة تطوان ومرتيل.

بنية الحوز التوائية يغلب عليها الصخور الكلسية، لهذا فهي تنتمي إلى الصخور الكلسية الليبانية، كما تحتوي على صخور دولوميتية وبلشبية. وأهم جبالها الفحص وجبل البحار وجبل درسة وجبل عورغيز في الجنوب. يغلب على غطائها النباتي طابع الشوكيات خاصة الصنوبر بمختلف أنواعه مثل الحلبي والمظلي وأشجار الفلين. أما الماطورال فيتشكل من العرعار والضرو على السفوح الشمالية الغربية. ونظرا لبنية وطبيعة الصخور والتربة فإن الفلاحة ضعيفة، تقتصر على البقول والخضر وبعض الفواكه والحبوب الموسمية البورية.

تعتبر شواطئ الحوز على البحر المتوسط من أهم المناطق السياحية في المغرب، فقد أنشئت فيها عدة منشآت على طول الشاطئ مثل مارتيل، والمضيق، والرأس الأسود، وسانية الطوريس، والفينديق.

كانت المنطقة الشمالية الغربية في الماضي تنتمي كلها إلى قبيلة غمارة واليوم أصبحت مقسمة إلى قسمين، غمارة وجبالة. والحوز تنتمي إلى هذه الأخيرة، وأهم ما يميزها هو التثبيث بالقيم الإسلامية والعادات الأصيلة والحمية الجهادية. وقد تحدث مولييراس في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) عن عدة جوانب في الحوز منها الجانب الديني وأشار إلى كثرة الزوايا فيه، وإن كان قسمها تقسيماً غربياً، كالزوايا التجانية والقادرية والناصرية والدرقاوية والتهامية الخ.

ساهمت قبيلة الحوز عبر العصور في الحركات الجهادية في الأندلس مع المرابطين والموحدين، وفي معركة وادي المخازن أيام السعديين، وفي محاولات تحرير ستة وحرب تطوان. وبعد فرض الحماية الإسبانية على المنطقة شاركت قبيلة الحوز في الحركة السياسية والعسكرية لمقاومتها. حضر ممثلو الحوز في مؤتمر عين دالية سنة 1913 / 1331 وفي التجمع بضريح المولى عبد السلام بن مشيش في 14 شعبان عام 1331 / 20 يوليوز 1913 لتأليف المجلس الأعلى للمقاومة بإشراف أحمد الريسوني وقد بلغت المعارك التي دارت رحاها ضد الإسبان بالحوز ثمان عشرة معركة.

م. داود، تاريخ تطوان، ج 1 و 4 : م. ابن عزيز حكيم، بطل جباله حميدو ولد السكان، ص. 31 - 33 : الحياة ندوة علمية، ص. 64 : ع. العزيز خلوق التمساني، جوانب من تاريخ جباله المعاصر، 1996، ص. 101 : دار النياحة، عدد 14 سنة 1978، ص. 54.

*Yebala y el bajo Lukus*, Madrid, 1914, p. 9 - 10 - 11 ; *Jbala Histoire et Société*, Paris, p. 458 - 459 ; A. Moulieras, *Maroc inconnu*, II, 1899, p. 734 - 746. محمد أريف

**حوز مراكش**، هو السهل المحصور بين سلاسل الأطلس الكبير جنوباً وشرقاً والجبيلات شمالاً وهضاب حاحة وشياظمة غرباً. ويقع سهل الحوز بجنوب المغرب حول خط العرض 31° شمالاً، وهو على شكل مثلث طول قاعدته الممتدة على طول السفوح الدنيا للأطلس الكبير 150 كلم وارتفاعه 55 كلم بنهايته الغربية حيث يبلغ السهل أقصى عرضه ويضيق في الوسط والشرق إلى 20 كلم. تبلغ مساحته حوالي 4.000 كلم<sup>2</sup>. هكذا وسع مدلول "الحوز" عندما شرع في وضع الخرائط الإقليمية في بداية عهد الحماية. وكان الحوز قبل ذلك يطلق على البساتين المحيطة بمراكش، أي الضاحية الزراعية للمدينة، بينما كان يطلق على باقي السهل أسماء قبلية في معظمها.

بنيته الجيولوجية : يعتبر الحوز من سهول أقدام الجبال ويتشكل في غالبيته من مجموعة مخاريط انصباب وديان الأطلس يصل بعضها إلى ضفاف واد تانسيفت، بل إنها دفعت مجراه نحو الشمال. له ميل عام من أقدام الجبال : 1000 م نحو واد تانسيفت شمالاً : 400 م، وميل معكوس



مراكش. فرغم وزن مدينة مراكش البشري ونمو المدن الصغرى بالدير وبالسهل فمزال الريفيون يكونون الأغلبية 65٪ من سكان سهل الحوز يتوزعون بتفاوت كبير. إذ ترتفع الكثافة كثيراً بالنطاقات السقوية العصرية ومخارج الأودية إلى 150 ن / كلم<sup>2</sup> وتنخفض إلى حوالي 40 ن / كلم<sup>2</sup> في المناطق البورية التي تعرف بعض دواويرها إفراغاً كما يلاحظ بدائرة سيدي بوعثمان شمال واد تانسيفت وبوسط الحوز الغربي ونجد كماسة.

الثروة المائية : نظراً لسيادة الجفاف فإن الأراضي بسهل الحوز تفقد قيمتها إذا حرمت من مياه السقي المستمدة من مياه الوديان الجبلية التي تستفيد من غزارة الأمطار والثلوج. وقد كان استغلال مياهها مثار نزاع بين القبائل الجبلية من جهة وبين قبائل الكيش بالسهل والسكان الحضريين بمراكش وسلطات المخزن من جهة أخرى. وهذه لائحة معدل جريانها السنوي وأهم معطياتها عند محطاتها بمخارج الأودية ولا يدخل بها الجزء السهلي الذي لا يساهم بشيء مهم في تغذيتها بل غالباً ما تستنفد مياهها فيه بالسقي والتسرب والتبخير الذي يبلغ معدله بمدينة مراكش 2600 ملم / سنة.

وديان الحوز الغربي :

اسم الواد	طول مجراه الجبلي كلم	مساحة حوضه كلم <sup>2</sup>	معدل أمطاره ملم / سنة	معدل جريانه السنوي مليون م <sup>3</sup>
إميتانوت	19	146	472	11.5
سكساوة	35	573	562	63.1
أسيف لئال	44	510	578	56.2
واد كر	22	150	616	11.4
أمزميز (أتكال)	20	115	546	21.5

يبلغ مجموع معدل جريانها السنوي 163.7 مليون م<sup>3</sup>. ولكل واد قطاعه السقوي الذي يتميز بكثافة المزروعات العالية حيث تكثر الأشجار المثمرة وزراعة خفيفة بسافلته حيث يصبح السقي عرضياً ولا تصل مياهها إلى مستوى قاعدتها إلا نادراً. ونتيجة للتسرب الكبير لمياهها تظهر بعض العيون عند بعض الحافات أو بضافات المجاري السفلى الجافة للوديان أهمها عين أبيانو بمجال أولاد بوالسبع معدل صبيها السنوي 600 لتر / ثانية.

950 م) يتعرض للرياح الشمالية الغربية الرطبية وأحياناً إلى رياح غربية وجنوبية غربية وترتفع حرارته صيفاً خاصة عند هبوب رياح الشرقي الجنوبية " 39 يوماً كمعدل. يبلغ معدل حرارته 19.8 (يناير 11.5 و غشت 28.8) لكنه يعرف درجات عليا + 40 كما تعرف بعض لياليه شتاء الصقيع. النباتات الطبيعية : سهبية تتلخص في أعشاب حولية قصيرة وشجيرات السدرة الشوكية والدوم في الدير ونباتات أخرى ثانوية مرتبطة بقصور وسرير الوديان مثل الطارفة والطلح والصفصاف والدفلة...

السكان : تدلّ قرائن عديدة على أن الجبال أسبق من السهل إلى التعمير والاستقرار. تطورت كل مجموعة في واد، وكان سهل الحوز مجالاً رعوياً خاصاً بها وليس هناك ما يثبت قدم الاستقرار البشري به أو استمراره إذ أن أزمات الجفاف التي يتعرض لها كانت تناهض كل استقرار دائم. وكانت كل قبيلة جبلية تحرص على استغلال مياه واديها بأراضي الفم والمخروط وكذلك المجرى الأسفل لواديها بالسهل، وهكذا قسمت أراضي الحوز إلى شرائح تمتد من مخرج الوادي بالدير إلى منطقة اتصاله بواد تانسيفت. لكن بدأ هذا الوضع يتغير في عهد المرابطين بعد بناء مراكش وحرص حكامها على حماية مجالها الخلفي واستحواذ تدريجي على مياه الوديان. وفي عهد المرينيين ظهرت أولى طلائع بني معقل وبني هلال بغرب الحوز وشرقه تنازع قبائل هسكورة مراعيها بشرق الحوز. وتعزز هذا الاتجاه في عهد السعديين عندما أسكنوا حمايتهم من أهل سوس والصحراء بالأراضي الواقعة بين مراكش وجبال الأطلس لتقيهم خطر تدفق الجلبين على السهل، فأقطعوا أولاد بو السبع مجال سكساوة ونقيفة بالحوز الغربي ومجاط وثكنة بأراضي مزوضة وأولاد امطاع والعرب على حساب كدميرة بغرب نفيس والرحامنة على حساب أهل نفيس وغياغية وأوريكا بالحوز الأوسط. كما انتشر السراغنة بمعظم الحوز الشرقي. وتعزز هذا الوضع في عهد العلويين الذين أقاموا عدداً آخر من قبائل الكيش بأراضي الحوز ومخروط واد نفيس. ولحرص سلطات المخزن بمراكش على تأمين موارد المياه خاصة من نفيس وغياغية وأوريكا فإنها صارت تحكم هذه الأودية مباشرة من طرف باشا قصبه مراكش. وينمو مراكش توسعت حولها البساتين التي امتلكها أعيانها وامتدت صعوداً مع الوديان إلى مخارجها كما تدلّ على ذلك كثرة العزبان وأسماء السواقي.

وبعد التوسع الكبير الذي عرفته المجالات المسقية في إطار التحولات الاقتصادية الحديثة والنمو الديمغرافي الكبير الذي عرفته المراكز الحضرية ازداد عدد السكان بسهل الحوز إلى أن بلغ في احصاء شتنبر 1994 : 2.243.000 منهم 782.912 حضريون منهم 672.506 بمدينة



## وديان الحوز الأوسط :

اسم الواد	طول مجراه الجبلي (كلم)	مساحة حوضه (كلم <sup>2</sup> )	معدل أمطاره حوضه (ملم / سنة)	معدل جريانه السني (مليون م <sup>3</sup> )
نفس	150	1700	560	160
غيفاية	36	324	676	58
أوريكا	46	575	760	180
اسيل	20	94	534	9
المالغ	13	116	696	10
الزات	50	496	696	150
نوانا	24	110	600	15
غذات	50	550	700	120
لاغ	25	152	633	22

سكانه بقرى دائمة كبيرة إلا بعد إتقان أساليب الري وتنظيم مجالات السقي. وتشتمل ثروته الزراعية اليوم في زراعة مسقية تستفيد من منشآت مائية قديمة وعصرية، فكل واد يغذي عدداً من السواقي بلغ عددها في نهاية الستينيات 150 ساقية مجموع طولها 5000 كلم. ولكل ساقية شبكة من المصاريف على شكل عمود فقري سمكة. وجل السواقي الكبرى أنشئت من طرف سلطات المخزن أو بعض الزوايا أو أعيان المنطقة من شيوخ وقواد وشرفاء. يتطلب استمرار عملها صيانة مستمرة وحماية سلطة قوية، كما حفر به منذ قرون حوالي 1000 خطارة كان يعمل منها إلى عقد الثلاثينيات 650 خطارة بالحوز الأوسط وواد نفس تكثر وتجود بمياهها خاصة بمجرى وادي نفس وأوريكا حيث كان عمق الآبار 10-15 م. أما اليوم فقد جف معظمها بسبب الانخفاض الكبير لمستوى المياه الجوفية وصعوبة صيانتها وتعقد بنيتها العقارية لتوزيع ملكيتها بين ورثة كثيرين مجهولين أحياناً بالإضافة إلى عدد من العيون تكثر بالمصاطب الدنيا لوادي نفس وتانسيفت لكن جف معظمها كذلك. وتقدر اليوم المحصلة السنوية للمياه الجوفية بالحوز المستمدة من الخطارات والضخ الآلي بحوالي 300 مليون م<sup>3</sup> وهذا ما يجعل كميات المياه القابلة للاستغلال بالحوز تصل إلى حوالي 2100 مليون م<sup>3</sup>.

وفي عهد الحماية بنيت منشآت مائية عديدة أهمها ثلاثة حواجز لتغذية السواقي أقيمت على وديان غيفاية وأوريكا وأنكال بالإضافة إلى سد للاتكروست بحقينة 50 مليون م<sup>3</sup> كما شرع في حفر قناة الربط لجلب مياه الحوز الشرقي غير المستغلة إلى الحوز الغربي الذي كانت به نطاقات سقوية عصرية للمعمرين محتاج إلى مزيد من المياه. وفي عهد الاستقلال بنيت منشآت أخرى كبرى أهمها سد أيت عادل على واد تساوت : 230 مليون م<sup>3</sup> وسد أيت شواريت حقيته : 350 مليون م<sup>3</sup> بالإضافة إلى سدود حواجز تكميلية أهمها سد سيدي إدريس على الواد الأخضر 8 ملايين م<sup>3</sup> لتغذية قناة الربط التي أكملت ودخلت مرحلة الإنتاج في بداية الثمانينيات طولها 118 كلم صيبتها 20 مليون م<sup>3</sup> / تحمل سنويا إلى الحوز الأوسط 300 مليون م<sup>3</sup> منها 40 مليون م<sup>3</sup> لمدينة مراكش كما زيد في علو حائط سد تاكروست 9 أمتار فارتفعت حقيته إلى 80 مليون م<sup>3</sup>. وقد جرت العادة أن جل الرساتيق المسقية تسمى باسم الساقية التي ترويه مثل بلاد سعادة - بلاد تسلطانت - تمزكلفت - تاركة. يبرز بينها سواقي مشهورة لها تاريخ كالساقية البيعوية طولها 50 كلم والنصورية والقايدية... خاصة بالحوز الشرقي. وقد تعززت المساحات المسقية في السنوات الأخيرة بحفر آلاف الآبار باستعمال الضخ الميكانيكي الذي أحدث ثورة ومشكلا خطيراً إذ أدى إلى انخفاض مستوى المياه الجوفية كثيراً بـ 10-60 م وأكثر بل ونفاذها في بعض الجهات.

يبلغ معدل جريانها السنوي 724 مليون م<sup>3</sup> إلا أنه يتميز بعدم انتظام كبير، فالنسبة بين كمية جريانها السنوي الأدنى والأعلى تتراوح ما بين 1-22 بالنسبة لواد نفس إلى 1-10 بالنسبة لواد أوريكا، لكل منها مخروطه ومجره المستقل كلياً أو جزئياً. ويلاحظ أن مجاريها لم تستقر بعد كلياً لأنه يظهر بها عند كل فيضان نحت وإرساب وقرض للجوانب وحفر مجار جانبية جديدة بأسرتها العريضة.

## وديان الحوز الشرقي :

اسم الواد	طول المجرى الجبلي (كلم)	مساحة حوضه (كلم <sup>2</sup> )	معدل أمطاره (ملم / سنة)	معدل جريانه السني (مليون م <sup>3</sup> )
تساوت	122	1500	656	370
تيديلي	15	113	546	20
إسيل	25	162	787	xx
الأخضر	117	2840	661	520

ينتمي تساوت والأخضر إلى حوض أم الربيع الذي تمكن من أسر واد تاساوت ورافده الأخضر الذي يعبر بحر كاينو ليصل إلى سهل قلعة السراغنة. يبلغ معدل الجريان السنوي 910 مليون م<sup>3</sup> تتميز بانتظام نسبي لمعدل جريانها السنوي، فالنسبة بين مجموع جريانها لأكثر السنوات جفافاً وأكثرها مطراً هي 1.6 بالنسبة لتساوت و 1.8 بالنسبة للأخضر. تتميز هذه الوديان بتعمقها فلا يبرز تساوت على السطح إلا في منتصف السهل كما يتعمق الواد الأخضر على طول مجراه مما يصعب استغلال مياهه.

تنظيم استغلال المياه بسهل الحوز : تكتسي هذه الشروات المائية أهمية حيوية بالنسبة للحوز الذي كان يستغل سابقاً كمععى شتوي للقبائل الجبلية ولم يستقر

ويلاحظ أن كل هذه المنشآت مازالت بعيدة عن تحقيق استغلال أمثل للمياه خاصة بالحوز الأوسط حيث تنعدم السدود لمخزن المياه وتذهب مياه الفيضان الشتوي والريعي إلى البحر، وبهذا لا تكاد الزراعة تستفيد بأكثر من 50٪ من كمية مياه الجريان الشتوي. وفي الصيف عندما تشتد الحاجة إلى المياه تقل مياه الوديان بل يجف بعضها، ولهذا تركز كل السواقي التاريخية الكبرى على أخذ مياهها صيفا من المقاطع العليا للواد التي لا تخرج عن الكيلومترات الأربعة الأولى من مجرى الواد بعد خروجه إلى السهل مما يثير نزاعات مع سكان قرى الدير الأعلى الذين يعتبرون الأسبقية في استغلال مياه الواد للعالية. كما استولى المعمرين في عهد الحماية على قسم وافر منها وأقاموا ضيعات عصرية كبرى بلغ مجموع مساحتها بالحوز 33.000. وتعيش اليوم منطقة الحوز تحولات بنيوية اقتصادية واجتماعية تتناول أساليب الإنتاج وتقنيات السقي ودمج الأراضي وتجديد المزروعات ورفع المردودية والإنتاجية. كما أدى تجديد شبكات الري وتكوين الضيعات العصرية على طول الطرق المعبدة وحيثما توفرت المياه إلى توسيع مجال الزراعة المسقية الذي يبلغ 160.000 منها 60 ألف تدخل في نطاق السقي العصري الكبير والصغير والباقي تقليدي بحيث مازال يتعايش بسهل الحوز أنظمة الري والإعداد المجالي التقليدية والعصرية. ويشرف على أنظمة السقي وإعداد المجال عدد من الأجهزة والمصالح الإدارية والتقنية أهمها المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للحوز الذي يتحكم في إعداد 660.000 منها 220.000 قابلة للسقي والباقي قابل للزراعة وذلك بفضل عدد من المراكز التقنية والمحطات التي تراقب وتقدم خدمات عديدة بل صارت توزع الماء حسب قوانين جديدة. كما تلعب ضيعات صوديا وصوجيتا دوراً ريادياً في تطوير أساليب الفلاحة وزراعة منتجات جديدة وكذلك بعض الشركات الوطنية مثل "أونا" التي قامت بدور ريادي في زراعة القمح اعتماداً على السقي بالرش المحوري.

توسع الملكية الحضرية ورسلة الإنتاج والعلاقات : تعرضت أراضي الحوز والدير في بداية القرن الرابع عشر (20 م) إلى منافسة قوية لامتلاكها من قواد الأطلس الكبير : الأكلوي والكندافي والمتوگي الذين بسطوا نفوذهم السياسي على كل الحوز مكان عشرين من القواد الصغار السابقين الذين كانوا يقسمون حكم الحوز وأملاكه خلال القرن الثالث عشر (19 م) لكن الباشا التهامي الأكلوي استطاع الاستئثار وحده بحكم كل الحوز وديره الجبلي بعد سنة 1912 وامتلاك ما أراد من مياهه وأراضيه. وفي ظل الحكم الاستعماري ثبت القواد الكبار وأعوانهم ملكيتهم لما استولوا عليه من بساتين وأراضي الحوز، ومنهم من باع إلى المعمرين أولى ملكياتهم الكبرى بالحوز، ومنهم من حفظ ما استولى عليه مثل الأكلوي الذي حفظ 12.00 وخليفته

البياز 4.800 وغيرها. واستأثر الأكلوي بثلاثي مياه ساقية تسلطانت التي تأخذ ثلثي الصبيب الصيفي لواد أوربكا وامتلك 8٪ من أراضي مخروط واد الزات و18٪ من مياهه، كما امتلك عزبانا كبيرة بالحوز الشرقي مثل بويدا : 1200 هـ وتمثل أخطر هجوم حديث للملاكين الحضريين على أراضي الحوز ومياهه في المعمرين الذين حصلوا على الأراضي بمختلف الوسائل وهم الذين فتحوا مسلسل الاستغلال الرأسمالي الحديث والري العصري خاصة بأراضي مخروط واد نفيس وتساوت وكونوا عدة نطاقات سقوية حديثة أهمها : السويهلة وتاملالت، بلغت مجموع مساحتها 45 ألف هكتار منها 20 ألف هكتار تدخل في إطار الاستعمار الحر و25 ألف في إطار الاستعمار الرسمي.

وعند شروع الدولة في استرجاع أراضي المعمرين وحجز أملاك الإقطاعيين المتعاونين بعد الاستقلال سارع هؤلاء إلى بيع أملاكهم وتصدي لشرائها الحضريون الذين حصلوا على أكثر من 50٪ منها، كما تحول الباقي لاحقاً إلى ضيعات في ملك الدولة تسييرها شركتنا صوديا وصوجيتا. وتزايد إقبال الحضريين على شراء الأراضي بعد إنشاء هياكل تقنية للاستغلال والتسويق والقرض الفلاحي وتشجيع الزراعة التسويقية وتنفيذ مشاريع الري الجديدة لأنهم يعرفون كيف يستفيدون منها أكثر من الريفيين. لقد صار اقتناء الحضريين لأراضي الحوز وسيلة لادخار أموالهم وحمايتهم من التضخم. وباشتداد أزمة الفلاحة التقليدية واستفحال مسلسل تفجير الريفيين صار الملاكون الجدد يشترون القطع الصغيرة المجاورة ودمجونها في ملكيات واسعة، بل صاروا يشترون حتى أراضي الكيش والجماعة والأراضي البورية المحجرة ويجهزونها بالضخ الآلي ويحولونها إلى ضيعات عصرية تهتم بالمزروعات الشجرية والتسويقية، وهكذا عرفت الزراعة المسقية بالحوز توسعاً كبيراً في العقدين الأخيرين باستعمال الضخ الآلي الذي أدى إلى انخفاض مستوى المياه الجوفية بشكل خطير في جهات عديدة خاصة بمخروط واد نفيس مما عجل بإتمام قناة الريط وتوزيع مياهها عبر قنوات باطنية بجماعات نفيس بالرش قصد ترشيد المياه. إن انتشار الملكية الحضرية والزراعة المسقية خاصة بالحوز الأوسط أدى إلى تفجير البنيات التقليدية وفتيت وحدة الحوز البشرية وتقليص علاقاته القديمة بسكان الجبال وبروز علاقات جديدة قوية بين كل مخروط مع مدينة مراكش مما أخضعه لهيمنتها المالية والتجارية والإدارية.

#### التقسيم الجهوي الفلاحي :

الدير والتحويلات الحديثة : الدير هو شريط من الأراضي العالية بمنطقة اتصال السهل بالجبل اشتهر بغناه الفلاحي لتنوع مجالاته الزراعية ووفرة مياهه. لكن قرانن كثيرة تدل اليوم على تقلص أهميته الاقتصادية والبشرية وتمزيق وحدته، إذ تميز كل من حادورات الدير ومخاريطه بتطور

القبيلية قائمة والملكية الحضرية نادرة. أما الزراعة المسقية فتقتصر على مقاطع من الوديان خاصة بواد سكساوة وشيشاوة خاصة عندما تظهر بعض العيون بضعافها مثل عين أباينو كما ظهرت بعض الجيوب للزراعة المسقية المعتمدة على الضخ الآلي في بعض الأحواض التي تجمعت فيها تربة زراعية وتتوفر على مياه جوفية تنتشر بها زراعة أشجار الزيتون والقطنيات والحبوب. وقد اكتست مدينة شيشاوة أهمية كبرى بعد تحويلها إلى عاصمة الإقليم وينتظر أن تساهم بأموالها ونفوذها في تنمية إقليمها.

الحوز الأوسط : استفاد من كل المشاريع الحديثة للسقي وإعداد المجال بالإضافة إلى القديمة إذ نجد هنا أكبر تركيز للخطارات والسواقي. عرفت زراعته تطوراً كبيراً لانتشار الملكية الحضرية وتكوين ضيعات حديثة مختصة في زراعة الخضر والفواكه خاصة الحوامض والزيتون والشمس وتربية الأبقار للحليب أو اللحوم أو التوالد. وقد عرف السكن المشتت والمنشآت التقنية المرافقة للزراعة انتشاراً واسعاً خاصة على طول الطرق المعبدة. واندماج النطاقان السقويان المخلفان من عهد الحماية بتاركة وتسلمات في منطقة سقوية واسعة تمتد من واد نفيس إلى واد اغداث. تعرف تعدد أنظمة الري وأساليب الاستغلال ويزداد انتشار الزراعة العلمية المختصة باستعمال واقية البلاستيك والري بالتقطير والرش والاهتمام بمنتجات التصدير وتعاقد الضيعات مع مؤسسات أجنبية لزراعات منتجات تحت الطلب مشتراة مسبقاً. غير أن هذا التحول لم يشمل كل الحوز الأوسط فمازالت الرساتيق البائرة المحرومة من السقي واسعة الانتشار، وكذلك الزراعة اليناصيبية إذ يرتبط التطور الزراعي بوفرة المياه الجارية أو الجوفية فتبقى التون البيهريية والمحدثات حيث تقل المياه الجوفية أو تنعدم مناطق زراعة بورية مقلالة ومنطقة رعي تشبث بها أسر ريفية فقيرة.

الحوز الشرقي : تابع لإقليم قلعة السراغنة، إن مضمون الحوز الشرقي يتجاوز هنا سهل الحوز الجغرافي إذ يطلق على تساوت السفلى المتصلة بأم الربيع والواقعة أراضيها بين سهلي تادلة والبحيرة. يتميز الحوز الشرقي بوفرة مياه وديانه الكبيرة وزيادة معدل أمطاره وقلّة أراضيّه الصالحة للزراعة المسقية لكثرة الأراضي المحجرة. ولكن اشتهر منذ القديم بسواقيه التاريخية التي تحمل مياه الواديين بعيداً إلى سهل قلعة السراغنة بل إلى أراضي سهل البحيرة. كما اشتهر قطاع مسقي تقليدي واسع على ضفاف واد تساوت وأنشأ به العمرون قطاعاً سقويًا غنياً بتاملات والعطاوية، إلا أن انتشار الأراضي الجماعية (30 ألف) عرقل التطور الفلاحي وأبقى على الزراعة اليناصيبية والرعي، كما أن انتشار الملكيات الكبيرة منذ القديم أدى إلى انتشار الاستغلال غير المباشر باستخدام الخماس أو الرباع. وبعد بناء سد أيت عادل على واد تساوت أندمجت

خاص. فالحدودات والتون البيهريية عرفت تقلصاً في ساكنتها وأنشطتها القائمة على الزراعة البورية والرعي وذلك لعدم اهتمام المسؤولين بتطوير الزراعة البورية وانخفاض مداخيلها وتدهور إنتاجها في السنوات الجافة وضيق مجال الرعي بسبب توسيع الملكية الخاصة بالسهل وتقنين الرعي بالغابات وعجز المراعي عن تغذية كل المواشي التي ترتادها. أما المخاريط فقد تزايد سكانها ونمت قراها وتعقدت البنية العقارية لأراضيها بسبب التفتت الكبير وتقلص معدل الملكية إلى 1 - ومازال معظمها في حوزة السكان المحليين. أما الملكيات الواسعة نسبياً التي كونها الأعيان سابقاً فقد تحول بعضها إلى حضرة بانتقال مالكيها المجدد من أبناء الأعيان إلى السكن براكش وغيرها من المدن، ويلاحظ أن الضخ الآلي مازال ضعيفاً هنا لقلّة المياه الجوفية وعمقها بأراضي الدير غير المستوية. لكن الدير عرف تدخلاً آخر أدى إلى تضيق مجاله الفلاحي والضغط على سكانه هو تشجير الأراضي التلية والمنحدرات التي تتناول آلاف الهكتارات من الملكية الخاصة والعامّة غرست بها أشجار اللوز البوري وغيره في إطار مشاريع حماية وإصلاح التربة D.R.S. ويلاحظ على مستوى التحولات الحديثة تباين تطور أقسام الدير الثلاثة :

- فالدير الأوسط ارتبط مصيره بالنطاقات السقوية بسهل الحوز الأوسط وصار أكثر انفتاحاً وتطوراً تحول إلى ضاحية بقلية وحليبية وسكنية لمراكش وصار أكثر تقدماً باستقرار منشآت تقنية وإدارية واجتماعية واستبدلت منتجاته التقليدية كلياً أو جزئياً بمنتجات حديثة : فواكه مشمش تفاح خضر وأعشاب طبية، كما توسعت به زراعة الزيتون وتربية الأبقار الحلوب وانتشر به السكن المشتت وتوسعت قراه بما أفرز تمدناً اجتماعياً وعمرانياً.

أما الدير الغربي الذي يتميز بجفافه وضعف موارده وبعده النسبي عن مراكش فإن الملكية الحضرية به منعدمة وزراعته تقليدية ومازالت قبائله تهتم بتربية المواشي وتستعمل النجعة الشتوية بأراضي الحوز القاحلة أو المستراحة، والهجرة هنا قوية إذ تعتبر أهم موارد الأسر.

أما الدير الشرقي فقد كان أقل سكاناً وأكثر اعتماداً على تربية المواشي لفقر تربته وصعوبة استغلال مياه الوديان المتعمقة في مجاريها ومازالت الملكية الجماعية منتشرة، كما اجتذبت القطاعات السقوية الحديثة بالحوز الشرقي مهاجرين كثيرين مما أبقى على ظاهرة قلة سكانه.

الحوز الغربي : صار تابعاً في معظمه لإقليم جديد هو شيشاوة. ونظراً لجفافه - 200 ملم - وقلّة مياهه وفقر ترباته وكثرة الأراضي المتحجرة والقشرات الكلسية فإن زراعته بقيت متخلقة تعتمد على زراعة يناصيبية للحبوب وتربية الماعز والأغنام التي تكون حوالي 70% من مداخيل الأسر. ومازالت أراضي الكيش والملكية الجماعية والهيكل

متضخمة تستأثر بكل الوظائف المهمة والأنشطة مما وجه إليها تياراً قويا من الهجرة الريفية. ولكبح هذا التيار وتدعيم حركة التمدين أنشأ المسؤولون عددا من الأجهزة الإدارية والتقنية والتجارية ببعض المراكز السكنية المهمة ورفعوها إلى مستوى مراكز حضرية ومراكز مستقلة وبلديات أملاً بأن تلبى حاجيات السكان إلى التمدين وتقليص حركات النزوح وتوزين الشبكة الحضرية بالحوز، وهكذا استفادت عدة مراكز من موقعها وتجهيزاتها وتزايد سكانها فارتقت إلى مستوى مدينة بالحوز بلغ سكانها في إحصاء شتنبر 1994 :

- إقليم الحوز : بلدية أيت أوربر 12.162 نسمة ؛  
مركز أمزميز : 8.985 ؛ مركز تاحناوت 4.462 ؛  
مركز مولاي إبراهيم : 3.117 ؛ مركز تامصلوحت :  
4.758

- إقليم شيشاوة : بلدية شيشاوة : 9.738 ؛ بلدية  
إمئنانوت : 12.592

- عمالة مراكش المنارة : مركز سيد الزوين : 7.726 ؛  
- إقليم قلعة السراغنة : بلدية العطاوية : 11.219 ؛  
بلدية تملالت : 8.701 ؛ بلدية سيدي رحال : 6.292 ؛  
مركز سيدي بوعثمان : 2.872

- إقليم أزيلال : بلدية دمنات : 17.782  
وبذلك يبلغ مجموع الحضريين بسهل الحوز وهوامشه :  
110.406 نسمة وإذا ما أضيف إليهم سكان مدينة مراكش  
الكبرى 672.506 نسمة يكون مجموع الحضريين 782.912  
يكونون 35% من مجموع سكان الحوز البالغ عددهم  
2.243.000 نسمة.

ح. المباركي، الري وندرة الماء، مشكل الفلاحة العصرية بحوز  
مراكش، د.د.ع. الرباط، 1987 ؛ أ. هوزالي، التحولات الجغالية  
والاقتصادية وحركة التمدين بالأطلس الكبير المراكشي، د.د.ع.  
الرباط، 1987 ؛ بحث ميداني، مارس 1996، اعتمد خاصة على  
معلومات المرشدين الزراعيين بالمنطقة.

O.R.M.V.A.H. Les ressources naturelles et la mise en  
valeur actuelle de la plaine du Haouz. RGM, n° 17. 1970 ;  
P. Pascon, Le Haouz de Marrakech., Rabat 1983 ;  
Document de la D.P.A. de Marrakech, Service de  
l'équipement rural. Dossiers provisoires, juin 1979 ;  
Hydrologie études des ressources en eau : nappe de  
Haouz, mai 1988, Orleam - France ; Revue Marocaine de  
l'eau, n° 5 1987, Eau et développement.

أحمد هوزالي

**الحوزي، أحمد بن محمد بن عبد الله الجديدي**  
المراكشي، عالم فلكي معدل حيسوبي، كان له حضور بارز،  
ومشهور له في عالم الفلك...

ولد في بداية عام 1316 / منتصف 1898 بضاحية  
الجديدة، من أسرة فقيرة تعيش على الغزل والنسيج،  
وممارسة بعض الأعمال اليدوية. وكان والده صاحب كتاب

قنواته الرئيسية في شبكة الري التقليدي المعتمد على  
السواقي الترابية، كما نفذت محاولات إصلاح زراعي لضم  
الأراضي وتميز البساتين بكثافة زراعتها الشجرية  
والمتمثلة في الزيتون ومختلف الفواكه القديمة والحديثة  
كالنفاح والعب والشمش وانتشار الضخ الآلي ببعض  
المنخفضات لمحاربة صعود مستوى المياه الجوفية، ولازال هذا  
النطاق السقوي يتوسع ويبلغ حالياً 38 ألف. أما تساوت  
السفلى فقد كانت مجال رعي وزراعة بناصيبة للحبوب  
لاتشتر الجفاف والتربات الفقيرة باستثناء بعض الأحواض  
التي أقام بها الأعيان السابقون بساتين. إنها تعيش الآن  
مخاضاً اقتصادياً واجتماعياً ببدية تطبيق وتجهيز نطاق  
سقوي حديث يُسقى بقناة تساوت 2 التي ستحمل إليه  
سنيوا 230 مليون م<sup>2</sup> من مياه سد بين الويدان.

ثم مسلسل التمدين بسهل الحوز والدير : كان الدير  
منذ القديم مركز ثقل سكاني ظهرت به أول المدن التاريخية  
عند مداخل الأودية بشكل تلقائي كأسواق محلية تستجيب  
لحاجيات السكان إلى التبادل التجاري ومحطات للقوافل  
التجارية بطريق الدير واكتسى بعضها أهمية سياسية  
واقتصادية مثل أغمات، لكن تأسيس مدينة مراكش بموقع  
غير بعيد عن الدير سرعان ما اجتذب إليه الفائض  
الاقتصادي والبشري للمنطقة وكذلك القوافل التجارية  
وأصبح عقدة مهمة للمواصلات قلص من أهمية هذه المدن  
وجعلها تتفقر إلى أن اخفى بعضها... كما أن الفتن  
المحلية وحروب القبائل والقواد التي عرفت أبعاداً خطيرة  
في القرن الثالث عشر (19 م) قضت على الكثير من  
ال عمران. ولم يكن يوجد بالدير في مطلع القرن الرابع عشر  
(20 م) من مدن حقيقية سوى دمنات وأمزميز. لكن الأمن  
الاستعماري أنعش تدريجياً بعض مراكش الدير خاصة تلك  
التي استقر فيها أجهزة التأطير الجديدة كأزميز وإمئنانوت  
وأيت أوربر ودمنات، كما اختيرت تاحناوت في نهاية عهد  
الحماية كمركز قيادة وثكنة عسكرية، وباستثناء دمنات  
التي تميزت ببعض مظاهر التمدين التقليدية فإن كل مراكز  
الدير الأخرى لم تزد في قيمتها الحضرية عن قرية للفلاحين  
وبعض التجار المحليين والموظفين، وأهم ما امتازت به عن  
بقية القرى موقعها الجيد على طريق معبد أو مدخل واد  
مهم وتوفرها على سوق أسبوعي وبعض المنشآت الإدارية  
والخدمانية. وبعد الاستقلال حظيت بعض المراكز السكنية  
بالحوز بأهمية متزايدة إما لموقعها على طرق مهمة أو إقامة  
منشآت تقنية وإدارية تشرف على النطاقات السقوية. كما  
تدعم مسلسل التمدين بتطبيق سياسة اللامركزية الإدارية،  
فقد تكونت أقاليم جديدة بمنطقة الحوز : إقليم السراغنة سنة  
1975 ثم إقليم أزيلال 1977 ثم إقليم شيشاوة والحوز 1991  
لكن مع ذلك مازالت نسبة الحضريين بالحوز منخفضة إذ لم  
تتجاوز 35% سنة 1994 ويرجع ذلك إلى فقر المنطقة ككل  
والدور المهيمن الذي تلعبه مدينة مراكش كمدينة كبيرة

قرأني سهر على تحفيظ ابنه الوحيد أحمد القرآن الكريم، وتنشئته تنشئة صالحة. وتشاء الأقدار أن يموت الأب، ووحيدته في سن الثالثة عشر من عمره، لتتولى الأم رعاية ابنها، وتقر عينها لحفظه كتاب الله العزيز عن ظهر قلب. وفي سن العشرين من عمره عين كاتباً خاصاً للسيد العباس ثم لابنه بعده القائد "حمو" الذي أصبح بعد استقلال المغرب باشاً على مدينة الجديدة. وخلال مزاولته لهذا العمل أخذت اهتماماته تتجه لمعلم اللغة الفرنسية، تسهيلاً لتبادل الزيارات والمنافع بين القائد وبعض الفرنسيين والألمان من مصدري الأبقار والجلود.

وسعى من القائد المذكور، عين المترجم له كاتباً تجارياً بمدينة بورو الفرنسية، لضبط الصادرات والواردات مما اتفق على التعامل فيه آنذاك. فبرزت اهتمامات علمية للكاتب الشاب، إذ أقبل على علم الفلك يدرسه بمساعدة ثلة من علماء الفلك الفرنسيين. وعن طريقه تعرفوا على رسالة زرع ابن الشاطر، وكتاب المناهج لابن البناء العددي.

وعند رجوعه إلى المغرب في الثلاثينيات استقر بمدينة مراكش للعمل في القطاع المصرفي بأحد الأبنك، واستطاع أن يربط الصلات بين مجموعة من رواد الفلك وعشاق الرياضيات سواء من مراكش أو من المدن المغربية الأخرى أمثال أحمد الكنسوسي، وأحمد بن الطبيب المراكشي موقت المنار العباسي، ومحمد المهندس فلكي مدينة الجديدة، ومحمد بن الطيب بلكاهية موقت أسفي، وأحمد الأزموري قاضي مدينة البيضاء، وشيخ الفلكيين بفاس محمد العلمي الذي كتب إليه مرة يقول :

(محبتنا الأعز الأرضي الفقيه الأنجب الموقت المعدل الحاذق الذكي سيدي أحمد بن محمد الحوزي، سلام عليكم ورحمة الله...)

وما أشرتم إليه مما كنتم تعاقدم فيه مع محب الجميع الفقيه سيدي محمد بن الطيب ابن الكاهية، وعاقكم عنه ماس المرض كان أخبرني به حين كنت بطرفه، وكنت إلى رؤيتكم والاستفادة من معارفكم أحوج وأشوف، ودعوننا الله جميعاً لكم بالشفاء...)

لقد عاش العالم الحوزي في مراكش باحثاً منقياً، ساهراً الليالي لترصد نجمة، أو تسجيل فكرة شاردة، أو تعقيب وتصحيح إلى أن فارق الحياة.

ألف أحمد الحوزي عدداً من الكتب في التوقيت والتعديل، منها : الشهاب في تعديل الكواكب بالحساب، والعقد الفريد في تعديل الكواكب على الرصد الجديد، وإيضاح الأدلة في مرصد الركلة، والفتوحات الغيبية في مبادئ علم الفلك والحصص.

توفي بمراكش في شهر شوال عام 1369 / غشت 1950، ودفن بمقبرة باب دكالة.

أ. متفكر، ذيل الاعلام، مخطوط : روايات شفوية : شهادات شفوية.

أحمد متفكر

الحَوْزِي، غناء منسوب إلى حوز مراكش، وهو نوع

من الغناء يدخل ضمن فن العيطة المركبة كالحصبة أو المرسي، مجاله احمر الشماعية، اليوسفية، الرحامنة، مراكش، بن غريب.

للعيطة الحوزية أو الحوزي مقدمة ووصول ونهاية أي قفل، غير أنها تختلف عن الحصبة والمرسي من حيث بعض المميزات كالمقام الموسيقي الحاد (يجب أن يتوفر المغني على طبقات صوتية حادة جداً لمسيرة هذه المقامات)، الذي يتميز بتقنية خاصة في الأداء على شكل مواويل وحقائق سريعة جداً تعتمد على اختلاط الأصوات وتكاثف الإيقاع والسرعة وتدخل ضمن ميزان الدرج.

ومن أهم عيوط هذا النمط نجد : الحادام وخالي يا خويلي والشجعان، وهي من أشهر العيوط الحوزية التي ما زالت تغنى. وعن الرواد نذكر الشيخ "محمد ابن حمامة" الذي كانت له محاولات لإحياء هذا النمط.

وتمتاز الفرق الحالية التي تغني الحوزي بكثرة العازفين على الكمان، والإيقاع إما بواسطة الكوال أو التعريجة بالإضافة إلى الاعتماد الكبير على الكفين وحركة النقر بالقدم على الأرض خصوصاً في خاتمة العيطة.

ونسوق في ذلك مثالا لهذا النوع من العيطة، عيطة "الشجعان".

فِين إِيَامِك يَا بِنْ غَرِيْبْ	الفِبرَة وَالكُوْرْ يَطِيْرْ
فِين إِيَامِك يَا الأَرِيْعَا	كَانَ مَوْسَمٌ وَلاَ حَرْكَة
فِين إِيَامِك يَا بوعِشْمَانْ	الطَرَابِيْشْ كِي بَلْعِصَانْ
فِين إِيَامِك يَا الأَلْمَانْ	مِيْمَتِي مَا لَبْسْنَا كَتَانْ
دَوْرَهَا وَاحِدٌ فِي القِيَادْ	دَوْرَهَا القَائِدُ العِيَادِي

ع. ركوك، بعض الدلالات التاريخية من خلال العيطة، بيان اليوم الثقافي، 92 / 3 / 15 : التصوف الغنائي في منطقة الصويرة والسياسة، بيان اليوم الثقافي 92 / 3 / 12 : الرواية الشفوية.

S.M. De Deriny, Marrakech et les parts du Sud, Paris, 1918.

علال ركوك

الحَوْزِيَّة، قبيلتان إحداهما قرب أزموور ببلاط

الشاوية، والثانية بضواحي مدينة الرباط. ونظراً لكون مدلول الحوز الذي هو جذر الاشتقاق لنعث الحوزية يعني الأراضي المتاخمة والتابعة وبلغة التنظيم الترابي العصرية : الضاحية. وهكذا سنجد قبائل كثيرة تحمل هذا الاسم لا كهوية سلالية ولكن كصفة مجالية ذات حمولة ترابية أساساً.

وينطبق هذا على قبيلة الحوزية بأزموور. تتكون هذه الوحدة القبلية الترابية من عدة مجموعات قبيلة سلالية مختلفة الأصول. وقد تكونت هذه الوحدة ضمن دائرة إشعاع أزموور. وتعتبر أزموور من مدن العبور ذات الأهمية على الشريط الساحلي الأطلسي استفادت الضاحية من مخالطات البرتغاليين، ولم تكن تنتج إلا القمح حسب ما

أورده الزوزان في وصف إفريقيا، وقد أدخلت ضمن فلاحتها إنتاج الخضراوات والفواكه خاصة بالولجة ومهبولة. كما اشتهرت المنطقة على الخصوص بفلاحة الحناء. وتتميز التقنيات الفلاحية باستعمال التاعورات ضمن وسائل الري. ويقع المجال الحوزي ضمن الحدود التالية :

فمن جهة الشمال الغربي هناك الساحل الأطلسي انطلاقاً من مصب وادي أم الربيع إلى الغرب على مسافة يبلغ طولها حوالي عشرة كيلو مترات حيث تقع حدود الحوزية مع أولاد بوعزيز التي تتجه نحو الجنوب الشرقي على امتداد اثني عشر كيلو متراً تقريباً. وما بين هذه النقطة الكيلومترية ووادي أم الربيع تقع الحدود المتعرجة للحوزية التي تمر على أولاد سالم لتتجه شرقاً على مسافة ثلاثة كيلو مترات تقريباً تتحول بعدها نحو الشمال الشرقي حتى وادي أم الربيع الذي يعتبر حداً طبيعياً للقبيلة من الجهة الشمالية الشرقية. ومن الملاحظ أن هذه الحدود كانت تتقلص وتتسع تحت تأثير الظروف الأمنية والمناخية خاصة من جهة الجنوب الشرقي والشرق حيث الحدود ليست طبيعية.

إن أهم ما يميز قبيلة الحوزية بهذه المنطقة هو تكوينها من عدة مجموعات قبلية متنوعة الأصول. غير أن ما يلاحظ حول هذا التنوع كونه جاء نتيجة عوامل تاريخية ساعدت على تكون قبيلة الحوزية كمتحد ترابي له صبغة كونفدرالية قبلية. كما أن أزموور بفعل طبيعتها كمدينة - قنطرة ساهمت في تبلور حوزها بهذا الشكل لما هي في حاجة إليه لرواجها الاقتصادي، بل إن قبيلة الحوزية نادراً ما كانت تدخل في صراعات مع المدينة لطبيعية العلاقات المجالية والمبادلات الرمزية والاقتصادية. كما عرفت المنطقة بفعل الأطماع البرتغالية وجود المرابطين الذين جلبوا الأتباع وأقاموا الرباطات خاصة بفحص الزمورين والذي كانت تنطلق منه الجيوش لمحاربة البرتغاليين بالجديدة (مزغان). وقد لعب قرب الجديدة من أزموور دوراً كبيراً في تكون الحوزية لهذه الأسباب التاريخية والمعطيات المجالية.

وقد تم إحصاء عشر مجموعات مكونة لقبيلة الحوزية قبيل دخول الاستعمار الفرنسي، وهي : أولاد رحمون، أولاد عميرة، أولاد عامر، أولاد حميد، أولاد سالم، بني تامر، إضافة إلى التريعات والغربية (لأزموور) والشرفاء الكرتيين والشرفاء القرامشة. وتنحدر هذه المجموعات من أصول مختلفة عربية وأمازيغية جاءت إلى المنطقة في الظروف سالفة الذكر.

وقد بدأ تشكل الحوزية مع تراخي الهيمنة البرتغالية ثم اضمحلالها ورغبة السلاطين السعديين ومن جاء بعدهم في إعمار ضواحي أزموور كنقطة عبور بين فاس ومراكش والتضييق على من رغب من الأجانب في احتلالها أو توسيع نفوذه انطلاقاً منها. في هذا الصدد شيد الفحص (أو ما يعرف بفحص الزمورين) من طرف أولاد بوعزيز

الذين ستفصل منهم فرقة أولاد رحمون لتصبح مكوناً من مكونات الحوزية. وفي سنة 1301 / 1823 ولّى المولى عبد الرحمان بن هشام على أزموور والحوزية أحمد بن الحاج الخودري وذلك في إطار إعادة تنظيم الجهة.

وسوف تدخل قبيلة الحوزية في حالة عصيان ضد المخزن العزيمي لما اشتدت الدعوة الحفيظية. وقد قاد هذا العصيان قبيلة التريعات تحت إمرة القائد السي محمد المعطي التريعي الذي ضيق الخناق على مناصري المولى عبد العزيز بأزموور وفرض مراقبته على طريق أزموور الجديدة مما دفع بمحاولة تموين أزموور عبد البحر دون نتيجة. واستمرت حملات القائد التريعي حتى دخوله في مواجهة مفتوحة مع الجيوش الفرنسية، الشيء الذي دفع بالسلطات الاستعمارية الفرنسية إلى أن تتحين فرص كسر شوكته حيث أخذت ابنه رهينة فحاول الحصول على حماية إسبانية لكنها لم تنفعه في استمرار بسط نفوذه حيث احتلت قصبته الواقعة على بعد عشرة كيلو مترات جنوب أزموور ودمرت عن آخرها يوم 5 غشت 1912. وبهذا عادت الحوزية إلى الاحتواء بمدنتها، وارتبط مصير الحوزية مع أزموور قطب الإشعاع المحلي.

أما الحوزية الثانية فتقع بضواحي الرباط، ظهرت كوحدة إدارية بمواصفات قبلية جاءت نتيجة تدخلات المخزن في إطار إعادة تنظيم المجال وترتيب الأمور الإدارية على إثر انتفاضة قبائل الجيش من الأودية بفاس أيام حكم السلطان مولاي عبد الرحمان (1832 / 1247)، حيث قام بتوزيع الأودية على مختلف المناطق بعد سحق انتفاضتهم. وهكذا تم نقل رحي أهل سوس إلى الرباط وأسكنهم بقصبة تمارة. وكان إسكان الأودية خطة مدروسة هدفت إلى تحقيق أمرين :

أولاً : ترسيم اقتطاع قرابة 9000 هكتار من أرض قبائل عرب الصباح كان قد أقطعها المولى سليمان إلى الشرفاء العلويين بالرباط جزاء مساندتهم له على تفرده بالملك وعقاباً لهذه القبائل على مناهضتهم له. ولم يستطع الشرفاء استغلال هذه الأراضي إلا بواسطة منح القبائل حماية (الكسا) عند دخولهم المدينة مقابل الحصول على مداخيل استغلال الأرض.

ثانياً : إضعاف قبائل عرب الصباح التي كان مجالها القبلي يمتد من حدود الزبايدة جنوباً إلى نهر أبي رقرق شمالاً على طول الشريط الساحلي الذي تحده قبائل زعير من الشرق. حيث إنها كانت محور حلف عرب الويدان الذي جعل للاصافية تنصح أخاها المولى سليمان قائلة : "عطشوا أباك ولم يقدر عليهم ... أنت تحتاج إليهم وهم لا يحتاجونك. فاصفح عنهم وأمن عليهم" (الضعيف).

ضمن هذه السيرورة ظهرت "قبيلة الحوزية" بعد عزل المعاضيد ولعشاش عن إخوانهم من عرب الصباح عندما استوطن الأودية الشريط المقتطع من الشاطئ الأطلسي إلى حدود قبائل زعير. وهكذا أصبح المجال الحوزي يحد شمالاً

تضطر معه قبيلة الحوزية إلى اللجوء إلى شالة أو كرمة سيدي سعيد بن صالح (قصر قائد عبيد البخاري أيام سيدي محمد بن عبد الله حيث بنيت الإقامة العامة / وزارة الداخلية حالياً). ويعتبر استبدال اسم باب الحديد بباب زعير مؤشراً على سطوه القبائل الزعرية السائبة آنذاك والتي كانت تمتد غزواتها حتى داخل أگدال (حسان حالياً) حيث كان مضرب الأمان يقع ما بين المدينة القديمة ومحج شالة والمشور (القصر الملكي). ولهذا ظلت المجموعة الحوزية تعيش ضمن دواير متنقلة داخل مجالها محتمية بالرباط كلما اشتدت وطأة "السياب" لدرجة أنهم قرروا أنهم كلما اعتقلوا سائياً يخلون سبيله بعد معاقبته ثم إكرامه خوفاً من الفدية والانتقام. ومع دخول الاستعمار تفرقت المجموعات إلى دواير داخل مجالها. ونشطت عملية تداول الأرض، واقتطعت العديد من الأراضي لفائدة المعمرين والمدينة كحي الطيارات والتقدم الذي كان قرية نموذجية، والحي الإداري ... كما أن أوراش البناء جلبت إلى المجال القبلي عدداً من المهاجرين تكدسوا داخل أحياء هامشية مكونة من براريك ونواويل وخيام كدوار برگااش الذي أصبح يعرف بدوار الدوم ودوار المعاضيد.

ومع تطور العمران الحضري واكتساح المدينة للمجال القبلي تفككت القبيلة وكان مشروع حي النهضة السكني (1978) الضربة القاضية التي أنهت الوجود القبلي لكل من المعاضيد ولعشاش في حين ما زالت فرقة الفقراء موساوي قائمة ضمن شريط الوجلة على طول نهر أبي رقرق حتى عكراش لانتظامها كمؤسسة لها نقيبها ولانتعاش فلاحية الخضراوات التي تغذي الأحياء السكنية القريبة وللدور الإشعاعي لسوق أحد عكراش.

هذا التفاوت في استمرارية مكونات الحوزية، لا يرجع فقط إلى عوامل سوسيو مجالية (عنف القبائل السائبة والتوسع العمراني للمدينة) بل كذلك إلى عوامل تاريخية وسوسيو ثقافية. لموقع الرباط كمدينة قنطرة تربط بين فاس ومراكش جعل المجال الحوزي ومجال قبائل عرب الصباح بالمنطقة عموماً رئيسياً للحركات السلطانية والتنقلات المخزنية الشيء الذي منع تكون زعامات محلية وجهرية مهمة وذات إشعاع رغم الدخول المتأخر للقبائل الحياشة خاصة في العصر العلوي منذ أن شطب على قبائل عرب الصباح من ديوان القبائل النائية. وهكذا مع عزل المعاضيد ولعشاش عن المكونات الأخرى تقوى موقع الفقراء موساوي الذين استغلوا وظيفتهم الدينية ووجود ضريح أحد أوليائهم بمنطقة عكراش (سيدي قاسم الناظور). غير أن انضمام هؤلاء إلى قبيلة الحوزية لم يمنع المعاضيد ولعشاش من استمرار ولائهم للزاوية الشراوية بأبي الجعد، حيث كانوا يعتبرون أنفسهم من خدامها، إذ بقيت الاحتفالات تقام بمناسبة قدوم ممثلي الزاوية حتى منعت أيام الاستعمار. فالانتماء الحوزي لم يرق إلى هوية قبلية مشتركة بين المكونات الثلاث لتشبث الشرفاء بمكانتهم الاجتماعية.

بنهر أبي رقرق وغرباً بأسوار مدينة الرباط وشرقاً بقبيلة زعير وجنوباً بالأوداية، ويمتد على مساحة 5000 هكتار تتقاسمها قبيلتنا المعاضيد ولعشاش إضافة إلى فرقة الفقراء موساوي. وقد أخذت "القبيلة" اسمها من حوز الرباط، أي أنها أصبحت تحت إمرة قائد الرباط وخاضعة لسلطته المباشرة. ومنذ دخول الاستعمار، وفي إطار التنظيم الترابي خضعت قبيلة الحوزية في البداية لحكم دائرة الرباط ثم أصبحت تابعة لقيادة حوز الرباط مع الأوداية وقبائل لعرب بعد حل مشكل الحدود الترابية بين الدغمة والزايدة. كما عرفت داخلياً تغييراً في تقسيمها الإداري من مشيختين تضم الأولى كلا من المعاضيد ولعشاش وتقتصر الثانية على الفقراء موساوي الذين كانوا يشددون على تنصيب شيخهم من فرقتهم لكونهم شرفاء إلى ثلاث مشيخات : المعاضيد العشاش والفقراء موساوي. وقد انتظمت مكونات قبيلة الحوزية بحسب مرجعيات الشرف أو القوة.

1 - فالمعاضيد، فرع من قبيلة المعاضيد من عرب الصباح الموجود إلى الآن بتنافيلالت. وهذه القبيلة أهم وحدة قبلية داخل الحوزية، فهي تمتلك أكبر حصة من الأرض داخل المجال الحوزي وذات ثروة وجاه حيث إنها أعطت قواد القبيلة وحسنت مسألة تنصيبهم.

2 - الفقراء موساوي وهؤلاء شرفاء أدارسة يعود نسبهم إلى عمران بن إدريس (حسب الشجرة التي بحوزة نقيبهم) وجددهم موسى بن علي دفين جبل أيت راس أو أتراس ببلاد زمور. وضريحه مازال مزارهم ليومنا هذا. وقد منحهم الملوك العلويون ظهائر توقيير واحترام يعود أقدمها إلى عهد المولى إسماعيل. وقد وجدوا بالمنطقة منذ تاريخ طويل حيث توجد فرق منهم بدكالة وبالغرب. وتكاثف وجودهم داخل المجال الحوزي بفعل ضعف قبيلتي عرب الصباح (المعاضيد ولعشاش) اللتين حاولتا توظيف وجودهم لاتقاء هجمات قبائل زعير والسهول وحصين دون فائدة. وقد استطاعوا امتلاك أجود الأراضي وأخصبها (الوجلة) بفعل الهبات والإرث، ذلك أن نظام الزواج مكنهم من ذلك، إذ أن زواج الشريفة من عامي أمر محظور في حين كان مسموحاً للشريف أن يتزوج عامية. غير أنهم كانوا الفرع الأقل ارتباطاً بالأرض وبالنشاط الفلاحي مما سهل تكون أملاك حيسية نتيجة اقتناء الأرض من طرف حضريين قاموا بتحسيسها.

3 - لعشاش : كانت أصغر وحدة قبلية داخل الحوزية. وظل هؤلاء يعيشون ضمن المعاضيد حتى حدود سنة 1913 عندما تكونت مشيخة خاصة بهم. وقد احتلوا الأراضي المتاخمة لأرض مولاي عبد العزيز (الزفاطي أو دار السلام حالياً).

وقد عانت الحوزية منذ تكونها من ضغط قبائل زعير على الخصوص حيث كانوا يضربون عليهم بمحلاتهم مما

من الشاوية في زعير من الغرب لتلتقي مع القوات الآتية من الشرق (يوليوز - غشت 1911).

وبمجرد ما دخلت القوات الفرنسية في أرض زعير بعد مرورها من المعازيز، وجدت الأرض فارغة من سكانها الذين انسحبوا أمامها. وعندما وصلت مكان كتلة القبيلة أنشبت معها المجاهدون من قبيلة النجدة القتال في المكان المسمى بحوض الحناش. وقد دام الاشتباك حوالي ساعتين قتل خلاله أربعة جنود من الكوم الجزائريين العاملين مع جيش الاحتلال وجرح أحد عشر جندياً. وقد وصف أحد الضباط الفرنسيين الحادث، وتأمل في القبور الأربعة التي حفرتها للجزائريين، متسائلاً عن المصير الذي جاء بأربعة من الكوم من جنوب الجزائر ليقاتلوا لصالح مجموعة من رجال المال الموجودة بأوريا.

تحريرات ميدانية.

E. Nolly, *Gens de guerre au Maroc* ; A. de Montalembert, *En colonne chez les Zaïers*, A.F., 1911.

علال الحديبي

**الحَوَات**، أسرتان تطوانيتان استوطنتا تطوان قديماً، إحداهما شريفة علمية مٌوسوية أصلها من بني عروس ثم شفشاون ومنها انتقلوا إلى درعة وفاس وتطوان اشتهر منهم العلامة الصوفي محمد الحوات ومجمله الأديب النسابة الشهير سليمان الحوات.

ومن أفرادها بتطوان الفقيه العدل الشريف محمد بن المختار الحوات كان يتعاطى الشهادة عام 1290 وولده الفقيه العدل محمد وأخوه الطالب المكّي. أما الأسرة الأخرى فلا أدري أصلها. وقد انقرضت الأولى من تطوان الآن.

أ. الرهوني، عمدة الراويين، ج 3 حرف ح، مخطوط : م. داود، عائلات تطوان، نسخة المؤلف بخطه بخزانته.

محمد بوخيزة

**الحوات، سليمان بن محمد بن عبد الله العلمي** الشفشاوني، ولد صبيحة يوم جمعة من رجب عام 1160 / مارس - أبريل 1747 وعاش في كفالة أمه ميسورة الحال، حيث ترك والده عدداً كثيراً من المواشي والأصول داخل شفشاون وخارجها، كما ترك غلاماً ساهراً على أملاكه اسمه "صهيب" وهذا ما ساعد سليمان على متابعة دراسته بفاس دون الاعتماد على أحد. دخل مدينة فاس لمتابعة دراسة سنة 1196 / 1772 وبقي بها إلى وفاته.

أخذ عن الشيخ محمد بن الحياض ابن إبراهيم الدكالي ومحمد بن الطيب القادري وعمر بن عبد الله الفاسي ومحمد بن الحسن بناني وزين العابدين بن هاشم العراقي وغيرهم.

ومرّز في الأدب واللغة والتاريخ وعلم الأنساب. يقول عنه صاحب نزهة الأَبصار : "وكان إماماً هماماً عالماً عاملاً

فقبيلة الحوزية لا يمكن اعتبارها متحداً قليلاً أو كونفدرالية قبلية بأي معنى من المعاني لاختلاف وضعيات مكوناتها ولكون هذا التجميع القبلي فرضته عوامل سياسية وقرارات تنظيمية هدفت أصلاً إلى توفير عازل قبلي يحمي المدينة من القبائل المتسردة وإلى كسر شوكة عرب الصباح.

ورغم هذا التفكيك الذي عرفته قبائل عرب الصباح فإن علاقات المعاضيد على الخصوص مع محيطها ظلت متجاهلة الجوار الأوديبي (نسبة إلى الأودية) موطدة التبادلات ضمن "عرب الرمل" وهي تسمية تطلقها قبائل عرب الصباح على وحداتها الموجودة بين وادي يكم ووادي أبي رقرق لطبيعة التربة التي كانت رملية. غير أن اعتقال ابن يسف قائد المعاضيد وباقي الحوزية من طرف القائد السوري (قائد الرباط) وسجنه بتطوان حيث توفي هناك أثر على هيبة القبيلة ومكونات الحوزية، الشيء الذي حولها إلى قبيلة مسالمة.

كما أن "قبيلة الحوزية" لم تكن تتوفر على "جماعة" كمجلس تمثيلي، بل كان للشرفاء جماعتهم الخاصة بهم والتي لا تشبه من حيث التكوين والتنظيم "جماعة العوام" من المعاضيد ولعشاش. فداخل الفقراء مساوي كانت الكلمة لماسكي ظهائر التوقير والاحترام، على عكس المعاضيد ولعشاش الذين كانت جماعتهم مفتوحة بحسب النفوذ والتحالفات، بل إنها كانت تنقسم إلى جماعتين عند احتداد الصراع بين المعاضيد ولعشاش.

لقد أنشئت "قبيلة الحوزية" لغرض تنظيمي وإداري، وما أن أصبح متجاوزاً حتى تحللت القبيلة للعوامل المذكورة.

ع. الفتح الزين، العلاقات بين المدينة والبادية بحوز الرباط، د. د. ع، في علم الاجتماع، كلية الآداب بالرباط، السنة الجامعية، 1986 / 1987.

Villes et tribus du Maroc : Rabat et sa région, tome 1 (les villes avant la conquête), Paris, 1918.

عبد الفتاح الزين

**ابن الحوزية، محمد**، وينطق به العامة كلمة واحدة بـ"لحوزية" من أعيان قبيلة أولاد سعيد الشاوية، قام بدور كبير في انتفاضة الشاوية سنوات 1903 - 1906. ينتمي لفرقة أولاد عريف، شارك في معارك الجهاد بالدار البيضاء حيث استشهد قرب المدينة سنة 1325 / 1907.

**حَوْضُ الحَنَاشِ**، موقع معركة بزعير جرت في صيف 1329 / 1911، بعدما احتلت القوات الفرنسية مدينتي فاس ومكناس (ماي - يونيو)، توجهت من الشرق نحو قبائل زمور وزعير. وكان هدف المحتلين هو دخول أرض قبائل زعير التي استعصت على الفرنسيين منذ سنة 1908 عندما أصبحوا مجاورين لها بعد احتلال بلاد الشاوية. وقد أمر الجنرال موانبي قائد جيش الاحتلال، أن تتوغل قوات



تصرف في سائر العلوم، قيد يده للمنطوق والمفهوم، ألف في طريق القوم وكان في محور العلم يحسن السباحة والعلوم".

أخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ التاودي ابن سودة وشغل مهمة نقيب الأشراف العلميين على عهد السلطان المولى سليمان. وترك مجموعة من المؤلفات مازال معظمها مخطوطاً. تتناول التراجم والأنساب بالإضافة إلى أشعار وخطب، منها :

- البذور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلالية. مخطوط، خ. ع. الرباط رقم 261 د : ثمرة أنسى في التعريف بنفسه : وهو عبارة عن ترجمة ذاتية تعرض فيها الحوات لحياته منذ ولادته بشفشاون حتى استقراره بصفة نهائية بفاس. مخطوط، خ. ع. رقم 1264 / 4 ك ورقم 11861 / 6 : السر الظاهر فيمن أحرز بفاس السر الباهر من أعقاب الشيخ عبد القادر، وضعه في التعريف بالشرفاء القادريين، طبع بفاس عام 1351 / 1932 : قرة العيون في الشرفاء القاطنين بالعيون، يعرف فيه بالشرفاء الدباغيين الحسينيين القاطنين بحي العيون من عدوة فاس القرويين. مخطوط، خ. ع. رقم 1256 ك. ضمن مجموع : المسك الأريج في نسب أولاد الدريج تكلم فيه على نسب أولاد الدريج الموجودين بفاس وتطوان وأنهم من الأنصار، مخطوط : تأليف في ترجمة شيخه محمد بن الحسن البناني (ت. 780 / 1194) : تقايد في الأنساب، مخطوط، خ. ح. رقم 1252 : تغيير المنكر في الرد على من حرم السكر. مخطوط، خ. ع. رقم 1072 ك. طبع بفاس عام 1326 / 1908 : منظومة في نحو ثمانين بيتاً في الشيخ أبي عبد الله محمد ابن الفقيه (ت. 1136 / 1723) مخطوط، خ. ع. رقم 1306 ك ضمن مجموع : كشف القناع عن وجه تأثير الطوبوع في الطباع : تأليف في الناصريين : كناشة علمية : ديوان شعر في مدح السلطان المولى سليمان : خطبة بحث فيها على مساندة المصريين بعد حملة نابليون بونابرت.

توفي سليمان الحوات بفاس يوم الثلاثاء تاسع عشر صفر عام 1231 / 20 يناير 1816، ودفن بضريح الشيخ التاودي ابن سودة خارج باب عجيصة.

س. الحوات نفسه، ثمرة أنسى في التعريف بنفسه، مخطوط، خ. ع رقم 1264 / 4 ك : زين العابدين العراقي، فهرسة، مخطوط، خ. ع رقم 1942 ك ضمن مجموع، ص. 276 : العربي المشرفي، نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار، مخطوط، خ. ع. رقم 579 ك ص. 451 : م. الكتاني، سلوة الأنفاس، فاس، 3 : 116 : ل. بروقنصال، مؤرخو الشرفاء، تر. ع. الخلاوي، الرباط، 1977، ص. 241 : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 7 : 2497.

عبد العزيز تيلاني

على رجالها يأخذ عنهم كاهن سعيد الذي نعته بغريض العصر ومعبدته، ومن له الباع الطويل في مدده، وارتاد مجالس السمر، فاستمع إلى مشهوري المغنين كعبد الرحمان المزداري، وعازفي العود كعبد الرحمان ابن زكري الذي نوه الضعيف بعزفه وإنشاده.

وقد نظم الحوات في الموسيقى الأندلسية أرجوزة قوامها خمسة وخمسون بيتاً سماها "كشف القناع عن وجه تأثير الطوبوع في الطباع". استعرض فيها أسماء طوبوع "الألة" فجعلها خمسة وعشرين طبعاً سار في ترتيبها على نهجين : أولهما وهو القديم - نهج محمد بن الحسين الحايك في كناشه وبراعي ربط الطوبوع الأصول بالطباع الأربعة : السوداء والدم والبلغم والصفراء، ثم تفرع هذه الأصول إلى فروعها.

وثانيهما مذهب استحدثه أهل فاس يقوم على ترتيب الطوبوع حسب ما بينها من تقارب نغمي.

س. الحوات، كشف القناع : كناشة : ع. ابن زيدان، الإتحاف، 4 : 121 : م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدية، تج. أحمد العماري، ص. 187.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الحوات، عبد العزيز بن إدريس العلمي الفاسي، ولد بفاس، ودرس في القرويين إلا أنه لم يتم دراسته بسبب نشاطه السياسي ومساهمته الفعالة في الحركة الوطنية. سجن لمدة سنتين، بعد أحداث المطالبة بالاستقلال سنة 1944، بناحية بولمان ثم علي ومومن. وبعد خروجه من السجن استأنف نشاطه الوطني في صفوف حزب الشورى والاستقلال، وأسندت إليه إدارة مدرسة "الشعب" المجانية بفاس، التي أسسها هذا الحزب لأبناء الفقراء، فكان على حد تغيير رفيقه في الكفاح الحاج أحمد معينو : "أب اليتامى والمحتاجين، وصديق الطبقة المحرومة يعالج شؤون الأبناء بالتربية الصحيحة والاعتماد على النفس".**

كان عبد العزيز الحوات على رأس جمعية إخوان الصفا، وعلى صلة وثيقة بجمعيات التمثيل والثقافة والكشافية وأخوات الصفا اللاتي كن يساعدن مادياً ومعنوياً تلاميذ مدرسة الشعب. إلى أن أقفلت أثناء الأزمة السياسية الكبرى في أوائل أعوام الخمسين. وقد نظم خلايا المقاومة في بادية فاس، وخاصة في قبيلة گزناية، وسجن سنة 1953 و1954 في عين قادوس ثم على مومن. وبعد الاستقلال انهارت قواه الجسدية ودخل المستشفى للعلاج وبدأ يشغل بالعدالة إلى أن وافاه الأجل المحتوم على إثر نوبة قلبية، في خامس وعشري ربيع الأول عام 1386 / 15 يوليوز 1966 ودفن بزواية شرفاء وزان بحومة الشرشور بفاس.

أ. معينو، ترجمة مرقونة للحوات : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 9.

وقد ظهر اهتمام سليمان الحوات بالموسيقى كلون من ألوان الثقافة العامة التي كانت سائدة يومئذ بفاس، فأقبل

**الحوات، محمد بن عبد الله العلمي الموسوي**  
الشفشاوني، والد النسابة الشهير سليمان الحوات سابق  
الترجمة. حلاه القادري في نشر الثاني "بالفقيه الأديب  
اللوزعي النجيب الذكي اللبيب".

درس في فاس على شيخ الجماعة محمد المسناوي  
الدلائي، وأخذ الطريقة الناصرية على يد الشيخ أحمد ابن  
ناصر الدرعي وكانت له به صلة وثيقة. ولي قضاء شفشاون  
بدون انقطاع إلى وفاته. واتصل بالخليفة السلطاني بدرعة  
الشريف بن إسماعيل وامتدحه بقصيدة رائية طويلة "فأجزل  
جائزته وأكرمه بالعطاء" وخلف محمد الحوات تأليف منها  
تحفة المعاصر ببعض صالحى تلامذة أبي عبد الله محمد ابن  
ناصر، وقصائد معظمها في المديح النبوي، وكنائش علمية.  
لكن تبدد غالبها - كما يقول ولده سليمان - على يد من  
لم يراقب الله من الأثارب.

توفي قاضياً بشفشاون عام 1160 / 1747.

س. الحوات، الروضة المقصودة، ص. 244، 245، 348؛ م. القادري،  
نشر، موسوعة أعلام المغرب، 6: 2147، 2149.

محمد جحي

وامتنعوا عن مبايعته لصغر سنه من جهة ولاستبداد الوزير  
الوصي أحمد ابن موسى (أبا أحمد) بأمر الدولة من جهة  
أخرى.

وانتفضت قبائل عبدة بدورها، ومنها قبيلة البحاترة ضد  
قوادها ومثلي المخزن بها. فكانت انتفاضة أولاد زيد ضد  
القائد عيسى بن عمر العبيدي امتداداً للأحداث التي وقعت  
في قبائل الحوز وغيره بزعامة الشيخ الحاج محمد بن ملوك  
ابتداءً من النصف الثاني من شهر محرم سنة 1313 / 1895،  
وهي الانتفاضة التي عايشتها وتفاعلت معها الشيخة  
حويذة لمدة تزيد عن نصف سنة، كانت كلها صراعاً عنيفاً  
انتهى بتعذيبها وقتلها، وهي التي خلدت ملحمتها الدرامية  
من خلال ما تركته لنا من أغان كان لها دور كبير في إثارة  
حماس القبيلة لمواصلة الانتفاضة ضد الطاغية عيسى بن  
عمر الذي كانت تهجوه هجواً عنيفاً وتقول :

أعيسى بن عمر أقتل الجوثو

أعيسى بن عمر أو كمال الجيفة

ثم تزيد فتقول :

دار السبي عيسى كألو خلات

راها مقابلة للمعاشات

فكانت تفجر في أعماق المحاربين الشجاعة والبطولة

التي كانت تغني بها القبائل، فتقول :

نوضاً نوضاً حتى لبوكشور

نوضاً نوضاً حتى دار السبي قدور

هذا الكلام الذي كانت تردده حويذة في شكل عيطة  
تتغنى بها وسط أفراد فخذة أولاد زيد، كان ينتقل بسرعة  
من مكان إلى آخر فيرده الناس فرادي وجماعات، ولعل  
هذا ما أعطى نفساً ودعماً لا تنتفاضة أولاد زيد، فظهرت  
بمظهر قوي وعنيف، وأصبحت عبدة تشتعل من عنف  
الانتفاضة وحوصرت مدينة أسفي، فتدخل المخزن المركزي  
لتدعيم القائد عيسى بن عمر ومساندته من أجل وضع حد  
نهائي لانتفاضة أولاد زيد، وكان في عشية يوم 15 جمادى  
الأولى عام 1313. على الطريقة المعروفة وتابع القائد  
الفارين واعتقل رؤساء فخذة أولاد زيد وأعيانهم بمن فيهم  
الشيخ الحاج محمد بن ملوك الزرهوني.

وأمام العنف والتكبير الذي مارسه القائد عيسى بن  
عمر قرأت الشيخة حويذة لدى أولا سعيد من الشاوية  
ناحية مدينة سطات، ونقلت معها إلى هناك التفاصيل  
الدقيقة لهذه الملحمة التي رددت مقاطع من فصولها وما  
مارسه القائد عيسى بن عمر من قتل وفتك بقبيلتها أمام  
أولاد سعيد.

وإذا كان القائد قد تمكن من القضاء على انتفاضة أولاد

زيد، فإنه مع ذلك لم يستطع أن يسكت صوت الشيخة

حويذة، التي مازالت تنطق بعمق معاناتها وتقول :

اللي ما عزاني في كبدتي نعرفو بكرهني

تعالى تعالى نكول ليك أذاك الغصادي

**حويذة،** الزيدية الغياتية، مغنية شهيرة (تصغير لاسم  
حادثة) من قبيلة البحاترة العبيدية تنتمي إلى آل غيات من  
فخذة أولاد زيد، لهذا كانت تسمى بالشيخة حويذة  
الغياتية الزيدية.

ترتت في كنف قبيلتها وتشبعت بعشقتها للغناء - لما  
كان الغناء يمارس بنوع من التلقائية - فكانت بمثابة شاعرة  
أو مغنية حماسية لقبيلتها أثناء انفجار الصراع مع القائد  
عيسى بن عمر العبيدي أواخر القرن الثالث عشر (19 م).  
خلدت الشيخة حويذة في هذا الإطار تراثاً فنياً رائعاً،  
ما تزال الذاكرة الجماعية العبيدية تحتفظ به كملحمة درامية  
للقبيلة أطلق على هذا النوع من التراث الفني اسم "العَيْطَة  
الحَصْبِيَّة". وما تبقى في مخزون الذاكرة من هذه الملحمة  
- رغم ندرته - يشكل وثيقة تاريخية لها دلالة عميقة في  
مجرى الصراع الذي كانت تحوضه البادية المغربية ضد  
استبداد بعض القواد الكبار وتسلطهم.

فحويذة من هذا المنظور، ليست مجرد شيخة، بل هي  
رمز للمرأة البدوية المناضلة التي كانت لا تتردد في رفع  
صوتها عالياً، معلنة عن تمرداها ورفضها - باسم قبيلتها -  
لكل أنواع الهيمنة والاستبعاد صارخة :

أنا عبد لعبيدتي وللسبي عيسى لأ

تعود أحداث ووقائع هذه الملحمة إلى السنوات الأخيرة  
من القرن الثالث عشر (19 م) بعد وفاة السلطان مولاي  
الحسن وتولية ابنه مولاي عبد العزيز سنة 1311 / 1894  
حيث قامت القبائل الحوزية - وبالأخص منها قبيلة الرحامنة -

شُكُونٌ سِبابِيسِي حَتَّى فَارَقْتُ بِلَادِي

\* \*  
رَاعِي الخِصَاوَةَ كَلْشِي يَفُوتُ  
وَتَبَقَى العُدَاوِي أَقَابِيدي

رَجَسْنَا فِي العَالِي

اعتقلت حويدةً وأُدخلت إلى السجن بقصبة القائد داخل "البردوز" الذي كان يشبه القبر، وهناك عانت من التعذيب ما ذكره أحمد الصبيحي نقلاً عن عاشوا تفاصيل هذه الأحداث : "كان يركبها ناقه، ويأمرها أن تغني، وهو في وسط إخوانه، الغناء الذي كانت تغنيه لأولاد زيد". وكانت حويدةً وهي في حالة التعذيب تجادل بكل قوة وتقول له "أنا هي امرأة، وإنه إذا أراد أن يشفي غليله وغيظه فليكن مع الرجال" ومن آخر ما حفظ من عيبتها:

الليلة ليلة العذاب ابابا وثقاسي  
الدنيا ثنوت ابابا وثقاسي  
أخرها الثنوت ابابا وثقاسي

أ. الصبيحي، باكورة الزبدة، تج. ع. العطاوي : رواية شقوية.

المصطفى فنيتر

الحويشي توفي ليلة الجمعة 14 صفر 1103 / 2 نونبر 1691.

م. بوجندار، الاغتباط، الرباط، 1987، ص. 384 : م. دينية،

مجالس الانبساط، الرباط، 1986، ص. 84.

عبد الإله الفاسي

**الحياة**، جريدة صدرت في تطوان يوم فاتح مارس 1934 مقدمة نفسها كـ"جريدة أسبوعية حرة تدافع عن المصالح القومية". وكان رئيس تحريرها المسؤول عند انطلاقتها هو عبد الخالق الطريس، أحد قادة هيئة العمل الوطني بشمال المغرب ثم زعيم حزب الإصلاح الوطني لاحقاً. غير أن مهمة رئاسة التحرير انتقلت إلى التهامي الوزاني ابتداء من العدد 32 الصادر في 18 أكتوبر 1934، واستمر الطريس في الاحتفاظ بإدارة الصحيفة وتزامن هذا التغيير مع تقلد الطريس لوظيفة سامية في إدارة الأوقاف (16 أكتوبر).

صدرت "الحياة" عن المطبعة الهدية في حجم متوسط، وتراوح عدد صفحاتها بين 4 و8. ولم تكن مصورة إلا في حالات نادرة مثل العدد الممتاز الذي صدر يوم الأحد 18 نونبر 1934 احتفاءً بعيد العرش والذي تصدرت صفحته الأولى صورة السلطان سيدي محمد بن يوسف.

تطرقت الجريدة التطوانية إلى مواضيع شتى بأقلام كل من عبد الخالق الطريس، والتهامي الوزاني، ومحمد بنونة، ومحمد حصار، وعبد السلام بن جلون، ومحمد الطنجي، وأحمد بلافريج، وغيرهم. ومن بين تلك المواضيع : أسس النهضة، وقضايا التعليم، ومحاربة الخمر، ومكافحة الشعوذة، وأحوال المشرق العربي، إلخ.. ولكن ربما كان نشر الصحيفة لعرائض الاحتجاج ضد الإدارة الاستعمارية والتي ترد عليها من مختلف أرجاء البلاد هو ما أزعج السلطات الفرنسية والإسبانية أكثر من غيره. وإذا كان الإسبان قد لجأوا إلى إئصال كاهل الجريدة بغرامات باهظة، فإن الفرنسيين اختاروا، ابتداء من 16 ماي 1934، منع ولوجها المنطقة السلطانية الراضحة تحت احتلالهم، وكانوا يبادرهم هذه، يدركون جيداً أهمية الضرر المادي الذي يلحقونه بـ"الحياة" التي فقدت جزءاً من مواردها الأساسية التي يوفرها قراؤها في جنوب المغرب. ومع ذلك، استمرت الأسبوعية التطوانية في تادية مهمتها : ومن الخدمات التي أسدتها للحركة الوطنية المغربية نشرها في أعداد متتالية، ابتداء من 3 يناير 1935، "مطالب الشعب المغربي". لكن مختلف العراقيل التي قامت في وجهها أجبرت "الحياة" على الاحتجاج بعد إصدارها لعدد السابع والسبعين (29 غشت 1935).

جامع بيضا

**حياة الشعب** (جريدة -) منذ تأسيس الحزب

الشيوعي المغربي سنة 1943 عمل على امتلاك جريدة عربية

**الحويشي، عبد الله** الرباطي شخصية دينية صوفية

من العلماء والصلحاء النساك، عاش في القرن الحادي عشر وبداية الثاني عشر (17-18 م)، ضريحه مقصود للزيارة والتبرك ملتصق بمن يرجو الاستشفاء من العاهات والأمراض، وهو موجود بالرباط بالزاوية الرحمانية التي يقال إنه هو بانيتها. أخذ الطريقة الشاذلية عن علي بن عبد الرحمان الدرعي دفين تادلا، وأخذ هذا بدوره عن أبي عبد الله الواوغي الدادسي عن القطب أبي بكر الدلاتي، وطريقته هذه جزولية شاذلية كان يلقنها وظل كذلك إلى أن توفي.

وقد ذكره عدد من كتاب التراجم مثل محمد المنالي في كتابه **دوحة البستان ونزهة الإخوان** في مناقب الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان، وأحمد بن عبد القادر التستوتوي المكناسي في اختصار تمتع الأسماع الذي قال إنه رآه سنة 1092 وهو رجل مسن وعليه أمارات المسكنة. وتحدث عنه كذلك الحفيد العكاري في **البدور الضاوية** ونظم أحمد بن عبد القادر المذكور نظماً لرجال تمتع الاسماع فذكره هو وصالح سلا الشيخ أحمد حجي في هذا البيت :

وأحمد حجي صالح الفعل خيسر

كذلك الحويشي في الرباط انتمى ليا

خلف عبد الله الحويشي عدة أولاد، منهم الفقيه محمد وهو ممن انتفع أيضاً بالشيخ العكاري، وأخذ عنه علوماً مثل النحو والبيان والكلام والأصول والفقه، وقبره قرب قبر والده.

وذكر محمد المنالي في **دوحة البستان** أن عبد الله

تنطق باسمه إلى جانب صحافته الصادرة بالفرنسية (Espoir). لكن الإقامة العامة واجهت بالرفض الطلاب المتكررة للحزب في هذا الشأن. ويفسر هذا الرفض بكون السلطات كانت تخشى أن يمتلك الحزب الشيوعي أداة إعلامية ناطقة بلغة قد يصل صداها إلى الأوساط الشعبية. وأخيراً اهتدى الحزب الشيوعي في ماي 1946 إلى تأسيس جريدة سرية تحت عنوان "حياة الشعب".

بالرغم من ملاحقة واعتقال السلطات لموزعي هذه الجريدة السرية، فقد واصلت الصدور حتى إعلان الاستقلال سنة 1956. وحينئذ تقدم الشيوعيون بطلب ترخيص لإصدار الجريدة علنا للحكومات المتعاقبة على أمور البلاد خلال السنوات الأولى للمغرب المستقل (حكومات البكاي وبلاقيج وعبد الله إبراهيم)، غير أن الطلب رفض أكثر من مرة، الشيء الذي جعل الساهرين على الجريدة يصدرونها سرية لمدة سنوات وعلى شكل عتق يفتقر إلى أبسط التقنيات العصرية في النشر (انظر الصورة). وغداة ظهور نونبر 1958 المنظم للصحافة في عهد الاستقلال، أقدم الشيوعيون على إصدار أول عدد من "حياة الشعب" بصفة علنية (خريف 1959)، إلا أن الرقابة كانت لها بالمرصد، وانتهت بذلك هذه التجربة الصحفية.

J. Baida, *La presse marocaine d'expression française des origines à 1956*, Rabat, 1996, p. 310 - 311 ; A. Yata, *Presse démocratique au Maroc, bilan et difficulté*, s.d., Casablanca, p. 17 - 21.

جامع بيضا

ابن حياتي، محمد بن علي الغافقي الفاسي، فقيه أستاذ نحوي، قال عنه تلميذه ابن قنفذ (له تحقيق بالنحو والقراءات). وُلد عام 1318 / 718 وهو أول من أدخل إلى فاس شرح المرادي على ألفية ابن مالك.

أخذ عنه كبار طلبة فاس والقادمين إليها، أمثال يحيى السراج الكبير، وأحمد الخطيب ابن قنفذ القسطيني، والحفيد ابن مرزوق التلمساني. ويذكرون من إنصافه وتواضعه أن بعض الطلبة سأله أن يقرأ عليه المقدمة الجزولية في النحو، فأخذها ابن حياتي وقصد أبا العباس ابن الشماخ المراكشي وقرأ عليه فاتحتها، ثم أقرأها عشية اليوم نفسه.

توفي زوال يوم الخميس 8 جمادى الأولى عام 788 / 1386 ويؤيده وعند ابن قنفذ أنه توفي سنة 781 لكنه غير مدقق.

ي. السراج، فهرست، مخطوط، خ ع 1242 : أ. ابن القاضي، جلوة، ط. الرباط، 1973، 1 : 237 : دورة المجال، 2 : 275 : أ. ابن قنفذ، شرف الطالب، موسوعة أعلام المغرب، 2 : 692 : أ. بابا التنبكي، نبيل الانتهاج، ص 272 : م. الكنتاني، سلوة، 3 : 278.

محمد حجي

**الحَيَائِنَة**، قبيلة تقع شرق وشمال شرق فاس وتخضع إداريا لعمالة إقليم تاونات. والمؤكد أن أولاد حيون أو حيان، أو الحياينة كما يعرفون اليوم، لم يرد ذكرهم قبل العصر السعدي، هذا العصر الذي عرف استقرار بعض القبائل بالمنطقة كالشراقة وأولاد جامع (فاس وياديتها، 1 : 113)، كما أنه من المحتمل أن يكون الحياينة قد حلوا محل بني ومود الذين لم يبقوا معروفين بهذا الاسم اليوم. وقد أكد مرمول وجودهم بضاحية فاس على بعد ثلاث مراحل إسبانية، أي أقل من 17 كم من فاس الذي لا يفصلهم عنها إلا النهر، وربما كان النهر المقصود هنا هو ايناون (إفريقياس، 1 : 264).

والحياينة الذين يتفرعون إلى أولاد عمران الذين يسكنون الشمال، ثم أولاد رياب إلى الجنوب، ووسطهم أولاد عليان، ربما يكون أصلهم من الخلط الذين كانوا يسيطرون على جوانب وادي سبو كما يمكن إدراج أصلهم مع أولاد أحبي الذين هم من ذوي حسان المعقلين، ولو أن المواطن الأولى لهؤلاء هي نواحي ملوية، إلى أن استصرخ بهم علي بن يدر الأسكندري صاحب السوس بعد الموحدين فأصرخوه وارتحلوا إليه وأقاموا بالسوس. وهل يمكن إدخالهم ضمن المعقلين المنتمين إلى عوف بن بهشة بن سليم: أولاد يحيى لأن هؤلاء كانوا يسكنون بجنوب القطر التونسي ؟

وكل ما نعرفه الآن أن قبيلة الحياينة شأنها في ذلك شأن قبيلتي شراقة وأولاد جامع، كانت موجودة بناحية فاس على العهد السعدي الأخير (فاس وياديتها، 1 : 113). أما مولاي التقي العلوي فيصنفهم ضمن القبائل المختلطة التي تسكن الضفة اليسرى لورغة أحد روافد سبو (البحث العلمي، 27 : 211).

وترى الرواية الشفوية للحياينة أن السكان ينحدرون من قبائل عرب بني هلال الذين نزحوا إلى المغرب من الشرق، حيث الولي الصالح سيدي محمد (فتحا) بن الحسن الجناتي أكبر صلحاء البلدة الذي كان يملك أغلب أراضي المنطقة، استقدم لدى زيارته إلى الشرق المدعو حيون إلى قبيلة الحياينة ومعه أبنائه الثلاثة، عمران وعليان ورياب، حيث سلمهم أراضيهم، فاختلط السكان بذرية حيون، فحملت المنطقة أسماءهم (مهرجان الفروسية، 2 : 17).

ونظراً لموقع قبيلة الحياينة على مسالك فاس تجاه الشرق والشمال الشرقي فقد ساهمت أكثر من غيرها في الاضطرابات التي عرفتها فاس ما بين القرن العاشر والثالث عشر (16 - 19 م). وهكذا وقعت حرب بين أهل فاس والحياينة وشراقة سنة 1047 / 1637 على قنطرة سبو، قتل فيها من أهل فاس خمسة وأربعون رجلاً، فخرج شرفاؤها وعلماؤها إلى سلا مستغيثين بالمجاهد العياشي السلاوي.

وفي رجب عام 1062 / يونيو - يوليو 1652 خرج الفقهاء من فاس لزواية الدلاء مستغيثين بالرئيس محمد

الحاج الدلائي لكف الحيانية من النهب وقطع الطريق وسفك الدماء، بعد أن كتب له أئمة العصر أجوبة بوجوب مقاتلتهم، إذ بلغت الفتاوي سبعا حررها أكابر فقهاء المدينة.

وفي عام 1073 / 1662 خرج مولاي محمد بن عبد الله بن علي بن طاهر الحسني لقتال ابن عمه مولاي محمد بن الشريف، معاضداً من طرف الحيانية، هذا الحدث له أهميته السياسية في وضعية فاس الداخلية وعلاقتها بزعماء الحركة السياسية لقيام الدولة العلوية، وعلاقتها أيضاً بالقبائل المجاورة.

وبعدما تمكن مولاي رشيد من ابن مشعل بناحية تازا ومقتل مولاي محمد، قام أهل فاس صحة الحيانية والبهاليل وغيرهم واجتمعوا ببا الفتوح للميز وتأكيد الخروج عن مولاي رشيد فأعرض عنهم. وفي عام 1141 / 1728 كانت قبيلة الحيانية من ضمن القبائل التي اجتمعت على دعوة عبد المالك أخ مولاي المنتصر ابني المولى إسماعيل لمحاربة العبيد، فجرد لهم العبيد خيلا سارت إليهم، فانهزم الغرب ومنهم الحيانية في وقعة دارت رحاها قرب وادي إيناون ...

وعلى عهد السلطان المولى سليمان وخروج أخيه المولى مسلمة عليه، ساند الحيانية المولى مسلمة، فخرج السلطان إليهم وأوقع بهم، حيث انهزم الحيانية والمولى مسلمة، فهبت حلة الحيانية، وجاؤوا تائبين فعفا عنهم ونظّمهم في تلك الجماعة ( الاستقصا، 8 : 91 ).

وعلى عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة 1201 / 1786 تصدى هذا الملك لغزو قبيلة شراقة ... فليجأوا إلى ضريح الشيخ أبي الشتاء بفشتالة، ثم سار إلى الحيانية فأطلق الجيش في زروعهم فحصدوها ودرسوها واستصفوها عن آخرها، ثم جرد الخيل في طلبهم، فاكسحوا حللهم وأثانهم، قال صاحب البستان : كنت يومئذ قد توجهت بجيش إلى عامل وجدة أبلغه إياه، فلما رجعت أدركت السلطان ببلاد الحيانية ( الاستقصا، 9 : 62 ).

وفي أواخر شعبان 1276 / مارس 1860 كان لقدوم عرب الحيانية عميق الأثر، لمحاربة أودنيل الأسباني بوادي بوصفيحة، بعد أن انتقض الصلح مع الأصيلول الذين استولوا على تطوان ثم تراجعهم عن ذلك، حيث إن أبطال الحيانية "جاؤوا في حرد كبير وحقن شديد فقتل قلوب الناس بهم واشتد أزرهم وتقدموا إلى العدو، فأنشروا معه الحرب بأبي صفيحة، فأوقعوا به وقعة أنست ما قبلها فقتلوا منه ما خرج عن الحصر ... وكان الذكر فيه لعرب الحيانية.

وبأرض الحيانية كانت انطلاقة ثورة الجليلي الزرهوني المدعو بأبي حمار، حيث إنه ذهب إلى قبيلة الحيانية التي كانت تتقلب بين الطاعة والعصيان وصادف وصوله انعقاد

موسم صالح مدفون بها يسمى سيدي محمد بن الحسن الجناتي، وهو موسم مشهود تحضره قبيلة الحيانية ووفود القبائل المجاورة كغنيانة والبرانس والتسول وصنهاجة الجيلية... فلم يجد الجليلي الزرهوني فرصة خيراً من فرصة ذلك الموسم لإعلان ثورته.

لا يعني ما سبق أن قبيلة الحيانية كانت تثور من أجل الثورة المجانية، لكن ربما اعتباراً لظروف سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، خصوصاً إبان الأزمات السياسية وضعف السلطات المركزية، حيث إن المدينة (فاس) تشعر بنفسها محاصرة نتيجة لتحكم قبيلة الحيانية في بعض شرايين المدينة التجارية، لا سيما حينما كان للموكب الحجري عبر هذه المسالك أهميته الكبرى قبل نهاية القرن الثاني عشر (18 م)، أضف إلى ذلك مشكل الأراضي الفلاحية والعزبان على الخصوص، حيث تكثرت الملكيات العقارية للفاسيين بأرض الحيانية. كما أن التوتر بين فاس والحيانية لا يعني أن الصراع كان تنافرياً باستمرار، بل إن فترات الانفراج كانت تفسح المجال أحياناً إلى تحالف واضح في مواقف موحدة، حيث حصلت تحالفات متكررة بعد وفاة المولى إسماعيل، وكذا عند انتقال السلطة إلى السلطان

الحسن الأول (تطور العلاقات بين البوادي والمدن، 38)

ويصف الرحالة الفرنسي دوفوكو الحركة التجارية بين تجار فاس والحيانية في ثمانينيات القرن الماضي في أحد أسواق الحيانية قائلاً : "أهل فاس يبيعون (البلفة)، لكن كذلك المنتجات القطنية والسكر والشاي ... ويشتررون الحبوب والزيت والماشية والدواب (Reconnaissance du Maroc, 36)

أما بعد توقيع الحماية فإن قبائل الحيانية شأنها في ذلك شأن القبائل التي تسكن الخط الرابط بين فاس ووجدة مروراً بتازا، وقفت حجر عثرة أمام الجيوش الفرنسية المدججة بكل أنواع الأسلحة، فعلى الطريق من فاس إلى تازا شمالاً وجنوباً هبت القبائل المجاورة لفاس وتازا، والتي تتخذ من تيسة (أهم مراكز الحيانية) مركزاً لها لتضرب الجيوش الفرنسية المتوغلة، وحرّموا على الجيش الفرنسي دخول مركز تيسة في مارس 1913 حيث قرر الجنرال "غورو" توقيف كل تحرك عسكري فرنسي، فقد حرم عليه القائدان "الحجامي" و"الفشتالي" كل حركة منذ محاولة مارس إلى منتهى دجنبر 1913. وضاق الجنرال "غورو" ذرعاً بهذا الحصار الذي فشلت كل المحاولات لفكّه في 24 يناير 1914. وقالت الوثائق الفرنسية إن الجنرال إنما كان يقوم باستعراض عضلات جيشه لإرهاب قبيلة الحيانية، وأنشأ مركزاً على بعد ثمانية عشر كيلومتراً من تيسة في (الزراقة) هذا المركز الذي لم ينج بدوره، إذ دارت معارك شرسة ما بين 24 و26 مارس، قتل خلالها القبطان "أوفيفر" (الحرب المغربية الفرنسية الأسبانية، 249). نفس البسالة والصدود أبانتها قبيلة الحيانية في وقعاتها ضد الاستعمار

وصف حيدا بأنه كان أعظم قائد في تلك الظروف أمام كل من الحاحي والأغلاوي والكنتافي. كما كان آخر قائد للمخزن التحق بالأمير أحمد الهيبية مما يدل على أنه أخذ جانب الاحتياط تقديراً منه للموقف الصعب.



ولما قدم حيدا على الأمير أحمد الهيبية بتزينيت فرح به الجميع، وقد أنساهم مقدمه أبهة الباشا كآباً بالأمس، حتى إن الأمير أحمد الهيبية قال له: "فإنك يا حيدة منذ الآن والذي وأمرى كله بيدك" (المعسول، 4: 124). وهكذا عين حيدا رسماً كبير المحلة عند الخروج من تزينيت إلى مراكش من طرف الأمير الهيبية (1912). وفعلاً نظم تلك المحلة لمدة 14 منزلة. ولما وصل إلى مراكش أوعز إلى الأمير الهيبية بالقبض على قادة الحوز غدرًا، قائلاً له: "فتغدَّ بهؤلاء قبل أن يتعشوا بك"، فالغاية عند حيدا تبرير الوسيلة. لكن الأمير أحمد الهيبية رد عليه رداً إسلامياً بقوله: "أمان الله عليهم، هم مسلمون وما كنت لأغدر المسلمين" (المعسول، 4: 135).

كانت هذه المفارقة هي السبب الواضح في جعل حيدا يلتبس لنفسه مخرجاً آخر، لذلك بعد انهزام المجاهدين في معركة سيدي بوعثمان شمال مراكش اتصل بجانب الحماية وهكذا رجع إلى داره برأس الوادي قلب ظهر المجن، وقاوم الأعراب ومن إليهم ومع ذلك راود الهيبية أن يدخل مع حكومة مولاي يوسف... ومع الدولة الحامية (المعسول، ج 4 ص. 164) ولما رفض الهيبية ذلك - كما أن حيدا رأى رأس الباشا كآباً معلقاً بأساراك بتارودانت أعلن الحرب على خصومه. خصوصاً أن الحكومة المركزية قبلت توبة حيدا بمجرد فراقه للهيبية، فأرسلته ليكفر عن سيئته بإخراج الأعراب من تارودانت وهكذا أصبح حيدا رأس رمح لصالح الحماية ضد الأمير الهيبية، وهو عميد الحكومة الوحيد في رأس الوادي. لم يكن حيدا وحده الذي قلب ظهر المجن بل هناك آخرون "بدلوا مواقفهم بعد الانهزام، فتنهبوا من ذلك التنويم المغناطيسي" (المعسول، 4: 167). وأدهى وأمر أن يكون حيدا المطلع على أسرار الأمير الهيبية هو القائم بمحاربته لأنه - ولاشك - يعرف مواطن الضعف والقوة. ولكن ما العمل فقد كانت مدينة تيزنيت أول من ناصر الأمير الهيبية وها هي اليوم أول من انتفض ضده،

الفرنسي بكل من عين عائشة وعين معطوف. وحتى إبان تدخل المجاهدين الريفيين ضد القوات الفرنسية الإسبانية المتحالفة، كانت قبيلة الهيبية تبدي بسالة ومقاومة شديدة، حيث اخترقت طائفة من المجاهدين المناطق الشمالية لتنازا في اتجاه تيسة مما يؤكد مخطط الهجوم على فاس (الحرب المغربية: 364). ويضيف نفس المصدر أنه عندما تحركت قوات فرنسية يوم 5 ماي 1925، لإنقاذ معسكر فرنسي في عين معطوف، وجدوا الجميع مقتولين حيث أطلقت الوثائق الفرنسية التعبير بقولها (لم تجد قوات القبطان ميح في معسكر عين معطوف إلا عسكرياً واحداً على قيد الحياة). وفي معارك تيسة تذكر المصادر انقلاب المجندين المغاربة، حيث لم يبق تحت الجنرال "فريد نبيرخ" إلا القبطان "ريسبلاندي" الذي كان ينزف دماً كان ذلك يوم 9 ماي 1925، وبعد هتاف المجندين المغاربة "الله أكبر" وانقلابهم ضد الجنرال، لم يبق أمام هذا الأخير إلا الهروب، حيث تعقبه الريفيون حتى (غارة المزيات) (الحرب المغربية، 365).

ج. الوزان الاقريقي، وصف افريقيا، 1. تر. محمد حجي ومحمد الأخصر، الرباط، 1980: القادري، النقاط الدرر، تج. هاشم العلوي، بيروت، 1981: أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954: النقي العلوي، أصول المغاربة، مجلة البحث العلمي، عدد 27، الرباط، 1977: م. مزين، فاس وياديتها، الرباط، 1986: ع. بنمنصور، أعلام المغرب العربي، الرباط 1979: مصطفى العلوي، الحرب المغربية الفرنسية الإسبانية 1906-1936، الرباط، 1994: عمالة إقليم تاونات، مهرجان القرويسية، رقم 2، تطور العلاقات بين البوادي والمدن في المغرب العربي، (ندوة)، الرباط، 1988. C. De Foucauld, Reconnaissance du Maroc. 1883 - 1884, Paris, 1888. الحسين البعادي

حيداً بن مائس، قائد كبير أصله من الصحراء تربي في الإغارات على الآخرين وبذلك استطاع أن يجعل مكانته بين أمثاله في رأس الوادي بسوس، وينتمي إلى أولاد برحيل من قبيلة المنابهة. ربط علاقاته بأسرتين كبيرتين مادياً ومعنوياً. فقد تزوج حيدا إزى بنت بَيْرُوك من عائلة بَاهَبَاز الشهيرة (خلال جزولة، 3: 181) كما زوج حيدا بنته لمحمد بن لحسن بن حماد من عائلة المجد والكرم، فكان حيدا نفسه رجل الكريهة مغواراً مدافعا مهاجما، كأنما خلق من عثير الحرب الزبون... (المعسول، ج 4: 165). ويتلك الصفات أصبح أهلاً لقيادة من هناك من طرف المخزن المغربي. وقد تناول الكتاب شخصية حيدا، تارة بالإعجاب والتقدير، وطوراً بالهزاء والتحقير، ويمكن التحقيق من حدة هذه المفارقة إذا استحضرننا عند الكتابة عن هذه الشخصية أن ما يقال عن قائدة معركة ما عند الانتصار، ليس هو ما ينعت به عند الانهزام، وهنا تأتي الصعوبة التي مصدرها الموازنة بين ماله وما عليه.

وقد اشتد تخوف سلطته الحماية بعد اتصال الأمير الهيبية،  
بين خرج من تلك الغواصة الألمانية.

وهنا جاء دور حيدا باحتلال جهة أيت باعمران، قبل أن  
تحتلها ألمانيا ومعه جيش كثيف لكنه سقط ميتاً في معركة  
إيغالفن سنة 1335 / 1917 أمام مقاومة أيت باعمران ومن  
إليهم من القبائل التي لم تخضع بعد وذهبت محلته كلها  
غنيمة للمقاومين وحُمل رأسه إلى الهيبية في كاردوس ثم  
ألحق بجثته ودفن أمام ضريح الصالح سيدي عبد الرحمان  
بتيزنيت.

م. المختار السوسي، المرسول، الجزء 2+3+4+20؛ / يبلغ قديما  
وحديثا، مداخلة ندوة بتيزنيت لجهادي الحسين؛ الجامعة الصيفية  
بأكادير - مداخلة جهادي الحسين؛ خلال جزولة، ج 3؛ كنانة شايلا  
سيدي محمد بن أحمد الكريزي، مخطوط؛ الكلمة مجلة عدد 1 ص.  
57 سنة 1971.

الحسين جهادي

ابن **حيدة**، أسرة أسفية تنتمي إلى قبيلة "قرّة" العبدية  
بضواحي المدينة، استقر جداهم الأول الحاج عبد الله ابن حيدة  
بأسفي حوالي 1260 / 1844 وكان من بين أولاده أحمد  
ومحمد وعبد القادر، وكان لأحمد عقب، منهم :

ابن **حيدة**، **عبد الله** بن أحمد بن الحاج عبد الله، ولد  
بأسفي في 27 رمضان عام 1330 / 9 أكتوبر 1912 واشتهر  
كشاعر للملحون، فهو من جيل الحاج محمد ابن علي  
الدمناتي ومحمد الرباطي، وكلهم كانوا من كبار أشياخ  
الملحون بأسفي.

اتصل عبد الله بشيوخ هذا الفن في أسفي بمنزل خاله  
السيد أحمد الكراوي، كما كان يتردد على نوادي الملحون  
في مختلف المدن المغربية. وقد ساهم هذا العامل في تكوين  
شخصيته الأدبية بالإضافة إلى معرفة جيدة بالمناخ الشعبي  
الذي نشأ فيه وتأثر به.

اشتغل عبد الله ابن حيدة منذ شبابه بالنجارة  
والصياغة، خاصة منها صياغة الأباريق والمجامر والأواني  
النحاسية بعد أن تعلم هذه الحرفة في فاس، ومنها ذهب إلى  
حج بيت الله الحرام راجلا، ولا تزال بعض الأسر في أسفي  
تحتفظ ببعض الأواني التي تُعد من صنع المترجم، بفتخرون  
بامتلاكها، وحتى إذا ظهر شيء منها، فإن الناس يتغالون  
في ثمنها لاقتنائه.

وكان عبد الله ابن حيدة إلى ذلك بحاراً حتى اشتهر بين  
الناس بلقب "الرايس". وغالبا ما كان يختم قصائده بهذا  
الوصف يقول :

خذ أرادي ما يرزنيك في جواهر لنظام من علم الفتحاح

شُخّل رايس فاملاحة واللي سألني عن فاسفي

نظم ابن حيدة في كثير من أعراض الملحون، على غرار  
ما نُجده عند كبار شعراء هذا الفن. والملاحظ أن معظم

وهاهم قادة الحوز كلهم مع سلطة الحماية، وهكذا فعل القائد  
الجراري وهو بحانب تيزنيت، والناس دائماً مع قوة الزمان  
فإذا كان المتحسسون للأمير الهيبية بالأمس يفرون منه اليوم،  
فكيف بحيدا الذي وصفه محمد بن الحسن بن يعيش حاجب  
السلطان بقوله : "فإذا بالقدار حيدا تعرض للرسول - بينه  
وبين الهيبية - فاغتاله أصحابه" ( المرسول، 4 : 181).

وعلى كل حال لم يكن الأمير الهيبية لقمة سائغة في  
حلق حيدا، بل كانت الحرب سجالا، لكن كفة حيدا تميل  
دائما إلى الرجحان.

وما يدل على مكانة حيدا لدى الحكومة أننا نجده  
يكاتب قائد ماسة الحاج محمد بأغبألو وتعدّه من طرف  
المخزن المغربي بما يسره، كما كان يرسل قبائل أزغار  
ويحاول ضمها إلى المخزن المركزي بقدر ما يُنفرها من  
الأمير الهيبية.

استطاع حيدا أن يُخرج الأمير الهيبية من تارودانت  
فصار هو نفسه باشا تلك المدينة، ومنها تخرج الحركات  
إلى اشتوكن، وكان مغواراً يخوض الحرب بنفسه حتى إنه  
جرح مرة ضد القائد الناجم الاخصاصي، وكاد أمره يندحر،  
غير أنه جمع بسرعة قوته من جديد.

ومن دهاء حيدا استغلاله ما صدر من جانب الأمير  
الهيبية تجاه كبار القوم، مثل الفتك بالقائد سعيد المجاطي  
والقائد عبد السلام الجراري والباشا كآبا بتارودانت  
والعلامة محمد أو عيّو بأشتوكن، فصار الناس يقولون :  
"هكذا رجع الهيبية فاتكاً بعدما كان يستأمره حيدا أمام  
أسوار الحمراء في الفتك بالعظام فيتورع، ولكنه إنما تورع  
عن ذبح الكباش الكبار، ثم رجع أخيراً إلى ذبح الحرفان  
الصغار" ( المرسول، 4 : 188).

يجب أن نستحضر هنا أن الأمور قد اختلطت في ذلك  
الوقت فلا يمكن أن نحمل الأمير الهيبية كل شيء، ومع ذلك  
فقد استفاد الذاهية حيدا من كل ما نسب للصحراويين  
صدقا أو كذبا، وباستغلال تلك الإشاعات وترويح وتصحيح  
ما صح منها استطاع أن يحتل إشتوكن بكاملها، وفي الحين  
انضم إليه أيت لعنتر الذين فضلوه على حكم ابن دحان  
وسرعان ما تحكم في قبائل أزغار كلها إلى رأس الوادي ثم  
سلط عليها المغارم الباهظة وجمع أمولا كثيرة.

كان الوقت إبان الحرب العالمية الأولى فإذا بغواصة  
ألمانية ظهرت بأيت باعمران في أفتاس - ن - ركوئت بقبيلة  
أيت إخلّف وهنا فضلت الحكومة المركزية الباشا حيدا على  
ابن دحان، حيث رحل هذا الأخير فحلّ حيدا محله تيزنيت،  
يجرّ وراءه قوة عظيمة، غزاها دار القائد المدني  
الأخصاصي، كما صالحه أبو الطعام الرخاوي، ولم يبق له إلا  
أيت باعمران للوصول إلى المحيط ومشارف الصحراء.

وفي نفس الوقت عينت الحكومة في تيزنيت القائد  
حاديّمان الحاج عبد الرحمان، ومعه القبطان جوستينار بينما  
الحرب ومصارعة القبائل موكولة إلى الباشا حيدا وحده.

قصائده تكاد تكون في المديح النبوي، أو في الشعر الوطني إضافة إلى بعض الأحداث التي عاشها وعيائها.  
توفي بأسفي في شهر ربيع عام 1407 / نونبر 1987  
فكان آخر شعراء الملحون بهذه المدينة.  
روايات شفرة : ومعلومات خاصة.

منير البسكري

## هيدوس (رقص) ← أحيادوس

شرائع الفئات الوسطى المتمثلة في صغارالموظفين ومستخدمي القطاع الخاص وصغار التجار والحرفيين، تصاعد دفع الفئات المتواضعة نحو هوامش المحي بسيدي الحدير. ولم يحد من اكتساح المحي الحسن من طرف الفئات الوسطى إلا صغر حجم السكن به، الذي لا يتعدى ثلاث غرف بالنسبة لما يزيد عن ثلثي الوحدات السكنية. وبذلك ظل المحي الحسن يشكل أكبر تجمع سكني للفئات المتواضعة بالأحياء الجنوبية الغربية للدار البيضاء، وبقيت وظيفته سكنية بالدرجة الأولى. فهو لا يوفر الشغل داخله إلا لحوالي 20٪ من ساكنته النشيطة. وترتبط الأغلبية بباقي أحياء المدينة وخاصة منها المعاريف والأحياء الصناعية والمركز.

مع احتضان هوامش المحي الحسن لمقر عمالة عين الشق - المحي الحسن وما يرتبط بها من مصالح إدارية، ومع تعدد تجزئات الدولة في امتداده الجنوبي، يجتج هذا المحي نحو التشتت والتباين عمرانيا ووظيفيا. وبذلك يكون المحي الحسن قد نشأ واتسع وفقد وحدته وتجانسه في ظرف لا يتجاوز ثلاثة عقود من الزمن، وبالتالي فهو يشكل نموذجا لسرعة إيقاع التحولات السوسيوإقليمية بالدار البيضاء.

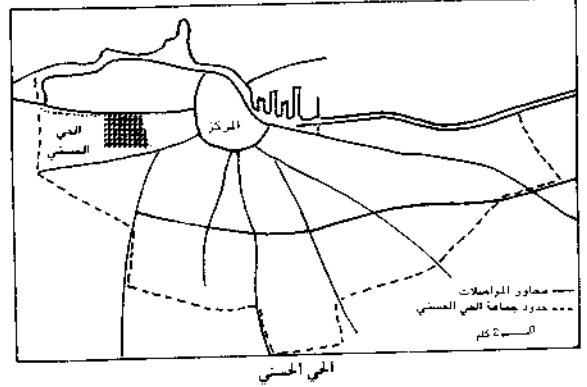
بحكم سرعة توسع المحي الحسن وتباين أجزائه وهوامشه تم فصله سنة 1981 عن جماعة عين الشق ليشكل جماعة حضرية تمتد على مساحة 1590 هكتار. وقد أصبحت هذه الجماعة تضم 198.195 نسمة سنة 1994. وبذلك أصبح المحي الحسن يشكل قطبا للأحياء المجاورة والمتكونة من أحياء الفيلات (السلام والهناء والراحة ...) وأحياء العمارات (بوسيجور والولفة ...) وأحياء السكن الاقتصادي (الولفة وفرارة ...) وأحياء السكن غير اللائق (سيدي الحدير وامتداده نحو الجنوب). ومع هذا التوسع المجالي والوظيفي يجتج المحي الحسن نحو الحد من طابعه السكني لتنتشر به أنشطة التجارة والخدمات ولتحول بنواته الأولى الطوابق السفلية إلى محلات تجارية ولتتعدد به الأسواق وتتجه نحو التخصص.

م. شوكي، إنتاج وهيكله المجال الحضري بالدار البيضاء، أطروحة دكتوراة الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1985، 3 أجزاء.

A. Adam, Casablanca : essai sur la transformation de la société marocaine au contact de l'Occident, Paris, 1968, 2 vol. ; M. Benhima, La cité de Derh Jdid, 1959 ; A. De Montmarin, Les nouvelles solutions en matière d'habitat : leur application au Derh Jdid, BESM n° 80, pp. 437 - 447.

**الحَيَّ المَحْمُودِي**. بالدار البيضاء، من أكبر وأشهر أحيائها، وهو الآن جزء من عمالة عين السبع - المحي المحمدي. يرجع أصل المحي المحمدي إلى تجمع لسكن

**الحَيَّ الحسنِي**، تجمع سكني ضخم بالهوامش الجنوبية - الغربية للدار البيضاء، وهو جزء من عمالة عين الشق - المحي الحسن. يرجع أصل هذا المحي إلى تجمع الصفيح المسى الدرب الجديد الذي تشكل سنة 1949 عن طريق عدد من الأحياء الصغرى التي كانت تنتشر داخل أحياء الواحة وبوسيجور وأنفا والمطار ... وقد بلغ عدد سكانه 15.819 نسمة سنة 1957، ليصبح بذلك ثالث أحياء الصفيح بالدار البيضاء من حيث الحجم بعد كاريان سانطرال وكاريان بن مسيك، وعلى إثر حريق شب به يوم 11 يونيو 1958 تم تشييد حي جديد مكانه أطلق عليه اسم المحي الحسنِي.



جاء المشروع الأصلي للحَيَّ الحسنِي ممتداً على مساحة 80 هكتاراً ومن حجم مدينة صغيرة لحوالي 30.000 نسمة. ويتكون من وحدات سكنية صغيرة (غرفتين ومطبخ) سفلية أو على طابقين ومن عمارات للسكن الجماعي. وقد تم إنجاز شطر منه من طرف الدولة وتكلفت السكان بإنجاز الأغلبية. واستغرقت هيكلية المحي زهاء عشر سنوات تم خلالها إنجاز عدة مجموعات سكنية متباينة الأشكال والأحجام. وشكلت عملية تشييد المحي الحسنِي إحدى التجارب الأولى لعهد الاستقلال في ميدان إشراك السكان في بناء سكنهم. كما شكلت انطلاقة للسكن الاقتصادي بالأحياء الجنوبية الغربية لمدينة الدار البيضاء.

يتجلى تواضع المستوى الاجتماعي لهذا المحي من خلال استمرار فئة العمال في احتلال الصدارة داخله. فهم يمثلون أكثر من ثلث ساكنته النشيطة. ومع استقطاب المحي لبعض



الحي المحمدي تكدسا كبيراً للسكان إلى درجة أن الكثافات السكانية بتجمعات السكن الاقتصادي قد أصبحت تفوق بكثير كثافات أحياء الصفيح. وعلى سبيل المثال تبلغ الكثافة في درب مولاي الشريف حوالي 1.800 ن / هك وتناهز 1.200 ن / هك في درب الكدية والسعادة، في حين لا تتعدى 660 ن / هك في كاربان السوق. وأمام هذا الضغط الديمغرافي شهدت معظم مجتمعات السكن الاقتصادي توسعا عموديا عن طريق زيادة طابق أو اثنين. وبذلك أيضاً تزايدت الكثافات السكانية.

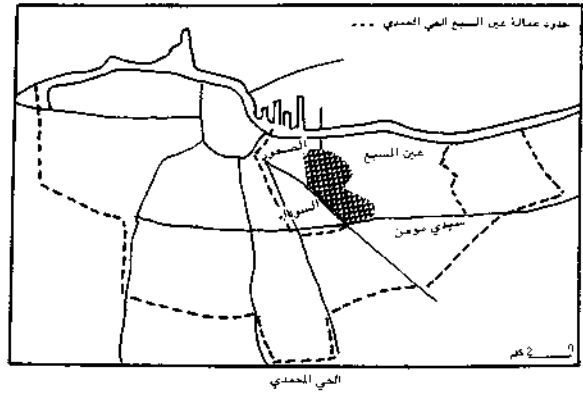
بشكل مواز للتوسع العمودي الذي لم تنج منه حتى أحياء الصفيح، شهد الحي المحمدي توسعا أفقياً كبيراً وخاصة في اتجاه الشرق. وبذلك فقد الحي تحامسه سواء على مستوى الإطار المبنى أو هيكلته المجالية، لكنه ازداد ارتباطاً بالأحياء الصناعية التي تشغل حوالي 75٪ من ساكنته النشيطة. وازداد الحي المحمدي تفككا مع التقسيمات الإدارية المتوالية التي ألحقت جزءاً من حي الصفيح الأصلي بجماعة عين السبع بدل جماعة الحي المحمدي التي يرتبط بها عضواً ومجالياً.

أنشئت جماعة الحي المحمدي على إثر التقسيم الإداري لسنة 1981 الذي فصلها عن جماعة عين السبع. وخضعت بدورها سنة 1983 لعملية تقسيم جديد. فانفصلت عنها جماعة الصخور السوداء. وتضم جماعة الحي المحمدي في إطار حدودها الحالية معظم التجمعات السكنية التي تشكلت في ارتباط بحي الصفيح الأصلي، بالإضافة إلى عدد من الأحياء الصناعية. وتمتد على مساحة 390 هكتار وتضم 174.635 نسمة. وهي بذلك تسجل أعلى الكثافات السكانية بعمالة عين السبع - الحي المحمدي (450 ن / هك مقابل 150 ن / هك كمتوسط للعمالة)، وفي ذلك تعبير عن دورها كخزان لليد العاملة ليس فقط داخل هذه العمالة بل على صعيد الدار البيضاء ككل.

A. Adam, *Essai sur la transformation de la société marocaine au contact de l'Occident*, Paris, 1968, 2 vol. ; CIFM, *Etude sur les populations habitantes dans des cités construites par la Compagnie Immobilière Franco - Marocaine*. Document ronéo, Casablanca, 8 oct. 1955 ; R. Manneville, *L'expérience Castor aux carrières centrales de Casablanca. Notes marocaine*, n° 7, 1956, pp. 2-8 ; A. Raggabi, *Promotion immobilière et production de logement en milieu urbain : Cas de l'opération Dar Lamane*. Mémoire cycle supérieur INAU, Rabat, 1985.  
المصطفى شويكي

**الحياني، محمد** موسيقي معروف ولد بالرباط عام 1362 / 1943. ولما بلغ الحادية والعشرين من عمره التحق بالمعهد الموسيقي، ومقره يومئذ بساحة بييتري، فانخرط في قسم الصولفيج، وتلقى على يد الأستاذة أوريل دروسا في الغناء الكلاسيكي كان لها أثر في بعث موهبته الفنية وتهذيب ميله الفطري إلى الغناء. وقد تعرف عليه الملحن

الصفيح ظهر سنة 1920 بمحجر مهجور بمحاذاة المحطة الحاررية للصخور السوداء، وعرف تحت اسم كاربان سانطرال الذي يعتبر أكبر أحياء الصفيح التي تشكلت مبكراً بالدار البيضاء. ومع تصاعد حركة التصنيع بالمنطقة توسعت النواة الأولى لهذا الحي الذي تم ترحيله عدة مرات في اتجاه الشمال الشرقي والشرق. وفي نهاية سنة 1939 تم ترحيله إلى هوامش المدار الحضري نحو بقعة أرضية من 17 هك اقتنتها البلدية لهذا الغرض. وقد بلغ آنذاك عدد الأكوخ به 4.000 بركة. واستمر توسعه مع استقباله لسكان أحياء الصفيح الذين تم طردهم من القطاع الشرقي للمدينة. فتوسع على حساب أراضي الخواص. وبذلك أصبح كاربان سانطرال سنة 1950 عبارة عن تجمع لعدة أحياء للصفيح تضم 13.250 بركة و48.834 نسمة.



ومع تعاضل حجم هذا التجمع وتزايد ارتباطه بالأحياء الصناعية. خضع بين 1950 و1960 لعدة محاولات للتحكم في توسعه. وتم ذلك عن طريق إنجاز برامج سكنية متباينة من حيث أحجامها وأشكالها. وفي هذا الإطار تم تشييد عدة تجمعات سكنية على شكل عمارات ووحدات سكنية مستقلة أو على طابقين، أطلق عليها اسم الحي المحمدي. ومع فتح المجال لتدخل الحي فئات اجتماعية أخرى في إطار تسويق الوحدات السكنية من طرف المؤسسات العمومية، أصبح الحي المحمدي عبارة عن تجمع سكني ضخم يضم إلى جانب أحياء الصفيح الأصلية عدة تجمعات للسكن الاقتصادي. وأضيفت إليها خلال عهد الاستقلال عدة تجمعات أخرى للفئات الوسطى مثل حي عادل والمسيرة ولياء... كان آخرها مجمع دار الأمان وإقامة الموحدين.

رغم هذا التحول يحافظ الحي المحمدي على طابعه الشعبي من خلال بنيته السوسيو مهنية التي يحتل بها المهاجرون أكثر من 80٪، وتمثل داخلها اليد العاملة حوالي 75٪. وفي ارتباط بذلك لا يتوفر حوالي نصف الأسر بالحي المحمدي على أكثر من غرفتين. ولا يرجع ذلك إلى كون أغلبية وحدات السكن الاقتصادي تتكون فقط من غرفتين، بل أيضاً إلى انتشار حالات تعدد الأسر بالمسكن الواحد (حوالي ثلث الأسر تقطن غرفة واحدة). ونتيجة لذلك يعرف

المغربي عبد الله عصامي، فاستحسن صوته، ولم يتردد في تقديمه إلى عبد القادر الراشدي وهو يومئذ رئيس الجوق الوطني للإذاعة.

بدأ الحياني مسيرته الفنية منشداً مردداً ضمن المجموعة الصوتية بالجوق الوطني، ثم تحول - كعادة جل المطربين المبتدئين - إلى تقليد المغنين المشاركة، خاصة منهم عبد الحليم حافظ الذي كان يجد في أغانيه المجال الأمثل لصقل موهبته وإرهاب إحساسه باللحن والكلمة.



كان الحياني - لحسن أدائه وعذوبة صوته - محط اهتمام ألمع للملحنين وكتاب الكلمات المغاربة، فلحن له أحمد البيضاوي، وعبد القادر الراشدي، وعبد السلام عامر، وعبد الرحيم السقاط، وعبد الله عصامي، وحسن القدميري، وكتب له زجالون أمثال علي الحداني وحسن المفتي.

تميز الحياني من بين سائر المغنين المغاربة ببراعة في أداء الأغنية الزجلية والقصيدية الفصيحة معاً، وتلك ملكة قلما تهبأت لغيره من المطربين، وإن كان حضوره في مجال المطولات والقصيد الفصح أكثر قوة وإشراقاً. وإلى ذلك عرف بتشدده في اختيار أغانيه وحرصه على سلامة كلماتها وسمو ألحانها، مثلما عرف بحرصه على توفر الأجواء المناسبة لتسجيلها في استوديوهات الإذاعة.

كانت أولى أغاني الحياني أغنية "يا وليدي" التي سجلها مع جوق إذاعة الدار البيضاء. وعلى امتداد ثلاثة عقود تألق في أداء روائعه الغنائية التي شكلت محطة بارزة في مسيرة الأغنية المغربية الحديثة التي طبعها صدق المعاناة، وأداء وديع هادئ بمشاعر الطمأنينة التي يشوبها الحزن، ويتحاشى ركوب أساليب الميوعة وأتماط التطريب المتفسخ.

ومن هذه الروائع : راحلة - غنت لنا الدنيا - قصة الأشواق - بارد وسخون - سنّ ضيّ بهاك - أنا حر. وهي إبداعات ستظل منقوشة في ذاكرة المستمع الواعي تفرض مكانتها إلى جانب ما أبدعه رواد الأغنية المغربية العصرية الأوائل أحمد البيضاوي، والمعطي البيضاوي، وعبد الوهاب أگومي.

دخل الحياني ميدان الفن السابع فتقمص دور البطولة

في شريط "دموع الندم" الذي أنتجه حسن المفتي عام 1982 وقدم فيه جملة من الأغاني العاطفية هي على التوالي : أنا في احضان الفرحة (زجلية) - شايفك بعينون المغروم (زجلية) وقتاش تغني يا گلبي، راجع والندم دموع - ضحكي يا غبيوني.

وقد اعتراه مرض عضال ألزمه الفراش، ولم يمهله أجله فتوفي صباح يوم الأربعاء 10 جمادى الثانية عام 1417 / 23 أكتوبر 1996 عن عمر بلغ 53 حولاً.

تصرح لحمد الحياني في شهر يوليوز 1996 : جريدة العلم، 27 أكتوبر 1996 : جريدة الاتحاد الاشتراكي 27 أكتوبر 1996 / 17 نونبر 1996.

عبد العزيز بنعبد الجليل

**حيّوج**، يهودا بن داويد المعروف عند العرب بأبي زكريا يحيى، وهو نحوي مشهور، ولد بفاس حوالي سنة 950 م وتوفي بقرطبة أوائل القرن الحادي عشر. وقد وضع الأسس العصرية لدراسة النحو العبري باكتشافه الجذور الثلاثية في هذه اللغة بمقارنتها مع اللغة العربية واللغة الأرامية. ومن أشهر كتبه، كتاب التنقيط وكتاب الأفعال ذوات حروف اللين.

مالخي ربنان ليوسف بنايم ولرديو *(Les noms des Juifs du Maroc, Madrid, 1972)*

شمعون ليفي

ابن حيّون، أسرة فاسية عريقة، أصلها من الأندلس، وما يزال بفاس حي يعرف بدراب ابن حيون. كان منهم فقهاء وتجّار وحرفيون ذوو معاش. كما يوجد بواحة اكناتوة بجنوب درعة قصر كبير يدعى "قصر ابن حيون" لكن النسبة إليه : "حيّوني".

ابن حيّون، أحمد بن المدني الفاسي. ضابط مغربي برتبة عقيد التحق بالجيش الفرنسي سنة 1924 واستمر في هذا الجيش إلى أن بلغ سن التقاعد سنة 1960 وتفرغ لكتابة مذكراته. اشتغل والده بأعمال تجارية في سوق "الحرارين" بفاس. إلا أنه سرعان ما جليه المغرب الشرقي بسبب موقعه قرب الجزائر فاستقر ببلدة "عيون سيدي ملاك" في بداية القرن الرابع عشر (20 م) حيث اشتغل بتجارة الاستيراد والتصدير بعدما زار عدة دول أوروبية وربط علاقات تجارية هناك. فأصبح من أثرياء المنطقة وأعيانها، ولذلك كان مقرباً لقواد المخزن أمثال القائد "ركينة" وال"بوزگاوي". وربطته علاقة صداقه مع المدني الأگلاوي أثناء قيامه بالمغرب الشرقي على رأس جيش لمحاربة "بوحمارة". وعند رجوع الأگلاوي إلى مراکش رافقه المدني ابن حيون وأسسكنه الأگلاوي في رياض خاص به. كما شجعه على

ممارسة التجارة هناك، وأصبحت قوافله تجوب الأطلس الكبير. إلا أنه بعد توقيع معاهدة الحماية. قامت السلطات الفرنسية، وخاصة بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914 بمصادرة ممتلكات المحميين الألمان المغاربة؛ وما أن المدني ابن حيون كان محمياً ألمانياً فقد صودرت ممتلكاته ولولا تدخل المدني الأكلاري بصرامة لدى الجنرال دولاموط De la Mothe لتعرض للإفلاس والسجن. وعند افتتاح الأكاديمية العسكرية بمكناس شجع الأكلاري المدني بن حيون لإرسال ولديه أحمد وعبد الكريم فدخلوا معاً هذه الأكاديمية سنة 1924 وتخرجوا منها سنة 1926 برتبة ملازمين.

التحق الاثنان أحمد وعبد الكريم ابن حيون بالخدمة في صفوف المشاة المغربية ثم الكوم وذلك لمدة خمس سنوات (1927-1932). وانطلاقاً من 1932 دشّن أحمد ابن حيون مرحلة جديدة في علاقته مع الجيش الفرنسي والإدارة الفرنسية بالمغرب بحيث انضم إلى نخبة الضباط الذين يصنفون ضمن "أهل السيف والقلم" حيث عين ضابطاً للشؤون الأهلية بإقليم ورزازات سنة 1932.

وقاد الجيوش التي ساهمت في احتلال درعة السفلى وصاغرو والصحراء كما كان يقوم بمهمة المترجم وجلب أعيان هذه المناطق للمساهمة إلى جانب فرنسا في عملية الغزو والاحتلال. وقام بدور فعال في استمالة قائد المقاومة بصاغرو "عسو أبسلام" من أجل التفاوض وإنهاء المقاومة وفي هذا الصدد يقول أحمد بن المدني في إحدى رسائله إلى المؤلف :

"... لما نودي على الجنرال Le Gl. Huré القائد الأعلى للقوات الفرنسية بالجنوب، كان الضباط الذين وجهوا إليه الدعوة - لينتقل من مركز القيادة بيومالين دادس إلى جبهة العمليات بجبل صاغرو - كانوا يعتقدون أن الأمر قد انتهى بمجرد قبول عسو أبسلام لمبدأ التفاوض وأن حضور الجنرال سيكون شكلياً وشرفياً بحيث إنه سيتقبل الاستسلام ويحضر مراسم التبرغيب. إلا أن هؤلاء اندهشوا جميعاً وأصبحت فرانسهم بالارتعاش لما سمعوا عسو أبسلام يخاطبهم قبل وصول الجنرال هوري بدقائق بقوله :

"عليكم معشر الفرنسيين أن لا تعتقدوا أنني جئت هنا لكي أتعرض للإذلال والإهانة، إنني جئت موقفاً من طرف إخواني المقاومين، لأبحث معكم شروط تحقيق السلم بدون هزيمة وإلا فأنتم هنا ونحن لم ننزل بعد من الجبل ولم نضع السلاح بعد..."

أمام تصريح عسو أبسلام هذا وقف الضباط مشدوهين خاصة وأنهم تورطوا في إيهام القائد الأعلى بأن الأمر انتهى - فالتفت جميع هؤلاء إلى جهتي ففهمت قصتهم : إنهم يبحثون عن وسيلة للخروج من الورطة، وما هي إلا هنيهة حتى وصل الجنرال هوري بالطائرة. وبدأ في إلقاء خطابه أمام عسو أبسلام وهو خطاب مشحون بالوعيد والتهديد وكان من جملة ما قاله لقائد أيت عطا : "إن

المخزن قوي جداً وقادر على سحقكم مثل الذباب" وأرقت كلامه بحركة رجله يدك بها الأرض.

ولما جاء دوري للترجمة حاولت تقليد حركة رجل الجنرال هوري إلا أنني حرفت من ترجمة الخطاب قليلاً فقلت لعسو أبسلام :

"إن المخزن متسامح ويقبل التفاوض معكم لإنهاء الحرب" وعندئذ انشروحت ملامح "عسو أبسلام" وبدأت المفاوضات، وأدرك زملائي الضباط الدور الذي قمت به لإنهاء جحيم الحرب التي ذهبت بكثير من رفاق هؤلاء الضباط".

بعد نهاية العمليات العسكرية سنة 1934. دشّن أحمد ابن المدني ابن حيون حياة جديدة، إذ أصبح من رجال السلطة في منطقة سوس حيث عين قائداً على قبيلة أيت صواب بالجنوب. وفي غيره من المراكز إلى أن عين باشا على أكادير سنة 1953 وأصبح أحمد ابن حيون إبان الأزمة السياسية من قواد الجنوب الملتفتين حول باشا مراكش التهامي الأكلاري، كما أنه كان أداة لتطبيق سياسة الإقامة العامة بأكادير منذ عهد الجنرال جوان إلى الاستقلال أي بين 1953 و1955. وعند قيام مجلس العرش يوم 15 أكتوبر 1955 أي بعد إبعاد ابن عرفة إلى طنجة نودي على باشا أكادير لينضم إلى المجلس الموسع. وكان هذا المجلس يضم عند تأسيسه وتنصيبه يوم 17 أكتوبر 1955 : الحاج محمد المقرري ومبارك البكاي والحاج محمد الصبيحي والظاهر وعسو، وقرر المجلس بالإجماع يوم 19 أكتوبر تكليف الفاطمي ابن سليمان بتأليف الحكومة وذلك بإيعاز من المقيم العام "بوايي دولاطور" Boyier De Latour وعندئذ خرج أحمد بن المدني ابن حيون بموقف على اثر انعقاد هذا المجلس يوم 26 أكتوبر ووزع التصريح الآتي على الصحافة :

"أصرح أنني لا أعترف في أي حال من الأحوال بالمؤامرات التي تحاك وتدبر حالياً في القصر. إنني أرفض الحلول التي تسعى إلى تجريد المغرب من سلطانه الشرعي، وبالتالي فإنني أطلب برجوع جلالة الملك محمد بن يوسف إلى عرش أسلافه بدون أي قيد أو شرط".

وهكذا نلاحظ أن التغيير الذي طرأ على موقف أحمد ابن حيون - شأنه شأن كثير من القواد - أملت عليه المستجدات بعدما رأى الشعب المغربي برمته يسير نحو الاستقلال فالتفت بدوره إلى تلك الجهة جهة الحرية والاستقلال وعودة السلطان محمد بن يوسف. وقد غادر المغرب في دجنبر 1955 واستأنف عمله بالجيش الفرنسي إلى أن بلغ رتبة عقيد تم تقاعد سنة 1960. وقد أدركته المنية سنة 1992. وترك مؤلفاً يدافع فيه عن مواقفه سماه "مهم بالإخلاص". وقد كان أحمد بن المدني ابن حيون من ألمع الضباط الذين عملوا مع فرنسا خلال الحماية. توفي سنة 1413 / 1992.

ق. الزهيري، محمد الخامس الملك البطل، الرباط، 1984 : ع.  
بوراس، مجموعة من رسائل أحمد بن المدني ابن حيون.  
C. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*. Paris, 1978, p. 446 ; *Bulletin de la Koumia*, N° 125 juillet 1992, pp. 24 - 26 ; N° 127 décembre 1992, pp. 39 - 40.  
عبد القادر بوراس

يقول ليس ذلك الحق وليس ذلك الشرع" ( الرحلة، 56 )  
وحتى يتخلص من التزاماته مع القبيلة عامة والشيخ القوي  
محمد البشري بصفة خاصة، قرر أن يرحل إلى المشرق لأداء  
فريضة الحج وفي نيته المجاورة بالأزهر الشريف لإتمام  
دراسته العلمية.

غادر الحَيُوني بلاد درعة في حدود عام 1260 / 1844  
ولم يدون أخبار رحلته إلا بعد مضي ثلاث سنوات وقضائه  
مدة طويلة بالقاهرة تمكن خلالها من التمرس باللهجة  
المصرية، وما يؤكد ما ذهبنا إليه، أن الرحلة تحتوي على  
ألفاظ من اللهجة المصرية مثل الشَيَال والشليبي والمطرح  
والعربية وغيرها. وتبلغ عدد صفحات الرحلة حوالي ستين  
صفحة من الحجم المتوسط. وتتكون من مقدمة وسبعة أبواب  
وحوالي ثلاثة عشر فصلا كلها مخصصة للحديث عن السفر  
في البحر وبلاد المشرق العربي باستثناء المقدمة التي لخص  
فيها أخبار سفره من أكتاوة إلى مدينة أسفي عن طريق  
مراكش.

ومن الملاحظ أن رحلة الفقيه الحَيُوني تختلف عن باقي  
الرحلات الحجية التي أنجزها علماء زاوية تامكروت من  
الناصريين وغيرهم، بحيث لم يقلد أحدا في عمله ولم ينقل  
عن غيره، وإنما يصف ما شاهده بعينه وما طرق سمعه،  
قاصداً بذلك إعلام الشيخ محمد البشري "ببعض الغرائب  
والعجائب التي قصر عليها ذهنه من أجل عدم الوصول إلى  
أماكنها" ( الرحلة، 1 ).

ورغم أننا حاولنا العثور على أخبار الفقيه الحَيُوني  
بمنطقة أكتاوة فلم نتمكن من الحصول إلا على معلومات  
تفيد بأنه فقيه محصل وأنه قرأ في مصر وحج لا غير. ولم  
يفدنا أحد بتاريخ عودته من مصر ولا تاريخ وفاته.

ونقدر أنه مات في حدود عام 1280 / 1863.  
م. الحَيُوني نفسه، الرحلة، مخطوط : وثائق محلية : وتحريرات  
ميدانية.

أحمد البوزيدي

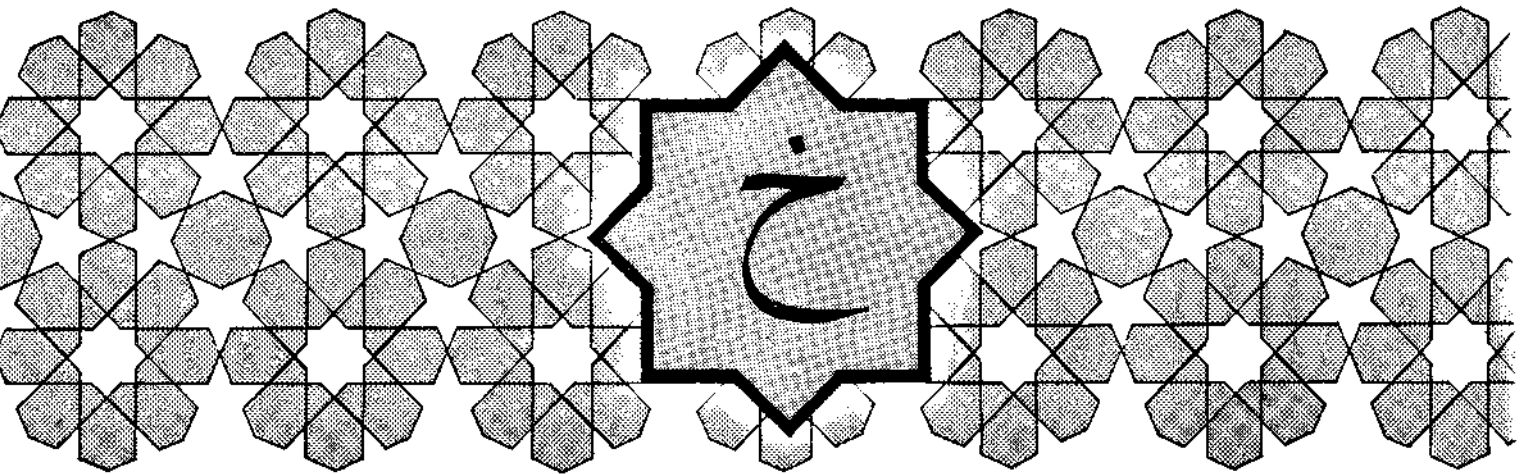
ابن حَيُون، الغالي بن محمد الفاسي، وصفه ابن  
سودة في إتحاف المطالع "بالفقيه العلامة المدرس المطلع" وقد  
تتلذذ له وحضر دروسه بجامعة القرويين وخصص له ترجمة  
مطولة في فهرسه سل الاتصال لكن هذه الترجمة مما سقط  
وضاع من هذا الكتاب.

توفي بفاس عام 1354 / 1935.  
ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 8 : 3045.

ابن حَيُون، محمد بن المدني الفاسي، انقرد بترجمته  
- فيما أعلم - إدريس بن الماحي الإدريسي في وفياته، وقال  
عنه "كان خيراً ديناً ورعاً زاهداً معتكفاً على قراءة العلم...  
ومع إقلاله من الدنيا كان ذا همة عالية لم يطلب وظيفاً  
قط، إنما كان يتوب عن حصل له عذر من الأئمة والخطباء  
والوعاظ، وكان يتقوت من كدّ يمينه" إنه نموذج فريد في  
الفترة المعاصرة للعالم الزاهد المواظب على فعل الصالحات،  
المسارع في الخيرات، إلى أن لقي ربه راضياً مرضياً يوم  
الأحد 22 محرم عام 1361 / 8 فبراير 1942.  
إ. الإدريسي، وفيات بعض أهل القرن الثالث عشر والرابع عشر،  
مخطوط المؤلف، ص 23.

محمد حجي

الحَيُوني، محمد الحنفي بن أبي بكر الأكتاوي  
الدرعي، ولد في أوائل القرن الثالث عشر (19 م) وأخذ  
مبادئ القراءة والكتابة بمسجد بلدته على عادة بني قومه  
من سكان أكتاوة. ثم انتقل شمالاً إلى واحة فزواطة فالتحق  
بزاوية تامكروت الناصرية لأخذ العلم عن شيوخ الزاوية  
وعلمائها. ونستشف من بعض الإشارات في رحلته الحجية،  
أن الفقيه الحَيُوني بعد أخذه لحظ من العلم بتامكروت عاد  
إلى مسقط رأسه بقصر بني حَيُون، فأسندت له قبيلة  
القصر إمامة المسجد وهي المهمة التي تجعل منه بطريقة  
مباشرة عدلاً نكتب رسوم معاملات القبيلة في بيعها  
وشرائها وحكماً شرعياً يفصل في قضاياها. وقد سمحت  
له هذه المهمة في وسطه القبلي بربط صلات قوية مع شيخ  
قبيلة قصر بني حَيُون في وقته محمد البشري. وبعد  
تجربة قصيرة في ممارسة الأحكام الشرعية، لم يكن الحَيُوني  
راضياً عن وضعيته، لأن بعض الناس من عامة القبيلة كان  
يعترض على أحكامه ويرفضها : "فإن قلنا له الحق كذا،





وجلودهم وغيرها، ويطلبون تلوينها بصباغة محددة تكون إما لونا رئيسيا أو متفرعا عنه يذكرونه لهم بالاسم. فمنهم من يطلب اللون الكبريتي الذي يشبه الكبريت ومن يطلب الرنجي الذي يشبه لون الرنج أو الأترج، وقد يطلب بعض الزبناء من الصباغ اللون القيقلاوي نسبة إلى لون شجرة القيقلان المعروف بالميموزا le mimosa أو القيصبي نسبة إلى لون القصب أو الخابوري نسبة إلى الخابور. وتعتبر كل الألوان المذكورة من فصيلة رئيسية واحدة هي الأصفر لكنها تختلف عن بعضها البعض زيادة أو نقصانا في كمية الصباغة ومدتها وطريقة مزجها وأسلوب إذكائها أو إخفائها. وهناك ألوان فرعية أخرى من غير ما ذكر مما ينتسب إلى مجال الأصفر نذكر منها القشري الذي يشبه لونه لون قشور الرمان والقيحي الذي يشبه لون القمح والتبني الذي يشبه صفرة لون التبن ثم الذهبي والمشماشي والكرعي والبناني والجنجلاني والزيواني وشمس العشي والقمرى وضوء الصباح والمحنية. وتشبه هذه الثلاثة الأخيرة ضوء القمر وضوء شروق الشمس في الصباح وصفرة لون الحناء.

ع. بنعيد الله، معجم الألوان، الرباط، 1969؛ جامعة الدول العربية، معجم الملابس، الرباط، 1975.

M. Kouadri et P. Ricard, *Procédés marocains de teintures des laines*, Rabat 1938 ; L. Gatineau, *Notes sur le montage d'une cure à indigo*, C.A.T.A.N., n° 5, 1959 ; Anonyme, *L'industrie du tannage des peaux au Tafilalet*, B.E.M., vol. 3, 1936 ; A. Barthelemy, *Tazra, tapis et bijoux de Ouarzazate*, Aix-en-Provence, 1990 ; A. Roy, *La laine*, Paris 1946 ; A. M. Goichon, *La vie féminine au Mزاب*, Paris 1927 ; H. Miner, *Le déclin des corporations de Fès*, B.E.S.M., vol. 3 n° 109, avril - juin 1968 ; L. Botte, *Au cœur du Maroc*, Paris, 1913, R.M.M., tome 58, 1924.

محمد بوسلام

**الخابوري (لون)** كانت صباغة الخشب والحديد والجلود والملابس والأردية والأقرشة والجدران وأبواب الأضرحة والمساجد والمنازل وغيرها في مغرب ما قبل الحماية وقبل انتشار الصباغة الحديثة طبيعية أهلية بلدية. وكانت هذه الصباغة تستمد من مصادر نباتية كالنيلة والحناء والزعفران، أو معدنية كالبارودية والطرطار، أو حيوانية كالفشينية أو القرمزية، وهي حشرة تعيش على الصبار أو شجر البلوط الأخضر.

وكانت الألوان الطبيعية المستخرجة من المصادر الثلاثة المذكورة هي الأزرق والأحمر والأصفر، وهي ألوان أساسية تتفرع عنها عدة ألوان ثانوية تختلف في نواعيتها باختلاف كمية الصباغة ومدتها. فعن الأزرق يتفرع النيلي والعلجي والفضي، وعن الأحمر الأرجواني ودم الغزال والوردي، وعن الأصفر الكبريتي والرنجي والقيصبي والخابوري وغيرها.

فاللون الخابوري يستمد اسمه من الخابور وهو نبات الوزال ذو اللون الأصفر الفاقع الذي يفرض نفسه بين الألوان، وهو ينتشر في المغرب والأندلس وينمو بكثرة في المرتفعات الشرقية لجبل سيراو والأطلس الكبير والصغير ويدعى أشفود بالأمازيغية.

وقد كانت للصبغين في مغرب القرن الماضي وماسبقه قدرة كبيرة على مزج الألوان والتحكم في مقادير المواد التي تتكون منها وتحديد المدة الكافية للحصول على كل لون، ولذلك يقول أهل الحرفة من الصباغين بأن "الناقص عيب والزائد عيب في الصباغة". ويؤدي كل إخلال بالمقادير ومدة الغليان أثناء الصباغة إلى تغيير اللون والانحراف عن قرعه المطلوب مما قد يلحق كبير الأضرار بسمعة الصباغ ويظعن في اتقانه للحرفة

وكان الزبناء يقصدون الصباغين بأرديتهم وأصوافهم

امبراطورية تاريخية مستقلة وغيورة على استقلالها وتمرده على كل نوع من أنواع الاستعباد. هذه البلاد كانت تبدو إلى السنوات الأخيرة في صورة دولة قائمة الأساس تشتمل على منظومة من الموظفين مُرتبين من أعلى إلى أسفل وعلى تمثيل في الخارج". ثم أضاف المارشال ليوطي موجهاً الكلام إلى مستمعيه قائلاً :

"فكروا أن العديد من الشخصيات المغربية مازالوا أحياء يُرزقون، وكانوا إلى ما قبل ست سنوات سفراء للمغرب المستقل في بيطرسبورغ ولندن وبرلين ومدريد وباريس، وكان بمعصيتهم سكرتيريون وملحقون حاصلون على حظ كبير من الثقافة العامة يتعاملون على قدم المساواة مع رجال الدول الأوربيين، ولهم وعي وإدراك للشؤون العامة".

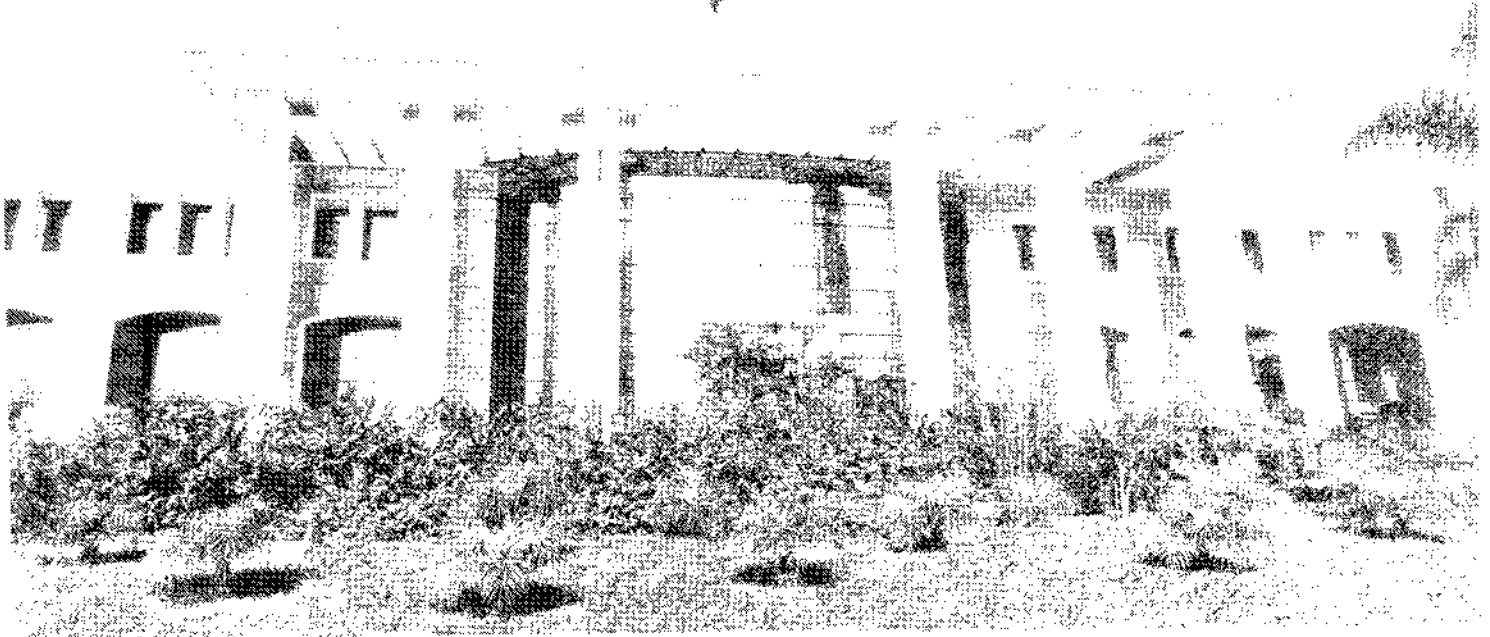
لنرجع في هذا الصدد إلى المعاهدات الأخيرة التي أبرمها المغرب المستقل في القرنين التاسع عشر والقرن العشرين، أهمها : المعاهدة الفرنسية - المغربية سنة 1845 بعد احتلال فرنسا للجزائر ومعركة إسلي، ومعاهدة الصلح الإسبانية - المغربية سنة 1860 بعد هجوم إسبانيا على تطوان واندحار الجيش المغربي، ومؤتمر مدريد سنة 1880، وهو أول مؤتمر دولي حول القضية المغربية. تلاه مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 الذي يُعدّ المؤتمر الدولي الثاني الذي انعقد لتسوية المشاكل الناتجة عن الاتفاقات السرية التي أبرمتها فرنسا مع الدول الاستعمارية الأخرى التي كانت تشهراً لأخذ نصيبها من تقسيم المغرب. كلما عدنا إلى الوراء إلا ونجد علاقات المغرب مع

الخارجية (وزارة الشؤون الخارجية والتعاون) بعد حصول المغرب على الاستقلال قبل أربع وأربعين سنة اتبعث من جديد وزارة الشؤون الخارجية المغربية في 26 أبريل 1956 بمقتضى ظهير (قانون تشريعي) صدر في 13 أكتوبر من نفس السنة نص على إحداثها وتنظيم الخطوط العريضة لها. لقد سبق أن عُيِّنت معاهدة الحماية التي أبرمت بين فرنسا والمغرب هذه الوزارة فيما غيبته من الوزارات المغربية في سياق انتهاجها لسياسة الحكم المباشر، وذلك بموجب الفصل الخامس من هذه المعاهدة الذي نص على ما يلي :

"سيمثل الحكومة الفرنسية لدى الجلالة الشريفة مندوب مقيم عام بيده جميع سلطات الجمهورية بالمغرب وهو الذي يسهر على تنفيذ هذه المعاهدة. وسيكون المندوب المقيم العام الوسيط الوحيد للسultan لدى المثليين الأجنبي وفيما يجريه هؤلاء المثليون من علاقات مع الحكومة، وسيكلف على الأخص بجميع المسائل التي تهم الأجنبي في الإمبراطورية الشريفة. وستكون له سلطة المصادقة والإذن بالنشر باسم الحكومة الفرنسية لجميع المراسيم التي تصدرها الجلالة الشريفة".

وهكذا ألغت معاهدة الحماية وزارة الشؤون الخارجية المغربية التي استمرت قرناً عبر الدول التي تعاقبت على الحكم في المغرب، وكانت نشيطة بالأخص في عهد الدولة العلوية حتى يوم فرض الحماية. ويكفي دليلاً على ذلك ما كتبه وصرح به مراراً أول مقيم عام فرنسي بالمغرب المارشال ليوطي. لقد ذكر في محاضرة ألقاها بمدينة ليون سنة 1916: "بجرد مجيئنا إلى المغرب وجدنا أنفسنا في مواجهة

## المملكة المغربية



وزارة الشؤون الخارجية والتعاون



طرابلس الغرب شرقاً وحدود السنغال جنوباً والأندلس شمالاً. بيد أن المغرب أصبح في نهاية القرن الخامس عشر مهدهاً من لادن إسبانيا بعد احتلالها غرناطة في 1492 والزحف على ما تبقى من الفتح العربي في الأندلس، والتوسع العثماني في تونس والجزائر. فأصبحت مهمة الدبلوماسية المغربية تنحصر في الدفاع عن ثغوره في الشمال والشرق. باستثناء الفوز العظيم الذي حققه المغرب في واد المخازن مما أكسب الدبلوماسية المغربية سمعة كبيرة، وجعل المغرب يزحف على دولة مالي ويحتل تنبكتو في 1591. لكنه ارتكس منذ ذلك الحين. وإذا كانت الدبلوماسية المغربية عرفت بعض الهدوء في القرنين السابع عشر والثامن عشر بسبب اشتغال الدول المسيحية بنزاعاتها المسلحة، إلا أنها نشطت في عهد الأوائل من سلاطين الدولة العلوية.



أهم المعاهدات التي أبرمها المغرب خلال هذه الفترة كانت تتعلق بالقرصنة البحرية في كل من المحيط الأطلسي والبحر المتوسط، وبالتنميشل الدبلوماسي واستقرار الأجانب في المغرب، وفك الأسرى، وبالاتفاقيات التجارية. ولاتحة الدول التي أبرم معها المغرب معاهدات في هذه الأغراض طويلة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر فرنسا، إسبانيا، البرتغال، إنجلترا الدافاراك، الولايات المتحدة، هولندا، إيطاليا، السويد. وتعرض استقلال المغرب ووحدته إلى امتحان رهيب ابتداء من القرن التاسع عشر الذي شهد نهضة أوروبا وإبرام اتفاقتي فيينا سنة 1815 وايسكس - لا شيبيل سنة 1818 وانحسار المد العثماني. لكن أعظم الخطر جاء إلى المغرب من احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830 وتحركات إسبانيا والبرتغال، فكان عليه أن يدافع عن كيانه في واجهتين. وأصبح على الدبلوماسية المغربية أن تبذل مزيداً من الجهود في هذا السبيل. فكانت معاهدات إسلي وتطوان والجزيرة الخضراء التي أشرنا إليها. ووقفت

الخارج ضاربة في القدم منذ عهد الأدارسة إلى دولة العلويين، من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب مع الدول المعروفة أو التي نشأت فيما بعد. ومكتنبات الدول الأوربية على اختلاف أنواعها ومواقعها، ودول الجوار في البحر المتوسط، والدول الإسلامية والإفريقية والعالم الجديد، كل هذه المكتنبات مليئة بالوثائق وأخبار الدبلوماسيين - مغاربة وأجانب - ويمذكراتهم.

وإذا كانت علاقات المغرب وبعثاته الدبلوماسية إلى الخارج واستقباله للوفود الأجنبية ترجع إلى أقدم العصور، فقد نشطت الدبلوماسية المغربية بالخصوص في عهد الدولة العلوية كما تقدم، وبالأخص في عهد المولى إسماعيل الذي امتد حكمه من الربع الأخير في القرن السابع عشر إلى الربع الأول من القرن الثامن عشر الميلادي. والشأن في الجهاز الخارجي لكل دولة أن يكون تابعاً لرئيس الدولة. وكذلك كان الحال بالنسبة للمغرب. كان يُطلق اسم "وزارة البحر" على هذا الجهاز من عهد السعديين إشارة إلى أن هذه الوزارة تعنى بشؤون ما وراء البحار من "عقد المعاهدات والاستصدار والاستيراد وفض المشاكل التي تعرض في بعض الظروف. وظل اسم "وزارة البحر" متداولاً إلى منتصف القرن التاسع عشر حيث بدل باسم "وزارة الأمور البريانية" وهو مصطلح عربي سليم أكثر دلالة من سابقه. وكان أول من تولى الشؤون الخارجية في عهد المولى إسماعيل القائد عبد الله ابن عائشة. وتوالى بعده عشرات الوزراء والبعوث والسفراء في شتى مهام الدولة على عهود خلف المولى إسماعيل من السلاطين، نذكر منهم بوجه خاص المولى عبد الله والمولى محمد بن عبد الله والمولى هشام والمولى يزيد والمولى سليمان والمولى عبد الرحمن والمولى محمد بن عبد الرحمن والمولى الحسن والمولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ.

كان التمثيل الأجنبي، خاصة تمثيل الدول الغربية، على شكل قنصليات، فكان القناصل يستقرون تارة بالرباط وأخرى بسلا أو أسفي أو الصويرة وتطوان الخ .. لتتبع ما جريات الأمور عن كتب. ثم بعد ذلك أصدر السلطان محمد بن عبد الله قراراً بنقل مركز الدبلوماسية إلى طنجة الذي أصبح يُعرف بدار النيابة فيما بعد. وقيمت كذلك إلى عهد الحماية حيث أصبحت منطقة دولية.

المهام الكبرى التي أسندت إلى "وزارة البحرية" ثم إلى "وزارة الأمور البريانية" كانت تتلخص في المحافظة على استقلال المغرب، والسعي لسالمة دول الجوار وربط علاقات الود والصداقة مع جميع الأقطار والارتباط معها بمعاهدات وموائيق تجارية. كما عهد إليها بفداء الأسرى المسلمين والتفاوض في شروط فداء الأسرى الأوروبيين، أخذت أعمال الدبلوماسية المغربية تتنامى ابتداءً من القرن الحادي عشر الميلادي، فبلغت أوجها في القرن الثالث عشر في عهد الدولتين المرابطية والموحدة حيث امتدت رقعة المغرب إلى

جاء في المسند الصحيح : "استأذني متولي الأشغال يوماً وأنا بالدار البيضاء في أن يدخل من المال المودع ما شد على العادة في المال إذا اجتمع في المودع البراني .. (المسند، ص 309) وأضاف صاحب المسند في ص 310 قال : فأذنت لهم فأدخل المال وصب في خرائط حتى يجتمع للشد..."

ويفهم من نص ابن مرزوق في جهة أخرى من الصفحة ومن نصوص وإشارات أخرى أن الخرائط كانت تضم نفوداً دنائير معدودة ومختوم عليها وغالباً ما كانت الخريطة تختم على 1000 دينار :

"قال : والكتاب بين يدي فلمحت هذا الشخص قد مد أطناب غفارته أو برنسه على خريطة منها وفي كل خريطة ألف دينار ذهب (المسند، 310) وجاءت الإشارة في التشوف، ص 77 إلى "خريطة فيها 1000 دينار". وفي كتاب المعجب، 371 : "وجدت خرائط كثيرة مما كان يرفع إلى أمير المؤمنين أبي يعقوب بختها..."

في هذه النصوص القصيرة وفي غيرها - مما لا يسعنا ادراجها هنا - إشارة إلى أن أموال المخزن ومستحقاته النقدية كانت تصل إما معدودة ومختومة في خرائط وإما في صناديق وأكياس، وعندما ما يراد استعمالها تصب في خرائط وتوزع أو تخزن (تاريخ الدولتين، 14).

فما هي الخرائط وما هي دلالة الاسم ؟ يبدو من تلك النصوص والإشارات أن الخرائط كانت تصنع من الجلد وتحديداً من جلود الضأن (المسند، 310) ومنها الكبير والصغير. فالكبير هو ما ورد في النصوص أعلاه أما الخريطة الصغير فهو الذي يستعمله الشخص في حياته اليومية وهو شبيه بالصرة تحزم على النقود ويتم توزيعها بحسب الاستحقاق والظروف فيأخذ المستحق النقود معدودة بخرائطها، ومنها الساذج الذي يشبه الصرة من الجلد أو هي نفسها. أما الخريطة ففيه صناعة من فصالة وخياطة ؛ ولعل اسمه أت من شكله المخروطي أو من فعل الحط المرادف للجرد والحساب ؛ ويقابله في اللغة الفرنسية La Bourse.

الزركشي، تاريخ الدولتين، تونس، 1289 : ع. الواحد المراكشي، المعجب في ذكر بلاد المغرب، الدار البيضاء، 1978 ؛ ابن مرزوق التلساني، المسند الصحيح، الجزائر، 1981 ؛ ابن الزيات التادلي، التشوف إلى رجال النصوص، الرباط، 1958 و 1984.

La Rourse : Dictionnaire.

محمد حجاج الطويل

الخاضير بن عبد العزيز، مقاوم وكُد سنة 1929 بدوار ازركتا ملحقه اجدير دائرة أكنول بإقليم تازة من أبويه : عبد العزيز بن محمد، وزهرة بنت علال، تشيع بالروح الوطنية منذ نشأته الأولى، ولما قام المستعمر بنفي عاهل

الدبلوماسية المغربية منذ ذلك الحين موقف الدفاع. وكانت فرنسا تتآمر سراً لعزل المغرب، فأبرمت معاهدات بهذا الصدد مع إيطاليا في 1902، وأنجلترا في 1904 وإسبانيا في 1904 وألمانيا أخيراً في 1911. تنازلت بمقتضاها عن امتيازات لهذه الدول مقابل إطلاق يدها في المغرب. وهكذا تمت عزلة المغرب، بينما مهدت فرنسا كذلك لمعاهدة الحماية في 30 مارس 1912، بإحداث قلاقل وتسليح عملاء لتقويض سيادة الدولة المغربية في الوقت الذي كانت الدبلوماسية المغربية تبذل قصاراها في التفاوض ورد العدوان كما قال المؤرخ Chauvel في كتابه *Les Notions d'état et de nationalité au Maroc* : "تاريخ دبلوماسية المغرب يشهد بأن سيادة السلاطين أثبتت منذ زمن طويل وفي كثير من المناسبات عن حيوتها في الحقل الدولي".

وقد حفظ التاريخ أسماء بعض الذين تولوا "وزارة البحر أو الأمور البرانية" أمثال ابن عائشة ومحمد ابن حمو ومحمد الخطيب ومحمد برغاش ومحمد الطريس ومحمد الفضل غرُيط، وعبد السلام التازي ومحمد بن عبد الكريم بن سليمان والحاج محمد المقرئ. إلى جانب سفراء وموفدي السلاطين إلى الخارج ممن يطول عرض أسمائهم.

لقد ألغت الحماية الفرنسية "وزارة الأمور البرانية" المغربية بموجب معاهدة 30 مارس 1912 كما ذكرنا. وبقيت هذه غائبة مدة أربع وأربعين سنة إلى أن أعاد انبعاثها جلالة الملك محمد الخامس تحت اسم وزارة الخارجية والتعاون عند تأليف الحكومة الثانية بعد الاستقلال برئاسة السيد مبارك البكاري سنة 1956 وأسند مهامها إلى الحاج أحمد بلاقرج الأمين العام لحزب الاستقلال إذ ذلك. منذ ذلك الحين إلى اليوم توالت على المغرب ثلاث وعشرون حكومة. بينما تعاقب على وزارة الشؤون الخارجية والتعاون ثلاثة عشر وزيراً آخرهم محمد بنعيسى ونجد عشرة كتاب دولة. والجدير بالذكر أن وزارة الخارجية تشتمل بالإضافة إلى الوزير المذكور على ثلاثة كتاب دولة. وتذكيراً بمهام الوزارة وتفرعاتها يمكن الرجوع إلى الفصل المتعلق بالدبلوماسية الذي حررناه في معلمة المغرب.

ع. ابن زيدان، الإنحاف ؛ ع. الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، الصديق بن العربي، كتاب المغرب : قاسم الزهيري، مذكرة عن الدبلوماسية المغربية (أرشيف وزارة الخارجية).

*Le Maroc avant le Protectorat, sous le Protectorat, faillite du Protectorat ; Chauvet, Notions d'état et de souveraineté au Maroc.*

قاسم الزهيري

خارطة، أو خارطة، يجمع على خرايط ؛ وعاءٌ من جلد لجمع النقود، توضع فيه بعد عدها، فتكون خرائط بألف دينار مثلاً، أو توضع فيها دون عدّ حتى يسهل نقلها وتوزيعها.

تحضنها الأم 11-15 يوماً ولا تغادر الصغار العش إلا بعد أسبوعين.

خاطف الذباب الرمادي أو المخطط *Muscicapa striata* له ريش بُني ورمادي، صدره مخطط بريش بُني داكن. المنقار والأرجل سوداء. الإناث شبيهة بالذكور. يتوالد مرتين في السنة ما بين مايو ويونيو، وتضع الأنثى في عشها 2-7 بيضات زرقاء مخضرة يبلغ قطرها 14 + 18.5 ملم. يحضنها الأبوان بالتناوب وأحياناً من طرف الأنثى فقط مدة أسبوعين وتبقى الصغار في العش 13-16 يوماً.

يعيش خاطف الذباب منعزلاً في أغلب الأحيان ومزدوجاً خلال فترة التوالد، وكثيراً ما يحدد مكان عيشه الذي يناهز الهكتار الواحد من المساحة. يتعرض لكل طائر من نفس فصيلته ويبعده. يشتد حذره عند التوالد ويكثر تستره وفي الأوقات الأخرى يقترب من المدن والمنازل والحدايق للبحث عن الذباب.

أمين العلوف، معجم الحيوان، مطبعة القاهرة، 1934.

H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, London, 1984, p. 240 - 241 ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussains d'Europe en couleurs*, Paris, 1978, p. 262 - 263.

محمد رمضاني

**الخالدي**، أسرة فاسية. هم فرقتان، فرقة من معسكر ينتمون إلى الشرف من بني عامر ومنهم القاضي خليل الخالدي. والفرقة الثانية من قبيلة غمارة أهل معاش وحرفة وطلب، منهم الفقيه عمرو بن الحسين القمري الخالدي وهذه الفرقة من أقدم بيوت فاس لها جنان بالمرج ينسب إليها إلى الآن.

وهناك أسرة تطوانية تنسب إلى قبيلة بني خالد إحدى قبائل غمارة التسع، تقع شرق شفشاون واسم عائلة ينتسب بعض أفرادها للشرف، انقرضت الآن من تطوان. وان كان المنتسبون للقبيلة موجودين بها بطبيعة الحال.

ورد ذكرها في الوثائق منذ القرن الثاني عشر الهجري، ويرز من رجالها :

**الخالدي**، أحمد الحراز حرفة، جهينة النوادر والأنساب والأخبار. كان بتطوان أوائل القرن الرابع عشر، وتوفي من غير عقب.

م. داود، عائلات تطوان (حرف الحاء) أ. الرهوني، عملة الراوين، ج : 3 (حرف الحاء) : ع. ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون، 1 : 175.

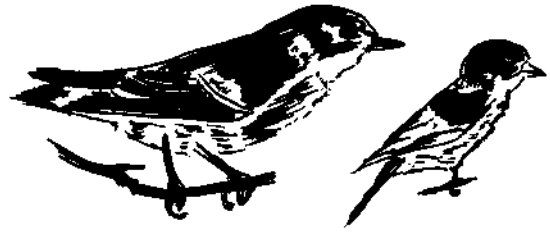
محمد بوخيرة

-3659-

البلاد محمد الخامس دفعته الغيرة الوطنية إلى الدفاع عن مقدسات البلاد والانخراط في صفوف جيش التحرير غداة تأسيسه بالمنطقة الشمالية بجبال الريف، حيث عمل ضمن الفرقة التي كان يرأسها حسن الزكريتي، وقد شارك في عدة هجمات أبان فيها عن قدرة هائلة في النضال والجهاد إذ كان مثالا للرجل المجاهد المخلص وواصل نضاله البطولي بكل شجاعة وإخلاص إلى أن استشهد رحمه الله في هجوم قنطرة أجدير يوم 3 أكتوبر 1955.

الندوبية السامية لقدماء المقاومين، وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، 4 : 83.

**خاطف الذباب** أو مُلتهم الذباب، وخطاف الذباب ولقاف الذباب كما ينطق به في المغرب، جنس طيور برية صغيرة القد من رتبة الجوائيم وفصيلة ملتهمات أو خاطفات الذباب Muscipidae مشرومات المناقير تسمى بالفرنسية Gobe-mouches وبالإنجليزية Flycatcher وبالاسبانية Papamoscas. من عاداتها ترقب الحشرات الصغيرة المجنحة والتهامها وهي طائفة.



خاطف الذباب

خاطف الذباب من الطيور القواطع يتوالد في شمال المغرب العربي وفي أوروبا ويشتهى في ضواحي إفريقيا الاستوائية الشمالية. منه نوعان يتوالدان في المغرب : خاطف الذباب الأسود وخاطف الذباب الرمادي أو المخطط. يتراوح طولهما ما بين 13-14 سم جمعا بين الرأس والذيل. تبلغ بسطة الجناحين 24 سم. ويتراوح وزنه ما بين 11-20 غرام.

يتميز خاطف الذباب الأسود *Ficedula hypoleuca* بمنقار وأرجل سوداء. ريشه أسود على رأسه وظهره وذيله وجناحيه، تتخلله بقع بيضاء على جبهته وجناحيه. الصدر والبطن أبيضان، والإناث لها ريش رمادي بني مخضر، يتوالد ما بين أبريل ويونيو، ويبني عشه عادة بين أغصان الأشجار وسط الغابات والأدغال والبساتين والحدايق وأحياناً بين شقوق الجدران والصخور. تلد الأنثى 3-8 بيضات زرقاء مصفرة منقطة بالبني والأحمر. يبلغ قطرها 13 + 18 ملم

**الخالدي، خليل بن صالح الحشمي الفاسي**، ترجم له تلميذه عبد الحفيظ الفاسي في مختصر العروة الوثقى وقال عنه : "قرأت عليه حظاً من العربية نحواً و صرفاً واشتقاقاً ولغة، وذلك أهم فنونه، ويتقنها ويحسن تدريسها". كما وصفه بذلك ابن زيدان في الإتحاف وقال : كان آية في صناعة التدريس وبالأخص ألفية ابن مالك، ذا تودة لا ينزحج ولا يتحرك حالة إلقائه الدروس، فصيح اللسان حلو العبارة، يحصل ما ألقاه في درسه تحصيلاً عجيماً. مجلسه بالقرويين حفيظ يحضره نجباء أعيان طلبة وقته".

تولى النيابة عن قاضي فاس بمقصورة القرويين الشيخ عبد الله ابن خضراء، ثم أسند إليه قضاء مكناس وزرهون، وصدرت منه أثناء ذلك "نوادير عجيبة" تدل على أنه لا يحسن الفقه وقواعد الأحكام، وقد فصل ابن زيدان القول في هذه "النوادير" تفصيلاً استنكره ابن سودة في إتحاف المطالع. والخلاصة أن المترجم كان لغوياً نحوياً ولم يكن فقيهاً، وقد ظلم نفسه بقبوله تولى خطة القضاء، والكمال لله.

له رحلة تباشير الفرح، وهي منظومة في وصف انتقال الحسن الأول من فاس إلى مراكش عبر تادلا : ومقامة الفيل الذي أهدي إلى نفس السلطان.

توفي بفاس صبيحة يوم الاثنين تاسع عشر قعدة عام 1326 / 14 دجنبر 1908 ودفن قرب ضريح أبي بكر ابن العربي خارج باب الشريعة (باب محروق).

ع. الرحمان ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، الرباط، 1931، ج 3 : ع. الحفيظ الفاسي، مختصر العروة الوثقى، سلا، 1938 : ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 8 : دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ط. 2، الدار البيضاء، 1960 و 2.

محمد حجي

**الخالدي، عبد السلام** وهو (يكتب الخلد بفتح الحاء وكسر الدال في الحالة المدنية) من أسرة عالمة شهيرة في سوس، ترجم محمد المختار السوسي لأربعة عشر عالماً منها وذكر مالهم من التأليف في مختلف العلوم المتداولة



وبخاصة في اللغة العربية والدراسات الإسلامية (المعسرول، ج 11، ص. 201) وقد كتب المترجم على بطاقته لدار الحديث الحسنية، كسب للدراسة : "بيئتي التي نشأت فيها حببت إلي الإسلام والدراسات الإسلامية".

ولد سنة 1946 بدوار تارگينين قبيلة إذا گاگمار عمالة تيزنيت، من والده محمد بن خالد بن الحاج إبراهيم، ونسبة الخالدي من اسم جده المتوفى عام 1343 / 1925.

تعلم القرآن ومبادئ العربية بالمدرسة العتيقة بقبيلته إذاوأعقيل ثم انتقل إلى معهد محمد الخامس بتارودانت حيث أنهى دراسته الابتدائية والثانوية في حدود سنة 1968.

انخرط في سلك التعليم معلماً بأكادير ونتيجة ما يتمتع به من طموح علمي كأجداده لم يتوقف عن الدراسة والتدريس، فاندفع في اتجاه التدريس وارتقى إلى الأستاذية، ثم تولى الحراسة العامة. كما اندفع في الاتجاه الدراسي، فبعد الحصول على الباكلويار وهو يزال التدريس استطاع الحصول على شهادة الإجازة في كلية اللغة العربية بمراكش سنة 1980 ثم التحق بدار الحديث الحسنية بالرباط شعبة علوم القرآن والحديث وأنهى الدراسات العليا منها سنة 1984 وفي نفس الوقت التحق بمركز تكوين المفتشين بالرباط وتخرج منه في قسم التربية الإسلامية سنة 1987. ونظراً لما تكون لديه من التمكن في علوم اللغة وآدابها وفي التوسع في الدراسات الإسلامية، بفضل المؤسسات التي تخرج منها ويفضل شيوخه الكبار.

اعتمد المترجم على خزانة والده وأجداده التي تزخر بنوادير المخطوطات وتشيع بعلمومها، فقد اتجه في انتاجه العلمي صوب تحقيق التراث، وأنجز بهمة عالية تحقيق مخطوط تربوي تعليمي هو تمام النصيحة في إرشاد الطلبة، من تأليف إيبورك بن عبد الله السملالي المتوفى سنة 1058 وقدم عنه دراسة في دار الحديث الحسنية، كما قدم التحقيق في مركز تكوين المفتشين، وعرف ببعض المخطوطات مثل : رسالة في تحرير السكك المغربية في القرون الأخيرة، كما نشر بحثاً بعنوان : التعريف بكتاب تمام النصيحة بمجلة دار الحديث الحسنية عدد 9 سنة 1991 ص 399. 415، غير أنه لم يعمر طويلاً، وقد أدركته المنية سنة 1411 / 1990.

م. المختار السوسي، المعسرول، 1963، ج 11، ص 201 : ع. أفا، النقود العربية في القرن الثامن عشر، 1993، ص 20، ملف دار الحديث الحسنية الإداري، رواية شفوية عن عبد الله الدرقاوي. عمر أفا

**الخالدي، علي الغماري التطواني** الفقيه الصالح المتبرك به المنتطبيب، كان يسكن في الغالب مجشر (الملايين) القريب من تطوان من ريع (بني سالم) من قبيلة

الحوز. ويتردد على تطوان باستمرار، يقصده الناس للزيارة والتبرك بدعائه، وسؤاله عن الأدوية، فينتفعون بما يصف لهم.

قال المؤرخ أبو العباس الرهوني : حدثني الحاج أحمد الفاسي أنه حضر عائداً عند السيد عبد الكريم أقشوشو (انقرضت هذه العائلة اليوم) وكان مريضاً جداً في غيبوبة فاقداً الوعي. فوجد عنده المترجم له وقد عمد إلى فرخي دجاج فذبحهما ووضعهما على قلبه وانباضه فأفاق المريض من حينه.

توفي المترجم له في طاعون عام 1271 ودفن بمتعبه بالملايين رحمه الله.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، (6 : 21)، مخطوط.

### الخالدي، المكي بن الحاج العربي التطواني الذي

كان ناظر أحباس الضعفاء والمساكين بتطوان سنة 1175 / 1761 وأحباس الولي الصالح السيد علي الخالدي.

م. داود، عائلات تطوان، (حرف الخاء) : الرهوني، عمدة الراوين، ج 3 (حرف الخاء)، مخطوط.

محمد بوخيزة

### خالص، أسرة سلاوية انتقلت إلى الرباط فاستوطنته،

وقد ذكرت في كتاب التشوف لرجال التصوف تارة بخالصة وأخرى بابن خالصة. لم تذكر في كتب التاريخ الحديث ضمن الأسر التي لعبت دوراً تاريخياً في مدينة الرباط بل لم يرد اسمها إلا في القرن الحالي كأسرة تجار اشتغل بعض أفرادها بتجارة السكر والشاي وخصوصاً الإخوة محمد وأحمد والتهامي. وقد تعاطى هؤلاء الفلاحة بعد أن ورثوا عمهم الذي لم يخلف ذرية وهو عز العربي الذي كان في العشرينيات من هذا القرن مشرفاً على ضريح مولاي المكي. وقد أضافوا النشاط الفلاحي إلى نشاطهم التجاري. عرف من بين الإخوة المذكورين : التهامي خالصة وأحمد خالصة.

م. الأمين بلكناوي، رواية شفوية في 30. 10. 1995.

عبد الإله الفاسي

### خانقوف (معركة -) اسم مكان في قبيلة أيت إخلف

الباعمرانية في الواد الذي يربط ما بين تاغراغرا شرقاً، ومدينة سيدي إفني غرباً، على بعد حوالي 18 كلم من مدينة سيدي إفني.

وكلمة خانقوف تعني الخائق بين الجبلين، وينطبق هذا الوصف على هذا المر الطبيعي الذي عمق فيه واد تيزيكي مجراه في الاتجاه نحو المحيط غرباً، وفي خانقوف يمر الطريق الوحيد الذي يربط ما بين مدينة سيدي إفني وباقي الشكنات الإسبانية في شرق البلاد، مثل تيفزا، وأملكو، وإيسك وبوتاتن، وتاموشا...

وقد تفتن الاسبان لأهمية خانقوف الاستراتيجية، فأنزّلوا فيه معمرأ ونوا فيه داراً عبارة عن حصن متين واستخرجوا فيه مياهها غزيرة وغرسوا فيه الموز والخضر والعلف، وشرعوا في تربية الماشية وإنتاج الحليب، وذلك كله بعد انتزاع الملكية العقارية من أهلها ببخس دراهم معدودة، وبحيل شتى، والهدف في الواقع هو التمكن من ذلك المر الطبيعي.

وفي سنة 1957 أثناء معركة تحرير أيت باعمران وفي الأسبوع الأول تقدمت القوة الإسبانية من مدينة سيدي إفني، ومن ثكنة باطايون بالذات لملك الحصار على أكبر ثكنة عسكرية بعد إفني وهي تيفزا، ومن حسن الحظ أن جيش التحرير الباعمراني، أسرع إلى احتلال دار خانقوف، وعدد المجاهدين دون العشرين ومع ذلك لم يستطيعوا احتلال ذلك الحصن (دار خانقوف) إلا بعد نفاذ العتاد الحربي لدى المعمر الوحيد الذي في الحصن، وقتل على يد البالكوكي مولاي المحفوظ.

وما كاد حصن خانقوف يقع في يد المجاهدين حتى قدمت القوة الإسبانية من مدينة سيدي إفني لاحتلال خانقوف فوقعت معركة بين الطرفين لعبت فيها الظروف الطبيعية دوراً هاماً لإيقاف الزحف الإسباني بعد أن تكبد خسائر في العتاد والأرواح. ويفصل معركة خانقوف هذه تمكن المجاهدون من الطريق الرئيسي، وضربوا حصاراً شاملاً على باقي الثكنات العسكرية في شرق البلاد إلى أن استسلمت كلها ماعدا تيفزا.

بحث ميداني، استجواب مع الضابط المشارك في نفس المعركة البالكوكي مولاي المحفوظ.

الحسين جهادي

### الخاوة، أسرة تطوانية أصلها من إحدى قبائل الهبط

ما زال بعض أفرادها بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 602.

محمد ابن عزوز حكيم

### خاوة (أولاد -) قبيلة عربية تقطن منطقة ملوية

الوسطى ما بين مدينة ميسور ومدينة القصابي على الضفة اليمنى لواد مليوية (وهي تابعة إدارياً لدائرة ميسور، عمالة إقليم بولمان). وحسب علمنا فإن أول من ذكر اسم هذه القبيلة هو الرحالة الفرنسي دوفوكو (V.C., De Foucauld, 1988) خلافاً لما ذكرته (جان شيش J. Chiche, 1984)، حيث ذكرت بأن قبيلة أولاد خاوة لم تكن معروفة بهذا الاسم قبل دخول الاستعمار.

هكذا نجد بأن دوفوكو هو الذي خلف لنا تفاصيل هامة

كالجزائر الشرقية (جزر مبورقة) سنة 631 / 1233 وبلنسية سنة 636 / 1238 ومرسية سنة 665 / 1266. وبسبب سياسته التوسعية في المناطق الشرقية من شبه الجزيرة الإيبيرية لقب بخايمي الفاتح أو الغازي، Jaime El Conquistador، وهذا اللقب يعكس كذلك طموحات خايمي إلى تحقيق هيمنة أراغون السياسية والتجارية والعسكرية على منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في مواجهة الحضور القوي في المنطقة للإيطاليين خاصة جنوة وبيزا والبندقية. لذلك اتجه ملك أراغون إلى الاهتمام ببلاد المغرب واللعب على التناقضات والصراعات التي بدأت تحدث بين مجموعة من القوى السياسية على إثر انهيار الامبراطورية الموحدة، وهي: بنو حفص بافريقية وبنو عبد الواد بالمغرب الأوسط وبنو مرين بالمغرب الأقصى.

وقد شكل المغرب الأقصى حجر الزاوية في هذا التوجه الجديد الخايمي الأول، والعامل الحاسم بالنسبة لمستقبل سياسته الخارجية، لهذا حاول ربط علاقات دبلوماسية منذ سنة 637 / 1239 مع سبتة العزفية التي كانت تابعة حينذاك لأبي زكرياء الحفصي، وتوجت يوم 4 فبراير 1269 بعقد معاهدة سلام ومهادنة بين ملك أراغون وصاحب سبتة العزفي، وهي المعاهدة الأولى من نوعها التي تعقدها مملكة أراغون مع قوة سياسية في المغرب الأقصى.

غير أن تغيير الأوضاع السياسية في المنطقة وبروز بني مرين كقوة سياسية أصبحت تسيطر على الجزء الأكبر من المغرب الأقصى خاصة بعد دخولها مراكش عاصمة الموحدين سنة 668 / 1269، الشيء الذي أرغم خايمي الأول على تغيير تحالفاته ومخططاته والسعي إلى ربط اتصالات منذ سنة 1273 مع الرجل القوي في المغرب وهو يعقوب بن عبد الحق المريني وذلك على حساب الخليف القديم العزفي.

لقد تزامنت هذه التحولات مع محاولات يعقوب المريني الرامية إلى إتمام سيطرته على كل مناطق المغرب الأقصى خاصة سبتة وسجلماسة المحطتان الاستراتيجيتان اللتان مازالتا خارج قبضة السلطان المريني. ولعل من أبرز الأحداث المغربية التي تقف عندها الوثائق والمصادر الإسبانية بالنسبة لهذه الفترة تتعلق بالارهاصات الأولى للعلاقات المرينية الأراغونية في عهد كل من السلطان أبي يوسف يعقوب والملك خايمي الأول، وكانت مدينة سبتة العنصر البارز في تحديد طبيعة ومستقبل هذه العلاقات.

فعند محاولة يعقوب إتمام سيطرته العسكرية على المناطق الشمالية الغربية، استولى على طنجة شهر ربيع الأول من سنة 672 / 1273 ويعث ولده وولي عهده يوسف إلى سبتة في جيش كثيف حيث وجد مقاومة عنيفة خاصة من الجهة البرية، أما الجهة البحرية فكانت تشكل المتنفس الذي قلل من خطورة الحصار المريني وساعد السبتيين على المقاومة والصدود. واعتبرت المصادر الإسبانية أن عدم توفر يعقوب على أسطول عسكري لحصار سبتة من البحر

عن هذه القبيلة: أصلها، عدد أفرادها، وغط عيشها. حيث يقول إن قبيلة أولاد خاوة كانت في الأصل متحدة ومندمجة مع قبيلة أولاد الحاج (إحدى أهم وأكبر القبائل بالمنطقة، ومقرها حاليا، الناحية الشرقية لمدينة أوطاط الحاج، دائرة أوطاط الحاج عمالة إقليم بولمان). ولأسباب سياسية انشقت عنها واتجهت غربا وشكلت حلفا مع قبيلة آيت أوفلا (ص : 243 De Foucauld) وعند تنصيب قائد القصابي خضعت لسيطرته، ودخلت في حظيرة السلطان، وأصبحت بلادها بلاد المخزن (ص : 282 De Foucauld) ويضيف قائلا بأن أغلبية سكان هذه القبيلة هم رعاة متنقلون. حيث إن منطقتهم رعوية بالدرجة الأولى، وذلك راجع لغنى سهو بها بالنباتات العشبية، حيث تتوفر على حوالي 25 صنفا من النباتات الخاصة بالمنطقة، وأطلق عليها (P. Y Bertrand, 1991) نباتات أولاد خاوة.

وقبيلة أولاد خاوة حاليا هي عبارة عن كونفدرالية تضم القبائل التالية: أولاد منصور، أولاد دحو، الكركرامة، الحشائلفا، الهمال، ويقدر عدد سكان هذه الكونفدرالية حسب إحصاء سنة 1982 بحوالي 3.000 نسمة.

إلا أنه ومع توالي سنوات الجفاف وخاصة في الثمانينيات، فإن النظام القبلي قد تصدع، ونمط الترحال قد تفكك وانقرض، وأتلفت القطعان (Tag Boutayeb, 1985)، مما دفع بأفراد القبيلة إلى الاستقرار الجيري أو القهري، حيث أصبحوا لاجئين إيكولوجيين، ونزحوا إلى مدينة ميسور واستقر معظمهم بالضاحية الشمالية الغربية للمدينة مشكلين حيا يدعى بدوار النخلة (محمد أزهار، 1993).

م. أزهار، الانسان والبيئة في الواحات السهبية الفاصلة، واحة ميسور نموذجاً (المغرب الشرقي)، أعمال ندوة، المجال والمجتمع بالواحات المغربية، سلسلة الندوات رقم 6، كلية الآداب والعلوم الانسانية - مكناس، ص. 134، 135، 1993.

C. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc (1883 - 1884)*, Paris (p. 243 - 282), 1988 ; J. Clüche, *Contribution à l'étude de l'élevage dans le Sud-Est marocain*, in actes du colloque international : *Intégration économique des provinces sahariennes et développement national*, Rabat le 9 - 10 juillet 1984, Casablanca, p. 157 - 158 ; P. Y. Bertrand, *Les noms des plantes au Maroc*, Rabat, 1991 ; B. Tag, *Les hauts plateaux du Maroc oriental : la destruction du nomadisme et ses conséquences*, *Revue de la Faculté des Lettres de Fès*, N. S. n° 1, département de géographie, p. 25, 1985.

محمد أزهار

### خايمي الأول، ملك أراغون تولى الملك بعد وفاة أبيه

حدثاً في سنة 1213، واستمر حكمه مدة طويلة حتى سنة 1276. تشير إليه المصادر العربية باسم جَايْمَسْنُ أو جَاقْمَصَة، أما المصادر الفرنسية فتنتعته باسم Jacques 1. دشن حكمه بالهجوم على الأندلس وتمكن في ظل ضعف المخزن الموحد من احتلال مجموعة من المدن الإسلامية

في هذا الصدد تفيد المصادر الإسبانية أن ملك أراغون استجاب فعلاً إلى طلب السلطان المريني وبعث قائده بيرى فيرنانديز دي هيجار Pere Fernández de Híjar في أسطول للهجوم على سبتة ومحاربة الأسطول العرزي وتضييق الخناق عليها فترة وجيزة لتستسلم بعدها ويسيطر عليها الجيش المريني. ويلاحظ أن أخبار هذا الهجوم الأراغوني لا وجود له إلا في بعض المصادر الإسبانية، في الوقت الذي تتفق فيه جميع المصادر المغربية على أن سبتة حاصرها يوسف ابن السلطان يعقوب أياما معدودة دفعت العرزي إلى الاستسلام ومصالحة بني مرين ومبايعة السلطان يعقوب مقابل خراج يؤديه كل سنة، وكان هذا الفتح كما هو معروف في سنة 672 / 1273 الشبيء الذي يؤكد أن تاريخ هذا الفتح وقع قبل تاريخ توقيع المعاهدة المذكورة بينما منطق الأحداث يفترض العكس أي توقيع المعاهدة قبل فتح سبتة.

ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972، ص. 312 مجهول، الذخيرة السنية، الرباط، 1972، ص. 137 - 139 - 140 : ع. الرحمن ابن خلدون، العبر، بيروت، ج 7 : ص. 385 - 388 - 389 ؛ ل. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تج. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1974، ج 2 : ص. 98 ؛ اللوحة البدرية في الدولة النصرية، بيروت، 1978، ص. 47 : ع. الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، المعمدية، 1988، ج 7 : ص. 121.

A. de Capmany y Monrpalau, *Memorias sobre la marina, comercio y artes de Barcelona*, Madrid, 1779 - 1792, t. 3, p. 200 ; t. 4, p. 7. . *Antiguos tratados de paces y alianzas entre algunos reyes de Aragon y diferentes principes infieles de Asia y Africa desde el siglo XIII hasta al XV*, Madrid, 1974, pp. 1 - 4 ; Mas - Latrue (L. de), *Traité de paix et de commerce concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au moyen âge*, Paris, 1866, pp. 285 - 286 ; *Relations et commerce de l'Afrique septentrionale avec les nations chrétiennes au Moyen âge*, Paris, 1886, pp. 255 - 256 ; Cubells (M.), *Documentos diplomaticos aragoneses*, in *Revue Hispanique*, Paris, t. 37, 1916, p. 142 ; M. Capdeferr, *Historia de Cataluña*, Barcelona, 1967, pp. 69 - 77 ; *Libre dels feyts* (Crónica de Don Jaime I), Barcelona, 1926, chapitre 81 et 92 ; F. Gazulla, *Jaime I y los estados musulmanes*, Barcelona, 1919, p. 24 ; Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et le maghrib aux 13e et 14e siècles*, Paris, 1966, pp. 157 - 168 ; *La question de Ceuta au 13e siècle*, in *Hesp.*, 1955, 1er et 2ème trimestre, t. XLII, pp. 73, 110 - 121 ; *Vers la méditerranée Orientale et l'Afrique*, in *X congrés de Historia de la corona de Aragon*, Zaragoza, 1976, pp. 7 - 23 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen âge*, Paris, 1986, pp. 13, 75 - 78, 83 ; A. Khaneboubi, *Les premiers sultans mérinides (1269 - 1331)*, Paris, 1987, pp. 56, 79, 161, 162 ; Ginénez Soler, *La Corona de Aragon y Granada*, in *Boletín de la real Academia de Buenas Letras de Barcelona*, 1905 - 1907, t. 3, p. 110 ; Salas (J. de), *Marina española de la edad media*, Madrid, 2e éd., 1925 - 1927, t. 1, p. 84 ; J. de Zurita, *Anales de la corona de Aragon*, Zaragoza, 1669, t. 1, pp. 205, 223.

رشيد السلامي

وتطويرها من الجهتين اضطره إلى طلب العون والمساعدة من ملك أراغون خايمي الأول، ومده بسفن حربية للقيام بهذا الحصار البحري. وقد اهتمت الوثائق والمصادر الإسبانية بهذه القضية واعتبرت أن المساعدة العسكرية الأراغونية كانت حاسمة في استيلاء بني مرين على مدينة سبتة. والوثيقة التي اعتمدها المؤرخون الإسبان في الخروج بهذه الاستنتاجات تدفع الباحث إلى طرح مجموعة من الملاحظات حول مدى صحة الوثيقة المذكورة وحقيقة المعلومات التاريخية الواردة فيها.

يستفاد من هذه الوثيقة / المعاهدة أنها وقعت وحررت بتاريخ 17 جمادى الأولى 673 / 18 نونبر 1274 وأن هذا التوقيع تم بحضور السلطان يعقوب شخصياً إلى برشلونة، وهذا أمر مشكوك في صحته ومستبعد إلى أبعد الحدود، فالمصادر المغربية والأندلسية لم تشر قط - لا من قريب ولا من بعيد - إلى وجود هذه المعاهدة ولا إلى وجود يعقوب ببرشلونة، بل حتى بعض الباحثين المهتمين بموضوع العلاقات الأراغونية المغربية شككوا في ذلك وأكدوا أنهم لم يعثروا في أرشيف أراغون على مثل هذه المعاهدة. في حين تبقى المصادر الوحيدة التي أشارت إليها هي : Salas : *Marina española... Antiguos tratados...* و Capmany : *Antiguos tratados...* و Mas - Latrue : *Traité de paix...* والإسبان وغيرهم فيما بعد.

كما ورد في ديباجة هذه المعاهدة تحلية السلطان يعقوب بـ "أمير المؤمنين سيد المغرب وفاس وسجلماسة وما يليها..."، في حين تؤكد المصادر المغربية أن سجلماسة التي اعتبرتها المعاهدة ضمن حكم السلطان يعقوب لم تكن كذلك، بل كانت، حسب تاريخ توقيعها خاضعة لسيطرة بني عبد الواد، وأنها لن تصبح تحت حكم بني مرين إلا بعد هذا التاريخ، أي في شهر صفر أو ربيع الأول - حسب اختلاف المصادر - من سنة 673 / شتنبر 1274 وقبل فتح يعقوب مدينة سبتة سنة 672 / 1273، فكيف يعقل أن يطلب السلطان مساعدة أراغون لحصار سبتة ويوقع معاهدة بذلك في تاريخ يتناقض مع تسلسل الأحداث التي تقدمها المصادر المغربية.

ومما جاء في المعاهدة كذلك أن يعقوب تقدم بطلب مساعدة عسكرية من خايمي الأول لحصار سبتة من البحر مقابل تعويضات مالية، وتمثل هذه المساعدات في منح السلطان خمسين سفينة حربية وخمسمائة فارس ونبيل، وقد خصص السلطان لذلك تعويضات مالية تقدر بمائة ألف بيزنطة فضية سبتية (عملة كانت رائجة في ذلك الوقت في البحر المتوسط وهي منسوبة إلى بيزانسيو - القسطنطينية) ومائة ألف كذلك لاعداد سفر الجيوش الأراغونية إضافة إلى أموال أخرى عندما تفتح المدينة. فهل كان يعقوب المريني - وهو في أوج قوته العسكرية - محتاجاً لطلب مثل هذه المساعدة من ملك أراغون والقبول بها لحصار مدينة لها موقع متميز في التجارة بين المغرب وأوروبا.

**خايي الثاني** (ملك أرغون) هو حفيد خايي الأول المعروف بالفاتح El conquistador الذي حكم أرغون معظم القرن السابع الهجري (13م)، وحاول المرينيون الاستعانة بقواته البحرية لإخضاع سبتة في أوائل السبعينيات. وبالنسبة لخايي الثاني (1291 / 690 . 1327 / 727) كانت هناك بعض العوامل في علاقته مع المرينيين، فبالإضافة إلى تزايد أهمية التجارة بين البلدين ظهرت من جديد قضية سبتة في مطلع القرن الثامن الهجري (14م)، حيث تمردت على السلطان المريني الثاني يوسف بن يعقوب، ثم سقطت بيد بني الأحمر النصريين ملوك غرناطة الذين أخذوا يشجعون على خلق الاضطراب في المغرب وتدعيم المنافسين لسلطانه المحاصر آنذاك لتلمسان حليفة غرناطة التقليدية - وهذا ما دفع السلطان يوسف إلى توجيه رسائل ومبعوثين من المنصورة (خارج تلمسان) إلى أرغون بحثا عن دعم بحري للتعجيل بفتح مراسي المغرب الأوسط التي لم تخضع له بعد، وكذلك لإخضاع سبتة، واستمرت الاتصالات حول سبتة في عهد خلفه أبي ثابت الذي وقع اتفاقا مع مبعوث ملك أرغون يتضمن امتيازات تجارية الهدف من ورائها أساسا بالنسبة للمرينيين الدعم البحري الأراغوني لتحرير سبتة إلى أن انتهى الأمر بعقد تحالف بين خايي الثاني والسلطان أبي الربيع سليمان الذي خلف أخاه على السلطة المرينية، وقع الاتفاق بفاس في صيف سنة 1309 / 709، غير أن المرينيين تمكنوا من إخضاع سبتة دون تدخل مباشر للبحرية الأراغونية باستثناء تخرقاتها في مياه المضيق.

وخلال العقد الثاني من القرن الثامن الهجري (14م) برز دور المرتزقة الكطلانيين (الأركونيين) في دعم السلطان أبي سعيد المريني (710 . 732) ضد مناوئيه. وخلال العقد الثالث أصبح خايي الثاني أكثر اهتماما بأمور سردينيا فبحث عن دعم لتنظيم حملة عسكرية إليها، فطلب من السلطان أبي سعيد سنة 1323 / 723 توجيه جماعة من المرتزقة الكطلان إليه مع قرض مالي لدعم الحملة التي ستتم سنة 1325 / 725 ولا يبدو أنه حصل على شيء مهم من ذلك ربما بسبب الظروف الداخلية بالمغرب سواء في الجنوب حيث وقع تمرد ابنه مرتين أو في سبتة التي كانت بين إظهار الطاعة والتمرد على السلطة المركزية، ولعل هذا ما جعل أرغون تحاول نفس المحاولة مع أمراء تلمسان الزيانيين دون نتيجة. وانشغلت أرغون بمشاكلها الداخلية بعد موت ملكها خايي الثاني سنة 1327.

أ. عزوي، *المغرب الإسلامي من خلال رسائله*، ق. 1 (ص. 80 وما بعدها)، ق. 2. الرسائل عدد 181، 182، 183، 190، 193 مكرر، 194، 221، 222، 233.

Mase, Latrie, *Traité de paix et de commerce...* p. 285, 297 - 300, 315, 318 ; Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux 13 et 14s.* 234, 355, 387, 395. أحمد عزوي

بنو الخبّار، أسرة بربرية كان لبعض أفرادها بفاس حظوة وجاء عند ملوك بني عبد المؤمن الأوائل والأواخر فعندما قامت ثورة بفاس ضد والي بني مرين عليها السعود بن خرباش الحشمي والدعوة إلى الموحدين، قام الأمير أبو بكر بن عبد الحق المريني بحصار المدينة سنة 648 / 1250 وتضييق الخناق على زعماء الثورة من الأشياخ والأشراف والرؤساء الذين اضطروا - في آخر المطاف، وبعد تأخر نجدة الخليفة المرتضى الموحدي - إلى الاستسلام وطلب الأمان من أبي بكر مقابل تعويض ما نهب من محلة بني مرين وهو ما يعادل مائة ألف مئقال. وأمام تسويق ومقامل هؤلاء الأشياخ في دفع التعويض اعتقلهم الأمير وطالبهم بالمال، فأشار عليه أحدهم وهو ابن الخبّار بإنزال العقوبة الشديدة على رؤوس الفتنة وتغريم الباقي، فحدد له ستة من الثوار وهم : الشيخ القاضي أبو عبد الرحمان المغيلي وولده، والشيخ المشرف ابن جشار وأخوه، وابن أبي طاطو وولده، فقتلوا جميعا خارج باب الشريعة ونهبت ديارهم وأموالهم. ولاين الخبّار هذا حفيد عاش في أيام السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، وكانت له قصة مشهورة مع صاحب العلامة وكتائب السلطان أبي القاسم محمد بن أبي مدين العثماني تتعلق ببيع الروض الكائن بداخل باب بني مسافر المعروف بجرواوة بفاس.

ابن أبي زرع، *القرطاس*. ص. 295، الرباط، 1972 ؛ ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، ص. 49، 50، الرباط، 1972.

رشيد السلامي

**الخبّار**، أسرة تطاونية من قبيلة أنجرة الواقعة بين مدينتي طنجة وسبتة ؛ وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 1607.

**الخبّار**، أسرة تطاونية أصلها من الأندلس وهي التي ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسمهم العائلي بالحروف اللاتينية هكذا - Cabeza - Cabeç - وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1180 / 1677 وإليها ينسب حي عين الخبّار الواقع بضواحي المدينة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 603.

محمد ابن عزوز حكيم



وتاريخية. مطبعة طنجة، 1994؛ محمد حجي، الحركة الفكرية؛ م. القادري، نشر الثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق.

الحسين البعاري

**الخُبَّازِي**، أو الخُبَّيْزَة والبُقُولَة باللهجة الدارجة، نبتة خضراء تؤكل طرية قبل تصلب عودها، وتؤكل مطبوخة بأشكال مختلفة وقد تستعمل مخلوطة بغيرها من الأعشاب التي تؤكل، وتستعمل كخضر مع الكسكس خاصة مع جريش الشعير (الدهيشة) (التشوف، 202)، وتنمو هذه النبتة الطبيعية بشكل عشوائي في المناطق السهلية العارية، وجوار المنازل في البادية في الجبال والسهول والهضاب، ويرتبط ظهورها بالأمطار الأولى التي تتساقط في فصل الخريف، ويستمر ظهورها ونموها خلال فصل الشتاء والربيع، كما تنمو بصفة دائمة على ضفاف السواقي وفي المناطق الرطبة ووسط البحائر والحقول المسقية. والخبازي نبات أشير إلى استهلاكه في مناطق مختلفة من المغرب خلال العصور الوسطى (التشوف، 197، 202، 362) لكن استهلاكه في تغذية الإنسان ارتبط بالصلاح والزهد وبحياة المتصوفة بصفة عامة (بهجة الناظرين، 42)، وربما ترجع أصول استهلاك الإنسان للخبازي إلى أزمنة بعيدة خاصة في السنوات العجاف والظروف المصاحبة للمجاعات حيث أكل الإنسان كل ما وقعت عليه يده من نباتات كإيرني ونوار الخروب وتامود وغيرها (البيان، 3؛ 316). وقد استساغ الإنسان الخبازي أكثر من غيرها فاحتفظ بها والتي لم يستسغها تخلى عنها، وينبغي الرجوع إلى كتب الفلاحة الأندلسية وكتب الطب القديمة لأخذ فكرة علمية تقريبية عن استهلاك هذه النباتات. ابن الزيات التادلي، التشوف، 1958 و1984؛ ابن عذاري المراكشي، البيان، بيروت 1948؛ ابن عبد العظيم الأزموري، بهجة الناظرين، مرقون كلية الآداب الرباط، د.د.ع، 1985، 1986؛ دراسات ميدانية خاصة ورواية شفوية. محمد حجاج الطويل

**ابن خَبَّازَة، ميمون بن علي بن عبد الخالق الخطابي** الصنهاجي، يكنى أبا عمرو وأبا سعيد، اشتهر في عصره باسم خاله الشاعر ابن خبازة. ولد بمدينة فاس وأخذ العلم عن شيوخها وعلمائها، وفي مقدمتهم جده من الأم علي بن مهدي القيسي، وابن حرزهم والحجري وغيرهم، وقد أورد صاحب مفاخر البربر ترجمة ذاتية للشاعر بعد أن نقلها من خطه، يقول: "رأيت بخطه جوابا لمن سأله عن اسمه ونسبه: أنا ميمون بن علي بن عبد الخالق الخطابي، وبنو خطاب في قبائل من المغرب والبربر، فبنو خطاب في صنهاجة، وفي هسكورة من ملزوزة... وأنا من الصنهاجيين، مولدي

**الخباز، بوجمعة بن علي**، مقاوم ولد سنة 1914 بمدينة الدار البيضاء. انضم إلى صفوف المقاومة المغربية، وعمل ضمن منظمة (اليد السوداء) تحت مسؤولية السيد عمر الحريزي، والسيد البشير بن محمد الشراوي بمدينة الدار البيضاء منذ سنة 1953.

قام بتنفيذ عدة عمليات فدائية، وقد صرعه متعاون مغربي أمام منزله، فسقط شهيدا يوم 6 مارس 1956. المندوبية السامية لقدماء المقاومين، وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، 2: 173.

**ابن الخباز، عبد الرحمان بن محمد القصري**، من مواليد القرن العاشر الهجري بمدينة القصر الكبير. تعلم على صفوة من علماء مدينته قبل أن يرحل إلى فاس للأخذ عن علمائها من أمثال رضوان الجنوي وسفين والراشدي، كما أدرك هناك كلا من اليسيتني وزروق وأبي عمّر القسطلي. وقد تميز ابن الخباز بالمشاركة في مختلف علوم عصره من نحو وفقه ولغة وتفسير وحديث ومنطق، إلا أنه انفراد يعلم القراءات. وهذا ما يؤكد الدكتور محمد حجي حين يقول "تخرج بفاس في القراءات. وغيرها على يد الراشدي وطبقته من تلاميذ الإمام ابن غادي" (الحركة الفكرية، 28)؛ كما أن الكتاني يؤكد على حسن سند ابن الخباز في القراءات لأخذه عن الراشدي الذي يعتبر آخر المقرئين والمحدثين في القرن العاشر (فهرس الفهارس، 2: 257). وأهم ما خلفه عبد الرحمن الخباز كتاب بذل العلم والود في شرح تفصيل العقد، وهو شرح لأرجوزة ابن غازي في علم القراءات المعروفة باسم "تفصيل الدرر في القراءات العشر"، حيث إن الأستاذ حجي أشار إلى أن ابن الخباز اعتمد فيه على ما سمعه من شيخه الراشدي مما رواه مباشرة عن الناظم الإمام، كما ذكر نفس الأستاذ أن هذا الكتاب القيم يوجد على شكل مخطوط بالمكتبة العامة بتطوان تحت رقم 125 (أعلام القصر الكبير، 61).

ويعد أن أجاز ابن الخباز بفاس من طرف الكثير من العلماء، عاد إلى القصر الكبير وقد تقدم به السن وتصدر للتدريس بالمدينة منوعا دروسه في الفقه والنحو والحديث والتفسير وعلم القراءات وقواعد اللغة بالإضافة إلى علم الأصول. ومن ضمن من أخذ عنه أبو المحاسن الفاسي، حيث إنه تعلم منه الرسم والقراءات إلى أن توفي سنة 964 / 1556 (نشر الثاني، 1: 124).

وأسرة الخباز من الأسر القصرية العريقة ذات الجذور القديمة في هذا البلد ولا تزال بقية منها في هذه المدينة وقديما انتقل منها فرع إلى فاس (أعلام القصر الكبير، 62).

م. بن عبد الرحمان بن خليفة، القصر الكبير، أعلام أدبية علمية

بمدينة فاس، قاعدة من قواعد المغرب، وأكثر قراءاتي بها على الجملة الذين لحقت، وأكبرهم جدي من الأم علي بن مهدي القيسي، وعن الفقيه العالم الفاضل أبي الحسن ابن حزم، وقرأت في سبته على ابن عبيد الحجري، ولحقت في الأندلس ما لا أحصيه كثرة، وأكبرهم شأنًا أبو محمد القرطبي .." وأما سني، فما أضبط تاريخه لكنني أعلم أنني في السبعين حقيقة".

كان شاعراً متألقاً، حاضر البديهة، تحدث عنه ابن عبد الملك المراكشي في كتابه *الذيل والتكملة* بإعجاب وتقدير، قال عنه : "من أكبر أعاجيب الدهر في سرعة البديهة، ناظماً أو نائراً، مع الإجادة التي لا يجارى فيها، والتفنن في أساليب الكلام معرّبه وهزله، جيد الخط، ذا مشاركة حسنة في علم الكلام وأصول الفقه".

لزم أبا العلاء بن المنصور الموحد، وله فيه أمداح كثيرة "بلغت ثلاثة مجلدات"، من ذلك قصيدة لامية في مدحه وقد انتقل واليا على إشبيلية، مطلعها :

قد حقق الله آمال العباد فسد وليت أذهبت عنها الروع والوجلا  
وهي قصيدة طويلة انفرد بروايتها كتاب *الذيل والتكملة*، وتقع في أربعة وسبعين بيتاً. وعلى الرغم من أن ابن عبد الملك لم يورد له غير هذه القصيدة في المدح، فإنه تحدث عن امتداحه الملوك، فقال : "وقطع مدداً من عمره في الارتسام بامتداح ملوك عصره، فكان يأتي في ذلك بما لم يسمع ذكره، ولا يطمع في لحاقه، سرعة ارتجال وحسن افتتان، وبراعه إنشاء"، مع أنه أورد له بعض الأشعار في موضوعات أخرى.

كما أن أغلب المصادر التي ترجمت له وأوردت بعض أشعاره لم تثبت نماذج من تلك الأشعار المدحية التي قيلت في أبي العلاء أو في غيره خاصة وقد "بلغت ثلاثة مجلدات ضخمة"، أما محمد القاسي فقد نبه إلى احتمال يقول : "ولا شك أن شعره جُمع في ديوان خاص، لأنه كان طويل النفس".

وتنفرد *أزهار الرياض* و*ذكريات المشاهير* بإثبات قصيدة لامية صنفتها *"أزهار الرياض"* في الحنين إلى الأحباب إذ جاء في تقديمها : "ومن رائق نظمه في الحنين إلى أحبابه"، بينما صنفتها *ذكريات المشاهير* في النسب، تقع في أربعة عشر بيتاً، مطلعها :

هب النسيم ضحى ففاح المنديل وتأرجت منه الصبا والشمال  
ومن شعره قصيدة رائعة في رثاء أبي محمد عبد الله ابن أبي بكر بن الجدة كان قد توفي يوم عيد الفطر، وكان توفي له أخ قبله، ويعزى أباهما، وهو يومئذ وزير إشبيلية وعظيمها، "وهي من النمط العالي والطرز الكامل الحسن"، كما يصفها ابن عبد الملك، و "من بدائعه التي تدل على افتتانه في التعبير وحسن تصرفه في المعاني الشعرية" كما يصفها *گون،* وتقع في سبعين بيتاً.

أما قصيدته الفريدة في مدح الرسول صلى الله عليه

وسلم، فيقدم لها ابن عبد الملك بالآتي : "قصيدته البارعة التي نظمها في مدح سيد البشر المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم، وسماها "الميمونية" ليعزز جمال الرائق بكمال الفائق، ويعدل عن مجازات المجازات إلى حقائق الحقائق، نفع الله ناظماً ورأسها ومنشدها ومستجيدها وسامعها ومستعيدها"، مطلعها :

حقيق علينا أن نجيب المعاليسا لنفني في مدح الحبيب المعانيسا  
وهي قصيدة رائعة مدح بها ابن خبازة النبي صلى الله عليه وسلم، وتحدث عن مناقبه ومآثره، وقضائله ومعجزاته، في أسلوب رصين وسرد محكم، تقع في مائة وخمسين بيتاً.

ولابن خبازة وثيقة نثرية طريفة تلخص انصرافه عن الدنيا وبهجتها، وطمعه في التمسك بالأوامر الربانية، أثبتها ابن عبد الملك في *الذيل والتكملة* وقدم لها بقوله : "وهذه وثيقة أنشأها في بيع قلبه من ربه، أثبتها عقب هذه القصائد الفرائد، لأشفع منظومه بمنشوره، وأشير بأن الصادر عنه في الفنين من أفضل محفوظ الكلام ومآثره :

"يقول العبد الذي اعترف بما اقترف لمولاه، وأقر له بما أضعاه، لا بما أطاعه، على ما منحه من النعم وأولاه، الميمون بن علي بن عبد الخالق الخطابي، جبر الله بالتقوى كسره، وفك من حباتل الدنيا أسره"، وجاء في العقد أيضاً : "هذا ما اشتري المولى اللطيف الجليل، من العبد الضعيف الذليل، الميمون بن علي، اشتري منه صفقة واحدة دون استباق ولا تبعيض، ولا استثناء، بتصريح ولا تعريض، جميع المنزل المعروف بمنزل القلب والفؤاد، الذي من سكانه المحبة والإخلاص والوداد ...". وأنت ترى أنها نط من الكلام مبتكر لا هو بالخطبة ولا بالمقامة، ثم هي بأسلوبها وجوهر موضوعها، تدل على قوة عارضته أيضاً في النثر، وامتداد نفسه فيه كالشعر، كما أنها بروحها الصوفية تدل على صلاحه وتقواه".

أما الأستاذ ابن تاويت فيقول عن هذه الوثيقة : "يعتمد الخطابي في وثيقته من ناحية الصياغة اللفظية على التلاعب بالألفاظ والقراءة الصوتية فيما بينها، أما من ناحية المعاني التي تضمنتها تلك الصور التي لا تخلو من جمال، فقد وفق فيها إلى حد بعيد، ونسقها أحسن تنسيق، وقد عملت فيها شاعريته وخياله، فتشارك فيها نظمه ونثره".

وتذكر المصادر التي ترجمت له أنه تولى حسيبة السوق بمدينة مراكش في آخر حياته.

كانت وفاة ابن خبازة بسلا أوائل سنة 637، كما جاء في *الذيل والتكملة* وبها دفن، وقبره معروف، يل إليه ينسب واحد من أبواب سلا المشهورة : وهو باب الخباز. وفي *أزهار الرياض* أنه توفي بالرباط.

م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*. السفر الثامن، القسم الثاني، ص. 388، رقم الترجمة 183 : أ. المقرئ، *أزهار*

الرياض في أخبار عياض، 2 : 379 ؛ أ. ابن القاضي، جذوة الافتياس، 1 : 348 ؛ ابن سعيد، رايات المرزبن، تج. رضوان الداية، ص. 72، لمؤلف مجهول، نبد تاريخية في أخبار البربر، ص. 65 ؛ ابن إبراهيم، الإعلام، 7 : 313، حضارة الموحدين ص. 118، 139، 145، 158 ؛ ع. الله گتون، النبوغ المغربي، 1 : 170، 3 : 194، 248، 264 ؛ ذكريات مشاهير رجال المغرب، ج 7 : خ. الزركلي، ط 7، ج 7 : 341 ؛ م. القاسي، ابن خبازة، رسالة المغرب، العدد 4، السنة السادسة، دجنبر 1947.

نجاة المريني

**آيت خبّاش**، فرع من قبيل آيت أوتنكي الذين يمثلون خمس اتحادية آيت عطا بتافيلالت. وستقتصر في هذا التعريف الموجز على الحديث عن وصول هذا الفرع إلى واحات باني. ففي سنة 1349 / 1930 طرد فرع آيت خبّاش وقبائل أخرى من البرابر (بتسكين البائين) وهم آيت مرغاد وآيت سفول وآيت حمو بقيادة الثائر بلقاسم النكادي، من موطنهم الأصلي بعد احتلال مركز زاگورة الاستراتيجي، وبعد مقاومة الاستعمار الفرنسي لعقد من الزمن، نزل الجميع في معدر درعة مدة، ثم بمعدر إداوسلأم بقم الحصن نحو شهرين، ثم استضافهم القائد البشير التامنارتي وأكرم وقادة زعيمهم بأكرض ونواحيها أكثر من شهرين. ثم بعد سوء تفاهم رحلوا إلى مركز تاغيجت ليعودوا بعد ذلك إلى إيشت وآيت وأبلي، ولا يستبعد أن يكون لحلف تحكات - أعداء التامنارتي - يد في ما وقع بينه وبين البرابر من سوء تفاهم.

كان لهذه التقلبات تأثير واضح على صيرورة الأحداث، إذ كان عدد خيام البرابر أكثر من سبعمائة خيمة منها مائتا خيمة لفرع آيت خبّاش، كما كانوا طرفا في الأحداث خاصة وأن هذا الفرع عمل على تغيير معالم موازين القوى بتامنارت.

ففي أواخر سنة 1351 / 1932 وغل على مركز إيشت الذي يعد مركزاً استراتيجياً خفياً لقيادة الكثيرين بأكرض، والذي احتله حلف تحكات منذ عشر سنوات ونيف.

لقد تمكن آيت خبّاش من طرد كل القاطنين بالمركز فلبشوا به أكثر من سنة إلى أن دخلته الجيوش الفرنسية سنة 1352 / 1933 فرجع الراحلون إلى مساكنهم.

نتج عن جلاء القاطنين تضرر كبير في الأمتعة والدور، كما فقدت بعض العائلات رسومها وجاهاها ومركزها الاجتماعي، ومازال شيوخ البلدة يتذكرون الحدث.

وتذمر التامنارتيون من جهة أخرى والإيشتيون من آيت خبّاش وسامت العلاقة بين الطرفين، لذلك نجد بعض الرواة الذين عاينوا الحدث يحملونهم مسؤولية ما آلت إليه الوضعية في المنطقة، إذ كانوا سببا مباشرا - في اعتقادهم - في دخول الفرنسيين إلى واحات باني. غير أن القرائن

المتوفرة تدحض هذا الزعم، فقد كانت فرنسا - على ما يبدو - تخطط لاحتلالها منذ دخولها مركز إيغرم سنة 1926 أحد منافذ الأطلس الصغير وواحات باني. لكن دخول البرابر أجل تنفيذ ما خطط له، فانصب اهتمام الحماية على تنشيط مراكز الاستعلامات بمنافذ أخرى مختلفة هي قم الحصن، آقا على وادي صياد (أسيف أونگمار). ومن بين الأدوار المنوطة بها مراقبة تحركات القبائل خاصة البرابر. إلى جانب "سياسة الهدنة" هاته، غدت تتحين الفرص لاحتلال المنطقة.

فقد عرفت قيادة آقا صراعات داخلية وصراعات مع محيطها القبلي دفعها للتصعيد لدخول الاستعمار سنة 1348 / 1929. وبعد سنتين من الاحتلال، حاصرت قبائل البرابر مركز آقا. وقتلت قائدها، لكنها لم تتمكن من دخول المركز كما كان مقررا، بل تكبدت خسائر بشرية خاصة بين صفوف آيت خبّاش حيث بلغت ضحاياهم ستين ضحية حسب الرواية الشفوية المحلية.

أمام هذه الهزيمة، فسح المجال لكتيبة عسكرية فرنسية لتراقب آقا بعد ذلك نشب صراع بين حلف القائد الحسن المرابطي وبين محمد ازنگض شيخ قبيلة آيت أولي المدعم من لدن آيت خبّاش والمدني الاخصاصي والمرابطين القصبين والمرابطيين الساحليين.

تدخلت الطائرات الفرنسية فقنبلت آيت أولي على مدى شهر تخلله دخول الطرفين في هدنة مؤقتة مرتين. إلا أن جحافل الجيوش الفرنسية تمكنت من احتلال آيت أولي ثم إيشت فواحة تامنارت بأكملها سنة 1352 / 1933.

نتج عن هذا الدخول فرار البرابر إلى وادي نون حيث استسلموا بعد حين. يستخلص من هذا أنه رغم قصر المدة، فإن وجود آيت خبّاش بالمنطقة من سنة 1930 إلى 1934 كان له تأثير واضح على رسم معالم الخريطة السياسية لواحات باني غداة دخول الاستعمار الفرنسي إليها.

م. المختار، السوسي، خلال جزوة، تطوان، 3 : 22، 30 : المعسول، 3 : 399، 400 : 7 : 66، 67 : 16 : 306، 305 : 19 : 257، 264 : 20، 269.

شفيق الرفاك

**حَبَّان**، أسرة يقول أفرادها إن أصلهم من الشمال الشرقي للجزيرة العربية وأن اللفظ الذي تحمله أسرتهم يعني في إحدى اللهجات شمال الخليج العربي الانسان المتعقل والمتبصر.

الثابت عن هذه الأسرة أن أحد أفرادها يسمى الشيخ محمد أبو جماعة نزل بمنطقة الشياظمة - إقليم الصورة حالياً - في أواخر القرن السابع عشر الميلادي واستقبله الشرفاء الرگراگيون الموجودة أضرحة أقطابهم في جهات شتى من هذه المنطقة. وطفق هذا الشيخ يدعو الناس إلى الاعتصام بحبل الله والتفاني في إقامة الشعائر الدينية، ثم

أخذ يطوف على الزوايا الرگراگية إلى أن استقر به المقام بقبيلة مسكالة التي توجد أراضيها على بعد ما يقرب من خمسين كيلومترا من الصورة شرقاً.

ظهرت للشيخ المذكور عدة كرامات جعلت الناس يلتفتون حوله ويقصدونه للاستشارة والاستفتاء في شؤونهم الخاصة والعامية. وكان في كل عيد للمولد النبوي، يحشد القوم ويحثهم على القيام بفريضة الحج، معلنا أنه حج عدة مرات، وبقي على هذا النشاط إلى أن وافاه الأجل بأحد فروع مسكالة، وبالضبط فخذة السباهان، فبني له الناس هناك ضريحا بقية.

كان من بين أولاده واحد يسمى الحاج المحجوب وهو جد أولاد خَبَان الذين سنقتصر على ذكر من كان لهم دور هام في حياة الشياظمة أو المغرب، نذكرهم حسب الترتيب الألفبائي :

1 - حسن بن مبارك بن (الحاج) سعيد بن المحجوب خَبَان، ولد بمسكالة عام 1267 / 1850. بعدما انخرط في الكتاب المحلي وحفظ القرآن واستحق لقب "الطالب"، حثه والده على الذهاب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ولتعلم الشريعة الإسلامية وعلوم القرآن من مدارس مكة والمدينة. ولما عاد بقليل إلى مسقط رأسه. راح ينشط حلقات دراسية بمسكالة حيناً وحيناً آخر بإحدى زوايا المنطقة. وفي عام 1310 / 1892، أجمع أهل مسكالة على اختياره ليخلف أباه - الذي مات قبل حين - على رأس مشيختهم. وزكى هذا الاختيار، عامل الوقت بالصورة، الرگراگي الدبلالي.

خلال عام 1314 / 1895، صدر ظهير عزيزي يحول مشيخة مسكالة - التي أخذت منذ سنوات تسمى دار خَبَان - إلى قيادة، وتم تعيين الشيخ حسن خَبَان قائداً، الأمر الذي ابتهج به السكان الذين تلا عليهم الظهير قاضي الصورة إدريس بن محمد بوعبيد العمري الفاسي، حسن خبان كان إذن أول قائد على مسكالة.

بقيت هذه الالتفاتة الملوية عالقة بذاكرة مسكالة ويعتبرها آل خَبَان مفخرة اجتماعية وسياسية وتاريخية، ولا يخفى على الملاحظ ما لمثل هذا الحدث من أهمية وأثر عميق في نفوس المعنيين به، خصوصا إذا كانوا من أهل البوادي.

وزاد من أهمية هذا الحدث، أنه اكتسى ما تكتسيه كل مخاطرة وما يحمل كل رهان، لاسيما أن المغرب كان يومئذ ينتجه نحو التدهور الشامل والتفكك الداخلي، إذ أعلن بعض فواد الشياظمة وحاحا كغيرهم في ربوع البلاد، عن ترودهم على السلطان المولى عبد العزيز.

إلا أن (الحاج) حسن خَبَان رفض أن ينساق وراء الغاضبين ومضى بجاهد لتوحيد الكلمة والحفاظ على الشرعية العلوية القائمة. ولما تولى مولاي حفيظ العرش بدوره، كان (الحاج) حسن خَبَان من بين أعيان الإقليم الذين توجهوا إلى فاس لتقديم الهدايا - في حفلة الهدية، حسب

العرف - والولاء إلى السلطان الجديد، وهناك، وافاه الأجل بعد احتفالات عيد المولد، في ربيع الأول 1329، مارس 1911، وعمره يقارب ستين عاما.

2 - سعيد بن العربي بن الحاج مبارك خَبَان، ولد عام 1318 / 1908. حفظ القرآن بقرنته، ولما بلغ سن الرشد أخذ والده يشاركه في بعض مهامه الإدارية، ويرافقه معه عبر القبائل التي كانت خاضعة لحكمه، فظهر تفهمه لمشاكل الناس وتعاطفه مع المستضعفين منهم. لهذه الأسباب اختاره والده معاونا له بصورة رسمية. فزكته السلطات الحاكمة بالإقليم. ولما توفي أبوه عام 1942، أصبح سعيد قائدا على مسكالة. وأظهر من الحنكة والخبرة ما لم يظهره أسلافه، فصرف اهتمامه لرعاية شؤون الناس كافة، وبدأ في تعمیر مسكالة وتحسين أحوالها الاجتماعية، ومدّ إليها الاسلاك الهاتفية على نفقته، عبر مسافة طولها عشرون كيلمترا وهي المسافة الفاصلة بين سوق الخميس - مسكالة والطريق الرئيسية الرابطة بين الصورة ومراكش - وخفف عن الناس بعض أعباء العمل الإجباري الذي كانت تفرضه سلطات الاستعمار على أهل البوادي للاشتغال بالمجان في القطاع الغابوي والمساهمة في حصاد حقول المعمرين، وزرع النبات الوافي من اكتساح الرمال بالمنطقة، مجانا. وكانت سلطات الحماية المحلية تقدر التدخلات الإنسانية التي ما فتئ يقوم بها القائد سعيد بن العربي لصالح رعاياه وهو لم يكن ليطمع في ممتلكاتهم ولا يشغل باله بتناج الدنيا، همّه الوحيد هو حسن التدبير وتطلعه إلى رضى الملك محمد الخامس.

كان يشجع أبناء مسكالة على التعلم، ويحث أبناءه إلى المدارس العصرية بالصورة ومراكش، فقدرت فيه سلطات الحماية خصاله الحميدة وأسندت إليه مسؤولية قبائل أخرى ومدّدت اختصاصاته إلى نصف أحواز الصورة، فأصبح بذلك أعظم قائد بالشياظمة.

وعندما قام محمد الخامس بزيارة رسمية للصورة عام 1946، اختار أن يقيم بقصر القائد سعيد بدار خَبَان بمسكالة، وكان أول قصر بالبادية هناك يتوفر على جميع وسائل الراحة، من كهرباء، وماء عذب جار في القنوات، والهاتف، وغير ذلك. وكان لهذا الحدث صدى طيب في نفوس أهل مسكالة بالخصوص، ورأوا فيه تكريما لهم من الملك الذي لم ينس خدمات أجدادهم للعرش ووفائهم للدولة العلوية.

ربطتني صداقة حميمة بأبنائه، في أواخر الأربعينات، فسمحت لي تلك الصداقة بمجالسته معهم ونحن في عنفوان الشباب، فكنت ألاحظ تقديره وعطفه على الحركة الوطنية وهو في حديث مع بعض أصدقائه من موظفي المخزن، كما كنت ألمس مدى تفتحته على الحضارة العصرية مع تمسكه بالمبادئ والأخلاق الإسلامية. وكان في كل مناسبة تجمعني به صحة أبنائه، بحثنا على الاجتهاد في الدراسة

يوسف ملكا، عام 1912 / 1330 تم كذلك تعيين العربي خبان عاملا على الشياظمة، وأحمد السعيد الطنجي عاملا على الصويرة.



غير أن عبدالرحمن الكلولي، قائد حاحا يومها، رفض البيعة وركب مطية العصيان هو وأنصاره، بمجرد ما بلغهم نبأ توقيع الحماية وتنحية مولاي حفيظ واعتلاء مولاي يوسف كرسي العرش. وللتذكير، فإن أهل حاحا كانوا منذ القرن التاسع عشر، في خلاف عميق مع المخزن.

وصدرت الأوامر من الرباط إلى العربي خبان وعامل حاحا محمد أنفلوس بتعبئة كل ما يستطيعان من قوة - جنود ومؤن وذخائر حربية - لإعانة الجيش المخزني الذي يقوده العسكري الحسين الزعري السللاوي وجنود فرنسيون قادمون من مراكش تحت قيادة الرائد ماسوتي.

وسار العربي خبان على رأس جيشه وقامت معركة حامية بين القوات المخزنية والثوار، وسقط عدد من الضحايا في صفوف الجانبين. وأظهر العربي خبان شجاعة كبرى في المعركة التي دامت عدة أيام عبر مسافات شاسعة لا تخلو من مواقع استراتيجية هامة، مثل موقع دار القاضي، وزاوية بنحميدة وزاوية الكرات ويوريكي وأيت السرايدي.

وأشاد المخزن ببطولة العربي خبان، فجزاه على وفاته وتضحياته بأن أضاف إلى "حكومته"، أي قيادته، زاوية بنحميدة وزاوية الكرات من حولهما من قبائل، وقد كانت تابعة للقائد أنفلوس الذي ارتد عن قتال ضد الكلولي واختفى هو وجنوده طيلة المعركة.

5 - مبارك بن (الحاج) سعيد خبان : ولد عام 1226 / 1811، وحفظ القرآن وتلقى بعض علومه على أيدي أبرز الفقهاء الرگراكيين الموجودين وقتها بالشياظمة، مما جعله يحظى بتقدير واحترام الأهالي، ومضى يدعو إلى التمسك بالدين والوفاء للدولة العلوية ونيز النزعات الانفصالية والفوضوية التي كان لها بعض الدعاة في المنطقة، ومن الناس من كانوا يروون ويرددون حادث نهب صاكة الصويرة بما تضمنته من أموال هامة ونفائس مستخلصة من مرسى المدينة، وقد حدث ذلك النهب الغادر عام 1822 / 1238، من

للمساهمة في ازدهار المغرب وتحقيق ما ضاع للأمة. أما لفظة الاستقلال، فلم تكن يومئذ تخرج من فم أحد من الناس إذ لم يكن أحد يحلم به.

كان نبيلاً في أخلاقه وسلوكه، محباً لأهل المعرفة والعلم، يدعو إلى مائدته - سواء بمسكالة أو بالصويرة - معلمي أبنائه، ويتذكرهم في الأعياد، كما كان يجالس فقهاء الشياظمة والصويرة مثل القاضي محمد بن إدريس بنرحمون ثم بعده القاضي عبد الحفيظ الفاسي، وغيرها من كبار موظفي المدينة. وما كان لينفرد في اتخاذ قرار هام - يوم لم يكن فصل بين السلطات الإدارية والقضائية والتنفيذية - إلا بعد استشارة ذوي الخبرة من هؤلاء الموظفين المغاربة، أو من بعض المقربين من المخزن المركزي بالرباط. وشكل هذا السلوك أحد العوامل التي جعلته طيلة حياته يحظى بالرضى المولوي طيلة حياته.

مع هذا القائد، سطع نجم آل خبان وبلغ أوجه، ومع وفاته في أواخر عام 1952، مال إلى الأقول إلى أن احتجب نهائياً مع بداية الستينات، رغم الجهود التي بذلها مع السلطات، اثنان من أبناء القائد الراحل. وقد يعزى فشلها المتتابع إلى قصورها في التدبير حسب المقاييس الجديدة.

3 - سعيد (الحاج -) بن المحجوب خبان. ولد حوالي عام 1785 / 1200 بمسكالة. حفظ القرآن واكتسب قسطاً من المعرفة بشؤون اللغة والدين عن أبيه، ثم رحل إلى الصويرة لمواصلة تعليمه خصوصاً وأن علماء مشهورين - كان من بينهم الفقيه محمد بن أحمد الشيطمي المروري. والفقيه الحاج محمد توفلعز السوسي - وصادفت هذه الفترة إقامة مولاي عبد الرحمن بالصويرة. بصفته خليفة سلطانياً.

بعد ذلك، رحل الطالب سعيد إلى المشرق، وأدى فريضة الحج وجال في أقطار مجاورة، ثم عاد إلى المغرب بعد عامين، أكبره الناس في مسكالة وأنزلوه أقصى منزلة التقدير والاحترام، وهو في نظرهم العالم الجدير بالتبجيل، ثم أجمعوا على اختياره شيخاً على قبيلتهم ومنحوه كامل ثقتهم.

مارس الحاج سعيد خبان مهامه بحكمة وتبصر. وكان معمرًا إذ عاش زهاء مائة وعشرين سنة، وتوفي وهو مالك لجميع حواصه وعلى وعي بما حوله، وذلك عام 1904 / 1322.

4 - العربي بن الحاج مبارك بن الحاج سعيد بن الحاج المحجوب خبان والد القائد آتي الترجمة. ولد عام 1286 / 1869 بمسكالة (دار خبان). حفظ القرآن في الكتاب ثم تتلمذ محلياً على بعض الفقهاء المشهورين من بينهم العالم الشريف أحمد بن عمر المدني، فأغترف من علوم القرآن، كالتفسير والبلاغة والنحو والصرف والشريعة، ذلك ما جعله يعد من الفقهاء والأدباء ويتبوأ مكانة مرموقة في بيئته خاصة، والصويرة وأحوازها عامة.

وبعد خلع السلطان مولاي حفيظ وتعيين شقيقه مولاي

طرف ذوي بلال بتواطئ مع قائد الشياظمة يومئذ، علي بن محمد الشياظمي. وكانت خزائن الصاكة موجهة إلى مراكش تحت حراسة مخزنية، فكان لما حدث وقع سيء في نفس السلطان مولاي سليمان. ويقول صاحب الاستقصا "إن هذه الواقعة هي التي هدّت أركان مولاي سليمان، فاعتراه مرضه الذي كان سبب وفاته".

وفي عام 1260 / 1842، رحل مبارك خبان رفقة أخويه محمد وعبد السلام إلى المشرق لأداء فريضة الحج، ولم يرجع مع أخويه حيث أثر البقاء هناك قصد التبخر في العلوم التي كانت تدرس في مكة والمدينة وغيرهما، ولم يرجع إلى المغرب إلا بعد عشرة أعوام، فاستقبله أهل مسكالة بحفاوة بالغة. وما هي إلا أيام قليلة حتى وقع عليه الاختيار ليكون عضواً في مجلس الشورى الجهوي الذي أحدثه المخزن عبر التراب الوطني، فازداد شرفاً في أعين الناس، وسعى قواد المنطقة إلى وده، منهم القائد بوجمعة التادلاوي الذي اتخذ مستشاراً خاصاً، والقائد عمر البلاح الذي كلفه بالنيابة عنه فيما يرجع لتدبير شؤون مسكالة، عندها أقام الحاج مبارك ببلاد التوابت على مقربة من زاوية سيدي عيسى بوخايبة الررگاكي ومضى ينظم حلقات دراسية لفقهاء المنطقة، وأمر ببناء "دار خبان" وهي قرية صغيرة بمسكالة، غير بعيدة من سوق الخميس، لتكون مركزاً إدارياً.

غير أن الهدوء لم يكن ليستتب في هذه المنطقة المجاورة لحاجا إلا قليلاً، إذ ما أن علم الناس بوفاة السلطان محمد بن عبد الرحمن حتى ثاروا على قواد شياظمة وشيوخها، وغضبوا أيضاً على عمر البلاح وخليفته الحاج مبارك خبان. فدعاها السلطان مولاي الحسن إلى مراكش وعندما استمع إليهما - كما استمع إلى غيرهما - استبدل قواد الشياظمة بآخرين، وعين الحاج مبارك خبان عاملاً على الشياظمة برمتها، وسمح له باتخاذ "دار خبان" قاعدة إدارية للعاملة. وبقي الحاج مبارك يمارس مهامه الإدارية - بتعاون مع قواد المنطقة - إلى جانب مهام التدريس إلى أن وافاه الأجل، عام 1310 / 1890.

وثائق أسرة خبان : مذكرات شخصية : م. بن سعيد الصديقي،  
إبظاظ السرية لتاريخ الصويرة : أ. الناصري، الاستقصا، ج. 8.  
E. Gouvion, A'yân al-Maghrib al-Aqsâ : Le Makhzen marocain ; R. Weisgerber, Au seuil du Maroc moderne.  
أحمد بنجلون

**خيريش، محمد** مقاوم من مواليد سنة 1940 بجماعة تيفزة بتزنيت، من والده الحسين بن علي ورقية بنت إبراهيم.  
انخرط في صفوف جيش التحرير منذ سنة 1957 ضمن الفرقة الثالثة عشرة بمنطقة أيت باعمران بسبيدي افني.

شارك في العديد من الهجومات والمعارك التي خاضها جيش التحرير ضد قوات مراكز الاستعمار الاسباني خصوصا أثناء انتفاضة قبائل أيت باعمران يوم 23 / 11 / 1957 حيث لقّن المجاهدون الباعمرانيون للاستعمار أكبر درس في التضحية ونكران الذات من أجل تحرير هذه المنطقة من المستعمر العاشم.

توفي خيريش بتاريخ 17 أكتوبر 1995.  
الندوبية السامية لقدماء المقاومين، وأعضاء جيش التحرير، شهداء،  
الاستقلال، رقم 513050.

**الخبز** بالمغرب في العصر الوسيط أنواع تختلف باختلاف مادة صنعه : دقيق الشعير، ودقيق الحنطة أو دقيق الذرة (وصف إفريقيا، 255، البيان، 3 / 316، التشوف، 127، 296، المقصد الشريف، 92، انس الفقير، 105، بهجة الناظرين، 124، 137). ومنه الدقيق "العادي" و"المتاز" وقد عرف في العصر الوسيط بالدرمك والحواري (التشوف، 354، الذيل والتكملة، 178)، ومن حيث الشكل يبدو أن المغرب لم يعرف آنذاك إلا الخبز المستدير (قرص ج أقراص) (بهجة الناظرين، 78 و 83) ويختلف الخبز كذلك باختلاف طريقة طهيه فهو إما فطائر أو (فطير) مقلية (وصف إفريقيا، 1 : 185). وإما مشوية على صفائح من حديد أو مواعين من طين وتختلف أسماء هذه الأنواع باختلاف المناطق في المغرب : الشيار أو بوشيار الرغاف الببطوط، المسمن، الملوي إلى غير ذلك، والخبز الناصخ في القرن - أو كما يقال في الدارجة "المخبوز" في القرن - هو أكثر الأنواع تطوراً وتقدماً وانتشاراً ويختلف القرن باختلاف المناطق والجهات كذلك فهو في سوس والريف التنور حيث تلتصق أقراص العجين بجدار التنور، أما أكثر الأنواع شيوعاً في البوادي المغربية اليوم مع اختلاف في الشكل والإتقان فهي الأقران التي تضع النار في جهة والعجين في الجهة المقابلة.

توجد طريقة أخرى لطهي الخبز ويبدو أنها طويقة بدائية، وتنتشو بين السكان الرحل وتعتمد على الرماد المحرق، بحيث يدفن العجين ويتم غمره وتغطيته بالرماد المحرق مرات عديدة حتى ينضج، وتتبع أشكال الخبز وطريقة طهية تعطينا المراحل التاريخية التي مرت منها هذه الصناعة، ويبدو أن أول هذه المراحل هي طريقة الدفن في الرماد المحرق، وآخر هذه المراحل هي الوضع المتقابل في الأقران التقليدية والمعروفة عند سكان البادية "بقران بوجهة" سواء منه التقليدي أو العصري، المنزلي والتجاري، قبل أن تدخل الوسائل والطرق العصرية في الخبز.

تأثر المغاربة بالحضارات التي احتكوا بها، كالحضارة الرومانية (ففي مدينة ويلي الأثرية ما تزال تنتصب آثار المخابز الجماعية والتجارية). كما أن تأثير الأندلس واضح أكثر من غيره بخصوص بعض أنواع الخبز وخاصة الخبز

الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي في نانط.

J. Bida, *La presse marocaine d'expression française des origines à 1956*, Rabat, 1996 ; E. Doutté, *Des moyens de développer l'influence française au Maroc, Première partie : Analyse des moyens généraux d'influence*, Paris, 1900.

جامع بيضا

**السُّخْبِيْزَة** (مصطلح فلاحي) يُقصد بالخبيزة أحد عقود المزارعة التي كانت سائدة في المجتمع الفلاحي شبيهة بالخماسة وتخصّست، إلا أن التعاقد بالخبيزة، خلافاً لتخصّست (انظر هذه المادة)، يمثل في الواقع كراء الأرض من طرف صاحبها لمن يستغلها لمدة سنة، إذ أن المكترى أو الخيَّاز هو الذي يتحمل مسؤولية كل ما يتعلق بالبذور وأدوات العمل، وذلك مقابل حصة من الإنتاج، يتفق عليها مسبقاً، تعود لصاحب الأرض.

يتم التعاقد، تبعاً لنوعية الأرض - إن كانت حاملة لأعشاب ضارة أم لا، إن سبق حرثها في الموسم الفلاحي الفارط أم لا، إن كانت خصبة أم لا - بالنصف (بالنصف)، بالثلث أو الربع.

وعادة ما يلجأ إلى التعاقد بالخبيزة صغار الفلاحين الذين لا يتوفرون على زوجة للحرث ولا على بذور، فيفضلون التشارك مع من يتوفر على هذه الإمكانيات؛ أو الذين يملكون قطعة أرضية صغيرة لن تكفيهم لسد حاجياتهم، فيفضلون من ثم كراءها بالخبيزة حتى يتسنى لهم العمل كخماسة عند أحد كبار الملاكين؛ أو من يقطن بعيداً عن حقله؛ وكذا بعض كبار الملاكين الذين يفضلون هم بدورهم، هذا النمط من الاستغلال الذي يعفيهم من مراقبة الخماسة.

وقد يحدث أن يتعاقد الخيَّاز، هو بدوره، مع من يعينه في استغلال الأرض أو يوفر له زوجة للحرث، كأن يستعين بخماسة، أو يشترك مع فلاح آخر في اقتناء زوجة للحرث، وفق شروط يتفقان عليها مسبقاً.

دراسة ميدانية.

عبد الجليل حليم

**أولاد الخُبْزِي،** أسرة فاسية كانت لهم مصاهر مع أولاد ابن إبراهيم الدكاليين المشنزاتيين العلماء. وإليهم ينسب "فندق الخُبْزِي". بعين علون، كما جاء في حوالة حسبية مؤرخة بعام تسعة وعشرين وتسعمائة.

ع. ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون، جزء 1، 117.

**خُبَيْزَة (أولاد -) أسرة فاسية ← البعقوبي**

**الخُبَيْزِي،** أسرة تطوانية اتخذت هذا الاسم لتتميز عن باقي أفراد أسرة الخيَّاز، شأنها في ذلك شأن أسرة

على شكل أقراص، سواء منه المعد في القرن (ابن رزين، فضالة الخوان) أو المقلبي بالزيت أو المشوي فوق المقللة الحديدية أو الطينية (الفراج - الرداد ...).

وتعتمد هذه التقنية على "التخمير" الذي يحتاج إلى المادة "المخمرة" وهي مادة لم تكن متوفرة فيتم استعمال مواد أولية أو مواد محجرة مثل تغطية العجين بأوراق شجر التين (فضالة الخوان ...) أو تعريض العجين للتدفئة الطبيعية عن طريق تغطيته بمناديل وأغطية صوفية وما أشبه ذلك. وقد عمت اليوم الطريقة الميكانيكية لتحضير الخبز في جميع مدن المغرب وقراه.

ع. ابن خلدون، العبر، المقدمة، الجزء السادس، بيروت، اد. : ابن رزين، فضالة الخوان في طبقات الطعام الألوآن، الرباط، 1981؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج 3 بيروت، 1940، وبيروت 1983، تطوان، 1960؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954 و 1955؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1980؛ ابن الزيات التادلي، التشرف إلى رجال التصوف، 1958 و 1984؛ البادسي، القصد الشريف، الرباط، 1982؛ ابن قنفذ، نس الفقير، الرباط، 1965؛ ابن عبد العظيم الأزموري، بهجة الناظرين، مرقون كلية الآداب، د. د. ج. ع، الرباط، 1985 و 1986؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، الرباط، 1984؛ الجزناني، جني زهرة الآس، الرباط، 1967؛ دراسات ميدانية.

محمد حجاج الطويل

**أولاد الخُبْزِي،** أسرة فاسية من قبيلة صنهاجة، كان بعض أفرادها ما يزالون بقيد الحياة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر (20 م).

**الخُبْزَاوِي، إدريس،** أصله من تلمسان حيث كان يشتغل بوظيفة العدلية لدى محكمة المدينة. وفي سنة 1904 استقدمه الفرنسيون إلى طنجة فكلّفوه بتحرير جريدة "السعادة" التي أصدرتها المفوضية الفرنسية هناك كوسيلة للدفاع عن أغراضها الاستعمارية في المغرب. وكانت مهمة هذا الرجل تكمن في إضفاء صبغة "عربية إسلامية" على جريدة خشي أربابها أن ينفر منها القراء المغاربة.

وفي سنة 1906 حل محل إدريس الخبزواوي الصحافي الشامي المسيحي الماروني وديع كرم. ولما رجع الخبزواوي إلى الجزائر أنعمت عليه الإدارة الفرنسية بترقيته إلى درجة قاض شرقي جزاء له على الخدمة التي أسداها للمشروع الفرنسي في المغرب. وتدخل تجربة الخبزواوي على رأس "السعادة" في إطار تسخير بعض أفراد النخبة الجزائرية المتعلمة لتحقيق مآرب فرنسا بالمغرب، وهي السياسة المسماة آنذاك بـ "التدخل السلمي" والتي دعا إليها إدمون دوتي Edmond Doutté بإلحاح في تقرير رفعه إلى الحاكم العام بالجزائر عقب مهمة قام بها في المغرب سنة 1900.

العطيطر بالنسبة لأسرة العطار، وأسرة الطويلب بالنسبة لأسرة الطالب الخ ؛ وقد انقضت أسرة الخبزي بتطوان.  
م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطوان 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 604.

محمد ابن عزوز حكيم

وصباح الختان كما يقوم أهل الحفل بتقديم الطعام للمضيفين طيلة مدة الحفل، ويقوم بعملية الختان حجام تقليدي يحضر لبيت الحفل وتتم إجراءات عملية الختان في الصباح الباكر وسط جو تغمره الفرح والابتهاج حيث تذكر الصلاة على النبي مع اطلاق الزغاريد وأنواع الغناء والرقص التقليدي المتميز بالجهوية.

وأهم ما يميز الاتجاه الثاني المحافظ قيام الوليمة في بيت الطفل وانطلاق موكب الحفل منه بتوسطه فرس مزين بوسائل تقليدية خاصة بركبه الطفل المزين بلباسه التقليدي رقيقة أحد أقاربه وسط جو تطبعه الفرح وتسيطر على أجوائه الموسيقى والزغاريد وبعض أناشيد الفرح التي ترددها النساء المشاركات في الموكب الذي يطوف ببعض الشوارع الرئيسية للمدينة أو القرية ويعود قافلا إلى بيت الفرح لاتمام الحفل وقيام السهرة التي تشارك فرحتها كل الفئات المدعوة. وفي الصباح الموالي يحمل الطفل "أو الأطفال" إلى الطبيب المختص أو الممرض التقني حيث تجرى عملية الختان بطريقة حديثة.

هذا بالنسبة للاتجاهات الانفرادية الخاصة بمختلف شرائح المجتمع المغربي. أما بالنسبة للإعذار الجماعي فإن الأمة المغربية تتميز بعاداتها الحسنة في هذا المجال هذه العادات والتقاليد لها ارتباط وثيق ببعض المناسبات الدينية والوطنية، تنجلي في الختان الجماعي لأطفال الطبقة الفقيرة وأبناء المعوزين واليتامي بمختلف عمالات وأقاليم المملكة تحت إشراف رجال السلطة في بعض الأحيان وبحضور المحسنين وأولياء الأطفال المهتمين للختان. وأهم ما يميز هذا الحفل الجماعي توزيع الهدايا الرمزية على الجماعات التي تم إعذارها تخفيفا لهم عن آلام العملية وتعبيرا لهم عن مشاركتهم هذه الفرح التي يطبعها التكافل والتضامن الأخوي الإسلامي والمسؤولية الهادفة.  
مشاهدات ميدانية.

محمد رضاني

**خَنَع، محمد بن علي** من قبيلة أبت إيسمر الباعمرانية، درس الروايات القرآنية منذ صغره في قرية اطيبيين بقبيلته، واستكمل روايتي قالون وابن كثير على فتحي إبراهيم بن محند في مدرسة تانكارفا، ثم انتقل إلى مدرسة هو الحسن الاختصاصية عند شيخ القراء محمد بن عبد الكريم العيلاوي الباعمراني. فأتقن على يده رواية حمزة، وصار مرجعا في هذا الفن بعد وفاة شيخه العيلاوي، وشارط في مدرسة ثلاثاء أوفلاً بالاختصاص بيقية حياته فتخرج على يده العديد من الطلبة. توفي محمد خنع عام 1408 / 1987. وكان آخر المحققين في هذا الفن في تلك الجهات.

م. المختار السوسي، سوس العاللة، ص. 23، 33 : مدارس سوس

**الختان** والختانة في اللغة موضع القطع من الذكر، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : "إذا التقى الختانان..." وقد تُسمى الدعوة للختان ختانا. وفي الاصطلاح العرفي يطلق الختان على قطع الجلد التي تغطي الحشفة لئلا يجتمع فيها الوبس والإفرازات الضارة التي قد تؤدي إلى خبيث الأمراض ولتتمكن من الاستبراء من البول ولئلا تنقص لذة الجماع عند الرجل.

أما ختان الأنثى فيكون بقطع الجلد التي تكون في أعلى عضو التناسل منها، وهي تكون كالنواة أو كعريف الديك. والذي ينبغي إذا حدث الختان للأنثى هو قطع الطرف الأعلى دون استئصال الزائدة كلها.

ويروى أن امرأة كانت تُختن النساء في المدينة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تنهكي (أي لا تستأصلي) فإن ذلك أحظي للمرأة". ولكن إذا ثبت في بعض الحالات أن خفاض الأنثى ليس في مصلحتها فلا اثم في ذلك لما قرره بعض الفقهاء.

أما بالمغرب فختان الرجال سنة مؤكدة على مذهب الإمام مالك الذي قرر أن من ترك الاختتان من غير عذر لم تجز إمامته ولا شهادته. كما ينص على كراهة الاختتان يوم الولادة ويوم السابع لأنه من فعل اليهود. ويتقصر الختان بالمغرب على الذكور دون الإناث.

وتتميز حفلات الختان في مجتمعنا المغربي بعادات وتقاليد تأخذ أبعادا فنية واجتماعية متقاربة في هدفها العام متبانية الإجراءات والوسائل، تختلف من منطقة لأخرى لكنها لا تخرج عن اتجاهات ثلاثة بمختلف جهات البلاد حاضرها وقرونها.

- الاتجاه الأول تقليدي في شكله ومضمونه.

- الاتجاه الثاني اتجاه محافظ يتأرجح بين تقاليد الماضي وأساليب العصر الحديث.

- الاتجاه الثالث يختلف تمام الاختلاف عن سابقه خال من كل العادات والتقاليد القديمة يجري في جو الخفاء والانفراد العائلي دون إقامة وليمة أو إحياء حفل تكريمي للمناسبة وتجري عملية الختان تحت إشراف الطبيب المختص بعيادته ويحمل الولد إلى بيته في تكتم وستر، وهذا هو الاتجاه الذي أصبح يطغى على فئات من المجتمع المغربي الحديث.

أما الاتجاه التقليدي فيتميز بمشاركة أهل والأقارب والجيران والأصدقاء أصحاب الحفل ليلة المبيت ويوم الحفل



العتيقة، ص. 97؛ خلال جزولة، ج. 2، ص. 233؛ ح. جهادي  
معلمة المغرب، ج. 7، ص. 2226؛ استجواب مع هذا الروائي.  
الحسين جهادي

البيضاء، 1956، ج. 5 : 30 : م. حجي، الحركة الفكرية، 2 : 461.  
462.

محمد حجي

ابن خجوة، أبو القاسم بن علي الحساني - نسبة إلى بني  
حسان - إحدى قبائل الجبل - قرب شفشاون.  
تعلم في الكتاب على عادة أبناء البادية، وكان سكناه  
بمدرسة سعادة في قنة جبل من بلاد غمارة، ولعله به ولد  
ونشأ؛ ومن الشيخ الذين أخذ عنهم بالبادية؛ أبو عمر  
يوسف بن سرحان، وأخوه علي بن سرحان، وعبد الله بن  
القاسم، والقاسم بن فرحون، وموسى البدونني، والحسن بن  
سكنان، ويوسف بن عثمان، والحسن الغراس، وعبد الله بن  
تاصبانت، ثم أتم دراسته بفاس، وطالت إقامة ابن خجوة  
أخذ عن كبار مشايخها، كأبي عبد الله بن سرحان، وأبي  
الحسن علي بن هارون، والشيخ أحمد زروق، وأبي العباس  
الحياك، ومحمد بن جمعة الهبتي - صاحب وقف القرآن،  
وأبي العباس أحمد الزقاق.

ولما عاد إلى بلده صحب أبا محمد الهبتي وأخذ منه  
طريق التصوف؛ وكان الشيخ يجعله ويرجع إليه في انشراح  
الفقيه، لما يعلمه من علمه وصحة ديانته.  
وتصدر للإفتاء وإرشاد العباد، وكان يعلم باللغتين  
العربية والبربرية؛ وبيتهم بيت علم وفضل، فأبوه عالم  
جليل، له أجوبة في الفقه، وأخوه الحسين من الفقهاء  
البارزين، وولده علي بن أبي القاسم فقيه متضلّع، له عدة  
فتاوى. وكان أبو القاسم على قدم شيخه الهبتي في تغيير  
المنكر، ومحاربة البدع، قوالاً للحق، شديد الشكيمة على  
أهل الزيغ.

كتب رسائل إلى المسؤولين في جهات من المغرب  
يدعوهم فيها إلى حماية الثغور، والتعبئة العامة للجهاد،  
والاستعداد بالقوة والعتاد؛ وبلغت نظرهم إلى الخطر الداهم  
الذي يتهدد البلاد، وعناصر الفساد المتفشية في كل جهة  
ومكان...

ولما استولى محمد الشيخ على الملك، بعث إليه - في  
جملة من دعاهم لحضرته من شيوخ العلم - فحضر إلى فاس  
وأعجب به السلطان وقال: ما رأيت مثله علماً وصلاً!  
توفي بفاس، ودفن بجوار روضة ابن عباد - داخل باب  
الفتوح، والذي وصلنا من مؤلفاته:

1 - الحكم المنتخب من عيون الحكم. (فهرس  
المخطوطات والوثائق لمعرض الحسن الثاني سنة 1394).  
1974، الرقم الترتيبي (1928) إقليم بني ملال).  
- شرح أرجوزة الهبتي في العدة مخطوط الخزانة العامة  
بالباط (958 د).

- شرح نظم بيوع ابن جماعة للسوسى عرض فيه لكثير  
من البدع الشائعة في ذلك الوقت، ويوجد مخطوطاً بالخزانة  
الكونية بطنجة.

بنت خجوة، أمته بنت علي الحسانية الصنهاجية، أخت  
العالمين أبي القاسم والحسين أبي الترجمة. صالحة عالمة  
نشأت في زاوية أخيها أبي القاسم، وتعلمت على يده  
مبادئ اللغة والدين، فكانت فقيهة محدثة تهتم بشؤون  
نساء قريتها وتعلمهن. لذلك نصح الطلبة والمريدون الشيخ  
عبد الله الهبتي - وكان عزوفاً عن النساء - أن يتزوج أمته  
بنت خجوة لتقوم بتعليم النساء في زاويته بالجبل الأشهب  
ويتفرغ هو لتعليم الرجال وتربيتهم، وكان أكثر دروسها في  
الفقه والحديث، وبخاصة صحيح مسلم. وقد ذكرها ابنها  
العالم محمد الهبتي الصغير في أرجوزته المغرب الفصيح:  
قالوا تزوج إن ترد ما ترجو - أخت أبي القاسم ابن خجوة  
فإنها في غاية الديانة - والحسب الأثيل والصيانة

ابن خجوة، الحسين بن علي الحساني الصنهاجي. ولد  
ونشأ في قبيلته بني حسان شمالي مدينة شفشاون، ودرس  
على أخيه أبي القاسم في زاويته، وعلى غيره من فقهاء  
جبال غمارة. تخرج فقيهاً متشعباً بروح الإصلاح والنصح  
والإرشاد، وتدل فتاواه الباقية على صلاحته الفقيهية.  
توفي حوالي 970 / 1562.

بنت خجوة، العريفة الحسانية، امرأة متحضرة حاذقة  
عاشت في قصور الوطاسيين بفاس. فلما حل الشرفاء  
السعديون محلهم - وكانوا منذ بربوعا في الجنوب مشتغلين  
بالجهاد وتمهيد البلاد - ودخل محمد المهدي الشيخ إلى فاس  
يوم الخميس 24 شوال عام 961 / 1554.9.22 - وعليه هو  
وأهله سمة البداوة - جاءت العريفة بنت خجوة فهذبت حريمه،  
وعلمته سيرة الملوك في منازلهم وحالاتهم في الطعام  
واللباس، وعاداتهم مع النساء وغير ذلك، فاكسبى ملك  
الشيخ بذلك طلاوة بسبب جريانه على العوائد الحضرية.

ابن خجوة، علي بن أبي القاسم الحساني، درس على  
والده وعمه الحسين في زاويتهم، وسار على هديهما في  
التربية والإرشاد. ولما مات أبو القاسم خلفه علي في القيام  
بالتدريس في جامع بني حسان، وإفتاء من كانوا يستفتونه  
من أنحاء بلاد الهبط.  
توفي حوالي عام 985 / 1577.

ق. ابن خجوة، ضياء النهار، مخطوط؛ ع. الزياني، الجواهر  
المختارة، مخطوط؛ م. الهبتي، المغرب الفصيح، مخطوط؛  
مجهول، تاريخ الدولة السعدية؛ ص. 63؛ م. الإفرائي، نزهة، ط.  
حجر فاس، د. ت. ص. 28، 29؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار

ابن **خدة**، **مالك** أبو يشو الصبيحي من عرب صبيح ولي صالح شهير، عابد، عالم، فاضل، له مناقب مشهورة أخذ عن الشيخ عبد العزيز التباع، ولقي مشايخ الصوفية وأخذ عنهم. وأخذ عنه جماعة، ومن أعيان أصحابه الشيخ أبو النجا سالم الروداني.

توفي في العشرة الثالثة من القرن العاشر ودفن على ضفة وادي سبو على مرحلة من فاس وقبره مزارع هناك. م. ابن عسكر، دوحه، ص. 73-74 : م. القادري، الطرفة، مخطوط : الإكليل، مرقون، ص. 383.

مارية دادي

**خدوج السبتية**، من شهيرات الشيوخ المطربات الفاسيات اللوتي نبغن في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

تحدث عنها الرحالة الفرنسي أوبان في كتابه مغرب اليوم الذي نشره عام 1903 فذكر أنها كانت من بين الشيوخات المجيدات نادرات الوجود في فاس ومن عرفن الاقبال الكبير على حفلاتهن الغنائية. وقد لقبت بالسبتية لأنها تنتمي لعائلة أصلها من سبتة.

وقد رحلت في بداية أمرها إلى الجزائر حيث تعلمت شيئاً من اللغة الفرنسية وحذقت بعض الأغاني الجزائرية ؛ ثم عادت إلى المغرب بعد سنوات قليلة فاستقرت بمدينة فاس حيث عملت على ترويج محفوظاتها في الحفلات والأعراس. وفي سنة 1902 اعتزلت الغناء بسبب زواجها تاركة المجال حراً لمطربة أخرى كانت تنافسها في مجال الغناء هي الشيخة ابريكة بنت بنعلال التي لمع نجمها بفاس منذ أن قدمت إليها من اشراكه مع والدها وشيخها في ميدان الطرب.

وقد عادت خدوج السبتية بعد فترة قصيرة لممارسة الغناء، واستعادت شهرتها ومكانتها بين الناس. وكان لها جوق خاص يرافقها في انشاد صناعات الموسيقى الأندلسية وقصائد طرب المحلون.

ع. شقرون، مجلة الفنون، س. 1 ع 1 غشت 1973، ص. 38، مط. وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الخدديم** (ولد سي -)، **إدريس** ولد سي لخدديم بن عبد الكامل، ولد بدوار الطواهره، فخذة الفوجان المنتمية إلى قبيلة النجدة إحدى قبائل زعير قسم المزارعة، حوالي سنة 1287 / 1870. تربي كأقرانه في حضن الجماعة على حمل السلاح وركوب الخيل، إذ كانت عادة جماعات القبائل

ضياء النهار، المجلي لغمام الابصار، في نصرة الفقراء أهل السنة الاخيار، ضمنه مقدمة وثمانية فصول، دافع فيها عن متفكرة عصره، وحاول أن يجد لأعمالهم مستنداً في السنة المظهرة، وأثار السلف الصالح.

أورده بكامله المهدي الوزاني في النوازل الكبرى ج 11 ص (218. 226)، ويوجد مخطوطاً بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع (939 د).

النصائح، فيما يحرم من الأنحكة والذبايح، مخطوط تطوان (353). وله مجموعة فتاوى أورد طائفة منها الزياني في الجواهر المختارة، والعلمي في توارله. وكان يرى رأي المغيبي في أن اليهود لازمة لهم، لأنهم نقضوا العهد التي أعطوها للمسلمين.

فأبو القاسم بن خجو من العلماء العاملين، والدعاة المصلحين، يتجلى ذلك واضحاً في مختلف رسائله وأكثر كتبه.

توفي عام 956 / 1549.

م. ابن عسكر، دوحه الناشر، ص. 13-97 : ط. حجرية بفاس (د. ت) : أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص. 218 : ط. حجرية بفاس (1309-1891)؛ درة المجال في أسماء الرجال، 3 / 286، مطبعة الحضارة العربية، (1394-1974)؛ ع. الزياني، الجواهر المختارة، مخطوط؛ ع. العافية، الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون ونواحيها، 1402-1982؛ ع. العلمي، نلى، النوازل، ط. حجرية بفاس، 1303-1885؛ ك. م. الكتاني، سلوة الأنفاس، 2 / 149؛ ط. حجرية بفاس، 1318-1890؛ ع. كيون، النبوغ المغربي، ص. 252، بيروت، 1381-1961.

سعيد أعراب

ابن **خدة**، أسرة فاسية من قبيلة شراكة، أهل معاش وحرقة ومال، من أقدم البيوتات ورد ذكرهم في حوالة ترجع تاريخها إلى عام ستة وستين وتسعمائة.

وهناك أسرة أخرى في بني حسن ببادية سلا كانت تتولى على بني ثور البالغ عدد خيامهم نحو ستمائة خيمة حسب إحصاء سنة 1914. وبنو ثور صفاعيون من قبيلة بني حسن. وفي مطلع القرن العشرين كانت بسلا أسرة تسمى بنخدة، ولعلها من بقية عمال بني حسن.

ومن القواد الثوريين الصفاعيين ببني خدة : الطيب بن خدة. كان سنة 1323 / 1905 قائداً، وكان سنة 1330 / 1912 ما يزال في منصبه حتى عزلته عنه سلطات الحماية أول أمرها.

ومحمد بن العربي بن خدة الذي تولى على فرق من بني حسن سنة 1273 / 1857.

ومحمد بن علي بن خدة كان سنة 1311 / 1894 عاملاً، واستمر كذلك إلى وفاته سنة 1321 / 1904.

ع. ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون، 1 : 178؛ م. بوشعراء، قبيلة بني حسن 1860-1912 : مخطوط.

أن تفرض على كل أسرة دفع واحد من أبنائها - على الأقل - للتدريب على الفروسية والرماية ؛ حفاظاً على رصيد الفرقة من الرجال واستعداداً لمواجهة الطوارئ.

اشتهر إدريس ولد سي الحديم بالاستقامة والجد والميل إلى أعمال البر والاستئناس بمعاشره المساكين الذين كانوا يجدون في خيمته الترحاب والإكرام. كما اشتهر بالشجاعة والصدق والصرامة في معاملته مع الناس ومع أهل بيته. وفي هذا الباب يحكى عنه أنه كان يَحْرُسُ جَنَانَهُ الذي غرسه بيديه. وكانت به أنواع مختلفة من أشجار التين وغيرها. وعندما تنضج الثمار يستدعي الطلبة الحافظين للقرآن وبعد إكرامهم يسرحهم للجنان، حتى إذا ما فرغوا منه، سمح بعد ذلك لأبنائه وللناس بغشيان الجنان والأكل منه، ولذلك كان الناس يسمون بعض أنواع التين "كرمة الطلبة".

شارك ولد سي الحديم، في الدفاع عن فرقته ضمن أبناء الجماعة، أيام "السبية" التي سبقت الاحتلال الفرنسي. وكان له شرف المساهمة في جهاد الفرغان ضد قوات الاحتلال الفرنسي التي زحفت من الشرق عبر المعازير ومن الغرب عبر الرمانني صيف 1329 - 1330 / 1911.

وقد جرت عدة معارك في منطقة گلثة الفيلا، وهو مكان تاريخي يقع على وادي گرو، كثيراً ما كان مشرعاً لمروور حركات السلاطين ومحلا لتخميم محلاتهم، في الطريق بين مكناس ومراكش.

فعدما زحفت الجيوش الفرنسية على قبيلة النجدة، واجهتها مقاومة عنيفة، في حوض لحناش، والقرادة، وگلثة الفيلا ومرزاگة وتيسيلي ..

ويحكي من عرف إدريس ولد سي الحديم، أن الرجل كان من بين الرجال الذين حملوا لواء الفرقة، ومعلوم أن حامل الراية (مول للعلام)، كان مفروضاً فيه الثبات والإقدام والصبر في أوقات الشدة.

هرب ولد سي الحديم مع فخذته الفرغان وأوغلوا حتى وصلوا إلى جبال زيان القريبة من ضريح الولي الشهير أبي يعزى. وهناك عقد الفرغان حلفاً مع سكان المنطقة، وكان الحلف من نوع الطاطا المشهورة في قبائل الأطلس، حيث تبادل الرجال السلام والأخذية (البلاغي) فمن خرج خذاه مع صاحبه أصبح كأخيه يربطهما رباط مقدس من الولاء المتبادل.

والجدير بالذكر أن الفرغان شاركوا زَمُور وزيان المجاورين في قتال الفرنسيين قرب تيداس وولماس ومولاي بوعزة. ولما احتل الفرنسيون هذه المناطق رجعت القبيلة إلى موطنها. لتجد المعمرين قد استولوا على أجود الأراضي الجماعية. ثم عمل المحتلون على تثبيت الناس واستقرارهم بواسطة التملك والتحفيز العقاري للأرض ؛ وهي وسيلة كان الهدف منها - كذلك - تقوية الأراضي الجماعية للمعمرين عقاباً لمن شارك في الجهاد.

توفي إدريس ولد سي الحديم حوالي سنة 1950، ويحكي عنه من يعرفه أن يده اليمنى كانت لا تصل إلى فمه لا ختراق الرصاص لمرفقه. ولما شلت يسراه أصبح عاجزاً عن إيصال الطعام لفمه سوى بمساعدة زوجته الأخيرة. وقد ترك ستة أبناء منهم ثلاثة ذكور من زوجته الأولى العالية البركاوية، نسبة إلى أولاد بركة دوار من فخذة المراكشية المجاورين للفرجان.  
تحريرات ميدانية.

علال الحديدي

**الخرائطية** (بالمغرب)، حسب التعريف الذي تبنته اليونسكو، تشمل كافة الدراسات والإجراءات العلمية والفنية والتقنية التي تستند على نتائج الملاحظات المباشرة أو استغلال الوثائق، والتي تستهدف وضع الخرائط والتصاميم وأي نوع من وسائل التعبير، وكذا توطين تلك النتائج.

إن الأدوار والوظائف التي تقوم بها الخرائطية، والتي تتزايد يوماً عن يوم لا تحتاج الآن إلى برهان. فالخريطة هي قبل كل شيء أداة إخبارية ومعرفية تقوم على توطين وتمثيل الظواهر والمعالم السطحية، سواء كانت مرتبة قارة أو مؤقتة، أم تجريدية أو متحولة أو افتراضية. وبذلك تكون مصدراً لعدد لا متناه من المعلومات وأرضية لا تعوض لقياس المسافات والمساحات والأحجام والارتفاعات والأعماق. كما أنها تعد وسيلة من الوسائل الأساسية للتوضيح البصري والترسيخ في الذاكرة وأيضاً وسيلة للاستدلال والتوجيه في الميدان.

فضلاً عن ذلك، فإن الخريطة تستعمل كتنقية منهجية ترتكز على مبادئ وقواعد متينة تساعد على البحث والتنحري والتنقيب، وكذلك التحليل والمقارنة، وفي مرحلة نهائية التركيب والتأليف. من ثم فإن وظيفتها الإجرائية تتمثل اليوم بدون جدال في تحضير وتعزيز القرار، سواء بالنسبة للإحجاز أو التخطيط والتوقعات، وسواء في علوم الأرض أو الطبيعة والاقتصاد والتهيئة والتجهيزات والسكان والنقل والملاحة والتدريس وميادين أخرى لا تحصى.

بناءً على مكانتها المكتسبة هذه وكل المهام التي أنيطت بها، فإن مستوى الخرائطية قديماً كان على قدر متطلبات العصر، وكان طبعاً قاصراً عن تلبية جزء كبير مما يحتاجه مستعمل الخرائطية في الفترات اللاحقة، من تنوع في المعلومات ودقة في المواقع. وعليه، يمكن وبحق اعتبار الخرائطية الدقيقة بالمغرب نتاجاً للجغرافية الحديثة، واعتبار هذه الأخيرة وليدة للاستعمار، لما للتحكم في معرفة الوسط المستهدف من ارتباط عضوي بالسلطة والتغلغل والغزو. مع العلم أنه كان للمغاربة والعرب والمسلمين باع طويل في تطوير وإرساء قواعد هذا النوع من العلوم قبل العصر

الحديث. وخير دليل هو ذلك التألق الذي أنجزوه لمدة طويلة، ولا سيما في ثلاث محطات تاريخية رئيسية :

- مرحلة الصورة المأمونية أو خريطة المامون، القرن الثالث (9 م) التي تجسد لوضعها سبعون عالماً، كان ضمنهم الخوارزمي، والتي تعبر عن توجه عام يؤلف بين إرث الفرس وتأثير اليونان في تحديد الأطوال والمناطق ووضع حدود العالم المسكون، مع أوجه عديدة من الإبداع والاجتهاد، في إطار القفزة الهائلة التي شهدتها الجغرافية الرياضية والفلكية أيام المامون، بجانب الجنس الوصفي، من نوع المسالك والممالك (الجغرافيا الإقليمية) الذي ظهر في نفس الفترة (ابن خرداذبة : ابن رسته، قدامة).

- مرحلة أطلس الإسلام، القرن الرابع (10 م) الذي يضم إحدى وعشرين خريطة للبلدان الإسلامية وضعت تحت إشراف أربعة جغرافيين خرائطيين (البلخي، الإصطخري، ابن حوقل، المقدسي)، وهي فترة أوج سادت فيها المدرسة التقليدية التي غلبت الجانب الخرائطي على الاعتبارات الرياضية والوصفية، كما عرفت ازدهار الجغرافية الإقليمية (اليعقوبي وأصحاب أطلس الإسلام) وكذا جغرافية الرحلات (ابن فضلان، المسعودي).

- مرحلة الإدريسي السادس (12 م) الذي يعتبر مدرسة لوحده وأكبر خرائطي ليس فقط على المستوى المغربي الأندلسي أو العربي الإسلامي، بل على صعيد العالم الوسيط. لقد استطاع بروعة تجميع وتركيب كافة المعارف الخرائطية التي عرفتها البشرية إلى ذلك العهد، فحققها وأغناها، ثم أبدع ثلاث تحف ظلت مصدراً لا غنى

عنه حتى القرن (16) على الأقل، وهي خريطة العالم المطبوعة بالألوان على الورق والمكونة من جمع 70 لوحة، والأطلس الذي سمي فيما بعد "الإدريسي الصغير"، والكرة الأرضية الفضية التي أهداها للملك الصقلي روجر.

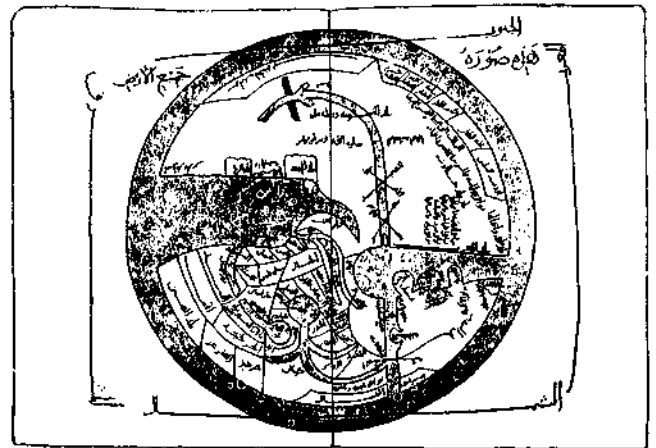
عقب الثورة التي خلفتها أعمال الإدريسي، شهد العالم العربي الإسلامي تدهوراً جسيماً في ميدان الخرائطية، حيث قبع المشاركة في مجال الكونيات ومعاجم البلدان التي برزت ابتداءً من القرن (11)، وفي أحسن الأحوال استمر المغاربة في تتبع نهج الإدريسي، وبالتالي في التميز عن المشاركة والتفوق عليهم نسبياً. وأهم أتباعه : ابن سعيد المغربي (النصف الثاني من القرن (12) وحاجي أحمد التونسي القرن (16) وعائلة الصفاقسي (بين القرنين، 16 و18)، أما التنقلات الشهيرة لابن بطوطة القرن (14) وحسن الوزان القرن (16) فلم تتوج بوضع خرائط ولا بأي تقدم في هذا الميدان.

اعتباراً لفترة الركود الطويلة في هذا الصدد، ونظراً لطبيعة الأوضاع الداخلية في المغرب من جهنم وسيرورة العلاقات بينه وبين أوروبا من جهة أخرى، فإن الخرائطية العصرية، التي تنسم قبل كل شيء بضبط القياسات ودقة تمثيل المظاهر المجالية، لم تدخل المغرب إلا بعد احتلال الجزائر (1830) ولم تتكف وتتنوع إلا بعد تبلور ملامح الأطماع التوسعية الفرنسية، لما للخرائط من أهمية قصوى في توجيه الاستطلاعات وتهيء الهجمات العسكرية والاحتلال. وهكذا ينبغي التمييز بين مرحلة الخرائطية التمهيدية (1832-1883) وبين الفترة التأسيسية (1883-1905) التي كان فيها الإنتاج الخرائطي غزيراً وكان عزم فرنسا لا رجوع فيه.

لقد سعى جل الاستعلاميين إلى المسح الخرائطي أثناء رحلاتهم وتنقلاتهم عقب الاستيلاء على الجزائر. وحتى بعض من لم يسبق لهم زيارة المغرب قد وضعوا خرائط، مثل مولبيراس الذي تم له ذلك عن طريق مخبره ابن الطيب. بل حتى الذين لم يضعوا خرائط، مثل دوتي الذي أعلن بوضوح أنه ليس جغرافياً، كانوا يدققون الوصف إلى درجة أن بعض بياناتهم جاءت عبارة عن "خرائط نصية"، إذ كان همهم الأول هو التحديد بمنتهى الإحكام لأهم المعالم المجالية والأحوال المجتمعية، من أسماء مواقع ومحاور دالة ونقط متميزة ومساحات مستعصية.

ظل المغرب مجهولاً نسبياً إلى ما بعد أواسط القرن الثالث عشر (19 م) بسبب انغلاقه على نفسه. ذلك أن كتاب المرأة الجغرافية والإحصائية للأميراطورية المغربية لصاحبه دو همسو (1832) شكّل المصدر الأساسي إلى بداية الثمانينيات من هذا القرن، كما أن الوصف الجغرافي للأميراطورية المغرب لرينو (1846) ظل المرجع الثاني إلى حدود ذلك التاريخ.

في الوقت الذي ازدهرت فيه الرحلات الاستخبارية



صورة الأرض لابن حوقل عام 370 هـ / 990م

الأوربية، على يد الانجليز والألمان بالأساس، ورغم استسلام الأمير عبد القادر (1897) وقبلها هزيمة إيسلي (1844) التي فتحت أمام فرنسا باب الفضول ودفعتها إلى الميث على التنقيب عن مكامن ضعف وتناقضات الأبراطورية المغربية، فإن محتلة الجزائر استمرت في انكبابها على إخماد والانتفاضات الجزائرية إلى حدود الثمانينيات، وصدت وجهها عن المغرب، فاكثفت ببعض الأبحاث.

كان للمنافسة الأوربية المتعددة الأوجه الدور الكبير في الدفع بالتسابق الاستراتيجي نحو معرفة المغرب لتعويض النظرة الغرائبية إليه. وخلال ربع قرن بعد معركة إيسلي، تعرض المغرب لعدوان متكرر من النواحي العسكرية والدبلوماسية والاقتصادية قد استلزم ريادة مبهمة وخلف استعلامات لاحقة ومتزامنة. إلا أن القضاء على الرحالة "الاستكشافي" فلانترس وبعثته (1880) بمشاركة مغاربة التوات أثناء التجول بالصحراء الجزائرية كان بمثابة الذريعة الحاسمة لتفتين ومنهجة الاستخبارات انطلاقاً من الصحراء، وخصوصاً من الواجهة الجزائرية التي كانت تحتكرها فرنسا. كما أن إطلالة دوفوكو على المغرب أثناء معركة الجنوب الوهرائي هي التي أوحى له بما ينتظره من مسؤولية جسيمة في تدشين العهد الجديد للمغامرات "الاستكشافية" الفرنسية منذ 1883.

لم تتجسد خلفيات المطامع المنقنة في شكل مطالب ترابية معلنة تجاه المغرب إلا بعد احتلال تونس (1881). ومع تحسن وسائل التأطير والمزيد من تراكم الأبحاث حول المغرب، طوعت فرنسا علماءها رسمياً بهدف التوسع العلمي والإعلامي لإشراك الرأي العام الفرنسي والجزائري في مشروع الغزو، وكذا تبرير وتحضير التدخل العسكري والسياسي والتوغل الاقتصادي، وخصوصاً بعد احتداد المنافسة بينهما وبين بريطانيا وإسبانيا وألمانيا. فأصبح تكتيف البحوث حول المغرب ضرورة حتمية خلال العقدين الأخيرين من القرن (19).

بمجرد احتلال التوات (1899) صارت فرنسا سيدة الميدان في باب الإحاطة بشؤون المغرب، وأعطت قفزة نوعية وكمية لبعثاتها الرسمية، قبل أن يختتم الصحفي أويان هذه المرحلة بتقريره المستفيض (1902-1903) التي جاءت كتركيب لكل الأعمال التمهيدية، مباشرة قبيل الأحداث الثلاثة التي وقعت كلها سنة 1904، والتي تعتبر المحاولة الحقيقية الفاصلة لحماية المغرب سياسياً ولغزوه علمياً، وهي عقد الاتفاق الفرنسي - البريطاني وتقديم مشروع الإصلاحات الفرنسية وإنشاء البعثة العلمية الفرنسية. أما بعد مؤتمر الخزيرات (1906) فقد انتقلت الأبحاث إلى مرحلتها النهائية التي أدت إلى بسط الهيمنة الاستعمارية على المغرب.

وهكذا كان ضباط الجيش بخاصة يشكون قبل العقدين الأخيرين من قلة الخرائط وعدم دقتها. فكان يطلب من

الرحالة الاستخباريين المزيد من الضبط الخرائطي. يقول كانال في هذا الصدد بأن اتفاقية للامغنية (1845) "كانت لصالح المغاربة بسبب دهائهم ومكرهم وبسبب تغفلنا وجهلنا لطبغرافية المنطقة". فتعالت أصوات رواد الاستعمار الفرنسي منادية بتكثيف الدراسات الهادفة والموثقة، لتجنب مشكل النقل المتواتر عن المصادر الأولى والتمكّن من التسلح بالمعرفة العميقة للإنسان والأرض والمجتمع، وحتى يتم المرور من الإرتسامات المؤقتة إلى المعلومات الدقيقة ومن الوصف إلى التحليل ومن وضع الخرائط الاستراتيجية إلى المسح المعمق.

أول خريطة حديثة للمغرب وضعت وفق هذه التوجهات، يرجع تاريخها إلى سنة 1846، بمقياس المليونين، أنجزها رونو اعتماداً على كل المعلومات السابقة وضمها لكتابه سابق الذكر. وضعت بعدها "خريطة امبراطورية المغرب" للقبطان بودوان، وقد كانت أهم خريطة مستعملة حتى فترة 1883-1905 التي ستعرف تنويجاً للتكاثف المسح الطبغرافي. وبعد رحلة دوفوكو (1883-1884) التي زينت بالعديد من الخرائط ورسوم المسارات البالغة الأهمية، ظهرت مجموعة من الخرائط الشاملة والممتازة أحياناً، أهمها:

- خريطة الألماني هابنيخت (1885)،

- لوحة المغرب ضمن خريطة إفريقيا (بيسي، 1887)،

- خريطة الأنجليزي دالتن (1889)،

- خريطة الألماني شنيل (1892)،

- خريطة مؤقتة للمغرب في 13 لوحة نشرتها المصلحة الجغرافية الفرنسية للجيش (1894).

- خريطة دوفلوط (1897) التي تعتبر أكثر دقة وكان لها الوقع الكبير في الأوساط العلمية والسياسية والعسكرية. تختلف خريطة دوفلوط عن سابقتها باعتبار أنها وضعت بمقياس أكبر من الوثائق المتداولة عند الجمهور آنذاك، ولأنها استندت على كافة المراجع، فألفت بين كل وثائق الجمعية الجغرافية لباريس ومسودات ضباط البعثات العسكرية بالمغرب، وخصوصاً منهم لوفالوا، أحد رؤسائها السابقين، كما اعتمدت على المسارات الأولى للماركيك دوسيكونزك ومسارات دوفوكو ومعلومات مولييراس ومسارات فريجوس ودو فيريبي. إلا أنه نظراً لبعض الأخطاء التي تضمنتها في مواقع بعض العناصر والمراكز، فقد حث برنار في مقال له على تجاوز هذه الأخطاء بإغناء رصيد دوفلوط.

أما الدكتور فايسجبرر، الذي لا يحصى ضمن أهم الخرائطين خارج منطقة الشاوية، فلما وصل لأول مرة إلى الدار البيضاء (1896)، كانت لديه أحسن الخرائط الموجودة حول المغرب، وأساساً الطبعة الأولى من خريطة دوفلوط، لكنها لم تكن كافية، فأغناها وأضاف معطيات جديدة لها، مما جعله يتعاطى فيما بعد للمسح الميداني المكتشف في الشمال الغربي وخصوصاً في الشاوية.

خلاقاً لما تريد إخفاءه بعض الكتابات الاستعمارية تحت ستار حبّ الاستطلاع والمغامرة والمبادرة الشخصية والروح الوطنية، لم يتم أي واحد من هؤلاء العيون بمهامه بمعزل عن تشجيع وتأييد مختلف المؤسسات، سواءً كانت علمية وإعلامية (الجمعيات الجغرافية، لجنة المغرب، لجنة إفريقيا الفرنسية، ...) أو مصالح عسكرية (وزارة الدفاع، البعثة العسكرية، الجيش بالجزائر...) أو مدنية (وزارات التربية الوطنية والشؤون الخارجية والتجارية، ...) أو اقتصادية أو بعثات ومؤسسات دبلوماسية.

في هذا الإطار، ظلت تمثل الجمعية الجغرافية بباريس منذ نشأتها سنة 1821 المنبر الرسمي والسند الأساسي لكل "الاستكشافيين". جميع المتجولين في المغرب تقريباً، من أجل الدراسة والإخبار، قد أرسلوا في مهام توطرها الجمعية، أو كانوا في علاقة معها. وكلهم كتبوا أو كتب عنهم في منشوراتها، "حوليات الجغرافية" و"نشرة الجمعية الجغرافية" و"الجغرافية". وقد اشتهر دو فوكو بصلته الوثيقة بالجمعية الجغرافية، وهو الذي اتفق عام 1885 مع كاتبها العام مونوار لتشجيع دوفيري، الذي كان نائباً لرئيسها سنة 1884 وصاحب خبرة وتجربة في الميدان، حتى يستأنف رحلاته إلى المغرب بعد أن انقطعت منذ 1860. وهما اللذان عملاً أيضاً على التخفيف من خيبته بعد فشل رحلته إلى الريف (1886).

هذا دولس الذي كتب في بداية 1887 رسالة إلى الجمعية يخبرها بانطلاق جولته من جزر كاناريا والصحراء، ثم بعث لها تقريراً كي تسانده في رحلته إلى سوس ومراكش، ونشر التقرير النهائي سنة 1888 في "نشرة الجمعية الجغرافية". وذاك سولر الذي زار المغرب سنة 1887 وكان على اتصال بالجمعية. والآخر دليغل الذي أرسل بياناً في سفره الثاني (1899. 1900)، وحتى الطبيب فايسجيرير كان على علاقة مع الجمعية، ولم يتمكن من وضع شبكته الخرائطية بالشاوية والشمال الغربي إلا بتمويل جزئي منها ومن "لجنة المغرب".

تجدر الإشارة إلى أن الأعمال الخرائطية قبل الإعلان الرسمي عن الحماية، كما هو شأن الرحلات عموماً، كانت تتمّ مقابل تضحيات جسيمة تصل بعضها إلى السجن والقتل، وكانت تتطلب تهيئةً وثائقياً محكماً قد يدوم أعواماً عديدة، كما يشترط ربط اتصالات مع الأوساط الدبلوماسية والسلطات المخزنية بالمغرب إذا كانت رسمية أو علنية، لطلب الإذن بالتنجول وتخضير لترتيبات المادية اللازمة.

بجانب التجار والصناع ومستخدمي الشرطة البحرية والجمركيين وآخرين، كان للسلك الدبلوماسي فعلاً النصيب الأوفر في تنظيم الرحلات الاستطلاعية وتقديم العون المادي والمعنوي. وحتى المخزن وموظفوه كانوا يسهلون عمليات البحث، سواءً بإرادة منهم في حالة السماح لهم بذلك أو

بطريقة غير مباشرة عند استقبال الاستعلاميين البعثات القنصلية أو دعوتهم للمشاركة في الحركات، كما هو شأن سولر الذي اشتغل بكل حرية في "بلاد المخزن" بسوس. لكن التجسس الواضح أو الإفراط في الفضول كان يقابلان دائماً بالرفض. وهكذا سجن دليغل أثناء تسريه في حركة تافيلالت (1893)، لما كان الأوربي الوحيد الذي أذن له بالمشاركة هو الدكتور ليناريس. كما سجن دولس عندما اكتشف أنه قدم من الجنوب إلى مراكش متنكراً وباحتاً عن المزيد من الوثائق الاستخبارية (1887). وقنصل الصورة الفرنسي لاکوست هو الذي ساعده على الفرار إلى أسفي ثم الجديدة وفرنسا عبر الجزائر بحراً، كما قدم العون لدولا مارتينييار عندما أتى من سوس وجرح قرب الصورة.

إن المنقذين داخل التراب الوطني كانوا يكشفون عادة هويتهم في المغرب الشرقي (كانال، دوميت،...) نظراً لاستئناس المغاربة بالأوروبيين منذ احتلال الجزائر. وآخرون كانوا يلبسون الزي المغربي دون إخفاء هويتهم الأوربية، كمثل دولا مارتينييار أودوسيگونزاك وبعض أعضاء البعثة العسكرية (إيركمان، دوبروي، ليناريس،...). لكن البعض الآخر كان يعمل في سرية (القبطان لاراس) أو متسترراً تماماً في شخصيات مسلمة (كايي من قبل ودولس وغولفس ودليغل،...). ما عدا دو فوكو الذي تنكر في زي يهودي. لقد عمل جلهم على التهييء العملي لدخول المغرب بتعلم الحضارة العربية الإسلامية واللغة العربية واللباس المغربي والشعائر الإسلامية، أو تدربوا على ذلك في الجزائر (دو فوكو، دوفيري، دوسيگونزاك، برنار، دوشافانك، دوتي،...).

إضافة إلى تمكّنهم من التنجول دون إثارة شعور وأحاسيس الناس واستطاعتهم العمل بحرية بسبب التنكر، كان الاستعلاميون يتخذون مرشدين يهتدون بهم للوصول إلى أعماق ما يريدون، وأصدقاء من الأعيان والأشراف والشيوخ يحتمون بهم لتأمين حياتهم. رغم ذلك فإنهم كانوا دوماً معرضين للمخاطر ومهددين بالموت، ولو كانت بعض مهامهم مرخصاً بها. ومن الأحداث البارزة في هذا الشأن نذكر قتل دافلسن بالجنوب وتعرض غولفس لمحاولة القتل على يد مرشديه في تافيلالت، وقتل دولس على يد مرشديه الطوارق في الصحراء، وانتحار دوفيري (1892) بعد فشل مغامراته بصحراء الجزائر ورحلته إلى المغرب، والهجوم على دولا مارتينييار غيراً مرة، وقتل فوري بالريف (1899) ومحاولات قتل دليغل،...

إن التوقف ملياً عند الحقيقتين الخرائطيتين، التمهيدية والتأسيسية، له كثير مما يبرره، باعتبار أن التوغل العلمي يعدّ وسيلة استراتيجية حاسمة لإحكام الضغط الدبلوماسي والسيطرة الاقتصادية والإكراه العسكري. ورغم كل ما يعاب على ما توصل إليه الخرائطيون من نتائج إلى حدود القرن (20)، فإن فرنسا وجدت نفسها على أتم الاستعداد

في هذا الميدان، لما استقر الرأي الأوربي على الاحتلال. اعتماداً على الذخيرة الموروثة التي عجلت فرنسا بإتمامها وإغنائها وتحديثها، شرعت في تدشين عهد فاصل تسود فيه خرائط القيادة العليا (الطبغرافية)، التي تعتبر قاعدة لسائر الخرائط الأخرى، والتي عرفت تحسناً سريعاً بفضل تطور الطيران وطرق التثليث والمسح والتصوير والطباعة. على أن الخرائطين الطبغرافيين المغاربة يميزون اليوم بين ثلاث مراحل طبغرافية متدرجة، وهي الاستطلاعية (بين 1905-1920) والمنتظمة (من 1920 إلى الاستقلال أو حتى 1963) والحديثة (ابتداء من 1963).

إن التطور العاجل الذي حققته الخرائطية الطبغرافية يستمد جذوره من مختلف الأعمال الميدانية التي تراكمت في نهاية القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر (19-20 م). وكان الكثير من رواد الاستعمار، باختلاف تخصصاتهم ومهامهم، يتحينون الفرصة للقيام بالمسح الخرائطي والاستطلاع الميداني، لا سيما أثناء الرحلات والحركات والهجمات العسكرية. على سبيل المثال، بعد الهجوم على عين الشعير (1870)، لتأديب قبيلة بني كيل، نتج عنه تحري حوالي 250 كلم غرب الحدود الجزائرية. كما أن دوكاستري وضع خريطة للمغرب (1887) بسبب النزاع حول الحدود، وكلف بتسليمها للحسن الأول، فانتهاز فرصة سفره لمسح الطريق الرابطة بين الدار البيضاء ومراكش، وكان ذلك أساس زحف الجيش الفرنسي بالشاوية سنة 1908 وبعدها استمر فايجيرير في مجيئه الأول إلى المغرب (ابتداء من 1896)، في مسح المسارات على حصانه إلى أن بلغت

في المجموع 3000 كلم، منها 2000 كلم بالشاوية وحدها، حتى إنه أخذ يتبجح بما أسداه بخرائطه من خدمات لتسهيل مهام الغزاة، حيث استعان الجنرال داماد بخريطة الشاوية في أحداث 1907. كما أنه حين رجع إلى المغرب في 1907 كمراسل لنشرة "الزمن" وكمكلف بمهنة لدى وزارة الشؤون الخارجية صرح أنه "واثق من أن الأحداث لن تلبث أن تحتتم علينا احتلال فاس ومراكش، فشرعت فوراً في استطلاع المنطقتين بدقة، الأولى سنة 1909-1910 والثانية سنة 1911، فجمعت عنهما كل المعلومات المجدية". خريطة فاس استعملها الجنرال موانبي في مسيرته نحو فاس، قبل أن تطبع سنة 1912، وخريطة مراكش استعملتها مصالح ما نجح في هجومها على مراكش.

لكن غالبية الاستعلاميين كانوا ضباطاً عسكريين سبق لهم أن تلقوا تعليماً في المسح الخرائطي أو مارسوه في الميدان، أمثال الكومندار دوبروي (1886-1888) الذي كان رئيساً للبعثة العسكرية، والقبطان ماجان الطبغرافي الذي كان يعمل بالحدود ويتجول في المنطقة بين 1900 و1902 والقبطان طوماس (1891). غير أن في نهاية القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر (19-20 م) كان القبطان لاراس يعدُّ أهم "استكشافي" في "بلاد المخزن"، وهو مهندس طبغرافي عسكري قام بتغطية ما يقرب من 8000 كلم من المسارات بين 1889 و1903. بالمقابل، كان الماركيز دوسيكوتزك يعتبر أهم شخص في "بلاد السية"، حيث قال عنه أحد أبرز أقطاب الاستعمار الجزائري (إتيان) إنه



مدينة بركان

"خَلَفَ دو فوكو بحق". أما المؤرخ الجغرافي برنارفسوف  
يكبر شأنه لاحقاً.

كانت الخرائط توضع أيضاً من طرف مختصين آخرين،  
سواءً في علوم الأرض أو الطبيعة أو الآثار. أمثال جانتي  
الذي تحول ووضع عدة خرائط بين 1904 و1905 وريث الذي  
زار المغرب بين 1901 و1907 ولوموان (1904)  
ودولامارتينبار الذي سافر كثيراً داخل المغرب. أما بعض  
واضعي الخرائط فقد تعلموا المسح بالممارسة الميدانية، مثل  
دوفيربي الذي قام برحلة فاشلة بالنسبة له ولكنها كانت  
ناجحة من الناحية العملية (1886)، حيث استطاع مسح  
مسار جديد بين مغنية ومليلية، طوله 118 كلم.

لقد كان المغرب مقسماً سنة 1905 إلى مجموعتين  
خرائطيتين متميزتين، وهما مجموعة المغرب الشرقي  
المعتمدة على قوارول المساحي الجزائري، والمجموعة الغربية،  
انطلاقاً من الدار البيضاء، المرتكزة من البداية على  
إحداثيات محلية.

فكان من اللازم ملء الفراغات جيوديزياً، وضمّ  
المجموعتين إلى بعضهما. ورغم أن ذلك قد تحقق بين 1905  
و1913 على الخصوص بكثير من النقائص وعدم الضبط،  
فقد كان كافياً لوضع خرائط لا تحتاج آنذاك إلى الدقة  
الحالية من العيوب.

وقد تمّ وضع خرائط طبغرافية من مقياس 1/100 000  
و1/200 000 ارتكازاً على شهبليج كلارك وعلى مسقط بون  
المتكافئ. لكن المسح الميداني مباشرة بواسطة اللوحة  
التقليدية كان من شأنه تأخير تغطية المغرب بهذا النوع من  
الخرائط إلى حدود 1932.

إن فرنسا هي التي كانت تسهر على كل الأعمال  
الخرائطية عن طريق المصلحة الجغرافية للجيش أو المعهد  
الجغرافي الوطني، سواءً بالنسبة لهذه الفترة أو بالنسبة  
للمرحلة اللاحقة والمتعلقة بالطبغرافية المنتظمة. وتتميز هذه  
الأخيرة عن سابقتها بمجموعة من الخصائص :

- استبدال مسقط بون بمسقط لامبير المخروطي المطابق،  
ورسم شبكة تثليث جديدة كانت تشمل سنة 1954 كل أقاليم  
المغرب خارج الأطلس الصغير والصحراء والريف (الذي تمت  
تغطيته بين 1958 و1963) ؛

- تحديد معالم السطح إما بواسطة المسح الميداني المباشر  
أو اعتماداً على التصوير المسامي الضوئي والتصوير المجسم  
والتثليث الجوي ؛

- اتخاذ مقياسين أساسيين يتم من خلالهما  
تقطيع المغرب إلى رباعي من حجم 23.5 كلم x 27.5 كلم  
في مقياس 1/50 000 و48 كلم x 55 كلم في مقياس  
1/100 000 ؛

- اتخاذ فارق ارتفاع بين خطوط التسوية يتراوح  
بين 10م و20م في 1/50 000 وبين 20م و50م في  
1/100 000 ؛

- احترام القواعد المنمطة للهوامش والرموز الاصطلاحية  
واستعمال خمسة ألوان وتحسين تقنيات الرسم والطبع ابتداءً  
من 1922.

بعد الاستقلال، وعلى الخصوص ابتداءً من 1963،  
شهد المغرب تغيرات عديدة في معالمه المجالية وقطاعاته  
الاقتصادية، فكثرت الطلب على الخرائط لاستعمالها في  
شتى ميادين البناء والإنجاز. وقد صادف ذلك تطوراً  
ملموساً وسريعاً لوسائل التصوير العمودي والتصوير  
المسامي الضوئي وتقنيات قياس المسافات وفنون الطباعة.  
فكان لزاماً أولاً (1963) تحويل صلاحيات وضع الخرائط  
المغربية من فرنسا (المعهد الجغرافي الوطني) إلى المغرب  
(مديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبغرافية)، وبالتالي  
استرجاع جميع الوثائق والأصول الخرائطية الوطنية ؛ علماً  
بأن المغرب ظل متعاقداً مع المعهد الجغرافي الوطني إلى  
حدود 1978 لإنجاز 270 خريطة، قبل أن تتم مغربة هذا  
القطاع ابتداءً من ذلك التاريخ.

كان ضرورياً كذلك أن تتجانس الشبكة الجيوديزية وأن  
تتكثف وتوسع لتشمل مناطق جديدة (الأطلس الصغير بين  
1964 و1967) وأن يراجع شمولياً قياس الارتفاعات  
(1955). وهكذا تم التعجيل بتحديد التغطية الطبغرافية  
الأساسية (1/50 000) وتعميم مقياس 1/100 000، علاوة  
على تغطية الأقاليم الصحراوية بالصور الجوية (1/60 000)  
وخرائط من مقياس المليون، وإضافة العديد من تصاميم  
المدن والخرائط ذات مقياس 1/25000 بالنسبة لبعض المناطق  
كثيفة السكان والنشاط الصناعي والفلاحي.

يتبين من خلال الحصيلة، إلى حدود 1992، أن قطاع  
الخرائطية الطبغرافية قد أنجز 888 خريطة منذ البداية، منها  
59 تصميماً حضرياً (بين 1/500 و2/20000) و46 خريطة  
عامة (16 من فئة 1/500 000 و7 من فئة المليون) و783  
خريطة طبغرافية ذات المقياس الكبير أو المتوسط، تتوزع  
على مقياس 1/250 000 (50 خريطة) و1/200 000 (15  
خريطة) و1/100 000 (213 خريطة) و1/50 000 (425  
خريطة) و1/25 000 (80 خريطة). وما يجدر ذكره على  
صعيد مجموع الخرائط المنجزة أن فترة 1963-1978 كانت  
أكثر إنتاجاً (43%) من الحقتين السابقتين (25%) واللاحقة  
(32%). هذا إضافة إلى عدد قليل وحديث من الخرائط  
التقنية (ملاحة بحرية وجوية) وكذا الموضوعية (فلاحة،  
سكان،...).

تجدر الإشارة أيضاً إلى أن المعهد الجغرافي الفرنسي قام  
بوضع 56% من مجموع التراث الطبغرافي الوطني من  
البداية إلى سنة 1978. لذلك يتعين أكثر فأكثر على قسم  
الخرائطية أن يساير التحولات والمستجدات التي تطرأ على  
المجال الوطني، وذلك بالزيادة في وتيرة تغطية البلاد  
بمختلف أنواع الخرائط الأساسية والمشتقة لتعويض خصائص  
يتراوح بين 30% و50% حسب مختلف المقاييس، والسهر



كذلك على تدعيم وتحسين التكوين والتدريب، مع الإسراع في إيقاع مراجعة وتحسين الخرائط المتقدمة، باعتبار أن نسبة الخرائط التي نشرت قبل 20 سنة تبلغ حوالي السدس، وكذلك إدخال الوسائل الحديثة في وضع ومراجعة الخرائط من استشعار عن بعد وخرائطية رقمية.

التأكيد على سيرورة الخريطة الطبغرافية لا يتوقف هنا على ضخامة الاستثمارات المرصودة لصناعتها، من مهارات تقنية ومستلزمات مادية، وتعبئة إدارية وأجال للإنجاز، بقدرما يجد تعليلاً من جهة في الدور الجسيم الذي لعبته أثناء مصابقتها لعمليات التغلغل، ومن جهة أخرى في قيمتها الذاتية الثابتة كمصدر للمعلومات وأداة للقياس والاستدلال. وهي خصائص تميزها إلى حد بعيد عن الخريطة الموضوعية التي تبدأ عادة حيث تنتهي الخريطة الطبغرافية. ذلك أن واضع الخريطة الموضوعية يلجأ في أكثر الأحيان إلى تعميم الخريطة الطبغرافية، أو بالأحرى الخريطة العامة، وتصغيرها والاحتفاظ من بين معطياتها بما يفيد التوطين وتعيين حدود. وبالتالي يكون مألها في أقصى الأحوال هو الاختزال في شكل هيكل يحمل فيما بعد برموز إيحائية أو اصطلاحية أو تجريدية لا علاقة لها بالأصل. بل قد لا يتم الاحتياج إليها البتة إذا كان أساس الخريطة الموضوعية يقتصر على صورة جوية أو صورة قمر صناعي.

من زاوية أخرى، إذا كانت الخريطة الطبغرافية مقيدة بقواعد مقننة ومواضيع منمنطة وتقنيات معيارية، فإن الخريطة الموضوعية هي مادة في غاية الانفتاح على المواضيع والأساليب اللامتناهية، ومن ثمة تشجع على الحيار والإبداع. لذلك، ومهما تعددت وتوسعت استعمالاتها، فإن الخرائطية الموضوعية ظلت تعتبر إلى اليوم ركناً لا محيد عنه من أركان الجغرافية التي تضطلع دوماً وبغيره قصوى بمشروعية احتضان هذا الميدان والوصاية عليه، لأنه من صميمها ويندرج في صلب تفكيرها، كما تغذية بالأساس رواقها التي تهتم على السواء بتمثيل الأرض والإنسان والمجتمع والموارد والمنشآت والحركة والعلاقات.

لاغرواً إذن أن نرى الساهرين على السياسة الاستعمارية يتعاملون مع الخرائطية والتقارير الميدانية التمهيدية تعاملاً نفعياً وإجرائياً فورياً. ورغم أن الخريطة الموضوعية أقدم بكثير من الخريطة الطبغرافية، فإن هذه الأخيرة هي التي حظيت بأولى الأولويات، لأنها كانت تستخدم حالاً في تنظيم المعارك، علاوة على استعمالها للتعرف على الأقاليم وكل المعالم السطحية المساعدة على الغزو والاحتياج. لذلك وضع ليوطي على رأس قائمة مبادئه الثلاثة، التي أعطت أكلها في مستعمرات أخرى "المسح الاستعلامي للمنطقة التي يراد اقتحامها، لإفراز تناقضاتها" (إ. أبو طالب). فتأسست الجمعية الجغرافية المغربية ومنبرها مجلة جغرافية المغرب سنة 1916 بإيحاء منه وبمساندته، كما شجع

الجغرافيين والخرائطيين بعد أن فطن عقب الحرب العالمية بمناطق عديدة غير محتلة كانت مجهولة، وأخرى كانت تتطلب تعميق وتكثيف الاستعلامات والمسح الميداني، حتى أن العلاقة ظلت وثيقة بين الجغرافيين والعسكريين إلى أن رحل عن المغرب (1925)، ثم أخذ يتلاشى هذا التواطؤ في بداية الثلاثينيات بالنظر إلى توطيد الاحتلال واستنفاد منافع الجغرافية الوصفية والميدانية، وبعد قطع أشواط في تنظيم القطع الطبغرافي الذي أوكل حصراً على الجيش.

هكذا أخذ الاتجاه الجغرافي والخرائطية الميداني للعالة والتعاون يفقد حظوته لصالح العلوم الانسانية والاجتماعية الأخرى، خصوصاً بعد ذهاب هاردي إلى الجزائر، وهو أحد أبرز أعمدة الجغرافية الاستعمارية (مع سيليربي وبرنار). فتم إطلاق العنان للخرائطية الموضوعية بعد أن انزوت الجغرافية وانعكفت على التدريس، وسخرت أعمالها لأغراض "تنموية" و "تنويمية"، تحت شعار العلم للعلم وتجريد المعرفة عن التطبيق، اللهم ما كان صالحاً "للخير" وترقية "المغرب الجديد" واحترام "الروح الأهلية". عندها تعمق التفكير في المجال وفي سبل تنظيمه، وتمّ تنبيه السلطات بطريقة "بناة" إلى تناقضاتها ونقط ضعفها.

لم يكن من بين الجغرافيين من يهتم نسبياً بهذه الادعاءات التشويهية والتنمويهية سوى دريش الذي كان يفضل رمزياً في البداية تسليم خرائطه إلى النشرة الاقتصادية والاجتماعية على أن يسلمها لمجلة جغرافية المغرب، وكان يناهض الحماية مناهضة علمية وسياسية صريحة ومستمرة. لكنه لم يتمكن من إحاطة نفسه باتباع وزملاء لهم نفس القناعات والاختيارات. كان سنده الوحيد هو فوج انتقالي نقدي من الجغرافيين الجدد الذين تفرغوا للمشاكل العلمية الصرفة بعد الحرب العالمية الثانية (رينال، جولي، عياش، مورير، لوكوز). وظلّ هذا النهج سائداً حتى بعد الاستقلال. وهو المنحى الذي أدى إلى ازدهار الخرائطية الموضوعية.

ع. حميدة، أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر، دمشق، 1980 : أ. الغرباوي، البحث الجغرافي والالتزام السياسي في المغرب، البديل، الرباط، 1983، عده 4-5، ص. 54-65 : إ. أبو طالب، التاريخ المعاصر، البحث الغربي حول المجتمع المغربي في الفترة الاستعمارية (حصيلة وتقييم)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1986 : م. عباد، الأهداف الاستعمارية للاستعلامات الجغرافية (1880-1904)، الجامعة الصيفية، وزارة التربية الوطنية، المحمدية، يوليوز 1987.

J. Canal, *Les troubles de la frontière marocaine. Bull. de la Sco. de Géo. et d'Archéo.*, tomeVI, Fasc. XXIX et XXX, Oran, Mars - avril, 1886, p. 112 - 121 ; A. Bernard, *Une nouvelle carte du Maroc. Bull. de Géo. et d'Archéo.*, t. XVII, Fasc. LXXII, Oran, 1987, p. 63 - 66; F. Weisgerber, *Contribution à l'histoire de la cartographie marocaine, R.G.M.*, t. VII, Fasc. 7, Rabat, 1928, p. 5 - 6 ; F. Gendre, *Voyageurs et géographes pionniers oubliés ou méconnus de la France, R.G.M.*, N° 1 à 4, Rabat, 1946 ; A. Hakam, *La cartographie au Maroc, le topographe*, Rabat, mars 1984, N° 4, p. 15 - 24; M. Naciri, *Déterminants et contextes de la production du*

*savoir géographique au Maroc de la fin du XIXè au milieu du XXè siècle, la recherche géographique sur le Maroc, Rabat, 1989, p. 11 - 30 ; M. Hmam, La cartographie au Maroc : situation et perspectives, topographe et foncier, Rabat, juill. 1992, N° 2, p. 11 - 16 ; A. El Gharbaoui, Cartographes et géographes arabo-musulmans aux temps de leurs splendeurs, Pub. Rev. Esp. Géol. et Soc. Ma., Casablanca, 1999.*

مصطفى عياد

**الخراشف،** أسرة تطوانية أصلها من قرية الخراشفة من فرقة الريسانة بقبيلة الخلط ؛ وقد انقرضت بتطوان. كان منهم بها :

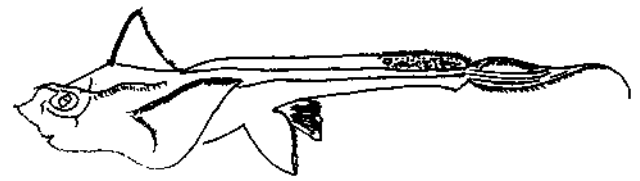
**الخراشف، عبد السلام** بن أحمد فقيه زاول نفس الخطة من سنة 1214 / 1799 إلى سنة 1291 / 1804.

**الخراشف، محمد** بن أحمد فقيه زوال خطة العدالة بتطوان سنة 1192 / 1778.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 608.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخرافة** أو السمكة المخيفة كما هو في المعاجم، نوع من الأسماك البحرية الغربية المنظر. تنتمي إلى طائفة الأسماك الغضروفية ورتبة مكتملات الرؤوس Holocéphales وفصيلة الخرافيات Chimaeridae. تسمى علميا *Chimaera* وبالفرنسية *Chimère* وبالإنجليزية *Rabbit fish* وبالاسبانية *Quimera*. الإناث أكبر حجما من الذكور ولا يتعدى طولها متراً واحداً. غليظة الصدر والرأس، مستدقة الذنب السوطي الطرف. الجسم مضغوط جانبيًا. العينان كبيرتان وبارزتان، الفم باطني الوضع يحمل أسنانا ملدحة مع بعضها



خرافة

ومتواصلة النمو. توجد على كل جانب أربع فتحات خيشومية مغطاة بغشاء جلدي. يحمل وراء رأسه شوكة قوية يصل طولها أحيانا 10 سم لها صلة بالغدة السامة. على ظهرها زعنفتان غشائيتان، الأولى منتصية وراء الشوكة مثلثة الشكل، والثانية ممتدة على طول الظهر ولا يتعدى علوها 3 سنتيمترات. الزعنفة الشرجية صغيرة جداً. الزعنفة الصدرية كبيرة ومستدقة الرأس. الزعنفة الحوضية مثلثة الشكل عند الإناث وتتحول إلى أعضاء تناسلية عند الذكور. الجسم خال من الحراشيف، قضى رمادي مخضر اللعان على الظهر والجانبين ومصفر على البطن.

يشمل توزيعها الجغرافي السواحل الغربية للبحر المتوسط والسواحل الأطلسية الشرقية الممتدة من رأس الشمال إلى المغرب. تعيش في أعماق البحار المتراوحة ما بين 300 وألف متر وتتغذى على القشريات وصغار الأسماك والرخويات. تتوالد في الربيع والصيف وتضع الإناث البيض بداخل غشاء يلتصق بالصخور.

تُصَاد بواسطة الجيّاب Chalutier والصنابير التي ترمى في الأعماق. إنه سمك نادر في الأسواق نظراً لقلّة الإقبال عليه ويحتوي كبده على زيوت تشحيمية تستعمل لتسهيل حركات آلات الصناعة الميكانيكية. يعتبر الإسبان من أكبر صيادي هذا النوع في البحار المحيطة بالمغرب.

م. الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1988.

W. Fischer, M. Schneider et M. L. Bauchot, *Fiches, FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche. Méditerranée et Mer Noire, Volume II, vertébrés*, 1987, p. 889 - 890.

محمد رمضاني

**الخرباش،** أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغوا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Girbes - Carbas. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

وهناك الخرباش، عائلة جبلية تطوانية مازالت موجودة. وقف الفقيه الرهوني على رسم مؤرخ بـ 15 ربيع الأول عام 1214 مضمّن أن أولاد الخرباش شرفاء ميمونيون وذكر عمود نسبهم الذي ينتهي إلى أحمد بن إدريس ابن إدريس. وهم غير الميمونيين المشهورين بقبيلة بني بوزرة وغيرها المنتسبين لميمون والد الفقيه الصوفي الشهير علي بن ميمون الغماري البوزراتي، بل نسبة هؤلاء إلى ميمون بن محمد بن رزق.

أ. الرهوني، عمدة الراويين في تاريخ تطاون، 4 : 139، مخطوط خاص، م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 609.

محمد ابن عزوز حكيم و محمد بوخيرة

مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية : Girbes - Carbas ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 610.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخرباشيون**، أو إخرباشن، إحدى التجمعات السكانية المستقرة بـخمس بني بوفورور من قبيلة قلعية، أصلهم من السجع الهلاليين، حلفاء بني مرين منذ دخولهم إلى إقليم كرط. استقروا بجانب واد خميس جزولة خلال الزحف المريني إلى الشمال الشرقي المغربي حوالي سنة 1212 / 609.

مجهول، نسب قبيلة قلعية، مخطوط، خ. ع. الرباط ؛ ابن أبي زرع، القرطاس ؛ ع. ابن خلدون، العمر ؛ ح. الفكيكي، المقاومة المغربية للوجود الإسباني ببليلية، 1497، 1859، البيضاء، 1997، تازوفا، معلمة المغرب.

حسن الفكيكي

**خربان**، حميدو، هو الاسم الذي اشتهر به البطل الشريف أحمد بن الحسن الدقاش العمراني الذي كان آخر مجاهد استسلم بشمال المغرب يوم 9 يوليوز 1927 حيث اعلنت القيادة العسكرية الإسبانية عن انتهاء المقاومة المسلحة بشمال المملكة.

وكد المترجم له بمدشر ادقاشين بيني عمران من فرقة بني علي بقبيلة بني حسان في حدود سنة 1900 ؛ وفي سنة 1920 التحق بصفوف المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني.

يقول عنه الكولونيل كباص في مذكرته بعنوان : *Cabecillas rebel des Gomara* (الزعماء الثوار بغصارة) التي أعدها لنيابة الأمور الوطنية ما يلي :

"احميدو خربان من سلالة الشرفاء العمرانيين الذين يتمتعون بنفوذ كبير في قبيلة بني حسان، وقد التحق بالمقاومة في سن مبكر وكان دائماً بجانب الزعيم احميدو السكان خليفة الريسوني الذي استشهد في المعركة الأولى بضواحي تازروت سنة 1922، وكان خربان آخر من استسلم أمام الجنرال سانخورخو بباب تازة يوم 9 يوليوز 1927".

ويقول عنه أحمد البوعياشي في كتابه حرب الريف التحريرية (2 : 241) ما يلي :

"المجاهد أحمد بن الحسن العمراني المعروف باحميدو خربان الذي كان له الفدح المعلى في الجهاد عند الغزو الإسباني والذي كان آخر من اعتصم في جبل العلم مع ثلة

**ابن خرباش**، **السعود الحشمي** نسبة إلى جماعة الحشم أطلاق بني مرين وصنائعهم. وكان السعود هذا وزيراً للأمير أبي بكر بن عبد الحق المريني ونائباً له على مدينة فاس بعد أن استولى عليها في شهر ربيع الأول من سنة 647 / 1249. وفي شهر شوال من نفس السنة. وأثناء غياب الأمير أبي بكر في إحدى فتوحاته ببلاد فازاز اجتمع أشياخ فاس بزعامة الشيخ المشرف ابن جشار وأخوه وابن أبي طاطو وولده والقاضي أبي عبد الرحمان المغيلي وتأمروا على خلع الأمير وأغروا قائد الروم شديداً بقتل السعود فقتله واحتزت العامة رأسه ورفعوه على عصي وطافوا به في أسواق المدينة ثم انتهبوا داره واستباحوا حرمه.

ويعدوة الأندلس من فاس درب يعرف بدرب السعود حيث يعتقد البعض أنه ينسب إلى الوزير السعود بن خرباش المذكور.

ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 396-397 ؛ مجهول، الفخيرة السنية ... دالرباط، ص. 74-76، 1972 ؛ ابن أبي زرع، القرطاس، ص. 294-295، الرباط، 1972 ؛ ع. ابن خلدون، العمر، بيروت، ج 7 ؛ 358-360، 1978 ؛ ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، تج. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص. 113، 1981 ؛ ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، ص. 57، الرباط، 1972 ؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص. 174، الرباط، 1974 ؛ أ. الناصري، الاستقصا، ج 3 ؛ 15، الدار البيضاء، 1954.

A. Khaneboubi, *Les premiers sultans merinides* (1269 - 1331), Paris, 1987, p. 104.

**ابن خرباش**، **عمر بن السعود الحشمي** أبو علي استوزر للسلطان يعقوب بن عبد الحق المريني ولخليفته يوسف. وفي عهد هذا الأخير قاد ابن خرباش عدة حملات عسكرية كان أشهرها منازلته لحصن تازوطة بالريف سنة 691 / 1292 بعد أن استبد به بعض المخالفين للسلطان كعمر ابن يحيى بن الوزير الوطاسي وأخيه عامر. وفي سنة 693 / 1294 حاصر ابن خرباش مدينة طريف مدة فامتعت وأفرج عنها.

ع. ابن أبي زرع، القرطاس، ص. 381-384، الرباط، 1972؛ ع. ابن خلدون، العمر، بيروت، ج 7 ؛ 449-450، 1978 ؛ إ. ابن الأحمر، روضة النسرين، ص. 21، الرباط، 1962 ؛ النبعة النسرنية واللحة المرينية، تج. عدنان محمد آل طعمة، ص. 37-39، دمشق، 1992 ؛ بيوتات فاس الكبرى، ص. 438، الرباط، 1974 ؛ أ. ابن القاضي، جذوة، الرباط، 1974، ص 438 ؛ أ. الناصري، الاستقصا، ج 3 ؛ 73-75، الدار البيضاء، 1954.

رشيد السلامي

**الخرباشي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث

من المجاهدين، فلم ينزل إلا عندما استحال الدفاع فألقى عليه الإسبان القبض وعذبه وسجنوه وعمر طويلاً إلى أن توفي رحمه الله سنة 1970".

ونفس هذه الشهادة نجدها عند العياشي المريني في كتابه "النضال الجبلي" الجزء الثاني، ص 6.

وأما قصة استسلامه فنجدها في تقرير أعدده الكولونيل لاسكيطي بتاريخ 9 سبتمبر 1927 حيث قال :

"في أوائل شهر يوليو 1927 كان جميع الزعماء المحليين الذين ظلوا يقاومون عملية التهدة قد سلموا أنفسهم إلى قواتنا في جميع أنحاء المنطقة باستثناء الثائر المسمى امبيدو خريان المعروف بعداوتة لنا والذي ظل معتصماً بجبل بوهاشم إلى آخر لحظة.

"وعندما اشتد عليه الحصار من كل جانب ونفذ ما كان لديه من زاد وبارود أرسل الثائر المذكور أحد أصدقائه يطلب الأمان من الجنرال سانخورخو بباب تازة يوم 8 يوليو وأعطاه الجنرال الأمان بواسطة قائد المحلة القائد محمد الحرميطي الذي توجه إلى المكان الذي كان يوجد به الثائر وأخبره بذلك، وعندئذ خرج خريان من نواته وتوجه صحبة الحرميطي إلى باب تازة صبيحة يوم 9 يوليو".

إلا أن التقرير الإسباني لم يشر إلى ما تعرض له البطل خريان الذي ألقى عليه القبض بمجرد وصوله إلى باب تازة. وظل بالسجن لمدة طويلة، حيث كان من بين الأبطال المجاهدين الذين طالب الأستاذ الطريس بإطلاق سراحهم في مذكرة رفعها إلى المقيم العام الإسباني يوم فاتح غشت 1934.

أطلق سراح البطل خريان يوم 4 فبراير 1935 ولكنه فرضت عليه الإقامة الإجبارية بداره، وعلى إثر الحوادث التي جرت بسوق أريعاء بني حسان يوم 28 ديسمبر 1935 اتهم خريان بأنه كان له يد فيها فتم اعتقاله من جديد وظل معتقلاً إلى غاية يوم فاتح أبريل 1936.

وفي يوم 22 يوليو 1936 ألقى عليه القبض مرة أخرى بأمر من قيادة الجيش الإسباني الذي أطاح بالنظام الجمهوري بإسبانيا، ولم يطلق سراحه إلا يوم 8 يناير 1937 وذلك بفضل تدخل الأستاذ الطريس في شأنه.

ومنذ ذلك اليوم أصبح يعمل في صفوف حزب الإصلاح الوطني، ولم تكن المخابرات الإسبانية بغافلة عن تحركاته وسكناته.

وافته المنية بتطوان سنة 1970.

Capaz Fernando, Caberillas Nebeldy de Gomara, 1949 ; Las quetti, Corouel. Episodios de la campaña del Lucas. Tetuan, 1929.

محمد ابن عزوز حكيم

الحَرْمَةُ، لغةً من الحراب والتخريب، وهي في هذا السياق منطقة يدخل مدشر أسرير الذي يبعد بحوالي عشرة

كيلو مترات عن مدينة كلميم، حيث تجثم أهم البقايا للمدينة الشهيرة نول لمطة عاصمة وادي نون في العصر الوسيط، تنتثر آثار المدينة المدرسة على مساحة واسعة. وإذا كان البحث في تاريخ هاته الأخيرة يتوسع نسبياً، فإن الباحث فوق ذلك يطرح جملة من الأسئلة لاستنطاق هاته المخلفات واستغلال آفاق البحث الأركيولوجي لتنفيذ هذا التخصص المعلوماتي حول نول لمطة. هذا إذا استحضرننا أن الأدب الجغرافي يزيد من غموض النصوص الواردة حول تاريخ المنطقة إن لم يكن في غالبه مجرد إعادة إنتاج يشكك في حقيقة اطلاع رواده على الأوضاع الاقتصادية والعمرانية لهاته الحاضرة.

تأتي "الحربة" في أسفل إحدى الهضاب حيث الموقع الشهير بأگويدير الذي يحتفظ بأثار أسوار متفرقة تتم عن تحصين قديم يجرننا السمك القياسي لأسواره وضخامتها إلى اعتبارها مؤشرات لدور عسكري (ناعمي، الصحراء، 43) يكرس ترجيحه الموقع الاستراتيجي المتمتع الذي يسمح بمراقبة كل المناطق المحيطة بالمدينة بجانب الحنادق المنجزة أسفل الأسوار، وهو ما يعطي أيضاً للباحث مشروعية التفكير في مدى ومبررات صعود نول أمام الحملات الموحدية المكثفة.

هذه المخلفات المتباعدة تدل فعلاً على التوسع الكبير للمدينة التي ربما تكون فعلاً قد شملت في امتدادها التخوم الجنوبية لمدشر تغمرت بينما تبقى المواقع والأسماء الجغرافية باللغة الأهمية في ترجمة هذا الامتداد على الأراضي البورية المحيطة الآن بالمدشر حتى مشارف واعرون (أگاوس) ويفسر أيضاً هذا العمران الذي بلغ أوجه في القرن العاشر الميلادي كثافة التجمع السكاني الذي كانت تحويه المدينة والذي سبق أن عبر عنه الإدريسي حيث قال : "ومدينة نول مدينة كبيرة وعامرة" (Meunié, 246) ومع أننا واعون بالاحتياط المنهجي لاستحالة تطبيق وإسقاط المفاهيم الجغرافية المعاصرة، غير أن العلاقات البيجالية والموقع الاستراتيجي للمدينة كمحطة تجارية ومركز للعبور والتنقل السريع وفرت لها إمكانية جذب واستقطاب أعداد كبيرة من السكان مع اكتظاظها وامتدادها (ناعمي، الصحراء، 43).

ومن حيث إن المسألة هنا تظل واردة ووحيدة في غياب معطيات قارة ومحددة تنقص من حدة الطابع الاستفهامي، فإن لنا أن نقارن بين حجم المقبرة التي خلفتها المدينة والتي تتجاوز قرية أسرير متركزة بشكل أضخم في منطقة "الحربة"، وبين معطى الساكنة الكبيرة (جوماني، 34) والمهم في هذا الصدد هو الحيز الكبير الذي تحتله الحربة في الذاكرة الجماعية بوادي نون وفي الرواية الشفوية المتعلقة بنول لمطة (مدينة لمطة) في صيغة تجعل من الإحالة عليها عمراً ضرورياً تتناقله الأجيال وتعيده محافظة على مجمل مكوناته، كاشفة عن مضمرات غيبية لفكرة الحراب وعن

خربوشة، عيطة تُغنى منذ القديم وتدخل ضمن عيوط الحصبية حسب الرواية الشفوية، نسبة إلى الشاعرة الشعبية حويدة التي تدعى أيضاً خربوشة (انظر حويدة). نظمت هذه المرأة قصيدة خربوشة التي كان مطلعها :

زيدو أولاد زيــــد  
راه الحال مازال يعيــــد  
وطبعا كانت هذه المرأة تستنفض الهمم وتوقظ الحماس للدفاع، ويعد انهزام القبيلة فرت حويدةً أوحادةً وهو اسمها الحقيقي إلى منطقة ورديفة محتمية بقائد المنطقة، لكنه سلمها إلى القائد عيسى بن عمر الذي أمر بدوره بإعدامها وقبل ذلك طلب منها أن تغني له تلك الأغنية.

شرح أبناء قبيلتها الذين أصبحوا مشردين ومنفيين في رثاء شاعرتهم الفحلة وبذلك وضعوا لهذه العيطة هذا المطلع.

الحمراء، خربوشة، زروالة، لكريدة

باربعة محسوبات ما يدم حد

الحمراء لكون لونها يميل إلى السمرة، وسميت خربوشة لاصابتها بالجذري، وزروالة نظراً لأن لون عينيها ما بين الأزرق والأخضر، ولكريدة نظراً لأن شعرها كان من النوع الحشن.

وعيطة خربوشة من أقدم العيوط وأحسنها دلالة، وهي تعتبر انعكاساً للتغيير الحاصل في البنية الاقتصادية والاجتماعية لمنطقة عبدة من جهة والتناثر الذي حصل بين السلطة المخزنية والرعية من جهة أخرى. وتتكون هذه العيطة من خمسة فصول وقفل وثلاث حطات، والحطة هو البيت الذي بواسطته تنتقل من فصل إلى آخر. وعندما جاء بوشعيب البيضاوي حاول نسج عيطة أخرى على منوال عيطة خربوشة في "الحصبية" وذلك بأخذ فصلين فقط من العيطة الأصلية وإضافة عدد من الأبيات التي لها اتصال بمنطقة الشاوية والدار البيضاء وهكذا أخرج عيطة "خربوشة منانة المرساوية" أو "البيضاوية" والتي تتكون من فصلين فقط وحطة واحدة.

فهذه العيطة الجديدة هي وليدة الخمسينات وقد تناقلها الشيوخ والأجواق نظراً لسهولتها وعذوبتها. وفي بداية السبعينات أخرجتها الحاجة الحمداوية في قالب آخر جديد تحت عنوان : "أمين أنا أو منين أنت". وقد تجاوزت في تقديمها من إطار الجوق التقليدي الضيق إلى أوركسترا عصرية تعطيها روحاً جديدة.

أما من حيث البنية اللحنية لقالبيها الموسيقي. فهي وإن احتوت مجموعة كبرى من الألحان فإن جل هذه الألحان لا يكاد يخرج عن مقامين اثنين يقومان على نغمة "ضو" أو نغمة "ري" اللامقامية.

وعن طريق مقابلة للنصوص الثلاثة لهذه العيطة بمختلف تناولاتها يظهر لنا التغييرات التي لا مست جسد العيطة الأصلية :

تعدد الحملات الرمزية التي تخلط فيها الرواية بين الرموز الدينية ومشاعل الاهتمام التاريخي بالحقاتق، فإشعاع المدينة المعروف لا يلبث أن ينقلب إلى رغبة في تأويل وتفسير هذا الخراب الضخم والمحير، فنلتفت هنا بقوة إلى أهمية عنصر الطوفان (العرقلة أو يومعروق بالتعبير المحلي) الذي تدور حوله الرواية الوحيدة، ولا تنفي هنا سيطرة المرجعية الدينية إذا نحن تذكرنا بأن العناصر الحكائية المكونة للرواية تستلهم بشكل مورفولوجي قصة سيدنا نوح مع ساكنة ناطقة بالعربية، هكذا يدفعنا هذا التنظيم الشكلية إلى التأكيد على المفاهيم الرمزية للطوفان والانتباه إلى مستويات تعريب "الذاكرة المحلية" وهي مواضع يجب أن يطرقت ميدان الأدب الشفوي. بين الحقيقة التاريخية والرغبة في التفسير يقع عنصر "الحرية" كهماز للمخزون الثقافي، فالطوفان يصح مدمراً لأن درجة الإيمان باتت ناقصة لكنه في نفس الوقت يكون متبوعاً بتجديد المساكنة، لأنه في الحقيقة ينتج عن أخطاء سابقة ويظل الماء في هذا الوضع دلالة على اغتسال جماعي من الذنب وعلى مستوى لاحق مطلباً لطهارة هذا الجيل اللاحق (Dictionnaire, 182) زيادة على كونه شهادة للاعتبار من "الحرية"، دون أن نغفل طبعا عنصر الماء وحضوره في فترة يُؤرخ لها القرنان الثالث عشر والرابع عشر للميلاد المطبوعان تدريجياً بندرة خطيرة وجفاف يميز حتى إن من بين احتمالات انقراض نول لمطة قلة الماء وقرب تاكاوست من المحور الساحلي (Naïmi, Le pays Tekna, 127).

إننا نؤكد هنا على نجاعة البحث والتفكير في محاور الطوبونيميا والميكروطوبونيميا كعوامل مساعدة لتخطي الفقر المعرفي الخاص بوادي نون أولاً ولدورها في توجيه مساعي التنقيب الأركيولوجي في المنطقة من جهة ثانية.

أ. جماني، المدينة المغربية في العصر الوسيط، نول لمطة نموذجاً، بحث نبيل شهادة الإجازة في التاريخ، جامعة ابن زهر، كلية الآداب - أكادير، 1993-1994 : م. ناعمي، الصحراء من خلال بلاد تكتة : تاريخ العلاقات التجارية والسياسية، عكاظ، 1988.

J. Meumié, Le Maroc saharien des origines à 1670, vol. I, Paris, 1982 ; J. Chevalier et A. Gheerbrant, Dictionnaire des symboles, vol. I, Paris, 1974 ; M. Naïmi, Le pays Takna : commerce et ethnicité avant la constitution confédérale, in Le Maroc et l'Atlantique, Rabat, 1992.

أحمد جوماني

**الخربوش، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة سهاة ؛**

وقد انقضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 1608.

محمد ابن عزوز حكيم

وبالأندلس على جلة من العلماء منهم القاضي عياض السبتي. أصبح أحد أئمة القراءات، وأقرأ بسبته نحواً من ستين سنة وكان من تلاميذه المحدث الإمام أبو العباس العزفي. كان حياً سنة 579، وذكر ابن الزبير وجود ترجمته عند ابن عبد الملك في الذيل غير أن اسمه قد يقع في السفر السابع الذي لا يزال مفقوداً.  
ابن الزبير، صلة الصلة، 3 : 218، 219.

أحمد عزاوي

**الخراز، محمد بن محمد الشريشي** شيخ القراءات في الغرب الإسلامي. قرأ على كبار شيوخ علم القراءات والضبط فمهر فيه. ومن المعلوم أن دراسة علوم القرآن تقدمت تقدماً كبيراً في العصر المريني، باعتبار القرآن المصدر الأول للتشريع الإسلامي، كما تقدمت أيضاً العلوم المتصلة بالقرآن كعلم القراءات فكان محمد الخراز من مشاهير شيوخ هذا العلم والمبرزين فيه. وله فيه تأليف عديدة منها :

رجز يعنون مورد الظمان في رسم أحرف القرآن، أصبح هذا الرجز معتمداً لدى طلبة علم القراءات في المغرب زمناً طويلاً، أورده أبو سالم العياشي في اقتفاء الأثر كسند من أسانيده.

- نظم آخر في رسم القرآن سماه : عمدة البيان.

- تأليف ثالث في رسم القرآن مثل مورد الظمان، لكنه منشور.

توفي الخراز عام 718 / 1318 ودفن بفاس.

خ. الزركلي، الأعلام، ج 7، ص 262 : م. الكنتاني، سلوة الأنفاس، 114 : 2.

رقية بلمقدم

**الخراط، أسرة** تطوانية أصلها من الأندلس، ولعل أسماها مأخوذ من حرفة الخراطة التي كان يتعاطاها بعض أفراد هذه الأسرة التي انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 607.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخروب** أو "الغرنوب" بالعربية، "تيكيدا" أو "سليغوا" أو "تيسليغوا" بالأمازيغية، نوع نباتي يسمى علمياً سيرأتونيا سيليكوا Ceratonia siliqua وهو من فصيلة القرنيات Leguminosae. وهو شجرة ذات تاج كروي كثيف يبلغ علوها ما بين عشرة أو خمسة عشر متراً، دائمة الخضرة. جذعها رمادي أملس في الصغر ومشقق في

مقطع

الخمراء، خربوشة، زروالة، لكريدة  
فصل 1 الكافرة وأغدرتي، أسيدي ما يدوم حد  
الزمان إلرح القدرة تلاقي  
حطة عادا الخيل اجيبو الزين

خربوشة المرساوية أو خربوشة منانة لبوشعيب البيضاوي

خربوشة منانة الحمرة لكلييلة بربعة محسوين  
أنا ركوب الخيل أميستي الهوى صعيب على ربي  
آه ياوين، آه ياوين، الليلة نباتو زاهين  
اسيدي الهوى صعيب على ربي  
يا لله يا لله انتفكرو الحباب، الهوى يا سيدي  
شدوك علي، آه يا وهيا

1. الإدريسي، كشف الغطاء عن سر الموسيقى ونتائج الغناء، الرباط 1935 : ع. رگوگ، العبيطة المرساوية بين الأصل والتطورات الحالية، ندوة الثقافة الشعبية كلية الآداب - عين الشق، 17 / 2 / 94 : التأثر بين الحصة والمرسى أثر الجوار الجغرافي، الإجماع الاشتراكي، 95 : الرواية الشفوية : معانيات ميدانية : كشاف مكاتب الطابع الشريف، خ. ع. رقم 39 / 79 / 43 - 79 / 10 / 79 / 19 - 79 / 30 / 66 - 79 / 79

علال رگوگ

**خَرْخُور، أسرة** تطوانية أصلها من قرية دار خرخور بقبيلة بني حزم.  
م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 611.

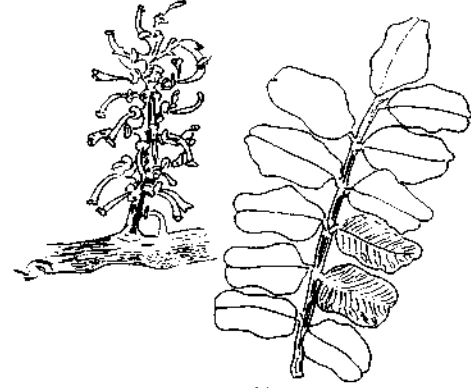
محمد ابن عزوز حكيم

**الخراز، أسرة** فاسية على فرقتين، فرقة كان لها ذكر بفاس في القرن العاشر، من بني أمية، سكنوا أولاً مدينة شريس بالأندلس ثم انتقلوا إلى فاس وأستوطنوها ويوجد بأجنتة المرج جنان ابن الخراز الكبير، وجنان الصغير ومنهم الشيخ إمام القراء (ت. 918) دفين باب الحمراء داخل باب فتوح له تأليف في القراءات.

والثانية شرفاء من جبل لعلم كان لهم ذكر بفاس رأيت في رسم مؤخر في عام 1111 ذكر بعضهم وحلاه الموثق : الخراز الشريف. انقرضوا، وبقي منهم جماعة في بني حزم وبني عمران وخيرهم.  
ع. ابن سوادة، إزالة الاتباس، مرقون، 1 : 178.

ابن الخراز، **عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عباس** الجذامي من أهل سبته عرف بابن الخراز قرأ بسبته

الكبر. لها أوراق مركبة ذات وريقات بسيطة عريضة خضراء لامعة. أزهارها وحيدة الجنس لكنها توجد مجتمعة في نفس الشجرة على شكل ازهارات هرية أنثوية وأخرى ذكرية. ثمارها قرنية طويلة مسطحة، يمكن أن يبلغ طولها عشرين سنتيمترا، سمراء بنفسجية ولحمية تحتوي على بذور سمراء لامعة وشديدة الصلابة.



الحروب

الموطن الأصلي والطبعي للحروب هو المنطقة المتوسطية حيث يكثر في الطابق النباتي المتوسطي الدافئ واستثنائيا تحت المتوسطي وفي المناطق البيومناخية شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة ذات الأشكال الدافئة والمعتدلة. أما من حيث التربة فإنه يحبذ الأراضي الحمراء السمكية.

بالرغم من وجوده طبيعيا بالمنطقة المتوسطية فإن الحروب غرس في أنحاء عديدة لثماره وبذوره. تستعمل القرون بعد طحنها كعلف للحيوانات نظراً لما تحتويه من قيمة غذائية كبيرة أو في صناعة الأدوية ضد الاسهال عند الأطفال.

واستعملت بذور الحروب من قبل لوزن الذهب.  
أبحاث شخصية.

عبد المالك بعبيد

ورد ذكر الحروب، في عدد من المصادر مثل أخبار المهدي، 31 والحلل الموشية، 108، والبيان، 3 : 316. ووصف إفريقيا، 2 : 43. ويبدو أن ثمرة الحروب مثلها مثل البلوط استعملت كمواد تكميلية في التغذية البشرية و مواد للعلف، ومن الأشجار التي تعمر طويلاً ما استغل لأغراض أخرى تتعلق بالجانب الروحي السحري فتحظى بنوع من التقديس، ومنها شجرة الحروب على أن منافع الحروب - شجرة وثماراً وأخشاباً - كانت متعددة من ذلك : ما ذكره البيدق أن الموحدون بايعوا المهدي بن تومرت تحت شجرة حروب (أخبار المهدي، 34، الحلل الموشية، 108)

وعن توزيعه الجغرافي يظهر من إشارات المصادر أنه كان موجوداً في كل جهات المغرب الجبلية جبال غمارة (الريف) وجبل درن الأطلس الكبير الصغير والنجد العليا (جبل بني بزناسن) (أخبار المهدي، 34، نزهة المشتاق، 3 :

230، الروض المعطار، 235، البيان، 3 : 316، اختصار الأخبار، 92)، لكن ما نلاحظه بخصوص معظم إشارات المصادر المذكورة، هو أنها لم تذكر غابات للحروب باستثناء الحسن الوزان، فقد أنفرد بذكر غابة للحروب في جبال بني بزناسن، وأيضاً بإشارته إلى أن الحروب كان الغذاء الرئيسي للسكان (وصف إفريقيا، 2 : 43)، قد يكون في كلام الوزان بعض المبالغة، أو أن الأمر يتعلق باستهلاك للحروب في ظروف غير عادية مثل قلة المحاصيل الزراعية أو المجاعة حيث تصعب المواد التكميلية مواد رئيسية، أما مسألة "غابة الحروب" فمن خلال إشارات المصادر ومن المقارنة بما هو عليه الحروب اليوم فإن شجرة الحروب تنبت عادة في المناطق الرطبة وفي بطون الأودية ويجوار المياه، أما مناخ المغرب الشرقي فيتميز بجفافه النسبي كما هو معروف في أيامنا هذه، اللهم إلا إذا كانت المعطيات المناخية في عهد الحسن الوزان أكثر ملاءمة لهذه الشجرة، وفي ذلك مؤشر كبير على التحول الذي عرفته المنطقة على المستوى الأيكولوجي وصف، 2 : 43).

لم يذكر العمري في اللاتحة التي قدمها عن الفواكه في المغرب الحروب ولم يشر إليه في معرض حديثه عن الكثير من المعطيات الطبيعية من نبيت ووحيش، أما الأنصاري السبتي فقد ذكر أن في سبتة ويليونش نوعين من الحروب وصفه ضمن الفواكه الحريفية (اختصار، 92) ؛ وأنفرد ابن عذاري (في البيان المغرب، 316) بذكر استهلاك غريب في مراكش وقت المجاعة في عهد الرشيد الموحد. فقد أشار إلى عصائد نوار الحروب ضمن المواد الجديدة التي ظهرت في السوق بمراكش.

ما زال الحروب موجوداً إلى اليوم تباغ فاكهته وتستهلك في مناطق إنتاجه وفي المدن والأسواق لكن بدرجة أقل، ويستخدم في تحضير الكثير من المواد الغذائية مشروبات، حلويات، شكولاته وحتى المساحيق الغذائية العالية الجودة للأطفال الرضع إلى غير ذلك... وقد كان الحروب قبل العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين من المواد المصدرة من المغرب إلى الخارج.

أ. البيدق، أخبار المهدي بن تومرت : مجهول مراكشي، الحلل الموشية : ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب : الحسن الوزان، وصف إفريقيا : الأنصاري السبتي، اختصار الأخبار : الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق : ع. المنعم الحميري، الروض المعطار : ابن فضل الله العمري، مسالك الأبحار، م. المنوني، وريقات، الرباط، 1979، ومقتطفات فاتيان، الجزائر، 1924.

محمد حجاج الطويل

**الخروب**، قرية وقلعة ونهر وسهل، قرية الحروب قاعدة جبل حبيب، ببلاد الهبط عرفت بهذا الاسم منذ العهد الإسلامي الأول، حسبما أخبرنا به أبو عبيد الله البكري، إذ أنها كانت محطة تجارية بين فاس وطنجة شمالاً وتطوان

وسبتة شرقا، واقعة على السفح الشمالي الغربي من جبل حبيب الفوقي، حسب التقسيم الحالي.

تأثرت القرية بالغزو البرتغالي لأصيلا وطنجة وتحصن أهلها بالقلعة المعروفة بنفس الاسم في قمة جبل حبيب، ولم يعد إليها أهلها إلا بعد الجلاء عن أصيلا سنة 1550/957.

ولسنا على بينة من الدور التاريخي المرتبط بالقرية إلا في إطار المحيط الجغرافي للقبيلة كلها. وكل ما نعلم عنها في الأخير سوى أنها كانت في بداية القرن العشرين تضم 46 كانونا، وعانت ما عانى منه الجيل من الغزو الاستعماري الإسباني في مستهل عهد الحماية.

ولقرية الخروب قلعة عتيقة احتفظت بشهرتها القديمة منذ الفتح الإسلامي، وبحصانها الطبيعية المستندة إلى موقعها المرتفع بظهر جبل حبيب بعلو 900 م، عرفت من طرف البحارة الأجانب بارتفاع باسق لشجرة الخروب بأعلى جبل حبيب، اتخذوا منها منارة بركة للدلالة عليه، إذ أنها كانت تشاهد من عرض بحر المضيق.

وبقلعة الخروب أنشأ حاكم طنجة وأصيلا المريني صالح ابن صالح الياباني المتوفى عام 1440/844 قصره قبل سنة 1440/844 لسكنى إحدى زوجاته وأبنائها، كما كان عميد المقدمين المجاهد أبو علي الحسن بن محمد العلمي قبل مقتله بها سنة 1471/876 قد زاد في تحصين القلعة وتجديدها، لتصبح معقله الذي قاد منه حملاته ضد سبتة والقصر الصغير مدة تقرب من نصف قرن.

أصبحت قلعة الخروب منذ احتلال البرتغال لأصيلا وطنجة عام 1471/876 العقل المدبر لحركة الجهاد بالشمال الغربي المغربي، بفضل تنظيمها للغارات على سبتة منذ احتلالها سنة 1415/818 وعلى أصيلا إلى إختلاتها سنة 957/1550 وطنجة إلى استرجاعها من يد الإنجليز. كانت قلعة الخروب التي أدارتها شفشاون العُلمية خلال القرن العاشر الهجري (16 م) مقر القيادة الجهادية لعدد من المقدمين الهبطين المتعاقبين على تسيير شؤون الجهاد خلال هذه الفترة.

واشتهر سهل الخروب الفسيح بين شفشاون وطنجة وأصيلا كخط للمواجهة بين المجاهدين من أمراء بني راشد وغيرهم وبين البرتغاليين.

احتفظت قلعة الخروب بمكانتها إلى العهد السعودي منذ وصولهم إلى الشمال الغربي المغربي سنة 1549/956، وكانت القلعة بعد الجلاء البرتغالي تابعة لحاكم أصيلا الأول عبد الواحد العروسي ثم لخلفه عبد الرحمن بن تودة العمراني، حوالي سنة 1554.

غير أننا نجهد مصيرها بعد ذلك، إذ أن التاريخ يتحدث عادة عن جبل حبيب بدون الإشارة إلى القلعة. وغير بعيد أن ما تعرضت له من الإهمال أدى بها إلى الاندثار التدريجي. ولا تزال آثارها في الوقت الحاضر، بعيدة عن الأنظار، معلقة في أعلى جبل حبيب متداعية

العمران، ويجوارها ضريح حبيب بن يوسف الفهري. وارتباطا بشهرة القلعة والقرية سمي النهر المحيط بجبل حبيب من الجهة الجنوبية بواد الخروب أو الواد الكبير. وهو ينبع من بني احمايد ويتصل بواد حرشة عند نهاية جبل حبيب التحتي، ليشكلا معا رافد واد تاهدرات ويصبان شمال أصيلا.

أ. البكري، المغرب في أخبار بلاد إفريقيا والمغرب؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا، ج. 1؛ أ. ابن عرضون، مقنع المحتاج في آداب الأزواج؛ ح. الفكيكي، المقاومة المغربية للوجود الإسباني بالشفور الشمالية المحتلة، د.د.ج. مرقونة، الرباط 1991؛ جبل حبيب، جمعية البحث التاريخي؛ جبل حبيب، معلمة المغرب، ج. 10؛ ضابط الأمور الوطنية للمنطقة الخليفية، تطوان 1951؛ ترحي ميداني، تقرير مجمعة بحث وتوثيق في تاريخ الشمال الغربي المغربي، سنة 1993.

B. Rodrigues, *Anais de Arzilam* Lisboa 1915; Gomes Eanes de Zurara, *C. de D. Duarte*; D. de Gois, *Cronica do rei D. Manuel*; Luis de Sousa, *Les Portugues au Maroc*; Martin Ruiz, *Toponimia Menor de Jibala, Cuadernos de la Biblioteca de Tetuan* 1979; *Geografia de Marruecos, Protectorado y Posiciones de España en Africa*, Madrid 1939.

حسن الفكيكي

### خروية (عين -) توجد في المنطقة الممتدة ما بين

مدشري أسيرير وتغمرت حاليا(بوادي نون) مع ميلها النسبي نحو الجنوب، وترجعها الرواية الشفوية إلى الاستغلال السقوي المبكر لمدينة نول لمطة عاصمة المنطقة في الفترة المرابطية، فالخلفات الأثرية لنظام سقوي متطور ما تزال تشهد على الأهمية التي كان يُولها السكان لياه العين، ولعل الامتداد الجغرافي للمدينة الذي تشير إليه وفرة الأبقاض سيكون قد جعل البساتين منتشرة على طول المجال الفسيح الرابط بين المدشرين حاليا، لكن الرواية الشفوية مع ذلك تتحدث عن عين مائة بوادي صياد (وادي نون)، فهل يعني ذلك تعددا للموارد المائية أم اختلاطا في معطيات الذاكرة الشعبية؟ ولماذا نجد گويرة تاناست (السلطة = آنية لتوزيع حصص الماء) محاذية لضفاف وادي صياد بعيداً عن تغمرت؟ وبالمقابل أي معنى نستنبطه من كون السواقي التي ظهرت الآن بفعل عوامل التعرية، متجهة في شكل انحنائي منحرف عن وادي صياد ومتجه نحو عين خروية؟ ألم يلتفت الحميري نفسه إلى هذا التعدد إذ صرح بأن مدينة نول "ماؤها جار"؟ (الحميري، 524).

والأكيد جداً أن علي بودميعة (أبو حسون السملالي) حين سيطرته على وادي نون والصحراء في القرن السابع عشر، قام باستغلال عين خروية من أجل تزويد مغارسه الواسعة بالماء المنتظم، قبل أن يعمل السكان فيما بعد على



زالته هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Algarrobo وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان. م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 612.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخروبي، محمد بن علي، من الأعلام الذين** تربطهم بأقطار المغرب العربي الأربعة روابط متميزة. فهو صفاقسي الأصل وطرابلسي النشأة ونزيل الجزائر ودينها وسفير الخليفة العثماني سليمان القانوني لدى السلطان محمد الشيخ السعودي، بالإضافة إلى صلاته العلمية والروحية بمشايخ الصوفية والفقهاء حيث غطت إيجابيته العلمية على فشل مهمته الدبلوماسية. وعاصر ما تعرض له التجار الإسلاميون من مضايقات بكل من مكناس وفاس، فكان الفقيه الوحيد خارج المغرب الأقصى من بين الفقهاء الذين أفتوا في هذه الظاهرة سنة 934 هـ وأرسلوها إلى محمد المسعود وزير السلطان الوطاسي، وقد أشار في مقدمة رسالته بما يشعر بوجود فتاوى متقدمة تمنع الإسلاميين من الاختلاط بالتجار القدامى في أسواق معلومة. وقد أورد محمد حجي مضمن فتوى الخروبي في الجزء الأول من كتابه الحركة الفكرية في عهد السعديين. وهذه الفتاوى الموجهة إلى الوزير المذكور تجمع على السماح للإسلاميين أو المهاجرين بالتجارة في الأسواق بدون استثناء. ومما قال هذا الفقيه : "وإذا كان الداخل في ديننا لم يمنع من الدخول في أسواق الآخرة التي هي المساجد والأماكن المشرفة حتى روضته صلى الله عليه وسلم - التي هي أشرف البقاع - فكيف يمنع من أسواق الدنيا وتجارها البوار".

وأتبع للشيخ الخروبي زيارة المغرب مرتين، الأولى سنة 959 والثانية 961 [وقيل إن سفارته الأولى، كانت في أواخر العهد الوطاسي] فدخل مدينة فاس ومراكش. فأقبل عليه طلاب المعرفة رغبة في الإجازة. وهكذا استجازه علي البقال الأغصاوي المتوفى سنة 981. فأخذ عنه وعول عليه في الطريقة، وأخذ عنه كذلك أحمد بن قاسم الصومعي الذي كان يدرس بفاس ولم يعد منها إلى بلده الصومعة إلا سنة 964، واستجازه أيضاً محمد الحضري شيخ أحمد بن القاضي.

وخلفت زيارته ضجة علمية بسبب الرسالة التي بعث بها إلى شيخ الصوفية أبي عمرو القسطلبي المراكشي المتوفى سنة 974 ينكر عليه فيها دعاويه العريضة، وقد أورد محمد بن عسكر جزءاً من هذه الرسالة التي تسمى رسالة ذي الإفلاس إلى خواص مدينة فاس في كتابه دوحه الناشر، ويبن موقف عاملين منها، وهما عبد الله الهبطي تـ. 963 ومحمد اليسيني تـ. 954.

تخريب منشأته وأهمها البنيات السقوية إذ ما تزال بقايا الخطاطير (ج، خطارة) المنطلقة من عين خروية منتصبة إلى الآن، فلماذا إذن لم يعمل بودميعة على استغلال العيون الأخرى الموجودة شرقي تغمرت ؟ ولماذا ركز على نظام الخطاطير ؟ هل كان يطمح ويبحث عن موارد تغنيه أو يجعله مستقلاً عن ملكيات جماعية من شأنها أن تفشل مساعيه الاستثمارية ؟ ثم هل فعلاً قام بإعادة استغلال عين خروية بعد أن جفت كما تميل إلى ذلك أغلب الروايات الشفوية ؟ واضح فعلاً أن النزاعات حول الماء في القرن الثاني عشر بين أهل أسير وأهل تغمرت والتي تتكرر أكثر في بيوغرافية الولي محمد بن عمرو الأسري لم تكن تعني سوى العيون التي ما تزال مستثمرة إلى الآن مما يشفع لنا في إمكانية التأكد من أن عين خروية قد أتت عليها حروب وأزمات القرن الثاني عشر أو ربما أيضاً القرن الرابع عشر، إذا نحن علمنا أن من بين أسباب اضمحلال نول لمطة نقصاً خطيراً في عنصر الماء (Meunié, 303)، غير أن مصطلح "خروية" الذي لا نجد له تفسيراً في القاموس السوسيو اقتصادي المحلي في الوقت الذي تصادفه في موازين وأكبال السوائل في اللغتين الإسبانية والبرتغالية، خاصة في الجهات التي خضعت لسيطرة القوى الإيبيرية، يزيد من ضرورة الاستنطاق التاريخي واللساني للمعطيات الجهوية من أبعادها الواسعة، فهل تؤرخ عين خروية فيما بعد لاستغلال فلاحي إسباني في المنطقة أو على الأقل مجرد تنظيمات تضمن منتجات من هذا الميدان ؟ الرواية الشفوية في غياب معلومات موثقة تشير إلى منشآت كثيرة متعلقة بالتخصص السقوي كانشاء سد تقليدي بوادي صياد وترميم السواقي ... حتى إن سيطرة المشاريع المرتبطة بالسقي تكاد تستحوذ على جل روايات ماضي الوجود الإسباني المبكر بوادي نون، ألم تشر وثيقة في أواخر القرن الخامس عشر (مؤرخة في سنة 1499) بتبعية تغمرت للتاج الملكي الإسباني ؟ (P. Cénival - R. Ricard).

وعلى العموم فالعمليات الأركيولوجية ستجيب وحدها عن مجمل هاته التساؤلات التي تظل إلى الآن معلقة، وستسمح برفع حجاب الغموض عن طبيعة الأنشطة السقوية وعن تطورها طوال الفترة الممتدة لربما حتى ما قبل المرابطين.

الحميري، الروض المعطار، تج. إحسان عباس، ط 2، بيروت، 1980.  
P. Cénival et F. Lachappelle, Possessions espagnoles sur la côte occidentale d'Afrique, Hesp., 2 - 3 trimestre, 1935 ; J. Meunié, Le Maroc saharien des origines à 1670, vol. I, Paris, 1982; M. Naïmi, Le pays Takna, commerce, histoire et structure, thèse du D. d'Etat (inédite), Fac. des Sci. Jur. Eco. et Soc., Univ. Med. V, Rabat, 1987.  
أحمد جوماني

**الخروبي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما**

**الخريم، عبد القادر بن محمد،** فقيه من قبيلة بني زجل الغمارية كان يترأس جماعة من المجاهدين الذين انضموا إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني : وقد عين الفقيه عضواً في المجلس الاستشاري للمقاومة في المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية يوم 11 ماي 1913 : وشارك في المؤتمر المنعقد بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913 وفي المؤتمر المنعقد بقرية الزوة بقبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915، وشارك في 11 معركة.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة، الرباط، 1981.

Capaz Fernando, *Calecidas*, 949.

**الخريم، محمد بن عبد الصمد** فقيه زاول خطة العدالة سنة 1132 / 1720.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطوان 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 615.

محمد ابن عزوز حكيم

**خرزوزة،** تقع منطقة خرزوزة جنوب شرق مدينة أزرو وتمثل في مرتفعات الأطلس المتوسط الغربي الهضبي عند اتصاله بأعالي سهل تيغريكرة المنتهي إلى منخفض الهضبة الوسطى. وتعلو الكورنيش الصخرية الشامخة التي تتوسطها والتي تحمل اسم خرزوزة إلى مدى ارتفاع يفوق 1800 م إذ تصل أعلى قمة فيها إلى 1826. تمتد شرقا في اتجاه جبل هيري (2109) وجبل تهريرت (2052). وتشرف غربا على المجموعات القروية، أيت يحيى أوغلا، حشادة وأيت بن عتو الواقعة على قدم الجبل عند مستوى ارتفاعات تتراوح بين 1100 و1200.

ولمّا اطلع عليها الشيخ الهبتي أمر كاتبه أن يكتب إلى الشيخ الخروبي مبينا له هفواته بلطف، ويذكر أن تلك الهفوة إنما طغى بها القلم واعتذر له ليصلح فسادها في رسالته، ولما أتم الكاتب الرسالة أحالها بإذن الشيخ علي السيثني فكتب في طرتها يشنّع على الخروبي ويخطئه، غير أن هذا التحامل على هذا الشيخ أغضب عبد الله الهبتي فقال : الله أكبر أراد أن يخطئ هذا الرجل فوقع في خطأ أعظم من خطئه. أو مثله تصدر منه هذه الزلة ؟

وفي سنة 1000 هجرية وقف أحمد بن أبي محلي على الرسالة المذكورة وهو بأكتاوة بدرعة فشارت ثائرتة وجرده قلمه للدفاع عن الشيخ أبي عمرو القسطلبي الذي هو أستاذ شيخه محمد بن مبارك الزعري.

وأما مهمته السفارية فتؤرخ لفترة انفجر فيها الوضع بين المغرب وأتراك الجزائر من جراء المعارك على الحدود الشرقية المغربية ودخول محمد الشيخ السعدي إلى تلمسان مرتين ثم طرده منها. ولتهنئة الحالة وترسيم الحدود كلف الخليفة العثماني سفيره محمد الخروبي بهذه المهمة إلا أن السلطان محمد الشيخ تشدد في موقفه وقال : "لا جواب عندي حتى أكون بمصر، وعتدئذ أكتب لسلطان القوارب".

وهكذا تعرفت الأوساط العلمية والصوفية والمخزنية بالمغرب على هذا الشيخ الذي وإفاه أجله سنة 963 ودفن خارج مدينة الجزائر تاركا عدة مؤلفات منها : رسالة ذي الافلاس إلى خواص مدينة فاس وكتاب في الحكم وكتاب في التفسير ومزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس وشرح الصلاة المشيشية.

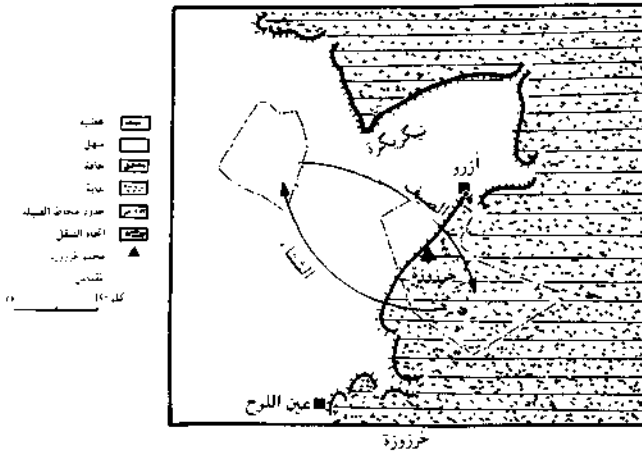
م. ابن عسكر، *دوحة الناشر* : مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية؛ م. المهدي القاضي، *ممتع الاسماع في منافر الجزولي والتبايع ومالهما من الأتباع*، ص. 20 : أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 5 : 27 : إ. باشا البغدادي، *إيضاح المكنون*، ج. 2 : 274 : هدية العارفين، ج. 2 : 245 : ع. بن إبراهيم المراكشي، *الإعلام*، 5 : 129 : ع. رضى كحالة، *معجم المؤلفين*، 11 : 6 : م. حجي، *الحركة الفكرية في عهد السعديين*، ج. 1 : ع. الحلي الكتاني، *فهرس الفهارس*، ج. 713 و714 : م. الصغير الإفرائي، *نزهة الخادي*، ص. 41.

محمد ماگانان

**الخريم، أسرة** تطوانية أصلها من قبيلة بني سلمان الغمارية، انتقلت إلى تطوان حيث أنجبت بعض الفقهاء، تذكر الوثائق منهم العدول :

**الخريم، أحمد** بن عبد الله فقيه زاول نفس خطة العدالة سنة 1203 / 1789.

**الخريم، عبد الجليل** بن الفاضل فقيه تعاطى نفس الخطة من سنة 1182 إلى سنة 1193 (1768 - 1779).



يغطي أعالي السفوح والقمم كساء غابوي مكون من الفلين الأخضر أساسا وشجر الأرز المتميز، وهي قمم مكونة من صخور كلسية دولوميتية من الجوراسي توضع فوقها فرشات من البزالت والرماد البركاني ذي اللون الفاتح.

وتتميز خرزوزة كياقي مرتفعات الأطلس المتوسط بمناخ متوسطي جبلي حيث يشتد البرد ويكثر الصقيع وتتهطل التساقطات التي تأخذ أكثر من مرة شكل ثلوج في فصل الشتاء. ويمكن أن يفوق حجم التساقطات في السنوات العادية 1000 ملم غير أن الجفاف المتكرر خلال العقدين الأخيرين قد أدى إلى تراجع الكميات المائية التي تستقبلها المنطقة. أما فصل الصيف فيكون عادة جافاً وحاراً بيد أن ظلال الغابات تخلق جوا معتدلا يوفر المتعة والراحة للزائر والكلاً والأعشاب لقطعان الأغنام. وليس من النادر أن تزيد العواصف الرعدية خضرة للمراعي الفسيحة التي تزخر بها المنطقة.

وعلى الرغم من التساقطات الهامة التي تستقبلها خرزوزة فإنها تشكو من قلة المنابع المائية بسبب نفاذية الصخور الكلسية المغطية للسطح. وباستثناء عين خرزوزة الواقعة عند قدم الكورنيش فإن معظم العيون تغذي سهل تيغريكرة.

- خرزوزة، رستاق رعوي جبلي. وتجدر الإشارة إلى أن منطقة خرزوزة تدخل ضمن المحاط التقليدي الذي تستغله قبيلة أيت يحيى أوغلا المنتمة إلى بني مكجيلد الشهيرة القادمة من أعالي واد ملوية إبان القرن التاسع عشر. وهي قبيلة نصف ترحالية كانت تعيش تحت الخيام وقامرس النشاط الرعوي في إطار حركات تنقلية تدفع بها في فصل الشتاء إلى أراضي أزغار الواقعة بسهل تيغريكرة، وفي فصل الصيف إلى مرتفعات خرزوزة التي كانت تشكل مراعي جبلية صيفية، تقيم بها الأسر والأغنام ابتداءً من نهاية شهر مارس إلى نهاية شهر شتنبر. إذ ذاك ينتقل الجميع إلى بلاد أزغار حيث الطقس أكثر اعتدالا، لاستغلال المراعي الشتوية والقيام بزراعة الحبوب المتمثلة أساسا في الشعير والقمح. ويملك هؤلاء الرعاة بيوتا في إغرم أيت يحيى أوغلا لحزن المحاصيل الفلاحية من صوف وحبوب، شيدها لهم على النمط الصحراوي عمال مهاجرون يقدمون من تاقيلالت إلى منطقة الأطلس المتوسط باحثين عن أشغال تكميلية في إطار هجرة فصلية. ويشكل هذا الإغرم الذي يشغل موضع عبور محطة لا تقام بها الخيام إلا في إطار الرحلات الفصلية للأسر.

غير أن التحولات التي لحقت بالبنيات الاقتصادية والاجتماعية بسبب دخول الاستعمار في النصف الأول من القرن الماضي وتوسع قاعدة النظام الرأسمالي في النصف الثاني منه قد نتج عنه تراجع نمط العيش نصف الترحالي لقبيلة أيت يحيى أوغلا وبدأت الأسر تستقر، فمنها من استقرت بالمزارع الواقعة بالسهل، ومنها من اختارت أن تلجأ إلى المراكز القروية والحضرية المجاورة مثل أيت يحيى

أوغلا، حشادة، أيت بن عتو، أزرو... وانتشرت ظاهرة الانتجاع حيث التنقلات تقام تحت حراسة الرعاة فقط وفي غالب الأحيان مستعملة الشاحنات.

- خرزوزة : مركز اصطياف جديد. اهتمت إدارة الاستعمار بموضع الكورنيش الصخرية وجمالية طبيعته الرائعة المنعمة بالحضرة والهواء الطلق والماء العذب، وعملت على إنشاء مركز اصطياف به حيث أقيمت البنيات التحتية من كهرباء وماء وتطهير وشبكات الملاهي الجبلية وأماكن نصب الخيام، كما بني مسبح وبنية للعلاج السريع.

ويفتح المركز في فصل الصيف نظرا لاعتدال الجو في هذه المرحلة. وتنظم المخيمات في إطار طورين : طور يونيه وطور غشت. يدوم كل واحد منهما ثلاثة أسابيع يتمتع فيها المصطافون والأطفال والشباب القادمون من مختلف المدن المغربية بصفاء السماء ونقاء الهواء واعتدال الحرارة.

استمر استغلال مخيم خرزوزة هذا من طرف مصالح الشبيبة والرياضة ومصالح الأعمال الاجتماعية للمؤسسات الاقتصادية الكبرى ومنظمات الشباب إلى حدود الستين الأخيرة. ومثل هذا المركز عقودا طويلا مدرسة تربية من مستوى رفيع تلقن السلوك الأخلاقي المتميز المطعم بروح التطوع والمبادرة واحترام الطبيعة وحب الوطن. وكم رددت قمم خرزوزة صدى تلك الأناشيد الحاملة لهذه القيم النبيلة التي كانت تنغني بها أفواج المصطافين. غير أن ظروف الاصطياف أصبحت تتدهور بسبب ندرة المياه وشيخوخة بنيات الاستقبال.

تحريات ميدانية.

عائشة البلغيتي العلوي

الخرشوف أو "خرشوف" أو "قوق" أو "قرنبيع" أسماء عربية لثوب نباتي من الخضر يسمى علميا سينارا *گرډونكولوس Cynara cardunculus*، وهو من فصيلة المركبات Compositae أو النجميات Asteraceae. ويشمل أنواعا برية عديدة تعيش طبيعياً بالغرب ومنطقة البحر المتوسط وتعتبر المصدر الأصلي للخرشوف و "القوق". والمعروف أن هذه الأسماء تطلق على أنواع أخرى برية تنتمي لهذا الجنس، وأجناس أخرى.

والخرشوف نبات معمر له أوراق خيطية محيطها مقسم، تنبعث مباشرة من الجذر القريب أو الموجود في مستوى سطح الأرض. محاور الأوراق غليظة ولحمية بالنسبة للخرشوف مما يجعلها قابلة للاستهلاك الآدمي بعد طهيها. سيقان أزهارها تنتهي بازهار ملون بنورات صغيرة مجتمعة على شكل رأس كروي، يحاط بمحيطات من القنابات الكبيرة. لا قيمة لرويس الخرشوف إلا في استعماله كمادة مَجْبُنة للحليب الطري. أما بالنسبة للقوق أو القرنبيع البري أو المزروع فإن الرؤيسات غير الناضجة وكذا القواعد المنتفخة للقنابات والتخت المتضخم تؤكل نيئة أو مطهية.

تنمو الأنواع البرية للخرشوف في البيومناخات الرطبة وشبه الرطبة وشبه الجافة واستثنائيا الجافة، وعلى أتربة

الحرطال القصير (Avena brevis) أو حرطال أقدام الذباب، عشكولاته مهملة، خفيفة، أحادية الجانب، وذو حبات صغيرة وقصيرة.

الحرطال العاري (Avena nuda) تضم سنبيلات أربعا إلى خمس زهرات، ملتئمة في عناقيد صغيرة. حباته عارية غير مرتبطة بالعصافة كما كان الشأن في أنواع الحرطال المكسوة السالفة الذكر.

أهم الأنواع هي الأولى والثانية.

أما من الوجهة الزراعية، فلا يخضع التمييز لنفس المعايير بل يكون على أساس فصيلتين فحسب، حرطال الشتاء وحرطال الربيع، حسب الحاجة للبرد في إخراج الحبة أو انعدامها.

المتطلبات الزراعية الإيكولوجية :

تنتمي نبتة الحرطال إلى المناخات المعتدلة، حيث لا تستطيع الإبتعاش إلا في حرارة 6 درجات. يتطلب نضجها 1500 إلى 2000 درجة / أيام، موزعة على النحو التالي : من البذر إلى التفريخ 322 درجة / أيام، ومن التفريخ إلى الإزهار 552 درجة / أيام، ومن الإزهار إلى النضج 837 درجة / أيام، وصولا إلى مجموع 1711 درجة / أيام. وتتراوح مدة الانبات ما بين 90 إلى 150 يوما حسب قيم المقادير الحاصلة من الحرارة والإشعاع.

أهمية المزرع :

بالمغرب، يُعد الحرطال من الزروع الثانوية. حيث يحتل حوالي 54.300 هكتار من مجموع مساحات الزروع التي تبلغ 5.3 مليون هكتار تقريبا. وعلى أساس 10.7 قنطارا هكتار كمردودية وسطى للحرطال، يكون الإنتاج الوطني من حوالي 583.3 ألف قنطار بالنسبة لموسم 1988 - 1989.

تكون زراعته غالبا كمادة علفية، مختلطة مع البيقة من فصيلة القطناني (بيقة - حرطال) في العديد من الجهات بالمغرب. أما في البلاد الأوربية، خاصة ألمانيا وفرنسا وروسيا وأنگلترا والنرويج والسويد، فيزرع الحرطال وحده كمزروع علفي أو لإنتاج خبز الحرطال الذي تستحسنه فئة خاصة من المستهلكين.

الضروب المزروعة :

ضربان فقط في ذوات التبن الطويل واللون الأصفر، هما المثبتات في السجل الرسمي بالمغرب. يتمتعان بالشبوع والاستعمال على المدى الواسع. يتعلق الأمر بالبلدي والرومي الواردة خاصياتهما في الجدول التالي :

غنية بالطين والطيني. أما فيما يخص الصنف المزروع من الحرشف أو القوق فإنه يزرع في الأراضي المسقية من السهول مثل سهل تريفية والغرب ودكالة والشاوية.

أبحاث شخصية ! ألبرت هيل، النبات الاقتصادي، 1962، ترجمة، د.ع. زاهر وآخرين، المكتبة، الأنجلو مصرية، القاهرة.

عبد المالك بنعبيد

**الحُرطال**، ينتمي الحرطال للتجليات وقد أعطي

اسمه للحرطاليات وهي ردف معروف بالميزات النباتية التالية : الأوراق خطية هدياء، مزودة بتابع طويلة، ومغمدة القاعدة.

تنظم الزهور على شكل عشكول مبسوط أو عناقيد منتصبة تحملها سويقات طويلة. تتوفر السنبيلات على زهرتين أو ثلاث زهرات خنثاوية، تجهض العليا منها في غالب الحالات. تتوفر كل زهرة على ثلاث أسدية ومبيض بها قلمين أريشين للسم. الثمرة عبارة عن بُرة طويلة، مغلقة بعصافات دائمة أو نفضية.

من الوجهة النباتية، وعلى الصعيد العالمي، يمكن اعتبار أربعة أنواع أصلية من الحرطال، تفرعت عنها مختلف الضروب المزروعة حاليا :



الحرطال الشائع (Avena sativa) المتميز بأزهاره المتجمعة في عشكولات مهملة، وسنابله المثناة الزهر، وحبته الطويلة اللساء، وهو النوع الذي أعطى أكبر عدد من الضروب.

الحرطال الشرقي (Avena orientalis)، عشكولاته متجمعة، حباتها محمولة من طرف عنيقات قصيرة، كلها مائلة في نفس الاتجاه.

الضرب	نطاق التكيف	الأمراض	نسبة البروتينات	عشكولات	مردودية
البلدي	البور المواتي	متاثر بالعفونة وبأنواع الدود الطفيلي وفيروس اليرقان المقزم للشعير	متوسطة	نصف منتصبة	ضعيفة
الرومي	البور المواتي		عالية	مهملة	عالية في المادة
				أحادية الجانب	الخضراء ومتوسطة في الحبات

## التنقيبات الفلاحية

### إعداد التربة والبذر

يأتي الخرطال غالبا بعد زرع سابق، فمن ذلك ضرورة إعداد التربة إما مباشرة بعد الحصاد أو القيام بحرث خلال شهر شتمبر في المغرب، يزرع الخرطال في الخريف وإن كان وظيفيا ينتمي للربيع.

تختلف مقادير البذار الواجب نشرها في الهكتار حسب حجم الحبات، وقابلية الضروب للتفريخ، وطبيعة التربة، وطريقة وفترة البذر. جل ضروب الخرطال المستحدثة، ذات الحبات الغليظة، لا تفرخ إلا قليلا، حيث يتراوح عدد الإشتاء المتوسط بكل قدم ما بين 1.35 و4.28 حسب الضروب.

إذا كان البذر بالرمي، توجب توفير حوالي 350 لتر للهكتار. أما في الأتربة الغنية، الباردة، وباستعمال الخرطال ذي الحبات الصغيرة، فإنه بالإمكان تقليل الجرعة إلى 200 لتر وبالبذر الخطي تراوحت المقادير بين 150 و275 لتر في الهكتار.

من الأولى عدم المبالغة في الاعتماد على قابلية التفريخ، ذلك أن التفرعات الثانوية تتطور دائما على حساب إثمار السيقان الرئيسية.

تتراوح كثافة الخرطال بين 40 و50 كلغ في الهيكنتولتر، وكلما حصل الإبطاء في البذر إلا ولزم تصعيد مقادير البذور في الهكتار. يخول الزرع بالمبذر اقتصاد البذور والحصول على إعمار منتظم.

### متطلبات التسميد

ينتج عن محصول جيد من الخرطال استخلاص مقادير السماد التالية من الهكتار الواحد 75 إلى 110 كلغ من الأزوت، 50 إلى 65 كلغ من الحمض الفوسفوري و80 إلى 115 كلغ من البوتاس.

### الأعداء والأخطار

يكون الخرطال في مرحلة البذر عرضة للإتلاف من الدّوري والقبرة والغربان. كما أنه خلال التنبيت، يعاني غالبا من أضرار يساريع الدودة المقوسة (دودة رمادية) والمخنافس النطاطة. يبقى تحديد الأرض بالدرجة الماضية في بداية التنبيت أفضل وسيلة للحد من خسائر هذه الحشرات.

يتعرض الخرطال كذلك للعديد من الإصابات الفطرية السّواد (Ustilago carbo)، العفونة الحظية، العفونة المبقعة والعفونة المتوجة. وتعتبر هذه الأخيرة خاصة بهذا الصنف من النجيليات وهي تصيبه في ورقه من الجهتين معا. كما أن هناك عاهتان مشوهتان (الخرطال المبروم، والخرطال الكراثي)، وأولاهما ناتجة عن قرادية صغيرة، قريبة من القمّل (Tarsenonus spirifex)، أما الثانية فيتسبب فيها أنيقليس خاصة (أنيقليس الساق). هنا كذلك يمكن تخفيف ضرر هذه الإصابات بتحضير جيد للتربة، وبذر معجل،

وتسميد ملائم يمكن أن يتأثر الخرطال من جهة أخرى بالضجعات ولفح الحر والبرقان، شأنه في ذلك شأن القمح. كما أنه يُصاب بالقرطب الذي يعطي للأوراق لونا نازعا للحمرة. تغطي هذه الإصابة خاصة في الأراضي الحمضية، وأراضي الإجتثاث، والأتربة الميهمة، وهي مثل البرقان، ناتجة عن عطل وظيفي في الجذور.

### الحصاد والجني

يجنى الخرطال في المغرب خلال النصف الثاني من شهر ماي، إما بالمنجل أو آليا بالحصاد الدارسة. تصل المرودية إلى 30 أو 50 هكتولتر / هكتار (20 إلى 25 قنطار / هكتار). تختلف مرودية الخرطال حسب خصوبة التربة، التسميد، نوع البذور المستعملة ومستوى العناية المسخرة في الفلاحة. في المعدل تعطي حزمة 100 كلغ حوالي 36 كلغ من الحبوب، 52 كلغ من التبن و12 كلغ من العصافة.

بعد الجني، يمكن فرز الخرطال بتمريره من خلال الفارزة. لكن بما أن العديد من حبات هذا الزرع خفيفة، وجب تزويد الجهاز بمروحة تهوية تقصي أخف الحبات. يمكن الفرز كذلك بالنقع في الماء حيث تغوص الحبات الثقيلة وتطفو الخفيفة. أفضل تحضير يكون إذن تمرير الخرطال عبر الفارزة ثم نقع الحبات الغليظة المحصل عليها في محلول نترات الصودا أو الملح البحري بتركز 1% حتى تقصي الحبات الخفيفة الكبيرة الحجم. تعالج بذور الخرطال لحمايتها من السّواد.

### تركيبة الحب والتبن

هناك اختلافات كبيرة في تركيبات حبات الخرطال.

نسوق التركيبة الموالية على سبيل الإستتناس

تفاوت التركيبة (J. Kohn)	التركيبة المتوسطة حسب (Grandeau, Leclecc)	المواد
	12.10	الماء
93.8 إلى 79.2	87.90	المادة الجافة
18.5 إلى 6.3	9.80	المواد الأروضية
10.3 إلى 2.1	4.58	المواد الدهنية
65.7 إلى 48	59.9	المادة المستخلصة
20.2 إلى 4.1	11.20	الجليوز
-	3.32	المادة المعدنية
	0.75	الحمض الفوسفوري

أفضل الخرطال هو الأثقل والذي يضم أكبر نسبة من اللب مع قشرة نسبيا دقيقة وخفيفة. أظهرت البحوث التي أجريت على مختلف ضروب الخرطال أن معدل الوزن في 1000 حبة هو قرابة 32.2 غ، وأن نسبة اللب هي 77.7% ونسبة العصافة 22.3%.

الخرطال هو غذاء الخيول بامتياز.

كما أنه مستهلك على شكل خبز من طرف الإنسان

العيش بداخل التراب حيث يحفر قنوات طويلة تفوق أحيانا 150 سنتيمترات. إنه يخشى النور photophobe ولا يظهر على سطح الأرض إلا ليلا وقد يبدو نهارا بعد نزول المطر الذي يعوق تنفسه عن طريق جلده وذلك لترطيبه المقرط للترية.

يتغذى من المواد العضوية الدقيقة وخاصة منها النباتية الموجودة في التراب. كثيرا ما يتلغ كمية وافرة من الوحل ويتم امتصاص المواد العضوية بداخل الجهاز الهضمي ثم يتخلص من الأتربة بإلقائها خارجياً. بعد الخرطون من الحيوانات النافعة للزراعة حيث يساهم في تخصيب الأرض وتهويتها بواسطة القنوات التي يحفرها.

المعلوف أمين، معجم الحيوآن، القاهرة 1932 : الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، الطبعة الثالثة 1988 : علم النباتات والحيوانات، الموسوعة الحديثة، الجزء 7، سيلكا سويسرا، 1990.

Encarte 97, Encyclopédie Microsoft, 1997.

محمد رضاني

## الخرقوم ← الزعفران

**الخرمودي، بوعزة بن عزوز،** مقاوم ولد حوالي سنة 1914 بأولاد إبراهيم إقليم خريبكة. شارك في الانتفاضة الشعبية العارمة التي نظمها أبناء الإقليم يوم 20 غشت بوادي زم أثناء تخليد ذكرى ثورة الملك والشعب، حيث هب ضمن المتظاهرين دفاعاً عن حرية المغرب واستقلاله، وعودة ملك البلاد الشرعي من المنفى. وتحت وابل من رصاص جيش الاحتلال سقط رحمه الله صريعا بعد تدخل جنود العدو الفرنسي لقمع الانتفاضة بقوة السلاح وكانت وفاته يوم 20 غشت 1955 وسط المتظاهرين والضحايا. شهداء الاستقلال، ج 2.

**الخرّواع** أو "كرتك" بالعربية أو "أوربور" أو "أوربون" أو "وروري" أو "ويرر" أو "وروري" بالأمازيغية، ألفاظ



الخرّواع

الأوربي على الخصوص. وهو يتميز بخصائص مغذية ومنشطة معروفة. تستصيع المجترات تبن الخرطال بصفة جيدة. تختلف قيمته حسب التربة، والنضج والحالة التي يكون عليها عند الجني. يمثل التبن والعصافة إضافات مفيدة في تركيب الخلائط التي يتناولها الأبقار والأغنام. وتجدر الإشارة أخيرا، إلى أن الخرطال المعلى هو عجيبية علفية (Avena elatior). يُذكر ترتيب أزهارها بالخرطال العشكولي. قامتها عالية جدا وإنتاجها مرتفع. يبلغ علوها المتر الواحد ويزيد عليه في المنخفضات المواتية. نجد أحسن الظروف في الأتربة الرخوة، الغضة والعميقة، ذات الوجهاث الدافئة والمشمسة، كما أنها تنمو بصفة مرضية كذلك في الأراضي الكلسية. وهي تخشى الرطوبة وتقاوم الجفاف. أحمد بوعزيز

**خرطون،** كما هو في المعاجم يجمع على خرطونيات وخراطينيات، كلمة فارسية معربة تطلق على بعض أنواع ديدان الأرض. اسمه الشائع في شمال إفريقيا دود الأرض ومصران الأرض وشحم الأرض. وهو حيوان من اللاقريات ومن الديدان الأسطوانية المصنفة إلى رتبة الديدان الحلقية أو الحلقيات الأرضية Oligochètes Lumbricidae. أحصي منه في المغرب ما يزيد عن 20 نوعاً نذكر من بينها Lumbricus terrestris. يسمى بالفرنسية Lombric, ver de terre وبالإنجليزية "Earthworm".



خرطون

يتكون الجسم مما يزيد عن 40 قطعة حلقية تعرف علميا بالسيات بها عضلات دائرية مستطيلة وقوية تمكن من الحركة. يبلغ طول الأنواع عادة 10-25 سنتيمترات إلا أن هناك نماذج من بين الأنواع تتعدى مترين من الطول. وأنواع الخرطون كلها خنثى hermaphrodite يتم التوالد بالتقاء فردين في اتجاه معكوس. بعد ذلك تمتلئ القطع الحلقية الثالثة والثلاثون إلى الثامنة والثلاثين بالبيض مما يجعل حجمها يكبر. في حالة فقد بعض القطع الحلقية بمؤخرة الجسم يتم استبدالها بقطع تنمو تدريجيا.

يعيش في الأماكن الغنية بالوحل بجانب الأنهار والبحيرات العذبة وكذلك في الأراضي الرطبة. يفضل

محمد القصار، وأحمد المنجور، وعبد الواحد الحميدي،  
وعلي الزموري وغيرهم.

توفي بفاس سنة 966 / 58 - 1559.

أ. المنجور، فهرس : م. القصار، فهرس : أ. ابن القاضي، درة، ج. 2، 208 : لقط، 307 : م. القادي، نشر، 1، 91 : م. المحبي، خلاصة، ج. 4، 124 : مخلوف، شجرة، 1، 281 : م. الحجوي، الفكر السامي، ج. 4، 102 : ع. الكتاني، فهرس الفهارس، ج. 1، 375 : م. حبي، الحركة، ج. 2، 356 - 357.

نقشة الذهبى

**التخریب قماش رفیع المستوى سدها من حریر وجزء من لحمته من خيوط الذهب أو الفضة، كانت تتخذ منه أعلى الطبقات الاجتماعية ملابس بذخ فارهة في حواضر المغرب وبواديه. وقد لا يستطيع ارتداء حلة واحدة منه إلا أكثرهم يسرا وثراء. أما من كان دون هؤلاء مرتبة وحاول الحصول عليه فإنه بالتأكيد قد يعجل بتخریب ميزانية تسيير أسرته وتقويض دعائتها، ومن هنا أطلق عامة الناس اسم التخریب على هذا النوع من القماش الذي يسميه بعضهم أيضاً الزردخان. والزردخان كلمة لم نقف على أصلها، لكننا نرجح أنها ذات جذر مشرقى فارسي أو تركي. ومعلوم أن صناعة الحرير والديباج نشأت في عهود تاريخية قديمة بسبب ازدهار القزاة في بلاد فارس وتركيا، ومن هذين القطرين انتقلت إلى البلدان العربية الإسلامية المجاورة في عهد الدولة الأموية والعباسية، ثم وصلت فيما بعد إلى أقصى الغرب الإسلامي بما في ذلك المغرب والأندلس.**

وكانت فاس في القرن التاسع عشر والسنوات الأولى من القرن العشرين تحافظ على إنتاج هذا النوع من النسيج الرفيع تحتضن عشرين منوالاً من مناول قماش التخریب نصفها كان ينتج أقمشة حريرية زاهية مزركشة تتخللها أكثر من عشرة ألوان. وقد تألفت في صناعة هذه الأقمشة عدة عائلات أشهرها عائلة بن الشريف التي توارثت أسرار حرفتها أباً عن جد ومازال أحفادها إلى اليوم ينتجون بعض أصنافها في فاس اعتماداً على نفس الطرق الموروثة عن الأجداد مع إدخال بعض التعديلات على المناول قمشياً مع التطور ومع أذواق الأسواق الحديثة.

تعرف بروسبيريكار Prosper Ricard مفتش الصناعة التقليدية والفنون الجميلة في فاس على الآخرين عبد القادر وعثمان ابني الشريف سنة 1915 ووصف مناولهما ومكان إقامتهما في عقبة القطنين وسط المدينة قرب السجن القديم المعروف بسجن الباشا. واعترف ريكار بأن الآخرين المذكورين كانا نساجين بارعين ينتجان أقمشة راقية سواء من حيث أسلوب النسيج أو الطرز أو صناعة الألوان أو دقة الإنجاز. كما أشار إلى أنه لم يقف على مثيل لما كانا ينتجانها في شمال إفريقيا بأسرها وإلى أن منسوجاتهما تذكره بما كانت تنتجه طرازات قصور السلاطين في دمشق وبغداد والقسطنطينية والقاهرة وقرطبة.

وكانت أقمشة التخریب تختلف باختلاف الطبقات العليا

تطلق على نوع نباتي يسمى علمياً ريسينوس كُوهُونيسُ Ricinus communis وهو من فصيلة الفربيونيات Euphorbiaceae. وهو شجرة صغيرة أو شجيرة يبلغ ارتفاعها بعض الأمتار، مستديمة الخضرة. وأوراقها بسيطة مفصصة كبيرة، معنقة أزهارها وحيدة الجنس لكنها مجتمعة في نفس الشجيرة. ثمارها علبية ومكسورة بأشواك.

الأصل الطبيعي لهذا النوع من جنوب إفريقيا ومنها انتشر في جميع أنحاء العالم الحار والمعتدل. يزرع بالمغرب في جميع المناطق التي لا يزيد ارتفاعها عن ألف متر فوق سطح البحر، وفي جميع البيومناخات وفي الطابقين النباتيين المتوسطي الدافئ وتحت المتوسطي. ويكثر الخرواح في الأماكن الغنية بالنيتروجين الموجودة بجانب الطرقات أو المساكن أو المزابل. تحتوي بذور الخرواح على مواد سامة. ومن الممكن استخراج الزيت المستعمل في الصيدلة والصناعة الكيماوية وصناعة الأثاث ...

أبحاث شخصية.

عبد المالك بنعبيد

**حُرُوف، أسرة تطوانية أصلها من ناحية غمارة انتقلت إلى تطوان.**

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطوان 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 613.

محمد ابن عزوز حكيم

**ابن خروف، محمد بن أبي الفضل التونسي الفاسي، العالم المعقولي الذي افتداه أمير فاس أحمد الوطاسي بألف أوقية ذهباً بعد أن طال أسره من قبل الإسبان سنوات - إثر استيلاء جيوش الامبراطور شار لكان على القطر التونسي - وقد تم هذا الافتداء بإلحاح من الشيخ محمد اليسيثني الذي كان قد اجتمع به في تونس وعرف قدراته العلمية. وهو موقف يفيدنا في معرفة صدى مكانة الرجل بين علماء فاس حتى قبل أن يحل بها في حدود سنة 947 / 1540 ويمكن اعتبار هذا التاريخ مرحلة تجديد واتصال لأسانيد العلوم العقلية وتعليمها داخل القرويين وخارجها بعد أن كانت إلى حدود مجيئه غريبة عن فاس.**

أقام الشيخ ابن خروف زهاء ثمان عشرة سنة داخل القرويين مدرساً مشاركاً - رغم الصعوبة التي قوبلت بها عبارته المعقدة في البداية - فلقبت مجالسه إقبالاً كبيراً من الطلبة حتى عد شيخ الجماعة في المنطق والكلام وأصوله إلى جانب الفقه والبيان. وبذلك مثل حلقة في سلسلة الأسانيد المغربية، وطبع الحياة التعليمية بطابع التواصل مع المشرق الذي سبق أن أخذ عن شيوخه خلال رحلته الواسعة. ومن أشهر من تخرج على يده من علماء فاس : الشيخ

نفسها، فقد يكون سداها يكامله من حرير ناعم يدعى "حرير الخم" ولحمتها من خيوط الذهب الخالص بالنسبة لأسر السلاطين وسامي الموظفين المخزنيين، كما قد يكون جزء من سداها ولحمتها من قطن رفيع وخيوط فضة. أما أكثر هذه الأقمشة جودة وغلاء ورفعة فكانت لا ترتديها إلا أكثر النساء مالاً وجاهاً من حريم السلاطين والوزراء. وكانت الطبقات الأكثر حظوة في المجتمع المغربي تتخذ من أقمشة الغريب الأحزمة النسوية الرفيعة وأغطية الرؤوس وستائر الأبواب والنوافذ وأردية الأفرشة الزاهية.

ولم يكن اتخاذ الملابس الفارحة من هذا النوع من الأقمشة خاصاً ببلد دون آخر ولا مقتصر على عصر دون غيره لكنه كان أكثر تداولاً في فترات الازدهار في الدول العربية الإسلامية منذ القرن الثاني (8 م) في سوريا والعراق ومصر والأندلس ثم المغرب. إلا أن استهلاكه لم يكن يتعدى نخبة النخبة من الناس، لذا كان إنتاجه لا يتم على العادة إلا تحت الطلب مما جعل صناعه مرتبطين بطريقة شبه رسمية بالقصور وإقامات الأعيان والأمرء والأثرياء، فهو يزدهر بازدهار الترف والمال والجاه وينحسر بانحسارها، وهذا هو ما يفسر أسباب قلة انتشار مناسج هذه الأنواع من الأقمشة، فاقصر وجودها على فاس وحدها في شمال إفريقيا، ولم يتجاوز عددها عدد أصابع اليد الواحدة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين.

ولما فتح المغرب أبوابه للتجارة الأجنبية بدأ تراجع إنتاج هذه الأقمشة وأصبحت الأقليات من الطبقات المترفة تزود بما تحتاج إليه منها من المصانع الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية التي تتفوق بضائعها على ما تنتجه المناول الأهلية من أقمشة سواء من حيث الدقة والإتقان أو الجودة في الألوان أو انخفاض الأثمان.

ع. ابن خلدون، العبر، ج 1، بيروت، 1960؛ عادل سعيد يشتاوي، الأندلسيون المواركة، دمشق، 1985؛ ع. أمهان، الفنون المغربية الأصيلة، مجلة أبعاد فكرية، السنة الأولى، ع 2، الرباط، 1989؛ ع. ابن زيدان، العز والصلوة في معالم نظم الدولة، الرباط، 1961؛ أ. الرهوني، عمدة الراويين في تاريخ تطاوين، ج 1، مخطوط الخزانة العامة بتطوان، رقم 676.

L. Golvin, *Le métier à la tire des fabricants de brocart de Fès*, Hesp., tome 37, 1950 ; G. Vidalenc, *L'art marocain*, Paris, 1925 ; J. Baldoui, *Les arts indigènes*, Paris s. d. ; P. Ricard, *Une lignée d'artisans : les Ben Chérif de Fès*, Hesp., tome 37, 1950 ; C.M. Perigny, *Au Maroc, Fès capitale du nord*, Paris 1917 ; E. Diez, *L'art de l'Islam*, Paris s.d. ; A. Gaudio, *Fès joyau de la civilisation islamique*, Paris 1982 ; A. Lebouteux, *Regards sur le passé*, Paris 1974.

محمد بوسلام

طبيعية مرتبطة بالتعرية الكيماوية للكلس. وهي مشهورة بكونها مدينة الفسفاط، إلى درجة اقتران نشأتها وسيروتها العمرانية بالمكتب الشريف للفسفاط. إلى حدود 1921 كانت الظروف السياسية والاقتصادية والقبلية والطبيعية غير سائجة لإنشاء أية مدينة بهضبة الفسفاط وسط غط إنتاج فلاحي ورعوي خفيف يطغى عليه طابع نصف الترحال.

مع بداية العشرينيات، انطلقت عملية التجهيز المصاحبة لاستغلال أول منجم للفسفاط، بما فيها الماء والكهرباء. والمسالك والطرق، وعلى الخصوص السكة الحديدية. فكان أول مركز أنشئ بالقرب من أول نقطة استثمار هو بوجنيبة سنة 1921. لكن سرعان ما تقرر هجر هذا الموقع لصالح الموقع الحالي لمدينة خريبكة، حيث شيدت "قرية" يقطنها المستخدمون الأوربيون، بجانبها نصبت خيام ونوالات قصبية لإيواء "الأهالي".

لكن عدم استقرار اليد العاملة المغربية، وعدم استئناسهم بالعمل المنجمي الشاق دفعا إلى تأسيس ثلاثة مراكز عمالية أخرى دفعة واحدة، وهي بوجنيبة ويولنوار وخريبكة. من هنا أخذت هذه الأخيرة تتسع بسرعة ابتداء من 1924 سواء من حيث التجهيزات أو من حيث السكن الهامشي العمالي. في حين أن العمال النقابيين وغير المرغوب فيهم قد أبعدها لتوطنهم بمركز حطان الذي أنشئ سنة 1948.

مهما يكن من أمر فإن المكتب الشريف للفسفاط أصبح يتحكم في المراكز الأربعة تحكماً كبيراً حتى خارج أوقات العمل. وهكذا تحول المكتب من مجرد منتج معدني إلى منعه عقاري ومنظم للمجال الحضري ومسؤول عن الصحة العمومية والتعليم والتجارة والتنشيط الثقافي والخدمات الأخرى في المراكز الأربعة، في وقت كان مثل هذا الاحتكار غير ممكن في أوروبا، وبالأحرى في فرنسا. منذ بداية الاستغلال المنجمي، حظيت خريبكة بأكثر وأسرع نمو حضري من بين المراكز الأربعة، وذلك لأسباب عديدة :

- تفضيل خريبكة منذ 1924 لإقامة جلّ التجهيزات التقنية والإدارية المرتبطة بالنشاط المنجمي ؛  
- استفادة خريبكة من التجهيزات الجماعية المهيكلة دون المراكز الأخرى التي لم تستفد من السكة الحديدية والطريق التي تربط تادلا بالدار البيضاء ؛  
- إيواء الأطر الأوروبية الذي أدى إلى خلق أنشطة تجارية عصرية ؛

- اختيار خريبكة لتوطين الإدارات العمومية المختلفة.

مع أن عملية التمدين كانت تخضع إلى حد كبير حتى نهاية الخمسينيات إلى قرارات المكتب الشريف للفسفاط، فإن الامتداد العقوي للسكن العمالي الهش حول المراكز المنجمية ظل ينمو منذ الثلاثينيات. على أن الخمسينيات ستعرف زيادة قصوى لإنتاج الفسفاط مع اكتشاف حقول

**خريبكة**، مدينة يبدو أن تسميتها مشتقة من الحراب، كان يطلقها الرعاة الرحل على مكان يتميز بتجويفات وحفر



بلدية منذ 1959. فأصبح عدد سكانها 73.000 تقريباً سنة 1971، ثم 127.000 ن عام 1982، و 153.000 ن سنة 1994.

ما يسترعي الانتباه هو أن وتيرة التشغيل في حوض خريبكة لم تساير وتيرة النمو الحضري، ذلك أن بين 1960 و1984 ازداد عدد مستخدمي المكتب الشريف بنسبة ضعيفة جداً (24٪)، أي أن عددهم تحوّل من 9.435 فرد إلى 11.723 فرد خلال 24 سنة، في مدة تضاعف فيها حجم الإنتاج. هذا يعكس مدى التحولات العميقة التي عرفها الاقتصاد الفسفاطي المتميز بالتنافس الحاد بين المغرب والولايات المتحدة الأمريكية التي كثيراً ما تلجأ إلى سياسة الاغراق لتكسیر الأثمان وزعزعة استراتيجية المكتب الشريف المبنية على الأسس الرأسمالية لمواجهة مخاطر الظرفية العالية.

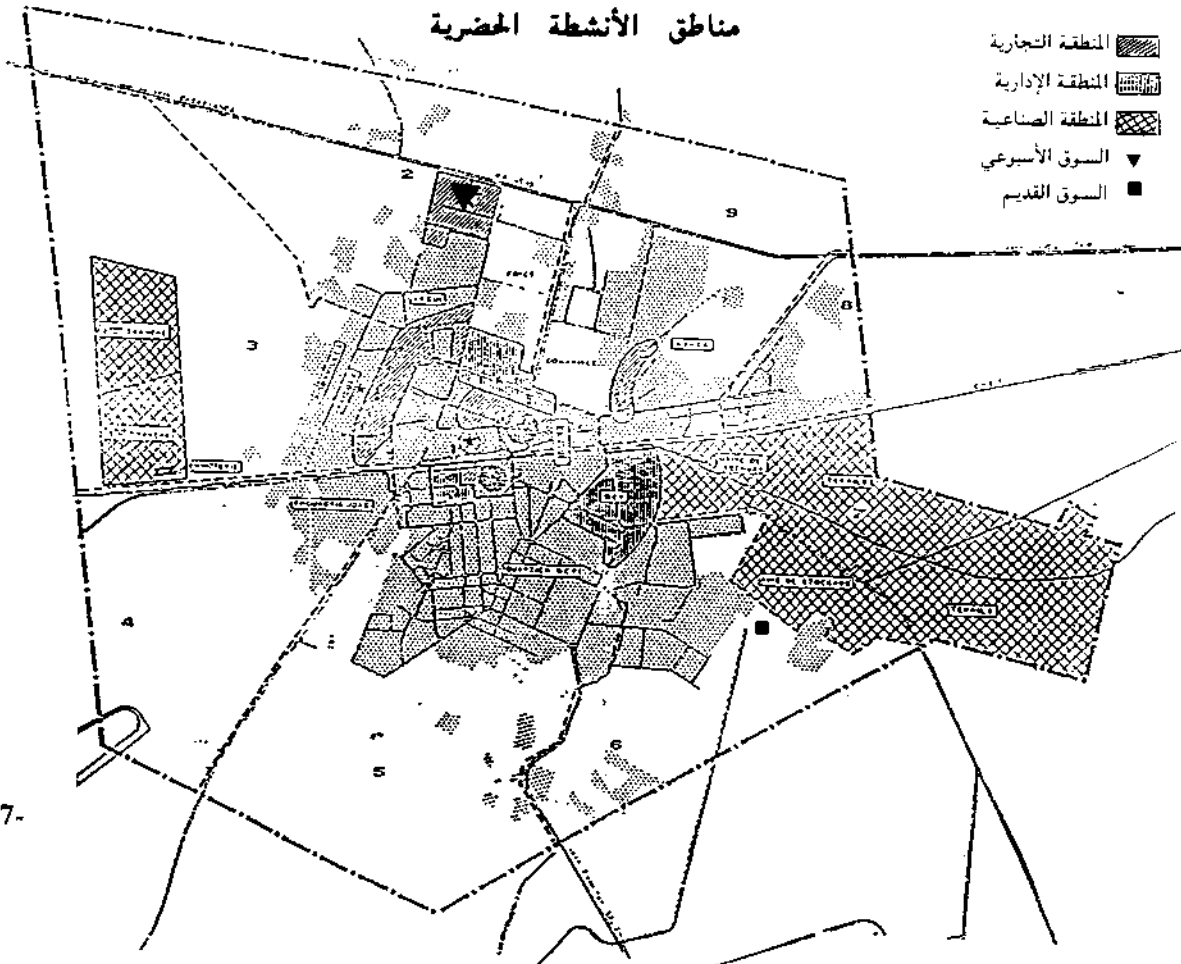
لقد اختار المكتب اتخاذ سياسة المكثفة القصوى لعمليات الإنتاج والمعالجة والتفريغ والنقل، وذلك لتحقيق أعلى الأرباح والقدرة على المنافسة العالمية. كما أن الاستغلال الباطني استبدل بالاستخراج المشكوف. فقد تمكن المكتب بالفعل من تخفيض التكاليف بنسبة تتراوح بين 35٪ و40٪، ومن تخطي إكراهات التنافس الضاري بين المغرب والسوق العالمية، علاوة على تنوع الأنشطة والمداخل خارج قطاع الفسفاط، من هندسة وأبنك وصناعة معدنية ونقل بحري وفنادق ... على أن أهم ما يمكن تسجيله هو توصل المكتب إلى مراقبة (وامتلاك) كل فروع النشاط الفسفاطي، عقب ارتفاع الاثمان سنة 1973 التي

جديدة (بني إدير وسيدي الضاوي) وتشغيل معامل أخرى للمعالجة، وبالتالي سيتحول مركز ثقل الاستغلال وستفقد خريبكة حظوتها من حيث معالجة معدن الفسفاط. وهكذا ستشهد خريبكة تحولات هامة، بدءاً بتدمير الدواوير الهامشية سنة 1955 وإعادة إسكان العمال في المدينة الجديدة للتجفيف. وإجمالاً بلغ عدد مستخدمي المكتب الشريف سنة 1960 حوالي 9.435 شخص مقابل 40.000 نسمة في خريبكة و20.000 ن في المراكز الثلاثة الأخرى.

ما يجدر استنتاجه من هذه التوطئة التاريخية هو الدور الحاسم الذي لعبه المكتب الشريف للفسفاط في تاريخ المدينة سواء بالنسبة لطاقتة الاستيعابية من حيث التشغيل أو فيما يخص الوسائل المالية المرصودة وسياسة الإسكان. لكل الأسباب السالفة الذكر ستشهد ساكنة خريبكة منذ بداية الخمسينات وتيرة ديمغرافية سريعة تفوق بكثير طاقة النشاط المعدني لإعالة كل السكان الوافدين على المدينة. وهكذا تضاعف عدد سكان خريبكة بين 1952 و1960، مسجلة بذلك أعلى نسبة نمو حضري ضمن المدن المغربية. ويرجع ذلك بالأساس إلى الاستقرار التام لسكان المنطقة، وتراجع نسبة الوفيات والزيادة في الهجرة القروية واستقرار نسبة لا يستهان بها من المتقاعدين.

أما ابتداءً من نهاية الخمسينات، فسيتميز أسلوب النمو، من غط تتغلب فيه إمداءات الهجرة إلى غط يتأثر أكثر بالزيادة الطبيعية نتيجة التجمع العائلي وتراجع وفيات الرضع والأطفال على الخصوص. وهكذا ارتقت خريبكة إلى صف مركز إقليم سنة 1967 بعد أن كانت مجرد

### مناطق الأنشطة الحضرية



تبدأ من الاستخراج إلى الصناعة الكيماوية الثقيلة بأسفي والجرف الأصفر وتصدير الحامض الفسفوري، إضافة إلى استخدام وتوسيع مناجم أخرى بيوكراخ وبنكرير.

يتبين إذن أن المكتب راهن على تعزيز التبعية للخارج فيما يتعلق بالجانب المالي والتكنولوجي وأن مدينة خريبكة ومنطقتها قد تضررتا من تراجع الدور الاقتصادي والاجتماعي للمكتب، نظراً لتخفيض اليد العاملة غير المتخصصة وجرف التكوينات السطحية وتحويلها إلى أراضٍ جدياء من الناحية الفلاحية، وكذا تركيز الآثار الايجابية في الواجهة الأطلنطية (أسفي، الجديدة، الدار البيضاء) أكثر من حوض خريبكة الذي لم يشهد طيلة 70 سنة أية منشأة لتزويد المكتب بالخدمات والمنتجات التي يحتاجها. من ثمة ظهرت اختلالات بين ازدهار الاقتصاد الفسفاطي الذي تحول "زيعه" إلى قطاعات أخرى من جهة وبين الأزمات المتوالية على الصعيد الاجتماعي والعمراني التي أدت إلى تفكير وتدهور ملحوظين، من جهة أخرى.

على المستوى الديمغرافي أولاً، يمكن أن نميز بين ثلاث مراحل. بين 1921 و1960 كانت الهجرة هي التي تغذي أساساً ساكنة خريبكة (أكثر من 73٪)، حيث كان عرض التشغيل يلبي طلب السكان المحليين والقادمين من مناطق بعيدة (سوس الأطلس الصغير، ...) كانت المدينة تسجل آنذاك نسبة نمو دائماً أعلى من المتوسط المغربي. أما مرحلة 1960-1982 فكان الجانب الطبيعي هو المتغلب في النسبة العامة للتزايد السكاني، بسبب انخفاض نسبة الوفيات وارتفاع نسبة الولادة، وكذلك التجمع العائلي. فظلت نسبة التزايد تتراوح سنوياً بين 5٪ و5.5٪. وأخيراً المرحلة الحالية التي انطلقت مع إحصاء 1982، تتميز بفتور ملحوظ من الناحية الديمغرافية، حيث سجلت المدينة إحدى أضعف نسب النمو السنوي بين 1982 و1994 (1.5٪)، مقارنة مع المتوسط الحضري الوطني (3.6٪). ويعزى هذا التراجع إلى الحد من التزايد الطبيعي وخصوصاً إلى النزوح نحو مناطق أخرى وإلى الخارج (إيطاليا على الخصوص).

يتجلى بالتالي أن المدينة لم تقو على الحفاظ على ساكنتها الأصلية. فأخذت تنمو بفعل الساكنة غير المنجمية وباستقطاب الريفيين المجاورين الفارين من الظروف الطبيعية والفلاحية الصعبة. حتى إن التركيبة الاجتماعية صارت منقسمة إلى شطرين: ساكنة منجمية تعتبرها الساكنة الثانية "طبقة" محظوظة ولها عدة مكاسب اجتماعية ومادية، من سكن وتغطية صحية وقدرة شرائية وإمكانية الاستفادة من التجهيزات الجماعية، الخ... وساكنة ثانية مركبة من موظفي الدولة والبلدية والتجار وكذا النازحون بدون شغل قار.

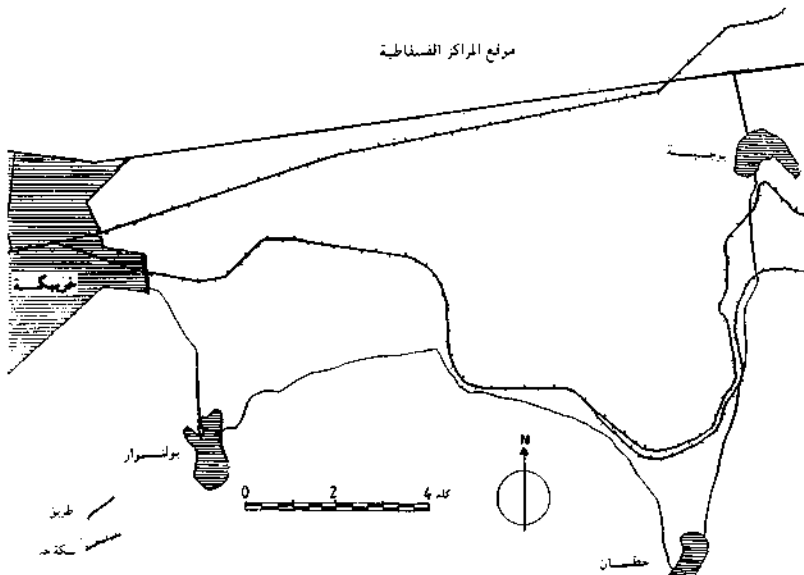
أكثر من ذلك، فإن المكتب الشريف للفسفاط أخذ منذ مدة يتخلى عن التدبير الحضري وسن سياسة اجتماعية جديدة تنبني على تصفية إرثه العقاري ونفقاته غير

الاقتصادية. فنتج عن ذلك نقصان في الساكنة المنجمية، وفقدان هذه الأخيرة لكثير من الامتيازات، حتى إن الهوة التي كانت تفصلها عن الساكنة غير المنجمية كادت تزول. ومع عجز المنجم عن تلبية مجموع طلبات الشغل، وكذلك انعدم شبه تام للأنشطة البديلة، تفاقمت ظاهرة البطالة (19.8٪) وفاقت النسبة الوطنية (19.1٪). فتضخم القطاع الاقتصادي غير المشكل وازدادت وتيرة الهجرة إلى الخارج التي أصبحت عائداتها تساهم بشكل قوي في تعمير وتنشيط اقتصاد المدينة.

على مستوى السكنى والتعمير، تبلورت الثنائية الاجتماعية في تنطبق حضري مزدوج ومتعارض تجسد لمدة طويلة في مدينتين توأمتين تفصلهما السكة الحديدية: في الجنوب مدينة منجمية شيدها المكتب الشريف للفسفاط على النمط الأوربي العصري، وفي الشمال مدينة عضوية تقريباً تطورت على نمط المدينة القديمة المغربية. هذه البنية الثنائية مازالت قائمة رغم التجانس النسبي الذي أخذ يظهر شيئاً فشيئاً.

إن الضغط الديمغرافي في الذي تعرضت له المدينة وعدم قدرة المكتب على إسكان كافة مستخدميه عملاً على إعادة توجيه تعمير المدينة خارج منطقة المكتب. مما شجع على بروز أشكال جديدة من السكن أغلبها هشة وغير صحية. ذلك شأن دوار السكة التي كان يعدّ من أكبر أحياء القصدير في المغرب، ودواوير هامشية أخرى (دوار بنجلون، دوار الزيتون، ...). في سنة 1984 كانت تشمل هذه الأحياء 17٪ من مساكن المدينة و20٪ من السكان. إضافة إلى ذلك تأثر المشهد الحضري بفعل ظهور سوق عقارية مسترة خلقت إنشاء أحياء صلبة غير قانونية، ومازال خطر إحياء هذه الأنواع الهشة من السكن قائماً، بالرغم من تراجعها الكثير بسبب برامج عديدة لإعادة الهيكلة والإسكان. أما الاقتصاد المحلي فهو ضعيف وغير ثابت بالنظر إلى الفصل الواضح بين الاقتصاد المنجمي والاقتصاد غير

مواقع المراكز الفسفاطية



1994، منهم حوالي 61٪ من الحضريين وتوزع المراكز الحضرية بالإقليم كالتالي :

- خريبكة : 152 090 نسمة
- واد زم : 73 953 نسمة
- بجعد : 33 321 نسمة
- بوجنية : 14 319 نسمة
- حطان : 11 263 نسمة
- بولنوار : 9 734 نسمة
- المجموع : 294 680 نسمة

يتوفر الإقليم على كثافة ريفية ضعيفة نسبياً (44 نسمة / كلم<sup>2</sup>) لكن النمو الديمغرافي يظل مرتفعاً، وعلى الخصوص بالوسط الحضري الذي يمتص معظم الفائض الديمغرافي بالوسط القروي الذي يتراوح متوسط حجم الأسر به بين 6 و7 أفراد. وعلى صعيد مجموع السكان، لن يعرف أي تزايد في العشرة القادمة بسبب الانتقال الديمغرافي الذي يهيم كافة الأقاليم المغربية منذ بضع سنوات. تتأثر القطاعات الاقتصادية بمجموعة من الظروف والتجهيزات التي تتفاوت أهميتها من حيث التوزيع والحجم. ويمكن إجمالها في العناصر التالية :

- انبساط التضاريس وارتفاع متواضع (600.1000م)
- تربة غنية في الجزء الغربي ومناخ قاري شبه جاف مع قليل من التساقطات (350 ملم).

- شبكة طرقية تمتد على 935 كلم، منها 141 كلم رئيسية و71 كلم ثانوية وخط حديدي (77 كلم) يربط الإقليم بالدار البيضاء ومراكش، وكذا الجرف الأصفر فيما يخص نقل الفسفاط بالأساس.
- إنتاج أكثر من 10 ملايين متر مكعب من الماء الصالح للشرب سنة 1995 لتزويد 31 ألف مشترك، من بينهم 893 مشترك خصوصي (إدارات ومستهلكين كبار).
- 310 مليون كيلواط من الكهرباء سنة 1994 تم بيعها. تتضافر الظروف الطبيعية والعوامل التاريخية لإفراز اقتصاد إقليمي يقوم اليوم على ثلاثة قطاعات أساسية، وهي الفلاحة والفسفاط والتجارة.

يمتد إقليم خريبكة على مساحة 425 000 هكتار، منها 400 000. تعد أراضي فلاحية تتوزع على الأراضي القابلة للزراعة (65٪) والأراضي الرعوية (13٪) والغابات (22٪). وتتميز الفلاحة بطابعها البوري وتهتم بالدرجة الأولى بزراعة الحبوب التي تغطي تقريباً كل الأراضي الصالحة للزراعة.

تجدر الإشارة إلى أن الزراعة توفّر مردودية ضعيفة بسبب التقلبات المناخية التي تؤثر كذلك على الغطاء

المنجمي وتأثيره السلبي على النمو المحلي. يوفر القطاع الصناعي عدداً قليلاً من مناصب الشغل لا يتعدى ألف منصب (1٪ من المشغلين في الإقليم) بما فيها البناء والأشغال العمومية. حيث لا توظف الصناعة التحويلية سوى 50 فرداً في وحداتها الثلاث (مطحنة ووحدة تان للملابس الجاهزة). بالعكس من ذلك، فإن القطاع الثالث يهيمن على بنية الاقتصاد الحضري (55٪ من مناصب الشغل) عن طريق الإدارة والتجارة والنقل والخدمات المتنوعة. على ألا تغفل القطاع غير المشكل الذي يشغل فئات عريضة من سكان المدينة.

أخيراً على المستوى البيئي مفهومه العام، تجدر الإشارة إلى أن تدهوراً متفاوتاً يمس قطاعات عديدة :

- جرف التربة القابلة للزراعة بفعل الاستغلال المنجمي ؛
- إطلاق الغبار الكثيف من طرف معامل معالجة الفسفاط، وما ينتج عنه من مخاطر صحية مرتبطة بالتنفس؛

- تدمير مشاجر الأوكليتوس العمومية التي أنشئت أصلاً لحماية المدينة ؛

- تدهور الإطار الميني للمكتب الشريف، وخصوصاً في حي الأطر، بفعل الإهمال ؛

- تشويه الوجه المعماري للأحياء العمالية، نتيجة التغييرات التي أحدثتها ملاكو المساكن المبنية من طرف المكتب ؛

- غياب المساحات الخضراء في العديد من الأحياء، أو تدهورها وعدم الاعتناء بها.

يستخلص من كل ما سبق أن خريبكة أخذت تفقد تدريجياً خصوصيات المدينة المنجمية (التي مازالت حاضرة في بولنوار وحطان). ذلك أن المكتب الشريف للفسفاط يوجد الآن حبيس نظرتين متعارضتين : منطق اجتماعي يدفع إلى تدبير يد عاملة وساكنة حضرية وكذا إرث عقاري ضخم، ومنطق رأسمالي يحتم سياسة التقليل من نفقات الإنتاج على حساب العامل الاجتماعي. كل هذه العناصر تعتبر أعراضاً لأزمة حضرية عميقة تهتم كل الميادين التعميرية والاقتصادية والاجتماعية والتدبيرية. وإعادة صياغة خطة التهيئة والنمو الاقتصادي من طرف كافة الفاعلين المحليين هي الكفيلة وحدها بالنهوض بالمدينة أمام الواجهات الحاضرة والمقبلة.

إقليم خريبكة أحد أقاليم جهة الشاوية - وريفة، تأسس سنة 1967 ليتوسط أقاليم الخنيسات شمالاً ويني ملاك جنوباً وخنيفرة شرقاً وسطات غرباً، وهو يمتد على هضبة الفسفاط التي تعد مجالاً انتقالياً بين الأطلس المتوسط والسهول الأطلنطية الوسطى.

يضم الإقليم 31 جماعة، منها خمس حضرية و26 قروية، ويسكنه حوالي 480.800 نسمة حسب إحصاء

\*\*

النباتي الطبيعي الذي يعرف تدهوراً مستمراً تزيد من حدته عوامل بشرية عديدة تضاف إلى الجفاف. إضافة إلى ذلك فإن البنات العقارية تعيق إلى حد كبير تطور وعصرنة القطاع الفلاحي ؛ ذلك أن الاستغلاليات الصغيرة تنتشر بنسبة 57٪، فيما يخص حجم 5 هكتارات ولا تغطي سوى 32٪ تقريباً من مجموع المساحة المستعملة. بينما تشكل الاستغلاليات التي تفوق 20 هكتار حوالي 17٪ وتغطي 35٪ من المساحة الإجمالية، وبالتالي يكون معدل مساحة الاستغلالية هو 8.8 هكتار. زد على ذلك أن القانون العقاري مازال يعطي أهمية نسبية للأراضي الجماعية.

أما تربية المواشي في إقليم خريبكة فما زال يغلب عليها الطابع التقليدي غير المهيكل، بالإضافة إلى كونها جد مرتبطة بتوزيع التساقطات. فالإقليم يأوي حوالي 640.000 رأس، منها 78٪ من الأغنام، و9٪ من الماعز و6٪ من الأبقار. على أن تربية الدواجن قد ظهرت خلال الثمانينات، وتهم خمس وحدات لإنتاج اللحوم البيضاء ووحدة لإنتاج البيض ووحدة للتفريخ.

الإعداد سنة 94	نوع الماشية	المساحة	
		هكتار	٪
599.218 502.535 38.495 58.188	<b>- القطيع</b>	253.656	60
	- الغنم	81.344	19
	- الأبقار	3.230	1
	- الماعز	2.870	1
41.216 8.068 5.109 26.738 1.301	<b>- حيوانات الجر</b>	83.900	19
	- الخيل	425.000	100
	- البغال		
	- الحمير		
	- الجمال		
640.434	<b>المجموع</b>		

يحتل القطاع المنجمي بدوره مكانة خاصة في الاقتصاد الإقليمي، حيث يشتمل على حوالي 40٪ من حجم الرواتب ويشغل حوالي 8.000 شخص، وبالتالي فهو مصدر رزق حوالي 60.000 ساكن في إقليم خريبكة. وضمن هذا القطاع، يعتبر الفسفاط أهم ثروة منجمية إقليمية، بل وطنية، بحكم أن المغرب يتوفر على 3/4 الاحتياطي العالمي يوجد 44٪ منه بإقليم خريبكة. كما يساهم الإقليم بـ 60٪ من مجموع الإنتاج الوطني. يشرف على الإنتاج المكتب الشريف للفسفاط، وهو مؤسسة عمومية تتوفر على الاستقلال الذاتي والمالي. فالمكتب يحتكر كل الأنشطة المتعلقة بالفسفاط من تنقيب واستخراج ومعالجة ونقل وتحويل وترويج. يصل الانتاج على مستوى مناجم إقليم خريبكة إلى حوالي 12 مليون طن سنوياً. وتجدر الإشارة إلى أن النشاط المنجمي المتعلق بالفسفاط قد تعزز باستغلال مناجم سيدي شنان الموجود على حدود إقليم بني ملال. كما يتوفر الإقليم على العديد من المقالع المختصة في إنتاج الرخام والطين ومواد البناء.

تتغير المساحة المزروعة من سنة لأخرى بسبب مستوى التساقطات، فيحكم القحولة التي تميز إقليم خريبكة. تعتبر زراعة الحبوب النشاط الزراعي السائد، حيث تشكل في ظروف مناخية عادية 3/4 الأراضي الصالحة للزراعة. وبهم الإنتاج الشعير والقمح الطري والقمح الصلب، إذ تصل تغطية كل واحد منها على التوالي 35٪ و23٪ و17٪ من الأراضي الصالحة للزراعة. أما المردودية فتختلف من سنة لأخرى ومن منطقة لأخرى وتصل في المعدل إلى 12 قنطاراً في الهكتار بالنسبة للشعير، و10 قناطير بالنسبة للقمح الطري و8 قناطير بالنسبة للقمح الصلب.

نظام الملكية	المساحة	
	هكتار	٪
الملك الخاص	253.656	60
أراضي الجموع	81.344	19
أراضي الإصلاح الزراعي	3.230	1
الملك الخاص للدولة	2.870	1
الملك الغابوي	83.900	19
المجموع	425.000	100

أما زراعة القطن فتغطي 1.250 هكتار كمعدل سنوي وتتأثر بالصقيع الليلي خلال فصل الشتاء ورياح الشرقي خلال فصل الصيف. وإجمالاً لا تتعدى مساحتها 1٪ من مجموع الأراضي الصالحة للزراعة، حيث يختلف الانتاج من سنة لأخرى ويتراوح بين 3.000 و7.000 قنطاراً أي بمردودية جد هزيلة تصل إلى 5 قناطير في الهكتار.

أما زراعة الحنظل فتغطي حوالي 830 هكتاراً سنوياً وتختلف من منطقة إلى أخرى حسب الإمكانيات المائية ووسائل السقي. وتغلب عليها زراعة البطاطس. أخيراً تهم الأعلاف حوالي 5.000 هكتار وتغطي 2.5٪ من المساحة الإجمالية الصالحة للزراعة. وبالرغم من نموها في السنوات الأخيرة، تبقى ضعيفة مقارنة بأهمية قطاع

تبرز الأرقام ضعف مردودية القطاع السياحي بالإقليم رغم وجود إمكانات مهمة، كالفلاحة والثقافة والمآثر التاريخية والموسم ومناجم الفسفاط ومهرجان السينما الإفريقي وكذا مؤهلات أخرى لم تستثمر بعد.

في ظل ضعف النسيج الصناعي بالإقليم يبقى قطاع التجارة هو المشغل الأول والمحرك الأساسي للاقتصاد الإقليمي، حيث يضم إقليم خريبكة حوالي 5.200 مؤسسة تجارية، منها 3.000 تتمركز في الحواضر. وتتوزع التجهيزات التجارية الحضرية كالتالي :

- 16 قيسارية أو مركز تجاري.
- 3 أسواق للخضر والفواكه.
- 3 مساحات لبيع الحبوب والقطن.
- 3 تعاونيات استهلاكية.
- 7 مقاعد.
- 3 أسواق بلدية.
- 4 أسواق حضرية (مقابل 24 سوق قروي).
- الإحصاء العام للسكان والسكنى، مديرية الإحصاء، الرباط، 1982 / 1994 :

Collectif, *Géographie du Maroc*, Paris, 1967 ; A. Adidi, *Espace minier et formes de croissance urbaine, le bassin phosphatier de Khouribga*, thèse 3è cycle, Université Lyon III, 1986 ; *Monographie de la province de Khouribga*, 1994 ; M. El Ghalami, *Planification urbaine et actions économiques des collectivités locales*, mémoire INAU, Rabat, 1998.

عبد العزيز عديدي

**خريبتيس، Chréts** اسم واد ورد في رحلة حنون القرطاجي، الذي قام بجولة بحرية عبر المحيط الأطلسي، في بداية القرن الخامس قبل الميلاد، حسب اتفاق معظم الدارسين. والجدير بالذكر أن نص هذه الرحلة وصلنا في ترجمته الإغريقية. وهكذا فكلمة خريبتيس التي أطلقت على هذا الوادي لأول مرة، هي نقل للاسم الذي كتب بالحروف البونوية في النص الأصلي للرحلة.

بعدما تعرف حانون عن جزيرة كيرني Kerné، تحدث عن الوادي في النص التالي : "انطلاقاً من هذا المكان (يقصد كيرني) اخترقنا بسفننا نهراً عظيماً يدعى خريبتيس، ثم بلغنا إلى مرجة تحتضن ثلاث جزر أكبر من كيرني. وانطلاقاً من هذه الجزر - ويعد يوم كامل من الإبحار - وصلنا إلى نهاية المرجة التي تطل عليها جبال عالية مليئة بأناس متوحشين كانوا يرتدون جلود الحيوانات، ويرموننا بالحجارة لمنعنا من الرسو" (Périples d'Hannon, 9).

حسب آخر الدراسات التي قام بها الباحث الفرنسي روبرت حول جزيرة كيرني، فهو يطابقها مع جزيرة سيدي يوسف، المتصلة بوادي سبو على بعد 23 كلم من المحيط. وبذلك يظن أن خريبتيس الذي اخترقه حنون هو وادي سبو نفسه، وأن المرجة التي بلغ إليها صاحب الرحلة تتكون من فيضانات سبو التي كانت تغمر مجالاً واسعاً بسهل الغرب

بالرغم من الهيمنة الشبه التامة لقطاعي الفلاحة والمناجم على الاقتصاد المحلي، فقد استطاع إقليم خريبكة أن ينمي نسيجاً صناعياً في السنوات الأخيرة، خاصة في وادزم وخريبكة. فبغض النظر عن قطاع البناء والأشغال العمومية الذي يشكل العمود الفقري للنسيج الصناعي، ظهرت وحدات تحويلية تهتم بالخصوص الصناعات الغذائية كالمطاحن، وصناعة الخيط والنسيج والأسمدة الفلاحية ومواد البناء، وصل عدد هذه الوحدات سنة 1999 إلى حوالي 31 وحدة تشغل ما يقرب من 1.000 شخص من اليد العاملة بصفة مستمرة. وقد تعزز وتقوى النسيج الصناعي في الإقليم بفضل تهيئة منطقتين صناعيتين في كل من وادزم وخريبكة. وتوزع أهم الوحدات الصناعية بالإقليم كالتالي :

- مطحنتان، واحدة في كل من خريبكة ووادزم، تصل قدرتهما الإنتاجية إلى حوالي 2.500 قنطار في اليوم ؛
- وحدة لصناعة الخيط بوادزم تشغل حوالي 480 شخص وتنتج 3.200 طن في السنة ؛
- وحدة للنسيج بخريبكة وتشغل حوالي 300 شخص ؛
- وحدة لإنتاج الأسمدة الفلاحية تنتج سنوياً 140.000 طن وتشغل 18 شخصاً ؛
- وحدة للغاز بوادزم تشغل 50 عاملاً ؛
- وحدة لإنتاج القرمود بوادزم تشغل 20 عاملاً ؛

رغم منافسة المنتجات الصناعية العصرية مازالت الصناعة التقليدية تحتل مكانة مهمة في النسيج الاقتصادي الإقليمي بفضل أصالتها. وتتمركز الصناعة التقليدية بالخصوص بمدينة أبي الجعد المعروفة بتاريخها وإشعاعها الروحي والثقافي. وتهتم الصناعة التقليدية في هذه المنطقة بالخصوص : الزرابي، والتجارة والحرف وصناعة الأحذية التقليدية وصناعة "الحايك" المحلي ذي الشهرة الوطنية. ويبلغ عدد التعاونيات التي تشغل في ميدان الصناعة التقليدية أربع تعاونيات تضم 173 منخرطاً. ومازالت العديد من التعاونيات في طور الإنشاء.

تقاس ديناميكية القطاع السياحي بأهمية التجهيزات الفندقية. ففي إقليم خريبكة مازالت البنية التحتية السياحية جد محدودة والسياحة الدولية تكاد تكون منعدمة، فباستثناء وحدة فندقية مصنفة من فئة أربعة نجوم يبقى القطاع الفندقي ضعيف بالإقليم.

الفنادق	العدد	عدد الغرف	عدد الأسرة	الليالي (93)
الفنادق المصنفة	1	100	161	18.515
الفنادق الغير المصنفة	7	85	126	7.933
المجموع	8	185	287	26.448

في القديم، قبل أن يتعمق الوادي كما هو عليه حالياً. وأن المرتفعات التي شاهدها هي جبل أوطيطة وجبل بودرعة ثم جبل حريشة.

لقد اهتدى الباحث إلى هذه الملاحظات على ضوء المعلومات التي وردت في نص الرحلة، حول المرحلة التي قطعها قبل الوصول إلى وادي خريتيس. فقبل هذا الوادي انطلق حانون وأصحابه من وادي لكسوس (اللكوس)، واستغرقوا يومين من الإبحار في اتجاه الجنوب. ثم حولوا اتجاههم نحو مشرق الشمس لمدة يوم كامل حتى وصلوا إلى كيرني (Périples d'Hannon, 8).

وهكذا اقتنع الدارس بأن مسافة يومين أوصلت حانون إلى مصب وادي سبو. وحينئذ استمر المكتشفون في اختراق الوادي الذي كان يبدو لهم كخليج. ثم إن اتجاههم قد تغير فعلاً من الشمال إلى الجنوب ليصبح من الغرب إلى الشرق. ولما تقدموا كثيراً وجدوه وادياً، وعلموا أن اسمه خريتيس بواسطة المترجمين الذين اصطحبوهم من أهل لكسوس.

ومن جهة أخرى يلاحظ رويوفا، كمثل الباحث الفرنسي ديزانج، أن هناك تقارباً بين اسم وادي خريتيس وآخر سماه سكولكس كراتيس Krathis أو كرايسيس، Périple de Scylax : Krabis : 112، وسماه أرسطو كرميتيس Chremetes : Crathis (Aristote, Meteor, 1, 13, 21) والذي هو كراتيس عند بلينيوس الشيخ (Plin l'Ancien, 37, 38) وكلها أسماء متقاربة وتطابق وادي سبو.

مسألة أخيرة حول خصائص خريتيس، هي صلاحيتها للملاحة كما أكد ذلك حانون الذي اخترقه بسفنه. وهنا نشير إلى بلينيوس الشيخ، الذي تحدث عن وادي سبو وسماه مرة سيوبوس Sububus وأخرى سبوبة Sububa قد أكد أنه واد رائع وصالح للملاحة : (Plin l'Ancien, 5, 5) Magnificus et navigabilis. وقد أكد نفس المصدر أن وديانا أخرى تصب في البحر المتوسط، كانت صالحة للملاحة أيضاً. هي ملوثة Mulucha أو ملوان Malvane (ملوية) ثم تامودة Tamuda (واد مارتيل) وأخيراً لاود (واد لاو) (Plin l'Ancien, 5, 18).

R. Roget, Le Maroc chez les auteurs anciens, Paris, 1924 ; J. Desanges, Recherches sur l'activité des méditerranées aux confins de l'Afrique, Rome, 38, 1978 ; R. Rebuffat, Recherches sur le bassin de Sebou, 2, Le Périples d'Hannon, B.A.M. 16, 1985 - 6, p. 253 - 83.  
محمد مجدوب

الخريزر، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني عروس انتقلت إلى تطوان في حدود سنة 1129 / 1717، وتدعي أنها فرع من أسرة الخركاز.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 614.

محمد ابن عزوز حكيم

خريرو، لقب أطلقه زعيم المقاومة المسلحة بالشمال الغربي الشريف مولاي أحمد الريسوني على المجاهد الشاب أحمد بن محمد أسبو الذي ولد بمدشر دار الغازي بفرقة الواديين من قبيلة بني حزم في حدود سنة 1316 / 1898.

كان خريرو في أيام حدثته برعى ماشية القائد الحطيطي، وفي سنة 1332 / 1914 التحق برياط دار ابن قريش حيث أصبح من خدام الشريف الريسوني يرافقه في حركاته وسكناته إلى أن فكر ذات يوم في أن يقوم بعملية اختطاف خطط لها مع جماعة من أصدقائه الشباب (دون علم الشريف الريسوني) وفي ليلة 11 نوفمبر 1921 اقتحم عرصة المدير العام للأحباس في الحكومة الخليفية على السلاوي الواقعة خارج باب العقلة واختطفه صحبة حفيده السيدة عشوشة بنت باشا تطوان الحاج أحمد الطريس.

وما إن علم الشريف سيدي محمد الخراز المعروف بولد حميدو السكان خليفة الشريف الريسوني الذي كان يوجد بدار بن قريش حتى تعرض لفاصلة خريرو وأرغمه على تسليمه المختطفين وتوجه بهما إلى تازروت حيث أكرمها الشريف الريسوني إلى أن أعادها إلى ذويهم.

وأما خريرو فقد توجه إلى غمارة وظل هناك إلى سنة 1342 / 1923 حيث وضع نفسه تحت تصرف أخ الأمير الخطابى الذي كلفه بعدة عمليات ضد المراكز الإسبانية الواقعة بقبائل بني زيات وبني سعيد وبني حسان ؛ وفي يوم 24 أكتوبر 1923 هاجم خريرو القطار العسكري الذي كان يربط ميناء مرتين بالمعسكر الإسباني بمدشر اللوزيين، حيث نصب له كميناً أخرجه عن سكنته وأسفر الهجوم عن مقتل سبعة وجرح اثني عشر من الجنود الإسبانين.

وقام خريرو بنور بارز في عرقلة عملية الانسحاب الإسباني عن بعض المراكز الأمامية ابتداء من أواخر سنة 1924 إلى أواخر شهر فبراير 1925.

وخريرو هو الذي ترأس الحصار الشديد الذي أقيم بأمر من الأمير الخطابى على مركز كدية الطاهر (بقبيلة بني حزم) من يوم 3 إلى يوم 12 سبتمبر 1925 ؛ وهو الذي هاجم مركز دار الغازي يومي 9 و12 سبتمبر من نفس السنة، كما هاجم مركز دار الراعي يوم 4 مارس 1926.

وعندما علم خريرو باستسلام الأمير الخطابى يوم 25 ماي 1926 ظل مع جماعة من المجاهدين معتصماً بجبال غمارة يشن من حين لآخر الهجمات ضد المراكز الإسبانية ويقطع الطريق على قوافل تمويل حامياتها.

وفي يوم 26 ربيع الثاني 1345 ونوفمبر 1926 استشهد خريرو في ساحة الشرف وعمره 28 سنة أثناء اشتباك مع كتيبة عسكرية إسبانية جرى بقبيلة بني بدر، ودفن بجوار ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش بجبل العلم.

Archivo historico militar, Madrid ; Garcia Figueras. Miscelanea de estudios varios sobre Marruecos, Tetuan, [s.d] ; Servicio historico militar. Historia de las campañas de Marruecos, T. 4, Madrid, 1981

محمد ابن عزوز حكيم

**الخريف،** يقصد بالخريف الفترة الممتدة من 23 شتنبر إلى غاية 20 دجنبر من كل سنة وهي الفترة التي تعرف فيها الظروف الكونية إحدى الوضعيات المتميزة التي تكون فيها أشعة الشمس أثناء الثانية عشرة زوالاً من يوم 23 شتنبر متعامدة مع خط الاستواء وينتج عن ذلك أن ما يسمى بدائرة الإضاءة تمر مباشرة بالقطبين فتتساوى على إثر ذلك مدة الليل والنهار عند مختلف العروض يعقبه مباشرة خلال فترة باقي الخريف تناقص مطرد ملحوظ لمدة النهار وتزايد ملموس وبالمقابل لمدة الليل وذلك طبعاً بالنسبة للنصف الشمالي للكرة الأرضية. ويشكل الخريف بالنسبة للمغرب أحد الفصول ذات الأهمية الخاصة لكونه ويحكم العروض التي ينتمي إليها له خصوصية نوعية تميزه عن باقي الفصول الأخرى إن على المستوى البيوإحيائي أو على المستوى المناخي وهذا التميز إنما هو نتيجة مباشرة للظروف الإشعاعية والطاقية التي تطبع هذه الفترة عند مختلف عروض النصف الشمالي.

وتبرز هذه الوضعية العامة بالنسبة للمغرب من الوجهة المناخية إذن ببداية تحرك نظام الضغط الجوي وتزحزحه نحو الجنوب تبعاً لحركة الشمس الظاهرية. وبداية التحرك هاته نحو الجنوب يصاحبها تغير هام على مستوى الدورة الهوائية العامة عند عروض المغرب بعد تحولها من حركة ذات رتابة كبيرة خلال فترة الصيف إلى حركة للهواء ذات تغايرية وتنوع كبيرين. وهذا يعني أن المغرب وكل عروض البحر الأبيض المتوسط قد أصبحت من جديد تحت تأثير جل المؤثرات الجوية للعروض الوسطى ولا سيما منها اضطرابات الجبهة القطبية المسؤولة عن التساقطات الرئيسية في المغرب بعدما كانت في منأى عنه خلال فصل الصيف الجاف والمميز للمناخ المتوسطي.

وكون أن هذا الفصل يأتي مباشرة بعد الصيف وقبل فصل الشتاء جعل عناصره المناخية تطبع بخصائص مرحلية وانتقالية ما بين الفترتين، ويتجلى ذلك على وجه الخصوص أيضاً على الدورة الهوائية العامة بشكل عام والخصائص الحرارية لهذا الفصل بشكل خاص إذ أن التوزيع الزمني العام للحرارة عموماً يظهر تطوراً تنازلياً من بداية الفصل إلى نهايته ومرد ذلك طبعاً إلى أنه مع تقدمنا الزمني داخل هذا الفصل يزداد تردد وصول الكتل الهوائية القطبية الباردة إلى عروضنا وذلك كنتيجة دوماً للإنتقال التدريجي لآليات الحركة الهوائية العامة للاستقرار جنوباً تبعاً لحركة الشمس الظاهرية مما يجعل في الأخير أن الحرارة الوسطى لهذا الفصل تكون مرتفعة نسبياً مع بداية الفصل ومنخفضة في نهايته.

وهذه الصفة الانتقالية نلمسها أيضاً على آليات حركة الهواء عند عروض المغرب وخاصة في المستويات العليا والتي يكون يطغى عليها خلال بداية الفصل طابع الرتابة المميز لفصل الصيف بسبب الضعف النسبي للتناقض

الحراري ما بين عروض النصف الشمالي الشيء الذي يحد من سرعة التيار النفات التي تستمر نسبياً خلال بداية الخريف مما يجعل رسم هذا التيار يشكل إنعراجات ذات مدى كبير. وهذه الوضعية بالذات هي التي ستسمح بتقدم أو تعمق الهواء البارد نحو الجنوب فيساهم ذلك في تنشيط فاعل للدينامية العامة لحركة الهواء تكون من نتائجها المباشرة خلق ظروف جوية جديدة تبتدئ غالباً بما يسمى بنشوء اضطرابات محلية تهتم على الخصوص السواحل المغربية من عرض أكادير إلى السواحل البرتغالية من خصائصها المميزة إعطاء تساقطات مهمة تقتصر على محيطها المباشر ويكون ذلك إيذاناً ببداية الفترة الرطبة والتي سرعان ما تتأكد مع توالي تردد المسارات المختلفة لاضطرابات الجبهة القطبية والتي تهتم تساقطاتها جل المناطق المغربية.

وتأتي تساقطات هذا الفصل من حيث الأهمية في المرتبة الثانية بعد التساقطات الشتوية في كل المناطق الساحلية عموماً وغزارة تساقطات هذا الفصل مرتبطة بتظافر عاملين أساسيين، أولهما الطبيعة الجرد رطبة للهواء الذي يهيم مناظنا خلال الفترة لكونه يتوفر على كمية كبيرة من الرطوبة بسبب حرارته التي مازالت نسبياً مرتفعة. وثانيهما الدينامية العامة للهواء عند هذه العروض والتي تؤدي إلى وصول الاضطرابات الجوية التي يزداد نشاطها خاصة بسبب تقدم حركة الهواء الغربية نحو الجنوب من ناحية وتوالي تعمق الهواء البارد في الأجواء العليا دائماً بإتجاه الجنوب أي بإتجاه عروضنا بسبب الأودية الباردة الكبيرة التي يشكلها خلال هذا الفصل رسم التيار النفات فتتكون على إثر ذلك ما يصطلح عليه بالقطرات الباردة التي هي عبارة عن كتلة معينة من الهواء البارد جداً الذي انفصل عن مصدره وانتقل جنوباً ليعلو منطقة تتوفر على هواء أدقاً وهي تقترب غالباً عند السطح بمنطقة الاضطراب ومنخفضها الجوي المرافق والتي هي أيضاً مكان تصاعدات قوية للهواء حار ورطب بسبب عدم الاستقرار الناجمة عن تلاقي هوائين متناقضين من حيث الحرارة والكثافة هما الهواء القطبي والهواء المداري. ووجود هذه القطرات الباردة في الأجواء العليا يزيد من عدم استقرار الهواء المتصاعد داخل منطقة الاضطراب الشيء الذي يؤدي في آخر الأمر إلى الزيادة من فاعلية الجبهات وبالتالي من غزارة الأمطار فجل حالات الأمطار القياسية المسجلة في المغرب وكذا في شمال إفريقيا غالباً ما تحدث بسبب نفس الظروف وخلال نفس الفصل.

علي البليشي

**الخزازرة،** فرقة كبيرة من فرق قبيلة الأعشاش بالشاوية (راجع مادة الأعشاش) وقد أشار الضعيف الرباطي في تاريخه إلى أن الأعشاش كانوا ينقسمون في

أواخر القرن الثامن عشر إلى ثلاثة أقسام أولى هذه الأقسام وهي : الحزارة ثم بنو يمان ثم أولاد محمد.

وقد استقلت فرقة الأعشاش بقيادتها منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وفي 1315 / 1898 وزع الوزير أحمد بن موسى البخاري الأعشاش إلى سبع قيادات كانت قيادة الحزارة في مقدمتها. وفي بداية القرن العشرين خاصة عندما تم احتلال فرنسا للشاوية - أصبحت الحزارة تكون مع المعاريف والأولاد والخلط وأولاد شعيب وأولاد عريف ما يسمى بأعشاش السهل في مقابل أعشاش الغابة الذين يتكونون من أولاد حمامة وأولاد عبد الله وأولاد الزريق وأولاد عطو (عتو). وأحصيت خيام الحزارة فوجدت ستمائة وخمسة وعشرين خيمة. تتوزعها ستة دواوير : الحمالشة، أولاد بوعزة، اليرازين، أولاد بويكر، أولاد بن يسف، أولاد العسري.

Villes et tribu du Maroc, Casablanca et la Chaouia.

T. 2 ; Mege, Les Mzab et les Achaches, A.B., 1918.

علال الحديدي

**السزاعي، علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن**  
سعود بن موسى بن أبي غفرة يُكنى أبا الحسن. وهذا الانتساب إلى خزاعة لا نعرفه لغيره في الأندلس والمغرب، ويقول المؤرخ ابن الأحمر مؤلف كتاب *تخريج الدلالات السعوية*. إن أصل سلف السزاعي من الأندلس من بني سعود، وينو سعود موضع في شرق الأندلس من جهات مدينة مرسية، وفيها يقول حازم القرطاجني في مقصورته :  
وحل في بني سعود عقده كل حبي عاقد فيها الحبا  
ويبدو أن موسى بن سعود - وهو والد جد السزاعي - انتقل من بلده في شرق الأندلس إلى مملكة غرناطة بعد استيلاء المسيحيين على مرسية وجهاتها في منتصف القرن السابع الهجري، وقد وُكِّي القضاء في بلدة تدعى أدلة بمملكة غرناطة، وخلفه على القضاء بها ولده الفقيه أحمد ؛ وانتقل بعد ذلك إلى مدينة غرناطة، ووُكِّي بها في الأشغال السلطانية، ثم إنه هاجر من غرناطة إلى تلمسان لسبب غير مذكور فاستوطنها إلى أن توفي بها، وقد أورت ولده أحمد معرفة بالأشغال السلطانية والأعمال المخزنية أهلته لتولي الكتابة والوزارة لدى بني زيان ملوك "تلمسان".

أما ولده أبو الحسن علي موضوع هذه الأداة فقد ولد بمدينة تلمسان عام 710 ونشأ بهذه المدينة وأخذ عن بعض علمائها أو زوارها كالخطيب أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن مرزوق، والخطيب القاضي أبي البركات البلقيني، ويبدو أنه تعلم أدوات الحساب والكتابة الديوانية على والده وبرع فيها، ولهذا استكتبه ملوك بني زيان وقلدوه خطة الأشغال السلطانية، وهي الخطة التي تقلدها والده وجده، وكما انتقل جد السزاعي - فيما رأينا - من خدمة بني نصر إلى خدمة بني زيان انتقل حفيده أبو الحسن من خدمة هؤلاء إلى خدمة بني

مرين إسوة بعدد من التلمسانيين كابن مرزوق والمقري الجد وغيرهما، وقد استكتب في الأشغال السلطانية بفاس في عهد السلطان أبي عنان وولده أبي بكر، وفي عهد أبي سالم وأبي زيان وأبي فارس والسعيد بالله. ولعل مهارته في عمله وأمانته في أدائه من أسباب استمراره في الخطة في عهود متقلبة، ولعل من أسباب ذلك أيضا أنه كان كريما سخيا كثير الصدقة والإيثار لم يكن في زمانه من يضاهيه في هذا.

لقد تفرغ السزاعي في آخر حياته لتأليف كتابين في موضوعين متميزين :

أحدهما هو موضوع السماع أو الموسيقى، وتأليف السزاعي في هذا الموضوع مفقود، وقد انفرد بذكره يحيى السراج في فهرسته - وقد كان صديق السزاعي وشريكه في الأخذ عن بعض الشيوخ - قال : "سمعت من لفظه بعض تأليفه في السماع وناولني المبيضة".

أما الموضوع الثاني فله تعلق بالخطة التي تقلدها هو وسلفه، واجتهد في أن يجد لها ولغيرها من الوظائف المخزنية أساسا سنيا وسندا شرعيا، وقد سمى تأليفه في هذا الموضوع كما يلي : *تخريج الدلالات السعوية*، على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية... وقد ذكر السراج هذا الكتاب كذلك، وقال : "وقرات أو سمعت من لفظه بعض تأليفه المسمى بتخريج الدلالات السعوية، على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية وناولني جميعه وأجاز لي إجازة عامة".

وقد وصل إلينا هذا الكتاب المتنازل، وطبع أكثر من مرة، ويقول السزاعي في الباعث له على تأليفه : "ويعد فإني لما رأيت كثيرا ممن لم ترسخ في المعارف قدمه، وليس لديه من أدوات الطلب إلا مداد وقلمه، يحسبون من دفع إلى النظر في كثير من تلك الأعمال في هذا الأوان مبتدعا لا متبعا ومتوغلا في خطة دنية، وليس عاملا في عماله سنية، استخرت الله عز وجل أن أجمع ما تأدى إليّ عمله من تلك العمالات في كتاب يضم نشرها، ويبين جاهليها أمرها، فيعترف الجاهل، وينصف المتحامل، فألفت هذا الكتاب...". وذكر السزاعي في مقدمته أنه أهداه إلى السلطان المريني أبي فارس موسى بن أبي عنان، والكتاب ينقسم إلى عشرة أجزاء فيها مائة وثمانية وسبعون بابا تشتمل على مائة وست وخمسين خطة.

وقد اختصر هذا الكتاب رقاعة الطهطاوي في كتابه نهاية الإيجاز، وتوسع فيه وأضاف إليه الشيخ عبد الحفي الكتاني في كتابه الترتيب الإدارية.

ومما يمتاز به تأليف السزاعي أنه جعل الباب الأخير خاصا بذكر أسماء التأليف التي خرج منها مادة كتابه وهي مائة ونيف وستون تأليفا.

توفي السزاعي رحمه الله بفاس - وذلك كما يقول صاحبه السراج - بعد صلاة العصر من يوم الأحد الخامس من



ذي القعدة عام تسعة وثمانين وسبعمائة ودفن من غده يوم الاثنين.

مقصورة حازم، 1 : 193 : فهرسة السراج (مخطوطة) : ابن الأحمر،  
نشير الجمان، 249، 253، مستوع العلامة له أيضا : 62 روضة  
النسرين له أيضا : 31 : ابن خلدون، التعريف، 43 : أ. ابن  
القاضي، درة المجال، 3 : 247، 248 : جذوة الاقتباس، 489 : لقط  
الفراند، 224 : وانظر تخريج الدلالات السمعية، تج. الدكتور  
إحسان عباس.

محمد بن شريفة

### خُرْزَامِي (أيت -) منطقة تقع بإقليم ورزازات شرقا

وفي الشمال الشرقي للكنتلة الجبلية المعروفة بالسروة. ويكاد يكون شكلها مستطيلا طوله نحو 30 كلم، وعرضه نحو 15 كلم، ويوجد ضمن تراب المجموعة القبلية المسماة أيت وأوزگيت، ومحد أيت خُرْزَامِي أيت زينب في الشمال والشمال الشرقي وأيت مخليف غرباً مع أيت أزيلال. ولها في الجنوب حدود مع أيت تدرارت وأيت النقب، أما في الشرق، فإن أيت قاسين هي التي تحدّها.

وترتّب قري بلاد خُرْزَامِي حسب أهميتها : أماسين تأوي اليوم زهاء 400 عائلة، تعيش على ما تنتجه الحقول المجاورة من حبوب، وخاصة الشعير وتربية الأغنام. لكن مستوى المعيشة يبقى منخفضاً هزلاً. وبعدها تأتي قاسيرت التي تحيط بها مزارع صغيرة على المدرجات الأرضية، كما هو حال أماسين، وكان يوجد في كليهما ملاح لطائفة يهودية انقطع اليوم دابرها. ثم تأتي تشاوكشت وتليها تيفدرا وتينزلا وهي مداشر لا غير.



والجدير بالذكر أن سكان المنطقة قاطبة اعتادوا الاعتماد على أنفسهم في كل شيء. وتتساكن بتراب هذه المنطقة قبيلة قديمة أخذت اسمها من لون الخُرْزَامِي الذي هو اللون الذي تتميز به الصخور البركانية القاعدية والمزيجيات منها التي تغطي معظم مساحة هذه الجهة. ولهذه الطبيعة القاسية أثر على مزاج السكان الذين عرفوا قديماً بغلظتهم وحرصهم على إثبات وإقرار وفرض خصوصيتهم على القبائل التي

تخرج عن نفوذ واوزگيت، ولا سيما منها القبائل السوسية التي لم تستطع قديماً أيت خُرْزَامِي التعايش معها.

G. Choubert, *Histoire géologique* ; L. Gentil, *Dans le Bled es-Siba* ; F. Joly et P. Birot, *Excursion...*  
أحمد بنجلون

### الخُرْزَامِي، أسرة تنتسب إلى آيت خُرْزَامِي، القبيلة

الكبيرة التي تدخل في تركيب قبيلة أيت واوزگيت بإقليم ورزازات. ويطلق هذا الاسم على إحدى أسر أسفي التي أسسها عناصر هاجرت من أيت خُرْزَامِي واستوطنت أسفي في عهد لم يحدد. لكن المؤكّد - حسب ما لدينا من وثائق -، أن أحدهم يسمى محمداً قدم إلى أسفي خلال نهاية القرن الثامن عشر مرفوقاً بعدد من أفراد عائلته كان من بينهم ولدان، أحدهما اسمه امحمد والثاني أحمد، وكل منهما أسس عائلته حتى إن الخُرْزَامِيين يشكلون اليوم بأسفي فرعين متميزين. تضعف العلاقات بينهما مع توالي الأيام، علماً أن خيوط المودة تربط بين عناصر قبيلة من الفرعين بفضل المصاهرة.

زد على هذا انبثاق فرع ثالث - من الفرعين الأساسيين المذكورين سلفاً - انقسم بدوره إلى شعبتين، إحداهما توجد بمراكش وقطعت علاقاتها بأصولها وبأسفي، والثانية توجد بالدار البيضاء، وسارت على نفس الدرب. وهذه الظاهرة ترجع أساساً إلى انقطاع الأجيال المتأخرة عن مهد آباتها. وعلى كل فإن ذاكرة أسفي سجّلت بعض الأسماء منهم، حظوا في حياتهم وبعد مماتهم بالاعتبار والتقدير، إما لمواقفهم المشهودة من الوقائع التي شهدتها الساحة الاجتماعية والسياسية في وقتهم، وإما لرقعتهم في المعرفة والعلوم الدينية وغيرها، أو لمكانتهم في التجارة والصناعة المحلية التي ارتقت على أيديهم. منهم من يردّد ان اسمهم دال على أصلهم العربي بانتسابهم إلى بني خزيم. وهذا غير صحيح، إذ ورد ذكرهم في بعض الرسوم على أنهم "أولاد أخزام" بالصيغة البربرية.

### الخُرْزَامِي، أحمد بن دهمان لا يُعرف تاريخ ميلاده.

تلقى قسطاً من العلم بأسفي، ثم انتقل إلى فاس حيث درس على شيوخ القرويين. وبعد رجوعه إلى أسفي، صار عدلاً. ثم أنيطت به نيابة القضاء في عهد القاضي أحمد بن محمد بن إبراهيم عام 1908. كان من الفضلاء ووجهاء المدينة، كريماً، طيب الأخلاق توفي في غضون عام 1337 / 1918.

### الخُرْزَامِي، بوزيد بن أحمد بن محمد تلقى تعليمه

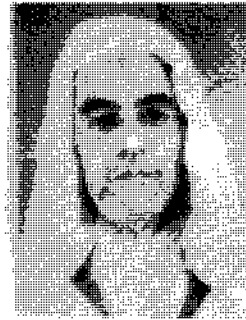
الأساسي بأسفي، ثم قضى سنتين بمراكش طلباً للعلم ثم ذهب بعد ذلك إلى فاس. ولما رجع إلى أسفي، اشتغل

بالتدريس إلى أن أسندت إليه نظارة الأوقاف سنة 1873/1290. كان من أفضل رجالات المدينة توفي سنة 1902 / 1320.

**الخزامي، دحمان بن محمد** تاريخ ميلاده غير معروف. هو الفقيه العالم، ذو الاخلاق السوية، الذي كان يحظى باحترام الأهالي واعتبار سلطات المدينة. مارس مهنة العدل والتدريس وكان في حينه مرجعا في مسائل الشرع في علاقته مع من تتناول أيديهم على أملاك الغير، خصوصا في عهد القائد عيسى بن عمر. وكان دحمان مرشداً موفقا لمن خلفوا القائد الطيب بنهيمه علي عمالة أسفي. (راجع مادة بنهيمه، معلمة المغرب). توفي في غضون عام 1904 / 1322.

**الخزامي، صالح بن أحمد** (وهو شقيق بوزيد السالف الذكر) تاريخ ميلاده غير معروف. بعد أن تلقى تكوينه بأسفي، ذهب إلى مراكش للمزيد من المعرفة. وبعد رجوعه إلى أسفي اشتغل لتونه بالتجارة فريح في أعماله ربحاً كبيراً. وكانت له متاجر أيضاً بمراكش، وتعامل مع أهل البادية في تربية المواشي، فكانت أعماله مزدهرة. كان من أهل الفضل والجود، وموجعا لكل ذي حاجة. توفي عام 1921 / 1340. ومازالت بعض ممتلكاته قائمة بالمدينة العتيقة لكنها توجد في حالة اهمال وانهبان.

**الخزامي، محمد بن أحمد بن دحمان** ولد عام 1886، تلقى تعليمه الأساسي بأحد الكتاتيب القرآنية، وكان ميالاً إلى تعلم الصناعات اليدوية، مُحِباً أن يكون "معلما"، فأدخله أبوه إلى معمل لصناعة البلاغي للرجال والنساء تحت رئاسة صانع ماهر، يسمّى محمد بن التهامي الرباطي - الذي استقرّ بأسفي عام 1890 -، وكان عليه إقبال كبير. ولما اكتسب محمد ما كان يريده من المهارة، استقل بمعمل وصار له صناع يشتغلون تحت رئاسته. واشتهرت صناعته وأخذت بضاعته تروج بمراكش والصويرة والمجديدة. وخصّته السلطات المحلية في عهد الاستعمار



بعنايتها، فأدرجته في لائحة الأعيان. فريظته صداقة متينة باثنين من رجالاتها وهما باشا أسفي الطاهر المقرّي والحليفة الشهير علال الوزاني، وأصبح الأهالي يسمونه الأمين. وكان حقاً أميناً يؤدي عمله بائقان ولم تبر له سلعة، وكان أميناً على كافة صناع حنطة الخرازة، وكان أميناً بطهارة أخلاقه وسلوكه وجوده وكرمه، محباً للفقراء والمعوزين، ولم يكن يفكر في جمع المال والثراء، وكان أميناً أيضاً بسلوكه الوطني إذ استطاع أن يأمن شر السلطات في عهد المحنة والأزمة فصبّ عطفه بل تعاونه السري مع الوطنيين، ونقل الأخبار من خلية بالدار البيضاء إلى خلية بأسفي دون أن يكتشف أحد هذا الأمر في وقته، إذ لم تكن مرتبته الاجتماعية المتميزة لتثير الشكوك حوله، فأدّى مهمته أحسن تأدية. ومات في غضون 1966 دون أن يترك شيئاً من حطام الدنيا.

أ. بنجلون، عائلات أسفي، مخطوط؛ محمد بن أحمد الكانوني، أسفي وما إليه.

أحمد بنجلون

**الخزانة بالمغرب** أو خزانة الكتب أو المكتبة، يعتقد بعض الباحثين أن أصلها يرجع إلى رفوف المصاحف الشريفة بالمساجد التي بُنيت بالمغرب الأقصى إبان الفتح الإسلامي، حيث أقام بعض القراء من الفاتحين أو بمن جاء بعدهم يعلمون سكان هذه البلاد القرآن الكريم حفظاً وكتابه. وبعد تأسيس جامع القرويين سنة 245 (858 م) تكاثر عدد مهاجري القيروان والأندلس إلى فاس، وفيهم فقهاء ومدرسون حملوا نواة الخزانة العلمية الأولى، التي ربما لم تكن أيضاً غير رف أو رفوف في أحد أركان الجامع قبل أن تخصص لها إحدى المقاصير حين قام الأمير أحمد بن بكر الزناتي في حدود سنة 345 (956 م) بتجديد جامع القرويين وتوسيعه، بإشارة من حليفه الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر الذي كان المثل يُضرب بخزانته العلمية، ولا يُعقل أن يُغفل مشروع توسيع الجامع جانب الخزانة فيه.

وقد عرفت الخزانة العلمية بالمغرب تطوراً مع المرابطين الذين وحدوا العدوتين المغرب والأندلس تحت سلطتهم، وأصبحت حاضرتهم مراكش مهبط الفقهاء والعلماء والأدباء، ثم بنى ثاني ملوكهم علي بن يوسف بن تاشفين جامع ابن يوسف العظيم في حدود سنة 520 (1126م) ويُظن أن إحدى مقاصيره خصصت للكتب فكانت منطلق خزانة ابن يوسف المعروفة حتى اليوم. وتذكر كتب التاريخ والتراجم توافد الفقهاء والأدباء والكتاب على حاضره مراكش أيام أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، وتنافسهم في تقديم مؤلفاتهم ومنتسختاتهم إلى هذا الملك الكريم الشغوف باقتناء الكتب والحفاظ عليها، حتى إنه لما مات الطبيب زهر بن عبد الملك ابن زهر أمر أمير المسلمين

بجمع مصنفاًته، فجمعت في المغرب والأندلس وانتسخت عام 526 (1131م) ولاشك أن هذه الكتب دخلت إلى خزانة علي بن يوسف الخاصة أو العامة.

وإذا كنا لا نتوفر، إلى جانب القرائن المذكورة، على وثائق مادية تثبت وجود خزانة القرويين في عهد الأدارسة والزناتيين، فيعكس ذلك هناك براهين قاطعة على وجود خزانة مراكش المرابطية، وذلك أجزاء من كتاب الوطأ في رق الغزال محفوظة بخزانة القرويين جاء في الجزء الحادي عشر : "ما كتبه لخزانة أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف أدام الله تأييده ونصره... وكان الفراغ منه بحضوره مراكش - حرسها الله - غرة شعبان من سنة اثنتين وخمسائة" وشبه ذلك في أجزاء أخرى منه. وفي خزانة عبد الهي الكتاني المودعة اليوم في الخزانة العامة بالرباط خمسة مخطوطات كانت في حوزة أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين منها مصحف شريف وكتاب مشكل القرآن لابن قتيبة.

ولما كان المهدي ابن تومرت أوصى الموحدون ألا يدخلوا مراكش إلا بعد تطهيرها، أي محو كل آثار المرابطين منها، فإن عبد المؤمن بن علي بعد أن تمت له الغلبة سارع إلى هدم جامع ابن يوسف وكل مرافقه، وشيّد بالمقابل جامع الكتبية الذي كان يحيط به مائتا دكان لبيع الكتب، كما أسس حفيده يعقوب المنصور "قصر الخلافة وسط المدينة التي اختطها خارج مراكش (القضية السلطانية) خاصة به وبخواصه... وفي رجة القصر قصر الخلافة دار الكرامة والأضياف، وفي هذه الرجة المدرسة، وهي مكان جليل به خزائن الكتب" (مسالك الأبحار، ص. 145-147) وأسّس عمر المرتضى من متأخري الملوك الموحدون خزانة عمومية أخرى بقصبة مراكش مازال بعض مخطوطاتها قائماً في خزانة ابن يوسف يحمل وثيقة التحجيس (المصدر السابق، ص. 147 هامش 1).

وليس بسرّ نشاط المجالس العلمية للملوك الموحدون بمراكش، خاصة أيام السلطان العالم أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن صاحب "الخزانة العالية" الذي كان من الملازمين له الفيلسوفان ابن الطفيل وابن رشد الحفيد والأديب الكبير أبو العباس ابن الصقر الذي قال فيه ابن عبد الملك : "أنق أهل عصره خطأً وأجملهم فيه منزعاً، وكتب من دواوين العلم ودفاتره ما لا يحصى كثرة وجوده وضبطاً... ألزمه خطة الخزانة العالية، وكانت عندهم من الخطط الجليلية التي لا يعين لتوليبتها إلا عليّة أهل العلم وأكابرهم" (الذيل والتكملة، 1 : 225 و228)، وفيها طلب أبو يعقوب من ابن رشد أن يلخص كتب أرسطو ويقرب أغراضها بعد أن يفهمها جيداً. قال ابن رشد : "فكان هذا الذي حملني على تلخيص ما لخصته من كتب أرسطو طاليس".

وقتماز مدينة سبتة بحكم موقعها الجغرافي كأقرب نقطة اتصال بين المغرب والأندلس وبحكم تاريخها السياسي

والعلمي المطبوع بجاذبية قوية بين فاس ومراكش من جهة وقرطبة وإشبيلية وغرناطة من جهة أخرى، بريادتها في ميدان الخزانة العلمية. وأكثر خزائنها من إنشاء أسر نابهة توارثت العلم والجاه أجيالاً متعاقبة، كبنية العجوز الكتامين الذين تخرج جدهم عبد الرحيم بن أحمد ابن العجوز (ت. 418) بالإمام ابن أبي زيد القيرواني وطبقته، وتسلسل الفقه والقضاء في أبنائه قروناً عديدة. وهم من شيوخ القاضي عياض الذين تحدث عنهم في كتابه ترتيب المدارك، وظلت خزانة بني العجوز أشهر الخزائن بمدينة سبتة إلى ما قبيل سقوطها.

وجاء في كتاب اختصار الأخبار للأنصاري السبتي أن عدد الخزائن العلمية بسبتة "اثنتان وستون خزانة كان منها في الزمن القديم بدور الأكابر وذوي الأقدار خمس وأربعون خزانة... وكان منها في زماننا (أوائل القرن التاسع (15م) سبع عشرة خزانة، تسع بدور الفقهاء الصدور... وثمان موقفة على طلاب العلم، أقدمها الخزانة الشهيرة ذات الأصول العتيقة والمؤلفات الغربية خزانة الشيخ أبي الحسن الشاري المذكور التي بالمدرسة المنسوبة إليه التي ابتناها من ماله، وهي أول خزانة وقّفت بالمغرب على أهل العلم. وأعظمها إحدى خزائني الجامع العتيق الكائنة بشرقي صحنه وبإزاء باب الشواشين" ثم تتبّع الأنصاري مواقع هذه الخزائن بمختلف مساجد سبتة ومدارسها. ويحث المهتمون بتاريخ الخزانة العلمية بالمغرب وفي مقدمتهم العالمان المرحومان محمد المنوني ومحمد العابد الفاسي، قضية أولية خزانة أبي الحسن الشاري بسبتة كخزانة عامة، ويبدو أن هذه الأوليّة إنما هي بالنسبة لسبتة. وسبقها خزائن عامة في مدن مغربية أخرى.

كان لبني مرين سياسة متفتحة مندفعة في ميدان تأسيس المدارس والخزائن العلمية، سواء في حاضرتهم فاس أو في مدن أخرى من أقصى الشمال إلى الجنوب، وفي تلمسان والجزائر، حتى قبل إنهم أول من أنشأ هذه المعاهد العلمية بالمغرب. واستقصى الخطيب ابن مرزوق التلمساني في كتابه السند الصحيح الحسن المدارس المرينية، ومنشآت أبي الحسن بصفة خاصة، وتحدث في الباب الحادي والأربعين عن نفائس الكتب المحبسة على خزائن هذه المدارس.

ولما تغلب أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق أول ملوك بني مرين على ملك قشتالة سانشو ابن الفونسو العاشر وصالحه في 20 شعبان عام 684 (21 أكتوبر 1285) على شروط جد ملاتمة لصالح مسلمي الأندلس، أمره أن يبعث إليه بما يجد في بلاده بأيدي النصارى واليهود من كتب المسلمين، فبعث إليه سانشو، ثلاثة عشر حملاً فيها مصاحف وكتب في التفسير والحديث وأصول الفقه وفروعه واللغة والأدب، أمر أبو يوسف بحملها إلى فاس وحسبها على طلبة العلم بمدرسة الحلفاويين (الصفارين) التي كان

شيدّها بجوار جامع القرويين (القرطاس، ص. 363 : العير، 7 : 434-435). "وقد نُقلت كتب خزانة مدرسة الحلفاويين في زمن غير محدد إلى الخزانة التي أسسها أبو عنان المريني بجامع القرويين" وتوجد بها الآن جملة من الكتب مرسوم في أول ورقة منها أنها من كتب خزانة مدرسة الحلفاويين... وأكثرها من نوادر مخطوطات الأندلس ومكتوبة في رق الغزال. كما يوجد بالخزانة (القرويين) وثائق أخرى من وقف أبي الحسن على المدرسة الحلفاوية المؤسسة من قبل جده". (الخزانة العلمية، ص 25).

تقع خزانة أبي عنان بأعلى مستودع الجانب الشرقي بجامع القرويين في بناية أثرية متوسطة نُقش بأعلى بابها في الخشب بحروف ناتئة : "عما أمر به... أمير المؤمنين أبو عنان بن الحلفاء الراشدين... إنشاء هذه الخزانة السعيدة، الجامعة للعلوم المجيدة، المشتتة على الكتب التي أنعم بها من مقامه الكريم، المحتوية على أنواع من العلوم الواجب لها التعظيم والتكريم. جعل ذلك - نصره الله - وقفاً مؤبداً لجميع المسلمين... وذلك في جمادى الأولى عام خمسين وسبعماية" (المصدر السابق، ص. 27، 28) وأضاف علي الجزائلي أن أبا عنان "أخرج لها من الكتب المحتوية على أنواع من علوم الأبدان والأديان، واللسان والأذهان، وغير ذلك من العلوم على اختلافها، وتنوع ضروبها وأجناسها، ووقفها ابتغاء الزلفى، ورجاء ثواب الله الأوفى، وعين لها قيساً لضبطها ومناولة ما فيها وتوصيلها لمن له رغبة، وأجرى له على ذلك جارية مؤيدة تكرمه وعناية" (زهرة الآس، ص. 79). وما زالت بقايا مخطوطات خزانة أبي عنان محفوظة بخزانة القرويين، وكلها نفائس وذخائر. وكذلك المخطوطات التي أوقفها بنو وطاس على هذه الخزانة.

ثم عرفت الخزانة العلمية بالمغرب نقلة نوعية مع الشرفاء السعديين في مطلع القرن العاشر (16م) حيث اتسعت الرقعة الجغرافية للخزائن تبعاً لاتساع المراكز العلمية وانتشارها في البوادي فضلاً عن المدن، لا سيما في جبال الأطلس وما وراها من بلاد تافيلالت ودرعة وسوس. ودخلت كميات كثيرة من الكتب الأندلسية إلى المغرب مع الأفواج الأخيرة من المهاجرين بعد سقوط غرناطة وجلت أخرى من الشرق وأنصحراء والسودان، إضافة إلى وفرة المؤلفات المغربية في هذا العصر.

لقد وُجدت في المغرب السعدي عشرات الخزائن العامة والخاصة (الحركة الفكرية، 1 : 182-194) أشهرها : خزانة القرويين التي شيدّها أحمد المنصور في قبلة الجامع، وهي باقية حتى اليوم، فتح لها باب في حي الصفارين. وتشتمل على أنفس الكتب القديمة والحديثة في جميع الفنون، ويتصل بقبة الكتب فيها حريم يدخله القراء من بويب قريب من المحراب.

وأسس السعديون أوجدودوا في حاضرتهم مراکش عدداً من الخزائن العلمية كخزانة جامع ابن يوسف التي أحيها

عبد الله الغالب وأوقف عليها كثيراً من نفائس المخطوطات مازال بعضها يحمل وثائق تحسيسه، وذلك حين شيد بجوار هذا الجامع المدرسة البديعة المنسوبة إليه وإلى الجامع بحكم الجوار (مدرسة الغالب ومدرسة ابن يوسف). وكخزانة جامع الشرفاء (المواسين) الذي أسسه نفس الملك عبد الله الغالب وأوقف على خزانته هو وآله من الكتب ما لا يحصى كثرة، وكان يتردد على هذه الخزانة أحمد باب التنيكتي خلال إقامته بمراكش، ومنها استقى مادة كتبه الشهيرة في التراجم (نبيل الابتهاج، 53 و197 و265) ؛ وكخزانة جامع الحرة بباب دكالة الذي أنشأته مسعودة الوزرگيتية أم المنصور ووقفت هي وأحفادها على خزانته عدداً وافراً من الكتب القيمة ؛ وكخزانة الحرم العباسي التي أسسها الأمير أبو فارس عبد الله بن أحمد المنصور في قبلة الجامع الكبير الذي شيدّه بجوار ضريح أبي العباس السبتي، وقال أحمد المقري عن هذه الخزانة : "وحبس عليها خزائن من الكتب العتيقة". (روضة الآس، ص. 59).

ومن الخزائن العامة الكبرى أيضاً في العهد السعدي، خزانة الجامع الكبير بالمحمدية (تارودانت)، وهي من تأسيس محمد المهدي الشيخ عند ما جدد مدينة تارودانت بالسوس في حدود سنة 935 / 1528. وخزانة دار العدة في فكيك من تأسيس الشيخ عبد الجبار بن أحمد الفكيكي رأس الأسرة العالمة الشهيرة آل عبد الجبار. في مطلع القرن العاشر (16م) وخزانة الزاوية الدلائية بالأطلس المتوسط، من تأسيس الشيخ أبي بكر بن محمد الدلائي أواخر هذا القرن. وازداد عدد كتبها بما أمدها به أبناء الشيخ وحفدته العلماء والأمراء حتى شبهها بعضهم بخزانة الخليفة الأموي الحكم المستنصر.

أما الخزائن الخاصة في العصر السعدي فتأتي في طليعتها خزانة أحمد المنصور وخزانة ابنه زيدان. ضمت خزانة المنصور عيون الكتب في مختلف العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية. وضمنها مؤلفات علماء المغرب والشرق المعاصرين له، كانوا يتنافسون في إهدائها إلى الخزانة المنصورية ويذكرون ذلك في مقدمات تلك الكتب. وكان المنصور يجزل لهم العطاء. وقد رتب المنصور في رحاب خزانته وراقين حاذقين بضروب الخطوط المغربية والشرقية يكتبون إلى جانب المداد بحلول الذهب والعنبر المسقي بماء الورد، وينشفون بالتبر بدل التراب ؛ وفتانين يقومون بالتجليد والتزويق، فضلاً عن الوراقين في القاهرة واصطنبول والحرمين الشريفين الذين لا يفترون عن إمداد خزانة المنصور بما ينتجون. وكانت رُسل المنصور تتردد على المشرق حاملة أوقار الذهب النضار مكافأة للمؤلفين والوراقين والشعراء، ومازلت بعض مخطوطات خزانة المنصور بتبرها محفوظة في بعض الخزانات العامة.

وكانت خزانة زيدان كذلك عامرة بنفائس المخطوطات خاصة كتب التفسير واللغة والأدب، ثم أضيفت إليها خزانة

وأشهر الخزانات الخاصة في هذه الفترة الخزانة الكتانية بفاس للشيخ عبد الحي الكتاني وهي أغناها بالمخطوطات النادرة : وخزانة نقيب الأشراف عبد الرحمن ابن زيدان بمكناس، وخزانة القاضي عباس ابن إبراهيم بمراكش ؛ والخزانة الصيحية بسلا للباشا الحاج محمد الصيحي، وخزانة الشيخ عبد الله گنون بطنجة، وخزانة الشيخ محمد داود بتطوان الغنية برصيدا الصحفي والوثائقي.

وبعد الاستقلال فتحت جامعات ومدارس عليا ومعاهد ووزارات تقنية وظهرت فيها خزانات كبرى متخصصة مازالت تتوسع وتتنامى. وتطوع بعض المحسنين فأوقفوا خزاناتهم الخاصة وفتحوها لعموم القراء، مثل الخزانة العلمية الصيحية بسلا، وخزانة عبد الله گنون بطنجة، وخزانة محمد داود بتطوان. وقد أُسند قطاع الكتب والخزانات أو المكتبات إلى وزارة الشؤون الثقافية التي حرصت على توسيع شبكة الخزانات العمومية في المدن والقرى من أقصى الشمال إلي أقصى الجنوب لتسهيل القراءة والتشجيع عليها ووضع الكتاب المناسب بين يدي القراء في كل مكان. وحسب الإحصائية الأخيرة لهذه الوزارة فإن الخزانات العمومية التابعة لها بلغ 153 خزانة. وفي إطار النهوض بالعالم القروي في الألفية الثالثة، خطت وزارة الشؤون الثقافية لفتح مائة خزانة كل سنة قصد توفير خزانتي لكل جماعة قروية.

القاضي عياض السبتي، ترتيب المدارك، تج. سعيد أعراب، تطوان، 1403 / 1983، الجزآن 7 و 8 ؛ ع. ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1973 ؛ ع. الجزائتي، زهرة الآس، باعتناء الفريد بيل، الجزائر، 1340 / 1922 ؛ م. ابن عبد الملك المراكشي، النذل والتكملة، السفر الأول، تج. م. بن شريعة، بيروت، د. ت ؛ ع. ابن خلدون، المعبر، بيروت، 1959، الجزء السابع ؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (الباب 13)، تج. م. المنوني، مجلة البحث العلمي، عدد 1، 1964، ص. 131-153 ؛ م. الأنصاري، اختصار الأخبار عما كان يسبته من سني الآثار، تج. م. ابن تاويت التطواني، مجلة تطوان، عدد 3-4 السنة 58، 1959، ص. 73-95 ؛ أ. باب التنبكتي، نيل الإبتهاج، القاهرة، 1351 / 1932 ؛ أ. المقرئ، روضة الآس، الرباط، 1383 / 1964 ؛ م. الإفرائي، نزعة، تج. ع. اللطيف الشاذلي، الدار البيضاء، 1419 / 1998 ؛ م. العابد الفاسي، الخزانة العلمية بالمغرب، الرباط، 1380 / 1960 ؛ م. المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، الرباط، 1977 ؛ المصادر العربية لتاريخ المغرب، المحمدية، 1410 / 1989 ؛ وروقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، ط 2، الدار البيضاء، 1996، دور الكتب في ماضي المغرب، مخطوط، خ. ح رقم 258 ؛ قيس من عطاء المخطوط المغربي، بيروت، 1999، ثلاثة أجزاء ؛ م. حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، المحمدية، 1396 / 1976، جزآن ؛ الصديق بن العربي، مقدمة فهرس المخطوطات خزانة ابن يوسف

المنصور أو بعضها بعد وفاته، غير أن قسماً منها ضاع في الفتن التي شبت بين أبناء المنصور وبينهم وبين الثوار على الحكم. ولما خرج زيدان من مراكش على إثر هزيمته أمام ابن أبي محلي أخذ معه إلى أسفي. في جملة ما حمل من ذخائر - ثلاثة آلاف كتاب بعث بها في سفينة إلى سوس، فاعترضها القراصنة الإسبان وحملت إلى دير الإسكوريال بضاحية مدريد.

ولما آلت الخلافة إلي الشرفاء العلويين في أواخر القرن الحادي عشر (17م) أولوا اهتماماً خاصاً بالخزانات العلمية، وأهم ما استحدث منها في هذا العصر. خزانة السلطان الرشيد بن الشريف بالجامع الأعظم من المدينة البيضاء (فاس الجديد)، وخزانة المولى إسماعيل في دار خاصة بقصره بمكناس وكان يقوم عليها الوزير العالم أحمد اليعمدي ؛ وقد أوقف محمد بن عبد الله مخطوطات خزانة جده المولى إسماعيل على طلبة العلم ووزعها على خزائن جامع القرويين بفاس والجامع الكبير بمكناس وجامع ابن يوسف بمراكش وغيرها، وكون هذا السلطان الخزانة الملكية بالرباط التي تعد من أغنى خزانات المخطوطات بالمغرب وأصبحت تدعى في العقود الأخيرة الخزانة الحسينية.

ومن كبريات خزانات العصر العلوي كذلك الخزانة الناصرية بتامگروت درعة أسسها الشيخ العالم الصالح محمد ابن ناصر الدرعي، (ت. 1085 / 1074) ووسعها وأثرها ابنه وخليفته من بعده أحمد ابن ناصر بما اقتنى أو استنسخ لها من أهيات الكتب في المغرب والمشرق ؛ والخزانة الحمزاوية بالزاوية العياشية في ملتقى الأطلسين الكبير والمتوسط، أسسها العالم الرحالة أبو سالم العياشي (ت. 1090 / 1679) وأثرها كذلك ابنه العالم حمزة وإليه تنسب ؛ والخزانة الوزانية، وهي من تأسيس حفدة الشيخ مولاي عبد الله الشريف (ت. 1089 / 1678) وكانت حتى منتصف القرن الرابع عشر (20 م) محفوظة داخل ضريح هذا الشيخ في ثمان خزائن خشبية، مشتملة "على العدد الجَم من الدواوين العلمية من كل فن" يشرف عليها مقدمو الضريح. وخلال سنة 1368 / 1947 نقلت الخزانة إلى مقرها الحالي في قبلة المسجد الأعظم في بيت مجهز بالرفوف الخشبية، ونسبت إليه فسميت خزانة المسجد الأعظم بوزان.

ومنذ مطلع القرن الثالث عشر (19 م) أخذت المطبوعات العربية الواردة من الشرق تدخل الخزائن العلمية المغربية، وتكاثر عدد المطبوعات بعد ظهور المطبعة الحجرية بفاس في النصف الثاني من هذا القرن. ولما فُرِضت الحماية على المغرب أُسست خزانتان كبيرتان، الخزانة العامة بالرباط (انظرها فيما يلي) وخزانة أخرى في مدينة تطوان، وفي كليهما عدة أقسام، بعضها للمخطوطات، وبعضها للمطبوعات بالعربية واللغات الأجنبية، والكتب والجرائد والدوريات والوثائق. بالإضافة إلى خزانات عمومية صغرى في الأقاليم على غرار خزانتي الرباط وتطوان.

بمراكش، بيروت، 1414 / 1994 ؛ فوزي، عبد الرزاق، المطبوعات  
الحجرية في المغرب، الرباط، 1989 ؛ وزارة الشؤون الثقافية، تقرير  
قسم الخزانات والمحفوظات عن سنة 1998 - 1999، الرباط، 1999 ؛  
منجزات قسم الخزانات والمحفوظات في مجال القراءة العمومية،  
الرباط، يوليوز 1999 ؛ لائحة الخزانات العمومية التابعة لوزارة  
الشؤون الثقافية، الرباط، 2000.

محمد حجي

## الخزانة العامة والوثائق للحماية أسس نظام

الحماية الفرنسية بالمغرب المكتبة العمومية الكبرى القائمة  
بوظائف المكتبة الوطنية من جهة ووظائف مؤسسة الإداري  
من جهة أخرى، وسماها الخزانة العامة والوثائق للحماية  
Bibliothèque Générale et Archives du Protectorat ينتظر  
أن يتغير هذا الاسم إذا صدرت القوانين المؤسسة للمكتبة  
الوطنية للمملكة المغربية ولأرشيف المغرب وقد عرضتها  
وزارة الشؤون الثقافية على المناقشة الحكومية في شتنبر  
1999 ومن المعلوم أن اسم "الحماية" لم يعد يظهر في  
التسمية المستعملة منذ حصول المغرب على الاستقلال.

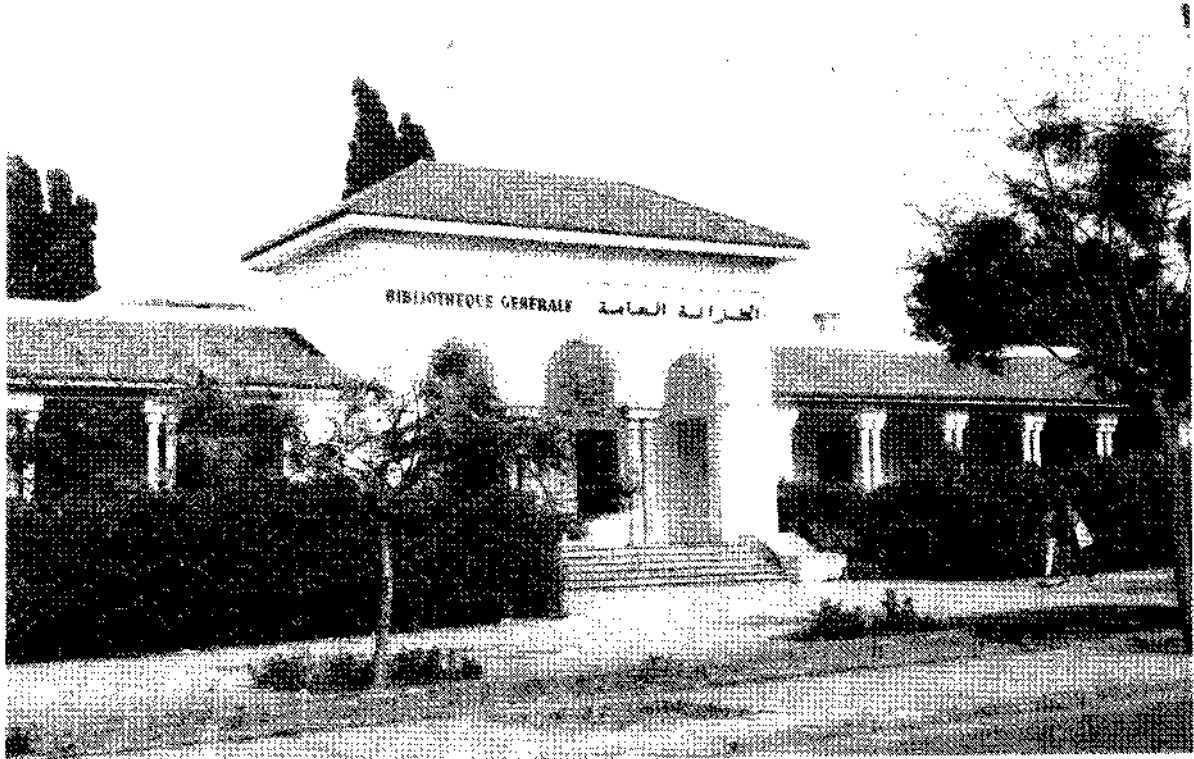
أسس نظام الحماية هذه المنشأة للاستجابة للحاجيات  
الإدارية الخاصة لذلك النظام ولحظته في التعامل مع التراث  
والثقافة في المغرب ولمواجهة جزء من طلب الجمهور  
الأوربي المقيم في المغرب وفي الرباط خاصة. كانت تابعة  
للإدارة العامة للتعليم العمومي والفنون الجميلة والآثار  
(Antiquités). وقد أصدرت هذه الإدارة سنة 1930، - بمناسبة

إقامة المعرض الدولي للمستعمرات بباريس - وثيقة تتضمن  
معلومات عن الخزانة نقتبس أهمها في هذه المادة.

في 11 يوليوز 1914 صدر ظهير بتسمية العقيد هنري  
دوكاستري مستشاراً تاريخياً للحكومة الشريفة وعهد إليه  
بإعداد تنظيم مصلحة للأرشيف، أي الوثائق التاريخية  
والوثائق الإدارية. وفي سنة 1921 حرر المستشار المذكور  
مذكرة في موضوع البحث عن الوثائق في المغرب، وقدم  
تعليقا عليها يوم 17 يناير من نفس السنة بمعهد الدراسات  
العليا المغربية بمحضر المقيم العام ليوطي. وذكر في مذكرته  
تلك ما أداه إليه تنقيبه في الوثائق الأجنبية بالخارج من  
العثور على وثائق غيبسة نفيسة تتعلق بتاريخ المغرب  
وأوعز بأن يجري بحث مماثل لجمع وثائق داخل المغرب علماً  
بأنها مشتتة عند العائلات المخزنية والعالمية.

توصل دوكاستري إلى الحصول على رصيد من الوثائق  
في وجدة وآخر في آسفي، ولكن مجموع ما استحق أن  
يصور منها لم يكن يتعدى مائتي قطعة. وتابع التنقيب  
فيما بعد ولا سيما بإعانة من علماء مفاربة أمثال محمد  
ساسي بسلا وعبد الرحمان بن زيدان بمكناس وجوستينار  
العارف بجهات سوس.

وقد اقتنيت مجموعتان من الرسائل الصادرة عن  
السلطان في القرن التاسع عشر : إحداها اشترت منذ  
1920 ووقع إهداء الأخرى سنة 1927. واستخرجت مجموعة  
ثالثة أكثر أهمية من أحد القصور الملكية. وقد كلف  
الضابط سيكار Sicard مستعينا بأحد الطلبة بأن يضع  
فهرسا لهذه المجموعة الأخيرة بتنسيق مع الخزانة العامة.



وقد تنازلت بعض القنصليات عن وثائقها لإدارة الحماية ومنها قنصلية طنجة، ومن النفائس التي أودعتها جريدة القنصلية Journal du Consulat لسنة 1767.

وهكذا فإن الاهتمام بالوثائق سابق في عمل نظام الحماية عن الاهتمام بالخزانة فقد أنشئت بقرار للمقيم العام بتاريخ 2 فبراير 1917 خزانة إدارية مركزية للحماية ولكن وإلى غاية عام 1919 لم تكن هنالك خزانة عمومية للكتب من غير الخزائن الأصلية في الجوامع والمدارس والزوايا. ولكن المديرين المتعاقبين على معهد الدراسات العليا المغربية وعلى رأسهم نهليل Nehlii قد حرصوا على جمع الوثائق والكتب الضرورية لعمل مجموعات الباحثين المنضوين تحت مؤسساتهم، ومعظم الرصيد المتجمع لهم كتب تهم المغرب والغرب الإسلامي.

ولما قرر المقيم العام الجنرال ليوطي سنة 1919 إنشاء خزانة عامة كان يرى أن نواتها تكون ذلك الرصيد المتجمع في المعهد. فقد كانت فكرته هي تجميع كل أرصدة الوثائق في خزانة عمومية واحدة.

تولى بيير دوسينيغال P. De Cénival سنة 1920 إدارة المنشأة الجديدة. وهو الذي حدّد قواعد التصنيف متكيفا مع مبدأ الفهرس العام على الجذاذات بحسب المؤلفين وبحسب المواد.

وهو الذي أعطى التوجيهات التي روعيت في تشييد بناية الخزانة. وكان المقيم العام ليوطي، وقد صار مشيراً، يزور الورش ويفتخر به بمعية ضيوف مرموقين من أمثال أميلي Amélie أميرة البرتغال والكاتب الفرنسي أندري جيد André Gide وغيرهما.

وفي سنة 1924 تم المبنى ونقلت إليه الكتب والوثائق. وانضاف إلى عمل فهرسة الكتب والوثائق عمل جرد أهم الدوريات.

وجاء ظهير 24 ربيع الثاني 1345 / 1 نونبر 1926 ليحدد الوضعية القانونية للخزانة بترقيتها إلى صف مؤسسة عمومية مديرها محافظ ويخطط لها مجلس إدارة. وقد جعل الظهير مهمة هذه المؤسسة في حفظ جميع أنواع الوثائق وتقديمها إلى العموم وتلقي الإيداع القانوني، وحدد تنظيمها الإداري والمالي وعهد إليها بمقتضى المادة التاسعة بتلقي الأرشيف الإداري بعد أقدمية عشر سنوات.

حرصت الخزانة على إغناء رصيدها من الكتب والوثائق ولا سيما في ميادين دراسات المغرب وشمال إفريقيا والإسلام. وقد استطاع مديرها الأول نهليل أن يقتني كتب خزانيتين مهمتين : خزانة ماء العينين التي اعتبرت "غنيمة حرب" وخزانة الحاج المختار بن عبد الله السوسي بمكناس. وكان يساعد على الاقتناء علماء من أمثال عبد المحي الكتاني وابن زيدان، ففي سنة 1920 أضيفت إلى كتب الخزانة كتب النادي الألماني بطنجة وكتب مطبوعة ومخطوطة صودرت في طنجة في أملاك السلطان السابق

مولاي عبد الحفيظ، وفي سنة 1921 دخلت إليها مجموعة مكتبة الحاكم العام كلوزيل Clozel، وفي عام 1922 مجموعة كتب الموظف السامي بالجزائر Bernard، وفي 1929 دخلت إليها كتب القنصل الفرنسي Leriche.

وكانت كتب الثقافة العامة قد بدأت تدخل إليها ابتداء من 1924، علماً بأن غنى الخزانة يكمن في تخصصها في المواد المتعلقة بالمغرب والغرب الإسلامي وذلك بالعمل الوثيق مع معهد الدراسات المغربية العليا.

تعزز رصيد الخزانة من الدوريات ولا سيما بالتبادل حيث كان معهد الدراسات العليا يكتننها من مائة وعشرين عدداً من مجلة هسبيريس Hespéris تستعملها للحصول على ما يقابلها من مجلات الاستشراق واللسانيات والانتوغرافية والجغرافية والفنون. وبالإضافة إلى ذلك اشتركت الخزانة في 180 دورية أخرى. وتحت ضغط طلب العموم أخذت الخزانة توسع اقتنائاتها إلى الأدبيات المتتبعة للأحداث، بل وحتى إلى كتب تعميم المعارف والتسليية، وهكذا بلغ رصيد الخزانة عام 1930 إلى 30000 عنوان دون إضافة إدخال الدوريات. أما مجموعة المخطوطات فقد بلغ عدد مجلداتها إلى غاية التاريخ المذكور 1500 جاء معظمها من مقتنيات معهد الدراسات العليا المغربية. وقد عهد بإدارة قسم المخطوطات إلى مستعربين مقتدرين مثل ليثي - بروفنسال Levi Provençal وهو الذي صار مديراً لمعهد الدراسات العليا المغربية ووضع أول فهرس مطبوع للمخطوطات وجورج س. كولان Georges S. Colin الأستاذ بمدرسة اللغات الشرقية الحية.

أما مجموعة الرشمات estamps التي تكونت إلى غاية 1930 فكانت أقل غنى وبما يجذر بالذكر في هذا الصدد أن الخزانة قد اقتنت سنة 1926 قطعة نفيسة كانت التفاوض جارياً بشأنها لتنتقل إلى أمريكا، وهي فريدة من نوعها وما تزال الخزانة تحتفظ بها ويتعلق الأمر بالورقات ويتعلق الأمر بالورقات الخمس المكونة لمنظر مدينة مراكش كما رسمها الهولندي أدريان ماطام Adrien Matham سنة 1641.

اقتنت الخزانة مجموعة من قطع النقود التي ضربتها مختلف الدول عبر تاريخ المغرب. مصدرها مشتريات من رولان ماريشال Rolnad Marescal بين 1922 و1924، ومن هبة استودعتها في الخزانة مصلحة الأحباس سنة 1930. أما إيداع الأرشيف الإداري فقد قام على دراسة قام بها دو سينغال سنة 1921. ووقع الشروع في تنفيذه سنة 1924 بمجموعة وثائق أودعتها الكتابة العامة للحماية وتضمنت النص الأصلي الموقع عليه لعاهدة الحماية الفرنسية. ثم قام المكتب المدني بإيداع آخر سنة 1925. وانضافت إلى هذه العمليات هبات خاصة. وقد خضر في عام 1930 مشروع لإنشاء لجنة مركزية للأرشيف مهمتها الأولى تنظيم ترتيب عقلائي ومستديم للأرشيف في كل مصلحة إدارية.

ومنذ صدور ظهير 1 نونبر 1926 الذي يعهد للخزانة بتلقي الإيداع القانوني قامت بإعداد مشروع نص قانوني يرمي إلى تكييف القانون الفرنسي المتعلق بالإيداع القانوني مع مقتضيات الواقع المغربي. وقد صدر النص الضابط للإيداع القانوني المتعلق بالمطبوعات في الظهير الشريف المؤرخ في 6 جمادى الثانية 1351 الموافق 7 أكتوبر 1932 ونص على أن يودع بالخزانة العامة ضمن كل مطبوع - أيا كان نوعه - عدد من النسخ بحسب نوع المطبوع، وحدد الظهير مسؤولية الإيداع ووقته بالنسبة لوقت الصدور أو الترويج وقد غير هذا الظهير بظهيرين تناولا عدد النسخ المودعة أحدهما بتاريخ 11 جمادى الثانية / 1363 الموافق 3 يونيو 1944 والثاني صدر في الجريدة الرسمية بتاريخ 25 مايو 1951.

إلى جانب تكوين أرصدة من الكتب وتلقي الإيداع القانوني وتلقي الأرشيف الإداري عملت الخزانة على أن تقوم بدور مكتب للتوثيق Office de documentation. وهكذا تعمل على إصدار بيبليوغرافيا مغربية كل سنة تنشرها مجلة هسبيريس Hespéris وتحرر نشرة أسبوعية لاختيار العموم عن طريق الصحافة بعناوين الكتب والمقالات المجلات والصحف اليومية التي توصلت بها الخزانة مما يتعلق بالمغرب وبالقضايا التي تحظى باهتمام داخل البلد. وقامت بإعداد بيبليوغرافيا استرجاعية كاملة تشمل ما نشر حول المغرب قبل صدور مجلة هسبيريس سنة 1921 : وقد أُنجز منها إلى غاية 1930 ما مجموعه 4000 جذاذة رئيسية.

وأمام تطور مؤسسات التوثيق والمكتبات تعيّن على الخزانة العامة أن تقوم بدورها في التنسيق، فبدأت بالاستئناس الميكانيكي لجذاذيتها وتوزيعه على مختلف المراكز والمصالح والجمعيات الاقتصادية والثقافية. وفي هذا الصدد أجرت الاتصالات الضرورية مع السلطات المختصة ووقع الاتفاق معها على أن يراعي في تصميم كل مبني بلدية جديدة تخصيص مكان لخزانة بلدية، وعلى أن تقدم للخزانة العامة تصاميم تلك الخزانات قبل المصادقة عليها، كما تم الاتفاق على أن يخضع التسيير التقني في تلك الخزانات لتوجيهات الخزانة العامة. وقد وضع في سنة 1929 مشروع نص قانوني ينص على حق الخزانة العامة للحماية في تفتيش الخزانات العمومية الأخرى. وكان المارشال ليوطي قد طلب من دوسينيفال De Cénival أن يعد منذ عام 1921 تقريراً يتعلق بمراقبة الخزانات الأهلية التابعة للأحباس وقد جاء في هذا التقرير : "إن الخزانات المذكورة كانت قبل الحمايات متروكة مهملة فرسة للأرضة والرطوبة مما ألحق بها أضراراً فادحة بالرغم من كونها تحتوي على مخطوطات نفيسة. ويتعين إنقاذ ما يمكن إنقاذه والاستفادة منه. ولاشك أنها مهمة دقيقة لما لهذه الخزائن من طابع ديني يجعل ولوجها من الصعوبة بمكان. وكانت إدارة

الأحباس قد اهتمت بالموضوع، حيث قام Biarnay بإصدار أوامر للنظار بوضع فهرس مختصرة لمحتويات هذه الخزائن تبين عناوين المخطوطات المحفوظة في المساجد وعددها. وقام عبد الحى الكتاني بوضع فهرس أشمل لخزانة القرويين عاملاً بوصايا ألفريد بيل Alfred Bel وقد وضع باتفاق مع الطريس - مراقب الأحباس - مشروع لإعادة تنظيم خزائن الكتب الأهلية بقصد تحسين أوضاع الصيانة فيها أولاً ثم وضع فهرس أكثر تفصيلاً لها ثانياً حتى يتأتى وضع فهرس عام لها مثل الذي وضعه ليفي بروفنسال للمجموعة الأولى من مخطوطات خزانة الرباط."

بلغ عدد بطائق الانخراط في الخزانة العامة الممنوحة في النصف الأول من عام 1930 ما يزيد عن 500 بطاقة وبلغ عدد الكتب المعارة خلال نفس المدة 5000 عنوان. وهكذا تابعت الخزانة تطورها مستجيبة لحاجات نظام الحماية. وقد صدرت في منتصف الثلاثينات نصوص قانونية جردت مجلس إدارة الخزانة من اختصاصاته في تدبير الميزانية وبذلك لحق المؤسسة العمومية نوع من البتر أثر على تسييرها.

غير أن الخزانة العامة للحماية استمرت في أداء مهمتها على أحسن وجه وفي حدود الأبعاد المرسومة لها إلى عهد الاستقلال. ويتجلى ذلك في تنامي رصيدها من المطبوعات حتى وصل إلى ما يقرب من نصف مليون عنوان ومن ضمنها كل المنشورات المتعلقة بالتنظيم الإداري والمالي لنظام الحماية. كما يتجلى العمل المكتبي المتواصل الجاد في تكوين ما يسمى "بجذاذتي المغرب" Fichier Maroc وقد بلغ عدد مواده سبعين ألفاً أو يزيد تضم ما يهم المغرب من الكتب والمقالات المنشورة في المجلات والجرائد باللغات الأجنبية.

عرفت الخزانة العامة بعد الاستقلال ثلاث وقائع : اثنتان منهما تتعلقان بالرصيد وهما : (1) قيام الدولة الحامية فرنسا، بإحداث بتر في رصيد الأرشيف الإداري المودع بالخزانة العامة، وذلك بنقل عدد كبير من الملفات إلى مدينة نانط Nantes بفرنسا أي إلى فوج لوثائق وزارة الخارجية الفرنسية هنالك، وهي وثائق تدخل ضمن الصنف المصطلح عليه بوثائق السيادة التي حصل بشأن تهجيرها اتفاق بين الدول الاستعمارية ويدخل ضمنها الوثائق السرية والسياسية بأنواعها ووثائق الأمن. وقد نقلت معها من الرباط وثائق الشؤون الخارجية مع العلم بأن المقيم العام الفرنسي لم يكن سوى نائب عن السلطان في نظام الحماية على المغرب. ويظهر من فهرس الوثائق المغربية المنقولة إلى نانط أن النقل جرى في زحمة واستعجال فظال أموراً لم تكن تدخل في ذلك المصطلح وربما قصر عن أمور أخرى تدخل فيه. والمتبقي في الرباط وثائق المصالح التقنية المدعوة بالشريفة، وأهمها مصلحة مراقبة البلديات والأشغال العمومية والتجارة والمياه والغابات والتعمير الخ



وكميتها حوالي 2200م على الرفوف وهي في المبنى الذي فيه المخطوطات، وكان تمام تشييده سنة 1945.

(2) نقل عدد من مخطوطات الزوايا والمساجد إلى الخزانة العامة ولا سيما من خزانة تامكروت زاوية أيت عياش وجامع تازا وهي المصنفة تحت أعداد مسبوقه بحرف (أوقاف) ونقل عدد من مخطوطات بعض أعيان العهد السابق إلى الخزانة العامة من أشغال عبد الحي الكتاني والتوزاني ومخطوطاتها تحت أرقام مسبوقه بحرف ك. والتهامي وإبراهيم الأگلاويين ومخطوطاتها تحت أرقام مسبوقه بحرف ج والحجوي ومخطوطاته تحت أرقام مسبوقه بحرف ح. وبهذه الإغنائات بلغ عدد مخطوطات الخزانة ما يزيد عن 12000 مجلد تضم ما لا يقل عن ثلاثين ألف عنوان وما زالت محتوياته إلى غاية عام 2000 تكتشف بفهرسة الجامع وما يزال الرصيد من حيث العدد يزيد بالإهداء حيث أضيفت إليه هبة العائلة الكتانية التي أودعت مخطوطات الشيخ محمد بن جعفر الكتاني في الخزانة كما يزيد بشراء مخطوطات يقترحها أفراد ويغتنى ميكروفيلمات ومخطوطات تدخل عن طريق التبادل أو عن طريق أخذ صور للمخطوطات التي تأتي للتصوير في مختبر الخزانة بعد إذن أصحابها.

(3) دخول الخزانة في نوع من الركود تجلّى في فقدان استقلالها الإداري والمالي إزاء الوزارات الوصية : التربية الوطنية أو الشؤون الثقافية كما تجلّى في تدني مستوى التأطير التقني وتراجع نوعية المعالجة العلمية للوثائق ونوعية الخدمات للجمهور ونوعية صناعة الرصيد والحفاظ عليه وتراجع الاقتناءات سواء عن طريق الشراء أو الإيداع القانوني أو التبادل أو الهبات. استمرت هذه الحال زهاء أربعين سنة توافق العهد الذي دخلت فيه المكتبات - ولا سيما الوطنية منها - إلى عهد جديد من الرقي المعتمد على التكنولوجيات المختلفة ولا سيما تكنولوجيا المعلومات.

بعد استقلال المغرب تولى منصب محافظ الخزانة السادة : ي. س. علوش ثم عبد الله الرجراجي ثم محمد العباس القباچ ثم محي الدين المشرفي ثم عبد الرحمان الفاسي ثم محمد بنشريفة ثم أحمد الترفيق منذ 29 يونيو 1995.

بالرغم من التعثر الذي أصاب الخزانة العامة فإنها ما تزال تحتفظ برصيد مهم كما وكيفا من الوثائق المتمثلة في المخطوطات والوثائق الإدارية والمطبوعات الوطنية والدولية، كما أنها ظلت تقوم بوظائف مكتبة وطنية كتلقي الإيداع القانوني وإصدار البيبليوغرافيا الوطنية. وهي وكالة إعطاء الرقم الدولي الموحد للمطبوعات.

تحققت في الخزانة - في أعوام التسعين - إجراءات أعادت إليها استقلالاً جزئياً، وتحسنت ميزانيتها وفتحت أورشاً تلحقها بالركب وتؤهّلها لأن تهيب للمكتبة الوطنية الحديثة ومن هذه الأورش :

(1) ضم المركز الوطني لترميم المخطوطات وتشغيله

بقائه في إطار برامج تعاون دولي من أجل صيانة مخطوطات الخزانة وصيانة مخطوطات أخرى على الصعيد الوطني ؛

(2) فتح قسم خاص بالوثائق الإدارية ومعالجتها العلمية ؛

(3) الأخذ بتكنولوجيا الإعلاميات في تدبير الإيداع القانوني وتحضير البيبليوغرافيا الوطنية وإعداد بيبليوغرافيا للمخطوطات ؛

(4) إعداد قواعد معلومات كبرى حول المغرب وللتعرف على إنتاج المؤلفين المغاربة ؛

(5) إعداد تهيّات داخلية لاستغلال القضاء المكتظ ؛

(6) فتح جناح للقراءة والخدمات المكتبية خاص بالباحثين؛

(7) الزيادة من نسبة المكتبيين المختصين وإتاحة فرصة التكوين المستمر لهم في الداخل والخارج.

تستقبل الخزانة العامة ما يزيد عن خمسة آلاف مستعمل في الشهر وتتوسط في الخدمات للباحثين وتتيح تصوير الوثائق على الورق وعلى الميكروفيلم، وقد ارتبطت بشبكة الإنترنت ابتداء من عام 2000.

يتبلور حول الخزانة العامة اهتمام خاص من قبل الرأي العام الوطني سواء منه المهني أو الثقافي وذلك بغرض تحديثها وترقيتها إلى مكتبة وطنية عصرية. ومن تجليات هذا الاهتمام تنظيم الجمعية الوطنية للإعلاميين يوماً دراسياً تحت شعار اليوم الوطني للمكتبة الوطنية ثم تأسيس جمعية انبثقت عن المجتمع المدني هي جمعية أصدقاء المكتبة الوطنية التي تأسست في يناير 2000، وجعلت من أهدافها مساندة مشاريع تطوير الخزانة العامة.

النصوص القانونية المشار إليها أعلاه : وثائق الخزانة العامة.

L. Benjelloun Laroui, *Les Bibliothèques au Maroc*, Paris ; A. C. Binebine, *Histoire des Bibliothèques au Maroc*, Rabat.

أحمد التوفيق

**الخزرجي**، أسرة أندلسية مغربية عريقة، تنتسب إلى

أحد فريقي الصحابة الأنصار : الأوس والخزرج، وربما كان دخول الخزرجيين أسبق إلى الأندلس - كما عند ابن حزم في *المجهره-*، ومن ثمّ انتقلوا إلى المغرب لا سيما عندما توحدت العُدوتان أيام المرابطين والموحدين. وقد أخذ بعض الخزرجيين المغاربة أسماء أخرى مثل الشاميين الخزرجيين المعروفين حتى اليوم بمدينة فاس. كان من بين الخزرجيين فقهاء ومحدّثون وأدباء ومؤلفون في مختلف العصور. منهم :

**الخزرجي**، أحمد بن عبد الصمد الأنصاري

الفاسي، يكنى أبا جعفر، ويعرف فريقه ببني عبد الحق نسبة

إلى أحد جدودهم الأعلىين. ولد بقرطبة عام 519 / 1125 وبها نشأ وأخذ عن مشيخة الأندلس كسليمان بن محمد ابن الطراوة السبتي المالقي، وجعفر بن محمد بن محمد بن أبي طالب القيسي القرطبي، وشريح بن محمد الرعيني، والقاضي أبي بكر ابن العربي وغيرهم، وتخرج فقيهاً متمكناً ومحدثاً راوية ومقرناً محققاً. اشتغل في مطلع حياته العلمية بالفقه واشتهر بالفتوى على مذهب الإمام مالك. ثم توقف عن ذلك وانصرف إلى الحديث والقراءات دون أن يذكر مترجموه لذلك سبباً عدا ما أشاروا إليه من أسره من طرف النصرى خلال عام 540 / 1146.45 في الفتن التي عرفتها الأندلس بسبب المواجهات بين أنصار المرابطين والموحدين والتي استغلها المسيحيون للتوغل في بلاد المسلمين. وكان أحمد الخزرجي كمعظم الفقهاء في الففة المرابطية.

وفي أثناء أسره - الذي طال عامين - ألف كتاب مقامع الصليبان رد فيه على قسيس طليطلة الذي حاول تنصيره. ولا تتحدث المصادر عن نشاط أحمد الخزرجي في الأندلس بعد أن استولى عليها الموحدون مع أنه بقي فيها زهاء ثلاثين سنة، إلا ما أشار إليه ابن عبد الملك في الذيل والتكملة من أن المترجم "تعلق بالرياسة فنال حظوة وجاها... ونكبت نكبات - نفعه الله - لا ندري متى نال الخزرجي الحظوة والجاه، وإن كنا نرجح أن ذلك كان مع شعبة المرابطين من بني غانية، وأن "النكبات" التي لحقت به جاءت من قبل الموحدين الذين لم يُراعوا في جانب فقهاء المالكية إلا ولا ذمّة. لا سيما من ظاهراً خصومهم المرابطين. وكيفما كان الحال فإن أحمد الخزرجي هاجر الأندلس وأقام مدة في بجاية، ثم استوطن في النهاية مدينة فاس، وانقطع فيها لتدريس الحديث وإسماعه نحو تسعة أعوام، وكُف بصره في آخر حياته فكان خاتمة نكباته. وأدركته المنية بفاس في أواخر ذي الحجة عام اثنين وثمانين وخمسمائة / مارس 1187.

م. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، 1: 239؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 7: 66؛ إ. ابن فرحون، الديباج، 50؛ أ. ابن القاضي، جذوة، 1: 141؛ أ. بابا التنيكتي، نيل الابتهاج، 59؛ م. الكتاني، سلوة، 3: 242؛ م. كحالة، معجم المؤلفين، 1: 274؛ م. عز الدين المعيار الإدريسي، مقدمة نَس الصباح. المحدثية، 1: 89، 1994.

العالم رافع راية الشعر والأدب في عصره، القدوة الأحفل، المتفتن الاكمل.

حظي أحمد بن يحيى بمكانة رفيعة لدى السلطان المريني أبي العباس أحمد بن أبي سالم (1374.1384). وكان أديباً شاعراً. فاستكتبه وضمه إلى ديوان الإنشاء، عرف المترجم كيف يوظف مواهبه الأدبية في جانب مخدمه، فقرر به إليه وجعله من خاصة حاشيته وخصه بالمزايا السنوية، وتحكى عنهما طرائف تدل على ما كان بينهما من مودة واستطراف، منها ما أورده ابن زيدان: حكى أن المترجم قدم مكناسة مع أبي العباس ونزل في مارستان مكناسة لكونه كان خالياً، فكتب له السلطان المذكور أبياتاً يبأسطه فيها، وأجاب عنها الخزرجي بأبيات أخرى لا كلفة فيها.

توفي أحمد بن يحيى سنة 792 هـ / 1389 / 1390م.

م. ابن غازي، الروض الهتون، ص 53؛ ع. ابن زيدان، الإتحاف، ج 1، ص 312.

رقية بلمقدم

**الخزرجي، علي بن عتيق القرطبي الفاسي،** ولد بقرطبة عام 523 / 1129 وأخذ القراءات وعلوم اللغة والشريعة عن الأستاذ عبد الرحيم ابن الفرس وأحمد ابن زرقون وأبي جعفر البطروجي وأبي بكر ابن العربي وغيرهم، وحج فسمع من أبي طاهر السلفي، ولقي أبا جعفر الخزرجي سابق الترجمة في بجاية. قال ابن القاضي عنه في الجذوة: "قرأت بخطه أن شيوخه ينفقون على مائة وخمسين، أكثرهم أعلام مشاهير، قال وقد ذكرناهم في فهارس لي صغرى وكبرى ووسطى". تسمى إحداهما بغية الراغب ومنية الطالب. وكان مقرناً محدثاً أديباً شاعراً ملماً بالطب، وله مؤلفات في ذلك.

توفي بفاس عام ثمانية وتسعين وخمسمائة / 1201.

م. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، 1: 256؛ م. الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، مصر، 1932؛ ش. الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، مصر، 1969؛ أ. ابن القاضي، جذوة، 2: 482؛ م. عز الدين المعيار الإدريسي، مقدمة نَس الصباح، المحدثية، 1994، 1: 89.

محمد حجي

محمد حجي

**الخزرجي، محمد بن عبدون بن قاسم الخزرجي** المكناسي. يبدو أنه في دراسته انتقل بين مدينتي مكناس وفاس. ترجمته مقتضية في كل من الروض الهتون لابن غازي، وجذوة الاقتباس لابن القاضي، وإتحاف أعلام الناس لابن زيدان. ويُجمع كلهم على أنه كان فقيهاً علامة، وأستاذاً مقرناً، وأديباً شهيراً، وشاعراً مجيداً ذا تصانيف

**الخزرجي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبد المثنان** الخزرجي. يُرجع ابن غازي - في الروض الهتون - نسبه إلى بني عبد المثنان، من الأسر القديمة التي استوطنت مدائن مكناس المندثرة. وهو شيخ محمد بن أبي جابر الغساني، ذكره في شرحه على التلمسانية في الفرائض، وحلاه بالفقيه

عدة خصائص أدت إلى تقسيم هذه الأعشاب إلى خمسة أقسام، وهي الطحالب الزرق Cyanophyta والطحالب الخضراء Chlorophyta والطحالب الذهبية Chrysophyta والطحالب الحمراء Pheophyta والطحالب الحمراء Rhodophyta.

يرجع لون الطحالب إلى لون الأصباغ التي تحتوي عليها الكنسجات الخاصة بالخلايا النباتية التي تعرف بالجزيئات القادرة على اختزان المواد الملونة أو إحدائها.

- الطحالب الزرق كانت معظمها ميكروسكوبية وحيدة الخلية تعيش في المياه العذبة وفي الأماكن الرطبة من التربة. كلها أجسام ذاتية التغذية تتميز بلون أزرق وأخضر نظرا لتوفرها على صباغ خاص يسمى الفيكوسيانين. منها أشكال تعيش على الصخور البحرية المبللة تتخذ شكل صفائح أو خيوط كما أن منها عدة أجسام تعيش في جميع الظروف المناخية كالبنابيع الحارة وجداول الجبال وفوق الثلوج وفي بحيرات السدود وبحيرات الجبال. من خاصيات هذه الكائنات أنها تثبت نتروجين الجو وتربطه بعناصر أخرى لبناء أجسامها.

- الطحالب الخضراء إما أحادية الخلية أو متعددة الخلايا، مجهرية أو ظاهرة للعين المجردة وتعتبر من الطحالب الأكثر تطورا حيث تشبه في أغلب الحالات النباتات الراقية ويحتمل أنها أسلاف النباتات الراقية حيث تتوفر على اليخضور "أ" و"ب" بكثرة وعلى النشاء (Amidon). تعرف هذه الفئة تنوعا كبيرا من حيث الأشكال والمقاييس وذلك حسب تعدد الأنواع داخل المجموعة.

معظم الأنواع تعيش في المياه العذبة، والدقيقة منها تتكاثر بالطريقة الشقية أو اللاشقية، لها قابلية كبيرة للتكيف تساعدها على الانتشار في جميع الأماكن المعتدلة الحرارة مما يجعلها تؤدي إلى تخاصب بحيرات السدود بالمغرب وتغيير لون الماء وطعمه بإفرازها لعدة مواد عضوية ومعدينية كثاني هيدروجين الكبريت. ولمحاربة ظاهرة التخواصب في السدود التي تستعمل مياهها للماء الصالح للشرب قامت إدارة المياه والغابات بتسميك هذه البحيرات بنوعين من الشبايبط الصينية، يتكون نظامها الغذائي بالأساس من الطحالب والنباتات الأخرى الخيطية كجنس لولبية Spirogyra.

تعتبر طائفة كاروفيتا Charophyta من الطحالب الخضراء الكبيرة يبلغ طولها أحيانا 100 سم وأنواعها ذات مشرة Thalle تنقسم إلى تفرعات تشبه الجذور والسيقان والأوراق كلها هشة نتيجة وجود الكالسيوم بها. يُعرف لهذه الطائفة بالمغرب ثمانية وثلاثون نوعاً. ينتمي إلى أربعة أجناس : كارا Chara، نتيلا Nitella ولامبروطامنيوم Lamprothamnium وتوليبيلا Tolypella تعيش في البرك والأنهار وجداول والبحيرات القارية والمنايع وتلعب دورا هاما في تصفية المياه بترسيب المواد المعدنية على فروعها.

حسان. وهكذا قال عنه ابن غازي : "حائز قصب السبق في الشعر والكتابة". وأطلق عليه ابن القاضي - الذي أورد شيئا من شعره - وصف "شاعر أهل العدوة". بينما نعت ابن زيدان بـ : "شاعر مجيد، نادرة نابغة، أديب وكاتب بارع". ومن نظمه في مدينة مكناس - التي كان يعشقها - قصيدة مطلعها :

إن تفتخر فاس بما في طيها وبأنها في زيبها حسناء  
يكفيك من مكناس أرجاؤها والأطيان هواؤها والماء  
توفي الخزرجي عام 658 / 1260 ودفن بمدينة مكناس.  
م. ابن غازي، الروض الهمتون، ص 55 : أ. ابن القاضي، جذوة  
الاعتباس، ج 1، ص 284 - 285 : ع. ابن زيدان، الإنحاف، ج 3، ص 578.

رقية بلقلم

**السُخْرُ**، هكذا في اللسان المغربي الدارج وفي بلاد الشام، هو عشب مائي مختلف القد والحجم يعيش في البحار والأنهار والبحيرات الساحلية والقارية. ويسمى أيضاً الطحالب في المعام وفي مصر وAlgues بالفرنسية و Algae بالإنجليزية. والطحلب كما كان يسميها علماء النباتات القدامى مازالت مستخدمة كمصطلح ملائم يشمل كل الأجسام النباتية المائية اللازهرية Cryptogames التي تنتمي إلى فئة المشريات (= ثالوسيات) Thallophyta وهي أعشاب لا تتميز فيها الجذور والسيقان والأوراق كما هو الشأن بالنسبة للنباتات البرية العادية. تختلف عن الفطريات والأشنات Lichens بقدرتها على أن تصنع لنفسها اليخضور والمواد العضوية التي تحتاج إليها بواسطة التخليق الضوئي Photosynthèse.

تعتبر الطحالب من النباتات البدائية وقد وجدت حفريات منها في صخور ترسبت منذ 2700 مليون سنة. وهذه النباتات كثيرة التنوع من حيث الحجم والشكل والتركيب وتزيد الأنواع المعروفة حاليا على 18 ألف نوع، أغلبها دقيق يتطلب ميكروسكوبا قوي التكبير لدراستها، إذ يتألف الكثير منها من خلية واحدة أو من خيط طويل وخلايا مصفوفة متجاورة كما هو الشأن عند سائر أنواع جنس لوجيبي Spirogyra وجنس الشائعة في الأنهار والعيون وجوانب بحيرات السدود ويدخل الضايات. كثيرا ما تكون هذه الأنواع كتلة كبيرة من الخيوط الخضراء المتراكبة تطفو على سطح الماء لتغطي مساحات كبيرة وتعرف هذه الكتلات بالخز في المغرب وفي الشام أيضا. تعيش أنواع الطحالب طافية في الماء أو ملتصقة بالقعر أو بالصخور، وكثيرا ما تشكل براري وغابات بحرية حقيقية تمثل مصدرا قوتيا ثميناً ومخياً آمناً لعدد كبير من الأصناف الحيوانية.

ما يزال تصنيف الطحالب يطرح مشكلة بالغة التعقيد، والتصنيف الأبسط والأعم يقوم على اللون بالإضافة إلى

الأنواع البحرية أقل عدداً على التكيف بالنسبة لأنواع المياه العذبة إلا أنها تكون في الغالب ذات مقاييس أكبر. تعرف منها 25 نوعاً على الشواطئ المتوسطة والأطلنطية تعيش في القيعان المنخفضة قرب الشاطئ. ومن بين الأنواع الكثيرة الانتشار والمستهلكة من طرف الإنسان نذكر خس الماء *Ulva lactuca* أو خس البحر يتميز بعرض أوراقه التي يبلغ قطرها في بعض الحالات 90 سم مقابل طول لا يتعدى 25 سم. تنتشر أنواع أنتيرومورفا *Enteromorpha* في المياه القليلة العمق، وكثيراً ما تعيش بجانبها عدة أنواع من جنس كيتومورفا وكوديوم وكلاذوفورا. ودريزيا ويريوبسيس.

- الطحالب الذهبية لونها أصفر مخضر أو أصفر ذهبي أحادية الخلية في أغليبتها وقادرة على التنقل بفضل نشاط سوطين اثنين أو ثلاثة سباط التي تتوفر عليها، وأشهرها هي الدياتومات التي تعيش في المياه العذبة والبحار بأعداد ضخمة. تشكل أحياناً ما يفوق 80٪ من علق البحر، كما تمثل أكبر كمية من الطحالب الوافرة في الشواطئ والأراضي الموحلة. تعيش في الغالب بالمناطق الأقرب إلى سطح الماء حيث تتخلص من الأوكسجين عن طريق التخليق الضوئي. من أشهر الأنواع انتشاراً في المياه المغربية نافيكولا وأمفورا وفراجلاريا وكيتوسيروس ويدرولفيا. يترتب عن تراكم هذه الأجسام ذات قوقعات صوانية بعد موتها رواسب تختلط بالرمال والمواد العضوية والمعدنية فتشكل ما يعرف بالديق المتحجر.

- الطحالب السمرة هي طحالب بحرية بالأساس تعيش إما طافية وسط المياه أو ملتصقة بأنقاض الخشب والأحجار والصخور القعرية أو الشاطئية في أعماق متنوعة تبلغ أحياناً 110 متر تحت سطح البحر. يرجع لونها الأسمر إلى توفرها على صباغ خاص يسمى فيكوغراتين يحجب اليخضور. تتكون هذه المجموعة من أجسام دقيقة وأشكال يبلغ طولها عشرات الأمتار تعيش مغمورة والقاعدة في عمق يتعدى 10 أو 20 متراً بينما تطفو سر خساتها فوق المياه. تتميز الأنواع ذات المقاييس الكبيرة بأكياس هوائية صغيرة ممتلئة بالغازات وملتصقة بالجسم أو معلقة على تفرعات الساق لتتمكن هذه النباتات من الطفو والاحتفاظ بوضعها العمودي أو الأفقي. تعرف لهذه الفئة في الشواطئ المغربية أزيد من 36 نوعاً تعيش غير بعيدة عن الشواطئ ونوع الفوقس الحويصلي *Fucus vesiculosus* أكثر انتشاراً في السواحل الأطلنطية وخاصة بين الرباط وأكادير. يبلغ طوله أحياناً متراً واحداً. يتميز نوع الشرجس *Sargassum vulgare* بأكاليل تطفو على صفحة الماء. يعد الطحلب الرقائقي *Laminaria ochroleuca* من الطحالب السمرة المهمة في استخراج المواد الصناعية كالصودا وهدرات الكربون واليود والألجينات ويستخدم أيضاً في الطب الجراحي. موجود بكثرة ما بين الجديدة والصويرة ونادر في الشواطئ

الأخرى. يلتصق بصخور القعر بواسطة قاعدة السلق الذي يشبه محجمة غليظة.

إن نوع ساكوغيزا بوليشيدس *Saccorhiza polyschides* كثير الشبه بالطحلب الرقائقي يتعدى طوله أحياناً مترين، يعيش في الشواطئ الصخرية القريبة من الرباط ويتميز بأنسجة غنية بالخيوط تستعمل لصناعة عجينة الورق.

- الطحالب الحمر أعشاب بحرية متعددة الأنواع والأشكال تحتوي على صبغ أحمر فاقع وينفسجي = فيكو إريترين. يعيش الكثير منها على أعماق أكبر من الطحالب السمرة، وأغلب الأعشاب البحرية التي تؤكل تنسب إليها. يتوقف تركيز الأصباغ الذي يفسر الفوارق اللونية المختلفة، على الظروف البيئية وخاصة منها كمية ونوعية الضوء التي تتعرض له الطحالب وفي المياه الصافية يمكنها أن تعيش في أعماق تتعدى 200 متر.

تلتصق الأجسام المتعددة الخلايا بالقيعان الصخرية في أعماق تفوق المترين قرب الشواطئ ويعرف لها في المغرب أزيد من 97 نوعاً أغلبها يعيش بين الرباط وأكادير. من خاصياتها أن غشاء الخلايا يكون كمية وافرة من مادة الجيلاتين يستخرج منها الأجار أجار تستخدم في أغراض صناعية كعمل الجيلي الذي تربي عليه المزارع البكتيرية في الأبحاث الطبية والبيولوجية. وتعتبر أنواع فصيلة الجيليديات *Gelidiaceae* أكثر استغلالاً لاستخراج المادة الجيلاتينية. ويصنف المغرب في الصف الرابع العالمي بالنسبة للإنتاج يقدر بأزيد من ستة آلاف طن سنوياً تُصدّر كلها إلى الخارج. بدأت صناعة استخراج الأجار أجار في المغرب منذ سنة 1960 من طرف أربع وحدات صناعية لم يبق منها حالياً إلا وحدتان الأولى في القنيطرة والثانية في الدار البيضاء يستعملان كل منهما نوع جليد يوم سيسكبدال الشائع في الشواطئ الأطلنطية ما بين الجديدة وأكادير وتقدر كمية الطحالب المستعملة يومياً ما بين 6 و8 طن.

يستخدم الإنسان عدة أنواع من الطحالب الحمراء كغذاء وذلك لما تحتويه من أملاح وسكريات وزلايات وبروتينات، أهمها طحلب بورفيرا الذي يزرع في اليابان ومنه نوع واحد يعيش في ضواحي الرباط *Porphyra umbilicalis* وطحلب غودمينيا الذي يؤكل في شمال أوروبا ومنه ثلاثة أنواع تعيش في المغرب: *Rhodomenia bifida*, *R. caespitosa*, *R. palmata*.

تستعمل أنواع جگارتينا، وخاصة منها *Gigastina mamillosa* التي تعيش في الشواطئ الأطلنطية المغربية، لصناعة مادة شبه جيلاتينية *Carraghen* تضاف إلى بعض المواد الغذائية وتستخدم أيضاً في بعض الصناعات، وتعتبر فرنسا من أكبر المنتجين لهذه المادة.

إلى جانب الأجسام الكبيرة هناك عدة أنواع وحيدة

الخلية تسبح في البحار بواسطة أسواطها ومنها عدة أشكال تعطي ضواً أزرق مخضراً خافتاً كما هو الشأن بالنسبة لنوع *Nociluca miliaris* وعدة أنواع من فئة *Euglenophyta*.  
 غونيولاكس وأنواع مشابهة لها تعدّ من الأجسام الخطيرة للحيوانات والانسان لإفرازها سموماً مختلفة، وكثيراً ما تتكاثر بقوة فتحدث ما يسمى بالمياه الملونة وذلك لكثرة عددها وللونها الأحمر، وهذه الظاهرة تدوم 12 يوماً على الأكثر و5 ساعات على الأقل ويؤدي ابتلاعها من طرف الأسماك أو الصدف إلى التسمم.

والطحالب اليوجلينينية *Euglenophyta* وحيدات الخلية تتميز بأهمية كبيرة نظراً للشبه الكبير بينها وبين السوطيات *Dinoflagellés* التي هي حيوانات بدائية تنتمي إلى شعبة الحيوانات الأولية، فلو انتزعنا من هذه الأنواع اليخضور الذي بداخلها وزودناها بقمّ لما أمكن تمييزها من السوطيات، وتعتبر هذه الكائنات النقطة التي تفرقت عندها النباتات والحيوانات منفصلة عن بعضها بعضاً على سلم التطور.

مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، بيروت، 1988.

P. Bougis, *Le plancton*, Paris, 1977 ; P. Gayral, *Algues de la côte atlantique marocaine. La nature au Maroc*, n° 2, Rabat, 1958 ; A. Faraj, *Contribution à une étude quantitative et qualitative des protéines de l'agarophyte Gelidium sesquipedale*, Doct. 3è cycle, Fac. Sci. Rabat, 1987, 128 p. ; N. Elkhiati, *Biotypologie et biogéographie des charophycées du Maroc. Contribution à l'étude des peuplements d'algues et de macrophytes de l'hydrosystème de Tamaris (Meseta occidentale)*, Doctorat d'Etat, Fac. Sci. Marrakech, 1995, 235 p.

نحاة الخياطي

إن أكثر ما يكتبه قلمه، القائد على الخزّار العبلّوي (روضة الاقنان، ص. 121). وقال عنه صاحب المعسول : القائد العالم الخزّار العبلّوي.. ضيع الأمور فضاع، وقد أصابته نكبة الكيلولي، ثم استقال منها، ثم خرف أخيراً (طاقة ربحان، ص. 29) كما أرّخ له صاحب المعسول من بين رجالات العلم العربي في سوس فقال : فقيه حسن عرفت له مدارك غير ضئيلة، ثم رشحه الحسن الأول للقيادة سنة 1299 هـ... ثم ابتلي باختلال العقل، ويذكر عنه ما يذكر مما لا نتحمل عهده (رجال العلم، ص. 178).

ويظهر أن هؤلاء المؤرخين قد تأثروا بما أصاب قبيلة هذا القائد من جراء ثقل غرائمه لإرضاء عدو قبيلته، حاكم تيزنيت، الذي لم يترك لمن خضع له فرساً ولا بقرة، إذ لم ينج من شره إلا أيت باعمران وقال فيه شاعرهم :  
 إبيحيي زود لوابنا كُرّاف يگأبوسيت  
 معناه : الحاحي حاكم تيزنيت مثل الوباء كل ما مر عليه اختطفه

والأفقد كان هذا القائد من أعيان أيت باعمران ومن قواد الحسن الأول، ووصف بالعلم والحنكة وصدق الفراسة، لكن كل ذلك لم يراعه المؤرخون عند نكبته وإصابته باختلال العقل، بدعوى أن الأمور بخواتمها، مع العلم أن أمر الله كان قدراً مقدوراً، وليس على المريض حرج.  
 توفي في ذي الحجة الحرام 1343.

ع. ابن زيدان، *إنحاف أعلام الناس*، ج 2، ص 209 : م. المختار السوسي، *رجال العلم العربي في سوس*، ص 178 : ابن منظور، *لسان العرب*، مادة الهاء : الأكراري، *روضة الأققان في وفيات الأعيان*، ص 121.

الحسين جهادي

**الخبزّار**، أسرة باعمرانية من قبيلة أيت عبلاً المنتمية إلى القبيل أيت باها أويحيى.

**الخبزّار، علي العبلّوي** كان من جملة أشرف أيت

باعمران الوافدين على السلطان الحسن الأول بأمزوز غرب تيزنيت سنة 1299 هـ فعين بظهير سلطاني كعامل على قبيلته (*إنحاف أعلام الناس*، 2 : 209) جال مع الحاحيين (حكام تيزنيت) فعرك إخوانه بالفرائم، ثم ثاروا عليه فأجلوه وهدموا داره... (*رجال العلم العربي في سوس* ص 178). وبسبب ثقل هذه الضرائب على قبيلته، وخروجه عن لف أيت بعمران الذين رفضوا حكم الحاحيين بتيزنيت، نالته عداوة الناس، مما جعل الشهادات تختلف حوله.

فمن الناس من ينعتة بالذكاء المفرط والعلم الغزير، وبفراصة لا تخطئ ولذلك سُمي خزّار، والخبزّار هو من يكشف الصيد في غير مظانّه في الغابة، واللفظ مشترك بين العربية والأمازيغية (ابن منظور).

قال عنه الإكراري : ومنهم العالم الذي لا ينفعه علمه،

**الخبزّ القديم** بالمغرب، من بين المنتجات الخبزفية

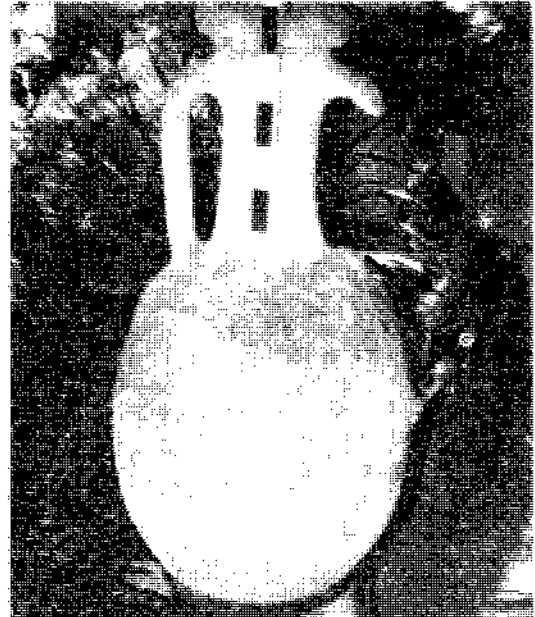
القديمة التي تم تسويقها في مختلف المدن الموريطانية القديمة، نجد الخبزّ المختوم ذا البرنيق الأحمر الإيطالي الذي يؤرخ إنتاجه بمنتصف القرن الأول قبل الميلاد، في الوقت الذي توقف تقريباً وصول الخبزّ ذي البرنيق الأسود أو ما يعرف بكمبنيان *Campanienne*. لقد سبق الخبزّ المختوم ذو البرنيق الأحمر الجيد نوع آخر هو ما يعرف بما قبل الخبزّ المختوم *La présigillée* المتميز بلونه الأحمر الجميل، غير أن هذا النوع لم يتم تسويقه بالمواقع المغربية القديمة. إن وصول الخبزّ ذي البرنيق الأحمر الإيطالي إلى المغرب يؤرخ بالنصف الأول من حكم الإمبراطور أغسطس. يتميز هذا الخبزّ بأشكاله الملساء والمخرقة التي كان أغلبها إن لم نقل كلها تستعمل للشرب وتقديم المأكولات فوق المائدة : من بين النماذج المعروضة في متاحفنا نذكر على الخصوص ذلك الكأس الجميل للصانع الأريديزي *Primus P. Cornelli* والمؤرخ ببداية القرن الأول بعد الميلاد وكذلك الأواني الملساء المصنوعة من طرف *Primus C. Anni* و *L. Tettivs Samia*

وCN. Teivs Zoilvs الموثقين بمجموعة من مصنوعاتهم والتي تحمل أختامهم الشخصية أو الأختام التي يشتركون فيها مع عبيدهم، والتي تأخذ أشكالاً مختلفة : مربعة، ومستطيلة وعلى شكل نبتة النفل أو على شكل خاتم يُمثل رجل إنسان In planta pedis.

مراكز إنتاج هذا الخزف متعددة، وكلها تتمركز بإيطاليا، منها مثلاً مصانع بودزول في وسط إيطاليا أو وادي بو Vallée de PÖ، غير أن أشهر مركز صناعة هذا الخزف هو مركز أردزو Arezzo. إن منتجات هذه المراكز تم تسويقها في مختلف مراكز الاستقرار بالمغرب القديم، إلى حد يمكن القول إن هذا التوزيع شمل المدن والقرى أي المناطق النائية. فيما يخص تسويق ونشر هذه المنتجات الإيطالية بالمغرب، كان يتم بواسطة ميناء قادس بإسبانيا. وفي أواخر حكم الإمبراطور أغسطس بدأ وصول الخزف المختوم الإيطالي إلى الأسواق المغربية يضعف ليتوقف نهائياً في عهد حكم الإمبراطور تيبير Tibère. خلال حكم هذا الإمبراطور سيظهر إنتاج جديد مماثل للخزف الأريديزي أو الإيطالي، وهو الخزف المختوم لمجنوب بلاد الغول وبالضبط ما يُسمى بمصنوعات الكروفزانك Graufesangue التي ستسيطر على جميع الأسواق في الإمبراطورية الرومانية.

إذن بمجرد توقف أفران صنع الخزف الأريديزي ستنتقل صناعة وتسويق الخزف المختوم إلى جنوب بلاد الغول، حيث سيسرع الخزفيون الغالو رومانيون في غزو مختلف الأسواق بواسطة منتجات جديدة. بالنسبة لموريطانية في هذا الوقت ستضم إلى الإمبراطورية الرومانية من طرف الإمبراطور كلود، وستصبح ولاية رومانية. انطلاقاً من هذه الفترة (42 بعد الميلاد)، كل المنتجات الخزفية المتداولة في أسواق مدن المغرب القديم كان أغلبها إن لم نقل كلها منتجات مركز كروفزانك والبعض منها ينتمي لمصنع مانتاس Montans، وبنصاك Banassac ولزو Lezoux. إن منتجات هذه المصانع كانت تقلد مصنوعات الخزف الأريديزي الإيطالي، غير أن

مراجع من المصنوعات Lamboglia من متحف تطوان

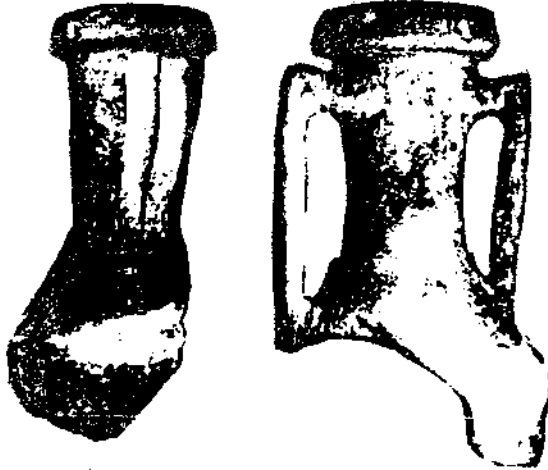


صانعي هذا الخزف الجديد قد أغدقوا عليه برنقاً لامعاً جميلاً أحمر اللون، وفي بعض الحالات أصفر رخامي ممزوج بلون أحمر. للإشارة فقط فإن مركز الكروفزانك وصانعيه، قد انفردوا واشتهروا بهذا النوع من الخزف الذي لم ينتج قط في مصنع آخر. نتيجة لتنظيم الإنتاج والتسويق فقد استطاعت هذه المصانع وخاصة مركز الكروفزانك أن تغزو جميع الأسواق وتنشر منتجاتها في جميع بقاع الإمبراطورية الرومانية. من بين المنتجات التي عرفت انتشاراً واسعاً هي الأشكال الملساء من أقداح وصحون ملساء والتي كانت تنتج بواسطة الدولب، على شاكلة المنتجات الإيطالية كانت منتجات كروفزانك تحمل هي كذلك أختاماً بأسماء منتجيها، توضع داخل الإناء أو يمزج الخاتم بالزخرفة. وبخصوص الأشكال المزخرفة، رغم عدم تعدد الأشكال، فإن الزخرفة قد تنوعت وتعددت إلى حد أنها عالجت مختلف المواضيع : الآلهة العبيد، المصارعين، سباق العربات، الحيوانات، النباتات...

مات المحارف كانت تقوم بهذا الإنتاج الذي انتشر في جميع بقاع الإمبراطورية الرومانية. بالنسبة لموريطانية الطنجية يمكن تحديد أوج تسويق هذا الإنتاج انطلاقاً من النصف الثاني من القرن الأول وبالتحديد خلال فترة حكم الإمبراطور نيرون وفيزبازيات Neron et Vespasien بينما يورخ تدهور الإنتاج والتسويق خلال حكم الإمبراطور دومسيان Domitien، أما توقف الإنتاج فيحدد في عهد الإمبراطور ترجان Trajan. مع منتصف القرن الأول بعد الميلاد، وبموازاة مع منتجات جنوب بلاد الغول أو ما يعرف بالخزف المختوم الغولي، بدأت مراكز أخرى تنتج إنتاجها، وهي مراكز الخزف المختوم ذو البرنق الأحمر الإسباني. لقد قام المنتجون الإسبان هم كذلك بتقليد خزف جنوب بلاد الغول والخزف الإيطالي. هذا التقليد لم ينحصر في البرنق فحسب بل شمل كذلك الأشكال والزخرفة. لقد شاركت في هذا الإنتاج وبالتالي في تسويقه مراكز كبيرة كالتالي توجد بشمال إسبانية والمتعارف على تسميتها بترتيوم مكالوم Tritium magallum والتي تتكون من محارف صغيرة كينزارس وبرانشال وأرنزنة دأربيا، ومراكز صغيرة تم توطينها في جنوب شبه الجزيرة الإيبيرية : كأندوخار وغرناطة. إنتاجات هذه المراكز الإسبانية سرعان ما ستغزو أسواق موريطانية الطنجية، وذلك بشكل فعال خلال النصف الثاني من القرن الأول بعد الميلاد. ولا يستبعد أن تكون هذه الإنتاجات قد دخلت في منافسة حادة مع إنتاجات جنوب بلاد الغول. كما أن هذه المنافسة قد أسرعت بتراجع إنتاجات جنوب بلاد الغول خاصة وأن الإنتاجات الجديدة تختلف عن سابقتها في اللون والأشكال، إذ أضاف الصناع الإسبان أشكالاً جديدة وزخرفة خاصة بهذا النوع من الإنتاج، من بين الأشكال الجديدة أقداح وقارورات وأباريق لم يسبق أن تم إنتاجها.

في اتجاه الحركة والتبادل التجاري، هذا الذي كان إلى حد الآن مع مختلف الأنواع السابقة ذا اتجاه أحادي شمالي جنوبي أصبح مع هذا النوع جنوبياً شمالياً وشرقياً غربياً، وإن موريطانية الطنجية في هذه الفترة كانت تزود بهذه المواد بدون وسيط.

يتكون هذا الإنتاج من مجموعة من الأشكال وهي قذح مبدنة مزخرفة بواسطة البريوتين، أقذاح ذات شفاء مزخرفة كذلك بالباريوتين، وأخرى نصف دائرية، وقوارير. يتكون إنتاج هذا الخزف من ثلاثة أنواع متباينة من حيث الأشكال واللون والتاريخ.



نموذج من أمفورات 4 - Dressell 2 من متحف طنجة

النوع أ : (A) وهو نوع من هذا الخزف اللامع الإفريقي والذي يبدو أن مجال انتشاره لم يتعد المجال الغربي للبحر المتوسط. عرف انتشاراً واسعاً بموريطانية الطنجية، لكن قيمة إنتاجه قد ضعفت مع مرور الزمن، وتم تسويقه إلى حدود القرن الثالث بعد الميلاد.

النوع س : (C) يتميز بطين دقيق وبرتقالي أحمر برتقالي، غلب على إنتاجه صناعة الأشكال المفتوحة والمزخرفة بواسطة الدويلب أو بواسطة الزخارف الملتصقة (أسماك، أسود، نباتات). يتم تاريخ هذا النوع ما بين القرن الثالث إلى حدود الخامس بعد الميلاد.

أما النوع د : (D) وهو الإنتاج المتأخر والذي يغطي فترة القرن الرابع إلى السابع الميلادي، تم العثور عليه في كل المواقع المغربية التي تميزت بفترة استقرار متأخرة. يتميز هذا النوع بطين أقل دقة وبرتقالي محبب. غلب على هذا النوع إنتاج أشكال مفتوحة وكبيرة الحجم، مزخرفة بواسطة الرسم (نخيلات، طغراء المسيح أشخاص وحيوانات) يتم توطين مراكز الإنتاج عادة بتونس حيث تم العثور مؤخرًا على محارف لإنتاج هذا الخزف.

تضاف إلى هذه المنتجات المعروفة والمدروسة والمؤرخة، منتوجات أخرى البعض منها درس أو في طور الدراسة

كما أنهم أنتجوا - كالمراكز الأخرى - محابر وأقماع (جمع قمع)... كما صنعوا أشكالاً مزخرفة وقوالب لهذه الأشكال تختلف زخارفها عن زخرفة أشكال إنتاجات جنوب بلاد الغول. لقد تميز إنتاج الأشكال المزخرفة بمراكز إنتاج الخزف المختوم ذي البرنيق الأحمر الإسباني بإنتاج الأقذاح النصف دائرية والأسطوانية. لقد شارك في إنتاج هذا الخزف الإسباني أكثر من 120 محرفاً كلها موطنه في شبه الجزيرة الإيبيرية، شاركت وساهمت كلها تقريباً بإنتاجاتها في نشر وتوزيع الإنتاجات الإسبانية، والتي عرفت خلال نهاية القرن الأول بعد الميلاد وخلال القرن الثاني بعد الميلاد إقبالاً من طرف المستهلكين من ساكنة المدن والقرى في موريطانية الطنجية. هذه الإنتاجات الإسبانية هي كذلك كانت تحمل أسماء صانعيها على شكل أختام توضع بالقعر الداخلي للشكل المصنوع. وكما نافست هذه الإنتاجات الإسبانية الخزف المختوم لجنوب بلاد الغول، تعرضت هي بدورها لمنافسة إنتاج جديد يعرف بالخزف اللامع الإفريقي.

بالضبط حوالي سنة 70-80 بعد الميلاد ظهر في أسواق موريطانية الطنجية إنتاج جديد وهو الخزف اللامع الإفريقي والذي يتميز ببرنيق برتقالي وله نفس خصائص الخزف المختوم.

وللتعريف بهذا الإنتاج الجديد سنتبنى التعريف الذي خصصه Lamboglia لهذا الخزف : "هو فخار روماني رقيق ذو طين وبرتقالي، عرف انتشاراً في كل مناطق البحر المتوسط وكذلك انطلاقاً من العشر سنوات الأخيرة من القرن الأول بعد الميلاد. فمصطلح لامع يستعمل لتمييزه عن الخزف الأريديزي أو من النوع الإيطالي، وخزف جنوب بلاد الغول وكذلك الخزف الإسباني، التي لها مصدر وتاريخ وانتشار مخالف للفخار اللامع الإفريقي. هذا المصطلح : "الخزف اللامع" يشير إلى الخصائص الجوهرية دون الاعتماد على الحدود الجغرافية أو الكرونولوجية. نضيف إلى هذا التعريف تعريفاً آخر ساهم به أحد الباحثين الإيطاليين وهو A. Carandini. وذلك لشموليته.

"أولاً إن مجال صناعته تحدد في إفريقيا البروكونسيلية وكذلك في موريطانية (من الجزائر إلى ليبيا مع وجود مركز بتونس).

ثانياً : هو ينتمي إلى نفس تلك العادات التقليدية التي تطورت ما بين القرن الأول والسابع الميلادي.

ثالثاً : لقد أجاب هذا الخزف عن طلب وضروة جهوية وبالتالي انتشر ليشمل السوق الكبرى لحوض البحر المتوسط.

رابعاً : إنه نوع تقريباً جيد، مطلى جزئياً أو كلياً ببرنيق أحمر برتقالي أقل أو أكثر لمعانا، يحمل بين الفينة والأخرى زخارف بالدولب أو الباربيوتين".

وجود هذا الخزف في المستويات الأركيولوجية، يحمل في طياته دلالات مهمة، حيث إن وجوده أولاً يعني تغييراً

طيناً يمكن أن لا تتضمن طيناً بالمرّة، بل وأن تستغني بنسبة كبيرة عن المواد الطبيعية.

لذا، أصبح تعريف الخزفيات الجديدة في صناعة الأشياء غير العضوية، غير الفلزّية من خلال مسار إعدادي يتضمن معالجة حرارية عالية الحدة.

كانت شقوف الخزف على الدوام الشاهد الأمين على وجود الإنسان والتوثيق له، تقتفي عن كتب التطورات الحضارية وتعكس الخطوات الإبداعية.

فلا شك أن أولى المنعطفات في تاريخ البشرية تلك التي جعلت الإنسان قادراً على تغيير طبيعة المادة، بحيث ينقلب الطين المطاوع إلى حجارة صلبة بفعل التسخين القوي.

فرضت أهمية الحدث أن تكون عناصر التصنيف الكلاسيكي للمواد كالتالي : الفلزات والخزفيات والزجاج والنسيج ومواد التكثيف والمواد المركبة.

يبدو أن الشرق الأوسط قد عرف صناعة الخزف قبل عشر آلاف سنة وأنها أصبحت بعد ذلك إبداعاً فنياً، يعرف التلوين في العراق وفارس وآسيا الصغرى، وأن مصر القديمة تفننت في صنع الأشكال التامة الصفاء، ذات الألوان النضرة.

مثّلت الحضارة الإسلامية مرحلة رقي وانتشار بالنسبة للخزف الرفيع، الذي انطلق إلى الغرب عامة عن طريق إفريقيا الشمالية والأندلس.

عرفت الأرياف المغربية، قبل وصل تقنيات الخزف الحضريّة، وبعد ذلك حتى الآن، مصنوعات طينية يمكن الاصطلاح عليها بأنها منتجات التراب المشوي أو الفخار. وهي متخصصة في صنع الأواني الشائعة التداول ذات الأغراض النفعيّة قبل الجمالية. تُعتمد فيها العمليات الأساسية الثلاث، وهي الفسل والعجن ثم التشكيل وأخيراً الكي بالنار.

يتوخى الفسل وعجن التراب إعطاء التجانس المرغوب



وأخرى لازالت لم تدرس، للإشارة فقط، نذكر الخزف العادي، القناديل، الخزف الدقيق، والخزف الغير المدولّب. كل هذه الأصناف تم تداولها من طرف ساكنة المغرب القديم، وهي ممثلة بالعديد من النماذج التي تزخر بها متاحف المغرب ومخازن المواقع الأثرية.

Ch Goudineau, La céramique aretine lisse, fouille de l'Ecole Française de Rome, Bolsena (POGGIO MOSGINI) 1962 - 1967, Paris, 1968 (B.E.F.R.AR) ; G.PUCCI, Terra sigillata Italica Enciclopedia dell'Arte Antica Classica e Orientale, Atlante delle Forme Ceramiche, II, Ceramica fina Romana nel Bacino Mediterraneo, Rome, 1986 ; A. Vernhet, Présentation des ateliers du sud de la Gaule, dans la Terre : sigillée gallo-romaine lieux de production du Haut Empire Implantations, produits, relations, dans Documents 6, 1986 ; F. Laubenheimer, La d'Archéologie Française, n collection des céramiques sigillées gallo-romaines estampillées du musée de Rabat, Antiquités Africaines, 13, 1979, p. 99 - 225 ; M. A. Mesquiriz, Terra sigillata hispanica, dans Enciclopedia delle Arte Antica delle forme cramiche, II, ceramica fina romana nel Bacino Mediterraneo, Roma, 1985 ; F. Mayet, Les céramiques sigillées hispaniques contribution à l'histoire économique de la Péninsule Iberique sous l'Empire romain, J. II, Paris, 1984 ; M. Sotomayor, Sieté hornos de ceramica en Granada, con production sigilata, dans IXeme Congreso Arqueologico National, Saragosa, 1970 ; M. Sotomayor, Marcas y estilos en sigillata decorada de Andújar, Jaen, 1977 ; T. Garabito Gomez, Los alfareros romanos Riojanos, production y comercializacion, dans Biblioteca preahistorica hispanica, XVI, Madrid, 1978 ; A. Carandini et S. Tortorilla, Ceramica Africana, produzione A, C. D, dans Enciclopedia dell' Arte Antica Classica et Orientale, Atlante delle forme ceramiche, I, Rome, 1981 ; S. Tortorella, Ceramica de produzione Africana et tiuvenimenti archeologico sotomarini della média Tardo éta imperiale, analisi dei dati dei contributi reciproci, dans Melange de l'Ecole Française de Rome, 93, 1981, p. 355 - 380 ; H. Limane, Contribution à l'étude des sigillées d'importation durant le Ier et le IIème siècle en Maurétanie Tingitane, Etude du matériel de Lixus, Banasa, Tamuda, dactylographié, Aix-en-Provence, 1988.

حسن ليسان

الخزف من عمق أسرار الطين إلى أعلى مراتب الإبداع. عرف المغرب الخزف منذ البدايات المتوسطة السحيقة، لكن صناعته بقيت غالباً في صيغتها البدائية قبل الاستفادة من الوصفات الرفيعة على العهد الإسلامي وتطويرها وطبعها بالشخصية الإقليمية وبثها في الأمصار.

ثم جاء الحفوت التدريجي والتراجع بعد النهضة. فما هي طبيعة المسار الطويل وما هي الأسباب ؟ يمكن تعريف الخزف بأنه فن تشكيل الطين وتثبيت الأشكال الحاصلة عن طريق شيئها بالنار. بقي هذا التعريف صحيحاً على مدى العصور وحتى أواخر النصف الأول من القرن العشرين، معتمداً على خاصية تحول خليط الطين والماء إلى عجّين لدنّ، يجعله الطهي صلباً وغير قابل للتفسخ. لكن من الخزفيات الصناعية الحديثة ما يخالف هذا التعريف، إذ

\*\*



التلون في القطاع الترابي. كما أنها تلون بالسواد الرمادي أو السواد القاتم أترية التيرس في السهول الفيضية التي تتضاعف فيها ظروف الاستقرار فتتعدى السمرة إلى السواد بسبب النسب الأعلى من الحديد ومعه بعض المنغثير المضمومة داخل السلكات الطينية النفوخة للتربة والمنشأة في الأوساط القاعدية الحبيسة أو المراتج.

معرفة هذه المسارات العدانية ليست مجانية، لأنها هي التي جعلت الإنسان يستغني عن المواد الطبيعية، ويتحرر من المسافات التي يقتضيها جلبها، ويقوم بصناعتها متحكما في المقادير والنسب وخصوصيات المادة وحدة الألوان.

نفس الأمر صحيح بالنسبة لمواد الحرق، حيث يوفر خشب العرعار والبلوط الأخضر أساساً الوقود الضروري، كما أنه ينتج القطران النباتي المستعمل كذلك في التزويق بالسواد.



توفر بوادي الجنوب طبيعة أخرى وسياقات إنتاجية من نوع آخر. يحظى الفخار الصحراوي بقيمة خاصة، يتربع ولاشك على قمته الصانع الفيلاي، إلى حد أنه استطاع تصدير صنته إلى جهات مختلفة من جهات الشمال، ربما بمحض الصدفة. لأن الصحراويين، خاصة من الجنوب الشرقي، قد نزحوا كمزارعين أولاً، حملوا معهم دراباتهم الهائلة في ميدان البستنة الواحية واستوطنوا المجالات المجاورة للمدن، وأسهموا في إعدادها لتوفير حاجيات المدن من خضر ومواد حليبية، كما هو الشأن مثلاً في ضواحي مكناس حيث جل القبائل التي تسكن الأودية الجميلة الغنية المحيطة بالمدينة هي من أصل صحراوي. كما صادف أن جل فخاري مدينة زرهون المجاورة هم من أصل فيلاي كذلك.

وما زالت الفخارة نشيطة جداً في تافيلالت ودرعة (الريصاني وتامكروت) إلى حد اختل معه التوازن البيئي

فيه بتنقية المادة من الشوائب وبقاعات الهواء، ويتم ذلك عن طريق الحيط والدعك والدوس بالأقدام.

ويحصل التشكيل يدوياً في المرحلة الأولى بتجميع مشروع العمل وتقدير حجمه، ثم يُنصب بعد ذلك على الدولاب لإعطائه شكله الدائري النهائي.

يتحقق تثبيت الجسم الطيني الناتج بواسطة التجفيف والتسخين على نار حطب أو خشب في الهواء، وقليلاً ما تتعدى ذلك إلى فرن متخصصة. تدخل صناعة من هذا المستوى في ما يسمى بالحزف الهش، أو الحزف المسامي المنفذ، أو ما نصلح عليه هنا بالفخار. وهي لا تختلف كثيراً عن المعالجات البدائية التي ترجع لآخر العصر النيوليتي وللعصر البرونزي، وقد أضيف إليها دولاب الفاخوري في فترة متقدمة كذلك، حيث إنه كان معروفاً عند السلالات الفرعونية الأولى على الأقل، إذ وصلت صناعة الحزف عند المصريين القدميين إلى إنتاج التحف الرائعة، كالمزودجات الزرقاء، قبل ستة آلاف سنة.

أما المادة الأولية فهي لا تستعمل النقل البعيد نظراً لوزنها ولقلة المردود النهائي، وكذلك لأن الفخار من أوليات التجهيز المنزلي الريفي، تقوم بإنتاجه النساء مباشرة عند الحاجة، قطعة قطعة، وحسب المقاس.

تكاد تكون هذه هي القاعدة في شمال المغرب.

فالفخار وليد بيته بالنسبة للمادة الأولية، وهو عمل النساء لا يستعمل فيه دولاب الفاخوري إلا نادراً كما يظهر من الأواني والصحون ومجامر الشي الطولية.

وهو في الشمال الغربي (واد لاو) أصفر وردي شديد النعمومة، خال من أي زخرف، موسوم بجمال البساطة، تُصنع منه الصحون والطاجين الخاص بهذه الأقاليم، المتميز بعمق (التاكرة) والمستعمل في طهي الوجبات مباشرة خاصة منها طاجين السمك المتبل.

في مقدمة الريف، يصير استعمال دولاب التدوير شائعاً، ثم يُطلى المُنتجُ بدهان ترابي أبيض تنمقه الفاخورية بريش من شعر الماعز المحزوم تخطط بها أسط الأشكال الهندسية. تُجلب كل مواد الصناعة من طبيعة الوسط المحيط.

تؤخذ كتلة الطين الأساسية من الطبقات الجيولوجية الطينية العميقة التي تجاور دائماً أهم أماكن إنتاج الفخار. أما التزويق فيكون بألوان التربة المغربية، التي يغلب عليها الحمرة والسمرة والسواد.

تقوم بدور التلون فيها أكاسيد الحديد، التي تلون بالأحمر عندما تكون طليقة في الأترية المتحدسلة والتيرا رُوساً الشائعة (الحمري) في الهضاب الشمالية والشمالية الغربية والسفوح الجبلية المغربية؛ والتي تلون بالسمرة عندما تكون مركبة من الأترية الحمراء الكلسية والكلس - مغنيزية للهضاب والسهول التي يغلب فيها تطعيم الأترية بكاتيونات الكالسيوم والمغنيزيوم الضامن لتثبيت فلزات

بالإقليم بسبب قطع النبات الممنهج لتزويد أفران الخرف التقليدية. فيعد أن استفحل قطع أحراج الطلع الصحراوي إلى أن أريد نهائياً في كل الجهات القريبة من الواحات، يتم الآن اقتلاع كل الجنبيات التي تثبت في كف الكثبان الرملية والتي تقوم بتثبيتها. الشيء الذي أسهم بصفة حاسمة في زحف الرمال على الأراضي الزراعية والمساكن المتراصة على طول شبكتي زيز ودرعة. على العموم، تأتي مواد التراب المشوي شديدة المسامية، وهي مع ذلك تستعمل في صناعة الجرار لجلب الماء من الآبار والعيون، وكذلك في تخزين المرغوب منها في تبريده باعتبار أن عملية الرشاح تساعد على ذلك. كما تستعمل في إنتاج الأوعية والصحون وأواني الحفظ والتخزين من الفوارير إلى الحمايات.

كما أنها مقاومةً آلياً، يتراوح لونها الطبيعي ما بين الأبيض المصفر إلى الأسمر. ويقدر ما تكون أقرب من الحواضر والعمران، بقدر ما يزيد استعمالها لأغراض البناء (الأجر والقرميد ومواد التغليف...) لما توفره من مميزات جمالية، وظروف الراحة في الوقاية من الرطوبة والحرارة والتلوث الصوتي، كما تستعمل في الفخارة البستانية (المحابق).

أما صناعة الطاجين، فإنها القاسم المشترك بين فخارة البوادي والمدن من حيث الشغف به ومن حيث طرق صنعه. فكما يُعتبر الطاجين السلواوي معيار الجودة في الحواضر، نجد طاجين الأطلس الكبير جنوب مراكش (إيجوكاك) والطاجين السوسي، نماذج للإناء المتحمل للنار والصالح للإنتاج المباشر للطعام بعد إعداده تكميلي بالمنزل قبل التعريض للنار العنيفة.

أما من حيث أساليب الصنع، فإننا مع الطاجين نمر من أنواع الفخار الهش الاعتيادي إلى فصيلة المزدجات الغالبة في المدن.

خزفيات المدن، إما منفعية صرفة وجلها من المزدجات، أو منفعية وجمالية من المزدجات المزخرفة، ومنها التي تنزع إلى تقليد الخرف الرقيق أو البورسلانة الحقيقية، وهي لا تكتمل عندها بسبب انعدام أو قلة مادتها الأولية وتقاليدها ووسائل صناعتها النوعية الخاصة.

ظهرت أرقى المزدجات وازدهرت أرفع أنواع الخرف الرقيق في الشرق الإسلامي ومنه جاءت في صورها الفنية المكتملة.

فيعد أن استكملت تقنياتها بمصر وسوريا والعراق وفارس، وصلت إلى الأندلس والمغرب مع القرن الثامن، ثم بدأت بالانتشار في باقي أوروبا مع تراجع الحكم الإسلامي بالجزيرة الإيبيرية وتوقد جذوة النهضة الأوروبية بإيطاليا وغيرها، ووصولاً إلى أمريكا عن طريق التأثير الإسباني والبرتغالي.

ولما كانت إيطاليا النهضة هي أول بلد استقبال المزدج الإسلامي وقام على نشره، فقد حمل الإنتاج منذ ذلك

الوقت اسم المدينة الإيطالية التي تولت عملية الإشاعة وقعدت للخرف الأوروبي بين القرن الرابع عشر والسادس عشر (فاينزا = فايانس)، ومازال يحمل نفس الاسم إلى الآن في جل اللغات العربية باستثناءات منها الإسبانية التي تستعمل كلمة الزليج (Azulejo) الشائعة عندها كناية على البلاط المزدج. ولا أظن، كما يزعم بعضهم، أن الكلمة من أصل إسباني لها أي ارتباط مع اللون الأزرق (Azul) الموجود في المزدجات، ولكن مع فعل زلج وزجج الذي يعني مباشرة تقنية صناعة هذا النوع من المواد. من ذلك اعتمدنا في هذا العمل عبارة الخرف المزدج أو المزدجات، الشائعة في العمارة المغربية، للتعبير عما أصبح يسمى الفايانس، اجتراراً لاسم فاينزا موقع عبور المزدجات الشرقية.

تجلت بدايات الشموخ الحضاري الإسلامي قبل ألف وثلاثمائة سنة بالجامع الأموي بدمشق الذي أوحى من أساليب الهندسة والتحلية إلى غير من الصروح بتركيا والهند وقرطبة...

وقد سُميت مسالك انتشار هذا النوع من الزينة من الشرق إلى الغرب، عبر الشمال الإفريقي وإيبيريا، "طريق المزدج" أو الزليج.

وتتلخص طريقة صناعة المزدج في إصلاح مشكل النفاذية الذي يعيب الفخار، بتغليفه من جهة واحدة أو من الجهتين بطلاء مركب قابل للتزجج بالتسخين، إذ يتحول إلى طبقة شفافة صائنة. ومعلوم أن الفخار المطيخي، أبا كان أصله الطيني، عندما يُعالج بما يكفي ليصبح قابلاً لتحمل حرارة المجر أو الفرن المنزلي، يعتبر خرفاً مطلياً أو مبرنقاً، وهو بذلك ينتسب للمزدجات بمفهوم هذا العمل. فتكون المزدجات إذن، بالإضافة إلى المنتجات الفنية الصرفة، المزود الرئيسي للأواني المنزلية كالطاجين والطنجرة الثقيلة والطنجية وغيرها من أدوات الطهي، والصحاف والقصاع والصحون للتقديم، ومختلف الأوعية ومنها الخروابي لتخزين المؤونة وتصبير المخلاتات أو الزاد القابل للترقيد، وكذا الحبوب والقطاني والثمار المتنوعة واللحم المقدد، والمصير في الشحم، والعسل والدهون والزياتين ومختلف أنواع الحلوى...

أما الميدان الثاني الذي تصرف فيه المزدجات فهو ميدان الزليج وهي بالأساس مربعات أو قطع تليط الجدران. مرت تقنيات التزديج من مراحل مختلفة.

ظهرت أولاها في الشرق الأوسط، وكان الغرض منها، منذ البداية، إسماط مسامية الفخار العادي بإحكام سدها. والإسهام في الزينة الهندسية. ترجع الطلاءات الأولى، ذات الأصل الأثلي أو المستعملة للرصاص، والقابلة للشي بحرارات نسبياً منخفضة، لماض يُعدُّ بالآلاف السنين. لكنها تُعتبر بُرنقاً بسيطاً وليس تزديجا حقيقياً.

يرجع التزديج المستحق للتسمية إلى استعمال الطلاء

الحزفي المنعوت بالمينا (email) وليس مجرد البرنق الذي مر بنا، والمتضمن لأكاسيد القصدير. ظهرت التقنية أول الأمر ببابل. وهي تحتل إضافة تلميع قوامه الفضة أو النحاس، هذه هي التقنية، بزيادة التلميع أو عدمها، التي أشاعها المسلمون إلى أن أعطت طفرة المزجج المرسكي (مالقة أو بلنسية)، ومنه إلى مظاهر النهضة في العصر الحديث بإيطاليا (فلورانس، سينا أو فاينزا)، ثم هولندا وفرنسا، كمراكز إبداع وإشاعة، فألمانيا والمجر واسكندنافيا وبلاد البلطيق ثم أنكلترا، إضافة إلى المحور الذي عبر إلى المكسيك والعديد من البلاد الأمريكية.

وكانت مدينة فاس نقطة ارتكاز الصنعة الحزفية الرقيقة بالمغرب، منذ القرن التاسع، على عهد الأدارسة، حيث نزع أفواج من سكان قرطبة ومن بينهم العديد من الصناع. في القرن الثالث عشر، على عهد الموحدين، بلغ عدد الفخارين بها المائة والثمانين، وهم الآن حوالي الخمسين من المعلمين، يساعدهم تلة من الصناع والمتعلمين. ومثل ذلك يوجد في المحاضر الكبيرة الأخرى كمراكش وأسفي ومكناس وسلا...

طلاء التزديج تركيبة من أكاسيد الرصاص والقصدير، مخلوط بشيء من الرمل السيليسي. قد يستعمل في لون واحد وقد ينطبع بالزخرف الأزرق أو المتنوع الألوان بإضافة الأخضر والأصفر والبني على قاعدة بيضاء. وتتناول الرسوم مواضيع مختلفة أهمها الرياحين ومختلف النباتات، والأشكال الهندسية والكتابات مع امتياز للخط الكوفي. في الواقع، من الصعب التمييز داخل الحزفيات الحضرية المغربية بين المزدجات والحزفيات الرقيقة. يمكن أن نعتبر من ضمن المزدجات المواد النفعية الصالحة للطهي وتقديم الوجبات والتخزين، والتي غالباً ما تكون سميكة، ثقيلة، عسلية اللون، بدون تمييق. ومنها كذلك بعض مواد البناء وأنواع الزليج والفسيفساء التقليدية.

ثم نمر تدرجياً إلى الحزف الرقيق المؤدي إلى البور سلانة مع تزايد دقة وصفاء المواد الأولية، وتوفير وسائل التسخين بحرارات شديدة الارتفاع، وخفة المنتج وتناقص المسامية فيه، ونزوعته إلى الشفافية. يُعتبر هذا المسار مساراً فنياً وحرفياً من النوع الرفيع أمكن للحزف المغربي أن يدخله إلى حد ما.

هناك اتجاه آخر، صناعي صرف، يستعمل الحزفيات لأغراض علمية وتكنولوجية شائعة الاستعمال إلى شديدة التطور، ويتعلق الأمر بما يسمى بالحزفيات الجديدة.

إنتاج الحزفيات الرقيقة أو الفنية، سياق معقد تعترض طريقه صعوبات جوهرية، رغم أن السوق المغربية مولعة به في صيغة الصينية المدعومة عندنا بحزف الطاووس الصيني. أهم معضلة هي الحصول على المادة الأولية الطينية التي يجب أن تكون من نوع الكاولين أي أن يكون معدن طين الكاولين فيها عالية النسبة جداً وأبيض اللون. والحالة أن

هذه الطين، التي تتكون في الأتربة المعرضة للرطوبة والحرارة على مدد زمنية طويلة، لا توجد عندنا إلا بنسب قليلة، وحتى إذا ما وُجدت تكون حمراء في الغالب. فمثلاً خزافة فاس التي تتوفر على خبرة طويلة في الموضوع لا تجلب أطيانها إلا من طبقات النيوجين الغنية بأطيان السمكتيت، والملونة سطحياً بالأصفر وفي أعماقها السميكة بالرمادي والأرق. الخصوصيات العدوانية لهذه الأطيان تجعلها نفوذة عندما تختلط بالماء، تتشقق بعد التجفيف. ولتجنب التشقق الضار بالإنتاج الحزفي وجب الدعك الطويل المتأنى والتلثيم وطرده فقاعات الهواء، والتجفيف البطيء، في الظل. ومع ذلك، فإن التمكن الجهيد من تجنب التشقق لا يُعفي من المسامية العالية رغم استعمال الأفران العصرية والحرارات المرتفعة.

سر النجاح إذن هو التوفر أولاً على المادة الأولية التي استعملها الصينيون والكوريون واليابانيون منذ أواسط القرن الرابع عشر، والتي لم يوجد ما يوازيها رقتها وصفاءها وكفاءتها الفيزيوكيماوية إلا بعد أن اكتشفت مناجم الكاولين في أوروبا خاصة في أواخر القرن الثامن عشر، حيث برزت مراكز جديدة لإنتاج البورسلانة الرفيعة (ليموج بفرنسا مثلاً).

يخول معدن الكاولين صناعة ما يُسمى بالحزف الصلب أو البورسلانة الحقيقية. وهو كذلك لا نعدم المسامية المفتوحة فيه تكون شقفة بيضاء بفضل اختيار أصفى المواد الأولية، وتعرض عند الكسر مقطعاً لا معاً ذا مظهر زجاجي في صلبه وليس على أطرافه فقط كما هو الشأن في المزجج. نسبة امتصاصه للماء دون كره بالمائة وهو ينزع إلى الشقافية.

يمر الحزف الصلب من نفس المراحل التي يجتازها المزجج باستثناء المادة الأولية الأساسية، الكاولينيت. يتم الطهي على فترات. يكون الأول بحرارة 980 درجة لحليط الكاولين، يتلقى بعدها طلاء التزديج ثم الطهي الثاني بالنار الكبيرة التي تفوق 1250 درجة، يأتي التزيين عادة فوق المينا ثم يُشوى مرة ثالثة بحرارة أقل من حوالي 850 درجة. أهم استعمالات البورسلانة، أو الحزف الصلب أوواني المائدة الرفيعة والتزيين وكذلك مختلف أنواع العوازل الكهربائية.

ما هو الفرق إذن بين الأطيان الشائعة عندنا، والغنية بالمعادن الطينية من فصائل السمكتيت والإليت والكولوريت، مع نسبة متفاوتة من الكاولينيت، تكون غالباً قليلة، وأطيان الكاولين المستعملة في الحزف الصلب والتي تتوفر على نسب عالية جداً من الكاولينيت؟

تتكون وريقات الأطيان عامة من شقين كيميائين رئيسيين : واحد سيليسي والآخر ألوميني. لذا سُميت سليكات الألومين. كلما زادت نسبة الأول، زادت معها

حصيلة الدراسة بشأن الخزف، أن المغرب قد شكل منه حلقة وسطى بكل المواصفات. فهو تاريخياً، قد أسهم في إشاعة العلوم الخزفية الإسلامية باتجاه العالم الغربي، وفنياً نوع الفخار ولونه بتنوع أقاليمه البديعة الجمال، وطور وحسن المزدجات، لكنه لم يراكم الإمكانيات الكافية للدخول في السياق الراقي لإنتاج الخزفيات الصلبة.



ثم بمجرد أن دخلت الخزفيات الجديدة ميدان الصناعات المتطورة، وتحولت من عموم الإنتاج الفني إلى خصوص الخلق العلمي، كان التعامل معها في أحسن الظروف من باب الاستهلاك.

موضوع الخزف كغيره من ميادين الخلق والابتكار الكبرى، يخترق كل تاريخ الوجود البشري على الأرض، جامعا بين الملكات الإبداعية للإنسان المتأرجحة بين الفنون والعلوم والتكنولوجيات.

لذا فإنه في كل حقبة من أحقاب الحضارة البشرية، يعيد ترتيب الأرقام بشفاافية وصراحة.

استطاع المغرب أن يشارك المشرق الإسلامي مرحلة النهضة في العصر الوسيط، في ميدان الخزف وفي غيره، فاقتحمها واضطلع بتوسيعها، عندما كانت الحركة الفنية فيه تنمو مواكبة للتقعيد العلمي والحضاري باعاً بياح.

ثم حصل الاختلال وتفككت حلقات المسيرة، وتحول الإبداع إلى تراث جامد. يبدو أن السر في إحياء التراث ليس هو الاكتفاء باجتراح النماذج المحنطة، ولكن الأخذ بأسباب التواصل العلمي والتأصيل الحضاري.

إ. الفاسي ومحمد البدراني، التيرس، معلة المغرب، 1996، الجزء 8؛ الحمري، معلة المغرب، 2000، الجزء 11.

M. Brunet, J. Giacomotti et C. Bardin, *Céramique. Céramique industrielle. Encyclopédia Universalis*, vol. 4, p. 56 - 65 ; S. Caillère, S. Hénin, M. Rautureau, *Minéralogie des argiles*, Paris, 1982, 2 tomes ; G. Frade, *des matériaux*, Encyclopédia Uni. vol. 6, p. 612 - 617 ; A. Sefrioui, *La poterie et la céramique*, G.E.M., vol. 2, *Culture, Arts et Traditions*, Rabat, 1987, p. 97 -106.

إدريس الفاسي

القدرة على امتصاص الماء والانتفاخ واللدانة، وهي ضرورية لتوفير المطاوعة وسهولة التشكيل. لكن الألومين هو الذي يُعطي الخصوصيات النهائية الأساسية للخزف ويوفر له حظوظ الصلابة والانتساب إلى فئة الخزف الصلب. فالألومين عالي المقاومة للحرارة، لا تحصل ذوابيته إلا فوق 2000 درجة حرارية، وشديد الصلابة، يوجد في الدرجة التاسعة من سلم موهس المكون من عشر درجات، وقليل التشوه في الحرارة العليا، وهو عازل كهربائي جيد ولا يتأثر بظروف الأكسدة والاختزال شديد المقاومة لعوامل التآكل والتفسخ.

لهذه الأسباب، كانت أحسن الأطنان لصناعة الخزف الصلب، تلك التي تمتلك الحد الأدنى الضروري من اللدانة المخولة لتشكيل المادة مع الماء وليس أكثر، أي أقل ما يمكن من السليس المندمج في البنية، وأقصى ما يمكن من الألومين لتوفير أكبر مميزات الكمال في البورسلانة.

في المعادن الطينية عندنا، يمكن أن تمثل نسبة السليس مقادير تصل إلى خمسة أضعاف مقادير الألومين. وهي نسبة شديدة الارتفاع ترفع اللدانة إلى حد التمثيط، وتصعب خبز الطين ودعكه، وتتطلب مقادير كبيرة من الماء، وتظيل وتعرقل عمليات التجفيف، وتعطي مادة نهائية ثقيلة، شديدة التشقق والمسامية.

في حين تصل نسبة الألومين في الكاولين رلى نصف الكتلة الاجمالية أو تزيد عليها.

صحيح أن الأتربة الأولى أخصب من الوجهة الزراعية، لكن الكاولين الصافية تعتبر من نفائس الطين المنجمي لأنها الشرط الأساسي في إنتاج البورسلانة الفنية.

أما دخول ميدان البورسلانة الصناعية أو ما يُسمى بالخزفيات الجديدة فهو رهين بالتقدم التكنولوجي. يُسعمل هذا النوع من الخزفيات في الصناعات النووية والكهربائية والالكترونية، وكذلك في صناعات الملاحة الجوية والفضائية والصناعات الغذائية الخاصة، حيث يتفوق في كل الحالات على المواد المعدنية الفلزية في مقاومة الحرارة والصّد الآلي للضغوط، وعدم التفاعل الكيمائي، بالإضافة لكونه يوفر غالباً العوازل ونصف الموصلات الكهربية.

ميادين استعمال الخزفيات الجديدة في تزايد مطرد. منها الاستعمالات الطبية بسبب التوافق بينها وبين الأنسجة الحية الذي أكسبها نجاحات بينة بالنسبة للمزدراعات في ميادين جراحات العظام والأسنان والقلب وغيرها.

بالإضافة إلى استعمالات أخرى في الهندسة الكيماوية وصناعات الأسلحة وحتى في إنتاج الحلي عبر صياغة الأحجار الكريمة الاصطناعية.

الملفت في الخزفيات الجديدة أنها تستغني في صناعتها بصفة شبه تامة عن المواد الطبيعية لتعتمد في كل شيء على المواد الكيماوية والتكنولوجيات المتطورة.

## الخزيرات (مؤتمر -) الخزيرات كلمة إسبانية محرفة

عن الجزيرة الخضراء، تيناها المغاربية، وهي مجاز مضيق جبل طارق في أقصى جنوب إسبانيا يقابل ستة التي هي مجازة في أقصى شمال المغرب. وقد ذاع صيتها في تاريخ العلاقات الدولية بسبب انعقاد مؤتمر صاحب فيها من 15 يناير إلى 7 أبريل 1906 لمعالجة ما كان يسمى بالأزمة أو المسألة المغربية. وكان المؤتمر لجنة أولى من لجان نظام الحجر الاستعماري الذي فرض على المغرب خلال النصف الأول من القرن العشرين، حتى صار المغاربة كلما أرادوا أن يصوروا لأية حالة من الطغيان والإجحاف بين الناس شبهوا ذلك "بشروط الخزيرات". كما كان أيضا جولة أولى من جولات الصراع الدبلوماسي بين دول أوربا الكبرى، وبخاصة منها فرنسا وإنجلترا وألمانيا وإسبانيا، التي توالت منذ 1905 حتى انتهت إلى الحرب العالمية الأولى سنة 1914. ويمكن الإلمام بأهم جوانب المؤتمر بذكر أسباب انعقاده وتلخيص مقرراته والإشارة إلى ما تخلل جلساته من أسباب التآزم والتوتر وكيف انتهى باتفاق الأقطاب على إخضاع المغرب لهيمنتهم. ثم نختم بذكر مفعول المقررات على المغرب إلى أن ألغيت جملة وتفصيلا غداة الاستقلال سنة 1956.

انعقد مؤتمر الخزيرات بدعوة من سلطان المغرب المولى عبد العزيز (1894-1907) الذي اشتد عليه الضغط الاستعماري الفرنسي في طليعة سنة 1905، حيث جاء المبعوث الفرنسي سان - ريني طايباندي Saint-René Taillandier بمشروع معاهدة لا تخفي شيئا من نوايا فرنسا الاستعمارية. فلم يكن منه إلا أن لاذ بما ظل يلوذ به أسلافه من سلاطين القرن التاسع عشر من محاولة التضريب بين الدول الأوربية واستغلال تنافسها على السوق المغربية وإفشال مساعيها بالاستعانة ببعضها على البعض الآخر. فاستشار الجانب الألماني فأثار ثائرة الامبراطور غليوم الثاني الذي كان ينقم على فرنسا وإنجلترا وإسبانيا ما كان قد حصل بينها من الاتفاق بشأن اقتسام النفوذ في المغرب منذ سنة 1904. بما استشف منه رغبة في إقصاء بلاده عن تلك السوق. وجاء رد فعله عنيفا مدويا، حيث انتهز فرصة تجوله في البحر المتوسط ليتوقف في ميناء طنجة (31 مارس 1905)، ويدلي بتصريح أعلن فيه أمام الملأ أن المغرب دولة مستقلة موحدة التراب وأن لا أسبقية فيها لدولة على أخرى. فاهتزت أركان الحكومة الفرنسية جراء ذلك. وبدا وكأن ألمانيا على وشك إشهار الحرب عليها. ووجد رئيس الحكومة الفرنسي بول روفيي Paul Rouvier نفسه مضطرا لإقالة وزير الشؤون الخارجية طيوفيل ديلكاسي Théophile Delcassé. وتحمل هو نفسه مسؤولية الشؤون الخارجية ليفتح باب التفاوض مع ألمانيا بشأن المغرب. وتم الاتفاق بين الجانبين على عقد مؤتمر دولي يدعو إليه سلطان المغرب للنظر في أوضاع البلاد وفي كيفية

إصلاح شؤونها الداخلية وفيما يتصل بعلاقاتها مع باقي الدول. كما اتفق الجانبان بعد جولتين من التفاوض دارتا في شهر يوليوز وشتنبر 1905 على أن ينعقد المؤتمر في الخزيرات مثلما كان قد انعقد أول مؤتمر دولي بشأن المغرب في العاصمة الإسبانية مدريد سنة 1880. وأن يتم ذلك بناء على استقلال الدولة المغربية ووحدة ترابها وترك باب المعاملات التجارية والصناعية مفتوحا أمام جميع الدول ومراعاة الفوائد المكتسبة قديما لكل واحدة منها، بما في ذلك من مصالح خاصة بفرنسا وإسبانيا في المناطق المتاخمة لممتلكاتها الترابية مع المملكة المغربية. كما اتفق رئيس الحكومة الفرنسية وسفير ألمانيا في باريس على إلزام سلطان المغرب من خلال المؤتمر باتخاذ بعض التدابير الإصلاحية تحت المراقبة الدولية، منها تنظيم شرطة ناجعة في الموانئ التي ينزل فيها تجار أوربا، ومراقبة تجارة الأسلحة وردع أعمال التهريب بشأنها، ثم تنظيم الشؤون المالية المغربية بإقامة بنك مركزي يقوم بما تقوم به الأبنك المركزية إضافة إلى الوظائف البنكية العادية، ثم النظر في إصلاح الجهاز الجبائي المغربي كي تنتعش الخزينة السلطانية بشرط أن يلتزم السلطان بعدم تقويت الأشغال العمومية لأية جهة بالخصوص وأن يراعي المساواة بين الأجناس في إسناد الصفقات الكبرى التي كان المغرب في حاجة إلى القيام بها لإلحاق أسواقه بالسوق العالمية.

وهكذا اجتمع مندوبو ثلاث عشرة دولة في الخزيرات ابتداء من يوم 15 يناير 1906. وتلك الدول هي : فرنسا وإسبانيا وإنجلترا وألمانيا والنمسا وروسيا وبلجيكا وهولندا والسويد والبرتغال والولايات المتحدة والمغرب. وجاء معظمها لا حاجة ملموسة في المغرب ولكن فقط لتلا يتفهب عن محفل دولي تعلقت به الأنتظار، وكان الأمل معقودا عليه ليجعل حدا لتوتر العلاقات بين فرنسا وإنجلترا من جهة وبين ألمانيا من جهة أخرى. ولذلك قام بالأدوار الرئيسية وقد فرنسا الذي كان على رأسه بول ريفول Paul Révoil، السفير المنتدب الفرنسي لدى المغرب ووالي الجزائر سابقا الذي كان قد فرض اتفاقيات الحدود على المخزن سنتي 1901 و1902، مصحوبا بعدد من ذوي الخبرة الطويلة بشؤون المغرب، فمساعدته الأول هو بول رينيو Paul Regnault بصفة كونه ممثل أصحاب قرض 1904، إلى جانبه راوول دي مار جيرري Raoul De Margerie مستشار سفير فرنسا في مدريد، وإينار Aynard نيابة عن والي الجزائر، ودي بيسي De Billy عضو البعثة الفرنسية في طنجة، وهانري غايارد Henri Gaillard قنصل فرنسا في فاس، وليريش Leriche قنصلها في الرباط، وقذور بن غبريط الترجمان الجزائري، إضافة إلى دوياسور Dupasseur مدير بنك باريس والأراضي المنخفضة، ومجموعة من مبعوثي كبريات الصحف الفرنسية على اختلاف مشاربها. وكان الوفد الألماني تحت إشراف سفير ألمانيا في مدريد

الخارجية فيها ليون بورجوا Léon Bourgeois الذي سار على نهج الحكومة السابقة. فوقع الضغط الدبلوماسي على ألمانيا حتى من قبل من كان متعاطفاً معها مثل روسيا والنمسا وبلجيكا والولايات المتحدة. وألّزمت بالموافقة على الحلول الوسطى التي حصل الإجماع بشأنها بسهولة، سوى ما كان من قضية تنظيم الشرطة المغربية وإقامة البنك المركزي، فإن النقاش احتدم بشأنهما وطال لحرص الفرنسيين والألمان على عدم التنازل في إحدى القضيتين قبل الحصول على امتيازات ملموسة في الأخرى. وكانت الخطة الفرنسية الرامية إلى التنازل لألمانيا في المجال الاقتصادي، واقتسام أسهم المشاركة في البنك وترك أبواب السوق المغربية مفتوحة أمام الجميع مقابل الحصول على حق تنظيم الشرطة في الموانئ الثمانية المفتوحة للتجارة الدولية هي الراجحة، بما كانت تنطوي عليه من الإغراء لباقي الدول وبما كان لفرنسا من شديد الرغبة في التمكن من أدوات السلطة السياسية في المغرب. بينما لم تجد الدبلوماسية الألمانية قتيلاً لاستعمالها "المسألة المغربية" لأغراض تتجاوز المغرب بكثير، فضلاً عن كونها عاتمة مهمة، ولمحاربة إخفاء ذلك التناقض تحت خطاب لا يخلو من غلظة وفظاظة. مما كان يزعج الأصدقاء والخصوم على حد سواء.

يضاف إلى ذلك أن الجانب المغربي كان عاجزاً عن مساندة المساعي الألمانية، ليقينه بأن الأجناس الأوربية لا تتفق إلا على ضرورة إخضاع المغرب للحجر الدولي، وأيضاً لخضوعه عن وعي أو غير وعي للضغط الفرنسي المستمر. ويوم قام الوفد المغربي بمحاولة لكسب السند الأمريكي بادر السفير الأمريكي إلى فضح ذلك لدى زملائه داعياً إلى توحيد الصفوف لفرض الإرادة الدولية عليه. والحالة هذه أن الوفد المغربي كان كالحاضر الغائب أو الغائب الحاضر، لا يملك أن يقدم رجلاً أو أن يؤخر أخرى دون أمر السلطان المقيم في فاس، الذي يتطلب الاتصال به أيما متواليه، بل وأسابع لاتعداد وسائل المواصلات السريعة. وقد اختتم المؤتمر أعماله يوم السبت 7 أبريل 1906 بعد الموافقة على مقرراته المدرجة في مائة وثلاثة وعشرين فصلاً مبوبة في مقدمة وسبعة أبواب وبروتوكول ملحق.

تثبت المقدمة رغبة الدول في أن ينعم المغرب بالسلم والأمن والازدهار، وفي أن يقوم بما يلزمه من إصلاح شؤونه الداخلية، وعزم الجميع على احترام استقلاله ووحدة ترابه شريطة أن يتعامل مع الدول بدون حيف ولا ميز.

وأقر الباب الأول (الفصل 1 إلى 12) تنظيم شرطة مغربية في الموانئ الثمانية المفتوحة أمام تجار أوروبا تحت إشراف إسبانيا في تطوان والعرانش وتحت إشراف فرنسا في الرباط والجديدة وأسفي والسويرة وتحت إشراف كليهما في طنجة والدار البيضاء، على أن تكون مراقبة تلك

رادوفيتز Radowitz، مصحوباً بالكونت فون طاطنباخ Von Tattenbach الوزير المفوض لدى البرتغال يومئذ وممثل ألمانيا في المغرب في ما بين 1890 و1895، والبعوث الخاص من قبل حكومته إلى السلطان المولى عبد العزيز في مطلع سنة 1905 لحثه على الصمود في وجه فرنسا. وكان الوفد الإسباني بقيادة الدوك دي ألمودفار (Almodovar) وزير الدولة في الشؤون الخارجية في حكومتها، مرفوقاً ببيريس كباييرو Perez Caballero السفير في بلجيكا، وهونطوريا Hontoria، وبينيا إي ميليت Piña y Millet وكريستوبال فالين Cristobal Vallin، ومجموعة من الموظفين جعلوا الوفد الإسباني ثاني الوفود - من حيث العدد - بعد الوفد الفرنسي. وكان الوفد الإنجليزي تحت نظر آرثور نيكولسن Arthur Nicolson سفير بلاده لدى المغرب في ما بين 1901 و1904 والمعين قريباً سفيراً في روسيا. وكان عدد مساعديه في المؤتمر متواضعا من حيث العدد والخبرة، مما دل على تخلي إنجلترا لفرنسا عن المغرب منذ الوفاق الودي لشهر أبريل 1904. أما باقي الدول غير المعنية مباشرة بالمسألة المغربية، فناب عنها وفود منحصرة كان عليها أن تسعى في التوفيق أكثر مما عليها أن تسعى في التفاوض والأخذ والرد، مثل الولايات المتحدة المثلة بسفيرها في روما هانري وايط Henry White. والنمسا المثلة بسفيرها في مدريد الكونت فون فيلسرسهاميب Von Welsersheimb وإيطاليا المثلة بالماركيس دي فيسكونتي - فينوسطا - Visconti - Venosta، مصحوباً بوزيرها المفوض في المغرب مالوسي Malmusi، وروسيا المثلة بالكونت كاسيني Cassini سفيرها في مدريد، مصحوباً بوزيرها المفوض في المغرب باشراشت Bacheracht. أما الوفد المغربي فكان بقيادة الحاج محمد بن العربي الطريس مندوب السلطان لدى الأجناس في طنجة، يساعده الحاج محمد بن عبد السلام المقرري وزير المالية والحاج محمد الصفار وعبد الرحمان بنيس من كتاب المخزن.

وكان مقر المنتدبين على العموم فندق ريبينا كريستينا Reina Cristina، باستثناء الوفود الفرنسية والانجليزية والمغربية التي أقامت في فيلات خاصة. وكان مقر الجلسات العمومية في بلدية الخزيرات. وقد طال المؤتمر أكثر مما كان متوقعا. واحتد النقاش بين الجانبين المتنازعين بسبب ما بذلته ألمانيا من جهود لفسخ التحالف بين فرنسا وإنجلترا وللتضريب بين فرنسا وإسبانيا بمعاونة الوفد المغربي، وبسبب سعي فرنسا الحثيث في إطالة تلك المحاولات وكسب مزيد من المؤازرة الدولية دعماً لما كانت قد أحرزت من قصب السبق في المغرب. وبما زاد المؤتمر تعقيداً وامتداداً سقطت الحكومة الفرنسية برئاسة بول روفسي يوم 10 مارس 1906. فتأججت المناورات الألمانية لعزل فرنسا على الصعيد الدبلوماسي. لكن سرعان ما تشكلت حكومة فرنسية جديدة برئاسة جان ساريان Jean Sarrien. وأسندت الشؤون

الشرطة بيد ضابط سويسري تنحصر مهمته عند التفتيش دون القيادة، ويطلع سلطان المغرب ونواب الأجناس على عمله.

وضع الباب الثاني (من الفصل 13 إلى الفصل 30) شروط التجارة في الأسلحة وكيفية ردع التهريب بشأنها الذي كان يزود القبائل من آخر ما جد في صناعة البنادق.

وأقر الباب الثالث (من الفصل 31 إلى الفصل 58) شروط إقامة بنك الدولة في المغرب من خمسة عشر سهما.

لكل واحدة من الدول المشاركة في المؤتمر سهم منها، فهي ثلاث عشرة دولة، ومنح السهمان الباقيان لأصحاب قرض 1904 فاحتفظ الجانب الفرنسي بالأغلبية إذ كان القرض المذكور من أموال فرنسية في الغالب. كما تقرر أن يكون مقر البنك في طنجة. واتخذت الترتيبات اللازمة بشأن إدارته ومراقبة معاملاته من الجانب الدولي ومن الجانب المغربي وكيفية الفصل في ما يقيم هو أو يقيم عليه من الدعاوي فيفضل فيها محكمة قنصلية مختلطة أو محكمة لوزان بسويسرا بحسب القضايا. وأسند لهذا البنك مهام إصدار العملة المغربية والقيام لدى المخزن مقام الخزينة العمومية تستودع أمواله وتصرف منها بأمره، فضلا عن قيامه بكل ما يقوم به أي بنك خصوصي من معاملة الخواص.

وتطرق الباب الرابع (من الفصل 59 إلى الفصل 76)

إلى وسائل إصلاح النظام الجبائي المغربي بأن فرض رسما استثنائيا على جميع الواردات نسبته 2.5%، يضاف إلى التعشير (10%) المفروض عليها منذ المعاهدة المغربية الانجليزية لسنة 1856. ويوضع الدخل من ذلك الرسم في صندوق خاص لتمويل ما كان المغرب يفتقر إليه من التجهيزات الأساسية. كما تقرر جعل ضريبة على المباني المحضرة ينفق منها على الخدمات البلدية (الفصل 61). والتزمت الدول المشاركة بإخضاع رعاياها لضريبة الترتيب على شكل ما كان وضعها السلطان المولى عبد العزيز منذ 1901 بمجرد ما يتم العمل بها على الرعية المغربية (الفصل 59). والتزم السلطان بالحد من الرسوم المفروضة على الصادرات المغربية الأساسية كالحبوب والقطن والأنعام (الفصلان 67 و68) التي كان يجني منها أموالا ذات بال. وفي هذا الباب أيضاً فصلان جعلتا تجارة التبغ حكرا على المخزن (72 و73).

ويعالج الباب الخامس (من الفصل 77 إلى الفصل 104)

ترتيب شؤون الجمارك ورواج السلع في الإيراد والإصدار، وطرق تقييمها بقصد التعشير وقباضة الرسم الاستثنائي، وشروط النقل البحري بين مختلف موانئ المغرب، وزجر أعمال التديس والتهريب مع ذكر كيفية معاقبة المخالفات ومن يستفيد من الذعائر المفروضة.

وأقر الباب السادس (من الفصل 105 إلى الفصل 119)

مبدأ الباب المفتوح على قدم المساواة في كل الزايدات

المقامة بشأن الصفقات العمومية في المغرب (الفصل 105)، مع إلزام السلطان بإطلاع الهيئة الدبلوماسية على دفاتر التحملات وتفصيل المشاريع وعلى كل الوثائق الرسمية (الفصل 108) والأمر بما قد يترتب على تلك الأعمال من نزع الملكيات وما إلى ذلك من مقتضيات (الفصل 113 وما بعده).

أما الباب السابع والأخير فيتكرب من أربعة فصول تحدد ثلاثة منها الأجل المضروب لمصادقة الدول المشاركة على المقررات وهو 31 دجنبر 1906، بناء على قوانينها الوطنية (من الفصل 120 إلى 122). بينما يثبت الفصل 123 كل ما كان من المعاهدات والأوفاق السابقة بين المغرب ومختلف الدول لا يتعارض مع مقررات الخزيرات ويلغي ما يتعارض معها.

وأدرك الوفد المغربي ما كان في كل ذلك من التطاول على سيادة المغرب فامتنع عن التوقيع. فقرر المؤتمر إيفاد مالموسي وزير إيطاليا المفوض في طنجة إلى فاس بقصد حمل المولى عبد العزيز على إمضاء ما بات معروفا لدى المغاربة "بشروط الخزيرات"، وذلك هو موجب البروطوكول الإضافي. مما يعني أن المؤتمر إذا كان قد أرجأ موعد الحماية المزدوجة الفرنسية الاسبانية على المغرب، فإنه انتهى في الواقع بإثبات امتيازات تينك الدولتين بما منحهما من الهيمنة على جهاز الشرطة وعلى أموال المخزن من خلال البنك المركزي مقابل ترك أبواب السوق المغربية مفتوحة أمام جميع المقاولات الأجنبية مهما كانت جنسيتها.

ولا أدل على تفوق فرنسا في المؤتمر من إقدامها في السنة التالية فقط على الشروع في احتلال المغرب زحفا من الجزائر من جهة الشرق حيث تم احتلال مدينة وجدة (أبريل 1907)، ونزولا من البحر على مدينة الدار البيضاء وإقليم الشاوية من جهة الغرب (غشت 1907)، هذا فضلا عما كانت قد احتلت من واحات توات منذ سنة 1900 وواحات شنكيط منذ 1905 التي كانت تابعة يومئذ للدولة المغربية. ولذلك لم تكن مقررات الخزيرات سوى مهد دولي لاستعمار المغرب من قبل فرنسا وإسبانيا. وقد باركت ألمانيا نفسها ذلك بالمعاهدة المبرمة بينها وبين فرنسا يوم 4 نونبر 1911. وفرضت الحماية الفرنسية على المغرب يوم 30 مارس 1912. ووضعت شروط نصيب إسبانيا منها في معاهدة 27 نونبر 1912.

وما أن أبرمت معاهدة الحماية حتى صار شغل فرنسا الشاغل إبطال مفعول مقررات الخزيرات لتحتكر لنفسها ما نابها من التراب المغربي وتستغل خيراته مع التشندق المستمر بسيادة السلطان ووحدة تراب المملكة. وهكذا أبطلت بالتدرج فصول وأبواب كاملة من المقررات بما أصبح لفرنسا وإسبانيا من النفوذ المطلق في المجالات السياسية والإدارية في منطقتيهما، بل ومن النفوذ الاقتصادي

la "Porte ouverte" et de la domination de zone, Casablanca, 1983 ; Harris W. B., *Morocco that was* ; M. Paléologue, *Un grand tournant de la politique mondiale, 1904 - 1905* ; P. Révoil, *Journal tenu pendant la conférence d'Algérisas, 12 Janvier - 9 Avril 1906*, Paris, 1939 ; Saint-René Taillandier, G., *Les origines du Maroc français, Récit d'une mission, 1901 - 1906*, Paris, 1930 ; Tardieu, G., *La Conférence d'Algérisas, Histoire diplomatique de la crise marocaine*, Paris, 1907 ; Taylor, A.J.P., *La Conférence d'Algérisas, Revue Historique*, t. CCVIII, oct.-déc. 1952, pp. 235 - 254.

إبراهيم بوطالب

### الخزينة العامة للمملكة المغربية تقوم بتنفيذ

ميزانية الدولة وميزانيات الجماعات المحلية وذلك بتحصيل المداخل العمومية وتنفيذ النفقات سواء منها المتعلقة بالتسيير أو التجهيز أو الدين العمومي. وبالنظر إلى عجز الموازنة العمومية وإلى استحالة حصول تناسق يومي بين المداخل والمصاريف، تعمل الخزينة العامة على تجنيد أموال الخواص والمؤسسات العمومية عبر تدبير ودائع يتم تدبيرها وفق التقنيات البنكية المعاصرة وعبر تجنيد الادخار بواسطة سندات الخزينة وغيرها من القروض العامة.

وبهذه الصفة فإن الخزينة العامة للمملكة، تشكل إدارة أساسية تلعب دوراً حيوياً في السير اليومي للمرافق العمومية التي لا يمكن أن تضطلع بالمهام المنوطة بها إن لم تتوفر على الوسائل المالية الضرورية لهذا الغرض.

ولهذا فإن تطور هذه المؤسسة مرتبط بكيفية وثيقة بتطور الإدارة والمجتمع المغربيين مما يتطلب التعرف على التطور التاريخي لهذه المؤسسة (1) الذي يمكن من فهم دورها ووظائفها (2) التي تحدد بدورها تنظيم هيكلها (3) وعلاقاتها بمحيطها (4).

يرجع تنظيم وهيكله المصالح العمومية المكلفة بتحصيل الموارد وصرف النفقات العمومية إلى عهد السلطان مولاي الحسن الأول حيث كانت هذه المصالح تتكون من أمناء المداخل والذين كانوا مكلفين بتحصيل الضرائب ومداخل الجمارك ومن الأمناء المكلفين بصرف نفقات المخزن. وكان على رأس كل هؤلاء الأمناء أمينهم الذي كان مكلفاً بمركزة حساباتهم ومراقبتها والمصادقة عليها. وبداية من سنة 1906، أي بعد مؤتمر الجزيرة الخضراء، سوف يضطلع بنك الدولة المؤسس بموجب هذه الاتفاقية، بدور قريب من دور أمين الأمناء. لكن هذا الدور سرعان ما سوف يزول بعد دخول الحماية الفرنسية للمغرب، إلى موظف سام عين من أجل هذا الغرض. وترجع كتابة القوانين والأنظمة والمساطر المتعلقة بتنفيذ عمليات الخزينة إلى هذا التاريخ، وهكذا صدرت قوانين إعادة تنظيم الترتيب (1912) وإصلاحه (1915) وقوانين التسجيل (1915 و1916) وقوانين التتبع (1917) .. الخ وصدر نظام المحاسبة العمومية في 9 يونيو

والمالي أيضاً. أما من حيث النفوذ السياسي والإداري فإن أجهزة السيادة الحكومية (وهو ما يقابل وزارات الداخلية والدفاع والشؤون الخارجية) كانت كلها بيد المقيم العام الفرنسي والمندوب السامي الإسباني. وأما من حيث النفوذ الاقتصادي والمالي فإن فرنسا استطاعت أن تقضي منافسيها عن السوق المغربية مثل ألمانيا والنمسا بمقتضى معاهدة فرساي (1919)، ومثل اليابان والمجر على إثر الحرب العالمية الثانية، ومثل إنجلترا باتفاق أبرم بينهما سنة 1938. كما استطاعت أن تستحوذ على جميع المفاوضات المغربية العمومية الكبرى مثل بنك الدولة ومثل النقل والكهرباء ومناجم الفوسفات بشتى أنواع التحايل على مبدأ الباب المفتوح. وازداد جانبها تعزيزاً بإحداث الفرنك المغربي منذ 1920 وإحاقه بالفرنك الفرنسي فأصبحت السوق المغربية حكراً على منطقة رواج العملة الفرنسية ينطبق عليه ما ينطبق عليها. ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية صدر ظهيران بتاريخ 9 و10 شتنبر 1939 يفرضان مراقبة الواردات ومراقبة الصرف. ثم استمر العمل بهما حتى بعد نهاية الحرب. فقام نزاع حاد بين فرنسا والولايات المتحدة التي تدرعت بما كانت الدولة المغربية قد أنعمت عليها به من الامتيازات التجارية منذ 1836. واحتكم الجانبان لدى محكمة لاهاي الدولية فحكمت بإمكانية ممارسة الاستيراد في المغرب دون الاعتماد على العملة الصعبة.

بيد أن احتكار فرنسا وإسبانيا للسوق المغربية تبين في نهاية المطاف الاستعماري أنه كان شراً في طيه خير. ذلك أن مجرد إعلان استقلال المغرب سنة 1956 جاء بمثابة إلغاء ضمني لما كان قد تبقى من مقتضيات الجزيرات. فإنها فرضت على المغرب يوم كانت الدول المتغلبة لا تتورع عن إعلان حقها في استغلال الدول المستضعفة. أما بعد صدور البيان العام بحقوق الإنسان من قبل هيئة الأمم المتحدة في شهر دجنبر من سنة 1948 الذي ورد في مقدمته التصريح "بمساواة الرجال والنساء وكذا الأمم الكبرى والأمم الصغرى في الحقوق" فإن مقتضيات الجزيرات باتت مخالفة للقانون الدولي لاغية دونما حاجة إلى فتح باب التفاوض والمساومة من أجل إلغائها.

مراسلات مخزنية، النصف الثاني من سنة 1323هـ والنصف الأول من سنة 1324، مديرية الوثائق الملكية، الرباط : مراسلات إنجليزية، F.O. 413, *Affairs of Morocco*, ج. 30 و31 : ع. الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، 1894 - 1910، الدار البيضاء، إفريقيا - الشرق، 1990 : م. خير فارس، المسألة المغربية، 1900 - 1912، جامعة الدول العربية معهد الدراسات العربية، 1961.

*Documents diplomatiques (français), 1906, Protocoles et comptes rendus de la Conférence d'Algérisas, Fasc., V, Paris ; Y. Famchon, Le Maroc d'Algérisas à la souveraineté économique, Paris, 1957 ; Hajoui, M. O., Histoire diplomatique du Maroc, 1900 - 1912, Paris, 1938 ; B. Hamdouch, Spécialisation subie et sous-développement au Maroc ; Les effets du régime de*



1917 ليحدد القواعد الأساسية المتعلقة بإعداد وتنفيذ الميزانية.

وبعد ذلك سوف يتم تحسين هذه النصوص قصد جعلها ملائمة لمستجدات الحركة الاقتصادية والتجارية. وبالموازاة، تطور دور الخزينة ليشمل إضافة إلى الوظائف التقليدية مهام جديدة مثل:

- النشاط البنكي

- مركزة عمليات البريد والشيكات البريدية

- تدبير مالية الجماعات المحلية

- تدبير الدين العمومي

- المساهمة في تجميع الادخار العمومي.. الخ

يتطلب توضيح هذا الدور التذكير بالتقسيم الوظيفي الذي تعرفه الإدارات المسؤولة على تدبير المالية العمومية حيث نجد في هذه الإدارات قسمين من الموظفين : الأمرين بالصرف والمحاسبون العموميون. فالأمرين بالصرف، وهم الوزراء أو من يقوم مقامهم من مديرين عامين أو مسؤولين يفوض لهم الوزراء سلطتهم في المجال المالي ويقومون بتحديد مبلغ النفقة واللجوء إلى المساطير الضرورية من أجل تنفيذها ثم يعدون الأمر بتنفيذ هذه النفقة. إلا أن قرارهم هذا يجب أن يصادق عليه الموظف المسؤول من مراقبة الإلتزام بنفقات الدولة. ومتى تم ذلك، يأتي دور المحاسب الذي يتحقق من احترام القوانين والمساطر المتعلقة بالنفقة المعنية ومن توفر الاعتمادات الضرورية ومن وجود جميع الوثائق الضرورية لاثبات هذه النفقة. وفي حالة توفر كل هذه الشروط فإنه يؤشر على النفقة ويقوم بأدائها. لكنه يرفعها في الحالة المعاكسة. ونجد نفس توزيع المهام في ميدان المداخيل حيث إن هناك مصالح الضرائب والتسجيل والجمارك التي تحدد مبلغ الضريبة أو المدخول المعين وتترك للمحاسب التابع للخزينة العامة للمملكة مسؤولية تحصيل المداخيل في إطار قوانين التحصيل الجاري بها العمل.

ومن أجل حث المحاسبين على تدقيق مراقبتهم فإن القوانين الجاري بها العمل تجعلهم مسؤولين، شخصياً ومادياً، عن كل تقصير في القيام بمهامهم. وهم مطالبون بإعداد حساباتهم من أجل مراجعتها من طرف البرلمان من جهة (قانون التصفية) ومحكمة الحسابات.

ونظراً للتنظيم الإداري للمملكة، فإن هذه المسؤولية تقع على الخازن العام للمملكة، وهو المحاسب المسؤول عن عمليات المصالح المركزية للدولة، والخزينة الجهويين والاقليميين، وهم المسؤولون عن عمليات المصالح الخارجية للدولة، والقباض الذين يقومون بتحصيل ضرائب الدولة في كافة مناطق المملكة، والقباض محصلي أموال الجماعات المحلية الذين يقومون بتنفيذ ميزانيات هذه الجماعات علماً بأن الأمرين بالصرف بالنسبة لهذه الجماعات هم العمال ورؤساء المجالس الجهوية والبلدية والقروية.

ويحدد المرسوم المتعلق باختصاصات وتنظيم وزارة

المالية الصادر يوم 13 دجنبر 1978 الوظائف الرئيسية للخزينة العامة للمملكة في :

- تحصيل المداخيل العمومية وأداء النفقات العمومية مع الحرص على مراقبة موافقتها للقوانين والأنظمة الجاري بها العمل وخصوصاً منها المرسوم الملكي المحدد للنظام العام للمحاسبة العمومية الصادر في 21 أبريل 1967.

- تنفيذ عمليات الخزينة أي العمليات التي تهم مداخل ونفقات عمومية لا تندرج في إطار القانون المالي مثل تدبير الودائع والدين العمومي القصير الأمد..

- مركزة محاسبة عمليات الدولة والجماعات المحلية وإعداد حسابات التسيير.

- مراقبة محاسبة الدولة والجماعات المحلية.

- تدبير محفظة الأوراق المالية للدولة.

- تصفية حسابات تسيير الجماعات المحلية.

- إعداد مشاريع النصوص القانونية والتنظيمية المتعلقة بالمحاسبة العمومية وذلك بارتباط مع المصالح المعنية لوزارة المالية، والعمل على تنفيذ النصوص التشريعية والتنظيمية في هذا المجال.

وبالإضافة إلى هذه المهام التي ينص عليها المرسوم المنظم لوزارة المالية تقوم الخزينة العامة عبر مصالحها المركزية والخارجية بأدوار أخرى مثل :

- الاستشارات التي تمنحها للجماعات المحلية حيث إن محاسبي هذه الأخيرة هم كذلك مطالبون بوضع خبرتهم المالية رهن إشارة هذه الجماعات.

- المساهمة في تحدي السياسة المالية وفي التسيير اليومي للسيولة من خلال المساهمة في اللجان المحدثة لهذا الشأن بوزارة المالية.

تطور هذا التنظيم بالموازاة مع التوزيع الذي عرفته الإدارات العمومية المغربية ومع ضرورة مواكبة هذا التطور من جهة وتغيير هذا التنظيم كذلك بفعل تقنيات التسيير وخصوصاً المعلومات التي كانت الخزينة العامة من الإدارات السبابة إلى الاستفادة من نتائجها الايجابية.

وتشهد الخزينة العامة حالياً مرحلة انتقالية حيث إنها شرعت منذ نهاية الثمانينات في إصلاح هيكلها التنظيمي وفي تعديل عدة قوانين وأنظمة تحكم عملها (قانون التحصيل، نظام المحاسبة العمومية، الخ...) أو المساهمة في تحضيرها (القانون التنظيمي للمالية، المرسوم المتعلق بالصفقات العمومية..).

لكن الإطار القانوني للتنظيم الحالي للخزينة العامة يبقى هو المرسوم المشار إليه أعلاه. المتعلق باختصاصات وتنظيم وزارة المالية والذي ينص على أنها تتوفر على مديرتين :

- مديرية العمليات المتعلقة بالميزانية وذات الصبغة البنكية والتي تقوم بتنفيذ النفقات العمومية، ومتابعة تحصيل المداخيل العمومية وتسيير الودائع البنكية

والتسيير المحاسبي للدين العمومي ومحفظة أوراق الدولة.  
- مديرية المحاسبة العمومية والمركزة والتي تقوم بمركزة حسابات الدولة والجماعات المحلية وبإعداد حسابات التسيير إضافة إلى إعداد مشاريع النصوص القانونية والمذكرات المتعلقة بالمحاسبة العمومية.  
وتتوفر الخزينة العامة كذلك على :

- مفتشية مصالح المحاسبين.  
- وكالة مركزية للحسابات المتعلقة بتسيير السفارات والقنصليات في الخارج.

- المصالح الخاصة بالموظفين والتكوين والمعلومات.  
وإضافة إلى المصالح المركزية، تتوفر الخزينة العامة للمملكة على مصالح خارجية مكونة من :

- خزنة جهويين وإقليميين على صعيد الجهة أو الإقليم وهم يعتبرون بمثابة رؤساء مصالح المحاسبة العمومية على صعيد المصالح الخارجية.

- قباض لضرائب الدولة ولتسيير مالية الجهات والجماعات المحلية الأخرى وهم جميعاً تابعون للخزينة الجهويين والإقليميين.

علاقات الخزينة العامة للمملكة بحيطها :  
ترتبط الخزينة العامة بعلاقات يومية مع المديريات الأخرى لوزارة المالية ومع الوزارات الأخرى المشكلة للحكومة إضافة إلى المؤسسات المالية والبنكية.

وهكذا، فإن للخزينة العامة علاقات مع كل من مديرية الضرائب والإدارة العامة للجمارك والضرائب الغير المباشرة وذلك في كل ما يهم الجبايات، ومع مديرية الميزانية والالتزام بنفقات الدولة في كل ما يتعلق بالنفقات العمومية، ومع مديرية الخزينة والمالية الخارجية في ما يهم تسيير الدين العمومي وحركات الأموال العمومية وتحويل العجز الظرفي للخزينة.

وفي علاقاتها مع الوزارات الأخرى، تعمل الخزينة على تنفيذ نفقات مصالح هذه الوزارات وإصدار البيانات والجداول التي تسهل عليها تدبير الاعتمادات التي يفتحتها لها القانون المالي.

أما مع المؤسسات البنكية والمالية فللخزينة العامة علاقات يومية مع بنك المغرب حيث إن الجزء الأكبر من الأموال العمومية يدفع إلى الحساب الجاري للخزينة المفتوح لدى هذه المؤسسات كما أن النفقات العمومية تؤدي في الجزء الأكبر منها بواسطة تحويلات من هذا الحساب.

وتتخضع علاقات الخزينة مع المؤسسات البنكية الأخرى للقوانين العادية المنظمة لعلاقات هذه المؤسسات مع الأشخاص والمنظمات الأخرى بل إن كثيراً من البنوك تتوفر على حساب في الخزينة في حين لا تتوفر الخزينة العامة للمملكة إلا على حساب بنكي واحد، هو الحساب الجاري المفتوح لدى البنك المركزي بنك المغرب.

وبطبيعة الحال فإن زبناء الخزينة العامة ومعونوها هم من

جهة المستفيدين من النفقات العمومية من موظفين ومقاولين وغيرهم ومن جهة أخرى الملتزمون بالضريبة والمدخرون الذين يضعون أموالهم رهن إشارة الدولة.

ل. السباعي، مراجع ديبلوم الدراسات العليا في الاقتصاد ؛ ديبلوم السلك العالي للمدرسة الوطنية الإدارية ؛ وثائق الخزينة العامة بوزارة المالية.

Loi organique des finances ; Décret fixant les attributions et l'organisation de la Trésorerie Générale du Royaume, 1978 ; M. Champion, Les finances publiques au Maroc. Rabat, 1961 ; M. Loze, Les finances de l'Etat. Rabat, 1971 ; M. Doghmi, Le rôle de la Banque du Maroc dans le système monétaire et bancaire. 1966 ; Al Malya, Bulletin du Ministère 23 consacré à la Trésorerie de l'Economie et des Finances N Générale, 2000 ; Rapports, notes et études diverses de la Trésorerie Générale du Royaume.

غيب السباعي الإداري

الخس أو "الخص" أو "صلادة" أو "شلادة" أو "سلاطة"، كلها ألفاظ تطلق على أنواع وأصناف نباتية تتناول كمدخل لوجبات الغذاء والعشاء. تنتمي كل هذه الأنواع والأصناف لجنس لاکتوكا Lactuca وفصيلة المركبات Composition أو النجميات Asteraceae.

والخس أنواع وأصناف حولية أو ثنائية الحول عشبية. لها أوراق قاعدية توكل نيئة قبل أن تعطي في نهاية الموسم ساقاً عتقياً يحمل الأزهار والثمار. لها عصير لبني. والاسمان الفرنسي Laitue والعلمي Lactuca يدلان عن وجود هذا العصير اللبني.

والوطن الأصلي للخس البري هو منطقة البحر المتوسط، ومنه انحدرت الأصناف المغروسة حالياً. إنه من الأعشاب التي استعملها الإنسان للاستهلاك منذ ما يزيد عن خمسة آلاف سنة. وكل الأصناف المزروعة حالياً كانت معروفة في المنطقة المتوسطية قبل العصور الوسطى.

للخس قيمة غذائية قليلة لكنه يحتوي على فيتامينات وأملاح معدنية كثيرة. تزرع عدة أصناف بالمغرب في الأراضي السقوية والبساتين القريبة من مراكز الاستهلاك. أبحاث شخصية، : ألبرت هيل، النبات الاقتصادي، ترجمة د. ع. زاهر وآخرين، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 1962.

عبد الملك بنعبيد

الخسوف والكسوف لا شك أن ظاهرتي الكسوف والخسوف من أكثر الحوادث السماوية إثارة وأعظمها غرابة، وقد عكف الفلكيون على دراستها وتفننوا في التنبؤ بحدوثها والتنافس على حسابها ومعرفة أشكالها. وسعياً لشرح هاتين الظاهرتين والإطلاع على ما خفي منهما يتعين التذكير ببعض الحركات الفلكية للشمس والقمر وطريقة تحرك كل واحد منهما. يتعين التذكير ببعض الحركات الفلكية للشمس والقمر وطريقة تحرك كل واحد منهما.

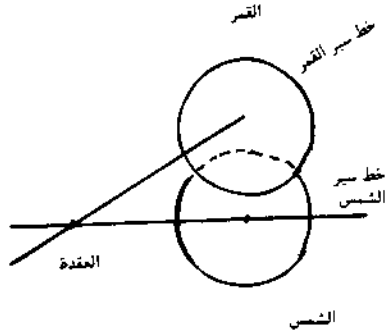
يظهر للعيان إلا ليلة الفاتح من الشهر اللاحق. ومن عجائب الكون أن قرصي القمر والشمس المنظورين من الأرض قريبان من بعضهما ولا يفوت أحدهما الآخر إلا قليلاً جداً.

ويحدث الكسوف متى توسط القمر بين الأرض والشمس فيحجب آنذاك ضوءها عن قسم من الكرة الأرضية ولا يحدث ذلك إلا إذا كان القمر والشمس معا قريبين من إحدى العقدين وكان ذلك يوم الثامن والعشرين أو التاسع والعشرين من الشهر الهجري ولا يمكن أن يحدث الكسوف أبداً يوم الثلاثين من الشهر.

ويصنف الفلكيون الكسوف إلى ثلاثة أنواع :

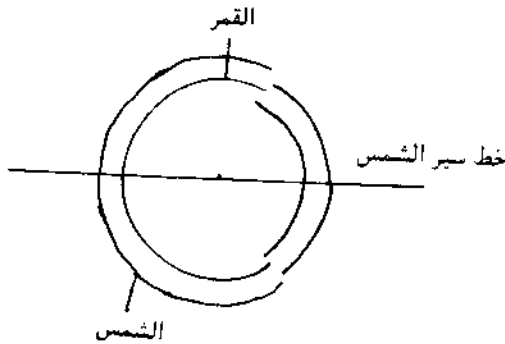
- فالكسوف الكلي يحدث إذا كان جرم القمر تبعاً لموقعه وموقع الشمس كافياً لتغطية الشمس كلها فيحجبها كلياً عن جزء صغير من الكرة الأرضية ولا يحدث أبداً أن يحجب القمر الشمس عن كل الأرض.

- والكسوف الجزئي يحدث عندما يحجب القمر جزءاً لا غير من الشمس يتفاوت مقداره حسب موقع الراصد وساعة الرصد وذلك كيفما كان تفاوت قطري القمر والشمس (الشكل 2).



الشكل 2 الكسوف الجزئي

- والكسوف الحلقي يحدث عندما يكون مركز القمر قريباً جداً من مركز الشمس ويكون قرص القمر أقل من قرص الشمس فلا يكفي ليغطيها كلية وتبقى حلقة من الشمس مضيئة من الشمس حول القمر (الشكل 3).

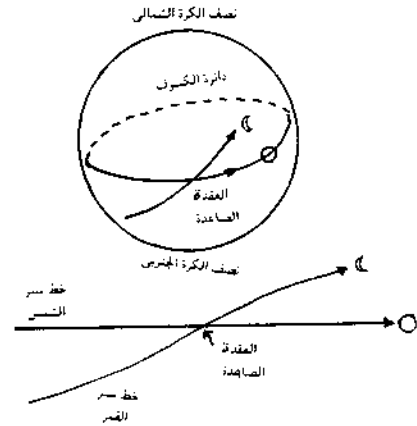


الشكل 3 الكسوف الحلقي

فقد علم الفلكيون من قديم الزمن أن الأرض تدور حول الشمس في مدة تقرب من ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم. أما بالنسبة للراصد الموجود على ظهر الأرض فإنه يخيل إليه أن الشمس هي التي تتحرك بين النجوم فتقطع دائرة كاملة في سنة واحدة وقد سمي الفلكيون هذه الدائرة بخط الكسوف لأن الكسوف والخسوف لا يقعان إلا إذا كان القمر والشمس قريبين منها. وقد قسم الفلكيون هذه الدائرة إلى اثني عشر قوساً سموها بروجاً وأعطوا اسماً معيناً لكل واحد منها.

وعند التدقيق في حركة الشمس هذه أدرك الفلكيون أن الشمس في حركتها داخل البروج تسرع مرة وتبطئ مرة أخرى كما أن قطرها يظهر كثيراً نسبياً عندما تكون الشمس قريبة من الأرض وأوائل شهر يناير ويظهر صغيراً نسبياً عندما تكون الشمس بعيدة من الأرض وأوائل شهر يونيو.

أما بالنسبة للقمر فإنه يقطع كذلك خطاً معيناً كل شهر وهذا الخط يقرب كثيراً من شكل دائرة تنحرف عن دائرة البروج وتلتقي معها في نقطتين أطلق عليهما اسم العقدين فالعقدة الهابطة هي ملتقى خط سير القمر عندما يتقاطع مع دائرة البروج منتقلاً من نصف الكرة السماوية الشمالي إلى نصفها الجنوبي والعقدة الهابطة هي ملتقى خط سير القمر مع دائرة البروج بعد ستة أشهر قمرية منتقلاً من نصف الكرة الجنوبي إلى نصفها الشمالي (الشكل 1).



الشكل 1 سير الشمس والقمر داخل الكرة السماوية

وسرعة تحرك القمر في فلكه غير ثابتة كما أن قطره المنظور من الأرض يتغير تبعاً لقربه أو بعده عن الأرض. ويعلم الخاص والعام أن القمر يكون قريباً من الشمس في أول الشهر الهجري حيث يظهر في شكل هلال ثم ينمو ويتعد عن الشمس شيئاً فشيئاً كل يوم إلى أن يبلغ الغاية في حجمه وابتعاده عن الشمس فيكون بداراً ليلة الرابع عشر من الشهر ثم يتناقص ويقرب من الشمس إلى أن يختفي تحت شعاعها ابتداءً من اليوم الثامن والعشرين ولا

الأرضية المقابلة للبدر ولهذا السبب فإن ظاهرة الخسوف يراها جمهور كبير من الناس من مكان واحد وفي أزمنة متقاربة أما الكسوف الكلي فلا يتكرر في مكان واحد إلا بعدما يقرب من 370 سنة.

أما دورة الكسوف والخسوف فهي تساوي 223 شهر قمري فإذا شوهد كسوف أو خسوف في مكان ما فإن كسوفاً أو خسوفاً آخر يرى من نفس المكان أو من مكان آخر بعد 223 شهر.

وتحتوي هذه المدة من 223 شهر على ما يقرب من 40 كسوفاً و40 خسوفاً وفي الجدول المرفق توجد توقعات حدوث الكسوف والخسوف في العقود المقبلة.

وأشهر كسوف في التاريخ الإسلامي هو الذي شوهد بالمدينة المنورة والذي صادف وفاة سيدنا إبراهيم آخر أبناء النبي صلي الله عليه وسلم فخطب عليه الصلاة والسلام على الصحابة وذكر لهم أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تنخسفان لموت أحد.

وتوجد مواقع كثيرة على الأنترنت لمن أراد زيادة الاطلاع على هذه الظواهر نخص منها بالذكر [bd1.fr](http://bd1.fr) و [sunearth.gsfc.nasa.gov/eclipse](http://sunearth.gsfc.nasa.gov/eclipse).

علي العموري

**الخشب،** هو المادة العضوية التي تعطي الصلابة لجذوع وأغصان الأشجار، وهي تتكون من السليلوز (40٪) وشبه السليلوز (20.30٪) الملتصقين فيما بينهما بالخشبين (Lignine) (20.32٪) التي تعتبر بمثابة الإسمنت الذي يضمن للخشب صلابته.

يعتبر الخشب من أقدم المواد المستعملة من طرف الإنسان منذ وجود هذا الأخير على وجه الأرض. وذلك لتلبية حاجياته من الحطب وأعمدة وركائز السكن، وأدوات الصيد والحروب كالفوس، والسهم والقذافة... استعمل الخشب فيما قبل التاريخ كمصدر للفحم الحطبي الذي كان آنذاك ضروريا لتذويب الحديد والمعادن الأخرى.

اكتشف الفراعنة ثم اليونانيون التحويل الكيميائي للخشب بطريقة التحليل الحراري، وذلك لإنتاج سوائل هامة مثل الحامض الخلي والأسيتوت...

عرفت استعمالات الخشب تطوراً تدريجياً منذ العهد الحجري، إذ زادت استعمالاته في القرون الوسطى. أما الآن فإن الخشب أصبح من المواد التي لا يمكن الاستغناء عنها في السكن والمعامل والادارات وجميع المؤسسات : ألواح وأبواب، ونوافذ، وأعمدة، وركائز، وطاقة، وأثاث وورق... بالإضافة إلى هذه المواد إنه من الممكن استخراج مواد أخرى عديدة مثل الإيثانول (Ethanol) والسكر والميثين، والكحول وفيتامين ج، والبروتينيات...

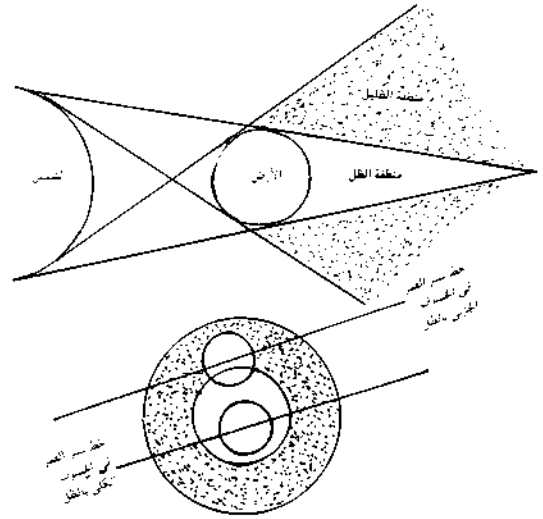
عرف استعمال الخشب تطوراً كبيراً في القرون الأربعة

- والكسوف المزدوج وهو أندر الأنواع هو ما يبتدىئ كلياً ثم ينقلب جزئياً أو العكس وكيفما كان نوع الكسوف فإنه لا يرى في شكل واحد وفي لحظة واحدة من جميع الكرة الأرضية فهناك من يراه كلياً وهناك من يراه جزئياً وهناك من لا يرى شيئاً.

أما الخسوف فهو يحدث عندما توجد الأرض بين الشمس والقمر فتحجب عنه أو عن بعضه كلاً أو جزءاً من نور الشمس ولا يحدث الخسوف إلا ليلة الرابع عشر أو الخامس عشر من الشهر.

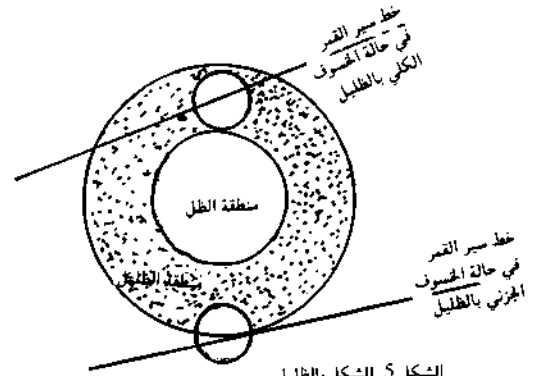
ويصنف الفلكيون الخسوف إلى عدة أنواع :

- فالخسوف بالظل يحدث عندما يغطي ظل الأرض وجه القمر ويكون هذا الكسوف كلياً أو جزئياً حسب درجة تغطية القمر (الشكل 4).



الشكل 4 الخسوف بالظل

- والخسوف بالظليل يحدث عندما يمر القمر في منطقة لا ينحجب عليها ظل الأرض كلياً والتي تسمى منطقة الظليل ويكون هذا الخسوف كذلك جزئياً أو كلياً (الشكل 5).



الشكل 5 الخسوف بالظليل

وخلافاً للخسوف الذي لا يرى إلا من منطقة محدودة من الأرض فإن الكسوف يراه جميع من وجد على نصف الكرة

#### 7 - خشب الأعمدة الهاتفية والكهربائية.

أما من ناحية الإنتاج فإن المغرب لا ينتج إلا كمية قليلة ما عدا الحطب (انظر حطب) وخشب الصناعة (3,690,000 م<sup>3</sup>) الذي تعطيه أشجار الأوكالبتوس والمستعمل لإنتاج حوالي 100,000 طن من عجينة الورق. فإذا كانت حاجيات المغرب من خشب التجارة تقدر بـ3,507,000 م<sup>3</sup>. فإن الإنتاج المحلي لا يتجاوز الخمس من هذه الكمية إذ يقدر بـ3,916,600 م<sup>3</sup>. وهو لا يمكنه أن يرتفع بينما الاحتياجات في تزايد مستمر بسبب النمو العمراني للبلاد. وهذا يعني أن الإنتاج الوطني لا يغطي حالياً إلا 18٪ فقط من الحاجيات الوطنية من هذا النوع من الخشب. يستورد المغرب أكثر من أربعة أخماس حاجياته من الخشب من الدول الإفريقية الغابوية كساحل العاج، والكاميرون، وغانا وغينيا، أو الدول الآسيوية كماليزيا، أو الدول الأوروبية كفرنسا والبرتغال والسويد وفنلندا...

Eero Sjöström, *Wood chemistry : Fundamentals and applications.*, 1981. London ; J. El Krari, *Le sciage du cèdre au Maroc : Etude technico-économique*, Mémoire 3<sup>e</sup> cycle I.A.V., Hassan II, Rabat, 1989 ; I.M. Kaikai, *Le commerce des bois tropicaux au Maroc : Evolution et perspective*, Mémoire de 3<sup>e</sup> cycle de l'École Nationale Forestière d'Ingénieurs de Salé, 1995.

محمد هشمي

لم يكن المغرب في تاريخه القديم وجلّ فترات التاريخ الوسيط مستورداً للأخشاب رغم استهلاكه الكبير لها، بل كان منتجاً ومصدراً لها إلى نهاية العهد المريني الأول، ولم تهتم المصادر بالموضوع إلا عندما يتعلق الأمر بمشكل مرتبط بالأخشاب ومعظم الإشارات تأتي عرضاً.

من أكثر أنواع الأخشاب ذكراً في المصادر خشب الأرز فقد استعمل بكثرة في أغراض صناعية متعددة : صناعة السفن والقوارب وصناعة الأثاث والأواني المنزلية ؛ وأكثر استعمالته كانت في البناء، فمنه كانت سقوف القصور والمساجد ودور الأعيان، ومنه كانت مصارع الأبواب والنوافذ، وقد كان الإقبال عليه في الحواضر الكبرى وحتى من بعض الأغنياء في البوادي، وترجع أهميته إلى عدة خصائص ومميزات منها المنظر الجميل : فلونه البني المفتوح ورائحته الطيبة تدوم ولا تتأثر بعامل الزمن، إضافة إلى شدة مقاومته للتسوس وسهولة تشكيله ؛ ذكر ابن أبي زرع في كتابه *روض القرطاس ما يلي* : "وهو (خشب الأرز) أطيب خشب الأرض، يعمر العود منه في سقف البيت ألف سنة ولا يسوس ولا يعتريه شيء ما لم يمسه الماء" (*القرطاس*، 43، معيار الاختيار، 143، التشوف، 133).

أهم مراكز استهلاك خشب الأرز مدن فاس وسبتة ومراكش وسلا، ودور صناعة السفن : سبتة والقصر الصغير والمعصرة وسلا وغيرها ؛ ويبدو أن ثمنه ارتفع بشكل كبير خلال العصر الوسيط ( وصف إفريقيا، 1 :

الأخيرة، حيث صنعت منه العربات والسفن واستعمل في البناء. وهكذا كان استعمال خشب الأرز والعرعر من الأخشاب التي استعملت في تشييد المدن المغربية العتيقة، كفاس ومكناس ومراكش وتطوان ووادة... وعلى سبيل المثال كانت مراكش في بداية تشييدها تحتاج إلى كميات كبيرة من أخشاب الأرز والعرعر، ولاسيما فيما يخص القصور والمساجد والمدارس... فإذا كان العرعر غير بعيد عن المدينة فإن الأرز كان ينشر محلياً بالأطلس المتوسط على شكل ألواح (4 م × 0.22 م × 0.04 م) ثم تنقل إلى وادي أم الربيع لينقلها مطفوفة فوق الماء من ناحية خنيفرة إلى موقع دار ولد زيدوح، ثم يتم نقلها على ظهر الجمال والبغال إلى مدينة مراكش.

لكن دور الخشب في البناء بدأ يتقلص منذ بداية الخمسينات من هذا القرن وذلك يرجع إلى ظهور مواد أخرى كالحديد والإسمنت، والخرسانة...

تطورت تكنولوجيا الخشب بعد الحرب العالمية الثانية لتظهر عدة مشتقات خشبية كالألواح المكونة من جزئيات (panneaux de particules) والألواح الليفيّة (panneaux de fibres) وورق الطباعة والورق المقوى...

تختلف أنواع الخشب حسب اختلاف الأشجار بالإضافة إلى الاختلاف في اللون والبنية والمظهر... وتشتهر الأخشاب المدارية بمظاهرها الجميلة مثل خشب الأكاچوا (Acajou) والباليساندر (Palissandre) والمزاکوي (Mazakoe) وسابيلي (Sapelli)... ففي غالب الأحيان تنشر هذه الأخشاب على شكل صفحات (Placages) وذلك للرفع من مردودية استعمالها. وكل هذه الأنواع الخشبية مستوردة بالنسبة للمغرب، ولا ينتجها، كما هو الشأن بالنسبة للأخشاب الأوربية مثل التنوب (Sapin) والمران (Hêtre) والسنديان (Chêne).

أما الأخشاب المنتجة بالمغرب فهي قليلة جداً. أهمها أرز الأطلس والعرعر البربري والجوز، والصنوبر البحري والصنوبر الحلبي إلى جانب أنواع أخرى تستعمل بصفة تقليدية لبعض الخدمات كصناعة المحراث ومقايض أدوات أخرى.

إن استعمال الخشب عديدة وهي مرتبطة بجودته :

- 1 - خشب ذو الجودة العالية المستعمل لصنع الأثاث الرفيع والأدوات المنقوشة (Bois d'ébénisterie).
- 2 - خشب التجارة المستعمل لصناعة الأبواب والنوافذ وبعض الأثاث العالي.
- 3 - خشب الصناعة الذي يستعمل مسحوقاً لصناعة العديد من أنواع الألواح، وعجينة الورق.
- 4 - خشب الخدمات المستعمل لأغراض فلاحية وفي البناء التقليدي : أعمدة، أوتاد، ركائز، سقوف...
- 5 - خشب للمعادن المستعمل داخل المناجم.
- 6 - الحطب المستعمل كوقود (انظر حطب).

250) لكثرة الطلب عليه في الداخل والخارج، ولاستنزاف خشب الأرز وتدهور غاباته بسبب الاستغلال العشوائي للغابة حتى إن القبائل التي تمتلك غابات الأرز بدأت تمنع استغلالها من قبل الغير حتى ولو كان المخزن، وقد جاء في المصادر أن السلطان المريني أبا سالم ذهب بنفسه إلى جناتة (زناتة بجبال فازاز) للوقوف على قطع الأخشاب بنفسه حسب تعبير ابن بطوطة ( الرحلة، ص 650 : استقصا، ج 3).

نتيجة للاستغلال العشوائي والمكثف تضاءلت غابات الأرز وتراجعت عما كانت عليه في جبال غمارة وفازاز منذ نهاية العهد الموحد وما هو موجود منها اليوم لا يشكل إلا بقايا. تدخلت القوانين الجديدة التي جاء بها الاستعمار الفرنسي والإسباني للمغرب لحمايتها.

يأتي خشب الصنوبر في الدرجة الثانية بعد الأرز من حيث الخصائص والمميزات الطبيعية، وقد كان استعماله واستغلاله مكثفاً في مختلف الصناعات، لكن غاباته كانت أكثر انتشاراً من غابات الأرز. فغابة الأرز لا تنمو وتزدهر إلا في المناطق الباردة التي تتلقى التساقطات الثلجية باستمرار، أما غابات الصنوبر فتوجد في الأماكن الرطبة بصفة عامة، فرغم التدهور الذي أصاب غابات الأرز بسبب تعسف الإنسان، فإنها ظلت تتجدد ولم يؤثر عليها إلا التغيرات المناخية والاعتداءات المتكررة للإنسان مثل اقتلاع الأشجار واحراق المساحات الغابوية قصد الحصول على الأراضي الزراعية أو المراعي المكشوفة أو لأسباب أمنية.

من الأخشاب التي استعملت بكثرة وتأتي في تقديري في الدرجة الثالثة بحسب تردد ذكرها في المصادر خشب البقس فهو يتميز عن النوعين السابقين بصلابته الشديدة، ويقله انتشاره. فشجرة البقس لا تكون غابات مستقلة بل توجد مختلطة مع أشجار أخرى في الغابات السهلية والهضاب الرطبة، ونظراً لخصائص خشب البقس (الصلابة، المنظر الجميل، اللون البني الغامق، مقاومة التسوس والرطوبة والحرارة) فقد صنعت منها الأشياء الدقيقة كالأمشاط والدبابيس والاقفال والملاعق والشوكات، وصنعت منه المهارس ومقابض الأدوات الحديدية، وقد استعملت أخشابها بحسب توفرها حتى في صناعة الأثاث المنزلية وبعض منابر المساجد والمحارث والأدوات الفلاحية (معلمة المغرب، ج 4).

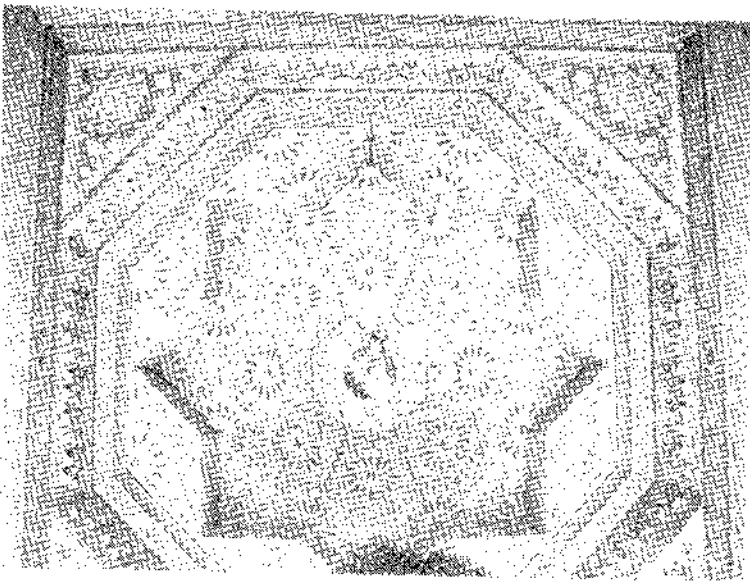
تحدث البكري في كتابه المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب عن شجرة سماها تامجائث وقال إن خشبها يصنع منه كل منحوت وتصدر أوانيه الخشبية إلى خارج المنطقة وإلى إفريقيا والسودان ( المغرب، 156، معلمة المغرب، 7)؛ أما شجرة البلوط التي تأتي في المرتبة الثالثة من حيث الانتشار بعد الأرز والصنوبر فإن خشبها لا يصلح إلا لأغراض صناعية محدودة مثل الاقفال والزوايا والدعامات،

والمحارث، فهي شجرة غير مستقيمة الساق والأغصان وبالتالي فهي لا تعطي ألواحاً ولا أعمدة طويلة ومستقيمة صالحة لصناعة المراكب أو للنجارة المنزلية والأثاث، ومع ذلك فقد اضطر المغرب في عهد بني مرين إلى الاعتماد في صناعة المراكب والسفن على خشب البلوط فكانت دار الصناعة بالمعمورة وسلا تعتمد على خشب غابات البلوط حتى إنه يتم إتلاف العديد من الأشجار للحصول على ألواح معدودة ( الاستقصا، ج 3، ص 22).

وما قلناه عن البلوط ينطبق على شجر أرگان فهو لا يعطي ألواحاً بالوصفات التي تتطلبها التجارة أو دور الصناعة. ولكن اعتمد عليه في أخذ الدعائم لاستخراج المعادن من المناجم الباطنية واستعمل كمصدر للطاقة في صناعة السكر في العهد السعودي. فسدت هذه الصناعة ضربة قاضية لغاباته وما يوجد منها اليوم في المغرب ما هو إلا بقايا متخلفة عن العهد السعودي. وتشير بعض الدراسات الميدانية وتؤكد ما جاء من إشارات في بعض المصادر من أن شجرة أرگان وغاباته كانت تمتد حتى شمال وادي تانسيفت ( أحسن التقاسيم، 230، المغرب، ص 87 و90 و114 و147 وما بعدها، تزهة المشتاق، 3 : 229 و236 و239).

وقد فسر الدارسون ظاهرة تراجع الغابات في حوض البحر المتوسط - وخاصة غابات الأرز والصنوبر والبلوط - إلى عوامل بشرية أكثر منها طبيعية فاستهلاك الأخشاب كان كبيراً إضافة إلى استهلاك الحطب في الصناعات والخدمات (أفران، حمامات وغيرها *L'Islam dans sa première grandeur* ص. 191 و192 و193 و194).

لم يكن المغرب كما أسلفت مستورداً للأخشاب بل كان مصدراً لها إلى نهاية العصر الوسيط (المقصد الشريف، 74)، وفي العهد السعودي طالعتنا المصادر البرتغالية وغيرها بإشارات تفيد أن المراكب البرتغالية كانت تأتي بالأخشاب وبييعها التجار في المدن الداخلية مثل تارودانت وغيرها، لكن ذلك لا يعني البتة نفاذ الأخشاب من البلاد بقدر ما يعني انعدام الأمن والاستقرار الذي حال دون قطع الأخشاب ونقلها، إضافة إلى تكاليف نقلها برأ فالمواد المنقولة بحراً أرخص. والعوامل البشرية كانت أعظم وأكبر تأثيراً على إنتاج الخشب وتسويقه من العوامل الطبيعية. ولعل نص الجزائتي وهو يتحدث عن إرسال خشب الأرز والصنوبر في مياه نهر سبو بطريقة متقنة ليصل إلى المصب حيث دار الصناعة في مرسى المعمورة خير دليل على أن الأمن والاستقرار يساعدان على الرواج والتجارة استيراداً وتصديراً. وقد كان العهد الموحد الأول الفترة التي بلغ فيها استغلال الأخشاب في صناعة المراكب الذروة، ورغم بعد الجزائتي عن الفترة فقد أعجب بما قرأه عن طريقة نقل الأخشاب بواسطة مياه نهر سبو (جني زهرة الآس، ص 38).



ابن أبي زرع، القرباس، الرباط، 1972 : ح. الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1980 : ل. ابن الخطيب، معيار الاختيار، المحمدية، 1976 : ي. ابن الزيات، التشرف، الرباط، 1958 و 1984 : ابن بطوطة، الرحلة، بيروت، د. ت. : البكري، المغرب، الجزائر، 1911. وباريس 1965 : معلمة المغرب، ج. 4 و 7 : أ. الناصري، الاستقصا، ج 3 الدار البيضاء، 1954 : ع. الجزائري، جني زهر الآس، الرباط، 1967 : البادسي، المقصد الشريف، الرباط، 1982 : الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، الطبعة الإيطالية نابولي، د. ت.

Martin et autres, *Géographie du Maroc*, Paris, 1967 ; Michaux Bellaire, *Les Doukhata in villes et tribus du Maroc*, Vol. X ; M. Lombard, *L'Islam dans sa première grandeur*, 1980.

محمد حجاج الطويل

وباعتبار صناعة الخشب فإن المنتجات المستخرجة مهمة ومتعددة، وهي في تطور مستمر نتيجة الأبحاث وحيوية الصناعات التي تحول الخشب.

تشمل صناعة الخشب بالمغرب قطاعين، أحدهما تقليدي والآخر عصري.

- القطاع التقليدي : يشمل هذا القطاع صناعة نشر الأخشاب المنتجة وطنياً، وبعض التحويلات كصناعة الفحم، وصناعة الصناديق، وفن التطعيم (Marquetterie) الذي يستعمل خشب العرعر البربري.

يتم تفحيم الخشب في الأماكن التي تقطع فيها الأشجار. ويستعمل فيه الحطب الناتج عن عدة أنواع من الأشجار كالأوكاليتوس والأرغان والبلوط الأخضر. وترتكز التقنية المستعملة على الكومة التقليدية التي لا تتعدى مردوديتها 20% من الفحم، ولا تمكن من استخراج بعض السوائل الهامة كحامض الخليك (Acide acétique) والقطران. وينتج المغرب 75 000 طن من الفحم.

وفي نفس الإطار، أثبتت التجارب أن استعمال الأفران الحديدية للتفحيم ستمكن من رفع المردودية بـ 25%.

أما صناعة نشر الأخشاب المنتجة بالمغرب كالأرز فإنها تشمل 49 منشأة توجد في أماكن إنتاج هذا النوع من الخشب ويخص الأمر منطقتي الريف الأوسط والأطلس المتوسط. تستعمل هذه المنشآت في أغلبها آلات نشر قديمة مما يجعل مردودية النشر لا تتعدى 50%.

الاستثمار في تجديد الآلات غير ممكن في الحالة الراهنة، لأن إنتاج خشب الأرز الذي يصل إلى 100 000 م<sup>3</sup> في السنة لا يمكن من استيفاء رأس المال المستثمر.

تصنف قطع الخشب المنشورة حسب جودتها أربعة أصناف. يستعمل الصنف الأول ذو الجودة العالية في صناعة الإبنوس لصنع الأثاث الرفيع والأخشاب المنقوشة التي تستعمل في أثاث المساجد والبيوت كما هو الشأن في المدن العتيقة مثل فاس ومكناس والرباط... كما توجد عدة وحدات تقليدية تقوم بنشر أخشاب الصنوبر البحري أو

الحلبي وذلك لصناعة الصناديق المستعملة في تسويق الحضر والفواكه، وأشياء أخرى وتستهلك في هذه الصناعة أكثر من 25 000 م<sup>3</sup> في وحدات نشر توجد إما في أماكن إنتاج الخشب مثل الفينطرة وسلا وسيدي يحيى أو في أماكن الاستعمار مثل الدار البيضاء والمناطق المنتجة للخضراوات والفواكه.

تتفرد مدينة الصويرة باستعمال خشب جذوع وجذور العرعر البربري من طرف صناع تقليديين لصنع منتجات مختلفة منها المنحوتة ومنها المطعمة بأخشاب أخرى، ومنها المنقوشة... ويتعلق الأمر بأدوات وأثاث منزلية وأواني وصناديق صغيرة تستعمل للزينة. يتم بيع هذه المنتجات في أكثر من 150 متجر أو تسوق في المدن السياحية الأخرى كأكادير ومراكش والرباط... نظراً لندوة فرص الشغل في مدينة الصويرة صار السكان يتعاطون أكثر فأكثر إلى تحويل خشب العرعر. مما أدى إلى ارتفاع عدد الصناع من 1853 سنة 1992 إلى 6300 سنة 1998. الشيء الذي أدى إلى ارتفاع الطلب للمادة الأولية التي تبلغ كميتها حالياً 11700 لوحة و500 جذرة شهرياً. إضافة إلى هذا ظهرت شبكات منظمة لتهرب الخشب المقطوع بدون رخص إلى الصويرة مصدره جهات بعيدة كأولوز، وتارودانت، وإميين تآتوت والخميسات... وقد استبدل بعض الحرفيين خشب العرعر البربري بأخشاب أخرى كالأرز والجوز.

أما صناعة خشب الجوز فإنها ازدهرت في مراكش وأمزميز وتارودانت وورزازات وذلك لصناعة الأثاث المنزلية الرفيعة. كان هذا الخشب في الماضي ينشر على شكل صفائح في عدة معامل موجودة في مراكش ويصدر إلى فرنسا ودول أخرى أوروبية. أما حالياً فلم يبق من هذه المعامل إلا معمل واحد في مراكش لإنتاج الأثاث المسوق محلياً، والصيغ الأولى لأخصصة بناديق الصيد الرفيعة التي تصدر إلى الخارج.

وتجدر الإشارة إلى أن قطع أشجار الجوز تخضع لقانون خاص يخول لإدارة المياه والغابات السهر على تطبيقه. ونظراً إلى طول المسطرة التي يجب اتباعها من أجل الحصول على رخصة قطع أشجار الجوز يلجأ الملاكون إلى قطع أشجارهم خلسة مما يصعب التعرف على الكمية المنتجة من هذا الخشب في المغرب.

من جهة أخرى توجد في الموانئ المغربية أوراش لصناعة سفن وقوارب الصيد الساحلي والتقليدي. في هذا الإطار تستهلك سنوياً 15 000 م<sup>3</sup> من خشب الأوكاليتوس و 25 000 م<sup>3</sup> من خشب الأكايجو و 500 م<sup>3</sup> من خشب الصنوبر.

- القطاع العصري :

يشمل هذا القطاع كل الصناعات التي تستعمل الخشب كمادة أولية أو التي تقوم بتقويته.

صناعة عجين الورق والورق :

من أهم هذه الصناعات نذكر الوحدة الصناعية الموجودة بسيدي يحيى الغرب التي تقوم بتحويل خشب الأوكاليتوس إلى عجين الورق. تقدر المادة الأولية بـ 350.000 طن من الخشب المقشر والكمية المنتجة بـ 100.000 طن عجين الورق، يصدر منها 80٪ والباقي يستهلك لصناعة الورق بالمغرب في معامل موجودة بالقنيطرة، وتطوان، وطنجة، والدار البيضاء... تستعمل هذه الوحدات كذلك عجين الورق الناتج عن الصنوبر المتميز بأليافه الطويلة التي تعطي للورق صلابته. ويستورد هذا النوع من العجين ذي الألياف الطويلة من الدول الإسكندنافية، ليخلط مع عجين الورق المنتج محلياً من خشب الأوكاليتوس. لكن التقنيات الحديثة أصبحت تكتفي بعجين الأوكاليتوس لصناعة ورق ذي جودة رفيعة يستعمل في الطباعة. والأنواع الأخرى من الورق والورق المقوى تصنع من الورق المستعمل الذي يجمع في المغرب أو يستورد من الخارج لإعادة استعماله.

صناعة المأطورات :

في مجال صناعة المأطورات توجد شركتان وهما CEMA و BOIS DE L'ATLAS اللتان تنتميان إلى نفس المجموعة المالية، وتقومان بصناعة المأطورات المعاكسة ومأطورات الجسيمات. تصنع مأطورات الخشب المعاكسة من صفائح الخشب الذي ينتمي إلى عدة أنواع كالأوكومي (Okoumé) وهو الخشب الأكثر استعمالاً، والأزيغو (Ozigo)، والهور Peuplier. وكل هذه الأخشاب مستوردة من الدول الاستوائية كالكابون أو من أوروبا بالنسبة للهور. وقد عانت هذه الصناعة من منافسة بعض الدول الآسيوية إثر انخفاض قيمة عملتها بحيث أصبح ثمن مأطورات الخشب المعاكس المستوردة أقل بكثير من المأطورات المنتجة محلياً.

تستعمل مأطورات الجسيمات بقايا صناعة مأطورات الخشب المعاكس وخشب الأوكاليتوس والصنوبر.

صناعة صناديق تسويق الحضر والفواكه.

ترتبط صناعة صناديق تسويق الحضر والفواكه بالكمية المنتجة من هذه المواد الفلاحية. وهكذا يتم صنع ما بين 45 مليون و 55 مليون علبة من فيئة 2 إلى 15 كلغ، وما بين 700 و 800 ألف طبق تحميل تصنع العلب من خشب الحور المستورد من فرنسا بكمية 45.000 طن، ومأطورات الخشب المعاكس بكمية 70.000 طن المستورد من إسبانيا، ومأطورات الألياف بكمية 25.000 طن المستوردة من روسيا، وأخشاب الصنوبر بكمية 45.000 طن المستوردة من البرازيل.

صناعة وقاية الخشب : تتم وقاية الخشب بإدخال سوائل وقائية في الخشب من أجل تحسين ديمومته واكتسابه أطول مدة للاستعمال. يتعلق الأمر بتلك الأخشاب التي تغرس في التراب أو تلك التي تتعرض للماء والهواء كالأعمدة الكهربائية والهاتفية وعارضات السلك الحديدية. ولهذا الغرض توجد بالدار البيضاء وحدة صناعية تعالج سنوياً 40.000 عمود هاتفي و 25.000 عمود كهربائي. صناعة الأثاث.

يوجد بالمدن المغربية عدة وحدات لصنع الأثاث والنجارة الداخلية والخارجية، تستعمل الخشب المستورد أو الإنتاج محلياً كالأرز وكذلك المأطورات. يستورد سنوياً لهذا الغرض أكثر من 200.000 م<sup>3</sup> من عدة مصادر كالدول الإفريقية مثل ساحل العاج والكابون والكونغو، والدول الأوروبية كفرنسا وإسبانيا وروسيا والسويد ويوغوسلافيا وإيطاليا، وكذلك الدول الأميركية كالبرازيل والشيلي. أبحاث شخصية.

ORT, La filière bois au Maroc, Etude de la production et la commercialisation du bois et des produits dérivés, Projet Gharb-Mamora. 1992, 80 p. + annexes.

عبد الصادق ساسير

**الخشبين**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني زجل الغمارية، انتقلت إلى تطوان في حدود سنة 1601 / 1010 وقد أنجبت عدة فقهاء. تذكر الوثائق منهم :

**الخشبين**، عيسى بن يوسف فقيه كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1610 / 1019. وقد تولى القضاء بالمدينة سنة 1622 / 1032. م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483



إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 644.

محمد ابن عزوز حكيم

خمسة وثلاثين وثلاثمائة وألف / 28 نوفمبر 1916.

ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 7 و 8 و 9.

محمد حجي

**الخصاصي، قاسم بن قاسم الفاسي.** انتقل والده أبو الفضل قاسم في عهد دولة الشرفاء السعديين من خصاصة أو غساسة بالريف الشرقي إلى مدينة فاس وبها أدركته الوفاة تاركاً ولده الذي سمي باسمه في بطن أمه، وكانت ولادة المترجم بفاس في حدود سنة 1002 / 1593 وبها تربى وتعلم، ثم تعاطى لصناعة الحرير في حانوت بسوق مولاي إدريس لم يفارقه إطلاقاً طيلة حياته (المقصد، 266-267). وإلى جانب الاشتغال بالتجارة والمال، كان لأهله صلة قديمة بالتصوف. وهكذا يذكر لبعض أسلافه "سهم في الولاية"، وأن هناك في "خصاصة" ولما مشهوراً عليه قبة، من أسلافه، يدعى سيدي مسعود الخصاصي. كما يوصف والده الحاج أبو الفضل قاسم بأوصاف الخير والحسب. أما أمه فقد كان لها استناد إلى الشيخ الحسن الجزولي، أحد أصحاب الشيخ عبد الله الغزواني، كبير الطائفة الجزولية في أوائل القرن العاشر (16 م) (المقصد، 267؛ الروض العطر، 185، 190، 191، 201).

ومن ثم اقتدى قاسم الخصاصي بأهله، وسلك مثلهم طريق التصوف، بل بلغ في الولاية مكاناً رفيعاً، حتى حصل على مقام الجذب، وصار من الأولياء السالكين المجاذيب الكبار في فاس في زمانه. وفي هذا الصدد يأبى كتاب سير شيوخ الطريقة الفاسية - المجذوبية، المنسوبة إلى الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي، وشيخه عبد الرحمن المجذوب، إلا أن يربطوا "ولادته الروحانية"، وارتقاءه في مدارج السالكين برعاية شيوخ هذه الطريقة له، سواء منهم الذين ماتوا قبله أو الذين عاصروهم. وهكذا يذكر أن "توبته"، حصلت له بزواجة الشيخ أبي المحاسن، وأن هذا الأخير هو الذي أرشده إلى الشيخ المجذوب محمد بن مبارك عبايو، نزيل المدرسة المصباحية بفاس، حيث لازمه سنين عديدة، وانفرد بخدمته إلى أن فتح له على يديه. وبعد وفاة هذا الشيخ، انتقل قاسم الخصاصي إلى صحبة الشيخ العارف عبد الرحمن الفاسي، كبير الطائفة الفاسية، خلفاً لأخيه أبي المحاسن. ولما توفي "العارف" سنة 1036 / 1626 مال قاسم الخصاصي إلى صحبة وارثه وخليفته على رأس الطائفة الفاسية الشيخ محمد بن عبد الله معن، في زاويته التي أسسها بالمخفية.

بلغ قاسم الخصاصي في صدق محبته للخليفتين أو الوارثين - كما ينعتان في سير صلحاء الطائفة الفاسية المجذوبية -، شأواً بعيداً، جعله يحظى لديهما بالعناية والاهتمام، ويرقى بفضلهما إلى المقامات العليا في الطريق، حتى لقد اعترفا له معاً بتميزه عن غيره من

**الخصاصي، أسرتان :** فاسية وتازية، أصلهما من مدينة خصاصة أو غساسة - حسب اختلاف النطق المحلي - المنذرة في جبل قلعية بالريف الشرقي على ضفاف البحر المتوسط. وبفاس أسرة غساسية لا تعرف لها انصلاً بالخصاصيين، وإن كانوا جميعاً - على ما يبدو - من موطن واحد. وتتميز الخصاصيون الفاسيون بحذق الرياضيات والفلك والفرائض، وتسلسل فيهم ذلك أجيالاً عديدة كما سنرى. وجددهم المشهور هو الصالح قاسم الخصاصي آتي الترجمة. ويذكر النسابة عبد السلام ابن سودة أن أصلهم من الأندلس.

**الخصاصي، عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن الفاسي،** عالم رياضي فلكي موقت مشارك، كسائر أقرابه، اشتغل بالنيابة عن قاضي فاس في تقدير الفرض منذ توفي والده سنة 1261، إلى أن أدركته الوفاة يوم سادس شعبان عام تسعة وثمانين ومائتين وألف / 9 أكتوبر 1872 ودفن في روضتهم بحي القباب.

**الخصاصي، عبد السلام بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن ابن الولي الصالح قاسم الخصاصي الفاسي.** كان عالماً حيسوبياً مشاركاً عارفاً بعلم الأسماء والأوقاف. وهو أول من تولى خطة النيابة عن قاضي فاس في تقدير الفرض، أوائل دولة السلطان المولى عبد الرحمان ابن هشام إلى أن توفي يوم الجمعة ثامن محرم عام واحد وستين ومائتين وألف / 17 يناير 1845.

**الخصاصي، عبد السلام بن محمد بن أحمد التازي.** ولد ونشأ بتازا، وبها أخذ عن والده الفقه وغيره من العلوم الشرعية، ثم أتم دراسته بفاس ورجع إلى مسقط رأسه حيث خلف والده في مجالس التدريس والوعظ بالجامع الكبير بتازا إلى أن أدركته الوفاة في ثاني عشر صفر عام ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف / 23 فبراير 1911.

**الخصاصي، عبد الكبير بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي.** فرضي فاس في حياة والده. كان متضلعا في الحساب والفرائض كسائر بني عمه. وتصدى للقيام بخطة تقدير الفرض نيابة عن والده الذي كبر وعجز عن القيام بهذه المهمة وأدركته الوفاة قبل والده في ثاني صفر عام

أصحابهما، في طريقه وعرفانه وتحققه، كما اعترفا له بتفوقه في مضمار الطريقة الفاسية، وبلوغه مقام العارفين الكامل فيها، ولا سيما من حيث "خموله"، وأحواله المائلة إلى الجذب والغيبة بشكل عام (الروض العطر، 193، 194، 197، 200).

وبعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الله مَعْن سنة 1062 / 1652 بقي قاسم الخصاصي يتردد على زاويته مع من بقي بها، غير متميز عنهم بشيء نحو العامين، حتى إذا لاحت عليه مخايل الخصوصية والخلافة تصدر للتربية والتلقين (الروض العطر، 200؛ المقصد، 271-272). وقد تبعه جماعة من فضلاء أصحاب شيخه وغيرهم ممن أراد أن يسلك بهم في التصوف طريقه، وانحاشوا إليه، بينما انفض عنه أكثر الناس، تجسيدا لإشارة ابن معن، عندما ميز في أتباعه بين أهل "الظواهر الخالية من الأحوال الريانية"، أو أهل الهيئات، من جهة، وبين أهل "البواطن والجذب والأحوال..."، من جهة أخرى. وبينما وجد منه "ذوو الأحوال" فتحا على يده ومزيد مدد، اعترض "الأخرون" بقيادة "صاحب لهم"، وأنكروا عليه "أشياء بلغتهم عنه"، بعضها اعتبره أصحابه "أكاذيب ملفقة" ترتبط ولا شك، برفض خصومه الاعتراف له بالخلافة، وبعضها اعتراض وإنكار على "حاله" (المقصد، 42-43؛ نشر الثاني، 3: 82).

وهذا يعني أن تيار طائفة أبي المحاسن يوسف الفاسي، عرفت بعد وفاة محمد بن عبد الله مَعْن، اتجاهين، تثبت الأول بالفاسية المجذوبة، بينما حاول الاتجاه الثاني الميل بالطريقة نحو السلوك بالظاهر. وبينما تزعم الشيخ قاسم الخصاصي الاتجاه المجذوبي التقليدي ظهر الشيخ عبد القادر الفاسي (ت. 1090-1679) الذي حرم من الخلافة بتولي قاسم الخصاصي للمشيخة على رأس أهل الظواهر. واشتد تضيقهم على خصومهم، معتبرين إياهم من الغلاة في الطائفة. وكان التضيق من الشدة، إلى حد اضطر قاسم الخصاصي إلى الانسحاب من الزاوية وإغلاقها، واختلى بنفسه في حانوته بقيصرية مولاي إدريس في فترة وافقت زمن المسغبة الشهيرة خلال العقد السابع من القرن الحادي عشر (17). لكنه سرعان ما نزل عند رغبة أصحابه، وأعاد فتح زاوية آل معن بالمخفية، واجتمع المريدون حوله، واستأنفوا عمارة الزاوية، وقراءة الأحزاب، وإقامة الحضرة، إلى أن مات في 19 رمضان 1083 / 9 دجنبر 1672، وعمره واحد وثمانون عاما.

ع. السلام القادري، المقصد الأحمد، ط. حجر بفاس، 1351؛ م. الكتاني، سلوة الأنفاس، ط. حجر بفاس، 1318؛ م. القادري، نشر الثاني، تج. م. حجي وآ. التوفيق، الدار البيضاء، أربعة أجزاء، 1397 / 1977، 1407 / 1986؛ م. ابن عيشون الشراط، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تج. ز. النظام، الدار البيضاء، 1995.

أحمد الوارث

**الخصاصي، محمد بن أحمد التازي.** من المتخرجين بفاس على كبار الشيوخ أمثال محمد بن محمد بناني فرعون، وعبد الله الوليد العراقي ومحمد بدر الدين الحمومي.

أصبح محمد الخصاصي إليه المرجع في التدريس والفتوى بتازا والمناطق المجاورة لها، وانتفع به خلق كثير. وله رحلة إلى الحج.

توفي بمسقط رأسه تازا في فاتح رجب عام واحد وثلاثمائة وألف / 27 أبريل 1884.

محمد حجي

**الخصاصي، محمد (الحاج -) الفاسي،** وكُد عام 1318 / 1900. وظهرت ميوله الموسيقية منذ طفولته، فكان يلازم حلقات السماع والمديح بالزاوية الحراقية، وفيها لحن إنشاد البردة والهمزية وغيرهما من قصائد المديح على شيوخ الطريقة الفاسية يوميئذ، كالحسن بن العربي، والفاطمي فنجيرو، والصدوق العلوي، والطاهر الكوهن، ومحمد بن إبراهيم، وعلال بن الفقيه، وعلي التصوري، وأحمد زويتن.

وقد أجاد الخصاصي حفظ مستعملات الزاوية، وأتقن إنشاد البيتينات والمواويل، ثم تحول إلى محافل طرب الآلة، فأخذ ميازينها عن الحاج إدريس بن الفاتحي برادة، وعمر المعيدي، وعبد القادر كريش، ومحمد البرهبي، وبذلك تهيأ له الإلمام بالفنين الغنائيين معا.

تميز الاخصاصي من بين المنشدين الفاسيين بجهارة الصوت وفخامة النبرة وقوة العارضة. وظل مثال المنشد المتسك بأصول الإنشاد المغربي سواء في البيتينات أو المواويل. إلا أنه انقطع عن الممارسة في أواخر حياته، وتوفي بفاس في عام 1410 / 1989.

ع. اللطيف بنصور، كراسة جمعية هواة الموسيقى الأندلسية بالرباط.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الخصاصي، محمد بن عبد الرحمان بن عبد السلام الفاسي،** عالم رياضي مشارك له ولوع بالتاريخ وحظ حسن. تخرج على يد والده وعلى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الفيلاي الحجرتي ومحمد بن المدني گنون وغيرهم. وتولى النيابة عن قاضي فاس في تقدير الفرض منذ وفاة والده الذي كان يشغل هذا المنصب، ثم عين محمد الخصاصي كاتباً في حكومة المخزن، وبهذه الصفة رحل إلى أوربا في سفارة وجهت إلى ألمانيا. وله كنانة علمية استفاد منها عبد السلام ابن سودة في كتابه إتحاف المطالع في تراجم العلماء المتوفين من أواخر القرن الثالث عشر إلى قرب وفاته.

توفي بفاس عن نحو خمس وسبعين سنة صبيحة يوم  
الاثنين سادس وعشري ربيع الأول عام ثلاثة وأربعين  
وثلاثمائة وألف / 27 أكتوبر 1924.  
ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع؛ سل النصال / موسوعة أعلام  
المغرب، بيروت، 1996، ج 8.

**الخصاصي، محمد بن محمد بن أحمد التازي،**  
درس على والده في الجامع الكبير بتازا، وعلى غيره من  
فقهاء فاس فتخرج "فقيهاً مشاركاً مفتياً".  
توفي بتازا في شعبان من عام عشرة وثلاثمائة وألف /  
فبراير - مارس 1893.

**الخصاصي، محمد بن محمد التازي ثم الطنجي،**  
أخذ مبادئ العلوم في مسقط رأسه عن والده، ثم قرأ بفاس  
على الشيخ محمد بن المدني گنون ومن في طبقتة، وولي  
القضاء في مسقط رأسه تازا مدة طويلة فكان نزيهاً في  
قضائه، ذكره محمد الحجوي في مختصر العروة الوثقى في  
جملة الشيوخ الذين أخذ عنهم وقال إنه "كان فقيهاً  
حسبياً فرضياً موقناً واعظاً نقياً" أخذ عنه حظاً من  
الحساب والقلم الفاسي وذاكره كثيراً، وعده ابن سودة في  
جملة شيوخه الذين تترك بهم وذكر أن له تفسيراً للقرآن  
الكریم في عدة مجلدات. كما أخذ عن الخصاصي السلطان  
عبد العزيز واتخذة إماماً وجليساً لا يفارقه حضراً ولا سفراً.  
ولمّا عزل عبد العزيز عن الملك استصحب الخصاصي إلى  
طنجة وبقي معه فيها إلى أن مات هناك في سادس صفر  
عام 1354 / 10 ماي 1935 وقد أناف على الثمانين سنة.

**الخصاصي، المكي بن عبد الرحمن بن عبد السلام**  
الفاسي حيسوبي فرضي كسائر أهله، اشتغل بتقدير الفرض  
في فاس نيابة عن أخيه محمد بن عبد الرحمن حين انتقل  
للكتابة مع المخزن والذهاب إلى الخارج في بعض السفارات.  
توفي في رابع جمادى الأولى عام تسعة عشر وثلاثمائة  
وألف / 19 غشت 1901.

م. الحجوي، مختصر العروة الوثقى، سلا، 1938؛ ع. السلام ابن  
سودة، إتحاف المطالع؛ سل النصال / موسوعة أعلام المغرب،  
بيروت، 1996، ج 8.

محمد حجي

**ابن أبي الخصال، محمد بن مسعود بن الطيب**  
الغافقي. ولد سنة 465 / 1073 بقرية فرغليط من قرى  
شقرة بكرة جيان بالأندلس، ينتمي إلى أسرة علمية  
مشهورة، لكن شهرته غطت على باقي أفرادها. أسهبت

كتب التراجم الأندلسية في الحديث عن رحلاته في طلب  
العلم وشيوخه ومقرماته وتلاميذه ومؤلفاته وأخباره.  
يعتبر شيخ كتاب الأندلس، ومن أعظم كتاب الدولة  
المرابطية. انفرد بمكانة خاصة في تاريخ الأدب، ولم يؤثر  
أحد من الكتاب بعده في صنعة الكتابة الديوانية بالأندلس  
إلى نهاية العصر الإسلامي بها. وكان متقدماً أيضاً في  
علوم اللغة والقرآن والحديث والتاريخ والسير.

تولى الكتابة للأمير علي بن يوسف بن تاشفين عندما  
كان والياً على غرناطة، ونال عنده مكانة وحظوة متميزة.  
وبعدما أصبح علي أميراً للمسلمين اختص ابن أبي الخصال  
بالكتابة عن أبي يحيى بن أبي عبد الله بن الحاج، وانتقل  
مع بني الحاج إلى فاس ثم إلى سرقسطة. وحدثت له بسببهم  
وحشة مع الأمير أدت إلى خموله مدة. ثم أعاده أمير  
المسلمين علي بن يوسف للكتابة عنه من جديد، وكان أخوه  
أبو مروان عبد الملك يساعده في ديوان الكتابة، وهو أيضاً  
من أسلم له الإنشاء زمانه. وقد صدرت بقلم أبي عبد الله  
ابن أبي الخصال رسائل عديدة عن أمير المسلمين علي بن  
يوسف بحاضرتة مراكش في أغراض مختلفة تقوم شاهداً  
على أسلوبه الرائق وبلاغته. كما أن تواريخها تدل على  
طول مدة خدمته في ديوان الرسائل السلطانية.

وله أيضاً رسائل إخوانية عديدة برع فيها، تبادلها مع  
نخبة واسعة من أصدقائه ومعارفه من رجال العلم والأدب  
والسياسة كأبي بكر بن العربي، والشاعر أبي إسحاق ابن  
خفاجة، والكاتب أبي محمد بن الحاج اللورقي، وأبي محمد  
عبد المجيد بن عبدون، والكاتب أبي بكر بن القصيرة،  
والفقيه أبي الوليد بن رشد الجدي وغيرهم.

تنقل ابن أبي الخصال بين عدد من مدن المغرب  
والأندلس، في صحبة بعض أمراء المرابطين متولياً للأعمال  
الإدارية أو الديوانية لهم. ومن المدن التي خدم فيها قرطبة  
وبلنسية وسرقسطة وفاس وسبتة، فضلاً عن مراكش التي  
أقام بها طويلاً.

ويذكر أن إحدى الرسائل كانت سبباً في تغير أمير  
المسلمين علي بن يوسف عليه، وهي رسالة كتبها هو وأخوه  
أبو مروان على لسان أمير المسلمين إلى الجند المرابطي على  
إثر انهزامهم في الوقعة المعروفة باسم قلييرة (Callera)  
قرب جزيرة شقر، حينما أوقع بهم القائد النصراني ابن  
رذمير سنة 523 / 1129، وقد أفضحت الرسالة في لوم  
المنهزمين وأغلظت لهم في القول أكثر من الحاجة، حسب  
تعبير عبد الواحد المراكشي في المعجب، وكاد أهل الأندلس  
قاطبة أن يحفظوها لما وجدوا فيها من تنقيص بالمشنن.  
وقد اعتبرها أمير المسلمين دليلاً على بغض أبي مروان  
للمرابطين الذي لم يلبث أن توفي بعدها بمراكش، بينما  
استغنى أبو عبد الله من الكتابة ورجع إلى قرطبة.

لابن أبي الخصال رسائل عديدة، ديوانية وإخوانية  
ونبوية، اهتم بها الأدياء في عصره وبعده. وقد احتفظ في

وقد أطلق الجزء على الكل فأصبحت الخيمة كلها تعرف بالخص والخيام بالأخصاص ( العبر، 6 : 20 ؛ نفاضة، 3 : 90)، يحيط الخص بالخيمة من كل جوانبها وتم إزاحة أجزاء منه بحسب الحاجة إما كمدخل أو نوافذ للخيمة.

يصنع الخص في الغالب من المواد المتوفرة محلياً، ففي المناطق السهلية وعند القبائل العربية كانت الأخصاص تصنع من القش المنتقى بعناية من حقول القمح قبل حصادها، فيتم جمع سيقان القمح دون سنابل وتجمع على شكل حزمات صغيرة تربط إلى بعضها بحبال من الدوم فتتماسك، ويتم تدعيمها بأعواد الدفلى أو ما شابهها فيكون منظر الخص في النهاية كالحصير لكنه أكثر درأاً للرياح والبرد، وفي مناطق أخرى يصنع الخص من الأعشاب الطويلة الشبيهة بالقش، وفي بعض الجهات من المغرب وخاصة بعد مجيء القبائل الهلالية والمعقلية واختلاطها بالقبائل البربرية المشابهة لها في نمط العيش، أدخلت تحصينات على الخيمة والخص فأصبحت الخيام المزرقة والخيام ذات الألوان (المُطَرَّقَةُ) واستبدلت خيام الأغنياء والأعيان بالخص "الكفا" أو "الحيطي" أي بجدار بنسيج سميك ملون شبيه بالزربية أو "الحنبل" وفي بعض الأحيان يكون "الكفا" من نفس مادة الخيمة "أي من نسيج" الصوف والشعر" ثم يبطن من الداخل بنسيج ناعم أو مزرکش بـ "الموزونة".

وفي خيام عامة القوم نجد مستويات مختلفة في العناية بالخيمة من حيث المنظر والتجميل، فمنها الخيام الساذجة الخالية من أية إضافات، ومنها التي تدخل بعض التجميل على الخص فتلون به بما تجود به الطبيعة من أعشاب، ولذلك اختلف تلوين الخص باختلاف المناطق فنجد في المناطق السهلية الفلاحية مثلاً أو في الهضاب الأطلنטיكية وغيرها حيث تنتشر نباتات البسباس البري (معلمة المغرب، ج 4) و"الحميضة" يتم تزويق الأخصاص التي أساسها سيقان القمح الذهبية اللون بأعواد تلك النباتات بحيث يُصبح عندنا تتابع اللون الذهبي والأخضر والبني، وليس اللون هو المطلوب فقط بل حتى الرائحة فالبسباس البري (حبة حلاوة أو النافع) تنبعث منه رائحة طيبة.

ع. ابن خلدون، العبر، بيروت، د.ت. : ل. ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ج. 3، الدار البيضاء، 1989 : م. حجي، معلمة المغرب، ج. 4، الرباط، 1984 : م. حجاج الطويل، الدراسة الميدانية والرواية الشفوية ضمن مذكرات خاصة.

محمد حجاج الطويل

**خصوية التربة بالمغرب،** تتمثل في قدرتها على إمداد النبات بالظروف المثلى للنمو والتطور من أجل توفير محصول أقصى محتمل. ويمكن تقسيمها إلى خصوية آلية وخصوية كيميائية.

الإسكوريال بمجموع فيه 138 قطعة من رسائله وأشعاره تولى تحقيقه وطبعه الدكتور محمد رضوان الداية سنة 1987 في مجلد كبير. ولا شك أن هذا هو الديوان الكبير من رسائله الذي ذكر عبد الواحد المراكشي انه كان "يدور بأيدي أدياء أهل الأندلس، قد جعلوه مثلاً يحتدون، ونصبوه إماماً يقتفونه" فضلاً عن 43 قطعة أخرى احتفظت بها المصادر المختلفة.

وله خطب ومقامات، وعارض بعض رسائل أبي العلاء المعري وخطب ابن نباتة السعدي. كما ألف عدة مؤلفات قيمة منها كتاب سراج الأدب، وهو مجموع أدبي وضعه على منوال النوادر لأبي علي القالي وزهر الآداب للحصري. ورسالة سماها لحة البارق وقذف المارق، رد فيها على ابن غرسية في رسالته الشعبية، وظل الغمامة وطوق الحمامة في مناقب من خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكرامة، في مناقب الصحابة. وكتاب المنهج في معارضة المبهج. وله أشعار كثيرة في مدح الأمير تاشفين بن علي بن يوسف وفي أغراض أخرى.

عُمر ابن أبي الخصال طويلاً، واستشهد سنة 540 / 1145، قتله بعض جنود ابن غانية عندما دخلوا قرطبة لمحاربة ابن حمدين الذي تأمر فيها في الفتنة التي أدت إلى سقوط المرابطين. وذلك أن أبا عبد الله بن أبي الخصال ساءه ما رأى من عيث الجند واعتدائهم على الحرمات، فأراد زجرهم ثقة بمكانته وعلمه، فاقترحوا عليه داره وقتلوه، وفتح بموته أهل قرطبة والأندلس.

أ. ابن بشكوال، (ت. 578 / 1182)، كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، نج. عزت العطار الحسيني، القاهرة، 1955، ج 2، ص. 557 : ابن الأبار القضاي، (ت. 658 / 1260)، المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصديقي، نشر كوديرا، مدريد، 1885، ص. 144. 148 : ع. الواحد المراكشي، المعجم في تلخيص أخبار المغرب، نج. م. سعيد العريان، م. العربي العلمي، القاهرة، 1949، ص. 173. 176 : م. ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، نج. محمد رضوان الداية، دمشق، 1987 : م. رضوان الداية، ابن أبي الخصال رئيس كتاب الأندلس، سلسلة أعلام الفكر، رقم 5.

محمد المقراني

**الخص،** يُجمع على أخصاص، نوع من المساكن استعملها ابن خلدون في العبر والمقدمة (ج 6، ص. 206) للدلالة على سكنى الخيام بصيغة المفرد "... وتتصل قبائل جناتة منهم طواعن يسكنون الخص..." أما ابن الخطيب في نفاضة الجراب، (89-90) فقد استعمل صيغة الجمع الأخصاص للإشارة إلى الخيام. وفي مصادر أخرى استعملت الكلمة مرادفة للأعشاش وما شابهها من المساكن المبنية بالقش والأعشاب أو أغصان الأشجار وسعف النخل. وخص الخيمة عنصر أساسي فيها يقوم مقام الجدار لحماية ساكنها من الرياح وللفصل بين أجزائها في الداخل.

قدرة التبادل الكاتيوني، الأزوت المعدني، الفوسفور المستساغ والبوتاسيوم المتبادل. تجدر الإشارة إلى أهمية اعتماد المناهج الملائمة في كل التحاليل وهي مبدئياً تلك المستعملة في وضع معايير تأويل نتائج التحاليل.

**تأويل النتائج :** وهي المرحلة النهائية في تقدير حالة التربة من الخصوبة. من الضروري معرفة معايير التأويل الإقليمية للنتائج بالنسبة لكل نوع من التربة ولكل مجموعة زراعية. يندرج تأسيس هذه المعايير في سياق البحث الزراعي الذي يحتاج إلى النفس الطويل ويستلزم إقامة تجارب في استجابة الزراعات للإمدادات بالسماذ. ويتعلق الأمر بالعثور على مستوى غنى التربة الذي تصيح النبتة عنده لا تستجيب لأي إمداد إضافي بالسماذ.

في حالة توفر التربة على عنصر غذائي بنسبة زائدة على المعيار، وجب الاستغناء عن العنصر في السماذ. وتكون التربة قادرة على إشباع حاجيات الزراعة انطلاقاً من احتياطاتها الذاتية وحدها.

أما إذا كانت النبتة في التربة دون المعيار، توجب الإمداد بالعنصر المعتبر.

يمكن العثور على معايير تأويل تحاليل الأتربة لدى مؤسسات البحث والمختبرات المتخصصة.

يعرض الجدول والبيان التاليان، على سبيل المثال للمعايير المستعملة وتقدير خصوبة الأتربة من الفوسفور والبوتاسيوم.

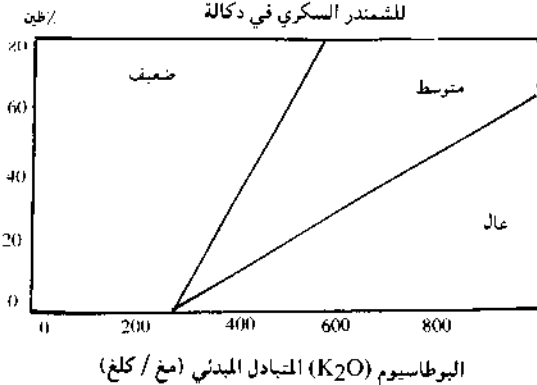
معايير تأويل الفوسفور المستساغ في التربة (طريقة Olsen)

المضمون (مغ / كلغ)	تقدير	احتمال الاستجابة	التوصية
20 - 0	ضعيف	عال	الإمداد بالفصلص والمكثوم
40 - 20	متوسط	ممکن	الإمداد بخاص الزراعة
< 40	عال	ضعيف جداً	عدم الإمداد

بيان تأويل البوتاسيوم المتبادل بالنسبة للشمندر السكري في دكالة

بيان تأويل البوتاسيوم المتبادل بالنسبة

للشمندر السكري في دكالة



البوتاسيوم ( $K_2O$ ) المتبادل المبدئي (مغ / كلغ)

محمد البدراري

تقتضي الخصوبة الآلية الجيدة تهوية مناسبة ووفرة مائية ومواتية وحجماً ترايبيا كافيا لنمو الجذور ومسامية جيدة.

تسمح التربة الخصبة بتصرف النبتة في بيئة جيدة التهوية دون أن يصببها الجفاف، وبامتصاص للماء دوفا احتقان زائد. من الوجهة المرفولوجية، كل تربة عميقة، غير محصبة، ولا تتجمع فيها مياه المطر أو السقي لمدة طويلة، تعتبر تربة جيدة للزراعة. في حالات وجود عيوب في تصرف المياه أو وجود قشرة كلسية تحد من عمق التربة، وجب إصلاح هذه العيوب قبل الشروع في فلاح الأرض.

أما الخصوبة الكيماوية فهي تعني مدى وفرة المواد المخصبة داخل التربة. توفر التربة الخصبة، من الوجهة الكيماوية، ما يكفي المحلولات الترابية من تركيزات المواد المخصبة على مدى الدورة الزراعية. يمكن تقدير هذه الخصوبة بتحليل عينات التربة المعبرة عن كل قطعة أرضية. يتحقق تقدير خصوبة التربة في حقل معين حسب أربع

مراحل :

**التشخيص الحقل،** وذلك بتعيين المشاكل المطروحة من الأتربة عند الإنتاج وربطها بالمجال. بالنسبة للفلاح، التربة هي قبل كل شيء قاعدة إنتاجه النباتي. من أجل تحقيق المحاصيل المحتملة حسب الظروف المناخية والتقنية، يكون لزاماً على هذه القاعدة أن تقدم للنبتة وسائل النمو والتطور.

تسمح الملاحظات الميدانية بإعداد خريطة مؤهلات التربة بالنسبة لزراعات مختلفة مع تحديد التدخلات المحتملة من أجل التخفيف من الإكراهات أو إزاحتها.

في هذا المستوى بالذات، يلزم اختبار قطاعات التربة. تسمح هذه المرحلة كذلك بإعداد خطاطة لاستعمال التربة وكذا التاريخ الزراعي للحقول. على العموم، تبدي الحقول التي عرفت مسلسلات زراعية مختلفة حالات خصوبة مختلفة كذلك. حيث إن غنى التربة في لحظة ما لا يرتبط بنوع التربة.

**تجميع عينات التربة :** سمحت المرحلة السابقة بتعريف النطاقات المتجانسة داخل الحقول. يتحقق التجانس على أساس المميزات المرفولوجية والآلية وكذا الاستعمالات السالفة للتربة. تمثل هذه النطاقات المتجانسة قاعدة تجميع العينات.

يُعتبر أخذ العينات أهم مرحلة في مسار تقدير خصوبة الأتربة. على العموم، يكون أخذ العينات في بداية الموسم الفلاحي قبل إقامة المزروعات.

يتم استخلاص حوالي عشرين عينة بواسطة البريمة ومن عمق يتراوح بين الصفر و40 سنتيمتر من كل نطاق متجانس. يتم خلط هذه العينات للوصول إلى عينة مركبة بوزن نصف كيلوغرام تُجرى عليها التحاليل.

**تحاليل التربة :** بالنسبة للحقول التي لم تستفد من أية تحاليل سابقة، وجب تكوين ملف متكامل. التحاليل المطلوبة هي : النسيج، نسبة الكلوس، نسبة المادة العضوية، نسبة الهيدروجين (ن. ه)، الملوحة، قدرة احتجاز الماء،

الحُضْر، (نبات) لم تكن الحُضْر بجميع أنواعها المعروفة اليوم متوفرة في المغرب خلال العصر الوسيط ولم تكن عادة استهلاك الحُضْر شائعة بين المغاربة في ذلك التاريخ بل واستمرت هامشية في التغذية الوطنية، ثم أصبحت تكسيلية ما بعد العصر الوسيط، وبالتدرج ومنذ العصر الوسيط وإلى اليوم بدأت الحُضْر والبقول تحتل مكانة متزايدة في التغذية، بدأت بالمدن وتوسعت لتشمل البوادي وبتفاوت في الكم والنوع (قال الحسن الوزان متحدثاً عن أسواق فاس : "سياح من قصب في ساحة مربعة الشكل يباع فيه الجزر واللفت اللذان يستحسنهما الناس في فاس كثيراً... وتجده هناك في كل يوم 500 حمل من الجزر واللفت).

تأتي الحُضْر في آخر لائحة المنتجات الغذائية عند تصنيفها سواء من حيث الكم أو النوع والتوزيع الجغرافي، ولعل قلة إنتاجها ورواجها ارتبط بمستوى معيشي وحضاري متقدم (الوزان، وصف إفريقيا، 1 : 185 و 186) فكان استهلاكها وزراعتها محصورة في المدن وضواحيها (الوزان، وصف، 1 : 220 ؛ اختصار الأخبار، 22)، لذلك كانت الإشارات عنها قليلة جداً، فقد جاء ذكر البقول عند ابن حوقل في كتابه صورة الأرض في معرض حديثه عن سوس دون تحديد، فلا ندرى ماذا قصد بها، فالكلمة في زمانه استعملت للدلالة على الفول، أما الشريف الإدريسي والحيميري فتحدثا عن الحُضْر في سجل ماسة ومغيلة (نزهة المشتاق، 3 : 226 و 244 ؛ الروض، 306) وعند التادلي في التشوف نجد إشارات متعددة عن الحُضْر في مدن مراكش وسلا وفي منطقة تادلا وجرجة وزواغة (التشوف، 97، 186، 218، 233، 355، 362 و 422)، وقدم لنا العمري في مسالك الأبيصار لائحة مفصلة عما كان موجوداً من الحُضْر في المغرب في عهده (مسالك الأبيصار، ورفقات) (299).

وأعطى صاحب اختصار الأخبار لائحة أخرى، مما كان موجوداً منها في مدينة سبتة وضواحيها (اختصار الأخبار، 87، 88، 92، 94) ونفس الشيء فعله ابن غازي بخصوص مكناسة وضواحيها (الروض الهتون، 7).

لكن الحديث المفصل عن الحُضْر وعن كمية ما يستهلك وينتج منها في فاس وضواحيها ورد عند الحسن الوزان في وصف إفريقيا.

وبالرجوع إلى جدول الحُضْر والبقول أسفله يمكن تتبع ما كان موجوداً من الحُضْر في العصر الوسيط، وما يؤكد أن الاستهلاك الكبير للحُضْر لم يكن إلا مع ارتفاع المستوى المعيشي للسكان. أن مدينة فاس قد حافظت على ازدهارها طيلة العهد المريني فأقبلت فئاتها اليسورة والمتوسطة الحال على تنوع تغذيتها و"التأنق في المأكول والملبس والسكن" على حد تعبير ابن خلدون في العبر (7 : 238)، وقد أدرك الحسن الوزان - الذي عاش في مدينة فاس - بعضاً مما ذكره ابن خلدون فسجله بدقة وتقصّر عند وصفه لمدينة فاس

(وصف إفريقيا، 1 : 184، 185، 201، 218).

لم يكن استهلاك الحُضْر على درجة واحدة بين الناس، بل كان هناك تفاوت : حُضْر "شعبية" أي شائعة الاستهلاك بين العامة في البادية والمدينة لانتشار زراعتها ورخص ثمنها وتعود الناس عليها، مثل البصل والثوم. امتعض الوزان من تقديم بعض السكان الفقراء ظفائر من الثوم والبصل له كهدية، (وصف، 1 : 110)، أما اللفت والباذنجان والجزر والكرنب والخيار والسياس فكانت أكثر استهلاكاً في الأوساط الغنية والمتوسطة، وبعضها قد يعود الإقبال عليها في بداية زراعتها ودخولها المغرب مثل الباذنجان والسياس (مسالك، 95، 97 ؛ التشوف، 97 و 355).

ذكر ابن الخطيب - وهو في رحلته من مدينة فاس إلى مراكش وعند استضافته من قبل شيوخ بعض القبائل الهلالية الساكنة في المنطقة "أن بقلهم لا يخلو منه قدر" وهي إشارة إلى بداية انتشار عادة استهلاك الحُضْر عند القبائل البدوية المنتجة والمعتمدة في عيشها أصلاً على الرعي وتربية المواشي، وفي تغذيتها على اللحم والدقيق (نفاضة الجراب، 90).

ويمكن أن نضيف إلى الحُضْر بعض أصناف النباتات والأعشاب العطرية للمشروبات والمأكولات مثل النعناع والمرددوش والشببة (اختصار، ص. 94 ؛ ابن رزين، فضالة الخوان، 18) والكرفس وقد ذكر كتباً طبيعى على ضفاف وادي فاس (القرطاس، 35 ؛ زهرة الآس، 34) ثم القريرة والمقدنوس (المعدنوس). والخس والحشوف والفجل (فضالة الخوان، 9، 13، 24، 72، 135 و 142)، هذه الأعشاب والأزهار تأثير الأندلس فيها على المغرب واضح.

كثير من أنواع الحُضْر ينسبها الدارسون إلى الخارج، أي أنها دخلت المغرب في قرون وعصور مختلفة إما من المشرق أو من الأندلس وينفي هؤلاء عن المغرب وجود بعض الأنواع، وحتى إن اعترفوا بها فيقولون إنها كانت في حالة طبيعية ولم تكن فلاحية (أي أنها كانت متوحشة ولم تدجن)، يقولون ذلك عن الحُضْر والفواكه وحتى عن بعض المواشي خاصة بعض أنواع الأبقار (R. Grand، *L'agriculture à travers les âges* : نحن لا نعارض مثل هذه الآراء لكننا نسجل مبالغتها، فالمغرب أعجب الذين زارهم بعضهم شبهه "بالجنة" فكيف يغيب على هذه الجنة التنوع في الحُضْر والفواكه وكيف لا يحاول السكان منذ ذلك العهد تدجين الكثير من الأنواع : وحتى إذا نزلنا بالنقاش إلى مستوى مبسط واعتبرنا اللغة مقياساً للحكم على وجود الشيء أو عدمه وطبقنا ذلك على الحُضْر : فيرجوعنا إلى لهجة تاشلحيت الحالية (السوسية) - والتي نعتقد أنها من بقايا لغة المصامدة وهم سكان المغرب الرطب الأصليين - قلت إذا رجعنا إلى اللغة نجد عدداً من أسماء الحُضْر مثل أزيليم، تيركمين، تاخسايت، إباون أي (الفول

واللفت والقرع) وغيرها مع الأخذ بعين الاعتبار عامل الزمن وتعاقب الأجيال الذي أسقط كثيراً من الكلمات والمصطلحات من القاموس اللغوي فلم تعد متداولة الآن، إذن المبالغة في جعل المغرب مجرد متلقي لكثير من التأثيرات في الميدان الفلاحي واضحة ويجب تصويبها (الفلاحة المغربية في العصر الوسيط).

المواد	التقدير	المصادر
الجزر	كثير	وصف إفريقيا، 1 : 183 - 185 : مسالك الأبصار، ص. 299.
اللفت	كثير	وصف إفريقيا، ص. 183 - 185 : فضالة الحوان، 148 وص. 65.
القول الكرنب	رخيص رخيص	المصدر نفسه وصف إفريقيا، 1 : 185 : التشوف، 233 : مسالك الأبصار، 299.
البصل	رخيص	وصف إفريقيا، 1 : 110، 225 - 257.
الثوم البيباس الباذنجان القرع	كثير كثير كثير كثير	وصف إفريقيا، 1 : 110، التشوف، ص. 355، التشوف، ص. 97، وصف إفريقيا، ج 1، ص 218 : مسالك الأبصار، ص. 299.
اليفلاء القتاء الحيار الحس البقول (الحضر) البقول الحضر	كثير كثير كثير كثير كثيرة متنوعة كثيرة ومتنوعة	التشوف، ص. 362، التشوف، 422، وصف إفريقيا، 1 : 218، وصف إفريقيا، ج 1، ص. 218، صورة الأرض، ص. 91، مسالك الأبصار، ص. 299، زهة المشتاق، 3 : 266 : الروض المعطار، ص. 306 : وصف إفريقيا، 1 : 183 و185، ..227.
اللوبياء الشمار القلقاس المقدنوس القزير السق الاسفراج الخرشف الفنجل	كثيرة كثيرة قليل قليل قليل قليل قليل قليل قليل	مسالك الأبصار، ص. 299 مسالك الأبصار، ص. 299 مسالك الأبصار، ص. 299 فضالة الحوان، ص. 136، فضالة الحوان، 13 و61 فضالة الحوان، ص. 63، فضالة الحوان، ص. 69، فضالة الحوان، ص. 72، فضالة الحوان، ص. 24.

ح. الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1980 : الأنصاري السبتي،

اختصار الاخبار... مجلة نظوان، 1958-1959 : الشريف الإدريسي، زهرة المشتاق، طبعة نابولي بإيطاليا : ح. محمد بن عبد النعم، الروض المعطار.. بيروت، 1957 : ابن الزيات التادلي، كتاب التشوف، الرباط، 1958 و1984 : العمري ابن فضل الله، مسالك الأبصار، (ورقات المنوني مقتطفات)، الرباط، 1979 : (مقتطفات Fragman)، الجزائر، 1924 : م. ابن غازي، الروض الهتون، الرباط، 1964 : ع. ابن خلدون، كتاب العمري، بيروت، بدون تاريخ : ل. ابن الخطيب، نفاضة الحوان، الدار البيضاء، 1989 : ابن رزين التجيبي، فضالة الحوان، الرباط، 1981 : ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972 : م. الطويل، الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، د. د. مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1998.

R. Grand, L'agriculture à travers les âges, Paris, 1950.  
محمد حجاج الطويل

ابن الحضر، الحاج الجيلالي، مقاوم ولد سنة 1928 بدوار أولاد الجيلالي، فخذة الحزازرة قبيلة المعاريف لعشاش ابن أحمد إقليم سطات. كان يعمل ضمن صفوف منظمة اليد السوداء، أجمعت الشهادات على أنه مات شهيداً وهو يحمل قنبلة من صنع محلي، حيث أُمِرَ بنقلها إلى مدينة خريبكة، وفي الطريق انفجرت وأودت بحياته واستشهد في هذا الحادث وكان ذلك بزئقة الجامع بمدينة خريبكة في ليلة 18 نونبر 1954.

المنودية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، 2 : 192.

ابن خضراء، أو الخضراويون، أسرة سلوية عريقة، أصلها من الساقية الحمراء بالصحراء، كانوا ينتسبون فيها إلى آل إدريس بن إدريس الحسني. انتقلت طائفة منهم إلى الشمال واستقر بعضهم بجبال غمارة، وبعضهم بفاس ومكناس لكن لا تذكر كتب التراجم منهم سوى أحمد بن بلعيد ابن خضراء صاحب الضريح الشهير بمكناس من رجال القرن الحادي عشر (17م). وكان رجلاً بهلولاً ساقط التكليف، واستوطن فريق آخر من الخضراويين مدينة سلا في حدود منتصف القرن الثاني عشر (18 م)، وأعلى جُدُ لهم بسلا يعرف اسمه هو علي ابن خضراء، لكن لا تعرف له ترجمة ولا لابنه أحمد. ويذكر عن محمد بن أحمد بن علي أنه كان أستاذاً مقرئاً منتصباً لحظّة العدالة بمدينة سلا عام 1219. كما كان ابنه أحمد ابن خضراء فقيهاً مشاركاً ملازماً للتدريس بالزاوية الناصرية بسلا، منتصباً لتلقي الشهادات كذلك إلى أن توفي في ثامن عشر ذي الحجة عام 1233 / 19 أكتوبر 1818. ودفن قرب ضريح سيدي ميمون بالروضة الكبرى التي وراء الجامع الأعظم.

وعُرف ابنه محمد الهاشمي بن أحمد ابن خضراء بالتمكن في القراءات وطول مدة تلقيتها للطلبة السلويين،

فقد "حدث بعض أحفاده أنه لما شاخ وضعف كان يُحمل في محلل ويوضع في المسجد الأعظم ليأخذ الناس عنه أحكام التلاوة وكيفية تجويد كتاب الله العزيز إلى أن توفاه الله" (تقييد ج الناصري). وكانت وفاته بعد سنة 1271 / 1854. وهو والد قاضي الجماعة الشيخ عبد الله ابن خضراء أتى بالترجمة.

وقد حج رجل من آل ابن خضراء في القرن الثاني عشر (18 م) وعرج على الشام فاستوطنها وأنجب أولاداً مازال عقبهم على اتصال بأبناء عمومتهم الحضراوين السلويين.

علي ابن خضراء

أحمد

محمد (ت. 1191)

أحمد (ت 1233)

م. الهاشمي (ت 1279)

محمد عبد الله

م الهاشمي الطيب إدريس محمد

#### شجرة آل ابن خضراء السلويين

رسوم عدلية في خ ص. سلا : م. القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 4 : م. ابن علي الدكالي، الإتحاف الوجيز، ط. 1، الرباط 1986 : ج. الناصري، تقييد في آل ابن خضراء، مخطوط : م. بوشعراء، التعريف، الرباط، 1991، ج 2

ابن خضراء، إدريس بن عبد الله السلوي. ولد بسلا في مطلع القرن الرابع عشر (أواخر ق 19 م) وبها نشأ وحفظ القرآن على يد مقرئ كتابت المدينة، وأخذ القراءات وحفظ المتن على يد والده، ثم حضر مجالسه الفقهية والمديشية في الجامع الأعظم، كما تتلمذ للعالم الورع أحمد الجبري المعروف بابن الفقيه، وللشيخين الطيب الناصري وأحمد عواد. وصحب والده حين عُين قاضياً بمراكش ثم بفاس فأخذ عن فقهاء المدينتين، وأجازه منهم أحمد بن الطالب ابن سودة ومحمد بن قاسم القادري وعبد المالك العلوي الضير.

رجع إلى مسقط رأسه واشتغل بالتدريس والإفتاء والعدالة، ثم عين على التوالي عدلاً بمرسى العدوتين، وقاضياً بالصويرة، مرتين، وبطنجة وسلا.

تُذكر له تعليقات على شرح والده على البيهقيونية في

مصطلح الحديث، وعلى مختصر خليل، وختمتان لصحيح البخاري، وختمة لصحيح مسلم، ومجموعة فتاوى. وخطب منبرية.

توفي بسلا يوم الأربعاء 21 ربيع الأول عام 1398 / فاتح مارس 1978. ودفن بروضة الشيخ محمد مفضل بالطالعة.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، ج 9 : تقييد غير منسوب في ترجمة إدريس ابن خضراء، في خ. ص.

ابن خضراء، الطيب بن عبد الله السلوي، أديب شاعر صوفي ناسك. ولد بسلا عام أربعة أو خمسة وثلاثمائة وألف، ونشأ في كنف والده العالم الكبير وعنه أخذ القراءات ومبادئ العلوم، ولازم مجالسه العلمية في سلا ثم في مراكش وفاس عندما انتقل إليهما. وقضى مدة في القرويين يأخذ عن أعلامها أيام وجود أبيه فيها قاضياً للجماعة. وبعد وفاة والده رجع إلى مسقط رأسه حيث أتم دراسته على يد أخيه الأكبر محمد الهاشمي وغيره من علماء المدينة. ولا تعرف من شيوخه من كان ذا نزعة أدبية يمكن أن يكون المترجم متأثر به. ولعل رصيده الأدبي يرجع إلى قريحته ومطالعته الخاصة.

رحل وهو شاب إلى المشرق فزار حواضر الشام واجتمع بعلمائها وأديانها وحج وجاور مدة بالمدينة المنورة وهي تعج يومئذ بالعلماء والأدباء والمهاجرين إليها من مختلف أرجاء العالم العربي، ومنهم الشيخ محمد بن جعفر الكتاني، والأديب أحمد ابن الشمس الشنقيطي تلميذ الشيخ ماء العينين، ويوسف التبهاني فأخذ عنهم وأجازوه.

ولما رجع إلى وطنه عين كاتباً بالحجابه في بلاط المولى يوسف إلى أن توفي هذا السلطان، فلزم بيته، وكان به نزوع إلى الخلو إلى أن عينه محمد الخامس إماماً بالمسجد الأعظم، فقام بعمله أحسن قيام، وكان يتردد بين المسجد والزواية التجانية بجواره، يقرأ القرآن ويذكر الأورد، ويمدح الجنب النبوي خاصة في ليلة المولد بالزواية التجانية وسط جموع غفيرة من المريدين بالعدوتين. وله مولديات كثيرة مطولة في غاية السبك والسلاسة. كما له قصائد مطولة أخرى في مدح السلطان المولى يوسف أيام عمله بالحجابه. معظمها في كتاب اليمن الوافر الوفي. على أن أعظم ما أنتجه شعراً في المديح النبوي هي قصيدته الهمزية التي عارض بها همزية البوصيري، استدرك فيها عدداً من أبواب السيرة التي لم ترد عند البوصيري، وخاصة غزواته صلى الله عليه وسلم وسراياه. وقد وزع الشاعر نسخاً من هذه الهمزية على المادحين بالزواية التجانية وقرؤوها كاملة بنفس النغمات الموسيقية بعد ختم البردة والهمزية كالمعتاد، وكان الحاج الطيب يقرؤها معهم بتأثر وابتهاج لأنه كان يحفظها عن ظهر قلب. وحرص على أن يحفظها المادحون التجانيون لينشدوها باستمرار في ليالي المولد وسابعه



بزاوية سلا وضريح سيدي العربي بن السايح بالرباط.

توفي الحاج الطيب ابن خضراء بسلا يوم الخميس سابع شوال عام سبعين وثلاثمائة وألف / 12 يوليوز 1951، ودفن بمقبرة سيدي محمد مفضل بالطالعة.

ع. ابن زيدان، اليمن الوافر الوفي في امتداح الجناب الیوسفی، فاس، 1342 : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1956، ج 9 : جعفر الناصري، تقييد في آل ابن خضراء، مخطوط، خ. ص.

كان الشيخ ابن خضراء يقوم إلى جانب مهام القضاء بالتدريس في جامع ابن يوسف، وأخذ عنه الجسم الغفير من طلبة الجنوب، وفي نفس الوقت كان الحسن الأول يستشيريه في النوازل وتولية الموظفين في الخطط الشرعية من قضاء وفتوى وعدالة وإمامة وخطابة. وقد طال مقامه بمراكش فحنّ إلى مسقط رأسه وأهله واستعفى فأعفاه السلطان بعد لأي. ورجع إلى سلا لكن السلطان كان يكلفه فيها بقضايا مهمة تخص بعض العمال والولاية، كما كلفه سنة 1302 / 1885 بالإشراف على إحصاء خزائنه العلمية بالقصر الملكي بالرباط فكتب تقديماً مفيداً لكنناش الإحصاء من إنشائه.

ولما بويع المولى عبد العزيز استدعى الشيخ عبد الله ابن خضراء إلى مراكش فسار إليها في جماعة من أهله، فاستقبله السلطان وذكره باغتباط والده به وولاه قضاء الجماعة بفاس. استلم المترجم مهامه بمقصورة القرويين فسار فيها على نحو ما كان عليه في مراكش من عدل ونزاهة وعفة، ولقي لدى علماء الحضرة الإدريسية كل إجلال وتقدير، وتسايق نجباء الطلبة إلى حلقات تدريسه بالقرويين. ولما انتقل عبد العزيز إلى فاس مع حكومة مخزنه، اتخذ القاضي ابن خضراء مستشاراً أميناً يعتمد عليه في المهمات وعند تعيين الولاية وأمناء المراسي والقضاة وسائر الوظائف الدينية والدنيوية، ثم أشركه في مجالس الشورى التي كانت تعقد بدار المخزن لدراسة مطالب الدول الأجنبية المتكاثرة على المغرب، كفضية زيارة امبراطور ألمانيا غليوم إلى طنجة ومسألة "المصالح" التي أخذت تطالب بها فرنسا وغيرها، وما ترتب عن ذلك من انعقاد مؤتمرات خزيرات، وللمترجم في ذلك رأي خاص مسجل في محضر بعض الجلسات التي كانت تعقد ويحضرها.

ألف الشيخ عبد الله ابن خضراء عدداً من الكتب في الفقه والأصول ومصطلح الحديث واللغة والأدب، طبع ستة منها على الحجر بفاس، وما يزال سائرها في أصله بخط المؤلف في الخزانة الصبيحية بسلا :

المطبوعات :

- الإتحاف بما يتعلق بالقاف

- تحذير عوام المسلمين من الاغترار بكل من يتساهل في

الدين

- حاشية على الخطاب على الورقات

- شرح البيقونية في مصطلح الحديث

- مرآة الفكر والنظر في شرح فرائض المختصر

- منتهى الأرب في شرح بيتي العقل والأدب

المخطوطات :

- رحلة حجازية

- تقييد في التعريف بالإمام مالك (229 صفحة)

- تعليق على شرح لامية الزقاني (283 صفحة)

- تعليق على شرح تحفة الحكام للناودي ابن سودة

نحو (300 صفحة)

ابن خضراء، عبد الله بن محمد الهاشمي السلوي. العالم الكبير، والمؤلف القدير، قاضي الجماعة بمراكش وفاس، ومستشار الدولة الأمين. ولد بسلا سنة ستين ومائتين وألف / 1844. وبها نشأ وتعلم دون أن تكون له رحلة لطلب العلم خارجها. ومن أشهر شيوخه السلويين. الإمام محمد بن عبد العزيز محبوبة، والقاضي أبو بكر بن محمد عواد. وكان آية في الفهم والحفظ والذكاء والتحصيل.

تصدى بعد أن تم تكوينه لنشر العلم بين ذويه وبني بلدته، وكانت دروسه متنوعة تبعاً لمشاركته وسعة أفقه، في اللغة وقواعدها وأدائها، والفقه والأصول والتفسير والحديث، وكان يعتني بتحضير دروسه وتحريرها وترتيبها وإلقائها، فكان إذا ختم الكتاب جمع تلك الكراريس وأخرج منها شرحاً أو حاشية أو تعليقا على الكتاب المقروء.

سافر إلى الحجاز في ريعان شبابه، ودون ذلك في رحلة حجازية مازالت مخطوطة ضمن مؤلفاته، فأبحر من مرسى العدوتين في 23 رمضان عام 1293 / 12 أكتوبر 1876 فزار الاسكندرية والقاهرة، ولقي بالجامع الأزهر أكابر شيوخه فذاكرهم وأجازوه. ولقي بمكة المكرمة والمدينة المنورة أعلام الحرمين، وفي مقدمتهم الشيخ أحمد زيني دحلان. ثم رجع إلى وطنه فوصل إلى مرسى الدار البيضاء في 18 ربيع الأول عام 1294 / 2 أبريل 1877. والرحلة مليئة بوصف المشاهد والمآثر والتراجم والأشعار، ونوادير الأخبار.

اشتغل عبد الله ابن خضراء بعد رجوعه من الحج بالتدريس والإفتاء والشهادة بمسقط رأسه، إلى أن استدعاه السلطان المرلي الحسن سنة 1296 / 1879 إلى مراكش في جماعة من أعيان العدوتين وعلمائها، فمدحه بقصيدة نونية مطلعها :

ليك لبيك يا خير السلاطين أدامك الله في عز وتمكين

فأعجب بها السلطان وأنعم عليه بظهير التوقيع والاحترام، وعينه مفتياً ومدرساً بجامع ابن يوسف بمراكش ونفذ له راتباً من أحباسه. وكلفه بإحصاء صائر القصور السلطانية بحاضرة مراكش. وبعد سنة رجع إلى مسقط رأسه ولم يكده يستعيد سيرته الأولى في التدريس حتى ولاه السلطان خطة القضاء بمراكش وفوض إليه في الوكلاء والشهود والعرفاء والأوصياء بظهير خاص.

ولما رجع إلى سلا أدرج في سلك قائمة العلماء المدرسين بالدرجة الثانية ثم بالدرجة الأولى، فأبان عن تمكن واقتدار إلى أن عين عدلاً بمرسى العرائش ثم بمرسى الدار البيضاء. وبعد ذلك عين عضواً بمجلس الاستئناف الشرعي الأعلى ثم نائب الرئيس ثم أصبح رئيس المجلس بعد انتقال الشيخ عبد الرحمن بن القرشي إلى وزارة العدلية. وكان السلطان المولى يوسف يستشير في بعض القضايا التي يعرضها عليه الفرنسيون ليتأكد من عدم مصادمتها للشرع. فكان يشير عليه بما يراه حقاً ولو أغضب المستعمرين. لذلك سعوا في إعفائه من منصب الرأسة، وتعيينه قاضياً بفاس.

وفي عام 1350 / 1931 سماه محمد الخامس قاضياً بالدار البيضاء فقام بوظيفته خير قيام، وكان يحيل عليه القضايا المستعصية من مختلف المحاكم الشرعية فيبث فيها بتزاهة وإنصاف. وظل المترجم قاضياً بالدار البيضاء نيفاً وعشرين سنة كان خلالها يزاوج بين القضاء بين الخصوم والتدريس للطلبة وعامة الناس في مسجد دار المخزن والجامع المحمدي، إلى أن أبعاد محمد الخامس عن عرشه فغادر القاضي ابن خضراء الدار البيضاء ورجع إلى مسقط رأسه متعزلاً في بيته مقبلاً على عبادة ربه إلى أن أتاه اليقين. يوم الأحد رابع محرم عام 1392 / 20 فبراير 1972. ج. الناصري، تقييد في آل ابن خضراء السلاويين، مخطوط. ج. ص : جريدة السعادة، عدد 3718 في 8 غشت 1931 : ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 9.

محمد حجي

**الحُضْرَارُ** والحضاري والحضيْرَاء، جنس طيور برية متوسطة القد وزاهية الألوان تسمى أيضاً الوروار في الشرق العربي ويلخضر ويليمون في المغرب. تسمى بالبربرية أگاموم وأباقرؤا وبالفرنسية Guépier وبالانجليزية Bee eater (أكل النحل) وبالاسبانية Abejaruco. ينتمي إلى رتبة الشقراقيات Coraciiformes وإلى فصيلة الحضاريات Meropidae. منها نوعان يتوالدان في المغرب ويشتوان في ظواحي إفريقيا الاستوائية. يعيشان وسط مجموعات متعددة الأفراد ما بين 50 و 500 فرداً).

الحضار الشائع أو يليمون يسمى علمياً Merops apiaster يبلغ طوله 27سم ووزنه 50 - 60 جرام. منقاره طويل، أسود اللون ومقوس شيئاً ما إلى الأسفل، الأرجل قصيرة وبنية، في قمة رأسه وعلى ظهره حمرة وتحت عنقه طوق مصفر محفوف بالسواد سائرته أخضر لامع. الذنب طويل تتوسطه ريشتان أطول من سائر ريش الذنب. الجناح مثلث الشكل ودقيق الرأس. يألف ضفاف الأنهار والغابات والسهول والهضاب ويتغذى من الحشرات الطائرة وخاصة منها النحل والزنبور يلتقطها عند الطيران ثم يعود إلى الأشجار ليستريح على أغصانها ويترقب فريسته. يتوالد

- كراسة موجهة إلى السلطان في حكم إقطاع المعادن  
- تعليق على شرح بناني للسلم في المنطق وحاشية  
قصاره عليه نحو (50 صفحة)  
- تعليق على الرسالة البيانية لمحمد بن علي الصبان  
(كراسة)

- تعليق على الاعراب على قواعد الإعراب لابن هشام  
بشرح الأزهري (كراسة)  
- السيف المسلول على منكر افتقار الإبراء من الدين إلى  
القبول (كراسة)  
- ختم صحيح مسلم والتعليق على الحديث الأخير فيه  
(كراسة)

توفي عبد الله ابن خضراء بفاس، بعد أن مرض بالحمى، يوم الاثنين ثالث وعشري محرم عام 1324 / 19 مارس 1906. ودفن بالزاوية الناصرية من حومة السياج بفاس.

ع. الله ابن خضراء، الرحلة الحجازية، مخطوط : أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1956، ج 9 : ج. الناصري، تقييد عن آل ابن خضراء السلاويين، مخطوط، خ. ص : ع. ابن زيدان، إتحاف، الرباط، 1347، ج 3 : أ. النيسبي، تاريخ الشعر والشعراء بفاس، فاس، 1924 : م. ابن علي الدكالي، إتحاف أشراف الملا، مخطوط : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1977 : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 8 : م. المنوني، مظاهر بقعة المغرب الحديث، بيروت، 1985، ج 2 : إ. الإدريسي، معجم الطبوعات المغربية، سلا، 1988.

**ابن خضراء، محمد الهاشمي بن عبد الله السلاوي،**  
من آخر قضاه العدل المتقين بالمغرب. ولد بسلا في حدود 1298 / 1881، ونشأ في بيت علم ودين فحفظ القرآن على المقرئين السلاويين وتلقى القراءات السبع ومبادئ العربية والدين على يد والده في البيت، ثم حضر مجالسه العلمية في الجامع الأعظم، ومجالس الشيخ أحمد الجريري المدعو ابن الفقيه والطيب الناصري وأحمد عواد. ثم أخذ بفاس أيام تولي والده خطة القضاء بها، على الشيخ محمد بن قاسم القادري وأحمد ابن الحياط والتهامي كنون وغيرهم، ونال منهم إجازات عامة.



الضرير، اشتهر بابن الحضار. ولد بتملسان، واستقر بسبتة إلى أن توفي بها سنة 727 / 1327 (برنامج التجيبي، ص. 135؛ *درة المجال*، ص 263) أخذ السيرة النبوية والحديث عن أبي مروان الباجي. وفي محرم من عام 634 / 1237 رحل إلى المشرق بحراً صحبة شيخه أبي مروان الباجي فنزل بمرسى عكا ومنها توجه إلى دمشق فسمع بها على أبي عمرو ابن الصلاح كتاب علوم الحديث وكتاب *الموطأ* علي تقي الدين أبي محمد عبد الرحمن ابن أبي الفهم بن عبد الرحمن ابن عبد المنعم الدمشقي - كما حضر المجالس العلمية التي كان يعقدها شيخه ورفيقه في الرحلة أبو مروان الباجي بالديار الدمشقية. وفي شهر شوال من نفس السنة حج. وفي عودته توقف بمصر لمرض أصاب شيخه ورفيقه أبا مروان فأودي بحياته ( *إفادة النصيح*، ص. 103. 104) وعند رجوعه إلى سبتة قعد لتدريس كتب السنة والحديث.

من تلامذته أبو القاسم التجيبي ( برنامج التجيبي، ص. 62. 63. 135. 140) وابن رشيد السبتي ( *إفادة النصيح*، ص. 98)، وأبو عبد الله محمد بن يحيى ابن أبي بكر بن سعد الأشعري المالقي ( *الإحاطة*، 2: 179) وأبو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني الأنصاري ( *الإحاطة*، 3: 200). كما أجاز لابن جابر ( *درة المجال*، ص. 263).

التجيبي، برنامج التجيبي، تح. عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا / تونس، 1981؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الأجزاء، الثاني والثالث؛ ابن رشيد، *إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح*، تح. م. الحبيب ابن الحوجة، الدار التونسية للنشر؛ ابن القاضي، *درة المجال*، تح. م. الأحمدي أبو النور، المكتبة العتيقة، تونس / القاهرة، 1391 / 1971، الجزء الثاني.

زليخة بزمضان

**حَضْرُور، أحمد** (الحاج -) بن قاسم السلوي، فقيه ومؤدب كان صاحب كتاب قرآني بسلا تخرجت عليه جماعة من أهل المدينة مثل الشيخ أحمد بن الفقيه الجريري البرهوني المتوفى سنة 1353 / 1934. وكان له خط جميل به نقل عدة كتب منها *المسلك السهل*، في شرح توضيح ابن سهل لليقرني، والأقنوم في مبادئ العلوم لعبد الرحمان الفاسي وصحيح مسلم وقوت القلوب لأبي طالب المكي، وصحيح البخاري.

انقرضت اليوم أسرته من سلا، وكان سنة 1278 / 1862 مؤذناً بمسجد اللارنجة بحي الشراطين بسلا. وقد كان سنة 1294 / 1877 ما يزال بقاء الحياة.

م. النونسي، *تاريخ الرواق المغربية*، ص. 254؛ م. بوشعرا، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، 53، 55؛ ع. الله الجارري، من أعلام الفكر المعاصر، 2، 37.

مصطفى بوشعرا.

في شهر مايو وكثيراً ما يلد البيض مرتين أو 3 مرات في السنة. تضع الأنثى بيضها بداخل جحر يحفره الزوجان بمخالبهما الطويلتين القويتين. يبلغ طول الجحر 200.50 سم ينتهي بحفرة كبيرة تلد فيها الأنثى 4-8 بيضات كروية الشكل وبيضاء يبلغ قطرها 25.5 + 21.5 ملم وتزن 6.5 غرام. يحضنها الأيوان بالتناوب لمدة 3 أسابيع وتغادر الصغار الجحور بعد 3 أسابيع وترافق الأبوين طوال حياتها.



يكثر الحضار في المغرب منذ بداية فصل الربيع ومنه عدة مجموعات تتوالد في أوروبا الجنوبية وآسيا الغربية ثم تعود إلى إفريقيا ابتداء من شهر شتمبر، عدة مجموعات تقضي فصل الشتاء في جنوب المغرب. كثيراً ما يخلف خساتر في الجباح مما يجعل مربي النحل يطاردون الطائر.

الحضار العراقي أو الفارسي يسمى علمياً Merops superciliosus يبلغ طوله 31 سم ويختلف عن الحضار الشائع في طوقه المحمر وعدم الحمرة على رأسه وظهره، له خط رفيع من الريش الأسود يمر على عينيه وسائر ريشه أخضر زيتوني لامع.

يعيش وسط مجموعات تأتي من إفريقيا منذ بداية فصل الربيع لتتوالد في طواحي الأطلس الصغير والكبير ولا يقطع إلى أوروبا. يتوالد في شهر مايو وتضع الأنثى 4-5 بيضات في داخل الجحر الذي تحفره مع زوجها. يبلغ قطر البيض 26 + 21 ملم لونه أبيض لامع ويحضن بالتناوب من طرف الزوجين.

يتغذى من الزنبور والنحل والذباب وشائع في ضواحي أرفود والريصاني وزاگورة وتغدير ودرعة والراشدية والمغرب الشرقي ومراكش خلال فصل الربيع والصيف من كل سنة. مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في المصطلحات الزراعية، مكتبة، لبنان، بيروت، 1988.

W. Read et E. Hosking, *Les oiseaux, leurs nids et leurs œufs*, Paris, 1968, p. 224 - 225 ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe With North Africa and the Middle East*. London, 1977, p. 188 - 189.

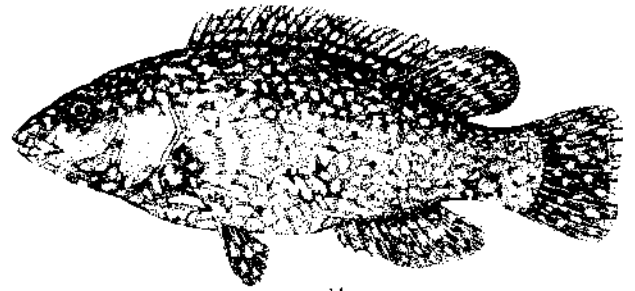
محمد رمضاني

ابن الحضار، محمد بن محمد الكتامي السبتي

**الحُضَيْر بن عبد الله**، مقاوم ولد سنة 1939 بإقليم  
 گوليم. وعندما احتاجه جيش التحرير المغربي البطل لكي  
 يطعم به صفوفه لم يتأخر عن تلبية هذا الواجب المقدس،  
 فانخرط في مقاطعة القيادة العليا لجيش التحرير حيث كان  
 السيد فوزي الحسين مسؤولاً عنه، فتدرب على كيفية  
 استعمال الأسلحة المختلفة وعندما أصبح قادراً على خوض  
 المعارك شارك في إنجاز أعمال رائعة، وظل هكذا يناضل  
 ويكافح مسترخضاً حياته وشبابه إلى أن استشهد بدار  
 حميدوش اسك بأيت باعمران في معركة مع جنود العدوان  
 وذلك بتاريخ 26 نونبر سنة 1957.

المدوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء  
 الاستقلال، 2 : 155.

**الحُضَيْر** أو أبو حَضَيْر وحَضيري نسبة إلى لونه  
 الأخضر وكما هو اسمه الشائع في المغرب العربي، سمك  
 بحري من الأسماك العظيمة ومن فصيلة لابريدي Labridae.  
 اسمه العلمي لابروس بيرجيلتا Labrus bergylta (= Labrus  
 maculate) ويسمى بالفرنسية Vieille وبالإنجليزية Ballan  
 wrasse وبالاسبانية Maragota. طوله شائع بين 30 و50 سم  
 ويبلغ أحياناً 60 سم عند الكبار.



الحضير

الجسم قصير وسمين، ويختلف لونه بين الكبار والصغار  
 إلا أن اللون الأخضر يبقى مسيطراً فوق الظهر والجوانب  
 التي تتخللها عدة بقع بيضاء وبنية حمراء. الصغار زمردية  
 اللون وشديدة الاخضرار. فمه حاد وشفته غليظتان، الأسنان  
 حادة ومرتبة في صف واحد بكل الفكين. زعنفته الظهرية  
 متواصلة وتتكون من 21.18 شوكة ومن 13.9 شعاع هش.  
 تتكون الزعنفة الذيلية من 3 شوكات ومن 12.8 شعاع هش.  
 تكسر الجسم حراشف دائرية وكبيرة ويتكون الخط الجانبي  
 من 41-47 حراشف.

يعيش في المناطق الصخرية، الغنية بالأعشاب البحرية  
 والطحالب، والقريبة من الشواطئ. يوجد في الأعماق  
 البحرية الممتدة من متر واحد إلى 20 متراً. يتوالد طيلة  
 فصل الربيع وتضع مجموعة من الإناث بويضاتها في عش  
 من الطحالب تصنعه الذكور بين الصخور. بصير بالغاً بعد  
 سنتين ويعمر حوالي 18 سنة.

يتكون غذاؤه من القشريات الصغيرة والرخويات  
 الصغيرة وخاصة منها القواقع البحرية المختلفة الأنواع.  
 يقتصر توزيعه الجغرافي على الشواطئ الاطلنطية الشمالية  
 الشرقية الممتدة من الدار البيضاء إلى الدول الاسكندنافية،  
 كما أنه يوجد في بعض المناطق المتوسطية : تركيا، ليبيا،  
 الجزائر، إيطاليا.

يتم صيده بشباك الجرف وبالشباك الخيشومية  
 وبالصنابير. صيده تقليدي ووجوده غير منتظم في أسواق  
 الأسماك المغربية. لحمه لذيذ ويؤكل طرياً.

م. الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية،  
 بيروت، الطبعة الثالثة، 1988 : أ. المعلوف، معجم الحيوان،  
 القاهرة، 1932 : دليل تعريف الموارد البحرية الحية في المغرب،  
 المنظمة العالمية للتغذية، روما، 1998.

M. Ramdani et N. Elkhiati, *Flore et faune marines du  
 Maroc. Biodiversité, Biologie, Ecologie et  
 Biogéographie*. Expo. 98 Lisbonne, Rabat, 1998, 68 p.

محمد رضائي

**ابن خطري**، سيدي أحمد، مقاوم ولد سنة 1936  
 بأسرير ناحية گللميم، لما اندلعت شرارة الكفاح التحرري  
 بجنوب المملكة وبالخصوص في الأقاليم الصحراوية لتعلن  
 بداية نهاية الوجود الاستعماري على التراب الوطني، كان  
 انخراط ابن خطري في صفوف جيش التحرير بالمقاطعة  
 الثامنة تحت قيادة ناضل الهاشمي والمرابطة بمركز الساقية  
 الحمراء.

وقد خاض عدة هجومات ومعارك مع إخوانه المجاهدين  
 ضد قوات الاحتلال اظهر خلالها تفانيه في خدمة المصالح  
 العليا للوطن. وتوفي على إثر معركة مركالة سنة 1956.  
 المدوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء  
 الاستقلال، 4 : 26.

**الخط المغربي** يعتبر من أنفص الخطوط العربية  
 وأجملها، بما يتصف به من أشكال هندسية متميزة تجسد ما  
 أبدعته يد الخطاط في الغرب الإسلامي من مبتكرات ما  
 تزال صامدة تزين آثار المعمار في القصور والمساجد  
 والمدارس العلمية ودور الأعيان، كما تزين نواذر  
 المخطوطات والوثائق التي تزخر بها خزاناتنا العامة  
 والخاصة، ويعد بحق معلمة بارزة من معالم الحضارة العربية  
 الإسلامية.

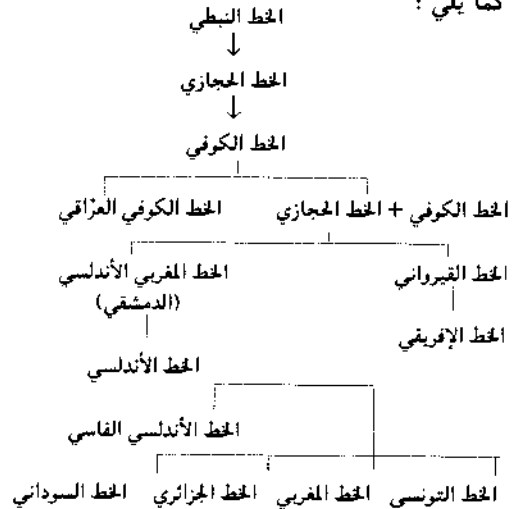
ولقد كُتِب الكثير عن الخط العربي في المشرق، بأنواعه  
 وأقلامه وخصائصه وقواعده وآدابه وتاريخه وأعلامه، على  
 حين لم يقع الاهتمام بالخط المغربي إلا نادراً، ولا يتعدى ما  
 يكتب عنه أحياناً بضعة أسطر، وتدين بكامل الفضل لما  
 كتبه محمد المنوني عن تاريخ الوراق المغربية وصناعة  
 المخطوط، وتقدم هنا موجزاً عن تاريخ الخط المغربي كما

نذيله بما توفر عنه حتى الآن من كتابات أولية.

نشأ الخط المغربي ضمن الإطار التاريخي للمغرب الإسلامي : المغرب والجزائر وتونس وليبيا والأندلس، وهو ما كان يعرف ببلاد المغرب والأندلس في رقعة جغرافية تفاعلت فيها عناصر عربية وأمازيغية وإفريقية وأوربية، وكانت فيها الريادة للثقافة العربية الإسلامية، واستفادت منها هذه الثقافات إلى أبعد الحدود.

إن وصول الخط العربي إلى الغرب الإسلامي يرجع إلى القرن الأول الهجري أثناء الفتح الإسلامي الذي تم على يد عقبة بن نافع، ومن المؤكد أن الفاتحين الأوائل استخدموا الخط الحجازي إلى جانب الخط الكوفي كما يؤكد فلس ضرب في عهد موسى بن نصير سنة 711/92، فكان الخط الكوفي - الحجازي أصلاً لنشأة الخط العربي الإسلامي، ولقد انتشر الخط العربي مع انتشار مبادئ وقيم الدعوة الإسلامية وحفظ القرآن وكتابته، فتناوله أياد مغربية بالإجادة والتحسين، وكان أشهر من أجاد الخط العربي في هذه الفترة صالح بن طريف زعيم الدولة البورغواربية المتوفي سنة 744 / 127.

ولقد انتشر الخط الكوفي العراقي في بلدان الغرب الإسلامي خاصة في تونس والجزائر والمغرب، فتولد عنه الخط الكوفي القيرواني، وبعد انتقال المسلمين إلى الأندلس وقع استعمال الخط الكوفي المتفرع عن الخط الكوفي الشامي، وقد تغلبت مدرسة دمشق عاصمة الأمويين عند قيام الدولة الأموية الثانية بالأندلس، وتميز هذا الخط بأشكاله المقوسة التي أصبحت حروفه المركنة مدورة في حدود القرن الرابع الهجري، وفي هذه الأثناء تولد عن الخط الكوفي القيرواني الخط الإفريقي، ومن الخط الكوفي الأندلسي الخط الأندلسي، الذي أصبحت أغلب خطوطه مدورة (كما يذكر كتاب أحسن التقاسيم) فكان تيار خط القيروان قد امتد إلى المغرب الأوسط والجزائر والمغرب الأقصى قبل اتصالهما بالخط الأندلسي، فكانت السيادة لمدرستين : مدرسة الخط الإفريقي ومدرسة الخط الأندلسي، ومن هذه الفترة بدأت تتميز خطوط بلدان الغرب الإسلامي حسب شجرة أصول هذا الخط، التي يمكن رسمها مبسطة كما يلي :



وعلى مر الزمان اتخذ كل خط من خطوط بلدان الغرب الإسلامي سماته المحلية وخصائصه الحضارية وطابعه المتميز. وبهنا بهذا الصدد الحديث عن تاريخ الخط في المغرب الأقصى وأنواعه وبعض خصائصه الجمالية بصورة موجزة حسب عهود السلالات الحاكمة.

أولاً : في عهد الأدارسة : بدأ الخط المغربي يتحسن متفرعاً عن الخط الكوفي في العهد المرغوي وبني يفرن، وقد غلب عليه الطابع الشرقي بمحى الإمام إدريس الأول وحاشيته إلى فاس ونشوء الدولة الإدريسية سنة 172 / 788، فتأثر بذلك الخط المحلي نتيجة انتشار الخط الكوفي العراقي الذي استعمل على الدراهم الإدريسية، وكانت النقود الإدريسية قد ضربت بالخط الكوفي دون غير، وقد أولينا عناية كبيرة لذلك فدرنا خطوط النقود الإدريسية المضروبة في خمسة وعشرين داراً لضرب السكة موزعة بين مناطق بدوية وأخرى حضرية واستنتجنا أن الخط الكوفي الشائع في العهد الإدريسي كان يغلب عليه طابع البساطة ويتميز بالجفاف وعدم الاعتناء مما يعكس حالة الدولة نفسها اقتصادياً، إذ كان الأدارسة يعيشون وضعية اقتصادية محدودة. وكانت السيادة عموماً في مجال الخط لمدرستين : مدرسة الخط الإفريقي ومدرسة الخط الأندلسي.

ثانياً : في العهد المرابطي والموحدي : اكتسح الخط الأندلسي منطقة الغرب الإسلامي كلها إلى منطقة القيروان باستثناء منطقة الجريد التي حافظت على الخط الإفريقي، واستمر هذا التيار الأندلسي إلى العهد الموحيدي، وتدل النماذج الخطية على إبداع أهل المغرب الأقصى وتسمح لنا بالتمييز بين الكوفي المرابطي والموحيدي وأنواع أخرى من الخطوط اللينة، مثل المسوط والثلاث المغربي، وقد ازدهرت الخطاطة وبرز عدد من الخطاطين المجهدين نتيجة اهتمام الخلفاء الموحيدين أنفسهم بهذا الفن، وكان منهم من يكتب بأكثر من خط أمثال الخليفة المرتضى، وتميز عهده بتأسيس أول مركز عمومي للنسخة (وهو خزانة مدرسة العلم بالجامع المرتضى من مراكش).

ثالثاً : العهد المريني : في صدر الدولة المرينية حصل نوع من التقدم للخط الأندلسي الذي انتشر بالمغرب حيث أصبحت السيادة لمدرسة فاس في عموم منطقة الغرب الإسلامي ويستثنى "هوداس" منطقة الجزائر التي تأثرت بالخط الإفريقي التونسي، يقول ابن خلدون عن هذا العصر أنه "حصل في دولة بني مرين بالمغرب الأقصى لون من الخط الأندلسي لقرب جوارهم، وسقوط من خرج منهم إلى فاس قريباً"، وقد أشار في هذا النص إلى ازدهار الخط في مدينة فاس، كما عرفت مدن مغربية أخرى تفوقاً في الخطوط ومنها : سبتة وتازة ومكناس وسلا ومراكش، غير أن ابن خلدون يشير إلى نوع من تراجع الخط في المناطق البعيدة عن سدة الحكم ولعله يقصد البوادي البعيدة عن المراكز الحضرية. وقد انتقد محمد المتونى ما كان في كلام

الكتب وكتابة المراسلات والظواهر في أغلب جهات البلاد .  
وفي أواسط القرن الثالث عشر (19 م) بدأ تطور جديد  
في الخطوط المغربية نتيجة ظهور الطباعة الحجرية سنة  
1864 م والتي اهتمت غالبا بالخط المجوهر وجعلته أساسا  
لعمليات الطبع دون إهمال الخطوط الأخرى، وما تزال  
المطبوعات الحجرية تحتفظ إلى اليوم بخطوط مجموعة من  
الوراقين اللامعين. ويبدو أن هذا العصر - نتيجة انتشار  
المطبوعات الحجرية في عموم البلاد - يمكن وصفه بعصر  
التفنن في أنواع الخطوط وتجويدها، حيث تعرضت أصناف  
من الخطوط الأساسية إلى تنوعات أسلوبية عديدة ذات  
طابع محلي تفرعت إلى أنواع من الخطوط من نفس الصنف  
وبخصوص نماذج منها (انظر الكسائي، في تاريخ الوراقة  
بنطقة سوس).

ويعد هذه المرحلة تأتي مرحلة الحماية الفرنسية وعهد  
الاستقلال، ولا بد أن نشير إلى الوضعية التي عاشها الخط  
في هذه الظرفية، فقد عاش الخط المغربي أزمة خانقة في  
هذه الفترة، إذ برزت هيمنة الحرف الأجنبي في المجال  
التعليمي وفي الحياة العامة على حساب الحرف العربي  
واللغة العربية، وبالمقابل ظهرت قوة - كرد فعل - أعمال  
الحركة الوطنية لتلقي الطلاب في المدارس في إطار تربيوي



ابن خلدون من تعميم وأن ملاحظة ابن خلدون تشير في  
الحقيقة إلى أن "هذا اللون من الخط" إنما هو الخط المغربي  
الذي استكمل شكله النهائي في هذه الفترة حيث بدأ متميزا  
عن الخط الأندلسي سواء في موقعه وفي أصنافه. فالخط  
المغربي من حيث الإجابة ينقسم إلى ثلاثة أقسام : مغربي  
حضري في المدن المذكورة، وخط مغربي بدوي وهو خط عرف  
في جميع جهات جنوب المغرب وشماله تكتب به المؤلفات  
العربية والأمازيغية، وخط يحتفظ بالسماة الأندلسية، أما  
من حيث أصنافه فقد استقرت في هذه الفترة في خمسة  
أصناف، وهي كما يلي :

الخط الكوفي والخط المبسوط والخط المجوهر وخط الثلث  
المغربي والخط المسند أو الزمامي وسنعود للتعريف بهذه  
الأنواع بإيجاز بعد حين.

رابعا : العصر السعودي : من أهم خصائص العصر  
السعودي ظهور إصلاح جديد شمل مختلف مظاهر الحياة في  
شتى الميادين، شملت ميدان الوراقة وتعليم الخطوط  
وتأسيس مدارس لتعلم الخط ومن ضمنها مدرسة جامع  
المواسين لتعليم أصول هذا الفن، وقد نصب عليها خطاط  
خاص يتولى تسييرها كما كان الشأن في الشرق الإسلامي.  
وقد تألق في هذا الفن خطاطون لامعون، وكان الخليفة  
المنصور السعودي يجيد الكتابة بخط الثلث المغربي  
المشرفي، وقد ابتكر حروفا خاصة لكتابة مراسلاته  
السرية، وعموما فقد ازدهرت الخطوط المغربية والزخرفة  
الكتابية في العهد السعودي مما يتجلى في كتابة المصاحف  
والآثار المعاصرة وفي الكتابة على القطع النقدية الذهبية  
منها والفضية.

خامسا : العهد العلوي : برزت معالم الخطوط المغربية  
واضحة منذ عهد مولاي الرشيد ومولاي إسماعيل واستمرت  
نفس الأنواع مع تفاوت في الجودة إلى عصر السلطان  
مولاي سليمان وبالخصوص في أهم المحاضرات المغربية على  
رأسها مدينة مكناس وتخصصت معها مدن فاس ومراكش  
في جودة الخطوط المغربية، بينما احتفظت مدينة الرباط  
وسلا ببعض بقايا الخط الأندلسي. وعرفت جودة الخطوط  
كذلك ببعض البوادي المغربية في عدة جهات مثل دكالة  
وإني زيان والأخماس، وجهات أخرى من شمال المغرب  
وجنوبه.

ولاشك أن الخط المغربي بعد هذه الفترة عرف تراجعاً في  
الجودة مما جعل الخطاط المغربي أحمد ابن قاسم الرفاعي  
الرباطي (ت. 1841) يقوم بمبادرة إصلاحية كالتالي قام بها  
الخطاط ابن البواب وابن مقلة في المشرق، فألف بإيعاز من  
أبي علي اليوسفي مؤلفاً في قواعد الخط وصناعته بهدف  
حفظ أصوله، إذ وضع منظومة بعنوان نظم لآلي السسط في  
حسن تقويم يدعي الخط ثم شرحها في كتاب بعنوان حلية  
الكاتب ومنية الطالب، وإلى جانب هذا فقد اهتم الملوك  
العلويون بالوراقة، وكانوا ينتقون أجود الخطاطين لنسخ

اللغة والخط العربيين، وظهرت في شمال المغرب سنة 1949 مذكرات تعليم الخط المغربي في خمسة كراريس من تأليف محمد بن الحسين السوسي وأنطونيو غارسيا خاين، وكان من مظاهر التثبيث بالخط العربي الاحتفاظ بإصدار جميع النقود المغربية بأوربا بخط الثلث المغربي. وبعد الاستقلال بقي الخط المغربي مهتما به في الرسائل والظواهر الملكية الرسمية إلى اليوم. وقد التحق بالديوان الملكي جملة من الخطاطين المرموقين، وتم إنجاز المصحف الحسني بأمر ملكي، كما أشرفت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مؤخرا على طبع المصحف الحسني المسبع وقد قام بإنجازه سبعة من الخطاطين المغاربة بخط موحد هو خط المبسوط.

وقد برز في عصرنا الحاضر عدد كبير من أعلام الخط والنساخته ترجم محمد المتوني - رحمه الله - للعديد منهم، نذكر على سبيل المثال محمد الرفاعي (ت. 1841) ومحمد القندوسي الفاسي (ت. 1861) وعبد الكريم سكيروج (ت. 1984) وعبد السلام بناني (ت. 1997)، كما يوجد اليوم عدد هائل من الخطاطين المغاربة الشباب ممن أبدعوا في مجال الخطوط المغربية وحصلوا على إجازات في المخطوط الشرقية، بل منهم من نالوا جوائز كبرى مشرفة في الخط المغربي والشرقي في عواصم الخط في تركيا وإيران مؤخرا. ونعود بعد هذا التقديم لتعريف وجيز بأنواع المخطوط المغربية.

#### أنواع المخطوط المغربية خمسة :

حاول (هوداس) صاحب محاولة في الخط المغربي تقسيم المخطوط المغربية إلى مدارس خاصة، حسب أمكنة وجودها، وهي القيروان وفاس والأندلس والسودان، وحاول تطبيق هذا التقسيم على الكتابات المغربية عامة ولكن هذا التقسيم لم يكن مؤيدا بأدلة خطية كافية لتغطي الفوارق الموجودة بين خطوط المدارس التي ذكرها والتي وصفها بغموض.

إن المدارس التي ذكرها وقع طبع كثير من أنواع خطوطها بالطابع المحلي واستمر الحفاظ على بعض خصائصها في أنواع منها، ومع مرور الزمن تستقر بعض التقاليد الخطية لتسجيل الصور النهائية لهذه المخطوط. وفي ظل الدول المغربية السالفة الذكر، كان الخط المغربي المتأصل من الخط الكوفي قد تغدى من إبداعات الخطاط المغربي واندمج مع روحه حتى غدا بعد ذلك خطا مغربيا أصيلا في أسلوبه وهندسته وفي أشكاله وزخرفته. فأنجب خطوطا عديدة على غرار التعدد الذي وقع في المخطوط الشرقية، وهي خمسة أنواع أساسية، لكنها تستوعب تشكيلات أخرى محلية وإبداعية كما أشرنا إلى ذلك سلفا وهذه هي الأنواع الأساسية :

1 - الكوفي المغربي : هو خط هندسي بديع يتميز بخطوط مستقيمة وزوايا حادة وهو الأصل الذي تطورت منه الأنواع المغربية الأخرى، ومن حيث الشكل فإنه لم يخضع

نماذج من الأنواع الخمسة للخط المغربي

تم صودا كنه في الكا  
حواسم حط وحاد وروبا  
كا فط رصا ر عبا الصبح مولا  
الحمد ورحمة الله وكرامات  
حسروني عسوس وكان سلم  
سكاه الحروف واساقها ونمر  
النسبه من الكناه ونونها

الخط الكوفي المغربي

ثم صرح أكتب في الكا عني استقام خطي وجاه  
وتروني أوكاه بلانمت ابن عمنا الشيخ مولاي أحمد  
رحمة الله. وكان نأ أخض حسن. مرونو مستحسن. وكان  
يعلمني انتظام الحروف واتساقها. ويفتر لي النسبة من  
الكتابة وتعريفها.

الخط المبسوط

ثم صرح أكتب في الكا عني استقام خطي وجاه  
بلانمت ابن عمنا الشيخ مولاي أحمد رحمه الله. وكان ذا حكمه حسن.  
مرونو مستحسن. وكان يُعلمني انتظام الحروف واتساقها. ويفتر لي النسبة  
من الكتابة وتعريفها ..

الخط الموهج

ثم صرح أكتب في الكا عني استقام خطي وجاه  
وتروني أوكاه بلانمت ابن عمنا الشيخ مولاي أحمد  
رحمة الله. وكان نأ أخض حسن. مرونو مستحسن.  
وكان يُعلمني انتظام الحروف واتساقها. ويفتر لي  
النسبة من الكتابة وتعريفها ..

خط الثلث المغربي

ثم صرح أكتب في الكا عني استقام خطي وجاه  
وتروني أوكاه بلانمت ابن عمنا الشيخ مولاي أحمد  
رحمة الله. وكان نأ أخض حسن. مرونو مستحسن.  
وكان يُعلمني انتظام الحروف واتساقها. ويفتر لي  
النسبة من الكتابة وتعريفها ..

خط المسند - الرومي

لتأثير الكوفي القيرواني بقدر ما هو استمرار للتيار المشرقي المنساب إليه عن طريق الأندلس، فكسب بعمق خصوصياته المحلية، وتأمل نماذج منه مكتوبة في الماضي على النقود وعلى رق الغزال في المصاحف القديمة ومنقوشات في الحجر على أبواب المدن والقصبات، وفي الجبص على جدران المساجد والمدارس العتيقة وقبور الملوك وأضرحة الأولياء، أما في الوقت الراهن فلم يعد مستعملا في الحياة العملية إلا في كتابة بعض العناوين خاصة في سور القرآن الكريم في بعض المصاحف وزخارف بعض الصناعات التقليدية وفي بعض أعمال فن التشكيل المعاصر.

2. المبسوط : يعتبر الخط المبسوط أكثر راحة للعين بأحرفه الواطئة المبسوطة ويتميز بالوضوح وسهولة القراءة وهو أعلى مراتب الخط المغربي، ولذلك فهو يستعمل في كتابة المصاحب المخطوطة وكتب الأدعية والصلوات، وعلى أساسه يقع التعليم في الكتابات القرآنية، وقد كتبت به أهم المصاحف المبسوطة بالمطبعة الحجرية، طبع أول مصحف منها بالمغرب عام 1296 / 1879، خال من اسم الناسخ. وتعتبر هذه المصاحف أكثر رواجاً في بلدان شمال إفريقيا عموماً وفي طبعتها مصحف الوراق أحمد بن الحسين زويتى الفاسي المطبوع على الحجر عام 1347 / 1928 والمصحف الحسيني 1400 / 1980 والمصحف الحسيني المسبح الذي أصدرته وزارة الأوقاف أخيراً.

و عرف المبسوط عند العامة "بخط الفقهاء" أو "خط القرآن" أو "الخط العثماني" أي رسم المصحف العثماني، وكل هذه الأسماء تحيل على جانب من القدسية، ولجمالية هذا الخط فلا يزال في الوقت الراهن مستعملاً في كتابة المصاحف وفي عناوين الصحف والمجلات وعناوين الإشارات في المجلات التجارية وتصدر به أحيانا بعض الرسائل الرسمية.

3 - الجوهري : تمتاز حروفه بالصغر والتقارب ويوهي تناسقها بعقد الجوهري، انحدر هذا الخط من المبسوط في حدود القرن السادس الهجري، وهو أكثر استعمالاً في الحياة العامة، وخصوصاً في الرسائل والظواهر السلطانية وفي جل المؤلفات المخطوطة، وهو الخط الرسمي المعتمد في المطبعة الحجرية، حيث طبعت به مختلف الكتب من عهد السلطان محمد بن عبدالرحمان سنة 1864 إلى بداية الحماية الفرنسية سنة 1912، ومن ضمنها كتاب "التحفة للتسولي" في مجلد وسط 260 ص. وكتاب "شرح الخرشبي على مختصر خليل" في ستة مجلدات.

ويستعمل الخط الجوهري الآن في استنساخ بعض الوثائق المهمة وعقود النكاح الفاخرة، ولا تكتب به العناوين.

4 - الثلث المغربي : مقتبس من الثلث المشرقي وتعريفه "بالمشرقي المتغرب" تعريف غير دقيق، ويمتاز الثلث المغربي بليونته وانسياب حروفه وإمكانياته غير المحدودة

على التشكيل. وإذا كانت حروف خط الثلث المشرقي تخضع لأحجام معيارية محصورة فإن خط الثلث المغربي يجد حرية أكبر في تطويع صور الحرف الواحد في نفس الجملة تبعاً لمعايير جمالية بصرية يقتضيها توزيع الفضاء وتركيب الحروف في تناغم داخلي يعبر عن إحساس شاعري بالحروف وتركيبها، وهو يتخذ شكل اللوحة الخطية، بخلفية مزخرفة بأشكال نباتية وملونة أحيانا بماء الذهب، والثلث المغربي أكثر ما يستعمل للتزيين، فيه تكتب فواتح السور وديباجة بعض الكتب كما يستعمل غالباً في العمارة في زخرفة المساجد والأضرحة والمدارس العتيقة. ويستعمل الآن في عناوين ومواضع بعض المجلات.

5 - المسند : ويعرف أيضاً "بالزمامي" وهو مشتق من الزمام وهو التقييد والتسجيل في الدارحة المغربية، ويعود استعمال هذا المصطلح إلى العصر المرابطي حيث كان بعض المؤرخين يختصون بكتابة "أزمة المجاهدي السلطانية" التابع لتحصيل الضرائب الشرعية، كما يسمى "خط العدول" وكان خاصاً بالوثائق العدلية والعقود، وهو خط سريع يستعمل في التقييد الشخصية، ولا يستعمل في الكتب العلمية إلا نادراً وهو صعب القراءة مقارنة بغيره من الخطوط المغربية وهو منحدر من الجوهري، ويذكرنا بتسلسل حروف خط الديواني الشرقي في تركيباته. وقل من يحتفظ بأصول هذا الخط من العدول في الوقت الراهن، وقد اختلطت بكتاباتهم السريعة حروف من الخطين (النسخي والرقعة) المنتسبة إليها من التعليم المعاصر.

الخلاصة :

على الرغم من كون هذه اللوحة الموجزة عن تاريخ الخط المغربي ليست ملهمة بكل الجوانب المرتبطة بالخط، مثل دراسة الخصائص الخطية، وتقنيات الخطوط وأدواتها، ومشكل القواعد والموازين، واستيفاء تاريخ أعلامها، فإن الضرورة تدعو إلى إعادة النظر في شؤون الخط وقضاياها، ومحاولة بعته حضارياً - كأحد الوجوه التي تعبر عن هويتنا - ذلك أن خمسة عشر قرناً من تاريخ حضارتنا كلها مسجلة بهذه الخطوط، فحضارتنا حضارة مخطوطة وليست مطبوعة، وإن معظم طلابنا - وهم في مستويات متقدمة من التعليم - يجدون عسراً في قراءة الوثائق والمخطوطات، كما أن دخول الحاسوب والأنتيرنيت وآليات الكتابة السريعة إلى حياتنا الثقافية، أكسب الخدمات الكتابية سرعة، ولكنه سلب من هذا الجيل - بالتدريج - حماساً في الكتابة اليدوية والتخطيط، وجعله زاهداً في قراءة حضارته المخطوطة، وهذا يستدعي القيام بإجراءات:

على المستوى الوطني، ضرورة إدماج الخط المغربي في برامج التعليم ومدارس الفنون الجميلة وتوظيفه في الحياة العملية.

وعلى المستوى العربي هناك قضية كبرى تهم مسألة "تقعيد الخط المغربي" على غرار الخطوط العربية في



المشرق، ويجري البحث على قدم وساق لوضع قواعد وموازين مضبوطة للخطوط المغربية، تحافظ على جمالياتها وتسهل تداول استعمالها على مستوى العالم العربي والدولي، وينجز هذا العمل في إطار مجموعة من المتخصصين كان من بينهم محمد المنوني - رحمه الله - وثلة من الخطاطين المتمكنين ببلادنا، وقد أنجز "تقعيد الخط المبسوط" على أن يتم تقعيد بقية الخطوط لاحقاً - بإذن الله ..

م. المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، منشورات كلية الآداب - الرباط، 1991 : البشاري المقدسي، أحسن التقسيم في معرفة الأقاليم، تج. دي خوية، ليدن، 1906. 239 : ع. ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، 1981، ص. 258. 259 : ع. أفاء، ملامح من تطور الخط المغربي من خلال الكتابة على النقود، مجلة كلية الآداب، الرباط، عدد 18 سنة 1993، ص. 71. 91 : م. شريفي، خطوط المصاحف عند المشاركة والمغاربة، من القرن الرابع إلى القرن العاشر الهجري، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982 : اللوحات الخطية في الفن الإسلامي، دار ابن كثير، بيروت 1998 : هوداس (O. Houdas)، محاولة في الخط المغربي، ترجمة عبد المجيد التركي، مجلة حوليات الجامعة التونسية، عدد 3 سنة 1966 : أ. الرفاعي، حلية الكتاب ومنية الطلاب، مخطوط خ. ع. الرباط، رقم 254 ج. د : قصيدة نظم لأبي السمس في حين تقويم بديع الخط، تج. هلال ناجي، مجلة المورد عدد 4 سنة 1986 : ع. الكبير سكيو، الخط المغربي، مجلة الثقافة المغربية عدد 2، سبتمبر سنة 1947 : م. السجلماسي، ع. الكبير الخطيبي، ديوان الخط العربي، 1980 : يوسف دنون، قديم وحديث في أصل الخط، مجلة المورد، عدد 4 سنة 1986 : م. الصادق عبد اللطيف، الخط العربي في المغرب العربي الكبير، مجلة العربية، عدد 85 سنة 1984 : معروف زريق، موسوعة المخطوط العربية وزخارفها، دار المعرفة، دمشق 1993 : ندوة المخطوط العربي وعلم المخطوطات، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1994 : أحمد بوزيد الكنتاني، من تاريخ الوراقة والوراقين بمنطقة سوس، مجلة كلية الآداب، الرباط عدد 21. 22 سنة 1997. 96، ص. 142. 97 : صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، بيروت، 1972 : علي بنعياش، الخط المغربي الملبح، قراءة في جمالياته (بحث مرقون 1998) : فتحة الشقيري، جوانب من التطور التاريخ للخط المغربي، الدار البيضاء، 1990 : م. المغراوي، الخط المغربي : الإبداع والتاريخ (بحث مرقون، 2000) : م. المصلوحي، الأثر الإسلامي في إبداع الخط العربي، بحث للإجازة بكلية الآداب بالرباط، 1985 (بحث مرقون) : م. السجلماسي، مخطوطات الخزانة الحسنية، طبع ACR نشر سوشيرس، 1992 : م. عبد العزيز محسود، الخط العربي الأندلسي وتطوره، رسالة جامعية نوقشت بجامعة الاسكندرية، كلية الآداب، 1981، رقمها 3249 / 3252 س.

D. Eustache, *Corpus des Dirhams Idristes et contemporains*, Rabat, 1970 ; *Corpus des monnaies Alawites*, Rabat, 1984 ; J. D. Brethes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, Casablanca, 1939 ; A. Bel, *Les inscriptions arabes de Fès*, 1919 ; G. Deverdun, *Inscriptions arabes de Marrakech*, Rabat, 1956.

عمر أفاء

**خطاب**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وقد استقرت بقرية بوسملال بقبيلة بني حزم، ومنها انتقلت إلى تطوان حيث كان منهم محمد بن عبد القادر الخطاب يزاول خطة العدالة بالمدينة سنة 1129 / 1717.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 618.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخطاب**، **عمر بن عبد العزيز** الزرهوني، شيخ صوفي وصاحب زاوية في زرهون خلال القرن العاشر (16م) يذكر الأهالي أنه من عرب رياح الهلاليين. (جواهر، 6)، بينما يرفض كتاب ترجمته هذا الزعم، ويشيرون إلى أنه ابن خالة شيخ صوفي زرهوني آخر هو عبد الله بن إبراهيم الشهير باسم عبد الله الخياط الشريف الرفاعي نسبة إلى رفاعة من عرب اليمن، (جواهر، 66. 79، مجتمع، 48 : *ابتهاج*، 129) وأنها انتقلا معا من وهران - حيث ولدا على ما يبدو - أواخر القرن التاسع (15م) ودخلا بلاد المغرب الأقصى أوائل القرن الموالي، وهما في سن الاحتلام (جواهر، 6 مجتمع، 48).

ويضيف البعض أنهما "كانا في صغرهما يقرآن على مؤدب واحد في مكتب واحد" بمدينة مكناس. لكن المصادر لا تذكر الشيوخ الذين تتلمذ عليهم أبو حفص عمر الخطاب، لما بلغ أشده، بل الظاهر أنه لم يواصل الدراسة في مراحل ما بعد الكتاب، حتى إن البعض يقول "إنه لا بضاعة له في العلم الظاهر" (دوحة، 85) في وقت يُعترف له بالريادة في عالم الزهد والصلاح.

وهذا يعني أن عمر الخطاب استهواه عالم التصوف وهو لم ينل بعدُ حظاً وافراً من علوم الشريعة. وفي هذا الصدد تذكر كتب التراجم أنه لقي عدداً من مشايخ طريق القوم وأخذ عنهم وسلك على أيديهم وعلى رأسهم الشيخ عبد العزيز الحرار الشهير بالتباع، خليفة الشيخ المؤسس للطريقة الجزولية محمد بن سليمان الجزولي. وقد صحب عمر الخطاب شيخه هذا وخدمه سبع سنين متوالية (مجتمع، 48، *ابتهاج*، 140)، أصبح بعدها ولياً صالحاً مآذوناً له في تأسيس الزاوية التي اختار لها جبل زرهون. ولذلك يصنف أبو حفص عمر الخطاب ضمن أولياء الطبقة الثانية في الطائفة الجزولية، إذ ليس بينه وبين شيخ الجزوليين جميعاً

محمد بن سليمان الجزولي سوى واسطة واحدة. ومعناه، أن أبا حفص واحد من الرعيل المؤسس لمبادئ الطريقة الجزولية والمساهم في توسيع شبكة زواياها وأتباعها.

كما يفهم من كتب المناقب أن الشيخ عمر الخطاب بلغ في عالم التصوف عموماً، وفي سلك الطائفة الجزولية بالخصوص، مقاماً عالياً. بحيث لم يتردد كتاب مناقبه في وصفه بالولي القطب (متمتع، 102، ابتهاج، 141). وقد أكد صاحب الابتهاج على ذلك بقوله: "أما حاله فالفناء الأكبر الناتج عن شهود العظمة الذاتية، الذي من وصفه سلباً النفس من وصف البشرية، وحس الروح عن الجولان في ملكوت الروحانية، وعقال العقل عن القلب في ميدان الوردات الظلمانية والنورانية، ووقوف السر في الحضرة الربانية، كان لله ولا شيء معه... وولايته على ما بلغنا ولاية الوجود، وهو تجلي الحق لعبده بقضية الوجود، حتى يكون كل شيء منه وإليه، بل كل شيء فيه ولا يخرج عنه شيء، وهذا الوصف كاف في بيان فضيلته إن شاء الله" (ابتهاج، 141).

وبناء عليه لا غرابة إذا نسب إليه أتباعه الكرامات وخوارق العادات، ولا غرابة إذا كسب الواجهة عند العامة والخاصة، (متمتع، 48، دوحه، 85) وتسابقوا للنيل من بركته، كما تسابق المريدون للأخذ عنه وسلوك طريق القوم علي يديه. وحسبنا علماً أن الشيخ الشهير عبد الرحمن المجذوب كان واحداً من مريديه (ابتهاج، 140).

وإلى جانب هذا كله، اشتهر الشيخ عمر الخطاب بمسألتته الشديدة للوطاسيين، ووقوفه إلى جانبهم في الصراع ضد الحركة السعدية المتنامية في الجنوب. وهو الموقف الذي ظل متمسكاً به إلى أن توفي حوالي 943 / 1536. وحسبنا علماً أن هذا الشيخ كان واحداً من أولياء مملكة بني وطاس الذين مثلوا فاساً في مفاوضات الصلح مع الشرفاء السعديين التي تخللت معركة بوعقبة الشهيرة، التي آلت إلى هزيمة الوطاسيين، سنة 943. 1536. وفي هذا الصدد تذكر المصادر قصة طريفة مفادها: أن الوفد الوطاسي وجد في خصومه "... شدة وغلظة وامتناعاً عن مساعفتهم على ما أرادوا من الصلح بين الطرفين والتراضي على قسمة البلاد، فحلف الشيخ عمر الخطاب لا دخولها - يعني فاساً فيما يظهر - مادمت على وجه الأرض، فما دخلوها حتى مات بعد مدة" (متمتع، 49 الاستقصا، 4: 191).

ولا داعي للجزم بصحة هذه القصة بكل تفاصيلها، فالمهم بالنسبة لنا أن خلاصتها العامة تتوافق مع ما ذهب إليه صاحب الدوحة في حديثه عن وجهة عمر الخطاب (الدوحة، 85) لدى الأمراء الوطاسيين، كما تتوافق أيضاً مع الرواية الشائعة التي تناقلتها المصادر على لسان بعضهم "... لو أن بني مرين (بني وطاس) كانوا يعرفون شيئاً ما دفنوا سيدي عمر الخطاب يعني لتركوه في تابوت على وجه الأرض" (متمتع، 49 الاستقصا، 4: 151).

وعلى كل حال، فقد توفي الشيخ عمر الخطاب سنة 943 / 1536، وتوالت الهزائم على حلفائه بني وطاس، إلى أن اقتحم عليهم الشرفاء السعديون عاصمتهم مدينة فاس، وانتهى حكمهم في بلاد المغرب. أما الشيخ عمر الخطاب، فقد ترك في جبل زرهون، زاوية وخلفاً هو ابنه عبد العزيز ابن عمر الخطاب، الذي ورث من والده بركته ومهمة تسيير زاويته.

م. ابن عسكرو، دوحه الناشر لحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح. م. حجي، الرباط، 1397. 1977: م. المهدي الفاسي، متمتع الأسماع، طبعة حجرية بفاس، 1313 / 1896، ع. الفاسي، ابتهاج القلوب بخير الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب، تح. حفيفة الداوي، د.د.ع. في التاريخ، خزانة كلية الآداب، بالرباط، 1991. 1992: م. الحياطي، جواهر السماط في مناقب سيدي عبد الله الحياطي، مخطوط خ. ع الرباط، الرباط، رقم 1185: أ. الناصري الاستقصا، البيضاء، ج 4، 1955.

أحمد الوارث

ابن خطاب الهنتاتي، وردت ترجمة في اختصار القدرح (22-27) حيث ذكر استقرار عائلته بجيان أيام حكم الموحدين بالأندلس، وكان ابن خطاب أحد حفاظهم (عمالهم) وظلّت داره منتدى لأهل العلم والأعيان، فلما زال الحكم الموحد من الأندلس بقيت لابن خطاب مكانته المتميزة لحسن عشرته، بل ولاه أمير غرناطة النصري محمد بن الأحمر "خطتي السيف والقلم"، ثم انتقل إلى تونس فجعله الأمير الحفصي على رأس المجموعة الهنتاتية بتونس وأصبحت له مشاركة في أمور البلاد أما عن وفاته فلم يرد ذكرها عند أبي سعيد.

ابن سعيد، اختصار القدرح الملقى.

أحمد عزاوي

الخطابي، أسرة من قبيلة بني ورياغل أقدم القبائل الريفية عهداً وأكثرها عدداً وأعظمها قوة ونفوذاً وتأثيراً (Bernard, 38). وقد سكنت أسرة الخطابي اجدير في خليج الحسيمة أمام جزيرة النكور التي يحتلها الاسبان منذ 28 غشت 1673 (Rézette, 39)، مما جعلها تعيش في منطقة تتمتع بموقع استراتيجي ظهرت أهميته القسوى أيام حرب الريف.

وقد اعتاد بعض الكتاب الذين كتبوا عن محمد بن عبد الكريم الخطابي أن ينسبوا أسرته إلى عمر بن الخطاب (Woolman, 75)، وهناك من يقول إنها من أولاد عبد الله ابن الخطاب الشريف الزباني من ذرية ملوك تلمسان وتقدّمت بالصحراء، ومن أحفاد عمران بن مولاي إدريس الأصغر الذي خص له بلاد الريف وباديس بعد موت أبيه (البوغياشي، 1: 447 هامش 2). إلا أن محمد بن عبد

الحسن الذي عينه قاضياً على قبيلته في 9 ماي 1883 (Ayache, 159)، وزاد السلطان المولى عبد العزيز من اعتباره فكلفه في 4 فبراير 1907 بمهمة الإشراف العام على جميع قواد بني ورياغل (Ayache, 160).

وقد أدرك الإسبان قبل احتلالهم لشمال المغرب قيمة هذه الأسرة وأهمية دورها في قبيلتها بني ورياغل، ولذلك حاولوا ربط علاقات مادية ومعنوية معها منذ بداية هذا القرن، وعملوا على فتح حوار مستمر مع رب العائلة قاضي بني ورياغل الفقيه عبد الكريم الخطابي، وعلى فتح آفاق العمل في مليلية لابنه الأكبر محمد، والدراسة في مليلية ثم في مالقة ومدريد لابنه الأصغر محمد، والعمل في الإدارة الإسبانية بجزيرة النكور لأخيه عبد السلام. وكانت هي الأسرة الوحيدة في الريف التي استطاعت تحقيق ذلك مع المحافظة على نفوذها القوي في قلب قبيلة بني ورياغل. وتحب الإشارة إلى أنه في الوقت الذي كان فيه الفقيه عبد الكريم قاضياً في اجدير، وابنه الأكبر محمد قاضياً بمليلية، وابنه الأصغر محمد يدرس الهندسة بمدريد، كانت الأغلبية الساحقة في قبيلة بني ورياغل لا تتكلم سوى اللهجة الريفية وقليل من اللغة العربية وبعض كلمات بالاسبانية (Hart, 41)، في حين كان الأب ذا ماضٍ حافل وصاحب علم ووعي ومعرفة بالأحوال، والأخوان ضليعان في اللغة العربية، ويعرفان الإسبانية، ويطلعان على عالمٍ واسعٍ أوسع كثيراً من العالم الذي كانت تعيش فيه قبيلتهما والريف بأسره. وهذا وحده يبين مستوى الوعي الذي كانت تتميز به عائلة الخطابي ليس فقط في قبيلة بني ورياغل وإنما في جميع أنحاء الريف وشمال المغرب. ولذلك لم تبق الحالة كما كانت عليه في منطقة الريف عندما قررت هذه العائلة قطع كل علاقاتها مع الإسبان، ورأت أنه لم يعد هناك سوى طريق المقاومة المسلحة لإقناع إسبانيا بتغيير سياستها الاستعمارية العنيفة وإدخال الإصلاحات الضرورية في منطقة حمايتها. وبدأت بذلك فترة حرب الريف التي كانت فيها قبيلة بني ورياغل هي الذراع القوية الطويلة، وعائلة الخطابي هي العقل المدبر رغم وفاة رئيسها في البدايات الأولى للثورة.

وبما يشير الانتباه في تاريخ عائلة عبد الكريم الخطابي هو ذلك الترابط العميق الذي كان يجمع أفراد العائلة ويلحم بعضهم ببعض. وقد ظهر واضحاً أن وحدة العائلة وتلاحمها في السراء والضراء هو الذي جعلها ترتفع وتتغلب على المشاكل التي أفرزتها حياتها المليئة بالأحداث الجسيمة سواء في الريف قبل الثورة وبعدها، أو في المنفى في جزيرة لارنيون طيلة عشرين سنة وزيادة، أو في مصر ثم في المغرب بعد ذلك.

وقد دفعت عائلة عبد الكريم الخطابي ثمنها غالياً لما قامت به من كفاح ضد الاستعمار، فبعد استسلام محمد بن عبد الكريم قامت فرنسا بنفيه بعيداً عن وطنه برفقة أربعين

الكريم الخطابي لم يشر على الإطلاق مسألة الانتساب إلى الأدارسة أو إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رغم أن هذا الانتساب الأخير كانت له ضجة كبيرة أثناء الحرب الريفية (بناني، 272). وقد جاء في مخطوطة كتبها محمد بن عبد الكريم في جزيرة لارنيون وسلمها في نهاية عام 1928 لمراقفه الضابط الفرنسي سانبي (Ayache, 347) "إننا إذا حاولنا أن نثبت لعائلة عبد الكريم نسباً حقيقياً مبنياً على رسوم تاريخية لا نجد أماناً سوى ما نقله السيد الوالد المرحوم عن معاصره أو رواه عن والده ووالده عن والده وهكذا. إن الوالد كتب قبل وفاته ما سمعه ورواه بعد البحث والاعتناء عن النسب، وذلك الكتاب ضاع في جملة الأشياء التي ضاعت، ولكن ملخصه أن نسبه على وجه الظن كان يتصل بسيد زرعة دفين ينبغ (مخطوطة سانبي : 1). وفي مكان آخر، يذكر محمد بن عبد الكريم أن عائلته تنتمي إلى محمد بن عبد الكريم الحجازي الأصل، وأن أجداده جاؤوا إلى المغرب في القرن التاسع الميلادي وأقاموا في قبيلة بني ورياغل، وأن منطقة إقامتهم ظلت لمدة ألف سنة تمتد من خليج الحسيمة إلى تارگست (Mathieu, 55).

هذا ما ذكره محمد بن عبد الكريم عن نسب عائلته، وهو يختلف عما كان ينشره المارشال ليوطي والسلطات لفرنسية والاسبانية عن هذا الموضوع، والذي كان يُلحُ بصفة خاصة على أن محمد بن عبد الكريم يستغل اسمه العائلي "لادعاء انتمائه للخليفة عمر بن الخطاب مما يسمح له بالمطالبة بالسلطنة (بناني، 272).

وقد اشتهرت أسرة الخطابي بولائها لسلطين المغرب، واعتمد عليها هؤلاء في القيام بالإشراف على مهمة الدفاع الوطني في منطقة الريف وتأمين ولاء قبيلة بني ورياغل والقبائل الريفية الأخرى للمخزن الشريف (بن جلون، 174).

امتازت أسرة الخطابي بالتفوق في الاعتناء بتربية أولادها وتعليمهم، واشتهر بعض أفرادها بالعلم والسياسة وشغلوا وظائف مختلفة مع سلطين المغرب مثل القيادة والقضاء، وأحسنوا التصرف في مهماتهم بما كان فيهم من الإخلاص والصدق والأمانة. ومن بين هؤلاء عم عبد الكريم الخطابي زيان بن محمد الذي عينه السلطان المولى الحسن قائداً على جزء من قبيلة بني ورياغل، ثم رقاؤه بسبب استقامته ونزاهته وحسن تصرفه وعينه قائداً عاماً على الريف الغربي. ومن بين هؤلاء أيضاً شقيق هذا الأخير محمد بن محمد الخطابي الذي أتم دراسته بالقرويين وأدرك شهرة كبيرة في الذكاء والعلم، فاستدعاه السلطان المولى الحسن لتعليم بعض أولاده لما فيه من زيادة العلم والتحصيل والمروءة، وظل كذلك حتى مات ودفن بفاس (مخطوطة سانبي، 2). وقد كان جد عبد الكريم الخطابي

عبد الكريم فقيهاً، وكذلك والده محمد (البوعياشي، 1 : 425)، أما هو فقد سار على نفس الدرب، فذهب إلى فاس وأتم دراسته بالقرويين، وحصل على ثقة السلطان المولى

G. Ayache, *Les origines de la guerre du Rif*, Rabat, Paris, 1981 ; M. Bernard, *Les tribus de la zone nord et nord-ouest du Maroc*, Paris, 1926 ; L. Gabrielli, *Abd-El-Krim et les événements du Rif*, Casablanca, 1953 ; M. Hart, De "Républik" à "République", in *Abd-el-Krim et la république du Rif*, Paris, 1976 ; R. J. Mathieu, *Mémoires d'Abd-El-Krim*, Paris, 1927 ; R. Rézette, *Les enclaves espagnoles au Maroc*, Paris, 1976 ; D. Woolman, *Rebels in the Rif*, London, 1969.

**الخطابي، الرشيد بن محمد بن عبد الكريم.** ابن أخي البطل الشهير محمد بن عبد الكريم الخطابي. عاش مع أبيه وعمه المجاهدين في المنفى، ثم انتقل معهما إلى القاهرة حيث مكث سنين عديدة. وقد جاء إلى المغرب في زيارة لصلة الرحم فمرض ودخل مستشفى ابن سينا بالرباط حيث وافاه الأجل يوم عاشر شوال عام ثمانية وتسعين وثلاثمائة وألف / 31 دجنبر 1968.

ونقل إلى مدفن أسلافه بأجدير قرب الحسيمة.  
ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*. بيروت، 1996، ج 9.

**الخطابي، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم** الورياعلي وكُد سنة 1860 بأجدير ودرس بالقرويين وتخرج منها (القاضي، 17). وبعد عودته إلى مسقط رأسه، عينه السلطان المولى الحسن قاضياً على قبيلته بني ورياغل في عام 1883 (Ayache, 159, note 11)، وظل في وظيفته تلك في عهدي السلطانين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ، وقد زاد السلطان عبد العزيز من اعتباره عندما ولّاه خطة المراقبة على قواد بني ورياغل. وكما قال عنه ابنه محمد بن عبد الكريم زعيم الثورة الريفية "فقد حاول دائماً بكل قوته وأفكاره السامية إصلاح وطنه وترقية شعبه ونشر أوية العلم في الداخلية وحمل الناس على طاعة سلاطين المغرب، وطالما قُدّم نصائح للسلطان ولولّاته في مختلف البلاد" (مخطوطة سائني، 2). ويحكم مسؤولياته وعلاقاته مع المخزن و ببعض خدامه كالباشا عبد الله بن سعيد السلاوي (حكيم، 45)، ونتيجة لما كان يقوم به من زيارات لفاس وتطوان وطنجة ومليلية وجزيرة النكور، فقد كان الفقيه والقاضي عبد الكريم الخطابي يتابع عن كثب تطور الأحداث في المغرب وخاصة بعد مجئ الجيلالي الزرهوني (أبي حمارة) إلى الريف، وتدهور سلطة المخزن في مناطق مختلفة من المملكة، والصراع على السلطة بين عبد العزيز وعبد الحفيظ وما نتج عن ذلك من فوضى واضطرابات، والمفاوضات الفرنسية الإسبانية في 3 أكتوبر 1904 والتي تضمّن تصريحها العلني الذي اطلع عليه المغاربة استعداد فرنسا وإسبانيا لتقديم المساعدة للمغرب لإدخال ما يحتاج إليه من الإصلاحات الإدارية والاقتصادية والمالية، ثم مؤقّر الجزيرة الخضراء (يناير - أبريل 1906) الذي اهتم الفقيه بقراراته وابعكاساتها على مستقبل المغرب.

من أفراد عائلته (Gabrielli, 213)، وعانى هؤلاء جميعاً من التغيير الكامل الذي طرأ على حياتهم، ومن الأويثة والأمراض التي تمتلئ بها الجزيرة ومن سوء طقسها، ومن انسداد الأفاق بالنسبة للأبناء الذين كانوا في سن الدراسة أو الزواج، ومن انقطاع الرجاء في سراح قريب موعود به، وخيبة أمل تراكمت تأثيراتها عبر سنوات عديدة من المنفى. وقد انتقل بعض أفراد العائلة إلى رحمة الله في هذا المنفى البعيد، وكانت من بين هؤلاء والدة محمد بن عبد الكريم التي توفيت عام 1931.

وفي أثناء ذلك عملت إسبانيا على محو كل ما له علاقة بمحمد بن عبد الكريم الخطابي وعائلته، فهدمت منازل العائلة في أجدير وأستولت على أملاكها، وشردت وطاردت كل من له علاقة بها أيام الثورة الريفية. ولم تعد عائلة عبد الكريم الخطابي مرة أخرى إلى الحرية إلا عندما تمكنت من اللجوء إلى مصر في شهر ماي 1947. وعندما وصلت العائلة إلى القاهرة، توزع أفرادها على ثلاث مساكن، وكان عددهم يبلغ حينئذ 42 فرداً. وقد كان لمحمد بن عبد الكريم زوجتان أحب منهما خمس بنات وستة أولاد، وأحب شقيقه محمد أربعة أولاد، وأحب عمه عبد السلام ثلاث بنات وولدين، وقد دخل هؤلاء إلى مدارس وكليات القاهرة لتتميم دراستهم، وخصصت الحكومة المصرية راتباً شهرياً للعائلة مكنها من أن تعيش مطمئنة (العلمي، 72). وكما كان الوضع في العهد الملكي، ظل كذلك في العهد الجمهوري، فقد اهتم الرئيس جمال الناصر بعائلة الخطابي اهتماماً كبيراً، واهتمت بها عناية خاصة تليق بتاريخها المجيد.

وعندما استقل المغرب في سنة 1956، كان عبد السلام الخطابي قد انتقل إلى رحمة الله ودفن بالقاهرة في يوليو 1953، وقد فضّل محمد بن عبد الكريم وشقيقه محمد البقاء في مصر لأسباب سياسية، إلا أنهما سمحا لأبناء العائلة بالعودة إلى الوطن. وقد عاد بعض هؤلاء إلى المغرب والتحقوا ببعض الوظائف واتخرطوا في الحياة العامة واندمجوا في المجتمع المغربي. وفي فبراير 1963 توفي محمد بن عبد الكريم ودفن بالقاهرة، وفي دجنبر 1967 توفي شقيقه محمد ودفن بأجدير بعد أن كان قد عاد إلى المغرب قبيل ذلك بقليل، وطويت بذلك صفحة مجيدة من حياة هذه العائلة المتميزة التي تركت بصماتها واضحة في تاريخ المغرب المعاصر.

ع. بناني، *قراءة في مذكرات محمد بن عبد الكريم الخطابي انطلاقاً من كتاب "جذور حرب الريف" للأستاذ جرمان عياش*، في دراسات تاريخية مهداة للفقيد جرمان عياش؛ ع. بن جلون، *هذه مراكش!* أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية ومرآة النضال*؛ م. العلمي، *زعيم الريف محمد عبد الكريم الخطابي*. ط. 2؛ مخطوطة سائني، انظر، ع. بناني في "دراسات تاريخية مهداة للفقيد جرمان عياش".

كانت فترة السنة والنصف التي عاشها عبد الكريم الخطابي في تطوان حافلة بالأحداث ومثيرة للتأمل، فبعد حرق منزله ونهب ممتلكاته والمهانة التي تعرض لها، وصل إلى تطوان وهي لم تحتل بعد، وقد شاهد بنفسه دخول القوات الإسبانية إلى المدينة في 19 فبراير 1913 وعلى رأسها الجنرال ألفاو (ALFAU) بعد أن دعا أعيانها واستقبله سكانها بالهدوء والطمأنينة. كما شاهد أيضاً البلاء الذي أصاب تطوان بعد دخول الإسبان إليها، وبصفة خاصة هتك الأعراض ونهب الممتلكات ومصادرة الأموال. وقد حاول الفقيه عبد الكريم الخطابي تغيير هذا المنكر، فتدخل لدى السلطات الإسبانية ونصح الجنرال ألفاو بعد أن طلب منه ذلك أعيان المدينة، إلا أن الجنرال كان فظاً وأجابه بجواب غير مناسب وغير مقنع (مخطوطة سانيي، 6). وفي هذه الفترة أيضاً شاهد عبد الكريم الخطابي ما أصاب أحمد الريسوني والجزء الذي حصل عليه من إسبانيا رغم الخدمات الجليلة التي قدمها لها، ثم شاهد أخيراً مهزلة استقبال الخليفة ومحاولة تنصيبه سلطاناً على المنطقة (S.H.A.T., Carton 3H - 262).

ولم تلبث أن انفجرت الحرب العالمية الأولى وانضمت تركيا لألمانيا وبدأت تنتشر في المغرب بصفة عامة وفي المنطقة الخليفية بصفة خاصة - الدعوة لتأييد السلطان التركي والأميراطور الألماني ضد أعداء الإسلام. وقد انتهر الألمان الفرصة وجعلوا المنطقة الخليفية مركزاً لنشاطهم من أجل إثارة المشاكل لفرنسا في منطقة نفوذها، ولذلك اتصلوا ببعض زعماء المنطقة الخليفية ومنهم الفقيه عبد الكريم الخطابي. ولم يتردد الرجل في الانضمام للمتعاونين مع تركيا وألمانيا، ولعب دوراً مهماً في ربط الاتصال بين الألمان والقبائل الريفية من جهة، وعبد المالك بن محيي الدين الجزائري - الذي كان مستقراً في شمال تازا ويشير المشاكل لفرنسا - من جهة أخرى (Lyautey, III : 33 - 37).



كان الفقيه عبد الكريم الخطابي يؤمن بضرورة الإصلاح والتغيير، ولكنه كان يدرك أن المخزن لا يستطيع ذلك ولو أراد، لذلك كان يرى أنه لا بد من الاستعانة بدولة أوروبية تساعد المغرب على إدخال الإصلاحات اللازمة. وبحكم الجوار، وبما أنه كان يناهض أي احتلال مباشر للريف من طرف الجيوش الأوروبية (مرتين، 58)، فقد رأى أن إسبانيا تستطيع القيام بمهمة الإصلاحات لأنها دولة متقدمة ولكنها في نفس الوقت أضعف من أن تستطيع إخضاع منطقة الريف. وبدأ عبد الكريم الخطابي يتصل بالإسبان في جزيرة النكور ويربط علاقات وثيقة مع إسبانيا (البوعياشي، 1 : 81) باعتبارها الدولة التي انتدبتها الدول للمنطقة الشمالية من المغرب من أجل اصلاحها (Ayache, 165)، "ورأى من الحكمة والرأي السديد أن يتعاون مع إسبانيا ويساعدها فيما عهد إليها من تنفيذ قرارات مؤتمر الجزيرة" (مخطوط سانيي، 2)، خاصة وأنه كان يعتقد في البداية أن إسبانيا "عازمة على نشر نفوذها بالطريق السلمي وبالوسائل الحسنة المدوحة" (مخطوطة سانيي، 7)، ولذلك عمل على إرسال ابنه إلى مليلية لتعلم اللغة الإسبانية (Ayache, 164)، وكثيراً ما كانت قبيلة بني ورياغل تنتقد وجود ولديه عند النصارى، فكان يجيب بأن وجودهما عند الكفار لا يخشى عليهما لأن لهما بصيرة إسلامية (البوعياشي، 1 : 429).

وانطلاقاً من اعتقاده الخاص بفوائد قرارات مؤتمر الجزيرة واحترام مشيئة السلطان (Ayache, 165) حاول أثناء أزمة المناجم في عام 1909 أن يصلح الأحوال بين الإسبان والريفيين، ولكنه لم ينجح في ذلك، وحصل الصدام الذي أدى إلى حرب عام 1909. ولم يشترك الفقيه عبد الكريم الخطابي في الحرب التي خاضها الريفيون وعلى رأسهم الشريف محمد أمزيان ضد إسبانيا، وكان يعارض هذه الحرب ولا يوافق عليها خاصة وأن السلطان المولى عبد الحفيظ أمر بالتأني وحل القضية بالسياسة. وقد تأكد هذا الموقف بعد الاتفاق المغربي الإسباني في نوفمبر 1910، فبدأ قاضي بني ورياغل الفقيه عبد الكريم الخطابي ينصح باتباع أوامر السلطان ويدعو لعدم مقاومة إسبانيا وإن مصلحة الريفيين في الرضوخ إليها (مخطوطة سانيي، 4).

ويسبب هذا الموقف المتسامح مع الإسبان - والذي يتوافق مع إرادة السلطان والمعاهدات التي بين المغرب وإسبانيا، ولكنه يتعارض تماماً مع إرادة الشريف محمد أمزيان والمقاومة الريفية -، كان الفقيه عبد الكريم الخطابي يتعرض لمناعب كبيرة داخل قبيلته بني ورياغل، ومنها ما حصل لعائلته في 6 نوفمبر 1911 عندما هاجم جمهور كبير منزله بأجدير وقتل بعض أقاربه وتم نهب وتخريب وحرق بعض ممتلكاته، مما اضطره إلى اللجوء إلى جزيرة النكور، ومن هناك سافر هو وعائلته إلى تطوان - التي لم تكن قد احتلت بعد - (Ayache, 190)، ولم يعد منها إلى مسقط رأسه برفقة عائلته إلا في مايو عام 1913 (S.H.A.T., Carton 3H - 1913).

(262).

وظهر أن علاقة عبد المالك الجزائري بالفقيه عبد الكريم الخطابي كانت وثيقة جداً في هذه الفترة، فقد كان الفقيه عبد الكريم يقوم بنفسه بتزويد عبد المالك بما يحتاج إليه من مال (القاضي، 58)، بل إنه قام برفقة عدة منات من الريفيين بزيارته في مقر إقامته في نهاية غشت 1916 (Ayache, 236).

وقد رأت إسبانيا - التي كانت تتابع عن قرب كل ما يجري في المناطق التي لم تستعمرها بعد -، أن نشاطات الفقيه عبد الكريم الخطابي تخفي وراءها أهدافاً أخرى تتصل بإيجاد الوسائل الفعالة لتعبئة القبائل الريفية واعدادها للمحافظة على استقلالها والدفاع عنه. وبما أن الفقيه بعيد في أجدير، فقد اعتقلت السلطات الإسبانية في 6 سبتمبر 1915 ابنه محمد القاضي بمليلية وأقالته من جميع مناصبه واتهمته بالخيانة العظمى (Ayache, 221)، ثم حكمت عليه بالسجن وأن يبقى مسجوناً ما دام والده عبد الكريم البعيد عن متناول يد إسبانيا ينهج سياسة تخالف السياسة الإسبانية في المنطقة.

وقد حاول الفقيه عبد الكريم الخطابي التدخل لدى السلطات الإسبانية لإطلاق سراح ابنه، وفعلاً تم له ذلك بعد ذهابه إلى جزيرة الكنور وإجراء محادثات بينه وبين أحد كبار المسؤولين الإسبان أثرت خلالها سياسة إسبانيا في المنطقة، وتم الاتفاق على إطلاق سراح الابن محمد بن عبد الكريم شرط أن يقوم الأب بتسليم ثلاثة رجال من عائلته ليكونوا رهائن لدى إسبانيا بمليلية، وذلك من أجل ضمان الاتصال والتعاون بينه وبين الإسبان، على أن تتعهد الحكومة الإسبانية بتحسين الحالة وتغيير سياستها في المنطقة (مخطوطة سانبي، 15). وهكذا أطلق سراح الابن وعاد إلى بيت عائلته في بداية غشت 1916 (Ayache, 236).

وفي 15 مارس 1917 عاد الابن الأكبر محمد إلى عمله بمليلية، وأعطت إسبانيا منحه دراسية للابن الأصغر محمد للدراسة في مدريد، وبدا وكأن الفقيه عبد الكريم الخطابي يسير حسب ما تريده السلطات الإسبانية.

لكن إسبانيا لم تحاول أبداً إدخال الإصلاحات التي تعهدت بها، بل على العكس من ذلك بدأت في اعتماد سياسة جديدة تقوم أساساً على التغلغل العسكري العنيف في المناطق التي لم تكن قد احتلتها بعد. ولذلك حملت سنة 1918 في طياتها هيجاناً عظيماً لم يسبق له مثيل في جميع أنحاء منطقة النفوذ الإسباني، ورأى عبد الكريم الخطابي في نهاية شهر نوفمبر من نفس العام، أنه لا فائدة من إسبانيا وأنه قد آن الأوان لقطع العلاقات نهائياً معها بعد أن ضاعت جميع إمكانيات التعاون، إلا أنه لم يكن يستطيع ذلك قبل رجوع ابنه القاضي محمد من مليلية والطالب محمد من مدريد، وقد كانا بمثابة رهينتين عند الإسبان. وفي أواسط دجنبر 1918 وصل محمد بن عبد

الكريم إلى أجدير ليحتفل مع عائلته بعيد المولد النبوي الشريف، ولم يعد بعد ذلك أبداً إلى مليلية، أما الابن الثاني محمد فقد عاد من مدريد في منتصف يناير 1919، وبذلك أصبحت العائلة كلها في مأمن ويعيداً عن الخطر وأصبح لرب العائلة الفقيه عبد الكريم الخطابي كامل الحرية في أن يفعل ما يوحى به إليه ضميره.

انسحب عبد الكريم الخطابي انسحاباً كاملاً من العمل السياسي في نهاية يناير 1919، وانقطعت بذلك علاقاته مع إسبانيا احتجاجاً على سياستها السيئة الفاشلة في المنطقة. وقد حاول في البداية البقاء على الحياد والاهتمام بشؤونه الخاصة، وظل كذلك عدة أشهر تعرض خلالها هو وأفراد عائلته لكثير من المضايقات من عملاء إسبانيا ومن أعدائها على حد سواء (مخطوطة سانبي، 14). ولم يتزحزح الفقيه عبد الكريم عن موقفه هذا إلا في شهر غشت 1919 عندما شارك في تعبئة الجهود الخاصة بدعم مقاومة أحمد الرسوني ضد الإسبان، ولم يبدأ في العمل بجانب المقاومة الريفية إلا في فبراير 1920 عندما عبرت القوات الإسبانية وادي الكرت وبدأت في التغلغل غرباً في اتجاه خليج الحسيمة. وبمجرد أن احتلت القوات الإسبانية دار الدريوش في 15 ماي 1920، بدأ الفقيه عبد الكريم الخطابي يتجول في أسواق قبيلة بني ورياغل لتعبئة الناس وتوحيدهم، ثم اتصل بأعيان القبائل الأخرى التي يهددها التقدم الإسباني وهي بني وليشك وبني توزين وبني سعيد وتمسان من أجل تشكيل قوة للمقاومة تذهب فوراً للدفاع عن تفرسيت، وهي الهدف الثاني بعد دار الدريوش للقوات الإسبانية. وكان الفقيه على رأس مجموعة بني ورياغل المتوجهة إلى مركز المقاومة تفرسيت في آخر يونيو 1920 (Ayache, 301). وقد ظهر واضحاً طيلة هذا الشهر أن الفقيه عبد الكريم الخطابي يلعب دوراً أساسياً في تماسك قوة المقاومة وثباتها، وذلك لما يتميز به من خبرة طويلة ومعرفة بالناس والأحداث. ولكن لم يأت منتصف يوليو 1920 حتى حدثت مفاجأة تركت حركة المقاومة في حالة من الاضطراب. ففي منتصف هذا الشهر بدأ الفقيه عبد الكريم وعمره عندئذ يقترّب من الستين عاماً، يعاني من ألم فظيع في بطنه، وحصل ذلك بعد وصوله إلى مركز المقاومة بتفرسيت باثني عشر يوماً (مخطوطة سانبي، 14)، ولم يفارق ذلك الألم قط، واضطر ابنه محمد إلى العودة به محمولاً على بغلته إلى منزله بأجدير. ولكن حالته لم تتحسن، وظل يتألم لمدة ثلاثة أسابيع إلى أن مات مساء يوم 7 غشت 1920 (Ayache, 303).

وقد كان لرحيل الفقيه عبد الكريم وابتعاده عن مركز المقاومة في تفرسيت أثر كبير على تماسك وصلابة حركة المقاومة، وظهرت هذه الحركة وكأنها أصبحت بدون قيادة، ولذلك لم تواجه القوات الإسبانية أية مقاومة عندما احتلت تفرسيت في 5 غشت 1920 (Ayache, 302).

وقد أشارت بعض الكتابات إلى موت الفقيه عبد الكريم الخطابي متسماً (الوزاني، 2 : 35 ؛ البوعياشي، 1 : 426 ؛ فورنو، 44)، إلا أن ظروف موته ما تزال مجهولة وغامضة حتى الآن، وهذا ما جعل ابنه محمد الخطابي يتردد في اتخاذ رأي قاطع في الموضوع (82، Mathieu).

لقد كان الفقيه والقاضي عبد الكريم الخطابي شخصية وطنية متميزة لعبت دوراً ملحوظاً في منطقة الريف لفترة تزيد على الثلاثين سنة، وقد سارت في نفس الدرب الذي سارت فيه بعد ذلك بسنوات شخصيات وطنية أخرى، فعبد السلام بنونة وعبد الخالق الطريس والمكي الناصري وغيرهم في منطقة الحماية الإسبانية، وعلال الفاسي وأحمد بلا فريج ومحمد اليزيدي ومحمد حسن الوزاني وغيرهم في منطقة الحماية الفرنسية، كانوا كلهم على علاقة بسلطات الحماية الإسبانية والفرنسية، ولم يكونوا يرون في ذلك ضرراً أو إساءة لوطنيتهم، وقد كانوا في بداية أمرهم يأملون في قيام الدولتين الحاميتين بالإصلاح وتحسين الأوضاع، ولكنهم عندما أدركوا أن الحماية والاستعمار هما شيء واحد، وفقدوا الأمل في أن تقوم سلطات الحماية بعمل شيء، ما يساعد على تحسين الظروف التي يعيش فيها الشعب المغربي، غيروا مواقفهم وبدأوا يطالبون بالاستقلال من أجل إصلاح أحوال بلادهم وتغيير ظروف شعبهم. وهذا بالضبط هو ما فعله الفقيه والقاضي المستنير عبد الكريم الخطابي. فهو كالزعماء الوطنيين الآخرين، تعامل مع سلطات الحماية، وكان يعتقد أن إسبانيا تستطيع مساعدة بلاده على التطور والتقدم ومغالبة التخلف الذي يمسك بتلابيب الريف والفوضى الضارية في جميع أنحاءه، وعندما اقتنع باستحالة ذلك، انقلب مندفعاً في تيار المقاومة المسلحة ضد الاحتلال ومن أجل أن يبقى الريف مستقلاً، وقد كانت تلك إحدى الاندفاعات الأساسية التي أدت إلى ما حصل في شمال المغرب بقيادة ابنه زعيم الثورة الريفية محمد بن عبد الكريم الخطابي.

وخلف الفقيه عبد الكريم الخطابي من الأولاد الذكور محمد ومحمد، ومن الإناث أمينة وفطيمة ورحمة ورقية، وقد تزوج رجالاً لعبوا دوراً مهماً في قيادة الثورة الريفية (42، Gabrielli)، أما زوجته، فهي ثيمونت بنت أحمد بن القاضي من الشرفاء اللولقائيين، وكان عالماً من علماء بني ورياغل (البوعياشي، 1 : 429).

أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية ومراحل النضال*. جزآن : م. ابن عزوز حكيم، ومضات مضينة عن الحرب الريفية من خلال مذكرات شاهد عيان إسباني : ر. فورنو، عبد الكريم أمير الريف : ت. فزاد أيوب : م. القاضي، أسد الريف محمد عبد الكريم الخطابي : م. مارتين، الاستعمار الإسباني في المغرب (1860-1956) : ت. عبد العزيز الودي : م. ح. الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، حرب الريف : مخطوطة سانتي. انظر ع. بناني، قراءة في مذكرات محمد بن عبد الكريم الخطابي انطلاقاً من كتاب «جنود حرب الريف» لأستاذ جرمان عياش، في «دراسات تاريخية مهداة للفقيد جرمان عياش».

**الخطابي، محمد بن عبد الكريم، المجاهد الكبير، والبطل الشهير.** وُلد بأجدير عام 1882، وفيه حفظ القرآن الكريم، ثم تولى والده القاضي بأجدير تعليمه بنفسه، فدرس الدين والفقه والنحو والصرف ومبادئ التاريخ. وعندما بلغ العشرين من عمره، أرسله والده سنة 1902 إلى فاس لمتابعة الدروس الثانوية بالقرويين، وسكن في مدرسة الشراطين (البوعياشي، 1 : 77)، وبقي هناك سنتين درس خلالها على مجموعة من العلماء منهم محمد القادري والنهاسي جنون (مخطوطة سانتي، 7)، حتى عاد إلى أجدير في سنة 1904 حيث بدأ يساعد والده في أعماله الخاصة. وفي سنة 1906، أرسله والده مرة أخرى إلى فاس للاتصال بالمخزن في موضوع الجيلالي الزرهوني (بوحمارة) الذي كان في هذا الوقت يسيطر على منطقة واسعة من شرق الريف تدخل ضمنها أراضي قبيلة بني ورياغل. وانتهر محمد بن عبد الكريم الفرصة والتحق بالقرويين حيث تابع بعض الدروس لمدة ستة أشهر. ويبدو أن ما كانت تغلي به مدينة فاس من رغبات في التغيير والإصلاح أثرت تأثيراً كبيراً على محمد بن عبد الكريم (الكتاني، التقديم)، خاصة وأنه ارتبط بإدريس ابن سعيد السلاوي الذي كان زميلاً له في الدراسة بالقرويين، وكانت صداقتهما الوثيقة امتداداً للصداقة التي كانت تربط الفقيه عبد الكريم والد محمد بن عبد الكريم بالباشا عبد الله والد إدريس ابن سعيد (حكيم، 45). وعبد الله ابن سعيد هذا كان أحد خدام المخزن الكبار ومن أشد المقاومين للتدخل الأجنبي في المغرب، وأحد أنصار الشيخ محمد الكتاني، ومن مؤيدي الثورة الحفيظية، ومن المشاركين في إعداد مشروع دستور عام 1908 (Brown، 474). وقد لعب ابنه إدريس دوراً خطيراً في تاريخ المقاومة المسلحة ضد التدخل العسكري الإسباني في شمال المغرب (حكيم، 14)، وظلت علاقته وثيقة بمحمد بن عبد الكريم إلى أن اغتاله الإسبان في 14 يونيو 1923 بقبيلة تافريست (حكيم، 43) بعد أن ظل يتوسط بينهم وبين الخطابي منذ قيام الثورة. وبعد عودته من فاس كانت فرنسا وإسبانيا قد تفاهمتا على المسألة المغربية، ووقعتا اتفاقهما حول الموضوع في 3 أكتوبر 1904، كما كان مؤتمر الجزيرة الخضراء قد انعقد وانفض (يناير - أبريل 1906).

ويمكن تقسيم حياة هذا الزعيم الوطني إلى أربع فترات متميزة كل واحدة منها عن الأخرى قام التميز :

- الفترة الأولى، من ولادته سنة 1882 إلى أواسط دجنبر 1918 عندما عاد من مليلية إلى أجدير، وهذه هي فترة الطفولة والدراسة والشباب والعمل في الإدارة الإسبانية. الفترة الثانية، من أواسط دجنبر 1918 إلى استسلامه في 27 ماي 1926، وهذه هي فترة المقاومة المسلحة من أجل تحرير شمال المغرب.

- الفترة الثالثة، من 27 ماي 1926 إلى لجوئه إلى مصر في 31 ماي 1947، وهذه هي فترة المنفى في جزيرة لارنيون.

الفترة الرابعة، من 31 ماي 1947 إلى وفاته بالقاهرة في 6 فبراير 1963، وهذه هي فترة العودة مرة أخرى إلى ساحة النضال ضد الاستعمار (بناني، محمد زنيبر، 35).

أثار محمد بن عبد الكريم انتباه المسؤولين الإسبان، فعينوه أستاذاً للغة الأمازيغية في الأكاديمية العربية بمليلية، كما بدأ يعمل محرراً في جريدة تليفرايف *Telegrama del Rif* بمليلية، وظل يعمل بها من مارس 1907 إلى أبريل 1915 كمسؤول عن أخبار العالم العربي. وبالإضافة لمسؤولياته الأخرى، أصبح محمد بن عبد الكريم

في سنة 1908 كاتباً بمكتب الإدارة الوطنية بمليلية ثم مساعداً لمدير المكتب، وهو المكتب الذي كان يشرف ويدبر العمل السياسي والإسباني في جميع أنحاء المنطقة الشرقية من شمال المغرب. وفي سنة 1910 أصبح محمد بن عبد الكريم قاضي مدينة مليلية، وحصل في دجنبر 1911 على وسام الفروسية جزاءً له على ذكائه وحماسه. وفي مارس 1912 حصل على وسام الصليب الأحمر للاستحقاق العسكري لدوره الحاسم في إطلاق سراح بعض الأسرى الإسبان الذين كانت قوات الشريف سيدي محمد أمزيان قد أسرتهم في نهاية سنة 1911. وفي شهر ماي 1912 حصل على وسام الصليب الأبيض للاستحقاق العسكري، وأعطاه هذا الحق في الحصول على مكافأة شهرية دائمة جزاءً له على ما يتمتع به من علاقات طيبة مع القبائل الريفية في الأراضي المحتلة. وفي نفس السنة حصل على ميدالية إفريقيا، وأصبح في غشت 1913 القاضي الأول ورئيساً لمجلس الاستئناف لأحكام القضاء بالمنطقة المحتلة (Ayache، 194). وهذا يعني أنه كان في هذه الفترة يتمتع بسمعة طيبة عند الإسبان، ويحتل منزلة عالية في مدينة مليلية وفي شرق المنطقة الريفية، وحسب قوله فإنه - وقد كان عمره حينئذ 31 سنة - "لم يكن يألو جهداً في عمل كل ما من شأنه أن يوفق بين الإسبان والريفين ويقضي على الضغائن والأحقاد والبغضاء (مخطوطة سانبي، 7).

ولما قامت الحرب العالمية الأولى، واشتركت تركيا البلد المسلم في الحرب بجانب ألمانيا، وامتلاً شمال المغرب بالمرحزين الألمان والأتراك (S.H.A.T., Carton 3 H - 94)، وأدى كل ذلك إلى ظهور عوامل جديدة في المنطقة ساعدت على بلورة موقف محمد بن عبد الكريم ودفعته إلى تأييد المخططات الألمانية والتركية في المغرب ضد فرنسا، وإلى التصريح للإسبان أنفسهم في نهاية غشت 1915 بأن على إسبانيا أن تقنع بما تحتله من الأراضي في منطقة نفوذها، وأن تترك الباقي لأصحابه، وأنه سيحول دون احتلالها لأراضي قبيلته بني ورياغل بجميع الوسائل (Ayache، 218). ونتيجة لهذا الموقف الجديد، لم تتردد السلطات الإسبانية في مليلية من اعتقال محمد بن عبد الكريم في 6 سبتمبر 1915 بعد أن حاكمته وأقالتته من جميع مناصبه واتهمته بالخيانة العظمى (Ayache، 221). ولم يطلق سراح محمد بن عبد الكريم إلا عندما تعهد هو ووالده بأن يتراجعا عن موقفهما وأن يتعاونوا من جديد مع الإدارة الإسبانية بشرط أن تتعهد حكومة إسبانيا بتحسين الحالة وتغيير سياستها في المنطقة (مخطوطة سانبي، 15). وهكذا عاد محمد بن عبد الكريم إلى بيت عائلته بأجدير في بداية غشت 1916، بعد أن ظل رهن الاعتقال أحد عشر شهراً، ولم يعد مرة أخرى إلى وظيفته في مليلية إلا في 15 مارس 1917.

لم تحاول إسبانيا إطلاقاً تحسين الحالة وتغيير سياستها





في المنطقة، بل على العكس من ذلك بدأت في اعتماد سياسة جديدة تقوم أساسا على التغلغل العسكري العنيف في المناطق التي لم تكن قد احتلتها بعد. وتزامنت هذه السياسة مع رغبة إسبانيا في تصفية بعض الخلافات التي قامت بينها وبين فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى، ومن أجل ذلك سلمت لفرنسا حوالي ستين من أعوان عبد الملك بن محيي الدين الجزائري (Ayache, 248). وحينئذ أدرك محمد بن عبد الكريم المقيم بمليلية والذي يتابع بحكم منصبه سياسة إسبانيا متابعة دقيقة «إن إسبانيا لن تستطيع أن تفعل شيئا في المنطقة التي تكلفت بها سواء بالسلم أو بالحرب» (مخطوطة سانبي، 12)، وتحسبا لأية مفاجأة، وخوفا من أن تسلمه إسبانيا هو نفسه للفرنسيين، فقد فضل الابتعاد عن مليلية والعودة إلى أجدير بعيدا عن يد الإسبان، وذلك ما حصل في أواسط دجنبر 1918. ولم يعد بعد ذلك إلى مليلية، وكان عمره حينئذ 36 سنة.

حاول محمد بن عبد الكريم بعد عودته إلى أجدير، الابتعاد عن السياسة والاهتمام فقط بشؤونه الخاصة (مخطوطة سانبي، 17)، وظل كذلك أكثر من سنة حتى وصل الجنرال سلفستر إلى مليلية في 30 يناير 1920 بعد أن أصبح حاكما عاما على منطقتها، وأعلن عن عزمه على عبور وادي الكرت والتغلغل غربا في اتجاه خليج الحسيمة. وفي نهاية شهر فبراير 1920، بدأت فترة جديدة من حياة محمد بن عبد الكريم تميزت بالمقاومة السياسية والعسكرية ضد التغلغل الإسباني في المنطقة الريفية. وفي بدايته هذه، كان يحتل المرتبة الثانية بعد والده القاضي عبد الكريم الخطابي الذي كان يتزعم حينئذ عملية توحيد قبيلته بني ورياغل والقبائل الأخرى في المناطق غير المحتلة، واتخاذ موقف موحد ضد العدو الإسباني المشترك. وقد ظهر واضحا في شهر يونيو 1920 أن روح المقاومة في الريف ضد التغلغل الإسباني تتركز في قبيلة بني ورياغل، وأن حولها تلتف أغلب القبائل الأخرى، وأن قبيلة بني ورياغل تلتف معظمها حول القاضي عبد الكريم الخطابي وابنه محمد بن عبد الكريم.

والتغلغل الإسباني تتركز في قبيلة بني ورياغل، وأن حولها تلتف أغلب القبائل الأخرى، وأن قبيلة بني ورياغل تلتف معظمها حول القاضي عبد الكريم الخطابي وابنه محمد بن عبد الكريم.

وعندما توفي زعيم المقاومة عبد الكريم الخطابي في 7 أغسطس 1920 (Ayache, 303)، حل محله ابنه محمد بن عبد الكريم، وحافظ على نفس الخطة التي سار عليها والده، وبدأ يفرض نفسه على قبيلته والقبائل الأخرى حتى أصبح في بداية عام 1921 الزعيم الأوحيد لحركة المقاومة الحقيقية للمقاومة الريفية ضد الاحتلال الأجنبي التي استمرت بدون منافسة أو انقطاع لمدة خمس سنوات ونصف تقريبا. وتحت قيادته، حققت المقاومة الريفية أول انتصار كبير لها على القوات الإسبانية في معركة جبل ابران القريب من أنوال بتاريخ أول يونيو 1921 (S.H.A.T., 3 H - 132)، وسقط نتيجة لذلك أول مركز إسباني بالمنطقة الشرقية، وهذا أمر لم يحدث قط بهذه المنطقة منذ أن بدأ

والواقع أن محمد بن عبد الكريم كان يأمل بعدم احتلال مليلية أن يترك الباب مفتوحا للمفاوضات مع الحكومة الإسبانية حتى يمكن حينئذ عقد اتفاق صلح وسلام ينتج عنه إجراء الإصلاحات التي نصت عليها معاهدة الحماية، إلا أن الإسبان كانوا قد اختاروا الحرب (مخطوطة سانبي، 21)، وبدأت تصل إلى مليلية قوات عسكرية إسبانية مدعمة بسلاح طيران قوي، وبدأت عملية استرجاع ما ضيعته الهزيمة في أنوال. ولهذا السبب ظل محمد بن عبد الكريم في الثلث الأخير من سنة 1921 وطيلة سنة 1922 في موقف دفاعي من الناحية العسكرية، لكنه استطاع خلال هذه الفترة أن ينظم المنطقة التي يسيطر عليها سياسيا وعسكريا وإداريا مما ساعده على عقد مؤتمر عام في أجدير حضره مندوبون عن القبائل المنضوية تحت لوائه، وقد أعلن المؤتمر بتاريخ 18 يناير 1923 (Hart, 33) استقلال الريف وقيام الجمهورية الريفية وتشكيل مجلس من ممثلي القبائل. وكان هذا نتيجة منطقية للتطور الذي تم في المنطقة التي كان يسيطر عليها محمد بن عبد الكريم، وكذلك للسياسة التي ظلت إسبانيا تسيير عليها منذ هزيمة أنوال، والتي كانت تتميز بالإصرار على الحرب، وإخضاع الريفيين بالقوة، والرغبة الجامحة في عقاب محمد بن عبد الكريم والقضاء عليه. وقد قرر المؤتمر إعطاء قائد المقاومة لقب أمير بدلا من لقب الفقيه الذي كان يلقب به قبل معركة أنوال، والرئيس الذي بدأ يحمله بعد هذه المعركة، ويفوض في تأليف حكومة يقوم برئاستها (القاضي، 133).

من مخزن القمح ومنطقة التموين التي تتزود منها بما تحتاج إليه من المواد الغذائية. وبدأ الهجوم الريفي في 12 أبريل 1925، واكتسحت القوات الريفية القوات الفرنسية حتى أصبحت على بعد 27 كلم من فاس، ثم تراجعت بعد ذلك إلى المرتفعات على بعد 50 كلم من أهم مدينة في المغرب. وقد أدرك الفرنسيون حينئذ أنهم لا يستطيعون وحدهم القضاء على الدولة الريفية، لذلك أصبح من المحتم أن يتفاهموا مع الإسبان ويتعاونوا معهم في حرب واسعة النطاق ضد محمد بن عبد الكريم.

بدأ التعاون العسكري الفرنسي الإسباني في 17 يونيو 1925، وحل المارشال بيتان (Pétain) في 27 غشت 1925 محل المارشال ليوطي (Lyautey) في قيادة القوات الفرنسية في المغرب. وبدأت بذلك حرب من نوع جديد وأسلحة حديثة لم تكن معروفة في المغرب من قبل (S.H.A.T., Carton 3H - 100). وقد استعمل الفرنسيون والإسبان سلاح الطيران بشكل كثيف، وهاجمت الطائرات أجدير وشفشاون وترغست والأسواق والمواسم وكل المراكز الإستراتيجية في دولة الريف، وكان الهدف باستمرار هو نشر الفزع والرعب بين السكان والقضاء تماماً على ما لديهم من إمكانيات للعيش (S.H.A.T., Carton 3H - 100)، كما أحكم الفرنسيون والإسبان المقاطعة الكاملة للمنطقة الريفية واتخذوا جميع الإجراءات لعزلها تماماً، وبدأوا يقومون بحرب عصابات مضادة ويغيرون على القرى المجاورة لخطوطهم، ويقتلون الدواب ويحرقون المنازل والمحاصيل، ويأخذون الرهائن، ويعدمون أنصار محمد بن عبد الكريم في عين المكان (Rivet, 135)، ويفضل كل هذا، استطاعت القوات الإسبانية أن تنزل في خليج الحسيمة في 8 سبتمبر 1925 (S.H.A.T., Carton 3H - 100)، وتحتل أجدير في 2 أكتوبر من نفس العام. والحقيقة أن الإنزال الإسباني في خليج الحسيمة ثم احتلال أجدير ونهبها وإحراق معظم مساكنها - ومن ضمنها منزل محمد بن عبد الكريم - كان بداية النهاية بالنسبة للمقاومة الوطنية ضد الاستعمار الإسباني في المنطقة الخليفية. وبعد سقوط أجدير، أصبحت تارغست هي عاصمة الدولة الريفية. إلا أن محمد بن عبد الكريم اضطر في نهاية الأمر إلى الدخول في مفاوضات مع الفرنسيين والإسبان من أجل إيقاف الحرب التي كانت تدمر الريف والريفيين. واختيرت مدينة وجدة مقراً للمفاوضات، وبدأ المؤتمر يوم 22 أبريل 1926 وانتهى يوم 6 ماي 1926 بعد أن فشل فشلاً ذريعاً لأنه لم يكن في الإمكان التوفيق بين موقف الوفدين الفرنسي والإسباني اللذين كانا يعتبران الوفد الريفي مندوباً عن محمد بن عبد الكريم كشخص، وبين الوفد الريفي الذي كان يعتبر نفسه مندوباً وممثلاً للدولة الريف.

بدأت العمليات العسكرية من جديد يوم 7 ماي 1926، واستطاع الفرنسيون احتلال تارغست يوم 23 ماي 1926،

شكل الأمير الحكومة، واعتمد في تشكيلها على أفراد عائلته وقبيلته، ثم أصدر بيانا وجهه باسم جمهورية الريف إلى جميع الأمم دعاها فيه إلى الاعتراف باستقلال جمهورية الريف من خط الحدود مع المغرب جنوباً حتى البحر المتوسط، ومن وادي الملوية شرقاً حتى المحيط الأطلسي، وإلى إقامة علاقات دبلوماسية وتجارية معها (فورنو، 77). وفي الفترة من يناير 1923 إلى يناير 1925، استطاع محمد ابن عبد الكريم تحقيق وحدة قبائل الريف، خاصة بعد قضاؤه على عبد المالك بن محيي الدين الجزائري في غشت 1924، كما استطاع نشر نفوذه ونشراً قويا في المنطقة الغربية من شمال المغرب وخاصة بعد دخول قواته مدينة شفشاون في 14 دجنبر 1924 (البوعياشي، 2 : 269)، وأسرها لزعيم جباله أحمد الريسوني في 24 يناير 1925 (البوعياشي، 2 : 296). كان محمد بن عبد الكريم قد أصبح في بداية 1925 الزعيم الذي لا زعيم سواه في منطقة شمال المغرب كلها، وأصبحت دولته الريفية أقوى ثلاث مرات مما كانت عليه في بداية تأسيسها، بعد أن أصبحت لديها كميات هائلة من السلاح ورصيد معنوي ضخم، وزادت مساحتها أكثر من الضعف حتى أصبحت تغطي معظم المنطقة الخليفية. وأصبح لهذه الدولة علم يحميه الجنود كل صباح ومساءً، كما أصبح للجيش الشعبي نشيد وطني حماسي. وكان محمد بن عبد الكريم يسيطر على هذه الدولة سيطرة كاملة عن طريق شبكة تليفونات واسعة كانت تسمح بالاتصال الشرعي بين القيادة المركزية والجهات المختلفة (S.H.A.T., Carton 3H - 100)، وكذلك عن طريق إقامة شبكة من الطرق المتجهة من أجدير على شاطئ الحسيمة إلى منطقة قبائل غمارة وإلى الحدود مع منطقة النفوذ الفرنسية. وأحكم محمد بن عبد الكريم قبضته على المنطقة كلها بواسطة "المحاكم" التي أقامها في جميع أنحاء دولته بعد أن اتسع نطاقها.

استطاع محمد بن عبد الكريم بما أحدثه في الريف من نظام وتنظيم لم تعرفهما المنطقة من قبل، أن يفرض العديد من الإصلاحات في المجتمع الريفي، وقد حاول أن يحقق هدفين كانا أساسيين ولازمين لإجراء أي تغييرات اقتصادية واجتماعية وسياسية أكثر جذرية وهما وحدة شمال المغرب وتحرير المنطقة كلها. وقد كاد أن يحقق هذين الهدفين لولا التحالف الاستعماري الفرنسي الإسباني الذي لم يكن في وسع جهازه العسكري أو السياسي أن يقف ضده لفترة طويلة.

وقد اضطر محمد بن عبد الكريم إلى مخاصمة فرنسا بعد استيلاء القوات الفرنسية في يوليو 1924 على منطقة أعالي ورغة الغنية التي كانت خارج منطقة نفوذها، وكان هدفها إحكام الحصار على دولة الريف، وزيادة الضغط عليها اقتصادياً وتجريبها وخنقها غذائياً، وذلك بحرمانها

الملايا، الأمر الذي كان يؤدي صحته وصحة أفراد عائلته (S.H.A.T., Papiers Sauerwein 1K55). ويعد سنتين ونصف على وصوله الجزيرة، بدأ محمد بن عبد الكريم يكتب للسلطات الفرنسية من أجل التخفيف من قسوة المنفى، وفي رسائله الأولى كان يؤكد على الوعود التي قدمتها له فرنسا قبيل استسلامه، والتي كانت تنص على تحديد فترة نفيه في مدة قصيرة وفي مكان قريب من المغرب.

وعندما قامت الجمهورية في إسبانيا ووصل الاشتراكيون إلى الحكم في بداية 1931، اعتقد محمد بن عبد الكريم أن أوان الخلاص قد اقترب، ولكن كان ذلك أضغاث أحلام، لأن الإسبان رفضوا إطلاق سراحه عندما استفسرتهم الخارجية الفرنسية في الموضوع (مارتين، 110). وعندما قامت الحرب العالمية الثانية، بدأ محمد بن عبد الكريم يشتكي في رسائله من صعوبة الوضع الذي يهدد مستقبل أولاده العائلة، وبدأ يطالب الحكومة الفرنسية بدراسة حالته لأن فترة المنفى طالت والأبناء كبروا ويجب أن يتابعوا دراساتهم في مكان آخر، والبنات أصبحن في سن الزواج ويجب أن يتزوجن من مغاربة مثلهن (Papiers Sauerwein 1K55).

لم ينس المغاربة زعيم الريف في محنته إذ أنهم بمجرد أن خرجوا من محنة الظهير البربري وبدأوا ينظمون أنفسهم سياسياً، أخذوا يتحدثون عنه من جديد (حكيم، 1: 186)، وقد طالبت كتلة العمل الوطني السلطات الفرنسية بإطلاق سراحه وساعدهم شكيب أرسلان في حملتهم بنشر مقالات عن الموضوع (الفاسي، 339). وفي سنة 1937 نجح الحزب الوطني في اقتناع بعض الشخصيات في مجلس الشيوخ الفرنسي بتقديم طلب إطلاق سراح محمد بن عبد الكريم وعائلته إلى لجنة الشؤون الخارجية بنفس المجلس. وأدلى مفتى فلسطين الحاج أمين الحسيني بدلوه في هذا الأمر عندما كان مقيماً في برلين وكتب في نهاية سنة 1943 رسالة للخارجية الألمانية يطلب منها تهريب الزعيم الريفي من لارنيون، ورفضت الحكومة الألمانية بدعوى الحرص على مشاعر إسبانيا، ولكنها أخبرت الحسيني أن بعض الألمان حاولوا ذلك ولكن الزعيم الريفي رفض المساعدة (Rouissi، 514). وعندما تأسست "رابطة الدفاع عن مراكش في مصر" في أواخر سنة 1943 نجح أعضاؤها في دفع مجلس الجامعة العربية في دورته المنعقدة بتاريخ 23 نوفمبر 1946، لاتخاذ قرار ينص على أن تبذل الجامعة العربية مساعيها لدى فرنسا لتحرير محمد بن عبد الكريم (الرقاعي، 142)، وبناء عليه كتب أمينها العام عبد الرحمن عزام باشا رسالة لوزير الخارجية الفرنسية حول الموضوع (الفاسي، 339). ورغم شهادات السلطات الفرنسية في لارنيون لفائدة محمد بن عبد الكريم طيلة فترة منفاه، فإن تطورات الأحداث لم تكن لصالحه. ففي

وأصبحت القوات الإسبانية القادمة من الشمال على بعد 15 كلم من قرية كمون التي كان محمد بن عبد الكريم قد انتقل إليها هو وعائلته. ولذلك اضطر محمد بن عبد الكريم إلى التوجه في يوم 24 ماي 1926 إلى صناده عند الشريف حميدو الوزاني، ولم يبق أمامه عندئذ سوى الاستسلام. وقد استسلم للفرنسيين فجر يوم 27 ماي 1926 بعد أربعة أيام من المفاوضات (S.H.A.T., Carton 3H - 466).

نقل الفرنسيون محمد بن عبد الكريم وأربعين من أفراد عائلته إلى تازا، ومنها إلى فاس حيث وصلوها في فاتح يونيو 1926، وظلوا فيها حوالي ثلاثة أشهر. في هذه الفترة، جرت في باريس محادثات بين فرنسا وإسبانيا لإيقاف التعاون العسكري بينهما (14 يونيو - 10 يوليو 1926)، وقد سيطرت قضية استسلام محمد بن عبد الكريم للفرنسيين على هذه المحادثات، ونقد الوفد الإسباني الموقف الفرنسي نقداً مريراً، واتهم الإسبان الفرنسيين «أنهم تفاوضوا مع محمد بن عبد الكريم مدة أربعة أيام دون أن يكون لديهم علم بذلك، وأنه لم يتم إخبارهم إلا بعد استسلام هذا الأخير في 17 ماي 1926، مع أنه كان يجب أن يكون هناك تنسيق مشترك بين البلدين حسب ما تنص عليه اتفاقات التعاون بينهما». وقد ظل الخلاف حاداً بين إسبانيا وفرنسا حول الموقف الذي يجب أن يتخذه البلدان تجاه محمد بن عبد الكريم، فبينما كانت إسبانيا تحمله مسؤولية كل ما حصل وتطالب بمحاكمته كمجرم حرب وبعقابه عقاباً شديداً ليكون عبرة للآخرين، كانت فرنسا تريد التمسك بتعهداتها له قبل استسلامه، ومعاملته معاملة طيبة تليق بمقامه. وأخيراً تدخلت بريطانيا لفض النزاع، واقترحت حلاً وسطاً، هو نفي الزعيم الريفي وعائلته إلى جزيرة لا رينيون بالمحيط الهندي (S.H.A.T., Carton 3H - 466).

وفي 27 غشت 1926، نُقل محمد بن عبد الكريم وعائلته بالقطار إلى الدار البيضاء، وفي 2 سبتمبر ركبوا الباخرة «عبدة» المتوجهة إلى ميناء فريول Frioul بفرنسا، ومنها إلى جزيرة لارنيون التي وصلوا إليها في 10 أكتوبر 1926 (S.H.A.T., Papiers Sauerwein 1K55).

ظل محمد بن عبد الكريم في لارنيون مدة عشرين سنة وستة أشهر. ولم يحاول خلال هذه الفترة أن يشير أية مشاكل للسلطات الفرنسية بالجزيرة، بل كان على العكس من ذلك هادئاً مستسلماً لمصيره. وقد عاملته السلطات الفرنسية معاملة حسنة، وكانت قد أسكنته في البداية داراً غير مجهزة تجهيزاً كافياً لاستقبال عائلة كبيرة العدد، ولكنها نقلته فيما بعد إلى قصر يليق بمقامه، كما خصصت له مرتباً شهرياً كافياً، وسهلت له ولعائلته قضاء أيام العطل في المناطق الجبلية البعيدة عن البحر. والشيء الوحيد الذي كان ينفص عليه حياته في البداية هو طقس الجزيرة السيء، وما ينتشر فيها من أوبئة وأمراض وخاصة

المغرب نفسه ظلت المقاومة المسلحة مشتعلة حتى بداية سنة 1934، ولذلك لم يكن من الحكمة حينئذ إطلاق سراحه أو اقترابه من المغرب، ثم قامت الحرب الأهلية في إسبانيا وجاء للسلطة الجنرال فرانكو وقد كان أعدى أعداء الزعيم الريفي ولم يكن يسمح بعودة عدوه اللدود من منفاه البعيد، ثم قامت الحرب العالمية الثانية وانغمرت فرنسا في همومها الخاصة، ولذلك كان لا بد لمحمد بن عبد الكريم أن ينتظر حتى تنتهي الحرب لكي تقرر الحكومة الفرنسية في فبراير 1947 نقله هو وعائلته إلى فرنسا (Gabrielli, 216). وحسب رأي بعض الباحثين، فإن نقله كان يرجع إما لرغبة الفرنسيين في استعماله ضد السلطان محمد بن يوسف الذي كان قد أصبح على رأس الوطنيين في المطالبة باستقلال المغرب، وإما من أجل استرضاء المغاربة الذين كان الزعيم الريفي يتمتع عندهم بشعبية كبيرة، وإما لخوفهم من وفاته في منفاه خاصة وأن صحته كانت سيئة في ذلك الوقت، وإما للضغط على الإسبان الذين كانت سياستهم المغربية والعربية تتناقض مع السياسة الفرنسية. وعند مغادرته جزيرة لارينيون في 3 ماي 1947، لم يكن محمد بن عبد الكريم يفكر في الهروب من الباكورة أثناء توقفها في إحدى مدن قناة السويس، فهو لم يكن محروسا، بل كان يتمتع بحريته خلال رحلته إلى فرنسا، بالإضافة إلى أن مغادرته لجزيرة لارينيون لم تتصف بطابع السرية، لأن تحريره كان أمراً محتسماً بعد أن قرر مجلس الوزراء الفرنسي نقله إلى فرنسا (ابن عبود، 46). ولكن أعضاء مكتب المغرب العربي الذي كان قد تأسس في القاهرة بتاريخ 22 فبراير 1947 (بناني، 165)، فكروا واقتنعوا - عندما علموا بأن باختره ستمر من قناة السويس - بضرورة نزوله مع عائلته في ميناء بور سعيد وطلب اللجوء السياسي من الملك فاروق، وذلك لإفشال كل المؤامرات التي تنوي فرنسا إقحامه فيها. وفي البداية، عارض محمد بن عبد الكريم هذه الخطة معارضة شديدة حتى أثمرت مجهودات مبعوثي مكتب المغرب العربي (الحبيب بورقية، غلال الفاسي، امحمد بن عبود، عبد المجيد بن جلون)، وخاصة محمد بن عبود (Rouissi, 516) الذي باشر العملية من بدايتها نظراً لقيمته الشخصية، ولعلاقته بالملك فاروق والمسؤولين المصريين، ولتصيه الرسمي بالجامعة العربية.

وفي 31 ماي 1947، نزل محمد بن عبد الكريم وعائلته التي كانت تشمل اثنين وأربعين شخصاً في ميناء بور سعيد وطلب حق اللجوء السياسي. وقد لخص عبد الخالق الطريس نتائج عملية تحرير محمد بن عبد الكريم فيما يلي : "إننا أتقنا زعيماً، وأرحنا ملكاً، وسقهننا مناورة، وكسينا دعابة" (ابن عبود، 110). وفي اليوم التالي من وصوله، استضافه الملك فاروق بقصره في انشاص، وفي 5 يونيو تناولا الغذاء معاً، ثم ذهب محمد بن عبد الكريم إلى الإسكندرية بدعوة من الملك حيث أقام عدة أسابيع في

مستشفى فؤاد الأول للراحة والاستشفاء تحت عناية الأطباء (بناني، 177). وفي 18 يوليو 1947، عاد محمد بن عبد الكريم إلى القاهرة، وبدأ حينئذ نشاطه بحذر شديد في إطار مكتب المغرب العربي الذي كان يضم حزبي الاستقلال والإصلاح من المغرب، والحزب الدستوري من تونس، وحزب الشعب الجزائري.

وسرعة بدأت تظهر العلاقات بين محمد بن عبد الكريم وزعماء الأحزاب المشتركة في مكتب المغرب العربي، وقد عبّر الحبيب بورقية عن ذلك بقوله : «لقد اختلفنا مع محمد بن عبد الكريم الخطابية لأنه كانت هناك مواجهة بين مرحلتين : مرحلة العمل المباشر ؛ أي مرحلة الصدام العسكري والحرب، ومرحلة الحوار، والذين اختلفوا معه كانوا وطنيين، أسسوا أحزاباً شرعية ولم تستبعد العمل المباشر، ولكن كانت لديهم استراتيجيات مختلفة. وهكذا اختلفنا لأن الاستراتيجيات كانت مختلفة». وقد كان الحبيب بورقية أكثر صراحة من غيره وأكثر انسجاماً مع نفسه، ففضل العودة إلى تونس وترك الميدان كاملاً لمحمد بن عبد الكريم، وقد عاد فعلاً في 8 سبتمبر 1949، ليبدأ من جديد في «النضال الصحيح ضد الاستعمار» كما عبّر هو بنفسه عن ذلك (Bourguiba, 244).

ومما زاد في تعقيد العلاقات بين محمد بن عبد الكريم والزعماء الوطنيين الذين كانوا يحاورونه في آرائه الخاصة بالحرب والسلام، أن الزعيم الريفي - وقد كان ذا طبع حذر وشكاك - كان يشك كثيراً في الأحزاب السياسية ولا يثق في زعمائها، وكان يرى أنهم أقرب إلى الانتهازية من أي شيء آخر، وإن أحزابهم السياسية هي مجرد نسخ مشوهة للأحزاب الغربية (Rouissi, 516). وقد ظل محمد بن عبد الكريم حذراً طيلة الشهور الأخيرة من سنة 1947، وكان يشترك في نشاطات مكتب المغرب العربي عندما يرى ضرورة ذلك، كما حدث عندما أقام هذا المكتب حفلة كبرى بقره بمناسبة عيد العرش المغربي في 17 نوفمبر 1947، وتحدث فيها زعماء المغرب العربي، وألقى محمد بن عبد الكريم كلمة بالمناسبة (مكتب، 24).

وفي نهاية سنة 1947 قرر محمد بن عبد الكريم أن يتعد عن مكتب المغرب العربي، لذلك بدأ يعمل من أجل تأسيس «لجنة تحرير المغرب العربي» التي سوف تتضمن إليها إضافة للأحزاب التي أسست "مكتب المغرب العربي"، أحزاب أخرى لم تكن تعمل في إطار هذا المكتب، وبعض الشخصيات المستقلة. وفي 5 يناير 1948 تم الإعلان عن تأسيس اللجنة، وانتخب محمد بن عبد الكريم رئيساً لها، وانتخب شقيقه محمد بن عبد الكريم وكيلاً للرئاسة، وقد انتخبها بصفة دائمة، بينما انتخب باقي أعضاء مكتب اللجنة بصفة مؤقتة (الفاسي، 349)، وكان ذلك بداية مرحلة جديدة في تاريخ نشاط الوطنيين المغاربة في المشرق العربي عامة، وفي مصر خاصة، حيث ظهر بوضوح وجود



( آخر ساعة، 24 / 4 / 1957 )، وزاد من حدة موقفه ما حصل في الريف من اضطرابات في النصف الثاني من عام 1958 وبداية عام 1959، وهي الاضطرابات التي وصفها بـ "الثورة الشعبية العارسة" ثم تلا ذلك من تدخلات عسكرية عنيفة ( جريدة الصحافة، 23 / 5 / 1959 ). إلا أن تطور الأحداث في المغرب، وانكشاف الأسباب الحقيقية التي كانت خلف الاضطرابات في الريف، جعلت محمد بن عبد الكريم يُعدّل بعض آرائه ويغير بعض مواقفه، خاصة بعد أن بدأت حكومة عبد الله إبراهيم تطالب بجلاء القوات الأجنبية من المغرب ( جريدة المساء، 15 / 10 / 1959 ). وقد قام عبد الله إبراهيم رئيس الحكومة ووزير الخارجية في سنة 1959 بمجهود كبير لتطبيع العلاقات مع زعيم الثورة الريفية ( رسالة عبد الله إبراهيم، 25 / 9 / 1959 )، وخاصة عندما تقابل معه خلال زيارته للقاهرة في يونيو 1959، وكشف له عن بعض أسرار ما يجري في الساحة المغربية. ولهذا كان الوضع مُهيناً عندما قام الملك محمد الخامس بزيارة بعض الدول العربية الشرقية وجاء للقاهرة في فبراير 1960، وذهب بنفسه لزيارة محمد بن عبد الكريم في منزله، وعبر له عن تقديره لما قام به من نضال ضد الاستعمار (العلمي، 89). وقد كان ذلك بمثابة طي صفحة الماضي وبدء صفحة جديدة من التفهم الموضوعي لظروف المغرب المعقدة.

ورغم كبر السن وبعض العياء، فقد ظل محمد بن عبد الكريم إلى آخر أيامه على اتصال وثيق بكل ما يجري في المغرب، وساعدته على ذلك الزيارات المتكررة التي كانت تقوم بها لمنزله شخصيات مغربية مختلفة المشارب والمذاهب، وكان في مقدمة هؤلاء المهدي بن بركة الذي كان يتردد كثيراً على مصر بسبب ارتباط نشاطه بمنظمة تضامن الشعوب الإفريقية الآسيوية التي كان مقر سكرتارياتها الدائمة بالقاهرة.

وفي سادس فبراير 1963، انطلقت شمعة محمد بن عبد الكريم الخطابي في بيته بالقاهرة نتيجة سكتة قلبية، وذلك حوالي الساعة الثانية عشرة ليلاً (العلمي، 92). وقد أقيمت له جنازة كبرى حضرها جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة وأعضاء الحكومة المصرية، ووفد رسمي مغربي، والسفراء العرب المعتمدون بالقاهرة، وكثير من الشخصيات، والطلبة المغاربة، وجمهور غفير، ودُفن في مقبرة الشهداء بالعباسية بالقاهرة، بعد أن رفضت أسرته نقل جثمانه إلى المغرب لدفنه هناك.

أ. ابن عبود، مكتب المغرب العربي في القاهرة؛ ج. بناني، النشاط السياسي للوطنيين المغاربة بالقاهرة في عام 1947، في النهضة والتراث؛ أ. البوعياشي، حرب الريف التحريرية ومراحل النضال، جزآن؛ م. ابن عزوز حكيم، وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب، ج 1؛ م. ابن عزوز حكيم، ومضات مضبئة عن الحرب الريفية من خلال مذكرات شاهد عيان إسباني؛ م.

اتجاهين لدى المغاربة؛ اتجاه مكتب المغرب العربي واتجاه لجنة تحرير المغرب العربي. وبدأت الخلافات تظهر شائكة بين الاتجاهين (بناني، 181)، وتقلص نشاط مكتب المغرب العربي ثم حدثت خلافات جديدة بين أعضائه في الخمسينات أدت إلى اقفاله مؤقتاً، وقد أثر ذلك على نشاط لجنة تحرير المغرب العربي، لأن بعض الأعضاء كانوا منتجين إلى المنظمين في أن واحد (ابن عبود، 55). ومهما يكن، فإن وضع مصر السياسي في أيام الملك فاروق (عودة، الفصل الرابع)، لم يكن يسمح لمحمد بن عبد الكريم أن يتحرك حسب معتقداته وما يوحي به إليه ضميره. وكان عليه أن ينتظر لحين قيام الثورة المصرية في 23 يوليو 1952، ثم بداية تأييد جمهورية مصر تأييداً فعلياً مادياً ومعنوياً للكفاح المسلح ضد الاستعمار بالمغرب العربي. ونظراً لعلاقته الخاصة بجمال عبد الناصر الذي أحاطه بكل عناية واعتبره ضيف مصر العزيز المكرم (العلمي، 77)، فقد تمكن محمد بن عبد الكريم أن يلعب دوراً مهماً في دعم المقاومة المسلحة ضد الاستعمار في مجرم بلدان المغرب العربي. وقد كان يطمح في أن تتكثّر كل القوى السياسية في هذه البلدان، وأن تتوحد في كلمة واحدة، وتسعى لغاية واحدة هي طرد المستعمر الأجنبي وتحقيق الاستقلال التام. إلا أن أمله هذا لم يتحقق، فقد خرج تونس من المعركة، وتبعها المغرب بعد أن حققا استقلالهما بالاتفاق مع فرنسا، ولم تبق في الساحة سوى الجزائر، لذلك كانت علاقات محمد بن عبد الكريم وثيقة بالزعماء الجزائريين طيلة فترة الكفاح المسلح، بينما كانت مقطوعة مع المسؤولين التونسيين، وسيئة مع المسؤولين المغاربة (جريدة القاهرة، 5 / 12 / 1957)، لأنه اعتبر أن استقلال تونس والمغرب ناقصاً (جريدة الشباب، 20 / 2 / 1957)، وأن زعماء هذين البلدين لم يكونوا أوفياء لميثاق تحرير المغرب العربي (العلمي، 81). وقد اتخذ نفس الموقف مع الجزائريين عندما اتفقوا مع الفرنسيين على الاستقلال سنة 1961. وما أن استقل المغرب، حتى أرسل الملك محمد الخامس عدة مبعوثين إلى محمد بن عبد الكريم لإقناعه بالعودة إلى الوطن المستقل، لكنه فضّل البقاء في مصر، وكان يُصرح باستمرار أنه لن يعود إلى المغرب حتى يغادر ترابه آخر جندي أجنبي (العلمي، 87). ولم تكن العلاقات مريحة بين محمد بن عبد الكريم والمسؤولين المغاربة رغم أنهم حاولوا استرضاءه بجميع الوسائل، وقد خصصوا له راتباً شهرياً، وأدمجوا بعض أبنائه وأبناء أخيه امحمد وعمهما عبد السلام في الوظيفة العمومية، كما سعوا لاسترداد بعض أمواله التي حجزتها السلطات الفرنسية بعد لجوئه إلى مصر، كما ردوا له بعض أملاكه التي كان الاستعمار الإسباني قد استولى عليها (العلمي، 87). إلا أن المشكلة بالنسبة للزعيم الريفي كانت أكبر من المحافظة على مصالحه الشخصية، فقد كان يعتقد أن المغرب لا يسير في الطريق الصحيح

الرفاعي، الجامعة العربية وقضايا التحرير، ط. 2 : م. العلمي، زعيم الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي، ط. 2 : م. عودة، فاروق بداية ونهاية : ع. الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي : ر. فوزنو، عبد الكريم أمير الريف، ت. فؤاد أيوب : م. القاضي، أسد الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي : م. الكتاني، ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد : م. مارتين، الاستعمار الإسباني في المغرب (1860. 1956) : ت. عبد العزيز الودي، مكتب المغرب العربي، مؤتمر المغرب العربي المنعقد بالقاهرة من 15 إلى 22 فبراير 1947 : مخطوطة سانبي، انظر، ع. بناني، قراءة في مذكرات محمد بن عبد الكريم الخطابي انطلاقاً من كتاب "جذور حرب الريف" للأستاذ جرمان عياش، في دراسات تاريخية مهداة للفقيد جرمان عياش : ع. بناني، محمد زنيبر رائد من رواد البحث في تاريخ الثورة الريفية، مجلة آفاق، ع. 56، الرباط 1995؛ جريدة "الشباب المصرية" جريدة القاهرة المصرية : جريدة "الصحافة اللبنانية" : مجلة آخر ساعة" المصرية : رسالة عبد الله إبراهيم إلى محمد بن عبد الكريم الخطابي، نسخة منها عند المؤلف.

K. Brown, *Résistance et nationalisme, in Abd-el-krim et la république du Rif*, actes du colloque international d'études historiques et sociologiques, 18 - 20 janvier 1973, Paris, 1973 ; I. M. Hart, *De "Ripublik" à "République"*, in *Abd-el-krim et la république du Rif* ; D. Rivet, *Commandement français et ses réactions vis-à-vis du mouvement rifain (1924 - 1926)*, in *Abd-el-Krim et la république du Rif* ; Y. Rouissi, *Témoignage* ; H. Bourguiba, *La Tunisie et la France*, Paris, 1954 ; L. Gabrielli, *Abd-el-Krim et les événements du Rif*, Casablanca, 1953 ; A. Germain, *Les origines de la guerre du Rif*, Rabat, Paris, 1981 ; R.J. Mathieu, *Mémoires d'Abd-el-Krim*, Paris, 1927 ; Service Historique de l'Armée de Terre-Vincennes, Carton 3H-94 (Maroc), Carton 3H-100 (Maroc), Carton 3H-132 (Maroc) Carton 3H-466 (Maroc), Papiers Sauerwein 1K55.

مليبية قد أسستها لتعليم الأهالي وتهذيبهم ( مخطوطة سانبي، 7)، وكان عمره حينئذ أربع عشرة سنة. ونظراً لتفوقه، ثم لعوامل سياسية قائمة على أهمية وظيفة أخيه الأكبر في مليبية، وعلى مركز والده في قبيلته بني ورياغل، اختارته الإدارة الإسبانية للذهاب إلى مالقة للدراسة في سلك المعلمين. وبعد سنتين أحرز على شهادة معلم (67 Mathieur)، فعاد إلى أجدير حيث أخذ يعين والده في أشغاله الشخصية، ويتعلم في نفس الوقت على يده العلوم الفقهية والتجوية ( مخطوطة سانبي، 10).

وفي 6 فبراير 1911، سافر محمد الخطابي برفقة والده وأفراد عائلته إلى تطوان حيث ظلوا فيها لغاية شهر مايو 1913 (S.H.A.T., Carton 3H - 262). وقد حاول في هذه الفترة تعلم اللغة الفرنسية، فالتحق بمدرسة الاتحاد الإسرائيلي يتطوان (191، Ayache)، إلا أن السلطات الإسبانية استاءت من ذلك واستنكرته، فاضطر إلى قطع دراسته، ثم العودة إلى أجدير بعد أن رأى والده أن الظروف مناسبة لعودة العائلة إلى مسقط رأسها.



بعد ذلك ببضعة أشهر، سافر محمد الخطابي إلى مليبية لتابعة دراسته الثانوية، وبعد عامين حصل على شهادة البكالوريا بعد إجراء الامتحان في مالقة بإسبانيا، وحصل على منحة إسبانية للالتحاق بمدرسة المعادن بمريد. إلا أن السلطات الإسبانية ألغت هذه المنحة بتعليمات مباشرة من المندوب السامي الإسباني في 20 أكتوبر 1915، وذلك بعد إلقاء القبض على أخيه القاضي محمد مليبية في 6 سبتمبر 1915 (Ayache, 221). كان محمد الخطابي في هذا الوقت بالذات بأجدير، وكان عمره حينئذ حوالي 23 سنة، ويبدو أنه كان يلعب بالاتفاق مع والده دوراً مؤثراً معادياً للإسبان، وهذا هو ما جعل حاكم جزيرة النكور العسكري يسعى لاغتياله لو لا معارضة المندوب السامي الإسباني

### الخطابي، محمد بن عبد الكريم الشقيق الأصغر

لزعيم الثورة الريفية محمد بن عبد الكريم. ولد في أجدير بخليج الحسيمة سنة 1892 (البوعياشي، 1 : 77). وعندما بلغ سن التعليم، أنشأ والده مكتبا ابتدائيا خصوصيا ليحفظ فيه القرآن الكريم، ثم علمه بنفسه مبادئ الدين والنحو والتصريف والفقه ومبادئ التاريخ ( مخطوطة سانبي، 7).

وقد كان من المنتظر أن يذهب محمد بن عبد الكريم إلى فاس لتابعة دراسته في القرويين كما فعل أخوه الأكبر، وكما فعل والده ومن سبقوه من أفراد العائلة، إلا أن الأحوال السياسية كانت قد تبدلت بعد مؤتمر الجزيرة الخضراء (يناير - أبريل 1906)، لذلك رأى والده الذي كان يتمتع بحس سياسي ووعي متقدم أن من المصلحة تغيير توجيه ابنه وإرساله إلى مليبية لتعلم اللغة الإسبانية (Ayache, 165)، وقد حقق ذلك فعليا في نهاية سنة 1906، حيث أُلحقه بالمدرسة الابتدائية التي كانت الإدارة الإسبانية

أكتوبر 1922 إلى مارس 1923 (حكيم، 148 و178) دون أن يستطيع تحقيق ما كان يرمي إليه (Mathieur، 116). وبعد عودته من فرنسا، أصبح محمد الخطابي وعمره حينئذ 32 سنة المسزول عن القوات الريفية يستوي في ذلك الجيش النظامي والقوات التي تعينها القبائل. وقد كان يقود بنفسه العمليات الهجومية الكبرى للقوات الريفية (حكيم، 75، 79، 80، 198، 212)، لذلك نجده على رأس هذه القوات عندما قامت بالهجوم على غمارة وجباله حتى دخلت مدينة الشاون في 14 دجنبر 1924 (البوعياشي، 2: 269)، كما أنه هو الذي قاد أكبر هجوم ريفي على بني زروال في أبريل 1925، وهو الذي ظل يدافع إلى آخر لحظة عن جبهة أجدير ضد هجوم الإسبان الصاعق في شهر سبتمبر 1926 (الوزاني، 2: 324). وعندما استسلم محمد بن عبد الكريم زعيم الثورة الريفية للفرنسيين فجر يوم 27 ماي 1926 بترگست، كان برفقته شقيقه محمد الخطابي، وقد نُفيا معا مع مجموعة كبيرة من أفراد عائلتهما إلى جزيرة الرينيون التي وصلوا إليها في 10 أكتوبر 1926 (S.H.A.T., Papiers Sauerwein 1K55)، وهي الجزيرة التي ظلوا فيها عشرين سنة وستة أشهر. ونظراً لإتقانه اللغة الفرنسية، فقد كان محمد الخطابي طيلة فترة المنفى بجزيرة الرينيون، المتحدث باسم أخيه ومترجمه الخاص وكاتب رسائله إلى السلطات الفرنسية.

وفي 31 ماي 1947 التجأ محمد بن عبد الكريم مع أخيه وعائلته إلى مصر، وبدأت بذلك مرحلة جديدة من حياة الأخرين تميزت بالنضال السياسي من أجل استقلال المغرب وباقي بلدان المغرب العربي. وقد كان لمحمد الخطابي الفضل الكبير في إقناع أخيه باللجوء إلى مصر، إذ أن هذا الأخير كان رافضاً للفكرة في بداية الأمر (ابن عبود، 109).

وكما حصل في المنفى أو قبل ذلك في فترة الكفاح المسلح، وجد محمد بن عبد الكريم شقيقه محمد بجانبه، وكالعادة، لعب هذا الأخير دور النائب والمساعد والرجل الثاني بالنسبة لأخيه، ولهذا أصبح يشغل منصب وكيل الرئيس محمد بن عبد الكريم في المكتب المؤقت للجنة تحرير المغرب العربي التي تأسست في 9 دجنبر 1947 (الفاسي، 349)، وظل يشغل نفس المنصب عندما عقدت اللجنة جمعيتها العمومية في 10 ماي 1948 وانتخب مكتبها الجديد.

وبحكم منصبه الجديد، ونظراً لشخصيته وتاريخه الحافل، استطاع محمد الخطابي ربط علاقات وثيقة بالعديد من الشخصيات المصرية والعربية، والتعرف من خلال ذلك على ما يجري في الجامعة العربية من نشاط سياسي وخاصة ذلك المتعلق بالمغرب العربي وفلسطين. وقد تعرف عليه في هذه الفترة وعمل معه العديد من الزعماء والشخصيات العربية والمغربية مثل الحبيب بورقيبة، علال

(Ayache، 235). وبعد إطلاق سراح أخيه في بداية غشت 1916 وعودته إلى عمله بمليية في النصف الثاني من سبتمبر من نفس العام، سافر محمد الخطابي إلى مدريد في أكتوبر 1917 لتابعة دراسته بمدرسة المعادن لتخريج المهندسين، وكان يتمتع بمنحة سياسية ويقوم في إقامة الطلبة بجوار المدرسة، ويشرف عليه شخصياً سكرتير قسم المغرب في وزارة الدولة بمدريد. وبعد سنة تحضيرية نجح في نهايتها بامتياز في دورة أكتوبر 1918، بدأ محمد الخطابي دراسته بالمدرسة، ولكنه لم يستمر طويلاً، إذ طلب منه والده العودة إلى أجدير، فقطع دراسته وعاد في منتصف يناير 1919. وبذلك بدأت بالنسبة له مرحلة جديدة بجانب والده وشقيقه محمد بن عبد الكريم. ومنذ هذا الوقت، ربط محمد الخطابي نفسه بأخيه ربطاً محكمًا يثير الدهشة والإعجاب، وقد سارا في نفس الدرب، وشريا من كأس واحدة، وواجهتا نفس المصير.

ويبدو أن محمد الخطابي كان نشيطاً من الناحيتين السياسية والاجتماعية أثناء وجوده بمدريد، فقد ربط علاقات وثيقة مع بعض الشخصيات العامة وأعضاء الحكومة الإسبانية (Mathieu، 68)، ويذكر أخوه محمد بن عبد الكريم أنه عندما كان في مدريد "كان يقاسي الشدائد من جهة السياسة الريفية، وقد نصح كثيراً من أعضاء الحكومة والوزارات وأرشدهم إلى الخطة التي يجب سلوكها في الريف، وخصوصاً في القسم الخارجي من الوزارة الذي كان له اتصال عظيم به، فلم يلق قبولا من هاته الوجهة، ولم ير إلا التسويف والاهمال، وأنذروهم في الأخير بسوء العاقبة وصرح لهم بأنهم إن لم يرجعوا عن هاته السياسة الخرقاء فإن مصيرهم في الريف يمكن أن يكون كالمصير الأخير في كوبة" (مخطوطة سانسي، 11).

أصبح محمد الخطابي بعد موت والده عبد الكريم في 7 غشت 1920 (Ayache، 302) اليد اليمنى لشقيقه محمد ابن عبد الكريم ومستشاره وكاتم سره ومبعوثه الخاص ونائبه في المهمات الكبرى. وبعد انتصار الريفيين في أنوال في 21 يوليو 1921 وزعامة محمد ابن عبد الكريم للقبائل الريفية المستقلة، أصبح أخوه محمد خليفته والرجل الثاني في الثورة وأكثر الزعماء الريفيين تأثيراً ونفوذاً بعد أخيه، وقد ظلّ معا طيلة فترة الثورة الريفية يشكلان الوحدة التي لا تنزعزع في الفكر والعمل.

ونظراً لخبرة محمد الخطابي وكفاءته ومعرفته بأحوال أوربا، فقد أرسله أخوه إلى فرنسا للتعريف بقضية الريف، ولإطلاع رجال حكومتها على ما يجري في شمال المغرب، ولتعرفهم على آراءهم وموقفهم من ذلك، ولتبليغهم رغبة الريفيين في أن تلتزم فرنسا الحياد الدقيق (بن جلون، 189). وقد سافر محمد الخطابي إلى فرنسا تحت اسم مستعار وبجواز سفر جزائري عن طريق قاس ثم تلمسان (Mathieu، 114)، وعاد منها عن طريق الجزائر، وظل بها عدة شهور من نهاية



G. Ayache, *Les origines de la guerre du Rif*, Rabat, Paris, 1981 ; R.J. Mathieu, *Mémoires d'Abd-El-Krim*, Paris, 1927 ; Service historique de l'armée de terre - Vincennes, Carton 3H - 262 (Maroc), Papiers Sauerwein 1K55.

عثمان بناني

**الخطابي، المعطي، بن محمد مقاوم، ولد عام 1932** بقبيلة السماعلة وادي زم إقليم خريبكة، وكان من أفراد الحركة الوطنية حيث شارك فيها سنة 1951 وأسندت له مهمة نشر الدعاية وبث الوعي الوطني والقيام بالتجمعات، وشارك مشاركة فعالة في ثورة 20 غشت 1955 حيث شارك في عمليات الإحراق والقتل والتخريب لمنشآت المعمرين، وأصيب برصاص المستعمر في تلك الأعمال وسقط شهيدا رحمه الله.

الندوية السامية لقدامى المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، 2 : 139.

### الخطارة أو الكظامة أو الكظيمة، قناة أو مصرف

باطني لسديمة مغذية. وهي شبكة أو نظام من القنوات التي تعمل على التحريك الباطني للماء ونقله على مسافات بعيدة دون تعريضه للتبخر. ذلك أنها تنتظم على شكل سلسلة خطية من الآبار، بئر بجانب بئر، يربط بينها مجرى باطني (انظر الرسم رقم 1). ولوجوده لا بد من توفر الشروط التالية :

- وجود سديمة مائية غنية غير عميقة بإبط السلاسل الجبلية التي تعتبر خزانا للمياه. ويجب أن تتكون التضاريس المشرفة من صخور قابلة لحزن الماء وتصريفه جانبيا.

- وجود منحدرات خفيفة عبارة عن حادورات تمتد عند قدم التضاريس الجبلية المشرفة، وإنشاء الخطارة يجب أن يكون انحدارها أخف من انحنائي السديمة والسطح حتى يتمكن ماؤها من البروز والتدفق على وجه الأرض.

- أن تكون الرواسب المكونة للمنحدرات قابلة لتسرب المياه والجريان التحتي على عمق مناسب.

رابعا : يجب أن تكون في أسفل تلك الرواسب طبقات كتومة تشكل حاجزا مانعا لاستمرار تسرب المياه من نوع الطين مثلا، أي وجود ركيزة جيولوجية غير نافذة. وذلك حتى يكون مجال التصريف فعالا ويسمح بسيلان جانبي للمياه. ولكن هذا الشرط ليس بقاعدة عامة إذ نجد استثناءات كما هو الحال بمنطقة الحوز.

والملاحظ أن هذا النظام وجد بالخصوص في المناطق الجافة وشبه الجافة لحل مشكل الماء المطروح بحدته. لذا فالخطارة تحمل أسماء مختلفة حسب الجهات الجغرافية : سهل الافلاج بالحجاز السعودي تحمل اسم فلج. وهو

الفاسي، محمد بن الحسن الوزاني، عبد الخالق الطريس ومحمد بن عبود.

وعندما بدأ الكفاح المسلح من جديد في المغرب العربي، ازداد نشاط محمد الخطابي، وكان له دور كبير في دعم هذا الكفاح، وهو دور لم يتوقف بحصول المغرب على استقلاله سنة 1956، وإنما استمر إلى أن حصلت الجزائر على استقلالها في سنة 1961.

وكشقيقه محمد بن عبد الكريم، كان محمد الخطابي غير راض ولا مقتنع بالطريقة التي تم بها حصول المغرب على استقلاله، وكان يرى أنه لا يتم استقلال بلد ما إلا بجلاء جميع القوات الأجنبية عنه، وتحرير جميع أراضيه من الاستعمار. ولهذا السبب ولأسباب أخرى، لم يعد محمد الخطابي إلى المغرب بعد سنة 1956، وظل بالقاهرة إلى أن قُجج بهزيمة المغرب أمام إسرائيل في حرب يونيو 1967، فجا - إلى الرباط، إلا أنه لم يهنأ بعودته إلى وطنه، إذ أصيب بمجرد وصوله بأزمة قلبية حادة نُقل اثرها إلى مستشفى ابن سينا حيث أمضى فترة من العلاج سافر بعدها إلى مراكش لينتفع بهوائها الجاف. وبعد عودته إلى الرباط، عاودته الأزمة القلبية ولم يقبله هذه المرة، وتوفي رحمه الله في يوم 19 دجنبر 1967 وعمره 75 سنة دون أن يتمكن مرة أخرى من رؤية الريف والمناطق التي عاش فيها أجمل أيام حياته النضالية. وقد نُقل جثمانه طبق وصيته إلى أجدير حيث دفن بمقبرة المجاهدين وسط احتفال مهيب حضره وفد رسمي برئاسة الجنرال محمد أفقير وزير الداخلية في ذلك الوقت، وزعماء بعض الأحزاب والهيئات الوطنية وفي مقدمتهم عبد الرحيم بوعبيد (العلمي، 93). وقد امتلأت أرجاء المقبرة وهوامشها بجموع غفيرة، وتخلل الاحتفال كلمات بعض رؤساء الوفود المحاضرة الذين تحدثوا عما امتلأت به حياة هذا المجاهد الكبير من كفاح مجيد ضد الاستعمار.

وكان من المنتظر إقامة مهرجان وطني يليق بمقام الفقيه بمناسبة الذكرى الأربعينية لوفاته، وفعلا تمت الترتيبات لذلك في مدينة الحسيمة، وحضرت شخصيات ووفود الأحزاب والهيئات الوطنية والأجنبية، لكن المهرجان الكبير ألغي في آخر لحظة بتعليمات مباشرة لسلاطات الحسيمة من وزير الداخلية الجنرال محمد أفقير (البوعياشي، 2 : 502).

أ. ابن عبود، مكتب المغرب العربي في القاهرة : ع. ابن جلون، هذه مراكش : أ. البوعياشي، حرب الريف التحريرية ومراحل النضال : م. ابن عزوز حكيم، ومضات مضبنة عن الحرب الريفية من خلال مذكرات شاهد عيان إسباني : م. العلمي، زعيم الريف محمد عبد الكريم الخطابي، ط. 2 : ع. الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي : م. ح. الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، حرب الريف : مخطوطة سانية : انظر ع. بناني، قراءة في مذكرات محمد بن عبد الكريم الخطابي انطلاقا من كتاب "جنود حرب الريف" للأستاذ جرمان عياش، في "دراسات تاريخية مهداة للفقيد جرمان عياش".

فرشات مائية مهمة بسيلان الوديان وبالمخفضات الضعيفة العمق كما هو الحال جنوب الوديان، حيث عمق السدود ضعيف (2.6م). بسهل تافيلالت الفرشة المائية عميقة نسبياً. ويتم استغلالها بجفر المخاطرات أو الآبار.

رابعاً : وجود ركيزة جيولوجية غير نافذة، حيث تتوضع الرواسب السطحية فوق صخور سيثية قليلة النفاذية. كما أنها تبرز هنا وهناك على شكل رؤوس تخترق المواد الغرينية الرباعية (تضاريس أبلاتية مبعثرة)، وتلعب هذه الرؤوس دورين رئيسيين : من جهة تعمل على رفع مستوى السدود إلى السطح، ومن جهة ثانية غالباً ما تشكل نقط انطلاق للمخاطرات.

مكانة المخاطرات من أساليب الري الأخرى.

بالنسبة للأساليب التقليدية : أنشأ الفياليون نظاماً سقوياً تقليدياً قديماً يتركز على تحويل الامتطحات وعلى استخراج مياه السدود بالدلو أو بالمخاطرات. وقد نجحوا في تكيفه مع التقلبات التي يعرفها المجال الفيالي العطوب. ويمثل هذا النظام 11.03% من عملية إفرغ السدود، في حين يمثل التبخر 76.1%، والانبثاقات والمنافذ بقعري زيز وغريس 7.3%، والباقي 3.73% بواسطة الضخ العصري. ويحتل أسلوب المخاطرة المرتبة الثانية في النظام التقليدي بعد أسلوب "الأغرور".

وإذا كانت مياه المخاطرات أقل عرضة للتبخر، خاصة وأن نسبة هذا الأخير مهمة في استنزاف السدود، فإنها تجري ليل نهار، وبالتالي قد تساهم في استنزافها أيضاً إذا لم تستغل جيداً. وهكذا عكس تقنية "الأغرور" التي لا تستخرج مياه السدود إلا عند الحاجة إليها.

بالنسبة للأساليب العصرية : أدخل نظام سقوي عصري بعد بناء سد الحسن الداخل لأهداف متعددة منها حل مشكلة الماء بالمجال الفيالي. لكن هذا النظام لم يجد تكيفاً، بل زاد من حدة مشكل الماء كميًا عن طريق حرمان المنطقة من الامتطحات التي تلعب دوراً مهماً في تغذية السدود، ونوعياً عن طريق ارتفاع نسبة الملوحة. كما أن إدخال المحركات وتطور عملية الضخ العصري لتغطية النقص الحاصل في مياه الامتطحات أدى إلى انخفاض قوي لمستوى السدود واستنزافها بدون سابق مثل. وكان من نتائج ذلك التزايد التدريجي في عمق الآبار، مما أدى إلى التراجع الكبير لنظام "الأغرور" من جهة، وانخفاض صبيب المخاطرات وتضروب بعضها من جهة ثانية.

آفاق الاستعمال والأدوار البيئية : يوجد بمنطقة تافيلالت ما يزيد عن ستين خطرة تتوزع على منطقتين رئيسيتين هما : حنابور صيفا بالضفة اليمنى لغريس، ثم تانجويت شمال شرف الرصاني. هذا بالإضافة إلى بعض المخاطرات المنعزلة (تيزيمي، السفالات). وتشكل هذه المجموعات النظام المخاطراتي الذي يعرف أزمة تتمثل في تضروب العديد من المخاطرات التي أصبحت مهجورة موسمياً أو نهائياً. ويرجع ذلك إلى عوامل خاصة بكل مجموعة :

مصطلح مشتق من قَلَج الأرض، أي شقها. كما نجد نظام الخطارة بإيران، بأرمينيا، بالصين، بجزيرة إبيريا حيث عُثر على شبكة من المخاطرات بموضع مدريد. كما نجد بالمغرب العربي (توات، تافيلالت، الحوز). فالطوارق يطلقون عليها اسم "إفلي"، والأمازيغ اسم "إفري". ويدعو سكان درعة الآبار بالمخاطير. وقد تطور هذا النظام بالمغرب، خاصة بمنطقتي الحوز وتافيلالت، حيث جاء كواحد من الأساليب التي استعملت لإيجاد حل لمشكلة ندرة الماء للري أو للشرب.

- الخطارة نظام عريق بمنطقة تافيلالت.

- عوامل تطور النظام المخاطراتي : يكتسي الماء بالجنوب المغربي أهمية حاسمة طيلة السنة في حياة السكان بالمجال الواحاتي، حيث كان وما زال يمثل المشكل الأساسي. لذلك لم يدخروا جهداً منذ القديم لاستغلاله بكل الوسائل الممكنة :

- استخراج مياه الآبار بواسطة الدلو "أغرور" بتافيلالت، أو بواسطة الشادوف بدرعة.

- تحويل مياه امتطحات الوديان المخدرة من الجبال المشرفة بواسطة بناء سدود بسيطة "الگوگ" ومد السواقي.

- استعمال تقنية المخاطرات لأسر مياه السدود.

ولقد استعملت هذه التقنية الأخيرة بحوض درعة (اكتاوة، المحاميد) لكنها كانت أكثر تطوراً وازدهاراً واستعمالاً بحوضي زيز وغريس من تدغة السفلى غرباً إلى سهل تافيلالت شرقاً. هناك خطارات الجرف بوادي غريس، ثم خطارات حوض المعادير جنوب جبال صاغرو والوكنات. لكن أهمها خطارات فنزة (الغيفات) الموجودة بالشمال الغربي لتافيلالت إذ يبلغ صبيبها ألف لتر من الماء في الثانية. ومن العوامل التي ساعدت تطور هذا النظام بمنطقة تافيلالت :

أولاً : وجود سدود مائية غنية وقريبة من السطح يقدم كل من جبال الأطلس الكبير الكلسي الشرقي وجبال صاغرو - الوكنات. فجبال الأطلس تشكل جداراً يتلقى تساقطات هامة (400-800 ملم) تغذي المياه السطحية (زيز - غريس) أو المياه الباطنية للسدود. أما جبال صاغرو - الوكنات فهي امتداد للأطلس الصغير شرقاً. ورغم أن المظهر الرئيسي هو احتداد الجفاف، فإن الارتفاعات تساعد على تزايد التساقطات (أكثر من 300 ملم). كما يتكونان من صخور أولية وبلورية قابلة لحزن المياه وتصريفها جانبياً (الكلس، الحث).

ثانياً : وجود حادورات خفيفة الانحناء ممتدة عند قدم كل من جبال الأطلس والوكنات في اتجاه الجنوب والجنوب الشرقي.

ثالثاً : وجود رواسب فتاتية قابلة لتسرب المياه والجريان التحتي على عمق مناسب، بحيث تعرض السطح للردم بمواد غرينية طمرت المجاري القديمة التي تشكل الأماكن المفضلة لسريان المياه الباطنية. وهكذا توجد

من بناء نوع من التوازن البيئي العريق في القدم، لكن يبدو أن مجاله يعرف نوعاً من التناقص إذ أصبح معرضاً للخطر والتدهور، وربما مهدداً بالاختفاء ويرجع ذلك إلى الأسباب التالية :

- التطور البيئي : تطور ظاهرة التصحر بمعناها الواسع (تحرك الكثبان الرملية، إرمال الخطارات، نقصان الامكانيات المائية نتيجة بناء السد واستنزاف السديّة، مما أدى إلى نضوب بعض الخطارات، تراجع التخليل الذي لعب النظام الخطارتي دوراً مهماً في تطوره ووجوده.

- التطور الديمغرافي : وكان من نتائجها الطبيعية والملازمة الاستغلال المكثف والمفرط للمجال وبالتالي التدهور البيئي.

- التحولات الاجتماعية والاقتصادية السريعة العنيفة : وهي ناتجة عن ادماج المجال الفيلاي في النظام الاقتصادي الجديد. ولم تفلت المجالات الخطارتيّة من تلك التحولات بما فيها المناطق الحيّة والمستقرّة نسبياً (تطور السياحة التي تستهلك ثلث المياه، شراء المواد التي كانت تنتجها الواحات، مدخول معظم السكان خارجي، هجرة السكان).

كل ذلك جعل المجال الفيلاي العطوب في أزمة، والذي ساهم نظام الخطارة في توازن ومقاومة العناصر المناهضة له. الخطارة واحدة من التقنيات السقوية الأكثر أصالة وقدماء بالحوز.

عوامل تطور النظام الخطارتي بالحوز :

يُقال إن المهندس عبيد الله، أو عبد الله بن يونس هو الذي أدخل هذا النظام إلى الحوز. وقد أتى به الأمير

- بالنسبة لمجموعة تاجويت : نضوب الخطارات مرتبط بالانخفاض القوي في مستوى السديّة والذي يرجع لسبين هما : من جهة حرمان المنطقة من الامتطاحات المغذية للسديّة، ومن جهة ثانية استنزاف هذه الأخيرة عن طريق استخراج مياهها بالاغرور، وخاصة بالضخ العصري الذي تعددت نقطه.

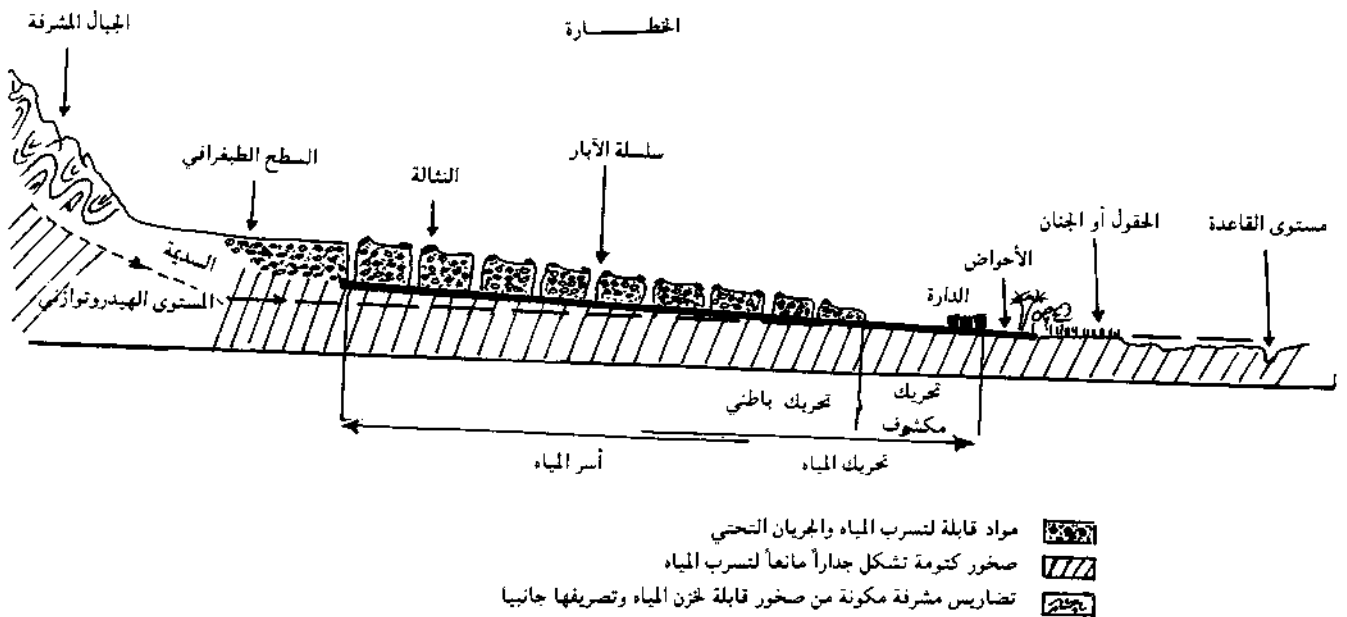
- مجموعة جنابو - صيفا : تمثل الثروة المائية الوحيدة بالمجال الفيلاي لأنها تتغذى من الودانات حيث السديّة قوية. وتجيّف بعض الخطارات هنا مرتبطاً بالعوامل التالية :

- الإرمال حيث تتعرض بعض الخطارات للردم بالرمال.  
- انعدام الصيانة إما بسبب قلة اليد المجانية بعد اختفاء العبودية، أو بسبب المشاكل الاجتماعية بين المستعملين حول الصيانة واستخراج النشالة.

- عدم إمكانية إحياء وتنشيط الخطارات بسبب القانون العرفي الذي يمنع كل زيادة في الصبيب عن طريق تمديد الخطارات نحو العالية.

- يضاف لكل تلك العوامل تأثير فترات الجفاف على صبيب الخطارات - حتى الصيانة منها - مما يجعل بعضها يجف خلال الفترات الجافة ويجري خلال الفترات الرطبة.

وهكذا فإن الفيلايين بذلوا مجهودات جبارة للتحكم في كمية الماء القليلة. وترجم تلك المجهودات الأهمية الرئيسية التي يمثلها الماء في حياة السكان والتوازن البيئي بالمجال الفيلاي الهش الجاف، إذ بدون ماء تستحيل إقامة حياة فلاحية ووجود البيئّة الواحاتية. وقد تمكن الفيلايون



وقد يصل عدد الآبار المكونة لها إلى ثلاثمائة بئر، وتتراوح المسافة الفاصلة بين بئر وآخر من عشرة إلى عشرين مترا. وتتكون المجال الخطاطراتي من العناصر المجالية التالية.

تتكون العالية من جزئين : جزء أول : مجال أسر وتصريف المياه. وتتكون من سلسلة من الآبار المتباعدة، لأجل إزالة الردم والتهوية أثناء الانحياز أو لأجل التنظيف والصيانة بعده. عرض المصرف حوالي عشرة أمتار. ومن ثمة يصبح المنظر عبارة عن سلاسل من الآبار المتناثرة. وتتراوح المسافة الفاصلة بين سلسلة وأخرى بين مائة وثمانين (180 م) ومائتي متر (200 م) حتى لا يقع تنافس في أسر مياه السديمة. وجزء ثانٍ : مجال تحريك ونقل المياه. وتتكون بدوره من شطرين : شطر يتم فيه التحريك باطنيا وآخر يصير فيه مكشوقا.

الساقلة مكونة من جزئين كذلك : جزء أول مكون من الدارة أو الرياض (سكنى ثانوية)، ومن صهريج أو حوض لتجميع المياه، لأن صبيب الخطاطرات ضعيف إذ أن 75٪ منها صبيبها أقل من عشرة لترات في الثانية (10 ل/ث)، و93٪ منها أقل من عشرين ليتر في الثانية (20 ل/ث)، ولأنها عبارة عن مصاريف تجري ليل نهار. لذا لا بد من تخزين المياه وتجميعها. وجزء ثانٍ : مجال مكون من البساتين أو الأجنة (الجنانات)، ومن شبكة من قنوات التصريف.

- موقع الخطاطرات من أساليب الري الأخرى :

- بالنسبة للأساليب التقليدية : هناك ست مجموعات من الخطاطرات هي من غرب مدينة مراكش نحو شرقها : الوداية، تامصلوحت، أزوفيد - مراكش، أوريكة، الجنانات، ثم الريدان - زاوية بن ساسي. والملاحظ أن معظمها يتركز جنوب شرق مراكش بالخصوص. وقد تعرض عدد منها للهجر. وهناك حوالي خمسمائة خطاطرة نشيطة (حية) تمثل حوالي 13٪ من المساحة المروية بهذا الأسلوب وحده. هذا بالإضافة إلى 8٪ بالاشتراك مع الأساليب الأخرى.

أما نظام الري بالسواقي فهو أكثر أهمية إذ يسمح بري 75٪ من المساحة المسقية، لأنه أهم من حيث القدم، خاصة بمخارج الوديان، وأهم من حيث البساطة، ولقدرته على تحويل أضعف صبيب وبأسط الوسائل (الكوك). في حين تتطلب الخطاطرات مجهودا جبارا. لذا يتم تفضيل السواقي عندما يكون الماء دائما، لكن إذا كان موسميا فيفضل نظام الخطاطرة. أما استخراج مياه الآبار بالدلو والسانية فهو محدود إذ لا يمثل سوى 8٪.

- بالنسبة للأساليب العصرية : أدخلت هذه الأساليب مع الاستعمار عن طريق بناء سد للاتاكركوست، ومد سواقي بالإسمنت من وديان الزات، غيغاية وأوريكة. وذلك لسقي مجالات خارجة عن مناطق الري التقليدية. واستمر التحديث بإنجاز قناة الروكاد التي توجه مياه واد الأخضر بالحوز الشرقي إلى أراضي الحوز الغربي، وبناء سدود

المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين، عندما بلغت أزمة الماء حدها بسبب تحول مدينة مراكش إلى عاصمة لامبراطورية واسعة الأرجاء، وارتفاع عدد سكانها. ولم يعد أسلوب الآبار كافيا، لذا أصبح من اللازم التفكير في أسلوب آخر. ويبدو أن رجال الحرفة، أي حفاري الآبار هم الذين استعملوا مصطلح خطاطرة لتمييز هذا الأسلوب عن الأساليب الأخرى (الآبار، العيون، السواقي). ومن المعلوم أن حفاري الآبار والخطاطرات هم من أصل جنوبي (فركلة أو تنجداد، درعة). والسعديون هم الذين أتوا بالدريعيين الذين يسمون الآبار بالخطاطير.

وهكذا جاء هذا النظام، كما هو الحال بتافيلالت، كواحد من أساليب متنوعة لحل مشكلة الماء. ومن العوامل التي ساعدت على تطوره :

- أولاً : وجود فرشة مائية باطنية غنية وغير عميقة بقدوم جبال الأطلس المراكشي الذي يعتبر خزاناً للمياه، إذ يتكون سفحه الشمالي من صخور متنوعة نافذة قابلة لحزن الماء وتنظيم تزويد السديمة به جانبيا. وتتمثل أساساً في الكلس من أعمار مختلفة رغم بروزاته المحدودة، ثم صخور الحث. وتقدر كمية التساقطات المغذية للسديمة بحوالي 3م50 / . والتي تجري على طول السفح نحو منخفض الحوز.

- ثانياً : وجود منحدرات خفيفة عبارة عن حادورات تمتد عند قدم الأطلس، بحيث تمر تدريجيا إلى ضفاف وادي تانسيفت. ويساعد هذا الانحناء تدفق مياه الفرشة على السطح قبل الوصول إلى مستوى القاعدة (تانسيفت).

- ثالثاً : وجود رواسب قابلة لتسرب المياه والجريان الباطني على عمق مناسب، إذ تعرض منخفض الحوز خلال النيوجين والرابعي للردم من طرف مواد فتاتية قارية. وهنا مرة أخرى يظهر دور الأطلس في توفير هذه المواد، إذ يتكون سفحه الشمالي كذلك من صخور قابلة للتعرية، خاصة بحوضي أوريكة والزات، والتي تتحكم في كمية تلك المواد التي تقوم بخزن المياه الآتية من الأطلس أو المرتبطة بالأمطار التي تحدث فوق المنخفض نفسه، أو تسرب مياه السقي بالدير بعالية الخطاطرات.

- رابعاً : وجود جدار كتوم نسبيا. رغم أن المواد الرادمة لمنخفض الحوز عبارة عن خليط من الغرينيات المتغايرة القياس والنفاذية والمرسبة بكيفية معقدة، فإن النفاذية تقل نحو الأسفل، إذ تصبح المواد النيوجينية السمكية ذات سحنة صلصالية تزداد بها نسبة الطين، مما ساعد على سريان كلي تقريبا للسديمة في الجزء العلوي من الردم القاري.

تنظيم المجال الخطاطراتي بالحوز : تختلف الخطاطرات بالحوز من حيث الطول وعمق الآبار. كلما ابتعدنا جانبيا عن المحاور المائية المتدفقة من جبال الأطلس المراكشي، كلما صارت الخطاطرات طويلة والآبار عميقة. والعكس صحيح. وهكذا يتراوح طولها بين خمسمائة متر وخمسة كيلومترات.

17ème siècle, Paris, 1982 ; De Troussi, *Les Rhétaras de Marrakech. France - Maroc* 1919 ; F. Joly, *Etude sur le relief du Sud-Est marocain*, Rabat 1962 ; F. Joly et I. Margat, *Remarques sur les bassins hydroliques du Ziz et du Chriss*, Rabat, p. 41 - 55 ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912* ; Ladreit de la Charrière, *Les procédés d'irrigation dans la plaine du Haouz de Marrakech. La Nature* n° 1149, 1910 ; L. Mezzine, *Le Tafilalet, Contribution à l'histoire du Maroc aux XVIIè et XVIIIe siècles*, Rabat 1987 ; My El Hassane Boubekraoui, *La Crise des palmerais de la plaine du Tafilalet (Sud - Est - Marocain)*, Toulouse 1983 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, 2 vol., Rabat 1977.

أحمد زروال

ابن خطاري، محمد بن سلامة مقاوم ولد سنة 1932 بالساقية الحمراء وانخرط في صفوف جيش التحرير المغربي بالجنوب في سنة 1956، وعمل ضمن المقاطعة الثامنة تحت مسؤولية السيد اعلي بويما مباره. شارك في معارك في الصحراء إلى أن استشهد رحمه الله بناحية تندوف وذلك بتاريخ 1 / 2 / 1957. المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء، الاستقلال، 2 : 65.

**الخطاف** أو الخُطِيف وخطاف الشعر أو الخُطَافَةُ كما هو شائع في اللسان المغربي الدارج وفي المعاجم أيضاً، جنس طيور برية صغيرة القد سريعة الطيران. تسمى في الشرق العربي سنونو والكلمة أعجمية واحديتها سنُونُو وسَنُونِيَّة. وتسمى هذه الطيور أيضاً عصافير الجنة وعصافير الأمانة وزوار الهند والحجيجيات. تسمى بالأمازيغية تفليلست وإفليلس وإبليل وبالفرنسية Hironnelle وبالإنجليزية Swallows, Martins. وبالإسبانية avión.



خطافيفة

إنها طيور عارية القدمين والساقين تنتمي إلى رتبة الجوائم المشقوقات المناقر وفصيلة الخطافيات (الخطاطيف) Hirundidae. تتميز بأقدام قصيرة جداً لا تستعملها للمشي بتاتا حيث إنها لا تقف على الأرض إلا في حالة البحث عن الوحل لاستعماله في بناء العش. في حالة الاستراحة تقف على أغصان الأشجار وعلى حاشية سطوح المنازل وعلى

صغرى (تليّة). كما أدخل نظام ضخ مياه الآبار بواسطة المحركات. وقد تكاثرت هذا الأسلوب الأخير، خاصة بمنطقة الجنانات (النخيل - الوردان - زاوية بن ساسي)، ابتداء من سنة 1958 بعدما كان ممنوعاً قبل هذا التاريخ، مما أثر على عمق السديمة.

وكان من نتائج ذلك تراجع نظام الخطارات، وأهمل عدد كبير منها، ونضب الكثير منها، خاصة الصغيرة التي يقل عمقها عن عشرة أمتار. وتم تعريض المتوسطة بمضخات، في حين استمرت الخطارات الكبيرة. - آفاق الاستعمال والأدوار البيئية.

لعل النظام الخطارتي كان من بين الأسباب التي أدت إلى ازدهار أرياض مراكش منذ عهد المرابطين، بحيث تحولت من مجال شبه صحراوي "لا أنيس به إلا الغزلان والنعام، ولا يثبت إلى السدر والحنظل" (البيان المغرب)، إلى بيئة خضراء مكونة من أجنة وعراصي تمد المدينة بالحضر والبقول والفواكه والحبوب. كما شكل مجال الخطارات ومازال بيئة للراحة والتنزه، والتي أضفت عليها أشجار النخيل السحر الذي تعرف وتشتهر به واحة الحوز.

لكن الخطارات تعرف حالياً وضعاً متأزماً إذ أصبح بعضها تحت البنائيات نتيجة توسع مدينة مراكش على حساب عدد من الجنان. كما أن تطور أساليب الري الأخرى أدى إلى تراجعها. أضف إلى ذلك مشكل الصيانة التي تتطلب تكلفة أكبر من الآبار المزودة بمحركات عصرية مثلاً. زد على ذلك تطور أساليب الإنتاج بالأرياض البعيدة الذي أدى إلى استعمال المواد الكيماوية، مما طرح مشكل تلوث مياه السديمة. هذا بالإضافة إلى أن الخطارات تستهلك نسبة مهمة من الأراضي الصالحة للزراعة نتيجة تعرض تلك المساحات للردم المرتبط بالنثالة المستخرجة من الآبار، أو عن طريق تخريب مجالات مهمة أثناء الحفر.

كل ذلك أدى إلى تدهور العديد من الخطارات. لذا لم يعد الباقي منها يمثل في معظمه سوى إرث تاريخي لأسلوب من أساليب حل مشكلة الماء للري أو الشرب. وهكذا فإن الخطارات الكبيرة، والتي هي في ملك الدولة، لازالت نشيطة ومستمرة لأهداف سياحية، إلى جانب بعض الخطارات المتوسطة والصغرى الخاصة المستعملة في الري.

ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب : أ. زروال، دراسة جيومورفولوجية لدير أطلس مراكش بين وادي الزات وتساوت، الرباط، 1987 : أ. الناصري، الاستقصا : ح. بن محمد الزوان الفاسي (ليون الأفريقي)، وصف إفريقيا : ح. جلاب، في تاريخ الماء وأساليب الري، تانسيفت. مجلة جغرافية الأطلس والحوز، العدد 1، مراكش، 1992.

A. Michard, *Eléments de géologie marocaine*, Rabat 1976 ; A. Alkouffe, *Tafilalet, Etude de la nappe phréatique de Rissani*, Rapport de 15 pages ; D. Jacques-Meunié, *Le Maroc Saharien des origines au*

(Hirondelle de rivage) rupestris وخطاف الشواطئ  
(Hirondelle du désert) Riparia riparia وخطاف الصحاري  
Hirundo Obsoleta طيور لا تتوالد في المغرب ويكثر عددها خلال فترة الهجرة.

تتميز هذه الأنواع الثلاثة بريش بني على ظهرها. الذيل قليل التفرع وقصير.

خطاف المراعي (Hirondelle paludicole) Riparia paludicola يبيض في المغرب ويختلف عن الأنواع الأخرى في بناء العش حيث يقوم الزوجان بحفر جحر يصل طوله أحيانا 120 سم وذلك قرب ضفاف الأنهار أو على جانب الطرق. يتوالد ما بين دجنبر وأبريل وشائع في ظواحي مراكش ووارزازات والصويرة ومناطق الغرب وفي شمال البلاد.

تحمي طيور الخطاف بعطف واحترام من طرف الإنسان حيث يعتبرها من الطيور المقدسة مما يجعله لا يؤذيها ولا يقترب من أعشاشها. وتعد من الطيور النافعة لأنها تأكل الحشرات التي في إمكانها أن تؤذي الإنسان أو الحيوانات أو النباتات.

مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، لبنان، 1988.

M. Thevenot, R.E. Baouab et P. Bergier, *Compte rendu d'ornithologie marocaine*. Docum. Inst. Sci., 1980, 1981 - 1982, Rabat ; W. Reade et E. Hosking, *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids*. Paris, 1968, p. 231 - 234 ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe With the North Africa and the Middle East*, London, 1984, p. 206 - 207.

محمد رمضان

## الخطوط، قرية واتفاقية. تنتمي قرية الخطوط إلى

محيط قبيلة بني غرفط الهببية، واقعة على المنحدر الشمالي من كتلة بني غرفط، تستقر مبانيها على كدية انحدارها نحو 206 م. أشارت إليها المصادر البرتغالية والإسبانية وما تزال إلى اليوم بنفس المكان.

تأثرت القرية باحتلال البرتغال لمدينة أصيلا منذ سنة 1471 / 876 وجولات جنودهم المتكررة بحوزها طيلة تسع وسبعين سنة من احتلال المدينة، مما اضطر أهلها إلى الهجرة نحو الداخل منذ انتفاض الهدنة بين البرتغال والوطاسيين سنة 1500 / 906.

ولا تتوفر على الإشارات الدالة على عودة السكان إليها، وذلك بحكم وقوع مساكنها في المقدمة الشمالية من الجبل، تجاه مدينة أصيلا. وقد عد البرتغاليون قرية الخطوط النقطة الآمنة لهم ولغنائمهم المستحوز عليها من جهات بني عروس، كما أشادوا بموقعها المشرف على القرى السهلية الداخلة في حوز أصيلا، مثل الأبواب وبومهدي وشرقان وقب النيش. ولاشك أن القرية استرجعت أهلها بعد الجلاء

القبضبان وخيرط الكهرياء وأحيانا تدخل أعشاشها لتنام فيها. في حالة عطشها تطير محادية لسطح مياه البحيرات والبرك لشرب الماء كما أنها تلتقط الحشرات أثناء طيرانها.

الأجنحة طويلة جداً، ومستدقة الرأس تساعد على السرعة في الطيران حيث تُقَدَّر بمعدل يتراوح بين 55.65 كلم في الساعة. الذيل طويل ومتفرع. المتقار قصير مختص في التقاط الحشرات التي تُكوِّن القوت اليومي لهذه الطيور.

تتكون فصيلة الخطافيات من 79 نوعا في العالم منها 7 أنواع كلها من القواطع تقضي فصل الربيع والصيف في المغرب بصفة منتظمة وتشتد في ضواحي إفريقيا الاستوائية والجنوبية.

خطاف المدخنة (Hirondelle de cheminée) Hirundo من الخطاطيف الشائعة في المغرب. يبلغ طوله 19.20 سم. وبسطة جناحيه 33.34 سم. وزن 13.21 غرام. يألف القرى والمدن ويبني عشه بداخل المنازل على حاشية السقوف وبين شقوق الجدران. العش كروي الشكل يتكون من الوحل ويفرش بالريش وأحيانا بشعر الحيوانات والإنسان مما أدى إلى تسميته بخطاف الشعر. يتوالد ما بين مارس ويونيو وتبيض الأنثى 4.8 بيضات يبلغ قطرها 20 + 13.7 ملم لونها أبيض منقط بالبني المحمر الخفيف. تحضن الأنثى بيضها 14.16 يوماً وتبقى الصغار بداخل العش 17.24 يوماً. يتوالد هذا النوع 3 مرات في السنة.

يتميز هذا النوع بمنقار أسود وبريش أسود أزرق اللمعان جهة الظهر وأبيض جهة البطن. الجبهة والعنق حمراء محاطة بالريش الأسود. الذيل متفرع ينتهي بريشتين طويلتين على كل جانب. يعيش هذا النوع في مختلف المناطق المغربية ويكثر عدده خلال فترة الهجرة إلى أوروبا ابتداء من فبراير وأثناء العودة إلى إفريقيا خلال شهر ستمبر.

خطاف النوافذ (Hirondelle de fenêtre) Delichon urbica لا يتعدى طوله 12.5 سم. يتميز ببقعة بيضاء على ظهره بين الذيل والجناحين. ريشه أسود على ظهره وأبيض على بطنه وعنقه. يعيش وسط مجموعات متعددة الأفراد وتُبنى الأعشاش متقاربة مع بعضها على الجدران وبين شقوق الصخور العالية تبيض الأنثى 2.6 بيضات غير منقط في الغالب، يبلغ قطرها 19.4 + 13.4 وتدم مدة الحضنة من طرف الزوجان بالتناوب 13.19 يوماً.

الخطاف الأشقر (Hirondelle rousseline) Hirundo daurica لا يتعدى طوله 18 سم وبسطة جناحيه 33 سم. يتميز ببقعة كبيرة من الريش الأشقر على مؤخرة ظهره بين الذيل والجناحين وبقعة أخرى بين الرأس والظهر. الذيل متفرع جداً. يبني عشه بداخل الكهوف وبين شقوق الصخور العالية وتحت القناطير وأحيانا على جدران المنازل. شائع في المغرب ما بين يناير وسبتمبر.

خطاف الصخور (Hirondelle des rochers) Hirundo

البرتغالي عن أصيلاً سنة 1550.

وفي بداية القرن العشرين كانت مندرجة ضمن فرقة الخطوط الكرفطية وشكلت آنذاك إحدى الفرق الكرفطية الأربعة، يدخل في إطارها كل من قرى عين كداخ والخطوط والحراش والصف. وأنداك كانت تحت نظر الشريف أحمد الرسوني إلى أن تم احتلالها من طرف الإسبان مع بداية عهد الحماية.

وبهذا الاسم عرفت اتفاقية الخطوط المتعددة بقرية الخطوط بين الزعيم الجبلي الشريف أحمد الرسوني والمقيم العام بالمنطقة الخليفة الجنرال خوردانا، وذلك يوم 25 شتمبر 1915، بعد سلسلة من الاتصالات السابقة الجارية بينه وبين المقيمين العامين السابقين (ألفاو رتاليه الجنرال مرينا)، تدرجت بين لقاء الزينات وعين الدالية وامتدت خلال سنوات 1913 و1914 و1915 بسبب طرح الرسوني لشرطه الأساسي المتعلق بلزوم إعفاء الكولونيل سلفستري من مهمته بالشمال الغربي المغربي، وهو ما تم يوم 9 يوليوز سنة 1915. جاء هذا الانفتاح موازياً مع تعيين الجنرال خوردانا يوم 24 يوليوز من نفس السنة مكان سلفه الجنرال مرينا. وتقدم مجمل بنود الاتفاقية في سياق مختلف الغايات المتوخاة منها.

تتصدر الاتفاقية ديباجة فحوها عرض أحمد الرسوني لمختلف ما يتعهد بتنفيذه في ثلاثة عشر شرطاً، إلى جانب المقابل من تعهدات الحكومة الإسبانية المبنية في سبعة عشر شرطاً. وبذلك يكون مجموع عدد بنود الاتفاقية هو اثنان وثلاثون شرطاً. وتبرز الغايات في العناصر التالية :

لخصت الديباجة الغايات من عقد الاتفاقية. فبالنسبة لأحمد الرسوني كانت الغاية هي رغبته في تقوية جهازه الدفاعي، بالحصول على ما احتاج إليه من البنادق وعدتها من مختلف الأصناف وعلى الخيام العسكرية، بينما تمثلت غاية الإسبان من جهة ثانية في تمكّنهم بواسطة الاتفاقية من بسط نفوذهم على الشمال الغربي، وذلك بإخضاع القبائل ظاهرياً لنفوذ المخزن الخلفي بواسطة مساعدة أحمد الرسوني طبقاً للأسلوب الاستعماري المعروف بالتهدنة.

وتوضح الاتفاقية أن المطلوب من أحمد الرسوني هو تسهيل مهمة الاحتلال خلال مدة عامة محددة بأربعة أشهر وخمسة عشر يوماً، بدءاً من الجهة الممتدة بين سبتة وطنجة، في أجل لا يتعدى أربعة وعشرين يوماً. أما باقي الجهات من القبائل الجبلية فقد حددت مهلة إخضاعها بثلاثة أشهر تالية من انتهاء المرحلة الشمالية.

وقد أسند نص الاتفاقية لكل فرقة من فرق القوات الإسبانية أدوارها، مشيراً أولاً إلى انضمام القوات المخزنية الخلفية التي يترأسها ضابط إسباني إلى محلة الرسوني. أما القوات النظامية الإسبانية وقيام الشرطة فقد حدد لها التمرکز في المواقع الخلفية المسيرة لوتيرة تقدم المناطق الخاضعة. ونصت الاتفاقية أيضاً على تقسيم الأراضي

الخاضعة إلى إقليمين عسكريين مركزهما سبتة والعرارش.

حرص النص على تحديد علاقة أحمد الرسوني بالمخزن الخلفي ونظام الحماية. فبناء على التفق عليه يصيح الزعيم الجبلي موظفاً سامياً متعاوناً، سواء مع المخزن الخلفي أو مع نظام الحماية وإدارتها، بدءاً من الاعتراف بالخليفة السلطاني القائم آنذاك بتطوان ونظام الحماية وقوانينها الجارية والتنظيم الإداري المعمول به، وكذا الاعتراف بالمعاهدات الدولية الحالية واللاحقة المتعلقة بالنظام. ويشير النص إلى أن دور أحمد الرسوني سيكون استشارياً، ويسمح له بتأسيس فرقة المخازنية مكان محلته القديمة، كما يساعده موظفون، بعضهم معينون من طرف الإقامة العامة، وآخرون مرتبون من طرفه.

وأخيراً خصص الفصل الختامي من الاتفاقية لبيان داعي نقض الصلح، وهو محدد بمجرد إخلال أحد الطرفين بأحد الشروط.

وما دلت عليه السنوات الفاصلة بين شتمبر 1915 ومارس 1919 أن الاتفاقية لم تقدم ثمارها الموسومة للإسبان، بينما تقوى جانب أحمد الرسوني، وانتهى العمل بها بانتحار الجنرال خوردانا سنة 1918 وحلول بيرينكر مكانه وبداية الغزو العسكري المنظم للتواحي الشمالية الغربية.

ح. الفكيكي، المقاومة المغربية للوجود الإسباني بالثغور الشمالية المحتلة، د. د. ع. مرقون، الرباط، 1991 : ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخلفية، تطوان، 1951.

Bernado Rodrigues, *Arzila*; Luis de Sousa, *Les Portugais au Maroc*; Rafael Lopes Eienda, *Frente al fracaso Raisuni de Silvestre a Burguete*; Ortega Manuel, *El Raisuni*; *Geografía de Marruecos*, T. 2, Madrid 1939; B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, Lisboa 1915.

حسن الفكيكي

الخطيب، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : *Jatib* ؛ وما زالت بإسبانيا أسر تحمل اسم *Jativa* نسبة إلى مدينة شاطبة. ومن الأندلس نزحت هذه الأسرة إلى ناحية بادس بالريف سنة 1017 / 1608 ثم انتقلت إلى تطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطوان 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها هناك.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن الخطيب، أحمد قائد الأسطول المريني بطنجة. كانت له مساهمات كبيرة في كثير من الحملات العسكرية البحرية التي قام بها أبو عنان، من ذلك دوره البارز

حديقة الأزهار لم يشر إليه ابن القاضي ولعله من التأليف الضائعة.

توفي عام 993 / 1585.

م. ابن عسكرو، دوحة الناشر، تع. م. حجي، الرباط، 1396 / 1976  
: م. ابن القاضي، درة المجال، تع. م. الأحمدى أبو النور، ط.  
تونس - القاهرة 1970، الجزء الثالث : جدوة الاقتباس، الرباط،  
الجزء الثاني، 1973 / 74 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الجزء الثامن  
: ع. بن عبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، 1.  
1975 : م. حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين،  
المحدثة، 1396 / 1976، الجزء الثاني : ع. العافية، الحياة  
السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون، المحمدية، 1982.

المكي مربي

**الخطيب، علي أو علال (ويده عرف) بن الحاج محمد**

ابن الحاج أحمد الخطيب الأندلسي الشاطبي الزهيلي  
البيادسي ثم التطواني، عميد أسرة آل الخطيب بتطوان وأنغ  
رجالها وأحد أكابر أعيانها، الفقيه الأديب الأريب الأمين  
الكاتب المطلع المتنور. كانت له مشاركة في فنون مُلمّاً  
بغرائها كالطب والأنساب والسياسة والتوقيت، أما السير  
والتاريخ فكان موضوع تخصصه، أكب على مطالعته منذ  
الصغر، وتفهم أغراضه، وعنى بدراسة أسيايه وفلسفته،  
ولهج بمقدمة ابن خلدون كما حدثني بذلك قريبه الشيخ  
محمد العربي الخطيب، وحدثني الأستاذ الكبير محمد داود  
أن السلطان الحسن الأول لما زار تطوان عام 1307 اجتمع  
بعلمائها وأعيانها ومنهم المترجم له، فسأله السلطان عن  
علم الكيمياء بالفهوم التقليدي العامي، (ويسمى عند  
العامية وأشباههم بعلم النار وغايته عندهم صنع الذهب  
والفضة) فأجابهم بأن التقدين عنصران ومعدنان يستخرجان  
من الأرض ولا يصنعان بالعقاقير، فأعرض عنه السلطان  
وسأل عن غيره ممن لهم معرفة بذلك، وكانت له عناية كبرى  
بذلك، وسعي حثيث لتحقيقه، جمع لذلك كثيراً من كتبه  
بالشراء والاستنساخ، واتصل بكثير ممن يتعاطى ذلك  
وزاوله.

نشأ المترجم له بتطوان ولم أقف على تاريخ ميلاده -  
وحفظ القرآن وبعض المتون، ثم شرع في الدراسة على  
علماء بلده، فأخذ عن الفقيه محمد بن أحمد البقالي  
الأجرومية والألفية ومرشد ابن عاشر وبعض مختصر خليل  
والتوقيت : وعن الفقيه محمد ابن الأبار : النحو والفقه  
والمناطق والوضع والشمال، وعن الفقيه محمد الزواقي :  
(وهو شقيق شيخ الجماعة أحمد) النحو والحديث والمذبح  
النبوي، وعن الفقيه القاضي التهامي أفيلال : رسالة ابن  
أبي زيد وتحفة ابن عاصم وبعض صحيح البخاري. وعن جده  
لأمه الطبيب الميقاتي محمد بن عبد الوهاب لوقش،  
وعن غيرهم، وسافر إلى مصر وأخذ عن بعض علمائها، ثم

والحاسم في أحداث فتح تونس وبجاية سنة 758 / 1357  
وصفه خلالها ابن لحاج النميري بـ "مبيد الأعادي، ومسرر  
الحروب، وقدوة الجلال، والطنجي الذي يحرز القصب لكن  
قصب السبق في الجهاد" (فيض، 103) كما دأب صيته في  
جهاد النصارى ومطاردة سفن القراصنة ببحر الزقاق، وكان  
ذلك موضوع مراسلتين بين السلطان المريني أبي عنان ومملك  
أراغون بيدرو الرابع مازال أرشيف تاج أراغون ببرشلونة  
يحفظ بأصولهما، الأولى مؤرخة في 28 رجب 752 الموافق  
لـ 20 سبتمبر 1351، والثانية مؤرخة بـ 3 شعبان 752 الموافق لـ  
25 سبتمبر 1351 وهما تشيران إلى إحدى عمليات القائد ابن  
الخطيب للسيطرة على مركب لقراصنة مبورقة التابعين  
لمملكة أراغون. وتسجل المصادر أيضاً أهمية الدور الذي  
لعبه ابن الخطيب في إخماد الثورة التي قامت ضد أبي عنان  
بجبل الفتح سنة 756 / 1356 وأسر زعيمها شيخ بني مرين  
بالمجل عيسى بن الحسن بن علي بن أبي الطلاق ونقله إلى  
سبتة حيث قتل.

ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قدامح الأداب في الحركة  
السعيدة إلى قسنطينة والرابع، إعداد محمد بن شقرون، الرباط،  
الطبعة الأولى، 1984، ص. 98، 103، 104، 157، 158 : ع. ابن  
خلدون، العبر، بيروت، 1978، ج 7 : 614، 615 : م. المنوني، ووقات  
عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، منشورات، كلية الآداب،  
الرباط، الطبعة الأولى، 1979، ص. 74، 79، 80.

S.M. Alarcón, L.R. Garcia, *Los documentos arabes  
diplomaticos del Archivo de la corona, Madrid -  
Grenade, 1940, p. 210 (N° 103) ; p. 214 (N° 105).*

رشيد السلامي

**ابن الخطيب، عبد الرحمان بن أبي القاسم بن علي**  
يعرف بابن الخطيب الشفشاوني تمييزاً له عن لسان الدين  
ابن الخطيب السلطاني الغرناطي. ويعرف أيضاً بالشاعر  
الشفشاوني والزرويلي.

يتفق المؤرخون على أنه كان شاعراً هجاءً : غير أن  
أشعاره على ما يبدو ضاعت ولم يبق منها سوى مقطوعات  
قصيرة، كهجوه لمدينة مراكش والقصر الكبير، وهجوه لابن  
عسكرو الشفشاوني صاحب الدوحة. ففي هجاء مراكش يقول  
في قصيدة مطلعها :

ما كان ظني وحق الله فرقتكم  
لو أن مراكشاً كانت ثواتيني

ويقول في آخرها :

لم يبق في الكيس فلس أستعين به

أفنيت مالي في غسل وتصبين

وقد رد عليه صاحب الإعلام بقصيدة يمدح فيها مراكش  
(الإعلام، 8 : 113).

ويبدو أن المترجم لم يهتم بأغراض الشعر الأخرى غير  
الهجاء، مما جعل ابن القاضي يؤكد أنه لم يمدح شخصاً قط.  
كما يذكر صاحب الإعلام أن للمترجم تأليفا سماه



استخدم أميناً بديوانه مرتين عام 1314 تم بمصرى العرائش عام 1315 ثم بمصرى طنجة 1321 ثم بمصرى الدار البيضاء، عام 1322 ثم بمصرى الجديدة عام 1327. ولكمال نزاهته وكفائه حرص المسؤولون يومئذ على استمراره في (الأمانة) فرفض، كما رفض وظائف سامية أخرى، منها النيابة بطنجة بعد وفاة الحاج محمد بن العربي الطريس عرضها عليه السلطان عبد الحفيظ. ولما بلغه عزم السلطان على تعيينه لحقه ضجر عظيم كاد يقضي عليه على حد تعبير صديقه الفقيه الرهوني.

لعل المترجم له كان الرجل الوحيد بتطوان على عهده، الذي له اتصال مباشر بدور النشر والصحافة بالشرق، فكانت ترد عليه باستمرار كثير من الصحف والمجلات الكبرى كالهلال والمقتطف والنار الخ فكان على اطلاع بواسطتها على ما يجري في العالم من أحداث وشؤون سياسته وعلى مسيرة التقدم العلمي. كما كانت ترسل إليه من مطبوعاتها ما لا يوجد عند غيره يومئذ، فلا غرو أن يكون أول من اهتم بإصلاح التعليم بتطوان. ودعا لإنشاء المدارس وتعليم البنات تعليماً سليماً، وشارك عملياً في إنشاء أول مدرسة حرة هي المدرسة الأهلية، بل كان المتولي لشؤونها. والمسير الفعلي لما لبيتها. كل ذلك خدمة لوطنه احتساباً لله تعالى. كما كان سلفي العقيدة، بعيداً عن الخرافة والتقليد. مع حسن معاملة لسيوخته وأقرانه المخالفين في الرأي، فكان محل تقدير الجميع.

توفي يوم 12 محرم عام 1356 / 25 مارس 1937، ودفن بالزاوية الرسونية بتطوان.

محمد بوخيزة

**ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني،** كانت أسرته تعرف ببني الوزير قديماً، أما اسم بني الخطيب فيرجع إلى عهد جده سعيد الفقيه المدرس، وبه عرف أبناؤه فيما بعد. ولد ابن الخطيب بلوشة في شهر رجب سنة 713 / 1313 في بيت علم وفضل وجاه. وكان أبوه من أشهر علماء وقته، كلفه السلطان أبو الوليد إسماعيل بالإشراف على مخازن الطعام بقصره، ثم ترقى في خدمة النصرين ليشتغل في ديوان الإنشاء وحمل لقب الوزارة، وبقي على هذه الحال إلى حين وفاته شهيداً في موقعة طريف.

نشأ ابن الخطيب في غرناطة وأفادته ظروف عائلته المترفة في الاتصال بثلة من علماء وقته والأخذ عنهم، ومنهم أبو عبد الله الفخار وأبو عبد الله بن عبد المولى العواد وأبو القاسم بن جزى وقاضي الجماعة أبو عبد الله بن بكر، وأبو الحسن بن الجياب وأبو البركات بن الحاج البلفيقي وأبو سعيد بن لب وابن هذيل وغيرهم. وقد أفاده الانتماء إلى الوسط المذكور في تحقيقات طموحاته بحيث نجده يقترح للخدمة في البلاط النصرى بعد وفاة والده وعمره لا

يتجاوز ثماناً وعشرين سنة. فالتحق بدوره بكتابة السلطان أبي الحجاج مروّساً بالكاتب الشهير شيخه أبي الحسن بن الجياب. وهناك أبان عن موهبة حقيقية أهله ليخلف هذا الأخير بعد وفاته بالطاعون عام 749 / 1349 في رئاسة ديوان الإنشاء، ومنحه السلطان أبو الحجاج رتبة الوزارة والقابها وهو يقول في ذلك: "قلدني السلطان كتابة سره ولما يجتمع الشباب ويستكمل السن، معززة بالقيادة ورسوم الوزارة، واستعملني في السفارة إلى الملوك، واستنابني بدار ملكه، ورمى إلى يدي بخاتمه وسيفه، واتممني على صوان ذخيرته وبيت ماله وسجوف حرمه ومعقل امتناعه".

والظاهر أنه بالرغم من وجود الحاجب رضوان واتساع سلطاته فإن ابن الخطيب الذي يليه في هرم الدولة، كان يتمتع لدى السلطان أبي الحجاج بالمحظرة والمقام الرفيع وهو ما جعله يتدخل في تعيين العمال لقاء مبالغ هامة من المال أفاد بها خزائن السلطان وكانت وسيلة للزيادة في الإنعام عليه وتقريبه من السلطان.

وفي عهده بدأ ابن الخطيب أولى تجاربه في السفارة ببلاد العدو. فكانت وجهته إلى فاس معزيا السلطان أبا عنان في وفاة والده أبي الحسن. فكان ذلك فرصة لربط صلات وثيقة بالمخزن المريني أسعفته فيما حل به من المصائب لاحقاً.

ولما توفي أبو الحجاج ازدادت منزلة ابن الخطيب عند ابنه أبي عبد الله محمد الغني بالله الذي بلغ معه ابن الخطيب أعلى المقامات، واستحوذ في عهده على كل السلطات. وقد كانت له في عهده فرصة أخرى للاتصال بالبلاط المريني وبالسلطان أبي عنان. وكان الغرض هذه المرة طلب العون ضد قشتالة في سنة 755. فوفق في مسعاه ووعده السلطان المريني بالمساعدة.

وبقي ابن الخطيب على هذه الحال مشمولاً برضى السلطان الغني بالله ما يزيد على خمس سنوات إلى أن كانت ثورة البلاط التي أطاحت في شهر رمضان من سنة 760 / غشت 1359 بالسلطان الغني بالله. لكنه استطاع الإفلات ورحل إلى مدينة وادي آش. وقد بوع مكانه أخوه السلطان إسماعيل وقام بدولته ابن عمه وشريكه في الانقلاب الرئيس أبو عبد الله بن أبي الوليد.

لقد حاول ابن الخطيب أن يتكيف مع ما حصل وأن يبقى في الخدمة لكن سرعان ما دارت به الدائرة وألقي به في السجن وصودرت أملاكه وأمواله. ويظهر أن الرجل كان يعيش في حال رغد وترف لا مثيل لهما.

لم تطل محنة ابن الخطيب فقد بعث السلطان أبو سالم إبراهيم المريني الشريف أبا القاسم التلمساني شفيحاً في الغني بالله ووزيره ابن الخطيب. وبالفعل فقد أطلق سراح هذا الأخير وانتقل إلى المغرب. فالتحق أولاً بفاس حيث عومل معاملة تليق بمقامه، ثم استقر بسلا مستفيداً من كرم أبي سالم الذي أعقد عليه العطاء ومتعه بالإقطاعات،

فكان يصله من صجبي سلا مرتب شهري قدره خمسمائة دينار من الفضة العشرية مع إعفائه وخدمه من كل مغرم أو ضريبة، وقد أشار في مناسبة أخرى إلى أن جريته كانت تفوق هذا القدر. وبقي هنالك مشمولاً برعاية السلطان الذي استجاب لطلبه بشأن تحرير أمواله واسترجاع ضياعه بقرنباطة في سنة 761، وأرسل لهذا الغرض مبعوثين إلى السلطان النصرى.

دامت إقامة ابن الخطيب بسلا زهاء عامين تحدث عنهما كثيراً في كتابه نفاضة الجراب في علالة الاغتراب. وقد ألف خلالهما بالإضافة إلى الكتاب المذكور، اللوحة البدرية في تاريخ الدولة النصرى ورقم الحلل في نظم الدول. بقي السلطان الغنى بالله يتطلع لاسترداد عرشه معولاً تارة على مساندة المرينيين وتارة أخرى على الدعم القشتالي، وتمكن سنة 1362.61 / 763 من استرجاع سلطانه بفضلهما، فاستدعى ابن الخطيب من المغرب وكلفه باصطحاب أبنائه الذين بقوا بفاس.

عاد ابن الخطيب إلى قرنباطة واسترجع نفوذه السابق، لكن السنة التي قضاها السلطان في استرداد ملكه (762). سمحت لآخرين بتولي مناصب مهمة في الدولة أمثال أبي الحسن بن علي بن يوسف والفقير أبي عبد الله بن زمرك وشيخ الغزاة عثمان بن أبي يحيى. فكان ابن الخطيب يعمل جهده من أجل استرداد حظوته لدى السلطان الغنى بالله. والظاهر أن ذلك ما كان ليتم دون اللجوء إلى بعض الأساليب الغير المشروعة من سعايات ووشايات للسلطان، فضلاً عن تربيته من النفوذ الذي أصبح لشيخ الغزاة والخطر الذي يتهدد السلطان منه ومن رجاله. فاقنع السلطان ونكب عثمان سنة 764.

ويبدو أن نفس الحكاية قد تكررت إبان لجوء ابن خلدون إلى قرنباطة وسلطانها محمد الغنى بالله الذي أكرم وفادته، وعهد إليه ببعض المهام منها سفارته إلى قشتالة التي كللت بالنجاح سنة 765. وكان ذلك من أسباب حظوته لديه، لكن سرعان ما بدأ ابن خلدون يحس بجفاء من السلطان ويتغير صديقه ابن الخطيب عليه وغيرته منه. فاستغل وورد رسالة من الأمير الحفصي أبي عبد الله صاحب بجاية يستدعيه فيها لحجابه فاستأذن السلطان النصرى في الرحيل عن قرنباطة عام 766.

تؤكد كثير من الأحداث والآثار التي تركها ابن الخطيب أنه بقدر ما أجاد في مجال التاريخ والأدب، وبقدر ما تألق في أمور الدولة فإنه أضاف إلى هذه المحاسن بعض المثالب في السلوك ربما كانت من أهم أسباب نكته، فتجارات الرجل وحرصه على استمرارها جعلته إنساناً عزيز النفس شديد الكبرياء، حقوداً متقلب المزاج والوفاء ناكراً للجميل لاذعاً في الهجوم والسخرية مبالغاً في التملق والمداهنة، كما لو كان لانقلاب الأيام وإديار الدولة وسقوطه من علياء المجد دور في تكوين شخصيته بعد أن تعاقبت عليه المحن.

صار لابن الخطيب بعد رجوعه إلى قرنباطة اليد الطولى في تسيير أمور الدولة وهو ما يبرز في ترجمته "ثم رمى إلي بعد ذلك مقاليد رأيه... فتأتي بمئة الله من صلاح السلطان وعفاف الحاشية ونشر الأمن وتضمير الجباية... وإصلاح بواطن الخاصة والعامة ما الله المجازي عليه...". لكن ما أصبح له من سلطان جعله هدفاً للسعايات والشور من لدن خصومه ومناوئيه من حاشية السلطان وكل من أساء إليه نفوذ ابن الخطيب المطلق. والظاهر أن هذه الأجواء قد نالت من نفسيته وبدأ يفكر جدياً في الابتعاد عن الخدمة السلطانية والاعتزال. كما أن سلطانه تأثر بدوره بسعايات خصوم ابن الخطيب الذي أحس بذلك، ومن ثم فقد بدأ يفكر في الابتعاد عن الأندلس والاستقرار بالمغرب الأقصى الذي كانت له صلات وثيقة مع أمرائه وملوكه وكان يقدم السوابق في خدمتهم تحسباً لانقلاب الأحوال. ومن بين هؤلاء السلطان المريني عبد العزيز الذي ساعد ابن الخطيب على الهرب إلى المغرب. وقد حصل ذلك سنة 772 حينما طلب ابن الخطيب من الغنى بالله أن يأذن له في زيارة الثغور الغربية فأذن له. فلما وصل إلى جبل طارق الذي كان يوجد في إيالة بني مرين تلقاه قائد الموقع وأجازه إلى سبتة، ثم التحق منها بتلمسان حيث كان يوجد السلطان أبو فارس عبد العزيز الذي أحسن استقباله وجعله من صدور مجلسه وأرسل إلى قرنباطة سفيراً من أجل استقدام أسرته.

لم يغفر الغنى بالله لابن الخطيب صنيعه ونقم عليه أكثر لما بلغ إلى علمه أنه يحرض السلطان المريني على غزو الأندلس، فأرسل هدايا فارغة إلى فارس بقصد استرجاع ابن الخطيب، وعززها بصكوك اتهام ابن الخطيب بالخروج عن أحكام الدين وبالزندقة كانت من تحرير خصمه اللدود القاضي أبي الحسن السبهي. لكن أبا فارس رفض تسليمه وثار لهذا الطلب. ثم أعاد الغنى بالله المحاولة بعد وفاة السلطان المريني سنة 774 مع الوزير ابن غازي المستبد بالحكم آنذاك، لكنه رفض بدوره. حينئذ بدأ السلطان النصرى يعمل على إثارة الاضطرابات داخل الدولة فأطلق الأمير عبد الرحمن بن أبي بفلوسن والوزير مسعود بن ماساي المعتقلين لديه، وجهد لهما جيشاً نزلاً به ناحية بطوية ثم تازا في أفق الاستيلاء على قاعدة الحكم. واستغل الغنى بالله الفرصة ليحاصر جبل طارق، وليدخل صاحب سبتة محمد بن عثمان بن غازي بشأن مبايعة أحمد ابن أبي سالم المعتقل بطنجة ووعده بتقديم العون لهما وإمدادهما بعسكر من غزاة الأندلس.

انفتحت أمام الوزير ابن غازي حامي ابن الخطيب، جبهتان إذن كان من الصعب عليه الصمود أمامهما، خصوصاً وأن ابن الأحمر كان قد جعل الأمرين المرينيين يتفقان على أن يصير لهما حكم أسلافهما أي أن فاساً وشمال المغرب سيكون من نصيب أبي العباس أحمد وما

وخارجه، منتقلا بين المغرب، وعدد من الحواضر التجارية الأوربية الكبرى، كجنوة، ومرسليا، وجبل طارق الذي يبدو أنه عاش به ما يقرب من سبع عشرة سنة.

ثم توالى المهام والمناصب ففي سنة 1847، نجده يُمارس مهام الأمانة بمرسى طنجة. وفي مطلع سنة 1951، بعد وفاة عامل العرائش وطنجة، بوسلهام بن علي أزطوط، عُيّن نائباً عن السلطان بهذه المدينة الأخيرة وعاملاً عليها.

ولاشك أن التجربة الواسعة والعميقة التي كان قد اكتسبها في مجال التجارة والسُبادلات، ومعرفته للفتن على الأقل : الإسبانية والإيطالية، واحتكاكه بالتجار الأوربيين، ووقوفه في ديارهم على أساليبهم في العيش والعمل، كلها معطيات ومؤشرات عملت على تأهيله للاضطلاع بدور الوسيط بين السلطان ورؤساء المفوضيات الأوربية بطنجة. فهو الذي فاض سفير بريطانيا العظمى بالمغرب، جون دراموندهي مُدَّة ثلاث سنوات ونيف، قبل التوصل إلى إبرام معاهدة سلم وصدقة واتفاقية تجارية وبحرية بين الجانبين، سنة 1856.

وكان النائب الخطيب هذا، يرى أن لا خير ولا فائدة للمغرب والمغاربة، في الدخول في صراعات ومواجهات مع الدول الأوربية، ناصحاً بنهج سياسة الحوار والتفاوض، في حل ما قد يحدث من نزاعات ومشاكل بينها وبين المغرب، وتفادي المواجهة العسكرية مع أيّ كان، لاقتناعه الراسخ بالتفوق المادي والتقني الأوربي في شتى المجالات. وهذا ما يفسر جنوحه إلى السلم مع الإسبانين حين نشب النزاع بين السلطات الاستعمارية الإسبانية بمدينة سبتة السليبية وأهالي قبيلة أشجرة المجاورين لها، حول ما رام الإسبانين تشييده من بنيان في الحدود الفاصلة بين الجانبين، وقيام المغاربة بهدمه على الفور، إلا أن مساعيه لم تؤت أكلها، بسبب تعنت الجانب الإسباني وتشيته بموقفه من جهة، وانقياد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن (1859-1873) لوجهة نظر ثلثة من مساعديه الأقرين والرامية إلى مواجهة إسبانيا عسكرياً، إن اقتضى الحال من جهة أخرى، وهو الأمر الذي نتج عنه تهميش الخطيب طيلة الفترة التي استغرقتها حرب تطوان بين المغرب وإسبانيا، وتعويضه بالأمين محمد الزيدي الرباطي، قبل أن يعفيه السلطان نهائياً من منصب نائبه بطنجة، ويُعين التاجر محمد برگاش الرباطي مكانه، في شهر يبرابر 1861.

وبعد هذا، انصرف الخطيب طبعاً إلى أعماله التجارية الخاصة، والتي تخللتها فترات كان يزاول خلالها مهام الأمانة بمرسى طنجة على الخصوص، بأمر من المخزن، كما نستشف ذلك مما ورد في وثيقة مخزنية، تحدثت عن الديون المترتبة على جماعة من التجار لفائدة المخزن بنفس المدينة، في أول محرم 1282، الموافق لشهري مايو يونيو 1865.

ومن سُخرية الأقدار وعجيب المصادفات أنه هو نفسه، حين وافته منيته في 6 يناير 1872، كانت ذمته غارقة بالديون لفائدة المخزن، الأمر الذي استوجب تشييف

وراء نهر أم الربيع لعبد الرحمن بن أبي يفلوسن.

هكذا تمكن أبو العباس من دخول فاس سنة 776، وقام رجاله بالاستيلاء على ضياع ابن الخطيب فهدموها وعاثوا فيها فساداً. ولم يكن مصير ابن الخطيب بأحسن من ذلك فسرعات ما ألقى عليه القبض وأودع بالسجن، وتمت مراسلة الغني بالله بالخير، فأرسل وزيره ابن زمرك إلى فاس حيث استقبله أبو العباس وأحضر ابن الخطيب من معتقله وتليت عليه التهم المنسوبة إليه وأهماها الإلحاد والزندقة، فأفتى بعض الفقهاء فيه وامتحن بالعذاب أمام الملأ ثم أعيد إلى حبسه، وهناك تعاورته الأيدي وقتل خنقاً، ثم دفن في الغد في مقبرة باب المحروق، وكما لو لم يكن ذلك كافياً فقد أخرج خصومه جثته بعد مواراتها التراب وأحرقوها إمعاناً في التنكيل بصاحبها، وحصل ذلك في ربيع الأول أو ربيع الثاني عام 776 / غشت - شتنبر 1374.

ل. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تج. م. عبد الله عنان، ج 4. القاهرة، 1977 : أ. المري، أزهار الرياض، ج 1، الرباط 1، 1978 : نفع الطيب، تج. إحسان عباس، بيروت، 1968 : ع. ابن خلدون، كتاب العمير، ج 7، بيروت، د. ت : م. عبد الله عنان، لسان الدين بن الخطيب، حياته وتراثه الفكري، القاهرة، 1968 : م. التطوان، ابن الخطيب من خلال كتبه، تطوان، 1954 : ع. العزيز بن عبد الله، الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، تطوان، 1953 : ج. الناصري، ابن الخطيب بسلا، سلا، 1988.

محمد فتحه

### الخطيب، محمد بن عبد الله تاجر وأمين ونائب

سلطاني، ينحدر من أسرة مرموقة ونشيطة، سبق أن استوطن أبناؤها الأولون مدينة تطوان، أثرين بذلك الحفاظ على عقيدتهم الإسلامية ومروءتهم، على التنصر والتمسك بديارهم وممتلكاتهم في الأندلس.

وإذا كان أحمد الرهوني في عمدة الراوين ومحمد داود في تاريخ تطوان لا يُخامرهما أدنى شك في الانتساب الأندلسي لآل الخطيب، فإن للباحث الفرنسي أ. جولي (A. Joly) وجهة نظر مُخالفة، إذ يستبعد في الدراسة التي أفردها لمدينة تطوان ونشرها بمجلة الوثائق المغربية هذا الانتساب، مُتبنياً الرواية التي سبق أن التقطها الرحالة الإنجليزي بودجت مكين (Budget Meakin)، والتي مفادها أن أصل أسرة الخطيب من منطقة الريف، لا من الأندلس كما يزعم البعض.

ومهما يكن من أمر، وسيراً على نهج أقرانه ممن كان ينتمي إلى أسر ميسورة، في مجال التربية والتعليم، تسنى لمحمد الخطيب تعلم مبادئ القراءة والكتابة على بعض الفقهاء بمسقط رأسه تطوان، ولا نعتقد أنه تعمق في تحصيله هذا، أو استغرق تعلمه سنوات طويلاً، بل سرعان ما اجتذبه عالم المال والأعمال، فراح يتجر في المغرب

ممتلكاته وعدم اقتسامها بين ورثته، إلا بعد استخراج المبالغ المالية التي كان التاجر المتوفى مديناً بها له.

خ. ح. كشاف، 41، ص 1 : م. و. م. ر. محفظة طنجة، رقم 1 و 2؛ م. داود، تاريخ تطوان، ج 2 ص 296 : ج 3، ص 309 - 310. و ص 349 : ج 4، ص 16، و 124، و 175 : ج بوشعرا، الاستيطان والحماية بالمغرب، الرباط، ج 1، ص 79 و 391. J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome II, p. 279 - 290.

مصطفى الشابي

**الخطيب، محمد العربي بن الحاج أحمد بن محمد**  
ابن عبد الله الأندلسي الشاطبي الزهيلي البادسي ثم التطواني من ذرية الشيخ أبي يعقوب البادسي الشهير.  
الفقيه العدل الرضى المدرس الواعظ الصالح الصحفي الرائد. ولد بتطوان عام 1303 وقرأ بها القرآن والمتون المعتادة وأخذ عن علمائها كابن الأبار بالزاوية الحراقية. والزواقي والرهوني وغيرهم الفقه والنحو وغيرهما، وفي عام 1322 سافر إلى فاس وأخذ عن علمائها فقرأ على محمد أقصي الفقه والعروض والمنطق، وعلى محمد بن محمد بناني : الألفية لابن مالك في النحو، وعلى عبد العزيز بناني : جمع الجوامع للسبكي في أصول الفقه، وعلى عبد الصمد گتون، وأبي شيب الدكالي الصحيحين ومصطلح الحديث، وعلى عبد السلام الهواري، وأحمد بن المامون البلغيشي، وأحمد بن الحياط، وأحمد بن الجليلي الأمازيغي، وعبد الرحمن بن القرشي، وعبد السلام بن محمد بناني وغيرهم. واتصل بالشيخ ذائع الصيت محمد بن عبد الكبير الكتاني وأخذ عنه طريقته، واستفاد منه وكان يبشر بأفكاره وأشعاره وتأليفه بين طلبة بلده تطوان بفاس، فبأسى لإعراضهم عنه معتذرين بأنهم لا يفهمون ذلك. ثم رجع إلى تطوان عام 1327 وفي العام التالي رحل إلى مصر فأخذ بالأزهر عن بعض علمائه، ثم اتصل بالشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) ودخل دار الدعوة والإرشاد ومكث بها عامين، وتأثر بمؤسستها ومدرسيها، ونهج نهجهم في كتابته وتدرسه كما أشار إلى ذلك في أرجوزته **القرآنية** شارحاً منهجه فيها فقال :

بنهج شيخه الإمام المرتضى محمد رشيد من آل رضا ثم عاد إلى مسقط رأسه وتعاطى التجارة والعدالة ثم انتقل إلى الدار البيضاء واستوطنها وعين عدلاً بقصبة ابن أحمد عام 1339 وعرض عليه قضاء الدار البيضاء فاعتذر وسافر للحج وعرج في رجوعه على سورية ومصر واتصل بكثير من علماء الشام ومصر وزار شيخه رشيد رضا ومكث في رحلته هذه سنة عاد بعدها إلى تطوان وتزوج واستقر وعين أستاذاً من الدرجة الأولى بالمعهد الديني بالجامع الكبير كما عين بتاريخ 1920 أستاذاً بالمدرسة العربية الإسبانية بموسم ملكي إسباني. وكان قبله عين

محرراً للقسم العربي من جريدة (شمال إفريقيا) عام 1918 أوائل عهد الحماية. كما كان اختير لتحرير صحيفة (الإصلاح) التي كان يصدرها المجلس العلمي بتطوان وعين كاتباً له عام 1917 في 1 يناير / 6 ربيع الأول 1335 وانتهى به المطاف أستاذاً بالمعهد الديني إلى أن استقل المغرب فوجده قد جاوز سن التقاعد فأخر عن التعليم الرسمي وانقطع للوعظ والتذكير وإنما حل وارتحل بصوته الجمهوري وأسلوبه الواضح مخللاً كلامه دائماً بما نظمه في أرجوزته **القرآنية والإرشاد المفيد**.

كتب في موضوعات عدة ووضع برنامج نظام للتعليم العام. وحرر محضر الجلسة الخامسة المخصصة لذلك وربما كان أول من حاول ذلك، وفيهما فوائد لحسن الاطلاع لمن يريد التأريخ للتعليم بالمغرب لأنها من الطلائع التنظيمية الأولى. وألف تفسير سورة البقرة سماه : فتح الرحمن الرحيم في مجلد، ونظم **الأرجوزة القرآنية في التوحيد والإرشاد المفيد**، ببعض معاني كلمة التوحيد، وله نظم في أغراض مختلفة، عاش مقلاً من الدنيا يسكن بالكراء، وحدثني أنه باع قطعة أرض - وهي كل ما كان يملك - أنفق ثمنها على طبع أرجوزته. وبعد الاستقلال عاش بصلة ملكية كريمة إلى أن وافاه الأجل زوال يوم الثلاثاء 20 ذي القعدة عام 1400 / 30 سبتمبر سنة 1980 بتطوان ودفن خارج باب المقابر رحمه الله.

أ. الرهوني، عمدة الراويين، مخطوط : م. الفاطمي ابن الحاج، إسعاف الإخوان الراغبين، الرباط : إ. الخطيب، رائد الصحافة بالمغرب، طبع تطوان.

**الخطيب، محمد بن محمد بن عبد الله الأندلسي**  
الشاطبي الزهيلي البادسي التطواني الأستاذ الكاتب الباحث الصحفي المناضل السفير المحنك.  
ولد يوم الاثنين 8 جمادى الثانية عام 1332 / 2 ماي سنة 1914 بتطوان، ودرس بالمدرسة الأهلية بها، ثم انتقل ضمن وفد من الطلبة إلى مدينة نابلس بفلسطين حيث درس بمدرسة النجاح ذائعة الصيت حينئذ، ومنها انتقل إلى



مخوفة بسبب قطاع الطرق ( رحلة العبدري، 278)،  
والخفارة هي ما عرف في ما بعد العصر الوسيط  
"بالزطاطة"، وهي حرفة كان يمتنها أشخاص موثوق بهم  
وبقدراتهم وكفاءتهم. وتتم العملية بالاتفاق ما بين مسافر  
أو جماعة مسافرين أو قافلة وبين الخفير حول الأجرة  
والطريق المراد سلوكه وشروط أخرى. ويبدو من الإشارات  
القليلة المتناثرة في المصادر التاريخية أن الخفارة كانت  
باهضة، حتى إن العدد القليل من المسافرين لا يستطيع  
أداؤها، فيضطر لتأجيل السفر إلى أن يكبر العدد وبالتالي  
تنخفض قيمة الخفارة بالنسبة للمسافر؛ يقول العبدري في  
رحلته: "... فألقينا قافلة تخرج وهي كثيرة تزيد على  
الألف وقال لنا قائل على الباب إن لهم في محاولة الخروج  
نحو من ثلاثة أشهر حتى تسنى لهم بخفارة على أداء  
خفارة..." (رحلة العبدري)؛ والغالب من قراءتنا لرحلة  
العبدري ولرحلات أخرى أن الخفارة ترتفع قيمتها أو  
تنخفض بحسب المكان والزمان ففي فترة الأمن والاستقرار  
وسيادة السلطة المركزية والجهوية تضعف الخفارة إن لم  
تختف، فالحاجة إلى الخفر والخفارة تنعدم أو تقل، ولنا في  
عهد يعقوب المنصور الموحي خير مثال؛ إذ جاء في البيان  
المقرب القسم الموحي إن الضعينة في عهد يعقوب المنصور  
كانت تسافر من قرطبة إلى برقة دون أن يتعرض لها أحد  
بسوء؛ والضعينة هي المرأة المنفردة (البيان، 3: 218 و 355  
؛ الاستقصا، 2: 198).

أما في فترات الاضطرابات وانعدام الأمن، وهي في  
الغالب الأعم تعقب فترة حكم مركزي قوي فالطلب على  
الخفر والخفارة يرتفع وبالتالي تصبح قيمتها مرتفعة، هذا  
عن الزمان، أما المكان فكل مكان مضطرب ينشط فيه  
قطاع الطرق كالصحاري، والمسالك التجارية الكبرى  
والممرات والخوانق مثل الطرق الصحراوية التي تنشط فيها  
القوافل القادمة والناحية إلى السودان والمحملة بالتمر،  
ومثل بحر تازة، والممرات الجبلية في جبال درن وقازاز  
وغمارة وغيرها.

استمرت هذه الخدمة أو الحرفة إلى بداية القرن الماضي  
تحت اسم آخر هو "الزطاطة" أو "الزطاط" ولعلها بدأت منذ  
القرن العاشر (16 م) فالحسن الوزان ذكر في أكثر من  
مكان أن المسافرين يستأجرون أشخاصاً مسلحين لحمايتهم  
في تنقلاتهم واجتيازهم لأماكن معينة، إلا أنه لم يعط  
للعملية اسماً خاصاً بها، ومن قراءتنا لوصف إفريقيا يمكن  
أن نضع لائحة بأسماء الأماكن التي كان المرور بها خاضعاً  
لابتزاز القبائل وقطاع الطرق، ويحتاج اجتيازها للخفارة  
والخفر أو "الزطاطة".

توهم بعض الدارسين عندما جعل اسم مدينة سطات من  
الزطاطة، فكلمة الزطاطة لا نعتقد أنها عربية بل أمازيغية  
"أزطاط" وليس في الأمر تحريف لأن البربر ينطقون "السين"  
"زايا" أحياناً وليس العكس، فسطات - حسب اجتهاد

القاهرة بمصر للدراسة، ثم إلى إسبانيا، ثم عاد إلى مسقط  
رأسه تطوان فكان من مؤسسي حزب الإصلاح الوطني،  
وتولى تحرير صحفه: الحياة والحرية والأمة. مع المشاركة في  
تحرير المجلات الأدبية وله فيها جولات وصولات، وامتحن  
على يد الاستعمار وسجن، فعاد بعد الإفراج عنه إلى  
النضال السياسي بالقلم واللسان إلى أن استقل المغرب،  
وأدمج حزب الإصلاح في حزب الاستقلال فعمل في  
صفوفه، وكتب في صحيفته العلم وملحقها الثقافي، ودخل  
العمل الإداري الحكومي فاختير للنيابة عن مدير التشريعات  
الملكية، ثم عاملاً على إقليم طنجة، وأخيراً عين سفيراً في  
كوبا، ثم في الأرجنتين لإتقانه اللغة الإسبانية وحنكته  
الدبلوماسية واستمر إلى أن أحيل على المعاش.

يتميز بخلقه الفاضل وتدينه ونزاهته وصدق وطنيته  
وسيلان قلمه، وجودة تحليله لا سيما في المجال السياسي.

أصيب في آخر عمره بشلل تزايد به إلى أن أقعده عن  
الحركة. ورغم ذلك صمم على الحج والزيارة فآدى مناسكهما  
على مقعد متحرك ذهاباً وإياباً من تطوان إليها.

أسلم الروح لبارئها صباح يوم الخميس 10 محرم عام  
1414 / 1 يوليوز سنة 1993 بتطوان ودفن بمقبرة سيدي  
المنظري.

أ. الرهوني، عمدة الراوين في 3 / 77 / 80، مخطوط؛ شكيب  
أرسلان، حواشي الأمير شكيب أرسلان على حاضر العالم  
الإسلامي، 2 / 47، ط. الحلبي بمصر؛ إ. الخطيب، محمد العربي  
الخطيب رائد الصحافة بالمغرب، ص. 57، ط. تطوان.

**الخطيب، موسى الزهيلي البادسي الأندلسي ثم**  
التطواني الفقيه العلامة القاضي، وهو خامس من عرف من  
قضاة تطوان بعد بنائها الأخير، وربما كان أول قاض معروف  
هو أبو عبد الله محمد الرزني الأندلسي المتوفى سنة 934  
بليه أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكراسي الأندلسي  
المتوفى سنة 964 بليه أبو الحسن علي الزياني من تلاميذ  
أبي حامد العربي الفاسي بليه أبو القاسم بن عبد الكبير  
البادسي شارح تحفة ابن عاصم، وراثية الشريشي في  
التصوف.

أما المترجم له فقد عشر على وثيقة تحمل خطابه مؤرخة  
بعام 1038 هـ وتوفي بعد هذا التاريخ.

أ. ابن القاضي، درة المجال، 2 / 152، ط. الرباط؛ أ. الرهوني،  
عمدة الراوين، 6 / 174، مخطوط؛ م. داود، تاريخ تطوان، 1 /  
448.

محمد بوخيزة

**الخفارة،** حفظ المسافر أو المتنقل عموماً وحياته  
وضمان سلامته ومروره، والخفارة (بضم الحاء) هي ما يدفعه  
المار أو المسافر لمن يخفزه ويحميه أثناء مروره من مناطق

شخصي وبالمقارنة مع أسماء الأماكن المجاورة بل ومع المجال القبلي الذي توجد فيه مدينة سطات وهو "لمزامرة" - مشتقة من قبيلة سطة البربرية وقد كانت موجودة في المنطقة عند انتقالها من جنوب المغرب إلى شماله (العبر، 6 : 206)، ومن جهة أخرى فأماكن نشاط الزطاطة كما أسلفنا كثيرة ولم يحمل أي منها اسم الزطاطة أو حتى معناها أو تشبيهاً لها.

العبدري الميحي، رحلة العبدري، الرباط، 1968 : ابن عذاري، البيان المغرب، بيروت، 1948 : البيان المغرب، تطوان، 1960 : ع. ابن خلدون، العبر، الجزء 6، بيروت، د.ت. : أ. الناصري السلاوي، كتاب الاستقصاء... الدار البيضاء، 1954، الأجزاء 4، 5، 6 : ع. الوهاب بنصور، قبائل المغرب، الرباط، 1968، الجزء الأول : م. الطويل، النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط (أطروحة)، مرقونة، كلية الآداب بالرباط سنة 1998.

محمد حجاج الطويل

**الخلاص**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة سُماتة الهبسية، وقد انقرضت بتطوان سنة 1270 / 1854.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطوان 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 623.

محمد ابن عزوز حكيم

**ابن خلاص**، حسن بن أحمد السبتتي. أصله من بلنسية ويذكر أنه كان والياً على إشبيلية لأبي عبد الله محمد ابن هود لكنه نقض بيعته، فرحل مع وفد إشبيلي إلى بر العدو لتقديم البيعة لعبد الواحد بن أبي العلاء الملقب بالرشيد الخليفة الموحد، وذلك حوالي سنة 635 / 1237 - 1238 (العبر، 6 : 536) فاختره الرشيد ليتولى ديوان سبتة. وأثناء قيامه بمهمته أبان ابن خلاص عن كفاءته في ضبط أمور إدارته وعن إخلاصه وتفانيه في خدمة الخليفة الموحد، فكان رد فعل هذا الأخير أن نصبه والياً على سبتة بدلاً من أبي العباس الموحد والي غمارة الذي كان قد تولى أمور المدينة بدعوة من أهلها عقب ثورتهم على أميرها السابق أبي العباس الشنشي. تسلم ابن خلاص إمارة سبتة في سنة 635 / 37 - 1238 (العبر، 6 : 614 : Ceura، 92) وفي سبتة 640 / 42 - 1243 توفي الرشيد وتولى الخلافة أبو الحسن المعتضد بالله المدعو بالسعيد، فاغتنم ابن خلاص الفرصة لإعلان تمرده وخروجه عن الدولة الموحدية التي كانت تعيش آخر فترات عمرها بعد أن فقدت الكثير من ممتلكاتها كنتيجة لفشلها في مواجهة الخطر المسيحي في الأندلس وسواحل الغرب الإسلامي وردع القوى الجديدة التي أخذت تنازع الموحديين في ممتلكاتهم شرقاً (حفصيين وزيانيين) وغرباً (بني مرين) (Ceura، 82).

أمام تدهور الوضع الأمني واشتعال فتيل الفتنة - خصوصاً بعد انتشار بني مرين ومن معهم من أحلافهم العرب في سهول الغرب - استقل ابن خلاص في البداية بحكم سبتة قبل أن يعلن تبعيته للخلافة الحفصية في إفريقية في شخص الأمير أبي زكريا الحفصي الذي كان يتقلد الزعامة العسكرية والسياسية في منطقة الغرب الإسلامي خصوصاً بعد انتصاره على يغمراسن الزباني صاحب تلمسان. ولم تكن سبتة المدينة الموحدية الساحلية الوحيدة التي ارتقت في أحضان الحفصيين بحثاً عن الحماية والدعم العسكري أمام تزايد شبح الخطر المسيحي، بل سبقتها إلى ذلك إشبيلية، ثم تلتها طنجة والقصر الكبير (العبر، 6 : 614 : البيان، 1,33 : 360). ففي سنة 640 / 42 - 1243 يحدثنا ابن أبي زرع عن سقوط ستة حصون مسلمة تباعاً في الجهة الشرقية من إسبانيا (الذخيرة، 61).

لا ندري طبيعة العلاقة التي كانت قائمة بين ابن خلاص وبني مرين في سهول الهبط سوى ما يذكره ابن أبي زرع من أنه في سنة 643 / 45 - 1246 حينما اشتدت وطأة المسيحيين في تهديد إشبيلية، أراد الأمير يعقوب بن عبد الحق الجواز إلى الأندلس عبر سبتة قصد الجهاد. إلا أن أخاه أبا بكر كتب إلى ابن خلاص ليمنعه من الجواز إلى حين فتح مراکش والقضاء على دولة بني عبد المؤمن (الذخيرة، 67).

في خضم هذه الأحداث تحولت سبتة إلى إمارة حفصية بإدارة ابن خلاص، إلا أن هذه التبعية لم تكن تتجاوز ذكر اسم الخليفة الحفصي أبي زكريا في خطب الجمعية وتبادل الهدايا والوفود. ولعل أهم السفارات، تلك التي أرسل فيها ابنه أبا القاسم بصحبة الأديب الشاعر إبراهيم ابن سهل في أسطول أنشأه لهذه الغاية أسماه "بالميمون". إلا أن هذه السفارة لم تصل إلى مبتهاها بعد أن جرفت عاصفة هوجاء المركب فأغرقته بمن فيه. (العبر، 6 : 618 : البيان، 378). ثم بعد سنين قليلة من هذا الحدث جهز ابن خلاص سفارة ثانية ترأسها بنفسه واختار لرحلته الأسطول الذي كان يقوده القائد أبو الربيع بن الغز يغير. وهي الرحلة التي لم يعد منها، بحيث توفي فجأة في مرسى وهران، أول محطة استراحة توقفت بها السفارة في طريقها إلى الحضرة الحفصية. وكانت وفاته يوم السبت من جمادى الأولى سنة 646 / 48 - 1249. ونقل إلى بجاية فدفن بها (العبر، 6 : 615 : الذخيرة، 73).

عُرف ابن خلاص بتشجيعه للعلم والأدب بحيث استطاعت سبتة أن تحافظ أيام إيالته على موقعها كقبة للعلماء والأدباء وكمركز إشعاع فكري في منطقة الغرب الإسلامي. فمن أهم الأدباء الذين وفدوا على سبتة أيام حكمه عليها الأديب الشاعر إبراهيم ابن سهل الإسرائيلي الإشبيلي الذي تبوأ منزلة خاصة لدى ابن خلاص، فولاه

الخطيب، الحركة العلمية في سبته خلال القرن السابع، تطوان، 1986 / 1406.

Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIe et XIVe siècles : Essai de reconstitution de la civilisation musulmane*, Thèse de doctorat de 3ème cycle, Aix-Marseille I, 1987 ; R. Brunschvig, *La Berbérie orientale sous les Hafssides*, Paris, 1947, T. I.

زليخة بنرمضان

## الخلجان البحرية ← سواحل المغرب

ابن **خُلخال**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة وادراس بإقليم تطوان، انتقلت إلى تطوان وأنجبت بعض الفقهاء، تذكر الوثائق منهم :

ابن **خلخال**، **عبد الرزاق** بن المختار، زاول خطة العدالة بمدينة تطوان سنة 1123 / 1711.

ابن **خلخال**، **محمد** بن عبد الرزاق، زاول نفس الخطة سنة 1159 / 1746.

ابن **خلخال**، **المفضل** بن النادي، زاول نفس الخطة سنة 1189 / 1775.

م. ابن عزوز حكيم، *كتشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطوان 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 231.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخلخال**، حلي تزين به ساق النساء ويُصنع من الفضة أو الذهب، يأخذ شكلاً دائرياً غير مكتمل ينتهي بكعبين كبيرين بينما تكون الواجهة مصفحة ومزينة بأعداد وأشكال مختلفة من النقوش، ويسمى الزوج المشابه منها توأماً، وتضعها النساء في أرجلهن عند ملتقى الساق والقدم، يشيع استعمالها بشكل واسع في المناطق الصحراوية ومنذ زمن بعيد في إفريقيا الغربية والسودان وشمال إفريقيا عموماً.

يعتبر الخللخال من أهم مكونات وعناصر الحفول لدى المرأة في هاته المناطق (الحفول : معلمة) إذ يسمح بتمديد الزينة حتى أسفل السيقان ويسمح للموأة في أماكن تعتمد على الترحال خاصة بنقل هذه الملكية الهامة من الفضة دون عناء، ما دامت الفضة هي المادة الرئيسية التي يُصنع منها الحلي بالمناطق الجنوبية كما تشهد على ذلك وثائق ترجع إلى القرن الثاني عشر (18م) على الأقل، فإن الخللخال يخترن قدرماً مهماً من الفضة الخالصة إذ يبلغ وزن الواحد

كتابة ديوانه (قوات، 1 : 41) ويلاحظ النقاد أن لقب "الكاتب" الذي أصبح لاحقاً باسم ابن سهل يرجع إلى هذه الفترة من حياته. كما اعتبرت الفترة التي قضها في ظل ابن خلاص من أخصب حياته الإنتاجية والإبداعية. لقد أبدع في مدح ابن خلاص صاحب النعم عليه وخصه بقصائد جميلة أثارت انتباه معاصريه. كما مدح ابنه أبا القاسم ورثي أمه.

اعتنى ابن خلاص أيضاً بالعلماء واستقدم عدداً منهم - خصوصاً من الأندلس - إلى حضرته بسبته كالرواية محمد ابن أحمد الأنصاري المعروف بابن الجنان من أهل مرسية. قدم سبته في حدود سنة 640 / 1243. فأكرم ابن خلاص وفادته وخصه بحظوة كبيرة (الإحاطة، 2 : 348 ؛ الذيل، 4 : 236 ؛ الحركة، 286).

وفي أيام حكمه وصل الفيلسوف المتصوف عبد الحق ابن سبعين المرسي إلى سبته، وألف بها كتابه "يد العارف" الذي لقي معارضة عنيفة من طرف مفكري عصره (المقصد، 69). وأثناء إقامته بسبته أرسل الإمبراطور فريدريك الثاني بأستلته الفلسفية الأربع المعروفة "بالمسائل الصقلية" وكان قد وجهها إلى علماء في المشرق، فلم يتلق عليها ردوداً مقنعة، فأرسل بها إلى الخليفة الموحد أبي محمد عبد الواحد الرشيد الذي أمر حاكم سبته ابن خلاص بأن يرسل بها إلى ابن سبعين ليحجب عنها (الإحاطة، 4 : 34).

يقال إن الإمبراطور فريدريك الثاني أرسل سفينة بها هدايا وأموال فاستدعى ابن خلاص الفيلسوف ابن سبعين لينقد إليه المال لكن ابن سبعين رفض المال وألزم نفسه الإجابة عن الأسئلة، ثم لما بلغت الأجوبة الإمبراطور رضي عنها وأرسل إليه هدايا ذات قيمة لكن ابن سبعين رفضها للمرة الثانية، وكان ابن سبعين أراد من وراء ذلك إظهار ترفع نفسه عن الماديات وبالتالي إظهار تفوق الإسلام على النصرانية (ابن سبعين، 110).

يلاحظ النقاد أن ابن خلاص اشتم من أجوبة ابن سبعين عن المسائل الصقلية أن الرجل فيلسوف لذا أجبره على مغادرة سبته (ابن سبعين، 46 ؛ المقصد، 34).

ع. الحق البادسي، *المقصد الشريف*، تج. س. أحمد أعراب، الرباط، 1402 / 1982 ؛ ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972 ؛

ل. ابن الخطيب، *الإحاطة بن أخبار غرناطة*، تج. م. عبد الله عنان،

القاهرة، الجزء الثاني، 1394 / 1974، الجزء الرابع، 1397 / 1977 ؛

ع. ابن خلدون، *كتاب العبر*، بيروت، المجلد السادس، 1959 ؛ ابن

سهل الإشبيلي، *ديوان ابن سهل*، تج. محمد قوبعة، 1985 ؛ ابن

شاك ر الكنتشي، *قوات الوفيات*، تج. محمد محي الدين عبد

الحמיד، القاهرة، الجزء الأول ؛ م. ابن عبد الملك المراكشي،

*الذيل والتكملة*، تج. إحسان عباس، بيروت، السفر الرابع ؛

ابن عناري المراكشي، *البيان المغرب*، قسم الموحدين، تج.

محمد إبراهيم الكنتشي وآخرين، بيروت، 1406 / 1985 ؛ إ.

منها 300 غرام تقريباً (A. Puigoudeau: 40).

ما تزال العديد من النساء إلى الآن يستعملن الخللخال للزينة رغم تراجع ارتدائه بسبب كثافة الاعتماد على الخلي الذهبية.

O du Puigoudeau, *Arts et coutumes des Maures. H.-T.*, 1970.

أحمد جوماني

**الخلخلخي،** أسرة تطوانية أصلها من قبيلة وأدراسن الواقعة بين تطوان وطنجة ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1609.

محمد ابن عزوز حكيم

**ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد الحضرمي،** أبو زيد، رجل سياسة مؤرخ مغربي. ولد بتونس في فاتح رمضان عام 732 / 27 مايو 1332، وتوفي بالقاهرة في 25 رمضان عام 808 / 17 مارس 1406.

صافى ابن خلدون يستأثر باهتمام الباحثين المعاصرين من مؤرخين وعلماء اجتماع ومتخصصين في الأنثروبولوجيا. كان النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي وهو العهد الذي استغرق معظم حياته شاباً ومكتهلاً عهد تحول في تاريخ المغرب والإسلام. تميز على الصعيد الثقافي بتنامي التصوف في أوساط كانت تتسع يوماً بعد يوم لدى سكان الحواضر والبادي على السواء، وتميز بميل العلماء إلى الموسوعية والعصامية والأسلوب المدرسي، وتميز بتقوي المذهب السنّي في سماته المالكية والحنبلية الجديدة. أما على الصعيد السياسي فقد عرف هذا العهد، من جهة آخر المحاولات التي بذلت لتكوين إمبراطورية في الشمال الإفريقي. ومن جهة، آخر تقدم زحف الترك على بلدان الشرق الأوسط، في وقت كانت فيه أوروبا



قد أخذت تتجاوز تأخرها التكنولوجي والثقافي وتنطلق في مغامرة الحداثة.

تعتبر أعمال ابن خلدون، من جانبيها الأنثروبولوجي والتاريخي، واحدة من أكثر المحاولات نجاحاً في العصر الوسيط من أجل تقديم نظرة تركيبية عن المجتمع والثقافة الإسلاميين في إطار التاريخ الكوني. فابن خلدون قد تمكن، ودون أن يحدث قطيعة مع تقاليد الاسطوغرافية العربية الإسلامية، من أن يأتي بمستجدات مهمة في نظرة العلوم الاجتماعية والتاريخية، مسجلاً بذلك مرحلة بارزة في تطور الفكر الأنثروبولوجي والتاريخي بين العصر القديم والعصر الحديث.

العالم ورجل السياسة : من ماجريات حياة ابن خلدون الحافلة التي قضى جزءاً منها ببلاد المغرب وجزءاً منها بمصر، نستطيع أن نبرز جانبيين حاسمين كان لهما وقع على شخصيته وعلى مصيره، ولم يحظيا لحد الآن إلا بقليل من تناول. يتعلق الأمر الأول بانقراض أسرته في وياء الطاعون العظيم الذي ضرب مدينة تونس 9.1348، أما الحدث الثاني فله علاقة بانقطاعه عن طلب العلم في سن السادسة عشرة، ولم يتمكن بعد ذلك العودة إلى الدرس بكيفية منتظمة. فقد عانى اجتثاثاً من أصله وقاسى أحوال الغربة في القاهرة حيث لم يقبل يوماً ما أن يتجرد من لباسه المغربي ولا أن يتخذ الكتابة المشرقية، وكان قبل ذلك من قد خاب مسعاه في الاستقرار بفاس وبغرناطة ويتلمسان ويتونس. فهو لم يتمكن في شبابه من استكمال طلب العلم إلى النهاية ليتخرج في علوم الدين أو الفقه أو العلوم العقلية، ولكنه حصل مع ذلك اطلاعا واسعاً على الثقافة بعصاميته قبل كل شيء.

إن قراءة نبهة في ترجمته الذاتية التي ختم بها مؤلفه العظيم كتاب العبر، تبين بوضوح أن هذه الترجمة قد صيغت لتكون دفاعاً مزدوجاً عن أصوله الأرسطراطية من جهة وعن التكوين الرفيع الذي تلقاه على يد أبيه وعلى أيدي كبار الشيوخ في بلاد المغرب. وكان التكوين مع أخيه يحيى من آخر عقب أسرة عربية عريقة في المجد، هاجرت إلى الأندلس حيث كان لبعض أقاربه منازل في السياسية ومشيخة العلم، ثم هاجرت إلى إفريقية حيث كان جده الأعلى قد تولى منصب صاحب الأشغال، بمثابة وزير المالية اليوم، وهذه أمور لاشك في صحتها.

وما لا يشك فيه أيضاً أنه بعد أن عصفت الطاعون الأسود بأهله، لم يبق بتونس من آل ابن خلدون إلا هو وأخوه الأصغر يحيى وأخ بكر آخر. وبينما نجد اسم يحيى يتردد في ترجمة ابن خلدون لنفسه، فإننا لا نجد ذكراً لأخيه الآخر محمد، ولعله مات قبيل هجرة عبد الرحمان إلى المغرب الأقصى. وهكذا وجد ابن خلدون نفسه في سنة الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين ممثلاً لأسرة ذات ماض مجيد ولكنها آلت إلى الانقراض. وتتعدد الشواهد



في كتابات ابن خلدون على تحمله لتبعات ذلك المصير بنحوه وإباء. ولكن ذلك الواقع وسمه بميسمين في شخصه وسلوكه : حب طابع للعظمة حتى إنه يظهر وكأنه لا يتصور لحياته مجالاً خارج بلاطات السلاطين.

إن تحليل سيرة ابن خلدون الذاتية يبرز أن مدة طلبه كانت قصيرة لم يخرج منها في سن السادسة عشرة إلا بتكوين عام في اللغة والأدب وعلوم الفقه والدين. أما ما تلقاه من العلوم بعد ذلك، بعد غزو أبي الحسن المريني لتونس وآفاق الطاعون الأسود فإنما كان على حسب الصدفة التي جمعتها ببعض العلماء. ولاشك أن انتماءه لأسرة سياسية مهد له تلقي ما يروج في وسطه من المعارف، ولكنه لم يستكمل الاختصاص في ميدان من الميادين. فعلمه في الفقه محدود، وأكثر معارفه في موضوع السيرة النبوية وعلوم القرآن واللغة والأدب دون أن يكون له في أي من هذه المواضيع رسوخ. وقد قضى عامين أو ثلاثة أعوام يتتلمذ للأبلي، ولكن تلك المدة كانت غير كافية للتعلم في موضوع صعب متشعب هو ميدان الفلسفة. فاستقلال ابن عرفة لمعلومات ابن خلدون في الفقه (ع. بدوي، مؤلفات ابن خلدون، 292، 298) وهو الذي كرس كل حياته لدراسة الفقه، والتشكك الذي كان يواجهه به المصريون معارفه في علوم الدين وعلوم الفلسفة لم تكن أموراً غير مبررة. فقد لقيه في مصر عالم مغربي اسمه الرزراكي وأصدر عليه حكماً قاسياً لا يخلو من أساس وإن كان مما يصدم القارئ. فقد قال إنه جاهل بأمر الدين، له بضاعة في العلوم العقلية ولكنه غير مبرز فيها. ولكن حديثه جذاب، بل إنه أطرف من حديث شمس الدين العماري (المرجع المذكور، ص. 281).

إن المعارف الموسوعية التي أتى بها ابن خلدون في مقدمة تاريخه، ليست مما حصل من حلقات الدرس أو أفواه جلة الشيوخ الذين لقيهم في أسفاره الطويلة للطلب، ولكنها ثمرة مجهود شخصي ومن قراءات فردية. إن كتاباته الأولى تظهر ميله لعلوم النظر : من كلام ومنطق ورياضيات. وأول كتبه المعروفة هو لباب المحصل الذي أنهاه عام 752 / 1351 في مدينة تونس، وهو حاشية على كتاب المحصل في الكلام للفخر الرازي. وقد نسب إليه ابن الخطيب مختصرات لبعض كتب ابن رشد، دون أي يذكر ماهي. كما نسب له نبذة في المنطق وكتابتها في الحساب. وفي النبذة التي خصه بها ابن الأحمر في كتابه نشير فرائد الجمال، ذكر أن ابن خلدون كان له باع في المنطق والفلك وكل ماله علاقة بعلوم النظر. ولكنه في الحقيقة لم يكن متوغلاً في هذه العلوم.

لا نعلم الشيء الكثير عن بدايات اهتمامه بالتاريخ، إلا ما كان من إشارة عند أحد الذين ترجموا له عندما قال : كان له علم بالتواريخ قديمها وحديثها. أما ابن خلدون فلم يشر إلى أي كتاب في التاريخ ضمن مقروماته، إلا ما كان

من سيرة ابن إسحاق. وهكذا يمكن أن نفترض بشيء من الوثوق أن مشروع ابن خلدون لكتابة التاريخ كان غامضاً في البداية ثم أخذ يتبلور لديه بالتدرج في عزلة ثقافية تامة. فالى غاية وضع الصيغة الأولى المتدمعة للمقدمة في قلعة بني سلامة، وهو يذكر أنه عاش تلك المرحلة في حماس ( التعريف، 229 : رحلة ابن خلدون غرباً وشرقاً، ص. 142 )، لم يند عنه ما يكشف سره.

فابن خلدون إلى جانب حنينه إلى مجد أسرته الغابر، وعصاميته في التكوين، كان أيضاً فكراً متوزعاً، فراه تارة منجذباً نحو الطموح السياسي وتارة إلى حب العلم، ولم يظهر إلى نهاية حياته ما يدل على أنه تخلى تماماً عن أحد هذين الميلين.

وبما له مغزى في هذا الشأن كونه وجد هذا التردد بين "العلم" و"السياسة" في تاريخ أسرته نفسها، ويحلوه له أن يلحظ ذينك الاتجاهين. فهو يذكر تذكيراً لا يخلو من افتخار بأن بني خلدون كانوا في إشبيلية بمكانة رفيعة بين العلماء والرؤساء على السواء. فهو على سبيل المثال ( التعريف، ص. 3 : الرحلة، 35 : المقدمة : نشرة واقفي، 30، 1129 ) يذكر غير ما مرة اسم أبي مسلم عمر ابن خلدون الذي كان على ما يبدو فيلسوفاً معروفاً بالأندلس، وكان تلميذاً لمسلمة المجرطي، وأقرب من هذا الأخير إلى عهد مترجمنا كان جده بعد أن شغل مناصب مثل الحجابة وقيادة الجيش لدى الحفصيين، ولكنه قرر في أخريات أيامه أن ينقطع عن الدنيا ويتكرس لحياة الزهد. أما والده محمد فقد أثر الانقطاع إلى العلوم والعزوف عن حياة الفروسية وخدمة الأمراء ( التعريف، ص. 14 : الرحلة، ص. 44 ).

يظهر أن ابن خلدون قد استهوته في شبابه المعالي، ولكنه لم ينفك يراود فكره ما يشكل في نظره المجد الحقيقي مثل "تزكية النفس" ولكن الطموح السياسي هو أول ما أظهر لديه، على الأقل في معظم مدة إقامته ببلاد المغرب حيث نراه يتقلب في البلدان وينتقل بين الرؤساء، وحيث نجده في بعض الأحيان متورطاً في بعض الانقلابات التي عرفت بالبلاطات حتى إنه اتهم بالصلوع في التآمر على أمراء كان مندرجاً في خدمتهم. ومع هذا كله لم يشغل منصباً بسلطة كاملة التفويض إلا مرة واحدة. وبالرغم من أنه يتباهر في فخر بأنه كان محل الثقة الذين الأسياد الذي تقرب منهم وبأنه قام بالخدمة عندهم بالخدمة أحسن قيام، فإنه لم يكن يستمر في مقام واحد، وكان كثير الشكوى مما كان يجره عليه ذلك القرب من حسد الحساد ومكائدهم، فهو لم يتقلد مناصب رسمية إلا في مدة لا تتجاوز خمس سنوات من مجموع مدة ثلاثين سنة التي قضاها في فلك الحكام ببلاد المغرب. غير أنه في أقصى مدى ما امتدت إليه مغامرته السياسية نجده وقد غلب عليه التردد والإحجام والميل إلى الحذر، كما لو كان يتحفظ تحسباً لتقلد ما هو أخطر من المهام وإدراك ما هو أسوأ من

فالبرغم من الكارثة التي نزلت بأسرة ابن خلدون عندما غرقت في البحر في عرض الإسكندرية، وبالرغم في العداة الذي واجهه عندما تقلد منصب قاضي قضاة المالكية في مصر، فإن إقامته بمصر لمدة ثلاث وعشرين سنة هي بالنسبة إليه عهد الاستقرار والإثمار، فقد ذكر وكأن كل أمانيه قد تحققت، فهو إن كان بعيداً عن شؤون السياسة، كان يتمتع بتقدير الحكام وحظوتهم، ووجد في خزائن كتب مصر وثائقها ما كان بحاجة إليه لمتابعة أبحاثه، وتصدى للتعليم في معاهد عديدة بفضل شد عضده من جهة ولي نعمته السلطان الظاهر بربوق، فقد كانت المدة التي شغل فيها منصب قاضي القضاة لا تتعدى خمس سنوات. لم تكن هذه المهمة سياسية ولكنها كانت من أعظم الخطط في الدولة ومقلدها ممن يحضرون مجلس السلطان. يذكر لنا ابن خلدون أنه لم يقبل توليها إلا بعد إلحاح السلطان المملوكي. وسواء صح هذا الزعم أم لم يصح فإن المتولى قد أخذ مهمته مأخذ الجد. فإذا كان الغالب عليه في السياسة هو الحس العملي والواقعي فإنه قد برهن في منصب القضاء على الحزم والصرامة. فخطوة الأحكام في مدينة باتساع القاهرة كانت مهمة معقدة ومدخولة بالفساد. وقد وقف ابن خلدون على عيبين كبيرين من عيوبها : فساد الشهود وتلاعب المفتين الموكول لهم دور كبير في الأحكام. وقد شجب ابن خلدون ذلك الفساد وسهر على تطبيق أحكام الشرع، وهو غير عابئ بالمأخذ ضده ولا بالجاء المعروض عليه، لا يهمله إلا إحقاق الحق وإنصاف الضعيف والمظلوم، وبالرغم مما أحدثته صرامته من الخنق عليه فقد ظل صامداً لا يلين مدة عشرة أشهر التي قضاها في ممارسة الخطة التي أسندت إليه، ولم يدع لخطة جديدة إلا بعد مضي أربع عشرة سنة، وقد أعفي منها بعد ما لا يزيد إلا قليلاً عن عام واحد وذلك بسبب العداة المترتب عن مواقفه المتصلبة. ثم دعي أربع مرات أخرى لتولي المناصب إلى أن توفي وهو متقلد لخطة منها.

عندما يجري الحديث عن ابن خلدون كرجل سياسة، فقد نتصور حياة مليئة بأعمال تتصل بممارسة الحكم، بيد أننا عندما نتمعن في ما جريات حياته على تواليها فإننا نفاجاً بكونه لم يقض في ممارسة مهمات رسمية سوى عشرة أعوام من جملة أربعة وخمسين عاماً من الحياة العامة. ولعل الذي يوحى بالانتطباع المذكور هو الشعور المترسخ لديه هو نفسه حول مصيره وتصوره له بناء على أمجاده وهو شعور يمرره لكل من يقرأ حكاية سيرته الذاتية. فقد ظهر وكأنه لا يتصور لنفسه حياة إلا في بحبوحة الرئاسة العليا، فكان البديلان عنده في غاية البساطة : إما حياة البلاط والقرب من الملوك وإما حياة الانقطاع والتفرغ للعلم.

وإذا كان ميله للعلم من القوة بحيث تغلب في الأخير على ظموحه السياسي وهو لم يبلغ بعد سن الخمسين وأبواب

السلطان ما تزال مشرعة أمامه، فهو لم يتقبل أن يكون عالماً عادياً. ففي تخصص يمكنه أن يلمع وكيف يحقق فيه التبريز في عصر كان بالأساس عصر تقليد، تهمين عليه النزعة السننية، وحيث ساد الاقتناع بأن علوم الدين والفقه قد بلغت الأوج، وحيث العلوم المسماة بـ "العقلية"، وإن لم تكن متبوذة، قد كانت محفوفة بالشبهات. كانت المحاولة الأولى التي قام بها ابن خلدون للوصول إلى الشهرة بعد محاولات في أول شبابه لم يحالفها إلا نجاح طفيف في ميدان علوم الدين والفلسفة، مرتبطة بشكل يثير الفضول، بتقاش حول التربية الصوفية، وهي من حيث المبدأ بعيدة عن كل الانشغالات الدنيوية. ويبدو أن ابن خلدون أثناء مقامه بفاس ما بين عام 774 وعام 776 (1372 - 1374)، أي ما يقرب من عامين قبل انقطاعه الشهير في قلعة ابن سلامة، قد أقدم أن يستفتيه أحد بعرض رأيه على الناس كجواب شخصي على سؤال موجه إلى شيخين من أكبر شيوخ التصوف في ذلك الوقت وهما القباب وابن عباد ويتعلق بشيخ التربية الصوفية، هل هو ضروري أم لا

بيد أن مما لا شك فيه أن النقاش حول هذه المسألة كان، في ظرفية ذلك الوقت، أساسياً. فقد انخرط فيه ابن الخطيب والقاضي النباهي، وكان نقاشاً دنيواً وسياسياً، ولربما كان سياسياً أكثر مما هو ديني. كتب ابن خلدون للمشاركة في هذا النقاش كتابه شفاء السائل، وهو نص في التصوف متين البناء، صارم الاستدلال، يبين عن اطلاع واسع على الفلسفة والفقه وأمور الدين. يظهر ابن خلدون في ما كتبه في الشفاء واثقا بنفسه لا يتهيب مقارنة رأيه بأراء فطاحل علوم الإسلام. متبنياً موقفاً أصيلاً دقيقاً متميزاً يرمي إلى تبني سنية نبيهة من الطراز الرفيع. وقد وضع روني بيريز لترجمته هذا الكتاب إلى الفرنسية مقدمة وأفية ثاقبة، ومن رأيه فيها أن المتحصل بقوة من خلال هذا الكتاب هو فكر ابن خلدون الفقهي، وهو يطبقه حتى على أمور الحياة الباطنية والمجاهدة الروحية التي ينخرط فيها الصوفي

. إنها ملاحظة ذكية ينبغي أن يضاف إليها أمر آخر وهو أن وراء موقف الفقه يتبادى بعد من طبيعة أخرى، ذلك أن الموقف السنني الذي يدافع عنه ابن خلدون بنظرة واسعة ليس موقفاً مذهبياً فحسب، بل هو ذو مرمى أعمق، سياسي واجتماعي.

ومهما يكن، فالبرغم من أن كتاب شفاء السائل قد كان له وقع محقق في وقته وعلى مدى القرون الأربعة التالية حيث إنه محال عليه من مؤلفين مثال أحمد زروق الفاسي (ت. 899 / 1493) وأبي سليم العياشي (ت. 1090 / 1679) وعبد القادر الفاسي (ت. 1091 / 1680) وأبي عبد الله المسناوي (ت. 1136 / 1724) وابن عجيبة (ت. 1224 / 1809)، فإنه لم يكن له ما بعده في حياة المؤلف العلمية الذي لم يستمر في نفس الاهتمام، وظهر الكتاب وكأنه دخول غير سديد لابن خلدون في حلبة العلم. فقد تبيّن أن

العلم الذي أراد أن يتكسر له هو علم من طبيعة أخرى. ويمكن تصور ذلك الاهتمام إذا ما عرفنا أن ابن خلدون عكف على امتداد سنين على قراءات واسعة، يجمع المعلومات والإشارات وهو يهسي في الكتمان مشروعاً وفق طموحه. فهو علم يتجاوز العلوم المعروفة، بل يحتويها كلها، بكيفية ما، بل هو "علم جديد" يدعي أنه ابتكره ابتكاراً.

ليس الأمر مجرد ادعاء، فنحن نستطيع أن نؤكد اليوم دون مبالغة أن ابن خلدون هو مبتكر "علم المجتمع" في الصيغة التي يقول بها هو نفسه، واضعاً نفسه في سياق الثقافات القديمة والوسطية لحوض البحر المتوسط.

تصدى ابن خلدون لتأليف كتاب فريد في نوعه: كتاب العبر. قضى في تأليف هذا التاريخ الكوني الضخم ما يقرب من ثلاثين عاماً، منذ انقطاعه الإراقي في قلعة بني سلامة بتاريخ شهر ذي القعدة عام 776 / مارس 1375 إلى نهاية حياته. يتبين من النسخ المحفوظة من هذا الكتاب، وهي عديدة، أننا نستطيع تمييز ثلاثة صيغ هي:

• صيغة النسخة التي أهداها لسلطان تونس أبي العباس في أوائل عام 784 / 1382؛

• صيغة النسخة التي أهداها لسلطان المملوكي الظاهر بربوق وأهداها بعد ذلك لسلطان المريني يفاص ما بين 799 / 1394 - 1397؛

• صيغة النسخة التي زاد ابن خلدون في تنقيحها إلى ما قبل موته بشهور، وتاريخها بين عام 806 وعام 808 / 1404 - 1406.

يتكون هذا التأليف من ثلاثة كتب: الكتاب الأول وهو المعروف عموماً باسم المقدمة، وفيه يورد ابن خلدون نظريته في "الاجتماع الإنساني"، وقد اعتبرت المقدمة في حياة المؤلف نفسه كتاباً مستقلاً. أما الكتابان الثاني والثالث فيتناول أولهما تاريخ عرب المشرق ويتناول الثاني تاريخ العرب والبربر في المغرب وتاريخ من عاصروهم من الأمم وذوي السلطان الأكبر. ينتهي التأليف بإيراد ترجمة للمؤلف بعنوان: "ترجمة ابن خلدون، ورحلته غرباً وشرقاً".

يظهر ابتكار ابن خلدون، في آن واحد، في مقدمته النظرية للكتاب، وفي روايته للتاريخ، وفي مفهوم التاريخ العالمي عنده وخلافاً لما دأب الدارسون على الجزم به، فليس هنالك من شقة بين المقدمة وبين بقية كتاب العبر؛ وإنما يتعلق الأمر باختلاف في تناول. ومن جهة ثانية، فإن ابن خلدون وإن كان قد أتى قبل غيره بعلم استبق فيه بكيفية ماما ستأتي عليه العلوم الإنسانية الحديثة كالأنثروبولوجية والسوسولوجية، فإن الجهل بطبيعة إنجازه. هو ما أدى بالبعض إلى أن يروا فيه "عيقرية" من فلتات الدهر بالنسبة لمجتمعه وعصره، حتى زعموا أنه أقرب إلى عصرنا هذا منه إلى خلفيته التاريخية. إن فهم أصالة ما جاء به يتوقف على تغيير مزدوج في زاوية النظر؛ يتحقق ذلك أولاً بإعادة موقعة علم التاريخ العربي الإسلامي في مجمله

داخل التراث الهلينيستي البيزنطي في مسار تطور يمتد من العصر القديم عند الإغريق والرومان إلى بيزنطة إلى الإسلام وإلى العصر الوسيط في أوربا؛ ثم تأتي بعد ذلك موقعة أعمال ابن خلدون في سيورة نحو علم التاريخ العربي الإسلامي نفسه.

لا شك في أن ابن خلدون قد أتى في مقدمته بما يمكن أن نرى فيه أنثروبولوجيا عامة. ولكن يبتعد بالنسبة لنقطة أساسية عن المنظور الحديث: فهو لا يتصور هذه الأنثروبولوجيا علماً مستقلاً مفتوحاً، وإنما يراها مقدمة للتاريخ. ويعمله ذلك يضع نفسه في أن واحد محققاً للاستمرارية وللقطعية مع مؤرخين من أمثال هيرودوت ورو ليب وبروكوب والمسعودي ومسكويه. فابن خلدون يرى كالمؤرخين السابقين للعصر الحديث أن كل ما يتصل بالأنثروبولوجيا يكون جزءاً لا يتجزأ من التاريخ. لكن الجديد الذي أتى به وحقق به خطوة حاسمة نحو المفهوم الحديث يكمن في كونه لم يعد يعالج مسائل الأنثروبولوجيا بشكل عارض ثانوي، في صورة استطرادات إثنوغرافية وجغرافية وأوصاف للمعادن والمخطوط الدينية والاجتماعية والسياسية والحكايات الأسطورية الغربية والأفكار الشاردة حول طبيعة الإنسان والمجتمع، وإنما عالجه كموضوع قائم بذاته يدرسه لذاته وباستقلال عن غيره. وقد كان واعياً بأن هذا هو ما تميز به عن سبقه من اليونان والفرس وعلماء العرب والمسلمين. وعلى هذا الأساس فهو أقرب إلى العصر الحديث منه إلى التقاليد القديمة والوسطية. غير أن تناوله يختلف عن تناول الحديث في الوظيفة التي يعينها لما سماه بعلم العمران الإنساني، وهو في نظره لا يفيد إلا في اتخاذ قاعدة أساسية للنقد التاريخي من حيث إنه يجعل في الإمكان كتابة "تاريخ حقيقي". لا شك أن فكرته في التاريخ صالحة نظرياً، ولكن التوصل إليها يتعذر عملياً. ثم إن ابن خلدون عندما جعل من "علم العمران" شرطاً وأداة لمعرفة التاريخ، يضيق من مدى الأنثروبولوجيا، ويسجنها في فكرة كمال ممكن، وربما كان ضرورياً أيضاً. بيد أن مسعاه الإجمالي يمكن تبريره وفهمه لو اعتبرنا، كما يعتبر هو، أن التاريخ في أساسه يتميز بالنهائية، حيث إن له بداية ونهاية مقررتين. في هذا السياق يكون من المشروع أن نميز بين الجوهر والعرض بين الثابت والمتغير، أو بعبارة العصر، بين ما هو بنوي وما هو تاريخي. ومع هذا فإننا نجد ابن خلدون شديد الانتباه للتطور والتغير يرسم عند الاقتضاء المسارات التاريخية لمختلف المواضيع التي يدرسها. وهذا الموقف مكثه من أن يقدم إلينا على امتداد أبواب المقدمة تاريخاً للمؤسسات الاجتماعية والسياسية الاقتصادية والثقافية للمجتمعات العربية الإسلامية ولبعض المؤسسات اليهودية والنصرانية.

غير أنه تتوجب الإشارة إلى جانبين من القصور البارز يفصح عنهما بوضوح تحليل أعمال ابن خلدون. فالبرغم من

كونه يدفع إلى أقصى ما يمكن فكرته الكونية وهو ما يظهر في استشهاده بجميع المجتمعات المعروفة في وقته، فإنه ظل متشبهاً بجهاز المفاهيم الفلسفية والفقهية المشتقة من الثقافات الهلنستية والإيرانية والعربية الوسطية. وبهذا الصدد نلاحظ على الخصوص الحضور الكثيف لعدد من المفاهيم والمصطلحات التي تنسب إلى أرسطو وگاليني وأبو قراط ويطليموس من جهة، وحضور كل جهاز المفاهيم المتداولة عند العرب والمسلمين في ميادين التاريخ والجغرافية والفقه والأدب والدين، وكذا حضور بعض الفرضيات من قبيل القول بأن منطقة حوض البحر المتوسط باعتدال هوائها وطبائع سكانها هي المركز الطبيعي للحضارة الإنسانية والحضارة العمرانية وغاية ما وصل إليه رقي الإنسان، ومثل التقرير اليقيني بأن ديانة التوحيد هي الدين الحق وأن الإسلام أتم أديان التوحيد.

وفي آخر هذا التحليل العام لا بد أن نسجل قضية هي في ذاتها من الأشياء المدهشة : إن عدداً كبيراً من الأفكار والتحليلات والمفاهيم والنظريات التي أتى بها ابن خلدون قد تبناها بالإجماع الأنثروبولوجيون والسوسيولوجيون والمؤرخون المتخصصون في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، وإن ناقشوها وزادوا إغناصها. ويمكن تفسير هذه الظاهرة الاستثنائية بسببين : أولهما أن ابن خلدون الذي اعتقد أنه يضع علماً للمجتمع الإنساني على العموم وهو علم الاجتماع الإنساني قد أدى به مسعاه إلى رسم الخطوط الكبرى لأنثروبولوجيا اجتماعية أو سياسية للمجتمعات الإسلامية ولا سيما مجتمعات العرب والبربر. وهذا ما يكون في نفس الوقت الأهمية الكبرى للمقدمة ويكشف عن محدوديتها في نفس الوقت. أما السبب الثاني فيمكن في كون الفكر الأنثروبولوجي والتاريخي المعبر عنه في أعمال ابن خلدون هو بالتأكيد قريب جداً من فكرنا من حيث نزعته إلى المذهب الطبيعي ومن حيث سعيه إلى الشمولية وحرصه على دقة الملاحظة واتخاذها لأنماط الاستدلال والبحث عن الموضوعية.

إذا تأملنا تصميم المقدمة نجد تصديراً وتقديماً طويلاً يتطرق بكيفية منهجية إلى النقد التاريخي، ثم يدنو من موضوع الكتاب بكيفية تدريجية بسيطة وصارمة : فهو يتطرق للقواعد العامة للمجتمع الإنساني يستعرضها في ستة مداخل تتناول الحضارة الإنسانية على العموم وطبيعتها الضرورية والوسط الطبيعي وتأثيره على طبيعة الحياة ونمط عيش الناس وصيغ العلاقات بين الناس وبين ما هو غيب وغير طبيعي (الفصل 1) : والعمران البدوي وتطوره الطبيعي وهو تأسيس الملك في المدن (الفصلان 2 و3) : والعمران الحضري وتنظيمه وأسباب ازدهاره وانحطاطه (الفصل 4) : وما يصاحب العمران الحضري من أحوال الاقتصاد وآلاته (الفصل 5) ومؤسسات الثقافة، من علوم وتربية وتعليم ولغة وأدب (الفصل 6).

يتعذر في هذه النبذة القصيرة إظهار كل ثراء المقدمة وما تعج من أفكار ووقائع مبنية على الملاحظة وهي ميزة هذا التأليف. ونكتفي هنا مضطرين بإعطاء نظرة وجيزة عنه من خلال التعرض لتفسير مصطلح العمران بفرعيه البدوي والحضري مع إشارة وجيزة إلى عدد من المفاهيم التي تشكل مفاتيح فكر ابن خلدون وتتكسر في تحاليله الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتكنولوجية والثقافية كما بنى عليها تأليفه.

العمران مصطلح مألوف وارد عند الجغرافيين المسلمين بمعنى الفعل الأول المتمثل في "الاستقرار" على الأرض : بالنزول فيها وسكناها والعناية بها وفلاحتها واستغلالها واستثمارها والبناء فيها وإنشاء المؤسسات فيها (Muhsin Mahdi, Ibn khaldun's Philosophy of History, 184). فالعمران وهو مرتبط أساساً بالظروف الطبيعية، هو على الخصوص من ميزات مناطق الأرض المعتدلة، فلا يدخل فيه سكان الجهات الشديدة البرودة وسكان الجهات الشديدة الحارة حيث يظل أهلها على نمط من العيش أقرب إلى عيش الحيوان منه إلى عيش الإنسان.

يقدم ابن خلدون العمران بمثابة فعل إلهي، فهو يذكر بأن الله هو الذي استعمر الإنسان في الأرض واستخلفه فيها. والله هو الذي نشر الناس وجعلهم مختلفين في بلدانهم وألستهم وعاداتهم وأديانهم، وهكذا وجد الإنسان في حالته وهو مدني وهو يعرف ككائن مدني، أو هو حسب فلاسفة اليونان ومن على أثرهم يعرف "كحيوان سياسي". وهكذا لا نجد عند ابن خلدون تعارضاً بين الحضارة وبين "حالة الطبيعة" النسوية للإنسان "البدائي" كما يرى بودان Bodin وهوبز Hobbas وروسو Rousseau. صحيح أننا نجد في مناطق الطقس المتطرف جماعات من الناس تعيش في ظروف يمكن أن توصف بأنها "غير حضارية". ولكن ابن خلدون يرى أنهم بوجودهم في وسط طبيعي غير موات قد عادوا إلى "حالة الحيوانية". فلو افترضنا أنهم قد أخرجوا من تلك الجهات ووضعوا في ظروف مواتية في المناطق المعتدلة، فإنهم سيستعيدون بالتدرج إنسانيتهم وسيسلكون كما يسلك غيرهم من الناس.

فالعمران قد افترض فيه أنه شيء ضروري، لكن ضرورته غير منظور إليها من وجهة التطور التاريخي، بل نظر إليها بالأحرى من وجهة نظر كونها منطقية. فابن خلدون ينطلق من العمران على أنه واقع قائم ويتساءل عن شروط إمكانه. وجوابه هو أن شروط الإمكان هذه تندرج في طبيعة الإنسان، كما خلقه الله وأراد له أن يكون. فقد خلقه وهو بحاجة إلى الغذاء لكي يعيش، ثم خلقه ضعيفاً في بدنه إذا ما قيس بقوة الحيوان وجعله مضطراً إلى الدفاع عن نفسه ضد العدوان المحتمل عليه من هذه الحيوانات. وقد ترتب عن سمتي الضعف هذه ضرورة تقسيم العمل وضرورة التعاون، وهذا شيء مؤهل له الإنسان بفضل

الاجتماعي، لأنها تتيح لبعض الأفراد في القبائل أن يتميزوا وسيطروا على الآخرين، كما تتيح لهم توسيع مجال نفوذهم بالتدريج.

أما النظام الحضري فهو أن على العكس من ذلك، يتميز أساساً بعدم الاستقرار. فهو قائم على جماعة مشتتة متفتتة عاجزة عن ضمان حمايتها الخاصة بشكل طبيعي، ولذلك فهو بحاجة من الناحية السياسية إلى رؤساء وإلى جند يأتون من العالم البدوي، ولكن هؤلاء وأولئك يتعرضون بتقلب الأحوال للضعف لما في طبيعة حياة المدينة من إفساد، حيث يتطلب البذخ ويغني إشباع الشهوات وتملك اللذة والهوى المتبع. ثم إن النظام البدوي بما هو تحقيق لغبية يسير بالضرورة نحو الانحطاط والفناء. وهكذا فالنظام الحضري والنظام البدوي يتعارضان ويتكاملان، وهما مندرجان معاً في دورة من التطور الذي لا محيد عنه.

قد يصاب الباحث بخيبة أمل إذا هو بحث في المقدمة عن أوصاف إثنوغرافية من قبيل ما أنتجته الإثنوغرافية الاجتماعية الحديثة. فابن خلدون ليس بأي حال من الأحوال باحثاً ميدانياً أنطروبولوجياً، وإنما هو مفكر يستمد أهم معلوماته من الكتب، سواء منها كتب التاريخ أو كتب الجغرافية أو الفقه أو الفلسفة أو الكلام أو الأدب. فالوقائع التي استشهد بها بناء على ملاحظة شخصية وقائع عديدة، ولكنها لا تصدر عنده عن مسمى منشغل أساساً بالتحري، بل هي تأتي في معظم الأحيان في معرض استدلال أو بناء مفهوم أو مصطلح. وهذا واضح من سمت العام لهذا التأليف : فتقسيمات فقراته التي لا تتعدى بضع صفحات والتي منها تتكون مختلف الفصول هي بمثابة استدلالات أو توضيحات لمقترحات نظرية موضوعة كعناوين على رأس هذه الفقرات.

في النظام المزوج للعمران كما يراه ابن خلدون يكوئيه البدوي والحضري، يظهر العمران البدوي على الخصوص، وكما رأينا ذلك، بمثابة خزان للمقرات العسكرية والسياسية، بينما يظهر العمران الحضري بمثابة المجال الذي يتم فيه إخضاع هذه القوت لتصرف ملك له منطلق مركزي، وهذا الملك هو في ذات الوقت عامل رئيسي للازدهار الحضري وضامن لأمن المدن والعواصم. فالقوة السياسية (والعسكرية) تتوفر في العمران البدوي، ولكننا نستطيع أن نقول إن كل قوة سياسية على العموم تجد مصدرها في العصبية، وهي على العموم نوع من التضامن. وأصل العصبية في الشغرة التي تعبر عن شعور عاطفي بدائي يسعى إلى التوحيد واللحمة يحمله الناس تجاه أقاربهم وجيرتهم، وهو الذي يدفعهم ليهبوا بجندتهم عندما ينالهم الضيم أو يتعرضون للظلم والهوان. فالتضامن في الوسط البدوي تختلف طبيعتها عن طبيعة التضامن في الوسط الحضري، وهو أقوى عند البدو.

ما حباه الله من ملكة التفكير وبها تميز عن الحيوان. بيد أن ما في جبلة الإنسان من الأناية والعدوان يميل بالناس إلى الوقوع في الحروب الدائمة ضد بعضهم البعض لو أنهم تركوا لأنفسهم، فلا بد لهم إذاً من وجود وأزع، وفي ضرورة الوازع هذه أصل الملك والنظام السياسي.

يتطور العمران على هذا الأساس في اتجاهين ممكنين : إما بالتركيز على إشباع الحاجات الضرورية، أي ما هو لازم كحد أدنى للمعيشة، وهذا ما يوافق "العمران البدوي" الذي يشمل مجتمعات البدو في الصحراء وكل مجتمعات المجال المفتوح خارج المدن سواء كان أهلها من الطاعنين أو المستقرين أو أهل الزراعة أو من الرعاة. سواء كانوا في السهول أو المرتفعات أو الجبال ؛ وإما بالبحث عن البذخ والكمالي في كل مظاهر الحياة، ويصاحبه تنمية إلى أقصى ما يمكن للفنون والعلوم، وهذا ما ينطبق على "العمران الحضري" في كل مكان حيث تقوم المدن.

لا شك أن هنالك علاقة أسبقية منطقية وتاريخية بين نوعي العمران، حيث يمثل أحدهما المرحلة الجنينية للحضارة ويمثل الآخر نهايتها القصوى ونقطة أوجها الذي يبدأ منه انحدار وانحطاط لا مفر منه. فابن خلدون يقرر أن الإنسان كان في الأول فلاحاً أو راعياً للماشية قبل أن يتمدّن ويصير تاجراً أو صانعاً بيده أو متكرساً للعلوم. وهو يورد الحرفات التي تنسب إلى آدم ابتكار الفلاحة وتنسب إلى عدد من الأنبياء ابتكار العلوم والتقنيات، وأشهر أولئك الأنبياء إدريس الذي قيل إنه هو عزراء (Esdras) أو إينوش Enoch. ولكن هذا يعود بنا إلى مجاهيل الزمن ولا نعرف إلا القليل الذي نعدهم فيه اليقين. أما أزمنة التاريخ التي يهتم بها ابن خلدون ويستشهد بها، أي عهود تاريخ العرب والبربر وكذا عصور تاريخ الروم (اليونان والرومان والبيزنطيين)، وعصور تاريخ الترك والفرس وتاريخ العبرانيين والصينيين والهنود والفرنج والجلالقة، فإن نظام العمران يقتضي وجوداً متوازياً لنمطي العمران البدوي والحضري، المبني على الفلح والرعي والقائم على أنشطة المدن، وابن خلدون لا يحصر اهتمامه في تطور أحدهما نحو الآخر، بل يهتم بدنيامية العلاقات بينهما في إطار تاريخ عالم تزامنا فيه باستمرار منذ البدايات الأولى التي يكتنفها الغموض إلى يومنا هذا. فالنظام البدوي هو في جوهره نظام يتميز بالاستقرار، غير أن العنصرين المكونين لجانب القوة فيه وهما اقتصاد المعاش الضروري والمساواة، يمكن أن يتحوّلا في بعض الظروف إلى مصادر الضعف. فالاقتصاد المعاش الضروري يمكن ألا يتعدى اقتصاد قلة وعوز، وحينئذ يجد البدويون أنفسهم مضطربين إلى البحث عما هم بحاجة إليه في مناطق أغنى عند الضرورة، وذلك عن طريق الغزو والهجوم. ولكنهم في كل الأحوال يظلون عالة على التكنولوجيا (أدوات المعاش) وعلى ما تحتضنه المدينة من مدينة وثقافة راقية. تكون هذه الوضعية مصدر اختلال التوازن

الدائرة الداخلية القبائل المنخرطة في الحكم تشدهم إليه روابط القرابة أو ما في معناها وهي عضد الحكم المشدود بالسلاح من أجل تحصيل الجبايات ؛ وتمثل الدائرة الثانية القبائل الخاضعة للضرائب، وتمثل الدائرة الخارجية القبائل التي ترفض أداء الضرائب (Gellner, Muslim Society, p. 31).

يحتل البعد الاقتصادي مكانة متميزة في مقدمة ابن خلدون، فهذا الجانب لا يظهر في تحليل مختلف جوانب الحياة الاجتماعية فحسب بل إن ابن خلدون يخصص له فصلاً يدرسه فيه على حدة باعتباره قائم الذات. فهو يقف أولاً عند مستوى الانطروبولوجي، وهو وسائل المعاش، يأخذ بعين الاعتبار الحالة العامة للكائن الإنساني، أي ضرورة الحصول على وسائل المعاش. ثم يقوم بقفزة نحو المستوى الاقتصادي الذي يسميه المكاسب في معنى عام مجرد عن الوظيفة المحسوسة المتمثلة في إشباع الضروري من الحاجات. فهو يميز بين الرزق والكسب، وبالرغم من الإحالة على السياق الديني فإن ذلك التمييز له طابع اقتصادي صرف لأنه قائم على التقابل بين ما يكتسب ليستهلك وبين ما ليس كذلك. وعلى هذا الأساس فالمكاسب منظور إليها على أنها تمثيلات للقيمة، تقاس على أساس قدر العمل المفرغ فيها. وابن خلدون يستعمل بهذا الصدد مصطلح "العمل" في صيغة المفرد أو في كثير من الأحيان في صيغة الجمع : "أعمال". وهو يستعمله بلا شك كمفهوم مجرد يدخل في آن واحد في الأشكال المحسوسة للعمل كما تظهر في مختلف أنواع الصناعات وكذا في تشخيصها كاشياء مكتسبة ومملوكة. وهكذا يبدو العمل كمركب ذاتي للمكتسبات، ويمثل قدره قيمة هذه المكتسبات. فمفاهيم كقيمة الاستعمال وقيمة المبادلة حاضرة، لكن بكيفية ضمنية لا غير، فلم يكن ابن خلدون يتوفر على مصطلحات للتعبير عنها كما هي. فهي متضمنة من جهة في مصطلح الرزق، وهو مكتسبات ميزتها الأساسية أنها مستهلكة، ومتضمنة من جهة أخرى في مفهوم الكسب، وهو ممتلكات يقصد منها أن تندرج في سيرورة تبادل.

فالأنشطة الاقتصادية مستعرضة في سلسلة من المقاطع التي تناولت على التوالي الفلاحة والتجارة ومختلف الصناعات. ويؤكد ابن خلدون أن تلك الأنشطة تنامي بحسب حال الحضارة ودرجة الرقي من جهة وتبعاً للسوق من جهة أخرى.

إن مقارنة ابن خلدون للاقتصاد مقارنة جوهرية Substantive بالمعنى الذي يعطيه كارل بولانيي لهذا التعت، فأوصافه وتحليلاته للجوانب الاقتصادية في الفصول، الثالث والرابع والخامس من المقدمة، تجعلنا نقف على نظام اقتصادي قائم على الدمج بين نظام تبادل ونظام توزيع. فالأول واقع بكيفية مثالية تحت إشراف سوق تنظم

فالذي يجعل من العصبية ضرورة مطلقة لا يمكن للناس أن يعيشوا بدونها في الوسط البدوي أمور كانهدام نظام للدفاع بسبب طبيعة غط عيش البداوة وظروفه وانهدام الأمن الناتج عن تلك الظروف. ففي مثل هذه الحالة يكون على جميع البالغين من الذكور أن يحملوا السلاح على الدوام. وهذا، بالإضافة إلى ظروف موالية هي ظروف العيش في الحلاء، يجعل من البدو مقاتلين صلاباً أشداء، يشكلون جيشاً دائماً جيد التمرين. وبالعكس من ذلك فإن سكان المدن، وهم يعيشون داخل الأسوار والجدران مستندين إلى رعاية حمايتهم من الحكام والحرس، ضعافاً بالبذخ وحياة الترف، تجدهم مفتقرين إلى القوة والحشونة التي تتطلبها الحرب. فإن وجدت عندهم صورة من صور التضامن فإنها لا تعدو أن تكون بعض أوامر القربى وروابط المصلحة ولا حمولة سياسية لها.

على أساس هذا التحليل لمفهوم العصبية، وهو تحليل يبرز طابعها السياسي الأساسي واختلاف تجليها بين الوسط البدوي والوسط الحضري، يبني ابن خلدون نظرية مركبة هي نظرية الملك، ويتعرض لأصله وكيف يقوم وكيف يكبر وكيف ينحط ويزول. ويدخل فيه مصطلحات كمصطلح القبيلة، وفيها ترعرع العصبية حول رئيس من الرؤساء، ومصطلح الاصطناع أي اتخاذ الرتباء، وبه يتسع التضامن إلى أبعد من عصبية الأسرة والجذم والقبيلة الأصلية، ومصطلح الحسب والنسب، وهو الظهور والرفعة المكتسبة بالاستحقاق الشخصي أو الموروثة عن مجد الأجداد، وهي أصل قيام سلطة الرؤساء في مختلف مستويات التنظيم الاجتماعي.

إن سيرورة قيام الملك واستفحاله وانحطاطه يمكن ردها إلى نموذج دائري مبسط : قيام قبيلة جديدة بالاستيلاء على الملك، ثم تعرضها للضعف بسبب البذخ وحياة الترف ثم اضمحلالها بعد ثلاثة أجيال أو أربعة لتترك المكان لقوة جديدة. فالغاية القصوى للعصبية لا تتحقق إلا في عدد محدود من الحالات وهي الاستيلاء على الحكم في أوسع مجال ممكن، وهي تعتمد على الحسب والنسب لتوسع بالتدرج سلطة جماعة صغيرة، أسرة أو فخذ، إلى مجموع اجتماعي يمتد على أراض شاسعة. وغاية هذا التغلب جمع الضرائب وفرض الجاه والتمكن من الفائض الاقتصادي للمجتمع ويتوصل إليه بوسائل السلم مثل إقامة الأحلاف أو اصطناع الرتباء وبوسائل القهر أيضاً. وفي غالب الأحيان يجد السند والمهاجر في الدين وذلك بتبني إيديولوجية إصلاحية. ولكن طبيعة هذا النظام تجعل الاستيلاء غير تام إذ أن بعض القبائل تنقلت وتظل خارج مجال سطوة السلطان، ويتمثل خروجها عنه في رفض أداء الضرائب. فابن خلدون، كما أدرك ذلك إرنست كينلير، يقترح نظرية لفهم تحرك النخب القبلية في إطار بنية سياسية متكونة من ثلاث دوائر متحدة المركز : تشمل

نفسها بنفسها، ولكنه محدد بسبب التدخلات المتكررة للدولة وبسبب نظامها في جمع الضرائب وإعادة توزيع فائض الإنتاج. أما الثاني فهو قائم على الجبايات والجماه، أي النفوذ المتأني من ممارسة الحكم، وهو بدوره يتأثر بالعملة وبالسوق. والتوازن بين هذين النظامين هش، والاقتصاد ككل يتوقف على دورة تطور الملك (Cheddadi, *Ibn Khaldûn revisite*, 49 - 67).

أتى الفصل الرابع في المقدمة مزيجاً من المواضيع، وقد خصصه ابن خلدون أساساً للعلم والتعليم كما يدل على ذلك عنوانه. وقد وردت فيه نظرية للمعرفة وتاريخ للعلوم الدينية والفلسفية ونظرية بيداغوجية وتاريخ للتعليم ببلاد المغرب والمشرق ونظرية لتعلم اللغات في علاقة مع الأدب وتاريخ للغات في العالم الإسلامي وعروض مهمة حول الأجناس الأدبية والإبداع الشعري. يختم هذا المجموع بمقتطفات مهمة، فريدة من نوعها، من شعر العرب البدو وأهل المدن في المغرب والمشرق.

لم يبن ابن خلدون نظرية عامة في موضوع الثقافة، وكل ما فعله هو التقدم بأفكار حول العلاقة بدرجة رقي المجتمع بين درجة رقي العلوم والفنون. أما نظريته في المعرفة فتدين بمصطلحاتها وتحليلاتها للتراث الفلسفي اليوناني - العربي، دون الإتيان بعناصر يمكن أن يقال عنها إنها جديدة كل الجدة. أما ما أتى به عن تاريخ العلوم فله أهمية لأنه يستعرض مناقشات أساسية طرحت على امتداد تطور تلك العلوم في السياق الإسلامي سواء تعلق الأمر بعلوم الدين كالكلام والتصوف أو بعلوم القدماء مثل الفلسفة والطب والرياضيات والفلك أو السيمياء، ولكن ابن خلدون يظهر فكره المجدد على الخصوص في ميدان التعليم وفي مقارنته للمشاكل المتعلقة باللغة والأدب. فهو لا يأتي بنظرية كاملة في التربية حيث إنه لا يأخذ مفهوم التربية في معناه العام كما نفعل في وقتنا هذا (Cheddadi, *Ibn khaldûn revisite*, 75 - 91) بل هو يقترح مفهوماً أساسياً هو الملكة في مضمونها للتلقّي والتعليم. أما فيما يتعلق باستعراض لتاريخ اللغة العربية وازدهارها كلفة كلاسيكية ثم التراجع الذي أصابها بعد سقوط الدول العربية في المشرق، ثم ذكر مختلف صيغها المستعملة في أوساط البدو ومراكز الحضارة في مختلف بقاع العالم الإسلامي فهو استعراض في غاية الأهمية ويتضمن أغنى شهادة تتوفر في هذا الموضوع. وأخيراً يجدر ذكر ما جاء به ابن خلدون كإسهام أصيل في نظرية الشعرية العربية (Benchiekh, *Poétique arabe*)، ولا سيما من خلال تحليلاته لمفهوم النوق الذي به يعرف قدر الشاعر في إحكام اللغة وصنع الشعر ومفهوم الأسلوب وهو النموذج أو الوشم الذهني للكاتب، دون وعي منه ويستقرأ من معرفته الحميمة بالأدب شعراً ونثراً وهو ما يظهر في إنتاجه الخاص به.

إن تاريخ العالم الذي وضعه ابن خلدون لم يحظ لحد الآن باعتراف مماثل للذي حظيت به المقدمة، بل ذهب بعضهم

إلى القول بأن ابن خلدون خرج في هذا التاريخ عن المبادئ المنهجية وعن المفاهيم التي بسطها في المقدمة. والواقع أن قراءة متمعنة نبهتة تمكن من أن نكتشف في التاريخ عرقاً تجديدياً مماثلاً للذي في المقدمة.

لا شك في كون ابن خلدون قد انطلق في تاريخه من المصادر والمواد الإخبارية التي اعتمدها سابقوه من المؤرخين المسلمين، وهي الأخبار التي تعني في آن واحد "الوقائع" التاريخية و "الحكايات" المنسوجة حولها. فإذا كان ابن خلدون قد حرص على فحصها ونقدها على أساس مدي المطابقة مع قوانين المجتمع وواقع الطبيعة الخارجية، فهو لا يسعى إلى بناء تلك الوقائع بكيفية ممنهجة (إلا في المقدمة حيث يقوم أحياناً ببناء حقيقي للوقائع في شكل عصري جداً). ولكن جدة مقارنته تظهر جليا في فهمه للتاريخ العالمي وفي تنظيم مؤلفه الكبير في التاريخ.

إن تاريخ العالم الذي كتبه ابن خلدون يختلف عن التاريخ الذي تجده عند البيزنطيين وعند المؤرخين العرب المسلمين وعند مؤرخي أوروبا في العصر الوسيط، فالتاريخ الكوني في صيغته البيزنطية أو الأوربية الوسطية كان موضوعه العالم منذ الخليقة إلى عصر المؤلف. يقدم الأحداث عبر تاريخ غايته الخلاص حسب قدر إلهي مسطر للإتسان، وقد اتخذ المؤرخون المسلمون نفس الإطار الكرونولوجي، مع فارق وهو أنهم يتوقفون عن تقديم أي تأويل للتاريخ. أما ابن خلدون فقد اتخذ هو أيضاً الإطار الزمني ذاته واتباع نفس الموقف الهادي، ولكنه أتى بأمرين مبتكرين، فهو في المقام الأول يعرّف موضوع تاريخ الكون على أنه تاريخ الأمم، وهي بالنسبة إليه العرب والبربر ومن عاصرهم من الأمم؛ وهي أمم الفرس واليونان والرومان والبيزنطيين والعبريون والمصريون إلخ... وفي المقام الثاني فهو عندما يتعرض لتاريخ هذه الأمم فهو يطبق عليها معياراً جديداً: حيث يتحدث عن أصولها وأنسابها ومواطنها ونط عيشها وميزاتها، ويذكر على الخصوص ما كان لها من ملك وسلطان. فهو يستعمل المقولات الأرسطية المتعلقة بالصورة والمادة، وينظر إلى العلاقة بين السلطان السياسي والمجتمع على أنها علاقة الصورة بالمادة (الشكل والمضمون) كما لو أن الفصل بينهما أمر متعذر. فالملك في نظره هو القوة المنظمة والمهيكلية الأساسية للمجتمع. ففي تاريخه لمختلف الأمم يدرس أصول الحكم وأسبابه، كيف بدأ وكيف تطور وكيف انحط. وبهذا فهو يضمن على التاريخ صفة الطبيعة، ومن ثمة يحاول أن يستخرج منه قواعد نو العمران، ويقطع بذلك مع المقاربة التأويلية للمؤرخين البيزنطيين ومؤرخي أوروبا الوسطية، كما يقطع مع التأريخ الوصفي عند العرب المسلمين، ويرجع مقارنة تأتي في خط التقليد المعروف عند توسيديد Thucydide وبوليبي Polybe وتكتسي ملامح تشبه بشكل مدش ما جاءت إليه الكتابة التاريخية الحديثة.

Casablanca, 1999 ; W. J. Fischel, *Ibn Khaldûn in Egypt (1382 - 1406). His public functions and his historical research : An essay in Islamic historiography*, Berkeley, 1967 ; E. Gellner, *Muslim Society* (chapitres 1 et 2), Cambridge University Press, 1981 ; H.A.R. Gibb, *The Islamic Background of Ibn Khaldûn's Political Theory*, BSOAS, VII, 1933 - 5, 23 - 31, repris dans *Studies on the Civilisation of Islam*, Londres, 1962, 166 - 75 ; G. Labica, *Politique et religion chez Ibn Khaldûn*, Alger, 1968 ; Y. Lacoste, *Ibn Khaldûn, Naissance de l'histoire, passé du Tiers-Monde*, Paris, 1966 ; Bruce B. Lawrence, *Ibn Khaldûn and Islamic Ideology*, Leyde, 1984 ; Muhsin Mahdi, *Ibn Khaldûn's Philosophy of History. A Study in the Philosophic Foundations of the Science of Culture*, Londres, 1957 ; N. Nassar, *La pensée réaliste d'Ibn Khaldûn*, Paris, 1967 ; A. Oumlil, *L'histoire et son discours. Essai sur la méthodologie d'Ibn Khaldûn*, Rabat, 1979. M. Talbi, *Ibn Khaldûn et l'histoire*, Tunis, 1973.

عبد السلام الشدادي

**ابن خلدوة، محمد بن إبراهيم بن محمد الكتامي** المراكشي، كان متقدماً في علوم اللسان نحواً ولغة وأدباً. ظهر تفوقه على جماعة من أدياء عصره. عاش في القرن السابع الهجري، ولم يذكر ابن عبد الملك وفاته. وهو غير ابن خلدوة البلسني المتوفى سنة 519 المترجم له في تحفة القادم (ص. 54) بغية الوعاة (1 / 128).

م. ابن عبد الملك، النبيل، 8 / 268 - 270.

أحمد عزوي

**الخلط أو الخلوطة**، تتمثل تجمعاتهم القبلية العربية الأصل حالياً في مواطنها الحديثة بعمالة العرائش وشمال إقليم القنيطرة، بعد نزوحها عن مواطنها الجنوبية القديمة. واسم التجمع مأخوذ من التحالفات المختلطة التي يجمعها اسم قبائل جشم، تعبيراً عن التخليط في النسب. غير أن المؤرخين يعدون تجمعات الخلط من المنتفق بن عمرو بن عقيل بن كعب بن ربيع بن عمرو، شيعة القرامطة بالبحرين. أدخلهم يعقوب المنصور الموحد إلى المغرب ضمن القبائل العربية الأخرى من مواطن هجرتهم بإفريقية في آخر القرن السادس الهجري. وعرف للخلط عبر المراحل التاريخية مواطنان :

- موطن قديم بمنطقة تامسنا، الواقعة بين نهري أم الربيع وتانسيفت. امتد بقاؤهم بها من أواخر القرن السادس الهجري (12م) مع الموحدين إلى أواخر القرن السابع الهجري (13م) مع المرينيين. تعد هذه الفترة مرحلة قوة الخلوطة المنعكسة على الحياة السياسية بالبلاد.

- موطن حديث متمثل في بسائط أزغار، جنوب واد لكوس وبالهبط شماله. وهذه المرحلة الممتدة من أواخر القرن السابع الهجري إلى الوقت الراهن هي فترة استقرار الخلوطة ومساندة سلاطين الدول ضد الوجود الأجنبي بالشمال الغربي المغربي.

لم يهتم الخلوطة خلال المرحلة الأولى بالاستقرار في المنطقة المقطعة لهم، بل فضلوا التدخل في الأحداث

لا توجد طبعة نقدية مُرضية لكتاب العبر بكامله. الطبعات المتأخرة هي : طبعة ن. جوريني، كتاب العبر، 7 مجلدات، بولاق، 1284 / 1867 ؛ أعاد نشرها، ي. أ. داغر بعنوان : تاريخ العلامة ابن خلدون، 7 مجلدات، بيروت 1956 مع فهرس. أعيد نشر بعض أجزاء كتاب العبر والمقدمة منفصلة، طبعة كوانزومير، باريس، 1858 ؛ المطبعة الأدبية، مقدمة ابن خلدون، بيروت، 1879 ؛ نفس الناشر، مقدمة العلامة ابن خلدون، بيروت، 1900 ؛ علي عبد الواحد وافي، مقدمة ابن خلدون، 4 مجلدات، القاهرة، 1957 ؛ شكيب أرسلان وعلال الفاسي وعبد العزيز بن إدريس، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر، 3 مجلدات، القاهرة، 1355 / 1936 ؛ و. م. دوسلان، تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب، مجلدان، الجزائر، 1963 / 1847 ؛ محمد بنتاويت الطنجي، التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، القاهرة، 1370 / 1951 ؛ أنهى عبد السلام الشدادي نشرة نقدية للمقدمة وسيتم نشرها عما قريب.

ع. الرحمان بدوي، مؤلفات ابن خلدون، القاهرة، 1962، س. الحصري، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، مجلدان، بيروت، 1943 ؛ م. عابد الجابري، العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، الدار البيضاء، 1971.

الترجمات الرئيسية

**Traduction principales.** En français : W.M. de Slane, "Autobiographie d'Ibn Khaldoun" in *Journal Asiatique*, 4è série III (1844), 5 - 60, 187 - 210, 291 - 308, 325 - 353 ; republiée corrigée et augmentée dans *Notices et Extraits*, vol. XIX, Paris, 1863 ; le même, *Histoire des Berbères et des dynasties musulmanes de l'Afrique septentrionale*, 4 vol., Paris, 1852 ; rééd. P. Casanova, 3 vol., Paris, 1925 - 1934 ; le même, *Les Prolégomènes historiques d'Ibn Khaldûn*. Traduits en français et commentés. *Notices et Extraits*, vol. XIX - XXI, Paris, 1862 - 1868 ; V. Monteil, *Ibn Khaldûn, Discours sur l'Histoire Universelle*, 3 vol., Beyrouth, 1967 ; A. Cheddadi, *Ibn Khaldûn, Le Voyage d'Occident et d'Orient*, Autobiographie, Paris, 1980 (traduction du *Ta'rif*) ; le même, *Ibn Khaldûn, Peuples et nations du monde*. Extraits des *Ibar*, 2 vol., Paris, 1986 ; R. Pérez, *Ibn Khaldûn, La Voie et la Loi ou le Maître et le Juriste*. Paris, 1991 (traduction du *Shifâ' as-sâ'il*) ; A. Cheddadi a fait une nouvelle traduction de la *Muqaddima* à paraître dans la collection de la Pléiade chez Gallimard.

Traduction en anglais : W.J. Fischel, *Ibn Khaldûn and Tamerlane, Their Historic Meeting in Damascus 1401 A. D. (803 H.A.)*, Berkeley Los Angeles, 1952 ; F. Rosenthal, *Ibn Khaldûn, The Muqaddimah. an Introduction to History*, 3 vol., Princeton, 1958 ; cette traduction a été abrégée par N. J. Dawood, *Ibn Khaldûn, The Muqaddimah*, Londres, 1967.

Etudes sur Ibn Khaldûn. Pour une vue exhaustive sur l'ensemble de la littérature consacrée à Ibn Khaldûn jusqu'en 1980, voir l'ouvrage déjà cité d'Al Azmeh ; on ne retiendra ici qu'un choix très limité : A. Abdesselam, *Ibn Khaldûn et ses lecteurs*, Paris, 1983 ; A. Al Azmeh, *Ibn Khaldûn An Essay in Reinterpretation*, Londres, 1980 ; le même, *Ibn Khaldûn in Modern Scholarship*, Londres, 1981 ; J.-E. Bencheikh, *La poétique arabe*, Paris, 1975 ; A. Cheddadi, *Ibn Khaldûn revisité*,





ورغم ضعف وزن الخلوطين السياسي فإن الأحداث لم تكن لتستثنى مشاركتهم في أحداث فتنة مابعد وفاة المولى إسماعيل إلى استقرار الوضع مع اعتلاء محمد بن عبد الله أريكة العرش. ويدل ما قام به المولى عبد الرحمن بن هشام من نقل جماعة من الخلوطين إلى سهل سايس لتصبح ضمن فتنة الكيش على شيء من ذلك. وفي سنة 1262 / 1845 ثار الخلوطين على قائدهم بزعامة بوسلهام الكرتي الخلطي وهاجموا القصر الكبير. وقد تمكن القائد فرجي عامل فاس من إخضاعهم. وهذه كانت آخر تحركاتهم التاريخية.

تسامل في الأخير عن المجال الجغرافي الذي تحتله تجمعات الخلوطين إلى الوقت الراهن. وبالرجوع إلى آخر القرن الثالث عشر الهجري (19م) نجد أن أوغست موليير لم يحصل من مخبره على التقسيم الإداري السائد ببلد الخلوطين. متعللا بالمجالات المتنقلة عبر أراضي الهبط وأزغار. فلم يذكر سوى فرقة أولاد سليمان التي لا تبرز في أي تجمع قار. ثم فرقة الفشفاش وقرية بن عودة التي قال إنها مكونة من نحو عشرين دارا. وفي ما عدا ذلك فالمساكن تظهر في تجمعات الخيام التي تشكل الدواوير. ويمكن الاستفادة من الخريطة الملحقة بكتابه، إذ أنها تقسم مواطن الخلوطين إلى قسمين :

- يتمثل الأول باليسيط الذي يحده من الشمال مجرى وادي لكوس ومن الجنوب الغربي المرجة الزرقاء وسيدي بوسلهام بالجنوب الغربي وجبال سط وأهل سريف بالجنوب الشرقي.

ويشمل القسم الثاني بدوره اليسيط الممتد شمال مجرى وادي لكوس إلى أن تحده من الشمال مرتفعات وغابات قبيلة الساحل وجبال بني كرفط في الشمال الشرقي. ومعلوماتنا عن مجالات الخلوطين على عهد الحماية أفضل. فحسب معطيات الفترة الاستعمارية، أن عدد فرق الخلوطين وصل إلى اثنتي عشرة فرقة، بينما بلغ عدد الدواوير إلى 146 دوارا، وعدد الكوامين إلى 4916 كانون، وهو ما بينه الجدول التالي بالنسبة للفرق وعدد الدواوير :

الفرقة	عدد الدواوير	الفرقة	عدد الدواوير
عامر	3	بداوة	3
بجوير	18	شكران	16
دريسة	10	دوايسة	11
حرتام	16	صوالح	14
أولاد عمران	13	أولاد يعقوب	16
أولاد جلول	21	أولاد زيتون	3

ولا يختلف الأمر كثيرا عما أبرزه إحصاء الفرق والدواوير في آخر فترة الحماية، وهو ما يزال قائما. تتألف

وادي المخازن لصد زحف برتغالي، غير أنه أسر وسبق إلى أصيلا، حيث بيع بنحو 200.000 ريال، فتوصل إلى الاتفاق مع حاكم المدينة على اقتدائه بنحو 400 رأس ثور وبقرة. غير أن هذا لم يتم مثلما أراد، إذ أن الحاكم أصر على نقله إلى لشبونة، حيث مكث سنة كاملة، وقد أدركته منيته إثر رجوعه إلى أصيلا من فرط الأسى الذي لاقاه من تعنت حاكم المدينة.

واشتهر من شيوخ الخلوطين أربعة إخوة لا تعرف صلة القرابة بينهم وبين الشيخ عفان أو سابقه. أو لهم الخلطي الشيخ عمر الذي كانت له صلة بقائد إزاجن المسمى محفوظ. استشهد الشيخ عمر في إحدى غزواته المنظمة بمعية القائد محفوظ ضد أصيلا سنة 934 / 1527، وكان قد رافقه من فاس ومعه ثمانون فارسا.

وثاني إخوة الشيخ عمر هو المدعو الشيخ عفان، يظهر أنه قتل في إحدى المناوشات سنة 933 / 1526.

وثالث الإخوة يسمى الشيخ سعيد Cide أو السيد، كان في سنة 949 / 1542 ما يزال على قيد الحياة ويحميته خمسمائة فارس، تعرف عليه برناردو رودريكييس، صاحب حوليات أصيلا مثلما تعرف على رابعهم أخيه الشيخ قراوش. ربما من عين جمعة قراوش الواقعة بالقرب من تافراطست بالغرب على مقربة من الضفة اليمنى من واد ورغة. ظهر هذا الأخير بميدان أصيلا بجانب أحمد الوطاسي سنة 941 / 1534.

هناك ما يدل على أن الخلوطين كانت مجالاتهم تعم كل منطقة الهبط الممتدة على اليسيط الواقع بين أصيلا والقصر الكبير. نجد المثال فيما قدمته المصادر البرتغالية عن قرية الشيخ ناصر. نسبة إلى أحد شيوخ الخلوطين الذي كان حاكم عدد من القرى قبل الاحتلال البرتغالي، موافق على الأقل لعدد قرى الساحل الشمالي الذي نحن بصدد. وكان مقر إقامته بجوار قرية العقبة، وتدعى وحدها بقرية الشيخ ناصر. وفي سنة 920 / 1514 كان ما يزال بالمكان تحت حماية أصيلا.

ازداد تدعيم الخلوطين مع السعديين بالمشاركة الفعالة في معركة وادي المخازن. كان من ذلك أن حبيب المنصور إليهم الدخول في نظام الكيش، غير أن رأيه اختلف حينما عادوا إلى الإغارة على المناطق المجاورة، مثل بني حسن، مما اضطر المنصور إلى توجيه القائد موسى بن أبي حمادي العمري سنة 990 / 1584 ضدهم. ويدخل في هذا تحذير المنصور ولي العهد ابنه المامون من احتفاظ الخلوطين بالسلاح الناري. وفي سنة 1011 / 1602 كانوا يمثلون فتنة الرماة، إذ أن قوتهم الحربية كانت معدودة بنحو 8.000 محارب وأكثر من 50.000 مشاة. ومن المعلوم أن المجاهد محمد العياشي اعتمد عليهم في حراسة واقتحام ميدان المعمورة المحتلة من طرف الإسبان في جل الفترة الجهادية.

قبيلة الخلط من تسع فرق كبرى، ينضوي تحتها 172 دواراً. وتدرج بيانا عن الفرق وتوزيع الدواوير في الجدول التالي :

الفرقة	عدد الدواوير
جامع الطلبة الجنوبي	22
جامع الطلبة الشمالي	21
القصر الضواحي	12
القصر الحدودي	28
القصر الدهس	17
العوامرة الشرقية	18
العوامرة الغربية	21
ثلاثاء الريسانة الشمالية	18
ثلاثاء الريسانة الجنوبية	15

**الخلطي، مبارك** بن بدر الدين، قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة الخلط. انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف أحمد الريسوني ؛ وقد شارك في عدة معارك وفقد بصره في المعركة التي جرت باعلالش يوم ثاني أكتوبر 1919.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة شمال المغرب، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخلطي، محمد** (الصحافي) وكُد سنة 1908 في مدينة فاس حيث كان والده يزاول التجارة. ترعرع بالمدينة ذاتها وتابع بها دراسته الابتدائية والثانوية (ثانوية مولاي إدريس، 1918-1922).

وبين سنتي 1927 و1929 استقر به المقام في العاصمة الفرنسية باريس حيث تردد على ثانويتي شارلمان ولوي لوگران. ولما حصل على البكالوريا، التحق بكلية الحقوق لمتابعة دراسات قانونية. ولما أصدرت الحركة الوطنية مجلة مغرب *Maghreb* في باريس، تحت رعاية لجنة فرنسية - إسبانية، ساهم فيها محمد الخلطي بمقالات عديدة، كما تكلف بتنسيق نشاطها مع الوطنيين بالمغرب، خاصة بعد عودة أحمد بلانفريج إلى البلاد.

وفي سنة 1934 كان أحد أعضاء النخبة الوطنية النشيطة في فاس حيث أشرف على تنظيم فرقة من الكشافة المسلمين. وفي الوقت ذاته كان يتعاون مع محمد ابن الحسن الوزاني في إصدار جريدة *L' Action du Peuple* (عمل الشعب) حيث نشر عدة مقالات انصب معظمها على التنديد بالنشاط الصهيوني في المغرب وإقامة جسور الحوار مع الأقلية اليهودية المغربية قصد بعث الوعي الوطني فيها. وقد أولى الخلطي هذه القضية اهتماماً كبيراً جعل منه الصحفي المغربي المتخصص دون منازع في هذا الحقل.

وخلال سنتي 1936 و1937، وجد الخلطي مجدداً في باريس حيث اشتغل، إلى جانب كل من أحمد بن المعطي بوهلال ومحمد بناني، بتسيير جمعية التضامن والدفاع عن المغاربة في فرنسا، وهي الجمعية التي حظيت بالاعتراف الرسمي من لدن الحكومة الفرنسية في 15 يناير 1937.

وابتداءً من 1937 وبعد أن تولت الجبهة الشعبية زمام الأمور في فرنسا. أسندت إلى محمد الخلطي وظيفة إدارية في وكالة المغرب بباريس *Office du Maroc*، مما كان له أثر سئى على علاقاته ببعض زعماء الحركة الوطنية المغربية الذين اعتبروا قبوله لهذه المهمة مؤشراً على تراجعهم عن المبادئ التي كانوا يناضلون من أجلها.

مجلة، *Maghreb*، جريدة *L' Action du Peuple*، الأرشيف الديبلوماسي في نانط.

جامع بيضا

وبناء على هذا التوزيع يمكن رسم حدود مجالات تجمعات الخلوطن بالهبط وأزغار.

ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب : ع. ابن خلدون، العبر، المجلدان السادس والسابع : ح. الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1980 ؛ مارمول كرابخال، إفريقيا، الرباط، 1984 ؛ ع. بنمنصور، قبائل المغرب، الرباط، 1968 ؛ ضابط الأمور الوطنية، تطوان 1953 ؛ حسن الفكيكي، مقاومة الوجود الإسباني بالثغور الشمالية المحتلة، مرقون، الرباط، 1991 ؛ معلمة المغرب، المجلد التاسع.

Michaux-Bellaire et G., *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936 ; A. Mouliéras, *Maroc inconnu*, T. 1 et 2 ; Simons, *Les tribus arabes de la vallée du Lekus*, A. M., 1974.

حسن الفكيكي

\*\* ومن الخلط فرقة هامة من فرق قبيلة الأعشاش المنتمة لاتحادية الشاوية يظهر أنها من بقايا الخلط حيث تُكوّن مع المعاريف والأولاد وأولاد شعيب والحزازرة وأولاد عريف وإيصوف وأولاد الزيريق وأولاد حمامة وبني يمان قبيلة الأعشاش بالشاوية، وهي قبيلة ترجع أصولها إلى الجزيرة العربية.

دراسة ميدانية.

*Villes et tribus du Maroc. Casablanca et la Chaouia*, T. 2 ; Mège, *Note sur les Mzab et les Achache*, A.B., 1918.

علال الهدبي

**الخلطي، أسرة** تطوانية أصلها من قبيلة الخلط الهببية كان بعض أفرادها من العسكر النظامي بتطوان سنة 1830 / 1246.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطوان 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 625.

**الخلطي المودن**، بوسلهام بن علي من أولاد المؤذن إحدى فرق قبيلة الخلط المشهورة، كان فقيهاً وأستاذاً حيسوبياً ميقاتياً، تولى رئاسة علماء الميقات في زمانه. أشار ابن زيدان في الإتحاف إلى سبب تعليمه أن السلطان عبد الرحمن بن هشام - عند مقدمه لمكناس - أمر القائد محمد بن العواد الخلطي البوجونوني، باشا مكناس، بترشيح عشرة من طلبة الجيش البخاري لتعلم التوقيت والحساب، فكان بوسلهام من جملتهم، وكلف السلطان العلامة عد الرحمن بصري بتعليمهم.

كان الخلطي أنجب العشرة وأمههم، أحرز قصب السبق في التبريز في فنون شتى، منها الرياضيات والتعديل والتوقيت. ومكنه نبوغه العلمي من أن يحصل على ثقة السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام ويحظى لديه بالوجاهة والحظوة والمكانة. فلزمه في الحل والترحال.

كما كان السلطان يحضره ويأمره بالقراءة بحرف حمزة وهو منصت إليه، وكلما ختم ختمة - كما يقول ابن زيدان في الإتحاف - أفاض السلطان عليه سجال عطايه الملكية وغمره بيرة وإحسانه.

توفي المترجم عام 1265 / 1848 ودفن بروضة الشيخ الكامل محمد بن عيسى الفهدي، من ناحية باب البرادعيين.

ابن زيدان، الإتحاف، ج 2، ص 76.

رقية بلقلم

**الخلف**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الغربية بالقرب من مدينة أصيلا؛ وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 626.

محمد ابن عزوز حكيم

**ابن خلف الله**، خليف الصنهاجي، أبو سعيد، وُصف بكونه من أهل العلم والفضل والدين المتين، لا تأخذه في الله لومة لائم. تولى قضاء غرناطة في عهد الأمير المرابطي علي بن يوسف سنة 510 ثم نقل بعد خمس سنوات إلى قضاء الجماعة بمراكش. ثم قضاء فاس حيث توفي وهو قاض بها سنة 515 أو سنة 516.

ابن الأبار، التكملة، 314، ص. 850؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 193.

أحمد عزواي

**الخلفي، أحمد بن علي النجاري** الدكالي. لا يعرف تاريخ ولادته، كان من علماء دكالة وقضاتها. اشتهر بعد له وورعه وسعة علمه. حفظ القرآن الكريم في صغره ودرس ميادئ اللغة والعلوم الدينية ثم رحل إلى فاس في منتصف القرن الثاني عشر الهجري وطالت إقامته بهذه المدينة حتى سنة 1168 فأخذ بها العلم على يد الفقيه السيد عبد الله

السوسي وعلى يد علماء طبقة.

ولما رجع إلى دكالة أنشأ مدرسة لنشر العلم، فكان يقوم بإيواء طلبتها وإطعامهم وإقراهم، و اشتهر بورعه وسعة علمه، وأسندت إليه خطة القضاء في عهد السلطان سليمان، واشتهر بعدله وإقامة ناموس الشريعة في أحكامه، غير أن وظيفه هذا لم يكن ليشغله عن الاهتمام بمدرسته وعن متابعة التدريس بها إلى آخر حياته.

توفي قتيلاً أثناء رجوعه إلى بيته من سوق الثلاثاء بأبي ينور (سيدي بنور) قبل سنة 1238. وكان قد حكم على أناس فلم يرضوا بحكمه فاعترضوا سبيله وقتلوه. وقد تتبعهم السلطان المولى سليمان ونفذ فيهم الحكم بالإعدام.

ع. الكانوني، جواهر الكمال في تراجم الرجال.

محمد الشباطي

**الخلفي، أحمد بن همور** (الشيخ محند) خَلَفَ

والده في المشيخة أولاً وعرف بكرم الضيافة، وحبّه للعلماء، واحترام الشرفاء - كعادة أيت باعمران بصفة عامة - وكان الشريف ابن زيدان يعني هذا القائد وأمثاله بقوله : "ولأيت باعمران كرم زائد وشجاعة، وهم آباء الضيم أهل شمم ونخوة يحبون الغريب النازل بهم ويكرمون الضيف. لا سيما رؤسائهم، فإنهم يحبون العلماء ويجلونهم غاية...". الإتحاف، ج 2، ص. 210.

هذه الصفات كلها متوفرة في مترجمنا هذا وناهيك بمن لا يفارق على الدوام العلامة الحيسوبي محمد بن صالح التدرارتي والمفتي أبراهيم الباعمراني والحمزوي سعيد بن بهي العيني الذي حرره السلطان الحسن الأول سنة 1303.

وقد استطاع المترجم أن يحافظ على القبيلة الكبرى أيت بويكر أحيى المكونة من أيت النص حالياً ومن أيت خلف، وإيمستين وإد مוסاكنا إلى سنة 1299 عندما تسلم ظهيراً من السلطان الحسن الأول كعامل للسلطان علي قبيلة أيت خلف فقط : في سياسة تقسيم كل قبيلة إلى مَشْنَى وثلاث ورباع، وفي نفس التاريخ عين الوجداري إبراهيم على نصف قبيلة أيت بويكر باسم أيت النصف، ومفر قيادة هذا الأخير بإسكّ TSGG بينما مقر القائد أحمد بخميس أيت بويكر.

لذلك أسندت إليه قيادة محلة السلطان من محطتها بإسكّ إلى خميس أيت بويكر، وفي هذا الموقع المعروف بتيفزي "أعجب السلطان بالمكان فأمر مترجمنا هذا بشراء أرض هناك من مال المخزن حيث الشكنة العسكرية قديماً وحالياً" (معلمة المغرب، ج 8، ص. 2713 + الإتحاف، ج 2، ص. 243).

وفي مقر تيفزا هذا وسط أيت باعمران كتب السلطان رسالته التي يعتز بها أيت باعمران على الدوام منها "... كتبنا لك هذا يوم حلولنا وسط خدامنا قبائل أيت بوعمران بحبوة مجامع قبائل سوس الأقصى ومناخ الأعيان..."

عن مذكرات عمه القاضي الخلفي محمد بن محمد الخلفي، رسائل  
أحمد الهيبية : ح. جهادي من تاريخ أيت باعمران، مرقون.  
الحسين جهادي

**الخلفي، سعيد** بن عبد الله المحمدي الدكالي، أحد  
كبار علماء المغرب المتنورين في نهاية القرن الثالث عشر  
وبداية الرابع عشر الهجري. ولد بمدينة الجديدة حيث تلقى  
تعليمه الأولي، ثم جال في مختلف أنحاء المغرب ورحل إلى  
المشرق طلباً للعلم. ودامت رحلته نحو عشرين سنة. ولقد  
استفاد كثيراً مما رآه من مظاهر النهضة الأوربية في سائر  
العلوم والتقنيات المعاصرة له، وأدرك مدى تخلف وطنه عن  
الركب الحضاري والعلمي الأوربي. فكتب للسلطان المولى  
الحسن تأليفاً في السياسة المستحب اتباعها لإنقاذ البلاد  
من مخاطر الاستعمار الأوربي. وعنون مؤلفه هكذا ورده  
الناشئ وروضة العاشق، أو التحفة الدكالية إلى الحضرة  
العالية. وقد رتبته على خمسة أبواب، بكل باب ثلاثة  
فصول. يبرز في هذا التأليف محور أساسي ركز فيه المؤلف  
على التنبيه إلى أمور الدين وإصلاح ما اختل من شؤون  
الثغور الساحلية في وقت استفحلت فيه دول أوربا. أما  
المحوران الباقيان، فالأول منهما عرف فيه بنفسه عن  
رحلاته واغترابه وعن محفوظاته وآثاره، وخص الثاني  
للتعريف بالسلطان مولاي الحسن الأول وسرد تاريخه ونسبه  
وحسن سيرته ومذهبه في شؤون الحكم، ومواقفه تجاه  
أجناس أوربا.

وكان تأليف هذا الكتاب سنة 1304 / 1886 بمصر، وعند  
رجوع المؤلف إلى المغرب قدمه إلى السلطان إرشاداً له  
وتنبيهاً.

توفي سعيد الخلفي في العشرة الأولى من القرن الرابع  
عشر الهجري (20 م) بمدينة أسفي.

م. الكانوني، جواهر الكمال في تراجم الرجال، القسم الثاني،  
مخطوط.

عبد الرحيم العطاوي

**الخلفي، علي** بن الشيخ هَمَو. أخذ القرآن عن عميه  
الحسن بن أضرصور وعلي من بني الشيخ هَمَو الحمزاوين،  
ولما استكمل مراده انتقل إلى قبيلة أَمَلَن بالأطلس  
الصغير، وهناك عكف مدة طويلة عند شيخه الحاج أحمد بن  
عبد الرحمان التملي الذي وصفه صاحب المعسول بقوله :  
"كان متناهما في الفضل والورع والزهد، جبل في المعارف  
على اختلاف فنونها" رجالات العلم العربي بسوس، ص.  
107.

تحلى علي الخلفي بكثير من صفات شيخه النبيلة، وحب  
معه سنة 1280 وهو الذي عينه قاضياً على قبيلة أيت  
إخلف، كما عين تلميذه الآخر أحمد بن الحسن المرسي على

وبما أن قبيلة هذا القائد كانت محايدة للمحيط  
الأطلسي فقد كان من العمال المكلفين بحراسة تلك  
الشواطئ، كما ورد في عقد الإيثار وما ورد في رسالة  
السلطان "... ختم العمال منهم بخواتم عمالاتهم على عقد  
الإيثار تأكيداً للقصد، وتأسيساً للمراد، كما أشهد أهل  
السواحل منهم بالتزام جعل العسّات في مراسي  
سواحلهم..." (الإتحاف، ج 2، ص. 316. وفعلاً قام هذا القائد  
بأول بناء للحراسة البحرية في إفني في موضع إدفقير  
ومازال ذلك المكان محترماً كرمز لوجود المخزن حتى الآن.

وما كادت القبائل هناك تسمع بموت السلطان الحسن  
الأول (1311) حتى انقضت كل قبيلة على غيرها، فهدمت  
جميع ديار القادة بأيت باعمران وما حولهم ما عدا دار  
مترجمنا هذا، وكذلك القائد البشير بن القائد لحسن أصبايو  
"طاقة ربحان من روضة الأفتان، ص. 28".

وفي تلك الفترة أصيبت سوس بجفاف تام فحدث أن  
ظهر التاجر كورطيس بمرسى أساكا بين أيت باعمران  
والتكنة، فأضعفت المجاعة الروح الوطنية لدى البعض  
هنالك، منهم مبارك ندياكو، الذي كان يبيع ويشترى مع  
ذلك التاجر، إلى أن قبض عليه صحبة الأجنبي فجر ذلك  
مع القافلة مترجمنا هذا كشاهد على عدم شرعية الاتجار  
هناك مع الأجانب، ولما كان كبير السن، وكان الوزير بآ  
أحمد بن موسى يكنى عدواً لكل قائد نجح من فتنة القبائل  
أمره بالإقامة بمراكش ملازماً ضريح أبي العباس السبتي  
حتى توفي سنة 1316 / 1898.

ع. ابن زيدان، الإتحاف، ج 2، م. المختار السوسي، المعسول، ج 10  
: معلة المغرب، ج 8، مادة تغزي : الأكراري، روضة الأفتان، ص  
216، ظهائر مخزنية.

**الخلفي، الحسن** بن علي ابن الشيخ هَمَو، كان  
خليفة لأخيه القائد مُحَنَد، وهو المكلف بتسيير أمور  
القبيلة، والدخول في الحروب القبلية ومقارعة الخصوم،  
وشارك في ثورة أحمد الهيبية، لذلك عين من طرفه قائداً إلى  
جانب أخيه القائد محند، ولدي رسالتان لهذا الأمير :  
الأولى سنة 1332. تسميه بالشيخ الحسن والثانية سنة 1333  
تصفه بالقائد الحسن الخلفاوي. وقد حاولت السلطة المركزية  
ضم هذه الشخصية إليها، لكنه رفض، وخاصة عندما خرج  
ضابط ألماني مع تركي في شاطئ قبيلة أيت إخلف  
فأوصلهما إلى الأمير أحمد الهيبية بكاردوس.

كما قاد الحسن الخلفي معارك قبلية ضد حكام تيزنيت  
الموالين للحماية، وكذلك ضد الوجداري القائد إبراهيم  
والقائد محمد البويكريين حتى قتلها معا، لذلك دس له قائد  
ماسة سناً فمات في 11 ذي الحجة عام 1333 / 21 أكتوبر  
1915.

قبيلة أيت النصف.

باعمران، وخاصة في قبيلة هذا الشيخ.  
وقد اطلعت على عدة رسائل كانت تأتي إليه من  
قنصل الإسبان من مدينة الصويرة، لكنه لم يقبل قط أن يمد  
لهم اليد رغم جميع الإغرامات، وإليه يرجع الفضل في  
المصالحة بين القبائل في تلك الفتق، حتى إن قبيلته أيت  
إخلف حاول الحصوم تقسيمها إلى عدة مشيخات، فكان  
يعالج ذلك كله بالتعقل وبالتي هي أحسن، فحافظ على  
مركزه وسمعة قبيلته حتى توفي سن 1347 / 1928.

**الخلفي، محمد أويحيى**، من قبيلة أيت إخلف من  
فخزة إبلقاسم، أخذ القرآن وبعض الروايات في بلدته، ثم  
التحق ميكراً بالمدرسة التيمكديشية حتى تخرج منها فقيها  
صوفيا عمليا، فرجع إلى قبيلته وصار قاضيا ومعلما  
ومريبا، فأضاف لعائلته شهرة على شهرة، فاشتهر بعدله  
بين الناس، لا تستميله ثروة غني، ولا تخيفه سلطة قوي.

وترجع أهمية هذا القاضي إلى مستوى ثقافته وتوثيقه  
وانتشار أحكامه بين الناس من جهة، وإلى نزاهته وعدله  
في ظروف قاسية بسبب مجاعة عام 1295 / 1878 من جهة  
أخرى، هذا وقد عثرت على عقود وبيعوات لبعض العدول  
هناك، كانت كلها زوراً بسبب فقر الفقهاء المضطرين إلى  
كتابة تلك العقود مقابل عبدة من الشعير، ومن الطريف أن  
يكتب الكاتب "هذا بيع قاطع لا رجعة فيه أبدا مؤبدا..."  
لكن في النهاية يكتب "هذا العقد من باب تدبير المعاش  
فقط" أي زور مضطر كاتبه، وكم من عائلة بأيت باعمران  
باعت عقاراتها بكيس من الشعير فالتحت بحاجة وأسفي  
ومازالت لدينا بعض العقود شاهدة على ذلك.

في تلك الظروف القاسية وقف محمد أويحيى في وجه  
الزور رافضاً المزورين في شؤون العدالة، وكان عارفاً  
بالقبيلة كلها، لذلك كان يقبل شهادة شاهد واحد عدل،  
نظراً لقلّة السكان ولتأثير المجاعة في ضعف الفقهاء. "كاد  
الفقر أن يكون كفراً" كما كان يرفض بيع المكره بسبب تلك  
المجاعة، ومازالت أحكامه محترمة لدى العدول هنالك لا  
يتطرق إليها الشك.

وكان القاضي محمد بن محمد الخلفي، يشيد بعدالة  
المتروك له، ويقول أمام الناس: "إن شهادته وحده تعادل  
اثني عشر شاهداً، ويرجع إليه الفضل في حماية حقوق  
الناس في تلك المجاعة".

اطلعت على كثير من أحكامه، وكلها تبرز مكانته  
الفقهية بالإضافة إلى نشر الطريقة الناصرية الصوفية بأيت  
إخلف.

توفي حوالي 1296 / 1878.

ح. جهادي، جانب من تاريخ أيت باعمران: جولة في عين المكان  
سنة 1980.

**الخلفي، محمد (الحاج -) بن سعيد بن الشيخ**

ونظراً لورع علي هذا وزهده، ونظراً لمكانة ابنه القائد  
محمد والحسن، فقد تخلّى عن القضاء إلا قليلاً، كأنه لا  
يريد جمع السلط كلها في عائلة واحدة، لذلك اكتفى  
بالتدريس والإرشاد، ومن أعماله تحقيق العمل السوسي  
لوالد شيخه عبد الرحمن، وعليه اعتمد الرحمانى عبد  
الكوشينبي في إخراج ذلك العمل السوسي.  
كان معلماً لعائلته من ذكور وإناث، وأحرار وعبيد،  
وأحكامه موجودة في أيدي الناس. تمتاز بدقة التوثيق،  
ومتانة العبارة، والسير مع القول المشهور، وقد ترك خزانة  
مهمة من المخطوطات في الفقهيات والروايات واللغويات.  
توفي حوالي 1312 / 1895.

**الخلفي، مبارك بن القائد أحمد بن الشيخ همّو**، أخذ  
القيادة من السلطان مولاي يوسف وكذلك من الأمير أحمد  
الهيبة، بعد موت ابن عمه الشيخ الحسن، ولدينا عدة رسائل  
من الأمير مُرَبِّيه ربه منها: "خدينا الأرضى القائد مبارك  
الخلفاوي رعاك الله... ويسند إليه أموراً توجد في قبيلة  
أيت برايم كالمحافظة على الخيل وجمع الإعانات  
الزراعية... رغم أن القبيلة خارج أيت باعمران. كما لدى  
لائحة أخرى بما يجمعه إنفلاس من أيت باعمران من زكاة  
وأعشار ومفروضات تحت رئاسة القائد مبارك هذا باسم  
الأمير مُرَبِّيه ربه مما يدل على أنه عمدته هنالك.

تدخلت اليد الأجنبية في أيت باعمران. فاضطر هذا  
القائد إلى خوض معارك قبلية استمرت سنة كاملة من  
1339 إلى 1340 ويعد عقد الصلح فرض على القبائل أداء  
ثمن الخيل المقتولة في الحرب، لأن أيت باعمران في الحروب  
يدفعون ثمن الفرس، ولا يطالبون بدية الفارس في المعركة  
حسب العرف، فبينما كان يجمع تلك الفريضة، وهي ثقيلة  
على الناس، إذ لم يستثن فيها هذه المرة لا عالم ولا شريف،  
وفي أثناء ذلك مات قيل بالسم، وقيل بمرض مفاجئ، وذلك  
سنة 1340 / 1921.

عن مذكرات القاضي محمد بن محمد الخلفي: ح. جهادي، جانب  
من تاريخ أيت باعمران: مخطوط.

الحسين جهادي

**الخلفي، محمد بن أحمد بن الشيخ همّو**، تولى  
مشيخة قبيلة أيت إخلف بعد وفاة أخيه القائد مبارك، سنة  
1340 وقد اشتغل قبل ذلك بالتجارة، رابطاً بالفاقلة ما بين  
أيت باعمران والصويرة، وخلال ذلك كسب تجارب عديدة في  
المعاملات مع الناس، لذلك انتخبته القبيلة خلفاً لأخيه في  
ظروف صعبة، منها الحروب القبلية هناك، فاضطر إلى أن  
يقود الفرسان في المعارك، مما أدى إلى إصابته بالرصاص  
عدة مرات، كما حاول الإسبان الخروج في سواحل أيت

علال بن الشيخ عبد المومن ابن الشيخ محند بن الشيخ علي بن علي (مكرراً) بن الشيخ بهّا. وسلسلة هذه العائلة قديمة في مشيخة قبيلة أيت بويكر الباعمرانية، وقد يتبادر إلى الذهن أن المشيخة كانت وراثية، وليس الأمر كذلك في أيت باعمران حسب عرفهم، إذ كلما توفي شيخ القبيلة أو أمغارها، إلا واجتمع إنفلاس، ويعينون بانتخاب علني من هو أهل لزعامة القبيلة.

وكلما تم الاتفاق إلا ويكتب ويلتزم به الجميع، ولدى هذه العائلة وثيقة عن نقل المشيخة من الشيخ بلقاسم المسن إلى ابن أخيه الشيخ باها وذلك في سنة 1592 / 1000 وتعلل الرواية الشفوية انتقال مشيخة القبيلة بعدة أسباب منها حيوية مترجمنا هذا وقوته الشخصية، وكذلك ظهور الكفار في شواطئ أيت باعمران، والقبيلة بحاجة إلى زعيم شجاع. ونحن إذا رجعنا إلى هذه الفترة التاريخية بسوس عامة نجد سندا لتلك الرواية الشفوية، لدى صاحب الاستقصا الذي ينقل بدوره عن صاحب زهرة الشماريخ "أن سبب قيام أبي عبد الله القائم أن أهل سوس أحاط بهم العدو الكافر، ونزل بجوانبهم من كل جهة، حتى أظلم الجو، واستحكمت شوكة البرتغال..." (الاستقصا، ج. 5، ص. 6).

فهذه العائلة إذن قامت منذ البداية على أساس الجهاد والدفاع عن الوطن، بالإضافة إلى حسن تسيير شؤون القبيلة والمحافظة على تماسكها ووحدتها كما هو مثبت لدى العائلة حتى الآن.

والذي عثرنا عليه أن والد المترجم له الشيخ سعيد عاش حتى سنة 1159 كما حجج مترجمنا هذا سنة 1206 ولما رجع صادف في أيت باعمران ثائراً "يزعم أنه السلطان اليزيد بن سيدي محمد بن عبد الله ثار في بعمرانة..." (خلال جزولة، ج. 4، ص. 46) وهذا الثائر هو بوحلاس "مخطوط الأدوزي نسخة بخط حسن بن البريك الباعمراني".

وقد انحرف مترجمنا هذا بتييار مع الثائر، إلى أن توصلت أيت باعمران برسالة مخزنية تؤكد على موت المولى اليزيد براكش، كما أن رسائل الشيخ التاساكاتي الوعظية أزالت الغشاوة على أتباع بوحلاس، فانفض عنه أيت باعمران وهو محاصر في قرية العوينة قرب تيزنيت حيث قتل سنة 1207 هذا وقد جرح مترجمنا في تلك المعركة بالعوينة، وشاع عنه أنه كان يردد الحمد لله الذي نجانا من اتباع الظالمين.

توفي حوالي 1255 / 1839.

**الخلفي، مُحَنَّد بن علي بن الشيخ هَمَو** البوكرري، قال عنه الأكراري "أخذ القيادة بعد عمه أحمد بن الشيخ هَمَو عند السلطان مولاي عبد العزيز فلم يساعده الوقت، ولا أكل منها ولو قلنا..." (روضة الأفتان، ص. 191).

نعم تسلم القيادة على قبيلة أيت إخلف سنة 1316 /

1898 فقام بالواجب أحسن قيام، ويقدر ما كان شجاعاً، يقدر ما كان متواضعاً وداهية في إدارة المعارك، ولما ظهر أمر الأمير أحمد الهيبة بتزيت سنة 1912 كان مترجمنا هذا من بين المتحمسين للجهاد والدفاع عن الوطن، ومع ذلك تريت قليلاً عن الالتحاق بالأمير المجاهد، ولدينا رسالة من الهيبة إلى هذا القائد مع أخيه الحسن بن علي يحثهما على مزيد من الحزم والتزود للجهاد.

وقد شارك هذا القائد في معركة سيدي بوعثمان 1912؛ فتنجا بأعجوبة من مدافع العدو، ولما رجع إلى بلاده كان سدا مانعاً أمام حملات الحماية إلى تلك الجهات، وهو الذي ترأس المقاومة ضد حملة الباشا حيدا بن مايس إلى أن قضى على حملته بكاملها في معركة إيكالفن 1917 م فبعث إليه الهيبة رسالة يهنئه بالنصر على الأعداء.

وفي 27 جمادى الثانية عام 1335 قدم إلى أيت باعمران الجنرال دولاموط De Lamothe بحملة مسلحة كبيرة قصد رد المدافع التي غنمها أيت باعمران في حملة حيدا، فنزل فجأة بإيسك فاضطر إلى الرجوع إلى تيزنيت في أقل من أسبوع، وفي تلك المعركة استشهد هذا القائد مع أخيه الشيخ محمد وشارباط وكثير من أبطال أيت باعمران يُعرفون بشهداء معركة تيزي 1917.

### الخلفي، مُحَنَّد بن محمد بن الشيخ هَمَو. تخرج

على يد شيخه مبارك البعقيلي بمدرسة أحرِب العتيقة بأشتوكن، سنة 1318 كما أخذ الروايات القرآنية عن عميه لحسن بن أضرصور وعلي، وشارط في مدرسة ميرلفت سنة 1318.

وهناك ارتضاه فريق من القبيلة كقاضٍ. كما ارتضى فريق آخر فقيهاً آخر، ومعنى ذلك أن الحكيمين سيرضان على قاضٍ ثالث، وسجل هذا الفقيه المحنة التي أوقعه فيها ذاك الحكم، مما اضطره إلى أن يستعين بشيخه القاضي بأشتوكن، مما جعل حكمه مقبولاً وسلم به حتى القاضي الموازي له. فكان ذلك بداية شهرته.

والحق أنه كان متوسطاً في الأسلوب العربي، يقدر ما كان متمكناً من الفقيهاً، واستفاد من خزنة عمه سيدي علي، زواج بين التعليم والقضاء مدة طويلة، وإليه يرجع الفضل في تعليم أجيال في تلك الجهات، وخاصة تلقين رواية المكي والبصري وقالون وورش.

كما استمر في القضاء حتى تدخل فيه الإسبان، فقدم استقالته بالانسحاب، ورفض أن يأخذ له الإسبان ولو صورة واحدة، ولا أن يسجلوه ليأخذ السكر والشاي حسب الإحصاء هناك من طرفهم.

كان محمد الخلفي دائماً يربط العلاقة بالمراسلة مع المخزن المغربي في الحماية الفرنسية بدعوى أنها باسم السلطان، وقد ساهم في تحريك الجماهير بالوعظ والإرشاد

**خلفيات الخيشوم، Opithabranches** هي حيوانات من مجموعة الرخويات، نفس المجموعة التي ينتمي إليها الحلزون والأخطبوط أو بلح البحر مثلاً إلا أن أهم ما يميز خلفيات الخيشوم هو - كما يدل اسمها على ذلك - هو الخياشيم التي توجد في وضع متأخر خلف وضع القلب داخل الجسم كما أنها تمتاز بالنسبة لمعدبات الأرجل الأخرى بعدم تعرضها للالتواء الذي تعرضت له أماميات الخيشوم أثناء تطورها.

قد يكون من المستحيل التعرض والتطرق إلى تبيان خصوصيات هاته الحيوانات بشكل عام نظراً لتنوع أشكالها وألوانها وطريقة عيشها إلا أنه يمكن تبسيط التصنيف العلمي لهاته الرخويات، حيث إن أهم المجموعات التي تضمها خلفيات الخيشوم هي :



خيشومات القواقع

- 1 - المجموعة الأولى ويطلق عليها Tectibraneher وتتميز بتوفرها على صدفة صغيرة قد تكون ظاهرة للعيان كما قد تكون مخفية تحت الجلد، ومن أشهر أنواع هاته المجموعة ما تطرقنا إليها في حرف "أ" تحت اسم "أرنب البحر" التي تكثر في المياه السطحية وخاصة الغنية بالمواد العضوية والمياه الملوثة. كل أنواع هاته المجموعة قعرية ولا تحمل أية زوائد تنفسية فوق سطح الجسم.
- 2 - المجموعة الثانية وهي ما يعرف تحت اسم "Nudibrancha" وتتميز كما يدل اسمها اللاتيني على ذلك بجسم عام لا تحميه أية صدفة سواء كانت داخلية أو خارجية، كما تتميز بوجود زوائد تنفسية أو خياشيم كثيرة العدد موزعة في أغلب الأحيان على كل سطح الظهر. وإلى هاته المجموعة تنتمي أجمل أنواع الرخويات وأكثرها نضارة لا من حيث الأشكال فقط بل من حيث الألوان وهي كذلك رخويات قعرية.
- 3 - أما المجموعة الثالثة فتحتوي كل الرخويات خلفيات الخيشوم التي بعد تطورها أصبحت تعيش بين العوائل. فمعظم أنواع هاته المجموعة يتوفر على جسم وعلى صدفة شفافتين يمكنها من تمويه ماء البحر وبالتالي النجاة من مطاردتها وكذلك الانتفاض بسهولة على طرائدها حيث إن كل أنواع هاته المجموعة تعتبر من اللاحمات.

عندما سمع بعقد الحماية على المغرب، وكان دائماً يخوف الناس من الأجانب ومن تدخلهم في الدين والوطن، وقد رزقه الله زوجة مثقفة وهي سلطنة بنت القائد أحمد، وقضيا حياتهما في المطالعة والعبادة وإرشاد العباد، وترك خزانة من المخطوطات أهمها الفقهيات. ولد سنة 1294 وتوفي رحمه الله سنة 1384 / 1964، فشهرت السلطنة قبره هناك لمكانته في تلك الجهة، ولترحم عليه، ومن آثاره عدد من الأحكام القضائية وخاصة الميراث وقسمة العقارات. بالإضافة إلى رسالة منه إلى الأديب المشهور الطاهر الإفرائي. كما كتب إليه صاحب الميسول قائلاً : "اكتب لي عن أحداث هذا القرن هناك".

وكما يسجل في مذكراته كل ما يقع هناك من أحداث تستحق التسجيل، ومنه استفدت كثيراً لأنه شيعي ومن عائلتي فرحم الله تلك الهمة النادرة.  
ح. جهادي، جانب من تاريخ أيت باعمران.

**الخلفي، هَمَو** (الشيخ محند) بن محمد بن سعيد بن علال البويكري، من قبيلة أيت إخلف. تولى مشيخة القبيلة بعد وفاة والده ولا تعرف بالضبط متى تم ذلك، لكن لدينا رسالة مخزنية إلى هذا الشيخ بتاريخ 1202 / 1787 من السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي. وفي سنة 1240 / 1824 توصل برسالة أخرى من السلطان مولاي عبد الرحمن العلوي، يزكي فيها مشيخة الخلفي هذا، ويدعوه إلى التعلق به والزيادة في ربط العلاقة.

وقد كان هذا الشيخ عينا للسلطة المركزية في تلك النواحي، وشاعت له سمعة حميدة هنالك، حتى إن العائلة مازالت تعرف بهذه الشخصية رغم من فيها من قادة كبار، وعلماء وقراء، وذلك يرجع إلى عدله وتدينه، وحيه للعلماء. ومع ذلك فقد حدث أن قتل شخص من عائلته، فاتهمت القبيلة الشيخ نفسه بالقتل، فهدمت داره حسب العرف، وبما أنه هو الساهر على تنفيذ العرف، فعليه أن يغادر البلاد، وفعلاً رحل بعائلته قاصداً صهره بأكلو، وبينما هو نازل على أنفلوس العباوي إذا بأعيان القبيلة يعثرون على القاتل، فأرجعوا الشيخ همو من جديد إلى مشيخته، ثم قامت القبيلة بإعادة بناء الدار التي هدمتها، فسميت بقصبة الشيخ هَمَو. وهناك نزلت محلة السلطان الحسن الأول سنة 1303.

توفي همو الخلفي بعد عمر طويل سنة 1218 / 1803 حسب قسمة تركته بخط القاضي أحمد بن إبراهيم السملالي.

ظهائر سلطانية ورسائل من أحمد الهيبة ومربيه ربه.

الحسين جهادي



تعليمه الابتدائي، وقد انتقل إلى مدينة الرباط حيث تلقى تعليمه الثانوي في كوليغ مولاي يوسف ما بين سنوات 1922 و1926 حيث نال "شهادة الدروس الثانوية الإسلامية".

بدأ مسيرته في التعليم فشغل منصب معلم بمدينة طنجة سنة 1926 ثم انتقل بنفس الصفة إلى مدينة تازة في أكتوبر سنة 1928 فاستقر بها حتى يونيو سنة 1930 فعاد إلى الرباط حيث عين كذلك معلماً في الأقسام الابتدائية التابعة لثانوية مولاي يوسف.



وكان أثناء اشتغاله بالتدريس لم يتوقف عن الدراسة وتابع تكوينه العلمي والتربوي فحصل على دبلوم اللغة العربية (D.A.C) من معهد الدراسات المغربية العليا بالرباط سنة 1931 كما أحرز على الإجازة في الأدب العربي من كلية الآداب بوهان بالجزائر سنة 1934. وبعد ذلك عين أستاذاً لتعليم الأدب العربي والترجمة في نفس مؤسسة مولاي يوسف حيث درس على يده الكثير من الأجيال من اشتهر اليوم في مجال الثقافة المغربية. وكان في الوقت نفسه يدرّس اللغة العربية والترجمة في معهد الدراسات المغربية العليا ومركز تكوين المعلمين بالرباط، واستمر في نفس المنصب إلى سنة 1956 حيث عين مفتشاً للغة العربية حتى سنة 1972 فأحيل على التقاعد بعد أن قضى في مهنة التعليم والتأطير التربوي زهاء 47 سنة.

- ألف كتاب صور ومشاهد من الحضارة الإسلامية في جزين، دار الكتاب، 1961. وكتب عدة مقالات عن شخصيات مثل دوكاستري، وميشوبيلير وعبد الرحمان المجذوب، وعلي باي. نشرت بمجلة دعوة الحق بين سنة 1965 و1974. كما ألف أو شارك أو أشرف على تأليف كثير من الكتب المدرسية في التاريخ واللغة العربية وآدابها.

- ترجم كتاب مؤرخو الشرفاء للمؤرخ ليفي بروفينسال، وهو آخر عمل أنجزه سنة 1977، وللمترجم مذكرات مخطوطة باللغة الفرنسية. بالإضافة إلى كل هذا كانت للخلادي رحمه الله خزانة مهمة.

توفي بالرباط في يونيو 1977.

مؤلف عن حياة الخلادي لدى ولديه ؛ رواية شفوية عن بنته.

عمر أفا

تعيش خلفيات الخيشوم حسب تنوع المواطن التي توجد بها، إلا أنه يمكن الجزم أنه على الصعيد العالمي لا يوجد أي نوع يعيش على اليابسة وأن هناك نوعين اثنين يعيشان في المياه القارية وكل الأنواع الأخرى، وعددها المئات، تعيش في مياه البحر.

هناك أنواع تعيش في منطقة المد والجزر وهناك أنواع تتحمل بكل سهولة ضغط الأعماق السحيقة ؛ وهناك أنواع تعيش فوق الصخور وهناك أنواع لا يمكنها أن تعيش إلا داخل الرمال والأوحال ؛ منها العاشبات والكثير منها لاحمات ؛ منها ما يزحف على القعر ومنها عوالت لا تصل إلى القعر أبداً.

عدد الأنواع المغربية لم يحدد حتى الآن والأبحاث جارية إلا أن آخر دراسة في سنوات السبعين أعطت حوالي عشرين نوعاً ونحن نظن أن عدد خلفيات الخيشوم قد يتعدى الخمسين نوعاً وآخر نوع اكتشفه العلماء الإسبان على السواحل المغربية هو Tanbja ceutae اسم يرمز إلى مكان اكتشافه وهي مدينة سبتة المغربية وذلك سنة 1993.

Anonyme, Alfa sciences, 1974 ; Anonyme. Les animaux. Encyclopédie des animaux dans la nature, vol. 3, Animaux de la mer. Hachette Edit., 572 p., 1980 ; H. Boue et R. Chanton, Biologie animale. Zoologie, Invertébrés. Doin et Cie Edit., 723 p., 1962.

محمد منبوي

**الخلادي، أسرة تطوانية أصلها من غمارة، وقد انقرضت بتطوان.**

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 620.

**الخلادي، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة صنهاجة، انتقلت إلى تطوان في أوائل القرن الثالث عشر الهجري وكان جل أفرادها من العسكر النظامي بالمدينة من سنة 1292 إلى سنة 1295 (1875 / 1878) منهم : قدور بن محمد الخلادي، قائد وإليه تنسب زنقة الخلادي بحومة العيون، و محمد بن عبد الملك الخلادي جندي.**

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 621.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخلادي، عبد القادر بن محمد عدو، ولد بمدينة مغنية بالجزائر بتاريخ 26 دجنبر 1907، وعندما بلغ الخامسة من عمره هاجر والده من الجزائر واستقر مع أسرته بمدينة وجدة بالمغرب سنة 1912 فترى في هذه المدينة وفيها تلقى**

وهكذا يكون نتاج محصولها قد غطى مصاريف الزواج والحج، ونفقات الزاوية ؛ مما يدل على شساعة المساحة المحروثة، ووفرة المحصول.

ولعل انتقال ملكية هذه الأرض إلى الناصريين، كان سببا في تطور زاوية الهناء الناصرية، التي تأسست بحاميد الغزلان.

م. المكي الناصري، *الروض الزاهر*، تح. المهدي الغالي، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرياض، 1999 : أ. الناصري، *طلعة المشتري* ؛ ج. اليوسي، *فهرسة* ؛ م. بن الطيب القادري، *نشر الثاني*، ج 2، التحري الميداني.

أحمد عمالك

**ابن خَلُو**، أسرة تطوانية أصلها من بني يدر القبيلة المجاورة لمدينة تطوان، وقد انقرضت هذه الأسرة سنة 1241 / 1825.

**خَلُوف**، ويكتب أحيانا الخلوف، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الخلط، انقرضت بتطوان سنة 1260 / 1844.

**خَلُوف**، **أحمد بن عبد الله** كان يرأس فرقة البحرية التابعة لحامية تطوان سنة 1242 / 1826.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطوان 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 232 و1610.

محمد ابن عزوز حكيم

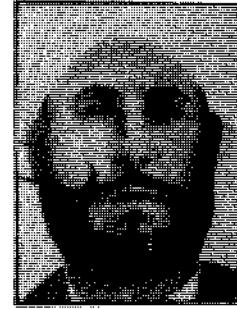
**خَلُوفِي**، **عبد القادر** مقاوم، ولد سنة 1902 ببويحيى إقليم الناظور، التحق بصفوف جيش التحرير ملبياً نداء الوطن للدفاع عن حرية وطنه وكرامته، فرباط مع وحدات جيش التحرير ضمن فرقة بوحاتات بمركز بوسكور، وهو ما عرف بمثلث الموت، وذلك تحت مسؤولية السرجان الحسن وملال عبد القادر. وقد ظل خَلُوفِي مرابطاً هناك إلى أن حصل المغرب على استقلاله. وأدركته الوفاة سنة 1416 / 1995.

المنذوبة السامية لقديما المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال.

**الخَلنج** جنس نباتي يسمى علميا إيريكا Erica وهو من فصيلة الخلنجيات Ericaceae اسمه بالفرنسية Bruyère يضم الجنس عدة أنواع توجد منها ثمانية بالمغرب تصادف في الشمال والشمال الغربي في المناطق البيومناخية شبه الرطبة والرطبة جداً. وأشهرها النوع الشجري إيريكا أربوريسانس Erica arborescens.

والخلنج شجيرة يمكن أن يبلغ علوها ما بين ثلاثة أمتار

**الخلادي، مروي بن محمد**. مقاوم وكُد سنة 1915 بمغراوة إقليم تازة، ومن أجل تحرير البلاد واستكمال وحدتها الترابية انخرط في صفوف جيش التحرير منذ تأسيسه بالمنطقة الشمالية حيث كان ضمن التشكيلة التي يرأسها حسن بوحاتات.



وكان مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله معروفا بغيرته الوطنية متحمسا في إيمانه، شارك في عدة معارك ضد العدو أبان فيها عن شجاعة كبيرة إلى أن استشهد برصاص العدو في شهر دجنبر 1955 في مكان يدعى بزيزو.

المنذوبة السامية لقديما المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، ص 196.

**الخلعة**، عَلم على أراضٍ شاسعة المساحة، شديدة الخصوبة، تمتد بواحات محاميد الغزلان، يميل لون تربتها إلى السواد (*الروض الزاهر* : 167) ؛ وهي جزء من أراضي المعدر الممتدة على يمين وادي درعة، حين ينعطف في جريانه نحو الغرب.

كانت هذه الأراضي في ملكية الزاوية الناصرية. يتحدث الشيخ مَحمد بن ناصر (ت 1085 / 1674) عن كيفية انتقال ملكيتها إلى تامكروت فيقول : "وكانت ساقيتها فسدت وتعطلت، فجاءني أربابها، فقالوا : إن أحببت لنا هذه الساقية فلك نصف الأرض. فتعاقدت معهم على ذلك... قال : فخرجت أنا ونفر من الإخوان إليها فحرقناها فسلمها الله، وطلعت، فكنا نحرثها.." (*طلعة المشتري*، 1 : 171).

ويسبب شدة خصوبتها، تعطي محصولاً جيداً من الحبوب متى توفر الماء ؛ حتى شاع أنه "لو كان في المغرب خلتان ما انبأ [كذا] الزرع بدهمين..". وهذا من جملة ما يستدل به على وفرة محاصيلها.

ومصادق ذلك نستجليه من قول الشيخ المذكور، حيث جاء في معرض حديثه، ردا على بعض ما شاع من أنه سخر أحباس الزاوية في قضاء بعض أغراضه الشخصية فقال : "فمن ذلك كله تزوجنا وحججنا، ومن ذلك نخص من رأينا أن نخصه بكرامة أو أعطية من الواردين علينا..."

أو أربعة متفرعة، ذات فروع مورقة. الأغصان الطويلة مغطاة بزغب كثيف. أوراقها متقابلة "ثلاث ثلاث" خيطية دقيقة لا يتعدى طولها سنتيمتراً واحداً، عديمه الزغب. أزهارها على شكل عثكول كبير مورق تجتمع فيه عناقيد كثيرة أزهارها بيضاء واستثنائياً وردية.



خلنج

يصادف الخلنج الشجيري في المنطقة المتوسطية وجزيرة ما دير والجزر الخالدات وبعض الجبال المرتفعة من إفريقيا الشرقية.

يكثر الخلنج الشجيري بالمغرب في المنطقة الشمالية الرطبة وخاصة في غابات البلوط الفليني أي في البيومناخات الرطبة جداً والرطبة وشبه الرطبة وفي الطوابق النباتية للمتوسطي الدافئ والمتوسطي واستثنائياً فوق المتوسطي. أما من حيث التربة فإن أغلب أنواع الخلنج - ومنها الخلنج الشجيري - تتطلب أرضاً غير كلسية وسميكة.

يستعمل الخلنج الشجيري كحطب ولصناعة الفحم ولأغراض عديدة في التطبيق التقليدي وغيره. أبحاث شخصية.

عبد المالك بنعبيد

### الخلنجي أو الخلانجي، أسرة تطوانية أصلها من

الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Bujalance وهو اسم مدينة إسبانية. هاجرت هذه الأسرة إلى مدشر بني سالم بقبيلة حوز تطوان ومنها انتقلت إلى هذه المدينة.

ومن المعلوم أن فرقة من هذه الأسرة الأندلسية كانت قد استقرت أول مرة بفرقة العنصر من قبيلة بني يدر حيث أسست المدشر الذي مازال يعرف بمدشر الخلانجيش.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطوان 1999 : المراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 622.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخلنجي، محمد بن محمد بن يعقوب، شيخ صوفي، ولد بقبيلة بني يدر بأحواز تطوان في حدود العشرة الأولى، من القرن الثالث عشر (19)، في أسرة عرفت بالفضل والعلم واشتهرت أيضا باسم ابن يعقوب.**

نشأ في بلده بني يدر فقرأ القرآن وحفظ المتون، ثم شرع في قراءة العلم على والده الشيخ محمد بن يعقوب اليدري، وكان من الشيوخ المدرسين، ولما ظهرت نجابته انتقل إلى تطوان لدراسة العلم. ويذكر من بين شيوخه التطوانيين الذين استفاد فهم الفقيه القاضي محمد بن محمد الجنوي (ت. 1271) والشيخ الصالح الشهير محمد الحراق (ت. 1261 هـ) وقد لازم هذا الأخير في دروس التفسير، واعتمده شيخاً في الطريقة الصوفية. فكان الحراق شيخه في علمي الظاهر والباطن.

وحدث أن عرض أهل بني سالم من حوز تطوان على الطالب محمد الخلنجي أن يشارط بقريتهم على اقراء أبنائهم القرآن، والإمام بمسجدهم. فوافقه شيخه محمد الحراق على ذلك، فانتقل إلى سكنى بني سالم، وظل مع ذلك وفيا لشيخه. فكان في كل جمعة يأتي إلى تطوان، يحمل ما حصل عليه من مداخيل إقرائه إلى شيخه، فيصلي صلاة الجمعة بالزاوية ثم يعود إلى عمله

وقد اعتُبر محمد الخلنجي بعد وفاة الحراق التلميذ الأقرب إليه، فكان وارث سره. لذلك تصدر للمشيخة وتربية المريدين، فبنى زاويته ببني سالم واستقطب الأتباع وأقام العمارة الصوفية بها فكثر مریدوه من تطوان ويواديها وعمد إلى بناء زاويته بحومة السوقية حينما أحس بفتور المشرفين على زاوية شيخه الحراق بتطوان في استقباله واستقبال أتباعه، وجعلها مأوى لفقرائه المقيمين والوافدين.

هكذا استقل الخلنجي بمشيخة الطريقة الدرقاوية بعد شيخه الحراق في تطوان ويواديها وتبعه كبار تلامذة الشيخ الحراق. وعمّر وقته وهو يقيم في بني سالم بإقامة حلقات الذكر والوعظ والتدريس، وتعاطى مع ذلك التطبيق بالأعشاب فكان مقصودا لعلمه وبركته. وكتب شرحا على تصلية الشيخ عبد السلام بن مشيش، وألف في تفسير القرآن الكريم. وكانت له أشعار زجلية.

توفي بزاويته ببني سالم من حوز تطوان في شهر ربيع النبي عام 1283 / يوليو - غشت 1866. وما يزال ضريحه معروفا هناك يزار.

م. الخلنجي نفسه، شرح الصلاة المشيشية، مخطوط : ع. العزيز الخلنجي، تنقيح في ترجمة الشيخين محمد الخلنجي وولده عبدالله، مخطوط : م. داود، تاريخ تطوان، 6 : 327 وفي غير ما موضع.

عبد الله المرابط الترغي

### الخلوف (بنو -) أسرة فاسية أصلها من صنهاجة،

قال في بيوتات فاس : "وهو بيت ثروة ونسب" (ص 48). ومنهم شيخ فقهاء فاس حسين بن خلوف.

### خليج الرأس الأكلحل أو أنكرا ذي ثينطرا، Angra

de Cintra أي خليج ثينطرا يطلق هذا الاسم على خليج الرأس الأكلحل، وثنينطرا هو الاسم العائلي للبحار البرتغالي غونزالو ذي ثينطرا Gonzalo de Cintra الذي لقي حتفه بخليج أرگين جنوب الرأس الأبيض سنة 1445.

يقع هذا الخليج جنوب خليج الداخلة ويعرف عند الإسبان بـ "الگولفو" El Golfo (أي الخليج) ويمتد على مسافة طولها 30 كيلو مترا. وبهذا الشاطئ ركّب الكشاف الإسباني إمبليو بونيلي Emilio Bonelli الكوخ الحشبي الذي أطلق عليه پويرطو باديا Puerto Badia يوم ثالث نوفمبر 1884. (انظر في المعلمة : پويرطو باديا).

A. Domenech, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid 1946, p. 81 ; A. Flores Morales, *El Sahara Español*, Madrid 1946, p. 65 ; I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografica-saharico*, Madrid 1955, p. 17.

محمد ابن عزوز حكيم

### الخليج، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الساحل الهببية، وقد انقرضت بتطوان. وكان بفاس أيضا أسرة بهذا الاسم انقرضت كذلك.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 627 : ع. ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون.

محمد ابن عزوز حكيم

### الخليج، نوع من الطعام المغربي اللذيذ، وهو "عبارة عن لحم مشرق مخلوط بملح وثوم وكمون وبزر الكزبرة بعد دق الجميع ناعماً، ثم يجفف بالشمس ويضاف له شيء من الشحم نحو العُشر، ويطبخ في ماء وزيت إلى أن ينضج ولا يبقى به أثر للماء، فيُدخّر للاقتيات أعواماً. كان لا يستغنى عن ادخاره العائلات الكبار، ويستغنون به عن شراء اللحم في زمن الشتاء الذي يهزل فيه ويقل ويرتفع ثمنه".

أورد هذا التعريف النقيب عبد الرحمن ابن زيدان في القسم الأخير الذي لم يطبع بعد من كتابه الإتحاف أثناء حديثه عن الحرفين بمكناس، ومنهم الخلائعون الذين يصنعون الخليج ويعرضونه للبيع بالأسواق.

وتميزت مدينة فاس، علاوة على الخلائع العموميين، بإقبال أهلها على تحضير الخليج في بيوتهم، فيذبحون ثوراً أو جملأ حتى ولو انتقلوا إلى السكنى خارج مدينتهم. وما زالت دكاكين الخلائع منتشرة في أسواق فاس حتى اليوم.

### خُلوف بن خلف الله الصنهاجي الفاسي، يكنى أبا سعيد - لعله الجد الذي ينتسب إليه بنو الخلوف بفاس - دخل الأندلس وأخذ عن عالم قرطبة أبي بحر الأسدي وولي قضاء غرناطة للمرابطين. وأخذ عنه فيها المفسر المشهور عبد الحق ابن عطية.

رجع خلوف إلى فاس وولي قضاها، وكان يروي كتاب أبي إسحاق التونسي عن الفقيه سليمان ابن الوليد عن المؤلف أبي إسحاق. ثم ولي قضاء الجماعة بمراكش. و "كان من أهل العلم والعمل والفضل، صادعاً بالحق، ساعياً في أعمال البر، لا تأخذه في الله لومة لائم" (جذوة، ص 193).

وأخيراً رجع خلوف إلى فاس وتولى قضاها وبقي في خطته إلى أن مات سنة 515 أو 516 / 1121-1123.

ابن الأبار، التكملة، 1 : 314 : أ. ابن القاضي، جذوة، الرباط، 1973، ج 1 : 193 : م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 1300، ج 3 : 261 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ط. 2 الرباط، 1975، ج 3 : 220-221.

### ابن الخُلوف، محمد بن حسين الصنهاجي الفاسي، قال عنه صاحب بيوتات فاس : "شيخ فقهاء أهل فاس" تقلد خططاً كثيرة قبل أن يصبح ناظراً على أحباس فاس، وهو الذي اغترب لأبي الحسن المريني الزيتون الصغير المجاور للزيتون الكبير المختلط فيه المجاور للقصارين بغدير وادي الحصص. وكان عاملاً لروض المصارة حيث القصور السلطانية في القضاء الذي أصبح يسمى اليوم المدينة الجديدة، أو دار دبيبغ.

توفي في حدود عام 730 / 1329.

إ. ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، الرباط، 1972.

محمد حجي

### خليج تاريفيت أنكرا ذيل كَابَاوُ Angra del Caballo يعني، "خليج الفرس" وقد أطلق البرتغاليون هذا الاسم على خليج تاريفيت الذي اكتشفته البعثة البرتغالية التي أرسلها إلى شاطئ الصحراء المغربية الأمير البرتغالي إنريكي Enrique el Navegante الملقب بالبحار سنة 1434. يقع هذا الخليج شمال شبه جزيرة الداخلة.

A. Domenech, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946 p. 76 ; Flores Morales, *El Sahara Español*, Madrid, 1946, p. 64 ; I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico - saharico*, Madrid, 1995, p. 19.

### خليج الداخلة أو أنكلاشيگا، Ancla chica وهذا معناه "المرسة الصغيرة" وقد أطلقه الإسبان على رأس أمليليك الذي يقع جنوب خليج وادي الذهب المعروف كذلك بخليج الداخلة.

ابن خليفة، موسى لعلة القائد الذي أرسله السلطان عبد الله الغالب على رأس فرقة من الفرسان إلى تطوان سنة 1567 / 976 لإلقاء القبض على القائد حمو حسن المنظري وظل هو يحكم المدينة بمساعدة الأمين أحمد مفضل. ويبدو أن القائد ابن خليفة هو الذي تشير إليه الرسالة التي وجهها الحاكم البرتغالي بأصيلا إلى الملك ضون سيباستيان Don Sebastian بتاريخ 11 يناير 1578 يخبره فيها بأن القائد موسى "قد تم نقله من تطوان إلى فاس في الأيام الأخيرة".

وكان سيدي موسى يهتم غاية الاهتمام بأمر الجهاد البحري انطلاقاً من قاعدة مرتين التي كان يرأسها كل من الرئيسين قلفاط والروشي الذين يقول عنهما المؤرخ البرتغالي كوريبا ذي فرانكا Correa de Franca أنها كانتا على اتصال وثيق بالمسلمين الذين ظلوا بالأندلس وكانا يعملان على مساعدة من ثار منهم ضد النصارى بجبال رندة والبشرات سنة 1568 / 976.

ويقول نفس المؤلف إن سيدي موسى قام بهجوم يرى وبحري على مدينة سبتة سنة 1577 / 984 بمساعدة قراصنة أترك الجزائر. ومن المحتمل جداً أن يكون موسى هو القائد الذي تشير إليه الرسالة التي وجهها السلطان عبد الملك السعدي إلى كل من قائد تطوان والأمين مفضل بتاريخ 18 مارس 1577 (28 ذي الحجة 948) يخبرهم فيها بتحركات السلطان المخلوع محمد المتركل ليكونا على حذر منه.

وخلاصة القول أن موسى ابن خليفة كان قبل توليه قيادة تطوان قائداً بأسفي، وفي سنة 1567 / 974 أرسله السلطان عبد الله الغالب إلى تطوان وظل بها إلى أن أقره في حكمها السلطان المخلوع سنة 1574 / 982. وابتداءً من سنة 1576 / 983 سار في ركاب السلطان مولاي عبد الملك، وفي أواخر سنة 1577 / 984 عاد تطوان ليلتحق بمنصبه الجديد بفاس كقاضي القضاة، وذلك لفترة قصيرة جداً حيث غادر فاساً وفر إلى البرتغال في منتصف سنة 1578 / 986 وكان بمدينة إيفورا Evora عندما استدعاه الملك البرتغالي ضون سيباستيان Don Sebastian لاستشارته في أمر الحملة الصليبية التي كان يجهزها لغزو المغرب، وكان رأيه مخالفاً لمخطط العاهل البرتغالي؛ وتوفي موسى بالبرتغال في نفس سنة 1578 / 986.

مخطوط رقم 9741 بالخزانة الوطنية بمجريد؛ مجموعة S.I.H.M. إسبانيا ج 3 ص 374؛ نفس المجموعة فرانس ج 1 ص. 348 Bas؛ Madiado. Memori para la historia de Portugal، لشبونة، 1751، ج. 4، ص. 149، 157؛ م. ابن عزوز حكيم، الجديد في تاريخ تطوان، تطوان، 2000، والمراجع العربية والأجنبية المذكورة هناك.

محمد ابن عزوز حكيم

الخليفي، لقب اتخذته اسماً عائلياً لها الأسرة التطوانية التي كانت تعرف باسم الوادراسي بحكم أن أصلها من قبيلة وادراس؛ وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999. والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 628.

محمد ابن عزوز حكيم

خليفة (أولاد -) قبيلة كبيرة تنتمي إلى قسم المزارعة من المحادية زُعير. تنتشر في أراضي أولاد خليفة حول مدينة الرماني اليوم وهي مقر الدائرة الرسمية لزعير.

تقع قبيلة أولاد خليفة بين قبائل: أولاد زيد من الغرب وأولاد عمران والمخالف من الجنوب، وأولاد علي من الشرق والجنوب الشرقي، وأولاد كثير وأولاد ميمون من الشمال والشمال الشرقي. ويخترق أراضيها وادي خنوسة أحد روافد وادي كريفلة؛ كان تعداد خيام أولاد خليفة في بداية القرن العشرين حوالي 600 خيمة (Cicard, L'organisation des Zaer, 1910) وعلى هذا الأساس كان تعداد سكان القبيلة في أواخر القرن الماضي وبداية القرن الحالي يتراوح بين 3000 و3600 نسمة، إذا اعتبرنا أن الخيمة كانت تضم بين 5 و6 أفراد.

أهم فرق أولاد خليفة هي: الشليحيين - أولاد حد الشليحيين الأحرار - المحافظ - أولاد حمامة، أولاد بزة - أيت بروس (الحراير - أيت حم الصخير). عريب (الدبوشة - أولاد مسعود - أولاد يحيى - البزايي) البوعزاويون - الهداهدة - أولاد سعيد.

من أشهر قواد أولاد خليفة في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين:

حمو بن المواد الشليحي الخليفي الزعري.

حمو بن الميلودي بن قس الشليحي الخليفي الزعري.

بوعزة بن علي الهدهادي الخليفي الزعري.

حماني السعيدي الخليفي الزعري.

اشتهرت مواقع أولاد خليفة بتخميم الحركات السلطانية، وأهم هذه المواقع وادي سبيدة (أو زبيدة)،

طالع عوك

- أهم أسواق القبيلة: أربعاء الرماني

ساهمت قبيلة أولاد خليفة، في حركة الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي خلال سنتي 1911-1912، ووقعت فوق أراضيها عدة معارك بين المجاهدين والجيوش الاستعمارية الفرنسية.

سجل أمناء وأشباه القبائل، خ. ح.؛ ابن سودة، زعير قديماً وحديثاً، الجزء الأول؛ بحريات ميدانية.

**خليفة** (أيت - زاوية -) هي في الأصل فخذة من قبيلة أيت أوتفركال، المنضوية تحت لواء اتحادية أيت مصاض الأمازيغية. تقع مواطنها على السفح الشمالي للأطلس الكبير الأوسط غير بعيد عن منطقة الاتصال بين هذه السلسلة وسلسلة جبال الأطلس المتوسط. وتتوسطها اليوم مدينة أزيلال.

أقدم وثيقة نعرفنا بأيت خليفة هي الظهير الرشيدى المؤرخ في 21 صفر سنة 1080 / 21 يوليوز 1669 : وجهه السلطان الرشيد إلى مرابطي أيت خليفة. وما جاء فيه : "يتعرف منه أننا أسبلنا عليهم رداء الاحترام، وألبسناهم حلية التوقير والإكرام فلا سبيل لاهتضام جانبهم بحال، وإدخالهم في مغرم ولا وظيف ولا أمر مخزني في جميع الأحوال .."

ورغم أننا لم ننتين المخاطبين بالتحديد فمن الممكن أن نرجح أن الظهير موجه إلى أحفاد الصالح أبي شعيب صاحب أزمور، كما يتضح ذلك بجلاء من الظهير الإسماعيلي المؤرخ في أواخر صفر سنة 1085 / أوائل يونيو 1674. ويتضمن تجديد "التوقير والاحترام، والرعي الجميل المستدام، بحيث لا يظالبون بشيء من ملازم العوام قل أو كثر". ويضيف إلى هؤلاء المرابطين خدامهم الذين يقدر عددهم "بعشرين داراً".

يستفاد من الظهيرين السالفين أن أسرة المرابطين المذكورة يرجع أصلها إلى أبي شعيب أيوب دفين أزمور ؛ إذ لا نستبعد أن يكونوا من بين الأسر النازحة من أزمور التي كانت أحد مراكز دكالة الثقافية والصوفية على عهد بني مرين (ابن قنفذ : أسس الفقير... 71). وقد عرف رجالها بالرحلة والانتقال، إما لأداء فريضة الحج وإما لنشر الثقافة أو طريق القوم في بعض جهات بلاد المغرب ( دور أعلام من دكالة ... 24.26) كما قد يرتبط ذلك النزوح بالاحتلال البرتغالي لمدينة أزمور التي قام المحتلون بإجلاء سكانها وطردهم.

كما يتضح من الوثيقتين السابقتين أن الأسرة كانت معروفة، حتى إنها لفتت أنظار المخزن مبكراً. فرغم أن السلطان الرشيد كان ما يزال لم يستتب له الأمر بعد، لم يفته أن يكتب مرابطي أيت خليفة، باحثاً ربما عن موطن قدم بالمنطقة. كما قد يدخل ذلك في سياق عمله على مواجهة أيت عياش. ولم يمض على تسلم المولى إسماعيل أريكة السلطة ثلاث سنوات حتى جدد لهم نفس الظهير. مما يدل على أن شهرة أولئك المرابطين لم تكن خافية عن المخزن العلوي منذ بداية عهده.

وبعد ذلك بحوالي أربعين سنة ارتبطت شهرة أيت خليفة بتأسيس زاوية سيدي عبد الله. فقد أخذ عبد الله الخليفتي الورد الناصري عن الشيخ أحمد الخليفة سنة 1128 / 1716 (الدرة الجليلية : 292) وعهد إليه هذا الأخير بأن يتقدم على الفقراء هنالك.

بمجرد ما دخلت الطريقة الناصرية إلى المنطقة، عمل شيوخ الناصريين بتامگروت على دعم زاوية أيت خليفة في شخص مقدمها. فقد ترددوا كثيراً على المنطقة وتدخلوا لدى السكان يستحثونهم على تقدير عبد الله الخليفتي وتبجيله. وفي هذا السياق قدم الشيخ موسى الناصري إلى أيت خليفة ونزل عند مقدم الزاوية. ووجه التهديد والوعيد إلى كل من ينتهك حرمة الزاوية. وما قال، في خطابه لأيت خليفة "هذه دارنا فمن كرهها، "أداس إرار ربي ثقار سافلا"، أي جعل ربي عاليه سافله (الدرة الجليلية : 141).

وفي نفس الأثناء تدخل الشيخ المذكور لعقد الصلح بين أيت مصاض وجيرانهم أيت عتاب وأيت بوگماز. وأعلن التكثير على اللصوص وقطاع الطرق الذين كانوا يرتادون تلك الجهات، وحين قام الشيخ نفسه بجولة لدى تلك القبائل رافقه عبد الله الخليفتي، فزارا معا أيت عتاب وتوقفا بأوررض.

وفي أعوام الثلاثين بعد المائة والألف، زار الشيخ موسى الناصري بلاد الغرب، وفي أثناء رجوعه مر بأيت خليفة، فنزل بدار الخليفتي، وكان العام عام مسغبة، نشب على إثرها صراع بين المقدم المذكور وأخيه حول قسمة الزرع ؛ فلم ينحسم الأمر إلا بتدخل الشيخ الناصري. وتوسط هذا الشيخ أيضاً بين الباشا أحمد العنابي، وبين رجلين من أيت مصاض، حيث كان الباشا قد أهدر دم أحدهما وزار موسى الناصري أيت خليفة مرة ثالثة، وحل بدار الخليفتي، فاستضافة فقراء القبيلة وندبوه ليعقد الهدنة بينهم وبين القبائل المجاورة.

وعلى العموم فإن شيخ الناصريين لم يكن يألو جهداً في أثناء زيارته المتكررة إلى المنطقة في محاربة بعض الأمور المنكرة مثل ترك الصلاة، والسرقعة وقطع الطرق ؛ والتوسط في النزاعات بين الناس. ويظهر أن زاوية أيت خليفة قد صارت - منذئذ - إحدى المراحل في طريق الناصريين، الواصلة بين الجنوب والشمال.

وقام الشيخ عبد الله بن محمد ابن ناصر - وهو الشيخ الرابع - بزيارة أيت خليفة في أثناء ذهابه إلى شمال البلاد. فنزل بدوره ضيفاً على عبد الله الخليفتي، ودعاه ولأولاده. والتقى به مراراً ؛ وكانت بينهما مراسلات تنبيء عن مزيد من المودة ووثيق الصلة ؛ كما تدل على ذلك الرسالة التالية التي وجهها الشيخ إلى مقدمه : "وعلى الفاضل الأنجد، أختينا وأعز الناس لدينا، محبنا وأقرب أهل المحبة إلينا، مَن لحَمُه لحننا، ودمُه دمنا، المقدم الفاضل السيد عبد الله بن محمد واخليفة ... " (الدرة الجليلية : 154).

ومن بين الناصريين الذين وفدوا أيضاً على زاوية أيت خليفة الأديب أحمد بن موسى الناصري، ومحمد بن محمد الكبير الناصري. وقد أخذ مقدم الزاوية عن هذا الأخير دعوة الواقعة وأذن له فيها. وكانت بينهما مراسلات

نستشف منها المكانة المرموقة التي تبرأها مقدم أيت خليفته عند الناصريين، هذا علاوة على الهدايا - مثل الملابس وغيرها - التي نالها الخليفتي، وهي كلها رموز تؤكد العلاقة الوثيقة بين الفرع والمركز.

وقد علت شهرة زاوية أيت خليفته في عهد الشيخ يوسف الناصري، تبعاً للنفوذ الذي اكتسبته الطائفة الناصرية في بلاد المغرب. فبعث هذا الشيخ برسالة إلى أيت خليفته يوصي خيراً بالمقدم الناصري، لدعم مكانته لدى القبيلة.

ومن بين شيوخ الناصريين الذين كانت الصلة وثيقة بينهم وبين زاوية أيت خليفته - دون اعتبار الهرم الصوفي - الحسين بن أحمد بن الحسين ابن ناصر الذي شهد للخليفتي بالرؤية، وأذن له في تلقين أوراد الناصريين؛ وابنه عبد الله بن الحسين الضير الذي كانت المودة عظيمة بينهما؛ فشهد له كذلك بالرؤية. وقال له ذات مرة: "أنت بضعة منا يسوؤنا ما يسوؤك، ويسرنا ما يسرك، أسرجنا قنديلك، وأعطيناك شاقور الأشياخ، أقطع به من شئت من الظلمة...".

وهذا كلام يدل - من جهة الشيخ - على الدعم غير المشروط، ومن جهة المقدم؛ على الالتزام المطلق بالسلوك الصوفي. وبذلك صارت زاوية أيت خليفته حلقة قوية في سلسلة الطائفة الناصرية.

ومن بين كبار تلاميذ الناصريين الذين وردوا زاوية أيت خليفته، إبراهيم الزيني، الذي تصدر للإمامة مدة بقصر أيت خليفته؛ ومحمد بن أبي القاسم الهوزالي المتوفى هنالك بالوفاة سنة 1155 / 1742، والذي كان جل ما نسخ من كتب يرسم شيخ الزاوية، وتقاييده على يده. وزارها بعد ذلك محمد بن يوسف الناصري الذي أجاز محمد بن عبد الله الخليفتي، مؤلف الدرّة الجليلية. وحين ألف هذا الأخير كتابه المشار إليه، قدمه إليه كما قدمه إلى محمد القرشي. وكلا الرجلين قرّض المؤلف المذكور.

ويعد وفاة عبد الله الخليفتي سنة 1196 / 1782 آل أمر زاوية أيت خليفته إلى ابنه عبد الرحمن الذي بنى الضريح المشهور هنالك. ولعل ذرية الخليفتي قد حرصت على استمرار زاوية أيت خليفته، كما يستفاد من الظاهر السلطانية الموجهة إلى بعضهم؛ منها:

ظهير السلطان عبد الرحمن بن هشام، مؤرخ في أواخر ربيع الثاني سنة 1257 / يونية 1841، وجهه إلى: "أولاد المرابط أبي محمد عبد الله بن محمد في بني خليفة"؛ في شخص أبي عبد الله محمد بن صالح بن عبد الله؛ الذي يدعوه السلطان مقدم الزاوية الناصرية. وهذه النسبة نعثر عليها لأول مرة في وثيقة رسمية. وقد عم هذا الظهير "أولاد المقدم المذكور وإخوانه وجميع من أوى إليهم. ودخل في حرمتهم". وأهم ما تضمن هذا الظهير التوقير والاحترام، والإعفاء من المغارم والوظائف المخزنية.

وظهير حسني مؤرخ في 21 شعبان عام 1304 / 1887، وجهه السلطان مولاي الحسن إلى المرابط السيد التهامي بن محمد بن صالح بن عبد الله. يُتعرّف منه أن السلطان المذكور خلع عليه رداء التوقير والاحترام؛ وألحق به أولاده وإخوانه؛ فأقرهم على عواندهم المألوفة، "فلا يسامون بمكروه"، ويعفون من المغارم والوظائف المخزنية. وكذلك أصدر السلطان عبد الحفيظ ظهيراً مؤرخاً في 16 ذي الحجة عام 1325 / 1907، وجهه إلى السيد علي بن علي بن محمد بن صالح بن عبد الله، يجدد الظهير السابق، ويكرس الاختيار الذي ظلت زاوية أيت خليفته تستفيد منه، والسلطان محمد بن يوسف أصدر ظهيرين في 15 شوال عام 1352 / 1934، و4 محرم عام 1356 / 2 مارس 1937؛ بتجديد التوقير والاحترام.

بناء على ما سبق يظهر جلياً أن الأدوار التي اضطلعت بها زاوية أيت خليفته، في تلك المنطقة النائية، جعلتها تستقطب بسرعة أنظار السكان والمخزن؛ سواء في مرحلتها الأولى، أو بعد انخراط شيخها عبد الله الخليفتي في سلك الطريقة الناصرية. ويبدو أنها لقيت الدعم من قبل المخزن - في المرحلة الأخيرة - كما تشهد على ذلك الظواهر السلطانية التي خولتها عدة امتيازات. وصارت بذلك حلقة قوية في سلسلة الطائفة الناصرية؛ كما يتضح من خلال الوثائق الوثيقة التي كانت تربطها بفروع تلك الطائفة، كتانغصمت ووزغمت وأيت وزرض وغيرها. هذا علاوة على أنها تبنت الدفاع عن الطريقة الناصرية. ونلمس ذلك بجلاء من خلال مواقفها من حنصالة الذين تنكبوا عن تلك الطريقة بعد ما كان شيخها سعيد الحنصالي أخذ الورد عن الشيخ محمد ابن ناصر.

فقد صرح الخليفتي عدة مرات بأن الحنصالي ليس على شيء، فيما يخص أصول الطريقة. فحين سئل عن الحنصالي أجاب بالأمازيغية قائلاً: "أردنغن يات" ..

ومن جهة أخرى كان أيت عطة ومألو - وهم أتباع حنصالة - يقلقون باستمرار راحة زاوية أيت خليفته والقبائل المجاورة لها. فيحكم موقعها في مجال عبور أيت أمالو كانت تتعرض إلى النهب من قبلهم. فكانوا يعيشون في الممتلكات ويجوسون خلال الديار؛ حتى كانوا يفرضون على المستقرين - من فيهم الزاوية - المغارم الثقيلة؛ الشيء الذي جعل شيوخ تامغروت يتدخلون بين الفينة والفينة لدعم الزاوية وحمايتها. وقد دفع اكتساح أيت عطة لذلك المجال، وما صاحبه من أعمال السلب والنهب، بالزوايا الفروع الموجودة هنالك إلى المزيد من الالتحام والتقارب لمداخلة الخصوم والتصدي لهم.

لعل هذه العوامل مجتمعة - دعم تامغروت ومساندة المخزن، والالتحام مع باقي الفروع الناصرية - هي التي ساعدت زاوية أيت خليفته على الاستمرار طيلة قرون. ولذلك اشتهرت هذه الزاوية كمركز صوفي يجتمع فيه

طلبة العلم والورد ؛ إذ أن مقدمها عبد الله الخليلي كان - بالإضافة إلى نشاطه الصوفي - شغوفاً بالعلم، محباً لأهله، بل اشتهر كعالم مشارك، له تلاميذ كثيرة ومؤلفات ونوازل. ويذكر ابنه أنه امتلك خزانة حافلة، وقفنا شخصياً على بعضها، عند أحد حفده مدينة أزيلال. وكان له نسخ ينسخون له الكتب من بينهم محمد بن أبي القاسم الهوزالي، وهو من علماء هنتيفة ؛ كانت تربطه بالخليفي علاقات الصداقة والتلمذة للناصرين. وقد أقام عنده مدة بأيت خليف، حيث عكف على نسخ الكتب، وكانت جل تلاميذ الخليلي بخطه. وظل هنالك حتى وفاته سنة 1155 / 1742.

كما كان للخليفي مجلس خاص بالزاوية، يقوم فيه بالتدريس. وتخرج على يديه فقهاء كثيرون، منهم ابنه محمد مؤلف الدرّة الجليلية في مناقب الخليفة.

لكن يبدو أن الشيخ عبد الله الخليلي هو الوحيد الذي نبغ، من بين شيوخ زاوية أيت خليف. أما باقي الشيوخ، فإما أن ثقافتهم ظلت محدودة، وإما أنهم لم يكثرتم بهذا الجانب بالمرّة، أو أن تأثيل الأملاك وتكديس الثروة قد شغلهم عن العلم.

ومهما يكن من أمر فإن زاوية أيت خليف قد ظلت تضطلع ببعض الأدوار الاجتماعية حتى عهد قريب، كما حظيت بثقة سكان البلدة، مدة طويلة لأنهم كانوا يهرعون إليها في أثناء الأزمات والملمات ؛ الأمر الذي أكسبها نفوذاً قوياً استطاعت بسببه أن تحتجج أملاكاً واسعة بالمنطقة.

مجموعة ظواهر زاوية أيت خليف ؛ م. الخليلي. الدرّة الجليلية في مناقب الخليفة، مخطوط.

**الخليفي، عبد الله** بن محمد بن محمد بن عبد الحق بن إبراهيم بن علي بن بويكر من آل الشيخ أبي شعيب أيوب دفين أزموور. وكُد بأيت خليف، وأخذ الورد الناصري فدعي لذلك البوشيبي والخليفي والناصري.

عبد الله الخليلي من الأعلام الصوفية المغمورين، لم يترجم له - حسبنا نعلم - إلا ابنه محمد الذي خصه بكتاب الدرّة الجليلية في مناقب الخليفة (ص. 291، 342). ولم يتعرض لسني طفولته وشبابه، لذلك فإننا نجهد كل شيء عن حياته في تلك المرحلة. ومن ذلك طلبه للعلم وتنقلاته واتصاله بالطريقة الناصرية وغير ذلك... ومن خلال الإشارات الواردة في ثنايا المصدر المذكور، يتبين أنه حافظ لكتاب الله تعالى، وأنه تلقى الورد الناصري عن الشيخ أحمد ابن ناصر في عام 1128 / 1716، فاستنابه في تلقين الورد الناصري، "وأذن له إذنا مطلقاً عاماً"، لذلك أسس زاوية ناصرية بأيت خليف، ناسجاً على منوال شيوخ درعة حتى صار من أبرز مقدميها في تلك المنطقة الجبلية ؛ مدافعاً عنها متصدياً لمعارضها. وقد عمل الشيوخ

الناصريون - من جهتهم، على دعمه، فوجهوا الرسائل إلى القبيلة التي توجد زاويته في أراضيها، يحثونها على توقيره واحترامه واتباعه فيما يأمرهم به، والإذعان إليه.

ومن ثم اضطلع عبد الله الخليلي بدور بالغ الأهمية في تلك المنطقة الثانية. فتصدر لبث تعاليم الإسلام وإطعام الطعام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لا سيما وأن تلك المنطقة - علاوة على بعدها عن المراكز العلمية الكبرى - كانت تشهد كثيراً من الاضطرابات بين القبائل مثل أيت محمد وأيت بوزيد الذين كانوا يغيرون على أيت خليف، فينهون الزروع والمواشي، ويعيشون في الحقول. وقد يتفانم الأمر حين يكتسح أيت عطة تلك المنطقة، خاصة وأن ذلك المجال يقع على طرق عبور هؤلاء الذين كانوا آنذاك قد بلغوا عنفوانهم.

تلك هي الظروف التي مهدت السبيل أمام مترجمنا ليتدخل كلما سنحت له الفرصة، من أجل الوساطة والتحكيم، وعقد "العافية" بينهم (الدرّة الجليلية، 303) ؛ أو ردع اللصوص وقطاع الطرق الذين يعترضون السابلة، ويغرمون الناس ؛ حتى إنه كان يقوم بخفارة الكثيرين ممن كانوا يرتادون تلك الجهات ؛ ولا سيما في زمن المجاعات التي كانت تحتاج المنطقة بصفة دورية. وقد أفاد الخليلي من ذلك، حيث كان الناس الذين يعقد لهم العافية، أو يخفرهم يقدمون إلى الزاوية الهدايا و"الفتوحات" ؛ فصارت من جراء ذلك ملاذاً للمحتاجين والمعوزين الذين يقصدونها إبان الأزمات، كما حدث أثناء مجاعة عام 1147 / 1735.

وظل الخليلي على حاله حتى صار راسخ القدم في التصوف والعبادة. فكان كثير الصيام حتى كان يوالي صيام رجب وشعبان، بالإضافة إلى ستة أيام من شوال وأربعة أيام من الأسبوع. وكان يقوم الليل ويكثر من أعمال البر، مشغلاً بتلاوة القرآن والذكر. كما رابط بشعر أزموور مدة. وربما اندرج رباطه هذا ضمن محاولات استرجاع مدينة البريجة من أيدي البرتغاليين. يضاف إلى ما ذكر شهرته هنالك بالعلم، إذ كان يعقد مجالس لتدريس الفقه والحديث، وانتفع منه خلق كثير، وتخرج عليه طلبة عديدين.

ويمكن القول إن هذه الأعمال قد أهلت مترجمنا لأن يصير من كبار مقدمي الناصريين في تلك المنطقة، لا سيما وأنه عرف بالاستماتة في خدمة شيوخ تامكروت، ذابا عن الطريقة الناصرية قولاً وفعلًا ؛ حتى أصبح يتبوأ الحظوة لديهم، ويظهر أنه كان كثير التلاميذ العلمية، جماعاً لكتب العلم. وقد امتلك خزانة حوت كتباً في عدة فنون كالتفسير والحديث والفقه والتصوف ؛ ملك بعضها بالنسخ وبعضها بالشراء. ودفعه شغفه بالكتب إلى أنه "كان يدفع عن ظهره بعض كسائه في قيمتها"، كما عبر عن ذلك ولده. (الدرّة الجليلية، 328). وما يؤكد ولعه بالكتب أنه اتخذ نساخاً، من أشهرهم الفقيه محمد بن أبي القاسم الهوزالي، الذي كان جل كتب الخليلي بخطه.



توفي عبدالله الخليلي يوم الثلاثاء 29 صفر عام 1196 / 1782، مخلفاً بعض الآثار في ميدان التأليف، منها ما هو مفقود، مثل : *تحفة الأسرار في ذكر الصالحين الأخيار الأبرار ؛ مجموع الفوائد في أحكام النوازل ؛ الدرر اللوامع في ذكر من لقي فيها من الأفاضل الأعلام*. من عنوانه يظهر أنه رحلة داخلية، دون فيها تنقلاته إلى تامكروت، والإجازات التي نالها من شيوخه ؛ حتى إن ابنه محمد يذكر أنه "أتى فيها بعجائب وغرائب... وتعداد مراحلها إلى غير ذلك.

ومن بين مؤلفاته، كتاب *الدرة الجليّة في مناقب الخليفة الذي ظهر أخيراً ؛ وقد عطفه ولده محمد - الذي ينسب إليه كذلك - على المؤلفات السابقة قائلاً : "وكتابتنا هذا الدرة الجليّة..."* بقي أن نشير إلى أن أسلوبه سهل، لا يتخلله سجع ولا محسنات بديعية ولغته متأثرة إلى حد بعيد ببيئته الجليّة القاسية.

وثائق زاوية أيت خليف : م. الخليلي، *الدرة الجليّة*، مخطوط.

**الخليفتي، محمد بن عبد الله، الخليلي دارا**  
البوشعبي نسبة، الناصري انتساباً، السكني لقباً. نستفيد من الإشارات الواردة في ثنايا كتاب *الدرة الجليّة* أنه ولد قبل سنة 1142 / 1729 بوضع سنين. فقد أشار - في أثناء الترجمة لوالده الشيخ عبد الله المترجم سابقاً - إلى أن الشيخ عبد الله بن محمد الكبير ابن ناصر المتوفى سنة 1143 / 1730 زار أيت خليف. وفي أثناء ذلك قام عبد الله الخليلي بتقديم المترجم للشيخ الناصري ليدعو له. ومعلوم أن عبد الله ابن ناصر قد ولي شؤون تامكروت سنة 1142، بعد وفاة موسى الناصري. ولم تدم ولايته سوى بضعة أشهر.

وفي سنة 1147 / 1736 بُعث محمد الخليلي - من قبل والده - إلى زاوية تانغمت برسم الدراسة. إذ من الممكن أن ينتقل إليها، وقد تجاوز العشر سنين، ليتلمذ على أيدي بعض أساتذتها، لا سيما وقد كانت تلك الزاوية - آنذاك - مركزاً ثقافياً علمياً في تلك الربوع. وارتحل بعد ذلك إلى زاوية تامكروت قبل عام 1170 / 1757، طلباً للعلم.

نستنتج مما سبق أن محمد الخليلي تلقى تعليمه الأولي على يد والده، من حفظ القرآن الكريم وبعض المتون المتداولة. ولا شك أن هذه المرحلة شملت انتقاله إلى تانغمت لتتيمم حفظ ما ذكر. أما رحلته إلى تامكروت - وهي من المراكز العلمية الكبرى - فقد عبر هو نفسه عن هدفه منها حيث قال : "ومنها أتى كنت أدرس العلم بالزاوية الناصرية، عند شيخنا سيدي علي بن محمد ابن ناصر..." (*الدرة الجليّة*، 308). ربما أنه توجه إليها لاستكمال تكوينه العلمي والحصول على بعض الإجازات من لدن شيوخها. ولعل مكوثه بتامكروت قد طال. كما يبدو

من خلال هذه العبارات ؛ حين قال : "إلى أن توحشني سيدنا الوالد، وبعث أخي سيدي محمد بن عبد الله، إلى عندي كي يخبره بخبري وصحة جسمي..." ومعلوم أن الوحشة لا تحصل إلا بعد طول فراق ؛ وإلا لماذا هذا التفقد مع بعد الشقة وصعوبة الاتصال ؟ !  
ومهما يكن من أمر فقد أفصح محمد الخليلي عن أن معظم دراسته كانت على يد والده. واعترف بأن جل استفادته كانت على يد أستاذه الأول، فقال : "فهو (أي والده) أستاذي ومعلم جهلي... ومنه تلتقت الورد الناصري".

ورغم أنه قام بالرحلتين المذكورتين طلباً للعلم، فإن جل أوقاته الخاصة بالدراسة قضاهما بجانبه. وفي ذلك يقول : "وكنت ملازماً له، بعد ذلك، إلى أن رباني أحسن التربية، بعد أن لازمته منذ بلغني عقلي نيفاً وعشرين سنة... واجتهد معي كل الاجتهاد". وبعد ذلك يذكر أنه درس عليه بعض المتون مثل رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وابن عاشر ومختصر خليل، والأجوبة الناصرية، ومساعدة الإخوان للشيخ محمد ابن ناصر ؛ وبعض المنظومات كالرقعي والقرطبي وابن جماعة وابن عاصم. وعنه أخذ طريق القوم، ودرس عليه كتاب المتن لابن عطاء الله، وقواعد زروق ويداية الهداية، والإحياء للغزالي.

ومن كتب الحديث درس عليه الأربعين حديثاً قديماً للسيوطي، وأربعين حديثاً للودعاني. وأجازه في كل ذلك وحلاه بـ"الفقيه النبيه المشارك" ويبدو أنه كان ذا حظوة لدى والده، فهو "أحب الأولاد إليه، وأقربهم مودة له...". لذلك كان يتذاكر معه وينشرح إليه فيساره بخبايا نفسه. وكان كثيراً ما يخاطبه قائلاً : "ولدي أنت كانا، وأنا كانت...". وبالإجمال فإن ثقافة الخليلي ظلت محدودة، ولا سيما في جانبها الأدبي. ويتضح من أسلوبه في *الدرة الجليّة* في مناقب الخليفة أنه ظل قريباً من العامية وحتى إذا استقامت لفته أحياناً - لأنه حافظ للقرآن الكريم وبعض المتون والمنظومات - فإن تعابيره تبقى مشوبة بالعامية. ومن ثم يمكن أن نعتبر محمد بن عبد الله الخليلي نموذجاً "للطالب" القروي، الذي عاش في منطقة نائية بعيداً عن تأثير المدن ؛ فعكس لنا بعض جوانب الحياة في بيئته بعفوية كبيرة.

وفي ميدان التأليف يُنسب إليه كتاب *الدرة الجليّة*، سابق الذكر. فإذا استثنينا النقول التي قام بنسخها عن كتاب *الدرر المرصعة* حذو القذة بالقذة، وما استقاه من مؤلف والده *تحفة الأسرار*... لا نجد في ذلك المؤلف إلا بعض الإشارات الخفيفة أو التتيمات البسيطة، المتميزة ببعض الخصائص المشار إليها سابقاً. أما بعض محاولات النظم التي قام بها فقد جاءت ساقطة من حيث الوزن والمعاني. (*الدرة الجليّة*، 292). لكن محمد الخليلي تميز كناسخ للكتب. فخطه مغربي بدوي واضح، مقروء ؛ كما

يتضح من رسوم كتاب الدرّة الجليّة، ومؤلف آخر في اللغة،  
عشرنا على جزء منه عند أحد أفراد أسرته بمدينة أزيلال.  
وقد استمر الخليفتي بقيد الحياة حتى سنة 1203 / 1789.  
م. بن عبد الله الخليفتي نفسه، الدرّة الجليّة في مناقب الخليفة...

**الخليفتي، محمد بن يوسف.** ترجم له صاحب الدرّة  
الجليّة، فقال : "كان رحمه الله تعالى ملازماً لعبادة ربه من  
صلاة وصيام، ملازماً لأوراده، مشتغلاً بما يعنيه... اجتهد  
في أداء دين الصلاة، شهراً لكل يوم ما أيامه نحو سنة..."  
(ص. 344). كان من أشهر تلاميذ الشيخ أحمد ابن ناصر  
الدرعي، في منطقة آيت خليف، معروفاً بالتنسك والزهد  
وكثرة العبادة بمختلف أنواعها.  
توفي بآيت خليف في مستهل سنة 1147 / 1735.

**الخليفتي، يوسف بن منصور.** لا علاقة له بالسابق  
بالرغم من اشتراكهما في اسم يوسف ؛ بما قد يوحي بأن هذا  
والد الأول. ترجم له صاحب الدرّة الجليّة أيضاً، فقال :  
"كان رحمه الله مجتهداً في دينه، ملازماً لأوراده، مشتغلاً  
بما يعنيه، سخياً بلغ فيه الغاية، لا سيما على الإخوان.  
وكان يتصدق على المساكين بما استطاع من ماله، وينفع  
الناس من كد يده، استطاعة جهده، تاركاً للفضول...".  
وقد انخرط يوسف الخليفتي كذلك في سلك الطريقة  
الناصرية، إذ تتلمذ على الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي.  
ومن ثم جاءت شهرته في تلك المنطقة النائية. وكان من بين  
المريدين الناصريين الذين عملوا على ترسيخ السلوك  
الصوفي هنالك.  
توفي في حدود سنة 1180 / 1767.  
م. بن عبد الله الخليفتي، الدرّة الجليّة في مناقب الخليفة.

**الخليفتيّة، رقية بنت محمد الحاجية.** هي والدة  
عبد الله الخليفتي سابق الترجمة. امرأة فاضلة، عرفت  
بالنسك والعبادة. كانت مجتهدة في دينها، من صلاة  
وصيام ؛ حريصة على أورادها، ملازمة للخلوّة في جل  
أوقاتها. انخرطت في سلك الطائفة الناصرية بعدما تتلمذت  
ببورها على يد الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي، بواسطة  
الشيخ محمد بن عبد العزيز البوعشماني.  
تأبست وهي صغيرة، فاحتضنت أولادها ولم تتزوج ؛  
وظلت متفرغة لتربيتهم وتنشئتهم ؛ إذ كانت كلما خوطبت  
في ذلك الموضوع تقول : "لا أتزوج، وأقيم على أيتامي  
حتى يموتوا أو يغنيهم الله". ولم ينج من أولادها إلا عبد  
الله، فقد ماتوا جميعاً. فكفلته، وكابدت المشقة في توفير  
القوت له ؛ حتى كانت تشتغل لدى نساء الطلبة لتحصل  
على ما تنفقه على ولدها المذكور ؛ وحتى يتسنى له أن  
يواصل دراسته على الوجه المطلوب.

توفيت رقية الخليفتيّة بآيت خليف سنة 1170 / 1765

(الدرّة الجليّة، 342، 343).

م. بن عبد الله الخليفتي، الدرّة الجليّة في مناقب الخليفة.

أحمد عمالك

**الخليفتي، أسرة** تطوانية أصلها من قبيلة الغربية  
المجاورة لمدينة أصيلا، وقد أُنجبت بعض الفقهاء، تذكر  
الوثائق منهم :

**الخليفتي، أحمد بن الرشيد** زاول خطة العدالة سنة  
1289 / 1872.

**الخليفتي، الرشيد بن المومن،** زاول هو أيضاً خطة  
العدالة سنة 1261 / 1845.

**الخليفتي، محمد بن المصطفى** كان يزاول خطة  
العدالة بتطوان سنة 1191 / 1777.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483  
إلى سنة 1900) تطوان 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي  
ذكرها في الرقم 630.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخليل نعمان،** مقاوم، وكّد بطرفاية سنة 1929 انضم  
إلى صفوف جيش التحرير منذ سنة 1957 ضمن المقاطعة  
التاسعة تحت قيادة مفر الحسين حيث شارك في العديد من  
المعارك والهجمات، من بينها معركة اللشيرة ووجدور  
وتافورارات. وحين أحرز المغرب على استقلاله انضم الفقيه  
إلى صفوف القوات المساعدة حتى أحيل على التقاعد. وقد  
واقاه الأجل سنة 1417 / 1996 بمدينة طانطان.  
الندوية السامية لقداماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء  
الاستقلال.

**الخليلي،** إمام الدين بن محمد بن يوسف بن علاء  
الدين البطايحي المقدسيّ ثم المراكشي. فقيه شافعي وأديب  
شاعر، جال في بلاد الشام والحجاز وسكن القسطنطينية  
مدة ثم وفد على المنصور في مراكش في أوائل العقد الأخير  
من القرن العاشر، فتقبله بقبول حسن وأكرم وفادته على  
عادته، فلازم بلاط المنصور كأحد الشعراء اللامعين فيه  
ينشد بدهاء، ويضمّن أو يُخمس أو يجيز. لقبه أحمد  
المقري "بأديب زمانه". وأثنى عليه في نفع الطيب ورحلته  
المغربية روضة الآس، وأتى بعدد من قصائده ومقطعاته.

وذكر أحمد ابن القاضي في المنتقى المصور أن المنصور  
اجتمع بحضرته يوماً ثلاثة شعراء مشاركة وفدوا عليه من  
بلاد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال : مكة والمدينة  
وبيت المقدس، فأنشد الخليلي بيتين لطيفين في ذلك نالا

محمد ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 637.

محمد ابن عزوز حكيم

**خمسین** (أيت -) صنّف المهدي بن تومرت أتباعه الموحدين إلى طبقات رتبها حسب أسبقيتها في الدخول في دعوته، فجعل أولها طبقة العشرة أو أيت عشرة (انظر مادة : الجماعة) جعلها هيئة استشارية في الأمور العظام دون غيرها، ثم طبقة الخمسين أو أيت خمسين لتي جعلها استشارية في الأمور الأقل أهمية. وهناك من أضاف طبقة أدنى منها هي طبقة السبعين. وإذا كانت هيئة العشرة مكوّنة من عصبيات مختلفة، فإن هيئة الخمسين تضم رؤساء القبائل المصمودية خاصة على غرار ما كان مألوفاً في التنظيم القبلي القديم. وبالإضافة إلى هذا التصنيف المعتمد على الأفراد، هناك تصنيف آخر للقبائل "الموحدية" يضع قبيلة هرغة التي ينتمي إليها المهدي على قمة الطبقات القبلية، وسيجعل عبد المومن فيما بعد قبيلته كرمية في الرتبة الثانية بعد هرغة.

وقد ذكر صاحب المقتبس أعضاء هيئة الخمسين على الترتيب الآتي : فمن قبيلة هرغة أورد ثمانية أسماء، ومن هنتاة اسمين (أحدهما يوسف بن وانودين) واعتذر عن ذكر آخرين لم يقف على أسمائهم، ثم ذكر أربعة من كدميو (معظمهم من أبناء تماري) ثم أربعة أسماء من كنفيسة، وثلاثة من صنهاجة ( المقتبس، 53-57)، وواحداً من سّاهم القبائل (ورد ذكر أفخاذ هذه القبائل في ص 49 وهي : هركاكة، وريكة، ما غوصة، هناية، أهل نفيسن، صادة، رگراگة، هزرجة)، ثم ذكر أربعة أسماء من هسكورة (منها أبو عبد الله بن أبي بكر بن توندوت) (راجع مادة : ابن توندوت)، ثم أضاف أسماء أخرى فتجاوز المجموع خمسين رجلاً.

مجهول، المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الأصحاب، الرباط، 1911 (32، 35) : الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، (108-109) : ألفرد بيل، الفرق الاسلامية، تر.ع. الرحمن بدوي، (262-263).

أحمد عزوي

**خُصَّان**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمr المجاورة لتطوان وقد انقرضت من هذه المدينة.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 636.

محمد ابن عزوز حكيم

إعجاب العاهل الأديب. وقد جال المترجم في أرجاء المغرب، وزار مدينة تارودانت، وفي طريق رجوعه منها إلى مراكش قتل في أسني من جبال الأطلس في شهر ربيع الأول عام 999 / دجنبر 1590 - يناير 1591.

أ. المقري، روضة الآس، ص 14-18 : نفع الطيب، تح. إحسان عباس، 7 : 80 : أ. ابن القاضي، المنتقى المقصور، تح. م. رزوق، الرباط، 1986، ج 1 : 252-253 : ع. الرحمن التمارتي، الفوائد الجمة، مخطوط : م. الإفراني، صفرة، ط. حجر فاس. د. ت. ص. 155 : نزهة، ط. حجر فاس، د. ت. ص. 114-115 : ع. ابن معصوم، سلافة العصر، القاهرة، 1324 هـ : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ط. الرباط، 3 : 54.

محمد حجي

**خَمَالَة**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمr،

وقد انقرضت الآن بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1611.

**الخُمري**، أسرة تطوانية أصلها من إحدى قبائل غمارة،

وقد انقرضت بتطوان سنة 1235 / 1820.

محمد ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 633.

**الخمسة والخمسين** (موسيقى -) ← **جوق الخمسة**

**والخمسين**

**الخُمسي**، أسرة تطوانية لا علاقة لها بقبيلة الاخماس الواقعة شمال المغرب، ذلك لأنها تنتمي إلى مدينة الخُميسي Algemesi الواقعة بناحية فليتسيا الإسبانية حيث توجد أسر مسيحية تحمل اسم Algemiz. وقد أنجبت هذه الأسرة عدة علماء وفقهاء لم تعرف عنهم شيئاً باستثناء : **الخُمسي**، **أحمد بن عبد الله** الذي كان من عدول تطوان من سنة 1160 إلى 1172.

**الخُمسي**، **عبد السلام** الذي زاول خطة العدالة سنة

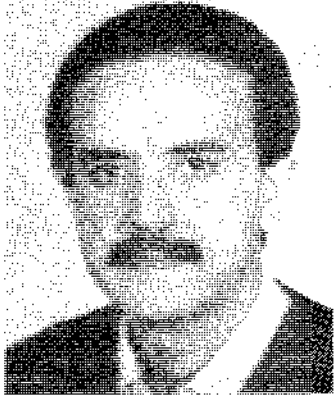
1758 / 1200.

**الخُمسي**، **عبد السلام بن أحمد** الذي كان

يتعاطى خطة العدالة سنة 1110 / 1699.

## الخمليشي، أسرة شريفة + أفراد ← أخمليش

وفي سنة 1974 أحرز الحمار الكونني على دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط بتحقيقه لكتاب الرندي : الوافي في نظم القوافي، وظل يدرس بكلية الآداب بالرباط إلى أن وافاه الأجل المحتوم.



اشتهر الحمار الكونني بنشره لأول أعماله الإبداعية في عدد كبير من المنابر الثقافية والأدبية أهمها جريدة العلم ومجلتا آفاق وأقلام، ولم يفكر الشاعر الكونني في نشر ديوان له إلا خلال سنة 1987 التي شهدت صدور عمله الفريد والوحيد رماد هسبريس، وهو ديوان شعري يضم عدداً من القصائد التي سبق للشاعر أن نظمها في مناسبات مختلفة خلال العقود السابقة من حياته.

وبما أن هذا الديوان هو العمل الوحيد الشعري الذي خلفه الشاعر الحمار الكونني، فإننا نقدمه في مجموعة من الإشارات كما يأتي :

- 1 - يبدو من قراءة قصائد هذا الديوان أنها كتبت على فترات متفرقة ومتباعدة في الزمن، بحيث إن بعضها يرجع إلى الستينات بأحداثها وتقلباتها الاجتماعية والسياسية في الوطن العربي، وبعضها يرجع إلى ما بعد الستينات ويعكس أوضاع التحول الحضاري والتطور في المجتمعات العربية في ظل الأزمات والمخاضات التي تحتازها.
- 2 - أن قصائد هذا الديوان على قلتها تعكس طول باع الشاعر في مجال النظم الشعري وتبوئه مكانة عالية بين الشعراء لثانة ثقافته وقوة ذاكرته التاريخية وحصانة كتابته الشعرية من وجهة نظر الدقة العروضية والإيقاعية. فالشاعر الحمار الكونني يحرص على شعر التفعيلة ويسهر على تحقيق التناسب الإيقاعي في شعره، فضلاً عن كونه يحلق بخياله الشعري في عوالم الخلق والإبداع فتراه يحيك من الكلمات صوراً ومجازات تخلق أكوانا شعرية أسرة بجمال الكلمة وروعة الصورة وتناغم الإيقاع. ولا يشبه الكونني في هذا المنحى في الشعر المغربي المعاصر غير المرحومين الشاعر عبد الله راجع والشاعر أحمد المجاطي.
- 3 - كان الشاعر الكونني كلفاً بالتراث رواية وحفظاً وتدرساً وتحقيقاً، فقد كان جهده الفريد في تحقيق كتاب

إبراهيم ابن راشد مقدما برياط الخروب بقبيلة جبل حبيب، وتقول عنه المصادر البرتغالية إنه كان يهاجم مدينة أصيلا باستمرار ويجعل حامية المدينة تعيش في فزع مستمر إلى أن استشهد أثناء اشتباك وقع بضواحي أصيلا في شهر ذي القعدة عام 931 / سبتمبر 1525.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 635.

الخمار، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني زكار الهبضية منهم : ميمون بن عبد الرزاق الحمار، كان يزاول خطة العدالة سنة 1191 / 1777، وابنه محمد بن ميمون الحمار كان يزاول نفس الخطة سنة 1234 / 1819.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 631.

محمد ابن عزوز حكيم

## الخمار ← بوشتي (مولاي -)

الخمار، العربي التطواني، فنان لازم مجالس السيد عبد السلام بن علي ابن ريسون الحسني التي كانت بمثابة حلقات منتظمة لتعليم الموسيقى الأندلسية غناء وعزفا، وقد مهر في العزف على الكمنجة. رواية شفوية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الخمار الكونني، محمد ولد بمدينة القصر الكبير، وتابع دراسته بها في المدرسة الأهلية إلى أن حصل على الشهادة الابتدائية سنة 1955. ثم انتقل إلى مدينة العرائش حيث حصل على الشهادة الثانوية سنة 1959. وسافر بعد ذلك إلى القاهرة حيث حصل على شهادة البكالوريا سنة 1963 بثانوية خليل الأغا، ثم قفل راجعا إلى المغرب ليتابع دراسته الجامعية بكلية الآداب بفاس لسنوات حصل بعدها على الإجازة في الأدب العربي سنة 1966. اشتغل الكونني مدرسا بالتعليم الثانوي بثانوية النهضة بمدينة سلا، ثم التحق بالتدريس بكلية الآداب بفاس سنة 1968.

الروافي في نظم القوافي دليلاً على حبه الكبير للتراث العربي من جهة وخبرته بالعلوم المساعدة على التحقيق مثل النحو والبلاغة والعروض فضلاً عن حسه النقدي المتميز في المقابلة بين النسخ والاهتداء إلى النسخة الأم أو الأصل، من قرائن المتن أو طريقة الكتابة أو منهج التأليف.

ومن هذا الحب الكبير للتراث كان يعرف الكنتوني في شعره بحيث نلفيه يقتبس من القرآن الكريم الآيات والمعاني والألفاظ، ويستدعي من التراث الشعري القديم ألواناً من المواقف والصور واللحظات الشعورية، ما يرضع به شعره تارة أو يبينه به تارة أخرى. فتعانقت الأصالة والمعاصرة في شعر الكنتوني في انسجام بديع وتناسب رائع.

تلك جملة من العلامات التي تميز شعر الخمار الكنتوني الذي رسخ تقاليد الحدائث في الشعر المغربي المعاصر، بتغيير طقوس الشعرية القديمة التقليدية باستحداث إيقاعات داخلية تختلف عن الإيقاع النمطي العروضي التقليدي، وتفتيق لغة جديدة تضع للمعجم الشعري التقليدي بدائل جديدة وقاموساً حديثاً من وحي الرموز والأساطير والدلالات الاستعمالية الموجهة من قبل الشاعر للتعبير عن مقاصد شعرية مستحدثة في سياقات الاستقبال النصي الحديث والمعاصر.

توفي في القصر الكبير يوم الاثنين 25 مارس 1991 بعد إصابته بمرض لم ينفعه فيه علاج.

م. الخمار الكنتوني، رمد هسريس، الدار البيضاء، 1987 : دليل الكتاب المغاربة، أعضاء اتحاد كتاب المغرب، إعداد : حسن الزواني، الرباط، مطبعة المعارف، الجديدة، 1993.

محمد أديوان

**الخمّال**، أسرة نبيهة تنتسب إلى الشرف، تتوزع مواطن سكنها في حواضر شمال المغرب وقراه في طنجة وتطوان والقصر الكبير والعرائش، والقبائل المحيطة بها.

وتنتسب عائلة الخمال إلى الشرفاء العمرانيين، فيصلون بنسبهم إلى عمران حفيد عبد الله ابن المولى إدريس الأزهر حيث تجتمع فروع الشرفاء العمرانيين جميعاً.

كانوا قديماً يعرفون بأولاد الرصاع، حسبما وقفت عليه في تقييد رسم شجرة أنسابهم، ولقبوا فيما بعد بالخممال واشتهروا به.

أصلهم من تَلْسُوط أحد مداشر قبيلة بني زجل الغمارية. رحل أحد رجالهم وهو السيد عمر بن محمد بن الفضيل في حدود النصف الأول من القرن العاشر، من موطن أجداده لينزل مدشر كموط ببني عمران، ويستقر به وينجب هناك أبناءه وأحفاده.

رحل أحد حفدته وهو عبد الله الخمال لينزل بقبيلة بني غرفط بمدشر الخطوط واستقر به فترك من ذريته هناك. ورحل منهم رجل فاستقر في قبيلة الخلط بأولاد عمران

وأنجب أبناءه وأحفاده بها، حيث أبناء الخمال العمرانيون مشهورون هناك.

وما يكاد يطل القرن الثالث عشر للهجرة حتى نجد فروع هذه الأسرة الخمالية قد تشعبت كثيراً لتتخذ مساكن لها في عدد من حواضر شمال المغرب، زيادة على قبائله وقراه.

وإذا كنا لا ندري متى انتقل هؤلاء الخماليون لسكنى كل من تطوان وطنجة والقصر الكبير والعرائش والقبائل المحيطة بها ليتأصلوا بها ويصبحوا من أعيان البلد فيها، فإن الذي تحمله إلينا الوثائق والتقايد على امتداد القرنين الثالث والرابع عشر للهجرة (19. 20 م) أن الأسرة الخمالية ظل بريقها لامعا بين أسر هاته المنطقة، تحتفظ بنسبها الشريف، فتعامل على أنها من الأسر العمرانية الحسنية الشريفة، وأن العديد من رجالها أصبحوا وجهاء بلدهم، وأن منهم من مارس القضاء والعدالة وقراءة العلم وإقراءه. بل إن منهم من ساهم إلى حد ما في الحياة السياسية في بيته الشمال على عهده. من أشهر فروع أسرة الخمال :

1) فرع قبيلة الخلط بأولاد عمران قرب القصر الكبير، ومنهم الوجهاء والعلماء، تسلسل فيهم قضاء قبيلتي الخلط والطليق قرابة القرن ونصف القرن، وكانت تمتد ولايتهم أحيانا لتشمل مدينة أصيلا والقبائل الواقعة بهذه الجهة، مثل بني جرفط وبني سريف، وقبائل الغريبة والساحل، والبدور، ويداوة، وجبل حبيب.

ففي شجرة أنسابهم يرد اسم العالم القاضي الطاهر بن محمد الخمال العمراني، وولديه العدلين الفقيهين الهاشمي، ومحمد، وابن عمهما القاضي الطيب بن الفضيل بن محمد الخمال، وهم جميعاً من رجال أواخر القرن الثاني عشر للهجرة.

ويتولى على امتداد القرن الثالث عشر أبناء القاضي الطيب الخمال وأحفاده منصب القضاء في الجهة المذكورة. فقد وقفت ضمن وثائق جائزة الحسن الثاني للمخطوطات لسنة 1998 على مجموعة ظهائر تخص هذه الأسرة الخمالية، منها :

- ظهير سلطاني بتولية الفقيه العربي ابن القاضي الطيب الخمال العمراني، القضاء بقبيلتي الخلط والطليق، وتاريخه عام 1207.

- ظهير بتولية الفقيه القاضي محمد بن التهامي محل والده القاضي التهامي بن الطيب، قضاء قبيلتي بني جرفط وبني سريف، وتاريخه عام 1269.

- ظهير سلطاني بإقرار الفقيه محمد بن التهامي الخمال على ولاية خطة القضاء بقبيلتي الخلط والطليق، وتاريخه عام 1281.

- ظهير السلطان الحسن الأول بإقرار ولاية خطة القضاء للفقيه محمد بن التهامي على قبيلتي الخلط والطليق وتاريخه عام 1290.

وضمن هذه الوثائق ظهائر سلطانية بالتوقيع والاحترام لأفراد هذه الأسرة وأبناء عمومته، منها :

- ظهير حسني بالتوقيع والاحترام للقاضي محمد بن التهامي الخمال، وأخيه عبد الله الخمال وأبناء عمومته بالقصر الكبير، وتاريخه رمضان عام 1292.

- وظهير تاريخه 1293 بإقرار القاضي المذكور محمد بن التهامي الخمال، على ما بيده ويد عائلته من الظهائر.

- وظهير عزيزي تاريخه ربيع الأول عام 1312 بالتوقيع والاحترام للطالب العربي الخمال وولده الفقيه القاضي مبارك الخمال، ومن انضاف إليهم من أبناء عمومته.

وضمن هذه الوثائق أيضاً مخاطبات وظهائر سلطانية وخليفة بشأن الفقيه القاضي مبارك الخمال الذي مارس القضاء قرابة أربعة عقود، منذ سنة 1312 وقد تولى قضاء الخلط والطلق، فسنة 1330 وقد كان قاضياً بأصيلا، إلى سنة 1348 حيث أُسند له قضاء مدينة شفشاون.

وما تزال بقية هذا الفرع في القبائل المذكورة ومدن العرائش والقصر الكبير.

2) فرع طنجة، وهو وإن لم يبرز في العلم وممارسة حرفة القضاء كفرع الخلط، إلا أنه أوجد لنفسه موقعا متميزا بين أسر طنجة الوجيية، فلا يرد اسم الخمال في طنجة إلا ويقترب به ذكر الوجيية الشري الشريف محمد الخمال العمراني الحسني الطنجي آتي الترجمة.

وإذا كانت قرابة العمومة ما تزال تجميع بين هذا الفرع والذي قبله لتمتد بينهما الصلات والزيارات وكان الانتساب إلى أرومة الخمال العمرانيين قائما، فإن نزول هؤلاء الخماليين بطنجة ووفادتهم عليها وهم يمثلون عائلات كثيرة، إنما تم من بادية طنجة وفي أوقات مختلفة ومتباعدة، وبخاصة من قرى فحص طنجة حسب ما هو معروف ومتداول بين أهل طنجة اليوم.

وحسب تقييد في أسر طنجة لمؤلف غير معروف فإن أولاد الخمال الموجودين بطنجة هم من قبائل الجبل، يوجد منهم ثلاث عائلات :

إحداها : وهي المعدودة من أعيان طنجة لم يبق منها إلا فرد واحد، وهو السيد محمد الخمال، ذو سمعة طيبة عدل، ملاك، ليست له مشاركة علمية، حسن السمعة من الوجهاء. والآن عضو بالمجلس البلدي، منعزل ومشتغل بما يعنيه، ليس له اتجاه سياسي.

ثانيها : أقل من الأولى درجة في الوجاهة والاعتبار وأظهر هذه العائلة السيد محمد بن عمر الخمال التاجر، من الوجهاء، ذو سمعة طيبة، مشتغل بما يعنيه.

ثالثتها : وهي أولاد المختار الخمال... وقد ظهر فيها شخصان هما الأخوان السيد محمد التاجر الملاك المحمي الإسباني ذو سمعة لا بأس بها وذو كفاءة ومقدرة على الأعمال، المرشح لمنصب المحتسب . والسيد أحمد التاجر العضو بالمجلس البلدي... وهما من الوجهاء الجدد اليوم.

ومع هذين الفرعين الكبيرين تعرف أسرة الخمال بيوتات أخرى متفرقة في بادية شمال المغرب وحواضره، منهم رجال مارسوا العديد من الوظائف العالية في القضاء والتعليم وتولوا مناصب القيادة والباشوية وغيرها.

شجرة نسب أسرة الخمال، مخطوطة، وثائق جائزة الحسن الثاني للمخطوطات عام 1998 ؛ نصوص ظهائر ضمن وثائق جائزة الحسن الثاني للمخطوطات لعام 1998 ؛ منظومة بخط المؤلف ضمن مجموع يمكنه كون بطنجة، لم يُرقم بعد ؛ م. الرايس، الرحلة المرصعة ببديع اللآل، مخطوط خ. ع رقم ك 467 ثاني مجموع ؛ م. الفاطمي الصقلي، النخلة الشمالية، مخطوط خ. ع. رقم ك 467 أول مجموع ؛ مجهول، تقييد في أسر طنجة، أنجزه خلال العقد الرابع من القرن العشرين في شكل تقرير لفائدة بعض الجهات ؛ عدة رسوم شهد فيها محمد الخمال الطنجي، وتاريخها 1940.

عبدالله المرابط الترغي

### الخمال، عبد السلام بن محمد الحسني العمراني

الحوزي، الفقيه الأستاذ الحيسوبي الفرضي الميقاتي الزاهد الورع. ولد بتطوان ظنا، لأنه من مجشر (واد آغلًا) بقبيلة الحوز الذي يبعد بضعة أميال عن تطوان. وكان يحكي أن والدته باعت دويرة لها للإتفاق عليه في رحلته إلى فاس لطلب العلم. وفعلاً انتقل إلى فاس في أواخر العقد الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، ومكث فيه ما شاء الله. وأخذ العلم عن علماء القرويين المتصدرين للتدريس من أمثال ابن الحياط وابن الجيالي الأمازيغي والعلوي الضير وأمثالهم، وكان أخذ بتطوان عن بعض علمائها ولا سيما الاستاذ عبد السلام الدهري الذي حفظ عليه القرآن وجوده وتلقن منه رواية البصري وأتقنها إلى غيرها. هذا إلى جمال الصوت وإتقان الأداء، ويذكر أنه صلى التراويح بالجامع الكبير بتطوان فكان الناس يقصدونه من الأحياء البعيدة لسماع تلاوته المتقنة والاستمتاع بجمال صوته ونغمته الشجية، على أنه امتاز بين أئمة مساجد تطوان بطريقته الخاصة في الأداء والقراءة بحرف أبي العلاء البصري، فكان طلبة الحزب يسايرونه باصوات خافته بينما يعلو صوته فترجعه أروقة المسجد ويسمع من خارجه.

كان مرجعا في الرياضيات خصوصاً الحساب والتوقيت والعمل في الفرائض والمناسخات إلا أنه كان لانتباهه وشدة ورعه لا يتصدر للتدريس وإنما يجتمع بطلبة مخصصين بمسكنه بمدرسة القاضي ابن قريش بشارع الوطيه من حي العيون بتطوان، وحدثني تلميذه القاضي السيد عبد السلام علال البختي أنه رغب إليه وألح في دراسة كشف الأسرار للقاصدي فأجاب بعد تردد فسمع منه ما قل نظيره من إتفاق وتحرير في الحساب والتوقيت. ومن كان يؤم منزله لذلك السيد أحمد بن البشير الحراق حفيد الشيخ محمد الحراق الصوفي الشهير، والفقيه محمد اعميار المدرس بالمعهد الديني يومئذ والشريف محمد

البيعقوبي وغيرهم من نبغاء الطلبة، وكلهم انتقلوا إلى عفو الله، ففات معهم الكثير من أخبار المترجم له الذي نعرفه منقطعاً بالمدرسة المذكورة ما يزيد على ثلاثين سنة لا يغادرها إلا للضرورة، وكان تزوج في شبابه من أمة وأنجب منها ولداً توفي بعده. وظل على حالة الزهد والانتقاض محمود السيرة، نقي السريرة، متبلفاً بالقليل، إلى أن انتابته أمراض، وضعف بصره. وجاء استقلال المغرب فرأى من تغير الأحوال ما لم يتوقعه ولم يعهده فكثرت شكواه وشكاياته إلى أن وافته المنية وحيداً بمنزله بالمدرسة في شهر جمادى الأولى عام 1377 / 1957 رحمه الله كما هو مثبت على قبره، ودفن غربي ضريح أبي الحسن المنظري خارج باب المقابر من تطوان.

روايات شفهية، ومخالطة شخصية.

محمد الأمين بوخيزة

### الخمّال، العياشي ينتمي إلى عائلة الخمال ببني

گرفط وهو من مشاهير فقهاء البادية وعلمائها خلال القرن الرابع عشر.

ولد في حدود عام 1900 ببني گرفط ونشأ بالبادية فقرأ بها على الشيوخ وحضر في جلسات العلم والإقراء بقبيلة بني جرفط حيث كانت مدارسها نشطة بالعلم عامرة بالشيوخ.

ثم أتم الدراسة بفاس حيث بقية المشيخة الكبيرة. وعند عودته مارس التدريس في جوامع ومساجد القرى ببادية الشمال، واستقر أخيراً بقبيلة ودراس حيث اشتهر درسه العلمي بمسجد الضاية منها فأتمه الراغبين في العلم، وتخرج على يده عدد كبير من طلبة البادية وفقهائها.

اشتهر الرجل بصدقه، وحسن استقامته وزهده في الدنيا، فكان مقبلاً على شأنه، متفانياً في الله يحب الناس ويسعى في خيرهم وإصلاحهم، ولا سيما إن كانوا من أهل العلم وطلبته.

توفي في حدود عام 1980.

### الخمّال، مبارك بن الطالب العربي من عائلة

الخمال العمرانيين بقبيلة الخلط، ومن فرع تعاقب أبناؤه على قضاء قبيلتهم والنواحي المجاورة.

لا أعرف تاريخ ولادته ونشأته، غير أن نجمه بدأ يسطع منذ سنة 1312 حينما صدر في حقه ظهير عزيزي بالتوقيع والاحترام، له ولوالده ومن أضيف إليهما من أبناء عمومتهم. ثم في نفس السنة وفي رجب منها يحظى بظهير عزيزي أيضاً يتولى بموجبه خطة القضاء بقبيلتي الخلط والطلّيق.

غير أن شيئاً ما يحدث سنة 1314، فيعمد باشا أصيلاً محمد بن عبد القادر الخلخالي إلى سجنه. ويتحرك الشرفاء الريسونيون ليتشفعوا فيه عند السلطان، فيقبل الشفاعة، ويأمر الباشا الخلخالي بتسريحه من السجن وإخلاء سبيله. ولست أدري متى عاد إلى ممارسة خطة القضاء، ولكننا نعرف أنه كان قاضياً على مدينة أصيلاً حينما خاطبه السلطان عبد الحفيظ بتاريخ جمادى الأولى عام 1328 في شأن شراء الأملاك للأجانب.

ويرشحه السلطان عبد الحفيظ من خلال ظهير سلطاني تاريخه شعبان 1328 ليكلفه بقضاء قبيلتي الخلط والطلّيق أيضاً.

ويستمر قاضياً على مدينة أصيلاً لتتوجه إليه مخاطبات السلطان المولى يوسف تخبره بتاريخ 3 ذي الحجة عام 1330 بما قرره من إدخال إصلاحات على سير القضاء بالإيالة الشريفة، وأنه رشح وزير العدلية آنذاك الشيخ شعيب الدكالي ليقوم بذلك. وتتوجه إليه مخاطبة أخرى بتاريخ 15 ذي الحجة عام 1330 تخبره بما قرره جلالتنه من ترشيح الوزير الطالب أحمد اللجائي لإدارة الأحباس بالإيالة الشريفة.

ورغم أن شمال المغرب سيصبح منطقة خليفية تحت الحماية الإسبانية، فإن ثقة الخليفة السلطاني بالمنطقة تتجدد بترشيح الشيخ مبارك الخمال لتولي خطة القضاء. وهكذا يصدر الخليفة السلطاني مولاي المهدي بن إسماعيل ظهيراً تاريخه ربيع الثاني عام 1341 يتولى بموجبه الفقيه القاضي مبارك الخمال قضاء مدينة أصيلاً وقبائل الغربية والساحل والبدور وبدأوة وجبل حبيب وبني گرفط.

وآخر ما يتولاه الشيخ الفقيه مبارك الخمال هو قضاء شفشاون، فيصدر عن الخليفة السلطاني الحسن بن المهدي ظهير بتوليته قضاء شفشاون بتاريخ 27 ربيع الثاني عام 1348 موافق فاتح أكتوبر عام 1929.

ولا أعرف المدة التي قضاها الفقيه القاضي مبارك الخمال في هذه الولاية، إذ يذكر أنه توفي بعد سنة 1348 وهو ما يزال قاضياً بشفشاون حيث دفن بها.

مجموع الظواهر المتعلقة بعائلة الخمال، جائزة الحسن الثاني للمخطوطات سنة 1998؛ الجباري، أصيلاً وأعلام، ص. 210؛ ع. الريسوني، أبطال صنعوا التاريخ، ص. 280.

عبد الله المرابط الترغوي

### الخمّال، مبارك بن المهدي عالم من قبيلة الخلط

الهيطية كان برأس جماعة من مجاهدي قبيلته انضم إلى صفوف المقاومة المسلحة التي كان يرأسها الشريف مولاي أحمد الريسوني، وقد انتخب عضواً في المجلس الاشتشاري للمقاومة في المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية بقبيلة الفحص

يوم 11 ماي 1913، وشارك في باقي مؤتمرات الثورة وفي ستة معارك.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخَمَال، محمد الطنجي العمراني الحسني الوجيه** المثري. ترجم له الشيخ محمد بن العياشي سكيرج في منظومته في ذكر مزايا طنجة وتاريخها بما نصه :

وخمال فيهم بذى تصرف وجيه نزيه وذو سبب  
أخذ من الشهرة والوجاهة في بلده ما جعله محط أنظار  
الوافدين على طنجة من العلماء والأدباء والأعيان.

وصفه الشيخ الأديب محمد بن محمد الرايس الفاسي (ت. 1324) في طاعة الرحلة المرصعة بأنه "من أعظم الناس في الامتثال، وأسرعهم لنيل الأفضال، الشريف المنيف، اللوذعي الغطريف، الحائز قصب السبق في مضمار الكرم والجدود، ورائة عن آباء كرام وجدود، نجل الرسول، وبضعة مولانا علي وسيدتنا البتول، العاقل الماهر الذكي، الفاضل الذاهر الأملعي، الجامع لأصناف الكمال والجمال، أبي عبد الله سيدي محمد العمراني المدعو بالخمال".

ووصفه الشيخ الفاطمي الصقلي (ت. 1311) في مقدمة رحلته المسماة : النفحة الشمالية بأنه "الشريف المنيف، السري الغطريف، الفاعل للخير والدال عليه، المشتغل بالفضل والمرشد إليه، محب العلم وأهله، المتفق على فضله ونيله، السخي الذي أنسى معن بن زائدة، بمواهبه الزائدة : الحبي الخاشي الخاشع ... الذكي الأوحى الأسمى السني، المرتقي أفق الفضائل والمعالي السامية، نجل النبي محمد خير الورى المرتضى ذو المكرمات الهامية، أبو عبد الله سيدي محمد العمراني المدعو الخمال، بلغه الله كل الآمال".

كان هذا الشريف الخمال قد أعمل الرحلة من طنجة إلى فاس عام 1300 لزيارة جده المولى إدريس الأزهر، وذلك في ركب كبير صحب معه فيه جماعة من أعيان طنجة وغيرهم من العلماء والأدباء. وحظي باستقبال كبير في الطريق التي مرَّ منها، وفي فاس أثناء إقامته بها حيث خصه أدباء فاس بقصائد في مدحه والثناء عليه.

وفي وصف أحداث رحلته هاته ألف الشيخ الأديب محمد بن محمد الرايس الفاسي (ت. 1324) الرحلة المرصعة ببديع اللال في ترحال الشريف المنيف سيدي محمد الخمال، ووفوده على حضرة فاس، لزيارة طيب الأنفاس، يتيمة الجوهر النفيس، أبي العلاء سيدنا ومولانا إدريس. وقد ضمنها أشعاراً في مدحه.

كما كانت أحداث هذه الرحلة أيضاً هدفاً لكتابة جديدة في صياغة متأنقة من طرف الشيخ الأديب محمد الفاطمي الصقلي (ت. 1311) سماها : النفحة الشمالية العاطرة الأنفاس، في الرحلة الخمالية لحاضرة فاس، وقد ضمنها أشعاراً كثيرة له ولغيره مما قيل في الثناء على هذا الشريف الخمال ومدحه.

وختمها بنظم للرحلة أتى فيه على تسمية المراحل التي نزل بها والجهات التي عملت على ضيافته أثناءها. ويعود في نفس الطريق، إنما كان مروره على مكناش، وينزل أيضاً في ضيافة قواد عصره وأعيان القبائل التي مرَّ

**الخَمَال، محمد بن التهامي العمراني الحسني،**

من أسرة تميزت بتسلسل القضاء بين أفرادها على قبيلتي الخلط والطليق. فكان أبوه التهامي ابن الطيب قاضياً على القبيلتين المذكورتين، وبعض قبائل الهبط مثل بني سريف وبني غرفط. وقد خلفه ولده صاحب الترجمة على قضائهما. وكان قبله جده القاضي الطيب بن الفضيل قاضياً على بعض قبائل هذه الجهة. وتولى عمه العربي بن الطيب قضاء قبيلتي الخلط والطليق بموجب ظهير سلطاني تاريخه جمادى الأولى عام 1207.

وسيكون لأبناء صاحب الترجمة وأبناء أعمامه حظ في تولية قضاء قبائل هذه الجهة واستمرار خطته بين أيديهم. لا أعرف شيئاً عن أولية هذا القاضي محمد بن التهامي، سواء عن تاريخ ولادته أو عن نشأته أو عن شيوخه ودراسته. ولا أشك أنها كانت في قبيلته أولاً، ثم في قبائل الهبط المجاورة حيث كثرة المدارس وحلقات شيوخ العلم، فمدينة القصر الكبير ثانياً. رغبر بعيد أن يكون قد درس على علماء فاس برهة من الزمن. فالرجل لا يعرف إلا بالفقيه القاضي ولا يذكر إلا وقد وصف بهما.

تولى قضاء قبيلتي بني سريف وبني غرفط معوضاً والده في ذلك بناء على ظهير التولية الصادر عن قائد تلك الجهة بتاريخ 1269.

وبقره السلطان المولى محمد بن عبد الرحمن بظهير سلطاني تاريخه عام 1281، على ولاية خطة القضاء بقبيلتي الخلط والطليق، ثم بقره الحسن الأول على ذلك بظهير تاريخه 17 ذي القعدة عام 1290.

ويبدو أن الرجل قد حظي في آخر حياته بعطف خاص من السلطان وقائده الوالي على العرائش والقبائل المحيطة بها محمد بن علي العرائشي إذ خصه السلطان بظهير التوقيع والاحترام تاريخه 10 رمضان عام 1292 ليشملة ويشمل أبناء عمومته. وتنتهي حياة هذا القاضي في إحدى سنوات العقد الأخير من القرن الثالث عشر. ومن المؤكد أن وفاته لم تتجاوز سنة 1300. ففي مخاطبة للقاضي محمد بن محمد الزرهوني الشلي تاريخها جمادى الثانية عام 1300 تأمره أن يكف عدوكه عن الرفع والتوقيع على خطاب القاضي محمد بن التهامي الخمال المتوفى بعد أن كثرت الرسوم المزورة التي تفتعل توقيعهم.

مجموع الظواهر المتعلقة بعائلة الخمال، جائزة الحسن الثاني للمخطوطات سنة 1998 : الجباري، أصيلا وأعلام، ص. 210 : ع.

الريسوني، أبطال صنعوا التاريخ، ص. 280.



ساهم في تنظيم وتسيير الكشافة الإسلامية التي كان لها دور فعال ببلده. وبقي يشغل منصب خليفة عامل إقليم طنجة في مرحلة الاستقلال إلى أن أحيل على التقاعد. توفي عام 1997 وعمره 85 سنة ودفن بمقبرة مرشان بطنجة. عبد الله المرابط الترغي

**الخَمَانُ** أو "تيلسان" أو "لواكية" أسماء تطلق على ستة أنواع من الشجر من جنس *Lonicera* ونوعين اثنين من جنس *Viburnum*. وجميعها ينتمي إلى فصيلة الخَمَانِيَّات أو البلسانيات *Caprifoliaceae*. وهو شجيرات صغيرة جد متفرعة، قائمة أو متسلقة. أوراقها تختلف حسب الأنواع رمحية أو قلبية الشكل. بعضها مستديم الخضرة، والبعض الآخر له أوراق نفضية. أزهارها بيضاء أو صفراء. تتميز أزهار جنس *Lonicera* بأنبوب طويل ينتهي بشفتين ورائحة عطرية.



خمان

تعيش أنواع الخمان في المناطق البيومناخية الرطبة جدا والرطبة وشبه الرطبة واستثنائيا شبه الجافة. بعض الأنواع تتطلب أراضي سميكة وخصبة تكون بجوانب مجاري المياه.

تستعمل بعض الأنواع لاستخراج الزيوت العطرية وأخرى في التطبيق التقليدي. أبحاث شخصية.

عبد المالك بنعبيد

ابن **خَمْنُو**، أسرة تطوانية أصلها من بني خالد القبيلة الغمارية، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان. م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 233.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخَمِيرِي**، (أولاد -) أسرة فاسية أصلها من الأندلس أهل معاش وحرقة وتجارة ومال. ونسبهم صاحب المقصد

منها في الذهاب. ودخل طنجة في حفاوة وحسن استقبال بالغين.

كان محمد الخمال الطنجي ما يزال حياً عام 1325 حسب تاريخ فتوى تتعلق به.

م. الرئيس الفاسي، الرحلة المرصعة ببديع اللآل في ترحال الشريف سيدي محمد الخمال، مخطوط : م. الفاطمي الصقلي، النفحة الشمالية العاطرة الأنفاس، في الرحلة الحمالية لمحاضرة فاس، مخطوط.

**الخَمَال**، محمد بن عيد السلام من عدول تطوان في القرن الثالث عشر للهجرة. وصف بالفقيه. وذكره الفقيه محمد داود في لائحة عدول هذه المرحلة، إذ كان يشهد حسب بعض الرسوم العدلية في تاريخ 1249 و 1265. كما أورد رسماً عدلياً يشهد فيه. وفي محوكة تعريف بالعدل محمد بن عيد السلام الخمال صاحب العلامة به ؛ والتوقيع عليه، من طرف العدل محمد السلاسي، تاريخه عام 1280. فيذكر عنه أنه كان عدلاً يشهد بمدينة تطوان إلى أن توفي بها قبيل عام 1280.

**الخَمَال**، محمد بن محمد التطواني من عدول تطوان في منتصف القرن الثالث عشر. وذكره الفقيه داود في تاريخ تطوان في لائحة عدول هذه الفترة، وأورد نصوص بعض الرسوم العدلية التي شهد فيها. كان حياً عام 1267.

**الخَمَال**، محمد بن محمد الطنجي من سلالة الشريف الخمال الثري الشهير سابق الترجمة. كان له حظ من العلم وممارس العدالة ووصف بالفقيه، وهو ممن ذكره صاحب التقييد في أسر طنجة فأثنى عليه : "ذو سمعة طيبة، عدل، ملاك، ليست له مشاركة علمية، حسن السمعة، من الوجهاء، والأآن عضو بالمجلس البلدي، منعزل ومشتغل بما يعنيه". وقفت على رسوم عدلية تحمل توقيع محمد بن محمد الخمال العمراني، وتاريخها عام 1940 وقد شهد فيها مع الفقيه العدل الصادق بن المهدي ابن عجيبة الحسني (ت. 1382).

كان محمد الخمال حياً عام 1340.

**الخَمَال**، مصطفى الطنجي من أهل طنجة وأعيالها، عمل في الحقل الوطني واشتهر بصدقه وجرأته وثباته، فكان بيته منتدى للوطنيين في تجمعاتهم واحتفالاتهم. ويعتبر من المؤسسين الأوائل لفرع حزب الإصلاح الوطني بطنجة.

الأحمد إلى قبيلة لتوتة. ولا تعارض في ذلك مع الأصل  
الأندلسي. ومنهم :

**الخميري، علي** فقيه عدل، كان يتولى الإشهاد بفاس  
عام 1204 / 89 . 1790.

**الخميري، العياشي** بن يخلف، أبو محمد، من  
المتصوفين الناسكين المشار إليهم بالصلاح والزهد. توفي  
بفاس ليلة الأربعاء ثامن عشر صفر عام أربعة وستين  
وماثنين وألف / 25 يناير 1848.

**الخميري، مبارك** بن محمد الفاسي، صوفي من أكبر  
مريدي الشيخ العربي الدرقاوي. قال عنه في **إنحاف المطالع** :  
"يشار إليه بالخير والصلاح، وله أتباع وتعظيم واحترام".  
م. القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996،  
ج 5 ؛ ع. السلام القادري، المقصد الأحمد، طبعة حجر فاس، 1937  
؛ ع. ابن سودة، إزالة الالتياس، مرقون، 1 : 184 ؛ **إنحاف المطالع /**  
موسوعة أعلام المغرب، ج. 7.

**الخميري، محمد** (الحاج -) بن عبد السلام الفاسي  
ولد بفاس عام 1325 / 1907 في أسرة حرفية محافظة  
اشتهرت بالمهارة في ميدان التجارة ونقش الخشب.

وقد عرف محمد الخميري بمواقفه الوطنية ومن أبرزها  
دوره في أحداث فاس الدامية سنة 1944 حيث سقط العديد  
من الشهداء في المظاهرات بساحة "گرواوة" بباب الخوخة،  
وقد منع الفرنسيون دفنهم حتى يقع التعرف عليهم للتنكيل  
بأسرهم، قياد المترجم ليلاً إلى معمله بحي الفخارين فحمل  
منه ألواحاً خشبية عديدة وحفر مقبرة جماعية في أرض له  
قرب ساحة گرواوة (تحمل اليوم اسم حي الشهداء) وأرى  
فيها جثث الشهداء فأفشل بذلك مخطط المستعمر، وتعرض  
بسبب ذلك إلى مدهامة معلمه وتفتيش بيته واستنطاقه  
وإيداعه سجن "برج النور".

ومن آثاره الفنية الباقية السقوف الخشبية المزخرفة في  
محكمة الدار البيضاء بحي الأجناس، ودار الحديث الحسينية  
بالرباط. ونماذج للنقش والزخرفة على سقوف خشبية شارك  
بها في معرض بروكسيل الدولي لسنة 1958 مازلت  
محفوظة معروضة هناك.

توفي بفاس عام 1396 / 1976.  
وثائق عائلية.

محمد حجي

**خميس الزهامة**، مركز حضري على الطريق الوطنية

رقم 1، الرابطة بين الجديدة وأسفي، عند النقطة الكلمترية  
80 جنوب مدينة الجديدة، وسط سهل دكالة الغني ووسط  
دائرة مسقية تحمل اسم هذا المركز.

**الخميري، عبد اللطيف** بن محمد بن عبد السلام  
الفاسي، ولد بمدينة فاس في 23 رجب 1350 / 4 دجنبر 1931.  
درس في مسقط رأسه بمدرسة التهذيب الحرة، ثم بجامعة  
القرويين، وأثناء دراسته بها التحق بخلايا الحركة الوطنية  
مناضلاً وصار قائداً كشافياً مما عرضه لكثير من المضايقات  
والسجن. وبعد تخرجه من القرويين في بداية الاستقلال  
شارك في طريق الوحدة، وأصبح منذ ذلك التاريخ مسؤولاً  
في جمعية بناء الاستقلال.



التحق بعد ذلك بجامعة السوربون في باريس لمتابعة  
الدراسة بها، وبعد عودته عمل في حقل التدريس بضع  
سنوات، ثم انتقل إلى وزارة الاقتصاد والمالية سنة 1960  
فكان من الأطر الذين عملوا على تعريبها، ثم إلى وزارة  
الخارجية سنة 1963 فعمل قنصلاً بتونس فقاتماً بالأعمال  
في جمهورية الصين الشعبية، ثم سفيراً بالخرطوم سنة  
1974، فقاتماً بالأعمال في طهران. وفي سنة 1981 عين  
مديراً بديوان وزير التخطيط والتكوين المهني وتكوين  
الأطر، ثم أصبح مديراً لمكتب التعاون في نفس الوزارة حيث  
قام بإنشاء مئات التعاونيات في مختلف القطاعات  
الاقتصادية. وعمل على إصدار "ميثاق التعاونيات" الذي  
صادق عليه البرلمان.

اهتم المترجم إلى جانب ذلك بالصحافة، فكان من  
محرري **جريدة العلم** لمدة غير قصيرة ونشر فيها وفي  
دوريات مغربية أخرى عدة مقالات تتعلق بالقطاع  
الاقتصادي والاجتماعي. وتوفي بالرباط في 17 ربيع الثاني  
1407 / 20 دجنبر 1986.

وثائق عائلية وإدارية ؛ جريدة العلم.

**الخميري، علي** فقيه صالح إمام زاوية سيدي محمد  
ابن عبد الله معن بالخفية، توفي قبل بفاس عام 1146 / 33 -  
1734.

رقي المركز إلى مرتبة بلدية منذ التقسيم الإداري الجديد سنة 1992، وتساوي مساحة مدارها حوالي 250 هكتارا، تحدها من الشمال والجنوب والشرق جماعة الغنادرة ومن الغرب جماعة أولاد اسيطة.

وقد كان خميس الزمامرة مجرد تجمع لبضع عشرات من الخيام عند بداية الحماية. ولم يكن يميزه عن تجمعات الخيام الأخرى المتناثرة بمنطقة الزمامرة والتي كان مجموع خيامها يفوق التسعمائة، سوى أهمية السوق الأسبوعي الذي ينعقد بالقرب منه. ولعل موقع هذا التجمع وسط أراضي التيرس الغنية بدكالة هو الذي جعل إدارة الحماية تحول موضع السوق القروي إلى مركز استيطان فلاحي ونقطة مراقبة أساسية لقبائل المنطقة.

لكن مركز خميس الزمامرة سيعرف تطورا ملحوظا في العقدين الأخيرين، خاصة، مع تجهيز دائرتي الزمامرة والغربية السقويتين، ومع تشييد معمل لتكرير الشمندر السكري سنة 1981. فقد قفز عدد السكان من 1464 نسمة سنة 1971 إلى 4761 نسمة سنة 1982، وإلى 10310 نسمة سنة 1994، بنسبة نمو إجمالي، خلال 12 سنة الأخيرة، تصل إلى 116.6٪ ونسبة تزايد سنوي تصل إلى 6.65٪، وهي أعلى نسبة تزايد حضري سجلت بإقليم دكالة ما بين إحصائي 1982 و1994.

ارتبط هذا النمو السريع بالهجرة القروية، وخاصة من القبائل المجاورة : أولاد عمرو : 73.5٪، أولاد بوعزيز : 11.3٪، أولاد عمران : 6.7٪ وأولاد فرج : 2.8٪. وتستحوذ فخذة الغنادرة - أولاد عمرو على أعلى نسبة من المهاجرين إلى هذا المركز. ومنميزات سكان هذه القبيلة احترام التجارة كمصدر للعيش والكسب وجمع الثروة. ورجال الغنادرة يُعرفون منذ فترة طويلة بتعاطيهم للبيع والشراء، وأغلبهم، الآن، يُعمر الأسواق الدكالية والأسواق الوطنية، ومنهم نخبة تمارس التجارة على المستوى الوطني، الشيء الذي يفسر النسبة الهامة للسكان النشيطين في التجارة بمركز خميس الزمامرة، والغياب التام بالمنطقة للعناصر الأجنبية المعروفة بممارستها للتجارة، وهي حالة استثنائية بإقليم الجديدة.

ارتبط النمو السريع لسكان الزمامرة أيضاً، وكما سبقت الإشارة إلى ذلك، بتجهيز الشطر الثاني من "المصلحة السفلى" بقطاع دنالة السقوي. ذلك أنه بعد حسم مسألة تقسيم مياه نهر أم الربيع بين أهم المستعملين، وبعد تشييد سد المسيرة، تم إعداد وتجهيز دائرة الزمامرة السقوية ما بين 1977 و1980 ومساحتها 15.410 هكتارات، مسقية بطريقة الرش، ودائرة الغربية التي تم تجهيزها وسقيها ما بين 1982 و1984، ومساحتها 13.100 هكتار مسقية أيضاً بطريقة الرش. وتجهيز هاتين الدائرتين تم تشييد فرع للمكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي لدكالة بمدينة خميس الزمامرة. كما أنه انطلقا من سنة 1981 بدأ معمل السكر

بالزمامرة في استقبال وتكرير الشمندر السكري من الدائرتين السقويتين المذكورتين. ولهذا المعمل قدره على معالجة 7000 طن من الشمندر يوميا، ويصل إنتاجه من السكر الخالص (سكر الطاووس المسحوق وقطع السكر البراد) إلى 65000 طن سنويا، إضافة إلى منتجات ثانوية أخرى كالثفل الرطب : 60000 طن والعلف المركز : 38000 طن والميلاص : 30000 طن. ويشغل معمل السكر هذا 180 من الأطر والمستخدمين الرسميين و 104 من الموسمين، مساهما بذلك في توسع المدينة. فبالإضافة إلى حي السكر الذي يأوي الأطر وبعض المستخدمين ويحتوي على نادي ومطعم خاصين بالعاملين بالعمل، هناك تجزئة الشباب التي قامت بتجهيزها جمعية الأعمال الاجتماعية واستفاد منها المستخدمون.

وبموازاة هذا التطور السريع لمركز خميس الزمامرة اتسعت رقعة البناء على طول المحاور الطرقية المتفرعة في اتجاه الغرب والجنوب الغربي، وبالجبهة اليمنى للطريق الوطنية رقم 1. فمع استقرار مصالح ومكاتب مقاطعة المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي توسع الحي الإداري نحو الشرق، يمين الطريق الوطنية وما بين الحي الإداري والحي المحمدي (بام) في الغرب تم تجهيز تجزئتين جديدتين سنتي 1983 و1985 وهما النهضة والأمل. أما في اتجاه الجنوب الغربي، أي في اتجاه السوق الأسبوعي فإن البناء يتطور بشكل عشوائي في إطار تجزئات لا تسير فيها التجهيزات الجماعية (خصوصا التطهير) وتيرة البناء السريعة.

فعلاً، فإن مدينة خميس الزمامرة تعاني بحدة من مشكل التخلص من النفايات السائلة، سيما وانها تقع بمنطقة سهلة منبسطة. يتم تجميع مياه الصرف في شبكة تمتد على طول الطريق المؤدية إلى الغربية لتصل حتى دوار أولاد ابن الشاري، حيث هناك محطة للتصفية، غير أنه لأسباب مجهولة تم التخلي عن هذه المحطة، لتصل تلك النفايات السائلة غير معالجة إلى ضاية كبيرة تستعمل أيضاً لاستقبال المياه المستعملة في الفلاحة.

ويبقى النسيج الحضري لمدينة خميس الزمامرة عموما ضعيف التماسك رغم أن مساحة البلدية صغيرة جداً، إذا ما قورنت بباقي المدن الصغيرة. كما أن الضغط على هذا المجال قليل الحدة رغم أهمية نسبة تزايد سكان المدينة سنوياً (6.65٪)، ويتجلى ذلك في ثمن الأرض المنخفض (750-1500 درهم / م<sup>2</sup>) مقارنة مع مركز حضرية أخرى بإقليم كسيدي بنور وسيدي إسماعيل ...

تحريرات ميدانية : أ. بلعسي، التحديث الفلاحي ونمو المراكز الحضرية، مثال الدائرة السقوية لدكالة، رسالة لنيل د. د. ع، شعبة الجغرافية، الرباط، 1988 : خ. إسماعيل، تحول البنيات الفلاحية في القطاعات المسقية، نظام الأكاره في سهل دكالة السفلى، رسالة لنيل د. د. ع، شعبة الجغرافية، الرباط، 1988 : مديرية الإحصاء، بالرباط، نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى، 1982 و1994 :

**الخميسات** مدينة بقبيلة أزموور جنوبي مكناس، إذا كان تمركز السكان في كبريات المدن المغربية متزايداً باطراد، فإن نمو المدن الصغرى عرف بدوره تقدماً ملموساً، كما يتجلى ذلك في ظهور عشرات من المراكز الحضرية التي لم تكن موجودة في الماضي القريب أو كانت عبارة عن تجمعات متواضعة يظفي على غالبيتها الطابع القروي. وتعتبر الخميسات نموذجاً من أهم نماذج ذلك الجيل الحضري الجديد من المراكز الفتية، الصاعدة التي أصبحت منذ وقت قريب تُشير اهتمام عدد من الباحثين من بين علماء الاجتماع والجغرافيين على الخصوص.

أصل المدينة ومراحل نموها : قبيل الاحتلال كانت منطقة زمور تعيش أوضاعاً سياسية واقتصادية - اجتماعية في غاية الاضطراب، مما حال دون استقرار السكان وظهور السكن الثابت. ولوضع حد لما يصفه الاستعمار بـ "الفوضى" (السيبة) تدخلت جيوش الاحتلال تدخلاً عنيفاً سنة 1911 فتمت تثبيت القبائل داخل حدود مجالاتها الحالية واتخاذ موضع الخميسات كأهم وجميع موقع استراتيجي للهيمنة "المخزنية" على المنطقة كلها (انظر خريطة المنطقة). ولقد قطعت المدينة منذ الاحتلال في تطورها السريع أربع مراحل متميزة :

1 - من الاحتلال إلى 1934. خلال سنتي ما بعد الاحتلال تكوّنت نواة إدارية عسكرية بجانب سوق هام سياسياً واقتصادياً واجتماعياً (سوق الثلاثاء الحالي). ومنذ 1923 تم نقل مقر المركز الإداري لزمور من "تيفلت" إلى "الخميسات" التي اكتسبت نهائياً وظيفتها الإدارية : مما جعلها تحظى بمبادرات رسمية في التجهيز والتعمير، خصوصاً منذ 1926. فاجتذبت إليها عدداً هاماً من الأجانب والمغاربة قرويين وحضرين باستثناء أبناء زمور. ولما كانت إمكانيات وفرص العمل متوفرة تكونت الأحياء المغربية الأولى التقليدية البناء، بشكل منتظم إلى جانب الحي السكني - الإداري الأوربي.

2 - من 1934 إلى 1945. انطلاقاً من 1930 - 1934 توفرت شبكة طرق معبدة، وانفتحت أمام الخميسات آفاق نمو سريع، حيث توطدت وظيفتها الإدارية بعد أن صارت تلعب دور "مقر دائرة زمور" سنة 1942 وتدعم نشاطها التجاري المحلي القار والسوقي. وعلى الرغم من ضآلة الهجرة الزمورية إليها، وتناقص عدد الأجانب واليهود على الخصوص لصالح مدن أخرى، فإن نموها الديموغرافي كان سريعاً إذ عرف زيادة تُعادل 71% ما بين 1931 و1936، وحوالي 157% من 1936 إلى 1944، مما نتج عنه اتساع رقعة مجال المدينة وتعرضها لبدء انتشار السكن العشوائي الهزيل.

3 - من 1945 إلى الاستقلال. تميزت هذه المرحلة بتطور العلاقات بين المدينة ومحيطها الريفي تطوراً ملموساً وذلك لكون بلاد زمور أصبحت تعيش أوضاعاً جديدة. وعجلت

ابن خميس، محمد بن أحمد الأنصاري الجزيري السبتي، أصله من الجزيرة الخضراء في الأندلس (الإحاطة، 3 : 184) انتقل منها بعد تغلب النصارى عليها واستوطن مدينة سبتة وامتحن الخطابة بجامعها الأعظم إلى حين وفاته بها.

تعددت مشارب ابن خميس العلمية وتنوعت اهتماماته فاكتمت مكانة علمية مرموقة وشهرة واسعة في سبتة وخارجها. عرفه صاحب "بلغة الأمنية" بالمتفطن المصنف البارح الخطب الشاعر (بلغة، 176) ووصفه ابن الخطيب بالفقيه الخطيب المقرئ القاضي. له باع طويل في مجال القضاء والخطابة والاقراء. قرأ على والده وعلى شيخه وشيخ أبيه أبي عمر. كما أخذ عن عباس ابن الطفيل الشهير بابن عزيمة، وعن الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير، والخطيب أبي عبد الله بن رشيد بغرناطة خلال وفوده عليها. كما أخذ عن القاضي أبي المجد ابن أبي الأوصح قاضي بلدة الجزيرة الخضراء. وأجازته الوزير أبو عبد الله بن أبي عامر ابن الربيع والخطباء الثلاثة : أبو عبد الله الطنجالي وأبو محمد الباهلي وأبو عثمان بن سعيد (الإحاطة، 3 : 185).

وأخذ في سبتة عن القاضي أبي عبد الله الحضرمي والإمام أبي عبد الله بن حُرَيْث والمحدث أبي القاسم التجيبي والاستاذ أبي عبد الله بن عبد المنعم والأخوين أبي عبيد الله وأبي إبراهيم ابني بربوع - كما أجازته الإمام ابن حُرَيْث وناصر الدين المشدالي والخطيب ابن عَزْمُون وغيرهم (الإحاطة، 3 : 185).

من الراجع جداً أن يكون لابن خميس مؤلفات عدة تناولت مواضيع متنوعة سيما وهو المتفطن المصنف على حد قول صاحب بلغة الأمنية. ولم يصلنا من هذه المؤلفات سوى بضعة عناوين منها النسخة الأرجية في العروة المرجية (الإحاطة، 3 : 185). وكتاب الاعلام (بلغة، 176) وبرنامج الشيوخ (الإحاطة، 3 : 185).

توفي سنة 750 / 1349 ودفن في مقبرة أحجار السودان منها (اختصار، 25 : بلغة، 176).

بلغة الأمنية ومقصد اللبيب، تع. محمد ابن تاويت، مجلة تطوان، ع. 9، 1964 : ل. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تع. عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، المجلد الثالث : ابن القاسم الأنصاري السبتي، اختصار الأخبار عما كان يشغره سبتة من سني الآثار، الرباط، 1403 / 1983، ط. 2.

زليخة بترمضان

هذه الأوضاع بتفكيك البنيات التقليدية القبلية بعد رجوع قدماء المحاربين من الخارج وبانطلاق التوافد الرموري إلى الخميسات وتيفلت.

كان لهذا الوجود انعكاسات إيجابية على الميدان الاقتصادي وانعكاسات سلبية شيناً ما على النمو العمراني، حيث تجاوزت الرقعة الحضرية المجال المجهز نسبياً مما نتج عنه تكاثر السكن العشوائي الهزيل. ففي سنة 1952، كان السكن يتضمن نحو 1000 نواله و16 خيمة و200 مسكن تلقائي البناء و400 دار مقبولة البناء. وهذه الحالة أثارت اهتمام السلطات التي أعدت أول تصميم معماري صودق عليه سنة 1953.

4 - منذ الاستقلال. منذ الستينات على الخصوص عرفت المدينة انفجاراً ديموغرافياً (13695 نسمة سنة 1960، 30897 سنة 1971...) تُغذيه بالأساس الهجرة من الأرياف البعيدة والمحيطية مباشرة بالمدينة - مما نتج عنه توسع حضري يتجاوز حدود المجال المجهز تحتياً وبالتالي تضخم الأحياء الهامشية المنتشرة في شكل "دواوير" قروية الطابع. على أنه ابتداء من 1973 - 1975 بعد أن تحولت المدينة إدارياً إلى مقر عمالة (إقليم الخميسات) حظيت بانتعاش ملموس خصوصاً فيما يتعلق بالتجهيزات الأساسية والمنشآت الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مما فتح أمامها آفاقاً جديدة للتطور وإعادة هيكلة المجال.

السكان. يتميز التكوين البشري للخميسات بتطور ديموغرافي سريع يغطي عليه عامل الهجرة وتنوع الأصول الجغرافية للوافدين إليها. وتتمسك البنية السكانية بنوع من الاختلال - جنسياً وعمرياً - كما يتصف التوزيع على مستوى الأحياء والسكنى بتفاوتات الكشافات.

تطور عدد سكان المدينة، حسب الإحصائيات الرسمية كما يلي :

1926 :	672 نسمة
1936 :	2.396 نسمة
1952 :	7.460 نسمة
1960 :	13.695 نسمة
1971 :	21.827 نسمة
1982 :	58.925 نسمة
1994 :	88.839 نسمة
1960 :	30897 نسمة (بالدواوير)

يتميز النمو الديموغرافي الحضري للمدينة بسرعة تبدو مدهشة، بالنظر إلى مستوى النمو لغالبية كبريات المدن المغربية. فنسب التزايد السنوي تفوق، في معظم الحالات معدلات النمو الحضري على المستوى الوطني. فنسب التزايد السكاني للمدينة كانت على التوالي ما بين الفترات الإحصائية : 13,5% - 7,9% - 4,3% - 9,5% - 3,5% ؛ أي في المتوسط ما يناهز 8,5% سنوياً في حين أن المتوسط العام على المستوى الوطني لا يتجاوز 5,5% سنوياً ما بين الفترات الإحصائية الأكثر فواً. وهذه السرعة تجعل المدينة يتضاعف عدد سكانها مرتين تقريباً كل عشر سنوات. ويمكن على

أساس معدل التزايد السنوي الأخير توقع وصول المدينة إلى مستوى كبريات المدن المغربية (100.000 ن وأكثر) عند نهاية سنة 2000 (حوالي 107.500 نسمة).

دخلت المدينة - منذ إحصاء 1971 - ضمن فئة المدن المتوسطة وتعد اليوم من كبريات مدن هذه الفئة حيث إنها تحتل المرتبة التاسعة حسب إحصاء 1982 ثم المرتبة الخامسة حسب إحصاء 1994 (بعد تازة - سطات - إنزكان - العرائش).

أما على المستوى الإقليمي فإن الخميسات تهيمن إلى درجة كبيرة على الاستقطاب السكاني في منطقة زمور، حيث إن كثافة سكانها تمثل وحدها - حسب إحصاء 1994 - ما يعادل نصف (51%) مجموع السكان الحضريين للإقليم (174974 ساكن) ؛ وذلك لضعف التمدن على مستوى المراكز الصغرى (نسبة التمدن : 36% حسب إحصاء 1994) وطفيفان سمات العالم القروي "العميق" المتخلف نسبياً على مجال الإقليم. مما يفسر أهمية الهجرة إلى المدينة (حوالي 80% إلى 90% من أرياب الأسر).

الأصول الجغرافية للوافدين إلى المدينة. الهجرة من أرياف ومدن المغرب (دون منطقة زمور) ؛ يمثل النازحون حوالي 36% من مجموع أرياب الأسر - حسب البحث الميداني ؛ ثلاثة أرياب منهم قدموا من مختلف أرياف البلاد، خصوصاً من السهول والهضاب الوسطى والداخلية وسوس، وتافيلالت ؛ والربع الباقي من المدن التقليدية على الخصوص. ويطغى الطابع الاقتصادي على أسباب نزوح معظمهم إلى الخميسات.

- الهجرة من بلاد زمور : جاء التوافد الرموري إلى "عاصمة" زمور "متأخراً لأسباب مرتبطة بنمط عيشهم التقليدي وبغياب المجتدين. ولم يشمل هذا التوافد، بصورة عامة، سوى مهاجري القبائل المجاورة للمدينة مباشرة والذين يُمثلون أزيد من 60% من مجموع النازحين من المنطقة، ومن بينهم عدد هائل من الأراذل والمطلقات.

ولقد كانت هجرة واستقرار معظم هؤلاء المهاجرين "أهالي المنطقة" - على عكس "البركانيين" عن زمور - لأسباب اجتماعية أكثر منها اقتصادية لكون المدينة تشكل بالنسبة إليهم بيئة جديدة تُوفر لهم إمكانيات حياة أفضل. الأنشطة الحضرية : يتبين من تحليل تطور البنية المهنية للسكان النشيطين - حسب إحصائي 1960 و1971 وحسب نتائج الاستطلاع (1978) الميداني - أن المدينة تسير باستمرار في اتجاه تضخيم قطاعها الثالث : 61% ثم 68% ما بين 1961 و1978.

وتبين هذه النسب الضخمة اتجاه المدينة نحو دعم دورها الرئيسي كمركز خدمات تجارية وإدارية واجتماعية. ضعف النشاط الصناعي الحديث : مازال النشاط الزراعي يُمارس داخل الدائرة الحضرية، بل حتى ما بين بعض الأحياء الهامشية. إلا أنه أصبح مهدداً حالياً بالزوال النهائي أمام توسع المجال الحضري.



ومالياً واجتماعياً (33٪ من مداخيل البلدية) وحتى إدارياً (تقريب المواطنين القرويين من الإدارة).

المجال الحضري. يتسم التكوين العمراني للمدينة بعدم الانسجام والتماسك وتتفاوت درجة تمدن وتحضر الأحياء تفاوتاً متبايناً.

المميزات المرفولوجية العامة : تتميز مرفولوجية المدينة - في معظمها - بتفكك نسيجها وخصوصاً في الأطراف حيث تظهر متعددة النوايا (النواة).

وما يزيدا تشويهاً امتدادها المفرط في اتجاهي الشمال والجنوب مع وجود ثغرات واسعة في جزئها الأوسط، وذلك لأسباب اقتصادية وإدارية وعقارية على الخصوص مع اعتبار العامل الطبغرافي نحو الشرق (وادي الحميس).

ويتصف المشهد الحضري بالتباين الشديد لخلايا السكن: ففي السبعينيات (إحصاء 1971) كانت أنواع السكنى تتوزع كالتالي : المباني الصلبة : 3700 (2.62٪) البراريك : 1752 (29.4٪) مساكن من الطوب : 319 (5.3٪) نوالات : 121 (2٪). مساكن من الحجارة المجردة : 53 (0.8٪) خيام : 2 (0.03) فالسكن الهزيل كان يحتل نسبة هامة (37.8٪ من المساكن) ويسود طبعاً بالدرجة الأولى في الأحياء الهامشية.

أنواع الأحياء : تتكون المدينة من 16 حياً ودواراً تم تصنيفها بصورة تركيبية على أساس مقياسين أساسيين يتعلقان بالتجهيزات الأساسية وطبيعة البناء أضيفت إليهما مؤشرات أخرى عقارية وديموغرافية واجتماعية وثقافية. وهكذا يُمكن التمييز ما بين ثلاث مجموعات من الأحياء من المركز نحو الهوامش :

- مجموعة الأحياء "الحضرية" عددها ثلاثة وسكنها 21٪ من السكان وهي أحياء مجهزة وخالية تقريباً من العناصر الهزيلة من السكن وتقطنها فئات الموظفين والتجار والملاكين الكبار والمتوسطين.

- مجموعة الأحياء الشبه حضرية ذات اندماج متوسط. عددها ثلاثة وسكنها حوالي 30٪ من السكان معظمهم من الفئات المتوسطة بوجه عام. وهنا تتراوح نسبة السكن الهزيل ما بين 5٪ إلى 15٪ من المساكن، حيث إن مجالها المجهز تحتيلاً لا يتجاوز النصف (42٪ إلى 50٪ من المساكن).

- مجموعة الأحياء الهزيلة أو "الدواوير" : عشرة دواوير هامشية جغرافياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً يقطنها ما يناهز تقريباً نصف عدد السكان 48٪ من سكان المدينة). على أن أوضاع هذه الدواوير متفاوتة نسبياً - وهي اليوم في طور إعادة إسكان سكانها في أحياء لائقة (السكن الاجتماعي) في إطار عملية "محوية السكن غير اللائق" أو القضاء على "مدن" الصفيح.

ومهما كانت مشاكل المدينة فإن الخميسات تبقى مؤهلة جغرافياً وقيادياً للقيام بدور قطب تنمية إقليمية. وربما

تغيرت الصورة التي يعكسها هذا المقال المعتمد على معطيات وأرقام قديمة نسبياً.

م.حني، الخميسات، دراسة في الجغرافيا الحضرية، رسالة لنيل د.د.ع. في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1980.

محمد حني

إقليم الخميسات، حديث أنشئ سنة 1981، وحسب التقسيم الإداري لإحداثه في هذا التاريخ كان يضم 35 جماعة منها ثلاث بلديات. وبناء على القانون رقم 12.92 المتعلق بوضع ومراجعة اللوائح الانتخابية العامة وتنظيم انتخاب مجالس الجماعات الحضرية والقروية الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.92.90 بتاريخ 9 ذي الحجة 1412 / 11 يونيو 1992 تمت عملية تقسيم الإقليم إدارياً على الشكل التالي : بلدية الخميسات - بلدية تيفلت - بلدية الرمانى - جماعة سيدي علال البحراوي - جماعة سيدي بوخلخال - جماعة أيت مالك - جماعة عين الجوهرة - جماعة أيت بويحيى - جماعة مقام الطلبة - جماعة سيدي عبد الرزاق - جماعة الكنزة - جماعة أيت يدين جماعة الصفاصيف - جماعة أيت سيبرن - جماعة سيدي الغندور - جماعة سيدي علال المصدر - جماعة أيت أوربيل - جماعة مجمع الطلبة - جماعة أيت ميمون - جماعة أيت يكو - جماعة أيت إيشو - جماعة أيت بلقاسم - جماعة حُودران - جماعة المعازيز - جماعة تيداس جماعة أولماس - جماعة جمعة مول البلاد - جماعة عين سبيت - جماعة مولاي إدريس اغبال - جماعة خميس سيد يحيى - جماعة مرشوس - جماعة القوالم - جماعة زحيليكة - جماعة بوقشمير - جماعة البراشوة.

تبلغ مساحة الإقليم 8305 كلم ويتوفر على أراض خصبة وجيدة تستقبل تهطلات مطرية مهمة تسمح بتنمية فلاحية تعمل على سد حاجيات السكان.

مناخ الإقليم شبه قاري حيث تتميز المنطقة بالارتفاع خاصة كلما ابتعدنا عن المحيط معدل الحرارة يتراوح ما بين 10 و 11 درجة خلال فصل الشتاء، وما بين 25 و 27 درجة أثناء الصيف، كما أن المناطق العليا بالإقليم خاصة أولماس تعرف ارتفاعاً في درجة الحرارة خلال الصيف تصل أحياناً إلى 30 درجة، بينما تستقر الحرارة الدنيا في فصل الشتاء ما بين 7 و 8 درجات. التساقطات المطرية في نواحي تيفلت تبلغ 528 ملم سنوياً و 501 ملم في منطقة تيداس. أما المنطقة الجبلية فيصل معدلها سنوياً إلى 655 ملم خاصة بأولماس وتعتبر المنطقة خزاناً مهماً للمياه الجوفية، ومن أهمها الفرشة المائية للمعمورة حيث تسمح التشكيلات الصخرية المكونة من حث وكلس بتسرب واختزان كمية مهمة من مياه الأمطار تصل سعتها إلى 134 مليون م<sup>3</sup> سنوياً الشيء الذي يمكن من تزويد بعض المدن الساحلية

وعنه أخذ عبد الحفيظ الفاسي بسنده وأجازه في كل ما تلقى عن شيخه سيدي الزوين.  
توفي بمدينة مراكش في تاسع وعشري جمادى الثانية عام خمسة وأربعين وثلاثمائة وألف / 4 يناير 1927.  
ع. الحفيظ الفاسي، رياض الجنة، الرباط، 1931، ج 2: 130.  
محمد حجي

**الختنايب،** قبيلة سوسية عربية تمتد أراضيها على سهل ساحلي، وهو امتداد لبيسط تيزنيت بمحاذاة المحيط الاطلنطي. تنتهي القبيلة في الجنوب بحدود قبليتي تيزنيت واكلو، بينما تفتح على أراضي ماسة والمعدر في الشمال والشرق. يعتبر ترابها مجالاً للرعي والإنتاج وبعض أشكال الزراعة البورية.

أما دلالة التسمية، فمن المحتمل أن يكون أصل الكلمة من لفظة أغنيوب التي تفيد اللسان الداخل في البحر، ويبدو أن الاسم له علاقة بطبغرافية المنطقة.

إن مجال الختنايب، وخاصة شاطئ المصيدة، عرف استمراراً بشرياً قديماً، ومن الشهادات الدالة على ذلك، وجود آثار صناعات ما قبل التاريخ : الأدوات الحجرية من صنف ذات الوجهين Bifaux ، الحلي المصنوعة من بيض النعام. لا نعرف إلا النزر القليل عن أصول سكان الختنايب وظروف استقرارهم، فحسبما تحصل لدينا من إشارات من خلال الوثائق المحلية والروايات الشفوية فإن العناصر الأولى وفدت من موطنها الأصلي أباينو بوادي نون خلال القرن الثالث (9 م)، واستطاعت أن تجد لها مكاناً للاستقرار، ولا نعرف إن كان ذلك عن طريق التحمل أو بالتراضي، ولا إن كانت المنطقة مجالاً لقبيلة معينة. غير أن الوثيقة الوحيدة التي عثرنا عليها (مؤرخة بتاريخ 977 / 1569) تحدد موضع الاستقرار على الساحل بين أكلو وماسة، أي من مجال أكبر مما هو عليه الآن. ويبدو أن أهمية موقع القبيلة السهلي، جعلها مزار مجموعة من الأحداث والنزاعات بين القبائل وخاصة أكلو والمعدر حول امتلاك الأرض والماء. مما أدى إلى اقتطاع أراضيها وانصهار بعض وحداتها ضمن الوحدات القبلية المجاورة، وانزواء العناصر المتبقية في المجال الساحلي الحالي. ومما يدعم هذا الافتراض غياب ذكر اسم القبيلة ضمن التشكيلة القبلية التي أوردتها صاحب ديوان قبائل سوس كما لم يشر إليها الوزان أثناء حديثه عن قبائل سوس خلال القرن العاشر (16م).

وتذكر الروايات الشفوية أن مجال الختنايب، كان مكان استقرار سيدي عبد الرحمان بعد سياحته الصوفية انطلاقاً من زاوية شيخه بغيغاية خلال القرن العاشر (16 م). فبنى زاوية للتعليم والوعظ فوق قاعدة صلبة بالصفة اليمنى لوادي إيصوح، إلا أنها سرعان ما تحولت إلى تجمع سكاني

بالماء الشروب والري من القنطرة إلى الدار البيضاء، ويعتبر واد بهت أهم مورد مائي سطحي يغذي الإقليم بالماء الصالح للشرب وسقي الأراضي الفلاحية.

تنتمي التربة في مجملها إلى نوع التيرس، وهي تربة خصبة وسميكة ونظراً للظروف الطبيعية الملائمة فإنها تسمح باستغلال فلاحي متنوع وبمردودية مناسبة أو مهمة في أراضي البور. تقدر المساحة البورية بـ 390.000 هكتار بينما تصل المساحة السقوية إلى 3800 هكتار. تزرع بهذه الأراضي الحبوب والقطاني بالأساس، كما خصص 1800 هكتار للزراعات الزيتية. وتعرف زراعة الأشجار المثمرة نوعاً كبيراً بالمنطقة، أما بالنسبة للمنتجات العلفية فيبلغ محصولها 89800 وحدة علفية أي بنسبة 278 وحدة علفية للهكتار، ويتم الحصول على 33٪ من الحاجيات العلفية من الغابة خاصة المعمورة.

بلغت الكثافة السكانية بالإقليم 58,5 ن / كلم<sup>2</sup> ويعرف المجال القروي ساكنة مهمة تصل نسبتها إلى 64,6٪ من سكان الجهة يعتمد اقتصاد الإقليم بالأساس على الفلاحة وتربية الماشية والصناعة التقليدية وبعض الخدمات في المراكز الحضرية. كما تساهم بعض المناجم في تنمية اقتصاد الإقليم ومنها منجم لإنتاج البوتاس يبلغ احتياطه 97 مليون طن، ومنجم آخر لاستخراج الرخام يوجد بضاحية تيفلت وينتج سنوياً 2000 م<sup>3</sup> من الرخام.

ع. لغماري، م. البوطاهري، جهة الرباط وسلا زمو زعيم، خريطة إقليم الختيايب.

محمد بلعربي

**الخميسي،** أسرة تطوانية لا علاقة لها بقبيلة الاخماس الواقعة شمال المغرب، وذلك لأنها تنتمي إلى مدينة الخميسي Algemicici الواقعة بناحية قلبنسيا الاسبانية حيث توجد أسر مسيحية تحمل اسم Algemesi ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمرجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 638.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخميلي،** عمر بن الطاهر الرحماني المراكشي. وصفه تلميذه عبد الحفيظ الفاسي بـ "العلامة المقرئ الصالح المعصّر... كان أستاذاً مقرئاً فاضلاً كثير العبادة والتلاوة، ناصري الطريقة مزاراً متبركاً به" أخذ القرآن الكريم بالروايات السبع عن الأستاذ الكبير الولي الشهير أبي الفلاح محمد بن علي القضاعي الزراري المعروف بسيدي الزوين نزيل الأودية قرب مراكش شيخ القراء بالمغرب.



ع. بن إبراهيم، الإعلام، ج. 10 : م. حجي، الزاوية الدلائية : م. المختار السوسي، العسول : م. المهدي الفاسي، تمتع الأسماك، طبعة حجرية، فاس، 1989.

E. Gouvion, *Kitab Aáyane al-Maghrib 'l-Akça, Livre des Grands du Maroc*, Paris, 1939 ; D de Segonzac, *Au cœur de l'Atlas*, Paris, 1910.

أحمد بومزكو

### خنائة بنت بكار، زوج السلطان المولى إسماعيل.

تشغل المرأة المغربية حيزاً ضيقاً من كتب التراجم، ومع ذلك جاء هذا الحيز حافلاً بالأعمال المجيدة من جهاد واحسان وتحبيس الممتلكات والقيام بأعمال عمرانية وخوض الصراعات السياسية، وهذه الخصال تجتمع في الأميرة خنائة بنت بكار بن عبد الله بن علي المغافري، فكان انتقالها من أقصى الجنوب وزواجها بالسلطان المولى إسماعيل حدثاً تاريخياً وسجلاً زاخراً بالمهام والعطاء.

ظلت الوحدة الترابية المغربية ثابتة ومتواصلة من أقصى الشمال إلى تخوم السودان فامتزج دم المغاربة في مختلف الأقاليم بالمصاهرة. وكان للزيارة التفقدية للسلطان المولى إسماعيل سنة 1089 / 1678 إلى أقاليم الجنوب أثر فعال وتأكيد لهذه الوحدة وتجديد للبيعة والولاء واقترائها بمصاهرة الشيخ بكار المغفري للسلطان. وقد ذكر المؤرخ أحمد الناصري هذه الزيارة فقال "فقدت عليه وفود العرب هناك من أهل الساحل والقبلة ومن دليم وسوس والمغافرة وودي وغيرهم من قبائل معقل وأدوا طاعته، وكان في ذلك الوفد الشيخ بكار بن عبد الله والد خنائة أم السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل، فأهدى الشيخ إلى السلطان ابنته خنائة المذكورة، وكانت ذات جمال وعفة وأدب فتزوجها السلطان رحمه الله".

وهكذا دخلت القصر الملكي في اعتزاز ورفعة فهي زوج ملك وسليمة حسب ونسب، فأبوها بكار سيد قومه. وقد حلاهما المؤرخ محمد القادري في نشر الثاني أفضل تحلية وذلك لما طلبت الأم من ابنها الإذن لها بالتوجه إلى الحج فقال :

"السيدة الوجيئة الفاضلة بنت السيد الوجيه الفاضل الحاذق في الأخيار، ومن لاذ به يجار ولا يصل إليه عار، حتى في القيافي والقفار، سيد قومه وعميدهم وفارسهم ومانعهم، الشيخ بكار المغفري..."

أدت الأميرة فريضة الحج سنة 1143 صحبة حفيدها الأمير سيدي محمد بن عبد الله البالغ من العمر عشر سنوات، وضم الوفد عدداً من رجال المخزن منهم القاضي أبو القاسم العميري وشيخ الركب عبد الخالق عدليل والوزير كاتب الرحالة عبد القادر الجليلي الإسحافي وقد أبرزت هذه الرحلة الصفات الحميدة للأميرة : تقوى وعلم وإحسان وعطاء من لا يخشى الفقر وكياسة ومظاهر حضارية تلفت

يحمل اسم تمزليت. وعلى غرار ما كانت تقوم به الزوايا من أدوار مختلفة، فإن تمزليت أصبحت مركزاً دينياً تلتقي فيه القبائل، كما تؤمن القوافل التجارية المارة بالطريق التجاري الساحلي. إلا أن صيتها ومكانتها اعترها بعض الانكماش بعد وفاة مؤسسها وتراجع نفوذها لصالح زاوية تازروالت.

وما يبين مدى الحظوة الكبيرة التي تتمتع بها القبيلة، أن المخزن العلوي أصدر في حق الزاوية ولصالح أسرة سيدي عبد الرحمان الجنوبي ظهائر التوقير والاحترام منذ عهد المولى الرشيد، وتجددت عدة مرات، ومازال أحفاد الشيخ يحتفظون بها. أما عن علاقتها بالقبائل المجاورة، فتتحكم فيها الشروط الاقتصادية والبشرية، وتتأكد ملامح هذه العلاقة في أن مصير الخنايب ارتبط بمدى تبعيتها لأكلو، لهذا تصنف دائماً ضمن أراضي إيالة شيوخ وقياد هذه القبيلة.

أحمد الجنوبي

\*\* تفرعت الخنايب إلى أفخاذ منها طائفة في الصحراء في نواحي ورزازات تسمى زاوية القاضي، ومنها طائفة في الجريفات بأسفي والوالدية ومنها بعيدة أي دوار الشلوح. والخنايب الذين استقروا بعيدة كانوا قد هاجروا مرغين على ذلك من طرف الاستعمار الفرنسي وذلك لأن المجاهد الهيبة بن ماء العينين لما جاء هو وأتباعه إلى الخنايب حيث حط رحاله سأل عمه يتسم بالعلم فدلوه على أحمد بن فارس الجنوبي فصاحبه هذا الأخير إلى مراكش، ولما فشل الهيبة في هذه المدينة، أقصى أحمد الجنوبي إلى عيدة هو وعشيرته وكان تحت رعاية عيسى بن عمر العبيدي.

ويشهد الماركي دي سيكوتزاك عندما زار جنوب المغرب في بداية القرن العشرين وزار الخنايب أن دواويرها تتكون من 150 أسرة تملك 100 بندقية و 15 فرس. ويقول سيكوتزاك بأنهم مرابطون.

ومن المتداول أنهم جاؤوا من غيغاية بأحواز مراكش من زاوية سيدي فارس بن لحسن وأن سلفهم عبد الرحمن الجنوبي الذي توجد زاويته بتمزليت بالخنايب كان قد انتدبه شيخه فارس بن لحسن للإعلام، ص 14، ج 10 تمتع //الأسماك، ص 161، وأعطاه لواء للدفاع عن الثغور التي توجد بتمزليت وقد استقبلته قبائل ماسة وأكلو ورحبت به ثم أقطعت له أرضاً ووهبت له أراضي مسقية.

والغالب عن الظن أن الخنايب من أصل عربي شريف جاؤوا من فاس بل هربوا منها خوفاً من الدلايين، (الزاوية الدلائية... ص 229). فرحلوا إلى جنوب المغرب حيث استقروا. ويؤكد ذلك مارت وإدموند كوفيون في كتابهما كتاب أعيان المغرب الأقصى (ص. 445-446-447) إذ يقولان بأن السلف عبد الرحمن بن أحمد الجنوبي كان يقطن بحي الطالعة بفاس وأن جده هو أحمد بن إدريس. وقد لعب الخنايب دوراً هاماً في إسلام عدد من القبائل السوسية.

أنظار الأقاليم والبلدان التي يجتازها ركبها، فخلفت صدى طيبا في أوساط الشرفاء والعلماء والحكام وشيوخ العشائر، فأينما حلت إلا وكانت محط ترحيب وحسن استقبال لما لها من آياد بيضاء احتساباً لله، فتعددت عطاياها من مال وملابس وأوقاف، فقد خصت شرفاء أهل البنيح الذين وفدوا عليها لتهنئتها بسلامة قدمها بمائتي مثقال ذهباً مطبوعة وهو مبلغ كان يصلهم من زوجها المرحوم المولى إسماعيل من صرة الحج فزادت عليه مائة مثقال ذهباً مطبوعة هبة منها وشملت هداياها بعض المحتاجين ومن هم أهل للإكرام وعملت كذلك على شراء داربمكة من أولاد العلامة أبي محمد عبد الله بن سالم البصري وحبتها على الطلبة الذين يهتمون القرآن كل يوم وينرسون صحيح البخاري وعينت ناظراً لها وتضمنت رحلتها هذه وصف إقامتها بالحرمين الشريفين والشأن عليها ومدحها وإهداء الكتب لها.

نشأت خنائة في بيت علم وأدب، أسرة وعشيرة وحصلت العلوم في كنف والدها ووجدت في خزانة زوجها السلطان المولى إسماعيل ما يشفي غليلها من العارف، فاستحقت بأن توصف بالفقيهة والأديبة، فكانت قراءتها قراءة تحقيق وتطوير وإحالة على مصادر أخرى. وقد وقف المؤرخ محمد أكنسوس في كتابه الجيش العرمرم على خطها على هامش الإصاية في معرفة الصحابة لابن حجر العسقلاني. وهذه الملاحظة العلمية تتبعها عبد الهادي التازي في كتابه أمير مغربي بطرابلس أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحافي فقال: "وقد تمكنت من الوقوف فعلاً على بعض طورها على المجلد الثاني والثالث والرابع بالمكتبة الملكية بالرباط". ووجد في هذه الطور تركيزاً وسعة اطلاع. ولعل مشاركتها الفقهية مكتبتها من شراء الدار بمكة واقتناع القاضي بإجراء عقد البيع والتحبيس رغم وجود من يعارض في بيع وشراء العقار بمكة. ولم يفت بعض الفقهاء المتأدبين بمكة وهو إمام المقام الخليلي محمد بن علي الحسيني الشافعي الطبري أن ينظم فيها قصيدة مطلعها:

غنى على عود السعود هزاري وشدا على الأوتار بالأوطار  
للأميرة خنائة من الخنكة وسعة الأفق السياسي ما يندر  
مثيله حتى عند كبار رجالات المخزن. وفي هذا السلوك مفخرة للمرأة المغربية فهي المستشارة لزوجها ولولدها، وهي ذات فكر ناقب وخبرة واسعة بأمور السياسة وتقلبات أحوال السياسيين والقادة، وهي العارفة بأحوال البلاد والمطلعة على العلاقات المغربية الخارجية، فحياتها الزوجية تصل إلى نصف قرن وامتدت حياتها بعد وفاة زوجها لفترة تبلغ ست عشرة سنة بين مد وجزر وثورات ومناورات العبيد والقبائل وشيعة هذا الأمير وذاك الأمير للتسابق على الملك، فتصل تجربتها السياسية واحتكاكها بالعمل السياسي إلى ست وستين سنة تخللتها المشورة والتدخل لإصلاح ذات البين بين فريقين من الفرقاء أو إبداء النصح والتنبيه لأمر

هام أو مراسلة توقيف ودعم. ولعل مرتبتها العليا في الدولة المغربية احتفظت لها بمراسلات دبلوماسية ترمي لتوطيد العلاقات بين المغرب وبعض الدول الأوربية، وكذا لتحرير الأسرى. وتبرز شخصيتها الفذة في مواجهة الأحداث بعد وفاة زوجها فتراها صامدة مصرة على التمسك بمبادئها وسط الإعصار السياسي فتكاتب العلماء وتعقد التحالف بين الأودية والمغافرة وبعض القبائل المناصرة ولدها المولى عبد الله، فكان تدخلها عن دراية مكتسبة باتصالها الوثيق بزوجها وإطلاعها الواسع على شؤون البلاد. ولعل شهادة الوزير الإسحافي خير شاهد على شخصيتها السياسية التي لفتت الأنظار، فقال عنها:

"وكانت له وزيرة صدق وبطانة خير تأمره بالخير وتحرضه عليه وتتوسط في حوائج الناس ويقصد بابها أهل الحياء والحشمة..."

وحتى رحلتها الحجية لم تكن تخلو من مظاهر سياسية حيث عاينت أوضاع الأقاليم المغربية التي مرت بها وهي مسافرة في ركب يجسد أبهة العظمة والملك سواء في ملابس الوصفان أو ألعاب الفروسية والبارود أو زي رجال المخزن أو العطاء بسخاء وكذلك في استقبال حفيدها مع حاشيته من طرف الشخصيات البارزة في البلدان العربية، وامتد اهتمامها للمؤسسات الدينية حيث نقت لها على مراسلة إلى الباشا موسى مؤرخة في منتصف شوال سنة 1145 تحثه على الاعتناء بالزاوية البوسنية بقبيلة احمر.. "إني أؤكد عليك أشد التأكيد زاوية المولى الصالح السيد محمد بوسنة ألا تترك من يتراعى عليها أو يطوف بساحتها، فالزاوية تركها سيدي محمد بوسنة بيدي وأنا الوصية عليها، وإياك وإياك، فاحترمها بما تحترم به مثيلاتها وقررها"

ولم تزدها الأزمة بين أولاد السلطان المولى إسماعيل إلا صلابة وثباتاً على المبدأ في تزكية ولدها الوحيد المولى عبد الله سلطاناً على البلاد، فهذه رسالتها لأهل وجدة بتاريخ 13 محرم 1149 / 24 ماي 1736 تقول فيها:

"فلا يهكم شيء، فأنتم قد عرفنا محبتكم ونصحتكم لمولانا أمير المؤمنين فلا يضركم فعل السفهاء، فيد الله وأيدنا فوق أيديهم، ولا تخشوا من أحد سواء غريتهم أو شرقتهم، ومن تعرض لكم فلا يلوم إلا نفسه، سواء كان قريباً أو بعيداً..."

عاشت خنائة وسط زوينة سياسية أتت على الأخضر واليابس ومزقت البلاد شيعاً ولم تراخ لها الأزمة السياسية مكانتها السامية ولا شيخوختها، فطلت صامدة مناصرة لابنها السلطان المولى عبد الله الذي استطاع في النهاية أن يثبت في الحكم ويعيد الاستقرار للبلاد. واعتباراً لشخصيتها البارزة عانت من التضييق عليها والتعرض للنهب والاعتقال على يد ربيها السلطان علي الأعرج بن إسماعيل الذي استولى على الحكم مكان ابنها سنة 1147.

- الحوارة أولاد زيد والوحادة وأولاد مالك 116  
وقبل ذلك كان السلطان مولاي الحسن عين عليهم قواداً  
من الخناشفة وهم :
- الحاج رزوق تولى سنة 1290 وتوفي سنة 1300 / 1883.  
- العربي بن الفقيه عين قبل سنة 1310 واستمر مدة.  
- الحاج عمر بن الفقيه وكان سنة 1324 قائداً.  
- قاسم بن جلول وكان سنة 1327 و1328.  
م. بوشعراء، قبيلة بني حسن، 1860، 1912، مخطوط : الوثائق  
الملكية والنسعية.
- Villes et tribus du Maroc, Béni Ahsen.  
مصطفى بوشعراء

**الخُنَاق** أو الدفتريا، من كلمة Diphthera بمعنى  
الغشاء، سماه العرب الخُنَاق لأنه يمت بالاختناق، ويسمى  
أيضاً الذُّبْحَة. عرفه الأطباء القدامى بأنه ورم في الحلق  
والريء. وعضل الخنجره بحيث يصعب نفوذ الهواء  
المستنشق. وفي التعريف الحديث هو مرض خطير يتميز  
بوجود أغشية كاذبة ضاربة إلى البياض على مخاط الحلق  
والخنجره، وأحيانا على مخاط الفم أو المنخر أو العين.  
يسمى الخُنَاق عند المغاربة "الخنَاقية"، وهي علة لم  
تتمكن من العثور على المعلومات حولها، وحول عشائنها  
في المغاربة خلال الفترات السابقة لسنة 1912، وإن كان ذكر  
الخنَاق يتردد أحيانا لدى بعض الأخباريين أمثال ابن  
عذارى، ولكن تحت اسم الذُّبْحَة (من ذلك مثلاً ما ورد في  
الجزء الأول من البيان المغرب بصدد وفاة هشام بن عبد  
الملك)، وهو الاسم الذي يصفه به الطبيب بن زهر، كما لم  
يُجد ذكراً لهذا الداء في أولى المصنفات النزولوجية التي  
كتبت عن المغرب في بداية القرن العشرين ككتاب الطبيب  
راينو Raynaud عن الصحة والطب بالمغرب الصادر سنة  
1902، ومقال الدكتور وايزجرير Wiesgerber عن الأمراض  
وعلاجها بالمغرب سنة 1903، ومقال الدكتور هرزن Herzen  
ملاحظات وتأملات في نزولوجيا المغرب، سنة 1911، بل إن  
الرعييل الأول من الأطباء الذين باشرنا مهمة التصدي  
للأمراض والأوبئة مع بدء الحماية لاحظوا أن داء الخنَاق شبه  
منعدم بالمغرب، واحتدم كثير من النقاش حول مسألة ما إذا  
كان هذا الداء متوطناً بالبلاد، أم أن طائفته ألم بالناس على  
إثر وصول موجات الوافدين من أوروبا بعد استتباب أمر  
الحماية.

ودون الدخول في تفاصيل ذلك النقاش، نشير إلى أن  
الخنَاق، كان يعيث في سكان المغرب خلال فترة الحماية،  
حسب إحصائيات على الأقل منذ سنة 1928 فنعددها الحالات  
في المدن البلديات مثلاً هو 397 سنة 1928 و822 سنة 1953.  
وكان المغاربة يعالجون الخنَاق ببعض الوصفات الواردة

فوجد في زوج أبيه الأميرة خناثة كبش فداء لما كان لها من  
أنصار وما تخفيه من كنوز والده وولدها حسب زعمه،  
فاتنم عليها دارها واستولى على ما فيها من متاع بأمر  
من الباشا سالم الدكالي وزج بها في السجن مع حفيدها  
سيدي محمد بن عبد الله، فاستنجدت بالعلماء طالبة حكم  
الشرع ومستعجلة إطلاق سراح حفيدها لأنه دون الحُلم ولم  
يقم بأي عمل يستوجب سجنه، فأطلق سراح الأمير وبقيت  
هي في السجن مدة من الزمن. "وها أنا في السجن حتى  
يحكم الله ببني وبينه".

ثم دارت الدائرة على السلطان علي الأعرج وعاد مولاي  
عبد الله إلى الحكم سنة 1149 بعدما قضى قرابة ثلاث  
سنوات عند أخواله بوادي نون، فاسترجعت الأم حريتها  
ونشاطها السياسي، وما كادت تهنأ بالاستقرار حتى خلع  
العبيد ولدها من جديد، فأحست بما يدبرونه لها من مكائد  
فخرجت من مكناسة يوم الخميس 30 ربيع الأول 1154  
ونزلت بفاس وسارعت إلى مواجهتهم بتوطيد التحالف بين  
أقاربها الأوداية والمغافرة وأنصار ولدها من الفاسيين  
والقبائل المؤيدة له فكانت له خير عون حيث حقق النصر  
على المتمردين واسترد عرشه.

وهكذا نجد لها حضوراً علمياً واجتماعياً وسياسياً خلال  
عدة عقود تضمنها الوثائق المغربية بخيرها ومحنها  
وتوجيهاتها ومراسلاتها إلى أن التحقت بالرفيق الأعلى سنة  
1155 / 1742 ودفنت بمقبرة الأشراف بفاس الجديد.

رحلة الإسحاطي، مخطوط خ. ح. رقم 1428 ز : م. القادري، نشر  
الثاني، ج. 3 : 336، 335 و4 : 38، تج. م. حجي وأ. التوفيق : م.  
الضعيف، تاريخ الضعيف، تج. أ. العماري : م. أكتسوس، الجيش  
العمرم، ج. 1، تج. أ. بن يوسف الكنسوسي : أ. الناصري،  
الاستقصا، ج. 7 : ع. الرحمن بن زيدان، الإنحاف، ج. 3 و5 : ع.  
الهي الكتاني، فهرس الفهارس، 1 : 428 و429، تج. إحسان عباس  
: ع. الله كتون، النبوغ المغربي : م. الأخضر، الحياة الأدبية في  
عهد العلويين، ص. 243 : ع. الهادي التازي، أمير مغربي في  
طرابلس : جولة في تاريخ المغرب الدبلوماسية : مذكرات من التراث  
المغربي، ج. 4 : 86 : ع. الحن المريني، دليل المرأة المغربية، ص. 11  
-12.

M. Morsy, Les Africains, T. 1.

محمد ماگامان

**الخنَاشفة**، بطن من أولاد يحيى بن معبد من قبيلة  
بني حسن بإقليم القنيطرة. ولما أحصت سلطات الحماية  
داويرهم وخيامهم جعلتهم في مطلع القرن العشرين تحت  
سلطة إبراهيم بن الحسن بن بوكرين الزهاني. كان عدد  
أسرهم أربعمائة وتسع وأربعين خيمة مفصلة كما يلي :

- الخيام
- أولاد عيسى والركاكنة والرزازكة 130  
- القاسميون وأولاد الطاهر وأولاد الفقيه  
- أولاد بلعيد وأولاد علي محمد والسليطات 203

وأصدر المخزن في حقهم ظواهر التوقير والاحترام.  
وثيقة تحديد مجال قبيلة الخنابيب، 1569 / 977 ؛ شجرة شرفاء  
الخنابيب، 1536 / 943 ؛ ظواهر، التوقير والاحترام، عددها 19 ؛  
م. السوسي، المعسول، ج 16، ص. 242 ؛ خلال جزولة، 4. ص. 38  
؛ بحريات ميدانية.

L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au 19ème siècle, Hesp.*, 1925, p. 267 - 273 ; J.M. Gouvion, *A'ayan al Maghreb al Akça*, Paris, 1939, p. 445 - 447.

أحمد بومزكو

**الخنابوي، محمد بن أحمد.** ولد بدوار الفيض بزواوية الخنابيب في شواطئ الجنوب قرب تزويت سنة 1326 / 1908. ودرس في الكتّاب بنفس الزاوية حيث حفظ القرآن برواياته السبع. بعد ذلك هاجر مع أسرته التي نقلها الاستعمار، الفرنسي إلى عبدة بدوار الشلوح في ناحية أسفي حيث التجأ والده الذي كان قد تعرض لتعسفات الاستعمار وقد أدّى ذعيرة قدرها 52 ريالاً حسنياً بعقد مؤرخ بسنة 1332، إذ كان أمين الزكوات في عسكر المجاهد الهيبية بن ماء العينين الذي كان قد رافقه إلى مراكش حيث فشل في محاولته للسيطرة على المدينة.

وفي أسفي أتمّ الفقيه الخنابوي دراسته بحفظ القرآن الكريم ورواية المكي وقالون والبصري كما حفظ المتنون الفقهية واللغوية. ولما بلغ سنّ السادسة عشرة ذهب إلى الرباط لمتابعة دروسه على يد شيخ المحدثين أبي شعيب الدكالي، كما كان يدرّس القرآن لأولاد الشيخ. وقد اطلع على الحركة الوطنية عندما اندلعت حرب الريف حيث تحمس مع عدد من الشبان كانوا يردون على الشيخ أبي شعيب.

وفي سنة 1930 لما أصدر المستعمرون الظهير البربري تظاهر مع إخوانه الوطنيين في المسجد الكبير بالرباط حيث كانوا يذكرون اللطيف، وألقي القبض عليه مع سائر إخوانه. وفي سنة 1944 كان من الأولين الذين حملوا وثيقة الاستقلال الذي كان يُطالب به لأول مرة وظاف مع التجار



عند صاحب كتاب الرحمة في علاج "النفخ والأورام التي في الفرجومة" أو بدهن لوزتي المريض ببعض اليايس من دم أضحية العيد بعد خلطه بالقليل من عود القماري.

إلى جانب هذه الوصفات وغيرها، حاول أطباء الحماية الفرنسية التصدي لداء الخناق، فعملوا على تشخيصه واعتبروه من الأمراض ذات الإعلان الإيجاري. غير أن الحد من انتشاره ظل أمراً صعباً إلى ما بعد سنة 1924 عندما تمكن العالم البيولوجي الفرنسي Gaston Ramon من اكتشاف التلقيح بذيغان الدفتريا Anatoxine diphtérique الذي لم يكن يستفيد منه في المقام الأول سوى أبناء الأوربيين أو المحظوظين من سكان المدن البلديات، وقد أصبح التلقيح ضد الخناق اليوم منشراً في حواضر المغرب وبوادي.

ع. السيوطي، كتاب الرحمة في الطب والحكمة ؛ ع. الكاديكي، الأمراض المعدية؛ الرواية الشفوية.

A.R. De Lens, *Pratiques des Harems marocains*, Paris 1925 ; *Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc*, T. XIV n° 1 - 2, 1954.

بوجمعة رويان

**الخنابوي، عبد الرحمان صوفي صالح،** وهو الجد الأعلى للشرفاء الخنابيب. لا نعرف عن حياته إلا النزر القليل الذي وصلنا عن طريق الرواية الشفوية. يقال إن أصله من مدينة فاس، وبها تلقى تعليمه، وسلك طريق التصوف على يد شيوخها وعرفت حياته منعطفاً حاسماً بعد انتقاله إلى زاوية غبغاية عند الشيخ فارس بن الحسن، وهو من تلاميذ عبد الله أمغار. فأصبح الخنابوي من كبار مریدی الشيخ وبقي بجوارها مدة تنيف عن سبع سنوات، فوجهه إلى قبيلة الخنابيب، ويحتمل أن يكون ذلك مرتبطاً بمنحى المتصوفة آنذاك من تعمير البوادي والمناطق النائية. ومهما يكن فإن القبيلة بدأت في خدمة زاويته، وبالمقابل نالت حمايته المعنوية والرمزية. وهذه المكانة الروحية، جعلته يحظى باحترام وقبول الجميع، وذاع صيته واشتهر أمره. لذا أصبحت زاويته مجالاً مستقطباً للعديد من الطلبة والمریدین وعامة الناس، ونواة التف حولها السكان، فتكونت قرية تحمل اسم تمزليت.

وبغض النظر عن الشهرة التي كان يتمتع بها، لم ترد أخباره في كتب المناقب السوسية المعروفة. ومن غير المستبعد أن يكون ذلك مرتبطاً بقصر المدة التي قضاه الشيخ بين أحضان القبيلة، وكذا تشتت أولاده في مجالات جغرافية مختلفة.

بعد وفاة الشيخ عبد الرحمان الخنابوي آلت أمور الزاوية إلى ابنه محمد. إلا أن نفوذها وإشعاعها الديني والعلمي بدأ في التراجع لصالح زاوية تازروالت. وعلى مدى قرون عديدة، استمر حفده في تسيير الأمور التنظيمية للزاوية،

السوسيين بالرباط وساهم في الاحتجاج بالقصر الملكي وألقي القبض عليه مع أزيد من مائتي شخص.

وفي سنة 1951 ألقى عليه القبض ثانياً حيث قدم للمحاكمة بعد ذلك البحث الذي تعرض له من طرف الشرطة التي اتهمته بالمس بأمن الدولة، لكن نظراً لعدم وجود أي حجة أطلق سراحه، وبعد ذلك فرضت عليه الإقامة الجبرية بمنزله إلى حدود 4 يناير 1954 إذ ألقى عليه القبض مرة أخرى مع ثلاثة وخمسين شخصاً من المقاومين، وذلك لأنه كان مع السي صالح مسؤولين عن مزرعة وادي أغم التي كانت مركزاً هاماً للمقاومة، وبقي في السجن إلى أن جاء الاستقلال وأطلق سراحه. وكان منزله مأوى للمقاومين والوطنيين ومنهم المقاوم الكبير عبد العزيز الماسي الذي بقي لاجئاً عدة شهور في بيته.

خطرت للمفقيه الخنوبوي فكرة تشييد المعهد الإسلامي بتارودانت وأدلى بها لأصحابه ومنهم عبد العزيز الماسي فطاف المفقيه الخنوبوي من جهة عبد العزيز الماسي وغيرهما من جهة أخرى لجمع التبرعات وقصدوا جميع أنحاء المغرب ووقفهم الله وبنى المعهد، وكان منطلقاً لبناء فروع له في ماسة وتيزنيت وغيرهما.

كان محمد الخنوبوي عضواً في المجلس الوطني لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير وقد نظمت المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجمعية إيليج للتنمية والتعاون حفلاً تكريمياً له يوم 19 يوليوز 1991 حضره جمهور غفير.

توفي رحمه الله يوم 26 يبرابر 1996.

مذكرة حررها المترجم عن نفسه.

أحمد الخنوبوي

**الخنط** أو الخنط، قماش من نسيج قطن أزرق أو أسود في الغالب، داكن أو مفتوح، سميك مدكود أو رقيق شفاف، كان سكان المناطق الصحراوية ومازالوا يتخذون منه ملابسهم الخاصة التي تميزهم عن غيرهم. ويسود استعماله في كل المناطق الصحراوية المغربية الممتدة من شرق البلاد إلى جنوبها وجنوبها الغربي من حدود عين بني مطهر وراس الماء شمالاً إلى السوس الأقصى ووادي درعة ووادي نون جنوباً، ويتعدى ارتداؤه الحدود المغربية حيث يكاد يصبح هو اللباس الوحيد في موريطانيا كما يشهد على ذلك محمد المختار السوسي إذ يقول : "وأكثر لباس عرب شنكيط (موريطانيا الحالية) الخنط الأزرق من القطن".

ويستمد قماش الخنط اسمه من مدينة Gent البلجيكية الواقعة في منطقة فلاندر الشرقية حيث تسود اللغة الفلاماندية (وتطلق الجيم خاء مثلها في ذلك مثل اللغة الإسبانية). وتسمى هذه المدينة عند سكان بلجيكا الناطقين باللغة الفرنسية في جنوب هذه البلاد غانط Gand ويدعى أهلها Les Gantois، قال فيها إدريس الجعيدي الذي زارها

يوم الأربعاء 12 يوليوز 1876 بمناسبة رحلته إلى بلجيكا ما يلي : "مدينة كانطي مشهورة بنسج الكتان في بلجيكا". ومن جملة المناطق التي كانت تصل إليها منتجاتها، يحكم قربها الجغرافي منها، بلدان حوض البحر المتوسط الشمالية منها والجنوبية بما فيها المغرب.

وقد كانت أقمشة مدينة خنت، التي اختصرها الناس في كلمة واحدة هي الخنط، توزع في شرق المغرب وجنوبه في القرن XIX عبر ميناء تطوان في الشمال والصويرة في الجنوب. وكان سكان المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية المغربية يتخذون منها أردية واسعة فضفاضة مهبوة لا تنحصر على الجسم ولا تحدد ملامحه مما كان يلبسه الإناث والذكور صغاراً وكباراً على حد سواء مع اختلافات بسيطة بين هذه الفئات حسب السن ومستوى الثروة والجنس سواء في طرق التفصيل أو أشكال اللف حول الجسم. ولم يقتصر انتشار هذه الأقمشة عبر ميناء الصويرة على جنوب المغرب وجنوبه الشرقي والغربي بل تعداه إلى بلدان متعددة في غرب إفريقيا ووسطها.

وكان سكان المناطق الصحراوية من متوسطي الأصول المادية لا يملكون من قماش الخنط إلا قطعة واحدة أو اثنتين من النوع المتوسط أو الرديء مما يُلبس عادة فوق سروال قصير فضفاض ورداء داخلي ملامس للجسم. أما الموسرون فكانوا يتفرون على أكثر من قطعتين من النوع الجيد، وغالباً ما كانت واسعة فضفاضة مرسلة الأذيال تتخذ إما من لون واحد أسود أو أزرق أو من لونين مختلفين أزرق وأبيض أو من أحد هذه الألوان مع اختلاف في مستوى المنسوج وشفافيته. وكلما تزايد عدد القطع المرسلة على الجسم عند أهل الصحراء كلما دل ذلك على الانتماء إلى مستوى معين من الرفاه والثراء.

وكانت ملابس الخنط لا تكتمل إلا بارتداء عمامة تدعى "الشاش" وهي سوداء أو زرقاء من نفس القماش تغطي شعوراً كثيفة مسدلة إلى حد الكنفين عند البعض من الرجال ولا تتعدى الفقا عند السواد الأعظم من الذكور. وكانت عمامات الرجال تستعمل حيناً لتغطية الرأس وحيناً لتغطية الوجه، لذلك تسمى في هذه الحالة الأخيرة "الگنا" عند أهل الصحراء التي قد تكون تحريفاً لفظياً وتكييفاً محلياً لكلمة "القناع" ذات الأصل العربي. أما النساء الصحراويات فكن يجمعن شعر رؤوسهن بعد تقسيمه إلى ظفائر ثم يلفنه بأقمشة خنت سوداء قبل إسدال الطرف الأعلى من الرداء الخارجي عليه.

وتذكر المستندات التاريخية بأن ماء العينين بن محمد الفاضل زار السلطان مولاي الحسن في نهاية القرن XIX صحية عدد من رجاله وهم يلبسون ثياباً زرقاء من خنت، وكان ماء العينين وسطهم يحجب وجهه عن الأنظار بلثام من نفس القماش ويبدو جسمه نحيلاً ملفوفاً في أردية زرقاء. ورأى الملاحظون ابنه أحمد الهبة سنة 1912، وهو

شرعت في مد السكة الحديدية لنقل المعدن من مناجمه إلى مدينة مليلة قبل أن يرغب الروماني على مغادرة قصبة سلوان.

كان رد فعل الشريف أمزيان على القرار الإسباني أنه منع الشركة من الاستمرار في مد السكة الحديدية حيث هاجم العمال يوم 9 يوليو ووقع اشتباك أسفر عن مقتل أربعين من الجنود الإسبان ؛ وعندئذ أمرت الحكومة الإسبانية حاكمها بمليلية الجنرال مارينا Marina باستعمال القوة، وأمدته بجيش قوامه 17.000 رجل فتكن من احتلال ثلاثة مراكز واقعة بضواحي مليلية ؛ هذه المركز إلى أصبحت محاصرة من طرف المجاهدين الذين حالوا دون تمكن قافلات التمرين من إمدادها بما تحتاج إليه من مؤونة وعدة حربية.

وقد اختار الشريف أمزيان خندق الذيب الواقع بين مليلية والمركز المذكور لقطع الطريق على قافلات التمرين، فكان الخندق المذكور مسرحاً لأربع معارك دامية أذهلت القيادة العسكرية الإسبانية. جرت المعركة الأولى يوم 18 يوليو وأسفرت عن مقتل 28 وجرح 35 من الجنود والضباط الإسبانين ؛ وأسفرت المعركة الثانية التي جرت يوم 20 عن مقتل 27 وجرح 37 من الضباط والجنود. وفي المعركة الثالثة التي جرت يوم 23 من نفس الشهر قتل 10 من الضباط كان من بينهم الكولونيل Alvarez Cabrera والكولونيل Ibanèz Maria والكومندار Fernandez Cuevas، كما قتل 60 من الجنود في حين جرح 15 من الضباط و315 من الجنود.

وأما المعركة الرابعة التي جرت بخندق الذيب يوم 27 يوليو فقد أسفرت عن مقتل الجنرال بينطوس Pintos نائب الحاكم العام بمليلية والكولونيل Palacios والكومندارات Urbina, Carpena, Capape و Garcia Ruiz و6 من القبطانات بالإضافة إلى 300 من الجنود.

وكان عدد الجرحى 1043 نفر من بينهم الحاكم العام للميلة الجنرال Marira والكولونيل Jaramillo و41 من الضباط.

كتاب ألفه الصحفي الإسباني Enrique Lopez Alarcon وهو شاهد عيان تحت عنوان :

(Cronica de un testigo). *Diario del la guerra escrito durante las operaciones militares en el Rif. Melilla 1909.*

حَسْسُوس، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمر المجاورة لتطوان منهم :

حَسْسُوس، أحمد بن عبد الخالق، فقيه زاول خطة العدالة بتطوان سنة 1270 / 1854.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483

يتقدم حملته نحو الشمال وسط رجاله على نفس هيئة والده وأشاروا إلى أنه كان مستقيم القوام كث الشعر مرتدياً ملابس صحراوية على العادة. كما كان مرافقه يرتدون ألبسة صحراوية من خنت سوداء متسخة. وكان سكان الصحراء عندما يلتحقون بمدن الشمال ويواديه يعرفون بسهولة من ملابسهم أثناء تجولهم في الأحياء والأسواق.

وقد انتقلت عدة فرق صحراوية في فترات تاريخية مختلفة إلى الرحامنة والسراغنة والمنابهة وحاحا والشياظمة واحمر وعيدة ودكالة وأولاد دليم وأولاد السباع فحافظت على عاداتها وتقاليدها وأسمائها وملابسها. كما كانت نساؤهم لا يفرطن في زيهن الذي يميزهن عن غيرهن، فكن يرتدين ملابسهن من قماش الخنت إذا كن من الفقيرات أو متوسطات الأحوال المادية، لكنهن يتخذنها من قماش قطن شفاف ذي ألوان زاهية متنوعة شبيهة بالأقمشة النسوية الهندية يدعى "الخنيشة". وتختار النساء الأثنيات من الحضريات الصحراويات والفتيات المنتميات إلى الجبل الجديد أرفع أنواع الخنيشة شكلاً ولوناً لتقتطع منها أردية فارهة يسدلنها على أجسامهن عند الخروج من منازلهن.

إ. الجعايدي، *تحاف الأخبار بغرائب الأخبار*، د. د. ع. كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، تح. عز المغرب معنينو : م. المختار السوسي، المعصول، ج 3، الدار البيضاء، 1960.

M. Akhmisse, *Hommes et choses de Smara*. Rabat 1987 ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna*, Paris 1948 ; M. Barbier, *Voyages et explorations au Sahara occidental*, Paris 1985 ; M. Croizard et P. Galante, *Les hommes bleus au Maroc*, Paris 1956 ; C. Douls, *Voyages d'exploration à travers le Sahara occidental*, Bull. Soc. Géogr., 1988, 3ème trim. ; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830 - 1912)*, Paris 1977 ; J. Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Paris 1982 ; F. Fabien, *Le Maroc au bout de ma seringue*, Rabat 1988 ; F. Sourdon, *Le marocain, son âme et sa ville*, Paris s.d. ; A. Adam, *Le costume dans quelques tribus de l'Anti-Atlas*, in *Hesp.*, tome 39, 1952 ; P. Lemoine, *Le royaume de Marrakech*, Bull. Soc. Géogr., juillet 1905 ; *Dictionnaire de noms de lieux*, Montréal 1992 ; M. Abitbol, *Le Maroc et le commerce transaharien du 16ème au 19ème s.*, R.O.M.M., n° 30, 1980 ; D. Denoun, *Notice sur la tribu arabe saharienne des Aribis*, 1929, sans lieu ; E.F. Gautier, *Le Sahara*, Paris 1950.

محمد بوسلام

**خندق الذيب**، مكان يقع على بعد كيلومتر ونصف

من مدينة مليلة، واسمه بالإسبانية برانكوذيل لوبو Barranco del Lobo روع الشعب الإسباني خلال شهر يوليو من سنة 1909 حيث كان مسرحاً لأربع معارك دموية انتصر فيها المغاربة بقيادة المجاهد أمزيان ؛ هذه المقاومة التي اندلعت يوم 9 يوليو 1909 عندما قررت الحكومة الإسبانية استعمال القوة لمساعدة الشركة الإسبانية التي حصلت على إذن الروماني بوحمارة في استغلال مناجم الحديد الواقعة بقبيلة بني بويغورور، وكانت الشركة المذكورة قد

إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 640.

محمد ابن عزوز حكيم

**خنسوس، محمد الحدوشي، الشهير بـ "يوشكال"،**

لأنه كان يحمل خلدالاً من شعر برجله اليسرى، مربوطاً بشدة قرب ساقه. كان حدوشي الطريقة من أهل الأحوال والغيبة منجذباً، أخذ عن أبي الحسن علي بن حمدوش قبل أن ينتقل إلى مدينة فاس ويقيم بها، عرف عنه الصلاح والورع والزهد والاجتهاد في العبادة. كما كان ضيق الحال لا يدعي بدعوى ولا يسأل من الناس إلا ما يسد به الرمي.

شهدت له كما يقول ابن زيدان في الإتحاف كرامات وخوارق عادات، جعل لنفسه حوشاً من حجارة بالسبابات الكائن شرقي جامع القرويين، ثم انتقل إلى رأس الجنان بعيون أبي حرز فكان يقبل ويبيت إلى أن وافته المنية عام 1780 / 1194.

ع. ابن زيدان، الإتحاف، ج 4، ص 117.

رقية بلمقدم

**الخنشوف، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني**

حسان الواقعة بين تطوان وشفشاون ؛ وقد انقرضت بتطوان سنة 1844 / 1260.

**الخنشوف، الزبير بن عبد المؤمن فقيه زاول خطة**

العدالة بتطوان سنة 1719 / 1131.

**الخنشوف، قاسم بن سعيد من عدول تطوان شهد**

بظلم أولاد النقيس وطقيانهم واستغراق ذمتهم في شوال عام 1078 / مارس 1668.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 641.

**الخنفري، أسرة تطوانية شريفة عمرانبة، وقد**

انقرضت اليوم، منهم :

**الخنفري، عبد الله بن محمد بن عبد القادر،**

زاول خطة العدالة سنة 1879 / 1296.

**الخنفري، علال بن ميمون، زاول نفس الخطة سنة**

1799 / 1214.

**الخنفري، محمد بن أحمد فقيه زاول نفس الخطة**

بتطوان سنة 1875 / 1292.

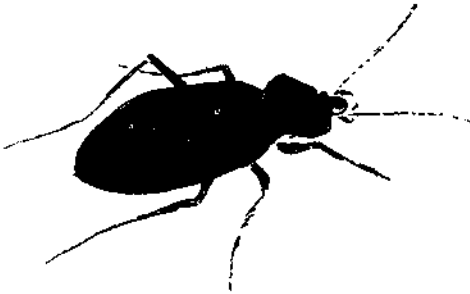
م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 639.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخنفساء والخنافس والخنفسوس تُجمع على خنافس،**

وتسمى بالأمازيغية خنف وأزكلالو وتجمع على إزكلولا، وبالفرنسية Coléoptère وبالإنجليزية Beetle. تسمى في المعاجم العجانس والجعانس وغمديات الأجنحة، ويطلق عليها في أغلب مناطق المغرب اسم بعوش وبخوش، وهي حيوانات من اللاقترات تصنف إلى طائفة الحشرات Insectes ورتبة الخنافس Coleoptera التي تتضمن فصائل عديدة. واللفظ العلمي Coleoptera يتألف من مقطعين : Ptera ومعناها الجناح، وColeo ومعناها الغمد.

الجناحان يتكونان عادة من المادة القرنية الجامدة الصلبة تسمى كيتين، يلتحمان بالجسم ويقيانه كما أنهما يغمدان الجناحين الخلفيين المكونين من غشاء أرق. يتشكل الهيكل الخارجي لأنواع الخنافس أشكالاً وأحجاماً عديدة كما أن الألوان تختلف من نوع لآخر فتجد منها الأسود والأخضر والأزرق والأحمر وغير ذلك.



خنفساء

للخنفساء ستة أرجل ذات مفاصل تخرج من أسفل الصدر، وهي من مميزات طائفة الحشرات، كما أن الجسم ينقسم إلى رأس وصدر وبطن. يحمل الرأس قرنين يستشعر بهما. يشتمل الفم على فكوك قوية تساعد على القضم والمضغ، وتختلف حسب الأنواع باختلاف الحاجة واختلاف نظام الأكل. البطن مقسم إلى عشر حلقات تظهر منها 8.5 حلقات فقط. تحمل كل حلقة زوجين من فوهات التنفس وهي عبارة عن فتحات مرتبطة بنظام الأنابيب الهوائي التنفسي للحشرات.

يقوم عدد أنواع الخنافس 300000 في العالم من بينها حوالي 5300 نوع في المغرب تقسم إلى 115 فصيلة وإلى 1243 جنس. نذكر من بين الفصائل الشائعة في المغرب :

- الدعسوقيات Coccinellidae ومنها الدعسوقة سياعية النقط (Coccinella septumpunctata) التي تستعمل في المقاومة البيولوجية ضد برغوثة أو قشرة النخيل (Cochenille blanche : Parlatoria blanchardi) التي تخلف أضراراً في مزارع نخيل التمر بجنوب المغرب. إن هذه الدعسوقة تلتهم يومياً العشرات من هذه الحشرات المضرة وتضع بيضها في فصل الربيع على النباتات التي توجد بها الحشرات المضرة.

- الحنظليات Lucanidae ومنها الحنظلب Lucanus cervus الذي يعد من أكبر الحنافس حجماً في شمال إفريقيا إذ يبلغ طول الذكور 75 ملم ويتميز بفكين كبيرين على شكل قرن الأيل يعيش وسط غابات أشجار البلوط. تعد أنواع الحنظليات من الحنافس الأكثر رغبة فيها من طرف المختصين في العلوم الطبيعية والهواة لوضعها في علب زجاجية قصد عرضها في مختلف المتاحف والمختبرات وأحياناً حتى في المنازل، الشيء الذي يشكل خطورة على حياتها قد تؤدي بها إلى الانقراض.

- الظلاميات Tenebrionidae ومنها خنافس الدقيق Tenebrio molitor التي تعيش في مخازن الحبوب وأحياناً تربي لتتغذى من يرقاتها الطيور.

- النضاريات Chrysomelidae وفي هذه الفصيلة عدة أجناس وأنواع مضرة منها خنفساء الورق Galeruca تفتك بورق الشجر وخاصة منها الصفصاف وجار الماء. وخوذية الشمندر Cassida vittata التي تلتهم الكبار منها واليرقات أوراق الشمندر ويوضع البيض على البراعم والأوراق خلال فصل الربيع. يتم التفقيس في مدة قصيرة وتبدو الكبار عادة بعد 3-4 أسابيع.

- القرنبيات أو طوال القرون Cerambicydae تتميز عن باقي الحنافس بقرونها الاستشعارية الطويلة وبألوان زاهية مثيرة. أغلب الأنواع تعيش على الخشب وتخلف به أضراراً، من بينها جنس : Rosalia و Cerambyx و Purpuricinus.

- الناصعات (Buprestidae) فيها أسطع الحنافس وأزهارها ألواناً ومنها ناصعات الصنوبر والبلوط. من أخطر الناصعات على الأشجار المثمرة بالمغرب نذكر ناصعة المشمش والحفوخ واللوز Capnodis tenebrionis. إن يرقاتها تنخر جذور هذه الأشجار وتسبب هلاكها.

- العوميات Dytiscidae والخننافس المائية Hydrophilidae ومنها حوالي 200 نوع تعيش يرقاتها وكبارها في المياه العذبة الجارية وفي المستنقعات والبحيرات القارية، أشهرها إلف الماء Hydrophilus والعومة Dytiscus.

- اليراعيات Lampyridae ومنها الجباحب Lampyrus boctiluca (انظر جباحب ص. 3303).

تختلف طريقة العيش بين أنواع الحنافس فنجد منه ما

- الحنافس الجيرية Cicindelidae نعتوها بالجيرية لقوة التمزيق في تأثيرها. منها Cincindela campestris خنفساء الحقل.

- الفتعيات Scolytidae ومنها جنس الفتوع Scolytus التي تفتك بأشجار الصنوبر والدردار والبلوط والزيتون وتتغذى باللحاء الداخلي لها. يعد نوع Ruguloscolytes amygdalus من أخطر الحنافس على أشجار اللوز بالمغرب، له ثلاثة أجيال في كل سنة وتعيش الكبار بداخل الجذوع بعد أن تتخذ مغاور لها وتضر بذلك الأشجار التي كثيراً ما تفرز الصمغ وتذبل أغصانها.

- العثيات Dermestidae تتميز بيرقانات تلحس الريش والشعر والفراء والألبسة واللحوم المقددة. ومنها عثة الثعلب Dermestes lardarius وعثة الشحم Dermestes pelio وعثة الفرائين Dermestes pelio.

- الجعليات أو الجيعلان Scarabaeidae ومنه الجعل المقدس (انظر بوجهران) Scarabaeus sacer.

- الذراحيات أو الذرايح Cantharidae أو النافطيات Meloidae وفيها أنواع يستعمل مسحوقها بعد تحفيفها ذراحا في الطب ومنه الذراح النافط Cantharis vesicatoria.

- السوسيات Curculionidae نذكر منها الأنواع المنقارية Rhynchophora وهي خنافس تتميز البالغة منها برأس مستدق وطويل على شكل منقار أو خطم يحمل قرني الاستشعار. منها نوع Cucurio nucum ونوع Calandra granaria أو ما يسمى بالكوز أو سوسة الحنطة وهي خنفساء صغيرة القد لا يتعدى طولها 4 ملم كثيراً ما تخلف خسائر كبيرة في مخزونات الحبوب. ونوع Sitona lineatus أو سوسة الجذور تتغذى يرقاتها على جذور الفصوليات وخاصة منها الجلبان والبقول والترمس (lupin) وتتغذى الكبار من أوراق هذه الفصوليات وتضع البيض على البراعم.

- التسوسيات أو السوسيات العاشية Bruchidae وهي

من أصغر الحنافس حجماً وأخطرها على البذور والحبوب إذ تثقبها وتعيش من موادها، نذكر من بين أنواعها سوسة الفول المعروف عند العامة ببعوش الفول Bruchus rufimanus الذي يتغذى بنباتات الفول وعند ظهور قرون الفول يسراً البيض بداخلها وبعد التفقيس تثقب اليرقات الحبوب لتتغذى من محتوياتها الصلبة وتكتمل مراحل نموها بداخل البذرة ثم تغادرها عندما تصبح بالغة (adulte).

تقضي الكبار فصل الشتاء بين فتحات وانسلاخات جذوع الأشجار وخاصة منها الاوكليتوس، وفي فصل الربيع تتغذى من رحيق ورود الفول ولقاحه وتضع بيضها بداخل قرون الفول. كما أن لهذه الفصيلة عدة أنواع أخرى في المغرب أكبرها انتشاراً هي سوسة الحمص Bruchus tristic وسوسة الجلبان Bruchus nubilis و Bruchus pisorum وسوسة الجزر Molytes.



يدافع عن نفسه بمنظره الخشن أو المخيف أو يفرز مادة كريهة تخلصه من أعدائه أو يعطي لونا شبيها بالنبتة التي هو فيها فتصعب مشاهدته.

م. الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988؛ أ. العلوف، معجم الحيوان، مطبعة المتنطف، القاهرة، 1932؛ ن. الحياطي، بوجمران، معلمة المغرب، ج 5، ص. 1640؛ جاحب، ج 10، ص. 3303.

J.R. Winkler, *Coléoptères. Atlas illustré*. Paris. 2ème éd., 1973, 234 p.; L. Kocher, *Catalogue des coléoptères du Maroc*. Rabat, 12 fascicules, 1956 - 1969.

محمد رمضاني

### الْحَنْطَظَرَة، مصطلح نجد في الوثائق المغربية في

القرن التاسع عشر يستعمل في وسط الصنّاع المغاربة، وكان يطلق على الآلة العجيبة التركيب مثل "آلة صنع السكة" وغيرها من الآلات التي اطلع عليها الرحالون المغاربة الذين زاروا أوربا خلال هذا القرن فاطلعوا على مختلف الصناعات الحديثة وأنواع الآلات التي لم يسبق لهم أن شاهدها مثل القاطرة والتلغراف وآلات الطبع وغيرها وقد ظهر ذلك نتيجة الانبهار تجاه التقدم الأوربي في الرحلات المغربية المتأخرة مثل تحفة الملك العزيز لإدريس العمراوي، ورحلة محمد الصفار ورحلة المجمعدي وغيرها.

غير أن هذا المصطلح أصبح بعد التعرف على هذه الآلات شيئاً فشيئاً في الوسط المغربي إنما يطلق على كل مشكلة صعبة أو حدث يؤدي إلى ورطة.

ع. أفا، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر، الدار البيضاء، 1988، ص 400؛ الوثائق الملكية، ملف دار السكة.

عمر أفا

### الْحَنْتُوس، أسرة تطوانية أصلها من قرية دار الحنّوس

الواقعة بقبيلة بني حزم المجاورة لتطوان.

### الْحَنْتُوس، محمد بن محمد، مدّعي بحامية تطوان

سنة 1246 / 1830.

### الْحَنْتُوس، السكي بن أحمد فقيه زاول خطة العدالة

بتطوان سنة 1201 / 1787.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسما - عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 642.

محمد ابن عزوز حكيم

### الْحَنْتُوس، (أيت -) تعتبر هذه الكلمة اسماً لفصيلة

من أهم فصائل قبيلة أزوايفط التي تنتمي إلى لف أيت بلة بالتحادية تكنة (انظر مادة أزوايفط بالعلمة). وبعد مقر إقامة أيت الحنّوس هو مديشر تيغمرت حيث كانت تتمركز قديماً نول لمطة عاصمة المرابطين بمنطقة وادي نون (انظر مادة تيغمرت بالعلمة). نتساءل من هنا عن مدى ارتباط هذه الفصيلة بالغور السكاني الأقدم؟ فتجيبنا المصادر العربية خاصة منها مصادر القرن السادس الهجري (12 م)، بوجود نفس الاسم غير ما مرة بأماكن متعددة من جبال وقبائل الأطلس والريف. نبقى من هنا أمام أكثر من تساؤل ولا يسعنا إلا أن نضيف هذا السؤال إلى غيره من الأسئلة العالقة بشأن هذه الفصيلة. مهما يكن من أمر فالغالب على أيت الحنّوس هو ارتباطها اللصيق بصنهاجية الصحراء وحدائرها بالهسانية كما يكشف ذلك الفحص الميداني.

من خلال أي جرد لثوعية العلاقات التحالفية بين هذه الفصيلة وباقي كبريات فصائل قبيلة أزوايفط خلال القرون الثلاثة الماضية، يتضح جيداً أن تنافساً قوياً بينها قد هدد غير ما مرة الوحدة القبلية بسبب حدة التنافس من أجل مراقبة المجال وخاصة منه الحقول المسقية المحيطة بمديشري تيغمرت وأسريير. فتتضح بذلك للمدقق المقدرة الدفاعية الحربية لأيت الحنّوس ومحافظةهم على استقلالية قرارهم وفرض رأيهم على باقي الفصائل.

ويعتبر الكوري الحنّوسي أبرز شيوخ أيت الحنّوس خلال القرن الثاني عشر (18 م). فقد كانت له من المقدرة الحربية ما أهله لحماية قوافل التجار حتى تمكنوا مرورا بتيندوف وتاوندي. ماتزال أبراج قصيته بمديشر تيغمرت ترسم معالم نواة سلطوية يدل عليها عدد المرابطين وسليبي العبيد المقيمين بها إلى يومنا هذا. لم تكن يومها كلميم قد ظهرت كعاصمة تجارية لوادي نون. وهو ما تشهد به الكنانيش التجارية التي تذكرنا اليوم بأهمية أهل الكوري بقصبة تيغمرت وبحجم تجارتهم على امتداد مسالك الصحراء. ولاشك أن هذه القصبة كانت تمثل يوماً آخر مظاهر الحياة ببقايا نول لمطة القديمة. بل إن الكوري الحنّوسي يعتبر بمثابة آخر السلط المحلية القوية بهذه العاصمة المرابطية. ولربما كان في ذلك ما يشهد على قدم أيت الحنّوس وعلى مدى تشبثهم بالأرض المسقية والمجاورة.

معلمة المغرب، أزوايفط؛ تيغمرت.

مصطفى ناعمي

### ابن حَنْتُوسَة، أسرة فاسية عريقة أصلها من مصوذة

سوس، قال عنهم صاحب بيوتات فاس: "بيتهم بيت علم قديم من عهد مغراوة" أي قبل دولة المرابطين. وبقي العلم متسلسلاً فيهم إلى عهد دولة الموحدين.

عين في عهد ابنه السلطان محمد الرابع قائداً للمائة على فرقة الجيش البخاري التي كانت ترابط بقصبة تمارة عضداً لخليفة السلطان بمدينة الرباط. ثم عين باشا للمدينة خلفاً للباشا المتوفى الحاج المجذوب بن الغنيمي، وظل بمنصبه هذا إلى أن توفي فعين مكانه ابنه إدريس، ولا يُعرف لوفاته تاريخ محدد.

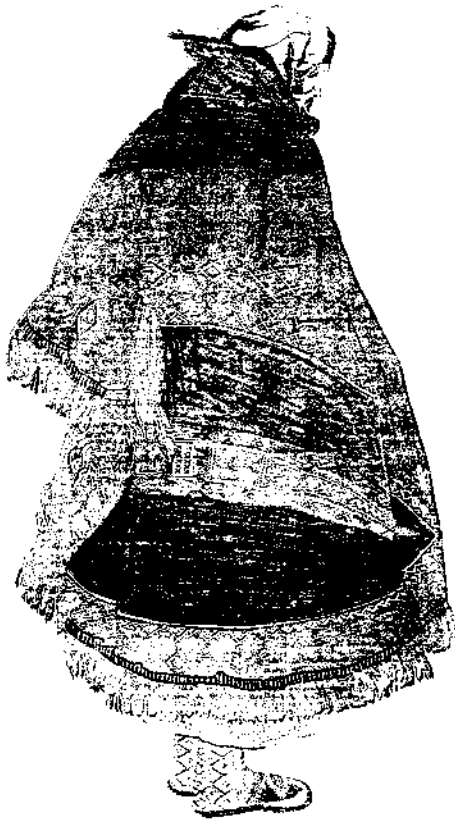
ابن زيدان، الإصحاح، ج 3، ص 571.

رقبة بلمقدم

**الخنيف**، لباس خارجي يرتديه الذكور في مرتفعات جبال الأطلس الكبير والصغير ويسمونه "أخنيف" بالأمازيغية، وهو شبيه بالسلمام الذي يسود في جبال الأطلس المتوسط ويدعى "أخيدوس" لكنه أثقل منه وأمتن ويختلف عنه في بعض الجزئيات.

يعرفه دوفيردان (Deverdun) في الموسوعة الإسلامية، وهو بصدد الحديث عن لباس قبيلة أگلاوة، بأنه "عبارة عن برنس أسود من صوف ثقيل منسوج قطعة واحدة تتوسطه من الخلف دائرة بيضاوية الشكل ذات لون برتقالي أو أحمر".

وقد كان الخنيف رداءً سميكاً مخصصاً لفصل الشتاء يحتمي به الشخص من البرد والأمطار والثلوج فكان يندمج



ابن **خُنُوسَة**، **خُلُوف** بن الطاهر المصمودي الفاسي، لا تعرف له ترجمة مفصلة إلا أنه كان ولياً صالحاً، وأنه توفي بفاس سنة 467 / 1075.74 حسب بيوتات فاس، أو سنة مقاربة حسب سلوة الأنفاس. وإليه ينسب درب خُلُوف بفاس من حومة الكدكان.

ابن **خُنُوسَة**، **عبد الخالق** بن عبد الرحمن

المصمودي الفاسي، وصفه صاحب بيوتات فاس بـ "الفقيه القاضي الخطيب" تولى قضاء مدينة فاس سنة 563 أيام يوسف بن عبد المؤمن. ومعلوم أن هذا الخليفة لم يكن يعين في مثل هذا المنصب من الفقهاء إلا من تنكّر للمذهب المالكي وأبدى استعداداً لاستخراج الأحكام مباشرة من الكتاب والسنة. ولا تعرف سنة وفاة المترجم.

ابن **خُنُوسَة**، **عبد الرحمن** المصمودي الفاسي، حلاه

في الجذوة بـ "الشيخ الإمام الفاضل كان خيراً ورعاً زاهداً ديناً ذا أوصاف جميلة" نقل الكتاني عن مؤلف الاستفادة أن عبد الرحمن هذا باع غلة جنان له بسوم وأخذ من المشتري عربوناً على أن يكون بالخيار تلك الليلة ليرى رأيه في إنفاذ البيع أورده. وفي الغد جاء من زاده ستين ديناراً أو أكثر على القيمة الأولى، فبعث ابن خنوسة للمشتري الأول يخبره أنه أعطي زيادة وقال : إن شئت أن تمسك جنانك بالثمن الأول فافعل، وإن أردت أن تأخذ الزيادة فهي لك، لأني البارحة أنفذت لك البيع بقلبي، فأخذ المشتري الأول الزيادة وأخذ الشيخ الثمن الأول. لا يعرف تاريخ وفاة المترجم.

ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، الرباط، 1972 : أ. ابن القاضي، جنوة، الرباط، 1974، ج 2 : م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 1300، ج 3.

محمد حجي

ال**خُنُوسِي**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني خنوس

الصنهاجية، وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 643.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخنيشات** (قرية على ضفاف ورغة) ← سيدي

**قاسم** (إقليم -)

**خنيشيش**، محمد بن أحمد، كان قائداً من قواد "المسخرين" في عهد السلطان عبد الرحمن بن هشام. ثم

et ciel, Lausanne 1954 ; P. Chatinières, Dans le Grand Atlas, Paris, 1919 ; Ch. de Foucauld, Reconnaissance au Maroc 1883 - 1884, Paris 1888 ; D. Madras, Au sud de l'Atlas, Casablanca 1950 ; G. Deverdun, Glaoua, E.I., tome 2, p. 1142.

محمد بوسلام

**خنيفرة**، مدينة بالأطلس المتوسط. تتضارب الروايات الشفوية في أصل كلمة خنيفرة، فهناك من يزعم أنها مشتقة من اسم "مُوخْنَفُور" وتعني بالأمازيغية صاحبة الأنف الضخم، وهو علم لامرأة كانت تسكن المنطقة التي أسست فيها مدينة خنيفرة، ومنها من يعتقد أنها مشتقة من فعل "خَنَفَر" أي خَدَّ بشدة، يقال "خَنَفَرُ أركاز"، خذ الرجل بشدة.

ومهما يكن من أمر فقد أسس مدشر خنيفرة . حسب ما ذكره René d'Abre بعد بناء القنطرة على نهر أم الربيع، من قبل السلطان مولاي إسماعيل، تسهلاً للمواصلات بين القصبات العسكرية في الأطلس المتوسط، وبين منطقة تادلا، في حين يعتقد François Berger أن المدشر كان موجوداً على الضفة الأطلننتيكية للنهر، قبل بناء القنطرة. والمهم من هذا كله أن المدشر أسس في منطقة استراتيجية هامة، حيث يقع على بحر "طريق السلاطين" الرابطة بين عاصمتي فاس ومراكش، عبر تادلا من جهة، وبين تافيلالت والسهول الداخلية والأطلننتيكية من جهة أخرى. وفضلاً عن موقع مفترق الطرق هذا، فإنه يتوسط مجموعة من القبائل المنتهية إلى اتحادية زيان، وكلها قبائل رحل تتخذة ممراً في حركاتها الانتجاعية بين الجبل والأزغار، الشيء الذي جعل هذا المدشر محط أنظار أسرة موحا وحمو. ففي سنة 1860 انقضض عليه أبو هذا الأخير وطرده منه أيت عفي، وفرض الرسوم على التجار والمنتجعين، وقد مكنته هذه الموارد من بناء قصبته الشهيرة على الضفة اليسرى لأم الربيع، كما مكنته من فرض نفسه أمغاراً (رئيس الجماعة) على قبائل زيان.

غير أن عمارة المدينة لم تبدأ إلا بعد تعيين موحا وحمو قائداً على قبائل زيان عام 1886، من قبل السلطان مولاي الحسن. فبعد أن عمل القائد على استتباب الأمن في المنطقة كلها، وإخضاع القبائل لسلطة المخزن، خطط لبناء خنيفرة على الضفة اليمنى للنهر وهكذا أعد سوقاً تجارية في مكان عال، ينعقد مرتين في الأسبوع، ثم قام ببناء مائة وثلاثين حانوتاً، خصص ثلاثين منها لقيصرية تباع فيها السلع النفيسة، كالذهب والحجر، كما أنشأ ثكنة عسكرية لإسكان الجيش الذي زوده به السلطان.

وانطلاقاً من هذا المركز عرفت المدينة، بسبب تزايد السكان وتوافد التجار، نمواً مطرداً حيث ظهرت أحياء تحمل أسماء الأقاليم والمدن التي جاء منها هؤلاء التجار. فهناك مثلاً حي الصحرابين الذين تخصصوا في الدباغة

في نسجه شعر الماعز وصوف الأغنام، وكانت شدة دك سداه بلحمته من أكبر مقاييس جودته حتى لا تسمح خرقته للمياه والثلوج فضلاً عن البرد القارس بالتسرب من بين ثناياها واختراقها.

ويشهد المغاربة والأجانب على السواء بأن ارتداء الخنيف كان سائد الانتشار في جبال الأطلس الكبير والصغير وسوس. فقد لاحظ شارل دوفوكو (Ch. de Foucauld) أثناء تجوله بالمغرب في نهاية القرن التاسع عشر انتشار هذا النوع من اللباس ابتداء من دمنات. ويعد أن أشار الرحالة المذكور إلى أن لباسه في فصل الشتاء كان عاماً، حيث كان يرتديه الذكور أطفالاً وكباراً واليهود والمسلمون، أكد عند تجارزه لجبال الأطلس الكبير بأن ارتدائه يتعدى دمنات ليشمل كل القبائل المجاورة لها ويسود انتشاره في أغلاوة وجبال الأطلس الصغير وسوس ودرعة. وهذا أمر أدركه محمد المختار السوسي في سوس والأطلس الصغير في مطلع القرن العشرين وسجله بقوله : "والذي أدركنا عليه الناس عام 1905 / 1323 [أنهم] كانوا يلبسون الخنيف في الشتاء، وهو يستورد من أزيانف مكان في الأطلس الكبير الموالي لسوس ... وقد لبست أنا، ما شاء الله، خنيفة غليظة محصر وراءها مما يقابل مقعدة الإنسان". ويقول الحسين التامكونسي الثاني السوسي في نفس الفترة تقريباً بأنه كان على عكس ما تناوله قومه أول من لبس الجبة (الجلباب) فيهم، فقد كانوا فيما سلف "لا يلبسون إلا القمص والأردية والخنايف الغليظة السوداء في البرد في هذه البلاد". أما في قلب الأطلس الكبير فكان ارتداء الخنيف في فصل الشتاء شيئاً عادياً بالنسبة للذكور، يقول في ذلك بول شاتنيير (P. Chatinières) بأن "سكان آيت الربع المقيمين قرب قصبه تلوات في قبيلة أغلاوة كانوا يلبسون الخنيف رجالاً وأطفالاً يتقنون به البرد القارس وتهاطل الأمطار والثلوج".

وكانت أكبر مراكز إنتاج الخنيف في الأطلس الكبير والصغير وسوس هي وزكيت وآيت سمغن وآيت وعرضة وتازناخت. في هذه المناطق كانت رحاب الأسواق الأسبوعية لا تكتمل إلا بالجناح المخصص لبيع الخنايف. وأكبر سوق لهذه الأردية كان في نهاية القرن التاسع عشر هو سوق تازناخت الذي كان ينعقد كل يوم خميس. وأكد دوفوكو بأن قرية تازناخت كانت قد تخصصت في صناعة الخنايف واشتهرت بذلك وكان سكانها في معظمهم يشتغلون بإنتاجها، فاعتبرها بالمقارنة مع غيرها أكبر موطن في المغرب لإنتاجها مضيئاً في آن واحد بأنها كانت أيضاً من أكبر مراكز إنتاج الجلباب والخيدوس وأكبر مركز للتبادل التجاري في مجال المنسوجات بالنسبة لقبائل آيت واووزكيت.

م. م. السوسي، المعسول، ج. 1 و 15، الدار البيضاء، 1960.

R. Heninger, Notes sur l'Aknif, C.A.T.A.N., n° 7, année 1974 ; J. Mercanton, Bernard Rouget, Maroc, terre

وفي يوم 12 جوان 1914 تمكنت الجيوش المهاجمة من دخول خنيفرة بعد أن غادرها سكانها الذين توجهوا نحو الجبال المجاورة لإعادة تنظيم المقاومة المسلحة.

René d'Abré, *Moha ou Hamou, Chef zaian, revue France - Maroc*, n° 81, 1923, p. 148 - 151 ; F. Berger, *Moha ou Hamou le zaïani, ou un royaume berbère contemporain au Maroc*, Marrakech, 1929 ; A. Bernard, *Le Maroc*, Paris 1932 ; J. Pichon, *El Herri*, Paris, 1936 ; *Rapport d'opération en pays zaïan*, 20 juin 1914, AMG 585 ; *Rapport n° 882, Lyautey à diplomatie*, Tadmra 7 octobre 1914, Carton n° 56, AAE 1584 - 5.

محمد بن الحسن

\* \* \* وفيما يخض الجغرافيا : تقع مدينة خنيفرة عند قدم الأطلس المتوسط الهضبي على ارتفاع حوالي 830 م، يخترقها نهر أم الربيع، وتبعد إلى الشمال الشرقي عن قصب تادلة بحوالي 100 كلم على الطريق الرئيسية في اتجاه مكناس.

ليس لمدينة خنيفرة تاريخ عريق. ذلك أن نواتها لم تشكل إلا في القرن 17 و على شكل مدشر يقطنه "أيت بوحدو"، وبدأت عمارتها منذ 1877 حينما استقر بها حوالي 4215 من جنود السلطان المولى الحسن الأول. واكتسبت المدينة أهميتها من موقعها الاستراتيجي بين تادلة والأطلس المتوسط وعلى الطريق الرابطة بين مكناس/فاس ومراكش عبر دير الأطلس. نشأت المدينة وتوسعت حول قنطرة مهمة تربط بين ضفتي نهر أم الربيع، وخاصة في فصل الشتاء حيث يرتفع صبيب النهر. وإذا كانت المصادر المغربية الكلاسيكية لا تشير إلى هذه المدينة بقدر إشارتها إلى قبائل المنطقة كزيان وأيت إشقرن... فإن معنى كلمة "خنيفرة" غير معروف.

واكتسبت مدينة خنيفرة شهرتها من المقاومة الشرسة التي قامت بها قبائل المنطقة وخاصة "زيان" بقيادة "موحي وحمو الزاياني"، واحتلت المدينة من طرف الجيوش الفرنسية في يونيو 1914. وفي 13 نوفمبر من نفس السنة سحقت قوات قبائل المنطقة الجيوش الفرنسية بموقعة "الهرري" قرب خنيفرة. خلال هذه السنة كان عدد القاطنين بخنيفرة، إضافة إلى الأسر الزيانية، 1230 أسرة من أصول جغرافية مختلفة، توزع بعضهم على الشكل التالي :

200	فاسيون
80	سوسيون
300	صحراويون
230	تاداليون
90	سراغنة
40	بني أحسن
200	بواخر وشراردة

وعرفت المدينة عدة تحولات اقتصادية واجتماعية... بفعل تأثير نظام الحماية. أما وضعيتها الإدارية فتطورت

وبيع التمور، وهناك الفاسيون الذين استقروا في القيصارية، والسوسيون الذين تخصصوا في البقالة ... الخ. يضاف إلى ذلك بناء فروع لمعظم الزوايا الموجودة في المغرب، كالتجانية، والشرقاوية، والعيساوية، والكتانية، والدرقاوية ... الخ.

وقد ازداد ازدهار المدينة وتعددت وظائفها بعد زيارة القائد موحا وحمو لفاس في نهاية القرن الماضي. فقد استقطب عدداً من التجار والصناع والعلماء الذين استوطنوا خنيفرة، وجعلوا منها مدينة متكاملة المرافق، بلغ عدد ساكنتها بضعة آلاف نسمة، قبل الاحتلال الفرنسي.

ولهذه المدينة ماضٍ مجيد في مقاومة الاستعمار الفرنسي. فما أن وطئت أقدام الغزاة أرض الشاوية عام 1907 حتى تحولت خنيفرة إلى قاعدة للجهاد. فمنذ هذا التاريخ والمقاتلون الزيانيون يناوشون القوات الفرنسية على هضاب تامسنا، وفي بلاد السماعلة، وسهول تادلا، وعلى مشارف سهول سايس، ويعرفلون استثمار هذه الأراضي من قبل المعمرين الأجانب، وقد لاحظ برنار بحق "أن تنمية السهول والهضاب الواقعة على الضفة اليمنى لنهر أم الربيع غير ممكنة دون القضاء على كتلة زيان". ولهذا فكر ليوطي ميكراً في الاستيلاء على خنيفرة، لا من أجل ربط الاتصال بين جنوبي البلاد وشرقها فحسب، بل كذلك من أجل كسر شوكة المقاومة الزيانية التي كانت تحول دون إنقام "تهدة" ما كان يسمى "بالمغرب النافع". وقد أنيط بمهمة الغزو الجنرال هنريس.

وفي بداية يونيو 1914، بعد أن فرغت الإدارة الفرنسية من السيطرة على ممر تازة (مايو 1914) تحركت انفرق المتنقلة (groupes mobiles) صوب خنيفرة.

فمن الغرب تحركت الفرقة المتنقلة لتادلا، تحت قيادة الكولونيل Garnier Duplessis (3 كتيبات، وسرتان، ومدفعيتان). ومن الشرق تحرك جيش من مكناس تحت قيادة الكولونيل Claudel (3 كتيبات ونصف و 3 سرايا و 3 بطاريات مدرعة) عبر طريق وادي إفران، مريوت، تكط، خنيفرة. ومن الشمال تحركت الفرقة المتنقلة لمدينة الرباط بقيادة البيوتان كولونيل Cros (3 كتيبات ونصف، وسرتان، ومدفعيتان).

أمام هذه القوات الهائلة التي بلغ مجموعها 13.364 جندياً و 358 ضابطاً استنفر القائد موحا وحمو قبيلته عن بكرة أبيها، وواجه الغزاة في عدة معارك : في ضاحية مولاي بوغزة (مايو 1914)، وعلى وادي إفران، وفي منخفض مريوت وضاحية خنيفرة (6.7.8.9 يونيو 1914). كما دارت معارك طاحنة على أبواب خنيفرة، وصفها الضباط الفرنسيون بأنها كانت من أعنف المعارك التي خاضوها منذ وصولهم للأطلس المتوسط. واستناداً إلى وثائق Château de Vincennes ووزارة الخارجية الفرنسية، فإن القوات الغازية تكبدت خسائر فادحة.

ويستغل المجال الزراعي في زراعات مختلفة حسب النوع والمساحة المخصصة لها :

قمح طري	71.200 هكتار
قمح صلب	48.800 هكتار
شعير	28.200 هكتار
بقليات	6.130 هكتار
خضر	5.350 هكتار

ويتوفر الإقليم على عدد مهم من رؤوس المواشي :

أغنام	836.000 رأس
ماعز	271.000 رأس
أبقار	79.600 رأس
خيول ويغال	67.831 رأس

وتحتل الغابات مساحات مهمة، تختلف فيما بينها من حيث الموقع ونوع الأشجار :

البلوط الأخضر	256.750 هكتار
حلفاء	150.000 هكتار
الأرز	65.150 هكتار
أشجار عصفية	11.680 هكتار
عرعر	11.100 هكتار
البلوط الفليني	11.380 هكتار
أنواع أخرى	20.000 هكتار

ويتوفر الإقليم على معادن متنوعة، قدمت سنة 1990، 12.000 طن من الرصاص و2.600 طن من الزنك و3.900 طن من البارتين... كما توجد بالإقليم صناعات وحرف مختلفة، تشغل عدداً مهماً من الحرفيين :

الفرع	عدد المشغلين
النسيج	6.600
الخشب	3.300
الجلود	1.210
الحزف	600
المناجم	440

ونظراً لموقع الإقليم، ولما يتوفر عليه من إمكانيات سياحية، فقد زاره - مثلاً - سنة 1994، 13.890 سائحاً، توزعوا من حيث جنسياتهم كالتالي :

حسب تقدم العمليات العسكرية. ففي سنة 1921 كانت خنيفرة دائرة تراقب مباشرة قبائل زيبانية كأيت سعيد وأيت بومزيل وأيت حد وحمو... وتراقب في نفس الوقت مكاتب استعلامات بكل من "مزغوشن" و"سيدي لين" و"مولاي بوعزة" و"أيت إسحاق". أما في سنة 1936، فأصبحت المدينة عاصمة لإقليم الأطلس المتوسط وتشكل في نفس الوقت عاصمة دائرة زيان، ومركز المكتب للشؤون الأهلية. وتوزع سكانها البالغ عددهم 4850 نسمة كالتالي :

مسلمون	4.735
يهود	82
أجانب	33

وفي سنة 1937، كانت المدينة مركز ملحقة زيان، إقليم الأطلس المتوسط، تراقب المدينة قيادتين كبيرتين لقبائل زيان، بساكنة قدرت بـ 8221 أسرة، سكنت منها مدينة خنيفرة 1069 أسرة.

خنيفرة اليوم عاصمة لإقليم تابع لجهة مكناس - تافيلالت تتوزع تنظيماته الإدارية كما يلي :

3 دوائر، و12 قيادة، و3 جماعات حضرية، وجماعة قروية.

وفيما بين 1971 و1994، عرفت المدينة والإقليم عدة تطورات على مستوى الساكنة والمساحة :

1994	1982	1971	
12.320 كلم <sup>2</sup>	12.320 كلم <sup>2</sup>	11.115 كلم <sup>2</sup>	المساحة
465.061 ن	363.716 ن	281.964 ن	السكان
37.74 ن/كلم <sup>2</sup>	29.52 ن/كلم <sup>2</sup>	25.3 ن/كلم <sup>2</sup>	الكثافة
219.168 ن	130.862 ن	60.270 ن	الحضريون
245.893 ن	232.654 ن	221.937 ن	القرويون
60.835 ن	38.840 ن	-	بلدية خنيفرة

ويتوزع استعمال أراضي الإقليم كما يلي :

غابات	526.000 هكتار	٪39.20
مراعي وأراضي غير زراعية	495.000 هكتار	٪36.90
أراضي زراعية	320.000 هكتار	٪23.90

أما الملكيات العقارية فتتميز بالتنوع واختلاف نسبها :

الملكية الخاصة	٪39.62
ملكيات جماعية	٪14.60
أراضي الدولة	٪45.49

مغاربة	5.443
فرنسيون	1.613
إيطاليون	1.013
إسبان	949
هولنديون	425
سويسريون	394

الخوارج بالمغرب فقال : "إن عمر بن عبيد الله المرادي عامل طنجة وما والاها أساء السيرة وتعذى في الصدقات والعشر وأراد تخميس البربر وزعم أنهم فيء المسلمين، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله (...). فكان فعله الدميم سبباً لانتفاض البلاد ووقوع الفتى العظيمة المؤدية إلى كثير القتل في العباد، نعوذ بالله من الظلم الذي هو وبال على أهله (...). فثارت البرابر بالمغرب الأقصى، فكانت أول ثورة فيه وفي افريقية في الإسلام".

قام ميسرة المضغري الملقب بـ "ميسرة الحقيير"، فشكّل تحالفاً ضم كلا من قبائل مضغرة ومكناسة وبرغواطة، وأغلبهم على مذهب الصفرية، وقليل منهم إباحيون. واتفقوا جميعاً على الخروج عن الطاعة، وقلدوا ميسرة مسؤولية قيادة جيش لقتال عاملي طنجة وسوس.

وفي معركة دارت رحاها بأحواز طنجة عام 122 / 739، لقي عمر بن عبيد الله المرادي حتفه وتشتت جنده بين مستسلم لميسرة وفاراً إلى الأندلس عن طريق سبتة.

عندئذ ولّى ميسرة على طنجة من قبله عبد الأعلى بن جريج الإفريقي، وهو من العلوج مولى سابق للعرب، واعتنق مذهب الصفرية.

ذاع صيت ميسرة في المغرب والمشرق، وشجّع المترددين من البربر على التمرد، ويايحه برايرة المغرب وخاطبوه بأمر المؤمنين. والمعروف أن الخوارج لا يشترطون في أمير المؤمنين أن يكون من آل بيت الرسول (صلعم) ولا من قريش ولا من أية قبيلة عربية.

كان لهذه الثورة أثر عميق في الزمان والمكان، إذ انتشرت النحلة الخارجية في جميع أرجاء المغرب وتبينتها سائر القبائل وأجمع الكل على نقض أمر خلفاء المشرق، أما عامل طنجة الجديد، ابن جريج الإفريقي، فإنه تعجل في تصفية آل المرادي، فقاد جيشاً إلى سوس لمجابهة عاملها إسماعيل بن عبيد الله المرادي. وفي المعركة الحامية ذاق ابن جريج مرارة الهزيمة وعاد إلى طنجة.

انتشى ميسرة بلقب أمير المؤمنين، فاستبدّ بالأمر وطفى بدوره على الناس، وحكم السيف في أعناقهم، فتكالب القوم عليه واعتقلوه ثم قتلوه، ونصبوا مكانه خالد بن حميد الزناتي الذي بعدما استتب له الأمر، ذهب إلى سوس وحارب إسماعيل بن عبيد الله، فقتله وشرّد جنوده. انتقلت بعد ذلك ثورة الخوارج المغاربة إلى الأندلس، فتعاطفوا مع أهل العدو وأعلنوها ثورة على حاكم الأندلس محمد بن عبد الله الأشجعي.

أرسل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، عبد الله بن الجحباب والياً على القيروان وسائر بلاد المغرب والأندلس. ويمجرد ما نزل الوالي الجديد بالقيروان، عبأ جيشاً يضم أشرف العرب الذين رافقوه وبعثه بقيادة خالد بن حبيب الفهري، أحد أحفاد عقبة بن نافع، لقتال التمردين وصددهم

وتخترق الإقليم 311 كلم من الطرق الرئيسية و116 كلم من الطرق الثانوية أما الطرق الثالثية فتصل مسافتها إلى 10.85 كلم كما يتوفر الإقليم على عدة مصالح ومؤسسات اجتماعية، ففي مجال الصحة مثلاً، بلغ عدد المراكز الصحية : 16 مركزاً بينما وصل عدد المستوصفات إلى 36. وبلغ عدد الأطباء العموميين 56 طبيباً بينما بلغ عدد العاملين في القطاع انصحي 615 موظفاً. وبلغ عدد التلاميذ الحضريين في التعليم الأساسي : 33.036 تلميذاً في حين لم يتعد عدد التلاميذ في المجال القروي : 20.291 تلميذاً.

أ. بلقاسم المنصوري الزباني، تاريخ بلدة خنيفرة، نج. محمد أمحزون، النار البيضاء، 1986 : فرانسوا بيرجي، موحى وحمر الزباني، 1877 - 1921، تر، وتعليق، محمد بوستة، فاس، 1999، منوغرافية إقليم خنيفرة، عمالة إقليم خنيفرة، 1997.

A. Guillaume, *Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas central, 1912 - 1933*, Paris, 1946 ; S. Guennoun, *Les voix des mots, Mœurs de guerre berbères*, Rabat, 1934.

صالح شكاك

**خنيفيس**، صيغة تُطلق على القسم الأرضي الفاصل بين الرجل البحرية والساحل الأطلسي المحاذي للصحراء الموازي للجزر الخالدات وهي بحيرة طبيعية يطلق عليها محلياً اسم "النعيلة". (انظر النعيلة).

مصطفى نامي

**الخواجة**، محمد بن حمادي مقاوم وُلد سنة 1933 بدوار انحناح ملحقة أجدير دائرة أكنول بإقليم تازة. انخرط في صفوف جيش التحرير غداة انطلاق العمليات الأولى في أكتوبر 1955. وقد عمل ضمن الوحدة التي كان يرأسها محمد بن علال وشارك في الهجوم على مركز بوريد الذي أبان فيه عن قدرة هائلة في النضال إلى أن استشهد في نفس الهجوم وذلك بتاريخ 1 أكتوبر 1955. المنوية السامية للمقاومين رُأعصاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، ج. 4.

**الخوارج بالمغرب**، ذكر البكري سبب ظهور مذهب

عن الخارجية. "فالتقى خالد بالبربر، فكان بينهم قتال شديد. فبينما هم كذلك، إذ غشيهم خالد بن حميد الزناتي من خلفهم بعسكر عظيم، فتكاثرت عليهم البربر. فانهزم العرب وكره خالد بن حبيب أن يهرب. فألقى بنفسه وأصحابه إلى الموت، فقتل ابن حبيب ومن معه حتى لم يبق من أصحابه رجل واحد، فقتل في تلك المعركة حماة العرب وفرسانها وكلماتها وأبطالها. فسميت الغزوة "غزوة الأشراف"، وانتفضت البلاد" (ابن عذاري).

أقال الخليفة هشام ابن الجحباب وولى مكانه على المغرب كلثوم بن عياض القشيري الذي امتدت صلاحياته إلى الأندلس أيضاً، وأمدّه بجيش يتألف من مصريين وشاميين وإفريقيين وغيرهم، عدده سبعون ألف رجل على وجه التقريب.

وأقبل كلثوم إلى القيروان غازياً قامعا كل معارض وكل داع للخارجية. وكان عيونه يخطؤون ويتجاوزون حدود ما أمروا به، فلحقت الإساءة بالعرب والبربر على السواء، لأن أغلبهم باتوا متهمين بالخروج عن الطاعة. واشتكى أهل القيروان منه إلى أحد أحفاد عقبة اسمه حبيب ابن أبي عبيدة الفهري، كان يقيم غير بعيد من وجدة، في مكان قريب مما سيصبح يسمى تلمسان. والرجلان يعرف كل منهما الآخر، وكان حفيد عقبة يحظى بتقدير البربر واحترامهم، فجيئاً لجده وتكرماً له. فكتب حبيب إلى كلثوم ينهيه عما هو عليه من استبداد، فأوهم الناس أنه تراجع عن سياسته الاضطهادية، ثم استخلف على القيروان عبد الله ابن عقبة وزحف في جموع جيشه - يساعده ابن عمه بلج بن بشر القشيري - والتقى في الطريق بحبيب بن عبيدة، فوقعت بينهما مناقشة حادة وخصام، ثم أصلحا ذات بينهما، وقصدا المغرب الأقصى معاً. ولما بلغا ضفاف نهر سيو، تصدّت لهما قوات خارجية بقيادة خالد بن حميد الزناتي. فانهزم جيش كلثوم وقتل هو وحليفه حبيب بن عبيدة. وذلك عام 741 / 124. وعلى إثرها رحل بلج وعدد من الذين نجوا إلى الأندلس عن طريق سبتة في انتظار النجدة.

عين الخليفة الأموي حنظلة بن صفوان الكلبي والياً على القيروان، وما أن استقر هذا الأخير بدار إقامته، حتى هاجمته فلول من الخوارج، ينتسبون إلى هواة - أولاد هوار ابن أوريغ بن برنس - لكنه هزم أفراد الجماعة بموقع يسمى القرن على مقربة من القيروان، بعد قتال شديد قتل فيه عدد كبير من البربر، منهم زعيم لهم اسمه عبد الواحد بن يزيد الهواري. أما رئيسهم عكاشة بن أيوب الفزاري فقد أسر ثم قتل.

وفي خضم هذه الاضطرابات اجتمعت قبائل مكناسة على الصفرية وأكدوا مرة أخرى رفضهم الطاعة للولاة العرب، وولّوا عليهم عيسى بن يزيد الأسود وهو من موالي العرب وأحد رؤوس الخوارج، سنة 757 / 140. فأسس مدينة سلجلماسة وأقام بها دولة بني مدرار. وبقي عيسى يسوس

قومه مدة 15 سنة، ثم اعتقلوه وقتلوه سنة 771 / 155، وبايعوا شيخاً منهم يدعى أبا القاسم بن سمكو بن واسول المكناسي الصفري كان أبوه سمكو قد ارتحل إلى الشرق وتلمذ على عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس. وذكر ابن خلكان، في تاريخه، وابن حجر في تهذيب التهذيب، أن عكرمة كان بربري الأصل من أكبر الداعين للبدعة الخارجية. وكان أبو القاسم المذكور حاكماً على ملسية بالمغرب الأوسط، وكان صفرياً. وطالت إمارته زهاء اثنين وعشرين سنة. وبعد وفاته، خلفه ابنه إلياس الذي كان يلقب بالوزير. هكذا بقيت الإمارة الصفرية بيد بني مدرار إلى عام 922 / 309 حيث تسلل إلى سلجلماسة مبعوث شيعي هياً دخل جيش فاطمي بقيادة مصالة بن حبوس الكتامي وقبل أمير سلجلماسة يومها، محمد بن بسادر بن ميمون، الانسلاخ عن الصفرية واعتناق التشيع. لكنه ارتد عنه بعد ذهاب جيش الفاطميين واستأنف تمسكه بالصفرية، وبقي على هذه الحال زهاء عشرة أعوام، اختار خلالها لنفسه لقب المعتز بدين الله. وتعاقب أبناؤه على رأس الدولة، إلى أن آلت الأمور إلى أحدهم يدعى محمد بن الفتح بن ميمون، الملقب بالأمير، فرفض المذهب الخارجي وأعلن ولائاً لبني العباس ورجوع إمارته إلى السنة، وتلقب بالشاكر لله وضربت السكة بهذا الاسم، فأصبحت الدراهم الشاكرية هي المتداولة بسلجلماسة وأعمالها.

وبعد سنوات قليلة، تدخل الفاطميون من جديد في جميع مناطق المغرب الأقصى، لكن المغاربة أجمعوا أمرهم ورجعوا قاطبة إلى السنة، وانتهى أمر بني مدرار ومن صار على نحلتهم الخارجية.

أ. البكري، كتاب المسالك والممالك؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب؛ ع. ابن خلدون، المقدمة والمبر، ج. 1 و 2؛ أ. الناصري، الاستقصا، ج. 1.

H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, t. 1 ; G. Marçais, *L'Afrique du Nord dans l'histoire* ; H. El Wazzan, *Description de l'Afrique*, t. 2.

أحمد بتجلون

**الخواطرية، طائفة صوفية عرفها I. Spencer Trimingham** بأنها فرع من الميمونية، وأنها تأسست بالشام على يد محمد بن علي بن عراف (ت. 933 / 1526) تلميذ الشيخ علي بن ميمون الغماري الفاسي (ت. 917 / 1512)، وأنها تنسب إليه فتعرف أيضاً بالعراقية. وجعلها Louis Massignon فرعاً من المدينة، نشأت بالحجاز على يد نجله علي بن محمد بن عراف (ت. 963 / 1556). هذا ولم يشر باحث من قبل إلى الخواطرية التي عرفها تاريخ التصوف المغربي أيضاً، والتي تسللت إليه من الميمونية بالذات، وفي تاريخ مبكر من القرن العاشر (16م) واستمرت إلى هلم جرأ.

ونعتقد أن الخواطرية التي ظهر بها بيت العراقيين بالشام والحجاز، والخواطرية التي دخلت المغرب كلها فروع انبثقت عن أصل واحد هو الخواطرية - الميمونية. ويعضد هذا الاعتقاد تشعب أسانيد الخواطرية المغاربية في هذه الطريقة، وتعدد الوسائط التي يتصلون عن طريقها بالشيخ ابن ميمون. وقوامها أعلام الطبقة الأولى من أتباعه، وهم - بالإضافة إلى ابن عراق المذكور - علي بن علوان الحموي (ت. 936 / 1530)، وعلي بن أحمد الكيزواني (ت. 955 / 8، 1549)، ووالد أيوب الأحذب. ويؤيد القول بنسبة الخواطرية إلى الشيخ الغماري رأساً، وأن الاختصاص بعلم الخواطر شكل أحد أركان الطريقة الميمونية، إشارة محمد بن عسكر (ت. 986 / 1578) في الترجمة التي عقدها لابن ميمون من فهرسته *دوحة الناشر* إلى إقباله على العبادة بالفكرة منذ خطواته الأولى على درب علم الباطن، وقبل أن يتوجه إلى المشرق. وأيضاً بعض الأقوال التي أوردها محمد نجم الدين الغزي (ت. 1061 / 1651) لابن ميمون، في الترجمة الحافلة التي خصه بها من كتابه *الكواكب السائرة* والتي تتصل اتصالاً وثيقاً بعلم الخواطر.

وعلم الخواطر علم قائم بذاته، اختلف فيه الصوفية اختلافاً كبيراً، واعتنت به مصادر التصوف وغيرها. ونذكر منها قوت القلوب لأبي طالب المكي، والتعرف لمذهب أهل التصوف للكلايادي، والرسالة للقشيري، والفتوحات المكية لابن عربي، والمقدمة لابن خلدون، وقواعد التصوف لزروق، وغيرها. ولا نعرف أحداً قبل الشيخ ابن ميمون اتخذ من هذا العلم طريقاً ومنهجاً، وجمع ما تفرق من أصوله في بطون الكتب من معرفة الخواطر والكشف عنها وتمييز أقسامها والتفصيل فيها، وجعلها مذهب طائفة اختصت بالواردات من الخطاب على القلب والضمير، وما يخطر فيهما من أمر أو تدبير.

وإذا بحثنا في المهدات التاريخية بهذا الاسهام المغربي في تاريخ التصوف الإسلامي، فلا بد من اعتبار تاريخ انتقال ابن ميمون من بلدة شفشاون إلى فاس، وهو عام 887 / 1483، وملاحظة قربه من تاريخ مغادرة الشيخ أحمد زروق (ت. 899 / 1493) للحاضرة الوطاسية عام 883 / 1479، وقد خلف بها كتاب *قواعد التصوف* الذي فرغ من تأليفه في العام الذي قبله، والذي يعد فاتحة عهد جديد في تاريخ التصوف المغربي، اتسم بالحياة الفكرية ونشيدان الحرية والتجديد في إطار مبدأ الاستحسان، شرط التقيد بالكتاب والسنة. ويتضمن هذا الكتاب أصول العديد من المذاهب الصوفية العريقة، والتي تم أحيائها خلال القرن العاشر (16 م) على يد مشايخ الطبقة الزروقية الأولى، مثل الملامية والبسطامية. كما يتطرق إلى علم الخواطر، ويفرد له القاعدتين رقم (174) و(191). وفيهما يجعل زروق تمييز الخواطر من مهمات أهل المراقبة لنفي الصوارف عن القلوب. ويقول بلزوم الاهتمام بالخواطر لمن له أدنى قدم

في الطريق. ويحصر أقسامها في أربعة: رباني وملكي ونفساني وشيطاني، ويعرفها وبين الفروق بينها، ومكانها من القلب، ويوضح ما يعقبها من أحوال، ويخلص إلى أن تحقيقها إنما يتم بالدوق. ولا يتسع المقام لتتبع كل ما يتصل بهذا العلم في المتوفر من التراث الضخم الذي خلفه الشيخ أحمد زروق، والذي حفل بالدعوة إلى التفكير والتدبر في أحوال الدنيا والآخرة.

وما تجدر ملاحظته في هذا الصدد أيضاً هو عدم انتساب علي بن ميمون إلى أي أحد من مشايخ التصوف بالمغرب بوجه عام وبفاس بوجه خاص، على الرغم من استقراره بها أربعة عشر عاماً إلى حدود عام 901 / 5، 1496. وأنه اقتصر على الأخذ عن الإمام ابن غازي (ت. 919 / 1514)، وأهل طبقته من أهل العلم الظاهر، حتى أدرك المشاركة في الفنون كلها. وأول شيخ صوفي صحبه هو عرفة القيرواني، والذي أرسله إلى الشيخ أحمد التوزري الدباسي ويقال التباسي (ت. 930 / 3، 1524). وهو الذي خرج عليه وهو عنده، فوجده ينظر في *الرسالة القشيرية*، فقال له: "اطرح كتابك، واحفر في أرض نفسك يخرج لك ينبوع، وإلا فاذهب عني". فطرحه وأقبل على الفكرة وطريق المحاسبة، ومن عنده توجه إلى المشرق.

وهو علي بن ميمون على أثر الشيخ زروق في حسبه على فقهاء وصوفية البلاد الشرقية واضح وضوح النهار لا يحتاج إلى دليل، وتكاد حركته أن تكون امتداداً للحركة الإصلاحية الزروقية ببلاد الشام والأناضول. وفيها بعض الأصول الزروقية من النهي عن الدخول بين العوام والحكام، والانتصار لابن عربي الذي كان لابن ميمون اعتقاد زائد فيه، وغير ذلك مما لا يسمح المجال للتوسع فيه. وقاما كما حرصت الزروقية على صلتها بالمغرب، كذلك كان دأب الميمونية. ولم يركن الشيخ ابن ميمون في هذا الشأن إلى شهرة طريقته التي اندرست بها الطريق في المشرق، وأصبحت كالمشاذلية بالمغرب، ولم يقنع بمن كان يزوره بالشام من الحجاج المغاربة. بل كان يكتب إلى المشايخ الفاسيين بوجه عام، وأبناء مشايخه بوجه خاص، ومنهم عبد الواحد الونشريسي (ت. 955 / 1549) وعبد الوهاب الزقاق (ت. 961 / 1554)، ويفاتحهم بما حصل عليه من العلم الباطن، ويعرفهم بأسانيد الصوفية والعلمية.

وبعد بسط مبادئ طريق الخواطرية بالمغرب، والتي يسمى أتباعها به بأهل الخواطر أيضاً، يمكن التمييز بين ثلاث مراحل مر بها تاريخها، وهي:

1- يتصدر الأسانيد المغربية في الخواطرية الشيخ أبو الفضل محمد بن خروف التونسي (ت. 966 / 8، 1559)، وانها لمصادفة عجيبة أن تؤول هذه الصدارة إلى أخذ مشايخ المغرب الأدنى الذي انتسب به الشيخ علي بن ميمون الغماري أول ما انتسب إلى التصوف ورجاله. ويتصل به خروف من طريق أبي بكر الشيرازي، عن علي الكيزواني



أحد أعلام الطبقة الأولى في الميمونية. ويأتي بعد خروف تلميذه الإمام محمد بن قاسم القصار (ت. 1012 / 1604)، الذي أخذ عنه هذا السند أعلام الزاوية الفاسية، وهم عبد الرحمان بن محمد الفاسي (ت. 1036 / 1627) وأحمد بن يوسف الفاسي (ت. 1021 / 1612) وأخوه محمد العربي الفاسي (ت. 1052 / 1642). وينتهي هذا السند عند الشيخ محمد بن عبد الرحمان الفاسي (ت. 1134 / 1722) الذي أثبت في فهرسته المنح البادية، وهو أحد أسانيد الثلاثة في الخواطرية.

ويتصل هذا السند بجانب من جوانب تاريخ طريق الخواطرية بفاس خلال القرن العاشر (16 م)، ولم يكن هو الوساطة الوحيدة لغاية هذا القرن في هذه الطريقة. وإذا كانت الزاوية الفاسية تتصل بالخواطرية صلتها بالعديد من الطرق الأخرى، فقد وجدت قبلها بفاس طائفة من الفقهاء مبنى طريقهم على معرفة الخواطر والكلام عليها، وعرضها على شيخهم. وكلامهم كله دائر على قولهم قال لي خاطر كذا، ثم يميزون بين تلك الخواطر، وكانوا يعرفون بأهل الخواطر. وقد أدرکهم محمد العربي الفاسي، وأرخ لطائفتهم في كتابه مرآة المحاسن، وأكد اتصالهم بالشيخ علي بن ميمون الغماري، ولم يحدد سندهم. وسمى شيخهم إذ ذاك محمد العروني، الذي خلفه بعد موته بعض تلامذته، وعين مكان اجتماعهم بمسجد الأنوار في حومة برزخ من عدوة فاس الأندلس. وأخبر بانقراضهم قبل خروجه من فاس عام 1020 / 1611، كما هو ظاهر من عبارته. وأشار إلى أنه كان بإمكانه أن يتوسع في تاريخهم لمعرفته جملة من طريقهم ومشايخهم، لكنه أضرب عن ذلك. واعتذر باختلال حفظه، لطول العهد وعدم المذاكرة، وانعدام ما يراجع من كتاب أو صاحب، لاغتراه عن فاس وتقلبه في البلاد عقوداً ثلاثة.

ونعتقد أن محمد العربي الفاسي قد اضطر إلى التعرض لأخبار أهل الخواطر اضطراراً، وأنه لم يكن في استطاعته أن يذكر أحد كبار من صحب والده، وهو الشيخ أحمد اللوزي (ت. 1004 أو 1008 / 1596.5 أو 1600.9)، دون أن يشير إلى هذه الطائفة التي كان ينتسب إليها قبل أن يرتبط بصحبة والده أبي المحاسن (ت. 1013 / 1604) ويبدو الترابط والتلازم بين الترجمة للوزي وذكر الخواطرية أوضح ما يكون في كتاب *ابتهاج القلوب*، المصنف من قبل عبد الرحمان الفاسي (ت. 1096 / 1685) وتعين عبارته على فهم ضنَّ محمد العربي الفاسي بعلمه بتاريخ هذه الطائفة، وتنكيه عن تدوين أخبارها والترجمة لمشايخها والتفصيل في آدابها. فنعلم أن اللوزي قبل أن يكون من أهل الخواطر كان من صحب الشيخ أبي البقاء عبد الوارث البالصوتي (ت. 971 / 1564)، وأن شيخه هذا "أوصاه بأمر قال في آخرها : إياك وصحبة الفقهاء ! فقال له : كيف يا سيدي وأنا عليهم أدور ؟ فقال له : يا بني أخاف أن تقع على

الفقراء المبطلين، فيصحبونك صبغة تحار فيمن يخرجك منها، ولو عرفت أنك تقع على المحققين لقلت لك ابسط لهم خذك. فكان الأمر كذلك كما أخبر به الشيخ، فوقع على أهل الخواطر مدة". ويستشف من هذه الترجمة فساد العلاقة بين الزاوية الفاسية وطائفة أهل الخواطر، ويتأكد هذا الأمر في الترجمة التي عقدها عبد الرحمان الفاسي لصاحب آخر من صحب جده أبي المحاسن، وهو إبراهيم الصياد (ت. 1008 / 1600.9)، الذي انتسب إليه بالقصر وانتقل معه إلى فاس. فمن الأحداث التي سجلتها هذه الترجمة أنه مر يوماً برجل ينتمي لطائفة أهل الخواطر، وكان إبراهيم الصياد أجهر، فقال له ذلك الرجل : "أذهب إلى الفقراء ببرزخ يكحلون عينيك ! قاصدا التورية والتعريض باحتياجه إلى أهل الخواطر في تقوية معناه وبصيرته". وإذا كان محمد المهدي الفاسي (ت. 1109 / 1698) سببهم عن أهل الخواطر في الترجمة التي أفردها للصياد من كتابه *مستع الأسماع*، ويعبر عن الخواطر الذي عرض به "بعض المنتسبين للفقراء"، ويجعل عبارة "الفقراء ببرزخ" "إخواننا الفقراء"، ويقلب "تقوية البصيرة" إلى "تقوية البصر". فذلك إنما رعباً للمكانة الخطيرة التي أصبحت للطائفة الخواطرية داخل الفضاء الروحي للحاضرة الإدريسية بوجه خاص وفي بقية البلاد بوجه عام وقت تأليفه للمستمع، وهو قوام المرحلة الثانية من مراحل تاريخها. فبدد بذلك ذكريات خلاف الزاوية الفاسية مع هذه الطائفة، وطمس أيضاً ذكرها في كل المصادر اللاحقة له، والتي اعتمدت مادته في ترجمة الصياد، من *الروض العطر الأنفاس إلى سلوة الأنفاس*.

وهكذا تكون الطريقة الخواطرية قد دخلت المغرب في تاريخ مبكر من القرن العاشر (16 م)، ومن طرق متعددة. وكان لها أتباع أسسوا طائفة بفاس عرفوا بأهل الخواطر. وكان لهم مجتمع وآداب ومشايخ، واختص مسجدهم بحومة برزخ من عدوة الأندلس يعلم الخواطر. ويؤرخ استيطان الشيخ أبي المحاسن فاس وتأسيسه لزاويته بنفس العدوة منها في حدود عام 988 / 1580، لبداية مزاحمة الزاوية الفاسية الطارئة لهذه الطائفة في اختصاصها، ومحاولة احتوائها في دائرة الشاذلية الجامعة لما تفرق في غيرها. وإذا كان أبو المحاسن لم يأخذ عن القصار واسطة الفاسيين في الطريق إلى الشيخ علي بن ميمون الغماري، فإن سيرته تحفل بالكلام عن الخواطر والواردات وتمييزها، مما لا يسمع المجال بتجميعه وإيراد مجمله، كما حرص كتاب هذه السيرة من أبنائه وأحفاده على تأويل التشابه من كلامه في هذا الشأن وتأويلاً يبرز الصبغة الخواطرية فيه. وقد علق مؤلف *ابتهاج القلوب* على قوله "ربما لم يكن عندي علم بالمسألة، فإذا سئلت عنها ارتسم جوابها في خاطري" بما يلي : "وإن كان كثير من أهل البصائر يعرفون سؤال السائل عند المسؤولين بين أيديهم، بل يكاشفون به عند خطوره

عنده، ولذلك يسمون بأهل الخواطر، وقد تقدم شأن الشيخ من كون قلوب مرديهم كأنها في أكفهم". وقد حصل السند الخواطري أخوه عبد الرحمان العارف شيخ الزاوية الفاسية الثانية التي أسسها بالقلقيين من عدوة القرويين بفاس، وابناه أحمد ومحمد العربي. وأفلح الفاسيون في استقطاب بعض مشاهير أهل الخواطر، وهو الشيخ اللوزي ضجيج الشيخ أبي المحاسن في ضريحه. ويبدو أن أتباع برزخ لم يقروا على مساورة الفاسيين ومنافستهم، فانقرضوا وخلا مسجد الأنوار من جماعتهم.

ونختم هذه المرحلة الأولى من تاريخ هذه الطائفة بالاشارة إلى الشيخ عبد الجليل المدعو جلول بن الحاج (ت. 1627 / 1036) الذي اشتهر بفاس بالكلام عن الخواطر والإنباء عن الضمائر. وقد كان شاهداً على أحداث هذه المرحلة، ومعاصراً لأبطالها المذكورين جميعاً في سيرته. وتسجل ترجمته أيضاً دفاع الزاوية الفاسية لما تأسست لشيخه محمد الرامي، وتذكر أنه لما دخل الشيخ أبو المحاسن فاساً رحل شيخه المذكور إلى فاس الجديد، وأسلم له المدينة، وقال: "إنا ملكتنا فاساً سيدي يوسف، وضمناً له كل شيء حتى ملح العجين"!

2 - شهد الربع الأخير من القرن الحادي عشر (17 م) ظهوراً وانتشاراً ملحوظاً للطريقة الخواطرية في المغرب، ويتصل جانب من هذه المرحلة الثانية من تاريخها بالمرحلة التي سبقتها، ويشذ جانب آخر عنها تمام الشذوذ، وينتمي إلى سياق جديد كل الجدة، ويلتقي الجانبان معا في كونهما من ثمار التواصل الصوفي والعلمي بين المغرب وبقية العالم الإسلامي شرقاً وغرباً.

وقد أذن لانطلاق هذه المرحلة الشيخ أبو سالم العياشي (ت. 1677 / 1090)، الذي شغف بجمع الأسانيد العلمية والصوفية. ولم يكتف بعلماء وصلحاء المغرب الذين أخذ عنهم وانتسب إليهم، فشد الرحلة إلى المشرق مراراً، باحثاً عن مشايخ العلم والتصوف، ومتشوقاً إلى تحصيل الرويات والأسانيد والاجازات. وقد لقي طائفة وافرة منهم، وأثمرت رحلته الحجازية الثالثة عام 1661 / 1072 لقاء بمكة بمثيله في الشغف بالأسانيد، وشبيهه في السعي إلى المشايخ، الشيخ حسن بن علي العجيمي (ت. 1113 / 1702)، الذي كان لا يقدم أحد من علماء الآفاق على الحرمين إلا جد في لقائه والأخذ عنده، فكثرت بذلك مروياته واتسعت مسموعاته وتعددت إجازاته. وتتلذذ العجيمي على العياشي، واستجازه مراراً، وسمع منه كثيراً، وقيد من أسانيد ما احتاج إليه. وكان قد أتم عام 1663 / 1073 رسالته في الطرق، فبعث بها إلى شيخه العياشي الذي احتفى بها واختصرها في رحلته الشهيرة ماء الموائد.

ورسالة العجيمي في الطرق رسالة نفيسة جداً، استوعب فيها الطرق الموجودة في عصره، مع ذكر آدابها وأعمالها وأذكارها وأصلها، وسلسلته إلى صاحبها.

واشتملت على أربعين طريقاً، من بينها الخواطرية. وعرفها بأنها طريقة ميناها على الذكر بكلمتي التوحيد على كيفية مخصوصة لطرد الخواطر من القلب، حتى لا يبقى فيه إلا الله. وأن من شأن أتباعها الاشتغال بالرياضة الشاقة والتجريد، وقراءة الأوراد المذكورة في كتب الشيخين علوان وابن عراق، وأشهر مشايخ هذه السلسلة شيخها علي بن ميمون الغماري.

وقد اختصر الشيخ محمد بن علي السنوسي (ت. 1276 / 1859) رسالة العجيمي هاته في تأليفه السلسليل المعين في الطرائق الأربعين، وأفادنا في الوقوف على كيفية الذكر بكلمتي التوحيد عند الخواطرية، والتي أبهم عنها العياشي: وهي أن يجلس الذاكر كجلوسه للصلاة، ويغمض عينيه، ويقبض على السبحة في يده اليمنى، ثم يضعها في كف يده اليسرى إلا الأصابع الثلاثة فيديرها على ظهرها، ثم يضعها على فخذه الأيسر، ويحبس نفسه، ثم يمد "لا" بقوة من فوق السرة من النفس التي بين الجنين، رافعاً رأسه إلى منكب الأيمن، ناقشاً عليه "اله"، ضارباً منه به "إلا الله" على قاب قوسين من القلب الكائن بين عظمي الصدر من الجانب الأيسر، متديلاً برأسه إليه. يكرر ذلك مراراً، مع ملاحظة معنى الذكر بقلبه "لا اله إلا الله" أي لا معبود الا الله، فيها يصفو قلبه من الاستناد إلى الأسباب والركون إلى الخلق. ثم يلاحظ معنى لا مقصود إلا الله، فيها يطرد الخواطر الردية. ثم يلاحظ لا موجود إلا الله، فيها نفي السوى والأثانية. ثم لا مشهود إلا الله، فيها مشاهدة الحضرة الالهية والاستغراق فيها بالأنوار القدسية. وقد جمع السنوسي بين اختصار رسالة العجيمي في الطرق، والاتصال بالخواطرية من طريق الشيخ ابن عراق.

ومع الرحلة العياشية يتزحج ذكر الطريقة الخواطرية من التراجم الفاسية القالية، وينفلت من دائرة فقراء برزخ المنقرضين إلى رحاب أرض الإسلام الواسعة. وتجسد الخواطرية مكانتها بين الطرق الصوفية الإسلامية، وتشرف بانتساب مشايخ الحرمين إليها. وإذا كان العياشي لم يعن بتدوين أسانيد تلميذه العجيمي الصوفية في رحلته ماء الموائد، فانه كان ولاشك يحدث بها تلامذته المغاربة، وبالأخص أفراد البيوتات الصوفية الكبرى مثل محمد بن عبد الرحمان الفاسي من المتشوفين إلى الأسانيد العالية. وسيضطلع هذا الأخير بتحصيل هذه الأسانيد وتخليدها في فهرسته المنح البادية التي صنفها بعد حجه واتصاله بالعجيمي واستجازه. وقد أجازته هو وابنه عبد الله (ت. 1131 / 1719) مصنف الإعلام بمن مضي وغيره، ومن يتولد له من الأولاد والأحفاد. وبهنا منها سنده في الخواطرية الذي يعد أوسع أسانيد الزاوية الفاسية في هذه الطريقة، ويتصل بإمامها علي بن ميمون الغماري من طريق شيخ العجيمي ابن شعيب العدوي عن أيوب الأحذب

وأحمد الأشقندي، فالأول عن عمر العقبيني والثاني عن أبي الوفاء بن علوان، كلاهما عن والده علوان الحموي. وأخذ الأحدث أيضاً عن والده، الذي أخذ عن ابن ميمون الغصاري. وللعجيمي سند آخر في الخواطرية لم يسقه صاحب المنح البادية، وواسطته فيه شيخه أحمد القشاشي (ت. 1071 / 60، 1661)، الذي عليه مدار روايته في رسالته المذكورة. وقد سبق القشاشي تلميذه العجيمي بتصنيف رسالة في أسانيده إلى طرق القوم، وحصل سنده في الخواطرية بالمدينة المنورة، حيث أخذ عن أحمد بن الفضل بن عبد النافع بن محمد بن عراق تلميذ علي بن ميمون الغصاري.

وإدخال رسالة العجيمي في الطرق بالرواية والسند من قبل محمد بن عبد الرحمان الفاسي بفضل عن اختصارها من قبل أبي سالم العياشي، حيث مكنت مغاربة القرن الثاني عشر (18 م) ومن بعدهم من الرواية والسند في سائر الطرق الأربعة، ومنها الخواطرية. ذلك أن شيخ الزاوية الفاسية كان يجيز تلامذته بفهرسته المنح البادية، ومن أجازهم بها من المشاهير المؤرخ محمد الصغير الأفراني (ت. 1156 أو 1157 / 1743 أو 1744)، وذلك عام 1131 / 8، 1719. وكان هذا الأخير بدوره يجيز بها تلامذته وأصحابه، ومجتزئاً من رسالة بعث بها إلى الشيخ المعطي بن الصالح (ت. 1180 / 1766)، وقد آلت إليه مشيخة الزاوية الشرفاوية بعد وفاة والده المذكور (ت. 1139 / 6، 1727)، ما يلي: "إذا كان المراد في صحة الرواية في الطريق، فلنا والحمد لله سند صحيح في سائر الطرق الصوفية في فهارسنا عن مشايخنا الفاسيين، بالسند الصحيح والإجازة منهم في ذلك... فان أحببت هذا فانسخ فهرسة شيخنا الفقيه الصوفي سيدي محمد بن عبد الرحمان الفاسي الجامعة لسند كتب العلم كلها وسائر الطرق الصوفية، ونجيزك فيها كما أجازني". وتقيم هذه الفقرة الدليل على ما ذهبنا إليه، وتعطي فكرة عن مدى شيوخ أسانيد المنح البادية، ومنها السند الخواطري الذي يهمننا.

هذا ولم يستبد الشيخ محمد بن عبد الرحمان الفاسي بالوساطة بين العجيمي ومعاصريه من مغاربة القرن الثاني عشر (18 م) ومن بعدهم، بل شاركه فيها الشيخ محمد بن الطبيب الشركي (ت. 1170 / 6، 1757)، الذي يصفه صاحب فهرس الفهارس بفخر المغرب على المشرق، والذي جدد الرواية والسند في العلم ظاهره وباطنه خلال النصف الثاني من هذا القرن. واشتملت فهرسته الكبرى إقرار العين والصغرى إرسال الأسانيد على ما يقارب المائتين من مشايخ العلم والتصوف من أهل المغرب والمشرق، ومن بينهم العجيمي. وقد حصل الشركي الإجازة من العجيمي وعمره عامان، وذلك عام 1112 / 1700 - 1701، وكان والده هو الذي استجاز له شيخه العجيمي. ويروي السند في الميمونية وفي رسالة العجيمي في الطرق من طريق أبي

سالم العياشي الذي أجاز والده إجازة عامة له ولأولاده ولم يولد له، ومن طريق محمد بن عبد الرحمن الفاسي أيضاً. ويبقى هذا الانتشار الواسع للسند الخواطري، خلال هذه المرحلة من تاريخ الخواطرية بالمغرب، امتداداً للمرحلة التي سبقتها. ويؤرخ بالدرجة الأولى لمحيرة هذا السند الجديد للزاوية الفاسية في هذه الطريقة، والذي عززت به أسانيد القديمة فيها، والتي تعود إلى القرن العاشر (16 م)، ووسعت بذلك طرق اتصالها بإمام هذه الطريقة الشيخ علي بن ميمون الغصاري.

وقد تزامن مع هذا الانتشار لسند الخواطرية - الميمونية دخول خواطرية جديدة إلى فاس برجه خاص والمغرب بوجه عام، عرفها محمد بن الطيب القادري (ت. 1187 / 1773) بأنها "طريقة عزيزة الوجود غريبة لم نسمع بمثلها في كل الأغوار والنجد". ويمكن ضبط تاريخ هذا الدخول بعام 1079 / 8 - 1669 الذي ألقى فيه الشيخ أحمد بن محمد اليميني (ت. 1113 / 1، 1702) عصا التسيار بفاس بعد سياحة دامت أربع سنوات، حج فيها وأتى على بلاد السودان الأوسط وانتقل منها إلى سجلماسة التي أقام بها مدة. والخواطرية التي جاء بها اليميني أخذها عن شيخه عبد الله بن عبد الجليل البرناوي (ت. 1088 / 1677) نسبة إلى مدينة برنو بالسودان، والذي تؤكد سيرته أن علومه كلها كانت وهبية، ولا تذكر له نسبة إلى شيخ تعليم، لا في علم الظاهر ولا في علم الباطن. وتقطع هذه اللدنية كل صلة للخواطرية - البرناوية بالخواطرية - الميمونية، وتصرح بتعدد الطائفتين. لكنها لا تنفي وحدة الأصل الذي انبثت عليه الطريقتان، وهو علم الخواطر. كما لا تمنع من اعتبار إشارة صاحب مباحث الأنوار إلى حصول المدد من طريق الغيب للبرناوي من الشيخ محمد بن عبد الله السوسي (ت. 1079 / 8، 1669)،. وأيضاً ملاحظة اشتراك هذين الشيخين في الاختصاص بالنظر لأحوال الخلق من اللوح المحفوظ، واستشعار ومعرفة ما يجول في الخواطر من طريق الكشف، وظهور بعض مشاهير صحب السوسي بالعبادة بالفكرة، وهو الشيخ محمد بن سعيد المرغيثي (ت. 1098 - 8، 1679). وقد جاور السوسي بالمحرمين نحواً من ثمان سنين، وكثر أصحابه من أهلها وأهل العراق والشام واليمن وغيرهم. وكان موجوداً بهما في العام الذي حج فيه أحمد اليميني، وما تسوقه سيرته من كراماته المتصلة بفتح السودان والتمهيد لظهور الشيخ البرناوي، تترجمه وقائع سيرة اليميني من التوجه إلى هذه البلاد والانتساب إلى هذا الشيخ!

وألّف أحمد بن عبد الحي الحلبي (ت. 1120 / 8، 1709) كتاب ریحان القلوب فيما للشيخ عبد الله البرناوي من أسرار الغيوب، في أوج المشيخة الصوفية لأحمد اليميني بفاس. وسأهم في تخليد وروجان وانتشار أخبار الطريقة الخواطرية - البرناوية ومناقب شيخها وآدابها وسلوكها،

كراماته بالإخبار بالمغيبات بطريق الكشف. وأوتي صاحبه أحمد بن عبد الله معن (ت. 1120 / 8، 1709) شيخ زاوية المخفية علم الخواطر أيضاً، والإخبار بالغيوب، والعافية من خوف الخلق، وكفاية هم الرزق. ونرى أن ظهور الخواطرية - البرناوية بالمغرب خلال الربع الأخير من القرن الحادي عشر (17 م)، على يد الشيخ اليمني ومن تبعه، هو سياق بعض فصول كتاب المحاضرات للإمام الحسن بن مسعود اليوسي (ت. 1102 / 1690)، وبالأخص الفصل المعقود للحديث عن "الكشف والمكاشفة عند الصوفية". وقد شرع في تأليفه عام 1095 / 1684، بعد مرور عقد ونصف على استقرار اليمني بفاس، وبعد لقائه هو وصاحبه أحمد معن ضمن من لقيهم من مشايخ العلم والتصوف، ووصفه "بمحبتنا" ووصف شيخ الزاوية المعنية "بأخينا في الله". وتدور هذه الفصول حول تحذير المريدين وعوام المتوجهين من تعشق الغيب المدعى الاطلاع عليه بالمروية، والذي كثرت فيه الدعوى، وعمت به البلوى. وتدعو الناس إلى الاهتمام بالقسم النافع من الغيب، والذي تدركه العقول بالعلم وبالتدبير في أسرار الكون.

وكما اشتهرت بفاس خلال المرحلة السابقة طائفة أهل الخواطر ومجتمعهم بجامع الأنوار بحومة برزخ من عدوة الأندلس، كذلك شهدت هذه المرحلة الثانية طائفة من الفقراء أهل الخواطر، كانوا يجتمعون بزواية الشيخ أحمد حجي (ت. 1103 / 1، 1692) بدرب حسان من حومة البلدية من عدوة القرويين، ويظنون صامتين متفكرين في ملكوت الله. وبتناز هذه المرحلة من تاريخ الطريقة الخواطرية بالإشارة إلى وجود هذا المسلك الصوفي بحواضر أخرى من البلاد، ومنها سلا حيث كان الشيخ أحمد حجي كثير الاستغراق والتفكير حتى لا يكاد يشعر بمن يدخل عليه بزايته، كحال أهل الخواطر. ومنها أيضاً مراكش حيث أدرك أحمد الحلبي عام 1080 / 9، 1670 الشيخ محمد بن سعيد المرغيثي بجامع الموسين منها، ولاحظ طوال مدة إقامته بهذه الحاضرة أنه كان يعبد الله بالفكرة، بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس. ووصف درجة استغراقه بقوله: "فو الله لكنت أجلس أمامه وقبالة وجهه، ولم أرمنه شعرة تتحرك أبداً ولا طرفه، وكنت أنظر إلى حدقته ساكنة حتى كأنه ميت. ولو فرض أن الأرض انقلبت بما فيها والسماء سقطت على الأرض لم تتحرك منه شعرة حتى تطلع الشمس، فيتحرك حينئذ ويكلمني ويبدأ بالكلام، فعرفت منه ذلك ولازمته. ورأيت منه هذه الحالة سنة، وهي مدة إقامتي بمراكش، وذلك عام ثمانين وألف".

وإذا كنا اعتبرنا الرحلة العياشية معلم بداية هذه المرحلة النشيطة من تاريخ الطريقة الخواطرية بالمغرب، فإنه يمكن النظر إلى "فهرستي" الشركي والنشر للقادي ليس كمعالم لنهاية هذه المرحلة، ولكن كأثار تنتمي إلى الربع الأخير من القرن الثاني عشر (18 م)، وتشهد على استمرار العناية

وهذه خلاصته: اعتبر الشيخ البرناوي الفكر من أعظم الطرق الموصلة إلى الله، وأنه رأس العبادات كلها. واشتمل على العلم بالخواطر والقلوب، وعلى الاطلاع على المقامات والدرجات لكل سالك، من مبتدئ ومنته ومتوسط. من جميع البلاد وفي جميع الأعصار، ومقدار كل واحد وحد مقامه وما قدر له. واحتوى على الاطلاعات الغيبية والمطالعات الكشفية، لاتصال روحانيته بروحانية اسرافيل المختص بالقراءة في اللوح المحفوظ. وكان دائم الفكرة في الملكوت وفي المصنوعات، ويأمر أصحابه بالفكرة على حسب مقاماتهم واستعداداتهم، فيقول لأحدهم مثلاً تفكر في مخلوقات الله في الأرض ولا تتفكر في المخلوقات السماوية، أو تفكر في البحار ولا تتفكر في المخلوقات البرية، أو تفكر في ملكوت الله ولا تتفكر في ملكه، أو تفكر في لطفه ورحمته ولا تتفكر في عظمته وجلاله. وهكذا يجد لكل سالك من العبادات حداً معلوماً، ويأمره ألا يتعداه حتى يترقى منه إلى غيره. وكان من شأنه كل يوم وقت الاشراق الذهاب هو وخواص أصحابه إلى الجلاء، فإذا وصلوا إلى موضع خلوتهم من البرية تفرقوا في ذلك الموضوع في أرجائه ونواحيه، كل واحد منهم يأخذ في جهة بانفراده. والشيخ يأمر بذلك، ثم يقول لهم تفكروا في ملكوت ربكم، ثم ينزل عنهم هو أيضاً وحده في ناحية. ويرجعون وقت الزوال، ويجتمعون من مواضع تفكيرهم، ويأخذون في الجلالة بذكر اللسان والقلب. ثم يسرون على تلك الحالة إلى البلد لصلاة الظهر في الجامع، ولا يزالون كذلك بقية النهار والليل إلى الصباح فيتفرقون، وهذا دأبهم.

هذه صورة الطريقة الخواطرية شيخاً وأتباعاً ومذهباً وسلوكاً، في مهدها من بلاد السودان الأوسط. كما نقلها أحمد اليمني إلى مغاربة الربع الأخير من القرن الحادي عشر (17 م)، وخلدتها المصادر المصنفة خلال العقد الأول من القرن الذي يليه. ومنها ربحان القلوب الذي فرغ منه أحمد الحلبي عام 1105 / 3، 1694، ومباحث الأنوار الذي ألفه أحمد الولائي (ت. 1128 / 5، 1716) بعده بقليل عام 1109 / 7، 1698. وقد نيف مقام اليمني بفاس عن الثلاثة عقود، وطارت شهرته في آفاق المغرب شهرة عبير الولائي عن مداها بقوله "ثم أطلعه الله تعالى بأن أظهره للخلق اطلاق البدر فوق الأفق، فضاءت به أركان ظلمة هذا المغرب، فلم يبق عالم ولا شريف ولا عامي إلا عرفه وتوسل به". ولأرب أن الطريقة الخواطرية قد أفادت من هذا المكث الطويل والصيت البعيد، فازدادت رسوخاً وتمكيناً وعرفت انتشاراً وتعميماً، وهذا ما أوجزه القادي بقوله "وكفى ما يرب منها في غربنا من الشيخ أبي العباس اليمني المذكور".

وقد تأسى أحمد اليمني بشيخه البرناوي في مشيخته بفاس علماً وعملاً، فاشتهر بالتوكل وإسقاط خوف الخلق وهم الرزق، وأصبح المرجع في علم الخواطر، واتصلت جل

بالسند الخواطرية - الميموني وبتاريخ الخواطرية - البرناوية على مدى قرن كامل.

3 - يشكل القرن الثالث عشر (19م) والنصف الأول من القرن الذي يليه قوام المرحلة الثالثة والأخيرة من تاريخ الطائفة التي تهمننا، وتعتبرها فجوات واسعة في معلوماتنا عن أهل الخواطر، ويحتاج الوصول بين أطرافها إلى فلي مظان الحقبة المصطلح على تسميتها بالمعاصرة. ومجمل ما حصلناه من بعض مصادر هذه المرحلة تواتر التشوف إلى سند الخواطرية المتصل بالإمام ابن ميمون الغماري من طريق الشيخ العجيمي، وأهتبال الرحلة الحجازية لأخذه عن المشايخ المشاركة. وأيضاً استمرار الاهتمام برسالة العجيمي في الطرق، والإقبال على اختصارها ونشرها. وقد اختصرها الشيخ محمد بن المدني گتون (ت. 1302 / 1884)، كما رواها الشيخ عبد الحمي الكتاني (ت. 1382 / 1962) من طريق والده، ومن طريق الشيخ أحمد الجمل النهطيهي بمصر إلى الشيخ العجيمي، وعلق على سنده الثاني في هذه الرواية بقوله: "وهو مسلسل بالسماع والتلقين والمصافحة والإجازة، ولا يوجد أعلى منه اليوم مطلقاً". وإذا كان J.S. Trimmingham يؤكد أن الطائفة الخواطرية لازال لها أتباع بسوريا إلى حدود عام 1359 / 1940. فإن رواية شفوية حصلناها تفيد أن بعض الأعلام المغاربة ممن عاشوا بعد هذا التاريخ كانوا من أهل الخواطر.

أ. زروق، قواعد التصوف، صححه ونقحه، م. ز. النجار وراجعه، م. فرغلي، بيروت، 1992، 134، 143، 144؛ ع. م. الغماري، رسالة الاخوان من أهل الفقه وحملته القرآن، مخطوط خ ع 1780، د. ضمن مجموع، 52-150؛ م. بن عسكر، دوحة الناشر، ضمن موسوعة أعلام المغرب، 828-829؛ م. العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ط. حجرية، 118، 120، 235-236؛ م. ن. د. الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ت. ج. س. جبور، بيروت،

د. ت. 1: 59، 68، 271، 278، 2: 201-203، 206-213؛ ع. الفاسي، ابتهاج القلوب، ت. ج. الداوي، 378-382، 400-402؛ م. المهدي الفاسي، تمتع الاسماع، ت. ع. العمراوي و ع. مراد، 182-185؛ م. بن عيشون، الروض العطر، ت. ج. ز. النظام، 135-138؛ أ. العياشي، ماء الموائد، ط. حجرية، 2: 214-218؛ ح. اليوسي، المحاضرات، ت. ج. م. حجي و ا. ش. إقبال، 148، 278، 313، 415، 674؛ أ. الحلبي، ربحان القلوب فيما للشيخ عبد الله البرناوي من أسرار القلوب، مخطوط خ ع، مصور على الشريط، جائزة الحسن الثاني، 1148 / 1983 / 18 ف؛ أ. الولالي، مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار، ت. ج. ع. بوعصاب، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1999، 285-296؛ م. القادري، نشر الثاني، ضمن موسوعة أعلام المغرب، 1102، 1103، 1104، 1593، 1597، 1875، 1892، 1895، 1896؛ م. الكتاني، سلوة الأتفاس، ط. حجرية، 1: 180، 2: 325، 327، 334، 339؛ م. الفاسي، المنح البادية في الأسانيد العالية والمرويات الزاهية والطرق البهادية الكافية، ت. ج. ح. م. صقلي، أطروحة مرفوعة ومحفوفة في خزانة كلية الآداب، الرباط، 171، 735-736؛ م. السنوسي، السلسيل المعين في الطرائق الأربعين، مخطوط خ ع 1521، 85، 86؛ نفس المؤلف، المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق، مخطوط خ ع 1243 ك، 9؛ ع. الكتاني، فهرس الفهارس، بعناية إ. عباس، 1: 444، 449؛ ع. ابن سودة، دليل، 1: 94، رقم 305؛ ع. زمامة، علي بن ميمون الغماري، مجلة الثقافة المغربية، تصدرها وزارة الثقافة، الجزء السادس، 1972، 103-110؛ م. حجي، الحركة الفكرية، 23، 31، 142-174، 422؛ نفس المؤلف، البرناوي، عبد الله بن عبد الجليل، معلمة المغرب، 4: 1196.

L. Massignon, *Tarika, E.J.*, Leiden 1987, 8 / 670; J. S. Trimmingham, *The sufi orders in Islam*, London, 1971, 90.

عبد الله نجمي

تم طبع الجزء 11 من معلمة المغرب بمطابع سلا  
في رجب عام 1421 / اكتوبر 2000



مطابع سلا

قسمة 14، زنقة عثمان بن عفان

الحي الصناعي لتابريكت

ص.ب. 596 سلا

Directeur de publication : **Mohamed Hajji**

Comité de rédaction : **Ahmed Toufiq**  
**Mohammed Hajji**

Comités scientifiques :

Pour les sciences humaines

**Mohmed BENCHERIFA**, Faculté des Lettres, Rabat.  
**Brahime BOUTALEB**, Faculté des Lettres, Rabat.  
**Salem YAFOUT**, Faculté des Lettres, Rabat.  
**Mustapha NAIMI**, Institut Universitaire Pour la Recherche Scientifique, Rabat.

Pour la géographie et les sciences de la nature

**Abdellah LAOUINA**, Faculté des Lettres, Rabat.  
**Dris EL-FASSI**, Institut agronomique et vétérinaire Hassan II, Rabat.  
**Mustapha AYADA**, Faculté des Lettres, Rabat.  
**Abdelmalek BENABID**, Ecole Nationale Forestière, Salé.  
**Mohamed RAMDANI**, Institut Scientifique, Rabat.

Tous droits réservés, y compris le droit de traduction ou de reproduction  
même partielles sous quelque forme que ce soit.



**IMPRIMERIE DE SALÉ**

Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane  
Zone Industrielle de Tabriquet  
B.P. 596 SALÉ

# Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.



Publiée par

**L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication**

Editée par

**L'Imprimerie de Salé  
"SALA"**

**2000 - 1421**



Copyright © IMPRIMERIE DE SALÉ "SALA" - 2000

ISBN (Ensemble) 9981 - 03 - 000 - 7

ISBN (Tome XI ) 9981 - 03 - 012 - 0

**Encyclopédie  
du  
Maroc**

# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.



من إنتاج  
الجمعية المغربية  
للتأليف والترجمة والنشر

نشر  
مكابع سلا

2000 - 1421





التغريب للأفصحي

رقم الإيداع القانوني  
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط  
1984/629

جميع حقوق النقل والترجمة - جزئياً أو كلياً بأي شكل كان - محفوظة  
للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولطابع سلا

رد مك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)

رد مك 9 - 013 - 03 - 9981 (الجزء 12)



أعد هذا الجزء من معلمة المغرب  
بدعم من وزارة الثقافة والاتصال  
ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة  
أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق  
عبارات الشكر والامتنان.





المدير المشرف

: محمد حجي

لجنة التحرير

: أحمد التوفيق، أستاذ التاريخ بكلية الآداب،

الرباط

محمد حجي، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

لجنة العلوم الإنسانية

: محمد بنشريفقة، أستاذ الأدب المغربي والأندلسي

بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية،

الرباط

إبراهيم بوطالب، أستاذ التاريخ بكلية الآداب،

الرباط

سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط

مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي

بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافيا : عبد الله العوينة، أستاذ الجيومورفولوجيا بكلية

الآداب، الرباط

مصطفى عياد، أستاذ الجغرافيا البشرية بكلية

الآداب، الرباط

إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية

الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة،

الرباط

عبد المالك بنعبيد، أستاذ بالمدرسة الوطنية

الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة

والبيطرة، الرباط

محمد رمضان، باحث في البيولوجيا الحيوانية

بالمعهد العلمي وأستاذ بكلية العلوم، الرباط

## اختصارات

ت. =	توفي
بح. =	تحقيق
تر. =	ترجمة
خ. ت. =	خزانة تطوان
خ. ح. =	الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص. =	الخزانة الصيحية بسلا
خ. ع. =	الخزانة العامة بالرباط
خ. ق. =	خزانة القرويين بفاس
خ. ي. =	خزانة ابن يوسف بمراكش
د. ت. =	دون تاريخ
د. د. ع. =	دبلوم الدراسات العليا
د. م. =	دون مكان
ط. =	طبعة
← =	انظر

\* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

## المشاركون في تحرير هذا الجزء

- محمد أخريف، وزارة التربية الوطنية - القصر الكبير  
 محمد أديوان، كلية الآداب - الرباط  
 محمد أزهار، كلية الآداب - المحمدية  
 محمد الأسعد، كلية الآداب - الدار البيضاء - عين الشق  
 أحمد أشعبان، باحث - تطوان  
 سعيد أعراب، باحث - تطوان  
 عمر أفا، كلية الآداب - الرباط  
 ع. العزيز أكرير، كلية الآداب - بني ملال  
 العربي أكنينج، المدرسة العليا للاساتذة - فاس  
 حسن أميلي، كلية الآداب - المحمدية  
 محمد أيت الحاج، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء  
 محمد أيت حمزة، كلية الآداب - الرباط  
 الهادي بجهيجو، وزارة التربية الوطنية - الرباط  
 محمد البدرأوي، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط  
 محمد الأمين البزاز، كلية الآداب - الرباط  
 منير البصكري، وزارة التربية الوطنية - الرباط  
 الحسين البعاوي، وزارة التربية الوطنية - العرائش  
 ع. العزيز بل فائدة، كلية الآداب - القنيطرة  
 محمد بلعربي، باحث - الرباط  
 عائشة البلغيشي العلوي، كلية الآداب - الرباط  
 رقية بلعقدم، كلية الآداب - القنيطرة  
 علي البلوشي، كلية الآداب - الرباط  
 أحمد بنجلون، باحث - الرباط  
 زليخة بنرمضان، كلية الآداب - المحمدية  
 محمد بنشريفقة، كلية الآداب - الرباط  
 عبد المالك بنعميد، المدرسة الغابوية - سلا  
 عثمان بناني، كلية الآداب - الرباط  
 محمد الأمين بوخيزة، باحث - تطوان  
 ع. القادر بوراس، وزارة التربية الوطنية - القنيطرة  
 أحمد البوزيدي، كلية الآداب - فاس  
 محمد بوسلام، وزارة التربية الوطنية - الرباط  
 أحمد بوشرب، كلية الآداب - الدار البيضاء - عين الشق  
 مصطفى بوشعراء، باحث - سلا  
 عبد الله بوصحابة، كلية العلوم - فاس  
 إبراهيم بوطالب، كلية الآداب - الرباط  
 أحمد بوغزيز، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط  
 بوشتي بوعسوية، كلية الآداب - مكناس  
 أحمد بومزكو، كلية الآداب - أكادير  
 جامع بيضاء، كلية الآداب - الرباط  
 ع. الله المرابط الترغفي، كلية الآداب - تطوان  
 ع. العزيز توري، وزارة الثقافة والاتصال - الرباط  
 أحمد التوفيق، الخزانة العامة - الرباط  
 ع. العزيز تيلاني، كلية اللغة العربية - مراكش  
 حسن جلاب، كلية اللغة العربية - مراكش  
 الحسين جهادي، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء  
 أحمد جوماني، باحث - الرباط  
 محمد الحماقي، كلية الآداب - أكادير  
 حسن حافظي علوي، كلية الآداب - مراكش  
 محمد حجاج الطويل، كلية الآداب - الدار البيضاء - بنمسك  
 محمد حجي، كلية الآداب - الرباط  
 ع. الرحمان المرادجي، كلية الآداب - وجدة  
 ع. الجليل حلیم، كلية الآداب - فاس  
 محمد حمام، كلية الآداب - الرباط  
 العربي الحمدي، كلية الآداب - بني ملال  
 محمد حنداين، وزارة التربية الوطنية - أكادير  
 محمد حنيني، كلية الآداب - الرباط  
 علال الحديمي، كلية الآداب - الرباط  
 محمد خربوعة، المعهد العلمي - الرباط  
 أحمد الحننوي، كلية الآداب - بوردو  
 إسماعيل الحياطي، كلية الآداب - الجديدة  
 نجاة الحياطي، كلية العلوم - الرباط  
 مارية داوي، كلية الآداب - وجدة  
 محمد بن عبد العزيز الدباغ، وزارة الثقافة - فاس  
 نفيسة الذهبي، كلية الآداب - القنيطرة

إدريس الفاسي، كلية الآداب - الرباط  
ع. الإله الفاسي، كلية الآداب - القنيطرة  
محمد فتحة، كلية الآداب - الدار البيضاء - عين الشق  
حسن الفكيكي، كلية الآداب - القنيطرة  
المصطفى فنيشر، كلية الآداب - مراكش  
أحمد قدور، كلية الآداب - القنيطرة  
مصطفى قلوب، كلية الحقوق - الرباط  
محمد كربول، كلية الآداب - الرباط  
محمد كلال، وزارة التربية الوطنية - أسفي  
محمد بن لحسن، كلية الآداب - بني ملال  
شمعون لثقي، كلية الآداب - الرباط  
حسن ليمان، وزارة الثقافة والاتصال - الرباط  
محمد ماكامان، وزارة التربية الوطنية - مراكش  
أحمد متفكر، وزارة التربية الوطنية - مراكش  
محمد مجدوب، كلية الآداب - المحمدية  
الحسن المحداد، كلية الآداب - أكادير  
المكي مربي، وزارة التربية الوطنية - مراكش  
محمد مرزاق، وزارة التربية الوطنية - وجدة  
نجاة المريني، كلية الآداب - الرباط  
زهور المزكلاوي، كلية الآداب - الدار البيضاء  
أحمد مزيان، كلية الآداب - فاس  
محمد المفراوي، كلية الآداب - الرباط  
أحمد المكاوي، باحث -  
محمد المنوني، كلية الآداب - الرباط  
محمد منيوي، المعهد العلمي - الرباط  
مصطفى ناعمي، البحث العلمي - الرباط  
عبد الله نجمي، كلية الآداب - الرباط  
زهرة النظام، كلية الآداب - المحمدية  
محمد هشمي، المدرسة الوطنية الغابوية - سلا  
عشمان هناكا، كلية الآداب - أكادير  
أحمد هوزالي، كلية الآداب - مراكش  
أحمد الوارث، كلية الآداب - الجديدة  
إبراهيم ياسين، كلية الآداب - الجديدة  
مصطفى يعرف، باحث - وجدة

محمد رابطة الدين، كلية الآداب - مراكش  
شفيق الرفاكي، كلية الآداب - أكادير  
علال رغوگ، كلية الآداب - بني ملال  
محمد رمضان، المعهد العلمي - الرباط  
بوجمعة رويان، كلية الآداب - القنيطرة  
أحمد زروال، باحث - مراكش  
قاسم الزهيري، باحث - الرباط  
زكية ازوانات، معهد الدراسات الإفريقية - الرباط  
ع. الفتاح الزين، البحث العلمي - الرباط  
ع. الصادق ساسو، المدرسة الغابوية - سلا  
ع. العزيز الساوري، وزارة الثقافة والاتصال - الرباط  
الحبيب السباعي الإدريسي، وزارة المالية - الرباط  
العياشي السربوت، باحث - وزان  
محمد السعديين، وزارة التربية الوطنية - سلا  
ع. السلام السعدي، وزارة التربية الوطنية - مراكش  
رشيد السلامي، كلية الآداب - مراكش  
مصطفى الشابي، كلية الآداب - الرباط  
عبد السلام الشداوي، معهد البحث العلمي - الرباط  
صالح شكاگ، وزارة التربية الوطنية - تمارة  
المصطفى شويكي، كلية الآداب - الدار البيضاء - عين الشق  
محمد الشياظمي، باحث - الرباط  
ع. الرحمان الطيبي، وزارة التربية الوطنية - سلا  
حسن العباسي، كلية الآداب - الجديدة  
ع. العزيز بن عبد الجليل، وزارة الثقافة والاتصال - مكناس  
ع. العزيز عديدي،  
أحمد عزوي، كلية الآداب - القنيطرة  
محمد ابن عزوز حكيم، باحث - تطوان  
عبد الرحيم العطاوي، كلية الآداب - الرباط  
بوشعيب العركود، وزارة التربية الوطنية - بني ملال  
أحمد عمالك، كلية الآداب - مراكش  
محمد عمرانني، كلية الآداب - القنيطرة  
علي العموري،  
الحاج موسى عوني، كلية الآداب - فاس  
عبد الله العويطة، كلية الآداب - الرباط  
مصطفى عياد، كلية الآداب - الرباط

## Liste des principales abréviations des périodiques

- A.A : *L'Afrique et l'Asie.*  
A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*  
Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales.*  
A.E.S.C : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*  
A.F : *Afrique Française.*  
A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*  
A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*  
A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*  
A.M : *Archives Marocaines.*  
A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie.*  
And. : *Al-Andalus*  
Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*  
Ant. Afr. : *Antiquités Africaines.*  
B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*  
B.A.R : *British Archeological Reports.*  
B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*  
B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*  
B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*  
B.G.M : *Bulletin de Géographie du Maroc.*  
B.I.D.M : *Bulletin de l'Information et de la Documentation Marocaine.*  
B.I.F.A.N : *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire.*  
B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*  
B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*  
B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne.*  
B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*  
B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*  
B.S.G.Æ.O : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*  
B.S.H.M : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*  
B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*  
B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Préhistoire du Maroc.*  
Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique.*  
C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*  
Cah. Rech. Agron. : *Cahiers de la Recherche Agronomique.*  
C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*  
C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*  
C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*  
C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos.*  
C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam.*  
C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée.*  
C.R.A.I.B.L : *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*  
C.R.A.S : *Compte-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*  
C.T : *Cahiers de Tunisie.*  
E.B : *Encyclopédie Berbère.*

**E.I.1** : *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*  
**E.I.2** : *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*  
**E.T.A.M** : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*  
**Et. Medit.** : *Etudes Méditerranéennes.*  
**F.M** : *France - Maroc.*  
**F.S.S.A.N** : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*  
**G.E.M** : *Grande Encyclopédie du Maroc.*  
**Hesp** : *Hespéris.*  
**H.T** : *Hespéris-Tamuda.*  
**H.T.E** : *Hommes, Terre et Eaux.*  
**I.G** : *Information Géographique.*  
**I.H.E.M** : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*  
**I.H.E.M - N-D** : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*  
**Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar.** : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*  
**I.S.C** : *Institut Scientifique Chérifien.*  
**Isl. Cult.** : *Islamic Culture.*  
**I.S.P.M** : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*  
**J.H.S.N** : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*  
**M.A.I.B.L** : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*  
**Medit** : *Méditerranée.*  
**M.E.F.R** : *Mélanges de l'Ecole Française de Rome.*  
**N.A.M.S.L** : *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*  
**P.I.H.E.M** : *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*  
**P.S.A.M** : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*  
**P.S.H.M** : *Publications de la Section Historique du Maroc.*  
**R.A** : *Revue Africaine.*  
**R.A.P** : *Revue de l'Action Populaire.*  
**R.C.C** : *Revue de la Chambre de Commerce.*  
**R.D.M** : *Revue des Deux Mondes.*  
**R.E.A** : *Revue des Etudes Anciennes.*  
**R.E.I** : *Revue des Etudes Islamiques.*  
**R.E.L** : *Revue des Etudes Latines.*  
**R.G.L** : *Revue de Géographie de Lyon.*  
**Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn.** : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*  
**R.G.M** : *Revue de Géographie du Maroc.*  
**R.H.C.M** : *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*  
**R.H.E** : *Revue d'Histoire Economique.*  
**R.H.M.C** : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*  
**R.M.D.E.D** : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*  
**R.M.E** : *Revue Maroc-Europe.*  
**R.M.F** : *Revue Militaire Française.*  
**R.M.F.P.E** : *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie.*  
**R.M.M** : *Revue du Monde Musulman.*  
**R.P.P** : *Revue Politique et Parlementaire.*  
**Rev. Inst. Hist. Mil.** : *Revue Internationale d'Histoire Militaire.*  
**S.G.I.** : *Sociedade de Geografia de Lisboa.*  
**S.I** : *Studia Islamica.*  
**S.I.H.M** : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*  
**Soc. Sc. Nat. Phys. Mar.** : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*

لاشك أن الموطن الأصلي هو الصين حيث عرفت غراسته منذ آلاف السنين، وطورت مما نتج عنها انتخاب عدد كبير من الأصناف يتراوح حالياً ما بين ألفين وثلاثة آلاف. وصلت هذه الشجرة منطقة البحر المتوسط منذ فجر التاريخ، وزرع الرومان على الأقل ستة أصناف من الخوخ. ثم امتدت زراعته إلى معظم المناطق المعتدلة من آسيا وجنوب أوروبا وأفريقيا الشمالية والجنوبية وأمريكا واليابان وأستراليا. يغرس الخوخ بالمغرب في الأراضي المسقية من سايس وتريفية والحوز وتادلة ومناطق الدير وسفوح الجبال غير العالية وذلك لأن الصقيع يضره وتؤذيه الحرارة المنخفضة. أما من ناحية التربة فإن إنتاجه يكون أفضل في الأراضي الرملية.

من الفواكه الشبيهة بالخوخ نجد الشهدية أو "النقطين" التي تظهر قرابة وثيقة بهذه الفاكهة ولكن جلدها أملس لأنها تنتج عن التهجين بين البرقوق والخوخ. المساحات المخصصة بالمغرب للشهدية تقل بكثير عن تلك التي تخصص للخوخ.

يستعمل الخوخ والشهدية للأكل : فاكهة المائدة والتعليب وصناعة المربى.

أبحاث شخصية : ألبرت هيل، النبات الاقتصادي، تر. د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة، 1962.

عبد الملك بتعبيل

**الخوخة** (باب -) بناس، هو الباب الذي كان يعرف قديماً بباب الكنيسة، يرجع أصله إلى عهد المولى إدريس الثاني حينما سور عدوة الأندلس وفتح فيها الأبواب التالية متدرجا فيها من الجنوب إلى الشرق وهي :

باب الفؤارة المعروف بباب زيتون ابن عطية ؛ باب الفرج المعروف حالياً بباب السلسلة ؛ باب الشيبوية المقابل

**خوافي، عبد السلام**، مقاوم ولد سنة 1920 بدوار تاغلالت ملحقة تيزي وسلي دائرة أكنول. انخرط في صفوف جيش التحرير منذ انطلاسته سنة 1955 تحت قيادة محمد العجوري الغابوشي. حيث شارك في عدة هجومات على مواقع العدو بمنطقة تيزي وسلي.

توفي عام 1995/1416.

المنديبية السامية للمقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال.

**خوانا لا لوكا** Juana la Loca ملكة قشتالة خلفت

أمها الملكية إيسابيل الكاثوليكية Isabel la Catolica سنة 911 (1505) ؛ وأصدرت عدة مراسيم تحث فيها الشعب الإسباني على مواصلة الحرب ضد المغرب تنفيذاً للوصية التي أصدرتها والدتها يوم 12 أكتوبر 1504 (3 جمادي الأولى 910).

وعندما فقدت عقلها وأصبحت تعرف بـ Juana la Loca (خوانا الحمقاء) تنازلت عن العرش لفائدة ابنتها الملك كارلوس الخامس Carlos V وقد توفيت سنة 962 (1555).

Diccionario enciclopédico Espasa - Calpe.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخوخ**، فاكهة معروفة والاسم العلمي للشجرة هو *Prunus persica* وهو من فصيلة الورديات Rosaceae. وهي قصيرة ولا تعمر طويلاً. أوراقها رمحية طويلة نفضية أزهارها قرمزية جذابة تظهر قبل الأوراق. ثمارها كروية أو قلبية الشكل حسب الأصناف، مغطاة بجلد كالتقطيفة ونواتها مضغوطة وبها أخاديد.

لباب الفصيل من عدوة القرويين ؛ باب أبي سفيان المعروف بباب بني مسافر وهو المسمى حالياً باباً سيدي بوجيدة وكان يخرج منه إلى بلاد غمارة وإلى بلاد الريف ؛ باب الكنيسة المسامتة للناحية الشرقية وكان يخرج منه إلى بلاد تلمسان. وكانت هذه الأبواب محاطة بعناية الولاة والسكان يحرسون على مراقبتها لما لها من الدور الفعال في أمن المدينة وحمايتها من الاضطرابات التي كانت تعترها حيناً بعد حين.

وظل باب الكنيسة على حاله إلى أن هدمه عبد المؤمن ابن علي سنة 540 / 1145 ضمن ما هدم من الأبواب حينما ارتأى رآيه أن يهدم أكثر أسوار المدينة وقال : "إننا لا نحتاج إلى أسوار إنما أسوارنا سيافنا وعدلنا" لكن هذا الموقف الذي تحدى به الواقع لم يرتضه بعض الخلفاء الموحدين من بعده فقد شرع المنصور الموحدي في بناء السور من جديد وكمله ابنه محمد الناصر الذي أعاد لهذا الباب وجوده وسماه بعد تجديده بباب الخوخة بدلاً من باب الكنيسة.

ونظراً لمسامحة هذا الباب للناحية الشرقية فقد اقتضت مصلحة السكان أن يبنوا خارجه مستشفى لمرضى الجدام ليكونوا (كما ذكر ابن أبي زرع) تحت مجرى الريح الغربي فتحمل الرياح أبخرتهم ولا يصل إلى أهل المدينة منها شيء وليكون تصرفهم في الماء وغسلهم بعد خروجه من البلاد، إلا أنه وقعت مجاعة في أوائل القرن السابع من سنة تسع عشرة وستمائة 619 / 1222 إلى سبع وثلاثين وستمائة فانتشر نظام الأمن في البلاد وعمت الفوضى وأدى الحال إلى انتقال المرضى من مكانهم المخصص لهم فتوجهوا إلى الكهوف التي كانت موجودة بين باب الجيسة وباب الشريعة وظلوا هناك إلى أن زالت الفوضى بتأسيس الدولة المرينية وحينئذ أمر يعقوب بن عبد الحق المريني عامله على فاس أبا العلاء إدريس بن أبي قريش بنقلهم إلى برج الكوكب الذي كان يوجد بخارج باب الجيسة من أبواب عدوة القرويين.

وبرج الكوكب هذا هو الموجودة آثاره الآن بالمرتفع الذي يوجد فيه قبر سيدي علي المزالي، وهو المرتفع الذي كان أهل فاس في أوائل هذا القرن يحملون إليه أطفالهم حينما يصابون بالسعال الديكي الحاد المعروف بالعواقفة فيعالجون من ذلك، وكان يقابله في الجهة الجنوبية برج آخر يعرف ببرج باب الزيتون وقد استغني عن البرجين معا حينما بنى أحمد المنصور السعدي بستيون باب المحروق المعروف حالياً ببرج النور أي البرج الشمالي وبستيون باب الحمراء المعروف حالياً بالبرج الجنوبي وهو الذي تقام فيه أضواء المدينة أيام ربيع فاس، ويوجد الآن حي كبير بمدينة فاس يحمل اسم باب الخوخة مكتظ بكثير من السكان الذين وقدوا عليها في السنين الأخيرة.

ابن أبي زرع، القرطاس، ج. 1، ص. 10. م. الهاشمي الفيلالي ؛

الجزائري، جنى زهرة الآس، الرباط، 1991 ؛ روجي لوطورنو، فاس قبل الحماية، تر. م. حجي وم. الاخضر ؛ أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 1974 ؛ م. مزين، فاس وياديتها، 1986.

رقية بلقلم

**خورخي خوان** Jorge Juan، أميرال البحر، مشهور بلقب "العالم الإسباني" (el sabio español)، إذ شهد له الجميع بتفوقه في علم الفلك والحساب والجغرافيا. ولد بمدينة أوريهويلا Orihueला سنة 1714، وفي سنة 1735 كان على رأس البعثة العلمية التي وضعت صورة الكرة الأرضية بالقطر بيرو El Peru بأمرىكا الجنوبية ؛ وهو الذي أنشأ المرصد الفلكي بمدينة سان فيرناندو San Fernando بالقرب من قادس بإسبانيا. وفي سنة 1180 / 1767 عينه الملك الإسباني كارلوس الثالث Carlos III سفيراً له لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الله ووَقَّع أول معاهدة صلح وصداقة بين إسبانيا والمغرب بمراكش يوم 29 ذي الحجة 1180 (28 ماي 1767).

توفي خورخي خوان سنة 1773.  
Rodríguez Casodo. Política marroquí de Carlos III. Madrid 1946.

محمد ابن عزوز حكيم

**خوسي ألباريث إي بيريث** José Alvarez y Perez نائب قنصل إسبانيا بالدار البيضاء سنة 1278 / 1861 ثم انتقل إلى الصويرة بنفس الصفة سنة 1280 / 1863 إلى حوالي 1292 / 1875. له مقالات وكتابات بمختلف الصحف حول المغرب وتشوفات إسبانيا إلى الجنوب نشرت بمطرد. مبيح، المغرب وأوربا، ج 1 ص. 60 و ج 2 ص. 384 ؛ م. بوشعراء، الاستيطان والحماية، ج 2، ص. 875 و ج 3 ص. 1098.

**خوسي ألباريث كابريرا** J. Alvarez Cabrera ضابط، كان رئيساً للبعثة العسكرية الإسبانية بالمغرب من 1890 إلى 1901، وكان مراسلاً لصحف إسبانية كما كان يكتب صحفاً أخرى بامضاء عبد الله. له كتابات عن المغرب وأحواله نشرت سنة 1892 و 1893 بعنوان :

- Apuntes sobre el Imperio de Marruecos  
- La guerra en Africa

مبيح، المغرب وأوربا، ج 1 ص. 59 و 60 ؛ م. بوشعراء، الهجرة من المغرب وإليه (مخطوط).

مصطفى بوشعراء

**خوليو ثيبايوس فيديريكو** Federico Julio Ceballos كولونيل إسباني شارك في عدة معارك ضد المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف محمد أمزيان



في شهر يوليو من سنة 1909، وكان من بين الكولونيات التسعة الذين لقوا حتفهم في المعركة التي جرت يوم 18 يوليو 1909 بجبل سيدي أحمد الحاج بقبيلة مزوجة (إقليم الناظور).

وقد رقي بعد وفاته إلى رتبة جنرال.

أعمال ندوة الشريف أمرزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي (1912، 1509)، تطاون 1946.

**حُويّة**، ويكتب أيضاً حُويّا، أسرة تطوانية أصلها من فرقة بني معدان بقبيلة بني حزمير المجاورة لتطوان، وقد انقرضت بالمدينة.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 645.

محمد ابن عزوز حكيم

**الخيار**، يسمى علمياً كُوكُوميس ساتيفُوسُ Cucumis sativus وهو من فصيلة القرعيات Cucurbitaceae التي تشمل القرعة والبطيخ والدلاح والمنطل ... فهو نبات حولي عشبي زاحف، خشن الساق ذو أزهار إبوية صفراء وثمار ملساء أو شوكية مستطيلة تختلف أحجامها حسب الأصناف المزروعة.

يقال إن الخيار عرف بربا طبيعياً في جنوب الهند. وزرع منذ أربعة آلاف سنة. تكلم عنه العبرانيون والمصريون والإغريق والرومان. وصل إلى أوربا في القرن السابع عشر. وتزرع أصناف الخيار في الأراضي المنخفضة المسقية في جميع أنحاء المغرب. ويستهلك الصنف الكبير منه نيشاً. أما الخيار الصغير فهو يستعمل لصنع المخلل حيث يضاف إليه الماء والملح والحل وتوابل أخرى. والقسط الكبير من إنتاج الخيار الصغير المخلل يصدر إلى الخارج.

أبحاث شخصية، البرت هيل، النبات الاقتصادي، ترجمة د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة، 1962.

عبد المالك بنعييد

\* \* لم يرد ذكر الخيار في المصادر الوسيطية وغيرها لا ضمن حديثها عن الخضر ولا عند جردها للفواكه. وأول إشارة عنه جاءت عند العمري في كتابه مسالك الأبصار بمناسبة جرده لخيرات المغرب وثرواته الطبيعية والفلاحية والمعدنية، وقد صنفه ضمن الخضر (مسالك الأبصار ضمن ورقات ... 299). أما الإشارة الثانية فقد وردت عند الحسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا مرتين: الأولى عند حديثه عن مدينة أنفا فقال "... وكم كان فيها أيضاً من بساتين وكروم وما زالت لحد الآن تُجنى منها كميات عظيمة من الثمار لا سيما البطيخ والخيار التي يبدأ نضجها في

منتصف أبريل وقد اعتاد الناس أن يحملوا هذه الثمار إلى فاس لأن نضجها فيها يتأخر ... (وصف إفريقيا، 1: ) 156)، والمرة الثانية عند حديثه عن أرض زواغة فذكر أنها كثيرة الخضرة وتنتج كميات كبيرة من الخضر المتنوعة منها الخيار، وهذه الخضر تسوق في مدينة فاس (وصف إفريقيا، 218).

هذه الإشارات القليلة تدل على أن هذا النوع من الخضر المستعملة اليوم في "السلطة" دخل المغرب في وقت متأخر إذا ما قارناه بأنواع أخرى، ويمكن القول إن دخول الخيار إلى المغرب يرجع إلى الفترة المتحدثة عنها في المصادر أي ابتداء من القرن التاسع (15 م) إما عن طريق الأندلس أو عن طريق البرتغاليين بعدما وصلوا في رحلاتهم إلى الشرق وتحديدًا إلى الهند وهو بلده الأصلي (1396 / ) ولم تذكر لنا المصادر شكله ولا نوعه.

ح. الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1980: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار ضمن ورقات عن الحضارة المغربية لمحمد المنوني، الرباط، 1979.

M. Menioui, *Diversité biologique de la faune marine du Maroc*, SEE/PNUE, 1997, 101 p. ; E. Herouard, *Holothuris de la côte atlantique du Maroc et du Mauritanie*, *Bul. Soc. Sci. Nat. Phys. Maroc*, 9, 1929.

محمد حجاج الطويل

**خيار البحر**، يتكون خيار البحر من أنواع عديدة تنتمي إلى "شوكيات الجلد" التي - وكما يدل اسمها على ذلك - فهي حيوانات متميزة بجهازها العظمي المتكون من شوكات صغيرة ودقيقة موزعة تحت جلد هذا السمك. فهي لا تؤدي وظيفة إعطاء الجسم شكلاً معيناً وإنما توفر له الحماية من الحيوانات الأخرى التي يمكن أن تتغذى عليه. كما أنه من خصائص شوكيات الجلد كذلك التوفر على توافق شعاعي ووجود "جهاز ساني" يمكن من انقباض وارتخاء الأرجل بالماء ويمكن بالتالي من حركتها.

تختلف أنواع خيار البحر عن باقي شوكيات الجلد بحجم رخو نسبياً غير محمي لا بقوقعة ولا بقشرة كلسية كباقي أنواع فصائله وتعيش كلها في الماء وبالأخص في مياه البحر ما بين منطقة المد ولجزر إلى أعماق تمتد إلى أكثر من عشرة كيلو مترات تحت ضغط هائل.

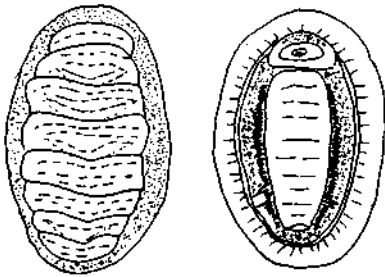
في المناطق الساحلية وتحت أرجل المصطافين يمكن العثور على خيار البحر وطوله ما بين عشرين وثلاثين سنتيمتراً إلا أن طول تلك الحيوانات يمكن أن يتجاوز المتر الواحد في الأعماق السحيقة كما يمكن أن لا يتعدى عند بعض الأنواع بضعة ملليمترات.

توجد أنواع خيار البحر إما سباحة بصفة مستمرة في الماء بين العوالق وإما بين القعريات زاحفة فوق الصخور والرمال أو مدفونة في الأوجال.

ورغم تعدد أشكاله وأنواعه فإن خيار البحر له ميزته

**خيتون Chiton**، ينتمي إلى مجموعة الرخويات، أي نفس المجموعة التي تضم الأخطبوط والحبار والسرطان والحلزونات وذلك رغم تباين أشكالها وأنماط عيشها. يتميز الخيتون عن باقي أفراد مجموعته بجسم بيضوي الشكل مفلطح من الأعلى إلى الأسفل ومحصن بقوقعة فريدة من نوعها تتكون من ثماني صفيحات نصف دائرية مفرمة بعضها في البعض مما يسمح للخيتون بالتكور على نفسه كما أن هاته الصفيحات الثمانية تدمج في صفيحة وشاحية الشكل جانبية تحيط بالجسم كله.

لا يتعدى جسم الخيتون بعض السنتيمترات طولاً ولا يرى من هذا الجسم سوى تلك القوقعة الثمانية الصفيحات. قد يظن المتجول على الشاطئ أنها من المكونات الصخرية نظراً لشكلها وكذلك للونها اللذين يوهمان بشكل ولون الدعامات التي يعيش فوقها. أما الجهة البطنية فهي عبارة عن عضلة بيضاء (الرجل) وقوية تمكن الخيتون من الالتصاق بالصخر على شكل محجم وقد يصعب في غالب الأحيان نزعها من دعامتها دون كسر القوقعة، كما يرى من الناحية الأمامية بهاته العضلة فتحة صغيرة نصف دائرية (الفم) تمكنه من قضم وكشط الطحالب التي يسرحف فوقها.



خيتون

يتغذى الخيتون إذن على الطحالب الصغيرة التي تنمو فوق الصخور. ويتنفس كمعظم الحيوانات المائية عن طريق خياشيم تمكن من امتصاص الأكسجين مباشرة من ماء البحر حيث إن أنواع الخيتون بحرية تعيش في أعماق متباينة، إلا أن معظمها يعيش على أعماق صغيرة خاصة في منطقة المد والجزر تكسوها المياه وقت المد وتكشف عنها حين الجزر. ويفعل قوة الأمواج في تلك المنطقة استطاعت الخيتاتين أن تتأقلم مع تلك الأمواج فتطور شكلها ليكون أكثر انسيابية وبالتالي أقل عرضة لوقوع الأمواج. طريقة التوالد والتكاثر عند الخيتاتين لا تختلف في

الخاصة حيث يظهر كما يدل اسمه على ذلك على شكل خيار يوجد في إحدى طرفيه الشرج كما يوجد في الطرف الآخر الفم محاطا بعشرة حتى ثلاثين من اللوامس.

تتغذى بعض أنواع خيار البحر على العوالق بتصفيتها مباشرة من مياه البحر بينما يعتمد البعض الآخر على ما تحتضنه الرمال والأوحال من مواد عضوية حيث يلتهم خيار البحر الرمل أو الوحل فتمتص خلالها الهضمية ما تحتويه من مواد عضوية ويلقي بالباقي خارج جهازه الهضمي.

يتنفس خيار البحر بواسطة جلده كله من الرأس حتى الشرج إلا أن هناك أنواعاً تتوفر على "رئة" لكن ليست هوائية بل مائية يدخل إليها الماء المشبع بمادة الأكسجين ويقذف به إلى الوراء من بعد ذلك خالياً من تلك المادة التي تكون قد امتصتها الرئة.

أما التزاوج فيتم غالباً بالصدفة بين الخلايا المنوية للذكر والبويضات الأنثوية بعد أن تلقى في الماء من الجهاز التناسلي الذي هو مكون من مجموعة من القنوات الدقيقة عند الذكر كالأنثى.

على الصعيد الوطني، يعرف في المغرب ما يناهز العشرين نوعاً من خيار البحر إلا أنه بخلاف العديد من الحيوانات البحرية، فإن خيار البحر رغم تسميته لا يدخل في عادات بلادنا المطبخية. أما بعض الشعوب الأسيوية فتعتبر بعض أنواع هذا السمك من أشهى الأطعمة كما أن البعض الآخر يستعملها بعد تجفيفها وتحضيرها كوسيلة لتقوية القدرة الجنسية.

بالإضافة للإنسان فإن لخيار البحر عدة أعداء، وللدفاع عن نفسه وسيلتان أساسيتان :

1 - السموم التي يفرزها جسمه وخاصة جلده والتي جعلت يفعل التجرية والعادة العديد من الحيوانات اللاحمة لا تقرب منه.

2 - في بعض الأحيان وعند إصرار مطارده على التهامه بإمكان العديد من أنواع خيار البحر أن يقذف بأغلبية أعضائه خارج بطنه ليشغل بها مطارده فيهرب ونجو بأعضائه الأساسية على أن يسترجع إنشاءها من جديد وفي وقت وجيز نسبياً.

M. Menioui, *Diversité biologique de la faune marine du Maroc*, SEE/PNUE, 1997, 101 p. ; E. Herouard, *Holothurians de la côte atlantique du Maroc et de Mauritanie*, *Bul. Soc. Sci. Nat. Phys. Maroc*, 1929, 9.

محمد منبوي

ابن خيار، علي الفاسي. فقيه مجتهد مشارك، ترجم له ابن عبد الملك وذكر أنه قرأ بفاس وتلمسان وسبتة وقرطبة ومراكش. وكان فقيهاً رافضياً للتقليد ميسالاً إلى النظر والاجتهاد، وله مشاركة في العربية وعلم الكلام وأصول الفقه والتصوف.

كان حياً سنة 601 / 1204.

ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلوة، تر، رقم 1424، ط. القاهرة :  
ابن عبد الملك، الذليل والتكملة، ص. 8 : ص 299 - 303، تج. م.  
بن شريفة : السيوطي، بغية الرعاة، 1 : ص 102، بيروت، 1979 :  
م. ع. عنان، عصر المرابطين والموحدين، 2 : 661.  
أحمد عزاري

**خير الدين، محمد.** يدوي صوت خير الدين في مجال  
الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية صلباً كصخر الأماكن  
التي تردده بعدوانيتها وسخائها مقلقة وعلى قدر من  
الإنسانية. جاء إلى الكتابة مبكراً فكان ذلك الفتى الشديد  
المراس في الأدب المغربي بالفرنسية، وهو يحتل فيه مكانة  
متميزة مشهوداً له بالمشاركة في حيوية ذلك الأدب وفي  
تجده.

ولد في تافراوت سنة 1941، من والد تاجر من تجار  
الجنوب قضى طفولته في بيئة خشنة فخمة بين نساء ورجال  
من الشيوخ. وقد وافق سن تدرسه الهجرة إلى السدار  
البيضاء مفارقاً أمه وبيته الجنوبية. ولكن هذا المقر الجديد  
أتاح له الانكباب على الأدب.  
منذذ وجهته كشوفه ولقائه وفتحت أمامه مساراً  
تتخلله كلمات - مراجع ومواضيع رئيسية. فالزلازل والبعد  
عن البلد والرجوع والتيه الدائم تشكل عنده تجارب عميقة.  
في عنصر حياته الخلاقة وغيرها تتحقق البيقطة البطيئة  
لموهبة كاتب.



ففي البيان الذي أصدره بعنوان *Poésie Toute* (الشعر  
كلية) عن مطابع الشمال، بالدار البيضاء، سنة 1964)  
يظهر شاعر شاب يطمح إلى النهوض بشعر مغربي باللغة  
الفرنسية في قطعة مع كل الأشكال الموروثة عن عهد  
الاستعمار. فهو ينادي بشن "حرب عصابات لسانية"،  
مدشنا بذلك إبداعاً يندرج مننذذ في الحركة الأدبية  
والثقافية الكبرى التي دشنها إصدار مجلة أنفاس *Souffles*  
سنة 1966، وهو كان من كتابها.

الجوهر عن معظم الرخويات حيث إن معظم الأنواع أحادية  
الجنس تلقي بموادها الجنسية في الماء على أمل أن تلتقي  
بينها عن طريق "الصدفة" فتلقح البويضات وتعطي بالتالي  
أفراداً جدداً إلا أن هناك نوعاً واحداً *Callistochiton*  
*viviparus* لا يقذف بمواده الجنسية في الماء وتخصب  
البويضة داخل الجهاز التناسلي للأنثى ويخرج بعد أيام من  
النور فرداً كاملاً شبيهاً بأمه، كما أن هناك بعض الأنواع  
يمكن أن تحضن بيضها إلى أن تخرج الصغار.

وفيما يخص تصنيف تلك الحيوونات فإن العلماء  
يقسمون الحياتين إلى ثلاث مجموعات عائلية وهي :

*Lepidopleuridés* يتوفر المغرب منها على تسعة أنواع  
*Ischnochitonidés* ويتوفر المغرب لحد الآن على

خمس أنواع

*Acanthochitonidés* وهو ممثل في المغرب بنوعين

اثنتين

أما بالنسبة للتوزيع الجغرافي لتلك الأنواع التي توجد  
على السواحل المغربية فعظمها ينتشر أساساً في منطقتي  
البحر المتوسط والساحل الشرقي للمحيط الأطلسي إلا أن  
بعض الأنواع خاصة منها *Lepidochitona canariensis*  
*Lepidochitona stroemfetti* لها توزيع جغرافي محدود جداً  
في جزر الكناري وناحية طرفاية المغربية.

M. Menoui, *Peuplements infralittoraux superficiels  
des côtes atlantoméditerranéennes du Maroc. Etude  
faunistique, écologique et biogéographique. Thèse d'Etat  
Es. sciences, Rabat, 256 p. ; Diversité biologique de la  
faune marine du Maroc, SEE/PNUE, 101 p., 1997 ;  
Rolan Mosquetero [et al...], Moluscos de la ria de Vigo II,  
Revista de ciencia del Mar, 276 p., 1990.*

محمد منيوي

ابن خير، أبو بكر محمد بن خير بن عمر، الأموي  
الفاصي ثم الإشبيلي. ولد بفاس في رمضان سنة 502، وبها  
نشأ واستوطن إشبيلية وغيرها من بلاد الأندلس. يزيد عدد  
مشايخه على المائة كما هم مذكورون في الفهرس الذي  
ألفه، روى عنه كثيرون.

ذكر ابن عبد الملك أنه "من أئمة القرنين المجودين ومن  
جملة المحدثين المسنين، متفنناً في علوم اللسان، متقدماً  
في النحو واللغة منها"، وهذا ما ذكره ابن الزبير أيضاً.  
وقال الصفيدي : "كان حافظاً مقرئاً نحوياً متفنناً أديباً،  
وهذا ما استوجب ترجمة السيوطي له في كتاب بغية الرعاة  
في طبقات اللغويين والنحاة وكتاب "طبقات الحفاظ  
وغيرهما.

أقرأ بإشبيلية وقرطبة، وتولى بهذه الأخيرة الخطبة  
والإمامة بجوامعها الأعظم سنة 573 إلى وفاته في 17 ربيع  
الأول 575، ودفن بإشبيلية بحضور واليها السيد (الأمير)  
أبي علي الحسن بن عبد المومن الموحد (انظر هذه المادة)،  
وهذا مما يدل على علو مكانته.

اتخذ خير الدين مثله في ذلك مثل عدد من الكتاب طريق الهجرة بحثاً في المسافة عن الرباط الوحيد الممكن مع الأسرة والوطن فارا من هذا وتلك. انبت أعماله الأدبية هنا في هذا الابتعاد الترابي والاجتماعي وحتى القبلي، وهو ابتعاد لساني وثقافي. وبهذا أصبحت حياة الكاتب حياة أعماله التي يحملها بين جنبيه، وهنا تفعل كيمياء الكتابة فعلها.

كانت المدة التي قضاهها بفرنسا (1965 - 1980) مدة خصبة أنتج فيها *Faune détériorée* (وحش مخرب) وقد نشرته مجلة *Encre vives* عام 1966 وحصل به على جائزة تلك المجلة وأنتج *Agadir* (أغادير) وصدر عن دار النشر *Seuil* وأنتج *Enfants terribles*. وحصلت روايته *L'Enterrement* (السدن) على جائزة *La Nouvelle Maghrébine*.

كان خير الدين آنذاك يكتب في تلك المجالات ويسهم في إخراجها، ومنها *Dialogues* و *Les lettres nouvelles* و *Présence africaine*.

أثار شعره الانتباه وأشادت به مجلات مثل *Les Temps modernes* و *Le Journal des poètes*.

كان يسهم في تشييط برامج إذاعية بعضها مسائية في *France culture*. وقد عاش وقائع حركة أفكار شهر ماي 1968، والتقى في خضم تلك الأحداث بأشخاص مرموقين مثل مالرو وسارتر وبيكيت وسنغور وسيزير وداماس.

نشر خير الدين أهم مؤلفاته في تلك الفترة عند *Seuil*، مثل *Corps négatif*، متبوعاً بـ *Histoire d'un bon dieu* (1968)، و *Soleil arachnide* (1968)، ثم النص الذي استحق به المكافأة الثالثة للصدافة الفرنسية العربية وعنوانه *Moi Vaigre* (1970) ثم *Le déterreur* (1973) ثم *Ce Maroc* (1975)، ثم *Une odeur de mantèque* (1976)، ثم *Une vie, un rêve, un peuple toujours errants* (1978).

حين عاد إلى المغرب بين 1980 - 1989 نشر مجموعة شعرية بعنوان: *Résurrection des fleurs sauvages* (1981) وكتب حكاية بعنوان (1984) *Légende et vie d'Agoun'chich* وفيها جدد لقاء الحميمي مع الجنوب وسطه الثقافي البربري، الوطن الذي طالما أحبه وطالما هرب منه. والواقع أن خير الدين رجل هجرة ومنفى لا حدود مكشوفة لديه بين السفر الحقيقي والسفر داخل النفس. فالسفران عنده صيغتان لطلب واحد، تعبران عن رغبة واحدة، لذلك نجده يعاود الذهاب في اتجاه هذا المكان الآخر المستعصي على الولوج مأخوذاً بدوره بهذا العشق الذي يحمله للمنفى والتيه كما يظهر ذلك جلياً من خلال كتابه: *Légende et vie d'Agoun'chich* (p. 23).

انخرط خير الدين في هذا التيه الدائم بين 1989 و 1993 واستولى على مسار لم يصل إلى نهاية قط، فكان الشاعر

المداح لتقاليد بلاد المغرب. إنما ينبيء عن بقائه على قيد الحياة نصوص ينشرها من حين لآخر. فقد هيا يباريس مسرحية ظلت غير منشورة بعنوان *Les cerbères*. ونشر مقالات ولا سيما في *Jeune Afrique* حول مواضيع اجتماعية كالحالة في ضواحي المدن الأوربية والهجرة (*Jeune Afrique*, n° 1554, oct. 1990). وقد رجبت مجلة *Esprit* بقصيدته الطويلة بعنوان *Ichtar* كما نشرت له قصتين قصيرتين هما *Parole élémentaire* و *La gale* (فبراير 1991). وصدر له عن دار نشر *Cherche Midi* سنة 1991 *Mémorial* وكان قد كتبه في عشرين يوماً.

وفي 1993 دخل خير الدين في صراع لاهوادة فيه ضد المرض، لكنه لم يكف يوماً عن الكتابة. لقد كرس آخر تأليف قام به للرسم وقد نشرته *Ed. Errabeta* في سلسلتها *Silhouettes* تحت عنوان *M'seffer vu par Khaïr-Eddine* وذلك بالدار البيضاء عام 1995. وقبل نهاية أجله ببضعة شهور سلم مجلة *Esprit* نصاً رمزياً عنوانه *Testament d'un moribond*. وقد كانت أقصى وجوده ومنتهاه في عالم لم يستحضره من قبل بهذه القوة التي استحضره بها في لحظات آلام الفراق كما يعبر عنه في شعره غير المنشور بعنوان *Proses* وقد ابتدعه في الآلام حين خضوعه للعلاج بالأشعة في المعهد الوطني لأمراض السرطان بالرباط.

توفي خير الدين يوم 18 نونبر 1995 وترك أعمالاً أدبية كتبها ضد الأفكار الوثوقية ولا سيما الأدبية وهو يسخر منها من خلال نظرتة إلى العالم بناء وممارسة.

اختمرت أعمال خير الدين في المهجر ولكنها كانت تنظر إلى أرض المغرب وإلى مكان مسمى "بالمجنوبي" *Sudique*. حسب ابتداء لفظي من ابتكار الكاتب بالرغم من المهجر وبسبب المهجر. إن لكتابته علاقة ملتبسة بهذا المكان الجغرافي بجنوب المغرب، علاقة رفض ومطالبة في آن واحد. فهو فضاء بربري وهو فضاء اجتماعي تاريخي ثقافي يحتل فيه مكانة البؤرة. هنا تكشف الكتابة عن تساؤل حول المهجر الخارجي الجغرافي، بل هو على الخصوص تساؤل حول الهجرة داخل النفس، الهجرة الباطنية، وهي في آن واحد طلب معرفة عبر تجربة الكتابة. تتجلى هذه التجربة أيضاً في صورة تعبير عن الشعور بالتهميش الاجتماعي والسياسي والثقافي وتهميش الهوية، وهو شعور تولد عنه هذا التيه وهذا البحث الذي يتمثل في كل كتاب من كتب خير الدين. فالكتابة تصوغ تمرداً فردانياً وجماعياً. يصرخ معبراً عن مكابدة وجود مستعص ويضمّر رغبة في التغيير، ويكشف عن مطالبة بوجود أفضل.

بين تعبير عن الواقع الخارجي وتأكيد لواقعه الداخلي الخاص، تأتي الكتابة عند خير الدين لتنخرط في تجربة تشارك في التغيير وتشكل جزءاً منه، تغيير دائم للمجال الاجتماعي والثقافي وتغيير الهوية. فهي كتابة متنسبة

**خَيْرَان**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، استقرت أول مرة بقبيلة بني حسان، ثم انتقلت إلى تطوان.  
م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 647.

**الخيرانني**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Xagran ؛ وكان بمدينة سلا منذ القرون الهجرية الأولى بنو خيرون أسرة أندلسية ماجدة. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان ؛ وإلى هذه الأسرة ينتسب الفقيهان عبد الرحمن الخيرانني الذي زاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1191 إلى سنة 1206 (1777 . 1791). وابنه محمد الخيرانني الذي كان من عدول تطوان من سنة 1239 إلى سنة 1246 (1824 . 1830).

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1613.

**الخيرانني، محمد بن حمادي بن الشرقي**، مقاوم لم يكن ينتمي إلى أي تشكيلة لكنه كان من بين المشاركين في مظاهرة 20 غشت 1955 حيث قام بأعمال تخريبية لمنشآت المستعمر إلى أن اغتاله المعمر كازو برصاصتين واحدة في وجهه والأخرى في بطنه فسقط شهيداً بأيت عمار وقد اختطفه أهله ودفنوه رحمة الله عليه.

المنذوبة السامية لقدامى المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، ج. 3.

**خَيْرُون**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا :  
م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 648.

محمد ابن عزوز حكيم

**خيرون، بارتولومي**، Gerón Bartolomé راهب إسباني من المنتمين إلى طائفة الفرانسييسكان كلفته حكومة كارلوس الثالث بمهمة دبلوماسية تمهيدية في المغرب في عهد سيدي محمد بن عبد الله، انتهت باتفاق 29 محرم 1181 / 28 مايو 1767. استهدفت تعليمات الحكومة الموجهة إليه اختبار رأي السلطان في مضمون شروط افتتاح العلاقات بين البلدين، بعد تبادل المراسلات الأولى والهدايا

بخصوصية مغلقة في ما يتعلق بالرموز التي تنفرد بها، كتابة تشيبت أيضاً برموز هذا الفضاء المشترك، هذا التراث العريق الذي تحمله. فالكاتب لا يفتأ يظهر انشغاله الدائم بما هو جماعي، فهو يحلم بأن يكون صوتاً للشعب.

كتابة تجتهد في شرح العالم برمته وتتوظف كفضاء لبناء صورة عن الذات وهي في نفس الوقت مكان رهان ثقافي وخطاب حول هذا الرهان ؛ فالنص مستودع تاريخ ومكان ذاكرة. إن خير الدين مثله مثل الكتاب الذين تأثروا بعقلية مجلة Souffles (أنفاس) يجد نفسه في تناقضات وتمزقات تميز به جيله، فهو لذلك لا يتصور أدبا خارج الالتزام، والالتزام في نظره لا يقف عند الاهتمام لآلام الجماعة والتشكك في أصول القضايا المتورة وفي الهوية الأحادية التصور وفي الحكم بجميع أشكاله، بل ويتمثل أيضاً وعلى الخصوص في عمل يتموقع في بؤرة الكتابة.

إن تجرية الكتابة عند خير الدين تمس أساساً قضية التصريح والبحث عما يسميه "اللغة الجديدة". والذي يسند هذه اللغة يتضمن في أعماق تجلياته علامات موطنه الأصلي وموطن تأهيله، وهو ما يحيل على فضاء ثقافي ولساني وفضاء هوية في الجنوب المغربي حيث طبعت لغة الأم، البربرية، علاماته بكيفية لا تحصى. ويظهر أن تلك التجربة في الكتابة تستهوي بمساعها الجمالي كما تستهوي بالابتعاد أو الاقتراب من المجتمع والثقافة، من المجال الواقعي والرمزي الذي تتناوله وتسائله وتحرضه وترغمه على التفتح على المكان البعيد، بإخضاعه في الأخير لمحك تناقضاته الذاتية وإسلامه لصراعاته الداخلية.

فإذا كان موطن هذا الحوار النثير هو بلاد المغرب ومن داخله عالم البربر، فلا أحد يشك في أنه - بعيداً عن الخصوصي ومن خلاله - فإن خير الدين يبحث بعمله الأدبي عن الوصول إلى ماهوكوني. فخير الدين، خلال هذا البحث وبأعمال متفرقة أشكالها ومنسجمة في وحدتها الموضوعية وفي بحثها ككتابة، يقيم حواراً مع الفن والأدب. فعمله إعادة بناء للتجربة الإنسانية وبناء للتاريخ الفردي الخاص بالكاتب وتقرير لتراث الأجداد الذي يحمله بين جناحيه. إن هذا العمل الأدبي محل لقاء بين كل مكونات الإنسان وهو يشير إلى النقص في العالم والكون.

فإذا كانت شاعرية الخواء والعنف والتدمير والفراغ المتعذر ملؤه، هي التي تخدم هذا العمل التجذري، فكل تجربة خير الدين في الكتابة لا تفتأ تصر على مواجهة قوى الخواء التي هي في آن واحد شرط تخريب وقوة خلاقة، وهي المحددة لفعل الإبداع، كتابة زلزالية مولدة للأشكال المبتكرة، فهي على طولها وعرضها مخترقة برغبة قوية في التفلت من مستقبل قدرتي، يحركها رفض أساسي للعدم والموت.

زهور المزكلي

والأسرى. سبق محيرون أن قام بالمغرب خلال عدة سنوات بدور الفرانسييسكان، سواء بفاس أو بتطوان. وفي سنة 1169 / 1755 توصل إلى حل مسألة أسيرة إسبانية على عهد المولى عبد الله.

حل خيرون بسببته يوم 28 جمادى الأولى 1179 / 12 نوفمبر 1765 وعرج على باشا طنجة عبد الصادق بن أحمد الريفي برفقة قسيس دير مكناس فرانسيسكو كولودورو. واستقبله سيدي محمد يوم 21 شعبان 1179 / 2 فبراير 1766، فلم يزد في خطابه عن الإشارة إلى رغبة الطرفين في عقد الهدنة في البر والبحر، ولم يطرح مثلما أوصت به التعليمات طلب تصدير القمح وإثارة المحطة الساحلية المطلوبة للصيد بجهة ساحل إفني، نتيجة إدراك السفير مدى حساسية الموضوع.

غير أن هناك تعليمات خفية جاء من أجلها خيرون كانت متشوقة إلى استدراج السلطان لقبول الفكرة الشائكة المتمثلة في توسيع حدود الثغور المحتلة، نتيجة لهذا التقارب. وكان لسيد محمد رأي خاص في هذا الموضوع، نقله السفير الفرانسييسكاني في قوله: "إن السلطان يتصور الطريقة التي سيتم بها الصلح بين الجانبين بكيفية غريبة، ذلك أنه يعتبر من واجبه الديني والوطني استرجاع تلك الحصون التي يملكها عاهلنا بالمغرب .. وأنه من جهة أخرى لا يرى أي مانع من تحقيق تلك الأمنية باللجوء إلى القوة، دون أن يتعارض ذلك مع الصلح المزمع عقده مع إسبانيا".

لقد اكتشف خيرون أن طرح مسألة الحصون على أنظار السلطان أمر جد حساس يفوق كل التصورات، إلى حد لم يتجرأ أحد على مجرد إثارة على مسامع السلطان. وحينما ألح رئيس الحكومة الإسبانية على سفير بلاده أن يدل له بحجة تصلب رأي السلطان في المسألة، وإفاه الجواب قائلاً: "إن سيدي محمد محا الجملة الخاصة بتوسيع حدود الحصون وريح الأسواق المجاورة".

على أن هناك نقطة إيجابية أخيرة في سفارة بارتولومي خيرون. هي قبول سيدي محمد إرسال سفارة مغربية إلى مدريد برئاسة كاتبه أحمد الغزال. وفي يوم 24 ذي القعدة 1179 / 2 مايو 1766 حل بارتولومي خيرون بطنجة مرفقا بأعضاء السفارة المغربية، وهي في طريقها إلى سبتة.

ح. الفكيكي، مقاومة الوجود الإسباني بالثغور المغربية الشمالية المحتلة، مرقون، الرباط، 1991.

R. Lourido Diaz, *Los Misioneros Franciscanos y su participacion en el Tratado de Paz Hispano Marroquí de 1767*, Archivo - Ibero - Americano, 133 / 1974 ; *En Torno al ensanche de limites de Ceuta*, en 1782, H.T., 1982 ; Vicente Palacio Atard, *Primeras negociaciones entre España y Marruecos en 1765*, Hispania, 11 / 1951 ; V. Rodriguez Casado, *Politica Marroquí de Carlos III*, Madrid, 1946.

حسن الفكيكي

الخيروني، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا :  
وهناك أسرة أخرى شريفة تحمل نفس الاسم أنجبت عدة فقهاء مثل :

الخيروني، أحمد بن محمد الذي كان من بين عدول تطوان من سنة 1256 إلى سنة 1261 (1840 . 1845).

الخيروني، عبد السلام الذي كان يزاول خطة العدالة من سنة 1171 إلى سنة 1201 (1758 - 1787).

أ. الرهوني، عمدة الراوين، 7 : 12 : م. داود، عائلات تطوان، مخطوط : م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطوان 1999، والمرجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 649.

محمد ابن عزوز حكيم

خييري أو خيرون، أسرة تطوانية، من العلوج الأندلسيين أشار إليها غوميس إيانس دي زورارا باسم (Abengeiri). اشتهر في النصف الأول من القرن التاسع الهجري (15م) منها ثلاثة أفراد بالنشاط القرصني بساحل المضيق، هم، محمد بن خيري، كان اسمه السابق "مانويل"، وهو رئيس سفينة من فئة خمسة عشر مقعداً، ثم اليريس بدر بن خيري، كان قائد سفينة مركبة من أربعة عشر مقعداً، وهو أخو قرصان آخر يدعى حبيب بن خيري. ظهرت الأسرة البحرية بساحل المضيق المغربي إثر احتلال البرتغال لسبتة، ويعني هذا سابق وجودها بالمدينة وانتشارها إليها قبل سنة 1415. كان زمام القرصنة البحرية بيدها ومرساتها الرئيسية بني معدن تطوان، ويدعوننا هذا إلى الاعتقاد أن سبتة كانت من جملة محطاتها قبل سقوطها.

ظهرت الأسرة أيضاً في بداية القرن العاشر الهجري (16م) في نطاق إحياء عمران مدينة تطوان وحركتها القرصنية على عهد حاكمها علي المنظري وخلفه الحسن المنظري. برز منها أخوان سنة 1515 وقد ركزا نشاطهما على مدينتي سبتة وجبل طارق والسواحل الإسبانية المجاورة، كما شمل عملهما القرصني اعتراض السفن المبحرة عبر مياه جبل طارق انطلاقاً من مرسى بليونش ومياه المحيط من ملجئهم بمرسى العرائش.

وبعد خمس سنوات من النشاط القرصني ضد السفن الإسبانية والبرتغالية، توفي الأخ الأكبر من أسرة خيري، خلال معركة حامية مع السفن البرتغالية السبتية جرت بعرض مياه المدينة يوم 8 مارس سنة 1520.

ح. الفكيكي، مقاومة الوجود الإسباني بالثغور الشمالية المحتلة،

1 : 123، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

المجموعة النوع *Artemia salina* الذي له قدرة هائلة على تحمل الملوحة والذي يمكن كذلك أن يتكاثر عن طريق التوالد العذري أي دون تدخل الحيوانات المنوية للذكر. تكمن أهمية هذا النوع كذلك في استعماله وعلى الصعيد الدولي في تغذية الحيوانات البحرية والمائية التي يمكن تربيتها كالأسمك والرخويات والقشريات مثلاً.

2 - أما المجموعة الشانية (Notostracés) فيخلّف المجموعة الأولى تتوفر على قوقعة على شكل ذراع ظهري يغطي ويحمي الجسم.

3 - يتميز أفراد المجموعة الثالثة (Conchestracés) بتوفرها على قوقعة ثنائية الصدفة تغطي الجسم كله كالمحار مثلاً أو جمل البحر التي تعيش كلها في المياه القارية والسكنة.

4 - أما المجموعة الرابعة والأخيرة (Clodocères) فهي تشبه إلى حد ما أنواع المجموعة الثالثة نظراً لتوفرها على قوقعة ثنائية الصدفة إلا أن هاته الصدفة أو القوقعة لا تحمي الجسم كله بل هناك المنطقة الرئيسية التي تدعى حرة بالإضافة إلى قلة عدد زوائدها التي لا تتعدى أربعة أزواج وأعينها التي تنصهر نسبياً لتكون ظاهرياً عيناً واحدة مما أدى ببعض العلماء لتسميتها بـ "أحادية العين".

ولا شك أن تلك المجموعة الرابعة تعتبر من أهم المجموعات نظراً لكثرة أنواعها وأشكالها وأعدادها، ونظراً لاستيطانها كل أنواع المياه القارية منها والبحرية وكذلك نظراً لدورها البيئي والاقتصادي. فهاته القشريات تكون بالفعل نسبة عالية من العوالق سواء البحرية منها أو القارية وهي تكون بالتالي غذاء للعديد من أنواع الأسماك والرخويات والقشريات ذات القيمة التجارية العالية بالنسبة للإنسان. ولهاته المجموعة ينتمي مثلاً برغوث الماء (Daphnies) الذي يستعمل لتغذية بعض الحيوانات المائية أثناء تربيتها نظراً لإمكانية هاته القشريات التكاثر السريع والرهبوب إما عن طريق التوالد العادي وإما عن طريق التوالد العذري.

تعيش خيتومات القوائم بشكل أساسي في المياه القارية خاصة منها الراكدة في مصاب الأنهار والبحيرات إلا أن القليل منها فقط يمكنه العيش في المياه البحرية. معظم الأنواع التي تنتمي إلى هاته القشريات تعيش بين العوالق وتكون جزءاً أساسياً وضرورياً في السلسلة الغذائية في هاته المياه. أما الأنواع التي تعيش في مياه البحر المغربية فلا يتعدى عددها الستة، وهي ذات توزيع شاسع خاصة في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي.

Alfa Sciences, 1974 ; *Les animaux, Encyclopédie des animaux dans la nature*, vol. 3, 1980 ; *Animaux de la mer*, 575 p. ; Poue et Chantail R., *Biologie animale, Zoologie, Invertébrés*, Paris, 1962.

محمد منيري

خيربي، حدو مقاوم ولد سنة 1922 بمدينة خنيفرة وسط عائلة متواضعة الحال. شارك في مظاهرة خنيفرة بمناسبة 20 غشت، وقام خلالها بعدة أعمال تخريبية ضد مصالح فرنسا من إحراق وإتلاف. وعند تدخل قوات الأمن الفرنسية بهدف تفريق المتظاهرين وحملهم على التراجع عن المواجهة استشهد عدد كبير من الوطنيين وكان حدو خيربي من بينهم في نفس اليوم 20 غشت 1955.

الندوية السامية لقداما المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، ج 2.

### خيشوميات القوائم Branchiopodes هي قشريات

تتميز بجسم مقسم إلى عدة حلقات قد تصل إلى ستين حلقة. بالإضافة إلى الزوائد الرأسية والتي لها دور حسي، فإن معظم الجسم مكسو بزوائد أو قوائم مصفحة الشكل التي إذا كانت تلعب دوراً مهماً في التنقل (السباحة) فهي تلعب كذلك دوراً مهماً في وظيفة التنفس حيث تمتص مادة الأكسجين مباشرة من الماء ولاشك أن هذا هو السبب الرئيسي في تسمية هاته الحيوانات بـ "خيشوميات القوائم". تعيش معظم خيشوميات القوائم في المياه القارية والمستنقعات إلا أن القليل منها يعيش كعوالق في البحار وكذلك في المياه الشديدة الملوحة كالملاحات.

تحت اسم "خيشوميات القوائم" تصنف أربع مجموعات من الأنواع :



خيشوميات القوائم

1 - مجموعة أولى (Anostracés) تتميز بعدم وجود أية

صدفة تحمي الجسم، لها عينين محمولة كل واحدة منها على رأس ذنيب كما أن لها زوائد رأسية معقدة التركيب وذات وظيفة ما سكة ولا يتعدى حجمها خمسة وعشرين ملمتراً. ولاشك أن من أشهر الأنواع التي تنتمي إليها هاته

**الخيل والخيول والأخيال** لا واحد لها في اللغة، وهي جماعة من الأفراس واحدا الفرس للذكور والإناث ويسمى الذكر أيضاً الجواد والحصان يجمع على أحصنة وحصن، وتسمى الأنثى حجراً تجمع على حجور وأحجار وحجورة ولا يقال حجرة. الاسم الشائع عند العامة في المغرب العربي هو الخيل والعودان مفردة العود والعودة للأنثى، وفي اللغة العود هو المسن من الإبل، وبالسلسان الأمازيغي أسردون وأيسس وإيسس وأسرتي.

تنتمي الخيل إلى الحيوانات الثديية اللبونة من طائفة الحافريات Ongulés ورتبة مفردات الأصابع Perissodactyles ومن فصيلة الخيليات Equidés. يتميز الفرس بإصبع واحد في كل رجل ينتهي بحافر يقوم مقام مخالب أو أظافر الأصابع. وقد تكيف الحافر مع متطلبات الجري والركض ولحقت به عبر الزمن تغيرات تتعلق بأساليب التنقل المفروضة على الفرس من طرف الإنسان كالمشي والجري السريع في سباق الخيل والترويض، الخ.

يتميز الفرس برأس صغير ومستطيل وعينين كبيرتين محميتين بجفون ذات أهداب متفاوتة الطول وسميكة. أذنه مقرنة وشديدة الحركة تنتبه لأدنى صوت. يوجد النخران عند طرف قصبه الأنف الواقعة في الجزء الأمامي من الرأس ويتوفر الفم على شفتين متحركتين غليظتين وعلى أسنان متكاملة عددها 44 سنا صيغتها كالتالي :

3/3 قوارض، 1/1 أنياب، 4/4 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 44 سنا. توجد بين الأضراس والأنياب فجوة كبيرة توضع فيها الشكيمة التي يعتمد عليها الراكب للتوجيه والمراقبة السير. غالباً ما تغيب الأنياب عند الإناث (الحجر).

يتصل الرأس بالجسم بواسطة عنق أهيض يعلوه عرف من الشعر الطويل الصلب مصفف جانبياً. الجسم مكسو بزغب سميك وقصير، مختلف الألوان يمكن التمييز بين الخيول عند أوصافها، نذكر منها الكميت (bai) وهو ما يعادل الأسود والأملس وهو ثوب ذو لونين اللون الأسمر للجسم والأسود للسبب أي الشعر الطويل على العنق، والأشقر وهو ثوب وحيد اللون من غير الأسود، والأشهب وهو ثوب يختلط فيه الشعر الأبيض والأسود، كما يلقب الفرس بالمحجل حين يكون مبرقعاً ببقع بيضاء على قوائمه، ويلقب الحصان الأسود بالأدهم وهذا لون نادر في الخيل. أدت هذه التنوعات إلى إعطاء الفرس عدة أسماء تغني بها الشعراء.

يبلغ وزن الفرس البربري أو المغربي المعاصر (cheval barbe) 360-450 كيلو غرام ويبلغ ارتفاعه عند الكتف 143-153 سنتيمتر، وهو حيوان قوي وصبور إلا أنه أقل رشاقة من الفرس العربي الأصيل. رأسه قوي وجبهته محدبة بعض الشيء، الصدر عريض متناسق مع عرض المؤخرة.. الظهر أقصر من السلالات الأخرى وله 23 فقرة

بدل 24 فقرة في العمود الفقري عند الفرس الوحشي. الرداف (croupe) مائل وبداية الذيل منحدره مقارنة مع باقي السلالات الأخرى. القوائم متينة والأرجل صغيرة تنتهي بحوافر قرنية مجازة. يتحمل الجوع والعطش أكثر من أي سلالة أخرى ويتميز بعين سوداء واسعة ولامعة.

يتغذى من البرسيم والعشب والشعير والتبن ويستهلك من كل صنف ما بين 4-5 كيلو غرام في اليوم، وحفاظاً على صحته لا يقدم له العلف بعد العمل مباشرة ولا يشرب الماء مباشرة بعد الجهد. يساعده العلف المتزن على النمو السريع وغالباً ما يكتمل نموه ويلوغه بعد السنة الثانية من عمره إلا أنه لا يستعمل للنسل إلا بعد السنة الثالثة أو الرابعة ويعمر ما بين 25-30 سنة.

تدوم مدة الحمل 11 شهراً وتضع الأنثى مهراً واحداً تفظمه بعد خمسة أشهر والتوائم نادرة عند الخيل. يستطيع الصغير أن يقف على قوائمه بعد بضع ساعات من وضعه. ويمتاز الفرس السليم بالحوية والنشاط والمرح.

و الفرس حيوان عاشب غير مجتر، اتخذه الإنسان من أجل لحومه أولاً ثم دجنه ليقوم بخدمات مختلفة كالقلاحة والتنقلات وحمل الأثقال وذلك منذ ما يفوق خمسة آلاف سنة. ويعتبر تدجين الفرس مرحلة هامة في تاريخ الإنسان وذلك بتقليص المسافات التي كانت حاجزاً للمواصلات، وجر البضائع وحملها على العربات ونقلها، الشيء الذي أدى إلى إنشاء الطرق وتوسيعها والاعتناء بها. فالحصان كان بمثابة السيارة بالنسبة للوقت الحاضر.

تعرف للخيول المعاصرة عدة سلالات وضروب تنحدر كلها من نوعين : حصان طرمان أوكرانيا الوحشي Equus caballus gmelini الذي انقرض خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وحصان برجيفالسكي Equus caballus przewalskii poliakov الذي ما يزال يعيش بأسيا الوسطى وسهول منغوليا، وهو حصان سمين وقصير لا يتعدى ارتفاعه عند الفارب متراً ونصف. ويرجع تاريخ إدخال الحصان إلى الأراضي المغاربية إلى عصور ما قبل التاريخ.

تعرض الحصان الوحشي إلى عدة مضايقات من الإنسان عبر الزمن إذ بالغ في اصطباذه قصد التدجين وأكل لحومه مما أدى إلى انخفاض شديد في عدد أفراده ولم تبق إلا القلة القليلة من الفرس الوحشي في العالم.

وتسمى السلالات من الخيول عروق الخيل ومن أشهرها في العالم نذكر السلالة الآسيوية الأرية caballus Equus asiaticus وإليها ينسب الفرس العربي الأصيل والفرس المغربي اللذان يعدان من أجمل ضروب الخيل في العالم ومن أصلح الأفراس للركوب.

تقسم الخيول في علم الخيل الحديث إلى حوالي 200 سلالة تختلف من حيث شكل أطرافها (مستقيمة، محدبة، مقعرة)، من حيث القدر وطول القامة (كبيرة، متوسطة، قزمة) ومن حيث طولها جمعا بين الرأس والجسم (طوال، متوسطة، قصار).



نذكر من بين هذا التقسيم جبابرة الخيل أو الخيول الثقيلة التي تتميز قطعاً عن الخيول الخفيفة في أصولها، وهي خيول غربية الحجم أصلها في أوروبا وعلى الأخص أرض هولندا وبلجيكا وشمال فرنسا، ومنها الفرس الثقيل Ardennais منسل من آباء أوروبية وله قوة في الشد عظيمة وهو الذي ركب آباءه فرسان القرون الوسطى بما على أجسامهم من دروع فولاذية ثقيلة، والفرس الإنجليزي شاير Shire الذي يفوق علوه 180 سم، يتميز بوجود خصل من الشعر عند سيقانه ويتعدى وزنه ألف كيلو غرام. والجواد العربي الذي كان له أكبر الأثر وأوسع في تحسين أكثر أنسال العالم من الخيل، والفرس البربري والفرس التركي. ومن بين أقزام الخيل نذكر فرس بوهيمية وفرس اسلاندا وفرس الصين (Poney) وفرس فالابيللا Felabella الأرجنتيني الذي يقل ارتفاعه عن 75 سم. وهي خيول صغيرة القد وخفيفة الوزن، منها عدة عينات في مزاب الخيل وفي الحدائق الحيوانية العمومية المغربية، استوردت كلها من فرنسا.

وقد نشأت سلالة الفرس العربي الأصيل في شبه الجزيرة العربية ثم في اليمن وآسيا وأتى بها العرب إلى أفريقيا وبعدها إلى أوروبا وانتشرت حالياً في العالم أجمع. ويسمى الفرس البربري أو المغربي بالإنجليزية Barabary horse وبالفرنسية Cheval barbe وهو فرس من العروق الخيلية الصالحة للركوب وتحمل مشاق الفلاحة وصعود الجبال والجر والحروب. من الصعب تحديد تاريخ ثبوت العرق البربري الأصيل، ويرجع انحدار أصله إلى الخيول التي كانت تعيش قرب السواحل الليبية في القرن الحادي عشر قبل الميلاد والتي كانت تستعمل خاصة للحروب. ومنذ القرن السادس عشر الميلادي، أطلق عليه اسم الحصان البربري (cheval barbe = cheval de barbarie) نسبة إلى الشمال الأفريقي آنذاك.

وتعد السلالات المختلفة المعاصرة نتيجة انتقالات وتواصلات بين مختلف الضروب والأنواع قام الإنسان بتحقيقها عبر آلاف السنين. ويذكر التاريخ أن مدينة بابل (Babylone) عرفت عدداً كبيراً من الخيول المدجنة خلال القرن العشرين قبل ميلاد المسيح وبعد ذلك بحوالي ثلاثة قرون نقلت منها عدة وحدات إلى مصر. ومن خلال السلالات البابيلونية والمصرية ظهر الفرس العربي في الشرق الأوسط وشبه الجزيرة العربية والفرس البربري في شمال إفريقيا والفرس التركي في الشرق الأوسط. وقبل ظهور الإسلام، حافظ سكان أفريقيا الشمالية على السلالة البربرية واعتنوا بها وعودوها على تحمل المشاق مع استخدامها في عدة مجالات. ولما دخل العرب هذه المنطقة بعد الفتوحات الإسلامية، عرفت سلالة الفرس البربري عدة تواصلات مع سلالة الفرس العربي الأصيل وسلالة الفرس التركي مما أدى إلى ظهور عدة سلالات أخرى أثرت على

العرق البربري الذي لعب دوراً هاماً في ميادين الحروب عبر الفتوحات الإسلامية وغزو الأندلس وفي مهرجانات الفرس الشائعة في الشمال الأفريقي. لقد أكثر العرب من هذه السلالة ونقلوها إلى الأندلس وجنوب أوروبا ابتداء من القرن الثامن الميلادي، وإلى أوروبا الوسطى والجزر البريطانية خلال القرن الثاني عشر. وخلال القرن السابع عشر الميلادي بدأت علوم الخيليات تتطور على إثر تجارب التوصلات النسلية بين الفحول المغربية والعربية والتركية مع الخيول الفرنسية والبريطانية.

وقد أصبح العرق الإنجليزي الصافي (pur - sang anglais) يكون سلالة ثابتة في بداية القرن الثامن عشر بعد مرور قرن من التجارب، منذ سنة 1660 إلى سنة 1760 وكان من وراء هذا الانتقاء العرقي ما يزيد عن 200 قحل من أصل عربي وتركي وبربري أشهرها الخيول الإنثا الإنجليزية الأصيلة والفحل البربري الأصيل جولدافين (Goldaphinbarb) والفحل العربي الأصيل دارلي (Darley arabian) والفحل التركي بييرلي (Beyerley turk). تعد هذه السلالة أسرع السلالات في السباق وتستعمل أيضاً في الصيد الجماعي. تلقب السلالة الإنجليزية بالفرس الصريح أو الكريم أو العتيق وقد اعتنى بها المربون وأكثرها منها مما جعلها شائعة في العالم لكثرة الإقبال عليها في سباق الخيل.

أدى ولع المغاربة وشغفهم بالفرس البربري، خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين، إلى تأسيس المنظمة العالمية للفرس البربري سنة 1987 بالجزائر العاصمة، نتج عنها ارتفاع عدد الخيول البربرية بعد أن عرف انخفاضاً ملموساً على الصعيد الدولي.

ويستعمل الفرس المغربي في ميادين الفلاحة والجر والركوب والسفر والحمل في القوافل التجارية. استعمل الفرس أيضاً في جميع الحروب وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة العاديات التي تصف الخيل وهي تعدو في الغزو وتصيح وتوري النار بحوافرها ليلاً إذا سارت في الأرض ذات الحجارة، وتشير غباراً بشدة حركاتها. ولخص الشاعر امرؤ القيس وصف سير الفرس قائلاً :

مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلود صخر حظه السيل من عل  
وقال المتنبي :

أعز مكان في الدنيا ظهر سابع وخير جليس في الزمان كتاب  
وقال رسول الله (صلم) : "علموا أبناءكم السباحة  
والمسابقة وركوب الخيل".

أحب المغاربة الخيل منذ فجر التاريخ وجعلوا من الفرس حيواناً في خدمة الإنسان واعتنوا به واعطوه مكانة عظيمة وقاموا بتدريبه وترويضه، كما أن معظم الشعراء نظموا أبياتاً عديدة تدعو إلى العناية والرعاية لهذا الحيوان الذي لعب دوراً هاماً في مختلف الميادين لإرضاء ورغبات الإنسان. ولعل "لعب البارود" (fantasia) الذي تمتد جذوره

إلى زمن الحروب، والذي يسعى المغاربة إلى المحافظة على طابعه الروحاني، لخير دليل على مدى تشبثهم بهذا التراث الأصيل الذي أصبح يصاحب كل الحفلات الدينية والوطنية في مختلف مناطق المغرب.

في سنة 1912، أنشأت مصالح الحماية ما يسمى آنذاك بالمؤسسات الخيلية بكل من تمارة ومكناس، وبعد ذلك بقليل، بالمجديدة ووجدة ومراكش، حيث تم إيداع فحول مختارة بهذه المرافق قصد تشجيع إنتاج الخيول التي كانت تعزز صفوف الخيالة (cavalerie). وفي سنة 1947 أدمجت هذه المؤسسات في قطاع الفلاحة حيث سميت "مرايط الخيول الوطنية" واحتفظ بهذا الاسم إلى بداية التسعينيات حيث سميت بالحريسات الوطنية (Haras nationaux). تتجلى مهام هذه المؤسسات في وضع الفحول المنتقاة رهن إشارة مربّي الخيول قصد تكثيف الإنتاج وتحسينه. ومن أجل هذا الغرض فإن الحريسات الوطنية تتوفر على فحول من سلالات متعددة كالعربي الأصيل والبريري والأنجليزي الأصيل والعربي البريري وخبول الجر وكذلك الخيول البغلية (baudets). وعدد هذه الحريسات خمسة : مراكش، المجديدة، بوزنيقة، مكناس ووجدة، تؤطر ما يقرب من 80 محطة موزعة عبر التراب الوطني وهدفها تجويد النسل لعروق الخيل بالمغرب.

وتعتني هذه المؤسسات أيضاً بإحصاء ومراقبة الإنتاج وتوجيه مربّي الخيول، كما أنها تسهر على مسك دفاتر الأنسال stud book وتنظم في أغلب مناطق المغرب مباريات تشجيعية للخيول المتوفرة على بطاقة النسل وقد شركت سباق الخيل بالدعم التقني.

وتوجد بالمغرب مؤسسة تسهر على تنظيم سباق الخيول وهي الشركة الملكية لتشجيع الفرس والتي تشرف على أربع شركات مقتنة لسباق الفرس مقرها في الرباط والدار البيضاء وسطات والمجديدة، وعلى ثماني شركات غير مقتنة توجد في كل من وجدة وفاس ومكناس وخبيفة والقيظرة والحفيسات ومراكش وأكادير. تنظم الفئحة الأولى سباقات لسلالات الفرس العربي الأصيل والأنجليزي الأصيل والعربي الأنجليزي. أما الفئحة الثانية فتختص في سباقات العربي البريري. وفي ما يلي جدول لعدد الخيول المشاركة في مختلف السباقات :

عدد المشاركين في السباق	عدد الأفراد	السلالات
1000	2000	عربي أصيل
1500	3000	أنجليزي أصيل
150	300	عربي أنجليزي
3000	5000	سلالات أخرى

وتوجد في المغرب أيضاً مؤسسة تسهر على تنظيم

مباريات في الفروسية العصرية كالقفز على الحواجز والترويض. ينضوي تحت هذه الجامعة 37 نادياً للفروسية توجد بمختلف أقاليم المملكة. تشارك في هذه المباريات خيول من نوع خاص، غالباً ما تكون هجيناً بين عدة سلالات معروفة باختصاصها في القفز.

يتراوح عدد الخيول في المغرب ما بين 150000 - 200000 فرداً كما يوضح ذلك جدول إحصائيات الخيل في المغرب مع المقارنة بعدد الجمال والحمير والبغال. ومن الملاحظ أن عدد البغال يفوق بكثير عدد الخيل ويرجع هذا إلى قلة استعمال الفرس واستبداله بالبغل الذي يتحمل أكبر المتاعب في البوادي والجبال.

1987	1986	1985	1984	
188.615	172.347	173.230	152.501	الخيول
523.770	493.898	474.684	448.835	البغال
854.125	785.037	741.421	707.473	الحمير
40.778	37.421	39.951	41.108	الجمال
1993	1992	1991	1988	
162.300	185.622	191.400	197.600	الخيول
525.900	528.426	529.100	511.262	البغال
904.500	981.593	919.400	904.109	الحمير
-	38.845	-	35.597	الجمال
1997	1996	1995	1994	
145.100	155.700	161.600	165.100	الخيول
515.900	522.800	539.700	527.000	البغال
949.200	918.600	953.700	915.900	الحمير
-	-	-	-	الجمال

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، لبنان، ط. 3، 1988. أ. الملسوف، معجم الحيوان، القاهرة 1932 : أ. زكي، في سبيل موسوعة علمية، ط. 6، دار الشرق، 1994 : علم النباتات والحيوانات، الموسوعة الحديثة، الجزء 7 سيلكا سورسرا، 1990 : م. رمضان، البغل في المغرب، الموسوعة المغربية، الجزء 5، 1996.

Direction de la statistique, Effectif du cheptel et des animaux de trait. Annuaire statistique du Maroc, 1989, 1996 et 1998. Rabat ; Encarta, Encyclopédie microsoft. 1997 ; E.J. Roux, Le cheval barbe. 1987 ; N. de Bolomac et D. Bogros, L'arabe, premier cheval de sang. 1978, Ph. Ploquin et F. Peuriot, Les chevaux du royaume, 1990 ; J. Kidd, L'élevage des chevaux et des poneys, Paris, 1977 ; E. Hartl Y Edwards, Races et types de chevaux, Paris, 1977.

محمد رضاني

المغرب من أنواع الحيوانات الأليفة والنباتات كان مصدره الشرق الأوسط.

وقد ذهبت بعض الآراء التوفيقية إلى أن المغرب عرف بعض أنواع الحيوانات (دواب ومواشي). لكنها لم تكن فلاحية بمعنى أنه ليس لها مردودية اقتصادية ( الفلاحة المغربية في العصر الوسيط *L'Agriculture à travers les âges* ) لكن الكثير من الاكتشافات والوقائع والنصوص تكذب هذه الآراء (العبر، 6 : 224، 225) فالتدجين كما أشرت أنفا ليس عملية واحدة في الزمان والمكان وليست عملية نهائية. وبناء على ذلك وعلى تجارب ملموسة فإنه لا يمكن إنكار دور المغرب في تدجين بعض الحيوانات على أرضه ومنها الخيول، بدليل أنه - وإلى يومنا هذا - يحدث في أوقات الشدة والجفاف التخلف عن الكثير من الدواب فتتهيم على وجهها وتصبح متوحشة وعندئذ يحتاج تدجينها إلى مهارة الإنسان في صيدها وترويضها وتربيتها. ومن هنا يمكن القول إن الخيول التي عرفها المغرب وخاصة منها النوع البريري قد دجنت انطلاقاً من المراعي والمروج الجيدة التي اجتذبت أعداداً منها ؛ وليس غريباً أن نجد تطابقاً في العصر الوسيط ما بين المناطق التي اشتهرت بإنتاج الخيول وبين غناها بالمراعي والمروج الخضراء ذات المناخ الملائم لتربية الخيول وإنتاجها طيلة السنة (البكري، المغرب، ص.

\*\* يعود تدجين الخيل إلى العصر الحجري، إلا أن عملية التدجين الأولى لا يعرف مكانها بالتحديد، والغالب أن الموطن الأصلي الذي دجن فيه الفرس وأصبح في خدمة الإنسان هو بلاد الرافدين وبالتحديد في عهد ازدهار الحضارة الآشورية ( قصة الحضارة *Peuples et civilisations* ) ؛ على أنه لا ينبغي أن يفهم من عملية التدجين أنها عملية واحدة تمت في المشرق ومنها تناسلت الأنواع الموجودة مثلاً في العصر الوسيط، بل إن الإنسان قام بعمليات التدجين للفرس ولكثير من الحيوانات الأخرى في مناطق متفرقة وعلى امتداد تاريخ طويل، وقد يكون الفرس المدجن في بلاد الرافدين انقرض بعد العصر الحجري أو عاد إلى توحشه بعد تغير المعطيات البشرية والظروف الطبيعية. ومن المحتمل جداً أن يكون الفرس المغربي الأصيل الذي عرف في العصر الوسيط الأدنى بالبريري (وصف إفريقيا 2 : 167، 170، 262، 263) ؛ أو بارب Barb (إفريقيا، 1 : 71، 72) من المحتمل أن يكون منحدرًا من نوع مدجن في الشام أو في شبه الجزيرة العربية، وأدخلته الهجرات الأولى التي قامت بها الشعوب القديمة نحو الشمال والغرب (p. 71 planche B, *La Grèce et l'Orient*). إذا ما سلمنا باستيراد الخيل إلى المغرب وبياسقي الحيوانات الأليفة الأخرى فإن ذلك معناه أن كل ما عرفه



90 : الاستبصار، ص. 187 : وصف إفريقيا، 2، 166،  
263، 262 : إفريقيا، 1 : 71 و72).

لم تهتم المصادر التي أوردت أخبار المغرب الوسيط بأنواع الخيول عدا مصدر واحد هو كتاب المغرب للبكري، فقد ذكر خيولا سماها الخيول الحميدية نسبة إلى بني حميد وهم فرع من قبيلة بني حسان الغمارية، وذكر صاحب الاستبصار خيول بني فازاز : وحتى إشارات كتب المسالك والممالك عن صادرات المغرب إلى المشرق ومنها الخيول العرب ( الأعلق النفيسة، ص. 40 ) لا تفيدنا كثيرا في الموضوع فلا نعرف هل الأمر يتعلق بأنواع متميزة أم بتربية جيدة لأنواع معروفة خاصة وأن المنطقتين المذكورتين : بنو حسان وبنو فازاز هي المناطق الوحيدة المشهورة بإنتاج الخيول في المغرب طيلة العصر الوسيط.

ولم يذكر الحسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا وهو مصدر متأخر كثيرا عن البكري وصاحب الاستبصار الخيول الحميدية، ولكنه ميز بين نوعين من الخيول المغربية :  
- النوع البربري والذي قال إنه معروف في أوربا باسم Barb بارب.

- النوع العربي الذي دخل بشكل محدود مع الفاتحين المسلمين.

أما الوجود القوي المؤثر للنوع العربي فيرجع إلى العهد الموحي ( أثر القبائل العربية على الحياة المغربية ) حين نزحت القبائل العربية الهلالية وتم إنزالها في عهد يعقوب المنصور بسهولة دكالة وتامستا والمغرب ؛ ورغم أن التأثيرات الهلالية والمعلقية كانت أعمق في خلق تقاليد جديدة وأساليب متطورة في تربية الخيول ومعرفة أنواعها واستعمالاتها فإن أعدادها بقيت محدودة ؛ أما البربري أو "البارب" المنتج في جبال غمارة وجبال فازاز وسهول الهبط والمغرب فالحسن الوزان نفسه وفي معرض حديثه عن قبيل بني حميد في جبال غمارة (الريف) لم يذكر إنتاجا للخيول بل ولم يشير إلى وجود خيول جيدة في المنطقة مما يعني أن النوع المحلي (بارب) كان قد انتشر في المغرب وخارجه واختلط بأنواع أخرى ففقد اسمه المرتبط ببني حميد وبني فازاز (المغرب، ص. 90 : وصف إفريقيا، 1 : 262-263).

وأهم مناطق إنتاج الخيول في المغرب خلال العصر الوسيط هي جبال غمارة ومنطقة الهبط وأزغار، وبالذات عند بطن نقاوة من فرع بني حميد من قبيلة بني حسان المصمودية (الحيل الحميدية) اشتهرت بجودتها داخل المغرب وخارجه (البكري، المغرب). أما جودة الإنتاج وشهرته فتعود بالأساس إلى خبرة بني حميد وإلى مجالها الطبيعي الذي كان مجالا شاسعا ومتنوع التبييت والمناخ يوفر المراعي والمروج والطقس الملائم على مدار السنة، فابن خلدون ذكر أن مجال قبيلة بني حسان الغمارية - التي من فروعها : بنو حميد - يمتد على طول الساحل الأطلنטיكي من وادي لكوس إلى نهر أبي رقراق ( العبر، 6 : 211 ). ومن المعروف أن

الخيول لا تتحمل الطبيعة الجبلية في الشتاء، فكان الحميديون يرسلونها إلى المراعي السهلية الدافئة والمروج الدائمة الخضراء في فصل الشتاء وفي فصل الصيف عندما ترتفع درجة الحرارة وتنتشر حمى المستنقعات يرسلون خيولهم إلى المراعي الجبلية الخصبة والمعتدلة المناخ في جبال غمارة - الريف ( الاستبصار، ص. 187 ).

إنها خصائص محلية ومميزات مناخية وطبيعية جعلت شهرة تلك الخيول تطبق الأفاق (البكري، المغرب) وتصدر طيلة العصر الوسيط خارج المنطقة وخارج المغرب باتجاه الأندلس والسودان، ويرسلها الملوك هدايا إلى ملوك الأندلس وأمراة وأمرء إفريقيا وملوك مصر وغيرها.

المنطقة الثانية لإنتاج الخيول في المغرب الوسيط : جبال فازاز - الأطلس المتوسط والجزء الشرقي من الهضبة الوسطى - هذه المنطقة مشابهة في طبيعتها ومناخها لجبال غمارة فكانت قبيلة فازاز تنتجع بمواشيتها وخيولها سهل أزغار في فصل الشتاء، أي أنهم زاحموا بني حسان في مشاتهم، وتستفيد خيولهم من المراعي الجبلية الخصبة والمعتدلة صيفا ( الاستبصار، ص. 187 : الروض العطار، ص. 435 ) إذ أهمية الإنتاج في هاتين المنطقتين ومثيلاتها في جبال الونشريس بالمغرب الأوسط هو الذي يفسر إصرار الخليفة الموحي عبد المومن إلى غزوها وهو في بداية أمره، وحتى قبل تثبيت حكمه، أي أن المخزن الموحي أراد بذلك ضمان تزوده بالخيول ووضع يده على أهم مناطق إنتاجها، ولا تخفى على أحد الأهمية الإستراتيجية التي تكنسها الخيول في أية دولة سواء وقت السلم أو الحرب ( أخبار المهدي، ص. 50، 51، 52 : نظم الجمال، ص. 262 ).

تلك الخصائص الطبيعية والمميزات البشرية في مغرب العصر الوسيط التي أعطت للإنتاج المغربي للخيول أهمية كبرى ونوعية ممتازة ستتغير في عهد الخليفة الموحي يعقوب المنصور، فتوطينه للقبائل الهلالية في سهول دكالة وتامستا وتادلا وأزغار والهبط أضرت كثيرا بالمنطقة ؛ فبعد ضعف المخزن الموحي لم تعد تلك القبائل منضبطة فاكنتحت أراضي القبائل البربرية وحرمتها من مشاتها، إضافة إلى استفحال الاضطرابات وسيادة الخوف وجو الحرب ؛ فكان لهذا الوضع الجديد أثره الكبير على إنتاج الخيول البربرية قبل أن تصعب القبائل الحسانية والفازازية عاجزة بالمرّة عن الإنتاج حتى إن الأجيال اللاحقة نسيت تقاليد أسلافها وخبرتهم في ميدان إنتاج الخيول. ومما يؤكد ذلك أن المصادر المتأخرة (ق. 16 م.) لم يرد فيها أي أثر لذلك الإنتاج (وصف إفريقيا، 1 : 252)، (إفريقيا، 2 : 255)، فأهمية المروج - (أكدال) - أساسية في تربية الخيول وإنتاجها، وسيطرة القبائل الهلالية على أزغار والهبط مكنتها من هذه المعطيات فانتقل بذلك دور إنتاج الخيول وتربيتها إليها فكان ذلك من أسباب قوتها وهبتها (البيان، ص. 142 و296 : القرطاس، 395 : المن بالأمامة،

لا يتطلبه من عناية وتكاليف إضافة إلى ثمنه المرتفع، لذلك تركز امتلاك الخيول في أيدي القادرين عليها وفي طبليعة هؤلاء المخزن والأمرء والأعيان وكبار التجار وشيوخ القبائل وأتباعهم وأعاونهم ؛ فركوب الفرس وامتلاكه والتنقل بواسطته في غير أوقات الحروب يعتبر مؤشرا على ارتفاع في المستوى الاجتماعي (المسند، 143 : القرطاس، 395 : العبر، 7 : 226 : المقدمة، 268)، وتجريد المخزن لقبيلة من خيولها يعني القضاء وإذلالها إذ تنزل إلى مرتبة غمار الناس (الاستقصا، 5 : 97 - 98) ؛ وابتداء من أواخر العهد المريني أصبحت الخيول تجس في سبيل الجهاد، وأصبح الناس يشتركون في فرس واحد أو رمكة، مما يدل على الارتفاع الكبير في أئمتها (المعيار، 8 : 78 - 81 : فتاوى ابن رشد).

ونتيجة لتراجع المناطق الزراعية في السهول وانحسارها في باقي المناطق أواخر العصر الوسيط، انتشرت تربية الخيول في مناطق غير ملائمة لها، فأعطت خيولا أقل جودة إلى رديئة، فكان الحسن الوزان أكبر شاهد على هذا التفهقر وسجله بدقة في معرض حديثه عن القبائل والجهات والمدن وأشار إلى أن الخيول الجيدة كانت محتكرة من شيوخ القبائل وخاصة القبائل العربية حتى إن المخزن الوطاسي كان مضطرا للاعتماد عليها في حروبه وغزواته (وصف إفريقيا، 1 : 126 و 128 : الاستقصا، 4 : 118 - 119 و 153 وما بعدها).

استخدمت الخيول في مجالات متعددة وأغراض مختلفة طبليعة العصر الوسيط، لكن الاستغلال الأكثر شيوعا الذي اهتمت به المصادر أكثر من غيره هو استخدامها في الحروب والتنقل، فالخيول هي أحسن وسيلة للسفر البري غير أنها لم تكن في متناول الجميع، بل اقتصر هذا الاستغلال على المخزن وأعاونيه، وعلى الفئات المسورة ؛ وبحسب استغلالها واستخدامها كانت الخيول تربي وتروض، فالخيول المعدة للحروب يتم تدريبها تدريبا خاصا وإعدادها حسب فنون القتال، فخيول المبارزة غير خيول الهجوم وهذه ليست خيول الكر والفر أو الإغاثة إلى غير ذلك من فنون القتال وألوانه ؛ وهذه الخيول لا يدخل ركوبها في الصنف الذي يكسب الأبهة والمكانة الاجتماعية الراقية، إذ الشرط الوحيد لركوبها أن يكون الشخص فارسا شجاعا ومحاربا ماهرا لا يدخل في ذلك نسبه وحسبه ولا لونه، وتدريب خيول الركوب على الأسفار أو على التجوال داخل المدن وخارجها، أما الخيول الخاصة بالصيد والمطاردة وخيول السباق وخيول البريد والرسل فتدريب تدريبا خاصا.

- خيول السباق والصيد والبريد المستعمل : تعتبر هذه الأنواع من أسرع الخيول ويتم تدريبها وترويضها لهذا الغرض وتعرض على التجربة والامتحان وأصعب امتحان لها هو مسابقة حيوانات النعام واللمط ومطاردتها ؛ فإذا تمكن راكبها من صيد تلك الحيوانات على فرسه عد من أسرع الخيول وكان ثمنه مرتفعا.

إشارات المصادر الوسيطية إلى إنتاج الخيول قليلة، ولعل ذلك راجع لمحدودية المناطق المنتجة - كما رأينا -، لكن حديثها عن امتلاك الخيول ووفرته كان أكبر، وبمنظرة سريعة إلى أعداد الفرسان الواردة فيها والتي شاركت في مختلف الحروب، وكذا الإشارات إلى أعداد خيول الغنائم، تعطينا فكرة تقريبية عن حجم الخيول في البلاد وتقلبات أعدادها ؛ على أن ذلك لا يمنعنا من القول إن إنتاج الخيول وتربيتها وامتلاكها كان قليلا جدا إلى بداية عهد الدولة المرابطية والمرابطية، فالمرابطون في بداية أمرهم حاربوا على الإبل وراجلين (الحلل المرثية، ص. 21 : المغرب، ص. 166 : العبر، 1 : 268)، ولم تكن للموحدين في بداية دعوتهم خيول إلا ما غنموه من الحروب والغزوات ضد خصومهم من المرابطين وغيرهم (أخبار المهدي، 32 ؛ نظم الجمان، 242 : المن، 158 و 331 و 348 و 349)، فحاجة الدولتين الناشئتين إلى الخيول دفعتهما للإسراع بفتح مناطق إنتاج الخيول : غمارة، فازاز في المغرب الأقصى، وادي شلف وجبال الوثريس في المغرب الأوسط.

استمر الخصاص وقلة الخيول طيلة القرون الوسطى لاستمرار تزايد الطلب وبسبب استمرار الحروب وتعدد الجبهات، فالعرض ظل دائما أقل بكثير من الطلب، ويضاف إلى هذا العامل عامل الرفه وتحسن المستوى المعاشي النسبي للسكان خاصة في العهدين المرابطي والمرابطي فكانت الفئة المترفة تقتني الخيول الفارهة خاصة في فترات الازدهار والاستقرار السياسي، مما جعل أئمتها ترتفع وتصبح أحسن هدية يقدمها المخزن المغربي لأصدقائه وضيوفه وأعاونيه (العبر، 7 : 226 : المسند، 452 - 453 : الاستقصا، 1 : 217 و 219 : 3 : 128 - 129).

ورغم مجيء القبائل العربية - هلالية ومعقلية - إلى المغرب وإدخالها لأنواع جديدة من الخيول والتقاليد المتطورة في تربيتها فإن التفاوت الكبير بين العرض والطلب استمر في الاتساع، بل إن أعداد الخيول المنتجة والمرباة بالمغرب تضاعفت أكثر ابتداء من العهد المريني المتأخر والعهد الوطاسي حتى أصبح امتلاك الفرس رمزا للقوة والجاه عند الأفراد والجماعات. فالقبيلة المتوفرة على أعداد من الخيول والفرسان تكون في مأمن من أطماع الخصوم، ولا تخضع للمخزن أو لقبيلة أخرى في هذه الفترة التاريخية.

وقد عايش الحسن الوزان هذه الوضعية وتتبعها بدقة في كتابه وصف إفريقيا فأشار إلى الأئمة الخيالية التي بلغت الخيول المصدرة من المغرب إلى السودان، وقارن بينها وبين أسعار الخيول في أوروبا (وصف إفريقيا، 2 : 262 - 263، 166، 170) ؛ ويدل أن يكون هذا العامل محفزاً للزيادة في الإنتاج كان عاملا سلبيا إذ شجع على تهريب الخيول وسرقتها (المعيار، 8 : 78 و 81 ؛ وصف إفريقيا، 1 : 170)، ولم يعد امتلاك فرس في متناول الفئات المتوسطة من الناس

- خيول النقل والجر وخيول الحمل : خيول النقل خاصة بركوب الأشخاص وتنقلهم من مكان إلى مكان في الأسفار القصيرة والمتوسطة وترعى لهذا الغرض وهي في ملكية أصحابها ومنها التي تكترى للسفر وفق شروط معروفة، أما خيول الجر وخاصة جر العربات فلم تكن مستعملة في المغرب الوسيط رغم أن استعمالها كان شائعا في الكثير من الحضارات القديمة ومنها الحضارة الرومانية، وقد استعملها الرومان في المغرب ؛ ووردت في المصادر الوسيطة إشارات قليلة عن استخدام الخيول لجر الأخشاب والصخور والأحجار الضخمة المستعملة في البناء، وجر المحارث واستعملت الخيول لحمل المحفة وهي وسيلة خاصة بتقل الملوك وكبار رجال الدولة في الأسفار البعيدة وخيول المحفة مدرية تدريبا خاصا، أما خيول الحمل (الحمالة) المستعملة لحمل البضائع وسائر الأثقال على ظهورها فهي خيول غير جيدة وغالبا ما تكون مسنة أو أعفيت من خدمات أخرى تعرف بالبراذين (الوزان، وصف، 185 و187).

لا تتحمل الخيول البرودة والحرارة الشديدة، فالرمال الصحراوية الحارة والأراضي الشديدة الحسونة تضر بحوافرها فتعجز عن الركض وأحيانا حتى عن السير العادي قبل أن تهلك ولا يمكنها أيضا الجري والركض بصفة متواصلة وبكامل طاقتها إلا لمسافة محدودة تتراوح في المعدل ما بين ثلاثين إلى أربعين كيلومتر في مناخ معتدل، فالنتيجة بالخجول وإعدادها يختلف باختلاف الخدمات المطلوبة منها، فمثلا لإعداد الخيول لمهام تبذل فيها طاقة وجهد كبير يجب أن تعلق ليلة القيام بالمهام المذكورة ؛ وتلافيا للنزاع حول الخيول وللسرقة، ولحماية مصالح المخزن والمحافظة على هيبته، اختص المخزن والفئة الحاكمة بنوع معين من الخيول الفارسة، مميزة إما بلونها أو بسلالتها، إضافة إلى وضع علامات خاصة عليها بواسطة الكي (التشوف، 403 ؛ المعيار، 7 ؛ 958، 104، 181 - 182 و185 ؛ فتاوى، 1، 313 ؛ كتاب الفلاحة لابن العوام) واختصت الخيول المحبسة بعلامة خاصة، واتباع الخواص الطريقة نفسها فعملوا خيولهم ووسموها.

ع. ابن خلدون، العير... بيروت ؛ ع. البكري، المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، الجزائر، 1911 ؛ مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، الاسكندرية، 1958 ؛ حاج صادق، صفة المغرب وأوروبا في ق. 9/3... الجزائر 1949 ؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، بيروت، 1957 ؛ أ. البسدي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحديين، الرباط، 1971 ؛ أ. الناصري، الاستقصا، البيضاء، 1954، 1955 ؛ ابن القبطان، نظم الجمان، تطوان ؛ ابن أبي زرع، القوطاس، الرباط، 1972 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، تطوان، 1960 ؛ مجهول، الحلل المشوية، البيضاء، 1979 ؛ ابن مسروق، المسند الصحيح... الجزائر 1981 ؛ أ. الونشريسي، المعيار المغرب، بيروت، 1981 ؛ م. ابن رشد، فتاوى، سرت، 1987 ؛ ابن العوام، كتاب الفلاحة ؛ القلقشندي، صبح

الأعشى، القاهرة، 1919 ؛ الجاحظ، كتاب الحيوان ؛ الدميري، كتاب الحيوان ؛ ابن وحشية، الفلاحة النبطية، مصورة فرانكورت ؛ ابن حوقل، صورة الأرض، لندن، 1938 ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نابولي، إيطاليا ؛ ابن صاحب الصلاة، كتاب المن بالإمامة... ؛ ابن عذاري، البيان، البيضاء، 1983 ؛ مسورانت، 3878 دليل ديسرصة الحضارة (مترجم)، القاهرة، 1956 ؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1980 ؛ مارمول كرخال، إفريقيا، الرباط، 1984 ؛ م. الطويل، الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، مرقون كلية الآداب بالرباط ؛ مصطفى أبو ضيف، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية، البيضاء، 1986.

R. Grand, *La Grece et l'Orient*, Paris 1964 ؛ *L'agriculture à travers les ages...*, Paris, 1950 ؛ Martin, *Géographie du Maroc*, Casablanca, 1967 ؛ *Encyclopédie peuples et civilisations*.

محمد حجاج الطويل

**الخيمة**، من أقدم أنواع المسكن في المغرب، إنها النوع الأكثر استجابة للتنقل كيفما كانت طبيعة السطح وكيفما كانت أحوال الطقس والمناخ، وهي قطعة نسيج سوداء في الغالب مكونة من عدة أفلجة متراسة ومن أطراف وركائز.

يتكون هذا النسيج في الأطلس من شعر الماعز وقليل من الصوف. وفي السهول الغربية عامة، يتكون من وبر الجمال وشعر الماعز، والليف. أما في الشرق والصحراء فإن اللون يكون فاتحا وتكون الخيام أقل حجما وأكثر انخفاضا. عند بناء الخيمة، لا يصل سطحها إلى الأرض، الفجوة الفارغة بين السطح والأرض (تتراوح ما بين 3 و6 أمتار) هي التي تشكل مجالها الداخلي وفنائها، حيث يقل الارتفاع وتنحصر المسافة نحو الأطراف الجانبية من الداخل (ما بين متر ومترين).

وتنقسم الخيمة إلى قسمين (ركنين)، يصل بينهما فاصل يمتد بين الركيزتين الحاملتين للحمّار ويدعى هذا الفاصل "بالرّحل"، يحتوي في الغالب على صندوق خشبي، توضع فوقه مجموعة من الأعطية. ومكحلة غالبا ما تربط بالركيزة حتى تكون في المتناول وحتى ترى لكل زائر. قسم (ركن) يكون مخصصا للرجال وللضيوف لذلك يكون الأكثر نظافة ومفروشا بأحسن الأفرشة والوسائد، أما القسم الثاني فيكون مخصصا للنساء وللطيخ، يحتوي على كانون (حفرة محاطة بثلاث قطع من الحجر : أثنافي) ورحى وأواني خزفية... وفي بعض الأحيان يعنى فيه بحدِيثِي الولادة من الغنم والبق...

ولتفادي أي سيول مفاجئة، تحاط الخيمة بخندق صغير يحول المياه إلى أبعد، وغالبا ما تبني الخيمة على تل أو أكمة. ولأسباب أمنية، كانت الخيام تبني على شكل دائرة أو دوار، ويخصص المجال الذي تحيط به الخيام لمبيت الماشية، وغالبا ما يحيط بدوار الخيام سياج (زريبة) من

بأشكال هندسية متناسقة، قد تكون بالأبيض والأسود أو بالألوان، وهي القطع التي تشد الخيمة إلى الأوتاد.

4- العمود (Perche)، قطع من خشب مصقول، أكثر عرضاً في الأعلى، تحمل أطراف الروابع نحو الأعلى، عددها بعدد الأوتاد. أما الركيبتان الداخيلتان، فتكونان أكثر طولاً وأكثر متانة، لأنهما تحملان الحمار (poutre faitiere)، وتحافظان على رسو الخيمة وتوازنها.

5- الطرنيكة (Triga) : شريط منسوج بشكل مزخرف، تشبه (الرابعة)، إلا أنها أكثر متانة وعرضاً (من 20 إلى 40 سنتمتراً). تمتد من الوند الخلفي إلى الوند الأمامي، على شكل قوس مرورا وسط الخيمة فوق الحمار، ومن فوقها تمر الفلوج.

6- المسَاعَدُ (ج. مسعود) ويسمى كذلك خُرْبُ (crochet de bois)، وهي فروع خشبية، وتصلح لربط الرابعة بالطارفة (7).

7- الطارفة (ج. طوارف) حبال من صوف وشعر، تشد المسعود إلى الوند، وفي حالة النقص في عددها تعوض بحبال عادية أو بحبال من الدوم.

8- السَهْوَةُ : المكان الفارغ بين الفراش والواجهة الأمامية للخيمة أو الجوانب.

9- الخالفة (ج. خوالف) : وهي الأركان (الزوايا) الأربع للخيمة.

10- الرُقَافَةُ (ج. رُقَافِة) (Couverture des bas-cotés) : قطع نسيج تغطي الخيمة من جانبيها. في فصل الصيف تفتح الجوانب برفع الرفايف إلى أعلى لتوليد تيار هوائي داخل الخيمة. أما في فصل الشتاء، فتضاف إلى الرفايف من الداخل ستائر من القصب البري أو من قصب القمح (الخص) لتقوية الرفايف والحماية داخل الخيمة من تسرب الرياح.

11- الأوتاد (ج. وتد) : وتكون من حديد أو من خشب، وتندق في الأرض بواسطة مطرقة كبيرة تسمى الرزامة. والأوتاد عنصر أساسي لبناء الخيمة ولشدها إلى الأرض.

12- الركن : وهي الجهة الممتدة من وسط الخيمة إلى جانبها، وعليه فللخيمة ركنان : أمين وأيسر.

13- الفلقة أو الكفا (الكفاء) : وهي كساء يطرح حول الحياء كإلزار له، ولكل جهة أمامية أو خلفية من الخيمة فلتان يشدان إلى ثنية الفلوج بنظام محكم للعقد أو بإبر غليظة تسمى (الخلال).

14- وقد تعوض بالمخيط.

15- عندما تحدث العواصف، أو تهب رياح قوية، تُشدُّ الخيمة إلى الأرض بحبلين، يشد كل واحد منهما

الأشواك أو غيرها (سدرة - عصف - أغصان...).

وتقاس قيمة الخيمة بحجمها وبتمام أجزائها ويتناسق وحداتها وألوانها... وانطلاقاً من هذه المقاييس هناك نوعان من الخيام :

- خيام العزيب والسكن : خيام نفعية، أقل حجماً، ولا تتوفر في الغالب على كل المكونات...

- خيام الأفراح والمواسم : لا تستعمل إلا في المناسبات، خيام أكبر حجماً، غالباً ما تتوفر على معظم الأجزاء...

وشكلت الخيام نوع السكن الأكثر إنتشاراً في المغرب إلى غاية التدخل الاستعماري، حتى إن المعطيات الاحصائية الخاصة بالسكن أو السكان غالباً ما كانت تتم بالخيمة أو بالكانون، وهو المصطلح المرتبط بركن الخيمة.

ففي سنة 1934، مثلاً كان توزيع السكن بدائرة "وادي زم" على الشكل التالي :

بيوت	مشته	نواله	خيام
2.363	188	2.415	12.347

أما في "هضبة أولاد عبدون" فكان توزيع السكن سنة 1936، على الشكل التالي :

بيوت وأكواخ	نوالات	خيام
413	1.101	5.937

وإذا كانت الخيام قد حافظت على شكلها التقليدي، فإن وظيفتها قد تراجعت بشكل كبير، فاسحة المجال بذلك لأنواع سكنية جديدة، ويعبر هذا التراجع في نفس الوقت عن مدى التحول الذي عرفته الهياكل التقليدية منذ عهد الحماية.

1- الفلجة أو الفليج (Flij) : شريط تتسجه النساء من الصوف والشعر، يصل عرضه إلى ستين سنتمتراً تقريباً، طوله طول الخيمة (من 6 إلى 20 متراً). وتتكون الخيام المتوسطة من 7 إلى 8 فلوج، بينما تتكون الخيام الأكبر من 12 فليجاً.

ويحيط بالفليج من الأطراف (شارب)، وهي طية من الحواشي سواء باتصال فلجة بفلجة أخرى أو باتصالها بالرفافه حتى لا تتمزق أو يحل نسيجها.

2- المشل : خيط متين يربط بين فليج وآخر، وهو نظام للعقد أو للخياطة للربط المحكم... وعند القطرات الأولى من المطر، ينتفخ النسيج فتتغلق ثقوب الربط ولا يتسرب المطر نحو الداخل.

3- الركبعة (ج. روابع) : وهي قطع طويلة، منسوجة

وسط نصف الخيمة من الأعلى بالموازاة مع الطريكة،  
ويحلمان إلى الأوتاد الخلفية والأمامية.  
أندريه، باكار، المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في  
العمارة، مجلد I، أتوليبه 1974.

E. Laoust, *L'habitation chez les transhumants du Maroc central*, I, *La tente et le douar*, Hesp., TX, 1930 ; S. Nouvel, *Nomades et sédentaires au Maroc*, Paris 1919.  
صالح شكاك

\* \* وتطلق الخيمة، أو الكانون بالبادية المغربية على ما  
يستخدم عليه حالياً بالأسرة الممتدة. وتتميز أساساً بالعيش  
تحت نفس السقف (تعلق الأمر بخيمة في المعنى الحرفي  
للكلمة أو ببيت يضم كل أفراد الأسرة) وحول نفس  
الكانون، إذ أن رب الأسرة هو الذي يشرف من الناحية  
الاقتصادية على تدبير كل النفقات التي تهتم مجموع أفراد  
الخيمة نظراً لكون أبنائه وحفدته يعملون في إطار الملكية  
العائلية. كما أن زوجة رب الأسرة (أكبر النساء سناً) هي  
التي تشرف على كل الأعمال المنزلية، تعينها في ذلك  
بناتها وزوجات أبنائها.

بعد وفاة رب الأسرة، يخلفه في تسيير الخيمة أكبر  
الأبناء سناً، ويستمر الجميع في استقلالهم أملاكهم بطريقة  
مشاعة. ويحق لمن شاء أن يطالب بحقه في الإرث، فينفصل  
عن الأسرة ليشتد خيمة جديدة. وقد أخذت هذه الظاهرة

تنتشر إثر سيادة العمل المأجور والاقتصاد النقدي  
والتحديث القروي وما يتعلق به من تدرس وتغير - ولو  
نسبي - في مستوى القيم، فنتج عن ذلك تغير على صعيد  
الأسرة الممتدة والقيم التي كانت تعتقها وتبني عليها.

J. Berque, *Structures sociales du Haut Atlas* ; E. Doutté, *L'organisation domestique et sociale chez les Haha*, in *A.F.R.C.*, janvier 1905 ; R. Jamous, *Honneur et baraka. Les structures sociales traditionnelles dans le Rif*, Paris, 1981 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen dans le sud marocain. Essai sur la transformation politique des Berbères sédentaires (groupe Chleul)* Paris, 1930 ; G. Tillon, *Le Harem et les cousins*, Paris, 1966.

عبد الجليل حليم

**خيمة بوخلالة**، مكان معروف بقبيلة زعير، يقع إلى  
الجنوب من قرية مفشوش. يظهر أنه كان محطة للمسافرين  
تنزل به القوافل المترددة بين فاس ومراكش. كما كان هذا  
المكان محطة لتخيم الحركات السلطانية. وحسب بوعسرية  
ابن منصور أن خيمة بوخلالة تنسب إلى أحد رجال القبيلة.  
وقد أشار إليها في رحلته التي وصف مراحلها من الغرب  
إلى مراكش، في عهد السلطان محمد بن عبد الله. وتوجد  
الرحلة في مؤلف الإعلام للمراكشي. قال ابن منصور يصف  
المكان المشار إليه :

وهذه الجبال لا محالة      تُدعى بخيمة أبي خلالة  
كان رئيساً قائماً في وقتها      ذا رفعة حتى نوى في رسمه







الثانية أحمد زروق. وإذا كنا لا نستبعد خروج إبراهيم الرفاعي من بلده من اليمن في صحبة أحمد الحضرمي ودخوله القاهرة معه، فإننا لا نشك في اتصاله به إبان استقراره بها، وقد أنتشر صيته وأصبح مقصد المتشوفين من أمثاله إلى التصوف ورجاله. ولا يعكس خطورة شخصية الحضرمي الصوفية مثل الأثر الذي خلفه في تلميذه زروق الذي اعتمد في الطريق والتحقيق عليه، وصدّر به في الطبقة الأولى من طبقات المشايخ الذين صحبهم، وقال إنه مألقي أعرف بالله ولا أكبر منه، وكان لا ينقل في كتبه إلا عنه. وقد اتصل زروق بشيخه الحضرمي في القاهرة أول مرة عند عودته من الحجاز عام 876 / 1471، فانتسب إليه وصحبه سبعة أشهر أو نحوها، وصار من خاصة أتباعه. وحدث هذا الاتصال والانتساب بعد بأس الحضرمي من أهل مصر، وتوجهه في دعوته إلى المغاربة الذين كان يرى أنهم المخصوصون بطريقته. فكانت أولى الكلمات التي سمعها زروق منه خلال زيارته الأولى له مع جماعة من المغاربة هي: "أخرجوا من هذه البلاد فإنها تذهب بنور الإيمان، وعلى كل من دخلها أن يتركها حتى يجدد دينه"، وتكرر نصحه لهم: "إن تربة المغرب طيبة، فإذا رجعت إليها تطيب قلوبكم"، وحين سئل مرة: "ما بال الرسل بعثوا إلى المشرق ولم يبعثوا إلى المغرب؟" كان جوابه: "لأن الطبيب لا يذهب إلا إلى محل العلة".

وتفصل ثمانية أعوام بين انتساب زروق إلى الحضرمي وبين انتساب إبراهيم الرفاعي إليه عام 884 / 1480، وهي مدة قضي زروق السنوات الثلاث الأولى منها في التردد بين مصر والحجاز، والعمل في إطار الحركة الصوفية التي يترجمها الحضرمي بالقاهرة، وأمضى بقيتها في بلده المغرب الذي عاد إليه، وأخرج به أنفوس تصانيفه وهو كتاب "قواعد التصوف"، وقاد حركة إصلاحية صوفية وعلمية كبرى، انتهت إلى فساد العلاقة بينه وبين القائمين على الرئاسة الروحية، واضطرته إلى الخروج من فاس مغاضبا عام 883 / 1478. فيسجل هذا الانتساب انخراط إبراهيم الرفاعي في المشروع الإصلاحية الزروقي الذي توضحت معالمه غداة استقرار الشيخ زروق بالمغرب، ومهد لعصر التصوف الذي سيدخله، والذي ستحقق فيه الغلبة للشاذلية من طريق الشيخين الجزولي وزروق. وفي هذا الإطار انتقل إبراهيم الرفاعي مع شيخه زروق من القاهرة إلى برقه بأهله وولده، ومكث بها إلى أن أمره بالتوجه إلى المغرب عام 888 / 1484. فرحل بأولاده الثلاثة: عمر ومحمد العربي ومحمد الطيب، وولد له عبد الله بقاس في العام الذي يليه 889 / 1485، وتوقف بالثغر الوهراني واستوطنه. ونفسر هذا التوقف بانسداد آفاق المغرب في وجه الزروقيين، فالشيخ زروق لم يلبث أن التحق بالمغرب الأوسط عام 891 أو 892 / 1487. قصد لم شمل بيته، إذ كان خلف بفاس زوجته فاطمة الزلاعية وابنيه الأحمدين الأكبر والأصغر.

وعلى الرغم من مرور ثماني أو تسع سنين على خلافه مع أرباب الرئاسة الصوفية من قومه، نجده يحجم عن دخول المغرب ويفضل الانتظار بين أتباعه من أهل المغرب الأوسط إلى أن يلحق به زوجه وولده. وحتى بعد وفاته (899 / 1493) فإن ابنه المذكورين غادرا مصراته متجهين غربا، لكنهما توقفا أيضاً بمدينة قسطنطينية، واستقرا بها نهائياً، ولم يصلا المغرب ولم يدخله.

وإذا كانت قرية "تامقرة" الواقعة عند "بني عبدل" بضواحي بجاية مركز الحركة الزروقية بالمغرب الأوسط في حياة الشيخ أحمد زروق، وقاعدتها المتقدمة في اتجاه المشرق. وفي معهدهما الشهير الذي أسسه الشيخ يحيى بن محمد العبدلي - الذي أخذ عنه زروق - انتسب إلى الزروقية أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 931 / 1524) وأحمد بن خدة والصغير بن محمد الأخضر بن محمد بن عبد الرحمان ومحمد بن علي الخروبي (ت. 963 / 1556)، وغيرهم من الأعلام. فان استقرار إبراهيم الرفاعي بوهرا ن قد هيا للزروقية إحدى قواعدها المتقدمة في اتجاه المغرب، وأحد مراكزها النشطة في المنطقة الغربية من المغرب الأوسط، والتي ستعزز بحركة الشيخ أحمد بن يوسف في إقليم بني راشد، والتي ستعم هذه المنطقة برمتها، وتمهد الطريق للعودة الزروقية إلى المغرب وانتشارها به.

ولاشك أن الشيخ أحمد زروق قد أذن لإبراهيم الرفاعي بالتصدي للمشيخة في وهران، وإذا كنا لا نستطيع تحديد المدة التي قضاها بهذا الثغر، فإنها كانت كافية لاشتهاره بالصلاح بين أهلها وظهوره بينهم بالكرامات. يشهد على ذلك لقب الخياط الذي أطلقه الوهرانيون عليه اعتقاداً في قدرته المخارقة على رتق الجرح الغائر، وأيضاً ضريحه - الذي ثوى به رفات ابنه عمر - والذي أضحي حرماً ومزاراً عظيماً بهذه المحاضرة.

اتسع النفوذ الروحي لآل الخياط خارج وهران، فانتقل نجله محمد العربي إلي مازونة، ومدفنه بين المعسكر والموضع المذكور. أما ابنه محمد الطيب، وعبد الله الذي كان ما يزال يومئذ في سن الاحتلام فقد يما فاس يحلمان معها المشروع الزروقي - الرفاعي إلى غايته وبلغانه إلى نهايته. وإذا كنا لا نعلم هل والدهما هو الذي بعث بهما في حياته، أم أنهما قصدا المغرب بعد وفاته، فان هذا الخروج قد تم في إطار النضال الذي كرس له الشيخ إبراهيم حياته، ونشأ أولاده وشبوا في خضمه، والهادف إلى نشر الطريقة الزروقية بالمغرب. وقد أتى هذا الكفاح أكله على يد عبد الله الذي أفاد من كل هذه المهدات فأفلق في غرس البذرة الزروقية - الرفاعية في تربة زرهون، فأبنت دوحة انتشرت أفاؤها في البلاد شرقاً وغرباً وقدر لها البقاء إلى هلم جرأ.

**الخياط، عبيد العزيز بن علي نجل الخليفة الثاني**  
على الزاوية الخياطية بزrehون، ووالده علي بن إبراهيم هو  
أول من استوطن فاساً من عقب الشيخ عبد الله الخياط.  
ولا تعلم هل ولد بفاس أم بزrehون، ولعله مخضرم عاش  
طرفاً من القرن العشر (16 م) وطرفاً من الذي يليه، ودفن  
داخل باب الفتوح.

**الخياط، عبيد الله بن إبراهيم القباسي مولدا**  
الزهروني مدقنا، مؤسس الزاوية الخياطية بزrehون ومعلم  
بداية الحقبة الثانية من تاريخ الصلاح بهذا الجبل، بعد  
الحقبة الأولى التي ارتبطت بضرير المولى إدريس (ت. 177 /  
793). وتوهم المصادر التي تؤرخ لسيرته بالنشأة الصوفية  
الجزولية له وسبقها على اتصاله بالزروقية، وتصور دخوله  
المغرب دخول العاطل من الصلاح بالمرة، وتهون من قدمته  
صغيراً دون الاحتلام وتلميذاً في بدايات مراحل طلب العلم  
ظاهرة وباطنه. والحال أن هذا الطفل قد جاء يحمل إرث  
نضال جبل من سلفه في سبيل نشر الطريقة الزروقية، من  
القاهرة إلى برقة وقابس فوهران ومازونة. ويتمتع بشهرة  
بيته بالصلاح في المغرب الأوسط، ويتحلى بسنده الرفيع  
في الزروقية، وواسطته المعترية فيها والده وإخوته أعلام  
الطبقة الأولى في هذه الطريقة. ولا يستبعد أن تكون فرصة  
رؤية الشيخ زروق قد أتت له خلال العقد الأول من  
حياته، ووافقت وفاة الشيخ اكتماله. وزيادة على ذلك فقد  
دخل المغرب في صحبة أخيه محمد العربي وابن خالته عمر  
الخطاب ذي الخطورة في عصر التصوف هذا. ولا شك أن  
إخوانهم الزروقيين المغاربة كانوا في انتظارهم وهبوا  
لاستقبالهم، وعلى رأسهم إبراهيم بن علي الزهروني  
المعروف "بأفحام" أو "أفهام" (ت. 1520/926) شيخ أهل  
الملاحة بمغرب القرن العاشر (16 م)، وأبي إسحاق الزهرني  
أيضاً، وغيرهما.

وبدأ عبيد الله الخياط دراسته بمكناس مع ابن خالته  
عمر الخطاب، وانتقل بعدها لاستكمال تعليمه بالحاضرة  
الوطاسية فاس التي أدرك بها الطبقة العلمية التي عاش  
أفرادها معظم حياتهم في القرن التاسع (15 م)، وأدركوا  
العقود الأولى من القرن العاشر (16 م)، وهي طبقة الإمام  
محمد بن غازي المكناسي (ت. 1513 / 919). وبفاس توفي  
أخوه محمد العربي، ودفن بباب الفتوح. كما أدرك عبد الله  
وعمر أعلام الطبقة الجزولية الأولى، فبادرا إلى  
الانتساب لهم والأخذ عنهم. فصحب عمر الخطاب عبد  
العزيز التباغ (ت. 8/914 — 1509)، واختص عبد الله  
الخياط بصحبة الشيخ الحسن بن عمر أجانا، وهو أحد  
الأربعة المشاهير من صحب الشيخ محمد بن سليمان  
الجزولي (ت. 5/870 - 1466)، والذين تخرجت على أيديهم  
الشيوخ وانتشرت منهم الرجال وتفرعت بهم الطريقة

**الخياط، إبراهيم بن عبد الله حفيد المترجم له**  
قبله، ويكر الشيخ عبد الله الخياط مؤسس الزاوية  
الخياطية، وخليفته عليها بعد وفاته التي حدثت عام 939/  
1533. يلقب "بصاحب سلسلة الذهب" لأن جل من اشتهر  
بالصلاح من حفدة الشيخ عبد الله الخياط لا تجده إلا من  
أولاده دون أخويه محمد وعبد العزيز، ويقول مترجموه إن  
ذلك بدعوة من والده. وتسكت المصادر عن أخبار مشيخته  
لزاوية زrehون، وربما للظروف العسبية التي تمت فيها،  
والتصلة بزوال ملك الوطاسيين الذين شايهم والده وطانفته  
وانتقال الحكم إلى خصومهم السعديين. وكل ما تذكره عنه  
علمه وصلاحه وعنايته بنجله علي الذي أورثه مشيخته  
الزاوية بعده، وأنه دفن بزrehون.

**الخياط، أحمد هو أحد أبناء عمومة محمد بن**  
إبراهيم ومعاصره (لم يذكر في الجدول السابق). ذكره  
صاحب نشر الثاني ضمن الأتباع الذين لم يحضره عام  
وفاتهم من أهل المائة الثانية عشرة (18 م)، ويبدو أن اسم  
والده الذي استوطن فاساً لم يحضره أيضاً، فاكتمى  
بالإشارة إلى أنه من عقب الشيخ عبد الله الخياط. انتسب  
إلى الشيخ محمد المدعو الحاج الخياط الرقعي (ت. 1115 /  
3، 1704) المتصدر لمشيخة زاوية الكائنة بالشرشور من  
فاس القرويين، وأخذ معه عن الشيخ محمد بن عبد الله  
العلمي اليمليحي دفين وزان، ثم من بعد وفاته عن ولده  
الشيخ التهامي، ثم من بعد وفاته عن أخيه الشيخ الطيب.  
واشتهر أحمد الخياط بالانتساب إلى الطائفة التهامية -  
الوزانية بفاس، ويملازمته لأوراده وتلاوة أحزاب أشياخه  
ومداولة الجلالة. وأنه كان يحترف الفلاحة وكسب الماشية،  
كثير الصدقة والمودة لأهل البيت والإكرام لهم. وأنه حج  
فأنفق بالحجاز أموالاً على الضعفاء والمساكين. وفي حدود  
عام 1150 / 7، 1738 أخذ سمت إلى الزاوية الوزانية،  
فأدركته الوفاة من غير مرض بديار بني مالك في المغرب،  
ودفن بأرضهم، وخلف بفاس أولاداً.

**الخياط، الجيلاني بن الهاشمي** يوجد ضريحه  
بزrehون أسفل ضريح جده عبد الله الخياط. فقيه مكاشف،  
توفي عام 1244 / 8، 1829.

**الخياط، الجيلاني بن الهاشمي** يشترك مع المترجم  
قبله في الاسم والمدفن، توفي عام 1344 / 5، 1926، ووصفه  
صاحب إتحاف المطالع بالمشارك النابغة.

الجزولية. ولازمه عبد الله اثنتي عشرة سنة، ولا تذكر كتب الطبقات من أتباع هذا الشيخ سواه. وتخبر بأن أجانا السوسي هو الذي وجهه إلى الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 1524/ 931). صدر الطبقة الزروقية الأولى، وكبير مشايخ التصوف بالمغرب الأوسط في وقته، وشيخ المشايخ والطوائف الزروقية بالمغرب الأقصى، من الربع الأول من القرن العاشر (16 م) إلى هلم جرأ.

وتجديد عبد الله الخياط العهد بالزروقية واتصاله بالراشدي، وإن أوعزته المصادر إلى إشارة شيخه أجانا، فإنه لا يزيد عن كونه حلقة من حلقات الحركة الزروقية الدائبة والمناضلة من أجل الانتشار بالمغرب، واتصال بين البيتين الزروقيين الكبيرين الرفاعي والراشدي اللذين أذنا لعهد حاسم من تاريخ هذه الطريقة بالمغرب، والذي انتهى إلى تقاسمها النفوذ الروحي به مع الجزولية، وتمكين الشاذلية من أن تصبح الطريقة الرسمية به. وتردد عبد الله الخياط إلى المنطقة الغربية من المغرب الأوسط، وإن كان يسرعه لقاء الشيخ الراشدي، فإنه يعليه ويوجه تعاهده لأهله المستوطنين والمنششرين بهذه المنطقة، وعليه يكون لقاء الخياط بالراشدي لقاء أخذ وانتساب، وفي نفس الآن لقاء تشاور وتدبير وتنسيق، ويعضد هذا القول اصطحاب الخياط في رجوعه إلى المغرب أحمد بن عبد الله المنزولي شيخ الطائفة "اليوسفية" التي ستشتهر خلال القرن الحادي عشر (17 م) "بالعكاكرة".

وإذا علمنا بخطورة المذهب الصوفي الذي دعا إليه الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي في إطار مبدأ الاستحسان الذي بنى عليه الشيخ أحمد زروق طريقته، والذي يقر حرية الاختيار المذهبي في الطريقة شرط التقيد بالكتاب والسنة. وهو المذهب الذي اضطلع "اليوسفيون" بنشره والدعوة إليه بالمغرب، وقوامه مذهب المحبة الخالصة في صورته التي اكتملت على يد أبي يزيد البسطامي (ت. 874 / 241). وأضفنا إلى المشاكل الفكرية والصراعات الخطيرة التي ستنشأ عن هذا الاتجاه الزروقي - الراشدي الخلاقات الحادة والموروثة من أيام فساد العلاقة بين زروق ومشايخ الطبقة الأولى في الجزولية، حق لنا أن نتساءل عن سر التوفيق الذي صادفه عبد الله الخياط رغم تاريخه الزروقي الشديد الوشائج بكل هذه المثبطات والمعوقات ؟

اختلف زروق مع الجزوليين في دفاعه عن الرئاسة والقائمين عليها من الأمراء، وتحريمه الخروج عن الإمام بقول أو فعل، لأنها وسيلة حفظ النظام، والذي يتحقق به الذب عن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، وإقامة حرمتهم، والنصرة لهم في جميع أحوالهم جلبا ودفعاً. ودعا إلى الحفاظ على الدولة الوطاسية الناشئة على ضعفها، والسعي في المصالح العامة تحت إمرة حكامها، وعدم إغراء الرعية بالفتننة وشق عصا طاعتهم. وعارض زروق المشروع الجزولي الداعي إلى مراعاة المصالح العامة التي قصرت عنها هم

الملوك، من جهاد وتعليم وإطعام ورد المظالم. وحذر من تشيخ الفضائل وطلب المنافع العامة، لما تؤدي إليه من عظيم الضرر بحسب الزمان والعقول، ولما تعرض له من الأذى والرمي بالقيام. وأوعد كل مريد مال إلى ركوب الخيل، وأثر المصالح العامة، واشتغل بتغيير المنكر في العموم، أو توجه للجهاد دون غيره من الفضائل أو معه حال كونه في فسحة منه، أو أراد استيفاء الفضائل، أو اتبع كل ناعق وقائل بحق أو باطل. ولم يفد الوطاسيون من الدعوة الزروقية التي تحمل كل مقومات الصبغة الدينية للملكهم، ربما مدهانة واستمالة لخصيمتها الحركة الجزولية القوية، وكانوا في الشيخ زروق من الزاهدين.

كان هذا قبل خلع الجزوليين بيعسة بني وطاس من رقيتهم، أما بعد أن فتحوا عليهم باب الفتن، وباعروا الشرفاء الزيدانيين على إمارة الجهاد عام 10/916 - 1511، فلم يبق لهم إلا الزروقيون ظهيراً ونصيراً. نعم ظل بين ظهرائهم جزوليين، لكن من الشابتين على بيعتهم، أما الذين تشيعوا للحركة السعدية التي تزعمها جزولية الجنوب، فقد بادروا إلى هجرة السلطنة الوطاسية، والتحقوا بمراكش التي خضعت للسعديين في حدود 3/930 - 1524، وعلى رأس هؤلاء الشيخ عبد الله الغزواني (ت. 8/935 - 1529). وإذا اعتبرنا العلاقة الحسنة التي نظمت بين الزروقيين - الراشديين والأتراك بالمغرب الأوسط، منذ ظهور الأخيرين عروج وخير الدين ومبايعتهما على إمارة الجهاد به، ووصل الوطاسيين حبلهم بهؤلاء الأخيرين. أمكننا الاطمئنان إلى القول بترحان كفة الزروقيين في السلطنة الوطاسية، وإفادتهم من دعم أمرائها مادياً ومعنوياً، وتوفر أسباب الظهور لزواياهم والانتشار لظروانهم.

وزيادة على هذا فإن ثقافة وعلوم الشيخ عبد الله الخياط الظاهرة والباطنة، التي حملها بعد ملازمة علماء المحاضرة الوطاسية، والاختصاص بصحبة أحد المشايخ الأربعة الكبار من صحب الإمام الجزولي، جعلته يتنكب عن الانغلاقات من باب الاستحسان إلى مذهب غير المذهبين اللذين أبدعهما كل من الشيوخين الجزولي وزروق، ويتحرى في علمه وعمله التمسك بالسنة واجتناب البدعة. وتميز بذلك عن مشاهير الطبقة الزروقية الأولى الذين حاولوا معالجة مشاكل العصر المختلفة بأفكار تنتمي إلى مذاهب صوفية مختلف في شأنها، كالبسطامية التي أحيها الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي، والملامتية التي أحيها الشيخ إبراهيم بن علي الزرهوني المعروف بأفحام أو أفهام. واستطاع الخياط بدرجة الرفيعة في الشاذلية، التي جاءت من صدارة الطبقة الثانية في الزروقية، والامتياز بالاختصاص بالشيخ أجانا من بين أفراد الطبقة الجزولية الثانية، أن يستقطب الاتجاه الذي سيطر العصر، وينتهي بالمصالحة بين الجزوليين والزروقيين، وميل أهل العصر برمتهم إلى التصوف وبالأخص الفقهاء وعلماء الظاهر، وتحقق

الغلبة للشاذلية بالمغرب من طريق الإمامين الجزولي وزروق. وتؤكد هذه الفرضيات خصوصية نشأة الزاوية الحياطية، المستندة أساسا إلى الجاه المعنوي المحض : فالشيخ عبد الله الحياط يمني التجار غريب الدار ليس عن زرهون فحسب بل وعن المغرب برمته، والأرض التي شيد بها زاويته الأولى ليس له فيها أجداد ولا أملاك، وليس بيده ظواهر توقيير واحترام وتنزيه عن الوظائف الجارية على العامة. وأهل جماعة الخلافة النازلون بالوجه الذي يلي وادي مكس من جبل زرهون هم الذين وهبوا له بلادا تسمى كدية التراب مع ما حولها من الأرض ليستعين بها على تأسيس زاوية يجمع فيها المريدين ويطعم بها الواردين. ولم يجتمع كل الزواهي على المحبة في الشيخ عبد الله الحياط، وأنف أهل قلعة بني المنصور من زاويته التي نشأت بجوارهم، وكادوا له كيدا. فكانوا إذا حلت الصلاة يذهبون إلى العين التي يتوضأ فيها ويضعون فيها النجاسة، وحرصوا صغارهم فقطعوا السنة بقر كان يستعين به على القيام بوظائف الزاوية. ولم يكفروا إذا تبهم عنه إلى أن هجر زاويته، وانتقل عنهم إلى مدشر المغاسيين من الوجه الذي يلي مكناسة. وتعمر المصادر عن تفاصيل المصاعب التي جعلت الشيخ عبد الله الحياط يتقلب بين سفوح زرهون، وتؤكد هلاك خصومه، وتعزو فناءهم إلى الوياء. وتنتهي هذه المرحلة بعودة الحياط إلى موضعه الأول، وبناء زاويته بداره الكائنة بالغابة التي في ضفة العين المسماة عين الدار، وتسمى "تالغزا".

وتخلو هذه المصادر من التطورات التي أفضت إلى الشهرة التي طارت للشيخ عبد الله الحياط وزاويته في الآفاق شرقا وغربا، وكيف أصبح له صيت بعيد، ومحفل عجيب، يأوي إليه القريب والبعيد. وتقدنا بنتف من أخبار هذه الزاوية لا يتطرق معها الشك في كونها أصبحت أكبر وأعظم زاوية في السلطنة الوطاسية : فقد بلغ مریدوها عشرين ألفا، وأحيانا يزيدون وأحيانا ينقصون، وهذا ضعف ما اجتمع على الشيخ محمد بن سليمان الجزولي من أتباع. ويعطي فكرة عن استبحار عمرانها، وتوسعها في الإطعام، وأنها لم يكن في القطر والعصر مثلها في هذا المضمار، وأنها قد توفرت فيها كل مواصفات المركز العلمي الممتاز. وقد أصبح الشيخ عبد الله الحياط موقعا لأهل العلم، وتصدر في زاويته للتدريس، وكان غالب قراءته الرسالة القيروانية والحكم العطائية. وكان تلامذته المعتمدون للتدريس في الزاوية، وقد اجتمع فيها ما ينيف على الألف من حملة القرآن، وانفردت بالطور النشط من أطوار الحياة العلمية والصوفية بزرهون.

وقد تواتر أن عدد أصحابه من المقيمين للزوايا ثلاثمائة وستة وستون، وتحقيق تاريخ هذه الفروع يحتاج إلى بحث مستقل. وتكفي الإشارة إلى تعيين سيرته الموسومة بجواهر السماط في مناقب سيدي عبد الله الحياط لاسم خمسة

وخمسين منهم، ينتمون إلى مختلف أصقاع المغرب من ميسور إلى سوس، وينتشرون في كبريات الحواضر فاس ومكناس ومراكش، وفي البوادي وعرها وسهلها، في الغرب وأزغار وتادالا والشاوية وزيز ودرة. ويعد من نافلة القول أن فيهم من أذن له الشيخ عبد الله الحياط بفتح الزاوية في حياته، وفيهم من أقامها بعد وفاته. لكن يبقى أن شد الرحلة إليه من مختلف أنحاء البلاد يعبر عن المدى البعيد لصيته وشهرته، وأن الناس كانوا ينسلون إليه من كل حدب وصوب.

ولا سبيل إلى ذكر كل هؤلاء، بأسماهم، ونتحسب على التنويه بالمشاهير منهم ممن عنيت بهم كتب الطبقات. وصدرهم الشيخ أبو الطيب اليحياوي الميسوري (ت. 988 / 80. 1581)، الذي ظل يزور ضريح شيخه بالركاب رأس كل سنة إلى أن مات. ومحمد بن أحمد العايدي (ت. 984 / 6 - 1577)، الذي أقطعه الحياط قبيلة السوالم من قبائل الشاوية لتخدمه، وقصد فاس بعد وفاة شيخه وتوفي بها. وموسى بن علي الزرهوني المعروف بذي الصخرة، ومحمد بوكرين اليازغي الذي اشتهر بمداواة الجذماء. وأبو القاسم ابن منصور الغمري (ت. حوالي 970 / 1562)، وهو مؤلف أقدم سيرة مفردة في الشيخ عبد الله الحياط، والموسومة بجواهر السماط في مناقب شيخنا الحياط، وعليه اعتمد المتأخرون وجل ما نقلوه منه. وقد أسس زاوية رتب فيها للطلبة والمدرسين أرواقهم، ولا ندري أكانت في زرهون أم في موطنه الأصلي بقبيلة غمرة في جوار مولاي يعقوب من أرياض مدينة فاس أم في مدفنه على ضفاف نهر ملوية. ويحيى بن بكار الغمدي، دفين جبل وبلان قرية على مرحلة من فاس. وقد اشتهر بمد الثغور بالحيل والعدة، وكان الناس يقصدونه بصدقاتهم من جميع الآفاق فيفرقها على يديه في وجوه البر وأكثرها في الجهاد وافتكاك الأسرى. وعلي بن أبي بكر السكتاني (ت. 964 / 1557) متقلد خططي الفتيا والقضاء بمراكش أول عهد الشرفاء الزيدانيين. وقد أقام مدة بالزاوية الحياطية، واستجاز شيخها في بعض كتب التصوف.

وبالإضافة إلى كثرة أتباع الزاوية الحياطية وتعدد فروعها، فقد نظمت بينها وبين الزاوية العيساوية مكناس علاقات ترجمتها المحبة التي كانت بين شيوخيهما والمراسلة التي تمت بينهما. كما حدثت زيارة السيدة رحمة والدة الشيخ أبي عبيد الشرقي للشيخ عبد الله الحياط، كما حصل اتصال بين والده أبي القاسم الزعري والشيخ أحمد بن يوسف الراشدي. وهذه معالم في شبكة علاقة الزاوية الحياطية بغيرها من الزوايا والبيوتات الصوفية، وهي شبكة واسعة تغطي حواضر وبادي السلطنة الوطاسية، وتمتد إلى القطر التادالي الذي يمثل حدودها الجنوبية.

وتتردد المصادر في الإقصاح عن حقيقة الدور السياسي الذي لعبته الزاوية الحياطية، فهي تقر بأن الأمراء

الوطاسيين كانوا يمكنونها من مواردها الأساسية، ويعتون إليها الغنم والبقر والقمح وغير ذلك. وأنهم كانوا يخدمون الشيخ عبد الله الخياط، ويشاورونه في الملمات، وإنه قال يوماً إنه طلب الله ألا يخرج الملك من أيديهم مادام على وجه الأرض. وتؤكد عدم وقوفه في صفهم ضد خصومهم داخل حدود مملكتهم. فقد طلب منه أحد الأمراء أن يده بطانته من المریدين الذين عنده في الزاوية ليستعين بهم على قتال بعض الخارجين عليهم، فكتب إليه "ليعلم أمير المؤمنين أن أصحابنا ليسوا أصحاب قتال ولا مشاحنة، وإنما هم أصحاب ذكر وتلاوة قرآن وعبادة لله تعالى، وهذا كتابنا عوضاً منا ومنهم". ولما وقع ما وقع بينهم وبين الشرفاء الزيدانيين من الخلاف جمع الفقراء، وقال لهم "إخواني الخلاف يهيج العداوة، ومع العداوة ينزل البلاء، وسلموا الأمر إلى الأمراء على ظاهر الأمور".

وتعرب وفاة الشيخ عبد الله الخياط التي حدثت عصر الاثنين 14 شوال 939 / 9 مارس 1533، عن انغماسه في الصراع السياسي الدائر بين الوطاسيين والسعديين، والذي لقي حتفه في خضمه. وإذا كانت المصادر لا تعين من أقدم على دس السم له، فإنه لن يكون إلا من أعداء بني وطاس الذين ثبت الخياط على بيعتهم، وكان الصبغة الدينية للملكهم، وقطب الحركة الصوفية الداعمة لدولتهم والموازنة للحركة الصوفية المتشعبة لمخومهم. ولا أدل على ارتباط مصير الدولة الوطاسية بالزاوية الخياطية من ربط الرواية المتعلقة باغتيال الشيخ عبد الله الخياط بين "بقائه على وجه الأرض" وبقاء ملك بني وطاس، وذكرها أن السلطان أحمد بن محمد البرتغالي (931 - 955 / 1524 - 1548) قد بعث بعض خواصه يقفون على جنازة الشيخ، وعين لهم موضع دفنه ليستقيم له البناء عليه. وقال لهم: "اجعلوا الشيخ في تابوت من خشب، واركوه على وجه الأرض، ولا تحفروا له قبراً، ثم اجعلوا على ذلك التابوت دربوزاً، واجعلوا عليه حائلاً آخراً، فعلى هذه الحالة يبقى على وجه الأرض، وإياكم ثم إياكم أن يشعر بكم أحد من أقاربه أو أصحابه". وتقول هذه الرواية إن السعديين الذين علموا بالأمر تحاملوا على أبناء الشيخ، ودفنهم إلى دفنه وكتمان الأمر على السلطان الوطاسي.

وإنها لمصادفة عجيبة أن تاذن وفاة الشيخ عبد الله الخياط لنهاية الوطاسيين، فبعدها قريباً ستقع عليهم الهزيمة في معركة بوعقبة عام 6/943 - 1537، وتنتهي بخسارة تادلا وتامسنا. وعقد الصلح بينهم وبين السعديين على ذلك، ولم تلبث حاضرتهم فاس أن سقطت في أيدي الشرفاء بعد عقد ونيف على هذا التاريخ. وكانت الزاوية الخياطية حاضرة بقوة في هذا الصلح في شخص الشيخ عمر الخطاب ابن خالة شيخها الهالك، والذي لا تذكر المصادر من الصلحاء المفاوضين باسم الوطاسيين سوى اسمه واسم الشيخ الملامتي أحمد بن حسين العبدلي السهلي المعروف بأبي

الرواين (ت. 963 / 1556)، المتصدر لمشبحة الزاوية العيساوية بمكناسة بعد وفاة مؤسسها عام 6/933 - 1527. وتكرر الإشارة إلى ارتباط مصير الوطاسيين بالخياطيين، وتذكر الرواية أن الخطاب حلف - إبان هذا الصلح - لا دخل السعديون فاس مادام على وجه الأرض. ورأى بعضهم أنه كان على بني وطاس ألا يتركوه هو الآخر يدفن، وأن يرفعه في تابوت على الأعناق. وكما كانت الزاوية الخياطية بمثابة العصبية الدينية للدولة الوطاسية، كذلك انحلت عراها بزوال ملك الوطاسيين، وتسكت المصادر عن علاقتها بالسعديين وقد خضعت لهم الحاضرة الوطاسية، ولا نعلم نصيبها من الامتحان الذي أمر به السلطان محمد الشيخ المهدي عام 958 / 1551، وقصد به أرباب الزوايا مطالباً إياهم بودائع أموال بني وطاس، ومنتهمم بذلك.

وقد خلف الشيخ عبد الله الخياط ثلاثة من الأولاد هم إبراهيم الملقب "بصاحب سلسلة الذهب" ومحمد وعبد العزيز، ومات واحد في حياته، ولم يترك أنثى. وورث مشيخة الزاوية بعده ابنه إبراهيم، وحفيده علي مجل هذا الأخير، والذي قضى نحبه أواخر القرن العاشر (16 م)، وتؤرخ خلافتهم لموارد تحول في تاريخ الزاوية الخياطية سينتهي بافتراق مشايخها بين زرهون وفسساس. ويموت الشيخ علي بفاس، وانقطاع خلافة زاوية زرهون في عقبه، وانقضاء أجل أعمامه، تنازع أحفاد الشيخ عبد الله الخياط وأولاد أحفاده على الزاوية وأخذ الصدقات وخراج القبائل التي كانت تخدمه، وحدث ذلك عام 1007 / 1598، وأفضى إلى تدخل السلطان السعدي الذي حَكَّم في قضيتهم قاضي مكناسة وتاحتها الفقيه أبا القاسم بن أبي النعيم الفساني (ت. 2 / 1032 - 1623). فقسم القاضي أبو النعيم خراج هذه القبائل على هؤلاء الأولاد، ووزع عليهم شهر السنة أربعاً ثلاثة أشهر لكل فريق منهم يقوم خلالها كل فريق بأمر الزاوية كلها، وجعل ما يرد على ضريح جدهم يقسم بينهم من غير اختصاص لأحد على الآخر.

وتعنى كتب التراجم الفاسية المصنفة خلال القرن الثاني عشر (18 م) وما بعده بأخبار عقب الشيخ إبراهيم بن عبد الله الخياط الذين اندمجوا في نسيج الحاضرة الفاسية، وشكلوا إحدى بيوتاتها الكبيرة التي تمتعت بكل مقومات الجاه الديني والديني، من علم وصلاح وشرف نسب ويسار. وتسجل المحاولة التي قام بها واسطة عقد هذا الفرع محمد بن إبراهيم الخياطي (ت. 1140 / 1727)، الذي أنشأ زاوية بدر الحرة من طالعة فاس، وجمع فيها أتباع جده، ومن كان يخدمه على صلاحه وماله. وهو العلم الوحيد من أعلام الخياطة الذي ذيلت بأخباره السيرة المفردة والمتجددة في جده عبد الله الخياط والموسومة بجواهر السماط. ولم ينقطع العلم والصلاح في الفرع الخياطي الذي رضي بزهرهون مأوى، وتعلق بخدمة ضريح جد الخياطة، واستمر ذكر بعض أعيانهم في كتب التراجم المصنفة في أهل القرنين الثالث عشر والرابع عشر (19 و 20 م).

**الخياط، محمد - فتحاً - بن إبراهيم.** يفصل قرنان كاملان بين وفاة الشيخ عبد الله الخياط (ت. 1533/939) ووفاته حفيده محمد فتحاً بن إبراهيم (ت. 1727/1140)، ويمتاز هذا الحفيد عن بقية عقب مؤسس الزاوية الخياطية بالحظرة بعناية كتاب التراجم، بل وبالتذليل بترجمته للسيرة المفردة في جده المذكور، والموسومة بجواهر السماط، والمؤلفة خلال القرن العاشر (16 م) من قبل تلميذه أبي القاسم بن منصور الغمري (ت. حوالي 1562/970). وقد تجدد الاهتمام بهذه السيرة خلال القرن الثاني عشر (18 م)، ونسب التأليف فيها إلى شيخ الجماعة بفاس محمد المساوي الدلائي (ت. 1724.3/1136)، وتعضد هذه النسبة محبة المساوي في الشيخ عبد الله الخياط، وكثرة زيارته لضريحه بزرهون. ويعزو صاحب سلوة الأنفاس هذا التقييد إلى أحد تلاميذ المساوي أو لبعض من تتلمذ عليهم، ولا ندري أهو محمد بن عبد الله الريفي (ت. 1782/1196) أم هو مصنف آخر؟ والنسختان المخطبتان والتسويرتان من "جواهر السماط" في الخزانة العامة بالرياض منسويتان إلى الريفي، ولحسن الحظ مزيلتان بترجمة محمد بن إبراهيم الخياط. وتخبران بأن هذه الترجمة هي لأحد تلامذة الريفي، ولا تفيدان في معرفة ما إذا كان هذا المؤلف المجهول قد أخرجها في تقييد مستقل وغيره هو الذي ذيل بها سيرة جده، أم أن هذا المؤلف هو الذي شاء لتقييده أن يكون ذيلاً أو باباً أخيراً من أبواب هذه السيرة. ومهما كان الأمر، فهو جمع واع وإشارة ذكية إلى أن الزاوية الخياطية لم تنجب بعد مؤسسها مثل حفيده محمد بن إبراهيم، وأنه واسطة عقد حفدته، ومحبي رسم الخياطة الماحل.

وإذا كانت مصادر القرنين العاشر والحدي عشر (16 و17 م) لا تنصع عن طبيعة النشاط الصوفي الذي اضطلع به أسلاف الشيخ محمد بن إبراهيم الذين استوطنوا الحاضرة الإدريسية منذ أواخر القرن العاشر، فإن مصادر القرن الثاني عشر (18 م) تجمع على انتظام الخياطة الفاسية في سلك الطوائف الصوفية الكبرى المنتشرة بفاس. وقد رأينا ابن عمه ومعاصره أحمد الخياط المذكور قبله اشتهر بالانتساب إلى الطائفة التهامية - الوزانية، وأدركته المنية وهو في طريقه إلى وزان. وكذلك انتظم محمد بن إبراهيم في سلك الطائفة الناصرية، وذلك في حياة الشيخ محمد ابن ناصر (ت. 1674/1085). وقد أهلته نشأته الصوفية، وعلمه واختصاصه في التصوف والحديث، وقربته القوية في إقامة الدين، وشهرة بيته، وكثرة ماله، بأن أذن له الشيخ ابن ناصر بالخلافة على الزاوية الناصرية بفاس، والكائنة بين حومة السياج وسوقة ابن صافي، وذلك على إثر زيارته له بدرعة. ويبدو أن طموح ابن إبراهيم كان أكبر من أن يصير مقدماً على الناصريين، فما لبث أن أنشأ زاويته الخاصة بإزاء داره بدرج الحرة ويقرب زاوية شيوخه ابن ناصر، وهي أول زاوية يقيمها بيت الخياطة بالحاضرة الإدريسية.

وتجمع المصادر على القبول الجسيم الذي صادفته هذه الزاوية، والصيت البعيد الذي صار لتصدرها الشيخ ابن إبراهيم، وأنها كادت أن تكون أكبر الزوايا بفاس على عهد الدولة الإسماعيلية. وتصف توسعها في الاطعام، وكثرة الازدحام عليها، وقصد الناس لها من الأفاق البعيدة، ومنهم من يأتي بالبقر والغنم والزرع وأحصال الحطب وغير ذلك. وتتفق هذه المصادر أيضاً على أن الزاوية الناصرية القربية منها تضررت من مزاحمتها، ولم تقو على منافستها، وأن أتباعها وبالأخص ذوي القرابة لمشايع درعة لم ينظروا لها ولشيخها بعين الرضى. وأنهم كاتبوا الشيخ محمد بن ناصر، في بداية تأسيسها، ليصرف ابن إبراهيم عما لم يأذن له به من إقامة الزاوية وتلقيق الأوراد الناصرية، وكتبوا إليه بعدما ظهر من أمرها ما ظهر مطالبين بحقهم في خيراتها وسلطانها. وبعثوا إلى الشيخ أحمد بن ناصر (ت. 6/1129 - 1717) الخليفة من بعده، مشتكين من انشغال الشيخ ابن إبراهيم بزاويته، وإهماله لزاويته، وانقطاعه عن الذهاب إليها، وطالبوه بأن يعين لهم مقدماً منهم.

وتختلف المصادر بصدد الموقف الذي اتخذته مشايخ درعة من زاوية درب الحرة وشيخها، فيؤكد المؤلف المجهول لترجمة الشيخ ابن إبراهيم أن هؤلاء لم يلقوا بالا إلى هذه المكاتبات، للمكانة الرفيعة التي كانت له عند الشيخ محمد ابن ناصر الذي أقره على خلافة الفرع الناصري الفاسي، وأيضاً للمحبة الكبيرة التي كانت بينه وبين أحمد الخليفة، في حياة والده وبعد وفاته، والذي أجاب المعترضين بقوله زاويته زاويتنا والعكس. ولا يتفق محمد بن الطيب القادري (ت. 1773/1187) مع هذا المؤلف، ويقول إن الشيخ محمد ابن ناصر قد كتب إلى ابن إبراهيم ينهائه عن فعله، ويذكره بأنه لم يأذن له لا في بناء الزاوية ولا في جمع الفقراء وتلقيقهم، وطلب منه أن يرجع إلى زاوية إخوانه الناصريين ويجمع معهم. ويزيد القادري بأن ابن إبراهيم امتنع من ذلك، وأن إخوانه الناصريين قاطعوه، وأنه لم يجتمع عليه في زاويته بدرج الحرة إلا أتباع جده عبد الله الخياط ومن يخدمه على ماله. ويستشف من حديثه استمرار نشاط هذه الزاوية على عهد تأليفه "للنشر"، وأنها ساءلت تقوم برجالها ومالها بمختلف الأدوار المعهودة للزوايا، وأن أحد عقب الشيخ ابن إبراهيم واسمه طاهر كان يومها هو الفقيه والمدرس بهذه الزاوية. وقد اطلع محمد بن جعفر الكتاني (ت. 1926/1345) على جواهر السماط ونشر الثاني، فاعتمد الأول في الترجمة التي عقدها للشيخ ابن إبراهيم من كتابه سلوة الأنفاس، ولم يحتفل بالثاني مكتفياً بالإشارة إليه، ومنقداً القادري بأنه "حاد فيه عن المرام، وسلك سبيل التعسف واللام".

ومن أولاد الشيخ محمد بن إبراهيم المدفونين معه في زاويته ابتداءً: عبد القادر ومحمد اللذان توفيا أواخر القرن

الثاني عشر (18 م)، ومن أتباعه أحمد الخطاب حفيد الشيخ عمر الخطاب، وهذا وجه آخر من وجوه الشبه بين سيرته وسيرة جده عبد الله الخياط الذي ارتبط به ابن خالته عمر الخطاب من الدراسة في المكتب بمكناس إلى الإقبال بزروهون. ومن حفدته سيده محمد بن إبراهيم الذي كان حياً عام 5/1292 - 1876، وهو عام الفراغ من نسخة جواهر السماط التي تحمل عدد 1185، والتي طلبها لنفسه.

م. الريفي، جواهر السماط في مناقب سيدي عبد الله الخياط، مخطوط خ ع، 1185، د 2242، د : أ. ابن القاضي، لقط الفرائد : م. ابن عسكر، دوحه الناشر : م. القادري، نشر الثاني : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع : ضمن موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق م. حجي، 858-859، 933، 934، 944، 1897، 2257، 2260، 2261، 2529، 2784، 2956 : أ. ابن أبي محلي، سلسيل الحقيقة والحق في سبيل الشريعة للخلق، مخطوط خ ح، 4133 : م. العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ط. حجرية، 224 : م. ابن عيشون، الروض العطر، نج. ز. النظام، 180، 348 : م. المهدي الفاسي، مجمع الأسناع، نج. ع. العمراوي وع. مراد، 37-38، 57-58، 66-67، 124-126 : نفس المؤلف، تحفة أهل الصديقية، مخطوط خ ع، 76، 26، 29، 34، 65، 68، 71، 70 : م. الإفرائي، نزهة الحادي، نج. ع. الشادلي، الدار البيضاء، 1998، 56، 57 : م. الكتاني، سلوة الأنفاس، ط. حجرية، 1 : 229، 230، 254، 256، 2 : 162، 163، 3 : 191 - 192، 334 : ع. إبراهيم، الإعلام، 8 : 267، 275 : ع. ابن سودة، دليل، 1 : 204، رقم 795 - 796 : م. حجي، الحركة الفكرية، 494 - 496 : ع. ف. خنيم، أحمد زروق والزروقية، منشورات المنشأة الشعبية، ط. 2، 1980، 42 - 53 : ع. نجيمي، المكاكرة، د. د. ع. مرقونة بخزانة كلية الآداب بالرباط، 1986، 195 - 199 : المؤلف نفسه، بين زروق ولوتر، ضمن الرباطات والزوايا، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1997، 77، 120.

P. Berthier, *Essai sur l'histoire du massif de My Idris*, Rabat, 1938.

عبد الله نجيمي

### ابن الخياط حُسين، - اسما واحدا - عبد الرحمن

الفاسي. ليس من أولاد الخياط الحسينيين. وإنما ينسبون إلى أبيهم سيدي الخياط حُسين الذي كان محتسباً بفاس. ذكر مؤلف تذكرة المحسنين رواية عن أبيه أن المترجم كان أمياً محترفاً بحرفة الحرير، ذا سمع حسن ولحية طويلة، فجاءته امرأة برقعة ليقرأها لها، فقال لا أحسن القراءة فتعجبت وقالت له : يا ضيعة هذا السميت وهذه الهيئة ! ولا مته على تضييع عمره بدون قراءة، فأثر فيه كلامها وأقبل على الدراسة بعزم وهمة، فكان عاقبة أمره أن أصبح من علماء وقته.

تولى الخطابة بجامعة الشراييليين أول ما أقيمت به الجمعة في رابع عشر ربيع الأول عام خمسة وثمانين ومائة وألف بأمر من السلطان سيدي محمد بن عبد الله، واستمر

على ذلك إلى أن توفي عام ثلاثة وتسعين ومائة وألف / 1779.

بوشنى بوعسرية

ابن الخياط حُسين، عبد السلام أخو من قبله، كان أيضاً من فقهاء فاس وفضلها. تولى نظارة أوقاف القرويين فحُمدت سيرته.

توفي بفاس يوم الجمعة ثالث ربيع الثاني عام سبعة وسبعين ومائة وألف / 20 أكتوبر 1763.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع : ع. الكبير الفاسي، تذكرة المحسنين / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 7.

محمد حجي

ابن الخياط الزكاري، أحمد بن محمد بن عمر بن عبد الهادي بن العربي بن محمد الحسيني الفاسي. وكُند بفاس في منتصف شعبان عام 1252 وقرأ على نحو ثلاثين من كبار شيوخ المدينة، أجازه منهم ستة، ذكر إجازاتهم في فهرسته الوسطي. وقد وصل صاحب رياض الجنة نسب المترجم مسلسلاً إلى إدريس الأزهر صاحب فاس. وقال عنه : "الإمام العلامة النظار المحدث الأصولي الفقيه المعمر ... جوهرة عقدهم (أولاد ابن الخياط الزكاري) بل مفخرة مدينة فاس في وقته وكفى به". وذكر أنه أخذ عنه الفقه والنحو والمصطلح، وسمع عليه صحيح البخاري والشافعي لعياض، وأجازه.

أخذ المترجم الطريقة الدرقاوية عن الشيخ عبد الواحد ابن البدوي بناني، وهو عمدته في طريق القوم، وعلى يده تزهد وتجرد وليس المرقعة وطاف في الأسواق يسأل الناس الصدقة. وقد أنكر عليه ذلك أشياخه وأقرانه من العلماء، وكان أشدهم إنكاراً عليه شيخه محمد گنون حتى قاطعه، ونهاه قاضي فاس عمر بن عبد القادر الرندة فلم ينته فسجنه مدة. وبقي على حاله بعد خروجه من السجن إلى أن أفاق من سكرته الصوفية. فرجع إلى القرويين يدرس ويبت العلم في صدور الرجال بإخلاص وتفان، وعين رئيساً للمجلس العلمي التحسيني عندما أريد إصلاح نظام التعليم بالقرويين في بداية عهد الحماية، وبقي في منصبه إلى أن وافته المنية.

ألف تأليف كثيرة أربت على المائة كتاب في الفقه والحديث ومصطلحه والسير، معظمها صغير الحجم لكن في غاية التحرير والتدقيق والإتقان، منها : حاشية على شرح الحرشي لفرائض مختصر خليل، وقد طبع على الحجر مراراً : وأخرى على شرح محمد بن عبد القادر الفاسي لنظم العربي الفاسي في مصطلح الحديث، وهي مطبوعة أيضاً : وتأليف في العقائد على مذهب المتكلمين : ورفع اللجاج والشقاق على حكم البيونة في الطلاق عند الإطلاق :



1942 / 6 / 18 ، وهو من أبرز العناصر التي مكنت لأسلوب المدرسة الفاسية بمدينة مراكش.  
مذكرات خطية، لأحمد الوكيل، في حوزة ابنه حاتم الوكيل.

**الخياطي، الغالي** بن عبد السلام ولد بفاس أواخر العقد الثاني من القرن العشرين، ثم رحل إلى الجديدة حيث تلقى تعليمه الابتدائي. وفي عام 1931 رحل من جديد مع عائلته إلى مراكش، وبها لازم دروس والده في الموسيقى الأندلسية بدار السي سعيد إلى غاية 1938. وهو تاريخ تحول الأسرة إلى مدينة الرباط حيث استقدم والده من طرف السلطان محمد الخامس للالتحاق بجوق القصر الملكي للموسيقى الأندلسية. انخرط الفتى في هذا الجوق، كما انخرط في الجوق الملكي للموسيقى العصرية الذي كان يرأسه يومئذ الفنان المصري وعازف القانون مرسي بركات، وبذلك استفاد من المجموعتين، واستطاع الجمع بين التراث الموسيقي الأندلسي والموسيقى الشرقية التي لم يكن قد مضى على تسربها إلى الأوساط المغربية سوى سنوات. كان ملازماً لمجلس الحاج بلهوارى في مدينة أسفي. وعندما استقر بمراكش أسندت إليه إدارة المدرسة الموسيقية لطرب الآلة بدار السي سعيد طوال العقد الرابع.

وقد دعي الغالي الخياطي لتعليم موسيقى الآلة بمعهد مولاي رشيد بالرباط، لما اشتغل عازفاً على الكمان في جوق الإذاعة الوطنية للطرب الأندلسي الذي كان يرأسه - يومئذ - الفنان المرحوم مولاي أحمد الوكيل. وظل يضطلع بالمهنتين إلى وفاته.

ويذكر صالح الشرقي أن الغالي الخياطي لحن مقطوعات شعرية على نسق الصنعة في النوبة الأندلسية. توفي الغالي الخياطي يوم 23 حجة عام 1382 / 27 أبريل 1963.

صالح الشرقي، أضواء على الموسيقى المغربية، ص. 111 : روايات شفوية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

وتقديم رسائل الشيخ مولاي العربي الدرقاوي (ط. حجر فاس، 1318 هـ) عرّف فيه تعريفاً ضافياً بشيخ الطريقة الدرقاوية الذي خلف نحو أربعة آلاف مريد، عمل عدد منهم على تأسيس طرق فرعية في أرجاء المغرب والجزائر. ورسائل في مزايا مدينة فاس، وثلاثة فهارس كبرى ووسطى وصغرى. وقد عدد تأليفه في فهارسه.

توفي بفاس يوم الثلاثاء ثاني عشر رمضان عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف 7 / أبريل 1925 ودفن بحي الرملة قرب زاوية الشيخ علي الجمل.

ع. الحفيظ الفاسي، رياض الجنة، الرباط، 1931، ج. 1 : 127 .  
133 : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع : سل النصال / موسوعة أعلام المغرب، بيروت 1996، ج. 8.

محمد حجي

**الخياطي**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمير الجبلية. ومنهم محمد بن عبد الرزاق الخياطي كان يزاول مهنة العدالة بتطوان سنة 1788 / 1202.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون، 1999 : المراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1612.

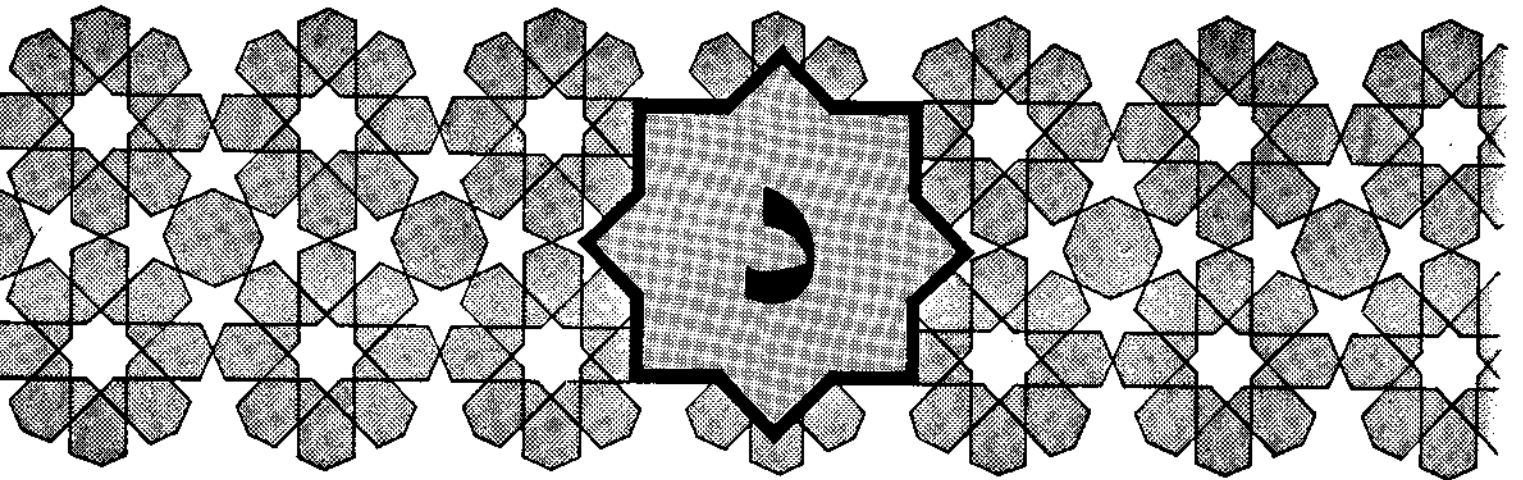
محمد ابن عزيز حكيم

**الخياطي، عبد السلام** بن محمد الفاسي. ولد بمدينة فاس، وبها أخذ مستعملات الموسيقى الأندلسية عن عدة أشياخ من بينهم عبد السلام البريهي، فأتقن النوبات الإحدى عشرة وتفنن في العزف على الكمنجة والرياب. رحل إلى مدينة الجديدة في ريعان شبابه، وأقام بها فترة قصيرة تحول على إثرها عام 1931 إلى مدينة مراكش ليقضي سبع سنوات في تدريس الموسيقى الأندلسية بدار السي سعيد. وكان من بين من أخذوا عنه هذا الفن نجلاء الغالي وعباس، والفنان محمد أويتجار الملقب الشلح الذي برع في العزف على الكمنجة، والشريف مولاي عبد الله الوزاني.

كان خلال إقامته بمراكش يشد الرحل بين الفينة والأخرى إلى مدينة أسفي لحضور المجالس الفنية التي كانت تلتئم ببيت الفنان الحاج عبد الرحمن بلهوارى بحي تراب الصيني. وعمل عبد السلام الخياطي على تأسيس جوق لموسيقى الآلة ضم خيرة الفنانين بمراكش، وظل على رأسه إلى أن استقدمه محمد الخامس عام 1938 إلى الرباط للالتحاق بجوق القصر الملكي، فرحل رفقة أسرته، وسكن بحي تواركة، بعدما خلفه في رئاسة جوقه تلميذه الشريف مولاي عبد الله الوزاني.

توفي عبد السلام الخياطي بالرباط يوم 4 رجب 1361 /







**دابار Dabar**، أمير نوميدي كان يقيم في بلاط بكوس الأول Bocchus، ملك موريطانية (المغرب القديم). لعب دورا في المفاوضات التي قامت بين بكوس والقائد الروماني سولا Sulla كممثل للقتل مارسيوس Marius، والنوميدي أصبار Aspar كممثل للملك يوغرطة. قامت هذه المفاوضات في السنة الأخيرة من الحرب التي شنتها الجيوش الرومانية ضد يوغرطة، بالتدخل في مملكته نوميديية من 111 إلى 105 ق. م.

المصدر الوحيد الذي عرّفنا بالأمير دابار هو كتاب حرب يوغرطة *Bellum Jugurthinum*، للمؤرخ الروماني سالوستيوس Sallustius، الذي عاش بين 86 و35 ق. م. وتحدث عن دوره في التأثير على مواقف الملك بكوس، وإفناعه بالاستجابة لرغبة الرومان في إلقاء القبض على يوغرطة وتقديمه أسيرا لسولا.

قال سالوست في الفصل 108 : "كان يعيش بجانب بكوس ويدخله أشد المداخلة نوميدي اسمه أصبار. وكان يوغرطة لما علم بقدم سولا قد بعثه على جناح السرعة ليمثله ويستطلع نوايا حليفه في آن واحد. كما كان هناك أحد أبناء مسوگرادة Massugrada، واسمه دابار من عائلة ماسنيسية، ولكن مولده وضع من ناحية جدته، لأن أم أبيه كانت محظية. وكانت أخلاق دابار المرضية قد جلبت له رضا بكوس الذي اختير في عدة مناسبات لإخلاصه لرومة، فبعثه في الحال يعلن لسولا أنه مستعد لتنفيذ إرادات الشعب الروماني، وأن ليس على سولا إلا أن يختار بنفسه اليوم والمكان والساعة لمفاوضتهما، من غير اهتمام بمثل يوغرطة، وأنه تعمد ألا يغير شيئا من علاقته مع هذا الأخير، وذلك ليستطيع التفاوض بكل حرية في مصالحهما المشتركة إذا لم تكن هناك من وسيلة أخرى لاتقاء عراقيل الملك (يقصد يوغرطة)".

إن هذا الحدث الذي برز فيه دابار يرجع إلى البعثة الثانية التي جاء فيها سولا إلى بكوس قصد إنهاء الحرب بالمفاوضة. وقد سبقت ذلك جولة أولى من التفاوض بين بكوس وكل من سولا ومانليوس Manlius، لا شك أن دابار كان له فيها إسهام فعال. ونعلم أنه بعد هذه الجولة الأولى بعث بكوس إلى رومة سفارة تتكون من خمسة أشخاص لم ترد أسماءهم في النص، قد يكون دابار أحدهم.

أما الجولة الثانية التي برز فيها دابار، فإن الكاتب يفيدنا أن بكوس كان يتظاهر ليوغرطة ولمثله أصبار بأنه يدافع عن مصالحهما المشتركة، ويسعى إلى تحقيق السلم مع الرومان. لكن بكوس كان يجري اتصالات سرية مع سولا دون حضور أصبار، غير أن دابار كان يحضرها، وهو الذي ينقل إلى بكوس طلبات سولا وتعليماته ثم يخبر سولا بالإجراءات والترتيبات التي يتخذها بكوس.

قال سالوست في الفصل 109 : "فأجاب سولا بأن حديثه بحضور أصبار سيكون مقتضيا. أما عن الباقي فسيكون له مع الملك حديث سري لا يحضره أي شاهد، أو يجري بحضور عدد ضئيل جدا. وفي نفس الحين أملي نص الجواب الذي أراد أن يبلغ للملك. ووقع الاجتماع كما أراده فقال إنه أتى من لندن القنصل (ماريوس) يطلب إلى بكوس هل يريد السلم أو الحرب. فطلب منه الملك حسب التعليمات التي تلقاها، أن يعود بعد عشرة أيام لأنه لم يكن يومه هذا قد قرر شيئا ولكنه سيعطي الجواب في اليوم العاشر. ثم افترقا وذهب كل واحد إلى معسكره. فلما تقدم الليل بكثير استدعى الملك سولا وكان مع كل واحد مترجمون موثوق بهم، زيادة على دابار الرجل الصادق الذي نال رضا الجانبين".

يخبرنا الكاتب عن فحوى المناقشة التي دارت في هذا الاجتماع السري الذي حضره دابار، حيث التزم بكوس بالولاء والإخلاص للرومان ووعد بتقديم كامل المساعدات

من السلاح والمال والرجال. ثم أشار الكاتب إلى التبرير الذي تقدم به بكوس لتدخله السابق في الحرب لصالح يوغرطة ضد الرومان، فنسب للملك الكلام التالي في الفصل 110 : "إنني لم أحارب ولم أرد قسماً أن أحارب الشعب الروماني وإنما حميت بحد السلاح حدودي التي هوجمت بحد السلاح، وإنني لأتخلى عن هذه الحماية، إذا كان ذلك يرضيكم، فحاربوا يوغرطة كما تشاؤون، ولن أتخطى نهر ملوشة Mulucha الذي كان هو الحد بيني وبين ميكيسة Micipsa، كما لن أسمح ليوغرطة باجتيازه، وإذا كان لك ما تطلبه غير هذا مما يلقى بي ويشعبك فلن تذهب إلا وقد نلته".

كما يخبرنا الكاتب عن رد سولا في هذا اللقاء السري بحضور دابار. وهذا كلام سولا في الفصل 111 : "إن مجلس الشيوخ الروماني نظراً لانتصار أسلحتهم، لا يعتبرون الوعود التي بحملها كافية للاعتراف لهم، فعلى الملك إذن أن يعمل شيئاً يبدو وكأنه قد أوجت به المصلحة الرومانية لا مصلحته الخاصة، وهو عمل سهل حيث إن يوغرطة يوجد بين يديه، فإذا سلمه للرومان، اعترفوا أن له عليهم يدا عظيمة، وهبوه من ذات أنفسهم الصداقة والخلف والجزء الذي يطلبه الآن من نوميديّة".

أشار الكاتب إلى أن بكوس رفض في البداية طلب سولا الذي يقضي بتسليم يوغرطة. ولا شك أن دابار لعب دوراً حاسماً في إقناع بكوس بوجهة النظر الرومانية. ثم أخبرنا سالوستيوس عن تطور الأحداث بعد هذه المفاوضات السرية بقوله في الفصل 112 : "وفي الغد دعا الملك إليه أصبار ممثل يوغرطة، وقال إن سولا أخبره بواسطة دابار أن بالإمكان إنهاء الحرب بالمفاوضة لمعرفة الشروط، ثم رجاه أن يستخبر سيده حول نوابه. فذهب أصبار فرحاً إلى معسكر يوغرطة، وأحرز على جميع التعليمات، ثم رجع مجدداً في سيره فوصل عند بكوس في اليوم الثامن".

أشار الكاتب إلى أن يوغرطة اقترح بدوره على بكوس اعتقال سولا للضغط على رومة. وقد ذكر بلوتارخوس : Plutarque, *Marius*, 10, 5 "إن سيده يخضع لجميع ما يطلب منه، ولكنه يتحذر ماريوس، وأن الصلح الذي عقد من قبل مع القادة الرومانيين عدة مرات قد بقي حياً على ورق. وأن بكوس إذا كان يريد خدمة مصالحهما معا وكان يطمئن إلى سلم حقيقية، فعليه أن يهيئ باسم السلم اجتماعاً يحضره جميع المعنيين بالأمر، وهنا يسلم له سولا. وحين يرى مجلس الشيوخ والشعب الروماني أن هذه الرهينة في حيازته فإنهم لا يتوانون في عقد المعاهدة، ولا يتركون في قبضة العدو رجلاً سامياً مثله لم يقع ضحية لجبنه وإنما وقع لإخلاصه للجمهورية".

ذكر سالوستيوس التردد الذي انتاب بكوس، والغالب أن دابار وآخرين من رعاياه الموريين، الذين كانوا يميلون إلى

التعامل مع الرومان، أمثال ماغدولسة Magdusa، قد دفعوا الملك أخيراً إلى اتخاذ القرار الحاسم : إنه نصب كمين للوفد المرافق ليوغرطة وقتلهم جميعاً، ثم اعتقال يوغرطة وتسليمه لسولا. الفصل 113.

بعدما تعرفنا على الجو العام الذي يحيط بوجود الأمير النوميدي دابار في بلاط الملك الموري بكوس الأول، ودوره في الجولة الثانية من المفاوضات، نتساءل عن الظروف والأسباب التي جعلت دابار يقيم في مملكة بكوس، لدرجة أنه أصبح من الأمناء على أسرار الملك.

إن إخلاص دابار للرومان هي شيمة معروفة عند الملوك والأمرء النوميديين، نظراً للتحالف الذي كان قائماً بين الأسرة الملكية ورومة، منذ ماسنيسة الذي ينتمي إليه دابار. أما العلاقة بين الموريين والنوميديين قبل حرب يوغرطة، فيبدو أنها كانت هادئة، بالرغم من أن الملكة المورية كانت تلتزم سياسة الاحتراز من رومة، ولم يتورط الموريون في الصراع القرطاجي الروماني كما فعل النوميديون. لكن الملك بكوس وبعض خواصه كانوا يهتفون الجولاً لاتخاذ منعطف في السياسة الخارجية، بالانفتاح على رومة والتعامل معها.

هنا نفهم الظروف الداخلية في موريطانية، التي سمحت لدابار وأمثاله بالالتجاء إلى الملك الموري بكوس. ومن جهة أخرى نفهم الدور الذي لا شك أن دابار لعبه في تحول سياسة الموريين من الانغلاق على الرومان إلى الانفتاح على تجارتهم وتأثيراتهم. نعتبر أن دابار هو أحد المعارضين لسياسة يوغرطة في فترة امتدت من سنة 118 ق.م. حيث توفي ميكيسة وقتل ابنه هيمبسال Hiempsal، وسنة 108 ق.م حيث تم التحالف بين بكوس ويوغرطة.

وهناك حدثان جعلوا النوميديين ينفصون من حول يوغرطة، ويتخذون وجهة رومة أو موريطانية في ملاحظتهم. الحدث الأول هو فرار النوميديين بعد مقتل أذربعل Adherbal في عاصمته قيرطة Cirta سنة 112 ق.م. الحدث الثاني هو اكتشاف يوغرطة لمؤامرة اغتياله من تدبير القائد الروماني ميتلوس Metellus مع النوميدي بوملكار Bomilcar.

بالنسبة للحدث الأول قال سالوستيوس في الفصل 35 : "كان آنذاك في رومة نوميدي يدعى مسيفة Massiva وهو ابن كلوسة Gulussa وحفيد ماسنيسة، وكان في حرب الملوك قد انحاز ضد يوغرطة (الصالح أذربعل)، ثم فر وهجر وطنه بعد استسلام قيرطة واغتيال أذربعل. ونظراً لانحداره من ماسنيسة فإن ألبينوس Albinus قد أقنعه بأن يطالب بمملكة نوميديّة من مجلس الشيوخ... إن يوغرطة أقنع بوملكار Bomilcar، أخص أصدقائه وأوفاهم بأن يعرض المال على بعض الرجال - كما فعل من قبل - ليصيبوا كميناً في السر التام لسيفة، وإذا أخفقت المحاولة

فليقتلوه كيفما أمكن. فنفذ بوملكار أوامر الملك بكل سرعة وهاجم أحد من اكترهم لهذه الجريمة مسيفة من غير احتياط للأمر فقتله".

بالنسبة للحدث الثاني قال في الفصل 72 : "ويعد أن أعدم بوملكار وكثيرا من الناس ممن كان على علم بالمشاركة في المؤامرة، أطفأ غضبه خوفا من إثارة الفتنة" ثم أضاف في الفصل 74 : "كان يوغرطة قد فقد أصدقاءه، فكثير منهم قتل على يده هو، والآخرون الخائفون التجأوا إلى الرومانيين أو إلى الملك بكوس".

وأيا ما كان الأمر، فسواء كان الأمير دابار قد فر مع خصوم يوغرطة الموالين لأذربعل أمثال مسيفة، أو كان من المتواطئين مع بوملكار ضد ملكهم وتمكن من الفرار، فإن مقامه في موريطانية ضمن حاشية الملك الموري كواحد من أخص أصدقائه، يوضح وزنه السياسي ودهاءه وتأثيره على مواقف بكوس الذي أنهى الحرب لصالح الرومان.

وهنا نعتقد أن دور الأمير دابار في السياسة الداخلية لبكوس ظل متواصلا، علما أن المورين قاموا بانتفاضة بعد حرب يوغرطة، وهم يرفضون سياسة التعامل مع الرومان التي نهجها عاهلهم. ولا شك أن دابار ظل من أعوان الملك في التصدي لرعاياه الناقمين على حكمه، أمثال الموري ماكدولسة الذي تحول إلى صف المعارضين للملك.

لكن بكوس تمكن من إحياء الانتفاضة سنة 91 ق. م. حيث أعدم ماكدولسة، وأرسل إلى رومة تماثيل ذهبية لإلهة النصر الرومانية تحمل شعار النصر والغلبة، ومعها تماثيل أخرى من الذهب تظهر بكوس وهو يسلم يوغرطة لسولا. وفي ظني أن بكوس عمد إلى هذه الممارسة لإيذاء التثبيت بالتحالف السياسي والتعامل الاقتصادي مع رومة، كما يحلو لدابار وغيره من الذين لهم مصلحة في ربط العلاقات مع رومة.

سالوست، حرب يوغرطة، تر. م. التازي سعور، فاس، 1982؛ م. مجدوب، أضواء على أوضاع موروسية من خلال حرب يوغرطة، مجلة بحوث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العددان 2، 3، 1990، ص. 61، 82؛ مملكة المورين وعلاقتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م.، ر.د.ع.، كلية الآداب، فاس، 1990؛ المغرب القديم من خلال كتاب حرب يوغرطة لسالوست، اليوم الوطني لمجموعة البحث في الجغرافيا التاريخية لبلاد المغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، 1996، تحت الطبع.

M. Majdoub, *Les luttes du début du 1er s. av. J.-C. au nord de la Maurétanie*, Roma, 1992, p. 235 - 8 ; Idem. *La Maurétanie et ses relations commerciales avec le monde romain jusqu'au 1er s. av. J.-C.*, *Africa Romana*, 11, 1994, sous presse.

محمد مجدوب

**الدايد**، من ألفاظ اللهجة الدارجة المغربية كان تداوله سائدا بين الصناع والحرفيين، وهو تحريف لكلمة الضابط

العربية الأصل. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن تحريف نطق الكلمات عربية وأمازيغية وأجنبية كان أمرا عاديا في اللسان الدارج لاعتبارين : أولهما ميل العامة إلى تبسيط بعض الحروف الثقيلة والمفخمة والتخفيف منها بالحذف والادغام، وثانيهما أن الكلمات المحرفة كان ينطقها جمهور عامة الناس ممن لا يحسنون مبادئ القراءة والكتابة دون أن يعرفوا كيف كانت تكتب. لذلك كانت تتحول من أصولها في النطق جزءاً أو كلاً لتبرز كلمات جديدة منحوتة بدلها، وهو أمر ينطبق على سائر اللهجات في العالم.

والدائد أداة حديدية لها مرتكز وساقان قائمان على شكل ساقين مثلث قائم متساوي الأضلاع كان الحرفيون المغاربة في القرن الماضي وما سبقه، من خرازين وحدادين ونجارين وبنائين ومعماريين وغيرهم يستعملونها لتحديد الأبعاد والمقاييس ورسم الأشكال الهندسية نصف الدائرية والدائرية وتحديد الأقواس والمنحنيات على المعادن والخشب والجلود والجدران وغيرها. وقد كانت هذه الأداة معروفة في المغرب والأندلس وبلدان المشرق العربي منذ عدة قرون وذكرتها العديد من المستندات التاريخية والنصوص الأدبية والعلمية التي يزرخ بها التراث العربي. وهي بذلك أداة عريقة كما يشهد على ذلك اسمها العربي، والاسم المتداول الذي يدل عليها حالياً هو البركار، وهو لفظ لا تعرف بالضبط كيف تم استعماله.

محمد الحلوي، معجم الفصحى في العامية المغربية، الدار البيضاء، 1988؛ ع. القادر زمامة، فاس وصناعتها التقليدية، مجلة كلية الآداب بفاس، العدد الرابع والخامس، السنة 1980. 1981؛ مؤلف مجهول، ورقات في أسرار بعض الصنائع، مخطوط مكتبة كلية الآداب بالرباط رقم 216 مكل.

Anonyme, *L'industrie marocaine des peaux*, B.I.D.M., juillet 1942 ; G. Baumont, *L'avenir des corporations artisanales au Maroc*, [s.l.] 1949 ; P. Bory, *Métiers et arts indigènes*, Casablanca, 1941 ; L. Brunot, *La cordonnerie indigène à Rabat*, *Hesp.*, T. 3, 3° - 4° trim., 1946.

محمد بوسلام

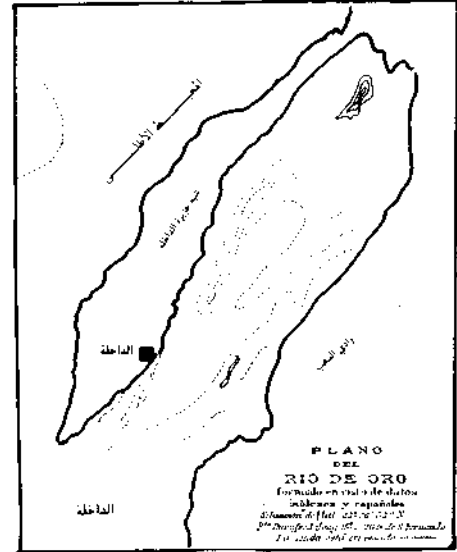
### الداخلية - جغرافيا، مدينة متوسطة الحجم (37000)

نسمة عند منتصف سنة 2000)، تقع على بعد 600 كم من مدينة العيون بأقصى الجنوب الغربي للأقاليم الصحراوية المغربية. وتتميز بموضعها عند نهاية شبه الجزيرة التي تحمل نفس الاسم والتي تمتد على مسافة 40 كم طولاً و 2 إلى 5 كم عرضاً مُشكِّلة عند التقائها بالمحيط الأطلسي ما يسمى بخليج وادي الذهب. وتعتبر آخر نقطة حضرية جنوب البلاد وعاصمة جهة وادي الذهب الكوريرة.

كانت في الأصل عبارة عن مستعمرة أنشأتها إسبانيا التي كانت تحتل هذه المنطقة إلى حدود سنة 1975، وقد استرجعها المغرب يوم 14 غشت 1979 على إثر تخلي الإدارة الموريتانية عنها.

وتفيد المعطيات الإحصائية المتوفرة حول المدينة، أن عدد سكانها تزايد بشكل سريع منذ بداية الثمانينيات، إذ مر من 17309 نسمة سنة 1982، إلى 29831 سنة 1994 ثم إلى 37000 نسمة سنة 2000، أي بزيادة إجمالية بلغت حوالي 19700 نسمة في ظرف 18 سنة، أي ما يعادل نسبة تزايد سنوي يقدر بـ 431٪ وهذا يبين أن عدد السكان بالمدينة تضاعف مرة واحدة خلال العقدين الأخيرين. وبالاعتصار على فترة 1982 - 1994 فقط، يلاحظ أن الأصل في الزيادة المذكورة لا يعود فقط إلى الزيادة الطبيعية التي ساهمت بنسبة 46.5٪، ولكنه يرتبط أيضاً وبالدرجة الأولى بالتوافد الذي يمثل نسبة 53.5٪. وفي الواقع، شكلت الداخلة منذ استرجاعها على غرار بقية المدن بالأقاليم الصحراوية المغربية قبلة للتوافد ليس فقط على مستوى الأقاليم الجنوبية ولكن أيضاً على الصعيد الوطني. وتتوزع أصول الوافدين عليها طيلة العشرة الأخيرة على الشكل التالي :

- الأقاليم الجنوبية : 17٪
- السهول والهضاب الأطلنتية الوسطى : 47٪
- المناطق الداخلية : 32٪
- أقاليم أخرى : 4٪



ويبلغ عدد الأسر بالمدينة 5855 سنة 1994 في مقابل 1528 سنة 1982. وهذا يبين أن الزيادة الإجمالية للأسر خلال فترة 12 سنة كانت تقدر 4327، أي أنه على عكس عدد السكان تضاعف عدد الأسر ثلاث مرات تقريباً. ويبلغ حجم الأسرة في المتوسط خمسة أفراد بدل عدد 11.83 الذي سجل بالمدينة سنة 1982. ويرتبط هذا التراجع أساساً بالتوافد الذي هم على الخصوص الأسر النووية وعناصر العزاب.

ويبرز توزيع السكان الشيطيين حسب القطاعات الاقتصادية سيادة أنشطة القطاع الثالث التي تستأثر بنسبة 61٪ من المجموع. وتقتل الإدارة العمومية والجندية الفروع

التي توفر أكبر عدد من مناصب الشغل (51٪). كما تعتبر التجارة أهم أنشطة هذا القطاع بدورها، خاصة وأنها تدخل في التقاليد العريقة لسكان المنطقة بصفة عامة. تستحوذ التجارة حالياً على حوالي 8٪ من مجموع النشاطين، ويغلب على أنشطة المحلات التجارية بيع المواد الغذائية بنسبة 45٪، إضافة إلى الألبسة وأمتعة التجهيز المنزلي بنسبة 12٪.

كما يعتبر قطاع الصيد البحري من أهم الأنشطة الحضرية حيث يساهم في التشغيل بنسبة 22٪. ويتميز هذا القطاع بسيادة الصيد الساحلي الذي يوجه إنتاجه أساساً إلى السوق المحلية. أما الصيد في أعالي البحار فيكتسي بدوره أهمية كبيرة بساحل الداخلة، لأنه يهم أزيد من 70٪ من الأسطول الوطني. إلا أن انعكاساته على الاقتصاد الحضري المحلي متعددة تماماً. ويرتبط هذا النشاط بوجود ثروة سمكية هامة على طول الساحل الأطلسي للمنطقة وكذا بالخليج الصغير لوردي الذهب، وهي اليوم معرضة لمخاطر الاستغلال المفرط والتلوث القوي. ويرتبط بهذا القطاع نشاط صناعي جد متواضع يتمثل أساساً في بعض وحدات إنتاج الثلج الذي يستعمل لحفظ الأسماك عند التخزين والنقل.

ويتكون المجال الحضري بالداخلة من النواة التي تعود إلى الفترة الإسبانية والأحياء الجديدة التي ظهرت بعد 1979. وتنظم المدينة حول المرفقين الأساسيين اللذين يربطانها بالخارج وهما الميناء والمطار. تمتد الأحياء الأصلية على طول شارع الحسن الثاني الذي يربط الميناء بالمطار، والذي تتفرع عنه شبكة من الطرق في اتجاه الأحياء الجنوبية والشمالية من المدينة. ويعتبر هذا المحور وامتداده الجنوبي مركز المدينة لأنه يحتضن التجهيزات السوسيوثقافية والشبكة العسكرية والمركز التجاري. أما الأحياء الجديدة فتمتد جنوب وشمال مركز المدينة وهي أساساً عبارة عن مناطق سكنية.

وتجدر الإشارة إلى أن تركز معظم سكان جهة وادي الذهب الكويرة والخاصية السريعة التي تم بها التمددين بالداخلة قد أسفرا عن تدهور المشاهد الحضرية بشكل كبير جداً، سواء بالأنوية الحضرية الموروثة عن الفترة الاستعمارية أو بالأحياء الجديدة. وتتجلى هذه الظاهرة في تقادم البناءات بأحياء لمخصصات ولبريشات وحي الميناء وكذا حي الرغيبات... كما تتمثل أيضاً في تداخل أنواع السكن على مستوى نفس الحي ونفس الشارع وغياب أي تجانس أو تناسق معماري بالمدينة. أضف إلى ذلك أن تفكك النسيج الحضري يطرح بدوره مشكل عدم توفر نوع من التدرج في المراكز الحيوية بالمدينة، وضعف التماسك ما بين مختلف الأحياء المكونة لها.

أبحاث شخصية : تصميم تهيئة مدينة الداخلة.

عثمان هناكا



\* \* يرتبط تاريخ مدينة الداخلة بالإسبانيين، فقد أسسوها بشبه جزيرة الداخلة في الصحراء (إقليم وادي الذهب حاليا) سنة 1303 / 1885، وسموها بيثايسنيروس Villa Cisneros نسبة إلى الأسقف الإسباني فرانسيسكو فيرنانديث دي ثيسنيروس Francisco Fernandez de Cisneros الذي اختارته الملكة الإسبانية إيسابيل الكاثوليكية Isabel la Católica معرفا لها.

في يوم 16 سبتمبر 1877 ترأس الملك الإسباني الفونسو الثاني عشر Alfonso XII بمؤيد الجلسة التأسيسية للجمعية الإسبانية لاكتشاف الصحراء la exploracion del Sahara ونشاء على مقرراتها بعثت جمعية الصيد الكانارية الإفريقية Sociedad de Pesod Canario - africanas وكيلين عنها إلى شبه جزيرة الداخلة قاما باتصال مع بعض المغاربة الفاطنين بها وعادا إلى الجزر الخالدات يدعيان بأنهما اشتريا منهم شبه الجزيرة المذكورة، وكان ذلك أواخر سنة 1881 / 1299.

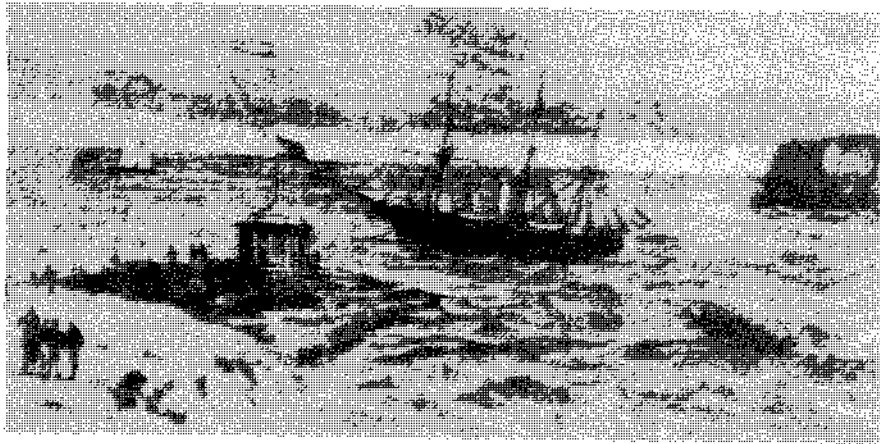
وفي 5 نوفمبر 1883/1301 انعقد بمديريت المؤقر الإسباني للجغرافيا الاستعمارية والتجارية Conareso español de geografía colonial وكان من بين مقرراته العمل على إنشاء مركز أو مركزين إسبانيين بالشاطن الصحراوي الموالي للجزر الخالدات، وتأسيس شركة إسبانية للمستعمرين الإفريقيين Sociedad española de Africanistas. وقامت بالفعل هذه الشركة بمديريت في شهر ديسمبر من نفس السنة. وفي يوم 30 مارس 1884 عقدت مهرجانها الأول بمسرح الحمراء بالعاصمة الإسبانية. ولما علمت شركة الصيد الكانارية الإفريقية بهذه التحركات شبه الرسمية، قامت بتفويت "حقها" في شبه جزيرة الداخلة إلى الشركة التجارية الإسبانية الإفريقية المؤسسة بمديريت يوم 9 نوفمبر 1883 والتي قامت بإرساء سفينتين تجاريتين بالقرب من شاطن الداخلة في شهر فبراير من سنة 1884.

ومما أن علمت شركة المستعمرين الإفريقيين بهذه الصفقة الوهمية وبوجود السفينتين المذكورتين بالشاطن الصحراوي حتى كلفت الملازم الاحتياطي إميليو بونيلي Emilio Bonelli بالقيام بعملية استطلاعية للشاطن المذكور الموالي للجزر الخالدات فقام بجولة بحرية ويرية من رأس بوجدور (خط العرض 27 درجة) إلى الرأس الأبيض (خط العرض 20 درجة)، ونتج عن ذلك أن اختار يوم 3 نوفمبر من نفس السنة ثلاث بقع أقام فوق كل واحدة منها كوخا من خشب رفع عليه العلم الإسباني : الأول يشبه جزيرة الداخلة وأطلق عليها اسم بيثايسنيروس، والثاني بخليج الرأس الأكلح وسماه بويرطو باديا Puerto Badia، والثالث بالگويرة (الرأس الأبيض) وسماه بويرطو أو مدينة كاطيبي Puesta o Medina Gatell.

وعلى إثر ذلك أعلنت حكومة مدريد يوم 26 ديسمبر 1884 بلاغا أخبرت فيه الدول الأوروبية بأنها قررت بسط حيايتها على الشاطن الصحراوي الممتد من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض. وفي شهر يناير 1885 شرع بونيلي في بناء مركز الداخلة بالحجارة، فكان رد فعل المغاربة أنهم هاجموا المركز يوم 9 مارس وحطموا البناء وأحرقوا الكوخ ونهبوا الأمتعة وقتلوا بعض الإسبانين وأسروا البعض الآخر ولم ينج منهم إلا من كان على ظهر السفينة التي كانت راسية بمياه الداخلة وتمكنوا من الفرار واللجوء إلى الجزر الخالدات.

لم يبق للإسبانين وجود بأرض الصحراء المغربية طيلة ثلاثة أشهر أي إلى أن طلبت شركة المستعمرين الإفريقيين من الحكومة الإسبانية حماية "مصالحهم" بالداخلة، واستجابت مدريد لذلك فأذنت لبونيلي في العودة إلى الداخلة مرة ثانية معززا بكتيبة عسكرية مكونة من 20 جنديا يرأسهم القبطان خوسي شاكون José Chacon وكان ذلك يوم 8 يونيو من نفس السنة.

وفي 10 يوليوز عين بونيلي مندوبا ملكيا Comisario



الاحتلال الإسباني الثاني لشبه جزيرة الداخلة يوم 8 يونيو 1885

Mis memorias (22 años en el desierto), Madrid, 1947 ; Espasa-Calpe, Madrid, t. 28, p. 2784 ; Carnero Ruiz, Vocabulario geografico-saharico, Madrid, 1955 ; Ibn Azzuz Hakim, M., Por que reivindicamos Rio de Oro, Rabat, 1966.

محمد ابن عزوز حكيم

**دادا أيوب،** ولي صالح يوجد ضريحه بداخل مدشر أسير (انظر مادة أسير : المعلمة) تعتبره فصيلة إدأيوب من أمازيغ جدها الأسمى كما يظهر ذلك فعلا من وجوده داخل شريط سكنها بالمدشر على اعتبار أنه الولي الوحيد المدفون داخل المدار السكني بأسير. ونجمل الأسباب الحقيقية التي جعلت منه مزارا رئيسيا للسود في إطار ممارستهم التقليدية قبل انطلاق رقصاتهم الفولكلورية. ويبقى التناقض مع ذلك مساهما في تكريس وجه الإشكال إذ كنا نجد في إحدى وثائق عائلة أهل مبارك الحاج (من إدأيوب) مشجرا يصل الجذ الأعلى إيوب بجذور شريفة وذلك عبر إواليه ريطه بالولي الشهير محمد بن عمرو اللمطي، مع الاختلاف الواضح في التصاعد السلافي داخل الوثيقة وأيضا لصعوبة تحديد نسب ضريح لمحمد بن عمرو نفسه ( خلال جزولة، 2 : 13، 15).

فهل يحق لنا أن نربط هذه المشاغل بالمذ القلي لأزوايط على مدشر أسير ؟ هل يمكن أن يكون دادا أيوب رمزا لاستمرارية فصيلة تخشى الذوبان بفعل التوسع والاستقرار الكبيرين على مستوى المدشر طوال القرون اللاحقة للقرن السادس عشر ؟ هل يكون ذلك أيضا رغبة في إثبات أصالة الانتماء وانتزاع التمثيل في صلب التمايزات داخل فروع التشكيل الأمازيغية بأسير ؟ هل يجوز لنا أن نرى في أهمية امتلاك عالم القداسة طموحا لاستكمال ومراعاة العناصر الرمزية التي جعلت منها المواجهة عناصر رئيسية للمقاومة.

إن دراسة معمقة وحدها كفيلا بالإجابة عن تلك الأسئلة التي تبقى مثيرة للانتباه إلى تنوع الوثيقة وشساعة الحقل التاريخي الخاص بكل مدشر في خصوصيته ثم في انفتاحه على أحداث وادي نون في ظروف نفتقد فيها أي معلومات مؤكدة.

م. المختار السوسي، خلال جزولة، الجزء الثاني، تطوان د. ت.

V. Monteil, Notes sur Ifni et les Ait Ba-Amran, Paris, 1948.

أحمد جوماني

**دادا عطا،** شخصية لم يصلنا عنها سوى معلومات طفيفة لا تسمح بضبط الحلقات الجوهرية من حياتها ومراحل تنقلها في الزمان والمكان، وحتى الأخبار التي وصلتنا عن دادا عطا أخذها وجمعها أصحابها بواسطة الروايات الشفوية في غالب الأحيان.

regio بالشاطئ الصحراوي الممتد من رأس يوجدور إلى الرأس الأبيض. وفي 10 أكتوبر سلمت شركة المستعمرين الإفريقيين حصن الداخلة إلى الحكومة الإسبانية التي قامت باحتلاله عسكريا يوم 16 ديسمبر.

وفي سنة 1899/1317 م أعفي بونيلي من منصبه، وحل محله ضباط عسكريون إلى أن تم التوقيع على المعاهدة الإسبانية الفرنسية ليوم 27 يونيو 1900 والتي بمقتضاها اعترفت فرنسا بـ"حق" إسبانيا في بسط نفوذها على بيبيثيسيروس Villa Cisneros وجزء من الصحراء الغربية المغربية الممتد من خط العرض 26 درجة (جنوب رأس يوجدور) إلى خط العرض 21 درجة و20 دقيقة (شمال الرأس الأبيض) غير أن إسبانيا لم تتمكن من احتلال أية بقعة من الأرض المغربية المذكورة حيث إن وجودها بناحية الترس (وادي الذهب) اقتصر على وجودها بمدينة بيبيثيسيروس، وهذا ما جعل التشريعات التي أصدرتها حكومة مدريد ابتداء من سنة 1901 تطبق فقط بالمدينة المذكورة، ونعني بذلك المرسوم الملكي ليوم 12 أبريل 1901 الذي بمقتضاه أصبح شاطئ الصحراء صوريا تحت نظر وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الخارجية، والرسوم الصادر في 7 نوفمبر من نفس السنة بخصوص كيفية تسيير الشاطئ المذكور إداريا.

وفي شهر ديسمبر 1903 عين الضابط فرانثيسكو بينس Francisco Bens حاكما سياسيا وعسكريا على شاطئ الصحراء. وحل بمدينة بيبيثيسيروس يوم 17 يناير من السنة التالية مصحوبا بواحد وثلاثين جنديا وممرض واحد، غير أنه لم يتمكن من القيام باحتلال أية بقعة أخرى بأرض الصحراء إلا يوم 29 يونيو 1916 حيث احتل رأس جوي (طرفاية)، والكويرة يوم 30 نوفمبر 1920.

وابتداء من صدور المرسوم الإسباني بتاريخ 25 يناير 1919 أصبحت مدينة بيبيثيسيروس تابعة للإقامة العامة الإسبانية بتطوان في شمال المغرب، وفي سنة 1934 احتلت القوات الإسبانية منطقة إفني ومدينة اسمارة بالساقية الحمراء، وعندئذ أصبحت مدينة بيبيثيسيروس عاصمة للأقاليم الصحراوية المحتلة من لدن إسبانيا إلى غاية سنة 1940 حيث انتقلت الإدارة المركزية إلى مدينة العيون.

ظلت مدينة بيبيثيسيروس تحت الحكم الاستعماري الإسباني إلى أن تم التوقيع على اتفاقية مدريد المبرمة بين إسبانيا والمغرب وموريطانيا، فأصبحت المدينة المذكورة تابعة للنفوذ الموريطاني إلى أن تخلت عنها موريطانيا وقام سكان المدينة بمبايعة ملك المغرب يوم 13 غشت 1979 حيث أصبحت عاصمة إقليم وادي الذهب وعاد إليها اسمها الحقيقي : الداخلة.

Bonelli, E., Nuevos territorios españoles en la costa del Sahara. Bol. Soc. Geografica, Madrid XVIII 1885 ; El Sahara Madrid, 1887 ; Garcia Figueras, T. Santa Cruz de Mar Pequeña - Ifni. - Sahara, Madrid, 1941 ; Domenech, A., Algo sobre Rio de Oro, Madrid, 1946 ; Bens, General.

ولعل هذا يعود إلى كون القبائل الهامشية التي كانت تعيش في المناطق النائية عن العواصم الكبرى لم تتل حظها من كتب الحوليات، أضف إلى ذلك إلى كون الفقهاء المحليين لم يهتموا بالرحل. ولا يذكرون هذه القبائل إلا لوضعها في طي الكتبان، كما أن مجتمع أيت عطا مجتمع يعتمد على الروايات الشفوية أساسا ونقل الأخبار بشكل متوارث. وإلى جانب هذه العوامل فإن "دادا عطا" شخصية رمزية في المتخيل العطاوي (أيت عطا) أكثر منها شخصية عادية. ولهذا أحيط بالخورق والكرامات والأساطير لدرجة يبدو معها "دادا عطا" وكأنه شخصية وهمية. وعلى كل فقد اعتبر بمثابة جد أيت عطا الأعلى. وحسب الروايات فإن "دادا عطا" عاش في النصف الثاني من القرن العاشر (16 م) على الخصوص بحيث كان هو المؤسس لاتحادية أيت عطا حوالي 1550 م. كما أنه حسب هذه الأخبار دفين واحة درعة قرب اكشوة في مكان يدعى "إيمي ن تال ن إلكتاون" أي "قم وادي لكتاوة".

وتقول الأخبار إن دادا عطا من أقارب الشريف الإدريسي مولاي عبد الله بن حسين المصلوحي. بل هو من تلامذته أيضا، وهذا ما جعل قبائل أيت عطا تدين بالولاء لزاوية تامصلوحت إلى يومنا هذا.

كما أن "دادا عطا" تحالف مع سعيد الحنصالي الشيء الذي جعل قسماً من أيت عطا يدين بالولاء أيضا للحنصاليين. وقد لاحظ غلنير Gellner ومن قبله سبيلمان Spillman أن قبائل أيت عطا تقوم باستحضار الانتماء إلى الجد الأعلى "دادا عطا" كمرجع رمزي تنحدر منه مجموع تلك السلالات، وذلك لكون هذا الجد عنصراً أساساً لتحقيق التماسك ووحدة قبائل أيت عطا أمام الخطر المحدق. وسمى غلنير عملية الاستحضار هذه بعملية الانتصار. ولم يقف دور استحضار "دادا عطا" على حالة الاستنفار، بل إن قبائل أيت عطا تستمد مواقفها من المخزن أحياناً من أقوال "دادا عطا" كرفضهم أداء الواجبات المخزنية اعتماداً على قوله "دادا عطا" المأثورة ومفادها:

"وحيث دادا عطا. ما يعطي مانين يعطي. واخاً بولي جبل صاغرو وطاً" أي معناه: "أقسم دادا عطا أنه لن يؤدي ما وجب، ولو أصبح جبل صاغرو سهلاً".

ورغم الدور الذي لعبه الانتماء إلى جد واحد في تحقيق التماسك، وفي اختيار المواقف والسلوك فإن اعتماد الانتساب إلى جد مشترك الانتماء البيولوجي، اصطدم بتناقضات، منها: أن بعض القبائل المنضوية داخل اتحادية أيت عطا لا تمت في الأصل إلى أيت عطا بصلة، وأشهر الحالات في هذا المجال تمثلها مجموعات "إملوان" التي نجد قسماً منها ينتمي إلى أيت يافلان (أيت حديدو)، وقسماً ينتمي إلى أيت عطا. وقسماً مستقلاً عن الاتحاديتين. وهناك من جهة أخرى بعض القبائل التي التحقت باتحادية أيت عطا من أجل الاحتماء بها من قبائل بدوية أخرى، ومثال ذلك "بنو سَحمد" وهي قبيلة عربية بتافيلالت

انضمت إلى أيت خباش، وهم أيت عطا القاطنون بتافيلالت، وهناك أيضاً مثال أيت علوان وأيت اسفول فهم رغم كونهم من أخماس أيت عطا فإنهم في الغالب من أصل عربي.

وقد كان وجود عناصر متنوعة الأصول داخل اتحادية أيت عطا وراء اللبس الذي اكتنف مفهوم القبيلة العطاوية، إذ وجدت نفسها تعيش تناقضات داخلية تتجلى في إقصاء العناصر التي لم تستطع إثبات انتمائها إلى الجد الأعلى (دادا عطا) من الحياة السياسية، وحيث ترفض مشاركتها في الانتخابات التي تجرى لاختيار "الشيخ العام" كما يُرفض تقديم مرشح عنها لهذا المنصب. وكمثال على ذلك: أيت علوان وأيت اسفول وأيت أونير.

كما أن الانتماء إلى الجد الأعلى اصطدم باختلاف المصالح بين مختلف بطون أيت عطا التي يشك في أصولها. وهكذا اندلعت نزاعات اتخذت طابع العنف في غالب الأحيان بين أيت عطا الصحراء وأيت عطا الدير، وكان الصراع يجري حول امتلاك المراعي ومشكل تحديد الملكيات التابعة لكل طرف. هذا بالإضافة إلى ترامي أيت عطا الدير على الأراضي التي كانت خاصة بالانتجاع لاستثمارها كأراضٍ زراعية، ولم يعد الانتماء إلى جد مشترك أي "دادا عطا" بقادر على تحقيق تماسك هذه القبائل. وهذه النزاعات الظرفية حول المراعي هي التي مهدت السبيل للتغلغل الاستعماري لمناصرة طرف على الآخر خلال عملية الغزو العسكري، وبعد إتمامها استعملت هذه السلطات النزاع حول المراعي كوسيلة لقرض سلطتها عن طريق التحكيم الذي استمر طيلة العهد الاستعماري. وهكذا تلاشى دور الانتماء إلى جد مشترك كعامل مُوحد.

محمد أتكاز وأحمد باسلام، مناقشة كتاب سبيلمان: أيت عطا الصحراء وتهدة درعة العليا، بحث لنيل الإجازة، أكادير، 1989.

G. Spillman, *Districts et tribus de la Haute vallée du Draa in villes et tribus du Maroc*, tome II, Paris, 1931 ; E. Gellner, *Saints of the Atlas*, London, 1969 ; D. M. Hart, *Dadda Atta and his forty Grandsons, Transhumance, Politics and Warfare among the Ait Atta of South central Morocco* (Article) ; *Assu U Baslam in Les Africains*, tome V, Paris, 1977.

عبد القادر بوراس

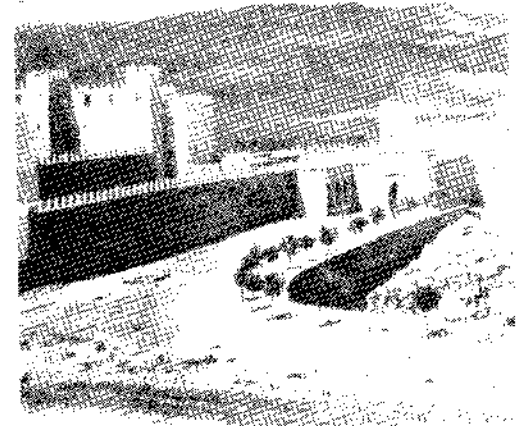
**دادس**، - جغرافياً - اسم أحد الروافد الرئيسية لنهر درعة، يأخذ منابعه في الأطلس الكبير الأوسط على ارتفاع يصل إلى 3.000 م عند جبل بُوَيْقُولَا. ينحدر النهر في اتجاه عام شمالي شرقي جنوبي غربي تحت اسم أسيف - ن - أمضفوس ثم دادس حتى منطقة اتصاله بواد ورزازات حيث يكوّنان واد درعة.

تختلف الملامح الطبوغرافية لحوض دادس، حيث تصادف أعرافاً محورية حادة تمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال

الشرقي تتخللها هضاب مرتفعة وأحواض داخلية في العالية بينما يتميز القسم الأوسط بخوانقه الكارستية الضيقة والمتعمقة، ثم تنفجر التضاريس بعد ذلك على شكل منخفض متسع نسبياً يفصل بين الأطلس الكبير وجبال صاغرو (شرق الأطلس الصغير). ويعزى هذا التعقيد في الطبغرافية إلى تداخل مختلف العناصر الإرسابية الرئيسية لفترات ما بعد الترياس وتعرضها لحركات تكتونية مختلفة الارتفاع والمدى.

بالنظر إلى موقع المنطقة القاري وانفتاحها على المؤثرات المناخية الصحراوية فإن إمكانيات الحياة البيولوجية خارج المجاري الرئيسية للأهوار محدودة جداً. ويعتبر الجريان السطحي، رغم عدم انتظامه، عنصراً محدداً وأساسياً لكل الأنشطة. فالصبيب المطلق المسجل في محطة أيت موتد بلغ 36.600 لتر في الثانية بينما قد يصل صبيب الشح إلى 0 لتر في الثانية. وهذا الاختلاف جعل من تنظيم الماء وتديره أحد الركائز الهامة للمجتمع الدادسي.

وهناك ظروف جعلت من وادي دادس ومن الأودية الجبلية المكونة لحوض درعة الأعلى مجالاً للتعمير منذ القديم، وكونت منه ممراً استراتيجياً قديماً بين تافلات ودرعة وبين هذه المناطق والمراكز الحيوية في الشمال كدمنات ومراكش وفاس.



مدينة دادس

تقدر نسبة المجال المنزوع على السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط بحوالي 8٪ فقط من المساحة العامة، مما دفع السكان إلى البحث عن تكامل مجالي في إطار اقتصاد قائم على الزراعة والرعي. على أن الموقع الإستراتيجي المشار إليه، في ميدان التبادل، وقلعة الأراضي المنزرعة إضافة إلى الضغط الديمغرافي، كلها عوامل تضافرت منذ القدم لتؤدي إلى التهافت على هذه المجالات، ويعتبر هذا التهافت عنصراً أساسياً في تفسير طريقة التنظيم المجالي القلبي: فمن العالية نحو السافلة نجد القبائل التالية:

أيت حديدو، أيت مرغاد، أيت عطا - ن - مسمرير، أيت عطا - ن - أسكيس، أيت سدرات الجبل، أيت عطا - ن - بومالن، أهل دادس، أيت سدرات السهل ثم قبيلة مكنونة على رافد من النهر يسمى باسمها وقبائل امفران فأهل اسكورة (هسكورة) على واد توندوت ثم أفخاذ من قبائل امفران وأيت بودلال قبيل مقرن واد دادس بواد ورزازات.

إن هذا التداخل في الاستيطان بين القبائل المختلفة أدى ومازال يؤدي إلى صراعات لا متناهية حول الأراضي المنزرعة ومياه السقي والمراعي الشتوية في صاغرو والصيفية على الأطلس الكبير، حيث كوّن خطوط ونسيج تاريخ المنطقة. فقبايل أيت عطا تحاول استغلال حوض دادس كممر نحو المراعي الصيفية، بينما ترغب قبائل مكنونة وأيت سدرات وأيت يافلسمان وامفران في أن يكون لها نصيب في المراعي الشتوية بصاغرو.

ساهمت هذه الظروف إلى حد بعيد في تباين الأنشطة الاقتصادية بين أجزاء الوادي. فإذا كانت القبائل القاطنة في أعالي الأهوار تتعاطى أساساً للرعي وزراعة ضيقة للمحاصيل الموسمية فإن سكان سافلة الوادي يتعاطون بالدرجة الأولى لزراعة عمادها المحبوب كالثعير والذرة، بالإضافة إلى مغروسات قوامها أشجار التين واللوز والشمس والخوخ والجوز.

إن ضيق المجال القابل للاستغلال الفلاحي، وتزايد حاجيات السكان كماً وكيفاً، وانفتاح المنطقة على المؤثرات الخارجية كلها عوامل أدت إلى تنامي تيار هجروي نحو المجالات الاقتصادية النشطة بشمال المملكة أو نحو الجزائر ثم نحو أوروبا الغربية منذ بداية الستينيات. وقد أدى هذا الاتصال المكثف مع الخارج إلى تحولات عميقة لكل المركب الاجتماعي المجالي والاقتصادي. فقد بدأ الرعي يتراجع واتخذت الاستثمارات في ميدان الري بالضح وغرس التفاح والبطاطس والورود أبعاداً هامة ومتباينة. كما اتجهت بالخصوص نحو التجارة والبناء، حيث انفجرت القصور القديمة وظهر سكن جديد أجنبي في مواد بنائه وأشكاله وهندسته على جنيات الطرق. كما ظهرت قمشياً مع هذه التغيرات مراكز حضرية أصبح تضخمها يطرح عدة إشكاليات كيوال دادس وقلعة مكنونة.

إن جمالية الأشكال الطبغرافية بخوانقها وقممها وأوديتها إضافة إلى صفاء الجو واخضرار الأشربة المجاورة للأهوار وسط مجالات قاحلة يميل لونها نحو الاصفرار أو الاحمرار، وحسن استقبال السكان، جعل من المنطقة قبلة للسياح خصوصاً الأجانب. وقد تنامي هذا القطاع بعد إحداث موسم الورود بقعلة مكنونة، وتشجيع السياحة الجبلية. لكن الضغط الممارس على الموارد الطبيعية خاصة الغطاء من النباتي والتسريبي ثم الموارد المائية ظل يهدد المنطقة.

أقديم إبراهيم، إسهام في الدراسة الهيدروولوجية والمرفولوجية لموضي دادس وتدغسة (الشفح الجنوبي للأطلس الكبير)، د.د.ع. في الجغرافيا، كلية الآداب بالرباط، 1983؛ م. أيت حمزة، ملامح التحولات السوسيوإقليمية بموضي أسيف أمكون، الشفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط، د.د.ع. في الجغرافيا، كلية الآداب بالرباط، 1986؛ وزا علي، دراسة جغرافية لوادي دادس، بحث لنيل الإجازة في الجغرافيا بكلية الآداب بالرباط، 1979.

M. Aït Hamza, *L'émigration, facteur d'intégration ou de désintégration des régions d'origine ? Rabat, 1988; Tinghir, Boumalne, Dades et Kelaâ Mgouna : trois petits centres au sud de l'Atlas*, 7è Colloque de Sefrou sur "L'aménagement et gestion des petites et moyennes villes au Maroc", Avril 1994, (sous presse), Sefrou ; G. Couvreur, *La vie pastorale dans le Haut Atlas Central, RGM, N° 13, 1968 ; M. El Madani, Collectivités traditionnelles et espaces ruraux montagnards dans les zones d'arrière - pays atlasiques méridionaux : le cas des Ayt Seddrate du Dades*. DES en Géographie. Aix-en-Provence. 1986, 2 vol.

محمد أيت حمزة

\* \* تاريخ موقع وادي دادس جعل منه منطقة اتصال وعبور بين مناطق جغرافية وبشرية مهمة، هي تدغسة وتافيلالت شرقا، ودرعة (درا) جنوبا، وسوس غربا، والأطلس الكبير شمالا. وبالإضافة إلى ذلك فوادي دادس هو منطقة تماس وانتقال بين لهجتين أمازيغيتين هما : تمازيغت وتاشلحيت. ورغم أن وادي دادس تشرف عليه تضاريس مرتفعة جدا، فإن ذلك لم يكن عائقا أمام المواصلات في مختلف الاتجاهات : جنوبا وشرقا وشمالا وغربا. أما معنى اسم دادس فلا يعرف في الوقت الحالي. ولعل أول من أشار إلى دادس وأهله - حسب ما نعرفه إلى الآن - هو أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق في كتابه المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري (12 م)، وذلك حينما تحدث عن قبائل صنهاجة القبلة وأقحازها قائلا : "ومن صنهاجة القبلة سولينة إين سولينت معا، وهم من أهل دادس وهو قبيل مستبد بنفسه، وكذلك مزگگة أو مزگگا معا أيضا من صنهاجة القبلة، وهم من أهل دادس وهو قبيل مستبد بنفسه، وهذان القبيلان مضافان إلى إين گغو لا يُعتمد عليهم في الحضور ولا في الترتيب، وكأنهم رعية، ولكل فخذ من هذه الأقحاذ شيخ". وواضح من هذه الإشارة أن أهل دادس ربما تقاعسوا عن الانضمام إلى الدعوة الموحدية في بداية أمرها.

وهناك إشارة ثانية لدادس وردت عند التادلي المعروف بابن الزيات في الترجمة التي أفردها لأبي يحيى أبي بكر ابن ملول [الصنهاجي] الأسود في كتابه التشريف إلى رجال التصوف. ومما قاله عن هذا الولي الصالح إنه "من أهل قرية [تانسغرت] من بلد دادس من بلاد القبلة، وبها مات عام خمسة وستائة وكان عبدا صالحا...". وكلمة دادس هنا

تعني المجال الترابي والجغرافي. أما السكان فلم تكشف عن هويتهم القبلية. أما قرية تانسغرت المذكورة فهي لا تزال معروفة إلى اليوم، وتوجد على الضفة اليمنى لوادي دادس في تراب قبائل أيت حمسو قريبا من سوق الخميس دادس الحالي (في وسط دادس). أما ضريح أبي يحيى فهو مزارة إلى اليوم.

وتضاف إلى الإشارتين المكتوبتين السابقتين إشارة ثالثة، لكنها متأخرة تعود إلى بداية القرن العاشر (16 م)، وهي للحسن الوزان المعروف بجان ليون الإفريقي، يصف فيها دادس بأنه جبل "شاهق مكسو بالغابات بيتدي غربا عند جبل مغران وينتهي في تخوم جبل أدخسان، كما يتاخم جنوباً سهل تدغسة..." ويفهم من هذه الإشارة أن منطقة دادس التي يعينها الأمر هنا هي المنطقة الجبلية من الأطلس الكبير الأوسط المطل على إقليم تادلا. ويفهم أيضاً من نفس الإشارة أن نفوذ السعديين ربما لم يشمل بعد دادس بمعناه الواسع إلى حدود سنة 918 / 1512. 1513 تاريخ قدوم الوزان إلى المنطقة متجها من مراكش نحو سجلماسة. وجدير بالملاحظة أن المعلومات التي أوردها مارمول عن دادس لا تختلف كثيراً عما أورده عنه الوزان.

وباستثناء هذه الإشارات القليلة، فإن مختلف المصادر التاريخية سكنت عن وادي دادس وتاريخه ربما لكونه مصاقباً لمنطقتين أكثر أهمية منه هما درعة وتافيلالت، ويبدو أن المؤرخين القدامى كانوا يعتبرونه جزءاً من إحداهما، فالمصادر اليهودية (مخطوط طوليدانو ومخطوط تيبيليت) التي تحدثت عن تاريخ اليهود بوادي درعة لم تذكره ولا يعرف بالتالي ما إذا كان وادي دادس يندرج ضمن الكيان السياسي الذي أقامه اليهود هناك مدة إلى أن قضى عليه المرابطون. وهذا الموضوع بالذات يجرنا إلى الحديث عن استيطان اليهود بوادي دادس علماً بأن أهم تجمع يهودي في جنوب شرق المغرب كان يوجد إلى عهد قريب في هذه المنطقة وتحديداً بقصر تيبيليت الواقع على الضفة اليمنى لوادي دادس الأوسط في تراب قبيلة إورتيكين. ونسوف في هذا الباب على معلومات مهمة أوردها الباحث اليهودي حاييم الزعفراني في كتابه ألف عام من حياة اليهود بالمغرب، وذلك اعتماداً على ما قاله يهودا بيريس أحد حزانات الأطلس الكبير خلال القرن السابع عشر للميلاد، عن أسرته في كتابه المسمى زهرة لبنان الذي طبع في برلين سنة 1712. ومما قاله في هذا المؤلف أن أجداده تم طردهم من إسبانيا في نهاية القرن الخامس عشر للميلاد، فشدوا الرحلة إلى المغرب وأخذوا إلى الاستقرار بوادي دادس بعدما اشتروا مكان إقامتهم به من عاهل مراكش. وهناك شيدوا منازلهم وتعاطوا للزراعة والرعي. وعاشوا في أمان وطمانينة، وتجنّبوا الاختلاط بغيرهم حفاظاً على دمهم الملكي (إذ ادعوا أنهم من بيت الملك داوود). وقد فشا نسلهم إلى درجة أن الأرض التي

عَمَرُهَا ضاقت بهم فاضطروا إلى شراء أرض تيبليت المجاورة من السلطان بثمان باهظ، وهكذا يتضح أن أرض تيبليت لم تكن بها قبل هذا التاريخ ساكنة يهودية وأنها كانت ملكاً خاصاً للسلطان. وهذا الأمر أبلغ دليل على الأهمية السياسية والاقتصادية التي كانت لهذه الأرض قبل هذه الفترة وما بعدها. وهناك إشارة مصدرية واحدة تؤكد ذلك نجدها في كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار في غضون القرن السادس الهجري (12 م). ومما جاء فيها : "مدينة تيبليت : هي مبسوطة بين القبائل القبلية، وعليها تمر القوافل، وفيها حصن منيع رتبت فيه الجند، وعمره الوالي، وحوله الأعناب الكثيرة والثمار، والمياه المطردة، والعمائر".

ورغم أن مؤلف الاستبصار لم يحدد بالضبط موقع هذه الأرض التي وصفها بالمدينة، فإن العناصر التي تضمنها هذا الوصف تنطبق على الموقع الذي يوجد به قصر تيبليت الحالي في وادي دادس الأوسط الذي يتسم بالانسياس (نسبياً) ووجود المياه، والأشجار المثمرة، وكثرة العمران، إضافة إلى كونه يتوسط مناطق الجنوب الشرقي أو ما اصطلاح على تسميته في العصر الوسيط بمنطقة القبلة عبر الطريق الرابط بين مراكش وتافيلالت. وليس مستبعداً أن تكون مختلف هذه المعطيات وراء اتخاذ مقرأاً للجند وللحاكم ممثل السلطة المركزية بهذه المنطقة خلال الفترة المذكورة.



وجدير بالملاحظة أن قصر تيبليت أصبح بعد ذلك من أهم قصور اليهود ليس في وادي دادس وحده بل في جنوب شرق المغرب كله، فاكسب ساكنه شهرة في الميدان التجاري والاقتصادي بهذه الروبوع. كما نبغ عدد منهم في الميدان الثقافي العبري. واستمر هذا الوضع إلى بداية الاستقلال حيث باع يهود تيبليت وغيرهم من يهود وادي دادس أملاكهم للمسلمين ورحلوا إلى فلسطين وبلدان أخرى. ويحكم الأهمية الجغرافية والاستراتيجية والتاريخية

التي انفرد بها وادي دادس، فقد ظل عبر تاريخه محط أطماع كثيرة فاستهدفتها أهم الاتحادات القبلية الكبرى. مثل صنهاجة ومصمودة وزناتة ومعلل، فكل هذه القبائل تنافست في السيطرة عليه، فجاء تسربها إليه متفاوت الأهمية. وهكذا نجد أيت عطا في أعالي دادس بامسمرير. أما في مضايقه فنجد به أيت سدرات تيبغيل الذين يمتد مجالهم إلى مشارف بومالن دادس. ويعدهم يأتي مجال قبائل أيت دادس الذي تراقبه قبائل أشراجيل وأيت حصو وأوزتيكين. وللعلم فهذه القبائل هي من صنهاجة القبلة. وبلي هذا المجال مجال أيت سدرات نواسيف (أو أيت سدرات السهل) المنقسمين إلى قسمين : أيت اربعماتة (أو أيت مَعْيَاش) وأيت إحيا المستقرين بجزء من وادي امگون قريبا من نقطة التقائه بوادي دادس. وعلى ذكر وادي امگون، فإن هذا الوادي تقطنه قبائل إْمْغُون (امكونة) بفروعها الثلاثة أيت واسيف، وأيت حَمْدُ وأيت مَرَاو، وذلك على امتداده من العالية إلى جنوب مركز قلعة مگونه ببضعة كيلو مترات، أي قبل أن يصب في وادي دادس بتراب أيت إحيا السدراتيين قريبا من قصر تيزي على الضفة اليمنى، وقصر علقَمْتُ على الضفة اليسرى. أما سافلة وادي دادس فتقطنها تناعاً قبائل أيت سكري (أوزكري) المغرانية الهسكورية الأصل، وقبائل بني معلل بسكورة، وأخيراً قبائل أيت بودلال المغرانية التي غمرت مياه سد المنصور الذهبي أراضيها. وعلى إثر ذلك تم نقلها إلى إدلَسَان وهي المنطقة الموجودة بين ورزازات وسكورة.

ورغم أن قبائل أيت عطا تمكنت خلال القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر (19 - 20 م) من السيطرة على بعض الأماكن في وادي دادس، فإن تسربها كان محدوداً ولم يؤد بالتالي إلى تغيير البنية القبلية الموروثة منذ الحقبة المرينية على الأقل. فالمعطيات التاريخية المتوفرة تفيد أن الخريطة القبلية لوادي دادس ربما تكاملت عناصرها خلال هذه الحقبة.

أبو بكر البيهقي، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، الرباط، 1971 : ي. التادلي (ابن الزيات)، الشرف، نج. أ. التوفيق، الرباط، 1404 - 1984، 237، ص. 414 : مارمول كريخال، إفريقيا، تر. محمد حجي وآخرين، الرباط، 1480. 1409/1989، ج. 2، ص. 122 - 123 : ح. الوزان، وصف إفريقيا، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1400، 1980، ج. 1، ص. 148 - 150 : تحريات ميدانية.

L. Mezzine, *Le Tafilalet. Contribution à l'histoire du Maroc aux XVIIIe et XVIIIe siècles*, Rabat, 1987 ; G. Spillmann, *Districts et tribus de la haute vallée du Dra*, Paris, 1931 ; H. Zafrani, *Mille ans de vie juive au Maroc*, Paris, 1983.

محمد حمام

**الدادسي، الحسن بن محمد** أديب متمكن في قواعد اللغة، أفاد منه طلبة منطقة درعة في علوم : النحو والصرف والبلاغة والعروض، إلى جانب مشاركته الكبيرة في تدريس كتب الفقه أصولاً وفروعاً. أما تكوينه فقد بدأ في مسقط رأسه بدرعة واكمل بعد تخرجه بفاس على يد الإمامين أحمد المتجور وأحمد القدومي.

توفي بعد سنة 999 / 1591.

أ. ابن القاضي، درة، ج. 1، 242، رقم 361 : م. الناصري، الدرر، تج. ذ. النوحى، د. د. ع. الرباط، 1988 : ج. 1 : 149 ؛ م. حجي، الحركة، ج. 2 : 531.

**الدادسي، علي بن محمد بن أبي القاسم، أبو الحسن**، عالم فاضل، اختص في المعقولات، وعُرف بتقدمه في علمي الحساب والتوقيت، وله فيهما مؤلفات أشهرها نظامان في التوقيت، هما : *البراقيت في المبتغى من صناعة المواقيت* : وهي أرجوزة تتألف من 435 بيتاً انتهى من نظمها سنة 1058 / 1648 (توجد منها نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد : 2057 د ضمن مجموع من ص 67 إلى 84).

- وله عليه شرح سماه : *فتح المغيث في شرح البراقيت*.  
- *المعونة* : رجز آخر في التوقيت.  
- *العمل بالكفة الواحدة* : رجز في الحساب وشرحه. (توجد منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد : 930 ضمن مجموع من ص. 85 إلى 87).

ويظهر أن الشيخ علياً دادسي اتسع رزقه فتمكن من الإقامة مدة في مدينة فاس، قبل أن يرحل إلى مصر حيث أدركته الوفاة بالقاهرة. وكان قد أوصى أن تبنى من ثلث ماله قبة على فقهاء المالكية. توفي سنة 1094 / 1683.

م. الإفرائي، صفوة، 198، م. الناصري، *الروض الزاهر*، م خ ع : 2261 ك، الفصل الأخير من الباب الثاني، ورقة 9 ظهر : م. القادري، نشر، ج. 2 : 406 ؛ م. الحضيكي، طبقات، م خ ع : 1124 د، ورقة 163 ظهر. (وفيه وفاته سنة 1074) : أ. ابن عجيبة، *أزهار البستان*، مخطوط خ ج : 11481، ص. 271 : م. حجي، الحركة، ج. 2 : 532.

**الدادسي، محمد بن أحمد بن إبراهيم المعروف** بالكبير، فقيه جليل، وصوفي ورع ساهم في التربية الخلقية وفي نشر العلم بدرعة فانتفع به الطلبة، ومن جملتهم الشيخ محمد ابن ناصر. أصله من صنهاجة، دادس. وهو من المتخرجين على يد عالمي درعة الكبيرين محمد ابن مهدي الجراي، وأبي القاسم الشيخ. وقد ظهر مستوى تلك المشيخة في تحصيله لعلوم الدين واللغة إلى جانب تنوع مشاركاته الأخرى، فقد كان أديباً يقرض الشعر، ومؤرخاً

يعتني بأحداث عصره ويحللها وينتقد منها ما يجب انتقاده كما يظهر من عناوين مصنفاته وأهمها :  
- *تحفة الصبيان* بجمل من أحكام الأديان : في نحو ألف بيت.

- *رسالة في الوظائف المخزنية* التي أحدثها الولاة بدرعة، انتقد فيها "النائية" أو "القيمة" - كما تسمى في المنطقة - التي فرضها السعديون على أهل المغرب.  
- *رأية تاريخية* : تعرض من خلالها لأحداث عصره ومنها ذكر حملة المنصور على بلاد السودان.

توفي بدادس سنة 1029 / 1619.

م. الناصري، الدرر، تج. ذ. النوحى، د. د. ع. الرباط، 1988، ص 330 : م. الحضيكي، طبقات، مخطوط خ ع 1124 د ورقة 112 ظهر : م. حجي، الحركة، ج. 2، ص. 531.

نفسه الذهبي

**الدادسي، محمد بن علي** المولود سنة 921 / 1515

بدادس، تلقى تعليمه بزاوية محمد بن مهدي قرب زاغورة مع شقيقه أحمد وابن عمته عبد الواحد السجلماسي وفي سنة 967 / 1560 أدى فريضة الحج وأقام بمصر مدة وسمع على مشايخها. فأخذ عن الشيخ إبراهيم الصفوي المقدسي والشيخ أبي عمران موسى النشائي، فأجازاه، ومن إجازة الشيخ موسى النشائي له قوله : "قرأ علي محمد بن علي الدادسي قطعة من صحيح البخاري قراءة محررة الألفاظ صحيحة المياني معربة المعاني فاستدللت بها على فهمه ... فأجزته ... وبعد عودته إلى وطنه أقام براكش فانتفع به طلبتها.

برز دادسي في علوم القرآن والحديث الذي له فيه سند صحيح ورواية متصلة بالمحافظ ابن حجر العسقلاني وجمال الدين السيوطي، وبإستثناء هذين العلمين فلم تكن له مشاركة في العلوم الأخرى حسب زعم المؤرخ الأديب أحمد ابن القاضي في كتابه *درة المجال* حيث قال في مستهل ترجمته : "له سند صحيح وأخذ وسماع إلا أنه ليس من أهل العلم" ولعله يقصد بهذه العبارة أن العالم هو المشارك في سائر العلوم. ومع ذلك فقد استجازاه فأجازاه فقال : "كانت إجازته لنا في منزله براكش المحروسة بأزيرط في سبع وعشرين من الحجة سنة 998".

بقي محمد الدادسي براكش إلى أن توفي بها بتاريخ 7 شوال 999 هجرية.

أ. ابن القاضي، *درة المجال*، 2 : 150، تج. محمد الأحدي أبو النور : *لفظ الفرائد*، ألف سنة من الوفيات، تج. د. م. حجي : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 5 : 179-5 : م. حجي، الحركة الفكرية في عهد السعديين، 2 : 530، 531.

محمد ماكامان

**دادى**، أسرة فاسية أصلها من تلمسان، أهل معاش وحرقة ومال وتجارة ودين وخيارة، دخلوا قديماً إلى فاس. ويقال لهم ابن دادى.  
ع. ابن سودة، إزالة الالتباس، مخطوط.

**دادى، محمد الأمين التازي**، موسيقي غلب عليه لقب دادى. ولد بفاس حوالي عام 1317 / 1899 وأخذ أصول الموسيقى الأندلسية ومستعملاتها عن الفنان عبد السلام البريبي ثم انخرط في جوق الفقيه محمد البريبي. وعندما فتحت مدرسة تعليم "الألة" بدار الجامعي بمكناس أواخر سنة 1351 / 1932 استقدمته مصلحة الفنون الأهلية للتدريس بها، فخرج على يده ثلثة من رجال هذا الفن بمكناس من بينهم مولاي إدريس الامراني ومولاي أحمد المدغري، وعبد القادر أجانا، ومحمد بناني، وعبد الكريم الوزاني، ومحمد الصائغ، والحاج محمد بن شقرون، وغيرهم. وقد استقر بمكناس وتزوج بها.

كان محمد دادى من بين أعضاء الجوق المغربي الذي مثل المغرب في المؤتمر العربي للموسيقى الأول الذي انعقد بالقاهرة عام 1932. وبعد حياة حافلة بالعطاء توفي عام 1969 بمكناس ودفن بها.  
معرفة شخصية ورواية شفوية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**دار البارود بمكناس**، تقع ما بين باب الحجر - الباب الرئيسي للقبة الإسماعيلية، وكان هذا الباب يسمى أيضاً باب العلوج وباب المرس نسبة إلى المرس الإسماعيلي، وبين باب بوعماير وهذه الأبواب من بناء المولى إسماعيل (1672 - 1727)، وتواجه مدخل حديقة الجبول، وكانت عبارة عن معملين للبارود، أحدهما لصنعه والآخر لتصفية ملحه، وهما اللذان قال عنهما ابن زيدان في الإتحاف (1: 51) :  
" ... وكلتا الدارين من فخامة العاصمة"

وتعتبر الداران معا من منشآت المولى إسماعيل الذي كان يعتني اعتناء كبيراً بتسليح جيشه البخاري بأسلحة نارية لمواجهة الأخطار الخارجية وكل ما يهدد أمن المخزن داخلياً.

وفي بداية القرن العشرين صارت دار البارود - المعروفة حالياً بهذا الاسم - من ممتلكات السلطان مولاي عبد العزيز (1894 - 1907)، كما هو مسطر في كناش رقم 454 بالمخزنة الحسينية بالرباط الحامل لعنوان : "تقييد أملاك السلطان بمكناس ونواحيها" والمؤرخ بسنة 1323 / 1905.

وبعد توقيع معاهدة الحماية الفرنسية على المغرب وضعت السلطات الاستعمارية بمكناس يدها على دار البارود المحدودة بعرضة اليزيدية وساحة الجنرال دالبيز Dalbiez - ساحة باب بوعماير حالياً - وعين بوعماير وطريق

المرس وكانت مساحتها 1830م<sup>2</sup> وحددت قيمتها المالية بـ 2500 فرنك، وتم كراؤها لمصالح البلدية بـ 300 فرنك شهرياً ابتداء من فاتح يونيو 1923، وتمكنت نفس المصالح من شرائها طبقاً لظهير 4 نونبر 1925 الخاص بالمنفعة العامة بثمن قدره : 15.000 فرنك فتملكتها ابتداء من فاتح يناير 1926 لمدة عام واحد حولتها فيه إلى مستوصف بلدي، فتنازلت عنها لمصلحة الأشغال العمومية طبقاً لاتفاق بين الإدارتين حسب ما جاء في المحضر الرسمي لذلك المؤرخ بـ 30 دجنبر 1926 الحامل لرقم 814.

وصارت دار البارود في بداية الاستقلال (1956) مقراً لإدارة القوات المساعدة المغربية، وأقفلت حالياً ولم تعد تؤدي أي دور.

ع. ابن زيدان، إتحاف، ج. 1، الرباط، 1929 : بوشتى بوعسرية، مكناس، المدينة الجديدة، التأسيس - البنيات الإدارية - التناقضات، 1911، 1939، أطروحة مرقونة بكلية الآداب بالرباط.

Archives du domaine de Meknès, registre n° 1, Meknès Urbain, n° 171, p. 86.

بوشتى بوعسرية

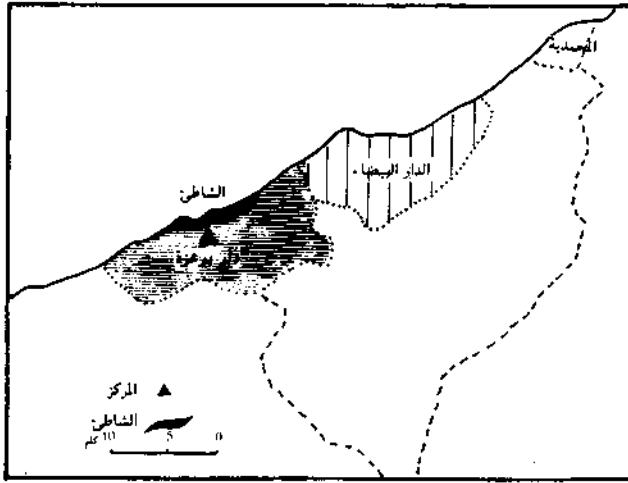
**دار الباشاوات**، تقع في الجانب الشرقي من حومة جامع الزيتونة، محاذية لشارع الجبول. بناها باشا مكناس بنعيسى بن عبد الكريم البخاري المولود بمكناس عام 1275/ 1858. وكان الشروع في بنائها إثر توليته باشا من طرف السلطان مولاي حفيظ في جمادى الثانية 1330 / يونيو 1911. واستغرق البناء بقية هذه السنة ثم سنة 1331 (1912 - 1913). والسنتان الهجريتان معاً (1330 و 1331) منقوشتان على الجبس في واجهة الجناح الجنوبي وواجهة القبة الكبرى من صحن الدار. وفيها يقع اليوم المعهد الوطني للموسيقى التابع لوزارة الشؤون الثقافية بمكناس.  
يدخل بناء دار الباشاوات في إطار المخطط السكاني لدور وقصور بعض رجال المخزن وأعيان المدينة التي أنشئت في الواجهة الشرقية للمدينة العتيقة في نهاية القرن الثالث عشر ومطلع الرابع عشر (19، 20 م)، كبديل لمدينة الرياض التي شهدت انتكاسة عمرانية في منتصف القرن الثاني عشر، ومن ثم فهي تشكل نموذجاً حياً للعمارة المغربية في العصر العلوي الثالث وما بعده.

كانت الدار من بين أملاك الباشا البخاري التي صادرتها سلطات الحماية الفرنسية بعد إلقاء القبض عليه يوم 12 دجنبر 1918 ونفيه إلى مدينة الجديدة، ومنذئذ تحولت الدار إلى الأملاك المخزنية، وأصبحت على فترات متقطعة تشغل لأغراض إدارية مختلفة كان أهمها إقامة بعض باشاوات مدينة مكناس بها كالباشا الحاج أحمد السعيدى، والباشا المختار الكرواني، ومن ثم غلب عليها اسم "دار الباشاوات".

وقد عرفت هذه الدار حدثاً فنياً هاماً في عام 1975



**دار بوعزة،** مركز يقع على الطريق الثانوية رقم 130 الرابطة بين الدار البيضاء وأزمور. ويتشكل من السوق الأسبوعي أربعا، أولاد جرار، نسبة إلى فرع القبيلة التي يوجد على ترابها. ورغم كونه من أصغر أسواق ضواحي الدار البيضاء فهو يشكل قطبا تجاريا مهما بالمنطقة الساحلية. ويضم المركز بالإضافة إلى السوق عدة مرافق إدارية وخاصة دار الجماعة والقيادة والدرك والبريد... ومجموعة من المحلات التجارية والخدمات. وشهد هذا المركز توسعا كبيرا مع تشييد تجمع للسكن الاقتصادي في إطار محاربة أحياء الصفيح وكذا تجزئة للفيلات من إنجاز الجماعة. هذا بالإضافة إلى استقرار وحدات صناعية للنسيج ولتلفيف وتكييف الخضر. ونظراً لقرب هذا المركز من البحر (حوالي 2 كلم) فقد استقطب الشاطئ الحيز الأكبر من حركة التعمير.



دار بوعزة

شهد شاطئ دار بوعزة، منذ بداية الثمانينيات، عدة تحولات تمثلت بالأساس في تهيئة مجموعة من التجهيزات السكنية من طرف مؤسسات عمومية والخواص، كانت آخرها وأكبرها تجزئة "النورس" التي أنجزتها الوكالة الحضرية للدار البيضاء. هذا بالإضافة إلى تجهيز الشاطئ بعند من المرافق من مخيمات ومحلات تجارية ومخادع للملابس ومواقف للسيارات وأرصفت للمراجلين وإنارة... وبذلك تشكلت نواة تجمع حضري وسياحي بمعزل عن مركز دار بوعزة. ويتعزز هذا التجمع بانتشار السكن في شكل فيلات حوله وعلى طول الشاطئ.

أمّا جماعة دار بوعزة فتنتهي إلى عمالة الدار البيضاء عين الشق الحمي الحسني. وتمتد في غربها على مساحة 135 كلم<sup>2</sup>. وهي من أكبر الجماعات القروية بالولاية ومن أكثرها سكانا 47.680 نسمة سنة 1994. وقد انتقلت بها كثافة السكان من 125 ن / كلم سنة 1960 إلى أكثر

عندما حُولت بعض مرافقها إلى قاعات لتعليم الموسيقى الأندلسية الذي كان قد أحدث في نونبر 1932 بدار الجامعي بقرار من إدارة الشؤون الأهلية واستمر قائما بها حتى الخمسينيات، ثم نقل تباعاً إلى قاعة السفراء المعروفة بقبة الحياطين، فالعهد البلدي للموسيقى بالمدينة الجديدة. ومنذئذ أصبحت دار الباشاوات مقراً للمدرسة الوطنية للموسيقى واتسع نطاق التعليم الموسيقي بها ليشمل طرب الملحن وفني المديح والسماع، والمواد الموسيقية النظرية والعزف على الآلات العربية والغربية. وفي يناير 1980 أصبحت الدار - في ذات الوقت - مقراً للمندوبية الجهوية للشؤون الثقافية.

وفي موازاة هذا التحول الذي عرفته دار الباشاوات انطلقت بها أشغال الترميم والاستصلاح التي شملت سائر مرافقها بإشراف المفتشية الإقليمية للمباني التاريخية، وذلك بهدف رد الاعتبار إليها، وتوسيع الطاقة الاستيعابية لحجراتها الدراسية، ثم بغية تصنيفها ضمن المعالم الأثرية للعاصمة الإسماعيلية.

وقد تم تحويل مصالح مندوبية الشؤون الثقافية إلى مقرها الجديد بالمدينة الجديدة في يوليوز 1989، وبذلك عادت دار الباشاوات لتستقل - مرة أخرى - باحتضان المعهد الوطني للموسيقى.

م. العرائشي، ترجمة الشاعر أبي محمد عبد القادر العرائشي الكناسي. ص. 58، ط. مكناس، 1972؛ بوشني بوعسرية، معلمة المغرب، ج. 4، ص. 1096؛ م. المنوني، مكناس وما - بوفكران، سجل وثائقي يخلد الأحداث الدامية لما بوفكران، 2 - 9 - 1937، مهرجان خطابي نظمه المجلس البلدي لمدينة مكناس في شتنبر 1982، 1983، ص. 50 - 51؛ وثائق المدرسة الوطنية للموسيقى بكناس.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**دار البحر بأسفي،** قصبة عظيمة على شاطئ البحر. وهي من الآثار الحربية البرتغالية القائمة حتى الآن بعد ما تم ترميمها عدة مرات خلال هذا القرن. ويعود تاريخ تشييدها إلى العقد الأول من القرن العاشر (16 م) إبان احتلال البرتغاليين للمدينة، على أنقاض دار حاكمها السابق أحمد ابن فرحون. يصفها الفقيه الكانوني في كتابه أسفي وما إليه ويقول: "هذه القصبه على شاطئ البحر مربعة الشكل، على كل ريع منها برج، وفي وسطها عدة دور وخزائن..."

ويوجد الآن بداخلها عدد من المدافع البرتغالية والمغربية من مختلف العصور. وبعضها مازال في حالة جيدة.

تحولت هذه القصبه حديثاً إلى متحف، وهي مفتوحة في وجه الزوار.

م. الكانوني، أسفي وما إليه قديماً وحديثاً؛ استطلاعات ميدانية.

عبد الرحيم العطاوي

من 350 ن كلم<sup>2</sup> سنة 1994. وفي ارتباط بتزايد حجمها الديمغرافي تشهد هذه الجماعة تحولات عديدة تتمثل بالأساس في حركة التعمير التي تكتسح العديد من أجزائها. فبالإضافة إلى التعمير بالمركز والشاطئ يكتسح التعمير الأجزاء المحاذية للمجال الحضري البيضاوي. وفي هذا الصدد سمح المخطط التوجيهي بتوسع حي "الألفة" (جماعة الهى الحسنى) داخل تراب جماعة دار بوعزة. وتم تحويل عدد من تجمعات السكن غير اللائق إلى تجمع ضخم للسكن الاقتصادي بمركز "لسأسفة" الذي تمت ترقيته سنة 1992 إلى بلدية مستقلة عن جماعة دار بوعزة، ومرتبطة بالمجال الحضري للدار البيضاء. وبالإضافة إلى ذلك تشهد هذه الجماعة اكتساحاً واسعاً من سكن الفئات الغنية في شكل مغاني وقصور ضخمة على طول طريق أزموور والطرق الثلاثية المتفرعة عنها. ورغم هذا الاكتساح تحافظ هذه الجماعة لحد الآن على طابعها القروي سواء من حيث سيادة المشاهد الزراعية أو ارتباط أغلبية سكانها بالفلاحة وخاصة منها زراعة الخضار. ويظل السكن بها متفرقاً والطابع القروي هو السائد.

م. شوكي، إنتاج وهيكله المجال الحضري بالدار البيضاء، دكتوراة

مرفوعة في كلية الآداب، الرباط 1995، 3 أجزاء، ص. 671.

Bahir, *Le changement spatial, économique et social dans les communes rurales de la Wilaya de Casablanca*, Montpellier, 1992.

المصطفى شوكي

**دار بوعلي بن فاس**، هي دار الباشا بوعلي بن عبيد الخالق بن عبد الله بن حمدون الروسي (انظر مادة الروسي) الذين قلدهم المولى إسماعيل وأبناؤه مهمة باشوية فاس، فكان من طول حكمهم وجبروتهم في عهد ذلك السلطان وخلفائه ما جعل دار بوعلي التي كانت على الطريقة المخزنية التقليدية هي دار الباشا ومقر الحكم ورمز السلطة لدى أهل فاس. واستمر الأمر على ذلك طيلة العهد العلوي إلى أن نقلت سلطات الحماية سنة 1935 مقر الباشوية إلى محكمة جديدة أقيمت بوادي الفجاليين لتبعده عن أحياء المدينة العتيقة وتجعله تحت أنظارها في الهى الذي كانت توجد فيه جل الإدارات الاستعمارية، فانفصل بذلك لأول مرة مقر سكنى حاكم المدينة عن مقر حكمه. وتحولت دار بوعلي خلال الفترة الأخيرة من الحماية والسنوات الأولى من الاستقلال إلى مقر نظارة أحباس فاس، ثم أصبحت مدرسة ابتدائية في حي زقاق البغل بجوار دار عدليل التي كانت بمثابة خزينة تجبى إليها أموال المدينة ومنها تصرف. واحتفظت دار عدليل بمعالها بعد ترميمها بينما دخل دار بوعلي ما دخلها من الإصلاح والترميم.

م. القادري، نشر الثاني، موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، 6.

2279 2281 ؛ بحث ميداني.

إبراهيم بوطالب

**الدار البيضاء** أكبر مدن المغرب وعاصمتها الاقتصادية، ومن أكبر مدن القارة الإفريقية وأهم موانئها وأقطابها الاقتصادية.

أدى الاحتلال العسكري الفرنسي للمدينة سنة 1907 إلى إذكاء تهاافت الأوربيين على اقتناء الأراضي وعلى البناء. وفي ظرف عقد من الزمن انتشر البناء بعيداً عن أسوار المدينة القديمة. واكتسبت المدينة الناشئة ملامحها الرئيسية قبل نهاية الحرب العالمية الأولى، وجاءت شاسعة الرقعة، وتوسع في كل الاتجاهات، وتعددت وتباينت أحيائها. وبدل على ذلك تقسيمها إلى 23 حيا سنة 1918. وقد ارتبط اكتسابها لبعد مجالي وعمراني لم تكتسبه أية مدينة مغربية أخرى في ظرف عقد واحد من الزمن، بالدور الاقتصادي المسند لها. ويتجلى ذلك من خلال الميناء العصري الضخم الذي شيّد بها وتوسع أنشطتها الاقتصادية، وازدهار قطاع المبادلات التجارية الذي أصبح يشكل المحرك الرئيسي لعظم أنشطة المدينة. فأصبحت الدار البيضاء العاصمة الاقتصادية للمغرب في ظرف عقدين من الزمن. كما أصبحت خلال عقد الثلاثينيات أكبر مدن المغرب.

إن اكتساب الدار البيضاء لمكانة كبيرة كميناء متعدد الوظائف وكمركز اقتصادي ضخم وكأول تجمع للجاليات الأوربية جعلها تبرز منذ فجر القرن العشرين كقطب جذاب للمهاجرين من مختلف بوادي المغرب ومدنه. فاستقطبت أعداداً كبيرة من الفارين من ضراوة التغلغل الاستعماري العسكري والاقتصادي بالسوادي، وضحايا كل الأزمات والأوبئة والكوارث الطبيعية التي شهدتها المغرب.

وقد تزايد عدد سكانها بسرعة كبيرة :

1907 : 25.000 نسمة      1952 : 262.700 نسمة

1921 : 97.000 نسمة      1982 : 2.139.200 نسمة

1994 : 2.628.660 نسمة

وبذلك فالدار البيضاء لا تشكل فقط أكبر مدن المغرب بل تستأثر بجزء هام من ساكنته، بحيث يتركز بها أكثر من 20٪ من الساكنة الحضرية للمغرب وما يزيد عن 10٪ من مجموع سكانه.

إن النشأة الحديثة للدار البيضاء التي تدخل في إطار السياسة الاستعمارية الرامية إلى تحويل مركز الثقل بالمغرب من الداخل نحو الساحل وإلى فصل العاصمة الاقتصادية عن السياسية، جعلت هذه المدينة تتخذ منذ بداية احتلالها طابع مركز اقتصادي ومجال حضري متميزين.

ظل الميناء يشكل لمدة طويلة محرك الأنشطة الاقتصادية للدار البيضاء، فقد ارتبطت به نشأة وتطور أنواع عديدة من التجارة والصناعة والخدمات. وظل يغذيها طيلة عهد الاستعمار عندما كانت الدار البيضاء تشكل

قاعدة خلفية للاقتصاد الفرنسي وخاصة أثناء الحروب والأزمات. ورغم استمراره في احتلال الرتبة الأولى من بين الموانئ المغربية فإن حصته من مجموع رواجها قد تراجعت من 76٪ سنة 1955 إلى حوالي 40٪ سنة 1992. وتراجع معها دوره في اقتصاد المدينة وفي هيكلتها الحضري. ويتوقع المخطط التوجيهي للتعمير تراجع دوره في تصدير المواد المعدنية وخاصة الفوسفات من أجل استغلال السكة الحديدية في النقل الحضري. هذا فضلاً عن تراجع دوره في تصدير العديد من المواد المصنعة مثل منتجات النسيج والجلد أمام تطور نقلها نحو أوروبا بواسطة الشاحنات. ومع ذلك فهو يحافظ لحد الآن على مكانته كأول ميناء لتصدير واستيراد البضائع بالمغرب بنسبة 44٪ من الصادرات و35.5٪ من الواردات سنة 1992. وخلال نفس السنة بلغ مجموع رواجه 29 مليون طن، حوالي 52٪ منها كصادرات. هذا فضلاً عن كونه يظل لحد الآن الميناء الأكثر تنوعاً في الوظائف إذ يجمع بين تصدير المعادن والبضائع والمنتجات الفلاحية واستيراد المحروقات والمنتجات الصناعية بالإضافة إلى دوره كميناء للصيد البحري وللمسافرين.

في الميدان الصناعي تتميز الدار البيضاء باحتكارها لحوالي 50٪ من الوحدات الإنتاجية بالمغرب، و60٪ من اليد العاملة الصناعية، ويجلبها لحوالي 50٪ من مجموع الاستثمارات بهذا القطاع. وهي بذلك تشكل أول قطب صناعي بالمغرب. فقد انتقل بها عدد الوحدات الصناعية التي تشغل أكثر من 9 مآجورين من 20 وحدة سنة 1925 إلى ما يزيد عن 2.000 سنة 1990. وتنوعت فروع الصناعة بها لتشمل إلى جانب الصناعات الموروثة عن عهد الاستعمار (صناعات غذائية ومعدينية وكيماوية) فروعاً أخرى مثل النسيج والجلد والصناعات الكهربائية والإلكترونية ومواد البناء والخشب والورق... وقد ترتب عن ذلك تصاعد حجم اليد العاملة الذي انتقل من حوالي 37.000 مآجور سنة 1947 إلى ما يزيد عن 140.000 سنة 1990. فتعاظم دورها في ميدان التشغيل. وأصبحت الصناعة بمفردها تشغل خلال عقد الثمانينيات ثلثي عدد السكان النشيطين بعدما لم تكن تتعدى خلال عهد الاستعمار خمس هؤلاء السكان.

ويشكل مواز لهذا التطور دخلت الصناعة بالدار البيضاء مرحلة الارتباط العضوي بمختلف فصائل الرأسمال عن طريق اندماجها في مجموعات مالية كبرى ذات تشعبات وطنية ودولية ومتعددة الروابط بالمرافق الاقتصادية الأخرى. ويرجع ذلك إلى ارتباطها المبكر والمتزايد في آن واحد بالتصدير وبالسوق الداخلية، كما أن الصناعة بالدار البيضاء نتاج تراكم زمني طويل لم تحم من

توسعه كل محاولات اللامركزية التي قامت بها الدولة. فالصناعة التي ظهرت بالدار البيضاء منذ العقد الأول من الاحتلال قد طُبعت المجال الحضري بشكل قسوي. ورغم تخصص الأحياء الشمالية الشرقية في الصناعة وسكن اليد العاملة، فإن ذلك لم يمنع من انتشار هذا النشاط عبر مختلف أنحاء المدينة. ولا أدل على ذلك من كون 60٪ من الوحدات الصناعية توجد خارج الأحياء الصناعية.

ويتجلى أيضاً تأثير الصناعة من خلال تعدد الأحياء الصناعية (الجيروندي وعين بركة ولافيليت والصخور السوداء وعين السبع الشمالي وعين السبع الشرقي وسيدي مومن والمعاريف...). وبذلك أصبحت الدار البيضاء تشكل محيطاً صناعياً يجلب الاستثمارات وقوة العمل في آن واحد بحكم توفر كل متطلبات الصناعة من سوق للشغل وسوق للاستهلاك وللخدمات. فضلاً عن ذلك فالدار البيضاء تشكل المدينة الوحيدة بالمغرب التي تعرف تكاملاً وارتباطاً متصاعدين بين مختلف فروع الصناعة بها، وهنا يكمن سر قوتها ونفوذها الذي جعلها تنافس المدن الأخرى حتى بالنسبة للصناعات الصغيرة التي يسهل استقرارها خارج الدار البيضاء. وهذا ما جعل الصناعة تشكل عنصراً حيوياً في اقتصاد المدينة وفي نشاط جزء مهم من ساكنتها.

تعتبر التجارة والخدمات (أي القطاع الثالث) من أهم المرافق الاقتصادية بالدار البيضاء. ورغم تراجع حصة هذا القطاع من السكان النشيطين أمام توسع الصناعة والبناء (القطاع الثاني) فإنه يحتفظ بمكانته وأهميته على العديد من المستويات.

1982	1971	1960	
23٪	25٪	22٪	القطاع الأول
46.5٪	40٪	34.6٪	القطاع الثاني
51.2٪	57.5٪	63.2٪	القطاع الثالث

#### تطور توزيع السكان النشيطين حسب القطاعات الاقتصادية

ولا ترجع هذه الأهمية فقط إلى عدد وحجم المؤسسات بهذا القطاع بل ترجع إلى تداخل فروعها بمختلف فروع القطاعات الأخرى وإلى دوره على الصعيد الوطني. فالدار البيضاء لا تحتضن فقط ما يزيد عن 2.500 تاجر للجملة، أي حوالي ثلث هؤلاء التجار بالمغرب، بل إن تجار الجملة بها هم الذين يوزعون البضائع على نظرائهم بباقي جهات المغرب. فسوق الجملة للخضر والفواكه بالدار البيضاء يغطي 40٪ من حاجيات باقي جهات المغرب. وتجارة المواد الغذائية والملابس تجعل درب عمر يشكل نقطة انطلاق

لمعدل 350 شاحنة في اليوم نحو كل جهات المغرب. وارتباط تجارة الجملة بحركة التصدير والاستيراد يجعل منها قوة اقتصادية ذات تأثير قوي على مختلف المرافق الاقتصادية بما فيها الهياكل الإنتاجية.

وترجع أيضاً أهمية التجارة إلى كون الدار البيضاء تشكل أكبر سوق استهلاكية بالمغرب من حيث الحجم وتنوع مستويات العرض والطلب بها، وإلى دورها كمحطة عبور يمر بها يومياً معدلاً 30.000 مسافر من وإلى مختلف جهات البلاد. وهذا ما يجعل التجارة تتأثر بثلاثي العاملين بالقطاع الثالث. وترتبط أهمية التجارة باحتضان الدار البيضاء لمقرات المؤسسات البنكية والحوالي 30٪ من وكالاتها. هذا بالإضافة إلى احتضانها لمقر معظم باقي المؤسسات المالية من شركات المساهمة ومؤسسات القرض والتسويل والإيجار وشركات التأمين. ويؤدي هذا التركيز المالي والتجاري إلى احتلال المدينة لمكانة متميزة في ميدان الخدمات سواء منها الموجهة للمقاولات أو للأفراد، وذلك من حيث تنوعها وتعددتها. كما تعزز قطاع الخدمات بتطور التنظيم الإداري للدار البيضاء الذي أدى إلى إعادة هيكلة المصالح العمومية تبعاً لتعدد الكيانات الإدارية.

يتأثر المجال الحضري البيضاوي بالحضور القوي للمصانع ويتعدد التجمعات التجارية ومرافق الخدمات عبر مختلف أجزاء المدينة. ويرتبط عن ذلك كثافة حركة المرور وتنقلات السكان. فأصبحت المرافق الاقتصادية، وخاصة منها الصناعية، تشكل عامل ضغط قوي في ميدان حاجيات المدينة من الأراضي الصالحة للبناء. وهذا ما يجعل دينامية وهيكلية المجال الحضري بالدار البيضاء تفرزان مشاكل عريضة على العديد من المستويات وتتطلبان تدخلاً مكثفاً ومستمرًا للدولة.

لذلك تكون الدار البيضاء المدينة الوحيدة بالمغرب التي شهدت خلال القرن العشرين أربع محاولات للتخطيط العمراني. وأعطت المخططات العمرانية الثلاثة التي طبقت بها هيكلية عامة تستجيب لتطبيق واضح. فقد ظلت الأجزاء الشمالية الشرقية من المجال الحضري خاصة بالصناعة وما يرتبط بها من سكن لليد العاملة. وظلت الأحياء الجنوبية الغربية خاصة بسكن الفئات الغنية. وحافظت النطاقات الوسطى على ارتباطها بالتجارة والخدمات وسكن الفئات الوسطى. وبذلك ظل المجال الحضري يتهيكل وظيفياً وعمرانياً واجتماعياً وفق التنطبق الذي فرضته المبادرة الحرة عند إنشاء مدينة جديدة إلى جانب النواة القديمة في بداية هذا القرن. وظل توسع الأحياء الصناعية نحو الشمال الشرقي أي اتجاه مدينة المحمدية يشكل الاتجاه الرئيسي لدينامية المجال الحضري.

وتأثرت دينامية وهيكلية المجال الحضري بالوضع الإداري الخاص الذي أعطي للدار البيضاء، خلال وبعد عهد الاستعمار. وفي هذا الإطار دخلت الدار البيضاء ابتداء من

سنة 1976 في مسلسل من التقسيم الإداري أدى إلى فقدانها لوحدها. انطلق هذا التقسيم من 5 جماعات حضرية لتصبح 21 جماعة حضرية و7 عمالات سنة 1994. وبذلك شكلت الدار البيضاء أول مجموعة حضرية أنشئت بالمغرب وأكبر المجموعات الموجودة لحد الآن. ولم يمنع تعدد الكيانات الإدارية من تفاقم مشاكل التعمير، الشيء الذي أدى إلى إنشاء الوكالة الحضرية سنة 1984 كأداة لتطبيق المخطط التوجيهي ومن أجل الحفاظ على مركزية القرار في ميدان التعمير. ولنفس الغاية أنشئت أول ولاية على الصعيد الوطني بالدار البيضاء.

رغم كثافة تدخل الدولة وخاصة في ميدان التأطير العمراني والإداري والاجتماعي تظل الدار البيضاء تعاني من العديد من التفاوتات السوسيوإقليمية. ويرتبط ذلك بطبيعتها كمدينة للمبادرة الحرة وبحجمها الاقتصادي الذي يجعل منها حقلاً للتحويلات الاجتماعية. فهي كقطب اقتصادي تشكل مدينة للمهاجرين الذين لم تنزل نسبتهم منذ عهد الاستعمار عن 75٪ من مجموع السكان النشيطين. ومركز صناعي فهي تشكل مدينة عمالية بحيث ارتفعت بها نسبة العمال من 35٪ سنة 1951 إلى 52٪ من الساكنة النشيطة سنة 1982. وهي بذلك تشكل حقلاً لتحويل المهاجرين القرويين إلى عمال ولتوسع الفئات الوسطى من خلال توسع مرافق التجارة والخدمات والوظيفة العمومية. وفي هذا الصدد فإن عدد الموظفين الذي لم يكن يتجاوز 400 سنة 1931 قد بلغ 44.220 سنة 1992. وانتقلت نسبيهم من 35٪ من السكان النشيطين سنة 1960 إلى 7٪ سنة 1982. وتظل هذه النسبة مرشحة للارتفاع مع تفكيك المدينة إلى كيانات إدارية متعددة.

كما تشكل الدار البيضاء حقلاً لإعادة إنتاج الفئات الغنية التي ترتبط بتطور التجارة والصناعة وميدان الأعمال. وهذا ما يجعل المجال الحضري البيضاوي يحمل بصمات كل هذه التحويلات ويصبح التفاوت يشكل أبرز سماته. ولا تنحصر هذه التفاوتات في ميدان السكن بل تمتد لتشمل العديد من الميادين. ففي العاصمة الاقتصادية للمغرب لا تتعدى مساحة المجالات الخضراء 300 هكتار أي بمعدل متر مربع للفرد. غير أن تركيز حوالي 65٪ من هذه المجالات بعمالة الدار البيضاء - أنفا يجعل سكان وسط المدينة والأحياء الغربية أوفر حظاً (4م<sup>2</sup> للفرد) من سكان الهوامش (0.5م<sup>2</sup>) وبالتالي يصبح العجز في هذا الميدان كبيراً جداً. وفي الواجهة العصرية للمغرب مازال ما يزيد عن 250.000 من السكان يتكدسون بأحياء الصفيح سنة 1992. فالدار البيضاء التي شهدت نشأة أحياء الصفيح بالمغرب تظل تعاني من هذا الإرث الثقيل. فرغم القضاء على العديد من هذه الأحياء ورغم تراجع عدد سكانها بحوالي 50.000 نسمة ما بين 1982 و1992 فإن ذلك لم يحد من أهمية هذه الظاهرة التي اتجهت نحو اكتساح ضواحي

المدينة. ويرتبط هذا الاكتساح بالتوسع السريع للمجال الحضري.

فالدار البيضاء التي لم تكن مساحتها الحضرية تتعدى 50 هكتاراً سنة 1907 قد أصبحت سنة 1992 تمتد على مساحة 14816 هكتار.

المصطفى شويكي، إنتاج وهيكلية المجال الحضري بالدار البيضاء، أطروحة دكتوراة الدولة، 3 أجزاء، ص. 671، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1995.

A. Adam, *Casablanca, Essai sur la transformation de la société marocaine au contact de l'occident*, Paris, 1968, 2 vol. ; N. Benslimane, *Les équipements commerciaux de détail à Casablanca. Leur rôle dans l'organisation de l'espace*, thèse, 3ème cycle géo. Paris II, 2 t., 1982 ; M. Chouiki, *Système de santé et inégalités socio-spatiales à Casablanca*, RGM, vol. 13, n° 1, 1989 ; M. Ecochard, *Casablanca : le roman d'une ville*, Paris, 1955 ; A. El Mountasser, *La croissance urbaine de Casablanca, Etude des facteurs économiques et psychologiques*, thèse 3ème cycle, Paris VIII, 1980 ; K. Joumady, *Casablanca, métropole économique du Maroc*, Thèse d'Etat, Bordeaux III, 1988 ; D. Noin, *Casablanca. La Documentation française N° 3797 - 98, 1971* ; H. Prost, *Le plan de Casablanca*, Rev. France - Maroc, n° 8, 1911.

المصطفى شويكي

\* \* من الناحية التاريخية كانت المدينة تسمى قديماً "أنفا" ورد ذكرها في كتب الإخباريين والجغرافيين والرحالة. واحتلت أنفا الصدارة بين حواضر تامسنا في عهد إمارة برغواطة وفي عهد الدولة المرينية.

وساهم موقع المدينة وأهميتها التجارية ومشاركتها في الجهاد بالأتندلس في توجيه الأطماع البرتغالية إليها، فقد هاجمها أسطول برتغالي يقوده الدون فرناند أخو الملك الفونسو الخامس وخرّبها في سنة 1468 حين لم يتمكن المهاجمون من احتلالها. وظلت أنفا على حالتها المخربة لعجز الحكم الوطاسي، وللصراع الذي شغل المغاربة ضد

الغزو البرتغالي. ووصف الحسن الوزان (ليون الإفريقي) ما بقي في أنفا المخربة من آثار عمرانية، كما وصفها مارمول. وقد عاد البرتغاليون إلى أنفا سنة 1515 وبنوا فيها بعض البناء، وسموها منذ ذلك الحين كازا بلانكا (Casablanca). وقيل إنهم لما عادوا، شاهدوا داراً بيضاء.

سلمت من التخريب أو بناها المغاربة، فسموها كزا بلانكا. وهناك رواية أخرى ترجع اسم الدار البيضاء إلى أسطورة السيدة البيضاء. وهي أسطورة مرتبطة بتطور المدينة وأهميتها التجارية. وملخص الاسطورة أن موقع الدار البيضاء الذي كان وسط أرض كثيرة الأشجار والعيون وكان موقع تبادل تجاري بين بعض التجار والعالم الخارجي وكان البدويون يعتمدون على المركز الذي يسكنه بعض البحارة والتجار للتزود بما يحتاجونه، خاصة في أوقات الأعياد والمواسم القبلية. وقد استقر بالمرسى تاجر تونسي اسمه سيدي علال القيرواني. وكانت داره في مكان ضريحه المعروف اليوم بالمدينة القديمة. كان سيدي علال القيرواني يتعاطى للتجارة بمساعدة زوجته للا البيضاء التي كانت امرأة فاضلة وجميلة. استغنى الزوجان وكسبا ثروة كبيرة وكانا يغدقان عطاياهما على الناس. وكانت لهما دار كبيرة للسكنى ولوضع البضائع التجارية متميزة عن غيرها.

عند اقتراب الأعياد كان البدويون يقصدون الدار لشراء البضائع المستوردة، وكانوا يقولون عندما تحين مناسبة التبضع: "هيا نَتَسَوِّقْ من دار البيضاء" ! وهذا هو الاسم الذي عرفت به دار سيدي علال القيرواني وهو أصل تسمية المدينة بالدار البيضاء.

وفي كل الأحوال، فإن الثابت هو أن المدينة ظلت مهمة نظراً لتخريبها واحتلالها من طرف البرتغاليين إلى عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757 - 1790)، الذي جدد بناءها بعد أن أتم بناء مدينة الصويرة، وأحيا مرساها في إطار توجه سياسي جديد هدف إلى توسيع علاقات المغرب مع الدول الأوروبية للاستفادة من تطورها الاقتصادي.



أنفا القديمة. رسم وضع سنة 1572 (كتاب Casablanca rétro)

ومن مظاهر تجديد المدينة في هذا العهد أن السلطان وضع بها قوة عسكرية من العبيد، وأنشأ بها عدة مصالح عامة. ومنذ هذا العهد اشتهرت المدينة باسم الدار البيضاء وكان ذلك حوالي 1784.

وبالجملة، فسواء ارتبط اسم الدار البيضاء بعودة البرتغاليين للمدينة التي خربوها والبناء فيها في بداية القرن السادس عشر، أو بتجديدها خلال القرن الثامن عشر في عهد السلطان محمد بن عبد الله؛ أو أطلق عليها اسم السيدة البيضاء؛ فإن مرد الاسم ومنطقه، هو تجديد بناء مرسى المدينة الذي كان نقطة تبادل تجاري نشيط مع الخارج. فبنيت فيه الدور الكبيرة والمخازن العظيمة لحزن البضائع بهدف تصديرها أو توزيعها.

وبالفعل، ازدهرت حركة التجارة والملاحة بمرسى الدار البيضاء في عهد محمد بن عبد الله الذي منح لشركتين إسبانيتين، إحداهما من مدريد والأخرى من قادس، امتياز شراء الحبوب وتصديرها من الدار البيضاء. واستقر وكلاء الشركتين بالمدينة وكذلك بمدينة فضالة المجاورة، حيث تعاطوا لاكتيال الحبوب وخاصة القمح بكميات هائلة. وقد شبه الضعيف الرباطي كثرة القوافل الحاملة للحبوب من المناطق الداخلية إلى مرسى الدار البيضاء بالسحاب في قوله: "وكانت الإبل تأتي إليها كأنها السحاب ليلاً ونهاراً". كما أشار إلى أن الفلاحين كانوا يقدمون الهدايا

للتجار النصارى لأجل شراء منتجاتهم الفلاحية.

استمر ازدهار الدار البيضاء بعد وفاة محمد بن عبد الله، بيد أن عهد ابنه مولاي سليمان (1792 - 1822)، شهد أحداثاً أثرت على هذا الازدهار وأوقفت بعض الرقعة. فلما ولي المولى سليمان ابن عمه عبد الملك بن إدريس عمالة الشاوية والدار البيضاء، بدأ الوالي الجديد يمنح أعيان قبائل الشاوية أموالاً من مداخيل المرسى الوفيرة تأليفاً لهم. ويبدو أنه تعدي في هذا الأمر الحدود المسموح بها من السلطان. وربما أغرته ثروة المدينة وباديتها بالتمرد عن تعليمات سيده؛ فما كان من هذا الأخير إلا أن انتقل للشاوية، حيث قضى على بوادر التمرد في مهدها. وقد ترتبت عن هذه الحادثة قرارات أثرت في مصير مرسى الدار البيضاء. فقد عمد السلطان إلى إغلاقها في وجه التجارة الأوربية ونقل التجار الأجانب إلى مدينة الرباط.

تطور الدار البيضاء خلال القرن التاسع عشر: سرعان ما عاد مرسى الدار البيضاء لنشاطه التجاري المعتاد في عهد مولاي عبد الرحمان (1822 — 1859) الذي رخص للمؤسسات التجارية الأوربية في الاستقرار بالمدينة. ومع تطور العلاقات المغربية الأوربية خلال القرن التاسع عشر، تطورت الدار البيضاء وازداد نشاطها التجاري وتزايد عدد سكانها الأوربيين والمغاربة.

والواقع، أن وتيرة التطور الاقتصادي عرفت تصاعداً لا



العامل الخارجي في تطور المدينة.

والواقع أن أصول ازدهار الدار البيضاء ينبغي البحث عنها في المزايا الطبيعية والاستراتيجية والاقتصادية لموقع المدينة. فمن حيث الموقع، كان يعتبر مرسى الدار البيضاء الميناء الوحيد الذي يستطيع استقبال السفن الكبيرة التي لم تعد الموانئ النهرية قادرة على استقبالها بعد تطور المواصلات البخارية. كما أن توسط موقع المدينة بين جنوب المغرب وشماله وفر إمكانية جلب المحاصيل من الحوز والغرب زيادة على انفتاح المدينة على أغنى المناطق الفلاحية مثل الشاوية وتادلا حيث يتوفر الإنتاج الزراعي والحسواني. زد على ذلك أن الدار البيضاء تتحكم في الطريق الرابط بين عاصمتي المغرب مراكش وفاس وتقع على الساحل الأطلسي الذي أصبحت له أهمية استراتيجية كبيرة في زمن التوسع الأمبريالي والتنافس الاستعماري على القارة الإفريقية.

كل هذه المزايا تفسر سرعة تطور الدار البيضاء وليس الرغبة الأجنبية التي كانت في الحقيقة رهينة لتلك المزايا. وعلى كل حال، فإن تضاعف المبادلات التجارية بالمدينة بأكثر من ثلاث مرات بين سنتي 1848 - 1855، يبرز بوضوح التطور السريع للمدينة خلال القرن التاسع عشر. وقد احتلت الدار البيضاء الصف الأول بين الموانئ المغربية الثانية : تطوان، طنجة، العرائش، العدوتان، الدار البيضاء، الجديدة، أسفي، الصويرة. وأهم البضائع التي كانت تصدر منها : الحبوب، الأصواف، الجلود، القطناني مثل الحمص والبقول والحلبة، ثم القزبور والشمع الطبيعي والعظام ومنتجات الصناعة التقليدية. أما الواردات عبر مرسى الدار البيضاء، فكانت الصابون، السكر، الكتان، المنتجات القطنية، التوابل، الأصباغ، الشاي، الكاز (كيروسين) الزجاج - الكاغد (الورق).

والملاحظ أن المدينة سرعان ما تحولت مع نهاية القرن التاسع عشر، إلى مركز لتوزيع البضائع المستوردة في كل أنحاء المغرب، ومركز لتجميع المنتجات الموجهة للتصدير، ولهذا هاجر إليها تجار كثيرون من فاس والرباط وسلا وغيرها من المدن.

والجدير بالذكر أن مداخيل الجمارك بالدار البيضاء، كانت تساهم بقسط كبير في توازن بيت مال الدولة المغربية، نتيجة لانتظامها ووفرتها، زد على ذلك أن مستفادات المدينة كانت بدورها تساهم في مداخيل المخزن مثلها في ذلك مثل مستفادات المدن العربية، فخلال القرن التاسع عشر، كان المخزن يعتمد على جبايات المدينة الموزعة على الأبواب، والجوطية، وسوق بيع الزيت، وسوق بيع الفاخر والرماد، وسوق العود والحطب، والمجزرة، وسوق البقر والغنم، ورحبة الزرع، وطابع الفضة، والكبريت، وسوق الجلد النيء، ومهراس القهوة، والصاكة، وسوق الجمال والحيل والحمير. يضاف إلى هذه المنافع مداخيل القوارب

توقف بعده منذ أواسط القرن. ولاشك في أن ذلك التطور قد ارتبط بالتطور الصناعي والتجاري بأوروبا والمبادلات مع المغرب. إن الثورة الصناعية وما نجم عنها من توسع في النشاط التجاري والمبادلات كانت وراء اندفاع الدول الأوروبية لغزو الأسواق الخارجية. وبما أن المغرب يقع على أبواب أوروبا، وبما أنه كان يتوفر على ثروات طبيعية كبيرة، فقد أصبح محط اهتمام القوى الصناعية. ومنذ احتلال الجزائر 1830، أضحت المغرب موضوع تنافس بين الدول الأوروبية المعنية بقضايا البحر المتوسط.

ومما يفسر اندفاع أوروبا نحو فتح المغرب للمبادلات التجارية، دخول دولها في ظرفية اقتصادية واجتماعية صعبة منذ 1848، بالإضافة إلى ظروف الصراع العسكري بين دولها. وهكذا عرفت مدينة الدار البيضاء استقرار التجار الأوربيين واتخاذها مركزاً لشراء وتصدير الحبوب والأصواف التي ازداد الطلب عليها نتيجة للظرفية المشار إليها ونتيجة لرخص أثمانها بالمغرب.

وقد كانت المؤسسات الفرنسية سباقة إلى الاستقرار بالدار البيضاء خلال القرن التاسع عشر، مثل مؤسسة "فريو" (فريول) P. Ferriou ومؤسسة البارون سيلبير B. Seillière (1847)، والشركة الفرنسية للوديني (1852) Compagnie Française de LODEV.

اهتمت هذه المؤسسات بتصدير الأصواف الجيدة إلى مرسيليا ولندن ومدن أوروبية أخرى وكانت حافزاً لاستقرار تجار أوروبيين آخرين.

وقد مثل استقرار أول قنصل بريطاني بالدار البيضاء سنة 1857، أي سنة واحدة بعد توقيع المعاهدة المغربية البريطانية (1856)، مؤشراً على أهمية الدار البيضاء الاقتصادية. وبالفعل حصل التجار البريطانيون بمقتضى المعاهدة على امتيازات عديدة سواء في ميدان الجمارك أو الملاحة أو السكنى. وحددت واجبات الجمارك في 10٪ من قيمة البضاعة المستوردة وحددت واجبات معينة على الصادرات، ومنح القناصل حصانة دبلوماسية لهم ولن يخدمهم.

وسمقتضى المعاهدات المماثلة التي عقدت مع إسبانيا (1860 - 1861)، وفرنسا (اتفاقية السماسرة 1863)، توسعت امتيازات الأجانب إلى الميادين القضائية (محاكم قنصلية) والسياسية (الحمايات القنصلية والمخالطات). كل ذلك ساهم في تزايد توافد التجار الأجانب والرعايا الأوربيين إلى المراسي المغربية وخاصة إلى الدار البيضاء. وهذا التطور نفسه كان يساهم في تسارع وتيرة هجرة البديوين إلى المدينة لأن استقرار تاجر أجنبي بالمدينة كان يعني الحاجة إلى مستخدمين ووكلاء مشاركين في الأعمال الفلاحية.

إن هذه الأهمية التجارية المتعاظمة للدار البيضاء دفعت الباحثين الأوربيين إلى تأكيد دور التجارة الأوربية ودور

## الدار البيضاء - أنفا (عمالة -)، إحدى عمالات

ولاية الدار البيضاء التوسع، تمتد على مساحة 3.350 هكتار وتضم 523.279 نسمة، أي 22.5 من مساحة المدينة وحوالي 20% من ساكنتها. تغطي مركز المدينة والأحياء الجنوبية الغربية الممتدة من الميناء إلى حي أنفا وعين الذئاب. وترجع تسميتها إلى تشكلها سنة 1981 من جماعة سيدي بليوط (مركز المدينة) وجماعة أنفا ثم جماعة المعاريف. ويفصل جماعة مولاي يوسف سنة 1992 عن جماعة سيدي بليوط أصبحت العمالة تتكون من أربع جماعات حضرية. ولعمالة الدار البيضاء - أنفا سمات خاصة في الميدان العمراني والاقتصادي والاجتماعي.

باستثناء المدينة القديمة التي تتكون من السكن المغربي التقليدي، تتميز هذه العمالة عمرانيا بتشكيل معظم أحيائها من نوعين من الإطار المبني : العمارات والفيلات. ويرجع ذلك إلى تركيبها من الأحياء التي كانت مخصصة للأوروبيين خلال عهد الاستعمار. وتزداد بها أهمية أحياء العمارات من جراء التوسع العمودي الذي تشهده هذه العمالة مع تحول أحياء الفيلات إلى أحياء للعمارات انطلاقا من المركز وفي كل الاتجاهات. ولا يعبر هذا التحول فقط عن إحلال نوع من السكن محل آخر بقدر ما يجسد أيضاً توسع مركز المدينة وما يرتبط به من تزايد الحاجة إلى المكاتب ومقرات المؤسسات الاقتصادية ومحلات التجارة والخدمات.

تعتبر الدار البيضاء - أنفا على المستوى الاقتصادي محرك المدينة ككل، باحتضانها للقطب القيادي المتكون من مركز الأعمال، بالإضافة إلى الميناء والتجمعات التجارية الكبرى والراقية ومراكز تجارة الجملة والتصدير والاستيراد. وفي هذا الإطار تحتكر عمالة الدار البيضاء - أنفا 76% من تجار الجملة بالدار البيضاء. ويحتضن المركز بمفرده 96% من المؤسسات المالية و74% من مقرات الشركات والمقاولات

المستعملة في شحن السفن الكبرى ونقل البضائع من الأرصفة. ثم مداخيل الجزية وأبي الموارث، وأملاك المخزن المكتسرة للتجار الأجانب، زيادة على مستفادات أسواق بواحي المدينة.

وعلى كل حال، أصبحت الدار البيضاء من المراكز الحضرية والاقتصادية التي تساهم في اقتصاد البلاد، وفي توازنات بيت المال، وضمانة القروض الخارجية، مثل اقتراض 1904.

إن هذه الأهمية الاقتصادية، بالإضافة إلى أهمية الموقع، جلبت انتباه الأوساط الاستعمارية الفرنسية التي بدأت تهتم بالساحل المغربي وتراقبه منذ 1906. وقد اعتبرت كثير من التقارير الفرنسية، العلمية والعسكرية، أن مركز الدار البيضاء يعتبر أهم موقع استراتيجي يمكن لقوة أجنبية الانطلاق منه في أي عمل عسكري يستهدف عاصمتي المغرب فاس ومراكش.

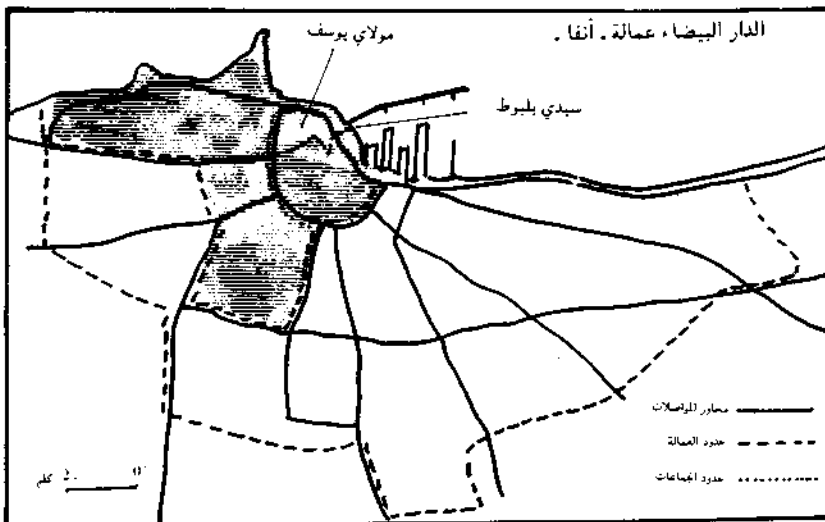
فحسب التقارير العسكرية، فإن الدار البيضاء هي المدينة الوحيدة التي يمكن النزول فيها خلال أوقات السنة كلها وهي أحسن موقع يتحكم في عزل جيوب المغرب عن شماله.

وهكذا، أدى الاهتمام الفرنسي المتزايد بالمدينة إلى احتلال التجارة الفرنسية الصف الأول بها سنة 1906 بنسبة 39.99% أمام بريطانيا 34.01%، في هذه السنة كذلك.

م. الضعيف الرياطي، تاريخ الدولة السعيدة، تح. أ. العماري، 1986. كنانيش الحزانية الحسنية، وثائق الحزانية الحسنية؛ العهد الحسني والعزيمي 22 - 178 - 258 - 397 - 400؛ أ. الناصري، الاستقصا، ج. 8، 9؛ م. السليمان، اللسان المغرب عن تهاقت المرين حول المغرب، م. خ. ح.، 297؛ ع. الخديجي، أثر استقرار الأجانب بالدار البيضاء خلال القرن التاسع عشر. أعمال ندوة الدار البيضاء، نشر كلية الآداب، 1982؛ التداخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب (حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية) 1894 - 1910. 1904. 1906. 1908. 1991

Archives de Guerres Vincennes, 1904 - 1906 - 1908 ; A. Adam, *Histoire de Casablanca, des origines à 1914*, Aix-en-Provence, 1968 ; A. Bernard, *Une mission au Maroc, rapport à Mr. le Gouverneur Général de l'Algérie*, Paris, 1904 ; V. Berté, *Les événements de Casablanca, 5 août 1907, France outre-mer*, Août - Sept. 1953 ; G. Bourdon, *Ce que j'ai vu au Maroc, Les journées de Casa. 1908* ; M.H.G. Conjeaud, *Histoire militaire de la Chaouia depuis 1894*, Casa, s.d. ; Flandrin, *Casablanca de 1889 à nos jours*, Casa 1948 ; J. L. Miège, *Les origines du développement de Casablanca au XIXème siècle*, Hesp., 1953 ; J.L. Miège et E. Hugues, *Les européens à Casablanca au XIXème siècle, 1856 - 1906*, Paris, 1954 ; Sans Barthelony, *Légende marocaine au sujet de Dar el Beida nom arabe de Casablanca*, Bull. trin. Société de géo. et d'archéo. d'Oran, T. XLV, 1925 ; Tarrion, *Monographie de Casablanca de 1907 à 1914*, Casa, 1924 . *Villes et tribus du Maroc, Casablanca et les Chaouia*, Paris, 1915, 2 vol.

علال الخديجي





الدار البيضاء وضواحيها المباشرة بما في ذلك مدينة المحمدية والمراكز التي تدور في فلكها. ويطابق هذا المفهوم اليوم ولاية الدار البيضاء المحدثة سنة 1981 وجهة الدار البيضاء الكبرى المحدثة سنة 1997 المكونتين حالياً من 9 عمالات و29 جماعة حضرية و6 جماعات قروية.

العمالات التسع لولاية الدار البيضاء الكبرى - جهة - :

- الدار البيضاء - أنفا
- الحى المحمدي - عين السبع
- الحى الحسني - عين الشق
- بن مسيك - سيدي عثمان (مولاي رشيد)
- بن مسيك - مديونة
- الفداء - درب السلطان
- مشور الدار البيضاء
- سيدي البرنوصي - زناتة
- المحمدية

(انظر كل عمالة على حدة في مكانها من المعلمة)

ملاحظة : عمالة بن مسيك - سيدي عثمان تم تقسيمها سنة 1998 إلى عمالتين :

- مولاي رشيد - سيدي عثمان
- بن مسيك - مديونة

وإلى بداية القرن العشرين لم يكن موجوداً بهذه الجهة سوى المدينة القديمة للدار البيضاء وقصبة مديونة. وخلال العقدين الأولين للحماية تشكلت نواة جهة حضرية تدور في فلك مدينة عملاقة. وهذا ما دفع إلى تآطير التوسع الحضري بواسطة مخطط جهوي. ولم يأت مخطط إكوشار كغاية في حد ذاته بقدر ما جاء من أجل خلق نواة حضرية صلبة لمشروع محور الدار البيضاء - القنيطرة. فجاء الجيل الأول من المراكز الحضرية المكونة لهذه النواة شديد الارتباط بمدينة الدار البيضاء مجالياً ووظيفياً. وخلال عقدي الأربعينيات والخمسينيات تشكل جيل ثان من التجمعات الحضرية وسع من حجم ورقعة الجهة الحضرية للدار البيضاء. وخلال النصف الثاني من القرن العشرين تطور جيل جديد من المراكز زاد من حجم ودينامية هذه الجهة. ونتيجة لذلك تراجعت مكانة مدينة الدار البيضاء داخل جهتها بحيث انتقلت نسبتها من السكان الحضريين من 94.5٪ سنة 1931 إلى 93٪ سنة 1960 لتتنزل إلى مستوى 89٪ سنة 1994.

إن التوسع الحضري الذي تشهده الدار البيضاء الكبرى مكنها كتجمع حضري من أن تترقى إلى مستوى جهة إدارية. ويعزى هذا التوسع إلى التراكمات التي حققتها مدينة الدار البيضاء على العديد من المستويات. فدورها كعاصمة اقتصادية للمغرب وكأكبر مدنه وأسواقه جعلها تفرخ المراكز والتجمعات السكانية وتدمجها ضمن منظومتها الإنتاجية والهيكلية الضرورية لتوسع وظائفها وأدوارها. وبذلك لم تعد وظيفة العاصمة الاقتصادية حكراً على مدينة الدار البيضاء بل أصبحت وظيفة جهة الدار

الاقتصادية. وتزداد أهمية هذا التركيز الاقتصادي مع احتضان المركز لأكثر من 76٪ من الخدمات الموجهة للمقاولات الاقتصادية. ونتيجة لذلك يوفر المركز بمفرده الشغل لما يزيد عن ثلث السكان النشيطين بالمدينة ويجلب أكثر من ثلث تنقلات العمل بها. وتحتكر عمالة الدار البيضاء - أنفا حوالي ثلثي خطوط الهاتف بالمدينة ككل. وهذا ما يركي وضعية باقي العمالات كهوامش تابعة لها، ويرز دورها القيادي على المستوى الاقتصادي الذي ترمز إليه تسميتها التي تجمع بين مركز الأعمال وأحياء الفئات الغنية.

يتجلى الفرق أكثر بين الدار البيضاء - أنفا وعمالات الهوامش على المستوى الاجتماعي. فباستثناء عمالة عين السبع - الحى المحمدي التي تضم معظم الأحياء الصناعية بالمدينة تتشكل عمالات الهوامش من أحياء سكنية شعبية في معظمها. هذا فضلاً عن تبعيتها لعمالة الدار البيضاء - أنفا التي مازالت تحتكر معظم الخدمات والتجهيزات الاجتماعية. ولا أدل على ذلك من استمرار هذه العمالة في احتضان حوالي 75٪ من الموظفين بالمدينة، وتوفيرها على 70٪ من الأطباء و67٪ من أسرة المستشفيات بالقطاع العمومي، وحوالي ثلث الثانويات بالمدينة. فالعمالة الأم مازالت تلعب دوراً كبيراً في ميدان التأطير الإداري، وتحتكر جزءاً مهماً من البنيات الأساسية والتجهيزات الاجتماعية، سواء منها التابعة للقطاع العمومي أو للقطاع الخاص. هكذا فعالة الدار البيضاء - أنفا لا تعتبر فقط العمالة الأم على المستوى الإداري، ولاحتضانها لمقر الولاية، بل تشكل أم العمالات على كل المستويات. فالفرق واضح بين عمالة تضم معظم أحياء الفيلات والعمارات العصرية بالمدينة وعمالات تتشكل في معظمها من أحياء السكن الاقتصادي والشعبي.

المصطفى شويكي، إنتاج وهيكله المجال الحضري بالدار البيضاء، دكتوراة الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 3 أجزاء، 671 ص.

M. Chouiki, *Système de santé et inégalités socio-spatiales à Casablanca*, RGM, vol. 13, n° 1, 1989 ; Ministère de l'Intérieur, *Schéma Directeur de Casablanca, Rapport Justificatif*, Avril, 1984.

### الدار البيضاء (جهة) أو الدار البيضاء الكبرى.

ترجع تسمية الدار البيضاء الكبرى إلى نهاية عهد الحماية عندما تم التخطيط لتوسيع مدينة الدار البيضاء في إطار محيطها الجهوي المباشر. وبالتحديد عندما وضع المهندس ميشيل إكوشار (M. Ecochard) سنة 1950 مخططاً للتعمير ربط فيه المدينة بالجماعات القروية المحيطة بها وجعل من المحمدية الوجهة الأساسية للتوسع الحضري. ومنذ ذلك الحين أصبح مفهوم الدار البيضاء الكبرى يستعمل للدلالة على

البيضاء الكبرى ككل. وبالتالي فإن المنظومة الحضرية والاقتصادية للدار البيضاء الكبرى قد وسعت كما وكيفا من دور الدار البيضاء كقطب للمحور الساحلي. وبذلك حافظت الدار البيضاء الكبرى على مكانتها كأكبر تجمع حضري بالمغرب إذ أن نسبتها من مجموع السكان الحضريين ظلت جد مرتفعة (14٪ سنة 1931 و30٪ سنة 1960 ثم 22٪ سنة 1994).

تشكلت جهة الدار البيضاء الكبرى من نواة الجهة المحدثة سنة 1913 والتي ظلت تحمل اسم جهة الشاوية إلى غاية 1935 لتصبح ما بين 1935 و1956 تحمل اسم جهة الدار البيضاء. وعلى إثر إحداث الجهات الاقتصادية السبع سنة 1971 أصبحت تحمل اسم الجهة الوسطى. أي أن الدار البيضاء الكبرى التي تطورت خلال القرن العشرين كعاصمة لجهة جد شاسعة أضحت اليوم جهة قائمة الذات.

تضم جهة الدار البيضاء حسب إحصاء 1994: 31 مليون يشكل الحضريون نسبة 95.5٪ منهم. وتمثل حصة مدينة الدار البيضاء 85٪ من مجموع السكان. سنة 1994. ويرتبط ذلك بتشكيل تجمعات حضرية تتزايد أعدادها وأحجامها بشكل مضطرد. ويتمثل أهمها في عين حرودة ولساسفة وسيدي معروف ويوسكورة والنواصر ومديونة وتيط مليل. وقد تجاوز الحجم الديمغرافي للثلاثة الأولى 20 نسمة.

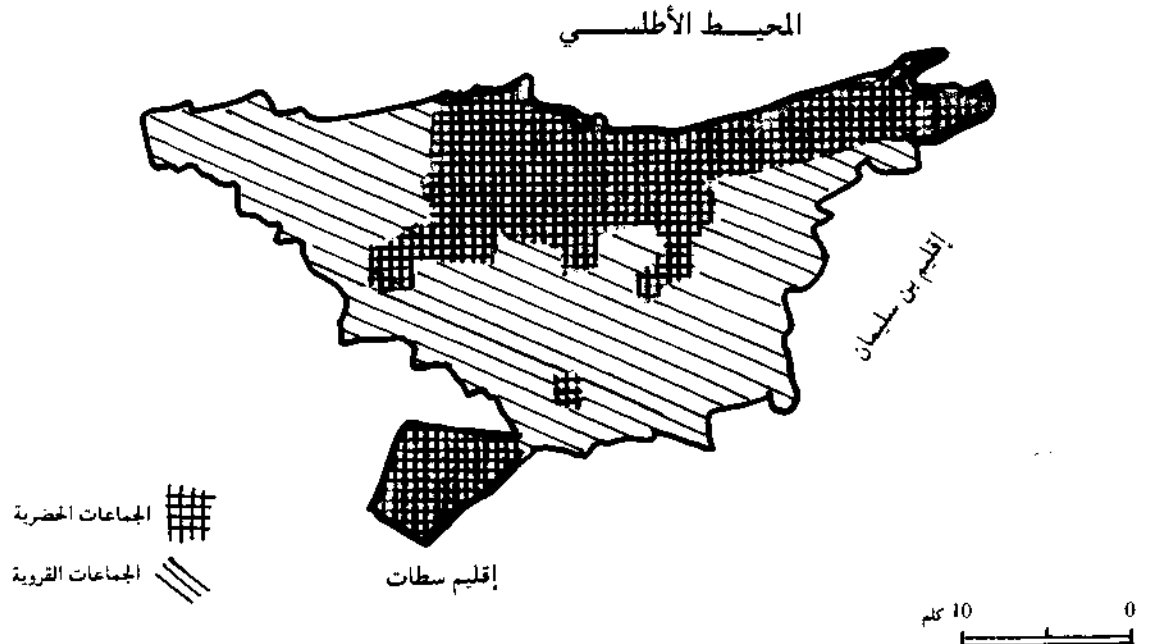
تشكل الدار البيضاء الكبرى الجهة الإدارية الوحيدة بالمغرب التي تطابق جهة حضرية. وفي ذلك امتداد للوضع الإداري الخاص الذي تميزت به الدار البيضاء منذ أن

أصبحت عاصمة اقتصادية للمغرب في بداية عهد الحماية. ونتيجة لهذا الوضع لم تعد الدار البيضاء تظهر على مستوى الوثائق الرسمية كمدينة واحدة لأن التعامل معها كجهة أصبح يحظى بالأولوية على التعامل معها كمجرد مدينة.

إذا كانت الدار البيضاء الكبرى تتميز بكونها الجهة الوحيدة التي تتألف ساكنتها أساسا من الحضريين فإنها في ذات الوقت تمثل الجهة الوحيدة التي يتركز اقتصادها أساساً على الصناعة والتجارة والخدمات. ويعزز ذلك اندماج الضواحي وساكنتها في المنظومة الإنتاجية للجهة. ويشكل انتشار الصناعة بضواحي الدار البيضاء ظاهرة قديمة لكنها اتخذت أبعاداً كبيرة منذ عقد السبعينيات. وواكب ذلك تحول في بنىة الشغل بهذه الضواحي حيث تراجعت بها نسبة الفلاحة من حوالي 70٪ سنة 1960 إلى 33٪ سنة 1982 من مجموع السكان النشيطين. وفي مقابل ذلك تطورت نسبة الصناعة من 11٪ إلى 28 خلال نفس الفترة. ويتجلى أيضاً تراجع مكانة الفلاحة بجهة الدار البيضاء الكبرى من خلال تقلص مساحة زراعة الحبوب والحضروات على السواء.

وإزاء ذلك أصبحت مدينة الدار البيضاء تلعب دوراً متصاعداً في التوافقات السكانية بضواحيها. ويتجلى ذلك من خلال تزامن انتشار الصناعة مع تراجع نسبة المهاجرين مباشرة من البوادي نحوها من 78٪ من مجموع المهاجرين قبل 1960 إلى 34.5٪ ما بين 1971 و1982. وفي المقابل انتقلت نسبة الوافدين من الدار البيضاء نحو ضواحيها من

#### الدار البيضاء الكبرى (جهة -)



المعركة التي نشبت بين الأمير زيدان السعدي وابن أخيه عبد الله فقال : "فقاتلهم في الدار البيضاء قتالا شديداً، انهزم فيه مولاي زيدان". وأطلق من قبل ذلك اسم الدار البيضاء على أحد قصور بني مرين بفاس.

وقصر الدار البيضاء بمراكش في غاية الفخامة ومن جملة القصور الملكية العلوية التي تمثل تراثاً حضارياً عريقاً ومعماراً تاريخياً بالمغرب. ومن المرجح أن يكون تأسيسه من عمل السلطان محمد بن عبد الله وتجديده على يد السلطان محمد بن عبد الرحمان.

تحول هذا القصر في عهد الحماية إلى مستشفى عسكري للفرنسيين واتخذ الضباط العاملون به قبة الواقعة في الطابق العلوي سكنى وظيفية. وفي نهاية 1960 تسلمته الإدارة المغربية وجرت به حفلات رسمية بمناسبة عيد العرش. أما قصر الدار البيضاء بمكناس فهو من تأسيس سيدي محمد بن عبد الله، وهم مقر المدرسة العسكرية الآن المعدة لتعليم الضباط المغاربة.

ومن بين توابع هذا القصر مسجد يتوفر على مرفقات خاصة به، وبجهته الشرقية مدرسة، كما ضم هذا المركب الاجتماعي التعليمي الديني مربعاً فسيحاً عرف باسم أگدال، وفي وسطه قبة غاية في الإبداع والإتقان بإزائها حمام وكل ما يحتاج إليه من منافع.

وأعد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757 - 1790) هذه القبة لفسحته، والجلوس لسماع مظالم رعيته. على حد قول ابن زيدان.. كما أعد البسيط المترامي الأطراف أمامها لرعي إناث الخيل لما كان له من ولع بتربية هذا النوع من الجياد. وأحاط هذا القصر وكل توابعه بمجموعة من الجنانات وهي جنان أسوفيط الكبير والصغير وحنان باب القزدير. مكان كليتي الآداب والعلوم - وحنان ابن حليمة وعرصة السنطرجية والبحراوية - الكولف حالياً.. وأثناء احتلال القوات العسكرية الفرنسية لمدينة مكناس يوم الخميس 8 يونيو 1911، اتخذت قيادتها من قصر الدار البيضاء مقراً لها، واستقرت هذه القوات في هذا القصر الذي كان وقتئذ مربطاً للأفراس والنعامات الملكية وبه بعض التحف والأسلحة كالمدافع من مختلف الأنواع.

وبعد عقد معاهدة الحماية الفرنسية على المغرب يوم 30 مارس 1912، أصبحت مدينة مكناس تمثل عاصمة التمهيدي لاحتلال الجيوش الاستعمارية لجنال الأطلس المتوسط ومنطقة تافيلالت، نظراً لأهميتها الاستراتيجية. فتم التركيز على المدينة عسكرياً، وفي هذا الإطار تحول قصر الدار البيضاء إلى مدرسة حربية لتكوين الضباط "الأهالي" كما جاء في رسالة الجنرال ليوطي المقيم العام بالمغرب بتاريخ 18 يناير 1919 إلى السلطان مولاي يوسف الذي لبي طلبه.

وكانت هذه المدرسة خاصة بأبناء الموظفين السامين خدام حكومة الحماية والجهاز المخزني من القواد والباشوات

10٪ قبل 1960 إلى 49٪ من مجموع المهاجرين إلى الضواحي ما بين 1971 و1982. وبذلك تحول الضواحي من محطة هجرة نحو الدار البيضاء إلى مجال لاستقبال قوة العمل التي تجلبها هذه المدينة. ومع استقبالها لجزء من الطاقة الإنتاجية بتضح سير جهة الدار البيضاء الكبرى نحو توزيع للأدوار بين المدينة وضواحيها لا مثيل له في سائر جهات المغرب. ويتجلى أيضاً هذا التوزيع من خلال الدور المسند للضواحي في ميدان إيواء ساكنة المدينة مع تصاعد انتشار سكن الفئات المسورة بالضواحي الجنوبية من خلال تشييد المغاني والقصور. وتشكل التجمعات السكنية الخاصة بهذه الفئات مثل أنفا الثانية قرب بوسكورة. هكذا لم تعد الدار البيضاء تنحصر في مدارها الحضري بل تمتد في شكل ضواحي متناثرة ومتباينة ومتعددة الوظائف لكنها كلها مرتبطة بالمدينة. وبذلك يتأكد الطابع الحضري للدار البيضاء الكبرى.

إن الدار البيضاء الكبرى التي تعزز باستمرار مكانتها كقطب اقتصادي وطني وكتجمع حضري وبشري ضخم قد رسخت أدوارها ووظائفها مع ترقيتها إلى مستوى جهة قائمة الذات. فعلاقاتها بالجهات المحيطة بها وبكل أنحاء المغرب تزداد متانة وتشعباً.

المصطفى شويكي، إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، أطروحة دكتوراة الدولة، 3 أجزاء، ص. 671، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1995.

A. Adam, *Casablanca, Essai sur la transformation de la société marocaine au contact de l'occident*, Paris, 1968, 2 vol. ; N. Benslimane, *Les équipements commerciaux de détail à Casablanca. Leur rôle dans l'organisation de l'espace*, Thèse, 3ème cycle géo. Paris II, 1982, 2 t. ; M. Chouiki, *Système de santé et inégalités socio-spatiales à Casablanca*, RGM, vol. 13, n° 1, 1989 ; M. Ecochard, *Casablanca : le roman d'une ville*, Paris, 1955 ; A. El Mountasser, *La croissance urbaine de Casablanca, Etude des facteurs économiques et psycho-sociologiques*, Thèse 3ème cycle, Paris VIII, 1980 ; K. Joumady, *Casablanca, métropole économique du Maroc*, Thèse d'Etat, Bordeau III, 1988 ; D. Noin, *Casablanca. La Documentation française N° 3797 - 98*, Paris, 1971 ; H. Prost, *Le plan de Casablanca, F.M.*, n° 8, 1911.

المصطفى شويكي

## الدار البيضاء - قصور ثلاثة بفاس ومراكش

ومكناس. فقصر الدار البيضاء بفاس من عمل السلطان المولى الحسن الأول. وكان المقيم العام الفرنسي في عهد الحماية ينزل به كلما حل بفاس. وفي هذا الصدد يقول المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان في الدرر الفاخرة : "وأسس الدار البيضاء البدعة الشكل، العجيبة الصنع، مسكن المقيم العام الآن عندما يزور فاساً".

وقد وردت كلمة الدار البيضاء في تاريخ الدولة السعدية لمؤلف مجهول بمعنى فاس الجديد، حين تحدث عن

والأعيان والشرفاء، وكل من له حظوة داخل البلاد.  
ونظراً لأهمية هذه المدرسة في التكوين وإعادة التكوين  
للمجتود القداماء، كان ليوطي يطلق عليها سان سير  
Saint Cyr المغرب تشبيهاً بالمدرسة الأم بفرنسا التي تخرج منها  
أقطاب الضباب العسكريين الفرنسيين. وعين على رأس  
إدارتها الرائد كتان Quetin أحد قدماء الحرس الشريف، في  
حين عين نقيب الشرفاء العلويين بمكناس عبد الرحمان بن  
زيدان نائباً للمدير، أو المدير العربي للمدرسة كما كان  
يلقب.

فتحت أبواب المدرسة الحربية بمكناس في وجه التلاميذ  
الضباط ابتداءً من شهر يونيه 1919، وكانت مدة الدراسة  
بها سنتين، لذلك تخرج أول فوج منها وعدد طلابه أحد  
عشر ضابطاً في شهر يونيه 1921.

وقد عين هؤلاء الضباط في إدارات مختلفة مدنية  
وعسكرية. والملاحظ أن عدد المقبولين في المدرسة الحربية  
بقصر الدار البيضاء بمكناس بقي على ما هو عليه لا  
يتجاوز أصابع اليدين إلا نادراً، وهكذا وصل هذا العدد  
سنة 1934 إلى 62 ضابطاً.

وبقي أمر المدرسة المذكورة قائماً إلى عهد الاستقلال،  
فتحول اسمها إلى الأكاديمية العسكرية الملكية التي مازالت  
لحد الآن تؤدي نفس المهمة التي نشأت من أجلها لكن  
بأهداف وطنية وأطر مغربية.

مجهول، تاريخ الدولة السعدية الدرعية التاكدرية، ج. ع. الرحمان  
ابن زيدان، الدرر الفاخرة، ص. 53 و 82؛ إتحاف، ج 1، ط 1،  
الطبعة الوطنية، الرباط، 1929؛ دوقردان، مراكش من التأسيس  
إلى سنة 1912؛ م. المتوني، ورفقات من الحضارة المغربية؛ بوشى  
بوعسرية، مكناس المدينة الجديدة، التأسيس، البنيات الإدارية،  
التناقضات، 1911 - 1939؛ أطروحة دولة، 1995، كلية الآداب  
بالرباط.

محمد ماكان وبوشى بوعسرية

**الدار البيضاء، قلعة بالريف تُعرف أيضاً برباط**  
سبتة، أحدثت لتكون مركزاً لقيادة الحركة الجهادية ضد  
المدينة المحتلة والحراسة الحدود الغربية احتراساً من اغتصاب  
الإسبان المزيد من التراب المغربي. تقع على بعد خمسة كيلو  
مترات من سبتة على سفح جبل بليونش عند المكان الذي  
كان يُعرف سنة الاحتلال بجبل غمارة، وهو المسمى منذ  
القرن الثالث عشر (19 م) لدى الإسبان بجبل التاج. اخير  
موضعه على ارتفاع 290 متراً، نظراً لعلوه الذي يكشف  
النظر لمجموع الأرض الممتدة شرقاً في اتجاه سبتة. ويسميه  
الإسبان سيرايو Serrallo، والاسم مشتق من كلمة  
Sarraceno، وهي صيغة محولة عن اسم عربي يراد به لفظ  
"الشرقي" حسيماً هو معروف في القواميس الإسبانية،  
يستعمل لتحقير المراد به.

تعود أولى الإشارات الصريحة لتأسيس الدار البيضاء

إلى ما ذكر عن الحاجة لإيجاد سكنى الباشا علي بن عبد  
الله الحمادي الريفي، حاكم تطوان ورئيس الجيش الجهادي  
المكلف بحصار مدينة سبتة ما بين 1694 و 1727، وذلك  
خلال السنوات الأولى من بدء الحصار. شيد الدار البيضاء  
ليُفهم الإسبان أنه عازم على البقاء بجوار المدينة محاصراً  
لها، تعبيراً على عدم رحيله إلا بعد استرجاع المدينة.

تكونت الدار البيضاء من محيط محصن يشبه القلعة،  
بني بجوارها مسجد، أحيطت بها مخيمات المجاهدين من  
عبيد البخاري والمخازنية والمتطوعين الوافدين من قبائل  
الشمال الغربي المغربي بطريقة التوبة المتغيرة على رأس كل  
شهر. وهناك خريطة تعود إلى سنة 1766 تبين بوضوح أن  
هناك محيطاً عمرانياً يظهر في شكل شبه مستطيل غير  
منتظم، دل عليه بحرف F، وأشير في التعليق إلى أنه  
المكان المهم الذي تحتله الحراسة المغربية.

وبعد وفاة القائد علي استقر بها ابنه الباشا أحمد إلى  
سنة وفاة المولى إسماعيل، حيث غادرتها القرات المخزنية  
إثر تصاعد موجات الاضطرابات الأهلية. وفي 16 نوفمبر  
1717 كانت قوات الباشا أحمد بن علي بلغت في الدار  
البيضاء نحو 1500 فارس يساعده أخوه القائد خلوف.

وقد سجلت الوثائق وجود القوات المخزنية بالدار  
البيضاء على عهد المولى عبد الله بن إسماعيل، إلا أن  
الأمر تغير بعزله وتولية أخيه مولاي علي وتشبث الباشا  
أحمد الريفي بطاعة المولى عبد الله، مما اضطره إلى  
الالتجاء إلى طنجة في مستهل سنة 1149 / 1736، تاركاً  
الميدان خالياً. وهذا هو الظرف التي أتاح لجنود سبتة التوجه  
إلى الدار البيضاء وهدمها في السنة الموالية.

بانتهاء هيمنة أسرة الباشا أحمد على تطوان يبدو أن  
الإشراف على تنظيم الحراسة انتقل إلى قبيلة أمخزة، إذ أنها  
هي التي كانت تديرها، تحت إشراف قائد القصر الصغير  
الواقع تحت إمرة باشا طنجة، باعتبار أن الأراضي التي  
توجد بها هي تابعة للقبيلة.

ولسنا ندري الوضع الذي كانت عليه الدار البيضاء  
على عهد محمد بن عبد الله، فقد أشارت الوثائق الإسبانية  
إليها على أنها القاعدة الأساسية للحراسة، وتشوف حكام  
سبتة لد الحدود المظلوبة إليها. نعرف من قوادها سنة  
1181 / 1767 محمد بن بلا، ابن باشا الشياظمة.

ويبدو أن قلعة الدار البيضاء كانت قد عجزت عن  
استرجاع هيكلها العمراني السالف الذكر، فهذا هو ما يفهم  
من الأمر الذي تلقاه قائد القصر الصغير محمد الصريدي  
في صيف 1199 / 1784 لإعادة بناء الدار قصد إيواء فيلق  
متكون من ستين مخزنيًا بين فارس وراجل.

نعتقد أن قلعة الدار البيضاء كانت سليمة خلال حصار  
سبتة من طرف المولى اليزيد، فقد استطاعت أن تؤوي عدد  
الجنود المرابطين حول الحدود مدة سنتين، ولكننا لا نعلم  
شيئاً عنها على عهد المولى سليمان وبداية عهد المولى عبد



الدباغة - بفسدها. فتصبح غير صالحة تماماً. وعموماً فإن كل هذه الأحواض يختلف أنواعها، قد بنيت بشكل جعل جوانبها الداخلية وقعرها رطبة، لتسهيل تنظيفها، مع وضع عتبة على هذه الجوانب لتفادي وضع الرجلين على الجلود.

هذه المرافق الخاصة بكل دكان لا تنفي وجود أخرى عامة؛ تخضع للاستعمال المشترك بالتناوب من أهمها :

- إفرض : وهو عبارة عن حفرة أبعادها غير متساوية ويعمق يفسوق المترين في الغالب يستعمل لتجميع المياه المستعملة ويستخدم كذلك لتعويم جلود الجمال والبقرة والماعز. ويتم إفراغه وتنظيفه بعد مدة.

المرگل : حوض شكله مستطيل طوله 1.50 م وعرضه 1.20 م وعمقه 1.10 م بالتقريب. رطب الجوانب والقعر. فيه يتم ركل الجلود وغسلها من الجير، يتم إفراغه من الماء المستعمل بواسطة ثقب في جانبه الأسفل.

- أزگي : صهرج صغير فيه تتم عملية "تشقيف" الجلود كما يسميها أهل الحرفة. وتهدف تسريع وإزالة ما بقي عالقا بها، من الشحم واللحم، بواسطة آلة يدوية حادة أو بالموسا.

- أفردو : عبارة عن آلة الهرس مصنوعة من الحجر؛ ومغروسة في الأرض "مهراز" لدق قشرة الرمان الحامض، وتحويلها إلى مسحوق بواسطة عمود خشبي صلب يسمى "أساگوم".

- أسفسر : فضاء عار معزول عن مرافق الدباغة تشر فيه الجلود المدبوغة لتجفيفها بعد تلوينها.

- الطنجير : أو الطنجرة قدر صنع من النحاس حجمه ضخم يستعمله الدباغون الذين لهم "النوبة" أي الحق في استعماله بالتناوب حتى ولو كانوا لا ينتمون إلى دار الدباغ التي يوجد فيها وفيه تصبغ جلود البقر المعروفة عندهم "بالعجلي" ولا يوجد إلا في "دار الدباغ الطنجير".

- البئر : خاضع للاستعمال المشترك وكانت بعض دور الدباغة تتوفر على بئرين حسب حجمها. وكان البئر يشكل المصدر الوحيد للمياه المستعملة وإلى حدود منتصف القرن العشرين أي قبل إدخال قنوات الماء الصالح للشرب التابع للمصالح البلدية آنذاك. وكان التزود بهذه المادة الحيوية يتم بصعوبة أي بواسطة الدلو أو السطل والحبل في مراكش مثلاً عكس ما كان عليه الحال في دور الدباغة بفاس حيث يتم الحصول على الماء بسهولة.

ومن المعلوم أن الدباغ يعد من أهم المواد الأساسية التي تتركز عليها دباغة هذه الجلود. وهو أنواع مثل : الرباطي والبلدي وميموزا. ويتم جلبه من غابة المعمورة الواقعة شمال مدينة سلا ومن بعض مناطق الأطلس الكبير، لونه يميل إلى الحمرة. وكانت هذه الأنواع توضع في أكياس خشنة تنقلها الجمال والحمير والبغال. هناك نوع رابع يعرف بتاگوت، أو تاكوت لونه يميل إلى الاصفرار وعلى شكل جوب أصغر في حجم حبات الحمص وأكبرها في حجم

حبات الزيتون. يؤدي بأجود هذا النوع من تافيلات، أقله جودة من ناحية تدغة. وقبل استعمال هذه الأنواع، كانت تمر بمراحل التنقية والنشر لتسهيل طحنها في مطاحن تقليدية، كانت توجد بحي الدباغين الذي يضم أيضاً سوقاً لعرضها للبيع، غير أن جل هذه الأنواع أصبحت تطحن في المطاحن الكهربائية منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين.

من المواد التي يتم الاعتماد عليها في هذه الحرفة نجد الجير، وهو من أصل حجري يُصهر في أفران تقليدية. هناك كذلك حتى الحمم "لبزق" الذي يمدد هو أيضاً لدباغة الجلود. يقتنيه الدباغون من الذين يقومون بجمعه من نواحي الحوز ومن دكالة وغيرها.

يلاحظ أن طريقة دباغة الجلود التي تعتمد على هذه المواد الأساسية، تختلف من نوع إلى آخر رغم وجود بعض المراحل المتشابهة التي تعد قاسماً مشتركاً بينها.

1- دباغة جلود الماعز : الزواني. تنطلق العملية باقتناء هذه الجلود من السوق على شكل وحدات تتألف كل واحدة من ست جلدات تسمى "الطريجة". وقد يصل عددها إلى عشر أي 60 جلدة فأكثر. وكان ينقلها حمالون من أصل فيلالي. ويضع كل معلم علامة خاصة به على أحد أطرافها تكون معروفة عند باقي المعلمين والصناع في دار الدباغة، حتى لا يقع خلط بين الجلود التي يمتلكها كل واحد منهم. كل مجموعة تسمى عندهم قصيرة يقوم المعلم بحزم جلودها بحبل. وتوضع في ماء إفرض - مدة يوم واحد صيفاً وثلاثة أيام شتاء - ثم تسحب منه لتخضع "للتكبيب" بهدف تنقيتها من الطين والوحل والملح، ثم تمر بعد ذلك إلى عملية التكليط - وهي تليط الوجه الخلفي للجلود بمادة لكلاطة، مكونة من خليط الرماد ونبات وماء لتسهيل عملية إزالة الشعر بالموسا يسمونها التقليع - ويتم بيع هذا الشعر في سوق خاص مكون من عدد من الدكاكين في قلب حي الدباغين.

بعد هذه العمليات التمهيدية تدخل جلود الماعز في مرحلة التهيئ: الانتقالي وتبتدى بوضعها في المجابير أي الأحواض التي تحتوي على خليط الجير والماء، وهي أربعة أنواع.

يلقى بجلود القصيرة يكاملها في النوع الأول المسمى لخصر ولدة أسبوع لضعف تأثيره وتتهيء الجلود لتقبل مفعول الجير. بعد ذلك تحول إلى النوع الثاني هو أمسرَب لتبقى فيه مدة أربعة أيام - مفعوله أقوى نسبياً - النوع الثالث يعرف بلحرش لتأثيره القوي على الجلود إذ فيه تكسب نوعاً من الصلابة وتفقد ما بقي عالقا بها من الرائحة الكريهة. وقبل نقلها إلى المجيار الموالي تخضع للتمريس وهي عملية تهدف إزالة ما بقي من الشعر الذي يسمى بوخناز يبيعه الصانع إلى النساء ليصنعن به نوعاً من الحبال.

أما النوع الرابع والأخير فهو القاطع يطلق عليه هذا

الاسم لاحتوائه على الجير الجديد بعد خلطه بالماء تنقل إليه الجلود من لحرش وتبقى فيه لمدة أسبوع تقريباً غير أنها تخضع للمراقبة من وقت لآخر خاصة في فصل الصيف. في هذا المرفق تكتسب الجلود لوناً يميل إلى البياض وتصيح فيه أكثر صلابة مما كانت عليه. كما أنها تخضع لعملية أولام، وهي إخراجها من الجير وتقطيرها وإنزالها فيه مرة ثانية، لتمكينها من امتصاص هذه المادة بالقدر الكافي. وبالاستعمال المتكرر تحول هذه المجاير من الأكثر إلى الأقل فعالية، أي من القاطع إلى لحرش وإلى امسرب ثم إلى لخصر الذي يهرق محتواه في قنوات تصريف المياه عندما يصبح غير صالح للاستعمال. بعد قضاء المدة المطلوبة في القاطع تستخرج الجلود منه وتنقل إلى المركل حيث يتم ركلها وغسلها بالماء النقي ثلاث مرات حتى ينقطع منها أثر الجير. ويتم ذلك بتراتيل دينية مثل التهليل والتكبير. وأثناء مراحل هذا الغسل تخضع للتساوي أي إزالة الشحم وبعض بقايا اللحم من وجهها الخلفي لتدخل بعد ذلك في مرحلة تزهلها مباشرة للديباغة، إذ يتم غمرها في قصيرة تحتوي على خليط من حتى الحمام - ليزق - والماء لتبقى فيه مدة يومين صيفاً وأسبوع شتاء. فبقاؤها في هذه المادة يعيد لها لونها ويزيل منها ما بقي فيها من رواسب الجير. ثم تعرض للغسل من جديد وتوضع في قصيرة أخرى تحتوي بدورها على خليط من نخالة القمم والتين والماء لتبقى فيه أقل من أسبوع. دور هذا الخليط هو إزالة رائحة ليزق منها، وفتح الثوب الدقيقة فيها؛ الشيء الذي يجعلها تمص تاكاوت إضافة إلى أنه يكسبها نوعاً من النعومة والظراوة. ويمجد إخراجها من النخالة، يتم إنزالها مباشرة ودون غسلها في قصيرة خاصة، تضم الماء النقي وقدراً كافياً من تاكاوت التي سبق إعدادها بالتنقية والغسل والتجفيف والدهن بالزيت والطحن. وكانت النساء يقمن بعملية تهبيء هذه المادة مقابل أجرة نقدية وذلك قبل ظهور المطاحن الكهربائية الحديثة.

تترك الجلود في تاكاوت لمدة ثمانية أيام خلالها تخضع لعملية أولام أي تخرج وتقطر ويتم إنزالها وغمرها من جديد في الخليط نفسه. وعندما يتأكد المعلم من جودة دباغتها يتعاون مع الصانع والمعلم، على إخراجها من هذه المادة، وعصرها إما على دفعات من طريحتين أو ثلاث أي من 12 إلى 18 جلدة، فيقومون بفتحها وتسريحها وإزالة أوساخها. ويطلق على هذه العملية - التشقاف - بعدها يقومون بتلوينها الواحدة بعد الأخرى بخليط من مسحوق قشرة الرمان الحامض، الذي كانوا قد قاموا بدقها في "أفردو" مهاز من الحجر. وأثناء عملية التلوين يدلكونها ويرشونها بقطرات من الزيت ليكتسب وجه الجلدة لمعانا وبريقا.

هذا الخليط كان مستعملاً في فترات مضت أما الآن فقد حلت محله صباغة صفراء. بعد ذلك تنشر الجلود في فناء عار هو أسفسر وعلى غطاء من التبن وبطريقة تجعل

وجهها الخلفي معرضاً لأشعة الشمس. وعندما تجف فإن المتعلم هو الذي يتولى عادة جمعها ونقلها إلى الدكان، حيث تبدأ مرحلة التهبيء الأخيرة وتنطلق برشها بالخليط نفسه وطبها لمدة قصيرة، لتصبح لينتة. فيقوم الصانع بتسريحها على خشبة منتصبة داخل الدكان، على ارتفاع (60 سنتم) تقريباً من الأرض تسمى لخطر لصقل وجهها الخلفي أو ما يسميه الدباغون لبشير، ويتم بألة حديدية تسمى بالصدرية، سُميت هكذا لأن جزءها الأعلى يوضع على الصدر والجزء الأسفل الحديدي على الجلدة، فيقبض الصانع أو المعلم الذي يباشر هذه العملية على عمود من خشب بيده اليمنى يفصل بين الجزئين الأعلى والأسفل ويده اليسرى على الجلدة بعد شدّها كذلك بفخذه على لخطر. كل ذلك يتطلب مهارة ومجهوداً عضلياً متواصلًا وشاقًا. ثم تمر الجلود إلى مرحلة التميرين وهي حك ظهر كل جلدة باليد على آلة من طين تعرف بتيلاط وهي تشبه القدر، يحتوي وجهها على خطوط بارزة. وقد يستمر الحك عدة مرات بالنسبة للجلدة الواحدة إلى أن تبرز حبيبات دقيقة على وجهها تكسبها نعومة ونضارة. ثم تعلق من أحد أطرافها، في جبلين مشدودين إلى الحائطين المتقابلين في الدكان. فيقوم المعلم بمسحها بقطعة من الثوب الصوفي ليزيدها لمعانا ويقطع الأطراف الزائدة من حواشيتها لإخراجها في شكل مقبول وإعطائها منظرًا لائقًا. تُجمع الجلود الواحدة فوق الأخرى بعد أن أصبحت جاهزة، وتسمى آنذاك الطلوع فتُحمل إلى السوق الذي كان يعقد في مكان سوق الجلدة كل يوم مباشرة بعد صلاة العصر، ماعدا يوم الجمعة وبذلك تنتهي هذه السلسلة المعقدة من العمليات الصعبة. ولهذا يقولون: "والله كل ما لعبت المعز في قرون الجبال حتى تخلص في دار الدباغ".

2 - بالنسبة لديباغة جلود الأغنام فهي سهلة نسبياً فعندما يقتنيها المعلم يضعها مباشرة في الماء لغسلها ثم تمر من محطات الجير ولبزق والنخالة لتبقى فيها مدة تتراوح ما بين 4 إلى 6 أيام لكل مادة من هذه المواد. ثم يتم تحديد اللون الذي يجب أن تأخذه، فالجلود البيضاء توضع في تاكاوت والحمر في الدباغ البلدي وميموزا لأن ذلك يكسبها اللون الأحمر. وعندما يتحقق المعلم من جودة دباغتها يقوم بشقها وتلوينها بخليط من الماء والشب. ترش بالزيت فتنتشر تحت أشعة الشمس، حتى تجف ثم ترش بالخليط نفسه دون استعمال الزيت. ثم تخضع لعملية لبشير، أي إزالة القشرة الغليظة من وجهها الخلفي. فتسرح من جديد وهو ما يسمى - بأفتاح - فتصبح جاهزة للبيع بعد أن تجمع الطلوع فتُحمل إلى سوق النعال الذي كان يعقد ابتداء من العاشرة صباحاً طيلة أيام الأسبوع باستثناء يوم الجمعة. أما الجلود الحمراء فتستخرج من الدباغ وتشق وترش هي أيضاً بالزيت ودون أي خليط آخر وتخضع للعمليات نفسها تقريباً.

أما دباغة جلود البقر الذي يعرف بالعجلي فبماشرة بعد وضعها في إفرض وانتشالها منه بعد خمسة أيام تقضيها فيه، ثم يحول إلى مجيار لخرش لتبقى فيه ثلاثة أسابيع لتسهيل إزالة الوبر ووضعها في القاطع لمدة شهر مع مراقبتها - أولام - ومنه تنقل إلى المركل لإزالة الشحم من وجهها الخلفي - التساوي - ويجدد عليها الماء لمدة ثلاثة أيام فتمر إلى - ليزق - ثم إلى النخالة لمدة شهر في كل مادة من المادتين. بعد ذلك توضع في قصرية الدباغ البلدي لمدة شهرين.

تصنع بعدها في الطنجير باللون الوردي فتنتشر وتجفف وتمر بعملية لبشير والمسح فتصبح جاهزة للاستهلاك. وتمر دباغة جلود الجمال بمحطات الجير التي تمر منها جلود البقر وإزالة الوبر والشحم والغسل. لكنها تنتقل مباشرة إلى النخالة ولمدة شهرين تنقل بعدها إلى قصرية الدباغ البارد أفضل. ودون المرور بليزق ثم إلى الدباغ الجديد. ثم تظلى مرة أخرى بمسحوق الدباغ من جديد لتبقى فيه ستة أشهر. يتم بعدها إخراجها منه بالتدريج حسب ما يرغب المعلم في بيعه منها. فتتعرض لذلك بحجرة وخليط من مسحوق الصنوبر يكسبها لمعانا وحمرة زاهية. فتعرض للبيع في سوق "النعال".

أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، بغداد، ص. 153 : مجهول، كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، الدار البيضاء، ص. 90 : مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، الدار البيضاء، ص. 209 : البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، الرباط، ص. 71 : ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص. 27 : علي الجزنائي، جنى زهرة الأس، ط. الثالثة، الدار البيضاء، ص. 44 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 4 : 342 : 5 : 40 : 8 : 473 : البحث الميداني.

R. Le Tourneau et L. Paye, *La corporation des Tanneurs et l'industrie de la tannerie à Fès, Hesp. T. XX, fax. 2. 1935* ; Lagdim Soussi Moulay Brahim, *Les activités artisanales à Marrakech et leurs retombées économiques. Etude géographique*, Université François Rabelais, Tours. 1984.

عبد السلام السعيد

في مكناش لما كان بينه وبين جيش العبيد من الصراع. ولذلك فضل المقام بين أخواله على مقربة من فاس دون أن يسكن القصور السلطانية الواقعة داخل أسوار المدينة. وكان أهل فاس بايعوه أول الأمر ثم ثاروا عليه. فكان في حاجة إلى إقامة قصر محصن يقيه ثورات أهل فاس ويمكنه من مهاجمتهم كلما اقتضت الضرورة ذلك. فاختار بقعة على شمس من الأرض غاية في التبصر الاستراتيجي على بضعة كيلومترات من الأسوار، تمكن السلطان من التحصن ومن مراقبة الوارد من فاس والقاصد إليها. وبالرغم مما يوجد عليه قصر دار الدبيبيغ اليوم من الحراب، إلا أن هندسته العامة مازالت ماثلة للعيان توحى بطبيعة القصور السلطانية من حيث شكلها وتوزيع المرافق الخصوصية والعمومية بداخلها.

وهي على شكل قصبة مربعة متساوية الأضلاع بالتقريب، طول الضلع منها لا يقل عن سبعمائة متر. محاطة بسور مرتفع مسنن على الطريقة التقليدية لتتمكن الرماة من الرماية والاحتماء من رصاص العدو. وهي على ريوقة تنسرح العين فيها في كل اتجاه في سهل سايس، يوم كانت مدينة فاس لم تزل منحصرة عند وهذا الواقع في سفح جبل زلاغ. وزيادة في تيسير المراقبة أقيمت أربعة أبراج على علو مرموق في كل ركن من الأركان الأربعة تتخللها منافذ كانت تطلق منها المدافع.

وتنقسم القصبة ككل القصور السلطانية إلى عدة دور متصلة وإلى ساحات وأحواش متميزة. فهناك أولا المشور المفضي إلى قاعة الاستقبالات العمومية، بحذائه من جهة الشمال الأروى المتصلة بما كان حديقة للحيوان، ومن جهة الجنوب ساحة كانت مخيما للعساكر المكلفة بالدفاع عن القصر. وفوق تلك القاعة غرفة تنم رغم الدمار والحراب عن الشموخ والتأنيق في الزخرفة، وهي على شكل ما يسمى عند المغاربة "منزها" ترى منها العين مفاتن سهل سايس والجبال. ومن هذه الغرفة يطل المرء على دار الحرم بكل ملحقاته من غرف وحمامات ومطابخ وهي في السفلي جهة الشمال.

فهذه هي القصبة المسماة بدار الدبيبيغ التي أضحي اسمها يطلق على المدينة الأوربية التي أقامها الفرنسيون في جوارها ومن حولها ابتداء من العشرينيات من القرن العشرين يوم فضلوا السكن منفصلين عن المدينة العتيقة. وقد كانت مقر أول معسكر لهم في فاس يوم دخلتها جيوش الجنرال موانيني في ربيع سنة 1911. ثم إنهم أسكنوا فيها قداماء من كان يقااتل في صفوفهم من الجنود المغاربة لتطويع المناطق المستعصية من المغرب. ولذلك أصبحت القصبة عرضة لكل أنواع التآكل والتلاشي من جراء الضغط الديموغرافي. مع أنها مفخرة من مفاخر الهندسة المغربية، واضحة المعالم الجمالية والعمرائية. وليست أكبر القصور في العهد العلوي ولكنها من أشدها وضوحا لمن

**دار الدبيبيغ**، هو القصر الذي بناه السلطان المولى عبد

الله بن اسماعيل ابتداء من سنة 1154 / 1742 جنوب مدينة فاس العتيق. لكنه صار يطلق لدى أهل فاس على المدينة العصرية التي أقيمت في جوار القصر ومن حوله حتى أصبح اليوم يتوسط أحياءها الجديدة (انظر مادة أولاد الدبيبيغ في مكانها من هذه المعلمة).

أما هاهنا فنكتفي بالحديث عن القصر أو القصبة وعن أسباب تشييدها يوم كان السلطان المولى عبد الله (1729 - 1757) يحاول إثبات حكمه بمساندة أخواله من قبائل الأوداية القاطنين في أحواز فاس. وكان في مطلع الأربعينيات من ذلك القرن قد نفر من المقام في قصور والده



يريد أن يطلع من أول وهلة على شكل تلك القصور وعلى وظائفها وأساليب العيش بداخلها. وقد أقام بها المولى عبد الله إلى أن وافاه الأجل المحتوم. كما أقام بها المولى الحسن (1873. 1894) كلما مر بفاس، وكذلك ولي عهده وخليفته على العرش المولى عبد العزيز (1894 - 1907).

م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، الرباط، 1986 ؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1956، ج. 7 ؛ ع. ابن زيدان، إتحاف، ج. 4، فاس، 1932.

D. Madras et R. Maslow, *Fès capitale artistique de l'Islam*, Casablanca, 1948 ; P. Azan, *L'expédition de Fez*, Paris, 1924.

إبراهيم بوطالب

### دار الدريوش، مركز حضري حديث في إقليم

الناظور. يوجد على الضفة اليسرى لوادي كرت، على الطريق الرئيسية التي تربط بين الناظور والحسيمة حيث يعتبر محطة طريقية مهمة في المنطقة.

عرف المركز تطوراً سريعاً منذ دخول الاستعمار الإسباني الذي جعل منه مقراً لشكّة عسكرية كبيرة انطلق منها لإخضاع المناطق الموجودة إلى الجنوب والغرب. وبعد الاستقلال، أخذ الدور العسكري لدار الدريوش يتقلص وتحول تدريجياً إلى مركز حضري عرف نمواً مطرداً، خاصة في السنوات الأخيرة نتيجة للهجرة الدولية، ويتجلى ذلك بالخصوص، في تطور عدد سكانه الذي عرف نمواً كبيراً بين سنتي 1982 و1994 يقدر بـ165% وهي من أعلى النسب في إقليم الناظور.

يضم المركز مقر عدة مصالح إدارية (ادارة وقيادة وجماعة الدريوش)، وصحية واجتماعية تمتد صلاحيات بعضها إلى المناطق المجاورة كدائرة الريف، كما يقدم عدة خدمات إضافة إلى كونه مقر سوق أسبوعي مهم ينعقد يوم السبت، وهو من أكبر وأنشط الأسواق الأسبوعية في إقليم الناظور.

J.J. Baraton, *Bassin et littoraux du Rif oriental : Evolution morphoclimatique et technotique depuis le néogène supérieur*, Etudes méditerranéennes. Poitiers, 1989 ; P.R. Bossard, *Mouvements migratoires dans le Rif oriental : le travail en Europe. Aspect contemporain majeur des migrations dans la province de Nador*. Thèse de 3ème cycle, Montpellier, 1978 ; Centre de travaux agricoles de Driuch, *Données monographiques des communes rurales de Driuch et Dar Kabdani*.

حسن العباسي

### دار السكة المغربية يتبلور تاريخها في القطع

التقديمية المضروبة في إحدى تلك الدور. وحسب النقود التي وقع العثور عليها قديماً وحديثاً في مختلف المراكز المنتشرة فيما كان يسمى موريطانيا الطنجية (المغرب الأقصى) والتي توجد الآن مجموعات منها في بعض متاحفنا حيث

يتجلى أن المغاربة استعملوا النقود الفينيقية والقرطاجية والرومانية والوندالية، كما استعملوا نقود الدول الأوربية المجاورة للبحر المتوسط مثل الدولة الإسبانية والغالية والإيطالية، وكلها نقود ضربت بدور السكة الأجنبية، ولا شك أنها كانت تروج إلى جانب نقود مغربية ضربت محلياً بدور السكك المغربية غير أننا لا نتوفر على معلومات عن نقود محلية أقدم مما عرّف به جان مازار. J. Mazard في كتابه عن النقود المغربية وخاصة دار السكة في ليكسوس (شماس) قرب مدينة العرائش، وقد ضربت نقوداً في عهد الملك بوكوس (45-33 ق.م) وفي عهد يوبا الثاني (25 ق.م إلى 23 م) وقد برز في تلك النقود التأثير الروماني بشكل واضح. ومع الطلائع الأولى للفتح الإسلامي بدأ المغاربة يستعملون النقود الأموية المسكوكة في الشرق والتي ضربها ولائهم بطنجة منذ عهد موسى بن نصير كما يدل على ذلك فلس نشره حسن حسني عبد الوهاب، ثم ولائهم في الأندلس. ولاشك أن هناك دوراً للسكة أنشأتها الإمارات الأمازيغية قبل الإسلام من قبائل مصوذة وصنهاجة وزناتة ثم بعد ذلك أصبحت دار السكة من اختصاصات الدول المغربية المتعاقبة على الحكم منذ الدولة الإدريسية إلى الآن.

وقد اجتهد كثير من الباحثين للتعريف بهذه المؤسسة التي تعتبر من المؤسسات الغامضة التي تحسبها الدولة من بين أسرارها الخاصة التي لا ينبغي إطلاع الغير عليها، زيادة على اعتبار أن السكة من أهم شارات الملك. ومن هذا الجانب تدرك الصعوبة الكبرى في التعريف بهذه المؤسسة التي كان الصناع المسلمون واليهود يضربون السكة فيها أحياناً أثناء الليل إمعاناً في السرية، كما أن أغلب "المعلمين" لا يكتبون، ولذلك لم تخلف عن هذه المؤسسات وثائق تذكر، وضاع كثير من وثائق الأسماء وسجلاتهم فانطمست بذلك كثير من المعلومات عن جوانب كثيرة من هذه المؤسسة، الأمر الذي جعل الباحثين يتجهون إلى القطع النقدية القديمة كمصدر للحصول على معلومات عن الصناعة النقدية وعن ضبط كثير من الأحداث والوقائع السياسية والاجتماعية والاقتصادية بواسطتها.

وقبل الإدلاء ببلوائح دور السكة المعروفة لدى مختلف الدول المغربية المتعاقبة على حكم المغرب نورد صورة لما كان عليه العمل داخل دار السكة من حيث إدارتها، ومن حيث عمليات التصنيع الجارية بها حسب وصفها في الكتابات التاريخية.

"قدار السكة عبارة عن مبنى يقام - أحياناً - إلى جانب قصر السلطان على هيئة مكان مربع محاط ببعض الحجرات الصغيرة مخصصة لعمال دار السكة، وفي وسط هذه البناية

الكيميائية ويحتفظون بأسرار الصنعة، وهم حريصون على أن لا يُدخلوا معهم في صناعتهم أجنبياً.

الصناع و "المعلمين" ويعتبر "المعلمون" دون الصناع خبرةً، ويقوم هذا الإطار بوظائف متعددة منها : وظيفة "النقاش" وهو الذي يصنع الأختام التي تضرب بها السكة الفضية بحفر كتابات عميقة مقلوبة على قطع من الحديد، كما يصنع القوالب التي تفرغ فيها الفلوس النحاسية (الوحة رقم 2). ووظيفة "السباك" وهو الذي يقوم بخلط المعادن بمقادير معينة وتحديد عيارها ومراقبة سبكها في "الأبواب" : (البوتقات). ووظيفة "الضراب" أي : الذي يُعدُّ صفائح الفضة أو يضرب على الخاتم. ثم وظيفة "صاحب القطع" ويعرف بصاحب المزيرة (المقص) ويقوم بإعداد قطع مستديرة من الفضة.

ويهيمن على هذا القطاع في دور السكة بالمغرب عدد كبير من "المعلمين" اليهود وهي هيمنة قديمة. وقد أوردت رسائل مديرية الوثائق الملكية المتعلقة بالقرن الثالث عشر (19 م) كثيراً من المعلومات عن كفاءتهم، وعن ممارستهم السلبية أحياناً داخل هذه الدور، مثل القيام بالإضرابات من أجل المطالبة بزيادة الأجور، وكذا القيام بأنواع من التديس، مما جعل تلك الرسائل تنبه على الحذر "ورد البال" تجاههم.

يقع مكان ناظر الدار مع العدول والكتاب، وبالقرب من هذه الدار توجد دكاكين الصياغين مع الأمين الذي تعرض عليه المصوغات ويضع طابعه على المقبول منها" فحينما عرضنا هذه الفقرة على أحد الرسامين المغاربة تفضل بالتعبير عن تصور العاملين بدار السكة أثناء عملية ضرب النقود كما يظهر في الصورة المرفقة، وتنمياً لهذه الصورة نورد وصفاً للإطار البشري الذي يمكن تمييزه إلى قسمين : حيث يختص قسم بالتسيير الإداري والقسم الآخر بمباشرة عمليات الإنجاز، ومن القسم المسير :

- أمين دار السكة، وله السلطة المباشرة على العمال، ويقوم بتنظيم عمليات الضرب وإعداد "الإقامة"، ويحدد مقادير "الطريحة".  
- ناظر الدار (المقدم) ويدعى أيضاً الأمين الثاني، يعمل على حفظ ومراقبة السبائك ودفع أجور الضراب وغيره من العملة.

- العدول والكتاب، وهم الذين يقومون بالإشهاد وتسجيل معاملات الدار واعداد التقارير.

أما بالنسبة للإطار الذي يباشر إنجاز النقود، فيتكون من مجموعة من :

- "المعلمين" وأغلبهم من اليهود ولهم خبرة في العمليات



دار السكة المغربية

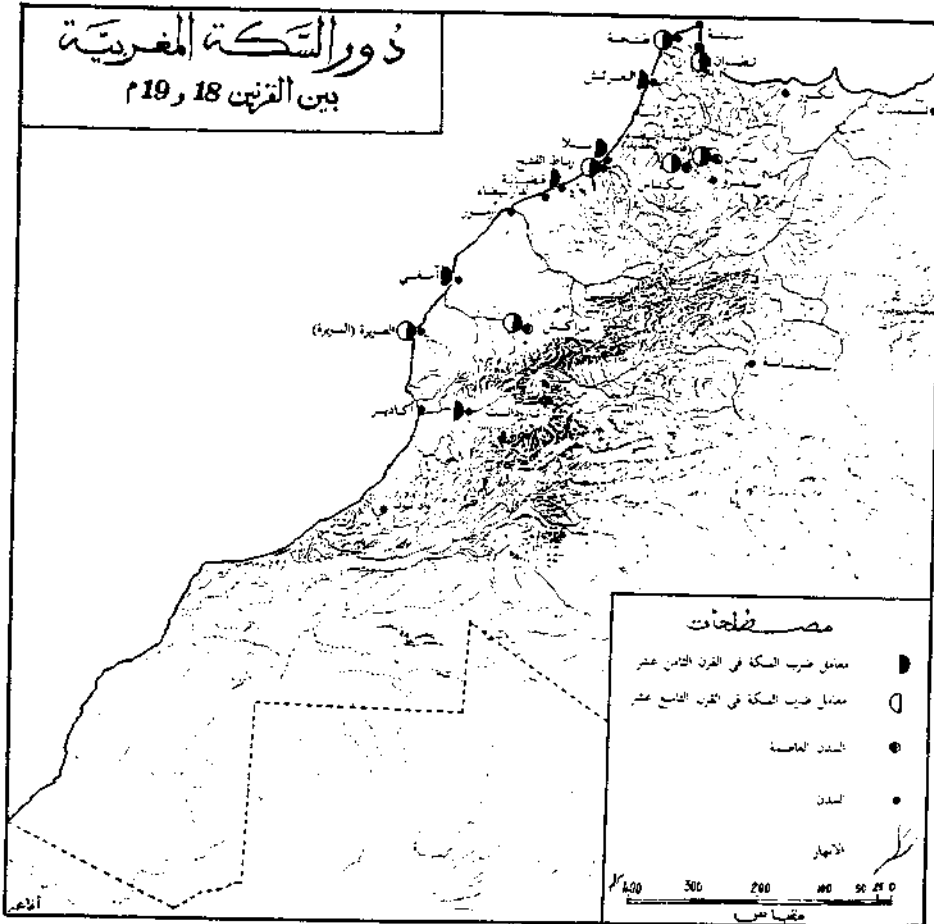
تقديم شروح عنها هنا، مثل : التخليص والتشجير والتشليل والتشبيب وغيرها، ويمكن الرجوع إليها في مظانها مثل كتاب الأصداف المنفضة للجزائري.

وعن التوزيع الجغرافي لدور السكة المغربية عبر عهود الأسر الحاكمة بالمغرب، فإننا نورد هنا بناء على ما توصلنا إليه اعتماداً على الأسماء الواردة على القطع النقدية، وإنما نورد الأهم منها فابتداءً من عهد الدولة الإدريسية عرف عدد الدور انتشاراً واسعاً بلغ عشرين داراً للسكة، وهي على التوالي: طنجة وأصيلا. وتهليلط والبصرة وورغمة وإجرهان ووطيط - وليلة والعالية وسبو وريضة وإيكم وبهت وتاگراگرا ومريرت، وزقور ومهنا وزيز وتدغة. ولقد درسنا مجموعة من القطع النقدية، وفُرت لنا ملاحظة مدى تطور الخط الكوفي عبر هذه الدور في مستويات متفاوتة ووضعنا خريطة لمواقع هذه الدور مع إبراز حدود تلك التفاوتات. (انظر الخريطة).

وإذا كانت هذه الدور في العهد الإدريسي مركزية في مجال جغرافي محدود، فإن دور السكة في عهد الدولة

أما إنجاز القطع النقدية بدار السكة، فإنه يتطلب اجراء كثير من العمليات، خاصة منها ما يتعلق بمعالجة المعادن ويهندسة النقود وأوزانها، ونكتفي في هذه الدراسة بأن نسوق ذلك على سبيل الإجمال :

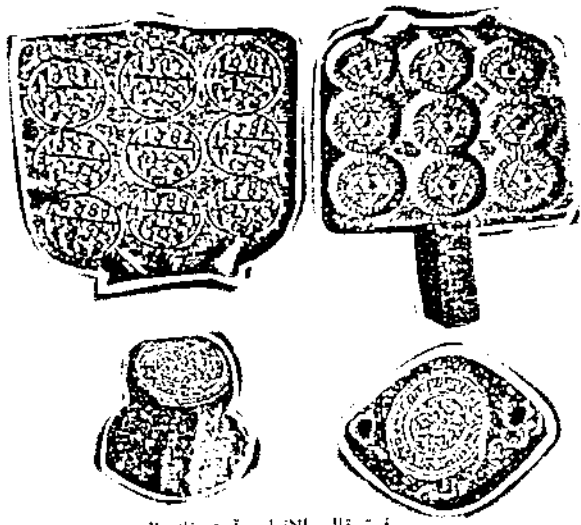
فحينما يقبل السلطان النماذج المكتوبة للدراهم والدنانير، تُدفع للنقاش، فيقوم إما بحفرها على الأختام المعدة للضرب في حالة نقود الذهب والفضة، أو بصنع قوالب الإفرغ في حالة النقود النحاسية (لوحة 2). وحينما تسبك المعادن بعد خلطها بمقادير معروفة، تدعى العيار أو العدة، وتحول إلى قضبان، ثم تُطرق لتتحول إلى صفائح، ثم تقطع على شكل قطع مستديرة، هي التي تصبح نقوداً بعد ختمها وضبط وزنها. هذا بالنسبة للنقود الفضية، أما بالنسبة للنقود النحاسية فإن المعدن عندما يتم سبكه بالانصهار، يصب في قوالب الإفرغ، ثم يترك ليبرد، فيستخرج من القالب على هيئة قطع نقدية جاهزة. وهناك عمليات عديدة تجرى على المعادن النقدية لا نرى ضرورة



خريطة : 1

عدددها	دور السكة في عهده	السلطان
4	* مراكش - فاس - رباط الفتح - سجلماسة * مراكش - فاس - رباط الفتح - سجلماسة -	مولاي رشيد مولاي إسماعيل
7	مكناس - أزموور - أسفي	م. أحمد بن محرز
2	* مراكش - سجلماسة	م. عبد الله بن إسماعيل
3	* مكناس - رباط الفتح - سلا * مراكش - فاس - رباط الفتح - مكناس - أسفي - تطوان - طنجة - البيضاء -	سيدي محمد بن عبد الله
13	العرائش - سلا - فضالة - الصويرة - رداة	مولاي اليزيد
2	* فاس - تطوان	مولاي سليمان
8	* مراكش - فاس - رباط الفتح - مكناس - أسفي - تطوان - العرائش - الصويرة	مولاي هشام
4	* مراكش - أسفي - الصويرة - مولاي إبراهيم	م. عبد الرحمان بن هشام
8	* مراكش - فاس - رباط الفتح - مكناس - تطوان - ضا (وجدة) - سلا - أسفي	سيدي محمد عبد الرحمان
5	حوز (تطوان)	مولاي الحسن
2	* مراكش - فاس	مولاي عبد العزيز
2	* مراكش - فاس	

ويتضح من خلال هذا الجدول أن عدد هذه المؤسسات بلغ أوجه في النصف الثاني من القرن الثاني عشر (18 م) في فترة السلطان محمد بن عبد الله. وبحلول القرن الثالث عشر (19 م) وقع الاستغناء شيئاً فشيئاً عن الكثير من هذه الدور ولم يبق مشتغلاً سوى دار السكة بالصويرة والرباط ومكناس وفاس وطنجة وتطوان، بل تناقص هذا العدد، في النصف الثاني من هذا القرن، حين تركزت عمليات الضرب - خاصة بعد حرب تطوان - في أربعة دور



- فوق قالب الافراع. تحت خاتم الضرب

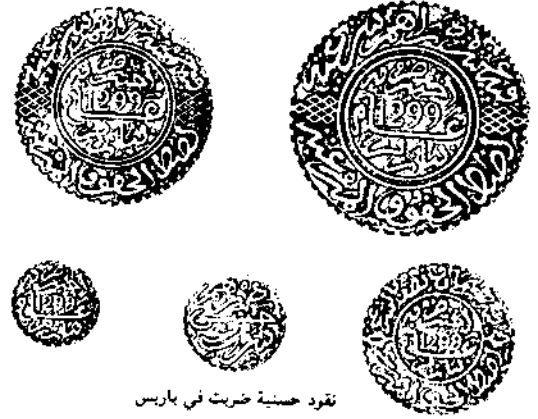
المرابطية عرفت امتداداً في مجال أوسع تبعها لاتساع الامبراطورية نحو المغرب الأوسط ونحو الأندلس يتجلى ذلك في اللوحة التالية حيث توجد دور السكة في مدن سجلماسة، مراكش أغمات، نول لمطة، فاس، سبتة، سلا، السليجة على وادي ورغة، وفي الجزائر: تلمسان، وفي الأندلس: قرطبة وإشبيلية وغرناطة ومالقة وبلنسية والمرية والجزيرة الخضراء ولوشة ودانية وجيان ومرسية، وهناك دور أخرى أقل أهمية.

وفي العهد الموحد يبقى نفس الاتساع، فهي في: مراكش وفاس، ومكناس وسبتة وسجلماسة ورباط الفتح، وأزموور. وفي الأندلس في اشبيلية وقرطبة وبلنسية وجيان ومرسية، وفي الجزائر في تلمسان وجاية وكذا في تونس. وفي العهد المريني عرفت دار السكة استمراراً من حيث الصناعة النقدية وتألقت في النقوش والخطوط، ولكن مع تراجع من حيث عدد الدور، ونذكر من بين الدور المعروفة دور سكة فاس وسجلماسة وسبتة ومراكش وتطوان ومكناس وأزموور. وفي الجزائر: تلمسان وجاية والمنصورة والجزائر المدينة. أما في العهد السعدي فقد بلغت دار السكة أوج ازدهارها أيام أحمد المنصور الذهبي، وكانت أهم دار الضرب السكة هي سجلماسة والمحمدية: (تارودانت) ثم بعد ذلك انتشرت دور السكة هي كل من فاس ومكناس ومراكش وتافيلالت وسوس ودرعة وأكتاوة وإفران وتدعي سكة إفران بالأطلس الصغير، السكة الغيرانية أو الكهوفية (انظر الوثيقة: بيان السكك الجارية في الغيران - مجلة تاريخ المغرب، 1998، ص. 32).

أما في القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 - 19 م) وإلى الآن فان معامل السكة تعتبر امتداداً لما كانت عليه المعامل القديمة وذلك لعرقلة هذه الصناعة في المغرب، لكن المتبع لتطور هذه المعامل - على الأقل منذ العهد السعدي - يلاحظ أن أعداد هذه المعامل تقلص بمرور الزمن، تتقلص من الجنوب نحو الشمال ومن المراكز الصغرى إلى المدن الكبرى. فبعد اندثار المعامل القديمة الواقعة عند التخوم الصحراوية، مثل: نول لمطة وسجلماسة وتدعة... عرف هذان القرنان استمرار ضرب السكة في عدد لا يستهان به من المعامل، وكانت توجد في كل من تارودانت والصويرة ومراكش وأسفي وفضالة والرباط وسلا ومكناس وفاس والعرائش وأصيلا وطنجة وتطوان.

غير أن هذه المؤسسات لم تشتغل - في نفس الوقت - بهذا العدد، بل كان عددها يزداد وينقص تبعاً لاختيارات ملوك الدولة العلوية بناء على مدى ما وصل إليه نفوذهم السياسي وتطلعاتهم الاقتصادية. وقد استخلصنا من خلال المجموعات النقدية السالفة الذكر، إحصاءً يبين عدد المؤسسات المشتغلة في عهد كل ملك، كما يبين خطوط الاستمرار والانقطاع بالنسبة لكل مؤسسة، مما نقدمه في الجدول التالي:

فقط، هي : دار السكة براكش والرباط ومكناس وفاس. ثم توقف العمل فيها تدريجياً، بعد سنة 1881، لما اختار السلطان الحسن الأول ضرب النقود المغربية في أوروبا وبقي معملان فقط هما دار السكة براكش وفاس اللذان توقفاً نهائياً سنة 1901. وصارت السكة المغربية تضرب بدور السكة في كل من فرنسا وألمانيا.



نقود حسنية ضربت في باريس

والمتمتع لأطوار التاريخ المغربي، يجد أن هذا الضمور والتناقص ثم الاختفاء الذي عرفته مؤسسات ضرب السكة بالمغرب تتداخل أسبابه، فهو يسير موازياً لضمور النفوذ المخزني في المراكز الجنوبية، التي تتحكم في الطرق نحو إفريقيا الغربية : (السودان) التي تنتهي إليها تجارة القوافل. تلك المراكز التي كان يرتبط بها الكيان السياسي لمختلف الأسر المتعاقبة على الحكم بالمغرب.

كما يتواتر هذا الضمور مع طبيعة المخزن ووضعيته في الداخل، وأحوال المجتمع المغربي واقتصاده في هذه المراحل، بالإضافة إلى الأوضاع الخارجية، وما جد من تطورات في العالم الأوروبي، منذ القرن العاشر (16 م) إلى الثالث عشر (19 م). وهذه إشارات لسنا هنا بصدد تعميقها، ولكننا نؤكد أن التخلخل الأوربي فرض على المخزن أن يعيش مواجهة عنيفة. وليس انفتاحاً - تلك المواجهة التي أدت إلى نشر الوهن في كثير من مؤسساته، بل والقضاء عليها، ولم تكن مؤسسات دار السكة سوى أمثلة من ذلك. وهكذا فقد توقفت دار السكة بالمغرب عملياً منذ الإصلاح الحسني سنة 1887 وتكبد المغرب من جراء ضرب النقود بأوروبا متاعب لا حصر لها (مسألة النقود، ص. 236) واستمر ضرب النقود خارج المغرب فيما بين 1881 و1987 خلال قرن كامل من الزمن، أبرم المغرب خلاله العديد من "الكنطراوات" مع دور السكة الفرنسية في باريس، والإنجليزية في لندن وبرمنجهام، والألمانية في برلين. وعلى الرغم من كون المغرب استقلال سياسياً منذ سنة 1956، فإن استقلال سيادته النقدية لم تتم إلا بعد ثلاثين سنة من عهد

١٣١٩

أجمعت لجنة خبراء من دول المغرب العربي والاندلس والجزيرة العربية على إنشاء دار السكة المغربية بدار السكة بباريس سنة 1902. وقد وافقت الحكومة المغربية على هذا المشروع في 10 مارس 1902. وقد وافقت الحكومة الفرنسية على هذا المشروع في 10 مارس 1902. وقد وافقت الحكومة الألمانية على هذا المشروع في 10 مارس 1902. وقد وافقت الحكومة الإيطالية على هذا المشروع في 10 مارس 1902. وقد وافقت الحكومة الإسبانية على هذا المشروع في 10 مارس 1902. وقد وافقت الحكومة اليونانية على هذا المشروع في 10 مارس 1902. وقد وافقت الحكومة التركية على هذا المشروع في 10 مارس 1902. وقد وافقت الحكومة الروسية على هذا المشروع في 10 مارس 1902. وقد وافقت الحكومة الصينية على هذا المشروع في 10 مارس 1902. وقد وافقت الحكومة اليابانية على هذا المشروع في 10 مارس 1902. وقد وافقت الحكومة الكورية على هذا المشروع في 10 مارس 1902. وقد وافقت الحكومة الهندية على هذا المشروع في 10 مارس 1902. وقد وافقت الحكومة الصينية على هذا المشروع في 10 مارس 1902. وقد وافقت الحكومة اليابانية على هذا المشروع في 10 مارس 1902. وقد وافقت الحكومة الكورية على هذا المشروع في 10 مارس 1902. وقد وافقت الحكومة الهندية على هذا المشروع في 10 مارس 1902.

الشارع

Hannoverstrasse

Gruppen zur Beauftragung

empfangender Staatspflicht der Firma Hannover & Partner.

Tanger, den 8. Februar 1902

über Auftrag zur Beauftragung.

Hannover & Partner

نموذج كطريقة (دار السكة) في عهد مولاي عبد العزيز 1319 (1902)

الاستقلال عند ما أسس دار السكة المغربية بسلا من جديد فاضطلعت بصناعتها النقدية منذ سنة 1987.

الكرمي أنسطاس، النقود العربية والإسلامية وعلم النميات، ط 2، القاهرة، 1987؛ حلاق حسان علي، تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، بيسروت، 1978؛ حول تاريخ النقود المغربية في عهد المرابطين والموحدين والمرينيين، مجلة كلية الآداب، عدد 23 سنة 1999، ص. 109 - 230؛ ع. أفا، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر، منشورات، كلية الآداب، أكادير، 1988؛ ع. أفا، النقود المغربية في القرن الثامن عشر، الدار البيضاء، 1993؛ ع. أفا، النقود في العهد السعودي - فاداج بيلوغرافية، مجلة تاريخ المغرب، عدد 7، 8، سنة 1998؛ ملامع من تطور الخط المغربي من خلال الكتابة على النقود، مجلة كلية الآداب بالرباط، عدد 18 سنة 1993؛ ابن الرفعة نجم الدين الأنصاري، الإيضاح والتبيين في معرفة المكيال والميزان، دمشق، 1980؛ أ. حمدون الجزناني، الأصداف المنفضة في أحكام صناعة الذهب والفضة، مخطوط؛ ع. بن عبد العزيز الكرسيفي، رسالة

في تحرير السكك المغربية في القرون الأخيرة، ملحق كتاب النقود المغربية في القرن الثامن عشر؛ ع. بن عبد العزيز الكرمي، رسالة في تحقيق أوزان النقود سوس، ملحق بكتاب النقود المغربية في القرن الثامن عشر؛ ابن جزي، القوانين الفقهية، الرباط، 1962؛ لومبا رموريس، الإسلام في مجده الأول، ترجمة إسماعيل العربي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1990.

Banque du Maroc, *Caractéristiques des monnaies marocaines en argent frappées entre 1881 - 1920* (ronéotypé) ; Sidbon, B. B., *La question monétaire au Maroc*, Paris, 1921 ; Michaux-Bellaire, *Les crises monétaires au Maroc*, R.M.M., vol. 38, mars 1920 ; Marty J. A., *Le franc marocain*, Paris, 1951 ; D. Eustache, *Corpus des monnaies atavites*, Rabat 1984 ; *Corpus des dirhams idrisites et contemporains*, Rabat, 1970 ; *Etudes numismatiques et de metrologie musulmanes*, H. T. vol. 10, fasc. 1 - 2, 1969 ; *Histoire de la monnaie et sa metrologie*, Rabat 1970 ; J.D. Brethes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, Casablanca, 1939 ; H. Lavoix, *Catalogues de monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale*, Paris, 1891, T. II, III ; J. Mazard, *Corpus nummorum numidia mauretaniaeque*, Paris, 1955 ; Hassan Housni Abdul - Wahab, *Un témoin de la conquête arabe de l'Espagne*, Revue Tunis d'Institut de Cartage, 1932.

عمر أفا

### دار السلطان، قصر قديم بمدينة أسفي كان معداً فيما

مضى لاستقبال الملوك والأمراء. موقع هذه الدار بالقصبة العليا في مكان مرتفع، وهي مشرفة على المدينة القديمة والبحر من جهة وعلى المدينة الجديدة ومحيط أسفي البري من جهة أخرى. وعن تاريخها يقول الفقيه الكانوني: "ويظهر أنها قديمة جداً، كانت موجودة في منتصف القرن الثامن الهجري إلا أنها خربها البرتغال فيما خربوا من المدينة لما أخلوها وأوقدوا فيها النيران، ثم أسسها الملوك السعديون، ويغلب على الظن أن مؤسسها منهم هو أبو عبد الله محمد الشيخ المهدي حوالي منتصف القرن العاشر الهجري... وكان بعد ذلك الملوك يتعهدونها بالإصلاح كالسلطان سيدي محمد بن عبد الله فإنه نزلها لما كان خليفة عن والده على الحوز، فخلد بها آثاراً منها داره المعروفة بالباهية وأودعها من النقش والتخريم ما يجذب القلوب وتستحسنه الطباع. وله المنتزه العالي المشرف على البحر والبر. وتوجد بها أماكن عديدة ودور وأهربية مما هو من ضروريات الملوك، وفي وسطها مسجد من محدثات ذلك العصر..." لكن جل المؤرخين الأوروبيين يرجعون تاريخ بناء هذه الدار إلى عهد الاحتلال البرتغالي. وقد أعيد ترميمها ترميماً جيداً عدة مرات خلال هذا القرن. ويوجد بها الآن المتحف الوطني للخزف.

م. الكانوني، أسفي وما إليه قديماً وحديثاً؛ دراسة ميدانية.

عبد الرحيم العطاوي

### دار الصناعة، مؤسسة صناعية مختصة في صنع

أنواع مختلفة من السفن صغيرة وكبيرة، تجارية وعسكرية. ودار الصناعة كلمة عربية الأصل انتشر استعمالها في العالم الإسلامي خلال العصر الوسيط. كما استعملت بصيغ أخرى منها: دار الصنعة بفتح الصاد وكسرهما ودار الإنشاء. ومن اللغة العربية انتقل هذا المصطلح إلى لغات البحر المتوسط اللاتينية ثم حرف إلى كلمات تفرعت عن اسم مشترك بين هذه الشعوب هو: Arsenal أو Darse، وهكذا نجد: darsena في اللغة الإيطالية والقشتالية و darsanale و darsena في اللغة الكطلانية و Tarzana في اللغة المالطية و arsenal في اللغة الفرنسية.

وقد عرف المغرب الأقصى منذ بداية تاريخه الإسلامي إنشاء مراكز لصناعة سفن التجارة والنقل الصغيرة التي كانت تجوب عبر مسافات قصيرة بعض موانئ البحر المتوسط وكذلك المحيط الأطلسي. غير أن الانطلاقة الحقيقية لإنشاء دور الصناعة الكبيرة لم تبدأ إلا مع الدول الكبرى التي حكمت المغرب في العصر الوسيط كالمرابطين وتطورت بشكل خاص وأصبح لها صيت عالمي مع الموحدون لتعرف بعض التراجع مع بني مرين ثم لتسترجع قوتها ونشاطها مع السعديين والعلويين. وأشهر دور صناعة السفن المغربية ست أنشئت بموانئ: كان لها دور رائد سواء في التجارة أو في الجهاد تجاه الأندلس وباقى موانئ السواحل الأوربية المتوسطية المشهورة.

• **دار الصناعة بيهادس**، حدد الوزان موقعها خارج القصبة بجوار البحر، وهي دار صغيرة كانت تصنع فيها الزوارق والسفن الشراعية والمراكب التي كان الأهالي يعتمدونها في حملاتهم وهجوماتهم على سفن النصارى في البحر، كما كانوا يستعملونها في تنقلاتهم عبر السواحل المجاورة لمدينتهم وكذلك للتجارة خاصة في المناطق القريبة. ويذكر أن الخشب الذي كان يستخدم في صناعة السفن كان يأتي من الجبال المحيطة بيهادس وهو يتميز بجودته العالية ويوفرته.

• **دار الصناعة بسبته**، وتعتبر من أقدم دور الصناعة التي عرفها المغرب حيث تزايدت أهميتها مع تزايد حيوية المدينة وخطورة موقعها الإستراتيجي مما جعلها تتعامل مع هذا المعطى على المستويين التجاري والعسكري. ولذلك اشتهرت هذه الدار بصناعة السفن التجارية والحربية التي ذاع صيتها أيام المرابطين والموحدين والمرينيين سواء في محاربة سفن النصارى بالبحر أو في نقل الجنود إلى الأندلس. وإذا كان الزمن لم يترك أي أثر لهذه الدار يحدد موقعها في المدينة فإن كتاب اختصار الأخبار احتفظ لنا بإشارة فريدة تفيد بأن هذا الموقع كان مضرب الشبكة بين ما يعرف ببحر بسول وبحر الرملة.

• **دار الصناعة بسلا**، توجد بالجانب الغربي للمدينة من جهة القبلة. لم يبق اليوم من هذه المنشأة الحضارية إلا بابان

بدلان على ضخامة البناء واتساع رقعة هذا الورش البحري. ليس من اليسير الحسم في تاريخ بناء دار الصناعة بسلا، بسبب قلة المعلومات في المصادر، وما توحي به من اختلاف أيضا. فإذا رجعنا إلى مؤرخ سلا الفقيه ابن علي الذكالي نراه يؤكد أن هذه الدار من بناء السلطان يعقوب ابن عبد الحق المريني، وأن المشرف على بنائها هو المهندس محمد بن علي بن عبد الله بن الحاج الإشبيلي المتوفى بفاس سنة 1314/714. وهذه الرواية صحيحة في الغالب نظرا لما اشتهر به هذا السلطان من حرص على الجهاد، وقيامه بعدة جوائز إلى الأندلس. على أن أهم ما يؤكد الرواية هو ما يتصل بحادثة استيلاء القشتاليين على المدينة سنة 1260/658. وما بذله السلطان المذكور من جهد من أجل تحرير المدينة وطرده النصارى. وبالرجوع إلى المصادر المعاصرة لهذا الحدث، نجد أنها تتفق على أن المدينة لم تكن مسورة من جهة نهر أبي رقراق منذ العهد الموحدى، وأن السلطان أبا يوسف المريني قد أمر ببناء السور وشارك بنفسه في ذلك، وأن المهندس المذكور قد قام ببناء دار الصناعة، علاوة على أن السلطان أبا سعيد الأول كان قد أمر سنة 711 ببناء المراكب الجهادية بدار الصناعة بمدينة سلا.

وفي نفس الاتجاه ذهبت بعض الأبحاث الأثرية المعاصرة إلى تأكيد الطابع المريني ليابي هذه المنشأة، اعتبارا لطبيعة النقوش الموجودة عليها والكتابات المكونة من آيات قرآنية وبسملة وتصلية، وهي من سمات الفن المريني. فضلا عن كونها كانت محرمة في العمارة الموحدية.

جميع هذه الحجج تؤكد إذن الأصل المريني لما تبقى من دار الصناعة. غير أن هذا لا يمنع من إبداء رأي مكمل في هذه المسألة يتصل بإشارة غير واضحة وردت في بعض المصادر المرينية. ذلك أنه حينما تمت الإشارة إلى بناء السور الغربي لسلا على يد السلطان أبي يوسف أشير إلى أن مبتدأ ذلك كان من دار الصناعة إلى غاية البحر: "فسار في بنائه فيناه من أول دار الصناعة إلى البحر" حسبما ذكره صاحب القرقاس، وهي إشارة توحي بأن دار الصناعة كانت موجودة حينها بهذا المكان، وأن بناء السور الغربي للمدينة كان مناسبة ربما لبعض الإضافات من بينها البابين المتبقين إلى اليوم.

وما دمتنا بصدد الحديث عن بابي دار الصناعة فمن المرجح أنهما يمثلان منفذ هذا المرسى الداخلي. فقد أشار الفقيه ابن علي إلى أن المياه كانت تأتي من النهر بواسطة ترعة عميقة وتدخل من الباب المقابل لجامع حسان، فإذا صنعت سفينة جديدة بهذا المحل وأريد إرسالها في الوادي فتحت الترعة المذكورة فيدخل الماء وتعم السفينة، فتخرج من الباب القبلي سايحة على وجه الماء إلى أن تقع في الوادي ولذلك ارتفع قوس الباب القبلي جدا نحو مائة قدم (حوالي 30 مترا) ليخرج المركب منشور القلاع.

ومعلوم أن الخشب المستعمل في صنع المراكب كان يأتيها من غابة البلوط بالمعمورة، وهناك إشارات أخرى

تفيد بنقل أخشاب الأرز عبر نهر سبو إلى الساحل، وحرص السلطان أبي الحسن على التوجه بنفسه إلى جبال جاناته (غرب قبيلة زمور) ليباشر قطع الخشب للإشياء. هذا زيادة على ما كان المغاربة يحصلون عليه من لوازم وقطع غيار السفن عن طريق التجارة.

تأثرت دار الصناعة بسلا، كغيرها من أماكن صنع السفن، بفتور عمليات الجهاد وضعف الدولة منذ عهد السلطان أبي الحسن. فهجرت وتوقف الاعتناء بها مما يفسر قيام السلطان عبد الملك السعدي بترميم باب المرسة وإصلاح قوسها، لكن ذلك لا يعني عودة دار الصناعة إلى سابق نشاطها، بل الملاحظ أن هذا المرسى قد أهمل انطلاقا من القرن الحادي عشر الهجري (17 م) بسبب تحول الأنشطة البحرية الجهادية إلى الضفة اليسرى لنهر أبي رقراق بعد هجرة الموريسكيين واستقرارهم بالرياط. وسيقع الاهتمام بدار الصناعة من جديد في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي أراد تجديدها بواسطة بعض أهل الخبرة من الدولة العثمانية، فلما عابنوا المكان قالوا إن ذلك يتطلب عشرين سنة من الإصلاح، فتخلى عن الفكرة وقرر بناء مدينة الصويرة.

وقد تحولت دار الصناعة ابتداء من سنة 1808 / 1222 إلى حارة لسكنى اليهود الذين تم نقلهم من ملاحهم داخل المدينة لأسباب استوجبت ذلك. ومعنى هذا أن الرمال كانت قد غمرت المكان وسمحت بالبناء.

• **دار الصناعة بطنجة**، يظهر أنها كانت زمن الموحدين من أنشط الدور في إنشاء المراكب الخاصة بنقل المسافرين والبضائع سواء في اتجاه موانئ مغربية أخرى أو في اتجاه الأندلس، وقد نبه الإدريسي إلى أهمية المدينة كمركز إقلاع وحط وإنشاء المراكب.

• **دار الصناعة بفاس**، أنشأها الخليفة عبد المومن الموحدى بالموضع المعروف بالحبالات من أرض ابن عبودة التي بقرب ملتقى وادي فاس مع وادي سبو. وقد تخصصت هذه الدار في إنشاء القوارب والسفن الصغيرة عندما كان الخليفة يستعد لفتح المهديّة بأفريقية سنة 552 هـ. وقد استمرت هذه الدار في نشاطها حتى في عهد بني مرين حيث نجد السلطان أبا عتاق يأمر بإنشاء جفنين أحدهما شيطي والثاني شلير. ويظهر، حسب ابن الخطيب، أن هذه الدار تعرضت سنة 762 هـ لحريق مهول أتى على جميع محتوياتها. وتجدر الإشارة إلى أن دار الصناعة هذه هي الوحيدة من نوعها التي تشير إليها مصادر العصر الوسيط كدار أنشئت على واد يخترق مدينة داخلية، في حين جرت العادة أن تكون دور الصناعة في مراسي مدن ساحلية. وتفيد نفس المصادر بأن المراكب والسفن التي كانت تصنع بهذه الدار كان يلقي بها في وادي سبو لتعبه حتى تصل إلى المعمورة عند المصب وتدخل البحر المحيط لتصبح بعد ذلك جاهزة للعمل.

• **دار الصناعة بالقصر الصغير أو قصر مصمودة، ولعل** موقع المدينة الاستراتيجي على بحر الزقاق كان له دور كبير في بناء دار لصناعة السفن خاصة المراكب والزوارق والحرايق، ويتأكد هذا إذا علمنا أن المدينة كانت خلال العصر الوسيط معبرا مهما للجيوش المغربية ومحطة إقلاع للمسافرين والبضائع نحو الأندلس. وقد اعتمد نشاط هذه الدار على خشب الغابة التي تغطي جبل أنجرة القريب من المدينة.

الإدرسي، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية (مقتطف من نزهة المشتاق)، نشر هنري بيريس، الجزائر، 1957، ص. 108؛ ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1973، ص. 301، 398؛ مجهول، الذخيرة السنوية، الرباط، 1972، ص. 94؛ ع. الحق الباسدي، المقصد الشريف، تج. أ. أعراب، الرباط، 1982، ص. 52، 61، 74، 75، 96، 95، 134؛ ل. ابن الخطيب، نفاضة الجراب، تج. أ. مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، الجزء الثاني، ص. 273؛ ع. الجزائراني، جنى زهرة الأس، الرباط، 1991، ص. 37؛ ابن بطوطة، تحفة النظار، بيروت، د. ت.، ص. 435؛ ع. ابن خلدون، المقدمة، بيروت، 1988، ص. 312 - 317؛ العبر، بيروت، 1978، الجزء السابع، ص. 544؛ الأنصاري، اختصار الأخبار، الرباط، 1983، ص. 51؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا، بيروت، 1983، الجزء الأول، ص. 322، 325 - 326؛ أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1974، ص. 45، 288؛ أ. الناصري، الاستقصا، 1955، الجزء الثالث، ص. 22؛ م. ابن علي الدكالي، الإتحاف الوجيز، تج. م. بوشعراء، الرباط، 1986، ص. 63، 67؛ م. المنوني، ورفقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، الرباط، 1979، ص. 76، 77، 78؛ العلوم والآداب والفنون، الرباط، 1977، ص. 253، 255؛ ع. الهادي النازي، الأسطول المغربي عبر التاريخ، مجلة البحث العلمي، الرباط، العدد 33، نونبر 1982، ص. 15 - 47؛ ع. سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، 1969.

*Encyclopédie de l'Islam, Nouvelle édition, Leiden, 1977, T. 2, pp. 132 - 134 ; M. Lombard, Arsenaux et bois de marine dans la Méditerranée musulmane (VIIe - XIe s.), dans le navire et l'économie maritime du moyen âge au XVIII siècle, Travaux du 2ème colloque international d'histoire maritime, Paris, 1958 ; H. Terrasse, Les portes de l'arsenal de Salé, Hesp., 1922 ; G.S. Colin, Fès, port de mer, B.E.P.M., n° 183, 1945 ; R. Dozy et W.H. Engelmann, Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de l'arabe, Beirut, 1974 ; G. B. Pellegrini, Terminologia marinara di origine araba in italiano e nelle lingue europee, in La navigazione mediterranea nell'Alto medioevo, Settimane di studio del centro italiano di studi sull' Alto medioevo, XXV, Spoleto, 1978, Tomo secondo.*

رشيد السلامي ومحمد فتحة

**دار الضمانة** لقب لمدينة وزان بعد أن اتسعت وكثر عمرانها حين استقر بها مولاي عبد الله الشريف العلمي الميملي وأسس بها زاوية الشهيرة في النصف الثاني من

القرن الحادي عشر (17 م). وبذلك أصبحت مدينة وزان نقطة التقاء لقبائل بني مسارة من الشرق، ومصمودة من الغرب والجنوب، وأغزاوة ورهونة من الشمال. وغدا زوار مولاي عبد السلام ابن مشيش والتجار القادمون من داخل المغرب وجنوبه في اتجاه الشمال، أو العائدون منه، يخترقون مجال زاوية وزان ويسيرونها في حماية دار الضمانة.

بالإضافة إلى موقع وزان عند قدم جبل بوهلال الذي أعطاه ميزة خاصة في الامتداد السكاني وتطوره اقتصادياً وعمرانياً. وشجع شيوخ وزان الاقتصاد بهذه المدينة، وسمح سيدي أحمد بن علي الشيخ السادس للزاوية باستقرار اليهود فيها تنشيطاً لحركة التجارة، فكان تجار اليهود يعيشون بأمان في وزان دار الضمانة.

وبمزيد انتشار نفوذ زاوية وزان في أرجاء المغرب وخارجه، اتسع مجال دار الضمانة وشمل حتى نزاعات القبائل وتمرداتها على المخزن، فكان اللجوء إلى شرفاء وزان (دار الضمانة) من هذا الطرف أو ذاك لإصلاح ذاك اليبين وإعادة المياه إلى مجاريها.

ح. الطاهري، تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان، ط. حجر فاس، 1324؛ ع. الله الوزاني، الروض المنيف في التعرف بأولاد مولانا عبد الله الشريف، مخطوط؛ العياشي السريوت، دار الضمانة، مجلة أبعاد فكرية، ع 2، 1989.

G. Drague, Esquisse, Paris.

العياشي السريوت

**دار الطراز،** أو دار الديداج، وهي مشغل ووظيفة مخزنية خاصة بالملوك، وقد كانت لعظماء الملوك منذ التاريخ القديم صناعة خاصة بملابسهم وأثوابهم؛ وانتقلت هذه الوظيفة في العهد الإسلامي مع تعديل في زخارف الأثواب والألبسة فبدل صور الملوك أو الأشكال والصور المعينة أدخل ملوك الإسلام على منسوجاتهم وملابسهم أسماء وحكماً وكلمات مميزة، وقد كلفوا بهذه الخطة أو الوظيفة أقرب الناس إليهم أو من حظي بثقتهم وعرف في العصر الوسيط بصاحب الطراز (العبر، ج. 1؛ المقدمة، 266 و267) وكانت مهامه تنحصر في الإشراف على العمال وأجورهم وصيانة الآلات والأدوات وإصلاحها وتوفير المواد التي تدخل في النسيج من صباغ وصوف وكل ما يحتاجه المهنة. عرفت الدولة الإسلامية في المشرق هذه الوظيفة وعرفت الدولة الأموية بالأندلس وملوك الطوائف؛ ومن الملاحظ عند استعراض الدول مشرقاً ومغرباً وعند النصارى أن دور الطراز كانت تحظى بعنايةها بل وتحرس على تكوينها فهي من أبهة الملك، وكما قال ابن خلدون في المقدمة، ص. 267: "... كان ذلك في الدولتين من أبهة الأمور وأفخم الأحوال".

لم تتخذ الدولة الموحدية في المغرب، وهي في عظمتها، دار طراز لا لسداجتها كما قرر ابن خلدون وتشدها



الديني، ولكنها دولة انبثت على القوة ومحاربة التبذير والبدخ (البيان المغرب، 144 و145) والميل إلى الخشونة في المآكل والملبس والمظاهر، ويلاحظ ذلك في آثارهم وما تركوه من مباني (الكتيبة بمراكش وصومعة حسان بالرباط كمنادج).

وفي عهد بني مرين تم إحداث هذه الوظيفة خاصة في الفترة الأولى وهي فترة القوة والشموخ متأثرين في ذلك بملوك بني الأحمر في غرناطة (المقدمة، 267). ولأخذ فكرة عن مكونات دار الطراز أو محتوياتها فقد عاصر ابن الخطيب مثل ابن خلدون فترة من فترات قسوة المرينيين وعظمتهم. ويصف ابن الخطيب حرائق نشبت في القصر السلطاني بفاس المعروف بقصر أبي قير أتت على المخازن وامتدت إلى دار الطراز. يقول ابن الخطيب في (نفاضة الجراب، 273) : "...اتصلت بدار الديداج فالتهمت من الحديد والأثواب وآلات النسيج وضخام المناول والسواح الرسوم وحيال التمويج وعقار الصبغ وغزل الذهب ما لا يأخذه الوصف".

ومن الأسباب الأخرى التي لم يذكرها ابن خلدون والتي جعلت كبار سلاطين بني مرين يهتمون بدار الطراز، شيوع الاحتكار التجاري وتعاطي بعض السلاطين وأشياخ بني مرين وموظفيهم الكبار له، وكانت المنسوجات الرقيقة من أهم سلع التبادل التجاري مع السودان وغيره من البلدان أي أنها كانت سلعة لجلب الذهب، إضافة إلى اهتمام المرينيين بالعلاقات الخارجية مع الدول الإسلامية وغير الإسلامية، وتوجيه هدايا فاخرة إلى حكامها ومن ضمنها المنسوجات (القرطاس، 387؛ المسند، 193 و452).

ع. ابن خلدون، العبر، ج. 1؛ المقدمة، بيروت، د. ت.؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، بيروت، 1948؛ ابن الخطيب السلساني، نفاضة الجراب، ت. ح. أ. مختار العبادي، القاهرة، د. ت.؛ ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972؛ ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح، الجزائر، 1981.

محمد حجاج الطويل

**دار ابن العاصري،** "مركز فلاحى حديث من المراكز الهامة ببني حسن في منطقة الغرب. يقع على ضفة وادي بهت على بعد 50 كلم من الخميسات و8 كلم من سيدي سليمان. تزدهر به فلاحة البساتين والحوامض، وبه عدة ضيعات نموذجية" بهذا عرفه الصديق بن العربي في كتابه المغرب. واشتهر مركز دار بن العاصري أكثر بمعامل تقطير الزهر (زهر اللبسون) وتعليبه في قنينات مختلفة الأحجام تغطي الأسواق المغربية في جميع الجهات.

تنسب دار ابن العاصري إلى القائد محمد بن العاصري عامل السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام على وجدة، وهي أهم العمالات في ذلك العصر لموقعها على الحدود مع

الجزائر التي احتلها الفرنسيون آنذاك. وقد ورد اسم ابن العاصري في بعض المعاهدات المبرمة بين هذا السلطان وفرنسا.

ص. بن العربي، المغرب، ط. 2، بيروت، 1984 (ص. 129)؛ ع. ابن زيدان، الإتحاف، 5، 159 و228.

محمد حجي

**دار العدة** بفكيك، عبارة عن خزانة علمية كبرى، أسسها الشيخ الإمام عبد الجبار بن أحمد بن موسى البرزوزي الذي عاش ما بين (820-920 هـ). وهي خزانة علمية خصص لها داراً بجانب مسجده وجعل نواتها ما كان قد اجتمع بين يديه من مصنفات في مختلف ميادين المعرفة آنذاك، جمعها خلال مدة دراسته وجولاته بين مختلف مدن المغرب، ففاس وتلمسان وبجاية والقيروان ومن مصر وغيرها. ولم يطلق عليها اسم "دار العدة" اعتباراً بل كان يعي أن طالب العلم والباحث عن المعرفة يحتاج إلى عدة من كتب يعتد بها كما يحتاج المحارب إلى عدة السلاح والزاد للحرب والمواجهة. ولا يمكن أن تكون دار العدة في مستوى ذلك الوصف إلا إذا كانت عامرة بكل ما يروي نهم الطالب والعالم الباحث في زمانه. وقد تطورت محتويات هذه الخزانة بما أضافه أبنائه وحفدته من بعده، سواء بما صنّفوه وألفوه من كتب ومذكرات أو بما جلبوه إلى خزانتهم أثناء جولاتهم الدراسية، خاصة منهم أبناء العلماء الثلاثة : محمد وأحمد وإبراهيم، وحفيده أبا القسم بن محمد وغيرهم.

ومن جملة المخطوطات التي ألفها الإمام عبد الجبار وينسوه وأضيفت إلى خزانتهم على سبيل المثال : تفسير القرآن في اثني عشر مجلداً، ومختصر حياة الحيوان، وروضة السلوان وهي أرجوزة في علم الصيد لابنه إبراهيم، ونظم مختصر الشيخ خليل لحفيده أبي القاسم بن محمد، وكتاب الحاوي المنوط بالفتاوى له أيضاً، وكتاب الفريد في تقييد الشريد وتوصيد الريد كذلك.

ومما يدل على حجم هذه الخزانة وأهميتها ليس فقط في ذلك المجال الصحراوي فحسب بل على مستوى الخزانات المغاربية، شهادات عدد من الرحالة الحجاج العارفين والعلماء الزائرين ممن قصدوا للاطلاع على كنوزها العلمية، منهم مفتي الجزائر الشيخ سعيد قدورة (ت. 1066/1656). وأبو سالم العياشي في طريقه إلى الحج عام 1072/1662. لكنه لم يتيسر له الدخول إليها معلقاً على ذلك : "...وطلبت الدخول إلى خزانة كتبهم فلم يتيسر لغيبه الذي عنده المفتاح". كما زارها شيخ الزاوية الناصرية أحمد بن ناصر الدرعي عندما مر بفكيك إلى الديار المقدسة عام 1096 وعام 1121 وقد أبدى إعجاباً وأسفه في نفس الوقت مما رأى حيث يقول : "... ورأيت عندهم (آل عبد الجبار)

كتبا غربية وهي إلى الاندثار قريبة". وأبدي الهشتوكي نفس الانطباع صحبة شيخه أحمد ابن ناصر بقوله : "ودخلنا إلى خزانتهم العظيمة وتبركتنا بها ورأينا فيها كتبا غربية، غير أنها لعدم من يعتني بها للاندثار قريبة".

ولم يكن نقصان ما بالخزانة من كتب بسبب الإهمال وإفساد الأرضة فحسب بل كان بعض أفراد أسرة آل عبد الجبار يأخذون منها الكتب من حين لآخر لبيعها خارج البلدة الفكيكية، وهذا ما حدا بفقهاء منهم اسمه عبد القادر بن محمد بن عبد الجبار أن يطلب من القاضي محمد بن إبراهيم بن عبد الجبار الجمالي الودغيري تحرير وثيقة وقف، لما بقي من كتب الخزانة سواء ما كان باقياً بدار العدة نفسها أو ما تم جمعه من أفراد الأسرة وغيرهم وإرجاعه إلى الخزانة. وقد جاء في رسم الحيس الذي كتب في أواسط ربيع النبوي عام 1165 ما يلي :

"... هذا وإن ما جمعه الوالد المذكور (الإمام عبد الجبار) وأولاده في صدر القرن العاشر من خزانة الكتب بدار العدة المشهورة ببلاد فجيح من أجل خزائن المدن وأكبرها وليس الخبر كالعيان حسب على من ينتفع بها من الذرية وغيرهم بالنظر فيها والانتساخ منها إن كان أهلاً لذلك ثم ترد بعد ذلك لحلها، معقب مؤيد ووقف صحيح مخلد لا يباع ولا يورث حسبما شهد به الجم الغفير (... ) من أهل بلدة فجيح خلفا عن سلف".

ورغم هذا الجهد المبذول لجمع شتات هذه الخزانة العلمية العظيمة، فإن ذلك لم يمنع محمد بن عبد السلام بن ناصر شيخ الزاوية الناصرية الذي زارها في طريقه إلى الحج عام 1781 / 1196 أن يقول عنها : "كانت لهذا الإمام (العلامة عبد الجبار) وبنيه من بعده خزانة كتب عظيمة احتوت على دواوين غربية ثم تلاعبت بها أيدي الحدثان (... ) فتفرقت شذراً حتى لم يبق منها إلا الأثر". وبالفعل اندثرت هذه الخزانة وتفرقت شذراً ولم يبق منها غير الأثر حسب تعبير ابن ناصر الدرعي، ويتمثل هذا الأثر الآن فيما يقارب الأربعين أو الخمسين مخطوطاً بعضها كامل والبعض الآخر عبارة عن أضياب وأوراق متناثرة يحمل بعضها عناوين كتب مفقودة لا أثر لها. وقد تم جمع هذا الأثر منذ بضع سنين في خزانة خشبية بضريح العلامة عبد الجبار كشاهد على هذه الخزانة الجليلة المقدار التي كانت في فترة من فترات التاريخ المغربي منارة للعلم في الجنوب المغربي.

أبو سالم العياشي، ماء الموائد (رحلة العياشي)، ط. حجر فاس ؛ أحمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية، ط. حجر فاس ؛ أ. الهشتوكي، هداية الملك العلام، مخطوط خ. ح. ؛ م. بنعلي بوزيان، واحة فكيك، 1987 ؛ محمد حجي، الحركة الفكرية، 1977 ؛ وثائق خاصة.

أحمد مزبان

**دار عدليل بفاس**، تقع بحومة المعادي في فاس القديم (فاس المدينة). ويرجع تاريخ تأسيسها إلى أواسط القرن الحادي عشر (17 م) (الإتحاف، ج. 2، ص. 126). وكانت أسرة عدليل التي شيدت هذه الدار تتولى عادة أمانة جباية مكوس فاس. وكانت إدارة هذه الأمانة، قبل عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757 - 1790) تتمركز في فندق التجارين القريب من ضريح المولى إدريس الثاني (L'organisation des finances au Maroc, p. 223). إلا أنه بعد نكبة الحاج الحياط عدليل وإخوانه على عهد السلطان صودرت أموالهم ودارهم لفائدة المخزن. ومنذ ذلك التاريخ انتقلت أمانة جباية المكوس من فندق التجارين إلى دار عدليل (L'organisation des finances au Maroc, p. 223).

وفي عهد الحماية استغلت هذه الدار في مآرب إدارية متنوعة. فقد تحولت إلى سجن لتأديب العصاة من أهل فاس في مرحلة، ثم تم تحويلها في مرحلة لاحقة إلى وكالة بنكية، وبعد ذلك أصبحت مقراً ومخفراً للشرطة (رواية شفوية). وتعتزم وزارة الثقافة الآن استغلالها كمرفق لتدريس الموسيقى الأندلسية حيث بدأت الاستعدادات الأولية لتحقيق ذلك.

تتكون دار عدليل من طبقين فسيحين في غاية من الجمال المعماري. وقد تم ترميمها سنة 1419 الموافق 1998 بالتعاون بين وزارة الثقافة ومنظمة اليونسكو وتمويل من الحكومة الإيطالية، وتم تدشينها يوم فاتح ذي القعدة 1419 الموافق 18 فبراير 1999 (لوحة تذكارية توجد بمدخل دار عدليل).

ع. ابن زيدان، إتحاف، الجزء الثاني، الرباط، 1930.

E. Michaux-Bellaire, L'organisation des finances au Maroc, A.M., Vol. XI, 1905.

العربي الكتيبة

**دار العسكري**، في 13 مارس 1935، أسس المارشال فرانشي Franchet d'Espérey بباريس "لجنة الصداقة الإفريقية"، ذات صبغة جمعوية على شاكلة هيئات الصليب الأحمر. وحددت أهدافها في تقديم الدعم المادي والمعنوي للمخترطين في سلك الجندية الفرنسية سواء كانوا فرنسيين أو من أبناء المستعمرات...

واهتمت هذه اللجنة بقضية قدماء المحاربين المغاربة، فأنشأت لهذا الغرض سنة 1936 مؤسسة "دار العسكري"، وهي مؤسسة وسيطة اهتمت بقضايا هؤلاء وتابعت وضعياتهم... وكانت في نفس الوقت أداة تنفيذية للأعمال الاجتماعية على المستوى المحلي. وفي نفس السنة فتحت بعض ديار العسكري أبوابها في مدن فاس ومكناس وتازة... ثم شملت منذ سنة 1937 مدناً أخرى كالرباط والدار البيضاء والقنيطرة والصويرة ووزان وميدلت... وفي

ووضعت لكل منخرط جذاذة تضمنت رقما خاصا، واسم المدينة التي تنتمي إليها دار العسكري، وصورة للمنخرط ومعلومات شخصية حوله، كالاسم والعنوان ورقم البطاقة العسكرية ونوع المعاش والحالة العائلية، ونوع الوظيفة العسكرية والأقدمية... كما منحت للمنخرط بطاقة تعريف خاصة. وكانت دار العسكري تحتفظ في أرشيفاتها بملفات هؤلاء العسكريين وتتضمن كل الوثائق التي تهم المنخرط ووضعيته وجميع مراسلاته...

وخضعت ديار العسكر المحلية لنيابة جهوية وجد مقرها المركزي بمديرية الشؤون السياسية بالرباط. ولعب النائب الجهوي دور المنسق بين هذه الديار ودور المفتش لها، وفي نفس الوقت لعب دور الوسيط بين لجنة الصداقة الإفريقية بباريس وديار العسكري بالمغرب.

بعد الاستقلال، تراجع دور ديار العسكر سنوات، إلى أن توقفت سنة 1965 بسبب صعوبات مختلفة كتلك التي تتعلق بالكفالات والتعويضات.

*Bulletin d'information et de documentation du Maroc, Mercredi 15 décembre 1937 ; P.L. Sebault, Les amitiés africaines et les Diar et Askri du Maroc, C.H.E.A.M., n° 717 ; Col. Serieyx, L'œuvre des amitiés africaines, la Nouvelle Revue Française d'outre-mer, n° 6, Juin 1955.*

صالح شكاك

### دار الفارص، تقع بدكالة وراء الجرف الأصفر، كانت

مثل قرى سايس وتارتيير تابعة لقبيلة مشنزاية البربرية، وهي ميناء صغير كان يُصدر منتجات محلية، ومنه أخذ البرتغاليون قبل احتلالهم لمدينة أسفي يقتنون الحبوب، كما كانوا يفعلون ذلك في الموانئ الصغيرة الأخرى التي كانت تزدهم فيها مراكبهم. يقول الرحالة البرتغالي بَرْتِرا : "يوجد هنا كثير من القمح والشعير، وغالبا ما تأتيها السفن لشراؤها...". وتؤكد بعض الإصلاطات هذه الحقيقة، وكان الوسطاء يدفعون سلعا مستوردة مقابل تلك الحبوب.

وفي سنة 1502 وعد يحيى الزيات الذي تم طرده من أسفي في سنة 1498 البرتغاليين بتسليمهم ميناء دار الفارص مقابل إعطائه السلطة على قبائله قرب أسفي، ولكنه خاب في مسعاه.

ويعد أن رفعت القبائل الحصار الذي ضربه على مدينة أسفي في سنة 1510، طلب سكان مدينة الغريبة الأمان من القبطان البرتغالي، لكنه رفض هذا الطلب، فالتجأوا إلى الهاخام أبرهم ليشفع لهم لدى الملك، ولكنه استغل خوفهم ليطلب منهم التنازل للملك عن حصن تارتيير وميناء دار الفارص.

أ. بوشرب، دكالة والاستعمار البرتغالي.

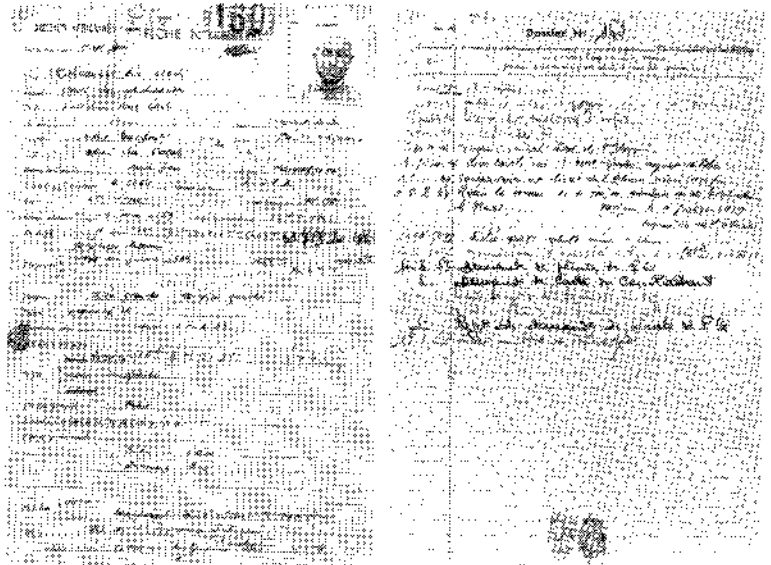
R. Ricard, *La côte atlantique.*

محمد الشياطي

15 دجنبر 1937، كان عدد المسجلين بهذه الديار : 4.632 عسكريا. واهتمت هذه المؤسسة بتوفير المعلومات العسكرية والإدارية والقانونية... مع تقديم الإرشادات الضرورية والإسعافات الطبية والمساعدات الغذائية والمدرسية لفائدة قدماء الجنود وعائلاتهم، دون أن تفصح في ذلك عن أغراض سياسية أو طائفية. وعملت هذه المؤسسة كذلك على تشغيل قدماء المحاربين، كلما أتيحت الفرصة، في أورش العمل المختلفة. وفي هذا الإطار تم التنسيق مع البلديات ومكاتب المراقبة المدنية لتوفير الشغل لهذه الشريحة، وتقديم الخدمات الصحية لأعضائها بالمجان. كما ارتبطت بعلاقات تنسيق وتعاون مع بعض المصالح الاجتماعية كاللجان المحلية للصداقة الإفريقية والمكتب المغربي لقدماء المحاربين ولجنة الصليب الأحمر والمصلحة الاجتماعية للجيش... وشكلت هذه المصالح طرفا محولا لمؤسسة "دار العسكري".

وبلغت عدد أيام العمل الممنوحة لقدماء المحاربين : 64.259 يوم عمل، بمبلغ إجمالي قدر به : 364.600 فرنك، مع تقديم 700 وجبة من الحساء يوميا. وفي سنة 1952، بلغ عدد قدماء المحاربين بالمغرب : 140.000 محارب. وبلغ عدد ديار العسكري 28 داراً في سنة 1954، انخرط فيها 112.000 عسكري. وفي سنة 1955 ارتفعت نفقاتها إلى 40 مليون فرنك.

كان يشرف على التسيير الإداري والمالي لكل "دار عسكري" : مدير وكاتب ومحاسب... وكانت بناياتها تتمركز بالثكنات العسكرية أو بالإدارات التابعة للمراقبة المدنية. وفتحت دار العسكري أبوابها لجميع أصناف العسكريين المغاربة بغض النظر عن رتبهم وعن نوع الجندية التي كانوا يمارسونها، وبغض النظر عن نوع تقاعدهم ومعاشهم...



## دار القاضي أو دار الحاج علي ن القاضي بحاحه،

اشتهرت محلياً بالأمازيغية (تيكمي ن لوزا) أي دار السهل لأنها حصن صغير يقع في سهل منبسّط تحيط به جبال عريضة بمشابية أسوار حول حصى الحصن الذي يشرف على السهول والريى المجاورة شرقي الطريق الرئيسية بين الصويرة وأكادير عند نقطة مركز سيمو على بعد حوالي 40 كلم جنوب الصويرة.

هذا الحصن الشهير بحاحه الشمالية بـ (دار القاضي) أو (تكمي ن لوزا) تعود أسباب شهرته إلى أنه كان مسرحاً لأحداث مؤلمة ظلت منقوشة في الذاكرة الشعبية بعضها وقع في عهد الحسن الأول والبعض الآخر ارتبط بأول زحف للجيش الفرنسي على منطقة حاحه في اتجاه سوس والجنوب.

ذلك أن هذه الدار المنبعا بأسوارها كانت من بناء أسرة الحاج علي ن القاضي الذي تولى قيادة قبيلة ايدواسارن الحاحية في أوائل عهد السلطان الحسن الأول، ولكنه سرعان ما تعرض لهجمات جاره القائد مبارك أنفلوس الطموح إلى أن يجمع كل قبائل حاحه الاثنى عشرة تحت نفوذه وحده دون غيره ممن وزع عليهم السلطان الجديد تركة القائد الكبير الحاج عبد الله أبهي الحاحي الذي امتد نفوذه على حاحه كلها وسوس فأصبح يهدد السلطة المركزية.

وعندما اشتد الصراع بين صاحب الدار الحاج علي ن القاضي ومناقسه القائد مبارك أنفلوس أمر السلطان بالقبض عليهما والزج بهما في السجن إلى الأبد، وهناك توفي صاحب الدار الحاج علي ن القاضي عام 1299 / 1881 وتعرضت أسرته للضياع والتشرد فأصبحت الدار خالية لا يسكنها إلا اليوم. وبعد ثلث قرن من التهميش والنسيان قفزت دار الحاج علي ن القاضي إلى صدارة الأحداث التاريخية في المغرب وفرنسا سنة 1331 / 1912 وكتبت بأحرف بارزة في مقدمات الصحف الباريزية والدولية بعد ما تمت محاصرة قبائل حاحه للجيش الفرنسي الزاحفة من مدينة الصويرة إلى مدينة أكادير قرب هذه الدار الحصينة، وعندما أقبل الليل واشتد الحصار على الفرنسيين الذين كانوا ينتقلون بعربات تجرها الخيول، فلم يجدوا بدا من الدخول إلى هذا الحصن كملجأ يقيهم من ضربات الأهالي التي تنهال عليهم من كل الجهات بعد ما تخلى عنهم القائد محمد أنفلوس الذي وعدهم بأن يساعدهم ويحميهم حتى يصلوا إلى ميناء أكادير لوقوع سوء تفاهم بينهم، بل أرسل رسله إلى القواد والقبائل يحثهم على استنفار المجاهدين ضد النصارى لمحاصرتهم بدار القاضي. فصار المنادون ينادون في الأسواق لحث الناس على الجهاد بدار الحاج علي ن القاضي. ودام هذا الحصار من يوم 17 / 12 / 1912 إلى يوم 24 / 12 / 1912. ثم استمر القتال بين المجاهدين بقيادة القائد محمد أنفلوس النكتافي والقائد عبد الرحمان الكيلولي من جهة وبين الفرنسيين بقيادة (اليوتان البيرت)

والقبطان ما سوتي ومن معهم من قواد الحوز المواليين لهم كالقائد عبد المالك المتوگي والقائد خبّان والأگلاوي وغيرهم كثير.

وقد اضطرت الجيوش الفرنسية أثناء الحصار بدخل هذه الدار إلى ذبح الخيول لأكل لحومها وامتصاص ما تبقى في بطونها من ماء لإطفاء جمره عطشهم القاتل، وذلك قبل أن تقوم الطائرة بإمدادهم بما يحتاجونه من طعام وشراب ترميه من السماء فوق الحصن المطوق من كل جهة، وقد سقط في معركة دار القاضي الشهيرة عدد كثير من قتلى الجانبين. قدر الفرنسيون ضحاياهم بـ 76 قتيلاً وأكثر من ذلك سقط من المجاهدين الأهالي. وقد حرص الفرنسيون على إقامة نصب تذكاري لجندية فرنسية ماهرة في الرماية تمكن أحد المجاهدين الحاحيين من قتلها رمياً وهي داخل الحصن فدفنت بمكان مصرعها وفوق قبرها على جدار الحصن رخامة بيضاء كتب عليها اسمها. إلا أن هذه الرخامة تعرضت للكسر والإتلاف فلم يبق إلا مكانها وأخبارها يرويها الرواة.

وكان حرص الشاعر الشعبي الحاحي المدعو إيشو قوياً على تخليد هذه المعركة بما نظمه من أشعار نضالية تحث على الجهاد مازال معظمها متداولاً بين الناس باللسان الأمازيغي كقوله :

- 1- تيكمي لوزا، غ نيگا ورومي تاغوت
- 2- نيشا مضروس، نيشا گيس تيفي ن نيسان
- 3- تامونت ايركازن زرع أسيف نيمون  
ترجمة لتقريب المعنى :

- 1- في دار السهل يصرخ النصراني مستنجداً
- 2- وفيها اضطّر إلى أكل الجيف من الخيول
- 3- اتحدوا يارجال، فإني رأيت عظمة النهر في تجمّع مياهه

محدث أيت الحاج، مظاهر الحياة الثقافية بحاحه وايدواتنان خلال القرن 14، د. د. ع. سرقون : تقارير بعض الضباط الفرنسيين محفوظة بدائرة تمار حول هذه الأحداث : م. المختار السوسي، المعسول، ج 3، ص. 407.

محدث أيت الحاج

**دار القايد التونسي**، موقع بدكالة يقع على بعد 90 كلم جنوب شرق مدينة الجديدة و13 كلم جنوب مركز أربعاء العونات وستة كلمترات غرب الزاوية التونسية. وقد أخذ هذا الموقع شهرته من محطة القطار التي كانت موجودة به خلال السنوات الأولى من فترة الحماية، زمن أول خط للسكك الحديدية بالمغرب، والمعروف بالخط العسكري أو الخط الضيق. وقد بدأت عملية تشييد شبكة السكك الحديدية العسكرية انطلاقاً من الدار البيضاء في اتجاه مراكش سنة 1911، حيث وصلت إلى دار القايد التونسي سنة 1915.

واعتبرت محطة دار القائد التونسي، آنذاك، نقطة التقاء بين الدار البيضاء ومراكش وبين الجديدة عبر سيدي بنور. ومازالت هناك، حالياً، بقايا قنطرة على وادي الفارغ انطلاقاً منها كان يتفرع الخط في اتجاه سيدي بنور، إضافة إلى بقايا خزان ماء مازال تاريخ بنائه منقوشاً عليه (11/28/1919). وبالقرب من هذا الخزان توجد بقايا منازل مهدمة تحمل طابعاً معمارياً فرنسياً، تبرز من بينها دار رئيس المحطة ودار رئيس ثكنة، وغير بعيد عنها بقايا مصنع للحلّفاء.

إضافة إلى هذا ارتبط هذا الموقع باسم القائد سيدي أحمد التونسي الذي عينته فرنسا سنة 1912 قائداً على قبيلة العونات والذي كان، آنذاك، زعيماً للزاوية التونسية، التي تأسست في بداية القرن الثاني عشر (1126/1714)، من طرف الشيخ التونسي بن مبارك الذي ينتسب إلى قبيلة بني سبع بمنطقة الحوز والمتلمذ على سعيد أحنصال مؤسس الزاوية الحنصالية.

تحريرات ميدانية.

E. Bouasla, *La zaouia tunisienne des Doukkala, Histoire sociale et économique (XVIIIe - XXe siècles)*, H.T., vol. XXVIII, 1990 ; J. Bouquerel et F. Joly, *Chemins de fer, Atlas du Maroc, Notices explicatives, Section Géographie Economique ; Voies de communication, Planche n° 44a*, Comité de Géographie du Maroc, Rabat, 1955 ; M. Michaux-Bellaire, *Villes et tribus du Maroc*, Vol. 10, *Région de Doukkala*, tome 1 : *Les Doukkala*, Paris, 1932.

إسماعيل خياطي

**دار القايد الحاجي** أو قصبه الحاجي، أحد المعالم التاريخية والعمرائية بإقليم أسفي. صادف بناؤها تاريخ تعيين أول قائد من أسرة الحاجي المسمى "سليمان البيري السباعي"، الذي شغل في ذات الوقت منصب باشا مدينة الصويرة. وحسب ما توصلنا إليه، فإنها لعبت أدواراً هامة، سياسية، واجتماعية، ودينية، خلال النصف الأول من القرن الحالي.

عندما نتحدث عن دار القائد الحاجي نقصد ذلك التجمع العمراني المحصّن بسور، له مدخلان رئيسيان "النخيلة والبئر"، كما كان يطلق عليهما زمن القائد، يؤديان إلى وحدات عمرانية وتجهيزات مرفقية متميزة بأقصى الجهة الجنوبية لإقليم أسفي. وبداخل الدار يوجد المسجد وكتاب كان يُدرس فيه القرآن للأطفال وقسم للزاوية التجانية، كان يتلو فيه المريدون الأوراد، ثم المنصة المرمرية التي كانت تتخذ مكاناً للقضاء يستقبل فيه القائد شكايات سكان القبائل التي كانت تدخل في حوزته، ثم هناك مجموعة من المرافق المرتبطة بالدار، كمطبخ كبير يضم أفرنة مختلفة الأحجام كان يشتغل به حوالي ثلاثين خادمة، وحمامات تقليدية وتسعين خزاناً أرضياً للحبوب، ثم رباط للخيل يسع حوالي خمسين حصاناً، ومطحنة تقليدية مصنوعة من

الحجر الصلب تديرها الدواب، ومخزن لزيت الزيتون. هذا فضلاً عن الشكل المعماري المتميز الذي توجد عليه مجموعة الدور التي تتكون منها دار القائد الحاجي، وبإحداها تبدو الرياض التي أعد تصميمها بطريقة تتلاءم مع عاداتنا الإسلامية، وحجرة الضيوف التي تكون قريبة من المدخل، وحجرة أخرى بالداخل يظهر أنها كانت مخصصة لاستقبال الضيوف طولها عشرة أمتار وعرضها حوالي ثلاثة أمتار أحيطت "بمضربات" محشوة بالصوف الخالص، أغلفتها مازالت تحتفظ بألوانها الزاهية، وفي الوسطى فرشت زربية يظهر أنها من صنع محلي، وبالداخل تشكل بقية الحجرات محاطاً بتوسطه فناء واسع تحيط به الأبياء المرفوعة بالسواري المكسوة بالزليج الملون مع وجود طابقين بهذه الدار زينت بعض غرفها بنوع من النقوش المعروفة في تاريخ العمارة الإسلامية.

وقد عرفت دار القائد الحاجي قبل الحماية وبعدها بحفاظتها على الشخصية المغربية. وشاركت في الحركة الوطنية بما كانت تقدمه من مساعدات مادية ومعنوية للوطنيين مثل ما قدمه القائد أحمد الحاجي من سلاح ومؤن للثائر أنفلوس، مما تسبب في نفيه بمدينة الصويرة بعدما تبين للمستعمر الفرنسي تضامنه الوطني، كما كان الاتصال على أشده بين القائد والسلطان بواسطة الرسل، أو عن طريق الاتصال المباشر، وأعدت المواطنين للاتخراط في العمل الوطني.

ومن الشخصيات العلمية التي زارت هذه الدار نذكر : محمد المختار السوسي، الذي خصها بالحديث في أحد مؤلفاته، والمؤرخ عبد الرحمان بن زيدان وشيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، وفقهاء آخرين من جامع القرويين بفاس ومن جامع ابن يوسف بمراكش... ولا يفوتنا الحديث عن الجانب الترفيهي الذي كانت تقبله هذه الدار، حيث كانت تتوفر على جوق نسوي للموسيقى الأندلسية، يقوم بإحياء الحفلات، وجدير بالذكر أن هذا الجوق كان في معظمه يتكون من النساء منهن ريحانة والظرينجة وعود الصباح الخ، وكان يرأس هذا الجوق رجل يدعى أبا هشوم من مراكش.

تحريرات ميدانية.

علال رگورگ

**دار القيطون** بفاس، تقع بجوار جامع الشرفاء المقابل لباب الحفافة من ضريح المولى إدريس الأزهر. ذكر ابن أبي زرع في سبب بناء هذه الدار أن المولى إدريس أسس أولاً عدوة الأندلس عام اثنين وتسعين ومائة (808 م) وأدار بها السور واستقر بها، ثم شرع في بناء عدوة القرويين في سنة ثلاث وتسعين، وكان موضعها شعراءً وغياضاً ملتفة بقي قطع الشجر والخشب ويبني في موضعه، وأعجبه ما رأى

من كثرة العيون فيها وتدفق الأنهار، فانتقل من عدوة الأندلس إليها، ونزل منها بموضع يعرف بالقرمدة، وضرب فيه قيطونه، وأخذ في بناء الجامع وهو المسجد المعروف الآن بجامع الشرفاء وأقام فيه الخطبة ثم أخذ في بناء داره المعروفة الآن بدار القيطون التي يسكنها الشرفاء الجوطيون من أولاده" (ص. 38).

والجوطيون الذين يشير إليهم ابن زرع هم الطالبيون المنسوبون إلى جدهم يحيى الثاني الجوطي حفيد إدريس الأزهر. الذي خرج في غمرة محنة الأدارسة بعد انقراض ملكهم من فاس إلى جوطة، وهي مدينة مندثرة كانت تقع على الضفة الجنوبية لوادي سبو في بلاد الخلط.

وكان الطالبيون سدة ضريح جدهم المولى إدريس ويسكنون لذلك دار القيطون إلى أن أجلوا عن فاس. وبعد انتهاء المحنة كان الطالبيون أول من رجع من الأدارسة إلى فاس وسكنوا دار القيطون من جديد إلى أن أخرجه منها أبو الحسن المريني أو ابنه أبو عنان يسعي من الخطيب ابن مرزوق التلمساني صهر العمرانيين، فانتقل الطالبيون لدرب السعد والصفاح من عدوة الأندلس وغرضوا عن فتوحات ضريح جدهم بفتوحات ضريح سيدي علي بوغالب، وبقي فريق العمرانيين الذين أصبحوا يدعون الإدريسيين القيطونيين يعتمرون دار القيطون ويتولون سدانة الضريح الإدريسي إلى الآن.

ع. ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1973؛ ع. القادري، الدر السني في بعض من فاس من أهل النسب الحسن، ط. حجر فاس، 1308؛ إ. الفضلي، الدر البهية، ط 2، المحمدية، 1999، ج. 2؛ 5041؛ م. حجي، بوطالب أو الطالبيون الجوطيون، معلة المغرب، 1738؛ 5.

محمد حجي

عرف حوض الكيداني تطورات على مستوى بناء السطح، وتعود أهم فترات تكوينه إلى الزمن الثالث، خاصة فترة النيوجين الأعلى التي شهدت توضع مواد طفلية سميكة انتهت بتوضع مواد خشنة عبارة عن رمال وحصى يزيد سمكها أحيانا على عشرة أمتار، كما شهدت هذه الفترة نشاطا بركانيا مهما ساهم في بناء المنطقة. وعرف الحوض خلال الزمن الرابع مجموعة من التطورات خلفت عدة أشكال سطحية يتمثل أهمها في المستويات الرباعية المنبسطة، كما تركت عدة أجيال من المواد السطحية والأثرية المتنوعة بعضها غني جدا ويلعب دورا مهما على مستوى النشاط الفلاحي.

وعلى عكس ما هو عليه الحال في بعض الجماعات (الدريوش مثلا)، فإن المواد القادرة على تخزين المياه الجوفية كالكلس البحيري تكاد تنعدم في الحوض، الشيء الذي يؤثر على الموارد المائية الباطنية التي تتميز بضعف كمياتها وعمق فرشاتها الذي يتراوح بين 25 م و 80 م، ويكون هذا العنصر عائقا كبيرا أمام استغلالها. من جانب آخر ساعد وجود سحنات طفلية هشة وسميكة على نشاط التعرية التي أدت إلى إتلاف مساحات مهمة من الأراضي القابلة للاستغلال.

على المستوى المناخي، تتلقى جماعة دار الكيداني حوالي 350 ملم موزعة على 35 يوما كمتوسط، وهي غير كافية لضمان قيام نشاط فلاحي مهم، كما أنها غير منتظمة في توزيعها السنوي والبيسنوي.

يعيش على مساحة الجماعة 11.400 فرد حسب إحصاء 1994 مسوزعين على 2.629 أسرة. وتبلغ كثافة السكان 117.5 نسمة في كلم<sup>2</sup> وهي من أعلى الكثافات في إقليم الناظور. وقد عرف سكان الجماعة تطورا سلبيا بين سنتي 1982 و1994 حيث تراجع عددهم بنسبة 15٪ نتيجة النزوح القروي والهجرة الدولية.

يعتمد سكان الجماعة في عيشهم على مجموعة من الأنشطة أهمها الفلاحة والهجرة والتجارة. تبلغ المساحة الصالحة للزراعة حسب تقديرات مركز الأشغال الفلاحية بالدريوش حوالي 6.370 هكتار أي ما يعادل 65.6٪ من مجموع أراضي الجماعة منها 6.220 هكتار بورية وحوالي 150 هكتار مسقية. وتتوزع باقي الأراضي على الغابات بنسبة 20.6٪، والمراعي بنسبة 7.6٪ والأراضي غير الصالحة للاستغلال بنسبة 6.5٪.

تستغل المساحة القابلة للزراعة في إنتاج الحبوب وتعود ملكيتها إلى حوالي 2.000 فلاح (17.5٪ من مجموع السكان) يملك جلهم (حوالي 75٪) أقل من 5 هكتارات.

بالإضافة إلى الزراعة، تحتل تربية الماشية موقعا مهما في حياة السكان. غير أن هذا النشاط يعرف حاليا تراجعا مستمرا في الجماعة، مثل ما هو عليه الحال في باقي

**دار الكيداني**، (جماعة ومركز حضري بإقليم الناظور)، تكون إحدى الجماعات السبع التي يشملها تراب دائرة الدريوش وتبلغ مساحتها حوالي 97 كلم<sup>2</sup> أي ما يعادل 6٪ فقط من مجموع المساحة الإجمالية للدائرة، الشيء الذي يجعل منها ثاني أصغر جماعة في الدائرة بعد جماعة تازغين.

يتميز سطحها بوجود وحدات تضاريسية متنوعة تتمثل في الجبال والهضاب ثم السهول. تحتل الجبال حوالي 27٪ من المساحة الإجمالية للجماعة وهي جبال متوسطة الارتفاع. أما الهضاب فتتمتد على مساحة أوسع وتتكون أساسا من سطوح ارتبط ظهورها بتطورات الزمن الرابع، وهي عبارة عن سطوح متقطعة تتخللها مجموعة من خطوط الشبكة المائية الموسمية الجريان. وتكون السهول الوحيدة الثالثة ممتدة أسفل السطوح السابقة على جوانب المجاري المائية الكبيرة.

بدار لالة باني، ثم هناك قصر مولاي زيدان، وقصر الشعشاع، وكلها ذات طراز هندي رفيع ولا يخلو أي منها من مسجد وأهمها مسجد الرخام أو مسجد القصة والجامع الأخضر.

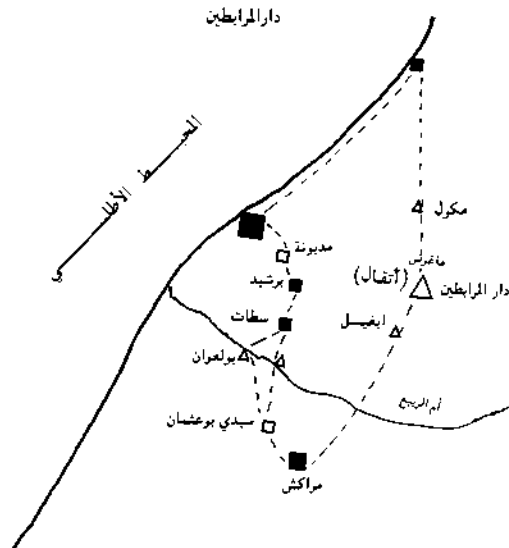
ومن قصور الدار الكبرى ذات الأهمية، قصر الكشاشين وكان معداً للطبخ وشؤونه وخزن لوازمه وسكنى القيمات بمباشرة ذلك. وأحاط السلطان مولاي إسماعيل (1672 . 1727) هذه الدار بأسوار ضخمة وأبراج عالية، حتى صارت كأنها قلعة حربية، وكانت تسمى دار الخلافة، وقد استغرقت مدة بنائها ثمانية أعوام 1672 - 1680، وتغيرت معالمها حالياً بفعل الهدم الذي لحق ببعض قصورها والإضافات المعمارية التي شوهدت المعالم الأثرية الأصلية.

ع. ابن زيدان، إتحاف الرباط 1929، الجزء الأول: م. المنشوي، دليل القصة الإسماعيلية، مجلة دعوة الحق، العدد 4، السنة 1967  
: تحريات ميدانية.

بوشتي بوعسرية

**دار المرابطين** وردت في النصوص الوسيطية بهذا الاسم وباسم انتقال (نزهة المشتاق 3: 237) وأنكالي (الروض المعطار، 35)، وحاول الدارسون لهذه النصوص وللأثار الأركيولوجية توطين الموقع (القرية) لكن محاولاتهم بقيت مجرد اجتهاد وتخمين. ورسم ماسينيون في كتابه المغرب في السنوات الأولى من القرن السادس عشر خريطة في موقع قصة مديونة (خارطة تامسنا (الشاوية) ونظن أن موقع دار المرابطين قريب من مدينة الكارة الحالية وسط سهول الشاوية.

وإذا رجعنا إلى النصوص الأصلية وقرأنا بإمعان استيعدنا هذا الافتراض فالشريف الإدريسي يقول في نزهة المشتاق 3: 237) "... من أم ربيع إلى قرية إيفيسيل مرحلة [عيون كثيرة دفاقة بالماء بين صخور صلدة وهذا الماء يتصرف في سقي كثير من زروعهم] ومنها إلى قرية أنقال مرحلة ويقال لها دار المرابطين أيضاً..."



الجماعات الأخرى في المنطقة. ويقدر عدد رؤوس الماشية بحوالي 10.500 رأس، تحتل ضمنها الأغنام المرتبة الأولى. إلى جانب النشاط الفلاحي تعرف الجماعة هجرة دولية نشيطة حيث تشير بعض التقديرات (Bossard, 1978) إلى أن عدد المهاجرين يمثلون ما بين 5 و10% من مجموع السكان يساهمون عن طريق تحويلاتهم المالية في الرفع من المستوى المعيشي في الجماعة وذلك من خلال تقوية القدرة الشرائية لدى سكانها. ويؤدي ذلك أيضاً إلى إنعاش النشاط التجاري الذي يقوم أساساً على تداول البضائع المهربة من مدينة مليلة القريبة.

وقد ارتبط فو دار الكبداني كمركز بالسجود الاستعماري الإسباني الذي اتخذ منه قاعدة عسكرية لإخضاع ومراقبة المناطق المجاورة. ويعرف حالياً تطورات سريعة تحولت تدريجياً إلى مركز حضري مهم. غير أن موقعه ويعدّه عن المحاور الطرقية المهمة يجعلان هذا النمو بطيئاً، عكس ما هو عليه الحال بالنسبة للمراكز المجاورة كابين الطيب والدريوش وميضار.

يقدم المركز عدة خدمات للسكان باعتباره مقراً للعديد من المصالح الإدارية (مقر الجماعة وقيادة بني سعيد) والصحية والاجتماعية. كما يتوفر على أحد أهم الأسواق في إقليم الناظور هو سوق الثلاثاء.

تحريات ميدانية.

J.J. Barathon, *Bassins et littoraux du Rif oriental. Evolution morphoclimatique et tectonique depuis le Néogène supérieur. Etudes méditerranéennes. Poitiers, 1989*; P.R. Bossard, *Mouvements migratoires dans le Rif oriental: le travail en Europe. Aspect contemporain majeur des migrations dans la province de Nador. Thèse 3ème cycle. Montpellier; Centre de travaux agricoles de Driuch, Données monographiques des communes rurales de Driuch et de Dar Kebbani.*

حسن العباسي

**الدار الكبرى** أو الكبيرة بمكناس، عبارة عن قصور

إسماعيلية، كُتبت على بابها الأصلي تاريخ الفراغ من بنائها سنة 1090 (1680 م) وتحتوي على قصور عديدة، تتخللها أزقة ذات شكل مستطيل مقبوة السقوف بها نوافذ للإضاءة.

تمتد الدار الكبرى من قصر الستينية المحاذي لساحة لالة عودة وتنعطف يسار الحي الإسماعيلي وحي سيدي النجار ثم تذهب موازية لمس الدرية حتى قصر النصر المجاور للستينية. وأشار الزباني في كتابه الترجمان إلى هذه الدار فقال: "ثم أسس الدار الكبرى بجوار ضريح الشيخ المجذوب".

ومن بين قصور الدار الكبيرة، قصر الستينية الفسيح الذي يزيد طوله على مائة متر وعرضه على خمسين، وقصر النصر الذي بناه المولى إسماعيل أيام خلافته لأخيه مولاي رشيد بمكناس (1664 - 1672) وعرف هذا القصر فيما بعد

يتبين من هذا النص أن دار المرابطين (أنقال) تبعد عن إيغيسيل - التي هي جيسر الحالية - حسب محقق كتاب التشوف - بحوالي 30 كلم، وإذا تتبعنا الإدرسي منذ خروجه من مدينة مراكش نلاحظ أن دار المرابطين شكلت المرحلة السادسة بعد تونين وتقطين وغفسيق وقرية أم ربيع وإيغيسيل وقرية أنقال (دار المرابطين) ثم مكول وإكسس فسلا.

إن دار المرابطين واقعة ما بين إيغيسيل : جيسر الحالية، وهي مقر جماعة قروية تابعة لإقليم سطات (على الطريق الثانوي سطات - قلعة السراغنة) وما بين مكول وهو مكان معروف إلى اليوم على مقربة من جمعة مليلة وهي مقر جماعة قروية تابعة لإقليم بنسلمان وواقعة على الطريق الثلاثية الرابطة ما بين مدينة بنسليمان ومدينة الكارة. أي أننا نسير حسب الشريف الإدرسي في خط شبه مستقيم ابتداء من قرية أم ربيع، أما القول بأنها مديونة فبعيد جداً لأن مديونة مديونة منحرفة كثيراً عن الطريق التاريخي.

ومن الفرائض التي تقرنا من التحديد الصحيح لموقع دار المرابطين كون نص الإدرسي دقق في مسألة المراحل فجعل قرية دار المرابطين (أنقال) وقرية مكول في مرحلة واحدة مما يعني أن القرية كانتا متقاربتين، ونقدر بناء على نص الإدرسي الذي قد تؤكد التفتيش الأثرية لو توفرت الإمكانيات، ونسبة كبيرة من اليقين أن قرية أنقال (دار المرابطين) هي قرية ماغوس التي وردت أوصافها في رحلة لسان الدين ابن الخطيب من فاس إلى مراكش مروراً بتامسنا وبمراعاة الفارق الزمني بين رحلتي الشريف الإدرسي (ت. 548 - 1154) ولسان الدين ابن الخطيب (ت. 776 - 1379) الذي يزيد على قرنين غير كثيراً من معالم القرية، فتنطورت حتى أصبحت حاضرة ثم بدأت تتدهور حتى أصبحت كما وصفها ابن الخطيب : "... وعند الصباح شرعنا في الارتحال، وعين الشمس يمرض الضباب مفتقرة إلى الاكتحال، فسلكتنا خندق هارون، فحص خراز، ومأزق بزاز، ومظان احتراز، إلى دشر مكول، وهو إلى الفناء موكول، ويرجل الحراب من الأعراب موكول. ولما رأينا جنباه غير مأنوس، وقد امتاز بلبوس البوس، جزناه إلى ماغوس، دشار الزاوية، ومركز الخطوط المتوازية، ومناخ الرفق السارية، وحاضرة تامسنا حيث مجلس قاضيها، وتشاجر ساخطها وراضيها، وحمام متوضيها، دشار كبير، يأكل من هري ويشرب من بئر، فقد النضارة، وعدم مرافق الحضارة، إلا أنه على الاختزان أمين، ولحفظ الحبوب ضمين، ما لم تعث شمال للفساد وعين، فاتخذ به مسجد شان النقص من مناره، لقصور درهمه وديناره، فمنظره شنيع، وحماه غير منيع..." (نفاضة الجراب، 89).

أما الشريف الإدرسي قبله فقال عنها "... بها عين عليها أقباء وماؤها معين، كثيرة الزرع والمواشي والإبل

والبقر، وقبالتها فحصى طويل قد انحشرت إليه طيور النعام..." (نزهة المشتاق).

حسب الوصفين ونص الرحلتين والدراسات الطبوغرافية فالمكان المقصود موجود ما بين مكول ومدينة الكارة إن لم يكن الكارة نفسها، والفحص المذكور عند الشريف الإدرسي هو سهل المذاكرة من سهول الشاوية الخصبة.

أما الإشكال والالتباس الذي أوقعنا فيه اجتهاد ماسينيون وسواه فيتعلق بالخلط ما بين طريقين أو مسلكين مختلفين ربطاً ما بين مدينة مراكش ومدينة سلا : الطريق التاريخي (الخليفي الذي بقي مسلوفاً حتى عهد المرينيين : والطريق المعدل الذي أصبح أكثر أهمية في العهد السعودي والعلوي. فالطريق الأول ينطلق من مراكش إلى تونين (سيدي بوعثمان) ومن هذا المرفق يسير باتجاه نهر أم ربيع حيث يتم قطع النهر قرب قرية أم ربيع ثم يسير باتجاه إيغيسيل (جيسر) فأنقال (دار المرابطين) فمكول ... وهكذا.

أما الثاني فينطلق من مرفق تونين (سيدي بوعثمان) لكنه يسير باتجاه بولعوان حيث يقطع وادي أم ربيع ثم يتجه نحو سطات فبرشيد ثم مديونة وهو الطريق الرئيسية الحالية (مراكش - الدار البيضاء - سلا).

بقي أن نشير في الختام إلى أن الاسم الأصلي للقرية (أنقال أنكال) اسم بربري، أما دار المرابطين التي ذكرها الإدرسي فمحدثة، وهذا يحيلنا على فترة الصراع ما بين المرابطين والموحدين من جهة والبرغواطيين من جهة أخرى ؛ وقد أدرك الشريف الإدرسي بقايا الأزدهار الفلاحي الذي كانت عليه تامسنا في العهد البرغواطي، ولاشك أن الصراع أفرز تهجير العناصر الأصلية من موطنها (أنقال) واجتمعت فيه العناصر المحاربة للبرغواطيين من المجندين والمتطوعين (المرابطين) فاتخذوا من القرية معسكراً ورباطاً لهم.

الشريف الإدرسي، نزهة المشتاق، الطبعة الإيطالية، المعهد الشرقي بنابولي، د. ت. الجزء الثالث : ع. المنعم الحميري، الروض المعطار، بيروت، 1957 : ل. ابن الخطيب، نفاضة الجراب، الدار البيضاء، 1989 : ي. ابن الزيات التادلي، التشوف، تج. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1984 : م. حجاج الطويل، النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط، أطروحة، مرقونة، بكلية الآداب بالرباط. 1998 : تحريات ودراسة ميدانية.

L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du 16ème siècle*, Alger, 1906 ; Martin [et al], *Géographie du Maroc*, Paris - Casa, 1967 ; Allain, *Une organisation agricole Almohade*, Hesp., 2è - 3è trim., 1954.

محمد حجاج الطويل

**دار ابن مشعل**، قرية كانت توجد بجبال بني يزناسن

على بعد عشرة كيلو مترات غرب بركان وسبعين كيلو مترا جنوب شرق مليلة، بأراضي قبيلة بني اورمش، ظلت قائمة



النيان إلى حدود سنة 1690 حيث اندثرت معالمها الحضارية في ظروف غامضة فتضاربت الأقوال بشأنها وسيطر الخيال القصصي على الواقع التاريخي، فلا مناص لاستجلاء حقيقة الأمور من استعراض ما تتوفر عليه من الثوابت.

ورد ذكر دار ابن مشعل، أول مرة، في رسالة للكونت دي ألكوديتي (Comte de Alcaudete) الوالي الإسباني على وهران في ما بين 1534 و1558، يخبر فيها بوصول قائد من لندن الشريف السعدي إلى دار ابن مشعل من أراضي تلمسان، وورد ذكرها أيضاً في رسالة إسبانية أخرى بتاريخ 15 شتنبر من سنة 1595 تخبر بشورة المولى الناصر ضداً على عمه المنصور الذهبي وتفيد أن الأمير الثائر اعتصم بجبال بني يزناسن بعد انهزامه، وتثبت أن دار ابن مشعل قرية كبيرة بين تلمسان ومليلة على بعد عشرين فرسخاً من مليلة، وجاء أيضاً في وثائق إسبانية يتراوح تاريخها بين 1609 و1614، أن الحروب التي قامت، غداة وفاة المنصور الذهبي بين أولاده وحفدته، كانت قد ألزمت ولده أبا فارس وحفيده عبد الله ابن الشيخ المامون بالاعتصام بدار ابن مشعل، وذلك بعد انهزامهما على يد المولى زيدان.

ولما انقرضت الدولة السعدية ويزغ فجر الدولة العلوية، تحركت الأقلام الأجنبية لنقل بعض ما كان قد بلغ إلى علم أصحابها من صدى الأحداث، فجاء في تقرير لمجهول انجليزي، سنة 1669، أن المولى الرشيد بطش بشيخ يهودي كان من الأغنياء، نزل ضيفاً عليه، ثم قتله واستولى على كنوزه، ويتأكد من رسالة لبعض أعضاء سفارة إنجليزية لدى المولى الرشيد سنة 1670 أن هذه الواقعة جرت بدار ابن مشعل.

أما الفرنسي مويت (Mouette) الذي كان أسيراً لدى المولى الرشيد والمولى إسماعيل، والذي نشر كتاباً عن تاريخ قيام دولتيهما صدر سنة 1683، فإنه قال عن المولى الرشيد إنه أراد أول الأمر أن يتحصن ببعض الحصون فباغت قلعة دار مشعل (كذا) بحجة زيارة عاملها، ثم أمر بتعذيبه ليقرب له بمخاسئ كنوزه، وانتزع من يهودي كان يسكن بنفس القلعة أزيد من مائتي مثقال، وهو ما يساوي المليون من سكتنا، مما كان قد تجمع لديه من تجارة تلك الجهات التي كانت كلها بيده. كما ذكر مويت هذا دار ابن مشعل بصفة كونها قرية منيعة، لدى تعرضه لثورات المولى أحمد بن محرز على عمه المولى إسماعيل.

وفيما يرجع للمصادر العربية يبدو أن المؤلف المجهول صاحب تاريخ الدولة السعدية، هو أول من ذكر دار ابن مشعل، علماً بأن هذا الكتاب لا يمكن أن يكون قد وضع قبل اعتلاء آخر الملوك السعديين عرش المغرب سنة 1654 ولا بعد وفاة المؤرخ اليفرنسي في حدود سنة 1740، ولقد قال هذا المؤلف المجهول عن المولى عبد الله بن الشيخ المامون إنه هرب إلى دار ابن مشعل مع عمه مولاي أبي فارس، وقال أيضاً: "ولما استقر مولاي عبد الله وعمه أبو فارس بدار

ابن مشعل، اجتمعت عليه رؤساء العرب مع محلة شراقة"، وهو ما يثبت أقوال الوثائق الإسبانية السابق ذكرها.

وحيث إن اليفرنسي نهل مباشرة من هذا المؤلف، فإنه ثاني من ذكر دار ابن مشعل من المؤرخين المغاربة، قال في نزهة المحادي عن المولى الرشيد: "ولم يزل يجول في البلدان طمعاً في اقتناص الملك إلى أن أدته خاتمة الجولان إلى قضية ابن مشعل، فوجد فيها يهودياً من أهل الذمة، له أموال طائلة وذخائر نفيسة، وله على المسلمين صولة واستهزاء بالدين، فلم يزل مولانا الرشيد ينظر في كيفية اغتيال ذلك اليهودي إلى أن مكنه الله منه في قضية يطول جلبها، فقتله وأخذ أمواله وذخائره، وفرقها فيمن تبعه وانضاف إليه، فتقوى بذلك عضده".

ثم كتب محمد بن الطيب القادري صاحب نشر المثاني فقال عن المولى الرشيد إنه خرج من تافيلالت ثاني وعشرين من شوال سنة 1069 إلى تدغة، ثم إلى الزاوية، ثم إلى دار ابن مشعل، هكذا وجدت مقيداً عن الحافظ الفاسي، وقال لدى ذكر اتصال المولى الرشيد بالشيخ اللواتي: "قبينا هو مقيم عنده، إذ رأى رجلاً بهيئة من خيل وأتباع ومماليك، وهو يصطاد كهيئة الملوك، فسأل عنه من هو، فقيل ابن مشعل من يهود تازا"، فشارت لدى الأمير الناهض شائرة الغيرة على الإسلام، واستعان بطلبة زاوية الشيخ اللواتي لإنتقاد الإقليم من طغيان ذلك الذمي. إلا أن القادري عاد ليثبت، وهو يلخص أحداث قيام الدولة العلوية، أن المولى الرشيد يبيع ببلاد أنكاد والظهرة وتافرطة ومسول وزناتة، وملك دبدو ودار ابن مشعل وكارت والريف، كما أثبت أن المعركة بين مولاي محمد ومولاي الرشيد دارت في دار ابن مشعل وأن مولاي محمد دفن في دار ابن مشعل بعد مقتله.

وهذه الرواية هي الراجحة لدى أبي القاسم الزباني الذي كتب في الترجمان عن مقتل المولى محمد قائلًا: "ولما وقف الرشيد على أخيه حمله وتوجه به ليدفنه ببني يزناسن، فطرق دار ابن مشعل ببني يزناسن فقتله وأخذ ماله وما عنده وتقوى به... ودفن أخاه في دار ابن مشعل ورجع لوجدة". مما يجوز أن يفهم منه أن دار ابن مشعل كانت وحدة حضرية أو أنها لم تكن سوى منزل يهودي يحمل ذلك الاسم، وكلا القولين لهما ما يبرهما لدى هذا المؤرخ، فإنه ذكر في معرض حديثه عن حركات المولى أحمد بن محرز في الترجمان، أن المولى إسماعيل بلغه أن الترك جاؤوا بمحلتهم واستولوا على بني يزناسن وعلى دار ابن مشعل وأن كلامهم مع ابن أخيه أحمد بن محرز، لكنه في البيستان الظريف وفي الروضة السلیمانية عااد فقسال عن المولى الرشيد إنه احتاج إلى مال وكان أخذ ولد الذمي ابن مشعل معه فجاءت أمه تطلب فداءه، فتعلل عليها وتفرس فيها وقال لها لا أعطيه إليك حتى تدليني على مال زوجك أو أقتل هذا الولد، فأنعمت له بذلك وركب معها إلى الدار

فدلته على خزانة في بيت، فنقب عليها فوجد فيها خرابي مالا ذهباً وفضة. والذي يدعو إلى أخذ أقوال الزباني عين الاعتبار أنه استعمل على تلك الأقاليم في دولتي سيدي محمد بن عبد الله وولده المولى سليمان، كما أنه أقام برهة من الزمان بمدينة تلمسان. وبالرغم من تدوينه لتلك الأحداث بعد مرور أزيد من قرن كامل عليها، فإنه ذكر بتفاصيل مثيرة للانتباه مجهودات المولى إسماعيل للتمكن من بني يزناسن إذ كانوا شيعة للاتراك وفي ولايتهم، ونقله لقيائل الشبانات ووزارة من الحوز، للتضييق عليهم، وإقامته لثلاث قصبات حول تلك السلسلة الجبلية لمحاصرتها، وهي قصبات الرقادة وسلوان والعيون. وجرى كل هذا خلال الثمانينيات من القرن السابع عشر الميلادي، وكان ولاشك من وقائمه الحاسمة أمر المولى إسماعيل بدك قلعة دار ابن مشعل على الإطلاق، وذلك في حدود سنة 1690، حسبما جاء في تقييد للرئي السمائل بن دانان الذي كان معاصراً للأحداث وذكر أن سكان دار ابن مشعل من اليهود انتقلوا إلى دبدو.

خلاصة القول إذن، أن دار ابن مشعل كانت قرية أو قلعة منيعة بداخل أوعار جبال بني يزناسن، وأنها كانت كجميع القرى المغربية تضم جالية يهودية وافرة، ولاشك أن أشهر تجار تلك الجالية هو الذي قتله المولى الرشيد وحاز أمواله. ولما آلت الأمور إلى المولى إسماعيل، وتوالت عليه ثورات بعض إخوته وابن أخيه المولى أحمد بن محرز، وكانت جبال بني يزناسن لمناعتها واتصالها بالإيالة الجزائرية، ملجأ للثوار، فإنه أمر بهدم قلعة دار ابن مشعل وعرضها بقصبات مخزنية تراقب المنطقة. ولا سبيل إلى إثبات كون اليهودي الذي قتل على يد المولى الرشيد كان يسمى أو لا يسمى بابن مشعل.

مجهول، تاريخ الدولة السعيدية، تع. كولان (Colin)؛ م. الصغير الإفرائي، نزهة الحادي، ط. فاس المغربية، 1307؛ م. بن الطيب القادري، نشر المثاني، تع. م. حجي و أ. الترفيق؛ أبو القاسم الزباني، الترجمان، ط. باريس، 1888؛ البستان الطريف، مخطوط خ ع 1577؛ مجهول، الروضة السليمانية، مخطوط خ ع 1275؛ م. أكتسوس، الجيش العرمرم، ط. فاس المغربية، 1336؛ أ. أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1956.

*Les Sources Inédites de l'Histoire du Maroc*, 1ère série, Espagne, T. I, p. 208 ; 2ème série, France, T. II, p. 1-200 (Relation de Mouette) ; L.Chenier, Recherches sur l'histoire des maures, Paris, 1787 ; Slousch, Les juifs de Debdo, R.M.M., 1913 ; Cenival, La légende du juif Ibn Mechaal et la fête du sultan des Tolba à Fès, Hesp. 1925 ; H. Hirschberg, A history of the jews in North Africa, 2ème éd., Leiden, 1974.

إبراهيم بوطالب

### دار النيابة بطنجة، كانت بمثابة وزارة للشؤون

الخارجية في مغرب ما قبل الاستعمار. تأسست في عهد المولى عبد الرحمان بن هشام (1822 – 1859)، واختيرت طنجة مقراً لها لبعدها عن العاصمتين السياسيتين (فاس

ومراكش)، ولكونها المقر الدائم لرؤساء البعثات الدبلوماسية الأجنبية المعتمدين سابقاً في المغرب. كان على رأس دار النيابة موظف سام يلقب بنائب السلطان، تنحصر اختصاصاته في القيام بدور الوسيط بين السلطان والهيئة الدبلوماسية، فيتولى باسمه، ونياية عنه مهمة التفاوض معها في كل ما يتعلق بالعلاقات المغربية الخارجية. ويعتبر محمد الخطيب التطواني أول نائب استقل بأشغالها. وكان في بداية تعيينه سنة 1851 / يجمع بين وظيفتي النيابة وشاورية طنجة؛ وبناء على طلبه، تم فصل الوظيفتين سنة 1854، فعين محمد بن عبد المالك باشا على المدينة، واستقل الخطيب بمنصب النيابة، واكتملت بذلك معالم المؤسسة الجديدة التي أصبحت تعرف بـ"دار النيابة السعيدة بطنجة". وكان مقرها في حي القنصليات الذي عرف فيما بعد بـ"السوق الداخلة".

تعاقب على رأس المؤسسة، بعد محمد الخطيب، أربعة نواب آخرون : محمد برگاش (1862 . 1886) ؛ الحاج محمد ابن العربي الطريس (1886 . 1908) ؛ محمد الجياص (1908 . 1913)، ثم في الأخير الحاج محمد التازي الذي تولى مهامها في عهد الحماية إلى أن تم إلغاؤها سنة 1942.

أما المهام التي اضطلعت بها، فهي صفحة مثيرة من المواجهة الدبلوماسية بين بلد مغلوب على أمره، وهو المغرب، وبين ممثلي الدول الأجنبية الطامعة في غزوه. ففيها جرت المفاوضات للتوقيع على المعاهدات الثنائية (معاهدة 1856 مع بريطانيا، ومعاهدة 1861 مع إسبانيا، ومعاهدة 1863 مع فرنسا) ؛ وفيها جرت المفاوضات التمهيدية لمؤتمر مدريد المنعقد في العام 1880. بالإضافة إلى ذلك، كانت "دار النيابة" على اتصال مستمر ب ممثلي الدول الأجنبية، سواء لتبليغهم احتجاجات المخزن على الانتهاكات الترابية للحدود المغربية، أو للنظر في القضايا التي كانوا يطرحونها.

لم يكن النائب السلطاني يتمتع بأي تفويض لاتخاذ القرارات، وكان عليه الرجوع إلى المخزن في كل قضية مهما كانت أهميتها. لكنه أصبح - تحت ضغط الظروف - يعالج مباشرة كثيراً من القضايا ؛ وبذلك لم يعد يتراسل مع السلطة المركزية فحسب، وإنما أيضاً مع مختلف الموظفين والولاة.

باتساع مهام "دار النيابة"، تحولت من جهاز بسيط إلى جهاز إداري معقد يضم الكتاب والعدول والمترجمين. وفي عام 1896 عين اللبدي خليفة للنائب، وتم تعويضه في عام 1898 بأحمد الطريس (الابن). وأمام تزايد الحاجيات، أصدر المولى عبد العزيز ظهيراً في 24 جمادى الأولى 1318 / 30 غشت 1900 أدخل بمقتضاه إصلاحاً جذرياً على المؤسسة، يتلخص في تشكيل مجلس لإدارة أشغالها بكيفية جماعية، يتكون من الحاج محمد الطريس "كبير المقام ورئيسه"، ومن خمسة نواب مساعدين له ؛ كما تم تعيين قاض بها، وعدلين، ومترجمين، وثمانية كتاب.

بولد زيدوح آتي الترجمة وهو من أكبر "الكسابة" الأغنياء بالمنطقة.

غير أن التحول الحاسم في حياة هذا المركز اقترب بأحد أبناء محمد بن أحمد وهو بوعبيد. حيث ظهر أول مرة ككاتب لدى ولد الراضي قائد أولاد عزوز (بين الفقيه بن صالح وخريبيكة). ثم تمكن بنباهته وسمعة والده أن يتقرب من أحد وزراء السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام فتم تعيينه قائدا على دار ولد زيدوح ليتحول بذلك من "قصر" إلى قصبة بقيادة كبيرة يشمل نفوذها بالإضافة إلى بني موسى، بني مسكين وورديفة.

كما أن أهمية دار ولد زيدوح تُعزى أيضا لعامل الموقع الجغرافي، فهو يقع في الوسط بين شمال المغرب وجنوبه بدليل أن المعركة التي دارت بين الوطاسيين والسعديين عام 1536/ 943 نصت على اقتسام المغرب بينهما جاعلين نهر أم الربيع حدا فاصلا بين مملكتيهما، هذا النهر الذي يمر بمحاذاة دار ولد زيدوح. والمعركة دارت رحاها في نفوذ هذا المركز : أبي عقبة حوالي 10 كلم من دارولد زيدوح.

وفي نفس المكان، على مقربة من دار ولد زيدوح دارت معركة أخرى بين محمد الحاج الدلائي وبين السلطان محمد الشيخ بن زيدان السعدي انقشع غبارها عن هزيمة هذا الأخير سنة 1638/1048.

وفي سنة 1674/ 1085 وقع بمشرع أبي عقبة بدار ولد زيدوح صدام بين السلطان المولى إسماعيل وابن أخيه مولاي أحمد بن محرز كانت فيها الهزيمة على ابن محرز. لكل هذه الاعتبارات أصبح مركز دار ولد زيدوح محطة من محطات الطريق الرابط بين فاس ومراكش بدليل أن كثيرا من السلاطين العلويين تعودوا النزول به أثناء تنقلاتهم بين الشمال والجنوب، ومن أشهر هؤلاء السلطان الحسن الأول الذي نزل به وهو في طريقه من مراكش في اتجاه جبال فازاز ففاس. وكان ينوي التنكيل بأيت سخمان ومن تحالف معهم من أيت إسري غير أن المنية وافت الحسن الأول بدار ولد زيدوح ليلة الخميس 3 حجة عام 1311 / 77 يونيو 1894.

ومما لا شك فيه أن أهمية موقع وموضع دار ولد زيدوح هي التي دفعت الفرنسيين عندما سيطروا على المنطقة ابتداء من 13 - 3 - 1914 أن يتخذوا من هذه القرية مركز إدارتهم المدنية والعسكرية والتي شمل نفوذها مساحة شاسعة من بني موسى وبني عمير وأجزاء أخرى من تادالا حتى مشارف بني ملال وخريبيكة. فمنها كانت الأوامر الاستعمارية تصدر إلى إحدى عشرة قيادة.

ع. ابن خلدون، العبر : أ. الناصري، الاستقصا، ج. 6 : ع. العزيز بن عبد الله، معلمة المدن والقبائل : ع. الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، الجزء الأول : م. بن البشير بوسلام، تاريخ قبيلة بني ملال 1854. 1916 : تحريات ميدانية.

بوشعيب العكروود

كان الغرض من هذا الإصلاح جعل "دار النيابة" في مستوى الدور المنوط بها. إلا أنها كانت في الواقع شحبا هزيلا أمام تزايد نفوذ الهيئة الدبلوماسية التي تمكنت، في شتى المناسبات، من أن تنتزع منها كثيرا من الامتيازات بدون إذن السلطان أو إشعاره.

مجلة دار النيابة، طنجة، المطابع المغربية والدولية، الأعداد 1 إلى 28 (صدر أول عدد منها في العام 1984).

محمد الأمين البزاز

## دار ولد زيدوح في تادالا، من بين أقدم المراكز الموجودة

في قبيلة بني وجين التي تشكل جزءا من قبيلة بني موسى المستوطنة للضفة اليسرى لنهر أم الربيع. تقع دار ولد زيدوح غرب قطاع بني موسى على بعد نحو خمسين كيلومترا جنوب غرب بني ملال في موضع محاذ لنهر أم الربيع.

يتشكل سكانها في أغلبيةهم الساحقة من العنصر العربي الذي استوطن المنطقة بشكل مكثف منذ القرن السادس (12 م). وبناء على ذلك فإن سكان دار ولد زيدوح ينسبون أصلا إلى بني جابر المتفرعين عن بني جشم المنحدرين من بني هلال الوافدين من إفريقية. غير أن المركز يحكم انفتاحه تلقى عناصر بشرية متنوعة الأصول، إلا أن الطابع الغالب هو الطابع العربي.

ويبدو أن النمط الذي كان مهيمنا على حياة السكان، في أوائل تعميرهم للمنطقة هو الخيمة والشاة. حيث "تحيزوا إلى سفح الجبل بتادالا وما والاها يجاورون هناك صناكة من البربر فيسهلون إلى البسيط تارة ويأوون إلى الجبل في حلف البربر وجوارهم أخرى...".

كان الطابع الغالب على سكان المنطقة قديما هو التنقل حسب ما يوفره لهم مجال استقرارهم من سبل العيش التي كانت تتركز بالأساس على الترحال بحثا عن التكامل الرعوي بين السهول والجبال المجاورة لها. وقد ظل مجال تنقلهم هذا في بداية الأمر يمتد من قدم سلسلة الأطلس المتوسط إلى الحدود الشمالية والغربية لسهل تادالة قبل أن تقتسم مختلف فرقهم - بما فيهم قبيلة دار ولد زيدوح والمسماة أيضا بأولاد إبراهيم - هذا المجال فيما بينها وتستقر كل فرقة في حيز محدود أصبح يحكم التطور الزمني خاصا بها.

وكنتيجة لذلك ظل السكن يغلب عليه طابع التنقل ويتجسد ذلك في الخيام حيث يسهل معها التنقل والانتجاع بالقطعان. ومما يدعم هذا أن الأهالي في البوادي مازالوا إلى اليوم ينعتون الدار بـ"الخيمة" فكانت المساكن المشيدة قتل جزرا وسط محيط من الخيام، يشار إليها بالبنان، وتقتصر على الأغنياء والأعيان.

اشتهر من بين هؤلاء محمد بن أحمد زيدوح المعروف

أصبحت منذئذ مركزاً لتمهيد احتلال البلاد تحت قيادة الجنرال دالبيز.

توفي الجنرال دالبيز في المستشفى المختلط بمدينة نيس يوم 10 غشت 1929.

بوشى بوعسرية، مكناس المدينة : التأسيس - البنيات الإدارية - التناقضات، 1911 - 1939، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ، مرقونة بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. Service historique de l'armée de terre. (S.H.A.T.), Château de Vincennes, Paris, n° F217. Etat des services de Mr. Dalbiez. بوشى بوعسرية

**دالوين، إيرنيست Ernest Dalwin**، كان أول أمره نائباً قنصلياً لبلجيكا بمدينة قادس بإسبانيا. وقد قام برحلة استطلاعية إلى المغرب دون خلالها مشاهداته ونشرت نتائجها سنة 1855. وفي السنة الموالية عين قنصلاً لبلاده في طنجة، ثم سمي قنصلاً عاماً بشاطئ إفريقيا الغربية سنة 1866. وفي سنة 1877 رقي إلى رتبة وزير مقيم للملكة البلجيكية.

كان ديبلوماسياً نشيطاً وذكياً فاستطاع أن تكون له علاقة طيبة مع المخزن إلى أن ظفر في يونيو 1862 بإبرام معاهدة مع المخزن حصلت بلاده بموجبها على الامتيازات المخولة لبريطانيا العظمى سنة 1856 وإسبانيا سنة 1861، وعمل على أن يكون لبلجيكا وزن دولي ونشاط تجاري، فعين في الكثير من الثغور الشاطئية قناصل ووكلاء أصالة أو نيابة.

جمع ثروة طائلة من تجارته مع المخزن فكان يبيع له أسلحة قديمة وفاسدة في بعض الأحيان، وكان يملك في طنجة وحدها تسعة منازل. وقد أحيل على المعاش ومات بأوربا سنة 1884 وخلفه البارون فيطنال Whetnal.

م. بوشعرا، الاستيطان والحماية بالمغرب، ج. 2 ص. 640؛ وثائق مخزنية.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome I, p. 96 ; Tome II, p. 275 ; Tome III, p. 454 ; P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc : 1870 - 1905*, p. 16 et 29. مصطفى بوشعرا.

**الدالية** "شجرة العنب" الكرّم بالعربية أو "ادليلت" أو "أصيل" بالأمازيغية، أسماء لنبات فيتيس فيتيفيرا Vitis vinifera الذي ينتمي إلى فصيلة الكرميات Vitaceae وAmpelidaceae. وهي شجرة خشبية متسلقة، من الممكن أن تمتد امتداداً كبيراً أفقياً وعمودياً، أو شجيرة صغيرة بسبب التقليم الجائر الذي يجعل قطر ساقها ينمو بشكل كبير. لها محاليل تمكثها من التسلق. أوراقها كبيرة راحية، نفضية. أزهارها صغيرة غير واضحة، ذات رائحة طيبة. ثمارها متجمعة في عناقيد كبيرة وجد متفرعة. ثمار

**ابن دافال، عيسى بن عمران المكناسي** من قبيلة مكناسة تازا من بني وردميش، حلاه صاحب التكملة بقوله : (كان من الراسخين في العلم، قائماً على الأصول الفروع، أديباً شاعراً خطيباً فصيحاً مفوهاً مدركاً، من رجال الكمال...).

ولد عام 512 / 1215، روى ببلده عن الحسن بن عبد الله بن الحراز وغيره، وقدم الأندلس طالباً للعلم، فأخذ بالمربة عن أبي القاسم بن ورد، واختص به وأكثر عنه، ولقي بأغمات وريكة قاضيها أبا محمد سبط بن عبد البر فسمع منه، وبمراكش عن حجاج بن يوسف وتفقه به. فكان فقيهاً أديباً شاعراً.

استقضى باشيلية مدة، ثم ولي قضاء الجماعة بعد موت أبي الحسن بن أبي جنون، فكان في ولايته مشكور السيرة، جزلاً في تنفيذ الأحكام، معروفاً بالعدالة والنزاهة، ولم تظل مدته في قضاء الجماعة، إذ توفي وهو يتولى هذا المنصب عام 578 / 1182.

التكملة 17، قسم الغرباء : أ. ابن القاضي، جذوة : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 9 : 399، الجذوة، 503، بغية الشمس، 404.

أحمد متفكر

**دالبيز Denis Dalbiez**، (جنرال فرنسي)، ولد يوم 18 يونيو 1852 في بيسوانيون Peyoignon بمقاطعة البيرني الشرقية التحق بفيلق المشاة 82 كجندي بتاريخ 23 نونبر 1870 بعد تخرجه من مدرسة سان سير Saint Cyr وتقلب في عدة مناصب عسكرية بفرنسا والجزائر إلى أن سمي جنرال اللواء سنة 1911.

وفي يوم 2 ماي من نفس السنة انتقل دالبيز إلى المغرب، حيث التحق بمحلة موانبي التي فكت الحصار عن فاس واحتلت مكناس. ثم عينه الجنرال موانبي قائداً عاماً للجيوش المرابطة في مكناس وفاس وبوتي جان. وبقي في هذا المنصب يسهر على العمليات العسكرية والمعارك التي جرت في إقليم مكناس إلى تاريخ 5 نوفمبر 1913، فخلفه في نفس المهمة الجنرال هنريس Henrys، والتحق دالبيز بفرنسا حيث شارك في الحرب العالمية الأولى. وفي يوم 31 مارس 1915 وضع رهن إشارة المقيم العام بالمغرب لأن عطاءاته العسكرية في أوربا لم تكن في المستوى المطلوب، فعاد إلى المغرب الذي كانت له دراية بوضعيته.

وبعد تسلّم دالبيز قيادة مركز مكناس، واتخاذها للإجراءات التنظيمية الأولى بالمدينة الأهلية التي ضاقت رحابها بالقوات العسكرية التي نزلت بداية بقصر الدار البيضاء وجامع الأنوار، اتجه نظره إلى الانتقال للصفة اليمنى لوادي بوعماير على هضبة حميرية لإقامة النواة الأساسية للثكنات العسكرية الفرنسية بكناس التي

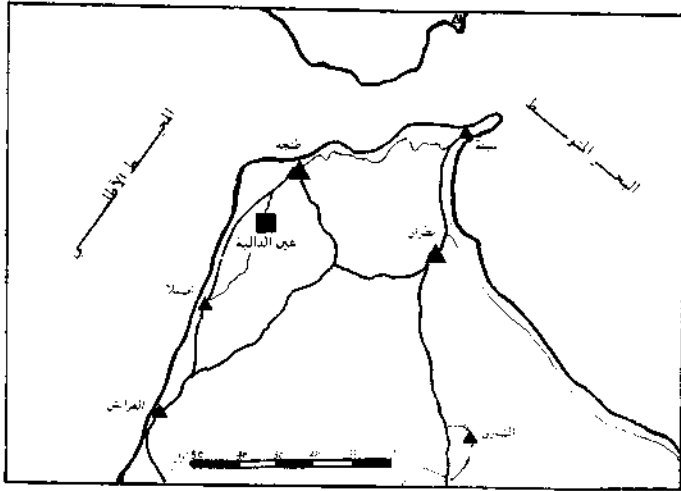
ألبرت هيل، النبات الاقتصادي، تر. د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة، 1962 : أبحاث شخصية.

Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبد الملك بنعبيد

**الدالية (عين -)** موقع أثري يوجد في الشمال الغربي لشبه الجزيرة الطنجية على هضبة جنوب مدينة طنجة، بحاذاة جبل "زهيرو". وتبعد عن هذه المدينة ببضعة كيلومترات. وقد اكتشفت فيها وفي أماكن متفرقة أخرى بمنطقة طنجة مدافن لعصور مختلفة.

وبعد دراسة وتحليل ما عثر عليه بداخل هذه المدافن من أدوات فلاحية وأخرى منزلية وأسلحة وحلي وغيرها، اتضح أنه بين القرن السابع والخامس قبل الميلاد كان يعيش في هذه المنطقة سكان اختلط بهم الفنيقيون وساهموا في تحويل طريقة عيشهم وتوسيع آفاقهم. وفي هذا الصدد يقول الباحث الأركيولوجي "م. بونسيش" M. Ponsich : "إنه لمن المستحيل، إذا كانت استنتاجاتنا عن العهد البرونزي صحيحة، أن لا يكون البحارة الفنيقيون، الذين كانوا يجوبون السواحل الأطلنتية، قد أغفلوا هذه الأرض الخصبة وهذه القرى المزدهرة التي وصل أهلها قادراً لا يستهان به من التطور، فلم يدخلوا معهم في مفاوضات ولم يؤسسوا [ببلادهم] مراكز للتبادل التجاري".



وعن طريق هذه المدافن أيضاً استطاع العلماء أن يورخوا بداية فترة القرطاجيين مع القرن السابع قبل الميلاد وأن يتأكدوا من وجودهم بالمنطقة ومن أن المغاربة كانوا يتعاملون معهم في جو يطبعه التفاهم، حتى إنهم تبنوا لغتهم وديانتهم دون اندماج كلي معهم. وانتهت فترتهم في آخر حكم "بتوليمي Ptolemée". يقول "ج. كركوينو J. Carcopino في سيطرة الرومان على المغرب : "ابتداء من 146 قبل الميلاد انتقلت ممالك الأهالي دون أن تعلم إلى الهيمنة الرومانية التي عرضت بكل بساطة ووضوح

العنب بيضية أو كروية الشكل، ومختلفة الألوان حسب الأصناف. فهي إما سوداء، أو بيضاء (خضراء) أو حمراء. مذاقها حلو.

وُجِدَت الدالية طبيعية في المغرب بجانب الأودية الرطبة ومجاري المياه في المناطق المنخفضة كما هو الشأن في جميع الأنحاء المعتدلة من حوض البحر المتوسط من المحيط إلى بلاد الفرس. وفي أمريكا كذلك. ومن المحتمل جداً أن تكون الدالية قد انتشرت انتشاراً واسعاً بواسطة الطيور قبل أو بعد ظهور الإنسان.

تعتبر الدالية من أقدم النباتات التي زرعت على وجه الأرض. ومن المحتمل أن تكون بداية زراعتها في شرق حوض البحر المتوسط. وقد ورد ذكرها في كل الكتب السامية. من المعروف أن زراعتها في مصر نشأت منذ ستة آلاف سنة. ثم تطورت وتحسنت وتوسعت بدرجة كبيرة بواسطة الحضارات الإغريقية والرومانية والعربية وما بعدها حتى أصبحت حالياً زراعة العنب معروفة في كل المناطق المعتدلة من القارات الخمس.

استنبطت أصناف العنب المزروعة اليوم من الأصناف الأوربية والمتوسطية والأمريكية. لكن الأصناف الأوربية والمتوسطية المحسنة تتعرض بسهولة للإصابات بأنواع مختلفة من الفطريات والحشرات خاصة قملة الجذر "قلوكسيراً". ولهذا تستخدم الأصناف الأمريكية كأصول أو جذور تطعم عليها الأصناف الأوربية والمتوسطية.

أشهر أصناف العنب المغربية المستعملة في الزراعة التقليدية في الحدائق والبساتين القريبة من المنازل هو صنف "أحمر بوعمر" الذي له نكهة ومذاق يجعلانه من أحب أصناف العنب لدى المغاربة.

عرفت زراعة الكروم تطوراً كبيراً منذ دخول الفرنسيين لصناعة الخمر بالإضافة إلى إنتاج عنب المائدة والزبيب.

وهكذا انتشرت زراعة أصناف ونماذج عديدة من الدالية في جميع السهول والسهول الجبلية المغربية. وأشهر السهول المغربية التي تنتج كميات كبيرة من العنب هي تريفية وسيس والشاوية ودكالة حيث تفرس الكروم بدون سقي إلا استثنائياً، فوق أتربة مفككة خفيفة وجيدة الصرف. واليومنايات المطابقة لزراعة العنب بدون سقي هي البيومناخ شبه الرطب وشبه الجاف. أما في المناطق الأكثر جفافاً فإن الدالية تسقى كما هو الشأن في سوس أو في الواحات.

ينتج المغرب كميات كثيرة جداً من العنب وأكبر قسط منه يُعصر خمرًا، وذلك من بقايا الاستعمار الفرنسي. يصدر القسط الكبير من الخمر إلى أوروبا وآسيا. لكن المساحات الشاسعة من كروم النبيذ أصبحت تنقل منذ بداية الاستقلال لتترك المجال لزراعة كروم العنب الطري للمائدة أو كمصدر للزبيب الذي يؤكل نيئاً أو مطهوساً في شتى المأكولات المغربية.

*mégalithiques et les populations blondes du Maroc, revue anthropologique*, V, 1876 ; M. Ponsich, *Exploitations agricoles romaines de la région de Tanger, B.A.M., V, 1964 ; Le Musée Michaux-Bellaire à Tanger, B.A.M., IV, 1960 ; Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région*, Paris, VIII, 1970.

الهادي بجيجو

**داماد** هو بيري Hubert Damade جنرال فرنسي وُلد بمدينة تولوز في 24 دجنبر 1856. وعمل في الهند الصينية وأفريقيا الجنوبية.

وفي 26 دجنبر 1907 عينته الحكومة الفرنسية خلفاً للجنرال درود Drude في قيادة جيش الاحتلال الفرنسي بالشاوية. وتولى مهمته في المغرب ابتداء من 6 يناير 1908، وظل في تلك المهمة إلى بداية 1909.

وبالرغم من الإمدادات التي عززت قوات الاحتلال ورفعت عدد رجالها إلى 15.000 جندي، وبالرغم من التفوق الساحق لجيش الاحتلال في الإمكانيات والعتاد الحديث، أمام قبائل لا تملك إلا بنادق خفيفة، فإن داماد لم يتمكن من حسم المعركة لصالحه بسرعة، بل نجد المغاربة يُفشلون خططه في معركتي برايج وفخفاخة يناير - فبراير 1908.

ويبدو أنه نتيجة لاستمرار القتال مع المغاربة في سهول الشاوية، بدأت الشكوك تساور الحكومة الفرنسية في كفاءة القائد الجديد لقواتها بالمغرب، لذلك تقرر إرسال بعثة عسكرية للتحقيق بالشاوية ولتقرير الخطة التي ينبغي اتباعها ترأسها الجنرال ليوطي.

وقبيل وصول البعثة، بذل قائد قوات احتلال الشاوية أقصى جهده للقضاء على مقاومة المغاربة فارتكب أعمالاً إرهابية شنيعة ليثبت تفوق القوات الفرنسية.

توفي في ضيعته Pontus à Fronsac. وفي 1951 نقل رفاقه إلى مدفن الانقليد Les invalides بباريز.

ع. الخديفي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب*، الطبعة الثانية، 1994.

Archives de guerre, Vincennes, Paris : *La Koumia*, n° 108, Mars 1988 ; *Afrique Française* (bull. de L') 1908 - 1909 ; A.G.P. Martin, *Le Maroc et l'Europe*, 1927.

علال الخديفي

**الدَامُوسُ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Zdemug-Adamuz وهو اسم مدينة إسبانية.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 652.

**الدَامُون**، محمد بن عبد القادر قائد كان يرأس

الرواية القرطاجية".

ولا نجد دليلاً على إنشاء مدينة طنجة، إلا أربع طرق قديمة تنطلق من المكان المعتقد أنه طنجة القديمة في اتجاه باديتها. واحدة من هذه الطرق توجد في الجنوب، تحاذي مقبرة "بوكشكاش" تؤدي إلى عين الدالية.

وفي الترجمة الحالية لمراحل المسالك الرومانية التي وردت في "نهج أنطونان" *L'itinéraire d'Antonin* للباحث المصطفى مولاي رشيد في مقاله *طنجة والمسالك الرومانية*، يقول : "قيماً يخص المسافة طنجيس - سلا، عند مغادرة المدينة الأولى، تتخذ الطريق نفس اتجاه المسار الحالي الفاصل بين طنجة وأصيلة، عابرة وادي المهرهر، الرافد الشمالي لوادي تاهدارت قرب عين الدالية... "ومن هنا تتأكد أهمية هذا الموقع، فالطريق الرئيسية التي تتجه من طنجة إلى المستعمرات الرومانية بالجنوب تمر بعين الدالية، ومن هذه الطريق كانت تمر خيرات سهل لوكسوس وسهل الغرب متجهة نحو طنجة. فكان لا بد من وضع نقط حراسة عليها لتسهيل مرور المنتجات، فربما كانت عين الدالية إحدى هذه النقط.

وإذا بحثنا في معرفة بداية نشأة عين الدالية فإن الحرف الموجود بها يدل على قدم المكان والاستيطان به منذ مدة زمنية بعيدة تمتد من القرن الأول قبل الميلاد إلى السابع عشر بعده. وحسب "ش. تيسو" Ch. Tissot يظهر أنها كانت دون شك معسكراً محصناً. ويرى "م. بونسيش" رغم أن الاطلاع لا تقدم الشكل التقليدي للنقط العسكرية، ورغم عدم وجود ما يثبت ذلك، فإن هناك أسواراً عريضة وكثيرة إضافة إلى قاعدة عمود وأجزاء لرؤوس أعمدة ويقايا جرات وأدوات منزلية وقبور يرجع تاريخها إلى العصر الروماني، وأنها كانت منشأة بدوية أسست منذ القرن الأول قبل الميلاد، وأن المنطقة كانت منذ ذلك الوقت مستقلة ومحروسة، ويستشهد بضيعة "الضاية" القربية جداً منها والتي كانت محصنة وموجودة قبل القرن الأول بعد الميلاد، وهي الفترة التي أحرقت فيها. ويضيف فيقول : "ومن الممكن أن "ش. تيسو" قد وجد خلال اكتشافه للمكان آثاراً محفوظة بكيفية جيدة سمحت له أن يؤكد أن عين الدالية كانت معسكراً محصناً، ويغلب الاعتقاد بأن الأمر كان يتعلق بمنشأة فلاحية مهمة، تحولت بعد قانون "ديوكليتيان Diocletian إلى نقطة تعزيز للدفاع العسكري في ناحية طنجة، الشيء الذي يفسر بسرعة تحويلها بصفة استعمالية... " وهذا ما يذهب إليه "ش. تيسو" الذي يرى كما سبق ذكره أن عين الدالية كانت معسكراً محصناً.

المصطفى مولاي رشيد، *طنجة والمسالك الرومانية*، في مجلة دار النبابة، العدد العاشر، ربيع 1986، ص. 31.

Ch. Tissot, *Itinéraire de Tanger à Rabat, Bul. de la Soc. de Géographie*, Paris, 1876 ; *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane, mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, IX, 1878 ; *Sur les monuments*

جماعة من المجاهدين من قبيلته أهل سريف. انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها مولاي أحمد الريسوني. شارك في المؤتمرات التي عقدتها الثورة في عين الدالية يوم 11 ماي 1913 وبضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913 وفي قرية الزوة بقبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915 ؛ كما شارك في 23 معركة.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**الدائق**، وحدة من وحدات الوزن وهو لفظ معرب عن اللغة الفارسية القديمة يجوز فيه فتح النون وكسرها جمع دوائق، وهناك إجماع علي أنه سدس الدرهم الشرعي وذلك نظراً لأن 4 50 - 6 = 84، وعليه فمقدار الدائق هو ثمان حبات من الشعير وخمسة حبة ووزنه 0.4853 غ مما ينطبق على وزن سدس الدرهم النقدي الشرعي، وتتفاوت أوزان الدائق حسب الدينارين والدراهم العرفية التي أصدرتها دور السكة المغربية خلال العهود التاريخية المختلفة (انظر الدرهم والدينار من العملة). كما يختلف الدائق من وزن النقود على الدائق من الأوزان الطيبة المتداولة.

ع. أفا، النقود المغربية في القرن الثامن عشر، ص. 152 : ع. بن عبد العزيز الكرسيني، رسالة في تحرير أوزان النقود في سوس، نج. عمر أفا، أنظر ملحق 2 من كتاب النقود المغربية في القرن 18 م، ص. 137 - 152 : ح. ابن الجزائر، كشف الرموز في بيان الأعشاب، الجزائر، 1928، ص. 5.

عمر أفا

### الداغمارك والمغرب. يرجع تاريخ العلاقات بينهما

إلى الربع الأول من القرن السابع عشر عندما كانت الداغمارك تخوض مع غيرها من الدول الأوروبية غمار تلك الحرب السدينية المعروفة بحرب الثلاثين سنة بين البروتستانتين والكاثوليكين.

ففي سنة 1627 / 1037 قامت جماعة كبيرة من المجاهدين البحريين السلاويين والرباطيين على متن ثلاث سفن حربية وتحت إمرة مغامر هولاندي يدعى مراد الرايس ويسمى في الأصل يان يانس Jan Jansz بغزو جزيرة إسلاندا الواقعة إلى الجنوب الشرقي من البسيط الجليدي GROENLANDA بالقطب الشمالي، تلك الجزيرة التي كانت تابعة للمملكة الداغماركية قبل أن تصبح سنة 1918 جمهورية مستقلة.

وأثناء تلك الغارة على بعض الأماكن المنعزلة منها أسروا أربعمائة من الأطفال والنساء والرجال ونهبوا العاصمة ريكيافيك واستولوا على مؤن وبضائع مثل الفراء والجلود والأسماك المبخرة وساقوا الجميع إلى مرسى العدوتين الرباط وسلا.

كان لهاته الواقعة الجريشة صدى واسع لدى الدول الأوروبية التي كانت ماتزال تتذكر انتصار المغرب في معركة وادي المخازن وانهزام البرتغال سنة 1578 وفتوحات أحمد المنصور السعدي بالسودان بعد ذلك.

أسماء هؤلاء الأسارى مازالت محفوظة بجامعة هاسكولي Haskoli بالعاصمة الإسلاندية حسبما أخبرني بذلك بسلا يوم 10 مارس 1999 الأستاذ بتلك الجامعة وهو أولفار طورمودسن Thormodsson الذي جاء للبحث عنهم، وأفادني أن ثلاثين منهم فقط هم الذين رجعوا إلى بلادهم بعد سنوات من الأسر، طالباً مني إعانتته في الكشف عنهم. وقد تبين من الاستقراء الذي أجريته أن هؤلاء الإسلانديين أرسلوا إلى الجزائر للتبادل بأخرين مع قراصتها، وذلك بقصد تضخيم مال الاقتداء بتعدد الوسائط، حتى إذا لم يظهر مطالب بهم بيع الأسارى بيع القن في أسواق النخاسة، فاستخدم الأطفال والنساء في المنازل وعهد للرجال بالأشغال الشاقة أو اللينة في البحر أو في البر. وعلى هذا يكون مصيرهم الانصهار وسط المجتمعات الإسلامية بشمال إفريقيا.

فماذا كان موقف المملكة الداغماركية من هذه الحادثة الأليمة ؟ مما لاشك فيه أن فكرة افتكاكهم كانت تراود الداغماركيين والإسلانديين، لكن الذي ثنى عزم الحكومة الداغماركية هو ما علمته من وعورة الطريق ومخاطرها بحراً وما ستعلمه أو ما قد علمته من انهيار كيان الدولة السعدية بموت آخر سلاطينها في الثلث الأول من القرن السابع عشر، فلا نجد مخاطباً لها، فطويت الصحف عن هاته القضية.

وبعد نحو 120 سنة تقوت دولة الداغمارك بعلاقات مع الدولة المغربية، وذلك أواسط القرن الثامن عشر الميلادي، فقد كانت الوثائق المغربية تسمي الداغمارك : الدّين مارك وأهلها : الماركين، فدخلت سجل التاريخ المغربي من أجل ذلك.

ربط السلطان سيدي محمد بن عبد الله أثناء خلافته علاقات وطيدة مع الدول الأجنبية ومنها الداغمارك، وتبادل مع ملكيها فريدريك الخامس ثم كريستيان السابع رسائل وسفارات وهدايا، وسمح لها باستيطان تجارها وتعيين قناصلها ونوابها في شتى الموانئ المغربية.

يوم 13 يوليوز 1751 وصلت إلى مرسى أسفي بعثة عينها الملك فريدريك الخامس برئاسة ي ب ده لونكفيل J.B. de Longueville. فأقام بالمدينة مدة. لكنه لما رفع راية بلاده فوق مقر عمله ساءت علاقته بالمخزن فوقع عزله لعدم استئذانه في ذلك.

ولم تلبث الأمور أن عادت إلى نصابها باستيطان تجار داغماركيين مسدناً مغربية ووصول خبراء داغماركيين في الهندسة وفي الفنون الحربية والبحرية إلى حضرة السلطان، واكتست التجارة نوعاً من الأهمية خلال عهد سيدي محمد

ابن عبد الله ولا سيما عند عقد معاهدة صداقة وتجارة واستيطان يوم 16 شعبان 1166 / 18 يوليوز 1753 تنص على تأمين السفن الداغارية القادمة للمراسي المغربية ومديد المعونة إليها. وكان الذي تفاوض من أجلها هو إيتيان ري E. Rey والذي بدأ تنفيذ بنودها هو القنصل الداغاري الجديد لوتزووث Lützuw.

بدأت التجارة والمبادلات تعرف نمواً وازدهاراً على يد الشركة الداغارية الإفريقية برئاسة شالتنبراند. ولكنها انتكست بإفلاسها، ولا سيما عند ما قرر السلطان بعد بناء الصورة نقل التجارة لهاته المدينة سنة 1767، لكن في 26 يوليوز منها (28 صفر 1181) تجددت المعاهدة المغربية الداغارية، فوصل يانس كوستروب J. Kastrup وشرع في تطبيق فصولها التي يقضي أحدها بتجديد مبلغ الإتاوة التي بدأت تدفعها الداغارية مثل دول أروبية أخرى بالشمال، ولم تكف عن ذلك إلا بعد ثمانين سنة وذلك بمعاهدة إلغائها سنة 1845. وسلمت حكومة الداغارية عدداً من البواخر الحربية بمقتضى هاته المعاهدة أيضاً. وقد لبث كوستروب سنتين، إذ في سنة 1769 انتقل إلى خارج المغرب. وكانت الداغارية تدفع سنوياً للمغرب في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله 51.000 وكسندال، أي أزيد من ربع مليون فرنك. (المعجم التاريخي، ص. 26).

أما السلطان فقد عين سنة 1759 القائد الحاج التهامي ابن علي أمسدون (= مَدُون) سفيراً لدى الملك فريدريك الخامس حاملاً مطالب المغرب المثقلة احتمالاً في بعث سفن حربية وعتاد إليه، فاستقبله أحسن استقبال وعين كاس Kass لمفاوضته.

كما أنه أوفد في صفر 1203 / نونبر 1788 سفيراً آخر إلى ملك السويد - النرويج وملك الداغارية يحمل رسالتين إلى كل منهما ومعهما هدايا إليهما. وكان هذا السفير هو الحاج الطاهر بن عبد الحق فنيش السلاوي الذي توفي سنة 1215 والذي كان عاملاً على الصورة وغيرها مثل طنجة وسلا.

ولا بد أن أشير إلى نائب قنصلي مشهور بكتابته عن المغرب وهو جورج هوست George Höst الذي كان صديقاً للسلطان ومرافقاً له طيلة حياته، بحيث أصدر في حقه ظهيراً في 2 قعدة 1179 / 12 أبريل 1766 بتوقيره وإيلاء الولاية به خبيراً. فقد ألف هوست عدة كتب ترجم بعضها من الداغارية إلى لغات أخرى مثل الفرنسية التي عرب منها مؤخرًا أحد كتبه عن السلطان.

وسوفاء سيدي محمد ضعفت العلاقة بين البلدين، واستمرت كذلك طيلة القرن التاسع عشر، فكانت المملكة الداغارية ممثلة بغيرها من نواب الدول كالمملكة المتحدة. ولم يكن لها دور بارز في أحداث المغرب، فحضرت بالنيابة لا بالأصالة في مؤتمر الجزيرة الخضراء لسنة 1906، وذلك لقلّة مصالحها بالمغرب حيث لم يكن لها من المحيين طيلة القرن التاسع عشر سوى سبعة أشخاص، ولم يكن لها تجار

ومستوطنون، لكن يشار إلي ورود سائح داغاري سنة 1885 اسمه غير مضبوط كتبته الوثائق المغربية هكذا : خورخي بريگط الربط، فسكن فاساً بعد أن "تزيماً بزى المسلمين وصار يدخل المساجد والأضرحة والحرم، فوقع بينه وبين الصبيان مشاجرة في حال تزيبه بزى المسلمين وتخلله المساجد".

هذا، وبعد استقلال المغرب اتفق البلدان على ربط علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية ما زالت سارية المفعول إلى الآن.

جورج هوست، تاريخ إمبراطور المغرب سيدي محمد بن عبد الله، عره عن الفرنسية عبد الرحيم حُرْل ونشر تبعاً في جريدة "العلم"، ابتداءً من 4 أبريل، 1990. ع. العزیز بنعبد الله، المعجم التاريخي، آخر كتاب تاريخ المغرب، الدار البيضاء، د. ت. م. بوشعرا، الاستيطان والحماية، ج. 2 و ج. 3 صفحات مختلفة، ج. 4، ص. 1543. ع. الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج. 9 ص. 243 وما بعدها : مجلة الوثائق، ج. 4 ص. 133 وما بعدها : مذاكرة مع أولفارد طورمودسن الإسلاوي يوم 10 مارس 1999 بسلا بواسطة ترجمانه عبد السلام بنين الحسناوي أصلاً السلاوي منشأ المقيم منذ 36 سنة رفقة أولاده بعاصمة إسلاندا إلى الآن.

R. Coindreau, *Les Corsaires de Salé* ; B. Bennassar et L. Bennassar, *Les Chrétiens d'Allah - L'histoire extraordinaire des renégats. XVIIe et XVIIIe siècles ; Villes et tribus du Maroc*, Rabat, tome I, p. 127 ; *Lettre du Ministère des Affaires Etrangères et de la Coopération*, Rabat (Direction de la Coopération Culturelle et Scientifique), en date du 26 février 1999, adressée à la Bibliothèque Sbihi de Salé.

مصطفى بوشعرا.

**داهية أو ديهيا (Dihya)**، أو الكاهنة، ملكة حكمت المغرب الأوسط خلال نهاية القرن الأول الهجري (7 م) ويلاحظ الباحث في تاريخ هذه الشخصية نقصاً كبيراً في المصادر والمراجع التي تحدثت عن هذه الفترة. ويشكل ابن عذاري وابن خلدون والرقيق القيرواني أهم المصادر التي أشارت إلى هذه الشخصية إشارة مقتضبة وتقريباً متشابهة، وذلك في إطار حديثهم عن الفتوحات الإسلامية لشمال إفريقيا. هذه المصادر صورت ديهيا ككاهنة وساحرة يهودية استطاعت بسحرها أن تهزم جيوش حسان بن النعمان. وجاءت صورتها، في مجملها، أقرب إلى الأساطير منها إلى الواقع. أما المراجع الأجنبية فقد صورت ديهيا كبطللة وزعيمة القومية الأمازيغية في شمال إفريقيا، واعتبرت نهايتها بمثابة نهاية المقاومة المسلحة الأمازيغية ضد العرب (G. Camps, 132).

وما بين الرواية الشرقية والكتابات الغربية، نجد الداهية كشخصية تاريخية، ظهرت على مسرح التاريخ بعد مقتل كسيلة في خضم الحروب التي وقعت أثناء فتح شمال إفريقيا سنة 686، وانتقل إليها حكم الأمازيغ بعد ذلك



J. Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Casa, 1994 :  
G. Camps, *Berbères aux marges de l'histoire*, Paris,  
1980; M. A. Haddadou, *Guide de la culture et de la  
langue berbères*, Alger, s.d.

محمد حنّاب

ابن داود، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل  
هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة  
اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Benavit، وقد  
انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

ابن داود، أحمد قائد شارك في معركة وادي المخارن  
بجانب السلطان عبد الملك السعدي، ويقول عنه الطبيب  
اليهودي (الذي كان يعالج السلطان المذكور) إنه كان قائداً  
بجيش السلطان مولاي أحمد المنصور الذهبي.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483  
إلى سنة 1900)*، تطوان 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي  
ذكرها في الرقم 234.

Fr. Bernardo da Cruz, *Chronica de El Rei don  
Sebastian*, Lisboa, 1837 - y 1903.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن داود، سليمان بن أعراب العسكري، كان كبيراً  
في قومه بني عسكر حلفاء بني مرين، قاد عدة حملات  
عسكرية لقمع المتمردين على المخزن المريني وشغل مناصب  
هامية كما تعرض لتكبات كثيرة أثرت على مجرى حياته  
السياسية خاصة في الفترة الممتدة بين سنة 760 / 778  
بسبب مواقفه المناهضة أثناء انتقال الحكم من أمير إلى آخر.  
لكن قبل ذلك برز نجم ابن داود كقائد عسكري وسياسي  
محنك مما جعل السلطان أبا عنان يقر به إلى حاشيته ويعينه  
عاملاً على مدينة رُنْدَة بالأندلس ثم بعد ذلك - أي سنة 756  
- على جبل الفتح وسائر ثغور الأندلس مكان عيسى بن  
الحسن الشائر على السلطان. وعند رجوع أبي عنان من  
حملته على إفريقية استدعى ابن داود من الأندلس  
فاستوزره وجعله قائداً على الجيش المريني العائد إلى  
إفريقية سنة 759 لوضع حد لهجمات عرب الدواودة على  
ضواحي قسطنطينة. لكن ذبوع خبر وفاة السلطان أبي عنان  
المفاجئ أثر في معنويات الجيش المريني مما اضطر سليمان  
للانسحاب من قسطنطينة والعودة إلى المغرب.

عرف المغرب بعد وفاة أبي عنان مرحلة سياسية متقلبة  
استمرت حتى نهاية دولة بني مرين سنة 868، ولعل أبرز ما  
يميز هذه المرحلة تولية ملوك وأمرأء ضعاف إما لصغر سنهم  
أو لقلّة درايتهم بشؤون الحكم، واستبداد الوزراء الذين  
كانوا الحكام الفعليين. فبعد وفاة أبي عنان استبد الوزير  
الحسن بن عمر بالأمر وحجر على ولي العهد الأمير السعيد  
وهو ما يزال صبيّاً فنصبه للملك وحتى يعطي لهذا الاجراء

التاريخ. واتخذت منطقة الأوراس المحصنة مقراً لها.  
وحسب ابن خلدون فإن داهية قد تكون يهودية الديانة،  
ولكن ليس هنالك ما يؤكد ذلك. وتذهب بعض المراجع  
الأخرى إلى أنها مسيحية. وتشير الروايات العربية إلى  
أنها امرأة شجاعة مقدامة في الحروب رغم تقدمها في  
السن. وعنها يقول ابن عذاري: "... لما دخل حسان  
القيروان أراح بها أياماً ثم سأل أهلها عن بقي من أعظم  
ملوك إفريقيا ليسير إليه فيبيده أو يسلم. فدلوه على امرأة  
يقال لها الكاهنة، وجميع من بإفريقيا (...) منها خائفون"  
(ابن عذاري، البيان، 28). وفي خلال الحروب التي خاضتها  
ضد القائد حسان بن النعمان، انتصرت في معارك كثيرة،  
منها معركة واد نيني على بعد 16 كلم من عين البيضاء،  
ويطلق المسلمون على هذا الوادي "واد البلاء". (Haddadou,  
87). وبعد ذلك استطاعت أن تحكم إفريقيا لمدة خمس  
سنوات قبل أن تصل الإمدادات العسكرية لحسان من  
الشرق، بأمر من الخليفة الأموي مروان بن الحكم. ثم بعد  
ذلك عاد حسان إلى محاربة ديهيا سنة 78، فلم يجد بداً  
أمام جيوش حسان التي قدرت بأربعين ألف جندي، إلا  
التحصن في معقلها بجبال الأوراس حيث انتهت حركتها  
بموتها سنة 78 / 701. وبخصوص نهايتها، فإن الروايات لا  
تتفق حولها، فمنها ما ذهب إلى أن الكاهنة انتحرت، بعد  
أن أعطت الأوامر لأنبائها بالانضمام إلى الجيوش  
الإسلامية، ومنها ما ذهب إلى أنها قُتلت من قِبَل حسان  
ابن النعمان، وأرسل رأسها إلى الخليفة في دمشق، وعين  
أبناءها قواداً لجيشه.

اشتهرت ديهيا بسياسة الأرض المحروقة حسب ما  
أشارت إليه معظم تلك المصادر. ويذكر القيرواني أن  
الكاهنة قد ملكت إفريقية خمس سنين منذ هزمت حسان،  
فلما أبطأ العرب عنها قالت للبربر إن العرب إنما يطلبون من  
إفريقية المدائن والذهب والفضة ونحن نطلب منها المزارع  
والمراعي فأحرقوا كل شيء. هذه القولة كررها ابن خلدون.  
وأصبحت ديهية مشهورة بسياسة "الأرض المحروقة". غير  
أن هنالك من شكك في وجود هذه السياسة، واعتبر ما جاء  
عند المؤرخين العرب شيئاً مبالغاً فيه، لأن المناطق التي  
حكمتها ديهيا، كانت قد تعرضت للتفجير منذ وقت سابق  
بسبب حروب الفتوحات. (M. A. Haddadou, *Guide de la  
culture*, 87).

وهنالك من ربط ذلك التخريب بعوامل أخرى تتعلق  
بالظروف الاجتماعية التي عرفتها المنطقة آنذاك، والصراع  
بين الحواضر والبادي (J. Brignon, *Histoire du Maroc*, 50)  
ومهما يكن من أمر غموض هذه الشخصية، فإن  
تاريخ شمال إفريقيا أدخل هذه المرأة في تاريخ المرأة  
المغاربية.

ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، الجزء الأول، تح. كولان وليفي  
بروفانسال، الطبعة الثانية، 1980، بيروت : ع. ابن خلدون، *العرب*،  
بيروت، 1979.

بعض المشروعات استقدم أبناء السلطان أبي عنان من كل جهات المغرب للمبايعة. غير أن صاحب مراكش الأمير محمد المعتمد بن أبي عنان رفض القدوم إلى فاس تحت ضغط وتشجيع شيخ هنتاتة عامر بن محمد بن علي، وقد دفع هذا الموقف بالوزير الحسن بن عمر إلى تجهيز حملة عسكرية بقيادة سليمان بن داود وعنه سنة 760 إلى مراكش فحاصرها بينما فر أميرها هو وعامر إلى جبل هنتاتة ليتحصنا فيه. غير أن تحول الأوضاع بفاس وخروج منصور بن سليمان على السلطان المريني بها اضطر ابن داود لرفع الحصار عن مراكش والعودة إلى فاس لمشايعة منصور ابن سليمان ومساندته في حركته التمردية ضد السلطان السعيد، فكافأه بتعيينه وزيراً للجند. ولما استولى أبو سالم على الملك سنة 760 استقدم ابن أخيه محمد المعتمد ووزيره عامر شيخ هنتاتة من الجبل الذي كانا لاجئين إليه ورد لهما اعتبارهما، كما عين سليمان بن داود وزيراً له إلى حدود سنة 762 عندما ثار عمر بن عبد الله بن علي بن سعيد الياباني على السلطان أبي سالم ونادى بخلعه وتثبيت الأمير تاشفين بن أبي الحسن مكانه سلطاناً جديداً على المغرب يأمر بأوامره ويخضع لاستبداده، وقد حاول أبو سالم ووزيره ابن داود وبعض حاشيته وخاصة حصار فاس الجديد بهدف استعادة زمام الأمر إلى يده. غير أن محاولته تلك باءت بالفشل الذريع فسقط قتيلاً بينما اعتقل وزيره سليمان بن داود ومن كان معه. وقد أمر الوزير الثائر عمر بن عبد الله بأن يكون معتقل ابن داود بدار قائد النصراري غربية بن انطوان ثم نقل بعد ذلك إلى بعض دور فاس الجديد إلى أن عفى عنه وقربه من حاشيته وعينه والياً على مدينتي سبتة وطنجة، إلا أن الأمور لم تستقر على هذا الحال، إذ سرعان ما انقلبت الأوضاع وتمكن مرشح جديد هو الأمير عبد العزيز من حسم الصراع على السلطة لصالحه، فبوع سنة 768 وبادر باعتقال الوزير المستبد وخصمه اللدود عمر بن عبد الله وثلة من خاصته ومؤيدي حركته كان على رأسهم سليمان بن داود ومحمد بن موسى ابن إبراهيم الملقب بالسبيح، فقتل عمر وأودع الآخرين السجن حتى عفا عنهما بفضل وساطة لسان الدين ابن الخطيب وزير ابن الأحمر.

ويستفاد من المصادر أن سليمان بن داود كان حاضراً مرة أخرى وبقوة في الأحداث التي أدت إلى بروز شخصية الأمير أبي العباس أحمد بن أبي سالم كمرشح قوي للحكم، كما شارك مشاركة فعالة إلى جانب الوزير محمد بن عثمان ابن الكاس في استيلاء الأمير على السلطة وليصبح سلطاناً على المغرب. وقد حفظ الملك الجديد لابن داود هذه المساعدة فعينه سنة 776 في منصب صاحب الشورى ورئيس مشيخة بني مرين. وفي عهد هذا السلطان بلغ سليمان شأواً كبيراً فكان إلى جانب الوزير ابن الكاس الأمر والنهي، فاستغل سلطته ونفوذه لينتقم من عدوه اللدود لسان الدين بن الخطيب. وقد اتفقت المصادر على أن سبب العداوة بين

الرجلين يعود إلى موقف صارم كان ابن الخطيب قد اتخذه من سليمان عندما وعد ابن الأحمر هذا الأخير بأن يوليه على مشيخة الغزاة بالأندلس متى أعيد إلى ملكه وعرشه الذي ضاع منه. وعندما استعاد ابن الأحمر حكم غرناطة ذكره سليمان بن داود بما قطع له من وعد لكن ابن الخطيب عارض بشدة تنفيذ الوعد معللاً مرقفه بأن منصب شيخ الغزاة بالأندلس موكل وموروث لأعيان الملك من آل عبد الحق، لأنهم يعسوب زناتة، فتذمر سليمان من ذلك ورجع خائباً وأسرّها في نفسه إلى أن حانت فرصة للانتقام من غريمه ابن الخطيب، فترصص به وحاك حوله مؤامرة دينية انتهت بقتله. بدأت تفاصيل هذه المؤامرة عندما تمكن السلطان أحمد بن أبي سالم من السيطرة على الحكم فاتح سنة 776 واستقر في دار ملكه فاس الجديد، في هذه الأثناء استغل الوزير سليمان بن داود مكانته وحظوته لدى السلطان فأغراه بالقبض على لسان الدين ابن الخطيب تلبية لرغبة سلطان غرناطة ابن الأحمر ووزيره أبي عبد الله ابن زمرك. وبعد اعتقال لسان الدين سافر ابن زمرك إلى فاس واستقبله سلطانها ثم أحضروا ابن الخطيب وأقاموا له محاكمة في مجلس الخاصة وأهل الشورى الذي كان يرأسه ابن داود، واتهموه بأفكار خطيرة وردت في بعض ما كتبه فامتحن وعذب في سجنه، فتشاور المجلس في شأنه وأفتى الفقهاء بقتله غير أن سليمان بن داود ولشدة كراهيته لابن الخطيب أراد التخلص منه بأسرع ما يمكن والانتقام منه شخصياً فقدم إليه من قتلته في سجنه خنقا ثم أحرق و"عجب الناس من هذه الشنعا التي جاء بها سليمان واعتدوها من هناته، وعظم التكبر فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته" (العبر، ج. 7، ص. 709) وأمام تزايد غضب الناس من فعلة سليمان اضطر إلى الفرار بجلده إلى الأندلس عند ابن الأحمر سنة 778 واستقر بقرنطة حيث عين في مجلس الشورى إلى أن توفي هناك سنة 781.

ابن بطوطة، تحفة النظار، بيروت، د. ت، ص. 437؛ ل. ابن الخطيب، نفاضة الجراب، تح. أحمد مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، الجزء الثاني، ص. 274، 278، 304؛ ع. ابن خلدون، العبر، بيروت، 1978، الجزء السابع، ص. 614-615-620-621-625. 631. 651. 654. 672. 707. 711؛ يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، نشر. ألفريد بيل، الجزائر، 1903-1910 - الجزء الثاني، ص. 21-24؛ ابن الأحمر، روضة التسرين في دولة بني مرين، الرباط، 1962، ص. 28-31؛ النفعة السيرنية واللمحة المرينية، تح. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص. 52-56؛ أ. المقرئ، أزهار الرياض، الرباط، 1978، الجزء الأول، ص. 229-231؛ أ. الناصري، الاستقصا، 1955، الجزء الثالث، ص. 200-203-204، الجزء الرابع، ص. 3-6-38-42-62-64؛ م. النوني، ورفقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، الرباط، 1979، ص. 60.

رشيد السلامي

وتاريخ 1343 / 1925 أسس مع رفقاته : المدرسة الأهلية وتولى إدارتها والتدريس بها نحو اثنتي عشرة سنة. وكانت أول مدرسة عربية إسلامية حرة أسست بشمال المغرب في عهد الحماية. فكانت النواة الأولى للحركة العلمية الحديثة والوطنية الاستقلالية بهذه البلاد ومن تلاميذها مؤسسو حزب الإصلاح الوطني.

وفي عام 1347 / 1928 أسس شركة المطبعة المهديّة وانتخب رئيساً لمجلس إدارتها. وكانت أول مطبعة عربية كبرى في الشمال. وفي نفس السنة نال الجائزة لأولى في الأسواق الأدبية بسببته أيضاً مع الزهرتين الطيبعية والأدبية. وكانت مشاركته بقصيدة نونية في الوصايا والحكم نشرت بمجلة الاتحاد سنة 2 عدد 17.

وفي عام 1350 / 1931 انتخب عضواً بالمجلس البلدي بتطوان باقتراع حر في عهد الجمهورية الإسبانية. وصدر بذلك قرار وزيري مؤرخ في 22 جمدي الأولى 1350 / 10.5.1931.

وفي عام 1352 / 1933 أسس مجلة السلام وتولى إدارتها وتحريرها، وهي أول صحيفة حرة وطنية. صدر منها عشرة أعداد، وقد منّعت الإدارة الفرنسية دخولها لمنطقة حمايتها بقرار نشر بالمجريدة الرسمية عدد 1125 بتاريخ 18 / 5 / 1934. وقد احتال الأستاذ داود لدخولها المنطقة المنوعة بتغيير اسمها باسم "العزيمة" فنجحت الحيلة.

وفي عام 1353 / 1934 أصدرت مندوبية طنجة وحاكمها قراراً بنفيه من طنجة ومنطقتها معتبراً وجوده بها خطراً على الأمن العام. وظل ممنوعاً من دخول طنجة بضعة عشرة سنة.

ثم نفته الإدارة الفرنسية من الرباط وأصدرت أمراً بمنعه من دخول المنطقة كلها. وفي نفس السنة أيضاً عين عضواً في المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي بشمال المغرب. ورحل في نفس السنة وزار نجداً والعراق وشرق الأردن وفلسطين ومصر ومنعته فرنسا من دخول سورية ولبنان لكونهما تحت انتدابها يومئذ. واستغرقت هذه الرحلة ستة أشهر.

وفي عام 1354 / 1936 أصدر جريدة الأخبار وكانت أول جريدة حرة وطنية تصدر بالمغرب. وقد أصدرت الإدارة الفرنسية أمراً بمنعها من دخول منطقة حمايتها. وفي عام 1355 / 1937 عين مفتشاً عاماً للتعليم الإسلامي بشمال المغرب بظهير خليفي. وهو أول وظيف حكومي تولاه في حياته. وبمجهوداته أسست سبعة معاهد دينية وكثير من المدارس العصرية التي ما تزال قائمة إلى اليوم. ووضع مناهجها العربية الإسلامية.

ثم عين نائباً لرئيس المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي وعضواً بالمجلس الأعلى للأوقاف الإسلامية بشمال المغرب، ثم مديراً للمعارف بالشمال.

**داود بن عبد المومن بن محمد الشيخ أمير سعدي أو** كل إليه عمه مولاي عبد الملك قيادة جيش الغرب ووجهه لمراقبة تحركات البرتغاليين بمدينة الجديدة (التي كانت آنذاك بيد البرتغال)، ثم شارك في معركة وادي المخازن بجانب عمه المذكور، وبعد المعركة عينه عمه مولاي أحمد المنصور الذهبي عاملاً يمكناس لمدة قصيرة؛ وفي شهر صفر 988 / أبريل 1580 ثار ضد عمه بسوس، وقد توفي سنة 997 / 1589.

ع. العزيز الفتالي، مآهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، ج. كريم، الرباط، 1972، ص. 48 و55.

Ojeda, Luis de, *Comentario que trata de la infolice jornada del Rey Don Sebastian (S.I.H.M., France I, p. 575 - 627)*; J. Franchi Consetaggio, *L'union du Royaume de Portugal a la Couronne de Castille. (S.I.H.M.), France, p. 506 - 574*; Lope de Vega, *Tragedia del Rey Don Sebastian, Madrid 1618 y 1898*; Medico Judio, *Carta a su hermano, (S.I.H.M., Angleterre, t. I, p. 312 - 321)*.

محمد ابن عزوز حكيم

**داود، محمد بن أحمد (الحاج -) بن محمد التطواني،** الأستاذ الأديب المؤرخ. ولد بتطوان ليلة الاثنين 12 ذي الحجة 1318 / 1901.4.1 من أم من عائلة داود أيضاً. حفظ القرآن وما تيسر من المتون العلمية على العادة الجارية وهو دون البلوغ، وفي عام 1330 / 1912 شرع في الأخذ عن علماء هذه البلدة إلى عام 1338 / 1920 حيث انتقل إلى فاس فأتى على علمائها دراسته وقضى بها سنتين. ثم عاد إلى مسقط رأسه فزاوّل التدريس والعدالة والكتابة في الصحف خصوصاً جريدة الأهرام المصرية الذائعة الصيت في العالم، فكان مراسلها الخاص نشر بها تفاصيل عن حرب التحرير التي تزعمها البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي باسم مستعار.

وفي عام 1342 / 1923 نال جائزة التاريخ في الأسواق الأدبية التي أقيمت في سبتة لأدباء اللغتين العربية والإسبانية.



ويعد الاستقلال عين عضواً في اللجنة الملكية لإصلاح التعليم بالمغرب، وعضواً بالمجلس الوطني الاستشاري، وفي لجنة مدونة الأحوال الشخصية.

وللمترجم ولع بالتدوين وجلّد على الكتابة والتقييد نسخ كثيراً من الكتب وملاً الدفاتر والكتنايش، ثم توجه للعناية بالتاريخ متأثراً بشيخه الفقيه الرهوني مؤرخ تطوان. وكان له به مزيد اختصاص، وله عليه دالة ونسخ لنفسه كثيراً من مؤلفاته وعلى رأسها تاريخه : عمدة الراوين في تاريخ تطوان، وهو في خزائنه معظمه بخطه. وأهم مؤلفاته تاريخ تطوان في عشرة أجزاء طبع منها ثمانية. في الخمسينيات بعد الحرب الكونية الثانية. ومنها كتاب المجتمع التطواني من خلال الأمثال المغربية. مقارنة بالأمثال العربية والمحلية من العالم العربي. وقد أتمه في نحو أربع مجلدات، ومنها مذكراته (على رأس الأربعين) وفيها التاريخ المفصل لحياته وما أحره بالنشر؛ ولتاريخه لتطوان مختصر أحرز على جائزة المعهد الحسن بن تطوان فطبع بها في مجلد، والعملة المغربية خلال أربعة عشر قرناً. أما أبحاثه ومقالاته ومحاضراته فلا تحصر، ولو جمعت لجات في عدة أجزاء. وكان معنياً بالتحف والنوادر فجمع مجموعات من طوابع البريد ومن العملات المختلفة. ومن صور البلاد والأشخاص الشيء الكثير. وقد وفق رحمه الله في شيخوخته لبناء مسجد لصق داره، ويجواره وفوقه مكتبة حسها على طلبية العلم وأهله. كان يعتكف فيها للتسجيل والتنظيم واستقبال الزوار. وظل كذلك إلى أن أسندت إليه مديرية المكتبة الحسنية بالرباط. فسار فيها مرضي المعاملة مثنيا عليه إلى أن هاجمه المرض فعاد لمسقط رأسه متأثراً. زرتّه وهو مريض فوجدته يعمل في انجاز ما كان ناقصاً من مشاريعه العلمية. فأظهرت له الإشفاق مما هو فيه فاستغفر - رحمه الله - وألح علي في الدعاء له. فدعوت ودعوت ونحن نبكي معاً. وبعد هذه الجلسة بأيام معدودة لبي داعي ربه في رابع عشر رمضان عام 1404 / 4 / 6 / 1984 ودفن بمصلى الجنائز بمدخل باب المقابر بتطوان رحمه الله تعالى.

م. داود نفسه، ترجمته الشخصية بقلمه بأخر المجلد الأول من تاريخ تطوان، طبع تطوان : أ. الرهوني، عمدة الراوين، في تاريخ تطوان، ج 6 مخطوط : محمد أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، حواشي الأمير شكيب، 2 / 45 / 47 : أستاذ الجيل الرائد الكبير المرحوم محمد داود في مهرجان التأبين، ط تطوان الكتاب كله. محمد الأمين بوخيرة

ابن داود، محمد بن قاسم الفخار الصديقي السلامي. كان عالماً جليلاً وفقهياً محدثاً وشاعراً مكثرأ، وكان خلا وصديقاً للسان الدين ابن الخطيب السلماني لما كان مقيماً بسلا، ونوه به في إحدى قصائده العينية. وقد عين للتدريس بالمدرسة المرينية التي بطالعة سلا. خلف

بعض التأليف ومنها ديوان في السيرة النبوية في أكثر من ثلاثة آلاف بيت، محفوظ بالحزنة العامة بالرباط تحت رقم 360 ك، وعنوانه : نوادر الظلام في شرف سيد الأنام وكانت وفاته بمسقط رأسه سنة 800 للهجرة / 1397 م.

أ. ابن القاضي، درة المجال، ج 3، ص. 281 : م. ابن علي الدكالي، تقييد عن المدرسة المرينية : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج 4، ص. 378 : جعفر الناصري، ابن الخطيب بسلا، ص. 66 : كنانة محمد التطواني، مخطوط، الورقة، 34.

مصطفى بوشعرا،

أيت داود، مدينة تاريخية عريقة في القدم، تقع بقبيلة إداو بوزيا الجبلية في قبيلة حاحة بعيداً عن البحر، تنسب إلى داود بن خالد بن يحيى بن زكرياء الذي يقال إنه أول نزيل في ذلك المحل وأنه جاء من (منى) بالحجاز في القرن السادس وهو الجد الخامس للشيخ الصوفي سعيد بن عبد النعيم صاحب الزاوية المشهورة هناك.

وقد ذكر صاحب وصف إفريقيا مدينة أيت داود من بين مدن حاحة العاصرة في مطلع القرن العاشر (16 م) بقوله : (أيت داود مدينة عتيقة بناها الأفارقة على جبل شامخ، إلا أن بقمته سهلاً في غاية الجمال... وفي وسطه عيون جارية كثيرة ماؤها بارد جدا. وليست ضواحيها سوى صخور وغابات غريبة موحشة، وتنتبت بين هذه الصخور كمية وافرة من الأشجار. في هذه المدينة عدد كثير من الصناعات اليهود من حدادين وإسكافيين وصائغين. يقال إن السكان الأقدمين لهذه المدينة يهود من سلالة داود، أسلموا بعد أن فتح المسلمون هذه البلاد).

وقد لاحظ الوزان أثناء مروره بهذه المدينة في مطلع القرن العاشر أن سكانها يكثر فيهم المتضلعون في الفقه ويستظهر معظمهم النوازل والأحكام، لذلك أصبحت هذه المدينة في حاحة بمثابة محكمة شرعية ترفع إليها جميع الخصومات، فتسوى فيها المطالبات القضائية والاستدعاءات والاتفاقات والعقود... ولذلك يقصدها جميع الناس من الأماكن المجاورة. وقد نوه الحسن الوزان بغزارة علم شيخين جالسهما في هذه المدينة حوالي عام 919، ولا نستبعد أن يكون أحدهما هو العالم المتصوف المشهور سعيد بن عبد النعم الحاحي المتوفي سنة 935 هـ، إذ قال عن الأول (وقد عرفت منهم شيخاً يحفظ كتاب المدونة عن ظهر قلب، يعني مجموع القوانين ويشتمل على ثلاثة أجزاء تتناول بالدرس أصعب المسائل الفقهية، وتبين رأي الإمام مالك فيها).

وثانيهما التقى به الوزان بدار وكيل شرعي في هذه المدينة حيث اجتمع عدد من فقهاء ذات مساء وبعد تناول العشاء بدأت المناقشة حول معرفة ما إذا كان يجوز بيع

ملك الخواص إذا احتاجت الأمة واقتضته المصلحة العامة، وكان من بين المحاضرين شيخ كبير حاز شرف الفصل في المسألة وحسم الخلاف فيها، وكان يدعى الجزار، لأنه يمتاز بإصابة مفاصل النوازل الشرعية.

وكل هذا يدل على ما لهذه المدينة العتيقة من أهمية حضارية كمركز إشعاع علمي وديني، وكرباط حصين بالجبال يحتمي به المجاهدون ضد التغلغل البرتغالي الذي استهدف عددا من القرى والمدن الحامية فقتل وشرذ أهلها وخرب ديارها، ودك أسوارها كما ذكر المؤلف، فلم يبق منها اليوم إلا هذه المدينة ومدينة تفضنا الواقعة غربها على المحيط الأطلسي. وأبت داود اليوم عبارة عن مركز لقيادة وجماعة و قبيلة إبادا بوزيا القروية يعمر فيه سوق أسبوعي يوم الجمعة وبه مدرسة علمية إزاء زاوية أحفاد الشيخ المذكور سيدي سعيد بن عبد المنعم (ت. 935) والذين يتمتعون بنفوذ روحي وعلمي بين سكان قبائل حاحة وسوس إلى اليوم.

ح. الوزان، وصف إفريقيا، ج. 1، ص. 83؛ م. المختار السوسي، المعسول، 19، 72؛ تحريات ميدانية.

محمد أبت الحاج

**الداودي**، أسرة فاسية كبرى تشتمل على خمس فرق : الفرقة الأولى - كما جاء في رفع الائتباس - : أصلها من تلمسان يدعون الشرف. أول قادم منهم على فاس الشيخ الجليل الحاج الداودي - اسماً - بن العربي التلمساني المتوفى سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف شارح الهمزية ومحشي السعد إلى غير ذلك من التأليف، ومنهم حفيده القاضي الحسن بن ناصر بن الشيخ الداودي المذكور، المتوفى سنة ست وستين وثلاثمائة وألف المشارك الأديب الشاعر.

والفرقة الثانية كان لها ذكر بفاس، شرفاء يعرفون بأولاد ابن العياشي. قال في الدرر البهية (2 : 55) "كان سكناهم بنواحي الشرايليين وكانت لهم هناك رباغ كثيرة والآن قد انقرضوا وإلهم ينسب جنان بالمرج باب الخوخة". والفرقة الثالثة شرفاء أيضاً ويعرفون بالهرغيين نسبة إلى هرغة قبيلة عظيمة من قبائل المصامدة من السوس الأقصى، أهل معاش وحرفة وطلب، وآخر من أدركنا منهم - يقول عبد السلام ابن سودة - يشار إليه بالطلب العلامة الموثق الطاهر بن إدريس الداودي المتوفى أواسط العشرة السادسة وثلاثمائة وألف.

والفرقة الرابعة من الجبل من قبيلة متبوة ولبسوا من الأشراف وإن صار البعض منهم يدعي ذلك الآن. أهل تجارة ومال وطلب ومعاش وحرفة ظهر بالعلم منهم الآن عبد الله ابن عبد الرحمان الداودي من أكبر المدرسين بالقرويين وله اليد الطولى في الاقتناء ؛ وابنه عبد الكريم أتى الترجمة. والفرقة الخامسة من بلاد الريف مرابطون من نسل

الداودي المجاهد دفين بلاد النكور في الريف. ظهر منهم أخيراً الشيخ الوقور المهدي بن الحسن الداودي المتوفى عام 1360 كان يُعد من العلماء، وتولى أخيراً قيادة قبيلة الحياينة.

ع. السلام ابن سودة، رفع الائتباس، مرقون.

محمد حجي

**الداودي** أو أولاد داود أو الداوديون، أسرة قلعية قديمة الاستيطان بهضبة تازوطا، تدل أولى الوثائق المعروفة لدينا وهي مؤرخة بربيع الثاني عام 730 على أنهم كانوا مستقرين بالمكان منذ وقت سابق يصعب تحديده، ويمكن الرجوع به على الأقل إلى دخول بني مرين ناحية قلع كرت (قلعية) سنة 610.

تعلقت الوثيقة بالمدعو الجروم أو أيروم الوغمراني الذي احتاج إلى رسم يثبت به ملكيته على الأرض الكائنة بهضبة تازوطا، ميدوفا من باب الحصن لتعود إليه بعد الاستدارة، إذ أن الداوديين كانوا سند قائد تازوطا في الجهاد ضد مليلة خلال القرن العاشر (16 م) وما بعده . وقد أعيدت المصادقة على نفس الوثيقة بتاريخ تاسع شوال عام 1158 ثم بتاريخ أول ذي القعدة عام 1286.

واعتماداً على ما بيد الداوديين من وثائق، فإن الأسر الداودية المتفرعة ما بين 730 و1295 هي المعروفة بكنيات أيروم وبومزوغ وأينار والداودي.

وثائق القائد الحاج محمد بن الهادي الداودي ؛ وثائق السيد الوردة ؛ وثائق الخال الطاهر محمد عاتوش ؛ وثائق ميمون المختار الداودي ؛ وثائق خ. ح. ومديرية الوثائق الملكية ؛ معلمة المغرب، محر ميداني.

حسن الفكيكي

**الداودي، أحمد بن حدو**، مقاوم كان يرأس جماعة من المهاجرين من قبيلته كبدانة انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يرأسها الشريف محمد أمزيان ضد التدخل العسكري الإسباني بناحية الناظور ؛ وقد شارك في عدة معارك وسقط أسيراً في المعركة التي جرت يوم 28 جمادى الأولى 1330 (15 ماي 1912) والتي استشهد فيها زعيم المقاومة الشريف محمد أمزيان.

محمد ابن عزوز حكيم

**الداودي، البشير**، مقاوم من مواليد سنة 1926 بمدينة العيون. شب على مبادئ الوطنية والكفاح، وكان من الرعيل الأول للمقاومة والمؤسسين لفرق جيش التحرير بالصحراء المغربية برتبة قائد. شارك في عدة معارك منها : معركة الدشيرة، وتافودارت والعيون ولبلاية وغيرها من

المعارك التي دارت رحاها بالصحراء.

توفي في شهر أبريل 1995 بمدينة العيون.

المنذوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، شهداء الاستقلال.

صيتهم أثناء مقاومة قبائل الشاوية للاحتلال الفرنسي خلال سنة 1907 - 1908. ينتمي لقبيلة أولاد سيدي بنداود التي خرج منها كثير من الأبطال الذين اشتهروا بالشجاعة والفروسية.

خاض معارك الجهاد، حول الدار البيضاء وسطاط ضد جيش الاحتلال الفرنسي وكان يتقدم الصفوف حاملا لواء قبيلته، مثله في ذلك مثل القرشي بن الرغاي الداودي.

لما تغلبت القوة العسكرية، وخضعت كل قبائل الشاوية للسيطرة الفرنسية، أُلقي القبض على حمامو الداودي كغيره ممن عارض الاحتلال ودافع عن بلاده من مجاهدي الشاوية. وأبقت القوة الغاشمة جيس السجن إلى أن وافاه أجله في تاريخ غير محدود.

العربي العزوي، نشر المعاسن والمآثر لرجال الشاوية المشاهير، مخطوط.

علال الحديبي

**الداودي، سعيد**، مقاوم ولد سنة 1916 بدوار أيت

بوجو فوم أودي دائرة وأوزغت إقليم أزيلال. اختار الكفاح المسلح في صفوف الحركة الوطنية حيث نفذ العديد من العمليات الفدائية فألقي عليه القبض في شهر يونيو سنة 1951، وعند خروجه استمر في كفاحه بصفوف المقاومة المسلحة ليلقى عليه القبض للمرة الثانية حيث تم نقله من سجن تونفيت بإقليم أزيلال إلى سجن سيدي سعيد بمكناس ومنه إلى سجن الدار البيضاء فمراكش وأخيراً سجن بوزكارن بالصحراء المغربية وبه استشهد داخل زنزانته خلال شهر نوفمبر سنة 1953.

المنذوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، شهداء الاستقلال، 3: 116.

**الداودي، عبد الكريم** بن محمد بن عبد السلام.

ولد بمدينة فاس عام 1916 / 1334 وأدخله والده في سن السابعة إلى الكتّاب بحي سيدي أحمد الشاوي قرب سكناه، ففضى فيه نحو سبعة أعوام وانتقل بعد ذلك إلى المدرسة الناصرية الحرة التي كان يديرها الفقيه محمد غازي



**الداودي، التقي** بن عمر، مقاوم ولد سنة 1928 بطانطان. نشأ في أسرة متواضعة وعرف عنه كرهه الشديد للاستعمار الشبي الذي دفعه بعد اشتداد عوده إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير بالمقاطعة الثالثة عشرة قيادة قاضي ملال وذلك بتاريخ 12 / 11 / 1957، امتاز بإخلاصه وتفانيه في العمل حيث كان مثالا حسنا بالنسبة لباقي إخوانه المجاهدين، شارك في عدة معارك خاضها جيش التحرير ضد المستعمرين: الإسباني والفرنسي، نذكر منها معركة تيلوين واصضر وابريغت وأخيرا معركة افران، وكانت مشاركته فعالة ومثمرة طيلة الفترة التي قضها في صفوف جيش التحرير إلى أن استشهد في المعركة الأخيرة بتاريخ 20 / 11 / 1958.

المنذوبية السامية لقدماء المقاومين، شهداء الاستقلال، 4: 24.

**الداودي، الجيلالي** بن الرغاي، من قبيلة أولاد

سيدي بنداود، إحدى قبائل الشاوية الجنوبية المكونة لقسم أولاد بورزق. تولى القيادة على قبيلته في عهد مولاي الحسن الأول، وشمل نفوذه بعض فرق أولاد بوزيري المجاورين. وقد استمر الجيلالي الداودي في القيادة إلى عهد الاحتلال الفرنسي.

لم يتعرض القائد الجيلالي بن الرغاي الداودي لأي أذى عندما انتفضت قبائل الشاوية ورفضت قوادها منذ 1903. ويظهر أن القائد انغمس مع أسرته ضمن الانتفاضة حيث كان أخوه وخليفته القرشي بن الرغاي من زعماء الانتفاضة ومقدمي جماعاتها.

حارب القائد الجيلالي الفرنسيين، ولما تم سيطرة المحتلين هاجر بلاده. وقد عدته استخبارات جيش الاحتلال من زعماء المقاومة.

وقد اتصل القائد الجيلالي بالألمان ونال حمايتهم. وبتلك الحماية أراد الرجوع لبلاده. الأمر الذي أثار خلافات بين قيادة جيش الاحتلال في شخص الجنرال مواني Moinier الذي رغب في أن يقدم له المجاهد المغربي طلب الأمان، وبين السلطات الدبلوماسية الفرنسية بالمغرب التي قبلت الأمر الواقع. وقد عاد الجيلالي الداودي لقبيلته دون أن يطلب الأمان من الجنرال قائد جيش الاحتلال.

علال الحديبي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، 1894 - 1910،

الدار البيضاء، 1994: وثائق الحربية الفرنسية.

**الداودي، حمامو** الشاوي من أبطال الجهاد الذين ذاع

بتوجيه من عمه أحمد الذي كان يسكن مدينة مراكش. وقد تلقى في هذه المدرسة دروساً في النحو والفقه والسيرة والحساب والجغرافيا، انتقل منها إلى جامعة القرويين التي تأسس فيها آنذاك التعليم النظامي المكون من ثلاثة مراحل : ابتدائية وثانوية ونهائية، فانخرط في النظام وأخذ عن الشيوخ : عبد العزيز العراقي، وأحمد العمراني ومحمد بن العربي أشرقي وغيرهم، كما أخذ خارج النظام عن عبد الرحمن الفريسي ومحمد بن عبد المجيد أقصيبي ومحمد بن عبد الكبير ابن الحاج.

يمثل هؤلاء الأساتذة مختلف مراحل تعليمه كما يمثلون جوانب شتى من أخلاقه وسلوكاته، وكان أكثرهم غير راض على الوضع الاستعماري الذي فرضته الحماية على المغاربة وكذلك على الوضع الفكري الذي يسود بعض الفئات في المجتمع، فنشأ عبد الكريم الداودي متحمساً للفكر الإصلاحي، وظهر ذلك في مواقفه الوطنية حيث دخل إلى السجن مرات، كما ظهر في خطبه أيام الجمعة وفي خلايا حزب الاستقلال الذي كان ينتمي إليه.

ومن أبرز مواقفه الإصلاحية دعوته إلى إدماج المرأة في المجتمع وإلى وجوب تعليمها وتوعيتها، وكان يعقد جلسات خاصة في منزل الوطني أحمد مكارو يحضرها نساء واعيات يقدم إليهن الأصول الشرعية في وجوب مشاركة المرأة في المجال التربوي ويحملهن مسؤوليتهن في تعميم هذه الأفكار داخل المجتمع المغربي.

وكانت أفكاره هذه واضحة أثناء تكليفه بتقديم الدروس النهائية لقسم البنات بجامعة القرويين، حيث تخرج على يده الفوج الأول من العالمات المكون من السيدات حبيبة البورقادي وفطومة القباج، وزهور الزرقاء، وعائشة بنت محمد السقاط والسعدية الحمياني.

ومنذ تخرج عبد الكريم الداودي وهو يعمل في إطار التعليم، فكان أستاذاً بجامعة القرويين وبعض المدارس الحرة بفاس، وحظي بشعبية كبيرة في المجتمع الفاسي إذ كان الناس يُقبلون عليه لاستفتائه في كثير من قضاياهم الدينية وللإستماع إلى خطبه أيام الجمعة سواء أثناء قيامه بها بمسجد سيدي أحمد الشاوي أو بعد أن انتقل إلى جامع القرويين. وكان يجيب في كثير من الأحيان عن أسئلتهم في ركن المفتي بالتلفزة المغربية.

وبعد عبد الكريم الداودي أحد أعضاء المجلس العلمي بفاس، اختير لإلقاء بعض الدروس الحسينية الرمضانية، منها درس بعنوان فضيلة الغرس والزرع في الإسلام انطلاقاً من حديث البخاري (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فبأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة) : ودرس في فضيلة العلم والحكمة والبذل من أجل الصالح العام انطلاقاً من حديث البخاري في كتاب العلم باب الاغتباط في العلم والحكمة.

التزم رحمه الله بالقيام بواجبه دون أن يستسلم لعجز أو مرض لأنه كان يرى أن الإنسان مسؤول عن أعماله ما دام حياً، ولهذا نجده منذ نشأته إلى آخر يوم من حياته منكباً

على التعلّم والتعليم وعلى الاستفادة والإفادة، ويكفي لنا دليل على ذلك أنه توفي يوم الجمعة عشرين ذي القعدة عام 1415 / 21 أبريل 1995 بنوبة قلبية وهو عائد من الريان إلى مدينة فاس بعد أن سجل بدار التلفزيون حصة من حصص ركن المفتي.

وقد أقامت له كلية الشريعة بفاس في اليوم التاسع من يونيو 1995 حفلاً تابينياً شارك فيه عدد من العلماء والأدباء. ومما ينبغي ملاحظته أن عبد الكريم الداودي رغم نشاطه العلمي الذؤوب ومشاركته في شتى ضروب المعرفة الإسلامية لم يشتغل بالتأليف والتدوين بحيث لم أقف له إلا على كنانة علمية بها تقايد تتعلق بالأحكام الشرعية وقواعد الأصول، وفيها بعض القصص والتنف الشعيرة وتاريخ حوادث شخصية ووطنية.

وذكر له ابن الحاج في ترجمته مجموعة من التأليف لم يتيسر لي الاطلاع عليها منها شرح على لامية الأفعال لابن مالك قال : إنه مازال في مسودته، وتعليقات على كتاب مفتاح السنة للشيخ محمد عبد العزيز الخولي في الحديث، وعلى كتاب لباب اللباب في الفقه، وتلخيصات في تاريخ المغرب.

ع. الكريم الداودي نفسه، كنانة علمية تختوي على تسع وأربعين ورقة في ترجمته الذاتية : م. ابن الحاج، إتحاف ذوي العلم والروسخ، الدار البيضاء، 1978 : دعوة الحق، العددان 305 - 306، عام 1394.

محمد بن عبد العزيز الدباغ

### الداودي، القرشي، القرشي بن الرغاي، مجاهد شهير بقبائل

الشاوية، ينتمي لقبيلة أولاد سيدي بنداود، المجاورة لأولاد بوزيزي إلى الجنوب من مدينة سطات.

ينتمي القرشي إلى أسرة تولت القيادة لقبيلته، ويبدو أنه كان خليفة لأخيه القائد الجيلالي بن الرغاي. ويظهر أن أسرة القرشي بن الرغاي كانت مرتبطة بالجماعة ارتباطاً تقديم وزعامة، ولهذا انخرط القرشي بن الرغاي في انفتاح 1903 بالشاوية وتزعم جماعة قبيلته التي واجهت الاستغلال الرأسمالي للتجار الأجانب واليهود وسيطرة قواد المخزن.

وظل القرشي يتزعم إخوانه، إلى أن تحولت الانتفاضة إلى جهاد ضد الاحتلال الفرنسي لمدينة الدار البيضاء إثر حوادث 1907.

اشتهر القرشي بن الرغاي كقائد حربي شارك في معسارك الدار البيضاء والشاوية وخاصة في المعارك التي دارت في الشاوية الجنوبية، وقد استشهد في إحدى هذه المعارك التي جرت بمدينة سطات في 15 يناير 1908.

ع. الحديدي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، 1894. 1910، الدار البيضاء، 1994 : وثائق الحريية الفرنسية.

علال الحديدي

**الداودي محمد بن محضر**، مقاوم ولد سنة 1930 بمدينة وجدة. دفعت به أفكاره الوطنية إلى العمل ضمن صفوف المقاومة السرية المغربية بوجدة وفاس، وشارك في تنفيذ عدة عمليات فدائية مع أحمد عمر والحاج بويو من سنة 1953 إلى غاية سنة 1954.



ومن جملة الأعمال التي نفذها اغتيال بعض الخونة المتعاملين مع سلطات الاستعمار الفرنسي. ألقى عليه القبض وسجن بمدينة فاس وحاولت الشرطة استنطاقه إلا أنه فضل الانتحار بدل البوح بأسرار المقاومة واستشهد رحمه الله سنة 1954 بفاس. الندوية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، شهداء الاستقلال، 2 : 178.

**الداودي، محمد بن الهادي الشكري القلعي**، قائد المولى الحسن على خمس بني شكر القلعي. كان في بداية أمره شيخ فرقة بني بوغمارن المندرجة في خمس بني شكر، ثم أصبح أول قائد للقبيلة على عهد المولى الحسن بعد تفكيك نظام القيادة الموحدة التي كانت بيد المختار أغمم منذ عهد محمد بن عبد الرحمن (العلمة، 10 / 3193). ومن هناك جاءت نزاعاته مع المختار أغمم والسعي للإطاحة به.

تولى القيادة على بني شكر حوالي سنة 1291. وهي السنة التي قرر فيها المولى الحسن أثناء زيارته لقبيلة قلعية اعتماد النظام الجديد القاضي بتطبيق نظام تعدد القيادات داخل القبيلة الواحدة، تلاقيا لكثرة النزاعات وضبطا لاستخلاص الواجبات المخزنية.

تكونت قبيلة بني شكر آنذاك من تجمعات واد المدور من أعلاه إلى أدناه ومن أهل كتلة شبه جزيرة هرك. وفرقة بني بوغمارن من الفرق الرئيسية بالقبيلة، قاعدتها قلعة تازوطا. وإذا أخذنا على سبيل المثال ما جاء في مراسلتين، الأولى بتاريخ 12 شعبان عام 1291 والثانية بتاريخ فاتح صفر 1297، فإن القائد الحاج محمد بن الهادي وجب عليه من الأعشار ما تراوح بين 2.800 ريال في السنة الأولى و1484 ريال في السنة الثانية.

ودار القائد محمد بن الهادي الداودي كاتبة بمدشر أولاد داود، من فرقة بني بوغمارن، المستقر على السفح الجنوبي من كتلة جبل أكركور القلعي بجوار إحدادن السبت، حيث ما يزال أحد أحفاده يسكن هذه الدار، وهو المدعو الطويلي الداودي.

كانت قبيلة بني شكر الخمس الأول المنفصل عن القائد المختار أغمم الجواوي، سابق الترجمة وأصبحت مثالا يحتذى لباقى أخماس قبيلة قلعية. كان مدير الحركة ضده هو بنو شكر بقيادة محمد بن الهادي الداودي، الأمر الذي أدى إلى استمرار النزاع معه إلى أن تم القبض على المختار أغمم وإيداعه في سجن العرائش.

شارك الحاج محمد بن الهادي الداودي بأمر من المولى الحسن قواد قلعية في حل مشاكل حدود مليلة التي كان يشيرها عادة رجال حامية مليلة مع أهل قبيلة مزوجة. وكان منها المشكل البارز منذ 23 رجب 1300 : المترتب عن شكاية عسكر مليلة يقتل أحد الجنود، اتهم به المسمى حمو بن الطاهر النصري المزوجي، مضافا إلى دعاوي أخرى.

ولتلك الغاية وجه المولى الحسن القائد الرحالي العمري الذي بقي بقصبة جنادة سبعة عشر يوماً للإشراف على فض دعاوي الحدود، وهي مثلما أبرزتها الوثائق : دعوى حم بن الطاهر النصراوي المتهم بقتل جندي إسباني وسرقة أهل خمس مزوجة الحلاليف والزروع ودعوى قتل الإسبان لأحد الشكرين بالحدادة. وحينما قدر ما ضاع من الخسائر بنحو مائتي وسبعين ريالاً، تم توزيع هذا المقدار على الأخماس، فكان المطلوب من بني شكر هو دفع سبعين ريالاً، تكلف الحاج محمد بن الهادي الداودي يجمعها وتسديدها. تم هذا الفصل في مستهل رئاسة مبارك بن علي الديوالي، المعين في 21 شوال 1300 قائداً على الحدود واسطة بين قلعية وحاكم مليلة فيما يرجع لمشاكل الحدادة، بدل القائد حميدة ابن علي الشكري المنقول إلى قصبة عيون سيدي ملوك.

لم ينج محمد بن الهادي الداودي من النزاعات التي كانت تشب بين القواد وأمناء القبائل، ونعرف أن أمين بني شكر هو المسمى الحاج محمد بن عبد الله الشكري. والخلاف بين الأمناء والقواد كان في العهدة مركزاً حول الاستقلال بشؤون مالية القبيلة وعدم تدخل القائد في أمرها.

هذا هو ما علمناه من خلال مراسلة 29 جمادى الأولى 1305 مما وقع بينه وبين بني شكر من البارود ومقتل بعض إخوانه وإخراجه من داره وهروبه إلى مزوجة. ولم تكن هذه نهاية الحاج محمد بن الهادي الداودي بل استمر علمنا بوجوده على رأس القبيلة إلى 26 جمادى الأولى 1307 / 18 يونيو 1890، وهو التاريخ الذي أمر به للتدخل في الصلح بين مسطاسة وبني كميل من قبائل الريف الغربي، وإلى تمت شوال 1307 / 18 يونيو 1890 حين أخبر القائد السلطان



المولى الحسن بمقتل المقدم الحضري، ثم أخفت عنا الوثائق أخباره ابتداء من هذا التاريخ.

وثائق القائد الحاج محمد بن الهادي الداودي ؛ وثائق السيد الوردة ؛  
وثائق الخال الطاهر محمد عالوش ؛ وثائق صيمون المختار  
الداودي ؛ وثائق خ. ح. ومديرية الوثائق الملكية ؛ معلمة المغرب،  
نجر ميداني.

حسن الفيكيكي

**الداورة (واد -)**، هو أحد الأنظمة الهيدرولوجرافية المغربية الرئيسية ذات الجريان الجبسي، النازلة عبر سفوح الأطلس الكبير الأوسط، والمختزقة لوحدة هضاب وحمادات المغرب الجنوب الشرقي، وتغطي أراضيه مساحة واسعة من الدائرة الترابية لإقليم الرشيدية.

يشكل واد الداورة حاليا المجرى الأسفل لثلاثة أحواض نهريّة كبرى هي حوضا زيز وغريس المنطلقان من السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط المعروف بالأطلس الكبير الكلسي، وكذلك حوض المعيدر الذي يقوم بتصريف مياه التخوم الشرقية للأطلس الصغير. ينطلق واد الداورة من نقطة التقاء هذه الأودية الثلاثة عند حاسي الرملية ليستمر نحو الجنوب مختزقا حمادة الكمك ثم حمادة كير قبل أن تتلاشى وتختفي معالمه عند حمادة توناسين المتراصة الأطراف.

على الرغم من أهمية التغذية المائية التي تتميز بها أحواضه العليا المنطلقة من الأطلس الكبير الأوسط، فإن واد الداورة بسبب امتداده الواسع نحو الجنوب في اتجاه العروض الصحراوية الجافة، وبسبب اختراقه للحمادات الشاسعة المكونة من صخور كاريوتانية في الغالب تتميز بنفاذية عالية، وبسبب الحقول والعروق الرملية التي تخلخل عناصره الهيدرولوجرافية وتنهد مجراه الرئيسي، لا يعرف إلا جريانا متقطعاً ولحظياً يرتبط في الغالب بالأمطار العاصفية المحلية، ولا تصله مياه عالية إلا نادراً على النحو الذي حدث سنة 1965 بسبب فيضانات أحواض العالية. وحتى هذه الأتوات المائية الفيضية الممكنة فقد تضاءلت إمكانية وصولها خصوصا بعد تشييد سد الحسن الداخل عند الراشيدية على واد زير أحد الروافد الرئيسية لواد الداورة. وفي حالة حدوث الجريان فإن المياه التي يتم تصريفها سرعان ما تجد طريقها نحو السبخات التي تتخلل سطح الحمادات مثل سبخة الداورة، أو نحو الجرف لتغذي القرشات الجوفية المختلفة التي يستغل رحل المنطقة مياهها عبر سلسلة من الآبار المتفرقة، مثل حاسي تاسنت وحاسي محرز وغيرها.

إن الظروف المناخية الحالية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تفسر تطور هذا النظام الهيدرولوجرافي المغربي الواسع الامتداد. فإن تطوره في الواقع يعود إلى فترات مناخية رطبة قديمة كانت تسمح بتوفير المياه الكافية وبشكل

مستمر لتنشيط الجريان واشتغال التعرية المائية النهريّة، التي مكنت من تشكيل حوض هيدرولوجرافي متسامي الأطراف، يمتد وسط حوضين كبيرين مماثلين هما حوض درعة الممتد عند الطرف الغربي وحوض الساورة الممتد عند الجانب الشرقي والذي يتميز حاليا بنفس خصائص حوض الداورة.

من الناحية البشرية، فإن امتداد واد الداورة عند المجال الصحراوي القاحل يجعل منه منطقة فراغ سكاني حقيقي، لا تتجاوز عنده الكثافات السكانية 5 نسمة/ كلم في أحسن الأحوال، تتركز فيه الحياة البشرية المعتمدة على الترحال المرتكز على نمط الرعي الخفيف حول نقط الماء التي تختفي تدريجيا في اتجاه الجنوب بسبب تزايد درجة شح المياه وتقدم تدهور جودتها.

الحسن الحنّاد

**داوينة (Davina)**، واد ذكره الجغرافي اليرافيني *La Géographie de Ravenne*، الذي وضع كتابه في أواخر القرن السابع أو بداية القرن الثامن الميلادي. وهو آخر ما وصلنا من المصادر اللاتينية حول جغرافية المغرب القديم. إن الكاتب يسمي المغرب القديم أحيانا بموريطانية الطنجية، وأخرى يدعوه موريطانية الغاديسية *Mauretania Gaditana*، نسبة إلى مضيق جبل طارق الذي يدعوه *Septem Gaditanum*، وهو بدوره ينتسب إلى مدينة غاديرة *Gadera* أو غاديس *Gades* في إسبانيا.

تحدث الكاتب عن وادي داوينة في مجال موريطانية الطنجية (الفقرة التاسعة من الفصل الثالث). فبعد إحصاء المدن التي أدرجها في هذا السياق وعددها 18 موقعا، أضاف ما يلي: "إن هذا البلد تسقيه وديان من بينها توربولنتا *Turbulenta*، الذي يدعى أيضا داوينة". والملاحظ أن ما أورده الكاتب في هذا السياق من المدن والنهر، لا نجد له ذكرا في بقية المصادر المعروفة حول تاريخ المغرب القديم باستثناء مدينة طنّجيس *Tingis*.

والكاتب نفسه تحدث في سياق آخر عن المغرب القديم (الفقرة الحادية عشرة من الفصل الثالث والفقرة الرابعة من الفصل الخامس)، وذكر بعضا من وديانها المعروفة في مصادر أخرى، وبعض المدن التي وردت في مسالك أنطونينوس *Itinéraire d'Antonin*، حيث نتعرف على المحطات والمدن التي تخترقها الطرق الرومانية في القرن الثالث الميلادي.

وأغلب الظن أن الكاتب أخطأ في إدراج الوادي المذكور بموريطانية الطنجية. وهذا ما لاحظته الباحث موريس أوزينا عن المدن الثمانية عشرة التي وردت في المصدر، في السياق الذي ورد فيه واد داوينة (انظر مادة دراكونيس). وأيا ما كان الأمر، فهناك ملاحظة حول هذا الوادي الذي يحمل اسمين: توربولنتا - داوينة. إن هذه الظاهرة

معروفة في نصوص أخرى قديمة بالنسبة لبعض الوديان. يتعلق الأمر بواد دبريس Dyris، وهو غير معروف حالياً، قيل إنه ينبع من جبال الأطلس ويدعى أيضاً أغير Agger (Vitruve, 8, 2, 6). ثم وادي دارا Dara (هو درعة الحالي) الذي يدعى أيضاً نهول Nuhul (Orrose, 1, 2, 13).

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; M. Euzennat, *Remarques sur la description de la Maurétanie Tingitane dans Pline, H.N., V. 2 - 18. Antiquités africains*, 25, 1989.

محمد مجذوب

**داي** مدينة قديمة بوسط المغرب اندثرت وقامت على أنقاضها مدينة بني ملال الحالية. والمعروف عند الرحالة والمؤرخين العرب في تسميتها أنها مثل "داء" ووزناً ومعنى، لما عُرفت به من وخم الهواء وتعدد الأمراض لكثرة ما بها من عيون وشلالات، وما يتبع ذلك من مستنقعات. مثل ما نجده عند الحسن اليوسي في المحاضرات من قصص وإنشادات، كقوله :

ألا ليت شعري هل أبيتُ ليلتُ      بسهب الشين أو بسهب بني ورا  
وهل تعبرن نهر العبيد ركائسي      وهل تتركن دايأ وأدواء هسا ورا  
إلى أن جاء أخيراً المستشرق غوتيي Gauthier ونشر سنة 1926 في مجلة هسريس مقالا بعنوان مدينة أوداي أي مدينة اليهودي، وراج هذا الافتراض على ما به من قمل.

أما عن تاريخ "داي" فالمشهور أنها من إنشاء المرابطين في القرن الخامس (11 م) إلا ما ذكره البكري في المسالك والممالك أن يحيى بن إدريس اختص بداي وما حولها من البلاد بعد وفاة إدريس الثاني وتوزيع الأقاليم على أبنائه سنة 213 وإذا صحت هذه الرواية فيكون المرابطون قد جددوا دايأ حتى لكأنهم أنشؤوها إنشاءً. وهناك من يخلط بين داي ومؤسسة عمرانية مرابطة أخرى في تادلا هي تآكرات القريبة منها. حسبهما بعضهم شيئاً واحداً، وزعم آخرون - اعتماداً على رواية شفوية عامية - أن يوسف بن تاشفين حُرّب دايأ وبنى على أنقاضها تآكرات. والواقع أن مدينة داي وقلعة تآكرات عمارتان متجاورتان مستقلتان كانتا معاً قائمتين في عهد المرابطين والموحدين. فدأي كما وصفها الشريف الإدريسي في نزهة المشتاق واقعة "في أسفل جبل خارج من جبل درن... وهي صغيرة لكنها كثيرة العامر، والقوافل عنها واردة صادرة" ويبدو أنها التي يعني صاحب الاستبصار بقوله : "وبنى فيها - تادلا - الملتصون حصنا عظيماً منيفاً وهو الآن معمور فيه الأسواق والجامع"، في حين كانت تآكرات قلعة عسكرية أقرب إلى الجبل كما تقتضيه طبيعتها. وهناك نص البيدق في أخبار المهدي الذي لا يدع مجالاً للشك في وجود المؤسستين معاً، إذ وصف عن مشاهدة استيلاء الموحدين على تآكرات ثم على داي.

وعن نهاية مدينة داي يحددها نص التشوف في سنة

559 / 1163 ويقول إنه طرأ على أهلها في هذه السنة ما طرأ وافترقوا في البلدان. وإذا كان سبب خراب داي غير معروف فقد افترض الأستاذ أحمد التوفيق - أخذاً من إشارات متناثرة في التشوف - أن يكون ذلك بسبب ثورة المرابطين المتوافرين في تادلا وتأييدهم للمسمى "عتاب" الذي قد يكون رام انتزاع السلطة من يد الموحدين بعد موت عبد المومن في السنة السابقة. وأضيف تأييداً لهذا الافتراض أمرين : الأول ما عُرف من كراهة أهل دادي لنحلة الموحدين وخروجهم عليهم المرة تلو الأخرى، وذلك ما يفهم من تكرر فتح تادلا وداي في عبارات ابن القطان في نظم الجمان، كقوله في أبناء سنة ست وعشرين وخمسائة : "ثم تحرك رضي الله عنه إلى داي مرة ثانية ورد سرية إلى بلد هزرجة وهم غافلون، فقتلهم قتلاً ذريعاً". الثاني ما يُستشف من مختلف المصادر التاريخية أن السنتين الموليتين لسفوة عبد المومن يحيط بهما الغموض لشدة الاضطرابات وتوالي المؤامرات حتى من طرف أبناء عبد المومن أنفسهم، بحيث لم يبايع أبو يعقوب يوسف بيعة الجماعة إلا يوم الجمعة ثامن ربيع الأول عام 560 / 22 يناير 1165.

هكذا تكون داي عاشت كحاضرة لتادلا نحو مائة وسبعين سنة، تمتعت خلالها برفاهية العيش بسبب موقعها الاستراتيجي وسط البلاد، وعلى الطريق الرئيسية بين الشمال والجنوب وحاضرتيها فاس ومراكش، وبسبب خصب تربة أراضيها ووفرة مياهها، كما امتازت بوفرة علمائها وصلحائها، فغدت بذلك المركز الثقافي اللامع في منطقة تادلا، واشتهر أعلامها بنسبتهم التادلية، ولم يُنسبوا إلى داي مباشرة، ربما لما يُشعر به هذا الاسم من داء ووباء، فيقال للواحد منهم تادلي من دادي، أو تادلي أصله من داي. وقد عم إشعاع مدينة داي الفكري والديني كل مراكز تادلا المحيطة بها كمدينة تادلا العتيقة على مرحلة منها، وعين الحوت في شمالها الغربي، وقلعة تآكرات التي تدعى أيضاً محللة داود نسبة إلى القائد المرابطي داود بن عائشة، وسميها البيدق تآكرات متاع داود. وقرية نظير المعروفة اليوم بدوام أولاد عبد الله. كل هذه المراكز وغيرها من مواقع التجمعات السكنية في تادلا كانت على صلة قوية أو ضعيفة بداي، تستمد منها وتلتجئ إليها في التعليم والتربية الروحية والأحكام الشرعية.

قد تكون داي هي مسقط رأس الصوفي الكبير يوسف بن يحيى التادلي ابن الزيات مؤلف التشوف، فوالده العالم الصالح يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن التادلي قضى حياته في داي، ولم يغادرها إلا عندما وقعت الواقعة التي شتت شمل أهلها، وتدل رواياته وأخباره وإنشاداته في التشوف على معرفة واطلاع ودقة ملاحظة لمدينة داي. ثم التحق مع من التحق من أهلها بمراكش حيث تجمّعوا في

جانباها الشرقي، ومعهم علماءهم وصلحائهم أمثال أبي يعقوب يوسف بن عبد الله بن مصباح التادلي، ومحمد بن تميم الزناتي التادلي، ويحيى بن أبي بكر عبد الله التادلي الذي قرأ عليه هناك الصبي المهاجر يوسف بن يحيى التادلي الذي سيخلد في تشرفه أخبار الصالحين في داي وتادلا ودكالة ومراكش وسائر الجنوب المغربي.

أ. البكري، المسالك والممالك، بيروت، 1992؛ الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، لندن؛ أ. البيهقي، أخبار المهدي، الرباط، 1971؛ مجهول، الاستبصار، تج. سعد زغلول عبد الحميد الاسكندرية، 1958؛ ي. التادلي، التشوف، تج. أ. التوفيق، ط 2، الدار البيضاء؛ م. الحسيري، الروض المعطار، تج. إحسان عباس، بيروت، 1978؛ ح. اليسوي، المحاضرات، تج. م. حجي وأ. الشرفاوي إقبال، بيروت، 1982؛ الملتقى العلمي لمنطقة تادلا، تادلا، التاريخ، المجال، الثقافة، أبريل، 1992، منشورات كلية الآداب بني ملال، الدار البيضاء، 1993.

E.F. Gautier, *Medinat - ou - Daï, Hesp.*, 1926.

محمد حجي

### الداي ولد سيدي بابا، ولد في مدينة أطار

بموريتانيا سنة 1340 / 1921، وبها تعلم وترى في بيت صلاح وعلم وأدب، فدرس القرآن الكريم ومختلف العلوم السائدة في ذلك الوقت على يد علماء أجلاء، كما درس اللغة الفرنسية والعلوم العصرية بالمدارس التي كان الاستعمار قد أنشأها. وكان شغوفا بالمطالعة لا يفتر عنها ليل نهار، وخصوصا فيما يتعلق بكتب التاريخ. ولما أصبح شاباً يافعاً، دفعته غيرته الوطنية إلى المساهمة في النضال الوطني الشاق الذي كان يخوضه أبناء موريتانيا من أجل



التحرير من الاستعمار وتحقيق الوحدة مع المغرب.

وكان الداوي ولد سيدي بابا يؤمن إيماناً قاطعاً بوحدة المغرب من طنجة إلى نهر السينغال، لذا فهو بعد عودة محمد الخامس من المنفى والتوقيع على وثيقة الاستقلال، كان متيقناً، كما أكد لي ذلك، أن باقي أطراف المغرب في الجنوب لا محالة ستلتحق بشماله، فكان ذلك سبباً في وفوده إلى الرباط سنة 1958، لمتابعة الكفاح، بعيداً عن المناورات الاستعمارية.

وبمجرد قدومه، عينه محمد الخامس مستشاراً بوزارة الخارجية، ولم يمض عليه في هذا المنصب سوى سنة واحدة حتى رُقي إلى رتبة مدير لقسم إفريقيا سنة 1959 بنفس الوزارة؛ ثم عين سفيراً للمغرب بغينيا سنة 1961 وظل يشغل هذا المنصب إلى أن تمّ تعيينه سنة 1963 سفيراً مساعداً للمندوب الدائم لدى الأمم المتحدة وممثلاً للمغرب بمجلس الأمن الذي أسند له سنة 1964 رئاسة لجنة التحقيق في حوادث الحدود بين القيتنام والكامبودج، ثم عُيّن، بعد ذلك، من قبل نفس المجلس، عضواً في لجنة الخبراء المكلفة بالتحقيق في مشكلة العنصرية بإفريقيا الجنوبية؛ ثم رُقي ابتداءً من 1965 إلى منصب ممثل دائم للمغرب لدى الأمم المتحدة، بينما قامت الجمعية العامة للأمم المتحدة في السنة التالية بانتخابه نائباً لرئيسها.

بعد ذلك، عاد السيد الداوي إلى المغرب حيث عُيّن وزيراً بالديوان الملكي، وبقي يشغل هذا المنصب إلى أن وقع تعيينه سنة 1971 سفيراً لبلادها بالمملكة العربية السعودية، ثم عاد إثر ذلك إلى المغرب سنة 1972 ليتقلد منصب مدير للديوان الملكي.

وفي شهر ماي 1973، أسندت إليه وزارة التربية الوطنية، ثم في سنة 1974، عين وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية، وظل يعمل بها إلى غاية سنة 1977، حيث تقدم للانتخابات البرلمانية يصفته عضواً في اللجنة التنفيذية للجمعية الوطنية للأحرار، فانتخب نائباً برلمانياً، ثم انتخب رئيساً للبرلمان، وظل يشغل هذه الرئاسة طيلة ست سنوات. كان السيد الداوي بذكائه وطيبوته واستقامته محط إعجاب كل من عاشروه أو عملوا معه، كما كان يُشهد له بالباع الطويل في الميدان الدبلوماسي، وبالإخلاص للواجب الملقى على عاتقه في جميع المناصب العليا التي شغلها.

ومما قاله المرحوم الحسن الثاني لأبناء السيد الداوي حينما جاؤوا يعزونه في فقدان والدهم: "إن المشال الذي ضربه السيد الداوي يعزّ نظيره سواء حينما اختار المجيء للمغرب وسمح في الشيء الذي كان يمكنه أن ينتظره في مكان آخر، أو بعد التحاقه بالمغرب من خلال سيرته التي بقي محافظاً عليها عشرات السنين، والحقيقة أن السيد الداوي كان يحظى باحترام الجميع... لقد كانت له بالفعل

مكانة فريدة من حيث النزاهة الفكرية والمادية، وكان قبل كل شيء رجلا لا يسعى إلا وراء الفضيلة...".  
توفي السيد الداوي ولد سيدي بابا إثر مرض طويل يوم 21 ربيع الأول عام 19/1413 سبتمبر عام 1992 ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط.

بحث ميداني ومعرفة شخصية : جريدة الميثاق الوطني.

محمد الشياظمي

**الداكيري**، ويكتب الدُيُري. أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Aldeire ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون من سنة 1483 إلى سنة 1900، تطاون 1999 ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 655.

**الداكيز** أو ابن الدايز، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، حيث ما زال هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Adaiz ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان ولم يبق منها إلا زقاق يعرف بالسماط الدايز يقع بحومة السويقة.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون من سنة 1483 إلى سنة 1900، تطاون 1999 ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 656.

محمد ابن عزوز حكيم

**الدب الأسمر بالمغرب**، حيوان ثديي لاحم من فصيلة الدببات Ursidae، كبير وثقيل يزن 250 - 300 كيلوغرام، ويبلغ ارتفاعه عند الغارب 125 سم. يمشي على أخصر أقدامه. يُجمع على دبية وأدباب. يسمى علميا أورسوس أركتوس Ursus arctos Linnaeus, 1758. كان يعيش في مغارات جبال الريف وجبال الأطلس ويُحتمل انقراضه في المغرب خلال القرن الثالث عشر (19 م)، الناتج عن شدة مضايقته من طرف الإنسان. يسمى بالأمازيغية أبوتاز وأباباز وبالفرنسية Ours brun وبالإنجليزية Grizzly bear



الدب الأسمر

Brown bear وبالإيطالية Orso bruno.

ذُكر الدب الأسمر من بين وحوش المناطق المغاربية لأول مرة في التاريخ من طرف الباحث شاو Shaw سنة 1800. وقد أعطى Blyth سنة 1941 وصفا علميا دقيقا لهذا الدب من خلال جثة عثر عليها في سفوح جبال تطوان ولم يحتفظ بجلده. وقد أدت مراجعة هذا الوصف بالعالم Schinz سنة 1844 إلى تمييز ضرب جديد للدب الأسمر وأطلق عليه الاسم العلمي Ursus arctos crowtheri. يبقى هذا المقال الدليل الوحيد لوجود الدب الأسمر بالمغرب يتعامل به بعض الباحثين في مجال علوم الحيوانات، إلا أن العالم Lataste يشك في هذا المقال ويسانده في ذلك Cabrera (1932) الذي ينفي قطعاً وجود الدب على التراب الوطني خلال القرون الأخيرة بعد أن تيقن من عدم ذكر هذا الحيوان في تقاليد المغاربة ولا في مذكرات الصيادين المعاصرين للقرن الثالث عشر.

وقد أكدت علوم الحفريات وجود الدب الأسمر في المغرب خلال عصور ما قبل التاريخ، وخاصة منها أواخر عهد الحجر المنحوت Paléolithique supérieur ويحتمل انقراضه في عهد الحجر المصقول Néolithique.

يوجد بحدائق الحيوانات العمومية الوطنية بعض العينات من الدب الأسمر الأوربي الأصل.

S. Aulanier et M. Thevenot. *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*. Rabat, 1986 ; A. Cabrera, *Los Mamíferos de Marruecos*. Trab. Mus. Nac. Cien. Nar., *Série Zoolog.*, 57 ; E. Ennouchi, *Les Ursidés marocains*. Bull. Soc. Sc. Nat. Maroc, 37 ; E. Blyth, *Letter from...*, Poc. Zool. Soc. London, 9 ; G. Shaw, *General zoology or systematic natural history, Mammalia*, 1 : 311 - 312.

نحاة الحياطي ومحمد رمضان

**الدبّاع**، أسرتان شريفتان حسنيتان يتصل نسب كل منهما بإدريس بن إدريس. تتصل الأولى به عن طريق ولده داود، ولعلها اتسمت بهذا اللقب عن طريق احتراف أحد أبنائها بحرفة الدباغة فلصقت به وبأولاده من بعده، وإليها ينتمي الشيخ عبد الواحد الدبّاع المتوفى سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف، المنتسب إلى الطائفة الدرقاوية، وصاحب الزاوية بحي السياج إزاء درب ابن زيان بفاس قبالة سيدي أحمد ابن ناصر قريبا من سويقة ابن صافي.

أما الثانية فيرتفع نسبها إلى عيسى بن إدريس بن إدريس الذي كان واليا على شالة وسلا وأزمور وتامسنا وما يتصل بها.

قدم هؤلاء الدبّاعون من غرناطة إلى مدينة سلا في أواخر المائة السابعة، وكان أول قادم منهم هو جدهم أبو العباس أحمد بن أبي القاسم محمد بن إبراهيم بن عمر. وأبو القاسم محمد المذكور هو الذي تصدّرت به شجرتهم المقيدة في أواسط القرن السابع والمتسلسلة على



عتاب، البيضاء : م. م. بن عبد العزيز المرابطي السجلسماسي،  
تيسير المواهب في ذكر بعض ما للشيخ أبي فارس من المناقب،  
مخطوط.

محمدع. العزيز الدباغ

ابن **الدباغ**، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر وكان  
جل أفرادها بحارة بحامية تطوان سنة 1246 / 1830 وقد  
انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483  
إلى سنة 1900). تطوان 1999 : والمراجع العربية والأجنبية التي  
ذكرها في الرقم 236.

محمد ابن عزوز حكيم

**الدباغ، أحمد** بن علي من الشرفاء الدباغيين  
المراكشيين، اعتقده السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام  
جربا على عاداته في التبرك ببعض أهل الخصوصية  
والانتساب، كما هو الحال بالنسبة إلى اعتقاده في الشريف  
الدباغ المعروف بمحمد البركة المتوفى بالوفاة في يوم واحد  
مع أحمد بن علي المذكور.

دفن أحمد بن علي بباب أغمات أحد أبواب حمراء  
مراكش ودفن محمد البركة بروضة باب الدباغ قبلة العين  
الجارية هناك.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 2، ص. 409 : ج. 6، ص. 294.

**الدباغ** بوطربوش، إبراهيم بن الشيخ محمد  
بوطربوش الدباغ أتى الترجمة قال عنه في *إنحاف المطالع* :  
"كان علامة مشاركا محدثا، له فهرسة جمع فيها أشياخه".  
توفي رابع قعدة عام 1329 / 27 أكتوبر 1911. ودفن  
بروضتهم بالقياب.

ع. ابن سودة، *إنحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت،  
1996، ج. 8 : 2864.

**الدباغ** بوطربوش، محمد بن عبد الحفيظ

اشتهر بلقبه بوطربوش، علم من أعلام التصوف أواخر القرن  
الثالث عشر (19 م)، اشتهر بأخذه عن الشيخ عبد القادر  
العلمي دفين مكناس، كان حاد الذكاء، كثير العبادة، قادرا  
على توليد المعاني من النصوص رغم كونه كان أميا، وهذه  
ظاهرة يسجلها المؤرخون عن عدد من أفراد أسرة الدباغ.  
قال عنه محمد بن جعفر الكتاني في *سلاوة الأنفاس* : "إنه  
كان رحمه الله أميا، وكان مع ذلك يتكلم في حقائق  
التصوف وأسرار الكتاب، فيأتي في ذلك بما يدش العقول  
ويحير الأسباب." وقال عنه إدريس الفضيلي في *الدرر*

ينتمي من الدباغيين إلى داود بن إدريس، أو بين من كان  
ينتمي منهم إلى عيسى بن إدريس، وتلك ميزة كبرى  
تهدف إلى تحقيق الدور الأساسي من التكافل الاجتماعي  
الذي ينبغي أن تتحمله كل أسرة على حدة للتخفيف من  
الأعباء التي تلقى عادة على المسؤولين، وقد كتب رئيس  
مجلس العائلة الشريف عبد الله محمد علي في 4 مارس  
سنة 1992 رسالة إلى كاتب هذا البحث أقتطف منها ما يلي  
: "إن أسرة آل الدباغ في السعودية انحدروا من الجد السيد  
مسعود بن الطيب بن الحسن بن الطيب الدباغ الذي انتقل  
إلى الحجاز واستقر بها إلى أن توفاه الله، ويبلغ عدد أفراد  
هذه الأسرة وأقاربهم ما يقرب من أربعمئة نسمة يتم لقاءهم  
في اجتماع سنوي عام يعقد عادة في اليوم الثاني من شهر  
شوال خلال إجازة عيد الفطر ليتمكن أكبر عدد منهم  
حضور هذا الاجتماع الذي يهدف في المقام الأول إلى صلة  
الرحم وتبادل الرأي في كل ما يعود على الأسرة بالخير،  
وحيث إننا نرغب في توثيق الاتصال ودعم الأواصر بين  
أفراد الأسرة بالملكة العربية السعودية وبين أقربائهم في  
المغرب فإنه يسعدنا أن نستضيفهم لاجتماع الأسرة هذا  
العام الخ..."

وهناك شرفاء دباغيون نزحوا من المغرب واستقروا في  
شرق الأردن وفي فلسطين وفي الكويت وفي مصر وهم  
أيضا يحضون إلى ربط صلتهم بأصولهم، يوجد منهم الأستاذ  
حسن علي الذي وجه إلي سنة 1958 رسالة أبدى فيها  
رغبته في تتين الأواصر بينه وبين أصوله في المغرب وهذا  
الشريف كان يعمل أستاذاً محاضراً مساعداً للغة العربية  
في معهد الدراسات الشرقية التابع لجامعة درم (The  
Durham college).

وعلى كل حال فإن الأسرة الدباغية اشتهرت في المشرق  
والمغرب، إذ أنها كانت قدوة في العلم والصلاح، أذكر منها  
على سبيل المثال الفقيه عبد القادر الدباغ مفتي الديار  
المراكشية الذي كان أستاذاً للملك محمد بن عبد الرحمن،  
وأخاه السيد عبد الحائق الذي توجه إلى الصحراء في وفد  
خاص للاتصال بأحمد البكاي رئيس الطائفة المختارية،  
والشريف محمد بن عبد الحفيظ بوطربوش الذي كان له  
كرسي بضميرح المولى إدريس بفاس لسرد الشفا والتعليق  
عليه، وغيرهم ممن سنخصص لهم ذكرا أثناء التعرض  
للتعريف بهم في هذه المعلمة.

م. الكتاني، *سلاوة الأنفاس*، ط. حجر فاس، 1300 : إ. الفضيلي،  
*الدرر البهية*، ج. 2 : ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 1، ص. 222 :  
ابن أبي زرع، *القرطاس*، نج. م. الهاشمي الفيلاي، الرباط : معلمة  
المغرب، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ج. 1،  
ص. 217 مادة الأدارسة : قرة العيون في الشرفاء الدباغيين  
الفاطنين بالعيون، مخطوط : أ. السجلسماسي، الإبريز : ل.  
بروقنصال، مؤرخو الشرفاء، تر. عبد القادر الخلاوي : أ. الشيباني،  
مصايح البشرية في أبناء خير البرية : عيسى العربي، قبيلة أيت

البهية : "إنه كان آية باهرة في المذاكرة وحسن المحاضرة وله فهم ثاقب في الحديث، على أنه لم يلازم في صغره مجالس علم، ولا عانى تعلم نحو ولا غيره مما يعين على تحصيل ذلك، إلا أنه لازم سرد الحديث والسير وكتب القوم حتى صار له في ذلك رسوخ قدم وطول باع، مع الإكثار من الأذكار والأوراد، آناء الليل والنهار".

ورغم كونه كان قدوة حسنة في سلوكه، ومربيا مرشدا لكثير من أصحابه فإنه لم يرد أن يجعل لنفسه زاوية خاصة، وإنما كان يلتقي بمريديه في المساجد والدور والبساتين، ويكثر الجلوس بمسجد القرويين والضريح الإدريسي وزاوية سيدي عبد القادر الفاسي. وأخذ عنه جماعة من العلماء والفضلاء منهم من أخذ الجانب الصوفي كمولاي الكامل بن عبد الله الأمراني الذي استمد منه الطريقة الناصرية ومنهم من أخذ عنه دروسا موضوعية في التفسير والحديث وقد نبه إلى بعض هذه الدروس العلمية الشيخ محمد بن عبد الواحد الكتاني.

ومن المجالس العلمية التي كان يقوم بها مجلس للبخاري يسرد عليه بزواية عبد القادر الفاسي أشار إليه محمد بن جعفر الكتاني في السلوة وقال بعد ذكره : "وكننا نجالسه فنسمع من الكلام على الأحاديث وآيات القرآن وكلام القوم ما يبهر العقول". ومن المجالس التي كان يقوم بها مجلس لتدريس موطأ الإمام مالك وقد استفاد من هذا المجلس الفقيه محمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي.

توفي يوم الثلاثاء - سابع محرم عام 1291 / 24 فبراير 1874 ودفن بضريح عبد القادر الفاسي، ولم يودع الحياة إلا بعد أن خلف ستة أبناء اشتغلوا بتحصيل علمي الظاهر والباطن. ومازال عقبه حتى الآن بفاس يعرفون بأولاد بوطربوش الدبّاع حسب ما هو مدون في سجلات الحالة المدنية.

- م. الكتاني، سلوة، ج. 1، ص. 329 ؛ إ. الفضلي، الدرر البهية، ج. 1، ص. 152 ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 7، ص. 142 ؛ ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، 7 : 2650 ؛ م. المنوني، مجلة المناهل، العدد 36.

### الدبّاع، عبد الخالق بن أحمد، من أفراد الأسرة

الدبّاعية القاطنين بمدينة مراكش، كان فقيها صالحا ومدرسا نافعاً، انتسب إلى الطريقة المختاركية الكنتية وترأس زاويتها بهذه المدينة، وكانت بينه وبين أحمد البكاي حفيد المختار الكنتي الجدة علاقة وطيدة زادت رسوخا حينما توجه إلى الصحراء، واستمد منه الورد وأتى به إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بن هشام.

كان في غالب الأحيان يتولى نشر آراء صاحبه أحمد البكاي في مختلف المجالات، ويتلقى منه الرسائل المتعلقة بالتصوف وغيره، ومنها رسالة تشتمل على إظهار موقف

أحمد البكاي من الكتاب الذي ألفه محمد بن أحمد أكنسوس في تاريخ العلويين المسمى بالجيش العرصرم الحماسي في دولة أولاد مولاي علي السجلماسي، فقد لاحظ فيه وجود بعض الهفوات، وارتأى تسجيلها في وريقات وأرسلها إلى السيد عبد الخالق ليتولى تقديمها للمؤلف، ولما بلغه أن المؤلف لم يستغفها كتب رداً آخر سماه فتح القلوب في الرد على الكنسوس.

والظاهر من هذا العنوان أن البكاي لم يكن غنياً في رده بخلاف ما جاء في بعض الردود التي قام بها بعض المعارضين للمؤلف، فإنها كانت تنسم بالعنف كالرد المسمى الطالع المنحوس في الرد على الكنسوس وكالرد المسمى الحسام المشرفي لقطع لسان الساب العجروفي، الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن أكنسوس.

والغالب أن السيد عبد الخالق الدبّاع لم يكن يحمل عداءً لأكنسوس في إبراز بعض ما جاء في رد أحمد البكاي من الجزئيات العلمية الخالصة التي لا تصل إلى حد الإضرار بشخصية المؤلف.

ومن هذه الجزئيات كون المؤلف كان يخطئ أحيانا في تحديد أسماء بعض المؤلفات أو في تحديد مضمونها. فمن النوع الأول ما ذكر من أن محمد الصغير اليفرنى ألف كتابا في تاريخ المولى إسماعيل سماه الظل الظليل في مفاخر مولانا إسماعيل في حين أن الاسم الذي سماه به مؤلفه هو الظل الوريف في مفاخر مولانا إسماعيل الشريف أو روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف ومن النوع الثاني عده كتاب صفوة الأدب لأبي العباس الجراوي من كتب التاريخ، في حين أنه كتاب أدب جامع لمنتخبات من الأشعار على نسق كتاب الحماسة لأبي تمام.

والواقع أن مثل هذه الهفوات يمكن معالجتها بالنقد التنزيه دون أن يصل إلى حد السباب والتجريح، ولعل السيد عبد القادر الدبّاع كان من أنصار هذا الاتجاه نظراً لما عرف به من سداد الرأي وحب التصيحة ونشر الأخوة بين الناس، وليس له يد فيما قام به أولئك المعارضون الأشداء الذين واجهوا المؤلف بالشتم والسباب.

وكان للمترجم أخ عالم شهير يعرف بسيدي عبد القادر الدبّاع حدد المؤرخون وفاته سنة 1265 / 1848 ، أما مترجمنا هذا فلم تحدد المصادر التي اطلعت عليها تاريخ وفاته.

- ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 7، ص. 11 ؛ ج. 8، ص. 53 ؛ ج. 89، ص. 266 ؛ ندوة البيعة والخلافة في الإسلام، ج. 2، إعداد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ص. 534.

مصدع. العزيز الدبّاع

الدبّاع، عبد العزيز بن مسعود الفاسي، الشيخ الصالح الشهير عُرف بالصلاح والنسبة إلى التصوف

والمشيخة، شريف إدريسي حسني، ذكر مؤلف الدر السنوي أن شهرة أهله بالدباغين ليست نسبة إلى حرفة صنع الدباغ، أو دبح الجلود، وإنما السبب هو كون أجداده قد عين لهم أمراء من بني مرين مرتباً من دار الدباغ لما كانوا يسلا بحسب ما ورد في ظهير بنص على ذلك مؤرخ بعام 790 / 1388. ويذكر نفس المصدر أن قدوم هذه الأسرة على فاس كان أول المائة التاسعة. (نشر، 3 : 245).

كتب أحمد بن مبارك اللمطي (ت. 1156 / 1743) من كبار علماء فاس في النصف الأول من القرن الثاني عشر (18 م) كتاباً عنوانه الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز أو الإبريز في مناقب سيدي عبد العزيز أورد فيه معلومات عن نشأة هذا الشيخ وعن مشيخته وعلاقته معه كسريد له بصفة خاصة، والأسئلة التي ألقاها عليه والأجوبة التي تلقاها عن تلك الأسئلة فيما يتعلق بمواضيع حيرت علماء "الظاهر" مما يتصل بالحديث والقرآن وكلام شيوخ التصوف والأخرة وقضايا تتعلق بالظلمانية والنورانية الباطنيتين ولا سيما دور الباطن النبوي والمقام المحمدي في احتواء أسرار الأحوال والمقامات التي يتحدث عنها الصوفية.

أراد العالم اللمطي أن يبين أن شيخه الدباغ وهو الرجل الأُمِّي قد أوتي علماً لديناً، وذلك من خلال آراء إما أنها توافق ما ذهب إليه كبار العلماء أو أنها تأتي بتفسير ظواهر لم يصل بشأنها العلماء إلى توضيحات مقنعة. فجاء هذا التأليف سجلاً فريداً من نوعه لقضايا قلما صرح بمثلها الصوفية السابقون أو المتأخرون أو قلما تناولوها بأسلوب عادي مثل الأسلوب المباشر الخالي من الألفاظ كما في كتاب الإبريز.

يظهر الشيخ الدباغ من خلال الإبريز ودوداً لطيفاً فطرياً فياض الحفاط واثقاً بما يتكلم عنه. وقد تضمنت مقدمة الكتاب إشارات إلى بداية تعلقه بعالم الروحانية على يد شيخ دبر تزوج أمه فارحة بوالده متنبئاً لهما بمولود توفي هو قبل مجيئه، وهو عبد العزيز هذا الذي تلقى تركة من الشيخ المذكور هي عبارة عن شاشية وحذاء سنة 1109. بحث الدباغ عن الشيوخ واتصل بعدد منهم إلى أن لقي شخصاً لقنه سنة 1121، وعرف فيما بعد أنه الرجل المعروف عند الصوفية بالحضر. وبعد أربع سنوات وقع له الفتح، أي في سنة 1125. وفي نفس السنة اجتمع به ابن مبارك اللمطي. وفي عام 1129 بدأ هذا التلميذ العالم في وضع تقايب عن محاوراته وعلاقته مع الشيخ فحصل منها كتاب الإبريز.

يذكر الدباغ من شيوخه أسماء أشخاص لقبهم بطريقة غير عادية، ومنهم رجل اسمه عبد الله البرنوي ليس هو شيخ أحمد اليميني المتقدم عنه.

يظل الأثر النفيس للدباغ هو كتاب الإبريز، وإن كان له مريدون في وقته، فهو لم يخلف طريقة مشهورة. ولكن الكتاب نموذج لمحتوى شفوي يتحول إلى نص مكتوب، كما

أن علاقة اللمطي بالدباغ علاقة تتلمذ عالم اصطلاحى على رجل أمي، لا تتلمذ باطن فحسب بل في أمور تتصل بالمعرفة الاصطلاحية. لذلك فالاعتناء بهذا الكتاب اعتناء واضح يظهر في تعدد مخطوطاته وطبعاته.

توفي عبد العزيز الدباغ بفاس عام 1132 / 1720 ودفن خارج باب الفتوح قرب روضة الأنوار بين دراس بن إسماعيل وعلي صالح. وبنيت عليه قبة.

أ. اللمطي، الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، بيروت، لبنان؛ نشر أيضاً بتحقيق : م. عدنان الشماخ، في جزأين، دمشق، 1984 : م. القادري، نشر الثاني، ج 3، 245 - 246 : م. الكتاني، سلوة، ج 2، 197 - 204.

زكية ازوانات

### الدباغ، عبد القادر بن أحمد الحسني، من

علماء مراكش في القرن الثالث عشر الهجري، كان مدرسا بارعا، وموهبا موفقا، له خبرة بالفقه وقدرة على الإفتاء، وكان من أسيخ السلطان محمد بن عبد الرحمن في قراءة الصحيح في الأشهر الثلاثة الفاضلة وقت خلافته الصغرى.

استفاد طلبة العلم من مجالسه التي كان يدرس في بعضها التفسير والفقه، ويحلل في بعضها حكم ابن عطاء الله. أخذ عن جماعة، منهم علي بن الفاضل بن مريدة السريغيني المنتحى للزاوية الدرقاوية المتوفى عام 1304 / 1886 دفين بباب أغمات.

وما يذكر في ترجمته أن القاضي محمد بن محمد بن عاشور قاضي الجماعة بمراكش كان رغم ما اشتهر به من اعتداده بنفسه يتوجه إليه ويستفهمه في بعض القضايا النازلة ويحكم بمقتضاها.

توفي عام خمسة وستين ومائتين وألف / 48 - 1849 ودفن بين قبة سيدي يوسف بن علي خارج باب أغمات.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج 8، ص. 456 : ج 6، ص. 255 + 381 : ج 9، ص. 297 : م. ابن الموقت، السعادة الأبدية، ج 1، ص. 48.

محمدع. العزيز الدباغ

### الدباغ، عبد الله بن عبد الواحد بن علال

ابن إدريس الحسني الفاسي. ولد في حدود عام 1190 / 1776 واشتغل بتحصيل العلم الظاهر والباطن "كان عالماً ولياً صالحاً خيراً ديناً، له كرامات وأتباع". أخذ عن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي وكان من أشهر تلاميذه الذين نشروا الطريقة الدرقاوية من بعده. وأخذ عنه كبار علماء هذه الطريقة، وألّف فيه وفي شيخه مولاي العربي الدرقاوي منهم المهدي بن عبد الواحد ابن القاضي الفاسي كتاب النور القوي في ذكر شيخنا المولى ابن عبد الواحد



وشيخه المولى العربي الدرقاوي ؛ وأبو بكر بناني الرباطي  
كتاب الفتح الوهبي في التعريف بشيخنا مولاي ابن عبد  
الواحد وشيخه مولاي العربي.

توفي بفاس عند طلوع فجر يوم السبت ثامن عشر  
ربيع الأول عام 1271 / 9 دجنبر 1854. ودفن أولاً بزواوية  
الشيخ الحمل العمراني ثم نقل بعد عامين إلى محل اتخذت  
له فيه زاوية بحومته السياج قريباً من سويقة ابن صافي.

المنهجي ابن القاضي، النور القوي في ذكر شيخنا المولى ابن عبد  
الواحد وشيخه المولى العربي الدرقاوي، مخطوط ؛ أبو بكر بناني،  
الفتح الوهبي في التعريف بشيخنا مولاي ابن عبد الواحد وشيخه  
مولاي العربي ؛ ع. بن سوادة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام  
المغرب، بيروت، 1996، ج 7، ص 2601.

محمد حجي

**الدبّاغ، عبد الهادي بن عبد الرحمان، من فرع**

أولاد عيسى بن إدريس، كان من أعيان مدينة فاس  
وصلحائها. انتدبه محمد بن عبد الله ليكون أحد النقباء  
الاثني عشر الذين عينهم بمدينة فاس لمراجعة الوثائق  
والظواهر المتعلقة بإثبات النسب الشريف لمن بدلي به،  
ليكون ذلك سبيلاً إلى تصحيح النسبة أو إبطالها. وقد  
رسم لهم الملك في ظهير تعيينه الخطة لتي يسيرون  
عليها، وأمرهم بالنسب والتباعد الشرعية ونيل الشهوات  
وإمعان النظر فيما يرجع للخطة المذكورة عن الجزئيات  
والكليات، وجعل قرارهم إلزامياً. وأرخ هذا الظهير بأواخر  
جمادى الأولى من عام واحد وسبعين ومائة وألف.  
وعلى كل حال فإن السيد عبد الهادي كان موفقاً في  
مهمته وهو لم يُختر لها اعتباراً وإنما كان اختياره منسباً  
على دراية دقيقة لسلوكه وأخلاقه ونزاهته ومعرفة بأسباب  
الناس.

توفي في حدود عام 1200 / 1785.

ع. ابن زيدان، إتحاف، ج 3، ص 234، ص 349؛ أ. الشيباني،  
مصابيح البشرية في أبناء خير البرية، ص 156.

**الدبّاغ، عبد الواحد بن علال الحسني، كان من**

أهل المعرفة والصلاح، حريصاً على الإفادة، راغباً في تربية  
المريدين. ولد في حدود التسعين ومائة وألف، ذكره محمد  
بن جعفر الكتاني في سلوة الأنفاس وقال عنه إنه أخذ عن  
الشيخ محمد بن بكار تلميذ أخيه أبي العلاء إدريس،  
وبعد وفاته أخذ عن عبد القادر بن أبي جيدة الفاسي تلميذ  
أخيه المذكور أيضاً، وبعد وفاته عن محمد بن إبراهيم  
تلميذ العارف العربي الدرقاوي وخليفته على فقرائه بفاس.  
ولم يزل في صحبته وخدمته إلى أن قدم لفاس مولاي  
العربي من بني زروال فجدد عليه الورد وسلبه الإرادة.

وبعد اتصاله بمولاي العربي صار حجة في الطريقة  
الدرقاوية، وأصبح له من المريدين العدد الكثير، منهم أبو  
بكر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد السلام بناني  
الفاسي أصلاً الرباطي داراً ومولداً، المعروف بالدبّاغي نسبة  
إلى عبد الواحد المذكور.

وقد كان هذا الفقيه متفانياً في حب شيخه متمسكاً  
بطريقته، مليباً لرغباته. شرح بأمر منه الصلاة المشيشية  
في كتاب سماه الفتوحات الغيبية في شرح ألقاظ الصلاة  
المشيشية وقد طبع بمصر عام 1331 / 1912 بهامش كتابه  
مدارج السلوك إلى مالك الملوك.

ومن المعروف عن عبد الواحد أنه كان يريي مريديه  
على أساس من الشرع متين، بحيث يرى أن الالتزامات  
الشرعية ضرورية لا مجال لأحد في إهمالها أو تحويرها أو  
التكاسل في تطبيقها، وكان يرى أن المسلم مطالب بنصيحة  
أخيه امتثالاً لقول رسول الله ﷺ النصيحة، وكان  
يكتر من ذكر هذا الحديث ويقول لمريديه : "الفقير إما ذاكِر  
أو مذكور أو متفكر وإلا فهو غافل".

توفي في شهر ربيع النبوي من سنة 1271 / نونبر -  
دجنبر 1855، ودفن بالرميلة بضريح سيدي علي الجمل، ثم  
نقل منه بعد عشرين شهراً من موته إلى المحل الذي جعل  
له زاوية بحي السياج، وبه يوجد قبره الآن وعليه دريوز،  
وفوق ضريحه نقش يبين نسبه ويحدد تاريخ وفاته.

ونظراً لارتباطه بشيخه مولاي العربي مؤسس الطريقة  
الدرقاوية فإن أتباع هذه الطريقة كانوا يجعلونه في نفس  
درجة شيخه، وقد ألف في هذا الشأن تلميذه محمد بن  
المهدي بن محمد ابن القاضي كتاباً سماه النور القوي في  
ذكر شيخنا عبد الواحد الدبّاغي وشيخه مولاي العربي  
الدرقاوي، وهو كتاب اعتمد عليه الذين ترجموا لهذين  
الصوفيين المغربيين.

د. الكتاني، سلوة الأنفاس، ج 1، ص 258؛ ج 3، ص 361؛  
لحقى بردفصال، مؤرخو الشرفاء، تر. ع. الخلاوي، ص 246؛  
ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج 1، ص 222؛ النقش الموجود على  
ضريحه ؛ أ. ابن الحياط، مقدمة رسائل الشيخ محمد بن العربي  
الدرقاوي، 1318.

**الدبّاغ، علي بن محمد بن عمر بن محمد بن**

إدريس بن عبد العزيز، من أشهر قراء مدينة فاس  
وصلحائها، له دراية بالقراءات القرآنية، أخذها عن المقرئ  
أحمد المدعو حيا بن عبد العزيز بن عمر الصديقي السوسي  
المتوفى بالمدرسة المصباحية بفاس عام 1285 / 1868. وكان  
له حظ من النظر في أسرار الحروف كوالده واعتقده الناس  
كثيراً وهاموا في محبته وتقربوا إليه وتبركوا به.

### الدبّاع، محمد بن إدريس بن عبد الهادي

الحسني الفاسي، قال عنه الفضيلي في الدرر البهية "إنه من خيار جنسه وأهل المروءة فيهم، ملازم لشانه، مقبل على نفسه وما يدينه من ربه، وأنه لا ولد له". تنبئ هذه الأوصاف عن حقيقة هذا الرجل الذي كانت الحياة بالنسبة إليه لا قيمة لها إلا بالعمل الصالح والسلوك الطيب، وهو يعد من الأفراد القلائل الذين تلقوا تربيتهم عن طريق الاتصال المباشر بأهل المعرفة الربانية، كما يعد من الأفراد الذين استمدوا بعض العلوم الدينية عن طريق المخالطة



والمصاحبة للعلماء والفقهاء، وإلا فهو لم يتلق دراسة رسمية، ولم تكن له دراية بقواعد اللغة، بحيث إذا كتب بخطه شيئاً ظهرت عليه مخايل الضعف في الصورة وفي الرسم، إلا أنه حينما يعبر عن خواطره وابتهالاته ومكتون محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه ينطلق لسانه بالتعبير الرائع والأسلوب الجذاب، ويتجلى ذلك في كتاب صغير ألفه على شكل دلائل الخيرات وقسمه إلى سبعة أحزاب سماه مفتاح الأسرار فيما يتعلق بالصلاة على سيد الأبرار، ومهد له بمقدمة في فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، واعتمد في محتواه على آيات قرآنية، وأحاديث نبوية صحيحة، ونسخته الأصلية مكتوبة بخط جميل هو خط الشريف مولاي إدريس الدبّاع الأعرج، وقع الفراغ منها في أواخر ربيع الثاني عام اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف. وقامت جماعة من المحسنين المغاربة بطبعه سنة 1983 ومهد له محرر هذه الترجمة بمقدمة صغيرة ذكر فيها أن المؤلف رغم قدرته على التأليف فإنه كان لا يحسن القراءة والكتابة. إلا أنني بعد ذلك تبين لي من خلال الاطلاع على كتاب مخطوط كان في ملكه قبل أن ينتقل إلى ورثته أنه ليس أمياً بالمعنى المعروف المتداول، فهو قد سجل في بعض أوراقه المضافة بخطه المهلهل ما يدل على أنه لم يكن على خبرة بقواعد اللغة ولكنه لم يصل إلى حد الأمية.

ومن خلال ما كان يسجله يتبين لنا أنه كان متتبعا

حج في آخر عمره وتبادل المعرفة مع جماعة من علماء الحجاز واستجاز بعض من لقيهم هناك كمحدث المدينة الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الهندي وابن أخيه الشيخ محمد مطهر بن أحمد سعد شيخ الطريقة النقشبندية والعارف أحمد بن منصور الرفاعي ومحمد حسين بن الشيخ محمد صالح جمل الليل الشافعي المكي النقشبندي. وافته المنية بالمدينة المنورة عام 1290 / 1873 ودفن بالبيح.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 9، ص. 240.

### الدبّاع، عمر بن محمد بن إدريس ابن عبد

العزیز، من علماء فاس في القرن الثالث عشر (19 م) عاش في حقبة كان فيها علماء الدين في المغرب يتلون تقديرا كبيرا من الملك العلوي مولاي سليمان، يجالسهم ويستمع إليهم ويسنحهم من عطاياه ما يعينهم على مواجهة مشاق الحياة.

كان حريصا على المعرفة جاداً في الطلب، له خبرة بالفقه واللغة، أخذ عن أشهر علماء عصره كأبي محمد عبد القادر ابن شقرون، وحمدون ابن الحاج فنال بسبب ذلك جاهها كبيرا، تولي الخطابة والإمامة بمسجد الديوان فكان المصلون يعجبون بأسلوبه الجذاب، ويصدق لهجته وسعة علمه وقوة تأثيره في نفوسهم وسلوكهم.

اشتهر بحسن أخلاقه وسلامه طويته، ورغبته في توجيه الخلق إلى طريق الحق. كان يتلقى أذكاره وأوراده من بعض أهل الصلاح إلى أن بلغ إلى مسمعه أمر الدعوة السنينة التي يدعو إليها الشيخ أحمد التيجاني فكتب إليه يطلب الورد فأذن له فيه.

وقد أشار أحمد سكيرج في كتاب كشف الحجاب إلى أن المترجم له يعد من خواص أصحاب الشيخ التيجاني فهو ممن حضر معه نقش الاسم الأعظم بزواية فاس بالسارية المعروفة بالسارية الميمونة أو سارية الذهب وهي الثانية من الجهة اليسرى من ضريح الشيخ، دلتني عليها مقدم الزاوية المذكورة كما أشار إليه أيضا في الربع الرابع من كتابه رفع النقاب بعد كشف الحجاب ووصفه فيه بالتواضع وعدم الأنانية وعدم الاتكال على ما كان له من الفضل والجاه في مجتمعه.

وعلى كل حال فإن هذا الفقيه الصوفي يمثل صورة من صور الاتجاه الفكري السائد في المغرب أثناء هاته الحقبة التي عاشها، وظل وفيها لأفكاره وسلوكه إلى أن توفاه الله في رابع عشر رجب عام 1260 / 30 يوليوز 1844 ودفن بضريح جده الشيخ عبد العزيز بالنقاب خارج باب الفتوح.

أ. سكيرج، كشف الحجاب، ص. 420 : رفع النقاب، الربع الرابع، ص. 165 : سليمان الحوات، قرة العيون في الشرفاء الدبّاعيين القاطنين بالعيون، مخطوط : إ. الفضيلي، الدرر البهية، ج. 2 : 150، (مطبعة حجرية) : م. الكتاني، سلوة الأنفاس، ط. حجر

عبد الله إبراهيم، نداء الحرية بين المغرب العتيق والمغرب الحديث (نوفمبر 1995) : دعوة الحق، عدد 268 مارس 1988، مقال تحت عنوان فكرة تأسيس مسجد باريس بين اقتراح المولى محمد بن عبد الله وتنفيذ المولى يوسف للأديب الباحث محمد بنعبد الله.

**الدباغ، محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن القطب المولى عبد العزيز.** كان من فقهاء فاس إلا أنه كان يتوجه إلى مدينة مراكش ويقضي بها مع أبناء عمومته أكثر أيامه.

غلب عليه الاهتمام بأسرار الحروف وعلم الأسماء وكتابة الزباج فكان مقصد الراغبين في معرفة هذه العلوم التي يعسر تعليلها ويصعب تحديدها لأن التصرف فيها غالباً ما لا يعود إلى قوانين ثابتة وإنما يرجع إلى قوى نفسية خارقة للعادة يهبها الله لمن يشاء من عباده. وقد حاول ابن خلدون في مقدمته أن يحدد موضوعها ويبين الفرق بينها وبين السحر فكان تحديده صعب المنال رغم الدقة التي عرف بها في تعريفاته وحدوده ومقالاته.

ورغم صعوبة تناول هذه العلوم من الناحية الموضوعية فقد تلقاها عنه الفقيه عبد السلام ابن ريسون واستعملها أيضاً ومزج بعض قوانينها بشخصيته الذاتية القابلة لذلك. توفي صبيحة يوم السبت خامس عشر محرم من عام 1285 / 8 ماي 1868 ودفن مع والده داخل قبة جده المولى عبد العزيز خارج باب الفتوح بفاس.

ع ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 6، ص. 320.

محمد بن عبد العزيز الدباغ

**الدباغ، محمد المراكشي.** ولد بمراكش ونشأ بها وتعلم، فتخرج فقيهاً محدثاً، حلاً في إتحاف المطالع : "بالفقيه الأجل، العلامة الأفضل، القاضي الأعدل، المحدث الأكمل، الحاج الأبر، الناسك المعتمر. من محبته امتزجت في الجسد والرأس والدماع، سيدي محمد الدباغ، قاضي ثغر أجدير وغيره". ولم يترجم له العباس بن إبراهيم المراكشي في الإعلام.

توفي في حدود عام 1210 / 1795.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 7 : 2456.

**الدباغ، محمد بن مسعود الحسني الفاسي،** الفقيه الصوفي الخبير الذاكر المتعبد الصالح الوقور بقية السلف. أخذ عن مشيخة فاس في عصره كمحمد بن المدني گنون، وأحمد بن أحمد بناني كلاً، وعبد المالك العلوي الضير.

ترك علم الظاهر وانغمس في علم الباطن، وله في ذلك أنظام وأزجال، أشهرها منظومة في الطرق الصوفية شرحها

للأحداث ويحرص على عدم تفويت الفرص من أجل تقييد الفوائد، فمن ذلك مثلاً إشارته إلى وقوع زلزال عظيم يوم الجمعة ثامن ربيع الثاني عام 1324 بعد طلوع الفجر بخمسة أقسام وقع بسببه هرج عظيم وارتفعت الأرض من محلها وتكلمت خراس دفة البيت ووقع لطف كثير.

ومن ذلك إشارته إلى اليوم الذي خلع فيه المولى عبد العزيز ويوم أخوه عبد الحفيظ فقد قال : "عزل المولى عبد العزيز في يوم الجمعة قبل الصلاة في 28 ذي القعدة عام 1325 وخطب الناس بالصحابة رضي الله عنهم وفي يوم السبت 29 من الشهر المذكور نُصر مولاي عبد الحفيظ بعد صلاة الظهر وأرسلت له البيعة.

ومن ذلك ما سجله في الصفحة الأخيرة من أنه من الله عليه بسبحة الولي الصالح والغيوث الواضح مولانا عبد العزيز بن مسعود الدباغ، على يد الفقيه عبد الغني بن المدني بنيس في تاسع رجب عام 1323.

وكان من المؤهريين في نظم قصائد الشعر الملحون، يتغنى المنشدون بشعره، ويتنافسون في حفظه، ومن أشهر قصائده القصيدة السماة (الغزال زهيرو) التي يقول فيها : ما لك على الارسام غافلة يا لغزال زهيرو غيثنى يا راية النصر شرع الله معك واث العشر بدوز عشيرو ؛ والغابت يحبه ما صدر توفي بفاس بعد أن عمر طويلاً حوالي عام 1350 / 1931. ودفن بالقياب خارج باب الفتوح بجوار قبة القطب المولى عبد العزيز الدباغ رحمه الله.

إ. الفضيلي، الدرر البهية، ج. 2، ص. 153 : م. الدباغ، مفتاح الأسرار فيما يتعلق بالصلاة على سيد الأبرار، الدار البيضاء، 1989 : م. المرابطي السجلناسي، تيسير المواهب في ذكر بعض ما لأبي فارس من المناقب، مخطوط : الفوائد والإشارات المكتوبة بخط المؤلف في آخر هذا الكتاب.

**الدباغ، محمد ← بلحسن (الفقيه -)**

محمد بن محمد المراكشي

**الدباغ، محمد بن الحسن الحسني.** من فقهاء فاس، درس بمصر، وتولى الإمامة والخطابة والافتاء بمسجد باريس بعد تأسيسه على يد السلطان المولى يوسف، وكانت له معرفة بعلوم البلاغة والتوقيت علاوة على الفقه والحديث، اختير ليكون شيخ الجماعة بمدينة مراكش وحمل الأمانة بصدق وإخلاص وجهه بالمعارضة لما كان يقوم به الفرنسيون من محاولة التضييق على الحريات والتقليل من شأن الشريعة الإسلامية، فألقوا القبض عليه سنة 1937 وسقطت سن من أسنانه إثر ركلة من أحد جنود المستعمرين ولم يحترموا سنه التي كانت قد بلغت التاسعة والسبعين ونفوه بعد ذلك إلى تارودانت ومازال ذكره يتردد بين مؤرخي الحركة الوطنية.

توفي في حدود عام 1360 / 1941.

الشيخ أحمد بن محمد بن الحضير العمراني بشرح سماه سعد الشمسوس في مكارم الأخلاق وقمع النفوس. تتلمذ له بعض أعلام فاس، ومنهم عبد السلام ابن سوادة الذي خصه بترجمة في فهرسة شيوخه.  
توفي بفاس عام 1340 / 1921 ودفن بمروضتهم بالقباب.

م. العمراني، سعد الشمسوس في مكارم الأخلاق وقمع النفوس، مخطوط؛ ع. ابن سوادة، سل النصال / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، 8: 2928.

محمد حجي

توفي بمكة المكرمة في شهر شعبان عام 1311 / فبراير - مارس 1894.

إ. الفضيلي، الدرر البهية، ج. 2، ص. 151؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 7، ص. 267؛ م. الطيب الدباغ، شجرة الأسرة الدباغية؛ دائرة المعارف الإسلامية، ج. 12، ص. 292؛ ع. الحى الكتاني، فهرس الفهارس، بيروت، ج. 3، ص. 1040 تحت رقم 589؛ ع. ابن سوادة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 8: 2796.

محمد بن عبد العزيز الدباغ

**الدباغ، يعقوب بن عبد الله بن علي.** ترجم له

ابن عيشون في الروض لكنه لم يورد ما يفيد في تحقيق شخصيته، بل ذكر فقط أنه مدفون خارج باب الجيسة. وذكره المدرع في منظومته في صلحاء فاس، وعنهما نقل الكتاني ترجمته في سلوة الأنفاس وأضاف إليها معلومات ذكر أنه عشر عليها بهامش بعض الكتب وجاء فيها أن اسمه يعقوب الدباغي بن عبد الله بن علي بن عبد الرحمان بن عيسى بن أحمد بن عيسى بن إدريس، وأن ضريحه بفاس وله ابن يدعى محمد بن يعقوب وضريحه بتادلة. ونسبه الكتامي للقرن الخامس أو السادس وأوضح أن لقب الدباغي يفيد أنه من الشرفاء الدباغيين بفاس، إلا أن انتماء للقرن المذكور يطرح إشكالاً.

ذكر الكتاني، اعتماداً على ما أورده القادري في الدر السنني حين تعرض لنسب الشرفاء الأدارسة، وعند منهم الشرفاء الدباغيين القاطنين بحومة العيون من فاس، أن هؤلاء الشرفاء كانوا من جملة الأدارسة الذين غادروا فاسا في اتجاه الأندلس حين انقرضت دولتهم بالمغرب وذلك سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ومكثوا بها إلى أن قدموا لسلا في المائة الثامنة ومنها انتقلوا لفاس أول المائة التاسعة أو قرب وسطها، ولذلك استبعد أن يوجد واحد منهم بفاس خلال القرن المذكور إلا أن يكون قد رجع إليها في ذلك الوقت أو لم يحصل له أصلاً انتقال منها، وهذا ما جعله يتردد بينه وبين شخص آخر يدعى أبا يوسف يعقوب الشريف دفين خارج باب الشريعة الذي يعتقد أيضاً أنه من الشرفاء الدباغيين بفاس.

وبقرنا من هذه الحقيقة ما ذكره الكتاني حول اطلاعه على ظهير للسلطان أبي عبد الله محمد الشيخ الوطاسي المتوفى عام عشرة وتسعمائة (910 هـ) مؤرخ بشهر رجب من نفس السنة، وبنص على تولية أحد الشرفاء الدباغيين ويدعى أحمد بن علي بن عبد الرحمان الشريف الإشراف على روضة الولي يعقوب الدباغ والنظر في مصالحها جريا على عادة أسلافه من الدباغيين، مما قد يفيد على أن المقصود به صاحب الترجمة ويؤكد على صحة انتسابه

**الدباغ، محمد بن الهادي الحسني،** من أولاد

عيسى بن إدريس، كان من أتباع الطريقة المختارسة الكنتية الصحراوية التي كان لها ذبوع وانتشار في عهد الملك العلوي مولاي عبد الرحمان وولده محمد الرابع.

وكانت هذه الطريقة من أقوى عوامل الربط بين شمال المغرب وجنوبه، وعمل المنتسبون إليها على لم شتات البلاد، وتأليف قلوب العباد، وكانت تتوفر على زوايا في مختلف المدن المغربية، ولعل من أكبر رؤسائها الشيخ محمد بن أحمد بن دحو الأزموري، فهو الذي سافر إلى الصحراء وأخذ الإذن مباشرة من السيد المختار بن محمد بن المختار الكنتي، وعند رجوعه بني زاوية أزموور، وأعطى الإذن لمريديه في بناء زوايا أخرى داخل البلاد المغربية، ومن بين هؤلاء المريدين محمد بن الهادي الدباغ المترجم، فقد التحق بهذه الطريقة وشرع في بناء زاوية بفاس في حي العيون قرب ضريح سيدي علي بن أبي الذناب، وهي الزاوية التي دفن فيها بعد موته في حدود عشري جمادى الثانية عام 1284 / 19 أكتوبر 1867 واتخذها الناس مقبرة فيما بعد.

م. الكتاني، سلوة، ج. 1، ص. 283؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 2، ص. 242؛ ج. 6، ص. 317؛ م. المنوني، ندوة البيعة والخلافة في الإسلام، ج. 2، ص. 543؛ الشنقيطي، الوسيط، ص. 361.

**الدباغ، مسعود بن الطيب بن الحسن بن**

الطيب بن العربي، من أولاد عيسى بن إدريس القاطنين بمدينة مراكش، تلقى دراسته أولاً بمدينة مراكش وأخذ فيها عن الشريف مولاي محمد العلوي الصفيوي، وعن الحاج الهاشمي بن عبد الله الدرقاوي، تشوق إلى البقاع المقدسة فقرر الهجرة إليها هو وأبناؤه وأهله، وسكن أولاً بالمدينة المنورة ثم انتقل إلى مكة.

استأنس بالصوفي محمد بن علي السنوسي وليد مستغانم وأخذ عنه بالزاوية التي أقامها بأبي قبيس. وهكذا فالدباغيون الموجودون بالملكة العربية السعودية أصلهم من المغرب وهم من سلالة مسعود الدباغ المترجم.

للشرفاء الدباغيين بفاس وليس لأهل حرفة الدباغة بفاس مثلما تردد على ألسنة البعض من أصحاب هذه الحرفة. ويستفاد من التاريخين المذكورين كذلك أن صاحب الترجمة عاش خلال القرن التاسع (15 م).

ع. ابن خلدون، العبر، ج. 6، ص. 292؛ ع. السلام القادري، الدر السني، ص. 414؛ أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص. 211؛ ابن عيشون، الروض العطر الأنفاس، ص. 285 و ص. 361؛ م. الكتاني، سلوة الأنفاس، ج. 1، ص. 105.

زهراء النظام

باب الدبّاغين بمراكش أو "باب الدباغ" ويرجع أصل التسمية إلى مجاورة الباب لدور الدباغة منذ تأسيسه.

يقع باب الدباغين وسط الواجهة الشرقية من سور مراكش، وهو واحد من الأبواب الثلاثة لهذه الواجهة : باب أيلان وباب ينتان ويرجع تاريخ تأسيسه إلى زمن بناء سور المدينة على عهد حكم المرابطين حيث وردت إشارات متعددة عنه ضمن أخبار ترجع إلى هذه الفترة ( أخبار المهدي، 40 / 60 : نظم الجمان، 159). ويمكن إجمال الجانب التاريخي لهذا الباب في محورين هما :

1 - محور سياسي - عسكري : لعل من بين أبرز الأحداث السياسية العسكرية التي كان لها ارتباط بباب الدباغين هي :

أ - عمليات البحيرة : 524 / 1130 : جرت هذه العمليات بما فيها الحصار والمواجهات خارج شرق سور المدينة على ميدان تمتد رقعته بين باب الدباغين وباب أيلان ( نظم الجمان، 159).

ب - حصار 541 / 1145 : كان باب الدباغين واحداً من بين ثلاثة أبواب اختار قادة جيش الموحدين المكلفين بتدبير عمليات الحصار اقتحام المدينة منها وهي باب دكالة في الغرب وباب ينتان وباب الدباغين في الشرق وأسندت مهمة الاقتحام من هذا الباب بالذات إلى فريق من الجنود، يبدو أنه كان يتمتع بخبرة عسكرية عالية ويتعلق الأمر بعبيد المخزن مدعوماً بجند من صنهاجة ( أخبار المهدي، 64).

ج - تصفية عام 548 / 1154 : أمر عبد المومن في سياق هذه التصفية للمناوئين والمعادين للمخزن الجديد بقتل عيسى أخي المهدي بن تومرت كواحد من شملتهم حملة تصفية الناكثين وجرى تنفيذ الأمر قرب باب الدباغين ( البيان : قسم الموحدين، 50 - 51).

2- محور ديني :

يمكن اختزال بعض عناصره البارزة في الجوانب الأربعة التالية :

أ - الجانب الشرقي : يقع باب الدباغين ضمن مجال الجانب الشرقي الذي عُرف بكثافة النشاط الصوفي به في

العاصمة الموحدية.

ب - الاستسقاء : أورد ابن الزيات أخباراً تهتم موضوع صلاة الاستسقاء بمراكش، وضمنها حدد مكان أداء هذه الصلاة مرة خارج باب الدباغين ( أخبار أبي العباس، 467) ومرة خارج باب أغمات، ( أخبار أبي العباس، 474) ولعل في هذا التحديد ما يوحي بأفضلية المكان وقيمتها الخاصة عند السكان.

ج - الكرامات : يستفاد من كتابات ابن الزيات أن عدد الكرامات التي جرت وقائعها في أبواب مراكش، بلغ تسع كرامات موزعة بين أربعة أبواب هي : باب فاس (التشوف، 304 - 305) باب ينتان ( أخبار أبي العباس، 470) باب أغمات (التشوف، 306) وباب الدباغين (التشوف، 300 - 341 - 346 - 442 - 446 : أخبار أبي العباس السبتي، 469 - 470) ومن هذا المجموع كان باب الدباغين مجالاً لثلاثي الكرامات المشار إليها.

د - مقبرة الباب : تقع خارج الباب وتحده من الشمال وفيها دفن عدد من صوفية المدينة.

لوحة لتصوفاً دفنوا بمقبرة باب الدباغين من خلال التشوف

تاريخ الوفاة	أحواله	المتصرف
1189 / 585	من الأفراد	أبو إبراهيم إسحاق بن محمد المزويحي
1196 / 592	كان عبداً صالحاً ورعاً	أبو يعقوب يوسف بن عبد الله بن مصباح التادلي المعلم
1196 / 592	كان زاهداً في الدنيا وأهلها	أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم التنيطي
1198 / 594	جمع القرآن في مدة يسيرة	أبو عمران موسى بن عيسى الدرعي الأسود
1199 / 595	من الأفراد	هنية بنت ميون الدكالي
1205 / 601	حزين دائم البكاء،	أبو هارون عبد السلام بن وجوط العزفي فاضل
1211 / 607	كان عبداً صالحاً مجاب الدعوة	أبو عبد الله محمد بن قميم الزناتي
قبل عام 601 / 1209	من أهل المجاهدة والتجرد والزهد	أبو العباس أحمد بن خالص الأنصاري
1216 / 612	كان عبداً صالحاً	أبو الحسن علي بن يسور الدكالي المعروف بالعربي
1218 / 614	كان عبداً صالحاً	أبو زكريا يحيى بن أبي بكر الزناتي

المختصيات المعمارية : يعتبر باب الدباغين واحداً من بين مجموعة أبواب سور المدينة التي تتوفر على باين أحدهما خارجي والآخر داخلي ويلاحظ بالنسبة لهذا الباب وجود تباين واضح بين باييه في التصميم والحجم والزخرفة يمكن إجماله في المقارنة التالية :

عناصر المقارنة		الباب الداخلي	الباب الخارجي
المقاييس	العلو	أكبر	أصغر
	العرض	أكبر	أصغر
الواجهة	ذات مستويات خمسة متدرجة	ذات مستوى واحد	أصغر
الزخارف	موجودة ومتنوعة	غير موجودة	
التوافد	غير موجودة	نافذة واحد وفتحات	

ابن ديبوس، أسرة فاسية أصلها من بني يفرن الزناتيين. استوطنت مدينة فاس عند ما كون بنو يفرن إمارتهم فيها. واشتهرت بالثروة والنباهة والعلم خلال عصري المرابطين والموحدين. وكان أحد أزقة مدينة فاس يعرف بها هو "عقبة ابن ديبوس" ومازال إلى اليوم. أنجبت عدداً من العلماء تولى بعضهم قضاء مدينة فاس خلال عصر المرابطين. ثم انقرضت أواخر العصر الموحدى. منهم :

ابن ديبوس، أحمد بن عبد الله اليفرنى الفاسي فقيه مشارك، لم تورد له كتب التراجم ترجمة مستقلة، ومن النبذ المتفرقة عنه نعرف أنه كان أول قضاة أسرته، ولي قضاء مدينة فاس في العصر المرابطى بعد وفاة قاضيها العالم الورع أبي يعقوب يوسف بن عيسى ابن الملجوم الأزدي سنة 498، لكنه ما لبث أن عزل بعد مدة قصيرة سنة 500، وولي مكانه الفقيه المحدث أبو القاسم هشام بن يوسف ابن الملجوم.

توفي أحمد ابن ديبوس بفاس سنة 507 / 1113.

ابن ديبوس، عبد الله بن أحمد بن عبد الله اليفرنى الفاسي، لم تفرد له كتب التراجم القديمة ترجمة مستقلة، وترجم له من المتأخرين الكتاني في سلوة الأنفاس وعبد السلام بنسودة في قضاء فاس. ومنهما ومن مجموع الأخبار المتناثرة عنه يستفاد أنه كان قاضياً بمدينة فاس وإماماً بجامع القرويين. ونقف في ترجمة الصوفي الشهير أبي الفضل ابن التحوي (ت. 513) على إشارة إلى خصومة وقعت بينه وبين قاضي فاس ابن ديبوس الذي منعه من تدريس علم الكلام بجامع القرويين، فاضطر إلى مغادرة المدينة بسبب ذلك. لكن القاضي ابن ديبوس نفسه كان من مريدي الشيخ ابن النحوي.

ألف عبد الله ابن ديبوس كتاب الإعلام بالمحاضر والأحكام وما يتصل بذلك مما ينزل عند القضاة والمحكام، وهو في أدب القضاء واختصاصات القاضي، وحل بعض الإشكالات الفقهية التي تعترض القضاة في المسائل العريضة، اعتمد فيه على مصادر الفقه المالكي المشهورة كموطأ الإمام مالك وواضحة ابن حبيب ومدونة سحنون والعتبية والموازية ونوادر ابن أبي زيد القيرواني ومنتخبه ابن لبابة ومنتخب الأحكام لابن زمنين وتبصرة اللخمي ووثائق ابن العطار.

وكان له ولد يسمى عبد الحق ابن ديبوس، كان عالماً جليلاً من علماء فاس توفي سنة 557 أو 578، وكذا عبد الخالق بن عبد الحق كان من علماء المدينة، وتوفي سنة

لعل تأمل عناصر هذه المقارنة يقدم الانطباع بقوة حضور المشاغل الأمنية في هندسة الباب الخارجي والملاحظة تدعمها عدة مؤشرات يمكن حصرها في أربعة هي :

1 - عدم انفتاح الباب على نفس الاتجاه الذي يقابل السور، وبالمقابل انفتح على الاتجاه الموازي للسور في اتجاه الشمال، ولعل مما يسهم في فهم هذا التوطين ووظيفته الأمنية كون باب الدباغين يعتبر الباب الشمالي للواجهة الشرقية من سور المدينة، ويبعد موقعه عن النهاية الشمالية لهذه الواجهة بما يقرب من نصف مسافة الواجهة كلها، ولعل مراقبة ما يجرى خارج هذه المسافة الطويلة، وأمام عدم وجود باب فيها يقتضي توجيه مدخل الباب نحو الشمال.

2 - إحاطته ببرجين الأول شمال الباب والثاني في جنوبيه تعلوهما شبكة فتحات صغيرة، منها المربعة ومنها الطويلة تسمح فقط بالرؤية ومن خلالها المراقبة الكلية للمحيط الخارجي للباب شمالاً وغرباً وجنوباً.

3 - ضيق مدخل الباب الخارجي مقارنة بمدخل الباب الداخلي ودعمه بباب آخر يغلق ويفتح يقع مباشرة بعد الدخول من الباب الخارجي. وبوابة ذات مدخل ضيق ويسقف منحدر في شكل قوس لا تسمح بالمرور المريح.

4 - تتميز المسافة الفاصلة بين الباب الخارجي والباب الداخلي بمجموعة من العناصر المعمارية تلتقي في تكامل وظيفتها الأمنية المشتركة وهي :

أ - يتم المرور من الداخل إلى الخارج أو العكس، بطريقة ملتوية عبر منحرجات ستة وهذه الخاصية جعلت من باب الدباغين نموذجاً فريداً بين باقي أبواب سور المدينة، وأعقدها في تصميمه وأصعبها في اقتحامه.

ب - وجود ساحة مستطيلة الشكل مكشوفة، يشرف عليها من الأعلى سطح يسه ستسارة، لعل من بين استخداماته، استعماله كمركز للهجوم المباغت ضد كل من أمكنه الإفلات من الباب الأول والآخر المجاور له ولبوابته، وهو آخر نقطة دفاعية داخل باب الدباغين قبل دخول المدينة.

ي. ابن الزيات، الشوف وأخبار أبي العباس النسبي، تج. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1984؛ ابن القطان، نظم الجمال، تج. محمود علي مكي، بيروت، 1990؛ البيهقي، أخبار المهدي بن تومرت، الرباط، 1971؛ ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، تج. محمد إبراهيم الكتاني، محمد زبير، محمد بن تاويت، عبد القادر زمامة، الدار البيضاء، 1985؛ التحري الميداني.

597، ولم يكن له عقب، وبوفاته انقرضت أسرة بني دبوس.  
ع. الله، ابن دبوس، الإعلام بالمحاضر والأحكام وما يتصل بذلك مما  
ينزل عند القضاة والحكام، تج. إدريس السفياني، د. د. ع. كلية  
الآداب بالرباط، 1994، مرقونة: القاضي عياض، مذاهب الحكام  
في نوازل الأحكام، تج. م. بنشرفة، بيروت، 1990، ص. 12؛  
ي. ابن الزيات السادلي، التشريف، تج. أ. التوفيق، الرباط،  
1984، ص. 99؛ ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، الرباط،  
1972، ص. 26؛ أ. ابن القاضي، جنوة الاقتباس، الرباط،  
1974، 2، 388 - 390؛ ع. السلام ابن سودة، قضاة فاس،  
نسخة مرقونة على الآلة الكاتبة؛ م. الكتاني، سلوة الأتقاس،  
فاس، طبعة حجرية، 1316، 3، 294، 295؛ مجهول، نبذة من  
تاريخ المغرب الأقصى، مخطوط، خ. ع. رقم 2152، ص. 119.  
محمد المرقاوي

### أبو دبوس (آخر ملوك الموحدين) ← إدريس بن محمد بن عبد المومن

دبدو، مدينة جبلية صغيرة تقع في الجهة الشرقية من  
المغرب على بعد 160 كلم جنوب غرب مدينة وجدة و52  
كلم جنوب مدينة تاوريرت، وهي إحدى الباشويات الثلاث  
التي تشكل إقليم تاوريرت وتضم أربع جماعات قروية  
(سيدي لحسن والعطف وأولاد محمد وسيدي علي بلقاسم)  
إضافة إلى الجماعة الحضرية لدبدو.

تعتبر هذه المدينة لدى الكثيرين قديمة مع أنها لم يُذكر  
اسمها قبل القرن الثامن (14 م) حيث ذكر ابن خلدون أنه  
لجأ إلى جبل دبوس سنة 774 وقد يفهم من هذا عدم وجود  
المدينة آنذاك إذ لم يشر إليها كثير من الكتاب الذين سبقوه  
رغم أن الوزان ذكر في كتابه وصف إفريقيا أنها مدينة قديمة  
أسسها الأفرقة، كما أشارت بعض المراجع إلى ظهورها أيام  
عبد الحق المريني. فهذا الاسم يطلق أيضاً على جبل يشرف  
عليها من الناحية الغربية وعلى الوادي الذي يمر بجوارها.  
ونسبة إلى الكلمة يقال "دبوبي" و"دبابية" مما قد يرجح أن  
يكون أصلها "دبوب" التي تعني مكانا يصدر دبوبة وهي  
كل صوت أشبه صوت وقع الحافر على الأرض الصلبة وهو  
المكان الذي بنيت فيه إمارة بامر من الحكام المرينيين بفاس،  
إلا أن هناك ميلاً إلى الاعتقاد بأن أصل كلمة "دبدو"  
أمازيغي قد يرتبط بكلمة "بادو" أو "أبادو" وتعني الحاجز  
بين حوضين مستقيين أو بكلمة "ريدو" التي تطلق على نوع  
من الكتبان، وكلتا الكلمتين تدلان على شكل يوحى به  
"جبل دبوس" واعتداده الذي يفصل بين وادي دبوس وسهول  
تفراطة.

وتذكر بعض الروايات الشفوية المتوارثة والمتداولة بقوة  
أن "فاطمة بنت عبد الحق المريني مولت بناء القصب (إمارة  
دبدو) بمال صداقتها!" حسب كتابات وجدت على أحد

الأسوار، وقد تكون هذه الرواية عارية عن الصحة لغياب  
ذكرها في أي من المصادر، إلا أن المؤكد هو تأسيس دبوس  
إبان قيام عبد الحق المريني (592 - 614 / 1196 - 1218)  
بتقسيم مجال دولته بين فروع قبيلته الكبرى، فكانت دبوس  
معتقلاً من نصيب بني ورتاجن (قبيلة زناتية) لصد هجمات  
بني عبد الواد التلمسانيين والحد من أطماعهم، وهذا ما  
عرضها للاجتياح والتدمير على يد ملك تلمسان سنة  
1365 / 64. 766. بينما تذكر المصادر أيضاً أن أحد زعماء  
بني ورتاجن تمكن من تأسيس إمارة صغيرة بدبدو حوالي  
سنة 833 / 1430 بلغت ذروة ازدهارها خلال هذا القرن  
حيث استطاعت أن تسيطر نفوذها وأن تفرض نفسها على  
امتدادات محيطها رغم المناوشات التي كانت تقودها ضدها  
القبائل المجاورة لها، بل إنها استطاعت أن تثبت استقلالها  
عن سلطة الوطاسيين بعد أفول نجم المرينيين وحاولت انتزاع  
تازا من ملك فاس مما عرضها لمتاعب أعادتها إلى فلك  
العاصمة نفسها، ومع استتباب الأمر للسعديين بفاس حوّل  
عبد الله الغالب دبوس إلى مجرد باشوية سنة 970 / 1563  
تؤدي محلة عسكرية لمواجهة أي زحف محتمل للأتراك من  
الناحية الشرقية. وبهذا انكمشت دبوس على نفسها وتعاطى  
أهلها للتجارة بين البدو والحضر محلياً، ومع فاس وملييلة  
وتلمسان ووهران والواحات الصحراوية جهويًا لتسويق  
الصوف والزرايب والزيت والزيتون والحبوب، واستقرت فيها  
طائفة من اليهود أصبحوا يملكون ضيعة ويساتين وأراضي  
ومواشي كساتر مواطنيهم من المسلمين.

قد يكون تزامن ازدهار إمارة دبوس مع بداية تهجير  
يهود الأندلس مفسراً لاستقطاب طائفة منهم تشير بعض  
المراجع إلى أصولها الإشبيلية المهجرة منذ سنة 1391 وتذكر  
أنه بين سنتي 1440 و1470 تم استقرار العائلات اليهودية  
الأولى في دبوس التي سميت أيضاً "إشبيلية"، ومازالت بها  
حالياً عين تحمل اسم "إشبيلية"، غير أن بعض المراجع  
الأخرى تتحدث عن وجود قديم لجالية يهودية مغربية في  
هذه المدينة كانت لبعض عناصرها منافسة مع اليهود  
الأندلسيين، كما تحدثت عن هجرة مبكرة لليهود في اتجاه  
فلسطين نشطت منذ مجاعات فترة 1779 - 1807. تفجرت  
هذه المنافسة مع اندلاع ثورة بوحمارة التي انقسمت حول  
مساندتها مختلف قبائل وطوائف المنطقة إذ انضم إليها سنة  
1904 أحد اليهود الذي كان قد عين قائداً على دبوس  
ويدعى دودو بن حيدا بعد أن حاول أن يستقل بها أحد  
السكان الأمازيغ وهو المسمى بوحصيرة، فعمت الفوضى  
وهاجر بعض اليهود إلى تلمسان ووجدة وملييلة سنة 1894  
إثر وفاة الحسن الأول وتولي عبد العزيز زمام الأمور وقيام  
ثورة بوعمامة على الزحف الفرنسي في التخوم المغربية  
الجزائرية وانقطاع القوافل، ولم يعد "الهدوء" إلى المنطقة إلا  
مع الاحتلال الفرنسي سنة 1911 إثر زحف عسكري عنيف  
واجهته مقاومة شديدة برزت فيها قبيلتنا علوانة وبني





العيون.

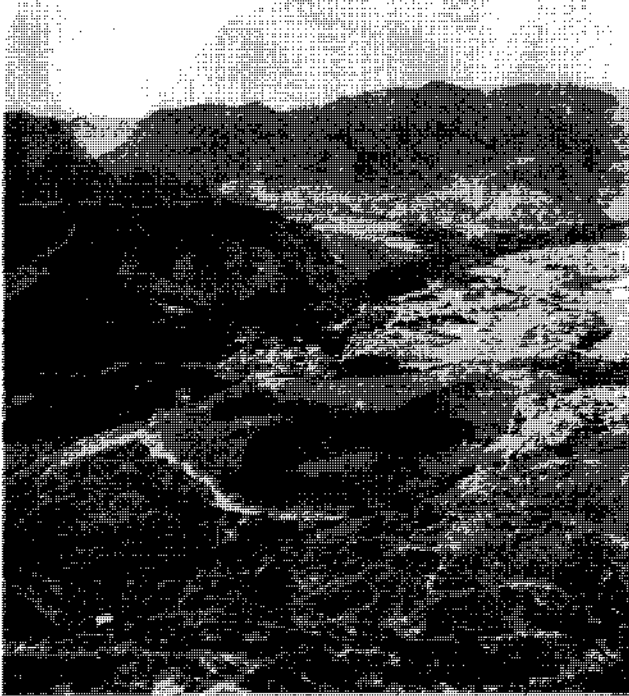
دبدو (كتلة) : اصطلح على إطلاق هذا الاسم على وحدة مرفونية تمثل الجزء الأكثر ارتفاعاً في الهضاب العليا (1691 م) تنتصب شامخة في حافتها الشمالية الغربية المشرفة على سهول تفرطة الممتدة بحوض غرسيف. وتشكل هذه الكتلة التي تقع مدينة دبдо في قلبها من أعراف جبلية متصلة بهضبة متماسكة، وقد جزءتها أودية عميقة نتجت عن الحت التراجعي الذي انطلق من جرف انكساري يتجاوز مده الأقصى 1000 م.

وتتكون هذه الكتلة من غطاء رسوبي تسود فيه الضخور الكلسية والدولوميتية الجوراسية (الزمن الجيولوجي الثاني) وهي قليلة السمك نسبياً، توضع فرق أساس تشكل القاعدة الهرسية (الزمن الجيولوجي الأول) المكونة من صخور حوكها الاختراق الغرانيتي إلى شست وكوارتزيت. ويسبب الميل المبكر لهذه الكتلة نحو الارتفاع شكلت قعراً مرتفعاً لم يغمره البحر خلال الزمن الجيولوجي الثاني إلا في مرحلة متأخرة وتراجع عنها في وقت مبكر. تعتبر هذه الكتلة حاجزاً تضاريسياً وعراً يفرض تصاعداً اضطرارياً للكتل الهوائية مما يجعل الرطوبة منها تُمطر وتثلج بمعدل يفوق 500 مم في الأجزاء المرتفعة (الكتلة) مما جعلها مكسوة بغابة متوسطة تتدرج فيها المستويات البيومناخية من شبه القاحلة إلى شبه الرطبة تشمل البطم والعُتم والعرعار والصنوبر والبلوط والضرور، تكتسحها الحلفاء باستمرار بسبب التدهور. ورغم أن هذه الكتلة تُشكّل جزيرة خضراء برطوبتها في وسط يتميز

1994 إد لم يتجاوز 12٪ مع 4477 نسمة، أما اليهود فقد غادر آخرهم المدينة قبل نهاية القرن العشرين بعد أن تقلص عددهم إلى 5 أسر فقط في سنة 1978. لا يمثل سكان بلدية دبдо سوى نسبة 14٪ من مجموع سكان الدائرة التي بلغ عدد سكانها 31990 نسمة سنة 1994 والتي تضم أيضاً قيادتين (الكتلة والزوي) تشمل كل منهما جماعتين قرويتين وهما على التوالي العطف وأولاد محمد ثم سيدي لحسن وسيدي علي بلقاسم. وتعدو أصول سكان دبдо ومحيطها إلى قبائل عربية وأخرى أمازيغية معربة. وعرف سكان دبдо أنشطة دينية إسلامية كانت تؤطرها مختلف الزوايا والطوائف وأخرى يهودية وقد اضمحلت مع مرور الزمن ولم يعد هناك أي نشاط يذكر حالياً.

يتضح إذن أن دبдо لا تستقطب سكان باديتها إلا مرحلياً ولا تحقق نمواً ذاتياً مهماً بسبب التزوج المستمر منها نحو المدن. وتنتج هذه الهجرة عن انعدام تنمية تواجه العزلة ومحدودية الموارد وضعف البنية التحتية وتقلص وظيفتها التجارية والحرفية التقليدية التي أصبحت لا تنتعش سوى أيام الأربعاء مع انعقاد السوق الأسبوعية. تتوفر دبдо على شبكة جزئية للواد الحار وعلى شبكة للتزويد بالماء الشروب عانت كثيراً مع استفحال ظاهرة الجفاف قبل أن يتم إنقاذها بالتزود من تفرطة. ويخترق المركز شارع وحيد ينتظم على جانبيه عدد من الدكاكين جلها مغلق إضافة إلى بعض مشاغل الحرفيين. وقد اشتهرت دبдо بنسيج الأغصية الصوفية المعروفة "الدبدوبي" والخياطة وصناعة الحفائر وبعض الأواني من الحلفاء وصناعة الأدوات الفلاحية التقليدية والحداة والحرازة والحزف والصياغة وإنتاج الزيتون وزيته.

تربط دبдо بمحيطه طريقٌ وحيدة جهوية (605) تنطلق من مدينة تاوريرت شمالاً إلى دبдо جنوباً لتستمر عبر منحدرات منحدرة وعرة في اتجاه قرية العطف جنوباً وبعدها تصبح عبارة عن مسلك يوصل إلى تندرارة، وتتفرع منها طريق سيدي لحسن وعين بني مطهر وعدد من المسالك غير المعبدة. ويتوفر مركز دبдо على ثلاث مدارس وثانوية ومستوصف ومركز بردي ووكالة بنكية، وأصبح مؤخراً يتوفر على بيوت حديثة للإيواء السياحي أقيمت بجوار "عين تافرنت" على درجة مشرفة على مشاهد طبيعية جميلة. وقد عُرفت دبдо أيضاً بغاباتها الوارفة الظلال (البلوط والعرعار والعتم والصنوبر) وما تؤويه من وحش ونباتات طيبة تعاني كلها من التدهور. أما الفلاحة فيعتمد عليها غالبية السكان بمن فيهم ساكنة المركز وتقوم أساساً على تربية الماشية خاصة منها الماعز نظراً للطبيعة الغابية الجبلية إلى جانب قطع الأخشاب والزراعات البورية الاحتمالية، إذ أن الزراعات المسقية محدودة في المكان والزمان، وقد لا تتعدى الفصل المطير والمثلج أحياناً بسبب معاناتها مع طول فترات الجفاف الذي يقلص من انصباب



بالقحولة فإنها لا تتوفر على وديان دائمة الجريان نظرا لضعف سمك الغطاء الرسوبي النفيذ وضخامة القاعدة غير النفيذة إضافة إلى طول الفصل الجاف.

ع. ابن خلدون، العبر، بيروت، ج 7، ص 546، طبعة، 1992 : أ. شعلان، 1998، "مدن مغربية في كتابات عبرية، صفرو ومكناس وديبو"؛ متنوعات محمد حجي، بيروت، مارمول كريخال، إفريقيا، تر. محمد حجي وآخرين، الرباط، 1984، ص. 270. 272 : ج. الوزان الفاسي (ليون الأفريقي)، وصف إفريقيا، تر. محمد حجي وم. الأخضر، بيروت، 1983، ج 1، ط، ص. 351 - 354 : ع. الرحمان المرادجي، 1986، ملاحظات حول البيئة الجغرافية لكتلة دبدو "ندوة المغرب الشرقي بين الماضي والحاضر" وجدة، ص 29. 33

Ch. De Foucault, *Reconnaissance du Maroc*, Paris, 1988 ; J. Desnottes et J. Celerier, *La vallée de Debdou, La Géographie*, Paris, T. 50 ; A. El Harradji, *Le Massif de Debdou, Etude géodémographique*, Thèse Doct. 3<sup>e</sup> cycle, Univ. Paris I, Panthéon-Sorbonne, Inst. Géogr., Paris, 1985 ; *Morphodynamique, activité anthropique et environnement dans le massif de Debdou-Mekkam, (Maroc Oriental)*, actes du symposium, *Dynamique de l'environnement en Afrique*, 2<sup>e</sup> congrès des Géographes Africains, Rabat, 19 - 25 avril 1993, pp. 103 - 112 ; *Structure géologique et évolution géomorphologique du massif de Debdou (Maroc Oriental)*, R.G.M., 1996 ; *Dubdu. E.I.*, vol. 2.

عبد الرحمان المرادجي

**الديدي، أسرة تطوانية أصلها من غمارة وقد انقرضت بتطوان حيث كانت بالمدينة دار بحومة الطرانكات تعرف بدار الديدي سنة 1257 / 1841.**

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1614.

محمد ابن عزوز حكيم

**الديس، لغة : عسل التمر وعصارتها والعامّة**

تُطلقه على عسل الزبيب. وجاء في كتاب المقصد الشريف في معرض حديثه عن يحيى بن مخلوف من فخذ بني يغمراسن من قبيلة بقوية : "فخرجت لأسوق شيئاً من الديس في الجبل الذي فوق داري المشرف على الوادي الهابط إلى أبي سكور" ( المقصد، 122) ويتحدث الحسن الوزان عن الديس في : "جبل بني جرير يسكنه فرع من غمارة فيه غابات وكروم ويساتين الزيتون وسكانه فقراء مذقعون يلبسون الثياب الحقيرة ولا يملكون من المشاية إلا القليل ويصنعون كثيراً من الخمر والديس..."، وعن جبل بني بوشيب قال بعد أن وصف مزايا الجبل الطبيعية وخصائصه المناخية ونشاط السكان الفلاحي : "... ويقتات الناس بالديس المطبوخ وحساء الفول ويعتبرونها أحسن قوت،

ويأكلون هذا الديس مع الخبز..." (وصف إفريقيا، 1 : 260.259).

برجعنا إلى النصوص التاريخية الموحدية ومقارنة ما جاء فيها عن شراب الرُب نستطيع القول إن الديس هو الرُب نفسه مع تغيير طفيف يتعلق بالزوجة، فالرُب وهو الأصل يتخذ من عصير العنب المطبوخ ويترك على النار إلى أن يتبخّر أكثر من نصفه، أما الديس فهو الناتج عن تبخر ما يحتويه العنب من الماء حتى يصبح لزوجاً مثل العسل، وربما جُفف أكثر حتى يصبح صلباً يقضم. الاختلاف الكبير بين الرُب والديس يتعلق بالغاية من تناول المادتين وكتاهما تستهلك في المناطق الجبلية الشديدة البرودة (لاستبصار، وصف إفريقيا، 260. 259) إلا أن الرُب مادة مُسكرة إذا بولغ في استهلاكها وانتشر في المغرب كله وتشرب عادة بعد الأكل والشبع (المن بالامامة، 433).

أما الديس وكما جاء عند البادسي والحسن الوزان فهو مادة غذائية أساسية إلى جانب الخبز أو حساء الفول، إلا أن الاكثار من تناوله يؤدي إلى نفس السكر والتخدير الذي يعطيه شراب الرب.

بقي أن أشير في الختام إلى أن كلمة ديس المستعملة إلى اليوم في الداريجة المغربية تعني اللون الأسمر العسلي، وقد أخذت المادة المتحدث عنها اسمها من هذه الخاصية. ويُعرف الرُب باسم "الصامت".

ع. الحق البادسي، المقصد الشريف، الرباط، 1982 : ج. الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1980 : مجهول، الاستبصار، 1958 : ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالامامة على المستضعفين، بيروت، 1964.

محمد حجاج الطويل

**الدبلوماسية المغربية، دبلوماسية قطر من**

الأقطار هي ارتباطه بغيره وشبكة علاقاته مع العالم، وهي التعبير عن المنزلة التي يتبوّؤها في هذا المضمار حيث لا غنى لأمة ولا لقطر عن الاتصال بما حولهما من الأمم والأقطار ولا عن الاتصال بالعالم أجمع في عصرنا هذا، عصر التواصل والتقدم التقني. والتاريخ الدبلوماسي بهذا المنظور مرآة تعكس تحرك قطر مآ ودرجة تفاعله مع أنداده سلباً وإيجاباً وما يحققه في مجال الحضارة الإنسانية عبر العصور.

والباحث في التاريخ الدبلوماسي أو بعبارة أخرى في السياسة الخارجية لأمة من الأمم كالواقف أمام جبل جليدي أربعة أخصاسه تحت الماء، فلا تُرى إلا قمته. وكذلك الدبلوماسية أو السياسة الخارجية فإنها عادة ما تتسم بالتكتم عن الحفايا والخلفيات. فعدة عوامل تتخللها، منها طبائع صانعي القرار والفاعلين، وتأثير من حولهم من

بسبب انتماء الدولتين للعقيدة المسيحية بالرغم من نزاعهما إذ ذاك.

خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر (17 و 18 م) أبرمت الدبلوماسية المغربية على سبيل المثال معاهدات لا تحصى مع إنجلترا في (1030 - 1760) ومع الدانمارك (1757) ومع إسبانيا (1767 و 1780 و 1799) ومع الولايات المتحدة الأمريكية (1787) ومع فرنسا (1630 و 1682 و 1767) ومع هولندا (1600 و 1651 و 1683) ومع إيطاليا (1762 و 1765) ومع البرتغال (1772 و 1799) ومع السويد (1763).

لكن الدبلوماسية المغربية اضطرت إلى مراجعة أساليبها وإعادة تنظيمها بعد الأزمات الداخلية التي وقعت بعد وفاة مولاي إسماعيل وبسبب تغير الظروف الناشئة عن احتلال فرنسا للجزائر (1830) وتطلع الدول المسيحية إلى غزو المغرب بعد هزيمته في إيسلي (1844) ضد فرنسا و(1860) ضد إسبانيا. وقد أفاد المغرب اتفاقه مع إنجلترا التي كانت تمتلك مضيق جبل طارق منذ (1704) وتحرص على بقاء توازن القوى في البحر المتوسط.

وبلغت الدبلوماسية المغربية ذروتها على عهد المولى محمد بن عبد الله، فأصبحت طنجة مقر الدبلوماسيين الأجانب وكانوا يتصلون بوزير الخارجية المغربي من عاصمة المملكة بفاس بواسطة ممثله بطنجة. وتوثقت العلاقات مع تركيا والمجاز والدول الأوروبية الأتفة الذكر والولايات المتحدة الأمريكية.

وقضى على سياسة الاستيطان والحمايات القنصلية لرعايا المغاربة من لدن الدول الأجنبية وإن كانت استؤنفت من بعد نظراً لضعف الدولة، وأفتكك الأسرى المسلمين إلى غير ذلك. وقد اقتفى أثر محمد بن عبد الله حفيده السلطان مولاي الحسن الأول فزاد في تحسين العلاقات الدبلوماسية مع الدول الأجنبية وحفظ التوازن في ظروف بدأت تلك الدول تشره خلالها لانتفاص المملكة من أطرافها والاستيلاء عليها. وقد أبرم اتفاقية في مدريد (1880) مع ثلاث عشرة دولة عقدت هناك مؤتمراً يتعلق بالمغرب، فنجحت الدبلوماسية المغربية في الحد من أطماع بعض تلك الدول وما كانت تتطلع إليه من تجاوزات وامتيازات على حساب المغرب.

لكن نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين شهدت امتداد الاستعمار الغربي وبالتالي تأمر الدول الاستعمارية خاصة فرنسا وإسبانيا على المغرب وتحالف بقية الدول الغربية المجاورة وضعف المملكة لمغربية وعزلتها على عهد السلطان عبد العزيز والسلطان عبد الحفيظ. فلم تستطع الدبلوماسية المغربية رد المد الاستعماري على الرغم من انعقاد مؤتمر الجزيرة (1906) الذي نص على المبادئ الثلاثة: سيادة واستقلال المغرب. ووحدته الترابية والمساواة في الاتجار معه بين الدول لمثلة في المؤتمر.

القوى الضاغطة على اختلاف أنواعها، وتأثير الرأي العام، والظروف السائدة في الداخل والخارج الخ.. وقد لا تتجلى كل هذه العوامل بوضوح فيضطر الباحث في الدبلوماسية إلى الاقتراض والتأويل في كثير من الأحيان. وبالتالي فإن علم التاريخ ليس من العلوم الدقيقة.

الجهاز المكلف بتسيير الدبلوماسية هو وزارة الشؤون الخارجية وهو من أهم أجهزة الدولة وأكثرها حساسية. لهذا كثيراً ما تكون هذه الوزارة تابعة لرؤساء الدول الذين يدهم الحل والعقد أو لرؤساء الحكومات في الدول الراسخة القدم في الديمقراطية.

هذا الجهاز في المغرب كان يسمى "وزارة البحر" خاصة بعد قيام الدولة السعودية لأنه الجهاز الذي كان يعالج شؤون المغرب لما وراء البحار أي "المفاهمة مع الدول وعقد المعاهدات والاستصدار والاستيراد وفض المشاكل التي تعرض في بعض الظروف" كما جاء في كتاب الإتحاف للنقيب عبد الرحمن بن زيدان.

الدبلوماسية المغربية وإن كانت نشأت منذ قيام الدول والممالك التي تعاقبت على الحكم قبل الفتح الإسلامي، إلا أنها لعبت دوراً لا يستهان به في عهد المرابطين والموحدين ونشطت أكثر منذ العهد السعودي إلى أن بلغت الأوج في عهد الدولة العلوية وسلطينها العظام بدءاً من المولى إسماعيل ومحمد بن عبد الله والحسن الأول.

وقد احتفظ التاريخ ببعض أسماء "وزراء البحر" إذ ذاك وأسماء بعض السفراء في شتى أقطار العالم. منهم من كانوا مقيمين في البلاد التي كانوا معتمدين بها ومنهم من أسندت لهم مهام ظرفية. وهكذا كان للمغرب اتصالات بالباب العالي وبلاد الشرق وأوربا بما فيها إسبانيا والمقاطعات التي تكونت منها إيطاليا فيما بعد وفرنسا وإنجلترا وروسيا وكثير من أقطار أمريكا وآسيا. وإذا كان قليل من سفراء الدولة المغربية كتبوا مذكراتهم عما شاهدوه، فقد ترك بعضهم كتابات عن ارتساماتهم في ما وقفوا عليه بفرنسا والولايات المتحدة أثناء حرب انفصالها عن بريطانيا وغيرها. يضاف إلى ذلك ما كتبه ممثلو الدول الذين كانوا معتمدين في المغرب، وكان أغلبهم قناصل تركوا مؤلفات مهمة عن بلادنا وأحوالها.

منذ اعتلاء الدولة العلوية الحكم وفي عهد المولى إسماعيل (1674 - 1727) شهدت الدبلوماسية المغربية نشاطاً متنامياً بسبب الأخطار التي كانت تتعرض لها البلاد من حدودها الشرقية من لدن الأتراك، ومن الشمال بسبب الغارات الإسبانية والبرتغالية ونشاط القرصنة البحرية وما كان يترتب عليها من مشاكل الأسرى، وغير ذلك. وهكذا تبادل المغرب السفراء مع إنجلترا (أحمد بن حدو) ومع فرنسا (الحاج محمد تميم وبالأخص عبد الله بن عائشة) على سبيل المثال. وقد بلغ الأمر بمولاي إسماعيل أن فاوض لويس الرابع عشر على عقد حلف ضد إسبانيا. لكنه لم يتم

ركانت شخصيتنا، وإن العرب أشقاؤنا وسنسعى لتوثيق عرى الروابط التي توحدنا مع أشقاتنا يجب أن تتجلى الوحدة والتعاون بين جميع ذوي النيات الحسنة".

ثم أكد الحسن الثاني عند اعتلائه العرش في إحدى خطبه مرجعية الدبلوماسية المغربية مصرحاً : "أن موقع المغرب الجغرافي وتاريخه الحافل يجعله مطوقاً بمسؤوليات وأمان جسام. إنه يقع في ملتقى البحرين، فعليه إذاً أن يفكر في السياسة الأطلسية وسياسية البحر المتوسط. إن المغرب جاء قريباً من أوروبا، فعليه أن يفكر في سياسته بالنسبة إليها وللقارة الإفريقية التي هو منها. وإن المغرب بلد عربي، فعليه أن يفكر في سياسة تجاه العرب، وأخيراً إن المغرب دولة إسلامية، فعليه أن يفكر في سياسة تجاه الدول الإسلامية". وقد ذكر الحسن الثاني مراراً بأن جذور المغرب توجد بإفريقيا وأن أعضانه تمتد إلى أوروبا.

على هذا الأساس خطط الملك الراحل سياسة خارجية للمغرب المستقل وظل مشرفاً عليها موجهاً لها خلال ثمان وثلاثين سنة قضاها على العرش، ولم يكن وزراء الخارجية رغم وفرة عددهم في تلك الفترة إلا منفذين للنهج الذي وضعه هو ووالده من قبل.

لقد سبق أن نص التصريح المشترك في 2 مارس 1956 بين محمد الخامس وحكومة الجمهورية الفرنسية الخاص بإعلان استقلال المغرب وسيادته على "أن حكومة الجمهورية الفرنسية تؤكد علانية اعترافها باستقلال المغرب الذي يقتضى بالأخص دبلوماسية. كما تؤكد عزمها على احترام وحدة المغرب المضمونة بالمعاهدات الدولية وتعمل على احترامها". وفي 4 أبريل 1956 توجه محمد الخامس إلى مدريد وصدر في أعقاب محادثاته مع الجنرال فرانكو تصريح مشترك تعترف فيه الحكومة الإسبانية باستقلال المغرب ووحدة ترابه كذلك.

ولم تكن الحكومة المغربية الأولى التي تألفت يوم 7 دجنبر 1955 لتشتمل على وزير للشؤون الخارجية حيث لم تحدث الوزارة إلا في 26 أبريل 1956 وأسندت إلى الحاج أحمد بلاقرج الأمين العام لحزب الاستقلال في الحكومة الثانية بعد الاستقلال، فتحملت أكبر الأعباء في التأسيس والتدبير حيث نشأت من فراغ بخلاف الوزارات الأخرى التي تأسست خلفاً لإدارات الحماية في المناطق الثلاث وتوسعت تبعاً لمقتضيات الظروف وضرورة الحاجة.

أصبحت القضايا المطروحة بالحاج على الوزارة الناشئة كثيرة تتعلق بتثبيت وترسيخ السيادة المغربية بجميع مظاهرها بعد التصريحين المشتركين اللذين ألقاهما. فكان أول عمل قامت به الدبلوماسية المغربية في عهد الاستقلال إلغاء النظام الدولي على طنجة في 29 أكتوبر 1956 على يد محمد الخامس الذي قام برحلة إليها وحطم بيده الحاجز الذي كان يفصلها عن بقية أجزاء المغرب. وكانت الدبلوماسية المغربية تحرص في كل الاتفاقيات على

سعيها وراء الاستيلاء على المغرب أبرمت فرنسا سلسلة من الاتفاقات مع إيطاليا (1902) مقابل إطلاق يد هذه في طرابلس، ومع إنجلترا (1906) مقابل التسليم لها باحتلال مصر، ومع إسبانيا (1904) مقابل التنازل لها على المنطقة الشمالية من المغرب، وأخيراً مع ألمانيا (1911) مقابل التنازل عن موطن قدم لها في الكونغو وقطعة من إقليم تشاد. فكانت الضربة القاضية بالرغم مما كان بين ألمانيا والمغرب من علاقات ود طوال عهود، ورغم ما بذلته الدبلوماسية المغربية في هذا السبيل لاتقاء مطامع فرنسا. وكان من نتائجها زيارة الامبراطور غليوم الثاني لطنجة في مايو 1905 مؤكداً استقلال المغرب، وانبعثت سفينة حربية "بانظير" بعد ذلك.

قضى الأمر وأمكن لفرنسا فرض حمايتها على المغرب في 30 مارس 1912. وكان من نتائج غياب الدبلوماسية المغربية طوال أربع وأربعين سنة إلى إعلان الاستقلال سنة 1956، تلك الدبلوماسية التي شهد لها أحد خبراء وزارة الخارجية الفرنسية إذ ذاك السيد شوئي Chouvet في كتابه *Notion d'Etat et de nationalité au Maroc* حين قال : "تاريخ المغرب الدبلوماسي يدل على أن سيادة سلاطين المغرب كانت لهم منذ زمن طويل فرصة البروز في المحافل الدولية".

وفي غياب الدبلوماسية المغربية أثناء الحماية أصبح المقيم العام الفرنسي في منطقة الجنوب ملكفاً بعلاقات المغرب مع الخارج، وكذلك الشأن في المنطقة الشمالية التي أصبحت تحت الحماية الإسبانية. لكن محمد الخامس بعد خروجه من المنفى ما فتئ يناهض العودة الدبلوماسية المغربية إلى سالف عهدا وهو القائل : "منذ الآن لن يضيع حق من حقوق البلاد، بل سأسعى لاسترجاع ما ضاع". فكان يركز في خطبه بمناسبة عيد العرش كل سنة وفي تصريحاته على استعادة السيادة المغربية، خاصة في خطاب طنجة بمناسبة رحلته التاريخية في أبريل 1947 وفي خطابه الأخير سنة 1952 بمناسبة عيد العرش الفضي قبل خلعه ونفيه.

دبلوماسية المغرب كما كان يراها يظل التحرير ترتكز على دعائم أربع : وفاق وتعاون مع جميع الدول، علاقات متميزة مع الدول الصديقة، ارتباط متين مع الدول العربية، تعاون وثيق مع الدول الإسلامية. ففي تصريح للصحافة بطنجة أعلن محمد الخامس : "أن المغرب حريص على أن يكون له في المستقبل علاقة ودية مع كل الأقطار التي دافعت عن الحرية والتي تواصل الدفاع عنها.. ولنا أمل وطيء في بلوغ كل ما نطمح إليه". وعند مقابله للسلك الدبلوماسي بطنجة صرح قائلاً : "إن مساهمة المغرب في الحرب تعطيه الحق في المطالبة بنصيبه في الانتصار واسترجاعه حقوقه التي هي حقوق جميع الشعوب". وصرح على لسان ولي العهد الحسن الثاني الذي تولى الملك بعده: "إن العالم العربي وطننا، وإن اللغة العربية لغتنا وإحدى

تضمنين وجوب تحرير جميع الأجزاء المغتصبة ووحدة التراب المغربي والتحفظ في شأنها. فلا يخفى أن فرنسا سبق أن اقتطعت مناطق يكاملها في الجنوب الشرقي وجنوب المغرب ووضعت يدها عليها في غيبة السيادة المغربية. ومثل ذلك فعلت إسبانيا بموجب توأطنها مع فرنسا حيث وضعت يدها على أقاليم كثيرة : الصحراء المغربية (الساقية الحمراء ووادي الذهب وبوجدور وإيفني وطانطان) بالإضافة إلى سيخة ومليلية والجزر الجعفرية التي احتلتها في القرن السادس عشر.

وقد شخص محمد الخامس إلى محاميد الغزلان بوابة الصحراء الغربية في فبراير 1958 ومنها وجه الخطاب إلى سكانها معلناً أن الإقليم جزء لا يتجزأ من المغرب ومؤكداً أنه سيعمل كل ما في وسعه لتحرير أجزاء الصحراء وإعادة تها إلى الوطن. وقد كان لهذا الخطاب صدى بعيد في الصحراء حيث تحرك أبناؤها لتحريرها.

كما اهتمت الدبلوماسية المغربية بحدود المغرب الشرقية والأجزاء التي كانت تحت قبضة الاستعمار الفرنسي، وكانت حرب ضارية تجري بين جبهة التحرير الجزائرية وفرنسا فأرجأت الحكومة المغربية التفاوض في شأنها إلى ما بعد استقلال الجزائر مع حكومتها إذ ذاك، وأبرمت في هذا الشأن اتفاقية مع الحكومة الجزائرية المؤقتة التي كان يرأسها فرحت عباس.

استرجعت الدبلوماسية المغربية بعد جهد جهيد طرفية وطانطان في أبريل 1958 وإفني في يونيو 1969 من يد الاستعمار الإسباني. ثم جاء دور الصحراء المغربية، فبعد مفاوضات طويلة ومضنية مع الحكومة الإسبانية واتفاق مع موريتانيا ومحادثات مع الحكومة الجزائرية التي دخلت طرفاً في النزاع على الصحراء المغربية وقرار محكمة العدل الدولية التي أصدرت قرارها بوجود "علاقات ولاء بين المغرب والصحراء المغربية" أعطى الحسن الثاني انطلاقاً المسيرة الخضراء في 6 نوفمبر 1975 والتي ضمت ثلاثمائة وخمسين ألف شخص للمسير إلى الصحراء التي دان شيوخها له بالولاء. وهكذا ضم هذا الإقليم إلى المغرب. ولم يبق تحت احتلال إسبانيا إلا سيخة ومليلية والجزر الجعفرية. وقد جرت اتصالات ومساع في شأنها، واقترح الحسن الثاني تكوين خلية تفكير مزدوجة لحل مشكلتها. لكن الحكومة الإسبانية لم تستجب لهذا الاقتراح. ومن القضايا الكبرى التي اهتمت بها الدبلوماسية قضية جلاء القوات العسكرية الفرنسية وتصفية القواعد الأمريكية. وقد جرت مفاوضات مع فرنسا استمرت نحو خمس سنوات، وكانت حكومة باريس تصر على عقد حلف عسكري. لكن الأمر انتهى بالجلاء التام في مارس 1961. واستنكر المغرب استعمال الحكومة الفرنسية للصحراء التي كانت ألحقتها بالجزائر في غياب الدبلوماسية المغربية في تفجير قنابلها النووية، فسحبت تجهيزاتها. أما القواعد الأمريكية فقد سبق أن

صفت في 22 دجنبر 1959 بموجب اتفاقية وقعها محمد الخامس والرئيس إيزنهاور بمناسبة الزيارة التي قام بها هذا الأخير للمغرب. ومعلوم أن تلك القواعد كانت من رواسب عهد الحماية حيث وقع الاتفاق على إقامتها بين حكومتي باريس وواشنطن.

نشطت الدبلوماسية المغربية في هيئة الأمم المتحدة والمؤسسات التابعة لها وأخذ المغرب مقعده بين دول عدم الانحياز، وكان من مؤسسي هذه الحركة بحضور الحركة الوطنية في مؤتمر باندونغ دجنبر 1954. وقد مثل الحسن الثاني المغرب على رأس وفد كبير في المؤتمر التاريخي الذي عقدته الحركة ببلغراد وحضره سبعة وعشرون رئيس دولة في سبتمبر 1961.

وكان بناء وحدة المغرب العربي من أولويات اهتمام الدبلوماسية المغربية انطلاقاً من مؤتمر طنجة الذي انعقد في أبريل 1958 وحضره ممثلو دول شمال إفريقيا بمن فيهم وفد عن ليبيا وآخر عن منظمة التحرير الجزائرية التي كانت تخوض الحرب ضد فرنسا.

كما كان اهتمام الدبلوماسية المغربية منصباً منذ البداية على وحدة الدول الإفريقية وشؤون القارة السوداء بوجه عام. وقد دعا محمد الخامس إلى عقد مؤتمر حضره رؤساء أغلب الدول الإفريقية المستقلة بالدار البيضاء في يوليو 1958 وأسفر عن الميثاق المعروف بميثاق الدار البيضاء الذي كان له صدى بعيد. وحصلت انقسامات في صفوف الدول الإفريقية، نشأ عنها فريق تقدمي وفريق محافظ. ومع ذلك فقد برزت إلى الوجود منظمة الوحدة الإفريقية في مايو 1963 وكان المغرب من مؤسسيها. وترأس الحسن الثاني وفد بلاده في أول مؤتمر لقممة الوحدة الإفريقية انعقد بالقاهرة في يوليو 1963.

وفي طليعة اهتمامات الدبلوماسية المغربية تضامن الدول العربية. فمنذ انخراط المغرب في الجامعة العربية غبَّ استقلاله، بذل جهداً كبيراً لمراجعة ميثاقها، ولم يدخر الحسن الثاني وسعاً في السعي لتوحيد كلمة العرب أثناء المؤتمرات التي دعا إليها في المغرب والدفاع بالأخص عن القضية الفلسطينية التي كانت وما تزال القضية المركزية للدول لعربية. وكان للمغرب دور كبير في الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد في مؤتمر القمة الذي انعقد بالدار البيضاء 1974.

كما قامت الدبلوماسية بدور كبير في تأسيس وتفعيل منظمة المؤتمر الإسلامي حيث كان الحسن الثاني الداعي لعقد القمة الأولى سنة 1969. وتعددت بعد ذلك اجتماعات القمة ودورات وزراء خارجية الدول الإسلامية في المغرب، وكان العاهل الراحل من أكبر المشرفين عليها. وبمناسبة نهاية العشرة الأولى وانعقاد مؤتمر القمة بالمغرب الذي حضره أغلب رؤساء الدول الإسلامية الخمسين أسندت للحسن الثاني رئاسة لجنة القدس تقديراً واعتباراً.

هذه بإيجاز كبير بعض المهام التي اضطلعت ومازالت الدبلوماسية المغربية ممثلة في وزارة الشؤون الخارجية والتي أضيفت إليها مهمة التعاون. وللمغرب كذلك تمثيل واسع في الخارج يبلغ :

(1) 148 سفارة

(2) 76 قنصلية

80 من الممثلين الدبلوماسيين مقيمون في الأقطار التي هم معتمدون فيها و68 يمثل كل واحد منهم المغرب في عدة أقطار ويقيم كل واحد منهم في أحد تلك الأقطار. أما القنصليات فكلها مفتوحة في القارات الخمس. وكل القنصائل المغربية مقيمون في البلاد التي هم معتمدون فيها.

وللمغرب تمثيل في مآت المنظمات الدولية والحكومية. ويجدر أن نشير إلى أن للمغرب علاقات صداقة وأخوة وتعاون وحسن جوار مع مائة وخمس عشرة دولة ممثلة بسفراء أغلبهم مقيمون بالرباط. وهم موزعون على القارات الخمس : 33 سفارة إفريقية و30 سفارة آسيوية و30 سفارة أوروبية و20 سفارة من أمريكا و2 من الأقيانوس بالإضافة إلى 29 قنصلية و20 منظمة دولية وتمثيلية للمفوضية الأوروبية.

كما تجدر الإشارة إلى أن عدد الوزراء الذين تعاقبوا على وزارة الشؤون الخارجية منذ الاستقلال ومن ضمن 24 حكومة تولّى مقاليد الأمور ثلاثة عشر وزيراً وهم على التوالي : الحاج أحمد بلقريع، عبد لله إبراهيم، إدريس المحمدي، أحمد رضا أكديرة، أحمد الطيبي بنهيمه، محمد الشرفاوي، أحمد العراقي، عبد الهادي بوطالب، يوسف بن العباس، عبد اللطيف الفيلالي، محمد بوسته، عبد الواحد بلقزيز، محمد بنعيسى.

كما توالى على الوزارة تسعة كتاب دولة وهم :

محمد بوسته، محمد بن العربي العلمي، عبد الله الشرفي، أحمد الشرفاوي، عبد الرحمن بادو، عبد الحق التازي، الطيب الفاسي الفهري، عبد السلام زينند، عائشة بلعربي.

ومن المتوقع أن يزيد نشاط الدبلوماسية المغربية في عهد محمد السادس نظراً للتحويلات التي تعرفها بلادنا والظروف العالمية والتحديات التي تواجهها الأقطار التي هي في مثل وضعها.

ق. الزهيري، الدبلوماسية المغربية في خدمة الاستقلال، تقرير في 26 صفحة (من أُرشيف وزارة الخارجية والتعاون) : ع. الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، (عشرة أجزاء) : إصدار إدارة البورتوكو في وزارة الخارجية والتعاون بالمغرب.

*Le Maroc : avant le protectorat, sous la protectorat, faillite du protectorat ; C. A Julien, Le Maroc face aux impérialismes 1415 - 1956 ; Annuaire du corps diplomatique et consulaire et des organisations internationales.*

قاسم الزهيري

**الدبّلون**، قطعة ذهبية إسبانية Doblon ضربت في إسبانيا بعد نهاية الدولة المرابطية وقد انتشر الدبليون في المغرب وفي بلدان شمال إفريقيا كما انتشر في بلدان الشرق في مصر والعراق وسوريا.

ففي المغرب كان يصرف الدبليون في القرن الثالث عشر (19 م) بمقتضى التسعيرة الواردة في ظهير السلطان عبد الرحمان ابن هشام سنة 1288 / 1852 بـ 32 مثقالاً فضياً مغربياً أي ما يعادل 16 ريالاً فضياً إسبانياً. ورغم ما استنتجناه من رسالة السلطان الحسن الأول من أن الدبليون بعد ثلاثين سنة أي في سنة 1882 كان يصرف بنفس التسعيرة وهي 16 ريالاً إسبانياً، فإن ذلك لا يعني - كما قد يُتوهم - جمود صرف الدبليون الذهبي الإسباني، وإنما يعني استقراراً في العلاقة بين العملة الإسبانية الذهبية وعملتها الفضية. ونفهم هذا إذا علمنا أن الدبليون الذي كان يساوي 16 ريالاً إسبانياً كان يمثل 32 مثقالاً مغربياً أي 320 أوقية فضية مغربية في الوقت الذي كان يصرف الريال الإسباني بـ 20 أوقية على حين ارتفعت قيمة الدبليون من 32 مثقالاً مغربياً إلى 143 مثقالاً سنة 1882 حيث بلغ صرف الريال الإسباني حوالي 89.5 أوقية مغربية. وهذا يفسر مدى تصاعد قيمة صرف العملة الإسبانية واستمرار تدهور العملة المغربية منذ حرب تطوان والديون المترتبة عنها وكذا عواقب التدخل الأجنبي وعوامل أخرى متعددة جعلت العملة المغربية أقل أهمية، وتهافت الناس على العملة الإسبانية الدبليون والفرنسية بعدها وهي اللوز التي حجبت الدبليون عن التداول فلم يكده يظهر الدبليون إلا قليلاً بعد الثمانينيات من القرن الثالث عشر (19 م) بالمغرب.

ع. أفا، مسألة النقود في القرن التاسع عشر، ص. 136 - 401 ؛ أ. الناصري، الاستقصا، ج. 9، ص. 64 ؛ رسالة السلطان مولان الحسن إلى محمد بركاش، فاتح جمادى الثانية 1299 / 20 أبريل 1882، انظر ملف السكة بمديرية الوثائق الملكية ؛ ع. أفا، الوثائق المخزنية الخاصة بمسألة النقود في القرن التاسع عشر، ملف مديرية الوثائق الملكية، مجلة كلية الآداب بالرباط، عدد 13 سنة 1987 ؛ الكرملي أسطاش، النقود العربية وعلم النميات، ص. 183 - 256. J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe 1830 - 1894*, Paris, 1961, T. 3.

عمر أفا

**أولاد الدببيع** ذكرهم ابن سودة ضمن سكان مدينة فاس في كتابه *إزالة الالتباس قائلًا* : "كان لهم ذكر بفاس وعز وصال وإليهم تُنسب دار الدببيع ببلاد زواغة محل المدينة الجديدة الآن بفاس وقد انقضوا. وقفت على رسم في رق غزال مؤرخ بعام سبعة وستين وتسعمائة ذكر فيه الموثق أن المرأة عائشة بنت الحاج عبد الرحمن الدببيع

توفيت فورثها زوجها محمد الصنهاجي وعصَّبها جماعة المسلمين، فعلى هذا انقرضت أولاد الدبيخ في هذه السنة وقد بقي ذكر هذه العائلة بسبب البقعة الأرضية الكبرى التي ما زالت تُنسب إليهم إلى الآن المدينة الجديدة بفاس.  
ع. ابن سودة، رفع الانتساب، مرقون.

محمد حجي

**دبيلة،** **علال** بن الحاج محمد بن التهامي، أحد أعلام مدينة أسفي صدر القرن الرابع عشر (20 م) وهو ينحدر من أسرة دبيلة الأسفية العريقة. تولى الخلافة عن عامل المدينة وكان يخطف بالجامع الفوقاني نيابة عن الفقيه عبد الرحمان بن الحسين المطاعي.  
توفي عام 1350 / 1931.  
م. الكانوني، أسفي وما إليه.

عبد الرحيم العطاوي

**الدجاج** كما هو في الدارج والمعجم، جنس طير أهلي من رتبة الدجاجيات (Gallianaceae, Galliformes) والفصيلة التدرجية Phasianidés فيها سلالات كثيرة نتجت عن تجمعات كان الإنسان من ورائها. يسمى علمياً Gallus gallus ويسمى الذكر الديك والأنثى دجاجة والصغار كناكيت وفلايس. وفي هذا الجنس أنواع كدجاج بنخيوه ودجاج جاوي ودجاج سرنديب ودجاج براهما ودجاج كوشين ولونشان brahma, cochin et langshan وكل هذه السلالات تلد قليلاً من البيض وقامتها كبيرة. أما الدجاج الأهلي فمجهول الأصل ويعتقد أن سلالاته المعروفة تولدت من تضافد أنواع وحشية عديدة وكان الإنسان من وراء انتشارها في جميع القارات.

تعتبر السلالات المتوسطة التي تضم انكونا Ancona والأندلسية andalouse ومنوركا ولوغورن Leghorn البيضاء White leghorn à crête simple من بين الدجاج الأهلي الأكثر شعبية في المغرب. تتميز هذه السلالات باستهلاك كمية قليلة من الأكل وبيض أبيض كبير مقارنة مع أجسامها الصغيرة.

ويرجع تدجين الدجاج الأهلي المعاصر ابتداءً من الدجاج الوحشي الآسيوي الأشقر Gallus gallus ويرجع ذلك ما بين 2000 و3500 قبل الميلاد. ومع مرور العصور انتشر هذا الطائر في جميع بقاع العالم وتغير لون ريشه وحجمه بواسطة التجانس والانتقامج العرقية التي كان الإنسان يسعى إليها بحثاً عن مزيد من الإنتاج والتكاثر.

يربى الدجاج لأكل بيضه ولحمه، وفي زمننا هذا تطورت تقنيات التربية وأسس ما يفوق 500 وحدة إنتاج صناعية بداخل الوطن تنتمي إلى القطاع الخاص وتنتج سنوياً 650 مليون بيضة مما يشكل 44٪ من الإنتاج

الوطني ويشكل الإنتاج التقليدي حوالي 56٪. تنتج الوحدات الصناعية حوالي أربعة ملايين من فراخ الدجاج. الدجاج الأصلي الذي تولد منه الدجاج الأهلي مجهول، ويظن أن مهد هذا الدجاج الأصلي في آسيا الاستوائية الجنوبية كجاوي وسيلان حيث توجد أنواع وحشية من الدجاج كتوع الدجاج الوحشي الأشقر. ريش الديك من هذا النوع ناعم ولامع يشبه ريش التدرج. يكثر صياحه في بداية الصباح الباكر مما جعل سكان البدو يستعملونه كمؤشر للوقت. غالباً ما يكون ديك وسط مجموعة من الإناث.

يتكون غذاؤه من الحبوب والديدان والحشرات والأعشاب. يعرف الدجاج توزيعاً شاملاً على بقاع اليابسة حيث دجنه الإنسان وتوسع في تطوير إنتاجه فنجد منتجات مختصين في إنتاج بيض التفريخ ومنتجات مختصين في إنتاج بيض الاستهلاك اليومي وعدة مؤسسات مختصة في إنتاج لحوم الدجاج إلى جانب الإنتاج التقليدي المعروف في الوادي المغربية.

عدد البيض غير محدود عند الدجاج ويختلف حسب السلالات فهناك السلالة التي تبيض طول السنة، تزن البيضة 60-80 غرام ويختلف لونها وحجمها حسب السلالات. ينحصر وزن الدجاج ما بين 1-4 كيلو غرام تدوم مدة الحضانة 21 يوماً.

مصطفى يعرف والشيخ التواتي، البيض، معلمة المغرب، ج. 6، ص. 1949، 1950، 1998؛ الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، لبنان، الطبعة الثالثة، 1988؛ المجلد أمين، معجم الحيوان، القاهرة، 1932.

محمد رمضان

\* \* \* تقل الإشارات التاريخية إلى الدجاج، لذلك نتساءل عن الأسباب، فهل كان الدجاج موجوداً بكثرة حتى إنه لا يستحق الاهتمام أم العكس أن ندرته جعلت الملاحظين لا ينتبهون إليه؟ وكيف ما كان الجواب فالدجاج - حسب العديد من الإشارات في المصادر الوسيطية - إنتاجاً واستهلاكاً ارتبط بعوامل عديدة بعضها طبيعي وبعضها بشري؛ فمن العوامل الطبيعية انتشار الأمراض والأوبئة، والدجاج من الحيوانات السريعة التأثر بها، ومنها كذلك الجفاف والقحط الشديد مما يجعل الإقبال على الدجاج أمراً لا مفر منه عند المرسين والمعسرين على السواء. وهذا العامل الطبيعي البشري تجده في فترات الحصب يتعكس فيصبح الإقبال على الدجاج من أجل بيضه أكثر سواء في التغذية أو في التجميل والعناية بالشعر. يقول الشريف الإدريسي متحدثاً عن أهل السوس: "... وعلى رؤوسهم الشعور الكثيرة ولهم بها اهتمام وحفظ وذلك أنهم يصبغونها في كل جمعة بالحناء ويفسلون بها في كل جمعة مرتين بريقق البيض والطين الأندلسي..." (نزهة، 3: 228).

استهلاك البيض في التغذية في الظروف العادية عند المصامدة كان قليلاً، بل ويكره إن لم نقل يمنع أكله في الفطور، وهذه عادة ما تزال موجودة عند السوسيين. تفسر كثيراً من الجوانب المتعلقة بالدجاج والبيض الواردة في القوانين والديانة البرغواطية، فالبرغواطيون من صميم المصامدة (العبر، 1 : 14.659).

ويستنتج من قراءة تحليلية للديانة البرغواطية وقوانينها التي ركز عليها البكري في المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (139) وكذا الدراسات اللاحقة سواء منها الأركيولوجية في منطقة تامسنا (المجال برغواطة) أو الانثروبولوجية في منطقة سوس (مصامدة منحدرين من العهد البرغواطي) يستنتج أن البرغواطيين حرموا أكل الدجاج لأغراض تكتيكية حربية. يقول البكري : "والبيض عندهم حرام والدجاج والدجاجة مكروهة"

فإذا كان تحريم أكل الديكة واضحاً ومعللاً عند البكري فإن تحريم أو تكريه أكل الدجاج لا يفسر إلا بما ذكرت ؛ فمعروف أن البرغواطيين منذ نشأتهم وهم في حروب ولم تستطع الإمارات المتعاقبة على حكم بلاد المغرب الإسلامي ولا الدول العظمى آنذاك (فاطميين وأمويين في الأندلس) لم يتمكنوا من هزيمة البرغواطيين لأسباب متعددة ما تزال حسب تقديري لم تدرس بعد، ومنها استغلالهم للمجال الترابي استغلالاً دقيقاً ومنه استغلال الدجاج لاستدراج العدو إلى الكمان والأراضي الوعرة للقضاء عليه، إذ يرى الدجاج وينقل في أحمام ليوضع في أماكن محددة ومداخل وممرات وسط الغابات فيعتقد العدو أن المكان مأهول ومسكون ودليله في ذلك زقاء الديوك والدجاج السارج بكتاكيته فيتوغل في المكان وهو على يقين بأنه سائر إلى تجمع سكني.

ما عدا ذلك وجدت في المصادر إشارات عن استهلاك الدجاج إلا أنه استهلاك غير عادي فأهل البوادي يقدمونه هدية غالية لضيوفهم عند انصرافهم، وذبح الدجاج سواء في البادية أو المدينة يعتبر ترحيباً واحتفاءً بالضيف، وهذه عادة بدأت ربما منذ العصر الوسيط (نفاضة الجراب، 43 ؛ وصف إفريقيا، 1 : 110) لتتسع بعد ذلك عمودياً وافقياً ولكنها بقيت عادة تتعلق بمستوى معاشي متوسط وعال، ويستدل على ذلك بأثمنة الدجاج المرتفعة، فقد أشار صاحب مسالك الأبصار إلى أن ثمن "طائر الدجاج ثلاثة دراهم صغيرة".

ومن الطريف أن مرق صغار الدجاج (فلوس، عتوكة) (أي الأنثى التي لم تبض بعد) يستعمل للتداوي من بعض الأمراض، وهي عادة منحدرية إلينا من العصر الوسيط (المقصد، 124)، إضافة إلى الدجاج كدواء ارتبطت به عدة أمثلة وطرائف، من ذلك قولهم عن بلد جنينة (ما بين فاس وطنجة) : مثلها : "مثل الدجاجة أن أصابها ديك أتت بالديك وأن لم يصبها ديك أتت بالبيض، تحتك بالغبير

وتلد". (الاستبصار، 188)، ومن طرائف سكان المناطق المنتجة للتين المجفف (الشريحة) أن الدجاج يُعقق عملية التجفيف التي تتم عادة على السطوح القصدية الثنائية الميل في المناطق الشمالية (بلاد جبالة) ولمنع الدجاج من تسلق هذه السطوح والعبث بالتين، تضع النساء على أرجل الدجاج شبه أحذية من قشور اليقطين اليابس (القرع السلواي) مشدودة بخيوط فلا يستطيع الدجاج الصعود ولا العبث بأرجله بالمواد المراد تجفيفها زبيب العنب وزبيب التين وزبيب الصبار (الهندي).

الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، الطبعة الإيطالية المعهد الجامعي الشرقي بنابولي، د. ت. ع. ابن خلدون، العبر، بيروت، د. ت. : البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب الجزائر، 1911 ؛ ع. الحق البادسي، المقصد الشريف، تح. سعيد أعراب، الرباط، 1982 ؛ ل. ابن الخطيب، نفاضة الجراب، تح. أحمد مختار العبادي، القاهرة، د. ت. ح. الوزان، وصف إفريقيا، ت. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1980 ؛ ع. ابن فضل الله، مسالك الأبصار، الجزائر، 1924، ضمن مقتطفات (بالفرنسية) ومقتطفات كودفري دومومين، شمال إفريقيا بدون مصر (بالفرنسية)، باريس، 1928 ؛ م. المنوني، وورقات عن حضارة المغرب في عهد بني مرين، الرباط، 1979 ؛ مجهول، الاستبصار، 1958 ؛ م. حجاج الطويل، مذكرات خاصة عن زيارات ميدانية للريف وجباله. محمد حجاج الطويل

### دحان، إبراهيم بن محمد بن أحمد بن الفقيه

لحسن بن لحسن مكرراً من شرفاء بوكرفة من قبيلة أيت إعرزا الباعمرانية المنفصلة عن قبيلة أيت عبالاً بظهير حسني سنة 1299. عُرف هذا الرجل بالشجاعة إلى حد التهور، فصار من أعيان القبيلة وفرسانها، وكان يعتز بالعرف القبلي ويسهر على تطبيقه، ولطموحاته قام ضده أعيان القبيلة تنفيذاً للعرف الذي يؤمن به فحورب بنفس سلاحه.

لذلك صار شبه منفصل عن قبيلته أيت إعرزا، فأعلن أنه مع قبيلة أيت الخمس القوية، وأنه محمي من طرفها، فحدث أن عشر على رجلين من خصومه في بستانه فقتلها، فرحل عن البلاد فباعت القبيلة ممتلكاته حسب العرف لعنه لحسن، وما كاد يسمع بذلك حتى استنفر قبيلة أيت الخمس بقيادة الشيخ بريك بن سعيد السيموري، فقامت الفتنة بين القبيلتين وانتهت بمعاينة المشتري وردة الأملاك إلى مترجمنا هذا بقوة السلاح ضاربا عرض الحائط بالعرف والشرع معا.

وقد شارك في معركة إيكالفن ضد حملة الباشا حيدا ابن مائس سنة 1917 وغنم منها بغلة في حملها عدة بسنديات ودراهم صحبة ملازمه أوحاميدون من أيت الخمس، كما شارك في معركة تيزي الأولى 1917 ضد



الجنرال دولاموط وقد حفظ عنه الناس قوله "تُكيسُ فرانساً  
وُحسان نايماً باعمران = إن فرنسا أزالَت أسنان الباعمرانيين  
بقتلها شجعانهم في معركة تيزي وقد ساهم مترجمنا هذا  
في دفن شهداء تلك المعركة لقربيها من منزله وذكر أن  
عددهم حوالي ستمائة شهيد، بينما ذكر الإغراري في روضة  
الأفنان (ص. 102)، فقال "قتل منهم نحو ثلاثمائة رجل  
على ما قيل منهم القائد محند بن بي نالشيخ همّو..."  
ونظراً لاستشهاد أصدقائه الشجعان في تلك المعركة  
ولخوفه على نفسه هاجر إلى مدينة فضالة سنة 1934  
وتوفي بعد ذلك بقليل.

معلمة المغرب، ج. ص. 1837 : تعيين القائد أحمد أصواب على  
قبيلة أيت إعرز سنة 1299 : استجواب مع عائلة دحان، سنة  
1989.

الحسين جهادي

**دحو، محمد بن محمد** مقاوم ولد سنة 1926  
بقصر زناكة إقليم فيكيك انضم إلى منظمة الهلال الأسود  
بالدار البيضاء في أواخر غشت 1953.

وقد عرف بين رفاقه في المنظمة بإخلاصه وغيرته  
الوطنية فقام بعدة أعمال فدائية تستهدف مصالح المستعمر،  
كما كان يقوم بصنع القنابل التي كانت سببا في استشهاده  
إذ انفجرت فيه إحداها أثناء تركيبها وذلك بتاريخ 4 يناير  
1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء  
الاستقلال.

**ابن دحمان، أسرة** موجودة في أنحاء شتى من  
المغرب، وكان منها بسلا عدول وفقهاء وحرفيون وموظفون  
في المصالح الإدارية والمخزنية منهم :

**ابن دحمان، الظاهر** كان سنة 1292 / 1875 من  
رجال الطنجية بمدينة سلا، وصار سنة 1318 / 1901 رئيساً  
لهم.

م. بوشعراء، التعريف، ج 2، ص. 149 و260.

**ابن دحمان، الطيب بن محمد**، كان سنة 1206  
من عدول سلا القائمين بالشهادة وكان سنة 1232 ما يزال  
بقيد الحياة.

**ابن دحمان، الطيب** - آخر - من عدول سلا سنة  
1271، وكان فقيهاً مدرساً، وولي قضاء الدار البيضاء قبل  
1294. وكانت وفاته سنة 1302.

م. بوشعراء، التعريف، ج 2، ص. 57 و164، ورسوم الخزانة  
الصبيحية.

**ابن دحمان، العربي** من أهل طنجة، كان موظفاً  
بدار النيابة حوالي 1312 / 1895 وبعدها، وكان يشتغل  
بالترجمة، ويكلف بأعمال خارج طنجة.  
وثائق مكتبة تطوان.

**ابن دحمان، العربي بن الطيب**، وكان من  
عدول سلا سنة 1305.  
وثائق آل بنسعيد.

**ابن دحمان، محمد (الحاج -)** كان سنة 1184  
بقيد الحياة وكان من عدول سلا.  
رسوم الخزانة الصبيحية.

**ابن دحمان، محمد بن الطيب بن محمد** وهو  
من فقهاء مدينة سلا، اختلف خطة العدالة، وكان سنة  
1307 بقيد الحياة.  
رسوم الخزانة الصبيحية ووثائق شخصية : م. بوشعراء، التعريف، ج  
1، ص. 45.

مصطفى بوشعراء

**ابن دحمان، محمد بن محمد السلوي**، قال  
عنه ابن علي الدكالي في الإتحاف : "كان أديباً شاعراً  
متمقناً" وقف له على قصائد في أغراض مختلفة وأثبت  
مقتطفات من قصيدة طويلة من روى الزاي في مدح الشيخ  
أبي يعزى. وفي الخزانة العلمية الصبيحية رسوم عدلية  
فيها شهادات للحاج محمد بن دحمان. آخر سنة 1184  
توفي بعد سنة 1184.

م. ابن علي الدكالي، الإتحاف الوجيز، ط 2، الرباط، 1996 :  
رسوم عدلية في خ. ص.

محمد حجي

**الدحمانى، بلقاسم بن المعطي**، مقاوم ولد سنة  
1905 بدوار الدحماننة قبيلة بني سميح ناحية وادي زم.  
شارك في المظاهرة الشعبية يوم 20 غشت 1955 واستشهد  
في نفس اليوم.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء  
الاستقلال.

**ابن دحية، عثمان بن حسن الكلبي السبتي**  
يكنى أبا عمرو ويعرف أيضاً بابن وجيه أخو أبي الخطاب  
ابن دحية (السان، 4، 133 : بغية، 2، 133). أخذ عن  
علماء بلدته سبتة ورحل إلى الأندلس طالباً العلم فتتلمذ  
عن أبي عبيد الله وعن غيره من العلماء الواقفين على

ابن دحية، عمر بن الحسين بن علي السبتي يكنى أبا الخطاب، وهو إحدى الشخصيات الفكرية التي عاصرت الفترة الموحدية في القرن السادس وبداية السابع (12م). لهذا كان يُعرف نفسه "بذي النسيان دحية والحسين". كما كان يكتب عن نفسه "سبط أبي البسام" (وفيات، 3 : 449).

ولد في مستهل ذي القعدة من سنة 546. ويعتبر أبو الخطاب من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء الذين أُنجبهم مدينة سبتة، كان متقناً للحديث وفروعه (برنامج، 20) ظاهري المذهب، عالماً باللغة والنحو وأيام العرب وأشعارهم. برهن في مناسبات عدة عن كفاءته العروضية ومقدرته البيانية. لكنه اختص في طلب الحديث وتدرسه بالمغرب والمشرق في رحلته العلمية الطويلة التي لم يعد منها والتي لم يخلف لنا آثارها على غرار ما فعله بنو جلدته من العلماء السبتيين من أمثال التجيبي وابن رشيد.

روى بسبته عن أبي محمد بن عبد الله ورحل إلى الأندلس وأخذ بها عن عدد من الأشيخ منهم الحافظ أبو بكر بن الجذ وأبو عبد الله بن زرقون وأبو العباس بن خليل. كما أخذ عن ابن بشكوال (صلة، 73 : عنوان، 160) وتولى قضاء دانية مرتين، ثم صُرف عنها - يقول المقرئ لسيرة نعتت عليه (نفع، 2 : 104) ثم عاد إلى بر العدو. ونزل بمراكش والتقى بعلماؤها (صلة، 73) رحل إلى بجاية وأقام بها أيام حكم أبي عبد الله ابن حوشتي برمور (عنوان، 228). ثم نزل بأفريقية سنة 595 / 1199 واشتغل بها محدثاً قبل أن ينتقل إلى الديار المصرية حيث سمع عن البوصيري (عنوان، 160). ومنها تابع رحلته إلى الشام والحجاز والعراق. فأخذ في بغداد عن بعض أصحاب ابن الحصين. وقرأ بواسط على أبي الفتح محمد بن أحمد ابن البدائي. وواصل رحلته إلى "عراق العجم" وخراسان ومازندران وغيرها. وأخذ بأصبهان عن أبي جعفر الصيدلاني وبنيسابور عن منصور بن عبد المنعم الفراوي وأبي سعيد ابن الصفار والمؤيد الطوسي. كل ذلك طلباً في علم الحديث ويهدف الاستماع والاجتماع بأئمتهم (نفع، 2، 104 : وفيات، 3 : 449).

وعند وصوله إلى مدينة إربل في سنة 604 / 1208 وهو في طريقه إلى خراسان استقبله صاحبها الملك مظفر الدين بن زين الدين، وقد كان مولعاً بتخليد ذكرى المولد النبوي عظيم الاحتفال به، فأُنجز له أبو الخطاب مؤلفاً سماه التنوير في مولد السراج المنير ختمه بقصيدة طويلة.

يقال إنه كان للكتاب وقع طيب لدى الملك الذي كافأ صاحبه بألف دينار. إذ يذكر ابن خلكان أنه سمعه عليه الملك مظفر الدين في ست مجالس في جمادى الآخرة من سنة 625 / 1228 (وفيات، 3 : 449).

وبالديار المصرية ذاع صيت أبي الخطاب وعظمت شهرته فاقتربت منه العامة والخاصة. فتنبأ منزلة خاصة لدى ملكها الأيوبي الكامل ناصر الدين عينه كأول أستاذ لدار الحديث

سبته وأخذ بقرطبة عن ابن بشكوال، وبإشبيلية عن أبي بكر بن الجذ أبي عبد الله ابن زرقون (صلة، 82). يُذكر أن الحافظ ابن الجذ كان يبره ويحسن إليه رفقا بزهده (لسان، 4، 133). رحل إلى الشرق حاجاً إما بصحبة أخيه (صلة، 82 : التكملة، 446) أو منفرداً لاحقاً به (وفيات، 3، 450 : لسان، 4، 133). انتهت رحلته الشرقية بأن حط رحاله بالقاهرة حيث عينه الملك الكامل مدرسا في دار الحديث الكاملية محل أخيه أبي الخطاب المعزول (وفيات، 3، 450 : نفع، 2، 94 : لسان، 4، 133).

صنّف أبو عمرو ضمن طبقة اللغويين النحاة، وهو الميدان الذي نبغ فيه. كما عرف كفقيه محدث، ذاكر للجرح والتعديل والأسانيد والرجال (صلة، 82) يذكر ابن حجر العسقلاني نقلاً عن ابن نقطة في إطار مقارنته مع أخيه أبي الخطاب أنه "أرى على أخيه بكثرة السماع كما أرى أخوه عليه بالفطنة" (لسان، 4، 133 : بغية، 2، 133). شهد له الذهبي وغيره بإمامته في الحديث وبالعدالة والمعرفة لكن يؤخذ عليه ولوعه بالتعقير في كلامه (بغية، 2، 133 : صلة، 82). كما كان يحدث دون اعتماده على الأصل. يذكر ابن نقطة أنه رآه بالأسكندرية عند قدومه عليها في حلقة علمية والناس مجتمعون حوله يوم جمعة وكان يقرئهم جامع الترمذي. فسئل عن الأصل، فأجاب أنه لا يحتاج إلى أصل لأنه يحفظه. وقال إنه يمكنهم أن يقرأوا من أية نسخة شاؤوا، وتناول في كلامه على أئمة الفقه والحديث مثل مالك بن أنس والشافعي - يضيف ابن نقطة أنه عند ذلك الحين لم يجتمع به. يؤكد ابن الأبار من جهته أن أبا عمرو أصاب في تهجمه حتى بعض أساتذته مثل ابن بشكوال. ويذكر ابن واصل أنه كان يُستثقل لما كان يستعمله من حوشي اللغة في رسائله (وفيات، 3، 450 : لسان، 4، 133 : صلة، 82).

ألف أبو عمرو كتاباً عدة يذكر ابن حجر العسقلاني أنه وقف على واحد منها في (المجهر والبسمة) ويلاحظ عليه عدم معرفته بهذا الفن (لسان، 4، 133). كما له منتخب في الأحكام لقد ظل يمارس الأستاذية بدار الحديث الكاملية إلى أن توفي يوم الثلاثاء 13 جمادى الأولى من سنة 634 / 12 يناير 1237 عن سن تناهز 88 سنة، ودفن بسفح المقطم بالقاهرة (وفيات، 3، 450 : لسان، 4، 133 : نفع، 2، 94).

ابن الأبار، التكملة : ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، طبعة حجرية، (د. ت.) الجزء الرابع : ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح. إحسان عباس، بيروت، المجلد الثالث : ابن الزبير، صلة الصلة، القسم الرابع، تح. عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، فضالة، 1414 / 1994 : ع. السيوطي، بغية الوعاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، 1399 / 1979، الطبعة الثانية : أ. المقرئ، نفع الطيب، تح. إحسان عباس، بيروت، 1408 / 1988، المجلد الثاني.

الكاملية التي أقام ببنائها سنة 622 / 1225 بالقاهرة. وفي  
تل بني أيوب ارتقى إلى أحسن المراتب. وقد رد أبو  
الخطاب الجميل بأن نظم في الكامل ابن العادل قصائد رنانة  
تم عن المحبة والعطف للذين كان يكنهما لصاحب النعم  
عليه.

يذكر المقري أنه كانت له مع الملك الكامل مخاطبات  
نثرية وشعرية تعكس مشاعر الود التي كانت تربط بين  
الرجلين (نفع، 2، 100؛ وفيات، 3، 450؛ صلة، 73)  
إلا أن جفوة حدثت فيما بعد بين الرجلين: يذكر أبو  
العباس الغبريني أن أبا الخطاب كان مثل ابن عنين في  
الشعراء يتناول على علماء المسلمين ويقع في أئمة الدين،  
ففقده أنصاره وانفض الجمع حوله. ولما انكشف أمره لدى  
الكامل عزله عن دار الحديث (عنوان، 160) وعين مكانه  
أخاه أبا عمرو الأكبر منه سناً (وفيات، 3، 450). يضيف  
أبو العباس الغبريني أن أبا الخطاب عقب الإهانة التي  
لحقته من ملك مصر - رحل إلى دمشق. فتقرب إليه الوزير  
ابن شكر. ودمشق أجرى مناظرة مع الشيخ تاج الدين  
الكندي انتهت بظعن الكندي في نسب أبي الخطاب  
وتشكيك الحضور في نسبه إلى دحية الكلبي مستعينا  
بشعر ابن عنين.

صنف أبو الخطاب مؤلفات كثيرة منها كتاب التنوير في  
مولد السراج المنير بمدينة إربل بمناسبة المولد النبوي سنة  
604 / 1208. كما ألف العلم المشهور في فضائل الأيام  
والشهور والآيات البيئات في ذكر ما في أعضاء رسول  
الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات وله أيضاً كتاب شرح  
أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وكتاب التبراس في أخبار  
خلفاء بني العباس وكتاب الإعلام المبين في المفاضلة بين  
أهل صفين (نفع، 2، 104). كما له كتاب آخر بعنوان  
المطرب خصه للتعريف بالأدباء الأندلسيين (نفع، 2،  
104، إحالة 1). ولعل أهم ما تميز به أبو الخطاب في  
كتابات هو اعتماده حوشي اللغة إذ أن معظم كتاباته  
مغلقات مغلقات، وربما تعتمد ذلك - يقول المقري - حتى  
ينفرد بتوع يشتهر به دون غيره على النحو الذي سار عليه  
كثير من الأدباء حين تركوا طريق المغرب وانفردوا بالطريق  
الأخر (نفع، 2، 99).

يبدو أن أبا الخطاب عاد إلى القاهرة حيث قضى بقية  
حياته إلى أن توفي بها يوم الثلاثاء 14 ربيع الأول من سنة  
633 / 27 نونبر 1235 عن عمر يناهز سبعاً وثمانين سنة  
ودفن بسفح المقطم (عنوان، 161؛ وفيات، 3، 450؛  
نفع، 2، 103).

التجبي، برنامج التجبي، تج. عبد الحفيظ منصور، ليبيا.  
تونس، 1981؛ أبو جعفر ابن الزبير، صلة الصلة، تج. عبد الحمي  
الكتاني، 1937؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تج.  
إحسان عباس، بيروت، المجلد الثالث: أبو العباس الغبريني،  
كتاب عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة

ببجاية، تج. رايح بونار، الجزائر؛ أ. المقري، نفع الطبيب، تج.  
إحسان عباس، بيروت، 1388 / 1968، الجزء الثاني.  
زليخة بنرمضان

**دخيسة**، قبيلة تنحدر من عرب بني معقل. وقد  
تحدثت المصادر التاريخية لأول مرة عن دخيسة منذ وصولها  
إلى المغرب في أواسط القرن الحادي عشر (17 م). وكانت  
تنتجع في هذا التاريخ في الصحراء الجزائرية الحالية، قرب  
الأغواط وعين ماضي، فعندما خرج مولاي محمد الشريف  
في عام 1060 / 1650 إلى نواحي تلمسان فاتحاً وعرج  
على طريق الصحراء، قدمت إليه قبيلة دخيسة ورحبت به  
ثم بايعته ودلته على مواطن قبائل تلك النواحي وقراها  
(الاستقصا، ج 7، ص. 21). وقد رحب مولاي محمد  
الشريف بهؤلاء الأعراب وأكرم وفادتهم. ويظهر أن هذه  
القبيلة في ذلك الوقت لم تكن تشكل سوى فرقة صغيرة  
من عرب معقل. فتاريخ ابن خلدون الذي أتى بالوصف  
على جميع فصائل عرب بني معقل، وتحدث بتفصيل، عن  
أماكن استقرارها في القرن الثامن (14 م)، لم يذكر  
دخيسة في بيانه (العبر، ج. 6، ص. 118 وما يليها).  
ويبدو أيضاً أن تسابق هذه القبيلة إلى مبايعة مولاي  
محمد بن الشريف والدخول في طاعته كان يستهدف حماية  
جلدها وتعزيز مكانتها وسط القبائل القوية المحيطة بها  
والتي كانت لا تخضع لأي سلطان، في السوق الذي  
اضطرت فيه أحوال المغرب الأوسط وتطلعت بعض قبائله  
إلى خلع بيعته الأتراك من عنقها والانتقاض عليهم.  
(الاستقصا، ج. 7، ص. 21). وعندما عاد مولاي محمد  
ابن الشريف إلى سجلماسة التحقت به دخيسة وأولاد نصير  
وعزوزا جانيه والتفوا حوله في واحات تافلات (Arnaud  
Louis (commandant), *Monographie de la région de  
Meknès*, p. 66).

وقد استقر هؤلاء القوم مدة طويلة في هذه المنطقة ولم  
ينزلوا إلى هضبة سايس إلا في مطلع القرن الثالث عشر  
(19 م) في عهد مولاي سليمان (1792 - 1822)، وبأمر  
منه لمواجهة خطر القبائل البربرية التي كانت تهدد مدينة  
مكتاس وحكم الأسرة العلوية نفسها، بعد ظهور حركة أبي  
بكر امهاوش في الأطلس المتوسط، وخروج الكثير من  
القبائل عن نفوذ السلطة المركزية (Bulletin de l'Institut  
d'Hygiène du Maroc, 1942, p. 43).

وقد تعرضت قبيلة دخيسة منذ استقرارها في سايس  
لضغوطات كثيرة من قبل القبائل المجاورة. كما خضعت  
لإجراءات تأديبية من قبل المخزن المركزي الذي كان يسعى  
إلى إيجاد حالة من التوازن السياسي والبشري في المنطقة.  
ففي سنة 1850، كان هؤلاء الناس يحتلون جزءاً مهماً من  
هضبة سايس (Bulletin de l'Institut d'Hygiène du  
Maroc, 1942, p. 43) وعند ما جاء سيدي محمد بن عبد

الرحمان (1859—1873)، نقلهم إلى منطقة الحوز  
(Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc, 1942, p. 43).

وبعد مدة من الزمن عادوا خفية إلى ناحية الغرب  
(Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc, 1942, p. 43) وعندما تولى الحسن الأول السلطة في البلاد (1873 - 1894) أنزلهم في سنة 1874، في بلاد مجاط بعد نفي هؤلاء إلى منطقة الغرب (Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc, 1942, p. 43) وفي سنة 1905 اضطرت دخيصة وأولاد نصير إلى إخلاء المجال لمجاط الذين عادوا إلى موطنهم الأول، واضطروا على إثر ذلك، إلى الاستقرار شمال غرب مكناس، على قدم جبل زهون حيث ما زالوا يقسمون في هذه المنطقة إلى الآن (Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc, 1942, p. 43).

أ. الناصري، الاستقصاء، الجزء السابع، الدار البيضاء، 1956؛ ع. ابن خلدون، العبر، بيروت، 1956-1959.

L. Arnaud (commandant), Monographie de la région de Meknès, Bulletin de la Société de Géographie du Maroc, n° 2, 1916; (Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc), Nouvelle Série, Tome II, Année 1942 (rapport anonyme).  
العربي الكيننج

**الدخيصي، محمد،** من عدول مدينة سلا القائمين بالإشهاد بين الناس، وكان سنة 1219 بقميد الحياة.  
رسوم الخزنة الصبيحية.

**الدخيصي، محمد بن عبد القادر** مقاوم ولد سنة 1916 بدوار تيسان عين الصفا إقليم وجدة كان من العناصر الفاعلة في صفوف الحركة الوطنية بالمنطقة الشرقية، شارك في عدة عمليات فدائية ضد المستعمر الغاشم الأمر الذي عرضه للاعتقال والتعذيب حيث حكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة أشهر.

توفي بتاريخ 2 فبراير 1996 بمدينة احفير.  
المنذوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال.

**الدخيل، عزاز محمد،** مقاوم من مواليد سنة 1929 انخرط في صفوف المقاومة السرية منذ سنة 1953 ضمن فرقة عباس القباج بمدينة گولين، ثم بعد ذلك انضم إلى صفوف جيش التحرير تحت مسؤولية إدريس بن بويكر بدرسان. وقد كانت مشاركته مشاركة فعالة في عدد من المعارك التي دارت رحاها سواء ضد السلطات الإسبانية أو الفرنسية كأم العشار ومركالة وغيرها إلى أن احرز المغرب على استقلاله.

وقد توفي خلال شهر ذي القعدة عام 1415 / أبريل 1995.

المنذوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال.

**الدخيلة (سد -)** هذا هو السد الثاني في مركب عبد المومن المائي المشيد على واد إسن أحد روافد حوض سوس المنحدر عبر سفوح الأطلس الكبير. وقد شيد عند الموضع المعروف بالدخيلة (جمعة الدخيلة، دائرة أولاد تايمة، إقليم تروودانت) على بعد 20 كلم عند سافلة سد عبد المومن الرئيسي المشيد عند موقع تامزاورت، قبيل خروج واد إسن إلى سهل سوس.

سد الدخيلة عبارة عن سد صغير خطط له لتنظيم وتحويل المياه المعبأة عند سد عبد المومن الكبير نحو مختلف القطاعات الفلاحية الواقعة بسهل سوس الأسفل على مساحة 13 ألف هكتار. وقد أنجزت هذه المنشأة لتوفير مياه السقي لقطاعات فلاحية مستحدثة ولإنقاذ قطاع الحمضيات بأولاد تايمة الذي ظل لفترة طويلة يعاني من خصائص حاد في مياه السقي بسبب الاستغلال المفرط للمصادر المائية لجوفية وما ترتب عنه من نزول حرج لمستوى سطح الفرشة المائية المحلية.

وقد تم اختيار موضع الدخيلة لبناء هذا السد نظراً لكونه يشرف بفارق ارتفاعي مهم على القطاعات السقوية التي ستستفيد من مياهه، مما سيساعد على نقل المياه بشكل طبيعي عن طريق الجاذبية وضغطها داخل شبكة الري المعتمدة على الرش. وفي ذلك توفير مهم لتكاليف ضخ المياه وضغطها في شبكة التوزيع.

بُني هذ السد بين سنتي 1983 و1986، على شكل حاجز مركب من 9 دعامات خرسانية بعلو 32 متر، ويحصر حقيقتة تمتد على مساحة 18.5 هكتار قابلة لمجيز حوالي 750 ألف متر مكعب من المياه. الطلاقا من قاعدة السد ينطلق رواق باطني على مسافة 2000 متر يقوم بدور تحويل المياه إلى القناة المتوجهة القطاعات السقوية.

ومنذ سنة 1985، وبسبب تزايد حاجيات مدينة أكادير الكبرى واشتداد الضغط على حقولها المائية الجوفية، تم التحويل نحو سد الدخيلة الذي أصبح يزود محطة سيدي بوسحاب المعالجة المياه الصالحة للشرب بحوالي 10 مليون مكعب في السنة، وذلك قصد توجيهها نحو مختلف مراكز أكادير الكبرى.

ح. المحمد، 1999، الماء بحوض سوس: إسهام في دراسة نظام هيدولوجي مغربي جنوب - أطلسي، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، 740 صفحة.

الحسن المعداد

ابن ددآه، عثمان بن طالب محمد، مقاوم ولد سنة 1913 بالساقية الحمراء وانخرط في صفوف جيش التحرير

بالصحراء المغربية سنة 1956 ضمن فرقة المقاطعة الثامنة مركز الساقية الحمراء تحت قيادة ابا الشيخ بن السالك. وقد عرف عثمان بن دداه بإخلاصه وتفانيه في الدفاع عن حوزة بلاده حيث شارك في عدة معارك أبلى فيها البلاء الحسن إلى أن استشهد في معركة وادي الصفا بتاريخ 9 شعبان عام 1376 / 11 مارس 1957. المنووية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهيداً. الاستقلال.

**دَدُوش، محمد بن عمر،** مقاوم ولد سنة 1920 بتمسان - إقليم الناظور - انضم إلى صفوف جيش التحرير وكافح ضمن الوحدة التي كانت مرابطة بتيزي وسلبي ونواحيها، تحت مسؤولية السيد الغابوشي محمد لجدان (كزناية).



شارك في عدة اشتباكات مسلحة ضد العدو وحضر في بسكور، سيدي علي بوقربة، تيزي انتيذي تيزي اذان، أزرو، اقسار، وبقي يدافع حتى استشهد أثناء هجوم على العدو بتايناست بضواحي تازة يوم 28 / 3 / 1956. المنووية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهيداً. الاستقلال.

## الدراجني عزوز ← تيلزكارت

**الدَّوَادِر،** أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسرة إسبانية تحمل نفس الاسم : Adradas وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان. م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 662.

محمد ابن عزوز حكيم

**أبو ذُكْرَة، محمد،** موسيقي من مواليد مدينة سلا عام 1937 التحق بمدارس محمد الخامس حيث تابع دراسته

الابتدائية والثانوية. كما التحق بالمعهد الوطني للموسيقى بالرباط، فتابع دروس الصولفيج والعزف على البيانو. وفي بداية استقلال المغرب انقطع عن متابعة الدراسة العامة ليتفرغ للعمل في مجال الموسيقى، فاشتغل محرراً ومسؤولاً عن الصفحة الفنية التي كانت تصدرها جريدة العلم كل يوم أربعاء، وعمل مساعداً بقسم الموسيقى التابع لمصلحة الشباب والرياضة، فشارك في التأطير المحلي للتدريبات التي أقامتها هذه المصلحة لفائدة الشباب الموسيقي، كما شارك في البعثات التي أوفدها إلى الخارج لحضور اللقاءات والتدريبات والمؤتمرات الموسيقية : التدريب على طريقة مارتونو بباريز في شتنبر 1957 اللقاء الدولي للمجموعات الصوتية الكورالية في فيزون لارومين Vision La Romaine غشت 1959 مؤتمر الشبيبة الموسيقية في برلين صيف 1960.

وفي عام 1961 انتقل إلى فرنسا ممنوحاً من طرف البعثة الثقافية الفرنسية لاستكمال تعليمه الموسيقي، فانخرط في المدرسة الوطنية العليا للموسيقى بباريز حيث درس قيادة الأوركسترا على يد الأستاذ جان فورني Jean Fournier والتحق بلاكالا كانتوروم La Scala Cantorum بباريز حيث درس علم التطابق على يد دانيال لوسور Daniel Lesur، كما انخرط في المعهد الوطني العالي للموسيقى بباريز حيث قضى ثلاث سنوات في دراسة الهارموني مع جورج هوگون Georges Hugon، وقيادة الأوركسترا مع روبر بلوت Robert Blot. ومن جهة أخرى عزز أبو درار دراسته الموسيقية بحضور مجموعة من التدريبات، خاصة في مجال تلقين التحليل الموسيقي بواسطة السماع (المعهد التربوي في مارلي لوروا)، والتدريب على منهاج كارل اورف Carl Orff في برلين، ودروس التخصص في قيادة الأوركسترا ومسابقات في القيادة الموسيقية بمدينتي بوزاسون وهيلفيرسوم بهولاندا.

وبعد تخرجه أسندت إليه عدة وظائف تربوية وثقافية، فعمل منتجاً ومحرراً لبرامج موسيقية بدار الإذاعة والتلفزة الفرنسية بباريز واشتغل مدرساً للتأهيل الموسيقي للأطفال حسب الطرق الحية، وأستاذاً للايقاع والناي والأوركسترا بكل من المعهد البلدي للدائرة السادسة بباريز، ومعهد فيتري سورسين Vitry-sur Seine. وعهدت إليه الإدارة التقنية لتدريب موسيقي مخصص للأطفال المعوقين والمرضى بباريز بسالبتريير Salpêtrière. وبالإضافة إلى هذه المهام، اشتغل أبو درار أستاذاً لقيادة الأوركسترا في الشعبة الخاصة بالأجانب التابعة للمعهد الوطني العالي للموسيقى بباريز، وقدم دروساً في التقنية الموسيقية (69. 72).

وقد عاد أبو درار إلى المغرب عام 1974، فالتحق بوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية في شتنبر من هذه

الحبل ليتحكم في دوران الدواب. وتسمى الدابة المجاورة له بـ"بوكيدي" لأنها تقيد وتشد باقي الدواب نحو الداخل، أما الدابة التي توجد في الطرف الخارجي فتسمى "الطراك" لأنها تجر باقي الدواب نحو المزيد من السرعة. وإذا كانت الدواب تتكون فقط من الخيول فإن الدراس يغير مجرى اتجاهها كل حين، فيصبح الطراد مكان بوكيدي ليأخذ قسما من الراحة والعكس صحيح. وكلما تبين أن الجزء الأعلى من "الدرسة" قد أصبح دقيقا، تخرج الدواب خارج البيدر، وتقلب الدرسة رأسا على عقب، وتتم هذه العملية بمعدل ثلاث مرات في اليوم.

تكون الكمية المداسة قد أصبحت دقيقة مع العصر تقريبا. وإذا توفرت الرياح "الغربي" اللازمة يشرع في التذرية ليفرز الحب عن التبن. وعندما يصبح الحب هو الغالب يشرع في التنصيف النهائية عن طريق الرفش (البالة، بتفخيم الباء واللام)، ومكنسة خاصة تصنع من نبات محلي (زمورة). في النهاية توضع الحبوب في أكياس، وتضبط كمياتها بمقاييس محلية تتوحد في القنطار. وعندما تجمع الكمية اللازمة من التبن أو في نهاية عمليات الدرسة، يجمع التبن حسب النوع في أكوام (نوادير، مفرد نادر) تدك جيدا وتظلى بالسياع (الرحل المزوج بالتبن).



إلا أن كلمة الدراس تعني كذلك في العامية المغربية نوعاً من عقال الغنم. ولا يتم ذلك إلا في حالتين، أثناء حلب الشياه، بحيث تربط مجموع النعاج المراد حلبها بشكل متقابل، متعاكسة الرؤوس والأعتاق حتى يسهل حلبها. أو في الحالة التي يتوي فيها الكساب ببيع عدد من رؤوس الغنم، فيقوم بدرس قطيعه حتى يسهل عليه ضبطها ومراقبتها أثناء البيع، وفي نفس الوقت يسهل على المشتري التأكد من جودة العرض وحرية الاختيار دون إزعاج للقطيع أو انزعاج من دفع وجر. وقد تكون لهذه

السنة، وتعاقب على عدة مسؤوليات تتراوح بين التدريس بالمعهد الوطني للموسيقى بالرباط والمعهد الموسيقي بالقنيطرة، وإدارة الجوق السنفوني للوزارة، ورئاسة مكتب الموسيقى بصلحة التعليم الفني.

وقد وافته المنية بعد مرض عضال في 16 جمادى الثانية عام 1402 / 11 أبريل 1982.

وللمترجم إنتاجات موسيقية، هي على ندرتها تكشف عن ذوق جميل ودراية عميقة بقواعد التأليف والهارموني. ومن أجمل أعماله توزيعه الموسيقي للنشيد الوطني الذي مطلعته :

نحن إخوان الصفا نحن أصحاب الحماسة

قسم الأرشيف بوزارة الشؤون الثقافية، الرباط، بطاقة معلومات عن المترجم.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الدراس**، يقصد به المرحلة الأخيرة في الموسم الفلاحي التقليدي. فبعد مرحلة الحصاد يتم تجميع المحصول الزراعي في البيادر على شكل أكوام مصففة. كل كومة تحوي محصول استغلالية معينة حتى يضبط الفلاح مردودها مقارنة مع المصاريف. أو يكوم المحصول حسب نوع الحبوب : شعير، قمح صلب...

يستغل المكان الفاصل بين الأكوام كي يكون حيز الدراس (الغاعة، ج، كعب)، ويتم دكه جيدا حتى لا يتأثر بحوافر الدواب. وتظلى أكثر من مرة بخثي (روث) الأبقار المذاب في الماء (الخضار) كل صباح يقوم الفلاح بدفع قسم من المحصول إلى البيدر، ويتم تقليبه بالمذراة بين الفينة والأخرى حتى يمتص أكبر قدر ممكن من أشعة الشمس بعد ذلك يشرع في الدراس عن طريق دواب مختلفة (الرؤى) وخاصة من الخيول والحمير... فيتم شدها بحبل إلى عمود مدقوق في الوسط، أو يقف الدراس في الوسط ويشد



الكلمة علاقة بالكلمة الفرنسية (Dressage) وتنطق في جهات أخرى بـ "الدرّاز".

Georges S. Colin, *La vie marocaine*, Paris, 1953; V. Loubignac, *Textes arabes des Zaër*, Paris, 1952.

صالح شكاك

**دراكونيس** Dracones، مدينة ذكرها الجغرافي

الرافيني *Le Géographe de Ravenne*، ضمن مواقع أخرى ثم أشار إلى أن الكتاب الذين نقل عنهم ينسبون هذه المدن لموريطانية الطنجية. يعد هذا المصدر آخر ما وصلنا حول تاريخ المغرب القديم قبيل الفتح الإسلامي، حيث إن الكتاب وُضع في أواخر القرن السابع أو بداية القرن الثامن للميلاد.

يتضح أن الكاتب اعتمد أساساً على مسالك أنطونوس *Itinéraire d'Antonin* الذي يرجع إلى القرن الثالث للميلاد، ويتضمن جرداً للمواقع التي تخترقها الطرق الرومانية في موريطانية الطنجية انطلاقاً من مدينة طنجة. والجغرافي الرافيني انطلق أيضاً من طنجة في الحديث عن المواقع التي وردت معها مدينة "دراكونيس"، في الفقرة التاسعة من الفصل الثالث وعددها 18 مدينة. لكن هذه المواقع لم يرد لها ذكر في بقية المصادر القديمة التي وصلتنا حول المغرب القديم، باستثناء طنجة. أما المدن التي نقلها عن مسالك أنطونينوس فقد وردت في الفقرة الحادية عشرة من الكتاب الثالث. ومدينة دراكونيس وردت عند الرافيني في الرتبة الخامسة بعد مدينة طنجة الواردة في الرتبة الأولى (انظر مادة داوينة).

إن الكاتب حسب الباحث موريس أوزينا، وقع في خلط بالنسبة للمدن التي تحدث عنها في هذا السياق. وأعطى الدارس مثال المدن الخمسة الأولى، على أنها مواقع معروفة في موريطانية القيصرية (في غرب الجزائر). يتعلق الأمر بالأسماء التالية: أولاً Tingis ثم Cadum Castra ثم Castra Nova وبعدها Tasacora وأخيراً Dracones. ويعرفنا أوزينا بالمواقع التي تطابق في موريطانية القيصرية تلك المدن التي نسبها الجغرافي الرافيني للمغرب القديم وهي: أولاً Castellum Tingitanum ثم Gadaum Castra ثم Castra noua وبعدها Tasacura وأخيراً Ad Dracones.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924; M. Euzennat, *Remarques sur la description de la Maurétanie Tingitane, dans Plin.*, H.N., V. 2 - 18, *Antiquités Africaines*, 25, 1989.

محمد مجدوب

**الدرراوي، علال** من القواد الرئيسيين في عهد

سيدي محمد بن عبد الله تميز بتكليف السلطان إياه بسفارة دبلوماسية بمعية قدور البرنوصي وعبد السلام عديّل إلى

مالطا سنة 1777 بمهمة التفاوض من أجل افتكاك الأسرى الأتراك، محملاً بمبلغ 274.000 ريال لاستعماله في ذلك.

إلا أن رفض السلطات المالطية الاستجابة للعرض المغربي، ورغبة من السلطان سيدي محمد في مواصلة عمليات افتكاك الأسرى الأتراك، طلب من قائده التوجه بسفارته إلى القسطنطينية، وتسليم المبلغ المذكور إلى السلطان العثماني عبد الحميد الأول. وجربا على عادة رجال الدولة بالقسطنطينية، في طلب "البقشيش" اضطر القائد الدراوي إلى صرف 14.000 ريال لتسهيل مهمته، إلا أن ذلك سيجعله يتعرض لمساءلة وزير البحر العثماني حسن باشا، بخصوص بقية المبلغ الموجه من قبل سيدي محمد بن عبد الله، ولظرده هو وبقية الوعاة من القسطنطينية. وقد فضل القائد المذكور ومرافقوه وجهاً إلى المشرق بدل العودة إلى المغرب خوفاً من رد فعل سيدي محمد بن عبد الله.

أ. الزباني، الترجمة الكبرى، ص. 83.

حسن أميلي

**الدرراوي، علي ← الدرعي، علي بن عيد الرحمن**

**الدرراوي، مسعود** بن محمد ولي شهير وعارف

كبير، له أصحاب كثيرون.

أخذ أولاً عن أبي المحاسن يوسف الفاسي، ثم أوصله لشيوخه عبد الرحمان المجذوب فأخذ عنه واشتهرت نسبه إليه، وكان لا يفتر لسانه عن الصلاة على النبي - عليه السلام - وفي الممتع أن الشيخ كان يستأجر الأجراء ويجلسون ويصلون عن النبي (ص) وهو يشاهد ذلك ويسمعه.

توفي سنة 1011 / 1602 - 1603 ودفن خارج باب فتوح بمقبرة سيدي حماموش وبعوارها مصلى تقام به صلاة العيدين بالنسبة لعدوة فاس الأندلس.

م. العربي الفاسي، *مرآة*، ع. الرحمان الفاسي، *ابتهاج*، 265 م.

المهدي الفاسي، *مجمع*، م 19، ص. 8: ابن عيشون الشراط، ص.

226 (د. د. مرقونة): م. الإفرائي، *صفوة*، ص. 56 م.

القادري، *نشر*، 1: 78 - 85: الأكليل، ص. 384 (د. د. ع.

مرقونة): *التقاط*، ص. 39: *الزهر الباسم*، مخطوط، 33 م.

الكتاني، *سلوة*، 2: 235.

مارية دادي

**الدرراوي، موسى** بن سعيد كان أسود اللون. من

أهل الولاية، ذا حال قوي وشوكة، شديد الشكيمة على الظلمة، ظهرت له في ذلك كرامات وآيات. اشتغل في أول أمره رباة عند شيخه أحمد الشاوي لمدة ثلاث سنين. وكانت

له زاوية في حياة شيخه عن إذنه بمدشر تاغزوت بموضع قرب صفرو له أتباع وأصحاب من قبيلتي أولاد شاير وأولاد عباد. ذكره محمد بن الطيب القادري في كتابه نشر المثاني ضمن من توفوا سنة 1014، ودفن بروضة شيخه أحمد الشاوي بحومة الجرف بعدوة القرويين من فاس.

م. القادري، نشر المثاني، 1 : 133 : م. ابن عيشون الشراط، الروض المطر الأنفاس، ص. 258 : م. جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس، 1 : 281.

زهرا، النظام

**الدريوز.** أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الغريبة الواقعة قرب مدينة أصيلا. ومنهم محمد بن أحمد الدريوز الذي زاول خطة العدالة سنة 1261 / 1845.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1616.

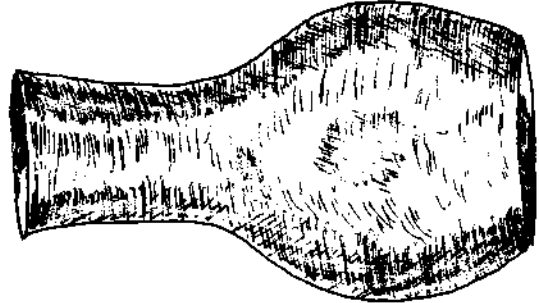
محمد ابن عزوز حكيم

**الدريوكة،** آلة موسيقية تستخدم لضبط الإيقاع بواسطة النقر عليها باليد. وتصنع غالباً من الفخار، وأحياناً من المعدن، على شكل كأس مفتوح الطرفين، غلف أو سعهما بقطعة مشدودة من الجلد.

وقد جاء ذكر هذه الآلة في ألف ليلة وليلة بما يدل على شيوع استخدامها في المشرق العربي منذ عهد ميكر. أما بالنسبة للمغرب فالظاهر أن استعمالها حديث لعله يرجع إلى فترتين متفاوتتين :

أولاهما كانت على عهد الاحتلال العثماني للجزائر. وفيها تسرب استعمالها إلى بعض المجموعات الشعبية بالمغرب، وثانيتها كانت في العقد الثالث من هذا القرن، وذلك عن طريق مجموعات الموسيقى العصرية بتأثير من الأجوآق الشرقية. وفي هذه الفترة بدأ استخدام الدريوكة يتسرب أيضاً إلى حظيرة أجوآق الموسيقى الأندلسية.

وقد واكب استخدام الأجوآق الأندلسية للدريوكة تبني المصطلحات الشرقية للتدليل على المفاهيم الإيقاعية.



الدريوكة

فشاع استخدام الدمة والتكة والاس كبدائل للندف والزنج والفاصلة، وخاصة بين رواد الأجوآق العصرية.

ويعتبر دور الدريوكة ثانوية بالنسبة للطرق، فهي تساعده على ضبط الإيقاع، وذلك بواسطة نقرها باليد على إحدى الطرائق التالية :

الدم، وهو نقرة بكف اليد اليمنى في وسط الجلد. ويرمز للزمن القوي.

التك وهو نقرة باليمنى في طرف الجلد ويرمز للزمن الضعيف.

الاس، أو السكتة، وهو نقرة باليسرى في جانب الجلد ويعرف أيضاً بالفاصلة.

ح. نصار، الموسيقى والغناء، في ألف ليلة وليلة، منشورات اقرأ، ص. 56؛ بحث سيداني.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الدُرِّي،** أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازال هناك أسرة إسبانية تحمل نفس الاسم : Adarbe ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 665.

محمد ابن عزوز حكيم

**الدُرَج** في موسيقى الآلة له مفهومان : الأول : يراد به أحد الميزان الخمسة التي تتكون منها النوبة، وهي البسيط، والقائم ونصف، والبطايجي، والدرج، والقادم. وهو عبارة عن مجموعة من المعزوفات الآلية والمقطعات الغنائية، يجري أداؤها على نسق لحني وإيقاعي معين. وقد أكد الباحثون أن أهل الأندلس حصروا النوبة في أربعة ميازين، فلما كان عهد السعديين أضاف المغاربة ميزانا خامسا هو "الدرج".

وقد كان لرجال الزاوية المغربية الفضل في ابتكار الأدرج، فكانوا يتغنون بصناعاتها ضمن ميازين البطايجي، ومن ثم قيل : إن الدرج اكتسب تسميته من كون صنعاته أدرجت في ميزان البطايجي. وقد عبر عن هذه الحقيقة أحمد بن العربي أحضري في مقدمة كتابه عندما أدرج الدرج في ميزان البطايجي "لأنه محسوب عليه".

غير أن أرباب الموسيقى الأندلسية وقفوا من الأدرج موقف الرفض، وذلك بحكم وفاتهم لتقاليد المدرسة الفرناطية الأصلية. وانعكس هذا الموقف على كناش محمد بن الحسين الحايك، فجاأ خالياً منها.

وعندما أقدمت لجنة الوزير محمد بن العربي الجامعي عام 1303 / 1885 على مراجعة كناش الحايك كان من جملة ما أنجزته تبني الصنعات المدرجة في البطايجيات وتنسيقها في ميازين مستقلة عرفت منذئذ بالأدرج،



Oleaceae. مواقع عديدة بالمغرب توجد بها "دردار" سميت بهذا الاسم.

يتراوح علو شجرة فراكسينوس أنكوستيفوليا ما بين 10 و 20 م. تاجها كبير وكروي الشكل. قشرة جذعها ملساء ورمادية في الصغر، ثم تشقق وتسود في الكبر. براعمها سمراء وصغيرة. أوراقها نفضية، معنقة، مركبة ريشية مكونة من 5 إلى 13 زوجا من الوريقات الطويلة الشكل والمسننة، إزهاراتها عنقودية تظهر قبل الأوراق. ثمارها يابسة وحيدة البذرة، لا تتفتح، ولها جناح رقيق وطويل يشبه لسان العصافير كما جاء عن ابن سينا في وصفه لهذه الشجرة.



يصادف هذا النوع بحوض البحر المتوسط. أما في المغرب فنجدته ينمو طبيعياً بجانب مجاري المياه في جميع المناطق المغربية في البيومناخات الرطبة جداً والرطبة وشبه الرطبة واستثنائياً شبه الجافة. وفي الطوابق النباتية للمتوسطي الدافئ والمتوسطي وفوق المتوسطي والجبلي المتوسطي. أما من حيث التربة فإنه يتطلب أراضي خصبة وسميكة. أما النوع الثاني فراكسينوس ديمورفا فهو يختلف عن الأول بعلوه المتواضع الذي يتراوح ما بين 8 و 12م، وغالباً ما يكون على هيئة شجيرة أو شجرة صغيرة، وأوراقه غير المعنقة والتي تختلف فيما بينها : أوراق الأغصان الصغيرة والسفلى تتركب من 2 إلى 4 أزواج من الوريقات الصغيرة الحجم. أما أوراق الأغصان العليا فإنها تتركب من 3 إلى 5 أزواج من الوريقات الكبيرة نسبياً.

يصادف النوع الثاني في إفريقيا الشمالية من المغرب إلى تونس وكذلك في أفغانستان وجبال الهيمالايا الغربية. أما في المغرب فهو يعيش في الغابات والأحراج الجبلية من الأطلس المتوسط والأطلس الكبير وقليلاً في الأطلس الصغير. إنه يتلاءم مع أقصى البرودة وأقصى الجفاف. ولهذا نجده يقطن المناطق البيومناخية الرطبة وشبه الرطبة وشبه الجافة والجافة، والطوابق النباتية للمتوسطي الدافئ والمتوسطي، وفوق المتوسطي، والجبلي المتوسطي وفوق الجبلي المتوسطي. إنه لا يبالي من حيث التوعية الصخرية أو الترابية إذ نجده يعيش على أراضٍ مختلفة كلسية أو غير كلسية سميكة أو سطحية.

وإضافتها إلى النوبات الاحدى عشرة، غير أن صنيع اللجئة ظل - فيما يبدو - منحصرأ تداوله في أوساط المدرسة الفاسية ردحا من الزمن قبل أن تتبناه - بدورها - المدرسة التطوانية الشفشاونية. ويدل على هذا أن حواضر الشمال ظلت وفيه حتى العقد الرابع من هذا القرن لمستعملات كناش الهايك الأصلي، من خلال اعتمادها على النسخ الأصلية كنسخة ورثة الرقيوق الطنجي، وكان قد تم الفراغ من نسخها عام 1325 / 1907 والتي مازالت حتى اليوم معتمد فناني الشمال ومرجعهم كلما طرأ خلاف أو إشكال حول بنية صنعة من الصناعات.

ويبدو هذا الرفاء في مدونة الأصبهان التي أنجزها في بداية الأربعينيات المستشرق الإسباني أركاديو دي لاربا بالاثين بمساعدة الفنان الشفشاوني الأصل عبد السلام بن الأمين العلمي مدير القسم العربي بالمعهد الإسباني المغربي بتطوان، والعباشي الورياغلي رئيس الجوق وعازف الرباب، وأحمد البردعي عازف الكمان، وغيرهم، فقد وضعت صنعات الدرج التسعة في مقدمة القسم المهزوز من ميزان البطايجي.

الثاني : يراد به أحد أصناف الإيقاعات الخمسة التي تضبط حركة الصناعات المتعاقبة في ميازين التوبة. ويُعبّر عنه بـ"الدور" الذي هو بمثابة الوحدة الأساسية للهيكل الإيقاعي الذي يتحكم في ميزان التوبة.

لم يهتم الهايك بذكر الدرج ولا ببيان إيقاعه لموقفه الذي أوضحناه. وقد اعتبره أحضري في كتابه "ديوان الأمداح النبوية وذكر النعمات والطبوع وبيان تعلقها بالطبائع الأربعة" متفرعا عن ميزان البطايجي أما الدراسات الحديثة فهي تقابله بميزان 4/4 في صورتيه الموسعة والمهزوزة :

الصورة الموسعة :

الصورة المهزوزة :

أ. أحضري، ديوان الأمداح النبوية وذكر النعمات والطبوع، مخطوط، ص. 12 - 13 : أركاديو دي لاربا، توبة الصبهان، دار الطباعة المغربية، تطوان، 1956، ص. 29 - 31. ع. ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، 2 : 446، 2061.

عبد العزيز بن عبد الجليل

## الدرجم، احمداد ← الدرهم، احمداد

الدردار، اسم فارسي تعرّب فاستعمل في المغرب والمشرق العربي ليدل على أشجار تسمى بالأمازيغية "اسلن" أو "توزكت"، وتخص هذه الأسماء أنواعاً نباتية شجرية، منها اثنان طبيعيان بالمغرب وهما فراكسينوس أنكواستيفوليا Fraxinus angustifolia وفراكسينوس ديمورفا Fraxinus dimorpha. بالإضافة إلى أنواع أخرى أدخلت للزينة. تنتمي هذه الأنواع إلى فصيلة الزيتونيات

م. ابن غازي، المرض الهتون... ص. 31؛ حوالة أحباس المساكين، رقم 3 ص 10؛ ع. ابن زيدان، الإتحاف، 1، ص. 158.  
رقية بلمقدم ويوشى بوعسرية

**الدرودوري، أحمد** ولد سنة 1349 / 1930 في قرية نائية داخل جبال سوس تدعى أنوز في منطقة سيدي عمرو، وهو صالح مدفون هناك. دخل الكتاب وعمره سبع سنوات، وفي نفس الوقت كان يساعد أخاه الأكبر في العمل داخل الحقل. وتشاء الأقدار أن يرحل والده إلى مدينة مراكش صحبة القائد الدرودوري الذي كان يحكم منطقة أولوز، ليستقر مقام الأسرة بحي للاعوش، فيلتحق الطفل بكتاب سيدي اليمنى بحي القصور.

وبعد وفاة والده لم تسمح له ظروفه المادية بمتابعة دروسه، وتلبية طموحه، فالتحق للعمل عند إسكافي بحي الصباغين مع ملازمة الدروس بجامعة ابن يوسف. وفي سنة 1378 / 1958 حصل على شهادة أهله للاشتغال في التعليم. فعين معلماً بمنطقة ابن جرير لكن طموحه دفعه لإتمام دراسته بالقرويين، فعين أستاذاً للسلك الثاني بشانوية المنصور الذهبي بمراكش. وتقلب في عدة وظائف إدارية وتعليمية بناهيتي مراكش وأكادير وكانت له موهبة في نظم الشعر فساهم في كثير من التظاهرات الثقافية والأمسيات الشعرية، متحدياً معاناته وآلامه، وترك نتاجاً شعرياً موزعاً بين أصدقائه، لم تتمكن أسرته من جمعه. إذ كان يشكو من مرض القلب الذي لم يمهله كثيراً.

توفي يوم 26 جمادى الثانية عام 1404 / 28 مارس 1984، وأقبر بمقبرة الإمام السهيلي.  
أ. متفكر، أعلام مراكش، (ذبل)، مخطوط.

أحمد متفكر

**ابن الدراج، محمد** بن عمر بن محمد بن عمر الأنصاري السبتي، من أبرز الشخصيات العلمية في العصر المريني بالمغرب، الأستاذ المتفنن الفقيه المحدث الصوفي الأديب الكاتب الشاعر ذو الخط البارغ تولى الكتابة الخاصة للملك أبي يعقوب المريني بفاس، ثم ولاه بعدها قضاء مدينة سلا. قال القادري: وهؤلاء ينسبون إلى الفقيه الخطيب الولي الصالح أبي محمد عبد الله الدراج الأنصاري، وقد عرف به أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحضرمي في تأليفه الكواكب الوقادة والسلسل العذب الأصلي، ووصفه فيه بالأنصاري ورأيت بخط عم والدنا أن الدراج المذكور من أهل سبتة، ومن ذرية عبادة بن الصامت. ولد محمد ابن الدراج ونشأ بمدينة سبتة التي كانت يومئذ من ألع مراكز العلم والمعرفة لا في المغرب وحده بل

يعطي الدرود خشب الصناعة ذا القيمة الرفيعة نظراً لمرونته وانطوائه وصلادته ومثابته وجسوده وثقله، وقوة تحملته، وذا اللون الأبيض المائل إلى الوردي. كما يستعمل لصناعة الأثاث الرفيع التي تصنع من خشب الأشجار المعمرة ذات الأخشاب التي تتميز بجمال تعريقها وجودتها. تصنع من خشب الدرود الآلات الزراعية مثل المحارث الخشبية والعربات ومقايض الأدوات وموائد الجزارة والرقائق والآلات الموسيقية. من جهة أخرى تعتبر أوراق الدرود من أحسن الأعلاف للحيوانات إضافة إلى كل هذه المزايا يستعمل الدرود للزينة ويجانب الطرق والشوارع وفي شتى المجالات من التطبيب التقليدي.

أبحاث شخصية: ألبرت هيل، النبات الاقتصادي، 1962، ترجمة د.ع. زاهر وآخرين، المكتبة الأنجلو المصرية القاهرة.

Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*. Paris. 1938.

عبد الملك بنعبيد

## الدرحم، احمد ← الدرهم، احمد

**دردورة**، (باب وقنطرة بمكناس) يعد باب دردوة أحد أبواب مدينة مكناس الستة التي تحدث عنها ابن غازي حين ذكر أن السور المرابطي المحيط بالمدينة يفتح على الخارج بواسطة ستة أبواب من بينها باب دردورة الذي كان يقع في الشمال الشرقي للقلعة المرابطية (تاكرارت)، وكان يعرف أيضاً بباب الصفا" (المرض الهتون، ص. 31).

وقد طالته التغييرات التي أحدثها المولى إسماعيل في مدينة مكناس حيث هدم وشيد إلى القرب من موضعه باب تيزمي وأما قنطرة دردورة، فهي التي تربط بين المدينة القديمة وحمرية من ناحية الفخارين.

وقد أمر المولى إسماعيل بإقامتها خارج باب دردورة على الطريق المؤدية إلى تطوان في إطار القناطر التي أقامها على مختلف المحاور المنطلقة من مدينة مكناس لتنشيط الحركة التجارية، وكانت تعرف أيضاً بقنطرة ابن يشو لإشرافه على بنائها سنة 1101 / 1689. وهو علي ابن يشو البازغي قائد أهل ديوان مولاي إسماعيل وعامله على البربر ورئيس عماله. وأنشئت بهذه القنطرة سقاية كانت مشار عناية السلطان لدرجة أنه حبس عليها عدة أوقاف من رباغ وعقار، وكانت تعرف بسقاية الذهب، كما حبس عليها القائد ابن يشو أوقافاً أخرى، واندثرت السقاية المذكورة ولم يعد لها أثر.

والظاهر أن قنطرة دردورة هي التي أصبحت تعرف في عهد الحماية الفرنسية بقنطرة البرتغال أمام - باب تيزمي - الرابطة بين المدينتين القديمة والجديدة من جهة الفخارين.

في العالم العربي بما أنجبت من أعلام في مختلف فروع المعرفة ولا نعرف تاريخ ولادته بالضبط. وأخذ عن أهل بلده وعلى رأسهم الأمير العالم أبو القاسم العزفي ووالده أبو العباس. فعليهما تخرج، وبهما سما قدره ولع نجمه ولاسيما الأول الذي رشحه لتولي منصب الكتابة الخاصة بالبلاد المريني وقضاء سلا. ومن شيوخه اللامعين في علوم اللسان أبو الحسين عبد الله بن أبي الربيع النحوي الشهير، وأبو الحسن علي بن عبد الله المتوسي، وأبو يعقوب بن موسى الغماري الحساني، وأبو بكر الفهري، وأبو القاسم ابن الزبير، وأبو العباس أحمد ابن فرتون السلمي وغيرهم. ولا شك أن مشيخة الرجل طويلة، لكننا لم نجد له ترجمة كافية، ولولا تلميذه الأثير القاسم التجيبي وبرنامج الذي طبع مؤخراً بتونس بعد أن اكتشفه الأستاذ إبراهيم الكتاني، لبقى الرجل مطوي الذكر في عالم النسيان والإهمال، فقد زدنا التجيبي بمعلومات قيمة عن أستاذه المترجم له، وكذلك ابن رشيد السبتي الذي استجاز ابن الدراج ونقل عنه في رحلته ملء العيبة قصيدة طويلة. ومن تلاميذه الكبار كاتب العلامة في الدولة المرينية عبد المهين الحضرمي، وأبو الحسن علي بن عتيق وغيرهم. ولم نجد في النتف القليلة التي وقفنا عليها ما يشير إلى رحلته إلى الأندلس لطلب العلم أو غير ذلك. وإن كنا نستبعد عدمها فقد كانت من السهل الميسور لقرب الدار، واستمرارها من لدن الفتح من الطلبة والمجاهدين والتجار، كما لم نعرف إن كان طلب العلم بفاس أو غيرها من مدن المغرب. أما التدريس والإقراء فلم ينفك عنه في معظم أطواره، فكان يعقد المجالس بسبته وفاس وغيرها كان مقصوداً لتدريس تهذيب المدونة للبرادعي ومختصر الطليطلي. وإسما الحديث وروايته، وله به مزيد اهتمام، وبأسانيده ورجاله جرحاً وتعديلاً وضبطاً وتحقيقاً كامل العناية والاحتفال، ويتجلى بعض هذا في تسمية مروياته وأسانيده، ومناقشة أدلة تحريم الغناء في كتابه الانتفاع والانتفاع.

كان ابن الدراج يطمح إلى الرحلة للحج والرواية كلبديه ابن رشيد والتجبي إلا أن هذين نالا بغيتهما، ولم ينل هو أمنيته. ولاشك أن للمترجم له تأليف إلا أننا لم نعرف منها إلا اثنين: الامتاع والانتفاع، في مسألة سماع السماع أو الكفاية والغناء في إحكام أحكام الغناء. والرد على من نغص على المسلمين بتحريم ما أبيع لهم منه في مظان المسرة والهنا، أو حال اجتماع أرباب التهم بالسماع ليتبعوا أحسنه أحسن الاتباع وأولي الاعتناء) وقد طبع هذا الكتاب بعنوان مختصر هو: كتاب الإمتاع والانتفاع، بمسألة سماع السماع. بتحقيق محمد ابن شقرون. والكتاب الثاني في الخيل ويسمى: نيل الأمل المؤمل النيل، في معرفة ما يجب من أمور الخيل، وهو من مسموعات التجيبي عن شيخه المترجم له، ولاندرى مصير الكتاب.

والرجل أشعري العقيدة مالكي المذهب كمعظم أهل عصره صوفي عارف في المواجد ينحو نحو أهل الوحدة ويردد أنغامها، ومن صريحها قوله من مخلع البسيط.

كل مكان به اراكسا والله لا أشتكي هراكسا  
وكيف أشكو وكل شيء تراه عني فأنت ذاكسا

وكان مستهتراً بالسماع قائلاً بإباحة آلاته عارفاً بأنواعها ولا يبعد أن يكون ماهراً في استنطاقها، يستروح إلى الرقص ويؤثره.

وبعد حياة حافلة بالمتع بلغ النهاية فأسلم الروح بمسقط رأسه عام 693 / 1293 ودفن بمقبرة المنارة.

م. ابن الدراج نفسه، الإمتاع والانتفاع في مسألة سماع السماع،

تح. م. ابن شقرون؛ م. الحضرمي، الكواكب الرقادة: السلسل

العذب، سلا؛ أ. التجيبي، برنامج الشيوخ، تونس؛ م. ابن

رشيد، ملء العيبة، تح. بلخوجة.

محمد الأمين بوخيزة

**درايس بن إسماعيل الجراوي الفاسي، أبو ميمونة،**

فقيه حافظ نظار محدث من أهل فاس، من أحفظ أهل زمانه لمذهب مالك وأصحابه. واشتهر إضافة إلى علمه بصلاحه وورعه ودينه المتين. ذكره القاضي عياض في المدارك في الطبقة الأولى من علماء فاس. وبدأ به التميمي كتابه المستفاد ونسب له بعض الكرامات. درس ببلده وسمع من شيوخه الذين لم تحتفظ المصادر باسم أي منهم. ورحل إلى الأندلس طالباً فزار قرطبة ولقي فقهائها.

خرج في رحلة إلى الحج فزار الإسكندرية ولقي فقهائها، وسمع من علي بن عبد الله بن أبي مطر (ت. 339 / 950) كتاب ابن المواز في الفقه المالكي. ولا غمك معلومات أكثر عن البلدان التي زارها وعن العلماء الذين لقيهم في رحلته المشرقية هذه التي اتصل فيها بكبار علماء المذهبين: المالكي والأشعري في وقت كان حاسماً في تاريخ تطور المذاهب السنية. ودخل القيروان وسمع من ابن اللباد وغيره. كما حدث بها بكتاب ابن المواز فأخذه عنه من علمائها أبو الحسن القاسبي (ت. 403 / 1013) وأبو محمد ابن أبي زيد القيرواني (ت. 386 / 996) الذي كان نزوله بالقيروان عنده.

نقل القاضي عياض عن المالكي القيرواني قوله: "كان أبو ميمونة من الحفاظ المعدودين والأئمة المبرزين، من أهل الفضل والدين، ولما طرأ إلى القيروان اطلع الناس من حفظه على أمر عظيم، حتى كان يقال: ليس في وقته أحفظ منه... وظهر تقصيره بعلماء القيروان وشفوفه على كثير منهم". وقد شعر علماء القيروان بتفوقه في الفقه فحدثت له بسبب ذلك أحداث مع شيخه أبي بكر بن اللباد ومع الشيخ أبي سعيد خلف بن عمر.

دخل الشيخ دراس سبته فحدث عنه عدد من علمائها كأبي عبدالله محمد بن علي ابن الشيخ، وأخيه حسن بن

مثلا شاهدا على هاته المشاغل مع التذكير ميدنيا بالإشكالات الواضحة التي يطرحها هذا الموضوع ليس فقط من حيث حدائته وتشتت التنف المعلوماتية الخاصة به، ولكن أيضا باعتبار أن الإمساك بمركباته يرسم ويشخص تعقد معطيات المواد الأولية ومراحل التحضير والانحياز اليدوي، مع التركيز بالمقابل على تداخل ذلك مع بنيات وواقع التراتبية الاجتماعية والأنماط الثقافية المرتبطة بهيكل الذهنيات والسلوكات (Braudel, 271).



ونأخذ هنا نموذج الدراعة الذي يتطلب ما في ذلك شك محاولة الانفصال والتجرد الآتين والكشف عن أهم الإشارات التاريخية والدلالات الانثروموجالية لهذا اللباس الصحراوي الشهير، وتسعنا المعلومات التي أوردتها الإخباريون والرحالة نسبيا في رصد هذا المسعى واستكماله إذ معهم نصادف بواكر أولى واضحة لهذا التشابه مادامت المقاييس التي يتم إيرادها تأتي لتزكية الاعتبار بأن الدراعة تنتصب بقوة كلباس صنهاجي قديم، على الرغم من التمايز الطبيعي للقبائل والفصائل الصنهاجية في أشكال الملابس، فلقد سبق أن ذكر الإدريسي مثلا صناعة نسيجية مبكرة بنول لمطة في القرن الثاني عشر الميلادي حيث "تباع بها الأكسية المسماة بالسفسارية والبراس التي يساوي الزوج منها خمسين دينارا وأقل وأكثر" (الإدريسي، 66)، بينما يلبس أهل أزغى أردية قبل إلى الكندورة مع إشارات إلى قبائل أخرى تعتمد في أرديتها على الجلود. تلك الصناعات الصوفية تحيلنا للانتفات إلى ضرورة جرد جغرافية للأنسجة، يحتل القطن فيها مكانة بارزة منذ العصر الوسيط على الأقل في حين يتم توريد المنسوجات الصوفية إلى إفريقيا الغربية مع التوسع التجاري القافلي لتتحول مصنوعاته إلى سلع وامتيازات نخوية، وفي القرن السادس عشر تصلنا مدونات الحسن الوزان لتحدد المعالم الأخيرة المبكرة للدراعة حين تحدث عن اللباس ذي الأكماس

علي، وعمر بن ميمون بن بكر القيسي، وحمود بن غالب الهمداني، وعبد الرحمن بن العجوز الكتامي. وكان من فئة العلماء العاملين، الذين جمعوا بين العلم والورع والجهاد، فقد كان يتردد إلى الأندلس متطوعا للجهاد في سبيل الله بالثغر الأعلى منها. وكان يساهم في نفس الوقت في نشر فقه المذهب، فسمع منه كتاب ابن المواز من الأندلسيين أبو الفرج عبدوس بن محمد الثغري وخلف ابن أبي جعفر، وغيرهما.

ارتبط اسم دراس بن إسماعيل بالجهود التي بذلها في نشر وتركيز مذهب مالك بفاس، إلى درجة أن بعض المصادر بالغت حينما نسبت له الدور الحاسم في ذلك. وعلى كل حال فإن دوره كان متميزا في ترسيخ الثقافة المذهبية المالكية، فقد اعتبر أول من أدخل مدونة سحنون إليها. وساهم أيضا في التمهيد للمذهب الأشعري، حيث كان أشعريا متحمسا، تنسب له رسالة في الدفاع عن الأشعرية.

وتفرغ لتدريس الفقه بفاس، فكان له بحومة مصمودة بعدوة الأندلس مسجد يعرف به، يجتمع عليه الطلبة فيه للدراسة كل يوم بعد صلاة الصبح.

توفي في ذي الحجة سنة 357 / أكتوبر - نونبر 968 ودفن خارج باب الفتوح. وقد جدد السلطان أبو عنان المريني قبره سنة 754 / 1353، ووضع عليه مربعة رخام منقوشة باسمه وتاريخه. واعتبر من أولياء مدينة فاس، وظل الناس يزورون ضريحه ولهم اعتقاد في أن الدعاء عنده مستجاب.

أبو الوليد ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، 1966، ص. 146؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، تج. سعيد أعراب، المحمدية، 1981، 6: 81، 82؛ ابن عسيرة الضبي، بغية المتيسر في تاريخ رجال أهل الأندلس، القاهرة، 1967، ص. 292؛ أبو زيد الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج. 3، تج. محمد ماضور، تونس، ط. 2، 1993، ص. 100؛ أ. لاسن القاضي، جذوة الاقتصاد، الرباط، دار المنصور، 1973، ج. 1، ص. 194؛ أ. بساب التنيكتي، نيل الابتهاج، طرابلس، 1989، ص. 175؛ ابن عيشون الشراط، الروض العطر الأنفاس، تج. ز. النظام، منشورات كلية الآداب بالرباط، ص. 49 - 55؛ م. الحجوي، الفكر السامي، القاهرة، مكتبة دار التراث، 1396، ج. 2، ص. 111؛ م. مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، بيروت، ص. 103.

محمدالمغراوي

**الدراعة.** يأخذ البحث في تاريخ العادات والتقاليد كل أهميته من داخل حقل المناهج السوسولوجية دون أن يبعد نفسه طبعاً من إجراءات الموضوع للبعد الزمني الذي تجري فيه الظاهرة، ومن ثمة ضرورة تطبيق التداخل المفاهيمي الذي تهيمن عليه خصوصيات وإجراءات العمل الانثروبولوجي، وهكذا يعتبر اقتحام وولوج ميدان الملابس

العريضة المصنوعة من نسج أزرق اللون والتي تأخذ مراحلها النهائية بمنطقة السودان الغربي، في وقت تستورد قطع الثوب من المغرب (Puigaudeau, 415). مادام نفس الإخباري قد أوضح الأهمية التجارية التي حظيت بها مدينة تاكاوست عاصمة وادي نون آنذاك في إنتاج قطع النسيج لتغطية الطلب عليه بما أن نفس التخصص قد نتجت عنه أسواق متخصصة للنساجين بمالي على سبيل المثال (الوزان، 165).

وتتكون الدراعة من قطعة واسعة من الثوب، سُكلت بوسطها [من ناحية القمة] فتحة كبيرة وضيقة لإيلاج الرأس، بينما تمتد من ناحية الكتفين بأكماد واسعة متدلية إلى ما وراء أصابع اليدين. تفتتح باتجاه الأسفل حيث يتم جمع طرفي النسيج من جهة الكتفين، تتوسطها قطعة مثلثة الشكل تقريبا ومن نفس الثوب تناهز العشرين سنتمتراً على مستوى العرض تمثل الجيب الوحيد الذي يميز الدراعة، على أن الرسومات والنقوش التي تزينه تنجز مستقلة ومن مواد خاصة يتخصص فيها أهل السودان والنيجر إلى حد الآن، مما يشهد بجلاء على التطور الكبير الذي يشهده هذا الرداء بدءاً من تنوع واختيار تطابق المواد الأولية (70، Mauss)، ويختلف طول الدراعة باختلاف قامة الحامل لها مع تحول ملموس إذ تميل حالياً إلى أن تكون متجاوزة للكتفين مع ضرورة التصريح ضمناً إلى تداخل هاته الميزة مع الانتماءات الاجتماعية والوظيفية لحاملها فنجدها قصيرة لدى الرجل أو المشتغلين مع احتفاظها بطابع نخبوي طويل لدى المستقرين أو الفئات العليا في الهرم الاجتماعي، ويتم طيها من عند الكتفين بشكل آلة الأكورديون أو ربطها في بعض الحالات بحزام من الوسط (Puigaudeau, 417).

ثم إن الدراعة انطلاقاً من لونها وشكلها لا يتأتى فهمها خارج المعطى الإيكولوجي المحدد طبعاً للاختيارات التي لا تترك مجالاً للصدفة أو العشوائية، فما دامت الصحراء تنسم بطابع الحرارة المفرطة (الوزان، 148) فإن التقطيع والرسم المورفولوجي للدراعة البيئة الاتساع والمفتوحة من الجانبين تسمح بضمان التهوية أي تنقل ومرور دورة هوائية كما بقي امتداد الأكماد وتحركها المستمر من لسعات الحشرات التي تكثر بالمناطق الحارة، على أن اللون الأزرق الذي يطبع هذا اللباس لا ينفلت بدوره من الاستجابة لهذا المعطى، فالأبيض مثلاً إن كان يلائم المناخ الصحراوي فإن اعتماده يظل هامشياً لكونه عاكساً قوياً للأشعة في حين يمتاز اللون الأزرق بتصدره للألوان من خلال اعتباره الأكثرها برودة (Dictionnaire, 209) أي أحد المتطلبات الضرورية وسط المناطق الصحراوية.

ونحن إن أكدنا على أقدمية هذا الرداء وتجذره بالصحاري الصهناجية فأن اعتباره الآن أحد خصوصيات الانتماء العربي لا يأخذ إطلاقاً قيمته من أية مرتكزات أو

حقائق تاريخية، وإنما يبين أهمية التوسع والامتداد الأعرابي على المحاور الجنوبية والتخوم الشمالية للصحراء الأطلسية، كما يعد احتكار بعض المحاور التجارية الممتدة على طول المنطقة توفيراً لامتياز حقيقي للاستحواذ على السلع التي تأتي على رأسها الدراريح (ج. دراعة). وبالتالي فإن المتغيرات السياسية كما حصل هنا تبين بوضوح خلخلة المجتمعات المستقرة لصالح التشكيلات الاجتماعية الجديدة أو الصائرة في طريق التشكل على امتداد القرون الأخيرة الماضية ليس فقط بموريطانيا بل حتى ببلاد تكتة، ويصيح اللباس في مثل هاته الحالات شاهداً على نسبة هامة من درجات التراتب الاجتماعي (Braudel, 272)، ثم وضوح سيطرة كبار الرحل والتجار أو بشكل آخر فصائلهم على مستوى عام أو أيضاً داخل القبيلة ذاتها بامتلاك آليات التمايز كاللباس إلى جانب اللغة، وفوق هاته الوظائف المصغرة للدراعة فإنها تأخذ كينونتها بتمييزها للإنسان الصحراوي بل ولأن حضورها أيضاً يتعالى على التخصيص ليصب في جوهر الطقوس والممارسات المجتمعية الخاصة بالمنطقة، فمادامت العلاقات بين الرجال والنساء تشكل الخلايا الجوهرية المؤسسة للمجتمع فإن الفصل بينهما مع ذلك يظهر انطلاقاً من الاستقلالية النسبية التي يحظى بها كل طرف وتكون الملابس إحدى الآليات البارزة لهذا الفصل (Haulotte, 165). فالدراعة مثلاً يختص بها الرجال لذلك يعتبر إلباسها لامرأة في مناسبة أو أثناء الرقص ترجمة رمزية مبهمة للعلاقة تملك المرأة فيها إمكانية رفضها أو قبولها كما قد يعني ذلك التحاماً بين الجنسين في شكل يُعيد الفصل بين الملابس إنتاج بعده الجنسي (Westermarck, 190) على أن ارتداء الدراعة في حفلات الزفاف في وادي نون والصحراء يأتي ليزكي هذا الطرح باعتبارها تحمّل في مثل هاته المناسبة على مفاهيم الرجولة (تورغوة) كما أنها تحمّل داخل الحقل الثقافي الشعبي برصيد هام من الأشعار والأحاديث المروية.

إننا هنا نود لفت الانتباه إلى توسع التخصص وأهمية التنقيب في الخصائص والمكونات الثقافية لحقل وفضاء الموقع الصحراوي حيث يُمكن ذلك لا محالة من استكشاف المتغيرات التاريخية بتنوع مفهوم الوثيقة ذاته وتجاوز الضعف والفقير المعلوماتي اللذين يعيقان البحث المونوغرافي الضيق.

ج. الوزان، وصف إفريقيا، تر. م. حجي وم. الأخضر، ط. I، الرباط، 1982.

Al-Idrissi, *Le Maghreb au 6<sup>e</sup> siècle de l'hégire*, Trad. M. Sadok, Paris, 1983 ; F. Braudel, *Civilisation matérielle, économique et capitalisme XV-XVIII<sup>e</sup> siècles*, Tome I, Paris 1979 ; J. Chevalier, *Dictionnaire des symboles*, Vol. I, 6<sup>e</sup> éd., Paris, 1973 ; E. Haulotte, *Symbolique des vêtements*, Lugdun, 1964 ; M. Mauss, *Manuel d'ethnographie*, Paris, 1967 ; A. de Puigaudeau,

الخزرجي الأنصاري، الغرناطي الأصل، الأندلسي ثم  
السبتي، المتوفى بها قاضياً في أوائل المائة الثامنة، ودفن  
بخارجها. وقبره بها مشهور يتبرك به. من خط محمد بن  
علال القادري.

ومعلوم أن القاضي أبا محمد عبد الله الدرّيج الذي  
تعنيه هذه التقييدة هو غير القاضي أبي عبد الله محمد بن  
عمر ابن الدراج السبتي الأنصاري (ت. 693) الكاتب  
الأديب المؤلف لكتاب الكفاية والغناء في أحكام الغناء،  
وغيره من المؤلفات الأخرى. فهذا الأخير وإن كان سبتياً  
وأنصارياً، فأصوله ترجع إلى تلمسان، وليس إلى الأندلس  
كسابقه، وقد تولى في مرحلة من عمره قضاء سلا. واشتهر  
بكنية سلفه ابن الدراج، كما اشتهر بهذه الكنية أبناؤه من  
العلماء بعده. (انظر ابن الدراج).

ويتبين مما سبق أن الولاية والصلاح كانتا الميزة التي  
عرفت بها أسرة الدرّيج، وهي ما تزال في سبته مع قاضي  
سبته الشيخ عبد الله الدرّيج الذي وصف بالولاية والصلاح  
: أو حين استقرارها بضاحية تطوان، مع الشيخ سيدي  
طلحة، الذي جمع بين الولاية والصلاح والعلم والجهاد. وقد  
تسلسل بعض هذه الصفات في عقبه المستقر بكل من  
حاضرتي تطوان وفاس.

ولفضل هذه الأسرة، وجمالة موقعها العلمي  
والاجتماعي، ألف الشيخ سليمان الحوات، تقييده الشهير  
في بني الدرّيج، اعترافاً لما أحرزوا عليه من "جمالة  
المنصب، علماً وولاية، بكل من عدوتي المغرب (والأندلس،  
إذا لهم فيها الزوايا الواسعة الحرم، والمزارات التي تنكشف  
عندها عن الزائر الغمة".

فأصل هذه الأسرة كما ألمعنا قبل، من الأندلس،  
وبالضبط من حمراء غرناطة. نزحت إلى سبته من يرّ العدوّة  
لتنسقر بها إلى حين. وقد ظل انتصاؤها الأندلسي ثابتاً  
يذكر في أنساب المتأخرين من أبنائها، بل إن أسرة الدرّيج  
بعد تشييد مدينة تطوان، تصبّح ضمن الأسر الأندلسية  
الشهيرة بها، فتحل بذلك، وبما ورثته من علم وولاية،  
مركزاً مهماً في بيضة تطوان الاجتماعية، وبين أسرها، " "  
فصاروا في عداد البيوتات الأندلسية بتطوان المحروسة،  
ومن أهل الحرمّة التي أبقاها السلف للخلف، مع التخلق  
بالعلم والعمل، والتعلق بعوامل الحسب والنسب".

وبما يلاحظ أن هذه الأسرة رغم فضلها لم تنسح فتكثر  
بيوتها. بل ظلت محدودة الأفراد، حتى إن الشيخ أبا الربيع  
الحوات وهو يجمع تقييده في هذه الأسرة، يعدد حسب  
علمه الموجودين من أبناء الدرّيج على عهده في تسعة  
أنفار. اثنان منهم بتطوان، هما : الفقيه أبو حامد العربي  
بن عبد السلام الدرّيج، وابن أخيه الطالب محمد ابن الفقيه  
الأجل أبي الحسن علي بن عبد السلام الدرّيج. وسبعة منهم  
بحضرة فاس، وهم من عقب الفقيه الأديب محمد بن محمد  
الدرّيج (ت. 1126) الذي انتقل إلى سكنى فاس أواخر

**الدَّرَاق**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الأخماس،  
وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عروّز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483  
إلى سنة 1900) تطوان 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي  
ذكرها في الرقم 1615.

محمد ابن عروّز حكيم

## الدَّرَاق (أسرة سوسية - فاسية) ← أدراق

**الدَّرَاج**، أسرة تطوانية تنتمي إلى الأنصار من أصل  
أندلسي. انتقلت أولاً إلى يرّ العدوّة لتتخذ من سبته سكناً  
لها. وتستقر أخيراً في تطوان بعد سقوط سبته في يد  
النصارى عام 818.

ومن تطوان انتقل بعض أفرادها إلى فاس، ليصبح  
لأسرة الدرّيج حضور بين الأسر الأندلسية بكل من حاضرتي  
فاس وتطوان.

ويتفق الذين تحدّثوا عن هذه الأسرة، بأن سلسلة نسبها  
يتصل بجدهم الأعلى، الشيخ أبي يعلى طلحة بن عبد الله  
الدَّرَاج، السبتي النشأة، دفين تطوان، وصاحب الضريح  
المشهور بها (كان حياً عام 832).

وقد ثبت هذا النسب حسب سليمان الحوات "في الكثير  
من صدقاتهم، التي هي بخط جملة من أعيان العدول،  
بالحضرتين الفاسية والتطوانية، أهل الضبط والتحرير من  
العلماء الموثقين بهما". ولذلك أورد الحوات في تقييد  
سلسلة هذا النسب، بتسمية رجاله إلى حدود الجد الأعلى  
لأسرة الدرّيج، الشيخ أبي يعلى طلحة الدرّيج.

غير أن الذين تحدّثوا عن هذه الأسرة يذكرون أن الشيخ  
سيدي طلحة من نسل قاضي سبته وخطيبها العلامة المحدث  
ولي الله أبي محمد عبد الله الدرّيج الأنصاري دون تحديد  
علاقة هذه القرابة إن كان طلحة ينزل فيها ابناً للمذكور أو  
حفيداً من أحفاده.

وقد اجتهد الحوات في تفسير التحول الذي حدث في  
اللقب وانتقاله من صيغة الدرّيج إلى الدرّيج.

وفي تقييد بخط المؤرخ عبد السلام بنسودة نقلا عن  
بعض الظّر الموثقة، يرد لقب هذه الأسرة منذ البداية بصيغة  
الدَّرَاج. وهي تقييدة تعرف بهذا القاضي وتذكر أحواله بما  
نصه : "قاضي مدينة سبته وديار جبالها السبعة الشيخ  
الإمام الفقيه المالكي التوازي الخطيب البالغ الصوت المحدث  
الولي الصالح والذرية الصالحة أبو محمد عبد الله المعروف  
بالدرّيج، من عقب عبادة بن الصامت، أحد النقباء،

ويذكر محمد داود أن أسرة الدريج قد انقرضت من تطوان، وأن الموجود منهم الآن بتطوان، إنما هم ممن ورد عليها من فاس حوالي منتصف القرن الرابع عشر (20 م).

س. الحوات، تقييد في بني الدريج، مخطوط : م. القادري، نشر الثاني، 3 : 217 : م. داود، تاريخ تطوان، 1 : 77 : 3 : 14 : ع. ابن سودة، كفاية عبد السلام بسودة، مخطوطة : ابن الزبير، صلة الصلة، 3 : 43 : التجيبي، برنامج التجيبي، 167 : برنامج الوادي آسي، 130 : الوافي بالوفيات، 2 : 141 : أ. ابن القاضي، درة المجال، 2 : 248 : م. المنوني، وراقات، 345 : ابن الحاج النسيري، مذكرات، [نسخة مرقونة] : م. الكتاني، سلوة الأنفاس، 2 : 298 : 3 : 14 : أ. الرهوني، عمدة الراويين، مخطوط، 4 : 53.

### الدريج، طلحة بن عبد الله السبتي، يكنى أبا

يعلى، الأندلسي الأصل، السبتي النشأة، دفين تطون وصاحب الضريح المشهور بها. أصل سلفه من غرناطة. ثم انتقلوا إلى سبتة حيث نشأ بها الشيخ أبو يعلى طلحة الدريج.

لا يعرف له بالضبط تاريخ ولادة ولا تاريخ وفاة، غير أنه كان حياً في النصف الأول من القرن التاسع (15 م). فيرد ذكره بشكل صريح سنوات 830 و831 و832 وهو يتزعم المجاهدين فيقود الحملات ضد النصارى لمحاصرة بلده سبتة المحتلة، والعمل على تحريرها.

ولاشك أن الشيخ طلحة كان ممن شاهد مأساة سقوط بلده سبتة في يد النصارى عام 818.

وقد تحدث الذين ترجموا له عن نشأته بسبتة واستفادته من شيوخها وعلمائها، حتى إذا ما ظهر فضله، وبان علمه، انتقل إلى بعض البوادي القريبة من سبتة بطلب من أهلها، وباستئذان من أمير سبتة العزفي آنذاك.

وحسب سليمان الحوات في التأليف الذي خص به أولاد الدريج، فإن البداية التي انتقل إليها الشيخ طلحة هي نفس المشعر الذي كان به استقراره، ومدفنه، حيث يوحد اليوم ضريحه بتطون من أعلاها.

وعندي أن انتقال الشيخ طلحة إلى مستقره الجديد يكون في الأغلب غداة سقوط بلده سبتة في يد النصارى.

ففي أسلوب الحوات وقد نقل عن سبقة بالترجمة للشيخ المذكور ما يفيد أن نزول الشيخ بهذا المحل حيث مدفنه الآن

- كان بهدف تنظيم العملية الجهادية بتعبئة المجاهدين والإغارة على النصارى المحتلين لسبتة. "... ثم لما ظهر أمره... وكانت بادية سبتة القريبة منها خالية من أمثاله، لا

جرم طلبوه من بعض أمرائها العزفيين ليهتدوا بأنواره ويستجبروا بجواره، فأجابهم إلى ذلك في الحين رغبة في

إصلاح حالتهم بالعلم والدين وإعلاء كلمة الله بالاستعداد إلى قوة الرباط في ثغور الجهاد. وأنزله رضي الله عنه في

محلتهم بمجشر واسع العمارة يقال له خندق الفرجة، فيه عين من الماء الغزير. وكان قويا، شهما، كميما، قرنا، طويل القامة، أسمر اللون، يلبس جبة خضراء، له فرس يركبه للجهاد ويقتمح به أعداء الله في كل واد. وتخلق أهل المنزل بأخلاقه من النجدة والبأس ورباط الخيل لإرهاب عدو الله وعدوهم. فكانوا يركبون معه في خمسين فارسا، كل منهم في الحرب أسد هصور... إلى أن توفي رحمه الله ودفن بمتعبده من المجشر المذكور حيث روضته الآن".

أما المقصود بالأمير العزفي الوارد في هذا النص فهو القائد صالح بن صالح العزفي، وهو الذي كان يتولى سبتة عند سقوطها في يد النصارى. وقد ظل فيما بعد يتزعم قيادة المجاهدين لأجل تحريرها. وسيصبح فيما بعد أيضا واليا على طنجة من قبل السلطان المريني وسيكون له تأثير في هزيمة البرتغال عند محاصرتهم طنجة عام 841، والتفاوض معهم لأجل التنازل عن سبتة، مقابل السراح للأمير البرتغالي الأسير دون فيرناندو، الذي كان قد نقل رهينة إلى فاس.

يؤكد هذا ما ورد في نقول وتقايد جمعت في كتيب أسماه صاحبه " الاستبصار والتفكير والاعتبار، في أهم ما ورد من الاخبار، عن كفاح المجاهدين الأبرار، من أجل مطاردة النصارى الكفار، عن جميع المدن والأصهار". عند الحديث عن السنوات التي أعقبت سقوط سبتة ومحاولات المجاهدين لاسترجاعها بما نصه : "... ثم قال صاحب الكفاية : إنه وجد بتقييد مجهول صاحبه بأنه عند انسحاب جيوش السلطان لم يرتفع الحصار البري على المدينة، بل واصله أهل القرى المجاورة لها طيلة سنة 822 ، وأنه في سنة 823 تزعم هذا الحصار القائد صالح بن صالح العزفي، وهو الذي كان يحكم سبتة عند سقوطها بأيدي النصارى. واستمر الحصار إلى منتصف سنة 829 بدون انقطاع رغم الإمدادات التي كانت تصل إلى النصارى من البرتغال".

وقد ظن محمد داود حين اطلاعه على قول أبي الربيع الحوات السابق الذكر أن المقصود بالأمير العزفي هو أحد العزفيين ممن حكموا سبتة في دولتهم خلال النصف الثاني من القرن السابع (13 م)، وتبعاً لذلك رجح كون الشيخ أبي يعلى طلحة الدريج هو من رجال القرن السابع. والواقع أن الرجل من رجال القرن التاسع (15 م).

ويتفرد الكتيب المذكور وفي نفس السياق بنقل تقايد تاريخية على جانب كبير من الأهمية، تلقي مزيداً من الأضواء على شخصية أبي يعلى طلحة الدريج ونشاطه في الجهاد فيقول : "... ونقلنا عن نفس المصادر يقول صاحب الكفاية : إنه في سنة 860 تزعم الرباط على سبتة الولي الصالح الشريف البركة سيدي طلحة الدريج صاحب الضريح المشهور بتطاون، ويقول : إن هذا الرباط ابتداءً في شهر ربيع الأول من سنة 830، وكان عدد المرابطين يفوق الأربعمئة رجل. ويقول إن أهم العمليات التي قام بها

سيدي طلحة، كان الهجوم الذي قام به ضد المدينة في شهر ذي القعدة سنة 831، وآخر وقع في شهر شوال سنة 832". ورغم أن هذه التقايد استمرت تتحدث عن نشاط المجاهدين بعد هذا التاريخ فإنه غاب عنها ذكر سيدي طلحة مما يترجح معه أن وفاة الرجل حدثت في وقت قريب من ذلك.

والملاحظ أن الذين ترجموا للمجاهد طلحة نوهوا بولايته وصلاحه وبركته. ولا يذكر اليوم إلا بهذه الصفة، فيشار فضله في ذلك وتذكر كراماته، ولا سيما حين يصبح ضريحه مقصد الزيارة والانتفاع، حتى إن الشيخ أحمد الرهوني حين يترجم له بين صلحاء تطوان في كتاب عمدة الراوين، يركز على كرامته في مداواة زائري ضريحه من المرض بالحمى.

س. الحوات، تقييد في أولاد الدريج، مخطوط : الفقيه الشراط، الاستبصار، 30 : أ. الرهوني، عمدة الراوين، 4 : 53، مخطوط : محمد داود، تاريخ تطوان، 1 : 77 : أ. الناصري، الاستبصار، 4 : 95 : م. ابن عزوز حكيم، لمذا نطالب باسترجاع مدينتي سبتة ومليلية، تطوان، 1979.

عبد الله المرابط الترغي

**الدَّرَجِيح، محمد بن محمد (الحاج -)**  
الأندلسي التطواني ثم الفاسي، الفقيه النزيه النبيه الصالح العابد الناسك المقرئ المجهود. ينتسب إلى الولي الصالح الشهير طلحة الدريج. من حفدة الفقيه القاضي المحدث أبي عبد الله الدراج الأنصاري السبتي من ذرية الصحابي الجليل عبادة بن الصامت.

ولد بتطوان ونشأ بها وأخذ عن علمائها. وكان من مريدي الشيخ أحمد بن عبد الله معن الأندلسي وحج معه، كما صحب أحمد اليمني حتى صار من أهل الثبث والإتقان في طريق العرفان.

توفي عام 1126 / 1714 بفاس، ودفن قرب قبّة سيدي محمد بن عبد الله معن خارج باب الفتوح.

م. الكتاني، سلوة الأنفاس، 2 : 298 : القادري، نشر الثاني، 2 : 110 : أ. الرهوني، عمدة الراوين، 4 : 53 : م. داود، تاريخ تطوان، 3 : 14.

محمد الأمين بوخيزة

### درسة (جبل يشرف على تطوان) ← درقة

**درقة** (نهر ومدينة وإقليم)، اكتسبت كلمة درقة من خلال كتابات مؤرخي العصور الوسطى وجغرافيين ورجالهم المدلولات الثلاث الآتية :

أ - مدلول النهر : كانت كلمة درقة، تطلق في عرف

كتاب العصور الوسطى، على النهر الكبير، الذي تنبع روافده الأساسية (نهر داس، نهر ورزازات) من جبال الأطلس وجبل سيروا، وبعد رحلة طويلة عبر سلسلة من الواحات بالأطلس الصغير يصب في المحيط الأطلسي شمال مدينة طان طان الحالية. وأقدم إشارة مكتوبة بهذا المعنى وردت في جغرافية الفزاري، أحد كتاب البلاط العباسي في أواخر القرن الثاني (8 م)، فقد صنف هذا الجغرافي نهر درعة ضمن أنهار "سوس وأعظمها وأكبرها.. يخرج من جبل البقرة ويمر على سجلماسة ثم درعة قبل أن يصب في البحر الأعظم" ( جغرافية الفزاري، 4) ولاشك أن قول الفزاري إن نهر درعة يمر على سجلماسة خطأ بين، مرجعه اعتماد صاحب الكتاب على السماع من الغريب ورواد الآفاق في تدوين الأخبار. وفي القرن الخامس (11 م) بسات المعلومات عن نهر درعة أكثر دقة مع أبي عبيد البكري الذي ذكر بأن منبع نهر درعة من جبل درن وجريته من الشرق إلى الغرب ( المغرب، 155).

وبالرغم من هذه الدقة في معلومات البكري عن نهر درعة فإن الشريف الإدريسي في القرن السادس (12 م) يقع في نفس خطأ الفزاري حيث ذكر أن نهر درعة يمر على سجلماسة (وصف إفريقيا الشمالية، 38). وقد نقل صاحب الاستبصار معلوماته عن درعة عن أبي عبيد البكري دون أن يضيف أي جديد ( الاستبصار، 206).



وأصبحت معلومات ابن خلدون عن نهر درعة أكثر وضوحاً ودقة، حيث ذكر بأنه النهر الأعظم المنحدر من جبل درن إلى القبلة (الجنوب) مغرباً إلى الصحراء والرمال ويمتد إلى أن يصب في البحر ما بين نون وودان (شمال موريطانيا الحالية) وحفا فيه قصور لا تحصى، شجرتها النخيل (ابن خلدون، 6 : 88). وينفس المعنى ورد وصف نهر درعة عند الحسن الوزان في مطلع القرن العاشر (16 م). إذ يؤكد أن هذا النهر يفيض في فصل الشتاء حتى كأنه بحر، ثم يجف طوراً آخر حتى يمكن عبوره على الأقدام (وصف إفريقيا،



2 : 118) أما مارمول الغرناطي في أواسط القرن العاشر. فقد جاء بنفس المعلومات التي وردت عند الوزان، وعض كلمة درن بكلمة جبال الأطلس عند إشارته إلى منبع نهر درعة ( إفريقيا، 3 : 144).

ب : مدلول المدينة : وردت كلمة درعة كمدينة عند مؤرخي وجغرافي العصور الوسطى الإسلامية، إلا أن هؤلاء لم يتفقوا على اسم هذه المدينة وموقعها، وأقدم إشارة مكتوبة عن مدينة درعة ترجع إلى القرن الخامس (11 م)، فقد ورد عند البكري "بأن مدينة درعة يقال لها تيومتين وهي قاعدة درعة.. أهلة عامرة بها جامع وأسواق جامعة ومتاجر رابحة وهي في شرف من الأرض ( المغرب، 155. 156).

وقد علق صاحب طليعة الدعة في القرن الثاني عشر (18 م)، على ما ذكره البكري فقال : إن مدينة تيومتين، لا أظنها الآن في عرفنا والله أعلم إلا بلمتلك، وبدل على ذلك آثار مدينة خالية بها، في شرف من الأرض لم يبق إلا أساس سورها وأبراجها وهي في نهاية من الكبر ومقبرتين عظيمتين قد اندثرتا، تدلان على عمارة المدينة وكثرة الناس بها" ( طليعة الدعة، 3).

أما الشريف الإدريسي فذكر أن درعة ليست مدينة يحوطها سور، وإنما هي قرى متصلة وعمارات متقاربة.. وهي على نهر سجلماسة (وصف إفريقيا الشمالية، 38). ويذكر ابن القطان في القرن السادس (12 م) أيضاً، أن مدينة درعة في زمنه هي حصن تزاغورت ( الجمان، 93) أما صاحب الاستبصار في أواخر نفس القرن، فقد اكتفى بذكر مدينة درعة، ليتكلم لنا عن درعة ككل ( الاستبصار، 206).

وفي القرن السابع (13 م) يذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان أن درعة مدينة صغيرة بالمغرب بينها وبين سجلماسة أربعة فراسخ أكثر تجارها اليهود (معجم البلدان، 2 : 451) أما ابن خلدون الذي عاش في القرن التالي فذكر بأن مدينة درعة هي تادنست، بلد كبير يقصده التجار للسلم في النبلج وانتظار خروجه بالصناعة (ابن خلدون، 6 : 89) وعلق صاحب طليعة الدعة بأن مدينة تادنست قد تكون هي تيدري بالمدخل الشمالي لواحة اكتساوة، أو تيديسي وسط واحة ترناتة، لأن في هاتين البلديتين من درعة من الخراب ما يدل على عمارتها وحضارتها سابقا (طليعة الدعة، 2).

ونرجح أن تكون مدينة درعة في عصر ابن خلدون هي تيديسي القديمة وسط واحة ترناتة، وما تزال أطلال هذه المدينة قائمة إلى اليوم بالقرب من قصر تيديسي الجديد، وتعرف هذه الأطلال بالقصر الخالي، ولعل ما يؤكد ما ذهبنا إليه أن اسم تيديسي قد ورد في بعض نسخ تاريخ ابن خلدون (حضارة وادي درعة، 132) كما أننا عثرنا على وثيقة بزاوية سيدي أحمد بن علي جبار المكسور بترناتة،

تؤكد على أنه في القرن التاسع (11 م) كان يوجد بالقرب من أطلال تيديسي سوق كبير، تلتقي فيه القوافل التجارية من كل الجهات، وما يزال مكان هذا السوق في براح من الأرض يعرف اليوم بحدب سيدي الحاج عبد الله.

وقد غاب الحديث عن مدينة "درعة" في مصادر ما بعد ابن خلدون، مما يؤكد أن كتاب العصور الوسطى كانوا يعتمدون على السماع من الغرباء ورواد الأفاق لجمع معلوماتهم عن هذه الجهة أو تلك، وتدوينها في مصنفاتهم دون التدقيق في صحتها.

وفي مطلع القرن العاشر (16 م) تحدث الحسن الوزان عن القرى الكبيرة المبنية على حفاقي نهر درعة (وصف إفريقيا، 2 : 118) وتحدث مارمول الغرناطي في أواسط نفس القرن، عن أكثر من ثماني مدن بدرعة تتجاوز ساكنة كل مدينة منها أربعة آلاف نسمة (إفريقيا، 3 : 146 - 151) فهل ازداد عدد سكان هذه القرى، بفضل جهود السعديين في توفير ظروف الأمن والاستقرار بدرعة حتى تحولت إلى مدن صغيرة يفهم ذلك العصر ؟ خاصة أن مارمول كان شاهد عيان حيث زار بلاد درعة غير ما مرة على ما يبدو، في عهد السلطان محمد الشيخ وابنه عبد الله الغالب.

ج : المدلول الثالث : ويتركب من ثنائية تجمع كلمة درعة إلى ما أسندت إليه مثل بلاد درعة، إقليم درعة أو عمالة درعة نصادف هذه الثنائية في كتب الإخباريين الذين كانوا يدونون أخبار سلاطين الدول التي تعاقبت على حكم المغرب أثناء عملياتهم العسكرية بالمنطقة، كما نصادفها في المراسلات الرسمية والخاصة وفي الظواهر السلطانية وأحياناً في بعض الوثائق المحلية، كما نصادفها في كتب الرحلات السفارية والحجبية وكتب المناقب والتراجم، حيث كان أصحابها يرصدون أخبار الفقهاء وأهل الصلاح ببلاد درعة. وقد أصبح هذا المدلول يطلق في عرف المؤرخين الرسميين والمخزن المغربي منذ العهد المرابطي إلى مطلع القرن العشرين على المنطقة التي تمتد من أقلأ ندرى (أعلى درعة) بالمدخل الشمالي لواحة مزكيطة إلى المدخل الجنوبي لواحة المحاميد على مشارف الصحراء الكبرى.

معطيات جغرافية : تتشكل بلاد درعة من ست واحات تمتد بشكل مستمر على حفاقي نهر درعة على طول يقدر بحوالي 200 كيلومتر، وهي من الشمال إلى الجنوب : مزكيطة، تينزولين، ترناتة فزواطة، اكتساوة ثم المحاميد. وتحتل هذه الواحات موقعا متميزاً في الجنوب الأوسط من المغرب ضمن مجال الأطلس المتوسط. تجاورها غرباً بلاد سوس ومن الناحية الشرقية وادي تازرين وتاغبالت وحمادة قم - قم وزغدو، ومن الناحية الشمالية بلاد دادس وهسكورة ووازات وتنفث جنوباً على الصحراء الكبرى وبلاد إفريقيا الغربية. وتكتنف بلاد درعة جبال متوسطة الارتفاع أهمها جبل كيسان الذي يشرف على واحة مزكيطة وجبل

بوزروال وتودما بواحة تينزولين. ويشرف جبل باني على كل الواحات الجنوبية من ترنانة إلى المحاميد، ويمتد هذا الجبل على شكل قوس كبير يحتضن هذه الواحات، وتتخلله مجموعة من المسالك والمرات الطبيعية يطلق عليها محلياً اسم "قم" أو تيزي (ثنية) مثل قم تانسخت الذي يفصل بين واحتي تينزولين ومزگيطة، وقم تيدري الذي يفصل بين واحتي محاميد الغزلان وأكتاوة، وقم ورتي الذي يربط بين بلاد درعة وبلاد دادس وتيزنتا فيلات التي تربط بين درعة وبلاد تازرين... الخ

وتكتنف بلاد درعة هضاب شاسعة وقاحلة من جهات الغرب والجنوب ومن أهم هذه الهضاب هضبة لكرارة وكدية أولاد يحيى في مستوى واحتي تينزولين ومزگيطة وتشرف كدية الفانجية وحماة درعة وقم وقم على باقي الواحات الجنوبية من جهات الغرب، والجنوب والجنوب الشرقي.

وقد تشكلت على شاطئ نهر درعة سلسلة من السهول الرسوبية الضيقة، وهذه السهول عبارة عن شريط زراعي يساير نهر درعة في منحرجاته من أفلاندرى جنوباً إلى أقصى نقطة بواحة المحاميد على مشارف الصحراء. ويفضل هذا الشريط الرسوبي الخصب ووفرة المياه بنهر درعة اشتهرت بلاد درعة خلال العصور الوسطى بمنتجاتها الزراعية الوفيرة. ومن أهمها الحنّ والكومن والتصور والكرويا والنيلة وغيرها من المنتجات التجارية التي يتجهز بها إلى كل الجهات (وصف إفريقيا الشمالية، 38).

ولن نبالغ في شيء إذا قلنا إن هذه المنتجات الزراعية كانت وراء ارتياد تجار الأفاق للمنطقة، حيث كانت الأسواق تعقد على مدار الأسبوع بمختلف القصور المتناثرة على شاطئ الوادي (المغرب، 152 - 155).

ويظهر من إشارات الشريف الإدريسي أن الحركة العمرانية كانت مزدهرة بدرعة خلال العصور الوسطى، إلا أن المنطقة قد تعرضت في عصور لاحقة لخراب هذه العمارة نتيجة تعاقب دورات الجفاف الحادة، وتعرض المنطقة للأوبئة والأمراض الفتاكة، التي لا تكاد ترفع عن جهة، حتى تنزل ضيفا ثقيلاً على جهات أخرى من البلاد (الدرر المرصعة، 121) ولعل ما يؤكد خراب عمران بلاد درعة هو وجود الأطلال المتعددة في غير ما واحة من واحات درعة (طلية الدعة، 6.5).

السكان الأصليون بدرعة : تفيدنا بعض المصادر التاريخية أن السكان الأقدمين ببلاد درعة، كانوا من الكوشيين أو الإثيوبيين لسواد لون بشرتهم (Les recherches, 34) وكان هذا النوع يطلق في العصور القديمة على المجموعات البشرية السوداء التي كانت تنتشر بالأطراف الشمالية للصحراء الكبرى ويمناطق الواحات التي تمتد جنوب جبال الأطلس من توات شرقاً إلى وادي نون غرباً (Le Maroc Saharien, 2 : 160 - 188). ويلاحظ أن هذه العناصر السوداء ببلاد درعة، قد امتزجت ببعض الطائرتين

على المنطقة من البيض، فتتج عن هذا الامتزاج عنصر مولد يجمع بين خصائص العنصرين، وهذا العنصر الخلاسي يعتبر أهم عنصر بشري استوطن بلاد درعة على مر العصور ليس من حيث العدد فحسب وإنما أيضاً من حيث الارتباط بالأرض وقدرته العالية على التكيف مع كل المستجدات التي كانت تطرأ على المنطقة بوصول موجات من قبائل البدو الصحراويين أو الجليليين، ويرى عدد من الباحثين بأن هذه المجموعات البشرية الخلاسية هي أسلاف الحراطين الذين لا يزالون يشكلون إلى اليوم أهم التجمعات السكانية بوادي درعة، ويعلّلون ذلك بشكل البناء الجسماني للحراطين وبالسماوات العامة للملامح الوجه ونوعية شعر الرأس، ومجمل العادات والتقاليد التي تضرب بجذورها في عمق الصحراء وإفريقيا الغربية (Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, 1 : 294)

تعتبر القبائل الأمازيغية من الصنهاجيين والزناتيين من أهم المجموعات البشرية التي استوطنت بلاد درعة في العصور التاريخية واستبدت بالمجموعات السوداء أو الخلاسية، وقد وصل الأمازيغيون، إلى واحات درعة على دفعات متتالية :

الصنهاجيون : ينحدر الصنهاجيون من أصول غامضة ومبهمة، ويرى عدد من الباحثين مثل كاسريل كاميس (G. Camps) وطيفان كزل (Gsell) أن الصنهاجيين ينحدرون من قبائل المازيك التاريخية، وقد كانت هذه القبائل تنتشر في عدة مناطق جنوب جبال الأطلس الكبير إلى التخوم الصحراوية (Libyca, 27) ولعل ما يؤكد أن قبائل المازيك هي أسلاف القبائل الصنهاجية أن هذه الأخيرة تؤكد وينوع من السند المتواتر أن جدها الأعلى هو مازيغ بن كنعان (الترجمانة الكبرى، 58) وما تزال قبائل أيت عطا التي تعتبر من صميم صنهاجة الصحراء، تفتخر على أنداها من القبائل الأخرى أنها تنحدر من الأمازيغيين (Les Ait Atta du Sahara, 30) وتدلل كل المعطيات التاريخية على مجالات انتشار القبائل الصنهاجية خلال العصور الإسلامية هي نفس المناطق التي كانت تنتشر فيها في العصور القديمة (قبائل المغرب، 1 : 329) حيث ما تزال آثار هذه القبائل مطبوعة على أسماء الأعلام والمواقع الجغرافية.

الزناتيون : كانت القبائل الزناتية تتجاور مع القبائل الصنهاجية من الناحية الشرقية (الصحاري الشرقية بشكل خاص) وتعتبر القبائل الزناتية هي المنافس التاريخي والتقليدي للقبائل الصنهاجية، حيث كانت المجموعتان تتغالبان على مواطن الكلاً والرعي وتتبادلان السيطرة على المسالك التجارية الصحراوية، وكان تتنازع هذا التدافع بين الصنهاجيين والزناتيين تداخل مجارات انتشارها في الجنوب الأوسط والجنوب الشرقي من البلاد إلى درجة أن جل الباحثين كانوا يرتكبون في العودة ببعض البطون الأمازيغية الصغرى بمناطق الواحات إلى أصولها الكبرى.

ونستفيد من بعض الإشارات التاريخية أن الرومان قد تقدموا بقواتهم في بداية العقد الخامس من القرن الميلادي الأول إلى منطقة غير جنوب الأطلس الكبير (*Histoire du Maroc*, 1 : 51) فشردت القبائل الزناتية المنتشرة بهذه الجهات أمام القوات الرومانية، وتقدمت نحو بلاد درعة، إلا أن هذه الدفعة من الزناتيين ما لبثت أن ذابت في القبائل الصنهاجية واندماج بعضها في القبائل الدراوية من المستقرين.

وفي القرن الثالث الميلادي قام الرومان على عهد أسرة سيثر (Severe) بعمليات الترحيل القسري والطرده الجماعي للقبائل الزناتية من رعاة الإبل من الأراضي الزراعية الخصبة والدفع بها نحو المناطق الصحراوية القاحلة فوصلت أعداد كبيرة من هذه القبائل إلى واحات درعة (تاريخ إفريقيا الشمالية، 1 : 219).

كانت القبائل الزناتية الطارئة على وادي درعة في أوج عنفوانها البدوي، فاستبدت بقبائل المستقرين ودفعت بالقبائل الصنهاجية نحو التخوم الصحراوية (*Esquisse d'une histoire du Sahara*, 43 - 46) ويعزى إلى القبائل الزناتية إدخال مجموعة من المؤثرات الحضارية إلى وادي درعة، حيث ما تزال آثار هذه المؤثرات قائمة إلى اليوم في الأساليب الزراعية وأسماء النباتات وطرق الري.

ولما وصل الإسلام إلى الجنوب المغربي في العقود الأخيرة من القرن الهجري الأول، وجد القبائل الزناتية في أوج قوتها ويظهر أن سابقة هذه القبائل بالشمال الإفريقي وانتظام عدد من رجالها ضمن جيش الفاتحين (عصر الإسلام بالأندلس، 40 - 50). قد لطف من غلواء الروح البدوية لهذه القبائل ويات شيوخها وأهل السابقة منهم في الإسلام يتطلعون إلى تعزيز وتقوية دور قبائل زناتة بواحات زيز ودرعة، وقد تحقق للزناتيين ما أردوا بعد قيام إمارة الخوارج الصفيرية بتافيلالت سنة 140. اضطلعت القبائل الزناتية بدور أساسي في بسط نفوذ هذه الإمارة على بلاد درعة، وفرض أمراء سجلماسة الخمس على ما يستخرج من معادن بالوادي (الخوارج في بلاد المغرب، 124) وظلت القبائل الزناتية مستبدة بكل مرافق بلاد درعة إلى أن فاجأتهم حركة المرابطين بقيادة عبد الله بن ياسين في أواسط القرن الخامس الهجري. وقد أنهت الحركة المرابطية هيمنة القبائل الزناتية ببلاد درعة لتحل محلها القبائل الصنهاجية من جديد.

بلاد درعة في العهدين المرابطي والموحدي : خرجت مناطق الواحات بزيز ودرعة، منهوكة القوى من الحروب الطاحنة والصراعات السياسية التي دارت بهذه الجهات طيلة القرن الرابع (10 م) (أعمال الأعلام، 145 - 151) وكانت القبائل بهذه المناطق هي التي أدت ثمن هذه الصراعات من أموالها وأرواح رجالها، فلما تمكن بنو خزرون المغراويون، من بسط سيادة القبائل الزناتية على سجلماسة وبلاد درعة

أساؤوا السيرة مع السكان وأفرطوا في استحلاب الأموال. وكانت قبائل مسوفة وسرته وتاركة الصنهاجية من أكثر القبائل المتضررة من السياسة الجبائية لمسعود بن وانودين المغراوي، الذي تولى الحكم مع بداية العقد الثاني من القرن الخامس الهجري، وبلغ به عسفه أنه احتكر مراعي بلاد درعة لإبله ومنع قبائل الرعاة الصنهاجية من ارتيادها، فاستصرخوا عبد الله بن ياسين الذي وجدها فرصة سانحة للزحف على درعة وإنهاء هيمنة القبائل الزناتية بها.

لاشك أن بلاد درعة، نظراً لموقعها الجغرافي المتميز بين المجال الجبلي والمجال الصحراوي، كانت تشكل محطة أساسية في الخريطة السياسية للمشروع المرابطي، خاصة أن عوامل الزمن لم تستطع أن تقضي نهائياً على الروح العصبية والشائج الدموية والعرقية لقبائل القبائل الصنهاجية بدرعة، وتعلقها بأخواتها بالمجالات الصحراوية، لذلك نلاحظ أن الدولة المرابطية بعد تمكنها، كانت تخص بلاد درعة بحكام من خلس القبائل الصنهاجية وكبار القادة في سلم مسؤولي الدولة مثل داود بن عائشة اللمتوني (روض القرطاس، 142).

ويتضح من خلال التطورات الاجتماعية والاقتصادية التي طرأت على واحات درعة خلال النصف الثاني من القرن الخامس (11 م)، أن الدولة المرابطية، قد أولت عناية خاصة لهذه المنطقة، ويرجع ذلك في اعتقادنا إلى أهمية المنافذ التجارية بالوادي ولما ينتج فيه من مزروعات مثل التمر والحنا والنيلة وغيرها، وهي مواد مطلوبة في التبادل التجاري بإفريقيا جنوبي الصحراء.

ونستشف من إشارات أبي عبيد البكري، أن سكان درعة قد ارتفع عددهم بشكل ملموس إبان العهد المرابطي فانتشر العمران لمسافة سبعة أيام وازدهرت الزراعة على حفاقي النهر وعم الرخاء، وكانت الأسواق تعقد على مدار الأسبوع (المغرب، 155).

وإذا كان من شيء يستخلص من إشارات البكري، فإن ذلك يتجلى في نجاح الدولة المرابطية في توفير ظروف الأمن والاستقرار ببلاد درعة، وأن هذا الاستقرار ساهم في الرفع من المنتجات الزراعية خاصة المنتجات المطلوبة في التبادل التجاري محلياً وجهياً.

وما كاد المهدي بن تومرت يعلن عن دعوته ويكشف عن مشروعه السياسي في أواسط العقد الثاني من القرن السادس (12 م) حتى قاد بنفسه الغزاة الثامنة إلى بلاد درعة فاستولى على حصن إسلم بواحة مزكيطة، ثم توجه إلى تراغورت بالمدخل الجنوبي بواحة ترناتة فدخلها وسبى بها عدداً من العبيد ضمهم إلى العبيد الذين أسرههم بأسليم وأسماهم عبيد المخزن (أخبار المهدي، 70) ويظهر أن المرابطين قد تمكنوا من استرجاع تراغورت من الموحدين فأحاطوها بسور خارجي، إلا أن هذا السور لم يمنع عبد المومن بن علي الغوسي من اقتحام تراغورت سنة 526

وقتل عاملها يدرين ويجوط. وقد غابت عنا أخبار بلاد درعة بعد هذه العملية لما يزيد على عقد ونصف من الزمن، حيث وجه عبد المومن بن علي الكومي حملة عسكرية إلى وادي درعة والمناطق الجنوبية بقيادة أبي حفص الهنتاني لوضع حد لتشغيب قبائل درعة سنة 541 وبعد انتهاء هذه العملية التمهيدية عين عبد المومن بن علي موسى بن عبد الصمد عاملاً على درعة، فاتخذ من تزاگورت مقراً لولايته، وبالرغم من الشدة التي سلكها في إرغام قبائل المنطقة على الخضوع لظل الدولة، فإن عمليات التشغيب ما لبثت أن تجددت فاضطر عبد المومن إلى أن يقود بنفسه حملة رديعة سنة 544 فأعدم حوالي ستمائة رجل من أعيان القبائل ورؤوس الفتنة بدرعة : (Le Maroc Saharien, 1 : 257).

ويظهر أن الموحدین نجحوا بعد هذه الحملة في توفير ظروف الأمن والاستقرار ببلاد درعة، ذلك أن الشريف الإدريسي الذي كان معاصراً للدولة الموحدية، يؤكد على انتشار العمران على حفافتي نهر درعة من خلال سلسلة من القرى المتصلة والعمارات المتقاربة والمزارع الكثيرة التي تنتج بعض المزروعات التي يتجهز بها إلى كل الجهات (الإدريسي، 38).

ويؤكد صاحب الاستبصار نفس المعلومات، فيشير إلى وجود الجنات الكبرى، التي يستنبت فيها جميع الفواكه، خاصة التمور والزيتون، وحبّات التاكوكت التي تستخدم في دباغة الجلود، إضافة إلى استخراج بعض المعادن بالمنطقة (الاستبصار، 206، 208).

الهجرات العربية إلى بلاد درعة : تعتبر القبائل العربية آخر موجة بشرية عمرت بلاد درعة وأثرت بشكل كبير في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بالوادي. ويسود الاعتقاد أن القبائل العربية وصلت إلى وادي درعة في موجتين : أ - الموجة الأولى : قد تكون من المهاجرين العرب وصلت إلى وادي درعة خلال القرن الثاني (8 م) خاصة بعد قيام دولة بني مدرار بسجلماسة، ويرجع أن تكون هذه العناصر وراء محاولة تأسيس إمارة محلية بدرعة على غرار إمارة سجلماسة ( الخوارج في بلاد المغرب، 124) وبعد فشل هذه المحاولة ذابت العناصر العربية المهاجرة في النسيج القبلي المحلي، ولم يكن لها أي تأثير يذكر.

ب : الموجة الثانية : وتشكل من قبائل بني معقل التي ظلت تتدفق على واحات درعة منذ وقت مبكر من القرن السابع إلى غاية مطلع القرن العاشر (16 م). وتعتبر قبائل بني معقل أهم تجمع بشري من القبائل العربية نزح إلى بلاد درعة، وساهم في تعمير المنطقة إلى جانب قبائل الخلاسيين (قبائل دراعة) والمجموعات الأمازيغية.

بدأت طلائع القبائل المعقلية تتدفق من الصحاري الشرقية إلى واحات زيز ودرعة منذ مطلع القرن السابع (13 م) ويظهر أن سواد بني معقل قد وجدوا في هذه

الواحات ما يغري على التوسع والانتشار وممارسة الغزو. الذي يعتبر من السلوك اليومي عند هذه القبائل البدوية، وقد نتج عن هذا التدفق المعقلي صدام عنيف بين القبائل الصنهاجية والقبائل المعقلية التي كانت تتطلع إلى انتزاع المراعي الشاسعة بين تافيلالت ودرعة من يد القبائل الصنهاجية التي كانت تهيمن على المنطقة منذ العهد المرابطي، وقد أيقظ هذا الصدام المعقلي الصنهاجي ما كان كامناً في نفوس فلول القبائل الزناتية بمناطق الواحات، فانحاشت إلى بني معقل لتتأثر من الصنهاجيين. وقد تمكن التحالف المعقلي - الزناتي من دحر العصبية الصنهاجية.

انشطرت التجمع الصنهاجي إلى شطرين، تراجع أحدهما إلى المجابة الكبرى مشكلاً صنهاجة الصحراء في حين أن الشطر الآخر التحق بالمناطق الجبلية (Esquisse d'une histoire du Sahara, 68 - 69) أما بقايا الفلول الصنهاجية التي عجزت عن الظعن، فقد تحولت إلى الاستقرار والارتباط بالأرض ثم ما لبثت أن اندمجت بدورها في المجتمع المحلي شأنها في ذلك شأن فلول كل القبائل التي عبرت بلاد درعة في مختلف العصور.

ونستفيد من إشارات ابن خلدون، أن قبيلة أولاد حسين من فرع ذوي منصور المعاقلة، كان لها شغوف وظهور بوادي درعة، وقد كانت هذه القبيلة منذ أواسط القرن السابع (13 م)، تستغل بُعد واحات درعة عن عاصمة الدولة فتنتقل في عمليات تشغيب على سلاطين الدولة المرينية حيث تمارس غزو القصور والاستيلاء عليها بالقوة، ويذكر ابن أبي زرع أن السلطان أبا يوسف يعقوب المريني خرج سنة 669 / 1271 إلى بلاد درعة لغزو عرب المعقل الذين ملكوا حصونها وقلاعها وأبادوا بالنهب والقتل أهلها وأموالها ( القرطاس، 307) ورغم هذه الحملة الرديعية فإن بني معقل لا يكادون يخضعون حتى يشوروا من جديد. فقد ذكر ابن خلدون أن السلطان أبا يعقوب يوسف اضطر سنة 686 / 1287 إلى أن يقود بنفسه حملة رديعية قوية ضد بني معقل ببلاد درعة لما أضروا بالعمران وأفسدوا السابلة فاستكثر من قطع رؤوس المشاغبين، وقد علقت هذه الرؤوس بشرفات مراكش وفاس وسجلماسة (تاريخ ابن خلدون، 7 : 290).

وبالرغم من هذه الحملات الرديعية التي كان سلاطين الدولة المرينية ينظمونها ضد قبيلة أولاد حسين بدرعة، لإرغامها على الانضباط والدخول تحت ظل الدولة، فإنها لا تكاد تستقيم على الطاعة حتى تنثور من جديد. وقد ظلت هذه القبيلة مصدر تشغيب على الدولة، ومصدر تعب ومشقة بالنسبة للمستقرين بدرعة.

وفي أواسط القرن الثامن (14 م) عين السلطان أبو عنان عبد الله بن مسلم الزردالي عاملاً على وادي درعة، فأدرك بحنكته السياسية وخبرته بتدبير شؤون القبائل أن معالجة مسألة قبيلة أولاد حسين ببلاد درعة، تكمن في

بغادر الوادي إلا بعد استسلام المزورين وإعلان بيعتهم للأشراف السعديين (Le Maroc Saharien, 1 : 457).

درعة على عهد السعديين والعلويين : بالرغم من أن الأشراف السعديين ينحدرون من وادي درعة فإن اهتمامهم العملي بهذه المنطقة لم يتحقق إلا بعد إخضاعهم للمزورين سنة 944 / 1537 ، ومنذ هذا التاريخ أصبح وادي درعة يشكل محطة أساسية في المشروع السعدي.

وبعدما تمكن محمد الشيخ من أخيه أحمد الأعرج وأصبح سيد المغرب الأول ابتداء من سنة 951 / 1544 (الاستقصا ، 5 : 17). عين ابنه عبد الله عاملاً على وادي درعة، فقرب إليه شيوخ قبيلة أيت وأوزكيت، وركز كل جهوده على توفير ظروف الأمن والاستقرار بالوادي، فارغم قبيلة أولاد حسين ومن في لفها على الخضوع والانصياع لأوامر الدولة.

ولما تولى أحمد المنصور السعدي أمر السلطنة بعد معركة وادي المخازن سنة 986 / 1578 وجه عنايته للمناطق الجنوبية بصفة عامة وواحات درعة بصفة خاصة، فأعاد تنظيم هذه العمالة وجدد تحصيناتها العسكرية واستحدث قصبات أخرى شحنتها بالجيش والعتاد الحربي كما تشدد في معاملة القبائل المترحلة التي دأبت على التشغب بهذه الجهات، وفي إطار هذه العناية الخاصة بدرعة كان السلطان يعهد بحكم المنطقة إلى أقربائه أو المخلص من رجال دولته. وبعد فتح السودان سنة 998 / 1591، ازدادت أهمية وادي درعة وأصبحت طرقها تعج بقوافل التجار التي كانت تتراد أسواق المنطقة من سوس وتافيلالت وشمال المغرب كما تحولت واحة محاميد الغزلان إلى مركز تجاري تتجمع فيه القوافل التجارية قبل توجهها إلى بلاد السودان تحت حماية جيش الدولة السعدية.

وبعد وفاة السلطان أحمد المنصور السعدي سنة 1012 / 1603 دخلت واحة درعة مرحلة من الصراعات السياسية والاضطرابات الاجتماعية استمرت ما يزيد على خمسين سنة انهار خلالها كل ما بناه أحمد المنصور. وهكذا انطلق الناصر أحمد بن أبي محلي من تافيلالت فاستولى على وادي درعة بعد ما هزم جيش زيدان السعدي بقيادة عبد الله الزيدة (الاستقصا ، 5 : 30).

وبعد مقتل ابن أبي محلي بمراكش سنة 1022 / 1613 تطلع يحيى المحامي إلى الاستيلاء على وادي درعة بتنظيم غارات خاطفة على سكان الوادي، ورغم كثافة غارات قوات يحيى المحامي على درعة، فإن المحامي لم يتمكن من تحقيق هدفه في إخضاع الوادي إلى نفوذه.

وبعد وفاة يحيى المحامي سنة 1035 / 1625 أصبحت طريق درعة عبر تارودانت مفتوحة أمام أمير تزروالت أبي حسون السملالي الذي كلف قائد جيشه عبد الله بن سعيد المراكشي بالهجوم على درعة والاستيلاء عليها، ولم يتمكن عبد الله بن سعيد من الاستيلاء على قصبة المخزن بواحة تينزولين إلا بعد ثلاث سنوات من الحصار وبعد نفاذ

إشراك شيوخ هذه القبيلة في تدبير شؤون هذه الواحات، فاستصدر أمراً سلطانياً من أبي عنان يفوض لشيوخ هذه القبيلة أمر تحصيل اللوازم الجبائية من سكان الوادي، وأقطعهم بعض الأراضي بواحتي أكتاوة ومحاميد الغزلان. إلا أن سياسة إشراك قبيلة أولاد حسين في تسيير أمور الوادي، كانت له عواقب وخيمة على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، ذلك أن تشدد شيوخ أولاد حسين في استغلال الأموال دفع بعدد كبير من المستقرين إلى التخلي عن الإنتاج الزراعي أو الهجرة من المنطقة.

ونستشف من إشارات ابن خلدون أن الجنوب المغربي، خلال النصف الثاني من القرن الثامن (14 م)، قد انفلتت كلية من ريقه الأحكام، فاشتعلت الفتن بمناطق الواحات، وكان لقبيلة أولاد حسين دور بارز في هذه الفتن (تاريخ ابن خلدون، 7 : 424).

وتدل كل القرائن على أن قبيلة أولاد حسين نجحت إلى حد كبير في فرض مراقبتها على بلاد درعة، وياتت تتحكم في الأسواق المحلية والمسالك التجارية التي كانت تربط بين واحات وادي درعة وبلاد السودان، حيث كانت تفرض على قبائل الواحات المزيد من الإتاوات والوضائع، وعلى قوافل التجار التي تجوب المسالك الصحراوية وتطرق أسواق درعة ما كان يعرف في حينه بحق المرور أو حق الطريق.

وفي بحر القرن التاسع (15 م)، خاضت قبيلة أولاد حسين والقبائل المتحالفة معها حروباً طاحنة ضد حلف قبائل أيت وأوزكيت التي بدأت تفرض وجودها بواحتي مزكيطة وتينزولين، وقد نجحت قبائل أيت وأوزكيت في كبح جماح قبيلة أولاد حسين ومن على ساكنتها.

كان من عواقب هذه الحروب غياب سلطة الدولة المركزية بدرعة خلال القرن التاسع (15 م) وظهور المشيخات الكبرى بمختلف واحات درعة، وكانت مشيخة المزورين بتينزولين من أهم وأبرز المشيخات الكبرى بدرعة على الإطلاق (معلمة المغرب، 7 : 2214) ولن نبالغ إذا قلنا إن مشيخة المزورين قد تحولت في نهاية القرن التاسع (15 م) ومطلع العاشر (16 م) إلى إمارة حقيقية تمكنت بفضل ما توفر لها من أموال وقوة عسكرية من بسط هيمنتها على المنطقة الممتدة من أفلا ندرى بعالية مزكيطة إلى إيمي نزاگورت جنوب واحة ترناتة.

وبعد نجاح الأشراف السعديين في اقتطاع المناطق الجنوبية من مملكة الوطاسيين (استقصا ، 4 : 151) انزعج المزور بن عمرو شيخ المزورين بتينزولين في إبانته من استقلال السعديين بالجنوب وعول على محاربتهم ومنعهم من السيطرة على درعة، إلا أن أحمد الأعرج وبزعيمه أشد صلابة عول بدوره على إخضاع وادي درعة لسلطته مهما كلفه ذلك من ثمن، وهكذا اجتاز أحمد الأعرج جبال الأطلس سنة 944 / 1537 فجاس بخيله بلاد تافيلالت ثم عرج إلى درعة وأناخ بجيشه على مشيخة المزورين، ولم

الأقوات عند الحامية السعدية بالقصبة (إبليغ، 59) ويظهر أن سيطرة أبي حسون السملالي على وادي درعة، قد الحقت أضراراً كبيرة بالحركة التجارية وبعده من القبائل التي كانت تستفيد من تجارة القوافل بين درعة وبلاد السودان، لذلك كانت القبائل تنظم غارات خاطفة على قوات السملاليين وترغمها على الاحتواء وراء أسوار القصبات التي تسيطر عليها (إبليغ، 86).

كان أبو حسون السملالي بعد تمكنه من السيطرة على الطرق التجارية بوادي درعة يتطلع إلى بسط نفوذه على محور تافيلالت فاستغل المباحكات التي ظهرت بين الأشراف السجلماسيين ومنافسيهم أولاد ابن الزبير بقصر تابوعصامت، ليتدخل في شؤون المنطقة، وبالرغم من أن السملالي جاء إلى تافيلالت لتجدة الأشراف العلويين، إلا أنه انقلب عليهم واعتقل عميد الأسرة إبانة الشريف بن علي وساقه أسيراً إلى إبليغ.

ومهما كانت الأسباب التي جعلت السملالي يعتقل الشريف بن علي فإن هذا الحادث قد أتاح الفرصة لمولاي محمد بن الشريف ليعلن عن رغبته في الإعلان عن ميلاد الإمارة العلوية. وقد استجابت قبائل تافيلالت والمناطق المجاورة لها لدعوة محمد بن الشريف (إبليغ، 149) فتمكن من بسط نفوذه على واحات وادي زيز وإنهاء نفوذ السملاليين بها.

انزعج أبو حسون السملالي لهذا التطور الذي عرفته الإمارة العلوية مع مولاي محمد بن الشريف، وأدرك أنها باتت تشكل خطراً على نفوذه بدرعة، خاصة أن الأخبار التي بدأت تصل إلى إبليغ تؤكد على الاستعدادات الجارية بتافيلالت للانقضاض على وادي درعة، لذلك نلاحظ أن أبا حسون السملالي شكل في نهاية سنة 1049 / 1639 قوة عسكرية وأرسلها إلى وادي درعة لحماية المنطقة من أي هجوم علوي محتمل، وقد أحجم مولاي محمد بن الشريف على الدخول في مواجهة مباشرة مع السملاليين بدرعة، واكتفى بإرسال وفد عنه إلى إبليغ للتفاوض، وكان الوفد المشكل من بعض الأشراف العلويين قد حدد مسبقاً النتائج التي ستنتهي إليها المفاوضات في انسحاب السملاليين من درعة، وألا يفكروا في العودة إلى تافيلالت لأن العلويين قد أخذوها قهراً بحد السيف.

تأكد لأبي حسون السملالي ما كان يتوقعه من إمارة تافيلالت، وفي الوقت الذي كان فيه السملالي يخطط للمواجهة مع مولاي محمد بن الشريف كان هذا الأخير يحرك بعض أنصاره بدرعة لتأليب القبائل على السملاليين، وهكذا قامت قبائل أهل مزكيطة وحلفائها سنة 1050 / 1640 بالهجوم على قوات السملاليين بدرعة وألحقوا بها خسائر فادحة (إبليغ، 117).

اهتزت إمارة إبليغ لهذا الحدث، فشكل أبو حسون السملالي قوة عسكرية توجه بها إلى واحة مزكيطة لتأديب

القبائل المشاغية، فهدم عدداً من القصور وخرّب السواقي، واستنفر أهل مزكيطة حُلفاء هم من قبائل إمبران والحقوا خسائر فادحة بالسملاليين في معركة تمنوگالت، وأرغم أبو حسون السملالي على الرجوع إلى إبليغ وهو شبه مهزوم وذلك في الشهور الأولى من سنة 1051 / 1641.

كان المستفيد الأول من هذه الأحداث هو مولاي محمد ابن الشريف الذي استغل تراجع نفوذ السملاليين بدرعة، فوجه قواته التي اشتبكت مع السملاليين في معركتي بُوهدير وزاگورة بواحة ترناتة، ونستشف من بعض الرسائل الموجهة من مولاي محمد بن الشريف إلى أبي حسون السملالي أن معارك أخرى وقعت بين الإمارتين (إبليغ، 123) ورغم أننا لم نتمكن من تحديد تواريخ هذه المعارك، فإن كل الدلائل تؤكد أن أبا حسون السملالي خسر وادي درعة وأن المنطقة أصبحت منذ سنة 1061 / 1650 وبصفة نهائية ضمن مجال نفوذ إمارة العلويين بدون منازع.

تولى السلطان مولاي إسماعيل الأمر بعد وفاة أخيه الرشيد سنة 1082 / 1675، وقد ظل طيلة العقدين الأخيرين من القرن الحادي عشر (17 م) منشغلاً بمشاكل الثوار والمخارجين على سلطة الدولة، وكان يكتفي بتعيين خليفة له بسجلماسة، ومنها تتوجه الأوامر إلى جهات الجنوب مثل توات وتيگورارين ووادي درعة وهذا يعني أن الوادي كان خاضعاً إدارياً لنفوذ الخليفة السلطاني بسجلماسة. ويظهر أن خليفة السلطان مولاي المامون بن إسماعيل قد عجز عن ضبط حركة القبائل من بقايا بني معقل وأيت عطا، فاضطر السلطان في مطلع القرن الثاني عشر (18 م) إلى إحداث "محللات" عسكرية متنقلة لشد عضد الخليفة السلطاني ومد العون له لردع قبائل الرحل وحماية المسالك التجارية (إلى ولدي المامون، 12، 18، 21). إلا أن أسلوب المحلات العسكرية فشل في توفير ظروف الأمن والاستقرار لسكان وادي درعة فقرر السلطان استحداث عمالة خاصة بالوادي وذلك سنة 1111 / 1699 وعين على رأس هذه العمالة ابنه عبد الملك الذي استقر بقصبة أغلان بواحة ترناتة ورتب معه ثلاثة آلاف من الخيل (الاستقصا، 7 : 89).

لم تقض إلا ثلاث سنوات على ولاية مولاي عبد الملك بدرعة حتى فوجئ بثورة أخيه مولاي أبي النصر الذي هزم أخاه واستولى على درعة ونواحيها (الحلل البهية، 109)، فعين السلطان ابنه مولاي الشريف على درعة وزوده بجيش قوي، فتمكن من هزيمة أبي النصر واسترجاع المنطقة إلى حظيرة الدولة بعد فرار أخيه النائر إلى الفياقي الصحراوية. إلا أن السلطان لم يكن راضياً عن الطريقة التي سمح بها مولاي الشريف لأخيه النائر بالانفلات من عقاب السلطان، فعزله عن عمالة درعة سنة 1114 / 1702.

وغابت عنا أخبار وادي درعة طيلة عشر سنوات تقريباً عادت فيها القبائل إلى ممارسة اللصوصية وقطع الطريق

على السابلة كما يشير إلى ذلك صاحب رحلة الوافد الذي زار بلاد درعة في عام 1121 / 1710 (رحلة الوافد، 166) وفي سنة 1124 / 1712 عين السلطان كاتبه الحياض بن منصور عاملاً على درعة، ولأسباب غير واضحة أمر السلطان بقتل الحياض بن منصور في نفس السنة وعين مولاي الشريف للمرة الثانية على وادي درعة، فنجح مولاي الشريف إلى حد كبير في ضبط أحوال الوادي وتوفير ظروف الأمن والاستقرار بالمنطقة. إلا أنه فوجئ سنة 1135 / 1722 بشورة قبلية عارمة بواحة محاميد الغزلان كرد فعل لتشدد عبيد المخزن في استحلاب أموال السكان، وقد اضطر مولاي الشريف إلى الاستنجاد بالجيش السلطاني لإخضاع القبائل وإنهاء ثورتهم بعد سبعة أشهر من المواجهات العنيفة ذهب ضحيتها آلاف القتلى من الجانبين (Relation de Th. Pellow, 118 - 120). وقد كانت لهذه الثورة عواقب اجتماعية واقتصادية وخيمة نتيجة الانهيار الديمغرافي، وتوقف الإنتاج الزراعي واضطراب الحركة التجارية، الأمر الذي سمح لقبائل الرحل التي كانت تجوب هوامش بلاد درعة بالقيام بعمليات غزو واسعة للوحدات، خاصة أن المنطقة باتت تعاني من الفراغ السلطوي بعد وفاة مولاي إسماعيل سنة 1139 / 1727.

كانت وفاة السلطان مولاي إسماعيل إيداناً بدخول واحات درعة مرحلة حرجة من تاريخها ما فتئت تلقي بظلالها القائمة على سكان الوادي لمدة تزيد على قرن ونصف من الزمن، ذلك أن فترة وفاة مولاي إسماعيل، قد تزامت مع انطلاق قبائل أيت عطا في عمليات غزو واسعة للوحدات الممتدة جنوب جبال الأطلس، ورغم الحركات العسكرية التي كان سلاطين الدولة العلوية يرسلونها إلى درعة لردع قبائل أيت عطا، فإن هذه القبائل لا تكاد تنصاع لأوامر الدولة حتى تشور من جديد، وهكذا لم تمض على وفاة مولاي إسماعيل إلا ثلاث سنوات حتى وجه السلطان مولاي عبد الله حملة عسكرية بقيادة موسى الجراري إلى وادي درعة سنة 1142 / 1730، لمعاوية قبائل أيت عطا التي كانت تهجم على المستقرين وتقطع الطريق على القوافل التجارية، إلا أن الحملة باءت بالفشل الذريع وقتل عدد من رجالها واضطر الناجون للعودة إلى الشمال دون تحقيق أهداف الحملة، الأمر الذي جعل مولاي عبد الله يعاقب عدداً من المسؤولين العسكريين عن الحملة (Districts et tribus, 66).

وفي خضم الصراع على السلطة بين المتطلعين للسلطنة من أبناء مولاي إسماعيل ما بين 1142 و 1170 / 1730 - 1757، ثرّت بلاد درعة لمصيرها وظلت تعاني من الفراغ السلطوي. ويستفاد من بعض إشارات محمد المكي بن موسى الناصري، الذي عايش أحوال وادي درعة إبان هذه الفترة، أن واحات درعة كانت تعيش حالة من الاضطرابات الاجتماعية حيث كانت القبائل من أيت عطا والروحة وأولاد

يحيى تتغالب على الأراضي الرعوية ومصادر المياه، وتستولي على قصور المستقرين من دراوة وغيرهم، ومن العواقب الوخيمة لهذا الوضع السياسي والاجتماعي المضطرب تراجع خطير في الإنتاج، فانتشر الجوع بين السكان وتخربت العمارة "وبلغ السعر مبلغاً عظيماً، فالمد من التمر بخمسة مثاقيل، والمد من القمح بأربعة وعشرين مثقالاً، والمد من الشعير باثني عشر مثقالاً... وكثرت الأموات في الطرقات والله غالب على أمره" (طليعة الدعة، 18) وتؤكد لنا الوثائق المحلية كبطائق المدينة ورسوم الأملاك العقارية هذه الحقيقة حيث كان الناس بدرعة يبيعون ممتلكاتهم بحففات قليلة من الشعير أو التمر للتغلب على ظروف المجاعة (وثائق محلية).

وفي سنة 1172 / 1758 وجه السلطان سيدي محمد بن عبد الله في إطار إعادة هبة الدولة بمناطق الأطراف إلى وادي درعة القائد أحمد التينغراسي على رأس حركة عسكرية لردع قبائل أيت عطا وإرغامها على مغادرة القصور التي احتلتها بالقوة إلا أن الحركة كسابقاتها لم تحقق أهدافها المرسومة لها فعاد التينغراسي أدراجه إلى الشمال بعد ما ترك قبائل أيت عطا وغيرها تعيثُ فساداً في الوادي.

ويظهر أن سكان القصور ملوا من هذا الفراغ السلطوي لذلك نرى وفداً من أهل درعة يتوجه إلى العاصمة حيث طلب من السلطان سيدي محمد بن عبد الله أن يبعث معهم من يتولى أمرهم ويقوم بأمر المخزن فوجه معهم سنة 1183 / 1770 الباشا سعيد بن العياشي، فنزل بقصبة المخزن بأغلان بواحة ترناتة، ودشن عمله باعتقال رؤوس الفتنة مثل محمد الحيويني الكراوي وعلي الأكتاوي. إلا أن زوجة محمد الحيويني ذبحت على قبائل أيت عطا والزوجة وأولاد يحيى، فقامت هذه القبائل بمحاصرة قصبة أغلان، ولم يستطع سعيد بن العياشي التخلص من الحصار إلا بتدخل شيخ زاوية تامگروت في وقته يوسف الناصري فرجع إلى عاصمة الدولة (الضعيف، 92).

ثم غابت عنا أخبار بلاد درعة لأكثر من ثلاثة عقود من الزمن تمكنت خلالها قبائل أيت عطا من التحكم بقوة في الواحات الجنوبية (المحاميد، أكتاوة، فزواطة) وفي سنة 1216 / 1801 وجه السلطان مولاي سليمان كاتبه أبا العباس التينغراسي إلى وادي درعة فأخرج قبائل أيت عطا والروحة وأولاد يحيى من القصور التي اغتصبوها ومهد تلك النواحي حتى صار ما بين درعة وسوس والنفايحة مجالاً للتجارة وممرًا آمناً لأبناء السبيل (استقصاء، 8 : 108) وبعث التينغراسي إلى السلطان ثلاثين قنطاراً من المال وست عشرة من الإماء وأربعة عبيد وحملين من التمر ومثلهما من الحناء.

وفي إطار تأكيد هبة الدولة بوادي درعة عين السلطان مولاي سليمان سنة 1218 / 1803 ابنه مولاي محمد عاملاً

المخزن في باقي السواحات الأخرى. وقد عمل السلاطين العلويون بعد مولاي سليمان على تطوير هذه السياسة المحلية التي أثبتت فعاليتها ووفرت على السلطة المركزية الكثير من الرجال والأموال، فبرزت خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) بعض العائلات المخزنية مثل عائلة القائد التنوگالي بزمگيطة، والقائد العربي اليحيوي، ودار المزوارين بتنزولين، والقائد الحمدوني والقائد الباردي بواحة ترناتة وهكذا. وقد كان المخزن المركزي خاصة في عهد السلطانين سيدي محمد بن عبد الرحمان ومولاي الحسن يسهر على تنسيق الأمور المخزنية بالوادي بين هؤلاء القواد والحيلولة دون تدهور العلاقات فيما بينهم، ويتدخل بقوة كلما دعت الضرورة إلى ذلك. وموازة مع دعم القواد المحليين، كان المخزن العلوي يجد في شيوخ الزوايا الصوفية خاصة شيوخ زوايا تامگروت وتينمسلا وسيدي صالح المساند القوي لتلطيف العلاقات بين المخزن والقبائل، وكان هؤلاء الشيوخ يمارسون نوعاً من المراقبة على سلوك القواد المحليين ويبلغون السلطان نصائحهم بذلك مقابل حصولهم على ظواهر التوقير والاحترام التي تجعلهم في منأى عن سلطات القواد المحليين.

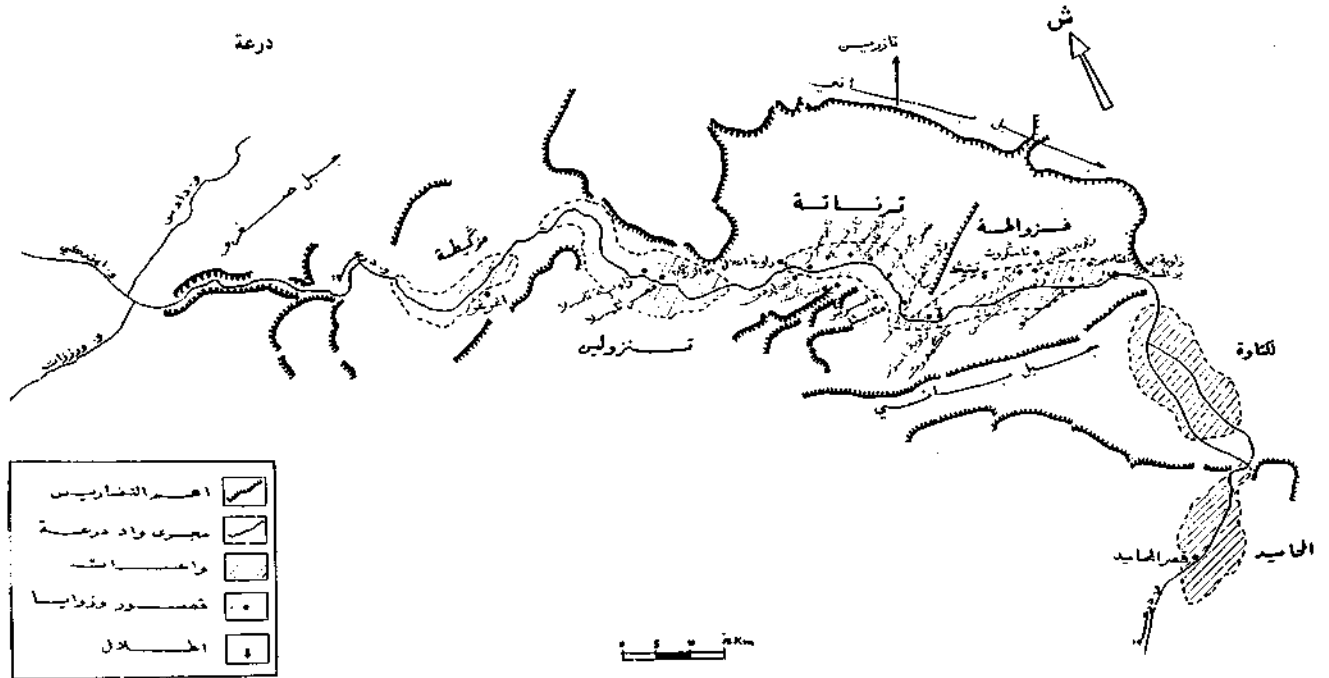
بالرغم من أن أسرة الأگلاوي تطلعت إلى حكم منطقة الأودية (وادي دادس، وادي تودغة، وادي درعة) منذ أواسط القرن الثالث عشر (19 م) فإن حلم هذه العائلة لم يتحقق إلا في السنوات الأخيرة من حكم السلطان الحسن الأول، فقد كان السلطان عائداً من إحدى رحلاته من تافيلالت إلى مراکش سنة 1311 / 1893، فأدركه الثلج

على درعة ووجه إلى المنطقة صحبته مفرزة عسكرية بقيادة محمد الزعري، ثم وجه رسالة إلى عامل سجلماسة في وقته القائد حمان الصريدي للتوجه إلى درعة صحبة الأمير مولاي محمد، وكانت مهمة الصريدي تنحصر في إرهاب القبائل وإشعارها بأن حضور مولاي محمد إلى درعة هو تأكيد المخزن على استعادة نفوذه بالمنطقة وإلزام القبائل على دفع مستحققاتها من اللوازم الجبائية للمخزن.

وقبل أن ينهي حمان الصريدي مهمته بمختلف واحات درعة غادر مولاي محمد المنطقة بشكل مفاجئ والتحق بمراكش في ظروف غامضة سكنت عنها المصادر التاريخية. وهكذا ما كاد خبر مغادرة مولاي محمد لدرعة ينتشر بين السكان حتى أعلنت القبائل العصيان وامتنعت عن دفع ما تبقي من الجبايات، إلا أن حمان الصريدي واجه هذا العصيان بحزم وقوة فاعتقل عدداً كبيراً من شيوخ وأعيان القبائل ووجههم مكبلين بالأصفاد إلى سجون تافيلالت ثم رحل في إثرهم. وفي ثنية تافيلالت نصبت قبائل أيت عطا عدة كمانت لحمان الصريدي، فاضطر إلى التخلي عن المدافع والأثقال، والإفلات بأموال المخزن وماخف من متاع حيث تمكن من الوصول سالماً إلى سجلماسة.

وبعد فشل كل المحاولات التي قام بها المخزن في ردع القبائل عامة بدرعة وقبائل أيت عطا بصفة خاصة، عمد مولاي سليمان إلى تدشين سياسة القواد المحليين، فعين القائد إبراهيم الستوري قائداً على واحتي فزواطة وترناتة (وثائق محلية).

في حين ثبت الشيوخ التقليديين في مراكزهم تحت نظر





بشنية تيشكا بالأطلس الكبير فهب قائد تلوات إبانته المدني الأكلواي لإساعف المحلة السلطانية، ويذكر صاحب الإعلام أن المدني الأكلواي "أظهر على القيام بالمحلة ما لم يكن يترقب منه.. فحصلت له بذلك التفاتة من جانب السلطان، ومن هناك طنت حصاته وطار له طائر الاشتهار (الإعلام، 7: 236) ويتضح من هذه الإشارة أن المدني الأكلواي عرف كيف يستغل هذه الفرصة لصالح آل الأكلواي، فقد نجح في اقتناع السلطان بالالتحاق بقصبة تلوات حيث وفر له ولغاشيته كل لوازم الراحة والضيافة، ولم يغادر السلطان قصبة تلوات حتى سلم للمدني الأكلواي ظهر تعيينه خليفة للسلطان على الإيالات الجنوبية (Kitab A'yene Al Maghrib) وهذا يعني إطلاق أيدي آل الأكلواي بمناطق الواحات.

قوبل تعيين المدني الأكلواي خليفة للسلطان على الجنوب بمعارضة قوية بوادي درعة، فقد قام القائد عبد الرحمان التامونگالي بإحياء التحالفات التقليدية بين أهل مزكيطة وقيائل إمبران وأبت عطا في محاولة للتصدي لنفوذ المدني الأكلواي بالروادي. وقد تجنب المدني الأكلواي المواجهة المباشرة مع قبائل هذا الحلف وفضل الاعتماد على سياسة فرق تسد لإضعاف موقف عبد الرحمان التامونگالي وحرمانه من أي سند محلي، فقرب إليه شيوخ المزواريين بواحة تينزولين، وربط اتصالات سرية مع القائد محمد بن العربي (الجد) شيخ قبيلة أولاد يحيى، ثم عمل على تأجيج نزاع العداوة التقليدية بين قبائل أهل مزكيطة وأولاد يحيى، ولم يمض وقت طويل حتى وجد القائد عبد الرحمان التامونگالي نفسه وحيداً في مواجهة آل الأكلواي، فقرر مراجعة موقفه قبل فوات الأوان إلا أن المنية عاجلته سنة 1322 / 1904، وقد عمل خلفه القائد محمد التامونگالي على فتح صفحة جديدة مع المدني الأكلواي، فأرسل كتيبة من أهل مزكيطة لتنضم إلى قوات المدني الأكلواي لناصره مولاي عبد الحفيظ في مواجهته مع أخيه مولاي عبد العزيز.

وفي سنة 1327 / 1909 استغل المدني الأكلواي منصبه كصدر أعظم في السلطنة الحفيظية، فعين ربيبه وابن أخيه، القائد حمّو الأكلواي خليفة على الجنوب كله من تلوات إلى محاميد العزلان.

وبالرغم من السطوة التي كان يتمتع بها آل الأكلواي، فإن القائد حمّو لم يجرؤ على الدخول بقواته في مناطق الواحات تخشياً لمواجهة مباشرة مع قبائل أبت عطا وغيرها من القبائل الصحراوية المتمرسه بالحروب المخاطفة، وكانت هذه القبائل ترفض الانصياع لأوامر آل الأكلواي، لتشدّدهم في استحلاب الأموال، وتعارض نفوذهم إلى حد الكراهة والتحالف مع الشيطان ضدهم.

فوجئت فرنسا بعد توقيع معاهدة الحماية بالمغرب بالإعلان عن الحرب العالمية الأولى سنة 1333 / 1914،

وكانت سياسة اليوطي المقيم العام الفرنسي إبانته بالمغرب، الحفاظ على موقع فرنسا بالبلاد اعتماداً على القواد الموالين وعلى رأس هؤلاء التهامي الأكلواي، باشا مراكش، الذي أصبح سيد الجنوب المغربي دون منازع، خاصة أن فرنسا فتحت أمامه مخازن الأسلحة بمراكش ووضعت رهن إشارته عدة قطع مدفعية وبعض الضباط، لضمان التفوق الميداني على القبائل بالجنوب بعد ظهور الحسين التوزونيني بناحية تافيلالت وبدأت حركته تهدد نفوذ الأكلواي بمناطق دادس وتودغة ودرعة (المعسول، 16: 262). وبفضل هذا الدعم العسكري نظم الباشا التهامي الأكلواي وابن أخيه القائد حمّو حملة عسكرية إلى وادي درعة سنة 1337 / 1919 فأنّاه بجيشه على قصبة تامونگالت بواحة مزكيطة، فهب لاستقباله أعيان بعض القبائل من فرواطة وترناتة وتينزولين وتخلّف عن لقائه أعيان قبائل أكتاوة ومحاميد العزلان.

وبالرغم من أن الحملة لم تواجه بأية مقاومة، فإن التهامي الأكلواي قنع في هذه الحملة بتعيين عدد من الشيوخ الموالين له مثل عبد الرحمان المزوارى وتينزولين، والقائد اليحيوي على قبيلة أولاد يحيى، وعيّن الحاج محمد العسري خليفة بواحة ترناتة. وقد تشدّد الحاج العسري في استحلاب أموال القبائل وألزم السكان بدفع "ألف مد من الشعير، وستمائة مد من القمح ومائة كبش، وستة قناطر من السكر، وقنطار من الأتاي وقنطار من الشمع وستمائة مد من التمر، وثلاثين صاعاً من السمن وألف غرارة من التين" (تاريخ ابن حبيب، 23)، وقد أدت هذه المطالب المجحفة إلى ثورة القبائل وبدأت الاستعدادات لمواجهة مسلحة محتملة مع آل الأكلواي.

حاول القائد حمّو باعتباره الحاكم العام للجنوب، تدارك هذا الموقف الذي خلفته سياسة العسري، فعزله وعين مكانه أحمد بن الحسن أمزود خليفة بترناتة، فاعتقل الحاج محمد العسري، وأركبه على بغل أعرج مبالغة في التشيع ورغبة في تهدئة المخاطر ولو إلى حين. إلا أن أمزود ما كاد يستقر به المقام حتى ألزم أهل ترناتة بدفع حوالي سبعة عشر ألف ريال حسنية على الفور (تاريخ ابن حبيب، 24). هذه السياسة التفتيرية التي سلكها آل الأكلواي وخلفاؤهم بالجنوب، دفعت بقبائل وادي درعة أن تعلن عصيانها العام ضد المخزن وآل الأكلواي، فنشطت أسواق الأسلحة وبدأ الناس يعدون العدة لمواجهة قد تطول مع آل الأكلواي ويذكر الطيب بن حبيب أن أهل تونغمار (بواحة تينزولين) طردوا خليفة الأكلواي، وأن قبائل ترناتة خرجوا عن طاعة الشيوخ الموالين للأكلواي، وجعلوا ذعائر ثقيلة على كل من يصل إلى دار خليفة الأكلواي أو ضيف مخزني (تاريخ ابن حبيب، 20). انشغل الفرنسيون وآل الأكلواي لهذا التطور الخطير الذي عرفته الحركة الاحتجاجية للقبائل، لذلك قرر الأكلواي تنظيم حملة جديدة إلى وادي درعة، وزودته فرنسا بمائتي ألف ريال

وستة مدافع ميدانية وعشرة صنادق من الذخائر الحربية (Le Glaoui, 117). وفي يوم 22 محرم عام 1343 / 23 أكتوبر 1924 وصلت حركة القائد حمو الأكلوي إلى مشارف قصبه تامنوگالت بواحة مزكيطة، وأمام الضغط النفسي والمعنوي الذي كانت تمارسه الحركة على سكان قصر تامنوگالت خرجت السيدة عائشة بنت الشيخ أحمد الورزازي، زوجة القائد علي التمنوگالي إلى فسطاط القائد حمو الأكلوي الذي هو ابن اختها "وطرحت له صبيا كان عندها في حجره وتشفعت به (تاريخ بن لحبيب، 45). وبالرغم من أن القائد حمو قد قبل شفاعة خالته وأعرض عن تهديم قصر تامنوگالت، فقد أزم سكان القصر بتوفير المؤونة لرجال الحركة وقد حدها الطبيب بن لحبيب كما يلي : "كل يوم ألف مد من الشعير، أربعمائة شليف من التبن لعلف الخيل والجمال، وأربعمائة كبش، وأربعمائة مائدة من الخبز ومائة صاع من السم، ومائة صاع من الزيت ومائة كاغد من الشمع وما يكفي من الحطب والفحم (ابن لحبيب، 46). ولم يكتف القائد حمو بما فرض على السكان كل يوم بل أطلق أيدي رجال الحركة في البلد فنهبوا المزروعات وتحولوا إلى لصوص حقيقيين في الطرقات وكل من غفلوه أكلوا ثيابه على حد تعبير الفقيه الطبيب بن لحبيب. وقبل أن تتحرك الحركة جنوبا أزم القائد حمو أهل مزكيطة بدفع مائة ألف ريال ذعيرة لعصيانهم، ثم نزع خيلهم وبغالهم وكل ما يملكون.

و بمنطقة آيت سدرات (المدخل الجنوبي لمزكيطة) اعتقل القائد حمو بعض أعيان آيت سدرات وهدم دورهم ثم توجه جنوبا إلى تينزولين فأمر باعتقال حوالي سبعين من الروحة خاصة من قصور أخلوف وبوناتة والدويرات، وبعث بهم مكبلين في الأصفاة إلى زنازن تلوات واغبالو بالأطلس الكبير. ويذكر الفقيه الطبيب بن لحبيب الذي كان حاضرا ضمن حاشية القائد البجاوي إلى جانب حمو الأكلوي أن هذا الأخير فرق المخازنية على ديار قبائل الروحة فنهبوا ما بها من الغلة والأثاث وحملوا كل ذلك إلى فسطاط القائد حمو، ثم أطلق أيدي رجال الحركة في بلادهم واستولوا على ما فيها من الحرثي والنفيس (ابن لحبيب، 48) ولم يتركوا لهم إلا جدرا نأ تيكبي بأغزر دمععة (رحلة الناصري، 16). وبعدها جمع القائد حمو كل ما وصلت إليه يد رجاله من الغنائم والأسلاب شكل عدة فرق من المخازنية المقربين، ومع كل فرقة لوائح محددة بمستحقات كل قبيلة من الذعائر والغرامات، وعين أحمد بن الحسن أمزودو منسقا للفرق ومشرفا على تجميع الأموال وحملها إلى قصبه تلوات. فكان نصيب قبائل ترناتة ثمانية وعشرين ألف ريال حسني، ومثل ذلك لكل من قبائل واحتى أكتاوة وفزواطة، وعشرين ألف ريال فقط لواحة محاميد الغزلان، وإذا كانت قبائل ترناتة قد عجلت بدفع الأموال تحت طائلة التهديد بإرسال رجال الحركة على قصورها. فإن قبائل فزواطة انقسمت على نفسها، فمنها من أدى ومنها من لم يؤد. أما

قبائل أكتاوة ومحاميد الغزلان فقد رفضت رفضا تاما أن تؤذي ولو فلسا واحدا وهددت المخازنية بعد اعتقالهم بالقتل إن هم عادوا للمنطقة بعد إطلاق سراحهم. انزعج القائد حمو لعصيان قبائل أكتاوة ومحاميد الغزلان واكتفى بالتهديد والوعيد وأنذرهم بالعقاب الشديد. ودون سابق إعلان قرر القائد حمو مغادرة واحة تينزولين على رأس حركته عائدا إلى تلوات، وإذا كان الفقهاء المرافقون لهذه الحركة مثل الطبيب بن لحبيب والمهدي الناصري قد سكتوا كلية عن الأسباب الحقيقية التي جعلت حمو الأكلوي يغادر فجأة واحة تينزولين، فإن الروايات الشفوية التي التقطناها بدرعة تفيده وبنوع من التواتر، أن القائد حمو أصيب بمرض خطير أرغمه على التعجيل بالعودة إلى تلوات.

وتعتبر حركة القائد حمو إلى درعة آخر حركة قادها آل الأكلوي إلى الوادي قبيل التدخل الفرنسي. فهل كانت الحركة في الواقع عملية تمهيد لوصول القوات الفرنسية؟ وهل كانت سلطة الحماية تريد جس نبض القبائل قبل التدخل المباشر؟

على كل فإن أسرة الأكلوي لم تتمكن رغم ما توفر لها من عتاد حربي ودعم مادي ومعنوي من سلطة الحماية من توفير ظروف الأمن والاستقرار، إذ لم يكد القائد حمو يغادر الوادي، حتى تفجرت الصراعات القبلية بشكل خطير وعانت القبائل التي تعاونت مع آل الأكلوي الأمرين سواء داخل وادي درعة أو في المناطق المجاورة، حيث كانت القبائل النائرة تتصيد كل من يمت بصلة لآل الأكلوي وأنصارهم في الطرقات ما بين داس ودرعة، وما بين هذا الأخير وورزازات، ولم ينته هذا الوضع إلا مع وصول طلائع الاحتلال الفرنسي إلى وادي درعة حوالي 1929. 1930.

م. المكي بن موسى الناصري، الدرر المرصعة، مخطوط : طليعة الدعة، مخطوط : الرياحين الوردية في الرحلة المراكشية، مخطوط، خ. ع رقم د. 1864 : المشرفي، الحلال البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية، مخطوط، خ. ع رقم د. 1463 : م. الضعيف الرباطي، تاريخ، مخطوط، خ. ع د. 660 : الطبيب بن لحبيب الملولي، تاريخ درعة، مخطوط : دار القائد البجاوي : الفزاري، كتاب جغرافية الفزاري، مخطوط : قصبة تامنوگالت : ع. ابن خلدون، العبر، ج. 6 - 7، بيروت، 1981 : ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972 : ابن القطان، نظم الجمان، تطوان، د. ت. : البكري، المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، جز. من مسالك البكري، 1957 : الزباني أبو القاسم، الترجمانة الكبرى، تج. ع. الفيلالي، الرباط، 1967 : البيدق الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت، الجزائر. 1974 : إيف لاغوست، العلامة بن خلدون، ترجمة، ميشل سلمان، بيروت، 1974 : ش. الإدريسي، وصف إفريقيا الشمالية والصحراء (جزء من نزهة المشتاق، الجزائر، 1957) : حسين مؤنس، فجر الأندلس، القاهرة، 1959 : الناصري، الاستقصا، ج. 4. 5. 6. 7. 8، الدار البيضاء، 1954 :

مينامين بين نهري نويوس وماسة ؛ وهما بگراس Bagzas شمالا ويزريطاس Iarzithas جنوبا. ومينامين جنوب نهر درعة ؛ وهما الميناء الكبير، وميناء بابا (Ptolemée. Baba Géographie, IV, 6).

وفي القرن الخامس الميلادي ؛ حوالي 417 م ؛ يتطرق بول أوروز بدوره لنهري درعة Dara ونول (P. Orose. Nuhul Contre les paiens, I, 2, 29 - 31).

بالإضافة إلى هاته الأسماء احتفظت الكتابات القديمة ببعض أسماء سكان المنطقة ؛ إذ يشير بوليب عند كلامه عن المنطقة الممتدة جنوب الأطلس الكبير ؛ وبالضبط بعد روسادير، إلى الماسيين Masates، والإثيوبيين البيروروسيين Ethiopiens Perorses، والفاروسيين Pharusiens، والمجيتوليين الدرعيين Gétules Dariens، والإثيوبيين الدرعيين. ونفس هاته الأسماء، مع اختلافات طفيفة، نجدها لدى أغلب الكتاب الذين عاشوا بعد بوليب، ومنهم الجغرافي بطوليمي الذي يوطن الدرعيين بمصب النهر الذي يحمل نفس الاسم، ويشير لهم باعتبارهم أكبر شعوب ليبيا الداخلية (Ptolemée. IV, 6, 6).

أما سترابون Strabon وبومونيوس ميلا Pomponius Méla فيضيفان إلى الشعوب سابقة الذكر مجموعة النكريتين Nigrètes، وهم جيران الإثيوبيين ويؤكد سترابون أن بعضهم كان يعيش في الغارات Troglodytes (Strabon. Géographie, XVII, 3, 7).

وما يشير الانتباه بخصوص أسماء شعوب منطقة درعة هو ذلك التمييز بين الدرعيين الإثيوبيين والدرعيين المجيتوليين. وهو تمييز مرتبط باختلاف نمط عيش المجموعتين الدرعتين ؛ فهو تمييز بين المستقر والمترحل.

فبالنسبة للإثيوبيين فهم ليسوا بزنج ولا بسود، فالكلمة، وأصلها إغريقي، تعني الوجوه التي لفتحتها الشمس، أي ذوي البشرة السمراء. بل أكثر من هذا فيطوليمي يتكلم في جغرافيته عن إثيوبيين بيض (Ptolemée. IV, 6, 6). أضف إلى ما سبق أن الصورة التي

يقدمها نص بسودوسكيلاكس Pseudo-Scylax الذي يرجع إلى القرن الرابع ق. م. - عن إثيوبي جنوب المغرب وأنشطتهم، لا تمت بصلة إلى الإنسان الأسود البشرة أو الزنجي، بحيث يظهرون فيه شعور طويلة، ويركبون الخيول، ويفرسون الكرمة (P. Scylax, 112). فعبارة الإثيوبيين بالنسبة لمنطقة درعة تتعلق أساسا بنمط عيش مرتبط بالزراع الصحراويين، الذين كانوا يتعاطون الزراعة، ويهتمون بتربية الخيول، ويستعملون العربات. ويتقنون استخدام النبال (Strabon, XVII, 3, 5)، وخصوصا سكان الواحات ؛ 98 p. (P. Troussset, L'image de nomade....) وهاته الجماعة هي التي كانت تتاجر مع الفنيقيين حسب نص بسودوسكيلاكس المذكور أعلاه.

أما الجيتوليون فهم شديدا الصلة بمجال شاسع شبه صحراوي يمتد من تونس إلى المغرب (S. Gsell, H.A.A.N., t. V, pp. 109 - 110). يميزهم الترحال والعيش في السباسب (P. Troussset, L'image...., p. 98). وهكذا

مولاي إسماعيل، إلى ولدي المامون، الرباط، 1967 ؛ م. المختار السوسي، إيلغ قديماً وحديثاً، الرباط، 1966 ؛ المعول، ج 16، الدار البيضاء، 1961 ؛ مازمول كاربخال، إفريقيا، ج 3، الرباط، 1984 ؛ ج. الوزان، وصف إفريقيا، ج 2، الرباط، 1980 ؛ م. الزهوني، رحلة الوافد، 1992 ؛ محمود إسماعيل، الخواص في بلاد المغرب، الدار البيضاء، 1976 ؛ ع. الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج 1، الرباط، 1968 ؛ ع. ابن إبراهيم المراكشي، الإعلام، ج 4، الرباط، 1977 ؛ شارل اندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر. محمد مزالي والبشير بن سلامة، تونس، 1952 ؛ مجهول، الاستبصار، الدار البيضاء، 1984 ؛ باقوت الحسوي، معجم البلدان، ج 2، بيروت، 1955 ؛ معلمة المغرب، المجلد السابع ؛ م. المنوني، حضارة وادي درعة من خلال الوثائق والآثار، دعوة الحق، ع. 1973.

E. et M. Gouvion. Kitab Ayane El Maghreb. Paris, 1939 ؛ D.J. Meunié, Le Maroc Saharien des origines au 16s. Paris, 1982 ؛ G. Camps, Libya, Tome VIII, Paris, 1960 ؛ Recherches sur les origines des cultivateurs noirs du Sahara, R.O.M.M., T. 3, 1970 ؛ J. Leprévost, El Glaoui. Paris, 1968 ؛ Spillmann, Districts et tribus de la haute vallée du Draa, A.M., V. 9, Paris, 1931 ؛ H. Terrasse, Histoire du Maroc, Casablanca, 1948 ؛ F. de la Chapelle, Esquisse d'une histoire du Sahara Occidental, Hesp., XI, 1930 ؛ S. Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, T. 1, Paris, 1921.

أحمد البوزيدي

\* \* وفي (التاريخ القديم)، تدخل منطقة درعة ضمن ما يسميه الكتاب الإغريق والرومان بليبيا الداخلية ؛ وهو المجال الممتد جنوب الأطلس الكبير، ونظرا لبعدها عن متناول هؤلاء الكتاب، ولعدم تمكنهم من زيارتها، اكتفوا بما كان يصلهم عنها شفويا من معلومات، ولهذا السبب لا نجد عندهم إلا إشارات مقتضبة وقليلة، ولكنها مفيدة ؛ إذ تمكننا من معرفة أسماء أنهار المنطقة وموانئها الطبيعية، وأسماء ساكنها، وتعطينا كذلك فكرة عن نمط عيش هاته الساكنة، وعن الحيوانات الموجودة بها.

فانطلاقا من القرن الثاني ق. م. نجد لدى المؤرخ الإغريقي بوليب Polybe إشارة لنهري ماسة Masasat ودرعة Darat، احتفظ بها بلين الشيخ (Pline l'Ancien, Histoire naturelle, V, 5, 10).

وخلال حكم الإمبراطور الروماني أوكتافيوس أغسطس، وضع الجغرافي أگریبا Agrippa خريطة لـ"المغرب" سيعدها في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي الجغرافي المدعو بحار صور (P. Schmitt, La plus ancienne carte..., pp. 80 - 81). وهاته الخريطة المعدلة هي التي اعتمدها الجغرافي كلود بطوليمي Ptolemée، الذي وصلت معه المعارف الجغرافية حول منطقة درعة قديما أوجها ؛ بحيث يشير في الفقرة المخصصة لليبيا الداخلية إلى أسماء سبعة أودية ما بين الأطلس الكبير ورأس جوبي، ومن بينها نهر نويوس Nouios، وهو وادي نول، ونهر درعة، كما يشير إلى أسماء أربعة موانئ طبيعية بالمنطقة ؛

**الدرعي، أحمد بن محمد الكاملي الضير،** ينحدر من أسرة تنتسب إلى جعفر بن أبي طالس ( العقود الجوهري، 77)، وقد اشتهرت هذه الأسرة التي استوطنت منطقة أفلا ندرى (أعلا درعة) شمال واحة مزغيطة بالعلم والصالح وممارسة القضاء.

ولد أحمد الضير في أواسط القرن الثالث عشر (19 م) ودرج في أول مدارج العلم بين يدي بني قومه بمزغيطة، فحفظ القرآن الكريم برعاية والده محمد بن محمد الكاملي، وأخذ مبادئ اللغة العربية وأوليات المتون الفقهية على علماء وفقهاء مزغيطة. وقد كشف أحمد الضير عن ذكاء وقاد وحافظة قوية ونجاجة لا تظال بين الأقران وهو لا يزال غضا طريا فأرسله والده إلى زاوية تامكروت بفزواطة (أعلام درعة، 80) فأخذ عن عدد من علماء هذه الزاوية أمثال محمد بن علي السمالكي، وأحمد بن طلحة الناصري وقريبه محمد بن علي الناصري.

ثم رحل أحمد الضير لإتمام تعليمه إلى مراكش، حيث أخذ عن الفقيه محمد بن المدني السرخيني، والفقيه محمد بن أحمد أغنسوس (الإعلام، 2: 429). ويظهر أن شهرة أحمد الضير كشاعر مقلد وأديب بارع، وصلت إلى مسامع خليفة السلطان بمراكش، الأمير مولاي علي بن عبد الرحمان، الذي كانت تربطه علاقات خاصة بأهل درعة (وثائق آل ابن حاجي)، فضمه إلى مجالسه العلمية ومسامراته الليلية (الإعلام، 9: 249).

قضى أحمد الضير مدة من الزمن رحل بعدها إلى مدينة فاس للأخذ عن علماء القرويين لكن دون تحديد الفترة الزمنية التي قضاها بالعاصمة العلمية.

وبعد هذه الرحلة العلمية إلى مراكش وفاس عاد أحمد الضير إلى مسقط رأسه بمزغيطة، إلا أن الظروف السياسية والاجتماعية المضطربة آنذاك بوادي درعة، وفطور الهمم في طلب العلم وتقدير أهله، دفعته إلى مغادرة وادي درعة والتوجه إلى سوس، وانتهت وجهته إلى أكلميم، وكانت هذه القرية تعتبر بوابة الصحراء وملتقى القوافل التجارية الصحراوية المختصة في جلب الذهب والجلود ومنسوجات بلاد السودان.

وبالرغم من أن أحمد الضير أملى أخبار سياحاته خارج المغرب، فإن أخبار هذه الرحلات قد ضاعت، وربما ما يزال بعضها في رحم الزمان بدرعة أو مراكش. فقد انطلقت سياحته من أكلميم نحو بلاد السودان، أو ما يعرف اليوم بأفريقيا الغربية، ويرجع أن يكون وقت هذه الرحلة خلال العشر الأواخر من القرن الثالث عشر (19 م).

كان أحمد الضير يُستقبل بحفاوة من لدن علماء

فالجبتوليون الدرعيون هم الرحل الذين كانوا يعيشون بهاته المنطقة، ويرجع أنهم كانوا صلة وصل بين منطقة درعة وجنوب الصحراء.

كانت توجد داخل هذا المجال كذلك مجموعة مهمة من الحيوانات التي انقرض أغلبها؛ بحيث لم تبخل المصادر القديمة بالإشارة إلى بعضها، مثل الزرافات والأسود والفيلة... (Strabon, XVII, 3, 5).

هاته الصورة التي تقدمها لنا المصادر الأدبية تعززها التحريات الميدانية التي عرفتها المنطقة؛ بحيث تم رصد عدد مهم من النقوش الصخرية Gravures rupestres التي أُرخت بالآلاف الأول قبل الميلاد (R. Mauny, *Au tout...* p. 742)؛ بكل من فم الحصن، وجبل باتي (A. Ruhlman, *Les recherches...* p. 52)؛ وايشنت فمات (A. Jodin, *Les gravures...* p. 78)؛ وأقا وطاطا، وأسياف تواندال ونجد فيها صوراً لصيادين ونبالة، ورسوما لعربات وخيول ولطائر النعام، وللفيلة والأسود والظباء.

كما أكدت هاته التحريات التي أجريت في صحراء كل من موريطانيا ومالي والنيجر، أن درعة شكلت قديماً منطقة عبور لا محيد عنها بين المغرب وجنوب الصحراء، وصلة وصل بين الثقافة المتوسطية والثقافة الصحراوية؛ فقد أكد علم الآثار بما لا يدع مجالاً للشك وجود طريق صحراوية قديمة استعملها الإنسان منذ أقدم العصور في تحركاته، تربط بين جنوب المغرب وحوض النيجر مروراً بموريطانيا، تابعة لقط الماء، وكانت هاته الطريق بعد وصولها إلى درعة تعرج غرباً في اتجاه المحيط نحو مصب نهر درعة ونول، ونحو سوس.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T. 5, 1928 ; A. Ruhlman, *Les recherches de préhistoire dans l'extrême sud marocain*, Pub. de Ser. d'Ant. Mar., fas. 5, 1939 ; R. Mauny, *Autour de la répartition des chars rupestres du Nord-Ouest Africain*, Congrès paramarocain de préhistoire, Actes de la 2ème session, 1952 ; A. Jodin, *Les gravures rupestres du Yağour (Haute Atlas), Analyse stylistique et thématique*, B.A.M. T. 5, 1964 ; P. Schmitt, *La plus ancienne carte géographique du Maroc*, B.A.M., T. 11, 1977 - 78 ; G. Camps, *Berbères aux marges de l'histoire*, 1982 ; P. Troussel, *L'image de nomade saharien dans l'historiographie antique*, Bul. de l'équipe de l'écologie et anthropologie des sociétés pastorales, C.N.R.S., n° 10, 1982.

عبد العزيز أكبر

**الدرعي، أحمد بن عمرو،** قائد شارك في معركة

الركن التي جرت بالقرب من فاس يوم 16 ذي الحجة 17 مارس 1576 بجانب السلطان المتوكل، ويقول عنه كل من الإفرائي والناصرى إنه كان حاجياً للسلطان المذكور.

م. الإفرائي، *نزهة، ط. 2، الرباط، د. ت. ص. 59*؛ أ. الناصري، *الاستقصا، الدار البيضاء، 1954، ج. 5، ص. 58.*

إفريقيا الغربية، وكانت مجالسه العلمية معهم مجالس إفادة واستفادة، وقد منحه الله قبولاً في القلوب وإقبالاً للأخذ عنه، وقد طارت شهرته بهذه الأصقاع التي كانت آنذاك تضطرم بالحركة التجديدية التي قادها الحاج عمر الفوتي، وقد احتفى الحاج عمر وأبناؤه بأحمد الضرير، ونفحه ملوك بلاد السودان بأموال كثيرة سمحت له بالتوجه إلى المشرق، وبعد ما أدى مناسك الحج تجول في بلدان الشرق العربي فكان يقيم في كل بلدة أياماً ثم يرحل عنها (الإعلام، 2: 430). ثم توجه إلى الهند والتقى بالشيخ داود الكلكتي، شيخ الطريقة التجانية بالهند وجد على يده عهد الطريقة التجانية. ثم رجع إلى المغرب فاستقر بين ظهرائي قبيلة تجاكت بتيندوف وقضى هناك حوالي عشر سنوات من سنة 1299 إلى سنة 1309، ولم يتمكن من تحديد المكان الذي رحل إليه أو استقر به بعد رحيله من تيندوف سنة 1309 وبعدها يظهر براكش سنة 1313 حيث وافته المنية سنة 1315 ودفن بزواية شرقاً بحومة بنهاض.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 2 و 9 : م. ابن حبيب التمشوگالي، العقود الجوهريّة في الأبناء الدرعية، مخطوط : المهدي الصالح، أعلام درعة : وثائق محلية في حوزة الكاتب.

**الدرعي، الحسن بن محمد بن مسعود الهراجي** الشهير بين أهل فاس بالدرابي. علامة جليل وصوفي كبير موصوف بالصلاح والولاية، ينحدر من قبيلة الهراج من ذوي عبيد الله العقلية، ولد في مكان غير معروف بدرعة سنة 943 هجرية ( الدرر المرصعة، 117)، أخذ مبادئ القراءة والكتابة بمسقط رأسه، ثم تجول بمختلف المدارس العلمية التي كانت تزخر بها واحات درعة خلال القرن العاشر (16 م)، فتخرج عالماً متبحراً لا يجارى في العقائد وأصول الفقه متضلعا في علوم العربية، وله شغف على الأقران في المنطق والقراءات مع كمال التحقيق والفهم والتدقيق ( الزاوية الدلائية، 94). تصدر الحسن الدرعي بعد تخرجه لإفادة المتعلمين فنفع الله به كل من جلس بين يديه لنيته الصالحة ورغبته الصادقة في نشر العلم الشريف.

ولأسباب غير معروفة غادر وادي درعة حيث حظ الرحال بالزاوية الدلائية وهي ما تزال في بداية أمرها، ولا مبالغة إذا قلنا بأنه من المؤسسين الأوائل للحركة العلمية بهذه الزاوية. خاصة أن أبا بكر الدلائي قد اعتنى به عناية خاصة وقدره حق قدره، كما كان يلاحظه بعين التجلّة والاحترام تقديراً لعلمه ومكانته الدينية ( الحركة الفكرية، 2 : 503). ويظهر أن الفقيه الحسن الدرعي وجد الاستقرار النفسي والروحي بين جذران الزاوية الدلائية، فشمس عن مساعد الجد لإفادة رواد حلقاته التدريسية من أبناء الشيخ أبي بكر وطلاب العلم الآخرين، فكان يلقي دروساً عالية في العقائد وأصول الفقه وعلوم العربية والمنطق والبيان والقراءات، وكان من أبرز من تخرج عليه من أبناء الزاوية محمد بن أبي بكر الدلائي ( الزاوية الدلائية، 76).

رحل الفقيه الحسن الدرعي من الزاوية الدلائية في أواخر أيامه إلى مدينة فاس، ويذكر صاحب الدرر المرصعة أنه كان يحضر مجالس العلم بجامع القرويين حيث أخذ عن أحمد المنجور وأبي الحسن بن أبهلول ورضوان الجنوي وغيرهم ( الدرر المرصعة، 118). وتصدر بعد ذلك للتدريس بجامع القرويين فأخذ عنه الجم الغفير من العلماء من أمثال أبي مهدي عيسى السجستاني ومحمد بن يوسف التلملي، وأبي الحسن البطيوي وأحمد بن محمد بن جلال وعبد الوهاب الحميدي ( نشر الثاني، 1 : 64).

أخذ الحسن الدرعي طريق القوم عن أبي المحاسن الفاسي، وتقديراً لصلاحه وزهده وعلمه، اقترح عليه الشيخ الفاسي عقد الأخوة في الله، فتعاقدوا على ذلك، وقد كان الشيخ كثيراً ما يبسط الفقيه الدرعي ويقول له مرجحاً بشريكي (مرآة المحاسن، 12). ومن الآثار العلمية للفقيه الدرعي شرح حسن على صغرى السنوسي وشرح على متن لامية الإمام المجراد السلوي في قواعد الجمل ( الحركة، 2 : 503).

ظل الحسن الدرعي مواظباً على التدريس بفاس دؤوباً على إفادة المتعلمين، لا يئس إلا قارناً أو مجوداً للقرآن الكريم إلى أن وافاه الأجل بالطاعون في أواسط شعبان سنة 1006/ أواسط مارس 1598، ودفن بباب فتوح وعلى قبره قبة ما تزال قائمة إلى اليوم.

م. المكّي الناصري، الدرر المرصعة، مخطوط : م. ابن الطيب القادري، نشر الثاني، ج. 1 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 9 : م. العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ط. حجرية بفاس : م. حجي، الحركة الفكرية، ج. 2 : الزاوية الدلائية، ط. 1).

أحمد البوزيدي

**الدرعي، علي بن إبراهيم،** سماه ابن المؤقت - خطأ - بأبي علي إبراهيم الدرعي، وسماه العباس بن إبراهيم تبعاً لذلك - بالحسن بن علي بن إبراهيم الدرعي، والسذي في شاهد قبره المائل إلى اليوم في قاعة الصلاة التي أحدثت مؤخرًا في صحن ضريح سيدي ابن سليمان الجزولي، وهي التي اعتمدها كل من ابن المؤقت والعباس بن إبراهيم فيما كتبه عن المترجم له، "أبا الحسن سيدي علي بن إبراهيم". أخذ عن أبي عمر الفلالي المعروف بالعناية ( السعادة الأبدية، 2 : 38 ؛ الإعلام، 3 : 148). حلي في شهادة قبره بما يلي : "الولي الصالح، الزاهد الورع". ثم جاء فيها : والسيد المذكور مشغول الهمة لملازمته الصلاة على النبي ﷺ مدة ثلاث وسبعين سنة، وقد رأى رسول الله ﷺ غير ما مرة، وأكثر ما يجري على لسانه (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون).

ويقصد الزوار إلى اليوم قبر المترجم له للتبرك به، وقد أحدثت في رخامة قبره ثلاثة ثقوب أطست بعض الكلمات المنقوشة عليها.

قال ابن المؤقت : "توفي رحمه الله يوم عرفة سنة تسع وسبعين وتسعمائة ودفن بصحن ضريح الإمام الجزولي بإزاء قبة الإمام البيهقي، وقبره مزجج في حائطه رخامة وفاته" ونقل عنه هذا الكلام العباس بن إبراهيم ( السعادة الأبدية، 2 : 39 : الإعلام، 3 : 148). غير أن الذي في شاهدة قبر المترجم له هو : "توفي في ثلاثة وسبعين من الهجرة بعد تسعمائة في شهر الله ذي قعدة يوم الخميس ووري في قبره ليلة الجمعة".

شاهدة قبر المترجم له : م. ابن المؤقت، السعادة الأبدية، ج. 2، طبعة فاس، 1335 هـ : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 3، الرباط، 1980.

حسن حافظي علوي

**الدرعي، علي بن بار بن الحسين، مقاوم بواوي** درعة، انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 بالمقاطعة الثامنة بمركز تافودارت تحت قيادة فاضل الهاشمي وشارك في عدة معارك بالصحراء المغربية ووادي الذهب إلى أن استشهد بمعركة واد الصفا، بتاريخ 11 مارس 1958.

المدوية السامية للمقاومة وجيش التحرير، شهداء الاستقلال.

**الدرعي، علي بن عبد الرحمان الملقب بالدرراوي.**

ولد في ثاني عشر جمادى الثانية عام 1609 / 1018 بإحدى قرى خمس مركبطة من وادي درعة (مباحث الأنوار، 187). نقل صاحب الإعلام 9 : 208) وصفه فقال : "كان ربعة للظول، معتدل القامة، جميل الوجه، أكحل العينين، كث اللحية وافرها، يعلوها شيب، معتدل الأعضاء، عذب المنطق، لين الجانب، حسن الهيئة كريم الأخلاق...". ويصفه الولاقي قائلاً : "وكان - رضي الله عنه - واسع الأخلاق، حسن المعاملة، لا يعاشره أحد إلا ألفه، وكان إذا وعظ بكى...". (مباحث، 192).

نشأ علي بن عبد الرحمان وتربى في درعة حيث قرأ القرآن الكريم (دوحة البستان، 14). والتقى بشيوخها آنذاك، أمثال عبد الله بن حسين الرقي، وأحمد بن إبراهيم الأنصاري، ومحمد بن ناصر الدرعي (مباحث، 188 : نشر المثاني، 2 : 290). بعد ذلك غادر درعة، وانطلق سائحا : فألقى عصى التسيار أولا ببلاد سوس، حيث لقي الشيخ الزاهد محمد السوداني، فلزمه مدة وأخذ عنه ما تيسر من العلوم (الإعلام، 2 : 208 و218).

ولما خيره إلى أبي حسون السملالي استقدمه إلى إبلنج "وأسند إليه النظر في أمور خزائنه" (التقاط الدرر، 219 : الإعلام، 9 : 218). وبعد مدة ارتحل مواصلا سياحته، فزار ضريح الشيخ أبي يعزى : ثم انتقل إلى الزاوية الدلائية، حيث مكث فيها ما شاء الله، وانتهى به

الأمر إلى "المشاركة" عند أهل أكرض. فلبث فيهم مدة يقرئ الطلبة ويعلم الصبيان، ويصلي بالناس. ومن أكرض انتقل إلى تانغلمت حيث لقي الشيخ عبد العزيز بن موسى البوگمازي (الإعلام، 9 : 221) بعد ذلك طرق سبعة خبر الشيخ محمد بن محمد بن الحسن الدادسي صاحب وأوزغت، فتناقت نفسه إلى زيارته وأخذ عنه، فقصده وأخذ عنه الطريقة الجزولية، ولزمه مدة طويلة. فكان ذلك الشيخ عمدته في السلوك الصوفي. ولم يزل في خدمته حتى توفي عام 1651 / 1062 (مجمع الأسماخ، 84). فتصدر بعده للتربية الصوفية بزاوية وأوزغت قبل الانتقال إلى تامجوت. ولعله في هذه الزاوية أخذ عنه كبير إحصالن، الشيخ أبو عثمان سعيد (الإعلام، 9 : 213)، الشيء الذي يجعلنا نطرح التساؤل حول العلاقة بين تامجوت وإحصالن. وبالرغم من ذلك فإن شهرة الشيخ علي بن عبد الرحمان ظلت محدودة حتى انتقل إلى تامجوت، وأسس بها زاويته (العلامة). "فتصدر لتربية المريدين ورفع الراية للزائرین" (النشر، 2 : 290).

وكانت طريقته الصوفية شاذلية من الطريقتين المشهورين : طريق الجزولي عن أبي بكر الدلاتي ومحمد بن محمد الدادسي، عن عبد الله بن حسين صاحب تامصلوحت، ثم طريق أحمد زروق عن عبد الله بن حسين الرقي. وبذلك تكون طريقته شاذلية - جزولية - زروقية (الإعلام، 9 : 211)، "وله - رضي الله عنه - أوراد وأحزاب وأذكار... فزاوية مكناس يقرأ فيها أصحابه وظيفه الشيخ زروق، وزاوية فاس يقرأون فيها أوراد سيدي رضوان الجنوي، ومن أوراده الحزب الكبير، والمسبعات، ووظيفة المغرب عنده أولها حزب الفلاح للشيخ الجزولي، ثم سيد الاستغفار، ثم ذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني، ثم صلاة حضرة الأسرار، ثم الصلاة المشيشية، ثم الفاتحة مرتين... ووظيفة الصبح، حزب الفلاح أيضا ثم المسبعات العشر ثم الحزب الكبير...". (الإعلام، 9 : 211).

يتضح من هذه الفقرة أن وظيفة الشيخ علي بن عبد الرحمان الدرعي كانت تتضمن بعض الأوراد القادرية بالإضافة إلى الشاذلية. لذلك كله ترادفت على أبوابه الركاب من الحواضر والبوادي، "فقصده الناس بالهدايا الجليلة والعطايا الجزيلة، فجمع من ذلك أموالا عريضة، وعبيدا وأماء وحرثا ونسلا ونساء..." (النشر، 2 : 290). كما اشتهر بكثرة إطعام الطعام (مباحث، 192) : حتى كان يطعم الألو في المرة الواحدة، كما ينقل ذلك صاحب الإعلام 9 : 219، 220)، قائلا : "وقد بات عنده ليلة سبعة عشرة ألفا". بل لقد أقر "داراً لليتامي والأرامل"، حتى انقطع بزاويته عدد كبير من حملة القرآن والعلماء، من بينهم محمد بن أحمد المغزالي، ويعقوب التواتي، وعلي الملقب بالجيب. وهؤلاء مدفونون بتامجوت (الإعلام، 9 : 214). أما تلاميذه فيعدون بالآلاف، منهم علماء كبار،

**الدرعي، علي بن عمر**، تلمذ على أبي الحسن علي ابن العطار، ثم قدم إلى مراكش، وتوجه إلى مكة، فأدى الفريضة، وعاد إلى بلده بوادي درعة (التشوف، 411 : الدرر المرصعة، 216). كان عبدا صالحا صاحب مجاهدة وأحوال، وكان يواظب على الصيام طيلة أيام الأسبوع، لا يفطر إلا من يوم الجمعة إلى يوم الجمعة (التشوف، 411 : الإعلام، 9 : 62). وكان إذا غلب عليه الحال سال دمه من أنفه لشدة وجده.

توفي بدرعة عام 608 / 1211 (التشوف، 411 : الإعلام، 9 : 62 : الدرر المرصعة، 216). قال المكي الناصري : "قلت وقبره شهير بالزاوية بقرية أغرغر من مزكيطة، وقد زرته مرات، ويعرف الآن عند العامة بل وبعض الخاصة بسيدي الحسن" (الدرر المرصعة، 216).

ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تج. أ.د. التوفيق، الرباط، 1984 : م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 9، الرباط، 1980.

حسن حافظي علوي

**الدرعي، علي بن المقدم المحمودي**، ينتسب إلى إحدى القبائل العربية التي كانت تستوطن الواحات الجنوبية من درعة الوسطى (العقود الجوهريّة، 74)، ولد على التراجع في السنوات الأولى من القرن الثالث عشر (19 م).

وبالرغم من أننا لا نتوفر على ما يفيدنا حول تكوينه العلمي فلاشك أنه حفظ القرآن الكريم وأخذ مبادئ الفقه واللغة العربية بمسقط رأسه، وبعد ذلك رحل في طلب العلم بمختلف قصور الوادي فلازم مجالس أهل العلم بفزواطة ومزكيطة حتى تخرج مقرناً بالعشر وفقهياً مبرزاً لا يطار تحت جناحه. وعلى عادة جل علماء وادي درعة توجه علي ابن المقدم في زمن غير معروف إلى المشرق فأدى فريضة الحج، وأثناء عودته جاور بالأزهر الشريف حيث أخذ عن ثلة من علماء مصر مثل الباجوري وطبقته (الإعلام، 9 : 254) وبعد عودته إلى المغرب عينه السلطان مولاي عبد الرحمان ابن هشام قاضياً على وادي درعة، فكان يمارس وظيفته أولاً بزاوية شرقاً وواحة مزكيطة ثم بقصر تارغليل بواحة ترناتة. ويظهر أن الكفاءة العلمية التي كان يتمتع بها علي ابن المقدم جعلت السلطان يفوض له أمر تعيين نواب عنه لممارسة القضاء بمختلف واحات درعة والمناطق المجاورة (وثائق محلية) ونستشف من خلال جملة من الوثائق

كالأخوين العكاريين محمد والحسن الرباطيين، والحسن بن مسعود اليوسي، وسعيد بن محمد البوزيدي، وعبد الله شكلائطو الرباطي، ومحمد بن عبد العزيز التواتي، ومحمد بن عطية السلاوي، وغيرهم. ومنهم المتصوفة كأبي عثمان سعيد أحنصال (دوحة، 97 : الإعلام، 9 : 214 - 215 M. ; Morsy, 56).

وخصه محمد بن علي الزيادي بتأليف سماه دوحة البستان ونزهة الاخوان في مناقب الشيخ علي بن عبد الرحمان" عرف به وبابتداء أمره وسيرته، وطريقته وشبوخه، وجمع بعض كلامه (دوحة : المقدمة).

وقد عرفت طريقته انتشارا واسعا في المدن والبوادي، وتأسست زوايا تابعة له في كل من مراكش والرباط ومكناس وتطوان والتسول وفاس (النشر، 2 : 292 : الإعلام، 9 : 211).

ويسبب انتشار أمر الشيخ علي بن عبد الرحمان، واجتماع الناس عليه، امتحن من قبل سلاطين الوقت. فقد أمر السلطان الرشيد بنهب زاويته مرارا، واستقدمه إلى مراكش، حيث فرض عليه شبه إقامة إجبارية، حسب الإفراني (صفوة، 184). ولعله ظل على تلك الحال حتى وفاة ذلك السلطان سنة 1082/1672.

أما الزيادي فإنه يؤكد أن السلطان أودعه السجن، حيث مكث "أياماً قلائل" ثم أخرجه وأمر بطرحه "في بئر خارج باب الجديد، قرب الصالح سيدي عبد الرحمن القرشي". ويدخل ذلك كله في إطار المحنة التي لاقتها الزوايا في ذلك العهد.

ومهما يكن من أمر فالمؤكد أن عليا بن عبد الرحمان الدرعي امتحن من قبل السلطان وأن زاويته نُهبت. لكن من المحتمل أنه واصل نشاطه الصوفي بعد ذلك. ذلك أن القادري (النشر، 2 : 292) أشار إلى أن السلطان إسماعيل أمر "بأخذ داره...". وأغلب الظن أنه ينفرد بهذا الخبر. كما يشير الولاوي (مباحث، 195) الذي تردد إلى زاوية تامجوت عدة مرات، أنه : "وقعت له فتنة مع ملك من ملوك الوقت، فانتقص تقصف الناس عليه، ثم أعجبه الله تعالى منه، فعاد الأمر كما كان أولاً من ترادف الناس عليه للأخذ والزيارة إلى أن توفي...".

توفي علي بن عبد الرحمان الدرعي، بالسوا في منتصف شهر ربيع الأول، حسب الضعيف (تاريخ، 63)، وفي 21 منه حسب الإفراني، (الصفوة، 184) عام 1091 / 1680، ودفن بزاويته الموسومة بتامجوت من بلاد تادالا.

أ. الولاوي، *مباحث الأنوار*، تج. عبد العزيز بوعصاب، 1987 : م. الإفراني، *صفوة*، طبعة حجرية : م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، تج. محمد الحبيب نوح، 1988 : م. الزيادي، *دوحة البستان*، مخطوط، خج 390 د : ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1980. الجزء 9 : م. حجي، *الزاوية اللاتنية...*، الرباط، 1964 : م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدية*، تج. أ. العماري، الرباط، 1986 : التحري الميداني.

المهورة بتوقيع الفقيه علي بن المقدم، أن مدة ولايته كقاض بدرعة قد استمرت أكثر من عقدين من الزمن، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ما كان يتمتع به هذا الفقيه من ثقة سواء بالنسبة للمخزن أو بالنسبة للسكان بالمنطقة. وماتزال جملة من الوثائق ورسوم الأملاك العقارية تزخر بتعاليق وتوقيعات الفقيه علي ابن المقدم، حيث كانت أحكامه لا ترد لقوة الدلائل والحجج الفقهية التي كان يسوقها لإفحام بعض الفقهاء المتصدرين للإفتاء ونقض الأحكام، خاصة فقهاء قصر استور، وفقهاء قصر أولاد أوشاح من آل حاجي (وثائق محلية).

وفي سنة 1286 عين السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان الفقيه علي بن المقدم قاضياً بمدينة أسفي، ولم تطل مدته بهذه المدينة حيث أعفى سنة 1287 (الإعلام، 9 : 254).

استقر علي بن المقدم أخيراً بمدينة مراكش، وقد أحبب الله به قراءة العشر بهذه المدينة، كما أقبل على تدريس الفقه حيث أخذ عنه الجم الغفير من علماء المدينة، ومن آثاره : حاشية على شرح المرشد الصغير وصفه صاحب الإعلام بأنه يشتمل على أبحاث حسنة وفقه كثير. وقد توفي سيدي علي بن المقدم عن سن عالية بمدينة مراكش مع بداية العشرة الأخيرة من القرن الثالث عشر / أوائل سنة 1875.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 9 : م. بن حبيب التنوگالي، العقود الجهرية، مخطوط : وثائق محلية في حوزة الكاتب. أحمد البوزيدي

**الدرعي، علي بن يوسف بن أحمد بن عبد الحليم التمازري أصلاً، الأكتاوي داراً ومولداً.** قال الجزولي في إنارة البصائر : "وخروج أسلافه من سوس من بلدة نبي الله أو ولي الله تعالى سيدنا دانيال المسماة تاگمت النسوية لبني يعقوب الآن (الدرر المرصعة، 222).

تتلذذ على الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي، وحضر مجالس العلماء المتوافرين في الزاوية الدلائية، ثم عاد إلى درعة واشتغل بالتدريس في أكتاوة وتسرگات حيث لازمه الشيخ محمد ابن ناصر (الحركة الفكرية، 2 : 544 والزاوية الدلائية، 55 و59 والروض الزاهر، 193).

كان لتتلذذ محمد ابن ناصر على علي بن يوسف أثر كبير في شهرة هذا الأخير وحفظ أخباره في كتب التراجم التي اعتنت بأعلام الزاوية الناصرية كالدرر المرصعة والروض الزاهر وطلعة المشتري.

استقر المقام بالمرجع له بعد عودته من الزاوية الدلائية في زاوية سيد الناس بتامگروت (الحركة الفكرية، 2 : 544 و542) واشتغل بالتدريس بها، وكان يستعين بأعمال أخرى على معاشه. ذكر أحمد بن خالد الناصري أن محمد بن

ناصر ابتدأ بتعلم العربية واللسان والفقه وما التحق به على أبي الحسن علي بن يوسف الدرعي ولازمه مدة مديدة إلى أن نال منه مراده، مع ما كان عليه الفقيه المذكور من عدم المداومة على القراءة لاشتغاله بمعاشه، فربما قرأ في بعض الأيام بيتاً أو بيتين من الخلاصة وربما لم يقرأ، وكان ذلك كله لا يصد سيدي محمد عن التعلم عليه (طلعة المشتري، 1 : 127).

وقال محمد حجي : "وكان أبو الحسن هذا كثيراً ما يضيق ذرعا بضنك عيش تامگروت، ويقصد شيخه أبا بكر في الدلاء فينال من عطاياه وهداياه ما ينقلب به إلى أهله مسروراً".

احتفظت مؤلفات الناصريين بأخبار تؤكد ما عاني منه المترجم له من ضيق سعة ذات اليد، ومن تلك الأخبار القصة التي جرت له مع تلميذه محمد بن ناصر ودونها أبو العباس الجزولي في إنارة البصائر ثم نقلها عنه المكّي الناصري في الدرر المرصعة والروض الزاهر وأحمد الناصري في طلعة المشتري. ذلك أن أم الشيخ محمد بن ناصر نسجت له ثوباً جيداً جيداً واسعاً سابغاً، فأثر به شيخه علي بن يوسف على نفسه، رصده إلى أن دخل بيت الاغتسال فوضع ثوبه الجديد مكان ثوب شيخه وأخذ هو البالي. ولما علم الشيخ بذلك استعظم ذلك منه ودعا له. قال المكّي الناصري : "فقال به الشيخ رضي الله عنه ما اشتهر عنه من علم ودين وعمل صالح ودينياً وافرقة وذرية صالحة والجاه والاستقامة وإقبال الخلق عليه للنفع والعلم والبركة (الدرر المرصعة، 222 و223 وطلعة المشتري، 1 : 127 و128). ومنها أيضاً أنه كان يرغب في ضيافة طلبته له. قال الشيخ محمد بن ناصر قال سيدي علي بن يوسف : قول الطلبة ليس على الفقيه من ضيافة هو عذر يقيموه. ثم قال بعد ذكر كلام شيخه سيدي علي : بل الفقيه أولى بالضيافة والكرم لأنه هو الذي يرى فضل ذلك (الروض الزاهر، 192).

كان أبو الحسن علي بن يوسف مبرزاً في جملة من العلوم العقلية والنقلية قال أحمد في فهرسته : وجعل استفادته - الشيخ ابن ناصر - في العلوم الظاهرة عن العالم المتواضع الأبرك الولي الصالح الأكبر سيدي علي بن يوسف (الدرر المرصعة، 226 والروض الزاهر، 111 واقتفاء الأثر، 117 ونشر المثاني، 2 : 211). وقد كثر الآخذون عنه في مختلف جهات تامگروت وبذلك عد إمام المعقول والمنقول في هذه البقعة من درعة (الحركة الفكرية، 2 : 544).

لم تقف على تاريخ وفاة علي بن يوسف فيما اعتمدهنا من مصادر وذكر محمد حجي أنه توفي حوالي 1045 / 1635 (الحركة الفكرية، 2 : 544) ودفن بارگسو (الزاوية الدلائية، 54).

م. المكّي الناصري، الدرر المرصعة، مخطوط : الروض الزاهر، تج. المهدي الغالي، د. د. ع. في التاريخ، كلية الآداب، الرباط، 1998. 1999 : أبو سالم العياشي، اقتفاء الأثر، تج. نفيسة الذهبي،



الرباط 1996 : م. ابن الطيب القادري، نشر الثنائي، تح. م. حجي  
وأ. التوفيق، الرباط 1982 : أ. الناصري، طلعة المشتري، ج. 1،  
الدار البيضاء 1978 : م. حجي، الحركة الفكرية، ج. 2، فضالة،  
1978 : الزاوية الدلالية، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

حسن حافظي علوي

**الدرعي، أبو القاسم بن عبد الرزاق المصدياني.** عاش  
هذا الشيخ الجليل خلال القرن العاشر (16 م)، وهو مؤسس  
زاوية تينمسلا بواحة تينزولين بدرعة. ويذكر عن نفسه أنه  
هبت عليه نفحة صوفية، فانطلق في رحلة البحث عن شيخ  
يأخذ بيده ويتخذة قدوة له، وحدد في قرارة نفسه بعض  
الضوابط التي يجب أن تتوفر في شيخه، فلم يجد هذه  
المواصفات في كل الشيوخ الذين زارهم وانتهت به الرحلة  
إلى زاوية تازروالت حيث وجد ضالته في الشيخ سيدي  
أحمد بن موسى السملالي (الدرر المرصعة، 115). ويفهم  
من إحدى رسائل شيخ زاوية تينمسلا في مطلع القرن  
العشرين الحسن بن عبد العزيز إلى مقدمي ومريدي زاوية  
تينمسلا بمختلف جهات المغرب، أن جده أبا القاسم بن عبد  
الرزاق المصدياني الدرعي، من ذرية محمود بن عبد القادر  
الجيلاني نزيل بغداد، ثم ذكر صاحب الرسالة سلسلة نسب  
أبي القاسم بن عبد الرزاق إلى أن ربطه بالشيخ عبد القادر  
الجيلاني (من وثائق زاوية تينمسلا) وهذا ما جعل أحفاد  
الشيخ أبي القاسم بن عبد الرزاق يحملون اسم القادري في  
أوراقهم الرسمية حالياً.

جاء أسلاف أبي القاسم بن عبد الرزاق من جهة الساحل  
(الصحراء المغربية الحالية) في زمن غير مدقق إلى درعة.  
وأول من وصل منهم إلى الوادي هو الشيخ عمرو بن داود  
المصدياني، حيث نزل بقصر تيگيت وما يزال بعض حفدته  
وضريحه إلى اليوم على جانب الطريق الرابط بين أگنز  
وزاگورة (وثيقة محلية).

كان الشيخ أبو القاسم مؤسس زاوية تينمسلا من أهل  
الصلاح والدين يشار إليهم بالولاية (المعسول، 19 : 120).  
وبالرغم من أننا لا نعرف أي شيء عن مستواه العلمي،  
وهل هو من الفقهاء المتصوفة أم لا، فإن صاحب الدرر  
المرصعة يذكر أن لأبي القاسم بن عبد الرزاق كلاماً عالياً  
يحدو فيه حدو الشيخ الجزولي في مناجاته، بل فيه ما  
تشمئز منه النفس وتمجده الفطرة السليمة (الدرر، 115).

توفي أبو القاسم بن عبد الرزاق في زمن غير محدود  
من القرن العاشر (16 م) وخلفه على زاويته ابنه عمرو بن  
أبي القاسم، وسلك نهج والده في تربية المريدين والإكثار من  
الزاويا سواء بواحي درعة أو المناطق المجاورة لها مثل بلاد  
تازرين ودادس وهم زگيط وخاصة إفريقيبا الغربية. وقد  
ظلت زاوية تينمسلا تعتبر أكبر زاوية بدرعة من حيث عدد  
الفروع وكثرة الأتباع حتى نبغت زاوية تامكروت الناصرية  
وما تزال زاوية أبي القاسم بن عبد الرزاق إلى يومنا هذا  
تحتل الدرجة الثانية بعد الزاوية الناصرية، ببلاد درعة  
والمناطق المجاورة.

مجهول، هدية السرور من الملك الخلاق في كرامة أبي القاسم بن  
عبد الرزاق، مخطوط، وثائق زاوية تينمسلا بحوزة الكاتب : م.  
المكي بن الناصري، الدرر المرصعة، مخطوط، م. بن الحبيب  
التمونگالي، العقود الجوهريّة، مخطوط : م. المختار السوسي،  
المعسول، ج. 19.

أحمد البوزيدي

**الدرعي، محماد بن الحبيب الرگراگي الغنيمي**

التامونگالي الرگيطي التيوسوتي الشهير عند علماء  
مراكش بالدرعي. ولد عام 1323 / 1905.

قرأ القرن بكتاب قصبة تامونگالت على يد صهره  
الفقيه السيد محماد بن علي الغرغري، ثم انتقل عند الفقيه  
المدرس الشهير السيد محماد بن المكي بن محمد الناصري.  
ثم تافت نفسه إلى الاستزادة من العلم فانتقل إلى مدينة  
مراكش ودرس على شيوخ العلم بجامع ابن يوسف، وأجازه  
بعض الشيوخ لأهليته وتمكنه من شتى العلوم. بعدها تفرغ  
للتدريس والوعظ بمساجد مختلفة وفي مناطق متعددة،  
ابتداء من مسجد الشرفاء بالمواسين، ومنه إلى زاوية مولاي  
عبد الملك بمنطقة قلعة مگونة ودادس، ثم إماماً مدرساً  
ومحدثاً بالجامع الكبير بزاوية سيدي صالح بمنطقة أكتاوة.  
وكان من المتمسكين بأصول الشريعة الإسلامية معاديا  
للبدعة وأهلها، محبباً عند الخاص والعام.

ترك - رحمه الله - مجموعة من المؤلفات نذكر منها :

- (1) العقود اللؤلؤية في الأخبار الدرعية، ذكره ابن سودة  
باسم (تاريخ درعة).
- (2) تأليف في ترتيب ما أورده السيوطي في كتابه  
(اللاقي المصنوعة على الأحاديث الموضوعة) ويحتوي  
التأليف على 1612 حديثاً ألفه سنة 1353 / 1934.
- (3) تأليف صغير في ترتيب رجال الكتاب المسمى  
وسيلة الفريق بأئمة الطريق على عدد حروف الهجاء.
- (4) أرجوزة حول بيان الرضاع والقدر الذي تحصل به  
الحرمة.
- (5) شرح مختصر الزواجر في اقتراف الكبائر للإمام  
العسقلاني لم يتمه.
- (6) منظومة في العقائد التوحيدية أبياتها 30.
- (7) نظم فرائض الشيخ خليل أبياتها 382.
- (8) منظومة تحتوي على أنواع شتى من العلوم أبياتها  
424.
- (9) الهمزية في مدح الرسول ﷺ أبياتها 410.
- (10) رثاء شيخه محمد المكي الناصري أبياتها 93.
- (11) قصيدة لامية أبياتها 1096.

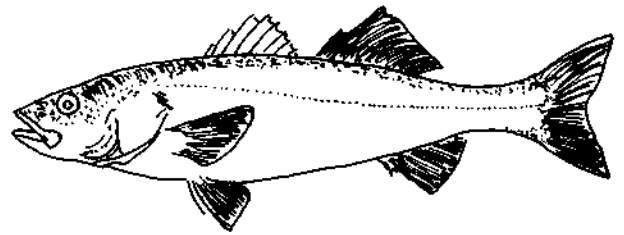
توفي عام 1362 / 1943 ودفن بمقبرة قصبة تامونگالت.

أ. متفكر، ذيل، إعلام مراكش، مخطوط : روايات شفوية.

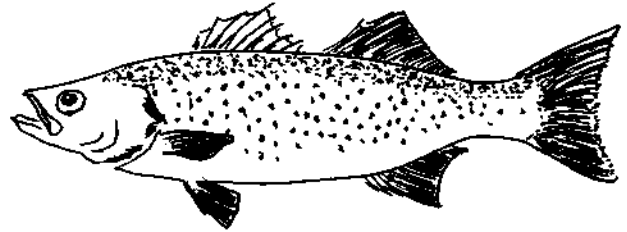
أحمد متفكر

**الدرعي (سمك) أو الذيب "لولو" (Le loup)**، أو تحرش كما هو شائع في الأسواق السمكية في كل من العرائش وطنجة ومولاي بوسلهام ومهدية، أو بوشوك في الجديدة وأسفي والصويرة وأكادير وطرفاية والداخلة والحسيمة، جنس من الأسماك البحرية يسمى بسمك القاروس أو القاروص في كل من تونس وليبيا ومصر ولبنان وقلسطين وسوريا. والدرعي يطلق في المغرب على نوعين من الأسماك البحرية العظمية من فصيلة مرونيدي Moronidae ومن جنس ديسونتراركس Dicentrarchus : الدرعي العادي والدرعي المنقط.

الدرعي العادي يسمى علمياً (Morone labrax) وبالإنجليزية European seabass وبالفرنسية Bar européen وطوله شائع بين 20 و55 سم ويبلغ أحياناً 100 سم عند الكبار. جسمه طويل فضي اللون ورمادي على الجوانب وأزرق جهة الظهر، غالباً ما يكون البطن مصفراً. تعرف الكبار ببقعة سوداء على الجهة العليا من غطاء الفتحة الخيشومية. الزعنفتان الظهرتان مفترقتان، تتكون الأولى من 8 - 10 شوكات والثانية من شوكة واحدة ومن 12 - 13 شعاعات هشة، تتكون الزعنفة الذيلية من ثلاث شوكات ومن 10 - 12 شعاع هش. الحراشف دائرية وصغيرة ويتكون الخط الجانبي من 62 - 80 حرسفة. فمه حاد وشفته رقيقتان، الأسنان هلالية الشكل ومرتبة في صفوف بداخل كل فك. يعيش الدرعي في مختلف المناطق الساحلية الدافئة المياه وذلك في أعماق لا تتعدى 100 متر. شائع في المياه البحرية الوطنية الغير العميقة، ويوجد أيضاً في البحيرات الساحلية كبحيرة الناظور والوليدية وسيدي موسى ومولاي بوسلهام وخنيفس وشم الداخلة. كثيراً ما يدخل معظم



الدرعي



مصبات الأنهار الوطنية (سبو، بورقراق، أم الربيع، تاهدارت، اللكوس) ويقطع مسافات طويلة بداخل الأنهار بحثاً عن الأكل. يتكون من مجموعات متعددة الأفراد خلال فترة التوالد التي تمتد من شهر يناير إلى بداية مارس. تصير الذكور بالغة بعد سنتين والإناث بعد ثلاث سنوات يصل طولها إلى 31-40 سم.

الدرعي سمك لاعم، يتكون غذاؤه من اللاققریات الصغيرة وخاصة منها الرخويات والقواقع ومختلف أنواع القشريات كالإربيان والسرطانات وصغار الأسماك. ينتشر توزيعه الجغرافي على كل الشواطئ المغربية الأطلنطية والمتوسطية ويوجد أيضاً في البحر المتوسط والبحر الأسود والشواطئ الأطلنطية الأوربية والموريتانية والسنغالية.

الدرعي المنقط يسمى علمياً (Morone punctatus) Bar tacheté وبالفرنسية Spotted seabass وبالإسبانية Baila. طوله شائع بين 20 و40 سم يبلغ أحياناً 70 سم عند الكبار. يعرف في سوريا ولبنان ومصر بالقروس والقاروس المنقط ونقطة وأوب نقطة، وفي تونس وليبيا القاروس المنقط. ويعرف بالدرعي المنقط أو بنقطة في كل من مولاي بوسلهام ومهدية والرباط وطرفاية والعيون والداخلة. ويلقب بـ"لويبر" و"نويبر" في كل من طنجة والعرائش وأصيلا.

جسمه طويل فضي اللون ورمادي على الجوانب وأزرق جهة الظهر، الجوانب والظهر مبرقعة ببقع سوداء متفاوتة الحجم. تعرف الكبار ببقعة كبيرة سوداء داكنة في مؤخرة غطاء الفتحة الخيشومية. الزعنفتان الظهرتان مفترقتان، تتكون الأولى من 8 - 9 شوكات والثانية من شوكة واحدة ومن 10 - 12 شعاع هش. تتكون الزعنفة الشرجية من ثلاث شوكات ومن 10 - 12 شعاع هش. الحراشف دائرية وصغيرة ويتكون الخط الجانبي من 57 - 65 حرسفة. فمه حاد وشفته رقيقتان، الأسنان هلالية الشكل ومرتبة في صفوف بداخل الفكين.

يعيش في المناطق الساحلية الدافئة المياه، وشائع في المياه البحرية الوطنية الغير العميقة الرملية والوحلية والصخرية، ويوجد أيضاً في البحيرات الساحلية القليلة الملوحة كبحيرة الناظور والوليدية وسيدي موسى ومولاي بوسلهام وخنيفس وشم الداخلة. كثيراً ما يدخل معظم مصبات الأنهار الوطنية (سبو، بورقراق، أم الربيع، تاهدارت، اللكوس) ويقطع مسافات طويلة في أعالي الأنهار بحثاً عن الأكل في المياه العذبة. تمتد فترة التوالد من شهر يناير إلى غاية شهر أبريل. تصير الصغار بالغة بعد ثلاث سنوات يصل طولها 25 سم. نموه أقل سرعة من نوع الدرعي الغير المنقط إذ لا يبلغ طوله 41 سم إلا بعد سبع سنوات.

يتكون غذاؤه من اللاققریات الصغيرة وخاصة منها الرخويات والقواقع والإربيان والأسماك الصغيرة

والسرطانات. يقتصر توزيعه الجغرافي على كل الشواطئ المغربية الأطلنطية والمتوسطية ويوجد أيضا في البحر المتوسط وخاصة في الضفة الجنوبية منه كما يوجد في السواحل الأطلنطية الأوربية والمرتانية والسنغالية.

صيد أنواع سمك الدرعي بالمغرب تقليدي ورياضي ويتم بشباك الجرف وشباك الإحاطة أو التحليق وبالشباك الخيشومية وبالصانير. يوجد في أسواق الأسماك المغربية بصفة غير منتظمة. لحمه لذيق ويؤكل طريا.

تتم تربية سمك الدرعي العادي في المزارع البحرية بكيفية ناجحة في كثير من الدول الأوربية. بدأت تربيته في المغرب سنة 1986 في بحيرة الناظور وقد عرفت هذه التربية نجاحا من طرف شركة ماروست وشركة صام حيث يتراوح الإنتاج ما بين 24 - 530 طن سنويا يُصدر أغلبها إلى الأسواق الأوربية.

يعطي الجدول التالي الكمية المنتجة سنويا لسمك الدرعي العادي في بعض أحواض التربية المائية بالبحيرات الساحلية المغربية :

السنة	1990	1991	1992	1993	1994	1995
الكمية بالطن	24	96	119	193	332	533

الأمر مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988؛ أ. الملووف، معجم الحيوان، القاهرة، 1932؛ دليل تعريف الموارد البحرية الحية في المغرب، المنظمة العالمية للتغذية، روما، 1998.

M. Ramdani et N. Elkhlati, *Flore et faune marines du Maroc. Biodiversité, Biologie, Ecologie et Biogéographie*. Expo. 98, Lisbonne, Rabat. 68 p., 1998 ; Ministère des Pêches Maritimes, *La mer en chiffre, synthèse de l'activité du Ministère des Pêches Maritimes et de la Marine Marchande*, Rabat, 1995.

محمد رمضاني

**درغووث باشا**، يطلق عليه المسيحيون لفظ Dargut.

Dragutte، والأتراك Dorgut ودرغووتشه بالتصغير. ولد بقرب الأناضول حوالي سنة 890 / 1485. وشارك منذ شبابه في الملاحة العسكرية العثمانية إلى أن أصبح من الرياس المرموقين في بحر إيجة منذ سنة 940 / 1533؛ قبل أن ينتقل للعمل تحت قيادة خير الدين بارباروس في مياه الحوض المتوسطي الغربي، متعاوناً مع اسطول الجهاد النبطاني في المياه الإسبانية أثناء فترة حكم السيدة الحرة، وقد أكسبته جسارته وجرأته عدة ألقاب كان يفتخر بها مثل "الشیطان" و "سيف الإسلام"، ومكنته عملياته الناجحة من امتلاك مجموعة سفن تحت إمرته وفي يونيو 947 / 1540 وقع أسيراً في يد القوات المسيحية حيث استخدم في التجديف إلى سنة 951 / 1544، حيث تم افتداؤه من طرف

أمير البحر خير الدين بارباروس. في هذه السنة كان محمد الشيخ السعدي في مسعاه إلى مضائقه الإسبان والبرتغال بالمياه الغربية يتقرب درغووث بالهدايا محاولاً استقطابه بمعية الرياس المرافقين له لتخدوا من الموانئ المغربية الأطلنطية مراكز لعملياتهم الجهادية.

وبعد ذلك نسجل غياباً لسيرة درغووث في المياه المغربية، لانتقاله إلى جزيرة جربة بتونس التي اتخذها قاعدة لعملياته، واهتمامه بالمساهمة في فتح ولاية طرابلس سنة 959 / 1551، ثم تنصيبه بايلرباي عليها سنة 961 / 1553، ولن يعود اسمه إلى الظهور في أقصى الغرب الإسلامي إلا في سنة 965 / 1557، أثناء توتر العلاقات المغربية العثمانية، حيث راجت إشاعة في قيامه على رأس اسطول مكون من أزيد من مائة وخمسين سفينة بمهمة تفحص موانئ المغرب واحتلالها، بعد أن قامت بعض السفن العثمانية بجولات استطلاعية همت أساساً ميناءي بادس وسلا. وهو ما أقض مضاجع السلطات المغربية والإسبانية والبرتغالية.

لكن هذه الإشاعة لم تتحقق نتيجة تمكن سليمان القانوني من القضاء على خصمه محمد الشيخ، واهتمام درغووث بتثبيت السلطة العثمانية في ولاية طرابلس التي ظل على رأسها إلى حين استشهاده في حصار مالطا سنة 973 / 1565.

أندري روسي، طرابلس تحت حكم الإسبان، ص. 58، 59. حسن أميلي

**الدرفوفي، محمد بن محمد الوجدي**. ولد سنة

1336 / 1917 وكان من المجاهدين الذين ذاع صيتهم خاصة بمدينة وجدة حيث تعرض للاعتقال والنفي العديد من المرات.

وعدة اندلاع المقاومة المسلحة بالمدينة لعب محمد الدرفوفي دوراً كبيراً حيث قام بتأسيس خلايا للمقاومة وتوجيه أفرادها للقيام بالعمليات الفدائية والتنسيق بينها وبين خلايا المدن المجاورة. وقد أفرغ نشاطه هذا المستعمر الذي حاول الإيقاع به ومساومته دون جدوى وهو الوطني الغيور الفدائي البطل.

فلم يبق أمام الإدارة الاستعمارية إلا القضاء عليه بأية وسيلة، فقامت بتسميمه وهو في السجن بواسطة عملية تلقيح مشبوهة نقل على إثرها إلى مستشفى كوكار بفاس. "وذكر لي بعض من كان معه في السجن أن الدرفوفي المذكور كان هو المكلف بجميع الأشياء في السجن وأن من طلبه يستجيب له كأنه خادم لهم ولا يترك أحداً منهم يتناول شيئاً، وهو آخر من ينام وأول من يستيقظ منهم ولا تسمع من فيه إلا نعم" (موسوعة، 6 : 3297) .

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع النبوي عام 1374 / 8 / 1954 توفى محمد الدرفوفي وهو في طريقة من

المستشفى بفاس إلى وحدة (على بعد نحو 30 كلم منها)، ودفن في غده، في مشهد حافل بالوطنيين.  
الندوية السامية لقدامى المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، 4: 185، ج. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، ج. 9، 1996.

**الدرقاني، محمد**، مقاوم ولد سنة 1937 بأيت محمد وعلي الحمام إقليم خنيفرة.  
انخرط في صفوف جيش التحرير بالشمال منذ انطلاقته ضمن فرقة المنطقة الشرقية بمرکز بوغانان تحت مسؤولية منير أحمد بن بوشعيب. وقد شارك في عدة معارك بإيموزار مرموشة والراشيدية، توفي بتاريخ 7 غشت 1995.  
الندوية السامية لقدامى المقاومين وأعضاء جيش التحرير، بطاقة 506 / 44.

**الدرقاوي، أسرة** شريفة تتصل بسلسلة نسبهم بإدريس الأزهر باني فاس عن طريق ابنه أحمد، وجدهم القريب الذي ينتسبون إليه هو الشيخ أبو درقة محمد بن يوسف بن كنون دفين قبيلة بني يانكرين من أولاد بني رزك في الشاوية. كانت ديارهم الأولى قرب أسفي ومنها انتقلوا إلى شراكة قرب فاس ثم إلى بني زروال ومازالوا بها إلى الآن (رياض الجنة، 2: 71).  
إ. الفضلي، الدرر البهية، ط 2، فصالة، 1999، 2: 158 - 160؛ ج. الحفيظ الفاسي، رياض الجنة، فاس، 1931، 2: 71.

**الدرقاوي، رشيد بن علي بن الطيب بن الشيخ** مولاي العربي الدرقاوي. ولد بفاس عام 1327 / 1909 وبها نشأ وتعلّم على يد والده ومن في طبقتهم من علماء القرويين، وحصل على شهادة العالمية من القسم الشرعي صحبة رفيقه الشهيد محمد القرني من القسم الأدبي في 22 حجة عام 1351 / 18 أبريل 1933 فكان أول فوج تخرج من القرويين بعد إحداث النظام الدراسي بها.



اشتغل رشيد الدرقاوي بالتدريس متنوعاً في القرويين، وعمل في صفوف رجال الحركة الوطنية في عهدها الأولي وعرف السجن والتعذيب والنفي. وكان من بين معتقلي غوليمة بالصحراء في رمضان عام 1356 / 1937 بعد المظاهرات العنيفة ضد السيطرة الاستعمارية ونفي الزعماء واعتقال العديد من الوطنيين في مختلف أنحاء المغرب.

وقد اتهمه الفرنسيون هو ورفيقه محمد إبراهيم الكتاني بالتعاون مع دول المحور وقُدما للمحكمة العسكرية بمكناس فحكمت عليهما بالسجن لمدة عامين، والنفي خمسة أعوام، ومصادرة أملاكهما. ذكره أكثر من مرة رفيقه في سجن غوليمة المجاهد المرحوم محمد إبراهيم الكتاني في كتابه من ذكريات سجين مكافح، ووصف ما لقي المترجم له من تعذيب مُسميت على يد السجناء الجلادين الذين كانوا يزعمون السجناء الوطنيين قبل الفجر للخروج إلى الأعمال الشاقة، وينهالون عليهم بهراويلهم الغليظة ضرباً وشدخاً طوال اليوم تحت الشمس المحرقة. ويوم الجمعة 22 رمضان 1356 / 26 نونبر 1937، كان رشيد الدرقاوي قد أصيبت رجله "بفكاك" لا يستطيع الوقوف عليها، ومع ذلك اقتاده الجلادون في جملة السجناء بنفس السرعة والعنف "فسقط للأرض على بعد نحو مائة ميتر... واجتمع عليه من وجده الحمال بالقرب منه من (الگووم) والكروسيكي فضربوه حسيماً قَدْر هو فيما أخير به بعد ذلك أكثر من ثلاثمائة ضربة، وتكسرت اثنائها عظام رأسه وسالت دماؤه حتى أغشى عليه. ثم جعلوا يقفزون فوق بطنه وصدروه، متوخين بلدماتهم القلب والكلى حتى لم يبق به حراك، وانقطع نفسه. فتركوه مكبوا لوجهه، ورجعوا لمواصلة المذبحة".

انخرط المترجم بعد الاستقلال في سلك القضاء بالدار البيضاء، حيث ظل يزاوّل عمله إلى أن تقاعد وتوفى بها ليلة الاثنين 18 حجة عام 1411 / فاتح يوليوز 1991.  
م. إبراهيم الكتاني، من ذكريات سجين مكافح، الرباط، 1977؛ م. ابن الحاج السلمي، إسعاف الإخوان الراغبين، الدار البيضاء، 1992.

محمد حجي

**الدرقاوي، الطيب ابن الشيخ مولاي العربي** الدرقاوي، أصغر أبناء الشيخ. عينه أبوه قبل وفاته ليخلفه على رأس الطريقة الدرقاوية.

قضى مولاي الطيب حياة هادئة محترماً من الجميع ومتجنباً كل ما من شأنه أن يقلق بال المخزن إلى أن لقي ربه. وهو الذي أخذ عنه الورد الدرقاوي عمنا الفقيه المقدم محمد بن الطاهر بن الحبيب الشياظمي الحاجي السباعي،

ويعد ذلك أسس مولاي العربي طريقة صوفية جديدة بويريح من بلاد جباله، وهي الطريقة الدرقاوية التي تستمد مذهبها من تعاليم الإمام الشاذلي. ولم تلبث هذه الطريقة أن نالت نجاحاً باهراً في الحواضر والبادي على السواء، وانخرط فيها عدد كبير من الريدين في المغرب والجزائر.

ولم يلبث نشاط مولاي العربي أن يتجاوز بسرعة الميدان الروحي لينفذ إلى الميدان الدنيوي، رغم كونه كان يقول: "ما طلب أحد السلطة الدنيوية إلا هلك!"

وعمل السلطان مولاي سليمان على توجيه هذه القوة الصاعدة واستخدامها لصالحه، فبالغ في مجاملة مولاي العربي وكلفه ببعض المهام، فأرسله في المرة الأولى في بعثة إلى أخيه مولاي مسلمة الذي كانت قد تمت بيعته سلطاناً على المغرب في سنة 1207/ 1792 أثناء التمرد الذي شنه شرفاء جبل العُلم وبعض قبائل جباله.

وبعد ذلك بعدة سنوات، دعت الظروف السلطانية مولاي سليمان إلى استخدام درقاوة من جديد في إنجاز قضية بالغة الأهمية، وهي أن بعض القبائل العربية تارت على باي وهران بتحريض من المقدم الدرقاوي المحلي المدعو أبا محمد عبد القادر بن الشريف البليتي، احتجاجاً على تنفيذ حكم الإعدام في أحد أتباع الطريقة، وكان ذلك في عام 1217/ 1802 وتغلب الثوار في العديد من المعارك على الجيوش التركية إلى حد أن داي الجزائر طلب من السلطان مولاي سليمان أن يستخدم مولاي العربي في تهدئة أتباعه، فأسرع السلطان إلى تلبية هذه الرغبة، خصوصاً وأنه كان قد حصل في سنة 1795 على انسحاب الأتراك من وجدة وكان يتحين الفرص لتقوية الثغور الشرقية للإيالة الشريفة.

ذهب مولاي العربي إلى تلمسان واستمع لشكاوى أتباعه، لكنه بدل أن يساعد باي وهران على بلوغ مراده، انحاز إلى الثوار ودافع عنهم، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، فأخذ البيعة لمولاي سليمان من سكان مدينة تلمسان وسمح لهم بقرأة خطبة الجمعة في مساجد المدينة باسم سلطان المغرب، ولما أطلع مولاي العربي السلطان على هذه الأحداث لم يستنكرها بل بعث إلى الشيخ مولاي العربي برسالة يشكره على عمله، وفي تلك الأثناء بعث أهل تلمسان وفداً إلى المولى سليمان غير أن الأتراك تارت ثائرتهم وأخفوا يهددون، فاضطر السلطان لمقتضيات سياسية إلى استنكار العمل الذي قام به مبعوثه مولاي العربي، وأرسل مبعوثاً آخر إلى تلمسان لإعادة المياه إلى مجاريها. وهكذا تخلى عن ناحية وهران حيث كان في استطاعة الأتراك التدخل بقوة ليتمكن من المحافظة على الواحات الصحراوية. وأمام إلحاح السلطان الشديد، اضطر مولاي العربي إلى التنديد بأعمال المقدم أبي محمد عبد القادر بن الشريف البليتي، وقيل إن مولاي العربي الذي أزعجه طموح هذا المقدم وميله للأبهة والبدح أشار إلى

حين كان طالباً للعلم بالقرويين بفاس. ويقول الناصري في الاستقصا: "في فجر يوم الجمعة الثامن من جمادى الأولى من سنة 1287 / 10 غشت 1870، توفي الولي الصالح الناسك السني أبو عبد الله محمد الطيب ابن الشيخ الأشهر مولاي العربي الدرقاوي ودفن بمحل زاويته بأمجوط من بلاد بني زروال، وكان من خيار عباد الله على غاية من التقوى والورع والتواضع مع الناس، يركب الحمار ويلبس الجبّة ولا يتميز عن أصحابه بشيء، مع السكينة والوقار وعدم الخوض فيما لا يعني والإعراض عن زهرة الدنيا وأهلها".

أ. الناصري، الاستقصا: سلسلة مدن وقبائل المغرب، ج. 10، دكالة، تر. م. الشياطي.

G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951.

محمد الشياطي

### الدرقاوي، عبد الرحمن بن الطيب ابن الشيخ

مولاي العربي الدرقاوي. عالم صوفي وأستاذ مقري. من أهل المجد والفضل والتواضع والكرم. استوطن الزاوية الدرقاوية بسلا في حي باب حسانين منقطعاً لأخذ العلم، فقرأ على العلماء السلويين محمد العربي بن سعيد، ومحمد المكي الصبيحي وأحمد بن خالد الناصري وعبد الله ابن خضراء وغيرهم.

ثم رجع إلى مسقط رأسه في أمجوط حيث عاش معلماً ومربياً. "ساعياً في قضاء حوائج الناس وإصلاح ذات البين وإخماد الفتن وجمع الكلمة على طاعة المخزن مع نباهة القدر والجاه العريض وتعظيم الخاصة والعامة" (رياض الجنة، 2: 72).

توفي بمسقط رأسه أمجوط ببني زروال يوم الأربعاء 27 جمادى الأولى عام 1346 / 23 نونبر 1927.

ع. الحفيظ الفاسي، رياض الجنة، فاس، 1931، ج 2، 71، 72: ع. السلام ابن سودة، إتحاف الطالع: سل النصال / موسوعة المغرب، بيروت، 1996، ج 8، 2967-2969.

محمد حجي

### الدرقاوي، العربي (مولاي -) الشيخ أبو عبد الله

محمد العربي بن أحمد بن الحسن بن سعيد الحسني، المعروف بمولاي العربي الدرقاوي. شيخ الطريقة الدرقاوية الشهيرة ومؤسسها. ولد ببني زروال في بلاد جباله عام 1150 / 1737 ويذكر البعض أن أحد أجداده المعروف ببودرقة مدفون في بني ازك ببلاد الشاوية.

ينتمي مولاي العربي إلى الشرفاء الأدارسة. أخذ التصوف عن أستاذه الصوفي الكبير مولاي علي بن عبد الرحمان العمراني الفاسي، المدعو بالجمّل، المشهور بسعة اطلاعه وحמיד خصاله والمتوفى سنة 1239 / 1823.

السلطان بسحب الرعاية التي كان قد أسبلها عليه...

ومهما يكن من أمر فإن العلاقات التي كانت قائمة بين السلطان وبين شيخ الطريقة الدرقاوية أخذت تفتت بعد هذه الأحداث. وما لا شك فيه أن التغيير المفاجئ الذي ظهر على السلطان كان له تأثير على نفسية مولاي العربي، ثم أصبحت العلاقات بين المخزن والشريف الدرقاوي سيئة للغاية حينما شرع السلطان في شن حملة على المتصوفة والتنديد علنيا بالأعمال التي تقوم بها الطوائف...

اتخذ بعد ذلك مولاي العربي موقفا معاديا للسلطان وثار أتباعه من البربر وكبدوا جيوش المخزن الهزيمة تلو الهزيمة، كما أسروا سنة 1234 / 1818 في معركة زيان السلطان مولاي سليمان لعدة أيام وجرحوا فيها جروحاً مميتة ابنه الأمير مولاي إبراهيم.

وفي السنة التالية حاصرت حشود البربر مدينة مكناس تحت قيادة أبي بكر أمهاوش من أتباع الطائفة الدرقاوية. وفي سنة 1236 / 1820، وقع مولاي العربي والحاج العربي الوزاني شيخ طائفة وزان بفاس مع جماعة من أعيان هذه المدينة على وثيقة قرروا بمقتضاها خلع السلطان مولاي سليمان ومبايعة مولاي إبراهيم ابن السلطان السابق مولاي اليزيد.

لقد كان هذا التواطؤ الذي حصل بين أهل فاس وبربر الأطلس المتوسط وأتباع طريقتين دينيتين كبيرتين من الخطورة بمكان على السلطان، الشيء الذي جعل الكثير من الناس لا يشكون لحظة في انتصار المتمردين؛ غير أن حدثاً لم يكن في الحسبان أنقذ بأعجوبة السلطان مولاي سليمان، وهو أن مولاي العربي الدرقاوي كانت قد أخذته نشوة الانتصار فذهب بنفسه، دون اتخاذ الاحتياطات اللازمة، إلى جيش عرب الأودايا الذين كانوا يمثلون بعض ما تبقى من الجيوش التي ظلت وقيّة للسلطان المخلوع، بقصد استمالتهم وضمّهم إلى الحركة التي كان يتزعمها، غير أن هؤلاء العرب قبضوا على مولاي العربي وسلموه لمولاي سليمان فأودعه السجن.

ومنذ ذلك الحين، ظل أبناء مولاي العربي الصغار يترددون على السلطان مولاي سليمان ساعين في خلاص والدهم من الأسر دون جدوى. يقول الناصري في الاستقصا: "وقدم على مولاي سليمان أولاد الشيخ أبي عبد الله سيدي العربي الدرقاوي صبية صفاراً يشفعون في أبيهم ليسرحه لهم، فوصلهم وكساهم وقال لهم: والله ما سجنته ولا أمرت بسجنه، ولكن أتركوه، فسيسرحه الله الذي سجنه!"

وظل مولاي العربي سجيناً إلى ما بعد وفاة المولى سليمان، وكان قد بلغ من الكبر عتياً وأنهكه المرض فأطلق سراحه السلطان مولاي عبد الرحمان، ففضى نحيبه سنة 1239 / 1823. ولم يخلف سوى رسائل في التصوف، قدم لها الشيخ أحمد ابن الحياط وطبعت على الحجر بفاس.

العربي الدرقاوي، رسائل، ط. حجر فاس، 132: تقديم أحمد ابن الحياط الزكاري: سلسلة مدن وقبائل المغرب، ج 10، دكالة، تر. م. الشباطي: أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1956.  
G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951.  
محمد الشباطي

**الدرقاوي، عزيز** محمد بن علي بن الطيب بن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي. اشتهر بلقبه عزيز. وهو أكبر أولاد شيخ القرويين علي الدرقاوي آبي الترجمة. كان حافظاً للقرآن الكريم عارفاً برسمه وتجويده. ولما أسست كتلة العمل الوطني في أعوام الثلاثين كان من أول رجالها ودافع بماله وقوته وإيمانه. ولما سجن الوطيين المرة الأولى بمدينة تازا سنة 1349 / 1930، كان من أولهم مع الزعيم محمد بن الحسن الوزاني والزعيم غلال الفاسي... (إتحاف المطالع).

توفي بفاس في عشرين شوال عام 1377 / 10 ماي 1958 ودفن بالقباب فوق الطريق المحدث بنحو ثلاثة أو أربعة أمتار.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 9، 3332.

محمد حجي

**الدرقاوي، علي بن أحمد** بن محمد السوسي الإلغي من أساطين الطريقة الدرقاوية بسوس، انتشرت على يديه انتشاراً واسعاً في ربوع تلك البلاد فكثرت أتباعها ومريدها بفضل همة هذا الشيخ وتفانيه في سبيلها. كان والد المترجم له رجلاً أميناً بينما كان جده حافظاً لكتاب الله، ولهذا تولى الجد العناية بالحفيد، فأدخله إلى الكتاب ليحفظ القرآن. وقد كان الجد يراجع معه سور القرآن في البيت إلى أن استكمل حفظ القرآن الكريم. ثم أرسله إلى مدرسة تنالت عند الأستاذ محمد بن بلقاسم اليزيدي فقرأ عليه المبادئ الأولية في العلوم العربية والشرعية. ثم إلى مدرسة تانكرت بإفران، فمكث بها أربع سنين. ولما زار الشيخ سعيد المعدي مقدّم الطريقة الدرقاوية بسوس، تانكرت، اتصل به المترجم وأعجب به فأخذ عنه الورد الدرقاوي، ولزمه أياماً ثلاثة تمكنت فيها الدرقاوية من عقله وقبلة، مما جعله يصاحب الشيخ المعدي في سياحاته تاركاً الدراسة وهو في وسط الطريق.

رجع المترجم إلى ميدان الدراسة بالحاج من أهله فالتحق بمدرسة أدوز عند الأستاذ محمد بن العربي الأدوزي. لم تنقطع صلة المترجم بشيخه سعيد المعدي طوال الفترة السابقة، فقد كان يزوره بين الفينة والأخرى، ويجد في نفسه حينئذ إلى التصوف، وبقي على هذه الحال إلى أن

جاءته رسالة من الفقيه الحسن التاموديزتي الذي تجرد وانقطع بزواية المعدر، يدعو فيه إلى الالتحاق به لينخرط في سلك الفقهاء الدرقاوين.

استقر المترجم أخيراً في إلخ - بعدما رفضت أمه السماح له بالاستقرار بالمعدر - فشرع في تأسيس زاويته هناك بدءاً من أواسط شوال 1302 وتصدر فيها للمشيخة وتربية المريدين الدرقاوين، وتزوج للمرة الأولى.

إن العوامل الثلاثة السابقة : بناء الزاوية، والتصدر للمشيخة، والزواج، جعلت الشيخ علياً الإلغني ينصرف كلية إلى الطريقة الدرقاوية، فأعطاهما كل وقته وكل جهده وطاقته. وبهذا سيدخل الشيخ مرحلة جديدة من مراحل حياته. سينفض عنه أردية الخمول، ويقوم بأمر الزاوية والفقراء بهمة عالية لا تعرف الكلال، ويجد واجتهاد لا يعرفان الملل. كما كان بين الفينة والأخرى يقوم بالسياحة لتفقد أحوال الفقراء الدرقاوين المنتسرين بمختلف نواحي سوس : تانكرت، مجاط، تامانارت، أفا. وتاقت نفس الشيخ إلى بيت الله الحرام ومقام النبي صلى الله عليه وسلم فأعمل الرحلة إلى هناك سنة 1305. وقد مكنه هذا السفر إلى المشرق من لقاء كثير من العلماء والشيخوخة والمتصوفة في مختلف المناطق التي مرَّ بها واستفاد منهم كثيراً ما يروج هناك من أفكار وقضايا، كما اطلع على مما كان يروج في العالم العربي من أفكار ودعوات إصلاحية. ووقف على مدى التقدم الهائل الذي تعرفه بعض المدن الأوربية التي عرج عليها. وهذا كله سيزيد من معارف الشيخ بقضايا أمته ودينه.

ونظراً لأهمية هذه الرحلة فإنه قد خلدها بنظم تجاوز 1800 بيت عرض فيه لمراحل الرحلة، والمدن التي مرَّ بها، والعلماء الذين لقيهم، كما استرجع فيها جوانب من مراحل حياته السابقة. وقد هذب ابنه محمد المختار السوسي هذا النظم ونشره تحت عنوان : *أصفي الموارد في تهذيب نظم الرحلة الحجازية للوالد*.

لما رجع الشيخ من حجته استمر على حالته السابقة، بين إقامة بالزاوية متفقداً أحوال الفقراء المستقرين والزائرين، وبين سياحات يعملها إلى مختلف ربوع سوس مرشداً وناصحاً ومعلماً وملقناً الورد الدرقاوي. كما أنه في هذه المرحلة تزوج بزوجته الأخرى كانت ثانيتهما هي رقية بنت شيخه محمد ابن العربي الأوزي التي قامت بتعليم البنات والنساء بالدار.

تعد هذه المرحلة أخصب مراحل حياة المترجم ففيها تم تألُّق نجمه، وذبوع صيته، فكثرت أتباعه، وانتشرت الطريقة على يديه انتشاراً واسعاً. وألف عدداً من الكتب ذكرها ابنه محمد المختار السوسي هكذا :

- ترجمة ريع العبادات من مجموع الشيخ الأمير إلى اللسان الشلحي.

- عقد الجمان في آداب الطريق.

- ترجمة الحكم العطائية نظماً باللسان الشلحي.

- المبدئ والمعيد في أخبار الشيخ سيدي سعيد.

- مؤلف في الطب.

- رحلته الحجازية المنظومة.

توفي الشيخ علي الدرقاوي في نهاية سنة 1328 / آخر 1910.

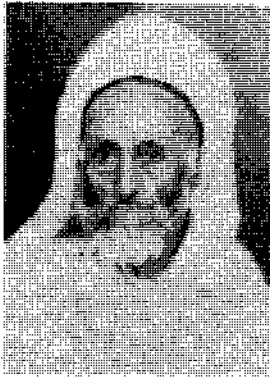
م. المختار السوسي، المعسول، ج 1 : التبريق المداوي في أحوال الشيخ سيدي علي الدرقاوي : الأغراري، روضة الأفتان، نج. حمدي أنوش.

محمد الحقاقي

### الدرقاوي، علي بن الطيب بن الشيخ مولاي

العربي الدرقاوي. ولد بأمجوط ببني زروال، ومات أبوه وهو صغير فانتقل بعد أن حفظ القرآن إلى مدينة فاس ودخلها عام 1301 / 1883 طلباً للعلم، فأخذ عن كبار شيوخ القرويين أمثال الحاج صالح التادلي، وعبد الله بن حمدون بناني فرعون، ومحمد بن التهامي الوزاني وعبد المالك العلوي الضرير، ومحمد بن قاسم القادري، وأحمد ابن الحياط الزكاري وأحمد ابن الجيلالي الأمغاري وغيرهم.

ثم رحل إلى المشرق سنة 1314 / 1896 لأداء فريضة الحج، وأخذ عن أعلام مصر والحرمين الشريفين. وبعد رجوعه استقر بمدينة فاس متصدراً للتدريس، فأخذ عنه جم غفير من الطلبة. ولم يكن يذهب إلى أمجوط لصلة لرحم بأقاربه إلا أيام المواسم التي تقام هناك في فصل الحريف من كل سنة "وقد رزقه الله حلاوة في التدريس وعبارة يقرب بها الفهم لكل طالب كيفما كان، وكان في جل دروسه يختار الأمور العالية... وأعز ما عنده المذاكرة، فكان يذاكر أهل كل فن في فهم، فإذا ذكرت في أي فن تجده كأنه متخصص فيه" (سل النصال).



أدرج علي الدرقاوي في طبقة العلماء بفاس من غير طلب منه، وأسندت إليه الإمامة بأحد مساجد حومة العيون، وكان يعيش باقتصاد من ريع أصول ورثتها عن أبيه وجده. ولما أدخل النظام إلى القرويين عام 1350 / 1931 عُيِّن المترجم له بالقسم الأول الأدبي، فلم يقبل ذلك

إلا بالحاج من أقرانه وطلبته، وبقي قائماً على التدريس داخل النظام إلى ما قبيل وفاته بنحو سبعة أشهر، حيث ذهب إلى مسقط رأسه أمجوط، وكان يحب أن يدفن بين أهله بالقرب من والده، ومكث هناك إلى أن وافته المنية بعد أذان العشاء من يوم الاثنين رابع ذي القعدة عام 1365 / 30 شتبر 1946.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، سل النصال / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 9، 3211، 3213.

محمد حجي

### الدرقاوي، محمد بن عبد الرحمان الحاحي، فقيه

صوفي ينحدر من أسرة مشهورة في قبيلة ايداوتغما الحاحية بدراسة وتدریس العلوم العربية بعد حفظ كتاب الله العزيز. بعثه عمه القاضي مبارك إلى سوس لينهل من حياض العلم والتصوف والأدب عند فطاحل علمائه المشهورين آنذاك أمثال محمد بن العربي الأوزي الذي أخذ عليه علوم اللغة والفقه والتفسير والتصوف، كما أخذ عن قطب عصره السيد الحاج الحسين بن مبارك التمدوزتي التربية الصوفية سلوكاً وكان يستعين به عند ترجمته للشيخ (خليل) إلى الأمازيغية لتكوين المريدین، وعندما عاد الفقيه الصوفي محمد بن عبد الرحمان إلى قبيلته ايداوتغما الحاحية تصدر للتدريس والإفتاء، وفض الخصومات بين الناس وتلقين المريدین الطريقة الدرقاوية الصوفية التي اشتهر بالنسب إليها، فاستكتبه القائد سعيد الكيلولي بتمنار واتخذة مستشاره في حله وترحاله واصطحبه في غزوه لسوس إلى تزینت، كما أرسله القائد سعيد الكيلولي نيابة عنه في حركة أحمد الهيبية إلى مراكش (1331 / 1912).

وبعد عودته من حركة أحمد الهيبية تفرغ للتدريس وتربية المريدین تربية صوفية على الطريقة الدرقاوية. ومازالت رسائله متداولة بين المهتمين العارفين بقيمتها الفنية، وتمتاز بجودة الخط وجزالة اللفظ والإيجاز في التعبير كما في النماذج المتوفرة لدينا وقد لزم الفقيه محمد ابن عبد الرحمان مدرسة قبيلة أيت أمر العلمية طيلة العقد الأخير من حياته ونال حظوة لدى رئيسها سعيد تيكزيرين واشترى أملاكاً بجوار المدرسة فأصبح تامرماً بالسكن، ورزق أولاداً نجباء اشتهرهم السيد الحسين الدرقاوي الذي خلف بدوره عدداً من الأساتذة شاركوا في مختلف أسلاك التعليم الثانوي والعالي مما يدل على أن هذه الأسرة أعطت وما زالت تعطي في ميادين العلم والعرفان، وإن فات رواها أن يؤلفوا الكتب فانهم قد ساهموا في تأليف القلوب والعقول.

م. المختار السوسي، رحلة من الحراء إلى إبلخ، مخطوط، ص. 60 : الحسين بن محمد الدرقاوي، ترجمة الولد في حوالی 24 صفحة، مخطوط.

محمد أيت الحاج

### الدرقاوية (الطريقة -) تأسست في النصف الثاني

من القرن الثاني عشر (18 م) على يد الشيخ محمد العربي بن أحمد بن الحسن الدرقاوي، الشريف الإدريسي المعروف بمولاي العربي الدرقاوي، المولود في قرية بويرج ببني زروال من بلاد جباله سنة 1150 / 1737.

تستمد الطريقة الدرقاوية مبادئها من تعاليم الإمام الشاذلي. وقد تلقى مولاي العربي الدرقاوي، علم التصوف على يد شيوخ عديدين، معتمده منهم الصوفي الكبير مولاي علي بن عبد الرحمان العمراني الفاسي، المدعو الجمل، المشهور بسعة إطلاعه وحميد خصاله والمتوفى بفاس سنة 1239 / 1823.

نالت الطريقة الدرقاوية نجاحاً باهرافى مختلف الأوساط في الحواضر والبادي على السواء، وعلى الخصوص في القبائل البربرية، وأخذت تنتشر على حساب الطريقة الناصرية التي ظل الإقبال عليها شديداً طيلة أزيد من قرن كامل. وانخرط في الطريقة الدرقاوية عدد كبير من الناس من المغرب ومن الأقاليم الجزائرية التي كانت خاضعة لسلطة البايات الأتراك. وأخذت أفواج الأتباع تتوافد على بويرج لتلقي الورد من مولاي العربي الولي المجيد. وكان من بين الأتباع أشخاص صلحاء أذكيا، يتحرقون شوقاً ليصبحوا بدورهم شيوخاً، فكانوا حينما يعودون إلى ديارهم يؤسسون زوايا تابعة لزواوية بويرج الأم.

كان مولاي العربي قد عين قبل وفاته أصغر أبنائه وهو مولاي الطيب ليخلفه على رأس الطريقة الدرقاوية. وقضى مولاي الطيب حياة هادئة محترماً من الجميع ومتجنباً كل ما من شأنه أن يقلق بال المخزن إلى أن توفي سنة 1287 / 1870 فخلفه على رأس الزاوية الدرقاوية ابنه عبد الرحمن ثم محمد بن عبد الرحمن ثم ابنه أبو بكر.

تفرعت عن الطريقة الدرقاوية طرق كثيرة أسسها مريدو الشيخ مولاي العربي الدرقاوي الآخذون عنه مباشرة أو بواسطة، وأشهرها :

• الطريقة الدرقاوية البدوية بفاس، أسسها الشيخ أحمد البدوي زويتن الفاسي (انظر البدوي) وتفرعت عنها بدورها زوايا كثيرة، خاصة بتافيلالت كزاوية كوز، وزاوية رحمة الله، وزاوية إيماسين دادس، وزاوية فركلة، وزاوية كدارة، وزاوية فضل الله.

• الطريقة الدرقاوية البوزيدية أسسها محمد بن أحمد البوزيدي (انظر البوزيدي) بتيكست على حدود بني زيات وبني زرع، ببلاد غمارة. ويعتبر محمد البوزيدي أول من تنلمذ للشيخ مولاي العربي الدرقاوي، ولم يخلف ذرية فأوصى قبل وفاته بربع زاويته للزاوية الأم ببويرج، وأشهر أتباعه الشيخ أحمد بن محمد بن عجيبة من أهل أنجرة وحفيده أحمد بن الحاج عبد القادر بن عجيبة.

• الطريقة الدرقاوية الحراقية أسسها الشيخ محمد بن محمد الحراق بتطوان (انظر الحراق) المشهور بأشعاره



وموشحاته وأزجاله الصوفية التي تتشد بأنغام الطربوع الموسيقية. ولهذه الطريقة زوايا في كثير من المدن المغربية، ومن أشهر أتباعها محمد العربي الدلاتي دفين الدار البيضاء.

• الطريقة الدرقاوية الدباغية بفاس، أسسها الشريف الإدريسي عبد الواحد الدباغ (انظر الدباغ عبد الواحد) من كبار تلامذة الشيخ مولاي العربي الدرقاوي. ومن أشهر أتباع الدباغ الشيخ أبو بكر بناني بالرباط وعبد السلام الفكيكي بفاس، ومحمد المهدي بن محمد ابن القاضي.

• الطريقة الدرقاوية الغمارية بالريف، قام بتأسيس هذا الفرع بتوشكان ببلاد بني منصور في غمارة الحاج أحمد بن عبد المومن الغماري، أحد تلامذة مولاي العربي الدرقاوي. ومن أشهر أتباع هذه الطريقة أحمد أيوب الفاسي شيخ عبد الواحد بناني الفاسي، والحاج محمد الربيع الفاسي شيخ سيدي أحمد بن الحياط الزكاري ومحمد برادة. وكان لسيدي الحاج أحمد بن عبد المومن ولد هو الحاج الصديق توفي بتوشكان سنة 1334 / 1915 وخلفه ولده الحاج محمد الذي كان مقدما للزاوية الدرقاوية بطنجة إلى أن توفي سنة 1936 وخلفه ابنه أحمد بن محمد الصديق.

• الطريقة الدرقاوية الفاسية أسسها الشيخ محمد الفاسي الذي توفي بمكة المكرمة. وهو من تلاميذ الشيخ محمد بن الحسن بن حمزة الظاهر الذي تتلمذ بدوره على الشيخ مولاي العربي الدرقاوي وأسس الطريقة المدكانية.

• الطريقة الدرقاوية الزرهونية أسسها مالك الزرهوني تلميذ مولاي العربي الدرقاوي، وأشهر مرديه محمد بن علي كرمات بزرهون، والحسين الزرهوني الذي استقر بدكالة، والعباشي أبو شمامة بمكناس.

• الطريقة الدرقاوية المهاجية بالجزائر، أسسها الشيخ بوغزة المهاجي الذي تكون علي يده الشريف الكبيني محمد القدور من قبيلة كركر بالمغرب الشرقي. وتتلمذ لهذا الشريف الحاج محمد بن أحمد بن عبد الرحمان الهبيري من عائلة أولاد بوغزة المرابطية القاظنة بضفة وادي كيسر من قبيلة بني خالد ببني يزناسن. وللهبيري أتباع كثيرون بالجزائر، أشهرهم محمد البودالي مؤسس زاوية العيون بالبرانس، وحمو البوزيدي شيخ ابن عليوة مؤسس الزاوية الجديدة بناحية وهران زاوية العليويين. ومحمد بن يلسن التلمساني، شيخ الغوتي التلمساني. وتأسست كذلك في الجزائر فروع أخرى للطريقة الدرقاوية، منها :

زاوية بوشنتوف بن عبد الله.

وزاوية غيلان أحمد ولد عدة من أولاد الأكرود بتيارت

وزاوية ابن إبراهيم الحاج مصطفى بن محمد

وزاوية عبد القادر بن علي بكاشرو

وزاوية محمد بن أحمد الحرشاوي بتلمسان

وزاوية سليمان بن جنان سيدي بلعياص.

• الطريقة الدرقاوية السوسية، أسسها الشيخ سعيد المعدري مقدم زاوية المعدر، والحسن التاموديزتي، والشيخ

علي بن أحمد الدرقاوي والد الشيخ محمد المختار السوسي، ومحمد بن عبد الرحمن الدرقاوي في قبيلته إداوتغما الحاحية، وغيرهم.

• الطريقة الدرقاوية الشياظمية بدكالة، أسسها المقدم محمد الشياظمي بعد رجوعه من فاس إلى مدينة الجديدة حوالي سنة 1293 / 1876 فكان يجتمع بالفقراء الدرقاويين كل مساء في زاوية درب الطويل، وهي من تأسيس الشيخ محمد الزوين العبيدي (ت. 1281 / 1864) فكانت شخصية المقدم محمد الشياظمي القوية والثقة التامة كان يتمتع بهما لدى شيوخ الطائفة الدرقاوية من العوامل التي ساعدت على النهوض بهذه الطريقة، وجعلتها تنتشر في نواحي دكالة انتشاراً واسعاً لم يسبق له مثيل، حتى دُعيت بالطريقة الدرقاوية الشياظمية.

أ. ابن الحياط الزكاري، تقديم رسائل الشيخ مولاي العربي الدرقاوي، ط. حجر فاس 1318؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء 1956؛ سلسلة مدن وقبائل المغرب، الجزء 10، قبائل دكالة؛ م. الشياظمي، تر. الفقيه المقدم سيدي محمد الشياظمي الحاجي السباعي، مخطوط.

G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951.

محمد الشياظمي

**دَرْقَة**، كتلة جبلية تقع شمال تطوان، وهي منتمية إلى

ما كان يعرف بجبال مجسكة الممتدة من جبل موسى شمالا إلى جبل أيشقار أو جبل دَرْسَة المشرف على مدينة تطوان جنوبا، وكتلة الدرقة على العموم هي القسم الهضبي المرتفع (بين 400 و632 م) المتصل من جهة الشمال بكتلة جبل الفتح المهر.

يعود أول علمنا بهذا الاسم إلى ما ذكره أبو عبيد الله البكري في القرن الخامس (11 م) فقد جعل حدوده الجنوبية منتهية بإشراف جبل أيشقار، وهو نفس المكان المعروف حالياً بجبل دَرْسَة (مركز البث لإذاعة تطوان الجهوية). وأشار من جهة أخرى أن جبل درقة متصل ببلاد غمارة، يسكن آخره من غمارة بنو حسين بن نصر. والمسافة بينه وبين مدينة تطاوين لا تتجاوز حسب مصطلحات الوقت "السكة الواحدة". وهو في نظره في غاية الناعة، وتنسبط في أعلاه مسارح واسعة ومروج خصبة للماشية. وفي القرن الخامس (11 م) كان جبل درقة قاعدة بني مرزوق بن عون المصامدة، المستقرين بقرية صدينة، الغنية بالمياه والمزارع.

ويمثل جبل الدرقة القديم على عهد الحماية الفرقة المسماة في السجلات الإدارية بالحوز الصديني، ويبدو أن عدد كوانين الحوز بلغ حوالي سنة 1930 نحو 557 كانون، تمثلها تجمعات قرى العلوية، وبني عمران والكندان وترانتث وسمسة وواد أكلا وجعمايق وصدينة. أما في الوقت الراهن فهي محددة بشريا بقرى العلوية والمسحر وسمسة والواديين

ومرزوقة وأسورور ويني عمران وأبو نزال وفندلاوة وصدينة. ولجبل درقة تاريخ في حركة مقاومة الوجود البرتغالي بسببته منذ استقراره بالمدينة، إذ أنه كان مركز الحملات الجهادية المنطلقة نحو سببته خلال النصف الأول من القرن التاسع الهجري (15 م)، قبل تجديد مدينة تطوان من لدن الأندلسيين المهاجرين بمساعدة باقي قرى مجسكة العليا. فالجبل كان مستقر رئيس المجاهدين عب (عبد الله) محمد المترجم لحركة الجهاد بين 1415 و1420، وهو نفس موطن أحمد بن سلام بن مرزوق الصديني المترجم لغزوات 1429 و1430.

ولجبل الدرقة وأهله فضل أول انتصار بارز على القوات البرتغالية التي قادها العاهل البرتغالي ألفونسو الخامس (1438 . 1483) حين غزا الجبل في مستهل سنة 1464 بنحو ثمانمائة من فرسانه في إطار ما سمي لديهم بحملة بني كوف أو النزعة العسكرية. كان القواد قد أعلنوا للملكهم عن تجمع سكان جبل الدرقة، بمجرد تجاوزهم واد ألبلى إلى قرية العلوية، ولا حظوا إثر ذلك تزايد عددهم كلما تقدموا نحو الداخل. وحينما وصلوا إلى قرية صدينة شعروا بخطر الموقف.

ويشير الإخباري كومنس إيمانس دي زورارا في هذا الصدد إلى الجماعة المغربية التي اقتربت من موكب الملك متظاهرة بالمسألة، وغايتها متر كزة على استطلاع أحوال القوات الغازية. وحينما عرض عليها ألفونسو الخامس

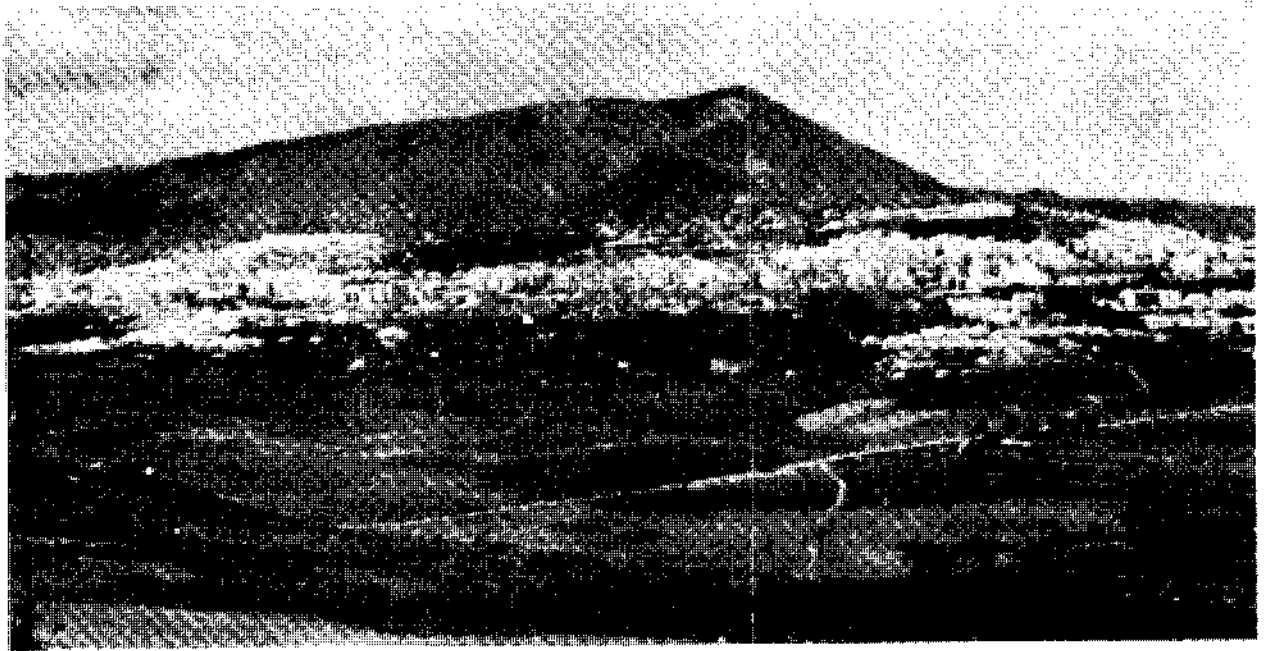
الخصوع أجابت بأنها ستبحث الأمر مع باقي القرى الأخرى. ويستطرد زورارا قائلاً: "وبعد مرور برهة ظهرت جماعة منهم بإزاء قرية صدينة، فقالت أخبروا ملككم أننا لا نريد معه إلا الحرب، ورجالها المرافقون يجذبون شعر لحاهم بأيديهم ثم يضعونها على رؤوسهم، وكأنهم بتلك الإشارة يحلفون بالانتقام في ذلك اليوم لما لحقهم منهم من الظلم وما أصابتهم على يدهم من أضرار".

ولم ينتظر أهل جبل الدرقة كثيراً، إذ أن الفرصة كانت مواتية حينما بدأ الفرسان البرتغاليون في الانحدار على مسالك السفح الجنوبي سيراً في اتجاه مدينة تطوان لقضاء الليلة هناك. فمن بين ثمانمائة فارس المرافقين للعاهل البرتغالي لم ينج منهم سوى النصف. وكانت اللحظة الحاسمة هي التي أوقعت ضون ضوارتي دي منيسيس، حاكم القصر الصغير في قبضة المغاربة، ومقتله أفرغوا من صدورهم أعظم النقم على البرتغاليين. وفي يوم 21 يناير 1464 عاد الملك إلى سببته متحسراً بنصف القوة التي زحف بها.

أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، باريس، 1965 : ح. الفكيكي، مقاومة الوجود الإسباني بالثغور الشمالية المغربية، الرباط، 1991، أطروحة مرقونة.

Azurara, *Cronica de D. Duarte de Meneses ; Geografia de Marruecos, Protectorados y Posesiones de España en Africa*, t. 2, Madrid, 1936

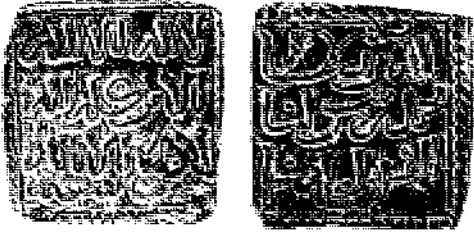
حسن الفكيكي



- جبل درسة المشرف على تطوان وهو من كتلة جبال درقة -

ولما كان وزن القيراط يساوي بين ثلاث حبات وأربع حبات من الشعير مع وجود اختلاف بين أوزان نفس الحبات بسبب اختلاف أحجامها، فقد اتفق جميع فقهاء المذاهب المالكية والحنابلة والشافعية على أن وزن الدرهم الشرعي يساوي خمسين حبة وخمسي حبة من الشعير الوسط (50.4 ح) والدينار 72 حبة، ويختلف عنهم فقهاء الحنفية الذين يجعلون الدرهم سبعين حبة والدينار 100 حبة فكانت الوحدة الأساسية للوزن هي حبة الشعير في الاستعمالات الفقهية. إلى هذا الحد تعتبر المسألة غير ذات إشكال لأن الفقهاء والتجار وغيرهم وقفوا بالوزن عند حدود استعمال حبات الشعير، واتخذوا عبارات وصنوجاً خاصة لمراقبة أوزان الدراهم.

وفي الفترة المعاصرة حينما أراد العالم الإسلامي توظيف وزن الكرام في تحقيق أوزان النقود بدلاً من الاعتماد على وزن حبات الشعير، صادف عسراً شديداً ابتداء من منتصف القرن الثالث عشر (19 م) وقد وقفنا على أن البلاد العربية تستعمل أوزاناً مختلفة للدهرم الشرعي على الرغم من أن الضرورة تدعو المجتمع العربي والإسلامي إلى توحيد مثل هذه المقاييس والأوزان، وخاصة تلك التي تتعلق بها الأحكام الشرعية، ففي مصر - مثلاً - حددت لجنة علمية بأمر محمد علي باشا سنة 1845 أي وزن الدرهم الشرعي في 3.0898 جرام، وفي الجزائر شاع استعمال وزن يساوي 3.125 جرام، وفي تونس استعمل وزن 2975 جرام وفي المغرب استعملت عددة أوزان نذكر منها 2931 جرام، وفي خضم هذه الأوزان المتباينة للدهرم الشرعي حاولنا إيجاد حل لهذا التباين والارتباك الحاصل في عدد من الوثائق والوقائع.



درهم موحد مربع الشكل ضرب بسبته

وقبل ذلك قمنا بوزن عينات من الدراهم الشرعية المنتمية لعدة عهود من مجموعات نقدية مختلفة باستعمال أحدث الموازين الإلكترونية، وكانت النتيجة غير ذات قيمة لأن المسكوكات القديمة لم تتوفر لها الدقة المتناهية في الوزن وإن أي قطعة لا تحافظ على وزنها الأصلي بسبب النقص أثناء التداول - كما أخضعنا عدداً من أصناف حبات الشعير للوزن لمجرد الاستئناس.

**الدرهم**، قطعة فضية معلومة الوزن تسلسل استعمالها في عهود الرومان البيزنطيين والفرس الساسانيين. وفي صدر الإسلام وقع تحقيق وزنها بناء على إصلاح الخليفة عمر بن الخطاب ومن بعده إصلاح عبد الملك ابن مروان الأموي لوجود نوعين من الدراهم الكبيرة والصغيرة من ثمانية دوانق وأربعة دوانق، واتخذ الدرهم الشرعي أوسطها من ستة دوانق، وتساوي خمسة عشر قيراطاً، وحُد القيراط بعدد من حبات الشعير، كما وقع تحديد العلاقة بين الدرهم الفضي والدينار الذهبي في هذا الإصلاح بكون "الدرهم يزن سبعة أعشار الدينار" ونعود لتوضيح مضمون هذا الإصلاح في إطار الدرهم المغربي لاحقاً.

وقد بدأ المغاربة يستعملون الدرهم وبقية النقود الإسلامية منذ مجيء الطلائع الأولى للفتح الإسلامي في منتصف القرن الأول للهجرة (7 م) سواء منها المسكوكات الأموية المصروية في الشرق أو المسكوكات التي ضربها ولا تُهم بطنجة والأندلس، ثم بعد ذلك استعملوا الدرهم في مسكوكات الدول المغربية بدءاً من الدولة الإدريسية وسائر الدول المتعاقبة على عرش المغرب إلى اليوم، بما تخلل ذلك من استعمال نقود الدول الأجنبية ومعادلتها بالدرهم والمثقال والدينار.

إن تعدد السكك وتداخلها واختلافها في الوزن والصفة والعيار جعل وزن الدرهم يعرف تضارباً في الزمان والمكان، بالنقص والزيادة في وزنه مما جعل سلاطين الدول المغربية يسعون دائماً إلى إصلاح هذا الوزن وتحسين هيئته وصفاء فضته.

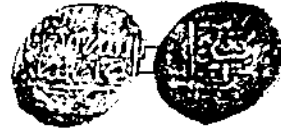
ومعلوم أن ارتباط قيمة النقود المعدنية بوزنها تعتبر قاعدة قديمة للعملة لأن المعادن النفيسة، خاصة الذهب والفضة، تحمل قيمتها في ذاتها. فالوزن أساس في تحديد القيم.

كان تحديد الدرهم والدينار من حيث الوزن مسألة خصصها الفقه الإسلامي باهتمام بالغ نتيجة اتخاذها وسيلة للتبادل من جهة، وارتباطها بالأحكام الشرعية وأداء الحقوق مثل الزكاة والدية والصدقات والكفارة وغيرها، فاستوعب من أجل ذلك مجال الوزن نقاشاً واسعاً بين الباحثين.

وكان تحديد وزن الدرهم - كما أسلفنا - يساوي ستة دوانق أو خمسة عشر قيراطاً، فالدانق من اللغة الفارسية وهو سدس الدرهم، والقيراط من اللغة اليونانية من وحدات الوزن وهو جزء من 24 جزءاً من أي كتلة معدنية. وكانت العلاقة بين الدرهم والدينار بحيث يزن الدرهم 15 قيراطاً والدينار 22 قيراطاً، فالعلاقة بين 15 و22 هي نفسها التي وقع تحديدها من قبل الفقهاء بأن "الدرهم يزن سبعة أعشار الدينار".

ولما كان الأمر يتعلق بالنقود المغربية فقد عمدنا إلى ترجيح وزن الدرهم الشرعي الحسني الذي حققه السلطان مولاي الحسن أثناء إصلاح النقدي سنة 1298 / 1881 حققه بناء على مبدأ الإسناد، حيث اعتمد على الوزن الشرعي المتسلسل بالإسناد عن وزن السلطان محمد بن عبد الله في إصلاحه لسنة 1766 عن وزن السلطان مولاي إسماعيل عن وزن درهم الشرفاء السعديين عن وزن السلاطين المرينيين وغيرهم من ملوك دول المغرب. ويتأكد هذا في الظهير الحسني الصادر لمحمد برقاش (الإتحاف، ج. 2، ص. 431) وقد صمم المهندسون والصاغة المغاربة بناء على هذا الإسناد "أمثلة" أولى للوزن المحقق، وما أن بدأت دار السكة في باريس تضرب القطع الأولى من النقود المغربية سنة 1881 ووصلت الدفعة الأولى من الدراهم الجديدة حتى اكتشف الأمانة خطأ تقنيا يتعلق بفساد وزن النماذج الأولى لأسباب لم تفسح عنها الوثائق، فتوقف الإصدار فوراً وجمع السلطان العديد من كبار الفقهاء والقضاة والأمناء والصاغة لتصحيح الوزن الشرعي وإصلاح النماذج الفاسدة، فصنعوا الدرهم الشرعي المحقق بكميات كبيرة أرسل منها السلطان 120 نسخة لمحمد برقاش بطنجة وعلى أساسها ضبط وزن الدرهم المغربي بدار السكة بباريس بما توفر له من هائل ضبط الوزن الحقيقي البالغ : 2,9116 غ، وقد تتبعنا كيف وقع الاعتماد على هذا الوزن والالتزام به بالمغرب بصرامة من خلال مراقبة الأمناء للسكك التي ترد من باريس، وفحص حسابات لوائح المراقبة، وكذلك بفحص القطع المضروبة بدار السكة في مأكينة فاس، وقد التزم بهذا الوزن جميع الكتاب الأوروبيين الذين أرحوا للنقود المغربية، أمثال سيدبون Sidbon وميشوبيليس Michaux-Bellaire ومارتي Marty ودنيل أسطاش D. Eustache.

ولقد تمكنا بفضل الوزن الشرعي للدرهم الحسني وهو (2,9116 غ) من تحديد ثلاثة عناصر أخرى تعتبر ضرورية لمعالجة الجوانب المهمة من المنظومة النقدية حيث استنتجنا منه بالطرق الرياضية وزن القيراط = 01941 غ ووزن حبة

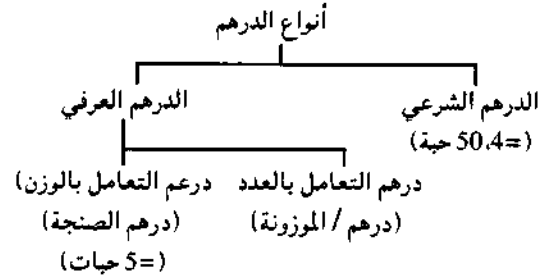


الدرهم الاسماعيلي

الشعير المتوسط = 005777، ووزن حبة الشعير المحلية (السوسية) = 004412 غ (النقود المغربية في القرن الثامن عشر، ص. 13)، وعلى أساس هذه الأوزان أمكن حل كثير من مبهمات النصوص والوثائق.

ومن الوجهة التاريخية استعمل المغاربة الدرهم وحدة أساسية للعملة المغربية منذ عهد الأدارسة عبر عهود الدول التي تعاقبت على عرش المغرب. وابتدع الموحدون الشكل الهندسي المتميز "الدرهم المربع" كما ابتدعوا أوزاناً نقدية مخالفة للأوزان المعروفة بالغرب الإسلامي، وعرف المغرب منذ هذا العهد، أنواعاً من الدراهم من حيث الوزن، واستمر شكل الدرهم المربع إلى أن ألغاه السلطان مولاي رشيد العلوي في إصلاحه النقدي سنة 1666. أما من حيث الوزن فقد خضع الدرهم لتغييرات كبيرة خلال المراحل التاريخية، ففي العهد المريني عُرِفَت الدراهم الكبيرة والصغيرة أو الدراهم الشرعية والعرفية حتى لم يعد الدرهم وحدة للعملة في مجال الحسابات النقدية الفضية، وتخلف عن العهد السعدي استعمال المثقال وبالخصوص "المثقال الأحمدي" المنسوب لأحمد المنصور الذهبي من 2000 حبة والدرهم الأحمدي من 5 حبات. ومنذ العهد العلوي، وإن كان الدرهم الشرعي يحظى بإصلاحات أهمها في عهد السلطان مولاي رشيد. 1666 وفي عهد السلطان محمد بن عبد الله 1766 وفي عهد السلطان مولاي الحسن 1881، فالوحدة الأساسية المستعملة هي المثقال الفضي من عشرة دراهم شرعية، ومنذ إصلاح 1766، لم تعرّف سجلات المخزن في مختلف الحسابات إلا هذه المثاقيل مصروفة بالأواقي والموزونات والفلس النحاسية، واستمر استعمال وحدة المثقال إلى نهاية القرن التاسع عشر. وقد تعرض الدرهم في هذه الحقب إلى اختلاف هائل في الوزن والصفة والعيار ممّا جعل التجار والفقهاء والقضاة منذ القرن التاسع (15 م) يعتمدون على الوزن لفض النزاعات بين الناس في جميع السكك، فكان الدرهم يدعى درهم التعامل أو درهم العرف، أو الدرهم الصغير أو درهم الموزونة أو الدرهم المنسوب : مثل الدرهم الأحمدي والدرهم الرحماني وأحياناً يقال درهم تاريخه كل ذلك لأنه أقل وزناً من الدرهم الشرعي الذي يوصف بأنه الدرهم الكبير أحياناً أو درهم الكيل أو درهم السنة وهو قليل. ويلخص عمر الكرسيفي أسباب هذا الاختلاف بقوله "إن درهم التعامل بالبيع والشراء في الأسواق (...) غير محصور بحد، فمنه صغير وكبير ومتوسط، وسبب ذلك اختلاف أغراض الأمراء ومقاصدهم، (...) وضاربي السكة في ذلك" مما يتعلق ببعض أسبابه الأخرى بقله المعادن النقدية وخاصة الفضة. وقد عرف المغرب نوعين من الدراهم : الدرهم الشرعي

والدرهم العرفي، وكان الدرهم العرفي أودرهم التعامل ينقسم إلى قسمين درهم التعامل بالعدد ودرهم التعامل بالوزن. كما يوضح الجدول التالي :



وقد استعملت كلمة الموزونة الفضية والقصد منها في الأصل هو ربع الدرهم الشرعي، ثم أصبحت تطلق كل قطعة فضية تنقص عن وزن الدرهم الشرعي، وبقيت كذلك إلى أن قام السلطان مولاي الحسن بجعل الموزونة عبارة عن قطعة نحاسية تساوي جزءاً واحداً من مائة جزء من الفرنك الفرنسي في بداية القرن العشرين في عهد السلطان مولاي عبد العزيز حيث يساوي المثقال المغربي 500 سنتيماً قياساً على الريال الفرنسي من خمس فرنكات.



الدرهم الحسني وربعه (الموزونة)

والتطورات الأخرى التي عرفها الدرهم المغربي الذي بقي مستعملاً كوحدة أساسية للعملة بعد الإصلاح الحسني 1881، وفي عهد الحماية استعملت العملة الفضية التي ضُربت في العهود الحسنية والعزيرية والحفيظية، وكان الدرهم قد غلب عليه اسم "البيسطة الحسنية" في تقدير صرف العملات لدى الأبنك الأجنبية لارتباطه بالريال الإسباني قبل الحماية.

ومنذ تأسيس البنك المخزني المنبثق عن مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 وقع ربط الدرهم برأسمال البلدان المتمثلة في المؤتمر المذكور، وبما أن إدارة البنك المخزني عهد بتسييرها إلى بنك باريس والبلاد المنخفضة، فأنشأ فروعاً في طنجة والدار البيضاء والصويرة وسك نقوداً سنة 1911. وفي بداية الحماية عرفت الفضة ارتفاعاً حاداً تضاعفت أثمانه نتيجة اندلاع الحرب العالمية الأولى مما جعل سلطة الحماية بالمغرب

تسحب العملة الحسنية الفضية من التبادل نهائياً وأصدرت ظهير 19 مارس 1920 بإلغاء الدرهم المغربي وإحلال الفرنك المغربي كله ابتداءً من دجنبر 1921 واستمر خلال فترة الحماية إلى ما بعد الاستقلال حيث تم التصريح لصندوق النقد الدولي بالوحدة النقدية الجديدة وهي الدرهم في أكتوبر سنة 1959. وفي سنة 1960 وعلى أساس الوحدة النقدية "الدرهم" وضع الإطار التأسيسي للسياسة النقدية المغربية المعاصرة. وتعززت سيادة المغرب وخاصة بعد تأسيس دار السكة المباشرة لعمليات الإصدار بوضاحة مدينة سلا سنة 1987. وعرف الدرهم المغربي من الناحية الاقتصادية والمالية عدة تطورات خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين.

الكرملي أنطاس، النقود العربية والإسلامية وعلم النميات، ط 2، القاهرة، 1987؛ حلاق حسان علي، تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، بيروت، 1978؛ حول تاريخ النقود المغربية في عهد المرابطين والموحدين والمرينيين، مجلة كلية الآداب، الرباط، عدد 23 سنة 1999، ص. 109، 230؛ ع. أفا، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر، أكادير، 1988؛ النقود المغربية في القرن الثامن عشر، الدار البيضاء، 1993؛ ملاح من تطور المخط المغربي من خلال الكتابة على النقود، مجلة كلية الآداب بالرباط، عدد 18 سنة 1993؛ ابن الرفعة نجم الدين الأنصاري، الإيضاح والتمييز في معرفة المكيال والميزان، دمشق، 1980؛ ع. الكورسي، رسالة في تحرير السكك المغربية في القرون الأخيرة، ملحق كتاب النقود المغربية في القرن الثامن عشر؛ رسالة في تحقيق أوزان النقود بسوس، ملحق بكتاب النقود المغربية في القرن الثامن عشر؛ ابن جزري، القوانين الفقهية، الرباط، 1962؛ لومبا رموريس، الإسلام في مجده الأول، تر. إسماعيل العربي، الدار البيضاء، 1990.

Banque du Maroc, *Caractéristiques des monnaies marocaines en argent frappées entre 1881 - 1920* (ronéotypé) ; Sidbon, B. B., *La question monétaire au Maroc*, Paris, 1921 ; Michaux-Bellaire, *Les crises monétaires au Maroc*, R.M.M., vol. 38, mars 1920 ; Marty J. André, *Le franc marocain*, Paris, 1951 ; D. Eustache, *Corpus des monnaies alawites*, Rabat 1884 ; *Corpus des dirhams idrisites et contemporains*, Rabat, 1970 ; *Etudes numismatiques et de metrologie musulmanes H.T.*, vol. 10, fasc. 1 - 2, 1969 ; *Histoire de la monnaie et sa metrologie*, Rabat 1970 ; J.D. Brethes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, Casablanca, 1939 ; H. Lavoix, *Catalogues de monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale*, Paris, 1891, T. II, III ; J. Mazard, *Corpus nummorum numidiae mauretanicque*, Paris, 1955 ; Hassane Housni Abdul - Wahab, *Un témoin de la conquête arabe de l'Espagne*, Revue de l'Institut de Cartage, 1932, p. 145.

عمر أفا

**الدرهم**، أو الدرهم احماذ الباعمراني، يعرف بالسي احماذ الدرهم.

يعود سبب حرصنا على جرد أهم محطات هذه الشخصية المتميزة بسلسلة جبال أيت باعمران والصحراء الأطلسية إلى سببين أساسيين : أولهما إقرار الفاعلين الدينيين بقيمة السي احماذ التاريخية كأكبر وجه للجهاد خلال القرن العشرين بهذه المنطقة بعد الشيخ ماء العينين. ثانيهما تشبث الفاعلين السياسيين وقدماء جيش التحرير بضرورة اعتباره نموذج المقاوم الذي سخر حياته لمحاربة الوجود الفرنسي والإسباني.

إذا كان مفهوم الجهاد حسب المبادئ الفقهية يختلف شكلا ومضمونا عن مفهوم المقاومة كما تحدده سوسولوجيا المجابهة السياسية والحربية، فإننا نكون أمام مشكل نظري يزيد من القيمة المخترية لهذه الشخصية ويجعلها مرجعاً للمهتمين بتحديد المفاهيم في هذا المضمار. لقد أوضحنا غير ما مرة أن الجهاد والمقاومة مفهومان يختلفان لفظاً ومعنى (م. ناسمي، مفهوم الجهاد والمقاومة، المقاومة المغربية 1904 - 1935، أكادير، 52 - 60). وهو سبب كافٍ للالتكباب على خصوصيات الأسباب الحقيقية التي جعلت من السي احماذ ذاتية متميزة ارتبطت في ممارستها بكل الفاعلين الدينيين والمقاومين على اختلافهم إلى أن خرجت الدولة الإسبانية من الصحراء سنة 1974. فمن يكون السي احماذ ؟ وهل استطاع إرساء نهج جديد وأسلوب يجمع بين الجهاد كمرابطة دينية يومية بمعناها ولفظها والمقاومة كمبرر سياسي دينوي يستهدف التسيير والإدارة بعد طرد الاستعمار ؟

للإجابة عن السؤالين لا بد في البداية من التعريف بالمؤهلات النظرية التي كونت شخصية السي احماذ طفلاً وثبتت مساره رجلاً. ولكي نبدأ بانعكاسات بيئته ومجتمعه على تربيته الأولى، يجب أن ننطلق بما يكفي من التفصيل من الهيكل المجتمعي أبا مكحول أيت اعلي حيث ولد سنة 1327 (1909).

ما يميز سلسلة جبال أيت باعمران على الساحل الأطلسي شمال الصحراء هو موقعها القريب من جزر كناريا. أهمية الموقع هذه تجعل منه مجالاً أصح ما يكون للتحصينات الجبلية المنيعه. هذا ما يفسر تهافت مجاهدي الغور السكاني الجزولي اللمطي الكوشي على التمرکز بقم أيت باعمران. شأنهم في ذلك شأن المد الإسباني الذي سعى منذ القرن التاسع (15 م) لتحصين مواقعه. وبذلك تكون هذه السلسلة الجبلية قد شكلت جبهة متقدمة لاصطدام الجهاد بالمد الصليبي وفي نفس الوقت قساعة لتسرب الحملات الإسبانية نحو مسدن وقري وادي نون وباني وتمنارت. يتجلى بذلك دور مراقبة أيت باعمران في حصر الدلالة الفعلية لفصائل ووحدات سخرت نفسها للمجابهة والجهاد. لا أدل على ذلك من كون جل الأولياء والصلحاء المدفونين على امتداد جبال أيت باعمران والصحراء ينتمون إما إلى أيت يعزى أهدّي (العلامة، 2: 517، 518) أو إلى

أولاد بو السبع أو رگراگة. هذه القبائل كانت تمثل خلال القرن العاشر (16 م) رموزاً للمرابطة الدينية المسلحة انطلاقاً من حوز مراكش في اتجاه رياطي وأسفي والبريجة وغيرهما من جهات مواجهة المد الصليبي. كان الفقه التقليدي يعالج يومها موضوع الجهاد كمنهج وسلوك معياريين سائدين يحثان على اتباع أساليب تحالفية لصيقة بمدى تجانس الوحدات والفصائل السلالية. نكون من هذا المنطلق قد وصلنا إلى نوعية العلاقة التي تربط أسلاف السي احماذ بمجاهدي أيت باعمران.

إذا نحن حاولنا دراسة السلوك المميز لشخصية السي احماذ وجدناه ينتمي إلى فصيلة إيد وارحمان المقيمين بتالوست - ن - أيت أيوب بأيت باعمران. وإذا نحن تسائلنا عن من يكون احماذ وارحمان الجد الفعلي للفصيلة، فإن الوثائق العائلية تكشف عن قدومه من زاوية عبد الله بن ساسي السباعي بحوز مراكش في فترة تنحصر في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري. وسيلتنا الوحيدة للتأكد من صلاحية هذه المقولة هي أقدم وثيقة يتوفر عليها إيد وارحمان المؤرخة بسنة 1077 (1666). نقرأ خلالها أن أبقير عيسى بن احماذ وارحمان الأيوبي الباعمراني قد اشترى قطعة أرضية مسقية تندرج في سياق توزيع تركة فاطمة بنت محمد الهشتوكي. فتتساءل إلى أي مدى لعبت هنا قاعدة السكنى مع الأخوال والمصاهرة في تحديد علاقة حفيد احماذ وارحمان هذا بأيت أيوب ؟

جواباً على هذا السؤال، تثبت وثيقة مزامنة اقتسام أبقير عيسى وأخويه اللود واحماذ وأختهم تركة المسماة فاطمة بنت محمد الهشتوكية. مهما يكن من أمر علاقة هؤلاء الورثة بهذه المورثة، فإننا نتأكد بتلك الوثيقة من قدرة احماذ وارحمان وأبنائه على تجنيد قدراتهم التحالفية وإمكاناتهم الذاتية في تحصيل قطع مسقية بعين المكان منذ القرن الحادي عشر (17 م). فتتساءل إلى أي مدى لعبت قاعدة السكنى مع الأصهار في تحديد انتماء أبناء احماذ وارحمان إلى فصيلة أيت أيوب ؟ ما يشد الانتباه هنا هو دور قواعد السكنى مع الأصهار في تحديد قواعد الانتماء القبلي. على أن المركز الاجتماعي لأبقير عيسى ونوعية الوظيفة التي كانت تميزه اجتماعياً تبدو أنها سهلت بشكل حاسم اندماجه في أيت أيوب. فما هي هذه الوظيفة ؟

إذا نحن ركزنا على دور زاوية عبد الله بن ساسي على المستويين السياسي والديني وعلى دور السباعيين و رگراگة في مجابهة المد الصليبي بدعم من قطبي سوس سيدي احماذ أوموسي وسيدي امحمد أو ابراهيم الشيخ، نكون قد وصلنا عملياً إلى الأسباب التي هيأت اندماج أبقير عيسى السريع في أيت أيوب. ذلك أن الرواية الشفوية المحلية تنسب أبناء احماذ وارحمان إلى هؤلاء السباعيين الذين ما تزال كثرة قبورهم على امتداد سلسلة جبال أيت باعمران مدعاة للتبجيل والاحترام. تفيض الرواية الشفوية في

وجوب اعتبار أفقير عيسى وجهها صوفياً يتجلى دوره الأساسي في كل ما تحيط به الممارسات المحلية من قدسية. فما تزال خلوته وبيته وقبره وموسمه السنوي المصادف لموسم سيدي احمد أو موسى كل صيف بتازروالت، تمثل دلالات واضحة على حجم ممارساته الصوفية. هذا المعطى الوظيفي يكشف بما لا يدع مجالاً للشك أهمية العامل الديني في دمج أبناء احمد وارحمان في فصيلة أيت أيوب.

يصح بإمكاننا نهج مقارنة استنباطية حول مغزى شراء أفقير عيسى قطعتين أرضيتين مسقيتين بتالوست. من شأن هذا السؤال أن يقودنا إلى العوامل التي أهلت أبناء محماد وعمرو ومحمد وإبراهيم ومرم لتصدر الوظيفتين الدينية والاجتماعية بعد وفاة أبيهم. ذلك أن لدينا ما يكفي من الأدلة الموثقة التي تثبت أن عمرو قد جسد امتداداً فعلياً لموروث أبيه القيمي في مجتمع لم يعد في حاجة ماسة إلى صد الهجمات الإيبيرية. كما أن لدينا ما يكفي من أدلة الإثبات للتأكد من دور إبراهيم وامحمد في توسيع دائرة ممتلكات إيد وارحمان من حيازة للقطع المسقية. من هذا المنطلق تبدو حيازة الأراضي أكثر فاعلية للاستجابة لمتطلبات الانسجام بين الزاوية ومستلزماتها.

إذا ما نحن اقتصرنا على الوثائق العائلية، فإن مسعى أبناء أفقير عيسى وخاصة منهم إبراهيم، يتمثل في استقلالهم مجال محدد بتراب تالوست. ذلك أن الانطلاق من وحدة مجالية يبدو ضرورياً لتحقيق الانسجام بين الممارسة الدينية ومستلزماتها المادية. فنكون بذلك قد وقفنا على دور العامل الصوفي في تأسيس خلية تتمتع بحيازة قدر من القطع الأرضية موروثية أو مشتراة. هذا ما نستخلصه من وثائق إبراهيم بن أفقير عيسى ابتداءً من سنة 1113 / 1701. هذه التبعنة ستجعل من المرباط سيدي علي بن إبراهيم بن أفقير عيسى نموذجاً للسلطة المحلية التي تحولت تدريجياً إلى سلطة تجمع الدين والدنيا. فعلاوة عن امتنانه للقضاء، نجد بمثابة سلطة مرجعية من المنظورين الاقتصادي والاجتماعي. ذلك أن عدد رسوم تملكه الأراضي البورية والمسقية يضاف إلى مقولة سائدة تجعل منه مشتري الأراضي الشاسعة الممتدة من كدية الحجل بقم فست إلى أساكا. فتتجلى بذلك ممارسته كتمفصل لأشكال مجالية فرعية متزايدة من الهيمنة السياسية والاقتصادية طبعت تاريخ أيت أيوب. من هذا المنطلق تبدو مصاهرة المرباط سيدي علي لكبير إزرگين حمو سعيد قائد المولى إسماعيل على حامية تكنة المتوجهة يومها إلى إمارة الترازة قصد حماية علي شندورة بمثابة كشف لأهميته السياسية بجبال أيت باعمران. تزوج المرباط سيدي علي من الزهرة أو سعيد التي كانت تقيم مع باقي أفراک إزرگين المقيمين يومها بازربولة وأزرولت وأوريورة قريباً من قم فست وأساكا. وبذلك يكون المرباط سيدي علي قد عمل على ترخيص أسس الصورة الفعلية للعلاقات بين إيد

وارحمان وحلفائهم من تكنة. كانت فصائل إزرگين تمثل يومها قسماً هاماً من أيت بوليد أزواقيط. وهو ما سهل على المرباط سيدي علي مهمة الظهور بمظهر الحليف الفعلي لجيرانه ووسيطهم لدى أيت باعمران. كان منطلقه في صياغة علاقة التحالف هو مبدأ التعايش والتساكن كما تدل على ذلك وفرة المشاكل التي أسهم في حلها كتابة. فالوثائق تفترض حداً أدنى من الانضباط والتسامح المتبادلة بينه وبين المتداعين لديه.

ذلك كان التزام المرباط سيدي علي أو إبراهيم بمجموعة من الأعراف والاتفاقيات الضمنية التي تنظم وتؤطر الحركة الاجتماعية بتالوست. أما الضوابط التي كانت تتحكم يومها في العلاقات داخل إيد وارحمان، فأهمها نمط السلوك القرابي الذي يقتضي: أ - أفضلية الزواج من ابنة العم أو بنت ابن العم. ب - تمرير الإرث إلى أحد أبناء العم كرئيس متميز لإيدوارحمان.

تنقلنا إحدى الوثائق المؤرخة بتاريخ 7 ذي الحجة 1242 / 14 - 7 - 1827 إلى وضعية خاصة تجعل من الفقير احمد مصدرأ لبيع الزرع بالسلف. وهي مرحلة جديدة يدخل على إثرها الفقير احمد في توجه يجعل منه مروج للسلفات المربحة. هذا التوجه التجاري سيزيد من أهمية الفقير احمد الاجتماعية والسياسية. يؤكد ذلك ما نقرأه في وثيقة مؤرخة بتاريخ 11 ربيع الثاني 1244 / 24 - 11 - 1825. فقد أخذت بعض العائلات تلتجئ إلى الفقير احمد كوكيل لكي يقوم مقامها وبدلاً عنها حتى تسترجع ما ضاع من إرثها معتبرة إياه كتابة بمثابة ولي أمرها. بل وتزيد الوثيقة لتؤكد أن هذه العائلة قد كلفت "تكلفة صحيحة تامة عامة تجمع أبواب الوكالة كلها على الإطلاق من المخاصمة والمحكمة وعلى الإقرار والإنكار واليمين إن وجب والصلح إن ظهر وقلب اليمين إن أمكن ..."

تكم أهمية هذه الوثيقة في معالجتها بما يكفي من النواحي لدور الفقير احمد على المدى الطويل من حيث هو كسلطة مرجعية من المنظورين الاجتماعي والسياسي علاوة عن دوره الاقتصادي. والوثيقة تعكس سعة معارفه القضائية وقدرته على تناول قواعد المعاملات بما فيها الطارئة. إن اعتباره الشخص القيم على الشؤون الشرعية والمسؤول لنصوصها ترسم طريقاً معلوماً يجعل منه القادر الفعلي على تكييف الأحكام الشرعية مع النوازل الطارئة تعاملاً يحكمه التحدي الذي يفرزه الاجتماع البشري في هذه الحقبة بالذات.

توفي أفقير احمد بن عبد الرحمان بن المرباط سيدي علي في حركة (معركة) 1847 بعد أن تزوج عدداً من النساء. مخلفاً من اثنتين منهن الجدود الحقيقيين لإيدوارحمان الحاليين. فقد استند إلى واقع أسرته المندثرة بفعل الأمراض والأوبئة، مريباً أبنائه انطلاقاً من موروثه الاجتماعي والأخلاقي الذي يقتضي الجمع بين علمي الظاهر والباطن

واكتناز ما تأتي من الأموال. وهي منهجية تترجم فهمًا صحيحًا لما كان يتوخاه المرابط سيدي علي. هذه المنهجية تبدو واقعية بما فيه الكفاية إذ تحقق التوازن بين المطالب الروحية والدينية والمادية وتزكي المرتبة الاجتماعية والسياسية للفصيلة. لم يعد الزواج الداخلي أمراً ممكناً ولا الارتباط بالسلوك القرايبي القديم يفلح في تثبيت دعائم الفصيلة وفق المنظومة التطورية المتنامية. الجديد في هذه المرحلة هو ضرورة اعتماد التحالفات المحلية مع مختلف الفصائل كمنهجية لترصيص دعائم البنيان العائلي على جميع الأصعدة والمستويات.

هكذا تكونت من جديد نواة إيدوارحمان مقيمة علاقة عن طريق الزواج والمصاهرة. وجهت اهتمامها إلى سعة معارفها الفقهية والاجتماعية لترسم طرفاً أشبه ما تكون بتلك التي أتقنها أسلافهم بعين المكان. ونكون بذلك قد وصلنا إلى السي احمد كنموذج محلي يلخص تجربة أسلافه البعيدين منهم والقريبين. فمن يكون السي احمد بن علي ابن إبراهيم بن أفقر احمد ؟

لا يختلف اثنان من الذين يعرفون السي احمد في أنه من الوجوه التاريخية التي يحق لنا أن نوليها ما تستحقه من العناية والاعتبار. فقد تجلّى السي احمد كرمز من رموز الجهاد ومجابهة الوجود الإسباني بالصحراء وأيت باعمران. وتحديدًا فإنه يعد في نظر رجالات التحرير أكبر وجه للجهاد الديني المقدس ضد المد الإسباني خلال فترة ما بعد عشرينيات القرن العشرين.

إذا ما نحن حاولنا التأمل في مواقفه الجهادية من خلال مذكراته الهامة، وجدناه يبدأ مسيرته الذاتية بسرد نوعية الصراعات التي كانت تربطه بالوجود الإسباني. فبدل أن ينطلق من سرد تاريخ أسرته الديني والتجاري والسياسي، نجده ينطلق من استشهادات موثقة حول صراعاته مع الإسبان بترقية ابتداءً من سنة 1933. فهو يذكرنا بسلسلة أحداث أدت إلى اضطرابات يطلعنا على تفاصيلها وجزئياتها شكلاً ومضموناً. كما نجده حاضراً في جوهر الصراعات التي واجهه من خلالها أيت باعمران الدخول الفرنسي سنة 1934 حين استعمل الطيران لمواجهة المجاهدين برقية تيزي. يسجل في عبارات أخاذة المأل الذي آلت إليه المنطقة بعد أن قسمتها الجيوش الفرنسية والإسبانية. ينتهي به السرد إلى عبارة تحمل أكثر من دلالة حول منظوره للصراع القائم : "لا أعدى على الإسلام من إسبانيا".

هنا يفيدنا السيد إبراهيم الجماني الزفاطي الذي يعترف له مجمل رجالات جيش التحرير الذين مارسوا بالمنطقة بدور بطولي حاسم، بأن السي احمد قد تصدر الأحداث السياسية متفرغاً للجهاد بشتى الوسائل التجارية منها والإجرائية المتعددة. وهو ما نستشفه بوضوح تام من مذكرات السي احمد حين يعتبر وصول الضباط الإسبان بتاريخ 6 أبريل 1934 بمثابة تحول نوعي في تاريخ المنطقة

يستلزم ترسيخ مفهوم الجهاد وتكريس كل وسائله الممكنة. يسجل السي احمد أن انخراط أيت باعمران وأهل وادي نون والصحراء في صفوف جيش الجنرال فرانكو سنة 1936 كان لسبيين : أ - البحث عن سبيل من سبل العيش في ظرفية تميزت بشدة الأزمات. ب - وضع الجنرال فرانكو أمام التزامات بالخروج من المغرب بعد انتصاره. غير أن اندلاع الحرب الأهلية وبعدها مباشرة الحرب العالمية الثانية قد أسهمت في تعقيد الأمور. فقد تلمص الجنرال من وعوده بحجة أن الحلفاء قد بدأوا يسجلون الانتصارات تلر الانتصارات. وهنا يبدو السي احمد منشغلاً أشد ما يكون الانشغال بضرورة التأكيد على أهمية الروابط البنيوية بين منطقة أيت باعمران ووادي نون والصحراء. فهو يؤكد أن القمع العسكري لن يأتي بأية نتيجة لأن تشبث الناس بجوهرهم هو الدافع الأساسي إلى ظهور فكرة التحالف مع ما أخذ يعرف يومها بالحركة الوطنية. تسربت هذه الفكرة خاصة عبر أولئك الفقهاء والمتعلمين الذين كانوا يتابعون تفاعلات الحرب العالمية الثانية ويربطون اتصالات ظرفية مع بعض الوطنيين.

اختلطت الرؤى تدريجياً وتجلت صعوبة الفصل بين مفهومي الجهاد والمقاومة في غياب رؤية واضحة لم يعمل منظرو الحركة الوطنية على تلميعها. بل إنهم قد اجتهدوا في الربط بين صورة الزوايا والتحالف مع الاستعمار اعتماداً على بعض الحالات الاستثنائية آنذاك. هذه الإشكالية تعكس قدرة السي احمد على تناول مستجدات الحياة السياسية المعاصرة نظراً لسعة حجم معارفه وقدرته على تتبع أحداث الأربعينيات والخمسينيات.

على أنه ظل خلال هذه الفترة، وبالرغم على حضور والده علي بن إبراهيم بن احمد، القيم الأمين على أمور أسرته الشرعية والمؤكّل لتصوصها والراسم لظرفها الاقتصادية والاجتماعية. يبدو ذلك من خلال التزامه الصارم بقواعد علاقات الجوار وقدرته الفعلية على حسم توجهات عائلته نحو مسار صحيح. لا أدل على ذلك من قدرته الفعلية على تصحيح مسار والده. فقد أدى شع موارد العيش المتاحة بسكان تالوست أيت أيوب إلى الرغبة في بيع ممتلكاتهم وأراضيهم المسقية إلى علي والد السي احمد. وإذا كان هذا الأخير قد توجه كلية نحو شراء هذه الأراضي، فإن السي احمد قد تعرض لهذه الممارسة مؤكداً ضرورة عدم سحق الجيران والمحافظة على ممتلكاتهم. ويبدو من خلال تفحص هذه الممارسة أن السي احمد كان منذ صغره يجسد وريثاً شرعياً للمرابط سيدي علي أو إبراهيم القيم على الأمور الشرعية لإيدوارحمان والمكيف لتعاقداتهم المجالية والسياسية. وظل يعتمد في الأساس على تقليد ما درج عليه إيدوارحمان من تحالف مع الجيران ومراعاة دواعيهم واقتضائهم البيئة.

من هذا المنظور، يمكن أن نستجلي صورة شبه متكاملة



**دروود (الجنرال -) Drude**، ولد يوم 27 ماي 1853 من أبوين من أصل مرسيليا. دخل ميدان الجندية في 7 نونبر 1872 وترقى بسرعة في سلم الجندية حيث أصبح ملازماً في 1880. ورفي إلى رتبة قبطان في 1886.

في سنة 1907، رقي دروود إلى رتبة جنرال فرقة Général de Brigade، وعين قائداً للفرقة العسكرية الثانية للمشاة قسم وهران بالجزائر. وفي 3 غشت 1907 كلف بقيادة الحملة الفرنسية الموجهة للمغرب بهدف احتلال الدار البيضاء والشاوية. كانت حملة الشاوية مهمة صعبة. لأن ميدانها كان هو المغرب، وهو بلد مستقل بضمانة دولية يكفلها ميثاق الجزيرة الخضراء الموقع سنة 1906.

زد على ذلك أن التدخل الفرنسي بالشاوية كان منسقاً مع الإسبان، تبعاً لما ادعته الحكومة الفرنسية من أن عملها يهدف إلى تنظيم البوليس بالدار البيضاء حسبما تقرر في ميثاق الجزيرة.

والواقع أن قوات الاحتلال التي نزلت بالدار البيضاء بقيادة دروود في 7 غشت 1907، واجهت منذ البداية مقاومة شديدة. حصرتها بالدار البيضاء، حيث قرر الجنرال دروود التخندق بالمدينة. والاعتماد على مدفعية الأسطول الحربي بقيادة الأميرال فيليبير Philibert.

ولقد خاضت قوات الاحتلال بقيادة الجنرال دروود معارك شديدة حول الدار البيضاء، مثل معركة سيدي مؤمن ومعركة دار بوعزة، وكانت اشتباكات المجاهدين مع قوات الجنرال دروود تحدثت يوماً، الأمر الذي جمد قوات دروود في خنادق حفرتها حول الدار البيضاء. وجعل الجنرال يطالب باستمرار، بإرسال إمدادات جديدة لما تبين له أن القوات الفرنسية لا تواجه جماعات من "قطاع الطرق" كما أشيع في البداية، بل تواجه شعباً مصمماً على الدفاع عن أرضه وعقيدته مهما بذل من تضحيات.

وعلى الرغم من الإمدادات التي رفعت قوات الجنرال دروود من 3000 جندي إلى 7000 رجل، فإنه لم يغامر بالهجوم على قبائل الشاوية بعيداً عن الدار البيضاء الأمر الذي أثار حوله كثيراً من التعليقات.

زد على ذلك أن تكتيك الجنرال دروود في مواجهة المجاهدين المغاربة أثار بدوره عدة تعليقات. إذ سلك دروود خطة الرمي العشوائي الكثيف وبمختلف الأسلحة. وكان الهدف من ذلك السلوك العسكري هو إبعاد المهاجمين المغاربة والتقليل من خسائر جيش الاحتلال. وقد علق أحد الصحفيين المرافقين لجيش الاحتلال على ذلك الاستهلاك الغريب للذخائر الحربية بقوله: "بالتأكيد إن ذلك لا يرجع لخشية الجنرال من حدوث التحام بين جنوده وبين المغاربة... ولكن مثل هذا الالتحام سيكون أكثر فتكاً بجنودنا. وهو يفضل اقتصاد الأرواح البشرية بدل اقتصاد الرصاص" (جورج بوردون، ما رأيته في الدار البيضاء).

ظلت خطة دروود تعتمد الدفاع، وكانت قواته تتحرك

لشخص السي احمد الذي كان يستهدف صيانة إيدوارحمان وأيت أيوب كافة من التصدع والانحلال والتفاسخ إعمالاً لقاعدة سد الذرائع. كما أنه كان يظفي على تكييفه مع تحديات فترته سمتين شرعيتين هما : عمل السلف وتلقي الناس لهذا العمل بالقبول. يمكن إذن أن نتفهم قدرته على الربط بين ممارسته الدينية والدينية. فقد كان من بين أول مهنتي السلطان محمد بن يوسف سلامة العودة من المنفى. وقد اهتم أساساً بتدعيم سلطة الدولة المركزية الفتية خاصة بهذه المناطق البعيدة عن المركز. هذا ما يتضح جلياً من خلال معاينة كتابتيه الكثيرة عن هذه الفترة من تاريخ المغرب. فقد بادر إلى حث الملك على الدفاع عن عودة الصحراء إلى باقي المغرب. ولعل أكثر ما يثير الانتباه في هذا المضمار التماسه من الملك الحرض واليقظة تجاه المخططات الإسبانية مركزاً على ضرورة تحرير شمال البلاد وجنوبها من الوجود الإسباني. تتضح بذلك عناية السي احمد بتدقيق الأخبار في هذا الباب من خلال نشاطه المكثف داخل صفوف أيت باعمران ضد الإسبان.

يدرك المتتبع لأحداث 1956 - 1959 كما يوردها السي احمد، أنها تحدد التوجه الجهادي لهذه الشخصية المتميزة التي عانت بشكل خاص من تأمر الضباط الإسبان. فقد عمل بشكل حاسم على تحسيس الرأي العام المحلي والجهوي على ضرورة الرفع من مستوى المواجهة. فكان طبعياً أن تتوج هذه الممارسة بنفيه من الصحراء سنة 1965.

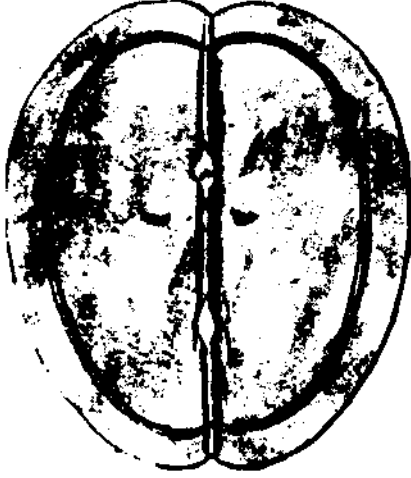
هناك أسباب خاصة تحملنا على القول بأن نفي السي احمد ومصادرة ممتلكاته قد أفاده في استخلاص العبرة الأخيرة التي رافقته إلى مثواه الأخير سنة 1982. فقد وثق لكل الأحداث بحيثياتها كمجاهد أراد أن يرفع الخبر التاريخي إلى مستوى وثوق الخبر الشرعي. ولذلك فهو يبدو كمن شيد صروحاً كاملة من الحقائق كشف فيها بما لا يدع مجالاً للشك صلاحية عقيدته الدينية والسياسية واستماتته في تأهيل ذويه لغد أفضل.

كانت للسي احمد أدوار لا يمكن لأي كان من المتتبعين أن يستهين بها في توجيه الأحداث قبل وبعد استرجاع الصحراء. وقد تجسدت هذه الأدوار في قدرته الفعلية على تطوير الأحداث وتوجيهها كوجه من أكبر وجوه جيش التحرير. يسجل رجالات هذا الجيش أنه لم يكن يتاديهم إلا بلقب المجاهدين وأنه قد سخر داره وأرزاقه في خدمة الجهاد مبرزين حجم تضحياته الفعلية. وإذا كانت إسبانيا قد صادرت ممتلكاته، فإن دوره الفعلي في إنجاح عودة الصحراء إلى المغرب قد أثبتت استرخاها لكل نفيس من أجل نصرة البلد والدين.

هل بعد هذا نكون في حاجة إلى تحديد الفوارق التي تميز هنا بين مفهومي المقاومة والجهاد ؟ مهما يكن من أمر فإن شخصية السي احمد الدرهم قد استطاعت الجمع بين تجانس القيم المتداولة بشأن هذين المفهومين.

مصطفى ناعمي

الساحلي المحادي للمحيط الأطلسي. كانت فصائل لمطة الشمالية تنتقل على امتداد هذا المحور مراقبة تحرك القوافل وأمن وسلامة عاصمتها نول. وهو ما أهل هذه المدينة لتطوير مرافقها التجارية والإنتاجية وبنياتها الدفاعية. ولعل هذا ما ساعدها على أن تصبح عاصمة لإنتاج الدروق المصنوعة من جلود اللمط المتوفرة بكثرة في محيطها.



تعتبر طباء اللمط (اللمث) عينة عاشبة من أصل إثيوبي مرتبطة بالسوس الصحراوي المحادي لضفتي الصحراء الجنوبية والشمالية. فهي عادة ما تضطر للإقامة بمحطات نباتية أو مائية توفر لها الغذاء اللازم مما يجعلها تتجمع على شكل قطعان تسهل مطاردتها. هذا ما يمكن أن نستشفه من كتابات الجغرافيين مؤلفي كتب المسالك كاليقوبي وابن حوقل والإصطخري والبكري والإدرسي وابن سعيد والعصري والدمشقي وابن بطوطة وابن خلدون والوزان. فمجمّل هؤلاء يركزون على دور نول لمطة كعاصمة متخصصة في إنتاج الدروق نظراً لوفرة طباء اللمط في محيطها القريب والبعيد. على أن المصادر الإيبيرية قد ركزت بدورها على أهمية هذه الأسلحة إلى حدود القرن الحادي عشر (17 م) عندما أصبحت مدينة فاس هي

على شكل مربع. ولكن عدم فعالية خطة درود كانت سبباً في عزله في آخر دجنبر 1907 وتعويضه بالجنرال داماد. وقد بررت الحكومة الفرنسية عزله، بأنه جاء نتيجة لمرض الجنرال. لكن هذه الذريعة لم تنطل على أحد في حينها. والواقع أن عزل درود كان مناسبة لمناقشات وتعليقات في البرلمان والصحافة. حول من يتحمل مسؤولية الفشل لمهمة الجنرال درود بالمغرب. فالمدافعون عن الجنرال قالوا : إنه خضع لتعليمات الحكومة. في حين ردت الحكومة في شخص رئيسها كليمنصو : إن الأوامر صدرت للجنرال في أكثر من "ثلاثين برقية تأمره بالتقدم للإمام". وبالجملة، إن الحكومة الفرنسية ضحت بالجنرال درود لتبرير فشل خطتها الأولى بالشاوية. وهي خطة كانت تعرض على الرأي العام الدولي وكأنها عملية بوليس بسيطة في الدار البيضاء. أما عندما صمد المغاربة في مواجهة الاحتلال. فقد أصبح لا مفر من تدشين خطة جديدة مع قائد جديد بهدف توسيع الاحتلال ليشمل كل بلاد الشاوية.

ع. الحديدي، التدخل الأجنبي والمقاومة، الدار البيضاء، 1994.

Arch. G-v., 3H76 ; G. Bourdon, *Ce que j'ai vu à Casablanca*, 1908 ; A. Tardieu, *La conférence d'Algerias*, 1909 ; *Koumia* n° 108, 1988 ; *B.C.A.F.*, 1908 - 1909.

علال الحديدي

### الدروق اللمطية، عبارة عن دروق بيضاوية الشكل

تتميز بصلابتها وقدرتها على رد ضربات السيوف والنبال والحرايب. يتكون سمكها من مجموعة من الطبقات الجلدية ملتصقة فيما بينها بتقنية متميزة تجعل منها أداة حربية بالغة الأهمية. وهي تقنية تشهد على التطور الملحوظ لصناعة الجلود بالصفة الشمالية للصحراء حيث تقع مدينة نول لمطة. استعملت هذه الدروق كأسلحة وقائية خلال المعارك بين الجيوش خلال قرون طويلة.

على أن تسميه الدروق اللمطية تطرح إشكالات من حيث تحديد معنى كلمة اللمطية. فهل المقصود بهذه الكلمة انتماء هذه الدروق إلى مدينة نول لمطة التي عرفت بإتقانها لهذه الصناعة ؟ أم المقصود بها جلد اللمط (اللمث) الذي تصنع منه هذه الدروق ؟ مهما يكن من أمر، فإن مدينة لمطة قد عرفت تاريخياً بدورها كعاصمة لبعض فصائل قبيلة لمطة الكبيرة. كما عرفت أيضاً بدورها الريادي المتميز في إنتاج هذه الدروق من جلود طباء اللمط وخاصة منها الإناث المسنة.

تعتبر مدينة نول لمطة رأس المحور التجاري الرابط بينها وبين مدن منطقة أدرار الشمر كازوكي وأطار وشنقيط أو ملاحا إيجيل جنوب الصحراء. وتُفيض المصادر في وجوب اعتبارها عاصمة الضفة الشمالية للصحراء من حيث إنتاج الدروق ومراقبة التجارة العابرة للصحراء عبر المحور

عاصمة إنتاجها في فترة ما بعد اضمحلال نول لمطة. ما تؤكد عليه حفريات مدينة أودغست بالضفة الجنوبية للصحراء. هو أهمية الاصطياد التلقائي لهذه الطياء. قصد استهلاك لحمها وتصدير جلودها إلى نول لمطة حيث صناعة الدروق. نفهم من ذلك أن هذه الجلود قد كانت تجمع بمجمل مناطق الصحراء. قصد إرسالها إلى المعالجة والتصنيع بمدينة نول لمطة إلى حدود اضمحلال هذه الأخيرة.



تؤكد معلومة واردة لدى ابن عذاري على استعمال كميات كبيرة من هذه الدروق اللطبية كهدايا من المعز بن زيري بن عطية إلى عبد الرحمان بن أبي عامر أحد ملوك الأندلس ( البيان، 253 : 1 ) على أن المصادر الإيبيرية تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك الاستعمال الكبير لهذه الأسلحة حتى أواخر القرن الحادي عشر ( 17 م ). فقد سجلت معركة وادي المخازن الأهمية الفعلية لهذه الدروق في ترجيح كفة المغاربة. وقد أورد الباحث الفرنسي افرانسوا بيتان وثيقة من المنجد الذي ألقته الأكاديمية الإسبانية سنة 1726 تؤكد الاستعمال المتأخر لهذه الأسلحة. وتعتبر الدراسة الهامة التي قام بها هذا الباحث حول دروق مدينة فاس من أهم الدراسات التي أنجزت في هذا الباب.

ركزت قبل ذلك جل الإشارات الواردة بالمصادر على دور مدينة نول لمطة في إنتاج مواد أخرى كالفسفريات الغالية الثمن التي هي أثواب من الصوف تميزت بجودتها العالية وكثرة الطلب عليها. وإذا كانت هذه المواد على تنوعها قد زادت من أهمية المدينة مقارنة مع غيرها من المدن التجارية الكبرى، فإن إنتاج الدروق جعل منها إحدى كبريات عواصم التجارة ومنتجات ضفتي الصحراء. ولا شك أن قلة هذه المعطيات التاريخية المحسدة لتاريخ المدينة يدعو إلى كثير من الجهد لاستحضاره وإعادة اكتشافه من جديد.

كتاب الأنساب، مخطوط، خ. ع. رقم ك 1275 : ابن فضل الله العمري، مسالك الأبحار في ممالك الأمصار، تج. مصطفى أبو ضيف : أبو عبيد الله البكري، كتاب المسالك : شمس الدين عبد

الله الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بغداد، 1923؛ ابن أبي زرع، القرطاس : ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب : م. ابن بطوطة، تحفة النظار، ابن حوقل، صورة الأرض، أبو الحسن علي بن موسى ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، الشريف الإدريسي، وصف إفريقيا، أبو إسحاق الفارسي الإصطخري، كتاب المسالك والممالك، 1927 : ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1866 : البيهقي، كتاب البلدان، ع. ابن خلدون، العبر، ح. الوزان، وصف إفريقيا.

F. Buttin, *Les adarques de Fès*, H.T., vol. I, Fasc. III, 1960, 409 - 456 ; Aly ben Abderrahman ben Hodeil et Andalusy, *La parure des cavaliers et l'insigne des preux*, traduction Louis Mercier, Paris, 1924 ; H. de Castries, *Les sources inédites de l'histoire du Maroc de 1530 à 1845*, première série - *Dynastie saadienne 1530 - 1660*, t. I, p. 594, n° 2, Paris, 1905 ; P. de Cenival et Th. Monod, *Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal par Valentin Fernandès 1506 - 1507*, Paris, 1938, I. S. Allouche, "La vie économique et sociale à Grenade au XIV<sup>e</sup> siècle", in *Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'occident musulman*, Alger, 1957 ; Napoléon Louis Bonaparte, *Etudes sur le passé et l'avenir de l'artillerie*, Paris, 1845, vol. I ; H. Peres, *La poésie andalouse en arabe classique*, Paris, 1953 ; Demmin, *Guide des amateurs d'armes et armures*, Paris, 1879 ; M. Leloir, *Dictionnaire du Costume et de ses accessoires, des armes et des étoffes des origines à nos jours*, Paris, 1951.

مصطفى ناعمي

**الدرويش، أحمد بن الفقيه محمّد بن عمر الباعمراني**، ولد حوالي 1288 / 1871 وأخذ القرآن على يد والده حفظاً ورسماً، فالتحق مبكراً بالمدرسة العلمية العتيقة سيدي بوعبدلي بقبيلة أيت برايم، فأخذ الأمهات العربية والفقهية حتى ارتوى على يد الأستاذ عبد العزيز الأذوي المشهور ( رجال العلم العربي بسوس، ص. 124 ) ولما أنهى دراسته رجع إلى أيت باعمران يشارط في المدارس العتيقة، وصر في مدرسة بوغرفا لمدة ثلاث سنوات معتكفاً - حسب تعبيره - على تعليم وتثقيف ابنه الطيب، كما شارط في مدرسة أيت بويكر الباعمرانية سنة 1332 / 1913 (عن تلميذه السيد الطاهر عامري من نفس العائلة).

ولدينا نماذج من أحكامه القضائية ترجع إلى سنة 1327 / 1909 ولم تنقطع أحكامه إلا بخروج الإسبان سنة 1934، فنن الاستعمار مهنة القضاء، وذلك بتعيين العدول والقضاة في كل قبيلة، بدلاً من اختيار المتقاضين لمن يرويه شخصياً حسب العرف القديم.

تخرج على يده عدد مهم من الطلبة، ويعد ابنه القاضي الطيب الدرويش نموذجاً من ذلك الجيل الذي يعتمد على الذاكرة ويحفظ كل شيء، عن ظهر قلب. وكان أحمد الدرويش هذا معروفاً بالتقوى والعدل، متصوفاً دون أن ينتسب إلى أية طريقة، عاش طويلاً حتى كف بصره وتوفي في 13 رمضان سنة 1376 / 13 أبريل 1957.

جاسوس إيطالي يسمى الحاج يونس المصري عن سلسلة الألف كتاب : معلمة المغرب، ج 6، ص. 2001 : م. المختار السوسي، مدارس سوس العتيقة، ص. 97 : رجالات العلم العربي بسوس، ص. 124 : استجواب مع السيد الطاهر عامري من نفس العائلة. الحسين جهادي

**الدريدكة**، في شعر الملحون، تطلق على القسم الأخير من أقسام القصيدة، ويتضمن في العادة اسم نساظم القصيدة، كما قد يتضمن تاريخ نظمها. ويطلق أهل مراکش على الدريدكة اسم الترتيكة، بتحويل حرف الدال تاء، كما قد يطلقون عليها لفظ "السارحة".

والكلمة من فعل "درّك" في لغة العامة، بمعنى ضرب برجله سريعاً على الأرض. وتأتي أبياتها - في العادة - على بحر عروض المبيّت أحد البحور الأربعة التي يقوم عليها شعر الملحون : المبيّت، ومكسور الجناح، والمشتب، والسوسي.

يتميز إنشاد الدريدكة من الوجهة الموسيقية بكونه حثيثاً توحى حركته السريعة بإشراف الشداذة - وهم مجموعة المنشدين والعازفين - على نهاية القصيدة.

م. الفاسي، معلمة الملحون، القسم الأول من الجزء الأول، ص. 88 : ع. الجراي، القصيدة، ص. 167 : ع. ابن عبد الجليل، مجلة التراث الشعبي، العدد، 10، السنة 1980، ص. 112، العراق.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الدريدي**، محمد من بني دريد إحدى الفصائل الهلالية العاملة في الجند السعدي. كان رئيساً في قومه في خدمة الدولة إلى حين دخول فاس في طاعة الدلائيين، فانخرط الدريدي وقومه في جندهم كفرقة عسكرية مرابطة في فاس وظل على ولائه لهم حتى سنة 1070 / 1660 التي عرفت قمره على محمد الحاج، متحالفاً بالمصاهرة مع رئيس عدوة الأندلس أحمد بن صالح الليريني، الذي تأمر معه على اغتيال الأمير محمد بن محمد الحاج في نفس السنة. وقد كان الانتقام الشنيع لمحمد الحاج وتصفيته لجماعة من أعيان المدينة، فرصة سانحة للدريدي للاستئثار بحكم فاس الجديد، مؤازراً بصره الليريني في عدوة الأندلس، وابن الصغير في عدوة القرويين، معلنين بذلك خروج فاس عن سلطة الدلائيين، وتعزز ذلك بعدم استطاعة الأمير الصغير أحمد بن عبد الله الدلائي النائب الجديد لمحمد الحاج على فاس المكوث فيها، مما جعل الدريدي يقف حائلاً دون استرجاع الدلائيين للمدينة رغم حصارهم لها في رمضان 1072 / 1662.

وقد تميز الدريدي وحلفاؤه بضعف تكوينهم السياسي والعسكري، مما جعلهم غير قادرين على تسيير شؤون

المدينة وضبط أمنها، فدخلت خلال عهدهم في دوامة من الفوضى والاضطراب، سهلت على الدلائيين بسط نفوذهم عليها مجدداً سنة 1073 / 1663 إثر زحف محمد الحاج على ضواحيها دون الدخول إليها.

وبمجرد ارتحال محمد الحاج إلى مدينة الدلاء في السنة الموالية، تجددت نكرة الانفصال لدى القائد الدريدي بفاس الجديد، إلا أن حليفه السابق الليريني واجهه رفقة سكان فاس، الأمر الذي دفع بالتمرد إلى اتباع أسلوب اللصوصية وقطع الطريق مغيراً على قبائل سهل سايس ومداشرها، وبلغت عملياته زرهون ومكناس، متاجراً بمغافه في فاس الجديد مستقطباً بذلك سكانها، وسينجم عن ذلك تطور الخلاف بينهم وبين سكان فاس اليبالي إلى حد الاقتتال الذي لن يتوقف إلا بتدخل جديد لمحمد الحاج وفرسان قبيلة مجاط الذين قضوا على نفوذ الدريدي في بلاد سايس، وحاصروا بقية أتباعه داخل فاس الجديد، التي ظلت معقلاً منيعاً له إلى أن قضى عليه السلطان مولاي الرشيد العلوي عليه حين دخل إلى فاس سنة 1076 / 1666.

م. القادي، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 4 : 1488 : م. حجي، الزاوية الدلائية، ط. 2، الدار البيضاء، 1985.

حسن أميلي

**دريسي**، أو بودريس طائر من الجوائم أو العصفوريات Passeriformes ومن فصيلة Emberizidae المعروفة بالإنجليزية Warblers وهو طائر صغير القد يشبه تبييط ويألف المزارع والحقول الفلاحية.

اسمه الشائع في شمال إفريقيا هو الدريس وبودريس وبودرس وبودريسة. اسمه العلمي (Miliaria) calandra وياالفرنسية bruant proyer وبالإنجليزية Corn bunting وبالأساسية Triguero وبالإيطالية Strilozzo.



يتميز هذا الطائر بريش بني تتخلله بقع داكنة على شكل خطوط متلاشية ويمتاز بقصير وقوي يساعده على أكل الحبوب والديدان. الإناث شبيهة بالذكور ويبلغ طول بسطة الجناحين حوالي 40 سم وطول الجسم 17 - 18 سم

ويعتبر من أكبر أنواع طيور جنس الدريس Emberiza ومنه تبيبط. تبقى الأرجل عمودية ومتدلية أثناء الطيران الشيء الذي يميزه عن باقي الطيور التي تجعلها أفقية خلفها.

يعيش وسط مجموعات صغيرة وأحياناً منعزلاً في الحقول حيث يتغذى غالباً من الحبوب مما يجعله غير مرغوب فيه من طرف المزارعين. يستريح أحياناً فوق الخيوط الكهربائية وعلى الأعمدة الخشبية ويقضي معظم أوقاته بين الأعشاب والنباتات الصغيرة بحثاً عن الأكل.

يتوالد منذ بداية شهر أبريل إلى غاية شهر يونيو وتحضن الإناث بيضها غالباً مرتين في السنة ونادراً ثلاث مرات. ينصب العش على الأرض بين الأعشاب في الحقول والمزارع ويتكون العش من الحشائش اليابسة ومن قطع التبن الصغيرة. تلد الإناث 3-6 بيضات ونادراً 1-2 أو سبعة وهي بيضوية الشكل ملساء وبيضاء تميل أحياناً إلى اللون الأزرق المصفر، تتخللها بقع صغيرة رمادية وخطوط بنية مسودة. يبلغ طول القطر الكبير 13.3 ملم وطول القطر الصغير 17.8 ملم. تدوم مدة الحضانة 12-14 يوماً وذلك من طرف الأم فقط بينما يقوم الزوج بالحراسة. تتغذى الصغار من الديدان والحشرات يأتي بها الآباء وتبقى بداخل العش 9-10 أيام قبل أن تأخذ حريتها تدريجياً بعد أسبوعين على الأكثر.

يوجد هذا النوع في جميع المناطق الزراعية المغربية ويعيش أيضاً في شمال أفريقيا وأوروبا الجنوبية والوسطى وفي بلدان الشرق الأوسط. معظم المجموعات التي تعيش في المغرب لا تهاجر إلى أوروبا إلا نادراً.

م. رضاني، تبيبط، معلمة المغرب، ج. 8، ص. 2655 : الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 : الملعوف أمين، معجم الحيران، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with north Africa and the Middle east*, 1979 ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1977.

محمد رضاني

**دريش** جان إيمانويل Dresch, Jean Emmanuel ولد

بباريس يوم 30 نونبر 1905، كان أبوه جوزيف أستاذاً جامعياً، اندرج الطفل جان إيمانويل في سلك التعليم الابتدائي لكنه رحل مع أسرته إلى بوردو، حيث نُقل والده إلى كلية الآداب المحلية. وهناك تابع الشاب التعليم بسلكه، وكان ميالاً إلى الفلسفة، وقد استهوته بموضوعاتها ومذاهبها الجدلية المتناقضة وأفكارها التي تقبل النقاش مهما كانت اتجاهاتها. إلا أنه رأى في الفلسفة ميداناً للدفاع عن كرامة الإنسان وتفسير العالم، واتفق أن انتقل أبوه مرة أخرى من بوردو إلى تولوز،

فسار الشاب مع أسرته مرة أخرى وكان ذلك عام 1923 وحرب الريف بالمغرب على أشدها والمقاومة المسلحة في أوجها بمناطق أخرى من البلاد - وكانت أصداء الجهاد المغربي تتردد في كل المحافل الفرنسية وتدعو المعارضة الشيوعية والاشتراكية في فرنسا إلى إجلاء قوات الاحتلال عن المغرب.

تشبّع دريش بهذه الآراء ونزح إلى الشيوعية والماركسية وراح يستعدّ للتسجيل بشعبة الفلسفة. إلا أن بعض أصدقائه صدوه عنها وأقبحوا في توجيه عنايته نحو الجغرافيا والتاريخ. وأدرك أن هذا الميدان هو إلى واقع الإنسان أقرب، فانساق في هذا المنحى وما كاد يتلقى السدروس الأولى ويعكف على الحرائط وتحليل النصوص حتى اقتنع بأن لهذا الميدان صلات وثيقة بالحياة البشرية فضاء وعملاً.

وانضح له أيضاً أن الجغرافيا لا تدرك في العمق إلا إذا كان للمتعمق إلمام بعلوم الأرض، أي الجيولوجيا، فانكبّ على تحصيل قدر منها ساعده على فهم تطور طبقات الأرض وسطحها.

وتولوز استأثرت جبال البرانس باهتمامه، ففكر في أن يخصص لها كل عنايته مستقبلاً - غير أنه عندما حصل على الإجازة عام 1927، وجهه أحد أساتذته، يدعى دومانجون Demangeon نحو المدرسة العليا للأساتذة قصد تحضير دبلوم الدراسات العليا الذي يسمح بالترشيح بعد عامين إلى مباراة التبريز في الجغرافيا. وقد أخبره دومانجون أن أثري البلدان معطيات كساً وكيفا وتنوعاً في الميدان الجغرافي والبشري هو المغرب حسب ما يتوقّر من



ج. دريش

معلومات، وأشار عليه بربط الاتصال بأحد الجغرافيين الفرنسيين يدعى سيليري (Célérier J.) يوجد في عين المكان حيث يتأسس قسم الجغرافيا في المعهد العلمي الشريف بالرباط.

وأقبل دريش إلى المغرب عام 1926، فنزل بميناء الدار البيضاء. وأول ما شدّ انتباهه في الحين، ما كان يضرب أهالي المدينة من فقر وفاقة في مقابل ما يتطلّع إليه الفرنسيون المعمرون من غنى عن طريق مشاريعهم الاقتصادية والعمرانية، فرأى في مذهبه الشيوعي ما يبرّر ويدعم نظريات ماركس وأنصاره.

ولما استقبله سيليري بالرباط واستشعر آراءه العلمية والجغرافية، نبأه بأن مديرية التعليم العمومي خصّصت برسم سنة 1928-1927 منحة واحدة لمدة سنة واحدة لباحث فرنسي إذا ترشح للبحث الجغرافي عبر الجبال المغربية، تحت إشراف المعهد العلمي الشريف، فوجدها دريش فرصة ذهبية للتعرف على المغرب من عمق طبيعته وفوض أمره إلى سيليري.

شرع دريش في أبحاثه الأولى بجبل زهون الذي يقارب من بعض الجوانب جبال البرانس الفرنسية، فاستقى منه ومن محيطه مستجدات علمية لم يسبق إلى كشفها أحد من قبله. فصبها في ما بعد في دبلوم الدراسات العليا المؤهل للترشيح لمباراة التبريز.

وإلى جانب الاستحقاقات العلمية، راح دريش يفضح على صفحات جريدة فرنسية مظاهر الاستغلال البشري عن طريق استغلال المغرب عن طريق ثرواته الطبيعية من طرف المعمّرين، كما مضى يفضح أساليب العسكرية عموماً، ذلك ما دفع بسلطات بلاده إلى اعتباره عنصراً يجب الاحتياط منه.

وعاد دريش إلى فرنسا لاتمام مسيرته في التكوين على أمل أن يرجع إلى المغرب لمواصلة أبحاثه الجغرافية بكيفية أوسع نطاقاً. ولما فاز في مباراة التبريز في الجغرافيا والتاريخ أثر التدريس بالمغرب، فتمّ تعيينه بثانوية مولاي إدريس عام 1931، ثم نقلوه بعد أربعة أعوام إلى ليسى غورو بالرباط (الحسن الثاني حالياً) حيث درس إلى عام 1939. وفيه تعرّف عليه عدد من شبان الرباط منهم المهدي بنبركة.

أثناء هذه الأعوام الثمانية ربطته صداقة متينة مع شخصيات فرنسية متحرّرة، منها ريجيس بلاشير (R. Blachère) الذي كان يدرس الترجمة بمعهد الدراسات المغربية العليا بالرباط، ولوسيان پاي (Lucien Paye) الذي انيطت به مديرية التعليم العمومي بالمغرب، وإيف لاکوست (Yves Lacoste) الباحث الاجتماعي لدى الإقامة العامة، ومهندسين وجيولوجيين من مديرية الطاقة والمعادن، علاوة على أطر ذوي اختصاص عال من مديرية الفلاحة والمياه والغابات، وكانوا كلهم ممن يدينون بالأفكار الاشتراكية.

وأثناء هذه المرحلة الثانية بالمغرب والتي استغرقت ثمانية أعوام، أنفق كل عطلة الفصيلة والسبوتية في الأبحاث الجغرافية بجبال الأطلس الكبير من ناحية مراكش، فعرف بتضاريسه وقمه ونجوده وسهوله وأنهاره وجداوله. وترجم ذلك إلى مقالات قيّمة نشرتها كبريات المجلات العلمية الفرنسية والإنكليزية، تارة بتوقيعه الفردي، وتارة بتوقيع مشترك مع كبار الباحثين في الجغرافيا مثل جولي (Joly, F.) وموري (E. Mory) وآخرين. إلى هذه الأعمال أضاف دريش ما هو أهم بالنسبة للمغرب: خرائط الأطلس الكبير بمسالكه، والفلاحة في منحدراته، والمواشي، والسكن، والاقتصاد والاجتماع. وتألّق معه في هذا الميدان اليبير عياش وصيليري وآخرون، ويبقى اسمه المهيمن في هذه الكوكبة من الباحثين، إذ كثيراً ما كان ينشر كذلك بعض المقالات ذات الطابع الإنساني والاجتماعي في الجريدة الاشتراكية التي كانت تصدر بالمغرب عنوانها "Espoir" (أمل) وطبعاً فإن أصحابها كانوا فرنسيين، ولم يتردّوا في مساندة كل ما فضح سياسة الاستعمار التي نجحت في تفجير المغاربة. وكان من دعاة ربط القارة الأفريقية بأوروبا اقتصادياً وعلمياً لتشكيل القارتان وحدة متماسكة يسودها العدل الاجتماعي والرفاه.

إلا أن نشوب الحرب العالمية الثانية عام 1939 استرجع عودته إلى فرنسا لأداء الخدمة العسكرية. وفي أوائل سنة 1941، ناقش أطروحة الدكتوراه في الجغرافيا بجامعة تور (Tours)، عنوانها: "أبحاث في تطور تضاريس الكتلة الوسطى بالأطلس الكبير، الحوز وسوس".

ثم عاد إلى المغرب في شهر غشت من نفس السنة لاستئناف عمله التربوي، إلا أن الجنرال نوغيس، المقيم العام وقتها استدعاه ليخبره بأنه غير مرغوب فيه بالمغرب، مما يعني أنه مطرود من هذا البلد.

رجع دريش إلى فرنسا حيث تم تعيينه بليسي فولطير بباريز، واغتنتها فرصة، وانخرط في صفوف المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال الألماني، ومنح درجة ضابط، فساهم في تحرير إقليم باريس.

أثناء فترة المقاومة تألّق نجمه فعيّن أستاذاً بكلية كان، ثم بكلية ستراسبورج (1946-1947) ثم بكلية السوربون. وموازية مع ذلك، أناط به أندري جوليان (Ch. A. Julien) مهمّة التدريس بالمدرسة الوطنية الفرنسية لما وراء البحار (1947-1948)، وهي المدرسة التي كانت تسمى من قبل بـ "مدرسة العلوم الاستعمارية"، ثم شغل منصب أستاذ بمعهد الجغرافيا بباريس حيث درس الجيومورفولوجيا ثم جغرافيا شمال إفريقيا، وهي المادة التي حظيت بإشعاع كبير وقتئذ.

وأثناء هذه الفترة واصل علاقاته بالمغرب وطائفة من النخبة المثقفة المغاربة سواء بفرنسا أو في أقطار شمال إفريقيا، وواصل تعريفه بالمغرب، فألف في هذا الموضوع: الخرائط الطبوغرافية الموجودة حالياً، خرائط الطرق والمياه

Tissot, *Géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, p. 151 ; R. Roget, *Index de topographie antique du Maroc*, PSAM, 1938, p. 36.  
عبد العزيز بل الفايذة

**درينورة**، Drinaura جزيرة ذكرها المدعو سكولكس في الرحلة المنسوبة إليه Périple de Scylax، والتي يرجع تاريخها إلى القرن الرابع قبل الميلاد حسب إجماع الدارسين. وصاحب الرحلة من أصل فارسي. أشار سكولكس إلى هذه الجزيرة ضمن المواقع التي تتضمنها واجهة البحر المتوسط، من مجال المغرب القديم الذي كان يعرف باسم موروسية Maurusia أو موريطانية Mauretania.

في سرد المواقع التي تندرج فيها جزيرة درينورة، تتبع الكاتب الاتجاه من الشرق إلى الغرب. فبعدما انتهى من إحصاء المواقع التي توجد في نوميدة حتى مدينة سيغة Sige، التي كانت عاصمة الملك الماسيسولي سيفاكس Syphax في القرن الثالث قبل الميلاد، انتقل إلى بعض مواقع المغرب القديم قائلًا: "هناك مدينة هامة وميناء، المدينة تدعى أكروس Akros وكذلك الخليج الذي يحدها، ثم هناك جزيرة مهجورة تدعى درينورة، ثم العمود البيي لهرقل هو أبيلة".

يعتقد شارل تيسو، أن صاحب الرحلة تعرف على هذه الجزيرة، في اختراقه للبحر بين مدينة روسادير Russadir (مليلة) التي لم يذكرها النص، ومضيق جبل طارق الذي كان يدعى بأعمدة هرقل. ويتفق تيسو مع الباحث مولير Müller على اعتبار مدينة أكروس هي روسادير Russadir التي ذكرتها مصادر متأخرة في تلك الجهة. ثم اقترح تيسو أن درينورة هي جزيرة "ألبوران" Alboran وهي مهجورة أيضاً كما كانت في القديم حسب الدارس.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1978 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; Idem, *Index de topographie antique du Maroc*, P.S.A.M., 4, 1939.

محمد مجدوب

**دريهم** أو ابن دريهم، وسماهم في إزالة الالتباس : أولاد يودريهم، من أهل فاس، أصلهم من قبيلة مطاع، أهل معاش وحرفة، وكان لهم مدشر خارج باب عجيصة خاص بهم.

ويوجدون أيضاً بسلا حيث كانوا يشتغلون بالتجارة في العطور ونحوها. منهم الحاج محمد دريهم، ورد اسمه في تقييد من أنعم عليهم الحسن الأول من السلاويين سكان حومة باب سنة بتاريخ خامس حجة عام 1290 / 21 يناير 1874. كان دريهم - حسب التقييد - يكفل ستة أفراد، ونال أوقيتين ومثقالاً.

والغابات خرائط المناخ والساكنة، وخرائط استغللتها مديرية السياحة في عهد الاستعمار، ولاسيما السياحة الجبلية عبر جبال المغرب من الشمال إلى الجنوب، ويرجع له الفضل كذلك في إبراز "مميزات المغرب والعالم البربري - العربي"، هذا زيادة على أطروحته التي جعلت الأطلس الكبير مفتوحاً للمتطلعين إلى معرفة خصائصه وخصايه الطبيعية والاجتماعية، وكتاب *جغرافيا المغرب* الذي لا يخلو من إشارات رمزية إلى فعل الاستعمار الذي لم يكن "سد بين الودان" إلا لتلبية حاجات المعمرين بتادلا وسدوداً ثانوية أخرى لنفس الغاية. وقد صدر هذا الكتاب بباريس عام 1949.

وسالجملة، كتب دريش ما يربو عن 350 مقالة أو محاضرة أغلبها عن المغرب، من أقصى شماله إلى أقصى جنوبه، وبعضها عن الجزائر وتونس وبعض أقطار إفريقيا السوداء.

وعارض بشدة الحرب بالهند الصينية كما عارض بعد ذلك الحرب الاستعمارية في الجزائر.

وبعد استقلال المغرب بقليل دُعي إلى الرباط قصد المساهمة في تنظيم شعبة الجغرافيا بكلية الآداب، وساهم في تكوين نخبة من أساتذتها المغاربة الذين يدينون له بالكثير.

وجملة القول، فإن دريش ترك في المغرب وفي موضوع المغرب بصمات خالدة لن تنمحى، شأنه شأن جولي ورنال وقليل من أمثالهم. ذلك لأنهم خلّدوا أسماءهم بأبحاثهم النيرة، فما من معلمة جغرافية في هذا البلد إلا وتحمل أثرهم.

وبقي دريش مناضلاً سياسياً طيلة حياته. فكان من الذين شاركوا في المظاهرة العارمة يوم 8 ماي 1968 بباريس للتعبير عن رفضهم لسياسة الجنرال دوغول الفرنسية وشجب هتك حقوق الإنسان عبر العالم.

توفي جان إيمانويل دريش بباريس يوم 4 مارس 1994.

A. Ayache, *Dictionnaire bibliographique du mouvement ouvrier au Maghreb - Galissot, Oved, R.O.M.M., n° 41 - 42, France ; Ministère de l'Energie et des Mines, listes bibliographiques d'auteurs et de chercheurs*, Rabat.

أحمد بنجلون

**دريناويا**، هو الاسم القديم الذي عرفت به جزيرة البرهان (Ile d'Alboran) (انظر المعلمة، 4 : 1203) وقد أشار إليها سكيلاكس الزائف في رحلته المعروفة (P de pseudo - scylax).

هي جزيرة خلاء توجد في البحر المتوسط، ويرى الباحث "تيسو" أن الرحلة تشير إلى الجزيرة بعد الإشارة إلى الأعمدة. وهذا الترتيب هو نفسه الذي يصادفه البحارة المتجهون إلى قادس حيث ترى على التابع مليلة. جزيرة البرهان ثم جبل هاكسو الذي يشكل المدخل إلى المضيق.

ابن **ذريهم** أحمد الفاسي، قال عنه في سلوة الأنفاس  
"مَن أخذ عن الشيخ سيدي مسعود الدراوي المترجم في مرآة  
المحاسن، وانتفع به.  
توفي عام 1044 / 1634 ودفن بروضة شيخه المذكور  
القريبة من روضة الشيخ المحاسن الفاسي خارج باب  
الفتوح.

ابن **ذريهم**، علي الفاسي، شيخ صوفي صالح ترجم له  
كذلك صاحب السلوة والتنبية، وذكره المدرع في منظومة  
المتعلقة بصدهاء فاس. لم يذكر تاريخ وفاته وإنما أشار إلى  
وجود ضريحه بدار بدر بن بوحاج.

م. الكتاني، سلوة، 2: 236، 3: 331؛ ع. ابن سودة، رفع  
الالباس، مرقون؛ م. بوشعراء، التعريف بني سعد السلويين، 2:  
138.

محمد حجي

**الدريوش**، إحدى الدوائر الأربع التي تُكوّن إقليم  
الناظور حالياً وإحدى الجماعات السبع التي يضمها تراب  
الدائرة. ظهرت هذه الدائرة كوحدة إدارية على مستوى إقليم  
الناظور سنة 1979. تغطي مساحتها حوالي 1602 كلم<sup>2</sup>.  
تتقاسمها سبع جماعات قروية هي حسب أهمية مساحاتها:  
الدريوش، أولاد بويكر، عين الزهرة، أمجار، آيت مايت،  
دار الكبداني، تازغين.

يبلغ عدد سكان الدائرة 7.508 نسمة حسب إحصاء  
1994 أي حوالي 11٪ من مجموع سكان إقليم الناظور. أما  
كثافة السكان فتصل في الدائرة إلى حوالي 47 نسمة في  
الكلم<sup>2</sup>. ويستفاد من مقارنة نتائج هذا الإحصاء بنتائج  
إحصاء 1982 أن عدد سكان الدائرة عرف تراجعاً يقدر  
بحوالي 10٪ بسبب النزوح القروي والهجرة الدولية. وتعد  
الجماعات التي تتوفر على مؤهلات طبيعية محدودة أكثر  
عرضة لهذه الظاهرة.

ينتمي تراب الدائرة إلى منطقة انتقالية تفصل بين  
مرتفعات وأحواض الريف الشرقي وحوض ملوية. يتميز  
سطحها بتنوع تضاريسه التي تتكون من جبال ذات تركيب  
بنيوي معقد في بعض الأحيان، وسهول وهضاب واسعة  
الأفاق تحتل المنخفضات الممتدة بين المناطق المرتفعة. تتخلل  
هذا السطح مجموعة من الأودية الموسمية الجريان بشكل واد  
كثرت أهم محاور فيها.

يتميز مناخ الدائرة بالجفاف حيث تقل الكميات المطرية  
المسجلة في بعض محطاته عن 300 ملم، الشيء الذي يؤثر  
سلباً على طبيعة الغطاء النباتي الذي يتكون في أغلب  
الأحيان من أنواع متأقلمة مع الجفاف كالحلفاء، كما تحد  
هذه الظروف المناخية القاسية من ممارسة النشاط الزراعي،

الشيء الذي يفسر تعاظم السكان للرعي وتربية الماشية  
منذ أمد طويل.

تمتد الجماعة القروية لدار الدريوش على مساحة تقدر  
بحوالي 432 كلم<sup>2</sup> أي 27٪ من مجموع تراب الدائرة التي  
تنتمي إليها، وهي بذلك أكبر جماعات دائرة الدريوش  
مساحة.

يتكون سطح الجماعة من جبال وهضاب وسهول. تمتد  
الجبال على مساحة محدودة من تراب الجماعة تمثل حوالي  
23٪ من المساحة الإجمالية وتنتشر بشكل رئيسي في  
أطرافها الجنوبية، وهي عبارة عن مجموعة من خطوط  
أعراف تأخذ اتجاهها عاماً من الشرق إلى الغرب تتميز  
بتقطعها وبضعف علوها الذي لا يتجاوز متوسطه 600 م إلا  
نادراً. كما تتخللها مجموعة من الفجاج والمنخفضات التي  
تكون ممرات تسهل عملية الاتصال بين أطراف الجماعة من  
جهة وبينها وبين العالم الخارجي من جهة أخرى. أما  
السهول والهضاب فتغطي أغلب مساحة الجماعة، وهي  
أراضي منبسطة تتخللها مجموعة من الأودية الموسمية  
الجريان.

ترتبط هذه التضاريس بتطورات جيولوجية  
وجيومورفولوجية معقدة شهدتها المنطقة، فالوحدة الجبلية  
تنتمي إلى سلسلة الدريوش Sierra de Driuch التي تكون  
جزءاً من الهوامش الشرقية للمجال الريفى وتتميز على  
مستوى التركيب الصخري بسيادة مواد حثية شستية  
وكلس - طفلية ترجع في مجملها إلى الزمن الثاني. أما  
الأجزاء المنبسطة فإن توزيعها يوافق توزيع مجموعة من  
المنخفضات التي امتلأت بالمواد الرسوبية عبر فترات  
الزمنين الثالث والرابع. ويتمثل أهم هذه المواد في الطفل  
النيوجيني وفي الرصيص والكلس البحيري الرباعيين.  
ويكوّن الكلس البحيري خزانا مائياً مهماً في المنطقة  
حيث يحتوي على مستويات غنية بالماء، يتراوح عمقها بين  
15 م و 70 م.

خلال فترات الرباعي تعرضت المنطقة لتطورات مختلفة  
أدت إلى ظهور مجموعة من الأشكال تطبع سطح تراب  
الجماعة ويتمثل أهمها في المستويات الرباعية (مصطبات  
نهرية) وفي أشكال أقدام الجبال، كما تخلقت عن هذه  
الفتحات عدة أجيال من المواد المختلفة كالفشرات الكلسية  
التي تغلف بعض السطوح بالإضافة إلى أتربة متنوعة.  
وتلعب هذه المواد دوراً مهماً في حياة السكان.  
أما على المستوى المناخي فإن الجماعة تعرف مناخاً  
جافاً نظراً لموقعها القاري ولوقوعها خلف مجموعة من  
المرتفعات التي تحجب عنها وصول التأثيرات البحرية  
الرطبة. يصل المتوسط السنوي للتساقطات إلى حوالي 281  
ملم في محطة الدريوش وهي إلى جانب ضعفها تتميز بعدم  
انتظام توزيعها داخل السنة الواحدة ومن سنة لأخرى. أما  
الحرارات فيصل متوسطها السنوي إلى 17° في حين تبلغ



J.J. Barathon, *Bassins et littoraux du Rif oriental : Evolution morphoclimatique et tectotique depuis le néogène supérieur. Etudes méditerranéennes. Fasc. N° 13, 1989 ; P.R. Bossard, Mouvements migratoires dans le Rif oriental : le travail en Europe. Aspect contemporain majeur des migrations dans la province de Nador. Thèse de 3ème cycle, Montpellier, 1978 ; Centre de travaux agricoles de Driuch, Données monographiques des communes rurales de Driuch et Dar Kabdani.*

حسن العباسي

**الدستور**، كلمة فارسية مركبة من "دس" وتعني القاعدة، ومن كلمة "ور" بمعنى صاحب، فيكون معناها صاحب القاعدة. كما تعني في مجموعها أيضاً القاعدة التي يعمل بمقتضاها، أو الدفتر الذي تجتمع فيه قوانين الملك وضوابطه (محيط المحيط، ج. 1، ص. 650 ؛ أقرب الموارد في فصيح عربية والشوارد، ج. 1، ص. 392).

وإذا كان الأصل اللغوي لكلمة الدستور فارسي الأصل والمنبت، وكان معناها يفيد الأساس أو القاعدة، فالراجح أنها قد دخلت إلى اللغة العربية عن طريق اللغة التركية، ثم شاعت في اللغة العربية ( القاموس السياسي، ص. 521).

وجل الدساتير العربية تطلق على وثائقها الأساسية تسمية الدستور، من ذلك : دستور موريتانيا لسنة 1991 - دستور المغرب لسنة 1996 - دستور الجزائر لسنة 1996 - دستور تونس لسنة 1959 - دستور مصر لسنة 1971 - دستور الأردن لسنة 1952 - دستور سوريا لسنة 1973 - دستور الكويت لسنة 1962 - دستور الإمارات العربية المتحدة لسنة 1971 - دستور قطر لسنة 1972.

ويقال اصطلاح الدستور في اللغة الانجليزية والفرنسية Constitution وفي الإسبانية Constitución.

الدستور في الاصطلاح القانوني تعبير يراد به معنيان متغايران أحدهما موضوعي والآخر شكلي :

فوفق المعنى الموضوعي يقصد بالدستور مجموعة القواعد التي تعتبر في جوهرها دستورية، كالقواعد التي تبين شكل الدولة ونظام الحكم فيها وسلطاتها وما إلى ذلك من المواضيع التي لها علاقة بنظام الحكم في الدولة من الناحية السياسية، بصرف النظر عما إذا كانت هذه القواعد مدونة في وثيقة دستورية أو تقررت أحكامها في قوانين عادية أو بمقتضى العرف الدستوري. وينجم عن هذا المعنى لمؤدى الدستور أن يكون لكل دولة بلا استثناء دستور يبين الأسس العامة التي تسيّر عليها من أجل القيام بمهامها وتأدية وظائفها، يستوي في ذلك أن يكون الدستور مكتوباً أو عرفياً.

ومن مجموع المواضيع التي تعتبر دستورية بطبيعتها وجوهرها تشكل مادة القانون الدستوري التي تدرس في كليات الحقوق باعتبارها فرعاً من فروع القانون العام الداخلي.

التوسطات السنوية للحرارات العليا 24.9° و 10.9° بالنسبة للحرارات الدنيا، وتصل كميات المياه المتبخرة إلى حوالي 735 ملم. هذه الظروف المناخية القاسية تؤثر سلباً على الحياة الاقتصادية في المنطقة، خاصة على النشاط الفلاحي الذي يلعب دوراً مهماً في حياة السكان.

عرفت المنطقة استقراراً بشرياً قديماً. ويبلغ عدد سكان الجماعة حسب إحصاء 1994 حوالي 26.329 فرداً، منهم 19.445 قروياً. ويمثل هذا العدد حوالي 35٪ من مجموع سكان الدائرة، الشيء الذي يجعل من الجماعة أكثر جماعات الدائرة سكاناً، أما الكثافة السكانية على مستوى الجماعة فتصل إلى حوالي 61 نسمة / كلم<sup>2</sup>. كما يستفاد من مقارنة إحصاءي 1982 و 1994 أن مجموع سكان الجماعة عرف نمواً تقدر نسبته بـ 26٪.

تعتمد هذه الساكنة في حياتها على أنشطة مختلفة كالقلاحة والهجرة الدولية.

تشير تقديرات مركز الأشغال الفلاحية بدريوش إلى أن استعمال أراضي الجماعة يتم على النحو التالي :

- الأراضي الفلاحية 30.000 هكتار. منها 27.360 هكتار بورية و 2.640 هكتار مسقية.

- المراعي 1.430 هكتار.

- الغابات 8.500 هكتار.

- أراضي غير قابلة للاستغلال 3.270 هكتار.

كما تشير هذه التقديرات إلى أن مجموع الفلاحين بالجماعة يصل إلى حوالي 3.800 فلاح يملك حوالي 55٪ منهم أقل من 5 هكتارات. إلا أن الظروف المناخية القاسية ووجود مساحات غير صالحة للاستغلال (سطوح مكسوة بالقشرات الكلسية وأخرى معرأة من المواد السطحية) وغير القابلة للحرق يحدان بشكل كبير من أهمية النشاط الزراعي. وفي محاولاتهم للتغلب على هذه الصعاب ويصطف خاصة على ندرة الماء، يعتمد الفلاحون إلى استغلال المياه الجوفية عن طريق حفر الآبار التي يصل عددها في الجماعة إلى 1.400 بئر حسب تقديرات مركز الأشغال الفلاحية. وقد بدأت ظاهرة استغلال المياه الجوفية مع دخول الاستعمار إلى المنطقة وحصول العمرين على أجرد أراضيها. وتتوفر الجماعة على عدد مهم من رؤوس الماشية خاصة الأغنام والماعز وهو ما يعكس استمرار السكان في التعاطي للنشاط الرعوي الذي كونه لعدة طويلة عماد حياتهم الاقتصادية.

إلى جانب القلاحة تعرف الجماعة كباقي المناطق المجاورة هجرة دولية مهمة، غير أن هذه الظاهرة أقل أهمية مما هي عليه في الجماعات المجاورة، خاصة تلك التي تنتمي إلى دائرة الريف. وقد قدرت نسبة المهاجرين في الجماعة بين 4 و 8٪ من مجموع السكان (Bossard, 78). ويقوم هؤلاء بتحويل مبالغ مالية مهمة نحو ذويهم، الشيء الذي يعمل على الرفع من مستوى العيش وعلى تطور الجماعة خاصة مركزها الحضري. (انظر دار الدرريوش).

أساس الدستور وفق المعنى الشكلي فيراد به الوثيقة المدونة المتضمنة لمجموعة من المقتضيات والأحكام الصادرة من السلطة المختصة، وهي السلطة التأسيسية الأصلية التي يختلف تكوينها باختلاف الدساتير. وتبعاً لهذا المعنى فإن الدستور لا يكون له وجود إلا بالنسبة للدول التي تأخذ بفكرة الدساتير المكتوبة، أما الدول التي لا تعرف الدستور المكتوب كإنجلترا فإنه لا يتصور أن يوجد بها دستور ما دام هذا الأخير وفق المدلول الشكلي لمعنى الدستور يصدر فقط عن السلطة التأسيسية.

وينصرف مصطلح الدستور أساساً إلى الوثيقة الدستورية التي تتضمن القواعد الأساسية المتعلقة بنظام الحكم في الدولة كالدستور الفرنسي والإسباني والمغربي الخ... وذلك من حيث تنظيم السلطات العامة وتحديد اختصاصاتها وبيان الحقوق والحريات المقررة للأفراد وكذلك الاتجاهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مع اختلاف الدساتير فيما تتضمنها من مقتضيات وأحكام.

والوثيقة الدستورية التي تشكل المصدر الهام للقانون الدستوري قد تكون واحدة وهذه هي القاعدة والأصل ! وقد تكون متعددة كما هو الحال بالنسبة لدستور الجمهورية الثالثة في فرنسا، حيث صدرت ثلاثة قوانين دستورية : الأول صدر بتاريخ 24 فبراير 1875 من أجل تنظيم مجلس الشيوخ، ويتضمن إحدى عشرة مادة، والثاني صدر في 25 فبراير 1875 وهو متعلق بتنظيم السلطات العامة ويتضمن تسع مواد، والثالث صدر في 16 يوليو 1875 ويحتوي على أربع عشرة مادة متعلقة بتنظيم العلاقة بين السلطات. وهذه القوانين الثلاثة هي التي تشكل في مجموعها دستور 1875 أو ما يسمى بدستور الجمهورية الثالثة الذي ظل قائماً إلى تاريخ اندحار فرنسا أمام ألمانيا النازية سنة 1940.

كما أن الوثيقة الدستورية من حيث عدد فصولها قد تكون طويلة مثل دستور الهند لسنة 1949 الذي يتضمن 395 مادة بالإضافة إلى جداول مرفقة بالدستور، ودستور يوغوسلافيا لسنة 1963 الذي كان يحتوي على 259 مادة، ودستور المكمل للبيبي لسنة 1951 الذي كان يحتوي على 204 مادة. وعلى خلاف ما سبق، توجد دساتير عدد موادها ليس بالكثير كما هو الحال بالنسبة لدستور الولايات المتحدة الأمريكية الذي كان وقت صدوره سنة 1787 متضمناً لسبع مواد فقط، وكذلك الأمر بالنسبة لدستور فرنسا لسنة 1875 الذي كان يتضمن 34 مادة. أما الدساتير المغربية المتعاقبة فتتضمن مجموعة من الفصول محددة تبعاً لتسلسل الدساتير من الناحية الزمنية على النحو التالي : دستور 1962 : 110 فصل، دستور 1970 : 101 فصل، دستور 1972 : 103 فصل، دستور 1992 : 102 فصل، دستور 1996 : 108 فصل.

تنقسم الدساتير من حيث مصدر القاعدة الدستورية إلى دساتير مكتوبة ودساتير عرفية :

- الدستور المكتوب هو الذي يضع أحكامه المشرع الدستوري ويدون قواعده في وثيقة رسمية واحدة أو عدة وثائق. وأول الدساتير المكتوبة هي التي وضعتها لنفسها المستعمرات الإنجليزية بأمريكا الشمالية وقت أن أعلنت انفصالها عن التاج البريطاني سنة 1776، ثم تلا ذلك في سنة 1781 صدور دستور الاتحاد التعاهدي، وفي سنة 1787 صدر الدستور الاتحادي للولايات المتحدة الأمريكية الذي لا يزال ساري النفاذ مع ما أدخل عليه من تعديلات وصلت إلى 26 تعديلاً.

ثم انتقلت فكرة الدساتير المكتوبة من أمريكا الشمالية إلى فرنسا التي وضعت أول دستور مكتوب لها سنة 1791 في عهد الملك لويس السادس عشر. ثم توالى بعد ذلك صدور بقية الدساتير المكتوبة (1793، 1795، 1799، 1814، 1830، 1848، 1852، 1875، 1946) والذي كان آخرها دستور 1958 (دستور ديغول أو دستور الجمهورية الخامسة) مع ما أدخل عليه من تعديلات وخاصة التعديل الذي تم سنة 1962.

ومن فرنسا انتقلت فكرة الدساتير المكتوبة إلى بقية دول العالم، حيث تم وضع دستور بلجيكا سنة 1831 وإيطاليا سنة 1848 وفنلندا سنة 1919 وتركيا سنة 1924 والعراق 1925 والأردن سنة 1928 والمغرب سنة 1962 الخ...

وفكرة الدساتير المكتوبة أصبحت تشكل جزءاً من كيان الدولة الحديثة بحيث أصبح من المتعذر العدول عن هذه الوسيلة والرجوع إلى فكرة الدساتير العرفية التي آل مصيرها إلى الزوال والأفول.

- الدستور العرفي هو ذلك الدستور الذي يستمد أحكامه عن غير طريق التشريع، أي ذلك الذي تتكون أحكامه وقواعده ومقتضياته عن طريق العرف الذي ينشأ تلقائياً من أجل معالجة أمور ومسائل تتعلق بنظام الحكم، دون تدخل من المشرع الوضعي.

ويثبت التاريخ الدستوري أن دساتير الدول القديمة بدأت في شكل قواعد عرفية وظلت كذلك إلى ما بعد منتصف القرن الثامن عشر، حيث افتتحت الثورتان : الأمريكية والفرنسية عهد الدساتير المكتوبة.

والمثال التقليدي للدساتير العرفية هو دستور المملكة المتحدة. فإنجلترا لا تملك وثيقة مكتوبة تسمى الدستور الإنجليزي تحوي بين دفتها القواعد الدستورية، ذلك أن جل القواعد المتعلقة بنظام الحكم تكونت في هذا القطر على مر الزمن بالعادة والتكرار حتى استقر في ذهن الجماعة وجوب احترامها والعمل بمقتضياتها.

وإذا كانت المملكة المتحدة ذات دستور عرفي، فإنه توجد بها وثائق مكتوبة تشكل جانباً هاماً من مصادر النظام الدستوري الإنجليزي في الوقت الحاضر، من غير أن يترتب عن ذلك إخراج بريطانيا من إطار الدول ذات الدساتير العرفية.

ومن أمثلة هذه الوثائق المكتوبة في إنجلترا ما يلي :  
العهد الأعظم - ملتمس الحقوق - وثيقة الهابياس كوربوس -  
قرار التثبيت أو قانون توارث العرش - قانون البرلمان.  
وإذا كان الدستور العرفي يرتبط بالدول التي لا تأخذ  
بفكرة الدساتير المكتوبة، فإن العرف الدستوري كمصطلح  
يطلق على القواعد العرفية التي تنشأ في إطار دولة لها  
دستور مكتوب. فإسبانيا والمغرب والجزائر وسائر الدول  
ذات الدساتير المكتوبة لا توجد بها دساتير عرفية، ولكنها  
تعرف قواعد عرفية تظهر بجوار الدستور المكتوب من أجل  
تفسير نص دستوري أو تكملته أو تعديله، بل وحتى إيجاد  
قواعد دستورية غير منصوص عليها في الوثيقة  
الدستورية.

وتنقسم الدساتير بالنظر إلى كيفية تعديلها إلى دساتير  
مرنة ودساتير جامدة.

الدستور المرن : هو ذلك الدستور الذي يمكن تعديله  
بقانون عادي تصدره السلطة التشريعية، دون حاجة إلى  
اتباع أي إجراء آخر يختلف عن الإجراء المتبع في وضع  
وتعديل القانون العادي : أي أن الدستور المرن تعدل  
أحكامه بواسطة السلطة المختصة بالتشريع.

وفي إطار هذا النمط من الدساتير تتساوى القوانين  
الدستورية مع القوانين العادية، وتحتل نفس المرتبة والدرجة.  
وإذا حدث تعارض بين نص دستوري ونص عادي، فإن  
اللاحق يلغى السابق، دون أن تثار مسألة الرقابة على  
دستورية القوانين العادية.

ومن أمثلة الدساتير العرفية المنة. دستور إنجلترا، حيث  
يستطيع البرلمان أن يغير القواعد الدستورية بنفس الطريقة  
التي يعدل بها القوانين العادية.

ومن أمثلة الدساتير المكتوبة المنة : دستور فرنسا  
لسنة 1814 و 1830، دستور إيطاليا لسنة 1848، دستور  
قطر لسنة 1972. وكون هذه الدساتير المكتوبة اتصفت  
بالمرونة، فمرد ذلك خلو الوثيقة الدستورية من الإجراءات  
المتعلقة بالتعديل، الأمر الذي جعل هذا النمط من الدساتير  
يندرج في إطار الدساتير المنة.

الدستور الجامد هو ذلك الذي لا يمكن تعديله وتغييره  
بقانون عادي، وإنما يتحتم من أجل تعديله اتباع الإجراءات  
التي حددها الدستور وبينها في نصوصه.

والإجراءات المتبعة لتعديل الدساتير الجامدة ليست  
واحدة، نظراً لاختلاف الدساتير في هذا المضمار. فقد  
يشترط الدستور اجتماع مجلسي البرلمان في هيئة مؤتمر  
عندما يكون البرلمان مكوناً من مجلسين، وقد يشترط  
إسناد التعديل إلى جمعية يختار أعضاؤها خصيصاً لهذا  
الغرض، وقد يشترط لإتمام التعديل أغلبية موصوفة، وقد  
يشترط موافقة الشعب على التعديل.

والهدف من تقرير جمود الدستور، هو إعطاؤه نوعاً من  
الثبات والاستقرار. ولتحقيق هذه الغاية فإن قواعده  
ومقتضياته تحاط بسياج متين بضمن لها قدرات من السمو  
والعلو، للحيلولة دون التغييرات التي تتم دون روية وتدبر

وتفكير. ولهذا، فإن جمود الدستور لا يعني مطلقاً عدم  
المساس به، لأن ذلك يتنافى مع طبيعة الأشياء ويتجافى  
مع سنة الحياة التي لا تقبل الجمود المطلق.

وتأسيساً على ما سبق، فإنه إذا كان الدستور المرن  
يتميز بإمكان تعديله باتباع ذات الإجراءات المتطلبية لتعديل  
القوانين العادية، فإن الدستور الجامد ليس كذلك. ولهذا  
حينما تختلف الإجراءات المتبعة في تعديل القوانين  
الدستورية عن تلك المتطلبية لتعديل القوانين العادية، فإن  
الدستور يكون جامداً، مهما بلغت درجة هذا الاختلاف من  
الضآلة، كأن يشترط في تعديل القواعد الدستورية توافر  
أغلبية الثلثين، ويتطلب في تعديل القوانين العادية تحقق  
الأغلبية المطلقة.

ويترتب على اتصاف الدستور بصفة الجمود سريان هذا  
الجمود على كل المقتضيات التي تتضمنها الوثيقة  
الدستورية، بما في ذلك تلك المقتضيات التي تعالج بأداة  
قانونية أدنى من الدستور، والتي تعتبر دستورية من  
الناحية الشكلية دون الناحية الموضوعية، الأمر الذي يجعل  
الوثيقة الدستورية لا تعدل إلا بعد اتباع الإجراءات  
المنصوص عليها في الدستور ذاته، وإذا حدث تعارض بين  
نص دستوري ونص عادي، فإنه في هذه الحالة تثار مسألة  
الرقابة على دستورية القوانين.

مظاهر جمود الدستور : يلجأ واضعو الدساتير الجامدة  
للحيلولة دون تعديل أحكام الوثيقة الدستورية إلى منع  
التعديل خلال فترة زمنية (الحظر الزمني)، أو منع تعديل  
بعض النصوص بصفة دائمة (الحظر الموضوعي).

أ - الحظر الزمني المقصد من هذا الحظر هو حماية  
الدستور فترة من الزمن لا يجوز خلالها اقتراح تعديل  
أحكامه، بهدف ضمان نفاذ قواعده فترة تكفي لتثبيتها  
وترسيخها قبل أن يسمح باقتراح تعديلها، ومن ذلك  
دستور الكويت (المادة 174)، البحرين (المادة الأولى، بند  
"و")، المغرب (الفصل 21، الفقرة الأولى).

ب - الحظر الموضوعي يتوخى هذا الحظر حماية أحكام  
معينة في الدستور على نحو يحول دون إمكانية تعديلها،  
نظراً لكونها تشكل الحجر الأساسي في النظام السياسي  
الذي يقيمه الدستور. ومن أمثلة الدساتير التي نصت على  
الحظر الموضوعي المؤبد لبعض النصوص، دستور فرنسا  
لسنة 1958 (المادة 89، الفقرة الثانية)، دستور ألمانيا  
الاتحادية (المادة 79، الفقرة الأخيرة)، دستور الكويت  
(المادة 175)، دستور المغرب لسنة 1996 (الفصل 106).

تختلف طرق وضع الدساتير المكتوبة باختلاف الدول،  
وتباين أحوالها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية،  
وتفاوتها في مضمار الحضارة والمدنية، ومدى التضج  
السياسي لدى الرأي العام فيها : كما تتأثر طريقة الوضع  
بنوعية نظام الحكم الذي يراد الأخذ به.

والطرق المتبعة في وضع الدساتير هي التالية :

- أسلوب المنحه وفق هذا الأسلوب ينفرد الحاكم بوضع الوثيقة الدستورية دون مشاركة أو مساهمة من الشعب. لهذا يعتبر الدستور المنحوق هبة أو منحة من طرف الحاكم الذي تكرم وتفضل بالتنازل عن جزء من اختصاصاته المطلقة لصالح المحكومين من أفراد رعيتهم.

ويمثل هذا الأسلوب في وضع الدساتير الانتقال من الحكم المطلق الذي تتجسد فيه السيادة في شخص الحاكم إلى الحكم المقيد الذي من خصائصه تقييد سلطات الحاكم، نتيجة تحديد الدستور لسلطات الدولة واختصاصاتها وبيان ما يتمتع به الشعب من حقوق وحریات.

من أمثلة الدساتير المنوحة دستور فرنسا لسنة 1814 ودستور إيطاليا لسنة 1848 ودستور اليابان لسنة 1889 ودستور مصر لسنة 1923 ودستور قطر لسنة 1972 ودستور السعودية لسنة 1992 الذي جاء فيه ما يلي :

"بعمون الله تعالى : نحن فهد بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية. بناء على ما تقتضيه المصلحة العامة ونظراً لتطور الدولة في مختلف المجالات ودرغبة في تحقيق الأهداف التي نسعى إليها. أمرنا بما هوأت..."

- أسلوب التعاقد يمتضى هذه الوسيلة ينشأ الدستور باتفاق بين الحاكم ومثلي الشعب، حيث يتعذر على أي طرف أن يستأثر بعملية إقرار الدستور إلا بعد تلاقي إرادة كل من رئيس الدولة وأعضاء البرلمان الذين يمثلون الشعب. ويتبين من هذا الأسلوب في وضع الوثيقة الدستورية أن نظام الحكم الفردي بدأ في الضعف وسائر إلى الأقول والزوال، وأن إرادة الشعب أخذت في الظهور والصعود، وفارضة وجودها عبر من يمثلها في البرلمان. ولهذا تعتبر هذه الوسيلة خطوة إلى الأمام في طريق الديمقراطية، مما يجعلها أفضل من أسلوب المنحة.

ومن أمثلة الدساتير التي وضعت بأسلوب التعاقد ما يلي : دستور فرنسا لسنة 1830 - دستور العراق لسنة 1925 - دستور الأردن لسنة 1946 و1952 - دستور الكويت لسنة 1962 - دستور البحرين لسنة 1973.

- أسلوب الجمعية التأسيسية المنتخبة وفق هذا الأسلوب يتولى الشعب وضع الوثيقة الدستورية بطريق غير مباشر عبر ممثلين ينتخبهم من أجل ممارسة السلطة التأسيسية ووضع دستور للبلاد.

وترجع هذه الوسيلة في أصلها وبداية ظهورها إلى أمريكا، حيث تم بواسطتها وضع دساتير أغلب الولايات الأمريكية عقب إعلان استقلالها عن إنجلترا سنة 1776، وبذات الوسيلة صدر الدستور الاتحادي سنة 1787.

ومن أمريكا انتقلت هذه الوسيلة إلى فرنسا، حيث وضعت دساتير 1791 و1848 و1875 عن طريق جمعية نيابية منتخبة.

ومن فرنسا انتقلت هذه الوسيلة إلى دول عديدة منها :

- دستور ألمانيا لسنة 1919 - دستور إسبانيا لسنة 1931 - دستور تركيا لسنة 1924 - دستور سوريا لسنة 1950 - دستور تونس لسنة 1959 - دستور البرتغال لسنة 1976.

والدستور الصادر وفق هذا الأسلوب يصبح نافذاً من تلقاء ذاته بمجرد إقراره من طرف الجمعية المنتخبة دون حاجة إلى عرضه على الشعب للحصول على موافقته ومن غير حاجة أيضاً إلى موافقة جهة من الجهات بما في ذلك رئيس الدولة.

- أسلوب الاستفتاء الدستوري قد يتم إعداد الدستور من طرف جمعية منتخبة أو لجنة حكومية وقد ينفرد رئيس الدولة بإعداد صياغته، ومع ذلك يعتبر الدستور صادراً وفق أسلوب الاستفتاء الدستوري، ما دام الدستور لا يمكن إصداره إلا بعد موافقة الشعب عليه عن طريق الاستفتاء.

ومن أمثلة الدساتير التي وضعت من طرف جمعية منتخبة ووافق عليها الشعب دستور فرنسا لسنة 1946.

ومن أمثلة الدساتير التي أعدت من طرف لجنة حكومية وأقرها الشعب دستور مصر لسنة 1956 ودستور فرنسا لسنة 1958.

ومن أمثلة الدساتير التي انفراد رئيس الدولة بصياغتها ووافق عليها الشعب في استفتاء عام دساتير المغرب لسنة 1962، 1970، 1972، 1992، 1996.

وبعد أسلوب الاستفتاء الدستوري تطبيقاً لفكرة الديمقراطية المباشرة، لأن الشعب هو الذي يختار دستوره بنفسه دون إنابة أو تفويض.

ولما كان أسلوب الاستفتاء الدستوري في وضع الوثائق الدستورية يمكن الشعب بصورة مباشرة من الاستئثار بعملية الإقرار النهائي للدستور، فإنه من أجل ذلك يعتبر من أكثر الوسائل ديمقراطية، لكونه يأخذ من الديمقراطية بأكبر نصيب ويبلغ منها أقصى درجة وأبعد مدى.

وقد اتبعت طريقة الاستفتاء الدستوري العديد من

الدساتير منها : دستور فرنسا لسنة 1793 - 1795 - 1946 -

1958 - دستور مصر لسنة 1956 و1971، دستور إسبانيا

لسنة 1978، دساتير المغرب (1962 - 1970 - 1972 - 1992 -

1996) وإذا كان أسلوب الاستفتاء الدستوري يفضل

الأساليب السابقة، فإنه من الناحية الواقعية والفعالية لا

يعتبر كذلك، إلا إذا كان الشعب على درجة من الوعي

السياسي، وكان في إمكانه رفض الدستور إذا تبين له أنه

لا يساير روح العصر أولاً يستجيب لآماله وتطلعاته في

كيفية تدبير الشأن العام.

تعديل الدساتير : إن الدستور في واقع أمره وحقيقة

حاله هو تخطيط للنظام السياسي في بلد معين، ونتيجة

لذلك فهو يظهر إلى حيز الوجود متضمناً للقواعد الأساسية

للدولة وفق أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية

السائدة وقت صدوره.

ولما كانت الحياة الاجتماعية متغيرة، على خلاف الوضع

بالنسبة للدستور الذي يتسم بالسكون، فإنه كان لزاماً من أجل مساندة الحياة التغييرية، أن يتطور الدستور حتى يواكب هذه التغييرات ويغطي المستجدات التي تطرأ على حياة الدولة لكي لا تظهر الفجوة بين التنظيم القانوني القائم وبين الواقع الفعلي.

ولتحقيق هذه الغاية قد يقتصر الأمر على تعديل بعض النصوص الدستورية، وقد يتطلب الأمر إلغاء الوثيقة الدستورية برمتها وإستبدالها بغيرها.

والقاعدة في جل الدساتير الجامدة أنها لا تنظم إلا طريقة تعديلها تعديلاً جزئياً، في حين أن البعض الآخر يتصدى لبيان طريقة التعديل الجزئي ويحدد في ذات الوقت كيفية التعديل الكلي للوثيقة الدستورية، من ذلك دستور إسبانيا لسنة 1978 الذي أفرد المادة 166 و167 للتعديل الجزئي وخصص المادة 168 للتعديل الشامل للوثيقة الدستورية ولمسائل أخرى. وهذه المادة تقرر ما يلي :

- وقت اقتراح المراجعة الشاملة للدستور أو مراجعة تمس الباب التمهيدي أو الفصل الثاني أو الفرع الأول من الباب الأول أو الباب الثاني، سيتم اللجوء إلى الموافقة على المبدأ بأغلبية ثلثي أعضاء كل مجلس ثم يحل الكورتس مباشرة.

- يتوجب على المجلسين المنتخبين التصديق على قرار المراجعة والشروع في دراسة النص الدستوري الجديد ويتحتم التصديق عليه بأغلبية الثلثين في كل مجلس

- بعد مصادقة الكورتس تعرض المراجعة على الاستفتاء لإقراره.

فتعديل الدستور بأكمله يراد به انتهاء العمل بالوثيقة الدستورية برمتها، في حين أن التعديل الجزئي يراد به تعديل بعض أحكام الدستور فقط، وهو ما تخصص له جميع الدساتير الجامدة عنواناً مستقلاً توضح فيه الإجراءات الواجب إتباعها من أجل تغيير بعض مواد الدستور.

وفي النظام الدستوري المغربي حينما يتم انتهاء سريان الدستور بأكمله ويصدر دستور جديد، فإن هذا الأخير قد يخصص فصلاً خاصاً بشر فيه إلى انتهاء العمل بالدستور السابق. وهذا ما نجده في الدستور الثالث لسنة 1972 الذي ينص في الفصل 103 منه على ما يلي : "يلغى الدستور الصادر الأمر بتنفيذه بمقتضى الظهير الشريف رقم 1.70.177 بتاريخ 31 يوليوز 1970". بيد أن عدم ورود نص مماثل في أي دستور جديد (1992 - 1996)، لا يعني أن الدستور القديم يظل قائماً ومنتجاً لأثاره. ذلك أن الدولة لا يمكن أن يكون لها في ذات الوقت سوى دستور واحد يتم العمل بمقتضياته. وعلى هذا الأساس فإن الدستور اللاحق والصادر الأمر بتنفيذه يؤدي بصفة تلقائية إلى إلغاء الدستور السابق عليه.

والوضع يختلف حينما يكون الأمر متعلقاً بالتعديل الجزئي، حيث إن الذي يلغى أو يعدل في هذه الحالة ليس هو الدستور بأكمله، وإنما بعض المقتضيات التي تتضمنها

الوثيقة الدستورية، دون إلغاء للدستور الذي يبقى ساري النفاذ مادام التعديل قد انصب على بعض الفصول فقط.

والمثال على التعديل الجزئي ما حدث في المغرب سنة 1980، حيث تم في 21 و30 ماي ذات السنة تعديل الفصل 21 و43 و95، من غير أن يترتب على ذلك أي مساس بباقي فصول الوثيقة الدستورية. ذلك أنه بالرغم من المراجعة التي تمت في ظل دستور 1972، فإن هذا الدستور ظل قائماً ومطبقاً إلى أن ألغى بمقتضى الدستور الرابع لسنة 1992. وكذلك الأمر بالنسبة للمراجعة الجزئية التي تمت في 15 سبتمبر 1995 بغاية تعديل الفقرة الثالثة من الفصل 49 من دستور 1992، حيث تمخض عن الاستفتاء مجرد تعديل تلك الفقرة، مع بقاء الدستور منتجاً لأثاره إلى أن ألغى بمقتضى الدستور الخامس لسنة 1996.

والدستور المغربي لسنة 1996 نظم موضوع تعديل الوثيقة الدستورية من حيث إجراءاته ونطاقه على النحو التالي :

الفصل 103 : "للملك وللمجلس النواب وللمجلس المستشارين حق اتخاذ المبادرة قصد مراجعة الدستور. للملك أن يستفتي شعبه مباشرة في شأن المشروع الذي يستهدف به مراجعة الدستور.

الفصل 104 : " إن اقتراح مراجعة الدستور الذي يتقدم به عضو أو أكثر من أعضاء مجلس النواب أو مجلس المستشارين لا تصح الموافقة عليه إلا بتصويت ثلثي الأعضاء الذين يتألف منهم المجلس المعروض عليه الاقتراح، ويحال الاقتراح بعد ذلك إلى المجلس الآخر ولا تصح موافقته عليه إلا بأغلبية ثلثي الأعضاء الذين يتألف منهم".

الفصل 105 : "تعرض مشاريع واقتراحات مراجعة الدستور بمقتضى ظهير شريف على الشعب قصد الاستفتاء.

تصير المراجعة نهائية بعد إقرارها بالاستفتاء".

الفصل 106 : "النظام الملكي للدولة وكذلك النصوص المتعلقة بالدين الإسلامي لا يمكن أن تتناولها المراجعة".

بطرس البستاني، معيط المحيط، بيروت، السيد سعيد الحوري الشرتوفي، أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد : أ. عطية، القاموس السياسي، بيروت، 1974 : الدساتير الدولية المشار إليها في النص أعلاه : الدساتير المغربية الخمسة.

مصطفى فلوش

**دستور جماعة لسان المغرب (1908) :** إنه مشروع

دستور نشرته جريدة "لسان المغرب" التي كان يحررها في طنجة ما بين 1907 و1909 الأخوان الشاميان المسيحيان فرج الله نمور وأرتون نمور. ظهرت منه ثلاث وتسعون مادة في أربعة أعداد متتالية من الجريدة وهي مؤرخة في 11 و18 و25 أكتوبر وفاتح نونبر 1908. وتعتبر هذه المواد التي

تم الفراغ من تحريرها يوم الأحد 15 رمضان 1326 / 11 أكتوبر 1908 بمثابة الفصل الأول من المشروع، وهو "الدستور الأساسي المغربي"، وأعلن أنه سيتبع لاحقا بفصلين آخرين واحد منهما يبحث في "نظام منتدى الشورى الداخلي"، والثاني يتناول كيفية "الانتخابات العمومية". غير أن هذين الفصلين لم يريا النور.

تنوزع مواد الفصل الأول المنشور بين المواضيع التالية :  
- الدولة والدين والسلطان (من المادة 1 حتى المادة 11).  
- أبناء الدولة الشريفة : حقوقهم وواجباتهم العامة (من المادة 12 حتى المادة 50).

- مجلس الشرفاء (من المادة 51 حتى المادة 56).

- كبار الموظفين (من المادة 57 إلى المادة 66).

- مالية الدولة (من المادة 67 إلى المادة 70).

- رواتب الموظفين (من المادة 71 إلى المادة 74).

- الحماية الأجنبية (من المادة 75 إلى المادة 82).

- المدارس الوطنية (من المادة 83 إلى المادة 90).

- ملحق وهو عبارة عن تحديد لصلاحيات منتدى الشورى (من المادة 91 إلى المادة 93).

تضع مقتضيات هذا المشروع لبنات نظام ملكي دستوري متطور جاءت في وقت حفلت فيه الساحة السياسية المغربية بمبادرات إصلاحية تصب في نفس الاتجاه تقريبا (مذكرة عبد الله بن سعيد - مذكرة علي زبير - بيعة أهل فاس المشروطة لمولاي عبد الحفيظ - مذكرة عبد الكريم مراد...) وفي زمن اشترأبت فيه الأعناق إلى التجربة العثمانية في مجال الحركة الدستورية. لكن "دستور لسان المغرب" يتميز عن غيره من التجارب التي عرفتها الساحة المغربية بكونه قد نشر على الملأ على أعمدة جريدة ليطلع عليها السلطان والرعية على السواء. وهذه الجرأة هي التي تفسر أن واضعيه الحقيقيين فضلوا عدم الكشف عن أسمائهم ريثما يتبين مآل مشروعهم. وقد أشار بعض الكتاب، خاصة منهم علال الفاسي، إلى أسماء بعض المغاربة المنتهين إلى "جريدة الاتحاد والترقي" في فاس والذين قد يكونون ساهموا في وضع مواد هذا الدستور. وهم : المهدي بن الطالب الفاسي، وسعيد الفاسي، وعبد الحفيظ الفاسي، وأحمد بن المواز، وأحمد الزبيدي (الحركات الاستقلالية، ص. 97).

غير أن من يعن النظر في الأسلوب اللغوي وفي المفردات والمصطلحات المستعملة في تحرير مواد هذا المشروع تساوره شكوك في نسبه إلى أقلام مغربية. لذا دأب الباحثون على نسبه إلى "جماعة لسان المغرب" التي ربما ضمت في صفوفها، بالإضافة إلى نخبة متنورة من المغاربة، بعض المشاركة نزلاء المغرب وفي مقدمتهم الأخوان غور. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذين الصحافيين كانا في نزاع مع المخزن في شأن نفقات الجريدة التي يحررانها، وكان من مصلحتهما العمل على إحراج السلطان المولى عبد

الحفيظ بنشر مشروع دستور يقيد سلطاته الأوطوقراطية ويفرض عليه الاحتكام إلى "منتدى الشورى" في سياسته. وتأتي هذه المبادرة بعد سلسلة من "الرسائل المفتوحة" وجهها الشاميان إلى السلطان على أعمدة جريدتهما قصد فضح عورات المخزن.

تعوزنا الوثائق لتبيان رد فعل المخزن والسلطان على مشروع دستور جماعة "لسان المغرب". ولكن، على العكس من ذلك، نعلم أن المخزن الحفيظي ضاق ذرعا بانتقادات الجريدة، فبادر إلى إصدار أوامره إلى النائب محمد الجياص بتوقيفها وطرده صاحبها من المغرب. وفعلا، توقفت الجريدة بعد صدور عددها الرابع والثمانين المؤرخ في 2 ماي 1909، ورُحل الشاميان عن البلاد ليستقر بهما المقام في البرازيل. إذا كان الستار قد أسدل على مشروع دستور جماعة لسان المغرب بتوقف الجريدة الطنجوية في ماي 1909 ثم بدخول البلاد تحت الهيمنة الاستعمارية في مارس 1912، فإن الحركة الوطنية قد حاولت أن تعيد إليه الاعتبار ابتداء من الثلاثينيات وتتبناه كجزء من تراثها. وكان الهدف من ذلك هو إبراز كون المغاربة قد اعتنقوا الفكر الدستوري قبل أن يجهض الاستعمار طموحاتهم. ومن الوطنيين الذين دافعوا عن وجهة النظر هذه كل من محمد المكي الناسري وعلال الفاسي.

أبو الفداء [الملك الناصري]، "الدستور المغربي، آخر مشروع قومي قبل الاستقلال" في المغرب الجديد، تطوان، العدد 6، 1935، ص. 8. 1 : علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، ط. 4، الرباط، 1980، ص. 97. 101 : علال الفاسي، الديمقراطية وكفاح الشعب المغربي من أجلها، نشر مؤسسة علال الفاسي، الرباط، 1990، ص. 29. 38 : محمد بن الحسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد : التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية، ج. 1 : طور المخاض والنشوء، بيروت، 1982، ص. 75 - 116 : محمد المنوني، مظاهر بقعة المغرب الحديث، ط. 2، الرباط، 1985، ج. 2، ص. 283. 292 : صور من تطلع المغرب للحياة الدستورية، في المناهل، العدد 41، الرباط، فبراير، 1993، 115، 139 : ع. الكرم غلاب، التطور الدستوري والتبسيب بالمغرب : 1908 - 1992، 1993، البيضاء، ص. 120 - 126.

J. Cagne, *Nation et nationalisme au Maroc. Aux racines de la nation marocaine*, Rabat, 1988.

جامع بيضا

**الدسة، أحمد، مطرب طنجي،** نسب إليه ابتكار أسلوب في العزف على العود والكماني يعرف بالدسة، وهو إعادة الجملة اللحنية في الجوابات على الأوكتاف الأعلى مع الميل إلى ضغط النغمات وتعمير الفراغات المديدة.

A. Chottin, *Corpus de musique marocaine*, Fasc. 1, *Nouba de Ouchchâk*, p. 17, Paris, 1931 - 1932, 2 vol.

عبد العزيز بن عبد الحليل

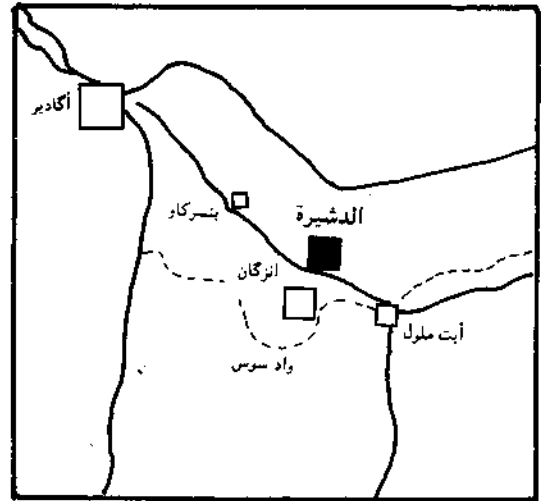
## الدشيرة - الدوائر

**الدشيرة** وتسمى منذ سنة 1992، "الدشيرة الجهادية"

مدينة تحتضن عند منتصف سنة 2000 حوالي 97395 نسمة وتوسط الكوكبة الحضرية لأقاليم الكبير حيث تشكل أحد أهم مراكزه التجارية والصناعية.

كانت في الأصل عبارة عن مجموعة من الدواوير الصغرى المتقاربة (الدشيرة، تغمي أو فلا، إرحالن، تبارين، إگي إفرضن)، المتناثرة على طول الضفة اليمنى لواد سوس قبالة مدينة إنزكان في اتجاه الشمال، والتي كانت تمتد على طول نتوء ضخري، مستفيدة في ذلك من المميزات التي يوفرها هذا الموضع حيث الأراضي الواطئة التي تكونها المصطبات النهرية العليا لسوس ووفرة المياه التي تأتي بها ساقية الجهاد.

شهدت الدشيرة بعد زلزال أكادير إقبالا سكانيا كبيرا على غرار إنزكان، ارتبط في البداية باستقرار جزء من الأسر المنكوبة والذين أقيم لهم مخيم في عين المكان، ويقدم أعداد هامة من المغاربة فيما بعد من مختلف جهات البلاد وخاصة منهم الجنود نظراً لقربها من القاعدة العسكرية، والذين غالباً ما يختارون الإقامة بها نهائياً بعد إحالتهم على التقاعد، إضافة للتجار الصغار والعاملين بسوق الجملة ومتهني الحرف المختلفة الغير المهيكلة والذين يفضلون الاستقرار بها نظراً لموقعها المركزي بأقاليم الكبير ولما توفره من فرص الحصول على مسكن بثمن زهيد، ونفس الشيء، بالنسبة لأسر المتقاعدين من عناصر الجالية المغربية العاملة بالخارج والمنحدرين من منطقة سوس.



وقد أسفر هذا الإقبال عن توسع مجالي هام، اقترن في الستينيات بظهور مجموعة من الدواوير (المرس، أيت داود، معلم إبراهيم، لجديد، إگرو معي ...) على جوانب النوى

الأصلية، وانعكس فيما بعد منذ منتصف السبعينيات في نشوء حي البرگولا وانطلاقة البناء بالحي الصناعي تسليلاً وتجهيز حي الجهادية منذ نهاية الثمانينيات.

تزايد عدد سكان الدشيرة بشكل سريع جداً منذ الثلاثينيات حيث مر عددهم من 1818 سنة 1936 إلى قرابة 100000 نسمة اليوم، كما يبرز ذلك الجدول أسفله.

تطور عدد السكان الدشيرة ووزنها الديمغرافي بأقاليم الكبير ما بين 1936 و2000.

السكان	1936	1960	1971	1982
العدد	1818	6589	18960	41009
% التزايد السنوي	-	5.51	10.09	7.27
الوزن بأقاليم الكبير	4.08	5.87	8.32	9.21

السكان	1994	2000
العدد	72409	97365
% التزايد السنوي	4.85	5.06
الوزن بأقاليم الكبير	9.19	9.79

ويقدر معدل نسبة التزايد السنوي بـ 6.56% ما بين 1936 و2000 وذلك في مقابل 3.81% المعدل الحضري المسجل على الصعيد الوطني بالنسبة لنفس الفترة. وقد تميز إيقاع التزايد بنوع من التفاوت من فترة إلى أخرى. فإذا كانت وتيرته قد سجلت تصاعداً قوياً ما بين 1960 و1971، فإنها أخذت في التراجع خلال العقود التالية، وإن كانت قيمتها قد بقيت مع ذلك أعلى من المعدل الحضري الوطني. ولم يؤثر ذلك على وزنها الديمغرافي بأقاليم الكبير الذي ما فتئ يتعزز من عشرية لأخرى، إذ مر من 40.8% سنة 1936 إلى 83.2% سنة 1982 ثم إلى حوالي 10% اليوم عند منتصف سنة 2000.

وتعزى زيادة السكان أساساً إلى التوافد الذي ساهم بقسط وافر في تكوين السكان الحضريين بالدشيرة. فقد بلغ عدد الوافدين على المدينة إلى حدود سنة 1994 ما يعادل 44081 نسمة أي ما يمثل 60.82% من مجموع السكان. وهذا يعني أن نسبة المولودين بعين المكان لم تكن تتجاوز 39.19%. وكان عدد الوافدين لا يتجاوز 15126 نسمة سنة 1982، 36.88%. وتعتبر بذلك ثالث مدينة بأقاليم الكبير من حيث حجم الوافدين بعد مدينتي أكادير وأيت ملول بعدما كانت تحتل المرتبة الثانية سنة 1982.

وينحدر معظم المهاجرين الذين وفدوا على الدشيرة منذ نشأتها إلى حدود سنة 1994 من خارج سوس، وذلك بنسبة 57.43% في مقابل 42.57% بالنسبة للمتحدريين من داخل سوس. وتجدر الإشارة إلى أن غالبية الوافدين من المولودين

بالوسط الحضري، وذلك بنسبة 76.12٪ من مجموع المهاجرين.

#### أعداد الوافدين بمدينة الدشيرة حسب مكان الولادة

الوافدون	الحضريون	القرويون	المجموع
من داخل سوس	5400	13363	18763
من خارج سوس	17212	8106	25318
المجموع	22612	27949	44081

وقد أثر هذا التوافد بشكل كبير على البنية الديمغرافية للمدينة والأوضاع المهنية للسكان وظروف سكنهم وكذا على تكوين النسيج الحضري للمدينة، وخاصة أنها إلى حدود 1992 كانت من الناحية الإدارية عبارة عن مركز تابع للجماعة القروية لأيت ملول، ولم تحظ بأية تهيئة مجالية تؤهلها لاستقبال الحشود البشرية التي وفدت عليها وخاصة ما بين 1960 و1982.

هكذا نلاحظ من خلال نتائج إحصاء 1994، وجود عدة اختلالات في البنية الديمغرافية للمدينة، تظهر أولاً في ارتفاع نسبة الذكور بالمدينة حيث يستأثر عنصر الذكور بحصة الأسد في المجتمع الدشيري، وذلك بنسبة 52.09٪ في مقابل 47.91٪ بالنسبة للإناث. وتتجلى ثانياً في نسبة العزوبة التي تبلغ 41٪ من المجموع، 26.05٪ أزيد من ربعهم ذكور. وتمثل ثالثاً في نسبة التمدرس التي لم تتعد بعد 87.21٪ من مجموع الأطفال الذين هم في سن الدراسة (79.13٪ لدى الذكور و80.46٪ فقط لدى الإناث، ونفس الشيء أيضاً بالنسبة للأمية التي ما زالت نسبتها مرتفعة

حيث تبلغ 39.06٪ من مجموع السكان الذين يزيد عمرهم عن عشر سنوات، وخاصة لدى الإناث حيث تقدر ب 75.2٪. وتتجلى مظاهر الاختلال بالمدينة في الظروف السكنية للأسر حيث نجد أن 48٪ منهم يقطنون بمنازل من غرفة إلى غرفتين فقط، إضافة إلى ارتفاع نسبة الكراء التي تهم قرابة نصف الأسر (49٪)، والنقص الملاحظ على مستوى التجهيز المنزلي حيث إن نسبة المنازل المرتبطة بشبكة الماء الشروب والكهرباء لا تتعدى على التوالي 71٪ و86.12٪ من مجموع المنازل بالمدينة.

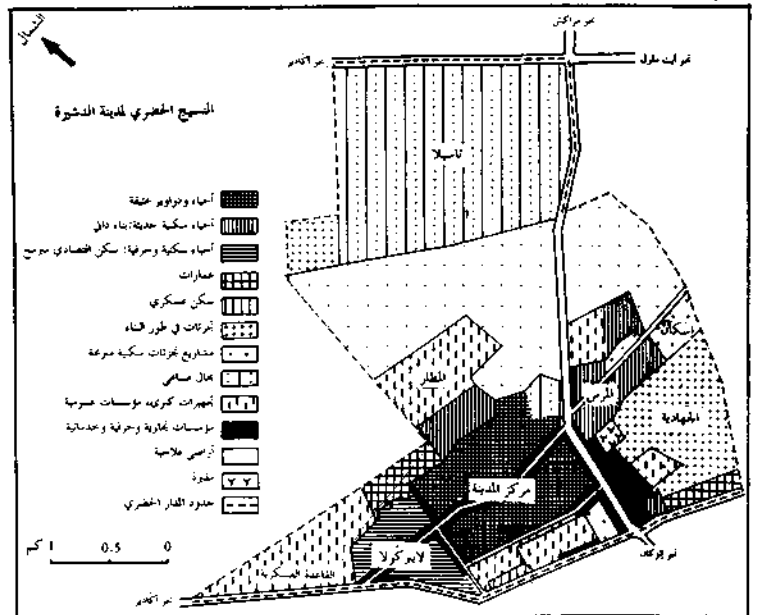
ولم تخلُ كيفية تكوين سكان الدشيرة من تأثير أيضاً على بنية النشاط بالمدينة. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن نسبة النشاط بها تقدر سنة 1994 ب 34.10٪ في مقابل 24.6٪ سنة 1982 و22.6٪ سنة 1971. والمثير هنا أن هذه النسبة ترتفع لدى الذكور إلى 55.26٪ من مجموعهم، بينما لا تتجاوز لدى الإناث 11.15٪. ونفس الشيء بالنسبة للبطالة التي وإن كانت دون المعدل الحضري الوطني لسنة 1994 (20.3٪) فإنها تبقى مع ذلك مرتفعة تقدر ب 17٪.

لقد مر عدد النشطين المشغولين بالدشيرة من 3632 فرد سنة 1971 إلى 9932 سنة 1982 ثم إلى 20519 فرد سنة 1994. وتتميز البنية المهنية لهؤلاء النشطين بتضخم أنشطة القطاع الثالث الذي سجل تقدماً كبيراً منذ بداية السبعينيات، إذ مر من 44.77٪ سنة 1971 إلى 62.08٪ سنة 1994. وهذا في وقت تمت فيه أيضاً قطاعات الصيد البحري والبناء والأشغال العمومية. كما ينفرد بضعف الفلاحة والقطاع الصناعي والحرفي وتراجعت فيه بشكل ملموس من حيث نسبة المساهمة في التشغيل الفلاحة والشاعة والحرف.

#### توزيع السكان النشيطين حسب فروع النشاط الاقتصادي (%)

السنة	1971	1982	1994
القطاع الأول	9.17	5.34	7.41
القطاع الثاني	42.51	34.69	29.02
القطاع الثالث	48.32	59.97	63.57
المجموع	100	100	100

وتعتبر الصناعة والتجارة أهم الوظائف الحضرية بالمدينة. فمن حيث الصناعة يحتضن المجال الحضري إحدى أقدم الوحدات الصناعية بأقاليم الكبير وتمثل في معمل فنتازيا الموجود بالمركز القديم والمتخصص في إنتاج الصناديق الخشبية الموجهة لقطاع التغليف والتصبير والذي يشغل حوالي 350 عاملاً. يضاف إلى ذلك الوحدات الصناعية الأخرى المستحدثة بالحلي الصناعي تاسيلا الذي





علي البطوني، حيث وصف بالتصوف والزهد والورع، وقال غيره.

أخذ عن سيدي رضوان الجنوي وانتفع به، كما أخذ عن غيره. وأخذ عنه سيدي أحمد بن علي بن يوسف الفاسي وغيره. وتوفي بفاس عام 1612/1021.

م. القادري، نشر الثاني، موسوعة أعلام المغرب، 3: 196؛ ع. الرحمان ابن زيدان، إتحاف، 5: 455.

رقية بلمقدم

**الدعاع** أو الدعاعة. (بسهول الغرب) اسم ارتبط في النصوص العربية بمكان دفن الولي الصالح الحسن بن عيسى المصباحي وابنه عيسى بن الحسن، وهو في وقتنا هذا اسم يدل على مقبرة سيدي عيسى والأرض المنخفضة شمالها وتقعان شمال مدينة سوق أربعاء الغرب أو سوق أربعاء سيدي عيسى نسبة إلى قبة سيدي عيسى بن الحسن المصباحي. وتقع المدينة على الطريق الرئيسية الرابطة بين الرباط وطنجة : 117 كلم و164 كلم.

اشتق اسم الدعاع من صفه سطح الأرض أي السطح غير القار الذي تقع به زعزعة، وحول حرف الزاي في الكلمة إلى حرف الدال فأصبحت دعاعة، ودعاع. ويوافق هذا التفسير طبيعة الأرض المنخفضة التي يشرف عليها من جهة الجنوب موقع قبة سيدي عيسى. وهي عبارة عن أرض فارغة تغطيها تربة "الترس" السوداء. وتذكر ساكنة الدعاع أن هذا السطح كان مرجحة يغطيها الماء شتاءً ولا يمكن المرور فوقه صيفاً فهو سطح غير ثابت مادام سمك التربة المكتنزة للماء كبيراً جداً.



أما قبة سيدي عيسى المرتبطة بهذا الاسم فتقع بالجيزة الشمالي من المقبرة المحاطة بسور، فوق ارتفاع خفيف عن أرض الدعاع المنخفضة. وهي قبة ثمانية الأضلاع تركز على قاعة مربعة الشكل تحيط بها القبور وتحتض وسطها قبر سيدي عيسى وقبر أبيه الحسن وأخيه، مجهول الاسم.

تم إلحاقه إدارياً بالدشيرة سنة 1992، والتي بلغ عددها اليوم 28 وتشغل 2508 من العمال : 5 وحدات منها متخصصة في الصناعة الغذائية و7 في الصناعة الميكانيكية والكهربائية و10 في مواد البناء، 2 منها في صناعة الرخام، والباقي يتوزع ما بين الصناعة الكيماوية والشبه كيماوية والنسيج والجلد والخشب ...

أما بالنسبة للتجارة، فتمتاز بكونها تشغل 23.52٪ من النشاطين 1994 ويوجد حوالي 1250 محلا تجاريا متخصصا في مختلف الفروع التجارية وخاصة منها المواد الغذائية والألبسة والتجهيز المنزلي. إلا أن أهم ما يميز الوظيفة التجارية للمدينة هو احتضانها ل 110 مؤسسة متخصصة في التجهيز الحرفي الموجه أساسا لقطاعي التجارة والبناء والتي تمتد نفوذها على نطاق واسع من منطقة سوس.

وبالنسبة لمورفولوجية المدينة فتتميز بوجود نسيج حضري يتكون أساسا من وجود نواتين منعزلتين يفصل بينهما من جهة أراضي فارغة ومن جهة ثانية المطار العسكري، وهما المدينة الأصلية والمنطقة الصناعية تاسيلا. وتقع هذه الأخيرة شمال المدينة، وتمتد على مساحة 261 هكتار. وقد أعدت من طرف الدولة منذ أواخر الثمانينيات. استقبلت إلى حد اليوم حوالي 44 وحدة صناعية وخدماتية من مجموع 326 مؤسسة المقررة في هذا المشروع، بمعنى أن نسبة تشمين الأراضي لم تتجاوز بعد 13.5٪ بهذه التجهيزات الصناعية.

أما النواة الأصلية فتوجد في الجنوب وتتكون من المركز القديم الذي هو عبارة عن مجموعة من الدواوير المتجاورة والتي تلاحت فيما بينها مؤخرأ، بالإضافة إلى الأحياء الحديثة لايركولا غربا بجوار الثكنة العسكرية والمرس والمجاهدية شرقا على الضفة اليمنى لوادي سوس، واللذين لازالا في طور البناء.

وتجدر الإشارة إلى أن معظم أحياء مركز المدينة ولايركولا والمرس كذلك تتميز بوجود شوارع وأزقة مكنظة بالمحلات المهنية حيث تتداخل على مستوى الزقاق الواحد الأنشطة التجارية الراقية والحرفية والخدماتية الملوثة الشيء الذي ينتج مشاهد حضرية جد متدهورة.

التصميم التوجيهي للمجموعة الحضرية لأكادير الكبير : بحوث شخصية.

A. Hnaka, *Taoudant et Ouled Teima, bipôle urbain du Souss*, Agadir, 1995 ; B. Kidou, *Contribution à l'étude démographique de la population urbaine du Grand-Agadir*, Thèse de doctorat, Université des Sciences et Technologies de Lille, 1994.

عثمان هناكا

**الدشيش**، سيدي علي بن محمد الزرهوني، صالح له ضريح شهير بزقاق الرمان بفاس، لا تعرف له ترجمة عدا ما ذكره محمد بن الطيب القادري في نشر الثاني، نقلا عن

حسب الرواية الشفوية، وهناك قبور أخرى لبعض أعلام منطقة الغرب ومدينة سوق أريعاء الغرب.

م. ابن عسکر الشفشاوني، دوحه الناشر، تج. م. حجي، الرباط، 1977، ص. 85؛ بن الطيب القادري، نشر الثاني، تج. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1977، ج. 1، 151 و III، 194؛ محمد المهدي الفاسي، تمتع الأسماع، تج. ع. الهمي العمري وعبد الكريم مراد، فاس، 1989، ص. 126 - 127؛ عبد اللطيف الشاذلي، التصرف والمجتمع، نماذج من القرن العاشر الهجري، سلا، 1989، ص. 191.

E. Michaux-Bellaire et G. Salmon, *El-Qçar el-Kebir, une ville de province du Maroc septentrional, A.M., Vol. I, n° 2, 1904.*

أحمد أشعيان

**دَعْنُونُ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازال هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Danon؛ وهي نفس الأسرة التي ظل بعض أفرادها بالأندلس بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Danun - Danon.

وهناك أسرة أخرى شريفة تحمل نفس الاسم. م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 676.

محمد ابن عزوز حكيم

**الدغالي، سعيد بن فرج الأندلسي**، قائد أصله من قرية نظيش (بالجبل المطل على غرناطة) حسب الفشتالي، أو من أورخيفا Orgiva حسب مارمول كابخال Marmol Carvajal أو من مطريل Motril حسب رسالة الجاسوس الإسباني لويس ذي هريرا Luis de Herrera الذي كان يوجد بتطوان في دجنبر 1573.

غادر سعيد الدغالي ببلدته صحبة ابن أخيه محمد واستقر بتطوان حيث تعاطى الجهاد البحري إلى أن اتصل بالسلطان عبد الله الغالب بالله الذي أوكل إليه مهمة تنظيم فرقة من الجيش مكونة من الأندلسيين سنة 1970/1562.

وهو الذي قضى صحبة القائد ابن خليفة على حكم آل المنظري بتطوان سنة 1975/1567 حيث أصبحت المدينة تحت حكم السلطان عبد الله الغالب السعدي.

ويستفاد مما جاء به مارمول أن الدغالي هو الذي سن سنة الجهاد البحري بمدينة سلا حيث كان ينطلق منها لمهاجمة الجزر الخالدات ابتداء من سنة 1571 حيث تمكن من احتلال جزيرة لانثروطي Lanzarote من يوم 21 سبتمبر إلى يوم 7 أكتوبر من السنة المذكورة وعاد إلى سلا يحمل في سفنه 115 من الأسرى النصراني.

وفي يوم 28 نوفمبر 1573 وانطلاقا من تطوان قام بهجرم على مدينة كويرفاس ذي المنصورة Cuevas de Almanazora بمقاطعة المرية حيث تمكن من أخذ 200 أسير نصراني.

وفي يوم 11 ذي الحجة 17/983 1576 جرت معركة الركن بالقرب من فاس، كان الدغالي بجانب السلطان المتوكل لكنه فر إلى معسكر عبد الملك فانتصر هذا الأخير على ابن أخيه المتوكل.

وبجانب عبد الملك شارك الدغالي في معركة خندق الريحان التي جرت بالقرب من وادي الشراط يوم 12 ربيع الثاني 9/984 1576، كما شارك مع أحمد المنصور في جميع المعارك التي جرت بناحية سوس وانهزم فيها المتوكل سنتي 984 و 985/1576 . 1577.

وعندما غادر عبد الملك مدينة مراكش متوجها إلى

**الدعباجي محمد**، مُغنٍ ولد حوالي سنة 1910 بدوار الدعباجة بمنطقة الحصبة. (بلاد عبدة) تتلمذ على يد الشيخ إدريس بندحان الذي لم يحترف الغناء. يعد من فحول وشيوخ الحصبة. فقد كان يدعى أبا العيطة القديمة الحصباوية خلال مطلع القرن العشرين. ولا يمكن حاليا الحديث عن أي شخص له دراية بعيوط الحصبة وموازينها دون ذكر الشيخ الدعباجي. أقام حفلات وسهرات بعيوط الحصبة في حوز أسفي وناحية مراكش والشاوية ودكالة.

لقد انقطع نشاطه الفني منذ حوالي عشر سنوات بسبب مرضه. ويرجع له الفضل في تسجيل عيوط الحصبة على الأشرطة باستثناء عيطي - كاسي فريده - و - واليني واليني.

للدعباجي أسلوب خاص في العزف والأداء يعتمد الطرق القديمة التي تعزف على وترين دون هرمونيا. وترتكز على الأصوات الخشنة والعالية. ومازالت الحزانات الخاصة تزخر بهذا اللون من العيوط.

رافق هذا الفنان طاقم قديم جدا مثل أصحاب التعارج كعبد السلام الذي توفي حوالي 1972 وكالشهب الذي توفي سنة 1978. وبوفاة هؤلاء ورحيل جيله بدأ نشاطه يقل شيئا فشيئا. أما عن الشبخات فشيخات الدعباجي من أحسن وأمهر الشبخات بحيث يتقن الحصبة والمرسي والزعري وأغلبهن الآن لهن فرق خاصة مثل عبدة. وشامة اسكندرية، الخ.

وبوفاة هذا الشيخ حوالي سنة 1415 / 1995 جُمِدت مجموعة من عيوط الحصبة مثل عيطة سيدي حسان وغيرها.

ع. رگوگ، الحدث التاريخي من خلال النصوص الشفاهية المقاومة وبعض أوجه التاريخ الاجتماعي 1890 - 1956، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، 1998: الرواية الشفوية من منطقة عبدة.

علال رگوگ

الشمال بعث القائد الدغالي إلى رأس غير ليحول دون تمكن الأسطول البرتغالي من احتلاله.

وهناك من يشك فيما جاءت به بعض المصادر البرتغالية التي تقول إن الدغالي كان يقود جيش الخيالة الأندلسيين في معركة وادي المخازن ؛ ومن المؤكد أنه قتل بأمر من السلطان أحمد المنصور الذهبي في شهر رجب عام 1986 / شتنبر - أكتوبر 1578.

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا، الرباط، 1972، ص. 33 و 41*  
43؛ م. الأقراني، *نزهة الحادي، ط 2، الرباط، د.ت، ص. 62.*

Archivo General de Simancas, España ; Ojeda, L. de, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian, S.I.H.M., France I, pp. 575 - 627* ; Nieto, Fr. Luis de, *Relación de las guerras de Berberia y del Suceso y muerte del Rey Don Sebastian. Codoin, t. 100, p. 411 - 458* ; J. Franchi Consetaggio, *L'union du Royaume de Portugal à la Couronne de Castille, S.I.H.M., France, pp. 506 - 574* ; Fr. Bernardo da Cruz, *Chronica del Rey Don Sebastian. Lisboa 1837 - y 1903, vol. 30, 31, 32 et 34* ; Rumen de Armas, *España en el Africa Atlantica. Madrid, 1957, t. I* ; B. Vincent, *Un ejemplo de corso berberisco - morisco : el ataque de Cuevas de Almazora (1573). En Andalucía en la Edad Moderna. 1985.*

### الدغالي، محمد قائد أصله من الأندلس هاجر إلى

تطوان صحبة عمه القائد سعيد بن فرج الدغالي. سابق الترجمة وتقول بعض المصادر إنه كان مع عمه بجانب المتوكل في معركة الركن التي جرت بالقرب من فاس يوم 17 مارس 1576. وفر إلى معسكر عبد الملك، وشارك بجانب عمه في جميع المعارك التي جرت ضد المتوكل بناحية سوس. ويبدو أنه قتل في نفس اليوم الذي اغتيل فيه عمه في شهر رجب 1986 / سبتمبر - أكتوبر 1578.

ع. الفشتالي، *مناهل الصفا، الرباط، 1972، ص. 44 و 43* ; الزباني، *الترجمان العرب، الترجمة الفرنسية، ص. 26.*

Nieto, Fr. Luis de, *Relación de las guerras de Berberia y del suceso y muert del Rey Don Sebastian. Codoin, t. 100, p. 411 - 458* ; Fr. Bernardo da Cruz, *Chronica de El Rei Don Sebastian. Lisboa 1837 - y 1903.*

### الدغالي، أسرة تطوانية أصلها من ناحية الهبط وقد

انقرضت بتطوان وإلى غاية سنة 1257 / 1841 كانت توجد بحومة الطرانكات دار الدغالي.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسما - عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1617.

محمد ابن عزوز حكيم

### الدغمة، آلة تقرية صحراوية ذات شكل مستطيل،

يبلغ طولها حوالي 50 سم. يستخدمها الزوج المقيمون ضمن

قبائل الرقيبات في الأقاليم الجنوبية المغربية. وتعتمد صناعة هذه الآلة على نبات القرع، وطريقة ذلك أن تؤخذ القرعة من فصيلة اليقطين، فتجفف ويفرع ما في جوفها، ثم تحدث فتحة بكل من طرفيها.

وطريقة استخدام هذه الآلة أن يوجه الناقر بيده اليسرى طرفها الأسفل المنتفخ، فيصدمه بشحمة فخذة أو ربله ساقه، بينما تقوم اليد اليمنى بضرب الثقب الأعلى من القرعة بواسطة راحة الكف، وهي تناوب بين إغلاقه وفتحه. ونتيجة ذلك تنبعث من الآلة أصوات صماء تتنجز بها جلبة الخواتم والأساور التي تحملها يد الناقر.

A. Leriche, *Bul. de l'Institut Français, Juillet 1950, p. 747, B.G., Rabat, J 13.*  
عبد العزيز بن عبد الجليل

### دَغْمُوس، أنواع نباتية عصارية لحمية تشبه

الصباريات وتكاد تنعدم أوراقها الصغيرة جدا. وتنتمي إلى جنسين على الأقل : جنس *إِوْفُورُونِيَا* Euphorbia وبالضبط أنواعه الصبارية، وهي من فصيلة الفربيونيات Euphorbiaceae. وجنس كَرَالُومَا Caralluma الذي ينتمي إلى فصيلة الصقلابيات Asclepiadaceae.

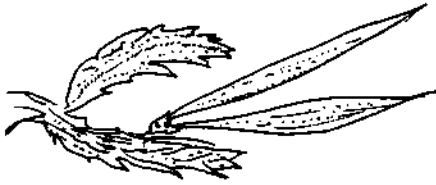
1 - أنواع جنس الفربيون :

يصادف بالمغرب ثلاثة أنواع قسبية من جنس الفربيون، وهي كلها صبارية، ولهذا سميت تيكبوت بالأمازيغية، وينسب لها كذلك اسم الزقوم المذكور في القرآن ؛ وجود هذه الأنواع يدل على ظروف مناخية شبه مدارية لكنها توجد حاليا بالمنطقة المتوسطة المغربية.

والأنواع الثلاثة صبارية الشكل، يتراوح علوها ما بين 40 أو 60 سم، مشوكة بكثافة، وتحتوي على عصاره لينة مؤلمة للإنسان عند لمسها. أوراقها صغيرة جدا، ونفضية. أزهارها صفراء عديمة العنق.

والأنواع الثلاث هي :

- *إِوْفُورُونِيَا رِزِينِيْفِيرَا* Euphorbia resinifera، المصادفة تشكيلاتها في السفوح المنخفضة وقدم الجبل لمنطقة الأطلس الكبير المتواجدة بين بني ملال ودمنات، وذلك في



الدغموس

بالعدوتين، والتحق مبكراً بوزارة الخارجية سنة / 1957 وتقلد عدة مهام داخل الوزارة وفي الخارج، ومات وهو سفير للمغرب في الجزائر. وقد أثنى عليه الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة في برقية التعزية التي بعث بها إلى جلالة الملك محمد السادس. وقال : "إن فقدان سفير من طراز المرحوم الدغمي خسارة للمغرب وللجزائر بل ولكل المغرب العربي... كان نعم السفير متفانيا في أداء مهمته النبيلة أحسن أداء، ولم نره إلا وهو يمثل ملكه وبلاده أحسن تمثيل، ويدلي بدلوه مخلصاً في سبيل إعادة بناء العلاقات الأخوية المشتركة التي يصبو إليها البلدان الشقيقان المغرب والجزائر". توفي بالرباط بعد مرض عضال، يوم الجمعة 24 جمادى الأولى عام 1421 / 25 غشت 2000.

رواية شفهية، جريدة العلم، في 28 - 8 - 2000 ؛ جريد سلا الغد

العدد

A. Stouky, *Un pro de la diplomatie, Le Matin du Sahara*, 28 - 8 - 2000.

**الدغمي، العربي بن المفضل.** ولد بالرباط سنة 1350 / 1931 حفظ القرآن الكريم في صغره ودرس في بعض المدارس الحرة، ثم انخرط في سلك التعليم بالمدرسة المحمدية الحرة بالرباط، وفي سنة 1948 بدأت حياته الفنية بمزاولة هوايته المسرحية في أوقات معينة مع فرقة المسرح



البيومناخ شبه الجاف والطابقين النباتيين لتحت المتوسطي والندافئ.

- إوفورتيبا بوميرياناً *Euphorbia beaumeriana*. التي تكون تشكيلا تصادف منتشرة على السفوح وقدم الجبل وفي السهول الموجودة في أقصى الجهة الغربية من الأطلس الكبير، شمال مدينة أكادير. تعيش في البيومناخين شبه الجاف واستثنائيا الجاف وفي الطابق النباتي تحت المتوسطي.

- إوفورتيبا إيكينوس *Euphorbia echinus*. التي تغطي مساحات شاسعة ابتداء من مدينة تيزنيت إلى منطقة الساقية الحمراء مرورا بالقسط الكبير من سفوح الجهة الغربية من الأطلس الصغير. من حيث الظروف البيئية يعيش هذا النوع في البيومناخات شبه الجافة والجافة والصحراوية.

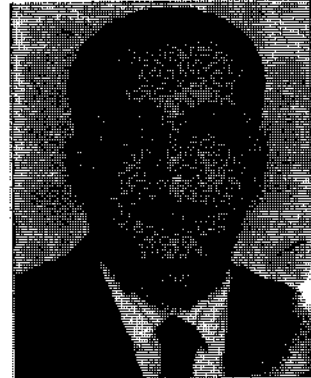
الاستعمالات الشعبية لهذه الأنواع الثلاثة كثيرة، إذ تستخدم ضد السموم والاكزيما، والبرد وأمراض الكليتين، وفي حالة أمراض الجمال. وكذلك لإنتاج العسل ذي المذاق الحار والمستعمل في التطبيب التقليدي.

كما أجريت محاولات في الماضي لاستخدام العصارة اللبئية في صناعة المطاط.

أنواع جنس كاريالوما : أنواع هذا الجنس بالمغرب أربعة، منها القسبية الخاصة بالمغرب والبعض الآخر موجود في بلدان أخرى من المنطقة المتوسطية. يتراوح علو هذه الأنواع ما بين 10 20 سم، منعومة الأشواك، ولها جلد أملس ناعم. وهي لا تكون تشكيلات كأنواع الجنس الأول بل تصادف بصفة منفردة في غابات العرعر البربري أو العرعر الأحمر أو أركان وغيرها، خاصة في بيومناخات شبه جافة وجافة. بعض هذه الأنواع تؤكل من طرف الإنسان. أبحاث شخصية.

عبد الملك بنعبيد

**الدغمي، عبد الرزاق السلوي.** أصله من قبيلة دغمة العربية المستقرة بضواحي العدوتين، دبلوماسي عصامي من مواليد مدينة سلا في 22 صفر عام 1355 / 15 ماي / 1936 حيث نشأ ودرس في المدارس الحديثية



الوراقة المغربية في العصر العلوي الأول، دعوة الحق 1395 / 1975،  
العدد 10، ص. 88، 89 : ع. العزيز بن عبد الله، سلا أولى حاضرتي  
أبي رقرق، سلا، 1989، ص. 20.

محمد السعديين

**الدغوشي، أبو إبراهيم**، جد آل تانوت الوجانيين، من  
قبيلة إيدابوعقيل، صوفي زاهد، عاش خلال القرن السادس  
(12 م).

أسس أبو إبراهيم زاويته بقرية تانوت على بعد خمسة  
كلمترات من إقليم الموطن الأصلي لأسرة الدغوشيين،  
فعاش، كما يظهر من خلال شهادة الرسومي، عيشة الزاهد  
الورع، وذاع صيته وشهرته، كما أقبل عليه الوفود من  
جميع الآفاق. وما زالت زاويته تحافظ على أدوارها داخل  
مجال إيدابوعقيل.

وعلى الرغم من التضارب حول مكان وفاته، فمن  
المرجح أنه مدفون بوجان حسب شهادات كتب المناقب  
السوسية.

م. الرسومي، وفيات الرسومي، تح. م. المختار السوسي،  
الرباط، 1988، ص. 50 : داود بن علي الكرامي، بشارة الزايرين،  
مخطوط : م. المضيكي، كتاب الطبقات، تح. أ. بومزكو، الرباط،  
1994، رقم الترجمة 120 : م. المختار السوسي، المعول، ج. 11 :  
91 : رجالات العلم، ص. 11.

**الدغوشي، أحمد الزرهوني**، لم تحدد المصادر التي  
اطلعنا عليها مكان ولادته، وتبدأ حديثها عنه عندما ظهر  
أمره بزهرهون باعتباره من الصلحاء. وفي هذا الصدد يجعله  
بعض أصحاب السير ضمن طائفة الأولياء الكبار والشيخوخ  
الكاملين (روض الأنفاس، 264)، بينما يصنفه بعضهم الآخر  
في لائحة العوام من أولئك الأولياء (إنحاف أعلام، 5 :  
460).

والمتفق عليه بينهم جميعاً هو أن أحمد الدغوشي دخل  
عالم التصوف على يد الشيخ الشهير أبي الحسن علي بن  
محمد بن عمران العلمي العروسي المدعو بسيدي علي بن  
حمدوش، دفين زاويته بجبل زرهون (روض الأنفاس، 265،  
إنحاف، 5 : 474). مما يعني أن الدغوشي حمدوشي السند.  
وإذا علمنا أن ابن حمدوش من أتباع الطائفة الشراوية،  
فمن تحصيل الحاصل القول بأن أحمد الدغوشي شراوي في  
سند ذلك، مثل شيخه، فهو أخذ عن ابن حمدوش، وهذا  
أخذ عن محمد الحفيان بن المفضل بن أحمد المرسي بن  
بوعبيد الشريقي، دفين أبي الجعد (سلوة الأنفاس، 1 :  
354).

والظاهر أن الشيخ الدغوشي لم يكن حمدوشياً أو  
شراوياً السند فحسب، بل كان كذلك في النحلة أيضاً.  
ونعني هنا اعتماد أحمد الدغوشي في حياته الروحية أساساً

المغربي برأسة المرحوم عبد الكريم الفلوس. والتحق سنة  
1952 بمعهد الأبحاث المسرحية بالرباط التابع للشبيبة  
والرياضة، وفي السنة التالية دخل فرقة المسرح الوطني  
المغربي، وشارك في أربع مسرحيات مثل دور البطل في  
اثنين منها : مسرحية سكابان (جحا)، ومسرحية "عمي  
الزلط". ثم التحق سنة 1954 بفرقة الإذاعة المغربية للتمثيل  
بطلب من عبد الله شقرون. وفي السنة الموالية انتقل مع  
بعض الممثلين بالإذاعة إلى التدريب بمعهد الميم (الإسماء)  
بياريز. وبعد رجوعه إلى المغرب شارك في شريط سينمائي  
بالسكوب والألوان تحت عنوان الطبيب بالعافية، مقتبس  
عن الطبيب رغم أنه لمولير.

توالى أعمال العربي الدغمي الفنية بفرقة الشبيبة  
والرياضة وفرقة الإذاعة ثم التلفزة المغربية، والسينما  
العالمية بصفة عامة. وآخر عمل مسرحي للمترجم مشاركته  
مع عدد من الممثلين المغاربة والأجانب سنة 1990 في شريط  
فرنسي جيل بيهات.

توفي بداره في حي السلام بمدينة سلا صباح يوم الجمعة  
22 جمادى الأولى عام 1415 / 28 أكتوبر 1994 على إثر  
مرض لم ينفع فيه علاج.

جماعة من الكتاب والفنانين، كتاب العربي الدغمي إبداع مغربي  
أصيل، الرباط، 1996.

محمد حجي

**الدغمي، موسى بن محمد الراحل السلوي**، فقيه  
مشارك نوازلي. كان قاضياً بتالغت وبنى مسكين ثم أصبح  
خليفة للقضاة بسلا.

تتلمذ على يد شيوخ كبار أبرزهم أحمد بن عبد القادر  
التستائوتي، وعنه أخذ طريق التصوف. وقد دارت بينه وبين  
شيخه هذا مساجلات شعرية وردت في كتاب نزهة الناظر  
لهذا الأخير، وفي فهرس أحمد بن عاشر الحافني السلوي.

ألف الدغمي عدة مؤلفات منها المسلك السديد، في  
تفسير القرآن المجيد وحاشية على شفا عياض جمعها من  
طرح شيخه مسعود جموع الفاسي وعدة نوازل وغيرها.  
تخرج على يده عدد من الطلبة السلويين وغيرهم.

توفي موسى الدغمي في 7 ربيع الثاني عام 1140 / 22  
نونبر 1727، ودفن بزواية سيدي أحمد حجي بسلا.

أ. بن عبد القادر التستائوتي، نزهة الناظر، مخطوط، خ. ع. 1302  
د. ص. 130 و230 : أ. ابن عاشر الحافني، الفهرس، تح. محمد  
السعديين، د. د. ع. الرباط، 90-1991، ص. 243 : علي  
العكاري (الحفيد)، البدور الضاوية، في ذكر الشيخ وأصحابه  
وتلامذته وبناء الزاوية، خ. ع. 88 د. ص. 13 : م. ابن علي  
الدكالي، الإنحاف الوجيز، تح. م. بوشعراء، 1986، ص. 112 :  
إنحاف أشراف الملا، مخطوط، خ. ع. 11 د. ص. 67 : م. ابن أبي  
بكر التطواني، كئناشة، خ. ص. رقم 407، ص. 27 : م. المنوني،

على ما يعرف عند الصوفية بالتربية الروحية. بل لقد بلغ في روحانيته مدى قصياً جداً تجاوز مدى سائر أتباع الطريقة الحمدوشية، وكل تيارات الطريقة الشراقوية نفسها. ولنا دلائل وعلامات واضحة على هذا الغلو، رغم ندرتها. وأوضحها وصفه بالجذب الكامل والغيبية المطلقة (روض الأنفاس، 265، (إنحاف، 5: 461)، من جهة، واعتماده الحضرة الصاخبة، عكس سائر حمادشة، من جهة أخرى، وذلك بحكم الإضافات التي أدخلها على شعائر حلقة الحضرة. وفي هذا الصدد كتب عبد الكبير الكتاني، قائلاً: "تابع (أحمد الدغوشي) شيخه (علي بن حمدوش) في ... اعتمار الحلقة بالآلة المسماة بأگووال والتعريجة، ... والفرق بينه وبين أتباع شيخه في حالة اعتمار الحلقة هو زيادة آلات من حديد وغيره، وهي كرات من حديد، منها ذات خرصة وسلسلة ومنها بدونها، وشاقورات من حديد، متنوعة على أصناف، وزرواطات ذات مسامير وبدونها، وغير ما ذكر، وكل من هذه الآلات في حال اعتمارهم في الحلقة يضرهم بها رؤوسهم (روض الأنفاس، 265).

وهذا يعني أن الحضرة شكلت عنصراً أساسياً في سلوك الشيخ أحمد الدغوشي وأتباعه، على غرار سائر شراقوة وحمادشة، لكن الشيخ أحمد الدغوشي بلغ في حضرته مستوى قصياً في الغلو، أدى به وبأتباعه إلى استعمال الأدوات الحديدية الحادة في شدة الرؤوس، وإسالة الدماء. نريد القول بأن هذه السلوكات لم يكن معمولاً بها لدى حمادشة زمن شيخهم ابن حمدوش المتوفى عام 1135 / 1722، وأن مبتدعها هو تلميذه أحمد الدغوشي. وقد ساق عبد الرحمن بن زيدان بهذه المناسبة رواية تشرح سبب تعاطي الدغوشي ومن تبعه تلك السلوكات، وقال: إن هذا الأخير، وكان "... من العوام الصرف، لم يحضر وفاة متبوعه (علي بن حمدوش)، فلما أب من سفره، وعلم بوفاته، صار يضرب رأسه مع الجدران وبالأحجار أسفاً على فقد شيخه، وتحسراً على عدم حضوره لوفاته، واغتنامه صالح دعواته، فاتخذ الأخلاط من أصحابه ذلك عادة" (إنحاف، 5: 460).

وسواء كان الدغوشي صدر عنه ذلك الفعل بحال اعتراه، وصاحب الحال، عند الصوفية، يُسلم له حاله، لأنه فاقد التكليف، أو أنه تعمد ذلك الفعل، فالمهم بالنسبة لنا أنه سن في الحضرة الحمدوشية "سنة" جديدة، هي التي جعلت طائفته الدغوشية بميزة عن غيرها من الطوائف الحمدوشية الأخرى خصوصاً والشراقوية عموماً.

بقي أن نشير إلى أن الشيخ الدغوشي توفي بزرهون بعد سنة 1135 / 1722 ودفن قرب شيخه علي بن حمدوش (إنحاف، 5: 474). وبعد المرباط الفقير بوعزة الحسناوي الفاسي من كبار شيوخ الطائفة، بعد وفاة شيخه أحمد الدغوشي (سلوك الطريق، ص. 358).

ع. الرحمن بن زيدان، إنحاف، الجزء الخامس، ع. الكبير الكتاني،

روض الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية، مخطوط، ع. الرباط، رقم 1264 ك: م. بن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس، طبعة حجرية بفاس، 1318: م. بن علي المثالي الزبدي، سلوك الطريق الوارية في التلميز والشيخ والزوايا، مخطوط، خ. ع. الرباط، رقم 247 ك.

أحمد الوارث

**الدغوشي، أحمد من موالى الدلاتيين** - حسب تعبير الإفرائي - نشأ فيهم فبرع في الأدب، وقيل إن أصله من القصر الكبير، وكان هجاءً لا يكاد يسلم من هجوه أحد يقال إنه كان يجلس عند موضع معد لطح الكناسات خارج زاوية الدلاء فلا يمر به ذكر ولا أنثى إلا هجاء شعراً أو نثراً. وهجا عدداً من الشعراء فتحماموه، ولم يفحمه إلا رجل إسلامي برع في الأدب بالزاوية الدلالية فقال فيه بيتين جسداً بشاعة خلفه وحُلَقه.

كان أحمد الدغوشي ينظم مولديات يلقيها بانتظام في الحفلات المشهودة التي تقام في الزاوية الدلالية ليالي سابع المولد النبوي الشريف ويذبلها بمدح الشيخ محمد بن أبي بكر الدلاني والدعاء له فيرتاح الشيخ لذلك وتطيب نفسه. وبعد قيام الإمارة الدلالية انقطع أحمد الدغوشي عن زاوية الدلاء، وهجا محمداً الحاج هجاءً مقذعاً (نزهة، 253) ثم رثي المجاهد العياشي لما اغتاله أعراب الخلط أيضاً ومحمد الحاج الدلاني.

كم شاد كم ساد كم سدّ الثغور وكم

أودى وأعدى غيات الغيث مقتصد

(الوافي، 3: 734).

م. الإفرائي، نزهة، ط. حجر فاس، د. ت: م. ابن تاويت التطواني، الوافي بالأدب العربي، الدار البيضاء، 1984، ج 3: 734 735: م. حجي، الزاوية الدلالية، ط. 2، الدار البيضاء، 1988، ص. 49، 50.

محمد حجي

**الدغوشي، داود بن عبد المنعم القصري** ينتسب إلى الأسرة الدغوشية الشهيرة بمدينة القصر الكبير. ويظهر أن هذا الشاعر عايش وشارك في معركة وادي المخازن الشهيرة لأنه وصفها وصفاً دقيقاً، وربما كان من الشعراء القلائل الذين سجلوا هذه المعركة (القصر الكبير، أعلام: 103). وابن تاويت في الوافي يشير إلى تلك القصيدة الرائعة التي قالها داود بن عبد المنعم بمناسبة الظفر العظيم الذي أحرزه المغاربة على الصليبية في وقعة وادي المخازن، كما يشير ابن تاويت، بل يجزم أن قصائد غيرها قد قيلت في موضوعها ولكن التاريخ لم يحتفظ لنا بها، وربما كان ذلك نتيجة إهمال أو ضياع، كما يرى صاحب الوافي أن

الأُسرة الدغوغية القصرية قد عرفت بالجهد (الوافي)، 3 : (670).

م. بن تساويت، الوافي بالأدب العربي بالمغرب الأقصى، الجزء الثالث، 1981 : م. بن عبد الرحمان بن خليفة، القصر الكبير أعلام فكرية، أدبية وتاريخية، مطبعة طنجة، ش. م. 1994. الحسين البعاري

**الدغوغي، عبد الله بن داود،** صالح متنسك، وعلامة مشارك، تصدر للتعليم والإرشاد، أقبيل عليه الطلبة، وغدت مدرسته قبلة للزيارة. تخرج عليه كثير من العلماء، وكان ذا عناية بالتصوف، مكثراً من زيارة متصوفة عصره خاصة الشيخ سعيد بن عبد المنعم المحاحي، توفي أواخر القرن العاشر (16 م).

م. البعقلي، مناقب البعقلي، تج. المختار السوسي، الرباط، 1987 : م. الحضيكي، كتاب الطبقات، رقم الترجمة 584 : رجالات العلم، ص. 18 : م. حجي، الحركة الفكرية، ص. 590. أحمد بومرغو

**الدغوغية (طائفة صوفية)** تتكوّن من أتباع الولي الصالح أحمد الدغوغي دفين جبل زرهون سابق الترجمة. يقيم الدغوغيون في كل سنة موسماً بمناسبة المولد النبوي، وذلك في موازاة موسم أتباع الطائفة الحمدوشية في موقع يعرف اليوم بـ "سيدي علي" على مقربة من مدينة زرهون، كما يقيمون موسمهم في زاويتهم بمدينة فاس، حيث تختلط الطقوس الصوفية بالموسيقى والرقص.

فإذا اجتمع أتباع الطائفتين حول ضريح سيدي علي بن حمدوش تصدر الساحة حمادشة وأمامهم ثور تغطيه مناديل ملونة، ثم انبرى الغياطون وضاربو التعارج، وتحلق الأتباع في دوائر يرقصون على إيقاع الطبول وهم يرددون : الله، دأيم الله، المعبود الله، وبعد ذلك تبدو أعلام الدغوغيين قادمة نحو الساحة، فيسحب حمادشة تحت غطاء زغاريد النساء وهم يرددون : يا محمد، قدمنا يارسول الله، تاركين الساحة لأتباع أحمد الدغوغي، فينخرط هؤلاء بدورهم في الرقص والغناء على أصوات الغيطات، ثم يمتطون البغال ويغادرون موقع الحفل مثنى مثنى متوجهين نحو المدينة ومن حولهم جموع الزائرين. فإذا بلغوا باب الحجر توقفوا هنيهة وأمامهم حمادشة ثم انطلقوا جميعاً في مسيرة احتفالية كبرى تخترق مدينة زرهون نحو بني راشد وبني وراذ.

والعادة أن الرجال هم الذين يمارسون الرقص في الساحة العامة. أما النساء فلا يشاركن إلا نادراً. ومن هذا النادر أن تقوم إحداهن بالرقص في بني راشد بالقرب من القبة وشعرها مرسل، وهي في رقصها لاتفتأ تحرك رأسها بشكل لا يخلو من عنف.

يعتبر الدغوغيون من الفرق المتفرعة عن طائفة حمادشة، ولذلك ارتبطت ممارساتهم الفنية الخاصة بممارسات أتباع الزاوية الحمدوشية، بل هي بمثابة حلقة من حلقاتها. وتقوم هذه الممارسات على برنامج يحتوي على الذكر وتلاوة حزب سيدي علي بن حمدوش. ويقتصر فيهما على الإنشاد والشطح، يتلو ذلك الحضرة. وبها يختم العرض. وتشكل المرحلة الفنية المتميزة في البرنامج بتدخّل الآلات الموسيقية : الغيطة والتعريجة والهراز والطبل.

تستمد ألحان حمادشة والدغوغيين طبيعتها ونسبها من ألحان وطبوع الموسيقى الأندلسية، وخاصة طبع الحجاز الذي يبرز في إنشاد الذكر.

أما الإيقاعات فتخضع لأنساق جد معقدة أبرزها ثلاثة : 1 - الوزن الحماسي الضربيات 4/5. وتتضافر من أجل إحداثه الآت الطبل والهرأز والتعريجة. وهو يشبه ميزان الكباحي في الملحون مع اختلاف مواقع النقرات القوية والضعيفة.

2 - الوزن الثنائي ويشبه ميزان القائم ونصف في موسيقى الآلة 4/8.

3 - الوزن الثلاثي : ويشبه ميزان القدام في موسيقى الآلة أيضاً 4/3.

ع. ابن زيدان، الإتحاف، ج 5، ص. 459 - 460 : دراسة ميدانية.

J. Herber, *Les Hmadcha et les Dghoughiyin*, Hespéris, T. III, 1923, 2e trim., pp. 217 - 236, Rabat.

عبد العزيز بن عبد الجليل

### الدغوغيون أو بني دغوغ إحدى القبائل المصمودية

الخمس التي كانت توجد بدكالة الكبرى قبل الفتح الإسلامي. ورد ذكرها عند كثير من المؤلفين، وعلى الخصوص عند ابن الزيات الذي أشار إلى أعلامها وبعض قراها دون أن يحدد موقعها. ونحن نجد اليوم جزءاً من هذه القبيلة مستقراً شمال شرقي سهل قبيلة سحيم، كما نجد جزءاً آخر قد أصبح مندمجاً في قبيلة أولاد عمران تحت اسم بني دغوغ تأمداً وبني دغوغ المرجة.

لقد تعربت هذه القبيلة تعريباً تاماً وأنجبت عدداً كثيراً من العلماء والشيوخ المرشدين الذين أنشأوا رباطات ومدارس لتلقي العلوم الدينية، ومن هؤلاء العلماء والشيوخ : الإمام أبو حفص عمر الدغوغي والشيخ الواعظ الخطيب أبو محمد تليجي ابن موسى الدغوغي والشيخ أبو مهدي الدغوغي والشيخ أبو الأنوار والشيخ الفقيه الإمام أبو محمد عبد الخالق بن ياسين وكلهم من القرن السادس (12 م).

وتوجد اليوم مجموعة مرابطة صغيرة بالقرب من بلدة أمطّل بدكالة تعيش حول زاوية تحمل اسم زاوية بني دغوغ.

ع. ابن خلدون، العبر، ج 6 : ابن عذاري، البيان، ل. ابن الخطيب،

المعيار : أ. بوشرب، دكالة. بي. ابن الزيات، التشريف، مدن وقبائل

المغرب، دكالة، ج 10، تر. م. الشياطي، مخطوط.

Répertoire alphabétique des tribus et confédérations du Maroc, Rabat, 1939.

محمد الشياطي

**الدغيمير**، أسرة رياضية شريفة أصلها من سجلماسة، انتقلوا إلى الرباط بعد تجديدها من طرف الأندلسيين المهاجرين في القرن الحادي عشر (17 م) منهم :

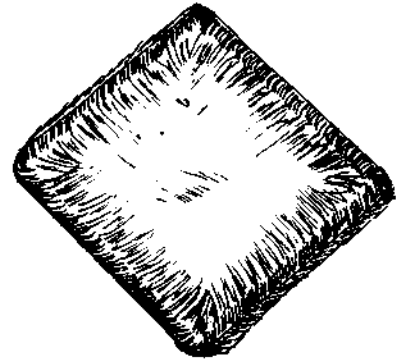
الدغيمير، محمد الحسيني الرباطي فقيه صالح، أخذ عن الشيخ علي العكاري لما انتقل من الزاوية الدلالية إلى سلا الرباط، ولازمه في جملة طلبة العدوتين. وكان متميزاً في العلوم العقلية. وكانت وفاته في أوائل القرن الثاني عشر (18 م).

م. العكاري، البدور الضاوية، مخطوط ؛ م. بوجندار، الاعتباط، الرباط، 1987، ص. 100.

محمد حجي

**الدف**، آلة إيقاعية تعتقد بعض الجماعات الدينية في المشرق أنها وجدت منذ أن خلق الإنسان. وقد نقل أن أول من ضرب بها في الإسلام فتيات بني النجار حينما استقبلن الرسول صلى الله عليه وسلم عند هجرته من مكة إلى المدينة.

تعددت أسماء هذه الآلة : فقبل المزهري، والمرج، والدف المكن. وقد حفلت كثير من المصادر المغربية بذكر الدف ووصفه : ففي بغية الرائد أنه مرج بوجهين : وهو عند ابن الدراج من آلات النقر التي كانت على عهده شائعة، فهو العربي المدور بوجه واحد، ويسميه الناس الطار. أما الشقندي المتوفى سنة 629 فقد حصر استخدامه في عدوة المغرب دون الأندلس، وأما أبو الحسن الخزازي أنه كان يستعمل على عهده في الأعراس، وقد ركبت في جوانبه قطع من الصفر مستديرة يسمع لها عند تحريكه وقرع بعضها بعضاً تصويت وجلجلة.



الدف

ويستفاد من هذه التعريفات أن الدف عند القدماء كان يتأرجح بين مفهوم "الطر" ذي الوجه الواحد و "المرج" ذي الوجهين.

والدف في الاصطلاح المغربي الحديث عبارة عن مرج صغير مغلق ومغلف بالجلد من جهتيه. ويبدو أن أشياخ الملحنون كانوا يستخدمون الدف في مصاحبة الإنشاد، وذلك لتأكيد الطابع الإيقاعي الذي واكب الابتكارات المنجزة في مجال أوزان الشعر الملحن.

ومن جهة أخرى ظل استخدامه حتى عهد قريب شائعاً بين "الشيخات" في أجواق النساء الحضرية، ثم انحصر تداوله اليوم في بعض المجموعات الأمازيغية الممارسة لرقصات أحواش. ومما يدل على سابق استعماله في الأوساط الشعبية إشارة الفقيه عبد الله بن محمد الهبتي المتوفى سنة 963 في ألقبته الشهيرة حيث ذكره تحت اسم "المزهر" وهو بصدد الرد على ما كان يصنعه الناس في حفلات الأعراس وأعمال الزفاف قال :

قد جوّزوا الكفوف والمزهارا والشطح والغنا إذن جهارا وتلتحق بشهادة الفقيه الهبتي شهادة معاينة سجلها في النصف الثاني من القرن العاشر (16 م) المؤرخ البرتغالي مارمول في كتابه إفريقيا عندما ذكر "أن أعراب منطقة نوميديا ... كانوا يتغنون بقصائدهم المقفاة الموزونة على أنواع الدف والعود".

وتتميز طريقة استخدام الدف بأن يمسكه الناقر بيديه معا بين راحتي كفيه في وضع مواز لصدره، ثم يحرك أنامله التي تنقر على الجانبين دون أن ينفصل الكفان عن الآلة.

شهر زاد قاسم حسن، دور الآلات الموسيقية في المجتمع التقليدي في العراق، ص. 334 : القاضي عياض، غنية الرائد، ص. 114 : الإمتاع والانتفاع، تج. محمد ابن شقرون، ص. 33 : أ. المقرئ، نفع الطيب، الجزء الثاني، ص. 151، المطبعة الأزهرية بمصر : علي الخزازي، تخرج الدلالات السمعية، تج. إحسان عباس، بيروت، 1985 : مجلة التراث الشعبي العراقية، السنة 11 ع. 10، ص. 138 : م. الهبتي، الألفية السنية، مخطوط : ، مارمول كربخال، إفريقيا، تر. م. حجي وآخرين، 1 : 110.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الدفلة** أو الدفلى أو ألبلي بالأمازيغية أسماء تطلق على نوع نباتي يسمى علمياً نيريوم أولياندير Nerium oleander وهو من فصيلة الدفليات Apocynaceae. الدفلة شجرة صغيرة أو شجيرة مستديمة الخضرة. أوراقها حلقيّة متجمعة ثلاثة بثلاثة، رمحية الشكل قصيرة العنق أزهارها كبيرة وردية اللون في الصنف البري، أو مختلفة الألوان في الأصناف المنزوعة للزينة. ثمارها علبية الشكل طويلة جداً (حتى 15سم)، ومنتهية بمنقار طويل. ومحتوية على بذور مكسوة بزغب طويل يسهل لها الانتشار بواسطة الرياح أو المجاري المائية.



تنوطين الدفلة حوض البحر المتوسط. أما في المغرب فإنها تعيش على ضفاف الأودية وفي الأماكن الرطبة في جميع المناطق البيومناخية ابتداءً من سطح البحر إلى حوالي 2000م.



تستعمل الدفلة كنبات زينة، يغرس في الحدائق والبساتين ويجوانب الشوارع والطرق. ولهذا الغرض استنبطت من الصنف البري عدة أصناف ذات أزهار مختلفة الألوان، وردية أو حمراء أو بيضاء أو صفراء أو مختلطة هذه الألوان.

تعتبر الدفلة من النباتات السامة. تدخل في بعض التحضيرات للتطبيب التقليدي. كما يُستعمل خشبها لصناعة بعض الأثاث الخفيف مثل الكراسي ... أبحاث شخصية.

Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris.

عبد الملك بنعبيد

## الدفينة ← الزراعة المغطاة

**الدفق:** أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الغربية بناحية أصيلا وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطوان 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1618.

محمد ابن عزوز حكيم

**الدفق:** أحمد السبتي من صلحاء سبتة ومتصرفتها المشهورين، صاحب المكاشفات والكرامات. اشتهر في الوسط السبتي بالزاهد المتعب، صاحب بركة لا تنضب وتنبؤ لا يخطئ وبعد مماته تحول قبره الكائن في المقبرة الكبرى من أسفل جبل المينا إلى مزار يقصده كل ذوي مطلب أو حاجة (اختصار، 15) لا نجد له ترجمة سوى ما ذكره ابن عبد الملك من أن المسمى أحمد بن إبراهيم بن مسلم الدفاق

المعروف بأبي العباس الإشبيلي الأصل أخذ عن أبي عبد الله بن شريح الرعيني المتوفى عام 563 / 1168 (الذيل، 63) لذا لا يمكن أن يكون أحد الدفاق السبتي المتوفى في حدود سنة 748 / 1348.47 (اختصار، 15).

م. ابن عبد الملك الذيل والتكملة، القسم الأول من السفر الأول، تج. محمد بن شريفة، بيروت: ابن القاسم الأنصاري، اختصار الأخبار، الرباط، 1403 / 1983، ط. الثانية.

زليخة بن رمضان

## الدفق: محمد بن محمد الدغمي السلوي فقيه

أديب وشاعر فصيح. كان والده عدلاً بمدينة سلا. لازم الدفاق مجالس الشيخ علي العكاري، وكان يرفع إليه نوازله ومعضلاته، كما قرأ على شيوخ مدينة فاس كمحمد بن عبد القادر الفاسي، ومحمد بن أحمد القسطيني الكغمد، والعربي بن أحمد بردلة وغيرهم. وأخذ طريق التصوف عن الشيخ محمد ابن ناصر الدرعي، وكان يتمتع بمكانة علمية مرموقة بالمجتمع السلوي. تخرج على يده عدة وافر من الطلبة السلويين، أبرزهم أحمد بن عاشر الحافي السلوي الذي قرأ عليه مختصر خليل، وبعض تلخيص المفتاح وغيرها. سافر الدفاق لحج الفريضة وقام بتدريس الحديث بالمسجد النبوي في المدينة المنورة أكثر من عشر سنين، وكان السلطان العثماني محمود الأول يصرف له كل سنة جائزة سنوية، الأمر الذي يبرز مكانة هذا العالم السلوي بالمشرق. ولصاحب الترجمة مراسلات بينه وبين طلبته السلويين.

توفي بالمدينة المنورة، ودفن بها عام 1158 / 1746.45.  
ع. العكاري، (الحفيد)، البذور الضاوية الزاوية، خ. ع. 88 د. ص.  
27.26: أ. ابن عاشر الحافي، الفهرس، تج. م. السعديين، د. د.  
ع. الرباط، 1991.90، ص. 230: م. بوجندار، الاغتباط، الرباط، 1987، ص. 106 - 110: م. ابن علي الدكالي، الإتحاف الوجيز، تج. م. بوشعرا، 1986، ص. 113، إتحاف أشراف الملا، مخ. خ. ع.  
111، ص. 63.64: العباس ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1974.  
6: 60: ع. بن عبد الله، سلا أولى حاضرتي أبي رقرق، سلا، 1989، ص. 87.

محمد السعديين

## الدقة المراكشية، المعلومات المتداولة عن أصل

"الدقة المراكشية" تتسم بكثير من التناقض، وتفتقر للوثائق والحجج: فمن قائل بالأصول الإفريقية للدقة لمجرد وجود "القراب" الحديدية ضمن آلتها، إلى قائل بأصولها البربرية لوجود بعض العبارات الأمازيغية مثل "افوس" اعراج و"اگوال" ويدعم هذا الرأي وجود فن شعبي شبيه بالدقة في مدينة تارودانت.

أما تاريخ الدقة فمن الصعب تحديده لأنه كباقي الفنون

الشعبية يرتبط وجوده بوجود الإنسان نفسه، إلا أنه على أي حال فن إسلامي، لارتباطه زمنياً بمناسبة دينية إسلامية وهي الاحتفال بعاشوراء. ومن هنا جاءت فكرة نشأته في ظل حكم يعادي الشيعة (بيدون الحزن الشديد في هذه المناسبة).

إضافة إلى أن في زجله دعوة إلى التوسل بالأولياء واحترامهم واتباع الطريق السوي.

وترد كثير من الأقوال تاريخ الدقة إلى عصر المنصور السعدي، ولعل السبب في ذلك عائد إلى ما عُرف عن هذا السلطان من تشجيع للألعاب في المناسبات الدينية تخليداً لانتصاره في معركة وادي المخازن فقد تحدث المؤرخون عن احتفالاته بموكب الشموع الذي شاهده أثناء زيارته لإسطنبول. وإقامته حلقات الذكر والأمجاد النبوية بهذه المناسبة. (مناهل الصفا، 238، 235 : روضة الآس، 13 . 14).

إلا أن انعدام الوثائق يجعلنا غير مطمئنين لهذا الرأي وحتى "العيط" (الزجل المعتمد في الدقة) لا يساعدنا على ذلك لأنه كما سنرى، غير قار، يتغير بتغير العصور فلا يبقى إلا جوهره.

وللدقة زمان : هو ليلة عاشوراء، ومكان : هو كافة أحياء المدينة، وتقوم على ترديد زجل شعبي يسمى "العيط".

وتنقسم الجوقة المرددة إلى قسمين : يردد الأول الشطر من البيت والثاني الشطر الثاني منه. مع النقر على "التعاريج" وينسق بين القسمين شخص يدعى "العراج" في حين يقود الجوقة حامل "البندير" ويتبعه في تحركاته وإيقاعه حامل "القراقب الحديدية".

ولإيقاع الدقة أربعة موازين :

(1) ميزان رباعي، توحى دقاته الأربع بعدم استقامته مع تجاوب القراقب والبندير.

(2) ميزان رباعي متعادل الضرب تتداخل فيه نقرات

البندير والقراقب، جماعة تضرب إيقاعاً رباعياً معتدلاً، وأخرى تحدث إيقاعاً ثلاثياً سريعاً، وثالثة تحدث إيقاعاً ثنائياً مؤجل النبر.

(3) ميزان ثلاثي ذو إيقاع سريع حثيث.

(4) ميزان رباعي تشتد حمأته من فرط سرعته، وتصحب إيقاعاته الصاخبة تهليلات وصيحات من طرف العازفين (الموسيقى الشعبية المغربية، الفنون، 8 : 1978، ص. 48، 71).

وتكون الدقة ناجحة في مرحلة "افوس" (كلمة أمازيغية معناها "اليد" ولليد الفضل الأول في حدوث الانسجام، أي الانتقال إلى الميزان السريع، والمفروض أن يقع الانسجام في الانتقال بين كافة المشاركين : صاحب البندير، والقراقب وأصحاب التعاريج. وهو أمر يحتاج إلى دربة وممارسة، إذ أن بقاء تعريجة واحدة في الميزان الثقيل أو خروجها قبل الوقت المناسب إلى السريع يفسد "افوس".

بعد هذا التقديم الضروري نركز حديثنا على أهم شيء في الدقة وهو الزجل الشعبي الذي ترده الفرقة في مرحلة الضرب الثقيل، ويسمى لذلك "العيط" (من عَيْطَ القوم أي صاحوا وأجلبوا). وتكون لهم بالفعل صيحات وجلية، سواء أثناء التردد المزدوج أو عند الإعلان عن نجاح "افوس". ويسمح لنا التدبير في نصوص "العيط" ورواياته بإبداء الملاحظات التالية : (الحركة الصوفية بمراكش، ج 3، 70 : 78) :

(1) أنه تراث شعبي أصيل لا يُعرف قائله أو ناظمه، وإنما هو منسوب للفتات الشعبية بكاملها على امتداد زمن وجود هذا الفن.

(2) نص العيط طويل يختلف من راو إلى آخر، ويتفق الرواة على أن أغلبه ضاع وأنه أطول مما يحفظون ويتناقلون، وقد قدمت لنا تقديرات في الموضوع أقلها مائة وعشرون بيتاً واقصاها أربعائة بيت غير أن المتداول حالياً أقل من ذلك بكثير، ويمكن رد هذا الاختلاف إلى الفترة



التي يُذكر فيها الأولياء فانها تطول أو تقصر بحسب الأسماء الواردة فيها.

وتكون الجوقة بأصم الحاجة إلى العيط الطويل حتى لا يحدث السأم بالاستمرار في ترديد نفس البيت زمناً طويلاً، فالمفروض أن يستمر "جر العيط" حسب اصطلاحهم من بدء الدقة (بعد صلاة العشاء) إلى "دخول أفوس" (قبيل الصبح) وخاصة إذا صادفت المناسبة فصل الشتاء.

(3) عيط الدقة مفتوح وصَرنُ يزداد فيه وينقص منه بحسب الظروف والأحوال، تتغير الفقرة المخصصة للسُلطان بتغيره، ويسجل الأحداث التي تعرفها المدينة أو التي تعرفها البلاد، ويتم تناسي فقرات لم تعد لها أهمية لفائدة المضاف ذي الأهمية، فقد روي لنا الشيوخ أبياتاً في ذم الاستعمار ومساندة الوطنيين أثناء الحماية، كانت الفرق تدخلها بين سطور التوسل داعية الأولياء أن يخففوا عن البلاد مصابها.

كما يحفظون أبياتاً في الغزل بالمذكر، حذفها الفرق من مرددتها لأن الذوق العام لا يستيفها، من مثل قولهم :  
يشير اصغبر خويا خويا واعطيه درهمو  
مجدول احريمر خويا خويا دلا اكمايمو

(4) عيط متغير كذلك أي أنه لا يحتفظ بنفس التسلسل :  
تقدم وتؤخر الأقسام بحسب الهومات والأحياء كل واحدة تقدم الأولياء المدفونين فيها وتخصص لهم فقرة أطول، وتهتم باستعراض أسماء أعلام الدقة بها، ثم تاتي على ذكر باقي أسماء الأولياء المشاهير وبعض مظاهر الحياة الاجتماعية في المحومة والمدينة على العموم.

ويلاحظ التغيير في النطق ببعض الالفاظ وفي مواقعها داخل البيت وهذا راجع إلى الاعتماد في العيط على الرواية الشفوية وإهمال كتابته، وهذا ما تسبب كذلك في ضياع أغلبه.

أما الاقسام الثابتة في العيط فهي :

(1) المقدمة : في ذكر اسم الله والصلاة والسلام على

نبيه المرسل الشفيح :

نبدو باسم الرحمن \* باسم العالسي  
الصلاة على زين الزين \* طه وباسين  
الشفاعة يا سيد المرسلين يا نبينا \* سعدي بالشافع فينا

(2) الدخول في الدعوة إلى التمتع بمشاهدة هذا الفن

وما يواكبه من فرحة وسرور، مع ذكر أعلامه المشاهير :

يا الله أو اتشوف بساط لفرجا \* نكي ونوح على فراق سيدي ماجا  
شوف الدقة وصوتها معلسى \* غابوا ناسها ما حضرو شي ليها  
ويبدو أن الفرق كانت تقوم بتمثيل بعض الأدوار

المسرحية كما يبدو من البيت الأول (بساط فرجا، وبداية القصة في الشطر الثاني) قبل الشروع في "جر العيط" ومن أعلام الدقة الذين تذكرهم الأحياء كلها بإجلال "ولد اسميرس" ولا يعرف العصر الذي عاش فيه وتضيف بعض

الأحياء أعلامها مثل : بحير بابا...

ويتم تنبيه المتدنين أو "العسريين" (الذين لا يستطيعون الضرب والإنشاد معا) إلى ترك الكور (أي دائرة المنشدين) لما سبترت عن مشاركتهم من نتائج قد يكون ثمنها الضرب المبرح.

ويسمون العسري "بالفزعي" أي العديم التجربة الثقيل الظل. ويكون المشاركون في الدقة من كبار السن ذوي التجربة. أما دقة الأطفال والأحداث فلهم مجال أرحب يبتدئ من مطلع محرم إلى ما بعد عاشوراء كل يوم.

(3) القسم الأول في ذكر الأولياء والتوسل بهم : يدعو زجل العيط إلى زيارة أشهر أولياء المدينة والتوسل بهم والدخول في حماهم وتعطي سبعة رجال الأسيقية :

للغزواني جيت انزور \* الولسي مول القصور ...  
وهذا القسم مفتوح ومتغير - أكثر من غيره - فمن خلاله يمكن أن يطول العيط حتى يبلغ الأرقام التي يسوقها الرواة، خاصة وان تركيب الأبيات مرن وطيع ومتكرر في البيت :

ارواح انزور شيخ الحضرا \* مولاي بوعمرو

نجد روايات مثل :

ارواح انزور شيخ الحضرا \* مولاي الكامل

وهكذا يمكن توظيف هذه الصيغ والتراكيب لذكر كاف أو معظم أولياء المدينة والتوسل بهم، ولما كان عددهم كبيراً (كل قدم بولي) فإن نص العيط سيطول لا محالة وفي هذا مساعدة على قضاء الليل الطويل دون ترديد نفس الأبيات.

(4) يتناول القسم الثاني من العيط الحديث عن مظاهر الحياة الاجتماعية في المدينة وبعض عادات سكانها والدعاء للسلطان الحاكم.

يبدأ الحديث عن هذه المظاهر من "الحضار" أو السيد الذي يحفظ فيه الأطفال القرآن الكريم، ويتعلمون القراءة والكتابة، فهو الأساس وعليه الاعتماد في تكوين العلماء ويرتبط السيد بحي الزاوية زاوية الحضر، رمز التمدن والعطاء، والفهم والأناقة عند سكان المدينة حيث المساجد والزوايا والمدارس وعلى رأسها جامع ابن يوسف ومدرسته :  
أهل الزاوية جيت انزور \* تلقى حرض العينين  
فم بساب احضارو \* أو عدي تا يعرض أسوارو

ولا ينسى المراكشي عادة من العادات التي جبل عليها وهي الخروج إلى النزهة في الحدائق والعروض التي تزخر بها المدينة وضواحيها وما أكثر أسماء العراض التي يذكرها العيط. فلكل حي عرصته المفضلة القريبة من بابه الرئيسي. ويذكر العيط بساط سليمان وعرصه احريلمي (معجم عراضى مدينة مراكش، 5: 1981، ص. 98-79).

الشبان را العام أزيان \* فشبو للزاهان وكيكو

فيساط سليمان

والدعاء للحوز بالحصب له دلالتة عند المراكشيين، فيه

تنخفض أثمان الحبوب، ويعم الرخاء وتنشط التجارة بالمدينة وتزدهر لأنها سوق قبائل الحوز، ومنها يتزودون بحاجاتهم. وفي العيظ الإشادة بالجمال وذكر معاناة الحب :  
وهناك أبيات تتحدث في ظاهرها عن اللقاء والفرق والحب، ولكنها في العمق ترمز للحياة والموت وحتميته (وقت الرواح ما فيه أمقالات) وللزمان وغدره وتقلبه، لذا فعلى الإنسان أن يتشبث بالدين ويلتزم بأحكام الباري تعالى وشريعته، وأن يقدم الخير ويسعى في سبيله، وما احتفظ به العيظ من هذه الحكم :

راحت راحت شمس لعشبي \* راحت فحكّام الباري تعالى  
قال الزين أنا بيت ممشي \* وقت الرواح هذا ما فيه مقالا  
اللي ماسار يسير غير ممشي \* ليام فابتا والسوايح بدالا

وهذه الأبيات كثيرة التردد على لسان الصناع التقليديين بالمدينة يترغون بها في أورشهم ومعاملهم، وبخاصة "الجصاصين" أثناء تخصيص سقف المنازل وفي البيت الثاني منها كلمة خاصة بأهل مراكش وهي "بيت" التي تستعمل عندهم بدل "بغيت" أي أردت. وأخر فقرات هذا القسم الدعاء للسلطان الحاكم بالنصر والتوفيق والإعلان عن رخاء المدينة وازدهارها تحت ظل حكمه. والقالب المستعمل في هذه الفقرة هو :

سيدي ربي نرجاك يا العالي \* تكون في عون (السلطان الحاكم)  
شف البهجا الحمرাকা تشالي \* بعنايت الهمام (السلطان الحاكم)  
5) الخاتمة : يشير العيظ إلى النهاية (امشينا) ويؤكد التوسل بالأولياء والاحتفاء بالزاوية زاوية المؤمنين، ثم يدخل مباشرة في الإيقاع السريع ليخلص إلى "أفوس" والنهاية.

عيشا عيشا يا سودلال \* تلقاي الخير أمشينا  
أنا في عار الزاوية \* زاوية المومنين  
ع. الفشتالي. مناهل الصفا، د. ت : أ. المقري، روضة الأس : ع.  
العزیز بنعمد الله، الموسيقى الشعبية المغربية، مجلة الفنون، غشت،  
1978 : ح. جلاب، الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب، ج  
3، ط. مراكش، 1994 : معجم عراضى مدينة مراكش، مجلة  
الترات الشعبي، 5 : 1981.

حسن جلاب

**الدقون** ويكتب أيضاً الدقون أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وكان من بين أفرادها عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرزاق الذي تولى مهنة خبير في الفلاحة سنة 1217 (1802).

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون، 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 680.

محمد ابن عزوز حكيم

**الدقون، أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي**

الأندلسي الفاسي. ولد ونشأ بفغرناطة ودرس بها قبل أن يحتلها الإسبان، ثم انتقل مع أبيه إلى فاس، أخذ عن جماعة من علمائها منهم محمد المواق والأستاذ الصغير، وأخذ عنه جماعة من طلبة المدينة الإدريسية الفقه وقواعد اللغة. أخذ عنه منهم : أبو القاسم بن إبراهيم، وأحمد التسولي وأبو عبد الله بن شريف، وشقرون بن أبي جمعة المغراوي.

كان الدقون فقيهاً شاعراً، أديباً نحوياً، محدثاً وراوية، كثير المزج. روى عنه تلامذته كتابه بداية التعريف بشرح شواهد الشريف (مخطوط).

تولى خطابة جامع القرويين وبعد وفاته خلفه محمد بن محمد ابن غازي.

توفي بفاس في مهل شعبان عام واحد وعشرين وتسعمائة 921 / 1515.

د. القرافي، توشح، بيروت، 1983، 64 : أ. ابن القاضي، جذوة، 1 : 132، درة، 1 : 92 : أ. بابا، نيل، ص. 88 : ع. الفاسي، ابتهاج، 384 : م. القادري، نشر، 711، الإكليل، ص. 136 (د. د. د. ع. مرقون) : م. الكتاني، سلوة، 3 : 248 : م. مخلوف، شجرة، 1 : 276، ح. الزركلي، الإعلام، 1 : 232 : م. حجي، الحركة، 2 : 348 : م. ابن تاويت، الوافي بالأدب المغربي، ص. 287.

مارية دادي

**الدك**، أسرة رياطية صاحبة مال وسعة، ينتسب إليها المسجد الذي يحمل اسمها والكانت بين سقاية القاضي البربري ودرج الجراي. عرفت هذه الأسرة بالجاه ولذلك حملت إحدى الأزقة اسمها أيضاً. فزقة الدك هي الموجودة بين الحرازين وزنقة وقاصة جوار درب البرناني.

م. الأمين بلگناوي، رواية شفوية، في 30 / 10 / 1995.

عبد الإله الفاسي

**دكالة**، كانت بلاد دكالة إلى حدود القرن الثاني عشر (18 م) تشمل مساحة أكبر مما هي عليه الآن، إذ كانت تمتد من أم الربيع شمالاً إلى ما وراء نهر تانسيفت جنوباً، أي ما يعرف اليوم بمنطقتي دكالة وعبيدة والشياظمة. وقد تغير استعمال الاسم كثيراً خلال القرون الوسطى، إذ كان يطلق أحياناً على مجموع القبائل البربرية التي كانت تقطن الرقعة المذكورة، وكان يطلق في أحيان أخرى على المنطقة نفسها. وقد نجد الاستعماليين معا عند المؤلف الواحد.

لا نعرف للفظ "دكالة" معنى، ونجهل بداية استعماله. ولعله لفظ بربري طرأ عليه، على غرار ألفاظ كثيرة (مشتزاية مثلاً) تحوير وتعريب لاحق. فمن الأكيد أن الاسم

لم يكن يطلق لا على السكان ولا على المنطقة قبل الإسلام، ولم يرد بين الأسماء التي ذكرها المؤلفون الإغريق والرومان. ولم يذكر البكري هذا الاسم، بينما جعل ابن خلدون المنطقة إلى حدود أسفي تابعة لبرغواطة. وأعطى آخرون لتامسنا حدوداً تشمل ما يعرف اليوم بدكالة وعبيدة. ويفهم من إشارة أخرى لابن خلدون - وللإدرسي كذلك - أن انتشار القبائل الدكالية كان يشمل الرقعة التي غطتها المنطقة حتى بداية العصور الحديثة، أي فيما بين أم الربيع وتانسيفت.

ومن جهة أخرى، أطلق الاسم على المنطقة وسكانها، إلى حد أننا نجد عند المؤلف الواحد الاستعمالين معاً. ويتجلى ذلك بوضوح في عبر ابن خلدون الذي يطلق "دكالة" على قبائل مصمودة السهل مرة، وعلى إقليم مرة أخرى. ونفس الازدواجية نقف عليها في كتابات من تعرض للمنطقة قبل القرن العاشر (16م). إلا أن تتبع إشارات تلك المؤلفات، واعتبار التطورات التي عرفتها المنطقة، خصوصاً بعد دخول القبائل العربية إليها، قد يكتان من تصور مراحل تحول استعمال الاسم.

نقرأ في بهجة الناظرين أن أحد الأمغاريين بقي بتيط إلى أن اندلعت حرب برغواطة "فخرج بأمه إلى بلاد دكالة". ثم أشار المؤلف في محل آخر إلى أن "أبير بساحة دكالة". وبذلك يجعل تيط، التي كانت تابعة لـ "صنهاجة أزموور"، خارج دكالة.

وقد نحا ابن قنفذ - الذي زار المنطقة سنة 769 نحو ابن عبد العظيم الأزمووري. فحين تكلم عن الأمغاريين، نعتهم بـ "الصنهاجيين"، وحين أشار إلى "الماجريين"، قال: "وهم طائفة أبي محمد صالح، ومنهم الدكاليون". وما يؤكد هذا التقسيم إلى جزئين لدى ابن قنفذ، أنه حين يتحدث عن اجتماع الصوفيين والفقهاء بإحدى قرى ساحل المحيط قال عن المكان: إنه "جوف إقليم دكالة، بين أسفي وبلد تيط نفطراً". وبذلك تكون "دكالة" هي ما يناسب مصمودة السهل، وبلاد "صنهاجة أزموور" ما يناسب هذه القبيلة وهو ما نقف عليه كذلك عند ابن الزيات الذي يستثني من دكالة قبيلة صنهاجة، ويعني بدكالة ما لاحظناه عند ابن عبد العظيم الأزمووري وابن قنفذ.

وقام ابن خلدون، بدوره، بنفس التمييز وإن أدمج صنهاجة أزموور في أماكن مختلفة من العبر ضمن قبائل دكالة.

وقد اختفى استعمال اللفظ للدلالة على القبائل تدريجياً، خصوصاً بعد الغزو البرتغالي للمنطقة، وما نتج عنه من تقلبات واضطرابات وتحركات اضطرابية للسكان. وبذلك عوضت المنطقة القبائل في حمل الاسم، خصوصاً وأن قبائل جديدة ظهرت بها: غربية، عبيدة وشرقية بفروعها الكثيرة. وهكذا، وابتداء من القرن العاشر (19 م)، لم يعد لفظ "دكالة" استعمالاً واحداً، ويعني المنطقة التي كانت تقطنها القبائل البربرية الست. وهكذا لم أقف في المصادر

البرتغالية إلا على استعمالين اثنين للدلالة على القبائل، فيها إشارة لقبيلة دكالة، مع ذكر عبدة ورجراجة ورتنانة. وهكذا استعمل كل من الوزان ومارمول والإخباري البرتغالي (دو كويش) اللفظ للدلالة على الإقليم. فقد كتب هذا الأخير وهو يتحدث عن أسفي بأنها توجد "بالإقليم الذي نسميه بطريقة غير دقيقة إقليم دكالة".

واختلط الأمر على الوزان في ضبط حدود المنطقة، إذ جعلها تحد بوادي العبيد جنوباً وتانسيفت غرباً. وعلى كل، تجمع المصادر أن منطقتنا كانت تحد في بداية القرن العاشر (16 م) شمالاً بأم الربيع، وجنوباً بتانسيفت، وغرباً بالمحيط، وشرقاً بالمرتفعات: الجبل الأخضر وجبال بني ماغر، ومرتفعات الكنتور.

وضمن الحدود المشار إليها أعلاه، كانت المنطقة مقسمة باستمرار إلى قسمين متميزين. فقبل دخول القبائل العربية إليها، كانت النصوص تميز بين بلاد "صنهاجة" وبلاد المصامدة. وخلال الغزو البرتغالي قسمت إلى "شرقية" و "غربية". وابتداء من القرن الثاني عشر (18 م)، قسمت إلى "دكالة حمراء"، وهي عبدة الحالية، و"دكالة بيضاء"، وهي ما يناسب دكالة الحالية. وقد بدأت ملامح قبائل القسم الشمالي للاسم تتعزز تدريجياً خلال الغزو البرتغالي. وبذلك يصبح الاسم الذي كان حكراً على قبائل القسم الجنوبي خاصة هذه المرة بسكان قسمها الشمالي، وذلك بعد أن تعزز وجود قبيلة عبدة بالمنطقة، بعد تحرير أسفي. وبهذا نفهم التقسيم الذي خص به القنصل الفرنسي شونبي دكالة حين كتب: "كانت هذه المنطقة تمتد قديماً من ضفة تانسيفت، إلا أن منطقة عبدة اقتطعت منها لبتم التقسيم بين أخوين متنافسين على حكمها". وأضاف "أن دكالة كانت تمتد إلى أبواب أسفي"، وأن "إقليم عبدة، الذي كان يكون قسماً من دكالة، يبدأ من أسفي ويمتد إلى نهر تانسيفت". وبذلك أعطى القنصل المذكور منطقة دكالة الحدود الجديدة التالية: من ناحية الشرق: هسكورة والرحامنة، من ناحية الجنوب: عبدة، ومن الشمال: تامسنا.

وهكذا أصبح إقليم دكالة ابتداء من القرن الثاني عشر (18م) يشمل رقعة أضيق مما كان عليه من قبل، ولم تعد المنطقة التي استوطنتها عبدة تنسب إليها، وأصبحت تشكل إقليمياً خاصاً بها.

اعتاد الجغرافيون تقسيم دكالة إلى ثلاث وحدات جغرافية: الساحل، السهل، المرتفعات. وتختلف الوحدات المذكورة عن بعضها البعض من ناحية الأشكال الطبيعية، والغطاء الطبيعي ونوعية الاستغلال الزراعي. وعلى الرغم من هذا الاختلاف، يغلب على دكالة طابع الانبساط الذي يجعل منها سهلاً من أكبر وأغنى سهول المغرب. غير أن المنطقة كانت تعاني من قلة المياه بشكل كبير ودائم نظراً لقلّة الأنهار والعيون بداخلها، ولحدودية استفادتها من النهرين اللذين يحدها. لذا كاد السكان يقتصرن في

شربهم على ما كانوا يدخرونه من مياه المطر. وقد أثر هذا المشكل على نوعية الاستغلال الزراعي وعلى نمط عيش السكان، وكانت له في بعض المناسبات انعكاسات سياسية خطيرة عليهم.

فإذا كانت كمية التساقطات تسمح للمنطقة بزراعة بورية في حالة توزيع منتظم للتساقطات خلال السنة الفلاحية، فإن المشكل الذي عانى منه الدكاليون كثيراً تمثل في ندرة المياه الصالحة للشرب، وهو المشكل الذي أكدته المصادر. وتكاد تنعدم الآبار في أجزاء كثيرة من المنطقة، الأمر الذي حتم على السكان اعتماد ما يدخرونه في النطافي من مياه المطر. فقد ذكر ابن الخطيب عن جبال بني ماغر بشرق أسفي: "سقيه من نطاف عذبة تُخزن بها بركات الأمطار فيقع بها أمنهم والاجتزاء إلى زمن المطر". وكانت مدينة أسفي لا تعتمد في شربها إلا على النطافي. لذا كان الجفاف يكنسي بدكالة طابع الكارثة بالنسبة للسكان ومواشيهم. فكلما تأخر نزول المطر أو انعدم إلا واضطر السكان إلى الرحيل نحو المناطق المتوفرة على الآبار والعيون كما ورد ذلك في التشوف حين الحديث عن أبي وكيل الدكالي. وقد تركت لنا المصادر البرتغالية صورة واضحة عن خطورة قلة هذه المادة على السكان إلى حد أنها استعملت كسلاح لإرغامهم على الرضوخ لمشيئة الغزاة. وذكر الإخباري (دو سوزا) أن الملك البرتغالي اضطر مرة إلى إرسال سفينة محملة ماء إلى أسفي لتفادي موت حاميتها من العطش بسبب حصار المغاربة للمدينة. وكاد أحد النبلاء البرتغاليين "أن يغرق نفسه في ذلك الماء، لأننا إذا كنا هنا (البرتغال) لا نغير أي اهتمام لذلك [الماء]، فإنه كان في أسفي كثير الفائدة".

تجمع النصوص على أن قبائل دكالة كانت تضم ست مجموعات، واحدة صنهاجية، توجد حول مدينة أزموور، وسائرهما مسمودية، مكونة من مشنزاية وبني دغوغ ودرگراغة وبني ماغر وهزميرة.

كانت صنهاجة "تسغرت" على الضفة الجنوبية لأم الربيع وحول أزموور. وبلغ انتشارها جنوباً إلى منطقة أيبير التي كانت بالتأكيد مسمودية. أما في اتجاه الشرق، فكانت تنتشر على طول أم الربيع حيث بقيت منها مجموعات صغيرة في قرى محصنة إلى حدود القرن العاشر (16 م) على الأقل.

واعتماداً على رواية ابن الزيات، كان انتشار مشنزاية حول قرية إسكاون والجبل الأخضر، بسهل سيدي بنور، ولا يستبعد أن يكون الامتداد وصل إلى الساحل، وهو الملجأ الذي احتتم به بعد دخول القبائل العربية إلى المنطقة. فقد كانت المدينة الغربية في مطلع القرن العاشر الهجري تابعة لها.

وكانت قبيلة بني ماغر مستقرة بين أسفي، التي نسبها ابن خلدون إليها، ومرتفعات التي تحمل اسمها. أما

درگراغة، فكانت تمتد من وادي شبشاوة شرقاً، إلى قرية گوز غرباً.

وإذا كان ابن الزيات قد ذكر قبيلة بني دغوغ عدة مرات، وأشار إلى أعلامها وبعض قرأها، فإن تلك الإشارات لا تسمح بتحديد دقيق لمكان استقرارها. ويبدو أنها كانت تنتشر فيما بين قبيلتي بني ماغر ومشنزاية، أي فيما يعرف اليوم بسهل سحيم، وهو الموقع الذي بقيت فيه إلى اليوم - مع تقلص كبير - بعد اندماجها ضمن أولاد عمران العربية.

ولم نعرش في المصادر التي اعتمدناها على ما يسمح بتحديد موقع انتشار هزميرة داخل الحدود التي ذكرناها لدكالة.

وكانت دكالة خلال المرحلة البربرية تابعة لمراكش، يشرف عليها عامل، وكانت لدرگراغة إدارة خاصة، وكانت عاصمتها گوز، على نهر تانسيفت، وفي العهد المرابطي، تقلص النفوذ البرغواطي، وانتزعت دكالة من أيديهم. وبخلاف باقي المصامدة، واجه الدكاليون الدولة الموحدية الناشئة بمقاومة عنيفة ردت عليها مراكش بقمع شديد نتج عنه فراغ بشري كبير دعيت القبائل العربية للمته.

ففي مطلع القرن السابع (13 م) عرفت المنطقة زحفاً للقبائل العربية انطلاقاً من تامسنا بهدف الاستقرار. وكان هؤلاء الهلاليون ينقسمون إلى قسمين: خلط وسفيان. وإذا كان لسفيان السبق في الدخول، فإنهم اضطروا إثر حروب كثيرة مع أعدائهم الخلط إلى الانسحاب من المنطقة بعد أن لم ينفعهم تراجعهم صوب الجنوب، ولم يبق منها إلا قسم احتضى بنهر تانسيفت، مكون من قبيلة الحرث أو الحارث التي تفرعت عنها قبيلة أولاد مطاع.

وانعكس دخول القبائل العربية على وزن المنطقة السياسي وعلى ساكنتها وتوزيعهم وغط عيشهم. فمن الناحية السياسية، نلاحظ تزايد الاضطرابات داخل المنطقة بسبب العداء بين الخلط وسفيان من جهة، وموقف كل واحدة منهما من الدولة الموحدية المنهارة من جهة ثانية. كما أن الدولة المنهارة اعتادت ضرب الفريق الثائر عليها بالفريق الآخر. ثم إن تلك الدولة لم تحرك ساكناً وهي تراهم "يعيشون في الناس يمينا وشمالاً" (ابن الزيات). وقد أصبح للقبائل العربية وزن سياسي كبير، إلى حد أن شيوخها أصبحوا يتناولون على السلاطين. ومع ذلك، نتج عن تلك الحروب المستمرة، وعن انتقام الملوك من القبيلتين بالتتالي، إضعاف كل من الخلط وسفيان واضطرارهم إلى مغادرة المنطقة. ويبدو أن قبائل عربية أخرى حلت محلهم، نزحت من الشرق، واحتفظت بتلك الصفة التي كانت تميزها عن غيرها من قبائل المنطقة: الغربية، عبدة، مشنزاية.

وعلى إثر دخول القبائل العربية إلى المنطقة اندمجت قبائل بربرية ضمن النازحين الجدد، كما هو الشأن بالنسبة لصنهاجة أزموور أو بني دغوغ، أو انسحبت إلى الهوامش والأطراف كما هو الشأن بالنسبة لمشنزاية ودرگراغة وبني

ماغر. وبذلك تشير المصادر البرتغالية في مطلع القرن العاشر (16 م) إلى وجود العنصرين معا، مع اختلاف واضح في الموقع وفظ العيش. فهي تذكر أن القبائل العربية كانت تعيش في دواوير وتبنى الترحال، في حين استقر البرابرة في قرى محصنة.

ويمكن تقسيم القبائل العربية المستقرة بدكالة في مطلع القرن العشر (16 م) إلى ثلاث مجموعات :

- الشرقية التي كانت تتفرع عنها ست قبائل مستقرة بشرق المنطقة : أولاد فرج، أولاد عمران السكاون، أولاد سيبطة، أولاد بوعزيز، أولاد عمران التحتية، أولاد يعقوب.

- الغربية

- عبدة

أما القبائل البربرية فكانت ثلاثا : مشنزاية وبنى ماغر وركراكة.

وما لا شك فيه أن الفتن والحروب التي عرفتها المنطقة، وهجرة سفيان والخلط أدت إلى تراجع أعداد الدكاليين. إلا أن إمكانات المنطقة وقدرتها على الانتعاش جعلتها حتى في فترة الأزمات التي عرفها المغرب تشهد كثافة سكانية مهمة أثارت انتباه المؤلفين. فقد شدد ابن الخطيب على كثافة ساكنة بني ماغر، ووصف عمران السهل الممتد بين أسفي وأزمور بقوله : "هذا الوطن المتكاثف العمارة، أجم الماشية، المنبت الحلل، الغاص على انفساح مداه بالراغية والثاغية"، وهو ما شدد عليه ابن قنفذ بدوره. وذكر الوزان أن دكالة كانت في بداية القرن العاشر الهجري كثيرة السكان إلى حد أنهم تجرأوا على رفض دفع الضرائب للوطاسيين، وأشار إلى أن محاربيهم بلغوا حوالي مائة ألف، علما بأنه لم يخص بالذكر إلا العناصر العربية.

غير أن ساكنة دكالة عرفت تراجعا كبيرا بسبب الحروب التي أشعلها البرتغاليون بالمنطقة، وما نتج عنها من ردود فعل وطاسية، وكذا بسبب النزوح الاضطرابي لبعض قبائلها، خصوصا بعد المجاعة الكبرى التي عرفتها المنطقة سنة 1521 والتي اضطر فيها الدكاليون إلى بيع ذوبهم قبل بيع أنفسهم لتجار الرقيق البرتغاليين والإسبان بأثمان بخسة إلى حد أن بعضهم أعطى نفسه مقابل تعهد المشتري بضمان القوت. ومع ذلك كانت دكالة دوما من أكثر مناطق المغرب كثافة، وكانت باستمرار منطقة هجرة في اتجاه المناطق المغربية الأخرى.

لم تزدهر حركة العمران بدكالة التي بقيت لمدة طويلة منطقة رعي وزراعة. ولم تعرف دكالة إلا ثلاث حواضر : أسفي، أزمور، والمدينة الغربية. وتوجد كل المدن على الساحل، أو على مقربة منه. فكانت القرى قليلة، لم يذكر الوزان منها إلا ثمانتي، كانت اثنتان منها توجدان خارج حدودها : مرامير بالشياظمة، وقرتكوش بالشاوية، وكان من القرى الباقية ما كان مخريا (تيط) أو صغيراً (مائة بئر

وبئر). وبقيت مازيغن خربة لقرون طويلة، ولم تنتعش بعد احتلال البرتغاليين لها سنة 1514، وبقيت مجرد ثكنة ثانوية إلى حين إخلاء أزمور وأسفي سنة 1541 واحتفاظ البرتغاليين بها إلى سنة 1769.

وظهرت بدكالة أولى الزوايا المنظمة في المغرب. فمن الطوائف الست التي عدّها ابن قنفذ، كانت ثلاث بمنطقتنا : الشيعيون المنتسبون إلى أبي شعيب أبوب السارية دفين أزمور، والأمغاريون المستقرون بتيط، والذين كان رئيس طائفتهم هو أبو عبد الله أمغار، والماجرليون بأسفي المنتسبون إلى أبي محمد صالح. وكثر الأولياء والفقراء ومريدهم، وكانوا يجتمعون بالمشات برياط شاكراً أو بساحل المحيط، بين تيط وأسفي حسب شهادة ابن قنفذ. وباستثناء طائفة أبي شعيب الذي لم يخلف من يرث طريقته، عرفت طائفتنا أبي محمد صالح والأمغاريين انتشاراً واسعاً وسريعاً. فقد وصل نفوذ الزاوية الأولى إلى السوس وورزازات، إلى حد أن فتوحها كانت كلها من خارج أسفي حسب شهادة أبي محمد صالح نفسه. وينطبق الشيء نفسه على الأمغاريين الذين راكموا الثروات وظهرت التقدير والاحترام وكثر مريدهم والمنتسبون إليهم.

تسيطر بدكالة زراعة الحبوب وتربية المواشي. وتفتقر المنطقة للزراعات السقوية ذات المردود العالي التي كانت منتشرة بجاراتها (السوس وهسكورة مثلاً)، فقد بقيت دكالة قليلة الاهتمام بالجنات والبساتين إلى حد أن الوزان اعتبر ذلك دليلاً على كسل ساكنها.

كانت المنطقة كثيرة الإنتاج للحبوب التي اعتادت تصديرها للأندلس حتى أن هذه الأخيرة اعتمدت عليها اعتماداً كبيراً كما يدل على ذلك مثل من أمثالها العامية. وكانت كثرة الحبوب في المنطقة، واحتياج البرتغال الدائم لها من أهم عوامل اهتمام ذلك البلد بالمنطقة، وحرصه المبكر على التحكم فيها واحتكار إنتاجها وأسواقها. فقد أصبح البرتغال يجلب من دكالة كميات كبيرة من الحبوب بيساً أهميتها في محل آخر، وطرق ووسائل الحصول عليها. وحافظت المنطقة على صفتها هذه وبقيت إلى يومنا هذا من أكثر المناطق المغربية إنتاجاً للحبوب.

اعتاد الدكاليون، حسب إشارات لابن الزيات، احترام التجارة ونقل فائض منتوجات منطقتهم بحراً إلى مالقة والبرتغال. وكانوا يعرضون القمح على الخصوص ويجلبون الفواكه. وسرعان ما أصبحت أزمور أولاً، وتيط وأسفي ثانياً، محج التجار الإيطاليين والفرنسيين والكطلانيين والبرتغاليين، وهو ما جعل تلك المرافئ تستفيد من الطرق التجارية الداخلية، وأصبحت نهاية إحدى الطرق المرتبطة بتجارة السودان. ونتج عن تزايد المبادلات، وتراكم التجارب والثروات، بروز كل خصائص الطبقة التجارية من تسابق نحو السلع واحتكار، ومحاولة تحيئة المنافسين كما عاينها ابن الخطيب بأزمور. كما وصف المؤلف نفسه

ويتوالي سنوات الاضطراب والفتن، سيطر نمط الترحال على الاستقرار في سهل من أغنى سهول البلاد.

أ. بوشرب، دكالة والغزو البرتغالي إلى سنة إخلاء أسفي وأزمور، الدار البيضاء، 1984؛ والمصادر والمراجع المذكورة في آخر الكتاب.

أحمد بوشرب

### دكالة - عبدة (جهة -) تقع جهة دكالة - عبدة في

المنطقة الاطلننتية الوسطى للمغرب. يحدها شمالا وغربا المحيط الاطلننتي. ويحدها شرقاً، إقليم قلعة السراغنة وسطا ومن الجنوب والجنوب الشرقي ولاية مراكش. ومن الجنوب والجنوب الغربي إقليم الصويرة. تمتد جهة دكالة - عبدة على مساحة 13285 كيلو متر مربع، مما يمثل 1.86 بالمائة من المساحة الاجمالية للتراب الوطني، وتتكون من إقليمين هما : إقليم الجديدة بالشمال وإقليم أسفي بالجنوب. يصل عدد الجماعات الحضرية والقروية بجهة دكالة - عبدة إلى 89 جماعة، يوجد 37 منها بإقليم أسفي و52 بإقليم الجديدة، وتعتبر مدينة أسفي مقر الجهة.

تطور التنظيم الترابي لهجة دكالة عبدة. عرف التنظيم الترابي لجهة دكالة - عبدة، تطوراً يمكن إجمالاً في ثلاثة أنماط، هي التنظيم المتجانس، والتنظيم الإستراتيجي، والتنظيم السياسي.

أولاً : التنظيم المتجانس قبل التدخل الاستعماري (قبل سنة 1912) لم تعرف جهة دكالة - عبدة تنظيمياً جهوياً بالمفهوم الحديث، كان التنظيم الترابي يستند على الانتشار المجالي للقبائل وهي قبيلة دكالة شمالا وقبيلة عبدة في الجنوب الغربي وقبيلة احمر في الجنوب الشرقي. وعرف المجال الذي انتشرت فيه هذه القبائل إجمالاً بدكالة وذلك إلى حدود بداية القرن لعاشر (16 م) حيث استقرت قبيلتنا عبدة وأحمر في الجهات التي توجد بها حالياً. كانت القبيلة وحدة ترابية واقتصادية أيضاً، لأن مبدأ التماسك لدى أفرادها ساهم في الدفاع عن المجال الرعي - زراعي والحفاظ على الحدود الترابية المتعارف عليها. ولا بد من الإشارة إلى أن دكالة - عبدة كانت تنتمي قبل التدخل الاستعماري إلى جهة مراكش التي كانت تمثل إحدى الجهات الكبرى لبلاد المخزن.

ثانياً : التنظيم الاستراتيجي لمنطقة دكالة - عبدة في العهد الاستعماري (1912 - 1956). خضع التنظيم الترابي لمنطقة دكالة - عبدة في هذا العهد إلى نفوذ جهتين : الأولى عسكرية والثانية مدنية. أما الجهة العسكرية فهي جهة مراكش التي كانت تشمل تراب قبيلتي عبدة واحمر (إقليم أسفي حالياً). أما الجهة المدنية فهي جهة الدار البيضاء التي ضمت إليها تراب قبيلة دكالة (إقليم الجديدة حالياً). كان هاجس الأمن والمراقبة هو الدافع إلى التنظيم الجهوي في العهد الاستعماري. لهذا عمد المستعمر إلى تفتيت جهة

التحسن الذي طرأ على مستوى عيش سكانها. وقد تعززت هذه العلقية وتقوت أكثر بعد تزايد أعداد التجار الأوربيين خلال النصف الثاني من القرن التاسع (15 م). فقد ذكر الإخباري البرتغالي (دو كويش) أن الأزموريين أصبحوا يقلدون البرتغاليين في اللباس وبناء الدور. وأشار الوزان إلى انعكاس الاتجار مع البرتغاليين على مستوى عيش الأزموريين وسكان تيط مع أنها كانت خربة.

وتعرضت دكالة لغزو برتغالي كان له الأثر السيء على تطورها اللاحق. وقد مر تحكم البرتغاليين في المنطقة عبر مرحلتين : مرحلة ولاء أولاً، ثم احتلال مباشر لأهم حواضرها ثانياً.

تمت المرحلة الأولى خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع (15 م) : أسفي قبل موت الملك البرتغالي ألفونسو الخامس (28 غشت 1481)، أزمور : 1486. وكادت المدينة الغربية أن تعرف نفس المصير في مطلع القرن العاشر (16 م). وتميزت هذه المرحلة باقتصار البرتغاليين على ولاء اسمي لحكام المحاضرتين، واحتفاظهم بالهياكل السياسية القائمة. وكانت الغاية من هذا النوع من التحكم الذي لم يعتمد بالتفوق المغربية الشمالية إبعاد العسكريين عن أسواق المحاضرتين الدكالية وعن المناطق الدكالية المرتبطة بها حفاظاً على رواج أسواقها و ما كانت دكالة توفره للبرتغال ومراكزه التجارية بغرب أفريقيا من سلع.

أما المرحلة الثانية فتامت سنة 1508 بالنسبة لأسفي، و1513 بالنسبة لأزمور، و1514 بالنسبة لمازيغن وتيط. ونتج عن احتلال تلك الثغور انطلاق عمليات عسكرية استهدفت القرى والدواوير الدكالية. وعرف النفوذ البرتغالي بالمنطقة إشعاعاً سياسياً وعسكرياً لم تعرفه أية منطقة مغربية أخرى، وذلك لاستفادة الغزاة من عدة عوامل : سهولة التضاريس وانسباطها، ضعف الدولة النورطاسية وبعدها عن المنطقة، تناحر الشيوخ والأعيان والمساعدة الكبيرة التي قدمها بعضهم - كبحي أو تعفوفت - للمسيحيين. وبذلك وصلت الغارات المنطلقة من أسفي إلى مشارف السوس جنوباً، وإلى منابع تانسيفت ومنطقة زمران الحالية شرقاً. وعرضت حامية أزمور منطقة الشاوية لغارات متتالية وصل مداها أحياناً إلى ضواحي الرباط. ونتج عن تلك العمليات العسكرية، وعن ردود فعل الوطاسيين، خراب المنطقة ومخطم بنياتها الأساسية كالأبار مثلاً. وتقدر بعض الدراسات النتائج الديموغرافية للغزو بدكالة بنسبة تتراوح بين 34 و44٪ من الساكنة.

ولم تستطع المنطقة الانتعاش بعد تحرير أسفي وأزمور سنة 1541 لبقاء البرتغاليين كعنصر اضطراب وفتنة استمرارهم في احتلال مازيغن حتى سنة 1769 وكذا لعجز الدولة السعودية عن ضمان استقرار دائم للمنطقة. لذلك استمرت دكالة في معاناتها من المجاعات والأوبئة كما يؤكد ذلك تقييد يخض أسفي سنوات 1060 / 1062 م.



أولاً : مؤهلات جهة دكالة - عبدة يبلغ عدد السكان بجهة دكالة - عبدة، مليوناً وثمانمائة ألف نسمة (1.793458 نسمة) حسب إحصاء 1994 مما يمثل سبعة بالمائة (7٪) من سكان المغرب. وتصل الكثافة السكانية بالجهة إلى 135 نسمة في الكيلومتر المربع. يمثل السكان القرويون 65.6٪ من سكان الجهة بينما يتوزع الباقي على الحواضر، وأهمها مدينة أسفي الحاضرة الأولى بالجهة ومركزها الإداري، حيث يصل عدد سكانها إلى أزيد من 260 ألف نسمة، متبوعة بمدينة الجديدة، إذ لا يتعدى عدد سكانها 120 ألف نسمة. أما باقي الحواضر فهي إما متوسطة أو صغيرة وهي اليوسفية وجمعة سحيم والشماعية وسبت جزولة بإقليم أسفي ؛ ومدن أزموور والبئر الجديد وسيدي بنور وخميس الزمامرة بإقليم الجديدة. يستفيد سكان جهة دكالة - عبدة من المؤهلات التي تزخر بها وخاصة الفلاحة والصيد البحري والموارد المنجمية والتجهيزات الأساسية والأنشطة الصناعية.

تتوفر الجهة على زهاء مليون هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة وهو ما يمثل 70٪ من تراب الجهة، وتزيد المساحات المسقية على 87 ألف هكتار. تحتل الحبوب 70 بالمائة من الإنتاج الفلاحي. أما الزروع المروية فأهمها الشمندر السكري والبواكر، زيادة على إنتاج الكروم. يعتمد النشاط الفلاحي على تربية الماشية أيضاً (غنم وبقر ومعز) علماً بأن الغطاء الغابوي لا يتعدى 40 ألف هكتار. تعد الفلاحة عصب الحياة لدى السكان القرويين إذ يشتغل بها زهاء 59٪ من السكان النشيطين بالجهة. أما الصيد البحري فيعد نشاطاً أساسياً إذ تتوفر الجهة على زهاء 300 كيلومتر من السواحل أهمها سواحل أسفي التي اشتهرت بصيد السردين، إذ كانت أول منتج له بالمغرب.

تتوفر جهة دكالة - عبدة على موارد منجمية خاصة منها الفوسفات الموجود بمنجم الكنتور قرب مدينة اليوسفية شرق مدينة أسفي، علاوة على توفر مدخرات هامة من الجبس شرق وجنوب شرق مدينة أسفي، وإنتاج الملح بكل من بحيرة زيمة شرق مدينة أسفي وبالسواحل الجنوبية لمدينة الجديدة.

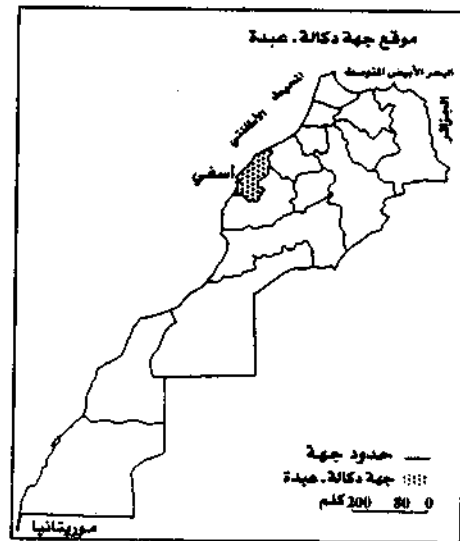
تحتوي الجهة بصناعات تحويلية هامة على الصعيد الوطني وهي الصناعات الكيماوية والفوسفورية بكل من مدينة أسفي وميناء الجرف الأصفر جنوب مدينة الجديدة. هذا علاوة على صناعات كهربائية وإلكترونية وغذائية. ويفوق عدد الوحدات الصناعية بها 240 وحدة، زيادة على الصناعة التقليدية التي تشتهر بها الجهة وخاصة صناعة الجلاباب بإقليم الجديدة وصناعة الخزف بمدينة أسفي.

وتحتوي جهة دكالة - عبدة بتجهيزات أساسية مساعدة على ازدهار النشاط الاقتصادي إذ تتوفر على موانئ هامة على الصعيد الوطني مثل ميناء الجرف الأصفر جنوب

ثالثاً : التنظيم السياسي في عهد الاستقلال (منذ سنة 1971). عرف التنظيم الترابي لمنطقة دكالة - عبدة تطوراً متبايناً يمكن إجماله في فترتين :

الفترة الأولى : 1971 - 1996 : أصبحت منطقة دكالة - عبدة تنتمي إلى جهتين اقتصاديتين. أصبح إقليم الجديدة منذ سنة 1971 ينتمي إلى الجهة الاقتصادية الوسطى التي يوجد مركزها بمدينة الدار البيضاء. أما إقليم أسفي فأصبح ينتمي إلى الجهة الاقتصادية لتانسيفت. يلاحظ أنه لم يطرأ تحول في التنظيم الترابي بالنظر إلى الفترة الاستعمارية إذ أن الجهة الوسطى حلت محل جهة الدار البيضاء المدنية. كما أن جهة تانسيفت حلت محل جهة مراكش العسكرية. وقد ظل التنظيم الجهوي لدكالة - عبدة في هذه الفترة جامداً، إذ انحصر التنظيم في ترسيم الوحدات الترابية، في حين ظلت الهياكل السياسية جامدة.

الفترة الثانية : منذ سنة 1997 : أصبحت جهة دكالة - عبدة إحدى الجهات الست عشرة التي أحدثت بظهير شريف صدر بالجريدة الرسمية في شهر أبريل 1997 تحت عدد 4470. اعتماداً على مقاييس محددة، وأصبحت هذه الجهة تحمل اسم جهة دكالة - عبدة (مرسوم 9 أبريل 1997). وقد خضع منطقتي تقسيم جهة دكالة - عبدة إلى مقاييس تاريخية وجغرافية. استندت المقاييس التاريخية إلى التاريخ الجهوي المشترك، إذ كانت الجهة قبل القرن العاشر (16 م)، مجالاً لنفوذ قبيلة دكالة، وهو المجال الذي كان يوجد بين نهري أم الربيع وتانسيفت. كما خضعت معظم المدن الساحلية لهذه المنطقة للاحتلال البرتغالي وخاصة مدن أسفي ومازاغان (الجديدة حالياً) وأزمور. أما المقاييس الجغرافية للتقسيم الترابي للجهة فاستندت على البعد الأطلنطي، إذ تحظى الجهة بواجهة بحرية على المحيط الأطلنطي، يبلغ طولها ثلاثمائة كيلومتر من السواحل، وهو ما يمثل زهاء 12٪ من سواحل المملكة.





مدينة الجديدة وميناء أسفي، الذي يختص في تصدير المواد الفوسفاتية الخام أو المحولة. وترتبط هذه الموانئ بشبكة السكك الحديدية الوطنية بخطين : خط الدار البيضاء - الجرف الأصفر وخط ابن جرير اليوسفية أسفي.

ثانياً : الاختلالات الكبرى بجهة دكالة - عبدة. تعاني هذه الجهة دكالة - عبدة من عدة اختلالات تؤثر على مستقبل التنمية الجهوية، يمكن إجمالها في ثلاثة أصناف كبرى هي : اختلالات ببنية واختلالات في التجهيزات الأساسية واختلالات في التنمية البشرية.

أ - تمثل الاختلالات البيئية الكبرى في ظاهرة الجفاف والضغط على السدم المائية والتلوث الصناعي : يتمثل الاختلال الأول في ظاهرة الجفاف وخاصة بإقليم أسفي بالجزء الجنوبي من الجهة، حيث تبين من رصد محطة أسفي لمدة تزيد عن خمسين سنة أن كمية التساقط المطرية تتناقص كل سنة بمعدل يفوق 5.1 (دراسة شخصية). والاختلال الثاني يتمثل في الضغط على السدم المائية ولا سيما بساحل جهة دكالة - عبدة مما تسبب في تزايد نسبة ملوحتها. أما الاختلال البيئي الثالث فهو التلوث الصناعي وخاصة بمدينة أسفي والجرف الأصفر حيث تسبب المركبات الصناعية لنحويل الفوسفات (مركبات كيميائية وفوسفورية) في قذف النفايات الصناعية السامة في البحر علاوة على الانبعاثات الكيميائية في الجو.

ب - الاختلالات في التجهيزات الأساسية، وتمثل أساساً في تعثر تجهيز الأراضي السقوية وسوء وضعية الطرق وانعدام المطارات. إن برمجة سقي 64 ألف هكتار بقطاع دكالة - عبدة لم يكتمل، إذ من شأنه التخفيف من آثار الجفاف وخاصة بسهل عبدة. وقد شرع هذه السنة في تجهيز الشطر الأول الذي يقدر بحوالي 17300 ألف هكتار (استراتيجية تنمية الري). أما وضعية الطرق بجهة دكالة - عبدة فهي سيئة ؛ وما زال تنفيذ مشروع الطريق السيار الرابط بين مدينتي الدار البيضاء والجرف الأصفر قيد الانتظار رغم كثافة مرور السيارات بالطريق الرابطة بينهما. وأما الاختلال الثالث في التجهيزات الأساسية فهو انعدام المطارات بالجهة وخاصة بمدينتي أسفي والجديدة باعتبارهما مركزين صناعيين.

ج - الاختلالات في التنمية البشرية : تعاني جهة دكالة - عبدة من اختلالات اجتماعية تعبر عنها بضعف مستوى التنمية البشرية وخاصة على مستوى التمدرس والامية ومستوى الصحة. فتمدرس الأطفال في سن (8 - 13 سنة) تقل نسبة عن 45% مع تفاوتات بين الذكور والإناث. وما زالت الامية متفشية تصل إلى 46.4% حسب إحصاء 1994، بل تصل بالوسط القروي إلى 80 بالمائة. أما الصحة بجهة دكالة - عبدة، فتعاني من خلل في توزيع التجهيزات بين الوسط القروي والحضري، علماً بأن المعدل العام للجهة هو مستوصف لكل 15 ألف نسمة (الحوار الوطني حول إعداد التراب).

م. الأسعد، 2000، تكون الشخصية المجالية لإقليم أسفي، من الحقبة القديمة إلى الفترة المعاصرة، نشر في كتاب تاريخ إقليم أسفي، من الحقبة القديمة إلى الفترة المعاصرة، إعداد محمد الأسعد، دفاثر دكالة - عبدة، رقم 1، سلسلة بحوث ودراسات منشورات مؤسسة دكالة - عبدة للثقافة والتنمية، ص. 17 - 33، الدار البيضاء، مرسوم 9 أبريل من سنة 1997 حددت فيه مقاييس تقسيم الجهات وكذا أساؤها النهائية ؛ وزارة الفلاحة والتنمية القروية والصيد البحري، استراتيجية تنمية الري في أفق 2020، المناظرة الوطنية للفلاحة والتنمية القروية، 19، 20 يوليوز 2000 سلا ؛ وزارة إعداد التراب الوطني والبيئة والتعمير والاسكان، جهة دكالة - عبدة، الحوار الوطني حول إعداد التراب، عناصر تمهيدية، ص. 27، فبراير، 2000.

محمد الأسعد

باب دكالة بمراكش، يقع وسط الواجهة الغربية من سوق مراكش، يحده شمالاً باب الرخا وجنوباً باب مسوفة (مسالك الأبصار، 134) يرجع تاريخ تأسيسه إلى زمن حكم المرابطين، حيث ورد ذكره في سياق أحداث تعود إلى هذه الفترة، فمنه دخل علي بن يوسف عقب تراجع جيوشه أمام قوات الموحدين أثناء عمليات البحرية (نظم الجمان : 166). ومنه تمكن جيش عبد المؤمن خلال حصارا 54 / 1147 من اقتحام المدينة من جهة الغرب (أخبار المهدي : 63). وفي زمن حكم الموحدين كان منه الخروج الرسمي للجيش من العاصمة من أجل الجواز إلى الأندلس (المن بالإمامة : 349 - البيان : ق. م. 157). وعُلقت عليه رؤوس بعض زعماء عرب الخلط عام 659 / 1260 (البيان : ق. م. 427).

لتسمية الباب علاقة بالاتجاه الذي يؤدي إليه خارج مراكش، وهو جهة دكالة. ومن المرجح أن الموطن الجغرافي لهذه الباب جعل منه بوابة المدينة المؤدية إلى المحيط، ونهاية مسلك تجاري بينها وجهة دكالة. فهذه الأخيرة كانت تؤمن حاجيات مراكش من الجنوب (أخبار المهدي : 63 - البيان / 4، 19)، وشكلت واجهتها البحرية منفذاً للمدينة على الأطلس عبر مازيفان (البيان : ق. م. 344) وأزمور (البيان : ق. م. 46) إلى جانب أسفي (البيان : ق. م. 465) وأغوز (التشوف : 355 ومقدمة المحقق : 24).

يتكون باب دكالة من باب خارجي وآخر داخلي، بينهما منعرجان وفضاء مكشوف، يحيط بالباب الخارجي برجان غير متساويين (107، Les portes)، الزخارف محدودة، منعدمة في الباب الخارجي، وبسيطة في الباب الداخلي.

كان يوجد بالقرب من باب دكالة مسجد درس فيه العالم اللغوي أبو موسى الجزولي في بداية إقامته بمراكش (الذليل والتكملة، 8 / 1 / 249)، ومنذ عهد السعديين أصبح أقرب باب إلى حارة الجدماء بعد ما تحولت من

ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، تح. ع. الهادي التازي، بيروت، 1987 : ابن الزيات السادلي، التشوف، تح. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1984 : البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، الرباط، 1971 : ابن القطان، نظم الجمان، تح. محمود علي مكي، بيروت، 1990 : ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، السفر الثامن، تح. م. بنشريف، الرباط، 1984 : ابن فضل الله العمري، مسالك الأبيصار، تح. مصطفى أبو ضيف، الدار البيضاء، 1988 : ابن عذاري، البيان، الجزء الرابع، تح. إحسان عباس، بيروت، 1967 : ابن عذاري، البيان، ق. م. تح. الكشاني، زيبير، ابن تاويت، زمامة، الدار البيضاء، 1985.

Ch. Allain et G. Deverdun, *Les portes anciennes de Marrakech, Hesp.*, T. XLIV, 1957 ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, 2 tomes, Rabat, 1959.

محمد رابطة الدين

**الذكالي، الرباطي مصطفى بن الجيلالي، وردت** إشارات عديدة في وثائق القرن الثالث عشر (19م)، وبالخصوص التي ترجع إلى عهدي السلطانين : مولاي عبد الرحمن بن هشام (1822 - 1859)، وخلفه سيدي محمد (1859 - 1873)، إلى أسرة الذكالي الرباطية، وعلى رأسها المصطفى بن الجيلالي الذكالي الذي يُعتبر بحق نموذج رجل الأعمال المغربي الذي عرف كيف يستفيد من دور الوسيط بين المغرب وأوروبا للإثراء والتدرج في الهرم الاجتماعي. ولئن ورد كذلك ذكر أفراد آخرين من هذه الأسرة في مصادرنا الوطنية والأجنبية، كابنه محمد بن مصطفى الذي آل إليه أمر تسيير شؤون وأعمال والده التجارية، بعد وفاته وأواخر شهر دجنبر 1863، وأخيه أحمد بن الجيلالي الذكالي، فلا أحد من الرجلين استطاع تبرؤاً المكانة الرفيعة والتميزة التي كانت لمصطفى الذكالي لدى العاهلين المذكورين، بل إنهما لم يقتديا بسلوكة وتعقله وورصاته، إذ انغمسا في مغامرات وحيك دسائس ضد الغير والسطو على مملكاته، وهو ما أفقد هما كُلُّ مصداقية وحرمة من ثقة السلطان إلى درجة صدرت الأوامر، في آخر المطاف بإلقاء القبض عليهما، ومن ثمّ تعرض المخزن وأعوانه الكبار إلى ضغوط وانتقادات عديدة من طرف رؤساء بعض المفوضيات الأوربية بطنجنة، وبالخصوص الإيطالية والألمانية، حيث كان محمد الذكالي المذكور حاملاً للحماية الإيطالية، قبل أن يحصل على الجنسية الإيطالية فيما بعد، بينما جنح عمه أحمد إلى الاحتساء بألمانيا أول الأمر، ثم بأمریکا فيما بعد، علماً بأن مصطفى الذكالي نفسه كان قد دلّمهم على الطريق باتخاذ الحماية الإيطالية.

ومعلوم أنه كان من شأن نجاح الذكالي وأمثاله في عالم التجارة والمال وتبوئهم مكانة مرموقة و متميزة في المجتمع،

والاضطلاع بمهام سامية في الجهاز المخزني، أن استلقت أنظار معاصريه، واستأثر باهتمامهم، بل أذكى مشاعر الحسرة والأسف والحقد والامتعاض في نفس بعض الكتاب والفقهاء وأعوان المخزن، ونلمس ذلك بوضوح من كلام صاحب كتاب الاغتباط بتراجم أعلام الرباط في سياق حديثه عن عهد السلطان المولى الحسن (1873 - 1894)، حيث كتب يقول :

“... ومع ذلك ففي عهده تأكدت المواصلات بدول أوروبا، وعظمت التجارة، وكثرت الأموال بين الناس، فتأنقوا في المصانع والأبنية، وبلغ أهل المغرب من الرفاهية مبلغاً لم يبلغه أسلافهم. وكانت تلك الأيام على ما فيها من كثرة الغزوات والحركات كلها خيرات وميرات وبركات، لم يكدر صفوها إلا تسرب أقوام من التجار للمناصب السامية والمراتب العالية، فارتفعت منزلتهم، ونفذت كلمتهم، وصار بيدهم الحل والعقد، والأخذ والرد...”

ويتراءى لنا من هذه الوثائق كذلك أن ازدهار أعمال مصطفى الذكالي، قد اقترون أساساً بسياسة الاحتكارات التي كان ينهجها المولى عبد الرحمن بن هشام، في مجال تجارة المغرب الخارجية، وبالخصوص في فترة ما قبل سنة 1856 أي تاريخ إبرام معاهدة السلم والصدقة، المشفوعة باتفاقية تجارية وبحرية، والتي اضطر السلطان المذكور إلى عقدها مع بريطانيا العظمى، تحت ضغوط وتهديدات مختلفة. ومما ينبغي ذكره هنا، أن جان لوي مياج (Jean-Louis Miège) أقر في مؤلفه *أوروبا والمغرب*، 1830. 1994، صفحات للحديث عن سياسة المولى عبد الرحمن الاقتصادية هذه، وعمن كان يستفيد منها من أفراد حاشيته، كالوزير المختار بن عبد المالك الجامعي مثلاً، وكذلك عن شخصية التاجر مصطفى الذكالي اللامعة، وما كان يمثله هذا الرجل ويرمز إليه اجتماعياً واقتصادياً، في مغرب أواسط القرن الماضي، مسهباً القول في الجوانب والعواقب السلبية لهذه السياسة، بالنسبة لعموم المغاربة من جهة، وللتجار الأوربيين وشركائهم ومخاطبيهم من المغاربة من جهة أخرى، مُتغافلاً عن ذكر المرامي الحقيقية للمخزن التي كان يسعى إلى تحقيقها، وتمثل قبل كل شيء، في ضمان موارد قارة ومنظمة لبيت المال بهدف تمويل الخطط والمشاريع التي كان المولى عبد الرحمن بن هشام، ثم ولده سيدي محمد، قد عقدا العزم على إنجازها في عدد من الميادين، وبالخصوص في قطاعات الجيش والإدارة والتجهيزات التحتية.

وأما مجال نشاط كل من مصطفى الذكالي وابنه محمد على الخصوص، فكان يشمل قطاع المناجم، وتصدير مواد أولية وفلاحية : كالعلف، والفرشي، والديج، والجلود، والأصواف، والحبوب... وكان يتم لهما الاتجار في هذه المواد كلها أو في بعضها، بعد الحصول على ترخيص خاص من السلطان طبعاً، علاوة على ما كانا يستفيدانه من

التي زودت الدكالي المذكور قد سلمته آلات وتجهيزات مُعبئة وغير متقنة الصنع، وأنه لم يكن على بينة من المسألة، وإما أن يكون هو نفسه قد شارك وخاص في الفش والتدليس.

وأما كان الأمر، فإنه من الواضح والمُحقق أن المصطفى الدكالي، وابنه محمد، وأخاه أحمد، قد عرفوا كيف يستغلون الظروف والمناسبات التي أتاحتها لهم ولأمثالهم من التجار انفتاح البلاد تدريجياً على الخارج، على امتداد القرن التاسع عشر، وكيف يتكيفون مع الأوضاع المستجدة للإثراء من جهة، وللاضطلاع بدور نشيط وبارز في مساعي ومشاريع المخزن الرامية إلى تجهيز البلاد بمنشآت صناعية حديثة : مدينة وعسكرية من جهة أخرى علماً أنّ هؤلاء الدكاليين لم ينخرطوا في الوظائف المخزنية، إذ ظلوا بمعزل عنها، مكثفين بدور الوسيط التجاري النشط وغيره مما كان يكلفهم به السلطان من مهام وأغراض من حين لآخر، خلافاً لما حدث لعدد كبير من أقرانهم : كآل الزيدي، وبركاش، وفرج، وبريشة، والطريس مثلاً والذين زاوجوا بين المنصب المخزني والعمل التجاري.

خ، ح، محفظة مولاي عبد الرحمن بن هشام، رقم 21 / 45 20 : م. و. م. ر، محفظة طنجة : م. داود، تاريخ تطوان، ج. 3، ص 313.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe (1830 - 1894)*, Paris, 1963, t. 2.

مصطفى الشابي

### الدكالي، سالم باشا، من عبيد البخاري، يحتل

صدارة الأحداث بعد موت المولى إسماعيل ويخوض مغامرات سياسية ومعارك دموية مغيراً ولاءه من أمير إلى آخر، فاستغل بذلك مركزه القيادي لاثنتين وعشرين ألف فارس من العبيد ليحوك دسائسه إرضاء لمزاجه ورغبته في الاستحواذ على السلطة الفعلية باحثاً عن سلطان ضعيف لا يترك له إلا الاسم والخطبة ويجعله ينفذ مخططة السياسي وما يحمله من وبال وهلاك للبلاد والعباد. وما كادت تمضي سنتان على وفاة المولى إسماعيل حتى نراه يقوم بالوساطة بين السلطان أحمد الذهبي وأخيه المخلوع عبد المالك المحتمي بضريح المولى إدريس بفاس وذلك بتاريخ 21 جمادى الأولى عام 1141 وفي هذا الموضوع يروي المؤرخ أحمد الناصري الحدث التالي : "تقدم عليه الباشا سالم الدكالي في خمسين من القواد وعاهدوه بالحرم الإدريسي أن لا يصيبه مكروه فخرجوا به حتى قدموا به على أخيه" .... والغريب في الأمر أنه بعد لقاء الأخوين بمدة وجيزة لقي كل منهما حتفه. فالأول كما قيل مات مسموماً ولما اشتد به المرض أوصى بقتل أخيه عبد المالك وهذا ما تم فعلاً بعد يومين من وفاة أحمد الذهبي وبعد وفاة هذين الأميرين بوع لأخيهما، المولى عبد الله، غير أن سالم الدكالي تحراً على

التسهيلات والمساعدات التي تُقدم إلى مجموعة من التجار الكبار مسلمين ويهو كإسقاط أداء بعض الواجبات على عددهم صادراتهم، أو التوسعة عليهم في أداء ما يكون قد ترتب عليهم من الضرائب، والسماح لهم بتقسيم مبلغها على عدد من الشهور.

وحول هذا الجانب، تُحدثنا رسالة السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام إلى عامل العرائش وطنجة، بوسلهام بن علي أزطوط، بتاريخ 21 مايو 1847، عن السماح للتاجر مصطفى الدكالي وشريكه المكي بن عبد الرحمن القباچ، باستغلال منجمين كانت تكتنزهما جبال غُمامة : الأول بتراب قبيلة وادراس، والثاني بقبيلة أنجرة، قرب مدينة تطوان، مدة عشرين سنة، مع الإعفاء من أداء الرسوم الجمركية على كميات المعدن المستخرجة عند تصديرها، على أن يتسلم المخزن قيمة رُبع الإنتاج، ويحتفظان بالثلاثة أرباع الباقية. وفي هذا الصدد، تفيد رسالة مماثلة للسابقة، وجهها العاهل المذكور إلى نفس العامل، مفادها أنه بعد مُضي سنة ونصف بالتقريب على هذا التاريخ، كان المنجمان المذكوران قد دخلا مرحلة الإنتاج منذ مدة، حيث ورد فيها ما يلي :

"... ثم إن خديمتنا أشعاش كتب لنا بأنه ورد على الأمين الذي أمرناه بتعيينه مع مخزنيين، للوقوف على وسق حجر معدن مصطفى والقباچ أمين من طنجة، ومخزني من الجيش الريفى، وخليفة شيخ أنجرة..."

وذكرت وثيقة حُررت في آخر شهر شعبان من سنة 1271، الموافق 17 مايو 1855، أي أياماً معدودات بعد وفاة التاجر المكي القباچ المذكور، أن الديون المترتبة عليه وعلى شريكه مصطفى الدكالي، في الفترة المتراوحة ما بين رجب 1262 وشعبان 1271، أي خلال تسع سنوات ونيف، وذلك مما سبق أن اشترى به "كنطردة العلف، والبقري، ودار الضرب، والديغ، والدجاج، والأعشار..." قد بلغت ما قدره 758846 مثقال في مرسى طنجة وحدها، دون اعتبار ما كان بذمتها من مثل هذه الديون لفائدة المخزن، في مراسي ومدن أخرى، كتطوان، والعرائش والعدوتين الرباط وسلا، والدار البيضاء، والجديدة.... الشيء الذي يعطينا فكرة ولو تقريبية عن حجم وأهمية مدى اتساع تجارة وأعمال هذين الرجلين.

على أن وثيقة مماثلة لهذه قد تضمنت مجموعة من الملاحظات السلبية، أبداها مهندس إنجليزي استقدمه المخزن من مدينة جبل طارق على يد التاجر سعيد جوس، فنصل المغرب بها، لإجراء خبرة على أجزاء وآلات معمل السكر الذي كان السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن قد عهد بإنشائه بجوار القصر السلطاني بمراكش، إلى التاجر محمد الدكالي، حيث أثبت في تقريره عيوباً ونقصات عدة في أجزائه وقطعه، وفي طريقة تركيبها وتشغيلها. وهذا يعني أمرين اثنين لا ثالث لهما : فإما أن تكون الشركة الأوربية

## الدكالي السلوي ← ابن علي (أحمد ومحمد)

**الدكالي، المسبتي** يحيى أبو زكرياء من كبار فقهاء سبته خلال النصف الأول من القرن الثامن (14 م). كان حافظاً ناقداً ذكياً عالماً بالأصول ذاكراً للمسائل الفقهية واشتهر أيضاً بجمال خطه ورويقه إلى درجة أنه لا يحتاج لمقابلة ولا لتصحيح. يعتقد أنه استمر على قيد الحياة حتى سنة 723 / 1323.

أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، ص. 543 - 544 : درة المجال، نج. م. الأحمدى أبو النور، 1971، القاهرة، 1971، الجزء الثالث، ص. 332 - 333 : أ. سَابَ التنبكي، نيل الابهاج، بدون تاريخ، ص. 356.

رشيد السلامي

## الدكالي السلوي ← ابن علي الدكالي (أحمد ومحمد)

**الدكالي السلوي، أبو موسى**، من كبار أولياء مدينة سلا اشتهر بزهده وكراماته المتعددة، كان يسكن بفندق الزيت المعروف بفندق أسكور بحومة باب حساين وهو المحل الذي سيتخذهُ أبو عنان المريني مارستاناً. المحكمة الشرعية حالياً.. كان أبو موسى الدكالي (سيدي موسى) مثال الاستقامة والنزاهة لكل السلويين. ومن كراماته اختصار الطريق وطبها. فكان إذا أقبلت أيام الحج تغيب عن الناس متعللاً بزيارة أهله، وبقي على هذا الحال اثنتي عشرة سنة احتل خلالها مكانة متميزة عند أتباعه وعند السلويين عموماً. وتجلّى ذلك عند موته حيث ازدحم الناس على نعشه، وتنافست الطوائف فيما بينها من أجل الظفر بدفنه. وهكذا دفن أولاً بروضة بني القاسم بن عشرة ثم نقل منها بعد سبعة أيام لقيره الحالي، نقلته امرأة موسرة تدعى ملالة بنت زبادة الله، وبنت عليه قبة. وقد جدها المولى إسماعيل بعد بناء قصبة عسكرية بجوارها عام 1742، وهي المعروفة بقصبة أگناوة وفي عام 1159 / 1747 نظم أحمد بن عاشر الحافي قصيدة تونسية نقشت في دريوز الشيخ الدكالي، وكناه بأبي عمران، وجعل اسمه موسى كما هو مشهور كان لسان عامسة أهل المدينة. ونشر إلى أن السلويين وقبائل بني حسن، والسهول وغيرهم كانوا يقيمون في صيف كل سنة موسماً كثيراً بإزاء ضريح أبي موسى، يحضره جمهور التجار ووفود القبائل المجاورة طوائف حمادشة وأگناوة وعيساوة. وقد كتب أحمد التوفيق قبل سنتين رواية ناجحة استوحاها من بعض مواقف هذا الشيخ بعنوان : جارات أبي موسى.

توفي أبو موسى الدكالي بعد عام 550 / 1156.

التمرد وأعلن خلع السلطان والمنادة بعلي الأعرج بن إسماعيل ملكاً على البلاد في ربيع الثاني سنة 1147 وما عزم السلطان الجديد على محاصرة فاس في رمضان من نفس السنة أشار عليه سالم الدكالي بأن حصار فاس سيسفر عن نتائج سلبية وينبغي العدول عنه. وهذا ما ذكره القادري في نشر الثاني : "وقال له رئيسهم سالم الدكالي : إن حصار فاس ينهض الفتن بالمغرب ويكثر النهب والغارات بين القبائل فتقطع الطرق ويشد الغلاء وتكون الكرة لأخيك مولانا عبد الله فرجع عن ذلك" ...

ودسائس سالم الدكالي متعددة لم تسلم منها حتى السيدة الحرة خنائة بنت بكار زوجة المولى إسماعيل والدة السلطان المولى عبد الله فقد زين للسلطان علي الأعرج إساءة معاملتها والتضييق على حفيدها محمد بن عبد الله وأوهمه بأنها تحتزن الأموال.

وفي ربيع الأول سنة 1148 ترأس سالم الدكالي حركة من عبيد البخاري لمحاربة السلطان المخلوع المولى عبد الله المقيم بتارودانت عقب عودته من وادي نون غير أنه أوقف حركته لما وصل إلى حاحا ولم يجرؤ على اقتحام تارودانت.

وفي أواخر سنة 1148 وصل المولى عبد الله إلى تادلا فانقلب ميزان القوى لصالحه وتخلّى العبيد عن سالم الدكالي ففر المولى علي وبجا الباشا إلى ضريح المولى إدريس بزروهون. ومن هنا سولت له نفسه رغم هزيمته الاستمرار في بث الفتن وإعلان البيعة غير الشرعية ومخالفة الجماعة. ومن هذه المدينة كتب إلى أهل فاس باسم الديوان يخبرهم ببيعة السلطان محمد بن إسماعيل المعروف بولد عربية ويقول لهم بأن المشورة لعلمانهم. فأجابوه بأنهم تبع للديوان معتقدين بأن كتابه لهم صحيح ولما علم قادة الديوان كذبة سالم الدكالي عليهم بأنهم بايعوا محمداً دخلوا عليه الضريح وأخرجوه مكبلاً مع صحبه ووجههم إلى تادلا مع ألف من الوصفان ليقضي السلطان المولى عبد الله في أمرهم، فاستفتى فيهم القاضي أبا عنان فأصدر في حقهم حكم الموت.

ويحكي الضعيف أن حكم الإعدام نفذ فيهم بالطريقة التالية : وضع كل معتقل في كيس من الكتان وشُد وثاقه وألقي في نهر أم الربيع في شهر محرم 1149 / ماي - جوان 1736. ولكن موت سالم الدكالي وجماعته لم يضع حداً للفتن ولم يحد من مغامرات باشاوات العبيد والصراع على الحكم زهاء عقدين من الزمن.

م. القادري، نشر الثاني، ج 3، م. القادري، نج. م. حجي وأ. التوفيق، م. الضعيف تاريخ الدولة السعيدة، نج. أ. العمري : م. أكنسوس، الجيش العرمرم لأبي عبد الله محمد، ج 1، نج. أحمد الكنسوسي : أ. الناصري، الاستقصا، ج 7 : ع. الرحمان بن زيدان، الإتحاف، ج 3 و4 و5.

محمد ماگمان

ي. ابن الزيات، التشوف، تج. أ. التوفيق، الرباط 1404 / 1984؛ ابن علي السدكالي السلوي، الإتحاف الرجيز، تج. م. بوشعراء، 1406 / 1986 / ص. 84 : أ. الصبيحي، أفوذج في تاريخ سلا، مخ. ص. خ. بسلا، رقم 435 ص. 22.

I. Alaoui [et al...], Salé cité millenaire, 1997 ; N. G Salmon, Notes sur Salé, A. M. III. 1905.

محمد السعديين

### الدكالي الصديقي، أبو شعيب بن عبد الرحمان،

شيخ السلفية بالمغرب يعرف في دكالة بيته بالصدىقات، وهو من أولاد عمرو والمستوطنين قرب مدينة الغربية المعروفة قديماً بمدينة مشنزاية، كثر فيهم العلم والصلاح ومن بين علماء هذا البيت جد أبي شعيب، أبو فارس عبد العزيز وعماه أبو شعيب ومحمد ابنا عبد العزيز وغيرهم.

ولد المترجم في رجب 1295 / 1876 بالصدىقات، وتلقى تعليمه الأول بقبيلته على يد عدد من العلماء أمثال ابن عزوز ومحمد الصديقي ومحمد الطاهر الصديقي قاضي مراكش. انتقل إلى الريف وطنجة حيث أقبل على دروس الفقه والحديث والقراءات. وقد أظهر في طفولته نبوغاً مبكراً، وكان السلطان الحسن الأول قد أدخله إلى حضرته وهو لا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره وجرى له اختباراً لما سمع عن حفظه وذكائه، سنة 1308 / 1891، وقد أعجب به وأجزل له العطاء وأمضى له توقيعاً مع صلتين وكسوتين هذا نصه : "يضاعف لأبي شعيب لصغر سنه وكبر فنه".



في سنة 1315 / 1897 رحل إلى مصر ودرس على علماء الأزهر أمثال سليم البشري ومحمد بخيت ومحمد محمود الشنجيطي، وأحمد الرفاعي وغيرهم. وقصد مكة المكرمة يطلب من أميرها وأخذ عن جل علمائها واستجاز هناك كثيراً من شيوخ العلم ومن بعض البلاد العربية الأخرى من : يمينيين وعراقيين وشاميين وهنود، وأحرز هناك على مكانة هامة عند أمير مكة الشريف عون الرفيق الذي كان يقدمه في مجالس العلماء وتولى هناك وظيفة الخطابة في الحرم المكي والإفتاء على المذاهب الأربعة. وفي سنة 1325 / 1907 رجع الشيخ أبو شعيب إلى

المغرب وفي العاصمة فاس حظي بإكرام السلطان المولى عبد الحفيظ وتهافت عليه العلماء والطلبة في الوقت الذي أخذ على نفسه الشروع في محاربة البدع ونصر السنة ومقاومة الخرافات والإباطيل السائدة في ذلك الوقت. وفي سنة 1328 / 1910 أرسله السلطان المولى عبد الحفيظ إلى الحجاز ليشتري أملاكاً تحبس على الحرمين فقام بذلك وأحرز على شهرة كبيرة في مجموع البلاد العربية، ولما عاد إلى المغرب ولاه المولى عبد الحفيظ قضاء مراكش فبرهن عن كفاءة وصدق وأمانة مما أهله لأن يتقلد منصب وزير العدل والمعارف في الوقت الذي أنشئت هذه الوزارة في أولى سنوات الحماية سنة 1331 / 1912، ثم أضيف إليه الاستئناف فيما بعد.

وكان ليوطى قد انتدبه لإعطاء دروس دينية في الحديث والفقه بلقنها لفئة من الطلبة النجباء الذين تكونوا في اللغة الفرنسية كجعفر ومحمد الناصري وأحمد بن عبد الرحمان بركاش وإدريس بن الجيلاني.

وعندما عين الشيخ أبو شعيب وزيراً للعدل أظهر مراقب صارمة في الحق سواء إزاء بعض أعضاء المخزن أو ضد سلطات الحماية، وكان اعتراضه على التوقيع على قرار وزاري مضمونه إحداث مكان للبقاء بمدينة القنيطرة سبباً في فصله عن وظيفته.

أحرز على الرياسة العلمية في الدروس التي كانت تلقى أمام السلطان مولاي يوسف وأخيه من قبله المولى عبد الحفيظ، وكذلك محمد بن يوسف في السنوات الأولى من ملكه، وقد أنعم عليه هذا الأخير بوسام علوي من درجة ضابط كبير.

اشتهرت دروسه الحديثية سواء في فاس التي ندر من علمائها من لم يحضرها. وكانت دروساً تشهد على طاقة واطلاع نادرين، وفي الجامعات التي ألقاها فيها كالأزهر والزيتونة حيث كان لدروسه وقع كبير. وظل يلقي دروسه السلفية بالرباط مدة خمس وعشرين سنة، في الزاوية الناصرية وفي المسجد الأعظم وضريح سيدي فاتح ومسجد القبة فانتشرت أفكار السلفية بين الشبان وانفتح الصراع بين الشباب والشيوخ، امتد ذلك التأثير إلى الجزائر أثناء العشرينيات الميلادية وأخذ الشبان الملتفون حوله يوزعون الكتب التي كان يطبعها السلفيون بمصر ويطوفون معه لقطع الأشجار المتبرك بها وإزالة الأحجار المعتقد فيها.

كانت الأفكار السلفية من العوامل الفكرية الأساسية التي أدت إلى نشوء الحركة الوطنية المغربية إذ تأثر الوطنيون بها ولم تلبث أن طعمت وتقوت بظهور شخصية سلفية أخرى هي شخصية الشيخ محمد بن العربي العلوي.

عانى الشيخ أبو شعيب الدكالي من داء شديد لزمه مدة طويلة إلى أن توفي ليلة السبت 8 جمادى الأولى 1356 / 17 يوليو 1937 بالرباط، ودفن بضريح مولاي المكي.

ع. الله الجباري، من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين، الرباط، 1969؛ المحدث المحافظ أبو شعيب الدكالي، سلسلة شخصيات مغربية، طبعة 1396 / 1976، الدار البيضاء؛ ع. الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب، الرباط، 1980، الطبعة الرابعة. عبد الإله الفاسي

### الدكالي الصديقي، عبد الرحمن ابن الشيخ أبي

شعيب الدكالي سابق الترجمة. وُلد حوالي سنة 1327 / 1909 بمكة المكرمة من أم من الجزيرة العربية، وتربى ونشأ في أحضان والده الشيخ أبي شعيب وتلقى تعليمه الأول على يده، فأخذ عنه علوم اللغة العربية وآدابها والشعر والخطابة وعلوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكان أنجب تلاميذه. ثم تلمذ على علماء مدينة الرباط قبل أن ينتقل إلى مصر ليدرس في كلية دار العلوم. وقد حرر المترجم له يوم كان طالباً بمصر نداء موجهاً للعالم الإسلامي للتنديد بالظهير البربري (1930) نشرته الصحف الشرقية في ذلك الوقت ونقله في تفسيره الشيخ طنطاوي الجوهري. انحاز عبد الرحمان الدكالي منذ صباه إلى الحركة الوطنية. ويقول عنه عبد العزيز بن عبد الله: "أشهد الله أنني عرفت الشيخ عبد الرحمان الدكالي معرفة وثوق وخبرة



منذ الصبا وأيام الطلب يوم كان الشعب المغربي يقصد هذا البيت الرحيب بيت أبي شعيب الدكالي الذي كان معقلاً للوطنية الصادقة أيام الاستعمار وخصوصاً أيام الاحتفال بعيد العرش يوم 18 نونبر، فكانت قصائد الأستاذ عبد الرحمان التارية بهذه المناسبة الوطنية الكبرى تلهب الحماس وتشير كوا من الوطنية الصادقة في النفوس". لقد كافح الاستعمار بلسانه وقلمه ولا سيما بشعره البليغ المؤثر وساير ركب الحركة الوطنية فتاله من الأذى مال لم ينج منه مغربي أص من بالحرية (عبد الله غنون).

ولما أنهى عبد الرحمن الدكالي دراسته ببلاد الكنانة وعاد إلى المغرب كان من أوائل الشبان المغاربة الذين تم تعيينهم في سلك القضاء، داخل دار المخزن بمجلس الاستئناف الشرعي الأعلى، كما عين قاضياً بمنطقة الغرب. وبالإضافة إلى ذلك أصبح يقوم بتلقين علوم اللغة

العربية وآدابها من شعر ونثر وخطابة وعلوم القرآن والحديث بمدينة الرباط في جامع مولاي سليمان وفي مسجد السنة، وبمدينة مراكش بمسجد المومنين ومسجد باب ذكالة وجامع ابن يوسف، فاستفاد من تلك الدروس عدد كثير من الطلاب الذين كانوا يترددون على تلك المساجد فقد كان رحمه الله فصيح اللسان قوي البيان.

ولم يلبث الشباب عبد الرحمان الدكالي أن حظي بإعجاب المغفور له محمد الخامس فضمه إلى مجلس الحديث العالي الذي كان يعقد تحت رئاسته داخل القصر بحضور علماء العدوتين وموظفي دار المخزن، بحيث أصبح أصغر المحدثين في ذلك المجلس إلى جانب الشيوخ الكبار. وبعد الاستقلال، عينه محمد الخامس تقديراً لموقفه من العرش أثناء المنفى، مرشداً عاماً للقوات الملكية المسلحة، ووضع تحت تصرفه جهازاً خاصاً للإرشاد يقوم بإصدار نشرة دورية لتوجيه الجيش وإرشاده، ومنحه بتلك الصفة درجة رائد في سلك الجيش مع ما يترتب على ذلك من زى عسكري وامتيازات خاصة وخدمات إضافية (المكي الناصري، دعوة الحق).

وبالإضافة إلى ذلك تم تعيينه مديراً لديوان وزير الأوقاف، ثم كاتباً عاماً للشؤون الإسلامية بنفس الوزارة. ولما اعتلى العرش الحسن الثاني أقره في المنصب الذي كان يحتله في الجيش كمرشد عام وفي المنصب الذي كان يحتله في وزارة الأوقاف ككاتب عام للشؤون الإسلامية.

وعندما أسست الدروس الحسينية، كان عبد الرحمان الدكالي في طليعة المتحدثين في تلك المجالس، وفي نفس الوقت أصبح شاعر العرش يسجل مآثره ويصف مفاخره ويحضر الاستقبالات التي تخصص لضيوف القصر الكبار من الملوك والرؤساء العرب فيلقي القصائد للترحيب بهم، كما يلقي القصائد الحماسية في المناسبات التاريخية والوطنية.

ولما بعث المغرب، تلبية لطلب الأمم المتحدة، فرقة من القوات الملكية لنصرة الكونغو، كان المرشد العام عبد الرحمان الدكالي بجانب الجنرال الكتاني. وكافأته الأمم المتحدة على الخدمات التي أداها بوسامها العسكري وبوسام الشجاعة والتضحية، كما أنعم عليه الحسن الثاني بوسام العرش وترقيته إلى رتبة عقيد.

وأخر منصب شغله عبد الرحمن الدكالي قبل وفاته رئيس المجلس العلمي بالجديدة، فقام بتحييس مكتبته الغنية على هذا المجلس.

توفي بالمدينة المنورة فجر يوم الأربعاء 15 جمادى الثانية عام 1403 / 30 مارس سنة 1983 ودفن في البقيع كما كان يتمنى.

الذكرى الأربعينية لوفاة الشيخ عبد الرحمان الدكالي، دعوة الحق،

العدد 230.

محمد الشياطي



**الدكالي العوني، عبد الرحمان بن أبي شعيب**  
الفرجاني الأصل، المراكشي سكننا ومدفنا. لقب زين  
العابدين واشتهر بالدكالي.

ولد عام 1321 / 1903 بالرحامنة الوسطى، مركز ابن  
جرير وبه نشأ وتعلم على يد والده أبي شعيب الذي كان  
إماماً بهذا المركز فحفظ على يده القرآن الكريم، ودرس  
عليه مجموعة من المتون مثل : الشيخ خليل، وابن عاشر  
بشرح ميارة، والاجرومية بشرح الأزهرى، وألفية ابن مالك  
بشرح المكودي وغير ذلك من المتون.

ثم انتقل إلى مدرسة الفقيه السيد محمد بن الحاج  
ابريك العوني اليوسفي بالعونات، ومكث عنده نحو  
العامين، فتوسع في دراسة : النحو والفقه والفرائض.

وفي سنة 1341 / 1922 رحل إلى مدينة مراكش فسكن  
بالمدرسة اليوسفية، ولازم حلقات شيوخ العلم بالجامعة  
اليوسفية فدرس على السادة : محمد بن عمر السرعيني  
السملالي، محمد بن التاودي السرعيني، المعطي السرعيني  
السملالي، الحاج العربي الرحمانى البربوشي، أحمد ولد  
الحاج المحجوب، وأحمد أگرام.

وفي ثامن محرم الحرام عام 1358 تولى وظيفة العدالة  
بقبيلة الرحامنة بتوصية من الشيخ أبي شعيب الدكالي  
الصديقي، وقضى في هذه الوظيفة ثماني عشرة سنة. انتقل  
بعدها إلى مراكش الثلاث حيث تابع نفس العمل في القيام  
بالشهادات. وفي سنة انخرط في سلك المدرسين بجامعة ابن  
يوسف بمراكش في أقسامه النظامية إلى أن أُحيل على  
المعاش. وكان في نفس يمارس مهنة الإفتاء.

توفي يوم 12 ربيع الأول عام 1396 / 14 مارس 1976.  
واقبر بمقبرة الشيخ أبي العباس السبتي تاركا مجموعة  
من الفتاوى الشرعية، أسماها : **الفتاوى الشرعية على  
النوازل القضائية بالإيالة المغربية.**  
أ. متفكر، ذيل الإعلام، مخطوط.

أحمد متفكر

**الدكالي الفرجي، محمد بن عبد الصادق**  
متضلع اشتغل بالتدريس والإفتاء مدة ثلاثين سنة وكان من  
المقرين إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي كان  
يستشيرهم في شؤون الرعية والسياسة المالية للدولة، كما  
كان يجالسهم للبحث في القضايا الدينية. وفي هذا الصدد  
يقول عبد الرحمان بن زيدان : "وانتقى من أعيان فحول  
دولته لسهره ومجالسته فكان يملئ عليهم الحديث النبوي  
ويؤلفون على مقتضى ما يشير به عليهم منهم : الحجة أبو  
عبد الله محمد الغربي وأبو عبد الله محمد بن المير  
السلادي وأبو زيد عبد الرحمان المنجرة وأبو محمد التهامي  
ابن عمرو الرياطي وأبو عبد الله محمد بن عبد الصادق"...  
ولما فرض السلطان المكس على أبواب المدن استفتى

كبار علماء البلاد وكان من ضمنهم محمد بن عبد الصادق  
الدكالي فافتوا بجوازه في حالة افتقار بيت مال المسلمين  
وأجازوا للسلطان أن يقبض من الرعية ما يستخدم به  
الجنود.

وفي ترجمته نبه ابن زيدان إلى نسبة المترجم لقبيلة  
دكالة ومن فخذة أولاد فرج فهو دكالي فرجي وليست له  
نسبة لمدينة طرابلس كما ورد في كتاب الاستقصا للمؤرخ  
أحمد الناصري. وأما الطرابلسي معاصره فهو علي بن عبد  
الصادق شارح صغرى السنوسي والمرشد المعين. وقد اعتبر  
نسبه الطرابلسي سبق قلم من الناصري.

وأما محمد بن الطيب القادري فقد قال عن المترجم :  
بأنه ذو سيرة حسنة وأخلاق مستحسنة ولا بأس بهديه  
ومروءته ودينه.

ويعتبر محمد بن عبد الصادق من تلاميذ الشيخ الحسن  
بن رحال المعدني. وهكذا قضى حياته بين التدريس  
والفتاوى إلى حين وفاته في 2 شعبان 1175 /

م. الطيب القادري، نشر الثاني، ج 4 / 143، تح. م. حجي وأ.  
التوفيق : ع. بن زيدان، الإتحاف، ج 8 / 156 184 : أ.  
الناصرى، الاستقصا، ج 7 / 8 : م. اكسوس، الجيش العروم، تح.  
أ. الكسنوسي، ص. 222 : م. مخلوف، شجرة النور الزكية : ع.  
رضى كحالة، معجم المؤلفين، ج 10 / 172 : إ. باشا، هدية  
العارفين، 2 / 333 : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون،  
2 / 450.

**الدكالي، محمد المكي** فقيه ومقرئ وهو شيخ  
السيدة الحرة خناسة بنت بكار زوج السلطان المولى  
إسماعيل، أخذت عنه رسم المصحف حيث كانت تسلك  
عليه اللوح الذي تقرأ فيه القرآن فترسله له مع إحدى  
جواربها لتصحيحه لأنها كانت تكتبه بنفسها. ولما عزم  
على أداء فريضة الحج سنة 1143 كان محمد المكي من بين  
أعضاء الوفد المرافق لها في حجتها. وسرعان ما تدرج في  
خدمة الدولة ليصبح أحد كتّاب المخزن في عهد السلطان  
محمد بن عبد الله إلى أن أدركته الوفاة حوالي 1180 /  
1766. وقد حلاه المؤرخ محمد القادري في نشر المشاني  
بقوله :

"الفقيه الأستاذ المقرئ الكاتب ثقة الكتاب وأمينهم."  
م. القادري، نشر الثاني، تح. م. حجي وأ. التوفيق، 4 / 219.  
محمد ماگامان

## الدكالي المشتزازي ← ابن إبراهيم

**الدكالية، مهيّنة بنت ميمون**، مشهورة عند عامة  
المراكشيين بميمونة تاگنوت. مكناسية الأصل لا يُعرف متى

ولم رحلت إلى مراكش، حيث نزلت في الجانب الشرقي منها. ولية صالحة زاهدة كثيرة التعب، قال عنها صاحب التشوف : "كانت من الأفراد، زرتها ورأيتها عجوزاً قد اسودت من الاجتهاد، ولصق جلدها بعضها :"

وقفت مينة بنت ميمون نفسها على الدعوة لإصلاح المجتمع ومناهضة السلوك غير الشرعي في سبيل جمع الثروة، وعلى الحث على الفناعة والزهد في المال. وجاء أيضاً في التشوف عن محمد بن يحيى بن علي : "وكانت مينة تحذثني قالت : دعاني رجل من التجار إلى طعام فأجبتة كارهة، فلما قدم القصعة بالطعام كلمني الطعام وقال لي لا تأكليني فإني حرام، فاستحييت من صاحبها ورفعت بضعة لحم إلى فمي ثم وضعتها، فخرمت أورادي والنوافل ثلاثة أيام، والهواتف تهتف بي عن يميني وعن شمالي هكذا يفعل بالكلاب على بطونهم بهجرون. قالت : وصلت الضحى يوماً إلى أن رأيت الحصير الذي أصلى عليه كأنه يرفعه شيء من تحتها، فقلت في نفسي لعله حيوان، فلما سلمت رفعتة فإذا الذي تحتها دراهم طرية، فخررت ساجدة أبكي وأقول : أنت مطلوب لا سواك، فأقل عثرتي، إلى أن عاد الحصير كما كان، فرفعتة فلم أجد شيئاً."

توفيت مينة بنت ميمون عام 595 / 1198 ودفنت خارج باب الدباغين بمراكش.

ي. ابن الزيات، التشوف، تج. أ. الصوفيق، الرباط، 1984، ص. 316 - 315 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1977، 7 : 332 - 333.

رقية بلنقدم

ابن دكون، عيد السلام قائد ملقب بـ "ولد الفار" كان يرأس فرقة من المجاهدين من قبيلته الأحماس انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني، وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة. بضرير سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913 وفي عين الدالية يوم 11 ماي من نفس السنة بضرير مولاي عبد السلام بن مشيش ويوم 20-7-1913 حيث انتخب عضواً بالقيادة المركزية للثورة. شارك في 23 معركة واستشهد في معركة تاگزات بقبيلة بني عروس يوم 15 أبريل 1915.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة، الرباط، 1981.

ابن دكون، محمد بن أحمد شيخ الجماعة بقبيلة الأحماس، كان إلى جانب علمه يرأس جماعة مجاهدي قبيلته. انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يرأسها الشريف مولاي أحمد الريسوني، وشارك في جميع المؤتمرات التي عقدتها الثورة وفي المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية يوم 11 ماي 1913 انتخب عضواً بالمجلس الاستشاري

للمقاومة، وقد شارك في 16 معركة : وتقول عنه الوثائق الإسبانية إنه كان من الدماء النصارى فكان يذبح الأسرى الإسبان الذين يسقطون بالمكان الذي كان يوجد ابن دكون به.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة، الرباط، 1981.

Capaz Fernando, *Cabecillas de Gonara*, 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

**الدلاء**، اسم للمنطقة الجبلية التي أسس فيها المجاطيون الصنهاجيون زوايتهم بالجانب الغربي للأطلس المتوسط المشرف على سهول تادالا. ولفظ الدلاء عربي (جمع دلو) استعمله بهذا المعنى مقصوراً وممدوداً كتاب عاشوا في الزاوية الدلانية مثل محمد المرابط الدلاني والحسن اليوسفي. وهو أمر مستغرب أن يطلق اسم عربي على بقعة تقع في وسط أمازيغي قح إلا ما يبدو من تقارب لفظي بين الدلا وتادالا البسيط الأفيح الذي تقطنه قبائل عربية. (يُسرير) المؤرخ أبو القاسم الزياتي لفظ الدلاء فيكتبه "يدلاً" وذلك ما نجده جارياً على ألسنة سكان تلك الناحية حتى اليوم. ويغلب على هذه المنطقة اسم الزاوية الدلانية.

تقع الزاوية الدلانية، وتدعى أيضاً الزاوية البكرية نسبة لمؤسسها الشيخ أبي بكر بن محمد بن سعيد الدلاني، بناها بإشارة من شيخه أبي عمر القسطلبي المراكشي حوالي سنة 974 / 1566 على ربوة في سفح جبل بوتور بينه وبين جبل تاغوليت، وتنحدر في شرفها أفا إيزم أي شعبة الأسد، بالسفح الجنوبي الغربي للأطلس المتوسط. وتنفجر بالقرب منها عين جارية تخترق المسجد وتضيع في الشعاب.

يرى زائر أطلال الزاوية الدلانية اليوم بقايا المسجد الذي أسسه أبو بكر الدلاني : صفين من السواري والحنايا قائمين بجهة القبلة، والمنار المتهدم الذي لم يبق منه سوى الجدار الداخلي الذي تلتف حوله الدرج على ارتفاع بضعة أمتار، وجدران القبوتين المشيدتين على ضريحي الشيخين الدلانيين أبي بكر وابنه محمد، وقد نبتت أشجار التين والعليق والشوك وتشابكت في جوانب المسجد حتى غطته وجعلت التنقل في رحابه متعذراً.

اجتهد الشيخ أبو بكر كثيراً في تكثير العمارة من حول زاويته حتى صارت من أحسن المدن وأكثرها سكاناً وأشهرها ذكراً، يقصدها الناس من مختلف الجهات. بعدما قامت الفتنة بين أبناء المنصور الذهبي وانقطعت السبل وكثر السلب والنهب وتعطلت الدروس أو كادت في فاس ومراكش وسائر الحواضر، فكانت الدلاء المنطقة الآمنة التي يساوي إليها العلماء والطلبة من مختلف أنحاء البلاد فينالون من التعظيم والإكرام ما يحيب إليهم المقام فيها. وقد حرص أبو بكر على تربية أبنائه الكثيرين وتعليمهم

في الدلاء وخارجها فنشأوا علماء صلحاء انقطعوا بعد تكوينهم للتدريس في زاويتهم فتفتت فيها سوق العلم. وكان الدلائيون يملكون من حقول الحبوب وقطعان الغنم والبقر ما لا يكاد يحصى، يحرقها ويرعاها مريدو الزاوية في جبال الأطلس وسهول واحات تافيلالت، فكانوا - لكرمهم الواسع - يصرفونها جملة وتفصيلاً لإطعام ساكنة زاويتهم من علماء وطلبة وعمامة الناس، وهي ظاهرة لم يعرف لها نظير في تاريخ المغرب. وقد حاول محمد الحاج عندما آل إليه أمر زاوية الدلاء أن يستأثر بحكم المغرب بعد أن انحلت دولة السعديين وقام أمراء الزوايا في مختلف الجهات باقتطاع السلطة في مناطقهم. ولما ضاقت رحاب الزاوية القديمة بالفقود بنى في السهل المجاور للدلاء سنة 1638 / 1048 مدينة دعيت الزاوية الدلائية الحديثة ومدينة محمد الحاج وهي التي تقوم على أنقاضها زاوية أيت إسحاق الحالية على الطريق التي تربط بين خنيفرة وقصبة تادلا، بعيدة عن الأولى بنحو 35 كلم، وعن الثانية بنحو 64 كلم.

استد نفوذ إمارة الدلائيين على شمال المغرب وثغوره، من وادي أم الربيع إلى تطوان وكان عبد الله ينوب عن والده محمد الحاج في قيادة مدن سلا (سلا والرباط والقصبة) والاتصال بأسطول الجهاد البحري (القرصنة) ويمثلي الدول الأوربية التي تتردد أساطيلها التجارية والحربية على مرسى العدوتين كفرنسا وإنجلترا وهولندا، إلى أن بدأت الأطراف تنتفض على الدلائيين بشوكة الخضر غيلان في الشمال. وكانت نهاية الزاوية الدلائية على يد السلطان الرشيد بن الشريف العلوي الذي هزم الدلائيين في معركة بطن الرمان واقتحم عليهم زاويتهم الحديثة فخرّبها ثم خرب الزاوية القديمة وغرب سكانها إلى فاس وتلمسان سنة 1669 / 1079. ويغض النظر عن الدور السياسي الذي قام به محمد الحاج يتفق المؤرخون على أن زاوية الدلاء قامت خلال القرن الحادي عشر (17م) بدور عظيم في احتضان العلوم الإسلامية والحفاظ على اللغة العربية وقواعدها وآدابها، وبقي طابع الدلائيين ظاهراً على هذه العلوم والآداب خلال القرون التالية.

**الدلائي**، أسرة عالمة ماجدة، أصلها من مجاط جزم من قبيلة لمتونة الصنهاجية، لهم علاقة قرابة باللمشمين المرابطين، وفصيلتهم القريبى هي بنو الطالب، ولسان قومهم (أيت يتيدر) في عداد قبائل الأطلس المتوسط. وكانت مساكن مجاط قبل انتقالهم إلى الدلاء، على ضفاف نهر ملوية العليا فيما بين تونفيت وميدلت. وأول من استوطن منهم أرض الدلاء الشيخ الصالح أبو حفص عمر المجاطي، ثالث أجداد الشيخ أبي بكر مؤسس الزاوية الدلائية، وذلك في حدود نهاية القرن الثامن (14م). ولا يعرف للشيخ

عمر المجاطي ولا لابنه أحمد تاريخ ولادة ولا وفاة. أما سنيّد بن أحمد بن عمر فقد كان حيا عام 1546 / 953 وذكر في حقه القادري في نزّهة الفكر أنه "كان طالبا قارنا فاضلا خيرا دينا فائقا مكثرا للصلاة على النبي (ص) مولعا بها... وكان له عند أمراء وقته التعظيم التام. والتوقير الكثير والاجترام، لما كان عليه من الاشتغال بالعلم والدين، وما سلف من العلوم والصلاح في آبائه الأقدمين" وهناك ظهير للسلطان محمد المهدي الشيخ السعدي يوصى بتعظيم سعيد بن أحمد الدلائي، ويشير إلى وجود ظهائر قديمة عنده ويقره على التصرف في إقطاعاته. ولا نعرف عن الشيخ محمد بن سعيد المدعو حمى إلا أنه كان موسر الحال سنيا تقيا خلف ولدين هما إبراهيم وأبو بكر مؤسس الزاوية.

تكاثر عدد الدلائيين من أبناء الشيخ أبي بكر وأحفاده في زاويتهم التي أصبحت مدينة كبيرة كما رأينا، وعمروها طوال ثلاثة أجيال متعاقبة. ثم انتقلوا إلى فاس ومراكش وتلمسان حين خربت زاويتهم. فازداد إشعاع الدلائيين الفكري، وشغلوا وظائف دينية سامية من قضاء وإمامة وخطابة وتدريس، وبقي العلم والأدب والصلاح متوارثا فيهم حتى أواخر القرن الثالث عشر (19م). وألفوا عشرات الكتب في مختلف الفنون، وألف الناس كتباً في فضائلهم ومناقبهم وتراجم أعيانهم وأسانيدهم العلمية والصوفية. وبالجملة تعتبر الأسرة الدلائية من أكبر الأسر العلمية بالمغرب في القرون الأربعة الأخيرة وأكثرها إنتاجاً فكرياً. اشتهر منهم نحو أربعين عالماً وأديباً. ولكن لم يبق منها اليوم إلا أسر قليلة في فاس والرباط لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة.

ح. اليوسي، فهرس الشيوخ، مخطوط؛ القصيدة الرائية في رثاء الزاوية الدلائية؛ وشرحها للدلائيين وابن سودة؛ المحاضرات، تج. م. حجي وأ. الشرفاوي إقبال، بيروت، 1982، جزآن؛ أ. اللواتي، مباحث الأثوار، مخطوط؛ م. العربي الفاسي، مرآة المعاسن، ط. حجر فاس، 1906؛ ع. الله العياشي، الإحيا والانتعاش، مخطوط؛ س. الحوات، البدور الضاوية، مخطوط؛ م. حجي، الزاوية الدلائية، ط. 2، الدار البيضاء، 1988 والمصادر المذكورة في آخرها.

R. Henry, *Où se trouvait la Zaouia de Dilé ?*, Hesp., T. 36, 1944; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951.

**الدلائي**، أحمد الحارثي بن أبي بكر. ولد بالدلاء، وبها نشأ وتعلم على يد علماء قوميه والوافديت على زاويتهم مثل أحمد ابن القاضي وأبي حامد العربي الفاسي الذي أجازه إجازة عامة. من أول المتصدرين للتدريس بزاوية الدلاء. "وكانت له اليد الطولى في التاريخ والحساب واللغة والبيان والأدب والأصول والفقه والحديث" (البدور، 102 /

ب) غير أن النحو واللغة غلبا عليه فكان يُقَرَأُ كتاب سيبويه، مع الإشارة أن هذا الكتاب لم يدرَس في القرويين منذ القرن الثامن الهجري إذ كان عبد الرحمن المكودي (ت. 807 / 1405) أخر من درسه بفاس.

ألف أحمد الحارثي في الأصول شرحا على مختصر ابن الحاجب، وخلف تقاييد كثيرة في التفسير والحديث. توفي بالدلاء عام 1051 / 1641.

س. الحوات، البذور الضاوية، مخطوط : م. السقادي : نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 4 : م. حجي، الزاوية الدلالية، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

**الدلائي، أحمد بن عبد الله بن محمد الحاج، آخر أبطال الدلاء** - وفرسانها الشجعان. بدت كفايته الحربية في وقت مبكر من عمره فولاه جده السلطان محمد الحاج أمر قاس. وتقول بعض الروايات إنه الذي قاد الدلائين في معركة بطن الرمان الحاسمة ضد جيوش المولى الرشيد بن الشريف.

كان أحمد الدلائي في نفس الوقت عالما كبيرا وأديبا متمازا وبطلا مغوارا، أشجع الدلائين وأشعرهم على الإطلاق. قارنته بأبي فراس الحمداني، ووجدت في قصائده التلمسانيات ما يضاها روميات أبي فراس.

بعد إخلاء الزاوية سبق أحمد أهله إلى تلمسان فهد لهم سبل المقام بها، ولم يلتحق بالدلائين الذين دخلوا إلى فاس متعللا بالقيام على شؤون عيال أبيه المتغيب في الشرق. ولما بدأت الشائعات تتحدث عن الثورة خاف أحمد الدلائي على أهله المقيمين بفاس فكتب إلى السلطان إسماعيل رسالة بليغة بطريه ويظمنته. وقد أكدت الأحداث أن أحمد الدلائي لم يكن صادقا في اعتذاره وإنما رام ربح الوقت اللازم لتهييء شؤون الثورة وتنظيمها بمساعدة أتراك الجزائر.

استغل أحمد الدلائي فرصة خروج المولى إسماعيل من العاصمة واشتغاله بحرب ابن أخيه أحمد بن محرز في مراكش، فدخل إلى المغرب في أوائل عام 1088 / 1677 وقصد الدلاء، فالتف حوله برابرة الأطلس المتوسط وملوك بلاد تادلا، وهزموا ثلاثة جيوش بعث بها المولى إسماعيل متوالية لقتالهم "ووقعت معركة رابعة بحوز مكناسة بين جيش قاس والبربر، مات فيها من كبراء الجيش عدد كثير ولجؤوا إلى مدينة مكناس، وحدث الخوف بأحوازها" (البذور، 215 / ب).

رأى المولى إسماعيل حينئذ أن ينازل خصمه بنفسه فهياً حركة كبرى دام تجهيزها ستة أشهر ثم زحف إلى تادلا في 5 صفر 1089 / 30 مارس 1678، فوجد أحمد الدلائي ينتظره على الضفة الجنوبية لواد العبيد "فكانت الحرب بينهما سجالا، وأظهر كل فريق قوته وما هو له مريد، ووقعت حروب بين الفريقين لم يُسمع بمثلتها في المغرب، ولا

خبر بها من ورخ من أمره كل أمر عجيب" (الدر المنتخب، ج. 6، ورقة 43 / أ).

وأخيراً انتصر المولى إسماعيل، والتجأ أحمد الدلائي إلى جبال أيت يسري الوعرة في الأطلس المتوسط، وبقي بين أظهرهم مسموع الكلمة فيهم إلى أن توفي يوم الخميس 21 محرن عام 1091 / 23 فبراير 1680. ويقال إنه مات مسموما من قبل بعض رؤساء قبائل جبال هسكورة.

س. الحوات، البذور الضاوية، 215 : أ. ابن الحاج، الدر المنتخب المستحسن، مخطوط، ج. 6 : م. حجي، الزاوية الدلالية، ط. 2، ص. 261، 263.

**الدلائي، أبو بكر بن محمد المدعو حمي بن سعيد بن أحمد بن عمر الصنهاجي المجاطي، الجد الأعلى الجامع للدلائين، ولد بالدلاء في حدود عام 943 / 1536.** وهو عام "بوعقبة" لوقعة حربية فاصلة بين السعديين والوطاسيين على مشروع بوعقبة من وادي العبيد بتادلا.

حفظ القرآن في كتاب قريته، وارتحل إلى مدشر بوعبياد - بين الدلاء - ويوجد لتعلم المتن والمبادئ العلمية، ثم طلب العلم في مكناس وفاس "حتى بلغ في أقصر مدة أقصى الأمنية، فتضلع في قواعد الشريعة وتبحر في موارد الحقيقة" (البذور، 9 / أ). ولم يكن إقباله على علم الظاهر يوازي شغفه بعلم الباطن، وكان اتصاله بالشيخ أبي عمّر القسطلي المراكشي (ت. 974 / 66 - 1567) نقطة تحول في حياته، انصرف بعدها عن الاشتغال بالثروة الطائلة التي خلفها له والده متقطعا إلى الدعوة إلى الله.

أخذ أبو بكر عهد الشاذلية عن الشيخ أبي عمّر القسطلي الذي أمره ببناء زاوية الدلاء، يسير فيها على نهجه في تربية المريدين وإطعام الفقراء والطلبة والزائرين. أسس أبو بكر زاوية الدلاء حوالي سنة 974 / 1566، وأخذ يعقد فيها مجالس للوعظ والإرشاد يفتتحها بقوله : "رؤى الحسن عن أبيه الحسن عن جده الحسن أن أحسن الحسن الخلق الحسن"، وقد اتفق مترجموه على أنه كان نقي الظاهر والباطن، نظيف الملابس، شديد بياض الثياب جميل الهدى كثير السلام، خافض الطرف قليل الكلام، حسن العشرة شديد المحافظة على العهد، كريم الأخلاق داعيا إلى المحبة والتسامح والتصافي.

رزق أبو بكر ستة أولاد سهر على تربيتهم وتعليمهم وكان يستدعي العلماء من مراكش وفاس للتدريس في زاويته ليأخذ عنهم أبنائه وغيرهم من الطلبة المجاورين. وبذلك تخرج في الدلاء عدد من الفقهاء على رأسهم محمد بن أبي بكر الدلائي أتى الترجمة الذي سيعد من كبار علماء المغرب ومحدثيه عمرما ويتولى أمر الزاوية بعد وفاة أبيه.

كانت وفاة الشيخ أبي بكر الدلائي يوم السبت ثالث

شعبان عام واحد وعشرين وألف / 29 شتنبر 1612 ودفن في مسجده بالدلاء.

ع. السلام القادري، نزهة الفكر في مناقب الشيخين سيد محمد ووالده سيد أبي بكر، مخطوط : م. العربي الفاسي، مرآة المحاسن، فاس، 1906 : أبو سالم العياشي، اقتفاء الاثر، تج. ن. الذهبي، الدار البيضاء، 1996 : م. الإفرائي، صفوة، ط. حجر فاس، د. ت : نزهة المحادي، ط. حجر فاس، د. ت : م. المكلاطي، المقاومة الزهرية في مدح المكارم البكرية، النبوغ المغربي، ط. 2، ج. 2 : م. المهدي الفاسي، مجمع الأسباع، ط. حجر فاس، د. ت : م. القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، 3 : بيروت، 1996، ج. 3 : س. الحوات، الهدور الضاوية، مخطوط : م. ابن عجيبية، أزهار البستان، مخطوط : م. حجي، الزاوية الدلائية، ط. 2، الدار البيضاء، 1988 : الحركة الفكرية، المحمدية، 1977، ج. 2.

**الدلائي، الطيب بن المسناوي بن محمد بن أبي بكر.** ولد بالدلاء ونشأ بها وتعلم على يد أبيه وأعمامه وغيرهم من العلماء المقيمين بالزاوية ! ثم شد الرحلة إلى فاس وهي يومئذ خاضعة لنفوذ الدلائين، فأقام فيها سنوات يأخذ عن شيخ الجماعة بها عبد القادر الفاسي وغيره.

رجع الطيب الدلائي إلى مسقط رأسه وتصدر للتدريس إلى جانب بني عمه. ولم تقتصر براعته على الجانب الفقهي، وإنما كان إلى ذلك أديبا متمكنا جيد الإنشاء طويل النفس في الشعر، تبلغ إحدى قصائده خمسة وسبعين ومائة بيت، مع متانة لغة، وسلامة تعبير.

توفي الطيب بالدلاء عام 1077 / 1666، وورثاه رفيقه أحمد بن عبد القادر التستاوي بقصيدة مطلعها :

اليوم أن لمدمعي أن يهعما \* ولمهجتي بالوجد أن تنقطع  
س. الحوات، الهدور الضاوية، مخطوط : م. القادري : نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 4 : م. حجي، الزاوية الدلائية، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

**الدلائي، عبد الله بن محمد الحاج، أحد الأدياب الشجعان.** ولد في الدلاء ونشأ وتعلم على يد أعمامه وغيرهم من العلماء المقيمين بالزاوية. وبعد ثاني شخصية سياسية في الإمارة الدلائية، عينه والده وهو ما يزال في مقتبل العمر نائبا عنه في مدن سلا والرباط والقصبة أهم ثغر عند الدلائين، فكان حاكم منطقة الغرب الممتدة إلى تطوان يقوم مقام وزير الخارجية للإمارة الدلائية.

استقر عبد الله الدلائي في قصر الإمارة بالقصبة، وقرب إليه العامل السابق سعيد الجنوي وجعله خليفته وأمين سرده، وأخذ يرجع في مهام الأمور إلى أعيان العدوتين لا يقطع أمراً دون مشورتهم، واتخذ الفقيه الأديب

عبد المالك التاجموتي كاتباً خاصاً له، فكان يحير الرسائل البليغة الصادرة عن أمير سلا إلى الدلاء وغيرها، بل حتى المراسلات الموجهة إلى الأعاجم في أوروبا لم تخل من جناس وسجع وغير ذلك من المحسنات البديعية. وكان مجلس عبد الله لا يخلو من علماء يذاكرهم على نحو ما درج عليه في الدلاء، ويساجل إخوانه وأقرانه نثراً وشعراً بحيث لم تنقطع صلته بالعلم والأدب بالرغم على أشغاله السياسية والحربية.

كان عبد الله يستقبل ممثلي الدول الأجنبية ويعقد معهم المعاهدات التجارية وغيرها، ويراسل رؤساء الدول باسم والده ويتلقى خطاباتهم، فكانت المصادر الأوربية تلقبه أمير سلا أو سيد سلا .

كما كان يتولى قيادة الجيوش في تحركاتها يختلف الأقاليم الخاضعة للدلائين، فينوب عنه عندما يتغيب عن سلا خليفته الأمين سعيد الجنوي. وكان عبد الله مفرط الرزانة كثير التأنى والترث، يبطئ بالجواب عن المراسلات الإخوانية والرسومية. وقد أنبه على ذلك والده، ورماه بعض أهله بالترفع والتكبر، وكاد هذا التريث الغريب يجبر عليه شرورا كثيرة في علاقاته مع ممثلي الدول الأجنبية.

واشتهر عبد الله أيضا بالغيرة الدينية، فكان يزن أعماله بميزان الشرع ولا يتساهل في شيء خالف أصول الدين. من ذلك رفضه معاهدة أبرمها رؤساء مدن سلا قبل مجيئه إليها مع هولاندا لأن الفصل الرابع منها نص على مجافاة طائفة من المسلمين (الأتراك)، وظلت المخابرات جارية بشأنها نحو سبع سنوات فلم يمضها حتى حذف هذا الفصل.

بدأ انتفاض الأطراف على الدلائين في الشمال بزعامة الحضرم غيلان الذي أستولى على مدينة القصر الكبير سنة 1052 / 1652 وهزم جيوش الدلائين بقيادة محمد الحاج بالقرب من المرجة الزرقاء عام 1070 / 1660 ثم هاجم غيلان عبد الله وأخذت مدافع العدوتين تقصف القصبة من الشمال والجنوب، ودام حصار عبد الله ومن معه من الجنود ثمانية عشر شهراً، تمكن عبد الله بعدها من مغادرة القصبة خلسة إلى تامسنا على ظهر سفينة أنجليزية بعد أن أسند القيادة إلى أحمد الجنوي الذي ظل يقاوم الحصار إلى فصل الربيع من عام 1074 / 1664 حيث قُتحت القصبة صلحا للخضر غيلان.

التحق عبد الله بالدلاء، وقاد سنة 1078 / 1668 جيوش أبيه في معركة بطن الرمان الحاسمة. فانهزموا أمام قوات المرلي الرشيد بن الشريف الذي قضى بإخراج الدلائين إلى فاس وتلمسان، وحرب الزاويتين القديمة والحديثة.

صحب عبد الله أباه محمداً الحاج إلى تلمسان، وسكنه فيها خمس سنين إلى أن توفي محمد الحاج، فخرج إلى الشرق وحج ثم رجع إلى تلمسان. وفيها أدركته الوفاة أواخر عام 1086 / أوائل 1676 ودفن بالعباد إلى جانب والده.

س. الحوات، المبدور الضاوية، مخطوط : م. حجي، الزاوية  
الدلائية، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

De Castries, *Les Sources Inédites*, France, 1,  
Pays-Bas, 5 et 6.

**الدلائي، محمد بن أبي بكر**، واسطة عقد هذه الأسرة  
الماجدة. ولد في الدلاء حوالي عام 967 / 1559 وحفظ القرآن  
الكريم وأتقن رسمه وتجويده في العقد الأول من عمره، وقرأ  
على والده مبادئ العربية والدين، ثم أخذ عن العلماء  
الوافدين على الزاوية البكرية، كأحمد بن القاضي، أخذ عنه  
الحساب والفلك والأدب، والحسن الدرعي (الدرأوي) أخذ  
عنه الفقه والأصول والمنطق والبيان. وأخذ في فاس عن  
محمد بن قاسم القصار التفسير والحديث وأجازة إجازة  
عامة، وعن أبي المحاسن يوسف الفاسي عهد الشاذلية.  
وقام برحلة صوفية طويلة لقي خلالها الشيوخ عبد الله ابن  
حسون بسلا، وعبد الله الملواني في تاغيا، وأبا عبيد محمد  
الشرقي بأبي الجعد. ولما حج عام 1005 / 96 - 1597 لقي  
بالقاهرة الشيخ محمد زين العابدين البكري ولازمه مدة،  
وأخذ عنه فيما أخذ صلاة الفاتح.

رجع محمد بن أبي بكر إلى الدلاء عام 1012 / 1604.  
مكتمل التربية والتكوين في علمي الظاهر والباطن،  
وتصدر للتدريس إلى جانب إخوته الخمسة وغيرهم من  
العلماء الوافدين، ثم خلف أباه بعد موته عام 1021 / 1612  
في القيام بشؤون الزاوية، فسار على نهجه في إطعام  
الطعام وإكرام العلماء والمتعلمين، وسعى مثله في تهذيب  
الأخلاق، وترقية الأذواق، مجتهدا في إصلاح الأحوال  
والانتصار للمستضعفين من قومه وجيرته، فلقي من الظلمة  
عنتاً كبيراً، وظل يستعمل طرق الترغيب والترهيب،  
ملتجئاً إلى حد السيف أحياناً، إلى أن سادت الطمأنينة  
منطقة تادلا والأطلس المتوسط.

إذا كان محمد بن أبي بكر عالماً مشاركاً فإنه برز في  
التفسير والحديث حتى كادت مجالسه العلمية تقتصر  
عليهما. وكان يحفظ صحيح البخاري ومسلم وكتب  
السنن ويعرف الروايات المختلفة ورجال الأسانيد، مع كثير  
من الضبط والتحرير، ويمتاز بفضاحة العبارة والاستمرار في  
الإملاء والتقرير حتى كان درسه أحياناً يستغرق نصف يوم  
دون كليل أو ملل، ويحضر هذه الدروس ويستفيد منها  
علماء كبار أمثال أحمد المقرئ، ومحمد العربي الفاسي  
وعبد الواحد ابن عاشر، وعلي بن عبد الواحد الأنصاري  
ومحمد المرابط الدلائي.

ولعل أبرز عبارة تشخص صفات الشيخ محمد بن أبي  
بكر الخلفية والعلمية ما قاله عنه تلميذه محمد العربي  
الفاسي في *مرآة المحاسن* (ص. 225) : "خاتمة مشايخ  
المغرب انتهت إليه رئاسة الدين والدنيا، واستقل سياسة  
الأمور الجليلة والترتب العليا، عالم حافظ دراك متوسع في

علم التفسير ومعاني الحديث وعلم الكلام حسن المشاركة  
فيها وفي غيرها، رصين العقل سديد الرأي جميل المعاشرة  
مراع لحقوق الصحة كريم النفس عالي الهمة فياض العطا  
واسع المعروف، لو تفرغ متفرغ لجمع فضائله في ديوان  
مستقل، لم يجمع منها إلا ما يندر ويقل، ولو صف من  
أنواعها أصنافاً، وألف من أعدادها آلافاً".

ورغم سعة علم المترجم لم يؤلف سوى أربعين حديثاً،  
ذكر بعد كل حديث قصة مناسبة له مما سمعه من شيوخه،  
وفهرس مختصر لشيوخه.

توفي محمد بن أبي بكر في الدلاء يوم الأربعاء حادي  
عشر رجب عام ستة وأربعين وألف 9/ دجنبر 1636 عن نحو  
ثمانين سنة، ودفن ضحى الغد قرب روضة والده، وبني  
عليهما محمد الشيخ بن زيدان السعدي قبتين حستين لم  
يبق قائماً منها اليوم غير الجدران. وقد قيل الكثير في  
مدح المترجم وراثته نشرًا وشعراً.

أ. الفاسي الحافظ، تأليف في أسانيد الشيخ محمد بن أبي  
الدلائي، مخطوط : م. العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ط. الحجر  
بفاس، 1324 : أ. الولاوي، مباحث الأنوار، مخطوط : أبو سالم  
العياشي، افتضاء الأثر، تح. ن. الذهبي، الدار البيضاء، 1996 :  
مجهول، ديوان في أمجاد الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي،  
مخطوط : م. الإفراني، صفوة، ط. حجر فاس د. ت : نزهة الحادي،  
ط. حجر فاس، د. ت : س. الحوات، المبدور الضاوية، مخطوط :  
م. القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996،  
ج. 3 : م. ابن أحمد الفاسي، شرح درة النيجان، مخطوط : ع.  
الحى الكتاني، فهرس الفهارس، بيروت، 1982، ج. 1 : م. حجي،  
الزاوية الدلائية، ط. 2، 1988.

**الدلائي، محمد البكري بن محمد بن الشاذلي.**

ولد بفاس في أواخر القرن الحادي عشر (17 م) وبها نشأ  
وتعلم على يد ابن عمه محمد السنواوي الدلائي شيخ  
الجماعة بفاس أتى الترجمة. وعلى الحسن بن رحال  
المعداني، ومحمد الكندوز وغيرهم، وقد حلاه تلميذه  
القادري في *نشر الثاني* بـ "الفقيه النجيب، القاضي العالم  
المفتي الخطيب، النوازي الأديب الأريب، شيخنا أبو عبد  
الله. له سجية في صناعة الإنشاء، وبراعة وإتقان ناظماً  
ناثراً، يقال في شعره إنه كمن ينظم الياقوت والجوهر والدر  
والعقيان. وله لسان طلق ومعرفة بسياسة العامة والخاصة  
عجب العجاب في ذلك، فقص بذلك في تلقي الشهادات  
وحصل منها مالا وأصولاً.

انتصب محمد البكري للشهادة في سباط العدل بفاس  
مدة، كان يقوم خلالها بالتدريس في القرويين، ثم ولي  
قضاء الجماعة بها، وخطبة جامع القرويين، وولي قبل ذلك  
الخطبة بمسجد الشرفاء (الضريح الإدريسي). ولما أخرج عن  
القضاء اشتغل بالإفتاء، فطالت يده في الفتوى وأدرك  
فيها شهرة واسعة، وكانت فتاواه محررة بالنقل الصحيح،

والنص الصريح، وامتلك خزنة كتب عامرة، اقتناها عام المسغبة إذ كانت الكتب تباع بثمن بخس، وكان هو من أهل المال فاشتراها.

ألف عدة كتب في الفقه والقضاء والنوادر والآداب، منها :

- شرح رائية اليوسي في الحنين إلى الزاوية الدلائية، وهي طويلة بدأ شرحها قبله ابن عمه محمد بن أحمد بن الشادلي، وأتمها محمد البكري في جزئين وطرزها بما يناسبها من النحو واللغة والأمثال والحكم والأدب.

- واضح الدليل في اشتراط التبريز في التجريح والتعديل.

- القول المنتور ببيع الحبس في المسغبة ليس بمشهور.

- إثم العيتين في بعض مسائل ذات الوليين.

- إسقاط التصيف على وجه المعرفة والتعريف.

- التقاط زهر الفضا من رياض عين القضا.

- الرياض الزاهر في عيون مسائل التصبير.

- منتهى سؤلي وأشواق في مسامرة الشريف العراقي.

- تقايد في نوازل الأحكام.

توفي بفاس ليلة الخميس سابع عشر رجب عام أربعة ومائة وألف / 9 يونيو. ودفن بمطرح الجنة خارج باب الفتوح من عدوة فاس الأندلس.

م. القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996،

ج 6 : 2170.2171 : س. الحوات، البذور الضاوية، مخطوط : م.

حجي، الزاوية الدلائية، ط 2، الدار البيضاء، 1988، ص. 266.

**الدلائي، محمد الحاج أكبر أبناء الشيخ محمد بن**

أبي بكر سابق الترجمة. ولد في الدلاء عام 997 / 88 - 1589، ونشأ فيها كسائر إخوته وبني عمه مكيًا على الدرس والتحصيل فنال إجازات عامة من شيوخه أحمد بن القاضي وأحمد بن عمر السلاسي والعربي بن يوسف الفاسي، "وكان ذا وجه حسن، وذلاقة لسان، حسن الشارة، بارع الفهم والعبارة، موصوفا بالرجولة والمروءة الفائقة" (البذور، 109 ب).

حج عام 1041 / 31. 1632 في موكب حافل ضم كثيراً من رجال العلم والفضل والدين من جهات مختلفة حتى من بلاد توات، ولقي في رحلته كثيراً من مظاهر العناية، فخطب الناس في عرفات، ودرّس في المدينة المنورة، وقدم فيها إماماً وخطيباً، ولقي بالقاهرة أحمد المقرئ فأقام عنده وعند شيخ المالكية بمصر علي الأجهوري مدة كان يلقي خلالها دروساً بالأزهر في التفسير والحديث.

ظهرت كفاية محمد الحاج السياسية والحربية في حياة والده، فكان يرسله على رأس جيش الدلاء إلى ما وراء نهر ملوية وإلى منطقة الغرب فيرجع ظافراً منتصراً. وقد شد أبو القاسم الزباني فذكر أخباراً غريبة عن نشأة محمد الحاج

وأنه كان صعلوكاً فطرده والده لاشتغاله بما لا يعنيه. زعم أنه نقل ذلك عن الحسن اليوسي. لكن كتب اليوسي خالية من ذلك، بل خصص اليوسي له فصلاً طويلاً في المحاضرات روى عنه أخباراً علمية وأدبية وتحدث عنه بكامل التعظيم والتقدير.

لما طمح محمد الحاج إلى الاستئثار بالسلطة وأسس الزاوية الدلائية الحديثة أسكن معه فيها خمس قبائل من أكثر سكان الأطلس المتوسط عصبية وحبية، فتكونت لديه أهم قوة حربية بالبلاد سيصول بها ويجول ويمتلك عدداً من الأقاليم مدة تنيف عن ثلث قرن.

تبع محمداً الحاج كثيراً من قبائل المغرب ومدنه وقراه، "وبايعة أهل فاس الإدريسية والعليا بالخلافة، وكتبوا له البيعة بجامعة القرويين وحضرها من هو أهل لذلك من الأعيان، والجم الغفير من أهل الديوان، في مهل ربيع الثاني عام 1061 وقدموا عليه بها للزاوية الدلائية فقرئت على منبر مسجدتها ووضعت في صندوق مع غيرها من بيعات أهل نواحي المغرب" (البذور الضاوية، 111 / ب).

وقام محمد الحاج بأعمال حربية لتوطيد الأمن في المناطق الخاضعة له وكان في البداية يساعد المجاهد العياشي السلاوي ثم انقلب عليه ودبر اغتياله، وغزا شرفاء سجلماسة في تافيلالت، وحاصر البرتغاليين في المهديّة. وامتلات خزينته بمدخل أعشار مرسي مصب أبي رقراق وغنائم الجهاد البحري.

خارت قوى محمد الحاج في آخر ولايته وضعف بصره بدء السادة فلم يستطع مواجهة جيش الرشيد بن الشريف في معركة بطن الرمان حتى إذا اقتحم عليه الرشيد حاضرتة سلم إليه مقاليد الأمور قائلاً : "الملك اليوم في محله". ورحل إلى تلمسان وبقي فيها مجاوراً بالعباد حرم الشيخ أبي مدين الغوث سنين إلى أن أدركته الوفاة يوم الخميس خامس محرم عام 1082 / 14 ماي 1671 ودفن بالعباد قرب صريح الإمام محمد السنوسي.

ح. اليوسي، المحاضرات، ط. 2، تج. م. حجي وأ. الشرقاوي

إقبال، بيروت، 1982، ج. 1 : أ. النولالي، مباحث الأنوار،

مخطوط : م. الإفراني، نزهة، ط. حجر فاس، د. ت : م.

القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1956،

ج. 4 : س. الحوات، البذور الضاوية، مخطوط : ع. السودود

التازي، نزهة الأبخار المرضيين، مخطوط : أ. الناصري،

الاستقصا، الدار البيضاء، 1955، ج. 6 : م. حجي، الزاوية

الدلائية، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

**الدلائي، محمد الشرقي بن أبي بكر.** أستاذ فقيه

أديب مشارك درّس في زاوية أبيه ودرّس بها، واختص من بين علماء قومه بتدريس علم القراءات والتجويد، وكان يتقن إلى ذلك الحديث والسير، والفقه وأصوله، واللغة

- كواعب الحسان في جوارح الإنسان. منظومة في 500 بيت.

- منظومة في مناسك الحج (نحو 200 بيت).  
ولما دنا أجله أزعجه الشوق فرحل من المغرب يقصد الحج وساع داره بسرعة وخرج مع الركب، فأدركته الوفاة بغور طواف الوداع. امتقع لونه وجعل يدعو ويقول: اللهم كما أبلغتني بيتك فلا تطردني عنه. اللهم احسنني عنده أو اقبض روحي معه. وقد حمله أهل عشيرته على الدابة لإزعاج الركب بالحروج، فلم ينفصل عن البيت الحرام حتى قبضت روحه في ذي الحجة عام 1141 / يوليو 1729 ودفن بوادي فاطمة.

م. الفاسي، المنع البادية، مخطوط: م. القادري، نشر الثاني: ع. الكبير الفاسي، تذكرة المحسنين / موسوعة أعلام المغرب، بيروت 1996، ج. 5: س. الحوات، البدر الضاربة، مخطوط: م. حجي، الزاوية الدلالية، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

تنبيه: هناك عالم دلالي آخر بنفس الاسم تأخرت وفاته إلى عام 1197. يختلف عن المترجم أعلاه بأنه محمد بن محمد - بفتح الميم - بن محمد بن عبد الرحمن. وهو أيضا له اليد الطولى في التدريس. دفن بروضه الدلاتيين بباب الحمراء بفاس. انظر عبد السلام ابن سوادة، إبحاف المطالع.

**الدلالي، محمد بن العربي الرباطي**، آخر الأدباء المتصوفة من الأسرة الدلالية، ويظن أن أباه أو أحد جدوده انتقل في أواسط القرن الثالث عشر (19م) إلى السكنى برباط الفتح، فولد فيه المترجم ونشأ ودرس على أعلامه مثل الشيخ أحمد دنية. كان يحضر مجالسه الحديثية والفقهية ويشغل في نفس الوقت بالتجارة في سوق العطارين، وقد مدح محمد بن العربي الشيخ دنية بقصيدتين، إحداهما عينية لما ختم صحيح البخاري، والأخرى تائية عند ختمه مختصر الشيخ خليل، مطلعها:  
خليلي حدثني حديث أجسي \* فذكرهم أنس لأهل المحبة  
وصحب محمد العربي الدلالي بعد ذلك الشيخين الشهيرين العربي الدرقاوي ومحمد الحراق، وسلك على يدهما طريق القوم إلى أن بلغ درجة المشيخة فأسس فرع الطريقة الحراقية بالرباط.

وبرع في معرفة الطبوع الموسيقية الأندلسية وحفظ الأشعار والأزجال المتعلقة بالأمجاد النبوية التي تنشأ وفق هذه الطبوع، ونظم هو أزجالا كثيرة عرفت شهرة إلى جانب أزجال شيخه الحراق. ألف محمد بن العربي الدلالي كتابين:

- فتح الأنوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار، وهو عبارة عن أمجاد نبوية بطريقة السماع والألحان الموسيقية، ذكر فيها أن أركان "السماع" ثلاثة: الشعر

والنحو والبلاغة والأدب، وله عارضة قوية في النظم والنثر، ومنها مساجلة أدبية رقيقة مع شيخه أبي حامد العربي الفاسي (موسوعة، 4: 1713-1715).

ألف محمد الشرقي كتابا في الأصول وشرح الشفا للقاضي عياض وحاشية على المطول في البلاغة.  
توفي بالزاوية الدلالية قبيل سقوطها في أوائل عام 1079 / 1668.

م. القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 4: س. الحوات، البدر الضاربة، مخطوط: م. حجي، الزاوية الدلالية، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

**الدلالي، محمد بن عبد الرحمن** ينتسب إلى جده عبد الرحمن بن أبي بكر، واسمه الكامل محمد بن محمد ابن محمد (ثلاث مرات) بن عبد الرحمن. ولد ونشأ في فاس، حلا، معاصره القادري في نشر الثاني بـ "الفيقه العالم العلامة الشهير. الخطيب البليغ الواعظ المحقق الكبير، الفصيح البليغ الحافظ المؤرخ النسابة الأثير... أحد أعلام الزمان علما وديانة، وعلو شأن ومنزلة في اللغة ومكانة، ممن يحرر العلم ويفيده، ويحسن النظم والنثر ويجيده. ومن إليه المرجع وعليه في وقته التعويل، في علوم الإنشاء والبلاغة والترسيل..." (موسوعة، 5: 2015).

أخذ عن ابن عمه محمد المسناوي، وغيره من علماء فاس، وتخرج فقيها كبيرا وأديبا متمكنا. اشتغل بالتدريس في القرويين وتخرج على يده عدد من فقهاء المدينة وأدائها. وكان إلى جانب التدريس يقدم للخطابة والإمامة في أهم مساجد المدينة، لفصاحته وبلاغته أسلوبه وجهورية صوته. خطب أولا في المدرسة المتوكلية (البوعنانية) بحي الطالعة، ثم خطب في مسجد الشرفاء (ضريح المولى إدريس) بعد موت خطيبه محمد المسناوي الدلالي وبقي به خطيبا إلى آخر حياته.

ألف عدة تأليف في موضوعات مختلفة، منها:  
- درة التيجان ولقطة اللؤلؤ والمرجان. وهي منظومة ذكر فيها مشاهير شرفاء المغرب، أثنى الناس عليها كثيرا واعتمدها النقباء وعلماء الأنساب.  
- حاشية على الكلاعي في السيرة.  
- زهر الحدائق وخلاصة الحقائق من تحفة سيرة سيد الخلائق.

- الزهر الندي، في الخلق المحمدي.  
- شرح الشفا للقاضي عياض.  
- فخر الشري بسيد الوري.  
- مجموعة خطب منبرية.

- تحريك الساكن، ومهيج الشوق السكامن إلى زيارة طيبة ومن بها ساكن (رحلة حجازية منظومة).  
- رسالتان إلى المجاهدين المحاضرين لسبئنة عام 1132 (بالاشتراك مع شيخه محمد المسناوي الدلالي).



المغنى به، والطبع المترنم بلحنه، والوزن المفروق ذلك الترنم في قلبه. ثم أتى بالبحور الشعرية وتفاعيلها مختصرة، والطبوع الموسيقية مجملة ثم مفصلة.

— ترجمة الشيخ محمد الحراق. ذكر نسب الشيخ ومشاركته في العلوم ولا سيما علم الباطن، ورسائله إلى إخوانه ومريديه، وخصص في الأخير باباً لقصائد الحراق وموشحاته ومقطعاته مرتبة على البحور، مبتدئاً بالطويل :

أنظب ليلى وهي فيك تجلت \* وتحسبها غيراً وغيرك ليست وأخيراً انتقل الشيخ محمد العربي الدلائي إلى الدر البيضاء وأسس فيها زاويته المشهورة على بقعة أرضية كانت وهبت للشيخ الحراق غير بعيدة عن المسجد العتيق بطريق دار المخزن في المدينة القديمة، وأخذ يلقي فيها الأوراد ويعمر حلق الذكر بالسماع، والدار البيضاء يومئذ تكاد تكون خالية، فتزوج هناك وبقي على حاله من العبادة وتربية المريدين إلى أن توفي في صبيحة يوم الجمعة خامس عشر شوال عام 1285 / 29 يناير 1869، ودفن بركن الصحن الأول عن يمين المستقبل داخل زاويته في الدار البيضاء.

وخلفه في القيام بشؤون الزاوية ابنه الصالح عبد السلام الدلائي إلى أن توفي عام 1310 / 92 — 1893 ودفن بجوار أبيه. ولا يعرف له عقب إلا أقرباء يعرفون بنسبتهم الدلائية في الرباط والدار البيضاء.

م. دنية، النسمات الندية من نشر ترجمة أبي العباس أحمد دنية، الرباط، 1355 : م. سوجندار، الاغتباط بتراجم أعلام الرباط، الرباط، 1987 : أ. المكناسي، أهم مصادر التاريخ والترجمة في المغرب، تطوان، 1963 : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 7 : م. حجي، الزاوية الدلائية، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

### الدلائي، محمد المرابط بن محمد بن أبي بكر. ولد

بالدلاء عام أحد عشر وألف. ودرس في زاويته على والده وأعمامه وإخوته والعلماء الوافدين على الزاوية كأبي حامد محمد العربي الفاسي وأحمد بن عمران السلاسي إلى أن تخرج فيها محدثاً نحوياً أديباً مشاركاً في مختلف العلوم، واشتغل في الدلاء بالتدريس إلى جانب أهله. وكانت مجالسه النحوية العالية ملتقى نجباء الطلبة أمثال الحسن اليوسي. وغلب عليه لقب المرابط لتتشفه في الملابس وزهده في مباح الحياة التي كان ينعم بها إخوانه الرؤساء.

كان محمد مرابط إمام المسجد الكبير بالدلاء وخطيبه ومدرسه واشتهر بفصاحته ومثانة مادة خطبه. ذكره تلميذه الحسن اليوسي في فهرس شيوخه، وفي عدة مواضع من كتابه المحاضرات، ونقل عنه مناظرات لغوية وأدبية، وقال : "كان إماماً في علم النحو ومشاركاً في كل الفنون... وله انقلم البارع في الإنشاء نظماً ونثراً، مع سمت ونزاهة وحلم ومروءة". وقد أجاز المرابط الحسن اليوسي إجازة عامة، بين فيها روايته لما اشتملت عليه فهرسة ابن غازي : التعلل

برسوم الاسناد، وفهرسة أحمد المنجور عن شيوخه من طرق عديدة.

ألف محمد المرابط عدة كتب في النحو وغيره منها :  
- فتح اللطيف بشرح البسط والتعريف في علم التصريف لعبد الرحمان المكودي.

- المعارج المرتقاة إلى معاني الورقات، شرح به ورقات إمام الحرمين في الأصول.  
- شرح ألفية ابن مالك في جزئين.

- نتائج التحصيل في شرح التسهيل لابن مالك، في أربعة أجزاء، طارت شهرته بالمغرب والمشرق وتغالى الناس في أثنائه.

- البركة البكرية في الخطب الوعظية، نحا فيها منحى ابن نباتة.  
- الدرّة الدرية، في محاسن الشعر وغرائب العربية.

- ديوان شعر (كان موضوع رسالة جامعة في العقد الأخير).  
- زهرة الوسائل في المدح والرسائل.

خرج المرابط مع قومه من الدلاء إلى فاس بعد تخريب زاويته، وتابع رسالته العلمية والأدبية بحاضرة المولى إدريس مقبلاً على التدريس والخطابة في المدرسة المتوكلية (البوعنانية) ثم توجه إلى الحج وأقام مدة في مصر لقي فيها كثيراً من مظاهر الإعزاز والإكرام، ومدحه أديباؤها بقصائد تم عن إعجابهم بهذا العالم المغربي الكبير الذي سبق أن عرفوه عن طريق مؤلفاته.

توفي محمد المرابط بفاس يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الآخرة عام 1089 / 13 غشت 1678. ودفن بروضة أهله بصفة وادي الزيتون من عدوة فاس الأندلس.

ح. اليوسي، فهرس، مخطوط : المحاضرات، ط. 2، تج. م. حجي وأ. الشرفاوي إقبال، بيروت، 1982، الجزآن معاً : م. الإفرائي، صفوة، ط. حجر فاس. د. ت : نزهة الهادي، ط. حجر فاس. د. ت : م. الصغير الفاسي، المنح البادية، مخطوط : م. القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 4 : م. الفاسي، المورد الهني، مخطوط : م. المحيي، خلاصة الأثر، مصر، 1284، ج. 4 : م. الحضيكي، طبقات، رسالة جامعية مرقونة بكلية الآداب الرباط : أ. الزياتي، الروضة السليمانية، مخطوط : م. الكتاني، سلوة، ط. حجرية فاس، 1300 : أ. النيمشي، تاريخ الشعر والشعراء بفاس، فاس، 1924 : إ. الإدريسي، معجم المطبوعات المغربية، سلا، 1988 : سركيس، معجم المطبوعات، مصر، 1928، ج. 2 : خ. الدين الزركلي، الأعلام، ط. 4، بيروت، 1979، ج. 7 : كحالة، معجم المؤلفين، دمشق، 1957، ج. 11 : م. حجي، الزاوية الدلائية، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

الدلائي، محمد المسناوي بن أحمد بن محمد المسناوي بن محمد بن أبي بكر. ولد في الدلاء عام

1072 / 61 - 1662، وخرج به والده إلى فاس وهو ابن سبع سنين، فدرس بها على علماء قومه المُفَرِّين وغيرهم من القادرين والفاسيين، كما أخذ عن الإمامين الحسن اليوسي وعبد الملك التجموعتي إلى أن تخرج عالماً مشاركاً بارعاً "وقد أعطي ملكة التدريس والفتيا، وسلم له أعيان عصره مرتبتهما العليا، ولم يزل منذ بلغ ذلك مقصوداً للمشكلات، ومعتمداً في النوازل والمعضلات. تتلمذ له جميع أهل عصره، وانفرد برأسة العلم في وقته ومصره" (موسوعة، 5: 1980).

أخذ محمد السنائي عن نحو عشرين من كبار علماء فاس، وأجازه منهم إجازة عامة الشيخ عبد القادر الفاسي، وعبد الملك التجموعتي. واشتغل بالتدريس في القرويين وغيره من مساجد المدينة. ولما تم بناء مسجد المولى إدرس أمر السلطان أن تعاد إليه صلاة الجمعة، وولى محمد السنائي الإمامة والخطابة والتدريس فيه. ولم يكده يوجد في عصره عالم كبير إلا أخذ عن السنائي وعدّ من تلاميذه.

كان "تظيف الثياب، جميل المعاشرة، حسن الأخلاق، عالي الهمة، لا يستطيع الكلام في مجلسه الأكاير لهيبته وعظيم سمته. يحب آل البيت ويعظمهم ويبحث في أنسابهم أصولها وفروعها. وكان في تدريسه إذا أخذ في تقرير مسألة ياتي على وجوه احتمالاتها... مع اختصار في العبارة، وسرعة في بيان الإشارة، يفهمه الحاضر والبادي ومن هو مغبون، وجميع من بالمغرب من اللسون" (موسوعة، 5: 1986) ولعل الجملة الأخيرة تعني أنه كان يشرح أحياناً للأمازيغيين بلسانهم.

كاد الإمام السنائي يتعرض لمحنة شديدة على يد السلطان إسماعيل لولا تدخل بعض رجال الدولة لصالحه. إذ كان محمد العالم ابن إسماعيل الذي ثار على أبيه في سوس من أخص تلاميذ السنائي، فأوغر خصومه قلب السلطان عليه، واتهموه بالتواطؤ معه. وكان بما اطلع عليه السلطان قطعة شعرية للسنائي كان بعث بها لمحمد العالم ينهاه عن الخروج، منها :

قالبد ليس يلوح ساطع نوره \* والشمس ظاهرة السنافي الخال  
ألف السنائي عدداً من الكتب في غاية التحقيق  
والتدقيق منها :

- صرف الهمة إلى تحقيق معنى الذمة، استعرض فيه تعاريف الفقهاء المالكية للذمة وناقشها، ثم بين شروط الذمة والفرق بينها وبين أهلية المعاملة والتصرف قبل أن يحلل عناصر السؤال المرفوع إليه في الموضوع.

- القول الكاشف عن أحكام الاستنابة في الوظائف، بين فيه ما تصح فيه النيابة وما لا تصح، والفرق بين النيابة والاستنابة والوكالة، وخصص المبحث الثاني للمقصود بالذات من حكم الاستنابة في الوظائف التي عليها مرتب معلوم، وختم بمقارنة كلام فقهاء المذاهب الأخرى غير

المالكية في موضوع الاستنابة.

- كتاب نصره القبض والرد على من أنكر مشروعيته في صلاتي النفل والقرض، خالف فيه مذهب مالك وانتقده دون أن يراعي أن جميع أهل فاس بل المغرب كله مالكيون يسدلون.

- جهد المقل القاصر في نصره الشيخ عبد القادر، بين فيه مكانة الشيخ عبد القادر الجليلي وأنه كان من المجتهدين.

- رسالة في كتب الحديث التي تجوز الرواية منها والتي لا تجوز.

- نوازل فقهية جمعها بعض تلاميذه في مجلد كبير، طبعت على الحجر بفاس وظلت مرجعاً أساسياً لرجال القضاء والفتيا إلى الوقت الحاضر.

- نتيجة التحقيق في بعض أهل الشرف الوثيق، طبع بتونس ثم بفاس.

- ديوان شعر في المديح النبوي والإشادة بآل البيت.

- المقامة الفكرية في محاسن الزاوية البكرية (الدلالية).

- مناقب الشيخ عبد الله الحياض دفين زرهون.

- التعريف بالأشرف الأدارسة الجوهريين.

- التعريف بالشيخ أبي العباس اليمني.

- تعليق على القاموس المحيط، استفاد منه الشيخ مرتضى الزبيدي في شرحه الكبير.

- تقييد في الأشرف الذين لهم شهرة بفاس.

- تقييد مشتمل على فروع بني عمران الأدارسة.

- وله رسائل أخرى عديدة في مواضيع متنوعة.

توفي بفاس يوم السبت سادس عشر شوال عام 1136 / 8 يوليوز 1724، فكان موته مأتماً للمدينة كلها، وشيعه جميع السكان إلى مدفنه في قبة سيدي العايدي خارج باب الفتوح، ألقت عدة كتب في ترجمته ومناقبه ورثاه تلميذه وابن عمه محمد البكري بقصيدة مطلعها :

أبي القلب أن يسلو ودمني محمدرا \* فكنتكته أبني بذاك تسترا  
م. حمزة العياشي، تأليف في ترجمة محمد السنائي الدلالي، مخطوط : مؤلف مجهول، بغية الراوي في مناقب السنائي، مخطوط : الحسن بن رحال المعدني، تأليف ثالث في ترجمة السنائي، مخطوط : أ. ابن عبد الوهاب الوزير الغساني، رسالة في التعريف بالشيخ محمد السنائي، مخطوط : م. بن الطيب العلمي، الأنيس المطرب، ط. حجر فاس، 1315 : م. الإفراني، صفوة، ط. حجر فاس، د. ت. نزهة، ط. حجر فاس، د. ت. م. القادري، نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 5 : س. الحوات، البذور الضاوية، مخطوط : م. البازغي، حدائق الأزهار الندية، مخطوط : م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 1300، ج. 3 : أ. الفضلي، الدرر البهية، ط. حجر فاس، ج. 2 : ل. بروفسال، مؤرخو الشرق، تر. ع. القادر الجلادي : م. حسي، الزاوية الدلالية، ط. 2، السدار البيضاء، 1988.

**الدلائي، محمد بن محمد المكي** من الدلائيين الذين ولدوا ونشأوا في فاس. درس أكثر ما درس على والده الفقيه الأديب الصوفي محمد المكي وسار على نهجه في كفاف العيش عن طريق الاشتغال بالعدالة والإمامة والتدريس. ولا يعرف من إنتاجه الفكري سوى كتاب *بغية الرائي في التعريف بالشيخ أبي عبد الله محمد المكي الدلائي*، أسلوبه فيه سليم شيق غير مثقل بالمحسنات البديعية اللفظية.

توفي بفاس عام 1264 / 1848.

م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 1300، ج. 3 : ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 7 : م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

**الدلائي، محمد المكي بن محمد** (مرتين) بن أحمد ابن الشاذلي. ولد في فاس أوائل ربيع الثاني عام 1200 / أوائل فبراير 1788. ودرس على أبنائه عمه وهم يومئذ كثيرون بفاس، كما درس على غيرهم من أعلام المدينة أمثال الطيب ابن كيران وسليمان الحوات. قال عنه ولده وتلميذ محمد : "كان إماماً في المعقول والمنقول، محصلاً من العلوم ما تقصر عنه المدارك والمعقول... ذا قدم راسخ في الإنشاء نظماً ونثراً".

كان منتصباً لتلقي الشهادات في سماط العدول بفاس، ينوب عن قضاتها في الأحكام، ويقول إلى جانب ذلك بالإمام والتدريس في جامع زقاق الرواح، وكان مسنداً إليه بظهير سليمان مؤرخ في ثالث صفر عام 1221 / 22 أبريل 1806 وفيه إشارة إلى ظواهر سابقة بيد المترجم للتوقيع والاحترام.

أخذ محمد المكي الدلائي الطريقة الشاذلية عن الشيخ الشهير أحمد بن سالم التجاني، ولازمه طوال حياته. وفي اتصال محمد المكي الدلائي بالشيخ أحمد التجاني جانب لم تشر إليه كتب التراجم والتصوف، وهو جانب التأثير والتأثير، فالورد التجاني هو نفس الورد الذي كان يلقيه الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي إلى المريدين في الزاوية الدلائية. مع العلم أن "صلاة الفاتح لما أغلق" أخذها الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي عن الشيخ محمد البكري الصديقي في مصر. ويُذكر أن الشيخ أحمد التجاني أخذها أيضاً عن حفيد الشيخ البكري. ومع هذا يبقى السؤال مطروحا : هل أخذ الشيخ التجاني عن تلميذه الدلائي بقية عناصر الورد : مائة من الاستغفار، ومائة من الهيلة ؟

وبعد وفاة الشيخ التجاني أصبح محمد المكي على صلة وثيقة بعلماء زاوية بوجد، وبخاصة الشيخ محمد المعطي بن الصالح الشرقي مؤلف الذخيرة، وله معهم مراسلات عديدة أثبتتها ولده في *بغية الرائي*، كما أورد له أشعاراً في موضوعات شتى.

توفي محمد المكي الدلائي بفاس عشية يوم الخميس سابع صفر 1247 / 14 يوليوز 1831 ودفن بروضة الشيخ العايدي.

م. بن محمد المكي، *بغية الرائي في التعريف بالشيخ أبي عبد الله محمد المكي الدلائي*، مخطوط : أ. العياشي، كشف الحجاب، ط. حجر فاس، 1325 : ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 7 : م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 1300، ج. 3 : م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، الدار البيضاء، 1988.

محمد حجي

**الدلاح أو الدليغ أو الكروار** بالمغرب العربي، أو البطيخ بالشرق العربي، أسماء لنبات يسمى علمياً *Citrullus vulgaris* وهو ينتمي إلى فصيلة القرعيات Cucurbitaceae التي تشمل الخسبار والقرعة وما يسمى بالبطيخ في المغرب أو الشام بالشرق العربي.

إنه نبات حولي عشبي زاحف، يمكنه أن يمتد امتداداً كبيراً، وقد يغطي مساحات كبيرة من الحقل. أوراقه كبيرة مفصصة أو مقسمة. ثماره كبيرة قد يبلغ أو يتجاوز وزنها 20 كلغ للواحدة. تختلف أشكالها وألوانها حسب الأصناف. فهي إما كروية وإما مستطيلة، خضراء داكنة أو خضراء مزركشة بالأبيض أو ذات لون أخضر فاتح يميل إلى البياض. لحمها أحمر أو قرمزي حلو جداً وعصيري، ويذورها سوداء.

يقال إن الموطن الأصلي للدلاح هو المناطق الحارة من إفريقيا ربما في جنوبها وشرقها. لكن زراعته عرفت منذ أمد طويلة حيث وصلت إلى مصر والهند قديماً جداً في فجر التاريخ. ويدل على ذلك التصويرات والنقوش الحجرية لقدماء المصريين.

ولا يزال الدلاح حتى اليوم ذا أهمية كبيرة في هذه الدول ودول جنوب وشمالي إفريقيا وجنوب أوربا وأمريكا الحارة والمعتدلة، وآسيا. أما في المغرب فتخصص لزراعته مساحات شاسعة في جميع السهول المنخفضة كتريفة. وسائس والغرب والشاوية ودكالة وتادلة وعبدة والشياظمة وسوس، حيث يحتاج النبات إلى تربة ذات قوام رملي أو طيني أو قليل الطين، وشمس وفيرة. يزرع الدلاح في أواسط فصل الربيع مسقياً أو بورساً، وتنضج ثماره في الصيف. ففي هذا الفصل يكثر إنتاج الدلاح ليسود الأسواق وجوانب الطرق التي تشق السهول التي يزرع بها. تستعمل ثمار الدلاح للاستهلاك الآدمي كفاكهة مائدة جد محببة عند المغاربة وذلك بعد تناول الطعام أو في أي وقت من النهار.

أبحاث شخصية : أثيرت هيل، *النبات الاقتصادي*، 1962، ترجمة د. ع. زاهر وآخرين، المكتبة الأنجلو مصرية - القاهرة.

عبد المالك بنعبيد

**الدلييرو**، أسرة أندلسية استوطنت تطوان قديماً وما زالت واقرة العدد، وربما قيل لهم : أولاد الموسوس الذين كانوا بقبيلة بني سعيد القريبة من تطوان. نبغ منهم أفراد منهم أطباء وأدباء وأساتذة وأمناء وغيرهم :

اشتهر منهم الحاج عبد الله الدلييرو الذي استخدمه السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام أمينا على صائره مدة ثم أمينا وعملاً بشعر الصويرة سنة 1256/1840. وعاد إلى تطوان وبها توفي بعد عام 1300/82 - 1883 وأبوه الحاج محمد كان يتاجر إلى الشام. ومنهم السيد العربي الذي ناب عن عامل تطوان مدة وغيرهم.

أ. الزهوني، عمدة الراوين، ج. 3، حرف د، مخطوط : م. داود، عائلات تطوان، نسخة المؤلف بخطه في خزائنه : حواشي الأمير شكيب أرسلان على حاضر العالم الإسلامي، 2 : 47 ط. لمصر.

محمد الأمين بوخيصة

**الدليل** في الأسفار، مهنة أساسية في ميدان المواصلات منذ التاريخ القديم يحترفها الأشخاص المؤهلون من ذوي الخبرات المتعددة للقيام بهذا الدور ؛ وهذه المهنة التي كان يتوقف عليها سفر الأفراد والجماعات، وتتأهلهم عبر المسالك والطرق سواء في المسافات البعيدة أو المتوسطة، وكانت توكل إلى أشخاص وعائلات مشهورة وموثوق بها، وتصبح مهمة الدليل مصيرية خاصة في المسالك العابرة للقارات والطرق المخترقة للجبال الوعرة، فوجود الدليل في المحطات الكبرى وصحبة المحلات والركبان وفي المنازل والمدن ضروري ؛ ويمكن اعتباره أهم تجهيز كان يجب أن تتوفر عليه الطرق في العصور الوسطى وما بعدها.

عمل المخزن الموحد على ضبط هذه الحرفة وتنظيمها وجعل المتعاطين لها رهن إشارة المسافرين، فالدليل يستأجر عادة من المدن الكبرى مثل فاس ومراكش وغيرها وأيضاً في المدن المتاخمة للصحراء مثل سجلماسة وتامدولت ونول ؛ وحتى من بعض القرى ؛ وفي الطرق والمسالك القليلة النشاط والحركة يصبح الدليل المحلي ضرورياً لاجتيازها (المغرب، 48)، فالمسافر العادي وكذا الأسفار الجماعية لا يمكنها أن تتم إلا بالاعتماد على الدليل والتكشيف ولذلك كانت القوافل العابرة للصحراء الكبرى تستأجر الدليل من المدن المتاخمة للصحراء.

كانت حرفة الدليل في العصر الوسيط شبه متوارثة في عائلات شهيرة وتختص بها قبائل معينة تكونت لديها خبرة بالمجال ومتطلباته ؛ وغالباً ما كانت الأسفار البعيدة تحتاج إلى أكثر من دليل بسبب تعدد المجالات وتنوعها ؛ وأهم مركز لوجود الأدلاء بالنسبة للمتجهين إلى السودان في ذلك العهد هو مدينة سجلماسة (رحلة ابن بطوطة، 661).

وفي غير هذا المحور يتم استئجار أدلاء لمسافة معينة

يتم استبدالهم بعدها، أو كلما دعت الضرورة إلى ذلك ؛ ولا يعود اختيار الدليل إلى المسافر بل يعود إلى الأعراف المنظمة للمهنة، فقبيلة مسوفة المستوطنة بوسط الصحراء الكبرى كان لها احتكار هذه المهنة في المحاور العابرة لأراضيها، وفي المسالك والسبل العابرة لمجالات قبائل أخرى تشترط بعضها أن يكون الدليل منها خاصة عندما لا تكون هذه القبائل في توافق مع جيرانها أولاً تربطها بها اتفاقيات أو تحالفات وأعراف، ويجد هذا الموقف مبرره في كون القبيلة تريد الاستفادة من المسالك المارة بها ؛ ولتتعريف على حركة السير والبضائع وتلتقط بواسطة الدليل المعلومات والأخبار التي تستثمرها عند الحاجة من جهة، ومن جهة ثانية فالدليل المحلي أكثر دراية بالمنطقة من غيره.

الدليل شخصية معروفة تحظى بثقة المخزن أو القبيلة، وبثقة المسافرين ويستعين في عمله بمجموعة من الأعوان والخدم والعبيد وأهم أعوانه في المسالك العابرة للصحراء باتجاه السودان التكشيف، ولهل النظام الكشفي الذي ابتدعه الإنجليزي بادن باول والذي من أعلى رتبته : *Les éclaireurs et les guides* راجع إلى تقليد العرب والبربر في هذا الميدان (46 Route nouvelle)، ومهنة التكشيف ودوره أساسي فهو يسبق الركب أو القافلة أو المسافر بصفة عامة يتحرى الطريق ويتفقد أماكن المياه والمراعي والحطب والأماكن الملائمة للنزول والاستراحة أو للمبيت ؛ ويهتم كذلك بسلامة الطريق والسير عليها إلى غير ذلك من المهام التي تدخل في التعاقب وضمنان السفر وتأمين المسافر وطمأنته (رحلة ابن بطوطة، 661 : المغرب، 48 R. Mauny, Tableau).

يعتبر الدليل - بعد عملية التكشيف - صاحب القرار في اختيار الطريق وتغيير الاتجاه أو التوقف عن السير، ويقدم رأيه ونصحه للمسافر أو لقائد القافلة أو أمير الركب فالتكشيف - كما ذكرت - مهمة بسيطة، تقنية يقوم بها أشخاص عاديون مديرون ؛ أما الدليل فليس شخصاً عادياً، بل له تكوين علمي ومعرفي عام إضافة إلى الحنكة والتجربة، فله إلمام بوسائل الاهتداء بالليل والنهار، وله دراية باقتفاء الأثر وتمييزه ومعرفة بالمناخ وأحوال الطقس وتقلباته والتنبيه به ومعرفة بالنجوم، إضافة إلى اطلاعه على أحوال القبائل وأخبارها وتحركاتها إلى غير ذلك من المعارف التي يحتاجها في مهنته، وهي متشعبة ومعقدة وذات مسؤولية، وهذا ما يفسر غلاء أجر الدليل من سجلماسة إلى السودان مثلاً، ويفسر كذلك إعجاب ابن بطوطة بأحد أدلائه الذي كان أعور (الرحلة 659-660 666، صورة الأرض، 98، 99).

يطلب الدليل في الغالب أجره مرتفعة مقابل خدماته لكن الثمن خاضع لتقلبات الظروف وفي العادة تختلف أجرته باختلاف الطرق واختلاف حجم القوافل أو الركب،

الظروف. وكان ذلك سبباً في استفحال أمره واتساع نفوذه، وتحصلت لديه عدة أملاك، كما تمكن من مراكمة ثروات مهمة. ويبدو أن هذا التصرف كان حافزاً لبعض وحدات قبيلته (أيت بلقاع، أيت بوالطيب) لتهديم داره مما جعلها مثار انتقام الجيش المخزني.

توفي القائد إبراهيم سنة 1307 / 1889 عن سن تناهز أكثر من 70 سنة.

**الدليمي، أحمد** مقاوم ولد سنة 1930 بوادي الذهب. انضم إلى فرقة جيش التحرير سنة 1951 تحت قيادة الخطاط محمد فاضل بالمقاطعة التاسعة مركز تافودارت. وشارك في عدة هجومات ضد الاستعمار الإسباني نذكر منها معركة : المسيد ومعركة الشاطئ بالعيون إلى أن استشهد في معركة الدشيرة بتاريخ 3 نوفمبر 1957.

المنوية السامية لقدامى المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال.

**الدليمي، الحسين** بن إبراهيم القائد سابق الترجمة، ورث عن والده شؤون قبيلة اشتوكن في ظروف تميز بالتعقيد، وحدثت متغيرات جديدة، فكان عليه أن يشارك في البعض منها. فعلى سبيل المثال : لما ثارت القبائل على قوادها عقب وفاة السلطان الحسن الأول 1894، اضطر إلى الجلاء عن قبيلته بعد تهديم داره، واستقر به المقام بقرية أيت أومريط بأرض قبيلة المعدر المجاورة إلا أن جلاءه لم يدم طويلاً، بحيث تمكن من العودة إلى قيادة القبيلة بعد تدخل أعيان لف تاگوزولت. وفي سنة 1896، عندما تحرك القائد المخزني سعيد الكيلولي نحو منطقة سوس بإيعاز من الوزير أحمد بن موسى، تم القبض على القائد الحسين وأرسل إلى الكدير. فمما لا شك فيه أن ما أوجب عزله هي علاقته المتميزة مع إيلغ. وكذا قاطله في القدوم على محلة الكيلولي بقرية تيرحنايكت. مهما يكن من أمر، بادر الهشتوكيون إلى الهجوم على محلة الكيلولي للمطالبة بعودة قائدهم، مما يؤكد عزمهم على استرجاع مجد الأسرة.

انحاز القائد الحسين إلى حيدة بن ميس في حربه ضد أحمد الهيبة بعد نكسة سيدي بوعثمان، وكانت نهاية حياته ثمناً لهذا الموقف، حيث قُتل في معركة ويجان ضد البعقلين 1332 / 1913.

**الدليمي، محمد** بن أحمد أول زعيم لأسرة الدليمي تذكره المصادر، كان مضرب الأمثال في الشجاعة. ويبدو أن شهرته ونفوذه داخل القبيلة، جعلته يحظى بثقة السلطان سيدي محمد بن عبد الله. ويظهر أن قيادته كانت ممتدة من كسيمة إلى جنوب وادي الفاس، وذلك رغبة من المخزن

وأيضاً باختلاف أوقات السفر وفصولها وظروفها، وحتى حسب البضائع والسلع المحمولة، فالمسافر المستعجل مثلاً قد يضطر لتأجير دليل خاص، وهذا ما وقع للرحالة ابن بطوطة عند توجهه للسودان، ومن جهة ثانية فالاتفاق مع الدليل يكون موضوع عقد مكتوب أو شفوي عرفي.

في المحلات الرسمية والمواكب السلطانية والتحركات المخزنية بصفة عامة يكون للخليفة أو السلطان أو الأمير موظفون يثق فيهم مكلفون بمهمة الدليل والتكشيف ؛ وتندرج هذه الوظيفة تحت خطة الراية أو العلم في بعض الدول ( البيان، 158، إفريقيا، 171)، وقد يلجأ المخزن في بعض أسفاره وتحركاته إلى الاستعانة بالادلاء المحليين عند اجتياز مناطق وعرة.

البكري، المغرب، الجزائر، 1911، م. ابن بطوطة، تحفة النظار، بيروت، د. ت. ابن حوقل، صورة الأرض، لندن، 1938 : ابن عذاري، البيان المغرب القسم المحقق : مارمول، إفريقيا، الرباط، 1984 : ح. السوزان، وصف إفريقيا، الرباط 1980 : م. حجاج الطويل، النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط (أطروحة) مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1998.

R. Mauny, Tableau géographique, Dakar, 1966 ; J. Meunier, Le Maroc Saharien, Paris, 1982.

محمد حجاج الطويل

**الدليمي، أسرة** هشتوكية أصلها من قبيلة أولاد الدليم (الديلم) الصحراوية. لا نعرف وقت استقرار الأسرة بتراب اشتوكن، كما نجهد كيف انتقلت إليها زعامة القبيلة. اشتهر آل الدليمي بالرياسة، وكان لهم نفوذ كبير داخل قبيلتهم، وتوالى أفرادها على تسيير الأمور التنظيمية للقبيلة بإيعاز من المخزن.

**الدليمي، إبراهيم** تولى قيادة بعض وحدات قبيلة اشتوكن (هشتوكية) بظهير حسني 1299 / 1882. لم يكن نفوذه يقتصر على المجالات التي عين عليها سابقاً فحسب وإنما يمتد حتى حدود أيت بوالطيب وأيت بلقاع وأيت أوكران، مما يؤدي إلى تجدد الصراع والخلاف. فباستثناء علاقته السيئة مع تاسيلا ضمن قبيلة ماسة، فإنه كان على صلة حسنة مع أعيان القبائل المجاورة (تامجلوجت، ماسة، أيت جرار، كسيمة) ونهج تجاههم سياسة المصاهرة، مما سهل له الاستمرار في مهمته، وكانت حجاباً لإيالاته، وجعلته يحافظ على مركزه بين هؤلاء.

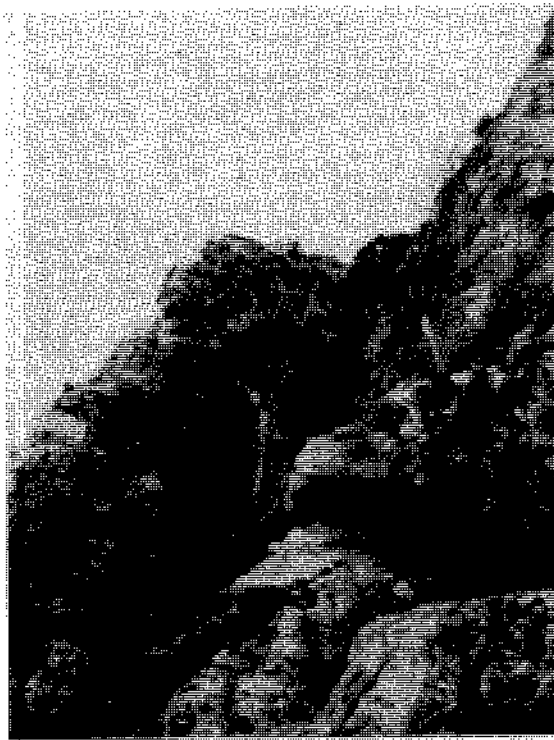
اكتسب القائد إبراهيم حسن الاطلاع بشؤون قبيلته، وكان يتمتع بخصال حربية وقدرة خارقة في التأثير على الجماعة. مما مكّنه من جمع شمل قبيلة اشتوكن من أجل الحد من الانقسامات التي تنخر جسم وحدتها، وسبيله في ذلك استعماله سياسة الليونة تارة والعنف تارة أخرى حسب

وهكذا يتم التفرع تدريجياً مع التقدم في العمر. تاجها الخضري مظلي الشكل. تنمو الأوراق متراخمة على أطراف الغصون. الأوراق سيفية الشكل، طولها يبلغ حوالي 60 سم، وعرضها 3 سم. أزهارها صغيرة الحجم بيضاء مصفرة، توجد في نورات طرفية وكثيرة التفرع وطويلة إذ يبلغ طولها 50 سم أو يتعداها. ثمارها طرية مستديرة الشكل، قطرها حوالي 8 أو 10 مم.

ينحصر وجود تشكيلات أجكال في الجهة الغربية للأطلس الصغير شرق مدينة تيزنيت، وبالضبط في منطقة يقطعها أسيف أو مغوز الذي هو في الواقع وادي ماسة عند خروجه من المضائق الجبلية وخاصة تلك التي يشرف عليها جبال إيمزي وأضاض مدني اللذان بأوسان على أجزافهما العالية النظام البيئي المشكل من طرف أجكال، هذا الصنف الشجري الفريد الذي مازال مثلاً ببضعة آلاف من الأفراد. وتتميز هذه الأجزاء العالية بمناظرها الخلابة وبوعورتها إذ لا يمكن للإنسان أن يتسلقها. الشيء الذي حال دون تدهور هذه التشكيلات الثمينة، التي تضم عدة أنواع نباتية أخرى جد نادرة قيسية أو غير قيسية.

تصادف تشكيلات أجكال في البيومناخين شبه الجاف وشبه الرطب الدافئين، ما بين 250 و1500م فوق سطح البحر أي في الطابقين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ. وهي تغطي مساحة أفقية تقدر بـ 500 هكتار.

دم الأخوين مادة رانتجية حمراء اللون يفرزها جدد الشجرة عند جرحه. تستخدم المادة على نطاق واسع في العالم كصبغة حمراء في تلوين الورنشات وفي صناعة



شجيرة الصبغة الحمراء في الأجزاء العالية من الجهة الغربية للأطلس الصغير شرق مدينة تيزنيت

في تدعيم وجوده بالبسيط ومراقبة الممرات الجبلية وخاصة الطريق التجارية المارة بأرض إشتوكن نحو الصويرة. وفي هذا الإطار تسجل الوثائق المحلية هيمنة القائد محمد بن أحمد الدليمي على أزغار تيزنيت، بإيعاز من خليفة السلطان عبد السلام بتارودانت. وقد استعمل بلدة تيزنيت كقاعدة لتوجيه واستقبال الحملات التي كان يبعث بها "القبائل جزولة من هلتينة وأيت باعمران ومجاطة وأولاد جرار وأيت برايم" والمعروف عن القائد أنه كثيراً ما "يكلف القبائل بكثرة المطالب المخزنية في لوطا والجبال حتى ترك الناس مهموسين" لذا أبدت القبائل معارضتها وامتناعها من "امتثال أمره حتى لا يعطوه شيئاً من مؤونة جيشه فضلاً عن ضيافتهم ولو ليلة واحدة" (وثيقة خاصة).

ولما ظهرت حركة بوحلايس انحاز إلي الفقيه محمد بن أحمد التاسكاتي، ولعب دوراً كبيراً في عملية احتواء الحركة. ويبدو أن قساوته وتعسفه تجاه القبائل حدت بالسلطان سليمان إلى إعفائه من مهامه، وبالتالي سجنه بالصويرة.

م. الأغراري، روضة الأنتان، تج. ح. أنوش، بحث ليل د. د. ع. الرياض. 1989، ص. 62-63. م. المختار السوسي، العسول، ج 14 : 108؛ وثيقة خاصة عن حركة القائد محمد بن أحمد. أحمد بومزكو

## دم الأخوين، (نبات) أو دم التسنينية أو التينيسية أو

Dragonnier بالفرنسية أو Dragon blood tree بالإنجليزية أنواع شجرية تسمى علمياً "دراسينا" Dracaena، وتنتمي إلى الفصيلة المحدثة مؤخرًا التينينيات Dracaenaceae، وهي من فرع وحيدة الفلقة.

تصادف هذه الأنواع على العموم في مناطق مدارية أو شبه مدارية خاصة مثل المنطقة الماكرونيزية (جنوب غرب المغرب والجزر الخالدات وجزيرة ماديرا وجزر الرأس الأخضر) ومنطقة القرن الإفريقي وجنوب شبه الجزيرة العربية، وجزيرة سومطرة، وجنوب إفريقيا وجنوب شرق آسيا.

عرف وجود نوع دراسينا دراكو Dracaena draco بالجزر الخالدات منذ أقدم العصور نظراً لكونه كان يستعمل لعدة أغراض منها مادة دم الأخوين المعروفة عالمياً. أدخل هذا الصنف الكاناري إلى عدة بلدان دافئة كشجرة زينة، ومنها المغرب حيث زينت به حدائق المدن الساحلية. ولم يكن معروفاً وجوده الطبيعي بالمغرب حتى اكتشافه بالأطلس الصغير سنة 1996، فصنفته تحت نوع قبسي جديد سميناه علمياً باسمه المحلي الأمازيغي "أجكال" دراسينا دراكو تحت نوع أجكال Dracaena draco ssp ajgal.

أجكال شجرة معمرة يتراوح علوها ما بين 5 و15م. لها جذع واحد مستقيم. وضخم، يتفرع من الأعلى إلى ثلاثة أفرع أو أكثر. وكل فرع يتفرع إلى فرعين أو ثلاثة أفرع.

الأصباغ والألوان المستعملة في الرسوم وزخرفة المصنوعات الفخارية وواجهات المنازل، كما هو الشأن في اليمن. كما تستعمل كمادة قابضة لإيقاف نزيف المجرع.



أما الاستعمالات المحلية لأجگال في المغرب فهي تنحصر في استخدام سيقان الشجرة بعد قطعها وتجفيفها كأجباح لتربية النحل. كما تستعمل المادة الراتنجية والثمار في التطبيب التقليدي. وكانت المادة قد استخدمت في ما قبل التاريخ من طرف سكان المنطقة الموجودين بها - آنذاك - لإنتاج بعض الرسومات الصباغية للأنواع الحيوانية. وما زالت هذه الرسوم بارزة بوضوح للزائر على صخور الأجراف الملساء.

A. Benabid et F. Cozin, *Population de dragonniers (Dracaena draco ssp ajgal, Benabid et Cozin) au Maroc. valeurs taxinomique, biogéographique et phytosociologique, C.R. Académie des Sciences de Paris, Sciences de la vie, 1997.*

عبد الملك بنعيد

**دمنات**، نطقها بتسكين الدال والميم والناء. مدينة تاريخية عند قدم الأطلس الكبير الأوسط على بعد 120 كلم، شرقي مدينة مراكش، على ارتفاع 960 كلم، وسط بساتين أكثر مغروساتها الزيتون. يفهم موقعها ويُدرك دورها التاريخي من وجودها وسط كتلة قبلية كبيرة كانت تحمل اسما جامعا هو هسكورة، وفروعها القريبة من دمنات اليوم، قبيلة إبنولتان التي توجد في وسطها دمنات، وقبيلة فطواكة وقبيلة عجدامة على يسارها، وكلاهما مذكورتان

عند ابن خلدون مثل هسكورة، ثم قبيلة إمفران في السفح الآخر الذي يطل إلى جهات وادي درعة والصحراء. أما شمالي دمنات، فالسهل قد استوطنته قبائل عربية ابتداء من القرن السابع (13 م). تقع في الخريطة اللغوية بين مجال تاشلحيت غربا ومجال تامزيغت شرقا.

فدمنات بين السهل والجبل وبين العرب والبربر وعلى طريق تاريخية تعبر ممرات جبلية إلى ما وراء الأطلس أشهرها ممر فدعات الواقع شرق ممر تلوات، وممر فدعات كان تبادل تجارة الصحراء مع الداخل لا سيما إذا كان الممر الآخر مأمونا أو كان عليه مراقبون مستبدون أو مغالون أو كانت القبائل المجاورة له ناثرة على المخزن (الدولة).

يذكر أهل دمنات أن مدينتهم تأسست قبل تأسيس مراكش بأربعمائة سنة. ولا يخلو من فائدة ربط هذه الذاكرة بأمرين: أولهما تسمية فرقة من أهم الفرقتين المكونتين للمدينة وهم أيت يحيى الذين يرتبطون في الرواية الشفوية بيحيى بن إدريس صاحب تادلا، والأمر الثاني هو تسمية الفرقة المجاورة لدمنات: تاودنوست، وهي فرقة لعلها من اللاجئين الأندلسيين في فتنة ريبض قرطبة. ويذكر البكري ريبضيين آخرين في جهات بزو وغيرها. وأيت يحيى وأيت تاودنوست هما المتفاسمتان لمياه الري للساقية المشتقة من وادي أمهاصر، فهما عتيقتان.

ورد أول ذكر في الكتب لدمنات عند البيذق، مؤرخ الموحدين، وهو يتحدث عن تعقب عبد المومن لتاشفين بن علي. ولم تذكر بعد ذلك إلا في كتب مناقب صلحاء العصر المريني التي كتبت حول أبي محمد صالح أو أبي يعزى، وكان لهما أتباع حول دمنات، كسيدي واغريان أو سيدي أبي يخلف. ولكن دمنات تنطبق على ما يبدو على حصن هسكورة المذكور تكراراً في صراع تني واقاريض الهسكرة مع بني هلال أو تحالفهم معهم في بعض الأحيان. يرتبط الموقع الذي أشرنا إليه بالنسبة لدمنات بالتجارة مع كتل قبلية مهمة متكاملة الإنتاج، وقيام صناعات ولا سيما صناعة الجلود، ووجود طائفة يهودية نشيطة في التجارة والصناعة، وعطامع المخزن في استعمال دمنات كمركز لحكم القبائل المجاورة، وكمكان لجباية ما يجب على المعاملات التجارية في عين المكان. لهذه الاعتبارات وفي سياق الأحداث المرتبطة بها قامت بالمدينة سوق وبنيت قسبة مخزنية قديمة يظهر من خندق مليء بالماء يحميها أنها من فكرة أندلسية قديمة، والأندلسيون بها مذكورون كما أشرنا. وقد نزل بها الحسن الوزان عند غرناطي مثل حرقته الخفارة لأهل التجارة والأموال والأعيان. وفي هذا السياق أيضاً هاجمتها القبائل وخربتها غير مرة واضطرت إلى إعادة عمارتها.

ذكر الوزان أن تعدادساكن دمنات ألفان من الكوانين وهي بالحساب ما بين ستة آلاف وعشرة آلاف شخص. وذكر أنها عامرة بالصناع والتجار من المسلمين واليهود. وأن

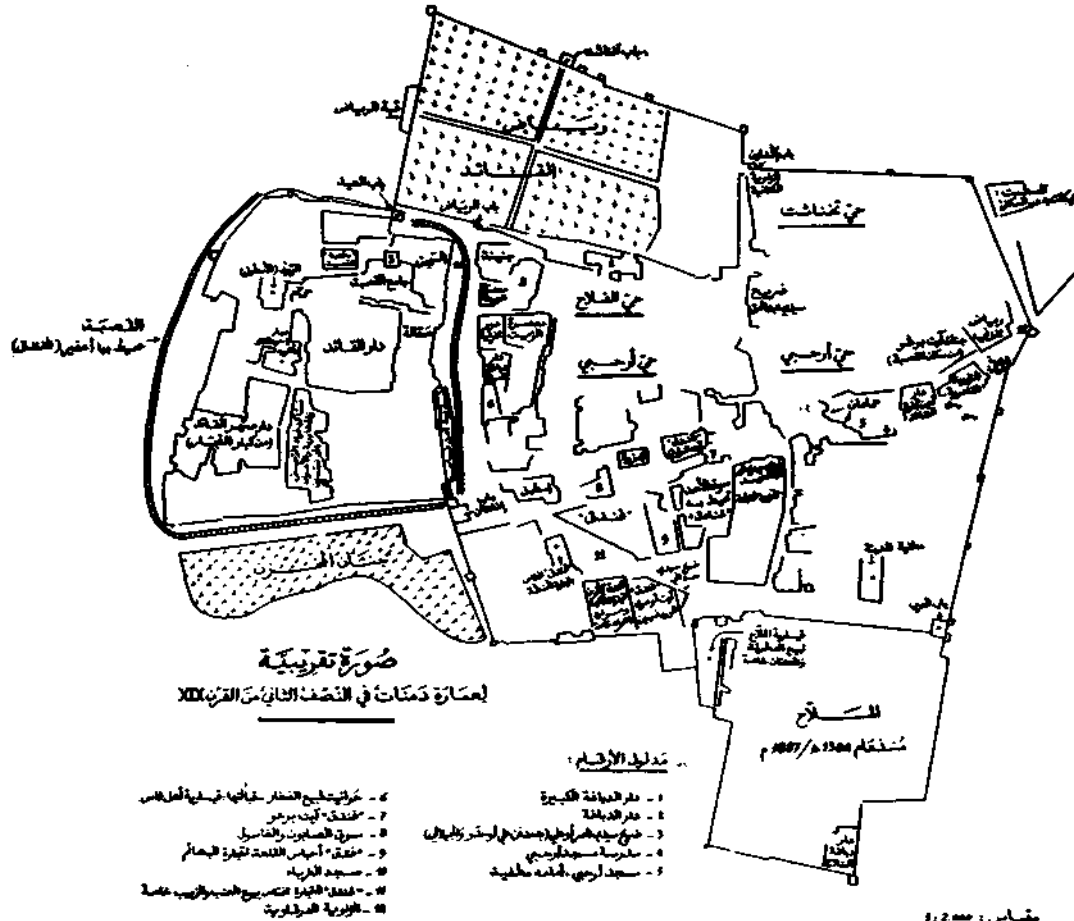
(18 م) بنفس الملامح : مركز متمولين مضارين مرابين جياة يثيرون حفيظة الجليليين فيشورون من فترة إلى فترة، وكان أهل دمنات قد بايعوا المولى عبد الله ثم ولده سيدي محمد الذي عيّن عليهم قائده سعيد بن العياشي ثم محمد بن أحمد الدكالي البوزراري ثم محمد الصغير السرعيني من أولاد مبارك. وقد نقل هذا السلطان العبيد الذين كانوا بدمنات إلى تيط نظطر. ويعد محمد الصغير حكم دمنات ابنه الجيلالي ثم ولده محمد بن الجيلالي في عهد المولى سليمان. وكان لمحمد بن الجيلالي خليفة بدمنات يسمى عبد الخالق بنهزيط ثم محمد بن علي الخلوفي. وقد ألح أحمد ابن القائد السرعيني في المطالب فثارت عليه القبائل زمن المجاعة عام 1832.

وقد تدخل المولى سليمان في نزاع على الماء بين أهل دمنات وتادونوست. عندما وضعت الحوالة الحيسية لدمنات في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان ظهر منها عمارة خرية وفنادق معطلة، وكان كرابر دي هسو قبل ذلك قد ذكر أن سكانها ثمانية آلاف نسمة. أرسل المولى عبد الرحمان قائده علّا الإيموري لضمان طاعة دمنات والقبائل المجاورة فهزمه أهلها. ولما تدخل الإيموري في عملية ضد بومهدي في تارودانت عاد من

بقربها مدينة أخرى تسمى المدين عدد سكانها على نصف سكان دمنات. ما تزال خرائب المدين معروفة، ولعلها من ارتجال قبائل فطراكة وعجدامة في مدة غياب المخزن على العهد الوطاسي، وكان بين أحزاب المدينتين تطاحن على فوائد التجارة. فقد كان أهل دمنات يعطون في هذا العهد إتاوة للعرب مقابل حراثة أراض انحسر عنها هسكورة في سهول السراغنة اليوم، ولكن الوزان يعلق على ذلك بالقول إن أهل هذه المدينة يربحون مع أولئك العرب في التجارة أضعاف تلك الإتاوات.

كان لمدينة دمنات في عهد غياب المخزن الوطاسي مجلس أعيان يجبي الرسوم ويصرفها في حاجات الجماعة، وهذا التقليد تكرر في ظروف مماثلة، إلى غاية بداية القرن العشرين.

كان للسعديين عمال في دمنات منهم كبير الدولة في عهد المنصور إبراهيم السفيناني. ومرّ بها المولى الرشيد العلوي قبل حلوله بالدلا، وجمع منها المولى إسماعيل عبيداً بواسطة عماله، وبعض جذران القصبة إسماعيلية، وكان غازي بوحفرة نائب أحمد الذهبي العامل في تادلا أنزل بأهلها عقوبات فادحة في ظروف غامضة بالنسبة لنا. ووصفها الرحالون الأجانب في نهاية القرن الثاني عشر





هنالك وفي ركابه عدل من عدول عسكر السلطان يسمى علي أوحديو، كانت أسرته قد هاجرت من تيغرمين قرب دمنات قبل ذلك بعشرين سنة وكان جده إمام مسجد.

قرر السلطان عبد الرحمان أن يعين أوحديو عاملاً على دمنات لأنه ليس أجنبياً كالإيموري وليس بشخص يخاف استبداده كالشيوخ المحليين، كان ذلك التعيين على يد الخليفة سيدي محمد سنة 1848.

ظلت لدمنات أهمية خاصة في القرن الثالث عشر (19 م) فيما يتعلق بتطويع قبائل الأطلس المجاور وفي ضمان وصول بريد تافيلالت وتكوين الدار السلطانية هناك نظراً لعدم أمن الطريق المارة بالأطلس المتوسط.

في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان صدر الأمر ببناء سور لمجموع دمنات، وكان من قبل يحيط بالقصبة وحدها، وفي هذا العهد أيضاً عين على دمنات قاضٍ مستقل من قبل السلطان وهو محمد بن حمو كرداس وذلك باقتراح من القائد علي أوحديو سنة 1866. وفي هذا العهد أيضاً وبتحريض من منظمات أجنبية كانت على اتصال بيهود دمنات توترت العلاقات بين هؤلاء وبين السكان المسلمين، فوافق السلطان على طلب الأعيان المسلمين بنقل اليهود من وسط أحياء المسلمين حيث عاشوا طوال قرون، وتخصيص ملاح لهم. ولكن اليهود أعطوا رشوة للعامل فلم ينفذ الأمر السلطاني. وفي أوصاف الرحالين الذين زاروا دمنات من أمثال الوزان ولوي دي مارمول ودجاكسون وهوكرو وطومسون ودوفوكرو ودوتي أوصاف لهذا الملاح ولعيش سكانه. وفي التسلي للفتدامي سرد وقائع هذا النزاع، وفي كتاب فلانمان Flamand، ظواهر تتعلق بنقل الملاح.

في عهد السلطان مولاي الحسن تم بناء الملاح الخاص باليهود قرب باب العرب، وأصدر هذا السلطان ظهيراً برفع دمنات إلى مصاف المدن وذلك بإعفاء من يدخل أسوارها مما يطالب به أهل القبائل، وازدحم عليها من أجل ذلك السكان، وكان مولاي الحسن قد عرج في طريقه بين فاس ومراكش فزار دمنات ووقف على مشاكلها ولا سيما قضية ملاح اليهود الذين تدخلت لهم جهات أجنبية للضغط على المخزن.

بعد وفاة القائد علي أوحديو تولى القيادة ابنه الحاج الجيلاني (انظر الدمناتي الجيلاني) وكان من كبار قواد المخزن، ولم تقف سلطته عند حدود ولاية أبيه وهي ولتاتة وفتوكة وغجدامة، بل امتدت إلى دادس وعدد من قبائل شرقي إينولتان الذين تجتذبهم تجارة دمنات. لكن بالغ في التعلق بالهيئة المخزنية وجمع الأموال وتحويل محكوميه إلى رعية ورعاة. فقامت ضده ثورة عند وفاة مولاي الحسن والتجأ إلى حرم زاوية تانغلمت، وبعد المصالحة مع إينولتان حاول الانتقام فدبر بعض الأعيان اغتياله، ودخلت دمنات

في حكم أشياخ بالتناوب، ثم حكمها محمد أبلاغ إلى أن امتد إليها حكم الأگلاويين بتواطؤ بعض أعيانها، وتزامن ذلك مع وصول الفرنسيين إليها.

م. الفتدامي، التسلي عن الآفات بذكر الأحوال ومافات، مخطوط عند أسرة المؤلف بمراكش؛ نجيب الدمناتي، الحاج أحمد، القول الجامع في تاريخ دمنات وما وقع فيها من الوقائع، مخطوط، خ. ع؛ أ. التوفيق، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، إينولتان، الدار البيضاء، 1978.

S. Boulifa, *Textes berbères en dialecte de l'Atlas marocain*, Paris, 1909; P. Flamand, *Demnat, un mellah en pays berbère*, Paris, 1952.

أحمد التوفيق

## الدمناتي، أحمد (مؤلف) ← نجيب

**الدمناتي، أحمد** بن الحسين بوفلوس، ولد بسلا سنة 1926/1344 وبعد ثلاث سنوات انتقل مع أسرته إلى مدينة القنيطرة حيث اشتغل والده بالتجارة حتى أصبح من أبرز تجار الأنواب بها.

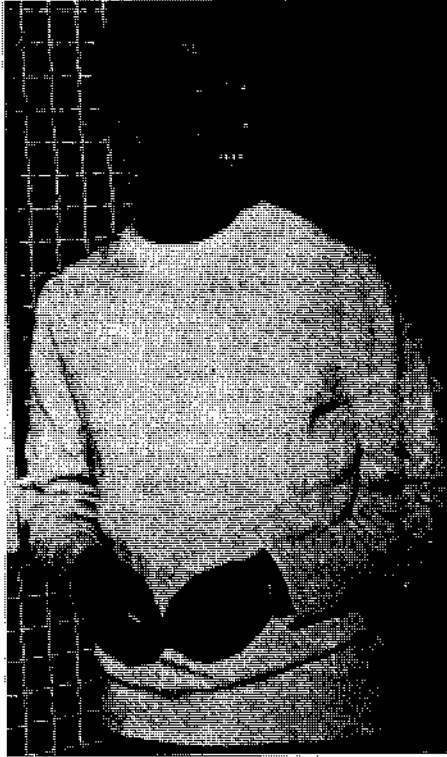
ولقد انطلقت حياته وفكرته النضالية من المدرسة الوطنية التي كان من أول التلاميذ فيها وعرفت مدينة القنيطرة على غرار المدن المغربية الأخرى مظاهرات صاخبة في أكتوبر 1937. وشارك أطفال المدرسة في هذه المظاهرة. فقامت سلطات الحماية بالمدينة باغلاق مدرسة الوطنيين وتم الزج بمعلميها في السجن ونفيهم عن مدينة القنيطرة. ودفع معظم تلاميذ المدرسة إلى الالتحاق بمدرسة "كوجي" الاستعمارية التي يتلقون التعليم المهني إلى جانب التعليم العام، وحصل أحمد الدمناتي على الشهادة الابتدائية سنة 1943. سعى "كوجي" إلى إبعاده عن العمل الوطني بأن وظفه في إدارة البريد - إلا أنه بحلول سنة 1944 وانتقال الحركة الوطنية إلى المطالبة بالاستقلال غادر أحمد الدمناتي الوظيفة في البريد بايعاز من والده والتحق بالوطني محمد الديوري الذي وظفه في إدارة أعماله التجارية. وأصبح عضواً نشيطاً في تنظيمات حزب الاستقلال ولعب دوراً في تكوين اللجن الفرعية للحزب كلجنة المسيرين ولجنة الاسعافات ولجنة الشعب الخ..

شارك أحمد الدمناتي في الإعداد للمظاهرة الاحتجاجية التي نظمت بمدينة القنيطرة أمام الباشوية يوم 15 غشت 1953 احتجاجاً ضد النوايا العدوانية للاستعمار ازاء السلطان وأسرته - وبعد هذه المظاهرة انطلقت الاعتقالات التي امتدت إلى السيد أحمد الدمناتي (غشت 1953)، وبعد خروجه من السجن شارك في أعمال المقاومة والفداء.

توفي في حدود سنة 1417 / 1996.

مصطفى مشيش العلمي، القنيطرة ميلاد المدينة والحركة الوطنية، 1913 - 1937، منشورات مؤسسة سيدي مشيش العلمي،

التاريخ كان الدمناتي يتردد على المغرب بين الفنية والأخرى حتى إن أغلب المعارض التي شارك فيها سواء مع المجموعات أو بمفرده كانت تقام بالأساس في الرباط وباريس، أكثر من الدار البيضاء أو بعض البلدان، مثل إسبانيا وألمانيا والداقار والسويد والأرجنتين والولايات المتحدة. كان المغرب يمثل بالنسبة إليه المرجعية الأولى والأكيدة التي يستلهم منها ومن خلالها جوهر القيمة الإبداعية ومادتها الخام، وهو المغرب الذي كانت مراکش، مع ساحتها جامع الفنا، تمثل في رأيه صورة مصغرة له ونموذجاً لقضائه.



لذلك يمكن اعتبار أمين الدمناتي فنان الحنين والشوق إلى بلد ومدينة أُنجياه وغادرهما مبكراً، ولكنهما ظلاً حاضرين بدون انقطاع في مخيلته وفي ريشته. كما يمكن اعتباره فنان الحزن المتأثر بمشاهد الفقر والبؤس التي يحفل بها الواقع المغربي والتي صارت تمثل لازمة رسمه وتصويره. إلا أنه بفضل وعيه الجمالي يتحاشى التعبير عنها مثلما هي، ويحسن امتصاصها - بعيداً عن العنف - بقيمة تعبيرية قوامها التناسق والشفافية، مراعيّاً في ذلك شعار "الحبّ والجمال هما غاية الفن". بل كان نفسه واثقاً من قدراته ومؤمناً برسالته بكثير من الحماس، لكنه كان يتحلى بالرزاقية والتواضع والكلام القليل والاعتدال في المطالب. على أن تجرته الفنية تنقسم إلى شطرين متدرجين من حيث الأسلوب التقني وتصوّر المضامين، نوجزهما كالتالي :

القيظرة، 1998 : جسون جيمس دافيسن، حركة المدارس الحرة بالمغرب، 1919 - 1970، الدار البيضاء، 1991 : ع. القادر بوراس، مجلة جسور تربوية، أكاديمية وزارة التربية الوطنية القيظرة، العدد 1996.1، ص. 100 - 106 : أ. الدمناتي بوفلوس، جريدة القيظرة المحلية، العدد 14 مارس 1996، ص. 2-3.  
عبد القادر بوراس

**الدمناتي، إدريس بن الهاشمي**، من مواليد مدينة مكناس في أوائل القرن. التحق بدار الجامعي عام 1937، وهو في مقتبل عمره حيث أخذ مستعملات الموسيقى الأندلسية : صنعة وعزفاً عن الفنانين الفاسيين الذين كانوا يلقنون بها هذا الفن، وهؤلاء هم علي التوالي : محمد الأمين دادي، وعزوز بناني، وعبد السلام بن عزوز بناني. وكان إلى معرفته بموسيقى الآلة يمارس طرب الملحون : إنشاداً وعزفاً. وفي سنة 1956 كلف بتدريس العزف على الكمنجة بدار الجامعي، وظل يضطلع بهذه المهمة إلى أن وافته المنية يوم 21 جمادى الأولى عام 1391 / 15 يوليوز 1971.

وثائق المعهد الموسيقي بدار الباشاوات مكناس : معرفة شخصية ورواية شعرية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

### الدمناتي، أمين فنّان تشكيلي يعتبر من بين الفنانين

الشباب المتميزين في الستينيات وبداية السبعينيات، ولد بمراكش سنة 1323 / 1942 من أسرة موسرة، وتوفي وهو في ريعان شبابه أثناء أحداث الصحيرات المأساوية.

لقد كان مساره الفني قصيراً لكنه كان واعداً بالتأكيد، مراعاة لتكريس حياة كلها إبداع وعطاء وللإسهام الفعلي بجانب أقرانه والذين سبقوه في تطوير الحركة التشكيلية الحديثة المعهد بالمغرب، متجنباً في ذلك أي إكراه وظيفي وأية ارتباطات تصرفه عما أخذ على نفسه تحقيقه في الميدان الذي ولع به. لم يشغفه سوى خارج الرسم سوى القراءة وتتبع بعض روائع الأعمال الأدبية والفنية سواء أثناء دراسته أو في حياته العملية.

مع بداية فترة الاستقلال وفي بيئة اجتماعية وثقافية مختلفة عن سابقتها، ظهر جيل جديد من الفنانين الشباب أصبح بإمكانهم الاستفادة من المنح التي دأبت بعض البلدان الأوروبية على تخصيصها للطلبة المغاربة قصد الدراسة بالخارج. فكان أمين الدمناتي في عداد الفوج الثاني من الذين اختاروا وجهة فرنسا، بعد أن قضى طفولته ومراهقته في الدار البيضاء، حيث تلقى تعليمه الفني الأول بمدرسة الفنون التطبيقية. فقصده بعزم باريس سنة 1961، وهي السنة التي شرع يعرض فيها، للالتحاق أولاً بمدرسة حرف الفن، ثم مدرسة الفنون الزخرفية ومدرسة اللوفر. وعلى الرغم من استقراره بفرنسا نهائياً منذ ذلك

(1292 / 1875 - 1322 / 1904). خلف والده في حكم دمنات والقبائل المجاورة بالجبل نيابة عن المخزن، وكان من أهم عمال السلطان مولاي الحسن. كان الجيلاني بخلاف أبيه حريصاً على تكثير الأملاك والأموال بكل الوسائل، صادف حكمه رواجاً متزايداً في دمنات بسبب ازدياد رواج البضائع الأجنبية وازدياد استعمال النقود وقوة مخزن مولاي الحسن. عند وفاة علي أوحده سار أعيان إينولتان مع الجيلاني حتى طلبوا له القيادة ووافق عليها السلطان. أمسك أمرهم بيد من حديد وعدد الشيوخ واصطنع معاونين في فطواعة ووسع سجنه، فكان المالك الأول والتاجر الأول في المنطقة. جدد رياض أبيه في القصبية وزخرفها واتخذ أبهة تقلد أبهة الملوك وكثّر الحريم من الحرائر والإماء، وكانت له مراسم للخروج والدخول والتحية. استخلص من محكوميه كل ما طولب به من طرف المخزن أو احتاج إليه لنفسه وشد عضد أمناء السلطان القائمين على أخذ مستفاد أسواق دمنات والقبائل المجاورة.

كان له متعلمون من المسلمين ومن اليهود، وكان له صراع مع هذه الطائفة وقع فيه الاحتكام إلى السلطان ولعبت في عهده دمنات دور منطلق لتطويع قبائل لم تخضع قبل للمخزن في الأطلس وأذن له في مد اليد إلى قبائل سائبة في أيت بوجماس وتدغة وأيت عطة وإيغران واداس، وقد شارك في عدد من الحركات السلطانية في العهدين الحسنين والعزيزيين.

كان السلطان مولاي الحسن خرج سنة 1312 / 1894 لغزو قبائل ثائرة في فازاز، وكان في ركبته عمال الحوز، ومنهم الجيلاني الدمناتي. وقد وافت النية السلطان بدار ولد زيدوح، ولما دفن بالبرباط عاد العمال ووجد عدد منهم القبائل قد ثارت ضدهم، ومنها إيالة الجيلاني الدمناتي، وقد نهبت داره وتشتت عياله.

لجأ الجيلاني إلى زاوية تانغلمت الواقعة بين هنتيفة وأيت عتاب، وعمل بالوسائل المختلفة من أجل الرجوع وإحداث الخلاف بين الثوار الذين نصبوا مشيخة بالتناوب على دمنات وأفلح في ذلك، ودفع له المخزن عدة حربية يستعين بها، وجدد له السلطان الجديد تعييناً مؤرخاً يسابع عشر رمضان 1313 / 2 مارس 1896 على إينولتان وفطواعة لا غير، بينما دخلت تكانة وغجدامة في حكم الأكلويين.

عمل الجيلاني بعد رجوعه على الانتقام من الثوار. ولكن إصلاحات مولاي عبد العزيز التي أسقطت الفروض والعطاءات وضعت حداً لتعسفاته وصار الفارون من دمنات خوفاً يرجعون إليها. وفي ذلك الجو دبر اغتياله بعض الأعيان الذين جردهم من أملاكهم وأهانهم، وكان لهم ذلك باغتياله في صلاة الجمعة ساجداً، وذلك في شهر ربيع عام 1322 / يونيو 1904.

أ. التوفيق، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، إينولتان، 1850. 1912، الدار البيضاء، 1978.

في بداية مساره الفني كان الدمناتي ينهج أسلوباً تجسدياً يتصف بالتسجيل المباشر للحياة اليومية في شتى تجلياتها وجزئياتها وزخارفها، من طبيعة ميتة وعُربة ثيران وأبحاث حول المنظور والألوان إلى الوجوه (الأطلسية في الغالب) ثم بعض المناظر الطبيعية وبخاصة المشاهد الحضرية. وكان يستخدم لترجمة ذلك صيغاً وتقنيات بسيطة أساسها الفرشاة والصبغة المائية، العواش. غير أنه كثيراً ما كان يتعامل مع إنجازاته بتعميم متقدم لمضامينها وللملامح المميزة للأشياء والناس والحيوانات، وبالاكتفاء بخطوطها العريضة، إلى درجة تحولت معها الشخصيات إلى أشباح والمجدران إلى مساحات ملونة محفوفة بخطوط غليظة داكنة. وفي ظروف معينة كان بمجرد توزيعه الألوان يغطس اللوحة في الماء بحثاً عن آثار تشكيلية محتملة.

أخيراً وتحت تأثير أحمد الشرقاوي في أواسط الستينيات، ولعله هو الفنان المغربي الوحيد الذي كانت تربطه وإياه علاقة حميمة، انسلخ الدمناتي عن نظرتة الحكائية وتخلّى عن مسعاه التشخيصي الصرف، لينتقل من ترجمة العالم الخارجي كما هو وكذا تصوير ما يرى إلى التعبير عما يحس به نتيجة التوغل في دواخل ذلك الواقع. لقد ظل بالتأكيد وفيماً لعامله الحضري ومتشبيهاً بمرجعياته التي لا محيد له عنها، حتى إنه ما فتىء يعيد إنتاج ما بقي عالماً بذكريته من وطن بناسه وحشود شبابه وفقرائه... ومراكش على وجه الخصوص، بفضائياتها وأزقتها وساحتها وألوانها وحرارتها وجموعها المتحركة أو الهامدة... بالمقابل، أخذ يعمق رؤيته الموضوعية إلى حد بعيد، ليفضي في النهاية إلى نوع من الإحياء الذي يشبه التجريد الوجداني. ذلك هو المنحى الأسلوبى الجديد الذي نبع من اختزال أشباح الدمناتي ومن طمس معالمها، لفسح المجال أمام كائنات متلاشية وبقع كثيفة متطابقة صيغت ألوانها الموحدة تارة بلون الرسم وتارة أخرى بطريقة الرسم.

توفي أمين الدمناتي في أحداث الصحيرات يوم السبت 16 جمادى الأولى عام 1391 / 10 يوليوز 1971.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف الطالع / موسومة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 6، ص. 3434؛ *معلومات شفهية*؛ م. أ. السباعي، برنامج شخصيات من بلادي، الإذاعة الوطنية، الرباط، بداية يوليوز 1971، نشر بالفنون، عدد 1 - 2، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، أبريل، يوليوز، 1976، ص. 76. 75.

Z. Daoud, Amine Demnati, *Lamalif*, n° 18, mars, 1968, pp. 52 - 55 ; K. M'rabet, *Peinture et identité, l'expérience marocaine*, Paris, 1987 ; M. Sijelmassi, *L'art contemporain au Maroc*, Paris, 1989 ; T. Maraini, *Écrits sur l'art*, Rabat, 1990, p. 96.

مصطفى عياد

**الدمناتي، الجيلاني بن علي أوحده قائد دمنات المسمى أيضاً في الرسائل المخزنية بالعامل وذلك في المدة**

سهل سوس، وإقامة المزارع الأولى للخضر وإنتاج الموز في الضيعات المسيجة. ثم ركز أنشطته على إنتاج الخضروات وساهم في اهتمام المستثمرين بهذا القطاع وتطوره. وبما أن أكادير هي المنفذ الطبيعي لمنتجاته، فقد ساهم الدمناتي بنشاط كبير في تشييد الميناء.

وساهم أيضاً في ولوج العديد من مواطنيه ميدان الأعمال. ولهذا الغرض أسس في نهاية الأربعينيات شركة مساهمة داخل شركات (هولنك) سماها أيت سوس، التي يمكن اعتبارها مدرسة تخرج فيها العديد من رجال الأعمال السوسيين. بعضهم أسس العديد من المقاولات بعد ذلك.

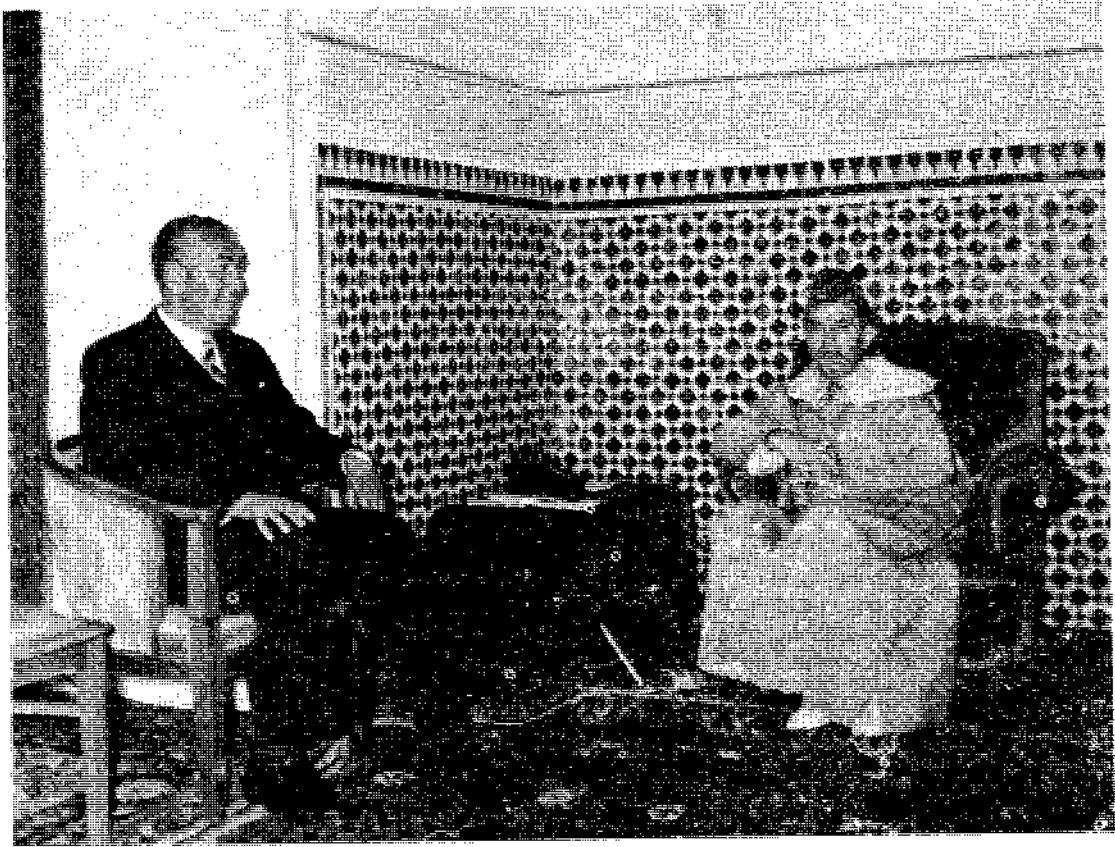
ووعيا من الحسين الدمناتي بأهمية القطاع البنكي في التنمية والاستقلال الاقتصادي للمغاربة، فكر في تأسيس بنك وطني ابتداءً من عام 1936، لكنه لم ير النور آنذاك بسبب العديد من العوائق، وأعاد الكرة من جديد في منتصف الأربعينيات، خلال انتداب إريك لابون في الإقامة العامة بالمغرب الذي لم يدم طويلاً، مما حدا بالدمناتي إلى نسيان مشروعه. ولم يتمكن من إظهار فكرته من جديد إلا في بداية الاستقلال بدعم من رجال المقاومة. وقد تمكن الدمناتي من جمع المساهمين المغاربة، لكن لم يتمكن من الحصول على حصص مساهمين أجانب، بسبب معارضة البنوك الموجودة في المغرب وتحرك حكوماتها تجاه الدول

**الدمناتي، الحسين** رجل أعمال عصامي ولد حوالي 1318 / 1895 بدمنات (دار بوحلو) كانت عائلته معروفة بدمنات بلقب أيت الحسين. عندما كان صغيراً شارك صحبة أبيه وأعمامه إلى جانب الدمناتيين لذين كانوا يناصرون السلطان المولى عبد العزيز، في الحروب ضد أگلاوة المناصرين لأخيه المولى عبد الحفيظ، وبعد هزيمة الدمناتيين نُفي أبوه إلى جزيرة الصويرة وصودرت أملاكه.

ولمّا بلغ الحسين نحو عشرين سنة من عمره، ذهب إلى فرنسا وهناك تعلم اللغة الفرنسية وأتقنها. وعاد إلى المغرب ليستقر بمراكش ويتعاطى فيها التجارة. ثم اتجه نحو ميدان التنقيب عن المعادن (الرصاص، المنغنيز...).

ويرجع له الفضل في اكتشاف منجم الكوبالط في بوازار، وبسببه ذلك تصادم مع القائد حمّو الأگلاوي، شقيق الحاج التهامي الأگلاوي، إذ رفضت إدارة الحماية الترخيص له باستغلال المنجم بدعوى أن المنطقة مازالت غير خاضعة، فهي غير مفتوحة للاستكشافات المعدنية.

اكتفى الحسين الدمناتي بأخذ أسهم في شركة المناجم التي أسستها شركة "أونا". ونتيجة لهذا الصراع الجديد مع حكام أگلاوة، اتجه الحسين الدمناتي إلى سهل سوس واستقر به في سنة 1932. ونظراً للروابط التي عقدها مع ج. إبينا صاحب شركة أونا، اهتم الحسين الدمناتي بالاستثمار في



المفترض مساهمة رأسمالييها في بنك الدمناتي. ويوصول عبد الرحيم بويعبيد إلى الحكومة كوزير للاقتصاد، تمكن الدمناتي من تحقيق مشروعه بخلق البنك الوطني للإئمان الاقتصادي.

خلال مرحلة النضال من أجل الاستقلال، لم يتخلف الحسين الدمناتي عن دعم المقاومين الذين كان على اتصال مباشر بهم، وساهم أيضاً في هذا العمل من خلال علاقاته المتعددة الأشكال مع الليبراليين الفرنسيين. في هذا السياق نشر الدمناتي مقالا في جريدة لوموند وفي المجلة السياسية والبرلمانية (L. Demnati, *Esquisse d'une politique franco-marocaine. - la double nationalité - Revue Politique et Parlementaire*, 56ème année, n° 639, juin 1954) فكرة الجنسية المزدوجة، أي أن الفرنسيين المقيمين في المغرب (المستقل) لهم الحق في الجنسية المغربية، والمغاربة المقيمين في فرنسا لهم الحق في الجنسية الفرنسية، وهذا بدون فقدان الجنسية الأصلية. هذه الرؤيا تنطبق بعد مضي أربعين سنة على فكرة طلب المغرب الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، وهذا ما يدل على الرؤيا العولمية التي تتماشى والرؤيا الاقتصادية عند الدمناتي.

لم يتردد أندري آدم الذي ألف كتاباً عن الدار البيضاء، في تشبيه الحسين الدمناتي بروكفلير في أفكاره (كان الدمناتي بعيداً عن أن يساوي ثروة روكفلير) وكان لمحمد الخامس الكثير من العطف على الحسين الدمناتي. ففي سنة 1947، عند زيارة محمد الخامس لتارودانت نزل ضيفاً هو وأفراد عائلته عند الحسين الدمناتي بدل باشا المدينة، وبعد الاستقلال كان محمد الخامس يستقبله باستمرار في القصر الملكي، وكان أيضاً على وشك النظر في ملف البنك الوطني، عندما فاجأت الدمناتي نوبة قلبية توفي على إثرها في 22 ربيع الأول عام 1380 / 14 شتنبر 1960 بالدار البيضاء.

**الدمناتي، علي أوحدهو** قائد دمنات (1264 / 1848 - 1292 - 1875) أصله من قرية تعرمين القريبة من دمنات، هاجرت أسرته إلى جهات تارودانت وكان عليّ ملماً بنصيب من التعليم أهله لأن يكون عدلاً في عسكر السلطان مولاي عبد الرحمان المراتب في تلك الجهات. تعرف عليه أحد قواد السلطان المذكور وهو علي الإيموري وكان مكلفاً بمهمة إخماد فتق هناك.

قبل السلطان تولية عليّ أوحدهو على دمنات بعد استقلالها عن قيادة السراغنة التي ثارت عليها قبائل دمنات عدة مرات، وذلك لأن القائد الجديد ليس غريباً عن المنطقة وليس من شيوخها المياليين إلى الاستبداد.

امتد حكمه على إنيولتان المحيطة بدمنات وعلى القبائل المجاورة ولكنه تجنب التدخل العنيف وأثر اجتذاب فلاحه تلك الجبال إلى إمبرغان ودرعة نحو سوق دمنات بدل

الاستيلاء عليهم وتفجيرهم.

قضى عليّ أوحدهو شيئاً فشيئاً على رؤوس الفتنة في الجبال الخاضعة له وكانوا استضعفوه في البداية. قام عليه أحامد أو سالم الفطواكي فقمعه بمساعدة الخليفة السلطاني مولاي الحسن سنة 1862. وثار عليه كطيوة وأحمد فتنهم عند وفاة محمد ابن عبد الرحمان. وسبب هذه الفتنة أن القبائل لم تتعود على قرب شديد لممثلي المخزن ومطالبة ملحة بالواجبات. وثار عليه الحاج إبراهيم شيخ تودنوست فقبض عليه وأهله وأرسلوا إلى سجن العرائش والصورة.

في عهد عليّ أوحدهو بُني سور دمنات من أوقاف المسجد وإسهام السكان. وبالإضافة إلى تركيز سلطة المخزن في ولتانة وفطواكة وغجدامة فإن أوحدهو أوقف أو آخر تنفيذ أطماع قواد اگلاوة في دمنات.

أ. التوفيق، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع

عشر، إنيولتان، الدار البيضاء، 1978.

أحمد التوفيق

## الدمناتي علي بن سليمان ← البُوجمعيّ

**الدمناتي، محمد بن عبد الكبير**، يعرف بابن كيور رجل دولة اشتهر في عهد مولاي عبد العزيز (1894 - 1908)، وفي عهد أخيه مولاي عبد الحفيظ (1908 - 1912). وقد ترقى في خدمة المخزن إلى أن عين وزيراً أكبر.

ينتمي محمد بن عبد الكبير إلى أسرة من مدينة دمنات، حيث كان أبوه متولياً لخطة الحسبة. ويظهر أنه انتقل إلى مراكش بعد وفاة والده في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان (1859 - 1873). وبمدينة مراكش خطا ابن كيور كما كان يلقب خطواته الأولى في ميدان الحياة السياسية والثقافية.

كانت لابن كيور معرفة كافية بالعربية وآدابها، كما تميز بحسن الخط وإتقان فن الكتابة والترسل؛ زيادة على ما وعاه من ثقافة عامية. الأمر الذي أهله لدخول خدمة المخزن التي ظل فيها إلى وفاته سنة 1911.

كانت أولى خطوات ابن كيور نحو الخدمة المخزنية، على يد القائد إبراهيم الأجرأوي باشا قصبه مراكش. فقد عينه الباشا أولاً ضمن حرسه، ثم ما لبث أن رقيه إلى كتابته الخاصة. ويبدو أن ثقافة ابن كيور التي طعمها بمعرفة صوفية كافية وحذقه لمهنة الكتابة الديوانية، قد أهله ليزوجه الباشا ربيته الباتول، ثم بنته بعد وفاتها.

وبعد وفاة الباشا إبراهيم الأجرأوي، خدم ابن كيور مع الحاجب أحمد بن موسى البخاري في الكتابة ثم في أمانة الصائر على مطبخ السلطان. وسرعان ما رقيه إلى الكتابة في بنيقة الصدارة ثم في كتابة وزارة الحربية.

ثم عين محمد بن عبد الكبير على باشوية القصبية وأعمالها وبذلك عاد للعث الذي شهد فيه أيام عزه الأولى. وبذلك كسب الرجل ثروة عريضة. وبفضل الوظائف التي تولاهها، تدرب على أمور السياسة المخزنية ودساتير البلاط، وأصبح من أهل الحل والعقد، الذين عليهم مدار سياسة مراكش وأحوالها. بعد أن كان قد جاءها هارباً من دمنات خائفاً يترقب.

وبما أن مراكش كانت هي العاصمة الثانية ومقر حكم خليفة السلطان بالجنوب. وبما أن باشا القصبية كان مكلفاً بمراقبة الخليفة، حسبما جرت به العادة المخزنية "من أن الباشا يكون على الخليفة عيناً وأذنًا. ولا يساعده فيما لم يعط فيه "رخصة وإذناً" فإن علاقة ابن كبور لم تكن على ما برام مع الخليفة السلطاني مولاي عبد الحفيظ الذي تولى الخلافة عن أخيه بين 1902 - 1907.

كان الخليفة عالماً وأديباً وشاعراً وسياسياً ذا طموح كبير، وقد اصطدم مع ابن كبور الذي رفض مسيرته، خاصة لما ساءت علاقات الخليفة مع السلطان، وبدأت عقارب الوشايات والدساتير تتمشى بين الطرفين.

والواقع أن باشا القصبية التي تحوى القصور السلطانية، ومخازن السلاح وتكنات الجند، لم يكن غريباً عن توصيل الأخبار التي لا ترضي الخليفة إلى بلاط فاس، ولا عن معاكسة سياسته. والملاحظ أن الخليفة - بالرغم من ذلك - لم يبادر إلى مقاطعة الباشا، بل صمم على سلوك كل السبل التي توقعه في حياته والتي تجره إلى جانبه وولائه.

وهكذا ففي الوقت الذي أحكم فيه عبد الحفيظ سلطته على الحوز وروابطه مع زعمائه. وتأكد تطلعه للملك بتأييد كبار القواد، نجد محمد بن عبد الكبير يميل مع التيار وينحاز للجانب الحفيظي ويقبل التعاون معه.

وبدون شك، فقد حرص الخليفة على كسب ولاء الرجل، لمعرفته بشؤون المخزن ولإطلاعها على عوائده. ولأنه كان القائد الأعلى لجيوش المخزن بمراكش. كما يبدو أن حالة الاضطراب والفوضى التي أصبح عليها المغرب دلت على عجز السلطان بفاس وأقنعت ابن كبور بالبحث عن سند داخل السلطة الجديدة.

بإيعاز ابن كبور مثله مثل غيره من أهل الحل والعقد بمراكش عبد الحفيظ بالملك سنة 1907. وفي مقابل هذا الانحياز عين وزيراً أول في المخزن الجديد كما عين ابنه في حجابة السلطان الجديد.

ونظراً للشروط التي تحكمت في موالاته ابن كبور للسلطان الجديد، ونظراً كذلك، لعدم وجود عصبية يستند إليها، لم يكن لابن كبور من الوزارة إلا الاسم. إذ اكتفى بالأمور البروتوكولية وبأمور المراسلات مع الرعية ومع الخارج. وتؤكد مراسلاته - بالفعل - ما ذكرناه من امتلاك الرجل لناصية الإنشاء والترسل ومعرفته بقواعد الملك وعوائده.

ولقد بدأ نفوذ محمد بن عبد الكبير في التراجع، ونجمه في الأفول، حالما حل المخزن الجديد بفاس في أواسط 1908. إذ سرعان ما أخرج ابن كبور إلى وزارة الشكايات، ثم نزلت رتبته إلى أمانة الصائر، حيث تجرع المرارة. فاستعفى من المنصب متعللاً بالشيخوخة والعجز فسوعد على طلبه سنة 1910.

ويظهر أن نزاهة الرجل أو قلة ورعه، ساعده على حياة ظهير سلطاني طويل. نوه فيه عبد الحفيظ بخدمات ابن كبور ومنحه التوفير والاحترام لشخصه ولمن تعلق به وفي 13 محرم عام 1329 / 14 يناير 1911 وأقاه الأجل المحتوم بمدينة مراكش موطن استقراره.

ع. بن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1977، ج 7 : م. غريط، نحوائل الجمال في أنباء وزراء وكتاب الزمان، 1346.

Archives diplomatiques de Nantes (France).

علال الحديبي

**الدمناتي، محمد بن علي المسفيوي** ولد بمدينة أسفي حوالي سنة 1280 / 1863 في بيت لم تكن له علاقة بالذكر أو المحلون، إذ كان أبوه حداداً. ابتدأ بحفظ القرآن ثم أخذ مبادئ اللغة والدين. كان ملازماً لحلقات الذكر العيساوية فحفظ قصائد كثيرة من هذا النوع وانطلق ينظم قصائد في الذكر تحت رعاية شيخه المبدع الطالب بنسعيد الروداني. أثناء أدائه لفريضة الحج اتصل بشخصيات راقية من الدولة التركية. رافقهم إلى بلدهم قصد معالجة مصابة بمرض الأعصاب نجح في مهمته فذاع صيته وأصبح يعرف عندهم بالطبيب النفساني.

عاد الدمناتي إلى المغرب حاملاً معه توصية باسم رجال الدولة التركية لسفارة المجلترة بطنجة. فدخل في عداد رعايا الأتراك. وبذلك استفاد من الامتيازات الأجنبية. ولما عاد إلى أسفي احترف التجارة. غير أن علاقته بالسلطات الفرنسية لم تكن علاقة طيبة. فمع بداية الحرب العالمية الأولى سنة 1914. بدأ الفرنسيون يلقون القبض على رعايا الألمان والأتراك. ولما وصل الخبر إلى الدمناتي فر خفية إلى مراكش. ورغم جهود سلطات الحماية لم يتمكنوا من القبض عليه، فألقوا القبض على صهره وعائلته مقابل استسلامه، فسلم نفسه إلى حاكم مراكش وجي - به إلى أسفي ومثل أمام محكمة عسكرية. حكمت عليه بالسجن مدى الحياة. فنقل على إثر ذلك إلى سجن العادر بالجديدة حيث ذاق العذاب الشديد.

ولما علم بأن المارشال ليوطي المقيم العام آنذاك سيزور السجن نظم قصيدة يمدح فيها الجنرال ويرجو عفو. وفعلاً أطلق الجنرال سراحه شريطة الإقامة الإجبارية في الرباط وسلا وعدم العودة إلى أسفي.

استقر الدمناتي بسلا وأقام بدار شيخ شيوخ الملحون الحاج إبراهيم الطرابلسي. الذي كان له ناد يلتقي فيه

الأعضاء لمناقشة أمور الدين والملحون والقضية الوطنية وغيرها.

عاد إلى أسفي سنة 1928 لزيارة أهله وأصدقائه ثم رجع إلى سلا متابعاً مسيرته الإبداعية وسط تلاميذه ورفقائه إلى أن توفي سنة 1350/31-1932 عن سن تناهز 70 سنة. اشتهر الدمناتي بنظمه لقصائد فريدة أدخلت الجديد إلى فن الملحون وذلك بطرقه لأبواب ومواضيع لم تكن متداولة بين رجالات الملحون. تميزت بدقة في فن التصوير وبالإجادة فيه. وأصبحت لشاعرنا مكانة خاصة عند رجال سلا. إذ كثر حفاظه وتلاميذه مثل الشيخ أحمد بن غانم الذي كان ينعت بديوان المسفيوي المتنقل، والمعلم بن عيسى وغيرهم. أما آثاره فهي غزيرة ومتميزة منها قصائد كثيرة خالدة في الذكر العيساوي، وقصائد غنية في الملحون تعد نوعاً جديداً في الإبداع والتجديد وأهمها قصيدة الطومويل التي مطلعها :

سعدى زارتني خليلتي الغزال أم دلال

وزهينا بعد الفراق وركبنا طومويل

وتسارينا بالجميع فالدنيا عرض وطول

طاف بهذه القصيدة القارات الخمس ؟ وزار قبة النبي ومناطق أخرى من العالم.

ومن قصائده الجميلة، قصيدة خدوج المنارة والمحال وغيرها.

أ. معينو، الشيخ الدمناتي المجدد المبدع في فن الملحون، مجلة البحث العلمي، عدد 28، 1977، ص. 346-365.

علال رگوگ

**الددون** (بلاد -)، تعني كلمة "الددون" بالعامية

المغربية، الأرض الثقيلة، أي الأرض المرتفعة الأطراف مع ما جاورها من أشكال تضاريسية. ومن مميزات الانبساط وسمك التربة وخصوبتها، وهي إما سوداء اللون "التيرس" أو بيضاء "بياضي". كما تتميز بكثرة الأوحال خلال فصل الشتاء المطر. وتسمى كذلك في بعض الجهات بـ "الكددة". إلا أن هذا المصطلح يتعدى هذا المفهوم ليعني منطقة معينة وساكنة بذاتها.

فبلاد الددون، تجمع سكني صغير، تابع لجماعة سيدي الطيبي، إقليم القنيطرة، وهي مركز غابوي، بلغ عدد سكانه سنة 1936 : 14 ساكناً، 8 منهم فرنسيين و6 مسلمين.

وأورد الحسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا، ج 1، وصفاً لمدينة أددون، "مدينة صغيرة، مبنية بين تلال على بعد نحو خمسة عشر ميلاً من الأطلس وخمسة وعشرين ميلاً من (مدينة النخيلة)، كل هذه التلال الصالحة لزراعة القمح، وتتبع من سور المدينة عين ماء في غاية الجودة [...] ويمر ماء العين بين صخور ليجري في واد يقال إن فيه مناجم كان يستخرج منها الحديد بكثرة [...] وإذا كانت هذه

المدينة غير معروفة الآن فهناك من يعتقد أنها آيت عمار الحالية باعتبار وجود عين ماء ومنجم حديد ؟ !.

وجاء في يتيمة العقود الوسطى... لمحمد بن عبد الكريم العبدوي (التوفي سنة 1187 / 1775) عن أبي العباس أحمد بن القاسم التادلي الصومعي : "وإن دكالة دار صلاح وولاية وأن الأجداد أول ما نزلوا بها في المغرب واستوطنوا أرضها [...] وأما وطن هؤلاء السادات الذين نزلوا من تادلا فاستوطنوه وقرعوا في تربته وسكنوه فهو أددون ببلد ورديقة". ويقصد بذلك الجزء الشمالي من تادلة العليا أو ما عرف بتادلة الرسمية. ويعني قبيلة بني خيران الشرقية ومجموعة بني منصور ومجموعة شرفاء آيت عمار. وقدر عدد سكان هذا الإقليم إبان التدخل الفرنسي بـ 1316 خيمة موزعة على الشكل التالي :

700 خيمة	أولاد بوغادي	بني خيران الشرقية
20 خيمة	أولاد فتانة	
256 خيمة	بني منصور	
160 خيمة	شرفاء آيت عمار	

وشكلت هذه المنطقة خلال فترة الحماية قيادة قائمة بذاتها، تابعة لدائرة وادي زم. مجاورة لقبيلة "السماعلة" شرقاً ولزعيم شمالاً ولورديقة من الجنوب أما من الغرب فامتدت بنو خيران الغربية والشاوية، واشتهرت المنطقة بزراعة الحبوب وتربية الأغنام واستغلال منجم الحديد بآيت عمار.

ج. بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ج. 1 : م. بن عبد الكريم العبدوي، يتيمة العقود الوسطى...، مخطوط.

R. Peyronnet, *Tadla, pays Zaïan, Moyen Atlas, Alger*, 1923.

صالح شكاگ

**الددون**، (في الموسيقى) طبل كبير الحجم تستخدمه فئة الحراطين الذين يستوطنون مناطق من الأقاليم المغربية الجنوبية، خاصة منها منطقة تكنة التي تمتد من الهضاب السفلى لجنوب الأطلس الصغير وحتى الحدود الجنوبية للساقية الحمراء.

يعرف الددون أيضاً بطبل الكونتا ويجري استخدامه كألة إيقاعية في مصاحبة العروض الموسيقية ومرافقة رقصات الحراطين كرقصة "تاونة" التي يحيونها في تامگروت عند غروب اليوم الذي يختم فيه سرد "سيدي البخاري" بالزاوية الناصرية.

ع. العزيز بن عبد الجليل، مجلة المناهل، عدد خاص بالأقاليم المغربية الجنوبية، رقم 58 مارس 1998، ص. 416 و423.

Odette de Pigadeau, H. T., vol. IX, Fas. 3, p. 347, 1968.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **الدنيا**، أسرة تطوانية أصلها من مدينة دانية Denia بالأندلس وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان؛ غير أنه إلى غاية سنة 1257 (1841) كانت توجد بحومة الطرانكات دار تعرف بدار ابن الدنيا.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1571.

محمد ابن عزوز حكيم

**دنيان** (سيدي -)، قبر كبير يبلغ طوله أزيد من عشرة أمتار ويعرف كذلك تحت اسم "قبر النبي". موقعه بالقرب من شاطئ المحيط جنوب مدينة أسفي بالمكان المعروف بجرف اليهودي. تروى حكايات غريبة حول دفينه العملاق الذي يعتقد سكان المنطقة أنه نبي الله "دنيال"... ويتفق جل الباحثين على أن هذا القبر (أو ما يشبه القبر) قديم جدا وربما شكل بقايا أحد معابد أهل المنطقة قبل اعتناقهم الدين الإسلامي. ويدعم هذا الافتراض أنه يوجد بجواره عدد من الأحجار الضخمة التي ربما كانت قطعاً من بنايات بعض المعابد... وكان بعض الباحثين الفرنسيين قد اكتشفوا بالقبر بقايا تمثال حجري في شكل إنسان، ربما كان تمثالا لأحد الآلهة في هذه الناحية قبل انتشار الإسلام بها.

وحسب ما يمكن استنتاجه من مختلف الروايات الشفوية فإن تاريخ "سيدي دنيان" يعود إلى عهد البرغواطيين الذين ينعتون في جميع الحكايات باليهود. فحسب بعض هذه الروايات "إن سكان هذه المنطقة كانوا يدينون باليهودية، وكان معبدهم الرئيسي يوجد بجرف اليهودي". ولما طفي كبير كهنتهم ونشر في الأرض الفساد أرسل الله من مكة نبيه "دنيال" وكان عملاقاً. فجاء لمحاربتهم... ولقد استطاع بالفعل القضاء عليه ونشر الدين الإسلامي في هذه الربوع...

ومما لا شك فيه أن هذه المنطقة عرفت في القديم تعاقب عدة حضارات وديانات وأنها كانت مسرحاً لكثير من الأحداث المهمة... غير أن تاريخها يبقى مجهولاً. وتبقى المراجع تنحصر في عدد من الحرفات والحكايات الممتعة والعجيبة... ولن يعرف ماضي هذه الناحية إلا باللجوء إلى وسائل أخرى للبحث كالنقيب الأركيولوجي مثلاً...

بحث ميداني، روايات شفوية.

E. Douité, *En tribu*, Paris, 1914.

عبد الرحيم العطاوي

**دنيّة**، أو دنيّة أسرة رباطية أصلها من الأندلس من مدينة دانية، وأول من ذكر منها حسب المصادر المتوفرة هو محمد دنيّة الذي عاش أوائل القرن الثاني عشر وأواخر (17 م) الذي تفرغت عنه أسرة برز منها العديد من العلماء

والفقهاء تقلدوا خطة القضاء والإمامة والعدالة، وكان منهم أهل صلاح ومتصوفة. ولم تذكر المصادر ذاتها أفراداً آخرين غير محمد المذكور إما لأنهم لم يبرزوا بعلم أو بوظيفة هامة وإما لأنهم لم يوجدوا أصلاً. فيكون محمد حينئذ هو الجد الوحيد لهذه الأسرة بالرباط، وقد عاصر المولى إسماعيل وربما عاصر من قبله ومن بعده إذ لا تعرف سنة وفاته.

وبرز من أسرة دنيّة بعد ذلك بالإضافة إلى من سيذكرون عدد من الفقهاء والامناء أمثال: محمد البابوري بن المختار دنيّة المتوفى عام 1363/1944 والذي تردد على دروس العلم وحلقاته في المساجد والمدارس وتعاطى الموسيقى الأندلسية والعزف على بعض آلاتها. وتولى الكتابة والأمانة في مرسى أسفي وانتقل إلى الصويرة كأمين بها وإلى أكادير كناظر.

ومثل التاجر العدل عبد العزيز بن عمر دنيّة المتوفى سنة 1373/1956؛ والمعطي بن محمد دنيّة، المتوفى سنة 1351/1932 وكان من نبغاء الطلبة، ومثل العباس بن التهامي دنيّة وهو من فقهاء الرباط وعدوله الموثقين وقد توفي بالدار البيضاء سنة 1350/1931 ودفن بالزاوية الفتحة التي كان من فقراء طانفتها.

م. بوجندار، الاغتباط، ص ص. 98-51-50-232-233-372؛  
ع. الله الجراي، من أعلام الفكر المعاصر بالعديتين، ص ص. 429.  
454-468-463-182؛ م. بن علي دنيّة، مجالس الانبساط،  
ص ص. 93-184-234-253-260-269-273-287-301-306.  
322.

**دنيّة، أبو بكر بن أحمد**، عم صاحب مجالس الأنبساط تعاطى في أول أمره للتجارة واستخدم أميناً بمرسى الصويرة فأميناً بمراكش - كان درقاوي الطريقة، توفي في 13 ربيع الأول 1331 / 20 فبراير 1913 ودفن بضريح مولاي المكي بالرباط.

**دنيّة، أحمد بن علي** آتي الترجمة: ولد بالرباط وبه نشأ وحفظ القرآن، ودرس مبادئ العلوم، ثم رحل إلى فاس وأخذ عن علمائها مثل عبد الرحمان السجلماسي وعبد القادر الكوهن بالقرويين. اشتغل بالتدريس وكانت له دروس بمسجد القبة في الأشهر الحرم بأمر من الخليفة السلطاني مولاي أحمد العلوي الذي كان يحضرها والخليفة من بعده مولاي رشيد. وكان أيضاً مفتياً وأسندت إليه الخطبة بجامع السوق - وانخرط في الطريقة المختارية، وكان في بدايته يتعش من نساخة الكتب، وكان يفصل في عدة قضايا تصله من المخزن بأمر سلطاني مما كان يغيب القاضي عبد الرحمان البربري. عمل مستشاراً لعامل الرباط محمد السويسي ثم كابنه عبد السلام السويسي وترك عدة تأليف، منها ختمة على مختصر خليل وشرح همزية المديح،



وفتاوي. وفيه ألف حفيده محمد بن علي بن أحمد دنية  
كتاب النسمات الندية من نشر ترجمة أبي العباس أحمد  
دنية.

توفي يوم الجمعة صفر 1282 / 30 يونيو 1865.

**دنية، علي بن أحمد** والد مؤلف كتاب مجالس  
الانبياء، وأعلم شخصيات هذه الأسرة. كان مدرساً خطيباً  
متضلعا في علوم وقته من نحو ولغة وحساب وحديث وفقه.  
أخذ العلم عن أحمد بن العربي الغربي وأحمد بن الغازي  
والظاهر ضاكة وغيرهم. ومن تلامذته أخوه محمد والجليلاني  
بن إبراهيم وأحمد جسوس وأحمد الزعيمي وعبد القادر  
لبريس وأحمد القادري والحاج محمد بن عبد الله قديرة  
وغيرهم كثير.

كان ولوعا بالنساختة تعيش منها في البداية كذلك.  
تقلد الخطابة بجامع السوق، رشح للكتابة مع القائد عبد  
السلام السويسي عوض والده وعدلاً بالمرسى، كما اشتغل  
بالشهادة والتوثيق. وترك تأليف عديدة، مثل شرح على  
الهمزية، وختمة للألفية، ورحلته الأندلسية، ومجموعة خطب  
جمعية، لم يرغب في إعطاء الفتوى في أول أمره، ولم  
يتعاطا إلا بأمر سلطاني. سافر مع القائد عبد السلام  
السويسي الذي توجه سفيراً إلى إسبانيا سنة 1294 / 877  
ويعد رجوعه رشح بعد وفاة القائد عدلاً بمرسى طنجة. وفي  
سنة 1316 / 1899 تولى القضاء بالرباط فكان يخرج  
لمقصورة الأحكام مرتين في اليوم.

توفي بالرباط سنة 1325 / 1907 ودفن بالزاوية  
الدراقوية.

**دنية، محمد الصوفي** العالم، درس في مسقط رأسه  
على الشيخ إبراهيم التادلي وعمر عاشور وعلي دنية  
والمكي البطاوري وزين العابدين بناني، ثم رحل إلى فاس  
وأخذ عن علمائها قبل أن يشتغل بالتدريس. ويتعاطى  
الشهادة مدة طويلة.

رشح عدلاً بمرسى الجديدة، ثم انتقل في آخر عمره إلى  
الدار البيضاء وتوفي بها في أوائل ربيع الأول 1332 /  
أوائل فبراير 1914. ونقل إلى الرباط حيث دفن خارج باب  
لعلو بمقبرة سيدي الخطاب. وله تأليف منها حاشية على  
بعض شروح شيخه إبراهيم التادلي، تأليف في سيرة النبي  
(ص) ختم على الأجرسية.

**دنية، محمد بن علي** أشهر أفراد هذه الأسرة، تلقى

تعليمه الأولي على يد والده ثم على يد مشايخ الرباط  
أمثال: المكي البطاوري ومحمد بربيش والمهدي متجنوش  
والجيلاني بن أحمد بن إبراهيم وأحمد بن قاسم جسوس  
والهاشمي الحجوي وغيرهم. وحج سنة 1327 / 1909 وسنة

1335 / 1917 فالتقى بشخصيات علمية بالحجاز ومصر  
وبلدان عربية أخرى فأخذ عن البعض أمثال الشيخ فاتح بن  
محمد الطاهر.

وعندما أنس منه والده مقدرة ودراية وسنه لم يتجاوز  
الثامنة عشرة، عام 1317 / 1899 دفعه إلى مزاولة  
التدريس، وفي سنة 1323 / 1905 رشح لحظطة العدالة  
والتوثيق بموافقته شيخه القاضي البطاوري. وكلف بخطه  
الجمعة بجامع السوق، فبرهن على فصاحة وشجاعة أدبية  
وبيان مما جعل أحد أغنياء الرباط من أصدقاء أبيه يهب له  
عقاراً مكافأة له. في سنة 1333 / 1314 رشح لمزاولة العمل  
بالمجلس الجنائي بصفة نائب عضو تم عضواً في المحكمة  
العليا بقسم الاستئناف ثم نائباً عن الرئيس بها. عرف  
بالتواضع في اللباس وبالإحسان إلى الضعفاء، وقد رزى  
بوفاة ابنه المعطي الذي لم يتجاوز الخامسة والعشرين سنة  
1933 مما أثر فيه غاية التأثير فضعف بدنه وزاد في ذلك  
فقدانه زوجته القائمة على خدمته وذلك بعد أربع سنوات  
فقط على فجيعة الأولى فازداد أسىً وانهاراً.

له مؤلفات عديدة طبع معظمها في حياته :

- اختصار القول المحرر التمام في الكلام على سنة  
السلام، الرباط، 1355 هـ.

- الاسرار المترجمة بمغاية المنفرجة، الرباط، 1347 هـ.

- الأقوال الحسان الراقية في الأجوبة المختارة السامية،

الرباط، 1356 هـ.

- بهجة الأرواح بذكر خطاب النكاح، الرباط، 1955 هـ.

- تحرير المناط والمسالك في أن التصوف بالمعنى

المصطلح عليه كان زمن الإمام مالك، الرباط، 1355 هـ.

- تحفة ذوي الاختصاص في مواقع الباء بعد مادة

الاختصاص، الرباط، 1347 هـ.

- الذخر الأخروي في الكلام على السهو النبوي،

الرباط، د. ت.

- ذرة المجد ومنهل الورد ودليل السعد لمن يريد تحقيق

التكلمين في المهدي، الرباط، د. ت.

- السر الساري من ثلاثيات صحيح الإمام البخاري،

الرباط، 1350 هـ.

- السلسلة الذهبية من الحديث المسلسل بالأولية،

الرباط، 1356 هـ.

- العقد المنظم في ذكر اسم الله الأعظم، الرباط، د. ت.

- القول المحمود في المسائل التي تتعقد فيه الركعة

بالسجود، الرباط، 1348 هـ.

- كمال العظية بإعراب كلمات من العربية، الرباط،

د. ت.

- متن المتعال في ختم لامية الأفعال، الرباط، 1349 هـ.

- النسمات الندية من نشر ترجمة أبي العباس أحمد

دنية، الرباط، 1355 هـ.

- النور المستبين من أحاديث سيد المرسلين، الرباط،

1354 هـ.

- واسطة العقد النضيد في شرح حديث التجديد،  
الرباط، 1347 هـ.

وترك مؤلفات أخرى مخطوطة في اللغة والنحو  
والرحلات، منها : "نشر الأعلام بإتمام المرام في ذكر مراحلنا  
إلى مصر والحجاز والشام" و"التحفة العنبرية في الالغاز  
الفرضية"... وأوصى بطبع كتابه مجالس الانبساط في  
تراجم علماء الرباط وخصص لطبعه مبلغاً من المال، لكن  
طبع هذا الكتاب تعذر بسبب قلة الورق وقت الحرب العالمية  
الثانية إلى أن تحقق مؤخراً سنة 1986 على يد قريبه  
مصطفى الغربي.

توفي زوال يوم الأربعاء 16 شوال 1358 / 29 نونبر  
1939 ودفن بالزاوية الدراوية بمنحدر الحرارين.

**دنية، محمد الفقيه الخطيب الشاعر،** اشتغل في  
البداية بالنساختة ليتعيش منها، ثم تعاطى للتجارة بعد ذلك  
وأصبح عدلاً أيام نائب القاضي محمد بن إبراهيم الذي  
ألزمه بعدها بالتدريس، وهو أستاذ الشيخ محمد المكى  
البطاوري. تولى الخطابة بجامعة مولاي سليمان. وله اشعار  
ومقطعات وكان العلامة الصوفي فتح الله بناني يسرد بين  
يديه صحيح البخاري بالمسجد الأعظم بين الظهين. اشتغل  
عدلاً بمرسى البدار البيضاء وطنجة والرباط وبتدار عدل  
بفاس. وكان يرافق غالباً في هذه الخدمات القاضي العلامة  
عبد الله بن خضراء السلاوي.

توفي في فاتح محرم عام 1326 / فبراير 1908 ودفن  
بالزاوية المختارية :

الإدرسي، إدريس بن الماحي، معجم المطبوعات المغربية، سلا،  
1988 : ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام  
المغرب، بيروت، 1996، ج. 8 : 3070، وقد سماه - خطأ - محمد  
بن أحمد.

عبد الإله الفاسي

**الدّهري، عبد السلام** بن عبد الرحمان التطواني،  
الفقيه العلامة العدل المقرئ المجدد الخطيب الميقاتي  
الموسيقي. ولد بتطوان حوالي عام 1247 ونشأ في حفظ  
وصون، وحفظ القرآن والمتون المعتادة وأخذ عن أشهر علماء  
بلده : كالفقيه القاضي الشهير محمد بن علي عزيمان،  
والعلامة المفتي أحمد بن محمد السلاوي، والعلامة الورع  
محمد النجار، والعلامة الشريف أحمد البقالي، وكان يحب  
المترجم له كثيراً، وغيرهم. ومن الجدير بالذكر أن شيخه  
السلاوي أخذ عنه فن القراءات.

ولما استشار شيخه في السفر إلى فاس للمزيد من  
طلب العلم، أشاروا عليه بالتخلي عن السفر، وقال له  
شيخه السلاوي : لقد أدركت من العلم ما كان لك أن  
تدرسه، وخير لك أن تتزوج وتنقطع للإقراء، فاشترى داره

المعروفة بوطية ابن قريش بحي العيون، وتزوج امرأة من  
عائلة (الطرمو) الجزائرية كانت قدمت مع قومها مهاجرة  
بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، وتولى الخطابة والإمامة  
بجامع الباشا بتطوان، والتدريس بمدرسة القاضي ابن قريش  
القريبة من دار سكناه (وهي ثاني مدرسة بتطوان) فأخذ  
عنه كثيرون خصوصاً القراءات والتجويد والنحو والصرف  
والتوقيت.

ولما ورد تطوان السيد أحمد الخضر السلاوي عاملاً  
عليها عام 1283 اختار المترجم له لمجالسته وسرد الحديث  
بين يديه، وظل معه على الوسم المذكور إلى أن توفي، ثم  
صحب ولده كذلك القائد محمد السلاوي إلى أن سافر من  
تطوان عام 1315 وخلفه القائد إدريس بن يعيش فاختره  
مؤدياً لأولاده إلى أن سافر عام 1319 ثم خلفه القائد قدور  
بن الغازي فصار معه كذلك، وهو مع هذا عدل رضى  
بتعاطى الشهادة إلى أن عجز عن القيام بتلك المهام كلها  
بعد أن ابتلي بمرض التهاب البروستات ففرض حميدا طيب  
الذكري، لما كان يمتاز به علاوة على ما ذكر من خفة الروح،  
وطيب النكتة وحلو النادرة مازال الناس يتناقلون نوادره.

كانت وفاته في شهر شوال عام 1322 / دجنبر 1904 -  
يناير 1905 وخلف ولدين وبنيتين. أحد الولدين شيخنا الفقيه  
المجدد السيد الحاج أحمد. رحم الله الجميع.  
أ. الزهوني، عمدة الراويين، 6 : 15 - 147 : معلومات خاصة من  
حفيده الأستاذ عبد السلام الدهري.

محمد الأمين بوخيرة

**الدهس،** نوع من أنواع التربة حسب التصنيف الأهلبي  
المغربى للأترية. لا يوجد له مقابل يميزه بالذات في  
التصانيف العلمية الرانجة رغم أنه من أجود الأترية في  
سياقه المجالي، يقدم خدمات نوعية تامة التكامل مع  
الأترية المرافقة له. وهو في ذلك، شأنه شأن التيرس مثلاً،  
يؤكد حاجة البلاد المغاربية إلى تصنيف ترابي علمي خاص  
بها يضمن مقوماتها المتميزة.

الدهس معروف على الخصوص في سهل الغرب.  
يدخل في المتواليات الترابية التي تنطلق من محاور  
الأنهار إلى عمق السهول البيهريية. حيث إنه، في وضعه  
النموذجي، يشكل الشريط الموازي للمجاري. يزيد عرضه  
بقدر أهمية النهر ونشاطه في تحريك الغرين.

يتميز عن باقي الأترية المجاورة بخشونته النسبية،  
حيث إن غالبية قوامه النسيجي تتكون من الطمي، وكذلك  
باللون الرمادي المصفر الذي يطبع مجالاته الواسعة ويسهل  
عملية التعرف عليها بمجرد المعاينة البسيطة.

بقدر الابتعاد عن المجاري المائية والاقتراب من جوف  
المنخفضات البيهريية، تصبح عناصر القوام النسيجي أكثر  
دقة، ويزيد الطين، وتدكن الألوان إلى الرمادي ثم إلى  
الأسود، ويتحول الدهس، بتدرج بطيء، إلى دهس متزايد

التتريس، ثم إلى تيرس حقيقية وأخيرا إلى المروج الغدقة ذات الأتربة الميهة.

يمثل سهل الغرب الوضعية النموذجية لهذا النوع من المتواليات الترابية المرتبطة بحركية المجاري النهرية داخل السهول الفيضية التي يحكمها التهدل.

فمعلوم أن الأراضي من حول مركز التهدل، في وسط المنخفضات، تغلب عليها الميهة التي تتحكم في تطورها فتجعلها صالحة لاستنبات الكلا، توفر العلف للمجترات الكبيرة.

أما المجالات التيرسية البينية، الواسعة الامتداد، فهي بامتياز أراضي الزروع الحصبية.

ولو لم تكن الدهوس في عالية هاذين المجالين، لقيت السهول الفيضية فضاءات عراء صرف، لا شجر فيها، متخصصة في إنتاج الحبوب وفي تربية الماشية الكبيرة.

الدهس وحده يسمح بقطع الآفاق وتنوع المشاهد الزراعية، حيث يعطي النباتات الشجيرية والبخيليات الكبيرة ذات التجنر العميق ومن ضمنها حقول قصب السكر فوق أنواع الدهوس المختلطة. أما في صيغته النموذجية الصافية، فإن الدهس يحمل جنان الأشجار من حوامض وزياتين وورديات.

في صيغته الصافية، المخففة من الأطيان، يتميز الدهس بنسبة طينية تقل عن الثلث، ونسبة كلس بمقدار العشر تقريبا، وهو طمي في ما عدا ذلك قليل الترميل.

لكن على طول الأنهار، تصير المسكات العلوية من الدهس أكثر غنى بالرمال. يتزايد نصيب هذا الدهس الأخصن في الأطناف المرافقة لضفاف نهر سبو وكذلك في وسط السهل حيث يُصطلح على وجود الدلتا الداخلية لنهر بهت.

محاولة التصنيف العلمي، حسب النموذج الفرنسي مثلا، لن تعطي أكثر من أنها أتربة ضعيفة التطور ذات أصل ثقيل غريني. وهي كتابة باهتة لا تعبر عن القيمة الحقيقية للدهس.

والواقع أن الدهس مادة جيومرفولوجية أكثر من أنها مادة ترابية تخضع لمقاييس التطور الترابي المتعارف عليها. فهي نتاج تغرين وتحديث مستمرين للقطاعات. تحملها الأنهار من الجبال المكتنفة، وخاصة من الريف الأوسط، تنشئ بواسطتها سلاسل للأنهار العابرة للسهل الفيضي. ونظرا للتواكب الحاصل بين تهدل السهل وغزارة المنقولات التي تستوردها الأنهار إليه، فإن سلاسل الأنهار جاءت معلقة بالمقارنة مع المنخفضات البيهنية الراجعة.

يشكل الدهس مادة التراكم الأساسية التي تسند الأنهار وتجعلها، على خلاف الأوضاع المورفولوجية المتعارف عليها، تجري في أسرة غرينية توجد على ارتفاع أعلى من السهول التي تعبرها. من ذلك ضراوة الفيضانات التي تغمر

البيأهار، ولا تستطيع العودة إلى مجاريها بعد انقطاع أسبابها نظرا لهذا التشكيل الذي يبدو شاذًا.

التشكيل هنا ليس شاذًا بقدر ما هو نوعي يخص السهول الفيضية النشيطة، ويسمح في الواقع بتطورها تطورًا إيجابيًا. فلولاها لأفضى التهدل البنائي إلى هبوط مستمر للسهل من شأنه أن يحول منطقة الغرب الغنية إلى أراضي وطينية، أدنى من مستوى سطح البحر، مؤذنة بغمر بحري يأتي على السهل ليجعل منه أعمق وأوسع خليج في الساحل المغربي.

حدوث أمر كهذا ليس في الواقع إلا رجوعًا للوضع الأصلي للمنطقة قبل أن تقوم الأنهار بعمليات الإطوار الغريني، التي عبأت الخليج البحري وحولته إلى مجال قاري سهلي ذي نزعة تهديلية بشيطة. وفي الوضع الراهن، عملية التعبنة الغرينية لازالت مستمرة، هي التي تسمح بتعويض الهبوط البنائي. وهي بالذات آليات تلتيم السهل الفيضي بواسطة المواد الدهسية التي تحملها الأنهار.

إطماء السلاسل النهرية وتعليقها هو السر في أهمية الفيضانات وعموميتها واتساع رقعتها إلى حد ظهورها بمظهر البحار المتوسطة للقارة. هذه الفيضانات، المتفاوتة الأهمية، تحمل دائماً مقادير هائلة من الطمي ترسيها في المنخفضات البيهنية معوضة النقص في الارتفاع الذي يحدثه التهدل.

الآلية العامة الموصوفة هي آلية الرأب الغريني للتهدل، المنطقة من سرير الأنهار والتجليية في التزويد المتواصل لأطنافها بمواد الدهس والدهس الرملي، والعامل على التطعيم الواسع لسطوح المنخفضات.

ومع ذلك، فإن المنخفضات، التي تستفيد من أطماء الفيضان في تدارك التهدل البنائي، لا تتحول إلى مجالات طينية دهسية، بل تبقى في معظمها أراضي التتريس.

ومرد الأمر لاشك إلى عمليات التحريك والتحويل الدائرية التي تصوغ السهول الفيضية. فبعد كل فيضان وحسب أهميته، تصفر سطوح التتريس بالدهس المغلف لها. لكن عمليات القلب التي تميز أراضي التتريس تسمح بقلب القطاعات وهضم الطمي واستيعابه من ضمن التربة التي كانت تحملها.

من ذلك أن النشور الدهسية ليست فقط من أهم عناصر آليات التوازن البنائي - الرسوبي التي تحافظ على سلامة المنطقة. ولكنها كذلك أساس التطعيم الترابي الذي يسمح بتنوع الأنشطة الزراعية والاقتصادية إجمالاً بإعطاء أتربة نوعية، هي الدهس النموذجي، وتخفيف الأتربة الطينية الأخرى حسب موقعها الطبوغرافي من المجال العام. إذ تتعدد أنواع الأتربة وكفائها بالتدرج من الدهس الرملي إلى النموذجي إلى التتريسي وغيرها.

واضح إذن أن مادة الدهس هي رسوبية، جيومرفولوجية بالأساس، ناتجة عن الإزالة في العاليات والترسيم والتطعيم

في إيمانه. شارك في عدة معارك أبلى فيها البلاء الحسن رغم كبر سنه إلى أن استشهد في معركة إخواننا بضواحي بوزيد وذلك بتاريخ 20 أكتوبر 1955.

المدنيبة السامية لقداما. المقاومين وأعضاء. جيش التحرير، شهداء. الاستقلال، 4: 70.

**الدويلالي، مبارك بن علي،** أصله من قبيلة إدا وبلال المنتجة بجنيات وادي درعة الأوسط، جنوب شرق أكاير نيسنت. وهو من الراسخين في الخدمة المخزنية العسكرية بقصبة فاس، ومنها تم اختياره ونقله إلى قبيلة قلعية.

عين الدويلالي على رأس إداة قصبة جنادة بفرخانة يوم 21 شوال 1300 / 24 غشت 1883، خلفا لسابقه الطالب حميدة الشراكي، للسهر على ضبط الحدود الفاصلة بين المساحة الممنوحة لحماية مليلة وأراضي خسي بني شكر ومزوجة، وليكون من جهة أخرى واسطة بين أهل قلعية وجنود مليلة فيما يرجع لأمر الحدود ومشاكلها، ويضاف إلى ذلك العمل على مكافحة التهريب، وقد كلف أيضاً بتسيير أملاك المخزن المرتبطة بكل من جنادة وفرخانة وقصبة سلوان.

ويعود سبب انتدابه لجنادة ليكون كبير العسكر بها إلى الأزمة التي كانت تعاني منها الحدود من جراء تجاسر الإسبان للاقتراب من الحدود والتصرف في جنباياتها بالزرع والرعوي، مما لم يمكن لأهل الحدود من سزوجة وبني شكر السكوت عنه.

اصطده مبارك الدويلالي بعدة دعاوي معلقة بين الإسبان والمخزن وقد سبق الأمر السلطاني إلى أمين الديوانة الطالب محمد العسكري لتبصيره بالدعاوي القائمة المتمثلة في عدة نقط معجلة، منها دعوى المدعو حم بن الظاهر النصراري، المتهم بقتل جندي إسباني، ودعوى سرققة أهل خمس مزوجة الخلايف والزرور، إلى جانب دعوى قتل الإسبان لأحد الشكرين، انتهى الفصل فيها بالنسبة للخسائر المادية بغرامة مالية قدرت بنحو مائتي وسبعين ريالاً، تم توزيع هذا المقدار على بني شكر (70 ريالاً)، تكلف القائد الحاج محمد بن الهادي الداودي بجمعها وتسديدها. ووجب مثلها على مزوجة وعلى قائدها لحسن المزوجي، أما الباقي وهو 130 ريالاً فقد وقع أداءه على المقبوض عليهم بالحدود. تم هذا الفصل في مستهل رئاسة مبارك الدويلالي. بينما بقي ملف الجنبايات معلقاً إلى ما بعد ذلك.

وأهم حدث تصدى له الدويلالي خلال شهري ربيع الأول والثاني من سنة 1301 هو الاضطراب الذي أحدثه الإسبان أثناء مواجهة القائد لحسن المزوجي مع حاكم مليلة بالاقنتال

في الأسافل. وأنها أحدث مادة حملتها الأنهار تُحوّلُ التغليف الواسع المنتشر في سهول الفيض التهليلية. إنها بالتالي نتائج الدور الأحداث والأخير للترايبنة الرسوبية للحقّب الرابع القاري المغربي. ومادامت تعرف أبهى وأوسع تجلياتها في سهل الغرب فإن كناية "الغربي".

أصبحت تسمية تقنية تعني في التصنيف السُداسي للستراتغرافية القارية المغربية آخر أدوارها على الإطلاق. لكن بقدر ما يُعتبر كل دهن، بموصافاته السالفة، مادة غريبة، بمعنى أنها منتمة للدور الغربي من الترابية الرباعية، بقدر ما أصبح "الغربي" في مضمونه المرفلوجي والتأريخي أوسع وأشمل، يعني كل توضع أو تشكيل أو تطور حديث مختتم للرباعي.

الدهس كغيره من مصطلحات "العلوم الشعبية الموهوبة"، يضرب جذوره في قواعد الأصالة الطبيعية والمضارية للبلاد. لا يوجد أي تصنيف أكاديمي يستطيع أن يوفيه حقه بما يكفي من الشمولية. بل هو معلمة من معالم بيتنا، يُمثلُ التعريف الرصين بها إغناء مستمراً للتراث العلمي العالمي.

تجربات ميدانية.

إدريس الفاسي

**ابن دَهَّاق،** أسرة تطوانية أصلها من الجزائر انقرضت بالمدينة سنة 1308 (1890).

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 238.

محمد ابن عزوز حكيم

## الدواجن ← اللحوم البيضاء

**الدوالي،** أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Dalias وهو اسم مدينة إسبانية.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 683.

محمد ابن عزوز حكيم

**الدوايري، عيد العزيز (الحاج -)،** مقاوم ولد سنة 1880 بدوار الزاوية ملحقة اجدير دائرة اكنول إقليم تازا، انخرط في صفوف جيش التحرير غداة تأسيسه بالمنطقة الشمالية بمركز اسويل تحت قيادة اشتاتو عمر. وقد عرف بين رفاقه بالشجاعة والإقدام، نشيظاً في عمله، متحمساً

- **الدوّذَارُ علي** بن محمد الذي كان يزاول خطة العدالة سنة 1269 (1853).

- **الدوّذَارُ قاسم** بن سعيد من وجهاء مدينة تطوان الذين وقعوا شهادة بظلم أولاد التقسيس وطفيانهم في 22 شوال 1078 (مارس 1668) :

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسا - عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطوان 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 684.

محمد ابن عزوز حكيم

**دودة القز** من الحيوانات اللافقرية تصنف إلى طائفة الحشرات ورتبة الفراشات - حشرقيات الأجنحة - Lepidoptera وفصيلة القزيات Bombycidae التي تشمل على دود الحرير المعروف بدود القز والمسمى باليونانية Bombyx. ويتكون جنس قزية Bombyx من عدة أنواع تصنع صلجات أو أكياسا حريرية cocons أشهرها وأحسنها جودة في إنتاج الحرير قزية التوت Bombyx mori (= Sericaria mori) تسمى بالفرنسية magnan و Bombyx de mûrier وبالإنجليزية Silkwarm.

ودودة القز اسم شائع يطلق على يرقات الفراشات المنتجة للحرير بواسطة لوزتي الرضاب - الغدد اللعابية - تسمى الغدد القزية (glandes séricigènes) التي تفرز سائلا صافياً ولزجاً يخرج من أنابيب الغم، وعند احتكاكه بالهواء يصبح صلباً على شكل خيط حريري تصنع به الصلجات لتعيش بداخلها الحوريات (Chrysalides). يتعلق سمك قطر خيط الحرير بفتحة الأنابيب المكونة لأعضاء قم الدودة وقد يتعدى أحيانا طول كل خيط 1000 متر.

الموطن الأصلي لقزية التوت هو الصين وبعض المناطق

على الحدود، مما أدى أخيراً إلى القبض على القائد المذكور وبعض رجاله وإبداع الجصع سجن العرائش.

ومن الصعوبات التي واجهها مبارك الدويلالي محاولة التوفيق في النزاعات المحلية القائمة بين قواد قلعية، كان منها نزاع محمد بن العربي البوكافري مع أهل إيالته، والمختار أغم قائد الكعدة مع جاره محمد بن الخضر قائد بني سيدال، وحميدة، قائد بني بويفرور المنازع للأمين محمد المحرق، وذلك ما بين صفر ورجب 1301.

ولما كانت حراسة السواحل من مهام مبارك الدويلالي فإن حمايتها من التهريب كان من أوجب واجباته التي يظهر أنه لم يكن منها على بال، أو أنها كانت مهمة جسيمة، لا سيما وأنه كان مكلفاً بمراقبة كافة ساحل الريف، بدءاً من قبيلة كيدانة شرقاً إلى ناحية بادس غرباً. وقد تعرض لفضب السلطان الحسن الأول حينما تبين له أنه لم يحسن المراقبة أثناء تهريب أحد الفرنسيين سنة 1303 نبات الخلفا من مرسى كيدانة.

وعلى الرغم من أن مبارك الدويلالي احتفظ بمنصبه بجنادة فرخانة أو بقصبة سلوان طوال سنة 1305 فإن اسمه لم يظهر في مراسلات 1306، وإذا كان هذا ليس بحجة على انتهاء مهمته، إلا أننا وجدنا اسم مبارك بن الطاهر الرحماني بقلعية على رأس المحلة المخزنية مستقراً بقصبة سلوان، ومنها بعث بأول مراسلة له يوم 5 ربيع الثاني 1306، تحدث فيها عن طاعة أهل قلعية، وعن تكليفه بها وليست هناك إشارة إلى مبارك الدويلالي، ثم ثبت لنا أنه كان قد أعفي من مهمته، إما لكبر سنه أو لمرضه الذي توفي منه في مدينة فاس، حسبما أعلنته مراسلة أحمد بن موسى بن أحمد إلى سعيد فرجي بتاريخ 13 جمادى الثانية 1306/14 فبراير 1889.

وثائق الخزانة الحسنية ومديرية الوثائق الملكية ما بين سنوات 1301

1306 : كنتاجيش الخزانة الحسنية في نفس الفترة : كنتاج خ. ح.

ر. ك رقم 117 : أ. التوفيق، إد ويلال، معلمة المغرب، 1 : 212 :

ح. الفكيكي، محمد بن العربي البوكافري، معلمة المغرب، 6 :

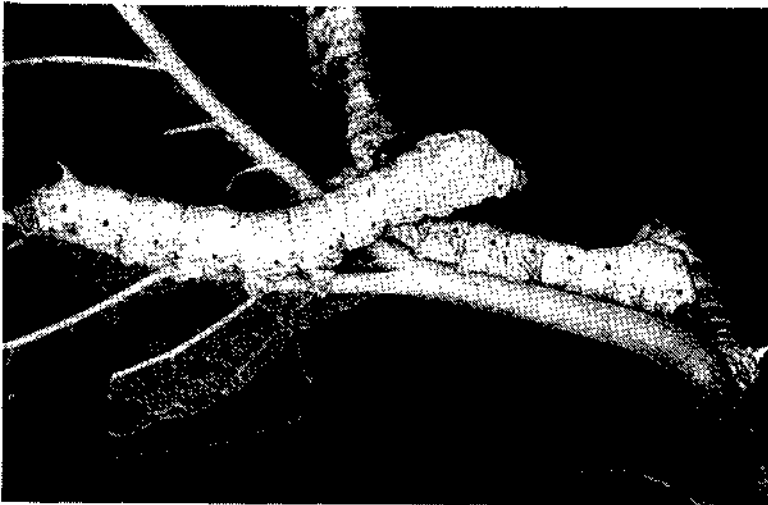
1833 : جنادة قصبة فرخانة، معلمة المغرب، 10 : 3096 :

الجسراوي المختار أغم، البويفروري، معلمة المغرب، 10 : 3192 : ح.

بنشلال، والبويفروري، محمد المحرق، معلمة المغرب، 6 : 1906.

حسن الفكيكي

**الدوّذَارُ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم : وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان، وتجدر الإشارة إلى أنه كانت بأحواز غرناطة المسلمة قرية اسمها ذوذر وأطلق عليها الإسبان اسم وإلى هذه الأسرة ينتمي :



المجاورة لها. ومن المحتمل أن الصينيين عرفوا صناعة الحرير عن طريق تربية دودة التوت خلال العصور الممتدة ما بين 3000 و4000 سنة ق. م (Gomez Bustillo & Mendez 1979, Viola Sylvestre n° 55, p. 170-179). وقد تطورت هذه التربية خلال العصور وانتشرت في شمال أفريقيا وأوروبا منذ القرن السادس بعد الميلاد. ومن بين المراكز المغربية التي عرفت ازدهاراً لإنتاج الحرير بواسطة تربية دودة القز نذكر مدينة تطوان والشاون ونواحي جباله ومكناس وفاس والرباط وسلا ومنطقة مسفيوة وبعض الجهات المسقية في الحوز وفي عرصات مراكش وضواحيها. وقد ازدهرت القزاة بالخصوص في تطوان وفاس أكثر من غيرها، وساد الاعتناء بها لعدة قرون من طرف القزازين إلى مطلع القرن الثالث عشر (19 م) (معلمة المغرب، ج. 10 ص. 3389، 3390).

عرفت دودة التوت تربية مكثفة عبر قرون عديدة ولا توجد منها حالياً وحدات تطبيقية في الطبيعة. وقد فكر المربون في فرز واختيار أجود الضروب عن طريق التجانس، أشهرها الضرب الذي يعطي ثلاثة أجيال في السنة. تتميز الفراشة بلون أبيض مصفر وأحياناً أصفر وبجسم أشعث وأهلب، قصير ومكثف. تبلغ بسطة الجناحين حوالي 4 سم. يتكون الفم من أعضاء فطرية وتدوم مدة مرحلة الفراشة بضعة أيام فقط لا تتغذى خلالها، وغالباً ما تموت الإناث مباشرة بعد وضع البيض. تبيض الأنثى ما بين 300 و400 بيضة زرقاء اللون وغالباً ما توضع في أماكن مسطحة مرتبطة ما بينها بمادة لزجة. تخرج الدودة من البيضة بعد عشرة أيام بطول لا يتعدى 6 ملمترات وتتغذى من أوراق شجر التوت وشجر الليمون ومن أوراق الخوص. إلا أن الديدان التي تقدم إليها أوراق التوت تعطي أجود خيوط الحرير. تدوم مرحلة الدود حوالي ستة أسابيع ويبلغ طولها حوالي 75 ملم ولونها رمادي مصفر وأحياناً رمادي مسود. بعد ذلك تتوقف الديدان عن الأكل وتشرع في إفراز خيط الحرير لتلفه حولها ثم تتحول إلى حورية (Chrysalide). تفرز كل دودة خيطاً واحداً يتراوح طوله في الغالب ما بين 300 و900 متر. تدوم مدة مرحلة الحورية أسبوعين لتتحول إلى فراشة بعد تقطيع الخيط الملتهب حول الصلجة مما يجعل هذا الحرير غير صالح لصناعة النسيج. ولهذا السبب يلتجئ المربون إلى قتل الحوريات بداخل الصلجات وذلك بوضعها في الماء الساخن أو تجفيف بداخل الفرن. يحتفظ المربون بعدد قليل من الحوريات لتكتمل دورتها الحيوية وتعطي فراشات تبيض ثم تموت.

تشتغق مدة القزاة - Sériciculture - إنتاج الحرير الخام بتربية دود القز - حوالي شهرين تتطلب حضانة البيض بداخل خص وهي عبارة عن سقيفة من قصب (Magnanerie) لمدة أسبوعين تحت حرارة ترتفع تدريجياً ويانتظام خلال هذه المدة من 6 درجات مئوية إلى 25 درجة، وبعد التفقيس تقدم

للديدان أوراق التوت بصفة متواصلة طيلة شهر تقريباً. بعد ذلك تصح الديدان مستعدة لفرز خيوط الحرير فيضع المربون بداخل الخوص أغصاناً وبراعم من الأشجار لتصعد عليها الديدان وتتخذ مكاناً لها لتنسج خيوطها وتصنع الكيس الحريري لمدة لا تتعدى أسبوعاً واحداً. من أجل تحقيق كلغم واحد من الحرير الخام يجب 5500 دودة.

يتطلب استخراج خيط الحرير من الأكياس (cocons) مهارة قوية. بعد تسخين الأكياس لقتل الحوريات وتحليل المادة اللزجة التي تجمع لفات الخيط حول الصلجات، غالباً ما تجمع 4 - 8 صلجات لإدماجها في خيط واحد يلف باعتناء كبير. ويعتبر قتل الحرير من التقنيات المتطورة، إذ تقسم طريقة القتل إلى أربعة أنواع: الكريب حريري رقيق (crêpe) ويتميز بقتل مكثف بمعدل يتراوح بين 16 - 32 دورة في كل سم، المفتول الحريري organsin، الخيط الوحيد الملثوي (fil unique tordue) والحبيكة أو النيرة (trame).

يقدر منتوج الحرير على الصعيد الدولي بـ 59.000 طن سنة 1940 و19.000 طن سنة 1950 و68.000 طن خلال الثمانينيات.

م. بوسلام، معلمة المغرب، ج. 10، ص. 3389 - 3390؛ الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان - الطبعة الثالثة، 1988.

Encarta 79, Encyclopédie Microsoft, 1997 ; G. Bustillo & M. Garnica, El gusano que fabrica la seda. Viola Sylvestre n° 55, (1985).

محمد خربوعة ومحمد رضاني

\* \* ارتبط بتربية دودة القز إنتاج الحرير الطبيعي كما ارتبط بغراسة شجر التوت، وارتبط إنتاج الحرير أساساً بارتفاع الطلب عليه من قبل فئة الأعيان ورجال المخزن وبعد ارتفاع المستوى المعيشي للسكان. بصفة عامة ابتداءً من العصر المرابطي والموحدي. وقد وردت في المصادر التاريخية إشارات مفادها أن مادة الحرير انتشر استهلاكها والإقبال عليها أكثر في العهد الموحي الذي اعتبر شطره الأول بحق عهد ارتفاع في المستوى المعيشي للسكان. ومن أبرز مؤشرات هذا الارتفاع تنوع الملابس والمنسوجات لدرجة أن الخليفة الموحي أبو يعقوب يوسف وابنه من بعده منع التمادي في لباس الحرير وغيره من مظاهر التأنق والبذخ بالنسبة للرجال (البيان، 3: 144 و145).

منع الخليفة ذلك جاء على المستوى الرسمي بإصدار المراسيم والتعليمات، وعلى المستوى المباشر بتوزيع وزجر المترددين على بلاطه من الرجال المتأنقين الراقلين في ثياب الحرير، ولعله أراد بذلك تحقيق هدفين: أولهما الحد من الفساروق بين الناس على الأقل على مستوى المظهر، وثانيهما وقف العبء المالي المكلف لبيت المال وللإقتصاد المغربي. فقد كان الحرير يستورد بالعملية الصعبة (دنانير الذهب)، ولم يكن المغرب في هذه الفترة منتجاً للحرير ولم

الرباط، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981 : ح. الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1980 : ابن البناء المراكشي، رسالة في الأنواء، نشر وتصحيح Renaud باريس، 1948 : م. حجاج الطويل، الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، د. د. ع. مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1988.

محمد حجاج الطويل

**دودوم**، Dudum مدينة مندثرة تكتب في الاغريقية تحت شكل Dou Thoum أو Dou Doum. هي إحدى مدن موريطانيا الطنجية، يحددها بطليموس حسب الإحداثيات التالية : خط عرض 15 وخط طول 31، وهذه الأخيرة تمكنا من تحديد موقعها بالتقريب.

حسب الباحثة MC. Cathy قد يكون موقعها في إقليم نظيفة حيث قبائل "أيت مدجدن" قرب وادي لخضر أحد روافد تساووت الذي هو أيضاً من روافد أم الريح. ويبقى موقعها مع ذلك مجهولاً لدينا ونجهل أيضاً ما إذا كانت قد تركت بقايا أثرية.

Mc. Carthy, *Lexique de géographie comparée de l'ancienne Afrique*, R.A., 1887, p. 257.

عبد العزيز بلفايدة

**الدُّور**، (مصطلح صوفي) جماعة من الخدام والمريدين يجتمعون مرة كل سنتين لزيارة أضرحة وزوايا أوليائهم. ولعل أهم دور مازال مستمراً في المغرب هو دور رجراجة بمنطقة الشياظمة، حيث توجد بالمنطقة مدافن الرجال الرجراجيين السبعة وعدد كبير من الزوايا سواء الكبرى منها أو الصغرى.

يستمر هذا الدور قرابة أربعين يوماً، وبالضبط تسعة وثلاثين يوماً، انطلاقاً من مدينة (أسفي) ومروراً بمنطقة (الشياظمة)، إلى (الصويرة) ثم العودة إلى نقطة الانطلاق.

لكل يوم من هذه الأيام محطته، أي زاويته أو ضريحه، ولكل زاويته أو ضريح مظاهر احتفالية خاصة ومتنقلة عبر أربع عشرة زاوية وخمسة وعشرين ولياً.

ويكون اليوم الذي يحل به الدور عبارة عن ملتقى للفرجة واللقاء بين أفراد القبائل الذين يأتون من خارج هذه القبائل وكذلك فرصة للتبرك من الشرفاء.

وإذا رجعنا إلى الأصول، نجد أن هذه الطائفة، أي (رجراجة)، كانت سباقية إلى نشر الإسلام. بل هناك من المصادر ما يذهب أبعد من ذلك ويؤكد أنه حين ظهر الإسلام بالمشرق سافر رجال رجراجة إلى الرسول ﷺ وأمرهم بنشر الإسلام وحمايته بالمغرب.

ومن أهم رجالاتهم نجد سبعة رجال، ولا نعني بذلك سبعة رجال الموجودين بمراكش، المنتسبين أصلاً إلى أربعة

يكن المخزن الموحي صاحب المبادرات الفلاحية مهتماً بالموضوع إذ لم تكن له معامل رسمية للنسيج (دور الطراز) (ابن خلدون، العبر، 1 : 266 و 267)، فالمنسوجات والأثواب الحريرية كانت تستورد من المشرق ومن الأندلس وإفريقية.

لما جاء بنو مرين واستولوا على السلطة في المغرب، تأثروا كثيراً بإمارة غرناطة، فأحدثوا معملات للنسيج المخزني (دار الطراز)، واعتمدوا في كثير من المواد المستعملة في المشعل ومنها الحرير على الخارج : أما دخول غرسة شجر التوت وتربية دودة القز فلم تدخل المغرب إلا في القرن التاسع الهجري (15 الميلادي)، وقد أثار دخولها كثيراً من المشاكل والمنازعات بين المزارعين والمنتجين للحرير سجلتها كتب النوازل الفقهية (المعيار، 5 : 36- 37- 59- 60- 62- 238، 241 وج. 6 : 73 و 178 : 7 : 150 : 8 : 130).

تركزت غرسة أشجار التوت وتربية دود القز في ضواحي مدينة فاس. وقد تحدث الحسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا عن مدينة خيس مطهرة التي خربت في الحروب المرينية فأعاد الغرناطيون النازحون إلى المغرب تعبئتها : فغرسوا التوت الأبيض لإنتاج الحرير، ونفس التجربة جرت في جبل أزگان (وصف إفريقيا، 1 : 281)، ونظراً لمحدودية الأشجار وقتها، كانت أوراق شجرة التوت تباع في الأسواق المحلية (المعيار، 5 : 238 و 241 و 6 : 73)، ووجد أشخاص يمتلكون أشجار التوت وليست لهم خبرة بدودة القز ويطلبون الشراكة فيه (المعيار، م. س.). وجاء عند ابن البناء في رسالة في الأنواء ص. 5 قوله : "وفي شهر فبراير تبدأ النساء بتحصين بيض دود الحرير في نحورهن"، وهي عادة معروفة عند البلدان ذات التقاليد العريقة في هذه الفلاحة. ويظهر النص إحدى التقنيات الدقيقة والمعقدة التي كانت تربية دودة القز تتطلبها، ولعل ذلك التعقيد هو الذي جعلها لا تنتشر في المغرب منذئذ، فأشجار التوت انتشرت بشكل كبير ونجدها في كل جهات المغرب اليوم، لكن هذا الانتشار لم يوازها انتشار في تربية دودة القز ولا في إنتاج الحرير بل ولم يوازها حتى انتشار استهلاك فاكهة التوت الشجري.

إضافة إلى هذه العوائق، نشير إلى عائق أساسي كان أكثر تحكماً في الإنتاج أو عدمه، وهو الاستهلاك، الطلب والعرض. فهذا القانون الاقتصادي تحكمت فيه بصفة خاصة حياة الأعيان من رجال المخزن وعلية القوم، وبمستوى عيش مرتفع، وهذه شروط افتقدها المغرب منذ نهاية الفترة الوسيطة الثانية. وتجدر الإشارة إلى أن تربية دودة القز وتصنيع الحرير ونسجه كان من اختصاص النساء (المعيار، الأنوار م. س.).

ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،

بيروت، 1948 و تطوان 1960 : ع. الرحمن بن خلدون، العبر، ج. 1

و 6 و 7 (المقدمة) دار البيان بيروت بدون تاريخ : الونشريسي،

المعيار المغرب، الطبعة الحجرية، فاس، طبعة وزارة الأوقاف

من رجالات "رگراگة" الذين قدموا إلى حاحة من الأندلس، وهم "أضح" و"عقلمة" و"أردون" و"أرثون". وقد تناسل من هؤلاء الأربعة سبعة رجال وهم :

"سيدي واسمين بن يعزى بن مهدي بن إسماعيل بن مروان بن علقمة" (سلطان رجاجة).

"سيدي أبو بكر المسمى إشماس بن عكرمة بن غيبين بن أبي خابية بن أمج"

"سيدي صالح بن أبي بكر إسماس".

"سيدي عبد الله الملقب بأدناس بن عامر بن دائم بن مجاهد بن أردن".

"سيدي عيسى بوخابية بن كويهل بن حارث بن زياد بن أرثن"

"سيدي يعلا بن واصل بن إسماعيل بن مروان بن علقمة"

ولعل هذا ما يذهب إليه الكانوني حين يقول : "وهذه القبيلة كانت لها فضيلة السبق لتلقي الإسلام بالمغرب. نبغ فيها رجال سبعة لهم ذكر في اعتناق الإسلام والدفاع عن حوزته. رئيسهم السيد واسمين دفين جبل الحديد..."

إجمالاً تكون الأضرحة خمسة وعشرين والنزوايا أربع عشرة وهي : (إكرات) (تالمست) (أقرمود) (وتنانة) (أيت بوطرطيش) (توريرت) (أيت بوالاعلام أغيسى) (مرامر) (تكتنت) (مرزوق) (أمزيلات) (سكياط) (أيت ياعزى).

أما عن الأضرحة، فنجد من أهمها ضريح "سيدي عبد الجليل" أو ما يسمونه (مول الواد الأخضر) الذي يوجد في (سبت تالمست) ويمر به واد يقصده الناس للتبرك والسياحة نظراً لموقعه في مناطق جبلية تجذب إليها الزوار. ويكون موسمها مناسبة كذلك لتلاقي أبناء المنطقة وحضور طرقي وطني وما يرافقهما من طقوس احتفالية ودينية معينة. نجد كذلك من أهم الأضرحة، ضريح سيدي أحسين مول الباب الذي عاش في القرن العاشر (16 م)، وإليه يرجع الفضل في تحرير مدينة أكويز من يد البرتغال، ويوجد هذا الضريح عند مصب واد تانسيفت.

مجمّل القول فإن معظم أصحاب هذه الأضرحة هم أولياء وعلماء ومجاهدون ساهموا في حركات الجهاد ضد التسلط المسيحي. ولعل ما يلفت الانتباه في هذا الدور هو التبرك أو اقتناء "الباروك" الذي قد يكون عبارة عن شراء بعض المقتنيات، أو زيارة الشرفاء والشيخوخ في خيمتهم وتقديم الهدية أو الفتوح أو "الرفودة" ثم بعد الدعاء، يتسلم "الباروك" الذي هو عبارة عن تمر أو سكر...

وبعد خمسة وثلاثين يوماً من التنقل، يعود الدور إلى مرحلة انطلاقه لاقتسام الفتوحات والدعوات للجميع من أجل الحضور في الدور المقبل في ظروف جيدة.

مراحل الدور : يبدأ الدور "بسيدي علي بن أبي علي" غالباً يوم الخميس، حيث تلتقي الطائفة بالمقدمين، وكذا يوم الجمعة. أما ليلة السبت فيكون الدور بزواوية (كرات) ويوم

الأحد بسيدي "محمد بن عبد الجليل". أما الاثنين فينتقل الدور إلى "سيدي إبراهيم"، ويوم الثلاثاء يحط الدور بزواوية سيدي "عيسى أبي خابية". ثم يقصدون "سيدي أبي القاسم" يوم الأربعاء وبييتون بدار "القائد الحاجي" أما يوم الخميس فيقصدون زواوية (رتنانة) ويوزرون سيدي "إسحاق". أما يوم الأحد فيكون دور "سيدي منصور"، ويوم الاثنين "سيدي عبد البطاش" والمبيت يكون بزواوية "أقرمود" التي يكون دورها يوم الثلاثاء. وبييتون يوم الأربعاء "بالجامع الأبيض". ثم يقصدون مدينة (الصويرة) يوم الخميس، حيث يزورون "سيدي مكدول" ويمكثون يوم الجمعة والسبت. أما يوم الأحد فيصل الدور إلى سيدي "محمد واسمين" بقبيلة (الحنشان) ويصل يوم الاثنين إلى (لا لا توريدت) وأختها (لا لا البهية).

أما يوم الثلاثاء فيكون "سيدي أبي الامان" و"سيدي عبد الرحمان بن سعيد" و"سيدي سعيد بوغنبور" و"سيدي يعلى بن واطل". ثم يصل يوم الخميس إلى "سيدي عيسى مول الوتد". ويوم الجمعة يكون موعد الدور عند "أبي العلم" ويوم السبت (بزواوية مرزوق). ويوم الأحد رباط (سكياط) المعروف بلا لا بيت الله. أما يوم الاثنين فيزورون "لا مزلات". ويوم الثلاثاء يصلون إلى سيدي "أحمد الشتوف". ويوم الأربعاء يصل الدور إلى (صويرة أمرام) بقبيلة الحارث. أما يوم الخميس فيصل الدور إلى سيدي عبد الله "مول الغيران" بقبيلة (المدارعة). ويقصد يوم الجمعة سيدي "محمد بن إبراهيم". ويوم السبت "سيدي العربي". ويوم الأحد يصل إلى سيدي "سعيد" السابق. ويوم الاثنين يذهبون إلى (مسكالة) ومنها يقصدون "سيدي عبد الله بن سعيد" يوم الثلاثاء، ثم إلى "سيدي عبد الله بن واسمين". ويصلون يوم الجمعة إلى "سيدي علي المعاش" بسوق الأحد وفيه تلتقي الجموع وتتوزع الفتوحات.

البشير عبد الله بن محمد، السيف السلور فيمن أنكر على الرگراگيين صحة الرسول #، مطبوعات معهد الشعب الإسلامي، الصويرة، 1987. : محمد الصديقي، إنقاظ السريرة بتاريخ الصويرة : أحمد الرجراجي، الشمس المنضيرة في أخبار مدينة الصويرة : محمد بن أحمد العبدى الكانوني، أسفى وما إليه قديماً وحديثاً.

علال رگوگ

**الدور (في الموسيقى)**، مجموعة من النقرات الموقعة بالكف أو بإحدى الآلات النقدية، تلتزم على نحو متين لتشكيل وحدة زمانية أساسية للهيكل الإيقاعي الذي تقوم عليه الجملة الموسيقية في طرب الآلة، يتوالى أداؤها وفق أنساق تتعدد وتختلف بتعدد الميازين واختلافها، فتأتي منفصلة أو متصلة أو ساكنة، كما تأتي قوية أو ضعيفة أنا آخر، بطيئة طوراً وسريعة آخر، ومن توالي الأذوار تستقيم الجملة الموسيقية الواحدة.



منعطفاته (دوراته) على مسافات طويلة. كما أن وجوده في وسط المجرى الأدنى من النهر لم يؤهله لري سهل دكالة الذي استأثر به سد إمفوت في الأول ثم سد المسيرة فيما بعد.

لقد كان الهدف من بناء سد الدورات إمداد الجديدة على الخصوص بالماء الصالح للشرب، ولا سيما إنتاج الكهرباء، طبقاً لسياسة التصنيع وعقب التمدين السريع الذي شهدته الأقاليم المجاورة بعد الحرب العالمية الثانية. فكان يحظى بمكانة أكيدة وسط السدود المغربية وفي حوض أم الربيع، لكنه ابتداء من نهاية السبعينيات أخذ يفقد أهميته، حيث نزل إنتاج الكهرباء من حوالي 100 مليون كيلواط في الساعة سنوياً إلى حجم متواضع يقل عن 10 ملايين كيلواط. بذلك فرق كبير بينه وبين إنتاج سدي إيمفوت والقصة الزيدانية، حتى إن التصميم المديرى لنهر أم الربيع (1976) جعل منه بالأساس مصدر تزويد ساحل الجديدة بالماء المنزلي والصناعي.

ومنذ أواسط الثمانينيات تم بالفعل مد قناة من طرف المكتب الوطني للماء الصالح للشرب، قطرها 800 ملم تربط بحيرة السد بالجرف الأصفر لسد حاجيات الميناء والمركب الصناعي ثم بعض القرى الموجودة في الطريق وكذا مولاي عبد الله ثم سيدي بوزيد والجديدة.

م. عساد، أم الربيع (نهر -)، إمفوت (سد -)، معلمة المغرب، جزء 3، 1991.

J. Coup, *L'Oum ErRbia*, Trav. Ins. Sci. Cher., N° 9, Rabat, 1960 : A.N.A.F.I.D., *Spécificités de l'aménagement hydro-agricole au Maroc*, Rabat, 1979 : SDAR du Groupement du Grand El Jadida, *Rapport de synthèse*, 1983.

مصطفى عياد

#### دوردوس Dourdous جبل ذكره الجغرافي بطليموس :

Ptolémée, 4, 1, 6. واعتبره من بين الجبال الهامة في موريطانية الطنجية، قائلاً : "ويوجد فيها القسم الغربي من دوردوس حسب الإحداثيات التالية : الطول 10 درجة والعرض 29 درجة و30".

ظن شارل تيسو أن الأمر يتعلق بالقسم الشرقي من سلسلة جبال الأطلس المتوسط، حيث ينبع نهر ملوية. ولا حظ أن هذه المرتفعات تمتد في غرب الجزائر، حسب ما يوحى به وصف بطليموس لجبل دوردوس.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1878.

محمد مجدوب

الدورو Duro، كلمة إسبانية تدل في الاستعمال الإسباني في مجال العملة على القطعة الفضية الكبيرة من خمس بسيطات، بينما يطلقون اسم الريال على قطعة

ولأهمية الأدوار في أداء الحان الموسيقى الأندلسية وضبط ميازينها عمد محمد بن الحسين الحايك في كتابه إلى وضع أرقام في مستهل كل بيت من أبيات الضمات يرمز إلى عدد أدواره، فكانت ترى الموسيقيين إذا تنازعوا في عدد أدوار شغل - مثلاً - ترافعوا لذلك الكتاب حكماً بينهم، على حد تعبير عالم الرباط سيدي إبراهيم التادلي. وعناصر الدور ثلاثة تختلف أسماؤها باختلاف الأداة المستعملة لإحداثها. فهي بالنسبة للدربوكة : الدمة والثكة والسككة، وهذه مصطلحات شرقية أصبح تداولها شائعاً بين أرباب طرب الآلة في السنين الأخيرة، وهي بالنسبة للطراندة والزنج والفاصلة، وبالنسبة للتوسيد اليدوي الندفة والندفة والفاصلة. وتعني على التوالي : النقرة القديمة، والنقرة في حاشية الطر باليمنى، والنقرة في حاشيته باليسرى.

ع. العزیز بن عبد الجليل، مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية، سلسلة عالم المعرفة، 1983، ص. 212، الكنوية : معجم مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية، منشورات معهد الأبحاث والدراسات للتعريب، الرباط، ص. 22.

عبد العزیز بن عبد الجليل

#### دورات Dorath، إحدى المدن الداخلية بموريطانيا

الطنجية، يوطنها بطليموس (IV, 1, 15) بين خطي عرض 31°15' وخط طول 9°1'. وبالتالي فهي توجد بين وادي أم الربيع وتانسيفت. ويبقى مكانها مجهولاً بالنسبة إلينا وإذا كانت قد تركت بعض البقايا الأثرية فيجب البحث عنها في هذا الاتجاه.

Ptolemée, *Géographie*, IV, 1, 15 ; Denau, *Dorath*, R.E., col. 1551 ; R. Roget, *PSAM*, 1938, p. 36 ; O. Mac Carthy, *Africa Antiqua, Lexique de géographie comparée de l'Afrique ancienne*, R.A., 1887, p. 255.

عبد العزیز بلقايطة

#### الدورات (سد -)، شُيّد ما بين سنتي 1946 و1950

على نهر أم الربيع الذي يعد أطول وأهم الأنهار المغربية انتظاماً وتهيئة، ويقع بين سد إمفوت (1939-1944) الذي يبعد عنه بخمسين كيلو متر، وسد سيدي سعيد معاشو (1925-1929) في السافلة، أي عند نقطة التقاء أربع وحدات طبيعية، وهي سهل دكالة وكتلة الرحامنة وسهل الشاوية وهضبة الفوسفاط.

تتمثل أهم خصائص سد الدورات في كونه مبنياً بالخرسانة ومجهزاً بثلاثة أسكار لتفريغ 3500 م<sup>3</sup> كحد أقصى، وكذا في امتداده على مسافة 125 م طولاً و40 م ارتفاعاً، واتساع بحيرته على مساحة 28 كلم<sup>2</sup>. ويتميز موقع الدورات بانعدام أي رافد يذكر أو أي فرشة مائية لها أهمية على نطاق واسع. بل يتعلق السوادي وتساوتر

صغيرة هي البليون، وهو جزء واحد من عشرين جزءاً من الدورو، فالريال يساوي عشرين بليوناً، لكن في الاستعمال المغربي لا يوجد فرق بين الدورو والريال، ونتيجة لهذا الفرق في الاستعمال وقعت مناقشة هذا الاختلاف أثناء تحديد غرامة حرب تطوان سنة 1860 وقد نُص في معاهدة الصلح على مختلف المصطلحات لتحديد قيمة الدورو، فجاء في البند التاسع "أن عشرين مليون دورو هي أربعمائة مليون من الريال البليون" وما يزال المغاربة إلى اليوم يستعملون كلمة الدورو لقطعة خمس سنتيمات في مناطق الريف والمغرب الشرقي، بينما يستعملون كلمة الريال في مختلف جهات المغرب بعد استعمال الدرهم كوحدة أساسية للعملة المغربية.

م. داود، تاريخ تطوان، المطبعة المهدية، تطوان، 1964، ج. 12، ص. 284؛ ع. أفا، مسألة النقود في القرن التاسع عشر، ص. 138 و402.

F. Mateu Y Llopis, Nota para estudio de los orígenes del sistema monetario Español, Numisma, Madrid, ano. 14, n° 67, Marzo - Abril, 1964.

عمر أفا

**دوري**، Paul Doury، ضابط فرنسي كانت له أدوار ريادية في غزو المغرب من جهة واحات الجنوب الشرقي، ولد سنة 1867 وتخرج من مدرسة سانسير العسكرية سنة 1889 وحصل على رتبة ملازم سنة 1891. ثم التحق بمصلحة الشؤون الأهلية بالجزائر فاشتغل في جلفة والعريشة وأولاد جلال ابتداء من 1895. وفي سنة 1897 أسندت إليه قيادة فرقة من الكوم على الحدود الجزائرية المغربية. وفي أبريل 1902 حصل على رتبة قبطان وحرر مقالا عن المغرب أثار انتباه الأوساط المعنية. ثم إنه اشتغل مع ليوطي ابتداء من سنة 1904 فكلفه بقيادة ملحقة بني عباس مع قيادة الفرقة الصحراوية لوادي الساور، ثم عينه على رأس مكتب بشار مع المسؤولية عن نفس الفرقة العسكرية التي أصبحت بمثابة سن الرمح في غزو التراب المغربي من تلك الجهات، فكانت هي المسؤولة عن هجوم كارة الضويفة (31 دجنبر 1904) وغزوة تافلات (نونبر 1906) ومعركة المناهبة (16 أبريل 1908) والجرف (7 شتنبر 1908) والهجوم على بني جيل (دجنبر 1908) مما أنال دوري ترقية سريعة وأكسبه معرفة موثقة بتضاريس المنطقة ويشؤونها. وتجلي ذلك في ما نشر له في مجلة لجنة إفريقيا الفرنسية عن سكان ناحية بشار، وفي المقال الذي كتبه عن المسالك من "جيسر إلى موريطانيا" بناء على ما كان قد استقى من المعلومات من رُحّال أولاد جرير وذوي منيع. وكان ذلك إشارة إلى ما كانت الجيوش الفرنسية تروم إليه من تطويق المغرب من جهة الجنوب.

ثم إن دوري عين قائدا على دائرة مشرية في مارس

1914 إلى أن ألح ليوطي ليُلحق بالمغرب فأُسند إليه قيادة منطقة بوذنيب في 11 يونيو 1915 وبعد ذلك بقليل حصل دوري على رتبة ليوطنان كولونيل (أبريل 1916). ومنذ أن أمسك بزمام الأمور هناك وهولا يفكر إلا في أمرين: الربط بين بوذنيب ومكناس عبر الأطلس المتوسط واحتلال واحة تافلات بكاملها. فبخصوص الأمر الأول، استطاع دوري أن يحدث مراكز احتلالية ثابتة في بني تاجيت وتالسينت والريش وقصر السوق، مما مكّنه من ربط الاتصال بجيوش مكناس التي زحفت في اتجاهه بقيادة الجنرال پويميرو (Poemyreau) فأحدث مركز ميدلت بالمناسبة. وسهر على ربط الاتصال أيضا بمنطقة وجدة عبر ميسور والتجود الشرقية، وكل ذلك في غضون 1917 أما بخصوص تافلات فإنه بادر إلى مهاجمتها، لكن المجاهدين الفيلايين تصدوا له بكل قوة في معركتي مسكي (9 يوليوز 1916). والمعاضيد (16 نونبر 1916) ولما تم الربط مع مكناس ظن دوري أن تافلات هان أمرها فأقام مركزا ثابتا بتيغمارت غير بعيد عن الريصاني وأسند مهمة التجسس فيه للترجمان أوسطري (Oustry)، إلا أن المقاومة سرعان ما تصدت لذلك حيث قتل أوسطري وانتظمت صفوف الجهاد بقيادة مُحَا نيفروتون وبلقاسم النكادي، وكيلت ضربات موجعة لجيوش الاحتلال في معركتي الكاور (9 غشت 1918) والدار البيضاء قرب تيغمارت (دجنبر 1918) فلما علم ليوطي بتلك الهزائم أدرك أن تحركات دوري كان من شأنها أن تنتهي بالحماية الفنية إلى ما لا تحمد عقباه فقرر الجلاء عن تافلات، وأبعد دوري عن المسؤولية في المغرب. وهكذا عاد هذا الضابط إلى الجزائر حيث عين قائدا لبعض فرق الرماة الجزائريين بمستغانم ثم بعد حين من ذلك فضل التقاعد المبكر وأقام في الجزائر يشتغل بالكتابة عن عمليات التمهيد.

*Bulletin de Comité de l'Afrique Française (B.C.A.F.). 1916 - 1917 - 1918 - 1919 ; Les opérations militaires au Maroc. Paris, 1931 ; R. Peyronnet, Livre d'or des officiers des affaires indigènes, Alger, 1930.*

إبراهيم بوطالب

**دوريزة** Douriza، اسم مرجة Lac أو Lacum في اللغة اللاتينية. إن مرجة دوريزة هي من بين الأسماء القليلة التي تعرفنا على المعالم الجغرافية في المغرب القديم، الذي كان يدعى موروسية Maurusia عند الكتاب الإغريقين، أو موريطانية Mauretania عند اللاتينيين.

إن الشاعر هوميروس Homère في القرن التاسع قبل الميلاد، وبعده الشاعر هيسودوس Hésiode في القرن الثامن أو بداية القرن السابع قبل الميلاد، قد تحدثا في روايات أسطورية عن الأطلس كعلمة جغرافية أو على أنه كائن بشري. لكن المواقع الجغرافية الدقيقة التي وردت ضمنها مرجة دوريزة، مثل تينغي Thingué (طنجة

Scylax, 112. وفي ظني أن هذه المرجة التي ذكرها سكولكس، والمرجة الأولى التي ذكرها حنون قبل واد لكسوس، كلاهما ينطبق مع مرجة دوريزة.

تصدي تيسو في تحرياته الميدانية، لفكرة كتاب سبقه ظنوا أن مرجة كيفسياس هي مرجة رأس الداورة. واعتبر أن الوصف الجغرافي في رحلة سكولكس جد دقيق، لكونه حصر موقع المرجة بين رأس سبارطيل وواد لكسوس. ولذلك اقترح أن المرجة تتكون من أحواض المجاري المائية بين تاهدارت ولمحرر : Tissot, Recherches, p. 193 - 200. إن الباحث غراس : (Gras, La Mémoire de Lixus, p. 39) اهتمت مؤخراً برأي تيسو، فجعل المرجة في مصب واد تاهدارت والمنخفضات المتصلة بها، ثم اعتبر واد أنيديس هو واد غاريفة، مؤيدا في ذلك رأي ديزانج في الكتاب الذي خصه لدراسة مصادر الرحلات القديمة حول إفريقيا : (Activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique). أما الجغرافي سترابون، فقد أشار إلى أن موروسية تكثر فيها المراتج، دون ذكر أسمائها : 4 : 3. 17. Strabon. ثم تحدث بلينيوس الشيخ بدوره عن مرجة كيفسياس قرب المحيط، مينا أن المورين يدعونها باسم Electrum، وهي مادة تتكون طبيعياً وتتجمع فوق مياه المرجة حسب الكاتب : Plin l'Ancien, 37, 78.

خلاصة القول، إن التساقطات المطرية الغزيرة التي اشتهرت بها موريطانية، كانت تتجمع في أحواض الوديان بالشمال الغربي من المغرب، خاصة بين مصب تاهدارت وسبو. ولقد لفت ذلك نظر القدماء المهتمين بجغرافية المغرب القديم. ويتضح أن العلم بمرجة دوريزة منذ القرن السادس قبل الميلاد، يدل على أن للمغرب القديم حضوراً في الحقل المعرفي، للحضارات التي تكونت في بلدان البحر الأبيض المتوسط.

Ch. Tissot, Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane, Paris, 1878 ; R. Roget, Le Maroc chez les auteurs anciens, Paris, 1924 ; J. Desanges, Activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique, Rome, 1978 ; Idem, Commentaire de Plin l'Ancien, Livre 5, Paris, 1980 ; Lixus dans les sources grecques et latines, 1992 ; R. Rebuffat, Recherches sur le bassin du Sébou, 2, le Périple d'Hannon, B.A.M. 16, 1985 - 6 ; M. Gras, La mémoire de Lixus, de la fondation de Lixus aux premiers rapports entré Grecs et Phéniciens, Rome, 166, 1992.

محمد مجدوب

**دوشلار**، پ - پ - Du Chalars (Priam - P.) وُلد سنة

1590 بإحدى القرى بضاحية بوردو الفرنسية، من والدين كانا ذوي صلة بالأسرة الملكية الحاكمة وقتئذ، مما جعلها يتبوأان مكانة شرف ونبل وتقدير بفرنسا - ذلك ما أتاح لابن بريام - بترس ولوج المدرسة الابتدائية التي كانت الكنيسة تهيمن عليها، ثم بعد ذلك اندرج في سلك التكوين العسكري الذي لم يكن مفتوحاً إلا في وجه أبناء

الحالية)، نجدها عند الكاتب الإغريقي هيكتاتي الميلتي Hécatée de Milet الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد. ينتسب إلى مدينة ميليتة الواقعة في إقليم إيونية Ionia في آسيا الصغرى، حيث تستوطن جاليات إغريقية. حسب هذا الكاتب إن مرجة دوريزة تقع في ليبية (الاسم القديم لقارة أفريقية)، بجوار نهر لكسوس Lixos وهو واد اللكوس حالياً.

إن الباحث ديزانج في إحدى مقالاته الأخيرة (Desanges, Lixus, p. 3) يرى تطابقاً بين كلمة دوريزة وأسماء قديمة لعالم جغرافية وردت عند بعض الكتاب المتأخرين عن هيكتاتي الميلتي. يتعلق الأمر باسم "ديريس" Dyris أو "دورين" Durin أو "أديريس" Addiris أو "ديور" Diour. (انظر مادة ديرييس (Dyris)). ويرى الباحث نفسه، في تعاليقه وشروحه للكتاب الخامس لبلينيوس الذي قام بتحقيقه وترجمته، أن هناك تقارباً بين هذه الأسماء القديمة، وكلمة "أدرار" التي تجمع على "إدرارن" ومعناها الجبل Desanges, Commentaire de Plin, p. 133.

بعد هيكتاتي الميلتي تواترت الأخبار عن عدة مرجات بأسماء أخرى في المغرب القديم، في مجال يتضمن الجهة التي ذكرت فيها مرجة دوريزة، وذلك بين رأس صوليس Soleis (رأس سبارطيل) وحوض واد سبو. أغلب المعلومات حول هذه المراتج تجعلها في مصبات الوديان حيث تتحول إلى مرجات، أو هي مرجات تخترقها الوديان أو تنطلق منها في المنبع.

إن حانون القرطاجي في رحلته حول السواحل الأطلسية من المغرب القديم، تحدث عن مرجة لم يذكر اسمها قائلاً : "بعد رأس صوليس، حيث أقمنا مذبحاً لبوسدونوس Poseidonius، أبحرنا مدة نصف يوم حتى وصلنا إلى مرجة قريبة من البحر، يغمرها قصب كثير وشديد العلو". وفي سياق آخر ذكر ما يلي : "انطلاقاً من جزيرة كيرني Kerné أبحرنا بسفننا في نهر يدعى خرتيس Chrétis، ثم وصلنا إلى مرجة تطل عليها مرتفعات بجوها أناس متوحشون، كانوا يضربوننا بالحجارة لمنعنا من الرسو" Périple d'Hannon, 4 et 9.

حسب إحدى الدراسات الأخيرة حول جزيرة كيرني، يرى رويوفا أن واد خرتيس هو سبو، وأن المرجة المشار إليها تتكون من فيضانات واد سبو، التي كانت تغمر مجراه قديماً في سهل الغرب قبل مصبه Rebuffat, Recherches, p. 263 - 66.

وفي رحلة أخرى ذكرت مرجة تدعى كيفسياس Kêphésias بجوار مدينة بونتيون Pontion، فيها أعشاب من بينها القصب، وتعيش فيها طيور تدعى Méléagrides وهي لا توجد في أية بقعة أخرى من العالم حسب الكاتب. وفي ذكر صاحب الرحلة لواد أنيديس Anides، قال إنه يصب في مرجة كبيرة وذلك قبل واد لكسوس، Périple de

أعيان البلد من المصطفين ممن يحظون بعطف الحكام.  
وتخرج دوشلار ضابطاً في البحرية الحربية سنة 1626،  
فأسندت له قيادة سفينة تابعة للأسطول الفرنسي الذي كان  
يدوره تحت القيادة العامة للأخوين : إسحاق وجبريل  
وأزيلي.

كانت العلاقات يومئذ متوترة للغاية بين النظام المغربي  
الرسمي وبين فرنسا بسبب أعمال القرصنة في مياه سلا من  
جهة، وأسر العديد من الفرنسيين، ومن بينهم أفراد من  
كبريات العائلات الفرنسية - الذين تمّ اعتقالهم على اثر  
"اختطاف" السفينة الفرنسية التي كانت تحمل خزانة زيدان  
من أسفي إلى أكادير من جهة أخرى.

واتفق أن قرّر الوزير الأول الفرنسي، المطران ريشوليو  
(Richilien) - في عهد الملك لويس 13 - إرسال أسطول بحري  
حربي إلى المغرب للتصّط على القراصنة السلاويين وعلى  
عبد المالك السعدي - الذي تولّى الحكم بعد وفاة والده  
زيدان - في يونيو 1629، وكانت ضمن الأسطول سفينة  
"لارونومي" تحت قيادة الضابط دوشلار (بريام - بترس).

ووصل الأسطول إلى سلا يوم 20 يوليوز، فبعث رازيلي  
بإنداز شديد اللهجة إلى العياشي الذي لما يمض على تأسيس  
ديوانه الحاكم بحوض أبي رقرق وتامسنة إلا عام ونيّف -  
قرّر العياشي على الانذار بخطاب توعد فيه النصارى  
بالويل والثبور، وذلك ما دفع قائد الأسطول الفرنسي إلى  
ضرب الحصار البحري على سلا، ثم ابتعد عن المكان  
متوجّها إلى العمورة التي كانت وقتئذ تحت الاحتلال  
الإسباني، وأوفد دوشلار إلى أسفي حيث يقيم عبد المالك  
بن زيدان خلال الصيف، وكان الهدف من هذه البعثة  
مفاوضة السلطان في تبادل الأسرى بين الجانبين وعقد  
معاهدة سلم.

غير أن عبد المالك لم يبذ أية رغبة في التفاوض  
والحصار مضروب على سلا، فراح ينتهج سياسة التسوف  
إلى أن عرض على ديوان سلا هدية سنّة أشهر ابتداء من  
مستهل أكتوبر من نفس السنة وأقلعت السفن الفرنسية  
راجعة إلى فرنسا خوفاً من مغبة تمديد رسوها بالمياه المغربية  
علماً أن أصعب الفصول ملاحه كان الحريف والشتاء وقبل  
أن يرحل دوشلار عن أسفي أبي إلا أن يقدم هدايا إلى عبد  
المالك بن زيدان قبلها على مضض.

وبالفعل، عاد دوشلار إلى المغرب في مهمّة ثانية حيث  
رست سفينته الحربية "لارونومي" يوم 23 يوليوز 1630 أمام  
سلا ضمن أسطول حربي تمكّن بسرعة من الاستيلاء على  
ثلاثة مراكب في ملك مجاهدي سلا، وذلك ما حملهم على  
التفاوض، وكان دوشلار هو الذي يقود المفاوضات من جانب  
الطرف الفرنسي. وقد أحرز تقدماً كبيراً وتوصّل الجانبان  
إلى اتفاق في عدة قضايا وأبرما معاهدة هدنة بينهما لمدة  
ستين، وذلك بدءاً من 3 شتنبر 1630.

بعد ذلك، رحل دوشلار إلى أسفي أملاً في التوصل

إلى اتفاق حول الأسرى الفرنسيين. لكن عبد المالك كان  
يماطل، فأقدم الأسطول الفرنسي على حجز سفينة كانت في  
ملك اليهود أولاد بلياش (انظر بلياش، معلمة المغرب، ج  
4، ص. ص 1372 - 1373). وأذكر أنه كان لهذه الأسرة  
اليهودية حظوة كبرى لدى الملوك السعديين، انطلاقاً من  
زيدان بن أحمد المنصور.

قام أولاد بلياش بمساع كبرى لدى عبد المالك الذي  
تنازل للتفاوض بدون مقابل في موضوع الأسرى الفرنسيين.  
واستغرقت المفاوضات عدة أسابيع لم تسفر معها على  
نتائج ترضى الجانب الفرنسي. وكان الحريف على الأبواب،  
فقرّر قائد الأسطول الفرنسي العودة إلى قواعده. إلا أن عبد  
المالك أطلق سراح هؤلاء الأسرى الذين قادهم من مراكش  
إلى أسفي القائد يحيى الجناتي، الذي لما وصل إلى أسفي،  
وجد أن سفن البعثة الفرنسية قد أبحرت قبل ذلك بثلاثة  
أيام.

واغتاز عبد المالك وهو يحسّل المسؤولية دوشلار وقائد  
الأسطول الفرنسي وأعرب عن احتجاجه وسخطه إلى ملك  
فرنسا ملتسماً منه اتخاذ الإجراءات الضرورية ضدّ الذين  
"لم يقيموا وزناً لملك المغرب وزاغوا عن أوامر ملك فرنسا".  
وفي مستهل صيف عام 1631 أوفد لويس 13 بعثة  
ثالثة لتنهئة الوليد الذي اعتلى عرش المغرب خلفاً لشقيقه  
عبد المالك الذي قُتل قبل ذلك بأشهر - ولمواصل المفاوضات  
حول الأسرى وإبرام معاهدة صلح بين البلدين. وضمت  
البعثة مرّة ثالثة دوشلار ودومولير الذي كانت له تجارب  
وخبرة في الحقل الدبلوماسي.

وتوصل دوشلار ورفيقه إلى حلول مرضية مع الوليد،  
حيث تمّ تسليم الأسرى المغاربة الذين كان الفرنسيون  
يتغلّبونهم عيماً في التجديف لسفنتهم، وتسلم دوشلار  
الأسرى الفرنسيين الذين أخذ الوليد يشغلهم عيماً في  
ورش قصر له بأيير التي حملت فيما بعد اسم "الوليدية"  
إضافة إلى ذلك، أبرم الطرفان معاهدة صلح وحسن المعاملة  
بينهما.

واغتنم دوشلار هذه الرحلة فأنزّل كسّيات هامّة من  
البضائع، باتفاق مع داود بلياش الذي سلّمه وثيقة ترخّص  
بترويج تلك البضائع. وللتذكير فإن داود بلياش كان وكيل  
الملك في التجارة ومدبّر لشؤون الميناء والديوانة علماً أن  
التجارة الخارجة كانت حكرّاً على الملوك. ومن يريد من  
الأجانب أن يتجرّ في المغرب، لم يكن له غنى عن إذن  
الملك. أمّا دوشلار فإنه أمّن قنصل فرنسا بأسفي بترس  
مازي (P. Mazet) على متابعة ترويج البضائع واختزان  
ريعتها إلى أن يوفد له مبعوثاً لاستخلاصه.

وبالفعل، في غضون سنة 1632 حل بأسفي المبعوث  
لهذه الغاية وطالب أو وطلب من القنصل الفرنسي أن  
يسلّمه ما حصل من المبيعات وقد نفذت البضائع كلها.  
هنالك وقع خلاف بين المبعوث الفرنسي المسمى Du Puy

وبين بلياش من جهة - لأن اليهودي لم يستخلص نصيبه من الصفقة مقابل الترخيص - وبين القنصل الفرنسي من جهة أخرى الذي لم يكن على علم بارتشاء اليهودي بلياش - ويبلغ صدى هذا الخلاف إلى الوليد الذي اكتشف أن داود بلياش زور الترخيص وانتحل إمضاءه، واتهم القنصل الفرنسي بالخيانة لأمانته ومهمته وتجاوز اختصاصاته والتلاعب بالأوراق الدولية. مشيراً إلى ما تنص عليه الاتفاقية المبرمة قبل سنة بين المغرب وفرنسا والتي ساهم دوشلار في صياغتها وتوقيعها.

وسبب هذه الاتهامات أمر الوليد باعتقال القنصل الفرنسي ومبعوث دوشلار وإيداعهما السجن، فحبساً بمنزل كبير داخل المدينة العتيقة بأسفي بزقاق أخذ يسمّى منذ ذلك العهد إلي يومنا هذا "درب الحبس" كما أن المنزل المذكور تحوّل إلى سجن قام بوظيفة الحبس إلى أن استرجع المغرب استقلاله إلا أن البناء هرم واهترى وانهارت جدرانه ولا تزال ركابها حيث وقعت. وزيادة على اعتقال الفرنسيين المذكورين، رخص الوليد باستئناف أعمال القرصنة ضد المراكب الفرنسية. أما داود بلياش فإنه اختفى.

إلا أن الحكومة الفرنسية لم تطق هذه الأوضاع الجديدة فأرسلت إلى الوليد سنة 1634 سفارة أخرى برئاسة دوشلار الذي اكتسب خبرة في العلاقات الدولية خصوصاً مع المغرب. فحمل هدايا إلى الملك وفوجاً من الأسرى المغاربة كان بحارة فرنسيون - وغيرهم - يحتفظونهم من الشواطئ، كما حمل في حقائبه أموالاً لاقتداء فرنسيين آخرين كانوا في قبضة تجار سلاويين وفاسيين، وسمّحت له حكومته باقتراض أموال أخرى بالمغرب عند الضرورة لتحرير كل الفرنسيين حتى لا يبقى منهم أحد عبداً أو أسيراً.

وطالت المفاوضات لأن الجانب المغربي لم يكن راغباً في التعجيل بانتهائها لا سيما وأن الظروف السياسية والاقتصادية المحلية كانت تمرّ بمرحلة صعبة ذلك لأن الانفصاليين، على اختلاف مذاهبهم ومقاصدهم، انفردوا بالسلطة هنا وهناك عبر التراب المغربي وكأني بالوليد الذي كان يمثل السلطة الشرعية داخلياً وخارجياً، لم يكن يتوقّر على كامل الصلاحيات للتفاوض مع النصارى والتنازل لهم عن شيء.

وأطل عام 1635 على دوشلار وهو ينتقل بين أسفي ومراكش وسلا. وفي شهر يونيو من هذه السنة، رسّت سفينة إنجليزية بأسفي وقيمت رايته مرفوعة ترفرف على الميناء. عندها تدخل دوشلار وطالب "القبطان" الإنجليزي بانزال رايته فأبى، فبعث إليه بانذار فرفضه. عندئذ قصف دوشلار السفينة الإنجليزية، فألحق بها أضراراً وقتل ربابها. ربما كان لهذا العمل تأثير على الوليد. وما من أحد يتذكر أن معركة بحرية بين أجانب وقعت في المياه المغربية. واستؤنفت المفاوضات ونجح دوشلار في اقتداء الأسرى الفرنسيين، وتساهل الدلاتيون والسلاويون، وكل طرف حقق

مقصده وعادت الأمور إلى حالة هادئة بين المغرب وفرنسا، وذاع صيت دوشلار في الأوساط الأوربية الرسمية ولدى أصحاب المراكب التجارية.

اهتمت بريطانيا العظمى بموضوع دوشلار، فغفرت له ما صنعه بأسفي ضد إحدى سفنها، واستدرجته لتحرير رعاياها الأسرى المحتجزين لدى الدلاتيين وأصحاب العياشي بسلا، ووعدت بأنها ستوفيه بعشرة آلاف ابرة من الذهب لصفها في افتداء الأسرى، إلا أن ذلك لم يتم قبل موافقة مجلس اللوردات على هذا المبلغ، وأن عليه، إن شاء، أن يقدم تسييقاً من خزائنه ريشاً يتوصّل بالمال الموعود.

وأسكرت نشوة الفوز والشهرة الضابط - الدبلوماسي دوشلار، فاقترض المال الضروري من إحدى المؤسسات الفرنسية وحرّر الأسرى الإنجليزي في غضون أربعة أشهر من المفاوضات والمزايدات حتى إن السلاويين وغيرهم ظنوا أن صاحبهم يتوقّر على ما كان لقارون من الكنوز، وكان صاحبهم هذا، يتباهى بحظوته لدى ملك فرنسا ويلاط بريطانيا العظمى.

غير أن دوشلار لم يتوصّل بشيء من الحكومة البريطانية لأن تركيبها تغيرت أثناء عمليات الافتداء - ولم يصوت مجلس اللوردات على المشروع.

وولّى دوشلار عائداً إلى فرنسا في نونبر 1635، فتقدّم إلى البلاط الفرنسي بتقرير عن رحلاته كلها، مطالباً باسترداد الأموال التي اقتترضها بالمغرب، طبقاً لتعليمات الحكومة الفرنسية، قصد افتداء كل الأسرى الفرنسيين. فما كان جواب لويس : 13 إلا أن وجّه إليه تهمة خطيرتين، الأولى أنه انتهك سيادة المغرب عندما هاجم سفينة أجنبية في أحد موانئه (أسفي)، وحيثما كانت المهمة التي أنيطت به هي تحرير الأسرى الفرنسيين لا غير وتطبيع العلاقات بين القطرين. أما اللجنة الثانية فإنها تتجسّم في تعاونه مع بلد بينه وبين فرنسا عداوة تقليدية متجذّرة في الزمان. من أجل ذلك اقتضى أمر الملك أن يسودع دوشلار في السجن لمدة غير محدودة.

وعلى إثر تدخّلات لدى الملك نظرت محكمة في أمره بعد شهرين من السجن، وحكمت عليه بعدم الإقامة في باريس وما جاورها لمدة سنة، ووجوب أداء ما عليه من ديون مقدّرة بأربعين ألف ابرة ذهب لمستحقيها من التجار الذين أقرضوه هذه الأموال لتحرير الأسرى الفرنسيين والبريطانيين معاً لأنه ارتكب تجاوزات وخروقات.

أ. الناصري، الاستنفا، ج 6، م. حسي، الزاوية الدلانية : أ. بنجلون، من تاريخ أسفي، مخطوط.

Sources inédites de l'Histoire du Maroc, France - Saadiens, T. III ; H. Tenasse, Histoire du Maroc, T. 2 ; A. Cour, L'établissement des dynasties des Chérifs au Maroc.

أحمد بنجلون

**دوطي** أو دوتي إدمون E. Douffé من أبرز من تخرج من "المدرسة الإدارية الجزائرية" فهو واضح هذه العبارة التي تشير إلى كل أولئك الذين التحقوا بإدارة الجزائر المحتلة من الموظفين الفرنسيين فتعلموا العربية والأمازيغية وخبروا شؤون المجتمع الإسلامي هنالك حتى إذا جاء دور المغرب ليلحق بالامبراطورية الفرنسية أندس عدد منهم عبر البلاد يستخبر ويجمع المعلومات ويقترح ويقترح الخطط التوسعية على المسؤولين في تقارير مستفيضة تنقح فيما بعد فتنتشر على صفحات الدوريات أو تصدر في كتب ضخمة. وكان إدمون دوطي خير مثال عن هذا الصنف من المتجسسين الذين رفعتهم الخبرة الميدانية إلى مستوى العلم والتنظير. فإنه ولد سنة 1867 في فرنسا واتجه أول الأمر إلى دراسة العلوم الطبيعية إلى أن كتب له أن يزور الجزائر فاستقر بها ودخل سلك الإدارة المحلية فاشتغل كاهية مدير القرى المختلطة شمال مقاطعة قسنطينة فتعلم العربية وتعود على سبر أغوار المجتمع القروي الجزائري، ثم لما أتقن العربية انتقل إلى سلك التعليم في مدرسة تلمسان حيث تعرف على موليراس (Moulière) صاحب كتاب "المغرب المجهول" وصار من ثم فصاعداً يهتم بالمغرب فزار بعض جهاته بأمر من والي الجزائر ويتجهز من "لجنة المغرب" حيث طاف عبر البلاد في أربع رحلات سنة 1900 ثم سنة 1904 ثم 1906 وجمع من المعلومات والارتسامات ما بوأه مركز الصدارة من بين الخيرة بشؤون المغرب إلى جانب لي شاطليه (Le Châtelier) وميشولير (Michaux-Bellaire) ودي سيكونزاك (De Segonzac) وآخرين وكتب بذلك التقارير المتعددة ونشر بعضها في المجلات أو في مؤلفات منفصلة مما جعله جديراً بأن ينضم إلى هيئة التدريس في كلية الآداب بالجزائر العاصمة ويلحق بهيئة تحرير "المجلة الإفريقية" (La Revue Africaine) الصادرة هنالك فكان نموذجاً لتوظيف العلم لصالح الاستعمار.

وكان من أشد المتحمسين لإسناد أمر احتلال المغرب للمسؤولين الفرنسيين عن الجزائر بحكم الجوار وطول الخبرة بشؤون الإسلام والمسلمين. ولقد رفع في هذا الصدد تقريراً مطولاً لوالي الجزائر نشره سنة 1900 تحت عنوان "أسباب النهوض بالنفوذ الفرنسي في المغرب" جعله على ثمانية أبواب :

اللباب الأول عن ضرورة انتقاء الموظفين الفرنسيين المكلفين بالمصالح الفرنسية في المغرب ليكونوا من سلك القنصلة وأيضاً من سلك الشؤون الأهلية الجزائرية على أن يتعاونوا فيما بينهم ويكونوا يتكلمون بالعربية.

والباب الثاني عن كيفية ممارسة التأثير السياسي الفرنسي على المغرب باستعمال الحماية القنصلية وتوزيع الهبات المرتبة على كبار المسؤولين والشخصيات المرموقة وقتين الروابط بأرباب الزوايا وإظهار القوة الفرنسية بممارسة حق المطاردة على الحدود المغربية وإبداء الأساطيل

الفرنسية على الشواطئ المغربية وإلحاق ما يمكن إلحاقه من الثراب المغربي بالملكيات الفرنسية ومعاكسة ذلك كلما حصل من جهات أخرى (إسبانيا مثلاً) وتوظيف الصحافة للتنويه بكل ما تقوم به فرنسا.

والباب الثالث في كيفية التدخل في شؤون المغرب مباشرة بواسطة البعثات العسكرية وطقومة الأساطيل السلطانية والمجلس الصحي واللجن الصحية على اعتبار أنها نواة المجالس البلدية يوم يتم الاستعمار وإدخال موظفين فرنسيين في جهاز المخزن نفسه.

والباب الرابع عن الوسطاء بين فرنسا والمجتمع المغربي فهم اليهود المغاربة أو الجزائريون والمسلمون الجزائريون والعلاج والمهاجرة من مسلمي الجزائر الذين مضت عقود على إقامتهم في المغرب.

والباب الخامس عن تكتيف الوجود العددي الفرنسي في البلاد وتشجيع المهاجرين ومساعدتهم على امتلاك العقار والنهوض باستغلال الأرض والباب السادس عن وسائل إثبات الوجود الفرنسي بتشجيع المقاولات الصناعية وتنمية التجارة بتنمية الخطوط الملاحية واجتذاب الطرق التجارية نحو الجزائر وتمديد الشبكة البريدية والتلغرافية والحث على بناء السكة الحديدية وفرض العملة الفرنسية وإحداث المصارف والأبنك الفرنسية.

والباب السابع عن كيفية تقوية الغزو المعنوي بالنهوض بالأعمال الصحية والخيرية ومساعدة البعثات الدينية والتربوية مع إحداث مدارس فرنسية عربية واجتذاب الطلبة المغاربة إلى المدارس الجزائرية ونشر الكتب والصحافة العربية من الطابع الفرنسية واستقدام أكثر ما يمكن من المغاربة للجزائر ليطلعوا على محاسن الحكم الفرنسي.

أما الباب الثامن والأخير فإن دوطي ألح فيه على لزوم النهوض بأعمال المسح العلمي للمغرب والاكثار من البعثات العلمية مع نشر نتائجها والترويج لها من خلال الدوريات والمحاضرات.

وقد استفاد هو من ذلك فتنتقل عبر المغرب ونتج عن ذلك أجود ما كان من تأليفه ومنشوراته، فإنه جمع ملاحظاته وارتساماته في مجلدين ضخمين أولهما نشره تحت عنوان "مراكش" وهو ما رأى وما التقط من الأخبار في رحلة من الدار البيضاء إلى مراكش عبر الجديدة وأسفي ثم بلاد عبدة والرحامنة، والثاني نشر تحت عنوان "من خلال القبائل" وهو رحلة من مراكش إلى الدار البيضاء عبر قبائل گندافة وسفوح الأطلس الغربي الشمالية والأودية الحاريجة منها. بما في ذلك أغصان وزاوية سيدي رحال وقبيلة أبي السبع وقبيلة حاحة فالصويرة ثم نحو أسفي والدار البيضاء ومنها إلى الرباط ثم ذهب إلى مكناس وفاس وعاد ليغادر البلاد وفي هذين الكتابين يتجاوز دوطي مستويات المتجسس الاستعماري السراغب في كشف الستار عن

عوزات البلاد ليرقى إلى مستويات العالم السوسولوجي الذي يروم الترفع عن الأغراض الآنية ليسير أغوار الأمور بشيء من الموضوعية ففيمسا تجده يتبنى بعض الأوهام الاستعمارية مثل الظن بأن البربر هم مستقبل الإستعمار في المغرب أو أو ابداء منتهى التنقز من القبائل العربية لشيء إلا لأنها رحلية فإنك تجده من جهة أخرى يتناول بعض الأمور بتمام الحيطه والموضوعية فيقارن مثلاً ما وقف عليه من الحرافات والطقوس في المغرب بما كان يوجد منها في أوروبا عامة وفي بادية فرنسا على وجه التخصيص كما ينوه بنبل المغاربة وحسن سيرتهم على بساطة عيشتهم ويتأسف سلفاً على ما قد يتلاشى من ذلك يوم تدخل عليه المدينة الصناعية فله في هذا الباب فقرات كأنها مستوحاة من الفيلسوف روسو (Rousseau) مباشرة.

ومن أفيد ما جاء به ما كتبه عن البنيات الاجتماعية والسياسية للقبائل التي زارها كأوصافه لقبيلة الرحامنة في كتاب "مراكش" وأوصافه لقبيلة حاحة في مقال أصدره سنة 1905 في مجلة "الاستعمارات الاستعمارية" وأيضاً وصفه للسلطنة المغربية في مجلة السياسة البرلمانية (سنتبر 1909) ففي هذه الأبحاث يبدو دوطي عالماً بكل ما في الكلمة من معنى. وله إشارات واستخلاصات تدل على أنه أحسن استكناه المجتمع المغربي وأدرك منه ما لم يدركه آخرون فمن ذلك قوله عن الملكية في المغرب إنها "ليست مؤسسة سطحية أو مما يمكن عدم أخذه بعين الاعتبار" وترتبط هذه الملاحظة بأخرى اعم منها وهي أن النظام السياسي المغربي مختلف كل الاختلاف عن الفيدرالية لأن الملك فيه أمير للمؤمنين مباح له من قبل ممثلي الأمة، وهو في آن واحد شريف بركة يتبرك بشرف نسبه، والقواد إزاءه لا يتميزون عن باقي الخدم والحشم. وقال عن النظام الحكومي المحلي بأنه قائم على الروابط القبلية العريقة أكثر مما هو قائم على الوجود المخزني قال: "ينحصر التمثيل المخزني محلياً في القواد وفي عدد من المخازنية والفرسان [...] ولذلك لا غرابة أن لا يقع الإقليم في الفوضى إذا هم انسحبوا وتلك هي المفارقة السوسولوجية التي تعترض أنظار الملاحظ في أكثر من جهة من جهات المغرب وبخاصة في الجهة التي تشغلنا منذ ما يقرب من أربع سنوات (حاحة) فمنذ ما يقرب من أربع سنوات ومنذ وضع الترتيب الشهير لم يعد أحد يؤدي الضرائب وأضحى عدد القواد يتقلص يوماً عن يوم [...] وحيث إن السلطة قد اختفت فالمنتظر أن نجد البلاد في فوضى رهيبية والأسواق خالية والتجارة متوقفة والطرق غير مأمونة والحقول غير مزروعة [...] لكن العكس هو الذي حصل الفلاحة أزهى من أي وقت مضى والمبادلات مزدهرة والسبل سالكة، على المسلمين على الأقل، والسكان مغتبطون وفي بحبوحة من العيش" مما ينفي ما كانت تروّج له الدعاية الاستعمارية من أن الفوضى هي ما كان بطبع الحكم في المغرب ولذلك ألح دوطي على

ضرورة التعامل مع الواقع المغربي بمنتهى الحذر وبأكثر ما يمكن من التجرد فقال: "من الصعب على المسيحي أن يقوم المسلم حق قيمته وذلك لأن الحوافز العنصرية تعميناً رغماً عنا فنجعل ورعهم تعصباً وزهدهم كسلاً وتعاضدهم عصبية [...] وهكذا فإننا كثيراً ما لا نرى لدى المسلمين ما في بساطة عيشتهم من الروعة وما في كلامهم من التمييز وما في وسواسهم من الحشمة وهو ما يطلقون عليه اسماً لا سبيل إلى ترجمته وهو "الحياء" [...] وإن الحضارة الإسلامية في المغرب تخفي تحت غطاء التوحش ملاحظات لا نظير لها..." ثم ذهب دوطي بعد ذلك لسؤال عن مصير كل تلك الفصائل بعد الغزو الفرنسي حينما أن لا ينحصر هذا الغزو عند إقحام المغرب في مديت الصناعة والتصنيع واضعاً بذلك معنى الاستعمار في ميزان التاريخ. أما آخر ما صدر من أهم مؤلفاته فهو كتابه عن "السحر والعقيدة في إفريقيا الشمالية" ذكر فيه كل ما وقف عليه مما كان يشوب العقيدة الإسلامية يومئذ في البلاد من الشوائب في مختلف الميادين ومبدياً مدى ما كان من التفاعل بين المعنويات والمستويات المادية التي كان يوجد عليها المجتمع المغربي في طليعة هذا القرن. توفي دوطي سنة 1926.

J. Berque, *Cent vingt-cinq ans de sociologie maghrébine. Annales. Economie - Société, Civilisations*, Juillet-Septembre. 1956 ; D. Rivet, *Lyautey et l'institution du Protectorat*, T. I, Paris, 1988 ; E. Douité, *L'Islam algérien en l'an 1900*, Alger, 1900 ; *Notes sur l'Islam Maghrébin : Les Marocains*, Paris, 1900 ; *Enquête sur la dispersion de la langue berbère en Algérie*, Alger, 1913 ; *Les Djébalas du Maroc d'après les travaux de M. A. Moutières*, Oran, 1899 ; *Des moyens de développer l'influence française au Maroc*, Paris, 1900 ; *Marrakech*, Paris, 1905 ; *Etudes de géographie*, 1914 ; *Magie et religion dans l'Afrique du Nord*, Paris, 1909

إبراهيم بوطالب

**دوفوكو،** فد. شارل V. Charles De Foucauld رحالة

مستكشف ومبشر فرنسي ولد بمدينة ستراسبورغ Strasbourg بفرنسا سنة 1858 تلقى تربية دينية في وسط مسيحي محافظ.

قام برحلات استكشافية في بلدان عربية منها فلسطين وسوريا والجزائر التي أقام بها مدة طويلة، كما قام برحلة إلى المغرب استغرقت سنة كاملة استطاع خلالها أن يتعرف على المناطق الشمالية والجنوبية من البلاد رغم صعوبة مسالكها وخطورة أوضاعها.

ففي سنة 1883 انطلق دوفوكو من مدينة طنجة قادماً من الجزائر ومنتكراً في زي يهودي، ورغم قصر المدة التي قضاها بالمغرب فإنه استطاع أن يصف مجالاته الجغرافية والطبيعية من جبال وهضاب وسهول وأنهار كما خص حيزاً وافراً لوصف المدن والقرى والسكان وأنشطتهم وإنتاجهم

وعاداتهم وتقاليدهم واعرافهم ولهجاتهم وقد أتى هذا الوصف في غاية الدقة والاتقان والموضوعية.



كان اهتمام دوفوكو بالدرجة الأولى في هذه الرحلة هو الوصف والتعرف على المناطق التي لم يحظ سابقوه من الأوروبيين باستكشافها، فقد تحدى وعورة ومخاطر هذه المناطق حيث سلكها مشياً على الأقدام أو ممتطياً الدواب مصحوباً بخفر من الأهالي ووحيداً في المناطق الآمنة. زار دوفوكو في رحلته علاوة على المناطق الشمالية بلاد تادلا وسوس ودرعة والصحراء المغربية وتعرف على معالمها الطبيعية والعمرائية والبشرية، كما رسم خرائط للمسالك التي اجتازها والمواقع التي شاهدها، ولم يكن بحوزته طوال هذه الرحلة سوى دفتر صغير الحجم وقلم رصاص لا يتعدى طول الأصبع بالإضافة إلى آلة دقيقة لرصد وقياس المرتفعات التي رسمها بدقة متناهية.

انتهت رحلة دوفوكو إلى المغرب يوم 23 ماي 1884 حيث غادر مدينة وجدة عائداً إلى اللامغنية بالجزائر. وفي سنة 1901 انضم دوفوكو إلى الكنيسة وأصبح قسا واعتكف بالصحراء بمنطقة بني عباس. ثم بعد ذلك بتمازاست. وتعرض لمحاولة اغتيال سنة 1905 من طرف السنوسيين إلا أنه نجا باعجوبة وظل في خلوته بتمازاست إلى سنة 1916 حيث قتل هناك.

خلف دوفوكو عدة مؤلفات من أهمها رحلته إلى المغرب التي دونها وطبعها في فرنسا بمساعدة دوفيري Duverrier والتي سماها *Reconnaissance du Maroc 1883 - 1884* والتعرف على المغرب. كما ألف قاموساً باللغة الفرنسية في لهجة الطوارق وكذا ديوان شعر بلهجة الطوارق.

Ch. Eugene, *Vicomte de Foucauld, Robert II*, p. 670 ;  
Ch. de Foucauld, *Reconnaissance du Maroc 1883 - 1884*,  
p. 140 - 142.

محمد بلعربي

**الدوقات**، أو الدوقات اسم للدينار الذهبي المضروب بإيطاليا في القرن الرابع عشر للميلاد واسمه Ducat أت من لقب الملك وهو "دوق" وقد استعملت الدوقات في المغرب بكثرة في القرن العاشر (16 م) وأواخر العهد السعدي، وفي عهد الإمارة السملالية بسوس. وتعتبر سكة الدوقات من الذهب الخالص، ويقابل وزن الدينار منها 15 قيراطاً من التبر يساوي 2.9 غ. وكانت هذه الدوقات تصرف في المعاملات التجارية بأوقيتين وثمان الأوقية للدينار إلى غشت سنة 1561 فأصبحت بعشرين قيراطاً من التبر وتزن 3.88 غ. وكان الدينار منها يروج بسعر ثلاث أواقي، وتطور سعر سكة الدوقات هذا كان على حساب الدينار المغربي، فلم يبلغ سعر الدينار العشري بسبب بخس عياره إلا 16 قيراطاً ووزنه 3 غ والدينار السباعي لم يبلغ إلا 15 قيراطاً ووزنه 2.9 غ. وقد بلغ دينار الدوقات أقصى ما بلغه في الارتفاع في يوليو 1588 حيث بلغ رواجه ست أواق وكان ذلك أوائل عهد السلطان أحمد المنصور، ثم تناقص في عهد الإمارة السملالية فاستعمل بدله ميزان التبر، ولكن استعمال الدوقات ظل موجوداً في المعاملات التجارية مع الأوروبيين إلى جانب قطعة البندقي والدبلون إلى نهاية القرن الثاني عشر (18 م).

ع. أفا، مسألة النقود في القرن التاسع عشر، ص. 402 : النقود المغربية في القرن الثامن عشر، الرباط، ص. 46 : الكرملي أسطاش، النقود العربية وعلم النميات، ص. 111 : النقود في العهد السعدي، نماذج بيلوغرافية، مجلة تاريخ المغرب، عدد 7 - 8 سنة 1998، ص. 30، 35.

عمر أفا

## دوكاستر ← دي كاستر

**دوكور** أنطوان A. Ducors تسميه الوثائق المغربية نينسو - بنون ممدودة أو دون مدّ : نين صيغة مختصرة لأنطوان. وهو تاجر فرنسي استوطن الرباط منذ ما قبل 1280 / 1864 حتى توفي فيه في صدر القرن العشرين. ولي النيابة القنصلية عن بلاده وعن إيطاليا في أول الأمر. وكان من جملة نشاطه الوكالة عن السفن التجارية القادمة أو الراحلة من مرسى العدوتين، ولا سيما مراكب المساحلة التي كانت تنقل البضائع والتتوجات من مختلف المراسي إليها.

وقد اتخذ بوصفه وكيلاً قنصلياً محميين وسماسرة وخطا - بالمدن والبادي المحيطة بسلا شمالاً مثل قبائل بني أحسن وسفيان وبني مالك أو المجاورة للرباط جنوباً كزغير وعرب الصبّاح والحوزية والأودية وحتى زمور والشاوية. كان في كل ذلك يدافع عن مصالحه ومصالح بلاده في شيء غير يسير من الحدة والتعسف أحياناً.



وفي هذا الصدد وقفت في وثائق وزارة الخارجية الفرنسية على نص رسالة وجهها نينو إلى أوغوست ده فيرنوبي A. de Vernouillet الوزير المفوض لفرنسا بطنجة مؤرخة في 11 ماي 1880 يتهم فيها أحد قواد التنازيط الذين هم فرقة من أولاد نعيم من قبيلة بني حسن وهو العربي بن محمد التنازطي.

وكان دوكور على أسوأ حال مع قاضي الرباط ملين سنة 1302 / 1885 ، فقد نسبت له الوثائق "سبه القاضي في محل حكمه، وهجومه على السجن "قورصة"، وإخراج مسجون من رعية هذه الإيالة للاحماية له، وكان مسجوناً في قضية شرعية" (الاستيطان، ج. 2، ص. 793).

وقد تيراً دوكور من هاته التهمة الواردة في رسالة محمد برغاش إلى الطريس فقال الوكيل الفصلي المذكور : إنه وقع لنا كلام مع القاضي السيد أحمد ملين في شأن رجل غريباوي كنا وجهناه له مع رجل آخر غريباوي أيضاً، وكلهم أصحاب الحماية ليعمل لهم الشرع ويحكم عليهم بما أنزله الله، وفشت من ذلك أخبار بروايات مختلفة لا أصل لها : يريدون بذلك التخليط والخوض بين الناس. ومقامك لا بدله من التحقيق للدعوى ليوقف على تصحيحها ويكون على بال منها (المصدر نفسه).

وتكذيباً لدوكور وضعت مواجب عدلية تشهد بأنه هجم عنوة على السجن، وشهد بذلك القائماني عليه وهما : الحاج محمد رودياس والحاج التهامي بن الزباني (أيضاً، الصفحة نفسها).

أما أميننا مرسى العدوتين فقد ذكرا عنه ما هو أقطع. ذلك أنه في سنة 1304 / 1887 وجه دوكور عونه محمد بن الشرفي الأودي "ليخرج صندرقاً، زاعماً أن بداخله مكيئة آلة الخياطة، فوجدنا مكتوباً على ظهر الصندوق : أحمد فرج" فامتنع الأمينان من تسليمه للمخزني "بدون قانون، فتلاحي مع حمال عاب عليه الشتم الصادر منه". وفي ذلك الوقت أتى نينو "ويده عصي فجعل يضرب الحمال المذكور بباب الديوانة" وختم الأمينان وهما : الصديق برغاش وعبد السلام بن يحيى رسالتهم إلى الطريس منددين بـ "طيش هذا النصراني باليد واللسان" (المصدر المذكور، ص. 793 - 794).

وقد أكد محمد السويسي في رسالة إلى الطريس في اليوم ذاته ما وقع من دوكور الذي "تشاجر مع خدمة المرسى" وضرب أحدهم "ضرباً بالغاً على ملا من الناس، وما قصر من الشتم والسب على الأمناء ومن القول الخارج على الموضوع" (نفسه).

وإلى جانب العامل والقاضي والامينين كان ناظر الأحياس قد اشتكى بأنه امتنع من أداء واجب 46 شهراً آخرها غشت 1890 عن كراء ثلاثة أمكنة جيسية بالرباط معلقاً بلاريب تسديد الواجب على فصال دعاويه. أولاً : وعلى ذكر ذلك كان الأمناء قد بنوا له بسوق الغزل مطحنة سنة 1292 وأكروه أياها لمدة 16 سنة.

وإضافة إلى ذلك أسند إليه تسيير البريد الفرنسي بالرباط والنواحي. وكان في بعض الأوقات ولاسيما سنة 1311 / 1893 يشتكي من بعض النهاب بناحية الغرب الذين سطوا على حقائب البريد (رسالة إلي أحمد الطالب في 29 صفر 1311 / 11 شتنبر 1893، وثائق بنسعيد). وقد فكر سنة 1317 / 1899 في إنشاء مركز للبريد بسلا وكلف أخا محمد بن الحاج محمد بن دحمان السلاوي بأن يتخذ متجره مقراً له، لكن السلطة المحلية لم تساعد في ذلك الوقت (م. بوشعراء، التعريف، ج. 2، ص. 254).

تردد ذكره في الوثائق المغربية طيلة ثلث قرن، وكانت مراسلاته في أواخر القرن الماضي مختومة بطابع مستدير وصغير وبداخله نقش ما يلي فيه : "أنطوان دكور الفرنسي، لطف الله به". ولربما كان يعرف العربية أو الدارجة على الأقل لطول مقامه. كانت له مع السلطات الإدارية والحجسية والقضائية والمالية مشاكل متنوعة، وكانت له مع السكان معاملات مختلفة.

ففي سنة 1280 / 1864 استرعت السلطات المغربية على خروجه إلى البوادي للصيد وغيره وحملته هو وقنصل الانجليز بالرباط وهو جيمس دراموند هي شقيق سفير انجلترا بطنجة مغبة هاته المغامرة.

وسمع السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان عنه الكثير فقال سنة 1285 / 1868 إن دوكور "يحاول أن يكون نائباً عن جنسه هناك، وهو معروف بالطيش والتعدي، كما هو معروف بالعدوتين".

وفي سنة 1884 / 1301 كتب عنه العامل السويسي إلى محمد برغاش قائلاً : "فقد أجبناك عن شكوى بولنوار في غير هذا، ولم نبالغ في الجواب اتقاء لشر نينو". واستمر في هاته المعاملة مع محمد بن الحاج محمد السويسي الذي خلف أخاه بعد وفاته في الولاية على الرباط فقال عنه سنة 1306 / 1889 : "خليفة نائب الفرائص هنا المسمى أنطوان دكور المعروف نينو قد ضيق بنا غاية الضيق، وحاد عن سلوك القوانين، وطال ما ساعدنا وباششنا، وأمره كل يوم يتزايد"، ثم عدد أمثلة من تصرفاته.

وحتى مع السلطات المحلية الأخرى في البوادي كان يشتكي ويحتج. ومن ذلك مثلاً ما قاله سنة 1870 في رسالة بعث بها إلى فرانك وولدريدج F. Wooldridge قنصل انجلترا وفرنسا بالرباط : إن محمد بن العربي ابن خدة الثوري الصفاعي الذي كان أحد قواد بني حسن حتى سنة 1872 (قبيلة بني أحسن) سجن خصاسيه ورعاته أكثر من 15 يوماً حتى تعطلت أشغاله، ثم طالب بتعويض عن الخسارة التي لحقت من ذلك (الاستيطان، ج. 2، ص. 791).

ولئن كانت هاته التصرفات من لدن القواد إزاء إخوانهم مذمومة فإن ذلك لا يعني أن دكور كان مبالغاً.

وهاته الماطلة كانت تحصل له مع الناس أيضاً فقبل سنة 1302 / 1885 اشترى دوكور من الحاج محمد بن علي الدكالي (عمّ المؤرخ السلاوي محمد بن علي) عدداً من جزات الصوف بـ 1300 ريال، لكن المشتري لم يؤد لسبب ما المبلغ المذكور، فضاقت به الحال وتوجه مشتكياً إلى سلطات طنجة مرتين دون جدوى. فتدخل عامل سلا في حقه لدى برغاش النائب السلطاني قائلاً: إن الدكالي "اشتكى على نانيك الحاج محمد الطريس، وكلم الباشدور الذي سافر، وكتب لقونصو الدار البيضاء، وجاوب الباشدور، وهو أخير الحاج محمد الطريس بأن أنطوان المذكور سيقلس.

"وما صح لابن علي الدور وسط الغرما، وأنطوان غاني (= غني) بالفدر الذي بدمته. فالمروم من سيادتك : خذ بيده، وكن له واسطة خير حتى يتوصل بحقه. وتعلم : وأن القضايا التي تكون لرعيته - ولو كانت لا حقيقة لها - يقبضونها. وهذا الرجل حقه ظاهر لا ريب فيه.. (أيضاً). ومرت سنتان على هذا حتى مات الدكالي ولما يقبض ورثته مانابهم في موروثهم (وثائق بنسعيد).

ولم يكن دوكور خليطاً مع عاسة الناس، فقد عقد مخالطة مع أحد قواد آيت علي والأحسن من قبيلة زمور الشمالية وهو حمادي والأحسن المقروط المهطمي (الذي كان سنة 1294 / 1877 قائداً على هاته العشيرة) وهكذا وضع دوكور عدداً من رؤوس البقر عند حمادي المذكور سنة 1299 / 1882، فقام أفراد من فرقة عامر من قبيلة بني أحسن بالسطو على ثلاثة عشر رأساً منها من دوار المقروط الزموري، وذلك رداً للثأر مما كان بين زمور وبني أحسن من الصراع على المراعي وعلى الأراضي (م. بوشعرا، قبيلة بني حسن، 1860-1912، مخطوط).

وأخيراً في باب المعاملات أشير إلى أن دوكور كان شبه محام ووكيل في قبض ديون الناس مقابل أدائهم 10٪ منها له. (وثائق الخزانة الصبيحية 28 رمضان 1313).

ومهما يكن من أمره مع الناس فقد لبث بعضهم مصراً على معاداته إن كان في ذلك ضرر عليهم. إذ في سنة 1886 مثلاً لما بنى مكاناً بحي اللوييرة من رباط الفتح وأراد بعد ذلك أن يتخذ طاحونة له قام جيرانه بوضع موجب بالضرر والضوضاء (الاستيطان، ج. 2، ص. 794).

ولا ينبغي أن يفهم من جميع ما تقدم ذكره أنه كان عدواً لدوداً للمغاربة، حقاً كانت فيه جرأة وجسارة، لكن مصالحه وحالة الإدارة المغربية دفعته إلى اتخاذ موقف مما كان يواجهه من مصاعب. ولا يخامرني شك في أن بعض الرباطيين كانوا على أحسن علاقة معه مثل آل برغاش الذين تزوج أحدهم وهو الحاج المكّي نجل النائب السلطاني محمد بن عبد الرحمان بنت دوكور اسمها إيميلي Emilie، وذلك سنة 1890. وقد أسفر هذا الزواج عن ولد واحد ويتين. ولما مات الحاج المكّي المذكور حوالي 1324 / 1906 طلبت حقها في متروك زوجها، فامتنع القاضي من ذلك ما

لم يثبت لديه إسلامها. فكتبت رسالة إلى الحاج محمد الطريس تخبره فيها بأنها أسلمت قبل ذلك بست عشرة سنة وأنها صامت، وختمتها بأنها "أمة ربيها فاطمة الممتون عليها بدين الاسلام" وبنّت القونصل الفرانصاوي الذي كان بالرباط" (رسالتها مؤرخة بـ 24 رمضان 1324 / 11 نونبر 1906، م. وم). فما كان من النائب السلطاني إلا أن أحال الأمر على القاضي المكّي البطاوري الذي أجابه بأنها حضرت لدى عدلين وأسلمت وأنها بعد مدة بسيرة تزوجت بنصراني وصارت تخرج معه سافرة ويدها في يده وأنها بعد مدة أخرى رجعت إلى الإسلام ولبست ثياب المسلمين. فتوقف القاضي عند الإشكالية المطروحة : هل هي مسلمة فعلاً أم أنها ارتدت، وفي هاته الحالة تجب استنابتها ثم إقامة الحد عليها. غير أنها لما أسلمت ثانية بدون استنابة خفت شيئاً ما من الموقف الحرج. وختم رسالته إلى الطريس ذاكراً أنه سلمها الصك المبرهن عن إسلامها.

ولا يفوتني هنا أن أشير إلى أن حفيدة دوكور تزوجت بالفقيه محمد بن إبراهيم بلگناوي المعروف بالبيضاوي والمتوفى سنة 1380 / 1960 حسبما رواه لي المرحوم الفقيه الحاج العربي بنسعيد. وهذا يبدو لي قريباً من الصواب، وهو على كل حال خلاف ما ورد في معلمة المغرب، ج. 4، ص. 1359. 1360 من أن بلگناوي المذكور تزوج بنت دوكور، وذلك لوجود فارق كبير في السن بين المرأة بنت النائب القنصلي وبين بلگناوي. ولا يجوز قبوله إلا إذا كان هذا الزوج قد عقد على امرأة أكبر منه سناً وتزوجت به بعد برغاش وبعد النصراني المومل إليه في رسالة القاضي البطاوري.

ويظهر لي أنه في سنة 1326 / 1908 كان دوكور قد عجز وشاخ أو أنه مات حوالي ذلك الوقت فعين لوي لريش قنصلاً لفرنسا بالرباط خلفاً له (رسالة القنصل إلى الحاج الطيب الصبيحي في 28 قعدة 1326 / 23 دجنبر 1908، خ. ص. 804، السلسلة الأولى).

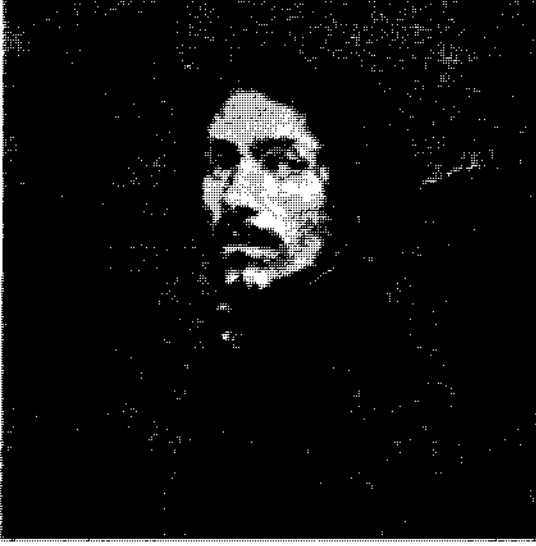
هذا ولم يكن دوكور بدعاً بين هؤلاء المستوطنين المتصلين، إذ كانت هناك أمثلة أخرى لهم في نواح شتى من المغرب.

م. بوشعرا، الاستيطان، ج. 2، لدى ترجمة دوكور، ص. 789. 795 : والتعريف بنى سعيد، ج. 2، ص. 64 و254 : وقبيلة بني أحسن، 1860-1912، مخطوط ومحمد حجي، معلمة المغرب، ج. 4، ص. 1359، ووثائق آل بنسعيد ووثائق الخزانة الصبيحية ومستندات مديرية الوثائق الملكية ووثائق مكتبة تطوان ووثائق الخزانة العامة بالرباط ووثائق آل برغاش ورواية المرحوم الحاج العربي بن عبد الله بنسعيد السلاوي.

مصطفى بوشعرا،

دوگول (الجنرال) ← دي گول

ومن أشهر لوحاته نزهة قنص - العرس اليهودي - سلطان المغرب - نساء الجزائر .



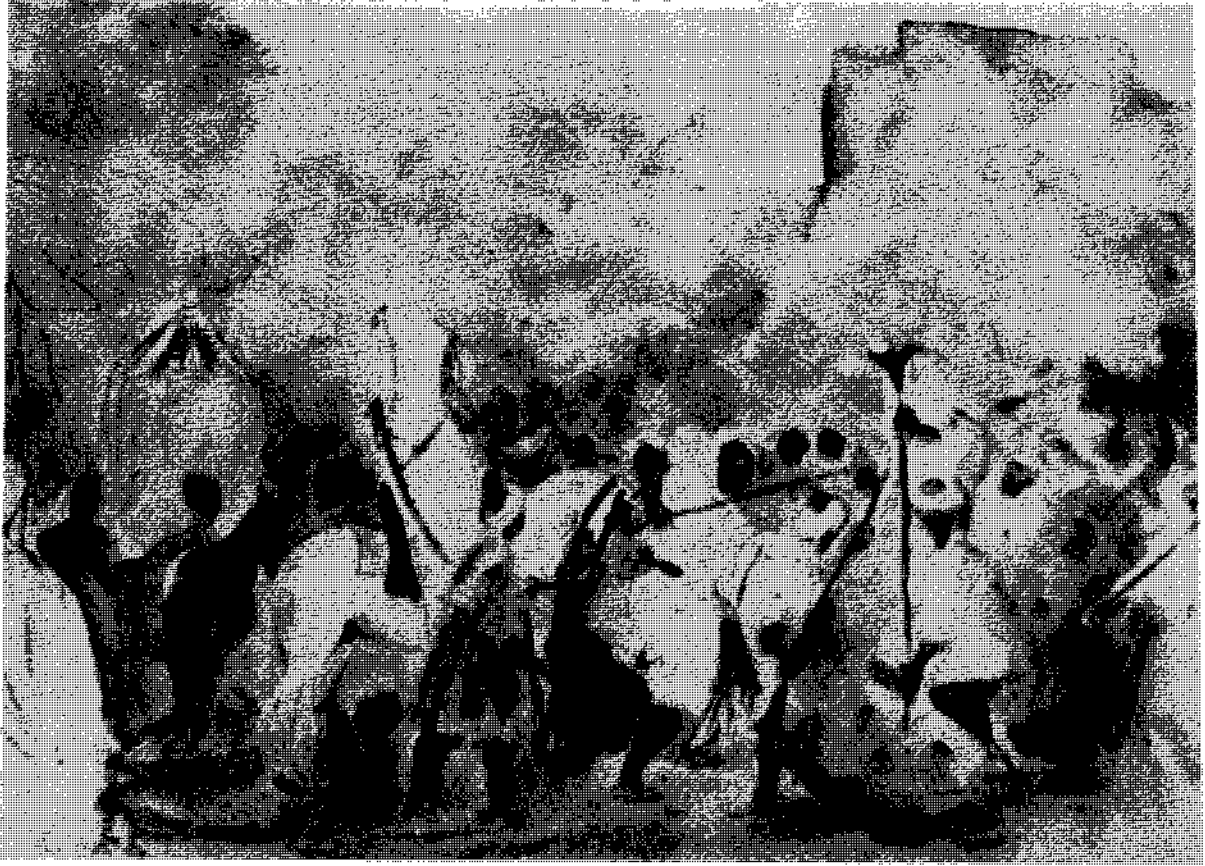
استفاد دولاكروا من رحلته إلى المغرب زيارته إلى فرنسا غير أسلوبه التشكيلي حيث تأثر بما شاهده وعاشه بالمغرب. وقد بدأ ذلك واضحا في لوحاته التي رسمها بعد رجوعه إلى فرنسا والتي كانت تحمل نفحة استشراقية.

**دولاكروا، أوجين Delacroix Eugène** رسام تشكيلي

فرنسي ولد سنة 1798 بسان موريس قرب باريس ونشأ في عائلة جل أفرادها يستهويهم عالم الإبداع فتأثر مند صغره بأفكار وأعمال فنانين وأدباء - كبار أمثال بيرون Byron وشكسبير Shakespeare وغوته Goth وغيرهم. وبارشاد من طرف أحد أقاربه التحق بمدرسة جيران Gerin حيث اكتسب تجربة كبيرة مكنته من ولوج باب الشهرة.

وفي سنة 1832 حل بالمغرب مرافقا للدوق شارل دومارناي Ch. De Marnays في سفارة للسلطان المولى عبد الرحمان.

خلد دولاكروا رحلته إلى المغرب في لوحاته وتقابيده وقد استغرقت الرحلة ستة أشهر وامتدت من طنجة إلى مكناس، أعجب دولاكروا بالمغرب وبساطة أهله التي تتجلى في ملابسهم ومآكلهم ومجالسهم وخاصة سكان البوادي، كما استهوته ألوان الطبيعة العذراء التي لم تدنسها المدنية حسب تعبيره. طيلة الستة أشهر التي قضاها دولاكروا بالمغرب رسم العديد من اللوحات تشخص الطبيعة والخيول التي كان مولعا برسمها، وكذا وجوه الأشخاص وبعض المراسيم والاحتفالات الملكية كما رسم العديد من اللوحات الخاصة بالسلطان المولى عبد الرحمان.



توفي دولاكروا بفرنسا سنة 1863.

وإناسبة تنظيم مهرجان سنة المغرب بفرنسا في نهاية القرن العشرين أقيم معرض لهذا الفنان عرضت فيه كل اللوحات التي شخصها حول المغرب.

B. Rouget, *Voyages à travers l'histoire du Maroc*, p. 92 - 93 - 95 ; *Petit Robert*, p. 517.

محمد بلعربي

## دولانويي جي (Guy Delanoë) طبيب فرنسي ولد

بالجديدة في غضون 1916، بمنزل مغربي يحادي المسجد الملقب "بالدخلائي"، أي داخل الحي البرتغالي الذي كان يسمى إلى سنوات قليلة بالملاح.

تلقى تعليمه الابتدائي بالجديدة والثانوي بليسي غورو بالرباط، ثم التحق بمدينة استراسبورغ بفرنسا حيث تخرج هناك في كلية الطب بعد سبع سنوات، ثم ذهب إلى باريس للتخصص في أمراض القلب.

رجع الدكتور جي دولانويي إلى المغرب عام 1951 فتم تعيينه طبيبا مؤسسه تابعة لبناء الدار البيضاء "المناوله المغربية" التي كانت تشغل وقتئذ ما يزيد عن 1800 عامل يفتقرون إلى العناية الصحية. لاحظ دولانويي الفوارق الكثيرة التي ظلت في عهد الحماية تميز العمال المغاربة عن "الأطر" الأوروبية العاملة بالميناء، ذلك أن الأجور والتعويضات التي كانت تمنح لهذه الطائفة الأخيرة تفوق بكثير أجور المغاربة الزهيدة.

وبعد مظاهرات دجنبر 1952 بالدار البيضاء والاعتداء على محمد الخامس في 20 غشت 1953، شكل جماعة من المغاربة الوطنيين والفرنسيين الأحرار جمعية سموها "الصدقات المغربية وشكل فرنسيون متطرفون وإرهابيون جمعية سموها "الحضور الفرنسي" (Présence française) فرد عليهم أحرار آخرون، كان عددهم خمسة وسبعين من بينهم أرباب مصانع، وصحافيون وأساتذة، بتحرير عريضة "ال 75" من الاقطاب الفرنسيين مطالبين الحكومة الفرنسية بإلغاء كل الاجراءات التي اتخذتها الإقامة العامة منذ 1950، والغاء حالة الطوارئ المفروضة على المغرب منذ 1912، ثم شكّلوا جمعية سموها "الضمير الفرنسي" (Conscience française) وانتخبوا جي دولانويي رئيسا لها.

فراح دولانويي يدعو إلى السلم بين الفرنسيين والمغاربة وبحث الأولين على التحلي بسمو الاخلاق والفضيلة المسيحية التي تلتقي الفضيلة الإسلامية وتدعو هي الأخرى، كما صرح بذلك إلى التسامح. وأخذ ينتقل بين الحين والآخر إلى كبريات المدن المغربية، يجتمع فيها ببعض الفرنسيين المتحررين، وأذكر على سبيل المثال كيلوم (Guillaume) أستاذ الفلسفة بمراكش، ودونيز ماسون (Denis Masson) المستعربة التي ترجمت القرآن، وبأكادير الدكتور

دوماكون (Demacon) والدكتور شارل بوثري (Ch. Bouveret) بالصويرة وغيرهم بالرباط وفاس، إلى آخره وامتدّت دعوة دولانويي إلى أصحاب القرار وأصحاب النفوذ في الميادين الاجتماعية دون إغفال رجال الكنيسة بفرنسا. فهذا فرنسوا مورياك (F. Mauriac) يسخر قلمه على أعمدة الفيغارو (*le Figaro*)، وهذا جان دانييل (J. Daniel) ينثري القراء بمقالاته على أعمدة لوفيل ايسرفنو (*Le Nouvel Observateur*) ثم روبر بارا على صفحات تيمواناج كريتيان (*Témoignage Chrétien*) ويوف ميري (Hubert Beuve-Méry) صاحب جريدة لوموند (*Le Monde*) كلهم تجنّدوا وجعلوا من الكلمة سلاحاً لتقويم السياسة الفرنسية تجاه المغرب.

ورغم هذا السند المعنوي والمادي لما صار يسمى في الدوائر السياسية الفرنسية والعالمية بـ "القضية المغربية" فان جي دولانويي بات يتعرّض للمضايقات حيناً والمحاولات الاغتيال أحيانا أخرى بالدار البيضاء على ايدي جماعات ارهابية فرنسية أجمرت في مقتل أقطاب من المواطنين المغاربة مثل عمر السبتي، وآخرين فرنسيين مثل لومرگر ديبروي J. Ch. Le Maigre - Dubreuil في أواخر يونيو 1955. وقد تمت هذه الاغتيالات في عهد المقيم فرانسيس لاکوست (Francis Lacoste).

وتظافرت الجهود لإقناع الحكومة الفرنسية - التي كان يرأسها حينئذ الراحل إدغارفور، أحد أصدقاء المغرب - فتحت ف. لاکوست وعوضته بالجنرال جيلبير گرانفال، المتحرّز بأفكاره وسلوكه تجاه قادة الاستعمار، فحلّ بالدار البيضاء يوم 7 يوليوز 1955 في جوّ من الاضطرابات والاغتيالات وانفجار القنابل. فلم يجد في استقباله إلا عدداً قليلاً من المسؤولين الرسميين وعدداً كبيراً من أنصار "الصدقات المغربية" و "الضمير الفرنسي" ذلك لأن "الحضور الفرنسي" سبق إلى معاداته من أجل أفكاره ومن أجل أصوله اليهودية.

وعندما استقرّ گرانفال في مكاتبه بالرباط، شرع في اجراء مشاورات مع "أصحاب الرأي العام" المحليين بدون استثناء، فكان جي دولانويي من بين الذين أدلوا بما يفرضه الضمير المتفتّح على آفاق مستقبلية، ملحاً على ضرورة إصلاح ما أفسدته سياسة الإقامة العامة.

إلا أن الأمور أخذت تتفاقم داخليا، بين اشتداد التطرف الفرنسي وبين اشتداد أعمال المقاومة في مجموع التراب الوطني، وأخذت رياح عاصفة تهزّ أركان الحكومة الفرنسية. وتعالّت أصوات الأحرار من الفرنسيين لتحذر من عواقب التماهي في سياسة الاستعمار، وكان جي دولانويي يواصل الجهود مع أصدقائه المغاربة للتعجيل برحيل ابن عرفة. وقدم گرانفال استقالته احتجاجا على غموض السياسة الفرنسية وذلك في متمّ غشت 1955، مما جعل ولايته أقصر ولاية في عهد الحماية إذ لم تعمر إلا سبعة

أسابيع، وهو ما بدأ في وقته مؤشراً لبداية النهاية.

استمرّ دولانوي في عمله المهني بعد الاستقلال وقد توطّدت علاقاته الوديّة بالمغاربة وأصبح المغرب همّة الوحيد واعتبر أنه أنهى مرحلة وعليه أن يشرع في إنجاز عمل آخر، يتطلب التفرغ الكامل، فأرجأه إلى حين مؤات.

وما كانت هذه الانتشغالات لتنسبه مسقط رأسه، الجديدة إذ كتب على نفسه وجوب الحج إليها لإحياء الذاكرة، فيترحم على والديه وعلى من توفي هناك من أصدقاء أسرته، ثم يعرج على المستشفى المركزي حيث اشتغل والداه بعد أن قامت أمه بالإشراف على تشييده، ثم يطل على زقاق يحاديده فيرى الصفحة الرصاصية التي ألصقت عليه وهي تحمل اسم "زنفة الدكتور ماري دولانوي" ولا زالت قائمة إلى الآن. وقبل أن يرحل المدينة يختم حجه إليها بزيارة إلى الحي البرتغالي، ويقف لحظات أمام المنزل الذي ولد فيه فيتذكر أسرته وجيرانها ويتذكر أذان المؤذن في صمت وخشوع.

وعندما حصل على التقاعد بقي فترة في الدار البيضاء يخطط لعمل تألفي يضمّنه من المعلومات ما غاب عن الأذهان. وشرع يبحث وينقب في وثائق الحماية من بدايتها إلى نهايتها. وحظي باستقبال من طرف جلالة الملك الحسن الثاني - رحمه الله - الذي أعرب له عن شكره وشكر الشعب المغربي لما أسداه هو ووالداه من قبل لهذا البلد من خدمات، ثم وشح صدره بالوسام العلوي من درجة ضابط، ورخص له بالبحث عما يريد في ذخائر الخزانة الحسنية.

ورغبة منه في تعميق البحث عن أسرار الأسرار للوقوف على ما يفسّر بعض سلوكيات المسؤولين بالإقامة العامة ومن لف لفهم، لم يجد دولانوي ما يغنيه عن التوجّه إلى باريس. فطرق أبواب الخزانات المدنية الخاصة والعمومية، المدنية والعسكرية، فتارة يفوز بغنيمة ما وتارة توحد الأبواب في وجهه وكأنهم ضربوا عليها أسواراً من حديد. فيمنعوا الوصول إلى مكنوناتها رغم تقادمها الذي يرفع عنها الحظر بحكم القانون.

وظل خلال ذلك يتردد على المغرب لتكملة مبتغاه، فمضى يبحث في كثير من الخزائن العامة والخاصة. وبعد عشر سنوات من التنقيب والفحص والتحليل، جمع ما استقاه من معلومات نفيسة في كتاب قيّم عنوانه : "ليبوطي، جوان ومحمد الخامس"، كتاب صدر عام 1993، بالمغرب، بعد ثلاثة أعوام من وفاة المؤلف بفرنسا.

وفي ربيع 1994، تذكّرت نلسية وصية أبيها، فجمعت إلى المغرب برفات أبيها، فوضعت في مشواه بتربة الجديدة مسقط رأسه، ليرقد الراحل دولانوي غي بجانب والديه. وحضر مراسم الدفن ممثلون عن سلطات المدينة فأنته في عين المكان أحد أصدقائه المغاربة عبد السلام الحراق وطني وسفير سابق.

ذكريات خاصة.

## دولة البقر، اصطلاح فلاحي يعني جماعة البقر،

وتقال كذلك عن الغنم والماعز ولا تستعمل في الإبل والدواب، ولا علاقة لها بما يقال عن النحل أو النمل مملكة النحل وجمهورية النمل، فتلك خصائص طبيعية منحها الله لهذه المخلوقات وميزها عن غيرها من حيث دقة التنظيم وتوزيع العمل والأدوار التراتبية.

لاشك أن عبارة "دولة البقر" ارتبطت بفترة الأزدهار الفلاحي عامة والرعي وتربية المواشي خاصة سواء في الأندلس أو المغرب (الفلاحة المغربية، 108، 124) : فكلمة دولة تعني المناوبة والتداول سواء في الكلام أو الأدوار وتعني كذلك تحول الشيء وانتقاله من يد إلى يد ومن حال إلى حال. جاء في القرآن الكريم : ("ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولةً بين الأغنياء منكم") (سورة الحشر آية 6).

أما علاقة هذا كله بالبقر فنرجع كما أسلفنا إلى فترة تطورت فيها الفلاحة وتربية المواشي والأبقار منها بصفة خاصة (التشوف، 80، 115 وما بعدها) (البكري، المغرب، 153) وصاحب هذا الأزدهار تطور في أساليب الرعي وتقنياته ومصطلحاته التي سجلت المصادر بعضها مثل : دولة البقر - مجمع الدول - راعي الدولة - (المعيار، 7، 138 - 139، 8، 176، 179، 186).

وتعكس هذه المصطلحات والتعابير تقاليد وأعراف نشأت وتطورت مع تطور تربية المواشي والأزدهار الفلاحي خاصة في العصر الوسيط الأوسط : فرعي الأبقار والأغنام والماعز والدواب كان يتم وفق نظام خاص سواء في المدن أو في البوادي والقرى، فإذا كان الكسب ميسوراً وله قطعان من المواشي فإنه في الغالب مستقل بنفسه ويشغل رعاة لحسابه، أما إذا لم يكن كذلك وخاصة في المدن والقرى حيث لا يتعدى ما يكسبه الشخص بقرة أو بضع بقرات، أو شياً معدودة فإنه يعهد بمهمة الرعي إلى راع مشترك مأجور من قبل مجموعة من الكسابة أو يكون لكل واحد منهم راع خاص لكنه يتولى بالتناوب رعي أبقار وأغنام الآخرين يسمى راعي الدولة أي يكون متخصصاً إما في رعي الأغنام أو الأبقار أو الماعز فيكون راعي دولة البقر وراعي الغنم وهكذا (الفلاحة).

تخصص داخل المدن الكبيرة مثل مدينة فاس أمكنة لتجميع الأبقار أو الأغنام قبل انطلاقها في الصباح نحو المراعي أو لتوزيعها وتسليمها إلى أصحابها المنتظرين عند العودة مساءً وعرف هذا المكان في المصادر الوسيطية بمجمع الدول وغالباً ما يكون رحبة المواشي في السوق الأسبوعية

( القرقاس، 302 و375 و395 وما بعدها وجنى زهرة الأس، 43، 44، 46، 61 وما بعدها).

ابن أبي زرع، القرقاس، الرباط، 1972؛ ع. الجزائري، جنى زهرة الأس، الرباط، 1967؛ التادلي ابن الزيات، كتاب التشوف إلى رجال التصوف، الرباط، 1958 و1984؛ أ. البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، الجزائر، 1911؛ أ. الونشريسي، المعيار، بيروت، 1981؛ م. حجاج الطويل، الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1988.

محمد حجاج الطويل

## الدولة الشريفة (جريدة -)، اسم الجريدة الرسمية التي

رغب المخزن العزيمي في إصدارها بطنجة عام 1907. وقد تعاقد، لتحقيق ذلك، مع الأخوين غور صاحي "لسان المغرب". غير أن مشاكل ثارت بين الطرفين المتعاقدين حول أداء رواتب الصحفيين، فحال ذلك دون تحقيق المشروع.

لسان المغرب، 14 فبراير، 1908؛ وثائق وزارة الخارجية الفرنسية بتانط.

جامع بيضا

## دولس، كمي Douts Camille مغامر فرنسي، ولد سنة

1837، تلقى تكوينه بفرنسا حيث تخرج مهندساً في الجيولوجيا. بعد ذلك التحق بالجزائر ليعمل بإدارة الجيولوجيا. ولما أخذت حركة الاستكشاف التي تستهدف معرفة جغرافيا القارة الأفريقية تنمو وتتطور وتتواصل على جميع الجهات، أبدى دولس رغبته في التسرب إلى المغرب قصد مواصلة الاستكشافات التي قام بها سلفه شارل دوفوكو. لذا تلقى دولس في مدرسة الدراسات الاستعمارية بفرنسا تكويناً نظرياً، وبالجزائر تكويناً عملياً تعلم خلاله اللغة العربية وشيئاً من تاريخ الإسلام وإماما بأركانها وفرائض الصلاة وشيئاً من تاريخ المغرب وجغرافيته. وبعدما استكمل هذه الخبرة عن التراب الوطني شرق المغرب حيث عاش شهوراً في استخفاء تام، انتقل إلى الجزر الخالدات. وبعد إقامة قصيرة هناك، توصل إلى اتفاق مع صيادين إسبان فأنزلوه فجر ذات يوم من سنة 1887 شمال بوجدور بالصحراء الغربية ويزي صحراوي. ولم تقض إلا ساعات قليلة حتى وقع بين أيدي جماعة من أولاد الدليم. فحاول الانفلات من قبضتهم مدعياً أنه مسلم عربي ويسمى عبد الملك، يمارس التجارة متنقلاً بمفرده أو ضمن قوافل. فلم يصدقوه وأسرّوه واصطحبوه معهم في تنقلاتهم.

ما كان دولس لينزعج من الأسر، بل رأى فيه أحسن وسيلة وأكثرها أمناً للتعرف على هذه الجهات من المغرب، وإن كان يخشى أن يفتضح أمره فيلقى مصير الذين قتلوا بسبب مغامرات مماثلة. إلا أنه أخذ يكسب بعض الثقة لدى أسرته، وذلك بتكيفه مع المناخ، وبحرصه على أداء

الصلوات، ويحدثه عن أمجاد المغرب من أبناء الصحراء. ويات أولاد دليم في حيرة من أمر هذا الرجل، لكنهم مالوا إلى تصديقه بعدما أظهره من انتماء إلى العروبة والإسلام. فرافقهم في تنقلاتهم وحطّ معهم بتراب قبائل زمور ثم سار في ركبهم إلى تندوف وهي مغربية وقتئذ. مضى دولس يسجّل في ذاكرته ما يرقبه نهائراً من معطيات الجغرافيا، التي تتشخّص في المسالك والأودية والجبال وما تحسوي عليه من نقط ذات الأهمية الاستراتيجية.

وأسمى دولس لا يثير شكوكا حوله ولا يستلزم حراسة خاصة وهو في صحاري لحمادة. وذات ليلة بات كهادته مع أصحابه، لكنه لم يصبح. وشاع نياً فراره ولم يلاحقه أحد إذ لم يكن أحد يعرف في أي اتجاه سار...

وبعدما يقرب من ستة أشهر على هذا الاختفاء، ظهر دولس بالصورة التي وصل إليها، كما قال مروراً بكلميم وتزنيّت وأكادير، وهو يحمل على رقات تحت ملابسه معلومات قيّمة عن جغرافيا جنوب وغرب الأطلس الصغير، كما حمل في رحله بعض العينات من الأحجار البركانية، وفي قلبه تعلق كبير بالمنطقة رغم الأخطار التي واجهها خلال تجواله منفرداً بين أودية سوس وهضباته وجباله.

وفي سنة 1889، عزم دولس على تحدّي الأخطار مرة ثانية، فدخل إلى المغرب عن طريق الجزائر وتوجّه توا إلى تفيالت، فاطلع على نمط عيش سكانها ومعاناتهم مع الطبيعة والطقس، كما راقب عاداتهم وأعرافهم وأوضاعهم السياسية. ومن ثم تسرب إلى توات ومنها إلى الصحراء الغربية مرة أخرى.

وجاءت الأخبار بنياً مقتله بمنطقة تيديكلت، في نفس هذا المكان. وقد أفاد مصطفى ماء العينين حفيد الشيخ مريبه رّسه والذي كان يتولّى منصب قائد بتنالت التي كانت يومها تابعة لإقليم تزنيّت، عام 1962، أفاد في شهادة أدلى بها إلى أحد الباحثين الفرنسيين بالمغرب اسمه روبر شويسر، أنه كان في تلك السنة، أي 1962، يتذكّر دولس ومأساته.

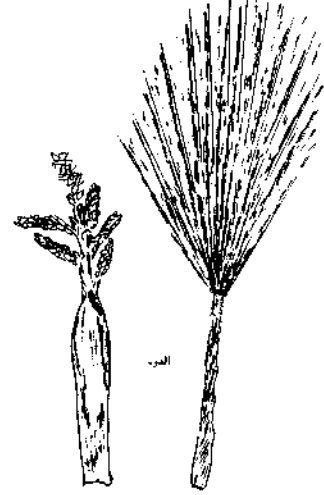
L. Gentil, Voyage au sud du Maroc, pp. 64 - 65 ; R. Choubert. Histoire géologique de l'Anti-Atlas, p. 9. Bulletin de la Société de Géographie, T. IX. p. 437. Paris, 1888.

أحمد بنجلون

**الدوم** أو "نخيل المروحة" بالعربية أو "إيكزدان" أو "تيجردانت" بالأمازيغية، أسماء لنوع نباتي يسمى علمياً كاميرويس *Chamaerops humilis* أو النخيل القزمي أو Palmier nain بالفرنسية، وهو من فصيلة النخيليات *Palmaceae*.

الدوم شجرة من الممكن أن يبلغ علوها عشرة أمتار

وقطر جذعها خمسة وعشرين سنتمترا. وتظهر هذه الأشجار من الدوم في الأضرحة حيث تحترم النباتات ولا تقطع. لكن عادة ما يُصادف الدوم على هيئة أجسام أو شجيرات صغيرة قزمية لا يتعدى ارتفاعها أربعين سنتمترا، ومتجمعة على شكل باقات.



أسباب وجود الدوم على هذا الشكل الشجري ترجع إلى الرعي المتواصل والقطع من طرق الإنسان لأكل قلب النبات أو استعمال الأوراق لصناعة الجبال والكرينة النباتية. أوراقه كبيرة، مطوية على شكل مروحية. في فصل الربيع تخرج الأزهارات من أغشية بيضوية الشكل صفراء أو تميل إلى الاحمرار.

يوجد الدوم طبيعيا بالجزء الغربي لمحوض البحر المتوسط إنه يكثر بشمال إفريقيا وخاصة بالمغرب حيث يصادف في المناطق البيرومناخية الرطبة جداً والرطبة وشبه الرطبة وشبه الجافة وفي الطوايق النباتية للمتوسطي الدافئ والمتوسطي واستثنائيا تحت المتوسطي إنه لا يتحمل أقصى البرودة ولا أقصى الجفاف. ويتطلب أترية حمراء غنية بالطين.

كانت أوراق الدوم في الماضي القريب جداً، تقطع على مساحات شاسعة في المناطق التي يوجد بها لتستعمل لإنتاج الكرينة النباتية وهي ألياف تستخدم في صناعة الجبال والأفرشة وبعض المنسوجات. وكانت توجد بالمغرب معالم عديدة لإنتاج هذه الكرينة الناتجة عن أدق أوراق الدوم. فكانت تصدر كميات هائلة لأوروبا وأمريكا من هذا المنتوج الطبيعي الذي كان يلعب دوراً مهماً في اقتصاد البلاد. وربما يرجع سبب اندثار هذه الصناعة إلى مزاحمتها بضاعة المواد القطنية والبلاستيكية.

أبحاث شخصية.

Émberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبد الملك بنعبيد

**دوماكون**، هنري Demacon Henri من مواليد سنة 1900 بفرنسا، قدم هنري دوماكون إلى المغرب واستقر بأكادير في مطلع الثلاثينيات. كان له اختصاص بأمراض

الفم والأسنان، علاوة على تخصصه في العلاج النفسي. إلى جانب ذلك كان يتقن كثيراً من فنون الموسيقى مما أهله في وقته لقيادة الجوق السامفوني بأكادير وجوق الغناء الجماعي (la chorale) بالمعهد البروتستانتي بنفس المدينة، وامتاز أيضاً بثقافته الكلاسيكية الموسوعية حيث كان يتقن بعض اللغات الأوربية واللاتينية واليونانية. ويحفظ عن ظهر قلب بعض المؤلفات الكبرى.

أخذ دوماكون يكنّ العطف والتقدير للمواطنين المغاربة، يشجب من يعاديهم ومن يتجاوز حدود اللباقة معهم، فاختر السكن بجوارهم ووسطهم، كبعض الفرنسيين بحي "تالبورجت"، وسيكون له إعجاب بمقدسات الإسلام وهو يسمع، حسب قوله، المؤذن ينادي للصلاة، فيصغى إلى عبارات لم يكن في بداية الأمر يفهمها ولكن يدرك معناها ومغزاها، وهو المتشبع بالروح الدينية المتفتحة، كما أنه بات يتفعل بنغمات التهليل والتشفيق، وهو الشغوف والممارس لفنون الموسيقى الدينية وغير الدينية ويصرّح علانية بأن للإسلام، دين التوحيد، مكانة كبيرة في عقله وقلبه، ميرزاً ما يقرب الديانات الثلاث وخصوصاً ما يقرب المذهب البروتستانتي من الإسلام. كان يكره الأنظمة الجمهورية ويفضل عليها الأنظمة الملكية، ولم يكن يتردد في القول إنه فرنسي من رعايا سلطان المغرب.

ظل المغاربة على مختلف مستوياتهم، يترددون على عيادته قصد العلاج، فيسدي النصائح، بل يرفض اقتلاع الأسنان السليمة واستبدالها بأسنان اصطناعية مغطاة بالذهب، لا سيما بعد ظهور هذه "الموضة" لدى النساء بالخصوص غداة انتهاء الحرب العالمية الثانية. كان يعالج الفقراء يوم الجمعة بالمجان. ويتساهل في استخلاص مستحقاته من المغاربة الموظفين. زد على ذلك أنه اعتنى اجتماعياً بمساعدة المغربي، الحسن آيت تروما، فبنى له غرفتين في حديقة منزله بعدما انتقل إلى السكن بشارع باستور، بل أكثر من ذلك أوصى له بملكية المنزل كله بعد وفاته، وعند مدخل هذا المنزل نصب جارية للماء الطهور، كتب عليها بالعربية "ماء للسييل" و"الله يشوف"، وكان المساعد المذكور يجدد الماء كل يوم.

شجب دوماكون بشدة الأحداث الدامية التي كانت الرباط مسرحاً لها في يناير 1944 غداة الإعلان عن عريضة الاستقلال، واستنكر بدون هوادة تمرّد القيادة والباشوات عام 1952 وعام 1953 على السلطان، وانضم إلى "جماعة 75" التي شكّلت جمعية فرنسية اسمها "الضمير الفرنسي" برئاسة طبيب آخر اسمه جي دولانوي (Guy Delanoy) اطلبه وشكل دوماكون خلية بأكادير لهذه الجمعية.

وبعدما أقدمت فرنسا على خلع السلطان محمد بن يوسف كتب دوماكون رسائل احتجاج إلى قادة الدول الخمس العظمى من فيهم الرئيس الفرنسي فانسان أوريول (Vincent Auriol) ورئيس حكومته جي مولني وإلى شخصيات عالمية أخرى.

كان لهذا الحدث أثر عميق في نفسه فوطد العزم على مناصرة الحق، معلنا موقفه من عملية 20 غشت 1953. وكسب عطف المواطنين المغاربة بأغادير وراح يعمل، في إطار صداقاته على إقرار حوار مع من كانوا يسمون بـ "الأحرار والمعتدلين" في المجتمع المغربي المحلي ومراكش والدار البيضاء. وعن طريق فرنسي شاب يُسمى كوفيل (J.P. Koffel) كان وقتئذ يقيم بمراكش - ويعد نفسه مواطناً مغربياً ولا يزال يقيم بالمغرب - دعاني دوماكون إلى الإقامة عنده بضعة أيام للاجتماع بنفر من الفرنسيين ممن يساندون المشروعية ويرغبون في إقامة الجسور مع مختلف شرائح المجتمع المغربي.

كان دوماكون وهؤلاء الفرنسيون يمثلون القيم الفرنسية ويؤمنون بالرسالة الحضارية الانسانية مهما كان البلد الذي يحمل لواءها، بعيدة عن الامبريالية والظلم والقهر، يعبرون عن تقديرهم للمغاربة عموماً - وهم أصحاب حضارة - وخاصة الشباب الذي تلقى تكوينه بالمعاهد الفرنسية والذي أضحى مثلهم متشبعاً بروح "البيان العالمي لحقوق الانسان" الذي أعلنت عنه ثورة 1789 الفرنسية التي فتحت آفاقاً جديدة في تطور الأفكار.

ظل دوماكون وقياً للمبادئ والقيم السامية ولصداقاته المغربية، ولم ينفك عن الحفاظ على علاقاته الودية مع فئة من "الوطنيين" خصوصاً الشوريين منهم، إلى أن اختطفته المنية عام 1958 على إثر نزيف دموي في الدماغ أصابه وهو بفرنسا - أما زوجته فإنها رحلت إلى انكلترا وتركت المنزل بما فيه إلى "الحسن آيت تروما"، ومازال شيوخ أغادير يذكرون دوماكون بخير ويتذكرون أعماله الإنسانية والسياسية.

مراسلات خاصة، شهادات شفوية، جريدة "La Gazette d'Agadir" التي كانت تصدر أيام الاستعمار بأغادير.

أحمد بنجلون

### دوميرغ غاسطون Gaston Doumergue رئيس

الجمهورية الفرنسية من 1924 إلى 1931 وثاني من زار المغرب زيارة رسمية من رؤسائها إبان الحماية وذلك من 15 إلى 22 أكتوبر 1930، ولد وتوفي بإقليم الكسار (Gard) وكان من رجالات الجمهورية الثالثة المرموقين حيث تقلب على كراسي الوزارة عدة مرات فكان وزيراً للشؤون الاستعمارية من 1902 إلى 1905 ثم مرة أخرى من 1914 إلى 1917 وكان وزيراً للتجارة والصناعة والشغل بضعة شهور سنة 1906 ووزيراً للتجارة والصناعة من 1906 إلى 1908 ووزيراً للتربية العمومية والفنون الجميلة من 1908 إلى 1910 ووزيراً للخارجية بضعة أسابيع في غشت 1914 ورئيساً للحكومة مكلفاً بالشؤون الخارجية من دجنبر 1913 إلى يونيو 1914 ومن فبراير إلى نونبر 1934. فكان مساره

السياسي حافلاً بالمسؤوليات وكان له عناية خاصة بقضايا الاستعمار لأنه كان من القضاة أول الأمر فعمل قاضياً في الهند الصينية وفي الجزائر، ولما انتخب نائباً في البرلمان سنة 1893 انخرط في التيار الراديكالي الاشتراكي، وكان حريصاً على عظمة فرنسا من خلال مستعمراتها كما كان شديد التسكك بالسياسة العلمانية وله أدوار في تحرير التعليم الفرنسي من هيمنة الكهنوت وكان باختصار من تلك الشخصيات التي قام نظام الجمهورية الثالثة على كاهلها ولذلك انتخب رئيساً للجمهورية سنة 1924 وحتى لما انتهت رئاسته سنة 1931 لم تجد البلاد الفرنسية غنى عنه حيث تحمل رئاسة الحكومة من جديد سنة 1934 بقصد فك أسباب الأزمة الحانقة التي صار النظام يعاني منها، لكن الأمور كانت قد استفحلت فتجاوزت قدرات أمثال دوميرك ممن كانوا يمثلون العهد الزاهر من الجمهورية الثالثة.

والذي يعني المغرب من هذه الشخصية أن أوساط الإقامة بالرباط بعد أن أقدمت على إصدار الظهير البربري يوم 16 ماي 1930 وترتب عليه ما ترتب من احتجاجات الشعب المغربي، فإنها ظنت أن زيارة رسمية لرئيس الجمهورية قد تجعل حاداً للغضب المغربي أو إن لم تفلح في ذلك فإنها تغطي عليه وتموهه حيال الرأي العام الدولي وهكذا جاء غاسطون دوميرك إلى المغرب رفقة بعض الوزراء كوزير الدفاع أندري ماجينو (A. Maginot) ووزير الملاحة جاك ضومبيل (J. D'Aumenil) ووزير الملاحة التجارية لويس رولان (L. Rollin) ونزل الوفد في الدار البيضاء حيث استقبله السلطان سيدي محمد بن يوسف ثم زار العاصمة الرباط ومن الرباط توجه إلى فاس عبر القنيطرة ومكناس وفي فاس أقيمت له ضيافة رسمية في غاية الأرز بالأطلس المتوسط لدى القبائل البربرية، ثم بعد ذلك انتقل إلى مراكش فالتقى بباشاها النهامي الكلازي ومن هناك كانت العودة إلى الدار البيضاء عبر فضالة (المحمدية) للبحار منها. وامتدت الزيارة من 15 أكتوبر إلى 22 منه سنة 1930 ولم تختلف عن الجولة التي كان ليوطي قد نظمها لسلف دوميرك في الرئاسة وهو الكسندر مييران (A. Milleraud) في ربيع سنة 1922.

وغني عن البيان أن الزيارة لم تغير شيئاً من مجرى أحداث الحماية لا من جهة السلطات الحاكمة ولا من جهة الحركة الوطنية بالأحرى التي لم تكن لتنبهر بذلك، على أنها لا تخلو من فوائد من جهة ما كانت عليه "السياسة الأهلية" في ظل الحماية، فقد جاء في جريدة السعادة يوم السبت 4 أكتوبر 1930 قولها مفردة: "ما أجدر هذا الشهر أن يسمى شهر الاحتفال الأكبر والاجلال وحلول اليمن والاسعاد في برج الاقبال وما أجدره أن يشمخ بأنفه فخراً على بقية شهور عامة مواسم أيامه بالأفراح والمسرات وإقامة الزينات والمهرجانات [...] يوم النصف من أكتوبر إنك ليوم في التاريخ عظيم شأنه جليل ومكانه راجح في



كفة الميزان لأنك أرحمت أمة بأسرها وأطلقت السنة المدائح من أسرها وحظيت بالوصول وحققت الآمال وجمعت في المغرب وبالرباط والبلاط بين رئيس الرؤساء وسيد الأمراء [...] حضرة رئيس الجمهورية الفرنسية والدولة ويطل الحول والوصول والوصول الذي لا يبرد أحد قوله ولا تحوم الشكوك والريب حوله المسيو غاسطون دوميرك دامت فخامته وضخامته".

وجاء في رسالة للجنرال نوجيس وهو يومئذ رئيس الديوان العسكري للمقيم ومدير الشؤون الأهلية بعث بها للراقبين المدنيين قوله : "مما لاشك فيه أن الزيارة المرتقبة لرئيس الدولة الفرنسية سيكون لها وقع كبير في الأوساط الأهلية التي ستجد فيها برهاناً على ما لفرنسا من العناية بالأمة المحمية، وحتى يكون دليل هذه العناية الكريمة أكثر جلاء فمن المصلح أن تتبلور بإشارات ملموسة يتأثر بها ذهن المغاربة وفي هذا الصدد يبدو من المفيد أن يتقدم السيد رئيس الجمهورية ببعض الهيات لبعض الأعمال الخيرية مما يعنني به محميونا بوجه خاص كديار الشريفات [...] والطلبة المدرسين في المدارس القرآنية وطلبة جامعة القرويين والجمعيات الخيرية الأهلية والأيتام الأهليين في الدار البيضاء وفاس. ولاشك أن هذه الانعامات وهي تصدر من مثل الأمة الفرنسية الأعلى سيكون لها صدى كبير ولاشك أن استقبال سكان المدن سيزداد حرارة إذا ما أبلغت الهيات إلى أصحابها يوماً أو يومين قبل دخول الوفد الرئاسي لكل مدينة".

وتشير وثائق الرحلة إلى أن المراقب المدني للدار البيضاء اقترح 3000 فرنك هبة للجمعية الخيرية وذلك لأن السلطان كان قد وهبها قبل ذلك 2000 فرنك، لكن رسالة للمقيم العام لوسيان سان (L. Saint) بتاريخ 30 نوفمبر 1930 تثبت أن الهبة لم تتجاوز 2000 فرنك.

جريدة السعادة يوم السبت 4 أكتوبر 1930 ؛ وثائق الخزنة العامة؛ ملف رحلة كاستون دوميرك.

B. Yvert, *Dictionnaire des Ministres 1789 - 1989*, Paris, 1990.

إبراهيم بوطالب

#### دون بيدرو الرابع Don Pedro IV أو Don Petri IV

هكذا تسمية المصادر الإسبانية التي تتعته أيضاً بـ "Don Pedro El Ceremonioso" أي دون بيدرو العادل، أما المصادر العربية فتشير إليه باسم دون بطر. ولد سنة 1320 ثم تولى حكم منطقة كطلونيا - أرغون في سن مبكرة لا تتجاوز السادسة عشرة من عمره ولفترة تمتد من سنة 1336 / 1387. وهي فترة طويلة جعلت من هذا الملك عنصراً بارزاً في الأحداث التي عرفتها منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، الشيء الذي سمح له بربط اتصالات وعلاقات هامة مع كبار ملوك المغرب من

بني مرين : كأبي الحسن وأبي عنان وأبي سالم. وتجمع المصادر الإسبانية على أن علاقة الكطلان مع ملوك المغرب وغرناطة كانت تعرف في عهد دون بيدرو تحسناً ملموساً لم تشهده المنطقة من قبل. ولعل ما يشهد على ذلك تعدد الاتفاقيات والمعاهدات التي أبرمت بين الطرفين والتي تركز على ضرورة تطوير العلاقات السياسية والتجارية وتنظيمها، كما تبين الرسائل والبعثات والسفارات حرص الطرفين على توفير السلم والأمن واستمرار التشاور والحوار لتعزيز العلاقات وخلق الظروف الملائمة لإنجاحها. ومن حسن الحظ فإن نصوص هذه الوثائق في أصولها العربية والكطالانية مازالت موجودة ومحفوظة في أرشيف أرغون بمدينة برشلونة ويمكن رصد الخطوط العريضة للعلاقات بين بيدرو الرابع وبعض ملوك بني مرين من خلال متابعة مواضيع هذه الوثائق :

- اتفاقية سلام بين دون بيدرو الرابع ومبعوثين عن كل من ملك المغرب أبي الحسن المريني وملك غرناطة أبي الحجاج يوسف، عُقدت هذه الاتفاقية بقصر بيربينيان Péripignan في 27 رمضان 745 الموافق لـ 1 فبراير 1345 وتدمم صلاحيتها مدة عشر سنوات.

- رسالة من أبي الحسن المريني إلى دون بيدرو يؤكد فيها موافقته بالامضاء والمصادقة على الاتفاقية التي عقدها ملك غرناطة أبو الحجاج يوسف مع نظيره الأرغوني دون بيدرو، والرسالة مؤرخة في 15 صفر 746 الموافق لـ 17 يونيو 1345 (Los documentos..., pp. 194 - 195).

- رسالة لأبي الحسن بعثها من تلمسان إلى ملك أرغون يخبره فيها بوصول مبعوث عن هذا الأخير وهو التاجر أرناو دي قادراس Arnau de Cadiras وناقش معه مجموعة من القضايا التي تهم العلاقات بين المغرب وأرغون والرسالة مؤرخة في يوم 24 ذي الحجة من عام 746 الموافق ليوم 17 أبريل من عام 1346 (Los documentos..., pp. 191 - 1346). (192)

- رسالة من أبي الحسن إلى دون بيدرو كُتبت بظاهر مليانه (المغرب الأوسط) في الوقت الذي فقد فيه أبو الحسن عرشه بعد انقلاب ابنه أبي عنان عليه. وفي هذه الرسالة يحيط السلطان المريني ملك أرغون علماً بما تعرضت له سفينة مغربية من قرصنة ونهب لمحتوياتها وأسر لركابها المغاربة على يد رعايا دون بيدرو من أهل ميورقة. الرسالة مؤرخة في 29 رجب من سنة 751 الموافق 14 شتنبر 1350 (Los documentos..., pp. 196 - 198).

- رسالة من أبي عنان المريني إلى دون بيدرو الرابع يشير فيها إلى تحركات سفراء الطرفين ونشاط البعثات الدبلوماسية في إطار التفاوض حول إمكانية عقد معاهدة سلام بين المغرب وأرغون. ومن أعضاء هذه البعثات في الجانب المغربي منصور بن علي بن سليمان الياباني وإبراهيم ابن محفوظ وفي الجانب الأرغوني ميغيل الكطلاني Miguel

El Catalan وجيل ألبيرت Gil Albert. والرسالة مؤرخة في 28 ذي القعدة من عام 750 الموافق لـ 27 دجنبر 1349 (Los documentos..., pp. 205 - 206).

- رسالة من السلطان أبي عنان إلى دون بيدرو وتتعلق باستمرار المفاوضات التي تمت الإشارة إليها في الرسالة السابقة وذلك من أجل عقد معاهدة سلام بين الطرفين الرسالة مؤرخة في 11 ربيع الثاني من عام 751 الموافق لـ 18 يونيو من عام 1350 (Los documentos..., p. 208).

- معاهدة سلم وتجارة بين أبي عنان المريني ودون بيدرو الرابع وقد جاءت نتيجة لمفاوضات مكثفة وطويلة كما ورد في الرسالتين السابقتين. تنص بنود هذه المعاهدة المبرمة لمدة أربعة عشر شهراً، على المهادنة والأمان في جميع المناطق التي توجد تحت نفوذ الملكين وعلى أن لا يتعرض للرعايا المقيمين والمسافرين من البلدين : المغرب وأرغون، وأن لا يُطلب منهم الوظائف والتكاليف باستثناء الجباية المعلومة. تم توقيع هذه المعاهدة في 25 رمضان 751 الموافق لـ 26 نونبر 1350 (Los documentos..., p. 216).

- رسالة من أبي عنان إلى دون بيدرو تتضمن الإشارة إلى إمضاء ومصادقة الملكين على بنود المعاهدة المذكورة أنفاً. والرسالة مؤرخة في يوم 7 شوال من عام 751 الموافق ليوم 8 دجنبر من عام 1350 - 212 (Los documentos..., pp. 212 - 213).

- رسالة من أبي عنان إلى دون بيدرو يدور موضوعها حول القرصنة البحرية التي تطال رعايا الملكين من الغارية والكطالانيين في عرض البحر الأبيض المتوسط، ويؤكد الطرفان على أن المعاهدة المنعقدة بين الطرفين مازالت سارية المفعول بالرغم من المشاكل المذكورة. الرسالة مؤرخة في 28 رجب من عام 752 الموافق لـ 20 شتنبر من عام 1351 (Los documentos..., p. 210).

- رسالة من أبي عنان إلى دون بيدرو تتابع تناول موضوع الرسالة السابقة وتقدم تفاصيل حول ما خلفته عمليات القرصنة المسيحية من انعكاسات سلبية على رعايا ملك المغرب الذي لازال يعتبر نفسه ملتزماً بتنفيذ بنود المعاهدة السابقة بالرغم من تصرفات القرصنة الكطلان الرسالة مؤرخة في 3 شعبان 752 الموافق لـ 25 شتنبر 1351 (Los documentos..., p. 214).

- رسالة من دون بيدرو إلى أبي عنان يعرب فيها عن رغبته في تجديد اتفاقية سلام وصداقة كانت قد عقدت بين الطرفين حوالي سنة 753 / 1352. والأمر هنا يتعلق بتמידد الاتفاقية لخمس سنوات أخرى. الرسالة مؤرخة في 22 شعبان من سنة 758 الموافق لـ 10 غشت 1357 (Traité..., pp. 325 - 326).

- اتفاقية سلام وصداقة بين دون بيدرو ملك أركون. ملك أرغون وأبي عنان سلطان المغرب، اتفق الطرفان على تنفيذ مقتضيات بنودها مدة خمس سنوات تبدأ من تاريخ

التوقيع وهو 20 يوليوز 1357. ويلاحظ أن تاريخ هذه الاتفاقية سابق على تاريخ الرسالة الأتفة الذكر والتي تشير إلى استعدادات الطرفين لعقد اتفاقية تؤكد المعطيات أنها هي المنوه بها هنا.

وهذا يدفعنا إلى الاعتقاد بوقوع خطأ في تحديد إما تاريخ الرسالة أو تاريخ توقيع الاتفاقية خاصة وأن هذه الأخيرة خالية من ذكر التاريخ الهجري 18 (Antiguos..., pp. 18 - 25).

- رسالة من دون بيدرو إلى أبي عنان تتضمن معلومات عن إرساله سفارة أرغونية إلى ملك المغرب في مهمة سياسية تتعلق بحياد المغرب في الحرب الدائرة بين أرغون وقشتالة. الرسالة مؤرخة في 22 جمادى الثانية من عام 759 الموافق لفاتح يونيو من عام 1358 (Traité..., pp. 327 - 329).

- مرسوم ملكي يمنح بموجبه دون بيدرو الرابع مجموعة من الصلاحيات للفارس برنات دي كابريرا Bernard de Cabrera وكذلك لمستشاره من أجل عقد معاهدة سلام مع ملك المغرب لفترة محددة ومتفق عليها 329 (Traité..., pp. 329 - 330).

- رسالة من السلطان المريني أبي سالم إلى دون بيدرو يطلعه فيها على أخبار فتحه لعاصمة بني عبد الواد تلمسان وكذلك عملية القرصنة البحرية التي تعرض لها أحد خدام أبي سالم وهو أبو عمران موسى بن إبراهيم وغيره من رعايا المسلمين. وقد طالب ملك المغرب صاحب أرغون بالعمل على إطلاق سراح الأسرى المغاربة والالتزام بالاتفاقيات والمعاهدات التي سبق أن أبرمت مع السلطان أبي عنان الرسالة مؤرخة في 7 شعبان 761 الموافق لـ 24 يونيو 1360 (Los documentos..., pp. 224 - 225).

- رسالة من أبي سالم إلى برنات دي كابريرا مستشار ملك أرغون يعلنه فيها بتوجه بعثة رسمية مغربية بقيادة يعقوب الرقاني في مأمورية محددة إلى دون بيدرو داعياً إياه لمساعدته وتسهيل مهمته. الرسالة مؤرخة في 10 شعبان 761 الموافق لـ 27 يونيو 1360 (Los documentos..., p. 231).

- مجموعة هامة من الوثائق رسائل واتفاقيات، تخص العلاقات بين ملك أرغون دون بيدرو الرابع وبعض ملوك المغرب الذين حكموا الفترة ما بين 1361 و1386 وهم أبو سالم وأبو زيان محمد الثاني وعبد العزيز بن أبي الحسن وعبد الرحمن بن أبي يفلوسن وأبو العباس أحمد وأبو فارس موسى. وتتناول هذه الوثائق التي كتبت جميعها باللغة الكطالانية، مواضيع وقضايا شتى مثل : عمليات القرصنة البحرية وما ينتج عنها من أسر للرعايا المسيحيين والمسلمين الشيء الذي يحتم على الطرفين اللجوء إلى العمل الدبلوماسي ومباشرة المفاوضات وتنشيط حركة تنقل السفراء والمبعوثين لحل تلك المشاكل. وتعكس هذه الوثائق

رشيد السلامي

### دوناس بن حمامة المغراوي، عندما مات حمامة تولى

الحكم من بعده ولده دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية المغراوي فورث جميع ما كان بيد أبيه من مناطق المغرب ومدنه واستقر بالعاصمة فاس، ولكنه سلقى عنتا من ابن عمه معنصر المسمى حماد. حيث خرج عن طاعته وجمع لقتاله منافسا له في الحكم ودامت الحرب بينهما إلى أن بدأ ملك دوناس يتقلص حتى أصبح محصورا في العاصمة وحدها؛ ولم يمنع معنصر من دخولها إلا الخندق الذي حفره حولها دوناس وأسماه سجاج حماد. ومن أخطر وسائل الحصار التي استعملها حماد هي قطعه ماء الوادي عن عدوة القرويين، ولولا موت حماد سنة 435، وهو مشدد الخناق على دوناس لسقطت المدينة، ولكن الحصار فك مباشرة بعد موت حماد وانفسح الأمل أمام دوناس، وعاد إلى الحكم مرفوع الرأس، وعمل على الدفع بالعاصمة نحو الرفاهية والأزدهار. فبنى المصانع والفنادق والحمامات والمساجد وأدار بها السور، وكثر عمران المدينة وقصدها التجار من جميع النواحي لرواج التجارة بها. وعرف عن دوناس طول اشتغاله بالبناء والتعمير إلى أن مات سنة 451. فولي من بعده ابنه الفتوح ونزل بعدوة الأندلس ولكن أخاه الصغير عجيسة تحصن بعدوة القرويين، وطالب بحقه في الحكم. وهكذا افتترقت مملكة مغراوة بافتراقهما وضعفت بفعل الحروب والخطوب الجارية بينهما.

ابن عذاري، البيان، 1 : 254 ؛ ابن خلدون، العبر، 7 : 48 ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص. 111.

العربي الحمدي

### الدوار، أحمد بن علي الصنهاجي ثم الفاسي،

انطبعت صفة هذا الشيخ في ذاكرة الفاسيين رداً طويلاً، وعلى الرغم من وفاته خلال العقد الخامس من القرن العاشر (16 م)، فإن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي (ت. 1096/1685 م) الذي عاش إلى أواخر القرن الحادي عشر (17 م) يصفه كما لو كان ينظر إليه : معتدل القامة، كبير الرأس، مدور الوجه، دقيق الساقين، حلو الكلام، حسن اللون. وتواتر حرص الفاسيين على ادخار لباثسه، ودأبهم على التبرك بها والتوسل بها في الملمات. ويخبرنا محمد بن الطيب القادري (ت. 1187/1773 م) الذي عاش إلى أواخر القرن الثاني عشر (18 م) أن نعل الدوار مازال مدخراً عند بعض بلدييه، وأنه وقف عليه، واستدل بسواد لونه على لباس المغاربة للنعال السود قبل دخول الإيبانيين إلى العرائش عام 1019/1610.

وتتصل هذه العناية بذكرى الشيخ الدوار بالأثر العميق الذي كان له في الحياة الروحية بفاس، في حياته وبعد

أيضاً الإلحاح المستمر الذي كان يبديه الطرف الارغوني للضغط على ملوك المغرب بهدف السماح للرعايا الكطلان بالتجارة في الموانئ المغربية وتمتعهم بالحماية اللازمة لهم أثناء تنقلهم خاصة في المناطق الداخلية. ثم رغبة دون بيدرو في عقد تحالفات مع بني مرين لمواجهة الخصم اللدود ملك قشتالة.

- رسالة من الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن إلى دون بيدرو الرابع يظلمه فيها على حركته إلى فاس وحصاره للبلد الجديد ويعبر له كذلك عن رغبته في تحسين وضعيته تجار مملكته في المغرب. الرسالة مؤرخة في 21 ذي الحجة من عام 775 الموافق لـ3 يونيو 1374 (Los documentos..., pp. 201 - 202).

ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تج. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1973 - 1975، ج. 1، ص. 531 ؛ نفسه، أعمال الاعلام فيمن يبيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تج. ليثي بروقنسال، دار الكشوف، ط. 2، بيروت، 1956، القسم الثاني، ص. 337 ؛ نفسه، اللوحة البدرية في الدولة النصرية، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1978، ص. 119 ؛ نفسه، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تج. أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربي، الدار البيضاء، الجزء الثاني، ص. 184 - 185 ؛ التيميري، فيض العباب وانفاضة قدامح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسطنطينة والزراب، تج. محمد بن شقرون، الرباط، 1984، ص. 31 - 34 ؛ ابن خلدون، العبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، الجزء السابع، ص. 542، 546 و628 و633 ؛ يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، نشر ألفرد بيل، مطبعة فونطانا، الجزائر، 1903، 1910، ج. 2، ص. 37 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، بدون تاريخ، ج. 5، ص. 270 ؛ ع. الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مطابع فضالة، المحمدية 1988، ج. 7، ص. 133 - 135 - 137 - 139 - 141 - 143 - 151 - 183 - 185 ؛ ر. السلامي، وثائق مرينية، دراسة وتحقيق، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا نوقشت بالرباط سنة 1989، ص. 171 - 214 و257 - 268 و310 - 318 و385 - 392.

A. Capmany y de Montpalau, *Antiguos tratados de Paz y alianzas entre algunos reyes de Aragón y diferentes principes infieles de Asia y Africa desde el siglo XIII Hasta el XV*, Madrid, 1974 ; L. de Mas-Latrie, *Traité de paix et de commerce concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen-âge*, Paris, 1866 ; S.M. Alarcón, L.R. García, *Los documentos arabes diplomaticos del archivo de la corona de Aragón*, Madrid - Granada, 1940; *Crónica de Don Pedro IV de Aragón*, éd. Armédée Pagès, Toulouse - Paris, 1942 ; V. Salavert y Raca, *La corona de Aragón en el mundo mediterráneo del siglo XIV*, Valencia, 1967 ; Ch.-E. Dufourcq, *Catalogue chronologique et analytique du registre 1389 de la chancellerie de la couronne d'Aragón, intitulé Guerre Sarracénorum 1367 - 1386 in Miscelánea de Textos Medievales*, T. 2, Barcelona, 1974 ; L. Perez, *La corona de Aragón y el Maghreb en el siglo*

تظهر الأسرار في الأقوال والأفعال، وكنمان المعاملة مع الخالق.

وجاءت ترجمته عاطلة بالمرّة مما يفيد ظهوره بما يجلب عليه الملامة من الغير أ وبأخذ النفس باللوم والبيع والتأنيب. بل إن مترجميه يجعلون طريقته محمدية، ويقولون إنه كان قد رأى الرسول ﷺ في النوم ففتح له على يده الكريمة وأخذ عنه ﷺ، ثم انضاف إلى الشيخ رزوق وصحبه وانتسب إليه بقصد التريبة والتهديب. فإنه مع تلميذه الأوحّد صاحب الترجمة ستخرج الملامتية من طور الخمول والكنمان إلى طور الظهور والإعلان، ويتعمد أتباعها الظهور في الناس بالأمور الموحشة التي تجذب لومهم وتؤدي إلى تنافرهم عنهم. بل إن الشيخ الدوار سينفلت من باب ترك التزين للخلق وترك طلب رضاهم إلى ضروب البهل والجذب والحال، ويؤكد الصلة بينها وبين الملامة، ويوافق ضروباً من السلوك غير جارية على الشروط الشرعية، ويخرج في العبادات والعادات عما هو معروف من ظاهر الشريعة. وهكذا اشتهر بإراقة الزيت على نفسه، واتخاذ خديمت من محضنات الحضرة الفاسية، واقتحام البيوت من غير استئذان أهلها، وإمعانه في عدم الالتفات إلى أحد، وإعراضه عن الحظوظ الدنيوية، وزهده في الأهل والمأوى، وعدم الركون إلى قرار.

3 - تصدر المشايخ الذين انتسب إليهم الشيخ عبد الرحمان بن عياد المشهور بالمجذوب (ت. 8/976 - 1569)، إذ كان الدوار أول من اعتمد عليه المجذوب وانتسب إليه في الطريق. وقد عني بهذه الصدارة مصنفو التراجم من أهل الزاوية الفاسية غاية العناية، رعيًا لمكانة المجذوب الذي خدمه ولازمه جدهم أبو المحاسن يوسف الفاسي (ت. 1013/1604) وعده عمدته في الطريق واعترف له بالمنة فيما حصل له من فتح. فأعلوا درجة الدوار في التراتبية الصوفية، ورأوا في بعض كلامه ما يدل على أنه كان من الأبدال.

وأولوا لقب الدوار الذي كان يكره اللقب به على وجه يجعله من أهل الخصوصية ومن أوتي القدرة على سلب الأحوال، والتصرف في المريدين بالنفع والضرر. وإذا كان محمد بن عسكر (ت. 1578/986) قد أشار في الترجمة التي أفردها له من فهرسته دوحه الناشر إلى كثرة دورانه في الأماكن والأسواق، وصراخه باسم الجلالة، دون أن يصرح بأنه لقب بالدوار لذلك. فإن التراجم الفاسية تقول إن تسمية الدوار قد جرت عليه أولاً لذلك، وأنه قد حدث بعدها تأويل من قبل أرباب البصائر والحبرة، وتوجيه بالندم في العظية للأسرار والأحوال، وأنه كان يدور في عطيته فيستردها، وأنه كثيراً ما كان يسلب الأحوال الخارجة على يديه لأدنى سبب يقع من المرید أو دونه. ولا يخلو هذا المعنى الثاني من اشكال لاختصاص الشاذلية بالتأمين من

محاته. وقد استقطبت مشيخته جل العناصر الفاعلة في تاريخ الحركة الصوفية بالحاضرة الوطاسية، خلال النصف الأول من القرن العاشر (16 م)، من الانتساب للزروقية الداعمة للأمرء الوطاسيين، وموافقة البهل والحال والمجذب واللامة، والظهور بالكاشفة والخبار بالمغيبات، مما يتعشقه الناس ويذعن له الجمهور.

وينحو مترجموه المتأخرون إلى القول بسبق الولاية والصلاح في سلفه بصنهاجة الحجر، ويذكرون من أجداده الشيخ أحمد بن عبد الرحمان الصنهاجي. ويجعلون خروجه من بلده إبان حدائته، ودخوله فاس بعد مدة، ويقاء بها إلى أن مات. ويمكن حصر الخصائص التي ميزت مشيخته بها، وكننت وراء خطورة شأنه حيا وميتا في ثلاث، وهي :

1 - التفرد بسند الشيخ إبراهيم بن علي الزرهوني المعروف بأفحام أو أفهام (ت. 1520/926) صدر الزروقيين المغاربة، وكبير الأخذيين عن الشيخ أحمد زروق (ت. 899/1493) على عهد استقراره بفاس في صدر الدولة الوطاسية، وصاحب الطريق الثاني والكبير في الزروقية إلى جانب الطريقة الراشدية، إذ لا يعرف من الأخذيين عن الشيخ أفحام سواه. وبعد الدوار بذلك الواسطة الوحيدة في السلسلة الزروقية - الأفحامية، والعلم الوحيد المعروف من أعلامها في الطبقة الزروقية الثانية. ويمكن ترجمة هذا التفرد على مستوى السند إلى مشيخة الطريقة الزروقية - الأفحامية بعد وفاة الشيخ أفحام في العام المذكور، وزعامة القوة الصوفية الداعمة للدولة الوطاسية في صراعها مع الحركة السعدية التي اكتملت العقد على انطلاقها في جنوب البلاد. ويؤيد هذا الزعم المكانة الرقيقة التي كانت للشيخ الدوار لدى الوطاسيين، الذين كان يدخل ديارهم فيتلقاه النساء والأولاد ويقبلون يديه وقدميه ويدفعون إليه الحوائج النفيسة، ويلبسه السلطان من أشرف لباسه. وقد نقل صاحب ابتهاج القلوب خيراً منسوباً إلى المؤرخ أحمد ابن القاضي (ت. 1616/1025) مفاده أن الشيخ الدوار وقف يوماً بقطرة الصباغين وهو ينادي : "أخرجوا بني مرين والله ما تترككم ببلادنا، وكان ذلك أخطر انقراض دولتهم". ويتصل هذا الخبر بتحول موقف مشايخ الملامتية من الصراع الدائر على الرئاسة بين الوطاسيين والسعديين، وانحيازهم إلى صف الأخيرين. لكن حضور السلطان الوطاسي وأرباب دولته جنازة الدوار، كما سيأتي ذلك، يفيد تأخر ظروء الفساد بين الملامتية والوطاسيين إلى ما بعد وفاته.

2 - الظهور بالاتجاه الصوفي للزروقية - الأفحامية التي اقتفت أثر المدرسة الصوفية الملامتية التي نشأت بخراسان خلال القرن الثالث (9 م)، وبالضبط بنيسابور على يد حمدون بن أحمد القصار (ت. 884/271). وإذا كانت ملامتية الشيخ أفحام أقرب إلى جوهر الطريق الملامتي الذي قصد به مشايخه الأوائل إلى مجاهدة النفس ورباضتها، والحرص على ألا ينم الظاهر عن الباطن، وألا

سلب الموهوب، وأن من وصل منهم على طريقهم لا يحصل له رجوع، ومن حصلت له نعمة على أيديهم لا يخشى عليها زوالاً ولا نقصاً. وقد كانت للشيخ عبد القادر بن علي الفاسي (ت. 1680/ 1091) عناية بهذا الاشكال، وبسطه نجله عبد الرحمان في الفصل الذي عقده لمشايخ المجذوب من كتابه "ابتهاج القلوب". وجاء بالمقالات الشاذلية التي يقوم عليها، واجتهد في التأويلات التي يحتملها، ومثل بحالات سلب وقعت لبعض مشايخ القرن العاشر.

ويبقى مرام بني الجد اكساب زاويتهم من جاه الدوار الذي لا تزيده كتاباتهم إلا تواتراً، وقد سبقهم ابن عسكر إلى ذكر الاعتقاد الكبير الذي كان لأهل فاس في هذا الشيخ، وأن ولايته كانت عندهم قطعة كفلق الصبح، كما كان شأنه عندهم عظيماً. وإذا كنا قد اهتملنا بتفرد الشيخ الدوار بالسند الزروقي - الأنحامي، واعتنى أهل الزاوية الفاسية بتصدره لمشايخ المجذوب، فإن محمد بن عيشون الشراط (ت. 1697/ 1109) قد توسع في سنده، وبسطه في صفحات عديدة ختم بها الترجمة التي أفرداها له من كتابه الروض العطر الأنفاس، ورفعه إلى كبار التابعين والصحابة والرسول ﷺ.

ولم ينافس المجذوب في الأخذ والإراثة عن الدوار سوى السيدة أمينة بنت أحمد بن علي بن القاضي المتوفى عام 1548/ 955. جد المؤرخ أحمد بن القاضي المذكور، ومتولي خطة القضاء والتدريس بمكناس. وإذا كان انتقال أبيها إلى فاس بأهله واتخاذها داراً يفسر بالحق بأستاذه الإمام محمد بن غازي (ت. 1513/ 919) الذي أبعدته بئر وطاس عن مكناس، فإن شيخها الدوار كان يقول إنه ما جى، بأولاد ابن القاضي كلهم من مكناس إلى فاس إلا لأجلها. وكانت تخدمه وتتبعه ولا تفارقها أنية الزيت، إذا أتاها وجدها عندها ليريقها على نفسه، لأنه كان يحب ذلك. وتذكر كتب التراجم أن الشيخ المجذوب اقتسم معها الإراثة الروحية لشيخهما الدوار على الوجه الشرعي للذكر مثل حظ الأنثيين، وأنه لم تكتمل له هذه الإراثة إلا بعد وفاتها التي حدثت عام 1556/ 963، وقد دفنت بروضة شيخها وراء ظهره. وبمن اشتهر من أتباع الدوار أيضا الشيخ محمد بن منصور (ت. 1589/ 997) دفين فاس الجديد على مقربة من وادي فاس، وقد كان له كلام في الإشارات والمعاني على لسان القوم.

وعلى الرغم من سكوت مترجمي الدوار عما إذا كان قد أوتي حظاً من العلم أم لا، إلا أنهم يذكرون أبياتاً تنسب إليه، وهي :

الموت أفنى من مضى والموت يفني من بقي  
والموت يجمع في الثرى بين المنعم والشقي  
يا من أساء فيما مضى كن محسناً فيما بقي  
وقد سمع صاحب ابتهاج القلوب والده ينشدها، وسأله

عن نسبتها إليه، فأكد له أنه سمع الناس ينسبونها إليه. كما وجد بخط الشيخ عبد الرحمان بن محمد الفاسي (ت. 1626/ 1036) كلاماً معزواً إلى الدوار في معاني حروف الهجاء وأسرارها. ولا يتسع المقام لجليه، وشهد لصاحبه بعلو الكعب في العلم ظاهره وباطنه، ويراجع في ابتهاج القلوب و"الروض العطر الأنفاس" لابن عيشون.

وقد اختلف في تحديد تاريخ وفاة الشيخ الدوار، فجعلها ابن عسكر في آخر العشرة الخامسة من القرن العاشر، وهذا يتفق مع ما قيده بعضهم من أنه توفي في جمادى الثانية عام 947/ أكتوبر 1540، وهو التاريخ الذي اعتمده ابن عيشون. في حين يعود عبد الرحمان الفاسي بتاريخ هذه الوفاة إلى بداية هذه العشرة، ويقول إن الأقرب: الذي يصح أنه توفي في أول سنة 941/ 1534، أو في تمام السنة التي قبلها. وقد حضر السلطان وخاصة دولته وفقهاء الحاضرة الفاسية جنازته، وتساقت الناس عليها، وتقاسموا أعواد نعشه وسجاده ولباسه. ودفن خارج باب الفتوح من فاس، وبني عليه بناء حسن، وجدده عليه البناء عام 1067/ 1657. الفقيه الصغير ابن القاضي (ت. 1678/ 1089) بمال ورثه، ثم جدد البناء عليه السلطان المولى الحسن الأول (1290. 1312/ 1873 - 1894).

- م. ابن عسكر، دوحه الناشر، ضمن موسوعة أعلام المغرب، 2 : 865. م. العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ط. حجرية، 190. 191. ع. الفاسي، ابتهاج القلوب، تج. ح. الداوي، 124 - 139. م. المهدي الفاسي، مجمع الأسماع، تج. ع. العمراوي وع. مراد، 110. 113 : تحفة أهل الصديقية، مخ. خ. ع. ج. 76، 69، 72 : م. ابن عيشون، الروض العطر الأنفاس، تج. ز. النظام، 73، 85، 86. 87، 323 - 324 : م. الصغير الاقراني، نزهة الحادي، تج. ع. الشاذلي، 71. م. القادري، نشر الثاني، ضمن موسوعة أعلام المغرب، 5، 1795. م. الكتاني، سلوة الأنفاس، ط. حجرية، 2 : 219. 223. ع. نجمي، من تاريخ التصوف المغربي في القرن العاشر الهجري : الملامية، مجلة تاريخ المغرب، السنة الأولى، 1401/ 1981، العدد الأول، 15، 57.

عبد الله نجمي

### الدوار أو الدُشْر وحدة الاجتماعية والإدارية الأساسية

في المجتمع القروي. (ويسمى كذا - حسب المناطق - الحفوية أو القصر أوتيجمي أو أشون)، ويتعلق الأمر بجماعة بشرية تتكون من مجموعة من الخيم (انظر مادة خيمة) أو الكواين (20 إلى 30 حسب دراسة روبرت مونتاني لسوس)، ينحدر أعضاؤها، مبدئياً، من نفس الجد. ورغم هذه القرابة العصبية، التي تلعب دوراً أساسياً في التحام أفراد الدوار، فإن هذا الأخير يضم أحياناً أشخاصاً يلجؤون إليه هروياً من ثار أو غيره، ويتم تبنيهم عادة عبر مؤسسة الزواج.

بالإضافة إلى هذا العنصر السوسولوجي، يتميز الدوار

بسببته السليبية من سنة 1919 إلى أن توفاه الله سنة 1934 .  
 م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال  
 المغرب، الرباط، 481.  
 محمد ابن عزوز حكيم

## دينية (أسرة رباطية) ← دنية

**دووس** Duous وادّ انفراد بذكره الجغرافي بظلموس :  
 2, 1, 4. Ptolémée. وقد رتبته بين مدينة سلا ومكان سماه  
 بالأطلس الصغير. وحدد للسوادي المذكور الإحداثيات  
 التالية : الطول 6 درجة و10، العرض 33 درجة و20.  
 ظن شارل تيسو أنه هو وادي المالح الذي يصب جنوب  
 مدينة فضالة - المحمدية حالياً - وقد وافقه روجي والأستاذ  
 مولاي رشيد في هذا الرأي.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1878 ; R. Roget, *Index de topographie ancienne du Maroc*, Rabat, 1939 ; E.M Moulay Rchid, *Le Maroc septentrional selon Claude Ptolémée, R.G.M.*, Nouvelle série, 3, 1979.

محمد مجدوب

**الدويري**، أسرة فاسية تشتمل حسب رفع الالتباس على فرقتين : فرقة شرفاء من جبل العلم لهم شهرة أهل معاش حرفة وجاه ؛ وفرقة من سجلحاسة من محل هناك يقال له الدويرية، وهم أمويون من نسل أمير المؤمنين عثمان بن عفان كما رأيت ذلك في حجج بيدهم منهم : الحاج المدني الدويري الذي كان أميناً بموسى الدر البيضا أيام الحسن الأول. والحاج قاسم الدويري من أبناء بيت المال (الأقواس) بمكناس أعوام 1305 . 1308.

**الدويري، محمد بن عبد الواحد العثماني** الفاسي. كان فقيهاً مشاركاً مطلقاً، تولى قضاء صفرو ثم نقل إلى قضاء مراكش وبعده أعفي من منصبه، وكان قد قُضي عليه أيام السلطان محمد بن عبد الرحمن بالسجن والذعيرة ثم عفي عنه. وولاه الحسن الأول قضاء مدينة أسفي.

مرض محمد الدويري بأسفي فرجع إلى فاس وبها أدركته منيته في ثامن ربيع الأول عام 1302 / 28 دجنبر 1884 ودفن بزواوية بدرب الحرة.

**الدويري، محمد بن محمد بن عبد الواحد** العثماني ولد بفاس عام 1273 / 56 . 1857 وبها نشأ ودرس على والده وعلماء عصره، فتخرج فقيهاً متمكناً في الأصول والفروع. أسند إليه قضاء مدينة صفرو ثم القصر الكبير فالدار البيضاء فالجديدة فأسفي.

باحثاله مجالا جغرافيا معنا ذا حدود قارة، وبوجود نشاط اقتصادي يعتمد أساسا على الفلاحة والرعي (وبعض الصناعات الحرفية المحلية)، الشيء الذي يفرز تمايزا سوسيو اقتصاديا رغم التجانس الذي تتسم به مظهرها ساكنة الدوار.

وعلى مستوى الملكية العقارية، نجد إلى جانب الملكية العائلية ملكية جماعية تتعلق بالمراعي والغابات والطرقات، وذلك في إطار الانتماء إلى وحدة أكبر (الفخدة أو الفرقة، انظر هاتين المادتين).

يمثل الدوار كذلك وحدة ثقافية لها عاداتها وتقاليدها وقوانينها، التي تكون تارة مكتوبة وتارة عبارة عن أعراف شفوية، وتعتمد لتدبير ما هو محلي. وفي هذا الصدد يعين أو ينتخب الدوار جماعة تمثله وتسهر على تسيير شؤونه. هذه الجماعة التي يفترض فيها أن تمثل كل أفراد المجتمع المحلي، لا يشارك فيها فعلا إلا الرجال المتزوجون والقادرون على حمل السلاح، مما يقضي العزاب والحماسة والعبيد (إن وجدوا) ؛ كما توجد عمليا بين أيدي الأعيان الذين يتناوبون على إدارة مجلس الجماعة.

من الناحية الإدارية، يوجد على رأس الدوار مقدم يسهر على تنفيذ قرارات الجماعة، أو القرارات الصادرة عن السلطات المخزنية.

تحت تأثير تنفيذ الحياة الاقتصادية، ونزع الأراضي من أصحابها وتكديحهم - أثناء الفترة الاستعمارية - سيفقد الدوار وحدته، إذ سيضطّر عدد من أفرادها إلى الهجرة (داخل المغرب أو خارجه)، وستحل الفردانية، الناجمة عن تحول عدد من الفرويين إلى عمال زراعيين، محل التأزر الذي كان يطبع المجتمع التقليدي، كما سيفقد الدوار كذلك وحدته القروية إذ سيزداد عدد الغريباء الذين سيصبحون من المالكين العقاريين. وستتفاهم هذه الوضعية بعد الاستقلال، خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار التقطيعات الجديدة المرتبطة برهانات انتخابية وتتدخل الدولة في إطار التحديث الزراعي وما ينتج عن كل هذا بالنسبة للدوار الذي يصبح مجرد تجمع سكني أخذ في فقدان هويته الاجتماعية والثقافية.

عبد الجليل حليم

**الدوأس، الحاج محمد بن أحمد قائد** كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني غرفط أنظم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني ؛ وقد مثل قبيلته في مؤتمر الثورة المنعقد بضريح مولاي عبد السلام يوم 20 يوليوز 1913 حيث عين عضوا في القيادة المركزية للثورة كما شارك في 11 معركة، وعلى إثر جروحه في معركة بني صالح يوم 25 مارس 1919 وقع أسيرا بيد الجيش الإسباني ومكث بسجن "الهاشو" El Hacho

توفي بقاس عشية يوم السبت ثامن وعشري رجب عام 1349 / 20 دجنبر 1930.

ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف، الرباط، 1933، ج. 2 : 460 - 461، ج. 3 : 462، ج. 5 : 368، ع. السلام ابن سوادة، رفع اللباس، مرقون : إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 8 : 2763 و 2996.

محمد حجي

### الدويمالانيون من الأسر السوسية الرگراكية موطنها

قرية دُويمالان (تحت الرمال) بقبيلة أملن شمال تفرات. اشتهرت في خطط القضاء والفتوى والتدريس، إذ تولى أفراد الأسرة قضاء تفرات منذ القرن العاشر الهجري، وشارطوا في مدارس أملن. بالإضافة إلى ذلك، منهم من كان مقصوداً للتربية الصوفية، بل منهم من نسبت لهم كرامات.

استطاع المختار السوسي بعد مناقشة نسب الرگراكيين بسوس وما يطرحه من شكوك، أن يحصي أربعة عشر علماً من أعلام الأسرة، وذكر أن لهم اتصالاً بالشيوخ الإيلغيين والجشتيميين والتمگدشتيين مما كان له تأثير في صقل معارف الأسرة وتهذيب سلوك أفرادها الصوفي.

م. بن أحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، تج. أ. بومزكو، بحث لنيل د. د. ع الرباط، 1994، التراجع 54. 404. 760. 761. 819. 820 : م. المختار السوسي، رجالات العلم العربي، 1989، ص. 22. 45. 111 : المصوّل، 1 : 369، 3 : 110. 112، 4 : 25. 5 : 194. 198. 255. 303. 317، 9 : 150. 212 : داوود بن علي الكرامي، بشارة الزائرین، مخطوط خزانة الإگراوي : وفيات الرسموكي، تج. م. المختار السوسي، الرباط، 1988، ص. 26. 27. 30. 33. 42.

شفيق أرفاگ

الدوق دي براگاش بحار برتغالي عين قائداً للحملة البرتغالية الثانية لاحتلال أزموور، على رأس أسطول يتألف من مائتي سفينة ولم يطلع ضباطه على هذه الحملة إلا يوم 20 غشت 1513. وعندما بلغت الحملة قبالة أزموور يوم 25 غشت وجه المراكب للجوء إلى منطقة مازگان نتيجة رداة أحوال الطقس ولم يتعرض لها سكان المنطقة، مما شجع الدوق على نصب المخيم بالساحل من يوم 27 غشت إلى فاتح شتنبر وهي في حالة استنفار، ولم يحل ذلك دون تعرضها لاغتتيال بعض رجالها (اثنين أو ثلاثة) وفقدان بضعة خيول من طرف بعض الأهالي المناوئين للاحتلال البرتغالي وأنصاره من المحليين.

وفي صباح يوم الخميس فاتح سبتمبر انطلقت الحملة نحو أزموور التي بلغت في المساء، والتحم أحد قواد الدوق دوبراگاس جواودي مينيسيس Joao de Meneses مع فرقة من الأهالي الذين أظهروا قوة في الصراع معاً دفع بالكويت

دي بوربا Le Comte de Borba إلى أمر القوات البرتغالية بالتراجع. ولم يتم نصب المخيم على مشارف أزموور إلا ليلاً.

وفي يوم الجمعة سبتمبر تم انزال المدفعية، وبعد الزوال ظهرت قوات مغربية مكونة من حوالي أربعة إلى خمسة آلاف فارس. وقد توجه بعض البرتغاليين نحو أسوار المدينة مصحوبين بواقيتين خفيفتين يقود إحداهما جورجى بارطر Jorge Barreto، واجههم المدافعون عن المدينة برشقهم من أعلى الأسوار بجياح النحل والنار الذي أحرق الواقيتين، وبالسهم، وبطلقات نارية ضعيفة.

وفي المقابل كانت قوات الفرسان المغربية تتقدم بانتظام وكأنها تستعد للمواجهة، مما دفع البرتغاليين إلى الاستعداد من جهتهم ؛ وأمام توقف المغاربة فكر الكونت دي بوربا في أخذ مبادرة الهجوم لكن انسداد الظلام حال دون ذلك، حيث تظاهرت المسلمون بالانسحاب ثم كروا فجأة حاملين على البرتغاليين مستغلين انسحابهم، ملتحمين معهم في معارك لم تتوقف إلا مع حلول الليل.

وخلال الليل انشغل السكان في مغادرة المدينة وقام بعض اليهود إلى المعسكر البرتغالي لإخبار الدوق دي براگاس بذلك وفي صباح اليوم الموالي دخل الغزاة، وقد عين حامل روي بارطو دخلت قوادة برتغالية النهر بستين زورقاً لإحراق منجنيقات الأهالي التي حاولوا بها إتلاف الأسطول البرتغالي.

ح. الوزان، وصف إفريقيا، الجزء 1، ص. 158.

S.L.H.M., Portugal, T. I, p. 405 - 09.

حسن أميلي

### دي جوانفيل (François Ferdinand Philippe)

d'Orléans, Prince de Joinville) هو الابن الثالث للملك الفرنسي لويس فيليب، ولد عام 1818 في نويي - سور - سين (Neuilly - Sur - Seine). وبعد إتمام دراسته في المدرسة البحرية عين قبطاناً لبارجة. وقد حضر احتلال مدينة قسنطينة عام 1837 بعد غزو الجزائر.

وفي المغرب ارتبط اسم الأمير دي جوانفيل بقتل الأسطول الفرنسي لمدينتي طنجة والصويرة، وعقد معاهدة طنجة عام 1844. فعلى إثر الاشتباكات التي شهدتها منطقة الحدود الشرقية في نهاية شهر مايو 1844 بين المغاربة والفرنسيين، والتي نتجت عن إقدام القسوة الفرنسية على إقامة مركز في لالة مغنية غرب نهر تافتنا - وكان المغرب يعتبره حداً بينه وبين الجزائر - ؛ تحركت فرنسا للضغط على المغرب دبلوماسياً وعسكرياً.

وفي هذا الإطار قررت الحكومة الفرنسية بتاريخ 11 يونيو 1844 إرسال أسطول حربي إلى شواطئ المغرب، وأسندت قيادته إلى الأمير دي جوانفيل. وكانت غاية

الحكومة الفرنسية من اختياره، هي "تأكيد الأهمية التي كانت تعلقها على مهمته". وقد زودته بتعليمات تقضي باستعمال الضغط أو بتوجيه ضربة عسكرية "حاسمة وسريعة"، من أجل إجبار المغرب على قبول الشروط الفرنسية، التي يمكن إجالتها في أربعة رئيسية :

- 1 - معاقبة المسؤولين المغاربة في ناحية وجدة.
- 2 - إخلاء المنطقة الشرقية من الجيش المغربي.
- 3 - طرد الأمير عبد القادر الجزائري من المغرب.
- 4 - عقد معاهدة جديدة لرسم الحدود بين المغرب والجزائر.

وقد أفلح الأسطول الفرنسي من طولون (Toulon)، ووصل إلى وهران في أوائل شهر يوليو، حيث كان على دي جوناڤيل أن يضع نفسه تحت إمرة الجنرال بروجو (Bugeaud) وينسق معه.

وفي يوم 9 يوليو وصل الأمير إلى شاطئ طنجة، حيث كان القنصل الفرنسي دي نيون (de Nyon) قد حصل من باشا العرائش بوسلهام بن علي على الإذن بالصعود إلى سفينة دي جوناڤيل، الذي وجه إنذاراً إلى السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، يطلب الموافقة العاجلة على الشروط الفرنسية. وفي انتظار الجواب، قرر إبقاء أسطوله في قادس، غير بعيد عن الأسطول الذي أرسلته الحكومة البريطانية لمراقبة تحركات السفن الفرنسية، بينما كان القنصل الأنجليزي دراموند هاي (D. Hay). يحاول إيجاد تسوية للنزاع تحول دون وقوع أعمال حربية.

وكان الجنرال بوجو يبحث دي جوناڤيل على الشروع في القتال دون انتظار، مبرراً ذلك بأنه - وهو في داخل المغرب - لا يستطيع البقاء في مكانه أكثر من عشرة أيام. وقد أبلغ دي جوناڤيل إلى القنصل دي نيون، أنه رغم عدم اتفاقه مع بوجو، فهو مضطر إلى النزول عند رغبته وبدء القتال. وقد توجه فعلاً إلى شاطئ طنجة يوم 23 يوليو؛ غير أن قائد هذه المدينة ابن عبو، الذي لاحظ الاستعدادات الجارية في القنصلية الفرنسية لمغادرة المدينة؛ منع الأجانب من الخروج باستثناء اتصال برطانيا وناپولي، فاضطر دي جوناڤيل إلى تأخير بدء القتال، خاصة وأن القنصل دي نيون كان مقتنعاً بنجاح مهمة هاي لدى السلطان. ولتبرير هذا التأخير، وجه الأمير إنذاراً جديداً وأخيراً إلى باشا العرائش، اشترط فيه السماح للفرنسيين بمغادرة طنجة، إضافة إلى الشروط المذكورة أعلاه، ومنحه مهلة ثمانية أيام تنتهي يوم 2 غشت.

وقد وافق باشا العرائش على خروج الفرنسيين من طنجة، لكن الجواب على الإنذار لم يأت في اليوم المحدد. وقد أنذر الأنجليز دي جوناڤيل بتحمل عواقب مقتل قنصلهم إذا بدأوا القتال قبل عودته. فاضطر الأمير إلى الانتظار مرة أخرى حتى وصل جواب الإنذار يوم 4 غشت. وقد أثار هذا الجواب خلافاً حاداً بين دي جوناڤيل والقنصل دي نيون. فقد اعتبره الأول غير مرض، لأنه

يطالب بمعاينة الجنرال بوجو في مقابل معاينة عامل وجدة، ولا يقدم شيئاً بالنسبة لبقية المطالب. أما دي نيون، فقد رأى أن مضمون جواب السلطان يخالف ما فهمه دي جوناڤيل، واعتبره مستجيباً للمطالب الفرنسية. وقد تدخلت الحكومة الفرنسية في هذا الخلاف لصالح الأمير، وأمرته يوم 5 غشت ببدء القتال إذا لم يكن هو راضياً عن جواب المغاربة. فقرر بدء الأعمال الحربية في اليوم التالي، وكان القنصل الأنجليزي قد غادر الصورة في تلك الأثناء.

مهاجمة طنجة : ورد في يوميات ترجمان الأسطول الفرنسي فارني (Warner)، أن دي جوناڤيل أعطى الأوامر للشروع في قنبلة مدينة طنجة في الساعة السابعة من صباح يوم 6 غشت، وأكد أن قذائف المدافع انطلقت في نفس الوقت من الأسطول الفرنسي، ومن أسوار وأبراج طنجة. ولاحظ أن المغاربة أظهروا استماتة في القتال، حيث كانوا "يموتون فوق مدافعهم" وأنهم ركزوا قصفهم على سفينة القيادة التي كان فيها دي جوناڤيل، وقد سقطت عليها تسع وأربعون قذيفة. وذكر فارني أن القصف توقف عند الساعة الثانية عشرة زواً، بعد أن تم تدمير أغلبية مدافع طنجة. وقدر خسائر الفرنسيين بقتيلين وخمسة عشر جريحاً. أما خسائر المغاربة فقد قدرها ريان مركب إسباني بمائتي قتيل وأربعمئة جريح، ودمر الهي المجاور للأسوار، وكان دي جوناڤيل يزعم أن الهجوم كان مركزاً على التحصينات وحدها.

وقد شارك في قصف طنجة حوالي ثمانية وعشرين مركباً فرنسياً بحضور مراكب أنجليزية وسويدية وداغماركية وإسبانية كانت تراقب العمليات الحربية.

أما معلومات الأنجليز التي أبلغوها للسلطان، فقد أفادت بأن الفرنسيين خسروا ستة وعشرين قتيلاً وسبعة وثلاثين جريحاً، مع إصابة عدة مراكب فرنسية. وأكد المولى سليمان، ابن السلطان، في إحدى رسائله، أن إصلاح ما دمره القصف "متيسر في وقت قريب... لأن رمي العدو لم يعم جميعها". وأخيراً كذلك بأنه تم جمع ثلاثة آلاف قذيفة مدفوع داخل المدينة صالحة لإعادة استعمالها، وذكر بعض القناصل أن مجموع ما ألقي على المدينة من القذائف يزيد عن ستة آلاف.

وبعد انتهاء القصف، أفلح الأسطول الفرنسي في اتجاه الجنوب، نحو الصورة يوم 9 غشت، وقد سبقته إلى هناك سفينة أنجليزية لتحذير المغاربة.

مهاجمة الصورة : وصل الأسطول الفرنسي المكون من سبع عشرة سفينة إلى شاطئ الصورة يوم 11 غشت. إلا أن هيجان البحر أجبر الأمير دي جوناڤيل على تأخير الهجوم. وقد جاء في مذكراته : إن اختيار الصورة كهدف للضرب، كان ناتجاً عن أهمية مداخيلها بالنسبة لسلطان المغرب، وقال : "لقد بددنا أوهامه في طنجة، في حين سيقوم الجنرال (بوجو) بإسقاط كبريائه في ساحة معركة إيسلي، وأقوم أنا بفتح ثغرة في خزنته". ولاحظ ترجمانه



قارني، أن المؤسسات التجارية الفرنسية في السنغال ستستفيد من تدمير الصورة.

وفي يوم 15 غشت بعد الظهر بدأ قصف المدينة بمدافع الأسطول، واستمر ذلك أربع ساعات. وقد لاحظ دي جوانفيل أن دفاع الصورة كان أكثر جدية من دفاع طنجة. وبعد إسكات مدافع المدينة، أمر بانزال خمسمائة جندي إلى الجزيرة لاحتلالها. لكنهم وجدوا مقاومة شديدة من حاميتها التي كانت تتكون من أربعمائة مقاتل، واستمرت المقاومة إلى اليوم التالي، حيث تم للفرنسيين الاستيلاء على الجزيرة فأسروا حوالي مائة وخمسين من المدافعين المغاربة، نقل مائة وسبعة وعشرون منهم بعد ذلك إلى وهران، أما الباقون، فقد قتل أغلبهم وفر قليل منهم سباحة إلى المدينة. وقدر الفرنسيون خسائرهم بأحد عشر قتيلًا واثنين وخمسين جريحًا مع إعطاب بعض السفن. وفي اليوم نفسه (16 غشت)، بعث دي جوانفيل إنذاراً إلى باشا الصويرة، عبد الله الرزني، أبلغه فيه بأنه سيقوم بإعدام الأسرى المغاربة إذا لم يسمح للقنصل الإنجليزي بالصويرة وللأوربيين بها، بمغادرتها. وبعد خروج القنصل الإنجليزي وصعوده إلى سفينة إنجليزية كانت تراقب الأحداث؛ بعث دي جوانفيل بقوة تتشكل من ستمائة رجل إلى المدينة لإتمام تخريب ما بقي صالحاً بها من المدافع؛ واعتقد السكان أن غايته كانت احتلال المدينة، ففروا ومعهم الباشا إلى خارجها فعمت حالة الفوضى.

وفي 23 غشت غادرت أكثرية سفن الأسطول الفرنسي شواطئ الصويرة في اتجاه قادس، بعد أن ترك دي جوانفيل حامية بالجزيرة مع مؤن تكفي لمدة شهرين، وبعض السفن الحربية لإحكام الحصار حول المرسى. غير أن نيران المدافع أطلقت من المدينة على الأسطول الفرنسي عند إقلاعه، فعاد دي جوانفيل وأنزل قوة لتدمير المدافع المهاجمة قبل أن يتابع سفره.

وقد اعتبر الفرنسيون أن حملة دي جوانفيل البحرية على طنجة والصويرة، كانت أكثر تأثيراً على السلطان من هزيمة إيسلي، لأنها حرمت من موارده الأساسية: مداخيل ديوانة طنجة والصويرة.

معاهدة 10 شتنبر: ويسبب سوء التفاهم المشار إليه أعلاه، بين دي جوانفيل والقنصل دي نيون، عينت الحكومة الفرنسية الدوق كلو كسبورغ وهو كاتب السفارة الفرنسية بمدريد، لقيادة المفاوضات بين الفرنسيين والمغاربة، عقب انتهاء الأعمال الحربية.

وفي هذه المفاوضات، تخلى دي جوانفيل عن رغبته في فرض غرامة حربية على المغرب مقدارها عشرة ملايين فرنك، مبرراً ذلك في رسالة منه إلى وزير الحرب، بالحاجة إلى الوصول إلى صلح سريع، ويعجز قوات الجنرال بوجو عن التقدم إلى فاس، ونقاد موارد الأسطول بعد معارك طنجة وتطوان، هذا إضافة إلى أن القنصل دي نيون كان يعارض

هذه الغرامة.

وبعد أن تأكد المفاوضون الفرنسيون من أن الباشا بوسلهام بن علي يحمل التفويض اللازم من السلطان للتباحث حول معاهدة الصلح والتوقيع عليها؛ توجهت ثنائي سفن إلى طنجة مع دي جوانفيل وكلو كسبورغ ودي نيون، حاملين معهم نص معاهدة صلح لكي يوقع عليها بوسلهام دون تعديل أو يرفضها. وبعد أن تلقى دي جوانفيل إشارة من قنصل نابولي - الذي كان يقوم بتمثيل مصالح فرنسا في طنجة بعد خروج القنصل الفرنسي منها - بأن الباشا قد وافق على المعاهدة المقترحة؛ نزل الثلاثة إلى طنجة، وتوجهوا لمقابلة بوسلهام بن علي الذي وضع خط يده على الوثيقة يوم 10 شتنبر بعد أن "حصل على عدد من التوضيحات وأجرى عدداً من التدقيقات". وقد وقعت نسختان بالعربية ونسختان بالفرنسية، واحتفظ كل طرف بنسخة عربية وأخرى فرنسية.

وبعد إتمام التوقيع كتب دي جوانفيل إلى وزير الحرب الفرنسي معبراً له عن تقيمه للمعاهدة قائلاً: "في هذا اليوم حصلت الحكومة على أكثر مما كانت تطلبه، وأكثر مما لم تكن قد حصلنا عليه في أي يوم من المغرب. كل هذا بدون مساعدة أي نفوذ أجنبي وفي ظل مدافع سفننا".

وفي يوم 11 شتنبر تلقى بوسلهام هدايا من دي جوانفيل رداً على ما كان بعثه إليه من مؤن لسفنه في صباح نفس اليوم. وقد التحق القنصل الفرنسي بقنصليته ورفع العلم الفرنسي عليها وتم تبادل التحية بطلقات المدفعية من أبراج المدينة والأسطول الفرنسي، وأرسل الأمر برفع الحصار عن الصويرة وإخلاء جزيرتها ثم كان تسريح الأسرى المغاربة المحتجزين بوهران.

وقد استفاد دي جوانفيل من تلك العمليات إذ ذاع صيته فشارك في الحياة السياسية الفرنسية بنشاط، إلى حدوث ثورة 1848 التي أجبرته على الهجرة مع أسرته إلى إنجلترا ثم إلى الولايات المتحدة. وفي عام 1870 عاد إلى فرنسا وشارك في الحرب ضد بروسييا، وفي عام 1871 انتخب عضواً في الجمعية الوطنية، ثم أعيدت له رتبة "نائب أميرال" عام 1872 وقد توفي عام 1900.

وثائق من الخزانة الحسنية بالرباط؛ وثائق من أرشيف وزارة الخارجية بباريس.

Ph. De Cossé-Brissac. *Les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie*; De Joinville, *Vieux souvenirs*; *Histoire générale de la marine*; M. Emerit, *Le conflit franco-marocain de 1844*; Guizot, *Mémoire pour servir à l'histoire de mon temps*, T. 7; L. Roches, *32 ans à travers l'Islam*, T. 2; A. H. Warmier, *Compagne du Maroc*; *Le Robert. Dictionnaire universel des noms propres*, T. 2, 1995 - 9 - 18.

إبراهيم ياسين

الدوكي دي ريبيردا El Duque de Ripperda سياسي

هولاندي مغامر من عائلة نبيلة تحمل لقب بارون. ولد بهولندا سنة 1091 / 1680 وبها نشأ وتعلم وعيّن سفيراً لبلاط ببلاط مدريد، ثم شغل عدة وزارات إلى وظيف سكرتير الدولة للملك فيليب الخامس من آل بوربون بإسبانيا. ونال بذلك دنيا عريضة وجاها كبيرا وصيتا جميلا.



لجأ الدوكي إلى المغرب بعد أن سقطت مكانته في البلاط الإسباني ولاكت الألسن سمعته واكتسب بنار العنصرية والتعصب الديني لأنه أجنبي لا يحسن أن يتولى رئاسة الوزارة بإسبانيا كما أنه حديث عهد بالكاثوليكية، وانتهى به المطاف إلى السجن، فهرب منه بوسائله الخاصة ولجأ إلى لندن فأقام بها مكرما من ملكها ونبلائها، لكن سرعان ما تحركت دساتر خصومه فشعر بالخطر وذهب إلى بلده هولندا، فتابعه خصومه ولا سيما سفراء إسبانيا لم يكفوا عن تتبع حركاته وإشاعة السوء عنه، وعرف أن هناك مساومات لتسليمه إلى إسبانيا التي تطالب بمحاكمته، فتأكد أنه لم يبق له مكان بأوروبا، وانتهاز وجود سفير مولاي عبد الله بن إسماعيل ملك المغرب بلاهاي فاتصل به وأبدى رغبته في الالتجاء إلى المغرب بشرط المحافظة على دينه وماله وأن يمنح حرية التنقل والتصرف، فسوعد على ذلك بعد الاستشارة، وقدم إلى المغرب مع السفير راكبا إحدى قطع الأسطول المغربي ونزل بميناء طنجة في جمادى الأولى عام 1144/نوفمبر 1731.

زار الدوكي السلطان بمكناس فأكرمه واستمر اتصاله به سرا وعمل بصنائه وإشاراته في أمور شتى، وكان الدوكي جلب من أوروبا أسلحة حديثة ساعد بها السلطان فكان لها أثر ملموس في انتصاره على خصومه، ثم عاد إلى طنجة فأكرمه عاملها بأمر السلطان، وبعد مدة استأذن في الانتقال إلى تطوان التي كانت وقتها من أجمل مدن المغرب فسكنها وأقطعها حاكمها الحاج عمر لوقش داراً وروضاً وأراضي اعتنى بها الدوكي وغرس بها أنواعاً من أشجار الفواكه والأزهار والورود وأنقها على الطراز الأوربي، وتوطدت الصلة بينه وبين أعيان البلد فأجهم وامتزح بهم وتعلم العربية، لكنه ما لبث أن استدعي من طرف السلطان للقيام بمهمة سياسية إلى تونس، فسافر إليها واتصل بالباي

ورجال دولته غير أنه لم ينجح في مهمته وعاد إلى المغرب، فوجد الإشاعات والدساتر عادت إلى الالتفاف حوله فاستأذن في السفر إلى أوروبا فلم يؤذن له، وعاد إلى الاستئذان وانتظر وطال انتظاره، فأخبره الحاكم بأن لديه أمراً سلطانيا بعدم السماح له بمغادرة البلد فأدرك أنه سجين.

أمضى الدوكي سنوات من أجمل أيام حياته في تطوان، وتأثّل بها دوراً وبقاراً حبس منها أملاكاً على ضريح الشيخ سيدي السعيد حتى ذكرت مصادر إفريقية أنه أسلم وتسمى بعثمان، ولكي يبرهن على حسن إسلامه حبس أملاكاً على ضريح ولي يقدسه أهل تطوان ويُعتبر حاميتها. وقد استبعد الشيخ داود إسلامه بحجة أن العدول وصفوه في صكوك شهاداتهم بأنه فلان النصراني قال : ولو كان اعتنق الإسلام لما وصفوه بالنصراني خصوصاً في شهادة وقعت عليه قبل وفاته بشهر واحد.

توفي الدوكي بتطوان مفلوجاً في 14 رجب عام 1150 / 5 نونبر 1737 وحيداً غربياً عن 57 سنة.

Madrid, El Duque de Riparda Don Luciano de Taxonera.

1945 : ترجمة وتلخيص التهامي الوزاني، تطوان : م. داود،

تاريخ تطوان، تطوان، د. ت. ج. 3، 41-35 : مختصر تاريخ تطوان، ص. 285.

محمد الأمين بوخيصة

**دي كاستر** الكونت هانري C. H. De Castries ينتمي

إلى بيت من أكبر البيوتات النبيلة في فرنسا. انخرط باكراً في الجيش الفرنسي إذ دخل صفوف القتال في الحرب بين فرنسا وبروسيا (أو ألمانيا الناشئة) سنة 1870، ليلج بعد الحرب مدرسة سانسير ويتخرج منها برتبة ملازم سنة 1873 ويلتحق بجيش الاحتلال الفرنسي في الجزائر، فهو نموذج آخر من نماذج شباب الطبقة النبيلة الفرنسية التي التزمت يومئذ بخدمة النظام الجمهوري المنتصر في فرنسا على أن يكون ذلك بعيداً عن التراب الفرنسي فيما وراء البحار، مثله في ذلك مثل شارل دي فوكو وهوبير ليوطي على سبيل المثال لا الحصر.

اشتغل هانري دي كاستر في الجنوب الجزائري. وتأثر بما يهيمن في المناطق الصحراوية من أجواء الفطرة الأولى فتعلم العربية، وصار يشتغل برسم الخرائط وضبط التضاريس عن طريق الاستعمالات. وهكذا استطاع أن يرسم خريطة أولى عن منطقة درعة وأخرى عن واحة فيجيج بمجرد استقصاء كل من كان يلتقي بهم من أبناء تلك الجهات لدى تنقلهم عبر الجزائر. واجتمع لديه من المعلومات الطوبوغرافية عن المغرب ما مكّنه من وضع أول خريطة عن البلاد رسمها باللغة العربية أجمل رسم وزينها بما يليق من التزيين، وجاء المغرب لإهدائها إلى السلطان المولى حسن الأول سنة 1887، فكان ذلك أول ما وطنت قدماء تراب

البلاد. وانتهر الفرصة لرسم تضاريس الطريق من الدار البيضاء إلى مراكش عبر سطات. وهذا الرسم الطوبوغرافي، هو الذي اعتمده الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال مانجان للزحف نحو مراكش واقتحامها في صيف سنة 1912.

استقال دي كاستر من الوظيفة العسكرية غداة رحلته إلى المغرب، ذلك بأنه كان قد تزوج بنت الجنرال لامورسيير Lamoricière منذ سنة 1880، وفضل العودة إلى الحياة المدنية والاشتغال بتدبير شؤون ضيعاته والشؤون السياسية المحلية في أقاليم أنجو Anjou ومصب نهر اللوارLoire. بيد أنه لم يتغافل عن قضايا التوسع الاستعماري الفرنسي، إذ انخرط في جل الجمعيات التي كانت تعنى بها، مثل الجمعية الجغرافية والجمعية الآسيوية والاتحاد الاستعماري وجمعية إفريقيا الفرنسية وآسيا الفرنسية ولجنة المغرب التي كان من الأعضاء المتحمسين لتأسيسها. وصار المغرب شيئاً فشيئاً يستقطب باهتمامه، فأصبح من دعاة إلحاقه بالمستعمرات الفرنسية. وانكب على سبر أغوار تاريخه بعد أن كان قد تطلع في دراسة جغرافية. وصار ينتقب عن المخطوطات وعن كتب التاريخ العربية. مما أوقفه على ما كان مودعا من الوثائق الغميسة ومن المراسلات والرحلات والتقارير الرسمية وغير الرسمية في مختلف رياند الدول الأوروبية. فاكشف من الكنوز الوثائقية ما لم يكن أحد يلتفت إليه. وقرر من توه إصدار كل ذلك في سلسلة تحت عنوان *Les Sources Inédites de l'Histoire du Maroc* أو الوثائق غير المنشورة من تاريخ المغرب، صدر أول مجلد منها سنة 1905 على نفقته وصدرت المجلدات اللاحقة بمنح من الجمعيات الاستعمارية.

ويوم أبرم عقد الحماية على المغرب، جاء دي كاستر إلى طنجة ودخل فاساً إلى جانب ليوطي الذي يعتبر من جيله. وقد اعتمد عليه ليوطي لينهض بتنظيم شؤون لجانزات المغربية وترتيب أرشيف الإدارة الفرنسية الناشئة في المغرب وخزانة الحماية. وانتهى التعاون بين الرجلين بإحداث القسم التاريخي الملحق بكتب السياحة المغربي في باريس سنة 1919، الذي تكفل من ثم فصاعداً بنشر باقي مجلدات الوثائق غير المنشورة. وتأتى بذلك متابعة نشرها بعد وفاة الكونت هانري دي كاستر على يد بيير دي سينفال (Pierre de Cénival) ثم روبري ريكار (Robert Ricard) ثم فيليب دي كوسي بريساك (Philippe de Cossé-Brissac) ثم شانطال دي لافرون (Chantal de la Véronne)، فهي مجموعة من سبعة وعشرين مجلداً، عشرة منها تحتوي ما يوجد في الرياند الفرنسية من الوثائق المغربية (ثلاثة مجلدات عن الدولة السعدية وسبعة عن الدولة العلوية)، وستة مجلدات تحتوي ما هو مودع منها في الرياند الهولندية، وثلاثة مجلدات ما هو مودع في الرياند الإنجليزية، وثلاثة ما في الرياند الإسبانية، وخمسة ما في الرياند البرتغالية. والسلسلة كنز مرجعي لا غنى عنه لمن

يريد استكناه تاريخ المغرب منذ منتصف القرن السادس عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر، في العصر الذي مهد لتقهقر الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط منذراً بتفوق الضفة الشمالية عليها، وصار الأوربيون يتشرفون إلى إمطة اللثام عن أسرار الحضم الإسلامي وعوراتها، وإلى تعميم الفائدة من ذلك في صفوفهم، مستفيدين مما عم بينهم من انتشار الطباعة وسرعة التواصل العلمي والاعلامي.

وللكونت دي كاستر العديد من المؤلفات فضلاً عن السلسلة المذكورة من بين كتب مطولة وكراسات ومقالات عن قضايا الإسلام ومشاكل الاستعمار، أورد جل عناوينها بيير دي سينفال في المقال الرثائي الذي خص به صديقه الراحل بعد وفاته في العاشر من شهر ماي سنة 1927.

Pierre de Cénival, *Le Comte Henry de Castries, 1851 - 1927, Hesp., T. VIII, 3e trim., pp. 267 - 285.*

إبراهيم بوطالب

### دي گول والمغرب DE GAULLE، ولد شارل دي گول

في ليل (Lille) إحدى حواضر الشمال الفرنسي يوم 22 نونبر 1890 من أسرة بورجوازية على جانب كبير من روح المحافظة استقرت في باريس حيث كان والده أستاذاً في التعليم الكاثوليكي الحر وكانت والدته شديدة التمسك بعقيدتها وبالتقاليد. فنشأ شارل دي گول في وسط متميز بحب الوطن وبروح الاستقامة محدود الإمكانيات مترفع عن الماديات. نشأ شغوفاً بتاريخ فرنسا معتزلاً بأمجادها. ولذلك مال إلى الوظيفة العسكرية فتخرج ضابطاً من مدرسة سانتسير (Saint-Cyr) سنة 1912. وكان أول قاداته في الجيش الكولونيل بيطان (Pétain) الذي رعاه برعايته الخاصة إلى أن وقع النزاع بينهما أواخر الثلاثينيات، فإن بيطان بعد أن أصبح مارشالاً غداة الحرب العالمية الأولى تدخل ليلقى دي گول محاضرات في المدرسة العليا للحرب



سنة 1927، كما أنه أذن بالتحاقه كاتباً للمجلس الأعلى للدفاع سنة 1933 مما أتاح له فرصة التفكير في أساليب الجيش الفرنسي. فأصدر كتابه الأول سنة 1932 بعنوان "حد السيف" وهو سلسلة من المحاضرات عن تاريخ فرنسا العسكري. ثم أصدر كتابه الثاني سنة 1934 بعنوان "من أجل جيش محترف" ألح فيه على وجوب مراجعة الاستراتيجية الفرنسية لاعتماد الآليات الجديدة كالدبابات والمصفحات والطائرات لسرعتها في التنقل وقوتها على كسر شوكة العدو، مما أثار انتباه بعض رجال السياسة والصحافة إليه وأثار عليه نقمة الأوساط العسكرية المسؤولة التي كانت ماتزال متمسكة بالأساليب السابقة، ولكن دي غول أعاد الكرة بإصدار كتابه الثالث سنة 1938 تحت عنوان "فرنسا وجيشها" يدعو إلى نفس الاتجاه فكان ذلك من أسباب فساد العلاقة بينه وبين بيطان.

ثم اندلعت الحرب، وانهمزت الجيوش الفرنسية شر هزيمة أمام المدرعات الألمانية في ربيع 1940. وكان دي غول من القلة القليلة من الضباط الفرنسيين الذين أبدوا شيئاً من القدرة على الصمود والمناورة. ولذلك ألحق بالحكومة الجديدة التي تشكلت لتدارك الموقف إذ أسندت إليه كتابة الدولة في الدفاع، لكن المعركة كانت قد خسرت جملة وتفصيلاً ولم يبق من سيل لجعل حد للنكسة إلا سبيلان، اقتسم الرأي العام الفرنسي بشأنهما إلى حزبين، أولهما يدعو إلى التفاوض مع الألمان لجعل حدً للنكسة الشعب وإيقاف الزحف الألماني قبل أن يكتسح مجموع التراب الفرنسي فيمتد إلى المستعمرات، وذلك ما كان يدعو إليه بيطان ومال إليه يومئذ الأغلبية الساحقة من مواطنيه فأسندت إليه مهام رئاسة الدولة بعد انقلاب أبيض، أما السبيل الثاني فهو سبيل متابعة المقاومة إلى جانب إنجلترا إما من ترابها وإما من تراب المستعمرات الفرنسية التي كان من الصعب على الألمان أن ينالوا منها شيئاً، وهو ما دعا إليه دي غول حيث لجأ إلى لندن وأذاع إعلانه الشهير ليوم 18 يونيو 1940 منبها فيه إلى أن الهزيمة في المعركة الواحدة لا يعني الهزيمة في الحرب كلها، وأن فرنسا لها من الخيرات والرجال في مستعمراتها ولها في إنجلترا من السند ما يمكنها من تحمّل من الانتقام من الخصم ورد الاعتبار لسلاحها. ولكن هذه الدعوة لم تقنع يومئذ سوى ثلثة محصورة من الوطنيين الفرنسيين، على أن فرنسا أصبحت من جراء ذلك في حالة حرب أهلية داخل الحرب العالمية، مما كان له أثر مباشر على مصير المستعمرات عامة وعلى مصير المغرب خاصة الذي كان تحت الحماية الفرنسية فوجب التساؤل عن تأثير دي غول على بلادنا من يوم تزعم حزب "فرنسا الحرة" إلى أن اعتزل الحكم سنة 1946، ثم عن علاقته مع المغرب بعد أن عاد إلى الحكم سنة 1958، وكان المغرب قد استرجع استقلاله إلى أن اعتزل الحكم بصفة نهائية سنة 1969 وقد وافاه الأجل المحتوم في خريف 1970.

دي غول والمغرب من 1940 إلى 1946 : لم يكن لدى دي غول أي خبرة بشؤون المستعمرات يوم دفعت به الأحداث إلى الصدارة فباستثناء زيارة خاطفة لسوريا ولبنان سنة 1929 لم يكن يعرف عن الامبراطورية الفرنسية إلا ما كان يمكن أن يدركه كل مسؤول فرنسي له خبرة حادة على مصالح وطنه وهو أن فرنسا بلا مستعمرات كالجسد بلا أعضاء. ولذلك كان مصير تلك الممتلكات في صلب النزاع بينه وبين بيطان، إذ كان بيطان يزعم أن سعيه في الهدنة مع الألمان كان بدافع الحرص على الخيلولة بينهم وبين الوصول إلى أراضي فرنسا ما وراء البحار وأن انحياز دي غول إلى إنجلترا كان ينذر بتسليم تلك المستعمرات إليها، بينما كان دي غول يرى أن الامبراطورية الفرنسية بما تزخر به من الممكّنات والمقدّرات هي خير قاعدة لمتابعة الحرب وعدم الاستسلام وأن الهدنة تفتح أبواب ما وراء البحار لفرنسا أمام التوسع الألماني وذلك في رأيه منتهى الخذلان والحيانة، وكان لا ينوي إطالة المقام في لندن وسعى من توه لاستقطاب ولاية المستعمرات لمتابعة القتال من هناك وأول من فاتح بذلك الجنرال نوجيس (Noguès) المقيم العام بالمغرب الذي كان أعلى رتبة عسكرية منه، وكان قد أسندت إليه منذ اللحظات الأولى من الحرب القيادة العليا للعمليات الحربية في مجموع الشمال الأفريقي، فإن دي غول أبرق إليه مرتين في أواخر شهر يونيو 1940 يعرض عليه تزعم المقاومة الفرنسية من مقر مسؤوليته، ولكن نوجيس لم يكن ليمثل لاقتراحات ضابط مغمور متواضع مثل دي غول يخاطبه من إنجلترا، واشتد التنافر بينهما بعد إقدام الأسطول الإنجليزي على تحطيم الأسطول الفرنسي الذي كان متزوا في المرسى الكبير غربي الجزائر حتى لا يقع في قبضة الألمان، لكن جمهور الضباط الفرنسيين لم يغفروا ذلك في حينه لا لإنجلترا ولا لدى دي غول الذي كان يبدو لهم مجرد صنيعة من صنائعها. وهكذا كان الصراع على المستعمرات سبب تعميق الهوة بين الحزبين، ولما فشل دي غول من جهة المغرب حاول النزول على شواطئ السينغال بمساعدة الإنجليز (سبتمبر 1940) مما جاء دليلاً آخر في أعين أنصار بيطان على ميله لتسليم ممتلكات فرنسا لخصومها، ثم في ربيع 1941 كان الصراع بين الحزبين بشأن سوريا ولبنان حيث سمح بيطان للطيران الألماني باستعمال القواعد الجوية هنالك فتدخلت إنجلترا للخيلولة دون ذلك وأبى دي غول إلا أن يتدخل إلى جانبها بعض جيوش "فرنسا الحرة" على قتلها وضعفها، وأبدى من الغيرة على حماية مستعمرات فرنسا ما كان سبباً متجدداً لتوتير العلاقات بينه وبين حلفائه. فأما إنجلترا بزعامه ونسطن تشورشيل (Winston Churchill) فإنها كانت تتفاوض عن ذلك ولم توادخ دي غول على ما أبدى حيالها من الحدة في الخيلولة بينهما وبين احتلال مدغشقر مثلاً، وأما الرئيس الأميركي فرانكلين روزفيلت Franklin

(Roosevelt) ، فإنه بعد دخوله الحرب ظل متحفظاً بل وناشراً من دي غول ومن عناده وعجرفته لدرجة أنه كتم عنه خبر عملية النزول على شواطئ المغرب يوم 8 نونبر 1942. ولما سمع دي غول بها وبلغه ما أبداه الجنرال نوغيس من المقاومة أمام الجيوش الأميركية لم يتمالك أن صرح قائلاً : "تعمّ المقاومة، فإن أراضي فرنسا لا تُدخل نقياً" وذهب الحال بتحفظ الأميركيين من دي غول إلى حد البحث عن رجل ثالث لرئاسة فرنسا فمالوا جهة الاميرال درلان (Darlan) وزير بيطان في الملاحاة لكنه اغتيل في نونبر 1942 ثم فكروا في الجنرال جيرو (Giraud) الذي كان سجيناً في ألمانيا إلى أن استطاع الفرار فلما انعقد مؤتمر أنفاً (يناير 1943) حضر من الجانب الفرنسي كل من دي غول وجيرو لكن تنافسهما على الحكم أو قفهما في المؤتمر موقف التهميش، على أن المؤتمر كان أول مناسبة يتصل فيها دي غول مباشرة بالمغرب ولسلطانه سيدي محمد بن يوسف ولعله أدرك منذ ذلك الحين أن عاهل المغرب كان يتزعم معركة شبيهة بالمعركة التي كان هو يتزعمها لفائدة فرنسا ولكن الكبرياء الاستعمارية والمصالح الملموسة ما كانت إلا لتحول بينه وبين أن يعترف للمغرب بمثل ما كان يسعى في أن يعترف به لفرنسا، ودليل ذلك أنه لما توحدت صفوف المقاومة الفرنسية حول قيادته في ربيع 1943 وتنحى له عملياً جيرو عن الحكم فإن بادر إلى إقالة نوغيس من الرقابة العامة وجعل مكانه غابرييل پووه (Gabriel Puaux) الذي كان سابقاً مندوب فرنسا السامي في سوريا ولبنان وظل مخلصاً لبيطان إلى أن سمح بيطان لألمانيا باستعمال مطارات القطرين فعندئذ استقال ولجأ إلى تونس (1941) ولذلك اختاره دي غول للإشراف على المغرب علماً منه بأنه سيكون خير صائن للوجود الفرنسي فيه لأن الذي كان يعني دي غول من المغرب هو مصلحة فرنسا. ومنذ نداء يونيه 1940 لم يسجل في أقواله ولا فيما كانت تذيعه "فرنسا الحرة" أي خطاب مباشر للشعب المغربي. ويوم جاء في أول زيارة رسمية للبلاد (غشت 1943) فإن طاف في أقاليمها واجتمع بالسلطان وحيته الجماهير من فرنسيين ومغاربة، إلا أنه اكتفى في خطاب الدار البيضاء (7 غشت بذكر المغرب ليس كأمة قائمة الذات ولكن كمجرد جزء لا يتجزأ من الامبراطورية الفرنسية "ملحق بمصير بلادنا (فرنسا) منذ خمس وثلاثين سنة فقط ومرتبطة معنا بقيسود لا شيء استطاع أو يستطيع أن يكسرهما"، كما أنه لما ألقى خطابه الشهير في قسنطينة في الجزائر يوم 13 دجنبر 1943 لحث إفريقيا الشمالية على بذل مزيد من الجهد لانتزاع التراب الفرنسي من الألمان فإنه قال : "إن فرنسا بعد الاتفاق مع عاهل المغرب وتونس من خلال المعاهدات المبرمة معها أتاحت أبواب النمو أمامهما وعليها أن ترسل في ذلك بإشراك المزيد من أعضاء النخبة الاجتماعية المحلية في تسيير الأمور" وهذا أقصى ما كان دي غول مستعداً للسير

فيه جزء للمغاربة على ما أبدوه من الإخلاص لفرنسا يوم نكبتها الكبرى وهي الخطة التي سار فيها المقيم غابرييل پووه وكل ما سوى ذلك كان يبدو لدى دي غول تطاولاً على حقوق بلاده إن لم يعتبره خيانه صارخة. ولذلك لما صدر بيان المطالبة بالاستقلال (11 يناير 1944) ظن دي غول أن المبادرة ربما كانت بإيعاز من الحلفاء وبلورة للقاء عاهل المغرب بالرئيس الامريكى في مؤتمر أنفاً، فأبى إلا أن يتأكد من الأمر بنفسه فجاء من الجزائر وقد أصبحت مقر حكومة فرنسا الحرة إلى مراكش للاقاة تشورشيل الذي كان يقضي بها أياماً من الراحة ولما تأكد أن لا دخل لا لإنجلترا ولا للولايات المتحدة في ما أقدمت عليه الحركة الوطنية بقيادةسلطان البلاد أطلق العنان لسلطات الحماية لتقمع بمنتهى الشراسة تلك الخطوة فألزم العاهل بإقالة وزيرين من وزرائه متهمين بمعاوضة الوطنيين وهما أحمد بركاش وعبد السلام الفاسي كما اضطر إلى إصدار بلاغ ينفي فيه أي مشاركة في بيان المطالبة بالاستقلال وألقى القبض على من ألقى عليه القبض واستشهد من استشهد من الوطنيين بتهمة ملفقة رمتهم بالتعامل مع الألمان ويطعن فرنسا من الخلف. وفي الوقت الذي كانت تجري فيه هذه الأحداث في المغرب كان دي غول يتراس ملتقى برازيل في الكونغو بين كبار المسؤولين الفرنسيين عن شؤون المستعمرات بقصد إعداد ما كان يراه ضرورياً من الإصلاح لفائدتها وقال في خطاب الافتتاح : "للأمة الفرنسية ولها دون سواها أن تشرع في الوقت المناسب في الإصلاحات الامبريالية البنيرية التي سوف تقرها بمحض سيادتها". وذلك اعتراف بضرورة الانتقال إلى طور آخر من العلاقات بين فرنسا ومستعمراتها على أن يكون الإصلاح من إملاء فرنسا وبدون أدنى ضغط عليها، ويصور لهذه السياسة أن المغرب كان ممثلاً في لقاء برازيل بالمراقب المدني جاك بيرك بينما كان علال الفاسي متغياً في الكابون بل اشتدت ظروف نفيه لمجرد أن الحلفاء تدخلوا لدى دي غول لإطلاق سراحه، مما يدل على أن زعيم فرنسا الحرة لم يكن مستعداً يومئذ للاعتراف للمغرب بأدنى حق من حقوقه وكل ما طاب له أن يتنازل عنه هو ما أدرجه المقيم العام پووه في مقترحات الإصلاح التي عرضها على السلطان غداة قمع مظاهرات يناير 1944 وكانت كلها متجاوزة في نظر الوطنيين. ولم يفت دي غول مع ذلك أن يعترف علانية للمغرب بما قدم لفرنسا من المساعدات في محنتها، فاستدعى السلطان لزيارة فرنسا زيارة رسمية في يونيه 1945 فكان أول رئيس دولة أجنبية يزور البلاد غداً تحريرها ومنحه وسام رفيق التحرير الذي لم يمنح إلا له ولونسطن تشورشيل من الأجانب كما أمر بأن يمد المغرب بما كان في أشد الحاجة إليه من المساعدات الغذائية والطبية نظراً لما كانت عليه تلك السنة من القحط والجفاف والوباء. وانتهر السلطان الفرصة لمطالبة دي غول بتعويض غابرييل پووه بمقيم أكثر أدباً

ولباقة قلبى ذلك وعين السفير إيريك لابون (Erik Labonne) قبل أن يعتزل الحكم في طليعة سنة 1946 لما اشتد بينه وبين الأحزاب من الخلاف حول مشروع الدستور الفرنسي الجديد المؤسس للجمهورية الرابعة.

وكان اعتزال دي غول مجرد مناورة إذ كان على يقين من أن الأحزاب سرعان ما سيؤدي التطاحن بينها إلى الاحتكام إلى سلطته، إلا أن رجال السياسة الفرنسية كانوا قد شتموا كبرياءه وميولاته للاستبداد بالقرار. هذا مع العلم أن فرنسا خرجت شيئاً فشيئاً من الوضعية التي كانت تضطرها إلى من يتقدها فعادت إلى سابق عهدها من الرخاء والطمأنينة، ومرت الأيام والشهور ثم السنوات ولم يناد أحد على دي غول فأسس هو بدوره حزبا من أنصاره تحت اسم "تجمع الشعب الفرنسي". وانحصرت مهامه في إبداء رأيه فيما كان يتخذ من القرارات وأيضاً في تدوين مذكراته وفي تلك المذكرات قال عن الملك محمد الخامس : "هذا العاهل الشاب الأبى النفس القوي الشخصية كان لا يخفي ما يطمح إليه من قيادة شعبه على درب الرقي والاستقلال في يوم من الأيام وعندما ينظر المرء إليه ويصغي وهو تارة مشتعل حماساً وتارة في تمام الحذر وإن كان دائماً في تمام اللباقة فإنه يدرك أنه كان مستعداً للتفاهم مع كل من يساعده على القيام بتلك الأدوار قادراً في ذات الوقت على إبداء منتهى الإصرار حيال كل من يروم معاكسته في ذلك" وقد استنكر دي غول عزله سنة 1953 وعندما تجددت التهمة على لسان بعض الملقين بأن سيدي محمد كان قد اتصل بالألمان سنة 1941 وسئل دي غول في الأمر في ندوة صحفية (يونيه 1955) أجاب مستهزئاً : "اسمحوا بأن أهر كفتي فإن ذلك قد التمس من السلطان كما التمس مثله من العديد من الفرنسيين، لكنه امتنع عنه امتناعاً، ثم أضاف قائلاً : "هذا مع العلم أنه رفيق التحرير" مما يوحي بأن امتحانات الحرب كانت قد وطدت الصداقة بين الرجلين على أساس من التقدير المتبادل وتفانى كل واحد منهما في خدمة مصالح وطنه. وكان لاشيء ينذر سنة 1955 وقد استرجع المغرب استقلاله باحتمال عودة دي غول إلى الحكم حتى إذا تأججت حرب التحرير في الجزائر عندئذ تزعت أركان الدولة الفرنسية من جراء ذلك فأصبحت من جديد في حاجة إلى من ينقذها سنة 1958.

دي غول والمغرب 1958 - 1969 : ما أن تبرع دي غول على كرسي الحكم حتى بعث له محمد الخامس ببرقية جاء فيها : "لنا اليقين بأن وجودكم على رأس الجمهورية الفرنسية سيساعد على توثيق أو اصر الصداقة التي تجمع بلدنا وسيمكن من إيجاد حلول لمشاكلنا تستجيب لمصالحنا" وفي هذه العبارة إشارة مجملية لطيفة لما كانت عليه العلاقات بين المغرب ودي غول خلال الفترة التي قضاها على رأس الدولة الفرنسية وهي علاقات الند للند والصديق مع الصديق أساسها الاحترام والتمسك بالمصالح

الوطنية، وقد أشار دي غول من جهته إلى ذلك في خطاب تلفزيوني ألقاه يوم 4 نونبر 1960 حيث قال مشيراً إلى تونس والمغرب : "لقد استرجعت هاتان الدولتان بعد الاتفاق معنا كامل سيادتهما ونرجو أن تتصرفا بها لخير شعبيهما ونأمل أن تستعملها للشروع في تعاون مع فرنسا ضروري لنموها على ما يبدو من طبيعة الأمور، علي أنه من هنا فصاعداً لا تعني قضاياهما إلا إياهما" وفي هذه العبارات مع ما فيها مما يثبت مواقف دي غول في السابق واللاحق ويوحي بما اعترض صلات المغرب بدي غول من العقبات نظراً لما كان في طور الانتقال من طور التبعية الاستعمارية إلى طور التعاون الثنائي على أساس المساواة من الصعوبة، ولذلك يمكن أن نميز بين ثلاث مراحل في هذة الحقبة على قصرها.

فمن 1958 إلى 1962 كانت العلاقات مهدية لكنها متوترة وذلك لأن صداقة دي غول ومحمد الخامس لم تكن لتلغي تعارض المصالح الوطنية لكل واحد منهما. ومن القضايا الشائكة قضية جلاء الجيوش الفرنسية من التراب المغربي، فكان الملك يلح بشأنها وكان دي غول لا يقترح إلا تخفيض أعدادها فكاتبه الملك قائلاً : "استغرينا كل الاستغراب أن تعرض فخامتكم علينا تخفيض عدد القوات الفرنسية المرابطة بترابنا في حين أن جلاء هذه القوات هو الحل الوحيد الذي يمكن قبوله من طرفنا"، وكان لهذه القضية ارتباط بقضايا أخرى لا تقل عنها خطورة، وهي قضية التجارب النووية الفرنسية في الصحراء، وقضية مصير الجزائر المناضلة عن استقلالها، وقضية استقلال موريطانيا. أما بخصوص التجارب النووية فإن محمد الخامس لم يفتأ يطالب دي غول بالكف عنها مع العلم أن الأمر كان من الأهمية بمكان في نظر الجنرال لسعيه الخيث في تمكين فرنسا من سلاح نووي يبوؤها مركز المساواة مع روسيا والولايات المتحدة، وقد جاء في رسالة من الملك إليه يوم 19 أبريل 1960 : "ومهما كانت قوة التجارب المجرأة والدولة التي تقوم بها فإننا نستنكرها سيما إذا أجريت في ناحية مأهولة وفي أرض نعتبرها جزءاً لا يتجزأ من مملكتنا". أما قضية الجزائر فإنها ما كانت إلا لتظهر تعارض مصالح المغرب وفرنسا، وذهب الحال بدي غول إلى عرض صريح سنة 1960 برد ما كان قد انتزع من صحراء المغرب الشرقية شريطة الكف عن مساعدة المجاهدين الجزائريين، ولكن محمد الخامس لم يكن ليتخلى عن ذلك، كما أن دي غول لم يقبل أي مساومة في أمر موريطانيا لأن التراب الموريطاني كان بمثابة الدرع الواقى لإفريقيا السوداء الغربية مما قد يلحقها من الأخطار من جهة الشمال. لكن المغرب من جهته لم يبال بمصالح فرنسا عندما أقدم على إخراج عملته من منطقة الفرنك الفرنسي سنة 1959 وعندما شرع في استرجاع أراضي المعمرين ابتداء من سنة 1960 مما جعل أسباب الجدل تطفئ في تلك الحقبة حتى بات من غير

الممكن عقد لقاء رسمي بين دي غول ومحمد الخامس. وسئل دي غول في هذا الصدد فأجاب : "حالما تنتهي القضية الجزائرية إلى التسوية، وسوف تنتهي، إنني أكون سعيداً بملاقاة ملك المغرب"، لكن الأقدار حالت دون ذلك بما كان من وفاة محمد الخامس فجأة في فبراير 1961 وترجع الحسن الثاني على العرش فافتتحت مرحلة جديدة تمتد من 1962 إلى 1965.

إن استقلال الجزائر سنة 1962 وما ترتب عليه من جلاء الجيوش الفرنسية عن المغرب واعتراف المجتمع الدولي بالدولة المغربية كل ذلك مهد السبيل لإقامة العلاقات بين دي غول والمغرب على أسس مجددة، وجاءت زيارة الحسن الثاني الرسمية إلى فرنسا في يونيو 1963 خير مؤشر عن حسن الاستعداد من الجانبين، فقد قال الملك في بعض خطبه بالمناسبة : "لقد أردتم يا فخامة رئيس الجمهورية أن تشيدوا بالدولة المغربية والشعب المغربي وأنه لتكريم ثمين لأنه يصدر عن رجل جعل مدلول الدولة واستمرار تقاليدها وخلود مؤسساتها فوق جميع الاعتبارات، لذلك يسرنا كثيراً أن نعبر لكم باسم شعبنا وباسمنا الخاص بمنتهى الخشوع والصدق لا عن تشكراتنا لكلمات التبريل والود التي عبرتم لنا عنها فحسب بل أيضاً عن الاستقبال الذي خصصتم به منذ الآن إقامتنا، ذلك الاستقبال الذي لاحظنا ولاحظ شعبنا فيه استثناءات خارجة عن الأعراف المتبعة والتي هي مصداق آخر للصدقة والتقدير والاحترام الذي تولونه للمغرب...". وسعى القائدان يومئذ في التخفيف من كل ما من شأنه أن يفسد تلك الأجواء من الصدقة، وخير ما يمكن الاستدلال به على ما كان من التفاهم والوئام مقارنة دستور فرنسا لسنة 1958 ودستور المغرب لسنة 1962، فلا مبالغة إذا قلنا إن الدستور الفرنسي المؤسس للجمهورية الخامسة قد استلهم شيئاً من النظام الملكي بما جعل لرئيس الجمهورية من النفوذ ومن سلطات التحكيم بين الهيئات والأحزاب سيما بعد أن تقرر انتخابه بالاقتراع العام وذلك على إثر استفتاء أجري سنة 1962. كما أن الدستور المغربي لسنة 1962 المؤسس لقواعد الملكية الدستورية قد استلهم من الجمهورية الخامسة عدداً من المقتضيات كسيادة الشعب وممارستها من خلال المجالس المنتخبة بالاقتراع العام وفصل السلط وكل ما يتفق به استبعاد الأشخاص من سلطان القانون.

ثم حلت المرحلة الثالثة ابتداء من خريف 1965 على إثر اختطاف الزعيم المهدي ابن بركة وسط باريس واختفائه بما أبدى أنه قد اغتيل في ظروف غامضة، فترتب على ذلك تبادل التهم بين الجانبين وانسحب سفير المغرب من فرنسا لتصريح دي غول بأن العملية كانت من تدبير مدير الشرطة المغربية يومئذ وهو الجنرال أحمد الدليمي وأمره بأن يتابع أمام المحاكم. فما كان من هذا الضابط إلا أن سلم نفسه

للقضاء الفرنسي الذي لم يلبث أن برأ ساحته لانعدام الحجج، مما أفسد العلاقات بين دي غول والملك إلى أن اعتزل الحكم نهائياً سنة 1969 ووافاه الأجل المحتوم سنة 1970. والواقع أن نازلة اختطاف الشهيد المهدي ابن بركة لم تكن سوى مؤشر على طبيعة العلاقات التي كان من شأن دي غول أن يقيمها مع مستعمرات فرنسا السابقة، فإنه ككل الدهاء في السياسة كان لا يعتبر إلا بالمصالح الملموسة. فإذا ما أقيمت المقارنة بين علاقات فرنسا وكل من المغرب والجزائر في تلك الحقبة تبين أن العلاقات الفرنسية الجزائرية كانت يومئذ أغزر وأرقى من العلاقات الفرنسية المغربية، وسبب ذلك يتبادر إلى الذهن إذ كان لدى الجزائر ما تحتاج إليه فرنسا من الغاز والنفط ولم يكن للمغرب نصيب من ذلك.

ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب*، نشر عبد السلام جوس، طنجة بدون تاريخ : م. بن الحسن الوزاني، حياة وجهاد، التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحررية المغربية، مؤسسة محمد حسن الوزاني، بيروت، 1982، 6 مجلدات : انبعاث أمة، محمد الخامس ملك المغرب، الجزء الخامس، 1959، 1960 : الحسن الثاني ملك المغرب، الجزء الثامن، 1963، مطبوعات القصر الملكي : الحسن الثاني، التحدي، الطبعة الملكية، 1983.

C. de Gaulle, *Mémoires de guerre*, Paris, 1958 - 1959; J. Laconture, *Cinq hommes et la France*, Paris, 1961; C.-A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, Paris, 1978; *Colloque de Gaulle et le tiers-monde*, Paris, 1984; W. Hoisington, *The Casablanca connection, French colonial policy 1936 - 1943*, The University of North Carolina Press, 1984; *Actes du colloque de Brazzaville, Janvier - Fevrier 1944, aux sources de la colonisation*, Paris, 1988; *De Gaulle et le Maroc*, ouvrage collectif, Textes recueillis par M. Sehimy, Paris - Rabat, 1990.

إبراهيم بوطالب

**الديابات**، قرية تقع جنوب الصويرة لا تبعد عنها إلا بنحو ثلاثة كيلو مترات تطل على البحر المحيط ولا تبعد عن الشاطئ إلا بمسافة ثلاثمائة متر على وجه التقريب وتكاد تحادي مصب واد القصب. تحيط بها أشجار الميموزا وغيرها من جانب، فتقيها سوء الرياح التي تهب باستمرار على المنطقة وشرّ الرمال الزاحفة من الغرب. إنه موقع طبيعي هادئ. إلا أنه لا أحد يعرف أصل كلمة "الديابات" وإذا تجرأ عليه أحد من أهل الصويرة فإنه يؤكده "بكثره الذئاب" التي قد تكون وُجدت في وقت ما بهذه الجهة، مع الإشارة إلى أن الثعلب أو ابن أوى يسمى الذئب على العموم، والفرق بين الاثنين شاسع - وهناك كلام آخر يفترق هو أيضاً إلى ما يؤكده من برهان، علاوة على أن تحديد تأسيس هذه القرية وظروفه، أمر غير مضبوط.

هناك مع ذلك روايتان في موضوع إنشاء القرية وتعميرها :

تقول الرواية الأولى إن أحد الملوك السعديين - ولربما كان عبد المالك بن زيدان (1627. 1630)، الذي كان يقيم بين الحين والآخر في القلعة البرتغالية التي كانت قائمة بالجزيرة الصغيرة المحاذية لبناء الصورة حالياً وعلى يمينه - واتبه الملك إلى النهر القريب الذي كان صيبه مهماً في ذلك الوقت، فأمر باستغلال مياهه وضافه لإنتاج قصب السكر، ومن ثم صار النهر يسمى "وادي القصب"، تسمية غير واردة في الكتابات العربية وغيرها التي يرجع تاريخها إلى ما قبل عهد السعديين. وفي هذه الحال يكون العمال الفلاحيون هم الذين انشأوا التجمع السكاني المسمى "الديابات".

أما الرواية الثانية فإنها ترجع تأسيس القرية إلى باني الصورة سيدي محمد بن عبد الله، عام 1768، أي بعد مضي مائة وثلاثين سنة على عهد عبد المالك بن زيدان السعدي. ذلك أن السلطان العلوي بني أيضاً قصراً له خارج الصورة على مقربة من مصب وادي القصب مازال أثره قائماً، وجله تحت الرمال التي تزحف عليه، في غياب أي انتباه أو اهتمام ممن وكل لهم أمر صيانة الآثار - وقد يرجع إليه تأسيس قرية "الديابات" لإسكان العاملين بالقصر وحركه. والمجدير بالذكر أن "الديابات" تتوفر على مسجد عتيق بمنارته التي تشبه إلى حد كبير المنارات الصغرى بالصورة.

ظلت قرية "الديابات" معزولة عن الصورة خلال الأجيال ولو أن نظام الحماية أحققها إدارياً بالمدينة تاركا بينهما حاجزاً رملياً وإنسانياً وحضارياً واجتماعياً : لا ماء ولا كهرباء ولا مدرسة ولا شيء، ينبئ الزائر إلى أنه في مكان يلتقط ولو ذرات من التقدم الحضاري الذي أصبح يغزو المغرب منذ عقود.

كانت القرية تأوي في الأربعينيات أقل من عشرين كانوناً يشتغل رجالها في المهام الرعوية أو في الغابة مع حارسها الملقب محلياً "عروك" وهو أجنبي بالطبع. أما النساء، فقد كان شغل بعضهن جمع الأغصان اليابسة فيذهبن بها إلى الصورة لبيعها حطباً ويبقى الأطفال في القرية، يذهب الذكور إلى الكتاب بمسجد القرية، وتشغل البنات برعي عدد قليل من البقر أو المعز.

وظلت الأمور على هذه الحال خلال ثلاثين سنة بعد الاستقلال، وكان "الديابات" في معزل عن العالم في منأى عن كل شيء - لولا أن ظهور الحركة الهيبتية في الغرب جعلت أفواجا وأفواجا من الشبان والشابات الأجانب يتقاطرون على الصورة، فاكسحوا الأماكن الفارغة وبعض سطوح المنازل في حين أن معظمهم لجأوا إلى الديابات، منهم من نصب خيمة في فضاءاتها ومنهم من فضل الإقامة بالعراء تحت الشجر. والمجدير بالملاحظة أن هؤلاء الذين أحسوا بالاشمئزاز من الحضارة المادية في أوطانهم وجدوا السكنية في الديابات والأمن والصدقة لدى سكانها وسكان

الصورة. واستفادت منهم المدينة والديابات إذ ارتفع استهلاك المواد الغذائية وارتفعت الأكرية وتدعمت الحركة التجارية وتضاعف دخل أصحاب المقاهي والمطاعم الشعبية.

وتراجع بعد ذلك تدفق الهيبتيين إلى أن ولّى نهائياً مع انتهاء نزعتهم في العالم الغربي. وعادت الصورة إلى كسادها والديابات إلى هدونها. إلا أن أصواتاً أخذت ترتفع وتدعو إلى تغيير أوضاع الديابات، فأعارتها جماعة الصورة الحضرية بعض الاهتمام، خصوصاً في بداية هذا العقد الأخير من القرن العشرين، فمدّت إليها الأسلاك الكهربائية وقنوات الماء الصالح للشرب وبنّت زهاء ثلاثين منزلاً حديثاً لبعض موظفي الجماعة وطريقاً ثانوياً معبداً متفرعاً عن الطريق الوطنية الرابطة بين الصورة وأكادير، ثم شيدت مدرسة ابتدائية. وفكّلت عزلتها جزئياً بإدخالها في شبكة النقل الحضري إلى تلك المنازل أضيفت أخرى لكن مجالها الفضائي لا يمكنه أن يتوسّع أكثر لأسباب بيئية خصوصاً وأن الخنزير الوحشي موجود في المنطقة ويتكاثر بدرجة تضرّ بالفلاحة، ولا يمكن قتله لأنه يحظى بالحصانة الإيكولوجية والبيئية ولو كان ذلك على حساب هؤلاء الفلاحين. ما عدا هذا التطور الطفيف، فلم تخرج الديابات من تخلفها الذي يتعمّق مع تعاقب السنوات رغم إمكاناتها السياحية ولربما أريد لها أن تبقى نموذجاً حياً للمجتمع المتوغّل في العصور الماضية.

أبحاث ميدانية غير منشورة.

أحمد بنجلون

## ديانا (Diana) تطابق الربة ديانا الرومانية الربة

أرتميس (Artemis) عند الإغريق، فهي ابنة جوبيتر ولأطون واخت الإله أبولون.

لها وظائف متعددة عندهم، فهي ربة النور وربة الطبيعة بالإضافة إلى كونها ربة القنص والغابة التي هي من خاصياتها الرسمية.

وهذه الخاصية تجدها حاضرة في كثير من الأشكال الفنية (الوحات فسيفساء، نقائش...) حيث يرمز لها بأدوات القنص كالسهم وجعبة الكنانة.

ويبدو أنها كانت أكثر شعبية من أخيها أبولون في العالم الروماني، فليس هناك شك في كون ديانا عند الإغريق هي ربة الغابة Nemorum Comes وهي قاهرة الوحوش (Victrix Ferrarum) كما بينت ذلك إحدى النقائش التي عثر عليها بمدينة ألتا في موريطانيا القيصرية (CIL VIII, 9831) وأضفت عليها ألقاباً أخرى مثل المنتصرة (Victrix) (CIL VIII, 9790) وربة النور (Lucifera) (AE, 1957, 73) وديانا النمورية (Diana Nemorensis) أي من مواليد Nemi (AE, 1932, 31).

يضاف إلى كل هذه الألقاب، لقبها الكلاسيكي ألاهو



ديانا الأوغسطية Diana Augusta وإذا كانت ديانا بالنسبة للمتعبدين هي غالباً ربة الغابة فان هذا لا يعني أنها لم تنفرد بخصايص أخرى، يكفينا ذكر لقب ربة النور الذي يجعلها تتشابه مع الربة القمرية Luna.

إن كل هذه الألقاب تطابق صورتها الكلاسيكية كربة اغريقية لاتينية ولكن حينما نصادف ألقاباً أخرى مثل ديانا السامرية "Diana caelestis" أو ديانا ربة الماوريين Diana Maurorum فإن ذلك يدل على أن الربة ديانا تمت مطابقتها بربة محلية كما تشهد على ذلك النقائش التي عشر عليها بكل من قرطاج (CIL VIII, 999) وسطيف (CIL VIII, 8436). يبدو أن عبادتها لم تنتشر بشكل واسع في مختلف الولايات الرومانية ففي إفريقيا كانت أقل شعبية، ونفس الأمر ينطبق على المغرب القديم حيث لم يعثر لحد الآن إلا على نقيشه واحدة بوليلي وهي عبارة عن تقدمية على شرف الربة، أهدها أحد العبيد المعتقين (IAM, 2, 345).

إلى جانب هذه التقدمية عشر أيضاً على تمثال صغير بنفس الموقع، وبالضبط في (منزل الفتى الجميل) وهو نموذج كلاسيكي يطابق النماذج الإغريقية التي أنجزها النحات الإغريقي خلال القرن الرابع قبل الميلاد، وبالتالي فهذا التمثال يجب أن يضاف إلى الفسيفساء الليلية التي تجسد الربة في الحمام وقد باعها اكتيون (Actéon) إن هذا المشهد ألهم عدداً من الكتاب الإغريق والرومان وعدداً من الفنانين خلال الفترة الرومانية.

الخلاصة التي يمكن أن نكونها على ضوء هذا الجرد لبعض الآثار المادية التي احتوت صورة الربة ديانا، هي أننا أمام ربة ظهرت بصورتين : الصورة الأولى مستوردة من روما ولا يشوبها أي تأثير من الولايات. والصورة الثانية ذات مصدر محلي وأولت على الطريقة الرومانية.

*L'année épigraphique ; Corpus des inscriptions latines (CIL) ; Inscriptions antiques du Maroc (IAM) ; M. Euzennat, Volubilis. nouveaux documents. BAM II. R. Rebuffat, La mosaïque du bain de Diana à Volubilis ; J. Toutain, Les cultes païens dans l'empire romain. I.*

عبد العزيز بل القابدة

ابن ديبان، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Benadiva : وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان. والشخص الوحيد الذي تذكره الوثائق هو :

ابن ديبان، عبد العزيز بن عبد الرحمن الذي كان أسيراً بفرنسا ويحمل رقم 7193 وقد أطلق سراحه يوم 6 ذي القعدة 1123 (16 ديسمبر 1711) بطلب من قائد تطوان علي بن عبد الله الحمامي.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 239.

ابن ديبية ويكتب أيضاً بِنْدِيْبِيَّة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Valdivia ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 237.

محمد ابن عزوز حكيم

الدية، قدر المال الذي يجب إعطاؤه على من قتل غيره ظلماً، فهي تعويض حل محل النار، تطلبها التنظيم الاجتماعي لقبائل العرب قبل الإسلام حيث لا سلطة سياسية عليها ولكن نظام يتم فيه الاحتكام المتفق عليه بالتراضي، وكان يحدد تعويض القتل وهو الدية داخل كل قبيلة بعدد من رؤوس الإبل. وكان هذا التضامن يقتضي التضامن في دفع الدية.

أقر الإسلام الدية في حالة القتل غير العمد وأوجبها وأوجب قبولها في هذه الحالة. وقد حدد قدرها حسب نوع الضرر : القتل أو إلحاق الضرر الجسدي الموجب للقصاص، ولا تجب إلا للمسلم وتختلف بين الرجل والمرأة. وقد جاز فيما بعد أداؤها بماشية عدا الإبل وجاز أداؤها بالمال. ويتلقاها الضحية في حالة الأعطاب وورثته في حالة القتل، وكانت تتلقاها من قبل قبيلة الضحية.

لم تلتزم كل القبائل بالتوجيهات الشرعية في مجال الدية ولم تصرف عنها النظر حتى بعد غلبة الدولة التي تفرض أنواعاً أخرى من العقوبات. يتبين من بعض أعراف القبائل المدروسة مثل زمور وقصور تافيلالت أن دية القتل تفرضها جماعة القبيلة على شكل مال يدفع منه قدر للجماعة وقدر لأهل القتل، ويميزون في بعض الحالات بين دية المقتول الذي من أهل البلد والمقتول الطارئ على البلد، فقد جاء في نص من نصوص هذه الأعراف : "وأما من قتل أحداً من أهل البلد، يعطي ثلاثين مثقالاً (في آخر القرن الثالث عشر (19 م) ) للشيخ، ولعائلة المقتول خمسين مثقالاً، ويرحل عن البلد". وينص العرف على الضمانات التي تجب لمن يعطي الدية وعلى الحدود الترابية التي يمكن أن يتحرك فيها وعلى ما يجب على من غدره في العافية أي أثناء قتيعه بالضمانات قبل الرحيل. وقاتل البركاني يعطي للقبيلة مائة مثقال وإن قتل براني برانيا يعطي خمسين مثقالاً. وقد تزيد المرأة عن دية الرجل في العرف إلى ثمانية أضعاف. ويتعامل العرف مع الجراحات بمنطق تعويضي مماثل.

أ. التوفيق، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، الدار البيضاء، 1978.

W. Marcy, Droit coutumier zemmour ; L. Mezzine, Le Tafilalet. Rabat, 1987.

أحمد التوفيق

**الديديبان**، كلمة دخيلة في اللغة العربية، ولعلها من أصل فارسي انتقلت إلى اللهجة العامية في المغرب فهي منطوقة إلى اليوم ومتداولة في لهجة الشاوية والريف، ويقصد بها تلك العشة المنصوبة وسط البحائر والبساتين والفدادين قصد حراستها خاصة إبان صلاحها ونضج غلاتها حتى لا تتعرض للسرقعة والنهب من قبل اللصوص، أو التخريب والتدمير من قبل الحيوانات.

ذكر البادسي حواراً بين بعض صلحاء الريف كان أحدهم يحرس فدانته بنفسه : "... قال له وما شغلك ؟ فقلت له إن لي فداناً من قمح قد أضرتني فيه الخنزير فأنا أبيت فيه في ديدبان صنعته أطرده منه..." ( المقصد، 123 ) ؛ ولليديبان وظيفة أخرى كحراسة الطرق لمعرفة القادم منها عن بعد وحراسة المحلات والمسكرات حتى لا تفاجأ بالغرباء عنها أو بهجمات مباغتة، وتتخذ لاتقاء مخاطر الحيوانات المداهمة ليلاً أو مخافة مداهمة الأعداء لشخصية بارزة "لما انهزم الجند الذين أرسلهم كثوم لغزو البربر ليلاً وهو على وادي سبو رجعوا إليه "فأمر بديديبان فُنصّب له وقعد عليه، ثم نشب القتال، وقعدت البربر تحت الدرق" ( البيان، ج 551).

والديديبان اليوم أنواع، منها النوع المشار إليه في المصادر والذي يبنى فوق قوائم طويلة حتى يشرف منه الشخص المكلف بالحراسة على البستان أو الفدان وحتى يمكنه أن يرى القادم عن بعد، ويصلح هذا النوع كما بينا أنفاً للاعتدال عن خطر المداهمة والمباغتة، ويوضع هذا النوع في مكان استراتيجي ويبنى من أعواد وقوائم وقش أو من أغصان الأشجار والحشائش ويصعد إليه بسلم بسيط من جبال أو من أعواد يتم سحبها وإنزالها عند الصعود والهبوط. وفي بعض الأحيان ينصب الديديبان وسط البساتين أو الحقول وليس بداخله أحد فيعتقد المهاجم أنه مأهول. وبذلك يقوم الديديبان في هذه الحالة مقام الفزاعة بالنسبة للطيور.

وهناك نوع من الديديبان بدون قوائم ينصب عادة وسط البحائر المكشوفة للخصر والفواكه الصيفية مثل البطيخ والدلاح والفقوس وما شابهها فيقوم بالدور نفسه وبالتمويه المشار إليه.

ع. الحق البادسي، المقصد الشريف، الرباط، 1982 ؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، بيروت، 1948.

محمد حجاج الطويل

**الديدير**، اسم جغرافي متداول عند سكان الحوز بالمغرب للحديث عن قدم جبال الأطلس الكبير، وعند سكان تادلا للحديث عن قدم الأطلس المتوسط أطلس بني ملال، وعند سكان الواجهة الشمالية للأطلس المتوسط للحديث عن منطقة اتصال هذه الجبال بالهضبة الوسطى وبالسايس،

وعند مجموعة بني علام بإقليم صفرو وللحديث عن إحدى فرقهم الثلاثة حيث يميزون بين بني علام الدير وبني علام الواد وبني علام الجبل، وعند سكان ممر تاويرت - وجدة وسلسلة الهُورست للحديث عن منطقة الاتصال بين هذه السلسلة وسهول الممر المذكور... وأخيراً نجد المصطلح متداولاً عند بني بزنانس للحديث عن منطقة اتصال جبلهم بسهول ملوية السفلى.

وهكذا يظهر بأن الدير يعني مناطق اتصال الجبال بمناطق مجاورة غالباً ما تكون سهولاً أو هضاباً أقل ارتفاعاً. لكن لا يبدو أن كل مناطق الاتصال هذه تحمل اسم الديدير وإن كانت كثيرة ومتنوعة (الشكل 1). بل يبقى المفهوم إلى حد ما خاصاً بمقدمات الجبال الواقعة بالشمال والشمال الغربي بالنسبة للوحدات الجبلية وعلى وجه الخصوص مقدمة الأطلس الكبير جنوب مراكش ومقدمة الأطلس المتوسط من دمنات في الجنوب الغربي إلى تازا في الشمال الشرقي مروراً ببني ملال وزاوية الشيخ وأغوراي وصفرو.

ورد مصطلحا الديدير والديارة أو الديرة (سكان الديدير) عند عدة كثير من الدارسين والباحثين.

وتبقى الإشكالية في تناولنا لهذا الموضوع في معرفة ما يميز هذا المجال عن غيره لدرجة استثنائه بتسمية متميزة، وهل هناك في الوقت الراهن ما يبرر الإبقاء على هذا المفهوم خاصة وأن التحولات الاقتصادية والاجتماعية والمجالية التي يعيشها كل من السهل ومن الجبل والدير نفسه قد غيرت الأوضاع وأزالت لهذا المجال ما كان يميزه ؟

نستنتج من الأدبيات التي وردت بها معلومات حول الموضوع وكذلك من ملاحظات الميدانية أن الدير اسم يُطلق على المقدمات الشمالية الغربية للسلاسل والكتل الجبلية التي تتوفر بها مجموعة من الشروط الطبيعية والبشرية تجعل منها أحزمة أو سباحات فاصلة وواصلة بين مجالين مختلفين طبيعياً وبشرياً لكنهما متعاملان ومتفاعلان : الجبل و"السهل".

- الدير كمفهوم طبيعي ؛  
لا يوجد تشابه تام بين "الأديار" فيما يخص معطياتها الطبيعية ورسم حدودها.

فالاختلافات وإرادة من دير لدير بل داخل الدير الواحد فيما يخص الارتفاعات وأشكال التضاريس وطبيعة السحنات وأهمية وطبيعة التشكيلة النباتية وأهمية وطبيعة الموارد المائية.

فإذا كان دير الأطلس الكبير يتميز بانتشار كبير لمخاريط الانصباب وأهمية كبيرة لمياه الوديان الآتية من داخل الجبل، فدير بني ملال تضعف به أهمية هذه المخاريط وتزداد به أهمية مياه العيون.

أما الدير المتقطع Dir égrené فلا وجود لمخاريط



(1983) حول المجتمع المغربي في القرن الثالث عشر (19 م)  
(إينولتان..)

تعايش مع هذه المجموعات القبلية مجموعات بشرية أخرى متميزة بمحدودية عدد سكانها وأنشطتها ووضعها الاجتماعي مثل الزوايا و القصباء والقصور... وهي التي كان لها الدور الكبير في بروز الدير كمجال متميز عن السهل وعن الجبل.

اتخذت التجمعات السكنية لهذا الصنف من المجموعات مواضع لها عند الأقدام وعلى الطرق الرابطة بين الجبل والسهل والمؤدية أحيانا إلى الصحراء وبالقرب من العيون، وهذا ما جعلها تقوم بأدوار مختلفة بتعددية مفعولها الدير. منها الإشعاع الثقافي الذي كان من اختصاص الزوايا، ومنها تنشيط التجارة والصناعة التقليدية؛ فعدد كبير من هذه التجمعات كان يمثل سوقاً يشمل إشعاعه أكثر من قبيلة مجاورة، أو كان محطة على طريق القوافل بين العاصمتين فاس ومراكش والصحراء. ونقطة تجمع عدد من الصناعات التقليدية والحرفيين.

ومنها الدور العسكري، بحيث علاوة على ضرورة ضمان أمن السكان المتجمعين كان دور عدد من التجمعات هو السهر على سلامة وأمن الطرق ومنع نزول بعض القبائل الجبلية بالقوة نحو السهل.

نشأت هذه الأدوار وتطورت لكن بمعية تطوير النشاط الرعي الزراعي. وساهم الجمع بين هذه الأنشطة أو البعض منها في تطور بعض التجمعات من قرى عادية إلى حواضر مثل ما هو الحال بالنسبة لدمنات ولبنى ملال (داي) ولصفرو ولتازا.

وبفضل هذه الأدوار يمكن نعت الدير بأنه مجال اتصال بين أهل الجبل وأهل السهل تجسده الأسواق وبأنه مجال انتقال (مراكزه تمثل نقط ربط على الطرق)، وهو حدود بين "القبائل المخزنية بالسهل والقبائل الضعيفة المخزنية" بالجبل تجسدها سبيحات القصباء المخزنية.

أن توالي هذه التجمعات على طول منطقة اتصال الجبل بالسهل في وقت لم توجد به مراكز بالجبل ولا بالسهل (باستثناء العواصم الكبرى) أعطى ميزة أخرى لهذا المجال خاصة وأنه علاوة على منظر السبيحة سيساهم ذلك في وجود كثافة سكانية مرتفعة نسبياً وهي خاصية أخرى للدير أثارها كل الدراسات.

لا يكفي كل ما ورد من مميزات لاكتمال صورة الدير من دون تقديم لنظامه الرعي الزراعي والتنظيم المجالي المرتبط به.

فتساقط كميات كبيرة من الأمطار كافية لقيام زراعة بعثية وتوفر مياه سطحية وباطنية يمكن تعبيتها بسهولة للري، علاوة على الامتداد الكبير للمراعي إما على شكل أراضي عارية أو على شكل غابات جعل مجال الدير يوفر إمكانيات متنوعة للاستغلال الرعي الزراعي كيفتها

استقرارهم وعيشهم بها، فمنذ القرون الوسطى الأولى بدأنا نعر عن طريق الأدبيات التي تركها المؤرخون والجغرافيون والرحالة والمكتشفون والمبشرون على معلومات تزداد كماً وكيفاً مع القرون تفيدنا في فهم الجانب البشري. وسنقتصر فيما يأتي على حالتين الدير الحقيقي للأطلس الكبير ولأطلس بني ملال والدير المنقطع.

اهتمت هذه المصادر بالمجموعات البشرية ومواطنها وبالتجمعات السكنية، وبموارد وظروف عيش السكان. وإذا كان من الصعب علينا ضبط هوية المجموعات البشرية التي عاشت بالديرين وتتبع حركتها عبر التاريخ بحيث كانت هناك قبائل تظهر ثم تختفي لتخلفها قبائل أخرى... بعد صراعات أو مجاعات وأوبئة، فلا بأس من الإشارة إلى بعض هذه القبائل التي كانت بالمكان في مطلع القرن العشرين ومازالت به إلى يومنا. فبالنسبة لدير الأطلس الكبير من إيبي تنانوت إلى دمنات تستوطن المنطقة مجموعات تنتسب بصفة عامة إلى البرابرة المصامدة وهم عموماً سكان مستقرون؛ نذكر منهم: التيفة، سقفاوة، كدمية، وزكيتة، سكتانة، مسفيوة، أگلاوة، فطاوكة، ولتانة، آيت عتاب.

يوجد الجزء الأكبر من "محاطات" هذه المجموعات بالجبل وتتخذ هذه المحاطات شكلاً ممدداً في اتجاه ج-ش أي من الأجزاء العليا نحو السهل (الموز) وهو ما يدل على وجود حركة بين الجبل والسهل على الأقل في الماضي.

أما بالنسبة لدير الأطلس المتوسط من دمنات إلى تازا مروراً ببني ملال وزاوية الشيخ وأزرو وأكوراوي وصفرو، فالمجموعات البشرية كثيرة العدد نذكر أهمها وهي: بني ملال، آيت سري زيان، آيت سكوغو، بني مكيلد، بني مطير، آيت سفروشن كندر، البهاليل، آيت يوسي أمكلا، بني يازغة، آيت سفروشن حريرة، بني وراين، غياتة.

وعلى خلاف مجموعات دير الأطلس الكبير التي استوطنت المنطقة قديماً، فمجموعات دير الأطلس المتوسط تبقى متباينة في أصولها وتاريخ استيطانها. فمن جهة نجد مجموعات قد تكون من أصل زناتي مثل غياتة وبني يازغة والبهاليل وربما بعض بني وراين أو السنين وريشو، وهي الأقدم استقراراً بالمنطقة (قبل القرن العاشر). وينتشرون بالأساس بين البهاليل غرباً وتازا شرقاً.

ثم هناك مجموعات كثيرة من أصل صنهاجي وتشكل من القبائل التي وصلت إلى الأطلس المتوسط منذ القرن العاشر (16 م) والتي كانت تنتمي لإحدى الاتحاديتين: آيت إدراسن وآيت أومالو.

ويتعلق الأمر هنا بقبائل ظلت معتمدة في حياتها على تربية الماشية والانتجاع إلى القرن العشرين الشيء الذي كان يتسبب لها في نزاعات مع سكان السهل ويجر تدخل المخزن. وهذا وضع عرفته كذلك قبائل دير الأطلس الكبير قبل استقرارها، كما تؤكد ذلك دراسة أحمد التوفيق

المجموعات البشرية مع نمط عيشها في إطار تضامني واقتصاد قليل الانفتاح على الخارج.

فالأديبات التي اطلعنا عليها تتفق على الغنى الزراعي للدير مشيرة إلى التنوع في الإنتاج وإلى أهمية الأشجار والسقي.

لكن إذا كانت أوصاف ومعلومات هذه المصادر مفيدة فهي قد تكون مضللة بسبب إيحائها بأن الدير مجال متجانس استغلالاً وغنى (كله أرض مسقية وأشجار... " وهو شيء مغاير للواقع لأسباب طبيعية أولاً وأخرى ثقافية؛ وما تميز جولي F. Joly بين الدير الحقيقي (Le vrai dir) والدير المنقطع (Le dir haché) باعتبار كثافة وتواصل الاستغلال والسكان إلا إشارة إلى تجنب الوقوع في هذا التصور الخاطئ.

فالدير سواء تعلق الأمر بدير الأطلس الكبير أو بدير الأطلس المتوسط يبقى مختلفاً على مستوى ظروف استغلال أراضيه كما هو مختلف على مستوى مقوماته الطبيعية وذلك بارتباط واضح مع هذه المقومات ومع تاريخ وتنظيم المجموعات البشرية التي تسكنه كما ورد أعلاه.

ونظراً لكون هذه المجموعات متباينة فيما يخص : أصولها وتاريخ استيطانها للمنطقة وغط عيشها، فطبيعة استعمال الأرض والماء... وتنظيم المجال سيخضعان لإطارين : سبينا أولهما بإطار التنظيم المتراكم النطاقات وثانيهما بإطار التنظيم المتدرج النطاقات (محمد كربوط، 1987) (أنظر الشكل رقم 2).

أما التنظيم الأول فهي بصفة خاصة المجموعات البشرية التي يعود استقرارها إلى ما قبل القرن الحادي عشر (17 م) والتي أصبح سلوكها وإحساسها سلوك ما يصطلح على تسميته بجماعات المكان (Groupements de localité). وتدخل التجمعات السكانية قري كانت أو مدنا بصفة عامة في هذا الصنف.

يتميز النظام الزراعي في هذا الإطار بكونه يُشرك بين الزراعة بقطاعيها : السقوي والبوري من جهة وبين تربية الماشية من جهة ثانية في إطار نسق يتوخى التوازن وإذا كانت الأراضي المسقية تصلح لمزروعات متنوعة حولية وشجرية يتعذر القيام بها بالقطاع البوري وتبقى بفضل المياه مخضرة على مدار السنة، فإن أراضي البور التي غالباً ما تأتي بجوار القطاع المسقي وتكون أوسع مساحة منه لا تؤمن سوى محصول واحد في السنة يتمثل في الحبوب أو القطن وجزء ضيق منها كان مغروساً بالزيتان أو اللوز أساساً. وكثيراً ما كان جزء منها يترك للراحة ويفتح أمام الماشية، كما كانت تفتح الأراضي الأخرى أمامها بعد جمع المحاصيل.

خارج الأراضي المتروكة - بورية كانت أم سقوية - والتي يسميها البعض بالمزرعة تنتشر الأراضي الرعوية التي تتخذ أشكالاً مختلفة من حيث غطاؤها النباتي طبيعة وتشكيله.

وهي أراضي مفتوحة للجميع لكن دخولها قد يكون منظماً من طرف الجماعة - نظام أكدال - أو حُرّاً.

وأما التنظيم الثاني

فكان ينطبق أكثر على الجماعات ذات الاستيطان المتأخر ونمط العيش المطبوع بنصف الترحال. وهو نظام يشرك كذلك بين تربية الماشية والزراعة مع مكانة أكبر للقطاع الأول. وكان ذلك يتم في إطار نظام نصف ترحال مرتبط بالفصلية داخل السنة الفلاحية وباختلاف المعطيات البيومناخية بين السهل والجبل والدير الفاصل بينهما.

فمحطات هذه المجموعات كانت متميزة إما بتمدها بين الجبل والسهل. وإما بتفككها إلى رُستاقين : واحد جبلي والثاني سهلي أو بالدير. وكيفما كان الأمر، كان النزول إلى السهل (أزغار) أو إلى الدير يتم تدريجياً عبر محطات في منتصف الحريف ويتم الصعود منهما تدريجياً كذلك ابتداءً من الربيع. وعند الصعود أو النزول بالقطيع كانت تتم عملية حرث بعض الأراضي وجمع بعض المحاصيل بها. وهي أراضٍ غالباً ما كانت ضيقة وتستغل في زراعة الحبوب بالأساس وعلى رأسها الذرة في القطاعات المسقية. أما الأشجار فكانت نادرة جداً.

نتج عن هذا النظام تنظيم مجالي على شكل محطات متدرجة من السهل إلى الجبل يستعملها السكان حسب فصول السنة وارتباط مع الحركتين : الصاعدة خلال الربيع والصيف والنازلة خلال الحريف والشتاء. طبق هذا النظام عند المستويات الانقسامية السفلى (الدوار والفخدة (تيفغت) لكن وجوده واستمراره كانا في حاجة إلى إطار تنظيمي أوسع (القبيلة أو اتحادية قبائل) كعمق استراتيجي يؤمن حركة الانتجاع.

اكتسب الدير شخصيته الجغرافية ليس بمقوماته الطبيعية فحسب بل بمقوماته البشرية كذلك. وإذا كانت الأولى ثابتة نسبياً، فإن الثانية في تحول متواصل ناتج عن تفاعل عوامل محلية وأخرى خارجية صاحبه تحول في كل ما ميزه عن الجبل وعن السهل لدرجة لم تعد صورة الدير الراهنة معبرة عن مضمون المفهوم.

فمجالات الدير لم تعش بمعزل عن التحولات التي عاشتها البوادي المغربية خلال القرن العشرين والمرتبطة بالسياسات المتبعة منذ دخول الاستعمار إلى اليوم إزاء الجماعات الريفية وفي ميدان تنمية الأرياف.

فقد خضعت هذه المجالات للاستعمار ميكراً (قبل 1916) وهو ما ساهم في عزلها عن الجبل الذي كانت دائماً جزءاً منه. واتخذت مراكزها ككتكتات أو تم خلق كتكتات جديدة تحولت إلى مراكز إدارية، وهو ما ساهم في تركيز السكان والتمدين. وما لاشك فيه أن استتباب الأمن بهذه المجالات قبل الجبل الذي قاوم طويلاً قد ساهم في النمو الديموغرافي على غرار ما حدث بالسهل.

أما فتح الطرق فتأثيره وارد في تقوية الروابط بين

1982 ظلت أعلى من كثافة سكان الجبل التي كان دون 40 ن / كلم<sup>2</sup> في 1971 ودون 60 ن / كلم<sup>2</sup> 1982. لكنها دون كثافة السهل (الحوز وتادلا والسايس) التي كانت دائماً تفوق 80 ن / كلم<sup>2</sup>.

ومع هذا التطور تكون صورة الدير كمجال كثافة سكانية مرتفعة قد زالت ومرت لصالح السهل.

أما فيما يخص التمدين، فمن الأكيد أن الدير ظل معسوراً من طرف ساكنة سوادها الأعظم من الريفيين وإن كانت هناك مدن قديمة مثل تازا و صفرو ودمنات ويني ملال. لكن تحولات القرن العشرين عملت على زيادة أهمية الساكنة الحضرية. وهو ما يعكسه ارتفاع عدد المدن إلى 25 (وذلك بين إيمي تانوت وتازا) أرتقى أكثر من نصفها إلى بلديات في 1996. وتدخل من ضمنها اثنتان في فئة المدن الكبرى (أزيد من 100 ألف نسمة) : تازا ويني ملال.

عمل اعتبار عدد من المراكز كمدن ونسبة النمو الديموغرافي المرتفعة بمعظمها على جعل نسبة التمدين ترتفع بصفة عامة لكن من دون أن تصل بعد إلى مستوى المعدل الوطني (51.4٪ في 1994). وهي نسبة جد متفاوتة من دير الأطلس الكبير إلى دير الأطلس المتوسط الشمالي.

ففي إقليم الحوز مثلاً لم يمثل سكان المدن سنة 1994 سوى 7.7٪

وفي دائرة دمنات 11.2٪

وفي دائرة القصيبة 31.2٪

وفي دائرة أغوراي 21.9٪

وفي دائرة الحاجب 52.3٪

وفي إقليم صفرو 43.2٪

الدير والسهل وتشجيع الحركة وفي الاستغناء عن وظائف كانت تقوم بها مراكز الدير مثل تجميع السلع ونقلها وتنقل الأشخاص ونقط عبور لها وللأشخاص.

وفي الميدان الرعيزراعي عمل استيلاء المعمرين على الأراضي بالسهل (بل حتى بالدير نفسه) على تطوير الزراعة وإدماجها منذ البداية. فقد لجأ هؤلاء المعمرين إلى تعبئة المياه (من مصادر بالدير أو من الفرشة الباطنية وأكثر من ذلك عن طريق السدود كما حدث بسهل تادلا) من أجل ذلك.

ونتيجة عن ذلك انتشار زراعة مغلاله ومتنوعة المحاصيل ليس بالسهل فقط بل بجوار المساحات المسقية بالدير، وهو ما شوه شخصية الدير على هذا المستوى وذلك بالمساهمة في إفقاده إحدى مميزاته.

تكرست كل هذه النزعات بعد الاستقلال كنتيجة لانتشار الأمن، وتحسن التأطير الصحي وتراجع الآثار السلبية للمجاعات، وهو ما ساهم في زيادة عدد السكان، الشيء الذي يفرض تأطيرهم إدارياً وخدمائياً. نتج عن هذا تقوية إشعاع عدد من المراكز وتحولها إلى إحدى قبلات المرشحين للزواج من الأرياف. أما نتائج هذا التطور بالنسبة للدير فهي تركيز للسكان وارتفاع نسبة التمدين. وهو ما يوحى بتقوية مميزة من مميزات الموروث التي تعزله عن السهل وعن الجبل إلا أن تركيز السلطات بالسهل ونسبة التمدين به كانا أهم مما حدث بالدير. ويكفي أن ننظر إلى خريطتي الكثافة السكانية لـ 1971 ولـ 1982 لنلمس بأن كثافة السكان بمسجلات الدير حيث كانت تتراوح ما بين 40 و 80 ن / كلم<sup>2</sup> في 1971، وما بين 60 إلى 80 ن / كلم<sup>2</sup> في



إن تركيز السكان بالدير والتمدين الناقصين جزئياً عن النزوح من الجبل ليقويان من مميزة قديمة لهذا المجال لكن ذلك يبقى دون ما حدث بالسهل حيث الظاهرتان أهم. وهو ما يزيل للدير بميزة أخرى ساهمت في بلورة شخصيته الجغرافية ويحوّله إلى امتداد للأول كثافة وجهازاً حضرياً، وإلى مجال انتقال عوض مجال قائم بذاته.

في القطاع الرعيزراعي، تتواصل التحولات تحت تأثير حركية السكان وما ينجم عنها من تركيز لهم ومن تمدين وتأثير انتشار الزراعة المندمجة بفضل مستثمرين من خارج المنطقة وتأثير تدخل الدولة بواسطة مختلف مشاريعها التنموية وتقسيماتها الترابية والإدارية. وهي تحولات متضمنة لعدة تناقضات مما يجعل تحقيقها للتنمية المستدامة مسألة تناقش.

أكد أن المستثمرين الجدد يحولون أراضي بورية كانت خاضعة لاستغلال واسع (حبوب أو رعي) إلى مزارع للورديات وميقات مسيجة ومسقية عن طريق الضخ من السدّية، وصحيح أن عدداً منهم قد شيد إسطبلات ضخمة لتربية الماشية والدجاج الصناعي... وهي مؤشرات تُرسخ صورة الدير كمجال فلاحي غني وكمجال للزراعة الشجرية

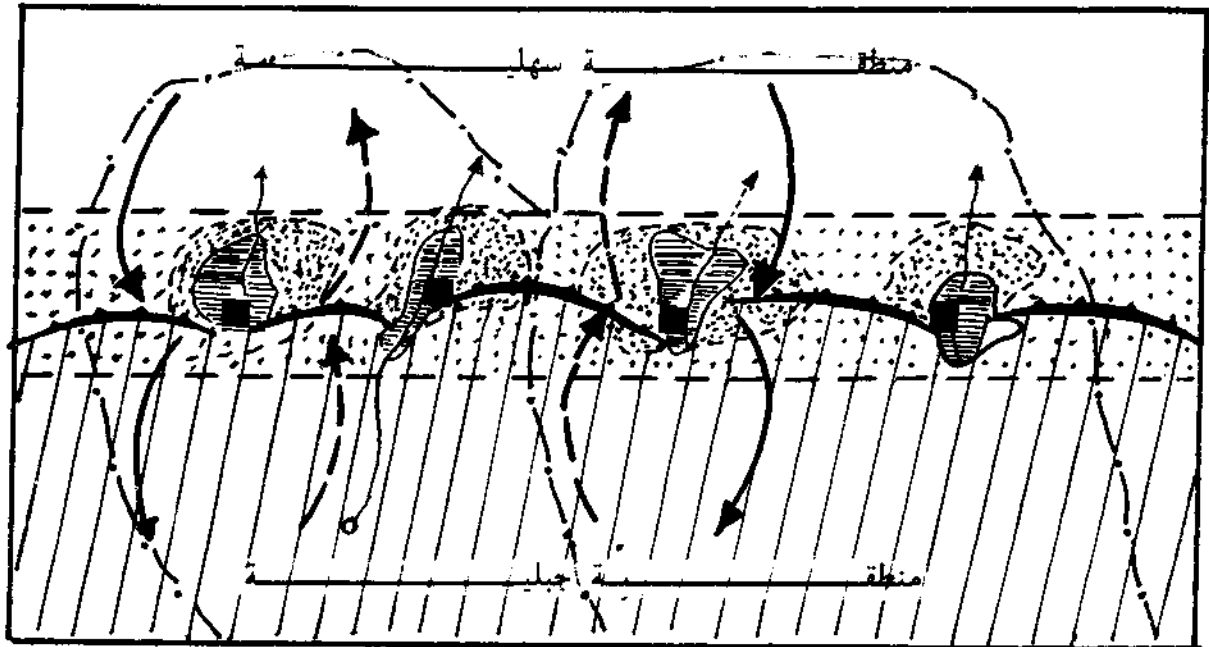
لكن في الوقت الذي يحدث فيه هذا نسجل أن الظاهرة عمت السهل منذ الاستعمار وتهم في الوقت الراهن الجبل والدير وهو ما يزيل خاصية الانفراد بالزراعة المسقية والشجرية عن هذا المجال.

ونسجل تدهوراً كبيراً وتراجعا للزراعة المسقية التقليدية التي صنعت شهرة الدير بسبب التمدين الذي يزحف على الأرض ويحول ويلوث المياه من جهة، ويسبب الضخ المتزايد لإرضاء حاجيات الزراعة المندمجة المتوسعة والذي ثبت تأثيره على مصادر مياه السقي التقليدية التي يؤدي نقصانها إلى تبيير الأرض.

ونسجل نهاية حركات نصف الترحال التي كانت تستغل الأراضي الفارغة بين هوامش محاطات السكان المستقرين للرعي أو للمرور بسبب انتصاب ضيعات المستثمرين الجدد بها كحواجز يمنع الاقتراب منها.

إن مجرد اعتبار الدير كمفهوم جغرافي طبيعي - بمعنى التقاء بين الجبل والسهل - لا يستجيب لصفة الحزام نظراً لغياب التجانس طبوغرافيا وجيومورفولوجيا لكنه كمجال انتقال بينهما وكدرجة من حيث الارتفاعات والمناخ يبقى حقيقة وإن كانت كل مناطق أقدام الجبال لا تسمى ديراً. ويبدو أن صفة الحزام - متصلاً كان أم على شكل حبيسة

شكل رقم 2 - رسم مبسط للتنظيم المجالي القديم بالدير



- |                                 |                                 |
|---------------------------------|---------------------------------|
| معمم حافة أو سفح خارجي          | مجال زراعي مسقي                 |
| عين ومجرى مائي                  | مجال زراعي بوري                 |
| --- حدود مجال الدير             | مراعي                           |
| --- حدود مجالات قبائل نصف - رحل | ←← حركة انتجاع (نزول في الخريف) |
| ■ تجمعات سكنية                  | ←← حركة انتجاع (صعود في الصيف)  |

محمد كربوط

### دير لانجي البارون رودولف D'Erlanger le Baron

Redelphé مستشرق فرنسي ينحدر من أسرة فرنسية نبيلة ذات أصل ألماني حازت ثراءً واسعاً. درس الرسم والموسيقى في باريس ولندن. رحل إلى تونس للاستشفاد من مرض ألم به، واختار الإقامة في ضاحية سيدي بوسعيد شمال العاصمة التونسية حيث ابنتى قصراً فخماً.

اختص دير لانجي بالبحث في الموسيقى العربية. ومن ثمرات جهوده في هذا المجال تأليف موسوعة علمية تحت عنوان "الموسيقى العربية أساليبها وتاريخها" أنجزه في ستة مجلدات.

وقد كانت شهرته كباحث في الموسيقى العربية من وراء الدعوة التي وجهها إليه ملك مصر فواد الأول لاعتماد المؤتمر الأول للموسيقى العربية الذي انعقد بالقاهرة من 28 مارس إلى 3 أبريل 1932. إلا أنه وافته المنية قبل انعقاد المؤتمر بأسابيع قليلة.

ترجع علاقة البارون دير لانجي بالمغرب إلى البحوث العلمية التي كان قد أعدها حول الموسيقى الأندلسية المغربية قصد عرضها على لجن مؤتمر القاهرة وتتعلق هذه البحوث بالقضايا الفنية التالية :

- جدول المقامات (الطبوع) المستعملة بمراكش ومقارنتها بمقامات الموسيقى المصرية. وقد عرض الجدول على لجنة المقامات والإيقاع والتأليف التي رأسها رؤوفيكنا أستاذ بمعهد الموسيقى باستنبول، فأقرته اللجنة بالرغم من محافاته للحقيقة، مما يدل على أنها غفلت عن استشارة المجموعة الموسيقية التي كانت تمثل المغرب في المؤتمر.

- تقرير حول النوبة وترتيب أقسامها في المغرب الأقصى "وكان ذلك بحضور رئيس جوقة مراكش فوافق على ما جاء بالتقرير المذكور، وقد أكد التقرير على "أن ظهور آثار الحضارة الأندلسية في المغرب الأقصى أوضح من ظهورها في الجزائر وتونس" ومن ثم "يجوز أن نعتبر الألحان الأثرية التي نسمعها الآن في المغرب الأقصى والأساليب الموسيقية التي يتتبعها موسيقيو مدنه وحواضره ممثلة لروح الموسيقى الأندلسية".

- جدول الإيقاعات المستعملة في مراكش ويسجل هنا أن المؤتمر تبني في تعيين مواقع القوة والضعف في أدوار الموازين الأندلسية المغربية مصطلحي "السدّم والتك" الشرقيين.

كتاب مؤتمر الموسيقى العربية المنعقد في القاهرة، القسم الفني، 1350 1932، ص. 157 و180 و189.

عبد العزيز بن عبد الجليل

تميزت بها بعض مناطق أقدام الجبال دون أخرى - ناتجة عن عوامل ومظاهر بشرية أهمها : تركيز السكان وانتشار التجمعات السكنية والزراعة المسقية والقيام بأدوار الوصل والفصل والمراقبة. وهذا ما أعطى هذه المناطق شخصية متميزة من الناحية الجغرافية لدرجة استشارها بتسمية الدير أي الحزام.

لكن منذ مطلع القرن العشرين عملت التحولات الاجتماعية والاقتصادية والمجالية... الناتجة عن عوامل محلية وأخرى خارجية على تجريد الدير من صفاته وأدواره مفقداً آيهاً صورة الحزام وذلك بجعل السهل أكثر غنى وتركزاً للسكان وتمديناً، ومدمجة إياه فيه كهامش كثير التناقضات وكمجال مهيم عليه. وهكذا يكون الدير قد مر من وضعية الانتساب إلى الجبل إلى وضعية الاندماج في السهل.

أ. التوفيق، 1983، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، اينولتان، 1850 - 1921، الرباط : ع. العزيز مونيير، 1999، الجهاز الحضري لدير أطلس دمنات - بني ملال، مدن صغيرة في تحول بطيء، د. د. ع. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.

H. Benhalima, Sefrou, de la tradition du dir à l'intégration économique moderne, Etude de géographie urbaine. Thèse de 3ème cycle, Montpellier, 1977 ; A. Bellaoui, Le Dir septentrional à l'Adrar N'Dern, un espace de transition en pleine mutation. In Les régions de piémont au Maghreb : Ressources et aménagement...", Etudes méditerranéennes n° 18 et fascicule de recherche n° 26 d'URBAMA, Tours, 1994 ; M. Bossavy, l'économie montagnarde chez les Ait Seri du Taïla, R. G. M., n° 1, 1939 ; J. Célérier, La montagne au Maroc, essai de définition et de classification, Hesp., 1938 ; L'économie montagnarde dans le Moyen Atlas, R. G. M., n° 1, 1939 ; Le Maroc. (Le dir de l'Atlas à la page 61), Paris 1946 ; J. Despois, L'utilisation du sol dans les montagnes du Maghreb, Acta Geographica, 2ème et 3ème trimestre, 1963 ; S. Guennoun, La montagne berbère : Les Ait Oumalou et le pays Zaïan., Paris, 1929 ; F. Joly, Les régions géographiques du Maroc, I.G., n° 2, 1950 ; Place des pays de piémont dans la vie économique et humaine du Maroc, Notes marocaines, n° 13, 1960 ; M. Kerboub, Les périmètres irrigués du dir moyen atlasique septentrional d'Agourai à Al Manzal, Etude géographique. Thèse de 3ème cycle, 2 tomes, Tours, 1981 ; Originalité des zones de piémont : le cas du dir du Moyen Atlas, G.E.M. géographie humaine, Ralat, 1987 ; L'eau dans le dir, de l'irrigation sociale à l'inigation économique : la pénurie, ses conséquences et les stratégies d'adaptation, in Les régions de piémont au Maghreb : Ressources et ménagement..., Etudes méditerranéennes n° 18 et / fasc. de recherches n° 26 d'URBAMA, Tours, 1994 ; J. Martini, Les Potentialités agro-pastorales du Moyen Atlas Central : première approche cartographique. R.G.M., vol. 10, n° 1 et 2, pp. 217 - 233, 1986 ; Dr. Miègeville, La situation économique de la région de Beni Mellal, R.G. M. Tome 4, 1927 ; S. Nouvel, Nomades et sédentaires au Maroc, Paris, 1919 ; D. Noin, La population rurale au Maroc, Paris, 1970 ; 2 tomes, Planhol X. (de), Caractères généraux de la vie montagnarde dans le Proche Orient et dans l'Afrique du Nord, A. G. n° 384, vol. LXXI, 1962 ; R. Roblès,



**ديريس** Dyris ديريس أو دوريس، كلمة وردت في المصادر الإغريقية واللاتينية على أنها اسم واد أو اسم جبل في لغة المورين، سكان المغرب القديم الذي كان يدعى موريطانية. أول كاتب تحدث في هذا الشأن هو اللاتيني فثروفبوس قائلاً: "في موروسية Maurusia التي يدعوها كتابنا باسم موريطانية Mauretania، هناك ديريس Dyris الذي ينبع من السفوح الشمالية لجبال الأطلس، وفي اتجاه الغرب يصل إلى مرجة تدعى إبتاكنوم Eptagonum، حيث يتغير اسمه فيدعى أغير Agger ويضيف موضحاً أن منابع نهر النيل تتصل بهذا الواد، لأن مياهه تخرق جرف الصحراء وتصل إلى أقصى جنوب مصر حيث ينطلق النيل: Vitruve, 8, 2, 6.

حسب ديزانج في تعاليفه على الكتاب الخامس لبلينيوس الذي قام بترجمته وتحقيقه، إن الأمر يتعلق بواد كُير Ger (واد غير) الذي ذكره بلينيوس الشيخ، في مناطق قاحلة وراء السفوح الشرقية لجبال الأطلس، التي اخترقها القائد الروماني سوتونيوس باولينيوس Suetonius Pautenius، في حملته ضد الثوار المورين حوالي سنة 42 م Pline l'Ancien, 3, 15. ثم ذكره الجغرافي بطوليمايوس: Desanges, Commentaire de: Ptolomée, 4, 6, 4. انظر: Pline, p. 139.

الكاتب الثاني بعد فثروفبوس هو الجغرافي الإغريقي سترابون. استعمل صيغة دورين في النص التالي: "عند تجاوزنا لمضيق أعمدة هرقل Colonne d'Héraklès وعلى شمالنا لبيبة (قارة أفريقية)، نجد جبلاً يدعو الإغريقيون باسم أطلس بينما يدعو البارباريون (يقصد المورين) دورين Durin": Strabon, 17, 3, 2. وأغرب الظن أن الصيغة التي استعملها سترابون هي الأقدم، لأن أهم مصادره حول المغرب القديم تمتد من القرن الثالث قبل الميلاد مع إراتوستين Eratosthene. حتى بداية القرن الأول قبل الميلاد مع بوسدونوس Poseidon. بعد ذلك خضع الاسم لتحويل قليل عند بلينيوس الشيخ في قوله: "هناك واد يدعى فوت Fut يبعد بنحو 200 قدم عن أديرس Addiris، وهو الاسم الذي يدعى به أطلس في لغتهم يقصد المورين": Pline l'Ancien, 5, 13. لقد أوضح الباحث ديزانج أن الكاتب استعمل أيضاً صيغة ديريس Desanges, Commentaires de Pline. أما صولان الذي ينقل في الغالب عن بلينيوس الشيخ فقال بدوره: "إن جبل الأطلس يسميه الموريون أديرس": Solin, 24, 15.

أما الجغرافي بطوليمايوس، فقد استعمل كلمة من عائلة هذه الأسماء، لواد ولجبل في مجالين مختلفين. يتعلق الأمر أولاً بواد يدعى عنده باسم ديور Diour، على أنه يصب في المحيط بعد أسانة Asana، في خط الطول 7 وخط العرض Ptolémée, 4, 1, 2: 32.

بما أن أسانة هو نهر أم الربيع بإجماع الدارسين، فإن

شارل تيسو قام بتحريات ميدانية لمعرفة ما يطابق ديور جنوب نهر أم الربيع. ونظراً لانعدام الوديان حتى رأس كونتان، فإنه رجح أن الأمر يتعلق بضاية الواليدية، التي تغمرها مياه البحر وتبدو كالواد: Tissot, Recherches, p. 241 - 238.

أما ديزانج فقد حاول مقارنة واد ديور الذي ذكره بطوليمايوس مع واد إيور Ivor، الذي ذكره بلينيوس الشيخ بين واد فوت والأطلس، مرجحاً أنه هو واد كسوب جنوب موكادور 4 - 133. Desanges, op. cit., p. 4.

ومن جهة أخرى أطلق بطوليمايوس اسم ديور على جبل، ضمن حديثه عن الواجهة المتوسطية من موريطانية الطنجية، فقال: "إن سلسلة الجبال التي توجد في هذه الناحية هي ديور Diour، حيث إن وسطها يتحدد حسب الإحداثيات الجغرافية التالية: خط الطول 8 و30، خط العرض 34" Ptolémée, 4, 1, 6.

وفي الختام نشير إلى أن الباحث غسيل Gsell, T. 1, p. 6 - 315 انتبه إلى التقارب بين هذه الأسماء القديمة: (ديرس - دورين - أديرس)، والكلمة الأمازيغية الحالية "أدرار" التي تجمع على "إدرار"، على أنها تعني الجبل. وقد تبعه ديزانج في هذا الرأي: Desanges, op. cit., p. 133. الواقع أن هذه الأسماء القديمة لجبال ووديان هي متقاربة فعلاً كلمة أدرار، التي لاشك أنها كانت مستعملة في القديم بنفس المعنى الحالي. واسم أدرار القديم والمعاصر هو الذي تحول اسم "درن"، الذي أطلق على جبال الأطلس في العصر الوسيط.

من جهتنا نلاحظ تقارباً بين اسم "درن" في التاريخ الوسيط واسم "دورين" كما ورد عند الجغرافي سترابون. والاسمان معاً يمكن إيجاد تشابه بينهما وبين الكلمة الأمازيغية "أدرن" وجمعه "إدرار"، مؤنثة "تادرت" والجمع "تيدرنين"، هو اسم شجر البلوط. فإلى أي حد نعتت جبال الأطلس منذ القديم بهذه الصفة، التي تعبر عليها كلمة قريبة من "أدرن"، نظراً لكثرة أشجار البلوط فيها.

Ch. Tissot, Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane, Paris, 1878; S. Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Paris, 1912; R. Roget, Le Maroc chez les auteurs anciens, Paris, 1924; Idem, Index de topographie antique du Maroc, P.S.A.M., 4, 1939; J. Desanges, Commentaire de Pline l'Ancien, Livre 5, 1 - 46, Paris, 1980.

محمد مجدوب

**ديزة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Deza وهو اسم مدينة إسبانية؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمرجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 689.

محمد ابن عزوز حكيم

**الديس**، نبات نجيلي عشبي يسمى علماً أمبيلوديسما موريطانيكا *Ampelodesma mauritanica* وهو من فصيلة النجيليات Graminae أو Poaceae.

الديس نبات معمر وعشبي لكنه يشكل أجسام يبلغ علوها المتر الواحد. له أوراق طويلة جداً وخشنة عند اللمس. سيقان أزهار ترتفع إلى حوالي المترين فوق سطح الأرض. أزهاره تشبه أزهار الخلفاء في الشكل، مجتمعة في عككول كبير.

يعيش الديس بالجزء الغربي من حوض البحر المتوسط ويكثر في المنطقة الشمالية من المغرب حيث نجده بالريف والأطلس المتوسط وجبال المغرب الشرقي وقليلاً بالأطلس الكبير الشرقي. وفي هذه المناطق لا يخرج الديس عن نطاق البيومناخات الرطبة وشبه الرطبة والأراضي الغنية بالطين. يلعب الديس دوراً مهماً في المحافظة على التربة المهددة بالانجراف.

يستعمل الديس في بعض الحالات في أنبحار أسقف المنازل.  
أبحاث شخصية.

عبد الملك بنعيد

**ديسولتي** Desaulty لقب عرف به جاسوس من الجواسيس الذين جندتهم السفارة الفرنسية بالمغرب لخدمة أغراض الاستعمار.

ينتمي ديسولتي أو محمد المراكشي، كما وجد مكتوباً على ظهر بعض الأوراق في الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي بمدينة نانت إلى مدينة مراكش. كان يسكن مدينة طنجة وفيها ربط خيوطه مع المفوضية الفرنسية التي جندته في شخص رئيسها رينيو Renault لإمدادها بأخبار ما يجري في الحوز عامة ومراكش على الخصوص في السنوات الحرجة التي سبقت إعلان بيعه الحفيظ (غشت 1907).

لا ندري بالضبط سر ديسولتي Desaulty وهو الاسم الذي كان يوقع به الرجل مراسلاته سنة 1906. ولم تساعداً المستندات المتوفرة على معرفة حقيقة انتهاء الرجل أي على معرفة أسرته بمراكش.

والذي لاشك فيه أن أسرة ديسولتي كانت من الأسر المخزنية أو المقرية من المخزن. فحسب ما جاء في إحدى المراسلات أن أهله كلهم كانوا يخدمون في بلاط الخليفة عبد الحفيظ بمراكش سنة 1906. ومع ذلك يمكننا أن نتساءل عن علاقة Desaulty بالضابط الفرنسي الذي أسلم في عهد مولاي عبد الرحمان De sorty ؟

يشير K. de Chiny إلى أن Desaulty وهو ضابط فرنسي في الهندسة هو الذي علم مولاي أحمد الصوري مهنة المدفعية وقد أسلم وخدم في بلاط مولاي عبد الرحمان. وحسب كامبون H. Cambon فإن عبد الرحمان

ديسولتي ضابط هندسة فرنسي دفعته المغامرة إلى التخلي عن الزي الفرنسي، وذهب لتونس ثم استقر بمراكش وساهم في بناء عدة قصور سلطانية. وتوفي بفاس سنة 1879.

وأمام هذه المعطيات فهل، ديسولتي أو محمد المراكشي هو من أبناء أو أحفاد الضابط الفرنسي De Sorty لا نستطيع تأكيد العلاقة وإن كانت القرائن تثبتها. وفي حالة الإثبات يكون الجانب الفرنسي قد لجأ إلى خدمات فرنسي تخلى عن خدمة بلاده واعتنق الدين الإسلامي، على عكس ما ذكره كامبون من أن فرنسا لم تهتم باللجوء إلى خدمات الضابط الفرنسي (Histoire du Maroc, p. 442).

وعلى أي حال لم يكن الجاسوس ديسولتي وحيد نوعه. فقد كان لكل الدول الأوربية جواسيسها بالمغرب وفي البلاط السلطاني نفسه. ولهذا عمدت السفارة الفرنسية إلى إرسال ديسولتي إلى مراكش صيف 1906 لما تأزمت أوضاع المخزن واضطرت أحوال المغرب.

وصل ديسولتي إلى مراكش يوم 22 ماي 1906 عبر الصويرة، وشرع حالاً في بعث رسائله يوماً بيوم. واهتم فيها خاصة بكل شاذة وفاذة من أمور المدينة والحوز وخاصة أمور الخليفة عبد الحفيظ وتطلعاته نحو الملك. واستمرت مراسلات الرجل إلى شهر غشت 1906. ثم توقفت حسبما يستفاد من الوثائق الدبلوماسية بنانت ولا يعرف ماذا كان سبب التوقف أو المصير الذي انتهى إليه ديسولتي. هل توجد مراسلاته كاملة في جهة أخرى غير مركز نانت الدبلوماسي أم هل توقف بأمر من السفارة الفرنسية أم نتيجة لطارئ آخر ؟ ذلك ما نتمنى أن تبرزه أبحاث أخرى في الموضوع.

Archives diplomatiques (Nantes) ; Kerdek de Chiny, *Un boulevard de l'Islam* (244) ; H. Cambon, *Histoire du Maroc*. (442).

علال الحديدي

**ديفيدسن ج.** J. Davidson طبيب إنجليزي تحول سنة 1830 بوادي درعة ووصل إلى تينكتو. وكانت له علاقة مع أولاد بيروك. كان يريد إنشاء مركز تجاري بالجنوب سنة 1835 يربط بين جبل طارق والمغرب. وتوفي سنة 1836 مغتالاً بنواحي طاعة بالجنوب.

م. بوشعرا، الاستيطان والحماية بالمغرب، ج 4، ص. 1508.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome I, p. 97, Tome III, p. 80.

مصطفى بوشعرا،

**ديكوجيس** Décugis طبيب فرنسي من أطباء البحرية رافق ده فيرنويي A. de Vernouillet سفير فرنسا لدى السلطان مولاي الحسن سنة 1877، فخرج مع الوفد من طنجة إلى فاس ماراً بالمغرب وزكوطه. وكان رجوعه عن طريق مكناس. كان هذا الطبيب يقرأ خلال الطريق كتاب

روض القرطاس. وخلف أبحاثاً ودراسات نشرتها الجمعية الجغرافية الفرنسية بباريس سنة 1886 و1887. كما أنه وضع عن رحلته كتاباً نشر سنة 1878 بعنوان : قصة رحلة إلى داخل المغرب (Relation d'un voyage à l'intérieur du Maroc "Maroc").

م. بوشعراء، الاستيطان والحماية بالمغرب، ج 4، ص. 1527.

J.-L. Miège, Le Maroc et l'Europe, Tome I, p. 98.

مصطفى بوشعراء

**ديلبيريل،** جيرابيل Delbrel Gabriel ولد بفرنسا عام

1872، وكان في طفولته وشبابه متأثراً بما كان يسمعه حيناً وقرؤه حيناً آخر من أخبار عن البلدان "الغريبة" الواقعة وراء البحار. وأقرب هذه البلدان إليه أمصار شمال إفريقيا التي تبثت في اثنين منها أقدام الاستعمار الفرنسي، ونشطت الحركة التجارية معها وبدأت أفواج من الفرنسيين تتسرح إليها قصد الاستيطان أو للعمل في الخدمة العسكرية.

وفي إطار هذه الخدمة نزل ديلبيريل بالجزائر جندياً مبتدئاً، تعلم اللغة العربية واهتم بتقاليد الأهالي وأعرافهم ودينهم الذي تعلم منه بعض المبادئ، ولما صار له الملم بهذه الأمور، وأنهى خدمته العسكرية، أقبل على مغامرة ولوج المغرب عن طريق وجدة عام 1891 وأخذ يتجول بين القرى والمداشر، مدعياً أنه تركي مسلم، فكان يلقي الترحاب وحسن الضيافة لدى بعض الأسر الميسورة من أهل الأرياف، ويدخل معهم في أحاديث سياسية، واكتسب مودة مضيافية. الذين كان يتحتمهم بصور عنهم يرسمها بقلم الرصاص، فيعجبون بفنه حتى مضى بعضهم يتوددون إليه للحصول على صورة لهم.

واتفق أن تجواله في قبائل أنكاد جاء متزامناً مع وجود الأمير عمر بن مولاي الحسن الذي حلّ بتلك الجهة لعقاب القبائل التي عتت عن أمر المخزن وغدت تخرج إلى الاستقلال بذاتها، وكان السلطان يومئذ يعلم أن جيش الاحتلال الفرنسي بالجزائر بث عيونه في مختلف جهات الامبراطورية الشريفة يدعون أهلها إلى طلب الحماية الفرنسية.

استطاع ديلبيريل أن يلتحق متنكراً في زي مغربي، بحملة الأمير عمر. ملقياً أذناً صاغية إلى الأخبار التي يتداولها الجنود والأهالي، فيسجل محاورها في مذكراته كما بات يرسم المسالك التي يمر بها ويكتب بعض انطباعاته عن مشاهداته.

غير أن ظهور عصاة هنا وهناك في المنطقة الشرقية وما رافق هذه الظاهرة من فتن، جعل ديلبيريل يخشى على حياته، فولّى أعقابيه نحو وجدة ومنها رحل إلى الجزائر.

وهناك رتّب أسوره وعاد إلى المغرب وحصل على مساعدة أشخاص مغاربة وأجانب، مكنوه من الوصول إلى

فاس. وفي هذه المدينة، تقرب من الأمير الشاب عبد العزيز، واستطاع أن يكسب مودته وصداقته وعطفه. ومكث بجانبه في زمرة أصدقائه الفرنسيين، بإيحاء من الطبيب الفرنسي المعروف بالدكتور ليناريس (Dr. Linarès) الذي كان الطبيب الخاص للسلطان مولاي الحسن، وهو يومئذ أكبر جواسيس فرنسا بالمغرب.

انبهر الأمير عبد العزيز بمواهب ديلبيريل في الرسم، وكانت علاقاتهما تتطور من حسن إلى أحسن. وكان السلطان على علم بذلك، فلم يمانع، وإنما عندما قرّر أن يقوم برحلة إلى تافلات في مستهل صيف عام 1892، أصدر أوامره بإبعاد كل الأجانب عن القصر ومنعهم من مرافقة الحاشية السلطانية ورجال المحلة المخزنية في هذه الرحلة، شهيداً بالويل والثبور كل أجنبي تجرأ على تعقب تنقلات السلطان المقبلة، باستثناء أجنبي واحد، ليناريس، طبيبها الخاص.

لكن الأمير عبد العزيز تدير الأمر متجاوزاً أوامر والده، فساعد صديقه ديلبيريل على الانضمام إلى رجال المحلة، متنكراً في زي مغربي، مسياً كل تقاليد المغاربة، ومن موقع في مؤخرة المحلة لا يثير أي انتباه، وهو واع كل الوعي بعاقبة خرق التعليمات السلطانية.

مضى ديلبيريل يختبئ من حين لآخر ليرسم معالم القصبات والقرى وتحصيناتها ومنازلها والطرق التي يمر منها الموكب السلطاني والجنود، فلاحظ أن السلطان غير مسار الرحلة من فاس إلى تافلات، حيث لم ير الجاسوس الشاب المواقع المعتادة التي ورد ذكرها في أكثر من تقرير مما كتبه المستكشفون والجواسيس المتقدمون. وجاء في تقرير ديلبيريل أن السلطان برح فاساً في أوائل يونيو 1892 ووصل إلى تافلات بعد ثلاثة أسابيع. ثم أقام هناك إلى يوم 25 نونبر 1892.

وكذلك رافق المحلة في عودتها إلى مراكش، ونبه إلى أن بعض الجنود كانوا يفرون من المحلة فلم يعد يظهر لهم أثر، فوصل السلطان إلى مراكش يوم 20 دجنبر. لكن، في مراكش، غدت الشكوك تحوم حول ديلبيريل، وأقيمت عليه حراسة غير شديدة حتى لا يظن بما يدور في شأنه، ولكنه علم، ولم يذكر من نبأه أنه أضحي منهما بما لن تحمد عقباه.

وأثناء آخر ليلة من شهر دجنبر 1892، خرج ديلبيريل تحت ستار الظلام من غرفته بأحد الفنادق، متنكراً كذلك، ولم يعثر له بعد على أثر في مراكش، فغضب السلطان وأمر بالبحث عنه في دائرة حول مراكش تشمل الجديدة وأسفي والصويرة وطريق فاس وطريق الدار البيضاء وقيل للمخزن إن الاحتمال هو ذهاب ديلبيريل إلى الجديدة للاتحاق بالفتنصل الفرنسي أبريدو الذي نظم أول بريد حرّ حديث بين الجديدة ومراكش.

وبالفعل، حلّ ديلبيريل بالجديدة بعد يومين من فراره وكان يتبع خطوات الرقاص الذي وظفه أبريدو لنقل الرسائل

بين المدينتين. وأمر السلطان بالقاء القبض عليه وتقديمه إلى المحاكمة ليذوق وبال أمره، لولا أن ابريدو استقبله قبل ذلك وأخفاه في مكان ما ولم يكتشفه أحد.

أثناء هذا الحدث كانت سفينة فرنسية راسية بمرسى الجديدة، فأخرج ابريدو مواطنه في هيئة لا تتفق أوصافها مع تلك التي ذكرها رسل السلطان. وتمكن الهارب من الصعود إلى السفينة بأوراق مزورة وفي صورة لم يكتشف أحد من موظفي المخزن وشرطة المرسى من اختفى من ورائها، وكان الإبحار في العاشر من يناير 1893، والوصول إلى مرسيليا بعد سبعة أيام. كانت تقارير ديلبريل مفيدة إلى حد ما للمخابرات العسكرية الفرنسية التي تعرّفت من خلالها على بعض جوانب الريف والجو السياسي المحلي الذي تميز بمؤشرات لم تكن في صالح التوسع الاستعماري الفرنسي.

ثم رجع إلى طنجة في ثاني يناير 1899، وفي حقيقته تكليف مهمة تتعلق باستكشاف حوض وادي آتاون شمالا بين فاس وتازا وبعض الجهات الواقعة جنوب جباله وغمارة الريف. وكان في استقباله بالمرسى مالبيرتوي فنصل فرنسا الذي اعتنى به وأوصله سالما إلى فاس. وهناك مكث بضعة أيام إلى أن أقبل عليه مرشد مغربي فتوجه إلى تازا ومناطق أخرى مجاورة. إلى أن وصل يوم الاثنين 10 فبراير إلى قصبة سيدي ملوك، ومنها دخل رفقة مرشده الشيخ سعيد إلى مغنية حيث لقيها استقبالا فاخرا من طرف السلطات الفرنسية.

استفادت هذه المرة الاستعلامات الفرنسية من نتائج رحلة ديلبريل التي لم تستغرق أكثر من شهر، فوقفت على أسرار مواقع استراتيجية جديدة، وعلى معلومات اجتماعية وسياسية تصب أهميتها فيما يخططه منظرو الاستعمار الفرنسي للمغرب. وأشاد كل من لامارتينيير والدكتور ليناريس بما أنجزه ديلبريل في ظرف وجيز لحساب فرنسا، مما يسر توغلها في المنطقة، تمهيدا لما يسمى بالحماية.

A Laroui, *Les Origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830 - 1912)*; De La Martinière, *Souvenirs du Maroc*; Commandant F. Gendre, *Voyageurs et géographes, pionniers oubliés*; H Terrasse, *Histoire du Maroc*, t. II.

أحمد بنجلون

**ديلكاسي** طيوفيل Théophile Delcassé سياسي فرنسي قام بأدوار طلائعية في التمهيد لعقد الحماية الفرنسية على المغرب، ولد في فاتح مارس 1852 بمقاطعة الأريبيج (Ariège) بالجنوب الشرقي من فرنسا من أسرة فلاحية، حصل على الإجازة في الأدب وانضم إلى حزب الزعيم غامبيطا (Gambetta) الذي كلفه بالإشراف على قسم الشؤون الدولية في جريدته "الجمهورية الفرنسية" فاشتغل في الصحافة عدة سنوات إلى أن انتخب نائبا في مجلس

النواب في صفوف الحزب الرديكالي وتجلت خبرته بالعلاقات الدولية بما أهله لدخول الحكومة كنائب لكتاب الدولة في التجارة والصناعة والمستعمرات (17 يناير 1893 إلى 2 دجنبر 1893) ثم أسندت له وزارة للمستعمرات وكان ذلك أول مرة تحدث فيها وزارة لتلك القضايا مستقلة الذات (30 ماي 1894 إلى 25 يناير 1895) فاشتغل بتعزيز المستلكات الفرنسية وتشجيع المقاولات الحرة بها مع تقوية الوجود الفرنسي بالطونكين وكوت ديشوار، ثم إنه تربع على كرسي وزارة الشؤون الخارجية يوم 28 يونيو 1898 فذاع صيته لما كان له من التأثير الحاسم في وطنه وفي المغرب وعلى الساحة الدولية، ذلك أنه بادر إلى نهج خطة معاكسة لما كانت عليه الدبلوماسية الفرنسية قبل أن تمسك هو بزمامها. فإنه تخلى عن مسألة ألمانيا وسعى في تذييل أسباب النزاع مع إنجلترا التي كانت هي المنافس الأول لفرنسا في مجال الاستعمار، فقبل أن يتخلى لها عن السودان الشرقي وعن منطقة بحر الغزل بعد حادثة فاشودا التي كادت أن تؤدي إلى الحرب بين الدولتين سنة 1898، ثم اجتهد في التفاهم معها ومع إيطاليا وإسبانيا لاقتسام النفوذ في إفريقيا فأبرم اتفاقية مع إيطاليا سنة 1900 مطلقاً لها اليد في ليبيا مقابل تنازلها لفرنسا عن المغرب، كما أبرم اتفاقية أولى مع إسبانيا تفك أسباب النزاع معها بخصوص الصحراء المغربية الغربية وبخصوص غينيا الاستوائية وما إليهما (يونيه 1900). كما اهتم ديلكاسي في نفس الوقت بالتقرب من روسيا فأبرم معها اتفاقية عسكرية سرية، لكن أكبر إنجازاته وأخطرها شأناً إبرامه الاتفاق الودي مع إنجلترا وساعده في ذلك وفاة الملكة فيكتوريا (Victoria) سنة 1903 وجولوس إدوارد السابع على العرش، وكان أكثر تعاطفاً مع فرنسا من والدته، وأيضاً شروع ألمانيا في تنمية أسطولها مما أقلق الحكومة الإنجليزية وجعلها تصفى إلى مفاوضات ديلكاسي وانتهى الأمر إلى الاتفاق الودي بين الدولتين (8 أبريل 1904) الذي تخلت فرنسا بمقتضاه لإنجلترا عن امتيازاتها في مصر مقابل تخلى إنجلترا لها عن امتيازاتها في المغرب شريطة أن تكون شواطئ المغرب الشمالي وما وراءها من الأرض من نصيب إسبانيا، أما طنجة فتقرر أن تبقى منطقة دولية وأدرجت ألمانيا على التو ما كان في مبادرات ديلكاسي من التأمير عليها ومن المضايقة لها في أوروبا وفي المجال الاستعماري، وكان رد فعلها عنيفا حيث أبى الامبراطور غليوم الثاني إلا أن يزور مدينة طنجة ليعلن من هناك تمسكه بسيادة المغرب ويوحده تراه وأمر حكومته بأن تمارس كل الضغوط الدبلوماسية على الحكومة الفرنسية لإرغامها على إقالة ديلكاسي وذلك ما حصل في يونيو 1905.

وهكذا كان لهذا الرجل أبلغ الوقع على مصير المغرب، فإنه هو الذي وضع الخطوط العريضة الأولى للحماية الفرنسية عليه، ودليل ذلك منبسط في مراسلاته المنشورة

وبعد ذلك اعتزل السياسة وإن ظل يؤثر على مصير المغرب بصفة غير مباشرة، إذ تزوجت بنته سوزان سنة 1920 من الضابط شارل نوجيس (Ch. Noguès) الذي كانت له أدوار مرموقة في التمهيد العسكري وفي إدارة الحماية العليا إلى أن أسندت له الإقامة العامة. فكان مصير المغرب بيده من سنة 1936 إلى 1943.

توفي طيوفيل ديلكاسي يوم 21 فبراير 1932 بمدينة نيس.

*Documents diplomatiques français ; B Yvert. Dictionnaire des ministres 1789 - 1989, Paris, 1990.*  
إبراهيم بوطالب

**الدَّيْمَان**، أسرة تطوانية أشار إليها عمر لوقش في قصيدته المشهورة : وقد انقضت هذه الأسرة بتطوان.  
م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1621.

محمد ابن عزوز حكيم

**الديماني، علي بن الحسن**، أو الدوماني كما في بعض الوثائق. لا يبعد أن يكون أصله من عائلة بني ديمان الصحراوية، وهي من الأسر التي نبغ فيها عدد من رجالات العلم والأدب. لم يحظ الديماني بعناية أصحاب التراجم فيما رجعنا إليه من المظان، وتكاد المعلومات عنه لا تخرج عما أورده عن نسبه في مستهل كتابه "روضة التحقيق في ذكر مناقب آل الصديق" الذي ألفه للحديث عن مناقب وأخبار الشيخ الصوفي محمد بن إبراهيم التمارتي (ت. 971، 1563) لا يذكر لنا الديماني شيئاً عن طبيعة علاقته بمنطقة تمارت، ولا عن دواعي تأليفه هذا. وكل ما نعلم هو أن هناك مريدين وتلاميذ من أصل صحراوي يرتادون باستمرار زاوية تمارت. وكان للبعض منهم مكانة خاصة لدى الشيخ التمارتي كخديمه علي بن أبي العباس بن أبي زكرياء الديماني، ويحيى بن موسى الديماني الصحراوي. والظاهر في سياق ما يورده الديماني عن التمارتي، أنه إستقى معلوماته اعتماداً على روايات من أخذ عن هاتين الشخصيتين. وهذا ما يقودنا إلى تأكيد كون الديماني لم يعاصر التمارتي وإنما ألف كتابه في مرحلة متأخرة قد تكون القرن السادس (12 م) "بعدما مضى من أخبار الشيخ الصحيحة ما ذهب وبقي ما يبقى في الأسفار عند العوام والعجائز". ويبدو من خلال مؤلفه بعض ملامح شخصيته المتسمة بالصيغة الصوفية الصرفة، وتتراعى هذه الصورة حينما يبالغ في تعداد مناقب وكرامات الشيخ التمارتي بأسلوب بسيط يغلب عليه الاستطراد.

علي بن الحسين الديماني أو الدوماني : روضة التحقيق في ذكر بعض مناقب آل الصديق، مخطوط : ع. السلام ابن سودة، دليل

حيث تبدو منها خطة واضحة ثابتة وإصرار في التنفيذ امتد على مدى سبع سنوات فإنه قال في رسالة بتاريخ 9 يوليوز 1903 : "ليس من العبث أن نذكر بعدم جدوى مارمناه منذ نصف قرن لتسريب نفوذنا إلى المغرب من خلال حدود الجزائر بالرغم مما كان يفترض أن يعود علينا من الفوائد لجاور تناله، وذلك أن قبائل مغربية ذات بال ظلت تقوم بين الجزائر والمغرب مقام حجاب لا يخترق [...] فلما أبرمت الحكومة مع السلطان أوفاق 1901 و1902 كان غرضها من ذلك تغيير هذه الأوضاع التي ما كانت لتسدم دون أن يترتب عليها أضرار كبرى علينا، وإذا ما تتبعنا تطبيق ما لا بد أن يترتب على تلك الأوفاق من التدابير السياسية فإنه يجوز أن نتشوف في ظرف وجيز وبموافقة المخزن إلى إقامة العديد من مراكز الاتصال مع الإمبراطورية المجاورة من خلال أراضي تلك القبائل بعد تمهيدها، ومن ثم تتحسن علاقاتنا مع السلطان في أقرب الأجال".

وجاء في رسالة يوم 27 أبريل 1904 قوله : "علي السيد سانت أولير (Saint - Aulaire) والسيد غايار (Gaillard) أن لا ينبا في ترديد القول بأننا نتقدم إلى المغرب كأصدقاء يسعون في ازدهاره لأن ازدهارنا رهين بذلك وأننا لانرمي إلى النيل من نفوذ السلطان بل إننا على العكس منشغلون بالرفع من جاهه [...] وأننا نتنظر في المقابل أن يتفهم المخزن مجهوداتنا وأن يسعى مخلصاً في مؤازرتنا" ثم قال في رسالة يوم 3 ماي 1905 : "قل لابن سليمان بلسان الصرامة إنه لا يمكن أن يتوسط بين الحكومة الفرنسية والحكومة المغربية أية قوة أخرى مثلما أنه لا يوجد أي بلد يتوسط بين المغرب وبين فرنسا الجزائرية فإنه لا يحد المغرب إلا فرنسا" وهو الذي وضع برنامج الحماية الأول وكلف سان ريني طاياندييه (Saint-René Taillandier) بفرضه على المولى عبد العزيز. ومما جاء في ذلك البرنامج قوله : "مهمتنا تكمن من أجل مصلحة الداتية في السعي في مصلحة المغرب ومن أجل سلامتنا الذاتية في العمل على مساعدته على إرساء الأمن والنظام في ترابه ومن أجل ازدهارنا الذاتي في تزويده من أدوات استثمار ما يزر به من الخيرات بحيث يبقى على ما كان عليه من أشكال العيش ويحتفظ بأعرافه وقوانينه وروساته تحت إمرة السلطان بعد تقوية نفوذه وإمداده فلا يشعر بقوتنا إلا من جهة ما سيترتب عليها من النعم".

وامتد تأثير ديلكاسي على الأحداث في المغرب حتى بعد انفصاله عن وزارة الشؤون الخارجية فإنه ظل يعمل من أجل إنجاح سياسته سواء من خلال مجلس النواب أو من داخل الحكومة حيث كان وزيراً للملاحة البحرية من مارس 1911 إلى يناير 1913 ثم كان سفيراً في روسيا تلك السنة وعاد إلى الحكومة كوزير للحرب بضعة أيام في شهر يونيو 1914 ثم وزيراً للشؤون الخارجية مرة أخرى في غشت 1914 إلى أكتوبر 1915 وهي السنة الأولى من الحرب العالمية.

مؤرخ المغرب، دار الكتب، الدار البيضاء، ج 1، ص. 83 : المختار السوسي، المصطلح، ج 7، ص. 35، 45، سوس العالمية، ص. 219 : أ. بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أديبا شنقيط، القاهرة، 1989.

أحمد بومزكو

**الديموقراطية** كلمة يونانية Democrazia تعني حكم الشعب بالشعب، وتقتضي توسيع مجال الحريات العامة، ومشاركة المواطنين في تسيير شؤون البلاد عن طريق ممثلهم في البرلمان. للنظام الديموقراطي جذور تاريخية بالمغرب فيما يسمى بنظام الجماعات خصوصاً في المناطق القروية التي كانت تتمتع بالاستقلال الإداري بالنسبة للحكومة، وتحتوي على هياكل إدارية وقضائية تمكنها من تسيير شؤونها المحلية.

ومنذ 1912 إلى 1956، أي طيلة عهد الحماية، وقع تهميش الهياكل الجماعية، ولم يبق للجماعة أية سلطة فعلية، الشيء الذي أدى برجال الحركة الوطنية آنذاك إلى أن ينتقدوا بشدة هذه السياسة الاستعمارية معتبرين أن نظام الجماعات يمثل مبدأ ديمقراطياً يجب احترامه.

ولما أحرز المغرب على استقلاله انكبت جهود المغاربة بقيادة محمد الخامس على وضع الركائز الأساسية للديمقراطية في البلاد، فصدرت ظهائر وقوانين في مجال الحريات العامة والنقابية والوظيفة العمومية. كما شملت أيضاً هذه التوجهات الديموقراطية ميدان الانتخابات وتنظيم الجماعات المحلية.

كان المجلس الوطني الاستشاري أول تجربة ديمقراطية فعالة بعد الاستقلال، مَثَّل الرأي العام الوطني في تلك الظروف ثقيلًا واسعاً بقدر الإمكان، وشارك فيه ممثلون عن الحزبين الوطنيين : الاستقلال والشورى والاستقلال، والمنظمات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والنقابية، ومنظمات الشباب والرياضة.

تأسس المجلس الوطني الاستشاري بمقتضى ظهير شريف مؤرخ في خامس وعشري ذي الحجة عام 1375 / 3 أغسطس 1956 واستمرت جلساته منتظمة إلى نهاية دورة 1959. وصدر في هذه الأثناء ظهير الحريات العامة سنة 1958 الذي حرّم نظام الحزب الوحيد بالمغرب وفتح الباب مشرعاً للحياة الديموقراطية.

وفي شهر شتنبر 1959 صدر الظهير الشريف المتعلق بانتخابات المجالس الجماعية، كما صدر في 23 يونيو 1960 الظهير الشريف المتعلق بالنظام الجماعي. وفي 21 شتنبر 1963 صدر ظهير بشأن تنظيم العمالات والأقاليم مازال ساري المفعول مع ما أدخل عليه من التغييرات.

وقد ركزت هذه النصوص على تنظيم الجماعات المحلية بصفة قانونية فيما يخص مجال الانتخابات بالنسبة للمجالس الجماعية، وفيما يخص التسيير الإداري اليومي

بالنسبة للجماعات كلها. ومن هنا عرفت بلادنا أول تجربة لنظام اللامركزية الذي يعد بمثابة الديموقراطية المطبقة على الإدارة كما عرفه بعض الفقهاء. وتعتبر الجماعات المحلية كأداة لتدعيم هذا النظام الديموقراطي اللامركزي.

اعترف هذا النظام بوجود قضايا محلية يسند أمر إدارتها إلى هيئات محلية منتخبة تتمتع بالشخصية المعنوية وبالأستقلال المالي في إطار خصوصها لوصاية إدارية تمارس عليها من طرف السلطات المركزية. وخصص دستور 1962 للجماعات المحلية باباً خاصاً نحوه كذلك في دستور 1970 ودستور 1972 وفي الدستور الحالي. واعترف الدستور بوجود قضايا محلية يُسند تدبير شؤونها إلى جماعات منتخبة، يقول الدستور : "تنتخب الجماعات المحلية مجالس تتكلف بتدبير شؤونها تديراً ديمقراطياً طبق شروط يحددها القانون".

وفي شهر يوليوز 1975 أعلن عن تنظيم انتخابات محلية كما أعلن عن توسيع اختصاصات الجماعات التي ستنشق عن هذه الانتخابات. ثم أتى خطاب 8 يوليوز 1976 الذي أوضح فيه جلالة الملك فلسفة النظام الجماعي الجديد. وفعلاً ذهب المغرب بعيداً في المسلسل الديموقراطي المحلي إذا ما قارنا النظام الجماعي الحالي مع ما يوجد في بعض الدول التي تسيير في طريق النمو.

وقد تعزز هذا الاختيار الديموقراطي بجعل الجهة جماعة محلية كباقي الجماعات الأخرى تتمتع بالشخصية المعنوية والأستقلال المالي يتولى تدبير شؤونها بحرية مجلس ينتخب بطريقة ديمقراطية لمدة ست سنوات. وهكذا بعد خضوع الجهة للتجربة في إطار ظهير 16 يونيو 1971 المتعلق بإحداث المناطق الاقتصادية تمّ الارتقاء بالجهة إلى مستوى الجماعة المحلية بمقتضى دستور 1992.

وبعد المصادقة على مراجعة الدستور في استفتاء 13 شتنبر 1996، أصبح للجهات إطار قانوني جديد يضع أسسه القانون رقم 96 / 47 المتعلق بتنظيم الجهات والذي صدر بتنفيذه ظهير شريف مؤرخ في 12 أبريل 1997. والمجديد في الإصلاح الدستوري الأخير هو توسيع اختصاصات البرلمان مع إنشاء غرفتين : مجلس النواب ومجلس المستشارين، الشيء الذي يدعم الركيزة الثانية للنظام الديموقراطي أي مشاركة المواطنين في تسيير شؤون الدولة.

وبالجمله ركز المغرب جهوده طيلة السنوات الأخيرة على إرساء قواعد الديموقراطية سواء على الصعيد الوطني بالنسبة للمؤسسات الدستورية أو على الصعيد المحلي، وعلى ترسيخ دولة الحق والقانون التي تعد الركيزة الأولى في إرساء الديموقراطية وذلك بإنشاء محاكم إدارية في جل جهات المملكة وإنشاء مجلس استشاري لحقوق الإنسان. وبهذا يكون المغرب قد دعم ركائز النظام الديموقراطي بتوسيع مجال الحريات العامة وحماية حقوق الإنسان.

الجريدة الرسمية، الرباط، 1956-1999: المدونة القانونية للجماعات المحلية بالمغرب، مراكش، 1997: ع. الرحمان جمجمة، اللامركزية مع الاكترز والديموقراطية المحلية في الخطاب الملكي، من إرسال التجربة إلى إعلان الإصلاح الجهوي، 1955-1995، الرباط، 1996.

S. Ben Bachir, *L'Organisation administrative du Maroc*, Rabat, 1968; A. Sedjari, *Le système d'administration territoriale au Maroc in L'administration territoriale au Maghreb*, Rabat: E. De Laubadaire [etal...], *Traité de Droit Administratif*, Paris, 1992; H. Ouazzani Chahdi, *équation ? in Décentralisation et pratiques locales de développement*, Casablanca, 1996; *Droit de l'homme et Administrations Publiques : le cas du Maroc*, Bruxelles, 1997; *Droit Administratif*, Rabat, 1997.

الحسن الوزاني الشاهدي

**الدينار**، كلمة لاتينية Denarius وهو قطعة نقدية ذهبية، وخلال العهود القديمة كان المغاربة يستعملون النقود الذهبية الأجنبية، وقد حملت الطلائع الأولى للفتح الإسلامي لشمال إفريقيا الدينار الذهبي الإسلامي، ونظراً لوضعية الدولة الإدريسية التي كانت تعيش وضعية اقتصادية محدودة، فلم تقم بضرب النقود الذهبية واكتفت بسك النقود الفضية، لعدم توسع الدولة الإدريسية تجارياً نحو مناجم الذهب الإفريقية، وظل سك النقود الذهبية من الحقوق التقليدية للخلافة العباسية في الشرق، ولم يقع تجاوز هذا التقليد في الغرب الإسلامي إلا في عهد الأمير عبد الرحمان الثالث بالأندلس حيث سك الدينار الذهبي في بداية القرن الرابع (10 م).

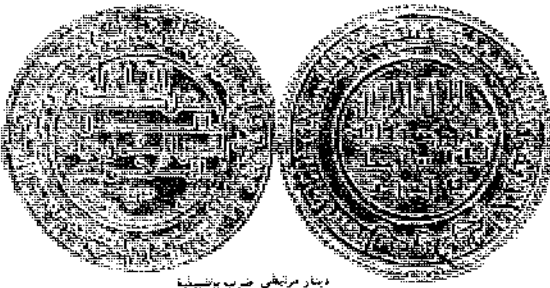
وفي العهد المرابطي ظهرت الدينانير الذهبية المغربية بوفرة بفضل نموّ تجارة القوافل مع إفريقيا واتسعت الامبراطورية المرابطية نحو الأندلس، كان الخط الكوفي سائداً في العهد الإدريسي وفي العهد المرابطي ظهر الخط اللين "خط الثلث المغربي" على الدينانير، وفي العهد الموحي اختفى الخط الكوفي وظهر خط الثلث المغربي على جميع القطع، وكما ضرب الموحدون الدرهم الفضي المربع رسموا الشكل الرباعي على الدينانير الذهبية المستديرة، ولعل ذلك راجع إلى التعارض السياسي والمذهبي الذي كان سائداً بين الموحيين والمرابطيين، فسعوا لإظهاره على النقود، وشمل هذا التعارض أيضاً الأوزان النقدية فجاء الموحدون بوزن مخالف للدينانير المعروفة في الغرب الإسلامي فأصبح الدينار المغربي أكبر وزناً من الدينار الشرعي إذ كان الدينار الشرعي يزن 72 حبة من الشعير الوسط (= 4.1594 غ) بينما يزن الدينار الموحي 84 حبة من الشعير الوسط (4.8526 غ).

ولقد استفاد المرابطون والموحدون من كميات الذهب التي تراكمت في المغرب نظراً للتوسع في مجال التجارة الصحراوية، شكل ذهب السودان المزود الرئيسي لسدور

السكة المغربية حتى القرن السابع (13 م) لكن تحول المسالك التجارية في عهد بني مرين في القرنين الثامن والتاسع (14 و15 م) في اتجاه المغرب الأوسط وإفريقية ومصر انعكس سلباً على دور السكة المغربية التي افتقدت ذهب السودان ومع ذلك ظلت الدولة المرينية تستفيد من الأرصدة الذهبية للعهد الموحي وما كانت تحصل عليه من الغنائم.

وقد ارتبط عهد السعديين بفتح المنصور الذهبي للسودان واستفاد هذا العهد من الذهب الإفريقي الذي كان يغذي التيار التجاري المتجه نحو البحر المتوسط بعد أن تصل القوافل إلى المراكز المغربية القديمة المتاخمة للصحراء مثل نول لمطة وسجلماسة. ورغم ما أكده لومبار وهو من المهتمين بحركة المعادن النقدية ومناجمها من كون "الذهب لا يبقى في المغرب وإنما يمرّ به فقط" فقد استفادت دور السكة المغربية من ذهب إفريقيا، ولدينار صيد في مختلف المتاحف من الدينانير الذهبية التي كانت تضرب في معامل السكة بنول لمطة وسجلماسة ومعامل تارودانت ودرعة ومراكش وفاس.

لم تستمر هذه الوضعية بعد العهد السعدي إلا قليلاً، ففي العهد العلوي ونتيجة لتحول الطرق التجارية نحو سواحل السودان بعد تقدم الكشوف الجغرافية، تضائلت هذه الاستفادة تدريجياً حتى انقطعت بعد منتصف القرن الثالث عشر (19 م) بقليل، فقد كانت الكمية القليلة من الدينانير التي ضربت بدار السكة بفاس سنة 1868 من أواخر الدينانير التي ضربت في القرن الثالث عشر (19 م) وقد انسحبت من التداول نهائياً في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان تأخر استعمال دينار التبر في الجنوب المغربي، وذلك نظراً لندرة الدينانير المضروبة واختفائها، وكان التعامل بها جارياً في المناطق المتاخمة للصحراء التي لا تزال القوافل التجارية تحمل إليها كميات من التبر (مسحوق الذهب) وقد وقع التعامل بتعويض قطعة الدينار بوزن مضبوط يدعى المثقال الذهبي أو دينار التبر ووزن 4.50 غ وقد استعملت هذه الوحدة في منطقة توات ودرعة وسوس، ويلاحظ أن وزن هذا الدينار في هذه المناطق يفوق وزن الدينار الشرعي البالغ 4.25 غ، وقد استغرب مارتان من



دينار مرابطي ضرب بونسيبية

العهد العلوي حتى القرن الثاني عشر (18 م) عندما قام السلطان محمد بن عبد الله بإصلاحه النقدي سنة 1766 فبناه على القاعدة النقدية الفضية ووقع التراجع شيئاً فشيئاً عن القاعدة الذهبية، ويفسر هذا التراجع في بعض جوانبه بضمور كميات الذهب التي كانت ترد على المغرب من السودان وانعكاسها سلباً على موارد بيت المال، ولم يُظَلَّ استقرار النقود على القاعدة الفضية إذ سرعان ما تحولت نحو القاعدة المزوجة من الفضة والنحاس عند حلول القرن الثالث عشر (19 م)، ثم تحولت الأهمية إلى معدن النحاس نتيجة التدخل الأوروبي وما صاحبه من عوامل.



الدينار الاسماعيلي

ونورد هنا نموذج النظام المتعامل به في القرن الثاني عشر (18 م) قبل انقطاع التعامل بالدينار في النصف الثاني من القرن الموالي كما توصلنا إليه من عدة وثائق وتقاييد المعاملات. فقد تعامل الناس بنوعين من الدينارين: الدينار السني "الشرعي" والدينار السوقي "العرفي". فكان الدينار السوقي إما حسب عياره وإما حسب وزنه، وهذا ما نوضحه في الجدول التالي:

الدينار	
الدينار السني	الدينار السوقي (العرفي)
المشعر الصافي	المشعر الصافي
السداسي: الجديد	السداسي: القديم
حسب العيار	حسب الوزن
المشوب بالفضة	المشوب بالفضة
العشارى دينار	الدينار
وزنه 100 ح	وزنه أقل من وزنه أكثر من
السباعي	الدينار
الحفاسي	الدينار
السداسي	الدينار
المجزولي	الدينار
الفاقي	الدينار
الواديوني	الدينار
السوسي	الدينار

ذلك دون أن يعطي تعليلاً واضحاً، غير أن السنوات الأولى من القرن العشرين عرفت اختفاً الدينار الذهبي بالمغرب، فلم تبق منه إلا قطع محفوظة للذكرى عند بعض الخواص. إن الأسباب التي أدت إلى تدهور القاعدة الذهبية للعملة المغربية وزوال الدينار المغربي من الرواج متعددة أشرنا إلى بعضها مما يتعلق بالتغيرات التجارية، ولكن هناك ظروف أخرى داخلية تتعلق بالقحوط والطواعين التي عرفتها بداية القرن الثالث عشر (19 م)، وما استجد على المغرب من التدخل الأجنبي الذي واجهته البلاد في معركة إسلي وحرب تطوان، هذه الحرب التي استنزفت عسكرياً واقتصادياً طاقات البلاد وأفقدتها الغرامة الناتجة عنها وتوابعها كل الأرصدة الذهبية والفضية وما كان يتمتع به المغرب من توازن في مختلف المجالات.



دينار بني مدرار بسجلماسة

وقد عرف المغرب في عهوده التاريخية المختلفة أنواعاً من الدينارين تحمل سمات حضارية متميزة تعتبر مجالاً للبحث والدراسة في هندستها وأحجامها ونقش أشكال الحروف وأنواع الخطوط، وتقسيم فضاءات القطعة في المركز والهوامش على الوجهين، إلى ما ذكرناه من اختلاف الأوزان وتحديد عيار الدينار ومقدار صفاته، إلى المدلولات الدينية والمذهبية والشحنات السياسية التي تحملها العبارات الكتابية المنقوشة عليها والتي تعتبر كل دولة دنانيرها مجالاً لإعلان مذهبها لتخليد أفكارها ويمكن الرجوع إلى كل ذلك في بعض مظانّه الخاصة.

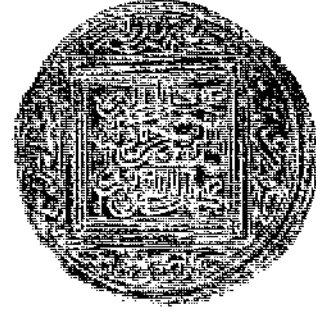
وفي مجال الرواج النقدي عرف الدينار بالمغرب أنظمة وأسماء خاصة في الرواج والحساب تستقي أصولها أحياناً من الخصائص والمعطيات المذكورة آنفاً وتستقيها أحياناً أخرى من عمليات الصرف ونظام التداول. من هذه الأنظمة أن الدينار يشكل وحدة أساسية مبنية على القاعدة الذهبية، حسب الشريعة الإسلامية التي تعتبر الذهب القاعدة النقدية الأساسية في كل المعاملات، وقد استمرت هذه القاعدة منذ العهد المرابطي والموحدي إلى



**دينياً** ويكتب الدينياً أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Denia وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1180 / 1767.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 688.

محمد ابن عزوز حكيم



دينار مريني ضرب بأزمور

## دينية (أسرة رباطية) ← دينية

ابن **ديهاج**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الخلوط، وقد انقرضت بهذه المدينة.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 240.

محمد ابن عزوز حكيم

**ديودور** Diodore ملك أشار بلوترخوس إلى انتصاته لناحية طنجة في غابر الزمان Plutarque, Sertorius. وردت هذه الإشارة عند الكاتب المذكور بمناسبة حديثه عن التدخل العسكري للقائد الروماني Sertorius في شمال موريطانية قادمًا إليها من إسبانيا، وذلك حوالي سنة 82.

أفاد الكاتب أن القائد الروماني المذكور جاء إلى موريطانية لمساعدة الثوار الموريين الذين انتفضوا ضد الملك أسكاليس Ascalis، في طنجة وناحيتها. وفي هذا السياق شاء الكاتب أن يستطرد في حديثه لإثارة أمجاد الملك يوبا الثاني الذي سبق له أن حكم هذه البلاد. وهكذا ساق رواية تتعلق بالملك الأسطوري أنتايوس Antaeus، فأكد أنه دفن في ناحية طنجة، وأن سرطوبوس فتح قبره للتأكد مما يحكيه السكان حول طول قامته، فتبين للشخص المذكور أن جثة أنتايوس تقدر فعلاً بستين ذراعاً.

ثم أورد الكاتب الإشارة التي تتضمن الملك ديودور قائلاً: "يحكي أهل طنجة أنه بعد وفاة أنتايوس، اقترنت زوجته تنكي Tingé بهرقل. ثم أنجبا ولداً يدعى صوفاكس Sophax. ولما صار هذا الأخير ملكاً، أطلق اسم والدته على المدينة. ويضيف السكان أن ولد صوفاكس المدعو ديودور قد تمكن من السيطرة على عدة شعوب في ليبيا، بواسطة جيش يتكسون من الألبانيين Olbiens والموكسينيين Mucéniens، وقد أتى هؤلاء مع هرقل إلى هذه البلاد. وإني أسوق هذا الحديث تكرماً ليوبا. إنه أكبر المؤرخين من بين الملوك. وهو الذي يقال إن أجداده انحدروا من صوفاكس وديودور".

امتد هذا النظام من العصر السعدي إلى العصر العلوي حتى نهاية القرن الثالث عشر (19 م) فكان هذا التعدد في أوزان الدينانير وقياماتها يثبت وجود تعدد في صرفها، ولكل دينار أنصاف وأرباع وغيرها من الأجزاء، وقد كانت عمليات الصرف تمارس بأجزاء تلك الدينانير أو بعدد من الدراهم الفضية المعادلة لها. وكان التجار والصارفة والفقهاء ممن يتقنون حسابات هذا الصرف، وخاصة عند إجراء المعاملات التي تحتاج في ضبطها إلى كتابة العقود والرسوم مما كان الناس يرجعون إليه حتى بعد انقطاع التعامل بالدينار لفض النزاعات الموروثة.

الكرملي أنسطاس، النقود العربية والإسلامية وعلم النميات، ط 2، القاهرة، 1987؛ حلاق حسان علي، تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، بيروت، 1978؛ حول تاريخ النقود المغربية في عهد المرابطين والمرجدين والمرينيين، مجلة كلية الآداب، الرباط، عدد 23 سنة 1999، ص. 109 - 230؛ مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر، أكادير، 1988؛ النقود المغربية في القرن الثامن عشر، الدار البيضاء، 1993؛ ملامح من تطور الخط المغربي من خلال الكتابة على النقود، مجلة كلية الآداب بالرباط، عدد 18 سنة 1993؛ ابن الرقعة نجم الدين الأنصاري، الإيضاح والتبيان في معرفة الكيال والميزان، دمشق، 1980؛ ع. الكرسيفي، رسالة في تحرير السكك المغربية في القرون الأخيرة، ملحق كتاب النقود المغربية في القرن الثامن عشر؛ رسالة في تحقيق أوزان النقود بسوس، ملحق كتاب النقود المغربية في القرن الثامن عشر؛ ابن جزي، القوانين الفقهية، الرباط، 1962؛ لومبا وصوريس، الإسلام في مجده الأول، تر. إسماعيل العربي، الدار البيضاء، 1990.

Banque du Maroc, *Caractéristiques des monnaies marocaines en argent frappées entre 1881 - 1920* (roméotypé) ; Sidbon, Beyda B., *La question monétaire au Maroc*, Paris, 1921 ; Michaux Bellaire, *Les crises monétaires au Maroc*, R. M, M vol. 38, mars 1920 ; Marty J. André, *Le franc marocain*, Paris, 1951 ; D. Eustache, *Corpus des monnaies alawites*, Rabat, 1884 ; *Corpus des Dirhams Idrisites et contemporains*, Rabat, 1970 ; *Etudes numismatiques et de metrologie musulmanes H. T.* vol. 10, fasc. 1 - 2, 1969 ; *Histoire de la monnaie arabe et sa metrologie*, Rabat, 1970 (roneotype) ; J.D. Brethes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, Casablanca, 1939 ; H. Lavoix, *Catalogues de monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale*, Paris, 1891, T. II, III.

عمر أفا

وأهم ما يعكبه هذا النص هو العلاقة الراسخة في القدم بين بلاد الموريين والعالم الاغريقي قبل العهد الفنيقي. وهو موضوع مازال لم يحظ بالعناية اللازمة.

والملاحظ أن ديودور اسم إغريقي، اشتهر به مؤرخ عاش في القرن الأخير قبل الميلاد يدعى ديودور الصقلي.

م. المجدوب، دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد، أطروحة لنيل دكتوراة الدولة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، المحمدية، 1998. مرقونة : نفسه أعضاء حول تاريخ المغرب قبل العهد الفنيقي، النشرة الأثرية المغربية، العدد، 20، تحت الطبع.

محمد مجدوب

### ديور (Diur ou Diour) نهر وجبل هر أحد أنهار

موريطانيا الطنجية يحدد بطليموس مصبه عند خط عرض 40 31 وخط طول 720، بين نهر إسبان (أم الربيع) في الشمال وجبل الشمس في الجنوب (أي رأس كانتان).

لكن لا يوجد أي نهر بين أم الربيع ورأس كانتان، بل نجد فقط عدداً من السنجات الممتدة على طول الشاطئ والمفتحة على البحر إلا أن مياهها غير راكدة الشيء الذي يظفي عليها مظهر مجرى مائي وهذا ما يفسر ارتباط اسم بوطا موسى بنهر ديور.

إن الباحثين Vivien de St. Martin و Tissot متفقان على مطابقة ديور بوطاموسى بضاية الوليدية والتي تسميها أيضاً ضاية Ivor وهذه الأخيرة تتطابق بشكل جيد مع ديور الذي يتحدث عنه بطليموس.

أما ديور الجبل فيحدد بطليموس إحداثياته فقط : 34 خط طول و830 خط عرض.

R. Roget, PSAM, 1938, p. 36 ; O. Mac Carthy, Lexique de géographie comparée de l'ancienne Afrique, R. A. 1887.

عبد العزيز بل الفايدة

### ابن ديوران، محمد بن أحمد بن ديوران الغالمي

السهلي أحد قواد فرقة السهول من قبيلة بني حسن، ويقع تراب السهول في الجنوب الشرقي لمدينة سلا. ويظهر من نسبه أنه زعري من بطن الغوالم، ربما انتقل أجداده من زعير من قديم إلى السهول. وتدعوه الوثائق المغربية : محمد بن أحمد السهلي فقط.

تولى على إخوانه نحواً من عشر سنوات. ففي سنة 1303 / 1885 وجه إليه المخزن طابع القيادة، وكان سنة 1311 / 1894 لا يزال عاملاً على طرف من السهول.

م. بوشعراء، قبيلة بني حسن، 1860 - 1912، خطوط : الوثائق الملكية : وثائق بنسعيد.

مصطفى بوشعراء

**الديوري**، أسرة فاسية أصلها من السوس الأقصى أطلع مؤلف كتاب رفع الالتباس على وثيقة تذكرهم في فاس مؤرخة بعام أربعة وثمانين ألف. قال : "وإدعى بعضهم في هذه الأزمان الشرف وأفتى علماء الوقت ببطلته ... ودار الديوري الكبرى كانت بدرب بورجوع حُبساً على بعضهم وقد صارت الآن بناءً".  
ع. السلام ابن سودة، رفع الالتباس، مرقون.

### الديوري، محمد بن أحمد الفاسي ثم القنيطري ولد

بفاس سنة 1314 / 1895 وبها تلقى تعليمه حتى حصل على شهادة الدروس الثانوية سنة 1918، وعين في نفس السنة أميناً للصندوق بالبنك "كريدي فونصسي"، ثم انتقل إلى مدينة القنيطرة سنة 1922 للأشتغال بالتجارة ولم تكد تصل سنة 1930 حتى أصبح من كبار تجار المدينة. وبموازاة مع فو ثروته عرف وعيه الوطني كذلك نمواً سريعاً، فانتقل إلى مقدمة الأحداث التاريخية فمدينة القنيطرة.



وأخذ يعد العدة لالتخراط في انصار الوطني بعدما هياً لذلك الظروف المادية وحتى الفكرية حيث إن زوجته المغربية الأصل والتي استغلت إقامة أسرتها بالسينغال للحصول على الجنسية الفرنسية الشيء الذي هياً لها الظروف لإدارة جريدة بالفرنسية بإيعاز من زوجها محمد الديوري وكانت لسان الحركة الوطنية الناشئة.

ومنذ صدور الظهير البربري (16 ماي 1930) شرع محمد الديوري في نشر الوعي بين ساكنة القنيطرة متخذاً الزاوية التجانية مركزاً لعمله التنظيمي، وظهرت نتائج هذا العمل يوم 16 ماي 1933 بمناسبة الذكرى الثالثة لإعلان الظهير البربري، إذ دعا الديوري إلى تنظيم مظاهرة احتجاجية، انطلقت من رحاب الزاوية التجانية، وبموازاة مع هذه المظاهرة التي عرفت إقبالا جماهيريا كبيرا، دعا محمد الديوري التجار والحرفيين لإغلاق السدكاكين فاستجابوا لندائه، بالرغم من تهديدات باشا المدينة وسلطات الحماية، ويمكن اعتبار 16 ماي 1933 تاريخ ميلاد الحركة الوطنية بمدينة القنيطرة بشكل عملي وعلني.

كان محمد الديوري من الأعضاء المشاركين في "كتلة العمل الوطني" وساهم في تحرير وتقديم المطالب الإصلاحية للإدارة الفرنسية سنة 1934. كما شارك في نفس السنة وفد مدينة القنيطرة الذي قدم عريضة احتجاج للمقيم العام وللسلطان، ضد تصرفات سلطات الحماية التي رفضت السماح ببناء مسجد بمدينة القنيطرة فلقبت العريضة صدى واسعاً ونشر مضمونها يوم 5 أبريل 1934 في جريدة "الحياة" التي كانت يصدرها بتطوان عبد الخالق الطريس.

واتجه الديوري كذلك إلى التعليم - وذلك لعلمه بدور حركة المدارس الحرة التي عرفت نهضة في مختلف المدن في نشر الوعي الوطني - ولهذا قام رفقة بعض تجار المدينة أمثال سيدي مشيش العلمي والجيلالي بناني - بإنشاء مدرسة أطلق عليها "مدرسة الوطنيين" أو مدرسة سيدي يوشى نسبة إلى مديرها الأول أبي الشتاء الجامعي فساهمت هذه المدرسة على امتداد السنوات اللاحقة في تكوين جيل من الوطنيين، لعبوا دوراً طلائعياً في الحركة الوطنية بالمدينة وكان من أبرزهم السيد أحمد الدمناتي بوفلوس.

وتميزت سنة 1937 باشتداد الخناق على الحركة الوطنية بعد رفض الاستعمار للمطالب الإصلاحية والأحداث الدامية التي عرفتها مدينة مكناس على إثر تحويل مياه وادي بوفكران لصالح المعمرين. واقتداءً بجميع المدن المغربية دعا محمد الديوري في أواخر أكتوبر 1937 إلى مظاهرة كبرى انطلقت من رحاب الزاوية التيجانية بعد الاستماع إلى خطبة حماسية ألقاها محمد الديوري، فواجهتها سلطات الحماية بعنف وتم إغلاق مدرسة الوطنيين والزاوية التيجانية، كما تم اعتقال الوطنيين بالمدينة ومنهم محمد الديوري وأبو الشتاء الجامعي والفقير محمد براءة وأحمد بندلة الإدريسي والجيلالي بناني والصدیق الكنيسي بحيث بلغ عدد المعتقلين حوالي 72 معتقلاً، حكم عليهم بالأعمال الشاقة، ونقلوا إلى الريش ثم إلى غلميمة. وعند خروج الديوري من السجن نُفي إلى مدينة الصويرة سنة 1939 ثم أُطلق سراحه فيما بعد. وكان من الموقعين على عريضة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944.

وفي سنة 1946 أشرف على تكوين مدرسة التقدم بالقنيطرة. لتقوم مقام مدرسة الوطنيين كما شجع تكوين الجمعيات الرياضية والكشافية لتأطير الشباب، بالإضافة إلى تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية لتقديم المساعدات للمحتاجين واليتامى.

وقد نفي محمد الديوري مرة أخرى إلى أيت أورير بضواحي مراكش وبقي هناك بعيداً عن أهله وأسرته حتى سنة 1953 حيث نقلت أخبار وفاته في ظروف غامضة وذلك يوم الثلاثاء 19 محرم 1373 / 28 شتنبر 1953 ومنعت

السلطات الفرنسية دفنه بالقنيطرة حيث توجد أسرته. فنقل إلى فاس وفيها دفن بمقبرة القباب خارج باب الفتوح.

ق. الزهيري، محمد الخامس الملك البطل، مطبعة أگدال، 1984 ؛  
م. مشيش العلمي، القنيطرة ميلاد المدينة والحركة الوطنية، 1913 -  
1937، دار البيوكلي للطبع والنشر، 1998 ؛ ح. بوعبياد، الحركة الوطنية والظهير البربري، الدار البيضاء، 1979 ؛ وثيقة المطالبة بالاستقلال 11 يناير، 1944، منشورات الندوة السامية لقدماء المقاومين، وأعضاء جيش التحرير، 1996 ؛ ع. القادر بوراس، مداخلة في ندوة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة حول الحركة الوطنية، أبريل، 1998 ؛ أ. الدمناتي بوفلوس، محاضرة خلال اليوم الدراسي حول المقاومة جريدة القنطرة، العدد، 14، 1996 ؛ أعمال الندوة : القنيطرة في أفق سنة 2000، مطبعة دار البيوكلي، 1994.

C. A. Juline, *Le Maroc face aux impérialismes*, Paris, 1978.

عبد القادر بوراس

**ديوس (Dyos)** النهر يحدد بطليموس مصبه جنوب سلا وبالتالي فهو يطابق المجرى المائي الذي يصب ترب فضالة ويحمل اليوم اسم وادي المالح أو وادي القنطرة وما ثبت ذلك هي إشارة بطليموس إلى جزيرة باينا التي تمت مطابقتها بفضالة وإذا كانت الخرائط الحديثة لم تتحدث عن هذه الجزيرة فلأن مدينة فضالة (المحمدية) قد غطت آثارها وأثار الجزر المجاورة.

أن وادي المالح أو ديوس عند القدماء، يصب في منطقة غمرتها مستنقعات وهي تشكل ربما ما تبقى من ميناء مغمور كان يوجد بين الفصبة وجزر فضالة.

Schmidt, *La plus ancienne carte géographique du Maroc* ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Tingitane*, Paris, 1978 ; Mc. Carthy, R. A, 1887.

عبد العزيز بلفاية

**دِيوسَدَادُو إي كاستيُو، خوسي** José Diosdado

y Castillo أحد الديبلوماسيين الأسبانيين كان سنة 1871 وقبلها معيناً للقنصل الإسباني بطنجة ميري إي كولوم F. de P. Merry y Colom. وبعد عزل إدواردوروميا يانغوس E. Roméa Yangos عن القنصلية العامة بطنجة حوالي 1878 عين ديوسدادو مكانه، ورفي بعد ذلك إلى رتبة وزير مقيم. ومكث في منصبه نحو العشر سنوات إلى أن عين سنة 1889 سفيراً بالسويد. غير أنه يعد سنتين طلب الإعفاء من منصبه بالسويد وطلب "الرجوع للخدمة بطنجة" حيث كانت له عرصة بها، فالتمس "الانعام عليه بِطَرْيْفٍ من مرسان ليكمل استواء جهة من عرصته. وهذا الطريف تافه الاضرار فيه على الطريق" حسبما جاء في رسالة

السلطان إلى الطريس سنة 1308 / 1891 ، وأذن السلطان له في ذلك إن لم يكن فيه ضرر على الطريق.  
كانت سياسته معتدلة، وتولى منصبه في وقت كان المغرب وإسبانيا يبحثان عن التفاهم والوثام.  
وقد خلفه سنة 1889 فرانسيسكو رفائيل فيغيرة F.R. Figuera.

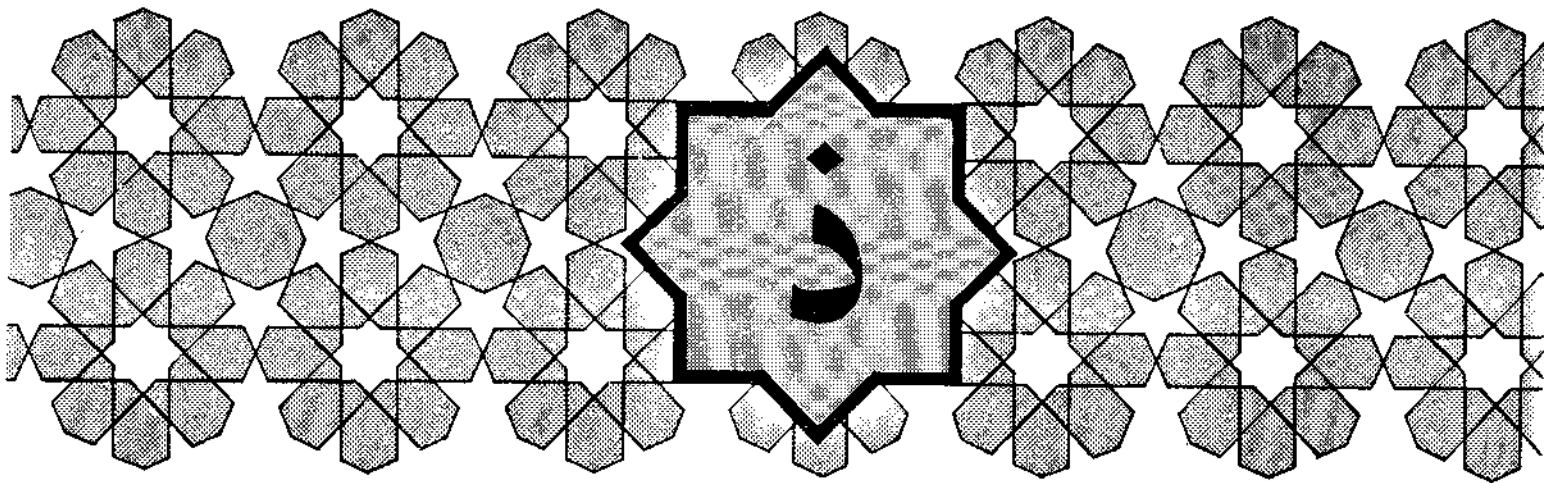
م. بوشعراء، الاستيطان والحماية بالمغرب، ج 2، ص. 552 - 554 ؛  
وثائق مكتبة تطوان ؛ الوثائق الملكية.

مصطفى بوشعراء

**دياز**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Diez وDiaz ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 686.

محمد ابن عزوز حكيم





لا يتعدى طول الذبابة 0.5 سنتيمتر والجسم خفيف غاية الخفة حيث إن ألف ذبابة تزن حوالي 20 غراما. وللذبابة ثلاث زوجات من الأرجل ذات مفاصل تخرج من أسفل الصدر، ويكل رجل مخلبان ووسادتان تفرزان سائلا لزجا يساعد الذبابة على التعلق وعلى المشي بأي سطح كان. فهي تمشي على الأرض وتمشي على زجاج النوافذ وعلى الجدران وظهرها رأسي، وتمشي على السقف وظهرها إلى أسفل.

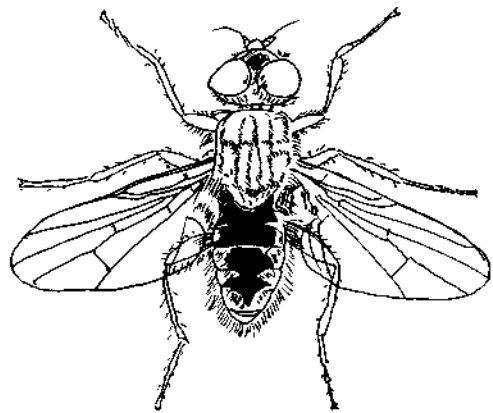
فم الذبابة من الصنف اللاعق الماص وتتكون أعضاؤه من خرطوم إسفنجي قصير. تنتقل الذبابة بسرعة وتحط باستمرار على جثث الحيوانات وفضلاتها وعلى الأزبال والقاذورات فتشحن على شعيراتها كمية كبيرة من الجراثيم والميكروبات ثم تحط على وجه الانسان وعلى أغذيته كاللحم والحليب والسكر والخبز وغيرها مما ينتج عنه نقل أمراض عديدة كالرمد والإسهال والتفرييد وغيرها. يمتص ويلعق الذباب المواد السائلة الناجمة عن تفسخ المواد الغذائية وتحللها، فإذا صادف طعاما صلبا صب عليه من ريقه فيذوب وبعد ذلك يمتصه. وذبابة المنزل لا تعض إذ ليس في فمها شيء متهيئ لهذا.

للذبابة عينان كبيرتان تملآن الرأس، وهما من النوع المركب تشتملان على عدسات كثيرة وبين هاتين العينين ثلاث أعين صغيرة. كما أن الجسم ينقسم إلى رأس وصدر ويطن. تكسو الجسم شعيرات عديدة لا ترى بالعين المجردة. كثيراً ما تجمع هذه الشعيرات كمية كبيرة من الجراثيم والميكروبات مصدرها البيئات القذرة وفضلات الإنسان والحيوان.

يختفي الذباب شتاء وكلما برد الجو ولا يبقى منه إلا القليل، ينام نومة الشتاء فإذا ما حل الصيف استيقظ ليتم دورته الحسوية. يتوالد الذباب طوال فصل الصيف ويضع البيض في الأماكن الرطبة وهو بيض في شكل بذور

**الذباب** ويسمى بالفرنسية Mouche وبالانجليزية Fly وفي المعاجم ذبابة، ويطلق عليه في أغلب مناطق المغرب العربي اسم "ذبابة"، وهي حيوانات من اللافقريات تصنف إلى طائفة الحشرات Insectes ورتبة مزدوجات الأجنحة أو ذوات الجناحين Diptera ومن فصيلة الذبائيات Muscida التي تتكون من 31 جنسا و76 نوعا في المغرب. نذكر من بينها الأنواع الشائعة : Musca domestica وهي الذبابة الأهلية و Musca sorbens, Musca vitripennis, Musca stabulans.

وتشمل الذباب أيضاً عدة فصيلات من الحشرات المزدوجات الجناحين نذكر من بينها Musidoridae, Oestridae, Dixidae, Cecidomyidae, Drosophilidae الجناحان الأماميان عند الذباب مكونان من غشاء رقيق وشفاف تتخلله خطوط يعتمد عليها في تصنيف الأنواع. الجناحان الخلفيان تحولاً إلى عضو التوازن Balancier. يتشكل الهيكل الخارجي لأنواع الذباب أشكالاً وأحجاماً عديدة كما أن الألوان تختلف من نوع لآخر فنجد منها الأسود والأخضر والأزرق والأبيض وغير ذلك.



إن الموطن الأصلي للذرة هي الأراضي المنخفضة الحارة من جنوب أمريكا. ومنها انتشرت إلى الشمال والجنوب. عرفت زراعتها قبل عهد الأنكا في بيرو، وتطورت في عهد المايا والأستك. وزرعت من طرف الهند في جنوب الولايات المتحدة في حدودها الحالية منذ ألفي سنة قبل الميلاد. وقبل أن تنتقل الذرة إلى العالم القديم من طرف الأوربيين بعد اكتشافهم لأمريكا كانت زراعتها قد امتدت امتداداً كبيراً ما بين البحيرات العظمى ووادي سانت لوران شمالاً، والشيلي والأرجنتين جنوباً.

وقد انتشرت الذرة حالياً في جميع أنحاء العالم. واستتبطت أصناف عديدة لا يوجد منها بالمغرب إلا العدد القليل.

تزرع الذرة في المغرب بورية في المناطق البيومناخية الرطبة جداً والرطبة وشبه الرطبة وشبه الجافة، ومسقية في البيومناخات أكثر جفافاً أو في السنوات القليلة الأمطار. وأفضل تربة هي الخصب الهشة. الطبيعية، جيدة الصرف كالتربة النرسية والحمرية المصادفة بالسهول والهضاب الغربية، حيث تطورت زراعة الذرة بفضل التقنيات الحديثة كالأذرة المحورية المستعملة للري من طرف بعض الفلاحين في الشاوية والحوز حيث يبلغ إنتاج بعضهم 80 قنطاراً من حبوب الذرة في الهكتار الواحد.

أهم استعمالات الذرة بالمغرب هي استخدامها كغذاء للحيوانات المستأنسة مثل الخيول والأبقار والأغنام والدواجن. كما يستعمل النبات كذلك كعلف أخضر أو جافاً أو مكوراً.

أما استعمالها كغذاء للإنسان في المغرب فهو ينحصر في شوي القولحة (أو الكبال بالعامية المغربية) التي يتم قليها بماء مالح قبل تناول حبوبها المشوية. وقد انتشرت هذه الظاهرة في السنوات الأخيرة إذ غزت الأسواق والشوارع وبعض المحاور الطرقية.

كما تستعمل كميات قليلة نسبياً من ذرة الفشار لصنع البوب كورن Pop corn الذي يستهلكه الإنسان في منزله أو في الحدائق والمنزهات والشوارع.

والجدير بالذكر أن الذرة لا تستعمل في المغرب لصناعة الخبز إلا استثنائياً لأن هذا الخبز سهل التفتت جداً وذلك نظراً لغياب الكلوئين.

أبحاث شخصية : أثبت هيل : النبات الاقتصادي، 1962 تر. د. ع زاهر وآخرين، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة.

عبد الملك بنعبيد

\* \* زراعة الذرة قديمة بآلاف السنين. يرجع أصلها لجهات ما بين المكسيك والأراضي العالية في البيرو وبوليفيا. وقد دخلت إسبانيا عبر رحلات كريستوبال كولومب في 1519 وانتشرت في مجالات واسعة من أوربا وشمال إفريقيا، حيث وصلت المغرب في أواخر القرن السادس عشر.

القمح. تبيض الأثنى في المرة الواحدة حوالي 150 بيضة وقد يبلغ عدد البيض خلال شهر واحد 2000 بيضة للأثنى الواحدة. يتم تفقيس البيض بعد عشرين ساعة من وضعه تخرج منه الدودة التي تتغذى على القاذورات طوال خمسة أيام ثم تتحول إلى عروس تمتنع عن الأكل لمدة خمسة أيام أخرى، وبعد ذلك تتحول إلى ذبابة كاملة بالغة تبيض بدورها بعد أسبوعين وتعمر حوالي شهرين.

الذبابة الأهلية أو البيتية تسمى علمياً *Musca domestica* وتسمى بالانجليزية *Housefly* وهي منتشرة في مختلف مناطق العالم وخاصة منها المناطق الحارة والمعتدلة الحرارة.

الذبابة السوداء أو ذبابة الحبوب تسمى علمياً *Phorbia securis* شائعة في المناطق الزراعية. تضع الإناث بويضاتها على جذور نباتات القمح والشعير والخرطال وتعيش اليرقات بداخل سيقان هذه النباتات مما يجعلها تخلف أضراراً بالمنتجات الفلاحية.

ذبابة الثمار أو ذبابة الزيتون *Dacus oleae* هي ذبابة تتطفل يرقاتها على عدة أنواع من الأشجار المثمرة وخاصة منها ثمار الزيتون. ولهذه الذبابة ثلاثة أجيال في السنة، اثنان يعيشان على ثمار الزيتون قبل نضجها، بينما يعيش الجيل الثالث بداخل الثمار السوداء الناضجة. وهذا النوع من الذباب شائع في مناطق الحوز ويني ملال وسهول المغرب وسائس وسهول تريفية وغيرها من المناطق المشجرة بالزيتون، كما أنها شائعة أيضاً في مناطق حوض البحر المتوسط. تخلف هذه الذبابة خسائر فادحة في منتجات ثمار الزيتون مما يجعل المزارعين يستعملون عدة مواد سامة لمحاربتها.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 : أ. العلوف، معجم الحيوان، القاهرة، 1932.

A. Maarouf et M. Ramdani, Sur la mouche noire des céréales au Maroc : *Phorbia securis* Tiensuu (Diptera Anthomyiidae), *L'Entomologiste* (14).

محمد خربوعة ومحمد رضاني

## الذرة (نبات -) بالعربية أو الدرّي بالعامية المغربية

هو نبات زماميس *Zea mais* الذي ينتمي إلى فصيلة النجيليات *Graminae* أو *Poaceae*.

إنه نبات حولي حشيشي لكنه يعتبر أكبر الحبوب النجيلية إذ يتراوح ارتفاعه ما بين متر واحد وأربعة أمتار. ساقه مقسم إلى عقد. أوراقه كبيرة وذات حواف متموجة. أزهاره ثنائية المسكن : المذكرة على شكل عثكول يوجد بأعلى الساق، الأنثوية تصادف على القولحة أو الكوز وتحميها الأوراق في مستوى سفلي على الساق. لكل مبيض قلم زغبي طويل وحريري، تكون في مجموعها شراية حريرية ناعمة. تيبس بعد نضج القولحة.



تحتل الذرة المرتبة الثالثة من ضمن أهم الحبوب في العالم بعد القمح والأرز. وهي كذلك بالمغرب في الترتيب الثالث بعد القمح والشعير، بحوالي 350.000 هكتار، تتوزع خاصة بالأقاليم شبه الجافة على الشكل التالي :

جدول الأراضي المنزرعة بالذرة (بالآلاف الهكتار)

سنة	95. 1994	96. 1995	97. 1996	98. 1997	99. 1998
ملاحظة	35.4	20.5	25.9	21.9	24.2
متوسطة	186.6	98.7	149.6	119.0	140.1
ضعيفة - جنوبية	153.7	120.5	154.3	158.9	162.9
ضعيفة - شرقية	1.3	1.5	2.7	1.4	0.9
جبلية	2.5	3.2	0.6	1.5	0.4
صحراوية	7.9	9.1	7.8	5.7	0.5
المجموع	387.4	253.5	340.9	309.4	331.0

وقد حصل تراجع بالأراضي المنزرعة بالذرة مقارنة بسنة 1979 حيث بلغت المساحة الإجمالية 461.000 هكتار. معدل المردودية ضعيف جداً، يتراوح بين 1.3 و 11 قنطار/ هكتار. وتعود التفاوتات الكبيرة أساساً إلى الخصائص المائية، واستعمال الأصناف المحلية وضعف مستوى التقنيات الزراعية الراجحة.

جدول مردودية (قنطار / هكتار وإنتاج الفرة (ألف قنطار)

سنة	95. 1994	96. 1995	97. 1996	98. 1997	99. 1998
ملاحظة	1.7	8.6	10.5	10.2	7.3
متوسطة	0.9	11.1	13.1	6.4	4.9
ضعيفة - جنوبية	0.9	7.5	9.0	5.6	2.8
ضعيفة - شرقية	7.8	10.3	10.3	27.7	-
جبلية	9.3	10.4	10.5	19.5	4.0
صحراوية	12.1	14.2	11.0	13.7	11.8
المجموع	1.3	9.3	11.0	6.5	4.1

على العموم، يمكن الحصول على بيئة زرع مواتية بواسطة الحرث العميق خلال فصل الشتاء أو مباشرة قبل البذر المتبوع بعملية أو عمليتين للقلب وحركة تمسيط للأرض في حالة الزرع العابر للذرة، بعد القمح مثلاً، يُطلب شحب الأرض قبل الحرث.

2. 2 - التنظير. لأجل الوقاية من اعتداءات الديدان الرمادية والسلكية وبقرات الظلاميات يكون لزاماً معالجة

الإنتاج الوطني متفاوت جداً، بين 05 و 37 مليون قنطار. وهو مخصص أساساً للاستهلاك الداخلي. لكن الحاجيات في تغذية الماشية مستمرة التزايد حيث مرت من 35.000 قنطار سنة 1971 إلى 1290.000 قنطار في 1979. أما صناعات الذرة ومشتقاتها فإنها تجد صعوبات في التزود.

لذا فقد تحول المغرب من مُصدر للذرة إلى مستورد لها مع تزايد في حدة النقص يستفحل في سنوات ضعف

التربة بواسطة الألدن بمقدار كيلو غرام واحد في الهكتار قرابة شهر قبل البذر.

3 - التخصيب. تخصيب الأرض أمر ضروري من أجل الحصول على نمو عادي للذرة لأنها شديدة الطلب للمواد المغذية. ويأخذ التخصيب في الاعتبار :

- الصنف
- السابق الزراعي
- النظام الزراعي بين البور والمسقي
- المردودية المتوقعة

في حال الأتربة التي تُعاني من خصائص في الضروريات، يكون من الضروري تقديم تسميد التصحيح للرفع من المردودية. يُطَمَّر مع الحرث السماد العضوي إذا أمكن والسماد الفوسفاتي البوطاسي، أخذاً في الاعتبار المقاييس التالية :

- التسميد العضوي : 20 إلى 30 طن / هكتار في الأتربة الرملية. 10 إلى 20 طن / هكتار في الأتربة الثقيلة.

4 - اختيار الصنف. يتماشى اختيار الصنف مع نوع الزراعة بين بورية ومسقية، وتاريخ البذر وطبيعة المنطقة. يقترح المعهد الوطني للبحث الزراعي الوصفة التالية :

- في البور الضعيف : الأضناف المبكرة جداً
- في البور الملائم : هجائن مبكرة جداً
- في المسقي، تُصادف حالتين :
- بذر مارس : هجائن مبكرة، نصف مبكرة ومتأخرة.

بذر الخلسة : هجائن مبكرة جداً.

5 - كثافة الإعمار

ترتبط الكثافة بالصنف ونوع الزراعة.

الصف : (مراجعة الجدول اللاحق) ويلزم بذر الأضناف المتأخرة بكثافة أقل من المبكرة بسبب أهمية نموها النبوتية.

النوع الزراعي : في البور، حيث يُشكل الماء أهم الإكراهات، يُنصح استعمال الأضناف المبكرة المقاومة للجفاف.

#### جدول التسميد المعدني المنصوح به

منطقة	أزوط بالوحدة / هكتار	P <sub>2</sub> O <sub>5</sub> بالوحدة / هكتار	K <sub>2</sub> O بالوحدة / هكتار
شبه جافة : 250 - 400 مم	20 إلى 40 عند البذر	0 إلى 40	0 إلى 30
بور مناسب : أكثر من 400 مم	40 إلى 80	40 إلى 60	30 إلى 50
مسقية	100 إلى 150 (100 للذرة الباكورة و150 للذرة المتأخرة)	60 إلى 80	60 إلى 80

#### جدول الإعمار حسب الانفراج والتباعد

هجائن	زراعة بورية (ساق / هكتار)	زراعة مسقية (ساق / هكتار)
مبكرة	32 إلى 45.000	60 إلى 70.000
نصف مبكرة	37 إلى 35.000	50 إلى 60.000
متأخرة	30 إلى 35.000	45 إلى 50.000

وقد سبق تجريب وتطبيق هذه الكثافات من طرف المحطة المركزية للحبوب الربيعية للمعهد الوطني للبحث الزراعي بالمغرب.

6 - البذر

1.6 - فترة البذر

- في البور، ومن أجل الاستفادة الكاملة من الذخيرة المائية للتربة واتقاء رياح الشرقي، وجب البذر المبكر شريطة أن يزيد معدل حرارة التربة على 8 درجات.

- التسميد المعدني : تقترح تجارب البحث الزراعي

الصيغ التالية :

يُقدم الأزوط عند البذر في صيغة سلفات الأمونيوم وعند التغطية في شكل الأمور نترات أو الأوريا. وبالطبع كلما زاد استعمال السماد العضوي أمكن تقليل جرعات التسميد المعدني بالتناسب.

يتم تقديم الأزوط على مراحل، وتكون المعالجة في الأراضي المسقية ذات التربة الرملية على النمط التالي :

- 1/3 عند البذر

- 1/3 في مرحلة 6 إلى 7 أوراق

- 1/3 قبيل الإزهار

وفي الأتربة الثقيلة (دكالة، الغرب وتادلا)، يأتي

تقديم الأزوط مجزئاً بين 1/3 عند البذر و2/3 في مرحلة 7 إلى 8 أوراق.

- في السقي، بالنسبة لمزروعات الربيع، يكون الأولى هو اعتماد البذر المبكر اتقاء لهجمات السمسية من الجليل الثالث وبخاصة تحسباً للشرقي.

تختلف فترات البذر المقترحة من منطقة إلي أخرى :  
 . ذكالة وسوس ماسة : بداية فبراير.

. تادلاو الغرب وملوية : بداية مارس.

- في زراعة الخلسة، وبالنسبة للذرة العلفية، وجب التبيكير بالبذر ما أمكن، بمجرد الانتهاء من إعداد التربة. وبالنسبة للذرة الحبية، يلزم استيفاء شرطين للحصول على إنتاج مناسب وحيات تتوفر على نسبة رطوبة مقبولة. الأول، تقصير الوقت الفاصل ما أمكن بين نهاية الزراعة السابقة وزراعة الخلسة. والثاني، اختيار صنف مبكر جداً.  
 2.6 - عمق البذر.

على العموم، تودع الحيات في عمق يتراوح بين 3 و5 سنتيمترات، ويزيد العمق إلى 5 أو 6 سنتم في التربة الرملية الخفيفة. مع الإشارة إلى أنه بقدر التبيكير بالبذر حيث تكون التربة ما زالت باردة، بقدر ما يكون عمق البذر ضحلاً.

3.6 - جرعة البذر

يكون مقدار البذور الكافية للهكتار متناسبا مع كثافة الإعمار المرغوب فيها، يوزن 1000 حبة. ويؤخذ في الاعتبار عند احتساب المقادير النسبة المئوية للإنبات والكفاءة التفريخية للبذور - لذا، وجب في الغالب تضخيم الكثافة المرغوب فيها بنسبة 25 إلى 30٪.

مثال هجين مبكر

من زراعة بورية، كثافة الإعمار المطلوبة منه 35.000 شتلة في الهكتار. وترد الألف حبة هو 300غ. يناسب تضخيم العدد النظري بـ 25 إلى 30٪ : 35 000 + 35 000 × (30 / 1000 = 45 000.

مقدار البذور اللازمة للهكتار : (300 × 45 000) / 1000 = 13 650 غ، أي قرابة 14 كلف / الهكتار.

4.6 - طريقة البذر.

يكون البذر خطياً، وينجز باليد أو بالمبذر، بصفة مسطحة أو على جذيرات. ويتحقق البذر بتحديد الانفراج بين الخطوط الذي يمكن أن يكون من فئات 60، 70 أو 80 سم حسب الأدوات المستعملة للبذر أو لإزالة الأعشاب.

جدول الإعمار حسب الانفراج والتباعد

الانفراج بين الشتائل على الخط (سم)	الانفراج بين الخطوط (سم)			
	60 سم	70 سم	80 سم	100 سم
	كثافة الإعمار في الهكتار بالألاف			
10	166.7	142.9	125.0	100.0
15	111.1	85.2	83.3	66.7
20	83.3	71.4	62.5	50.0
25	66.7	57.1	50.5	40.0
30	55.5	57.6	41.7	33.3
35	47.7	40.8	35.7	28.0
40	41.7	35.7	31.2	25.0

ملاحظة : إذا حصل البذر على الأرض المسطحة، يكون من باب الحيلة المحسنة إجراء الدرحة عليها بعيد البذر حيث إن اندكاك التربة يوفر الاتصال الجيد بين الحبة والتربة ويوفر إنباتاً متجانساً.

لكن إن كانت التربة رطبة، بليلة، فلا حاجة إذن للتعديل بالدرحة، بل ولربما أصبحت ضارة.

أما في حال البذر على الجديرات، فإن البذور توضع إلي الثلث من جانب الجدير، مباشرة إلى الأعلى من مستوى السقي، ذلك أن التصاعد الشعري للماء يتولى توفير الرطوبة للبذور.

7 - السقي

تتفاوت حاجيات الذرة من الماء حسب مراحل الدورة الإنبائية. فهي ضعفة من بداية الإنبات إلى مرحلة 6 أو 7 أوراق (اليوم الحسین)، ثم تصبح مهمة بوتيرة متسارعة من مرحلة 6 أو 7 أوراق إلى المرحلة العجينية للحبة. فأني نقص أو خصاص في التزويد المائي بهذه المرحلة المخرجة يمكن أن يسبب هبوطاً في المرودية يصل إلى 60٪ أو يتعداها.

1.7 - وتيرة السقي

يكون السقي على رأس كل عشرة أيام من مرحلة 6 أو 7 أوراق إلى الإزهار، ثم يصبح الإيقاع كل ستة أيام من الإزهار حتى المرحلة العجينية للحبة.

2.7 - احتياطات نافعة

إذا كان المتوفر المائي محدوداً، فمن الأولى تركيز الريات في فترة 10 إلى 15 يوماً قبل الإزهار ومثلها بعد الإزهار.

أما إذا صادف الشرقي فترة الإزهار ذاتها، أصبح من الضروري إذ ذاك تغزير السقي تجنباً لإتلاف الزهور.

8 - إبادة الأعشاب

من الضرورة تحطيم الأعشاب الضارة لأن للذرة حساسية كبيرة إزاءها. وتتم هذه الإبادة إما آلياً كلما دعت الحاجة إلى ذلك، أو بواسطة المبيدات الكيماوية.

9 - مكافحة عوامل التخريب

أخطر أعداء الذرة : السمسية والسواد.

السمسية (Sesamiea monagrioides lef). عندما تبلغ الذرة ست أوراق تقريباً، تُلاحظ على حواشي الأوراق تقوب أحدثتها اليساربع الفتية. بعد ذلك بحين، تظهر أروقة وتجويفات بالساق والسنبلة يمكن العثور بداخلها على اليساربع الوردية الفاتحة، والبراز والتغفات ونفاياتها.

تعتبر السمسية عامل تخريب شائع في مجموع البلاد، يمكن أن تتسبب في حالات الاعتداءات القوية على الذرة الفتية في إتلافات كاسحة يمكن أن تأتي على نسبة من المحصول تتراوح بين 50 و100٪.

يجتاز هذا النوع فترة الإشتاء في وضعه اليرقاني ضمن الحبوب الشتوية وقصب السكر والتجليات البرية. وتعرض دورته الإحيائية التي تفررت أخيراً (1972 - 1978) أربعة

أجيال متراكبة في السنة، بإضافة خاصس ممكن بإقليم الحوز،  
في الغرب، تتوالى انطلاقات البالغين كما يلي :  
الانطلاق الأول : بداية فبراير - نهاية مارس  
الانطلاق الثاني : منتصف ماي - منتصف يونيو  
الانطلاق الثالث : منتصف يوليو - بداية غشت  
الانطلاق الرابع : بداية شتنبر - بداية أكتوبر  
في الحوز، تكون المتواليات على الشكل التالي :  
الانطلاق الأول : منتصف فبراير - منتصف مارس  
الانطلاق الثاني : في يونيو  
الانطلاق الثالث : نهاية يوليو - منتصف غشت  
الانطلاق الرابع : نهاية شتنبر - بداية أكتوبر  
10 - الأصناف المحلية

وهي ضروب تحمل عادة اسم الجهة أو الموقع الذي تزرع فيه جل حياتها من النوع القرني الأصفر. هناك ضروب حياتها قرنية بيضاء، وأخرى حياتها مستننة بيضاء أو صفراء.

من مميزاتهما حسن تكيفهما مع الظروف المناخية، وكفاءتها في مقاومة الطفيليات. لكنها في الغالب تخشى الضجعان وتوفر منتجات محدودة.

هناك ملاحظة هامة يجب الوقوف عندها، مُفادها عدم التوافق بالضرورة بين الإنتاج المحلي والمردودية، ذلك أن المردودية لا تعبر عن الطاقة الكلية للإنتاج إلا في الظروف الزراعية المثلى. وقد دلت تجاربنا على أن مردودية الضروب المحلية يمكن أن تتضاعف مرتين أو ثلاثاً إذا ما تحسنت الظروف الزراعية وبالتالي، فإن بالإمكان الهزم بأن أصنافنا المحلية تعاني من سوء الاستغلال وأن المجهود كل المجهود الذي نحتاج إلى بذله على الصعيد الوطني هو قبل كل شيء تحسين التقنيات الزراعية وتعميم استعمال الأسمدة.

#### 11 - هجائن الذرة

يمثل هجين الذرة نهاية المطاف بالنسبة لمجهود طويلة المدى في الانتخاب والتحسين. وهو يتميز بتجانسه الكبير وقدرته الإنتاجية العالية، لكنها لا تعطي كل إمكاناتها إلا داخل مجالها الزراعي وحين توفير قيادة زراعية جيدة.

11-1 = الهجائن البسيطة : وهي حصيلة سلالتين، إحداهما مستعملة كأصل أنثوي والأخرى كأصل ذكر. مثال : DRA. 350.

11-2 = هجين طوب - كروس (tob - cross) : حصيلة هجين بسيط مستعمل كأصل أنثوي. وضرب محلي مستعمل كأصل ذكر مثال :  $t: \times 21$

11-3 = هجين ثلاثة مسالك : حصيلة هجين بسيط كأصل أنثوي وسلالة كأصل ذكر. مثال : DRA. 560.

11-4 = هجين مثنى : مكون ابتداءً من هجينين بسيطين مثال : DRA. 400.

بالنسبة لوسط معلوم، الهجين البسيط هو الذي يوفر أفضل مردودية. لكن ثمن هذا النوع من الهجائن يفرض

الالتجاء إلى الهجائن الأخرى لأن إنتاج البذور منها أسهل وبالتالي أرخص، ولأن مجال تكيفها أوسع شيئاً ما منه في الهجين البسيط.  
12 - البذور.

في ما يخص الضروب المحلية، يمكن للفلاح أن يخصص للبذر حبات أفضل السنابل من المحصول. وقد استطاع البحث الزراعي أن يضبط تركيب ضروب تأليفية. يمكن اعتبار هذه الضروب ذات البذور المناسبة الأثمان كتحسين أولي للأصناف المحلية.

أما بالنسبة لهجائن الذرة، فإن شراء بذور الهجائن إلزامي كل سنة كشرط للحصول على الهجائن.  
بحث ميداني.

أحمد بوعزيز

### الذرة ← الطاقة النووية

**الذهب**، معدن ثمين وأصل الكلمة لاتيني (أوروم) ؛ وزنه الذري 197.2، نظامه البللوري مكعب، صلابته 2.5 - 3، كثافته 19.3 15.5، رمزه الكيميائي Au ؛ أصفر إلى أصفر مائل للبيضاء عندما يكون ملوثاً بالفضة، ويسمى هذا الفلز إلكتروم إذا ما كانت كمية الفضة تتجاوز 20٪. قليلاً ما نجد الذهب الخالص على شكل مكعب، ولكن غالباً ما يكون إما على شكل إشباعات أو شذور أو تبرات الذهب.

من بين خصائص الذهب الطروقية، اللدانة، قابليته الجيدة لتوصيل الكهرباء، كونه لا يصدأ (لا يوكسد) ولا يتبدل في الأحوال العادية. رغم كثافته، فإن الذهب سهل الانكسار ؛ ولهذا السبب ومن أجل إمكانية استعمال الذهب في الحياة العادية كنفود، أو من أجل الزينة فلا بُد من خلطه بمعادن أخرى أكثر صلابة كالنحاس والفضة، والبلاتين، والنيكل، يستخدم الذهب في الصياغة كعملة للأبنك كما يستخدم في الطب والمحفز.

نجد الذهب في الأركمز المروية الحرمانية المرتبطة بكتل الصخور الصهارية (الا غبل الكرانوديوريت والديوريت) ؛ وكذلك في الصخور الرسوبية الفتاتية، وبعض مناطق الغرين (الرواسب السطحية) والتي يفرز بها الذهب عن ساقى المعادن. تحت عملية القرض الجوي خلال الجرف والنقل، ليؤدي به هذا إلى التجمع.

بالمغرب يتجمع الذهب إلى الفضة، والبيريت، والكالكوبيريت والبلاند والجالينا، والارسينيو بيريت، والنحاس الرمادي، في المناطق الآتية :

+ شمال الأطلس الصغير (سيروا، شرق جبل صفرو، وأوگنات) ؛ تتكون هذه المنطقة من قاعدة تنتمي إلى الحقبة الزمنية المنتهية لما قبل الكامبري الأول والثاني ؛ ومن غلاف ينتمي إلى حقبة لما قبل الكامبري الثالث. ونجد في هذه المنطقة مكان ثبوت جمعة النوحولزي. تتراوح نسبة الذهب في العروق المحصورة في صخور الكرانيت التابع لعهد ما قبل الكامبري العلوي ما بين 10 و20 جراماً للطن.

+ في بوازر، الموجود على بعد 80 كلم جنوب مدينة ورزازات بالأطلس الصغير ؛ يظهر الذهب في حالة تشرب في صخور الديوريت، أو في الشوائب المعدنية من المرو، والكربونات (تعدن عادي من الكوبالت والنيكل) حيث استخراج 50 طناً منذ بداية استغلال المكن.

+ منطقة مولاي بوعزة (المغرب الأوسط الهرسيني) جوار كتلة أعل مولاي بوعزة، في صخور الشيست الجوتلاندي.

+ سفح إغرام لما قبل الكمبري يقع على بعد 130 كلم شرق أگادير ويشتمل على مركزات التبر، المحتوية على حبات ذهب (0.2 إلى 157 جزءاً في المليون من الذهب).

+ سفح عقا لما قبل الكمبري ؛ ويقع هذا الأخير على بعد 260 كلم من أكادير. ومن بين النيات المعيرة (عروق المرو، مناطق السحق والمناطق الصوانية) أبانت بعضها عن محتويات تصل إلى 13 غراماً من الذهب للطن.

+ سفح كردوس لما قبل الكمبري المكون من قاعدة تنتسب إلى البروتيروزوي السفلي المكون من الكرانيت، الميجماتين، النضيد الميكاني ونسق طيني حصبي. وتعلو هذه القاعدة ويتناثر كوارتزيت البروتيروزويك الأوسط، وبعده الصخور البركانية فتاتي للبروتيروزويك العلوي الأخير. ويقطع الكل بأعابيل دخيلة تحقشربة. إن أشهر منطقة متمعدنة في سفح كردوس هي تيبوت، حيث نجد فيها الذهب في مستويات محببة مسلكتة داخل مركبات طبقية نضيدية.

+ سفح تزكا ؛ يوجد هذا الأخير على بعد 45 كلم جنوب غرب مدينة تازا. ويكون سفح تزكا من قاعدة الأودوفيسي ونضيدية بنفسجية إلى خضراء داكنة، يقطعها اعبولان إنداساسيان (تزكا وولجة) ذات حلقات تحولية. بحث ميداني.

عبد الله بوحصاية

**الذهب (سقاية -) مكناس.** أنشأ المولى إسماعيل هذه السقاية على قنطرة دردورة سنة 1101 / 1690، واهتم بها على حد قول ابن زيدان اهتماماً زائداً حتى حبس عليها عدة أوقاف من ربايع وعقار (حوالة 4، ص 214) لإصلاح الماء المجلوب لها واقتفى أثره في التحجيس عليها غير واحد من أئجاله وكبار ولاته.

ع. الرحمن، ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 1، ص. 158 - 159. 162 : المنزح اللطيف، ص. 345 ؛ *حوالة الأحباس الصغرى*، رقم 4، ص. 214.

رقية بلقلم

**الذهبي، أحمد بن إسماعيل بن الشريف العلوي.** لقب بذلك بسبب بسط يده بالعطاء، وكرمه الزائد عن الحد. ويذهب القادري إلى أنه لقب بالذهبي على لقب أحمد

المنصور السعدي، كنيته أبو العباس. (نشر المثاني، 3 : 293). وهو ليس أكبر أبناء السلطان المولى إسماعيل، كما زعم الأمير الإسباني خوصي دوليون (Ch. De la Veronne، 15)، ليبرر بذلك ولايته بعد وفاة والده.

أمة هي عائشة مباركة الرحمانية البربوشية، المرأة التي كان لها نفوذ كبير داخل البلاط الإسماعيلي حتى إن المصادر الأجنبية تدعوها السلطانة زيدانة (م. س : 5).

لا تعرف شيئاً عن مستواه العلمي، لكن يظهر أن بضاعته كانت مزجاة، على عكس أخيه محمد العالم، مثلاً والرسائل الموقعة بيده تدل على ذلك. فهي موجزة جداً، تتخلل أسلوبها العاصية، ولغتها ساقطة (رسائل زاوية كرول). ولعل ذلك قد جاء انعكاساً لسلوكه، حيث اشتهر بالانحلال الخلقي والميل إلى اللهو والعكوف على الملذات.

ورغم ذلك فقد عينه والده واليا على إقليم تادلا سنة 1111 / 1700 ؛ حين وزع أعمال المغرب على أولاده الكهال. فنزل بقصبة تادلا بمعية ثلاثة آلاف جندي. ودامت ولايته بها نحو عشرين سنة (المنزح اللطيف : 229). وإذا كانت المصادر لا تحدثنا عن سيرته في رعايا ذلك الإقليم، فمن المرجح أنه وجد المنطقة مهددة نتيجة السياسة العسكرية المحكمة التي انتهجها والده هنالك. لذلك فمن الممكن أن يكون سكوت الإخباريين دليلاً على الاستقرار الذي عرفته المنطقة في ذلك العهد.

كما أن أحمد الذهبي لم يكن يألو جهداً في مد أواصر العلاقات مع بعض الشخصيات ذات النفوذ هنالك. وتشهد بعض الوثائق على أنه عقد اتصالات مع الشيخ يوسف بن سعيد الحنصالي، فسعى من وراء تلك العلاقة إلى الحد من نزوح أبت عطا إلي السهل (وثائق زاوية كرول).

ولعل الاستقرار الذي نعم به إقليم تادلا في أثناء ولاية أحمد الذهبي، هو ما جعل السلطان المولى إسماعيل يقي عليه في تلك الولاية، في الوقت الذي عزل فيه مختلف أولاده عن الأعمال سنة 1130 / 1718 (الترجمان : 28). ويظهر أن الزباني قد ربط العلاقة بين الإبقاء على أحمد الذهبي في ولايته، دون سائر إخوته، وبين إسناد ولاية العهد إليه.

ورغم أن هذا المؤرخ يصير على أن المولى إسماعيل قد عهد بالخلافة لأحمد الذهبي - اعتماداً عما نقله عن السلطان سليمان - فإننا نستبعد هذا الأمر ؛ ذلك لأن معظم المصادر العربية تجزم بأنه ليس بوصي، وإنما هو صنيعه عبيد البخاري. كما ميل الأسير الانجليزي إلي القول بأن المولى إسماعيل لم يوص لأحد. فقد ذكر أن أحمد الذهبي انتقل إلى مكناس فور علمه بمرض والده. فاستقبله هذا الأخير ببرودة، وأمره بالاعتدال في الحاحه. هنالك حاول إخفاء نواياه، وطمان والده بأنه لا يرغب إلا في رؤيته. لكنه لم يكن صادقاً فقد بذل كل ما في وسعه لتنجية منافسيه، وعمل على استقطاب عدد كبير من عبيد

البخاري، فأدخلهم ليلاً إلى مكناس ليحتلوا بعض المواقع الحساسة في المدينة. واستمال الباشا مساهل الذي كان من كبار ضباط الجيش فتولى كبر ذلك (T. Pellow, 139).

وهكذا ما أن لفظ المولى إسماعيل آخر أنفاسه في يوم السبت 28 رجب 1139 / 21 مارس 1727 ؛ حتى قام الباشا مساهل بتسليم مفاتيح المدينة لأحمد الذهبي الذي هب على التو، لاحتلال دار المخزن (البستان الظريف، 189).

وبناء على ذلك يبدو من المستبعد أن يكون المولى إسماعيل قد عهد بالخلافة لأحمد الذهبي. نستوضح ذلك من خلال عدة قرائن نجملها فيما يلي :

أ - أن أحمد الذهبي كان ضعيف الشخصية، غارقاً في شهواته، طافحاً على الدوام، فكيف يرشحه والده لتولي أمور الناس مع علمه بأنه "لم يكن ينفع حتى نفسه لعدم صحوه" ؟ (الإعلام، 2 : 369).

ب - اتفاق كل المصادر العربية - باستثناء الزباني - والأعجمية على كون المولى إسماعيل لم يوص لأحد من أبنائه بولاية العهد.

ج - أن التناقض الذي وقع فيه يبللر لا يقلل من قيمة القرينة السابقة. فقد قرر أن أحمد الذهبي هو ولي العهد، ثم أشار بعد ذلك إلى أنه قد بادر إلى مطالبة والده - وبالطبع شديد - بالعهد إليه. ومن أجل انتزاع ولاية العهد انتقل من تادالا إلى مكناس على وجه السرعة، لما علم بمرض والده. هذا علاوة على التدابير التي اتخذها لإبعاد منافسيه، المولى عبد الملك والمولى عبد الله، والمكر الذي سلكه للسيطرة على السلطة بواسطة الباشا مساهل (Pellow, 138 - 139).

د - أن أعوان الباشا مساهل هم الذين أشاعوا بأن المولى إسماعيل قد عهد بالخلافة إلى أحمد الذهبي، حتى لا تتشرف نفوس إخوته لمنازعته الملك، ويحظى بالمشروعية لدى الجميع.

ومهما يكن فإن المولى إسماعيل لم يوص لأحد من أبنائه. رغم أنه استشار بعض العلماء، اقتناعاً منه بعدم كفاءة أي واحد منهم ؛ وأن أحمد الذهبي هو الذي يبيع سلطاناً من بعده من قبل جيش العبيد أولاً، ثم الأودايا وسائر قبائل الجيش بعد ذلك. وحذا حذوهم خاصة الناس وعامتهم في سائر الآفاق. فترادفت على أبواب مكناس الوفود حاملة بيعاتها. ويُجمل ابن زيدان الكيفية التي تمت بها بيعة أحمد الذهبي قائلاً : "أشاعوا [أي عبيد البخاري] أن والده عهد إليه كي لا تتشرف نفوس إخوته لمنارعتهم الأمر واختلقوا له طابعاً باسمه، وكتبوا عدة مكاتب لسائر البقاع المغربية وطبعوها بطابعه مظهرين أن والده عهد إليه بالخلافة من بعده" (الإتحاف، 1 : 266).

والملاحظ أن سكان فاس قد تخلفوا بضعة أيام عن بيعته لأنهم كانوا قد فتكوا بالقائد أبي علي الروسي وجماعة من أصحابه. فأوجسوا في أنفسهم خيفة من كيد

السلطان ( زهر الأكم : 204، نشر الثاني، 3 : 297 ). لكنهم سرعان ما بعثوا إليه ببيعتهم مع وفد منهم ؛ واشتغلوا - في نفس الوقت - بتحسين مدينتهم، تحسباً للحصار، لأنهم لم يأمنوا غائلة العبيد.

ولما تبرع أحمد الذهبي على أريكة الملك طاف على بيوت المال ومخازن السلاح والكسوة، ففرق المال على الجيش، وعمّ نواله العلماء والشرفاء والطلبة، وخص كبار الضباط بجزيل العطاء ؛ ثم قام بتصفية عدد من كبار موظفي المخزن مثل علي بايشي زعيم البربر وعامل العمال، وأحمد بن علي البازغي الذي كانت عمالته تمتد من جبال مرموشة وبين وراين وغياثة إلى الحياينة، وإلى بلاد الهبط مع فاس وماوالاها. كما قتل الباشا ابن الأشقر عامل زرهون الذي كان إلى نظره سائر أعشار قبائل الغرب، ومرجان الكبير صاحب بيوت المال، الذي كان له النظر في أمور المداخيل والنفقات (البستان الظريف، 215).

وتتفق مختلف المصادر على أن قتل هؤلاء الموظفين كان إيذاناً بتقويض أركان الدولة ؛ إذ بعد موتهم استخف الرعايا بأمر الملك لأنهم لم يعودوا يتهيبون من يحول بينهم وبين الزيف والفساد ؛ وخاصة قبائل الجبال التي كانت منكسبة وراء القلاع المخزنية ؛ فاشتغلت بشراء الخيل واقتناء السلاح (م. س. ن : 216).

وفي نفس الوقت اضطرم أوار الفتنة بفاس بين المدينة الإدريسية والأوداية النازلين بفاس الجديد. فكانت الحرب سجلاً بين الطرفين طيلة دولة أحمد الذهبي الأولى. وعوض أن يتدخل السلطان لحسم مادة الخلاف بين الجانبين، فقد انساق في المؤامرات والدسائس التي حاكها العبيد. ومن ثم صار كاللعبة بين أيديهم، فاستبدوا عليه في معظم الأحوال. فكثرت القتل، وفتسا النهب واستشرى الجور، وانتهكت الأعراض، وتدنت الحرمات، والسلطان مقبل على لهوه وملذاته.. من أكل وشراب وسماع... الشيء الذي جعل لهيب الفتنة يسري في مختلف جهات البلاد. فكثرت الغارات بين القبائل وعم النهب، وانقطعت السبل، وانتشر الخوف، وأكل القوي الضعيف (نشر الثاني، 3 : 298).

ولما استيقن جيش العبيد بأن السبل قد بلغ الزي، وأن الأمور إذا استمرت على ذلك المنوال، قد يفلت منهم زمام الأمر انتمروا بالسلطان، واتفقوا على عزله. فخلعوه في 8 شعبان 1140 / 1728، وأرغموه على مغادرة دار الملك ؛ بل فرضوا عليه إقامة إجبارية في داره "بالهديم" خارج القصة المكناسية. فكانت مدة دولته الأولى عاماً وستة أيام (زهر الأكم، 220 - 221 والترجمان العرب : 31). وفي نفس الوقت بعثوا برسولهم إلى أخيه عبد الملك الذي كان ما يزال منتفضاً بالسوس، فعقدوا له البيعة. ولما تولى الملك قبض على أحمد الذهبي وبعث به إلى تافيلالت، وكتب إلى العامل بها أن يسلم عينيه بفور وصوله. لكن ذلك الخبر

نما إلى السلطان المخلوع، فعمل على التخلص من حراسه والفرار إلى زاوية أخصال واستحرم بها في 28 رمضان 1140 / 8 ماي 1728 (نشر الثاني، 3: 301 والاستقصا، 7: 120).

وقد أشرنا إلى أنه كان قد اتصل بالشيخ الحنصالي في أثناء ولايته على إقليم تادلا. وفي أثناء نزوله عند ذلك الشيخ تبأ له بالعودة إلى الملك، لأنه كان يشتغل بعلم الحدائق، يربط بعض الإخباريين بين هذا التنبؤ وبين مبادرة العبيد إلى حمله ثانية إلى سدة الملك. والحقيقة أن عبد الملك لم يستطع الاستجابة إلى شطط العبيد، ولم يزداهم في العطاء، كما أن الوضع السياسي في البلاد عامة لم يكن قابلاً للترق بسبب ثقل أوضاع العهد السابق.

وهذا ما جعل العبيد - الذين لم يكونوا يفكرون إلا في البقاء في مراتع جشعهم وتلاعبهم - يقبلون ظهر المجن لعبد الملك، لا سيما وأنه قد حاول أن يتملص من ضغطهم، فعمل على استمالة البربر والتقرب منهم لكسر شركة العبيد. لذلك ركب هؤلاء من مشرع الرمل وقصدوا قاعدة الملك، فنهبوا الممتلكات وجاسوا خلال الديار، ونادوا في المدينة بعزله ونصر أحمد الذهبي.

قدم المترجم له عليهم، وفي طريق عودته من زاوية أخصال التقى بطوما يبللو مع رجاله من العبيد، بالقرب من تاساوت، فراقوه حتى مدينة مكناس (T. Pellow, 145). وبعدما عرج على قبيلة بني حسن والتف حوله الأوداية، دخل دار الملك بكناس، فبايعه - من جديد - من حضر من القواد والقضاة والعلماء والأشراف، وذلك يوم الاثنين 24 من ذي الحجة 1140 (نشر الثاني، 3: 316، الترجمان، 33). وهنالك قدمت عليه بعض الوفود من الحواضر والبوادي.

وفي 2 محرم 1141 زحف إلى مدينة فاس لأن أهلها - وخاصة اللطيين - ظلوا متمسكين ببيعة أخيه عبد الملك (زهر الأكم، 223)؛ بل لقد فتكوا ببعض رجاله، مثل صالح اللرني والحياط عديل. ونهبوا ممتلكات أنصاره الأوداية، الشيء الذي دفعه إلى أن يضرب عليهم الحصار؛ فحسي الوطيس واستحرت الحرب من جديد. ويصف الزباني هذا الحصار قائلاً: "ونزل على فاس بجميع العساكر، وركب عليها المدافع والمهاريس والمجانيق، وأمر العسكر بالعيث في أجنحتها ويحانرها، ونسف ثمارها، وأمر الطيحية بإرسال صواعق البومبة والكور وحجارة المجانيق عليها ليلاً ونهاراً فأرسلوها إلى أن عمها الخراب وانهدم كثير من دورها" (الترجمان، 34) كما يشير القادري في نفس السياق إلى أن العبيد "قطعوا الماء عن عدوة القرويين" (نشر الثاني، 3: 319).

وقد امتد هذا الحصار طيلة خمسة أشهر متوالية حتى ضاق الحال بالسكان. وكانت تلك الفترة من أحلك الفترات التي عاشها سكان فاس. ورغم أنهم أعدوا عدتهم لمواجهة

الحصار فقد قلت الأقوات، وارتفعت الأسعار، بسبب النهب الذي تعرضت إليه أمراس المدينة ومواشيتها. كما امتدت الفتنة إلى أحواز المدينة لأن جيوش أحمد الذهبي تعقبت الفارين من أهل فاس، وفلسول القبائل المساندين لهم في مختلف الجهات (م. س. ن).

ورغم الأزمة التي حلت بأهل فاس، فقد لاقت الجيوش المحاصرة هولاً كبيراً في خضد شوكتهم طوال تلك المدة. وحين لم تغن عنهم كثرتهم، ولم يستطيعوا اقتحامها عنوة عمدوا إلى تدبير مكيدة؛ إذ تظاهروا بالرغبة في إبرام الصلح مع عبد الملك. ففرروا به حتى التقى بأحمد الذهبي، في يوم الخميس 21 جمادى الأولى سنة 1141.

وفي نفس الوقت قبل أهل فاس عقد البيعة للسلطان أحمد الذهبي وبشروط اشترطها عليه. فتظاهر لأخيه بالبشر والبرور، زاعماً أن أهل فاس تشفعوا فيه، الأمر الذي جعل عبد الملك يشهد على نفسه بالتنازل عن الملك (الإتحاف، 1: 292). ثم قبض أحمد الذهبي عليه وأرسله إلى سجن مكناس ليسجن بدار الباشا مساهل. وفي يوم الجمعة 22 من الشهر صلى أهل فاس مع السلطان، وأهدوا إليه وشكروا صنيعه؛ فسرح مساجينهم، وانعقد الصلح كذلك بينهم وبين الأوداية، وبذلك توقفت الحرب ورفع الحصار (الإتحاف، 1: 293-294).

وكان العقد والحل طوال هذه المدة بأيدي العبيد. أما السلطان أحمد الذهبي فلم يكن له من الملك إلا الاسم، لا يقطع أمراً إلا بما يأمرونه؛ لا سيما وقد اختلت صحته بسبب إصابته بمرض الحنن. فظل يعاني من الوهن، حتى إذا أحس بدنو أجله حمله العبيد إلى مكناس. ويفور وصوله أمر أخويه محمد بن عريبة وسليمان بن الجامعية وبعض العبيد من أهل مشورته بقتل أخيه عبد الملك، فخنقوه ليلة الثلاثاء الموافق 30 رجب 1141 / فاتح مارس 1729 (م. س. ن: 294).

وبعد ثلاثة أيام لفظ أحمد الذهبي أنفاسه في يوم السبت 4 شعبان من السنة 4/ مارس 1729 وقيل إنه مات مسموماً، إذ دس إليه السم من قبل إحدى زوجات والده. (زهر الأكم، J. De Léon, 15, 225). فكانت مدة دولته الثانية عشرة أشهر و21 يوماً.

ومن بين الأعلام الذين قامت عليهم دولة أحمد الذهبي، يمكن أن نذكر أخاه مولاي علي الذي كان خليفة له على مدينة مراكش؛ وابنه أبا فارس وأخاه المستضيء، والباشا مساهل الذي كان صاحب التدبير والسياسة، وموسى الجراري وكروم بن رحمون ومحمد بن علي ويشى، والباشا علي بوشفرة وأحمد بن علي الريفي والمحبوب العلي. ومن قضاته محمد بن أحمد التماق.

ومن منشآته العمارية قسبة تادلا التي اتخذ بها داراً ومسجداً (الإتحاف، 1: 296). أما على الصعيد الخارجي، ففي أثناء حصار مدينة فاس قدم إلى المغرب القنصل الإنجليزي راسل مرتين،

مستغلاً فرصة ولاية السلطان الجديد ليطالبه بفساد الأسرى الإنجليز، وتجديد معاهدة 1721. فعلاً أنعم عليه أحمد الذهبي بفساد كل الأسرى الإنجليز الذين كانوا في سجن مكناس. وللإشارة، فقد رافق البعثة الإنجليزية الكاتب برايطوايت الذي خلف عن تلك الرحلة كتاباً مشهوراً يصف حالة المغرب بعد وفاة المولى إسماعيل، وعهد أحمد الذهبي بصفة خاصة (T. Pellow, 142. n. 333).

م. القادري، نشر الثاني، ج3، النقاط الدرر؛ الريفي، زهر الأكم؛  
م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة؛ الزباني، الترجمان...  
والبستان؛ أكتوس، الجيش، ج2؛ أ. الناصري، الاستقصا، ج7؛  
المشرفي، الحلل؛ ابن زيدان، إتحاف، ج1، والمتزح اللطيف؛ ع. ابن  
إبراهيم، الإعلام، ج2، معلمة المغرب، ج6.

Braithwaite, *Histoire des révolutions*, J. De Léon, *Vie de My Ismail* ; T. Pellow, *Relation...* ; A.G.P. Martin, *Quatre siècles...* ; M. Morsy, *Les Ahansalas...* ; G. Drague, *Esquisse*.  
أحمد عمالك

## الذهبي ← أحمد المنصور السعدي

**الذهبي**، أبو جعفر أحمد بن عتيق بن الحسين بن جرج البيلنسي (554-601 / 1156-1204) ينتسب إلى بيت بني جرج، البيت المشهور بقرطبة، وعرف بالذهبي لأن جده كان مولعاً بالكتّاب بالذهب والتصوير به، فجرى ذلك على عائلته.

ولد ببيلنسية سنة 554 / 1159 وكان من أعيانها، واشتغل بتحصيل العلوم الشرعية والآداب على عدد من كبار علماء الأندلس كابن مضاء اللخمي وأبي القاسم ابن حبيس وأبي عبد الله بن حميد وغيرهم، حتى أصبح مشاركاً في العلوم متحققاً بأصول الفقه، ماهراً في اللغة العربية، ذا حظ من نظم الشعر، وكان مع هذا طبيباً ماهراً. تؤكد شهادات معاصريه أنه كان ذا شخصية فريدة في أخلاقه وعلمه الواسع وتوقد خاطره وذكائه، لذلك بالغ بعضهم في تعظيمه وتقديمه على علماء عصره، حتى قال فيه أحد أصدقائه وملازميه وهو أبو الوليد الشفندي: "إن الكمال الإنساني إن جمع لإنسان فإنه لم يعد ثلاثة: أرسطو وابن سينا وأبا جعفر الذهبي" (الفصون البيانة، 36).

وإلى جانب ما سبق، تفنن الذهبي في العلوم النظرية والقدية، وأحاط بكثير من الفلسفة، حتى مهر في كل فن منها. وساعده على ذلك ذكاؤه وحسن استنباطه، فاعتبر أعلم أهل زمانه فيها. وقد استفاد من إتقانه للعلوم النظرية في حسن الاستنباط والفصوص على دقائق المعاني لأبيات القرآن الكريم.

وسبب اشتغاله بالفلسفة وصحبته للفيلسوف أبي الوليد بن رشد، كادت أن تلحق به المنحة التي لحقت بأبي

الوليد وأبي عبد الله بن إبراهيم وجماعة من أصحابهما على يد الخليفة الموحد يعقوب المنصور، لكن الذهبي نجا من ذلك بفضل خدمته للأمير أبي الحسن علي بن أبي جعفر ابن عبد المؤمن بغرناطة، ولم ينل منها سوى "لعنات" وجهها له مجلس من الخاصة بمحضر الأمير، وبأمر من السلطان. ومع ذلك فقد توارى عن الأنظار ولحق بقربة قاشرة مختفياً حتى مرت سحابة تلك المنحة، ثم عفا عنه الخليفة وقربه منه وصار طبيباً له ومن جلسائه.

اشتغل الذهبي أول أمره بالعلم ببيلنسية، إلى أن ذاع صيته وجل قدره بين العلماء، وكانت أصداء ذلك تصل إلى الخليفة المنصور الذي كان حريصاً مثل أبيه على تزيين مجلسه بخيرة أهل العلم في المغرب والأندلس، فاستدعاه إلى حضرته مراكش وصار من أعضاء مجلسه، ولم تزل مكاتته ترتفع ببلاد الخليفة بفضل علمه ومواهبه حتى قدمه على هيئة "طلبة الحضرة" فأصبح شيخاً أو مزوراً لها، ولم ينل هذه الرتبة في عصر الموحدين إلا قلة من كبار العلماء أمثال أبي محمد المالقي وأبي الحسن بن القطان.

ثم قدمه المنصور للشورى والفتوى في القضايا الشرعية، وقد بلغ الغاية في إجاباته في المسائل والفتاوى الفقهية والنوازل. وبلغ من حذره من الموحدين وولائه لسياستهم الدينية أنه كان يراعي في أجوبته الفقهية أصول مذهب الإمام مالك دون أن يسند كل قول إلى صاحبه من فقهاء المذهب نظراً لموقف يعقوب المنصور من الرأي وفقه الفروع. فعلاً كان الذهبي من أجل من يحضر مجالس الخليفين يعقوب المنصور وابنه محمد الناصر من العلماء. وبسبب قربه منهما نال جاهاً عريضاً أسنده ثراء واسع بما كان يصله منهما من إحسان وعطايا، فقد وصله المنصور مرة بألف دينار ذهبية مكافأة له على إلقائه لسألة فلسفية بين يديه تمكن الخليفة من فهمها واستيعابها.

استوطن الذهبي مدينة مراكش مدة طويلة، وبها لقيه ابن حموية السرخسي رسول صلاح الدين الأيوبي إلى يعقوب المنصور، فأعجب به وأشاد بعلمه ومعارفه وأخلاقه، وأثنى عليه في كتابه "الرحلة المغربية". وكان احتفاظ الموحدين به وبأمثاله من العلماء بالعاصمة مراكش يعكس متانة الثقافة العربية الإسلامية بالمغرب وعلو كعب أبنائه فيها، وذلك ما لا يحظه عدد من المترددين على مراكش في العصر الموحد.

وتعبيراً عن ولائه للموحدين ألف الذهبي كتاباً ضاع منها كتاب الإعلام بفتاوى مسلم للمهدي الإمام، وكتاب حسن العبارة في فضل الخلافة والإمارة، كما قيدت عنه في الفقه وغيره فتاوى بدعية وجوابات حسنة" (التكملة، 1: 95).

ورغم إتقانه للفلسفة واشتغاله الطويل بها، فإننا لم نقف على شيء من المقولات الفلسفية التي كان يتبناها، ربما لأنه لم يؤلف في الموضوع كما فعل ابن رشد، إضافة إلى أن كل من كتب عنه لم يُعر هذا الجانب اهتماماً. وقد بقي الذهبي مقدماً محتفياً به إلى أن توفي بمدينة

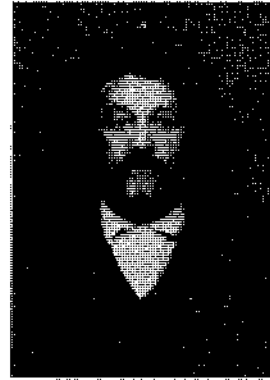


تلمسان وهو يرافق محلة الخليفة محمد الناصر في حملته إلى إفريقية سنة 607 / 1204.

ابن الأبار، التكملة، تج. د. عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، د.ت. 1، 85 : ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تج. شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ط 3 — 1978، 2 : 321 : الغصون البانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تج. إبراهيم الأبياري، القاهرة، ط 3، 1977، ص. 36 : رباب المرزبن وغايات الميزين، القاهرة، ص. 115 : ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، تج. محمد بنشريفية، بيروت، د.ت. 1، 279 : ابن أبي أصيبعة، ميون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، دار الثقافة، ط 1987، 4 : 3 : 132 : ابن فرحون، الديباج الذهب، تج. محمد الأحمدني أبو النور، القاهرة، ط 2، 1972، 1 : 217 : الصفدي، الوافي بالوفيات، تج. د. رينغ وآخرين، فيسبادن، 1974، 62 : 7 : 176 : أ. المقري، نفع الطب، تج. إحسان عباس، بيروت، 1968، 3 : 206، 411 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 74 — 1984، 2 : 107.

محمد المغراوي

**الذهبي، علي بن أحمد بن علي الزكاري الحسني**  
(نسبة إلى قبيلة بني زكّار قرب قبيلة رهونة بناحية وزان)  
انتقل أسلافه منها إلى شفشاون ومنها إلى تطوان.



ولد في عام 1322 / 1904 وحفظ القرآن على الفقيه المدرر محمد بن المهدي داود الودراسي بكتابه المقابل لجامع الرزيني يدرب الصفار من حومة الررض الأسفل من تطوان، وأخذ عام 1334 المتون المعهودة : الجرومية والألفية والمرشد المعين ومختصر خليل والسوسية والتحفة والرسالة على الفقهاء : أحمد الزواقي وأحمد الرهوني ومحمد الفراطخ، ومحمد المرير ومحمد بن التهامي أفيلال وغيرهم، ثم انتقل إلى فاس عام 1338 فأخذ عن الشيوخ : عبد الله الفضيلي وأحمد بن الجيلالي الأمغاري والفاطمي الشراذي ومحمد النميشي ومحمد بناني والحسن مزور ومحمد ابن السلمي وأبي شعيب الدكالي والطابع ابن الحاج وأحمد بن الحياط والمهدي الوزاني العمراني ومحمد ابن الحاج ومحمد العلمي

وأحمد بن المامون البلغيشي.

وحصل على شهادة العالمية بتوقيع رئيس المجلس العلمي السيد أحمد بن الجيلالي وأعضائه، وقد حصل على هذه الميزة الخاصة لتفوقه وشدة ذكائه ونبوغه. وكانت هذه الشهادة لا تعطى يومئذ إلا للمقيمين بفاس بعد تخرجهم ولا تعطى للأغراب. وكان هذا عام 1344 / 1925 رجع بعده لمسقط رأسه تطوان وشرع في التدريس بالجامع الكبير بصفة رسمية ثم تعاطى العدالة والإفتاء. قبل أن يعين قاضياً بقبيلة بني حزم قرب تطوان عام 1346 ومنها نقل عضواً لمجلس الاستئناف الشرعي بتطوان ثم مستشاراً شرعياً بالمحاكم القانونية بنفس المدينة. وبعد استقلال المغرب عين عضواً بالمحكمة الإقليمية بتطوان إلى أن توفي.

امتاز بهدوء الطبع وشدة الذكاء وحذق القضاء، فكان مرجعاً لحل المشكلات والقضايا العويصة. كما كان مشاراً إليه بإتقان التدريس وجودة الفهم وقوة الحافظة يُجهد نِغَاء الطلبة أنفسهم في إيراد الإشكالات عليه رغبة في إرباكه فسرعان ما يحل الإشكال ويبطل الإيراد.

لقيته في عرفات في موسم حج عام 1382 وعلامات الإجهاد والتعب والمرض بادية عليه، وهو راض مسرور داع مستغفر مستعير، ثم عاد إلى تطوان مزاولاً عمله بالمحكمة إلى أن لقي ربه يوم الأربعاء 11 شعبان عام 1384 / 16 دجنبر 1964 ودفن خارج باب المقابر.

م. ابن الحاج، إسعاف الإخوان الراغبين، ص. 486 : معلومات شخصية.

محمد بوخيزة

**الذبيبي، كحيوان** مفترس لا يوجد بالمغرب، وإنما يوجد به ابن آوى الذي يشبهه (انظر ابن آوى). ومع ذلك نجد للذبيبي صدى واسعاً في المناطق التي يهيمن فيها نمط الترحال ويعتمد أهلها بشكل خاص على تربية قطعان الماشية، فإن ذلك يقود إلى تأسيس علاقة متميزة مع حيوان يرتبط خاصة بهذا النشاط، ففي وادي نون مثلاً الذي ينطبق عليه هذا الوصف نلمس كثافة ترداده في الأشجار والحكي (الأدب الشفوي) كما يختفى حضوره أيضاً ضمن نسق من الاستعارات بإدماجه (كرمز) داخل بنية العلاقات الاجتماعية، فوجود بعض الفئات تحت اسم "الذوبيبات" (تصغير ذئب) يظهر انتماء هاته الأخيرة بشكل خاص إلى المستويات الدنيا في سلم التقسيم أو اعتبارها فئات غير مالكة أو لا تنتمي إلى نفس الجينالوجيا مع الفئة المهيمنة التي أطلقت الرمز كصنيف، فالذئاب معروفة بسرقة القطيع وهو الرأسمال الجماعي أو الفردي، وهم في هذه الحالة لا ينتمون للفصيلة ولا يتمتعون بالتصرف في هذا الرأسمال المتحرك، بل إن الإنسان في المجموعة يشبه

الحروف في القطيع مما يحتم درجة من التماسك وحضور الآخرين، فالقطيع يقدم كجماعة وكدرجة من الالتحام تنفي غير المتمين (Chevalier, 343) وهذا ما يدفعنا إلى التأكيد على أهمية التراتبية داخل القبائل خلافاً للفكرة التي روجتها الأطروحة الانتقاسية (المحمودي : 68- 69) ويدفعنا بالمقابل إلى التنبيه إلى أن هاته اللامساواة مثلما يجب البحث عنها في الأحداث التاريخية فإنها أيضاً تجري بشكل أهم في اللغة والممارسات والمعتقد.

ع. الله المحمدي، الانتقاسية والتراتب الاجتماعي والسلطة السياسية والقداسة ملاحظات حول أطروحات گلزر، ضمن الانثروبولوجيا والتاريخ، تر. عبد الأحد السبتي، ط1، الدار البيضاء، 1988.

Encyclopédie des animaux, éd. Alberto Perruzzo, Rome, 1980 ; J. Chevalier et A. Gheerbrant, Dictionnaire des symboles, Paris, 1974 ; Revue Historia, Mars 1983, n° 436, 1 - J. Emmanuel, Les loups, p. 16 - 19, 2 - D. Bernanrd, Ce que cache l'histoire du loup, p. 20 - 22.

أحد جوماني

**الذبيب**، أسرة يهودية بأزمور حين كانت أزمور تضم عشية احتلالها من قبل البرتغاليين جالية يهودية لا تعرف أهميتها. وقد أرجع الوزان سقوط المدينة في أيدي الغزاة إلى خيانة أفراد تلك الجالية، في حين أن المصادر البرتغالية، وتقارير المشرفين على الحملة، تذكر أن دور أحد أفراد أسرة أولاد الذبيب، وهو يعقوب، اقتصر على إشعار قائد الحملة بتوقف المغاربة عن المقاومة وإخلائهم لمدينتهم. وعلى غرار ما فعله الملك البرتغالي بعد احتلال أسفي، قرر يوم 18 يونيو 1514 فرض جزية على كل أسرة يهودية، وعين يوسف بن الذبيب حاخاماً كبيراً لتلك الجالية (23 يونيو 1514).

ينحدر يوسف بن الذبيب من أسرة نزحت إلى المغرب من البرتغال فراراً من الاضطهاد. ولعل ذلك تم بعد إنزام كل يهود البلاد بالتصحر أو مغادرة البلاد (1496). ولعب أفراد هذه الأسرة دوراً كبيراً في التوسع البرتغالي بداخل دكالة والشاوية انطلاقاً من أزمور، وفي المفاوضات التي أجراها المسؤولون عن تلك المدينة مع القبائل والسلطات المغربية القائمة آنذاك.

لقد كان يوسف يشرك في كل القضايا التي تهم النفوذ البرتغالي بالمنطقة، وكان على اتصال مستمر بالبلاط البرتغالي، يرفع تقارير إلى الملك نفسه أو يرسل إليه لإطلاعهم شفوياً على الأوضاع بدكالة. فقد طلب يحيى بن بلصباغ، شيخ الشاوية، من الملك البرتغالي في رسالة بعثها له في ربيع 1517 أن يطلعهم عن طريق يوسف بن الذبيب، الذي كان آنذاك بلشبون، على شروط السلم مع قبيلته. كما كان هذا اليهودي مكلفاً باستضافة الأعيان الذين يقبلون على المدينة بغاية التفاوض، وكان يتقاضى تعويضاً عن ذلك من الخزينة البرتغالية.

وتوصلت محكمة تفتيش لشبونة بتبليغ مؤرخ في 18 يناير 1537 مفاده أن يوسف هذا تنصر، وأنه كان قليل التمسك بدينه الجديد. وسرعان ما اصطدم هؤلاء الوسطاء اليهود مع الأعيان المسلمين الذين كانوا مكلفين بنفس الأدوار. وعلى غرار ما حدث بأسفي بين كبير يهودها، إبراهيم بن زميرو، وكبير الوسطاء والقواد المسلمين، يحيى أوتغوفت، تأمر أبناء الذبيب بأزمور ضد قائد الشرقية، عبد الرحمن بن حدو، وأصقوا به تهما جعلته يخاف على نفسه ويفر من المدينة.

وتزايدت مكانة أولاد الذبيب بعد تغير ميزان القوة لصالح القبائل المغربية وبداية مشاكل البرتغاليين في المنطقة. فقد اتهم برتغالي في رسالة موجهة إلى الملك يوحنا الثالث (10 أبريل 1530) القبطان بكونه لا يستشير إلا اليهود الذين أصبحوا يحرضونه على طلب السلم من السلطان أحمد الأعرج، وأخير المراسل الملك بالتحاق أحد أبناء الذبيب فعلاً بحملة السلطان ويتسلمه هدية.

وعُين يحيى الذبيب، وهو ابن يوسف المذكور، يوم 9 شتنبر 1514 ترجمانا بأزمور، وهو المنصب الذي احتفظ به بقرارين ملكيين لاحقين (1520- 1524). وكان مكلفاً تبعاً لذلك بحضور المفاوضات بين المسؤولين البرتغاليين وأعيان القبائل بخصوص السلم وشروط الخضوع للتاج البرتغالي. ففي رسالة أعيان أولاد عمران إلى قبطان أزمور (صيف 1516) نفق على الجهود التي بذلها يحيى المذكور لإقناع تلك القبيلة بالخضوع. كما نفق من الرسائل التي بعثها من تادالا أن القبطان كلفه بالتفاوض مع القائد أحمد العطار (1529). وهي نفس المهمة التي أنيط بها مرة أخرى لدى مساعدي السلطان أحمد الأعرج. ففي رسالة من محمد بن لحسن زنيق "وصيف مولاي أحمد"، (ربيع 1530) نعلم أن يحيى هذا فاوض الشريف في شأن هدنة مع أزمور، وحاول دفعه إلى إيقاف الغارات التي كانت تستهدف تلك المدينة انطلاقاً من سلا : "فقد وصل إلينا الشيخ يحيى بن الذبيب والتقينا معه فيما ذكرت لنا من حجة الصلح...". كما أرسله قبطان أزمور (يونيو 1530) إلى فاس للتفاوض مع السلطان الوطاسي. وفي طريق العودة، مر بسلا واقترح السلم على قائدها. وبهذا لم يخطئ قبطان أزمور السابق، الذي اعتبر في تقرير مؤرخ في أكتوبر 1516 أن يحيى الذبيب من "الحفام الأوفياء لجلالتكم وأعتبره شخصياً رجلاً مخلصاً".

ونجهل مآل أفراد هذه الأسرة بعد تحرير أزمور سنة 1541.

أ. بوشرب، دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء أسفي وأزمور، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1984.

P. de Cenival [et al ...], Sources Inédites de l'Histoire du Maroc, 1ère série, Portugal, 5 volumes ; G. S. Colin, Des Juifs nomades retrouvés dans le Sahara marocain au XVIème siècle, dans Mélanges d'études luso-marocaines dédiées à la mémoire de David Lopes et Pierre de Cenival.

وعزلوا قائدهم وطردوه، فعاد بعد ذلك في غيبة القائد الذيب وقتل من قتل حتى جاء الجيش السلطاني وتغلب عليه وأسره وأرسل إلى قاس كما قال ابن القاضي.

قلت : ولم يرد ذكر لهذا القائد (حسين) في هذه المصادر إلا هنا ولم يعرف من هو ولعل الصواب إنه (حسن) لا حسين، وقد عثر مؤخراً على رخامة قبر لقائد تطوان قاسم بن محمد حسن من عائلة (حسن) الأندلسية التي ما زالت موجودة المتوفى عام 954 فلعلم هذا القائد من هذه الأسرة، ولم تذكر المصادر تاريخ وفاة الحاج علي الذيب ولا شك أنها كانت في العقود الأخيرة من القرن العاشر (16م).

أ. ابن القاضي، لفظ الفرائد/ موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996؛ م. داود، تاريخ تطوان، ج 1، ص. 124، طبع تطوان؛ أ. الرهوني، عمدة الراويين، 2، 18، مخطوط؛ ع. السلام سكيروج، نزعة الإخوان، ص 4، مخطوط؛ مارمول كريخ، إفريقيا، تر. محمد حجي وآخرين، الرباط، 1984.

محمد بوخيزة

#### الذيب، محمد بن عبد القادر التلمساني الوجدي،

مقاوم ولد سنة 1923، استقر بمدينة وجدة ومارس بها مهنة الدرازة إلى غاية شهر غشت 1953 وغداة اندلاع الثورة في 16 غشت 1953 بوجدة ضد ما كان يحاك ضد السيادة المغربية، شارك بغيره وطينة صادقة إلى جانب الثوار وقد ألقى عليه القبض خلال هذه المظاهرة وتم إيداعه السجن رفقة من ألقى عليهم القبض من رفاقه في الكفاح أثناء أحداث وجدة الشهيرة، ونظراً لما لاقاه هذا المجاهد من أنواع التعذيب والتنكيل التي تعرض لها مع باقي المتظاهرين المسجونين وبسبب ضيق الزنزانة من جهة وكثرة المعتقلين وشدة الحرارة بها من جهة ثانية لفظ الشهيد أنفاسه الأخيرة يوم 18 غشت 1953.

المدنوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، 3 : 101.

#### ذيبو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس انقضت

بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمرجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 693.

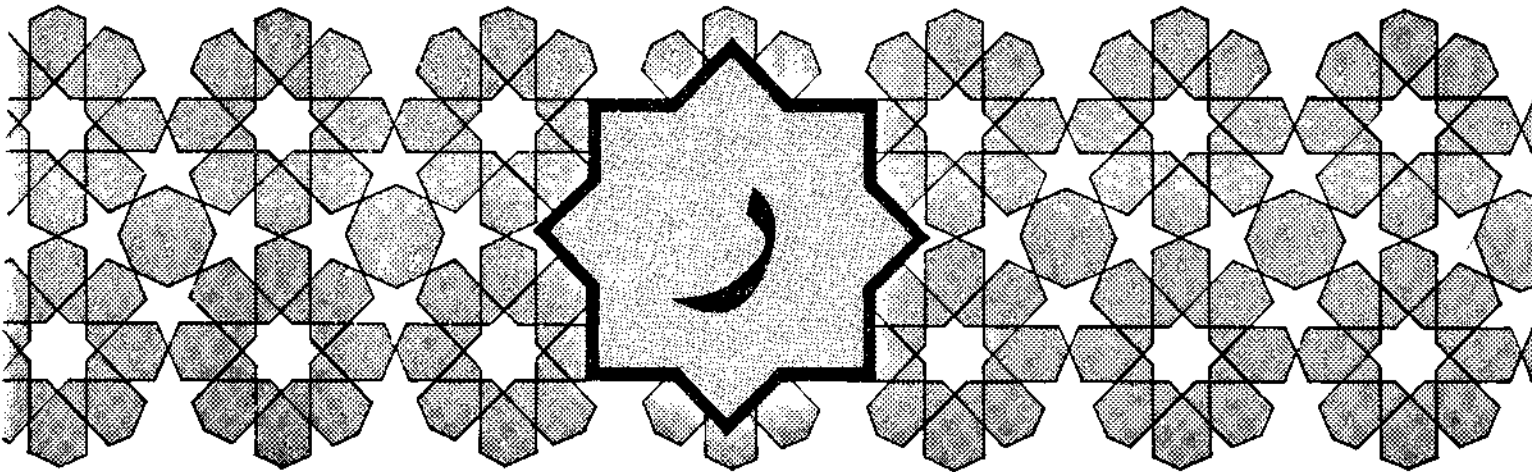
محمد ابن عزوز حكيم

**الذيب، علي (الحاج -) أول حاكم لمدينة تطاون في بناتها الأخير بعد القائد المنظري الأندلسي الحفيد، ولا يعرف عنه أكثر من هذا، قال الرهوني : "ولازال أولاد الذيب إلى الآن بتطوان". قلت : هذا كان قديماً وقد انقرضوا الآن. نعم بقيت أسرة تعرف بالذوب بالتصغير ولا علاقة لها بالأولي.**

وقد بقي الحاج علي الذيب عاملاً على تطوان مدة إلى أن ثار عليه سكان البلد برئاسة مقدمهم القائد حسين، وعزلوه وطردوه، فانتقل إلى أعلا البلد وشرع في بناء الهي المتصل بها من جهة الشمال الغربي، وهو المعروف الآن بحومة الطالعة (طالعة السوق الفرقي) ولم يكن في تلك الناحية بناء قبل ذلك، وبنى الناس هناك حتى بلغ عدد الدور في مدة سيرة نحو خمسمائة دار، وبنى القائد الذيب بأعلا ذلك الهي قسبة نسبت إليه ولا زالت معروفة بهذا الاسم إلى الآن (قسبة الذيب) وقد سقط قسم منها في انفجار للبارود وجدد، وكانت هناك على باب القسبة كتابة، وبها مسجد ومن أعلاها تطلق المدافع في الأعياد وللإقطار في رمضان.

ولتقريب تحديد تاريخ تولية الذيب على تطوان نشير إلى أن المؤرخ الإسباني مارمول - وكان حياً في ذلك العصر - ذكر في إفريقية (2 : 242-244) أن أهل تطوان انقسموا فرقتين فكانت كل واحدة تقا تل الأخرى، وأن إحدى الفرقتين طردت الأخرى من المدينة وأنه في سنة 1567 (وهي توافق عام 974-975) دخل قائد المطرودين إلى البلد في غيبة حاكمها وقتل كل من وجد بها من الفرقة المعادية له ولأصحابه : فقامت بسبب ذلك ثورة اضطرت السلطان لإرسال قوة لقمعها، وكانت تلك القوة مؤلفة من ألف فارس وألفي راجل، وأن جند السلطان قصد تطوان وقبض على رئيس الثوار وأرسله سجيناً إلى فاس، ثم طارد أنصاره، وأن قائد أولئك الفرسان بقي بالمدينة. أما قائد المشاة فقد رجع إلى فاس ليبلغ الخبر إلى السلطان، ولم يذكر مرمول أسماء المعنيين بالأمر إلا أن ابن القاضي ذكر في لفظ الفرائد أنه في تاسع محرم عام 975 أخرج الأمير أبو محمد عبد الله الشريف الحسني (يعني السلطان الغالب عبد الله بن محمد الشيخ السعدي المتولي من عام 965 إلى 981) القائد (حسين) من قيادة تطاون، واستنتج الأستاذ داود من هذه النقول أن بعض سكان تطاون من الأغمار كما وصفهم الأستاذ التهامي الوزاني في مقابلة الأخيار الكرام من مهاجري الأندلس وهم أصحاب المنظري، في هامش صفحة 128 من الجزء الأول من تاريخ تطاون لداود) برأسهم القائد (حسين) ثاروا على القائد الذيب وطردوه، فصعد إلى أعلا البلد وبنى هي الطالعة واجتمع إليه الناس، فعاد الذيب بأنصاره وانتقموا من جماعة القائد (حسين) وغلبوه







## رابطة الجهاد ← الرباط

**رابطة الغار**، وحدة صوفية تقع خارج الواجهة الجنوبية (التشوف، من السور المرابطي لمراكش بجوار باب أغمات (312) وهو الموقع الوحيد خارج مراكش الذي ذكر مقرونا باسم رابطة في خريطة مواقع التصوف بسهل الحوز في العصر الوسيط.

لا نعرف بدقة تاريخ ظهور هذه الرابطة، والإشارة الوحيدة التي ذكرت فيها وهي مؤرخة، ترجع إلى عام 593 / 1197، كمكان دفن أبي يعقوب يوسف المبتلى (التشوف، 312) وهذا يفيد وجودها قبل هذا التاريخ. وقد أورد ابن الزيات أيضاً تاريخاً آخر ذكرت فيه حارة الجذماء التي كانت توجد بها رابطة الغار وهو عام 583 / 1187 الذي توفي فيه الشيخ الصوفي السابق الذكر أبو عصفور بنفس الحارة دون تحديد مكان دفنه (التشوف، 268). فهل يفهم من هذا السكوت ظهور رابطة الغار بعد هذا التاريخ؟

يعتبر الصوفي أبو عصفور يعلى بن وين يوفن الأجدم (التشوف، 268) وتلميذه أبو يعقوب يوسف بن علي المبتلى (التشوف، 312) اللذان جمعت بينهما علاقة المشيخة الصوفية أبرز رجالات أهل الطريق بهذا الموقع. وشكلت حارة الجذماء مركز ثقل النشاط الصوفي به. ولعل ما كان يجمع بين هذه الحارة والصوفيين المذكورين، خاصيتها الوقائية والاستشفائية كمكان خاص بإقامة مرضى الجذام، وهي علة يبدو أنها كانت في الشيخ وتلميذه حسبما يستفاد من نعت الأجدم والمبتلى الذين ينتهي بالأول منهما اسم أبي عصفور، وبالتالي اسم أبي يعقوب.

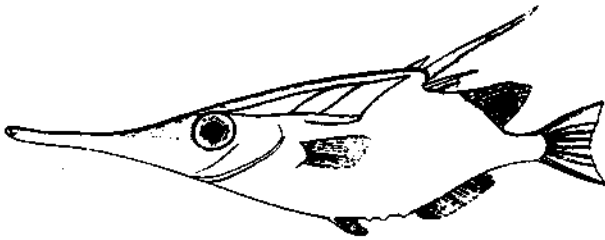
وتمثل رابطة الغار بداية مسلك الترتيب الخاص بزيارة الرجال السبعة بمراكش.

ي. ابن الزيات النادلي، التشوف، تج. أ. التوفيق، الدار البيضاء،

1984.

محمد رابطة الدين

**الرايوز** أو الرايوزة نسبة لشكله، وكما هو اسمه الشائع في الأسواق السمكية المغربية، سمك بحري من الأسماك العظيمة ومن فصيلة ماكرو غامفوزيدي Macrorhamphidae. اسمه العلمي Macrorhamphus Bécasse de mer ويسمى بالفرنسية scolopax وبالإنجليزية Longspine snipefish وبالإسبانية Trompetero الجسم مضغوط جانبياً، الرأس طويل يتقدمه خرطوم أنبوبي يبلغ طوله 4-6 سم وينتهي بقم صغير. العينان جانبيتان وواسعتان. يشتمل الظهر على زعنفتين، تتكون الأولى من 4-8 شوكات، الثانية منها قوية وطويلة تبرز فوق ظهره من الجهة الخلفية. الشوكات الأخرى قصيرة وسميكة. تتكون الزعانف الأخرى من شعاعات قصيرة وهشة. الحراشف دائرية، صغيرة ومسننة في غاية الدقة تعطي لمظهر هذا النوع من الأسماك شكل ورقة زجاجية. يختلف لونه بين الكبار والصغار، فاللون الوردي المحمر والمذهب أحياناً يسيطر على ظهر الكبار والبطن فضي، الصغار شديدة السواد الأزرق جهة الظهر. الخط الجانبي منعدم لدى هذا النوع. طوله شائع بين 7-14 سم ولا يتعدى 20 سم.



يعيش وسط مجموعات متعددة الأفراد في المناطق البحرية العميقة المتراوحة بين 50-500 متر. تفضل الكبار

العيش في أعماق البحار وخاصة منها 50 . 200 متر، بينما توجد الصغار في المياه القريبة من سطح البحر. يتوالد طول فصل الشتاء.

يتكون غذاؤه من القشريات الصغيرة ومن الحيوانات الهائمة الصغيرة الدقيقة وخاصة منها مجدافيات الأرجل. يقتصر توزيعه الجغرافي على الشواطئ الأطلنطية الشرقية، كما أنه يوجد في البحر المتوسط وفي المحيط الهادي والهندي وذلك في المناطق المعتدلة الحرارة.

يتم صيده بشباك الجرف وبالشباك المخصصة لصيد الإريبان. صيده تقليدي وشبه صناعي. وجوده غير منتظم في أسواق الأسماك المغربية وتستهلك أغلب الكميات المصطادة من هذا النوع في صناعة دقيق الأسماك. ويتميز هذا الدقيق بجودة عالية.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، لبنان - ط. 3. 1988 : أ، الملعوف، معجم الحيوان، القاهرة، 1932 : دليل تعريف الموارد البحرية الحية في المغرب، المنظمة العالمية للتغذية، روما، 1998.

محمد رمضاني

### رات (جبل -) في الأطلس الكبير في قسمه الأوسط

وبالتحديد ضمن إقليم أزليال في تراب قبيلة أيت بوولي. ويكتب - خطأ - غات بتأثير الفرنسية، والصحيح هو رات براء غير مُفخمة.

تتميز قمة هذا الجبل البالغ من الارتفاع 3788 م بحدتها وشدة انحدار سفوحها، غير أنها تشرف على منطقة أقل تعقيداً : منطقة "أعزيب إزوم" التي تتميز بسطح يغلب عليه الانبساط مع بعض التحدبات الخفيفة حيث تتناثر صخور مفككة هنا وهناك. وتتخلل هذه الأشكال نباتات متفرقة وقصيرة أغلبها من الدوم، أما الغابة فيظهر أنها اندثرت مند وقت بعيد. لذلك اتخذ الأهالي هذه المنطقة

كمرعى جماعي ضمن ظاهرة "ألو" خلال فصل الصيف، ثم ينحدر الرعاة بمواشيهم إلى المنخفضات والأودية خلال فصل الشتاء البارد. والمر الذي يخترق جبال هذه المنطقة مُتّيحاً الاتصال بين الجنوب والشمال هوتيزي ن تيزغيست.

غير أن شهرة جبل رات ترتبط بشئ آخر على جانب كبير من الأهمية، تلك هي الكتابات القديمة الموجودة عند قدم هذا الجبل :

سطح صخري مستوٍ مع ميلان خفيف في اتجاه جبل رات يتكون من صفائح حجرية تتخللها تشققات وانكسارات متعددة نتيجة لعوامل التجوية والتعرية.

والحقيقة أن هذا الموضوع يعتبر كتاباً ثميناً سجل فيه أصحابه أفكارهم وهواجسهم واهتماماتهم، وجاء ذلك على شكل رموز ورسوم إنسانية وحيوانية وأخرى مبهمّة متعددة : رسوم تمثل معارك فرسان حاملين لأسلحة معدنية، ورسوم تمثل حيوانات مختلفة بأشكال متباينة.

وقد اختلف المؤرخون في تفسير هذه الرسوم، فهناك من ردها إلى غزاة من البربر اختاروا تيزي ن تيرفيسست الواقعة على ارتفاع 2500 م والقريبة من المرات الواصلة بين الصحراء والداخل لتخليد معركة خاضوها من أجل الحصول على المراعي كانت في صالحهم. وأن وجود الحجبل والنعام في الصور، يجعلنا نقتنع بوقوع الحدث في السهل.

وقد عزا مهتمٌ غيره بالموضوع هذه الرسوم إلى رعاة محاربين التجأوا إلى الجبال عند اشتداد جفاف الصحراء فيما بين 2500 و1200 ق. م.

ورأى مؤرخ آخر أن هذه الرسوم ترجع إلى العصر الحجري الحديث في المغرب، وهي من وضع عبّاد الطبيعة مارست عليهم قمم الجبال الشاهقة وعيونها المائية نوعاً من المجاذبية.

وأعتقد أن جميع هذه الآراء متكاملة وكل منها تلامس جزءاً من الحقيقة، فما ذهب إليه كلوري في الرأي الأول





وسيمونو في الرأي الثاني يلتقيان في مزاولة السكان النازحين من الصحراء (برسر على الأرجح) للرعي، وهذا شيء يتطابق مع طبيعة المنطقة الرعوية ومع أنشطة سكانها حتى في الوقت الراهن بدليل أن تسميتهم تؤكد ذلك : فأيت يوولي تعني "أصحاب الغنم".

أما الرأي الثالث (سيمونو نفسه) والذي يرد هذه الكتابات إلى عباد الطبيعة، فإن الذي يعاين هذه الرسوم لا شك أنه سيحار في فهم كثير من الأشكال الهندسية المربعة والمستديرة وبداخلها أشكال أخرى وكلها مبهمة، من المؤكد أنها - بالفعل - تدل على مشاغل دينية.

أ. التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، الدار البيضاء، 198 : محرمات ميدانية ومعانية : خرائط ومراجع جغرافية متنوعة.

بوشعيب العكروود

## راديو المغرب - الإذاعة

### الرأس الأبيض - بدوزة

### رأس سبارتيل - أميلوسيا

**رأس العين،** (عين بني مطهر، بركنت في فترة الحماية) تقع جنوب مدينة وجدة على بعد حوالي 80 كلم بالقرب من الحدود بين المغرب والجزائر، اشتهرت بوفرة مياهها في مجال يغلب عليه الجفاف، فاستقرت بها قبيلة بين مطهر التي طغى اسمها على اسم الموقع المذكور حتى صار يُنعت في أغلب الأحيان بعين بني مطهر. (انظر بني مطهر في المعلمة)، وإذا كان الموقع المذكور قد نما في عهد الاستقلال إلى أن أصبح مركزا حضريا بالجهة الشرقية في نهاية القرن الرابع عشر (20 م)، فإنه كان خلال القرن السابق موطنًا مغسورا لبعض الأسر المستقرة من قبيلة بني مطهر، لكن بعد احتلال الجزائر وخصوصا بعد توقيع اتفاقية مغنية حول الحدود سنة 1845 كُثر تداول اسم الموقع المذكور في الوثائق المغربية وفي الرسائل المتبادلة بين المغرب وفرنسا بشأن الحدود.

وقد ورد ذكر رأس العين لأول مرة في البند الثالث من الاتفاقية المشار إليها أعلاه معززا برسم توضيحي يحدد موقع عين بني مطهر، (إنحاف، 5: 168) وأشير إليه بالعبارة التالية "بني مطهر أهل رأس العين". وترتب عن رسم خط الحدود استقرار عدد من الأسر المنتمية لأولاد سيدي الشيخ برأس العين، التي صارت ملتقى وسوقا للقبائل الرحل بمنطقة الظهرا، وكان قائد قبيلة المهاية الحاج بويكر قد شيد بها دارا على شكل قصبة مخزنية منذ منتصف القرن الثالث عشر (19 م)، إلا أنها تلاشت في نهاية القرن، فأمر السلطان مولاي الحسن سنة 1892/1310 بتجديد البناء وتوسيعه تعريزا للحضور المخزني بالمنطقة

ولمراقبة تهريب الماشية نحو الأسواق الجزائرية، غير أن المشروع لم يتحقق إلا في سنة 1899. وقد استغلت السلطات الفرنسية بالجزائر فتنة الروكي بوحمارة (انظر بوحمارة في المعلمة) بعد انتقاله إلى الجهة الشرقية وتحالفه مع الشيخ بوعمامة فسطت نفوذها على أهل بني مطهر.

وتجدد الحديث عن رأس العين في اتفاق الجزائر الموقع في 20 أبريل 1902، حيث أشير في البند الثالث منه إلى إحداث سوق مشتركة في التراب المغربي بالمكان المسمى رأس العين بقبيلة بني مطهر؛ ثم صارت مبعث توتر بين المغرب والسلطات الفرنسية بالجزائر عقب احتلال الجيوش الفرنسية الموقع المذكور في منتصف شهر يونيو 1904 بدعوى مساعدة المخزن بمقتضى الاتفاقيات الموقعة معه، وقد لعب القائد علال البوشيخي (من أسرة أولاد سيدي الشيخ) دورا كبيرا في تسهيل عملية الاحتلال بإيعاز من الجنرال ليوطي، الذي كان آنذاك حاكما لمنطقة العين الصفراء بجنوب غرب الجزائر، فغُزرَ بالحاجب أحمد الركينة الذي كان متوليا رئاسة القوات المخزنية بشرق المغرب، حيث طلب المساعدة الفرنسية لحماية عين بني مطهر من أنصار الروكي وبوعمامة، فكان ذلك سببا لإعفائه من منصبه بأمر من السلطان عبد العزيز، الذي احتج بشدة على الاحتلال الفرنسي، واعتبره خرقا للاتفاقيات الموقعة بين الجانبين وطالب بالجلء عن الموقع المحتل. إلا أن فرنسا اشترطت مقابل ذلك إرسال قوات نظامية مغربية تتولى الحفاظ على الأمن والنظام، وهو ما عجز عنه المخزن آنذاك. وأثيرت مسألة احتلال رأس العين في مفاوضات فاس سنة 1909 بين السلطان عبد الحفيظ والوزير المفوض الفرنسي بالمغرب (رينيو)، حيث جدد طلب انسحاب القوات الفرنسية من مناطق شرق المغرب وفي مقدمتها رأس العين، مستدلا بمغربية الموقع بموجب الفصل الثالث من اتفاقية مغنية (1845) والفصل الثالث من اتفاق الجزائر الموقع بتاريخ 20 أبريل 1902، فاقترح المفاوض الفرنسي دفع تعويض للمغرب نظير احتلال هذا المركز على أن تقدر قيمته في مفاوضات لاحقة بباريس. وتطبيقا لذلك تضمن اتفاق باريس الموقع بتاريخ 14 يناير 1910 ما يؤكد مغربية رأس العين، حيث نص البند الثاني على أن : مركز رأس عين بني مطهر - بركنت - الموجود بتراب الإيالة المغربية يعد نقطة حيوية لحماية حدود الإيالة الجزائرية، وحسما لمادة الخلاف في هذا الشأن تدفع الدولة الفرنسية (كذا) للدولة الشريفة معاوضة تُبين بالتوافق بينهما في المستقبل".

وكان الدافع وراء المطالب المغربي ما أقدمت عليه السلطات الفرنسية بالجزائر، حيث ضمت رأس العين إلى التراب الجزائري منذ شهر غشت 1905، بعد أن عمد ليوطي عن قصد إلى إطلاق اسم بركنت (Berguent) على رأس العين، إذ أمر بتشييد ثكنة عسكرية قرب القصبة المخزنية، وحاول إيهام الرأي العام الفرنسي أن هذا الموقع لا يوجد

بالتراب المغربي، فأصبح بذلك المركز المذكور تابعا لدائرة العين الصفراء ضمن التراب الجزائري، بناء على تأويل مفرض للبند الثاني من اتفاق 1910، فأصدر الوالي العام للجزائر (جونار) مرسوما بتاريخ 22 يوليوز 1910 أكد إلحاق عين بني مطهر بالتراب الجزائري، وتعد تطبيق المرسوم المذكور مسا بالوحدة الترابية المغربية كما أقرها ميثاق الجزيرة الخضراء سنة 1906، مما أثار جدلا حادا بين وزارة الخارجية ووزارة الحربية الفرنسيين، حيث اعترف وزير الخارجية الفرنسية آنذاك ستيفان بيخسون (Stéphen Pichon) بمغربية رأس عين بني مطهر المثبتة في وثائق دولية، واعتبر أن كل موقف مخالف لهذا الواقع قد يجرح الحكومة الفرنسية أمام الدول الموقعة على ميثاق الجزيرة الخضراء، وخصوصا ألمانيا التي كانت فرنسا بصدد ترضيتها لرفع يدها نهائيا عن المغرب، وبناء على ذلك لم تعد رأس العين تخضع للسلطة المباشرة للحكومة العامة للجزائر، بل صارت تابعة لسلطات الاحتلال بوجدة، مما أكد مغربيتها رغم وقوعها تحت الاحتلال.

إلا أن استبدال الاسم الأصلي باسم برگنت أصبح طاغيا أثناء فترة الحماية، إلى حد أن الذاكرة الشعبية لأكثر من جيل تشبعت بالاسم الدخيل، فأصبح شائعا لدى عامة الناس في المنطقة الشرقية اسم برگم وهو تحريف لاسم برگنت. وترسخ الاسم الاستعماري في أذهان الناس باستعماله في الوثائق الرسمية، وكان ليوطي قد شجع البحث في كل ما من شأنه إثبات الاسم الدخيل، فسخر أقلام بعض الضباط الفرنسيين لتحقيق هذا المتغى، فتفتقت عبقرية البعض منهم عن تفسير مفاده أن برگنت كانت تطلق على وادي الشارف في مجراه المحاذي لرأس العين، وأن الحوض الأوسط لهذا الوادي يحمل بالتتابع الأسماء التالية: وادي الشارف، ثم واد برگنت، ثم وادي الحمي وأخيراً وادي زا الذي يصب في نهر ملوية. ووقع تحديد موقع برگنت على بعد 3 كلم من ينابيع الماء التي تتكون منها عين بني مطهر. إلا أن هذا التفسير تدحضه الاتفاقيات التي سبقت ذلك ومنها اتفاق مغنية سنة 1845 ثم اتفاق الجزائر (20 أبريل 1902)، حيث أشير إلى الموقع باسم رأس العين أو عين بني مطهر، بل إن الوثائق والمصادر الفرنسية نفسها السابقة لاحتلال الموقع المذكور لا تشير إلى التسمية التي أشاعها ليوطي منذ سنة 1904، ونذكر من بينها لامرتينيير ولاكروا، حيث أكد المؤلفان على أن أهم القصور والقرى التي صادفها بالمجرى الأعلى لوادي زا هي قصبة رأس العين. ومن جانبته أشار علي السوسي السملالي في كتابه *منتهى النقول ومنتهى العقول* (ص. 135 من المخطوط) ما ينفي ادعاءات ليوطي، وكان السلطان مولاي الحسن قد أوقفه إلى شرق المغرب سنة 1884 ضمن بعثة مخزنية بهدف إشهار معالم الحدود وحل النزاعات بين القبائل، وقد سجل في رحلته ما يلي: "خرجنا من وجدة

ليلا بعد صلاة العشاء، وسرنا الليل كله إلى زوال الغد ووصلنا إلى بني يعلا...، وعند الزوال قمنا من عندهم وبتنا في عين بني مطهر". وفي موضع آخر من الكتاب يصف المؤلف عين بني مطهر بما يلي (ص. 150 من المخطوط): "... يوم السبت نهضنا منه (جبل بني يعلا) إلى عين بني مطهر، وهي بلدة كثيرة العيون وفيها نهر كبير يجري على الدوام، ولكن لا ينتفعون به لغرقه جدا وينتفع به من غير بلدهم، وقطعنا تلك المسافة في ست سوانع ونزلنا بواد يسمى الشرف...". تثبت هذه المعطيات بما لا يدع مجالاً للشك أن الاسم الأصلي للموقع المدروس هو رأس العين المنسوب لبني مطهر. وهو ما تزكبه الوثائق المغربية الصادرة قبل الاحتلال الفرنسي، وهذا ما أدى في نهاية المطاف بعد حصول المغرب على الاستقلال إلى العودة إلى الاسم الأصلي للموقع بعد أن حاول ليوطي استبداله باسم برگنت، وهذه سياسة اتبعها ليوطي في عدة مواقع بالمنطقة الحدودية، نذكر منها على سبيل المثال بشار الذي صار يدعى كلونب بشار وأحفير الذي أصبح يسمى أثناء فترة الحماية مارطنبري دو كيس.

ملف وجدة بمديرية الوثائق الملكية بالرباط؛ علي السوسي السملالي، *منتهى العقول ومنتهى العقول*، مخطوط، رقم D 633، ج. ع. الرباط؛ ابن زيدان، *إنحاف*، ج. 5؛ عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي - الدولة المغربية ومشكلة الأطراف الشرقية في مطلع القرن العشرين* (أطروحة غير منشورة).

A. Cour, *Notes sur la région de Berguent*, B.S.G.A. d'Oran, 1909; Li. Gaquière, *Berguent (Ras el-Aïn)*, 1904 - 1906, B.S.G.A. d'Oran, 1913; C. Galinier, *Les Béni Mathar de Ras El-Aïn (Berguent)*, B.S.G.A. d'Oran, 1917; P. Venier, *Lyautey avant Lyautey*, Paris, 1997.

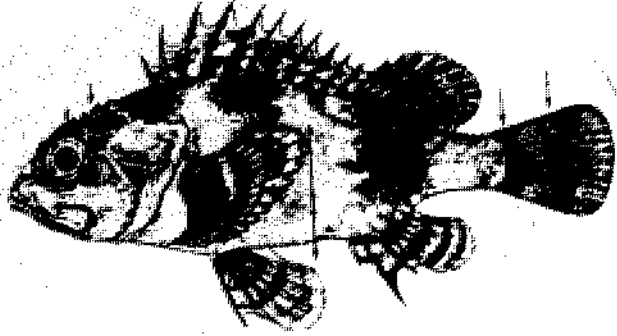
عكاشة برحاب

**رأس الواد**، يمتد مجال رأس الواد بين الأطلس الكبير والأطلس الصغير على مسافة مائتي كلم. ويقصد بالوادي واد سوس. وأهم قبائله رحالة، جزء من أنين، أيت سمك، تاجسوت، تالامت، أسيف نايت تامنت، أيت إيكاس، إندوزال، إبرازان، أرغن - مسقط رأس المهدي بن تومرت، إداو قيس، تيسوت، كطيو، المناهسة، أولاد يحيى، تارودانت، هواره.

تعد منطقة رأس الواد جزءاً مهماً من السوس الأدنى، وهي "حصرة سوس ثروة وقوة". فإمكاناتها الفلاحية متنوعة بين البسيط والجبل، لكن حسب دوفوكو لم يستغل منها إلا النزر القليل، وترك الباقي للرعي وللغاية.

بالمقابل كانت إمكاناتها الدفاعية تفوق إمكانات الجهات الأخرى من سوس. وقد ذكرها الرحالة المذكور بتفصيل. ولا نوافقه في حديثه عنها سياسياً بتأكيد أنه كانت غير خاضعة للسلطة المخزنية.

- الراسكاس الصغير Scorpaena notata يسمى  
بالفرنسية Petite Rascasse وبالإنجليزية Small red  
scorpionfish وبالإسبانية Escorpa.  
- الراسكاس الأسود Scorpaena porcus يسمى  
بالفرنسية Rascasse brune وبالإنجليزية Black  
scorpionfish وبالإسبانية Rascacio.



الراسكاس الأحمر قبيح المظهر، الرأس ضخم جدا، كثيف التجاعيد، مزين بعدة أشواك وقنزعات وينتهي بقم واسع ومائل. يشتمل الظهر على زعنفتين متواصلتين، تتكون الأولى من 11 - 12 شوكة و 9 شعاعات، الزعنفة الشرجية مكونة من 3 شوكات و 5 شعاعات. الأشواك الأخرى قصيرة وسميكة. تتكون الزعانف الصدرية والذيلية من أشعة قصيرة ولينة. الحراشف دائرية، صغيرة ومسننة في غاية الدقة تعطي لمظهر هذا النوع شكل ورقة رجاجية. يختلف لونه بين الكبار والصغار، فاللون الوردي المحمر والمذهب أحيانا يسيطر على ظهر الكبار مع وجود بقع سوداء على الزعانف وأحيانا على الظهر، البطن فضي، الصغار شديدة السواد الأزرق جهة الظهر. الخط الجانبي غير موجود - طول الراسكاس الأحمر شائع بين 20 - 30 سم ولا يتعدى 60 سم لدى الكبار.

يعيش في الأعماق المتراوحة بين 0-370 متر، سواء منها الصخرية أو الوحلية بالجرف القاري، وكذلك في الأعماق الغنية بعشب پوزيدونيا Posidonia ويصعد أحيانا إلى البحيرات الشاطئية ومصبات الأنهار. موجود بالأخص في الأعماق المتراوحة بين 20 - 200 متر على السواحل المتوسطة والأطلسية وتستقر الصغار في الأعماق الصخرية. يتوالد من مايو إلى غاية شهر غشت. يتكون غذاؤه من القشريات والأسماك الصغيرة ومن الرخويات الصدفية. يقتصر توزيعه الجغرافي على الشواطئ الأطلسية والمتوسطية.

يتم صيده بشباك الجر العميقة وشباك الصنابير العميقة وبصنارة اليد - صيده تقليدي وشبه صناعي. موجود باستمرار في أسواق الأسماك المغربية وبيع طريا ومبرداً ومجمداً.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم

إن قبائلها الجبلية كانت في الأرجوحة، بينما تلك الواقعة في البسيط فهي خاضعة للمخزن باستمرار باستثناء قبيلة أولاد يحيى وأجزاء من هوارة. وكاننا محط فلاقل أفلقت السلطة المركزية أكثر من مرة، وأرسلت إليهما حملات تأديبية كان أخطرها على يد الباشا حم الجليلي المكناسي.

وقد لاحظنا من خلال المحلات المخزنية النازلة بسوس أنها تعتمد أكثر في تموينها ومدتها بالكلف على أهل رأس الواد. فضلاً عن أن مدينة تارودانت كانت على الدوام قاعدة للمخزن المغربي، فهي مقر العمال ومعظمهم من الأسرة المالكة.

وحظيت قبائل رأس الواد بنفس الأهمية على عهد أحمد الهيبية، إذ بدخول أهلها في حركته الجهادية تقوى نفوذه، ويخروجهم عن طاعته أمسى مجالها فاتحة الهزائم التي تقلب فيها.

وفي عهد الحماية كانت منطلقاً لاحتلال بقية السوس الجبلي "جزولة" بدعم قيادات محلية وعلى رأسها التيوتي والضروري وأيت بازي. كما كانت مدارس رأس الواد وزواياه منذ القديم محجة الجليلين الأفاقين، واشتهرت كمثيلاتها الهشتوكية بعلم القراءات. واشتهرت كذلك بزواية تمگدشت وزوايا ناصرية، أنبتت متصوفة طبعوا التصوف السوسي، ومنهم من وقف ندا ضد شطط القواد والشيخوخ.

وثائق الخزنة الحسنية، وثائق خزانات سوسية خاصة، بودمعة، أغرض بتسارت... : م. المختار السوسي، خلال جزولة، 3 : 167 - 169 : العسول، 4 : 121 - 122 - 160 - 164 - 180 - 196 - 268 : 6 : 171 - 182 - 34.10 : 185 - 180 : 13 : 200 : 18 و 20 صفحات مختلفة.

شفين أرفاگ

**الراسكاس** (سمك) هذا هو اسمه الشائع في أسواق الأسماك المغربية، ويدعى العقرب في مصر والشرق العربي، وسكروف في الجزائر ويوكشاش الأحمر في تونس. هو سمك بحري من الأسماك العظيمة ومن فصيلة سكوربينيدي Scorpaenidae. منه عشرة أنواع شائعة في سواحل المغرب، أهمها في الجانب الاقتصادي :

- الراسكاس الأحمر Scorpaena scrofa يسمى بالفرنسية Rascasse rouge وبالإنجليزية Red scorpionfish وبالإسبانية Cabracho.

- راسكاس الصخور اسمه العلمي Helicolenus dactylopterus (maderenis) بالفرنسية Rascasse de fond وبالإنجليزية Rockfich وبالإسبانية Gallineta.

- الراسكاس الوردي Scorpaena elongata يسمى بالفرنسية Rascasse rose وبالإنجليزية Slender rockfich وبالإسبانية Gallineta rosada.

الزراعية، مكتبة لبنان - ط. 3. 1988 : أمين المعلوف، معجم  
الحيوان، القاهرة، 1932؛ دليل تعريف الموارد البحرية الحية في  
المغرب. المنظمة العالمية للتغذية، روما، 1998.

محمد رضاني

## الرأسمانية ← الليبيرالية

ابن راشد، أسرة شفشاونية من شرفاء جبل العلم،  
تنسب لراشد بن علي بن سعيد بن عبد الوهاب بن علال بن  
القطب مولاي عبد السلام ابن مشيشي حفيد إدريس بن  
إدريس. وأول من اشتهر منهم القائد المجاهد علي بن موسى  
بن راشد مؤسس شفشاون أتي الترجمة.

ابن راشد، إبراهيم بن الأمير علي بن موسى العلمي  
الحسني، ولد بشفشاون سنة 895 - 1490 وتزوج لأول مرة  
بالسيدة يطو بنت قائد القصر الكبير صلح بن عبد الحميد  
العروسي سنة 916 / 1510 فأنجبت له ابنه الوحيد علي .  
ثم تزوج بالسيدة يامنة بنت القائد أحمد بن طلحة العروسي  
سنة 926 / 1520، ثم بعاشقة بنت السلطان محمد الوطاسي  
البرتغالي سنة 934 / 1528).

كان إبراهيم خليفة لأبيه الأمير علي من سنة 914 /  
1508) إلى سنة 922 / 1516 ثم أصبح على رأس الإمارة  
إلى سنة 946 / 1539؛ وتولى حكم تطوان مباشرة من سنة  
925 / 1519 إلى سنة 931 / 1525، ونظم عدة هجمات ضد  
البرتغاليين المحتلين لمدينة أصيلا؛ وفي سنة 935 / 28 .  
1529 أصبح الوزير الأول للملك أحمد الوطاسي بفاس إلى  
أن وافته المنية سنة 946 / 39 . 1540.

ابن راشد، أحمد بن محمد بن الأمير علي ابن راشد،  
كان خليفة لأبيه الأمير محمد وناب عنه عندما كان والده  
أسيراً بفاس من سنة 961 / 1554 إلى سنة 962 / 1555؛  
وفي سنة 969 / 1562 فر مع والده إلى المشرق حيث مات  
قتيلاً بمصر.

ابن راشد، إدريس بن علي بن إبراهيم بن الأمير  
علي العلمي الحسني. كان له ذكر في مراكش على عهد  
السلطان أحمد المنصور الذهبي بصفته أديباً شاعراً؛ وقد  
ذكره أحمد المقري في روضة الآس من بين الأدباء والشعراء  
الذين لقبهم بالمدينة المذكورة أثناء زيارته لها سنة 1009 /  
1600 كما ترجم له ابن القاضي في درة المجال ويبدو من  
كلامه أنه كان على قيد الحياة سنة 1025 / 1616.

ابن راشد، عبد السلام بن علي العلمي الحسني كان  
خليفة أخيه إبراهيم بشفشاون، من سنة 937 / 1531 إلى  
سنة 945 / 1538.

ابن راشد، علال بن سعيد بن موسى العلمي الحسني  
كان خليفة لابن عمه الأمير إبراهيم بن علي من سنة  
922 / 1516 إلى سنة 937 / 1531.

ابن راشد، علي بن إبراهيم العلمي الحسني. ولد  
بمدينة شفشاون سنة 917 / 1511 وكان يرافق والده الأمير  
إبراهيم في الغزوات التي كان يقوم بها ضد البرتغاليين  
بمدينة أصيلا؛ وقّع مع والده وعمه محمد المعاهدة المبرمة  
مع البرتغال في 8 دي الحجة 945 / 8 ماي 1538.

ابن راشد، علي بن موسى العلمي الحسني الأمير  
المجاهد واسطة عقد هذه الأسرة الماجدة ومؤسس مدينة  
شفشاون. ولد بقرية إيناروزيم بقبيلة الأخماس الغمارية سنة  
844 / 1440 وذهب إلى الأندلس سنة 864 / 1460 حيث  
حارب هناك بجانب ملك غرناطة، ثم عاد إلى مسقط رأسه  
سنة فاختاره ابن عمه ابن جمعة العلمي خليفة له كأmir  
للجهاد. وقد أسس علي ابن راشد مدينة شفشاون سنة  
876 / 1471 وجعل منها دار الإمارة الراشدية وظل على  
راسها إلى سنة 922 / 1516.

وفي سنة 888 / 1481 أعاد الأمير علي بناء مدينة  
تطوان المخربة. على أحد الأقوال. فكان أول حاكم لها إلى  
سنة 898 / 1493.

وتذكر له المصادر عشرين غزوة قام بها ضد البرتغاليين  
المحتلين لمدينة أصيلا وطنجة وسبتة.

وكانت زوجته الأولى إسبانية اعتنقت الإسلام واتخذت  
اسم الزهراء وأنجبت له إبراهيم والست الحرة؛ ونجمل اسم  
زوجته الثانية التي أنجبت له عبد السلام وعمر. وأما زوجته  
الثالثة فكانت شريفة علمية أنجبت له أحمد وفاطمة  
ومحمداً.

توفي الأمير علي ابن راشد بحاضرتة شفشاون سنة  
922 / 516 وخلفه ابنه الأكبر إبراهيم على رأس الإمارة.

ابن راشد، عمر بن راشد بن علي بن سعيد العلمي  
الحسني، عم الأمير علي بن موسى وخليفته من سنة 876 /  
1471 إلى سنة 892 / 1487. شارك في عدة معارك ضد  
البرتغاليين واستشهد في المعركة التي جرت بضواحي طنجة  
يوم 22 شوال 892 / 11 أكتوبر 1487 في حين سقط ابن  
أخيه الأمير علي أسيراً بيد البرتغاليين.

الرواشد من أولاد جامع، أهل ثروة ومال وجاه قديم ومعاش وحرقة. ويقال إنهم سكنوا أولاد جامع قريباً وإن أصلهم من ملوية، ولكن رأيت ذكرهم بفاس في وثيقة مؤرخة بعام 1167 / 1753. وقبلها أخري بتاريخ 916 / 1510. والفرقة الثانية شرفاء من جبل العلم كانوا بفاس، والأُن انقضوا لا ذكر لهم بها.

ع. ابن سودة، إزالة الالتباس، ج 1، مرقون.

محمد حجي

### الراشدي، أحمد بن يوسف دفين مليانة، تُحله

مصادر التصوف المغربي صدارة الطبقة الزروقية الأولى، وتحليه "شيخ المشايخ" و "شيخ الطوائف المغربية". وهي تحلية ترجح منزلته الرفيعة في تاريخ الطريقة الشاذلية بالمغرب، والتي ينزل من فرعها الزروقي منزلة الشيخ محمد الصغير السهلي (ت. 918 / 2 / 1513) من فرعها الجزولي. ذلك أن طريقته الراشدية تعتبر الوساطة التي أوصلت جبل الزروقية بالمغرب، والقناة التي تفرعت عنها به طوائف وزوايا ستعمل إلى جانب مشيقاتها الجزولية على غلبة الشاذلية بالمغرب، حتى أصبحت تعد الطريقة الرسمية به.

ولد في دوار "راس الماء" الواقع في قسم الهضاب الشمالي من وطن بني راشد بالمغرب الأوسط، في تاريخ غير محدد من النصف الثاني من القرن التاسع (15 م). وانتسب إلى الشيخ أحمد زروق (ت. 899 / 1493) خلال العقد الأخير من هذا القرن، قريباً من ثغر بجاية، وبالضبط بقرية "تامقرة" التي كانت تأوي المعهد العلمي والصفوي الشهير الذي أسسه يحيى بن محمد العبدلي شيخ زروق.

ظهر أحمد الراشدي في أوليته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين عشيرته، فالإمامة والوعظ في مسجد سوق "أم العساكر" أهم التجمعات القروية بالقسم الشمالي من وطنه، والتي تبعد عن دواره بنحو ستة كيلو مترات. ثم بنى أول زواياه بدواره المذكور، بعد إقبال الناس عليه وحصول التعريف به وبمذهبه.

وأزعجته الدولة الزيانية عن زوايته في تاريخ قريب من عام 911 / 1505، فهجرها نهائياً وقضى العقدين المتبقين من عمره في التنقل بين مختلف جهات المنطقة الغربية من المغرب الأوسط، من سهل شلف شرقاً إلى ندرومة غرباً، ومن السواحل المتوسطية شمالاً إلى التخوم الصحراوية جنوباً. وأسس زوايا متعددة تصدر لمشيقاتها في مواضع مختلفة من هذه المنطقة الشاسعة، قبل أن يلقي عصا التسيار في سهل شلف. واضطلعت زواياه بالأدوار المألوفة للزوايا المغربية، مع ما تفرضه الخصوصيات المحلية والتاريخية من الامتياز أو التخصص في بعض الوظائف والأدوار : من إطعام وإيواء وتعليم وإشفااء، ومواجهة القبائل الهلالية، وإغاثة منكوبي فيضان نهر شلف، ورد المسروق لأهله، وغير ذلك. وقد مر الحسن بن محمد الوزان

ابن راشد، محمد بن الأمير علي بن موسى. كان خليفة لأخيه إبراهيم من سنة 945 / 1538 إلى سنة 946 / 1538. وفي يوم 8 ذي الحجة 945 (8 ماي 1538) وقّع معه المعاهدة المبرمة مع البرتغاليين.

تولى المترجم له شؤون الإمارة الراشدية من سنة 946 (1539) إلى سنة 960 / 1553، وسجن بفاس سنتين عاد بعدها إلى إمارته بشفشاون سنة 962 / 1555. وقد حاصره جيش السلطان عبد الله الغالب سنة 969 / 1562. وتمكن محمد من الفرار إلى مرسى ترغرة ومنها أبحر إلى المشرق حيث كانت وفاته بالمدينة المنورة في تاريخ غير محدد.

ابن راشد، موسى بن راشد بن علي بن سعيد العلمي الحسني، والد الأمير علي ابن راشد مؤسس شفشاون، كان يرافقه في الغزوات التي يقوم بها ضد البرتغاليين المحتلين لمدن أصيلا وطنجة وسبتة؛ وقد جرح في المعركة التي جرت بضواحي طنجة وسقط فيها ابنه الأمير أسيراً يوم 22 شوال 892 / 11 أكتوبر 1487.

ابن راشد، موسي بن سعيد العلمي الحسني، مجاهد عمل خليفة لعمه الأمير علي بن موسى، وجاهد إلى جانبه ضد البرتغاليين، وشارك في المعركة التي جرت بضواحي طنجة يوم 22 شوال عام 892 / 11 أكتوبر 1487 حيث سقط أسيراً بيد البرتغاليين صحبة عمه، وظل هناك رهينة عندما أطلق سراح الأمير؛ كما شارك في المعركة التي جرت بنفس المكان يوم فاتح ربيع الأول عام 901 / 19 نونبر 1495.

ابن راشد، يعقوب بن سعيد بن موسى العلمي الحسني، مجاهد شارك في الغزوات التي كان يقوم بها عمه الأمير علي وسقط أسيراً في المعركة التي جرت بضواحي طنجة يوم 22 شوال 892 / 11 أكتوبر 1487 وظل هناك رهينة عندما أطلق سراح عمه؛ كما شارك في المعركة التي جرت بنفس المكان يوم فاتح ربيع الأول 901 / 19 نونبر 1495.

وفي شهر ذي الحجة 895 / أكتوبر - نونبر 1490 عينه عمه الأمير قائداً على فرقة بني ومراس بقبيلة بني عروس ليراقب عن كتب تحركات البرتغاليين في أصيلا.

م. ابن عزوز حكيم، مولاي علي بن راشد مؤسس شفشاون، تطوان، 1998، والمراجع المذكورة في هذا الكتاب.

محمد ابن عزوز حكيم

الراشدي (أولاد -) أسرة فاسية ذكر صاحب كتاب إزالة الالتباس (1: 216) أنهم على فرقتين: فرقة من

(ت. بعد 934 / 1528) بهذه المنطقة مع ركب الحجيج الفاسي  
أواخر عام 921 / 1516، فنزل في ضيافة الزاوية الراشدية،  
ونال قراها، وحظي برعاية شيخها. وخلف لنا وصفا شافيا  
عن يسر حاله وكثرة حرثه وماشيته، ووفرة أتباعه، وتوقير  
الأمرء الزبانيين له، ومراعاة قبائل الأعراب لجانبه، وذلك  
في رحلته الشهيرة وصف إفريقيا.

كانت للشيخ أحمد بن يوسف يد في الأحداث السياسية  
التي عرفها المغرب الأوسط خلال الربع الأول من القرن  
العاشر (16 م)، في خضم تنافس الإمبراطوريتين العثمانية  
والإسبانية على مملكة تلمسان. ويعود لقاؤه بعروج ماهد  
دولة الأتراك بالمغرب الأوسط إلى تاريخ سابق لسقوط ثغر  
وهران في يد الإسبانين عام 915 / 1509، ولقيامه هو  
وأخوه خير الدين بوظيفة الجهاد التي أهملها الأتراك  
الزبانيون، ابتداء من عام 918 / 1512. وتأكد هذا الاتصال  
عام 923 / 1517 الذي تحرك فيه الجيش التركي بقيادة عروج  
لنصرة التلمسانيين على أمرهم الزباني وشيعته من  
المسيحيين. وقد استشهد عروج في مععة تلمسان عام 924  
/ 1518، ودخل الشيخ أحمد بن يوسف سجنها، ولم يطلق  
سراحه إلا بعد سقوطها في يد الأمير الزباني المحمول على  
أكتاف الأتراك. وقد توطدت علاقة الزاوية الراشدية  
بالأتراك بعد قيام دولتهم بالمغرب الأوسط، ودامت حتى  
الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1245 / 1830. وذهب  
البعض إلى القول باستعانة أتراك إيالة الجزائر بإخوان  
الطريقة الراشدية في حربهم ضد الدولة السعدية الناشئة  
التي نافستهم على تلمسان، وأنهم استخدموهم في  
الدسائس والمؤامرات التي كانوا يمهدون بها لاستكمال  
نفوذهم على كل بلاد المغرب الإسلامي.

ولم يكتمل نصف العقد على خضوع تلمسان لآل  
عثمان، حتى وافى الشيخ أحمد ابن يوسف الأجل المحترم  
في شهر صفر عام 931 / 28 نونبر - 26 دجنبر 1524. وتذكر  
سيرته أنه قد أوصى في حياته بأن يشد نعشه إلى ظهر  
بغلة، ولا يدفن إلا بالموضع الذي تقف فيه. فيمت الدابة  
مليانة، وهناك قام ضريحه، وظهر لقب الملياني الذي  
سيغلب عليه ويشتهر حفده به. ولا يستبعد أن تكون لخير  
الدين يد في إقامة ضريحه بمليانة لأهميته، وحتى تسهل  
مراقبة نشاط أتباعه.

ويؤول الفضل في نشاط ذكر الشيخ الراشدي من عقال  
المحلية المحصور في غرب المغرب الأوسط، وانفلاته إلى  
مجال أرحب وأوسع، وهو مجال التصوف ببلاد المغربين  
الأوسط والأقصى، إلى صورته كعارف وكصاحب مذهب  
صوفي له نظرته الخاصة إلى أهم قضايا المعرفة الصوفية  
المتعلقة بالله والوجود والإنسان. وقد هرع فيه على أثر  
مذهب أبي يزيد البسطامي (ت. 261 / 874)، في صورته  
المتأثرة برواد الحب الإلهي الخالص الذين سبقوه، وبغلاة  
التصوف الذين مهد لهم وجاؤوا من بعده.

واتباع الراشدي للبسطامية لا يتناقض مع نسبه  
الزروقية، بل يتفق مع ركن من أهم أركانها، وهو مبدأ  
الاستحسان الذي أكد عليه الشيخ زروق، وأقر أن كل فرد  
له الحق في اتباع الأحسن من المذاهب الصوفية،  
والاختصاص بالضرب الصوفي الذي يتفق مع قدرته  
واستعداده الطبيعي، شرط الرجوع إلى الكتاب والسنة،  
والتقيد بقواعد الإسلام. فالتصوف في الطريقة الزروقية  
علم الفضائل والحالات، والأعمال والحقائق. وقد شجع  
الشيخ زروق تلامذته من المتعلقين بالحقائق على الإقبال  
والنهل من مختلف المشارب والتيارات التي عرفها تاريخ  
الفكر الصوفي الإسلامي، بما في ذلك المذاهب الفلسفية  
الرقيقة. وذلك في إطار مفهوم للتصوف يراه طريقاً فردياً  
ومنهجاً شخصياً، مقصوراً على الخاصة دون العامة والجهلة  
من لاقدرة لهم على فهم دقائقه.

وهكذا إذا كان الطريق إلى الله، في الطريقتين الزروقية  
والراشدية، يسلك منهجاً معرفياً واحداً. حيث يتفق الأستاذ  
والتلميذ في كيفية التفكير في الله، وأدوات هذا التفكير،  
ودور العقل فيه، والنظرة إلى العالم وأقسامه. وتسير  
الطريقتان بالسالك على نفس الخريطة التي رسم زروق  
وسطر عليها معالم الطريق إلى الله، وتقطعان به نفس  
المنازل والمراحل. فإنه حين تبلغان به قمة المراتب الصوفية،  
وأعلى الدرجات دنواً من الله، حيث يستحوذ على العارف  
جمال الله وجلاله، ويستغرق بالكلية في شهود وجوده من  
خلال صفاته. هنا تنشأ نقطة الخلاف الحاسمة التي باعدت  
بين الطريقتين. فينتفي التمييز لدى الراشدي بين الموقف بين  
الألوهية والربوبية، ولا يبقى إلا موقف الحب الخالص الذي  
يصرف القلب عن مشاهدة تجليات الجمال والجلال في  
الكونين الدنيوي والأخروي، ويصونه عن الاقتراق بين  
مختلف العوالم. فتضمحل أسباب الخشية والرجاء، وتزول  
دواعي العمل طمعاً في الجنة وخوفاً من النار.

وقد وافق ميلاد الطريقة الراشدية فجر المائة العاشرة  
للهجرة، التي وقر في اعتقاد أهلها عدم مجاوزة عامها  
الألف، الذي سيتهيئ بفناء الدنيا ونهاية دولة الإسلام.  
وشهد هذا الفجر عصف رياح هوج بالبلاد المغربية :  
فالدول القائمة بها فشلت ربحها، وتفرقت سلطنتها أيدي  
سباً. وحملة الصليب تمكنوا من أكتافها، والقحوط جف لها  
ضرع وزرع أرضها، والمجاعات ذوى لها أهلها. فترتب عن  
هذا السواقع المالك عواقب استقرت بأذهان أهل القرن  
العاشر، وأدواء ثوت بأفئدتهم ونفوسهم. وكان الخوف على  
رأس هذه العواقب والأدواء. وهو خوف لا يزداد - مع مرور  
السنين - إلا حدة، ولا تزداد وطأته إلا شدة، بفعل الترقب  
والانتظار، ترقب القيامة وانتظار يوم النشور ! وقد استوى  
في الاعتقاد بصدق هذا الخير الخاص والعام من أهل هذا  
القرن، فالشيخ زروق كان يدعوه أن يقبضه إليه قبل أن  
يشهد هذا القرن، وقد استجاب له وتوفاه في آخر القرن

التاسع (15 م). وتلميذه الراشدي الذي ظهر في أولية القرن العاشر (16 م)، كان يصرح بأنه آخر القرون مع فساده وفساد أهله، إلا أنه كان يرى في ذلك ميزة تعلي من شأن سلطانه الروحي، ويعتقد أن في الأمر حكمة ربانية تختصه دون سواه بسلطنة هذا الوقت.

وهكذا إذا كانت مدرسة المحبين في تاريخ التصوف الإسلامي قد نشأت كرد فعل ضد مدرسة الخائفين، فإن المذهب الصوفي الذي دعا إليه الراشدي، خلال الربع الأول من القرن العاشر، قد جاء كرد فعل ضد الخوف من النار الذي أصبح سمة العبادة على عهده. ولاشك أن الصورة التي قدمها هذا المذهب، والتي تهم العلاقة بين الله والوجود والإنسان، والقائمة على المحبة الخالصة بالأساس، قد ركزت إليها نفوس معاصريه لاختلافها عن بقية الصور التي روجتها المذاهب الصوفية المعاصرة. وهذا الركون هو الذي يفسر لنا القبول الجسيم والانتشار الواسع اللذين حظي بهما هذا المذهب، والذي طارت شهرته مبدعه في حياته شرقاً وغرباً، وتقاطرت عليه وفود الآخذين والمنتسبين من كل حذب وصوب.

ومن الحق أن التصوف الذي دعا الشيخ أحمد بن يوسف إلى الكروع من حياضه يعد من المشارب الصوفية غير المرغوب فيها من قبل غالبية مشايخ التصوف المغاربة على هذا العهد، لأنهم كانوا يرون فيه أصل شوب الفتن، والطريق المباشر إلى الانحراف. فكانوا يحذرون الناس من مشايخه ويصرفونهم عن مصنفاته، ويقولون إنها تسد باب الفتح. فترقت الشبهات فوق الراشدي ومذهبه، منذ خطأ خطواته الأولى على درب المشيخة إلى أن شاع نعيه في الناس، وجُوبه أتباعه بالكافحة في كل من المغربين الأوسط والأقصى. وألف علماء القرنين العاشر والحادي عشر (16، 17 م) في الرد عليهم والتحذير منهم، وامتنحت بعض طوائفهم على عهد كل من البوطاسيين والسعديين والعلويين.

وتسببت الأجيال المتعاقبة من أهل المغرب الأوسط إلى الشيخ أحمد بن يوسف أدعية مدقعة ومرسلة باللسان الدراج، تهم معظم بوادي وحواضر هذا الصقع. ونسج المتأخرون قصصاً، سُدوا بها الثلمة الحادثة في المرحلة السابقة من ترجمته لأخذه عن الشيخ أحمد زروق. وابتدأ الاهتمام بالراشدي والراشدية في الأسطوغرافية الكولونبالية مباشرة بعد احتلال الجزائر عام 1245 / 1830، وتم تجميع كل هذه الأدعية والقصص ونشرها. وحصلت العناية بالسير المبكرة والمتأخرة والمفردة في الشيخ أحمد بن يوسف، وتمت قراءتها على ضوء أحداث التاريخ الديني والاجتماعي والسياسي للمغرب الأوسط خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م). وتنكبت الدراسات التي اهتمت بالراشدي والراشدية تمام التنكب عن مذهبه الثاوي في ثنايا سيرته المدونة من قبل محمد الصباغ القلعي، ما بين أعوام

م. الصباغ القلعي، بستان العارفين الأزهار، في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار، مخطوط، خ. ع. 243 ك؛ مؤلف مجهول، التعريف بنسب الشيخ الإمام قدوة السالكين وإمام العارفين وتاج الموحدين وترجمان المتكلمين قطب الأقطاب وغوث الأغوات وجرس الأجراس سيدي أحمد بن يوسف، مخطوط، خ. ع. 1457 د - 1471 د؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا، تر. م. حجي وم. الأخضر، ط. 2، بيروت، 1983، 2: 26، 29؛ م. ابن عسكر، دوحه الناشر، تح. م. حجي، الرباط، 1977، 125؛ أ. بن القاضي، درة المجال، 1: 165؛ م. العربي الفاسي، صرة المحاسن، ط. حجرة، 224؛ م. الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ط. ببيرفونتانة الشرقية في الجزائر، 1909، 972، 100؛ ع. نجحي، طائفة العكاكرة، 1: 1، 265.

R. Basset, *Notice biographique sur Sidi Ahmed ben Youssef*, J.A., 1889; *Dictions satiriques attribués à Sidi Ahmed ben Youssef*, J.A., 1890; S. Biarnay, *Notes d'ethnographie et de linguistique Nord Africaines*, Paris, 1924, 117 - 122; M. Bodin, *Notes et questions sur Sidi Ahmed ben Youssef*, R.A., n°323 - 324, 1925; E. Dermenghem, *Le culte des saints dans l'Islam Maghrébin*, Paris, 1954; J. Berque, *Les Arabes par leurs archives, XVI - XX siècles*, Paris, 1976; *L'intérieur du Maghreb*, Paris, 1978.

عبد الله نجحي

### الراشدي، عبد القادر الرياطي موسيقي ولد

بالرياط عام 1348 / 1929 بدأ مسيرته الفنية وهو لم يتم العقد الثاني من عمره فتكشفت موهبته الفنية، وأقبل في عصامية متناهية على دراسة أصول الموسيقى العربية اعتماداً على بعض الكتب الشرقية، وعُني بتعلم أصول الآلة الأندلسية وحفظ صناعاتها على يد عميدي هذا الفن بالرياط الحاج عبد السلام بن يوسف والفقير الحاج محمد



ولى العهد ياولي العهد أمير الشباب عليك السلام  
ودمت عظيما رفيع المقام أمير الشباب عليك السلام  
ومنها نشيد التجمع الكشفي العربي الخامس الذي  
انعقد بالمعمورة في صيف 1962. وهو من كلمات الشاعر  
أحمد عبد السلام البقالي ومطلعه :

مرحبا بالعرب في ديار العرب  
وستتحول الجوق العصري عام 1379 / 1959 في عهد  
مدير الإذاعة المهدي المنجرة إلى جوق ضخم يحتضن عناصر  
"جوق المتنوعات" الذي كان يرأسه محمد بن عبد السلام من  
جهة، ويستقبل من جهة أخرى مجموعة من الفنانين  
القادمين من الدار البيضاء وعلى رأسهم عازف العود عمرو  
الطنطاوي، الأمر الذي أفضى إلى تسميته باسم جديد هو  
"الجوق الوطني لدار الإذاعة" غير أن رحيل المدير المنجرة عن  
الإذاعة كان إيذانا بتسرب النزاع إلى صفوف أعضاء الجوق  
بسبب منافسة الراشدي وأحمد الشجعي ومحمد بن عبد  
السلام لأحمد البيضاوي على منصب الرئاسة. وانتهى هذا  
النزاع بتعيين الثلاثة على رأس أجواق جهوية، فعين  
الراشدي على رأس جوق إذاعة طنجة، ونال مثل ذلك  
الشجعي بإذاعة فاس، ومحمد بن عبد السلام بمدينة  
مكناس.

استطاع الراشدي خلال فترة إقامته بطنجة أن يخلق  
جوقا قويا، غير أن تمسكه بإبداعاته وشغفه بأسلوبه الخاص  
في الأداء والتسجيل كان مما عجل بانفصاض أعضاء الجوق  
من حوله، فلم يجديداً من مغادرة طنجة والعودة إلى الرباط  
عام 1384 / 1964، ليتقلد مسؤولية رئاسة الجوق الوطني  
خلفا لأحمد البيضاوي الذي تسلم رئاسة قسم الموسيقى بدار  
الإذاعة الوطنية. واستمر الراشدي على رأس الجوق الوطني  
إلى أن أحيل على التقاعد عام 1410 / 1989.

تعددت مجالات إبداعات الراشدي وتنوعت مواضيعها،  
فلحن الأغاني العاطفية والأناشيد الوطنية والابتهالات  
الدينية، وألف مقطوعات في قالب الموشح الشرقي. كما  
ألف معزوفات آلية متعددة، فناهز ما وضعه ثلاثمائة  
مقطوعة موسيقية موزعة ما بين الشعر الفصيح والزجل  
المغربي، ولم يقل عدد المعزوفات الآلية عن العشرة، من  
أروعها "رقصة الأطلس"، و"فرحة غانا" التي وضعها  
بمناسبة زيارة الرئيس قوامي نكرومة للمغرب، و"تحية  
العرش"، و"مهرجان" و"الربيع"، و"بستان".

تعامل الراشدي مع جل الأصوات المغربية الناجحة،  
وأكثر أغانيه مما أداها الفنان الراحل إسماعيل أحمد الذي  
غنى له زهاء خمسين أغنية من أروعها : زينة - هجر  
قاسي - باللي جاهك عالي - المثل العالي - حبيبي لما عاد -  
عيدك سُورَة شاع ويان - ناديني يا مليكي - مراكش بين  
التخيل.

ويأتي بعد إسماعيل أحمد من المطربين المعطي بلقاسم،  
وعبد الهادي بلخياط، وعبد الوهاب الدكالي، ومحمود

السبيح، وكان إلى ذلك مولعا بحفظ الموشحات والأدوار  
الشرقية، مواظبا على سماع قصائد الملحون والأهازيج  
الشعبية، ومستعملا أرباب الزوايا وأمداح الطوائف  
الطرقية كالعيساوية والحراقية والجيلالية.

دخل الراشدي دنيا الاحتراف الموسيقي في مطلع عام  
1364 / 1944 عندما انضم إلى جوق الاتحاد الريايطي الذي  
كان يرأسه عبد النبي الجراري. وبعد ذلك بنحو عامين  
استقل الراشدي بنفسه ليلم من حوله مجموعة من المطربين  
أطلق عليها اسم "جوق التقدم" الذي أصبح يحتل موقع  
المنافس الشديد لجوق الجراري، كما أصبح يقاسمه حظوة  
الاضطلاع بإحياء حفلات الأعراس في الأوساط الريايطية  
بعدها كان ذلك موكولا إلى أجواق الآلة الأندلسية.

ويذكر شاهد عيان، عبد الله شقرون، أن البرنامج الفني  
لجوق التقدم كان يقوم على أهازيج مصرية وموشحات  
جزائرية أندلسية، إضافة إلى بعض الأغاني التي لحنها  
رئيس الجوق نفسه.

وقد كان الراشدي من السباقين إلى العمل في الجوق  
الذي أسسته إذاعة (راديو ماروك) عام 1371 / 1952. غير  
أن الظروف السياسية التي سادت البلاد بسبب نفي الملك  
محمد الخامس قلصت من نشاط هذا الجوق، فانتابه التعثر  
ثم توقفت عناصره عن العمل فيه، ومن بينهم عبد القادر  
الراشدي.

وفي هذه الأثناء دعاه زملاؤه في الحركة الوطنية إلى  
تلحين بعض الأناشيد، فكان شبان الرباط يتغنون بها في  
المخيمات ورحاب المدارس الحرة، وكان مما أبدعه في هذه  
الفترة رائعته الموسيقية "رقصة الأطلس"، التي لحنها في  
مخيم خرزوزة بالقرب من مدينة أزرو مع تلامذة مدرسة  
محمد حيسوس وأسأذتها.

وفي هذا الصدد يقول الراشدي في استجواب أجري معه  
عام 1395 / 1975 كنا نتصل بالتلاميذ والطلبة سواء في  
المدارس أو في المخيمات وبالعاملين في المعامل لإحياء  
حفلات موسيقية والتغني بأناشيد وطنية، هدفنا من ذلك  
التعريف بالوطنية المغربية وبعث الشعور الوطني في نفوس  
المغاربة.

وكان لرجوع محمد الخامس من المنفى الأثر الأكبر في  
عودة الحياة إلى جوق الإذاعة الذي أصبح يعرف باسم الجوق  
العصري لدار الإذاعة الوطنية، وعاد الراشدي وزملاؤه  
يتربعون مقاعدهم بقيادة المرحوم أحمد البيضاوي، فكان  
الراشدي من خيرة أعضائه عازفاً على الكمان وملحناً،  
أتحف جمهور المستمعين بروائع الألحان، وفي مقدمة ذلك  
نشيد الوطني الخالد : "عُدت ياخير إمام" الذي وضع  
كلماته محمد بلحسين، ومنذئذ انهالت أناشيده الوطنية  
غزيرة سدرارة كان من بينها : حب الوطن من الإيمان -  
أنشودة الاستقلال - أمير الشباب، شارك بهذا النشيد  
الأخير في مباراة نظمتها الإذاعة الوطنية، مطلعه :



الإدريسي، ومحمد الحياتي، وعبد المنعم الجامعي، ومن المطربات سميرة بنسعيد. ولطفية رأفت، ورجاء بللمليح، ونعيمة سميح، وعزيزة جلال...

أما الشعراء الذين تعامل معهم الراشدي فأشهرهم محمد بلحسين، وأحمد الطيب العليح، وعلي الحداني، والظاهر سباطة، وحماصي التونسي، وعلي الصقلي، كما تعامل مع شعر ابن زيدون، واقتبس من كئاش الحايك بعض أشعار الآلة الأندلسية.

وقد شكل الشاعر محمد بلحسين والمطرب إسماعيل أحمد إلى جانب الراشدي - ملحننا - "الثالوث المتكامل" الذي وفق إلى إبداع جملة من الأغاني الناجحة.

عايش الراشدي فترة نشوء الأغنية العصرية، وكان له دور كبير في إرساء قواعدها الأولى وفي تطويرها على امتداد أربعة عقود من حياته، ومنذ أن وضع أول ألحانه عام 1367 / 1947 وهو في سن السابعة عشرة من عمره.

وتميز الراشدي من بين الملحنين المغاربة بامتلاك أسلوب خاص في التلحين كان يتسم بالتجديد والابتكار ويتمسك في ذات الوقت بالحافظة على خصوصيات الهوية الوطنية. وفي سياق هذين التوجهين انطبعت أعماله بخصائص أبرزها :

\* إعادة تلحين بعض أشعار "الآلة الأندلسية" على نمط الموشح الشرقي، وظف في بعضها الإيقاعات المستمدة من هذه الموسيقى من قبيل ميزان انصراف البطايحي، إلى جانب توظيف المقامات الشرقية. ومن نماذج هذه الموشحات : موشح "سقاني" القائم على إيقاع سعاعي ثقيل الشرقي، وموشح نعش الشمال، وموشح "يالليل طل"، وهما من أداء المطرب محمود الإدريسي.

\* توظيف مقامات وإيقاعات الآلة الأندلسية في تلحين بعض الأغاني. ومن قبيل ذلك أغنية "غاب علي الهلال" التي تؤديها المطربة نعيمة سميح على ميزان انصراف البطايحي، وأغنية "جاري يا جاري" التي تؤديها نفس المطربة على طبع الرصد.

\* استخدام المقامات الشرقية في تلحين أغانيه الرجالية.

\* استخدام تعددية المقامات في تلحين الأغنية الواحدة. ومن أمثلة هذا أغنية "طابع راضي نموت شهيد" التي أداها إسماعيل أحمد على مقامات البياتي والعجم والصبيا والسيكا.

\* استخدام إيقاعات شعبية محضة من قبيل الإيقاع الحماسي في أغنيته الدينية "يا محمد يا شفيعنا الهادي".

لقد كان عبد القادر الراشدي نموذجاً حياً للفنان الذي نجح في التوفيق بين خصائص الموسيقى المغربية والشرقية،

والذي عرف كيف يقدم التراث الموسيقي الوطني في صيغ تجمع بين الأصالة والابتكار. وكان يصدر في ذلك عن قناعة ترسخت لديه ولم يفتأ يعبر عنها في اللقاءات والمناظرات التي نظمتها وزارة الشؤون الثقافية أو نقابة الموسيقيين المغاربة، وهي ضرورة تلقين الألوان الموسيقية التراثية وتشجيع البحث فيها بين طلاب مؤسسات التعليم الموسيقي.

وتقديرًا لجهود الراشدي في خدمة الأغنية المغربية تم تكريمه في حفل خاص أقيم بمدينة المحمدية عام 1412 / 1991 حيث نصب عميداً للموسيقى المغربية، كما تم ترشيحه لنيل جائزة المجمع العربي للموسيقى في مؤتمره الخامس عشر المنعقد بلبنان - بيروت . في ماي 1999.

توفي عبد القادر الراشدي بالرباط يوم الخميس 12 جمادى الثانية 1420 / 23 سبتمبر 1999.

جريدة التحرير، عدد 24 - 12 - 1961. ع. اللطيف جبرو، جريدة الأحداث المغربية، ع. 2 - 3 أكتوبر، 1999 : ع. الله شقرون، مجلة الفنون، س 2، ع 5 و 6، معرم وصفر 1395 يراير - مارس 1995، ص. 31، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية؛ صالح الشرقي. جُلُّ نَرِّ المعاني، ص. 19 - 20. الدار البيضاء : مصطفى بريسول، جريدة الاتحاد الاشتراكي، ع 2 - 2 - 1997.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الراشدي، عبد القادر المراكشي** الحشمي ويدعى أيضاً الشركاوي، فقيه أديب مشارك من علماء المغرب الأوسط، ولد ونشأ بتلمسان، ودرس فيها وفي وهران، ثم هاجر إلى فاس في جملة من هاجر إليها بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1246 / 1830، واشتغل بالتدريس في القرويين، ومنها انتقل إلى مراكش في حدود سنة 1268 / 1852 حيث عينه السلطان عبد الرحمن بن هشام قاضياً بها، بتوصية من الشيخ الصالح الحاج محمد البركة المراكشي.

حلى صاحب الإعلام المترجم بقوله : "كان آية في الذكاء ومعرفة الفقه والفروع، ممن أتى بالجواهر من معادنها وامترى الضروع، لا يشق غباره، ولا يبارى مضماره، وأخذ من العربية والحديث بأوفر نصيب، وتمسك من الفطنة بعقل راجح مصيب، كان جامعاً مانعاً، وإماماً جليلاً بارعاً، أحلى الناس نظماً ونثراً، وكتابه وشعره".

وأشار صاحب اللؤلؤ المكنون إلى سعة أفق المترجم في ميدان المعرفة ومشاركته "في علوم شتى من نحو ومنطق وبيان وحساب وتنجيم وفقه وحديث وعروض وفرائض وأصول".

توفي بمراكش يوم الخميس منتصف جمادى الأولى عام 1272 / 23 يناير 1856.

م. بن المعطي السريغيني، حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من

الأخبار، مخطوط : العربي المشرفي، الحسام المشرفي، مخطوط :  
م. التاشفيني، اللؤلؤ المكنون في اختصار ابن عيشون، مخطوط :  
ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1977، 8 : 463 - 465 : ع.  
السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت،  
1996، ج. 7 : 2605.

محمد حجي

### الراشدي، علي بن الجيلالي الجامعي الطرقي،

ينتمي إلى بيت مرموق من بيوتات قبيلة أولاد جامع  
السُجّارة لمدينة فاس. لا ندري على وجه التحديد تاريخ  
ميلاده، ولكن وثيقة بتاريخ ثاني جمدي الأولى عام 1311 /  
11 نونبر 1893، وصفته بأنه "من العمال الملحوظين (عند  
السلطان)، ولا سيما مع كبر سنه..."، الأمر الذي يحملنا  
على الاعتقاد أن مولد الرجل قد يرجع إلى العقد الثاني أو  
الثالث من القرن الثالث عشر (19 م).

وأيّاً كان الأمر، فإننا نجد فيما بعد إلى جانب القائد  
العربي ولد أب محمد الشركي باشا جيش شراكة وأولاد  
جامع وفاس الجديد، في منصب النائب عنه، مكلّفا بأحوال  
هذه المدينة، قبل أن تسند إليه مهام باشوية مدينة تارودانت  
في صيف سنة 1304 / 1886، حين قدم السلطان المولى  
الحسن إلى منطقة سوس للمرة الثانية.

ومعلوم أن مناصب من هذا المستوى وهذا النوع، في  
مناطق نائية لم يكن أهلها دوماً طوع اليد، كان المخزن  
يُسندها إلى ذوي الخبرة والتجربة من أعوانه الكبار الذين  
يحظون بكامل ثقته. والدليل على ذلك، أن صاحبنا قبل  
مجيئه إلى الأضواء السوسية، كانت تُزاول هذه المهام  
شخصية بارزة في الجهاز المخزني وقتئذ، ويتعلق الأمر  
بالقائد بوشتي بن البغدادي الجامعي. ومن غريب الصدف  
أن يتولى الراشدي بعده، مرة أخرى، عاملاً على فاس  
العتيق، على إثر وفاة ابن البغدادي بها في 30 يناير  
1893.

بيد أنه لم تدم مدة حكمه للحاضرة الإدريسية طويلاً،  
إذ كان من بين الأشخاص الذين شملتهم الحملة الانتقامية  
التطهيرية التي دشنها الوزير الصدر احمد بن موسى  
البخاري ضد آل الجامعي ومن عدّ من "حزبهم" على إثر وفاة  
السلطان المولى الحسن سنة 1312 / 1894، بصفته واحداً من  
أصحابهم المرموقين في الجهاز المخزني، إذ كان متزوجاً  
بواحدة من أخوات الوزير الصدر محمد بن العربي الجامعي،  
على عهد السلطان المولى الحسن، فعزله احمد بن موسى  
عن فاس وعينه عاملاً على العرائش. وظل محتفظاً بهذا  
المنصب إلى أن وافته منيته في سادس وعشري جمادى  
الثانية عام 1313 / 14 دجنبر 1895، بمدينة الرباط، حيث  
مرقده الأخير بمقبرة العلو، تاركاً تسعة أبناء ذكور،  
يتصدرهم عبد الرحمن بن علي بن الجيلالي الراشدي،  
خليفته وساعده الأمين في السنوات الأخيرة من عمره.

ع. الكبير الكتاني، زهر الآس، مخطوط، خ. ع. ك. 1281، ص.  
512 : الخزانة الحسينية بالرباط، الوثائق الزيدانية، مجلد 30، وثيقة  
رقم 30 بتاريخ 12 ذي القعدة 1301 / 3 سبتمبر 1883 : مجلد 29،  
وثيقة رقم 13 بتاريخ 2 جمدي الأولى 1311، الموافق لـ 11 نونبر  
1893 : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب،  
بيروت، 1986، ج. 9 : 2804.

Archives Ministère Guerre - Vincennes, Carton 3h7,  
Rapport n° 99 du Cap. Thomas, Janvier 1893, p. 5.

مصطفى الشايب

### الراشدي، علي بن عيسى التلمساني الفاسي، من

علماء المغرب الأوسط الذين هاجروا إلى فاس بعد الاحتلال  
الإسباني للمرسى الكبير ومدينة وهران.

جاء علي الراشدي إلى فاس سنة 911 / 1506 وهو لا  
يتجاوز العشرين سنة، فكان يحضر مجالس كبار علماء  
المدينة الإدريسية كالمقريئ محمد الهبتي السماتي مؤلف  
كتاب الوقف في القرآن، والفيقيه أحمد اللقون وأضرابهما.  
وكان في نفس الوقت يلقي دروساً في مبادئ النحو  
والقراءات قبل أن ترسخ قدمه ويستند ساعده فيسند إليه  
كرسي القراءات والسيره النبوية بمسجد الشرفاء ويأخذ عنه  
نجباء الطلبة أمثال أحمد المنجور الذي خصه بترجمة حافلة  
في فهرسه.

توفي بفاس سنة 961 / 1554.

أ. المنجور، فهرس، الرباط، 1977، ص. 69 - 71 : م. القصار،  
فهرس، مخطوط : أ. ابن القاضي، جذوة، الرباط، 1973، 2 : 491  
: درة المجال، نج. م. الاحمدي أبر النور، القاهرة، 1970، 3 : 256.  
م. حجي، الحركة الفكرية، فضالة، 1978، 2 : 356.

محمد حجي

### الراشدية، إمارة بشمال المغرب. تأسست على إثر

سقوط مدينتي أصيلا وطنجة بيد البرتغال سنة 876 /  
1471 م)، على يد الشريف علي ابن راشد مؤسس مدينة  
شفشاون، وكان نفوذ هذه الإمارة يشمل القبائل التالية :  
الأحماس - بني زكار - بني يسف - سماتة - بني غرفط - بني  
عروس - جبل حبيب - بني مصور - بني يدر - بني حزم  
(التي كانت تعرف أيضاً ببني بجم) - بني ليث - بني حسان  
- بني سعيد - بني زجل - بني زيات - بني بوزرة - بني  
سليمان.

وقد عمّرت الإمارة الراشدية ثلاثاً وتسعين سنة (876 -  
1471 - 1561). واشتهر أمراء بني راشد بالجهاد ضد  
البرتغاليين، وتعاقد على حكمها بعد الأمير المؤسس علي  
ابن راشد، ابنه إبراهيم بن علي، ثم ابنه الثاني محمد بن  
علي، ثم حفيده أحمد بن محمد بن علي بصفته نائباً عن  
والده السجين بفاس الذي لم يطلق سراحه إلا سنة 962 /

1555 فعاد إلى إمارته بشفشاون لكن قوات السلطان عبد الله الغالب هاجمته في شهر صفر عام 969 / أكتوبر 1561. وقضت على الإمارة الراشدية في نطاق إعادة توحيد البلاد تحت سلطة السعديين.

م. ابن عزوز حكيم، مولاي علي ابن راشد مؤسس مدينة شفشاون، تطران، 1998.

محمد ابن عزوز حكيم

### الراشدية طريقة صوفية أسسها الشيخ أحمد بن

يوسف الراشدي متقدم الترجمة، بالمغرب الأوسط، خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م). ووسمها محمد بن علي السنوسي (ت. 1276 / 1858) "باليسوفية" و"الراشدية - الزروقية"، وذلك في كتابه المنهل الروي الرائق. وكل هذه التسميات نشأت عن الحاجة إلى التصنيف، وتتصل بوطن بني راشد بنجار الشيخ أحمد بن يوسف وداره، وبوالده، وبطريقة شيخه، وتبقى "الراشدية" التسمية التي ينبغي وضع اليد عليها وترك مادونها، لدلالاتها على خصوصية هذه الطريقة، واستقلالها عن الزروقية في عدد من أصولها وتعاليمها. وتتميز أيضاً لها كذلك عن الطائفة "اليسوفية" التي هي واحدة من الطوائف التي تفرعت عنها بالمغرب الأقصى، في حياة الراشدي، وبالغت في التأسي بها إلى درجة القناعة بإحدى تسمياتها والتعفف عن اتخاذ اسم يخصها.

والطريقة الراشدية عدت دائماً حلقة من السلسلة الشاذلية - الزروقية، وأنها على هذا الأساس نشأت وانتشرت في الآفاق. واعتبرت الواسطة التي أوصلت جبل الزروقية بالمغرب، والقناة التي تفرعت عنها به طوائف وزوايا ستعمل إلى جانب مثيلاتها الجزولية على غلبة الشاذلية بالمغرب، خلال عصر التصوف هذا، حتى أصبحت تعد الطريقة الرسمية به. هذا من حيث السند، أما من حيث النحلة فقد اقتفى الشيخ الراشدي أثر أبي يزيد البسطامي (ت. 261 / 874)، وجعل مذهبه إحساناً بلا علة، وقال بالحببة الخالصة، والتساهل في تحقيق الرجاء والخشية. وهذا لا يتناقض مع النسبة الزروقية، بل يتفق مع مبدأ الاستحسان الذي يعد من أهم مبادئها.

وافق ميلاد الطريقة الراشدية فجر القرن العاشر الهجري، الذي اعتقد خاصة وعامة أهله عدم مجاوزة عامه الألف، فأقبلوا على شيخها ومذهبه يزفون. ويذكر محمد المهدي الفاسي (ت. 1109 / 1698) من الآخذين عن الراشدي من المشايخ وأرباب الطوائف والزوايا من المغاربة: عبد الله الحياط (ت. 939 / 1533.2) دفين زرهون، ومحمد بن عبد الرحمن السهيلي (ت. 936 / 1530) دفين السهل من بلاد غير، ومحمد الحاج الشطبي (ت. 981 / 1574) دفين تازاغرة من قبيلة بني زروال، ومحمد بن عبد الرحمن ابن

جلال (ت. 981 / 1574) دفين فاس، ومحمد بن عبد الجبار (ت. 956 / 1549) دفين فجيح، وعلي بن عبد الله الفيلاطي دفين سجلماسة، ومحمد بن عبد الله أغمار والزبير بن محمد المحمدي دفين فاس، ومحمد بن قاسم الجوزاتي التازي دفين هسكورة، وأحمد المجذوب الحمياني، وأبو سعيد الدخيسي، ويعقوب الدخيسي، وغيرهم.

هكذا فتح الراشدي عهداً جديداً في تاريخ الطريقة الزروقية بالمغرب بوجه خاص والطريقة الشاذلية بوجه عام: فعن طريقه ستفرع طوائف مغربية عديدة، وستنسب إليها زوايا شتى، بالإضافة إلى كبار صحبه من المغاربة من لا يعرف أنهم أسسوا طريقة أو أقاموا زاوية. وسيصبح الشيخ أحمد زروق (ت. 899 / 1493) عن طريقه الواسطة في الشاذلية بالنسبة للخياطية والغازية والسهيلية والصادقية والكرزازية والشبخية والناصرية والخصالدية والزبانية، وغيرها من الطوائف والزوايا المغربية.

وإذ يتفق أعلام الطبقة الراشدية الأولى هؤلاء في السند الراشدي - الزروقي، فإنهم يختلفون في الاتجاهات الفكرية والمذهبية التي ساروا فيها، وقوامها ثلاثة:

الاتجاه الأول، وهو الغالب ويضم المشايخ الذين نظمت علاقات سابقة ومختلفة بينهم وبين الزروقية، وإنما انتسبوا إلى الراشدي قصد الحصول على سنده الرفيع في الزروقية باعتباره صدر طبقتها الأولى. وهذه حال الشيخ عبد الله الحياط الذي ولد في بيت صوفي زروقي، وشب في خضم نضال أهله في سبيل نشر الزروقية بالمغرب، من القاهرة إلى برقة وقابس فوهران ومازونة. وتمتع بشهرة بيته بالصلاح في المغرب الأوسط، وتحلى بسند عال في الزروقية، وواسطته فيه والده إبراهيم وإخوته عمر ومحمد العربي ومحمد الطيب، وكلهم أفراد الطبقة الأولى الزروقية. ولا يستبعد أن تكون فرصة رؤية الشيخ زروق قد أتت له خلال العقد الأول من حياته، والذي وافقت وفاة الشيخ اكتماله. وهذه أيضاً حال الشيخ الشطبي الذي انتسب إلى الزروقية بالبلاد المشرقية، والتقى بعدد من مشايخها المشرقية. واستقر في طريق أوتته من هذه البلاد بضريح الشيخ زروق بمسراتة، وذلك لمدة ثلاثة أعوام كاملة عكف خلالها على دراسة الزروقية في أصولها المكتوبة بخط مبدعها، ونسخ ما استطاع من تراثه الضخم، وتباحث في مسائلها مع كبار صحب زروق من المستقرين بضريحه أو المترددين إليه من المشرق والمغرب، وهذا قبل أن يدخل المغرب الأوسط، ويأخذ عن الشيخ الراشدي.

الاتجاه الثاني، وقوامه تلامذة الراشدي الذين دخلوا المغرب لنشر الطريقة الراشدية به، وأنشأوا على هذا الأساس طوائف وزوايا به. وقد تزعمتهم الطائفة "اليسوفية" التي بالغت في التأسي بالراشدية التي تسلت منها إلى درجة انتحال أحد أسمائها والتعفف عن اتخاذ اسم يخصها ويميزها عنها، وظلت تعرف بهذا الاسم طوال

القرن العاشر (16 م). وتمدعي من بعده، وعلى مدى تاريخها الطويل الممتد إلى القرن الرابع عشر (20 م)، بتسميات متعددة. منها ما ارتضاها أتباعها لأنفسهم كالأحمدية والملائنة نسبة إلى الشيخ أحمد بن يوسف وضحجه بمليانة، ومنها أطلقها خصومهم عليهم كالبضاضة نسبة إلى الإباضية، والشراكة نسبة إلى القبائل التي طرأت على المغرب من المغرب الأوسط، والعكاكزة نسبة إلى العكاكز أحد شعارات الفقر، وهي التسمية التي اشتهرت بها هذه الطائفة أواخر الدولة السعدية وصدر الدولة العلوية، وطلعت على كافة تسمياتها السابقة. بالإضافة إلى القبائل التي ظلت على هذه النحلة إلى مطلع القرن الرابع عشر (20 م)، والتي لم تعد تعرف إلا بأسمائها كالزكاره ويني محسن والغنائة والملائنة. وتعتبر تسميات خصوم اليوسفيين عن رغبتهم في قطع صلتهم بالراشدية، وإخراجهم من سلك التصوف بالمرة، والزج بهم في دائرة أهل الملل والنحل.

الاتجاه الثالث، وقوامه الطوائف والزوايا المتصلة بالسند بالشيخ أحمد بن يوسف، والتي حدث مشايخها بسندهم إليه بمقالة "من رأى من رأني إلى سبعة ضمنت له الجنة". وهي مقالة سابقة في تاريخ التصوف الإسلامي والمغاربي لتأسيس الطريقة الراشدية، ومتسلسلة في سندها إلى الشيخين عبد القادر الجيلاني (ت. 561 / 1167) وعبد الرحمن الثعالبي (ت. 875 / 1470). وقد قال الشيخ الراشدي بهذه المقالة التي تنسجم مع موقف الإنسان من الوجود في مذهبه، والمتمني على تجاوز الكون الأخروي نعيمه وجحيمه إلى مبدع الكون وخالقه. ويبدو أن المقصودين بها هم العوام من الأتباع ممن لا قدرة لهم على فهم مذهبه في صورته النظرية والمجردة. والمشايخ الذين تواردوا على نقل هذه المقالة وأشاعتها بين مغاربة القرنين العاشر والحادي عشر (16 و 17 م) هم شيوخ الغازية والناصرية والشرقاوية.

وقد تزامنت هذه الاتجاهات الثلاثة التي تفرعت إليها الراشدية، بعد دخولها إلى المغرب في حياة الشيخ أحمد بن يوسف، خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م). وصادفت الأيام المعتمنة للمتأخرين من بين وطاس، والمتسمة بكساد سوق العلم، وتعطل الاشتغال بالفكر. فلم يميز بينها معاصروها من الفقهاء والصوفية المغاربة، وبادروا إلى معارضتها، وأغروا المخزن الوطاسي بمكافحتها. وامتنح الجيل الراشدي الأول من قبل السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسي المعروف بالبرتغالي، الذي تنسج عرش مملكة فاس ما بين 911-931 / 1505 - 1524. وفرغ الشيخ أبو البقاء عبد الوارث الياصوتي (ت. 971 / 3، 1564) يوم 17 رمضان 942 / 10 مارس 1536 من رسالته الموسومة *المسلك القريب الموصل إلى حضرة الحبيب*، التي حمل في مواضع متفرقة منها، على الطريقة الراشدية شيخاً ومذهباً وأتباعاً.

ويؤرخ عهد السلطان عبد الله الغالب بالله السعدي (965 / 982 - 1557 / 1574) لذويان الطوائف والزوايا الراشدية بالمغرب في النسيج العام للحياة الصوفية السائدة في البلاد، واستعصاء اليوسفيين عن هذا التحول والانقلاب. وتسجل المصادر انتقال بدعتهم من بدايتها وقوامها النحلة الراشدية إلى متوسطها وهو الغلو في محبة الشيخ أحمد بن يوسف، وإشارة الفقهاء على هذا السلطان بحسم مادة طائفتهم، فقاد جماعة منهم إلى السجن وقتل آخرين.

وبلغت البدعة اليوسفية نهايتها، وهي الظهور بالإباحة، وذلك في المصادر المصنفة أواخر القرن العاشر (16 م). وأفاد اليوسفيون من زمان الفترة الطويل الذي امتد من وفاة السلطان أحمد المنصور (ت. 1012 / 1603) إلى قيام الدولة العلوية، وجرأهم تهاون الحكام في شأنهم على استحكام بدعتهم، وظهورها ظهوراً خطيراً. وبادر السلطان المولى وشيد عام 1080 / 1670 إلى استفتاء العلماء في قضيتهم، فأفتاه ثلاثة من أعيان علماء العصر. وهم قاضي الجماعة بالحضرة الفاسية محمد بن الحسن المجاصي (ت. 1103 / 1691) الذي حرر ثلاثة أجوبة في نازلتهم، والفقهاء عبد المالك التجموعتي (ت. 1118 / 6، 1707)، والإمام الحسن بن مسعود اليوسي (ت. 1102 / 1690) الذي صنف فيهم فتواه الشهيرة برسالة العكاكزة.

وأدى اختلاف العلماء في نازلة اليوسفيين إلى تشعب مسألتهم، وطول مرحلة التفاوض والتشاور في شأنهم. وعلى الرغم من قول كل من اليوسي والتجموعتي بسزندقته، فقد عمل السلطان برأي المجاصي قاضي الجماعة، ونفذ فيهم حكم الردة والاستتابه، وسجن جماعة من مشايخهم في فاس شهوراً، ثم أطلقهم بعد تحقق توبتهم. وسيعمد السلطان المولى إسماعيل بعد مضي عقدين من حكمه إلى نكبة اليوسفيين عام 1102 / 1691، فخرّب أنشط وأهم مراكزهم الواقعة في تادالا وزمور، ونفذ حكم الزندقه في مشايخهم ولم يستتبهم، وقتل ثلاثة وستين منهم. وبدد تراثهم، وفرق شمل عوامهم وأجلاهم عن مطاعتهم إلى حيث لا شيعه لهم، ونفاهم خلال القبائل التي لا تدين بنحلتهم.

وقريباً من محاكمة اليوسفيين في خلافة السلطان المولى رشيد تبرا نقر من الناصريين من الشيخ محمد ابن ناصر (ت. 1085 / 4، 1675) لقوله بمقالة "من رأى من رأني إلى سبعة ضمنت له الجنة"، وكتبوا في ذلك كراسة، وأخضموا على الزاوية الناصرية نار الفتنة بسجلنامه. وقالوا إن هذه المقالة توقع الناس في الأمن وفي الإعراض عن علم التوحيد، زيادة على أنها لا وثوق بها ولا يعول عليها بحال. وانبرى الإمام اليوسي للرد على خصوم شيخه ابن ناصر هؤلاء في كتابه *المحاضرات*. واجتهد في تأويل هذه المقالة، وذهب إلى القول إنها تذكر على طريق الرجاء، وأن

وكان القواد من أولاد الراضي في وقت ما يحكمون جميع الصفاقة الذين كانت خيامهم تبلغ نحو 1765 وحدة. وقد صنتت المصادر عن المجد الأول لآل الراضي وهو الظاهر ابن الراضي الذي يظهر أنه كان قائداً قبل سنة 1262 / 1846 . وتولى قيادة القبيلة بعده بعض أبنائه وأحفاده.

**الراضي، أحمد بن عبد الله بن الظاهر،** كان قائداً على قبيلته الحسناوية سنة 1311 / 1894، اعتباراً لجانب أبيه وجده. ومكث في القيادة إلى عهد الحماية. كان سنة 1350 / 1930، يسكن مع أولاده بمدينة سلا، لأنه تزوج من بعض بنات السلاويين، وبها توفي بعد هذا التاريخ. م. بوشعراء، علاقة المخزن بأحواز سلا، ص. 155 - 116 : كناشة الحاج أبي بكر الصبيحي : وثائق الخزنة الصبيحية.

مصطفى بوشعراء.

**الراضي، أحمد بن المنتصر** من قبيلة بني حزم الغمارية في الشمال، كان قائداً يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته وانضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي تزعمها الشريف أحمد الرسوني وشارك في مؤتمرات الثورة المتعقدة بضرخ سيدي يسف التليدي يوم 28 ربيع الأول عام 1331 / 7 ماي 1913، ويعين الدالية يوم 2 ربيع الثاني / 11 ماي نفس الشهر، وضرخ مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 15 شعبان عام 1331 / 20 يوليوز 1913 وبقربة الزوة يوم 24 صفر 1333 / 11 يناير 1915 .

كان أحمد الراضي بظلامغواراً شارك في إحدى وعشرين معركة، وتوفي في تاريخ غير محدد.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الرسوني والمقاومة المسلحة، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**الراضي، التهامي الحسناوي.** كان سنة 1324 / 1906 قائداً على الدواغر، دون الفقراء الدرقاويين القاطنين بدوار أولاد خدلة الذين أسندت ولايتهم إلى عامل سلا الحاج الطيب الصبيحي الذي كان يبعد عنهم بنحو ثمانين كيلو متراً. فأمره السلطان بالتخلي عنهم للتهامي الراضي. ومكث هذا في الولاية نحو سنتين حتى عزل سنة 1326 / 1908 وولي بوشعيب بن الجيلالي الشوري على الدواغر، فقبض على التهامي الراضي وحاز أمتعته وفتك به وما قصر، حسبما جاء في رسالة إلى الحاج الطيب الصبيحي في 23 رمضان 1326 / 26 أكتوبر 1908.

الأمر جائز لا يمنعه عقل ولا شرع. وتكرر التأليف بعده في قضية ضمان الجنة هاته التي أصبحت من بين القضايا الصوفية الحيوية التي أثارت جدلاً كثيراً. واختلف الناس في أمرها، وانقسموا ما بين محبذين منتصرين ومنكرين معترضين. فكتب فيها أحمد بن محمد بن السيد الحسني (كان حياً عام 1095 / 3 / 1684) رسالة تكلم فيها على الكراسة الموقعة من قبل أولئك المعترضين على الشيخ ابن ناصر، ونقض ما جاء بها عروة عروة. وأفرد فيها المؤرخ محمد الصغير الإفرازي(ت. ما بين 1156 ، 1157 / 1743 و 1744) تأليفاً مستقلاً يعد من ضمن تأليفه الضائفة والمنسية.

وخيا ذكر اليوسفيين في المصادر المغربية خبواً يكاد يكون تاماً، بعد خضد شركتهم على يد المولى إسماعيل في مطلع القرن الثاني عشر (18 م)، وظلت بعض المجموعات الناجية من فرقته تحافظ على ذبالة نحلتهن. واهتدى إليهم الرعيل الأول من الإثنوغرافيين الفرنسيين في مطلع القرن الرابع عشر (20 م)، ولم يعرفهم إلا بأسانهم من زكراويين ومحسانيين وغنائيين ومليانيين. ولم يأبهوا بصلتهم بضرخ مليانة ومحبتهن في دفينه، وأركابهم التي تشد إلى مواسمه وخدمتهن لحفدته، وانتظام "أولاد سيدي أحمد بن يوسف" في المجموعات المشكلة لبعض قبائلهم. ولم يخلصوا من ذلك إلى انتسابهم إلى الطريقة الراشدية، أو اتصال أمرهم بتاريخ التصوف المغربي. وعدوا ذلك من ضمن عناصر الحياة الدينية لهذه القبائل، وهو عنصر تجليل الصلحاء. بل إن معظمهم كان يشك في تغلغل الإسلام خلال هذه القبائل، ولا يخامرهم ريب في قدم نحلتهن، واتصالها بالمعتقدات البدائية والشعائر الوثنية الطبيعية.

ع. الوارث البالصوتي، المسلك القريب الموصل إلى حضرة الحبيب، مخطوط خ ح 5723 : م. حجي، الحركة الفكرية، 237 - 240 : ع. نجي، طائفة المكاكرة، 2 : 265 - 438.

L. Rinn, *Marabouts et Khouans*, Alger, 1884, 40, 271- 273 : X. Coppolani et O. Depont, *Les confréries religieuses musulmanes*, Alger, 1897, 461 - 467.

عبد الله نجي

**الراضي (أولاد -) أسرة فاسية ذكر في إزالة الالتباس أنهم أهل معاش وحرفة. ويوجد بالرباط أيضاً أولاد ابن الراضي، ولا يعرف إن كانت لهم قرابة بالفاسيين. على أن أكثر آل الراضي يوجدون في قبيلة بني حسن المستقرة شمال مدينة سلا، وهم من الصفاقة الغربيين المشتملين على ثلاثة بطون : أولاد حسون وبنو ثور والدواغر. وإلى هذا البطن الأخير ينتمي أولاد الراضي، فهم من فخذة أولاد خدلة المنقسمين إلى ستة دواوير حسناوية أصيلة، هي أولاد الراضي وأولاد ابن عائشة والشياطبة وأولاد سعيد والحيابطة والمراونة بإضافة دوار الفقراء الدرقاويين إليهم.**

لم تنصرم السنة الأخيرة حتى اعتلى العرش مولاي الحسن فأمر بإشخاصه إليه، ثم عينه مرة أخرى قائداً، وأمر أن ترد له دوره التي كانت محجوزة بسلا، فمكث في منصبه خمس سنوات من سنة 1290 إلى 1296.

وفي السنة الأخيرة حلّ عليه غضب السلطان وامتنحن أقاربه كذلك، فسجن هو بفاس ثم بمراكش إلى أن أُرجم إلى حبس سلا.

ويظهر أن ولده المقبوض بسلا هو عبد السلام الذي كان من قبل سجيناً بمراكش وصدر أمر السلطان للإفراج عنه سنة 1302 / 1884. وسنجد بعد ذلك قائداً عسكرياً سنة 1306 / 1889، وسيلعب عند وفاة مولاي الحسن دوراً آخر. فيروي المختار السوسي أن الجامعيين أمروا القائد العسكري عبد السلام باغتيال السلطان وحاجبه أيضاً احصاد أثناء صلاة الجمعة، لكنه أخبرهما بالمؤامرة عليهما.

كما أفرج عن أخيه الحاج بنعيد الله الذي كان سنة 1303 / 1886 سجيناً وبعدها نجده منخرطاً في الجيش برتبة أغا.

وقد سُرح الراضي وولده ورد إليهما وإليه بعض الاعتبار. ولم أقف على مكان إقامة القائد المعزول بعد تسريحه مباشرة لكنه كان سنة 1304 / 1887 مرحلاً إلى إيالة بوسلهام بن المصطفى الرُموش قائد سفيان، بعد أن أصبح معه عدداً كثيراً من الصفاة الذين تركوا محلهم بقبيلتهم فارغاً، والطريق المارة عليهم خالية. ولذلك أمر السلطان القائد الرُموش المذكور بردهم جميعاً لعمارة بلادهم، وبأن لا يترك مع الراضي إلا أربع خيام لأقاربه: حمو بن الحسن، وولده التهامي بن الراضي وابن عمه، وولد ابن محمد، وعبد السلام وبعث العاهل لقائد سفيان خمسة من المخازنية لرد الباقين إلى أرضهم.

وقد التمس الراضي الرجوع لأرضه والتزم بعدم الدخول في أمر القبيلة، وذلك لعدم موافقة أرض الغرب له في الحرت، ولكثرة العيال. فعلق السلطان: "له ذلك إن وافق عليه عامله"، عبد الكبير الثوري الذي كان يخاف من الراضي وشيعته.

توفي الراضي بمسقط رأسه بعد سنة 1309 / 1891.

م. بوشعراء، علاقة المخزن بأحواز سلا، قبيلة بني احسن، 1860.

1912، ص. 104 إلى 110؛ م. المختار السوسي، المعرول، ج. 20، ص. 19؛ وثائق بنسعيد؛ الوثائق الملكية.

مصطفى بوشعراء،

**الراضي، عبد السلام، رياضي كبير من أبطال ألعاب القوى على المستوى المغربي والعربي والأوروبي.** ولد في أواخر العقد الثالث من القرن الرابع عشر (20 م) بأحواز مدينة فاس ونشأ في وسط فقير.

كان مولعاً منذ صغره بالعدو ومنافسة أترابه إلى حين

**الراضي بن الظاهر بن الراضي الحسناوي،** أشهر قواد هذه الأسرة وأحد ولاة بني حسن الكبار في القرن الثالث عشر (19 م). كان سنة 1279 / 1862 قائداً على الصفاة، حسبما جاء في رسالة الطيب بن اليماني بوعشرين في 9 ربيع الأول 1279 / 4 شتنبر 1862، وفيها أنه منع إخوانه من حمل القمح والشعير إلى مدينة سلا. وذكرت رسالة السلطان إلى الراضي في 16 شوال 1280 / 25 مارس 1864 أن علي بن إبراهيم الوزاني كتب إليه يقول إن الراضي أضرب بأولاد ابن العربي الناقلين في عزيب زاويته، واعتقل واحداً منهم، وقبض منه 200 مثقال، وحبس آخر بسجن مهدية، فأمره السلطان أن يقيهم على حالهم ويبين سبب السجن وأخذ المال من أحدهم.

مكث الراضي عاملاً إلى حدود سنة 1283 / 1868، حيث عُزل وسجن وعُين مكانه محمد بن العربي بن خدة الثوري. وقد تبعت نكبة العزل والسجن مصيبة القبض على أقاربه، ومنهم عمّه التهامي ابن الراضي الذي سجن مرتين في ظرف عشرين سنة (1847 - 1867).

ويعد عزل الراضي صدر أمر السلطان سنة 1284 / 1867 إلى عامل سلا ليحوز لجانب المخزن داره وديار أبناء عمه الفارين إلى زمور لأن بقاءها بأيديهم مع فرارهم وفسادهم تجرى على مثل فعلهم، ولكون ذمتهم عامرة بالبيت المال حسب رسالة السلطان في 12 ربيع الثاني 1284 / 13 غشت 1867. فنقذ العامل بنسعيد ما أمر به.

كان الراضي مديناً، وكان دوره المستصفاة منه لم تكف في تسديد ما عليه، فاستأذن السلطان "في بيع دوره التي بسلا، فإذا سُمرت - كما يقول السلطان - ووقفت على آخر زائد، فلا يُسْفَضَ البيع فيها إلا عن إذننا ومشورتنا وإعلامنا بما تقف عليه، لنا أمر بما يقتضيه نظرنا".

وحتى دينه على الناس ظل محتجزاً، وهذا ما يفهم من رسالة العاهل إلى عامل سلا في 8 رمضان 1286 / 12 دجنبر 1869 من أن قاضي سلا أيضاً بكر عواد "أخبر أن أهل الراضي الصفاة الذي كان قائداً قبل استظهروا برسم دين على متروك الهالك الصحراوي وقدره نحو الألف مثقال صغير، ولما أردوا حوزة ورفعت له القضية أمرهم بالإتيان بالوكالة وبين القضاء والإذن من جانبنا العالي بالله لكونه مستغرف الذمة".

كان الراضي سجيناً بمراكش سنة 1285 / 1868 فأوصى الحاجب عليه الخليفة الأمير مولاي الحسن حتى ينعم بتسام التسريح، وقبلها أوصى أيضاً عامل سلا على ولده المسمى بنعيد الله. وكان الأمل قوياً في الإفراج عن الراضي سنة 1287 / 1870، حتى إن قائد عبدة عيسى بن عمر طلب أنه "إذا سرح الراضي الصفاة أن يتوجه عنده ليستريح أياماً نحو الشهر من غم السجن وتضرره به". لكن العفو لم يصدر وظلت وصاية موسى بن أحمد متصلة فطلبه أيضاً من الخليفة مولاي عثمان سنة 1290 / 1873.

ضمن المقاطعة التاسعة بمركز تافودارت تحت إمرة صالح الجزائري، حيث شارك في عدة معارك ضد جيش الاحتلال الإسباني، منها معركة المسيد ومعركة طريق السدرة. وبعد أن أحرز المغرب على استقلاله عمل الراضي في حقل التجارة إلى أن مات في 11 شوال 1415 / 13 / 3 / 1995.

الندوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال.

**راغون، العربي بن محمد الأندلسي التطواني،** تولى منصب خليفة أول عامل على تطوان الحاج أحمد الطريس، بعد قيام الحماية وظل في منصبه قائماً بمهامه أحسن قيام إلى أن توفي في 13 ربيع الأول عام 1338 / 6 / دجنبر 1919.

أ. الرهوني، مختصر عمدة الراوين، مخطوط، ص. 95.

**راغون، محمد بن محمد بن الحاج العربي الأندلسي التطواني.** ولد بتطوان عام 1289 / 1872 ونشأ نشأةً صالحة، قرأ القرآن وحفظ بعض المتون العلمية على العادة المتبعة، وبدأ في تلقي العلم عن علماء بلده المشايخ الزواقي، وابن الأبار، والبقالي، والمؤذن، وغيرهم. ولما رشع والده لأمانة (دار عُدِيل) بفاس توجه معه إليها أوائل شوال عام 1309 حيث درس على المشايخ : محمد بن التهامي الوزاني ومحمد بن جعفر الكتاني وغيرهما. كما درس على بلديّه أحمد الرهوني الذي كان ما يزال طالباً بفاس.

استُخدم محمد راغون كاتباً بدار النيابة مع خال أمه النائب الحاج محمد الطريس، وبعد وفاة الطريس عين راغون كاتباً أول للصدارة في الحكومة الخليفة أيام مولاي انهيدي ابن إسماعيل، وكان ضمن الوفد المعين من قبل السلطان مولاي عبد العزيز برئاسة الحاج أحمد الطريس لحضور تتويج الملك الفونسو الثالث عشر، فكتب رحلة وصف فيها إسبانيا وحفلة التتويج وما شاهد فيها مما ينبغي الوقوف عليه، ثم حج مع والده عام 1306. ولما كان كاتباً بالصدارة كتب تقارير سياسية مهمة، منها تقرير عن ثورة أبي حمارة وغيره، أفاد منها محمد داود في كتابه تاريخ تطوان، وكان له نظم وسط ذكر جملة منه الرهوني في العمدة.

توفي محمد راغون في 27 صفر عام 1337 / نوفمبر 1918 ودفن بحومتهم بجبل المقابر.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، مخطوط، ص. (7 / 14) : م. داود، مختصر تاريخ تطوان، ص. 221 - 297.

محمد بوخيرة

استد عوده، فانخرط في إحدى الأندية الرياضية. بدأ يبرز على الساحة العالمية كعداء من العيار الثقيل حين شارك في سباق الأمم بالبرتغال سنة 1959 فدخل ثامناً في الترتيب العام، وفي سنة 1960 أحرز على بطولة العالم بإسكتلندا باحتلاله الصف الأول. كما شارك في سباق الأمم بنانط بفرنسا وشيفيلد بإنجلترا وسان ستيان بإسبانيا، كما أحرز على أول ميدالية أولمبية مغربية (عربية إسلامية) في تاريخ الأولمبياد وكانت فضية في سباق الماراطون بروما سنة 1960. وعقب إنجازاته الباهرة تقاطرت طلبات العديد من الأندية الأوروبية لينضم إليها فانخرط في أحد الأندية الفرنسية وكانت بعض البلدان ترغب في أن تمنحه جنسيتها لكنه كان يرفض.



ظل عبد السلام الراضي يحقق الإنجازات الرياضية على الصعيد المحلي والعالمي إلى أواخر الستينيات حيث اعتزل الميدان الرياضي ليعود إلى الظل.

قضى هذا البطل الرياضي بقية حياته مهمساً معدماً حتى سقط طريح فراش المرض وظل يعاني إلى أن وافاه الأجل يوم الأربعاء 6 رجب عام 1421 / 4 أكتوبر سنة 2000 عن عمر يناهز 75 سنة، وورث جثمانه بمدينة فاس وسط المعجبين به من الرياضيين وعشاق ألعاب القوى.

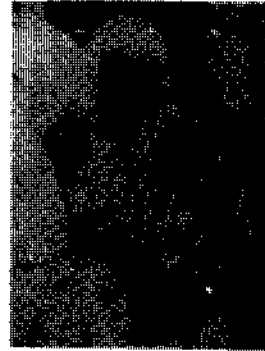
وثائق خاصة، رواية شفوية.

محمد بلعربي

**الراضي، المحجوب مقاوم.** ولد سنة 1348 / 1929 بمدينة العيون والتحق بصوف جيش التحرير منذ الانطلاقة

**رافع (أولاد -)** أسرة فاسية ذكروهم صاحب كتاب *إزالة الالتباس* عن قبائل سكان مدينة فاس وأنهم أهل علم وطلب وخيارة. وذكر منهم - نقلاً عن كتاب الإعلام بمن غير - أبا محمد عبد الواحد رافع الفقيه الزاهد الذي كان لا يقنات إلا من عمل يده، المتوفي سنة ثلاث وخمسين وألف، دفن خارج باب الفتوح.  
ع. السلام ابن سوذة، إزالة الالتباس، مرقون.

**الرافعي، محمد بن أحمد الأزموري** ثم الجديدي "صاعقة العلم، المتكلم الفيلسوف" بهذا حلاه صديقه القاضي عبد السلام السائح في الترجمة العلمية التي كتبها له عقب وفاته ونشرتها مجلة الثقافة المغربية الصادرة بسلا.  
ولد محمد الرافعي سنة 1303 / 58 - 1886 بأزمور، ودرس على القاضي أبي النعائم أبي شعيب الأزموري، ولم يأخذ عن غيره من الشيوخ إلا قليلاً "حرك قريحته وأنبط ينابيع فكره الدفاق بما أوتي من كمال القابلية والاستعداد الفكري بالاستغراق في المطالعة اكتسب ذلك العلم الواسع، وإن الحصول على ذلك الحصب العلمي برشاش قليل من الأخذ والتلقي عزيز نادر الوجود لا يكاد يتفق إلا لعقل جبار كعقل الرافعي".



ساعده على ذلك خلوّ ذهنه من كل علاقة تقتص من قوة فكره، وراحة مستمرة إذ عاش عزباً لا تلتقى صفحة خذه إلا بصحيفة كتاب عزوفاً عن الولايات والمناصب، قضى حياته منهمكاً في المطالعة والبحث والنظر يستغرق في ذلك الليل كله حتى يغشاه النهار، عاش على ذلك دهرًا طويلاً.  
"درس الرافعي الفلسفة دراسة عميقة وتشبع من مذاهبها وأرائها فتكيف بها فكره واصطغ بها ذهنه، فكان يفرغ ما يلقى عليه من المعلومات على قلبها، ويكسوه بجلتها، فلا يرى إلا بعين النقد والتحليل، والفحص والتعليل... لا يتهيب الأفكار ولا يتردد في مطاولة الأقران، بل بهجم على ما يخالف نظرياته هجومًا لأول وقوع الطرف... إلا أن كتابته مشتبكة معقدة لا يتمكن من حلها إلا من عاقرها طويلاً. وما أخوفني أن تكون سبباً لضياع علمه".

كان الرافعي مثار إعجاب كل من اتصل به من المفكرين الكهول والشيوخ، وحتى المثقفين الشباب الذين درسوا دراسة حديثة كانوا يحاورونه ويستفيدون من معارفه وغوصه في المباحث العلمية الدقيقة.

من مؤلفاته :

رسالة في شرح وحدة الوجود.

رسالة في تحقيق معنى العقل والنفس الكلية.

رسالة صغيرة في تفسير الهيولي.

رسالة في الأطوال.

شرح قول القطب ابن مشيش : وأجعل الحجاب الأعظم

حياة روجي...

أصيب الرافعي قبل وفاته بضعف عصبي ويجفاف في الدماغ نشأ عن كثرة النظر والسهو. وتوفي بالجديدة يوم الجمعة رابع عشر رجب عام 1360 / 8 غشت 1941.

ع. السلام السايح، ترجمة محمد الرافعي، مجلة الثقافة، العدد 3، فاتح أكتوبر، سلا، 1941؛ ع. ابن سوذة، إتحاف المطالع، سل النضال / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 8 : 3082 - 3083.

محمد حجي

**الرافعي، محمد بن علي بن محمد الأندلسي** التطواني، ولد في حدود سنة 1040 / 1630 ودرس بمسقط رأسه على الشيخ الحاج علي بن محمد بركة التطواني والقاضي محمد بن قريش وأقرانها. كما قرأ على أبي علي الحسن اليوسي والشيخ محمد ابن ناصر الدرعي وغيرهما.

كان الرافعي صوفياً معتقداً سليم الصدر كثير النظم في المديح النبوي ومدح الصالحين والأولياء والتعلق بهم. جمع شعره في ديوان، وله أيضاً رحلة إلى الحج سماها : *المعارج المرقية، في الرحلة المشرقية* : وتأليف في الترسل والرسائل سماه *غرر المقاصد والمطالب*، ودرر الرسائل لكل طالب ؛ ومجموع في الأدعية والأذكار، ضم هذه المؤلفات الثلاثة مجلد في نحو خمسمائة صفحة كبيرة يوجد بخرانة محمد داود بتطوان.

وقد لخص هذه الرحلة الفقيه الرهوني في عمدة الراويين في ترجمة مؤلفها الرافعي وجلب من أنظامه في مدح رجال تطوان كالسعيدي - ويعبر عنه بالصعيدي بالصاد، وعلي ابن مسعود الجعيدي، وعلي الفحل، وطلحة السديري، والمصيدي. ورحلته لا تخلو من فوائد لأنه يصف المنازل والمدن التي مر منها هو وولده أحمد بعد خروجهما من تطوان ظهر ثامن جمدي الأولى عام 1096 / 12 أبريل 1685. وما ورد في مختصر تاريخ تطوان لمحمد داود من أن الرحلة كانت عام 1196 فسبق قلم. ويذكر كذلك من اجتمع بهم من الفقهاء، ومن زار أضرحتهم من العلماء والأولياء،



عشر ما عدداً العلميين منهم المذكورين في الظهير الأول  
للسلطان سيدي محمد بن عبد الله.  
ع. السلام ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون.

**الرامي، الحسن بن أحمد الفاسي** من المتخرجين  
الأوليين من ثانوية مولاي إدريس بفاس المثقفين ثقافة  
عصرية مزدوجة الذين اهتموا بالتأليف المدرسي باللغة  
العربية أيام الحماية، فقد نشر بالاشتراك مع زميله في  
الطلب محمد بن الحسن التازي كتاب مجمل جغرافية  
المغرب في مطبعة النهضة بفاس سنة 1353 / 1935 فكان  
فتحاً جديداً في باب أفاد منه كثيراً طلبة القرويين وتلاميذ  
روافدها من المدارس العربية الحرة.

تولى الحسن الرامي نظارة أوقاف ضريح المولى إدريس  
بعد وفاة والده، واستمر في عمله إلى وفاته عام 1365 /  
1946 ودفن بروضه الأدارسة ببني مسافر.

إ. الإدريسي، معجم المطبوعات المغربية، سلا، 1988 : ص 55 ؛  
ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة المغرب، بيروت، 1996، ج  
9 : 3220 ؛ دليل مؤرخ المغرب الأقصى، الدار البيضاء، ط. 2،  
1960، ص. 55.

**الرامي، محمد الفاسي،** فقيه أديب من أصحاب  
الشيخ المهدي ابن سودة الذين ذكروهم في تقييده. لم يقف  
له مؤلف إتحاف المطالع على ترجمة في كتاب إلا أنه اطلع  
على بعض آثاره الأدبية، وهي تدل على أنه كان مشاركاً  
مطلعاً يقول الشعر. وعثر له على مقطوعة يمدح بها قائد  
فاس الطيب البياز (ت. 1259).

توفي محمد الرامي بفاس في تاسع وعشري شعبان عام  
1261 / 2 شتنبر 1845.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت،  
1996، ج 7 : 2575.

محمد حجي

**الرامي، محمد** مقاوم من مواليد سنة 1916 بگزناية  
إقليم تازا، ومن الرعيل الأول من المجاهدين الذين كافحوا  
في سبيل استقلال البلاد وعودة محمد الخامس إلى عرشه.  
انخرط في صفوف جيش التحرير بالمنطقة الشمالية  
بنواحي إقليم تازا تحت قيادة عبد الله الزكريتي بمركز بوردا  
وششارك في عدة معارك شهدتها المنطقة ضد الاحتلال  
الأجنبي إلى أن أحرز المغرب على استقلاله.

توفي بمدينة مكناس في 13 جمادى الأولى عام 1416 /  
8 أكتوبر 1995.

التبوية السامية لقداماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء  
الاستقلال، رقم 1941.

على أغلاط وقعت له في ذلك، منها ذكره أنه زار قبر  
الإمام عبد الحق الإشبيلي بالجزائر، وهو مدفون ببجاية.  
ومنها زيارته لقبر الششتري بالقاهرة، وهو انما مات بقرية  
الطنية قرب دمياط، كما ذكر زيارته لقبر البوصيري  
بالقاهرة وهو دفن الأسكندرية.

وذكر الرافي أنه حضر دروس المشايخ عبد الباقي  
الزرقاني، والخرشي والشبراخيتي شراح مختصر خليل،  
وهكذا استمر في رحلته وأصفا المراحل والأماكن مسمى من  
يأخذ عنه أو يجتمع به، وقد أورد المهم من رحلته ونظمه  
ورسائله محمد داود في تاريخ تطوان.

ومما يجدر ذكره أن رحلة الرافي وديوانه في نسختها  
المشار إليها قد اطلع عليها عدد من علماء عصره وأديبائه  
فقرظوها له، منهم شيخه علي بركة التطواني، وأحمد بن  
عبد الحى الحلبي الفاسي، والوزير الفساني، والأديب محمد  
المفضل الأندلسي ومحمد بن زاكور الفاسي، وهذه التقاريف  
مثبتة بآخر المجلد بخطوطهم.

لا يعرف تاريخ وفاة المترجم إلا أنه عاش إلى عام  
1125 / 1713.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، مخطوط، ص. (7 / 45) ؛ م. داود،  
تاريخ تطوان، تطوان، د. ت. (1 / 390) ؛ مختصر تاريخ تطوان،  
طبع تطوان، ص. 283 ؛ خ. الزركلي، الأعلام، (6 / 295) ط.  
رابعة ؛ م. ماگامان، الرحلات المغربية في القرنين 11 و12 للهجرة،  
د د ع، مرقون بكلية الآداب الرباط.

محمد بوخيزة

**الرامون،** أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما  
زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ramon ؛ وقد  
انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1162 / 1749.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483  
إلى سنة 1900)، تطوان 1999، والمرجع العربية والأجنبية التي  
ذكرها في الرقم 694.

محمد ابن عزوز حكيم

**الراموش (أولاد -) أسرة** فاسية عريقة، ذكرها  
صاحب إزالة الالتباس وعدّ منهم المجدوب حمّ الراموش  
(ت. 1123 / 1117) الذي ينسب إليه مسجد الراموش  
بفاس. ورأى ذكرهم بفاس في وثيقة مؤرخة بعام اثنين  
وعشرين وألف، وأن عين الراموش توجد بجانب المسرة قرب  
زواغة خارج فاس الجديد. ولا يعرف إن كان أولاد الراموش  
ما تزال منهم بقية بفاس.

ع. السلام ابن سودة، إزالة الالتباس، ج 1، مرقون.

**الرامي (أولاد -) أسرة** فاسية نبيلة أصلها من بلاد  
توات، بين حسب ونسب وثروة. عرفوا منذ أجيال بسدانة  
جرم المولى إدريس الأزهر، فمنهم يكون مقدّم الضريح  
وتقيب الشرفاء الأدارسة أصحاب الإرث بفاس السبعة

**الرايس، أحمد بن محمد التطوانى فقيه زاول خطة**  
العدالة في تطوان من سنة 1201 إلى سنة 1221.

**الرايس، عبد الرحمن بن محمد الفاسي، أستاذ**  
مقرئ متمكن من علوم القرآن والتجويد والقراءات السبع  
جمعها على شيخ جماعة المقرئين في عصره الإمام عبد  
الرحمن ابن القاضي الفاسي وغيره، كما درس علوم اللغة  
وقواعدها والفقهاء فروعها وأصوله على الشيخين أحمد  
الفاسي وأحمد ابن الحاج وغيرهما.

كان محل إقرائه بمدرسة العطارين يلقن الطلبة القراءات  
بالروايات، ويسدرس لهم الأنفية والشاطبية والرسالة  
والكراريس وغيرها، فكثير تلاميذه وعظم الإقبال عليه.  
وكان إماماً بمسجد الفاصين من عدوة فاس القرويين، لم  
يؤخذ عليه إلا مبالغته في الجمع بين العشاءين لأدنى  
سبب.

توفي بفاس عام 1109 / 1697.

م. القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996،  
ج 5، 1844، 1845.

محمد حجي

**الرايس، عبد الكريم (الحاج -) موسيقي شهير.** ولد  
بمدينة فاس عام 1331 / 1912، وتربى في أسرة مولعة  
بموسيقى الآلة فنهل من نبعها، وهو حفيد أحد رجالات



الشيخ الحاج ميلكرم الرايس

**الراميريس** ويكتب الراميريس أسرة تطوانية أصلها  
من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم  
Ramirez و Ramirez ؛ وقد انقضت هذه الأسرة بتطوان سنة  
1200 / 1786.

ومن أفرادها الذين تذكرهم الوثائق :

**الراميريس، علي بن محمد وأبناؤه قاسم وعبد**  
السلام والصابية، كلهم كانوا على قيد الحياة سنة 1088 /  
1677.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483  
إلى سنة 1900) تطوان 1999، والمرجع العربية والأجنبية التي  
ذكرها في الرقم 695.

محمد ابن عزوز حكيم

**الرايس (أولاد -) أسرتان كبيرتان بفاس وتطوان.**  
ويوجد أولاد الرايس كذلك في العدوتين سلا والرباط وربما  
في غيرها أيضاً لكن بقلّة.

أولاد الرايس بفاس فرقتان : إحداهما من قبيلة بني  
حسن، وهم أهل معاش وحرفة ومال ؛ وفرقة من سوس أهل  
معاش وحرفة وثروة كذلك. ولعل من هذه الفرقة المقرئ عبد  
الرحمن الرايس أتى الترجمة. وينسب إلى أولاد الرايس  
مسجد بأسفل راس الشراطين حتى الآن.

وأولاد الرايس بتطوان أصلهم من الأندلس حيث ما  
زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Arraiz و Arraez ؛ وقد  
أرغم من بقي بالأندلس من أفراد هذه الأسرة بعد سقوط  
غرناطة على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا :  
Arraiz - Arraliez - Arraez.

وكانت بتطوان أسر أخرى تحمل نفس الاسم، إحداهما من  
قبيلة بني حسان، وأخرى من قبيلة حوز تطوان، وثالثة من  
الجزائر.

**الرايس، أحمد بن عبد الرحمن الفاسي، إداري**  
محنك تقلب في عدة مناصب على عهد الحسن الأول. فكان  
خليفة لعامل فاس الباشا بوشتى ابن البغدادي، واختلف  
معه ووقع أمره إلى السلطان، فوجهه إلى مراكش وبقي بها  
إلى أن استدعاه مرة أخرى إلى فاس ليضطلع بمهمة الحسبة  
بعد وفاة المحتسب المهدي بناني وظل يقوم بأعماله إلى أن  
توفي فجأة مساء يوم الخميس سابع وعشري رمضان عام  
1305 / 7 يونيو 1888.

ع. السلام ابن سوادة، إنحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب،

بيروت، 1996، ج 8، 2774.

الفن في القرن السابق العالم الفنان محمد بن محمد الرايس  
أتي الترجمة.

وقد عاود عبد الكريم الرايس الكرة في هذا المجال من  
جديد في نهاية الثمانينات وبداية التسعينيات، فسجل  
أربع نوبات بكاملها هي الماسة، والحجاز الكبير،  
والاستهلال، والحجاز المشرقي، وذلك في نطاق خطة شاملة  
أقرتها وزارة الثقافة، وهي حضة أفضت إلى تحرير  
انطولوجية الآلة بكامل نوباتها الاحدى عشر: بعدد مع  
دار ثقافات العالم.

ولعل أعظم إنجاز حققه الحاج عبد الكريم الرايس هو  
طبعه في بحر سنة 1982 /الستعمالات ومختصر الجامعي في  
كتاب سماه من وحي الرباب، وتكمن أهمية هذا الكتاب  
في كونه يجسم خلاصة أعمال اللجنة الفنية التي شكلها  
وزير العهد الحسني محمد بن العربي الجامعي عام 1303  
بغية مراجعة كناش محمد بن الحسن الهايك وتنقيح بعض  
صنعاته واستبدال بعضها الآخر.

- إنجاز مدونة نوبة غريبة الحسين بتعاون مع السيد  
محمد ابريول أستاذ مادة الصولفيج بمعهد الموسيقى بفاس.  
وقدم لهذه المدونة المرحوم محمد زنيبر، كما حظي هذا  
العمل الصادر سنة 1985 بجائزة المغرب الكبرى للعلوم  
الإنسانية والاجتماعية.

وإلى ذلك شارك الحاج عبد الكريم الرايس بجوقه في  
عدة مهرجانات وطنية وعربية ودولية، وكان موضع تكريم  
من طرف معهد العالم العربي بباريس، وحظي بوسام  
الجمهورية الفرنسية في الفنون والآداب. وما تزال  
التسجيلات التي تحتفظ بها إذاعة فرنسا وشركة  
هارمونياموندي ومدينة بال السويسرية والعاصمة البريطانية  
موضع تقدير وتنويه.

وبعد حياة حافلة بالعطاء مديراً ومدرساً وموجهاً  
ورئيساً لجوق المرحوم البريهي أسلم الحاج عبد الكريم روحه  
لخالقه بعد مرض ألزمه الفراش وكان ذلك زوال يوم الثلاثاء  
12 ربيع الثاني 1417 / 27 غشت 1996.

ع. الكريم الرايس، من وحي الرباب : روايات شفوية ومعرفة  
شخصية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

وقد كانت الظروف مواتية لتنشئة الحاج عبد الكريم  
الرايس تنشئة فنية مكتملة، فإلى جانب ما أوتي من موهبة  
تبدت معالمها منذ طفولته ثم تفتحت في ريعان شبابه،  
أسعفه الحظ إذ هباً له أن يتلمذ على ثلثة من أعلام طرب  
الآلة في فاس وإلى جانبه نوبة من الزملاء الذين أصبحوا  
فيما بعد من حذاق هذا الفن بالمغرب مثل أحمد الوكيل،  
وليوروز التازي، والحاج محمد الاخصاصي، ومحمد دادي،  
والغالي الشرايبي، وإدريس اسميرس ومحمد التوزي،  
ومحمد العراقي، ومصانو التازي، وغير هؤلاء. ففي رفقة  
هذه الزمرة أقبل على دراسة الموسيقى الأندلسية، فأتقن  
العزف على سائر آلات جوق هذه الموسيقى، وحفظ النوبات  
الإحدى عشرة. و كان في مقدمة شيوخه الفنان التطواني  
الأصل الفاسي المقام عبد القادر كرش، ثم صهره محمد بن  
عبد السلام البريهي رئيس الجوق الفاسي. وما أن حلت سنة  
1933 حتى فتح له البريهي المجال ليتبحر بالجوق عازفاً  
على آلة العود.

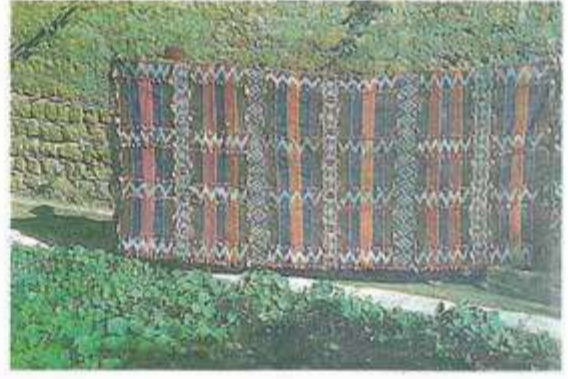
لازم عبد الكريم الرايس شيخه البريهي أحد عشر عاماً،  
حتى إذا وافاه الأجل عام 1364 / 1944 خلفه في رئاسة  
الجوق. ثم آلت إليه إدارة المعهد الموسيقي التابع لوزارة  
الثقافة سنة 1960، وبذلك تجمعت لديه مسؤولية جوق  
البريهي ومهمة الاضطلاع بتكوين الأجيال الناشئة المتطلعة  
إلى تعلم "طرب الآلة". وأجبر عدة أعمال فنية يمكن إجمالها  
في الآتي :

- شارك في الجمع التأسيسي لجمعية هواة الموسيقى  
الأندلسية عام 1378 / 1958.

- شارك في تسجيل نوبات الموسيقى الأندلسية بإشراف  
منظمة اليونيسكو في الستينيات ؛ وكان إلى جانبه في  
هذه العملية أحمد الوكيل، والحاج إدريس بن جلون  
التويهي، ومحمد العربي التمساني، وآخرون منهم لبزور  
التازي، ومحمد التوزي، ومحمد بوزويج، ومحمد  
الشافعي. وكانت هذه العملية تتوخى تقريب أقطاب الأداء  
وتذويب الفوارق بين روايات شيوخ الآلة. وشمل التسجيل -  
يومئذ - ثمان نوبات ظلت أشرطتها بعيدة عن التداول، فلم  
تتحقق الغايات المتوخاة منها.



حنبل زيان  
انظر صفحة 3618



حنبل زهور  
انظر صفحة 3618



الحزّ القارّي  
انظر صفحة 3715



الحزّ البحري  
انظر صفحة 3714

خلنج برانس  
انظر صفحة 3803



خلنج أبيض  
انظر صفحة 3803







الخنفساء  
انظر صفحة 3831



خلنج زغبى  
انظر صفحة 3803



الخيمة  
انظر صفحة 3878



الخيول  
انظر صفحة 3872

باب الدباغين بمراكش  
(من خارج)  
انظر صفحة 3965



باب الدباغين بمراكش  
(من داخل)  
انظر صفحة 3965





دغموس أصفر  
انظر صفحة 4043  
دقلة حمراء  
انظر صفحة 4049



دغموس أسي  
انظر صفحة 4040  
دقلة بيضاء  
انظر صفحة 4048



دم الأخوين في إفريز منيع  
انظر صفحة 4078



دم الأخوين في قمة جبل  
انظر صفحة 4078







الدَّير  
(منطقة بولمان)  
انظر صفحة 4134



الدَّير  
(منطقة البهاليل)  
انظر صفحة 4132



علامة ذبابة الزيتون  
انظر صفحة 4152



دودة ذبابة الزيتون  
انظر صفحة 4152

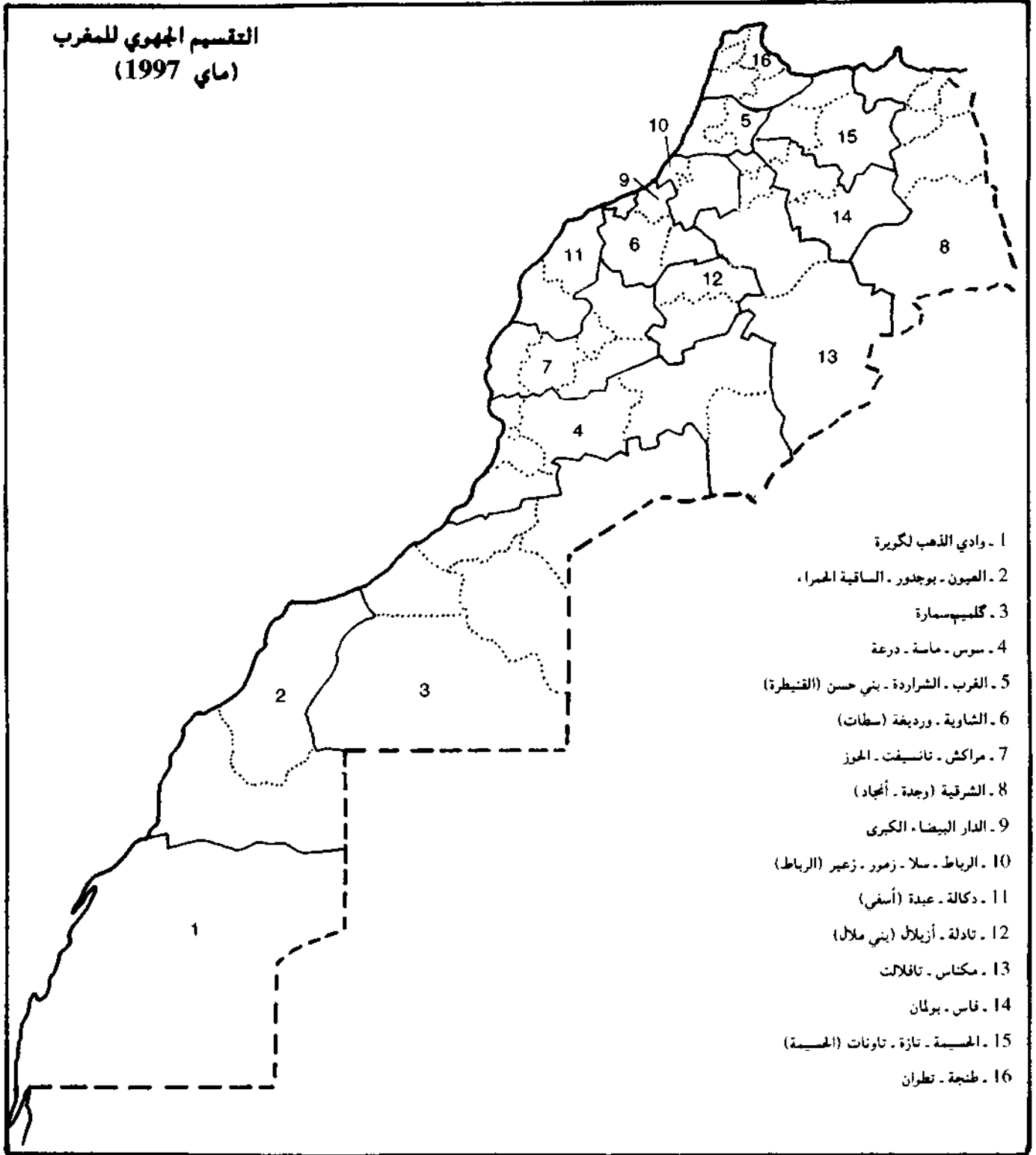
سمك الرابوز  
انظر صفحة 4167



الدقة المراكشية  
انظر صفحة 4050



التقسيم الجهوي للمغرب  
(ماي 1997)



- 1 - وادي الذهب لكوبيرة
- 2 - العيون - بوجنور - الساقية الحمراء
- 3 - غلميب سمارة
- 4 - سوس - ماسة - درعة
- 5 - الغرب - الشارقة - بني حسن (القيطرة)
- 6 - الشاوية - وريدغة (سطات)
- 7 - مراكش - تانسيفت - الحوز
- 8 - الشرقية (وجدة - أنجاد)
- 9 - الدار البيضاء - الكبرى
- 10 - الرباط - سلا - زمور - زمير (الرباط)
- 11 - دكالة - عبدة (أسفي)
- 12 - تادلة - أزيلال (بني ملال)
- 13 - مكناس - تافالالت
- 14 - فاس - بولمان
- 15 - الحسيمة - تازة - تاونات (الحسيمة)
- 16 - طنجة - تطوان

تصحيح أسماء بعض الجهات

كثبت مختصرة في الجزء التاسع قبل صدور المرسوم في الجريدة الرسمية





**E.I.1** : *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*  
**E.I.2** : *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*  
**E.T.A.M** : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*  
**Et. Medit.** : *Etudes Méditerranéennes.*  
**F.M** : *France - Maroc.*  
**F.S.S.A.N** : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*  
**G.E.M** : *Grande Encyclopédie du Maroc.*  
**Hesp** : *Hespéris.*  
**H-T** : *Hespéris-Tamuda.*  
**H.T.E** : *Hommes, Terre et Eaux.*  
**I.G** : *Information Géographique.*  
**I.H.E.M** : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*  
**I.H.E.M - N-D** : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*  
**Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar.** : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*  
**I.S.C** : *Institut Scientifique Chérifien.*  
**Isl. Cult.** : *Islamic Culture.*  
**I.S.P.M** : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*  
**J.H.S.N** : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*  
**M.A.I.B.L** : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*  
**Medit** : *Méditerranée.*  
**M.E.F.R** : *Mélanges de l'Ecole Française de Rome.*  
**N.A.M.S.L** : *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*  
**P.I.H.E.M** : *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*  
**P.S.A.M** : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*  
**P.S.H.M** : *Publications de la Section Historique du Maroc.*  
**R.A** : *Revue Africaine.*  
**R.A.P** : *Revue de l'Action Populaire.*  
**R.C.C** : *Revue de la Chambre de Commerce.*  
**R.D.M** : *Revue des Deux Mondes.*  
**R.E.A** : *Revue des Etudes Anciennes.*  
**R.E.I** : *Revue des Etudes Islamiques.*  
**R.E.L** : *Revue des Etudes Latines.*  
**R.G.L** : *Revue de Géographie de Lyon.*  
**Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn.** : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*  
**R.G.M** : *Revue de Géographie du Maroc.*  
**R.H.C.M** : *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*  
**R.H.E** : *Revue d'Histoire Economique.*  
**R.H.M.C** : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*  
**R.M.D.E.D** : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*  
**R.M.E** : *Revue Maroc-Europe.*  
**R.M.F** : *Revue Militaire Française.*  
**R.M.F.P.E** : *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie.*  
**R.M.M** : *Revue du Monde Musulman.*  
**R.P.P** : *Revue Politique et Parlementaire.*  
**Rev. Inst. Hist. Mil.** : *Revue Internationale d'Histoire Militaire.*  
**S.G.L** : *Sociedade de Geografia de Lisboa.*  
**S.I** : *Studia Islamica.*  
**S.I.H.M** : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*  
**Soc. Sc. Nat. Phys. Mar.** : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*

## Liste des principales abréviations des périodiques

- A.A : *L'Afrique et l'Asie.*  
A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*  
Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales.*  
A.E.S.C : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*  
A.F : *Afrique Française.*  
A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*  
A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*  
A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*  
A.M : *Archives Marocaines.*  
A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie.*  
And. : *Al-Andalus*  
Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*  
Ant. Afr. : *Antiquités Africaines.*  
B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*  
B.A.R : *British Archeological Reports.*  
B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*  
B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*  
B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*  
B.G.M : *Bulletin de Géographie du Maroc.*  
B.I.D.M : *Bulletin de l'Information et de la Documentation Marocaine.*  
B.I.F.A.N : *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire.*  
B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*  
B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*  
B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne.*  
B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*  
B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*  
B.S.G.Ø : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*  
B.S.H.M : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*  
B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*  
B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Préhistoire du Maroc.*  
Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique.*  
C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*  
Cah. Rech. Agron. : *Cahiers de la Recherche Agronomique.*  
C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*  
C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*  
C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*  
C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos.*  
C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam.*  
C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée.*  
C.R.A.I.B.L : *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*  
C.R.A.S : *Compte-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*  
C.T : *Cahiers de Tunisie.*  
E.B : *Encyclopédie Berbère.*

تم طبع الجزء 12 من معلمة المغرب بمطابع سلا  
في شعبان عام 1421 / نونبر 2000



مطابع سلا

قسمة 14، زنقة عثمان بن عفان

الحي الصناعي لتابريكت

ص.ب. 596 سلا

Directeur de publication : **Mohamed Hajji**

Comité de rédaction : **Ahmed Toufiq**  
**Mohammed Hajji**

Comités scientifiques :

Pour les sciences humaines

**Mohmed BENCHERIFA**, Faculté des Lettres, Rabat.  
**Brahime BOUTALEB**, Faculté des Lettres, Rabat.  
**Salem YAFOUT**, Faculté des Lettres, Rabat.  
**Mustapha NAIMI**, Institut Universitaire Pour la Recherche Scientifique, Rabat.

Pour la géographie et les sciences de la nature

**Abdellah LAOUINA**, Faculté des Lettres, Rabat.  
**Dris EL-FASSI**, Institut agronomique et vétérinaire Hassan II, Rabat.  
**Mustapha AYADA**, Faculté des Lettres, Rabat.  
**Abdelmalek BENABID**, Ecole Nationale Forestière, Salé.  
**Mohamed RAMDANI**, Institut Scientifique, Rabat.

Tous droits réservés, y compris le droit de traduction ou de reproduction  
même partielles sous quelque forme que ce soit.



**IMPRIMERIE DE SALÉ**

Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane  
Zone Industrielle de Tabriquet  
B.P. 596 SALÉ

# Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.



Publiée par

**L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication**

Editée par

**L'Imprimerie de Salé  
"SALA"**

**2000 - 1421**

Copyright © IMPRIMERIE DE SALÉ "SALA" - 2000

ISBN (Ensemble) 9981 - 03 - 000 - 7

ISBN (Tome XII) 9981 - 03 - 013 - 9

**Encyclopédie  
du  
Maroc**



# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى



من إنتاج  
الجمعية المغربية  
للتأليف والترجمة والنشر

نشر  
مكابع سلا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

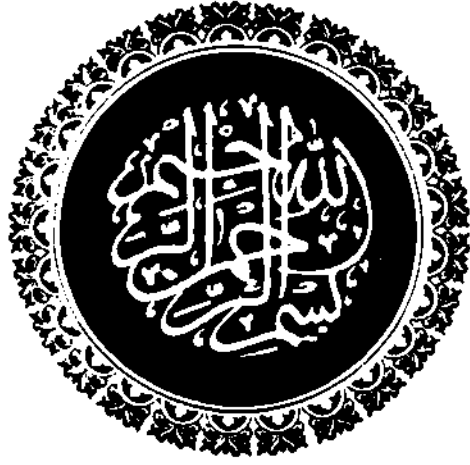
التَّغْرِيْبُ الْأَفْصَى

رقم الإيداع القانوني  
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط  
1984/629

جميع حقوق النقل والترجمة - جزئياً أو كلياً بأي شكل كان - محفوظة  
للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولطابع سلا

رد مك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)

رد مك 8 - 019 - 03 - 9981 (الجزء 13)



تم إعداد هذا الجزء من معلمة المغرب  
بدعم من وزارة الثقافة والاتصال  
ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة  
أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق  
عبارات الشكر والامتنان



المدير المشرف

محمد حجي

لجنة التحرير

أحمد الشوفيق، أستاذ التاريخ بكلية الآداب.  
الرباط

محمد حجي، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

لجنة العلوم الإنسانية

محمد بنشريفقة، أستاذ الأدب المغربي والأندلسي  
بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية.  
الرباط

إبراهيم بوطالب، أستاذ التاريخ بكلية الآداب.  
الرباط

سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط  
مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي  
بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافيا

عبد الله العويطة، أستاذ الجيومورفولوجيا بكلية  
الآداب، الرباط

مصطفى عياد، أستاذ الجغرافيا البشرية بكلية  
الآداب، الرباط

إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية  
الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة،  
الرباط

عبد المالك بنهيبيد، أستاذ بالمدرسة الوطنية  
الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة  
والبيطرة، الرباط

محمد رمضان، باحث في البيولوجيا الحيوانية  
بالمعهد العلمي وأستاذ بكلية العلوم، الرباط

# اختصارات

ت. = توفى	ت.
تج. = تحقيق	تج.
تر. = ترجمة	تر.
خ. ت = خزنة تطوان	خ. ت
خ. ح. = الخزنة الحسنية (الملكية) بالرباط	خ. ح.
خ. ص. = الخزنة الصبيحية بسلا	خ. ص.
خ. ع. = الخزنة العامة بالرباط	خ. ع.
خ. ق. = خزنة القرويين بفاس	خ. ق.
خ. ي. = خزنة ابن يوسف بمراكش	خ. ي.
د. ت = دون تاريخ	د. ت
د. د. ع. = دبلوم الدراسات العليا	د. د. ع.
د. م. = دون مكان	د. م.
ط. = طبعة	ط.
← = انظر	←

\* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.



## المشاركون في تحرير هذا الجزء

- ميلود احمن، كلية الآداب - مراكش  
 محمد أخريف، باحث - القصر الكبير  
 محمد الأخضر، باحث - الرباط  
 الفقيه الإدريسي، كلية الآداب - بني ملال  
 محمد أديوان، كلية الآداب - الرباط  
 شفيق أرفاك، كلية الآداب - أكادير  
 عبد الرزاق ازريكم، كلية الآداب - مراكش  
 سعيد أعراب، باحث - تطوان  
 عمر أفا، كلية الآداب - الرباط  
 المختار الأمحل، كلية الآداب - المحمدية  
 العربي اكنينج، المدرسة العليا للأساتذة - فاس  
 حسن أميلي، كلية الآداب - المحمدية  
 خالد أوشن، باحث - أكادير  
 محمد أيت الحاج، وزارة التربية الوطنية - البيضاء  
 محمد أيت حمزة، كلية الآداب - الرباط  
 لحسن أيت لفيقه، كلية الآداب - بني ملال  
 أحمد إيشرخان، باحث - الرباط  
 عيسى إيكن، وزارة الثقافة - الرباط  
 محمد الهايك، باحث - مراكش  
 محمد الهدراوي، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط  
 عكاشة برحاب، كلية الآداب - المحمدية  
 محمد بركص، باحث - الرباط  
 محمد البركة، باحث  
 الحسين البعاوي، وزارة التربية الوطنية - العرائش  
 محمد بلعربي، باحث - الرباط  
 عائشة البلقيشي العلوي، كلية الآداب - الرباط  
 عبد العزيز بل الفايدة، كلية الآداب - القنيطرة  
 رقية بلماقدم، كلية الآداب - القنيطرة  
 علي البليشي، كلية الآداب - الرباط  
 أحمد بنجلون، باحث - الرباط  
 زليخة بثرمان، كلية الآداب - المحمدية  
 زينب بثرمون، أستاذة باحثة بالرباط  
 عبد المالك بنعبيد، المدرسة الغابوية للمهندسين - سلا  
 عبد الرحيم بنعلي، كلية الآداب - مراكش  
 حليلة بنگرعي، كلية الآداب - القنيطرة  
 عبد الإله بنمليح، كلية الآداب - فاس  
 عثمان بناني، كلية الآداب - الرباط  
 رحال بويريك، كلية الآداب - أكادير  
 محمد الأمين بوخيصة، باحث - تطوان  
 عبد القادر بوراس، المركز الجهوي التربوي - القنيطرة  
 سعيد البوزيدي، كلية الآداب - القنيطرة  
 عيسى البوزيدي، كلية الآداب - القنيطرة  
 فاطمة بوستة، باحثة - الرباط  
 محمد بوسلام، وزارة التربية الوطنية - الرباط  
 أحمد بوشرب، كلية الآداب - الدار البيضاء  
 مصطفى بوشعراء، باحث - سلا  
 عبد الله بوضحابة، كلية العلوم - فاس  
 إبراهيم بوطالب، كلية الآداب - الرباط  
 أحمد بوعزيز، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط  
 أحمد بومزكو، وزارة التربية الوطنية - تيزنيت  
 جامع بيضا، كلية الآداب - الرباط  
 عبد العزيز توري، وزارة الثقافة - الرباط  
 أحمد التوفيق، محافظ الخزانة العامة - الرباط  
 حسن جلاب، كلية اللغة العربية - مراكش  
 الحسين جهادي، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء  
 محمد الحاتمي، كلية الآداب - أكادير  
 حسن حافظي علوي، كلية الآداب - مراكش  
 محمد حجاج الطويل، كلية الآداب - الدار البيضاء  
 محمد حجي، كلية الآداب - الرباط  
 عبد الفتاح الحججري، كلية الآداب - الدار البيضاء  
 موحى حدوش، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط  
 عبد الجليل حلیم، كلية الآداب - فاس  
 نجيب خداري، صحفي - الرباط  
 علال الخديمي، كلية الآداب - الرباط  
 محمد خريوة، المعهد العلمي - الرباط  
 خالد الحضري، وزارة الثقافة - الرباط  
 نجاة الخياطي، كلية العلوم - الرباط  
 عبد الإله الدحاني، كلية علوم التربية - الرباط

صافية العمراني، وزارة التربية الوطنية - مراكش  
 عبد العلي العمراني جمال، بالمركز الجامعي للبحث العلمي - باريز  
 محمد عمراني، كلية الآداب - القنيطرة  
 عبد الله العويضة، كلية الآداب - الرباط  
 أحمد عيدون، وزارة الثقافة - الرباط  
 مصطفى عياد، كلية الآداب - الرباط  
 محمد العيوض، المدرسة العليا للأساتذة - الرباط  
 إدريس الفاسي، كلية الآداب - الرباط  
 عبد الإله الفاسي، كلية الآداب - القنيطرة  
 محمد فتحة، كلية الآداب - الدار البيضاء  
 حسن الفكيكي، كلية الآداب - القنيطرة  
 بوشتي الفلاح، المعهد العلمي - الرباط  
 محمد القادري، كلية العلوم - الرباط  
 محمد كريوط، كلية الآداب - الرباط  
 ليثي شمعون، كلية الآداب - الرباط  
 محمد ماكامان، وزارة التربية الوطنية - مراكش  
 أحمد متفكر، باحث - مراكش  
 محمد مجدوب، كلية الآداب - المحمدية  
 ثريا المرابط، المركز الوطني للتنسيق وتخطيط البحث - الرباط  
 محمد المغراوي، كلية الآداب - الرباط  
 محمد المنصور، كلية الآداب - الرباط  
 محمد منبوي، المعهد العلمي - الرباط  
 أحمد مهدها، كلية الآداب - مراكش  
 مصطفى مولاي ارشيد، كلية الآداب - الرباط  
 شاكر ميلودي، كلية الآداب - الرباط  
 محمد ناجي بن عمر، باحث - أكادير  
 مصطفى ناعمي، معهد البحث العلمي - الرباط  
 عبد الله نجمي، كلية الآداب - الرباط  
 أحمد هوزالي، كلية الآداب - مراكش  
 أحمد الوارث، كلية الآداب - الجديدة  
 إبراهيم الوافي، كلية الآداب - أكادير  
 محمد وحيد، باحث - الدار البيضاء  
 محمد عزيز الوكيل، وزارة التربية الوطنية - الرباط  
 أحمد اليبوري، كلية الآداب - الرباط  
 مصطفى اليزيدي، كلية الآداب - وجدة  
 خديجة اليملمحي، كلية علوم التربية - الرباط

نفيسة الذهبي، كلية الآداب - القنيطرة  
 محمد رابطة الدين، كلية الآداب - مراكش  
 علاال رگوگ، كلية الآداب - بني ملال  
 محمد رمضان، المعهد العلمي - الرباط  
 محمد الرمضاني، باحث - وجدة  
 بوجمعة رويان، كلية الآداب - القنيطرة  
 محمد رياض، باحث - مراكش  
 الميلود زروقي، كلية الآداب - وجدة  
 عبد الخالق الزرواطي، المعهد العلمي - الرباط  
 أحمد زروال، كلية الآداب - مراكش  
 قاسم الزهيري، باحث - الرباط  
 عبد الفتاح الزين، معهد البحث العلمي - الرباط  
 خليل السعداني، كلية الآداب - بني ملال  
 محمد السعديين، وزارة التربية الوطنية - سلا  
 عبد السلام السعيد، باحث - مراكش  
 المهدي السعيد، كلية الآداب - أكادير  
 رشيد السلامي، كلية الآداب - مراكش  
 محمد السمار، باحث - الرباط  
 مصطفى الشابي، كلية الآداب - الرباط  
 خالد شاوش، باحث - تطوان  
 محمد الشريف، باحث - تطوان  
 محمد عزيز الشفشاوني، باحث - الرباط  
 صالح شكاك، وزارة التربية الوطنية - الرباط  
 الحسين شوقي، وزارة التربية الوطنية - قلعة السراغنة  
 حمادي شيمي، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط  
 عبد الرزاق الصديقي، كلية الآداب - المحمدية  
 خالد بن الصغير، كلية الآداب - المحمدية  
 أحمد الطاهري، كلية الآداب - المحمدية  
 محمد الطليسان، كلية الآداب - الرباط  
 محمد الطريف، كلية الآداب - المحمدية  
 عبد العزيز بن عبد الجليل، وزارة الثقافة - مكناس  
 إسماعيل العثماني، مديرية الوثائق الملكية - الرباط  
 أحمد عزوي، كلية الآداب - القنيطرة  
 محمد ابن عزوز حكيم، باحث - تطوان  
 عبدّي عزّي، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط  
 عبد الرحيم العطاوي، كلية الآداب - الرباط  
 أحمد عمالك، كلية الآداب - مراكش

## بيبلوغرافيا إضافية إلى ما ذكر في الأجزاء السابقة

- محمد ابن إبراهيم الدكالي،  
- تقاليد تاريخية، مخطوط مكتبة بودليان - اكسفورد C79.
- الحمد كتاب المغربي،  
- دليل الكتاب المغاربة، الرباط، 1993.
- إحسان عباس،  
- ابن رضوان وكتابه في السياسة، كتاب العيد، بيروت، 1967.  
- نوازل ابن رشد، مجلة الأبحاث للجامعة الأميركية، بيروت.
- أحمد أهورزي،  
- هداية الملك العلام، مخطوط.
- الهادي - روجي إدريس،  
- الدولة الصنهاجية : تاريخ إفريقية في عهد بني زيري، تر. حمادي الساحلي، بيروت، 1992.
- محمد أديب السلاوي،  
- أعلام الفن التشكيلي العربي بالمغرب، بغداد، 1982.
- ابن الأزرق،  
- بدائع السلك، تح. م. ابن عبد الكريم، ليبيا - تونس، 1977.
- عبد الله أزيطان،  
- كتيب في الرماية وفضائلها، مخطوط.
- يوسف أشباح،  
- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر. ع عنان، القاهرة، 1958.
- عمر أفا،  
- نظام المقاييس والأوزان المغربية وتطورها نحو النظام الميترى، ضمن كتاب فكر وتاريخ، الرباط، 1998.
- محمد الإفرائي،  
- الإفادات والانشادات، مخطوط.  
- درر الحجال في سبعة رجال، مخطوط.
- أحمد أمين،  
- ابن رشد : تلخيص مبادئ الطبيعة، القاهرة، 1958.
- خالد أوشن،  
- الوعي الاجتماعي بالمقاومة الوطنية (نموذج أكادير) بحث الاجازة مرقون كلية الآداب، أكادير، 1987.
- خوسي أليمانى،  
- الكتاب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة، تر. أحمد مدينة، دعوة الحق، ع 5، 1978.
- أ. ف الأهواني،  
- ابن رشد : تلخيص كتاب النفس، القاهرة، 1950.
- محمد أونى،  
- مفهوم الريف المغربي، حوليات الريف، عدد 1، سنة 1998.
- محمد أحمد باهي،  
- الليث سيدي أحمد الرگيني، ط 2، الرباط، 1999.
- عبد الرحمن بدوي،  
- أرسطو في الشعر، الترجمة العربية القديمة مع شروح الفارابي وابن سينا وابن رشد، القاهرة، 1954.  
- ابن رشد، الكويت، 1984.  
- الخاص والمخصوص، ط. 2، بيروت، 1980.

- يحيى ابن البراء،  
- الفقه والمجتمع والسلطة، نواكشوط، 1993.
- جون بريشويت،  
- تاريخ الثورات في امبراطورية المغرب بعد وفاة المولى إسماعيل، تر. منية مادني د. د. ع. مرقون، كلية الآداب، الرباط، 2000.
- عكاشة برحاب،  
- مفهوم الحدود في الوثائق الغربية منذ احتلال الجزائر، أعمال ندوة المحمدية، 1998.
- محمد بريان و عبد الله العويطة،  
- تهيئة الساحل وتطوّره، الدار البيضاء، 1993.
- ابن بصال،  
- كتاب الفلاحة، نشر خوسي مارية و م. عزيمان.
- محمد المكي البطاوري،  
- شرح أرجوزة الاتاي، الرباط، 1946.
- الحاج الحسن البعقلي،  
- تبين الأشراف أهل دائرة الوسائل، وقبلة توجه كل سائل، الدار البيضاء، 1358 هـ.
- أبو عبيد البكري،  
- معجم ما استعجم، بيروت، 1403 هـ.
- محمد بلققيه و ع. فضل الله،  
- آليات وأشكال التوسع الحضري، حالة الرباط سلا، الرباط، 1986.
- عبد الله ابن بلقين،  
- التبيان، الرباط، 1995.
- مذكرات الأمير ابن بلقين، تح. أمين توفيق الطيبي، الرباط.
- محمد بلموزونة،  
- التوضعات السطحية بمنطقة مشرع بلقصيري، د. د. ع. مرقون، كلية الآداب، الرباط، 1993.
- سعيد بنسعيد العلوي،  
- صورة المغرب في الاستشراق الفرنسي المعاصر، ضمن كتاب الوطنية والتحديث، بيروت، 1997.
- محمد بنشريف،  
- كيف ظهر ضريح القاضي عياض، مجلة كلية الآداب، مراكش، ع 6، 1990.
- ملعبة الكفيف الزرهوني، الرباط، 1987.
- عبد العزيز، بنعبد الله،  
- السفارة والسفراء بالمغرب عبر التاريخ، الرباط، 1985.
- معلمة المغرب، القنيطرة، 2000.
- شوقي بنعزوز،  
- الماء التحدي المستمر، منشورات بانوراما، 1994.
- عبد اللطيف بنمصور،  
- مجموعة أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية المعروف بالحايك، الدار البيضاء، 1977.
- عبد الوهاب بنمصور،  
- مع جلالة الملك الحسن الثاني في فاس وتازة ووجدة وتلمسان، الرباط، 1970.
- أحمد بناني،  
- تحلية الأذان والمسامع، مخطوط.
- محمد بنهاشم،  
- السياسة الخارجية المغربية في عهد السلطان المولى سليمان، د. د. ع. مرقون، كلية الآداب، فاس، 1987.
- محمد العربي ابن البهلول،  
- منهج الارتجال إلى معرفة الشيخ سيدي رحال، الرباط، 1952.

- مصطفى بوشعراء.
- ذيل الإتحاف الوجيز، ط 2، الرباط، 1999 ؟
- ميمون بوشلاغم،
- الزاوية الرمضانية، وثائق من بني يزناسن، د.د.ع. مرقون، كلية الآداب، فاس، 1985.
- عبد الهادي بوطالب،
- ذكريات ... شهادات ... ووجوه، الدار البيضاء، 1993، جزآن.
- أحمد بن مبارك بنو الطعام،
- كناشة، مخطوطة.
- المهدي، البوعديلي،
- الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركية وآثارها، مجلة الأصالة.
- عبد الرحمن الأخصري وأطوار السلفية في الجزائر، الأصالة، سنة 1978، ع 53.
- محمد بويغ،
- تلخيص كتاب المقدمة /ابن رشد، بيروت، 1932.
- تفسير ما بعد الطبيعة /ابن رشد، بيروت، 1938.
- تهافت التهافت /ابن رشد، بيروت، 1930.
- بروس بولت،
- الزلازل، تر. سهل السنوي وآخر، بغداد، 1988.
- فرانسوا بيرجي،
- موحى وحمّو الزباني، تر. م. بوسته، فاس، 1999.
- شارل بيللا،
- مقدمة الناقعة على الآلة الجامعة لابن سليمان الروداني، مجلة الدراسات الشرقية بدمشق، جز 27، سنة 1973.
- الطيب البياز،
- الكناشة، مخطوط، خ. ح 36652.
- موساتوفا تاتيانا،
- العلاقة الروسية المغربية، تر. ع. الرحيم العطاوي، مجلة دار النياية، عدد 18، سنة 1988.
- عبد الهادي التازي،
- التاريخ الدبلوماسي، 1988، ج 9.
- عبد الله بن إبراهيم التاساقتي،
- رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد. تح. ع صدقي أزايمو، القنيطرة، 1992.
- علي التامكروتي،
- النفحة المسكية في السفارة التركية، مطبوع بالتصوير على مخطوط، باريس، د. ت.
- محمد ابن تاويت التطواني،
- الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، الدار البيضاء، 1982، ثلاثة أجزاء.
- محمد ابن تاويت التطواني وعفيفي،
- الأدب المغربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1960.
- محمد التطواني السلوي،
- ابن أبي زرع وكتاب القرطاس، مجلة الثقافة المغربية، جوان جويي، 1945.
- نعيمية التوزاني،
- الأماناء بالمغرب على عهد المولى الحسن، الرباط، 1979.
- أحمد التوفيق،
- أبو الحسن علي بن سليمان الدمناطي البوجمعي ورسائله إلى الآفاق، ضمن كتاب في النهضة والتراكم، الدار البيضاء، 1986.
- أحمد التيفاشي،
- متعة الأسماع في علم السماع، مخطوط.

عباس الجراري، سعيد بنسعيد، أحمد التوفيق،  
عبد الرحمن ابن زيدان، - سلسلة أعلام المغرب، الدار البيضاء، 1998.

عبد الله الجراري،

- الغاية من رفع الراية، الرباط، 1953.

حسن جلاب،

- عراصي مراكش ودورها في تكوين الشباب، دعوة الحق، عدد 352.

جماعة من الباحثين،

- أعمال الدورة الثالثة لجمعية الجامعات الصيفية بأكادير، الدار البيضاء، 1990.

- أعمال الملتقى الثقافي الرابع حول صفرو ومنطقتها، 1990.

- أعمال الملتقى الفكري الأول لمدينة أسفي، الدار البيضاء، 1988.

- أعمال ندوة أكادير الكبرى، المحور التاريخي، أكادير، 1990.

- أعمال ندوة أبي محمد صالح المناقب والتاريخ، الدار البيضاء، 1990.

- أعمال ندوة حول مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي، الرياض - السعودية، 1999.

- أعمال ندوة الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي، تطوان، 1996.

- البداية المغربية عبر التاريخ، ندوة كلية الآداب، الرباط، رقم 77.

- تاريخ إقليم أسفي، الدار البيضاء، 2000.

- التاريخ وأدب النوازل، مهدي للفقيد محمد زنيبر، الرباط، 1995.

- تراث الأندلس، بإشراف محمد حجي، الدار البيضاء، 1984.

- الشاوية : التاريخ والمجال، (ندوة) الدار البيضاء، 1997.

- جامعة مولاي علي الشريف الخريفية (وزارة الثقافة)، عشرة أجزاء، الرباط، 1989 حتى 2001.

- حصيلة وآفاق العلاقات المغربية السوفياتية (ندوة قدماء خريجي الجامعات السوفياتية)، مرقون، 1988.

- طنجة في التاريخ المعاصر (ندوة)، الرباط، 1991.

- عروض ودراسات علمية حول القردة، ندوة جامعة الأخوين، إفران، 1999.

- الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى (ندوة)، الرباط، 1995.

- فكر وتاريخ، الرباط، 1998.

- في النهضة والتراكم، مهداة لمحمد المنوني، الدار البيضاء، 1986.

- متنوعات محمد حجي، بيروت، 1998.

- مجلة الاعتصام، عدد خاص بتكريم الشيخ الرحالي الفاروقي.

- المختار السوسي الذاكرة المستعادة، (ندوة)، الدار البيضاء، 1984.

- مذكرات التراث المغربي، (الترجمة العربية)، الدار البيضاء ؟

- المنطقة الشمالية والكفاح الوطني، الرباط، 1998.

- الموسوعة الحديثة : علم النباتات والحيوانات، سلكا - سويسرا، 1990.

- ندوة أعمال المجالات الحدودية في الوثائق المغربية منذ احتلال الجزائر، المحمدية، 1998.

- ندوة الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في الشمال الغربي المغربي، الرباط، 1995.

- ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار، المندوبية السامية للمقاومة، 1991.

- وثيقة المطالبة بالاستقلال، تراجم الموقعين (المندوبية السامية لقدماء المقاومين)، الرباط، 1996.

- وحيش المغرب، (مكتب تنسيق التعريب)، الرباط، 1976.

- الوطنية والتحديثية في المغرب، بيروت، 1997.

- مجموع رسائل موحدة من إنشاء كتاب الدولة المومنية، جمع ل. بروغنسال، الرباط، 1941.

- مجموع جديد من رسائل موحدة، تح. عزاوي، د. د. ع مرقون، كلية الآداب، الرباط، 1986.

أحمد ابن الحاج،

- الدرر الجوهري، مخطوط، خ. ح 512 ج.

م. حسين الأعلمي الحائري،

- دائرة المعارف الشيعية العامة، 10 / 159 ؟

- محمد بن الحسن الحايك،  
 - مقدمة كتاب الحايك، تح. مالك بنونة، الرباط، 1999.
- ابن حجاج الأندلسي،  
 - الفلاحة، مخطوط.
- محمد الحجاري وآخرون،  
 - المغرب في حلّى المغرب، تح. شوقي ضيف، القاهرة، د. ت.  
 محمد حجي،  
 - جولات تاريخية، بيروت، 1995، جزآن.  
 - ألف سنة من الوفيات في ثلاثة كتب، الرباط، 1976.
- محمد ابن حجر العسقلاني،  
 - أنباء الغمر في أبناء العمر، ط. الهند.  
 إبراهيم حركات،  
 - السياسة والمجتمع، الدار البيضاء، 1987.
- م. الحضرمي،  
 - السلسل العذب، تح. مصطفى البخار، سلا، 1988.
- محمد الحضيكي،  
 - طبقات، تح. أ. بومزكو، د. د. ع. مرقون، كلية الآداب، الرباط.  
 محمد حمادة،  
 - الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال إفريقيا، ط. 2، بيروت، 1986.
- ابن حمادة السبتي،  
 - مختصر المدارك، ملحق بكتاب ترتب المدارك للقاضي عياض، ج 8، تح. س. أعراب، المحمدية، 1983.
- ج. ف. حوراني،  
 - كتاب فصل المقال / ابن رشد، بيروت، 1968.
- سليمان الحوات،  
 - الروضة المقصودة في مآثر بين سودة، تح. ع. العزيز تيلاني، الدار البيضاء، 1994.
- محمد الحياثي،  
 - الرياضة المغربية، شواهد وأسرار، الرباط، 1992.
- علال الحديمي،  
 - أخبار الجهاد والمجاهدين بالمنطقة الشمالية خلال الحرب العالمية الأولى، ضمن كتاب المنطقة الشمالية والكفاح الوطني، الرباط، 1998.
- محمد الخروبي،  
 - رسالة الخروبي إلى علماء فاس، مخطوط.
- خالد الحضري،  
 - دليل المخرجين السينمائيين المغاربة.
- لسان الدين ابن الخطيب،  
 - ربحانة الكتاب ونجمة المنتاب، تح. ع. الله عنان، القاهرة، 1980.  
 - اللمحة البدرية في الدولة النصرية، بيروت، 1978.  
 - أوصاف الناس في التواريخ والصلوات، تح. م. كمال شبانة، المحمدية، د. ت.  
 - معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، المحمدية، 1976.  
 - تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط (أعمال الأعلام)، تح. أ. مختار العبادي وإبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، 1964.
- إدريس خليفة،  
 - الحركة العلمية والثقافية بتطوان من الحماية إلى الاستقلال، المحمدية، 1994.
- ابن خليل،  
 - اختصار القدر العلى، تح. إبراهيم الأبياري، القاهرة، 1959.

- أبو بكر محمد ابن خير الإشبيلي،  
 - فهرس ابن خير، بإشراف زهير فتح الله، ط. 2، القاهرة، 1963.
- عبد الغني الدالي،  
 - محاضرات في التقود والبنوك، الرباط، 1972.
- محمد دحمان،  
 - إسماعيل ولد الباردي، الرباط، 1999.
- ابن دراج القسطلي،  
 - ديوان، تح. محمود علي مكي، القاهرة، 1389 هـ.
- أبو مدين الدرعي،  
 - رحلة، مخطوطة.
- س. دنيا،  
 - تهاقت التهاقت لابن رشد، القاهرة، 1964 - 1965.
- عبد الصمد الديالمي،  
 - المرأة والجنس في المغرب، الدار البيضاء، 1985.
- اليزيد الراضي،  
 - شعر داود الرسموكي، أكادير، 1992.
- عبد الله بن أبي الربيع السبتي،  
 - برنامج، تح. ع. العزيز الأهواني، مجلة المخطوطات العربية، مجلد 1 ج 1 - 2، 1955.
- التهامي ابن رحمون،  
 - مجموعة إرجازات أشياخه، مخطوط.
- ع. رشيد،  
 - تاريخ الرياضة بالمغرب، ط. 3، الدار البيضاء، 1998.
- محمد ابن رشد الجدد،  
 - البيان والتحصيل، تح. م. حجي وآخرين، بيروت، 1988، عشرون جزءاً.
- محمد ابن رشيد السبتي،  
 - ملء العيبة، تح. م. الحبيب ابن الخوجة، تونس، 1982، جزآن.
- ابن رضوان،  
 - الشهب اللامعة، تح. علي سامي النشار، الدار البيضاء، 1984.
- محمد الرقيق القيرواني،  
 - تاريخ إفريقية والمغرب، 1990.
- محمد السعيد الرگراكي،  
 - الفقيه محمد بن أحمد العبيدي الكانوني : حياته وفكره ومؤلفاته، مراكش، 2000.
- علال رگوگ،  
 - نماذج من الزعري، جريدة بيان اليوم الثقافي، رقم 17.
- محمد الرهوني الوزاني،  
 - أوضح المسالك وأسهل المراقي إلى سبك إبريز الشيخ عبد الباقي، ط. حجر فاس، 1290، ثمانية أجزاء.
- محمد بن سليمان الورداني،  
 - صلة الخلف بموصول السلف، تح. م. حجي، بيروت، 1988.
- محمد رياضي،  
 - أصول الفتوى والقضاء في المذهب المالكي، الدار البيضاء، 1996.
- أمين الريحاني،  
 - المغرب الأقصى، بيروت، 1975.
- محمد الصادق ابن ريسون،  
 - الدر المكنون في ترجمة الزعيم ابن ريسون، شفشاون، 1415 هـ.
- موجز تاريخ شفشاون، شفشاون، 1986.



- أحمد بن الأمين الريبوني،  
- حقائق تاريخية عن زاوية تازروت، تطوان، د. ت.
- الغالي الريبوني،  
- رجل ومواقف دفاعاً عن وحدة الأمة، تطوان، 1982.
- عزو الريبطي،  
- الزاوية الرحالية بأنماط خلال القرن 16، بحث جامعي للاجازة مرقون، كلية الآداب، الجديدة، 1992.
- عبد المجيد الزيادي،  
الرحلة الحجازية، مخطوط.
- الحبيب الزلماطي،  
- مقالات أحمد زياد الأدبية، د. د. ع مرقون، كلية الآداب، وجدة، 1996.
- محمد زاكي،  
- منطقة تافرانة، الحوض الأوسط لوادي ورغة، د. د. ع. مرقون، كلية الآداب، الرباط، 1996.
- مبارك زكي،  
- تاريخ المقاومة وجيش التحرير من أفواه رجالها.
- عبد السلام الزموري،  
- إزالة البوس، مخطوط.
- عبد الغني الزموري،  
- القانون المفيد في علاج المحصى بقول سديد، (مقدمة)، مخطوط.
- محمد الزناتي،  
- الفصل في أصول علم الرمل، القاهرة، ؟
- أبو بكر بن الظاهر زنيبر،  
- نظرات في تطور التعليم بالمغرب، مخطوط.  
- جهود الإسلام في ترقية الأناج، تح. فائزة البوكيلي، مرقون.
- علي زنيبر،  
- حفظ الاستقلال ولفظ سيطرة الاحتلال، مخطوط، خ. ص.
- أبو القاسم الزياتي،  
- جمهرة من حكم فاس، مخطوط، خ. ع.
- عبد الرحمن ابن زيدان،  
- المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف، تح. ع الهادي التازي، الدار البيضاء، 1993.
- ي. ابن الزيات التادلي،  
- التشوف، تح. أحمد التوفيق، الدار البيضاء، 1984.
- إبراهيم محمد السامي العوام،  
- الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تونس، 1977.
- م. س. سالم،  
- تلخيص الخطابة / ابن رشد، القاهرة، 1979.  
- تلخيص كتاب أرسطو في الشعر / ابن رشد، القاهرة، 1971.  
- تلخيص كتاب الجدل / ابن رشد، القاهرة، 1979.
- عبد الأحد السبتي ومحمد الحصاصي،  
- من الشاي إلى الأناج، الدار البيضاء، 1999.
- إلياس سركيس،  
- معجم المطبوعات العربية والمعربة، القاهرة، 1928.
- عبد الكبير ابن سعيد،  
- العيون المرضية في ذكر بعض مناقب الطائفة الرگراگبة، مخطوط.  
- حول أصول الرگراگيين وأنسابهم، مخطوط، تخريج عمر أفا.

- عبد الملك ابن سعيد المغربي،  
- كتاب الجغرافيا، بيروت، د. ت.  
- بسط الأرض، تطوان، 1958.  
رشيد السلامي،  
- رسائل سياسية غير منشورة لابن عباد الرندي، متنوعات محمد حجي، بيروت، 1998.  
- وثائق مرينية، د. د. ع مرقون، كلية الآداب، الرباط، 1989.  
داوود بن علي السملالي،  
- بشارة الزائرین الباحثين في الصالحين، مخطوط.  
أبو عبد الله السنوسي،  
- نصرة الفقير في الرد علي أبي الحسن الصغير، مخطوط.  
عصام سالم سيسالم،  
- جزر الأندلس المنسية، التاريخ الإسلامي لجزر البليار، بيروت، 1984.  
لوس سيكودي لوثينا،  
- الحموديون سادة مالقة والجزيرة الخضراء، تر. ع. طعمة، دمشق، 1992.  
الحسن الشاهدي،  
- أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، الرباط، 1990.  
شاهر جمال أغا،  
- الزلازل وتطور وتبدل الأرض في القرآن، 1996.  
محمد رضی شرف الدين،  
- لباس الرأس في المغرب، د. د. ع مرقون.  
إسكندر رشفون،  
- دائرة المعارف الموسيقية وقاموس المعهد، ق 1، 1927.  
مصطفى الشليح وآخرون،  
- محمد المختار السوسي (سلسلة أعلام المغرب)، الدار البيضاء، 1996.  
محمد الإمام الشنقيطي،  
- الجأش الربيط في النضال عن مغربية شنقيط، الرباط، 1957.  
الحسن شوقي،  
- قبيلة السراغنة خلال القرن 19. د. د. ع، مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 1991.  
فاطمة الشويخ،  
- التكوينات السطحية والدينامية الحالية بمنطقة تروال، د. د. ع. مرقون كلية الآداب، الرباط، 1996.  
جمال الدين ابن الصايوني،  
- تكميل إكمال الإكمال في الأسماء والأنساب والألقاب، بيروت، 1986.  
م. الصباغ القلعي،  
- لسان العارفين الأزهار في مناقب زمزم الأخيار، مخطوط.  
أبو بكر الصبيحي،  
- كناشة، مخطوط، خ ص. بسلا.  
عبد القادر الصحراوي،  
- جولات في تاريخ المغرب، الدار البيضاء، 1961.  
محمد صدفي،  
- الأدراسة من النشأة إلى التجزئة. د. د. ع مرقون، كلية الآداب، فاس - ظهر المهرز، 1991.  
عبد الرزاق الصديقي،  
- الرحامنة وعلاقتهم بالمخزن 1850-1900، الرباط، 1977.  
أبو الحسن الصغير المكناسي،  
- تأليف في البدع، مخطوط.

- محمد الصمدي،  
- الشيخ أحمد زروق وطريقته الزروقية بالمغرب، د. د. ع مرقون، كلية الآداب، الرباط.  
طاش كبرى زاده،  
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة، حيدر آباد الدكن، 1328 هـ.  
م. الظريف،  
- الحياة الأدبية في الزاوية المعينية، د. د. ع مرقون، كلية الآداب، الرباط، 1986.  
توفيق ابن عامر،  
- الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق خلال القرنين 3-4 هـ، 1998.  
الحسن العبادي،  
- فقه النوازل في سوس، الدار البيضاء، 1999.  
محمد المختار العبادي،  
- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت، 1978.  
عبد العزيز ابن عبد الجليل،  
- معجم مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية، الرباط، 1992.  
ابن عبد الحكم،  
- فتوح مصر والمغرب، تح. ع. المنعم عامر، القاهرة، 1961.  
ابن عبد الحلیم الأيلائي،  
- رسالة في اتجاه القبلة، مخطوط.  
سعد زغلول عبد الحميد،  
- تاريخ المغرب العربي، 1979.  
الصدیق ابن العربي،  
- طوائف وشخصيات مسيحية بالمغرب، مجلة تطوان، العدد الأول، 1956.  
عبد الله العروبي،  
- مجمل تاريخ المغرب، بيروت، 1994.  
محمد ابن عزوز حكيم،  
- الجديد في تاريخ تطوان، تطوان، 2000.  
- الشريف الرسوني والمقاومة المسلحة بشمال المغرب، الرباط، 1981.  
- معركة وادي المخازن، تطوان، 1950.  
- المقاومة المسلحة في شمال المغرب، تطوان، 1984.  
إدريس عزوزي،  
- الشيخ أحمد زروق آراؤه الإصلاحية، المحمدية، 1998.  
عبد الرحيم العطاوي،  
- اهتمامات روسية بالمغرب في عهد مولاي عبد الرحمن، ضمن جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، 1993.  
- كتابات روسية حول طنجة، ضمن كتاب طنجة في التاريخ المعاصر، الرباط، 1991.  
جمال الدين العلوي،  
- مقالات في المنطق والطبيعيات / ابن رشد، الدار البيضاء، 1983.  
- تلخيص السماء والعالم / ابن رشد، فاس، 1984.  
هاشم العلوي القاسمي،  
- مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري، المحمدية، 1995.  
محمد ابن علي الذكالي السلوي،  
- إنحاف أشرف الملا، مخطوط.  
- تقييد في الرباطات، مخطوط.  
- كناشة، مخطوط، خ. ع. رقم 4257 د.  
م. عمارة،  
- فصل المقال / ابن رشد، القاهرة، 1959.

- عمالة تازا،  
 - منوغرافيا عمالة تازا، 1982.
- إبراهيم بن محمد العمراني،  
 - تحفة الملك العزيز بمملكة باريز، طنجة، 1989.
- صافية العمراني،  
 - المقاومة ضد الاستعمار من خلال نصوص شعرية أمازيغية ضمن ندوة المقاومة المسلحة.
- محمد عمراني،  
 - الشرف والمجتمع والسلطة السياسية، أطروحة مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 2001.
- عبد الله عنان،  
 - دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة، 1964.  
 - ملوك الطوائف - العصر الثاني، ط 2، القاهرة، 1969.
- محمد ابن عياض،  
 - التعريف بالقاضي عياض، تح. م. بن شريفة، الرباط.
- أحمد الغزالي،  
 - مساهمة في البحث عن زوايا بني يزناسن، القادرية البودشيشية نموذجاً، 1996.
- أ. ح. الغزالي،  
 - كتاب الطب الروماني للجسم الإنساني في علم الحرف، مصر ؟
- ع. الرحمان القاسي،  
 - أزهار البستان، مخطوط.  
 - بستان الأذهان، مخطوط.  
 - زهرة الشماريخ في علم التاريخ، طبعة حجر فاس، 1922.
- محمد القاسي،  
 - رسائل السلطان المولى إسماعيل، مجلة تطوان، عدد خاص، 1962.
- محمد الطيب القاسي،  
 - فهرس، مخطوط.
- حسن فتحي،  
 - المنزل العربي في الوسط الحضري في الماضي والحاضر والمستقبل، مجلة الفكر العربي، عدد 30
- الفزكاري،  
 - شرح روضة السلوان، مخطوط، خ. ع 1598 د.
- بوشتي الفلاح،  
 - حركات السفوح والمخاطر المرتبطة بها في الريف الأوسط، أطروحة مرقونة، كلية الآداب، الرباط.
- عبد القادر بن الخياط القادري،  
 - التحفة القادرية، مخطوط.
- محمد قاسم،  
 - ابن رشد : تلخيص المقولات، القاهرة، 1980.  
 - ابن رشد : العبارة، القاهرة، 1981.  
 - ابن رشد : تلخيصات كتاب البرهان، القاهرة، 1982.  
 - ابن رشد : كتاب كشف مناهج الأدلة، ط 2، القاهرة، 1964.
- أحمد ابن القاضي،  
 - رائد الفلاح بعوالي الأسانيد الصحاح، تح. م. البوعناني، د. د. ع مرقون، كلية الآداب، الرباط.
- أ. ابن القاضي الكعداوي،  
 - تقييد، مخطوط.
- قاسم ابن القاضي،  
 - تنوير الزمان بقدم مولانا زيدان، مخطوط.

- م. القباني،  
- ابن رشد : تلخيص مبادئ الطبيعة، القاهرة، 1907.
- القبستاني،  
رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي، تح. م. الحبيب الهيلة، الرباط، 1979.
- فاطمة خليل القبلي،  
- رسائل اليوسي، الدار البيضاء، 1981.
- محمد القبلي،  
- مراجعات حول الثقافة والمجتمع بالمغرب الوسيط، الدار البيضاء، 1987.
- كلود كاهن،  
- تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، 1977.
- محمد الكتاني،  
- زايد أوحامد ومقاومون للاحتلال الفرنسي في جنوب الأطلس الكبير الشرقي، مجلة تاريخ المغرب، الرباط، ع 5،  
نوفبر، 1994.
- محمد بن جعفر الكتاني،  
- الأزهار العاطرة الأنفاس، مخطوط.  
- هداية الضال المشتغل بالقبيل والقال، مخطوط.
- كتلة العمل الوطني،  
- مطالب الشعب المغربي، القاهرة، 1934.
- ابن كثير،  
- البداية والنهاية، بيروت، د. ت.  
نور الدين كديرة،  
- كرة القدم المغربية، وثائق وأرقام، 956-1990، الدار البيضاء، 1997.
- أحمد الكرودي،  
- التحفة السنية، مخطوط.
- إبراهيم كريدية،  
- الفقيه محمد الهسكوري سلفياً ووطنياً ورائداً للتعليم الوطني، مراكش، 2000.
- عبد الله كتون،  
- ترجمة الواعظ البغدادي صاحب الوتريات، مجلة البحث العلمي، ع 7، 1966.  
- ذكريات مشاهير رجال المغرب، أحمد زروق، العدد، 8، بيروت.
- روجي لوتونو،  
- فاس في عصر بني مرين، تر. نيقولا زيادة، بيروت، 1967.
- الحسن اللويزي،  
- أحمد بن سليمان الجزولي الرسموكي، حياته وآثاره، د. د. ع. مرقون، دار الحديث الحسنية، الرباط، 1995.
- ليفي بروفنسال،  
- فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة، بالرباط، ط 2، الرباط، 1998.
- حمداتي شبيها ماء العينين،  
- قبائل الصحراء المغربية، أصولها جهادها ثقافتها، الرباط، 1998.
- محمد ماكامان،  
- الرحلات المغربية في القرن 11 و12، د. د. ع. مرقون، كلية الآداب، الرباط.
- أحمد الماكري،  
- المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح، القاهرة، 1932.
- حسن المباركي،  
- تعبئة المياه لأجل الري في المناطق شبه الجافة، حالة حوز مراكش، مجلة المزارع المغربي، عدد 11، مارس  
2001.

أحمد متفكر،

- مقالات ومحاضرات الشيخ الرحالي الفاروق، مراكش، 1999.

محمد مجذوب،

- أضواء على أوضاع موروسية من خلال حرب يوغرطة، مجلة بحوث، ع 2-3، سنة 1990.  
- العملة الملكية في المغرب القديم، مجلة بحوث، عدد 5، المحمدية.

مجهول،

- الاستبصار، الأسكندرية، 1958.

- تبصرة الرئيس الأمين في ذكر شروط إمام المسلمين. مخطوط.

- التعريف بالشيخ أحمد زروق، مخطوط، خ. ع. 2100.

- تقاييد عن قبائل قلعية، مخطوط، خ. ع.

- ذكر مشاهير أعيان فاس في القديم، مخطوط.

- الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، مخطوط.

- كتاب الأنساب ومفاخر البربر، تح. مصطفى يعلى، أطروحة، مرقونة، مدريد.

- كتاب الطبخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، تح. هوداس، مدريد، 1961.

أحمد ابن أبي محلي،

- إصليت الخريت، مخطوط.

- رسالة في الرد على الحروي، مخطوط.

مديرية الإحصاء،

- الاحصاءات العامة للسكان والسكنى (1960-1971-1982-1994).

ابن المرابط،

- زواهر الفكر، مخطوط الاسكوريال.

ثريا المرابط،

- تاريخ الزلازل بالمغرب من سنة 846 إلى 1960. د. د. ع. مرقون، كلية الآداب، الرباط، 1991.

عبد الحق المريني،

- الجيش المغربي عبر التاريخ، الرباط، 1997.

محمد بن المكي المريني،

- كناشة، مخطوط، خ. ص. سلا.

رشيد المصلوت،

- الفهرس العلمي، الدار البيضاء، 1985.

هاشم بن الحسن المعزوي،

- الكفاح المغربي المسلح في حلقات، الرباط، 1987.

- أحمد (الحاج) معنينو،

- مذكرة طالب مغربي أرسل في بعثة إلى إيطاليا منذ ثمانين سنة، دعوة الحق، عدد نونبر، 1968.

محمد مفتاح،

- الخطاب الصوفي، مقارنة وظيفية، الدار البيضاء، 1997.

عبد الرحمن الملحوني،

- الشعر الوطني في الأدب الشعبي المغربي الملحون، الدار البيضاء، 1990.

أحمد المنصوري الزباني،

- الأبحاث الرشيدة عن الأدب بين تاويريرت وجبل دبدو ورشيدة، مخطوط.

- كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر، مخطوط.

محمد المتوني،

- أبحاث مختارة، نشر وزارة الشؤون الثقافية، الدار البيضاء، 2000.

- تاريخ المصحف الشريف بالمغرب، دعوة الحق، ع 3، السنة 11 يناير، 1968.

- قبس من عطاء المخطوط المغربي، بيروت، 2000.

- ورفات عن حضارة المرينيين، الرباط، 1996.

- فاطمة مودكيري،  
 - مظاهر السطح والتشكيل لمجال تاونات، د.د.ع. مرقون، كلية الآداب، الرباط، 1996.  
 عبد الرحمن المودن،  
 - البوادي المغربية قبل الاستعمار : قبائل إيناون والمخزن، الدار البيضاء، 1995.  
 عز الدين عمر موسى،  
 - الموحدون في المغرب الإسلامي، بيروت، 1991.  
 مصطفى مولاي رشيد،  
 - مضيف الأعمدة والجوار الموري - الإيبيري حسب المصادر الأوربية القديمة، الدار البيضاء، 2001.  
 حسين مونس،  
 - أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة، 1987.  
 - فتح العرب للمغرب، القاهرة، 1947.  
 م. ميموني،  
 - الجهاز الحضري بتادلا مراكز قديمة في تحول، د.د.ع. كلية الآداب، الرباط.  
 ابن ناصر، الحسين،  
 - فهرس، مخطوط.  
 جعفر الناصري،  
 - سلا ورباط الفتح، مرقون، خ. ص بسلا.  
 محمد بن أحمد بن خالد الناصري،  
 - من فارس إلى مراكش، مرقون.  
 محمد بن عبد السلام الناصري،  
 - المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا، مخطوط.  
 م. المكي الناصري،  
 - فتح الملك الناصر في إجازات مرويات بني ناصر، مخطوط.  
 عبد الله فجمي،  
 - التصوف والبدعة بالمغرب : طائفة العكاكرة، الدار البيضاء، 2000.  
 - المغرب من خلال كتب الرحلات الفرنسية 1880 - 1912، ضمن ندوة مصادر المعلومات، الرياض، 1999.  
 مصطفى نشاط،  
 - الارتقاء المسيحي بالدولة المرينية، ضمن أعمال ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي، الرباط، 1985.  
 أحمد بن عبد الوهاب الثوري،  
 - نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، 1955.  
 م. الهسكوري،  
 - ماضي التعليم في أسفي، مخطوط.  
 أ. الهشتوكي،  
 - هداية الملك العلام إلى حج بيت الله الحرام، مخطوط.  
 إبراهيم الهلالي،  
 - مذكرات في الفقه الإسلامي، مراكش، 1987.  
 محمد بن عبد الملك الهمداني،  
 - تكملة تاريخ الطبري، بيروت، 1961.  
 هويكنز،  
 - النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تر. أمين توفيق الطيبي، ليبيا - تونس، 1980.  
 علي واحدي،  
 - الزيت والزيتون في المغرب القديم نموذج وليمي، أطروحة دكتوراة، فاس ظهر المهراز، مرقونة، فاس، 1995.  
 محمد واحي،  
 - مكانة وليمي الاقتصادية في عهد الرومان، فاس، ظهر المهراز، 1985.

- عبد الرحيم الوردغي،  
- المقاومة المغربية ضد الحماية الفرنسية، الرباط.
- قدور الورطاسي،  
- بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني، الرباط، 1976.
- ح. الورتيلاني،  
- نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تح. م ابن أبي شنب، ط 2، بيروت، 1974.
- علي ابن الوزان القرطبي،  
- خاتمة نوازل ابن رشد، مخطوط.
- عز العرب الوزاني،  
- حدثني والدي، بيروت، 1990.
- حاتم الوكيل،  
- الموسيقى الأندلسية من خلال مسيرة الفنان م. أحمد الوكيل، 1999.
- محمد عزيز الوكيل،  
- المدارس الباطنية بين العلم والفلسفة والعقيدة والدين، أطروحة دكتوراه مرقونة، كلية الآداب الرباط، 1998.
- محمد المختار ولد السعد،  
- حرب شريعة التباري أو أزمة القرن 17 في الجنوب الغربي الموريتاني، نواكشوط، 1992.
- جون وندوس،  
- رحلة إلى مكناس، تر. زهراء إخوان، مكناس، 1993.
- عبد الله اليافعي،  
- مرآة الجنان، حيدر آباد الدكن، 1337 هـ.
- إدريس اليحيائي،  
- العلاقات المغربية السوفياتية، د.د.ع. مرقون، كلية الحقوق، الرباط.



**Supplément**  
à  
**la bibliographie des ouvrages et des articles**  
**cités dans l'encyclopédie**

- ABES, M., *Les Izayan d'Oulmès*. A.B., 1915.
- ACKERMAN, G. M., *Les orientalistes de l'école britannique*. Paris, 1991.
- Actes du 14e Congrès international des orientalistes, Alger 1905*, Paris, 1905, vol. 1.
- ADOLPHE, J. P., BILLY, C., *Biosynthèse de calate par une association bactérienne aerobie*, C.R.A.S. (Paris), T. 278, 1974.
- AGERON, C.R., *Histoire de l'Algérie contemporaine, 1871 - 1954*, Paris, 1979.
- AIT BRAHIM, L., CHOTIN, P., *Mise en évidence d'un épisode compressif dans les calcaires plio-quaténaires du Bassin de Saïs*. C.R.A.S. T. 296, 1983.
- AKERRAZ, A. [et al.], *Patrimoine culturel et territoire de la région du Gharb*. Rabat, 1996.
- ALEMANY, J., *Milicias cristianas al servicio de los sultanes musulmanes del Almaghreb*, in *Homenaje a D. Francisco Codera*, Zaragoza, 1904.
- ARCELIN, P., CAYOT, A., *Réflexions sur l'abandon de l'agglomération hellénistique de Saint-Blaise (Saint-Mitre-les-Remparts)*, *Rev. Archéol. de Narbonnaise*. 17. 1984.
- AYME, V., *Lettre à Mr Mouliéras à propos d'ethnologie berbère*, B.S.G.A. Oran, 1904.
- BABIN, G., *Au Maroc par les camps et par les villes*. Paris, 1912.
- BADAWI, A., *Averroes : paraphrases, in Libros Rhetoricorum Anstolelis*, Le Caire, 1960.
- BASSET, H., LEVI-PROVENÇAL, E., *Chella : une nécropole mérinide*, Paris, 1923.
- BASSET, R., *Recherches sur la religion des Berbères*, *Revue de l'Histoire des Religions*, vol. 41, n° 3.
- BEL, A., *Le 14e Congrès international des orientalistes d'Alger 1905*, *Bull. trim. Soc. Géo. Archéo. Oran*, vol. 25, Fasc. 103, Avr.-Juin 1905.
- BELARBI, M., *Zerhoun : population et structures agraires : étude de géographie rurale*. Th. 3ème cycle : Géo, Bordeaux I, 1980.
- BELLAKHDAR, J., *La pharmacopée marocaine traditionnelle : médecine arabe ancienne et savoirs populaires*. Paris, 1997.
- BENABDELJALIL, A., *Le chant et la musique*, G.E.M : *Civilisation marocaine*, Casablanca, 1996.
- BENABID, A., *Flore et écosystèmes du Maroc*, Paris, 1999.
- BENABOUD, M., *Problems of American Protection in Morocco*, in *The Atlantic connection 200 years of Moroccan - American Relations, 1786 - 1986*, Rabat, 1990.
- BEN BOUAZZA, T., *La Naissance du syndicalisme ouvrier au Maroc*, Casablanca.
- BENCHENEB, M., *3e [Troisième] section langues musulmanes dans le congrès d'Avril 1905 à Alger*, R.A, 2e - 3e trim., 1905.
- BENCHERIFA, A., *Le Monde rural marocain : diversité spatiale et culturelle*, G.E.M. : *géographie humaine*, Rabat, 1989.
- BENDAOU, K., *Impact des accords du GATT sur les exportations agricoles du Maroc*, Rabat, 1997.
- BEN JELLOUN, T., *L'Enfant de sable*, Paris, 1981.
- BEN JELLOUN, T., *La Nuit sacrée*, Paris, 1987.
- BEN YOUNES, H., *La Nécropole punique d'El-Khayma, mai 1984*, *Reppal*, 2, 1993.
- BERGGREN, W. A., VAN COUVERING, J. A., *The Late Neogene : biostratigraphy, geochronology and paleoclimatology of the last 15 million years marine and continental sequences*, *Palaeogeography, palaeoclimatology*, vol. 16, n° 1 - 2, 1974.
- BERNARD, A., *Les Confins algéro-marocains*, Paris, 1911.
- BERQUE, J., *L'Intérieur du Maghreb*, Paris, 1978.
- BERRAHO, A., *Ressources halieutiques et potentialités aquacoles au Maroc*, Lisbonne, 1998.
- BERTHIER, P., *Les Anciennes sucreries du Maroc et leurs réseaux hydrauliques*, Paris, Rabat, 1965, 2 vol.
- BISI, A. M., *Le Commerce des amphores puniques : quelques remarques à propos des découvertes de Mellita (Sabrata)*, B.C.T.H., N.S 19 B, 1985.
- BLANCARD, L., *Documents inédits sur le commerce de Marseille au Moyen Age*, Marseille, 1884, 2 vol.
- BLUMBERG, H., *Epitome of Pana Naturalis*, transl. from the original arabic and the hebra and latin version with notes and introd., 1961.

- BORSON, L., *Aperçu de l'élevage bovin dans l'antiquité, ethnozootechnie*, 32, 1983.
- BOUBE, J., *Les Amphores de Sala à l'époque préromaine, B.A.M.*, 17, 1987 - 1988.
- BOUBE, J., *La Circulation monétaire à Sala à l'époque préromaine*, Rome, 1992.
- BOUBE, J., *Introduction à l'étude de la céramique à vernis noir de Sala, B.A.M.*, 16, 1985, 1986.
- BOUBRIK, R., *Saints et société en Islam : une confrérie ouest saharienne, la Fadiliyya*, Paris, 1999.
- BOUCHET CHANTON, R., *Zoologie I, Invertébrés*, Paris, 1962.
- BOUDERBALA, N. [et al...], *La Question agraire au Maroc, B.E.S.M.*, n° 123 / 125.
- BOUDY, P., *Economie forestière nord africaine*, Paris, 1950.
- BOUGHALI, M., *Espaces d'écriture au Maroc*, Casablanca, 1987.
- BREBION, Ph., *Etude biostratigraphique et paléocéologique du quaternaire marocain, Ann. Paléont.*, 65, 1979.
- BRUNHES, J., *L'Irrigation : ses conditions géographiques, ses modes d'organisation dans la péninsule ibérique et dans l'Afrique du Nord*, Paris, 1902.
- BUKKALI, M.M., *Contribution à l'étude de la transhumance au Maroc*, Toulouse, 1972.
- BURKE, E., *Prelude to Protectorate in Morocco*, Chicago, 1976.
- BUTTERWORTH, C.E., *Averroes three short commentaries on Aristotele : Topics, Rhetoric, and Poetic*, Albany, 1977.
- CAILLE, J., *La Petite histoire du Maroc : 3e série. 1850 - 1912*, Rabat, 1954.
- CAMPS, G., *Les Berbères : mémoire et identité*, Paris, 1987.
- CAPMANY, *Antiguos tratados de paces y alianzas entre algunos Reyes de Aragon y diferentes principes infieles de Asia y Africa desde el siglo XIII hasta el XV*, Madrid, 1974.
- CARO BAROJA, J., *Un santón sahariano y su familia, Estudios saharianos*, 1955.
- CASANOVA, J., *Morphologie et biolithogénèse des barrages de travertins*, Paris, 1981.
- CASTRIES, H. de., *Les Sept patrons de Marrakech, Hesp.*, IV, 1924.
- CASTRO Y PEDRERA, F. de., *Melilla préhispanica*, Madrid, 1945.
- CAUTIER, D. J., *Monnaies et économie dans l'Espagne du nord et du centre, H.T.*, 1962.
- CELERIER, J., *L'Atlas et la circulation au Maroc, Hesp.*, vol. 7, 4e trim., 1927.
- CELERIER, J., *La Dépression du Serou (Moyen Atlas Central), R.G.M.*, VI, 1928 - 1929.
- CENIVAL, P. de., *L'Eglise chrétienne de Marrakech au 13e S., Hesp.*, vol. 8, 1927.
- CHARLES-ROUX, F., CAILLE, J., *Missions diplomatiques à Fès*, Paris, 1955.
- CHATER, K., *Dépendance et mutations précoloniales : la Régence de Tunis de 1815 à 1857*, Tunis, 1984.
- CHEBBI, J., *Ribat, E.I.*, Nlle éd., Leiden, vol. 8.
- CHEIKHA, J., *Les Ribats d'après les livres de Tabaqat, La Rapita islamica : historia institucional I altres Estudis Regionals. I Congrés de les rapites de l'Estat Espanyol, 7 - 10 sept. 1989*, 1993.
- CHELBI, F., *La Céramique à vernis de Carthage*, Tunis, 1992.
- CHOUBERT, G., *Essai de chronologie hercynienne, N.S.G.M.* vol. 4, n° 83, 1951.
- CHRAIBI, D., *Le Passé simple*, Paris, 1954.
- CICARD, *L'Organisation des Zaers, R.M.M.* 1910.
- CINTAS, P., *Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc*, Paris, 1954.
- COLIN, G. S., *Massa, E.I.*, Nlle éd., vol. 5.
- COLIN, G. S., *La Noria marocaine et les machines hydrauliques dans le monde arabe, Hesp.*, 1er trim., 1932.
- COLIN, G. S., RICARD, R., *Tanger et Ceuta dans un boniment de jongleur espagnol du 15e S., Bull. Hispanique*, 48, 1946.
- CONTAMINE, Ph., *La Guerre au Moyen Age*, Paris, 1980.
- CORNELL, V.J., *Ribat Tit - n - Fitr and the origine of Morroccan maraboutism islamic studies, Islamic studies*, XXVII, 1988.
- CORREA DE FRANCA, A., *Historia de la muy noble y fidelisima ciudad de Ceuta, Transfretana*, n° 3, 1983.
- CORRIERAS, J., *Une tribu zénète anti-musulmane : les Zkara, A.F. : R. C.*, 1906.
- COSSE - BRISSAC, Ph. de., *Les Rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie, 1830 - 1847*, Paris, 1931.
- COURTOIS, C., *Les Vandales et l'Afrique*, Paris, 1955.
- CRAWFORD, F. S., *Averroes Cordubensis Commentarum Magnum in Aristotelis de Anima libros*, Cambridge (Mass.), 1953.
- CRESSUER, *De un ribat a otro : una hipotesis sobre los ribat-s del Magrib al-aqsa (A paraître). Cultures protégées en climat méditerranéen. Bull. de la F.A.O.*, n° 90, 1988.
- CUNNINGHAME, R., *Maghreb el-Aksa : A journey in Morocco*, Evanston (Illinois), 1997.
- CUSSANE BALIN, *Un raid au sud de Sefrou, L'Illustration*, n° 3600, 24 fev. 1912.

- DAGUIN, F., *Contribution à l'étude géologique de la région pré-rifaine*, Rabat, 1927.
- DAKHLIA, J., *L'Oubli de la cité*, Paris, 1990.
- DAN, Père F., *Histoire de Barbarie et de ses corsaires...*, Paris, 1637.
- DAPPER, O., *Description de l'Afrique*, Amsterdam, 1686.
- DEJEUX, J., *Littérature maghrébine de langue française*, Québec, 1978.
- DESANGES, J., *Catalogue des tribus africaines dans l'antiquité classique à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962.
- DESCOLA, J., *Histoire de l'Espagne*, Paris, 1959.
- DHINA, A., *Les Etats de l'Occident musulman aux 13<sup>e</sup>, 14<sup>e</sup> et 15<sup>e</sup> siècles*, Alger, 1984.
- DIEHL, C., *L'Afrique byzantine*, Paris, 1896.
- DIRECTION DE LA STATISTIQUE, *Résultats des R.G.P.H, 1960 - 1971, 1982, 1994*, Rabat, 1995.
- DOZY, R., *Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen Age*, 3<sup>e</sup> éd., Paris, 1881.
- DRACH, P., *Embranchement du cephalocorbie*, in Grasse, PP, *Traité de Zoologie*, Paris.
- DUBREUIL, B., *Les Pavillons des Etats musulmans, H.T*, vol. 1, fasc. 3, 1960.
- DUFOURCQ, Ch. E., *Les Relations de la péninsule ibérique et de l'Afrique du Nord au 14<sup>e</sup> S. Anuario estudios medievales*, 1970 - 1971, vol. 7.
- DUFOURCQ, Ch. E., *Les Relations du Maroc et de la Castille pendant la première moitié du 13<sup>e</sup> S. R.H.C.M. n° 5*, 1968.
- DUFOURCQ, Ch. E., *Un projet castillan du 13<sup>e</sup> S : la croisade de l'Afrique*, R.H.C.M, n° 1, 1966.
- DUNLOP, D. M., *Averroes on the modality of proposition. Islamic Studies*, (Karachi), I, 1962.
- EL-BADISI, *El Maqsad ash-sharif*, trad. G.S Colin. A.M., vol. 26, 1926.
- EL BOUZIDI, A., *Vallée moyenne de l'Oued Lebène (Pré-rif. Maroc) : étude de cartographie géomorphologique*, Th. 3<sup>e</sup> cycle, Poitiers, 1987.
- EL FASSI, M., *La Littérature marocaine*, in *Maroc. L'Encyclopédie coloniale et maritime*, Paris, 1948.
- EL MASOR, B., *Les Problèmes de l'eau dans la vallée moyenne du Ziz et la plaine du Tafilalet*. Th. Doct. Nancy II, 1988.
- EL MANSOUR, M., *Urban Society in Fez : The Rumat during the modern period, 17<sup>th</sup> - 19<sup>th</sup> centuries*, *Maghreb Review*, vol. 22, n° 1, 1997.
- ELSNER, J., *Musique arabe : congrès du Caire 1932*, Le Caire, 1992.
- EMBERGER, L., *Les Limites naturelles de la forêt de Mamora*, *Bull. Sté. Sc. Nat. Maroc*, 9, 1929.
- EMPEREUR, J. Y, HESNARD, A., *Les Amphores hellénistiques du bassin occidental de la Méditerranée*, in *Céramique Hellénistique et Romaine*, 2, 1987.
- ENNAJI, M., *Soldats, domestiques et concubines: l'esclavage au Maroc au 19<sup>e</sup> S*, Casablanca, 1994.
- ENNAJI, M., BEN SRHIR, K., *La Grande Bretagne et l'esclavage au Maroc au 19<sup>e</sup> S, H.T*, vol. XXIV; Fasc. 2, 1991.
- ESCALIER, R., *Citadins et espace urbain au Maroc*, Tours, 1981, 2 vol.
- EUZENNAT, M., *Le Limes de Tingitane : la frontière méridionale*, Paris, 1989.
- FAGNAN, *Un chant algérien du 18<sup>e</sup> S. à l'occasion du bombardement d'Alger par les danois*, R.A., vol. 38.
- FASSI, D., *La Forêt dans l'histoire de la terre*, in *Le Grand livre de la forêt marocaine*, Belgique, 1999.
- FASSI, D., *Les Formations carbonatées secondaires : croûtes et travertins*, R.G.M., 1994.
- FAUGERES, J. C., *Les Rides sud-rifaines : évolutions sédimentaire et structure d'un bassin atlantico mésogéen de la marge africaine*, Th : Bordeaux I, 1978.
- FEINBERG et LORENZ, G., *Nouvelles données stratigraphiques sur le miocène supérieur et le pliocène du Maroc nord-occidental*, *Notes Mem. Serv. Geol., Maroc*, T. 30, n° 225, 1970.
- FERHAT, H., *Ab<sup>2</sup>l- 'Abbas : contestation et sainteté*, *Al-Qantara*, vol. 13, Fasc. 1, 1992.
- FERHAT, H., *Littérature eschatologique et espace sacré au Maroc : le cas de Massa*, S.I. 80, 1994.
- FRIANG, E., *Les Zkara et leur évolution devant l'Islam*. Mém. fin de stage des contrôleurs civils, 1946.
- GAILLARD, H., *Une ville de l'Islam, Fès*, Paris, 1905.
- GALLOTI, J., *Le Jardin et la maison au Maroc*, Paris, 1925, 2 vol.
- GASPAR REMIRO, M., *El Negocio de Ceuta entre Jaime II de Aragon y Aburrebia Sulaiman, sultan de Fez contra Muhammed III de Granada*, in *Relaciones de la Corona de Aragon con los estados musulmanes de Occidente*, Madrid, 1925.
- GATJE, H., *Die Epitome der Pane Naturalia des Averroes*, Wiesbaden, 1961.
- GAUDEFROY - DEMONBYNES, M., *Masalik el -absar*, Paris, 1927.
- GAUTIER, E. F., *Mœurs et coutumes des musulmans*, Paris, 1931.
- GHANEM, H., *Contribution à la connaissance des sols du Maroc*, Th. Agr. 1981, 2 vol.
- GIMENEZ SOLER A., *Caballeros españoles en Africa y Africanos en España*, *Revue Hispanique*, 1905.

- GONTARD, M., *Violence du texte*, Paris, Rabat, 1979.
- GOUBERT, P., *Ceuta byzantine ou Wizigothique ?* in *Misc. Lania Puig I Cadalach*, Barcelone, 1947 - 1951 ?
- GOUBERT, P., *L'Espagne byzantine*, rev. et. byz., IV, 1946.
- GRILLON, P., *La Correspondance du Consul Louis Chénier, 1767 - 1782*, Paris, 1970.
- GUERRERO AYUSO, V. H., *Una aportacion al estudio de las anforas Mana C.*, *Archeo-Nautica*, 6, 1988.
- GUILLEN, P., *Les Emprunts marocains, 1902 - 1904*, Paris, 1972.
- GUIARD, C., *Recherches sur Saturne : des origines à la Réforme de 217 Av. J.C.*, in *Recherches sur les religions de l'Italie antique*, Genève, 1976.
- HALIM, A., *Le Capitalisme agraire au Maroc*, Th. Paris VII, 1986.
- HAMDI, A., LACIRIGNOLA, C., *An overview of protected agriculture in the mediterranean region*, Agadir, 1993.
- HART, D.M., *Notes on the Rifain community of Tangier*, *The Middle East Journal*, 1957.
- HESNARD, A. [et al...], *Aires de production des gréco-italiques et un Dr I*, *Collection de l'Ecole française de Rome*, 114, 1989.
- HESNARD, [et al...], *Les Négociants italiens en Maurétanie avant l'annexion*, *B.C.T.H.*, NS 19B, 1983.
- HORIEN, M., *Metaphysic de Averroes, 1197, nache dern Arabischien übersetzt und erlantert*, Halle, 1912.
- HUICI MIRANDA, A., *El Reinado del califa almohade al Rachid hijo de Al-Mamun*, *Hesp.*, 1er-2e trim, 1954.
- HUREAU, J.C., MONOD, Th., *Check list of the North Eastern Atlantic and of the Mediterranean*, Paris, 1973, 2 vol.
- IBN MARZUQ, *Le Musnad : extraits / ed. et trad. Levi-Provençal*, *Hesp.*, vol.5, 1er trim., 1925.
- INSTITUT AGRONOMIQUE ET VETERINAIRE HASSAN II, UTAH STATE UNIVERSITY, *Stratégie de développement des terres de parcours au Maroc, phases I, II, et III*, Rabat, 1993.
- JAAIDI, B., *Les Environnements sédimentaires actuels et pléistocènes du plateau continental atlantique marocain entre Larache et Agadir*, Th. 3e cycle, 1981.
- JAMOUS, R., *La Segmentation et le mariage arabe*, *Annales Marocaines de Sociologie*, 1963.
- JARIR, M., *Errachidia et l'organisation régionale de la vallée du Ziz*, Th. 3e cycle, Tours, 1983.
- JEHAMY, G., *Averroes : Paraphrase de la logique d'Aristote*, Beyrouth, 1982, 3 vol.
- JODIN, A., *L'Exploitation forestière du Maroc antique*, *Act. du 93e Congr. Nat. des Stés. Sav.*, Tours, 1968, Paris, 1980.
- KEHOE, D. P., *Pastoralism and agriculture*, *J.R.A.*, 3, 1990.
- KHATIBI, A., *Tryptique de Rabat*, Paris.
- KHATIBI, A., *Un été à Stockholm*, Paris, 1990.
- KHATIBI, A., EL MALEH, E.A., MARAINI, T., *La Peinture d'Almed Cherkaoui*, Casablanca, 1976.
- KHETTOUCH, M., *Zaid ou Hmad*, *Lamalif*, n° 128, Sept. 1981.
- KHUSAIM, A. F., *Zarruq the Sufi*, Tripoli, 1976.
- KRANDEL BEN YOUNES, A., *La Nécropole rurale de Thigibba Bure, Djebba, Reppal*, 7 - 8, 1992 - 1993.
- LAFUENTE, M., *La Vie humaine dans un groupement berbère du Haut Atlas de Marrakech : les Aït Ouheg*, *R.G.M.*, n° 14, 1968.
- LAHJOMRI, A., *L'Image du Maroc dans la littérature française : de Loti à Montherlant*, Alger, 1973.
- LAKHDAR, M., *La Vie littéraire au Maroc sous la dynastie Alawide, 1075 - 1311 H / 1664 - 1894*, Rabat, 1971.
- LAMB, H. F., EICHER, U., SWITSUR, V.R., *An 18000 years record of vegetation : lakelevel and climatic change from Tiguelmamine*, *Middle Atlas Journ. biogeogr.*, 16, 1989.
- LANCEL, S., *Tipasitana - II : la nécropole préromaine occidentale de Tipasa, rapport préliminaire, campagne de 1966 - 1967*, *B.A.A.*, 3, 1968.
- LAOUST, E., *Le Mariage chez les berbères du Maroc*, A.B., I, 1915.
- LASINIO, F., *Il commento medio di Averroes alla Poetica di Aristotele*, Pise, 1872.
- LASINIO, F., *Il Commento medio di Averroes alla Retorica di Aristotele*, Florence, 1877.
- LATHAM, J. D., *The Strategic position and defence of Ceuta in the later muslim period*, *Islamic Quaterly*, XV, 1971.
- LEBEL, R., *Les Voyageurs français du Maroc*, Paris, 1936.
- LEFEBURE, C., *Accès aux ressources collectives et structure sociale : l'estivage chez les Aït Atta (Maroc)*, in *Production Pastorale et société*, Cambridge, Paris, 1979.
- LEGLAY, M., *A la recherche d'Icosium, Antiquités Africaines*, 2, 1968.
- LEGLAY, M., *Les Dieux de l'Afrique romaine*, *Archeologie*, n° 40, Mai-Juin 1976.
- LEGLAY, M., *Saturne africain : histoire*, Paris, 1966.
- LEVY, R., DRUDERER, W., *Considération sur la nappe pré-rifaine d'après les travaux de la société chérifienne des pétroles*, in *C.R 19e Congr. géol. int.*, Alger, 1952.

- LEVI-PROVENÇAL, E., *Maghrawa*, E.I, 1ère éd., 1936, vol. 3.
- LEWIS, W., *Journey into Barbary : Morocco writing and drawings*, Santa Barbara, 1983.
- LLORIS, D., RUCABADO, J., *Guide d'identification des ressources marines du Maroc*, Rome, 1998.
- LOUBIGNAC, V., *Textes arabes des Zaer*, Paris, 1952.
- LOZET, J., MATHIEU, G., *Dictionnaire de science du sol : technique et documentation*, Paris, 1990.
- LUCAS, J., *La Transformation des minéraux argileux dans la sédimentation : étude sur les argiles du trias*.  
*Mem. Serv. de la carte géol. Als et Lorr.*, n° 23, 1962.
- MACKENZIE, D., *The Khalifate of West*, London, 1911.
- MADLUNG, W., *Al-Mahdi*, E.I., Nlle éd., vol. 5.
- MAHJOUBI, A., *Les Origines du mouvement national tunisien, 1904 - 1934*, Tunis, 1982.
- MAJDOUB, M., *La Maurétanie et ses relations commerciales avec le monde romain*, *Africa Romana*, 11, 1996.
- MAJDOUB, M., *Nouvelles données sur la datation du Temple C à Volubilis*, *Africa Romana*, 10, 1994.
- MAJDOUB, M., *Octavius et la Maurétanie*, *Africa Romana*, 13, 2000.
- MAJDOUB, M., *Pompeus Magnus et les rois maures*, *Africa Romana*, 12, 1998.
- MANEVILLE, *Les Problèmes de l'eau dans la région de Berkine*, *B.S.G.M.*, n° 3 - 4, Juil.-oct., 1936.
- MARÇAIS, G., *Note sur le ribat en Berbérie*, *Mélanges d'Histoire et d'Archéologie de l'Occident musulman*,  
Alger, 1957, vol. 1.
- MARÇAIS, G., *Oujda*, E.I, 1ère éd., 1936, vol. 3.
- MARGAT, J., *Note sur la morphologie du site de Sigilmassa*, *Hesp.*, 1959.
- MARIN, M., *El Ribat en al-Andalus y en Norte de Africa*, *la Rapita Islamica*. San Carles de la Rapita, 1993.
- MARION, J., *Note sur la contribution de la numismatique à la connaissance de la Maurétanie Tingitane*,  
*Antiquités Africaines*, I, 1967.
- MARION, J., *Les Trésors monétaires de Volubilis et de Banasa*, *Antiquités Africaines*, 12, 1978.
- MARION, J., *Les séries monétaires de Tingitane*, *B.A.M*, 4, 1960.
- MARTY, P., *Zaouia de Sidi Ben Achir à Salé*, *R.E.I*, I, 1933.
- MASCARENHAS, D. J. de., *Histoire de la ciudad de Ceuta*, Coimbra, 1918.
- MATHIEU, L., *La Géomorphologie et la géologie quaternaire comme bases fondamentales pour une juste  
définition et une cartographie rapide des sols et des milieux : application dans la province de Taza  
(Maroc), et dans la cuvette d'Andapa (Madagascar)*, Thèse Fac. Sc. Agro, Gembloux, Belgique, 1977.
- MATHIEU, R., *Les Sédiments du plateau continental du Maroc atlantique entre Dar Bouazza et Mohammadia*,  
*Bull. Inst., Pêches Marit.*, n° 16, 1986.
- MAURAN, Dr., *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1909.
- MAYNE, P., *A Year in Marrakech*, London, 1990.
- MEMMES, A., *Signification et interculturalité*, Rabat, 1992.
- MICHAUX-BELLAIRE, E., *Conférence sur les confréries religieuses du Maroc*, *A.M*, vol. 27, 1917.
- MICHAUX-BELLAIRE, E., SALMON, G., *Quelques tribus arabes de montagnes de la région du Habt*, *A.M.*,  
17, 1911.
- MILIAVSKAYA, S.T., *Connaissance sur l'Afrique en Russie au 18e S.*, in *Russie et Afrique*, Moscou, 1966.
- MINISTERE DES PECHES MARITIMES, *La Mer en chiffres*, Rabat, 1999.
- MINISTERE DE L'AGRICULTURE, DU DEVELOPPEMENT RURAL ET DES PECHES MARITIMES,  
*Colloque national de l'agriculture et du développement rural*, Rabat, 19 - 20 Juillet 2000, Rabat, 2000.
- MINISTERE DE L'AGRICULTURE, ET DE MISE EN VALEUR AGRICOLE, *Stratégie de développement des  
terres de parcours au Maroc : Schéma directeur d'aménagement des parcours*, Rabat, 1995.
- MIRANDA, F. de., *Diario*, Madrid, 1939.
- MONARION, F., *Exploracion ocnografica del Africa occidental desde el Cabo Ghir y Cabo Juby*, *Inst. Esp.*  
*Ocasnavy*, n° 20, 1947.
- MONSEMPES, *Contribution à la connaissance d'une tribu : les Zkara*, *C.H.E.A.M.*, Paris, 1955.
- MONTAGNE, R., *La Civilisation du désert*, Paris, 1947.
- MONTAGNE, R., *Coutumes et légendes de la côte berbère du Maroc*, *Hesp.*, IV, 1924.
- MONTET, E., *L'Histoire des religions au congrès des orientalistes d'Alger*, *Revue de l'Histoire des Religions*,  
vol. 52, 1905.
- MONTET, E., *Les Zkara du Maroc : un problème religieux*, *Revue de l'Histoire des Religions*, vol. 52, 1905.
- MORALES, B., *Jornada de Africa del Rey Don Sebastian de Portugal*, Sevilla, 1622, Madrid, 1889.
- MORCHID, A., *Potentialités de développement des cultures sous abris serres dans la zone cotière du périmètre  
du Gharb*, *Mem. 3e cycle*, I.A.V. Hassan II, Rabat, 1999.
- MOREL, J. P., *Céramiques d'Hippone*, *B.A.A*, I, 1967.

- MOREL, J. P., *Les Céramiques à vernis noir du Maroc, Antiquités Africaines*, 2, 1968.
- MOREL, J. P., *Kerkoine ville punique du Cap Bon. Antiquités Africaines*, 1969.
- MOREL, J. P., *Les Niveaux préromains, Thamusida I, Collection de l'Ecole française de Rome, Supplément 2*, 1965.
- MORESTIN, P. M., *Le Dieu au chef cornu de Banasa, H.T. II*, fasc. 2. 3, 1961.
- MORSY, M., *Le Coût d'une ambassade anglaise au Maroc au 18e S. Cahiers de la Méditerranée*, n° 11, déc. 1975.
- MORSY, M., *Moulay Ismail, 1673 - 1727 ou l'instauration de l'état alawite*, in *Les Africains*, Paris, 1977, vol. 4.
- MOULIERAS, A., *Une tribu zénète anti-musulmane : les Zkara, B.S.G.A. Oran*, vol. 23, Fasc. 97, Oct.-Déc. 1903 ; vol. 24, Fasc. 100, Juil.-Sept. 1904 ; vol. 25, Fasc. 102, Janv.-mars, 1905.
- MOULIERAS, A., *Une tribu zénète anti-musulmane : les Zkara*, Paris, 1905.
- MOUZOUNI, L., *Le Roman marocain de langue française*, Paris, 1987.
- MURRAY, G., *L'Esclavage dans le monde arabe, VII - XXe S.*, Paris, 1987.
- NAAMOUNI, K., *Le Culte de Bouya Omar*, Casablanca, 1993.
- NACIRI, G., *Etude géomorphologique de la cuvette Romani et ses bordures nord et sud*. Th. 3e cycle, Rabat, 1987.
- NICOD, J., *Facteurs physico - chimiques de l'accumulation des formations travertineuses : essai de synthèse, Médit.*, 1 - 2, 1986.
- NOGALES, G., *Averroes : Epitome de anima*, Madrid, 1985.
- OUHAJJOU, L., *Espace hydraulique et société : les systèmes d'irrigation dans la vallée du Draa Moyen (Maroc)*. Th. 3e cycle, Géo, Montpellier III.
- PASCON, P., *Théorie générale de la distribution des eaux et de l'occupation des terres dans le Haouz de Marrakech*, R.G.M., n° 18, 1970.
- PASCON, P., CHICHE, J., *La Question hydraulique. 1. Petite et moyenne hydraulique au Maroc*, Rabat, 1984.
- PERENNES, J., *Le Maroc à porté du million d'hectares irrigué. Monde arabe. Maghreb, Machrek*, n° 173, 1992.
- PERES, M., *Précis d'océanographie hydrologique*, Paris, 1976.
- PONSICH, M., *Le Temple dit de Saturne à Volubilis, B.A.M.*, 10, 1976.
- POSACMON, C., *Monedas punicas e hispano - romanas halladas en Ceuta, Tamuda*, V, 1958.
- POSACMON, C., *Monedas romanas imperialas halladas en Ceuta, Tamuda*, V, 1957.
- POURTAUBORDE, *Documents politiques et sociaux : l'Office de l'Irrigation au Bani Amir et Bani Moussa. Encyclopédie mensuelle d'Outre-Mer*, Juin 1954.
- PUIG, J., *Averroes : Epitome in physicorum libros*, Madrid, 1983.
- QAROUCHE, M., *La Croissance de l'agriculture marocaine*, Casablanca, 1988.
- QUEIROZ VELLOSO, I. M. DE, *Don Sebastian*, Madrid, 1943.
- REBUFFAT, R., *Histoire de l'identification des sites antiques du Maroc, Africa Romana*, 13, 2000.
- REFFAS, A., *L'Organisation urbaine de la péninsule Tingitane*, Doct. Etat : Paris I : 1993.
- REVAULT, J. [et al...], *Palais et demeures de Fès*, Paris, 1992, 3 vol.
- RICARD, R., *La Côte atlantique du Maroc au début du 16e S., d'après les instructions nautiques portugaises, Hesp.*, 1927.
- RIVIERE, P.L., *Traité, codes et lois du Maroc*, Paris, 1924.
- ROBAUX, A., *L'Eau et la vie dans le sud marocain*, R.G.M. n° 1 et 2.
- ROBET, J. T., *Dictionnaire des villes et localités du Maroc*, Rabat, 1936.
- ROCHES, L., *Trente deux ans à travers l'Islam, 1832 - 1864*, Paris, 1885.
- ROUGIER, C., *Alteration pédogenèse et paléo-pédogenèse sur massif granitique des Zaer (Maroc central)*, Th. 3e cycle : Bordeaux I : 1985.
- ROUSSELLE, M., *Médecins, chirurgiens et apothicaires français au Maroc, 1577 - 1907*, Paris, 1996.
- SALVADOR, *Guía de los anfibios y reptiles españoles*, Madrid, 1974.
- SAINT-AULAIRE, C., *Confession d'un vieux diplomate*, Paris, 1953.
- SAN ROMAN, Fr. A. de, *Jornada y muerte del Rey Don Sebastian*, Valladolid, 1603.
- SASSON, A., *Recherches écophysiologiques sur la flore bactérienne de sol des régions arides du Maroc*, Tanger, 1937.
- SCHMITT, P., *Le Maroc d'après la géographie de Claude Ptolémée*. Th. 3e cycle : Tours : 1973.
- SESTON, W, EUZENNAT, M., *La Citoyenneté romaine au temps de Marc - Aurele et de commande d'après la Tabula Banasitana*, C.R.A.I. 1961.
- SESTON, W., EUZENNAT, M., *Le Dossier de la chancellerie romaine : la Tabula Banasitana : étude de diplomatique*, C.R.A.I. 1971.

- SIJILMASSI, M., *La Peinture marocaine*, Paris, 1972.
- SIRAJ, A., *L'Image de la Tingitane : l'historiographie arabe médiévale et l'antiquité nord-africaine*, Rome, 1995.
- SPILLMANN, G., *Du protectorat à l'indépendance, Maroc, 1912 - 1962*, Paris, 1967.
- SIRJACOBS, M., *Les Cultures protégées au Maroc : choix des régions climatiquement favorables*, H.T.E., 1986.
- STOUKY, A., *Baghdad Benas*, Rabat, 1980.
- TARRADELL, M., *La Necropolis punico-mauritana de San Lorenzo en Melilla*, Congr. Arch. de Marruecos, esp. Tetuan, 1954.
- TAILASSANE, M., *Le Massif du Zerhoun et ses bordures est et nord-est au nord du Saïs, Fès et Meknès : étude géomorphologique*, Th. 3e cycle, Rabat, 1986.
- TAUXIER, H., *Les Variations de sens des mots Berber, Roum, Afarek, Béranés, Botr, Mazigh et Frank*, R.A., n° 133, 1879.
- TENKOUL, A., *Littérature marocaine d'écriture française*, Casablanca, 1985.
- TERMIER, H. et G., *Mode de gisement des basaltes, permio-triasiques au Maroc*, B.S.S.G., vol. XIX, 1949.
- THOUVENOT, R., *Le Culte de Saturne en Maurétanie Tingitane*, R.E.A., 56, 1954.
- TORRELLA, M. G. DE, *Milicias cristianas en Berberia*, Bol. de la Soc. Arqueol. Lusitana, vol. 34, 1973.
- TORRES BALBAS, L., *Ribatas hispano - musulmanas, al-Andalus*, XIII.
- TOUTAIN, *Les Cultes paiens dans l'Empire Romain*, Paris, 1967, T. 3.
- VAJDA, G., *L'Aventure tragique d'un cadî maghrébin en Egypte fatimide*, Arabica, T. XV, Fasc. 1, Fév. 1968.
- VAN BERCHEM, *Titres califiens d'Occident*, J.A., 1907, T. 9.
- VAUDOUR, J., *Travertins et croûtes calcaires*, Bull. Assoc. Geog. Fran., 1981.
- VIDAL, J. C., *Structure actuelle et évolution depuis le miocène de la chaîne rifaine (Partis Sud de l'Arc de Gibraltar)*, Bull. Soc. geol. Fr., T. 19, n° 4, 1977.
- VILLARD, F., *Céramique grecque du Maroc*, B.A.M., 4, 1960.
- VOINOT, L., *Oujda et l'Amalat*, Oran, 1912.
- WEISROCK, A., *Géomorphologie et paléoenvironnement de l'Atlas atlantique*, Th. : Paris : 1986.
- YEOMAN, R. S., *A Catalog of modern wored coin, 1850 - 1960*, USA, 1972.
- ZAANOUN, E., *La Confédération des tribus Aït Warain : étude géographique de l'évolution d'une tribu berbère*.  
Th. 3e cycle : Geo. : Paris VII.
- ZERYOUMI, I., *Systèmes et pratiques de captage traditionnels des eaux au Maroc (Ronéot.)*, 1983.





مادة الأكسجين مباشرة من الماء عبر خياشيم.

تنقسم راسيات الأرجل إلى مجموعتين أساسيتين هي:  
- رباعية الخياشيم وتتميز بتوفرها على أربعة خياشيم وأربعة كلي وأهمها الجنس Nautitus المشهور بكونه من المستحاثات الحية.

- ثمانية الخياشيم ولها اثنان من الخياشيم وكليتان فقط وتضم باقي راسيات الأرجل المعروفة لدينا كالأخطبوط والحبار والحبار إلى غير ذلك. ويمكن التعرف في هذا القسم على مجموعتين اثنتين :

• ثمانية اللواحق وتتميز بتوفرها على ثمانية أذرع، والأخطبوط مثال على ذلك.

• عشارية اللواحق وتتنوع بالإضافة إلى الأذرع الثمانية على محسنتين اثنتين، والحبار مثال على ذلك.

يوجد في المغرب 23 نوعا من راسيات الأقدام لكن هناك ثلاثة أنواع فقط (الحبار، الحبار، الأخطبوط) هي التي توجد بوفرة وتكتسي طابعا اقتصاديا واجتماعيا على الصعيدين الجهوي والوطني حيث تكون، خاصة الأخطبوط، أهم المصايد جنوب المغرب وأهم المصايد بالنسبة للصيد في أعالي البحار ويذهب مجملها إلى الأسواق الخارجية خاصة اليابانية.

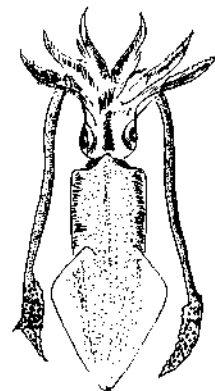
Ministère des Pêches Maritimes, *La mer en chiffre*, 1999, 57 p.

### راسيات الحبل، وتسمى كذلك عديمات الجمجمة،

وهي تشبه في شكلها الأسماك الصغيرة إلا أن حجمها لا يتعدى ستة إلى سبعة سنتيمترات، كالعديد من الفقريات لها جبل ظهري يمثل النخاع الشوكي عند هاته الأخيرة إلا أن تطورها ليس بالمتكامل حتى ترقى إلى شعبة الفقريات حيث إن المنطقة الأمامية للجهاز العصبي (الدماغ) غير مغطاة بجمجمة عظمية. وعن الحبل غير ملفوف بهيكل "الفقرات" عظمي.

### راسيات الأقدام، من نفس شعبة بلح البحر أو

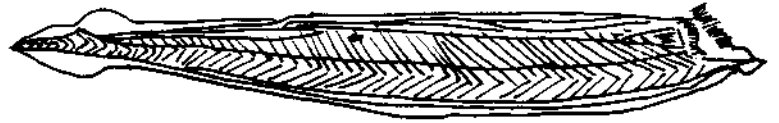
الحلزون أو البزاق إلا أنها تختلف كثيراً عن هاته الأخيرة في العديد من المميزات خاصة منطقتها الرأسية الجد متطورة التي تحمل، خلافا للرخويات الأخرى، قسما وأذرا ومحسات وعينين قد تضاهي في تطورها عين الجنس البشري. كل هاته المميزات الحسية وهي نتيجة تطور نمط عيش راسيات الأقدام التي تعد من أكثر اللاقريات شراسة، حيث إنها لا تتغذى إلا على الفرائس الحية من قشريات وأسماك تسعى لمطاردها تحت سطح البحر وذلك في أعماق قد تعد بألاف الأمتار.



راسيات الأقدام

من بين راسيات الأقدام أنواع لا تتعدى 2 ملمتر لدى الفرد البالغ لكن من بين راسيات الأقدام كذلك أكبر وأضخم اللاقريات الموجودة على كوكبنا. إنه الجنس Architeuthis الذي قد يتعدى طول الواحد منه 15 مترا ويزن عدة أطنان وهو حبار يعيش في أعماق تفوق 400 متر تحت سطح البحر ويُعد بنفسه فريسة لحوت العنبر. كل راسيات الأقدام مائية وكلها بحرية، قد تدخل إلى مصبات الأنهار أو البحيرات المالحة لكن لا تعدو أن تخرج منها إذا ما انخفضت الملوحة إلى حد أدنى وهي بالتالي حيوانات تمتص

كل راسيات الحبل بحرية تعيش داخل الرمال في أعماق منخفضة نسبياً تتميز بجسم صغير جداً ذوي لون شفاف يميل إلى الاصفرار تعلوه، ظهرياً، زعنفة طويلة تمتد على طول الجسم. لها خيشومة تحمل العديد من الثقب أو الفتحات الخيشومية (حوالي 180 زوجاً) تمكنها من امتصاص الأكسجين الذائب في الماء بل حتى التقاط المواد العضوية العالقة في الماء والتي تكون الغذاء الأساسي لراسيات الحبل.



راسيات الحبل

أما الجنسان فهما مفترقان عند راسيات الحبل لكن لا تجانس بينهما بل عند مرحلة التكاثر يلقي كل من الذكر والأنثى بمواده التناسلية في الماء ليتم التخصيب عن طريق الصدفة فتعطي البويضة الملقحة يرقة تبقى عالقة في الماء حوالي ثلاثة أشهر قبل أن تسقط في القعر لتكتمل دورتها الحياتية. تعيش راسيات الحبل في كل بحار ومحيطات العالم تقريباً في أعماق منخفضة إلا أن عدد أجناسها لا يتعدى الاثنين Branchiostoma و Asymetron، أما في المغرب فلم يعثر لحد الآن إلا على نوعين اثنين ينتميان إلى الجنس Branchiostoma يعيشان على حد سواء على الساحلين المتوسطي والأطلسي.

تجرب الإشارة في الأخير إلى أن التشابه الكبير بين أنواع راسيات الحبل الموجودة في العالم وتشابه الأوساط التي تعيش فيها دفعت العديد من الاختصاصيين إلى الاعتقاد أن هاته الحيوانات هي من أقدم الحيوانات الموجودة في العالم وهي بالتالي مستحاثات حية.

P. Drach, *Embranchement du céphalocorbie* in Grasse P.P. *Traité de zoologie*, Paris.

محمد منبوي

**راغون، عبد الكريم** هو أحد سفراء السلطان

سيدي محمد بن عبد الله إلى الدولة العثمانية. ينتسب إلى أسرة أندلسية استقرت في تطوان في تاريخ مجهول بعد هجرة أوطانها. وأوطانها على ما يوحى به لقبها أقاليم أركون Aragon في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة الإيبيرية. وكانت الأسرة من ذوات الغنى والجاه في المدينة،

بدليل ما جاء في القصيدة المنسوبة إلى الفقيه عمر لوقاش يفتخر فيها بما نال من العزة والثروة في تطوان أيام ولايته عليها في بداية عهد السلطان المولى عبد الله، فيقول :

ففرطوط والرهون والكوط عصتي وراغون كنزي والصغير به الفهر وهل راغون المذكور في هذا البيت هو السفير عبد الكريم أم لا ؟ لا سبيل إلى الجزم. ولكن أفراد الأسرة كانوا من الوجهاء، مما حمل سيدي محمد بن عبد الله على انتقاء سفير له منها، تذكره المصادر بالحاج عبد الكريم. فكان إذن قد رحل إلى الديار المشرقية للفريضة. وورد في رسالة السلطان المذكور إلى الصدر الأعظم العثماني قوله : "ها نحن وجهنا خديمتنا الحاج عبد الكريم راغون لتلكم الناحية، فالمؤكد عليك أن تقف معه في جميع ما يحتاجك إليه وقوف الكرام من غير تقصير إلى أن توجهه لحضرتنا على أحسن حال". وكانت تلك السفارة هي ثالث سفارة يبعث بها سيدي محمد بن عبد الله إلى استنبول، بعد سفارة الحاج الخياط عديل الفاسي، فهي الأولى، وسفارة الطاهر بناني الرباطي والطاهر بن عبد السلام السلوي فهي الثانية، وسفارة الحاج عبد الكريم راغون التطواني فهي الثالثة، حرصاً من هذا السلطان على العمل يداً في يد مع الدولة العثمانية في الوقت التي أصبحت معالم ضعف دار الإسلام تتجلى بالنظر إلي ما علا من شأن أوروبا. ولا أدل على ذلك من تلك النصارى المتزايد في بيع العتاد الحربي ومواد إقامة السفن للمسلمين، رغبة منهم في القضاء على الأساطيل الإسلامية جملة وتفصيلاً. ولذلك أوفد سيدي محمد بن عبد الله الحاج عبد الكريم راغون بقصد التزود من كل ما يحتاج إليه لتجديد صرح الأسطول المغربي وحماية الثغور المغربية وشواطئها الممتدة من غارات النصارى. ولقد أفلح السفير في كل ما كلف به. وعاد إلى المغرب بالعدد والعدة المشهورة، هذا فضلاً عما حملة من الهدايا الملوكية في الذهب والإياب. والمثير للانتباه أن هذه السفارة جرت بضعة أسابيع فقط من هجوم روسيا على الممتلكات التركية في خريف سنة 1768، فانتزعت منها أقاليم شاسعة. وكانت عودة السفير في مطلع سنة 1769. مما لا يوافق ما تناقله المصادر المغربية من أن السفارة جرت في نهاية سنة 1180 وبداية 1181 من الهجرة. أما عن شخصية الحاج عبد الكريم راغون فحسبنا أن نردد ما أقر به محمد داود مؤرخ تطوان من أنه لم يقف لا علي تاريخ ميلاده ولا علي تاريخ وفاته.

أ. الناصري، الاستنفا، الدار البيضاء، 1960، 9 أجزاء الجزء الثامن ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، إبحار، الرباط، 5 أجزاء، الجزء الثالث ؛ م. داود، تاريخ تطوان، تطوان، 10 أجزاء، الجزء الثالث.

Grillon Pierre, *La correspondance du consul Louis Chénier, 1767 - 1782*, Paris, 1970.

إبراهيم بوطالب

**رافي، سعيد**، مقاوم ولد سنة 1924 بهوارة

ناطقة باسم حزب الشورى والاستقلال وأسندت إدارة تحريرها لأحمد بن سوادة. لم يمر على صدورها إلا أمد قصير حتى انتقلت إلى الدار البيضاء التي كانت توفر ظروفًا أحسن.

كان عنوان الجريدة مكتوبًا في وسط رسم يمثل مجلسًا برلمانيًا. وتحت العنوان الآية القرآنية "وأمرهم شورى بينهم"، وقول عمر بن الخطاب "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟". وكلها إشارات واضحة للتوجه النضالي ولفكرة كرسيت الصحيفة حياتها للدفاع عنها ألا وهي ضرورة إيجاد دستور ينظم الحياة السياسية بالبلاد. وانتقدت الجريدة بشدة السياسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب في مجالات مختلفة كالتهذيب والقضاء والحريات العامة وغيرها، مما عرضها لتعسف مصالح الرقابة مرات عديدة، فحذفت مقالاتها أحيانًا ومثل مسؤوليها أمام المحاكم أحيانًا أخرى وحجبت عن قرائها أكثر من مرة. ومن الكتاب الذين ساهموا في تحرير هذه الصحيفة محمد بن الحسن الوزاني (وهو صاحب الافتتاحيات تحت عنوان "الغمرات") وأحمد بن سوادة ("حديث المفتي") وعبد الهادي بوطالب وعبد الهادي الشرايبي وعبد القادر بنجلون وأحمد معيتني ومحمد المنوني ومصطفى القصري وإدريس الكتاني...

كان إصدار "الرأي العام" يتراوح بين 8.000 و10.000 نسخة، وكان صدها لدى قرائها يقلق راحة الإدارة الفرنسية. وبعد أحداث الكاربان سانطال التي شهدتها الدار البيضاء في دجنبر 1952، تعرضت للتوقيف وأقفلت مطبعتها، شأنها في ذلك شأن الصحف الوطنية الأخرى. ولم تستأنف نشاطها إلا في 19 نونبر 1955 مع إطلاقة عهد الاستقلال. فصدرت مرتين في الأسبوع، ثم ثلاث مرات، ثم أربع، قبل أن تتحول إلى جريدة يومية ابتداء من 11 دجنبر 1956.

في سنة 1959 انشق أحمد بن سوادة وعبد الهادي



من مناظر مجلس شوري الحكومة



تعليق (الرقابة) حذفته

الواقعة بأحواز مدينة أكادير، وكان يعمل كسائق بهذه المدينة الأخيرة، كما كان يقطن بأحد أحيائها القديمة (تالبرجت)، ولم يكن متزوجًا. وقد انخرط في حزب الاستقلال منذ سنة 1947، واقتصر نشاطه فيه على حضور الاجتماعات التي يعقدها الحزب. ثم انتقل إلى العمل الفدائي، فانخرط في منظمة عرفت باسم "الفرقة المتطوعة" التابعة لـ"المنظمة السرية"، وكان الناشئ عبد الله وعبد القادر الجزائري من بين مسيرتها، وكان منزل المقاوم الأول والكائن بتالبرجت القديمة مقر اجتماعات عناصر المنظمة. وقد شارك في تدبير عدة عمليات فدائية استهدفت مصالح المستعمرين الفرنسيين بأكادير فيما بين سنتي 1953 و1954 منها :

- إشعال النار في مزرعة أحد المستعمرين التي كانت تقع على الطريق المؤدية من مدينة إنزغان إلى تيكوين.  
- إشعال النار في مزرعة الدكتور غوسال الواقعة في أولاد دحو بالكومتر 33 بين أولاد تايمة وأكادير.  
- توزيع المنشائر بمناسبة عيد الأضحى لسنة 1954، كانت تتضمن بلاغا بعدم شراء أضحية العيد، وذلك في أكادير وإنزغان وأثزا وأولاد تايمة.  
- توزيع المنشائر بأكادير لمطالبة السكان بمقاطعة الدخان.

- إشعال النار في مزرعة أحد المستعمرين. ويسمى كامبي، وكانت مقر الاجتماعات الأسبوعية للمستعمرين الموجودين في منطقة أحواز مدينة أكادير، وكانت تلك المزرعة تقع بين هذه المدينة وأولاد تايمة بالكومتر 24. وقد تبنت المنظمة المذكورة مسؤوليتها عن هذه العمليات، وتمكنت الشرطة الفرنسية من التعرف على عناصرها إثر سلسلة من التحريات والتحقيقات، ونجحت في إلقاء القبض عليها، وأدى ذلك إلى توقف نشاط المنظمة.

وقد حكمت المحكمة الابتدائية بأكادير على سعيد بالسجن بتهمة توزيع المنشائر ورسائل التهديد وإشعال النيران، وأمضى فيه شهرين وأطلق سراحه، وقد تزوج بعد ذلك، وأنجب ستة أبناء.

معلومات عن قدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير مسجلة بسجلات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير. نيابة الرباط : تقرير عن الأعمال الفدائية التي قامت بها الفرقة المتطوعة التابعة للمنظمة السرية، من إنجاز السيد رباني محمد ؛ شهادة عبد الله النوصيري (أوشن) على شكل استجواب محرر بتاريخ 25 و26 نونبر من سنة 1986.

خالد أوشن

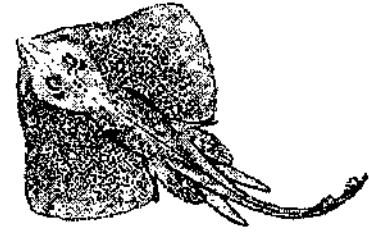
الرأي العام ، جريدة صدر عددها الأول بتاريخ 16 أبريل 1947 بمطبعة الأمنية بالرباط. كانت أسبوعية

بوطالب عن حزبهما ليلتحقا بالاتحاد الوطني للقوات الشعبية، فنقلا معهما جريدة "الرأي العام" إلى الحزب الحديث العهد بالتأسيس. وتبعاً لذلك اضطر حزب محمد بن الحسن الوزاني إلى إصدار جريدة أخرى تحمل محل السابقة وعنوانها "شورى الرأي العام" (أكتوبر 1959).

عبد الهادي بوطالب، ذكريات... شهادات... ووجوه، نشر الشركة السعودية للأبحاث والنشر، طبع الشركة المغربية للطباعة والنشر، الجزء الثاني، 1993؛ عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والدي، مؤسسة محمد حسن الوزاني، فاس، 1990.

جامع بيضا

**الراية**، جنس أسماك غضروفية بحرية متوسطة وكبيرة القد يتراوح طولها حسب الأنواع بين 30 - 230 سم. تسمى في أقطار المغرب هكذا : "الراية" وفي الشرق العربي شفين ولياء. تصنف إلى رتبة الأشلاق أو الشلقيات -Raji- formes وفصيلة الليانيات أو الشفنينيات Rajidae منها أنواع كثيرة تعيش في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي. تدعى بالفرنسية Raie وبالإسبانية Raja وبالإنجليزية Skate.



الراية

تعد أنواع الراية من الأسماك البدائية الموجودة حالياً. الجسم خال من الهيكل العظمي ومسطح ظهراً وبطناً؛ الرأس والجسد والصدرتان مندمجة على شكل معين أو قرص شبه دائري. الذيل رقيق وبارز تتخلله ثنية طويلة ضيقة على كل جانب، طوله أقل مرتين من عرض الجسد. العينان والفوهات التنفسية على قمة الرأس؛ الفوهات التنفسية مباشرة خلف العينين. الحظم مستدق الرأس شينا ما أو دائري ورخو شينا ما أو صلب حسب تقدم غضروف المتك والأشعة الأمامية للصدرتين. الفم سفلي مستعرض ومقوس قليلاً، يحمل عدة أسنان وحيدة الناب ومنفرجة إلى مستدقة الرأس وغالباً مختلفة عند الجنسين. الفتحات المنخرارية صغيرة أمام الفم، جانبها الوسطي تمتد جهة الخلف إلى فص منخاري مرتبط بالفص المتماثل معه بمضيق مستعرض أمام الفم. الصدرتان عريضتان وملتحمتان

كلياً بجوانب الرأس والجسم، من الحظم إلى قاعدة الحوضيتين؛ الحوضيتان فسان مفصولان بفجوة على الجانب الخارجي. تقع الزعنفتان الظهرتان على الجزء الخلفي للذيل، الذيلية ضيقة خلف الظهرية الثانية. الواجهة الظهرية خشنة اللمس، تتخللها أسنان جلدية صغيرة مستدقة الرأس وأشواك أو حلقات على شكل بقع أو صفوف. الواجهة البطنية لمساء تحمل أحياناً بضعة أشواك منتظمة.

يختلف لون الواجهة الظهرية حسب الأنواع وحسب الأعماق وطبيعة الأتربة وتختلف أصناف البقع والرخاميات من نوع لآخر؛ الواجهة البطنية ناصعة أو داكنة أو رخامية. تتميز الأنواع التي تعيش في القيعان العميقة بلون داكن موحد على الوجهتين.

يعيش في المياه المغربية 16 نوعاً من الراية أسماؤها العلمية كالتالي :

Raja (Dipturus) batis, Raja (Dipturus) oxyrinchus, Raja (Leuroraja) circularis, Raja (Leucoraja) fullonica, Raja (Leucoraja) naevus, Raja alba, Raja asterias, Raja brachyura, Raja clavata, Raja maderensis, Raja maroccana, Raja microocellata, Raja miraletus, Raja montagui, Raja radula, Raja undulata.

وهي موزعة على كل الأعماق منذ المياه الساحلية إلى الجرف القاري وتدخل عن طريق الصدفة إلى المياه القليلة الملوحة لكنها لا تصعد إلى المياه العذبة. معظم الأنواع قاعية مستقرة تتغذى من كل أصناف الحيوانات الصغيرة القاعية، في حين هناك بعض الأنواع تقوم بهجرات طويلة المسافة.

تصاد بالجبيبات والشباك المستقيمة وحبال الصنانير العميقة. تستهلك منها "الأجنحة" فقط وتباع طرية ونادراً مملحة أو مجففة. توجد باستمرار في الأسواق السمكية المغربية.

من بين الأنواع الشائعة في المغرب رايا استيرياس Raja asterias Delaroche, 1809، ظهرها أسمر زيتوني تتخلله عدة بقع داكنة لا تبلغ جوانب القرص؛ البقع الصفراء محاطة بنقط سوداء موزعة بغير انتظام؛ توجد على طول العنق إلى الظهرية الأولى حوالي 50 - 60 حلقة صغيرة على صف واحد وسطي غير منتظم. يبلغ طولها الأقصى 80 سم. تعيش في أعماق تتراوح بين 10 و300 متر وتفضل العيش في القيعان الرملية الوحلية وعلى الأعشاب البحرية. تصير الذكور بالغة عندما يبلغ طولها الكلي 54 سنتمتر والإناث عندما يبلغ طولها 61 سنتمتر. يتراوح عدد حويصلات البيض ما بين 34 و112 في السنة. يتغذى من القشريات والأسماك العظمية الصغيرة والرخويات.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988؛ أمين العلوف، معجم الحيوآن، مطبعة المنتطف، القاهرة، 1932.

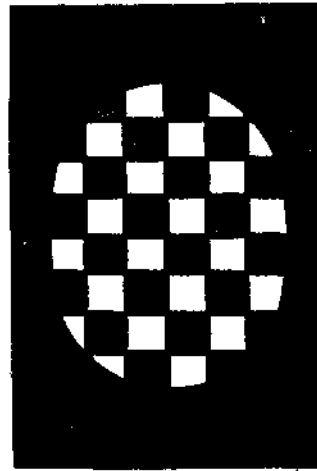
المشاريع الإصلاحية التي عرفتتها هذه الحقبة. ففي المقدمة التي وضعها الحاج علي زنيبر لمشروعه الإصلاحية غداة مؤتمر الجزيرة الخضراء ("حفظ الاستقلال ولفظ سيطرة الاحتلال") المرفوع إلى السلطان المولى عبد العزيز، تحدث عن "وثوق عوامل الارتباط الجامع بين أفراد الوطنية من شريف ووضع ونزبل تحت الراية الحمراء الدالة على وحدة الاستقلال الذي هو الأصل". وفي النقطة الرابعة من المذكرة ذاتها، يؤكد المؤلف على ضرورة "توحيد نظام البوليس وما كان في مصافه تحت الزي الوطني والراية الحمراء (...)".

استمر استعمال العلم الأحمر لزم قصير في ظل الاستعمار الفرنسي. وفي سنة 1915، ارتأى المقيم العام ليوطي تغيير شكله بترصيعه بنجمة خماسية خضراء وسطه. وما برر به مبادرته هذه كون العلم الأحمر اللون يشبه بعض الرايات المستعملة في الإشارات البحرية، كما أنه اعتمد شعارا في بعض البلدان لحركات سياسية متطرفة (شيوعية). وهكذا صدر ظهير في شأن الراية الجديدة بالجزيرة الرسمية (نونبر 1915) أتبع سنوات قليلة بعد ذلك بظهير آخر يحدث علما خاصا بالملاحة التجارية (31 مارس 1919). وهذه الراية الأخيرة هي نفسها الراية المحدثة سنة 1915 غير أنه أضيفت إليها في ركنها العلوي الأيسر ألوان العلم الفرنسي (الأزرق والأبيض والأحمر). وقد حذت إسبانيا حذو فرنسا في هذا الشأن فسنت في المنطقة الراضحة تحت احتلالها علما للمحلة الخليفية وهو أخضر اللون تتوسطه نجمة سداسية صفراء سنة 1930، كما أحدثت راية للملاحة التجارية احتفظت فيها بنفس المواصفات مضافة إليها في ركنها العلوي الأيسر ألوان العلم الإسباني (الأحمر والأصفر). أما في منطقة طنجة، فقد تأخر إحداث راية الأسطول التجاري البحري حتى سنة 1953، وهي نفس الراية المعمول بها في المنطقة السلطانية، مع إضافة شعار المدينة في أحد أركانها (وفيه إحالة على طنجيس الفينيقية).

لم نقف على ما يفيد كون الحركة الوطنية في المنطقة السلطانية قد جحدت التغيير الذي أقدم عليه الجنرال ليوطي عام 1915 في شكل الراية المغربية. ففي دفتر "مطالب الشعب المغربي" الذي تقدمت به كتلة العمل الوطني للسلطات الفرنسية سنة 1934 هناك مطلبان متعلقان بالعلم المغربي ينصان فقط على ضرورة "احترام العلم المغربي الاحترام الواجب له، ورفع أيام الجمعة والأحد والأعياد الرسمية فوق جميع الإدارات والمحاكم الموجودة في النواحي المدنية والعسكرية"، و"سن قانون لمعاقبة كل من أهان العلم المغربي". أما في الريف والمنطقة الخليفية، فالأمر غير ذلك. فبعد معركة أنوال، أحدث محمد بن عبد الكريم الخطابي راية خاصة بحكومته، وهي حمراء تتوسطها رقعة بيضاء ويداخلها نجمة سداسية خضراء ضمن هلال. أما الحركة الوطنية في تطوان، فقد طالبت في

## الراية المغربية، أو العلم أو اللواء أو البند، هي

علامة مصنوعة من قماش تتقدم الفرق العسكرية لتمييزها عن غيرها، أو تعلق الأبراج والقلاع أو ترفع على القوارب في البحر لإثارة الانتباه إليها، أو يُلوح بها عند مقدم موكب مهم احتفاء به. وقد عرفت الرايات في التاريخ المغربي الإسلامي منذ عهد الأدارسة الذين كانت راياتهم بيضاء. أما المرابطون فاختلفت ألوان راياتهم بين أبيض وأسود (سواد الراية العباسية) وأحمر. وجاء المرحدون فجعلوا راياتهم الرسمية بيضاء مكتوباً عليها عبارات "لا إله إلا الله. محمد رسول الله. لا غالب إلا الله"، غير أن رايات أخرى من ألوان مختلفة وُجدت في العهد نفسه، إذ تحدثت المصادر عن "موكب الراية" وعن "الرايات السبع". أما المرينيون، فقد عرفوا "العلم المنصور" المرصع بأيات قرآنية والذي يحمل في الموكب السلطانية، وكان من الحرير ولونه أبيض في الغالب، ولكن عادة ما تلتف حوله رايات ذات ألوان مختلفة دونه مرتبة. وتختلف أعلام الجند في البر والبحر باختلاف الفرق العسكرية. أما "اللواء المنصور" السعدي فكان أبيض اللون، غير أن أعلاما حمراء كانت مزانة له.



أقدم راية مغربية عرفت في القرن الثامن (14 م)  
مستطيل أحمر بداخله شكل بيضوي ذو مربعات  
مفجرة بيضاء، ووزق، عن H.T

وفي العصر العلوي، عرف المغرب رايات مختلفة الألوان، ولكن أكثرها شيوعا هو اللون الأحمر القاني، وهو لون شاع فيما مضى في الأندلس الإسلامية. وفي أواخر القرن الثالث عشر (19 م) وأوائل القرن الذي يليه، أصبحت الراية الحمراء رمزا للوحدة الوطنية وشعاراً مبعجلا لدى النخبة الوطنية المثقفة. وهكذا نجد صدى لذلك في

الثلاثينيات بالرجوع إلى العلم المغربي التقليدي الأحمر الموحد اللون (جريدة الحياة، تطوان، 7 يناير 1935).  
 فقتت أصوات الاحتجاج على هذه الولاية بعد أن أضفى عليها السلطان سيدي محمد بن يوسف المشروعية علنا يوم الاثنين 19 ماي 1947 عندما قام برفعها على قصره بالرباط بمناسبة الاحتفال بتدشين إحدى أجنحته. وقد استجابت الحركة الوطنية لهذه الإشارة الرمزية فنهت بها وباركتها (جريدة الرأي العام، نونبر وديجنبر 1947). وبعد حصول المغرب على استقلاله، تم توحيد المناطق السلطانية والخليفة والدولية تحت راية وطنية واحدة ذات اللون الأحمر والنجمة الخماسية الخضراء، كما احتفظ بالعلم نفسه للأسطول التجاري البحري المغربي.

الكتلة العاملة الوطنية، مطالب الشعب المغربي، مطبعة الإخوان المسلمين، القاهرة، 1934. ص. 78 : م. المنوني، "على هامش حادث رفع الولاية المغربية فوق القصر الملكي العامر : رايات العرش المغربي" في جريدة الرأي العام، الأعداد 31 و34 و35 (نونبر - دجنبر 1947). أعيد نشر هذه المقالات في كتاب "الفتية المنوني - أبحاث مختارة"، منشورات وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، 2000، ص. 171-182 : ورفقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1996، ص. 156-160 : ع. الله المراري، كتاب الغاية من رفع الولاية، مطبعة الأمنية، الرباط، 1953، ص. 36 : علي زبير السلاوي الدرقاوي، حفظ الاستقلال ولفظ سيطرة الاحتلال، مذكرة دستورية مخطوطة، خ. ص. بسلا. أورد محمد المنوني نصها الكامل في مظاهر يقظة المغرب الحديث، نشر الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، بالاشتراك مع شركة النشر والتوزيع "المدارس" (الدار البيضاء) ودار الغرب الإسلامي (بيروت)، 1985، ج. 2، ص. 408-421 : وثائق من مركز الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي بنائط (فرنسا).  
 B. Dubreuil, Les pavillons des Etats musulmans, H.T, vol. I, fasc. III, 1960.

جامع بيضا

### الرايس، محمد بن الطاهر العمراني الحسّاني

(نسبة إلى قبيلة بني حسان إحدى قبائل الجبل القريبة من تطوان، وبها ضريح سيدي عمران جد هؤلاء العمرانيين الموجودين إلى الآن بالقبيلة المذكورة وغيرها، وهم غير عمرانبي فاس وبني عروس وبني بدر وجبل حبيب) ثم التطواني منشأ وداراً ووفاة.

الفتية المفتي الكاتب نائب القاضي الصوفي العابد الذاكر، من أكبر فقهاء تطوان وعدولها، تلقى العلم بها ونفاس، له اطلاع على النوازل ومعرفة تامة بالوثائق وفقهها، كان ذا هيئة حسنة وشيبة منورة، وسمت رفيع وصيانة ونزاهة، تعاطى العدالة حيناً، واستفتى فأفتى وتولى الإمامة بضريح سيدي الحاج على بركة بالسوق الفوقي من تطوان إلى أن توفي.

أول ما عرف من نشاط المترجم له في ميدان الوظيفة توليته الكتابة لقائد تطوان الحاج أحمد الحداد عام 1267، ثم نيابته عن القاضي عزيان عام 1290 في بعض الأحيان، وأورد له محمد داود في تاريخ تطوان رسالة مهمة تتضمن فتوى شرعية تتعلق بالجهاد وأحوال المجاهدين مؤرخة في 3 جمادى الأولى عام 1276 كتبها إلى مقدم المجاهدين بقبيلة واد رأس الشريف سيدي التهامي بن محمد الوزاني. وكان المترجم له أحد شهود بيعة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن التي كتبت بماء الذهب بتاريخ 12 صفر عام 1276 والتي أورد نصها محمد داود.

ظل الفقيه محمد الرايس مقبلاً على شأنه بعد أن عُمر واعتزل الأعمال إلا النسك والعبادة ففرض مرضياً عام 1301 / 1892.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، مخطوط، (6 / 184) : م. داود، تاريخ تطوان (3 / 335-368 و4 / 144) طبع تطوان : مختصر تاريخ تطوان، صفحة 260.

محمد بوخيزة

### الرايس، محمد بن محمد الفاسي أديب حلاه

في إتحاف المطالع "بالعلامة الأديب الشاعر المفتن... كان وعظه بكرسي ظهر الصومعة من جامع القرويين قبل صلاة العصر، وكان الناس يزدحمون لسماع وعظه لما رزقه الله من حسن الصوت".

ألف كتاب الرحلة المرصعة ببدايح اللآلئ، في ترجمة الشيخ المنيف سيدي محمد الحمال، ووفوده على حضرة فاس، لزيارة طيّب الأنفاس، بتيمة الجوهر النفيس، أبي العلاء إدريس. انظر ترجمة محمد الحمال ورحلته في المعلمة).

توفي محمد الرايس بفاس عام 1324 / 1906. ودفن بالقباب.

ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 8 : 2845.

محمد حجي

### الرايس، محمد بن محمد الفاسي موسيقي من

مواليد فاس عام 1262 والد الفنان الشهير عبد الكريم الرايس سابق الترجمة "كان بارعا في علوم الأدب عارفا بالنغم... وكان له صوت حسن ربما يدعى للإنشاد عند بعض الكبراء".

وقد قام محمد الرايس بإعانة معاصره محمد بن الغالي العراقي بنسخ كتاب الأنيس المطرب لمحمد بن الطبيب العلمي، ووضع على حاشيته ترجمة للفنان الأديب محمد البرعصامي وتعليقات وتعليقات لا تخلو من أهمية فنية وعلمية تكشف عن سعة معرفته بمستعملات الموسيقى الأندلسية ومنهاج تدريسها في مغرب القرن الثالث عشر. وقد انتهى من هذا العمل عام 1305.

بتطوان.. ومن أجل تعميق معارفه بالموسيقى وجه اهتمامه إلى دراسة تاريخ الموسيقى العالمية. وقد أهله تكوينه ليضطلع بمهام تربوية وإدارية بدءاً من عام 1387 / 1967 حين كلف بتدريس الموسيقى بمعهد فاس ومكناس، ليتحول بعد ذلك إلى معهد القصر الكبير معلماً في 1973، ومديراً عام 1979. ثم دعي للعمل بوزارة الثقافة رئيساً لمكتب الموسيقى والامتحانات ثم عين مديراً لمعهد طنجة. وفي السنوات الأخيرة من عمره كلف بتفتيش أساتذة التعليم الموسيقي العاملين بمعاهد الرباط ونواحيها.

عُرف محمد الرايسي بكتابات المتخصصة في مجال الموسيقى المغربية، فكان ينشر على أعمدة الصحف خاصة منها العلم، والاتحاد الاشتراكي، وأنوال، مقالات تحليلية ودراسات نقدية تتسم بالجرأة والعمق، وتنم عن معرفة واسعة بواقع الموسيقى في بلادنا والبلاد العربية. وإلى ذلك شارك في عدة تظاهرات ثقافية وفنية. وإليه يرجع الفضل في تنشيط الندوات التي كانت تنظم على هامش المهرجانات الموسيقية بمدن فاس وشفشاون وأسفي وغيرها. شارك الرايسي أكثر من مرة في المؤتمرات الفنية التي احتضنتها العواصم العربية، وخاصة بغداد حيث انتخب عام 1986 نائبا للأمين العام لاتحاد الموسيقين العرب، وحيث حضر مهرجان بابل، وشغل عضوية اللجنة التنفيذية للمجمع العربي للموسيقى لفترة طويلة.

أسس محمد الرايسي مجموعات موسيقية عدة أهمها جوق معهد طنجة للموسيقى الأندلسية برئاسة الفنان الشيخ أحمد الزيتوني، ومجموعة صوتية كورالية للأطفال. وقام - علي مستوى الإبداع - بالتوزيع الأركستراي لبعض ميازين الآلة الأندلسية، إضافة إلى تلحين "أنشودة المطر" للشاعر العراقي بدر شاكر السياب.

ومن أبرز الأبحاث والمقالات التي أنجزها :  
- الأهازيج الشعبية بحوض سبو : المؤتمر الخامس للمجمع العربي للموسيقى أكتوبر 1977 بالمغرب.  
- منهجية تلقين الأنماط الموسيقية التراثية بالمغرب وآفاق مستقبلها : بمشاركة ع. العزيز بن عبد الجليل : المؤتمر الثامن للمجمع العربي للموسيقى المنعقد في بغداد في فبراير 1983.

- المسألة النظرية في الموسيقى الأندلسية : المهرجان الوطني الثالث للموسيقى الأندلسية بشفشاون - مايو 1983.

- الوحدة العضوية للميزان في النوبة الأندلسية المغربية: الندوة الدولية حول تاريخ الموسيقى العربية بالرباط في نونبر 1984.

- الأغنية العصرية ولدت في الأغنية الرومنتيكية المصرية : جريدة الاتحاد الاشتراكي، 3 يناير 1993.  
- إشكالية المصطلح في الموسيقى الأندلسية : المهرجان

ويأتي ذلك في موازاة أعمال لجنة الوزير الجامعي التي قامت بمراجعة مستعملات كناش محمد بن الحسن الحايك عام 1303، الأمر الذي يقوي احتمال أن تكون وفاة محمد الرايس في العقد الثالث أو الرابع من القرن الرابع عشر.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 7 ص. 123 : م. العلمي، الأنيس المطرب... عند ترجمته لمحمد البوعصامي الموسيقي، هامش ص 175 : ع. العزيز بن عبد الجليل، مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية، سلسلة عالم المعرفة، عدد 65، 1983، ص. 205.  
عبد العزيز بن عبد الجليل

**الرايسي**، أسرة رباطية وقصرية لعل أصلها من قبيلة بني حسن المستقرة في أزغار بين الرباط والقصر الكبير. اشتهر من الرايسيين الرباطيين في القرن الثالث عشر (19م) الحاج محمد الرايسي الذي استخدمه السلطان المولى الحسن أمينا بمرسى الجديدة ابتداء من عام 1280 / 1863. وبنعيسى الرايسي المولود بالرباط حوالي سنة 1900، الذي اشتغل بالتجارة في شارع القناصل، ورشحته سلطات الحماية لعضوية اللجنة البلدية الرباطية لسنة 1934 بعد أن وضعت له كعادتها بالنسبة لكل مرشح للعضوية - بطاقة معلومات شخصية. وكان لبنعيسى الرايسي كلمة مسموعة في الوسط التجاري بالرباط.

محمد داود، تاريخ تطوان، ج. 6، الرباط، 1399، ص. 134 : عبد الإله الفاسي، مدينة الرباط وأعيانها في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، منشورات جمعية رباط الفتح، 1996 : وثائق الحماية، أرشيف خ. ع، الرباط، ملف 622، اللجن البلدية.

عبد الإله الفاسي

**الرايسي**، محمد القصري، ولد سنة 1948 بالقصر الكبير في وسط عاتلي محافظ. والتحق في صغره بالمدرسة لكن الظروف لم تسعفه لاستكمال دراسته إلا أنه كان يتحلى بروح عاصمية جعلت منه شخصا واسع المعرفة بفضل قراءاته الكثيرة المتنوعة وشغفه بحفظ روائع الشعر العربي القديم والحديث.

ولع بالموسيقى منذ طفولته، فأقبل وهو ابن أربع عشرة سنة على تعلمها، فكان ينتقل بشكل منتظم بين القصر الكبير ومدينة الرباط حيث تابع دراسته الفنية بالمعهد الوطني للموسيقى والرقص وحصل سنة 1969 على الجائزة الأولى في الصولفيج. واهتم - إلى جانب ذلك - بدراسة أصول الموسيقى الأندلسية وحفظ ميازينها، وكان في سبيل ذلك لا ينقطع عن مجالسة شيوخ هذا الفن أمثال المعلمين المرحومين محمد المجعدي وأحمد الوكيل بالرباط والحاج عبد الكريم الرايس بفاس، ومحمد العربي التمساني

الوطني التاسع للموسيقى الأندلسية - شفشاون - ماي 1994.

وساهم الرايسي في تأليف كتاب *مغرب الطاقات*، وعاش وهو يحمل بين ضلوعه الأمل في إحداث شعبة للتربية الموسيقية، وفي أن يخرج إلى الوجود مشروعه الرائد حول تجديد مناهج التعليم الموسيقي في المغرب.

لقد عانى محمد الرايسي لسنوات طويلة من اختناق في شرايين القلب، وبعد صراع مرير مع المرض أسلم روحه للخالق تعالى يوم الأربعاء 21 شعبان عام 1417/ فاتح يناير 1997 بالقصر الكبير.

وثائق خاصة ومعلومات شخصية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

البرهبي المتوفى عام 1663 / 1944 ، والفنان احبيبي اميركو المتوفى عام 1382 / 62 . 1963 ، والفنان عبد السلام الحياطي المتوفى عام 1316 / 98 . 1899 والشريف مولاي أحمد الوزاني المتوفى بطنجة عام 1965 ، والمرحوم التنازي ليزور المتوفى عام 1403 / 1983 ، والفنان المرحوم الحاج عبد الكريم الرايس المتوفى بفاس عام 1417 / 1996 .  
يجري العزف على الرباب في صورته معاً بواسطة قوس ذي خيوط من وبر وشكل نصف دائري.

د. الحفني محمود، علم الآلات الموسيقية، ص. 219 : ع. العزيز ابن عبد الجليل، الموسيقى الأندلسية المغربية فنون الأداء، سلسلة عالم المعرفة، 1989، ص. 244 - 246 ؛ معجم مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ص. 26، الرباط، 1992.

عبد العزيز بن عبد الجليل

## الرباب (سمك) ← البج

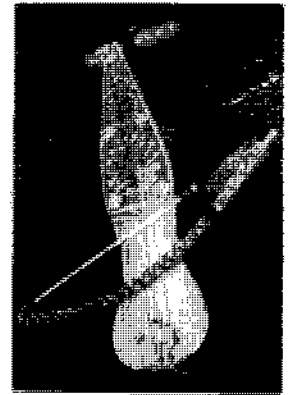
**الرباط (مصطلح) :** ترد كلمة رباط عند دارسي الآثار الإسلامية، كلفظ تقني للدلالة على بنايات ظهرت وارتبطت بالثغور المواجهة لغير المسلمين، كانت بمثابة نقط حساسة أو ينظر إليها كأماكن على الحدود قد يتسرب منها برأ أو بحراً، الخطر المحذوق بالديبار الإسلامية، خصوصاً في بداية الدولة الإسلامية، وطيلة قرون انتشار الدين الحنيف. وبهذا المعنى وما يحيط به وردت الكلمة في لسان العرب حيث نجد أن الرباط هو "ملازمة ثغر العدو" وأنه "في الأصل الإقامة على جهاد العدو بالحرب، وارتباط الخيل وإعدادها" (ابن منظور، لسان، ج. 7، حرف الطاء، ص. 302). وبهذا يكون اللفظ قد أحاط بالمكان أو الإقامة، وبغرض الجهاد والعدة التي تعد له. وما يهمنا نحن هو مكان الإقامة تلك.

لقد أطلق الاسم في بداية أمره على نوع من البنايات العسكرية، لم يكن لها بالضرورة تصميم موحد، ولا عناصر معمارية خاصة، ولا حتى مجال طبيعي مميز، اللهم إلا ما تعلق بالوظيفة (الجهاد والدفاع ورد الخطر) والمواجهة (الثغر). فكل معسكر محصن يرباط به المجاهدون والمتطوعة الذين يهبون أنفسهم للجهاد في سبيل الله دفاعاً عن دينه ونشره، هو رباط. لكن اللفظ دلّ كذلك وفي مناطق من بلاد الإسلام، كبلاد فارس مثلاً، على الحانقات المحصنة التي انتشرت خارج المدن على طول الطرق التجارية، كما أطلق على بعض المآوي التي كان العباد والمتصوفة يختلون بها للتعبد داخل المدن وخارجها، والتي انتشرت خاصة منذ القرن السادس (12 م).

انتشرت الرباطات بمفهومها العسكري، وتعددت باتساع رقعة الدولة الإسلامية عند كل خط فاصل بينها وبين ما

**الرباب**، من الآلات الوترية شاع استعماله في سائر البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً. انتقل إلى المغرب والأندلس مع الفتح الإسلامي، ثم شق طريقه إلى البلاد الأروبية تحت اسم الريبك Rebec منذ القرن الخامس (11 م)، فاستخدمته فرق المينستريل المتجولة والبهلوانيون (Les Menestrels et les jongleurs) بثلاثة أوتار في مصاحبة أغانيها.

وقد ساهم الرباب العربي عن طريق الأندلس في ظهور آلة الفيولا (Viola) التي شكلت الصورة المتطورة لكل من الروبيلا (Rebella) والروبيك (Rubéc) بفرنسا، أو الروبيكا (Rubeca) بإيطاليا والتي لم تفتأ أن عرفت ضروباً من التعديلات انتهت إلى اتخاذ هيئة الكمان (Violon) ابتداء من القرن الحادي عشر (17 م).



الرباب

يستخدم الرباب في المغرب على صورتين :

- صورة الرباب ذي الوتر الواحد، ومجال استخدامه أغاني الروايس بسوس. ومن أشهر عازفيه المعاصرين الرايس الحاج بلعيد، والرايس الدمسيري.

- صورة الرباب ذي الوترين ومجال استخدامه أجواق الموسيقى الأندلسية. ومن أشهر عازفيه المعاصرين : عمر الجعيدي المتوفى عام 1371 / 1952 ، والفقير محمد



جاء نتيجة قرار من الخليفة نفسه، واعتمد الجمع ما بين وظيفة الجهاد ووظيفة الإقامة الأميرية بما تفرضه هذه الأخيرة من تجهيزات ومعالم رسمية وعمومية.

وإذا كان عبد المومن بن علي قد اختار لرباطه موقع رباط تاشفين المرابطي، الذي كان بدوره قد أخذ مكان رباط أقدم، وحصنه بأسوار قوية من جهة البر، وضمنه مرافق هامة كقصره الخلفي ومسجده العتيق، تاركا ما تبقى من الهكتارات الأربعة التي هي مساحة الرباط لحاشيته وجيشه، فإن حفيده أبا يوسف يعقوب المنصور عمد إلى إنشاء رباطه في شكل معسكر شاسع الأطراف (418 هكتارا) محاط بأسوار منيعة عظيمة، تتوسطه منشآت مختلفة، أهمها على الإطلاق جامع حسان ومنارته الشهيرة.

ويبقى رباط الفتح هذا، كما تدل على ذلك كلمة "الفتح" التي ارتبطت به، رباطا مواجهها لغير المسلمين، لكن ليس على نقطة تماس الديار الإسلامية بما دونها، وإنما على موضع استراتيجي يتوسط خارطة الامبراطورية الموحدية، ويطل على المحيط كنقطة انطلاق الفيلق والجيش في حركة يراود منها نصرة الإسلام والمسلمين بالأندلس.

أ. البكري، المسالك والممالك، باريس، 1965؛ أ. البيدق، أخبار

المهدي؛ ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، بيروت، 1979؛

الإدرسي، نزهة، بيروت، 1989؛ ع. الرحمن ابن خلدون، العبر؛

المراكشي، المغرب؛ مجهول، الاستبصار؛ اليعقوبي، البلدان.

J. Caille, *Rabat des origines à 1912* ; G. Marçais, *Architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954 ; J. Cheikha, *Les ribats d'après les livres des Tabaqat, La Rapita islamica : Historia Institucional I altres Estudis Regionals. I Congrés de les Rapites de l'Estat Espanyol (7 - 10 sept. 1989)*, 1993, pp. 187 - 190 ; G.S. Colin, *Massa, E.I.*, V. pp. 773 - 774 ; V.J. Cornell, *Ribat Tit-n-Fitr and the origine of Moroccan Maraboutism, Islamic Studies*, XXVII, 1988, pp. 23 - 36 ; P. Cressuer, *De un ribat. a otro. Una hipotesis sobre los ribat-s del Magrib al-Aqsa (siglo IX - incios siglo XI)*, à paraître ; H. Ferhat, *Littérature eschatologique et espace sacré au Maroc : le cas de Massa, Studia Islamica*, 80, 1994, pp. 47 - 56 ; G. Marçais, *Note sur le ribat en Berberie, Mélanges d'Histoire et d'Archéologie de l'Occident musulman*, I, 1957, pp. 23 - 36 ; M. Marin, *El Ribat en al-Andalus y en Norte de Africa, en la Rapita Islamica : Historia Institucional, altres Estudis Regionals. I. Congrés de les Rapites de l'Estat Espanyol (7 - 10 Sep. 1986)*, San Carles de la Rapita, 1993, pp. 121 - 130 ; B. Rosenberger, *Note sur Kouz, un ancien port à l'embouchure de l'oued Tensift, H.T.*, VIII, pp. 23 - 66 ; L. Torrès Balbas, *Ribatas hispano-musulmanas, Al-Andalus*, XIII, pp. 475 - 491.

عبد العزيز توري

\* \* عرف المغرب الرُّبُط مع الفتح الإسلامي، وورد ذكر "رباط ماسة" بالسوس الأقصى في أخبار الفاتح عقبة بن نافع وموسى بن نصير وإدريس الأول و "رباط شاعر" على

دونها من الدول المواجهة لها سواء كانت الخطوط برية داخلية أو ساحلية ؛ وتشير كتب الأخبار إلى أن الكثير منها ظهر أولاً على طول خط المواجهة مع الروم والبيزنطيين، ثم على طول خطوط المواجهة مع قبائل وتجمعات شمال إفريقيا والأندلس بعده. ويمتابة هذه الإشارات يتحدد تطور اتساع الدولة الإسلامية وتتجلى مراحلها، انسياقا مع تغلغل الدعوة وتثبيتها في كل الجهات التي قصدتها.

إلا أن الأغلبية الساحقة من رباطات الشرق الإسلامي انقرضت اليوم ولم يبق لها أثر يدل على نوعية بنائها ولا الأشكال الهندسية التي امتازت بها، وهو عكس ما نجده ببلاد الغرب الإسلامي، وإن كانت الرباطات الكثيرة فيها قد اختفت بدورها. ذلك أن بلاد المغرب الكبير احتفظت وخاصة في قسمها التونسي، برباطات مهمة، أشهرها رباط سوسة الذي شيد سنة 171 / 788 م ورباط المنستير الذي بني سنة 180 / 796 م، تعكس عمارتهما ما وصل إليه هذا النوع من التشييدات الإسلامية من تطور في بنيتها ومكوناتها.

أما المغرب الأقصى فقد عرف ظهور الرباطات مع قدوم الفاتحين ؛ ومن أول هذه الربط رباط شاعر، على وادي تانسيفت غربي مدينة آسفي في مواجهة مبتدعي برغواطة.

وتعود أولى الإشارات للربط المغربية إلى نهاية القرن الثالث (9 م) وهي التي نجدها عند المسعودي في ذكره لرباط ماسة الذي يظهر أنه كان مكانا للتعبد والتبادل الاقتصادي. بعد ذلك نجد ابن حوقل في القرن الرابع (10م) يذكر رباط سلا المنتصب في مواجهة مبتدعي برغواطة، كما كان الشأن لرباط شاعر السالف الذكر.

لكن ذكر الربط بتفاصيل أكثر نجده عند البكري الذي يذكر رباطات أصيلا، والعراش، وأكوز، ونكور، وتيط مشيرا في غير ما مكان إلى طبيعتها ومواطن الشبه فيها من كونها على الخصوص كلها نقط لقاء للتبادل التجاري في شكل سوق أو موسم، وموضع يتوسطه مسجد أو رباطة وهما الدالان على وظيفة العبادة والتعبد، وكون أغلبها لم يعرف تحصينات في البداية وإنما عرفها لاحقا (كما هو الشأن بالنسبة لأصيلا أو رباط الفتح)، وكونها أخيرا أساسا لظهور مدن بموقعها أو حوالها.

ومما يؤسف له كون الرباطات المغربية الأولى وخاصة تلك التي كانت وظيفتها الأساسية الجهاد، اندثرت كلية أو تغيرت تصاميمها ومكوناتها تغييرا جذريا أو حلت محلها منشآت أخرى. ولذلك لا تتوفر في المغرب على مثال يعرفنا بعمارة الربط - إن كانت لها عمارة خاصة - في بداية عهودها وحتى في مختلف عصورها اللاحقة.

ويعتبر رباط الفتح، أصل مدينة الرباط الحالية، بقسميه "قصبة الأوداية" و"المعسكر - المدينة" الذي أنشئ بمحاداتها، نموذجا فريدا ومتميزا يمكن أن نرى فيه صورة مكتملة للرباط، بمقاييس جديدة. فهو إنجاز رسمي مخزني،

ضفة وادي نفيس بحوز مراكش، وهو مدفن المجاهد العربي شاکر من أصحاب عقبة، تخلف عن الجيش ليعلم الناس القرآن وأمور دينهم. ويُذكر أن الذي بنى هذا الرباط هو يعلى بن مصلين أحد رجال رگراگة السبعة الذين يقال إنهم وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وأسلموا ورجعوا إلى بلادهم دعاة للدين الحنيف.

كان يعلى الرگراگي يقيم بهذا الرباط لقتال البرغواطيين في تامسنا، ثم صار رباط شاکر مجعماً للصالحين ولا سيما في رمضان يفدون إليه من كل حذب كما أقيم رباط آخر في شمال تامسنا على الضفة اليسرى لنهر أبي رقراق لقتال البرغواطيين. وكانت مدينة سلا القديمة قد خربت في أوائل القرن الرابع (10 م) "والناس يسكنون ويرابطون برباط وريما اجتمع في هذا المكان من المرابطین مائة ألف إنسان يزيدون وينقصون ورباطهم على برغواطية" (المسالك والممالك) هذا الرباط الذي يتحدث عنه ابن حوقل هو الذي وسعه الموحدون في القرن السابع (13 م) وجعلوا منه مدينة كبيرة سموها "رباط الفتح". وتكاثر الرباط في المغرب لا سيما على السواحل حتى أصبحت تعد بالعشرات.

وخص الخطيب ابن مرزوق (ت. 781 / 1379) الباب التاسع والثلاثين من كتابه المسند الصحيح الحسن للكلام على الرباط التي أنشأها السلطان أبو الحسن المريني على السواحل المغربية والجزائرية لمداغعة القراصنة الأوربيين الذين كانوا كثيراً ما يهاجمون هذه السواحل ويختطفون من يباغثونه من السكان ليستعيدوهم في بلادهم، فكانت هذه الرباط التي أنشأها أبو الحسن الممتدة من أسفي إلى أول بلاد إفريقية تونس "إذا وقعت النيران في أعلاها تتصل في الليلة الواحدة أو في بعض ليلة. وذلك في مسافة تسير فيها القوافل نحواً من شهرين، وفي كل محرس منها رجال مرتبون نظار وطلاع يكشفون البحر فلا تظهر في البحر قطعة تقصد ساحل بلاد المسلمين إلا والتنير يبدو في المحارس فأمنت السواحل في أيامه السعيدة...".

وقد سمي الرباط أولاً "رابطة"، كرابطة عبد الله بن ياسين في إحدى الجزر الساحلية بأقصى الجنوب المغربي وذكر يوسف ابن الزيات التادلي في التشوف (ت. 1627 / 1230) أحد عشر رباطاً وتسع رابطات أكثر أسمائها أمازيغي مثل "رباط تيطنظطر" : عين الفطر على ساحل المحيط الأطلسي جنوبي مدينة الجديدة ؛ و"رباط تينمل" بالأطلس الكبير الذي هو دار المهدي ابن تومرت، و"رباط تأنوتن" في بلاد دكالة، و"رباط ياسماطت" في ضواحي مراكش و"رابطة أنبدور" خارج سجلماسة، و"رابطة تامنغاطت" بالقرب من ساحل أنفا الدار البيضاء.

لم يقتصر تأسيس الرباط على عمل الدولة، وإنما شارك فيه صالحو المومنين، مثل "رباط أبي داوود" على البحر المتوسط بالقرب من الحسيمة الذي بناه الشيخ أبو داوود

مزاحم بن علي بن جعفر البطيوي التمساني (ت. 578 / 1182م) من مريني أبي مدين الغرث. وكان مكان هذا الرباط مخوفاً اعتاد القراصنة المسيحيون أن يهاجمونه من حين لآخر ويسترقوا من أمكنهم اشتراقه من الرجال والنساء والصبيان. وقد رباط فيه الشيخ ثم أبناؤه وأحفاده ومريدوه ومازال قائماً حتى اليوم معدوداً من المزارات المقصودة. وكرباط الشيخ أبي محمد صالح ابن بنصان الدكالي الماگري (ت. 632 / 1234) بناه خارج مدينة أسفي (أصبح اليوم داخل الأسوار بعد اتساع عمران المدينة). وكان الشيخ يدعو الناس إلى الحج ويحثهم عليه، بعد أن أفتى بعض الفقهاء بسقوط الحج عن المغاربة والأندلسيين لعدم سلامة الطريق، وقد صار رباط أسفي ملتقى الحاج، إضافة إلى المجاهدين والعباد. وقد حج أبو محمد صالح وأسس مراكز على طول طريق ركب الحاج إلى القاهرة والأسكندرية، كانت كفروع لرباط أسفي تستقبل الحاج وتأخذ بأيديهم وتذل لهم الصعوبات المادية ولدى الحكام والرؤساء.

ولما تطورت وسائل الدفاع في العصر الحديث تضاعف أمر الرباط وقلت العناية بها، ولم يصمد منها لعوادي الزمن أو يجدد إلا القليل.

م. ابن حوقل، المسالك والممالك، ليدن، 1873 : ي. ابن الزيات، التشوف، تح. أ. التوفيق، ط 2، الدار البيضاء، 1984 : م. ابن مرزوق الخطيب، المسند الصحيح الحسن، تح. م. خ بيغيرا، الجزائر، 1981 : ع. الحق البادسي، المقصد الشريف، الرباط، 1982 : م. ابن علي الدكالي، تنقيح في الرباطات، مخطوط : أ. الماگري، المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي صالح، القاهرة، 1932.

محمد حجي

**الرباط،** (جغرافيا) عاصمة المملكة المغربية، نموذج حي للعواصم التي تزخر بتراث تاريخي فريد، ومشاهد طبيعية نفيسة، ونشاط اقتصادي حقيقي ومتنوع. وتحظى إلى جانب ذلك بتجهيزات حضرية متوازنة نسبياً. كما أن لها وزناً سياسياً ودوراً اقتصادياً متميزاً.

مدينة الرباط جزء من المجموعة الحضرية التي تتكون من الرباط، وسلا وتقارة، وجزء من الجهة : الرباط، سلا زمور زعيمير. وهي تتألف من خمس جماعات حضرية هي حسان، أگدال - الرياض، اليوسفية ويعقوب المنصور وتوارگة. وتغطي المدينة مساحة 146 كلم، محدودة شمالاً بسلا، وجنوباً بتمارة.

ساكنة المدينة حسب إحصاء 1994، 623.457 ساكناً، بينما كانت لا تمثل سوى 227.445 نسمة سنة 1960. إلا أن وتيرة نمو المدينة تضاعفت منذ السبعينيات (1.42٪ سنوياً خلال المدة 82، 94).

وقد عرفت المدينة بعض التحسن في توفر السكن، رغم

الاحتفاظ بتفاوتات هامة بين الأحياء. ويشير حجم الأسر إلى هذا التفاوت حيث حجم الأسرة في اليوسفية ويعقوب المنصور بين 5 و8 فرداً، ومقداره 4.4 نسمة في حي أكدال - الرياض. وهذا يبين بكل وضوح التفاوت الاقتصادي والاجتماعي بين جماعات المدينة.

وقتل الجماعات الحضرية نسبيا مختلفة من ساكنة المدينة : 24٪ في جماعة الرباط - حسان، 12٪ في أكدال الرياض و1٪ في تواركة. وتستأثر اليوسفية ويعقوب المنصور بالتساوي بما قدره 63٪ من ساكنة المدينة.

وتتميز كثافة السكان بارتفاعها عامة (4270 ن / كلم<sup>2</sup>)، وخاصة في جماعة الرباط - حسان (19400 ن / كم<sup>2</sup>). وفي هذا الضغط المجالي تكمن صعوبة تطهير المدينة ومشاكل تدهور المباني.

ويمتاز تجهيز المدينة بجودة نسبية مقارنة مع باقي مدن البلاد : فراش استشفاء واحد بالنسبة لكل 177 نسمة، وطبيب لكل 660 ساكنا، كما تتميز بتجهيز مدرسي يفوق المتوسط الوطني.

لقد توارت في الرباط المخططات والمشاريع، إلا أن تلك العمليات كثيرا ما واجهتها ضغوطات من أصل قانوني وعقاري وعوائق سياسية واقتصادية الشيء الذي حال دون تحقيقها، والمطلوب تنمية عاصمة المملكة من أجل رفعها إلى مستوى عواصم العالم بعد تخطي العقبات والتناقضات عبر تحكيم نزيه يتلاقى التجربة المعهودة إلى الآن، ويخطط العمليات بشكل شمولي مع تهيء كل الضروريات اللازمة من أجل تحقيقها على أساس برنامج دقيق في الزمان والمكان.

هناك عدة عمليات إعداد حضرية، تمت برمجتها منذ القديم، لكن لم تنفذ ومن اللازم بعثها، ومعالجتها بطريقة جديدة من أجل تحقيقها. فلقد تم وضع التصميم المديرى للأعداد الحضري سنة 1987، ذلك التصميم الذي يعتمد على فكرة التنمية الحظية على طول الساحل وداخل المجالات الوحيدة التي مازالت متوفرة في هضبة عكراش وحي الرياض. من بين المقترحات مشروع ترميم المدينة العتيقة وإعداد الكرنيش الساحلي، وضاف وادي بورقراق، وتهينة شارع النصر وحي لعلو وشارع الحسن الثاني وأحياء حدائق الأودية، وتأهيل حي الأودية ليصبح بمثابة متحف حي وإعادة هيكلة مساحة السوق المركزي.

وتحتوي المدينة العتيقة على تراث تاريخي وهندسي من الواجب ترميمه وحمايته مع تهيء للأنشطة التي ستسمح مداخلها من استثماره وتطويره.

وتبقى المدينة العتيقة مركز استقطاب وإشعاع وذلك عبر تجهيزاتها الخاصة ونشاطها التجاري المتنوع ووظائفها المتعددة، إلا أنها تعيش وضع اكتظاظ سكاني وتفكير اجتماعي وتدهور للمباني على منوال ما تعرفه كثير من المدن العتيقة المغربية (بلفقيه وفضل الله، 1986). هذا

الوضع المتردي يتوجب تدخلا جريئا من أجل تخفيف الكثافة في السكن ومن أجل إعادة التأهيل بالنسبة للمباني في إطار تصميم هندسي يحدد الموقع التي تحتله المسالك الرئيسية (مثل شارع السويقة - والقناصل وسيدي فاتح ويوقرون) كمواقع استقبال لوظائف خاصة تستدعي تجهيزات متكيفة. وتؤدي هذه المسالك إلى أبواب المدينة تعالج بشكل متميز مع تنظيم للمرور ولواقف السيارات.

أما السكن غير المنتظم (مثل دور الصفيح والأحياء الهامشية) فهو يمثل أسبقية تتطلب معالجة سريعة من أجل حل هذه المعضلة الحضرية والاجتماعية. ذلك أن الوضع الرديء لهذا السكن الاقتصادي يلزم بالقيام بعمليات تهدف إلى التجديد العقاري والهندسي، وهي عمليات تتمثل في تحويل السكان وإعداد الأحياء والمباني الشيء الذي يتطلب توفير قاعدة عقارية غير موجودة حاليا، مما يقتضي العمل على التخفيف من المضاربات العقارية ومنع احتجاز الأراضي وخلق الظروف لتسهيل عمليات التشييد السكني. وهذا يعني كذلك تجديدا في الأنماط الهندسية وتنوع أشكالها كما يتطلب العمل على تلافي الزيادة المفرطة في كثافة السكن وذلك بمنع الإضافات غير المبرمجة للطوابق الجديدة في المباني وتجنب التحول غير المخطط للسكان الفردية "قيلات - أو دور أرضية" إلى مساكن جماعية من نوع العمارات.

وتتميز مدينة الرباط بنسبة نشاط مرتفعة بالرغم من أنها تشكو من نوع من التأخير في نمو وظيفتها الاقتصادية والسياحية. فإلى جانب هاتين الوظيفتين، تلعب الصناعة التقليدية والقطاع الإداري والسياسي والدبلوماسية الدور الأساسي الذي تبنى عليه قواعد النمو الاقتصادي المستمر.

أما تجهيزات المدينة من وسائل عصرية للنقل وتصريف صحي متكامل للوسائل والأزبال، ومن مساحات خضراء فهي تتطلب إعادة هيكلة شمولية للرفع بها إلى مستوى عاصمة للمملكة.

ومن بين الميادين التي يجب الاهتمام بها أحياء المقترحات الشجاعة التي هيأت تصميميا مجددا لهيكلية المركز وذلك بتخفيف كثافة السير وخلق أزقة خاصة بالراجلين وإعادة تشكيل ملتقيات الطرق واستعمال أدوات جديدة مثل السكة الحديدية أو المترو مع إيجاد الحلول اللازمة لمواقف السيارات.

وتتطلب تنمية العاصمة تخطي الوضع الحالي والمخصص في ميدان جمع ومعالجة النفايات، والصرف الصحي، مما يترتب عنه تدهور مواقع متعددة على طول وادي بورقراق وعلى الخط الساحلي. هذا يقتضي إيجاد حلول هادفة تمر عبر تحقيق توصيات وبرامج المخطط المديرى للتصريف ومعالجة المياه وذلك بإقامة محطة لتنقية السوائل في موقع بعيد نسبيا عن المباني رغم العوائق والصعوبات التي حالت حتى الآن دون ذلك.

إعادة هيكلة المجال الساحلي من أجل إقامة أنشطة سياحية وترفيهية.

ذلك أن إمكانيات الاستثمار الساحلي في هذا المجال المكتظ تبقى محدودة، بسبب التوجهات غير الموقفة للأعداد في السابق، وتبقى الكثير من الأحياء تشكو من رداءة السكن بها وكثافته المفرطة، الشيء الذي ينتج عنه تشويه في المنظر، إضافة إلى تراكم غير منظم للأزبال المنزلية وكسارات البناء، تستدعي مصاريف باهضة من أجل تهيئتها.

وتعرف البيئة الساحلية العديد من مظاهر التدهور :

- الإلقاء المباشر لمجاري المياه المستعملة يساهم في تلوث الساحل القريب، بل كذلك سواحل جنوب العاصمة. وهكذا فإن مياه الساحل، من مصب بورقراق حتى الهرهورة، تشكو من تسممها وارتفاع نسبة تلوثها البيولوجي، وتمتد هذه الآثار جنوبا في الأوقات التي ينشط فيها التيار الساحلي، مما يهدد الشواطئ الأهلة صيفا، مثل شاطئ تمارة والرمال الذهبية، وسهب الذهب. إلا أن أخطر أوضاع التلوث تضمنها الخلدجان الصخرية الصغيرة لحي يعقوب المنصور، التي تمثل حقا خطرا صحيا فائقا، بسبب قربها من مخارج مجاري المياه، وبسبب الاستقرار النسبي للماء في حوضات صغيرة، يستعملها أطفال هذه الأحياء كمساحب طبيعية.

- يساهم السكن المكتظ وغير اللائق في تشويه مشهد عديد من المواقع الطبيعية الفريدة. وتعمل السلطات والمجالس الحضرية مجهودات عديدة لإصلاح هذا الوضع. وذلك بسن مخطط عمراني وتصاميم تهيئة من جهة، واقتراح برنامج للصرف الصحي وتطهير السوائل من جهة أخرى. ويستخلص بأن الساحل لم يمثل مركز اهتمام ولا عنصرا أساسيا في اختيارات التخطيط والبرمجة العمرانية للمدينة، وذلك منذ بداية التخطيط أي منذ التعمير الفرنسي. ولذا نجد المجال الساحلي النادر، يهدر من طرف السكن القار، والبيئة الساحلية تتدهور نتيجة التلوث.

لذا فإن التهيئة العقلانية تقتضي حلولا سريعة ومدمجة، تقوم على أساس تحديد دقيق للمجال العمومي الذي تستحيل خصوصته، والنوافذ الطبيعية التي يجب الحفاظ عليها، وكذا على التدبير الجيد لشبكة التطهير السائل ومعالجة مياه المجاري قبل إلقتها في البحر. كما يتطلب ادماج العنصر الساحلي ضمن مشاريع العمران، بتلافي السكن الدائم في مواقع السياحة، والتشييد الثقيل والعشوائي في مجالات يجب أن تحافظ على طابعها كمواقع استجمام ورياضة لفائدة الجميع.

يمثل مصب بورقراق مجالا مشتركا بين الحاضرتين المتجاورتين، الرباط وسلا. وهو مجال يتميز بغناه البيولوجي، وتنوع مظاهره الطبيعية وقاعدة يمكن أن

كما يجب مراجعة الوضع الحالي الذي يتميز بالتجزؤ المتناهي للمباني الإدارية والوحدات الجامعية، وجمع شمل هذه المؤسسات وتنظيمها ضمن أحياء مخصصة، منها الحي الإداري الموروث عن مرحلة التعمير الأوربي، وكذلك أحياء مجهزة بوسائل النقل مثل حي الرياض. أما تكاثر المصالح الإدارية في عمارات حي أكدال وسط بنايات مخصصة للسكن، فهو يطرح مشاكل كثيرة أمام النقل، بسبب ضيق الأزقة، وعدم إعداد مواقف كافية للسيارات. وتتطلب جامعة محمد الخامس، المجزأة حاليا إلى كليات مركزية ومرافق ملحقة بها بحي السويسي، إعادة التنظيم ضمن حرم جامعي موحد، وذلك على أساس استثمارات هامة ترفع الجامعة المغربية إلى مستوى عصري.

وتتضمن مدينة الرباط مشاهد ومواقع طبيعية من مستوى رفيع، من الواجب الحفاظ عليها واستثمارها. فعلى الساحل توجد الكثير من المواقع المتميزة بمناظرها الفريدة، والواجب، اعتمادا على دراسات دقيقة، العمل على استثمار البعض منها، وبالنسبة للبعض الآخر، الحفاظ عليها في شكلها كرواشم لأصلها الطبيعي. ويجوار المدينة توجد غابات هامة وممتدة، منها غابة تمارة، وغابة سيدي يحي زعير، وغابة سيدي بطاش، وغابة كريفلة، وهي تختص بالتنوع النباتي وتميز مشاهدها، وتصلح للاستجمام، وبعضها للقتص، وتمثل على كل حال متنفسا رائعا بالنسبة للمدينة. والتخطيط الحضري مطالب باعتبار هذه الثروة النباتية والحفاظ عليها.

وفي هضبة الرباط، وكذا على طول وادي بورقراق، تم حفر مقالع في مواقع طبيعية نادرة، الشيء الذي كان السبب في ضياع جودة تلك المواقع وترتبت عنه مظاهر تلوث عديدة. والجدير بالذكر أن بعض هذه المقالع لم يحصل على الترخيص اللازم، بعد القيام بالدراسات اللازمة لإثبات مدى الخسارات البيئية المترتبة عن الاستغلال.

ولذا فإنه صار من اللازم تعميم هذه الدراسات القبلية، السابقة لأي فتح للمحاجر، وكذا تعميم مسطرة لإعادة تهيء المواقع وقت وبعد الانتهاء من استغلالها.

ويتقدم التمدين بخطى سريعة على طول الشريط الساحلي وتتسع معه الآثار السلبية الناجمة عن التلوث، من دون أن تنجح الاختيارات الأساسية لإعداد التراب من التخفيف من هذه السلبيات (بريان والعوينة، 1993).

أصلا يمكن القول بأن الوضع غير المضياف للساحل، الراجع إلى كثرة الأجراف الصخرية، وعنف الأمواج، كان السبب في عدم افتتاح المدينة عليه، ما عدا عند مصب بورقراق، لذا نجد المدينة العتيقة مفصولة عن البحر بمساحة من المقابر تكسو منحدرًا يظل على المحيط. وجنوب غرب المدينة القديمة، تكونت أحياء سكنية متواضعة في حي المحيط وحي العكاري ويعقوب المنصور. كما اتسعت في نفس المجال الأراضي العسكرية. كل هذا يجعل من الصعب

ينبني عليها التطور العمراني والبيئي، واستمراراً طبيعياً للمدينتين، تتمركز فيه بعض الأنشطة الخاصة.

إلا أنه حالياً مازال يشكو من الاختيارات السلبية التي نهجها العمر، وذلك بالسماح بامتداد أحياء هامشية على سفوح الوادي في حي اليوسفية، بينما كان من الواجب الحفاظ عليها كمواقع محمية من البناء، لما تمثله من تراث تاريخي (موقع شالة الفينيتقي) وبيئي. و حالياً، يستقبل الوادي العديد من أسباب التلوث، من مجاري المياه، وأزبال حضرية، وكسارات البناء ترمى تلقائياً من الأحياء المجاورة.

وقد ساهم تشييد سد سيدي محمد بن عبد الله على بعد 20 كلم من الساحل في تحول جذري للمصب، ذلك أنه، حتى ذلك التاريخ ظل المصب مجالاً صحياً، تنقيه مياه النهر، وقت الفيض وكذا مياه البحر خلال أقصى مراحل المد. وظلت التركيبة الاحيائية متنوعة. إلا أن بناء السد وتنامي المدينة، غير من هذه المعطيات، وذلك على إثر توقف ذاك التجابه الطبيعي بين مياه النهر ومياه البحر. فصار المصب ذراعاً بحرياً فقط، لا يعرف أبداً الفيض النهري إلا في حالات خاصة جداً. وارتفعت الملوحة، وتناقصت حركة المياه. الشيء الذي نتج عنه تفكير احيائي عدداً وتنوعاً. وأصاب التلوث ما تبقى من الأحياء، خاصة بعد تشييد حي صناعي على الضفاف في اليوسفية.

وهكذا نجد المصب، الذي كان قاعدة لنمو الحاضرة، يصبح مجالاً متخلى عنه، يتم الاحساس بأن أراضيه الرطبة مجال غير صالح يجب القضاء عليها، بتغطيتها بالترية وكسارات البناء، من أجل استغلالها. وهكذا نجد ذاك المجال الفريد، يتراجع يوماً بعد يوم، دون أن تبرز اختيارات واضحة فيما يخص التجهيز والاعداد، وذلك رغم أن هذا الوسط يمثل بالنسبة للمضاربين العقاريين والمقاولين، أرضاً خصبة للربح والاستثمار.

ومشروع بورقراق، الذي تم الحديث عنه منذ الستينات، إلى الآن لم ير الوجود، ولذا صار من اللازم تصور مشروع مندمج يبرمج لما سينجز منه على المدى القصير لكن دون إغفال النظرة الشمولية للمشروع على المدى الطويل، مع مراعاة ضرورة اشراك الحاضرتين المتجاورتين في هذا التصور وباعتبار لزوم جعل هذا المحور قاعدة لاتحادهما وازدهارهما. التنمية المتوازنة لمدينة الرباط، لا يمكن أن تكون هادفة إلا إذا راعت عدة اعتبارات متشابكة ومتداخلة، تخص منها:

- الانطلاق من منظور شامل يدمج داخله المظهر الحضري، الهندسي، البيئي، الاقتصادي، والاجتماعي.  
- الأخذ بعين الاعتبار الجانب المجالي المحيط بالعاصمة وذلك بما فيه المدن والأرياف القريبة، والتفاعلة معها.  
- الاعتماد على العقلنة واستمرارية الموارد المالية، ضمن اقتراحات إعداد حضري من أجل حماية البيئة والحفاظ على

التراث، وتكون في نفس الوقت اقتراحات طموحة ومجددة، لكن بإمكانيات معقولة.

- إشراك مختلف الفاعلين في المدينة، والتشاور معهم، والأخذ برأيهم، ويتلخص كل ذلك في مجموعة من العمليات التوافقية، ينخرط ويشارك ضمنها المجتمع بمنظور يهدف إلى إنجاح هذه العمليات واستمرارها.

م. بلفقيه وع. فضل الله، آليات وأشكال التوسع الحضري، حالة الرباط - سلا، مكتبة المعارف، الرباط، 1986 : م. بريان وع. العونية، تهنية الساحل وتطوره، منشورات اللجنة الوطنية للجغرافيا، 1993، 120 ص.

عبد الله العونية

\* \* أما تاريخ مدينة الرباط كمدينة عسكرية وحاضرة وعاصمة، فإن سر هذه الوظائف الثلاث يكمن في الأدوار الهامة والبارزة التي لعبتها هذه المدينة عبر المراحل التاريخية المختلفة، الممتدة من تأسيسها على مصب نهر أبي رقرق إلى اليوم. ويعزى هذا التعدد في الوظائف إلى عنصرين أساسيين : أولهما موقعها الإستراتيجي الهام، بحيث إنها تتوسط المغرب الأقصى على الطريق الساحلي. وعلى مصب نهر أبي رقرق عند المحيط الأطلسي. أما العنصر الثاني فهو توفر منطقة مصب نهر أبي رقرق على ثروات طبيعية غنية ومتنوعة (وفرة المياه، الغابات - الرعي - المجال الزراعي الخصب - الثروة السمكية - المعادن ...).

ورغم التاريخ العمراني الطويل والمहाفل الذي عرفته مدينة مصب نهر أبي رقرق قبل الفترة الموحدية والمتمثل في المدينة الرومانية سلا وشالة "Sala"، والرباط المرابطي - المعروف في المصادر برباط تاشفين أو رباط بني تركة - فإن الحاضرة الموحدية رباط الفتح، لم تر النور إلا خلال النصف الثاني من القرن السادس (12 م). حيث إن هذه المدينة الموحدية احتضنت داخل أسوارها العظيمة المجالات الحضريّة الإسلامية - التي سبقتها في المنطقة.

ويوحي اسم المدينة - رباط الفتح - بدورها العسكري المطبوع بالطابع الديني. فكلمة رباط تطلق على مكان التقاء وتجمع المجاهدين المتوجهين إلى الأندلس، قصد إيقاف المد الإيبيري.

وعن دور الحاضرة كانت الغاية منه هي إثبات الذات، وإبراز العبقرية الهندسية في تأسيس الخواضر، والتخطيط على غرار الإرث الحضري والحضاري الذي ورثه الموحدون، سواء بالمغرب الأقصى كفاس الإدريسية ومراكش المرابطية، أو بالمدن الأموية كقرطبة وإشبيلية وطليطلة وسرقسطة بالأندلس.

وفيما يخص العاصمة فقد اتخذ الموحدون عاصمة المرابطين مراكش قاعدة لحكمهم، واتخذوا من إشبيلية عاصمة ثانية لامبراطوريتهم. ونظراً للتباعد الجغرافي

بين ضفتي المدينة إلى جانب الجسر الأول - الذي تعرض للهدم - والذي بناه والده (المن بالإمامة، ص. 449).

وعن نفس منجزات الخليفة يوسف يتحدث صاحب كتاب الاستبصار في إشارة مقتضبة قائلاً: "وأمر الخليفة أبو يعقوب ببناء مدينة كبيرة متصلة بالقصبة التي أحدثها الإمام أمير المؤمنين..." (الاستبصار، ص. 127). وأكد المراكشي في كتابه المعجب ما جاء عند ابن صاحب الصلاة وما ورد في كتاب الاستبصار، وذلك بخصوص مراحل تأسيس مدينة رباط الفتح الموحدية قائلاً: "ثم شرع في بنيان المدينة العظيمة وكان أبو يعقوب هو الذي اختطها ورسم حدودها وأبتدأ بنيانها" (المعجب، ص. 384).

ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الثالثة والأخيرة لتأسيس مدينة رباط الفتح التي تواكب عهد خلافة يعقوب المنصور الموحد، ثالث الخلفاء الموحدين. وعن منجزات هذا الأخير يقول المراكشي: "فشرع أبو يوسف كما ذكرنا في بنيانها إلى أن أتم سورها وبنى فيها مسجداً كبير المساحة..."

لكن بعد وفاة يعقوب المنصور، عرفت مدينة رباط الفتح تراجعاً حضرياً ملموساً، وتوقفت أهم أورشها العمومية، وخاصة بعد سنة 8 / 609، إثر انهزام الموحدين في معركة العقاب بالأندلس. وبما أن بناء مدينة رباط الفتح، كما ذكرنا سابقاً، مرتبط بحركة الجهاد في الأندلس، فإن انتهاء هذه الحركة جعلها تفقد أهميتها الاستراتيجية بالنسبة للدولة الموحدية. فانعكس ذلك سلباً على المجالات العمرانية والاقتصادية والاجتماعية بالمدينة.

وعلى الرغم من المحاولات التي بذلها بعض الخلفاء الموحدين الرامية إلى إنقاذ رباط الفتح من هذه الانتكاسة، فإنها باءت بالفشل جميعها. ونذكر من أهم هذه المحاولات إصدار الخليفة الرشيد للظهير المؤرخ في 21 شعبان 637 / 17 مارس 1240، القاضي بإزالة الجاليات الأندلسية المهاجرة قصد الاستقرار برباط الفتح وتعميرها. (م. الإسكريال، 520 ورقة 116).

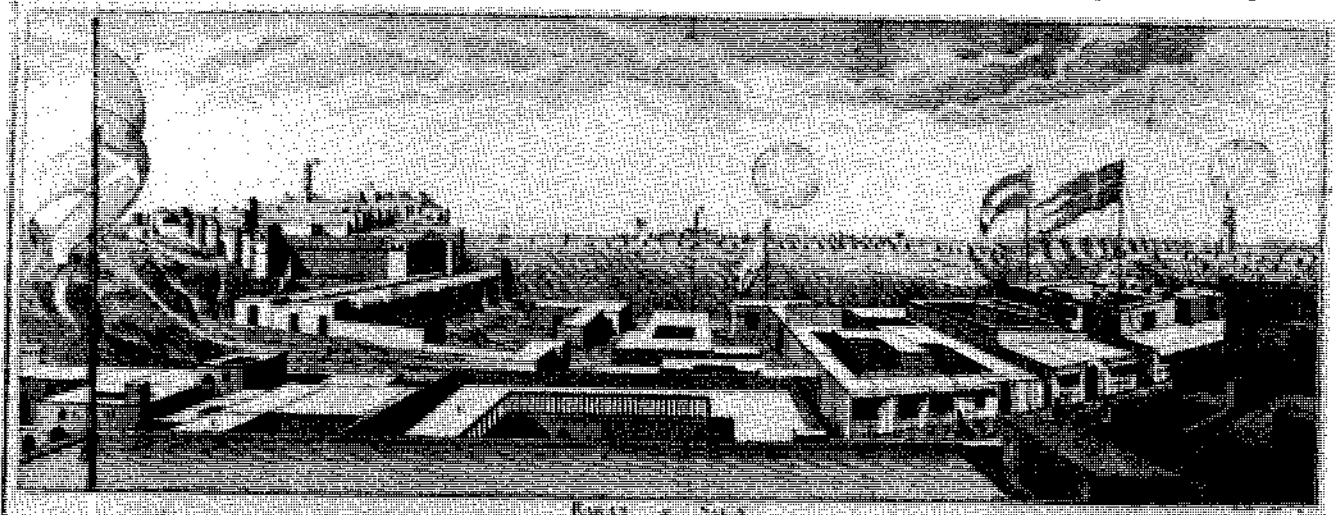
الكبير بين العاصمتين مراكش وإشبيلية من جهة، ووجودهما بالنطاق القاري من جهة ثانية أوجبت الضرورة اختيار عاصمة ثالثة للربط بينهما. فوقع الاختيار على مصب نهر أبي رقراق لموقعه الاستراتيجي البالغ الأهمية، ولوقوعه على الساحل الأطلسي. فقرر الخلفاء الموحدون الثلاثة الأوائل، وأولهم عبد المؤمن تأسيس عاصمتهم الثالثة رباط الفتح على مصب نهر أبي رقراق.

وقد زدوتنا المصادر الموحدية - التي عاصرت تأسيس مدينة رباط الفتح - بأدق المعلومات حول المدة التي استغرقتها بناء مقوماتها الحضرية الرئيسية، وعن مراحل التأسيس المتتالية التي استمرت زهاء نصف قرن (545 / 593 / 1196).

مواكبة لفترة حكم الخلفاء الثلاثة الموحدين الأوائل (عبد المؤمن ويوسف ويعقوب المنصور). كما ذكرت المصادر أيضاً أو صافاً دقيقة لأنواع البنيات الموحدية، ومواد بنائها من أسوار وأبواب وقناطر وسقايات وحمامات وصهاريج وقناة مائية ومساجد وقيساريات ومدارس وقصور ودور السكن...

أخبرنا ابن صاحب الصلاة أن الخليفة الموحد عبد المؤمن لما وصل إلى سلا عام (545 / 1150)، أمر ببناء قصبة المهديّة وزودها بقناة مائية "عين غبولة" (المن بالإمامة، ص. 446 - 447)، بعد أن هدم أسوار رباط تاشفين المرابطي، وأقام قصبته المذكورة على أنقاضه. كما ذهب ابن خلدون إلى أن الخليفة عبد المؤمن قام بهدم أسوار مدينة سلا الزناتية، التي كانت تقع على الضفة الشمالية لمصب نهر أبي رقراق، ثم أعاد بنائها من جديد باستثناء الواجهة النهرية. (العبر، ج. 2، ص. 180).

وجاء بعده الخليفة الموحد الثاني يوسف فشرع في بناء أسوار المجال الحضري الجديد بالضفة الجنوبية من جهة الجوف والغرب. كما قام بإصلاح قناة عين غبولة التي بناها أبوه. وبنى بداخل قصبة المهديّة صهريجاً لجمع الماء وتوزيعه على السقايات وباقي المرافق العمومية. وبنى جسراً للرباط



وإبان العصر المريني عرفت مدينة رباط الفتح الموحدية خللاً كبيراً في تصميمها العام، بسبب محاولات السلاطين المرينيين الهادفة إلى طمس معالمها، وخاصة الموجود منها بقصبة المهديّة، وبالمجال الحضري الموحدى الجديد الواقع بالضفة الجنوبية. حيث تم التركيز على الضفة الشمالية، فأحاطها السلطان يعقوب بن عبد الحق بسور على الواجهة النهرية سنة 1260، إثر هجوم القشتاليين على مدينة سلا. وقام كل من أبي الحسن وأبي عنان ببناء عدة منشآت في هذه المدينة أهمها : المدرسة المرينية المحاذية للمسجد الجامع، وقناة عين بركة، والمدرسة البوعنانية التي تعرف اليوم بفندق أسكور. ودار الصناعة ببابها الشهير (باب المرسة)، وزاوية النساك ...

وخلافاً للعناية التمييزية التي حظيت بها الضفة الشمالية، فإن المآثر المرينية بمدينة رباط الفتح الموحدية بالضفة الجنوبية، تعد على رؤوس الأصابع ؛ كالحمام الجديد أو حمام لعلو، وهو من مخلفات أبي عنان، والمارستان العزيزي، للسلطان عبد العزيز المريني، وسقايته المشهورة باسمه أيضاً والمجاورة له.

وما زاد في حدة عدم التوازن الحاصل بشكل ملحوظ بين الضفتين بسبب الاهتمام المريني بالضفة الشمالية دون الجنوبية. قيام السلطان أبي الحسن ببناء رباط جديد بمحاذاة الأسوار الموحدية المحيطة بالمجال الحضري الجديد، وسماه الرباط المبارك المعروف اليوم "بشالة". وقد ضم هذا الأخير القصر السلطاني وحماماً وفندقاً ومدرسة ومسجداً ومرافق أخرى دينية ومدنية. وتميز هذا الرباط كذلك باحتضانه للمقبرة الملكية المرينية، التي تم فيها دفن السلطان أبي الحسن، وبعض السلاطين والأمراء المرينيين، وشهداء الجهاد بالأنديس وبعض الأولياء الصالحين.

أما في العصر السعدي فقد عرفت مدينة الرباط استقرار ساكنة جديدة بها، وأقصد هنا وفود الجاليات المورسكية عليها، وذلك مع بداية القرن الحادي عشر (17 م). وقد كان لهذا الحدث التاريخي وقع كبير على التاريخ العام للمدينة، وعلى تاريخها العمراني بوجه خاص ؛ إذ قام المورسكيون ببناء أسوار جديدة لتحصين مدينتهم "سلا الجديدة وقصبتها". كما شيدوا المساجد، وأحياء جديدة سكنية وحرفية وتجارية. وحولوا الميناء إلى الضفة الجنوبية.

وتعد المرحلة المورسكية بمثابة عصر النهضة العمرانية والحضارية بالنسبة لرباط الفتح عامة. وبذلك استطاع المورسكيون إنقاذ هذه المدينة الموحدية من الخراب التام، وإخراجها من أزمتها التي دامت زهاء أربعة قرون، وإن كان هذا الإنقاذ لم يشمل سوى جزء من المجال الحضري الموحدى الجديد.

ويعد نشوء الدولة العلوية الشريفة، ووصول السلطان المولى الرشيد إلى منطقة مصب نهر أبي رقراق، قام هذا

الأخير بتشييد قلعة عسكرية بالقرب من قصبة المهديّة، تعرف بحصن المولى الرشيد (سجن لعلو سابقاً).

ثم شرع في بناء أسوار جديدة متصلة بالزاوية الجنوبية الغربية للقصبة الموحدية (المهديّة). وكانت الغاية من هذه الأسوار هو حماية مجال حضري جديد، محاد للقصبة الذي سيستغله فيما بعد أخوه السلطان المولى إسماعيل، فبنى به داراً لسكنى ابنه محمد الذي كان يشغل منصب نائب السلطان على المدينة.

وفي عهد سيدي محمد بن عبد الله حظيت مدينة رباط الفتح بعناية خاصة، حيث اتخذها عاصمة ثالثة بعد مدينتي فاس ومراكش. وبنى بها قصرأ لإقامته بالموقع الذي يوجد فيه القصر الملكي العامر حالياً داخل المشور السعيد بتواركة.

وأضاف سيدي محمد بن عبد الله مجالاً حضرياً جديداً شاسعاً بالجهة الغربية للضفة الجنوبية، وأحاطه بسور له أربعة أبواب تاريخية وهي : باب القبيبات، وباب تامسة أو باب تمارة، وباب مراكش وباب المصلّى. وقد تم تقسيم هذا المجال الحضري العلوي الجديد إلى قسمين رئيسيين : القسم الأول الواقع على الواجهة الجنوبية الشرقية، بمحاذاة المشور السعيد. وقد تم توظيفه كحدائق وسواني خاصة بالقصر الملكي (أكدال). أما القسم الثاني الجنوبي الغربي، فقد خصص لإقامة أحياء سكنية جديدة مثل (ديور الجامع، والسانية الغربية والعماري، والقيبات...).

ومن المنجزات الأخرى لسيدى محمد بن عبد الله بناؤه لمساجد مدينة رباط الفتح، داخل المجال الحضري الموحدى، وتحديدأ خارج السور الأندلسي. وهذه المساجد هي : مسجد السنة ومسجد أهل فاس ومسجد مولينة.

واهتم سيدي محمد بن عبد الله بالواجهة البحرية لمدينة رباط الفتح. فعمل على تحصينها ببناء سور على امتداد الواجهة البحرية للمجال الحضري الموحدى ؛ وشيد أبراجاً وسقالات بأهم زواياها لتقوية فعاليته الدفاعية، لمواجهة الأخطار المحتملة الآتية عبر المحيط الأطلسي، المتمثلة في هجومات الأساطيل الأوربية. ومن منجزاته أيضاً، بناؤه لقناة مائية جديدة لتزويد الضفة الجنوبية بالماء. تم جلب مياهها من عين عتيق بمنطقة تمارة.

وفي عهد سيدي محمد بن عبد الرحمن تم بناء سور القصبة المخزنية الجديدة (تواركة) التي تحتضن المشور السعيد، ومسجد أهل فاس، وبياقي المرافق التابعة للقصر الملكي حالياً. كما شيد هذا السلطان قصرأ جديداً بمحاذاة قصر سيدي محمد بن عبد الله داخل نفس المجال. وفتح بالسور الجديد ثلاثة أبواب وهي : (الباب التحتية، والباب الفوقية، وباب جامع السنة).

وعرفت المدينة في عهد المولى سليمان بناء عدة منشآت من أهمها : الحيان البيهيدان (الملاحان)، ومسجد المولى سليمان الواقع عند ملتقى شارع السوق وشارع سيدي

فاتح بالصفة الجنوبية، ومسجد القبة بزقة حمام لعلو، وقصر القبيبات وبعض السقايات العمومية مثل سقاية "سوق لغزل"، وسقاية "سيدي فاتح" وسقاية "بوقرون".

ولما جاء بعده المولى الحسن الأول قام بتجديد بناية القصر الملكي بتواركة. كما أمر بترميم القناة المائية عين غبولة الموحدية التي كانت تزود القصر الملكي بالماء.

وبعد دخول الحماية الفرنسية سنة 1912، قررت سلطات هذه الأخيرة - وعلى رأسها المقيم العام" المارشال ليوطي - نقل العاصمة من فاس إلى "الرباط". وقد اتخذ هذا القرار بناء على عدة اعتبارات نذكر منها :

الابتعاد عن مدينة فاس لما تشكله من مخاطر على أمن سلطات الاحتلال الفرنسي من جهة، ولتفادي عدم تحمل الأوربيين (المعمرين) لصعوبة مناخها الحار، وخاصة في فصل الصيف من جهة أخرى.

أهمية الموقع الاستراتيجي لمدينة "الرباط" لوقوعها على الساحل الأطلسي، وتوفرها على ميناء نهري ؛ وتوسطها للمجال الحيوي الذي أطلق عليه "اليوطي" اسم المغرب النافع.

الأهمية التاريخية الكبيرة لمدينة رباط الفتح والمتميزة بالمعالم العمرانية الموحدية. وتتميز كمدينة ساحلية بمناخ معتدل يناسب ساكنها الأوربية الجديدة.

وأخيراً تتوفر مدينة "الرباط" على مجالات حضرية فارغة محمية بأسوار موحدية وعلوية. وقد استغلت سلطات الحماية هذه المجالات لبناء أحيائها العصرية، والمرافق العمومية (بنك المغرب، الخزينة العامة، البريد، قصر العدالة، محطة القطار، مقر الإقامة العامة، مقر الوزارات، الخ...).

وبعد أن تم تعبير المجالات الواقعة داخل الأسوار التاريخية انكبت سلطات الحماية على توسيع المجال الحضري لمدينة "الرباط". وذلك بإقامة أحياء سكنية جديدة خارج الأسوار (كحي السوسي، وحي الطيارات، وأكندال العالي، الخ...).

وفي عهد الاستقلال عرفت مدينة رباط الفتح توسعا حضريا كبيرا على حساب مدارها الحيوي الطبيعي (أراضي زراعية خصبة، مجالات خضراء...) فنتج عن ذلك ظهور أحياء سكنية عديدة منها ما هو منظم ومنها ما هو عشوائي.

أما من حيث التنظيم الإداري فقد عرفت مدينة رباط الفتح تدرجا في الوظائف منذ فجر الاستقلال إلى اليوم. ففي بداية الاستقلال كانت على رأس الضفة الجنوبية عمالة تسهر على تسيير شؤون المدينة، أما مدينة سلا فكانت على رأسها باشوية. ثم انضمتا من حيث التسيير الإداري في إطار ولاية الرباط وسلا منذ سنة 1983، مع تحول سلا إلى عمالة.

وأخيراً وفي إطار التنظيم الجهوي الجديد أصبحت

"الرباط" مقراً لرأسه جهة الرباط سلا زمور زعير.

يتضح من خلال هذه الخلاصة التاريخية والأثرية لمدينة رباط الفتح، مدى أهمية الأدوار التي لعبتها هذه الحاضرة المغربية المتجذرة في التاريخ، والتي برزت بوضوح في مختلف المجالات العمرانية، والعسكرية، والسياسية، والدينية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية. ومازالت هذه المدينة العاصمة رباط الفتح تنبوءاً مكانة مرموقة في مختلف هذه المجالات حالياً، ونأمل أن يتحقق ضم شطري هذه المدينة الشمالي والجنوبي - العدوتين - في إطار مجال حضري واحد وموحد، متناسق ومتوازن على صعيد مختلف المجالات العمرانية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية... وأن تكتمل صورة العاصمة التاريخية والعريقة للمملكة المغربية وقد اندمجت ضفتها الشمالية بالجنوبية، في تكامل وتناغم وتطلع إلى مستقبل مشرق أكثر نمواً وازدهاراً.

ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ؛ ابن أبي زرع، القرطاس ؛ ع. ابن خلدون، العبر ؛ المراكشي، المعجب ؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا ؛ ع. العزيز الفشتالي، مناهل الصفا ؛ مجهول، الاستبصار ؛ الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة ؛ ابن الرباط، زواهر الفكر، مخطوط الاسكريال ؛ أ. الناصري، الاستقصا ؛ م. بوجدار، الاعتباط ؛ مقدمة الفتح ؛ م. بن علي الدكالي، الإنحاف الوجيز.

G. Mouette, *Histoire des conquêtes* ; P. Dan, *Histoire de la Barbarie* ; O. Dapper, *Description de l'Afrique* ; J. Caillé, *La ville de Rabat* ; H. De Castries, *S.I.H.M.* ; H. Basset, E. Levi-Provençal, *Chelta* ; J. Boube, *Sala*.

محمد السمار

## الرباط - سلا - زعير - زمور، جهة تغطي

الجزء الأطلنتي من الهضبة الوسطى وموقعها جنوب سهل الغرب، وشمال أقاليم خريبكة وخنيفرة والشاوية. مساحتها 9.580 كم<sup>2</sup> (1.3٪ من مساحة المغرب). وتنقسم إلى ثلاث وحدات جغرافية، حاضرة الرباط - سلا - تمارة، على الشريط الساحلي، هضبة زمور شرقاً وهضبة زعير جنوباً، وهاتان الوحدتان تتوافقان تقريباً مع إقليم الخميسات (8.305 كم<sup>2</sup>).

يتميز هذا المجال الأطلنتي بتأثير واضح للمحيط، مع تغيرات حرارية جد محدودة، ترتفع كلما توغلنا داخل الجهة. والحرارات الدنيا تدور معدلاتها حول 10° بينما القصوى متوسطها 26°. كما ترتفع التهاطلات في المجالات العليا التي تتخذ صبغة جبال وسطى شبه رطبة (655 مم في ولماس).

والمياه الباطنية حاضرة فقط في الشريط الساحلي لهضبتي معمورة وتمارة. بينما المياه السطحية مهمة، تشكل الحوض النهري لبورقراق. وقد شيد سد سيدي محمد



الماء الشروب، و78٪ منهم على الكهرباء في الوسط الحضري، وجمع الأزيال المنزلية، منظم عامة إضافة إلى توفر كثير من المجالات على أجهزة للصرف الصحي، رغم تفاوت هام، تشكو منه خاصة المدن الصغرى بإقليم الخميسات. أما الشبكة الطرقية فهي كثيفة، والنقل يتميز بجودة متوسطة، رغم مشاكل اكتظاظ تهم خاصة مدينة الرباط (15٪ من مجموع سيارات البلد). والتجهيز الصحي متقدم مقارنة مع جهات أخرى من المغرب، رغم أن جل الوحدات مركزة في العاصمة.

تبرز المشاكل عند فحص توجهات النمو الحضري. أولها التركيز المفرط على الساحل، ثم تنامي الأحياء الهامشية، وتدهور السكن والمآثر بالمدن العتيقة، كما أن الحاضرة تتلوث بيئتها بسبب ارتفاع مقادير ما تنتجه يوميا من مياه الصرف الصحي والنفايات. فالفرشة الباطنية لمعمورة وتمارة مرتفعة التلوث. وكذا مياه المصب ومياه الساحل. وتساهم المدن الصغيرة مثل الخميسات والرماني في تلوث محيطها هي كذلك.

يعرف ساحل الجهة مجموعة من مظاهر التدهور. أولها المياه المذوبة من الأحياء التي تشرف على المصب (اليوسفية بالرباط وحي القرية بسلا)، وثانيها مياه القنوات الكبرى للرباط وحي الرياض وعقوب المنصور وسلا. وهذا ما جعل شواطئ المصب، وكذا الشواطئ الجنوبية في وضع صحي يزيد تآزما أوقات تحرك المياه جنوبا بفعل التيار الساحلي. وهو ما يجعل الصيد خطيرا على الصحة في المياه المجاورة للمصب وفي السواحل القريبة من الحاضرة. من مظاهر التدهور كذلك، التشوه الذي يصيب المواقع الطبيعية الساحلية ومواقع المصب، والتي تتميز أصلا بحماليتهما الخاصة المرتفعة. والمسؤول عن هذا التشويه، التعمير العشوائي، وكذا التلوث الناتج عن تراكم النفايات وأزيال البناء. وينتج هذا عن كون الساحل لم يمثل قط اختيارا أساسيا لسياسة التمدين والتعمير بالمنطقة، بل اعتبر غير مؤهل وبذا تم التخلي عن أي توجه من أجل اعداده.

ويمثل مصب بورقراق وسطا خاصا، بيئته ممتازة، إلا أنها تحولت كلياً منذ تشييد سد سيدي محمد بن عبد الله. فالتجابه الطبيعي بين مياه البحر والنهر، لم يعد متاحا، فتحول المصب إلى ذراع بحري لا تسقيه إلا مياه التراقص أوقات المد (دخول مياه البحر إلى عمق بضع كلمترات). ولا يتم تحرير المياه العذبة من بحيرة السد، إلا في بعض السنوات القليلة عندما يرتفع مستوى هذه الأخيرة إلى ما فوق المتوسط. ومنذ توقف الصيب العادي للنهر، ارتفعت الملوحة وتضاءلت الحركة المسؤولة عن النشاط الحيوي، مما تسبب في تناقص التنوع الاحيائي. هذا المجال، صعب الاستعمال أخيراً بسبب تلوثه المتقدم، وبسبب انتشار منشآت وأحياء سكنية عشوائية على جانبيه. وهو مازال

ابن عبد الله في سافلة هذا الحوض، الشيء الذي يسمح بتنظيم 245 مليون متر مكعب، منها ثمانون موجهة لمجاريات الحاضرة. كما شيدت سدود أصغر لضمان ماء الشرب بالنسبة للرماني والخميسات.

تقدر ساكنة الجهة بحوالي 2 مليون نسمة، 75٪ منهم حضر وبذلك تكون الجهة كثيفة السكن، بفضل الحاضرة التي تضم ثلثي السكان فوق 6٪ من مساحة الجهة بينما كثافة إقليم الخميسات تبقى متوسطة (60 ن كم<sup>2</sup>). والتزايد السكاني مهم بالجهة (2.8٪ سنويا بين 1982 و94)، الشيء الذي يدل على استقبال وافدين على الجهة من خارجها. إلا أن مدينتي سلا وتمارة (4.4٪ سنويا) هما اللتان تسجلان أعلى نسبة نمو، بينما تزايد السكان في الخميسات مساو للمعدل الوطني.

مقدار نشاط السكان في الجهة مرتفع، رغم التأخر في النمو الصناعي والسياحي. وبقي هذان النشاطان، إضافة إلى الحرف التقليدية والوظيفة السياسية والإدارية، الركائز التي يعتمد عليها تطور الجهة.

فالقطاع الثالث مهتم بوضوح على النشاط الاقتصادي (56٪ من الساكنة النشيطة). بينما الفلاحة لا تشغل سوى 17٪ من السكان، رغم أن زراعة المنطقة غنية ومتنوعة. كما أن الغابة تلعب دورا هاما بفضل امتدادها على 36٪ من المساحة (جنوب المعمورة، غابات زعير على شراط وكريفلة، وغابات زمور جنوب المعازير). والمساحة الزراعية (50٪ من الأراضي) مكونة أساسا من أراضي بور، بينما السقي محدود في الشريط الساحلي، على شكل حدائق لإنتاج الخضروات. والتدجين الكثيف مهم جدا، حيث تنتج الجهة 35٪ من الدجاج الصناعي الوطني. أما الصيد البحري فهو هزيل جدا.

تلعب الصناعة دورا هاما (8٪ من المصانع الوطنية و9٪ من العاملين في الصناعة). كما أن قيمة الصناعة الجهوية مرتفعة المردود. وجل هذه المصانع في عمالة الرباط (48٪ منها) وتعرف تطورا هاما من حيث النشاط والتحول التكنولوجي والتشغيل. كما أن الجهة ذات جاذبية عالية بالنسبة للسياحة، لما تحتويه من آثار، وبسبب دور الرباط كعاصمة للإدارة والمصالح.

ترتكز التجارة أساسا في الرباط وسلا (4 / 3 المجموع الإجمالي) وتغلب تجارة التوزيع (قطاعات اللباس والتغذية والتجهيز المنزلي). ويشغل هذا القطاع يدا عاملة هامة. وينضاف إلى هذا القطاع قطاع الأموال والخدمات الذي يتميز بكثرة مصالحه ومؤسساته.

إلا أن أهم ما يميز الجهة، الوظيفة الإدارية والتسييرية لكثير من قطاعات النماء الوطني. وتتركز هذه الوظائف أساسا في مدينة الرباط.

تستجيب الجهة عموما لمجاريات السكان من حيث التجهيزات الأساسية : أكثر من 80٪ منهم يتوفرون على



الزعت	الرسم	المصدر
رباط	قوز	المغرب...، 153-154
مرسى	جوز هرتنانة	الاستبصار، 207
قرية	اوجوز	التشوف، 355
	اوجوز = أگوز	التشوف، هامش 101

**رباط الجوميع**، أحد الرباط الجهادية الحديثة المقامة للحراسة المغربية بميدان سبتة المحتلة، ظهر هذا الرباط أول مرة نتيجة التغيير الطارئ على موقع الحراسة المغربية، بإبعادها من موضعها القديم بقصر أفراك الذي حلت به حامية سبتة نحو الغرب في اتجاه جبل بنيونش، وذلك بناء على قرار تعيين الحدود المعبر عنه في اتفاق 1844 / 1260.

وقع اختيار الجانب المغربي المرة الأولى على نقطة واقعة في الضفة اليسرى من مجرى واد فاس بجوار قالة الرمل المعروفة لدى الإسبان بقالة بينيتيس. غير أن أهل أنجزة القائمين بالحراسة أشاروا بعدم صلاحية المكان المختار، نظراً لانخفاض سطحه وعدم وضوح الرؤية في اتجاه محطة الحراسة الإسبانية، لهذا السبب تقدموا بطلب تغيير الموقع ونقله إلى المكان المعروف لديهم بالجوميع، باعتباره أكثر ارتفاعاً، يسمح بامتداد البصر إلى كل من أفراك القصر المريني، موقع الحراسة الإسبانية وإلى مباني وأسوار سبتة. وبالاستفادة من البيانات المقدمة من طرف الوثائق الإسبانية عن موقع الرباط الجديد، يتبين أنه واقع بجوار شاطئ بحر الرمل، مما يقابل قصر أفراك المريني، حيث سبق وجود مسجد صغير تم بناؤه على ما يبدو خلال فترة الحصار الإسماعيلي للمدينة المحتلة على يد الباشا علي بن عد الله الحمامي. وباعتبار المعلومات المتوفرة عن الموقع نجد أنه موافق لما سبق للإسبان أن أشاروا إليه في خريطة سنة 1767 بحرف L. المخصص لمرابطة فرقة عبيد البخاري خلال الحصار المذكور.

ظهرت الحراسة بإزاء الجوميع في موقعين اثنين، الأول منهما خصص لمرابطة المشاة، يبعد عن خط الحدود بمسافة أربعة وثلاثين متراً، وبالتالي فهو بمحاذاة الجوميع مما يلي الشرق. وخصص الموضع الثاني لمرابطة الفرسان يوجد مكانه متأخراً عن المشاة وعلى بعد أربعين متراً من خط الحدود. كان رباط الجوميع النقطة المتقدمة للقيادة العليا المرابطة بقلعة الدار البيضاء سابقة الترجمة. وإلى هذا الرباط كانت تأتي مساهمة قبيلة أنجزة لحراسة الحدود الجديدة ومنع الإسبان تجاوزها بقطعان الأغنام، وكانت الحراسة التي جرت العادة باستبدالها كل خمسة عشر يوماً بما يساوي عشرين نفراً هي مقررة ما يجري من أحداث الميدان، وموضع الاستشارة من طرف رئيس الحراسة، قائد الدار البيضاء. وسيبقى الرباط قائماً إلى أن يحتله الإسبان سنة احتلال تطوان في 1860.

هو واحد من حلقات سلسلة رباطات رگراگة المحاذية لمجال بورغواطة، كرباط شاكور ورباط عقبة (التشوف، 51. 126. 218. 262. 316. 354. 365. 374. 385. 394. 402. 425. 401). كان يقع عند مصب وادي تانسيفت (كتاب الجغرافيا، 25) اختفى ولم تبق له آثار. ويستفاد من التشوف أن قاعدة رگراگة في عهد التادلي كانت هي أگوز وكانت مرسى على البحر وقد نعتها المؤلف بقية أگوز ولكنه أشار إلى أنها كانت مقر العامل وبها يجبي الخراج وكان بها سجن ومسجد جامع... (التشوف، 24). لا نعرف شيئاً عن طبيعة حركة التصوف التي كانت قائمة به، وابن الزيات هو الوحيد الذي قدم إشارتين في الموضوع عبارة عن كرامتين للوصفي أبي إبراهيم إسماعيل بن وجماتي الرگراگي وقعتا في أگوز (التشوف، 355 - 356). وعلى الرغم من عدم إشارة جورج مارسى لأية وظيفة جهادية لهذا الرباط ضد بورغواطة (Note sur les ribats, 30). فقد استبعد روزنيزجي اعتبار ذلك تقياً لها لسببين مترابطين أولهما : تزامن نشاط الرباط مع وجود بورغواطة، ثانيهما كون وظيفة الجهاد ضد هذه الإمارة كانت من بين المشاغل المميزة للرباطات المجاورة لها من الجنوب والشمال (46 - 43 Note sur Kouz) وهو اجتهاد تعززته الإشارات التي احتفظ بها ابن عبد الحليم في رسالته على الأقل بالنسبة لرباطات رگراگة (رسالة في اتجاه القبلة، 15. 16) والدلالة المحلية لاسم أگوز بالذات التي تفيد الرباط كمكان للمواجهة العسكرية الدفاعية بالخصوص (أ. التوفيق، من رباط شاكور، 48).

البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، القاهرة، د. ت. ؛ مجهول، كتاب الاستبصار، نج. سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن الزيات التادلي، التشوف، نج. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1984 ؛ ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، نج. إسماعيل العربي، بيروت، 1970 ؛ ابن عبد الحليم، رسالة في اتجاه القبلة، مخطوط ؛ أ. التوفيق، من رباط شاكور إلى رباط أسفي، ضمن أعمال : أبو محمد صالح المناقب والتاريخ، الرباط، 1990. G. Marçais, Notes sur les ribats en Berbérie.

وثائق خ. ح ومديرية الوثائق الملكية : ح. الفكيكي، مشروع كتاب  
تغورنا المحتلة، جولة عبر المراحل التاريخية.

حسن الفكيكي

**رباط الخير**، اسم ظهر في أوائل السبعينيات من القرن العشرين، وحل محل اسم أهرمومو. ويطلق على تجمع سكني ظل كمرکز صغير إلى 1992 حيث أصبح بلدية.

يقع رباط الخير بدائرة المنزل، إقليم صفرو، جهة فاس - بولمان بعدما ظل طيلة فترة الاستعمار وبعد الاستقلال تابعاً لدائرة تاهلة بإقليم تازة.

يستقر بأقصى جنوب شرق هضبة رباط الخير المنزل (كوس Causse) على ارتفاع 1100 م. وهو بموضعه هذا يشرف على وادي زلول حيث تبقى الارتفاعات في حدود 800 - 900 م والذي يشكل مجال فصل بين جزئي الأطلس المتوسط الشمالي : المتضدي شمالاً والمتنوي جنوباً وشرقاً الذي تصل به الارتفاعات إلى 3190 بجبل بويلان و3326 م بجبل بوناصر وتقسو به الطبيعة تضاريساً ومناخاً.

يشكل رباط الخير بفضل موقعه هذا نقطة وصل واتصال بين الجبل من جهة والهضبة والسهل من جهة أخرى. شأنه شأن مراكز أخرى مثل المنزل وصفرو والحاجب، وقطبا تلقي به مجموعات بشرية متعددة تقطن المنطقة مثل بني علاهم وبني وراين الغربيين وبني يازغة وآيت سفروين حريرة بالإضافة إلى إغزران للتبادل منذ القديم.

ومن دون شك عمل فتح وبناء مجموعة من الطرق المعبدة والمسالك التي تربط المركز بظهيره ومدن وأقاليم بعيدة على تقوية هذا الدور.

ويبدو أن لهذا المركز تاريخاً طويلاً وظروف نشأة مشابهة لما عرفناه بالنسبة لعدد كبير من المراكز والمدن المغربية. فقد يكون ظهر على شكل قصبة في عهد السلطان مولاي إسماعيل (ق 17) انضاف إليها فيما بعد زاوية تجمانية وسوق تتعقد يوم الاثنين.

إلا أن تطوره ظل بطيئاً إلى مجيء الاستعمار بسبب غياب الأمن والاستقرار بالمنطقة المرتبط بزحف بني وراين نزولاً من الجبل (تاتكرارمت) نحو واد إيناون وما صاحب ذلك من صراعات أشار إلى بعضها عبد الرحمان المودن واستمعنا بنفسنا إلى الحديث عن الكثير منها من طرف المسنين بالمنطقة.

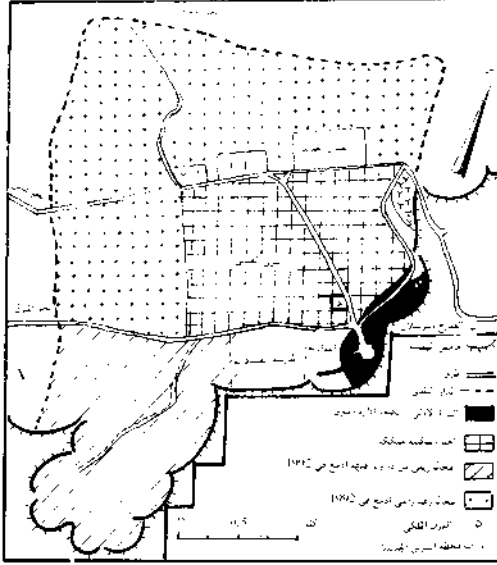
تقوى دور المركز كقطب محلي أيام الاستعمار بسبب اختياره كنقطة عسكرية متقدمة أمام الجبل العاصي والرافض للاستعمار وكمقر لمكتب شؤون السكان المحليين (Bureau des Affaires Indigènes) وهو ما دفع إلى بناء

تكنة وبعض المحلات الإدارية على مقربة من السوق شكلت النواة الأولى.

لكن كل ذلك لم يطور كثيراً من وضع التجمع الذي لم تحظ به في 1936 سوى 498 نسمة منهم 26 أجنبي و4 إسرائيليون مغاربة.

وطيلة فترة الاستعمار لم يتطور التجمع كثيراً باستثناء بناء مدرسة ومستوصف ومحطة للبتزين، وبعض المتاجر في ملكية اليهود : وظهور بعض منازل الأعيان.

غذاة الاستقلال ستعمل ظروف مختلفة ومتفاعلة على جعل هذا المركز يتأرجح بين فترات انتعاش وفترات ركود. فخلق مدرسة عسكرية (1956) لتكوين ضباط الصف به وما صاحب ذلك من توسع في الحاجيات المختلفة ساهم في توسع الأنشطة في قطاع الخدمات والبناء وفي الرواج.



مرفولوجية رباط الخير في 2001

أما عودة عدد كبير من قدماء المحاربين "الغوم" وتطلعهم إلى العيش في ظروف أفضل من التي يوفرها لهم الدوار مما دفع بالكثير منهم إلى الاستقرار بالمركز "الفلاج Village" حسب تعبيرهم فقد ساهمت بدورها في تطور هذا الأخير. كما ساهم فيه بعض أبناء المنطقة "القبيلة" الذين ساعهم الحظ لولوج المدرسة أيام الاستعمار والوصول إلى مناصب محترمة.

وأخيراً لا بد من التذكير بمجهودات الدولة من أجل تطوير المنطقة وتحريك عجلة التنمية بها. وهو ما انعكس محلياً في خلق جماعة إغزران القروية التي يوجد مقرها برباط الخير، والإبقاء على القيادة به وخلف مقر للدرك الملكي، ومكتب للبريد ومركز للأشغال الفلاحية ... وإدخال الكهرباء والماء الشروب.

صاحبَ هذا التطور ارتفاعَ في عدد السكان الذي مرَّ من 498 نسمة في 1936 إلى 996 ن في 1960 ثم 2020 نسمة في 1971. والملاحظ أن تضاعف العدد بعدما تطلب ربع القرن بين 1936 و1960 لم يتطلب سوى 11 سنة بين 1960 و1971 وهي فترة ذهبية.

لكن توقف نشاط المدرسة العسكرية منذ بداية السبعينيات وتراجع الكتلة النقدية التي كانت تروج بها عملت على تباطؤ النمو والتوسع العشوائي وما يصاحبه من مشاكل. ففقدان الوظيفة العسكرية كان من وراء عدم تسجيل ساكنة المركز لزيادة كبيرة منذ السبعينيات بحيث لم يزد عدد السكان بين 1971 و1982 سوى ب 430 نسمة. أي نسبة نمو ضعيفة لا تتعدى 21.3٪ في الوقت الذي عرفت فيه مراكز مجاورة نسبة نمو مرتفعة وصلت إلى 40.2٪ بالمنازل مثلاً و255.4٪ بتاهلة.

ورغبة في إنعاش المركز وجعله قطب تنمية وإشعاع بالنسبة لظهيره تم إحداث إعدادية به وتحويل مكان السوق (1981) وخلق دار للشباب وخلق ثانوية (1995) وتجهيزات أخرى.

وفي التقسيم الترابي لسنة 1992 ارتقى رباط الخير إلى مستوى بلدية تضم في مدارها مجموعة من الدواوير ومن جزر المنازل المتفرقة وكذلك أراضي لازالت زراعية. وهذا الإقحام لمجموعة من السكان الريفيين في المدار البلدي هو الذي يفسر قفزة ساكنة رباط الخير من 2450 نسمة في 1982 إلى 8373 نسمة في 1994. ويقدر ما ساهم هذا الإقحام في الرفع غير العادي لسكان المركز بقدر ما تسبب في انخفاض سكان الجماعة القروية الذين لم يتطور ظاهرياً بالرغم من إضافة سكان دواوير بني مكود من جماعة الزراردة المجاورة لهم.

انطلاقاً من هذه المعطيات يمكننا القول بأن رباط الخير بالرغم من قدمه لم يتطور كثيراً ويكتسب الطابع الحضري بعد. وهو ما يلمسه المرء من خلال أنشطة سكانه ومن مرفلوجيته. فسكان المركز حالياً يتشكلون في حدود ضيقه من الموظفين (في الإدارة والتعليم والصحة...) ونسبة كبيرة جداً منهم مازالوا فلاحين. يضاف إليهم نسبة من المتقاعدين الذين استقروا به رغبة في ظروف عيش أفضل من التي توفرها الدواوير. أما العاملون في التجارة والحرف فعددهم قليل إذا نحن اعتبرنا المحلات القارة. وكثير من الأسر تعيش على موارد خارجية (حوالات، معاشات...). من الناحية المرفلوجية أهم ما يفتقر إليه المحيط البلدي هو التجانس والتماسك. فالأحياء مفككة وأحياناً متباعدة ومتجاهلة. ويجوز الحديث عن وضع فوضوي.

فعلاوة على المساحة الواسعة التي تشغلها المدرسة العسكرية وملحقاتها والتي تشكل بواراً فاصلاً بين أحياء سكنية وعلى النواة القديمة المجاورة لها من الجهة الشمالية

الشرقية حيث مقر القيادة وثكنة ومساكن القوة المساعدة (المخازنية) ومكان السوق القديم والتي تعاني من مظاهر التدهور هناك أحياء ودواوير مشتتة جنوب غرب المدرسة العسكرية وعلى طول طريق تاهلة شمالاً ويتميزي العدني وعلى طريق المنزل زاوية بوكرين (الرسم)

وهي أحياء وجزر ودواوير مفصولة عن بعضها بمسافة كبيرة نقدها مثلاً بين أحياء عين أغبال في الجنوب الغربي وأحياء كدية المهرس في الشمال الشرقي بـ 3 كلم. وهذا الوضع يطرح مشكلاً كبيراً للمجلس البلدي.

بالرغم من مزايا موقع رباط الخير ومن ارتباطه بالظهير وبالمدين والأقاليم المغربية الأخرى بسهولة لا يبدو أن تطور رباط الخير وانتعاشه اقتصادياً أمرين سهلان بعدما فقد وظيفته العسكرية التي أوجدته والتي رفعت شأنه بعد الاستقلال. فتهميشه لمدة طويلة جعل ساكنته شبه راكدة من الناحية الديمغرافية ونواته الأصلية متدهورة. ومجال مدرسته العسكرية الذي كان يُهَاب بواراً. ونسيجه متقطعاً ومتنازلاً.

وإعطاؤه صفة بلدية يبقى إجراءً غير كاف لحل مشاكله الكثيرة خاصة توفير البنى التحتية وهيكله المجال البلدي الشاسع وضمان فرص الشغل بدون ركائز اقتصادية قوية. فموارد البلدية محدودة وهو ما لا يسمح بحل هذه المشاكل بسرعة.

وكيفما كان الحال فالحل لن يتم بدون تنمية ظهيرية وبدون اعتباره في خريطة الأقطاب بالمنطقة. وانتعاشه قد يكون في إعادة فتح المدرسة العسكرية لأغراض تكوينية عسكرية كانت أو مدنية وفي تميمته السياحة بالجزء الجبلي إنطلاقاً منه وربما في الاعتناء به بما فيه الكفاية من طرف أبنائه الذين درسوا به منذ أيام ومنه وصلوا إلى وضعهم كمسؤولين اليوم. فانتعاش المركز وعودة شهرته وإشعاعه هو أمانة في عنقهم كذلك وحق له عليهم.

ع. الرحمن، المودن، البوادي المغربية قبل الاستعمار، قبائل إبتانوم والمخزن بين القرن 16 و19، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 25، الرباط، 1995؛ أ. القديري، إطلالة على دائرة تاهلة، منوغرافيا، عمالة تازا، 1982.

M. Kerbout, *Quelques aspects de l'urbanisation des régions marginales au Maroc et leur signification, cas du Moyen Atlas et du bassin de la Moulouya*, in *La ville moyenne au Maghreb. Enjeu de la décentralisation et du développement local*, Actes de la Vème rencontre culturelle de Sefrou, pp. 45 - 58, Sefrou, 1991 ; E. Zaanoun, *La confédération des tribus Aït Waraïn. Etude géographique de l'évolution d'une tribu berbère*, Thèse de troisième cycle, Géographie de l'aménagement, Université de Paris VII, 1982 - 1983 ; Direction de la Statistique, *Résultats des R.G.P.H., 1960, 1971, 1982 et 1994*.

محمد كويوط

**رباط شاكر**، نسبة إلى شاكر بن عبد الله الأزدي أحد التابعين، دخل مع عقبة بن نافع الفهري الفاتح للمغرب سنة 62 / 681 الذي أوغل في الغرب سائراً وساحل البحر حتى صار بأحواز طنجة ثم واصل السير حتى بلغ البحر عند ماسة، وقبل عودته إلى الشرق خلف شاكر هذا بصفته أحد مشاهير التابعين ليعلم المصامدة القرآن وأمور دينهم بهذا الرباط الذي يبعد عن مدينة مراكش حالياً بحوالي 85 كلم على طريق الصويرة، وهو أقدم رباط عرف بالمغرب، وقد شارك رجاله بنصيب كبير في قتال برغواطة عند ظهورهم بمنطقة تامسنا في أوائل القرن الثاني، منهم يعلى بن مصلين الرزراكي الذي قاد حروباً عديدة ضد البرغواطيين والذي جدد رباط شاكر تخليداً لذكراه وتمسكا بمذهبه (التشوف، ص 26).

وقد ظل هذا الرباط مركزاً للجهاد والمجاهدين وملتقى للعلم والعلماء المتصوفين إلى القرن السابع (13 م) وما بعده حيث ذكر ابن الزيات (ت. 627 / 1229) أن من عادة عدد كثير من علماء المغرب وأوليائه وصلحائه أن يسافروا في كل رمضان إلى هذا الرباط من أجل ختم القرآن، وكانت منابر الوعظ تقام وحلقات الدرس تعقد من أجل نشر الإسلام وتثبيت تعاليمه في نفوس المصامدة وغيرهم (التشوف، ص 51).

وقد جدد السلطان محمد بن عبد الله العلوي بناء رباط شاكر سنة 1178 / 1764 أثناء بنائه لمدينة الصويرة، ومازال ضريح هذا المجاهد الكبير يتراءى شامخاً مزهواً بأعماله الخالدة يلحظه الزوار والمارون وسط قبيلة احمر على الضفة اليمنى لوادي تانسيفت إلى اليوم.

ع. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ص 63 : ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، ص 26، 51 : الصديق بن العربي، كتاب المغرب، ص 143.

محمد أيت الحاج

**رباط عقبة**، يقع ضمن مجال قبائل مصامدة الأطلس الكبير الغربي في بلد نفيس الذي كان من عمل مراكش (التشوف، 400 . 401). ولعله المقصود أيضاً عند ابن الزيات بمسجد عقبة الذي بعدوة وادي نفيس (التشوف، 315). واستخلص ابن عبد الحليم من تسمية المسجد نسبته إلى عقبة بن نافع الفهري (رسالة في اتجاه القبلة، 14) مستندا في ذلك إلى الإشارة التالية للبكري : "مدينة نفيس... غزاها عقبة بن نافع... وبنى بها مسجداً إلى اليوم" (المغرب، 160) وقد ورد ما يقرب من نفس المعنى عند ابن عذاري كما يلي : "قال الإشبيلي في كتابه المسالك : إن المسجد الذي على وادي نفيس بناه عقبة" (البيان، 27).

يرجع تاريخ تأسيس المسجد حسب رواية البكري إلى

عام 62 هجرية / 681 ميلادية (المغرب، 160) بينما يظل مجهولاً تاريخ ظهور الرباط، أو تحول المسجد إلى رباط، وإطلاق اسم الرباط. ومع ذلك فإن افتراض تاريخ مبكر لظهوره يبدو وارداً لأنه نشأ في سياق ظرفية دخول الإسلام إلى المغرب، ضمن شبكة المساجد الأولى التي أنيطت بها مهمة تركيز ونشر الدين الجديد في إطار جغرافي عرف فيما بعد الجوار مع مجال نفوذ بورغواطة من الجنوب وما ترتب عن ذلك من تحول حدود الجوار إلى خط للمواجهة ضد أهل النحلة البورغواطية (رسالة، 15) لكونهم كفاراً في نظر السكان المحليين (التشوف، 52).

لم تقدم المصادر المتداولة اسم أي موقع صوفي آخر ينتمي إلى نفيس : البلد أو المدينة أو العدة، وعليه يصبح رباط عقبة إما الرباط الوحيد بالمجال أو الأكثر شهرة به، ولعل مما يُستأنس به بالنسبة للاختلال الأول ما يبدو كحضور خافت لأهل الولاية والصلاح، تستشف بعض مؤشرات من جهة في توجه أهل نفيس إلى السوس عند واجاج بن زلو اللمطي لطلب الاستسقاء بعدما أصاب يدهم الجذب (التشوف، 89 - 90) ومن جهة ثانية في تلمذة مريدين من أهل نفيس على شيوخ من خارج نفيس كأبي محمد عبد الحليم الأبلاني من أهل قرية تاووتي، شمال مراكش (التشوف، 33). أما الاحتمال الثاني فتلاحظ بعض مؤشرات في شهرة الرباط خارج نفيس، وبالذات في العاصمة الموحدية، مما جعل منه إطاراً جغرافياً لبعض كرامات الصوفي أبي العباس أحمد الصنهاجي الجباب، نزول الجانب الشرقي من مراكش (التشوف، 314 - 315) وفي اعتباره كان مركز نشاط الصوفي الوحيد المعروف بمجال نفيس أبي ولجوط تونارت بن وأجرم الهزميري (التشوف، 400 . 401).

أ. البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، القاهرة، د. ت. : ابن الزيات التادلي، التشوف، تج. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1984 : ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تج. إسماعيل العربي، بيروت، 1970 : ابن عبد الحليم الأبلاني، رسالة في اتجاه القبلة، مخطوط : ابن عذاري، البيان، الجزء الأول، تج. جورج كولان وليفي بروفنسال، بيروت، د. ت.

محمد رابطة الدين

**رباط ماسة**، من أشهر مواقع المغرب المقدمة على مستوى ما حفظت لنا النصوص المكتوبة أو الذاكرة الشعبية والشفوية التي مازال يغذيها الخيال الجمعي. وإضافة إلى البعد الديني لهذا الرباط. نجد بعداً سياسياً واجتماعياً تجلّى في ظاهرة المهديّة لرصد العناصر المؤسسة لهذه الهالة الروحانية والدور التاريخي لهذه المكان، ستقوم بمسائله بعض النصوص المتوفرة حول الموضوع.

يربط ابن عذاري ماسة ببداية أسلمة المغرب، وخصوصاً

### رباط أبي محمد صالح، يقع اليوم وسط مدينة

أسفي وكان قبلُ خارج الأسوار. له شهرة كبيرة في المغرب  
والشرق منذ تأسيسه على يد الشيخ أبي محمد صالح  
الماجر المتوفى عام (631 / 1238). وقد اشتهر بطريقته  
القائمة على الدعوة إلى حج بيت الله الحرام كانت  
الصعوبات والمخاطر التي تعترض الحجاج آنذاك، وجاءت  
مبادرته للقضاء على البلبلة التي أثارها الفتاوى المضادة  
مثل ما جاء في جواب ابن رشد الكبير الذي استفناه على  
ابن يوسف المرابطي في شأن المفاضلة بين الحج والجهاد من  
الأندلسيين وأهل العدو وذلك عام 515 / 1121 فكان  
جوابه : (بأن الحج ساقط عنهم باعتبار انعدام أمن الطريق  
وأن الجهاد أفضل). وفي هذا الاتجاه سار فقهاء دكالة الذين  
أفتوا بسقوط الحج عن أهل المغرب ( *النهاج الواضح*،  
351). وفي مواجهة هذه الفتاوى جاءت دعوة صاحب هذا  
الرباط الشيخ أبي محمد صالح للحج والزيارة،  
وسنَّ لذلك طريقة جعل من بين أركانها الأساسية : حث  
المنخرطين فيها على البدار بالسير لأداء فريضة الحج وسنة  
الزيارة دون أن يقبل من أحد عذرا في التأخير وبالأحرى  
التخلف عن هذه الشعيرة المكملة لإسلام المردين، ثم لم  
يزل ذلك سيرة من جاء بعد الشيخ من مقدمي تلاميذه  
الذين حملوا لواء هذه الطريقة فأسسوا مراكز لنزول  
المسافرين انطلاقا من رباط أسفي وانتهاءً عند الحرمين  
الشريفين تطبيقاً للتنظيمات التي سنَّها الشيخ لطريقته  
والتي منها :

- 1 - نصب مقدمين للحجاج موزعين بين الجهات التي بها  
مريدوه.
- 2 - توصية الحجاج بالسفر على طريق البر، ومنع  
ركوب البحر عليهم تفاديا لأخطار القرصنة البحرية.
- 3 - تنظيم مراكز نزول المسافرين - كما ذكرنا - من رباط  
أبي محمد صالح بأسفي إلى الحرمين الشريفين ويرد اسمها  
في المصادر التاريخية باسم (رباط الحجاج) أو زاوية دكالة  
أو ما يدل على ذلك.
- 4 - تجهيز هذه المراكز بالقائمين عليها من خيرة تلاميذ  
الشيخ ومريديه.

ولهذا كله أصبح لرباط أبي محمد صالح بأسفي صيت  
كبير في أنحاء العالم الإسلامي كمؤسسة دينية سياسية لها  
فروع تمتد من المغرب إلى المشرق. وهي مدعمة بطريقة  
روحية عالية النفس لا تزال نفحاتها تسوق المومنين من  
المغاربة للتضحية بالغالي والنفيس من أجل أداء فريضة  
الحج والقيام بسنة الزيارة مرة أو عدة مرات.

بتلك اللحظة التاريخية التي وصل فيها عقبة بن نافع إلى  
المحيط : "قال أبو علي (أبو علي صالح بن أبي صالح) ثم  
سار عقبة من إيجلي حتى وصل ماسة فدخل فرسه في  
البحر حتى وصل الماء تلاببه وقال : "السلام عليكم ! يا  
أولياء الله، فقال له أصحابه : على من تسلم ؟ قال : على  
قوم يونس عم ! ثم قال : "اللهم إنك تعلم أنني لم أطلب إلا  
ما طلب عبدك ووليك ذو القرنين ألا يعبد في الأرض  
غيرك" (ابن عذاري، ص. 27).

يشير اليعقوبي في "كتابه البلدان" لمسجد ورباط  
ماسة : "وماسة قرية على البحر تحمل إليها التجارة وفيها  
المسجد المعروف بمسجد يهلول وفيه الرباط على ساحل"  
(اليعقوبي، ص. 360).

وفي سنة 542 سيقود محمد بن عبد الله بن هود الماسي  
ببلاد سوس الأقصى حركة مهدوية ذاع صيتها ( *الحلل  
الموشية*، ص. 146). وأكد ابن خلدون أن العامة في سوس  
يعتقدون أن المهدي المنتظر سيخرج من رباط ماسة.

لقد كانت منطقة سوس، موطن العديد من الثائرين  
على السلطة المركزية أو الباحثين عن تأسيس سلطة بديلة،  
مؤسسين خطابهم التحريضي على توظيف خطاب ديني  
صوفي ذي نبرة مهدوية قوية. وشكل رباط ماسة بتاريخه  
المترسخ في القداسة، مع ما يحاك حوله من أساطير، مركزاً  
لانطلاق مشاريع هؤلاء الثائرين، لقد كان شائعا أن كل  
مشروع سياسي يراد أن يكتب له النجاح، يجب أن ينطلق  
من ماسة، واستمر مفعول هذه المعتقد حتى بداية القرن  
الرابع عشر (20 م) حيث نجد الهبة يبدأ حركته سنة 1912  
بقرب رباط ماسة وسارع أنصاره "يستخرجون مسجدا  
مردوما هناك بالرمل، وفي الملاحم إن ذاك المسجد لا  
يستخرجه إلا مهدي" ( *المعسول*، ج. 4، ص. 123).

إضافة إلى ما نقلت لنا المصادر التاريخية، فإن الرواية  
المحلية بحكاياتها الأسطورية وما أنتجته كذلك من أدبيات  
مكتوبة زادت من هبة المكان. هذه الرواية ركزت بالأساس  
على مسجد رباط ماسة بإظهار بركته وفضائله استناداً إلى  
أحاديث منسوجة من مخيلة واضعيتها وهو ما يدل على  
عمق التأثير الذي مارسه (وما زال) هذا الرباط، الذي لن  
يكشف عن بعض أسراره إلا بإحجاز أبحاث ميدانية  
أركيولوجية خاصة في موقع المسجد الذي ردمته الرمال.

ع. الرحمن ابن خلدون، مقدمة، بيروت، 1993 ; ابن عذاري  
الراكشي، البيان المغرب، تج. ج. س. كولان وليفي بروفنسال،  
بيروت : أ. البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، 1965؛  
مجهول، *الحلل الموشية، الدار البيضاء*، 1979 : ح. الوزان، وصف  
إفريقيا، تر. م. حجي وم. الأخضر، بيروت، 1983 : م. المختار  
السوسي، *المعسول، الدار البيضاء*، 1961 : أ. اليعقوبي، كتاب  
*البلدان*، لندن، 1891.

J. Chebbi, *Ribât, E.I., Nile éd., VIII, pp. 511-523* ;  
H. Ferhat, *Littérature eschatologique et espace sacré au  
Maroc : le cas de Massa, S.I., 80, 1994, pp. 47 - 56* ;

قدم المدينة وما يحيط بصفتيه من غابة القصب، حسب تعبير وثائق القرن العاشر (16 م) وما بعده. ورغم اختفاء معالم الرباط في الوقت الحالي بسبب التخريب الذي تعرض له بعد احتلال موقعه سنة 1863 من طرف حامية مليلة، فقد دلنا التجول بالمكان على وجود سور صغير مربع الشكل، أبعاده التقريبية 36 x 40 مترا (1440 م<sup>2</sup>)، تبرز منه شجرة باسقة. ونعلم أن المساحة كانت متوفرة على مسجد.

سلك القلعيون للقيام بوظيفة الحراسة بالرباط والجهاد طريقة التوبة. وكانت للحراسة بالرباط أطرها المثلثة في شخص رئيس المجاهدين المدعو بالمقدم، وهو في نفس الوقت رئيس الفرقة التي يمثلها ضمن التقسيمات القلعية الأربع المعروفة. وقد قدم لنا أحمد بن القاضي الكعداوي القلعي أسماء بعض رؤساء رباط مليلة، وكذا الوثائق الإسبانية، أمثال محمد الشاوي أيام المولى الرشيد ومحمد بن مسعود القيظوني الكعداوي خلال العهد الإسماعيلي وابنه عمر والظاهر بن عمر القيظوني خلال حرب الثلاثين سنة التالية لوفاة المولى إسماعيل، وأحمد الرتي وابنه محمد المشار إليهما في مكانه.

اعتمد رباط مليلة على السلاح التقليدي فلم يعرف السلاح الناري المتمثل في البنادق إلا في سنة 1558، ولم يستغل القطع المدفعية إلا أثناء حصار مليلة خلال سنتي 1774 و1775. وقد توقف استعمال المدافع بين مليلة والرباط بناء على اتفاق 1785، ثم أعيد إلى استعماله. وقد أمد المولى عبد الرحمن بن هشام بناء على طلب القلعيين رباط مليلة بقطعة مدفعية حسب مراسلة مؤرخة في 13 جمادى الأولى عام 1258 بمناسبة إحياء سنة الجهاد. غير أن الإسيان كانوا قد أعدوا ما استطاعوا من القوة والمؤامرات لغزو الميدان والقضاء على الرباط.

عُرف رباط مليلة منذ عهد المولى عبد الرحمن بن هشام برباط الكرمة، وذلك لارتفاع شجرة التين بساحته، وهو الذي يدعوه القلعيون "جنادة للا ثورثوت"، ومن ذلك جاء اسم رباط الكرمة. وقد ظل الرباط يؤدي مهمته الجهادية إلى أن توالى سلسلة الاتفاقيات الميرمة كنتيجة لحرب تطوان، بدءا من اتفاق 28 مايو 1859. وتبعاً لذلك يؤكد اتفاق حدود مليلة الموقع يوم 12 نوفمبر 1863 (تمت جمادى الأولى 1280) في شرطه الثالث ضرورة هدم جامع رباط الكرمة على يد رجال المخزن بعد تسليم الحدود المعرفة إلى الوقت الراهن. وهذا هو ما تم بالفعل، وبذلك انتهى دور رباط مليلة وانتقلت الحراسة التي أصبحت مخزنية صرفة إلى جنادة أو دار المخزن بفرخانة.

أ. ابن القاضي الكعداوي، تقايد، مخطوطة في خ ح ؛ وثائق الأرشيف التاريخي الإسباني ؛ م. الفكيكي، مقاومة التواجد الإسباني بمليلة، الرباط، 1997 ؛ سيدي محمد بن عبد الله وحصار مليلة، الرباط، 1996.

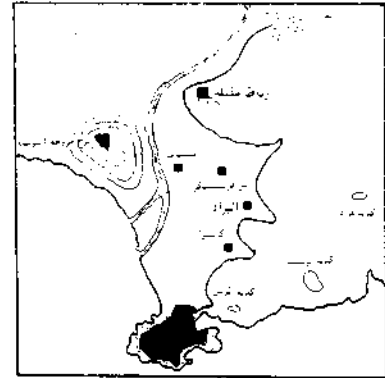
وعن تصميم رباط أبي محمد صالح الماجري يحدثنا ابن مرزوق في القرن الثامن (13 م) حيث يقول عنه وعن المشرفين عليه : "وقد كان تصميم يناه ونظام أصحابه يتميز عن الرباطات المغربية، ويقلد نط رباطات المشرق التي لم ير في المغرب على سبيلها ونمطها إلا رباط أبي محمد صالح هذا وزاوية أبي زكرياء بسلا ولا ثالث لهما في ملازمة السكان وصفاتهم وشبههم بمن ذكر في المشرق".

وبذلك حققت دعوة أبي محمد صالح للحج والزيارة هدفها في حياته وبعد مماته، فأصبح رباطه مركزاً ومنطلقاً لطريقته التي امتد إشعاعها في الزمان والمكان لينير المغرب والمشرق عبر التاريخ الإسلامي.

م. الكانوني، أسفي وما إليه ؛ أعمال الملتقى الفكري الأول لمدينة أسفي، 1988 ؛ أ. الماجري، المنهاج الواضح ؛ ص. ابن العربي، كتاب المغرب، بيروت، 1984.

مخند أبت الحاج

**رباط مليلة**، أو رباط الكرمة، هو مركز الحراسة والجهاد الذي أنشأه علي العطار الأندلسي، قائد المجاهدين بقلعية خلال العقد الأول من القرن العاشر (16 م). تحتم إنشاؤه رغبة في إحداث مركز لحراسة دائمة تجاه تحصينات مليلة المحتلة، وهو تابع لتنظيمات جهاز المراقبة الذي كانت قيادته العليا بقلعة تازوطا. وقد تعرفنا على موقع الرباط من خلال رسم فرانسيسكو دي ميراندا، صاحب المذكرات الخاصة بحصار سيدي محمد بن عبد الله للمليلة خلال سنتي 1774 و1775.



يقع رباط مليلة على ما يقرب من ألف وأربعمئة متر داخل الحدود المحتلة في الوقت الراهن عند آخر منحدرات كدية المعازيز السفلى، وهو يحتل حالياً المكان المعروف باسم Parque Eventual، غير بعيد عن مجرى واد المدور أثناء مروره بقلعة تيسوريو Tasorio القائمة على طريق فرخانة. ويعلو مكان الرباط على كدية يصل ارتفاعها نحو عشرين متراً عن سطح البحر. أختير الموقع لإشرافه على فحوص المدينة المنبسطة بينها وبين كدية الرباط. وقد وافق هذا الاختيار أيضاً وجود مجرى واد المدور الذي يصب عند



## الرباطي الرسام ← ابن علي

### الرباطي الفقيه ← السجلماسي

**الرباطي، قاسم (الحاج -)** المشهور بنعسل، من مشهوري الفنانين الموسيقيين بالرباط في أواخر القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر (19. 20 م).

ذكره عالم الرباط إبراهيم التادلي في كتاب *السقا*، وهو يصدد استعراض آلات الطرب وأسماء البارعين في استخدامها على عهده، فقال : ثم لضرب القانون صاحبنا الحاج قاسم بنعسل الرباطي. كان يضرب به مرارا أمامي. وأوتاره نحو سبعين. كان يسويه بحلقات في أصابعه. وكان يأخذه حال يهتر برأسه عند ضربه. وقل من يحسن ضربه اليوم.

إ. التادلي، *أغاني السقا ومغاني الموسيقى*. الباب السابع، ص. 77، ط. حجرية، فاس.

عبد العزيز بن عبد الجليل

## الرباعي المغربي، يأتي الرباعي كناية عن

الحقب الجيولوجي الرابع. وبما أنه يخص المراحل الأخيرة من تطور القشرة الأرضية، فإنه إذن يتعامل مع القشرة في تطوراتها الحديثة ومظاهرها السطحية، وبالتالي فهو يعني أساساً الدراسة الجيومرفولوجية للموقع المعترف.

يدرس الرباعي المغربي مختلف التطورات التي طرأت على البنيات الأرضية، وعلى تشكيل ونحت سطح الأرض، وتطعيمه بالرواسب القارية والساحلية عموماً والأدفاق البركانية محلياً، وكذا على أنماط تكوين الأتربة، وبالتالي تأليف النسق الطبيعي المرتب بكل مكوناته، وذلك في حدود التراب الوطني، أو على الأكثر باعتبار الإقليم الطبيعي الكبير الملاصق أو النطاق البيومناخي الذي ينتمي إليه المغرب.

أما الإطار الزمني الداخل في الاعتبار فإنه يهم مبدئياً المليون سنة الأخيرتين من التاريخ الجيولوجي، وهي فترة تعتبر متناهية في القصر مقارنة بعمر الأرض الذي يزيد على الأربعة ملايين ونصف من السنين والذي تنقاسمه الأحقاب الثلاثة الأولى، إضافة إلى الحقب البديهي، السابق للأول، المغفول المعالم في جل مراحلها، والمدعو بما قبل الكامبري والذي يستحوذ على أكثر من أربعة أخماسه.

1) مدخل إلى الرباعي العام

هناك قواسم مشتركة للرباعي أينما كان، كما أن لهجتنا خصوصيات تميزها بل وترفعها إلى مستوى تأسيس

مرجعية ذات اعتبار رفيع في دراسة الرباعي العالمي. يتميز الرباعي العام في كل أنحاء المعمور، عن الأحقاب السابقة، بخاصيتين أساسيتين تبرزان الترقية إلى الحقب القائم الذات، رغم قصر أمده، وهي : التردد المناخي العام، من جهة، وظهور الجنس البشري، من جهة أخرى.

وقد تبين بعد حين من تبرير التصنيف أنه لا يوجد التوافق التام بين استهلال هاتين الظاهرتين والبداية الفعلية للرباعي. ومع ذلك بقي التقسيم على حاله، على أن يعتبر الرباعي حقب الاستتباب إن لم يكن بالفعل حقب البدايات، إذ من المؤكد أنه وافق انتظام البرودة المناخية في العالم واشتدادها وتجزؤ الحضور البشري وتساعد تأثيره.

تعتبر مسألة التبريد حاداً بالغ الأهمية. ذلك أن المناخات الباردة، المتجلية في حدوث وتوالي ظاهرة العصور الجليدية، كانت قد انقطعت عن العالم منذ أواخر النظام الفحمي، أي منذ حوالي 300 مليون سنة، لم تأت بعدها إلا مناخات حارة متفاوتة الرطوبة خلال كل الحقب الثاني وقربا كل الثالث. وقد ترتب عن انبعاث البرودة من جديد تغير كبير لأصناف المناخات هو الذي يفسر في الأساس التمايز النطاقي البيومناخي الذي يعرفه العالم حالياً، على شكل أحزمة عرضية بادية التوازي، كما ينظم الاتجاهات الكبرى للكنتل الهوائية التي أصبحت تأخذ كذلك مسارات طولية بين القطبين والاستواء، تسمح بالزيادة في تلاحق النطاقات وتغير الفصول.

تغيير بهذا الحجم له وقع كبير على صنع البيئات. فبعدها كانت المناخات، لملايين عديدة من السنين، شبيهة بما نصلطح عليه اليوم بالمناخ المداري، انزوى هذا الأخير في العروض الدنيا دون غيرها، واستحدثت بيئات جديدة لها وزنها الخاص من بينها البيومناخات المتوسطة والمعتدلة، مع تمديد ملحوظ للباردة. ويدهي ما تولد عن ذلك من اختلافات في وفرة المياه وفي تركيب وغنى الغلاف الأحيائي وفي أنماط التشكيل والترب.

ربما لم يعرف التاريخ الجيولوجي لتطور الأرض عهداً أزهى وأسنع من أواخر الثلاثي ومستهل الرباعي لاستقبال العصر البشري !

وقد توالت مع وجود الانسان الحضارات المتعاقبة، إلى أن أصبحت فعالة بما يكفي لتغيير معالم الطبيعة، فأضحى لزاماً اعتبار التدخلات البشرية كعامل من عوامل تطور سطح الأرض سلبي وإيجاباً. ولما تأكد الجانب السلبي من هذه التدخلات على التوازنات البيئية، ظهر في الأوساط العلمية والإعلامية هاجس جديد يسمى "علوم البيئة"، في انتظار أن يأخذ حظه الكافي من التقعيد العلمي.

ومن جملة القواعد العلمية لدراسات الرباعي والبيئة الطبيعية معاً، أن لكل بقعة من سطح الأرض توازناتها الخاصة هي نتاج تداخل محكم بين ملايسات الوضع الحالي وتركات النيوجين أو الرباعي كلا أو جزءاً. ضبط هذا النوع من التوازنات أساسي في تحديد التدخلات البشرية

التي يمكن أن يتحملها الموقع، من حيث النوع والحدة، قبل أن تظهر عليه أعراض الاختلال والتراجع. تفيد المقاربة إذن في تقويم أساليب وحدود استعمال الموارد المائية والترابية والأحيائية في إطار ما يصطلح عليه بالمشاريع التنموية ودراسات الموقع المرافقة.

لذا كانت لدراسة الرباعي المغربي أبعاد معرفية عامة وأبعاد تطبيقية. نكتفي من وجهة التطبيق بالإشارات الواردة في هذه المقدمة، ونعرض في ما يلي للقواعد المعرفية في خطوطها العريضة.

## 2) الملامح العامة للرباعي المغربي

إذا كانت البرودة أولى المعايير في دراسة الرباعي العام، فإنه لن يستعمل عندنا إلا بصفة غير مباشرة. ذلك أن التجليد الصريح لم يعد أن لاسم القمم العليا ومنها كتلة التوقال وجبل العياشي بالأطلس الكبير. في ما عدا ذلك، تدخل الصقيع وتشكيل التراكمات الثلجية، وبصفة أكثر حسما ظهرت تفاوتات واضحة لأهمية الرطوبة، لكن في إطار مناخي عام لم يحد عن طبيعته المتوسطة التي يبدو أنها استقرت بالمغرب ابتداء من البليوسين الأوسط أي منذ حوالي 3.5 مليون سنة.

ومن المؤكد إنه، على غرار الذبذبات الجليدية التي تخللت الرباعي في بلدان الشمال، عرف المغرب والبلاد المنتمية للنطاق، تفاوتات ترطيب دورية تدعى الذبذبات المطيرة والبيمطيرة.

لم يكن مغرب الرباعي أقل تعقيدا من مغرب اليوم من الناحية البيومناخية. وجوده في منطقة اتصال بين التأثيرات المحيطية المعتدلة وضد إعصارات النطاق المداري الجاف، إضافة إلى هياكله الجبلية القوية المتوسطة للبلاد وانفتاحه على البحر والمحيط، يسمح بتحصيل كل المتغيرات المعبرة للمناخ المتوسطي ومعها التدرج إلى الجاف والصحراوي. وقد عرف هذا النسق تغيرات محسوسة في سياق التقلبات العالمية. فخلال الفترات الجليدية، يكون التنطيق الكوكبي، كما هو الآن، أكثر تنوعا، يتوسطه مجال معتدل واسع ذو رطوبة جيدة شديدة الانتظام، وأقاليم متوسطة وشبه مدارية نظامها التساقطي متقلب ضعيف. وعلى النقيض، تأتي الفترات الجليدية بانكماش الجهات شبه المدارية وهبوط محسوس في درجات الحرارة شمال عرض الثلاثين درجة بالنصف الشمالي من الكرة الأرضية. في الواقع، هذه معطيات توافق النصور التطوري القائل بزحف النطاقات البيومناخية بين القطبين والاستواء، ذهابا وإيابا، في ركاب التمدد والتقلص الدوريين للعلامات الجليدية القطبية.

تأسس الرباعي المغربي، والقاري منه على الخصوص، على ترركات يوافق جملها الرواسب النهرية، مادة وشكلا ومضمونا. عموما تعتبر السلاسل النهرية وقيعان الأودية المستوى القاعدي لكل التطورات التي تعرفها القارة معدنية

كانت أو عضوية. توجد من ضمن الرواسب والغرين شواهد عن الأترية الحاضرة في الحوض النهري، وكذلك عينات من العناصر البيئية الموافقة، ومنها بقايا نباتية وحيوانية وإنسية، وأدوات الصناعات البشرية. كما تدل طبيعة الغرين على نظام الجريان وفرة وتوزيعا. وكلها عناصر تسمح باستشفاف وتمثل النسق الطبيعي العام السائد. يمثل كل مستوى نهري مرحلة من مراحل التطور. أما الأدوار الحاسمة للتاريخ الطبيعي للإقليم فقد تركت على هوامش المجاري مصاطب متدرجة أو طبقات مطبورة تعتبر ترركات لاستجلاء الملامح الرئيسية للرباعي الاقليمي. يستكمل التحقيق بإضافة التأريخ المطلق لبعض المواد المستخلصة من المواقع المعتبرة باستعمال مناهج مختلفة. يفيد تقاطعها في الاقتراب من الصواب، ومنها قياس النظائر المشعة.

سمح تعقب مختلف التركات بالوصول إلى بناء طبقاتية رباعية أصيلة. ومن المعلوم أن للرباعي تصانيف مرجعية، هي امتداد لسلم التأريخ الجيولوجي. أهمها التصنيف الأوروبي الذي يعتمد على الطبقاتية الآلية، في شقه القاري، وعلى تكامل بين الشواهد الأطلنتية والمتوسطة، في شقه البحري الساحلي. يعتمد الرباعي الآلي بصفة مباشرة الفترات الجليدية الكبرى التي يبلغ عددها الستة، بدأت في الواقع مع البليوسين الأوسط، وهي: البيبر، الضوناو، الكونتس، الميندل، الريس والفورم. أما المرحلة البيجليدية الحالية التي جاءت مباشرة بعد الفورم، والتي بلغ عمرها حتى الآن حوالي العشرة آلاف سنة فتسمى الهولوسين (وتكتب بالأحرف اللاتينية على لتوالي: Würm, Riss, Mindel, Günz, Donau, Biber Holocène).

أما طبقاتية الرباعي المغربي القاري فتتكون من ستة أدوار كذلك، تنطبق على التدرج الأقصى لنظام التركات المصطنية المشرفة على السلاسل في الأودية الكافية التعمق، تحمل أسماء مواقعها المرجعية وهي: الملوياتي، السلاوي، العميري، التانسفتي، السلطاني والغربي، ويجوز جمعها حسب المراحل الثلاثة للرباعي، القديم والمتوسط والحديث بإضافة الهولوسين. التقسيم إلى شطرين فقط، الوارد فيما يلي، لا يخلو من وجهة بالإضافة إلى التبسيط والتلخيص الناهجين. فالأدوار الثلاثة الأولى والأقدم، تعرض لجل الأحوال البيومناخية التي عرفها الرباعي المغربي إجمالا. أما الأدوار الثلاثة الباقية فقد تبدو كما لو كانت نوعا من التكرار المركز والمخلص. كما يوافق هذا التوبو الشناني حركة حدة التجليد في العروض العليا والوسطى، التي زادت حدتها مع الزمن، متخطية عتبة محسوسة من حوالي ثماني مائة ألف سنة قبل الحاضر (ق. ح.).

## 3) الأدوار الأولى من الرباعي المغربي

تحتل أدوار الملوياتي والسلاوي والعميري أربعة

أخماس المدة الاجماعية للرباعي، مقابلة الضوناو والكونتس والميندل في التصنيف الآلبي.

- نستشف من مظاهر التفسخ المتحفظة في الملوياطي، وجود مطير معتدل الرطوبة، تقدر له أكثر من 600 مم في الثلث الشمالي الغربي من البلاد، دون ما برودة محسوسة. على أن اليمطير عرف جفافا قويا وصل إلى تركيز الكاربوناتات في القطاعات الترابية. تساقطات مطرية من فئة 300 إلى 100 مم من شأنها أن تثبت الكلس الترابي دون أن تحليه إلي خارج القطاعات. كانت النباتات ضعيفة التجذر، لا شك أنها تطورت من بسبب ببقعه الشجر إلى سهوب هزيلة.

ومن جهة أخرى، لن تأت البنائية الملوياطية، وكل الحركات الأرضية الرباعية التي تلتها، إلا بعد تلاحم الصفيحتين الإفريقية والأوروبية الذي وضع حداً لأية حركة جانبية، كل نشاط بنائي كان يترجم بشخص واضح أو تراكب. وقد أعطت الأدفاق البركانية المرافقة لحركة الرباعي القديم عمراً من حوالي مليون واحد ونصف مليون سنة قبل الحاضر.

- عرف الدور السلواي رطوبة باردة سمحت بتحريك الغرين الخشن دون إنتاج أتربة حمراء ولا قشرة كلسية. وقد أرغم هبوط الحرارة العديد من الأحياء المدارية، التي كانت ما تزال مستوطنة، على الهجرة النهائية. اضطلع الماموث (*Elephas primigenius*) بدور الريادة من ضمن الوحيش، في طريق العبور من إفريقيا إلى أوراسيا خلال البليوسين والرباعي القديم.

- العميري هو أقصر الأدوات الثلاث وأزهاها. عم فيه مناخ معتدل ورطب وتعمقت الأتربة حاملة أجمل الغابات. تدفقت العيون تغذي شبكة أنهار غزيرة، وتسيل على سفوح ظليلة، غنية بالحياة، تغلفها تراكمات ندية من اللبيد والرصاص (الرصاص، الجزء : 13). ظهرت البحيرات من جديد، تذكر بالمشاهد الطبيعية للبليوسين الأوسط، متوسطة السهول الداخلية ومتخللة أهوار السواحل. وقبل حوالي خمس مائة ألف سنة من الحاضر، حدثت أزمة تكتونية ذات بال، زادت في حجم الجبال وأهبت أحدث نشاط بركاني واسع الانتشار عرفته البلاد، مضخمة العاليات ومعددة الحواجز الأرضية والشقوق، ومغدقة الموارد المائية السطحية.

لم يكن العميري متجانسا في البداية، كان المشهد الطبيعي أشبه بأوضاع الرباعي القديم، عبارة عن مجالات لازالت منفرجة، ترعى بها قطعان الأرخص والأفراس والجواميس الأثرية (*Bos primigenius*, *Equus* mauritanicus, *Alcelaphus bubalis*) من ضمن كبار الثدييات. ثم جاءت بعد ذلك ثدييات كبرى مختلفة الانتماء : منها أصناف حائلة من الفيلة والكركدن والبرانيق *Elephas iolensis*, *Rhinocerossimus*, والديبة

*Hippopotamus amphibius*, *Ursus arctos*) الدالة عن أوساط معتدلة أكثر رطوبة وأحكم إغلاقا لغلافها النباتي. عرف الإنسان إبان دوري الرباعي القديم، الملوياطي والسلواي، مراحل الحضارية الأكثر بدائية على الإطلاق، حيث لم تتعد صناعته استعمال الحصى المنحوت في اتجاه واحد. ثم دخل الإنسان العميري بدايات العصر الأشولي، الذي طبع الرباعي الأوسط، بنحت الأدوات الثنائية الوجه. وكلها حضارات لم تحدث على البيئة الأحيائية والغلاف النباتي على الخصوص إلا تأثيراً محدوداً.

4) أدوار المرحلة الأخيرة من الرباعي المغربي

تتكرر فيها النزعتان الغالبتان على المرحلة الأولى : يعيد التانسفتي الأنساق الشبيهة بالمداري التي طبعت الملوياطي. ويتميز السلطاني باقترابه الشديد من المناخ المعتدل، محاكيا في ذلك العميري. أما الغربي فتجاوز البليستوسين إلى ما بعد الجليديات وإلى الحالي، ومن ضمنه أشواط قصيرة متفاوتة الرطوبة. المقابلات الآلية المقترحة لهذه الأدوار هي على التوالي الريس والفورم والهولوسين.

- أظهر التانسفتي أول الأمر بعض الشبه بالعميري لكن في مجالات متزايدة الانفتاح، اختفى عنها تدريجيا الوحيش الغابوي. بدت المراعي المشمسة، بأنهارها المحصية، مسارح للثدييات الضخمة كالفيلة (*Elaphas atlanticus*) (*marocanus*) والكركدن وحمار الوحش. ثم أقحل الجو، وبرت الأتربة فكشفت عن قشور كلسية صلداء لا تأتي عليها إلا سهوب فقيرة، يقتات عليها النعام والظباء والغزلان.

- قضى السلطاني بعودة الغابات وطرادة الجو. حيث من المثير للاهتمام عمق الأتربة وتوفرها على طين الفرميكوليت (*Vermiculite*) وهو راسم عداني فعال لأنواع التترب في المناخ المعتدل. ينسجم السلطاني بدقة مع الفورم الذي يعتبر العصر الجليدي الأفسى في مجالات العروض الوسطى، بداية من ثمانين ألف سنة ق. ح. هاجرت خلاله، تحت تأثير البرد القارس فلول من الوحيش الأوراسيوي من الشمال، لتلتجئ بأجواء المغرب الأرحم آنذاك. فاستوطن كركدن مركي (*Rhinoceros mercki*) وغيره من الخنازير البرية والوعول والديبة.. في أزهي غابات الرباعي المغربي وأكملها تنوعا.

عرفت بداية الدور آخر أهم الأزمات البنائية، معطية للجبال والهضاب حجمها النهائي، فاكتملت بذلك الطوابق البيومناخية المعروفة مع زيادة في الرطوبة والبرودة، حيث توسعت من بينها نسبة النفضيات، وعظمت مساحاتها على السهول وصوب الجنوب.

وفرت الحضارات الأشولية المتطورة والمستيرية أدوات حجرية أرقى وأدق لإنسان العصر من النموذج المدعو بالإنسي الأطلسي للدار البيضاء والرباط، ثم لأناس

منتسبة لنياندرتان وللهوموسابينس (الإنسان العارف) من طراز كرومانيون، لكن دور أن نحتسب على أي تدخل منهم التدهور الذي حصل في نهاية الدور. حيث إن التكنولوجيا بقيت بدائية والكثافات السكانية دون الكتلة المرجحة بكثير. لقد تأكد أن تقلبات مناخية طبيعية نازعة إلى القحولة هي المسؤولة عما يمكن أن ينعت بأخر أكبر انقسام للتوازن البيئي في التاريخ الرباعي، أدى إلى تصحر صريح في النصف الثاني من السلطاني، واضح في السايكس والمعصرة مثلا، مصحوب بتحطيم النبات وانسحاب الوحش الأوراسي وتعرية الأتربة على مساحات هائلة.

أبانت الدراسات الميدانية الحديثة بأن الدور الغربي أطول مما كان يعتبر، وأنه يبدأ بصفة طبيعية مباشرة بعد مرحلة التجفيف والاختلال التي مثلت البيمطير السلطاني. وهو على هذا الأساس يتحول إلى دور متكامل له مكانة متوازنة بين الأدوار الأخرى، تخرجه من وضعية نصف الدور التي أحله إياها ثلة من المصنفين. يتعلق الأمر بالثلاثين ألف سنة الأخيرة، الجامعة بين آخر قمة جليدية تخلقت بالفورم وكل الفترة بعد الجليدية حيث تضاعفت فعالية التدخل البشري لتصبح حاسمة في مصير المحيط الحيوي. بدأ الدور أرطب من الوضع الحالي، ثم جاء تخفيف تدريجي فاقم من حدته الإنسان في الخمسة آلاف سنة الأخيرة.

يمكن حصر القمة الجليدية بدقة بين 20 و16 ألف سنة ق. ح.، تراجعت خلالها بوضوح الأوساط الأحيائية المتوسطية بأوروبا التي توسعت مرة أخرى بالشمال الإفريقي وخاصة بالمغرب حيث نزلت بعض أنواع وسط أوروبا وحتى شمالها. وفي انسجام تام مع نفس الحركة، توغلت إلى الجنوب تشكيلات غابوية قبل سهبية متوسطة إلى حدود الكتل الكبرى المتوسطة للصحراء. وقد عم المغرب حينئذ مطير بهي، أعدت فيه السهول والهضاب أتربة سيدبالية ومتقلبة تيرسية على حساب الأتربة الحمراء السلطانية، وسمحت السطوح القشرية العقيمة بتطور أتربة سمراء كلسية جيدة.

انتهت الفترة الجليدية في أوروبا على حركة تسخين أذابت الجليد المتقدم من حوالي أحد عشر ألف سنة ق. ح. وقد حصل من جرائها تدهور مناخي بالمغرب، شحن بعض الأتربة بالكاربونات وبتتر أخرى بفعل السيلان المتفرق.

نتج عن الإضرار بالأتربة مشروع مصاطب غربية رمادية ظهرت بقيعان الأودية، لكنها لم تعظم وتتقوى إلا مؤخرا، بعد فترة الازدهار النيوليتي.

يعتبر النيوليتي شوط رطوبة قصير، استغرق جل الهولوسين إلى حدود ثلاثة آلاف أو ألفين وخمس مائة سنة ق. ح. حصلت فيه تذبذبات جلبت بعض الرطوبة إلى الصحراء التي عرفت تساقطات بلغت 150 إلى 250 مم. وقد أمكن، خاصة في الجهة الموالية للأطلنطي من الصحراء، تلاقي التشكيلات النباتية المنتمية للنطاقين المتوسطي والساحلي.

والنيوليتي هو بامتياز مرحلة إبداع الإنسان لكل قواعد الحضارة الحديثة، اكتشفها وطبقها ونشرها إنسان الشرق الأدنى، الذي وضع حدا لوجود طويل طبعه سلوك الاستهلاك السليبي، ودشن عهد الإنتاج المسؤول داخل خلايا اجتماعية مهيكلية. قامت شعوب الهلال الخصيب بعمليات تدجين كل أنواع الماشية وانتخاب المزروعات الأساسية التي لازلت تعتمد عليها تغذية الإنسان إلى الآن.

وتبعاً لذلك، اختفت من مصاطبنا الغربية الأنواع المعتدلة وامت بها بقايا الحيوانات الداجنة والنباتات المزروعة.

#### 4. اعتبارات في الربط بين الرباعي المغربي والعام.

استخلصنا العديد من المعلومات المعتمدة في تمثل البيئات القديمة من عناصر الرباعي القاري، نظرا لأمانته في التحصيل المباشر للأثار البيومناخية والبشرية. لكن سلسلات الرخويات التي لعبت الأدوار الأولى في التأريخ الدقيق لمستويات الحقب الثالث البحري قد افتقدت في ضبط التسلسل الرباعي القاري. فحسب الملاحظات القائنة، يبدو أن رخويات المياه العذبة، والمجال القاري عموما، بقيت على حالها بدون تغيير معبر منذ نظام الميوسين وحتى الآن. في المقابل، نجد مستويات الرباعي البحري غاية في الترتيب، لكن البحار منفتحة تعطي توزيعات أوسع للأحياء، والتأثيرات المناخية تصل مؤجلة وملطفة في وقفها على الكائنات البحرية. وهي مع ذلك لا غنى عنها في وضع الرباعي إجمالا في مسار التطور الأحيائي العام، الذي يخضع للمرجعية البحرية بالمستوى الأول، وفي ربط الرباعي المحلي أو الإقليمي بالأحداث الكبرى التي عرفها الحقب على الصعيد العالمي.

يتم الربط مع الذبذبات المناخية الكوكبية بفعل انفتاح المحيطات على تمدد وتقلص العمادات الجليدية القارية الكبرى وتأثير ذلك على تغير منسوب الماء على السواحل، من خلال الآلية المعروفة بالهزهزة الجليدية. يتسبب التجلد في احتجاز مناسب مياه المحيطات وهبوط مستوى سطح البحر وتراجع للسواحل، كما يسمح التسخين البيجليدي بغير متفاوت على حساب القارات. ولهذه الحركة علاقة من نفس القبيل من الذبذبات المطيرة والبيمطيرة التي حصلت في عروضنا.

مثلما يكون كل دور رباعي من مطير وبيمطير لهما آثار مباشرة على البيومناخات يعرف بها، تتمفصل المصطبة الساحلية إلى مستوى غمري ومستوى تراجع تراجمي دالين عن المناخ الكوني. تكون مواد الغمر بحرية خشنة ومواد الانحسار قارية يغلب عليها التشكيل الكثيبي، وتقاس أهمية الأدوار بقياس العناصر ومدى انتشار المستويات ومدلول المستحاثات، مع احتساب وخضم التشوهات التي تحدثها البنائية على السواحل.

إقرار برودة نسبية، من قبيل الموجودة حاليا في النطاق المعتدل، نعتت بكونها شبيهة بالإقليم الفرنسي - الإيبيري. وكلها استنتاجات تامة تتوافق مع الخلاصات المحصل عليها في المجال القاري للسايس مثلا، ثم جاءت على غرارها العديد من النماذج الإقليمية في جهات أخرى من بلاد المغرب.

عرف الحقب الرابع، على قصره، تسارعا مهولا في التاريخ الطبيعي لسطح الأرض. بلغ التطور الأحيائي، في فجر الرباعي، ذروة التنوع تحت تأثير أكبر صيغ الشعب المناخي من القمم الجليدية إلى النهايات الصحراوية. اكتسبت الجبال الحالية، على مدها، أكبر قسط من أحجامها التضاريسية، معددة الطبقات البيومناخية وموفرة مقادير متزايدة من الموارد المائية. ثم تدخل العقل البشري في تدبير الموارد وإعداد التراب. لكن رغم الوفرة والتنوع في المؤهلات، يوجد العالم حاليا على حافة انهيار التوازنات الطبيعية بفعل الجشع الطاغي على المشاريع البشرية انطلاقا من الكيانات الكبرى في المعمور. وصلت تكنولوجيا الصناعات جدا من التأثير أصبحت معه قادرة على التدخل في التوازنات الغازية والحرارية المهيكلية للغلاف الجوي والحاسمة في توازن الأرض إجمالا، دون مراعاة للحدود ولا تمييز بين المذنب أو المأخوذ في الشراك. بل إن البلاد الموجودة على الهوامش الجغرافية الهشة، والراكبة منها حدود الصحراء على الخصوص كالمغرب، هي التي تؤدي الثمن الأعلى في عملية الاختلال الملم بالكوكب.

لا شك أن عالمنا الآن، المتشابك المصالح أكثر من أي وقت مضى، في حاجة إلى استراتيجيات إعادة تأهيل الطبيعة وفك الضغوط عنها، بعيدا عن هواجس الكسب السريع وحراب النجوم، واستنمارا للمؤهلات الخيرة الهائلة التي وضعها الرباعي أمانة بين أيدينا.

G. Beaudet, *Le quaternaire marocain : état des études*, R.G.M., Rabat, 1971, 3 - 56 ; W.A. Berggren and J.A. Van Couvering, *The Late Neogene : Biostratigraphy, Geochronology and Paleoclimatology of the last 15 million years in marine and continental sequences*, *Palaeogeography, Palaeoclimatology, Palaeoecology*, vol. 16, n° 1/2, 1974 ; P. Biberson, *Le cadre paléogéographique de la préhistoire du Maroc atlantique*, Rabat, 1961, 235 p. ; Ph. Brébion, *Etude biostratigraphique et paléocologique du quaternaire marocain*, *Ann. Paléont.*, 65, 1979, 1 - 42 ; H.F. Lamb, U. Eicher et V.R. Switsur, *An 18000 - year record of vegetation, lakelevel and climatic change from Tigueltamine, Middle Atlas*, *Jour. Biogeog.*, 16, 1989, 65 - 74 ; D. Fassi, *Les formations superficielles du Saïs de Fès et de Meknès : du temps géologique à l'utilisation actuelle des sols*, Rabat, 1999, 527 p. ; *La forêt dans l'histoire de la terre*. In : *Le grand livre de la forêt marocaine*, Belgique, 1999, 10 - 23.

إدريس الفاسي

تنتسب جل أدوار الرباعي الساحلي المغربي إلى مواقع مرجعية في نواحي الدار البيضاء، التي تعتبر من أهم المواطن في الموضوع على الصعيد العالمي. تقليديا، يوافق الدوران الساحليان : المغربي والفواراتي، البليوسين الأوسط والأعلى، ويتجزأ الرباعي البحري ذاته إلى : المسعودي، المعارفي، الأنفاتي، الهاروني، الولي ثم الملاحي. وقد صنفت كلها على أساس مجموعات كثيرة ومتنوعة الغنى من القواقع المنتمية أساسا إلى صف معديات الأرجل من شعبة الرخويات.

لازال للبحث مستقبل خصب في قضايا طبيعة التزامن بين ثنائيات الفترات الجليدية - بيجليدية في العروض العليا والمظيرة - بيمظيرة عندنا، وفي قواعد الربط بين مستويات الرباعي القاري والساحلي، وفي صيغة التجفيف والترطيب داخل الصحراء وعلى هوامشها المتوسطة والمدارية عبر الرباعي...

وإن كانت ملامح الربط والتقاطع عديدة، مثلا بين شقي الرباعي القاري والبحري.

إذ يبدو أن عموم قواقع الغمر تدل على أوساط حارة، الأمر الذي يؤكد التوافق بين الغمر البيجليدي الكوكبي، الدال على بعض التسخين المفضي إلى الاعتدال في العروض العليا، وطغيان المناخات الحارة بالمغرب. كما أن الحرارة هنا لا تعني أكثر من شبيه الجو السائد حاليا، بتفاوت ضئيل، حيث نخلص آخر الأمر إلى المعادلة القابلة للتعميم :

المناخ الحالي (بالمغرب) = مناخ الغمر = البيجليدي الكوكبي

وبما أن المناخ الحالي يوجد في موقع اليمظير عندنا، تصبح المعادلة :

اليمظير المغربي (حار وجاف نسبيا) = البيجليدي الأوربي (المعتدل) وعليه يأتي :

المظير المغربي (معتدل) = جليدي العروض الوسطى (جمدي)

وذلك ليس فقط بالإسقاط والتوافق الطردوي فحسب، ولكن كذلك لأن المسألة قد حظيت بنصيبها من البحث. فقواقع الأوساط الباردة قد برزت بصفة متميزة عقب المغربي والمعارفي والهاروني، وجاءت موافقة على التوالي لفترة ازدهار البحيرات بمغرب البليوسين الأوسط، وللمظيرين العميري والسلطاني اللذين سبق أن عرضنا لتمييز جزالة الأحياء ورخاء الطبيعة فيهما.

ومع توالي تجميع القواقع، حصل التدقيق في مفهوم سخونة وبرودة الأوساط وانتهى بالإحجام عن التأويلات المتطرفة. فكما كان التخلي عن تأويل السخونة بالاعتماد على الوحيش المزعوم "الشيلي - البيرواني" البعيد عن أوساطنا، تأنت مراجعة قواقع البرودة التي كان يعتبر أصلها مغرقا في الشمالية (ربما نرويجيا)، والعودة إلى

**الرباعي** (نقد) أو الرباعية الدرهم الرباعي هو خاص الدرهم الموحد، وقد استمر إصداره على الشكل المربع منذ عهد الموحدين إلى العهد العلوي حتى إلغاء السلطان مولاي رشيد العلوي (انظر الدرهم في المعلمة) والرباعية (عملة) وهي تصغير الرباعي في الداريجة المغربية استعملت كمصطلح نقدي بمختلف الجهات فيختلف نطقه وينطق في سوس (رباع) بسكون الراء أو (ربا) بحذف العين جمعه "أربيع" كما ينطق (رباعية) في جهات أخرى من البلاد. ولا يقصد به في المجال النقدي جزء من أربعة، وإنما يقصد به واحد من خمسة، فالريال في سوس من خمسة (أربيع)، فيطلق (رباع) على البسيطة في صرف الريال الإسباني، كما يطلق على الفرنك في صرف الريال الفرنسي، ويعبر على القطعتين في الظواهر السلطانية، بحيث تسمى البسيطة "بسيطة ذات المدافع" والفرنك (بسيطة بدون مدافع) (الاستقصا، 9 : 64) كما عرف الريال الحسني في سوس بأنه من خمس بسايط أو من خمسة "أربيع" (المعسول، ج. 3 : 275، هامش 2) والربع أو رباعية في هذه الحالة عملية حسابية تتكون من درهين شرعيين، باعتبار أن الريال الحسني من عشرة دراهم وهو ما يوازي فرنكاً فرنسياً أو البسيطة الإسبانية في النظام اللاتيني.

ولم تعد كلمة رباعية مستعملة في المجال النقدي اليوم، وإنما تستعمل في الكلام للتندر، للتقليل من قيمة الشيء يقال : "لا يساوي رباعية" وعرفت رباعية كنوع من المدافع التقليدية، أما لفظة الرباعي، فقد استعملت في الأشعار، يقال جاء "بكلام رباعي" أي موزون مثل الرباعيات كما في رباعيات الخيام.

أ. الناصري، الاستقصا، ج 9، ص. 64 م. المختار السوسي، المعسول، ج. 3، ص. 275 ع. أفا، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر، ص. 403.

عمر أفا

## رباعيات الأشعة، تنتمي رباعيات الأشعة إلى

الإسفنجيات وهي حيوانات بدائية رغم تعدد خلاياها. فهي في مراحلها البدائية على شكل كيس مخاط بعشائين اثنين، مفتوح في إحدى نهايتيه بفتحة يدخل منها الماء إلى داخل الجسم بينما باقي الجسم يظهر ثقوباً صغيرة عديدة وهي فتوحات يخرج منها الماء بعد ما يمتص منه الإسفنج ما هو في حاجة إليه من مواد غذائية وأكسجين.

وكبافي الإسفنجيات تتوفر رباعيات الأشعة على هيكل متكون من أشواك زجاجية ذات أربعة رؤوس ليس لها أعضاء متميزة وإنما تعتمد في وظائف حياتها على هجرة بعض الخلايا التي تقوم بدور الأعضاء المختصة في تلك الوظائف. يمكن لرباعيات الأشعة أن تتكاثر إما بطريقة جنسية أو لاجنسية. ففي الحالة الأولى فإن معظم هاته

الإسفنجيات أحادية الجنس يحمل نفس الفرد منها حيوانات منوية وبويضات يلقي بها في الماء خارج الكيس الإسفنجي ليتم الاخصاب في الماء. في حالة التكاثر اللاجنسي تظهر على جسم الإسفنج براعم صغيرة تحمل تقريباً كل الأنواع والخلايا الموجودة لدى الإسفنج الأم، لتنفصل فيما بعد عن هاته الأخيرة وتعطي أفراداً أخرى.

تنتشر رباعيات الأشعة في كل بحار ومحيطات العالم في الساحل حتى أكبر الأعماق فوق دعامات صلبة أو مدفونة جزئياً في الرمال. ورباعيات الأشعة من أقدم الحيوانات المعروفة حيث إن هناك مستحاثات تشهد على حقبة الكمبري للعصر الجيولوجي الأول.

تجدر الإشارة إلى أن السواحل المغربية تتوفر على أكثر من 300 نوع من الإسفنجيات يعيش معظمها في الجرف القاري إلا أن بعضها عشر عليه على أعماق تتعدى ألفي متر.

Anonyme, *Les spongiens* n° 25, 1973 ; R. Bouchet Chanton, *Zoologie I, invertébrés*, Paris, 1962.

محمد منبوي

**الرُبْبُ**، شراب لزجٌ مستخرج من عصير العنب ؛ ورد ذكره عند الشريف الإدريسي باسم أمازيغي "أنريز" وفي مصادر أخرى "أنريز" (نزهة المشتاق، 3 : 228 : الروض المعطار، 330)، وترجع بداية إنتاجه واستهلاكه إلى فترة حضارات التاريخ القديمة كالحضارة الرومانية. أما أماكن الإنتاج والاستهلاك ودوافعه في المغرب فتفيد النصوص التاريخية الوسيطة في ذلك كثيراً : فصاحب الاستبصار (ص. 211) قال عن مصامدة جبل درن : وهم لا يستغنون عن شربه لشدة برد الجبل وثلجه".

واهتم الشريف الإدريسي بطريقة صنعه واستهلاكه فقال : "... وهو حلو يسكر سكرًا عظيمًا... ذلك أنهم يأخذون من عصير العنب الحلو فيطبخونه بالنار إلى أن يذهب منه الثلث ويزال عن النار ويشرب ... وأهل السوس الأقصى يرون شربه حالاً ما لم يتعد به إلى حد السكر (نزهة، 3 : 228). ومن المعلوم أن طبيعة جبل درن في التاريخ القديم ومعظم فترات العصر الوسيط كانت في البرودة شبيهة بالمناطق القطبية (*Géographie du Maroc*, 16, 17, 18...).

تعدى استهلاك الرُبْبِ الدوافع والأسباب التي أشرنا إليها فأصبح يُستهلك كمادة منشطة ومسكرة بل ومادة غالية الثمن ومن الكماليات التي لا تتوفر للجميع في معظم الأوقات ؛ وقد حدثنا عن ذلك وعن مدى حجم الاستهلاك في إحدى المناسبات ابن صاحب الصلاة الذي يتكلم عن مشاهدة فقال : "خرج الخليفة (أبو يعقوب يوسف الموحد) يوم الجمعة 22 ربيع من نفس السنة

(566) إلى البحيرة خارج حضرة مراكش فأطعم العرب والناس الوافدين وميزهم مدة 15 يوماً يدخل كل يوم في البحيرة أزيد من 3000 رجل وقد صنع ما تقدمت العادة به : نهر من رُبِّ كلما زالت طائفة وقامت مشتت إلى موضع الخليفة وسلمت عليه ودعا لها نهضت إلى ساقية الرُبِّ تشرب وتطرب ... (المن بالإمامة، 433).

هكذا أصبح استهلاك الرب رسمياً أي أن بيعه وإنتاجه أصبح معترفاً به من لدن المخزن الموحد، مما جعل المبالغة في الإنتاج والاستهلاك والانتشار تحدث أضراراً بالمجتمع وبالمخزن نفسه وهيبته فبدأ يعمل على ضبط الإنتاج والاستهلاك والتسويق، وهذا لا يعني أن المخزن الموحد شجع على تناول الرُبِّ وإنتاجه بل ارتبط ذلك في تقديري بالازدهار النسبي الذي عرفته الفلاحة بصفة خاصة والمستوى المعيشي الرفيع في عهد الخلفاء الثلاثة الأوائل.

وتفيدنا الطونيميا لمدينة مراكش في اتجاه ضبط المخزن للرُبِّ، فأحد أبواب مدينة مراكش يحمل اسم "باب الرُبِّ" مما يعني أن المخزن خصص لدخول هذه المادة إلى المدينة باباً عليه حراس محتسبون وغيرهم من الأعوان حتى يتم التحكم فيه ؛ لكن هذا الإجراء وحده لم يحد من انتشار تجارة الرب واستهلاكه، فقد تعدت جبل درن والمصامدة إلى سائر أنحاء الأبراطورية الموحدية وبخاصة إلى الأندلس (مجموع رسائل موحدية، 164، 165)، فجاءت التعليمات والقوانين الصارمة بعد ذلك، وقد روعي فيها منهج التدرج على غرار ما ورد في القرآن الكريم من النهي عن الخمر وعدم الإفراط إلى التحريم التام. فهذا الخليفة الأول عبد المؤمن يُصدر أوامره في الموضوع : "... الله الله في البحث على الخمر... ومروهم بالتهجد لمواضع بيع الرب واعتصاره وخذوهم موقف حدهم على ذلك واقتصاره، فما حل منه أباحه وما كان غير ذلك قطعوه أصلاً" (مجموعة جديدة من الرسائل، 18).

ثم جاءت تعليمات الخليفة عبد المؤمن متشددة بخصوص ثلاث مشاكل كانت تظهر في بعض حواضر الأبراطورية ويواديها (الصلاة والزكاة والرُبِّ) : "... فمن ثبت منعه للزكاة فهو لاحق بمن ثبت تركه للصلاة يقتل ... بائع الرب ... يقتل" (مجموع رسائل موحدية، 133)، ويبدو من خلال المصادر التي تناولت العهود اللاحقة أن الناس استغلوا الغموض الحاصل في تحديد المسكر وغير المسكر من الرب أي الحلال والحرام منه فتصادوا في استهلاكه وما ترتب عن ذلك من مشاكل وتناقضات، فجاءت أوامر الخليفة الثالث يعقوب المنصور للحسم في الموضوع :

جاء في الرسالة 28 من أمير المؤمنين يعقوب إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والأعيان والكافة بإشبيلية : "... فإن الناس تجوزوا في أمر الرب تجوزاً أغفلوا فيه فرتعوا حول حماه رتعاً أوقعهم فيه أو كاد وتسامحوا فيه تسامحاً خرق المتعارف من المأذون فيه والمعتاد، وحاول

اتخاذها وبيعه من لا يتوقف على احترام، ولا يتخوف بما يكتسب من آثام... والذي أطلقه هذا الأمر العزيز منه وأجاز فيه مباح البيع والشراء ما أنهى طيخه غاية الإنهاء وميز جرمه في قوام الطلاء... ولما تقر عندنا من الالتباس في ذلك ما تقر، وتردد على أسماعنا ما استرسل فيه وتكرر، وعلمنا أن الذي وسع على الناس من اتخاذهم لم يتبين لهم الحق فيه على وجهه ولم يتحرر، وأن ذلك مما يصعب عليهم بسبب ما تساهلوا فيه ويتعذر، رأينا... أن قطعته بالكلية أخلق بالاحتياط لديهم وأجدر... فإذا وافاكم كتابنا هذا فاقطعوه جملة وتفصيلاً، ولا توجدوا أحداً إلى بيعه سبيلاً" (مجموعة رسائل موحدية، 164 و165 و166 و167).

ويعد العهد الموحد استمر إنتاج الرُبِّ واستهلاكه لكن بكيفية متقطعة تبعاً لسنوات الرخاء والسنوات العجاف، وتحول شكله والغرض منه فأصبح يدخل في التغذية في البوادي الفقيرة. ومن الأسماء التي ظهر بها منذذ وإلى اليوم الدبس والصامت وغيرها من الأسماء التي اختلفت عبر التاريخ والجهات، وكلها مشتقات من العنب (المقصود، 122).

ل. بروفنسال، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المومنية، الرباط، 1941 : أ. عزاي، مجموع جديد من رسائل موحدية، تج. ودراسة مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1986 : الإدريسي الشريف، زهرة الشتاق، نابولي إيطاليا، د. ت. الجزء 3 : ابن عبد النعمان الحصري، الروض المعطار، بيروت، 1957 : مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، الاسكندرية، 1958 : ابن صاحب الصلاة، كتاب المن بالإمامة، بيروت، 1964 : ع. الحق بن إسماعيل البادسي، المقصد الشريف والمنزح اللطيف في التعريف بصلحاء الرب، الرباط، 1982.

Martin [et al.], *Géographie du Maroc*, Paris, Casablanca 1967.

محمد حجاج الطويل

**الرُبِّ (باب -)** ويسمى أيضاً باب القصر (الذيبل والتكملة، 8 . 1 . 251) يقع في أقصى غرب الواجهة الجنوبية للسور المرابطي بين باب الصالحة شرقاً وباب الشريعة غرباً (مسالك الأبصار، 133).

ينسب الباب في تسميته إلى شراب الرُبِّ، وهو الباب الوحيد بين أبواب المدينة الذي ينسب إلى منتج غذائي. وليس الرُبِّ بالضرورة خمرًا لم يتحول إلى مسكر. ولذلك فهنالك الرُبِّ المباح مثل رب التوت ورب السفرجل ورب الرمان. (كتاب الطبخ، 255 - 256) والرُبِّ الحرام وهو "الشراب المسكر المتخذ من عصير العنب والتمر أو غيرهما ويترك حتى يختمر" (المعجم الوجيز، 599). ودون شك فإن النوعين معا كانا معروفين والتمييز بينهما لم يكن مستعصياً على سكان المدينة (المن بالإمامة، 113) خاصة

والأطلس الغربي، ثم الوظيفة الأمنية كباب له مهام دفاعية سمحت بجعل باب أكتاو المجاور له باباً فنياً أكثر منه باباً وظيفياً (Marrakech, 1 : 231) وموقعاً لإرسال خطاب التهيب والترغيب من خلال تعليق رؤوس الخارجين عن الطاعة فوقه (روض القرطاس، 391)، ومركزاً لمراقبة التحركات البشرية من وإلى المدينة واستخلاص مستحقات الجباية (إئتمد العينين، 1 : 229).

لبناء الباب شكل يشبه المستطيل، وتتكون من باب خارجي وآخر داخلي، يربط بينهما عر منعرج وفضاء مكشوف وقاعة مغطاة بقبة ذات زاوية بارزة يفصل بين نصفين قوس نصف دائري تجاورها قاعة صغيرة ذات شكل يقرب من المستطيل (Les portes, 124).

رسائل موحدية، نج. أحمد العزاوي، ج. 1، الدار البيضاء، 1995 : مجهول، كتاب الطبخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، نج. هويشي ميراندا، مدريد، 1961، 1962 : ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، نج. عبد الهادي التازي، بيروت، 1987 : مجهول، كتاب الاستبصار، نج. سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، 1985 : ابن القطان، نظم الجمان، نج. محمود علي مكي، بيروت، 1990 : ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، السفر الثاني، نج. محمد بنشريفة، الرباط، 1984 : ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط 1973 : ابن فضل الله العمري، الاستبصار في مسالك الأوصار، نج. مصطفى أبو ضيف، الدار البيضاء، 1984 : ابن تكلت، إئتمد العينين، نج. م. رابطة الدين، د. د. ع. كلية الآداب، الرباط، 1986 : مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، 1995. C. Allain et G. Deverdun, Les portes anciennes de Marrakech, Hesp., T. XLIX, 1957 ; G. Deverdun, Marrakech des origines à 1912. Rabat, 1959. محمد رابطة الدين

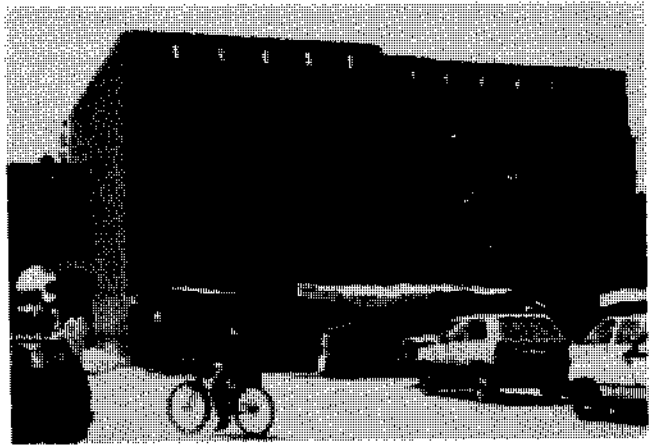
## الرباع (أجير) ← تاريخات

الرباع، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة جبل حبيب وقد انقرضت بهذه المدينة، مع الإشارة إلى أنه إلى غاية سنة 1257 (1841) كانت توجد بحومة الطرانكات دار تحمل اسم هذه الأسرة.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1622.

محمد ابن عزوز حكيم

رباني، محمد، مقاوم ولد سنة 1935 بأكادير، وأثناء فترة شبابه تشبع بأفكار الحركة الوطنية، وانخرط في صفوف المقاومة المغربية، وانضم إلى المنظمة المعروفة بـ"الفرقة المتطوعة" التابعة لل"منظمة السرية" بأكادير، لمقاومة الاحتلال الفرنسي، وذلك سنة 1953. وكانت مشاركته فيها فعالة، إذ ساهم في تدبير عدة أعمال فدائية، وتبنت منظمته كامل مسؤوليتها عنها، ومنها :



وأن له قواعد فقهية ضابطة له، وإطاراً مخزانياً ينظم رواجه بالمدينة. يشرف عليه أمناء مكلفون بالمراقبة، من مؤهلاتهم القدرة الكافية على التمييز بين الحلال من الحرام ومعرفة ما يجوز شربه وما لا يجوز... ومن مهامهم إباحة الأول ومنع الثاني (رسائل موحدية جديدة، رسالة رقم : 26 - نظم الجمان، 197، 198).

ويدهي أن اسم الباب ينسب إلى الصنف المسموح برواجه، ولدعم ذلك نكتفي بإبداء ملاحظتين، أولاهما : أن غالبية سكان المدينة الجدد من مصامدة الجبل، ومن تقاليد تغذية هؤلاء أن "أكثر عيشهم إنما هو من العنب والزبيب والرّب، وهم لا يستغنون عن شربه لشدة برد الجبل" (الاستبصار، 211). ثانيهما استهلاكه على نطاق واسع ويشكل رسمي في المدينة على الأقل قبل خلافة المنصور. يقول ابن صاحب الصلاة : "فأطعم - أبو يعقوب يوسف - العرب والناس الوافدين وغيرهم، مدة خمسة عشر يوماً... وقد صنع ما تقدمت العادة به نهراً من رّب ممزوج بالماء، كلما أكلت طائفة وقامت مَشَتْ إلى موضع الخليفة... وسلمت عليه ودعا لها ونهضت إلى ساقية الرّب تشرب وتطرب" (المن بالإمامة، 344).

ومن الملاحظتين قد لا يستبعد أن الجبل كان نقطة من نقط الإنتاج، ومراكز كسوق وباب الرّب نقطة عبور للإنتاج، خلاصة يُقوي منها موقع الباب نفسه الذي يجعله مفتوحاً على الجبل.

لا يعرف بالتدقيق تاريخ تأسيس هذا الباب، هل هو بالذات تاريخ بناء السور ؟ أم بعده ؟ والمؤكد أنه كان موجوداً على الأقل منذ القرن السادس (12 م) من حكم الموحدين، حيث أشار ابن عبد الملك إلى أن العالم اللغوي أبا موسى الجزولي قد مرّ منه صحبة أبي القاسم بن المالقي رئيس طلبة العلم في عهد حكم المنصور (الذيل والتكملة، 1. 8. 249. 251). وقد رجّح دوڤردان هذا العهد بالذات كتاريخ لتأسيس باب الرّب (Marrakech, 1 : 242 - 243).

من الوظائف التي أداها باب الرّب، يمكن تسجيل الوظيفة المجالية حيث كان يمثل نقطة التقاء بين المدينة المرابطة وحومة أكادير وحومة الصالحة، ومحطة من محطات العبور بينها والمصلى وسوق بيع البقر والغنم



- إشعال النار في مزرعة أحد المستعمرين، الواقعة على الطريق المؤدي من إنزگان إلى نيكوين سنة 1953.  
- تحرير المناشر ورسائل التهديد التي وزعت على أرباب السفن الخاصة بالصيد البحري، وعلى أرباب المتاجر الكاتنة بأگادير وإنزگان.

- إشعال النار في مزرعة الدكتور غوسال الواقعة في أولاد دحُو بالكولومتر 33 بين أولاد تايمَة وأگادير.  
- الإشراف على شراء الأسلحة من تندوف، بواسطة المقاوم السيد إدبُويا الخليل.

وكان هذا المقاوم يقوم بأنشطته الفدائية بتنسيق مستمر وتام مع رفاقه في الكفاح، وبصفة خاصة مع المقاومين : رافعي سعيد، عبد القادر الجزائري، ناشيدي عبد الله والنوصيري محمد (أوشن).

وقد تمكنت الشرطة الفرنسية من إلقاء القبض عليه وعلى بعض رفاقه، وقدمتهم إلى المحكمة الابتدائية بأگادير التي نظرت في قضيتهم، وأصدرت في حقهم عدة أحكام. حكمت على المقاوم رباني محمد بالسجن بتهمة الإخلال بالأمن العام وتحرير وتوزيع المناشر وإشعال النار. وسُجن بسجن الصويرة إلى أن أُطلق سراحه، وانضم إلى جيش التحرير بعد ذلك، وبعد الاستقلال، تفرغ للقيام بأعمال حرة ولشؤون أسرته، وهو متزوج وأب لأربعة أبناء.

معلومات عن قدامى المقاومين وأعضاء جيش التحرير، بسجلات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير - نيابة الرباط : تقرير عن الأعمال الفدائية التي قامت بها الفرقة المتطوعة التابعة للمنظمة السرية، من إنجاز السيد رباني محمد، وقُدِّم أمام لجنة التصفية المكلفة بمنح صفة مقاوم بأگادير ؛ شهادة عبد الله النوصيري (أوشن) على شكل استجواب محرر بتاريخ 25 و26 نونبر من سنة 1986 ؛ نبد عن حياة قدامى المقاومين وأعضاء جيش التحرير، وهي على شكل وثائق مرقونة، توجد بالمندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، نيابة أگادير. خالد أوشن

**الرَّيُّوسُو** El Raposo، قائد من العلوج البرتغاليين كان عاملاً على تازا من طرف السلطان مولاي عبد الملك، وفي ليلة 3 غشت 1578 فر من معسكر السلطان المذكور صحبة الأمير مولاي الناصر بن عبد الله الغالب والتحق بمدينة أصيلا التي كانت آنذاك بيد البرتغال.

B. Morales, *Jornada de Africa del Rey Don Sebastian de Portugal*, Sevilla 1622 y Madrid 1889 ; I.M. de Queiroz Velloso, *Don Sebastian* (Traduccion Española por Ramon de Garcia Soler), Madrid, 1943, p. 260.

محمد ابن عزوز حكيم

**الرَّيُّون**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ripol ؛ وأما

أفراد هذه الأسرة الذين مكثوا بالأندلس بعد سقوط غرناطة فقد أرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Ripoli - Ripoll ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 705.

محمد ابن عزوز حكيم

**الرُّبْرَتِير**، فارس وقومط من نبلاء وقواد إمارة برشلونة وأرغون، تسميه المصادر الإسبانية El Reverter أو رُوبِرْتُو القُطلونِي. تختلف الأخبار بشأن انتقاله إلى المغرب، فهناك من يذكر أنه لجأ إلى المرابطين على إثر نزاع بينه وبين أمير برشلونة رامون برنجر الذي نزع منه ألقابه النبيلة وأمواله. بينما نجد في خير آخر أن أمير البحر المرابطي علي بن ميمون أسره سنة 511 / 1117 في حملة بحرية ضد برشلونة، ووجهه إلى مراكش، فاعتنق الإسلام ولزم خدمة أمير المسلمين علي بن يوسف، الذي أسند إليه قيادة فرقة الروم في الجيش المرابطي فعرف بـ "قائد الروم". وكانت هذه الفرقة مكونة من مرتزقة وأسرى مسيحيين، وأرقاء. حصل عليهم المرابطون بالشراء من شواطئ جليقية وقطالونيا وغيرها.

ظهر نشاط هذا القائد في مواجهة حركة الموحدين بقيادة عبد المومن بن علي الكومي بعد وفاة المهدي بن تومرت، حينما طاردها الأمير تاشفين بن علي والربرتير في منطقة جزولة. وقاد الربرتير حملات متعددة لمحاربة الشوار الموحدين، وتمكن من التغلب عليهم عدة مرات بنواحي مراكش. وتسميه المصادر الموحدية بأسماء مختلفة، فهو عند البيدق الشنيور (Señor) أو الأبرتير، بينما تسميه رسالة رسمية موحدية بالعلج الأعرج.

تفرغ الربرتير ابتداء من سنة 533 / 1139 لمطاردة جيش عبد المومن في معارك طويلة متتالية، بنواحي حاحة في نفس السنة، وبأزميز سنة 534 / 1140، وبأكطور سنة 535 / 1141، فهزم المرابطون وجرح الربرتير ورجع إلى مراكش، ثم قاد حملة جديدة ضدهم بغياية والسوس. ولما أحس الموحدون بأن انتصاراتهم في هذا المنطقة المحدودة لم تترتب عليها نتائج حاسمة، نقلوا تحركاتهم إلى مناطق شمال المغرب، فأتبعهم أمير المسلمين تاشفين بن علي بمسكركه ومعه قائده الربرتير، فاستقروا مدة بفاس لمراقبة تحركات الموحدين الذين يطوفون جبال فازاز وغياية ويخضعون قبائلها. ثم انتقلت المطاردات إلى جبل لجاية وصنهاجة شمالي فاس، وقد هاجم الربرتير جيش عبد المومن في نواحي تازغردا وقتل في الهجوم من الطرفين عدد كبير، ثم كر إلى نواحي بني تاودة. فسار الموحدون إلى بني مزكلادة ونواحي قصر عبد الكريم، وتبعهم المرابطون فمكسروا بتهلط قرب القصر. وكان المرابطون في كل ذلك

يريدون اعتراض طريق الموحدين ليقوموا بهم في معركة يحددون ساحتها، في الوقت الذي كان فيه الموحدون يتلافون المواجهة، لذلك خططوا من جانبهم لجر الجيش المرابطي في مسيرة جبلية صعبة سنة 536 / 1142 امتدت إلى قبائل غمارة وتيكساس والزمة. ثم اتخذت وجهتها شرقاً نحو تسمان وبني يزناسن، ومن هناك إلى نواحي وهران وتلمسان. ثم رجعت الحملة المرابطية إلى مدينة فاس عند حلول فصل الشتاء، ووصلهم خبر وفاة أمير المسلمين علي بن يوسف سنة 537 / 1143. وفي هذه الأثناء نجح عبد المومن في إخضاع نواحي تلمسان، فلما قصدها المرابطون لاسترجاعها دارت بين الطرفين معارك في تراب بني سنوس، في غارات متبادلة بين البربر وبين عبد المومن للسيطرة على غنائم زناتة قتل فيها البربر سنة 539 / 1144 قبيل مقتل تاشفين بن علي في نفس المنطقة. وترك هذا القائد ابناً هو أبو الحسن علي بن البربر الذي أصبح فيما بعد من قادة الجيش الموحد المرموقين.

البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، تج. عبد الحميد حاجيات، الجزائر، ط 2، 1986، ص. 135؛ ابن القطان، نظم الجمان، تج. محمود علي مكلي، بيروت، 1990، ص. 140 - 215 - 237. 263-238؛ ابن الأبار، الحلة السراء، تج. حسين مؤنس، القاهرة، 1963، ج. 2، ص. 13 - 222؛ ابن عذاري، البيان المغرب، بيروت، 1985، ص. 18 - 19 - 20؛ ابن خلدون، العبر، بيروت، 1981، ج. 6، ص. 476؛ م. عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القاهرة، ط 1، ص. 232 - 248. A. Huici Miranda, *Historia política del imperio Almohade*, Tetuan, T. 1, p. 112.

محمد المغراني

ابن الرُّبْرْتَيْر، أبو الحسن علي ولد الفارس الرُّبْرْتَيْر Reverter سابق الترجمة. اعتنق الإسلام كذلك، وتحول إلى خدمة الموحدين وصار من قادة جندهم وأحد رجالات دولتهم. أرسله الخليفة يوسف بن عبد المومن رسولا إلى صاحب ميورقة محمد بن إسحاق ابن غانية سنة 580 / 1184 على إثر وفاة أبيه إسحاق بن محمد ابن غانية يدعوه وإخوته إلى الطاعة. وقد رحب محمد بن غانية برسول الموحدين وأبدى الاستعداد للدخول في طاعتهم، لكن إخوته رفضوا هذا الأمر واعتقلوه، واعتقلوا أيضاً ابن البربرتيير ومن كان معه من بحارة السفينة الموحدية. فظل رهن الاعتقال إلى أن توجه أسراء بني غانية وقوادهم لمواجهة ضغط الموحدين على جيشهم بإفريقية سنة 581 / 1185، فانتزعت فرصة غيابهم ودخل بعض مواليتهم وجنودهم الأعلاج الذين علم برغبتهم في الرجوع إلى بلادهم، ووعدهم بمساعدتهم إذا هم سهلوا له الخروج من السجن، وفعلاً أخرجوه وساعده على القيام بانقلاب في الجزيرة ضد حكم بني غانية، فسيطر على قصبة مدينة ميورقة وانتزعها منهم أواخر سنة 581 / 1185. وأطلق سراح حاكم

الجزيرة السابق محمد ابن إسحاق بن غانية انضم إليه، فأقامه الثوار حاكماً عليها باسم الموحدين وعزلوا أخاه حاكم ميورقة طلحة بن إسحاق بن غانية. ثم عاد القائد علي بن البربرتيير إلى مراکش بعد أن سرح الجنود المسيحيين بأموالهم وأهلهم وأعادهم إلى بلادهم وفاء بوعده لهم. وشارك بعد ذلك في معارك قفصة ضد بني غانية وقراقوش الغزي والأعراب سنة 583 / 1187 فأسر، وسلم لعبد الله بن إسحاق ابن غانية الذي أمر بتعذيبه حتى الموت.

ع. ابن عذاري، البيان المغرب، بيروت، 1985، ص. 175 - 183. 184 - 188 - 189 - 240؛ م. عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القاهرة، ط 1، 1964، ج. 2، ص. 147 - 148 - 156 - 157 - 161 - 257؛ عصام سالم سيسالم، جزر الأندلس المنسية، التاريخ الإسلامي لجزر البليار، بيروت، ط 1، 1984، ص. 349 - 353 - 367.

محمد المغراني

**الرِّبْضُ البِرْأَنِيّ** بسبته، أحد الأرياض الستة التي كانت تشكل أحياء مدينة سبته في عصرها الإسلامي المغربي والريضة البراني يصف حتى الأرياض الثلاثة الموجودة على هوامش المدينة. ربما كان يحتل الجزء الأقصى من القسم الغربي للمدينة يحده غرباً أفران المتحدث في الفترة العربية (معلمة، 2 : 547).

فاصطلاح "البراني" يعني في العامية المغربية ما هو خارج عن المدار المركزي للمدينة. كان يشكل وحدة حضرية منفصلة محصنة بشكل قوي. كان يحيط بهذا الرِّبْض سور صلب البناء تتوسطه خمسة أبواب (اختصار، 45). كما يفصله عن باقي الأحياء عدد من الحفائر. وكان يشكل مجالاً حضرياً مغلقاً يصعب اقتحامه وذلك إلى حدود بداية القرن الثامن (14 م) حين أمر السلطان المريني أبو سعيد بهدم سور الممتد من حافة الغدار إلى مضرب الشبكة (اختصار، 44).

من الصعب حالياً وفي غياب وثائق تاريخية جديدة - معرفة الخصائص العمرانية والبشرية التي كان يتميز بها هذا الحي. ومع ذلك نميل إلى القول إن الحي يحكم موقعه الجغرافي المثل على بادية سبته كان أكثر الأحياء استقبالا للهجرة القروية. يقول ابن القاسم الأنصاري إنه كانت توجد به الحارة والكسابون أي مربي الماشية. وللحارة مدلولان في العامية المغربية ولا ندرى أيهما المقصود في النص. فهي تدل على حفير تلقى فيه الجيف ونفايات النقدية. كما تدل أيضاً على معنى الحي أو "الحومة" حسب الدراجة المغربية (اختصار، 43، إحالة رقم 87). وقد نميل إلى الاعتقاد أن المقصود هو المعنى الثاني، إذ أن الحفير يكون عادة خارج أسوار المدينة حتى لا يؤدي نبتها السكان، لذا لا يصح أن يكون داخل الرِّبْض. قد يكون الحي أكثر اكتظاظاً بالسكان من عامة الناس وهنا يمكن أن نجد جواباً للأسباب التي دعت

وإذا حصرنا معدل عدد السكان في كل دار أو مسكن في ستة أشخاص فنصل إلى الأعداد التالية انطلاقاً من المعطيات الإحصائية التي قدمها الوزان نفسه :

الريضة الأولى :  $6 \times 500 = 3000$

الريضة الثانية :  $6 \times 200 = 1200$

الريضة الثالثة :  $6 \times 150 = 900$

الريضة الرابعة :  $6 \times 400 = 2400$

الريضة الخامسة :  $6 \times 100 = 600$

المجموع : 8100

فهذه الأرقام تبين أن تلك الأرياض كانت تحتضن مجمعا سكانيا هاماً، بالقياس مع الفترة المتحدثة عنها. ومن المعلوم، أن هؤلاء السكان كانوا متحدرين من أصول مختلفة، مصمودية وصنهاجية وهلالية كانت قبائلها تكتسح نواحي فاس وجهاته، يضاف إلى ذلك فائض تلك الأعداد التي كانت تغد على المغرب، سواء من بلدان المغرب الكبير، أو من الأندلس مثل أهل قرطبة الذين حلوا بفاس ونواحيها فراراً من بطش الحكم بن هشام بن عبد الرحمان الأموي أثناء معركة ريبض قرطبة سنة 202 / 817، ثم إن ناحية فاس مثل باقي المناطق المغربية كانت تتعرض طوال العصور إلى هجرات بشرية متتابة حُكم عليها بالتنقل والبحث الدائم عن الكفا والمراعي. وقد عرف العهد السعودي وبداية فترة الحكم العلوي تحركات لهذه القبائل، كان أشد نشاطها في فترة المولى إسماعيل. وبذلك اقتربت عناصر القبائل من المدينة فأدمجت ضمن جماعات أخرى فتلاحمت وتلاقحت. ولا يستبعد أن تكون من أهم أسباب إقامة العديد من هؤلاء السكان بعد تكاثرهم في هذه الأرياض، نتيجة إما عن عدم توفر مدينة فاس على دور لإيوائهم لأنها كانت تضيق ذرعاً بكثرة سكانها ؛ أو أنهم من أولئك الذين فقدوا أرضهم وأصبحوا يشكلون فائض اليد العاملة، في الحقل والمراعي. يقول الوزان : "... والفلاحون الذين لا يريدون البقاء في البادية ولا يستطيعون ذلك" فهاجروا إلى المدينة لاحتراف الأعمال. ولم يكن لهم من اختيار سوى الاستقرار في هوامشها، خاصة في جو الغليان السياسي الذي كانت تعرفه المنطقة في القرن العاشر (16 م). وكان سكان هذه الأرياض يتألفون، اجتماعياً، من فئات ثلاث :

أولاً : الفلاحون الفقراء الذين كانوا يعملون في الأراضي المجاورة التي كان أعيان المدينة يملكونها.

ثانياً : الحرفيون والصناع المتواضعون كالبنايين وخدام القصر والنقالين.

ثالثاً : تجار صغار في دكاكين متواضعة. والتجار المتنقلون في أسواق المنطقة كسوق الخميس الأسبوعي الذي كان حافلاً بالمنتجات الفلاحية التي كانت تنتجها حقول وبساتين المنطقة.

ولتأمين وضمان مستوى عيش متواضع، كان سكان هذه الأرياض يربطون علاقة إنتاج وعمل مع المجارة فاس.

أما سعيد المريني إلى هدم أسوار هذا الريضة ربما لما كانت تشكله من خطر على السلطة القائمة. فتوالت الأرياض معروفة في تاريخ الأندلس والمغرب ضد الجور والظلم وسوء التدبير. وقد سجل التاريخ للسبتين ثورات عديدة ضد قادتها نذكر من بينها ثورتهم ضد الينشتي (92، Ceuta). ومن الثابت أن عامية السكان في سبتة شكلت عنصراً إيجابياً في الدفاع عن المدينة ضد الغزاة الأجانب كما حدث مثلاً سنة 632 / 1235 حينما حاول الجنويون اقتحام سبتة عنوة (البيان، 350).

أما المجال الحضري فالظاهر أنه كان أكثر بساطة من حيث طبيعة العمران.

ويبدو أن اختفاء هذا الهي حدث بشكل سريع جداً بعد سنة 818 / 1415، أي بعد الاحتلال البرتغالي للمدينة، بحيث لا نجد له ذكراً في المصادر المتأخرة.

ابن القاسم الأنصاري، اختصار الأخبار، الرباط، 1403 / 1983 ؛

ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، تج. محمد إبراهيم

التازي وآخرين، بيروت - لبنان، 1406 / 1985 ؛ معلمة المغرب،

مطابع سلا، 1410 / 1985، المجلد الثاني.

زليخة بنرمضان

**ريضة فاس**، يقع غربها وقرب القصبة الموحدية،

على أرض صخرية صلبة عارية. وكانت تقيم عليها مجموعات من الدور، تشبه الأكواخ، وتضم ساكنة هامة.

وصفها لوطورنو بالقرى. وحدد الوزان عددها في

خمس. الريضة الثاني منها اعتبر كحارة للمجدومين، وكان

يضم مائتي دار ؛ ويقع بين باب محروق وهضبة المرينيين،

وقرب باب عجيصة، غير أن عدد دوره قد تقلص إلى

الستين، في النصف الثاني من القرن العاشر (16 م).

أما الأول من هذه الأرياض، حسب تصنيف الوزان ؛

فهو أكبرها حجماً وأكثرها سكاناً حيث كان يضم خمسمائة

عائلة ؛ ويقع ناحية مطامير المرابطين. والثالث والرابع كانا

يضمنا على التوالي مائة وخمسين ؛ وأربعمائة عائلة،

ويقعان شمال فاس الجديد. أما الخامس فقد وصف

لوطورنو دوره التي تبلغ نحو المائة بالأكواخ.

وإذا كانت فترة نشأة هذه الأرياض وبداية تدميرها

مجهولة التحديد، فمن المرجح، أن بداية ظهورها، قد

انطلقت، منذ فترة الحكم المرابطي، على اعتبار أن حراس

مطامير القمع التي كانت موجودة بها هم الذين وضعوا نواة

المساكن الأولى بها. ويفترض لوطورنو أن مباني قد شيدت

خارج أسوار فاس منذ العهد المرابطي ولا يستبعد أن تكون

من بينها هذه المجموعات من الدور التي تشكلت منها هذه

الأرياض بعد تكاثرها مع مرور الزمن، ليصل عددها إلى

الحجم الذي شاهده الحسن الوزان في بداية القرن العاشر

(16 م). ويبدو أن بناءها كان قد تم بشكل عشوائي، حيث

كان مجالها الجغرافي يقتصر إلى التخطيط والتنظيم.

وتكثر الحفر في أزقتها وأسواقها.

فكانوا يقومون بخدمة أهلها. وقد فرض مجال تبادل المصالح على فاس، تزويدهم بالخدمات وإنتاج الحرف، والإشراف على إدارة شؤونهم، وتنظيم حاجياتهم. وبالمقابل كان كثير من سكان الأرياض يشكلون يداً عاملة، كانت تشتغل في مختلف الخدمات والإنتاج الحرفي، داخل المدينة. وبذلك كانت فاس وبما تقدمه من مناصب شغل، تقوم بامتصاص جزء هام من السواعد القادرة على العمل في تلك القرى.

ومع ذلك لم يكن بإمكان تلك الفئات من الحرفيين، والتجار والعمال خلق ظروف اقتصادية، تساعد على تحسين مستوى عيشتهم أو تغييره؛ ولذلك ظلت حاجاتهم البسيطة، بساطة مساكنهم، مرتبطة بقانون البقاء. فقد كانوا يشكلون "فقراء القوم" حسب تعبير الوزان. وحسب ما نستنتجه من المعطيات التي قدمها صاحب وصف إفريقيا، فإن عيشتهم ظل مطبوعاً على الدوام بالتقشف المستمر، وأن أغليبتهم كانت تواجه بطالة مذلّة و فراغاً قاتلاً. وحتى لو توفرت فرص الشغل لبعضهم، فهي إما مؤقتة أو موسمية مثل ما كانت تقدمه الحقول والضيعات الفلاحية المجاورة أو منجم وأفران الجير التي تستخدم الصخور المحلية أو القليل من الخدمات البسيطة التي تقدمها حارة المجذومين لمرضاها".

وكانت أوضاعهم الاجتماعية تزداد سوءاً إبان حدوث القحط والمجاعات كالذي حدث في المغرب في الفترة المرينية سواء سنة 678 / 1279 أو سنة 693 / 1293 أو كالذي حدث في الفترة السعدية "حيث عرفت فاس وناحياتها طوال العصر السعدي فترات مظلمة تسببت فيها قلة الإنتاج الناتجة عن الجفاف والفيضان... فأدى ذلك إلى مجاعات مهولة" أو في فترة حكم العلويين حيث توالى سنوات الغلاء والقحط من 1721 إلى 1724 ثم في سنوات 1776 - 1779 : 1782 - 1800 - 1818 - 1820 وما كانت تسببه من مجاعات وانتشار الطاعون في مثل هذه الظروف أو في ظروف التقشف والفقر والحاجة كان يعيش سكان الأرياض بفاس وهو ما كان يؤثر سلباً على حياتهم الاجتماعية خاصة عندما يضعف الحضور المخزني، أو يتوارى داخل المدينة؛ أو يصبح متقطعاً، فيقل الأمن ويفسح المجال أمام تدني السلوك السوي وانحطاط الفضائل وانتشار المفاسد، والذائل واللجوء إلى الشعوذة ولكل مظاهر الانحراف. قال الحسن الوزان موضحاً ذلك أثناء حديثه عن أحد هذه الأرياض: "بحيث يمكن القول إن هذا الريض هو ظرف لجميع أقدار المدينة" من هنا يمكن القول إن سكان هذه القرى كانوا يبذلون جهداً جهيداً، وعناء شديداً، لسد حاجياتهم اليومية المتواضعة، ونتيجة لذلك، فقد ظلوا أسارى دائرة اقتصادية واجتماعية مغلقة لم يستطيعوا اختراقها. ومع هذا كله فقد استمرت عندهم شروط وضوابط تقليدية موروثية هي التي كانت تنظم حياتهم العامة واليومية، رغم ما كان يظلم

حياتهم من هشاشة الاستقرار وقلة الأمن حسب ما أكد الوزان بقوله:

"... ولا يرى به (أي بالريض) أحد في الدكاكين بعد الساعة الثامنة مساءً..."

وعلى اعتبار أن هؤلاء السكان كانوا يشكلون وحدات اجتماعية؛ فإن تكيف عناصرهم وانسجامهم، جاء على ما يبدو، كنتيجة لتفاعلهم مع المعطيات غير الملائمة لوسطهم الاجتماعي والاقتصادي.

ج. ابن منظور، لسان العرب، ج 7 ص. 152؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1980، ج 1 ص. 215؛ روجي لوطنو، فاس قبل الحماية، تر. م. حجي وم. الأخضر، ج 1، ص. 110؛ م. حجي، حارة المجذومين بفاس، معلة المغرب، ج 1، ص. 10، ص. 3272 - 3273؛ إحالة في وصف إفريقيا؛ ابن عذاري، البيان، تج. كولان ويرفانسال، ج 2، ص. 77؛ ابن الأبار، كتاب الحلة السرا، تج. مؤنس، ج 1، ص. 44، وراجع كذلك العبر، ج 4، ص. 274 ونفع الطيب، ج 1، ص. 339؛ م. مزين، فاس وبدايتها؛ ابن أبي زرع، القرطاس، ص. 405 - 409، الرباط؛ م. الأمين البراز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب، الرباط.

عبد السلام السعيد

**الريضيون** أصحاب الثورة العارمة بقرطبة يوم 13 رمضان سنة 202 / 25 مارس 818. المعروفة بشروة الريض، نسبة إلى ريض شقندة بالعدوة القصوى لقرطبة، وذلك على عهد الأمير الحكم الأول بن هشام بن عبد الرحمن الأموي (180 - 206 / 796 - 822) احتجاجاً على توظيفه بعض المكوس، وعلى أشياء تتعلق بذاته من بطالة وإخلاء الحياة للهوى والخمر، فنادوا بخلعهم، وكان فيهم عدد من أهل العلم والورع من فقهاء قرطبة كيحيى بن يحيى الليثي وأخيه، وطالوت بن عبد الجبار وغيرهم. وقد قمعت هذه الثورة بقسوة بالغة، فانهزم الثوار وقُتل منهم أعداد كثيرة قدرت بعشرة آلاف رجل، وصلب على وادي قرطبة حوالي 300 من زعمائهم "فلم ير مُسْتَلون أكثر منهم عدداً ولا أهول منظرًا" (الحلة السرا)، وأُسرت أعداد أخرى واستُبيح حيهم ثلاثة أيام، فنهبت دورهم وأحرقت، ثم هدم الريض عن آخره فأصبح أثراً بعد عين وتحول إلى أرض زراعية. ولقب الأمير الحكم بسبب هذه البطشة الكبرى بالحكم الريضي، وبعد انقشاع غيوم الأزمة تنبه إلى العنف غير المبرر الذي ارتكبه فظل بقية حياته يعاني من الندم على تصرفه ذاك إلى وفاته سنة 206.

وبعد إخماد الثورة أمهل الريضيون من الثوار وغيرهم ثلاثة أيام لمغادرة الأندلس، تحت طائلة التعرض للقتل، فأجلى عدد كبير منهم عن قرطبة وتفرقوا في البلاد، ففضل عدد من العلماء والصلحاء التوجه شمالاً إلى مدينة طليطلة التي كان أهلها مخالفتين للحكم، وحصلوا بعد ذلك على أمان من الأمير الحكم يسمح لهم بالتوجه أتى شاعوا

من الأندلس سوى قرطبة. وتوجهت جماعات أخرى من الرضيين إلى المشرق، قدر ابن القوطية عددهم بـ 15000 شخص، انتهى بهم المطاف إلى الأسكندرية، وبعد صراعات ومواجهات مع أهلها نقلوا إلى جزيرة اقریطش (كريت) في بداية حكم الخليفة المأمون العباسي فعمروها.

أما أغلب جالية الرضيين فقد حلوا بسواحل المغرب الأقصى، والتحق عدد كبير منهم بمدينة فاس التي كان أميرها الشاب الإمام إدريس الثاني (ت. 213) منشغلاً في إتمام بناء الدولة المغربية الأولى في حماس شديد بدعم من القبائل المغربية، ومن كان يلتحق به من حين لآخر من المهاجرين العرب من المشرق والأندلس، وقد أحسن الأمير إدريس استقبال اللاجئين الجدد وواساهم في محتتهم وأكرمهم. وأقطعهم أرضاً بالمدينة كان قد اشتراها من بني الودون الزواغيين بستة آلاف درهم، فأنشؤوا عليها عدوة الأندلسيين التي تنسب إليهم، "فاحتلوا عدوة فاس، فهم عدوة الأندلس منها، فصيروها مدينة" (ابن عذارى)، وساهموا بذلك في تعميم المدينة وتوسيعها، خاصة وأن أعدادهم كانت كبيرة، فقد قدر المؤرخ ابن أبي زرع الفاسي عدد من استقر منهم بفاس بثمانية آلاف بيت. وقد ساكنوا في عدوة الأندلس بربر المنطقة من مصمودة وكرواوة وزناتة ولواتة وصنهاجة دون أن يقع بينهم تنافر يذكر. وقد بنوا أحياء العدوة الجديدة على طراز أندلسي، كما أنهم نقلوا عاداتهم الاجتماعية القرطبية وتقنياتهم في الصناعة والفلاحة. وقد أدمجت العدوة في مشروع العاصمة الإدريسية الحديثة، فأحيطت بسور ربطها بعدوة القرويين التي كان سورها قد بني سنة 193.

وفي غضون الأحداث التي تعرضت لها الدولة الإدريسية في مرحلة ضعفها في أوائل القرن الرابع (10 م) تفرق عدد كبير من أهل فاس، خاصة من الموالين للأدارة، وكان منهم مجموعات من هؤلاء الأندلسيين توجهوا إلى بعض جهات تادلا، على الطريق بين فاس وأغمات، مثل موضع أوزقور، الذي سكنه "قوم يعرفون ببني موسى من رضية الأندلس، فاستفسدوا إلى من جاورهم، وأسأؤوا عشرتهم فحاربهم، فغلب الأندلسيون وقتل منهم كثير، وافترق باقيهم ببلاد أغمات، وبقي منهم بأوزقور يسير بالأمان، فهم بها إلى اليوم" (البكري). وقامت مجموعة من الرضيين ببناء مدينة أغيغي قرب ورزيفة على نفس الطريق، وسكنوها مدة، ثم أجلاهم عنها بربر المنطقة، فأخلوها وانتقلوا إلى مدينة وليلي، وبذلك تمزقت عصبتهم وتفرقوا جماعات صغيرة في مناطق متعددة، لذلك لم نجد بين أسر فاس التي ذكرها ابن الأحمر في بيوتات فاس الكبرى من ينسب إلى رضية الأندلس. وقد لاحظ ابن عذارى أن الرضيين "لم يخرج منهم طائفة بناحية من نواحي الدنيا إلا وتغلبوا عليها، واستوطنتها على قهر من أهلها". وقيمت فرقة من إينولتان المجاورين لدمنات، تسمى

آيت واودانوس، ينتسب أهلها إلى الأندلس أيضاً، ولا يبعد أن يكونوا من بقية الرضيين. مما يؤكد امتزاج هؤلاء الأندلسيين بمرور الوقت مع سكان المناطق التي سكنوا بها، وغلبت الأمازيغية عليهم بمرور الزمن، ولم يعودوا يذكرون عن أصلهم سوى روايات بعيدة.

م. ابن الأبار، *الحلة السرياء*، تج. حسين مؤنس، القاهرة، ط 1، 1963، ج. 1، ص. 44؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، نشر دي سلان، باريس، 1911، ص. 155؛ ابن حيان الأندلسي، *القتيس*، القسم الثاني، مخطوط، طبعة فكسملية، مدريد، الأكاديمية الملكية التاريخية، 1999، ص. 103-103. 109-109؛ ل. ابن الخطيب، *كتاب أعمال الأعلام*، قسم الأندلس، تج. ليقي بروقصال، بيروت، ط 2، 1956، ص. 15. 16؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973، ص. 47؛ م. ابن عذارى المراكشي، *البيان المغرب*، تج. كولان وليقي بروقصال، تونس، ط 3، 1983، ص. 75-77؛ أ. المقرئ، *نفع الطيب*، تج. إحسان عباس، بيروت، 1988، ج. 1، ص. 339؛ أ. النويري، *تاريخ المغرب الإسلامي من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب*، تج. مصطفى أبو ضيف أحمد، الدار البيضاء، 1985، ص. 89. 90؛ لوطرونو، *روجي، فاس قبل الحامية*، تر. م. حجي، م. الأخضر، بيروت، 1986، ج. 1، ص. 76؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، إينولتان، 1850-1912، الرباط، 1983، ص. 57؛ ه. العلوي الفاسي، *مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري*، الرباط، 1995، ج. 2، ص. 383.

محمد المرادي

**الربيعي، عتيق بن عمران بن محمد بن عبد الله** النفازي يكتنى أبا بكر، فقيه من أهل سبتة، كان محققاً بفقاه المذهب المالكي مع مشاركة في غيره من العلوم، كما كان من أهل الورع والأمانة. صحب أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين، وولاه قضاء سبتة مدة، ثم وجهه فيما يبدو برسالة إلى الخليفة العباسي ببغداد. وكتب في رحلته المشرقية هذه الحديث هو والعالم الشهير أبو علي بن سكرة الصدفي (ت. 511) عن أبي الفضل بن خيرون وأبي الحسن العاصمي وأبي عبد الله بن فتوح الحميدي الأندلسي (ت. 488) في حدود سنة 482. أقام المترجم بالعراق عدة سنوات تعمق فيها في الفقه والأدب، وسمع بها الحديث أيضاً عن أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار الطيوري (ت. 500). وفي نفس الوقت أخذ عنه بعض علماء بغداد روايته عن شيخه الحسن بن محمد بن عمران الإشبيلي، وقد سمع منه أبو البركات هبة الله بن المبارك السقطي، وروى عنه في معجم شيوخه. ثم انتقل إلى البصرة فسمع من أبي يعلى أحمد بن محمد المالكي (ت. 490) وأبي القاسم عبد الملك ابن علي الأنصاري (ت. 484).

وبعد سنوات إقامته بالعراق قفل راجعا إلى المغرب، فردت الريح مركبه إلى الأسكندرية، وهناك ألقى الفاطميون عليه القبض ووجدوا معه كتب الخليفة العباسي المعتدي بأمر الله إلى الأمير يوسف بن تاشفين، فرجع إلى أمير الجيوش بدر الجمالي الذي قتله سنة 484. ويبدو أن فشل هذه السفارة هو الذي دعا أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى تكليف سفارة أخرى بمهمة مماثلة لدى خليفة بغداد قام بها العالم الإشبيلي أبو محمد عبد الله بن العربي المعافري وابنه أبو بكر ابتداء من سنة 485 / 1092.

ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تج. عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، د. ت. ج. 4، ص. 26 (ترجمة 65).

G. Vajda, *L'aventure tragique d'un cadî maghrébin en Egypte fatimide*, Arabica, T. XV, fasc. 1, Fév. 1968, p. 1 - 5.

محمد المعراوي

## ربيعين (أيت -) ← أربعين (أيت -)

ابن الربيب، أبو الفضل، كان واليا للخراج في عهد السلطان أبي سالم المريني. وقد ارتبط ذكره في المصادر التاريخية المغربية بحادثة وقعت له مع لسان الدين بن الخطيب. فابن الربيب هذا كان مكلفا من طرف السلطان المريني بصرف جراية ابن الخطيب وغيره من أعيان الأندلس الذين قدموا إلى المغرب، ويظهر أن ابن الربيب لم يكن سخيا مع ابن الخطيب في الإيفاء بحقوقه الأمر الذي جعله يشتكيه إلى الحاجب أبي عبد الله بن مرزوق الخطيب بنظم مشهور وصفه فيه بالجهل والرعونة والخيانة. كما ألف ابن الخطيب رسالة في شخص ابن الربيب سماها قطع الفلاة بأخبار الولاة.

ابن الخطيب، نفاضة الجراب، تج. أ. مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، ج. 2، ص. 129، 151، 159؛ المقري، أزهار الرياض، الرباط، 1978، ج. 1، ص. 274، 275.

ابن الربيب، محمد بن أحمد الكتامي، الفقيه صاحب القلم الأعلى وكاتب علامة السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني.

مجهول، الدخيرة السنية، الرباط، 1972، ص. 87؛ ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1973، ص. 299؛ ابن الأحمر، روضة النسرين، الرباط، 1962، ص. 18؛ مستودع العلامة، تج. التركي ومحمد بن ناويت الطنجي، تطوان، 1964، ص. 49؛ نشير الجمان، تج: محمد رضوان النابة، بيروت، 1976، ص. 454؛ النفاحة النسرنية، تج. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص. 38.

رشيد السلامي

الربيع، هي الفترة الممتدة من 21 مارس إلى غاية 20 يونيو من كل سنة وهي الفترة التي تعرف عودة تركيز الطاقة الشمسية للنصف الشمالي عقب تعامد الأشعة خلال الثانية عشرة زوالا من يوم 21 مارس مع خط الاستواء مما يترتب عنه طبعاً مرور دائرة الإضاءة بالقطبين فتتساوى إثر ذلك مدة الليل والنهار عند جميع العروض، يعقبه مباشرة زيادة متنامية لمدة النهار ونقصان في مدة الليل في كل النصف الشمالي ويحدث العكس تماماً في النصف الجنوبي. وهذا التحول في الظروف الكونية الخاصة بهذا الفصل والمتشكلة في تركيز أكبر للطاقة الواصلة إلى سطح مختلف عروض النصف الشمالي بحكم أن زوايا سقوط الأشعة أصبحت هي الأخرى أكبر مما كانت عليه خلال فصل الشتاء سينتج عنه تغير مهم في الظروف الإشعاعية والحرارية لهذا الفصل ولخصائصه النوعية.

بالنسبة للمغرب يمثل فصل الربيع من الناحية المناخية وبحكم موقعه من العرض بداية تغيرات هامة تهم بالأساس الحركة الهوائية العامة عند عروض المغرب والتي تتمثل على وجه الخصوص في بداية ترحيح نظام الضغط الجوي نحو الشمال من عروضه تبعاً لحركة الشمس الظاهرة مما سيؤدي إلى بداية الابتعاد التدريجي لمؤثرات العروض الوسطى عن المنطقة المغربية بوجه خاص والمنطقة المتوسطة بوجه عام. ولعل أبرز مظهر لهذا التغير يتجلى في بداية انتقال مسارات اضطرابات الجبهة القطبية هي الأخرى نحو الشمال مما يجعل هذا الفصل يحتل من حيث أهمية التساقطات المرتبة الثالثة بعد الشتاء والخريف.

ويرسم معالم الوضعية الجوية العامة خلال هذا الفصل بالنسبة للمغرب تظافر فعل عاملين أساسيين، أولهما تحرك نظام الضغط شيئاً فشيئاً باتجاه الشمال كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وثانيهما أن التركيز الطاقوي الذي أصبح يهم النصف الشمالي والتسخين العام الذي يبدأ يعرفه هذا النصف سيؤدي إلى تقليص التناقض الحراري ما بين العروض العليا والدنيا لهذا النصف على وجه الخصوص فتتخفف على إثر ذلك قوة الممال الضغطي ومعها سرعة التيارات الهوائية النطاقية ولاسيما سرعة التيار النفاث في الأجواء العليا مما يجعل رسمه يشكل انعراجات ذات مدى كبير تجعل حقل الضغط بالقرب من عرض المغرب تغلب عليه الوضعيات طولانية (حسب خط الطول) أو شبه طولانية والتي تجعل الاضطرابات التي تهم المغرب خلال هذا الفصل تتخذ عموماً مسارات شمالية غربية. كما أن من نتائج هذه الانعراجات الكبيرة للتيار النفاث حدوث تدفق مهم للهواء البارد في الأجواء العليا نحو عروض أكثر فأكثر جنوبية عبر ما يسمى بالأودية الباردة تتسبب في تكوين حالات نشوء اضطرابات محلية ذات أهمية من حيث كمية الأمطار بالنسبة للمغرب.

أمطار هذا الفصل تعرف تغايرية مجالية وزمانية

كبيرة، وهي عموماً إن كانت ذات أهمية أقل من أمطار الشتاء والخريف فإنها تبرز بشكل متميز في المناطق الداخلية حيث تزداد نسبة الأمطار العاصفية في الكميات الإجمالية المتلقاة خلال هذا الفصل والناجمة عن التصاعدات الحرارية التي تبدأ تظهر خلال هذا الفصل موازاة مع الزيادة المطردة للحرارة. لذلك يلاحظ أن التركيز الأقصى للتساقطات الشهرية تحدث في كثير من المحطات الداخلية المغربية خلال شهر مارس وأبريل عوض شهري نونبر أو دجنبر كما هو الحال في المناطق الساحلية. فتصبح بنية الكميات المتلقاة خلال هذا الفصل في المناطق الأولى هي الأمطار الجبهية والمترتبة عن الاضطرابات والأمطار ذات الأصل الحراري التصاعدي بينما بينة أمطار المناطق الثانية تقتصر على النوع الجبهي. أما حرارة هذا الفصل فلها طابع انتقاله جد متميز حيث تبقى نسبياً منخفضة في بداية الفصل ومرتفعة نوعاً ما في نهايته وذلك طبعاً موازاة مع تنامي وتيرة الوضعيات الجوية القارية الممهدة لحدوث فترة الصيف.

علي البليشي

ابن أبي الربيع السبتي، أبو الحسين عبيد الله بن أحمد القرشي، ولد بإشبيلية في نهاية القرن السادس (12م) وبها درس النحو على طبقة عالية من نحاة الأندلس أمثال الأستاذ أبي عمر محمد التميمي والأستاذ أبي الحسين علي بن جابر الدباج والإمام أبي علي عمر الشلوين وهو عمدته في النحو عموماً وفي كتاب سيبويه خصوصاً، وتصدر ابن أبي الربيع لتدريس النحو وهو ما يزال غلاماً يافعاً بأمر شيخه الشلوين الذي كان يبعث إليه بصغار الطلبة. ولما مات الشلوين خلفه ابن أبي الربيع في كراسيه النحوية بالجامع الأعظم بإشبيلية. فاشترأت إليه الاعناق إلى أن سقطت إشبيلية في يد المسيحيين (5 شعبان 646 / 23 نونبر 1248) فنزح عنها ابن أبي الربيع في حملة من نزح إلى مدينة سبتة واستوطنها إلى الوفاة.

وصلة ابن أبي الربيع بسبتة قديمة ترجع إلى عهد الطلب، فقد أخذ عن إمامها الشهير أبي العباس العزفي (ت. 633 / 1235) ومن حسن حظ علماء إشبيلية أن كانت أيام نكيتهم دولة الأمراء العزفيين العلماء الكرماء قائمة مزدهرة بسبتة وطنجة، فأووا إلى حمى الرئيس العالم أبي القاسم العزفي، ونال ابن أبي الربيع حظوة خاصة عند هذا الأمير وبنه، وعاش في كنفهم مكفي المؤونة متفرغاً للتدريس والتأليف، يذكرهم في مقدمة مؤلفاته ويشيد بفضلهم وجودهم، ككتابي البسيط والكافي في الإفصاح.

اشتهر ابن أبي الربيع بالتبريز والإمامة في النحو، ومع ذلك كانت ثقافته متنوعة متينة على نموذج ثقافة عصره التي تغلب عليها "المشاركة" في مختلف العلوم النقلية والعقلية، بحيث لم يقلل تحصيله لعلوم القرآن والحديث

والفقه والأصول والفرائض عن تحصيله في النحو واللغة والأدب، بل نجده يحل في بعض الكتب بإمام الفرضيين، وترجمه ابن الجزري في طبقات القراء.

وذكر ابن أبي الربيع في برنامجه أنه درس أربعين كتاباً سماها من أمهات هذه العلوم فضلاً عن أبعاض كتب أخرى لم يذكر أسماءها، قرأها على اثني عشر شيخاً من شيوخ إشبيلية وسبتة وفاس، أجازوه إجازات عامة بأسانيد متصلة بمؤلفي تلك الكتب. ولم تقتصر دراسة ابن أبي الربيع للكتب المذكورة على مجرد الفهم، بل كان يحفظ بعضها عن ظهر قلب ويعرضه على شيوخه كما يعرض عليهم سور القرآن. ومن جملة محفوظاته: فصيح ثعلب، وإصلاح المنطق لابن السكيب، والحماسة العلمية، وأشعار الستة بترتيب الأعلام الشنمري أيضاً، وأدب الكتاب لابن قتيبة.

وقرأ أبو الحسين ابن أبي الربيع وحمل، في جملة ما قرأ وحمل، من الأمهات: كتاب سيبويه، أخذه عن الإمامين أبي الحسن اللخمي الدباج، وأبي علي الشلوين، وحمله عنهما بسند متصل بأبي العباس المبرد، عن أبي عثمان المازني، عن أبي الحسن الأفضش، عن المؤلف سيبويه.

وقرأ كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي على الإمامين أبي القاسم ابن بقي بن مخلد، وأبي علي الشلوين، ورواه عنهما بسند متصل بالقاضي أبي بكر بن العربي، عن أبي الفوارس شجاع الذهلي، عن أبي الحسين هلال بن الحسن، عن المؤلف أبي علي الفارسي.

وقرأ كتاب الجمل لأبي القاسم الزجاجي، عن الإمامين محمد بن خلفون الأونسي، وأبي علي الشلوين، وحمله عنهما بسند متصل بأبي الحسن الأنطكي، عن المؤلف أبي القاسم الزجاجي.

ألف ابن أبي الربيع كتباً أمهات في مختلف العلوم الشرعية واللسانية والأدبية هي في الواقع تسجيل حي أمين للدروس التي ظل يلقبها على طلبة إشبيلية وستة طوال زهاء سبعين سنة، وذكر بروكلمان أسماء أربعة كتب على أنها كل ما وصل إلينا من تأليف أبي الحسين بن أبي الربيع - حسبما بلغ إليه علمه - وهي البرنامج الذي كتبه تلميذه أبو القاسم ابن الشاط، والمختصر في النحو المخطوط بالأسكوريال، والقوانين النحوية المخطوط بالقرويين، وشرح الإيضاح المخطوط بالقرويين أيضاً. وفات بروكلمان من تأليف ابن أبي الربيع التي أبقي عليها الدهر كتابه البسيط، وهو شرح الجمل للزجاجي المخطوط بالخزانة العامة بالرياض، وتفسير القرآن الكريم المخطوط أيضاً بالخزانة العامة، ولم يصل إلينا - للأسف - أهم كتاب ألفه ابن أبي الربيع وهو شرحه لكتاب سيبويه، إذ يذكره سارت الركبان في حياة المؤلف ويعد وفاته، ونال إعجاب نحاة المشرق والمغرب على السواء.

ومن مميزات مؤلفات ابن أبي الربيع أنها في مجملها

ضخمة، يبلغ بعضها عشرة أجزاء. مثل البسيط في شرح جمل الزجاجي، ويقدر بعضها بما ينيف عن ثلاثين جزءاً مثل تفسير القرآن الكريم، في حين لا يوجد منها أو بالأحرى لم تطلع منها إلا على أجزاء قليلة مبعثرة هنا وهناك، ولا شك أن المكتبات العامة والخاصة في الشرق والغرب تحتوي على سائر الأجزاء تامة أو ناقصة أو مكرورة، منسوبة إليه أو غير منسوبة. ومن السهل على من يوفقه الله للبحث عن بقايا آثار ابن أبي الربيع وجمع شتاتها أن يكتشفها ويميزها عن غيرها متى عرف أسلوب هذا الرجل وتمرس بطريقته في العرض والشرح والتمثيل.

وتصطبغ مؤلفات ابن أبي الربيع في الظاهر بصيغة مؤلفات عصر الانحطاط، إذ هي في معظمها شروح لكتب قديمة، لكن من قرأها وأمعن النظر فيها وجدها أقرب إلى مؤلفات عصر الأصالة في القرون الأولى منها إلى كتب المتأخرين، ذلك أن ابن أبي الربيع لا يتقيد في شروحه بألفاظ المتن يؤولها ويوضحها ويثقل لها كما يفعل جمهرة الشراح، وإنما يتخذ المتن كأساس وتصميم لما يكتب، فتراه يبدأ الباب بمقدمة تعطي فكرة عامة عن الموضوع، وترسم خطوطه العريضة. كما يقال - ثم يشرع في أخذ عبارات المتن واحدة واحدة، سائراً في عرضه حسب التصميم المرسوم، مفضلاً القول في الجزئيات تفصيلاً متناسقاً، لا تشعر معه بلفظ المتن إلا عندما يأتي بعبارة "قوله..." دونما تقطع في التعبير أو تعثر في السياق. على أن لابن أبي الربيع كتباً مستقلة قائمة بذاتها، مثل القوانين النحوية، وتفسير القرآن الكريم.

على أن أهم ما يمتاز به أسلوب ابن أبي الربيع هو الوضوح والسلاسة والعفوية، فلا تعقيد ولا غموض ولا سجع ولا تورية - في غير المقدمة - ولا ما يحتاج إلى شرح أو تعليق أو رجوع إلى مصادر أخرى، بل إن أسلوبه وهو يكتب أسلوب من يتكلم ويخاطب الطلبة ويحاورهم ليرفع عن أذهانهم كل لبس. إن الخبرة المتواضعة التي لنا بطرق التدريس دللتنا على أن أبا الحسين ابن أبي الربيع كان حقاً مدرساً موهوباً، يعرف بحكم إحساسه المهرف وتجربته الواسعة، طرق التدريس الناجعة، وبراعي - عملياً - المبادئ التربوية التي اهتدى إليها بعده ابن خلدون في المقدمة، ويطبق - عفواً - النظريات التعليمية الأساسية لتحصيل المعرفة وتكوين الملكة على نحو ما توصل إليه المربون الغربيون المحدثون، ولا أدل على ذلك من أنه بإمكانك اليوم، وقد مضى على وفاة ابن أبي الربيع أكثر من سبعة قرون، أن تأخذ فصلاً أي فصل من أي كتاب من كتبه وتلقيه على طلبتك في التعليم العالي دون أن تزيد فيه أو تنقص أو تضيف مثلاً أو تغير عبارة، ويكون درسك ناجحاً مشوقاً مفهوماً تام الفهم.

وكأنني بأبي الحسين ابن أبي الربيع - رحمه الله - لم يقنعه ذلك العمر الطويل الذي قضاه في التعليم، منقبضاً

عن الناس مباحداً أهل الدنيا، فأبى إلا أن يسجل على طروس كتبه دروساً جاهزة نافعة لكل من يقرؤها من الأساتذة والطلبة في كل عصر ومصر.

وأشهر تلاميذ ابن أبي الربيع في سبعة ثلاثية، أبو القاسم ابن الشاط السبتي (ت. 723 / 1323) شارح أنوار البروق للقرافي، ومحرر برنامج شيخه ابن أبي الربيع؛ وعبد المهيمن الحضرمي السبتي (ت. 749 / 1348) رئيس كتاب بلاط العزفيين أمراء سبته، وبنو الأحمر ملوك غرناطة، والمرينيين ملوك فاس وشمال إفريقيا. وما زال النحو هجيراه كشيخه ابن أبي الربيع حتى قال فيه ابن الأحمر في نشر الجمال: "وأما كتاب سيبويه فكان بمسائله عارفاً، وعلى إقرائه بطول عمره مداوماً وعاكفاً، ولم يكن له في المعرفة به قرين، ولقد تصدر لإقرائه وهو ابن عشرين".

- وأبو عبد الله بن رشيد الفهري السبتي (ت. 721 / 1321) المؤلف المكثر، صاحب ملء العمية التي جمع فيها أخبار رحلتيه إلى الشرق وما أخذه عن المشايخ، وهو شيء كثير، وفيها يقول عن شيخه ابن أبي الربيع مردداً ما وجد له من صدق واسع في المشرق:

"لما وصلت إلى مصر ذهبت إلى مسجدها الأعظم فجلست إلى حلقة من حلوق العلم، فوجدت الشيخ يتكلم في علم العربية، فأخذت معهم طرفاً مما كانوا يتكلمون فيه، فالتفت إلي الشيخ فقال: من أين قدمك؟ قلت من الغرب. قال أمن الاسكندرية؟ قلت من أبعد. قال أمن تونس؟ قلت من أبعد. قال: إذن من جو المغرب. يعني من داخله. قلت نعم. قال: من أي بلاده؟ فقلت من سبته. فكان أول ما فاتحنى به أن قال: أيعيش سيدنا أبو الحسين بن الربيع؟ قلت نعم. فقال: ذلك شيخنا إفادة بوصول كتابه إلينا أو بوفادته علينا أو معنى هذا، يريد شرحه لكتاب إيضاح الفارسي المسمى بالكافي في الإيضاح، ثم قال لي: أقرأت عليه؟ قلت نعم. قال وما قرأت عليه؟ فقلت: ما يقرأ طلاب العلم والعربية. فاستفسرني فقلت: قرأت الجميل، والإيضاح، والكتاب، فلما ذكرت الكتاب قال: اعبر إلى جاني، فامتنت، فعزم علي وأقعدني إلى جانيه، فجلست منضماً حياً منه، فقال: اجلس متسعاً، فجلست وقمادى على الإقراء، فاختلفت الكلام أثناء إقباله علي من بين يديه من التلاميذ للإلقاء عليهم مع الذي كان عن يميني اختلاصاً، وقلت: من الشيخ؟ فقال بهاء الدين ابن النحاس، فالتفت الشيخ وقد وثبت بين يديه. فقال: لم؟ أرجع إلى موضعه. فقلت له يا مولانا لم يعرف الملوك بين يدي من هو، ولو علم ما جلس هذا المجلس ولا تكلم، فعزم علي في العودة إلى مجلسي فقعدت، وأشار بالاطمئنان فأطمأنتت...

لقد دقق ابن رشيد في تحديد تاريخ هذا الحادث الذي جرى يوم الأحد سابع رجب عام 684. وحق لابن النحاس أن



يسأل عما إذا كان ابن أبي الربيع ما يزال حياً برزق، لأنه كان يومئذ في منتصف العقد التاسع من عمره، وسميت بعد ذلك بأربع سنوات.

أما ابن النحاس فهو إمام نحاة المشرق في عصره، شارح المقرَّب لابن عصفور، وتلميذ ابن يعيش شارح المفصل للزمخشري. وقد صدق ابن رشيد في صفات هذا الإمام وإنصافه وسعة خلقه وعنايته بالطلبة، إذ نجد مثل ذلك عند الصفدي في الترجمة الحافلة التي عقدها لابن النحاس في كتابه الواقعي بالوفيات.

توفي أبو الحسين بن أبي الربيع بمدينة سبتة صبيحة يوم الجمعة 16 صفر عام 688 / 11 مارس 1289 ودفن عصر هذا اليوم بالمقبرة الكبرى التي بسفح جبل الميناء شرقي المدينة.

ابن أبي الربيع نفسه، برنامج التي كتبه تلميذه ابن الشاط وحققه ونشره العزيز الأهواني بمجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد 1، ج 1 و 2 سنة 1955؛ مقدمات كتبه المخطوطة المشار إليها آنفاً؛ المختصر في النحو؛ القوانين النحوية؛ شرح الإيضاح؛ البسيط؛ وتفسير القرآن الكريم؛ م. ابن رشيد السبتي، ملء العيبة، تح. م. الحبيب ابن الحوجة، تونس، 1982؛ أ. ابن قنفذ، شرف الطالب / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 1؛ 433؛ م. ابن الجزري، غاية النهاية، 1؛ 484 - 485؛ م. الأنصاري السبتي، اختصار الأخبار، تح. م. ابن تاويت، مجلة تطوان، العدد 3، ص. 77؛ ج. السوطي، غيبة الوعاة، 2؛ 125، رقم الترجمة 1606؛ أ. ابن القاضي، درة المجال، 3؛ 70-72، رقم الترجمة 990؛ د. بروكلمان، الذيل، 1؛ 547؛ خ. الزركلي، الأعلام، 4؛ 344؛ ع. العزيز الأهواني، كتب برامج العلماء في الأندلس، ص. 22 وما بعدها؛ م. حجي، جولات تاريخية، بيروت، 1995، ج. 1؛ 379-395.

محمد حجي

### أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن أبي يعقوب

يوسف بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، رابع ملوك بني مرين. تولى حكم المغرب الأقصى بعد وفاة أخيه أبي ثابت عامر سنة 708 / 1309 واستمر في الملك حتى وفاته سنة 710 / 1311. وقد بوع له بقصبة طنجة يوم الإثنين التاسع من شهر صفر من السنة المذكورة وهو لم يتجاوز بعد سن العشرين. ونظرا لصغر سنه قام كاتب أخيه الفقيه عبد الله ابن أبي مدين بدور كبير في تدبير بيعته بمشاركة وزارته إبراهيم بن عيسى الياباني وعبد الرحمان بن يعقوب الوطاسي.

تميزت بداية عهد سليمان باندلاع انتفاضات بمناطق الشمال هدفت إلى تقويض دولته وزعزعة أركانها. وكانت أخطر هذه الثورات ثورة عمه علي بن السلطان أبي يعقوب المعروف بابن أبي زريحة أو ابن زريقاء أو ابن زريكة الذي كان قد دعا لنفسه وبإيعاده كثير من الناس في جهة تطوان،

لكن أبا الربيع تمكن من القبض عليه واعتقاله إلى أن هلك سنة 710 / 1311. ثم ثورة عثمان بن أبي العلاء الذي خرج من سبتة في حملته العسكرية نحو طنجة، إلا أن أبا الربيع علم بتحرك هذا الثائر واستطاع إخماد فتنته.

من المعلوم أن محاولة سليمان استرجاع سبتة إلى حظيرة الدولة المرينية شكلت قضية كبرى في عهد هذا السلطان. فقد ظلت هذه المدينة مدة طويلة تحت نفوذ بني الأحمر منذ سنة 703 / 1304 أو 705 / 1306 عندما قام أحد أمراء بني مرين، وهو عثمان بن أبي العلاء بن عبد الحق بالثورة على السلطان أبي يعقوب يوسف وبمشاركة أبي سعيد صاحب مالقة. واستمرت محاولات استرداد المدينة مع كل من السلطان يوسف وخلفه عامر. وقد واكبت هذه المحاولات العسكرية تحركات دبلوماسية كثيفة بين السلطانين وبني الأحمر من جهة وبين ملك أرغون من جهة أخرى وصلت نهايتها في عهد أبي الربيع. وقد احتفظ أرشيف تاج أرغون ببرشلونة بمجموعة من المراسلات التي تُجمع على الرغبة الأكيدة لدى المخزن المريني بضرورة تحرير المدينة بشتى الوسائل الدبلوماسية والعسكرية ولو أدى الأمر إلى طلب مساعدة عسكرية من النصارى. وتشير بعض هذه المراسلات أن أبا الربيع قد طلب فعلا من ملك أرغون خايمي الثاني مساعدة عسكرية لحصار المدينة الثائرة من جهة البحر. إلا أن هذه المساعدة لم يتم تنفيذها واستطاع الجيش المريني بقيادة تاشفين بن يعقوب الوطاسي محاصرة المدينة والتغلب عليها سنة 709 / 1310 وتم اعتقال رؤوس الفتنة بها وهم قائد القصبه أبو زكرياء يحيى ابن مليلة وقائد البحر أبو الحسن بن كماشة وقائد الحرب عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق، منهي بذلك كل ما له صلة بالوجود الأندلسي بسبتة.

يبدو أن المشاكل والأزمات السياسية لم تفارق عصر سليمان، إذ ما تكاد تنتهي ثورة هنا حتى تندلع أخرى في مكان آخر من المغرب. فإذا كان عهده قد دشن باندلاع ثورات المعارضين والمناوئين فإن نهايته شهدت أيضا ثورة خطيرة تزعمها بعض رجالات المخزن المريني كالوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي والقائد أبي علي عمر بن رحو ابن عبد الحق وشيخ بني مرين الحسن بن علي بن أبي الطلاق وقائد الكتبية المسيحية في الجيش المريني غنصالو. وكان هؤلاء قد اتفقوا مع جماعة من بني مرين على خلع السلطان أبي الربيع وتنصيب أحد الأمراء مكانه هو عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق، واجتمعوا على هذا الأمر برياط تازة شهر جمادى الأولى من عام 710 / شتنبر - أكتوبر 1311. غير أن السلطان تظنن إلى المؤامرة وتمكن من أن يستجمع قواته ويتحرك في جيش كثيف مع قائديه يوسف بن عيسى الحشمي وعمر بن موسى الفودودي. وأمام هذه الحملة اضطرت جموع المتمردين بتازة وتبينوا عدم قدرتهم على مواجهة جيش أبي الربيع ففضلوا الهروب

**ابن أبي الربيع الكتامي، أحمد بن سليمان**  
ابن أحمد، أبو جعفر، من أهل طنجة وعلمائها. رحل إلى المشرق، وأخذ القراءات عن أبي أحمد السامري وأبي بكر الأذفوي وأبي الطيب ابن غلبون. ثم عاد إلى المغرب وانتقل إلى سكنى الأندلس، وتصدر للإقراء بكل من بجاية وألمرية.

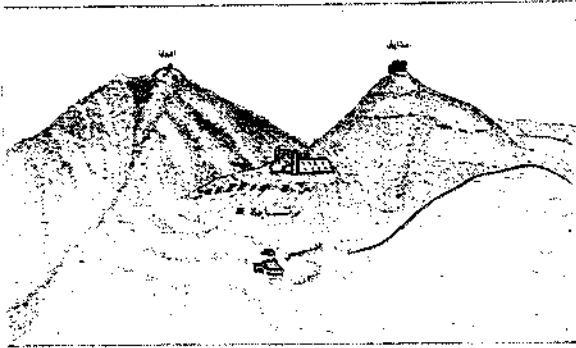
توفي قبل سنة 440 / 1048 عن سن تناهز 90 سنة.

ابن بشكوال، الصلة، القاهرة، 1955، ج. 1، ص. 88.

محمد المغراوي

**رتابة أو إرتبون (أسرة وقصبة)، أسرة قلعية كانت**

في العقد الثالث من القرن العاشر الهجري حسب المجهول صاحب الوثيقة العائدة إلى سنة 939 / 1532 بخمس الكعدة أو بني سيدال، ومنه انتقلت إلى حيث وجدت في القرن الثاني عشر (18 م) بموطنها الراهن بجماعة بني انصار من خمس مزوجة، ربما كانت الهجرة ذات علاقة بالحركة الجهادية، خاصة أثناء حصار مليلة من طرف سيدي



رسم قصبة بني انصار مستخلص من رسم لميراندا ومن زيارة ميدانية محمد بن عبد الله العلوي (1774 - 1775)، حسبما يدل عليه إيواء الأسرة في قصبة خاصة بها. وتتساءل في الأخير، بناء على تشابه الأسماء، عن علاقة رتابة بقبيلة الرتب الفياللية.

أما قصبة رتابة فتدعى أيضا قصبة بني انصار نسبة إلى الفرقة التي توجد بتراب قبيلة مزوجة القلعية. غير أن الاسم المرتبط بها تاريخيا هو رتابة، إذ أنها كانت مقر الأسرة الرتابية وزعيمها المجاهد محمد الرتبي القلعي أتى الترجمة.

ويعود الفضل في إبراز موقع القصبة إلى رسم قدمته مذكرات فرانسيسكو دي ميراندا التي بينت في آخر ديسمبر 1774 م في القصبة المميز برقم 24. وحسب إشارة مرافقنا الرتبي أثناء الزيارة الميدانية أن القصبة كانت مقر أفراد الأسرة، منذ بداية أمرها، ربما كانت البداية على يد

إلى تلمسان ومن هناك إلى الأندلس. وبعد دخول السلطان إلى مدينة تازة ظافرا استقر فيها فترة أصابه فيها مرض (أو سم حسب رواية أخرى) ومات على إثره ليلة الأربعاء في نهاية جمادى الثانية من سنة 710 / 21 أكتوبر 1311 ثم دفن بصحن جامعها. وبالرغم من قصر فترة حكم أبي الربيع التي لم تدم أكثر من عامين وخمسة أشهر قضائها في تهدة البلاد ومواجهة الفتن والثورات، فإن المصادر تسجل مع ذلك أن أبا الربيع قد تمكن من الحفاظ على السلم وعدم الدخول في حروب مع جيرانه بني عبد الواد، وترتيب المصالحة مع ابن الأحمر الذي سلم بموجبها لأبي الربيع بعض المدن الأندلسية الحساسة كالجزيرة الخضراء ورندة وأحوازها. إضافة إلى ذلك اعتبرت فترة حكم هذا السلطان متميزة على المستوى الاجتماعي إذ تغالى فيها الناس في أثمان العقار وتنافسوا في البناء بالزليج والرخام والنقوش (القرطاس، 395).

ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1973، ص. 392، 395 : ابن الخطيب، اللحة البدرية، بيروت، 1978، ص. 72، 74 : ابن الأحمر، النفة النصرية، تج. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص. 42 : روضة النرين، الرباط، 1962، ص. 23 : بيوتات فاس الكبرى، الرباط، 1972، ص. 58، 59 : ع. ابن خلدون، العبر، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 494، 502 : أ. ابن القاضي، جدوة الاقتباس، الرباط، 1973، ص. 514 : أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954، ج. 3، ص. 97، 103 : ع. الله العروي، سجل تاريخ المغرب، بيروت، 1994، ج. 2، ص. 201 : رشيد السلامي، وثائق مرينية، دراسة وتحقيق، كلية الآداب، الرباط، 1989 (بحث مرقون)، ص. 76، 84.

Mas-Latrie, *Traité de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique Septentrionale du moyen âge*, Paris, 1866, pp. 297-300 ; *Relations et commerce de l'Afrique Septentrionale au Maghreb avec les nations chrétiennes au moyen âge*, Paris, 1886, pp. 302-304, 325 ; Van Berchem, *Titres califiens d'occident*, J.A., 1907, T. IX, pp. 297-300 ; M. Gaspar Remiro, *El negocio de Ceuta entre Jaime II de Aragón y Aburbebia Sulaiman, sultan de Fez, contra Muhamed III de Granada*, in *Relaciones de la Corona de Aragón con los estados musulmanes de Occidente*, Madrid, 1925 ; S. M. Alarcon y R. Garcia Linares, *Los documentos arabes diplomaticos del archivo de la Corona de Aragón*, Madrid - Grenade, 1940, pp. 164-166 ; Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIe et XIVe siècles*, Paris, 1966, pp. 397; 401-404, 456-457; 541-542 ; R. Arié, *L'Espagne musulmane au temps des Nasrides (1232-1492)*, Paris, 1973, pp. 90-9; Capmany, *Antiguos tratados de paces y alianzas entre algunos Reyes de Aragón y diferentes principes infieles de Asia y Africa, desde el siglo XIII hasta el XV*, Madrid, 1974, pp. 5-17 ; A. Dhina, *Les Etats de l'occident musulman aux XIIIe, XIV et XV siècles*, Alger, 1984, pp. 492-501; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen - âge*, Paris, 1986, pp. 118-120, 294-295 ; A. Khaneboubi, *Les Premiers sultans mérinides (1269-1311)*, *Histoire politique et sociale*, Paris, 1987, pp. 70-73, 99-100 ;

مقدم مزوجة محمد بن أحمد الرتبي المزوجي. تألفت القصة من خرائب دالة على وجود عدة مرافق موزعة على مدرجين اثنين :

- المدرج العُلُري، نتصور فيه وجود ثماني غرف متوسطة الحجم، موزعة على استدارة المدرج الصخري من الجهات الثلاث. وقد أحيطت المساحة بسور خارجي يفتح من جانبه الغربي باب المدخل الوحيد إلى المدرج.

- المدرج السفلي : تؤلفه خرائب قائمة على القاعدة الصخرية المشرفة على السفح بحافة شديدة الانحدار. وتظهر الأتقاض الحالية وجود عدد من المرافق صغيرة المساحة.

حسن الفككي، مقاومة الوجود الإنساني بليبلة، الرباط، 1997 :

زيارة ميدانية بحمة محمد الرتبي.

Francisco de Miranda, *Diario*, Madrid, 1939.

حسن الفككي

**الرتاج**، خشبة أفقية في أعلى الإطار المثبت فيه الباب. وفي البادية - كما هو الشأن في المدينة - كان الناس يلصقون فوق الرتاج بعض الكتابيات يسمونها طلاس وهي عبارة عن جداول أو ثقاف تمنع دخول الهوام السامة إلى الغرف، كما يعتقد البعض. وفي القصور والدور الفخمة في فاس وغيرها من الحواضر يكون رتاج الباب كبيراً مزخرفاً، زخرفة مزدوجة بالنقش والأدهان الملونة، وحتى يمحلول ماء الذهب. ويطلق الرتاج كذلك على الباب العظيم من الخشب الذي يوضع على الأسوار والجوامع وغيرها من البناءات والمنافذ الكبيرة. يكون مغلقاً في الغالب وعليه باب صغير هو الذي يفتح، ونجدده في الفنادق القديمة بمراكش وفاس، وأيضاً بالرياض والجوامع، حيث يغلق الباب الكبير يعد الصلاة ويستعمل الصغير لدخول أو خروج المسبوقين. وهي إشارة لقرب إغلاق المسجد. ونوع الخشب المستعمل في صناعة الرتاج هو الأرز. لأنه يعمر طويلاً في البيوت، ولا يعفن ولا يسوس ولا يعتريه شيء" (القرطاس، ص. 43).

البكري، معجم ما استعجم، بيروت، 1403 : ياقوت الحموي،

معجم البلدان، بيروت، (د. ت) : ابن منظور، لسان العرب،

بيروت (د. ت) : ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972.

عبد الرزاق ازريكم

**الرتب** - بضم الراء وفتح التاء - كلمة تطلق على الرسوم التي كانت تفرض على المسافرين في الطرقات زمن بني مرين وخاصة في الفترة الأخيرة من حكمهم. ويصعب وضع تعريف دقيق لمعنى هذا المصطلح في غياب معلومات كافية في المصادر المرينية. فغالبا ما ترافق هذه الكلمة عبارات مثل الألقاب أو القبالات أو الرسوم، وهي وإن كانت تدخل جميعا في باب الجبايات فإنها مع ذلك تختلف في

بعض الجزئيات. لكن الشيء الأكيد هو أن رسوم الرتب ارتبطت دائما بالمسافرين والطرقات. ولهذا تعتبر إشارة ابن مرزوق التي وردت في كتابه المسند فريدة وغاية في الأهمية. ويفهم منها أن الأصل في هذا المصطلح هو "الخيام" التي كانت تقام في مواضع معينة، مثلاً بين فاس ومراكش، أو بين فاس وستة، أو بين فاس وتلمسان وهكذا، ويكون الفاصل بين موضع وآخر في كل مرحلة لا يتجاوز 12 ميلا، أي حوالي 20 كلم. وقد أراد ملوك بني مرين من خلال إقامتهم لهذه الرتب / الخيام أن يمهّدوا طرق المسافرين وأن يجعلوا منها مرافق ومحطات توفر للواردين عليها الراحة والمأكل لهم ولدوابهم. ويشرف على هذه الخيام موظفون تقتطع لهم أراض بالموقع للسكنى مقابل إشرافهم على تلك الخيام ويلزمون ببيع الشعير والطعام وما يحتاج إليه المسافرون من إقامة ومأكل، كما يكلفون بحراستهم وحراسة متاعهم (المسند، 429). ويظهر أن هذه الرتب / الخيام تحولت، خاصة في فترات الاضطرابات واستبداد ممثلي المخزن المريني، إلى مراكز ومحطات للمراقبة واقتطاع ضرائب ورسوم من المسافرين والتجار من طرف الجباة والجنّد هي التي أصبحت تعرف برسوم الرتب. ويستنتج من بعض الإشارات أن هذه الضريبة غير الشرعية ذات المجبى العظيم لم تكن تدخل بيت المال، بل كان العساكر الذين يتركزون في هذه المحطات ينتزعونها كرواتب لهم دون انتظار صاحب تنفيذ الجيش ليمدهم برواتبهم الشهرية المعتادة. وإذا كنا لا نعرف بالتحديد زمن ظهور هذه الرسوم فإنها كانت موجودة على الأقل منذ بداية الدولة المرينية واستمرت حتى بداية الدولة السعدية (المنتقى، 2، 828.827). فالمصادر المرينية ما فتئت تشير إلى محاولات بعض ملوك بني مرين رفع المكوس ومحو رسوم الرتب خاصة في عهد كل من أبي يعقوب يوسف (القرطاس، 375) وأبي الحسن (رسائل، 506) وأبي عنان (تحفة، 663)، إلا أنها كانت تعود للظهور من جديد، ففي عهد السلطان عبد العزيز بن أبي الحسن المريني استشرى داة هذه الرسوم واستفحل أمرها إلى درجة أن ندّد بها الفقيه خطيب جامع القرويين ابن عباد الرندي (ت. 792 / 1390) في رسالتين بعثتهما إلى هذا السلطان يستعرض فيهما ما أصاب الناس من مظالم وتعسفات على يد العمال والولاة وتجاوزات جباة الضرائب في التعرض للمسافرين وابتزازهم وفرض ضرائب غير شرعية عليهم مثل ضريبة الرتب.

وقد ألح ابن عباد على السلطان بالعمل على إزالة هذه المظلمة اقتداء بما كان يفعله والده السلطان أبو الحسن وشقيقه أبو عنان وجده أبو يعقوب من إزالة المكوس عن رقاب الناس ومعاقبة العمال.

يبدو أن انتشار كلمة الرتب أو رسوم الرتب لم تكن مقتصرة على مجال جغرافي محدد كالمغرب الأقصى بل كانت موجودة أيضا في شبه الجزيرة الإيبيرية بنفس المعنى.

فدوزي (Dozy) يفيد في معجميه بأن الكلمة الإسبانية *retova* أو *recova* تعني الرسم أو المقابل المادي الذي كان يدفعه المسافرون والتجار للجنود المكلفين بحماية الطرق والمسافرين والبضائع، أي حماية ومراقبة أمن الطرق مقابل أداء رسوم الرتب. وهذا يؤكد على أن المعنى الذي تحمله الكلمة العربية هو الأصل والمصدر في اشتقاق الكلمة الإسبانية.

ابن أبي زرع، القرباس، الرباط، 1973، ص. 375؛ م. ابن بطوطة، تحفة النظار، بيروت، 1985، ص. 663؛ م. ابن مرزوق، المسند، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص. 286، 282، 429؛ رشيد السلامي (محقق)، رسائل سياسية غير منشورة لابن عباد الرندي، ضمن كتاب "متنوعات محمد حجي"، بيروت، 1998، ص. 505، 525؛ ع. الرحمن ابن خلدون، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 436؛ أ. ابن القاضي، المتقى المقصور، تح. م. زروق، الرباط، 1986، ج. 2، ص. 827، 828؛ مجهول، تاريخ الدولة السعدية، تح. عبد الرحيم بنحادة، مراكش، 1994، ص. 64؛ م. المنوني، وراقات عن الحضارة المغربية، الرباط، 1979، ص. 9190، 227.

R. Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*, Beirut, 1968, T. 1, p. 507 ; R. Dozy et W.H Engelman, *Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de l'arabe*, Beirut, nouvelle édition, 1974, pp. 335-338 ; Kably (M.), *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986, pp. 225-226 ; A. Khaneboubi, *Les Premiers sultans mérinides. Histoire politique et sociale*, Paris, 1987, p. 123.

رشيد السلامي

**الرتبي أحمد**، عاش السيد المقدم عميد الرتبيين، أول من تعرف من المستقرين في قسبة رتابة بني انصار من خمس مزوجة القلعي. كان معاصراً للحركة المجاهدية التي نظمها القبطونيون القلعيون ضد مليلة على عهدي المولى الرشيد والمولى إسماعيل، وفي أغلب الاعتقاد أنه كان مقدم مجاهدي مزوجة المشاركين في حراسة رباط مليلة، لارتباط كنية المقدم باسمه. كان سنة 1738 قد توفي. وقد خلف المقدم ثمانية أولاد، كان منهم خلفه محمد.

**الرتبي محمد بن أحمد**، المجاهد تقدر أنه من مواليد حدود الثلاثينيات. شارك في حصار مليلة 1774 - 1775 بصفته مقدم رجال مزوجة، ولكن ظهوره في ميدان الجهاد كان بعد ذلك إلى حين وفاته حوالي سنة 1802. كان محمد الرتبي من أقوى مجاهدي قبيلة قلعية الثابتين على مبدأ مواصلة الجهاد، بعد التوقف الطارئ على ساحته من طرف الجهاز الرسمي إثر فشل محاولة

الحصار المغربي لمدينة مليلة بقيادة السلطان محمد بن عبد الله. كان محمد الرتبي من الرافضين الرضوخ لسياسة التحكيم التي حاول السلطان بعد سنة 1775 فرضها على المجاهدين، احتراساً للوقوع في مشاكل الاصطدامات بالحدود بين الإسبان ومجاهدي قلعية.

عمل محمد الرتبي وبجانبه المقدم علي الشكري والمرابط البشير الكبداني، ولم ينصع لطلبات المخزن المركزي منذ سنة 1785، رغم الوفود الأربعة التي جاءت تارة لترهيبه وأخرى لترغيبه. وقد داوم الهجوم على المدينة المحتلة من رباط مليلة طيلة حياة محمد بن عبد الله. ورغم ما تلقاه من رسائل الترغيب والتهديد من سيدي محمد بن عبد الله فقد ظل وفياً لمبدأ ضرب مليلة بالقطع المدفعية الخاصة التي توفرت لديه وقت الحصار أو التي انتشلها من السفن التركية الغارقة بساحل البحر المتوسط.

وقد ابتهل محمد الرتبي لعودة سياسة الجهاد الرسمية على يد المولى اليزيد، وساهم ببعض القطع المدفعية والرجال في حصار سبتة (1791 - 1792)، تلبية للدعوة الموجهة إليه. ولم يشنه عن عزمه عودة المخزن إلى الالتزام بسياسة الهدوء بالحدود مع مليلة والاكتفاء بمهمة الحراسة على عهد المولى سليمان، فظل يجاهد متى سنحت له الفرصة، وخاصة وقت حراسة مزوجة رباط مليلة أو الكرمة. اختفت عنا أخبار محمد الرتبي منذ بداية يونيو 1797، وهو تاريخ آخر حراسته. ولا بد أن مكانته قد تضررت إثر وصل حركة المولى سليمان إلى قلعية سنة 1231 / 1799، وتبين وثائق رتابة التي بأيدينا أنه كان سنة 1217 / 1802 قد توفي.

وثائق رتابة بيد السيد محند بن حدو بن المختار بن أحمد المقدم الرتبي : حسن الفكيكي، مقاومة الوجود الإسباني بمليلية، الرباط، 1997 : تقييد 939 لمجهول عن قبائل قلعية، مخطوطة بالخراتة العامة بالرباط : وثائق الأرشيف التاريخي الإسباني. حسن الفكيكي

**رَقَم** أو علمياً **رتامًا** Retama جنس نباتي ينتمي إلى فصيلة الفوليات (الفراشيات) ويشمل بالمغرب أربعة أنواع من بينها نوع واحد قبسي مغربي. إنها أنواع شجيرية أو شجيرة، غير مشوكة، جد متفرعة وذات أغصان خضراء. أوراقها بسيطة، صغيرة الحجم، طويلة أو بيضوية الشكل، سريعة التساقط إذ تبقى الأغصان بدون أوراق لفترة طويلة من السنة. ازهارها يظهر على أطراف الأغصان أو في إبطها في شكل عنقايد. أزهارها ذات لون أبيض أو أصفر، وكأس جريسي منقسم إلى شفتين. ثمارها كروية الشكل أو تكاد. تحوي كل ثمرة بذرة واحدة أو بذرتين.

نوع قبسي مغربي يقطن في الجبال الصخرية من الأطلسين الكبير والصغير في البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة المعتدلة والباردة، وفي الطوابق المتوسطي الدافئ، والمتوسطي وفوق المتوسطي.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et présentation de la biodiversité*. Paris, 1999. 370 p. : L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبد الملك بنعبيد

## رتم رقيق ← سكوم الجمل

**الرتميون**، قبائل عربية قاطنة بتادلا العليا أو ما كان يعرف بتادلا رقة أو تادلا الرقية نسبة إلى قاطنيها. وهي قبائل : بني خيران، السماعلة، ورديفة. سميت كذلك نسبة إلى جدها الأعلى جابر الرقي. فهذا الاسم تحدثت عنها الكثير من المصادر، وبه خاطبتها المراسلات المخزنية... إلا أن هذا الاسم يتضمن كذلك مجموعات بشرية تقطن نفس المجال الجغرافي دون أن تكون لها نفس الأصول كالفُقرا وبني منصور وشرقاء أيت عمار وبني زمعر...

جابر الرقي

وردبغ علي

ورديفة

بحر كبير | بحر صغير إسماعيل/السماعلة/خيران/خير الله  
(أولاد بحر كيار) (أولاد بحر صفار) (السماعلة) (بني خيران)  
الرتائق الملكية.

M. et E. Gouvion, *Kitab Aayane Almaghreb L'Aakasa* : Raymond Peyronnet, *Le problème Nord-African*, T. I.

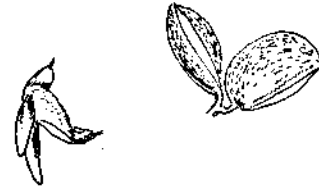
صالح شكاك

**الرتائق**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس أنجبت عدة فقهاء تذكر الوثائق من بينهم : محمد بن أحمد الرثوث كان قاضياً بتطوان سنة 1126 (1714) وسنة 1143 (1730) ؛ ومحمد بن محمد الرثوث تولى خطة العدالة من سنة 1176 إلى سنة 1189 (1762، 1775) ؛ والرثوث عبد السلام بن محمد زاول خطة العدالة من سنة 1113 (1701) إلى سنة 1116 (1704). وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1190 (1776).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان*، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 706.

محمد ابن عزوز حكيم

تستعمل بعض أنواع الريتاما لتثبيت الكثبان الرملية. فهي إما تغرس أو تنثر بذراتها لتكوين غطاء نباتي، أو توضع أغصانها على الرمال لتوقفها عن الزحف. وتجدر الإشارة إلى أن لأنواع ريتاما دوراً هاماً في تحسين المراعي.



الرتم

الأنواع الأربعة المغربية هي :

- ريتاما وحيدة البذرة أو ريتاما مَوْتُو سَمِيرْمَا Monosperma : شجرة صغيرة، جد متفرعة. أزهارها في عنقايد مفتوحة، بيضاء، طولها ما بين 9 و13 مم. بذورها سمراء أو سوداء.

يصادف النوع في جل البيومناخات وفي الطابقين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ. يعيش على الأتربة الرملية الساحلية من السعيدية إلى جنوب سيدي إفني كما يظهر استثنائياً في الحوز وسوس.

- ريتاما كروية الشرة أو ريتاما سفيروكاربا Retama sphaerocarpa وهي جنبة جد متفرعة. أغصانها قائمة غير متدلية وعدمية الزغب. أزهارها صفراء، طولها يتراوح ما بين 6 و8 مم، مجتمعة في ازهارات كثيفة. ثمارها بيضوية إلى كروية الشكل بذورها كروية الشكل.

ينمو النوع في البيومناخات شبه الجافة والجافة والصحراوية الدافئة والمعتدلة والباردة، وفي الطابقين المتوسطي الدافئ، والمتوسطي. ويصادف على أتربة صخرية على العموم في المناطق الجبلية والسهبية والصحراوية جنوب الأطلس المتوسط وشمال وجنوب الأطلس المتوسط وشمال وجنوب الأطلس الكبير الشرقي. والأطلس الصحراوي في المغرب الشرقي الجنوبي.

- ريتاما رقية أو ريتاما ريتام Retama raetam يختلف هذا النوع عن النوع الأول بازهاره الذي يظهر على شكل عنقايد جد مكدسة، حاملة أزهاراً بيضاء ذات طول يتراوح ما بين 10 و17 مم، وكذلك بثماره ذات المنقار المنعرج وبذوره الصفراء اللون في بعض الحالات.

يعيش النوع على أتربة صخرية أو رملية في المناطق الصحراوية والجافة في الحمادة والأطلس الصحراوي، وفي الطابقين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ.

**الرثوث، عبد الله (الحاج -) بن يوسف**  
التطواني الأندلسي الأصل الفقيه العلامة العدل من عائلة كريمة عالمة اشتهرت بالتوثيق والعدالة والوراقة. ذكر منها الفقهاء محمد بن أحمد وقد تولى القضاء كما في صكوك شرعية عليها خطابه عام 1143، ومحمد بن يوسف الفقيه الفرزي الحيسوبي، ومحمد بن محمد ويوسف بن محمد. انتقل المترجم من مسقط رأسه تطوان إلى فاس للدراسة وأخذ عن علمائها ولا سيما أبي السعود عبد القادر الفاسي الفهري، فقد أخذ عنه التفسير والحديث وغير ذلك. توفي المترجم له بالطاعون العام سنة 1087 / 1676.  
م. داود، مختصر تاريخ تطوان، ص. 280 : تاريخ تطوان، 2، ص. 288. 296. 313، طبع تطوان.

**الرثوث، محمد بن يوسف التطواني.** العلامة الفقيه الحيسوبي الفرزي الوراق المحقق من عائلة أندلسية نبيلة انقرضت منذ مدة ولم يبق من اسمها إلا غرسة الرثوث بمنتزه كيتان خارج تطوان صارت بعده إلى الرزيني. هذا الرجل كان كأكثر أهل بيته من العدول المنتصبين لتحمل الشهادة وأدائها بتطوان، وقف الفقيه الرهوني على خطه وعلامته بذلك من عام 1171 إلى 1188 وكان منهم من تولى القضاء فترة وجيزة، ثم يضاف إلى ذلك أن المترجم له كان ذا ولوع بالنسخ والتقييد والوراقة ذا خط مليح محقق دقيق ولم يقتصر على النسخ فقط بل كان يعلق على بعض منسوخاته بما يعن له فيجيد وبحقق، وفتت من منسوخاته - مما كنت أملكه، وهو الآن بالحزارة العامة بتطوان - على مجموع تأليف في القراءات والتجويد فرغ منه عام 1131 وبخزانة الفقيه محمد المرير بتطوان نسخة من التلمسانية في الفرائض وبعدها فصل مركز محقق من عمل المناسخات. جاء في آخر النسخة : نجز والحمد لله على إكماله، وقد أكملها لنفسه ولمن قدر بعده تصحيحاً وتطريفاً وقراءة عبد ربه محمد بن يوسف الرثوث خار الله له ولطف به، ومن عليه بغفران ذنبه.

توفي المترجم له بتطوان بعد عام 1188 / 1774.  
أ. الرهوني، عمدة الراويين في تاريخ تطوان، (5 / 7)، مخطوط.

**الرثوث، يوسف بن محمد الأندلسي التطواني،** الفقيه العلامة الوراق المحقق، أحد نبهاء الأسرة الأندلسية النبيلة المنقرضة التي عرف أفراد منها بالعلم والتوثيق والعدالة. ذكره العلامة محمد بن عبد الهادي المنوني رحمه الله كما في كتابه تاريخ الوراقة المغربية (صفحة 96 تحت رقم 100) فقال : يوسف بن محمد الرثوث التطواني، ونقدم من منسوخاته اثنتين (أ) شرح البردة البوصيرية للأبيوري، فرغ منه أوائل ربيع النبوي عام 1055 بالمكتبة الملكية تحت رقم 9845 (ب) نسخة من (صحيح مسلم) ثمانية التجزئة

من الحجم الصغير مكتوبة ومقابلة من أصل ابن عُمير بواسطة، وفرغ من انتساخها عشية الثلاثاء الموافق ثلاثين من شوال عام 1082 وهي محفوظة في مكتبة القرويين تحت رقم 977 على يتر في أول الجزء الأول مع كتابة الجزء الخامس بخط مغاير.

قلت : وقف على هذه النسخة قبل الفقيه المنوني شيخنا أحمد الرهوني. قال في العمدة : وقد رأينا بخزانة القرويين نسخة من صحيح مسلم بخط الفقيه الرثوث التطواني. وهو خط رقيق جيد غاية، وعلى تلك النسخة تصحيحات لعدد من الأئمة. وهي عندهم بفاس نظيرة نسخة الشيخ الأكبر سيدي عبد القادر بن علي الفاسي رضي الله عنه لصحيح البخاري، ونسخة ابن سعادة عند المغاربة والأندلسيين للصحيح أيضاً، وقد سردنا من هذه النسخة على شيخنا شمس الدين مولانا محمد بن جعفر الكتاني الحسني رضي الله عنه قدراً غير قليل وتبركنا بالجميع، ويغلب على ظني أن محمد بن يوسف الرثوث المتوفى بعد عام 1188 هو صاحب تلك النسخة والله أعلم. وهذه غفلة من الشيخ رحمه الله ولو انتبه لتاريخ الفراغ من النسخة لعلم أنها لا يمكن أن تكون له، وإنها ليوسف بن محمد الرثوث المتوفى بعد عام 1082 ويظهر أنه أبوه.

أ. الرهوني، عمدة الراويين، مخطوط (7 / 5) : م. المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، الرباط.

محمد بوخيزة

### رجال المطافئ، شكّل اكتشاف النار عنصراً هاماً

في تحديد مراحل تطور الإنسانية، لكن بالموازاة مع ذلك، فقد كان عليه أن يعمل على التفكير في وسائل ناجمة تقيه الأخطار التي يمكن أن تنجم عن انفلات تحكمه في هذا الاكتشاف. وعليه عرف الإنسان ظاهرة التصدي لحرائق منذ العصور القديمة.

ولم يكن العالم الإسلامي بعيداً عن هذا التطور، فقد ارتبطت عملية التصدي للحرائق بالمجانب الديني، فعلمية مكافحتها تندرج ضمن شروط التضامن الذي يجب أن يسود بين أفراد الأمة. أما عملية العقاب فقد كانت هي الأخرى تخضع للحكم الديني. والمغرب ويحكم انتصائه الديني عرف هو الآخر نفس المبادئ. إذ تكشف بعض النوازل عن مجموعة من القضايا الاجتماعية المرتبطة بسألة الحرائق وسبل التصدي لها. بالفعل تكشف لنا إحدى نوازل النشرسي عن أسلوب التضامن الذي كان سائداً بين الأهالي في حالة اندلاع الحريق. فلم تكن المهمة منوطة بشخص أو مجموعة محددة، بل إن الأمر يشمل كلا من أفراد الأسرة والجيران وأهل الحي.

مع بداية التوسع العمراني، وازدياد السكان أصبحت عملية إطفاء النيران توكل إلى «الكرّاب»، أي السقاء،

الذي كان ملزماً بإفراغ ما لديه من ماء في حالة الضرورة في أوعية مختلفة بأقصى سرعة ممكنة لمكان البيوت المحترقة. إلى جانب الدور المنوط بـ«الكراب»، استمر أفراد الحى في أداء مهمتهم التضامنية التي جبلوا عليها وأصبحت عنصراً ينسجم مع روح التقاليد المغربية.

مع التقدم الذي أصبحت تعرفه المدن المغربية واتساع مجالها الجغرافي بدأ التفكير في تنظيم فرق خاصة تحمض على التصدي للحرائق والمخاطر بشكل أكثر تنظيماً من السابق. وتمتدح بإطار قانوني يضمن لها الاستمرارية ويخضع في نفس الوقت لمراقبة إدارة الحماية. هكذا ظهر ظهير 9 مارس من العام 1917 مأخوذة عن القانون الفرنسي الصادر في نوفمبر من العام 1903 الذي ينظم لأول مرة مهنة رجال المطافئ ويضع مسألة الإشراف تحت مسؤولية الباشا يساعد مجلس إداري.

يعرف الظهير رجال المطافئ «بأنهم المكلفون بإطفاء الحريق في كل مدينة يستلزم حالها ذلك قصد مقاومة البلايا العمومية وخصوصاً الحريق» ( الجريدة الرسمية، عدد 505 في 17.4.2).

يتضمن الظهير خمسة أبواب، يتعلق الباب الأول بالتنظيمات العمومية، أما الباب الثاني فيحدد التنظيم والترشيح لولوج وظيفة رجال المطافئ، بينما يحدد الباب الثالث اختصاصات الضابط قائد فرقة رجال المطافئ، أما الباب الرابع فقد اهتم بتحديد الإجراءات التأديبية، بالإضافة إلى الباب الخامس الذي اهتم بتحديد طابع الأسلحة والزي الخاص برجل المطافئ. هكذا فموجب ظهير 9 مارس 1971 أصبح جهاز إدارة المطافئ حاضراً بشكل رسمي ضمن مكونات إدارة الحماية الفرنسية.

تم تشكيل الفرق الأولى في المدن الأكثر كثافة واتساعاً، فقد تم في البداية تأسيس فرقتين لرجال المطافئ. الأولى بمدينة الدار البيضاء، وقد جاءت وفق المرسوم الوزاري الصادر في 2 يونيو من العام 1917. والثانية بمدينة الرباط وفق المرسوم الصادر في 14 يوليو من نفس السنة. كانت عناصر فرع الرباط تتكون من سبعة وأربعين رجلاً تشمل ضابطاً برتبة ملازم ثان وثلاثة نواب، مقدم كبير ومقدم فرنسي ومقدم من «الأهالي». كما يضاف إليهم ثلاثة متعاونين اثنان منهم فرنسيون وفرد من الأهالي، يساعدهم أربعون نفراً نصفهم من الفرنسيين والنصف الثاني من «الأهالي». في هذه الفترة اقتصر العمل في بقية المدن المغربية على الطرق التقليدية السابقة، وعلى عمل بعض المتطوعين من السكان.

على إثر الحريق المهول الذي اندلع بمدينة فاس في 22 جوان من العام 1918، وهو الحريق الذي اكتسح مساحة هامة من ضريح مولاي إدريس وجزءاً مهماً من المدينة القديمة - فاس البالي - تم تأسيس فرقة رجال المطافئ بالمدينة وفق القرار الوزاري الصادر في 20 يوليو 1921. بلغ عدد

أفرادها خمسة وسبعين رجلاً، تضم ملازماً وأربعة نواب وثمانية متعاونين والباقي من الأنفار. في نفس السنة سوف تعرف مدينة وجدة تأسيس فرقة مماثلة، إلا أنها أقل عدداً بالمقارنة مع الفرق التي تم تكوينها في كل من مدن الدار البيضاء والرباط وفاس. فقد ضمت فرقة وجدة لرجال المطافئ خمسة وثلاثين رجلاً منهم الضباط وملازم ونواب الضباط. استمرت عملية تكوين فرق رجال المطافئ وفق الحاجيات واستجابة للتوسع الذي كانت تعرفه المدن المغربية. ففي العام 1935 تم تأسيس فرقة جديدة لرجال المطافئ بمدينة آسفي حدد عدد أفرادها في خمسة عشر نفراً.

بموازاة للتطور السريع الذي كانت تعرفه مدينة الدار البيضاء، عرف فرع رجال المطافئ بالمدينة عمليات تجديد متكررة، تخصص إعادة التنظيم والهيكلية مع توسع دائرة الاختصاصات. ففي العام 1943 أصبح عدد رجال المطافئ بالمدينة يضم ما يزيد عن المائة نفر، كما أصبحت التجهيزات أكثر تقدماً مقارنة مع المرحلة الأولى. بل إنها في العام 1948 اقتطعت أرضاً بمدينة الدار البيضاء خصصتها لبناء ثكنة لرجال المطافئ. هذه الثكنة التي تم توسيعها من جديد بعد مرور أربع سنوات. وفي نفس السنة تم بناء ثكنة بمدينة آسفي. انتظم عمل رجال المطافئ في فترة الحماية وفق النظام العسكري، فبالرغم من طابع الإشراف الذي كان محولاً لباشا المدينة والمجالس البلدية، فإن طرق التنظيم والتسيير والانضمام إلى صفوف رجال المطافئ كانت ذات طابع عسكري. بحكم الاختصاصات الممنوحة للضباط الذين كانوا في غالبيتهم من الفرنسيين، بينما اقتصر عمل المجلس البلدي على توفير الدعم المالي المتعلق بالتسيير والتجهيز.

بعد حصول المغرب على الاستقلال وفي إطار مغربة أطر الإدارة عرف قطاع رجال المطافئ إعادة في التنظيم والهيكلية، فقد دخلت المؤسسة في عملية المغربية والتشبيب. بتنظيم عدد من المباريات كان يتم الإعلان عنها عبر الجرائد الوطنية وعبر أجهزة المذياع، تفتح في وجه الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 21 و35 سنة. كما كانت تقدم مجموعة من البرامج التشجيعية، التي تم تحديد مهمتها في توضيح أهمية المهنة للمواطنين ونيل أهدافها. في نفس الإطار تم تزويد الإدارة بمجموعة من الأجهزة العصرية والتقنيات المتطورة بهدف مواكبة المستجدات والتمكن من التغلب على المشاكل التي أصبحت تزداد تعقيداً يوماً عن يوم. كما تم النظر إلى وضعية الموظفين في القطاع، فقد أعطى ظهير 8 يوليوز من العام 1957 الحق لرجال المطافئ في الحصول على التعويض عن الحريق يحدد مبلغه في 8% من الراتب الأساسي.

عرف قطاع رجال المطافئ في السنوات الأخيرة تقدماً ملحوظاً سواء من حيث عدد الثكنات، إذ أصبحت جل المدن المغربية تتوفر على ثكنات خاصة وأجهزة متنوعة،

الشكل. أزهاره محاطة بأوراق زهرية. ثماره علبية تحوي بذوراً دقيقة.

تصادف الرجيلة في الحقول والبساتين والحدائق كنبات طبيعي مرافق للزروع المروية، وذلك في كل المناطق المغربية، وفي كل بيومناختها. في بعض البلدان تزرع كبقلة.

تجمع الرجيلة من الحقول لتغذية الماشية لأنها شديدة الاستساغة من القنبيات والأغنام والأبقار. وكذلك لهيئتي بعض المأكولات المخللة أو المطبوخة، أو على شكل سلطة، وكلها أطعمة لذيذة ومحبية لدى الإنسان.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 1999, 370 p.

عبد المالك بنعبيد

**الرجم**، ضرب من السحر معروف عند طلبة سوس، يكتبون في طرف حَزَقَة سورة الفيل كلها، ويقومون بتمتمات لتوجيه الرجم ضد الشخص أو المكان المراد رجمه، فتنتقل عمليات الرجم بالأحجار والأخشاب من مختلف الأحجام لكنها وإن كانت تزرع وتُحَوَّك، فإنها لا تكسر شيئاً ولا تؤذي أحداً.

ذكر المختار السوسي في كتابه خلال جزولة أثناء كلامه عن رجوعه من أكادير إيزري بالأطلس الصغير إلى إلخ : قال : "دخلت مع رفيقي الأستاذ في حكايات طابت لنا، فحكى غريبة وقعت في حاحة بمركز تمانار في الأيام الأخيرة، وذلك أن مدرراً في مسجد بينه وبين طالب آخر سوسي هناك شتآن، فسحره بالرجم المعروف، فبينما المدرر جالس مع تلاميذه في المسجد، إذا بدواة من يد أحدهم اندفعت بكل قوة إلى وجه المدرر، ثم توالى ألواح الصبيان عليه، وكل ذلك يراه المدرر ويعلم أن لا يدقيه للصبيان، ثم توالى عليه خشب وأحجار أخرى، إلا أنها إنما تقع عليه المركز المراقب الأوربي فتثبتنا في ذلك ومعهما الفقيه سيدي محمد بن أحمد آخر هذا الحاكم، فذكر لهم الطالب السوسي الذي اتهم بفعل ذلك. فأتى به الأعوان، فراودوه حتى أزال السحر، ثم توعده المراقب بالسجن إن عاد لمثل ذلك.

ثم حكينا - أنا وهو - حكايات صحيحة ثابتة من هذا النوع، إحداها وقعت في إمنتادوت، وثانيتها في إيشت، وثالثتها عندنا نحن في دارنا (إلخ) عام 1352 هـ فقد وقع أن الأحجار صارت تتوالى على السطوح وعلى الساحات الداخلية في العشايا وفي كل الليل لا تفتقر، وقد فتش لعل فاعلا يفعل ذلك فإذا به لا شيء هناك، ولكن العمل لا يزال مسترسلا، إلا أن الأحجار لا تكسر إنا، ولا تؤذي أحداً مع كبرها وكونها بصد الكسر والإذابة، وقد بقي ذلك أياما إلى أن ذهب المؤذن اليوم في الزواية سيدي محمد أبو

كما أصبح القطاع يتوفر على جمعية للأعمال الاجتماعية تم تأسيسها وفق المرسوم الوزاري الصادر في 7 يناير من العام 1998، يوجد مقرها بمدينة الرباط بل أكثر من ذلك فقد عرفت مهمة رجال المطافئ هي الأخرى تنوعا ملحوظا، فلم يعد عملها يقتصر على مجرد إطفاء الحرائق، بل اتسع ليشمل مجالات عدة منها ما هو مرتبط بالأفراد داخل البلد الواحد، ومنها ما يرتبط بالقطاع الدولي بحكم ظهور منظمة عالمية تندرج تحتها معظم الفروع في العالم.

المجريدة الرسمية، سنوات 1917 - 1921 - 1935 - 1943 - 1948 - 1953 و 1957 و 1958 : أ. النورسي، المعيار العربي، بيروت، 1981

H. de la Casinière, *Les Municipalités marocaines, leurs développement, leur législation*, Casablanca, 1924 p.179.

محمد براص

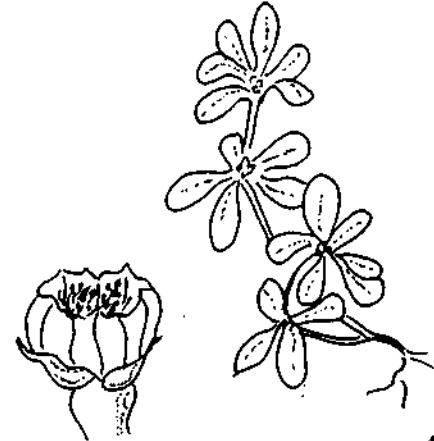
**الرجالي**، أبو محمد من أهل تازا وأحد فضلاء المغرب في العصر المريني، تتلمذ عليه كثير من العلماء من أشهرهم الشيخ الفقيه قاضي الجماعة بمراكش أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله الهرغي الزكندري المتوفى سنة 768 / 1367.

ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجواب*، تج. أ. مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، ج. 2، ص. 63 : م. حجي، محقق، ألف سنة من الوفيات، الرباط، 1976، ص. 84، 125.

رشيد السلامي

## رجراجة ← رگراكة رجراجي ← رگراكي

**الرَّجْلَة** أو الرَّجِيلَة بالمغرب، أو الفرَّقح أو البقْلة الحمقاء بالشرق العربي هي بُورْتُولَاكَا أوليراسيا *Portulaca oleracea* وهي نبات من فصيلة الرَّجْلِيَّات *Portulacaceae* نبات عشبي حولي لحمي أو شبه عصاري، ينمو مفترشا الأرض. أوراقه ملساء لامعة، بيضوية



الرجلة

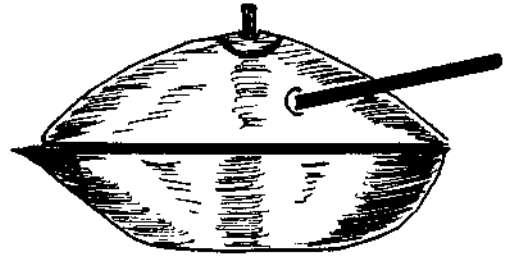


الركيك فأذن جهازا وآذن فاعلي ذلك بالانكفاف، والأ فلا يلومن إلا أنفسهم، فانقطع ذلك".

م. المختار السوسي، خلال جزوة 2 : 255 - 256 : روايات شفرية.

محمد حجي

**الرحى**، وفي الأمازيغية (أزرگ) تعتبر تقنية متطورة لطحن الحبوب، فالإنسان القديم عند اكتشافه الحبوب وحتى بعد زرعها وتحصيلها كان يأكلها كما هي حياً لفترة طويلة قبل أن يهتدي إلى سحقها بواسطة الحجارة إلى أن وصل إلى ما عُرف بالرحى النائمة أو المستلقية، وهي طريقة بدائية تعتمد على لوح من الحجر الصلد أو صخرة منضدة أو مقعرة قليلاً توضع فيها كمية قليلة من الحبوب ويتم سحقها عن طريق حجارة ملساء تمسك باليدين معاً وتقرَّب بقوة فوق الحبوب جيئة وذهاباً حتى يتم الحصول على دقيق وجريش ؛ أو عن طريق حجارة منحوتة على شكل أسطواني (BAM).

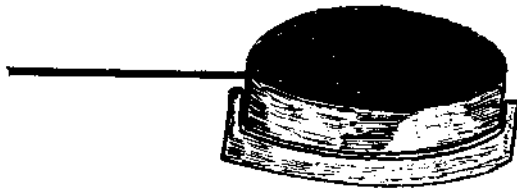


بعد هذه التقنية جاء المهراس الذي كان في الأصل عبارة عن حفرة منحوتة في صخرة منضدة صلبة قملأ بالحبوب المراد سحقها وتدق بمدق من الحجارة الصلبة المنحوتة ؛ ويعرف هذا النوع من المهراس في الأمازيغية بـ "تانوت" و"أزدوز" وقد وقع تطور في المهراس إذ أصبح متنقلاً، سواء من الحجارة المنحوتة أو من الخشب دون أن يتم الاستغناء عن المهراس الثابت، وهذه التقنية ما تزال مستعملة في العديد من الأماكن عند القبائل الإفريقية الاستوائية في شرق إفريقيا وعند الشعوب البدائية عموماً، ويمكن الوقوف على المهراس الحجري في جنوب المغرب خاصة في المناطق الشبه الجافة (Hespéris, 1955, t. XL)، لكن دورها لم يعد رئيسياً في طحن الحبوب بل تستعمل لسحق مواد تكميلية مثل نوى التمر لتحويله إلى علف للبهائم والنيق والحناء وغيرها (زيارات ميدانية).

أما عملية طحن الحبوب بواسطة الرحى فهي تقنية أكثر تقدماً وتطوراً، ونعتقد أنها دخلت المغرب عن طريق

الفينيقيين والرومان (BAM) وتتكون الرحى من شقين من الحجارة الصلبة المنحوتة يوضع أحدهما فوق الآخر ؛ الشق السفلي (القاعدة) يتوسطه محور (وتد) من خشب أو حديد، والشق العلوي به ثقب (لهوة) في وسطه ينزل فوق القاعدة ويدور حول المحور. واللهوة نفسها تستعمل لإدخال الحبوب لتقع بين الحجرين، ويتم إدارة الشق العلوي حول المحور بواسطة مقبض خشبي مثبت في جانب الشق العلوي في الأرحاء اليدوية الصغيرة والتي تعتبر من مستلزمات البيوت ؛ وتعتمد الأرحاء المحركة بواسطة الطاقة المائية أو الحيوانية على مبدأ الثقل والخشونة والحركة الدائرية".

هذا هو المبدأ أو القاسم المشترك بين الأرحاء المخصصة لطحن الحبوب، لكنها تختلف من حيث الشكل والحجم والطاقة المحركة، فمن الأشكال التي كشفت عنها التنقيبات الأثرية في المجال الذي احتلته الدولة الرومانية في المغرب (موريطانيا الطنجية) ؛ شكل مكون من حجارتين مخروطيتين الشق العلوي مجوف وبه ثقب في الأعلى، والشق السفلي محدب، ويتم عملية الطحن بإلقاء الحبوب من الثقب العلوي "اللهوة" ويدار المجوف أو المقعر حول المحذب بواسطة مقبض خشبي مثبت في الشق العلوي المقعر ؛ وهو شكل لا وجود له اليوم إلا في بعض المتاحف (BAM)، أما أكثر الأشكال شيوعاً واستعمالاً فهي التي ما تزال بقاياها موجودة في العديد من البيوت في اليبادية وعند القبائل الرحل بصفة خاصة وتتكون من حجارتين مخروطيتين، الشق العلوي تتوسطه لهوة ثقب يخرج منه طرف المحور (الوتد) وتلقى منه الحبوب، أما الشق السفلي (القاعدة) فهو مخروط قمته مسطحة وقاعدة يتوسطها المحور (الوتد) أي أن قاعدتي المخروط هما اللتان تقع الحبوب بينها فتطحن، هذا الشكل هو الأكثر انتشاراً في اليبادية المغربية ويختلف الشكل قليلاً في المنطقة الشمالية عن الأول، فبدلاً من الشكل المخروطي نجد الرحى عبارة عن قرصين ثقيلين من الحجارة المنحوتة يوضع أحدهما فوق الآخر ويدار بنفس الطريقة بمقبض خشبي أو حديدي حول محور مماثل.



المنحدرة بقوة أو الساقطة من أعلى بثقلها على عجلة من أعود تدوير الشق العلوي من الرحى المعدة لطحن الحبوب، أو تدوير العجلة الصخرية العمودية المحركة المعدة لطحن الزيتون وقصب السكر وغيره (الصور المرفقة) (Histoire du Maroc).

أما اهتمام المصادر بالأرجاء المائية وتتبعها في مختلف جهات المغرب فيمكن اعتباره مؤشراً نستخلص منه استنتاجات متعددة :

- 1 - انتشار الوعي باستخدام الطاقة المائية في تحريك الأرجاء في الأماكن التي تتوفر فيها المياه الجارية.
- 2 - كثرة الأرجاء المشار إليها في المصادر تعني فيما تعنيه كثرة استهلاك السكان للحبوب، وفي ذلك إشارة إلى تطور المجتمع المغربي الذي أصبح اعتماداً على دقيق القمح والشعير في غذائه يتزايد (العبر، 88).
- 3 - كثرة الأرجاء تعني من جهة أخرى كثرة الجداول والسواقي والمساقط المائية أي شبكة مائية سطحية كثيفة، ناتجة عن مناخ رطب (التساقطات الثلجية والمطرية منتظمة).

وردت في المصادر إشارات متعددة إلى الطواحين (جمع طاحونة) ويقصد بها البناية التي تجمع عدداً من الأرجاء سواء كانت مائية أو تحرك بالطاقة البشرية أو الحيوانية، وهي طواحين عمومية، وفي بعض المصادر، وهي قليلة، إشارات إلى بيت الأرجاء ويعني الطاحونة بالمفهوم المذكور (اختصار الأخبار، 87 و92 و94؛ وصف، 183، 184).

استحوذت مدينة فاس على معظم الإشارات في المصادر عن الأرجاء فلا يخلو من ذكرها مصدر حتى إنهم ذكروا أن لكل بيت فيها جدول مائه ورجاه، وتفاوتت الأرقام المقدمة ما بين 300 و3.000 رحى، وميزت المصادر ما بين الأرجاء الدائمة الاشتغال والأرجاء التي تشتغل في فصل دون آخر فأشارت إلى الأرجاء الشتوية أي التي تعمل وقد تزايد منسوب المياه في الجداول والأنهار والسواقي؛ وعند صاحب اختصار الأخبار إشارة تفيد أن من الأرجاء ما تعمل بمياه ومساقط مائية مصطنعة بحث يتم ملء الصهاريج وإحداث قوة محركة للأرجاء.

تعود ملكية الأرجاء المائية في البوادي إلى الجماعات والقبائل والمداشر، وتعمل ليل نهار دون انقطاع، وتقام عند المنحدرات والمساقط المائية الطبيعية أو تهيأ لها منحدرات ومساقط اصطناعية يتم التحكم فيها بتحويل المياه عنها وإعادة تيارها إليها عند الحاجة ويقوم على حراستها وتشغيلها وصيانتها شخص تعيينه الجماعة يتعاطى من المستفيدين منها أجرة عينية وهي في غالب الأحيان (نصيب محدد من الطحين)؛ لكن الأرجاء في المدن الكبيرة كانت في ملكية الحواص سواء منها التي في البيوت مثل فاس (المغرب، 115) أو الطواحين الكبيرة العمومية التي يكثر بها أحياناً الدقاقون وأصحاب المخابز، ويطحن فيها عموم الناس، وقد

تتم عملية الطحن بإلقاء الحبوب قبضة قبضة من خلال اللهوة، باليد اليسرى وتتم إدارة الشق العلوي بالمقبض يمنة ويسرة ويفترش حصى أو قطعة من قماش لسقوط عليها الدقيق تعرف في اللغة العربية بالثفال. وهناك أشكال أخرى للرحى مختلفة من حيث الحجم والاستعمال والشكل مثل الرحى المستعملة لطحن الزيتون أو قصب السكر فهي تختلف كثيراً عن النوع المخصص للحبوب بحيث تعتمد على قرص ضخم منحوت من صخر صلب يتم تثبيته بشكل عمودي على محور قائم مثبت وسط جفنة كبيرة منحوتة من صخرة واحدة أو مبنية ومرصفة بالواح الحجارة الصلبة وتتم إدارتها بواسطة الطاقة البشرية أو الحيوانية أو المائية، وقد دخلت فيها التقنيات الحديثة اليوم سواء في الحركة أو الطاقة المحركة لكن المبدأ الأصلي مازال موجوداً : قرص أو عجلة من الحجارة الصلبة (تحريات ميدانية).

ومن الأنواع اليدوية المستعملة في البيوت وخاصة في الجنوب المغربي رحى زيت أركان التي تعتمد على المبدأ الميكانيكي نفسه لكنها تختلف شكلاً : فالشق العلوي أصغر من الشق السفلي الذي ينتهي بثلمة يسلكها السائل المستخلص من عملية الطحن وهو زيت أركان ليتجمع في الإناء الذي يوضع أسفل الرحى.



أعجب المؤرخون وكتاب الحوليات في العصر الوسيط خاصة بكثرة الأرجاء المائية في المغرب المنتشرة في كل أرجائه في مدنه وقراه وباديه، وتنوع بعضهم وجودها وقدم إحصائيات حولها؛ والأرجاء المائية مثلها مثل الأرجاء التي وصفناها إلا أنها تختلف من حيث الحجم والطاقة المحركة لها، ومن هنا جاء اهتمام المصادر بها. لأن استعمال الطاقة المائية في تحريك الأرجاء يعتبر ثورة في الميدان وهذه الثورة تأثر فيها المغرب ولاشك بالحضارات التي سبق أن استغلت المياه بشكل مماثل، فبعض الدارسين أشار إلى أن الرومان في موريطانيا الطنجية وتحديدًا في وادي خومان الذي كان يجري أسفل العاصمة ويلي استخدمت مياهه لإدارة الأرجاء (BAM).

يتطلب استخدام المياه كطاقة لإدارة الأرجاء كمية كبيرة من المياه وصيباً دائماً وانحداراً قوياً بحيث تنزل المياه

فصل الحديث في هذا النوع من الطواحين صاحب اختصار الأخبار فوصف أبنيتها ومخازنها وعدد أرحيتها وحجارتها وملكيته (اختصار، 87 و92 و94) وتبعه الحسن الوزان في وصف إفريقيا (132 و183 و184) فأطنب في الحديث عن طواحين فاس وأضاف أن كراء هذه الطواحين مرتفع : مثقالين لكل رحي. وأما ما يدفعه الشخص مقابل طحن جوبه فهو (رودجيو) أي 15 سنتيم ذهب لكل كيل ؛ في زمن الشريف الإدريسي (نزهة، 3 : 241 و243) كانت أرخص : "فاس مدينتان بينهما نهر كبير يأتي من عيون صنهجة عليه داخل المدينة أرحاء كثيرة لطحن الحنطة بلاتمن له خطر..."

هذه الأرحاء المائية يتهددها ويحد من نشاطها عنصران أساسيان :

أ - العامل البشري ونقص الاستقرار والأمن أو عدمه : ففي الحالة الأولى تزدهر الأنشطة البشرية الفلاحية والتجارية والصناعية، وفي الحالة الثانية يتوقف التطور ويعود المجتمع إلى الرعي والترحال، وتتعرض المنشآت العمرانية والصناعية والزراعية للتخريب ومنها الطواحين.

ب - العامل الثاني بشري أيضاً ويتعلق بالنازعات بين القبائل والمداشر والجماعات حول المياه الجارية وكذلك النزاع ما بين الفلاحين وسكان المدن : الفلاحون يريدون تحويل الماء للسقي وأصحاب الطواحين يريدونها لأغراضهم ويتم الاتفاق أحيانا حول تقسيم المياه أو استغلالها مناوية (نزهة، 232 ؛ وصف إفريقيا، 276).

ج - العامل الثالث وهو أخطر من العوامل البشرية وهو الجفاف : فقلة التساقطات المطرية والثلجية أو انعدامها في بعض السنوات تسدد ضربة قاضية لهذا النشاط : طحن الحبوب عن طريق الأرحاء المائية.

منذ التاريخ القديم وإلى اليوم عوف المغرب الأرحاء المائية بل كانت أكثر الأرحاء استعمالاً واستغلالاً. أما في الوقت الحاضر فيمكن القول إن هذه الأرحاء المائية الموجودة معدودة على رؤوس الأصابع وما لم تتدخل الجهات المعنية بالتراث فقد يضيع هذا الكنز الذي يذكّر المغاربة بعهد مزدهر مضى ؛ ومعظم هذه الأرحاء موجودة في المجاري المائية ذات المساقط القوية خاصة في الأطلس الكبير ؛ في أوركا ومولاي إبراهيم ووادي غيغاية وإيمليل وغيرها (قائدها والحفاظ عليها مسألة وطنية).

تغيرت مصطلحات الرحي والطاحونة بعد دخول الطاحونات الآلية المحركة بالطاقة الحيوانية أو بالبنزين ثم الكهرباء في عهد الحماية الفرنسية على المغرب وقبلها بقليل، فأصبحت الطاحونة تعني تلك الآلة والبنية في نفس الوقت ؛ أما الرحي أو الأرحاء فبقيت منذئذ وإلى الآن تعني الرحي المائية واليدوية المعتمدة على شقين أو فردتين من الحجارة ؛ وإذا كانت رحي الحبوب قد أصبحت من التحف الأثرية فإن رحي عصر الزيتون ورحي زيت أركان

مازالت منذ العصر الوسيط وإلى اليوم الأكثر استعمالاً في البادية رغم ظهور التكنولوجيات الحديثة في هذا الميدان.

أ. البركري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، الجزائر، 1911 ؛ ش. الإدريسي، نزهة المشتاق، الطبعة الإيطالية، 5 أجزاء نابولي، د. ت. الجزائري، جني زهرة الآس، الرباط، 1967 ؛ ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972 ؛ ع. الواحد المراكشي، المعجب، الدار البيضاء، 1978 ؛ إ. العمري، مسالك الأبحار، م. المنوني، ورفات عن الحضارة المغربية في عهد بني مرين، ومقتطفات، فانيان ؛ م. ابن غازي، الروض المهنون، الرباط، 1964 ؛ ي. الحموي، معجم البلدان، مصر، 1906 ؛ ابن سعيد المغربي، بسط الأرض، تطوان، 1958 ؛ الحميري، الروض المعطار، بيروت، 1957 ؛ مجهول، كتاب الاستبصار، الإسكندرية، 1958 ؛ ي. ابن الزيات النادلي، الشوف، الرباط، 1984 ؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، باريس، 1960 ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، العبر، بيروت، د. ت. السبتى الأنصاري، اختصار الأخبار، مجلة تطوان، العدد 3 : 1958 . 1959 ؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1980.

محمد حجاج الطويل

### الرحامنة، قبيلة حوزية يحد موطنها مجرى وادي أم

الربيع شمالا، ومجرى وادي تانسيفت وسلسلة الجبيلات وبلاد مسفيوة جنوبا، ومن الناحية الشرقية قبائل السراغنة وزمران، ومن الجهة الغربية دكالة واحمر وأراضي الكيش، وتتبع قبيلة الرحامنة إدارياً إقليم قلعة السراغنة. من مراكزها بن كير، صخور الرحامنة، سيدي بوعثمان، ورأس العين. ومن أهم عشائرها : الحشاشدة، والحشاشدة البورية، واللواتة البورية، واللواتة الحوزية، وسلام العرب، وسلام الغرابة، ويكوت العرب، ويكوت الغرابة، وعزيب المرابطين، والعطاية، والعطاية الحوزية، وبرابيش بني حسن، وبرابيش الجعافرة، وبرابيش أولاد عبد الله، والشياظمة، والشياظمة الحوزية، وأولاد عقيل، وأولاد الزعرية، وزاوية ابن ساسي، وأولاد عبو، وأولاد حصين، وأولاد مطاعية، وأولاد تميم، والسكان.

تعتبر قبيلة الرحامنة من المجموعات المعقلية، اليمنية الأصل، التي استقرت بالصحراء. قبل أن تنزح نحو الشمال. حيث كانت تنتشر على أطرافها الشمالية. وكان فرنانديس أول من أشار إليهم في مستهل القرن العاشر (16 م). وكانوا يحملون هذا الاسم منذ أن كانوا في اليمن قبل نزوحهم إلى بلاد المغرب. والملاحظ أنهم تركوا في طريقهم نحو الغرب بصمات هذه التسمية في كل من الأردن وليبيا. وتشير المصادر إلى أن الرحامنة في الصحراء كانوا أكبر المجموعات المعقلية سكانا يحاربون بأكثر من عشرة آلاف مقاتل من بينهم سبعائة فارس. ويعيشون حياة ترحال ونصف ترحال مقرونة بزراعة محدودة للحبوب. وتفيد وثائق دوكاستر أن حياتهم في الصحراء لم تكن تقتصر على الرعي والزراعة فحسب، بل كانوا يتعاطون كذلك

لتجارة واسعة. وتتوافق هذه الإشارة مع ما جاء لدى فرنانديس عن التجارة عبر الصحراء ونصيب الرحامنة منها مع أولاد دليم في مرحلة أولى بين بلاد السود زناغة والجنوب الغربي للبلاد. ومن المعلوم أن المغرب في القرن العاشر (16 م) كان يحاول التمسك بدور الوساطة الذي كان يقوم به بين إفريقيا وأوربا في وقت مازالت فيه بعض الكميات من الذهب تصل إلى موانئه الصحراوية وهذا ما جعل الرحامنة خلال مقامهم في الصحراء يساهمون في حركة الجهاد سنة 1525/932 إلى جانب الشرفاء السعديين لصد الغزو المسيحي للسواحل الجنوبية الغربية بعد أن أخل الوجود البرتغالي على الساحل الأطلسي بهذا التوازن وما لحق سكان المنطقة من أضرار بسبب تحويل النصارى للتجارة التجارية التقليدي.

بعد أن استتب الحكم للسعديين نزح الرحامنة نحو التل، أي شمال سلاسل الأطلس، حيث أشار مرمول سنة 1565 إلى هيمنتهم على كل المنطقة الممتدة من أسفي إلى مراكش. ويجب التأكيد هنا على أن الرحامنة لم يكونوا جيشاً منظماً في خدمة السعديين عكس ما سار إليه مرمول وقد شاطره دوتي نفس الرأي. كما أنهم لم يكونوا من قبائل الكيش على العهد العلوي بل كانوا خداماً يعدون من قبائل النايبة التي كانت تسهم بالجيش وتدفع العيش.

كان مجال الرحامنة إلى القرن الحادي عشر (17 م) يمتد من أم الربيع شمالاً إلى أعراف الأطلس جنوباً نظراً لتعاطيهم الرعي الواسع وما يتطلبه هذا النشاط من ضرورة النجعة، فكانوا مرتبطين بمجموعة من التحالفات "أمقون" التي كانت تعطي حق الرعي والحماية للرحامنة بـ"المو" وكان هذا التعاقد يعطي نفس الامتيازات لغيغاية، ومسفيوة، وگندافة في منخفض البحيرة بقبيلة الرحامنة إلى أن تعرض هذا التوازن لانكسارات في نهاية القرن السابع عشر بسبب استقرار الكيش الإسماعيلي حول وادي نفيس. واستمر تراجع نفوذ الرحامنة في منطقة الدير في عهد مولاي عبد الرحمان لما استقدم أيت "يمور" سنة 1845 من الغرب إلى الحوز وأنزلهم وراء وادي نفيس وقيبلته، ثم نقل "رحي المغافر الودايا" من فاس الجديد سنة 1852 وأنزلهم بأحواز دائرة مراكش بزواية الشراي وما والاها خلف ضفة وادي نفيس وقيبلته. وهكذا ضرب الكيش العلوي الحصار على الرحامنة من جهة الجنوب فكان يمنعهم من التردد على مراعي الدير وأصبحت ممتلكاتهم حول نهر تانسيفت تشكل الحدود الجنوبية لمجال قبيلتهم على العهد الرحماني. وبعد تمردهم على العهد الرحماني، ثم على العهد المحمدي غداة حرب تطوان، انتزع منهم المخزن كل الأراضي السقوية الحصبة جنوب وادي تانسيفت نذكر منها تبهيت، وأغاطيم، وسعادة، وعين دادة، والسوهيلة... وبذلك أصبحت الحدود الجنوبية للقبيلة هي مجرى الوادي المذكور.

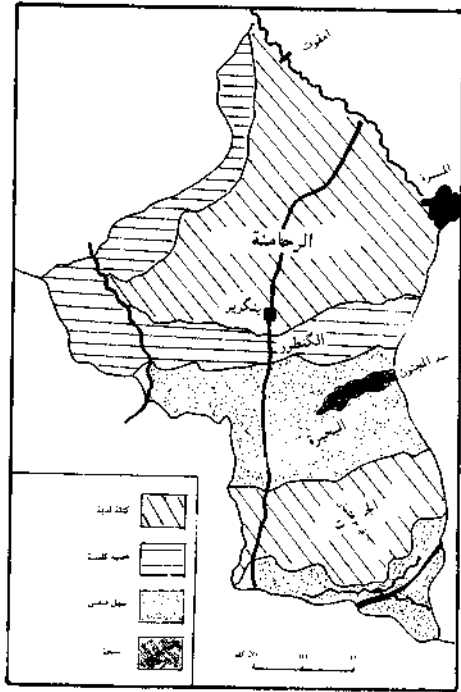
كان للرحامنة مصاهرة مع السعديين حيث إن سحابة

الرحمانية كانت الزوج الثانية لأبي عبد الله محمد الشيخ المهدي. وقد خلف معها أبا سعدة عبد المومن، ولالة عائشة، ولالة فاطمة، وأبا مروان عبد الملك الذي مات في معركة وادي المخازن. وقد رافقت سحابة الرحمانية ابنها عبد المالك إلى القسطنطينية في بلاط السلطان مراد بن سليم من أجل الحصول على دعم الأتراك لاستقراره على عرش المغرب.

منذ القرن الثاني عشر (18 م) طفت أخبار الرحامنة على السطح في تاريخ المغرب، وتناولتهم المصادر كمجموعة قوية تشكل أكبر تجمع سكاني في الحوز كانت لهم هيمنة على كافة قبائله في القرنين الثاني عشر والتاسع عشر. وتُرجع المصادر كثرة جموع الرحامنة وتزايد ساكنتها المطرد إلى توالي الهجرات السوسية التي كانت تُسهم في سرعة التجدد السكاني رغم توالي الانتكاسات الديموغرافية على مغرب ما قبل الحماية. ومن الملاحظ أن أثر هذه الهجرة مازال قائماً إلى اليوم. فإذا كانت مجموعات "الغراية"، وهم النازحون القدامى، قد فسحوا "الخنت" وأقلعوا اللسان بعد مرور الحقب وتعاقب الأزمان، فإن التوافد المطرد للقادمين الجدد ظل يعضد ارتداء الخنت والتواصل باللهجة الحسانية بين مجموعات "العُرب". وعلى هذا الأساس كان السلاطين يحاطبونهم بعبارة "أعراب الرحامنة". اعتباراً لما تقدم من وفرة في السكان كانت القبيلة على العهد الحسني يتوزع حكمها ثمانية قواد، ثم قسمت في ضحى الفترة العزيرية إلى عشر إيالات.

قام الرحامنة بثلاثة قمرات هامة في القرن الثالث عشر (19 م) : أولها بعد حرب تطوان، وثانيها بعد وفاة سيدي محمد بن عبد الرحمن، وثالثها بعد وفاة مولاي الحسن. وقد كان عنف التمردات المذكورة يستمد قوته وطول نفسه من وفرة أعدادهم وقوة شوكتهم. ولعل عامل الوفرة هذا هو الذي جعل السلاطين العلويين يعتمدون عليهم في ضبط باقي القبائل الحوزية ويستشيرون عمالهم وفقهاءهم في تعيين قواد الحوز. فقد خاطبهم المولى سليمان في رسالة بتاريخ شوال 1235 بقوله : "... لما ولاني الله نوهت بكم، وعملتكم بسوس ودرعة، وليتكم مراكش، وخيرتكم على جميع القبائل، وجعلت الزوين على جميع أهل الحوز، وجعلته وزيراً ومشيراً... أنتم قبة الحوز وقلبه... فما عندي أعز منكم... ووصفهم ظهير سلطاني بأنهم "مميزون بزيادة المحبة وخصوص الأثرة، مذكورون بالخدمة والنصيحة والجد...". وورد في رسالة مخزنية بتاريخ قعدة 1290 هجرية أن سيدي محمد بن عبد الله كان "يعتمد عليهم ويميزهم ويستخدمهم من جملة جيشه فيغنون ويكفون...". ولعل قوة الشوكة هذه كانت تميز أخبارهم هي الكفيلة بتفسير الحظرة والمكانة اللتين كانتا لهما لدى السلطان المذكور حيث اتخذ من محمد بن عمران الرحماني وزيراً له، وعينه خليفة على مراكش ونواحيها. وتزوج بالسيدة البتول

الإقليمية للفلاحة، بالإضافة إلى الجماعات القروية الأربع المجاورة لدائرة العطاوية والتي تنتسب إلى مجال نفوذ المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للحوز. في حين أن الاعتبارات الطبيعية تختزل هذه المنطقة في الجزء الواقع شمال خط عرضي يمر مباشرة جنوب مدينة بن كزير والمعروف بالكتلة القديمة للرحامنة. وعليه فإن التسمية الحالية، بمفهومها الواسع وحسب محتواها البشري والاجتماعي، تشمل كافة أرجاء المحاط القبلي المعاصر، أي تراب الدائرتين الإداريتين السالفتين الذكر.



إن موقع الرحامنة الوسط داخل المغرب الأطلسي هو في الواقع مجرد مركزية هندسية تخفف أهميتها تلك الوضعية الطبيعية المتميزة بالعزلة والتقطيع والتي تتضاعف بنوع من التهميش الاقتصادي والاجتماعي، ذلك أن المنطقة هي الآن مفصولة عن الوحدات الإقليمية المتاخمة الدينامية بواسطة حواجز حاسمة تفرزها عن الشاوية (نهر أم الربيع) والحوز (كتلة الجبيلات) ودكالة (حدود كتلة الرحامنة وهضبة الكنتور) أو تباعد بينها والعاصمة الإقليمية وقطاع تاساوت المسقي. فضلاً عن تأرجح الحياة البشرية والاقتصادية الكثيفة بالإقليم لصالح منطقتي قلعة السراغنة والحوز الشرقي، تعرف الرحامنة انطواءً وضيقاً ناتجيين عن تضافر عدة عوامل غير ملائمة، منها التجزئ إلى مجموعة من الوحدات المتباينة وشيوع نمط العيش الرعوي واستمرار تحرك السكان وضعف ظاهرة التمدين.

مساحة الرحامنة، التي تنقسم إلى 23 جماعة قروية ومركزين وبلدية، تبلغ حوالي 5800 كلم<sup>2</sup>، وهو ما يساوي

ابنة القائد عبد الله الرحماني وأرسل أخاها محمد الزوين سفيراً لدى السلطان عبد الحميد خان العثماني.

أنجبت قبيلة الرحامنة عدداً من الرجال من أصحاب القلم والسيف نذكر منهم :

- الفقيه العلامة أحمد بن مبارك الكرنبي الذي كان يقرب أولاد المولى عبد الرحمان كمولاي أبو عزة، ومولاي رشيد، ومولاي علي، ومولاي العباس، وقد كان هذا الفقيه معروفاً بفصاحة اللسان له اختصاص بعلم النحو، توفي عام 1304 / 1887.

- الفقيه البهلول بن علي بوسلهام، ولد في العشرة الأخيرة من القرن الثاني عشر للهجرة. كان فقيهاً فاضلاً ماهراً درس بجامع ابن يوسف بمراكش. ولما رأى مولاي عبد الرحمان من علمه ما بهره أزمه سكنى الحاضرة المراكشية. وكانت له كلمة مسموعة في قبيلته ومكانة رفيعة عند السلطان فكان يستشير في تولية عمال الحوز وولاه جمع زكاة الرحامنة فتضايق عاملاً القبيلة من حظوته ووشيا به لدى السلطان زاعمين أنه مادام بينهم لا يستقيم لهم أمر فقبض عليه عام 1270 / 1854، ثم رُحل لفاس وبقي بها إلى أن مات سنة 1272 هجرية ودفن بروضة العلماء هناك.

- الفقيه العلامة محمد بن حصو البربوشي كان قاضي القبيلة ومفتيها، نسب له العاملان المذكوران نفس التهمة فقبض عليه سنة 1270 هجرية ورُحل بدوره إلى فاس.

- عبد الحميد بن الفاطمي الرحماني عامل مجموعة البرابيش. كان مولاي الحسن يستنهضه للمهمات الصعبة وقد بعثه في سفارة إلى إسبانيا.

- مبارك بن الطاهر بن سليمان الرحماني عمل قائداً في القبيلة من 1884 إلى 1889 ثم بعثه مولاي الحسن إلى الريف فوُكِّل على قبيلة گلعية ثم عينه على تازة فوادي درعة. كان مبارك الطاهر ضابطاً حازماً يعتمد عليه المخزن في قضاء المهمات. وبعد وفاة مولاي الحسن رجع القائد المذكور من درعة إلى قبيلة الرحامنة حيث تزعم التمرد الشهير 1894 - 1896 الذي دوخ الحوز في بداية العهد العزيزي.

وثائق الخزنة الحسنية، الرباط ؛ مارمول كريخال، إفريقيا، الجزء الأول، الرباط، 1984 (مترجم عن الفرنسية) ؛ ع. العزيز بن عبد الله، الموسوعة البشرية والحضارية، ملحق رقم 2، 1977 ؛ ع. الرزاق الصديقي، الرحامنة وعلاقتهم بالمخزن، 1850 - 1900، الرباط، 1977.

عبد الرزاق الصديقي

**الرحامنة** منطقة تأخذ اسمها من الاتحاد القبلي الذي

استوطن بها، وكانت تكوّن دائرة تابعة لإقليم مراكش قبل أن ينشق عن هذا الأخير إقليم قلعة السراغنة سنة 1973 والذي انقسمت بموجبه إلى شطرين (دائرة الرحمانية ودائرة سيدي بوعثمان)، كما تتطابق الآن مع مجال نفوذ المديرية

تقريباً 3/5 المساحة الاجمالية لإقليم قلعة السراغنة. غير أن عدد سكانها لا يمثل على الصعيد الإقليمي سوى 2/5 من الحضريين (53480 ن) وأقل من 2/5 من الريفيين (213.050 ن). ومع ذلك، فإن الكثافة الريفية (37 ن / كلم<sup>2</sup>) تعادل ضعف مثيلتها على المستوى الوطني، حتى ولو كانت تتوزع بكيفية متباينة، تتعارض فيها بضع جماعات مركزة في الغرب والجنوب الشرقي والمعروفة بكثافتها المتوسطة أو المرتفعة، مع باقي المجال المحلي الذي تسود فيه هنا وهناك فراغات سكانية شاسعة، وبخاصة في الجزء الشمالي.

#### تطور عدد السكان بمنطقة الرحامنة

1994	1982	1971	
47.080	22.354	6.941	بلدية بن غريير
2.872	-	-	مركز سيدي بوعثمان
3.526	2.400	1.550	مركز صخور الرحامنة
213.053	208.486	216.964	الوسط الريفي
266.531	233.240	225.45	المجموع

عن هذا الوضع الديمغرافي المتسم بضعف نسبة التمدين التي لا تتجاوز 20٪ (مقابل 65٪ وطنياً)، يتبين أن الحياة الريفية ظلت جد متجذرة في الرحامنة وأن الطابع الجوهري الريفي اضطر 9 أفراد من 10 إلى العيش على الفلاحة التي تستأثر تربية المواشي بأكثر من نصف مواردها، بل وعلى ثلاثة أرباعها. فغني عن البيان إذن أن مصير الأنشطة الرعي - فلاحية رهين عضواً بالمؤهلات والإكراهات الطبيعية التي يبدو جلياً أنها لا تمتع المنطقة حتى بالحد الأدنى من الامتيازات.

تترتب تضاريس المنطقة وفق تعاقب منتظم لوحداث مرفلوجية واضحة المعالم. في القطاع الشمالي تنتصب الكتلة القديمة للرحامنة لتتوسط قليلاً على الهضاب المجاورة. وقد أدى تناوب صخورها الصلبة والهشة إلى نحت انتقائي أفرز تراصفاً ممتدة على عدة كيلو مترات من العوارض الكوارتزية (الصخور) البالغة علو 700 م والتي تفصل بين مساحات شيسيتية عريضة سطحها التعرية.

أما هضبة الگنطور التي تحف جنوباً قاعدة الرحامنة، والتي تمثل الطرف الغربي لهضاب الفوسفاط، فهي عبارة عن شريط مستعرض شبه مستو، يتراوح عرضه بين 10 و20 كلم ويتألف من كلس الكريتاسي والأبوسين. ونظراً للبنية العامة المنضدية فإن تدرج التضاريس لا يظهر بسهولة، إذ أن الحاشية الشمالية وحدها تنتهي بجرف بارز، بينما الحد الجنوبي ينحدر تدريجياً نحو سهل البحيرة الذي هو في الأصل أخدود بنوي مطور تحت الحصاء والظمي ومختلف التكوينات الرباعية القديمة التي تغوص تحت

غطاء من الإرسابات الحديثة والحالية.

أخيراً في الزاوية الجنوبية، نجد سلسلة الجبيلات الوسطى التي يتراوح عرضها بين 10 و20 كلم والتي تعتبر نسخة غير مطابقة تماماً لكتلة الرحامنة. هي كذلك تعرف تعرية انتقائية قد خلفت ممرات واسعة تخترق هذا الحاجز من الشمال إلى الجنوب، لكن طياتها العميقة مرفوعة بحركات بناءية حديثة نسبياً كانت وراء ذلك الطابع الجبلي الحقيقي، حيث تتعدى بعض القمم ارتفاع 1000م.

على مرتفعات الكتلتين القديمتين تنتشر تربات كثيراً ما تكون هزيلة، تتداخل مع تربات غير تامة التطور والمنحوتة، التي يشوبها العديد من البروزات الصخرية. فهي قسطلية داكنة في الرحامنة وقسطلية حمراء في الجبيلات. في حين أن هضبة الگنطور وامتداداتها تكسوها تربات قسطلية حمراء هزيلة بجانب تربات طينية جد داكنة أو حمراء كلسية ذات تكوينات حجرية ومتحجرة على السطح. أما أغنى تربة وأسمكها فهي التي تغطي سهل البحيرة إذا استثنينا التربة المالحة المرتبطة بسبخة سد المجنون. إنها قسطلية حمراء ذات مسكة قوية التركيز الكلسي ومتفاوتة التصلب، تتطور على أساس غريني مكون من الرمل والطين.

من بين كل العوامل الطبيعية، لعل الماء هو السبب الموجب التي يعوق بأكثر شدة جل أوجه الحياة الاقتصادية والبشرية، ما دامت المنطقة مدرجة بأكملها في المستوى البيومناخي القاحل ذي الشتاء المعتدل، وهو عبارة عن جيب قحولة يتسع من أم الربيع الأوسط إلى أقدام الأطلس الكبير. مما يترتب عنه خصائص مزمن في التساقطات وتقلص في عدد الأيام الممطرة (40 يوماً في السنة)، ما عدا نسبياً حول بعض أعراف مرتفعات الرحامنة والجبيلات التي تتلقى أكثر بقليل من 300 ملم في السنة. زد على ذلك أن منطقة الرحامنة محرومة من أي تصريف مائي سطحي منتظم خارج القطاع القصير جداً لتانسيقت في أقصى الجنوب وأم الربيع الذي يعد فوق ذلك نهراً دخلياً وحداً فاصلاً، والذي شيد عليه سدان عند مروره بالرحامنة : المسيرة في العالية، وهو ثاني أكبر سد في المغرب (1976)، وأمفوت في السافلة، وهو أحد أقدم السدود المغربية (1944).

هذا ويتميز الاحتياطي المائي الباطني بتباين واضح يرجع إلى نوعية التضاريس وطبيعة الصخور، وقيل ذلك إلى ندرة المواد المطرية. مرتفعات الرحامنة والجبيلات، ذات الصخور غير النافذة، تحثري على سديمات متقطعة وزهيدة، وحتى هضبة الگنطور الكلسية تعاني نفس القلة، نظراً لشكلها الضيق والمديد. وحده سهل البحيرة حبه التكوينات الحثية والرملية بأهم المدخرات المائية وأكثرها اتصالاً، ولو أنها تقتصر على الحقول الجوفية العلوية لا غير. على أن سبخة سد المجنون تتموقع على المحور



نسبة التمدرس ( بين 7 و 12 سنة) ونسبة الأمية ( 10 سنوات فأكثر) في منطقة الرحامنة سنة 1994 (بالنسبة المئوية)

نسبة التمدرس	نسبة الأمية		
	ذكور	إناث	
دايرة سيدي بوعثمان (وسط ريفي)	49	24	68
دايرة الرحامنة (وسط ريفي)	34	13	75
بن غريير	86	73	31
صخور الرحامنة	89	83	28
سيدي بوعثمان	79	66	33

لهذه الأسباب تم اختيار قلعة السراغنة من بين الأقاليم 13 الأقل تحولا إلى مختبر لتجريب الخطط الكفيلة بتحسين التمدرس في الأرياف وإدماجه في ذلك الوسط قبل تعميمها على الصعيد الوطني. والمشروع النموذجي للتربية بالوسط القروي بإقليم قلعة السراغنة الذي انطلق في موسم 95 . 1994 والذي يهيم 36 وحدة مدرسية (من بينها 20 وحدة بمنطقة الرحامنة) يقوم على 5 مكونات أساسية : تكييف المناهج مع الوسط الريفي، تجهيز الوحدات المدرسية، الزيادة في نسبة التمدرس وخصوصا لدى الفتاة، تكوين المكونين والمعلمين، الاعتماد على المشاركة المحلية.

عند انتهاء المشروع سنة 99 . 1998 كانت الحصيلة مطابقة على العموم لما كان ينتظر من المشروع تحقيقه. فأصبحت المدارس أكثر قابلية لاستقبال الأطفال والاحتفاظ بهم وتلقينهم تعليماً مندمجاً، وتحسنت المردودية بالمدروس، وفيما يخص الفتيات تضاعفت نسبة تسجيل التلميذات الجديبات في السنة الأولى ونسبة تمدرس الفتيات بالسلك الأول أساسي بأكثر من مرتين، وتجاوزتا نفس النسبتين على صعيد كل الإقليم. على أنه رغم كل هذا التطور لازال الإقليم ومنطقة الرحامنة كذلك لم يرقيا إلى المستوى المرغوب بالنسبة لكافة المؤشرات المدرسية. على سبيل المثال لا تحظى الجماعات القروية الثلاث والعشرون إلا بوجود أربع إعداديات فقط.

جميع هذه الأحوال الطبيعية والاجتماعية والتجهيزية ستؤثر إلى حد بعيد في تنظيم المجال وسيرورة الأنشطة الاقتصادية التي تتقابل فيها بنوع من الاستقلالية أدوار المدينة والأرياف. إن سيادة النمط الرعي - فلاحي في الحياة اليومية لهي دلالة على أهميته كقطاع حيوي بالنسبة لغالبية السكان وكسند أيضاً لتشكيل المشاهد ونسيج العلاقات والسلوكات وأساليب العيش. إلى حد الآن لا

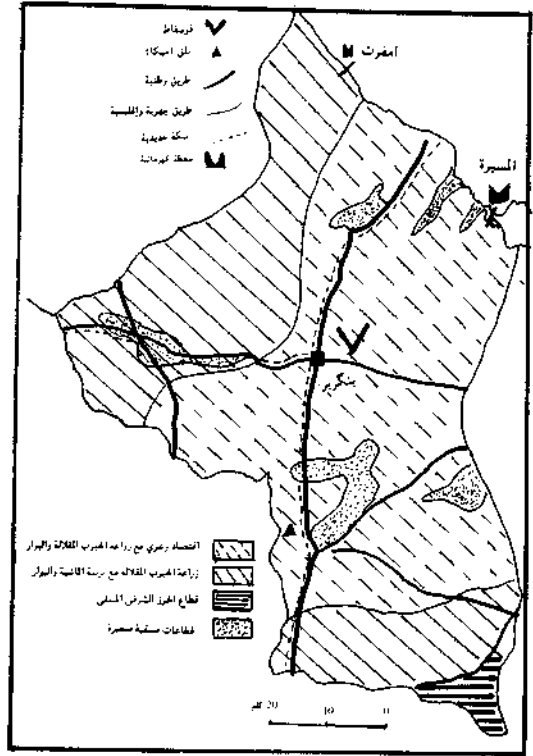
حيث تحتل مدينة بن غريير موقع ملتقى كمحطة أساسية على محور مراكش - النواصر وكنقطة انطلاق لنقل الفوسفات إلى اليوسفية وأسفي. غير أن تخطيط الشبكة الطرقية يدعو إلى ملاحظة أن المنطقة تبدو وكأنها مجال عبور أكثر مما هي مجال ربط داخلي، بالنظر إلى تفرع الطريقين الوطنيين من مراكش نحو سطات من جهة واليوسفية - سيدي بنور من جهة أخرى، مع وجود طريق مستعرضة واحدة، وهي الطريق الجهوية التي تربط بين قلعة السراغنة وبن غريير واليوسفية. كما أن شمال هذا المحور تنعدم فيه أية طريق جهوية أو إقليمية، كيفما كان اتجاهها.

أما في الميدان الاجتماعي فكانت تخصي منطقة الرحامنة في عداد أفقر المجالات المغربية إلى حدود 1994، تاريخ انطلاق مجموعة من المشاريع على الصعيد الوطني أو في إطار التعاون الخارجي لتدارك النواقص المهولة، وعلى رأسها برنامج الأولويات الاجتماعية الممول من طرف البنك الدولي، فتحسنت وسائل العرض بسرعة نسبيا، حتى أن في القطاع الصحي أصبح معدل عدد سكان الأرياف بالنسبة لكل وحدة صحية يساوي 8.880 فرد سنة 1998 وهو رقم دون المعدل الوطني (9.930 نسمة). ويعزى ذلك إلى تغطية تتكون في الوسط الريفي من 4 مستوصفات و17 مركزاً صحياً جماعياً و3 مراكز صحية جماعية تحتوي على قاعة للولادة، بدون اعتبار الوحدات المبرمجة أو في طريق الإنجاز (مستوصف و3 مراكز صحية جماعية ومركزان صحيان جماعيان مجهزان بقاعة للولادة ومستشفى محلي). بينما تتوفر مدينة بن غريير على مركز صحي حضري ومستشفى محلي تحول إلى مصحة عمومية متعددة التخصصات سعتها 30 سريراً.

ولعل القطاع التعليمي هو الميدان الاجتماعي الذي سجل مؤخراً أكبر قدر من التحسن النسبي في شتى مؤشرات العرض والطلب وكذا الجودة والفعالية. إذ حتى أواسط التسعينيات كانت كل الظروف تبعث على إدراج إقليم قلعة السراغنة ضمن الأقاليم الأكثر تخلفاً في مجال التمدرس، ولا سيما منطقة الرحامنة التي تتضافر فيها عدة عوامل غير ملائمة : تفوق سكان الأرياف بنسبة 4/5، استمرار النزوح إلى المدن، ضعف الكثافة السكانية، اتساع تراب الجماعات، تفرق السكن، كبر حجم الأسر والعائلات، سيادة النمط الرعي - فلاحي، استمرار تشغيل الأطفال، عزوف الآباء عن تمدرس الفتاة على الخصوص، استفحال ظاهرة الفقر، هشاشة البنيات التحتية، خصائص في البنيات والتجهيزات المدرسية... فكان من شأن ذلك تفشي مسألة الأمية وانخفاض مهول في مستويات التغطية المدرسية، إلى درجة بلوغ الحضيض في نسبة تمدرس الفتاة بجماعة سيدي غانم (2/٪).



زالت الفلاحة تعاني وطأة الطبيعة الشحيحة وترتكز على الأنظمة الموروثة والكسب الاحتمالي وقلة المردود، كما ظلت تتأقلم بمشقة مع التقلبات البيئية والمستلزمات الآتية. بالتالي، فإن النظام الزراعي والرعي المقلل والخفيف هو الذي يسيطر على كافة أجزاء المنطقة.



الأقاليم المجاورة وحتى البعيدة. لكن تحت أعباء النمو الديمغرافي ويسبب تدهور الغطاء النباتي، تراجمت الحياة الرعوية المتنقلة وحل محلها نظام رعي - زراعي مبني على زراعة الحبوب المقللة وتربية الماشية التي رغم ضعف مردودها، تساهم اليوم بحوالي 3/4 من المداخل الفلاحية. مع ذلك عندما تتوفر بعض الظروف الطبيعية الأقل قسوة، قد نجد بعض المجالات الانتقالية تتميز في آن واحد بخصائص النظام الرعي - فلاحي الخفيف وكذا النظام السقوي الكثيف. هي مجالات تشترك فيها الزراعات المسقية، بما فيها العصرية والتقليدية، والزراعات البعلية وتربية المواشي. تلك حالة عدد كبير من الجزيرات التي تنتشر في الحاشية الغربية لكنتلة الرحامنة وفي الحد الجنوبي للجبيلات وكذلك المساحات الأكثر اتساعاً على طول وادي بوشان في الغرب والمنخفضات المديدة شمال كتلة الرحامنة وخصوصاً البحيرة الوسطى التي تستأثر بأكثر القطاعات المسقية. وتغطي مساحة الري الصغير في المجموع 21.100 هكتار جلها ملك خاص، وتتنوع على أربعة أنواع من الري :

- 2300 هـ : بسواقي مستمدة من واد تانسيفت

- 7000 هـ : نشر مياه الفيض المطري (على

الجبيلات بالخصوص)

- 600 هـ : (ري موقعي) و5200 هـ (ري خطي)

بواسطة الضخ

- 6000 هـ : ري بالمراكز المحورية (من بينها 5000

بالبحيرة الوسطى)

أما الأنشطة غير الفلاحية فيستحوذ عليها الوسط الحضري الذي لم يتمكن إلى اليوم مع باقي مدن إقليم قلعة السراغنة من إنشاء شبكة مكتملة ومترابطة الحلقات ومتناسكة العلاقات والوظائف، من شأنها تنويع وتوزيع الأنشطة والمنشآت الاقتصادية. ذلك أن العاصمة التاريخية مراكش قد خلفت فراغاً حضرياً حولها لمدة قرون، وبسطت نفوذها المباشر على كافة المجالات المجاورة، حتى إنها حالت دون البروز العادي للمراكز الناشئة أو المنبعثة. والجدير بالملاحظة أن ضمن هذا الوسط الحضري المتقلص والحديث العهد، تحتكر العاصمة الإقليمية جل المؤسسات الإنتاجية، وداخل منطقة الرحامنة، تستولي مدينة بن غرير على القسط الأوفر مما تبقى منها إذا تم مراعاة النشاط الفوسفاطي.

حالياً تكشف بنية المؤسسات الاقتصادية عن هيمنة القطاع الثالث بنسبة جد عالية تفوق 80% من المقاولات، وضمن هذا القطاع تحتل مختلف الخدمات المكانية الأولى (خدمات غذائية، إصلاح الآلات والأدوات، إدارة تربية وتربية، تعليم،...) أما الصناعة والبناء والأشغال العمومية فحفظها ضئيل للغاية، إذ تتميز بتشكيلة متقلصة، ومقاولات صغيرة الحجم لا من حيث عدد المشتغلين ولا من حيث الرساميل ومجموع المبيعات.

إذا كانت المساحة القابلة للزراعة لا تتعدى في أحسن الأحوال نسبة 40% وتتحصر بالأساس في شريطين بأقصى الجنوب وأقصى الشمال الغربي، فإن المراعي والأراضي البائرة وغير القابلة للزراعة تحتل تقريباً كل ما تبقى من المساحة الإجمالية والتي تنتشر بدرجة أوسع أساساً بكتلتتي الرحامنة والجبيلات. علاوة على ذلك فإن قانون الأرض الذي تمثل فيه الأراضي الجماعية نسبة 45%، لا يسمح بسهولة تحديث وتطوير الزراعة، خصوصاً وأن 70% من الفلاحين يستغلون 20% فقط من مجموع الأراضي (أي بمعدل 10 هكتارات للحيازة الواحدة)، و8.5% من الفلاحين يستغلون 50% من المساحة الإجمالية (بمعدل 50 هكتاراً للحيازة).

ومهما يكن فإن تربية الماشية، وليست المزروعات هي التي اشتهرت بها منطقة الرحامنة. يبلغ حجم الماشية 25.000 رأس بقر و130.000 رأس ماعز و440.000 رأس غنم، وهو ما يساوي نصف قطع الأغنام بإقليم قلعة السراغنة. أما أسلوب تربية الماشية الذي كان سائداً إلى حدود العشرينات الخمس الأخيرة فكان يعتمد على الإرعاء الحر وغط نصف الترحال أو الانتجاع، سواءً داخل المراعي الإقليمية التي كانت كلها تقريباً جماعية، أو في مراعي

يتوفر مركز سيدي بوعثمان على أربع وحدات صناعية للنجارة والأجر ومواد البناء وأبراج الأسلاك الكهربائية. وتحتضن مدينة بن جرير مؤسستين فقط (وحدة لإنتاج البيض ومطحنة)، والحال أن منطقتها الصناعية تبلغ 20 هكتاراً موزعة إلى 97 قطعة. وحتى المشاريع المزمع تحقيقها في المستقبل القريب عددها قليل : 5 إلى 6 وحدات في بن جرير و4 وحدات بسيدي بوعثمان.

في نهاية الأمر، ليس هناك ما يخفي ضعف النشاط الصناعي سوى القطاع المعدني الذي يأخذ أهمية خاصة في الرحامنة التي تحتكر تقريباً كل الاحتياطي المعدني بإقليم قلعة السراغنة، ولو أنه ظل بدون عناية (5 رخص للاستغلال و53 رخصة للتنقيب في المجموع). فبالإضافة إلى مجموعة متناثرة من مقالع مواد البناء، توجد منطقتان تتجمع حولهما جل المعادن والمناجم : سيدي بوعثمان (بيرطوس، نحاس، بلق وخصوصاً الرصاص والزنك) وبن جرير (رصاص ولغرام، زنك، نحاس والأحجار التزيينية). لكن النشاط المعدني الكيماوي الأكثر انتشاراً والذي يتبوأ المكانة الأولى من حيث الهيمنة التجارية هو المرتبط بالفوسفات.

يقع المنجم المكشوف الذي شرع في استغلاله سنة 1980 على بعد 17 كلم شرق مدينة بن جرير، أي في الجهة الوسطى من أوسع منطقة فوسفاتية بهضبة الكنطور. وتجدر الإشارة إلى أنه في الوقت الذي يتراجع فيه الإنتاج باليوسفية تدريجياً خلال هذه العشرية، يزداد حجم الاستخلاص في بن جرير بطريقة منتظمة ليصل إلى حوالي 3.5 ملايين طن سنوياً، توجه كلياً إلى التحويل بمعمل فوسفور II بأسفي، علماً أن الاحتياطي العام يقدر بنسبة 79٪ من الذخائر المغربية من هذه المادة. بل سيتضاعف الإنتاج بعد توسيع المنجم الحالي ليلبلغ 6 ملايين طن. أما المرحلة الثالثة والأخيرة لا ستخراج ما بقي كامناً فتتعدى سنة 2015. بعبارة أخرى فإن القوة الجاذبة لمدينة بن جرير في ميادين التجهيز والخدمات والشغل لن تتبدل لا محالة في العشرية القادمة.

M. Ayad - A. Zouggari, *Projet pilote d'éducation en milieu rural dans la province d'El Kelâa des Sraghna. Etude d'impact*, PNUD / Ministère de l'Education Nationale, Rabat, Septembre 2000 ; J. Pégurier, *Espaces urbains en formation dans le Tensift*, Rabat, 1981 ; Direction de la Statistique, *Données communales de 1992 ; Résultats des recensements de 1971, 1982, 1994*, Rabat.

مصطفى عياد

**الرحبية**، المكان الذي تباع فيه الحبوب والأسواق الأسبوعية أو بالمدن. ويُدعى رحبة الزرع. وتقام بها أنشطة اقتصادية موسمية متنوعة كالرحبة القديمة التي أكمل بناء مسجدتها السلطان المولى سليمان بمدينة مراكش (الاستقصاء، ج. 3 : 173) والرحبة تعني أيضاً المكان الفسيح المتسع الذي يتوسط الدور ويسمى بتاشلجيت أسراك، وتقام به الاحتفالات الجماعية في المناسبات الخاصة

والعامة. كما هو الشأن بالنسبة لمناطق ورزازات وزاكورة ومحاميد الغزلان وغيرها من المناطق المجاورة لها. وبمدينة تارودانت رحبة كبيرة تتوسط المدينة يطلق عليها اسم أسراك، وهي مكان تجمع العامة. ويقابلها من الناحية الرسمية ساحة المشور المخزنية.

ابن منظور، لسان العرب، بيروت، (د. ت) : ابن نجلات، إتمد العينين، الرباط، 1986 : ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، (د. ت) : أ. الناصري، الاستقصاء، الدار البيضاء، 1997.

عبد الرزاق ازريكم

## رجال (سيدي -) ← البُدالي

**الرحال**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Arrahal. وقد أنجبت هذه الأسرة عدة فقهاء لم يعرف عنهم شيئاً باستثناء محمد بن محمد الرحال الذي كان يقيد الحياة سنة 1076 (1666). وعبد السلام بن محمد الرحال كان يزاول خطة العدالة سنة 1088 (1677).

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 707.

محمد ابن عزوز حكيم

**رجال بن أحمد**، مقاوم ولد سنة 1912 بناحية مراكش. وانضم إلى صفوف المقاومة السرية وعمل تحت مسؤولية السادة حمان الفطواكي، ومبارك بن بويكر وعلال الرحماني.

كان من الوطنيين الذين جاهدوا وقاوموا الاستعمار. شارك في حوادث 21 غشت 1953 وناضل وقاوم بشدة إلى أن أُلقي عليه القبض وحكم عليه بالإعدام الذي نفذ في حقه يوم الخميس 13 رمضان عام 1374 / 5 ماي 1955 بمراكش.

المدوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، 405-620.

**الرحالي، عيسى** (الحاج -) بن المحجوب، ولد حوالي سنة 1890. حفظ القرآن في تاحوريشة = الكتاب القرآني، ثم تتلمذ على معظم فقهاء آل الشيخ ماء العينين، وخاصة منهم الفقيه ابن عبد العزيز، وابن العتيق والأمير أحمد الهيبة وأخيه مرتبه ربه، وكان يتكلم العربية الفصحى سليقة لذلك كثيراً ما ينعت بأعراب.

قال عيسى الرحالي : "شاركت لأول مرة في معركة مديونة قرب الدار البيضاء سنة 1907 ومازلت شاباً على مهر بدون سرج، صحبة ابن عمي الرحالي رحال بن

العياشي، كما شاركتُ في معركة سيدي بوعثمان سنة 1912 فانضمامنا إلى فرقة الأمير مربيه ربه، ومن ثم صرت من أقرب الناس إلى الهيبة ومن حراسه ثم من تلامذته ونحن ستة لا نفارقه، وكنا نعهده والدنا وشيخنا الصوفي فانقطعنا عن الأهل والإخوان" (استجواب معه سنة 1974).

وقال : وهؤلاء الستة المنقطعون إلى الهيبة هم أنا عيسى الرحالي وابن عسي القائد الرحالي رحال بن العياشي - المعروف ببأبْحَا -، وبوستة الهواري، وحند الهواري، وعباس الحمري، وعيلاً المراكشي، وقد انخرطنا في جيش المجاهدين تحت قيادة مربيه ربه وأخيراً مع القائد الناجم الأخصاصي.

وقال : "وقد عشت جميع المحن مع الأمير الهيبة من تارودانت حتى أغبالو نكاردوس، وما أن الرحالي رحال (ابن عسي) له عائلة بالصحراء وسبق له أن عرف تلك المناطق، ولثقة الأمير الهيبة فينا، فقد كنتُ من رسله الذين استقبلوا الضابط الألماني - بأركسيس - فصاحبناه إلى كاردوس، فأعطاني وساما بقي عندي حتى أخذته مني السلطة الإسبانية بسيدي إفني حوالي 1936، وهذه هي الخرجة الأولى للألمانيين. كما استقبلناهم مرة ثانية عندما خرجوا من - الكزيرة - بأيت إخلف". وقد كان مترجمنا هذا شاهداً على وصول الألمان إلى جنوب المغرب واتصالهم بالهبية، كما ظهر الألمان هناك سنة 1917 حيث قتل ثلاثة منهم في جبل أيت إخلف في معركة معهم تسمى معركة جبل بوشارب.

وقد أكد مترجمنا هذا علاقة الهيبة والألمان والأتراك، وذلك ما أشار إليه صاحب المرسوم، مما ينفي مزاعم الجنرال البيوطي في عدم وصول الألمان إلى هنالك إذ قال : "منذ ثلاث سنين نرى الألمان والأتراك يملأون المغرب رسائل وجرائد كاذبة، ومنذ ثلاث سنوات يقصون عليكم أخبار انتصاراتهم الوهمية برأ وبحراً... فهل تظنون أنكم تجاهدون وأنتم تحت العلم الألماني. (خطاب البيوطي 15 غشت 1918 عن صاحب الجأش الربيط، ص. 44).

قال مترجمنا هذا : "لما توفي الأمير الهيبة ألحقنا مربيه ربه بالقائد المدني نحن الستة، ثم أقطعنا هذا الأخير أعشار إفران بالأطلس الصغير من زرع وتمر نتعيش به، والأمور تسيير نحو النهاية، ثم صرنا نحن الستة من المدني الأخصاصي إلى الزعيم السي أحمد ن طالب العبدلاوي الباعمراني، ومنه انتقلنا إلى سيدي محند بن عيسى البوجرفاوي بقبيلة أيت يعز، وأخيراً أرسلنا إلى عائلة آل الشيخ همو الخلفيين بتابلكوكت عند الشيخ إبراهيم بن محمد بن الشيخ هو" حيث تزوج الرحاليان من نفس العائلة الخلفية.

وقد صار مترجمنا هذا من أعيان القبيلة، وشارك هو وأولاده في نقل السلاح إلى البيضاء، إذ كان ابنه الحاج

الحسين هو أول ميكانيكي باعمراني في ثكنة الإسبان بإفني، وهناك كان يشتري الذخيرة وينقلها إلى الشيخ محند بن علي من تاعنديت وهو في جهة الحماية الفرنسية وبين الشخصين واد فقط، وقد اكتشف الاستعمار ذلك في خبر طويل، مما جعل الرحالي يغير لقبه إلى البالكوكي ويغادر الوطن.

وفي ثورة أيت باعمران التحريرية ضد الإسبان سنة 1957 كان مترجمنا هذا وعائلته في مقدمة المجاهدين. ولما انتهت ثورة أيت باعمران بانضمام إقليهم إلى الوطن الأم، شارك أفراد عائلة الرحالي في معارك الصحراء المغربية منذ البداية. ولا ننس الحاج علي الرحالي الذي شارك كضابط في ثورة فرانكو بإسبانيا سنة 1936 مما جعله يكسب تجرية مهمة.

فالعائلة إذن عائلة مجاهدة متدينة كريمة. فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر. تقبل الله منهم.

معلمة المغرب، ص. 1988 : م. المختار السوسي، خلال جزولة، ج. 2، ص. 57 : المرسوم، ج. 20، ص. 5 : ح. المهادي، جانب من تاريخ أيت باعمران، استجواب سنة 1974 : عندي نسخة منه عنه الهيبة على السراغنة لكن لم تظهره قط : محمد الإمام، الجأش الربيط، ص. 44.

الحسين جهادي

### الرحالي، الفاروق بن رحال الحسومي

السريغيني المراكشي. اشتهر باسمه الرحالي على صورة النسب تبينا من والده باسم أحد الصالحين من أسرة سيدي رحال الكوش. ويقال إن صاحب الترجمة ذو أصول سوسية من ذرية الصالح الشهير أحمد بن موسى الجزولي التزروالتي (أحمد متفكر، مقالات، 12).

وقع تردد كبير في تاريخ ولادته بين سنوات 1315 / 1897 وسنة 1325 / 1907 وسنة 1327 / 1909 ؛ وذلك بسبب عدم ضبط ولادته من قبله كما يبدو من ترجماته لنفسه ومن بعض أوراقه (عز الدين المعيار، مجلة الاعتصام، 112).

بعد أن حفظ المترجم القرآن بالقراءات السبع أخذ عن بعض علماء سوس ببلدته ثم رحل إلى الجامعة اليوسفية بمراكش فأخذ عن جلة شيوخها الرحمانيين والدكاليين والسريغينيين وفيهم من جمع بين الصلاح والعلم وفيهم شيخه ابن الرامي الذي أذن له بعد سبع سنوات من الدراسة بأن يرحل إلى القرويين بفاس قصد التبرك بها حيث تيسر وأخذ عن جلة شيوخها الاعلام وفيهم عمدته وسنده العلامة ابن الحاج السلمي وكان يقربه ويزلفه. كما أخذ عن الشيخ الشهير أبي شعيب الدكالي بفاس ومراكش والرباط ملازما له بهذه المدينة نحو من ثلاث سنوات ثم رجع إلى مسقط رأسه ب"قلعة السراغنة" فابتنى له والده مدرسة عتيقة

الحسن الثاني ؛ وامتاز أسلوبه في ذلك بالسجع الحسن وبحسن الاستشهاد بالنصوص ويتناول الأسانيد والرجال باستفاضة على طريقة المحدثين مع إلقاء جيد وحفظ دقيق وإشارات بديعة.

كما ألقى دروسا في الحديث بدار الحديث الحسنية مدة خمس سنوات وأشرف على بعض الرسائل والأطروحات بها. وترأس عمادة كلية اللغة العربية بعد إنشائها منذ 1962 إلى وفاته مع تولي كرسى مادة التفسير. وكان تدرسه بجمع بين الأمالي وبين الاشراقات التي قد تنسيه أحيانا نفسه فيغادر كرسيه ملتحما بطلبته في موقف عاطفي متوحد.

وحافظ أثناء هذا كله على دروسه الشعبية الرمضانية بجامع ابن يوسف غالبا بعد صلاة الصبح سنوات وأبدع فيها ودلف إليه في الظلمة أفواج الرواد للتملي بطلعته والإتصات إلى نغمته والإعجاب بإشراقته وإشاراته وانتقاداته في سبيل الإصلاح وإن ضابقت البعض.

وأُسندت إليه سنة 1401 / 1980 عضوية أكاديمية المملكة، كما عين ثانية رئيسا للمجلس العلمي بظهير سنة 1402 / 1981. وله مواقف وخطب بديعة برابطة علماء المغرب باعتباره مستشاراً لرئيسها الشيخ عبد الله گنون ؛ وشارك في المسيرة الخضراء لاسترجاع صحراء المغرب. وأنتج رحمه الله جملة واقرة من المقالات والأبحاث والمحاضرات والخطب والفتاوى جمعت في ثلاث مجلدات في موضوعات الدراسات القرآنية والسيرة والحديث والإسلاميات والوطنيات والاجتماعيات والفتاوى والإعلام واللغة والتربية وغيرها.

كما أسهم في تحقيق أطراف من تفسير المحرر الوحيين لابن عطية المطبوع بالإمارات العربية. وله في شبابه شعر في العرش العلوي. وقد حج واعتمر صحبة محمد الخامس رحمه الله وألقى هناك درسا نال إعجاب الملك كما شارك في لقاءات فقهية خارج المملكة. وكان يجلس شخصه بالوقار والحياء ولكنه مع ذلك ذو روح مرحية ونكتة فظرية نادرة مع أخص خلصائه لم تفارقه فطرته الأولى رغم تقلبه في البلاد؛ وله عزمات وانجذابات قلما ترد. وكان يلتبس لديه صالح الدعاء ويختلط بالصالحين أحياء وأمواتا.

توفي بمراكش سنة 1405 / 1985 وأقبر بمقبرة العلماء والصالحين بباب اغمات في مشهد عظيم ورثي وأكرمتم ذكراه بعد وفاته مرات.

أ. متفكر، مقالات ومحاضرات الشيخ الرحالي الفاروق، مراكش،

1999؛ حواريات كلية اللغة العربية بمراكش في ذكره؛ مجلة

الاعتصام، عدد خاص بتكريم الشيخ الرحالي الفاروقي

محمد البايع

للتدريس بها سرعان ما غادرها إلى مراكش بعد وفاته بعد أربعة أعوام من التدريس، وحل بمساجد مراكش مدرسا فتعرف عليه طلاب وعامة أهل مراكش بعد محاولات لمعرفة ما عنده ولما اشتهر بطريقته وسمته طلب منه الانتقال إلى الدروس النظامية بالجامع اليوسفي، فعقد به وبمسجد الكتبيين ومسجد روض الزيتون وقبل ذلك بمسجد أبي الفضائل دروسا غلب عليها الفقه وأصوله أولا ثم تفرغت إلى دروس في المواد اللغوية وفي التفسير والحديث بعد ذلك. وأقبل عليه الطلبة والجمهور لسعته الخاص الجذاب ولفصاحته البدوية ولتمييزه في الإلقاء وحسن بيانه ولصوغه المتوازن المتجدد وجودة فهمه وقوة حفظه وظهور الورع والزهادة على محياه وأحواله.



وقد امتحن أثناء هذا في قضية بيعة محمد بن عرفة صنيعة الاستعمار الفرنسي بعد نفي المجاهد محمد الخامس الملك الشرعي مع ثلة من علماء مراكش فحمد موقفه وله في ذلك أسوة بجده ووالده وموقفهما من المستعمر.

وقد تولى الخطابة قبل ذلك بجامع "بريمة" ثم اعتزل حتى جاء الاستقلال فأُسندت له خطابة جامع الكتبيين كما عين رئيسا للجامعة اليوسفية وللمجلس العلمي بمراكش والنواحي.

وقد شهد له الخاص والعام بسعة علمه وبشجاعته الأدبية وقدرته على الحفظ والاستحضار. وله خطب مرجلة في مختلف المناسبات وفي مواقف مع طلبة ابن يوسف حاسمة وذلك قبل أن يشتهر بدروسه الحسنية في شهر رمضان ويختم البخاري ليلة السابع والعشرين بحضرة

**الرحالية**، طريقة صوفية تُنسب إلى الشيخ سيدي رحال الكوش المدعو البدالي (ت. 1543 / 949). ويعد هذا الرجل من كبار شيوخ التصوف في القرن العاشر (16 م)، ومن رواد الطريقة الصوفية الجزولية في زمانه، باعتباره من أهل الطبقة الثانية فيها، إذ ليس بينه وبين مؤسسها سوى واسطة واحدة، هو عبد العزيز التبايع، خليفة محمد بن سليمان الجزولي. كما يعتبر سيدي رحال البدالي من الشيوخ الجزوليين الذين بلغوا مستوى رفيعاً في مقامات هذه الطريقة، مما حدا بكتاب التراجم إلى تصنيفه ضمن طبقة الأبدال، بل رفعه بعضهم إلى مقام الأقطاب.

إنها طريقة سلوكية تربوية، تفرض الصحة والخدمة ومجاهدة النفس، باعتبارها السبيل إلى "معرفة الله" والقرب منه عز وجل، على غرار سائر طرق أهل الله. بيد أن المجاهدة في الرحالية لها صفاتها الخاصة. ومن أبرز الصفات حضوراً في وصف هذه الطريقة لدى سائر كتاب التراجم صفة الزهد (دوحة، 101؛ تمتع، 42؛ الإعلام، 3؛ 223 - 224).

ومرد ذلك إلى عناية سيدي رحال بالزهد كثيراً في نشاطه الصوفي. وقد اعترف له بهذا الاهتمام كبير الطائفة الجزولية في زمانه الشيخ عبد الله الغزواني، عندما ميزه عن سائر رفاقه في الطائفة الجزولية بهذه الميزة، بل لقد اعتبره زاهد رجال الطائفة على الإطلاق (تمتع، 37 - 38). وكان ابن عسكرو، وهو من أهل القرن العاشر (16 م)، أشار إلى ذلك، وحدد بعض طبائع الزهد في سلوك الشيخ سيدي رحال، وقال إنه كان يعيش على نبات البرية، ويدخر زريعة الخردل لقوته، وأنه تعود ذلك في سياحته (دوحة، 101). وإلى ذلك كان سيدي رحال من كبار العباد في زمانه. وما قيل عن تعبه أنه كان قليل النوم، يختم القرآن في ركعتين. وقيل أيضاً إنه كان يعلق باب النوم ويفتح باب التهجد (الزاوية، 19).

أما ثالث عناصر الطريقة الرحالية بروزاً، إلى جانب الزهد والتعب، فهو الذكر أعني أن سيدي رحال كان من أهل السبحة والذكر. وقد احتفظت لنا بعض المصادر بنصوص بعض الأذكار والأدعية والأحزاب التي عكف مريدو الزاوية الرحالية على حفظها وترتيلها، في عهد شيخهم، وتسمى في مجموعها باسم وظيفة سيدي رحال (منهج الارتجال، 132). وتتضمن هذه الوظيفة "... آيات قرآنية وأحاديث نبوية، ومنها ما أصله من حزب الفلاح للإمام أبي الحسن الشاذلي، ومنها ما أصله للشيخ سيدي أحمد زروق، ومنها ما أصله لتلميذه الجروبي، ... ومنها ما لم أقف له على أصل منقول منه، فيحتمل أن يكون الشيخ قد أخذه عن بعض الشيوخ الذين كان معهم في عصر واحد، ويحتمل أن يكون قد رتبته لنفسه"، فصار مجموع ذلك هو الوظيفة، التي تسمى أيضاً بحزب الشيخ سيدي رحال (منهج الارتجال، 133، 134).

وما ينبغي التعرض لذكره هنا أن الشيخ سيدي رحال راعى في وضع ألفاظ حزيه إعطاء الوصل حكم الوقف، ومد المقصور وقصر الممدود وما شاكل ذلك. كما راعى في قراءته الطبع والأوزان، وتوافق الأصوات في الألحان (منهج، 135). مما يعني أنه كان يذکر مع أصحابه جماعة وجهاً، والظاهر أنه قلد الجزوليين في استعمال السماع أيضاً، كما يفهم من الأشعار التي اعتاد سيدي رحال أن يختم بها وظيفته (منهج، 142، 242).

وقد ورث الرحاليون عن شيخهم طريقته في التصوف، وأضافوا إليها من عنديتهم إضافات. كما صارت أفعال وأحوال سيدي رحال من السنن المؤكدة في الطريقة الرحالية، ولا سيما فيما يتعلق بشعائر الحضرة، بما في ذلك تقليد الشيخ في أحواله. إنما الظاهر أن الحضرة في عهد الأبناء والأحفاد صارت أكثر صخباً، مما جعل أحوال أهلها تتعدى أحوال الجذب إلى القيام ببعض السلوكات والشعائر التي يعتبرها أهلها أحوالاً خارقة، ويعتبرها غيرهم زندقة باعتبارها مخالفة للسنن، مثل أكل الثعابين المسمومة، ودخول بيوت النار، ووضع الحديد المحمي في أفواههم (منهج الارتجال، 54، 8). كما صارت الحضرة مناسبة للتأكيد على حصول بركة الشيخ في أتباعه وأبنائه، من خلال القيام بعمليات صرع المصابين بالأرواح. بل لقد صارت هذه "الشعائر" أهم ما يميز "طريقة" سيدي رحال، ونشاط أبنائه وأحفاده، أو قل الطريقة الرحالية الجديدة.

م. ابن عسكرو، دوحة الناشر، الرباط، 1977؛ م. المهدي الفاسي، تمتع الأسماح، طبعة حجرية بفاس، 1313 / 1892؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، ح 3، 1975؛ م. العربي ابن البهلول، منهج الارتجال إلى معرفة الشيخ سيدي رحال، الرباط، 1952؛ الحسن شوقي، قبيلة السراغنة خلال القرن 19 م، رسالة جامعية في التاريخ، 9، 1991، مرقونة، خزانة كلية الآداب بالرباط؛ أ. الوارت، مادة البدالي رحال، معلمة المغرب، م. 4؛ 1991؛ عزو الربط، الزاوية الرحالية بأفهامي خلال القرن السادس عشر، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، 90، 1992، مرقون، خزانة كلية الآداب بالجديدة.

Kh. Naamouni, *Le culte de Bouya Omar*, Casablanca, 1993.

أحمد الوارت

**الرَّحْلُ**، تجمعات بشرية تنتقل من مكان إلى آخر بسبب الوسط الطبيعي المتميز بقلة الموارد والإنتاجية فيما يخص سطح الأرض. وتتحكم فيه عوامل مناخية (تقلبات الجو - كثافة الغطاء النباتي... حيث تشكل نقط الماء (العيون - الآبار...) والتضاريس (الجبال - السفوح...)

معالم مجالية تتحكم في حركة التنقل. يعتمد الرحل على الثروة الحيوانية حيث يعد الرعي النشاط الأساسي الذي يضبط نمط الحياة ذات الإنتاجية

الاعتبار مسألة تنوع تغذية الماشية استطعنا فهم ضرورة عدم الاستقرار لمدة أطول لدى الرحل.

أما فيما يخص الانتجاع فيختلف بحسب تضاريس المنطقة. فهناك انتجاع السهل والذي قد يتعلق بنزوح القطعان الجبلية نحو السهل عند بداية تساقط الثلوج (الأزغار)، أو بهم زحف القطعان نحو أراضي الحرث بعد موسم الحصاد حتى سقوط الأمطار الأولى لتعود الماشية إلى أراضي الرعي. وهناك أيضا انتجاع الجبل الذي تعود فيه القطعان إلى أعالي الجبال مع بداية ذوبان الثلوج وترافقها قطعان السهل، وذلك ما تقدمه الجبال من كلاً خلال فصل الصيف. وتدعى هذه المراعي الجبلية "أكّال"، وتخضع لنظام استغلال عرفي مثلها مثل "الأزغار".

ومع تطور تربية الماشية والرعي، وما رافق ذلك من توجه لفرض نظام الاستقرار، عرف الترحال تقهقرا واندثارا مضطربين، في حين أخذ الانتجاع حظه من الاهتمام فيما يخص إعادة إنتاج الثروة الحيوانية وإخضاعه لحاجيات تربية الماشية والفلاحة.

إن اهتمام الدولة انصب على الجوانب الاقتصادية دون اهتمام كبير بالجوانب البيئية والقضايا الاجتماعية. إذ الترحال والانتجاع ليسا نشاطين اقتصاديين فحسب بل هما نظام سوسيوثقافي أيضا.

R. Montagne, *La civilisation du désert*, Paris, 1947; M. M. Bukkali, *Contribution à l'étude de la transhumance au Maroc*, Toulouse, 1972.

عبد الفتاح الزين

**رَحْوُ (بنو -) المرينيون.** شيوخ الغزاة بالأندلس هم الأمراء المرينيون الذين تولوا في الأندلس مشيخة المجاهدين من القبائل المغربية خاصة من زناتة المغربين الأقصى والأوسط وعلى الأخص من القبائل المرينية، وسميت هذه الفرقة المجاهدة بفرقة الغزاة. وقد تناوب على المشيخة مع بني رحو بنو عمهم أبي العلاء إدرس (راجع في المعلمة، بنو أبي العلاء شيوخ الغزاة في الأندلس). وقد استمرت المشيخة المرينية قرناً من الزمان من سنة 673 إلى سنة 770.

ورحّو المذكور هو أحد أبناء عبد الله بن عبد الحق، أخ الأمير أبي يحيى بن أبي بكر مؤسس الإمارة المرينية بفاس وأخ السلطان المريني أبي يوسف يعقوب. فأبناء رحو من عصبية الأسرة الحاكمة التي يمكنها مزاحمة السلاطين على السلطة أو إثارة الفتنة ضدهم، وقد انتقلوا إلى الأندلس بعد فشلهم في بعض المحاولات ضد السلطان يعقوب وفي عرقله إسناد ولاية العهد لأحد أبنائه (القرطاس، 308 - 309؛ الذخيرة، 125)، ولذلك استعملهم سلاطين غرناطة كورقة ضغط لتهديد السلطة المرينية في أوقات التوتر بين الطرفين، كما استعملوهم لتثبيت سلطانهم ضد معارضيتهم داخل الأندلس، وكذلك في العمل العسكري ضد الإسبان بعدما اكتشفوا قدرتهم القتالية.

الاقتصادية المرتفعة باستعمال التمايزات المناخية الكافية كما كان الحال في شمال الصحراء، في المناطق المتوسطة شبه استوائية، حيث تقضي قبائل الرحل الشتاء في الصحراء ثم تنتقل صيفا نحو الشمال. ويضمن هذا الترحال الرعوي في هذه الأراضي القابلة للفلاحة - لتهاطل أمطار الشتاء وأيضاً لسقوط أمطار صيفية في الجهات المكونة من سهوب هامشية، وخاصة عندما كانت الظروف مساعدة على تنقل حر - مردودية عالية أكثر من الاستغلال الزراعي وإنتاجية مرتفعة بالنظر إلى وحدة العمل الإنساني. غير أن هذا المستوى المعيشي يظل محكوماً بمدى فعالية آليات الضبط الديمغرافي والاجتماعي في عدد الأطراف الفاعلة.

ونظراً لطبيعة العيش (انتشار القبائل داخل المجال) وصحية المجال الصحراوي فقد ظلت تجمعات الرحل يمتأى عن الأوبئة التي كانت تضرب المدن وتحتاج مناطق المستقرين، وهذا ما جعل هذه المجالات بمثابة خزان بشري ظل يملأ الفراغات عبر التاريخ ويساهم في تجديد المجتمع المغربي (غالبية الدول جاءت من هذه المناطق الجنوبية).

وقد انحسرت حياة الترحال في الجنوب بفعل عوائق جغرافية (حاجز جبال الأطلس الكبير) أو عوائق مناخية (مناطق لا تلائم النظام الحيواني للجمل). ولهذا سنجد الانتجاع كبديل للترحال كلما توغلنا نحو الشمال. وما يشترك فيه الترحال مع الانتجاع هو عدم اعتماد الرعي على البقر في مقابل اقتصار الانتجاع على قطعان الغنم والتي يتراوح حجمها الأدنى بين 30 و50 رأساً والتي قد تضم الماعز. ويخضع حجم القطيع للموارد العلفية للمنطقة. ولئن كان الرحل يعيشون تحت خيام منسوجة من الحلفاء أو شعر الماعز أو وبر الإبل، فإن المنتجعين قد يكون لهم سكن قار يشكل منطلقهم، كما أنه في حالة صغر حجم القطيع قد يؤجرون راعياً لمجموعة من القطعان أو يتناوب مجموعة من الملاكين على اصطحابها إلى المنتجع. ويتعاطى المنتجعون إلى الفلاحة كشطاش تكميلي للكفاف أو لتوفير علف الماشية، في حين تقوم حياة الرحل على القطيع حيث يعتبر حجمه عنصراً أساسياً في الرجاءة. كما يشكل الصوف مع الوبر مادة قابلة للتخزين والتحويل وصرّفها في السوق مضمون. ورغم ارتباط الرحل بقطعانهم فإن استهلاك اللحم ليس ذا بال في عاداتهم الاستهلاكية.

ويتجاور الانتجاع مع الترحال خاصة في مناطق الحدود المغربية الجزائرية (أوطاط الحاج - نواحي دبدو وتاسليت). وهكذا نجد الانتجاع يتحول تدريجياً إلى ترحال كلما ابتعدنا من المغرب الشرقي نحو الصحراء، وذلك لأن الرحل، في إطار بحثهم الحثيث عن مراعي طبيعية لقطعانهم، لا يمكنهم الاستقرار بنفس المجال إما لكون الغطاء النباتي كئيفاً ولكن مدة الاستفادة منه قصيرة أو أن النباتات شحيحة وسريعة الاستهلاك. يضاف إلى هذا البحث عن الماء وما يطرحه من تعقيد للوجود بالمراعي. وإذا أخذنا بعين



ابن أبي زرع، القرطاس، 308 . 309 ، 393 ؛ الذخيرة السنية، 125 ؛ ابن خلدون، العبر، 7 ؛ 491 . 494 ، 766 ، 777 ؛ ابن الخطيب، الساحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية، 54 ، 80 ، 105 ، 116 ، 117 ، 130 ؛ الإحاطة، 2 ؛ 38 ، 39 ، 4 ؛ 365 ، 371 ، تح. عنان ؛ الإحاطة، 202 ، نصوص لم تنتشر، تح. ع. السلام شقور ؛ أ. المقرئ، نفع الطيب، 6 ؛ 386 ، 387 ، بيروت، 1968 ؛ مارمول، إفريقيا، 1 ؛ 398 ، تر. حجي... ؛ عزاي، الغرب الإسلامي من خلال رسائله، رقم 173 ، 174 ، 272 ، 273 ، 367 ، 441 ، 442 ، 464 ، أطروحة مرقونة.

أحمد عزاي

**رَحْوُ** (سيدي -)، أحد الوجوه الوضاعة الوطنية وأكبر زعيم للمقاومة ضد التدخل الفرنسي الاستعماري في النصف الشمالي للأطلس المتوسط من سنة 1911 إلى 1926. ينتمي سيدي رحو إلى قبيلة أيت حلي إحدى قبائل أيت يوسي حيث رأى النور بقصبة اعوين على بعد 30 كلم إلى الجنوب الشرقي لمدينة صفرو، وتعتبر أيت حلي من أكبر قبائل أيت يوسي نفوذاً وعظمة وقوة، وقد أعطت عدداً من أهم القواد الذين عرفتهم المنطقة كالطالب الحسين بريرة في عهد المولى عبد الرحمان، والقائد محند وسعيد بريرة في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمن إبان القرن التاسع عشر. ولم يتراجع نفوذها إلا في أواخر القرن 19 أمام تصاعد نفوذ قبيلة أيت مسعود وعلي التي أعطت أيضاً قواداً كباراً من أسرة أيت بن عامر التجاميين الذين بسطوا



نفوذهم على جزء كبير من أسرة أيت الأطلس المتوسط ومدينة صفرو وأبرزهم القائد محند أو الطالب في عهد المولى الحسن الأول (1873 . 1894) وخاصة ابنه القائد عمر اليوسي ابن محند أو الطالب الذي بسط نفوذه على مدينة صفرو من 1891 إلى 1904 (مقاومة صفرو، 88).

وقد كان والده عالماً تقياً قوياً الشخصية يتمتع بهيبة ووقار لين فقط وسط قبائل أيت يوسي وإنما لدى قبائل أيت سفرووش. حيث كان يقوم بمهام مقدم زاوية أيت عرفة. ولذلك حظي ابنه سيدي رحو باحترام وتقدير قبائل كل من أيت يوسي وأيت سفرووش مما ساعده على البروز منذ انطلاق المقاومة بمظهر الزعيم الوطني الموحد لجميع قوى المقاومة.

ومما زاده هيبه وعزة لدى كل القبائل كونه ينتمي إلى أسرة وطنية غيرة فقدت العديد من الشهداء، وقد استشهد إخوانه الثلاثة وهم يقاومون المستعمر والسلاح بيدهم الأول في شتنبر 1911 والأخران (حسن وسعيد) في معارك تكنة بريينو في يناير 1912. (L'illustration n° 141، 3600).

وقد تزعم سيدي رحو حركة المقاومة وعمره يناهز الثلاثين وشارك في جل العمليات العسكرية ضد الجيوش الفرنسية منذ استقرارها بفاس سنة 1911. ورغم تكرر الإغراءات الفرنسية له بمختلف مناصب السلطة والنفوذ، فقد فضل الاستمرار في المقاومة بل وضحى بكل ما كان يملك من أراضٍ ومواشٍ، كما استولت إدارة الحماية على كل أملاكه بحي القلعة بمدينة صفرو. (مقاومة صفرو، 88).

وقد كان زعيماً رائداً وقائداً رزيناً وبارعاً لحركة المقاومة بالمنطقة، وواجه قوات الاستعمار بشراسة نادرة. وتأقلم في كل مرة مع تغير المعطيات وتطور الأحوال، فقد استقر في بداية الأمر بصفرو والبهليل، ثم انتقل إلى قلعة مزدو التي حطمها الباشا ابن البغدادي في يناير 1912. ومنها انتقل إلى مزدغة الجرف التي حطمت بدورها من قبل Mazillier في أبريل 1912، وتلقى التهاني من السلطات العليا على ذلك حتى انتهى به المآل إلى جبال تيشوكت وبوبيلان دون أن تتمكن القوات الاستعمارية من الإيقاع به رغم الجروح البليغة التي أصيب بها سنة 1917، ولم يستسلم إلا بعد نفاذ قوته وجميع إمكانياته سنة 1926. (مقاومة صفرو، 89).

كما بحث عن حلفاء وتعاون مع جل زعماء المقاومة في الأطلس المتوسط وجبال الريف أمثال مولاي محمد السفرووشي وبونوالا الرموشي وموحي أوجمو الزنياني بالأطلس المتوسط وعبد المالك ومحمد بن عبد الكريم الخطابي بجبال الريف، وحصل بينه وبين مولاي محمد السفرووشي سوء تفاهم بعد التقارب الذي حصل بين هذا الأخير وسلطات المخزن والحماية. وقد تمكن سيدي رحو في السنوات الأولى لفترة الحماية من قيادة عدة آلاف من



المقاومين ينتمون لقبائل مختلفة من أيت يوسي وأيت سفروشن وبني علاهم وبني مطير وبني ورايين وبني سادن وغيرهم ضد القوات الفرنكوفونية كما تشهد على ذلك الأحداث التي تلت بمدينة فاس العنيفة والدامية أيام 17 - 18 أبريل 1912 حيث إن مقاومة سيدي رحو لم تهدأ قط بل زادت قوة وشراسة فاقترت بمقاومين من جديد من مدينة صفرو التي لم تحرك ساكنا خلال هذه الأحداث واشتبكوا مرارا مع حامية ثكنة Priaux قرب سيدي بوسرغين، كما ارتبطت مقاومة سيدي رحو بالثورة الفرنسية التي عمت جميع أنحاء البلاد حيث شارك رجاله في عمليات المحاصرة والهجوم على العاصمة مدينة فاس التي أوشكت على السقوط في يدهم يوم 25 ماي 1912 لولا الحنكة والتجربة الكبيرة التي كان يتمتع بها الجنرال البيوتي Général Lyautey في مجال الحروب الاستعمارية.

وقد عملت المخابرات الألمانية في بداية الحرب العالمية الأولى على الاتصال بسيدي رحو ومساعدته بهدف إضعاف القوات الفرنسية، وتلقى منها مساعدات مادية وبعض الأسلحة ورسائل تشجيع، وبين 1921 و1926 شارك بفعالية كبرى في عمليات المقاومة ضد القوات المشتركة الفرنسية - الإسبانية إلى جانب الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي وتبادل معه عدة مراسلات، كما قام بمساعٍ لدى باقي الزعماء في الأطلس المتوسط من أجل مؤازرة زعيم حرب الريف التحريرية. (مقاومة صفرو، 89).

اعترف جميع الضباط الفرنسيين الذين حاربوه بقوة شوكتهم وعزيمتهم وبأسهم، وقال عنه الجنرال دالبيي Dalbiez : "...يعتبر روح المقاومة في المنطقة وأهم شخصية بها والزعيم المثالي لكل الثوار..." وقال عنه كذلك : "...إنه في كل مكان من الأطلس المتوسط وفي كل الحركات وهو معارض شديد لا يقبل أي مفاوضة ولا تغريه مقترحاتنا ولا تنال من عزمه..." (L'illustration n° 3600, 143).

واشتهر بشجاعته النادرة وقناليته، فقد نجح من موت محقق في معركة 1 يناير 1912 ضد ثكنة برييو Priaux بعد أن قُتلت دابته التي كان يمتطيها.

وأصيب بجروح وخدوش كانت أخطرها الجروح التي أصيب بها سنة 1917 حيث اضطر للخلود إلى الراحة عدة أشهر قبل استرجاع قواه ومتابعة المقاومة، وبعد ما يفوق خمس عشرة سنة من المقاومة اضطر إلى الاستسلام بعد نفاذ كل إمكانياته واستسلام أهم حلفائه الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي في 27 ماي 1926، وقد استسلم سيدي رحو يوم 16 يوليوز 1926 للجنرال Meregdenberg بمدينة تازة جاعلا حدا لإحدى أمجد صفحات المقاومة المغربية الوضاعة ضد التدخل الاستعماري في الأطلس المتوسط وناحية صفرو. (مقاومة صفرو). وقد عومل بما يليق بمقامه من احترام وتقدير لدى سلطات الحماية حيث أطلق سراحه بعد حين واسترجع أملاكه وأراضيه واستقر

بمنطقة العنوصر ومدينة صفرو ابتداء من سنة 1927، والتقطت له صورة يظهر فيها بلحية كثيفة يرتدي سلهاما أبيض وعمامة نشرت بمجلة (Cussane Balin, L'illustration).

الحسن الشافعي العلوي، مقاومة صفرو ومنطقتها للاحتلال الفرنسي، ضمن صفرو ومنطقتها : بينة - تاريخ - مجتمع - فكر، الجزء الثاني، الملتقى الثقافي الرابع، 1990.

Cussane Balin, Un raid au sud de Sefrou, L'illustration n° 3600 du 24 février 1912. الحسين البعادي

## الرحلات الأوربية إلى المغرب. شارك فيها

بريطانيون وفرنسيون وإسبانيون وألمانيون وإيطاليون وروس. ولعل الريادة كانت للبريطانيين، فقد توافد الرحالة الأنجليز على المغرب منذ القرن العاشر (16 م). واختلفت أهدافهم ودوافعهم ؛ فكان منهم التاجر والسفير والمغامر والجاسوس والمستكشف والمبشر والأسير والرسام والباحث. وكيفما كانت أحوالهم فإن أغلبهم سجلوا ملاحظاتهم ومشاهداتهم وانطباعاتهم على شكل كتب ومذكرات ورسائل وتقارير مطولة. وكيفما كان حظ هذه الكتابات من الموضوعية والدقة، فإنها لعبت دورا مهما في استصدار كثير من المواقف والأحكام التي اتخذتها إنجلترا والإنجليز إزاء المغرب عبر التاريخ. كما أنها تمثل مصدرا لا غنى للباحث والدارس عنه في معرفة الكثير من الجوانب المختلفة لتاريخ المغرب. وهذه لائحة بأسماء هؤلاء الرحالة : جيمس ألدو Jame Aldy : قام برحلتين إلى المغرب، الأولى بصحبة القبطان طوماس ويندهام Thomas Windham سنة 1551 والثانية سنة 1552. وقام رحالة آخر يدعى جيمس طوماس James Thomas، بوصف لرحلته إلى المغرب سنة 1552 عندما كان خادما للقبطان طوماس ويندهام. وفي كلتا الرحلتين يوجد وصف لأحوال التجارة في مدينتي أسفي وأكادير.

إدموند هوجان Edmond Hogan : قام برحلة سفارية إلى المغرب موفدا من قبل الملكة إليزابيث الأولى إلى بلاد السلطان مولاي عبد الملك السعدي سنة 1577. وصف فيها وصوله إلى أسفي واستقباله من طرف السلطان في مراكش.

روجر بودنهام Roger Bodenham : رحالة وتاجر جاء إلى المغرب قبل أن يقوم برحلته إلى المكسيك سنة 1564. وقد اقترح في مذكراته عن رحلاته على الساسة الإنجليز إبرام معاهدات سرية مع المغرب كوسيلة لمضايقة إسبانيا، وذلك في إطار الصراع الذي كان دائرا آنذاك على أشده بين المعسكر الكاثوليكي والمعسكر البروتستانتي.

جون ويليامز John Williams : قام برحلة تجارية وسفارية إلى المغرب سنة 1577. حيث تباحث في سياقها

مع المسؤولين المغاربة حول إمكانية استيراد ملح البارود والسكر من المغرب مقابل كور المدافع وذخائر المجليزية أخرى. كما سلم في نفس المناسبة جواب الملكة إليزابيث على رسالة مولاي عبد الملك بخصوص ربط علاقات ودية بين البلدين.

فرانسيس فليشر Francis Fletcher : رحالة ومغامر ومبشر، صاحب فرانسيس دريك Francis Drake في رحلته البحرية حول الأرض. وتتضمن هذه الرحلة وصفا لمدينة تيط (بالقرب من أزموور) وأسفي والصويرة، بالإضافة إلى بعض الخصوصيات التي تميز مجال الأطلس.

هنري روبرتس Henry Roberts : قام برحلة سفارية سنة 1585 مبعوثا من طرف الملكة إليزابيث إلى مولاي أحمد المنصور السعدي : قضى خلالها ثلاث سنوات ونصفا بالمغرب. وقد قدم في سنة 1603 مشروعا للملك الإنجليزي جيمس الأول James I يحثه فيه على غزو المغرب وتنصير أهله والاستفادة من خيراته.

طوماس بيرنهير Thomas Bernhere : بعد رحلته إلى المغرب سنة 1600، بعث رسالة إلى الفلكي الإنجليزي إدوارد رايت Edward Wright، يحثه فيها على صنع آلات فلكية لفائدة الملك المغربي.

جون سميث John Smith : قام بعدة رحلات في بلدان أوروبا وأمريكا. جاء إلى المغرب سنة 1604. وصف مدن سبتة، طنجة، أسفي، مراكش وفاس.

أنطوني شيرلي Anthony Sherley : رحالة ومغامر مشهور. جاء إلى المغرب سنة 1605، فمكث خمسة أشهر في أسفي، ثم انتقل إلى مراكش. وقد كان مبعوثا من طرف الإمبراطور الألماني لحث الملك المغربي على قتال الأتراك بالجزائر.

جون هاريسون John Harrison : قام بشمان رحلات سفارية إلى المغرب ما بين سنتي 1610 و1632.

روبرت بليك Robert Blake : قام برحلات تجارية وسفارية إلى المغرب (1638 . 1639). وقد أصبح فيما بعد أميرالا بارزا أثناء الحكم الجمهوري لأوليفر كرومويل.

ستيفن سكوت Stephen Scot : تجول لمدة سبع سنوات في منطقة سوس. ثم كتب مذكراته سنة 1638 وبعثها للساسنة الإنجليزي راجيا منهم أخذها بعين الاعتبار في علاقاتهم مع المغرب آنذاك.

جورج كارتري George Carteret : قام برحلته سنة 1638، وسجل عنها تقريرا مهما عن المغرب آنذاك. (أعيد نشره كاملا سنة 1929).

جون ويندوس John Windus : قام سنة 1721 برحلة إلى مكناس عبر مدن تطوان والقصر الكبير وسيدي قاسم ومولاي إدريس زرهون. وقد كان ضمن البعثة السفارية الإنجليزية التي كان يرأسها تشارلز ستيوارت Charles Stewart لدى السلطان مولاي إسماعيل بخصوص الأسرى الإنجليزي في مكناس. وقد ترجم نص رحلته إلى العربية من

طرف زهراء إخوان، جامعة المولى إسماعيل، مكناس، 1993.

طوماس شو Thomas Shaw : قام برحلات إلى عدد من مقاطعات شمالي إفريقيا والمشرق. ثم نشر كتابا عن رحلته سنة 1738.

طوماس بيلو Thomas Pellow : قضى معظم حياته في المغرب، أولا كأسير حرب (سنة 1721)، ثم كمجنند في جيش المولى إسماعيل. تمكن من العودة إلى وطنه سنة 1738 وكتب رسالة طويلة عن حياته ومغامراته بالمغرب. ويعتبر كتابه هذا وثيقة مهمة عن تاريخ المغرب أثناء القرن الثامن عشر.

جون بريثويت Captain John Braithwaite : صاحب القنصل العام البريطاني جون راسل John Russel في رحلة سفارية إلى المغرب سنة 1727. وقد سجل ملاحظاته ومشاهداته في كتاب نشر سنة 1729. وترجم نص الرحلة إلى العربية من طرف مينة مادني، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2000.

ويليام آلن William Allan : جاء إلى المغرب سنة 1834 أثناء إحدى رحلاته العديدة حول البحر المتوسط.

جون دراموند هاي John Drummond Hay : قام برحلة إلى المناطق الشمالية بالمغرب سنة 1838، ثم تولى منصب ممثل إنجلترا بطنجة من 1844 إلى 1886. كان يقيم نفسه كصديق للمغرب ولكن مواقفه فندت هذا الزعم أكثر من مرة.

إليزابيث موري Elisabeth Murray : قامت برحلة إلى طنجة، ودونت انطباعاتها حول المدينة وأهلها في كتابها الذي نشر سنة 1859.

ج. د. هوكر J.D. Hooker : عالم نباتي ومدير لحديقة كيو Kew Gardens بلندن. قام برحلة إلى المغرب وجمع خلالها عينات نباتية مهمة ونقلها إلى الحديقة المذكورة. نشر كتابا عن هذه الرحلة سنة 1878.

كيتن وودفيل Caton Woodville : في سنة 1886 شارك في مهمة استكشافية جماعية عبر كامل التراب المغربي. وكان المستكشفون يتكونون من 16 ضابطا بريطانيا و800 رجل من ضمنهم حراس مغاربة. وقد نشر وودفيل مذكراته عن هذه الرحلة سنة 1914.

والتر هاريس Walter B. Harris : قام برحلة استكشافية لمنطقة تافيلالت والأطلس وشمال شرق الصحراء. نشر كتابه عن هاته الرحلة سنة 1895.

كانجهام جراهام R. B. Cunninghame Graham : قام برحلة إلى المغرب في نهاية القرن التاسع عشر، زار خلالها كلا من أسفي، الصويرة، مراكش، أمزميز، وغيرها. وألف كتابا عن هذه الرحلة بعنوان المغرب الأقصى. رحلة إلى المغرب Magreb el-Acksa. A Journey in Morocco (سنة 1898).

م. بنهاشم، السياسة الخارجية المغربية في عهد السلطان المولى سليمان. (بحث دبلوم الدراسات العليا). جامعة محمد بن عبد الله، فاس، 1987؛ جون وندوس، رحلة إلى مكناس، ترجمة زهراء إخوان، منشورات جامعة المولى إسماعيل، مكناس، 1993.

G. M. Ackerman, *Les orientalistes de l'école britannique*. Paris, 1991 ; H. De Castries [et al.], *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*, Première série ; Angleterre, Tomes I, II et III. Paris, 1935 ; R. Cunninghame Graham, *Magreb-el-Aksa. A Journey in Morocco*. Evanston, Illinois, 1997 ; W. Lewis, *Journey into Barbary. Morocco Writings and Drawings*. Santa Barbara, 1983 ; P. Mayne, *A Year in Marrakesh*. London, 1990 ; M. Morsy, *La relation de Thomas Pellow. Une lecture du Maroc au 18è siècle*. Paris, 1983.

خالد شاوش

\* \* أما الرحلات الفرنسية إلى المغرب فهي أكثر كماً وكيفاً، ينطلق تاريخها كذلك من القرن العاشر سنة 1556، لكنها اتسعت وأخذت أبعاداً خاصة ابتداءً من القرن الثالث عشر (19 م). فإن رحلة E. Delacroix التي تمت عام 1832 تؤرخ لفاحة هذه الرحلات بعد زمان الفترة في العلاقات بين فرنسا والمغرب، والذي أعقب الثورة الفرنسية 1789 واستمر إلى احتلال الجزائر 1830.

وتندرج هذه الرحلة في إطار الرحلات السفارية، التي تنتظم في سلكها غالبية الرحلات الفرنسية إلى المغرب، وهذا إلى حدود عام 1880. ولا بأس من الإشارة إلى أن السفارة الأوربية في مغرب القرن التاسع عشر تختلف عن مثيلتها المعروفة اليوم، فتمثلو الدول الأوربية كانوا يقيمون في مدينة طنجة، حيث يوجد وزير "الأجناس". ومتى دعت حاجتهم إلى الاتصال بالسلطان لتقديم أوراق الاعتماد أو التفاوض والتشاور في شأن من الشؤون، وجب عليهم شد الرحال إلى إحدى عواصم البلاد الكبرى الثلاث فاس ومكناس ومراكش حيث يكث السلطان. وتسلك الرحلات السفارية طريقين : طريق بري من طنجة إلى فاس أو مكناس عبر العرائش وسهل المغرب، وطريق بحري من طنجة إلى أحد الثغور الأطلسية ومنه إلى مراكش. وكما جرت العادة اليوم يتمكين السفارات من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، كذلك كان أوربيو القرن التاسع عشر يعينون في سفارات بلادهم علماء وأدباء ورسامين ومصورين. وهؤلاء هم مؤلفو الرحلات التي تهمننا، والتي دونوا فيها مشاهداتهم وأدعواها لوحاتهم ورسومهم وصورهم. فكانت هذه السفارات تقطع طريقاً واحداً ذهاباً وإياباً، وتساfer تسبقها راية السلطان، وتتكفل القبائل التي تمر بها بقراها وضيافتها، وإبداء مظاهر الاحتفاء بمقدمها، وتنظيم الفرجة وحفلات الفروسية في طريقها.

إديث وارطن Edith Wharton : قامت سنة 1919 برحلة في المغرب، من طنجة إلى مراكش عبر مدن الرباط، وليلي، مكناس وفاس. ونشرت سنة 1920 كتابها عن المغرب كما شاهدته في هذه الرحلة، وأهدته للمقيم العام الفرنسي آنذاك الجنرال ليوطي.

وورد برايس Word Price : صحافي إنجليزي قام سنة 1924 برحلة خطيرة أثناء حرب الريف ليلتقي بالزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي. وقد ساهم في تقديم صورة جيدة عن هذا القائد المغربي لجمهور القراء الإنجليزي والأمريكان.

ويندهام لويس Windham Lewis : كاتب ورسام قام برحلة إلى المغرب سنة 1931. سجل ملاحظاته عن المغرب والمغاربة من الشمال الشرقي إلى الساقية الحمراء. إلا أنه اعتمد في كتابه عن هذه الرحلة على ما كتبه سابقوه : فجات نظرت مشحونة بالخلفيات والأحكام المسبقة.

بيتر مين Peter Mayne : جاء إلى المغرب كرحالة، ثم استقر في إحدى أزقة مراكش. ألف سنة 1953 كتابة *The Alleys of Marrakesh* عن سكان مراكش وعاداتهم وأحوالهم.

يضاف إلى هؤلاء الرحالة جملة من الرحالة الرسامين الذين جاؤوا إلى المغرب لأخذ صور ولوحات فنية. إلا أن رحلاتهم لم تخل من ملاحظات وكتابات عن المغرب والمغاربة. وهذه لائحة بأسماء بعضهم :

ديفيد روبرت David Roberts (1864 - 1796) : من أشهر الرسامين المستشرقين. قام بعدة رحلات إلى مصر وفلسطين والمغرب. أنجز رحلة من تطوان إلى طنجة، كان يرتدي خلالها لباساً عربياً ويمتطي فرساً عربياً ويقضي الليل في خيمة عربية.

فرانك برانغوين Frank Brangwyn (1956 - 1867) : رسام جاء إلى المغرب سنة 1894 وأقام بطنجة عدة أشهر. وله لوحات مشهورة عن طنجة والعرب.

جوزيف كراوهول Joseph Crawhall (1913 - 1861) : قضى عشر سنوات في شمال إفريقيا، معظمها في المغرب. كان يدرس سلوك الحيوانات لأخذ لوحات عنها.

أوجستوس لامبلو Augustus Lamplough (1930 - 1877) : أستاذ بمدرسة الفنون بمدينة ليدز Leeds. قام برحلة إلى أقطار شمال إفريقيا سنة 1904 ؛ ومنذ ذلك الحين كان يستوحي مواضيع لوحاته مما شاهده بالمغرب والجزائر ومصر.

جيمس ماكبي James McBey (1959 - 1883) : في سنة 1932 استقر بطنجة، ثم قام برحلة عبر المغرب العربي قاطعاً جبال الأطلس. عاد بعد الحرب العالمية الثانية إلى طنجة حيث أقام ورشة للرسم.

جون بريشوت، تاريخ الثورات في إمبراطورية المغرب بعد وفاة السلطان الراحل مولاي إسماعيل، ترجمة ودراسة مينة ماضي (دبلوم الدراسات العليا)، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2000 :

وتنتهي هذه السفارات إلى إحدى حواضر البلاد المذكورة، وتحظى بالاستقبال من قبل السلطان استقبالا رسميا، ثم تعود أدراجها من حيث جاءت.

ومع رحلة Ch. E. De Foucauld (1883، 1884) تنتقل الرحلات الفرنسية إلى المغرب من طور الرحلات السفارية إلى طور الرحلات الاستكشافية و"العلمية" خلال القبائل والصحاري والجبال، فتغيرت وجهتها من السهل إلى الوعر ومن الخصب إلى القفر، وانتقلت من العلن إلى السر. وتنكر العديد من الرحالة الفرنسيين في ليوس شتى : تزيا De Foucauld بزى اليهود، وليس Le Marquis de Seconzac أسمال الفقراء ومشى حافي القدمين طورا وتخفى في جبة الزهاد السائحين طورا آخر، وسار L. Gentil بين الناس بلباس عامة المسلمين. وتنكبت هذه الرحلات عن السبل المطروقة والمأهولة والمأمونة، وقصدت الطرق الموحشة والخطرة. وتجنبت الحواضر والقرى العامرة، ويمت المداشر والأحياء النائية والمعزولة.

ولم تتم جميع الرحلات الفرنسية إلى المغرب خلال هذا الطور من أطوارها بلبوس متكرة ومستترة، فهناك لبوس أجنبية ورسمية فتحت آفاقا جديدة في وجه الرحلة الفرنسية، وقد ارتداها ضباط "البعثة العسكرية" الذين استقدمهم المخزن المغربي لتدريب الجيش منذ عام 1877، ومن معهم من الأطباء. ودور الأطباء معلوم في تاريخ العلاقات بين المغرب وفرنسا وقديم، وقد تعاطم في نهاية القرن التاسع عشر : وقد عمل الطبيب Linarés بهذه البعثة من عام 1878 إلى عام 1901. وهو صاحب "الرحلة إلى تافيلالت" (1893)، وتلقبه الكتابات الفرنسية "بفتح المغرب الأول". وفي نفس الإطار رافق الضابط J. Erckmann السلطان المولى الحسن ما بين 1877 و1883، ودون رحلته الموسومة المغرب الحديث. وكانت فاتحة رحلات A. Brives الخمس إلى المغرب دعوة تلقاها في شهر أكتوبر عام 1901 من صديقه النقيب Larras الذي ينتسب إلى نفس البعثة.

وقد حظيت الرحلات الفرنسية إلى المغرب بعناية الدارسين منذ استقرار نظام الحماية بالمغرب، وكانت قوام أحد الدروس الأدبية المقررة بمعهد الدراسات العليا المغربية (كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط حاليا)، وهو الدرس الذي جمعه صاحبه R. Lebel وأخرجه في كتاب عام 1936، تحت عنوان الرحالة الفرنسيون إلى المغرب : أغرابية المغرب في أدب الرحلة.

ويندرج هذا التأليف ضمن مشروع التاريخ "للأدب الكولونيالي / الاستعماري"، الذي يعد مؤلفه من كبار المنافحين عن فكرة وجود هذا الأدب، ومن المصنفين المكثرين في بابيه. ولا يهنا هنا التفصيل في هذه القضية وما راج حولها من أنظار، وكيف انتهى هذا الأدب إلى الفشل ونسجت عليه عناكب الإهمال، وما اعتوره من هنات

وسقطات. والذي يعنينا هو التأكيد على القيمة المصدرية / البيولوجرافية لهذا العمل، الذي يؤرخ للرحلات الفرنسية إلى المغرب على مدى أربعة قرون، من منتصف القرن السادس عشر إلى مطلع العقد الرابع من القرن العشرين. وقد عُنِي مؤلف بترتيب هذه الرحلات ترتيباً زمنياً / كرونولوجياً، مفرداً للمهمات منها فصولا مستقلة، وجامعاً المتشابهات في فصول تركيبيية. ولخص مضامينها، وأورد من بعضها نصوصاً أحيانا، واستطرد عليها بتعليقات وشروح أحيانا أخرى.

ويصدر R. Lebel في تأليفه هذا عن نزعة استعمارية واضحة وضح النهار لا يحتاج إلى دليل : فلا أحد أجبره على التصدير في تاريخه للرحلات الفرنسية إلى المغرب بكتاب وصف إفريقيا، واعتبار عام صدور ترجمته الفرنسية 1556 فاتحة هذا التأريخ ومنطلقه. ولا أكرهه أحد على القول في هذا الكتاب إنه أول الأعمال الجغرافية العظيمة المتعلقة بالمغرب والتي وجدت بلسان قومه، والتأكيد على اعتماد مادته في كل التأليف الجغرافية التي صنف بعدة. وكان بإمكانه أن ينطلق من عام 1617 الذي يؤرخ حقيقة لبداية ومنطلق الكتابات الفرنسية عن المغرب، والذي صدرت فيه رحلة J. Mocquet إلى المغرب التي تمت ما بين أعوام 1601 و1605. ونعتقد أنه ربما اختار التاريخ والتأليف السابقين ليكسب بداية اهتمام بلده المغرب تقادما، ويعود به إلى منتصف القرن السادس عشر وليس بداية القرن الذي يليه.

ولو وضعنا أنفسنا مكان الطلبة الذين كانوا يجلسون إلى حلقة درسه هذا، وسألناه من هو صاحب وصف إفريقيا؟ لأجابنا - كما كتب - بكلمة واحدة "إنه أجنبي" وكفي ! إجابة عجيبة لا نظير لها في كتب تاريخ الأدب، وورطة كان الأجدد به أن يتلافها. ويبطل عجبنا ما دنا نعلم أنه لم يكن في استطاعته أن يذكر الحسن الوزان الفاسي المدعو ليون الإفريقي (ت. بعد 934 / 1598) صاحب هذه الرحلة الشهيرة، وهو ينعت المغاربة بكل أوصاف التخلف والهمجية. ولا يسمح المقام بتعداد سقطات R. Lebel وإيراد مواقفه العدائية من المغرب وأهله، فلنكتف بالإشارة إلى وصفه لمعركة وادي المخازن (1579) بالكارثة، و كانت كذلك على البرتغاليين وشيعتهم من حملة الصليب، ونصراً عظيماً للمغاربة الذين شبهوها بغزوة بدر، وحين حديثه عن ثغر سلا ينعت بالكريه، ولا أدل على افتقاده الموضوعية من ختمه لتأليفه هذا بفصل مفرد في مديح المارشال Lyautey ومجيد سياسته الاستعمارية في المغرب.

والدراسة الثانية التي اهتمت بالرحلات الفرنسية إلى المغرب هي الأطروحة التي أنجزها عبد الجليل الحجمري، وعنوانها صورة المغرب في الأدب الفرنسي : من Loti إلى Monthelant (1973). وتندرج هذه الدراسة في إطار

مقاربة حديثة متفرعة عن الأدب المقارن (imagologie)، وتطمح إلى رسم صورة المغرب من خلال المؤلفات الأدبية الفرنسية ومن بينها الرحلات التي تهمننا، في إطار تاريخي محصور ما بين 1890 و1968.

وتعود هذه الدراسة في بحثها عن جذور صورة المغرب في الأدب الفرنسي إلى زمان بعيد جداً عن التاريخ المؤطر للمادة التي اعتمدها والمرافق لنهاية القرن التاسع عشر. وترى بأن هذه الصورة قد نشأت في أحضان الحرافقة التي كونها الغرب المسيحي عن المشرق الإسلامي، والتي تعود إلى أيام الحروب الصليبية والصدام مع العثمانيين. وخلاصة تتبعها لتطور نظرة الغرب إلى المشرق، من العصور الوسطى إلى بداية الحقبة المعاصرة، حدوث ازدواجية تمتزج فيها الأحقاد والمخاوف القديمة باستخفاف عصر الأنوار ورومانسية القرن التاسع عشر. ويرى المؤلف أن هذه الازدواجية هي التي تحكمت في كل ما كتب حول المغرب حتى منتصف القرن العشرين، ويولي ثورة اليونان التي اندلعت عام 1821 نفس الأهمية التي يوليها لاحتلال الجزائر عام 1830 والمعركة إسلي التي انهزم فيها الجيش المغربي أمام الفرنسيين عام 1844. فكلها أحداث تؤرخ للحظات اتصال الغرب بالمشرق في خضم الصراع والتقتيل والحقد، وقد أوجبت الأحقاد القديمة والموروثة عن الحروب الصليبية عند فريق من الرومانسيين، وظل فريق آخر يحلم بالشرق مصدر النشوة والأسرار.

وتصدق هذا الازدواجية على الرحلات التي تهمننا، وعلى صورة المغرب المستخلصة من خلالها، فاتصال الرحالة الفرنسيين بأرض المغرب وأهله، كان بالامكان أن تنشأ عند معرفة حقيقية ومضبوطة بجغرافيته ومجتمعه، لولا تلك الصورة القائمة والموروثة عن العهود السالفة التي ظلت جاثمة على القلوب والعقول. وهكذا إذا أمكن الركون إلى سلامة وصف الأمور الطبيعية والمادية بهذه الرحلات، فإنه يتعين الحذر من وصف الأمور الدينية والاجتماعية والسياسية بها، والذي لم يسلم من الخلل والشطط، وظل مرتعاً للأحكام المسبقة والزائفة. وعلاوة على ذلك فقد تمت هذه الرحلات وشمس الحضارة ببلاد المغرب على أطراف التخيل، فتعارضت فيها معانيه الواقع البتيس مع استحضار الماضي المجيد، وحفلت بنعوت التحقير ومشاعر النفور والتسليم بعثرة الجد واليقين بالخراب المبين.

وتخلص هذه الدراسة إلى قصور الصورة الأدبية عن تغطية حقل ما يتمثله الوعي الجمعي الفرنسي عن المجتمع المغربي، وأنها لا تشكل إلا مظهراً من مظاهر هذا التمثل الذي لا يمكن الإلزام بشموليته إلا باعتماد الإنتاج الكولونيالي برمته، وتناوله في أوفق مقاربات متعددة. وتنتهي إلى زيف وخرافية هذه الصورة الأدبية، ومجانبتها الصدق وابتعادها عن الواقع بعداً لا يمكن تقدير مسافته، لعدم توفر شروط المقارنة بينها وبين الصورة الداخلية صورة

المغاربة عن أنفسهم، لفراغ يد المؤلف من الدراسات التاريخية والاجتماعية التي تعين على هذا القصد، ولما كان يعتبر الثقافة الوطنية على عهده من خمبول وضعف.

ولم تمض هلى صدور هذه الدراسة سنوات أربع حتى أخرج عبد الله العروى كتابه الأصول الاجتماعية والثقافية للحركة الوطنية المغربية : 1830 - 1912 (1977)، وانتقلت معه الرحلات التي تهمننا من حقل الدراسات الأدبية إلى حقل المقاربة التاريخية، وإن لم يقصد بها أصحابها إلى التاريخ ولا إلى المؤرخين. واعتمدت اعتماداً يكاد يكون تاماً في الفصل الأول من فصول هذا الكتاب، والمفرد في البحث عن "أسس المجتمع المغربي".

ويهدف هذا الفصل إلى الوقوف على الكيفية التي كان المغرب يبدو بها في مفهومه الجغرافي لأهل القرن التاسع عشر، ومادام المغرب قد خضع طوال هذا القرن وإلى غاية فرض الحماية عليه لحركة استكشافية منهجية بحق، فإن هذه الحركة قد أثمرت مصادر لا غنى عنها في معرفة أحوال المغرب على هذا العهد، وإن قصد بها أصحابها إلى خدمة توجهات استعمارية. ولاحظ العروى تطوراً في هذه المعرفة : فإلى حدود عام 1840 لم يتجاوز الرحالة الأوروبيون مثلت طنجة - تطوان - العرائش مع دخول مدينة الرباط دخولا عابراً في بعض الرحلات، وتمت معرفة كل البلاد عدا مناطقها الجبلية والصحراوية وهذا إلى عام 1880، وبعده بدأ استكشاف الجهات الصحراوية مع بعض الجولات القصيرة في الجبال، وشرع في استطلاع هذه الأخيرة مع مطلع القرن العشرين. هذا من حيث تطور جغرافية ومجال هذه المعرفة، أما من حيث درجة فلاحها في معرفة مؤسسات المغرب وأهله، فلا أدل على ذلك من النجاح التي استخدمت بها من قبل السياسة الأوربية ابتداء من مطلع القرن العشرين.

وقيد انتقى العروى من بين الرحلات الأوربية إلى المغرب خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أحسنها وأجودها، مراعيّاً تسلسلها وتعاقبها في المكان والزمان. واختار بالنسبة للفترة المحصورة ما بين 1831 و1877 ثلاث رحلات بريطانية قام بها كل من A. Brooke و H.E. Colville و J. Drummond Hay و اقتصر بالنسبة للفترة الممتدة ما بين 1883 و1908 على ست رحلات فرنسية، وأصحابها هم : M. De و Ch. E. De Foucauld و A. و E. Douffé و E. Aubin و A. Mouliéras و Seconzac و Brives.

وعلى غرار المحمري كان بود العروى أن يقابل هذه الرحلات بميولاتها المغربية حتى يقابل نظرة الأوربيين إلى المغرب خلال التاريخ الذي يهمننا بنظرة أهله إليه، ويقارن بين الصورة الخارجية والصورة الداخلية. لكن أدب الرحلة اضمحل بالمغرب على هذا العهد، لانسداد طرق الحج البرية والتقليدية في وجه المغاربة مع استقرار الفرنسيين بالجزائر،

وتحولها شمالا صوب طنجة ثم منها بحراً. أما "الحركات" السلطانية، وبالأخص أيام السلطان المولى الحسن (1873). (1894) فوصف الأدياء والشعراء المغاربة لها لا يعادل وصف الأوربيين الذين شاركوا فيها. وهكذا عمد العروبي إلى الإفادة من الرحلات الأوربية في غالب هذا الفصل، على الرغم من هنتاتها. ونبه إلى أنه لا يبحث فيها عما يفيد التاريخ الاجتماعي، بقدر ما يروم استخلاص ما كان يبدو للأوربيين غريباً وغير متوقع ويحملهم على عدم إنصاف المغرب وأهله.

ويعد من نافلة القول أن الرحلات المجازية وإن أعوزت مؤرخ مغرب القرن التاسع عشر، فإن مصادر مغربية وأجنبية متنوعة وعديدة تعينه على نخل مادة الرحلات الأوربية، وتمكنه من الوقوف على مواطن ضعفها. وهذا ما انتهى بالعروبي إلى التحذير مما هو أخطر مما ذهب إليه الحجمري في أطروحته السالفة الذكر، وبيان أن الأوصاف الطبيعية والمادية الواردة بهذه الرحلات لا تسلم هي الأخرى من مجانبية الصدق واقتقاد الموضوعية : فحين نقف على صورة الغنى والازدهار التي رسمها De Foucauld للمغرب، ألا نعجب لها والبلاد خارجة لتوها من خمس أو سبع سنوات عجاف ! ألا نتساءل هي هي مجرد أحكام سياسية يقصد بها صاحبها إغراء بلده بغنيمة أقرب إليها من الفم لليد ؟ وكذلك الشأن بالنسبة لأوصاف الرحالة لأحوال المغرب عام أزمة 1908، فهي توهم بصورة بلد مزدهر في حين تصف الصحافة بلداً على حافة الحراب ! ويضع العروبي يده على الخلل الذي يعتبر هذه الرحلات، وقوامه تعميم ملاحظات لا تهم إلا منطقة معينة أو لا تصدق إلا على فترة محدودة، وينبه إلى تفاقم هذا الخلل بفعل ظروف الأزمة العامة التي كان عليها المغرب خلال القرن التاسع عشر.

ونختتم هذا التأريخ للكتابات التي همت الرحلات الفرنسية إلى المغرب خلال التاريخ الذي يهمننا بالدراسة التي صدر بها سعيد بنسعيد العلوي كتابه الوطنية والتحديثية في المغرب : مجموعة دراسات حول الفكر الوطني وسيرورة التحديث في المغرب المعاصر (1997)، وعنوانها صورة المغرب في الاستشراق الفرنسي المعاصر. وهي مقارنة تدرج في أفق تاريخ الفكر، وتعالج أفكار وأدبيات هذا الاستشراق وأثرها في الثقافة المغربية المعاصرة.

وتروم هذه الدراسة رسم صورة المغرب دولة ومجتمعاً وثقافة في الوعي الثقافي الفرنسي في العقود الثلاثة الأولى من القرن الحالي، وتحدد ثلاثة مكونات ساهمت في إبراز ملامح هذه الصورة وهي : الموروث الثقافي، وأدب الرحلة الفرنسية، وعمل سياسة التغلغل السلمي. ولا شك أن الجديد في هذا العرض الاستطوغرافي (التأريخي) Historiographique هو المكون الثالث، مادامت أطروحة

الحجمري السالفة الذكر قد دارت حول المكون الأول، واستأثرت رحلة De Foucauld بقوام المكون الثاني.

ويتخلص المكون الثالث في الخلاف الذي نشب بين الأوساط الاستعمارية في كل من باريس والجزائر حول كيفية "التغلغل السلمي"، وهل يعتمد فيه على المخزن أم على القبائل. وحملت الجزائر لواء الدفاع عن القبائل واعتبارها القوة الفعلية في المغرب، ودافعت باريس عن المخزن واعتباره القوة الشرعية به. ولجأ الفريقان واحتكما إلى المعرفة لإقامة الدليل على حصافة الرأي وسداده، وتمت الاستعانة بالعلوم الاجتماعية الناشئة في فرنسا، واستلهام الفكر الوضعي السائد في أوساطها العلمية، وذلك في سبيل الاطلاع على أحوال المغرب دولة ومجتمعاً وثقافة، ونشأت عن هذه المنافسة العلمية مدرستان متغايرتان في الاستشراق الفرنسي المعاصر. وتعنى هذه الدراسة بممثلين بارزين لهاتين المدرستين : الأول هو E. Michaux-Bellaire أبرز أعضاء "البعثة العلمية في البحث" التي أنشئت بطنجة من قبل الأوساط الاستعمارية الباريسية، والثاني هو E. Douté أنشط العاملين في "لجنة إفريقيا الفرنسية" المعبرة عن مطامح الاستعماريين المقيمين بالجزائر.

وتحدد هذه الدراسة مستويين لصورة المغرب في الاستشراق الفرنسي المعاصر : مستوى الملامح البارزة وقوامها انعدام مقومات الدولة به، وضمور الشعور الوطني لدى أهله، وافتراق عقائدهم بين تعاليم الإسلام وبقايا الوثنية السابقة عليه، وجمود مجتمعهم على الحالة التي كان عليها منذ أزمان غابرة. ومستوى المكونات الباطنة والبنى العميقة وقوامها بنينا القبيلة والمخزن، وتفصل الدراسة فيهما من خلال مجمل ما كتب E. Michaux-Bellaire ومن بعض ما كتب E. Douté.

وتعدد هذه الدراسة في خاتمها العوائق المعرفية والموانع الذاتية التي اعتورت الاستشراق الفرنسي المعاصر، وقدحت في الصورة التي جاء بها عن المغرب دولة ومجتمعاً وثقافة، وكانت وراء ما شابها من شطط في الرؤية وخلل في الفهم وفساد في التأويل.

سعيد بنسعيد العلوي، صورة المغرب في الاستشراق الفرنسي المعاصر، ضمن الوطنية والتحديثية في المغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، 36، 9. عيد الله نجمي، المغرب من خلال كتب الرحلات الفرنسية 1880 - 1912، ضمن مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي، ندوة نظمتها مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1999، 7، 15.

R. Lebel, *Les voyageurs français du Maroc : l'exotisme marocain dans la littérature de voyage*, Paris, 1936 ; A. Lahjomri, *L'image du Maroc dans la littérature française, de Loti à Montherlant*, Alger, 1973 ; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain, 1830 - 1912*, Paris, 1977.

عيد الله نجمي

\* \* في الوقت الذي كانت تجري فيه الاتصالات الرسمية المباشرة بين روسيا والمغرب زارت سفيتان روسيتان مدينة طنجة وبقيت بعرضها أزيد من شهرين واستغل الضباط الروسيون هذه المدة الطويلة لوضع خرائط للميناء والساحل المحيط به، كما أنهم زاروا المدينة وكتبوا وصفا لها ودونوا ما شاهدوه بها. وتعتبر هذه الخرائط والتدوينات أقدم الوثائق الروسية حول مغرب الربع الأخير من القرن الثامن عشر. ولا زالت هذه الوثائق مخطوطة وهي محفوظة في المكتب الحكومي المركزي للبحرية العسكرية الروسية بموسكو.

انطلاقا من أربعينيات القرن التاسع عشر بدأ يزور المغرب عدد من الروسيين نذكر من أبرزهم الأديب "بوتكين" الذي قام برحلة إلى طنجة عام 1854 وكتب عنها مقالا عنوانه طنجة على صفحات إحدى المجلات المعروفة، كما أنه خصص لنفس المدينة فصلا كاملا في مذكراته رسائل من إسبانيا التي نُشرت في سان بيترسبورغ سنة 1857. وأعيد طبع هذا الكتاب بموسكو ولينغراد عام 1876. ويمكن القول أن بوتكين لم يكن مجرد سائح يتنقل من بلد لآخر قصد الاستمتاع بجمال الطبيعة، فهو كان يهتم ويبحث في تاريخ الشعوب ويحاول التعرف على عاداتهم وفهم ثقافتهم، ولم يكن كذلك يكتبني بنظرة السياح السطحية إلى الناس والأشياء. ومن هذا المنطلق فإنه جاء إلى المغرب، كما يقول في إحدى كتاباته، "قصد الالتقاء بأحفاد صانهي تلك الحضارة الأندلسية العظيمة في إسبانيا التي لازالت معالمها واقفة شامخة في عصرنا هذا".

في عام 1847 زار طنجة وسبته "ديميدوف" وأعطى وصفا جميلا للشاطئ الشمالي للمغرب في مؤلفه المكتوب أصلا باللغة الفرنسية الذي يحمل عنوان محطات بحرية على الساحل الإسباني من كاتالونيا إلى الأندلس. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب يحتوي على عدد من الرسوم التي تمثل بعض الأماكن في طنجة وساحلها.

ازداد اهتمام الرأي العام الروسي بالمغرب خلال الستينيات من القرن التاسع عشر بمناسبة الحرب بين المغرب وإسبانيا. واهتم بهذا الحدث جل الجرائد والمجلات التي نشرت عددا من المقالات التي دونها أصحابها إثر زيارتهم لمدينة طنجة ولموانئ مغربية أخرى. وهكذا أصدر السيد "سوما روكوف" كتابا عنوانه رحلة إلى الصويرة ومراكش. ولقد دون هذا الرحالة في مؤلفه هذا ذكرياته عن السفر الذي قام به من جبل طارق إلى الصويرة حيث استغل توقف الباخرة التي كانت تقله إلى الجزر الخالدات للتوغل بداخل المغرب حتى مراكش. وأعطى "سوما روكوف" في كتابه أوصافاً لمدينة الصويرة وناحيتها كما تحدث بإسهاب عن السكان المسلمين واليهود بداخل المدينة وخارجها. ولا بد من الإشارة هنا إلى إحدى ملاحظاته حول ما كان شائعا في أوروبا عن تطرف المغاربة وتعصبهم، فالكااتب ينفي هذه الشائعات ويقول :

"إن الشعب هنا ليس متعصبا كما يقال عنه في أوروبا، وبصفة عامة فإنني لم أر قط في إفريقيا كلها... شعبا يبدي الصداقة للأوروبيين مثل الشعب المغربي".

قام أحد النبلاء الروسيين وهو العالم والأمير "فيازيمسكي" بسفر إلى المغرب عام 1881 زار خلاله المناطق الساحلية والداخلية للبلاد منطلقا من طنجة ومارا بالعرائش والرباط والجديدة ثم مراكش حيث استقبله السلطان مولاي الحسن بحفاوة كبيرة. وتابع "فيازيمسكي" طريقه بعد ذلك في اتجاه الجزائر عبر مكناس وفاس ووجدة. وترك العالم مذكرات هامة عن رحلته وكذلك أبحاثا علمية ثمينة ذات طابع جغرافي وإحصائي وإثنوغرافي. غير أن هذه الكتابات بقيت مخطوطة ولم تنشر إلا عام 1973 في موسكو تحت عنوان "مسائل الجغرافية التاريخية وتاريخ الجغرافية".

زار المغرب الصحفي والأديب "دانتشينيكو" مرتين، الأولى في عهد السلطان مولاي الحسن والثانية في عهد مولاي عبد العزيز. ولقد دون بأسلوب فني رائع انطباعاته وذكرياته ومختلف علاقاته مع المغاربة في عدد كبير من المناطق والمدن المغربية كطنجة والرباط والجديدة وفاس ومكناس ووزان والعرائش وتطوان وتافيلالت... ويعد كتاب قطر الغروب الذهبي (دراسات حول المغرب الخفي) الذي طبع عام 1896 بسان بيترسبورغ أهم مؤلف لـ"دانتشينيكو". ويتكون هذا الكتاب الذي جاء في حوالي 400 صفحة من تسعة فصول هي :

- في مملكة الأسود
- زاوية الحكاية الشرقية
- في المملكة البعيدة
- في قطر الغروب الذهبي
- الفقير الحاكم
- مفتاح العدو الرحيم
- البئر المردوم
- الجدّ التعبان
- أثينا الإفريقية

ويحتوي كل فصل على عدد كبير من القصص والحكايات الشعبية المغربية، وهو بالتالي يمثل مصدرا مهما لدراسة الأدب الشعبي المغربي. ويضم الكتاب كذلك ما يقرب من 80 رسما رائعا تمثل الطبيعة والأشخاص والحيوانات والمباني... ولقد كان لكتاب قطر الغروب الذهبي... ومؤلفات دانتشينيكو الأخرى دور أساسي في التعريف بالمغرب والمغاربة وبتاريخهم وحضارتهم في مختلف الأوساط الثقافية الروسية.

لقد كان المغرب طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين محطة محبوبة عند عدد كبير من الرحالة الروسيين الذين دون بعضهم ذكرياتهم عنه وانطباعاتهم حول طبيعته وحالته السياسية والاجتماعية

والثقافية والاقتصادية، كما أن قلة مذهب استطاعت طبع تلك المذكرات، ومن هؤلاء الأسماء التي سبق ذكرها وكذلك السيد "دميترييف" الذي قضى أربع سنوات في شمال إفريقيا (من 1907 إلى 1911) وألف كتاب طبع عام 1917 في سان بيترسبورغ وعنوانه بعض من رحلاتي في شمال إفريقيا. يقول "دميترييف" في الصفحات الأخيرة من مؤلفه : "...علينا، عندما نكون ننظر إلى مدينة طنجة، أن لا ننسى أن بلدين اثنين فقط في إفريقيا كلها استطاعا الحفاظ على استقلالهما. هذان البلدان هما المغرب والحبشة. وفي هذه المدينة يستطيع السكان أن يرفعوا بدون خوف فوق بيوتهم العلم الأحمر الذي هو العلم الرسمي المغربي، لذا فإن البواخر ترفع هذا العلم كلما اقتربت من المدينة..."

إن موضوع الرحالة الروسيين في المغرب غير معروف، وتبقى مع الأسف الشديد كتابات هؤلاء الرحالة غير معروفة كذلك لأنها غير مترجمة. غير أن بريق الأمل بدأ يتشعق في السنوات الأخيرة، ذلك أن بعض المؤسسات الجامعية المغربية بدأت تهتم بهذا الموضوع ووجهت بعضا من طلبتها الذين يدرسون اللغة الروسية إلى تكريس بحثهم لنيل الإجازة إلى ترجمة مقالات أو فصول من هذه الكتابات إلى اللغة العربية.

تانيانا موساتوفا، روسيا والمغرب في الماضي البعيد والقريب، دار النشر "تاووكا"، موسكو، 1990 (بالروسية) ؛ قاسيلي دانشفينكو، قطر الغروب الذهبي (دراسات حول المغرب الحفي)، دار النشر "پروستيشينا"، سان بيترسبورغ، 1896 (بالروسية).

عبد الرحيم العطاوي

## الرحلات المغربية، تعني الرحلة الهجرة

والانتقال والسياحة والاستكشاف ومذكرات السفر؛ نتج عنها فن أدبي ثري بظواهر الحياة وتنوع الثقافات والبحث في أحوال البلدان، وقد ازدهرت الرحلة المغربية في المغرب الوسيط، ثم توقفت فيما بعد وفاة السلطان أبي عنان المريني إلى معركة وادي المخازن حيث استردت الرحلة المغربية نشاطها بعد قيام الدولة السعدية وعرفت طريقها إلى المشرق والقسطنطينية وبعض العواصم الأروبية. وحسب كتب التراجم يمكن تصنيف الرحالين إلى ثلاثة أصناف :

1) الفئة الأولى وهي أكثرهم عددا اختلفت جهات سفرها باختلاف أهدافها سواء تعلق الأمر بأداء فريضة الحج أو طلب العلم أو السياحة لكنها عادت إلى بلدها ولم تكتب عن سفرها وتقبز بعضهم بحمل إجازات علماء المشرق أو الأندلس وأدخلت طائفة منهم كتب علماء المشرق منها ما اخص بالأدب ومنها ما اهتم بالفقه أو الحديث أو الدراسات الإسلامية التي تشمل علم الكلام والمناظرة.

2) الفئة الثانية وتضم أعلاماً غادروا المغرب وطاب لهم المقام بالمهجر فاستقروا به إلى الوفاة واشتهر أمرهم بتلك البلاد وتولى بعضهم مناصب سامية من فتوى وقضاء وتدریس في حين اشتغل بعضهم بالتربية والتعليم، ومن هؤلاء أبو الحسن الشاذلي وأحمد زروق وعلي بن ميمون الغماري ومحمد بن سليمان الروداني.

3) الفئة الثالثة غادروا المغرب وعادوا إليه وقد سجلوا مشاهداتهم في رحلات لم يصلنا منها إلا القليل. ويعتبر المرحوم محمد الفاسي رائد البحث والتحقيق في فن الرحلة بالمغرب. وفي العقدين الأخيرين من هذا القرن أدرك الباحثون أهمية ما تزخر به كتب الرحلات من تراث في شتى المعارف فأولوه عناية فائقة وقدموا فيه رسائل وأطروحات ووجد فيه كذلك الباحثون في الخطاب السردی موضوعا خصبا فتناولوه من منظور مناهجهم المستجدة، وبذلك تكون دراسة الرحلة قد تناولت المرجعية التاريخية والمرجعية الأدبية والتقى الفريقان في إغناء المكتبة المغربية بفن أدبي متنوع الاختصاصات يجد فيه الأديب ضالته المنشودة من صناعة نثرية وشعر ومساجلات أدبية ويرى فيه المؤرخ وعالم الاجتماع ما تفتقده الوثائق الرسمية. وبصفة مجملّة فإن كتب الرحلات وخصوصا الحجازية منها، متعددة المواضيع وإن كانت رهينة بالمشاهدة والاتصال، ولكن ابن رشيد السبتي حولها إلى ديوان علم وخرج عن النهج الذي رسمه الرحالة قبله. وأما الرحلات السفارية فتنتقل إلينا صورة أوروبا بأخلاقها ونظمها وقوتها العسكرية.

وهكذا نجد الرحلات المغربية أصنافاً متعددة :

1) رحلات حجازية وهي أكثرها عدداً، ومن أشهرها رحلة العبدري، ورحلة أبي القاسم التجيبي المعروفة بمستفاد الرحلة والاعتراب، ورحلة محمد بن عمر بن رشيد السبتي المتوفى سنة 721 المسماة ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريميتين مكة وطيبة ؛ ورحلة ابن مليح المراكشي (ت. 1042) وتعرف بأسس الساري والسارب من أقطار المغرب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعاريب. ويشتهر أبو سالم لعياشي برحلته ماء الموائد وكذلك الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي، ومحمد بن عبد السلام الناصري صاحب الرحلة الكبرى.

2) الرحلات العامة وأهمها رحلة ابن بطوطة الطنجي التي طاف فيها أهم أقسام المعمور المعروف آنذاك.

3) الرحلات العلمية كرحلة أبي بكر بن العربي المعافري وأحمد المقرئ صاحب روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته بالحضرتين مراكش وفاس. ومحمد بن زاكور الفاسي المتوفى سنة 1120 نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان.

4) الرحلات السفارية وهي كثيرة، منها رحلة الوزير في فكاك الأسير، للوزير العساني، ورحلات أحمد بن



عثمان المكناسي إلى القسطنطينة ومدريد ومالطة ونابولي، ورحلة الوزير ابن إدريس العمراوي، تحفة الملك العزيز بمملكة باريز، والرحلة الإبريزية إلى الديار الأنكليزية، لمحمد الطاهر الفاسي.

5) الرحلات المقامية والخيالية وهي صغيرة الحجم يغلب عليها الطابع الأدبي وتحمل آراء صاحبها في مجالات متعددة من أمن وسياسة وتجارة ومناجاة وابتهاال.

كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، مترجم : م. الفاسي، مقدمات الرحلات التي نشرها : الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني : م. ماكامان، الرحلات المغربية في القرنين 11 و12 للهجرة : عبد العزيز بن عبد الله، السفارة والسفراء بالمغرب عبر التاريخ : م. الثوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب.

محمد ماكامان

### الرحماني، أحمد بن مبارك الجوني المراكشي

الفقيه العلامة، أخذ عن سيدي الحسن الفيلاي وسيدي أحمد بن الطاهر المراكشي. كان له اختصاص بعلم النحو وله لسان فصيح وهمة عالية. وكان أحد العلماء الذين درسوا لأولاد المولى عبد الرحمان : مولاي أبي عزة ومولاي رشيد ومولاي علي ومولاي العباس.

توفي عام 1304 / 86 . 1887 عن نحو ثمانين سنة ودفن بروضه باب أغمات بمراكش.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 2 : 424، الرباط، 1974، 2 : 424 : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 8 : 2771.

### الرحماني، البهلول بن علي بن بوسلهام

البويكري المحمدي، أخذ العلم عن سيدي محمد بن خدي السريغيني الزرادي وعن غيره، وكان عالماً مدرساً فاضلاً يسكن بالمحمديين من قبيلته ولما التقى بالمولى عبد الرحمان ألزمه سكنى الحاضرة مراكش. وكانت له عنده منزلة خاصة. درس بجامع سيدي أبي العباس السبتي وأخذ عنه أولاده الثلاثة مدة : عبد الرحمان وعبد الوهاب وعمر الفقيه وغيرهم. وُشي به عند السلطان فسجن مدة ثم رحل إلى فاس حيث توفي عن نيف وثمانين سنة عام 1272 / 55 . 1856. ودفن بروضه العلماء هناك.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 3 : 78، الرباط، 1975.

محمد ناجي بن عمر

### الرحماني، عبد الحميد بن الفاطمي بن

العباس، أحد قواد قبيلة الرحامنة البارزين في الربع الأخير من القرن الثالث عشر (19 م)، إن لم يكن أبرزهم على الإطلاق وأعظمهم شأنًا ونفوذاً في الدوائر المخزنية وقتئذ. فإذا كان كل من القائدين العربي بن الشرقي ومحمد بن

بلّة الرحمانيين قد تبوّأ مكانة متميزة لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن (1276 - 1290 / 1859 - 1873) إذ لا ذكر في مصادرنا إلاّ لهذين القائدين، كما نتبيّن ذلك من الوثائق المخزنية ذات الصلة ببيعة السلطان المولى الحسن من قبل قبيلة الرحامنة، فإن مترجمنا سرعان ما حجب الأنظار عن غيره من القواد، وأبان عن مؤهلات وصفات كان المخزن يستحسنها ويشتمها فيمن قلده من أعوانه مهام مخزنية، في الحاضرة كما في البادية.

وهكذا، صار عبد الحميد الرحماني موضع ثقة العاهل الجديد ومخاطبه المفضل والمعول عليه قبل غيره، في تنفيذ الأوامر والتعليمات المخزنية وعلى مستوى قبيلة الرحامنة بكاملها.

وأياً كان الأمر، ففي عهد السلطان المولى الحسن (1290 . 1311 / 1873 . 1894) تألق نجم القائد عبد الحميد، وأقبلت عليه الدنيا وابتسمت له الأيام إلى درجة كاد أن يلتحق بركب ثلة من كبار أعوان المخزن، كالباشا محمد وأخيه العربي ولد أبّ محمد الشرقي، أو سعيد بن فرجي عامل مدينة فاس، أو حمّ بن الجيلالي البخاري باشا مكناس، أو قائدي قصبه منشية مراكش أحمد أمالك ومحمد وبدة السوسي. وهؤلاء جميعاً كان السلطان يكلفهم مهام خارج إبلاتهم، بين الفينة والأخرى، كان يعهد إليهم مثلاً بالإشراف على عمليات خرص الحبوب في القبائل المجاورة لهم، أو قيادة حملات عسكرية هنا وهناك، كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

وهذه أمثلة وحالات نلمس من خلالها ما ذهبنا إليه من القول. فأتناء تخييم المحلة السلطانية بمنطقة سوس سنة 1882، وقع الاختيار على القائد عبد الحميد للانضمام إلى الوفد المخزني الذي تقرّر إرساله إلى ناحية وادي نون، بقيادة الأمير مولاي الأمين بن عبد الرحمن بن هشام، وعضوية كل من الفقيه علي المسفيوي، وزير الشكايات وقتئذ، ومبارك بن الشليح، قائد جيش شراردة أزغار، وحمّان الأوديبي، قائد جيش الأودية، فضلاً عن أعوان مخزنيين آخرين، مدنيين وعسكريين، للوقوف في عين المكان واتخاذ التدابير اللازمة لوضع حد لتجارة التهريب التي كان قد استفحل أمرها في هذه الربوع، وبالحصوص قرب مصب الوادي المذكور، على يد شرذمة من المغامرين الإنجليزين.

وفي سنة 1884 وعلى إثر نشوب نزاعات وخصومات خطيرة بين قواد قبائل هشتوكة، وهوارة، و "رأس الوادي" أي منبع وادي سوس وأتباعهم، نودي هذه المرة أيضاً، على عبد الحميد الرحماني وحُمل مسؤولية إطفاء نيران الفتنة في هذه النواحي السوسية، والاجتهاد في إيجاد صيغ وحلول توفيقية بين الأطراف المتنازعة، حيث خاطبه السلطان المولى الحسن قائلاً : "... فقد رشحنك، لما نعهد

منك، ونعلمه فيك من النجدة والنصح والخدمة ومزيد الثبوت والحزم واليقظة...

ومن علامات ثقة السلطان بقائده، واستحسان رجاحة عقله، وقدرته على التفاوض والإسهام في حل الأزمات، إيفاده سفيراً لدى حكومة مدريد سنة 1892، وبمعيته الفقيه عباس الفاسي كاتباً، والعربي بريشة التطواني أميناً، سعياً إلى إطفاء فتيل النزاع الذي كاد أن يشتعل في جوار مدينة مليلية السليبية، بين سلطات الاحتلال الإسبانية وأهالي قبيلة بني شيكر على الخصوص، فضلاً عن الاستماع إلى ما قد يعرضه الجانب الإسباني من قضايا ومطالب.

وأما المرحلة الثانية من مدة قيادته وما تحمله من مسؤوليات مخزنية أخرى، كباشوية مراكش ما بين 1900 و1902، على إثر عزل الباشا عباس بن داود، صهر الوزير الصدر أحمد بن موسى المتوفى ونفيه إلى مدينة تيزنيت، وذلك بتدبير ومبادرة من وزير الحرب المهدي بن العربي المنبهي، فقد وافقت الثماني سنوات الأولى من عهد السلطان المولى عبد العزيز، واندرجت في سياق تاريخي مغاير تماماً لسياق الفترة السابقة.

فعلى الصعيد المحلي، كان انتفاض قبيلة الرحامنة سنة 1312 / 1894، احتجاجاً على اختيار المولى عبد العزيز سلطاناً للمغرب، عوض أخيه الأكبر الأمير مولاي محمد بن الحسن. وبالنسبة، وجد القائد عبد الحميد نفسه في واجهة الأحداث وفي طليعة من طالهم غضب وهيجان الأهالي من الفواد، حيث تعرضت ممتلكاتهم وأمتعتهم إلى النهب والإتلاف، فلم ينفعهما إلا الفرار والاحتماء داخل أسوار مدينة مراكش.

وعلى صعيد المخزن المركزي، سطا على الحكم الحاجب أحمد بن موسى، بعد أن نجح في التخلص من منافسيه وخصومه آل الجامعي، ونصب نفسه وزيراً صدرأ، فصفاله الجوار وطأطأت له الرؤوس، وأذعن الجميع لأوامره وتواهيته. وبالرغم من هذا وذاك، فإن صاحبنا قد خرج سالماً من فتنة الرحامنة، وتذكر، وذلك منذ الوهلة الأولى للمتفضين وعلى رأسهم زعيمهم القائد مبارك بن الطاهر الرحماني، وحاربه، وتولى إحصاء ممتلكاتهم وعقاراتهم بمدينة مراكش، على إثر انهزامهم وصدور الأوامر بمصادرتها. آنذاك، تنفس الصعداء، واستعاد مكانته ونفوذه كاملين في الجهاز المخزني ولكن إلى حين، إذ بوفاة أحمد بن موسى في شهر محرم عام 1318 / مايو 1900، دشتت صفحة جديدة في حياة قائدنا، ولم تمثل مهام باشوية مدينة مراكش التي أسندت إليه إلا بارقة خاطفة.

فمن جهة، تغير المشهد المخزني مرة أخرى، وتمكن رجال جدد من أمثال المهدي بن العربي المنبهي من الوصول إلى الحكم، وجميعهم لم تكن تشدهم إلى القائد عبد الحميد وأوامر وثيقة، ولا علاقات خدمة ومصالحة، على غرار ما

كان يربطه من صلوات وطيدة مع آل الجامعي، أو آل موسى بن أحمد، ومن جهة أخرى، كانت حالته الصحية وقتئذ قد تدهورت، إذ وافته منيته بغتة في خريف سنة 1320 / 1902، علماً بأنه كان يُعاني من مرض القلب منذ مدة، كما نلمس ذلك بما ورد في رسالة السلطان إليه، وهي بتاريخ 10 ذي الحجة 1310، الموافق لـ 25 يونيو 1893، حيث نقرأ ما يلي: "... وصل كتابك بأنك منذ سافرت من أعتابنا الشريفة أنك مريض بمرض خفقان القلب..." والأدهى في الأمر أن نهاية المترجم قد شهدت حدثاً مأساوياً، تمثل في اغتيال ابنه البكر العربي على يد ابن أخ له يدعى المهدي، وذلك في نفس اليوم الذي كان يجهز فيه إلى مشواه الأخير. وكان هذا القتل رابع أبنائه الذكور وهم المختار، وعبد القادر، وإدريس، فضلاً عن ابنتيه زينب وأم كلثوم المتوفيتين قبل وفاة والدهما.

وثائق. ح. م. ح. رقم، 81 - 136 : م. ع. ع. 6 / 402.

6 / 404. 7 / 409. 6 / 410، ك : 162 : ع. الرحمن ابن زيدان،

إتحاف الرباط، 1929. 1933، ج. 2، ص. 210، 337، 494، ج.

5، ص. 81 : ع. الرزاق الصديقي، الرحامنة وعلاقتهم بالمخزن،

1850. 1900، الرباط، 1997.

Paul Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Tanger, 1977, t. I, pp. 186 - 215.

مصطفى الشابي

### الرحماني، عبد الرحمان بن محمد البوبكري

المحمدي البهلولي، كان علامة متقناً جميل الهيئة والمليس. أخذ العلم عن سيدي الطالب بن الحاج براكش، وخلفه في التدريس بإذن منه، وهو أخو عبد الوهاب بن البهلول والسيد عمر بن البهلول لكنه كان أعلم منهما. وقد كاد له محمد بن بلة السوسي عند سيدي محمد بن عبد الرحمان فسجنه، فلما تشفع له طلبة المدارس أطلق سراحه، لكن توفي مسموماً بإيعاز من ابن بلة في أواسط العشرة الثامنة من القرن الهجري الثالث عشر.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 8 : 43، ط. 1977.

محمد ناجي بن عمر

### الرحماني، عبد الله بن محمد، يعكس مسار

نخبة من قواد القرن الثاني عشر (18 م) ويرسم تقلباتهم في المناصب المخزنية السامية مع احتمال ما قد تجرّه على بعضهم من نكبات إما عن طريق خصومهم أو الوشاة أو غضب السلطان أو تمرد القبائل. وقد تتخلل هذه التقلبات حظوة وترقية عند ولاة الأمور. فهذه الظواهر بمأساتها ورفعتها طبعت سيرة عبد الله بن محمد الرحماني، فهو إن كان صهر السلطان محمد بن عبد الله على بنته الباتول الرحمانية، فإنه ذاق مرارة السجن بأسفي ولم يطلق سراحه إلا عام 1199 / 1784، فأعقد عليه السلطان النعم وقلده

عمالة تامسنا وقيادة رباط الفتح وعينه كذلك قائداً من قواد جيوشه وأمره ببناء داره بالدار البيضاء. وشملت هذه النعم ولده محمد الزوين شقيق زوجة السلطان، فعينه قائداً وسفيراً لدى الخليفة العثماني عبد الحميد سنة 1203 / 1788.

لم تكن قيادة عبد الله الرحماني على تامسنا لتنال رضى قبائلها فظهر منها التمرد وتعرضت لحركة مخزنية أسفرت عن مقتل سبعمائة رجل منها. وفي هذا الصدد يسوق المؤرخ الضعيف هذا الحدث قائلاً: "أحس نصره الله بأهل تامسنا خرجوا عن كلمة صهره القائد عبد الله الرحماني ولا سيما مزاب والبعض من قبائل الشاوية وكانوا لا يأتون الرحماني بالدار البيضاء..."

في رجب سنة 1204 عزم السلطان سيدي محمد بن عبد الله على تأديب ابنه اليزيد المعتصم بضريح المولى عبد السلام بن مشيش، فاستقدم القائد عبد الرحمان بن ناصر العبيدي والحاج الهاشمي بن العروسي الدكالي بجيوشهما، فخرج عبد الله الرحماني للقائهما وقام نحوهما بالتكاليف المعهودة في هذا الشأن. وفي الغد خرج معهما ومعه عبيد المراسي و2000 من مجندي الشاوية وبلغ مجموع عدد الجنود في هذه الحركة عشرين ألفاً، غير أن الظروف الصحية للسلطان تدهورت أثناء السفر وأدت إلى وفاته في 25 رجب. وبمجرد ما انتشر نعيه دبت الفوضى في المحلة وهي بوادي كريفلة فتشتت شملها بدون قتال وتعرضت للنهب من قبيلة الصباح وأشرف الرحماني على الهلاك وانتزع التمردون ما بحوزته من متاع وثروة تقدر بثلاثين بغلة وخمسين جملًا محملة بالمؤونة والملف والحريير والأكياس المملوءة بالنقود الذهبية والريال والدبلون والأواني الذهبية المرصعة وأحجار الياقوت. وقد ساق المؤرخ الضعيف خبر هذه الواقعة بتفصيل مع بيان ما تعرض له من إهانة وخسارة ولم يتنفس الصعداء إلا بعد دخوله الرباط وهو يتضرع لأعيانه: "ما أنا إلا منكم وفي عاركم".

تزامنت وفاة السلطان مع وجود أربعة قواد كبار في حركته هذه، وهم: عبد الرحمان بن ناصر العبيدي والهاشمي ابن العروسي الدكالي وعلال بوكرين وعبد الله الرحماني وكلهم يدركون شجاعة وبطش الأمير اليزيد فتم قرارهم على بيعته بتاريخ فاتح شعبان سنة 1204 / 1789. ولما كان الرحماني شخصية بارزة في الوسط المخزني فقد كلفه اليزيد بالتوجه إلى مراكش رفقة أخيه المولى سليمان الذي عينه خليفته بهذه المدينة. وبخبرنا الضعيف عن هذه المهمة المسندة إليه: "تم وجه أخاه للأب وهو مولانا سليمان خليفة مراكش وبعث معه شقيقه مولانا الطيب ووجه معهما القائد عبد الله الرحماني.."

وفي سنة 1206 / 1791 عرفت هذه المدينة معارك بين الإخوة الأمراء وانتهت بمقتل السلطان اليزيد ولم يجد الرحماني مناصاً من مبايعة المولى هشام فظل في خدمته

متألقاً حيث وصفه المؤرخ أحمد الناصري بأنه مدير أمر دولته والقائم بأمره.

وسرعان ما دبت الفرقة في قبيلته الرحمانية التي انقسمت بين مؤيدين للقائد الرحماني وخصوم له. وأدى الشنآن بين الجانبين إلى اغتيال الرحماني فأذاع انصاره أن السلطان هو الذي أوغر لخصمه بقتله حوالي سنة 1209 / 1794. وقد السلطان مزاعمهم ونسب قتله إلى المنشقين عنه من الرحمانية. وما زاد شكوك الرحمانيين في مسؤولية المخزن عن هذا الاغتيال، اغتيال آخر تعرض له عمر بن الداودي الرحماني قائد الصورة، فخرجت قبيلة الرحامنة عن طاعة السلطان. وقد أشار المؤرخ محمد اكنسوس إلى هذه الحادثة قائلاً: "والذي تحدثت به السلطان مولانا سليمان وأنا أسمع هو أن الطائفة المبغضة لعبد الله قتلوه وأظهروا أن مولانا هشام هو الذي أمرهم بذلك مع أنه لا علم له بذلك حتى وقع".

م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، تج. أ. العمازي؛ م. اكنسوس، الجيش العرمرم، تج. أ. الكنسوسي؛ أ. الناصري، الاستقصا، 8: 97؛ ع. ابن زيدان، الإتحاف، الجزء 3.

مصطفى الشابي

### الرحماني، عبد الوهاب بن محمد البهلولي

المحمدي، فقيه علامة ولد عام 1242 / 26 . 1827. أخذ عن عدة علماء منهم أبوه الذي صاحبه إلى فاس في حدود السبعين. وعن الفقيه محمد بن عبد الرحمان الحجرتي وغيره من أهل طبقته. وكان جميل الوجه حسن الخلق مدرساً مفتياً ومحققاً وجيهاً محترماً، وله خط جيد. درس الفقه والأصول والبيان، وكان عاملاً على فخذ المحمديين من قبيلته الرحامنة حج عام 1280 / 1864. وتوفي في الخامس والعشرين من جمادى الثانية أو في الشهر الذي بعدها من عام 1308 / 5 فبراير 1891.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 8: 544، الرباط، 1977؛ ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 8: 2784.

محمد ناجي بن عمر

### الرحماني، مبارك بن الظاهر بن سليمان القائد،

اقترن اسمه بانتفاضة قبيلة الرحامنة سنة 1312 / 1894 في حوز مدينة مراكش، احتجاجاً على عقد البيعة للمولى عبد العزيز بن الحسن، وتنصيبه سلطاناً للمغرب وهو وقتئذ دون البلوغ، عوض أخيه الأكبر الأمير مولاي محمد الذي ظل يشغل مهام الخليفة السلطاني حتى الشهور الأخيرة من عهد والده.

والرجل هو قبل كل شيء، واحد من هؤلاء القواد

العاديين الذين شهدهم القرن الثالث عشر (19 م)، إذ لولا تزعمه لحركة العصيان هذه ضد المخزن، لما اشتهر شأنه وتردد ذكره في مصادرنا.

وبالرغم من هذا وذاك، فإننا لا نعرف عنه أشياء كثيرة ودقيقة، حيث إن الوثائق المخزنية التي أمكن الوصول إليها في شأنه، وتغطي الفترة ما بين سنة 1883 و1896، لا تقدم لنا معلومات كافية، ولا تفاصيل وافية عن أسرته، ووسطه الاجتماعي، ونشأته وتعلمه، وظروف وملابسات التحاقه بالخدمة المخزنية مثلاً.

ومن الشهادات النادرة حول الرجل، ما كتبه عنه الرائد شلومبرجي (Le commandant Schlumberger)، قائد البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب، ما بين 1893 و1897 حيث وصفه في العبارات الآتية: "... كان متزعم أمر الثوار رجلاً في الخمسين من عمره تقريباً، طويل القامة، قوي البنية، أسمر اللون، في لحيته شذب من الشعر...". ومهما يكن من أمر، فإننا نجد الرجل، سنة 1883، قائداً بقبيلة الرحامنة، ثم بعد ذلك أسندت إليه نفس المهام في جبال الريف، حيث تولى قيادة قبائل بني شيكر، وبني بويرور، وبوكافر، كما نتبين ذلك من الوثائق التي ترجع إلى سنة 1888، مع قيامه بدور الوسيط والمنسق بين المخزن وقبائل هذه المنطقة، فضلاً عن إشراكه، من حين لآخر في قيادة عدد من الحملات العسكرية في القبائل المجاورة، ككلمية، وكيدانة، وبني إزناسن، وأنجاد، والمهاية، وهوارة الأحلاف، والتسول...

ونفهم مما تضمنته رسالة بتاريخ 13 رمضان 1307 / 3 مايو 1890، وجهها هذا القائد إلى نائب الوزير محمد بن أحمد الصنهاجي أنه وقتئذ، كان قد عين على رأس مدينة تازة والقبائل التابعة لها، خلفاً للقائد محمد بن الفقيه البخاري، إنه قبل الالتحاق بمقر عمله الجديد، كان عليه أولاً إصلاح ذات البين، وفض النزاع المندلع بين أهل المدينة وغياثة، الأمر الذي نجح في تحقيقه فعلاً، حيث عادت المياه إلى مجاريها، ورفع الحصار عن المدينة، كما أخذت المياه تتدفق في سواقي وصهاريج المدينة بعد انقطاعها عنها عدة أيام.

بيد أن ولايته على هذه المدينة لم تعمّر طويلاً، إذ ما كادت تنقضي السبعة شهور الأولى على استقراره بها، حتى أمر بالتهوض منها "مجموعاً"، والتوجه لمدينة فاس، مقر عمله الجديد، في مصالح الخليفة السلطاني بها المولى إسماعيل، وهي طريقة مؤدبة كان يلجأ إليها المخزن، كلما دعت الضرورة إلى عزل وتهميش أحد الأعوان من منصبه. ولا ندري كم من وقت بقي في الخدمة مع المولى إسماعيل المذكور، قبل تعيينه عاملاً في ناحية وادي درعة الأوسط، والتي كان يزاول مهامه هذه بها في سنة 1309 / 1891 على الأقل.

يتبين مما سبق ذكره حول مترجمنا، حرص المخزن على

استخدامه في مناطق الأطراف، أو في الجهات التي اعتاد سكانها عدم الانقياد إلى أوامر ونواهي المخزن، لأن الرجل ولاشك كان شجاعاً مقداماً، شديد المراس، وما هو في قيادة الرجال في السلم، كما هو وقت الاقتتال، وهي خصال وصفات كان المخزن يأخذها بعين الاعتبار، فيمن كان يختاره من أعوانه للعمل في مثل هذه الجهات.

ويتراءى لنا كذلك من مجموعة من الوثائق نوع من التضارب والتباين في الشهادات والأحكام الصادرة في حق هذا الرجل. فإذا كان السلطان المولى الحسن في أكثر من رسالة موجهة إلى قائده بالريف، قد توجه إليه باللوم وعاتبه، وتوعده بأشد العقاب وأقساه، إذا ما نادى في إذابة جيرانه من القواد، واستمر في التدخل في شؤونهم ولم يقلع عن الإجحاف باتباعه وإبتزاز ممتلكاتهم، فإن عدداً من قواد الريف، كانوا لا يترددون في التنويه بسلوك هذا الرجل، ويتفانيه في الخدمة المخزنية. فقد قال أحدهم، وهو القائد حم بن بوشعيب التمساني، في إحدى رسائله إلى السلطان ما يلي: "... فإنه أجزل جهده في نصحننا...". وذهب القائد العربي الوليشكي، وهو من القواد المرموقين والمحوظين عند السلطان في منطقة الريف، إلى أبعد من هذا، حيث قال عنه: "... ولا يسمع سيدنا كلام في ابن الطاهر الرحماني لأنه نصوح، ويجد ويعمل بيفان ووفاء، وأنه سوف ما يُقال فيه، إنما نابع من عواطف خبيثة...".

ويبدو لنا من هذا كله، أن جرأة الرجل، وشخصيته القوية، وطموحه وميله إلى الاستبداد بالأمر، وتصدر الأحداث، كلها مؤهلات وصفات تدل على أننا لسنا أمام قائد مخزني عاد، ولكن أمام رجل متميز، وغريب الأطوار، الأمر الذي أهله، ولاشك لقيادة انتفاضة قبيلة الرحامنة سنة 1312 / 1894، بعد أن غادر مقر عمله، هارباً بنفسه ويديه من غضب ونقمة محكوميه من أهل وادي درعة، المنتفضين هم كذلك ضد المخزن.

ومعلوم كذلك أن السلطان الجديد الذي صادف اندلاع فورة الرحامنة حلوله بمدينة فاس، قادماً لها من مدينة مكناس، على رأس كتائب الكيش والعسكر، وبمعيته الهيئة الوزارية والمخزنية بكاملها، قد ظل هناك حوالي أحد عشر شهراً، حيث لم يتحرك من ثمة إلا أواخر شهر ربيع الأول 1313 / حوالي 20 سبتمبر 1895، متوجهاً إلى ناحية حوز مراكش.

وقد استغل القائد المتمرد غياب السلطان عن المنطقة لاستمالة القبائل المجاورة كالسراغنة، وزمران، ومسفيوة على الخصوص إلى دعوته، وإشراك عدد من أبنائها في شن هجمات ضد مدينة مراكش والقوى التي رفضت الالتحاق بصوفه.

وغني عن البيان أن الفرق كان شاسعا وهائلا بين الإمكانيات البشرية، والمادية، والعسكرية، والتنظيمية لدولة قائمة الذات بسلطانها، ومخزنها، وجيوشها، وبيوت

- 1.000 فرس بلوازمها

- 2.000 من رجالهم للخدمة في الجندية

وانضافت إلى هذه الشروط إجراءات زجرية أخرى اتخذها المخزن دون الإعلان عنها، ولكنها نفذت في نفس الوقت، وهي أولاً اعتقال ما بين 1.500 و2.000 من رجالهم والزج بهم في سجون مراكش، وثانياً مصادرة الأملاك العقارية التي كان يملكها قوادهم وأعيانهم بنفس المدينة.

بعد ذلك، شرعت الكتائب والسرايا المكونة من عناصر الكيش والعسكر وحراك القبائل، تحت قيادة شخصيات من قرابة السلطان في الانتشار والإحاطة بأرضهم للحيلولة دون فوارهم وتشتتهم في القبائل المجاورة، وفي نفس الوقت، كلفت تجريدات أخرى من الجيش، بمساعدة قواد القبائل، بالبحث عن متزعم التمرد وأنصاره والإتيان بهم إلى المخيم السلطاني. وهكذا جيء بمحمد بن الطاهر بن سليمان الرحماني، صنو متزعم التمرد والمتورط إلى جانبه في المغامرة، وبعلي ولد الغوات الذي كان قد التجأ في مدينة دمنات، وأخيراً ببارك بن الطاهر الرحماني الذي أُخرج بالقوة من حرم الولي سيدي علي بن إبراهيم بتأدلة، ووُضع في قفص صنعت قضبانه من جعاب البنادق، ثم طُوف في أرجاء مخيم المحلة ليراه الجميع، حيث أوجع ضرباً وخذشاً، مع إسماعه كل أنواع السب، والقذف، والشتيم، ليزج به بعد ذلك في غياهب سجن مصباح بمدينة مراكش، حيث لفظ أنفاسه الأخيرة ثمة في 30 قعدة عام 1314 / 2 مايو 1897.

وثائق خ. ح. مع. ح رقم 183، 200، 242، 261، 296 : مخ. م. ع. ع. رقم : كنانيش رقم 152، 162، 224، 347، 422، 639، 694، 776 : وثائق وزارة الحرب بغانس : ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف، الرباط، 1929، 1933، ج. 1، ص 372-396 : العز والصولة... الرباط، ج. 1، ص. 252 وما بعدها؛ ع. الرزاق الصديقي، الرحامنة وعلاقتهم بالمخزن، الرباط، 1997، ص. 253 وما بعدها.

A.G.V., 3h8, Rapport du mois d'octobre 1894, p. 3 et suiv. ; 3h9, Rapport n° 5, n° 56 du 5 février 1896, p. 3 et suiv., n° 66 du mois de mars 1896, p. 5 et suiv., n° 91 du 1er nov. 1896, p. 4 et suiv. ; L. Arnaud, Au temps des Mehallas... Casa, 1952, pp. 91 - 121 ; P. Pascon, Le Haouz de Marrakech, Tanger, 1977, t. 1, pp. 186 - 215.

مصطفى الشابي

**الرحماني، محمد الزوين** بن القائد عبد الله الرحماني صهر السلطان محمد بن عبد الله على أخته البتول الرحمانية وأحد القواد والسفراء المغاربة البارزين في فترة ممتدة من أواخر عهد السلطان المذكور إلى عهد ابنه المولى سليمان. وهكذا ارتبط اسمه بأحداث سياسية داخلية

أموالها، وبين ما كان بيد جماعات من البائسين، والساخطين المستائين، حيث لا مال ولا سلاح ولا ذخيرة ولا تموين، ولا لباس، سوى إقدامهم، وشجاعتهم، وجراتهم، وسط محيط قبلي مناوئ، لم يكن رجاله قط مستعدين للانضمام إلى صفوفهم وعصيانهم، مضحين بذلك بأنفسهم، وذويهم، وممتلكاتهم، في سبيل نصرة دعوة ومشروع محكوم عليهما بالإخفاق والفشل مسبقاً. ومن ثمة اضطرابهم إلى القيام بأعمال اللصوصية والسطور، وإرهاب السكان العزل في قراهم ومدائشهم، للحصول على الزروع والضروع، والحلي والمال وتنظيم هجمات، من حين لآخر، ضد مدينة مراكش نفسها عليهم يظفرون بها.

ومهما يكن من أمر، فقد أسفرت أهم المواجهات التي دارت بين مقاتلي المخزن ومرتدي الرحامنة، في الفترة الممتدة ما بين 14 أكتوبر 1894 و6 مارس 1896، إما في الضاحية القريبة من مدينة مراكش، وفي بعض الأحيان تحت أسوارها، وإما بعيداً عنها، عن ضحايا في الأرواح، وخسائر في الدواب، وخراب في البيوت والأكوخ، ونهب في الزروع والضروع، على أن عدد القتلى والجرحى في صفوف الرحامنة وأنصارهم من قبيلة حمير، وبالأخص جماعات الخوالقة، والشهوانة، والفطانسة، واجنادغة، ونصف جماعة المصايح، وسفوية، وغجدامة، وتُكَّانة، وفطواكة، وبعض الجماعات من دكالة كالغوانم من أولاد عمران مثلاً، هم الذين تكبدوا أمدح الخسائر البشرية والمادية، إذ كان أبناؤها يسقطون قتلى وجرحى بالعشرات في ميادين القتال، أمام عناصر الكتائب والتجريدات المخزنية التي كانت خيولها وأسلحة رجالها النارية العصرية، تخلف الدمار والخراب في الأنعام، والدواب، والمغروسات على السواء ناهيك عن عشرات الأسرى والمحتجزين الذين كان يتم اقتناصهم، دون أدنى تمييز أو اعتبار لأعمارهم، أو لحالتهم الصحية، حيث كان منهم، في بعض الأحيان، الشيوخ العجزة والأطفال الصغار دون البلوغ ويساق الجميع، كما تساق الأبقار إلى زرائعها، بعد أن يربط بعضهم بعضاً بالحبال، والقيود، و"العنايق".

وفي الوقت الذي اقتربت فيه المحلة السلطانية من مجال قبيلة الرحامنة وأواخر سنة 1895، كان كل شيء قد انتهى عملياً بالنسبة لبارك بن الطاهر الرحماني ورفاقه في المغامرة. فقبل هذا التاريخ وبشهور عديدة، تمكنت الكتائب والتجريدات العسكرية المخزنية من إعيانهم، واستنزاف قواتهم، ودك أرضهم دكا، ونهب وحرق مزروعاتهم ومغروساتهم، فتدهورت أحوالهم، وتلاشت قواتهم، وأخذت الجموع تنفض من حول قائدها. ثم أبلغ قواد الرحامنة وأعيانهم شروط المخزن لقبول توبتهم وإنابتهم، والعفو عنهم، والصفح عما صدر من بعض إخوانهم، ملزماً إياهم بدفع وأداء ما يلي :

- ذعيرة مالية قدرها 400.000 ريال

قبة الحوز وقلبه ووالله لو كنتم على الحق وظلمكم أحد لأقاتلن من ظلمكم بيدي فما عندي أعز منكم".

وإذا كانت جل المراجع تحدثت عن مهام محمد الزوين المخزنية والسياسية فانها لم تشر إلى تاريخ وفاته.

أبو القاسم الزباني، الترجمة الكبرى، ص. 132 - 167 : نشر عبد الكريم الفيلاي، الرباط : م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، 193 . 195 . 213 . 215 . 261 . 285 . 324 . تج. أحمد العاصري : ع. الرحمن ابن زيدان، الإنحاف، 3 : 183 - 306 - 307 . 347 : ع. العزيز بن عبد الله، السفارة والسفراء بالمغرب، ص. 33 و 47 : ع. الرزاق الصديقي، الرحامنة وعلاقتهم بالمخزن، ص. 47. محمدا ماگامان

### الرحماني، محمد بن عمران كان وزيراً

وخليفة عند السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي، حضر معه فتح البريجة 1182 / 1768 وكان خليفته على مراكش ونواحيها. ودرهه إلى الآن يعرف يدرب ابن عمران في رياض الزيتون القديم (بمراكش). توفي عام 1200 / 1786.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1977، 6 : 77-78 : ع. السلا، ابن سودة، إنحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 7 : 2433.

محمد ناجي بن عمر

### الرحمانية، سحابة، إحدى زوجات السلطان

السعدي محمد المهدي الشيخ، أنجبت منه عدة أمراء كان لبعض منهم شأن عظيم في تاريخ المغرب السياسي وهم : عثمان وعبد المؤمن وعمر وعبد الملك. وتنسب بعض الكتابات الأجنبية إلى نفس الأم الأمير أحمد (معركة، 301 : 382-83، S.I.H.M., F. T. I, pp. مع أن نسبته إلى السيدة الحرة مسعودة بنت الشيخ أبي العباس أحمد الزوكيتي حقيقة يؤكدها بصفة إجمالية جل مؤرخي دولة الأشراف السعديين كابن القاضي (المنتقى، 1، 256) وأحمد المقرئ (روضة، 64) والاقرائي (نزهة، 146). وقد ارتبط ذكر السيدة سحابة الرحمانية في الاستغرافيا السعدية بوجه خاص بقضية الأمير عبد الملك وأخيه أحمد حينما لجأ إلى إيالة الترك بالجزائر لطلب مساعدة الباب العالي بهدف استرجاع حقهما المقتصب في السلطة سيما بعد أن أسند أخوهما عبد الله الغالب بالله ولاية العهد لابنه محمد المتوكل خارقاً بذلك قاعدة وراثه الحكم التي استنتها، أول مرة، مؤسس الإمارة السعدية محمد القائم بأمر الله لتقنين نظام تداول السلطة، وهي قاعدة تخول شرعية تقلد الملك للأمير الأكبر سناً داخل الأسرة الحاكمة (S.I.H.M., F. T. I, p. 346) ويفيد الكاتب الإنجليزي بوفيل في هذا السياق، أن السيدة سحابة الرحمانية قد

وخارجية حيث قام بالمهام السفارية، وعاش الصراعات الدموية بين الإخوة الأمراء الأعداء فشق طريقه السياسي في خضم الدساسس وعصيان القبائل وحركات المحلات المخزنية، منفلاً ولاءه بين الأمراء حسب قواهم وضعفهم، فمن الأمير اليزيد إلى هشام والحسين وأخيراً المولى سليمان حيث ورد عليه وهو بالرباط في جم غفير من الرحامنة أواخر ذي القعدة 1209. وفي هذه الفترة سطع نجم محمد الزوين وذاع صيته في الوسط المخزني وازداد جاهاً وثروة. ولعل أول مهمة سفارية قام بها كانت في شعبان سنة 1203 حيث انتدبه السلطان محمد بن عبد الله سفيراً له لدى الخليفة العثماني عبد الحميد. وتكتسي بعثته هذه أهمية بالغة في تاريخ العلاقات المغربية العثمانية وتعبير عن سخاء المغرب وحرصه على التضامن الإسلامي. وقد أوضح السلطان هذا الإحساس الديني والدعم المادي لنصرة المسلمين والمودة مع الخلافة الإسلامية في رسالته التي حملها معه محمد الزوين ونققت على مضمونها التالي : 30 وصيفاً وفرسين من عتاق الخيل يسرجيهما المزرکشين بالذهب والمرصعين بالجواهر و536 أسير من الله عليه بافتدائهم من النصارى وأربع سفن جهادية. وهذه المراكب قادها رؤساء البحر المغاربة من سلا إلى القسطنطينية.

وفي أثناء مقامه باستنبول اهتم بشراء الجوارى العليجات لإهدائهن إلى السلطان عند عودته. وقد ساق المؤرخ محمد الضعيف حالة وقعت للزوين في سوق النخاسة وهذا نصها : "وحيث كان يشتري العليجات أتته امرأة لها علجة حسنة ومغنية أرادت بيعها وهي تحفظ خمسة عشر طبعاً من طبوع الآلة التركية وتضرب الكمنجة، فقال لها اتركها عندي لأقلبها فتركتها، فأمرها بضرب الكمنجة وأمرها بأن تغني فلما سمع ذلك منها أعجبته وفي الغد أتته مولاتها المرأة التركية فقال لها كم قيمتها فقالت أربعمائة مثقال فاستقلها وردها. فقال له صاحبه محمد التليتي التطواني اشترها فإن هذه الجارية لا تكاد توجد في جوارى الملوك فأبى لعدم رفته ولكونه بدوياً".

ولما رجع من سفارته ونزل بالرباط في 18 شوال عام 1204 / 1789 وجد الوضع السياسي بالمغرب قد تغير بعد وفاة السلطان محمد بن عبد الله فانضم إلى الأمير اليزيد وتابع الأحداث السياسية بتقلباتها ومناوراتها. وهكذا نراه يشد أزر السلطان المولى سليمان في حركاته لتأديب بني مطهر حيث قدم عليه من مراكش بحملة الحوز والرحامنة بالرباط في 13 حجة 1216 ... والتقت المحلة المخزنية بفاس فتعززت مكانة محمد الزوين لدى السلطان وأصبحت الرحامنة من القبائل المفضلة حسب ما نسب إلى المولى سليمان في خطاب له بتاريخ 8 شوال 1235 / 1819.

"لما ولاني الله نوهت بكم وعملتكم بسوس ودرعة ووليتكم مراكش وخيرتكم على جميع القبائل وجعلت الزوين على جميع أهل الحوز وجعلته وزيراً ومشيراً وأنتم

لعبت دوراً حاسماً في تربية ورعاية الأميرين عبد الملك ابنها وأخيه أحمد طوال المدة التي استغرقها وجودهما في المنفى في كنف الحماية التركية بإيالة الجزائر. ويحكم ما تمتعت به السيدة سحابة من فطنة وبعد نظر وقوة عزيمة، فإن حرصها، كامرأة مسلمة، كان شديداً على توجيه الأميرين التوجيه السديد وتعليمهما ما هو أفيد في التقاليد التركية حتى لا يكون اندماجهما في منظومة المجتمع العثماني اندماجاً يبعدهما كلية عن خصوصيات وثوابت المحيط الحضاري المغربي (معركة، 301). وتتجسد بكيفية ملموسة قوة شخصية السيدة سحابة وثقلها في السياق الدبلوماسي للدولة السعدية، في الدور المميز الذي اضطلعت به حينما انتقلت صحة ابنها عبد الملك وأخيه أحمد من الجزائر إلى ديار القسطنطينية، عاصمة السلطنة العثمانية، بعد وفاة الملك عبد الله الغالب لإقناع السلطان العثماني مراد الثالث بهدف تقديم المساعدة العسكرية اللازمة للأمير عبد الملك قصد انتزاع الملك في المغرب من يد ابن أخيه المتوكل (نزهة، 123). ولئن كانت أغلب الأدبيات التاريخية لا تسمح، بأي حال، بالإحاطة ولو جزئياً، بتفاصيل ذلك الدور ورصد ملامحه بدقة، فإنها مع ذلك، تجمع بنوع من الإشادة بحذاقتها وذكاؤها وحسن تدبيرها (تاريخ الدولة، 46)، وهي صفات ساهمت مجتعة مساهمة فعالة، فيما يبدو، في تعزيز دورها الإقناعي وتيسير سبل عملها التفاوضي مع الباب العالي. على أن نجاح السيدة سحابة في مهمتها هاته، لم يكن البتة، مفصولاً عن سياق الأدوار الأمرى الموازية التي قام بها ابنها عبد الملك. فقد صادف سعي هذا الأمير إلى الحصول على مساعدة السلطنة العثمانية، توجه الجيوش التركية من استانبول لإجلاء القوات الإسبانية عن تونس، فكان أن رافق عبد الملك هذه الجيوش في إطاز هذه الحملة العسكرية المشهورة في تاريخ الحوض الغربي من البحر المتوسط، وإن كانت المظان التاريخية قد اختلفت في تحديد الوجهة التي انطلق منها عبد الملك للمشاركة في هذه الحملة، حيث جعلها التمكنوتي من العاصمة التركية بينما جعلها المؤرخ المجهول من الجزائر.

ومهما يكن من أمر، فقد أسفرت هذه الحملة العسكرية الكاسحة عن سحق قوات الأسطول الإسباني بحلق الوادي (1574 / 981) والسيطرة على تونس التي استتبعته بصفة نهائية بمجال السيادة العثمانية (La méditerranée, pp. 425 (26) -. وعلى إثر هذا النصر المحقق، بادر عبد الملك إلى إرسال "البشارة" رفقة ثلة من رفقائه على متن "برقاظة" (مركب) إلى أمه سحابة بجمية مركبين آخرين أرسلهما من تونس رئيس العمارة العثمانية لوف بشري الفتح لدى السلطان العثماني. وقد شاعت الصدفة، أن يسبق مركب أصحاب عبد الملك إلى استانبول المركبين الآخرين نتيجة لسوء أحوال البحر، وهنا، طبعاً، قامت السيدة سحابة بدور على جانب كبير من الأهمية لكسب الرهان المطلوب لصالح

أ. ابن القاضي، المتفق القصور، 1، 256 : أ. المقري، روضة الآس، 64 : م. الأفراني، نزهة الحادي، 146 : ع. التمكنوتي، النفحة المسكية، مخطوط خ.ع. : م. مجهول، تاريخ الدولة السعدية، 47، 42 : أ. الناصري، الاستقصا، 5، 61، 63 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 7، 261 : أ. و. بوفيل، معركة القصر الكبير، 286، 301 : إ. حركات، السياسة والمجتمع، 66 : ع. العروي، سجل تاريخ المغرب، 3، 49 : س. أنصير، الأتراك العثمانيون، 235 - 240 : ع. الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي، 8، 43 - 44.

F. Braudel, *La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II*, Neuvième édit., Paris, 1990, pp. 422 - 27 ; A. Cour, *L'établissement des dynasties des Chérifs au Maroc*, Paris, 1904, p. 142 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1950, T. II, pp. 184- 86 ; S.I.H.M., *France*, T. 1, pp. 346, 350, 382, 452, 456 ; S.I.H.M., *Angleterre*, T.I, p. 153.

الفقيه الإدريسي

**الرحمانية، طريقة صوفية تنسب إلى الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الرحمن الدرعي أصلاً، التمكنوتي التادلي دارا وزاوية وإقبارا. ينتسب هذا الشيخ في الطريق إلى الولي الشهير عبد الله بن حسون، دفين سلا (ت. 1013. 1604). ويعد ولي سلا من معاصري أبي المحاسن يوسف الفاسي وبوعبيد الشرقي، وأحد ورثة وخلفاء هذا الأخير في الطائفة الموصوفة بأهل الجمال في عالم التصوف**

يلومن إلا نفسه... إخواني : أكثرنا من ذكر الله، وأفضله لا إله إلا الله... طريقتنا هذه مخبورة، فطابعنا يطبع كل طابع ولا يطبع عليها" (دوحة البستان، 36 ب).

وجاء في رسالة بعث بها إلى أصحابه بتطوان "... وأما ما ذكرتم لنا من طريقة الحضرة، فإنها طريقة أشياخنا وأسلافنا لكن بشروطها، وهو مكان وزمان وأصول، وعدم حضور النساء والصبيان، فإن كانت هذه الشروط، فقد أذنا لكم فيها ولا يقوم أحد إلا إذا قام مغلوباً. وأما القيام بالاختيار فلا، وكذلك لا يصفق إلا إذا كان مغلوباً، كما نص على ذلك أرباب الطريقة" (رسالة، 20 أ).

وهذا يعني أن الحضرة بالأذكار والأسماء، شكلت محور النشاط الصوفي في الطريقة الرحمانية، أو قل إن طريقة شيخها مبنية على الذكر والحضرة، حسب تعبير محمد المنالي (سلوك الطريق، 223)، على غرار الطريقة المعنية - الفاسية، والطريقة الشرقاوية، والطريقة العيساوية، وغيرها من طرق الحضرة في التيار الصوفي الجمالي المغربي. ومن ثم، لعله ليس من المصادفات أن يتبادل آل معن والرحمانيون في فاس الثناء والتقدير (دوحة البستان، 15 أ - ب). ولعله ليس من المصادفات أيضاً، وهذا هو المهم، أن تتعرض الحضرة في زاوية الرحمانيين بفاس، للطعون والانتقادات من تلامذة الشيخ عبد القادر الفاسي (رسالة، 18 أ - ب)، على غرار ما فعلوه مع الشيخ المجذوب قاسم الحصاصي وأصحابه من أتباع الطائفة المعنية، وعيساوية وحماشية، كما هو مشهور. لكن هل شابه الرحمانيون أهل الطوائف المذكورة في أحوالهم أيضاً ؟

نجيب بالإيجاب، ولا نؤسس رأينا على اعتماد الحضرة من لدن هؤلاء وأولئك، فحسب، بل لأننا نملك شواهد أخرى تعززها. ففي حديثه عن شيخ هذه الطريقة، وصفه أحمد الولالي، بقوله : "... ذو الأخلاق المسكية، والطباع الدينية، والأحوال العرفانية... ظهرت له كرامات وأحوال وإمدادات... لا تلقى واحداً من أصحابه إلا ظهر لك أثر المدد اليقيني والعلمي عليه ... " (مباحث الأنوار، 187 - 192). وتُقل عن الشيخ علي بن عبد الرحمن التادلي قوله : "... يعتريني حال يكاد قلبي أن يتصدع منه، ففهمت منه أن الحال هو المحبة" (الدرر المرصعة، 298).

وتفيد هذه الشهادات في التأكيد، بلاشك، على أن محبة وأحوال الرحانيين كانت عنيفة، وأنه لعنفها صار مباحا الوقوف، في حلقة الحضرة الرحمانية، والتصفيق والرقص (سلوك الطريق، 223)، على غرار ما يحصل في حضرة أهل الجمال جميعاً. والأهم من ذلك أن الشيخ علي ابن عبد الرحمن التادلي كان من الشطاحين باللسان كذلك. فقد كتب محمد بن الطيب القادري يقول إنه قرأ "له كلاماً كبيراً" (التقاط الدرر، 219)، لعله من باب الشطح. ونعتقد بالتالي، أن شطحاته سببت له مشاكل جمة، ولا سيما مع الصوفية الذين يصنفون ضمن خانة أهل الجلال.

المغربي في بداية القرن الحادي عشر (17 م)، تمييزاً لهم عن أهل الظاهر أو أهل الجلال. ويرتبط علي بن عبد الرحمن بالشيخ ابن حسون بواسطة تلميذ هذا الأخير، الشيخ محمد بن محمد بن الحسن الدادسي (ت. 1062 / 1652)، نزيل وأوزغت، ودفينها. وعن الدادسي الواوزغتي أخذ علي بن عبد الرحمن التادلي مبادئ الطريق الصوفي، و"... وورث... السيادة الدينية والأستاذية العرفانية، وظهرت له أحوال وإمدادات" (مباحث، 192، دوحة البستان، 9 ب)، وبفضله أيضاً صار شيخاً لزاوية شهيرة بمدشر نمجت بدير أطلس تادلا (بشارة الزائر، 52). وقد اشتهر الدادسي، في حياته الروحية، بأنه من أهل المحبة والعشق والحضرة والأحوال، وغيرها من الأمور القلبية في التصوف (مباحث الأنوار، 191 : دوحة البستان، 20 ب، 22 أ، 36 ب - 37 أ)، على غرار شيخه ابن حسون.

ومن ثم، كان طبيعياً أن يتأثر المرید علي بن عبد الرحمن بشيخه الدادسي، وبشيخ شيخه ابن حسون. لكن الظاهر أن التادلي تجاوز شيخه، عندما جعل من سلوكهما الخاص طريقة اعتمدها في تربية مریدیة. بل لعل هذا ما جعل اسمه يطفئ على اسم شيخه، فأخذنا نسمع بالطريقة الرحمانية بدل الدادسية أو الحسونية. فيماذا تميزت هذه الطريقة ؟

في هذا الصدد يذكر أن علي بن عبد الرحمن التادلي اعتد أسلوب الهمة في تربية بعض المریدین (دوحة البستان، 130 ب)، على غرار سائر أهل السلوك بالمحبة. في حين رتب لغير هؤلاء أورادا، وأمرهم بقراءتها في وقتين : أولهما بعد المغرب، وكان يذكر فيه مع أصحابه حزب الفلاح للشيخ الجزولي، وسيد الاستغفار، وذكر الشيخ عبد القادر الجليلاني، وصلاة حضرة الأسرار، والصلاة المشيشية، ثم الفاتحة مرتين. وثانيهما في الصبح، وكانوا يذكرون فيه : حزب الفلاح أيضاً، والسبعات العشر، ثم الحزب الكبير للجزولي (الإعلام، 9 : 211) فضلاً عن اسم الجلالة، وغيره من الأسماء الحسنى، وباسم الله الرحمن الرحيم، والتصلية، وغيرها من الأذكار المجردة (دوحة البستان، 148).

والملاحظ من خلال هذه الأوراد أن علي بن عبد الرحمن التادلي أضاف إلى الأحزاب التي كان يلقنها شيخه الدادسي لمریدیة أذكراً مجردة (دوحة البستان، 50 أ - 54 ب). والظاهر من خلال هذا الجمع، أنه يلتقي مع اختيارات أمثاله من شيوخ التصوف المعاصرين له، ممن يصنفون ضمن خانة أهل الجمال / أو الباطن، بل لقد شابههم في إبلاء الحضرة أهمية كبرى في التربية الصوفية. وفي هذا الصدد يؤثر عنه قوله لأصحابه : "... إخواني : اجتهدوا في ملازمة الأوقات... إخواني : حسنوا الظن بالله وبعياد الله... إخواني : السنة نجمة والبدعة تفرقنا والحضرة سيرتنا، من قام بموجب سلمنا له، ومن قام اختياراً فلا



فقد روى بعضهم أن علي بن عبد الرحمن التادلي : "كان له في مقام الولاية دعوى عريضة، وكان أهل البصائر، من أهل وقته، لا يسمون له ذلك، ولا يقبلونه..." (كراسة، 285)، ومنهم "بعض إخوانه في الشيخ..."، بحكم، "...أنه خالف شيخه في أشياء كان أوصاه بها، وتكلم معه في ذلك مواجهة فلم يرجع عنها، فتركه ونبذ معرفته..." (كراسة، 285).

توفي بتادلا سنة 1091 / 1680.

أ. ابن يعقوب الولاوي، مباحث الأنوار، تج. ع. العزيز بوغصاب، 1989، مرقونة، خزنة كلية الآداب بالرباط : داود بن علي السملالي السوسي، بشارة الزايرين الباحثين في الصالحين، مخطوط : ع. بن إبراهيم، الإعلام، الرباط، ج. 9 : ع. بن عبد الرحمن الدرعي، رسالة بعث بها إلى عبد القادر الفاسي، مخطوط خ. ع. الرباط، رقم 1418 ك. ضمن مجموع، ص. 18 : رسالة أخرى بعث بها إلى تطوان، مخطوط خ. ع. الرباط، رقم 1418، ضمن مجموع : ع. المجيد الزبادي، دوحة اليستان ونزهة الإخوان في مناقب الشيخ علي بن عبد الرحمن، مخطوط خ. ح. الرباط، رقم 2339 : سلوك الطريق الوارية في التلمذ والشيخ والزواية، مخطوط خ. ح. الرباط، رقم 247 ع : م. العربي القادري، كراسة، مخطوط خ. ع. الرباط، رقم 370 د : م. المكي ابن ناصر الدرعي، الدرر المرصعة، تج. م. الحبيب نوحى، رسالة جامعية مرقونة، 1988، خزنة كلية الآداب بالرباط.

أحمد الوارث

### الرحمة والأمان (زاوية - بسوس، تقع بقرية

أمان مسلوئين (الماء الأبيض) بأيت تاكن من قبيلة إيزناكن (صنهاجة) على مقربة من تازناخت على الطريق الرئيسية الرابطة بين تارودانت وورزازات.

أسس هذه الزاوية أحد أقطاب الطريقة الناصرية وهو حسين بن محمد بن علي بن شرحيل البوسعيدى الدرعي (انظر ترجمته في المعلمة)، ويرتبط تأسيسها بالمنافسة على خلافة شيخ زاوية تامگروت أحمد بن محمد ابن ناصر الدرعي والصراع الذي نشب بين العلامة الشرحبيلي والشيخ موسى بن محمد الكبير ابن أخ الشيخ أحمد الخليفة.

ولعل الصلة الوثيقة التي كانت بين الشيخ أحمد بن ناصر والشرحبيلي هي التي حفزته إلى التطلع للمشيخة وتلقي الأوراد بعد وفاة شيخه. غير أن ذلك لم يتم مباشرة بعد وفاة الشيخ أحمد ابن ناصر، فقد شهد الشرحبيلي مع غيره من العلماء المقيمين بتامگروت بأن الشيخ أوصى براسة الزاوية لابني أخيه موسى ثم عبد الله وسجل تلك الشهادة وعطف عليها القاضي أبو محمد عبد الكبير بن أحمد الدرعي وذلك في 25 ربيع الثاني 1229، كما يذكر صاحب الدرر المرصعة أن أحمد الهوزالي وهو أحد أصحاب

الشيخ أحمد ابن ناصر سأل الشرحبيلي بعيد وفاة الشيخ إن كان أوصاه بشي، بخصوص الخلافة فأجابه بالنفي، مما يدل على تأخر فكرة رئاسة الزاوية لديه.

استمر استقرار الشرحبيلي بتامگروت، وتصدر للتدريس، فظهر شرفه العلمي وأقبل عليه الطلبة والمريدون يتلقون عنه العلوم والأوراد ببيته، وتجاوز ذلك إلى اتخاذ مراسيم لا يتخذها عادة سوى شيخ الزاوية مثل سرد صحيح البخاري في رمضان وختمه في الليلة السابعة والعشرين منه (المعسول، 18 : 242) فزاد نفوذه وزاحم المتصدر لمشيخة الزاوية، ولم يلبث أن ادعى أنه وصي الشيخ، مما أثار غضب موسى بن محمد الناصري وطائفة من أصحاب الشيخ أحمد بن ناصر الذين تصدوا لإنكار مزاعم الشرحبيلي مثل محمد بن موسى الإسحافي الذي ألف رسالة بعنوان زجر المدعي القاصر عن معارضة الشيخ أبي عمران بن ناصر وفيها يقول مشيرا إلى ما قام به الشرحبيلي : "...ولئن شرح الله صدره وظهر له من أمره ما يسره وازداد الظهور وانتفاع الناس به، فعليه بالاستقلال والانفراد عن آل الشيخ وبني زاوية بأي بلد أراد..."

اشتد النزاع والخصام حول سرد صحيح البخاري خاصة، وقد استعان شيخ الزاوية بخليفة السلطان المولى إسماعيل بدرعة لمنع الشرحبيلي من ذلك، ولما لم ينفع التهديد ووجه الشرحبيلي بشهادته السابقة وأرغم على توقيع وثيقة تبيح دمه إن لم ينجس من الزاوية والورد الناصري (المعسول، 18 : 242).

هكذا تأزرت السلطانان الزمنية والدينية بدرعة لإخراج الشرحبيلي من تامگروت فانتقل إلى إعلان سنة 1132 حيث استقر سنتين ثم إلى فاس التي اتصل بعلمائها خاصة الشيخ التاودي (المعسول، 13 : 104)، وهناك قرر الانتقال إلى سوس فألقى عصا التسيار بقبيلة إيزناكن (صنهاجة) وبني زاويته بقرية أمان ملولنين، وقد اختار الشرحبيلي موقع زاويته بدقة حيث بناها على طريق الطلبة والمريدين السوسيين المتجهين إلى تامگروت، فكانه أراد قطع إشعاع زاوية تامگروت على سوس، وإحلال زاويته مكانها.

ناقست زاوية الرحمة والأمان تامگروت في وظائفها باجتهاد الشيخ الشرحبيلي وأصحابه وكبار تلامذته في التدريس ونشر العلوم، وفي نشر الطريقة الناصرية وإرشاد عامة الناس وتلقي الأوراد والتدخل لفض النزاعات بين الأفراد والقبائل، وضبط الأنشطة الاقتصادية بعقد الأسواق وضمان أمنها وأمن المتسوقين، فاستطاعت الزاوية أن تندمج بسرعة في محيطها القبلي وأن تستقطب كثيرا من الزوايا الناصرية الفرعية في سوس، فصارت تابعة لها، وإنثال المريدون على زيارتها واستعاضوا بها عن الزاوية الأم بتامگروت، وصاروا يصرفون لها هداياهم وصدقاتهم

وأحباسهم، وحُرمت زاوية تامكروت من مداخلها السوسية، مما أدى إلى بروز الصراع بين الزاويتين وانقسام المريدين ومقدمي الزوايا بينهما (مقدمة تحقيق كتاب الدرر المرصعة، ص. 64) غير أن غالب هذه الزوايا الفرعية انضوت تحت نفوذ زاوية صنهاجة، قال محمد المختار السوسي عن الشرحبيلي وزاويته: "أقبل عليه السوسيون إقبالا عظيما حتى كانت يده لا يعلى عليها في الطريقة" (المعسول، 18 : 245). فصار الشرحبيلي عند السوسيين، كما وصفه الحضيكي: "شيخ الطريقة الشاذلية ووارث الطريقة الصديقية العظمى وأسرار الطريقة الغازية. وكان رضي الله عنه من العلماء العاملين والأئمة الزاهدين المتقين وأولياء الله الصالحين المهتدين. فقصده الناس من كل وجه للتبرك وأخذ العلم والزياره". (طبقات الحضيكي، ص. 167). وحاول الناصريون إقناع الشرحبيلي بالتنازل لهم فأبى.

قام الشرحبيلي برحلة واسعة في سوس. خرج من زاوية الرحمة والأمان يوم الخميس 18 رمضان 1141 / 17 أبريل 1729 قاصدا زيارة قبر الشيخ أحمد بن موسى السملالي في جمع من طلبته وأصحابه فصار: "يدرس فيهم ويرشد العامة ويصالح بين المتحاربين ويسعى في المصالح العامة، فأقام أسواقا، وفصل قضايا كثر الحروب حوالها" (المعسول، 18 : 245). وطاف في رحلته مناطق سوس المختلفة من مدينة تارودانت إلى جبال جزولة مروراً بأيت باعمران وتاغجيجت وأكلميم، وأسس خلال ذلك عدة زوايا تثبيتاً لنفوذ بالمنطقة، منها زاوية المناهية وزاوية هواره وزاوية تارودانت كما أنشأ عدة أسواق منها خميس أيت بويكر بأيت باعمران وجمعة تيمولاي بإفران وخميس تاغجيجت.

خلقت هذه الجولة الكبرى صيتا عظيما ونفوذاً كبيراً لزاوية الرحمة والأمان، وبرز وصف الحضيكي لأعمال الشيخ الشرحبيلي إبان جولته الكبرى رأي السوسيين فيه وإقبالهم العظيم عليه وأنهارهم بشخصه واهتمامهم بمكانته واعتقادهم الكبير فيه، حيث قال: "بنى مدارس وزوايا ورياطات، وأطعم الطعام، واشتهر بعناية الله وفضله، فقصده الناس من كل وجه للتبرك وأخذ العلم والزياره. ولقيناه مرة تبركنا به، فأبنا بحمد الله لذلك بركة وقد انتفع به الناس، وعمت بركته العباد والبلاد، وأحيا الله به سنن الدين، وأمات البدع المضلة، وردع الظلمة والجبايرة وأنصف منهم، ويؤثر عنه بعض خواص أصحابه الفضلاء العلماء الشقات، كرامات ومكاشفات باهرة، وأسرارا عظيمة عجيبة، تدل على العناية الإلهية والخصوصية الربانية...". (طبقات الحضيكي، ص. 168).

ولم تكن شهرة شيخ زاوية الرحمة والأمان لتنتشر بهذه السرعة لولا أن مهد له تلامذته الطريق، فرفعوا قدره باعتباره صاحب شيخ الطريقة الناصرية زاوية أحمد بن ناصر

الدرعي وأقرب المقرين إليه، وباعتباره أحد كبار مشايخ الطريقة (المعسول، 6 : 298) بل تجاوزوا ذلك واعتبروه خليفة شيخ الناصرية، كأحمد بن إبراهيم الركني في بعض قصائده المديحية (المعسول، 16 : 6) وإبراهيم بن محمد التاكوشتي الظرفي الذي قال في قصيدة مرحبا بشيخه الشرحبيلي لما زار سوس، مشيراً إلى مكانة زاوية الرحمة والأمان:

وهذا الخليفة الحسين له يد على ولا تنسى لدي أو أقبرا

يهذبني في كل وقت بعلمه بزواية منها المعين تفجرا

استمرت جولة الشرحبيلي عشرة أشهر لم يلبث بعد نهايتها ووصوله إلى زاويته في الأربعاء الأولى من جمادى الثانية 1142 / 29 دجنبر 1729 بثمانية أيام أن توفي تاركا لزاوية الرحمة والأمان نفوذاً واسعاً وسط طلبه ومريدين كثيرين، ولا تسعف المصادر التاريخية في تحديد حال الزاوية بعد وفاة مؤسسها إذ إنه لم يترك أولاداً ذكورا يحلّون محله، غير أنه يبدو أن الزاوية كانت مزدهرة في هذه المرحلة، ولا شك أن تلاميذ الشرحبيلي حافظوا على مكانتها، فصارت تجتذب إليها الطلبة والعلماء والمريدين، وبما يدل على ذلك ما أشار إليه عبد الرحمان الجشتيمي من أن والده عبد الله بن محمد الجشتيمي (ت. 1198 هـ) عزم على الاستقرار والسكنى بزواية الرحمة والأمان وهجر بلده الذي لا يصلح برأيه للسكنى (الحضيكيون، ص. 73). ثم تولى أمر الزاوية أسبابه الثلاثة من إحدى بناته وهم محمد - فتحا - ومحمد وأحمد وهم علماء كبار جالوا لأخذ العلوم في سوس عن تلاميذ جدهم وتلاميذهم كالحضيكي ورحل بعضهم إلى فاس وإلى المشرق حيث تتلمذ للزيدي شارح القاموس المحيط، كما أن أحدهم كان ماهراً في علم التصريف منكباً على تدريسه، وقد استقروا بزواية الرحمة والأمان وعكفوا على التدريس وعلى تلقين الورد الناصري لمن كان يفد عليها زائراً ضريح جدهم الشرحبيلي حتى وفاتهم (الحضيكيون، ص. 53؛ المعسول، 9 : 281) بعد سنة 1214 (المعسول، 16 : 247) وحافظ أبنائهم من بعدهم على إشعاع الزاوية في العلوم والتصوف وإن بدا أن ذلك الإشعاع أخذ يخفت شيئاً فشيئاً.

ففي القرن الثالث عشر (19 م) كانت الزاوية مقصودة يؤمها المريدون لأخذ الورد الناصري والإذن بتلقينها كما فعل أحمد بن إبراهيم الإبلاني (ت. 1290) الذي نقل عنه قوله: "سافرت إلى ناحية إيزناكن بقصد التجارة... فلقيت فيها ولياً من أولياء الله من ذرية الشيخ الرباني سيدي حسين الشرحبيلي، فأعطاني عصا وقال لي هذه نوبتك ترعى البقر، يعني الناس" (المعسول، 9 : 281) ومن رجالات الأسرة المنتصين بالزاوية خلال هذا القرن علي بن عبد الله بن أحمد ثم ابنه أحمد بن علي ثم حفيده حامد بن أحمد بن علي الآخذ من فاس وقد اشتهروا بالتدريس والقضاء والإفتاء. أما في القرن الرابع عشر (20 م) فهناك

ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع : سل النصال / موسوعة أعلام  
المغرب، بيروت، 1996، ج. 8 : 2998.

### ابن رَحْمُون، التهامي بن المكي الحسني

الفاصي، فقيه مشارك، وصوفي ناسك قال عنه في إتحاف  
المطالع : "له ولوع كبير بالثقافة والبحث والرواية والاتصال  
بالرجال". له مؤلفات عديدة، منها : مجموعات إجازات  
أشياخه في مجلد ؛ والفتح الوهبي بمن أجاز الحاج الهاشمي  
الرتبي، وهو أحد أشياخه (ت. 1240) ؛ والدر والعقيان  
فيما قيده من جهرة التيجان، اختصر فيه فهرس أبي  
القاسم الزباني.

وقد نسب سكيرج في كتابه رفع النقاب إلى التهامي  
ابن رحمون هذا وألف هو أيضاً كتابين في أنساب الشرفاء :  
شذور الذهب في خير نسب ؛ والأحجم الزاهرة في الذرية  
الظاهرة. نبه على ذلك ابن سودة في كتابه : دليل مؤرخ  
المغرب الأقصى، وإتحاف المطالع.

توفي التهامي ابن رحمون بفاس يوم الأربعاء سادس  
وعشري ذي القعدة عام 1263 / 3 نونبر 1846 ودفن بزاوية  
الشيخ قاسم ابن رحمون بحومة النجارين.

ابن رحمون التهامي، مجموعة إجازات أشياخه مخطوط : أ.  
سكيرج، ط. 2، رفع النقاب، 1 : 254 ؛ ع. السلام ابن سودة،  
دليل، الدار البيضاء، 1960، 1 : 72 ؛ إتحاف المطالع / موسوعة  
أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 7 : 2579.

محمد حجي

### ابن رَحْمُون، عبد الرحمن بن محمد بن عبد

الرحمن المصمودي : من سكان مدينة سبتة وأعيانها، ومن  
علية أساتذتها والمتقدمين في العلوم بها في وقته. روى  
عن عالم سبتة أبي الصبر أيوب بن عبد الله الفهري (ت.  
609) وأبي ذو الحشني، وأبي محمد بن حوط الله  
الأنصاري، وأخذ عن أبي الحسن ابن خروف النحوي كتاب  
سبويه.

كان مشاركاً في فنون اللغة العربية، وعلم الكلام،  
والفقه وأصوله، وغير ذلك. وكان بجانب ذلك خطيباً  
مفوهاً. اشتغل بكتابة التوثيق ببلده مدة، ثم تفرغ  
للتدريس ببقية عمره. لقبه ابن الزبير الغرناطي صاحب صلة  
الصلة بسبتة، وأجازه المترجم كتابه. شارك ابن رحمون في  
الوفد الذي شكله سكان سبتة والذي توجه إلى الأمير ابن  
هود في فترة ضعف الدولة الموحدية التماساً لحماية مدينتهم  
وتوفي سنة 649 / 1251، عن 70 سنة.

أ. ابن الزبير، صلة الصلة، ط. 2، ع. السلام الهراس وسعيد أعراب،  
الرباط، القسم الثالث، 1993، ص. 224 - 225 ؛ ع. الرحمن  
السيوطي، بغية الوعاة، ط. 2، م. أبو الفضل إبراهيم، بيروت،  
1964، ج. 2، ص. 86.

محمد المغراوي

علي بن أحمد بن علي (ت. نحو 1320 هـ) وابنه محمد  
تلميذ محمد بن عبد الملك اليزيدي والحاج أحمد الجشتيمي  
(ت. 1355 هـ) ثم الحسين بن محمد بن أحمد آخر علماء  
هذه الأسرة وكان كأسلافه مشغولاً بالإرشاد والإفتاء  
والقضاء والتعليم (المعسول، 18 : 247، 249). ثم ضعف  
نفوذ زاوية الرحمة والأمان أخيراً فعادت زاوية تامغروت  
الناصرية لسيطرته على مناطق إشعاعها في القرن  
الرابع عشر (20 م) مستعينة بظواهر سلطانية.

م. المختار السوسي، المعسول، 6، 8، 9، 13، 16. م. المكي  
الناصري، الدرر المرصعة، ط. 2، م. الحبيب نوح، د.د.ع، كلية  
الآداب، الرباط، 1998 ؛ م. الحضيكي، طبقات الحضيكي،  
ط. 2، أحمد بومزكو، د.د.ع، كلية الآداب، الرباط، 1994 ؛ وثائق  
الأستاذ أحمد بوزيد ؛ ع. الرحمن الجشتيمي، الحضيكيون،  
مخطوط.

المهدي السعيد

### ابن رَحْمُون، أسرة شريفة - يتصل نسبها بالعلميين

اليونانيين - ؛ قال في الدرر البهية : هم بالعلم بيزيري  
وتازروت وتطوان وقبيلة رهونة وشفشاون وبأزمور وفاس،  
وهم أهل مروءة ظاهرة ودين متين، والذي من جبل العلم  
إلى فاس واستوطنها منهم هو الفقيه سيدي علي بن الحسن  
بن علي الحسني العلمي، وكذلك الفقيه التهامي بن المكي  
من عدول فاس المرزبين، أسندت إليه الحسبة فأبأها... وقد  
وقفنا - يقول إدريس الفضيلي - على ما بأيديهم من الظواهر  
الملوكية من صنيع الدولة السعودية وهذه الدولة الشريفة  
العلوية تشهد لهم بجلالة القدر وعلو المكانة وشرف النسب  
وكرم الحساب.

إ. الفضيلي، الدرر البهية، المحمدية، 1999، ج. 2 : 70 - 71 ؛  
ع. ابن سودة، إزالة الالتباس ؛ م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء  
عائلات تطوان، تطوان، 1999 والمراجع المذكورة هناك.

### ابن رَحْمُون، إدريس بن الطابع بن التهامي

آني الترجمة. ولد بفاس حوالي عام 1260 / 1844 ودرس  
على الشيوخ : محمد بن المدني گتون، والمهدي ابن الحاج  
وعبد السلام بوغالب والمهدي بن الطالب ابن سودة وغيرهم،  
... حلاً تلميذه عبد السلام ابن سودة في سل النصال  
ب"العلامة المشارك العدل الموقر الحخير المذكر المتبتل" وله  
اتصال بما رواه جده الشيخ التهامي بن المكي ابن رحمون...  
وبذلك صار سنده عندنا أعلى سند بين الأشياخ".

اتصل به ابن سودة وقد قارب الثمانين، ومع ذلك بقيت  
ذاكرته سليمة، قال : وكنا نجتمع ونتذاكر معه ونستفيد  
منه، فكان يستحضر المسائل ويذكر الحوادث التي مرت به  
في حياته استحضاراً تاماً".

توفي بفاس عام 1349 / 1930 ودفن بزاوية الشيخ  
قاسم ابن رحمون بحومة النجارين.

ابن رَحْمُون، عيد السلام بن محمد

**التهامي الحسني العلمي التطواني**، الفقيه العلامة العدل الموثق السري الخير الفاضل، كانت له اليد الطولى في صناعة التوثيق وإتقان فقهه، تشهد له الصكوك الشرعية المتكاثرة بأيدي الناس، وشهادة تلميذه السكيرج الذي ترجم له وصرح بأنه أخذ عنه وعن ولده مولاي الصافي هذه الصناعة الفقهية، وهو أحد الوجوه النيرة من هذه الأسرة الشريفة النبيلة التي توارثت القضاء والفتيا والتوثيق بشرف تطوان عقوداً طويلة من الزمن، ومع هذا فلم يحدد تاريخ وفاته بثلثة ميلاده. قال الأستاذ داود : لعلها كانت أواخر هذا القرن (يعني الثاني عشر الهجري / السابع عشر الميلادي) وأشار الرهوني إلى أنها كانت بعد ألف ومائتين والله أعلم.

ع. السلام سكيرج، نزهة الإخوان، ص. 60. مخطوط : أ. الرهوني، عمدة الراويين، (6 : 25)، مخطوط : م. داود، مختصر تاريخ تطوان، ص. 294، طبع تطوان.

ابن رَحْمُون، عيد السلام بن محمد

**الحسني العلمي التطواني** الفقيه الشريف العدل الموثق الفاضل الخير من أسرة آل ابن رحمون الحسينية العلمية الشهيرة وهي غير أسرة الرحمونيين العمرانية علي خلاف في نسب هؤلاء.

عرف المترجم له وأخوه الفقيه العلامة المفتي محمد التهامي بن محمد ابن رحمون بتعاطي الشهادة والانتصاب لها من عام 1151 إلى عام 1170 ولا تخصي الرسوم العدلية التي تحمل شهادته.

توفي بتطوان بعد عام 1158 / 1745.

أ. الرهوني، عمدة الراويين، مخطوط، (7 : 4).

محمد بوخيزة

ابن رَحْمُون، العياشي بن علي شيخ الجماعة

بقبيلة رهونة. انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني وحضر جميع المؤتمرات التي عقدتها الثورة. وفي المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية يوم 11 ماي 1913 انتخب عضواً في المجلس الاستشاري للمقاومة ؛ وقد شارك في بعض المعارك إلى أن أصيب بجروح خطيرة منعتة من المشاركة في المعارك. وتوفي بعد ذلك.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في

شمال الغرب، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن رَحْمُون، قاسم بن محمد الزرهوني الفاسي،

لا علاقة له بالنسب العلمي، فالمصادر تذكر أن أصله من الرحامنة الذين استوطنوا واد السدر قرب وزان. وهو من أولياء فاس من فئة العامة بحكم احترافه للحياكة. أخذ الطريقة الوزانية عن الحاج الحياط الرقعي وعن الشيخ مولاي التهامي وعن الشيخ مولاي الطيب. ولعل انتسابه للزاوية الوزانية وتفانيه في خدمتها جعلاً منه ولياً مرموقاً في مدينة فاس. قال عنه محمد القادري : "العارف الكبير، الشيخ الشهير، الولي الصالح الخطير، الكثير التلامذة والأتباع، الموصوف بالولاية والانتفاع". عينه الشيخ مولاي الطيب مقدماً على أتباع فاس، بعد وفاة مالك بن عبد السلام المومنانسي السجلماسي المتوفى حوالي سنة 1140 / 1728، فهو بذلك ثالث مقدمي فرع الزاوية بفاس. توفي قاسم بن رحمون سنة 1149 / 1737 ودفن بداره بزقاق الحجر من عدوة القرويين. ويذكر القادري أن أصحابه اشتروا داراً أخرى مجاورة وجعلوها مقراً خاصاً بأتباع فاس، عرفت بزاوية درب الحجر.

م. القادري، نشر الثاني، ج. 3، الرباط، 1982، ص. 389 - 392.

تح. م. حجي وأ. التوفيق : م. الزبدي، سلوك الطريق الوارثة بالشيخ والمريد والزاوية، مخ. رقم 12444، خ. س، الرباط، ص. 62 وما بعدها.

محمد عمراني

ابن رَحْمُون، محمد بن إدريس بن الطايح بن

التهامي الحسني العلمي التطواني. وأولاد ابن رحمون أشرف يونسون من أبناء يونس بن أبي بكر، عم الشيخ عيد السلام بن مشيش، ويونس المذكور جد العلميين قاطبة كما حرره النقيب الوزير محمد بن الصادق ابن ريسون في كتابه فتح العليم الخبير في تحرير النسب العلمي بأمر الأمير يعني بالأمر السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

العلامة الفقيه الأديب المطلع القاضي النزبه الشريف،

أخذ العلم عن والده وعن الشيخ محمد - فتحا - القادري، والشيخ أحمد بن الحياط الزكاري الحسني والشيخ عيد السلام الهواري، والشيخ التهامي گنون وغيرهم من علماء القرويين.

تولى القضاء بعدد من مدن المغرب وتغوره منها أسفي وطنجة، وعزل عنه بسبب موقفه الوطني من نفي الملك محمد الخامس رحمه الله، فقد كان يعارض ذلك، وهذا يعاكس سياسة صهره والد زوجته الوزير المقرئ الشهير، وبعد تأخيره عن القضاء ظل ساكناً بطنجة إلى أن توفي.

كان في قضائه وتصرفاته مثال النزاهة والجِد، وكان له إسهام في الأدب يكتب نثراً فنياً جيداً رأيت منه صدق الأمير الحسن بن المهدي زوج الأميرة فاطمة الزهراء بنت السلطان مولاي عبد العزيز. وقد كان هو والأديب الشاعر الوزير محمد بن موسى وزير الأوقاف بالحكومة الخليفة بتطوان شاهدي العقد وهو من إنشاء المترجم له.

ذكره الأستاذ المؤرخ عبد السلام ابن سوادة في فهرسة سل النصال وأثنى عليه وأشار إلى أنه كان يتصل به عند زيارته لبعض أقاربه ومعارفه بفاس فيستفيد منه وربما قيد عنه بعض ما يستغربه من فوائده قال : ولما اطلع على تأليفنا دليل مؤرخ المغرب الأقصى احتفل به وبمجهوده وقال له : لقد أفدت المغاربة بما كانوا يجهلونهم ورفعت المغرب مكاناً عالياً .

توفي رحمه الله يوم السبت فاتح محرم الحرام خمسة وسبعين وثلاثمائة وألف موافق 20 غشت سنة 1955 ودفن بعد أن صلي عليه بالجامع الكبير بطنجة بإحدى زواياها .

موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ص 3302 : وفيات 1375، نقلا عن سل النصال، مع إضافات شخصية : ع. ابن سوادة، إتحاف المطالع : سل النصال.

ابن رَحْمُون، محمد التهامي بن محمد بن أحمد الحسيني العلمي الينوسي التطواني الفقيه العدل النسابة الشريف، أصل سلفه من قبيلة بني عروس الموطن الأول للأشراف العلميين ومنه تفرقوا في البلاد، ونزل جماعة منهم بتطوان اشتهروا بالتوثيق والشهادة، ومنهم المترجم له. ولاشك أنه قرأ ما يجب لمزاولة خطة العدالة من الفقه وغيره ولكننا لم نقف على شيء من دراسته وشيوخه، وكل ما عرفنا عن الرجل أنه من عدول تطوان. وقد وقفنا على عقود من تحريره وشهادته. كما أن شهرته جاءت من عنايته الفائقة بالأنساب الإدريسية عموماً والعلمية خصوصاً فألف أولاً كتاب شذور الذهب في خير نسب عرض فيه فروع الأدارسة عموماً والعلمية خصوصاً وتتبع هذه بعناية ميمراً المخلص منهم من الدخلاء. وفرغ من تأليفه في 19 رجب القرن عام 1121 / 1709 ومن الكتاب نسخ مخطوطة في مكاتب خاصة وبخزانة الرباط.

ثم ألف بعد ذلك الأنجم الزاهرة في الذرية الطاهرة مخطوط يوجد بكثرة وهو في خزانة الرباط 1484د وهو المشتهر بكناش ابن رحمون تناول فيه الأشراف عموماً وأعقاب الإمام محمد بن إدريس الثاني وخصوصاً العلميين، فقد كان له بهم مزيد معرفة وعناية لأنهم أهلهم ولأنهم متكاثرون منتشرون. فحاول حصر فروعهم ووضع لذلك مشجرات، وأشار إلى الدخلاء فيهم ولا شك أن من جاء بعده كالنقيب محمد بن الصادق الريسوني في ديوانه فتح العليم الحبير بتحرير النسب العلمي بأمر الأمير والنقيب السيد إدريس الفضيلي في الدرر البهية والجواهر النبوية المطبوع على الحجر بفاس استفاد منه لسبقه وعنايته. والجدير بالذكر أن الكتابين وقع فيهما تصرف بالزيادة والنقصان ولذلك اختلفت نسختها واهتزت الثقة بمحتواها، إلا أننا وقفنا بالخزانة الداودية بتطوان على كناش كبير يخط المترجم له كان عند النقيب الوزير السيد محمد بن المكي الريسوني ثم صار إلى الأستاذ داود يتضمن أقساماً

من الكتابين وتقاييد ومشجرات ينتفع بها في إعادة النظر في الكتابين وإعدادهما للدراسة والنشر.  
لم أقف على تاريخ وفاة المترجم له إلا أنها كانت بعد عام 1130 / 1718.

ع. السلام ابن سوادة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، باب كتب الأنساب، ط. دار الفكر : م. المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، (1 : 181) ط. الرباط.

ابن رَحْمُون، محمد الطيب بن محمد الحسيني العلمي قاضي تطوان. الفقيه العلامة المدرس العدل الناسك الراوية الحافظ. كان قاضياً بتطوان ما بين عام 1212 إلى شهر صفر عام 1225. وكانت توليته بإشارة النقيب الشريف محمد بن الصادق ابن ريسون، ثم أعفي منه في آخر عمره لكبر سنه. تعاطى التدريس، ومن أخذ عنه المؤرخ السكيري فقد ذكر في ترجمته أنه قرأ عليه تحفة ابن عاصم كما وصفه بأنه كان يحفظ مختصر خليل عن ظهر قلب. وكان حسن العبارة لم يأت الزمان بمثله رحماً بالضعفاء والمساكين ذوي العيال. ووقع اضطراب في اسمه في الرسوم فسُي في بعضها : الطيب وفي أخرى : محمد الطيب، وفي أخرى : محمد فقط، قال الأستاذ داود : ولعل الشخص واحد كما وقع خلاف في تاريخ وفاته فقد ذكر الفقيه الرهوني أنه توفي عام 1220، ولكنه في مختصر تاريخه العمدة يذكر أنه استمر قاضياً إلى عام 1225 كما سبق، وقال الأستاذ داود بأنه وجد في التقاييد أنه توفي في رمضان عام 1229، وفي تقييد آخر أنه توفي عام 1231، قال : ومن الممكن أنه كان بتطوان فقيه آخر يشاركه في الاسم والنسب، فليحقق.

(قلت) : أما الاضطراب في الاسم فلا أثر له وكثيراً ما يقع الاختصار على بعض الاسم المركب اختصاراً كمحمد العربي ومحمد الأمين، ومحمد التهامي (ومن أقارب المترجم له : محمد التهامي ابن رحمون) ومحمد الطيب. وأما الخلاف في سنة الوفاة فلعل الصواب أنها كانت عام 1231 وهو أقصى ما قيل، وقد كان حياً عام 1229. ويعيد أن يكون هناك شخص آخر يشاركه في الاسم والنسب، ذلك لأنه لو كان - وهو من القضاة - لذكر ولو مرة، ولم نجد فيما وقفنا عليه من رسوم إلا المترجم له والله أعلم.

ع. السلام سكيري، نزهة الإخوان، ص. 53، مخطوط : أ. الرهوني، عمدة الراوين في تاريخ تطوان، (6 : 24)، مخطوط : مختصر عمدة الراوين، ص. 105، مخطوط : م. داود، مختصر تاريخ تطوان، (3 : 174)، طبع تطوان : مختصر تاريخ تطوان، ص. 255 و302، طبع تطوان.

محمد بوخيرة

: اثنين أيت رخا، سيدي عبد الله أوليعيد وهما مقران لجماعتين قرويتين.

عرفت القبيلة عبر تاريخها تغيرات واضحة في امتدادها الجغرافي، ويفيدنا المختار السوسي أن تراب أيت رخا، خاصة الجزء الشرقي منه، يعتبر جزءاً من قبيلة إيمجاض في فترة من الفترات، بينما نجد الجزء الشمالي المحاذي لإغبر ملولن تحت نفوذ قبيلة أولاد جرار. وفي بداية هذا القرن، أصبح جزء من تراب القبيلة تابعاً لسلطة القائد المدني. إلا أنها استمرت محتفظة بالتوازن بينها وبين القبائل المجاورة، رغم ما ينتاب هذه العلاقات من صراع مستمر.

يعتبر آل بوطعام من الأسر الرخاوية التي تركت بصماتها في تاريخ القبيلة. فحسب ما تجمع لدينا من معلومات فإن الجد الأعلى للأسرة (أحمد بن يعقوب) هاجر من قبيلة "إداوعقيل"، واستقر بـ "أغبالو نيفرات" قبل أن تقدم الأسرة على شراء أراضي "تامگرت ندمسعود"، التي أصبحت مركزاً لقبيلة أيت رخا قبل انتقاله إلى قرية "أوتاتن". ومازال أفراد الأسرة يعتبرون أن لهم علاقة قرابة بقبيلة إيداعقيل، ومازالت هذه الروابط قائمة حتى بعد الاستقرار بتراب أيت رخا. وهذا ما يستشف من الرسالة التي بعث بها أحمد بن مبارك إلى مبارك بن مسعود "بأسيف أودرار": "وأن تعظوا له (حامل الرسالة) خير بلدنا هل فيه فائدة، وهل كانت لنا عندكم في وادي الجبل شي".

وكانت الأسرة تعرف بآل ككوس، ويبدو أنها حازت شهرتها من خلال ما تقوم به من أعمال الزراعة وتربية الماشية، مما يسمح لها بالادخار في سنوات القحط. وكان أفرادها يكرمون الوافد ويقومون بضيافة عابري السبيل. وأصبحت هذه المحصلة تلازم بيتهم، لهذا سمو بآل بوطعام. ومن الشخصيات التي لها نفوذ داخل القبيلة قبل أسرة آل بوطعام، نجد: يحيى نبودغار أمغار، محمد بن عمر أفولوس، محمد أنفال الرخاوي الذي كان يستقر بقرية بوالوس. ولاشك أن صعود نجم الأسرة يرجع بالأساس إلى رجاحة عقل مبارك بن ككوس (1847 - 1947)، وكثرة كرمه. وبهذه الميزة كان يحل كثيراً من الأمور "منها إشرافه على عمليات إصلاح ذات البين بين السملالين والإيفشالين". وعلى إثر رحلة السلطان الحسن الأول إلى منطقة سوس (1882)، تمت تزويته على رأس قبيلة أيت رخا بتعيينه قائداً عليها. وأصبح منذ ذلك الحين أكثر اندماجاً في سلك الخدمة المخزنية، من خلال الأعمال التي كان يقوم بها، والتي أثارت استحسان الجميع.

لقد ترتب عن حالة عدم الاستقرار التي تلت وفاة السلطان الحسن الأول، أن أصبح مقر القيادة (تامگرت ندمسعود) مستهدفاً من معارضيه عدة مرات. وانعكست هذه الوضعية على مصير القبيلة، حيث توالى أحداث

**رحموني، بوعلام بن محمد مقاوم من مواليد**

1903 ببني عتيق إقليم وجدة من والديه محمد بن موسى ورباعة بنت محمد. كان من الذين خرجوا إلى الشارع يوم 16 غشت 1953 للتعبير عن سخطهم واستنكارهم ضد السياسة الاستعمارية، خلال هذه الانتفاضة أبان عن غيرة وطنية صادقة إذ قام بعدة أعمال فدائية جليلة استهدفت مصالح المستعمر.

وواصل كفاحه البطولي هذا إلى أن اعتقلته الشرطة الاستعمارية ومارست عليه التعذيب والتنكيل فكان ذلك سبباً في وفاته في نفس يوم الانتفاضة، مفضلاً الاستشهاد على البوح بأسرار رفاهه على درب الكفاح.

المدوية السامة لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهيد، الاستقلال، 524078.

**رخا (أيت -) قبيلة تستوطن الكتلة الجبلية التي**

تفصل الحوض الأعلى لتازروالت وواد صباد بالجزء الغربي للأطلس الصغير، في مجال طبغرافي صعب الاختراق إلا عبر ممرات ومنافذ طبيعية. تحيط بها قبائل: أولاد جرار شمالاً، الأخصاص غرباً، إيمجاض شرقاً، إفران جنوباً. وهي تابعة إدارياً لعمالة إقليم تيزنيت، دائرة الأخصاص.

ترجع أقدم إشارة إلى قبيلة أيت رخا إلى القرن العاشر (16 م)، حيث صنفها صاحب ديوان قبائل سوس ضمن الفروع المشتركة في نازلة إفران...

وسما هو متداول محلياً أن أصل ومدلول كلمة "رخا" تفيد سعة العيش وسهولة الأمر. ترد في سياق الروايات عن بداية التعمير أن المجموعات البشرية الأولى كانت تنتجع بقطعانها بين تاغلاست و"أكني أو فرد" ثم إلى "تامگرت إرجالن"، وهو أحد الممرات المهمة بين إفران جنوباً، ومرتفعات "أيت رخا" شمالاً. ولا نعرف بالضبط متى استقر هؤلاء بالمجال الرخاوي الذي كان عبارة عن مراعي جبلية شبه فارغة، إلا أن الغالب على الظن أن العناصر الأولى قد هاجرت إلى المنطقة انطلاقاً من الهوامش الجنوبية للأطلس الصغير، واستقرت في النهاية في البقعة الجغرافية التي أصبحت تحمل نفس الاسم. فانضاف إليها في نهاية القرن الثاني عشر (18 م) أفواج من اليهود. ويبدو أن الحوار الجغرافي (إيفرن) والارتباط الاقتصادي هو الذي أملى هذا الحضور اليهودي المتميز. وما يستشف من رسالة من المولى سليمان إلى أحد عماله بسوس، أن القبيلة كانت تحتضن عناصر يهودية، وفيها تعليمات إلى العامل المذكور لإرجاع هؤلاء إلى موطنهم الأصلي بإيفرن. ولا يستبعد أن يكون هذا الإجراء محاولة لتجميع اليهود المشتتين بين القبائل عقب تمرد أبي حلايس (1206 / 1792).

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق وهي: إد علي وأيلا - أوتاتن - إدورحمان - إدحماد وأبراهيم. وأهم مراكزها الحالية

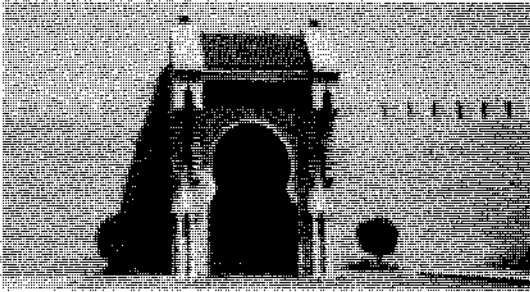
اقتحام معازل المقاومة، تنازل القائد مبارك عن زعامة القبيلة لابنه أحمد (1884 . 1965) الذي كان العضد الأيمن لوالده في الأمور التنظيمية لقبيلته. رغم انشغالاته العلمية كفقيه بمسجد أوتاتن.

إ. الحساني، ديوان قبائل سوس، مخطوط : أ. بن مبارك بوالطعام  
الرواي، كنانة، وثائق أسرة أيت بوالطعام : المختار السوسي،  
إبليخ قديماً وحديثاً، الرباط، 1966 : المجلد، الأجزاء، 4، 5 -  
20.19

A. Le Chatelier, *Tribus du sud ouest marocain*, Paris, 1891 ; L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au 16° siècle*, A. M., vol. XXIX, 1933 ; R. Montagne, *Les berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc*, Paris, 1930 ; I. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939.

أحمد بومزكو

**الرخا (باب -) براكش،** يقع شمال الواجهة الغربية من السور ويعتبر آخر باب فيه يحده من الجنوب باب دكالة (Masalik, 189) ويدخل في لائحة الأبواب التي عفى عليها الزمن ولا توجد منه حالياً أية بقايا أو رسوم.



موقع باب الرخا القديم

ويسمى الباب الحديث السفام مكانه اليوم 'باب الرخام'

وحسبما يبدو فإن باب الرخا ظل موجوداً إلى عهد السعديين على الأقل حيث وردت الإشارة إلى حومة باب الرخا في نص وثيقة تحبب لنسخة من كتاب المنتقى المقصور لابن القاضي على خزنة جامع باب دكالة (Marrakech, I : 122).

وقد اجتهد ديمومبين Demombynes في محاولة تحديد الموقع المناسب لباب الرخا في الخريطة التي وضعها لمراكش من خلال كتاب مسالك الأبصار حيث جعله بين باب دكالة والنهية الشمالية لواجهة السور الغربية، وهو اقتراح مقبول يساير محتوى ترتيب العمري لأبواب المدينة ويدعمه قرب الموقع من ضريح أحمد الصلحاء يسمى سيد مسعود ويلقب بـ "مول باب الرخا".

Gaudefroy - Demombynes, *Masalik et-absar*, Paris, 1927 ; G. Deverduin, *Marrakech des origines à 1912*, 2 tomes, Rabat, 1959 - 1966.

محمد رابطة الدين

**الرخام،** هو ميدان الصخور الكاربوناتيّة المتحولة،

خطيرة بترابها. ولعب في إطارها بلقاسم العاود ومحمد أنفال وعمر لشكر دوراً مهماً، وهم من الشخصيات المنافسة لآل بوطعام مما حدا بالقائد مبارك إلى الفرار إلى "أغبالو بفرن" لكنه سرعان ما استرجع منصبه ومكانته ضمن إخوانه الرخاويين.

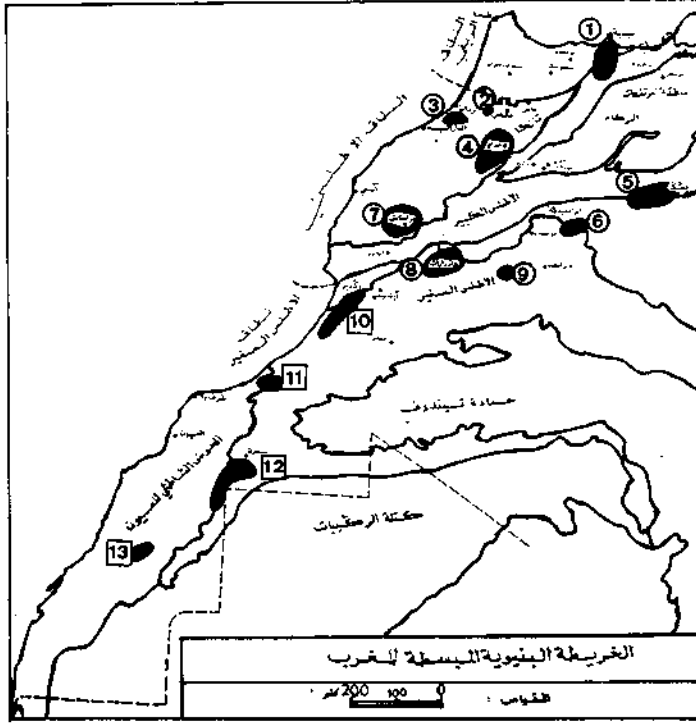
تطورت الأمور بشكل خطير بوصول الكيلولي إلى المنطقة، بعدما كان منهمكا في عمليات حربية بالسهل، حيث انحاز إلى قبيلة إيجاض في صراعه مع أيت رخا. وبإيعاز منه خضع جزء من تراب القبيلة للقائد المدني الأخصاصي لاعتبارات ترتبط بالرغبة في إضعاف القائد بوهيا الأخصاصي الذي احتفى بدحمان بن بيروك. ولم يقف القائد المدني عند هذا الحد، وإنما فرض حرباً جماعية حلفائه من أيت بعمران وإيجاض على قبيلة أيت رخا متهماً زعيمها مبارك بوطعام بمؤامرة القائد عياد الجراي المتعامل آنذاك مع الفرنسيين. إلا أن القبائل المتحالفة لم تحقق رغبتها ومسعاها لإضعاف آل بوالطعام، لما أقدمت قبيلة إيجاض على تجميد دعمها للقائد المدني. وهذا ما فتح باب الهجومات الانتقامية بين الجانبين من حين لآخر.

ويستشف مما أورده المختار السوسي على لسان الناجم الأخصاصي، أن القائد مبارك بوالطعام استطاع الحفاظ على وضعيته وهيبته في سياق التطورات السريعة التي شهدتها منطقة سوس عقب نكسة سيدي بوعثمان. ويبدو أن القائد المذكور وغريمه المدني الأخصاصي نسيا خلافاتهما وتحالفا على الجهاد ضمن حركة أحمد الهيبة. ويعتبر زحف حدة ابن مآيس (1916) أكبر تحد تعرضت له المنطقة، وكان يدرك أهمية موقع أيت رخا الجغرافي الفاصل بين قبيلة الأخصاص وحيوية زعيمها المدني وقبيلة إيجاض بثقلها البشري. وقد أدرك القائد بوالطعام أهمية مؤامرة حدة "فجاء إليه فصالحه عن قبيلته تم توسط زيادة على ذلك في أمر المدني... كل ذلك افتياتاً من غير مشاورة لأحد" وهذا الموقف جلب له غضب إيجاض.

وخلال أطوار الصراع بين القوات الفرنسية ومقاومة الأطلس الصغير، يظهر أن قبيلة أيت رخا أبدت دعمها لزعيم المقاومة آنذاك الشيخ مرييه ربه، لا سيما وأن الشيخ بوالطعام كان من الشخصيات التي تستشار في تلك الناحية. وكانت أسرته سياقة - لفترة غير يسيرة - إلى احتضان بعض رموز عائلة ماء العينين، خاصة الشيخ النعمة بعد خروجه من ويجان (1916)، رفقة والدته الشيخة العالمة للألسنة وابنتها الشيخة بوحاندو. وظلت هذه العلاقة مستمرة حتى بعد وفاة الشيخ النعمة، مع أخيه محمد بن عبد العزيز المعروف بمحمد الإمام. وقد حظي هؤلاء بمكانة متميزة لدى القائد مبارك وابنه الفقيه أحمد. وكانت القبيلة تدفع لهم أعشارها وزكواتها.

وعندما فتكت القوات الفرنسية من فرض حصارها المتعدد الأشكال على منافذ الأطلس الصغير، وبالتالي

إعجاب المشاهد في أيامنا هذه. فالفرس والرومان وحضارات أخرى ضاربة في القدم عاشت في حوض البحر المتوسط كالحضارة المصرية والإغريقية، شيدوا من الرخام معالم حضارية كالفصور والتماثيل والبنائيات؛ مازالت شواهد فنية رائعة. ويمكننا القول، وبدون أية مبالغة، إن الحضارة الإنسانية القديمة بنيت على معالم حضارية، استعملت فيها الحجارة الجميلة النبيلة (الأهرام بمصر، أمريكا الجنوبية، القصور والمعابد بالنسبة للإغريق، المدن الرومانية، المعابد والمساجد والكنائس).



بدأ استعمال الرخام بالمغرب منذ الزمن العتيق، واستمر إلى زمننا هذا. فلا شك أن شالة، ووليلى، وحسان وغيرها من المعالم الحضارية المغربية تشهد بقدم استعمال هذه المادة الجميلة والنبيلة. ومنذ مطلع القرن العشرين، أصبحت صناعة الرخام بالمغرب منظمة ومزدهرة، حيث برزت كثير من الشركات تستغل الرخام بطريقة عصرية في مناطق عدة، نذكر منها هنا مقالع بوعسيلة (قرب أبي الجعد)؛ واد يَكَم، واد الشراط، تيفلت، أكادير. ومن أهم البنائيات المغربية التي استعملت فيها أنواع الرخام (بمعناه العام) نذكر على سبيل المثال فندق المنصور ومتجر مرجان بالرباط، مكاتب البريد بمدينتي الدار البيضاء والرباط؛ وبنك المغرب والبنك المغربي للتجارة والصناعة بالدار البيضاء، وكثيراً من البنائيات والمعالم العمومية والخصوصية بالمدن الكبرى.

ونشير إلى أن المغرب يحتوي على عشرات الأنواع من الرخام، تختلف عن بعضها بأشكالها وألوانها المتباينة. فهي تارة بيضاء بدون العروق الملونة أو معها، وأخرى ذات اللون

لا غير. لكن تعود الصناعات لإطلاق صفة الرخام على كل صخر يستعمل في الزينة له صقيل جيد وجميل. لذا أصبح من المتداول إطلاق هذه التسمية على الجرز، وأنواع الكرانيت (الأعيل)، والأكلاس والأكلاس الغنية بالمستحاثات. وقد ابتدعت لها بالإضافة أسماء تجارية.

بالمغرب، هناك أنواع مختلفة من الرخام قيد الاستغلال، أكثرها شهرة كلس لخصاص الأبيض (ناحية تزنيث)، جزع ورزازات، الرخام الروماني بواد إيكم أو واد الشراط، الكلس الوردى بالبليدة وواد عكراش، كرانيت تافراوت والكلس المستحاثاتي لأرفود وتازارين.

تعود أهم استعمالات الرخام إلى تزيين واجهات المنازل ورحابها الداخلية.

يصعب التأكد من حجم سوق الرخام، ذلك أن الاستغلال يخضع لنظام المبالغ أي أنه يتم بالمناقصات. وعلى أساس هذا التحفظ، يمكن تقدير الاستهلاك الداخلي بحوالي 200.000 متر مربع تقريباً.

عدي عزي

\* بالنسبة لعلم وصف الصخور، لا ينعى باسم الرخام إلا الأحجار الناعمة عن تحول صخور الكلس أو الدولومي؛ إما عن طريق التحول الشامل أو التحول التماسي. ويكون هذا الرخام إما أبيض ذا بلورات كبيرة متداخلة مع الكلس عندما تكون الصخرة الأم كلساً خالصاً؛ وإما يتبلور ثانية على شكل بلورات أكبر عند حصول تحول ذي درجة أدنى، ويتصاعد التحول نحصل على عملية نزع الدولوميت مع ظهور بلورات أخرى كالكلس، وأوكسيد المنغسيوم والبروسيت.

أما صخور الكلس والدولومي المشوية، فتعطينا رخاما مختلف الأنواع والألوان (كالكلس الانقشاري) غالباً ما تكون معرفة (هنا تنتمي العروق إلى آفاق قديمة غنية بالطين وبالأوكسيدات المعدنية. وعندما تتعرض هذه الصخور نفسها إلى التحول التماسي مع التحول الاستعاضوي (الاستبدال المعدني)، فتصبح غنية بالبلورات (رخام بلوري) وتعطينا في آخر المطاف ما يسمى بإسكارن.

بالنسبة لاستعمالي أحجار الزينة (المهندسين المعماريين وغيرهم) فيسمون "رخاماً" كل الأحجار القابلة للصقل والصالحة للاستعمال في الزخرفة والتزيين كالكرانيت، والبزالت، والدوليريت والفنايس، والنضيد، والحصب، والكورتزيت، والكلس والدولوميت.

ولا شك أن المنظر الجميل، ونبل مادة الرخام، كانا السبب الرئيسي في استعمالاته المتعددة منذ الأزمنة البعيدة؛ بحيث نحت الإغريق منه قنايل كثيرة ومتنوعة، وتيجانا عمودية، ونصبا ومباني يتجاوز عمرها الأربعين قرناً. وهي رغم قدمها، مازالت منتصبة، تنال أكثر فأكثر



الأريد الصافي، الداكن أو البنفسجي ؛ ذات عروق بيضاء، وردية، أو حمراء مزركشة، وسنكتفي في هذا النص بذكر أهم مقالع الرخام بالمغرب.

المغرب الأوسط : تحتوي هذه المنطقة على تشكيلات جيولوجية تهيمن عليها على الخصوص، رواسب الأنظمة التابعة للكمبري، والديفوني والكربوني، والميوسيني والعهد الرابع. وتحتوي هذه الأنظمة كلها على صخور مختلفة منها الكلسية، والدولومية، والانصهارية، وغيرها ؛ وكلها قابلة للاستعمال في صناعة الرخام. ومن أهم جهات هذه المنطقة :

أ - الجهة الجنوبية الشرقية للمغرب الأوسط التي تنفرد بالكثير من الصخور الكلسية المتحولة المنتسبة إلى الحقبة الكمبرية، منها :

- منطقة بوعسيلة المحتوية على طبقات كلسية مرمرية، ذات كنه أبيض لبني مع لمسات مطعمة بعروق حمراء مزركشة.

- منطقة سيدي بوعابد المحتوية على أهم مقلع للرخام، على بعد كيلومترين شرق سيدي بوعابد. ويتكون هذا المنجم من رخام أبيض مخطط، ذي عروق رمادية داكنة، أحيانا سوداء بنية أو خضراء. دائما في نفس الجهة شمال غرب سيدي لمين، توجد تركيبية من الأحجار الكلسية المرمرية البيضاء، الكثيرة التصدع، والمستعملة حاليا لإنتاج الحصب والحصى وذلك لكثرة تصدعها.

ب - الجهة الشمالية الغربية والشمالية : تحتوي هذه الأخيرة على مقالع بالغة الأهمية، متمركزة كلها في ناحية بنسليمان، واد الشراط، واد يكم، واد أبي رقرق، واد عكراش، تيفلت.

- مقلع بنسليمان، يمتاز بكونه ينتمي إلى الديفوني المتوسط الغني بأحجار الكلس الشهباء إلى شهباء لؤلؤية، وأحيانا وردية أو سوداء، ذات بقايا حيوانية متحجرة، وهذا ما يعطيها قيمة متميزة من الناحية الجمالية.

- مقلع واد يكم، ينتمي إلى الحقبة الديفونية المتوسطة، المتوفرة على أحجار كلسية كثيفة النوع، تختلف ألوانها من الأشهب إلى الأشهب الداكن، وأحيانا الأسود، مع لحم من العروق البيضاء.

- ملتقى واد عكراش وواد أبي رقرق، شرق مدينة الرباط : تظهر هنا مجموعة من الطبقات المنسوبة إلى الديفوني التحتي المتوسط المتوفرة على أحجار كلسية مخططة وأخرى كثيفة النوع. إنه "رخام ناشز"، لأن أحجار واد عكراش هي في الحقيقة دولوميتية ذات لون أشهب وردي، يشبه في هيئته شكل تحجب صخور الكرانيت.

- مقلع تيفلت، يحتضن هنا الديفوني التحتي أحجار الكلس المكتل ذات لون أريد يميل أحيانا إلى البياض، وعروق رمادية دكناء أو بنية.

- مقلع جبل تيانوت، قرب قرية سيدي عمار : نجد هنا

ثلاث ذكات صخرية من الكلس المكتل الأريد، المحتوي على الكثير من أحفور المديخ المطوقة لمجموعة كلسية عليا مؤرودة كذلك ؛ متلاحمة، رقيقة التحبب، بدون مستحاثات ظاهرة. ويجب ألا ننسى أن هذه المنطقة تشتمل كذلك على صخور الترافيرتين المنتسبة إلى العهد الميوسيني.

- منطقة القصيبة، قرب قصبة تادلة ؛ نجد هنا كتلا من صخور الترافيرتين الممتدة من العصر البليوسيني العلوي إلى العصر الرباعي الحديث.

ونشير إلى أن هذه المنطقة تنفرد بكونها تشتمل على كتل من الكرانيت الهرسيني من فصيلة الأصيل كلسي، قلوي، معظمها ذات انطباع انداساسي كما هو الشأن في منطقة المانت شمال مدينة خنيفرة ؛ ووالماس جنوب المنت ؛ وزعير جنوب مدينة الرماني، وتتكون هذه الصخور الكرانيتية من معادن الكوارتز، والفلدسبات البوتاسي (الأورتوز)، والفلدسبات الكلسي - صودية (بلا جيوكلاز) والبيوتيت والمسكوفيت ذات نسج مكمل وتحبب متوسط إلى غليظ. أما لون هذه الصخور الأغلبية فهو أبيض بالنسبة لوالماس وأريد بالنسبة للمانت وزعير.

الأطلس الصغير المتوسط : وجد الكثير من مقالع الرخام والصخور المستعملة في البناء، منها :

- الكلس المرمرى المشروط الوردي والأبيض، في نجد تيشكا وتيزنتاست ؛

- كلس إدشفار، وامي موقورن، وسيدي لاشمي، وتيوت وتزارين وأصجوت نتيسليت (جنوب ورزازات) وأرفود ؛

- الكلس المسرين للتقوب ؛

- الجزع الكلسي لغرفة واكلموس.

أ - ناحية التقوب : تحتوي على تشكيلات تنتمي إلى ما قبل الكمبري الثاني التحتي، الشديد التحول بالتماس مع الكرانيت ذي اللون الوردي، المنتمي لما قبل الكمبري الثاني العلوي. وتتركب هذه الأحجار من التالك، والرخام المسرين (كلس مسرين) والرخام المغنيزي.

ب - ناحية واد امجوط - نتيسليت : توجد على بعد 25 كلم جنوب شرق ورزازات، قرب طريق ورزازات - زاغورة، حيث تظهر داخل تشكيلات تنتمي إلى ما قبل الكمبري، على نحو تطبيقات من الكلس المتعدد الألوان (الأخضر، الأصفر، الأحمر، الأبيض، البني، الأريد، الخ...)

ذات قيمة زخرفية كبيرة.

ت - جنوب أكادير، في ناحية إيمي موقورن، وسيدي لاشمي فنجد تشكيلات مهمة من طبقات الكلس ذات الألوان المختلفة (الأريد والوردي والأسود) المنتسبة إلى الكمبري التحتي.

ث - ناحية تيزنيت : تظهر في أيد أشرف طبقة مهمة من الكلس تنتمي إلى حقبة الجيورجي الكثيرة المستحاثات

والتي تعطيها قيمة تضاهي قيمة الأحجار الرخامية الحقيقية.

ج - ناحية تازارين : تنتمي التشكيلات الكلسية لهذه الناحية إلى حقبتى السلوري والديفوني.

ح - ناحية أرفود : نجد هنا تشكيلة تنتمي إلى العهد الديفوني، تحتوي على الكثير من المستحاثات نذكر منها الرأسقدميات (رأسيات الأرجل، رباعية الحياشم، الكليمينيات والغونيتيات) التي تميز حقبة الأمسي.

المغرب الشرقي، الأطلس المتوسط والريف : من أهم المقالع في هذه المناطق :

- الحجر الكلسي الوردى، والوردي الكاسد لجبل زنگال :

- الكلس الأريد المائل للصفرة لإزفراڤن :

- جزع منطقة سيدي محبور المتميز بحزم ذي لون أريد مصفر وأحيانا بني :

- كلس منطقة العباد فهو ذو مستحاثات مستبدلة على آخرها بالكلس، وهذا ما يعطي لتلك الأحجار منظرا جميلا وجذابا :

- كلس جبل تستارت، ينفرد بتركيبته السريثة، والألوان البيضاء الأريدية، الشيء الذي يجعلها من بين الأحجار الكلسية ذات القيمة التجارية المهمة :

منطقة الجبيلات : لا تحتوي إلا على مقالع قليلة المردودية وصغيرة الحجم، منها :

- الكلس التحولي الديفوني الموجود قرب مدينة مراكش، ويتصف هذا النوع من الصخور بكونه مرتصا ذا لون مزركش بقبع سوداء :

- الكلس الإحيائي المنتمي إلى الفيزي العلوي - الناموري، الموجود في الجبيلات الوسطى، وبالأخص قرب سيدي بوعثمان (المقلع الامريكاني) :

- الباتوليت الهرسيني : يكون هذا الكرانيت من معادن الكوارتز والفلدسبات البوتاسي، والبلاجيوكلاز، والبلىق الأبيض والأسود : ذو نسج مكنتل ومحبب غليظ، ولون أريد. ويعتبر هذا الأخير أهم مصدر للأحجار الزينية

والحصاء في المنطقة.

المناطق الصحراوية : توجد كثير من المقالع المهمة

بالمناطق الصحراوية، منها :

- الرخام والكلس الانقشاري التحولي لما قبل الكمبري، ذو اللون الأبيض الأزرق : الموجود بگلڤ زينا في ناحية بوجدور :

- الكلس الشعابي للعينات، المنسوب إلى الديفوني :

- الكلس ذو الأورتوسراس المنتمي للحقبة السلورية الموجود بجهة اسماة والعيون :

- كرانيت أحمر بهيئة سماقانية لناحية تفاديتي، وكرانيت أحمر لناحية توسال - تلي (ناحية اسماة) القابل لإعطاء فصيلة مطلوبة جداً من الأحجار الزينية :

- الكلس الكثير المدخات، الموجود ببيير العايديات :

- الأحجار الكلسية والدولومية البيضاء للكمبري الموجود بناحية بوجدور.

مميزات رخام المغرب الكمية والكيفية : من بين الصخور الممكن استعمالها كرخام بمفهوم المهندس المعماري، نذكر هنا بتلخيص :

- كلس مرمرى، كلس، ترافرتين، ديوريت، كرانيت (منت، زعير، والماس)، جزع كلسي، تكنيت (كلس قوني).

وإذا ما دققنا النظر في معطيات التحاليل الكيميائية، يمكننا أن نستنتج أن الأحجار الكلسية، والكلس المرمرى، وترافرتين تحتوي على كمية عالية من الكالسيوم (ما بين

50.40 و 55.10٪، وتصل أحيانا إلى 95٪) ومنخفض بالنسبة للماينيزيوم (ما بين 0 و 4.7٪) والسليس (ما بين

0.9 و 3.95٪)، مما يجعل هذه الصخور سهلة الصقل. وقد أجريت عدة تجارب فيزيوكيميائية على جل أنواع الأحجار

الجميلة القابلة للصقل، واستنتج من هذه العملية أن الصخور المدروسة :

- عالية الكثافة (أكثر من 2.25 طن في المتر المكعب) :

- أغلبها قليلة الاشتراب :

- قليلة المسام، إذا ما استثنينا صخور ترافرتين :

- أغلبها شديدة الصمود ضد التقلبات الجوية، باستثناء صخور ترافرتين :

- أكثرها تتراوح قدرتها على مقاومة الضغط تحت الجفاف ما بين 945 da N/cm<sup>2</sup>، مما يجعلها تتبوأ مكانة

مهمة جداً، مقارنة مع الأحجار المستعملة كرخام، المتعارف عليها على الصعيد العالمي. ونشير هنا إلى أن مقاومة

وصمود الكرانيت يتعدى 1700 daN/cm<sup>2</sup> :

- تمتاز بسهولة الصقل :

- استعمالاتها داخل وخارج البنايات الخاصة والعمومية (الواجهات، الاسوار والتظاليف) وأرصعة الطرق، وغيرها.

ورغم كثرة المقالع الكلسية والرخامية في المغرب فإنها مهددة بالانقراض أو بتشيويه وتعرية أماكن استغلالها.

ويبدو من الواضح أن نتجه حول استغلال الكرانيت، الذي يمثل كميات هائلة تتجاوز مئات المرات حجم أحجار الكلس

والرخام المستعملة حالياً.

معادن :

- منطقة الريف الشرقي (جرف الخالدي، إزفراڤن، جبل رنڭال وسيدي محبور).

- الجهة الشمالية للمغرب الأوسط (تيفلت).

- الجهة الشمالية الغربية للمغرب الأوسط (بنسليمان، واد الشراط، واد يكم، واد بورقراق، وواد عكراش).

- الجهة الجنوبية الشرقية للمغرب الأوسط (بوعسيلة، سيدي بوعابد).

- المغرب الشرقي (جبل تاستارت، وأولاد عوياد).

**الرَّخْمَة** أو النسر المصري كما هو شائع في المعاجم، وفصيحته رَحْمٌ - بدون تاء - طائر من النسور يأكل الجيف. يصفى إلى رتبة الجوارح أو الكواسر النهارية Falconiformes وفصيلة العقبان Accipitridae، يألف الصخور الجبلية. الرخمة اسمه الشائع في شمال إفريقيا ومصر والسودان والعراق وجزيرة العرب وشمال سوريا، وتسميه العامة في لبنان الشوكة والأنوق وبالعبرية راحام. ويحتمل أن الاسمين العربي والعبيراني مشتقان من رحم ورحم وكلاهما يدلان على العطف والحنان الأبوي وهو من خصال هذا الطائر. ويقول المألوف أن الرخمة سميت بذلك للونها تشبيها بالشاة أبيض رأسها وعنقها وأسود ساورها. يدعى علميا Neophron pecnopterus وبالفرنسية Percnoptère d'Egypte و Vautour percnoptère وبالانجليزية Egyptian vulture وبالإسبانية Alimoche وبالإيطالية Capovaccaio.



طائر أبيض يشبه النسر في شكله أصلع الرأس أصفر، المنقار طويل مصفر وقوي يساعد على أكل الجيف. يتميز بريش أبيض رخامي ملطخ وأسود على مؤخرة الجناحين عند الكبار ويضرب لون ريشه إلى البني عند الأفراد الغير البالغين. الذيل أبيض مثلث الشكل وطويل، الإناث شبيهة بالذكور؛ يبلغ طول الجسم 56 - 66 سم. يعيش منعزلا أو مزدوجا ونادرا وسط مجموعات قليلة الأفراد.

تشتو عدة مجموعات من شتير إلى فبراير في مختلف المناطق المغربية - سهول وجبال الريف والأطلس المتوسط والكبير وسهول الغرب والمناطق الصحراوية الجافة. يتوالد في المغرب منذ مارس إلى غاية شهر مايو. ينصب الزوجان العش بين أطراف الجبال الشاهقة وبين صخور الجرف الصعبة المتال ونادرا على الأشجار، ويتكون من الأغصان ومن قطع مختلفة. تبيض الإناث عادة بيضتين ونادرا بيضة أو ثلاث بيضات بيضوية الشكل سمراء مبيضة إلى مزركشة أو منقطة وكبيرة نسبيا، يبلغ طول قطريها 50.5 × 63 ملم. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 42 يوما. تبقى الصغار بداخل العش حوالي 12 أسبوعا قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا وتصير بالغة بعد 5 سنوات.

- منطقة الرشيدية (أرڤود).

- منطقة مراكش (سيدي بوعثمان، دوار لمخالف، مراكش جيليز).

- منطقة ورزازات (عفرة، أجموس، أمجوط أنتسليت، ونقوب).

- شرق الأطلس الصغير (منطقة تزارين).

- منطقة أكادير - إفني (تيويت، إمي موقورن، سيدي لاشمي، يدشفار).

- منطقة طنطان (درعة السفلي).

- منطقة اسماة بوكراوع (لعوينات، ترسال تلي، أشكاي لغشيوات، بير العايديات).

- ناحية بير انتران (منطقة گلب زيزا).

عبدالله بوصحابة

### الرَّخَام (مسجد -) بمكناس نعتت الرسوم الحسية

هذا المسجد تارة بمسجد الرخام، وتارة بمسجد القصة السعيدة وأخرى بمسجد سيدي عبد الرحمان المجذوب كما في هذا النص: "حس الشرفاء الأجلة... على مسجد القصة السعيدة الهاشمية... بحضرة مكناسة... المعروف بمسجد الرخام والولي الصالح سيدي عبد الرحمان المجذوب جميع الربع من كافة الأرض الكائنة بولجة الزيتون..."

ومن المرجح أن هذا المسجد كان متعبدا خاصا بالمولى إسماعيل وحاشيته، فقد كان به ممر وخراجة يصلان بينه وبين قصر السلطان يخرج منهما هذا الأخير لأداء الصلوات الخمس. فقد بناه المولى إسماعيل على حد قول ابن زيدان (المتزغ اللطيف، ص. 300) "إعانة لأهل الدين على عباداتهم في أوقاتها المطلوبة ومتنفي عنهم كل مشقة وعذر بوجب التأخير وخصوصا حاشيته الملازمة لأداء الخمس مع السلطان في الحر والقر في هذا المسجد". وقد كان هذا المسجد آية في الضخامة والجمال لذلك أفاض المؤرخون في وصفه، من ذلك: "مسجد الرخام الفاخر ذو البلاطات المتسعة الأكتاف والأعمدة الرخامية المائلة البديعة النقش والاتساق... وبالجهة الغربية منه القبة المربعة الشكل العجيبة الصنع، ذات الحصة الرخامية المتدفقة المياه اللجينية العدمية النظير... وبالجهة الغربية منها المرحاض المزخرف الأنيق البهيج بتوسطه صهريج مستطيل من أظف ما يرى الراؤون" (المتزغ اللطيف، ص. 300).

وقد طال التخريب هذا المسجد - كغيره من الآثار الإسماعيلية - وطويت صحائف بهجته وتفرقت أعمدته الرخامية شذر مذر، وصار بعضه محمرا يدخل منه لضريح المولى إسماعيل وضريح سيدي عبد الرحمان المجذوب، وبعضه الآخر مقبرة.

حوالة المساجد الكبرى، ص. 14؛ ابن زيدان، الإتحاف، 1، ص.

128؛ المتزغ اللطيف، ص. 300؛ رقية بلعقد، أوقاف مكناس،

ص. 213.

رقية بلعقد

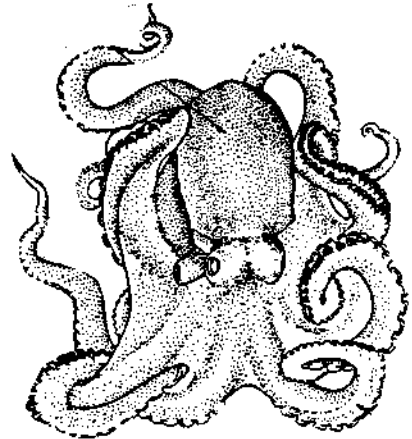
يتغذى من الجيف وبقايا جثث الغنم والمعز والغزلان والأرانب وغيرها ومن الحشرات وبعض الزواحف (العضاء) ولا يصاد. يعيش في مختلف المناطق المغربية بكثافة ضعيفة جدا تنحصر بين 500 - 1000 زوجة كلها مهاجرة وتتوالد في المغرب في كل من تازكا والهضاب العليا والسهول الساحلية الشرقية الشمالية ومناطق ملوية العليا وقسم الجبال بضواحي فكيك وسفوح وادي الشراط وسهول الغرب والشاوية ودكالة وعبدة والشياطمة والأطلس المتوسط والكبير والهضاب الوسطى وناقلات وأوكنات وساغرو وفي مختلف مناطق الأطلس الصغير والساقية الحمراء وتكنة. يبدو أن كثافة هذا الطائر تقلصت كثيرا في مناطق الأطلس الكبير خلال النصف الأخير من هذا القرن. ويعيش أيضا في إسبانيا والبرتغال وإيطاليا وجنوب فرنسا وتونس والجزائر وليبيا ومصر وسوريا ولبنان وتركيا والعراق والجزيرة العربية والهند وإفريقيا الوسطى. معظم المجموعات التي تعيش في المغرب تهاجر إلى أوروبا في بداية الربيع لتتوالد منذ أواخر مارس إلى غاية شهر مايو. يقدر عدد الأفراد المهاجرة عبر مضيق جبل طارق بين 3000.5000.

م. رمضان، بولوجية، معلمة المغرب، الجزء 6، ص. 1845: الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988: أمين العلوف، معجم الحيران، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

P. Bergier, *Les falconiformes marocains. statut, répartition et écologie. Annales CEEP (ex. CROP) n°3*, 1987, 160 p.; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p.; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris, 1977, 430 p.

### الرخويات من الحيوانات البحرية اللاقارية تتميز

بجسم لين رخو غير متفصص تغطيه صدفة كلسية (الحلزون والمحار وبلح البحر) أو قرنية باطنية (الحبار) أو بدون غشاء كالبزاق والأخطبوط. وهي حيوانات متعددة



الرخويات

الأنواع (حوالي 80.000 في العالم) منها البرية والبحرية وتشتمل على 7 طوائف: رأسيات القوائم أو الصدراسيات Cephalopoda كالأخطبوط المثل بشمانية أنواع في المياه المغربية والحبار والسيدج، وصفيحيات الحياشيم أو ثنائيات الصدفة Bivalvia كيلح البحر والمحار ومعديات القوائم Gasteropoda كالحلزون والبزاق وزروقيات القوائم (الإسكافيات) Scaphopoda والرخويات الحلبية. بنية الجسم متوحدة على العموم بين الأنواع.

والرخويات رأسيات القوائم Cephalopoda حيوانات بحرية تعيش في الأعماق الرملية ومنها الحبار والسيدج والأخطبوط أو على سطح الماء يقودها التيار كما هو الشأن بالنسبة للعنقريط. عوضت قوائها بزوائد متفاوتة الطول تقع حول الفم ومنها المجسات خالية من المحاجم ومنها الأذرع وعددها ثمانية أو عشرة تتوفر على محاجم. يقع الفم تحت المجسات ويتوفر على فكين صليين مقرنين وعلى لسان صفيحي مقرن ومكسو بأسنان صغيرة يسحق بها المأكولات. تملك الأنواع غدة السواد تفرز مادة سوداء كالمداد تُقذف حولها لتحجب عن أعدائها. الجذع أو المعطف عبارة عن كيس يضم الأعضاء الحيوية والقمع يستعمل للتنقلات، فمن خلاله يقذف الماء بعد أن ينفذ إلى التجويف التنفسي وذلك بفضل تقلصات المعطف العنيفة التي تترتب عنها دفعة دسرية في الاتجاه المعاكس وهكذا تسبح أنواع رأسيات القوائم بحركات متواصلة وسريعة بفضل الدفعات.

تلعب الرخويات رأسيات القوائم Cephalopoda دورا اقتصاديا هاما في قطاع الصيد البحري وتصاد بكميات وافرة بالأخص في السواحل الأطلسية جنوب المغرب. وحفاظا على صيانة المخزون السمكي للرخويات ارتأت وزارة الصيد البحري أن تطبق الراحة البيولوجية خلال شهرين (أكتوبر - نونبر) من كل سنة تمنع البواخر والمراكب التقليدية من الصيد حتى تتمكن هذه الحيوانات من التكاثر. يوضح الجدول التالي الكمية المصادة لمجموع أنواع الرخويات خلال السنوات الأخيرة:

السنة	1994	1995	1996	1997	1998	1999
كمية الصيد الطن الرخويات	10.819	11.988	15.658	18.596	24.359	35.925

محمد منبوي، أخطبوط، معلمة المغرب، ج. 1، ص. 205 - 206؛  
الحبار والحبارة، معلمة المغرب، ج. 5، ص. 3305 - 3306.  
Ministère des Pêches Maritimes, *La mer en chiffre*,  
1999, 57 p.  
محمد رمضان

**الردادة.** هم أعضاء جوق الملحون الذين يعيدون إنشاء المقاطع الأخيرة من أشطار القسيمة بعداً دائماً من

البيت وأثناء النوم وفي مناسك الحج. وبذلك فقد كان قص شعر اللحية وكشف الرأس يعتبر إهانة. فكان المخزن إذا أراد تمريغ شرف مذب أو مقترف خطيئة قصوى والمبالغة في إذلاله طاف به الأحياء وعرضه في الساحات العمومية حاسر الرأس حليق الذقن والشارب.



والرزة قطعة ثوب على شكل شريط مستطيل من صوف أو قطن أو كتان أو طلس أو حرير تختلف جودتها ودقة صنعها وطريقة لفها على الرأس باختلاف المناسبات والمكانة الاجتماعية والمهام والمناطق الجغرافية. وكان المغاربة يتساوون كلهم في ارتدائها موسرين ومعسرين مع اختلافات واضحة بين الفئات. فكان المعسرون يقتصرون على اقتناء أصغرها حجما مما يكفي للف الرأس مرتين أو ثلاثاً على الأقل، أما الموسرون فكانوا يتخذونها من أحجام كبيرة بعضها يحيط بالرأس أكثر من عشر مرات.

وتدل الرزة في المغرب على العمامة غطاء الرأس السائد الاستعمال عند العرب منذ ما قبل الإسلام. وقد انتشرت على نطاق واسع في بلدان شمال إفريقيا مع الفتوحات الإسلامية (إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر الأموي، ص. 243، الدار البيضاء، 1990). وهي لفظة تنطق بالراء والزاي المفتوحين المشددين وتجمع على رررز ورررأت بضم الراء وفتحها. إلا أن فعل ررر ومصدره رررة لا علاقة له بغطاء الرأس في المعاجم العربية. وقد حاولنا البحث عن أصل كلمة الرزة التي ساد استعمالها في سائر أرجاء المغرب حتى كادت أن تقصي إقصاء كليا لفظة العمامة في التداول فلم نجد لأصلها أثراً في اللغة العربية، وبذلك نرجح أنها من جذع أمازيغي إذ ما زالت الكلمة الأمازيغية مستعملة في العديد من الجهات كما هي تماماً أو تنطق بالتاء المبسوطة ولا ندرى هل اقتبس الأمازيغية السكان اسمها من اسم حشرة الزنبور الذي يبدو وكأنه يحمل عمامة على رأسه وما زال اسمه معروفاً في سائر حواضر

طرف المنشد المنفرد، ويرددون الحربة بين أقسام القصيدة وعند نهايتها في الفصل المعروف بالدريكة.

ويلعب الرداة دوراً أساسياً في أداء القصيدة، فهم - إلى جانب اضطلاعهم بضبط الميزان ومنح المنشد المنفرد فرصاً لالتقاط أنفاسه - يُضفون على الأداء أجواء الحيوية والتدفق بفعل الحوار الذي يتم بينهم وبين المنشد، ولذلك فهم عمدة أشياخ الكريحة الذين يتحرون في اختيارهم من بين أجود الحفاظ.

عبد الرحمن اللحوني، الشعر الوطني في الأدب الشعبي المغربي اللحن - الجفريات نموذجاً -، دراسة ونصوص. القسم الأول، ص. 30.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**رُدَيْسِيَسْ**، أو الرودِيَّاس أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Rodiles ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1184 / 1771.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 712.

محمد ابن عزوز حكيم

وهناك أولاد الرودياس الرباطيون اشتهر منهم في الحركة الوطنية : - الروديَّاس، إدريس.

**الرزة أو العمامة**، كان اللباس البلدي الأصيل بالمغرب قبل انتشار اللباس الرومي العصري الدخيل في المغرب ابتداء من 1912 يتألف في مظهره الخارجي من ثلاثة عناصر رئيسية : الرزة غطاء للرأس والجلباب رداء الجسم والبلغة حذاء للقدمين، ويسقط أحد هذه العناصر كان اللباس يعتبر ناقصاً والهندام غير كامل طبقاً للعوائد والقواعد المتداولة في البلاد.

واعتباراً لما جرت عليه الأعراف والتقاليد المغربية في أساليب الارتداء، فإنه لم يكن بوسع أي شخص سما شأنه أو دنا أن يغادر بيته دون جلباب ورزة، إذ كان كشف الرأس أمراً غير مقبول ولا معقول إلا للبهليل. أما الأطفال فلم يكن يسمح لهم على العكس بتغطية الرأس بالرزة ما لم يبلغوا سن الرشد. وفي هذا الصدد يقول المثل الشعبي المغربي : "الرزة بلا لحية من قلة الحياء" مما يعني بالضرورة والإجبار أن كل شخص ذكر بالغ ذي لحية وشارب لا يسمح له بترك رأسه حاسراً وإلا اعتبر "عديم الوقار وساقط المروءة وتاركا للأداب". وقد ذكر ابن رشد أن زمرة من الفقهاء ترى أن الصلاة بدون عمامة منهي عنها وإمامة الناس بدونها لا تجوز (البيان والتحصيل، الجزء الأول، ص. 335). وعليه فإن التخلي عن الرزة لم يكن أمراً مستساغاً إلا داخل

عبدة ودكالة وحاحا والشياطمة وسوس وبواديها بأصله الأمازيغي حيث يدعى أرزوزي وبورزة وبورزيرة. وتسمى الرزة أيضا العمامة والعصاية والشد والشان ولونها السائد هو الأبيض. لكن الشد يكون أصفر والشان أسود. ويستعمل الأول منها في منطقة جباله وجبال الريف والشمال الشرقي من المغرب ومنطقة سوس. أما الشان فيسود في التخوم الصحراوية ويستعمل في أحيان كثيرة لتغطية الرأس والوجه والحك والعنق كما يسدل على الكنف عند اشتداد الحرارة. وكان أحسن هذه الأنواع من الرزات في الحواضر المغربية حيث تسود الأذواق اللباسية الراقية هو "رزة القالب" وهي من نسيج ناعم أبيض زاه وكانت تلف لفا محكما وتطوى وتثنى ثنيا أتيقا حول طربوش ملبد أحمر يتكلف بإحكام تصفيفها وترتيبها حلاق الحلي (الحجام) الذي كان من أهم اختصاصاته في المغرب زيادة على حلق الرؤوس وتشذيب اللحي ختان الأطفال وضرب العرق أي استخراج الدماء الفاسدة من الجسم وقلع الأضراس وأيضا ضرب الرزة على القالب أي إتقان طيها وليها. وقد استمرت الرزة غطاء الرأس السائد في البلاد إلى حدود بداية الأربعينيات حيث بدأت الطرابيش بجميع أشكالها تحل محلها وخاصة في الحواضر الكبرى وفي أوساط الشباب المنحرفين في الحركة الوطنية والداعين إلى تطوير الهندام التقليدي بما في ذلك غطاء الرأس فبدأت الرزة تزول تدريجيا من فوق الرؤوس وتوضع في متحف التاريخ.

م. فهد بدري، العمامة، مطبعة الحكومة، د. م. 1968 : م. رضا شرف الدين، لباس الرأس في المغرب، د. ت. ود. م. : م. عنابي، الناشئة التونسية، مجلة الأمل الثقافي، دون عدد ولا مكان الطبع، أكتوبر 1970 : م. ابن رشد، البيان والتحصيل، الجزء الأول، بيروت، 1988، نج. م. حجي وسعيد أعراب : م. المختار السوسي، المعسول، الجزء 18، الدار البيضاء، 1960 : م. السعيد الرجراحي، الفقيه محمد بن أحمد العبدوي الكانوني حياته وفكره ومؤلفاته، مراكش 2000 : شهاب الدين الهيشي، در العمامة في در الطبلسان والعذبة والعمامة، مخطوط، خ. ع. رقم 911 : إ. كريدية، الفقيه محمد الهسكوري سلفيا ووطنيا ورائداً للتعليم الوطني، مراكش 2000 : م. بوشعراء، التعريف ببني سعيد السلوايين، الجزء الثاني، الرباط، 1991 : إ. بن محمد العمراني، تحفة الملك العزيز بمسلكة باريز، طنجة 1989، تقديم وتعليق زكي مبارك.

M. Chebel, *Le corps dans la tradition au Maghreb*, Paris, 1980 ; E. F. Gautier, *Mœurs et coutumes des musulmans*, Paris, 1931 ; L. Gentil, *Dans le bled Es Siba*, Paris, 1906 ; A. Benabdeljalil, *Le chant et la musique*, in G.E.M. *Civilisation Marocaine*, Casablanca, 1996 ; G. Babin, *Au Maroc par les camps et par les villes*, Paris, 1912 ; L. Brunot, *Textes arabes de Rabat*, Paris, 1931 ; G. Charmes, *Une ambassade au Maroc*, Paris, 1887 ; L. Arnaud, *Aux temps des mehallas*, Casablanca, 1952 ; P. Azan, *Souvenirs de Casablanca*, Paris, 1911.

محمد يوسلام

**رزوق، عيد الله مقاوم** من مواليد سنة 1903 بأيت النصر بتغزة من والديه بهي بن أحمد وفاطمة بنت إبراهيم. من الأوائل الذين انخرطوا في صفوف جيش التحرير بمنطقة أيت باعمران ضمن المقاطعة الثالثة عشرة تحت إمرة محمد بن المختار.

كان من المجاهدين المخلصين الذين ضحوا بالغالي والنفيس في سبيل الدفاع عن حوزة الوطن حيث شارك في عدة معارك منها بيجرفن، والدكنت، ومعارك العرگوب وغيرها حيث أبلى البلاء الحسن وتكبد فيها العدو خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد.

توفي يوم الثلاثاء 15 شعبان عام 1415 / 17 يناير 1995.

المدنية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء، الاستقلال.

**رزيحو، أسرة** تطوانية أصلها من الأندلس وقد انقرضت بتطوان سنة 1162 / 1749.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان : المراجع العربية والأجنبية في الرقم 714.

محمد ابن عزوز حكيم

**رزين (بنو -)** إحدى قبائل غمارة وقد رجع منهم فريق إلى تطوان فكونوا عائلة نبيهة عريقة في المجد والغنى. وأول قاض عرف اسمه تولى قضاء تطوان كان محمد الرزيني وصفه ابن القاضي بالفقيه النوازي قاضي تطوان وذكر أنه توفي عام 930. كان منهم أمراء بلاد السهلة بالأندلس، وفيهم وفرة وعدد، وبقي منهم الآن (أي سنة 712) بقية صالحة قاله صاحب مفاخر البربر.

**الرؤيني، أسرة** مخزنية من البيوتات النبيهة والفاعلة في المجتمع خلال القرن الثالث عشر (19 م) وكذلك في العقود الأولى من القرن العشرين، وهي ذات جذور ممتدة في الزمن وثرواتها ووظائفها متوارثة جزئيا، وتم دعمها، وتوسيع حجمها، وتمتيتها في ظروف مواتية ومناسبة.

تمثل أسرة الرزيني أحسن تمثيل فئة الخدام المخزنيين الذين تأهلوا للخدمة بتعاطيهم التجارة مع الخارج، وورثوا خبرة وتجربة وممارسة تمتتها عائلاتهم في هذا الميدان. وسنحاول إبراز الدور الذي تسنى لبعض أبنائها الاضطلاع به، إن على مستوى بلدهم تطوان أو على مستوى المخزن المركزي.

ولكن، قبل هذا وذاك، من هم ياترى، آل الرزيني ؟ لا أحد، فيما نعلم، من الإخباريين المغاربة اهتم

بتفسير سبب حملهم هذه التسمية، ولكنهم يشيرون إلى نسبهم الأندلسي. فالفقيه أحمد بن محمد الرهوني مثلاً، والذي كان من الممكن أن يفيدنا في هذا الصدد، لو لفت انتباهه هذا الأمر، رغم ما ضمن مؤلفه: "عمدة الراويين في تاريخ تطاوين"، من معلومات طريفة وموضوعات مفيدة، لم يتساءل قط عن سبب تسميتهم بهذه الكنية. وأياً كان الأمر، فقد أثبت في قائمة القضاة الذين تعاقبوا على منصب القضاء في مدينة تطوان، ما بين سنة 888 / 1483. 1484 وسنة 1356 / 1937. 1938، اسم شخص قد يكون من أجدادهم الأولين الذين ولاشك أنهم استوطنوا هذه البلدة، غداة سقوط ملكة غرناطة سنة 1492، في يد الغلاة المسيحيين بزعامة الملكين فرديناندو الأركوني وإيزابلا القشتالية، ويتعلق الأمر بالقاضي محمد الرزيني الذي كان يزاول مهامه في حدود سنة 930 / 1523. 1524.

على أنه قد يكون لاسمهم العائلي هذا علاقة بمدلوله اللغوي، إذ ترد مادة "رَزَنَ"، أو "رَزَانة" مثلاً في معاجم اللغة كالمقاموس المحيط للفيروزبادي بمعنى العلو والسمو، والتشبت والتعقل مع أصالة في الرأي، وكلها صفات ونعوت تجسدت في أفراد هذه الأسرة الذين أمكننا العثور على بعض آثارهم وأخبارهم في المصادر.

ولعل خير دليل على ذلك، ما نقرأه في وصية السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام إلى أبنائه الأمراء علي، وإبراهيم، وعبد الله، قبيل توجههم إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج، في غرة شهر رمضان 1274، الموافق لشهري أبريل ومايو 1858، حيث أثنى العاهل على محمد ابن أحمد الرزيني المدعو الكبير المعين أميناً لركب الحجيج الأميري، وقال عنه ما يلي:

"... ومنذ نوبنا توجيهكم لهذه الوجهة السعيدة، ونحن نحيل الفكر فيمن نوجهه معكم، حتى وقع اختيارنا على خدينا الحاج محمد الرزيني لكونه نعم الرجل، واجتمع فيه من الأوصاف المحمودة ما افترق في غيره، فكونوا له بمنزلة الأولاد البررة، وليكن لكم بمنزلة الوالد الشفيق...". ولدينا أيضاً دليل آخر لتأكيد ما ذهبنا إليه وهو تعيين التاجر عبد الكريم بن أحمد الرزيني، الأخ الأصغر لمحمد الرزيني السابق الذكر، أميناً وعملاً على مدينة الصويرة، في الأيام الأخيرة من عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام في ظروف حرجة كانت تمر بها هذه المدينة، على إثر اندلاع نزاع خطير بين العامل الأمين محمد بن عبد السلام بن زاكور وقواد الحامية العسكرية بها، حول الطريقة المتبعة في توزيع الكسوة على هؤلاء القواد وعلى رجالهم، حيث استثنى أبناءهم وأقاربهم العاملين في فرقته من عملية التوزيع هاته، وهذا ما أدى بهم إلى أن يوسعوه وإبلاً من الشتم والسب والتهديد بالقتل.

وعلى أي حال، فإن محمد الرزيني هذا كان معدوداً من وجهاء مسقط رأسه وكبار تجاره أواخر عهد السلطان المولى

سليمان، إذ ورد اسمه في قائمة الحاضرين سنة 1236 / 1820. 1821، في مسجد القصة بالمشور لعقد البيعة للأمير المولى السعيد بن الزيد مكان عمه السلطان المولى سليمان. وبعد أن تم الأمر للمولى عبد الرحمن بن هشام سلطاناً للمغرب سنة 1238 / 1822، وتولى القائد محمد بن عبد الرحمن أشعاش عاملاً على المدينة سنة 1242 / 1826. 1827، دشنت حملة قمع واعتقال في صفوف متزعمي حركة العصيان هذه، كما صودرت عقاراتهم وممتلكاتهم، إذ كان القصد من هذا كله خضد شوكتهم وكبح جماحهم. وهكذا ألقى القبض على التاجرين أحمد مارتيل ومحمد اللبادي، ووجهها إلى سجن الصويرة في حين تمكن صاحبنا من الإفلات من قبضة القائد أشعاش، حيث كان غائباً عن تطوان في زيارة عمل إلى مدينة رباط الفتح، فانتهاز الفرصة لمغادرتها، بل ومغادرة المغرب وذلك بإيعاز ومساعدة صديقه القائد محمد السوسي عامل مدينة الرباط. وهكذا حل بمدينة وهران عن طريق البحر وظل مقيماً بها أكثر من خمس سنوات، مهتماً بتجارته، منتقلاً بين هذه المدينة والجزائر العاصمة.

وفي سنة 1247 / 1831. 1832 التحق به أخوه عبد الكريم سابق الذكر، بقصد الاتجار في القطر الجزائري.

ولم تدم غربة التاجر التطواني سنوات عديدة بعيداً عن الأهل والأولاد، إذ صدر عفو السلطان عن الجميع، وأمكن للمغتربين الرجوع إلى بلادهم، وردت إليهم ممتلكاتهم وعقاراتهم، بل أكثر من ذلك، عين بعضهم في مناصب مخزنية سامية، فكان من نصب صاحبنا محمد الرزيني أن أسندت إليه مهام وكيل المغاربة بمصر اعتباراً من سنة 1248 / 1832. 1833، ثم قُصل المغرب بجبل طارق وهو المنصب الذي ظل يشغله حتى سنة 1274 / 1856.

وقد قاسى الأمين محمد الرزيني الأمرين من جراء العدوان الإسباني الغاشم على مدينة تطوان سنة 1859. 1860، وما أعقبه من احتلال، وسطو، واغتصاب؛ وتعرض كما تعرض باقي أهالي المنطقة إلى كافة أنواع وأساليب القهر، والتشريد، والحرق.

وما يشير الانتباه ويترك الاعتزاز والافتخار في النفس، هو غيرة هذين الرجلين وغيرهما من أفراد عائلتهما كالأمين أحمد الرزيني، والأمين عبد القادر الرزيني على بلدهم تطوان ووطنهم المغرب، حيث ساهم الحاج محمد الرزيني في وضع الخطة الدفاعية عن المدينة، وفي عمليات التنسيق بين السكان ويمثلي المخزن في المنطقة، كالأمر المولى العباس، صنو السلطان الجديد سيدي محمد بن عبد الرحمن، والأمين محمد الزبدي الرباطي.

ومن المعلوم كذلك أن هذا الاعتداء الإسباني على المغرب وعلى واحدة من أهم حواضره الشمالية، بل أكثرها نشاطاً وحيوية في مجالات وقطاعات ثقافية، وإنتاجية وتجارية عديدة في النصف الأول من القرن الثالث عشر

أ. الرهنري، عمدة الراويين، 3 : 104، مخطوط : مجهول، مفاخر  
البربر، ص. 79، ط. الرباط : ابن القاضي، درة المجال، تر. عدد  
615 : م. داود، تاريخ تطوان، 3 : 362.

**الرزيني، محمد بن الحاج أحمد** أخو سابق  
الترجمة، تولى الوكالة عن المغرب (قنصل عام) بجبل  
طارق عام 1260 / 1844 وفي سنة 1269 / 1852 عين  
أمينا بطنجة.

وفي السنة 1274 / 1857 وقع اختيار السلطان مولاي  
عبد الرحمن على المترجم له لصحبة أولاده والإشراف  
عليهم في رحلة الحج. وأصدر بذلك مرسوما يتضمن  
التنويه بالمترجم.

قال صاحب الاستقصا : "أخبرني الحاج عبد الكريم بن  
الحاج أحمد الرزيني - أخو الحاج محمد المذكور أنفا - أن  
السلطان المولى عبد الرحمن رحمه الله لما عزم على بعث  
أولاده إلى الحجاز استدعى الأمين الحاج محمد المذكور  
فدخل عليه فأوصاه بما تنبغي الوصاية به وأخبره أن المال  
الذي عينه للنفقة على الأولاد المذكورين هي نفقة جمعت  
من حلال بعضها من أصول بتاويلات، وبعضها من غيرها  
مما هو حلال، وقال له : احتفظ بذلك المال واجعل السخاء  
بمنزلة الملح من الطعام".

وكان من المرسوم الملكي الذي نوه فيه بالمترجم له قوله :  
واعلموا أننا عينا عشرين ألف ريال بقصد أن يشتري بها  
حبس في سبيل الله، عشرة آلاف ريال يشتري بها ما يكون  
حبسا بمكة وعشرة آلاف ريال يشتري بها ما يكون  
حبسا في سبيل الله بالمدينة المنورة. وقد قت الحجة ونفذت  
وصية السلطان. وأثبت النقيب ابن زيدان في الإتحاف نص  
عقود الشراء والوقف وكل ذلك باسم الرزيني المذكور.

والمعروف إلى الآن عن أفراد هذه الأسرة وخصوصاً  
المترجم له الرزيني (الكبير) السخاء والكرم والعطف على  
الفقراء والمساكين حتى لقب (أبا المساكين).

توفي رحمه الله بتطوان عام 1278 / 1861.

أ. الرهنري، عمدة الراويين، 3 : 104، مخطوط : م. داود، تاريخ  
تطوان، 3 : 362، ومعظم المجلد الثالث، ط. تطوان.

محمد بوخيزة

### الرسائل الأخوانية والديوانية، يكاد

ينحصر النثر الفني بالمغرب بعد الفتح الإسلامي، في نص  
فريد نسب لطارق بن زياد البربري، وهو نص خطبته الحربية  
التي ألقاها في جنوده يدعوهم إلى القتال والاستماتة فيه.  
ولعل ما يحوم حول هذه الخطبة من الشكوك يجعلنا  
نستبعد أن تكون لطارق فعلا لأنه لأنه ما يزال وقتها حديث  
عهد بالعربية ولا تتجاوز مدة اعتناقه للإسلام الخمس  
سنوات إذ اعتبرنا أنه أسلم مع دخول موسى بن نصير إلى

(19 م)، قد كان له عواقب وخيمة على مدينة تطوان  
وأهلها من جهة، وعلى المغرب بأكمله من جهة أخرى  
سياسيا، واجتماعيا، واقتصاديا.

ومن ثمة تراجع نفوذ ومكانة العديد من رجالات  
التجارة والمال وفي مقدمتهم آل الرزيني في الجهاز المخزني  
في النصف الثاني من القرن المذكور، إذ لم تعد لهم تلكم  
الخطوة والمكانة المتميزتان اللتان ظلوا يتمتعون بهما على  
عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام. وحسبنا أن  
نذكر هنا أن لا أثر لهم إطلاقا في قائمة الموقعين على بيعة  
أهل تطوان للمولى الحسن سلطانا للمغرب سنة 1290 /  
1873، كما لا ذكر لأحد منهم في قائمة كبار تجار وأعيان  
هذه المدينة والتي وردت في نشرة إفريقيا الفرنسية لسنة  
1908، بخلاف تضمنها أسماء تجار وأمناء آخرين كأحمد  
الركينة وعلي مارتيل وأحمد مدينة.

خ. ح. محفوظات المولى عبد الرحمن بن هشام، ك 4 وك 5، كناش  
رقم، 121، ص. 11 : أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء،  
1956، ج. 9، ص. 42 : ص. 71 - 74 : ع. الرحمن ابن زيدان،  
إتحاف، 1929 - 1933، ج. 3، ص. 414 : م. داود، تاريخ تطوان،  
تطوان، د. ت. ج. 3، ص. 278، ص. 336 - 337 : مجلة الوثائق،  
الرباط، 1976، ج. 3، ص. 197 - 199.

مصطفى الشابي

**الرزيني، أحمد (الحاج -) التطوانى الأندلسي**  
الأمين الحازم، كان أمينا بمرسى طنجة عام 1259 وكانت  
بينه وبين قائد تطوان محمد بن عبد الرحمن أشعاش صداقة  
متينة، وتعاون وثيق مخلص في شؤون بلدهما المغرب،  
وكانا معا محل ثقة السلطان مولاي عبد الرحمن ووزرائه.  
واستمر أمينا إلى عام 1263 وفي تاريخ تطوان لداود  
وخصوصاً المجلد التاسع عشرات المراسم والرسائل السلطانية  
والوزارية في مختلف المهام والوظائف المخزنية تتعلق  
بالمترجم له وابنه وأخيه وغيرهما من أفراد هذه الأسرة التي  
يعرف عنها مخالطة لدولة الأنجليز .  
لم أقف على تاريخ وفاته.

أ. الرهنري، عمدة الراويين، 3 : 104، مخطوط : مفاخر البربر، ص.  
79، ط. الرباط : أ. ابن القاضي، درة المجال، تر. عدد 615 : م.  
داود، تاريخ تطوان، الجزء التاسع، طبع تطوان.

**الرزيني، عبد الكريم بن الحاج أحمد** سابق  
الترجمة أحد رجال أسرة الرزيني التطوانية. كانت الأمانة  
السمة الأولى للمترجم له ولأخيه ولأبيهما وبعض أحفادهما  
فما منهم من أحد إلا تولى أمانة مدينة أو مرسى. وأضاف  
المترجم اشتهاره بالتجارة والسفر إلى الأقطار والبلدان من  
أجلها وتنفيذ الخدمات السلطانية. وقد عين أمينا للصورة  
عام 1275 / 1858 إلى أن استعفى عام 1290 / 1873.  
وتوفي بعد ذلك.



المغرب. وفي فترة الأدراسة زاد انتشار الإسلام وشيوع العربية على الألسنة، بعد أن طوّق عبد الحميد الأوربي وبرابرة المغرب عنق المولى إدريس بالبيعة، وبذلك بدأ التاريخ الفعلي للمغاربة المسلمين بتأسيس الدولة الإدريسية سنة 172 هـ كأول دولة عربية إسلامية بالمغرب الأقصى. ومازال المولى إدريس الأول يوطد أركان الدولة الجديدة حتى اغتيل سنة 177، فخلفه نجله المولى إدريس الثاني الذي وسع رقعة الدولة ورسخ الإسلام في دواليبها، غير أن وفاته أدت إلى ذبوع الفتن وانتشار الاضطرابات والقلاقل، وتنازع أبناؤه الملك. فظهرت إمارتان كبيرتان : النكور في الشمال وإمارة بني مدرار في الجنوب، وظهرت حركات انفصالية عديدة وزعت المغرب أشلاء. وفي ظل هذه الأوضاع المضطربة ظل الأدب يتقدم نسبياً كما وكيفاً.

وهكذا تذكر كتب الأدب ومصادر التاريخ المغربي خطبا ورسائل، وربما يكون النثر في ظل هذه الظروف الحربية والتكتلات والأحلاف أكثر ازدهارا من الشعر. فالخطباء والمرسلون مدعوون لاستنهاض الهمم ووعظ الناس والكتابة حول ظواهر المجتمع والمناسبات الخاصة والعامة.

ومن مآثر المغاربة في فن النثر عدا الخطب أو الكتابة الديوانية بعض الرسائل النسوية لإدريس الثاني، وهي وإن حام حولها الشك في نسبتها لقائلها، فإنها تحمل من عناصر الكتابة الفنية العربية ما يُظهر ميل المغاربة إلى اصطناع أساليب النثر المشرقي في نزوعهم إلى الأسلوب المحافظ.

وقد شهد الواقع الأدبي تحولا عميقا في عهد المرابطين نظرا لأسباب سياسية ولغوية وثقافية. فالسياسة المرابطية التي سنّها يوسف بن تاشفين. ومن قبله الزعيم عبد الله بن ياسين كان لها أثر فعال في خلق وعي أدبي في هذا العهد. وتعتمد هذه السياسة على إشاعة الدين الإسلامي في الأوساط الخاصة والعامة والسهر على تعليم العربية وتلقينها لجميع فئات المجتمع. وقد أدى هذا الوضع من ذبوع الإسلام إلى اهتمام الناس بالدين وانفتاحهم على التعلم والتفقه في الدين.

نهجت الدولة المرابطية نهجا متميزا في الانفتاح على الفقه المالكي وفروعه في جميع أصقاع الامبراطورية المرابطية. وساعد هذا الوضع على نشر المعرفة الفقهية بين طائفة كبيرة من للفقهاء المسلمين، مما شجع على شيوع العربية والأدب بجميع أنواعه في بيئة أولى فيها الخلفاء والسلاطين المرابطون أهمية بالغة للفقهاء والأدباء والمعارف والأداب العربية.

كما شجع السلاطين وكبار الوزراء في الدولة المرابطية الشعراء على القول والكتاب على الترسل، فازدهرت الحركة الأدبية وظهر فيها تيار نشري، ينهج النهج المشرقي في النثر الفني. ولعل أهم كتاب هذه الفترة من المرسلين ابن بياض السبتي المعروف بابن زنباع من رجال القرن الخامس (11 م) أديب شاعر وكاتب مترسل من آثار تطور كتابته سيره على

نهج الجاحظ في الترسل الفني من حيث الميل إلى الجمال القصار واللجوء إلى الاستقراء في قلب الفكرة ذاتها على وجوه عديدة والميل إلى الأبنية السجعية والبديعية. والقاضي عياض اليحصبي السبتي أيضاً الذي اشتهر بأنماط من الكتابة النثرية المغربية، فقد اشتهر بالكتابة الديوانية والفقهية وكتابة الأحكام باعتباره قاضيا، والكتابة التأليفية أو ما يدعى النثر التأليفي المرتبط بالكتب والمؤلفات التي وضعها وعلى رأسها كتاب الشفا. ولعل أهم أنماط الكتابة لديه النثر الفني وكتابة الرسائل وهذه بعض مزياته في هذا الفن نذكرها في الملاحظات الآتية :

- تتوزع آثار القاضي عياض النثرية من رسائل وخطب فنية ذات طابع اجتماعي وأخوي وديني، بين عدة كتب ومصادر تاريخية. وأقدم هذه المصادر وأهمها كتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان وكتاب التعريف لولد القاضي عياض وكتاب أزهار الرياض للمقري. وبالعودة إلى هذه المصادر المختلفة نلاحظ تعدد موضوعات رسائل القاضي عياض وتنوعها ولاسيما الإخوانية.

فقد كان لتفتحته على العالم الإسلامي دور كبير في تبادل القاضي عياض الآراء الفقهية والمذهبية مع فقهاء المشرق وعلماء المذاهب المختلفة. فنقله يرأسل الزمخشري وابن خاقان وابن العريف. كما يرأسل تلامذته وشيوخه كابن رشد الجد.

يبني القاضي عياض رسائله وفق هرم لا يكاد يختلف فيه المرسلون في مختلف العصور. ويتألف هذا الهرم التركيبي من العناصر الآتية :

- الاستهلال أو المطلع : وبه يفتتح الكاتب رسالته منهيها إلى علم القارئ أو المتلقي السبب الداعي إلى تدبير الرسالة والبواعث على ذلك إذا كانت مما يلزم ذكره، وقد يمتزج الاستهلال بالتصدير وهو ما يلزم من البسملة والحمدلة وما أشبه ذلك.

- ذكر غرض الرسالة وبدون هذا العنصر لا تكاد تستقيم الكتابة في الرسائل، لأن كل رسالة تحمل عناصر فكرة معينة يود الكاتب تبليغها. واستكمالا لتصوير الرسالة ووظيفتها التبادلية يلزم ذكر الغرض من تأليفها ولا سيما في الرسائل الإخوانية والاجتماعية التي تكون فيها المناسبات دقيقة ومخصوصة بإطار محدد.

- الخاتمة والتحية : وهي العناصر التي ينهي بها الكاتب رسالته بأن يضع حدا للكتابة بالتوقف من خلال عملية خروج من الموضوع تدريجيا على طريقة حسن الاختتام.

- كانت موضوعات القاضي عياض في رسائله الإخوانية والاجتماعية تدور غالبا حول موضوعات طرقها المشاركة من المعاتبة أو التباري أو إثبات قوة الحجّة وأظهار القدرة على الكتابة. وقد ينجّر الكاتب من هذه السبل إلى التكلف. وهو أمر ينجم عن طلب السجع في كل جملة

والبحث عن الموازنات في اللفظ والمعنى إظهاراً للذات وشحذاً للمهارات القولية ونكايه في الخصوم أيضاً.  
- على الرغم من الإغراق في لطائف البيان وأصباغ البديع تزخر الرسائل الإخوانية والاجتماعية الفنية بألوان ثقافية تعكس اتساع أفق الكاتب وانفتاحه على جملة من العلوم والمعارف.

- من طوابع الترسل الفني في العهد المرابطي من خلال رسائل القاضي عياض استمداد ألقاظه ومعانيه من ألقاظ القرآن والسنة والفقه والأدب العربي الذي اطلع عليه. واعتماداً على هذا الاستنتاج يمكن القول بأن القاضي عياض يمثل التوجه المغربي الإسلامي في الكتابة النثرية الفنية ففضلاً عن خطبه الدينية وتأليفه الفقهي والديني الذي تظهر فيه آثار الوعي الإسلامي واضحة لا تحتاج إلى دليل. فإن آثاره الفنية المتمثلة في رسائله الإخوانية والاجتماعية نموذج للكتابة العربية التي جمعت إلى قوة التعبير المشرقي ونصاعته قوة التوجه المغربي في إثبات الشخصية المغربية في الكتابة والاستمداد من واقع الثقافة الفروعية المغربية في العهد المرابطي والثقافة الأصولية في العهد الموحد، ولا شك في أن القاضي عياض الكاتب جسد هذين الاتجاهين في نثره الفني ورسائله المتنوعة.

وفي عهد الموحدين نضجت الكتابة الفنية أكثر إذ كان فن الرسائل والنثر عموماً يختلف عن الشعر باعتبار المقوم الفكري والعقلي الذي يكون قوياً في النثر وضعيفاً في الشعر ميدانياً، فإن النثر الفني والرسائل الموحدية كرسّت هذا التصور. إذ أضحت الكتابة الفنية مجالاً رحباً لعرض التصورات المذهبية الموحدية التي سعت جاهدة منذ عهد المهدي بن تومرت، إلى نبد تعددية المذاهب والنحل في العالم الإسلامي، وحاولت رأب الصدع وجمع شمل الأمة حول الأصول والمصادر الأصلية بدل الفروع التي هي مدعاة للفرقة والاختلاف.

وقد كانت هذه النزعة التوحيدية الجديدة مستجيبة لظرفية تاريخية فشا فيها التمرد المذهبي الخارجي لما أوقعه الإباضية والصفيرية من القلاقل في بلاد المغرب في تلك الآونة وقبلها في إمارة بني مدرار بسجلماسة.

كان لانتشار العقيدة الموحدية في صفوف أدباء هذه الفترة أثر كبير على تغيير وجه الكتابة الأدبية، فضلاً عن النشر التأليفي. فإذا كانت بعض العلوم محظورة في العهد المرابطي السابق كالفلسفة وعلم المنطق والتوحيد، فإنها قد عادت إلى الصدارة في الثقافة الموحدية بحيث صار الاشتغال بها فضيلة تحسب لمن يقدم عليها ولاسيما علم الأصول والكلام والفلسفة.

ومن مظاهر التجديد في رسائل هذه الفترة ازدهار فن المناظرة، وأشهرها تلك التي جرت وقائعها بين زعيم الموحدين ابن تومرت وفقهاء المرابطين. ويظهر من جمل هذه المناظرة أنها سبكت في لغة عربية رصينة يطفئ عليها

السجع وعنف ظاهر في الثبرة وأوصاف قاسية تفصح عن حق ابن تومرت وغضبه على فقهاء المرابطين. وازدهرت الكتابة النثرية والفنية في زمن الموحدين على يد الكاتب المترسل أبي جعفر ابن عطية (517 / 553) الذي عاش في الهزيع الأخير من ليل المرابطين، ويزوغ فجر الموحدين.

والى جانب كتابته الديوانية الرسمية، كان لأبي جعفر ابن عطية رسائل إخوانية واجتماعية ذات طوابع فنية رسخت صورة الكتابة الترسلية المغربية باعتماد طريقة السجع وتوالي الفواصل مع اهتمام واضح بالموازنات الصوتية والمعنوية. وحرص على الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف وتضمين الأمثال والاستشهاد بالأشعار ومأثور الكلام العربي، والسير على نهج الإرادة الموحدية في مناهضة الفروع وترسيخ مبدأ الإمامة في الخلافة وتكريس العناصر الغيبية في الدفاع عن شرعية الخلافة كالمهدوية والعصمة والدعوة إلى الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكانت هذه المضامين مادة متجددة في رسائل هذا الكاتب بما فيها الإخوانية والاجتماعية.

وفي فترة المرينيين والوطاسيين تأصل فن الرسائل الفنية وعادت هيمنة المذهب المالكي ونظرته الفروعية في الدراسات الدينية، وأبدى السلاطين المرينيون اهتماماً كبيراً بالمذهب ورجالته وصدروا في مواقفهم عن فتاوى المالكية وآرائهم.

وأما اهتمام المرينيين بالعلم فقد كان السلطان المريني أبو الحسن نموذجاً فذاً في هذه المكرمة إذ كان معه وفي حاشيته مئات العلماء والفقهاء ورجال المعرفة ممن يصحبهم ويستشيرهم في أمور الحياة والدين فضلاً عن السياسة، بل ويدرس معهم الكتاب والسنة وعلوم الإسلام.

وازهرت أوضاع الأدب شعراً ونثراً في هذه الفترة وسوف نورد مزايا الترسل الفني في هذه الفترة من خلال رصد ملامح هذه الظاهرة لدى كبير أدباء هذه المرحلة وهو الكاتب والشاعر مالك بن المرحّل السبتي (604 / 699) الذي اشتهر برسائله الإخوانية والفنية وتميزت أساليب كتابته الترسلية باستمدادها لمقوماتها من التجربة العربية القديمة الشاملة لطرق التعبير عند الجاحظ والهمذاني والحريري وابن العميد وغيرهم من أساطين الكتابة الترسلية العربية القديمة.

خاض ابن المرحل في تجربة الترسل الفني فأصل هذا الفن في الأدب المغربي بإسهامه الوافر من جهة ومزايا كتابته وطابعها المتمثلة في اصطناع الأساليب العربية الرصينة والنزوع إلى أسلوب التزيين البلاغي والوصف الدقيق وكثرة الاقتباس والتضمين لدرجة بذ فيها غيره من كتاب المرحلة. ونفوره من التعقيد والمعاظلة اللفظية ولجوؤه إلى ركوب السهل الممتنع من الأساليب التي تعكس ألوان ثقافة الكاتب ومعارفه، وتبرز قدراته اللغوية وامتلاكه

المخاض بين عصر السعديين وعصر العلويين، ورسائله متميزة تمثل حركة فكرية قائمة على أساس الإصلاح الديني والروحي. وتتمثل مزايأ أسلوبه في الإيجاز والاتباح من روح الدين الإسلامي وحيا وشرعية، له أسلوب يميل إلى الوضوح مع المتانة على طريقة السهل المنتع القديم، تسبق الفكرة إلى ذهن المتلقي قبل أن يلتفت إلى لبوسها اللفظي والفني. ولعل منحنى اليوسي في التسك والتصوف طبع عبارته الفنية في رسائله بالاقتصاد في أصباغ البلاغة إلا في حدود ما تدعو إليه الحاجة التعبيرية والمقام والغرض، لأن القصد لديه إنما هو توصيل الأفكار والمواقف وليس البهجة أو الحذقة اللفظية.

ثم تطورت أوضاع المغرب الاقتصادية والسياسية في ظل الدولة العلوية، وانتشرت الثقافة والعلوم عبر الأصقاع المختلفة، واهتم سلاطين الدولة بالعلم والأدب والفكر وخصصوا الجوائز والمنح والصلات المالية الكبيرة للمبرزين من العلماء والأدباء. واشتهر نفر من السلاطين بالمشاركة في الفقه والعلم والأدب على نحو ما نقرؤه عن سيدي محمد بن عبد الله، واشتهر أدباء على عهد الدولة العلوية كابن النون وحمدون بن الحاج وابن إدريس العمراوي والفقهاء الأديب أكنسوس والأديب ابن زاكور الفاسي والزروالي وابن الطيب العلمي وظلت ملامح الكتابة الأدبية الفنية على ما كانت عليه في العهد السعدي تشمل الموضوعات الإخوانية والاجتماعية والسياسية والدينية، ولم يظهر تجديد يذكر ما عدا كتابة المقامات التي ازدهرت بصورة ملحوظة، وأما باقي الظواهر الترسلية فقد كانت على شاكلة نشر المرحلة السعدية كما يظهر في مدرسة اليوسي الفنية الذي أشرنا إلى بعض مزاياها، فالأديب ابن زاكور الفاسي (1076 . 1120 هـ) له من الرسائل والخطب ما يعكس أثر المنحنى اليوسي في الكتابة في نبد المحسنات البديعية والاقتصاد في استجلاب وسائل التزيين البلاغية إلا متى كان ذلك سانحا من غير تكلف ولا رشح جبين.

ومن أنصار هذا الاتجاه الأديب الكاتب ابن الطيب العلمي (ت. 1134) تلميذ ابن زاكور ويتفق معه في سلاسة التعبير وخلوه من التكلف وله إسهام ظاهر في فن المقامات. ومن سار على هذا النهج في الكتابة المرسل الأديب ابن إدريس العمراوي (ت. 1263)، وله نشر ترسلي إخواني واجتماعي يغلب عليه السجع والبديع في المقامات على وجه الخصوص.

ولعل أبرز تجديد ظهر في فن الخطابة والترسل في عهد سيدي محمد بن عبد الله وإلى حدود عهد المولى الحسن الأول، هو ذلك المنحنى السلفي الذي تخصص فيه نفر من المترسلين والكتاب بغية الإصلاح والعودة بالمجتمع إلى أصول الدين الإسلامي.

وإذا جاز أن نعتبر هذا المعلم الفكري أساسيا في توجيه حركة الكتابة الترسلية في المغرب في تلك الفترة فإننا نقرر

لناصية التعبير العربي، بتجنبه للحوشي والمتنذل من الألفاظ والسخيف من المعاني، وتدرجه بصورة عقلية من معنى إلى آخر بالتخلص من فكرة إلى فكرة وفق منطق تدرجي محكم يدل على وضوح القصد ومتانة البناء.

وفي فترة السعديين ازدهر الترسل الفني بالمغرب وسوف نقف في الملاحظات الآتية على بعض ملامح هذا التطور والازدهار ولا سيما في الرسائل الفنية الإخوانية والاجتماعية من خلال ما بقي منها وهو رصيد كبير وغني ومتنوع بالقياس إلى الحصاد السابق في المراحل السابقة من تاريخ الترسل في المغرب، ولعل أبرز مجموعات الرسائل التي خلفها العهد السعدي مجموعة رسائل سعدي تضم ما نشره دوكاستري وما نشره گنون وما حققه ودرسه مصطفى بنعلة.

واشتهر في فن الترسل نفر كبير من الكتاب يتقدمهم وزير القلم أبو فارس عبد العزيز الفشتالي الذي كان عالما بفن الكتابة متقنا لأساليبها على النهج الأندلسي ماها في طرق المواضيع المختلفة لا تعوزه لغة ولا معنى، وصار مدرسة قائمة الذات يسعى الكتاب الناشئون إلى التعلم في كتبها. واشتهر إلى جانب الفشتالي كتاب آخرون في بلاط المنصور ذكروهم أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ وأنتى عليهم.

وكما ازدهرت رسائل السياسة والمناظرات اللغوية والرسائل الدينية والصوفية وازدهرت فنون الخطابة الفنية وعلى رأسها الخطابة الاجتماعية والإخوانية ذات الموضوعات الوجدانية كما نذكر في الملاحظات الآتية :

ظهرت فئة من الرسائل التي تخاطب المزار الشريف وتتوجه بعبارات الشوق واللهفة القلبية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وبها من المناجاة ما تنفطر له قلوب الصوفية وعشاق المقام المحمدي، وعباراتها مؤثرة ومستمدة من القرآن والسيرة على وجه خاص، وبها أذكار وأدعية وترف شعرية.

ومن الرسائل السعدية ما تم التركيز فيه على علاقات المحبة والأخوة بين الشيوخ ومريديهم وعشيرتهم كرسائل الشيخ مَحْمَد ابن ناصر الدرعي إلى أهله ورسائل أحمد بن إبراهيم التساوتي الصوفية، ورسائل أحمد بن عبد الله الدلاتي إلى أهله وأقاربه ورسائل التهنية بالحج أو بالأعراس أو الصحة ورسائل التقريظ والتنويه والصدقة والمواساة وغيرها من الموضوعات الاجتماعية المتنوعة بتنوع خبرة الإنسان في وجوده اليومي ومعاناته في الحياة والعيش مع غيره.

ازدهرت الخطابة الفنية والترسل على يد الفقيه الكاتب أبي علي اليوسي الحسن بن مسعود، الذي جال ببلاد المغرب بعد خروجه من قبيلته الأصلية آيت يوسي، ثم استقر بالزاوية الدلالية وتصدى للتدريس وله ضلع كبير في علوم الدين واللغة والأدب. وقد عاش اليوسي فترة

أن هذا الخطاب الجديد تفاعل وجدانيا في نفوس المغاربة مع أصوله المشرقية التي غذتها الحركة الوهابية بأساليب مختلفة، مما أدى إلى انتشار هذا النفس الإصلاحي الإسلامي لدى طوائف كبيرة من أدياء العصر العلوي، وهذا النفس سيستمر عبر الخطابة الدينية والمقالة الأدبية الإصلاحية التي تعتبر تطوراً لشكل الرسالة الفنية التي بدأت منذ ذلك الوقت تختفي لصالح الأشكال النثرية الفنية الحديثة كالمقالة الدينية الوعظية والمقالة الاجتماعية وغيرها من الفنون النثرية الفنية الجديدة في الأدب المغربي الحديث والمعاصر.

ابن عذاري، البيان المغرب، بيروت، 1985؛ الفتح ابن خاقان، قلائد العقبان، بولاق، 1283؛ م. ابن عياض، التعريف بالقاضي عياض، المحمدية؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954، ج. 1؛ أ. المقري، أزهار الرياض، تح. سعيد أعراب وآخر، المحمدية، 1978-1980؛ نفع الطيب، تح. إحسان عباس؛ وفيات الأعيان؛ م. مختار العبادي، دراسات مغربية وأندلسية؛ مجهول، الذخيرة السنية، الرباط، 1972؛ م. ابن بطوطة، تحفة النظار، 2: 761؛ ل. ابن الخطيب، الإحاطة، تح. عبد الله عنان، القاهرة؛ إ. حركات، المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء، 1985؛ م. حجي، الحركة الفكرية، المحمدية، 1977، 1: 55؛ مجموعة رسائل سعية، تح. ع. الله گتون؛ فاطمة خليل القبلي، رسائل اليوسي، الدار البيضاء، 1981.

محمد أديوان

### الرسائل السلطانية أو الرسمية. نجد معظم

رسائل الفترة الوسيطية منسوخة في كتب الآداب خاصة، إذ كان الغرض الأساسي اختيار نماذج من فن الكتابة النثرية، ولهذا تعرضت في معظمها من قبل النساخ للبتير وتشويه أسماء الأعلام الواردة فيها. أما ما بقي من الرسائل على أصولها فهي غالباً تلك التي استقرت في الخزائن الأوروبية خاصة في إسبانيا وإيطاليا. ويظهر أن أهم أسباب ضياع أصول الرسائل داخل المغرب الوسيطى ترجع إلى القلاقل التي عرفها وتبدلات الأسر الحاكمة به.

إذا تتبعنا هذه الرسائل منذ الفتح الإسلامي وجدناها - حسب ما في علمنا لحد الآن - محدودة العدد حتى العصر المرابطي، ومنها خاصة رسائل تهتم العلاقات بين المغرب وأموي الأندلس. وخلال الفترة المرابطية تتكاثر الرسائل السلطانية ويرتفع مستواها الأدبي باستعمال أدياء مشاهير في ديوان الإنشاء، وما بأيدينا منها معظمه منصب على الاهتمام بالأندلس. وتتميز هذه الرسائل عامة بقصرها - إن لم تكن مبتورة - مقارنة مع رسائل الفترة اللاحقة.

خلال العصر الموحدى تصبح الرسائل أكثر عدداً، وقد تمكن الباحث الإيطالي ميشيل أماري في القرن الثالث عشر (19 م) من نشر المراسلات المحفوظة في فلورنسا

والتي دخلت إيطاليا من مصر وبلدان المغرب ومنها الدولتان الموحدة والمرينية. كما قام المستعرب الفرنسي ليفي بروفنصال بنشر سبع وثلاثين رسالة موحدة سنة 1360/1941 تحت عنوان مجموع رسائل موحدة من إنشاء كتاب الدولة المرينية. وأنجز كاتب هذه المادة - في إطار تحضير ديبلوم الدراسات العليا - تحقيقاً ودراسة لما يزيد على مائتي رسالة موحدة نشرها تحت عنوان رسائل موحدة - مجموعة جديدة. وكان هذا العمل حافزاً لدراسة وتحقيق رسائل عن الفترة اللاحقة والمتعلقة بالمغرب الإسلامي عامة خلال القرنين السابع والثامن للهجرة (13 م). فشملت رسائل موحدة متأخرة ومرينية وزبانية وحفصية ونصرية) وذلك في إطار تهيئتي دكتوراه دولة بعنوان المغرب الإسلامي من خلال رسائله، وقد بلغ عدد هذه الرسائل ما يقرب من خمسمائة رسالة غطت مع دراستها أكثر من 1800 صفحة. هذا إضافة إلى ما نشره الباحث رشيد السلامي فيما يتعلق بمجموعة من الوثائق المرينية (مروونة)، وما نشره أيضاً الباحث التونسي محمد الحبيب الهيلة فيما يتعلق برسائل عن الأصرار العزقيين بسببته في النصف الثاني من القرن السابع.

تختلف أحجام الرسائل "السلطانية" حسب عصرها وحسب موضوعاتها؛ فبالنسبة لعصرها نجد رسائل الفترتين الموحدة والمرينية أطول عموماً، فنحن أمام عصر ازدهار فن الترسيب، حيث ظهرت كتب مختصة فيه مثل كتاب العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيب لأبي القاسم البلوي (مطلع القرن السابع)، ورسائل أبي المطرف ابن عميرة التي تهتم الأندلس والمغرب وإفريقية في النصف الأول من القرن السابع، وفصل الخطاب في ترسيب أبي بكر بن خطاب التي تهتم الأندلس وعلاقة المغرب الأوسط بإفريقية خلال النصف الثاني من القرن السابع، ثم ابن الخطيب أشهر أدياء القرن الثامن الذي خلف ثروة هامة من المراسلات جمع معظمها في كتاب ربحانة الكتاب وبحجة الكتاب الذي صنّفه حسب فنون الترسيب، وجميع الرسائل السلطانية لهؤلاء وغيرهم من رجال القرون السادس والسابع والثامن (12-14 م) هي منشورة في البحثين المذكورين رسائل موحدة والمغرب الإسلامي من خلال رسائله.

وتختلف أحجام الرسائل حسب موضوعاتها، فهي أقصر ما يكون فيما عُرف بالتوقيعات أي الإجابات المختصرة والمباشرة، وفي رسائل العتاب، وكذا الرسائل الموجهة - بشكل عام - إلى ملوك النصارى، وفي هذه الحالة تخلو من المحسنات اللفظية ومن العبارات التي يصعب فهمها على المترجمين لدى هؤلاء الملوك، إضافة إلى كون العديد منها عبارة عن عقود اتفاقات أو شكايات من أعمال القرصنة... وتكون الرسائل طويلة عادة إذا كانت في موضوع البيعات أو الفتح أو النهائي بالفتح أو الوصايا لولاة الأمور،

وكذلك بالنسبة للرسائل الموجهة إلى سلاطين مسلمين.  
تتكون أجزاء الرسالة عامة - إذا لم تكن مبتورة البداية  
والنهاية - من الصدر، والمضمّن، والخاتمة (التي قد تحتوي  
على الدعاء أو وصية إن كانت الرسالة أو الظهير صادراً عن  
السلطة العليا)، وهذه الأجزاء غير متكافئة :

يبتدئ الصدر فيما بقي من الرسائل المرابطة - إن لم  
تكن مبتورة - بعبارة مثل "كتابتنا إليكم (دعاء) من حضرة  
(فلانة) ..." ثم يرد ذكر التاريخ صراحة أو مشوها (في  
شهر كذا من سنة كذا) ثم المقصود من الرسالة. وفي  
العصرين الموحيدي والمريني يبتدئ الصدر بالبسملة  
والتصلية في أعلى الرسالة ثم بالمكتوب عنه ثم المكتوب  
إليه إلا إذا كان هذا أرفع درجة من الأول فيقدم عليه كما  
هو حال الرسائل الواردة من الجهات إلى مركز الدولة، ثم  
الجهة المكتوب منها، ويؤتى بالبعديّة والحمدلة والتصلية  
(والترضية عن المهدي إن كانت موحديّة أو حفصية)،  
والدعاء للحاكم ثم لوليّ عهده إن وُجد. أما المرحلة  
الانتقالية من الصدر إلى ما بعده فيؤتى فيها بعبارة مثل  
: إنا كتبنا إليكم - كتب الله لكم (دعاء) من فلانة  
(الجهة...) أو كُتِب - كتب الله لكم (دعاء)... وعادة ما  
يتضمن الصدر تلميحاً لمضمّن الرسالة، وهو يطول أو يقصر  
حسب طولها أو قصرها ومضمّنها. هذا بالنسبة للرسائل  
العامة، أما رسائل البيعات فلا يشتمل صدرها على  
المكتوب عنه أو المكتوب إليه بل تبدأ مباشرة بالحمدلة  
والتصلية بصورة مطولة غالباً. والملاحظ أن كثيراً من  
الرسائل المنسوخة حذف صدرها أو اختصر أو عوض اسم  
المكتوب عنه والمكتوب إليه بالرمز "فلان أو أبي فلان أو  
السلطان الكذا بن السلطان الكذا، وعوّضت الجهة بفلانة،  
كما عوض التاريخ بعبارة مثل "وكتب في كذا في التاريخ"  
وهذا ما يزيد في صعوبة تحقيق الرسائل غير الأصلية.

أما مضمّن الرسالة في الفترتين الموحيديّة والمرينيّة فهو  
عادة ما يؤتى به بعد عبارة مثل "وإلى هذا فإن..." وهو  
أطول أجزاء الرسالة، وإذا كانت جوابية أتى بملخص لما في  
الرسالة الواردة قبل ذكر الجواب عليها، ثم يؤتى بالمقصود  
إن كانت غير مكثفة بالإجابة. أما إذا كانت هناك أسرار  
يخشى على افتضاحها فإن الرسالة تكتفي بالإشارة إلى  
تصديق حاملها الذي يبلغ مضمّنها شفويّاً. وقد تختلف  
مضمّنات الرسائل حسب الجهات المكتوب إليها وحسب  
الهدف منها :

- فالرسائل المكتوبة إلى جهات إسلامية عادة ما تحمل  
أخبار البلاد من أمن وانتصارات إضافة إلى ذكر علاقات  
الودّ والإخاء أو تقديم الدعم للجهاد في الأندلس... كثر  
هذا النوع من المراسلات المتعلقة بالأندلس منذ فترة معركة  
الزلاقة التي مهّدت لدخولها تحت سيادة المرابطين ثم  
الموحدين. ونظراً للتوتر بين الخلافة العباسية والموحدين  
انقطعت - حسب علمنا - المراسلات بين الجهتين باستثناء

رسالتين عن صلاح الدين الأيوبي يطلب الدعم ضد  
الصليبيين، (رسائل موحديّة، 1 / عدد 38 و39). أما  
خلال العهد المريني فقد كثرت المراسلات مع المماليك في  
مصر والنصريين في الأندلس، فهي مع الأندلس لتأكيد  
استمرار دعمها، ومع مصر للتأكيد على استمرار المودة  
والدعوة للاهتمام بوفود الحج المغربية، وآخر مراسلة بيدنا  
مع المماليك تعود إلى مطلع القرن التاسع ( الغرب  
الإسلامي... ع 487). غير أننا لم نجد أية اتفاقية بين  
الغرب وبلد مسلم في موضوع السلم والتجارة على عكس  
ما كان يحدث مع الأطراف النصرانية، ذلك أن "دار الإسلام"  
كانت تعتبر مفتوحة على عامة المسلمين بصورة تلقائية  
دون حاجة إلى اتفاقيات.

- بالنسبة للرسائل الموجهة إلى بلد نصراني، هي من  
نوعين (اعتماداً على الأصول التي أطلعنا عليها) : رسائل  
سلطانية عادية وعقود اتفاقيات :

فالرسائل العادية الموجهة من السلطة المغربية تتضمّن  
العلاقات بين الجهتين السلمية والتجارية أي تأكيد المحافظة  
على استمرار السلم لمنع القرصنة بين الطرفين وتشجيع  
التجار النصارى للتواجد على المراسي المغربية أو المغاربية،  
وهذا شأن مجموعة من الرسائل الصادرة عن السلطة  
الموحديّة المركزية والجهوية (في ستة وإفريقية) نحو  
جمهورية بيزا التي احتفظت بهذه الرسائل التي نشرها  
أماري كما ذكرنا، ونجد في بعضها الإشادة بسلوك تجار  
جنوة مع رعايا الدولة الموحيديّة في الوقت الذي لم يتورع  
البيزانيون عن أعمال القرصنة أحياناً في خليج تونس كما  
حدث سنة 596 في ظل اتفاق سلم مع الموحيدين.  
والشكايات من أعمال القرصنة النصرانية تملأ كثيراً من  
رسائل المرينيين والحفصيين والزيبانيين والنصريين. ولا تخلو  
بعض الرسائل المرينية تجاه أركون من التعبير عن علاقات  
المودة، خاصة وأن أركون لم تكن تعادي الدولة المرينية كما  
كانت قشتالة تعادها.

أما رسائل العقود فهي تتحد غالباً مدة الهدنة بين  
الطرفين، وإذا لم يتمّ تجديدها فإنها تنتهي - نظرياً - بوفاة  
أحد الطرفين الموقعين عليها، وغالباً ما تتضمن هذه  
العقود في بداياتها ذكر المدن والجهات الكبرى التابعة  
للطرفين، والظاهر أن الهدف هو التنبيه على شمولية  
الاتفاق لها سواء للتردد عليها تجارياً أو حرصاً على عدم  
تعرّضها للقرصنة.

- بالنسبة للرسائل الخاصة بداخل الدولة تتنوع  
مواضيعها : فمنها رسائل البيعات وهي عادة ما تتضمن  
كون البيعة دعت إليها حاجة الأمة أو كان الاقتراح منها  
وتفضّل الأمير بقبولها، وكذلك الشأن بالنسبة لولاية العهد  
فهي - حسب زعم الرسائل المخزنية - تلبية لرغبة الرعية.  
وتُذكر في نص البيعة الشروط الواجبة عليها دون ذكر  
الشروط الواجبة على الحاكم. وتبدأ بالحمدلة والتصلية على

الرسول ﷺ والترضية عن الخلفاء الراشدين في صدر مظلوم عادة، ثم يُهدّد لظروف البيعة لإظهار الحاجة إلى الالتفاف حول الشخص المباح مع الإشادة بنسبه. (رسائل موحدية، 1 / ع 40، 121، وقارن مع الغرب الإسلامي عدد 13 و 19 و 143).

رسائل الوصايا وهي غالباً ما تراها في بداية عهد الخليفة أو السلطان أو في فترات الأزمات السياسية أو انحباس المطر أو المجاعات... للتذكير بضرورة الالتزام بأحكام الشرع، وهي أيضاً رسائل طويلة عموماً مثل رسالة الأمير تاشفين المرابطي من منطقة تلمسان سنة 538 وهو في المرحلة الأخيرة من مقاومته لضغط الجيوش الموحدية (صحيفة المعهد المصري بمدريد، سنة 1955 م / 1 - ع 3 / ص. 110-113 نقلاً عن مخطوط الأسكوريال 538 / 111 أ - 113)، ومثل رسالتين الخليفيتين الموحدين عبد المؤمن سنة 543 (التي سماها صاحب نظم الجمان بالرسالة المنظمة) والمستنصر سنة 617 (رسائل موحدية، رقم 6 و 106)، ثم رسالة الغني بالله النصري إزاء الضيق المالي الذي عانت منه إمارته بعد استرجاع عرشه وضغط القشتاليين عليها سنة 767 (الغرب الإسلامي... ع / 443)...

رسائل الفتوح والتهاني بها، تتميز أيضاً بطولها، وتكاد تتفق في الغرب والشرق الإسلاميين على مثل ما أوصى به الكاتب شهاب الدين الحلبي كتاب الدواوين بقوله: "إذا كانت كتب التهاني بالفتوح فليس إلا بسط الكلام والإطناب في شكر الله على الفتح... ثم وصف الإقدام والصبر... على الملك وجيشه ونسبة النصر إلى الله... ولا بأس بتحويل أمر العدو ووصف جمعه وإقدامه، فإن في تصغيره تحقيراً للظفر به" (حسن التوسل إلى صناعة التوسل، 335).

رسائل العتاب، وهي قصيرة وبدون صدر، هدفها تبريع جند منهزم أو متخاذل عن نصرة غيره وكمثال على ذلك رسالة علي بن يوسف المرابطي (صحيفة المعهد... نفس العدد ص. 116-118 نقلاً عن نفس المخطوط 13 أ - 14 أ)، ورسالة المأمون الموحدي لعتاب جند وأهل مدينة أندوجر الأندلسية (رسائل موحدية، عدد 113).

الظهائر، ومنها رسائل التزامات سياسية كالتالي حدثت أحياناً بين بعض السلاطين المرينيين والنصريين للتفويض لهم في عقد اتفاق بالنيابة عنهم مع القشتاليين أو الأركونيين، ومنها أيضاً تعيينات كبار رجال السلطة، وقد يرفق ظهير التعيين برسالة جمهورية أي تقرأ على الجمهور للتعريف بالمولى عليهم والتوصية بطاعته (رسائل موحدية، ج / 1، الملحق الأول). وقد تكون الظهائر خاصة بالتوقير والاحترام، وهي قصيرة تخص التوصية باحترام بعض الأعيان أو الصلحاء أو الشرفاء وإعفانهم من المغارم والكلف التي يكلف بها عامة الناس. وأقدم ظهير تعرفنا عليه هو لزواية أيت أمغار من أحد أمراء سلا اليفرنين

سنة 409 (راجع في المعلمة: نعيم بن زيري)، وهناك ظهائر لاحقة لفائدة الزاوية المذكورة وردت في مخطوط "بهجة الناظرين" لعبد العظيم الأزموري، وكذلك لأحفاد الولي النصالح الشيخ أبي محمد صالح دفين أسفي (الغرب الإسلامي عدد 482). واستمرت ظاهرة تقديم هذا النوع من الظهائر على امتداد التاريخ المغربي دون تغيير في التعبير والمضمون تقريباً إلا ما يتعلق بوضع الطابع السلطاني في أعلاها بعد البسلة أو الحمدة والتصلية منذ العهد السعدي.

إن معظم الرسائل السلطانية الأصلية عن الفترة الوسيطة محفوظة في الخزائن الأوربية، ومنها يمكن ملاحظة أنواع المخطوط المستعملة في الفترة المذكورة وأشكال الكتابة الرسمية ولون المداد أحياناً إضافة إلى العلامات السلطانية... فنلاحظ جوانب تشابه كبيرة في هذه الرسائل شكلاً ومضموناً عند المرينيين ومعاصريهم، وقد كانت هناك ثقافة غرب إسلامية مشتركة ناتجة عن تنقلات رجال الفكر والأدب وخدماتهم في دواوين سلاطين المنطقة، فابن عميرة مثلاً كتب عن أمير بلنسية ومرسية وعن الخليفة الموحدي الرشيد وانتقل إلى خدمة الدولة الحفصية، كذلك أبو بكر ابن خطاب اشتغل في ديوان ابن هود أمير مرسية ثم أمير غرناطة النصري ثم أمير تلمسان، وابن خلدون تنقل بين خدمة أغلبية سلاطين الغرب الإسلامي، والأمثلة كثيرة. ويمكن أن نرى هذا التقارب من خلال ظاهرتين في كتابة الرسائل السلطانية الأصلية، شكل الكتابة والعلامة السلطانية:

فالكاتب اتخذ شكلين متميزين في الغرب الإسلامي منذ العصر الموحدي أي خلال القرون 6 و 7 و 8 هـ، فإذا كانت الرسالة عقد اتفاق أو التزام أو ظهيراً تكون الكتابة بأسطر أفقية، وغالباً ما تنتهي هذه الأسطر بكلمات مستقلة إلى الأعلى بكيفية تدريجية. وإذا كانت رسالة سلطانية عادية موحدية أو حفصية قسمت إلى مجالين مثلثين، فيكتب في الأول على صورة مثلث قاعدته إلى الأعلى أسفل العلامة الخليفية وقمته إلى الأسفل عند الزاوية اليسرى للرسالة لكون كلمات الأسطر - وهي شبه أفقية - يتناقص عددها تدريجياً من الأعلى إلى الأسفل، ثم يكتب في المجال الثاني المتبقّي على يمين الرسالة وبشكل مقلوب حيث تنتهي قمة هذا المثلث الثاني في أعلى الرسالة وتتخذ أسطره أشكالاً منحنية، وإذا لم تكتمل كلمات الرسالة كتبت البقية على ظهرها في الأعلى بشكل أفقي. أما بالنسبة للرسائل المرينية والنصرية والزبانية فإن صفحاتها تقسم عادة إلى ثلاثة أجزاء، يُترك أقل من الثلث في الأعلى بياضاً ويقسم الباقي إلى مثلثين متعاكسي الكتابة كما رأينا سابقاً فتنتهي قمة (أو شبه قمة) المثلث الأول عند الزاوية السفلى على اليسار وقمة المثلث الثاني عند الزاوية العليا على اليمين، وقد تُختم

الرسالة في البياض الأعلى (وإن لم يكن هذا كافياً كتبت التتمة في أعلى ظهر الورقة)، وتنتهي الرسالة بكتابة العلامة السلطانية.

العلامة السلطانية هي توقيع الخليفة الموحد أو السلطان المريني (أو السلاطين المعاصرين له في المغرب الإسلامي) أو من ينوب عنهم وهو المسمى صاحب العلامة، وهي عند الموحدين في أعلى الرسالة في بداية عهد عبد المؤمن ثم استقرت بعد البسلة والتصلية، وعبارتها: "والحمد لله وحده" (رسائل موحدية... ع/126)، قالت الشاعرة حفصة الركونية مخاطبة بشعرها عبد المؤمن الموحد:

أُمُنُّ عَلَى بَصَكَةٍ      يَكُونُ لِلدَّهْرِ عُدَّةً  
تَحُطُّ فِيهِ بُسْنَاكُ      وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحِدَةً

واتخذت العلامة نفس المكان عند الحفصيين الذين اعتبروا أنفسهم ورثة الدولة الموحدية مع تغيير بسيط في العبارة حيث أصبحت "الحمد لله والشكر لله". أما بالنسبة للمرينيين والنصريين والزياتيين فقد وضعت العلامة في آخر الرسالة وتغيّرت عبارتها فهي عند المرينيين "وكتب في التاريخ المؤرخ به" إن كانت للسلطان، أو "وكتب في التاريخ" إن كانت لصاحب العلامة. وهي عند السلاطين النصريين "صحّ هذا"، وعند بني زيان بتلمسان "صح في التاريخ". وربما كان لبعض ولاة إفريقية من الموحدين علامة خاصة تميّز رسائلهم إلى الأطراف النصرانية المتعاملة معهم. وكان لبعض ولاة العهد علامة خاصة بهم مثل أبي الحسن المريني في عهد سلطنة أبيه أبي سعيد، كما كان لبعض ولاة العهد علامتهم مثل أبي الحسن المريني في عهد أبيه أبي سعيد، وكذا بعض الأمراء المتمردين على السلطة المركزية المرينية كما كان يحدث في سجلماسة. كانت هذه العلامات تكتب بخط سميكة وتنتهي بحرف هاء مدلاة من نهايتها منعاً لإمكانية أي تغيير. هذه العلامات هي غير طابع الشمع الذي تختم به الرسالة بعد طيّها ضماناً لعدم فتحها وقرائها.

أ. عزاوي، رسائل موحدية - مجموعة جديدة، ج 1 / ط. 1995 : الغرب الإسلامي من خلال رسائله (القرنان 7 - 8 هـ)، أطروحة مرقونة : ل. برونفسال، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المرينية، ط. الرباط، 1941 : ابن أبي الحصال، رسائل مرابطية، (تح. م. ر. الدايم)، ط. دمشق، 1987 : محمد م. حمادة، الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال إفريقيا، ط 2 / بيروت، 1986 : الحلبي، حسن التوسل إلى صناعة التوسل : صحيفة (أو مجلة) المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمطرد، ع. 1954 / سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس، ع / 1955، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، نقلا عن مخطوط الأسكوريال رقم 538 من الفهارس العربية، ع / 1959 - 1960، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين : مصورات رسائل مغاربية محفوظة في مكتبة

التاج الأركوني ببرشلونة" نشرت ضمن الغرب الإسلامي من خلال رسائله : م. البشير الفاسي، مصورات ظهائر سعدية وعلوية بكتاب قبيلة بني زروال : مصورات ظهائر علوية لفائدة الشرفاء، أولاد سيدي عبد الله بن عزة دفين جبال بني يزناسن : ظهائر خاصة.

أحمد عزاوي

## رُسل السلاطين، يختلف الرسول عن الرقاص

وصاحب البريد في كونه شخصاً يقوم بمهمته منفرداً ومصحوباً بحرس (استقصا، 2 : 37 و 38)، يتم اختياره من طرف الملك أو وزيره أو العامل بترواً وتخصيص حسب مواصفات دقيقة. للقيام بمهام محدودة في الزمان والمكان، وغالباً ما تكون مهاماً مستعجلة لا تحتل انتظار ذهاب البريد أو إيابه، أو للقيام بمهام تقتضي السرية وتتطلب الأمانة (وصف إفريقيا، 1 : 137). وقد يكلف صاحب البريد بمساعدة الرسول مثل مصاحبته له في بعض مراحل الطريق ؛ أو حمله معه على دواب البريد (تكملة تاريخ الظهيري، 1 : 13 وما بعدها) وتقدم هذه المساعدة للرسول في الظروف العادية أي عندما لا يكون الرسول مستعجلاً وليس مهمته طابع السرية أو المظنونة.

يحمل الرسول أثناء تنقله في مهمته رسائل وتوصيات وأوامر مخزنية تحث على العناية به وتسهيل مروره ومهمته، وخاصة إذا كانت الطريق والمساكن التي يسير فيها بعيدة عن المدن والمراكز العمرانية أو المؤسسات الرسمية (رسائل موحدية جديدة، 19، 21) (نفاضة الجراب، 43 و 75) (وصف إفريقيا، 1 : 287 و 2 : 119) ؛ وعندما يكون مرور الرسول بالمدن أو المراكز الكبرى فإنه يبيت عند أعوان المخزن أو الأعيان الذين يحمل إليهم رسائل وتعليمات من الطرف المرسل، ومن الرسل من ينتقل متنكراً، وغالباً ما يكثر هؤلاء في مرحلة سرية دعوة جديدة.

استغل بعض الرسل الأهلية المعطاة لهم من قبل السلطة فاشتطوا في استعمال النفوذ المخزني بابتزاز الناس الذين يقيمون عندهم والإثقال عليهم بشروط وطلبات لا طاقة لهم بها حتى تضرر الكثير منهم من ذلك واشتكوا إلى الحكام (رسائل موحدية) ومن المستقبلين للرسول في منازلهم من أهمل القيام بالواجب أو اعتبر إقامة الرسول عنده عادية (نفاضة الجراب، 3 : 89 ؛ وصف إفريقيا، 1 : 77).

لم يكن الرسل غالباً قارئين، بل كانت مهامهم مؤقتة ووظيفية، فلكل مهمة أو ظرف معين يتم اختيار الشخص الملائم وتوضع عليه شروط وترسم له مسالك التنقل ومراحلها إضافة إلى التسهيلات، ومن أشهر الرسل الذين تركوا ما يشبه مذكرات عن رحلاتهم في العصر الوسيط ابن حوقل التجيبي العراقي، والشريف الإدريسي السبتي

ولسان الدين ابن الخطيب، وابن بطوطة والحسن الوزان وغيرهم، وبالرجوع إلى كتاباتهم نقف على كثير من التفاصيل تتعلق بأسفارهم وظروفها وليس بالمهام التي كلفوا بها.

لرسل أعراف وقوانين وتقاليد تنظم مهامهم، على الرسول مراعاتها، وبالمقابل يحظى من الطرف الآخر المرسل إليه بالتقدير والاحترام وكرم الضيافة إلا في حالات نادرة، حيث وقعت تجاوزات كانت عواقبها غير محمودة؛ بل ذهبت بعض الدراسات إلى اعتبار بعض الأحداث التاريخية الكبرى من أسبابها إساءة معاملة الرسل التي غالباً ما تكون بسبب سوء أدب الرسل وتجاوزاته، فكثير من الحروب الطاحنة كان سببها إهانة الرسل أو قتله كالحروب التي دارت بين ملوك الطوائف في الأندلس بزعامة المعتمد ابن عباد والمسيحيين بزعامة مملكة فشتالة، قيل إن سببها عدم التزام الرسل القشتالي بأخلاقيات مهمته فتجاوز حده وساء أدبه أمام المعتمد فما كان من هذا الأخير إلا أن ضربه ضربة قاتلة مرتكباً بذلك تجاوزاً آخر، وهكذا يقال إن ضربة المحيرة التي قتلت الرسل القشتالي أشعلت الحروب الطويلة التي انتهت بإخراج العرب المسلمين من الأندلس؛ والواقع أن لهذه الحروب أسباباً أخرى موضوعية غير قتل الرسل.

ومن الحالات المتعلقة بالرسول والتي استغربها الحسن الوزان في كتابه (وصف إفريقيا، 1: 137) رسول حاكم مملكة تنزيتا وهي إحدى ممالك السودان، والرسول حضر لتقديم الهدية والرسالة إلى ملك فاس الرطاسي، "وكنت حاضراً - يقول الحسن الوزان - عندما حملت هذه الهدايا الفخمة وكان الذي قدمها زنجياً قصيراً غليظاً بريري اللسان والعداءات حاملاً رسالة من سيده خاطها في إحدى ثنايا رداؤه وطلب من الملك أن يحل الحياطة بنفسه ليبرهن عن الاحترام الذي يكنه لسيده لأنه لم يرد أن يضع يده على رسالة أقسم ألا يمسه".

ومن الرسل من تتضاعف متاعبه وتطول معاناته عندما لا يجد المرسل إليه في المدينة التي يقيم فيها (الحاضرة) فيضطر إلى تتبع تنقلاته حتى يظفر بمقابلته، ومنهم من ينتظر الأيام والشهور حتى يعود المرسل إليه إلى مقر إقامته ويأذن له بالدخول عليه، بل إن مهام الرسل تصبح عسيرة ومعقدة إذا كانت من بلد ضعيف إلى بلد قوي، فلا يلتفت إليه المرسل إليه ولا يعيره الاهتمام إلا بعد فراغه مما هو أهم، ويتعمد بذلك تهيش البلد والمرسل في شخص الرسول.

وقد يكون سوء التفاهم أو مجرد خطأ غير مقصود سبباً في متاعب الرسول مثل ما وقع ما بين صلاح الدين الأيوبي في المشرق ويعقوب المنصور الموحد في المغرب، فقد أهمل الرسول ابن منقذ وتركه ينتظر أياماً وذلك بسبب مخاطبة صلاح الدين ليعقوب المنصور بألقاب غير ألقاب الخلافة (استقصا، 2: 181 و182).

وقد تضاءلت مهمة هؤلاء الرسل في العصر الحديث إلى أن اختفت، وحل محلهم السفراء والممثلون الشخصيون لرؤساء الدول.

ح. الوزان، وصف إفريقيا، الرباط 1984؛ أ. الناصري السلاوي، الاستقصا، الدار البيضاء، 1955؛ ل. بروفتال، مجموع رسائل موحدة، الرباط، 1941؛ أ. عزوي، مجموع رسائل موحدة جديدة، مرقون خزنة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1986؛ ابن الخطيب، نفاضة الجراب، القاهرة، د. ت. الجزء الثالث، الدار البيضاء، 1989؛ الهسدي محمد بن عبد الملك، تكملة تاريخ الطبري، بيروت، 1961.

محمد حجاج الطويل

**الرسم،** إذا نحن أعطينا لكلمة رسم معناها الأوسع لا لتشمل المساحة المعمارية وحدها (الرسم على الجبس والخشب والزليج والزجاج والمفروشات الحائطية) بل لتشمل أيضاً الرقوق والورق والخزفيات المرسوم عليها والمطروزات والتزيينات المقصود منها التوشية بمختلف أنواعها على المخطوطات ولاسيما المصاحف منها، إذا وسعنا الرسم ليشمل كل هذا لم نشاطر رأي من يقولون إن الرسم المغربي والعربي عامة لم يكن له وجود قبل الاستعمار والعهد المعاصر، فهم يذهبون أيضاً إلى القول بأن الرسم إنما هو نتاج غربي مستورد. لربما كان عليهم أن يعدلوا هذا الحكم ويكتفوا بالقول بعدم وجود تقليد في الرسم الذي يتناول الطبيعة ويستخدم فيه الرسام حمالة، وحتى هذا الحكم يستدعي بعض التحفظ.

تاريخياً تحقق بفضل استخدام عدد من تقنيات وأساليب التاريخ الأثري أن أقدم التجليات الفنية لدى الإنسان تعود إلى أربعين ألف عام على وجه التقريب. فالرسم على الحجر داخل المغارات أو في الهواء الطلق موزع على جميع القارات. والمغرب من أهم بلدان إفريقيا التي توجد بها بكثافة الرسوم المنقوشة على الحجارة. وعلى صعيد آخر يعتبر الحزف المغربي المرسوم عليه الأصل الذي احتذاه مباشرة الحزف المائل في صقلية في أواخر العهد الحجري الحديث وفي عصر البرونز. فالأشكال الهندسية المرسومة بالأسمر والأسود على خلفية فاتحة (صفراء أو حمراء فاتحة) تشبه تلك التي تزين خزفيات الشمال الإفريقي القديمة والحديثة، وتتكون من مربعات متجاورة ومثلثات ومعينات ذات أضلاع ممتدة ومن خطوط منكسرة.

من المؤكد أن تاريخ المغرب الفني لم ينته التنقيب فيه بعد. فهناك عدد من الميادين تستدعي دراسات معمقة. فالعهد السابق للإسلام لم يتوفر عنه تقييم كامل، وهناك بحوث جارية حالياً في بعض ميادين الفن، مثل حلي منطقة سوس وجهة الأطلس الصغير وهي تبين أن هذا الفن يمكن أن يعد فناً قائماً بذاته له أصل في تقليد من الرسم



المقدس له ذات الرمزية التي نجدها في فنون الماضي السحيق.

أما العهد الروماني فيشهد على غنى فني كبير. فقد أخذ المغرب من المعمار اليوناني والمتوسطي وكيفه مع طقسه وحاجاته، كما أن وفرة البرونزيات والفسيفساء وتنوعها مما يشهد على ذوق رفيع، فالفسيفساء تضيئ نضارة على الأمكنة وتزين المقاطع من جداريات وزرابي؛ فهي تستوحى من القنص وصيد البحر والمآدب ولذات الحب. ففسيفساء وليلي تعد من أهم قطع هذا الفن المنتمية للعهد الروماني بالمغرب، فهي تزخر بتشكيلات من الأبيض والأسود، ورسوم هندسية تمتد أغصانا ملتفة وأوراقا نباتية، غاية في الأناقة ودوائر وصورا من خطوط مستقيمة، فترى فيها رسم البطل أورفي يثبات فاخترة يعزف على قيثارة تحيط به حيوانات، أو ترى رسوم أشجار مورقة كثيفة أو بينها انفراجات، أو ترى رسوم طيور الحجل، والإوز أمام سلات مليئة بالورود والفواكه.

وفي دار الفنى الوسيم رسم فسيفساء تمثل باخوس وهو على ظهر عربته، وفي جهة أخرى رسم الصياد وهو رافع مذراة ثلاثية وسط طحالب أو رسم أسماك وطيور مائية أو فسيفساء تمثل هرقل وهو يأتي خوارقه. تميز هذا العصر برفاقته وتذوقه لكل ما هو عجيب، وبإيقاعه وتوشياته وولعه بالمرسح حتى وإن كان معنى الفرجة يوصف بأوصاف نقديه مثل "حماقة السيرك ولا أخلاقية المرسح وقساوة الحشبة وطيش رواق الألعاب".

لم يسائل المفكرون في الحضارة العربية الإسلامية الفن إلا في شكله المجرد كما يظهر في الخط والمنمنمات والرسم التصويري المصغر. فاستعمال العلاقة بين العظمة والطبيعة في ما يخص صور العالم كان يشكل تعارضا له علاقة بالنسق الديني والجمالي الإسلامي. أما الغرب فيعتبر هذه الجمالية تزينة ولا سيما فن التوريق في الزخرفة. وبهذا الصدد يقول صلاح ستييني: "فالأشكال التي نراها أمام أعيننا ليست سوى تجميعات مؤقتة للذرات، فمصرها إلى زوال. فالخط غير موجود، ليس سوى نقطة تتحرك، فكأن من شأن الفن الإسلامي أن يركز على التغيير، أن يقطع إلى مالا نهاية الصور الهندسية، من دائرة أو مضلع، ما أن يبدأ رسم هذا أو تلك حتى يتدخل الحلم الروحي للفنان فينقضه، فالتوريق بناء تشكيلي ذكي لفهم تركيبى للزمان والمكان". فهي مقاربة سعى بها الإسلام إلى إظهار الوحدة الروحية للجمالية. بيد أن النزعة التصويرية لم تكن غائبة غيابا تاما عن الفن الإسلامي. فانتشار الإسلام قد أتاح تطوراً مكن من الارتباط مع الشكل التصويري عبر مراحل: إعادة نسخ الأشكال الزهرية أو التجميعات المعمارية، ثم رسم مواضيع حية: من أسود وعزلان أو غيرها من الحيوانات، ثم إدراج صور الإنسان في الأخير. توجد في مكتبة الفاتيكان ثلاثة مخطوطات ترجع إلى

القرن السابع (13 م) وفيها قصة "بائض ورياض"، وتتضمن صوراً أيقونية علمية محدودة العدد، ولكنها تشهد مع ذلك على نوع أسلوب العلاقات الوثيقة بين مدارس البحر المتوسط الشرقي في الفن وبين العراق. فالمواضيع كما هو متوقع مطروقة بشكل واضح الاختلاف وتتخذ تلوينا أندلسيا مغربيا. وعلى صعيد آخر فالانصال والتبادل كان قائما على الدوام بين المغرب وأوروبا الجنوبية. تشير طوني مارائيني في كتابها حول الفن بالمغرب إلى حالة ذلك الرسام المتميز الذي عاش في القرن السابع عشر وكان أندلسيا من إشبيلية سقط في الاسترقاق وسمي بـ بخوان دي باريا أوخوان دي لامورا، وقد أبدع عدداً من اللوحات الرائعة ومنها رسم صورته الشخصية وهي توجد بمتحف نيويورك (الميتروبوليتان) فقد نال حظوة عند الرسام الكبير فيلا سيكس (1599 - 1660) واتخذة مساعداً له، وما لبث ملك إسبانيا أن أعتقه رعباً لقيمة عمله الفني المتميز في الرسم.

تأثر الرسم الغربي بالجمالية الإسلامية عن طريق فن الخط وفن التوريق. فالتوريق صياغة تشكيلية عاملة لمفهوم تركيبى للزمان والمكان والحركة (خطية ومنتوجة ومشععة) والحياة في سيلائها الذي لا ينتهي. في استجواب له بطنجة عام 1976 صرح الرسام هيربرت باير وهو أحد أعضاء حركة بارهاوس التي أترت على الهندسة المعمارية والرسم في أوربا فقال: "ما أن حللت بالمغرب حتى بدأت تجربة تشكيلية جديدة وغيرت أبحاثي؛ فقد اقتحمت طريقة جديدة في الرسم؛ عدت إلى الألوان الابتدائية وإلى الأشكال الهندسية الصرف".

يقول عبد الكبير الخطيبي: "كان فن الكتابة وفن التوريق نموذجاً جمالياً بالنسبة للفن الحديث. لكن ما يمكن أن يأتي به نسق جمالي لثقافة أخرى يتخذ عدداً من الطرق. ففي مستوى معين يتخذ أيضاً طريق المعيش اليومي، أو يتسرب عن طريق الضوء أو المنظر أو الطقوس أو الإيماءات أو الوجوه أو الزهور؛ أو عبر ليلة بدر التمام كما يعترف بذلك الكاتب الفنان الألماني بول كلي (1879 - 1940) في مذكراته. وبالجملة فذلك العطاء يتسرب عبر كل ما يمكن أن تقدمه ثقافة بمثابة كتابة صامتة لمن يعرف أن يتلقاها، لمن يقدر على أن يستضيفها".

يمكن القول إن جمالية مجتمع ما يتوقف قبل كل شيء على بناء التخيلية، على شبكات تلقائيتها الحسية وعلى شخصية فنانها. فقد عرف إبداع الرسم في المغرب حيوية مشهودة لا تنفك تشير بزخنها وأصالتها والتجدد المستمر لعطائنها الخلاق، فهي من التعبيرات التشكيلية الأكثر تكيفا مع الحداثة، مع بقائها متعلقة بوسطها الثقافي واهتمامات عصرها ومع ظاهرة معيش داخلي منتسب لتقاليد الثقافة. فالتجذر في الواقع الاجتماعي يعطي للرسم المغربي تعبيرية أشكال تحمل مضمونا داخليا وترجم

سيرورة تغيرات اجتماعية جاءت نتيجة حفنة الحداثة، وهذا ما يعطيها قدرتها خاصة على التلون وأساليبها وأصابعها وتياراتها وتياراتها المضادة.

وهكذا فإن الإبداع في الرسم بعدم إقصائه لولوجي بالماضي قد تكيف بمهارة مع وضعيات غير مسبوقة مستعملا في حقلها الرؤية المتسائلة حول الواقع بالرغم من كثافته، بل وحتى قناته في بعض الأحيان.

رفض الرسم المغربي المقاربة الإغرابية التي تعامل بها الاستشراق مع المناظر والناس والأشياء. فضل التساؤل على فضائه والإيقاع الأصيل على حميمية جماله والذاتية وبصمات ترات هويته مع تشييد نفسه على العصرية.

عندما استقل المغرب وعند بداية أعوام الستينيات نظر الرسامون المغاربة إلى الرسم الاستشراقي في مظهره الاستعماري وجماليته الرجعية بمثابة مساس بالوحدة الفنية، فنددوا بهذا النوع التشكيلي رافضين الاستلاب والطمس. وقد فتح الرسامون الشباب نقاشا غنيا مع المثقفين حول حقل التعبير بالرسم وحول الأصالة والحداثة والتزام الفنان سياسيا. شارك بعض الرسامين المغاربة في ابتكار مجلة "أنفاس Souffle" سنة 1966. وقد كان لهذه المجلة إسهام واسع في التفكير حول الرسم المغربي ولا سيما بنشر عدد خاص حول الفنون التشكيلية. وهكذا ظهر الفنان الرسام واعيا بمكانته المركزية في دينامية واسعة النطاق اجتماعيا وثقافيا تدعوه إلى أن يكون لا مستمعا لما يجري في بيئته وحسب، بل إلى أن يتجاوب مع ما ينتظره منه هذا الوسط.

ومن جهة أخرى فإن الرسم المغربي تنامي ولاشك بدافع حاجة عند الفنانين إلى التعبير ولكنه تنامي أيضاً بفضل عدد من الاتصالات والمبادلات مع بلدان أخرى في حوض البحر المتوسط. وظهر نوع من الرسم الشعبي على المستوى الفردي وتنامي بكيفية طبيعية نحو أشكال أخرى من التعبير الفني الأكثر تفتحاً والأكثر تلقياً لتيارات عصرية ولتقنيات جديدة.

تذهب بعض الشهادات إلى القول بأن أول رسام مغربي قد يكون هو عبد السلام الفاسي بن العربي المولود عام 1904. فبينما كان رسام شيخ يدعى براندو يرسم أمام حمال لوحاته في جامع الفناء بمراكش عام 1920، اقترب منه عبد السلام ليقول له إنه هو أيضاً يمارس الرسم.

غير أن تفتق مواهب عدد من الرسامين بالمغرب جاء في الأعوام الأخيرة من عهد الحماية. فقد برز مولاي أحمد الإدريسي الذي نظم أول معرض شخصي في لوزان بسويسرا عام 1952. وفي هذا العهد ظهر محمد بن علال الملقب بجمركي روسو (Le douanier de Rousseau). وكان المشغل له هو الفنان جاك أزما. وقد نظم بنعلال أول معرض له بواشنطن عام 1952. ويمكن أن يدرج في هذه الفترة كل من مكي مرسية وحسن الأكلوي وأحمد بن إدريس

اليعقوبي (نظم أول معرض فخيم له في رواق بيتي بارسونز Betty Parsons بنيويورك) وفريد بلكاهية وميلود الأبيض وكريم بناني ومرم أمزيان والسرعيني الخ... وقد تابع عدد من هؤلاء الرسامين تكوينا في المغرب، بينما تكون البعض منهم في الخارج. تكوين ابتدائي في غضون أعوام الخمسين كان في ميدان الرسم بالمغرب استفاد منه الشباب المغاربة في المدرسة التحضيرية للفنون الجميلة بتطوان Escuela Preparatoria de Bellas Artes. وكان من بينهم السرعيني وفخار ومرسية، ثم آخرون منهم الشفاج ومليحي وشبعة والعمرائي وآخرون. نظمت مصالح الشبيبة والرياضة من جهتها ورشات للرسم. وبعد حصول المغرب على الاستقلال وذلك بين 1956 و1960، ذهب عدد من الرسامين إلى الخارج من أجل الدراسة، ومن بينهم مغارة وكريم بناني ومليحي والشرقاوي والشفاج، وبعد ذلك ببضع سنوات سافر من أجل الدراسة آخرون منهم شبعة والعمرائي وحفيظ والحامدي والدمناطي وح. العلوي والزين الخ...

أنهت أجيال أخرى من الرسامين الدراسة والتكوين في مدرسة الفنون الجميلة بالدار البيضاء التي تم احداثها والتي سرعان ما ارتبطت بها أسماء بعض الرسامين منهم بلكاهية ومليحي وشبعة. وقد قام عدد من الرسامين بقطع تكوينهم بالخارج والعودة إلى الوطن، وهذا ما فتح آفاقا جديدة للرسم بالمغرب. وقد تميز الشرقاوي بأعماله القائمة على إشكالية التركيب بين الفنون التقليدية وأبحاث الرسم الغربي الحديث، فقد طمح إلى أن يكون رساما بارزا منتصيا لمدرسة باريس دون أن ينقطع عن جذوره. وكان الغرابوي من جهته متوزعا في إقامته واهتمامه بين باريس والمغرب، وما ليث أن برز رسامون آخرون عبروا عن مواهبهم على ساحة الرسم منهم أحرضان والقاسمي وعلامين وإكن وبناس وظلال والوزاني والبوجعواوي وحريري وغطاس ورحول وعزيز سعيد، ولا ننس الفنانة الرسامة كلطفية التجاني وفاطمة حسن ومرم أمزيان ومليكة أكرزيان وبنبوشتة ومرم العليج.

نمى هؤلاء الرسامون أساليب عديدة واتجاهات في الرسم المغربي بفضل تنوع التعبير وغناه وبفضل الحرية في ممارسة المهنة. وقد دارت اهتمامات هؤلاء الرسامين حول ثلاثة توجهات رئيسية وإن كان هذا التصنيف لا يخلو من تعسف ولكنه يستجيب على الخصوص للترغبة في موضوعة الرسم المغربي بقدر الإمكان بالنسبة للواقع.

أ- الرسامون الذين اتخذوا مرجعيتهم حركات الرسم في الغرب باسم النزعة الكونية مع اتخاذ مسافة من تلك الحركات في مستوى التطبيق. وهؤلاء مقتنعون بأن الرسم الذي يستعمل فيه المحمل Chevalet هو في جميع الحالات "مستورد" وله مرجعيته حتى ولو أدخل فيه الرسامون رموزاً لها مرجعيتها في هويتهم الخاصة. وفي ضمن هذا التوجه يتميز فنانون آخرون بأبحاث تقترب من المشاغل

الرسم، مدمج في جمالية حديثة. يستعمل عدد من الرسامين الحرف العربي، يوقعونه في فضاء يتقلب فيه البحث الجمالي في كامل تجليه، كما عند الرسام الحريري.

ج - الرسم المسمى بـ "السادج" ويفرض نفسه كواقع تاريخي حتى ولو كان بعض النقاد يرون فيه بقية من بقايا عهد الاستعمار. فهو شكل من أشكال التعبير لا يمكن تجاهله ولا النظر إليه فقط من زاوية التقليد الإيماني للبيئة. إنه رسم تلقائي ولكنه يسفر عن إتقان فائق للصياغة الفنية. يتميز بنوع من النضارة وبتزوع إلى حكاية مشاهد الحياة اليومية. كان ابن علي الرباطي يرسم تجمعات الناس في ساحات القصباط بطنجة، أما بنعلال فهو الراوية الحقيقي برسمه لمشاهد مراكش بما يستعمله من قوة جبارة في التعبير. ويعد هؤلاء يضاف إليهم مولاي أحمد الإدريسي والودغيري وفاطمة حسن والغزولي أهم المثليين لهذه الحركة. أما الشعبية فهي حالة خاصة في هذا التيار، بتحكمها في المادة وكثافة تعبير الألوان التي تستعملها والصبغات التي تنجزها.

بعد هذا العرض السريع لتطور الرسم بالمغرب نخلص إلى التأكيد على سماته المتمثلة في غناه وتنوعه وعلى كونه ما فتىء يؤكد حضوره على الساحة الثقافية الوطنية. فالتعبير التشكيلي مبال إلى رفض السكونية وإلى المسألة الدائبة والفضول وإعادة النظر في الوقائع القائمة وإلى البحث عن مستقبل جمعي. لاشك أن عدداً من النقاشات تدور حول تطور هذا التعبير التشكيلي ولا سيما في زمن العولمة حيث يسعى الإنسان إلى صيانة مخياله وإلى التفتح على آفاق جديدة وإلى استباق الأحداث على المستوى الفني حتى يتمكن من صيانة استقلالية مصيره. غير أن الرسم المغربي يتجاوز لكل السجلات يجتهد لفك كل حصار وإلى التحرر في إطار التعددية وإلى ابتكار جمالية قائمة على عمق الإحساس بالاختلاف. في إطار هذه الدينامية يظل الفنان المغربي الرسام رائداً يناضل في مجتمع يعيش تحولات مجتمع لا يتوفر فيه هذا الفنان على وضعية حقيقية. يحاول المصالحة الدؤوبة بين التجديد والموروث الثقافي والقيم الجمالية الحديثة.

Khalil M'Rabet, *Peinture et identité. L'expérience marocaine*. Paris, 1989 ; M. Sijilmassi, *La peinture marocaine*, Paris, 1972 ; Al Founoun, *Les arts plastiques au Maroc* (en arabe) ; *Attakafa El Jadidida* n° 7, 1977 ; Toni Maraini, *Ecrits sur l'art*. Rabat, 1989 ; M. Sijilmassi, *L'art contemporain au Maroc ; Souffles, situation des arts plastiques au Maroc*, 1967 ; A. Khatibi, E.A. El Maleh, T. Maraini, *La peinture d'Ahmed Cherkaoui*, Casablanca, 1976 ; A. Stouky, *Baghdad Benas*, Rabat, 1980.

عيسى إيكين

ترجمة أحمد التوفيق

الفنية بأوروبا التي لهم معها علاقات أكثر كثافة ولكن الشخصية الفنية لهؤلاء الرسامين تتجلى بوضوح في أعمالهم. ولا يمكن بأي حال أن ينظر إلى هذا التقرب كشكل من أشكال الاستلاب الغربي. فحتى وإن كانت التقنية لا تنفصل عن القيم الخاصة بها، فإنها في حال هؤلاء الرسامين تنحصر في بعد الاقتباس المشروع. فالتجريد ممثل في تعددية النزعات متراوفا من النزعة التعبيرية المجردة كما عند الغريايوي إلى التجريد الشعاعي أو الرمزي أو الهندسي كما عند كريم بناني وشبعة وميلود ويلامين ومليحي والملياني والبوجمعاوي. تنسى هذا التجريد في إطار ذات الفكرة التي ميزت الفن الحديث. وهو تجريد يمتلك قوة تشكيلية وجمالية كبرى. ومجدد عند بعض الرسامين ولاسيما كريم بناني حساسية قوية على مستوى الألوان. والتصويرية حاضرة في الرسم المغربي الحديث، ولكنها تصويرية خصوصية ظلت مبتعدة عن التصويرية الاستشراقية، وذلك ما يلمس عند الشفاج والدحمانى ومرم أمزيان وصلادي. ومما يتعين ملاحظته أيضاً نوع من التصويرية الموضوعية من صنف الأكاديمية الجديدة، كما عند بنيسوف أو المبالغة في الواقعية كما في الرسوم بالمداد عند بناس.

ب - النزعة الرمزية أو الرسم الإشاري. يرى هذا التوجه أن الكونية ليست هي طغيان ثقافة على أخرى، بل هي جملة عطاءات خصوصية، فهي تستمد أبحاثها من الذاكرة الجمعية التي لها حضور بارز في وسطها الثقافي ويغذيها فكر تغلب عليه الرمزية. فالإشارة مقدمة في شكل مكبر أو مصغر، تشكلها إرادة تغيير الأصل Transfiguration وخلق فضاء تعبير فني أكثر مطابقة لخصوصيته. وفي جميع الحالات فإن هذه النزعة تعطي للأعمال الفنية مدى حدائتي بما تنطوي عليه من التركيب وبالألوان وبالحيوية الشعاعية وبالانخراط في بعد يسعى إلى تفادي الزمن. وتتميز هذه النزعة بأسلوبين في الرسم :

1 - أسلوب الرسامين الذين يستعملون الإشارة الرمزية التي يعود فضاءها إلى زمن غابر، مستوحاة من جذور ثقافية متنوعة (الوشم، الرموز، البقايا)، تمثل أحسن تمثيل متخيل الفضاء الثقافي المحلي والتقاليد الجمالية للفنون الشعبية. فالإشارة تستعمل إما في حالتها الخام أو المعدلة. فصياغتها تسفر عن أشكال عجيبة، بشرية وحيوانية كونية (كما عند الشرفاوي والميلودي وإكّن وبوجمعة وأحرضان) نجد بعض أعمال بلكاوية تدور حول الرمز الهندسي بتجانسيتها، ومجدد القاسمي يتحكم في إيقاع الإشارة في فضاءها الأعمق.

2 - الرسامون المشتغلون على الحرف العربي ينتزعون هذا الحرف من نسق استعماله في الكتابة، يقومون بإعادة ابتكاره، يحولونه إلى إشارة مرسومة. الخط في هذا الاشتغال مكسر، مشعّع، يتحرك كعنصر في تركيب داخل

**رسموكة**، تعرف محلياً بإداغرسموكت وهي وحدة قبلية، تنتمي لاتحادية إداوننتيت، وتحيط بها قبائل أيت أحمد وأيت صواب في الشمال والمعدر في الغرب وإداوبعقيل في الجنوب وإداوسلال في الشرق. وتغطي جزءاً من أزغار تيزنيت وجزءاً مهماً من الأطلس الصغير الغربي. مركزها أنزي.

تذهب الرواية الشفوية إلى أن أصل الرسموكيين من تامدولت وأن جد ولثيتة حين غادر هذه المدينة بعد خرابها أوتة القبيلة، وقد يكون ذلك خلال القرن الثامن (14 م). بيد أن هذا الانتفاء تدعيه قبائل سوسية أخرى وهو غير مقطوع به ويحتاج إلى أدلة يقينية غير مستقصاة الآن.

كانت رسموكة في علاقتها بالمخزن المغربي ضمن كتلة جزولة ولا نشاط رأيت الكتابات الأجنبية التي أدخلتها - جازمة - ضمن القبائل التي لا تنالها الأحكام المخزنية. فالشواهد التاريخية تفيد أن وجود جزء من ترابها بسيط تيزنيت يدفعها إلى الخضوع لنفوذ قواد المخزن، لكن في نفس الآن كانت علاقتها بالمخزن في الأرجوحة :

فكلما توسع اشعاع السلطة المخزنية عن طريق المحال والحراك، كلما تمكن ممثلو المركز من تطويعها وخضوعها للوظائف والكلف. مثل ما وقع زمن الموحدين حين قادت رسموكة قبائل جزولة وأعلنت البيعة سنة 552 / 1157، وأثناء نزول محلة المولى أحمد المنصور الذهبي، زمن السعديين بالسوس الأقصى، كانت كذلك ضمن القبائل التي أوتت حسب شهادة صاحب الديوان.

وعلى عهد العلويين تمكن المخزن من التوغل في النطاق الجبلي على يد قواد حاحة أغناج 1225 / 1810 والكلولي سعيد 1316 / 1898.

ويبدو أن الإدماج الجزئي في المنظومة المخزنية كان على عهد السلطان المولى الحسن حين نظمت حكومة سوس الأقصى، وكان الاعتراف الرسمي بثلاث قيادات رسموكية: أحمد بن الحسن، بلقاسم بن عدي، أحمد بن الحسين.

وإذا قورنت رسموكة بغيرها نجدها كثيرة بالنسبة لمجالها الترابي، مما يعكس الشأن الذي دب بين الأسر الكبرى بالقبيلة. ولنجد كذلك حضورها في الوثائق المخزنية في الخزنة الحسنية شبه منعدم مما يفسر ضعف مشاركتها. وكانت - على ما يبدو - تنسبر وراء الإيلغيين. بالمقابل ظهرت على الساحة المخزنية أثناء أزمة "تابوحنايكت الهشتوكية" سنة 1314 / 1896 وتعرضت للنهب والتخريب مما دفع الرسموكيين أن يتحالفا مع الولتيتيين ونسوا هنية فلا قلمهم، فتراجعت بهذا التحالف قوة سعيد الكلولي القهقري.

لقد كانت القبيلة تعتمد في معظم الأحيان على اللف الجزولي بقيادة دار إيلغ وبذلك تقوى جانبها ضد جيرانها : بعقيلة والمعدر. على عهد الحماية، قبل احتلالها عانت من

مغارم القائد الكنتافي ممثل الاستعمار الفرنسي بتيزنيت. لكن جزءها الجبلي بقي صامداً وشارك ببسالة في وقعة وجان المشهورة ضد الجنرال دولا موط سنة 1917. واحتضن هذا الجزء كذلك حركة أحمد الهيبة وخلفه مريبه ربه، ولم يخضع إلا بعد أن استنفذ كل مالدیه وكان من بين آخر المعائل التي استسلمت سنة 1934.

كانت رسموكة على مستوى مشاركتها العلمية طافحة بالعلماء، منهم الأبازل في مختلف الأنصبة : فقها وتصوفا وتدريساً، وسمت الحركة الثقافية المغربية. ومن أهم المدارس بتراب القبيلة : أداي الرسموكية، تافراوت المولود، إيلماتن، دودرار، تيزكين... ويبدو أن جزءاً من العلماء اغتربوا من معين مدرسة مجاورة هي المدرسة الأدوية زمن نهضتها العلمية، فزادهم ذلك شرفاً وتكويناً. ومن أهم العائلات العلمية : المزاريون والتامراويون.

الحضيكى، طبقات، تح بومزكو : الإكراري، روضة الأفتان : الكرامى، بشارة الزائرین : الرسموكى، وفيات : أيت بومهارت محمد الوسخني، منار السعود (ط 1994) : محمد المختار السوسي، العسول، 3 : 299 - 386 : 4 : 209 - 210 - 268 : 274 : 8 : 170 - 220 : 15 : 206 - 218 : 18 : 91 - 274 : 277 : 19 : 33 - 35 - 150 : خلال جزولة، الرحلة الرابعة : رحلات العلم العربي بسوس : المجموعة الفقهية، ط. 1998 : الحسن العبادي، فقه النوازل في سوس، منشورات كلية الشريعة بأكادير، ط 1999 : ديوان قبائل سوس، معلمة المغرب، 228 - 837 : أرشيف الخزنة الحسنية.

R. Montagne, *Les Berbères* ; J. Meunié, *Le Maroc Saharien*, pp. 348 - 351 - 352 - 480 ; Justinard, *Sous au XVI s*, 1933, pp. 14 - 82 - 115 - 156.

شفيق أرفاك

### الرسموكي، أحمد بن سليمان التاغاتيني

مولداً المراكشي مدقناً. أحد أعلام الحركة الفكرية والصوفية بمراكش والجنوب عموماً خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن الثاني عشر (18 م)، وأحد أفاذا الأسرة الرسموكية التاغاتينية، نسبة إلى قرية تاغتين التي تسمى أيضاً رباط الصالحين، وهي أسرة علم ومجد ونباهة.

صحب والده سليمان بن يعزى الرسموكي الشيخ عبد الله بن يعقوب السملالي (ت. 1052 / 1648 بدر هالة البلاد السوسية، وكان فقيها موثقاً عدلاً، فتك به وبولده محمد الطالب أناس بينهم وبين التاغاتينيين عداوة، وذلك عام 1072 / 1661. غادر صاحب الترجمة قرية تاغتين بعد مقتل والده وأخيه، ولا تفصح المصادر عن السن التي كان عليها. غير أنه يمكننا الاطمئنان إلى القول إنه كان في إبّان بلوغه على أقل تقدير، وأنه قد أوتي رشده وصار أهلاً لتنظيم بينه وبين العقبين الأحكاكين وشائج متعددة، ترجيحاً لسبق هذه الصلات وحدوثها قبل خروجه من بلده. ويفيد عدم أخذه عن الشيخ عبد الله بن يعقوب

أنه إما ولد بعد وفاته، وأما أنه كان في إبان الطفولة عندها، وأنه رأى النور في حدود انتصاف المائة الحادية عشرة للهجرة. ومهما يكن فقد هرع على أثر أبيه في الانتساب لزاوية تازموت السملالية والدراسة بمعهدا، وأخذ عن وارث مشيختها محمد فتحا بن عبد الله بن يعقوب (ت. 1082 / 1671)، وعن أخيه أحمد، وعن نجله وسميه محمد فتحا (ت. 1122 / 10 / 1711). كما تتلمذ على جملة من صحب الإمام عبد الله بن يعقوب من أهل جزولة، ومنهم عبد العزيز بن أبي بكر البرجي الرسموكي (ت. 1065 / 1654)، والحسن بن علي داود السملالي (ت. 1091 / 1680).

وقتل حواضر تارودانت ومراكش وفاس وزاوية تامگروت المحطات البارزة في رحلة أحمد الرسموكي العلمية وسياحته الصوفية، كما يعتبر الأئمة الحسن بن مسعود اليوسي (ت. 1102 / 1960)، وعبد القادر بن علي الفاسي (ت. 1091 - 1680)، وأحمد بن ناصر الخليفة (ت. 1129 / 6 / 1717)، أشهر أساتذته ومشايخه وواسطة عقد أسانيده العلمية والصوفية. وتصدر بعد رحلته وسياحته للتدريس بتارودانت في حدود عام 1104 / 2 / 1693، ومراكش التي اتخذها مستقراً ومقاماً ولم يغادرها إلا ستة أشهر من عام 1120 / 8 / 1709 فراراً بدينه من الافتقاء برقية الحراطين الذين صرح باشتهار حريتهم عند الكبار والصغار. وقد تخرج به جميع طلبة وقته وبلده، ومنهم محمد الصغير الإفرائي (ت. ما بين عامي 1156 و 1157 / 1174 / 1744) وأحمد العباسي السملالي (1153 / 39 / 1740). وأصبح قطب الافتقاء في الجنوب عقوداً من السنين، وقصده أهل سوس بأسنتلتهم في أمور دينهم وديناهم.

وعكف أحمد الرسموكي على التأليف والاجتهاد والافتاء في مسائل الدين، وخلف آثاراً كثيرة في شتى العلوم التي شارك فيها من حساب وفرائض وفقه ونحو وعروض وتوقيت، ومنها : في الحساب : تدليل أجنحة الرغاب في معرفة الفرائض والحساب التي نظمها إبراهيم بن أبي القاسم السملالي، والمعروفة في سوس بالمنظومة السملالية، وتتألف من مائة وعشرين بيتاً. فذيلها بستة وثمانين بيتاً، وشرحها بثلاثة شروح : كبير عنوانه "كشف الحجاب للأصفياء والأجباب على أجنحة الرغاب في معرفة الفرائض والحساب" في اثنتي عشرة كراسة، ومتوسط عنوانه معرفة الأجباب على فتح أجنحة الرغاب في معرفة الفرائض والحساب في ست كراسات، وصغير عنوانه مفتاح أجنحة الرغاب في معرفة الفرائض والحساب في أربع كراسات.

في الفرائض : ألف في علم الفرائض منظومة سماها الجواهر المكنونة في صدق الفرائض السنونة، وتشتمل على أربعمائة واثنين وثلاثين بيتاً، وهي جامعة لكل ما يتعلق بهذا العلم فقهاً وعملاً. ووضع عليها شرحين : كبير عنوانه

ابضاح الأسرار المصونة في الجواهر المكنونة في صدق الفرائض السنونة وهو مطبوع ومعروف بفرائض الرسموكي، وصغير عنوانه حلية الجواهر المكنونة في صدق الفرائض السنونة.

وفي الفقه : له رسالة في الميراث، ومعونة الأخوان على مسألة أولاد الأعيان، وحاشية على الرسالة القيروانية، وحاشية على المختصر، ومؤلف في الوصية، وحلة العروس في أجوبة وأسئلة أهل سوس، وتحقيق القول في مسألة العول.

وفي الفلك والتوقيت والتنجيم : له الفوائد المرضية في استخراج المنازل والبروج المتهمة والصورية، ومنظومة عمدة الرغاب في حل ألقاظ معونة الطلاب شرح فيها رجز علي ابن محمد الدادسي المعروف "بمعونة الطلاب" في التوقيت، وتزيد علي مائتين وخمسين بيتاً. وله شرح على روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار لعبد الرحمان الجادري، والأبيات الثمانية في العمل بالزايحة لأبي العباس السبتى.

في النحو : له أجوبة نحوية في النادي المضاف للباء والاستغانة والندبة والترخيم. في العروض : له قصيدة من ستة وستين بيتاً خصصها لبحور الشعر العربي وأعاريضها وما يلحقها من زحافات وعلل.

وله مؤلف في التوحيد، ومجموعة في آيات الشفاء، ورسالة في حديث المسلم من سلم الناس من يده ولسانه، وفي شروط التوبة.

وجل تراث الشيخ أحمد الرسموكي متوفر، وقد تتبع الباحث الحسن اللويزي الموجود منه والمتفرق في الخزانات الخاصة والعامية، وجمع جملة من رسائله. وذلك في الرسالة الجامعية التي أفردها له، والتي اعتمداها في جرد ووصف الآثار العلمية لهذا الشيخ.

ولا ينبغي أن يفهم من ضمور الجانب الصوفي في المعروف والمتوفر من تراث أحمد الرسموكي اضمحلاله في ظاهره وباطنه وفي علمه وعمله، فنشأته صوفية محضة، وقد شب في زاوية والده بقرية تاغاتين المعروفة عند أهل سوس برياض الصالحين، والتي كان الشيخ أحمد بن موسى السملالي (ت. 971 / 3 / 1564) يزور رجالاتها ويقف على مشاهدتهم موقف الاعتبار، ويحث على مداومة زيارتهم. وانتسب في شبابه لزاوية تازموت يعقوبية السملالية، وانتهت به رحلته العلمية وسياحته الصوفية إلى الانتساب إلى الزاويتين الفاسية والناصرية. ولاشك أنه قد اشتهر بين أهل مراكش باعتباره من أعلام الطائفة الناصرية ذات الحظوة بهذه الحاضرة، خصوصاً بعد استقرار الإمام اليوسي بها وتدرسه في مساجدها ثلاثة أعوام كاملة وتأسيسه لزاوية رياض العروس الناصرية. لكن الثابت أن الشيخ أحمد الرسموكي قد أنف من الظهور وأثر الخمول، وانقطع في بيت علوي من مدرسة الموسين وحده مؤثراً السلامة

لنفسه في العزلة والعزبة، حتى اشتهر بين تلامذته ومعاصريه "بصاحب المدرسة".

ولم يعبر صاحب الترجمة عن ورعه وزهده في المشيخة الصوفية بسلوكه العزلة والخمول فحسب، بل بالتهوين من ركن من أركانها تعاضم أمره على عهده، وهو تلقين الأوراد. وقد سجل تلميذه محمد الصغير الإفرائي موقفه هذا، في إحدى رسائله إلى محمد المعطى (ت. 1180 / 1766) شيخ الزاوية الشرقاوية في حينه، ونصه : "وكان شيخنا الفقيه الفرضي الحيسوبي سيدي أحمد بن سليمان صاحب المدرسة يقول : تلقين الأوراد اليوم لا يتوقف على شيخ ولا على أذن، لأنه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسواء فيه جميع المسلمين". ونبئ هذا الموقف المتحرر في هذه القضية التي تعد من بين القضايا الصوفية التي شغلت بال أهل الطريق بالمغرب، خلال هذا الطور الأخير من أطوار عصر التصوف، عن صفاء وسمو المسلك الصوفي الذي كان يترسمه الشيخ الرسموكي ويرغب الناس فيه. وهو يخالف فيه كثيراً من أرباب الرئاسة الروحية على عهده، وعلى رأسهم شيخه أحمد الخليفة الذي عرف بالتشدد في مسألة الأذن بتلقين الأوراد، وعدم التساهل فيها حتى مع كبار الناصريين. وقد أنكر على الإمام اليوسي تلقينه الأوراد الناصرية بعد وفاة والده صَحمَد بن ناصر (ت. 1085 / 4). (1675)، وقال له : لما مات أبي وأنا خليفته عزلت إلا أن أذلك ! فاستأذنه فأذن له بعد ذلك. وقد تسببت هذه القضية في افتراق الناصريين إلى فرق متنافرة، بل ومتناحرة أحياناً. وهذا يدل على تميز واستقلال النهج الصوفي الذي سار عليه الرسموكي في إطار النسبة الناصرية.

وعاش صاحب الترجمة محظوظاً في علمه وفي دينه وفي ورعه وفي شهرته، وبقي عزياً إلى يوم وفاته التي حدثت يوم الاثنين فاتح رجب عام 1133 / 28 أبريل 1721. وكانت جنازته حافلة، وتبعه كثير من أهل المدينة، واحتظف الناس فراش نعشه تبركاً به، ودفن في وسط القبور كما أوصى بذلك، بخارج باب الدباغ من حاضرة مراكش.

م. الصغير الإفرائي، *الانادات والانشادات*، مخطوط خاص، 16 ؛

درر الحجال في سبعة رجال، مخطوط، 33 ؛ رسالة إلى الشيخ محمد المعطى، مخطوط خاص، 3 ؛ ع. التاساقتي، *رحلة الوافد*،

تج. ع. صدقي، 177 - 180 - 181 - 182 - 183 - 228 - 236 ؛ م. المكي الناصري، *الروض الزاهر في التعريف بالشيخ ابن حسين وأتباعه الأكابر*، تج. المهدي الغالي، د. د. ع. كلية الآداب

بالباط، 1999، 202، 257 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تج. أ. بومزكو، 85، 93، 101، 118، 291، 370، 469 ؛ ع. ابن إبراهيم،

*الإعلام*، 2 ؛ 366 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 18، 330 - 337 ؛ الحسن اللوزي، أحمد بن سليمان الجزولي الرسموكي المتوفى عام

1133 ؛ حياته وأثاره، د. د. ع. دار الحديث الحسنية، الرباط، 1995.

عبد الله نجحي

**الرسموكي، داود بن علي الكرامي السلافي، ذكره**

ابن سودة في الرسموكيين (249) وترجم له السوسي ضمن رجالات سلالة الكراميين (سوس العالمة، 188) و(*المعسول* 7 : 31) و(*رجالات*، 57) وهو من الأسرة الكرامية المعافرة الأندلسية الأصول ؛ ولعل المسوغ لذكره في الرسموكيين أن رسموكة مسقط رأسه في قرية تادارت ( *المعسول*، 7 : 31) وقد استنتج السوسي أن ولادته قبل عام 1120 / 1708 بناء على مقارنات وعلى تصريحات صاحب الرجم ببعض الوقائع.

وصف بأنه عالم جيد معتق وهو يلتقي مع الحضيكي الشهير معاصره في بعض شيوخه ؛ كما يشبهه في وضع كتاب في طبقات علماء سوس ؛ ألف الحضيكي طبقات علماء سوس وألف داود بن علي بشارة الزائر من الباحثين في حكايات الصالحين. كما يؤخذ من مقدمة كتابه المخطوط. وإذا كان الحضيكي قد توسع في عدد المترجم لهم وفي مساحة التراجم فإن صاحب بشارة الزائر هذا عمد إلى رجال القبائل والنواحي فضم رجالات كل قبيلة كبرى أو أكثر ضمن باب، مصرحاً في مقدمة البشارة بأنه اعتمد فيه على الأصول المجردة من الزوائد (الورقة الأولى) وهو في أربعة أبواب كبرى أولها في رجال سلالة والثاني في رجال رسموكة وحامدة وبعليلة والثالث في رجال انتمّلت ومن جاورهم، والرابع في رجال درعة وسجلماسة ومراكش. وذكر السوسي أن هذا الصنيع من شأنه إظهار مزايا الأسر العالمة ( *المعسول*، 7 : 31) وأصفا صاحبه بالنقل الحرفي من عبارة أحد الرسموكيين المجهول الاسم والنسب وصاحب كتاب لطيف الحجم في الوفيات (انظر مطبوعة وفيات الرسموكي) وقارن بالمعسول (7 : 31) كما ذكر له في سوس العالمة (188) مؤلفاً ثانياً سماه منهج الراشدين في تتبع حُظا سيد المرسلين واستظهر أنه توفي بعد عام 1164 / 1750 بكثير (رجالات، 57).

د. الرسموكي نفسه، بشارة الزائر، الورقة الأولى ؛ م. المختار

السوسي، سوس العالمة، 185 ؛ رجالات، 57 ؛ *المعسول*، 7 : 31؛

ع. السلام ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، 249.

**الرسموكي، عبد العزيز البرجي (ت. 1065/1655)**

عَسَنَ له السوسي مجرداً عن اسم أبيه أبي بكر بن أحمد بن يعقوب ( *المعسول*، 5 : 20) وذكره محمد حجي كاملاً ( الحركة، 607) ونسبته إلى قرية البرج برسموكة. وقد وُصف بالعلامة الكبير وبالتفان في التأليف والتدريس والتخريج والإفتاء والفروسية وبالآداب واللغة والتصريف والحسن فيه (رجالات، 35).

أخذ عن الشيخ ابن يعقوب الشهير جد الأسر الأودزية وعالم سوس وشهد له تلميذه الحسن اليوسي بالنجدة والقوة والحزم والخط الرائق والكتابة والطرق الناقعة في تدريس

التصريف وبالتحقيق في تدريس المختصر الخليلي الفقهي ( المعسول، 5: 21- 22 ) وهو الذي حرك همة اليوسي لإعادة تدريس الألفية في النحو طلباً للبراعة واستحضار الشاهد منها على غرار ما شاهده من صاحب الترجمة (حجي، الحركة، 607) ومن السوسيين عامة.

له مؤلفات عديدة تتراوح بين كتب في العروض مثل كافية النهوض في صناعة العروض، (خ) وشرح الخرزجية (ح) وتذليل صالح اللخمي في تحزئة أشطار العروض (خ)، وشرحه (خ). وأخرى في النحو واللغة كنظم المعنى (خ) وحاشية على كتاب الجوهرى (خ) ومؤلف في شرح كبرى العقائد (خ) وآخر في المديح النبوي (خ) سماه موازنة التريبات البغدادية ؛ وآخر في التحريض على قيام الليل (خ). وله مع معاصره معارضات ومساجلات كمؤلفه في لغز عارض به لغز معاصره الميرغتي (خ) ؛ وله مراجعات مع فقهاء مراكش ( المعسول، 5: 32- 35 ) في شكل مقطوعات شعرية إظهاراً لبراعة السوسيين في القريض ورواً على من زعم عكس ذلك (نفسه) وله شرح منظومة فقهية لبعض الأزاريفيين (خ) وغيرها (سوس، 185).

ودرس بمدرسة المولود ثم استقضى ببلدة إلبليغ قبيل خرابها، وتوفي غريباً في نهر بهشتوكة سوس (حجي، 607) سنة 1065 / 1655.

م. المختار السوسي، رجالات 35: المعسول، 5: 20؛ سوس العالمة، 185 م. حجي، الحركة الفكرية، 607.

محمد البايك

**الرسموكي، محمد بن عيد الملك، فقيه.** ينتمي إلى إحدى البيوتات الرسموكية القديمة، وهي أسرة الثامريين التي ترفع نسبها إلى زوزان بن علي الوليتي. ولد حوالي 1290 (1873- 1874) بقرية "تامرا" بتراب "إداوگارسموكت أودرار (الجيل)".

نشأ يتيماً بعد أن هاجر أبوه وهو ما يزال صغيراً. تعلم على شيوخ عائلته من بين أعمامه وأخواله خاصة محمد بن العربي الأدوزي بمدرسة أدوز، التي كانت تعج آنذاك بالطلبة من مختلف الأفاق.

ويابعاز من ابن عمه محمد إبيگيگ، أكمل الرسموكي تعليمه بالأخذ عن شيوخ القرويين بفاس أمثال : أحمد بن الحياط وعبد السلام الهواري ومحمد القادري والفقيه الاغزاوي... ويظهر مما أرده عنه زميله في الدراسة الحاج أحمد الزياتي، أن الرسموكي كان يسكن في بيت متواضع، مقبلاً على التبعد والزهد. وكان مولعاً باقتناء جميع أصناف الكتب ومطالعتها، فتكونت لديه مكتبة متسعة. وعرف عنه أنه من الممارسين لمهنة التطبيب، واشتغل أيضاً بعلم الجداول، ومن ذلك تحصل لديه مال كثير. يشهد له معاصروه بعلو كعبه في الأدب واللغة والطب، وكانت له مساجلات أدبية وعلمية مع الفاسيين. ولأسباب لا نعرفها،

كثيراً ما كان الرسموكي لا يتورع عن التحامل على الفاسيين، ولم يسلم من لسانه العديد منهم، ومع ذلك كان يتمتع بتقدير كبير من لدن سكان وأعيان المدينة، وكان محل احترام الجميع لفضله ومكارم أخلاقه ونسكه.

توفي بفاس عام 1368 1948- 1949) ولم يخلف أولاداً، وكانت معظم تركته من الكتب التي كان مولعاً باقتنائها.

م. المختار السوسي، المعسول، ج. 5 : 133 ؛ ج. 8 : 190- 191 . 215- 267 ؛ ج. 11 : 188 ؛ ج. 18 : 15- 66. 332.

**الرسموكي، محمد بن علي (إبيگيگ)،** ينتمي محمد

ابن علي بن أحمد المزواري الرسموكي الملقب إبيگيگ إلى أسرة علمية شريفة النسب إدرسية الأصل، نبغ أبنائها وتسلسل فيها العلم منذ القرن التاسع (15 م) حيث عاش أولهم محمد بن سليمان بن يحيى الجزولي (ت. 806).

ولد محمد بن علي إبيگيگ نحو سنة 1260 بقرية تامالوكت بقبيلة إداوگارسموكت، وبها بدأ دراسته الأولية ثم انتقل إلى مدرسة أدوز فلازم العلامة العربي بن إبراهيم الأدوزي حتى وفاته ثم أخذ عن ابنه العلامة محمد بن العربي الأدوزي قليلاً، وانتقل إلى المدرسة البيعقوبية الإيلائية لدى أستاذه العلامة محمد بن علي البيعقوبي شارح المنهج المنتخب في الأصول فلزمه حتى حصل عليه ما حصل من العلوم، ولما توفي شيخه هذا ورأى أن لا أحد في سوس مثله ارتحل إلى فاس سنة 1301 فأخذ على علمائها عبد السلام بناني وعبد العزيز بناني ومحمد بناني ومحمد بن المدني گنون ومحمد القادري ومحمد مزور وعبد السلام الهواري.

رجع إبيگيگ من فاس وقد أجازته أساتذته فيما أخذ عنهم من علوم خاصة تلك التي أقتناها تاما كالحساب والفرائض التي كان فيها مبرزاً. قال عنه الإغراري : "له يد في علم الحساب، جميع أعمال المنية في صدره" (روضة الأفتان، ص. 238) إضافة إلى اللغة والتفسير والبلاغة. ولعمق معرفته وسعة تحصيله لقب إبيگيگ أي الرعد.

وبعد عودته من فاس انصرف إلى التدريس فشارط في مدرسة تانكرت بإيفران سنة 1314، ثم في مدرسة سيدي بوهادي بإيلاين سنة 1321 ثم في إحدى مدارس هشتوكة، غير أنه ما لبث أن فارق التعليم فاشتغل حيناً بتجارة الكتب يجلبها من مراكش ليبيعها بالمواضع الكبرى بسوس خاصة موسم تازروالت، وقد جابه التوفيق فيها فصار يزجي أيامه بالتجوال بين المدارس ومنازل العلماء بسوس مشتغلاً أحياناً بالتدريس ويقسمه التركات ( المعسول، 8 : 177).

كان الرسموكي إبيگيگ متقلب المزاج سريع الغضب معتدا بنفسه، لا يستقر بمكان فقل الأخذون عنه والمتنفعون بعلمه الجم، وغالب المستفيدين منه إنما أخذوا عنه بالمدرسة

الإلغية لأن أستاذها محمد بن عبد الله الإلغي وعلي بن عبد الله الإلغي كانا يستقبلانه ويصيران على ما يصدر منه حتى يستفيد منه الطلبة. قال أحد طلبة الإلغية : "... كان الأستاذ علي بن عبد الله نفسه يجلس مع الطلبة بين يديه، فيعمل عمل الحساب والفرائض إيناساً له واستنهاضاً لهمم الطلبة" (المعسول، 8: 178).

ومن أخذ عنه : محمد بن المؤذن السملالي وعبد الله بن محمد السملالي وإبراهيم بن علي التاكوشي ورشيد المصلوت وغيرهم.

كان إگيك كثير الانتقاد للناس خاصة الطلبة والعلماء وأرباب الطرق، مولعاً بالخط من أقدارهم وإبراز معانيهم وقرص أعراضهم، ولم يسلم منه سوى شيخه في العلوم والطريقة التجانية العلامة الأصولي محمد بن علي اليعقوبي وشيخ التجانية بسوس الحاج الحسين الإفرائي، مما سبب له ذلك معاداة الناس الذين صاروا يقعون في عرضه وينسبون إليه النقائص، وإلى ذلك أشار محمد المختار السوسي بقوله : "...وكان لتمكنه من العلوم بحسب له من يخافون منه ألف حساب فيغضون رؤوسهم متى لمحوه، ثم يكيلون له صاعاً بصاع إن غاب عنهم، فرمياً ينطون به معايب قد يكون خالياً منها، ولكن حين أولع بالبحث عن عيوب الناس وبالخط منهم أولع به أيضاً الناس، فصاروا يحطون من مقامه بحق وبغير حق حتى لا يتركوا له حسنة ولا يبقون له منقبة". ( المعسول، 8: 179).

كان لدراسة المترجم بفاس أثر كبير في اتساع أفقه وتجهل ذلك في انتقاده بعض العادات والمظاهر المنتشرة في سوس مثل "تخرأيت" وهي تلاوة تشوه القرآن بزيادة المدود أو نقصها، كما كان ينتقد تزوين المقابر والأضرحة وكسوتها بالأقمشة، وكانت له آراء تربوية ثاقبة، فكان يرى أن على الطالب أن يستمر في الأخذ حتى تحصل له الملكة، ثم عليه أن يعتمد على نفسه في التكوين والتحصيل ( المعسول، 14: 57).

عاش إگيك عازباً لم يتزوج قط حتى بلغ الثمانين فأصابه الحرف وفارقه التمييز سنتين قبل وفاته فسار حتى وصل إلى المدرسة اليعقوبية بإيلال وهناك توفي سنة 1324 / 61-1907، وهو أحد علماء سوس الذين لم يسعفهم الحظ في إبراز ما حصلوا من علوم فلم يتمكن من الاستقرار بمدرسة ولا من تأليف كتاب أو رسالة. وأهم آثاره إجازته للفقير رشيد المصلوت إجازة مطولة مفصلة عدد فيها مشايخه وما درس عليهم من علوم ومعارف إضافة إلى مشايخه في الطريقة التجانية (راجع المعسول، 8: 184).

م. المختار السوسي، المعسول، الأجزاء 1-2-3-4-8-9-11-13.

14 : م. الإكراري، روضة الأفتان في وفيات الأعيان، تج. حمدي أونوش، أكادير، 1998.

الرسموكي، موسى بن العربي بن إبراهيم، ولد بقرية

تبروكت بقبيلة إداو كارسموكت (رسموكة) وسط جبال جزولة يوم الأربعاء 23 رمضان سنة 1283 / 29 يناير 1867 ( المعسول، 18: 29 نقلاً عن تحلية الطروس للسكراتي).

بدأ موسى دراسته بمسقط رأسه ثم غادره وحفظ القرآن وأتقن حفظه على جماعة من الأساتذة الحفاظ، ثم شرع وعمره خمسة عشر عاماً في دراسة العلوم فأخذ عن جملة من مشايخ تازمورت وتارودانت ومراكش : محمد بن عبد الله السملالي (ت. 1235) لازمه مدة اثنتي عشرة سنة متنقلاً معه بين تازمورت بجوار تارودانت ومنطقة وأيت مزال بإيلال حتى أتقن عليه علوم العربية والفقه والبيان ؛ وأحمد بن محمد بن علي السندالي الأصولي الملقب أمزارك والكبير (ت. بعد 1306)، درس عليه بتيبوت قرب تارودانت، أخذ عنه الأصول والبلاغة ؛ وعمر التلي الأيكضي ؛ الحاج أحمد الجشتيمي أدركه أواخر حياته فقرأ عليه تبركا ؛ وعبد الرحمان بن القرشي الفيلاي درس عليه كتاب جمع الجوامع لابن السبكي في الأصول بجامع المراسين بمراكش سنة 1311.

رجع الرسموكي من مراكش سنة 1312 وقد استتم معارفه فاندمج في الحياة العملية وبدأ بالسبيل المفتوح لأمثاله من الخريجين الجدد وهي المشاركة، فكان بقبيلة إيمتاكن (منتاكة) نحو ستة أشهر، ثم انتقل إلى قبيلة المشابهة شمال شرقي تارودانت، ثم استقر بتارودانت سنة 1314 تاركا المشاركة لتعاطي التجارة. وقد أتاح له الاستقرار بهذه المدينة التعرف على علمائها وفقهائها، كالقاضي محمود الحياطي الذي أعجب بمداركه وتحصيله للعلوم وعمق معرفته بالنوازل وإتقانه لها، فعينه متلقياً للشهادات (عدلاً) وعضواً في مجلس الشورى، وهو مجلس يتكون من علماء يعينون القاضي في مهامه، بقي الرسموكي ممارساً لعمله حتى جلا عن تارودانت إلى تازمورت سنة 1322 بعد أن سجن ظلماً هو وولي نعمته القاضي محمود الحياطي.

عاد موسى الرسموكي إلى تارودانت فما لبث بعد سجن القاضي محمد بن عبد الرحمان بليزيد الروداني أن ولي قضاء الجماعة بها في شعبان 1326 / 1902، ويشمل قضاء الجماعة الإشراف على القضاء بالقبائل السوسية الممتدة من رأس الوادي وقبائل الأطلس الكبير كسكتانة إلى إيلال بالأطلس الصغير وهشتوكة وماسة (الفهرس العلي، ص. 46) بتعيين عشرات النواب يتولون الفصل بين المتخاصمين إضافة إلى ضبط التوثيق وتلقي الشهادات بهذه المنطقة المترامية الأطراف، وبقي الرسموكي متولياً هذه المهام مدة خمس وثلاثين سنة موزعة على مرحلتين :

الأولى من سنة 1326 (في خلال جزولة 1325، ج. 4 : 140) عقب عزل القاضي البزيد الروداني وسجنه إلى 1332 تاريخ تعيين القاضي الفاطمي الشراذي الفاسي بتارودانت. الثانية : من سنة 1337 عندما عاد القاضي الشراذي



التاريخية والأدبية، ووصفها قائلاً: "مقيدات هذا القاضي كثيرة، وذلك يدل على غاية الاعتناء منه" (خلال جزولة، 4: 177)؛ وياقتناء الكتب خاصة نوادر المخطوطات إما بالشراء أو النسخ، فاجتمعت له بفضل ذلك خزانة حافلة ضمت كتباً هامة قليلة النظر ما بين كتب الفقه والأدب والتاريخ والفهارس، ومن نماذج ما محتويه نسخة عتيقة من كتاب الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة لعبد الرحمان التمنارتي، وهي الأصل الذي نسخ منه الباحث الفرنسي الكولونيل جوستينار النسخة الموجودة بالخزانة العامة بالرباط، وكتاب النور الباهر في نصرة الدين الطاهر ليويسف بن عبد الله الإسلامي وهو أحد يهود تارودانت الذين أسلموا، وقد بيعت هذه الخزانة الهامة بعد وفاة ابنه أحمد بن موسى.

ومن اهتمامه بالأدب، أريحته الأدبية أي ما اتصف به من فكاهة ودعابة لا يتصف بها عادة إلا الأدباء الظرفاء خاصة عندما يختلي بأمثاله من الأدباء أو في مجالسه الخاصة التي يكون فيها بعيداً عن مهام القضاء التي تفرض عليه لزوم الوقار والسكينة، فيملأ مجالسه بإنشاد الأبيات والمقطعات ورواية الطرائف والمستلحات. كما خصص يوم الأربعاء من كل أسبوع لنزهات يقوم بها مع علماء المدينة الأدباء كعبد الله خرياش وأحمد بن المصلوت الهواري وغيرهما فيقضون اليوم في مذاكرات وإفادات علمية وإنشادات أدبية. كما كان يستغل زيارته للحواضر الكبرى كفاس ومراكش للقاء الأدباء والتعرف عليهم، وترقب زيارتهم لتارودانت لاستضافتهم، مثل علي بن عبد الله الإلغي والشاعر محمد بن الحاج الإفرائي وشاعر الحمراء محمد بن إبراهيم المراكشي.

ومن إبداعاته الأدبية: قطعات اقتصرت في الغالب على الإخوانيات، وعلى غرض المدح والوصف والسخرية والهجاء، وكان غالب إبداعه في المساجلات تحية لصديق أو رداً على تحية، أو قياماً بالواجب في التهنية أو التعزية، أو غير ذلك من الموضوعات المرتبطة بحياته الاجتماعية، غير أن ذلك لا يقدح في شعره ولا ينزع عنه ما وصف به من أنه شعر لطيف وبتح وبتح رغم قلته.

وله مراسلات عديدة مع معاصريه، ويختلف أسلوب رسائله حسب المرسل إليه، فإن راسل الأدباء والعلماء فإنه يطيل النفس ويعتني بالصنعة، كما يتفنن في الأسلوب مستعيناً بالسجع ومستعملاً المجاز والتشبيه والاستعارة على غرار الكتاب الأندلسيين، مع ترصيع الرسائل بالأمثال والأبيات الشعرية من الشعر العربي القديم أو من إبداعاته الخاصة.

ومن نماذج هذه الرسائل ما كاتب به القاضي الفاطمي الشراذي الفاسي بعد أن غادر تارودانت واستقر بفاس، يتشوق إلى لقاته ويصور ما ترك بالمدينة من فراغ، قال: "أما بعد، فهل عرفت كيف تركت بعدك القلوب تشوقاً،

إلى فاس وأشار بتعيين الرسموكي في منصب القضاء إلى سنة 1361 تاريخ إحالته على التقاعد، وقد كان القاضي موسى الرسموكي يقوم في هذه المرحلة بالتدريس بالجامع الكبير حسبما ورد في رسم مؤرخ بسنة 1339 (وثائق أحمد بوزيد الكسناني) ومن تلاميذه محمد التيملي المسناتي أخذ عنه إذ ذاك (المعسول، 8: 293).

اشتهر القاضي موسى الرسموكي بالنزاهة والاستقامة والإنصاف خلال توليه قضاء الجماعة، فكان متحريراً لا يسرع في الأحكام بل ربما أبطأ، كما أغلق باب الشفاعة في الحقوق وأنصف من المقربين قبل الأبعاد، ووقف في وجه المتلاعبين ولو كانوا من الرؤساء (راجع حول موقفه من تدخل وزير العدل والباشا الأكلوي في إحدى القضايا المعسول، 18: 17).

ونتيجة لذلك لم يؤثّل أملاكاً ولا كانت له ثروة، وصفه المختار السوسي، فقال: "كان فريداً في كل أحواله، فقد أبرز منه هذا المركز الذي كان فيه زهاء خمس وثلاثين سنة ذرة صافية، وياقوتة فريدة، وإماماً مبرزاً قلما يوجد له نظير، فقد تولى قضاء تارودانت وهي إذ ذاك عاصمة سوس... فيستتبع عنه عشرات النواب، وكان بذلك في ملتقى سيول الأموال لو أنه كان يهتم بجمعها، ثم مضى له زمن طويل كان مظنة تأثيل الأموال ولو شيئاً فشيئاً، ولكن كم يطول عجب القارئ إن أخبرناه بأنه لم يتأثّل ولو حقلاً واحداً، ولا ظهرت له أموال مثل ما تظهر لأمثاله الذين يكونون في مثل مركزه ولو بضع سنين (المعسول، 18: 10).

وقال فيه المدني بن الحسني رئيس مجلس الاستئناف الشرعي الأعلى: "ما رأيت بين القضاة اليوم مثل سيدي موسى الروداني، فإنه عندي من بقية السلف فيما ينهجه من أحكامه، وإنها لأشبه عندي بأحكام قضاة الأندلس (المعسول، 18: 12).

كما كان الرسموكي مفتياً تُعرض عليه القضايا والنوازل فيفتي بمذهب مالك متبعاً في ذلك كبار فقهاء المذهب، وكانت له آراء جريئة مخالفة لما جرى به العمل في سوس بين العامة، يتجلى ذلك في موقفه من بيع الثنيا، وقد أفتى بحرمنه وعمل جهده على منعه، وكتب في ذلك فتاوى عديدة (خلال جزولة، 4: 176؛ فقه النوازل في سوس، ص. 359).

لم يمنع الاشتغال بالقضاء موسى الرسموكي من أن تكون له اهتمامات أخرى، كالاهتمام بالثقافة، فاتخذ كنانيش يحفظ بها ما يعن له من أخبار وتاريخ وأدبيات وأحداث سمع عنها أو شهداها بنفسه، واعتنى بالخصوص بتسجيل أخبار وفيات العلماء والفقهاء من أهل سوس، كما اهتم بتاريخ تنصيب الرؤساء والقواد والنظار وغيرهم من أرباب المناصب الهامة في المجتمع، وقد استفاد محمد المختار السوسي من هذه التقايد واستعان بها في تأليفه

(1335)، سيدي عبدو المقرئ (ت. 1383)، محمد بن علي المحجوبي، صالح بن عبد الله الإلغي... وعلى الرغم من تعدد المدارس المنتشرة بتراب القبيلة (تيزيگين، تافراوت، المولود، تاملوكت...) فإن مدرسة دودرار تستأثر بالريادة العلمية، وكان منحاه العام هو الاهتمام بالفقه والأدب والقراءات. وتخرج منها عدد غير من الطلبة.

وثائق المدرسة : وثائق الأستاذ صالح بن عبد الله الإلغي : المعمول، 3، 8281 : 8 : 214، 10، 77، 11 : 188 : 5 : 108، 70، 112. 134، 214، 129، 65، 115 : 4 : 28 : رجالات العلم العربي بسوس، 225، 128، 124، 241 : الأگاري، روضة الأفتان، تج. حمدي أنوش، ص. 201، 280، 329 : مدارس سوس العتيقة، 110 : خلال جزولة، 531 : سوس العالمة، 159.

أحمد بومزگو

**رشاد، بوشعيب** أحد رواد المسرح المغربي بالدار البيضاء. ينتمي إلى الجيل الحضري المحافظ الذي أفاق على وقع تغلغل الاحتلال الأجنبي ففتح على الحداثة من موقع وطني أصيل.

اغترف من المعين الحضاري المتشعب، الشري والمتناقض، الذي رافق نشأة العاصمة الاقتصادية الفتية في ظل العوالة الأولى التي عقب الحرب العالمية العظمى وأعدت للثانية. تلقى الدروس البصرية الأساسية عن طريق السينما الصامتة التي كانت مدرسة متميزة، تركز على التشخيص والحركة والإخراج، ولغة الإبداع الجسدي والتقني دون سواها. بالموازاة مع ذلك، كان التراث الشعبي ما يزال يتمسح بزخم كبير في حلقات الساحات العمومية، معتمدا على النصوص البطولية والعقائدية للموروث الموحد، وتلاقح الآداب الإقليمية، وتوقيع الأهازيج والفكاهة والموعظة. وكانت معه الحركة الوطنية، تحتكم إلى الدين الإسلامي وإلى الفكر الشرقي، وتنتقي من النبوغ الدخيل، وتندمج في المسار النضالي الذي ألهب الجبل وأحيا المدينة.

عرف بوشعيب رشاد في بداية حياته الفنية باسم شعيب الحاج قاسم. تتلمذ في عصامية تامة على التيارات التي



وغادرت أوداءك برجيلك تحرقا، فما أنت إلا الويل الذي صادف محلا فقلع جذوره، ثم كسا وجه البسيطة زهوره، أو النهار المشرق الذي يطلع بعد ليلة السرار، فطلع بشمس وضاعة صافية الأنوار، فالشكر لسعد السعود الذي ساقلك إلى سوس حتى علاه الجبور والسرور بعد العبوس... (المعمول، 18 : 18).

أما إذا كاتب الرؤساء والقواد فيعير على حسب الحاجة متوسلا بالعبارة البسيطة السهلة التي لا تشكل على الأفهام رعبا للقصدها منها فهدفها تحقيق ما يتعلق بالمهام الرسمية أو مجاملة من لا يهد من مخاطبته دون التفریط في حسن السبك وقوة الأسلوب.

توفي القاضي موسى الرسموكي يوم 2 شوال 1361 / 13 أكتوبر 1942، ودفن بمقبرة باب الخميس بتارودانت مخلفا ذكراً حسنا ما زالت تتداوله الأفواه، وقد رثي بأشعار كثيرة.

م. المختار السوسي، المعمول، الأجزاء، 4، 6، 7، 8، 10، 11، 14، 16، 18، 19 : خلال جزولة، ج. 4، تطوان : اليزيد الراضي، شعر داود الرسموكي، أكادير، 1992 : رشيد المصون، الفهرس العلمي، الدار البيضاء، 1405 / 1985 : الحسن العبادي، نقه النوازل في سوس، تضايا وأعلام، الدار البيضاء، 1999 : وثائق أحمد بوزيد الكنتاني بتارودانت.

المهدي السعيدي

**الرسموكية**، مدرسة في قلب قبيلة إداوگارسموكت، تقع مدرسة دودرار الرسموكية العتيقة. تنحشر وسط ركام من التلال الجبلية وكأنها حجابها "تخبروا لها موقعاً اتفقت عليه كلمتهم. بإشارة من العارف الرياني أحمد بن محمد من المرس بأرياض ماسة، مع ثلة صالحة من آل الدشيرة... بين أگمات لا يترأى لعين الناظر" شيدت المدرسة في ملك رجل من آل بورجيلات يدعى محمد لشكر. وهذا التأسيس، وقع فيما غلب على الظن، في أواخر القرن الثاني عشر (18 م). وما يستشف من وثائق المدرسة أن القبيلة كانت تتكلف بجميع مستلزمات تسييرها وتديبرها، بما في ذلك شرط الأستاذ المدرس. ففي سنة 1287 كان "مقدار شرط الفقيه (محمد بن إبراهيم التودماوي) أربعين مثقالا قفة، وثلاثون غرائر من الزرع بصاع الأريعاء، ونوافله من الزيدة...". تعاقب عليها بالتدريس والاقراء، منذ إحداثها ما ينهر سبعة عشرين من الشيوخ والأساتيد ذوي أصول مختلفة (إيداوگارسموكت، أدوز، ماسة، أزاريف، إلخ...). أشهرهم : صالح بن إبراهيم الرسموكي (ت. أواخر ق. 12)، إبراهيم بن محمد المحجوبي (ت. 1252هـ)، العربي بن إبراهيم الأدوزي (ت. 1286)، محمد بن محمد بن أحمد الأدوزي (ت. 1276)، عبد الرحمان بن أحمد الماسي (كان حيا 1379)، علي بن الطاهر المحجوبي (ت. 1387)، عبد العزيز الأدوزي (ت. 1336)، محمد بن علي المزواري (ت.

الوثوق الديني.

جاءت بعدها أعمال مبتكرة ذات طابع درامي اجتماعي وانتقادي أصيل. نذكر من بين عناوينها : "بالنسب يتنفي الفساد"، "دموع اليتيمة"، "أولاد الأغنياء"، "حكمة الله". وقد مثلت جميعها في أكثر من عرض، مهيكلة في أربعة فصول لكل واحدة، ومعتمدة الوسائل العصرية في الملابس والماكياج والديكور والصوت والإنارة. وقدم معظمها على خشبة المسرح البلدي للدار البيضاء، الذي كان أهم قاعة للعرض المسرحي الحديث بالمغرب على الإطلاق.

اقتضى تعقيد الوظائف الفنية الحديثة من أجل إعداد العروض، أن يقوم شعيب رشاد، رئيس الفرقة، بوضع القصة والإخراج ويفوض عملية الكتابة مثلا لشركاء من الشباب المثقف، برز من بينهم المرحومان إدريس الخياطي في مرحلة أولى وخاصة عبد الرزاق أحمد الهراوي، وكلاهما من الرعيل البيضاء بجامعة القرويين.

شكل الإبداع المسرحي في حماة الاحتلال بوتقة هائلة لأدوات الثقافة المغربية تشحذها وتطورها فنيا كما تسخرها للنضال من أجل الاعتناق. من ذلك أن المؤلف، في الفرقة التمثيلية البيضاء مثلا، يكتب الرواية في صيغتين اثنتين : إحداها مكتملة تعتمد على توزيع الأدوار وإجراء التمارين، والأخرى هزلية، منقوصة من كل المواقف والمقاطع ذات النفس الوطني، تقدم للرقب، يقرأها يتمتعن ويطلع على كل صفحة يجيزها. ثم يكون الامتحان الثاني ليلة العرض إذ يحضر الرقيب ومعه النسخة المختومة للتأكد من التطابق بين النصين المكتوب في كراسته المتواضعة والمشخص على الركح. وكثيرا ما كانت تنتهي السهرة بمركز الشركة في محاسبة عسيرة. وأجمل ما في الأمر أن هذه الأحداث كانت تدخل في سجل مفاخر الفرقة، تشجع على الاستمرار ولا تنني عنه بحال من الأحوال. وغالبا ما كانت تعد العروض لتوافق المناسبات الوطنية، يأتي على رأسها عيد العرش، فلا يندر أن تقام السهرة بالشباك المقل من فرط الإقبال عليها.

كما نحسب لرئيس الفرقة التمثيلية البيضاء السابق في العديد من الأعمال التأسيسية. منها إبداع صيغة العرض المسرحي الأكثر ملاءمة لوضع الجمهور المغربي آنذاك. فمعلوم أن أغلبية المجتمع كانت من غير المتعلمين الذين لا يحذقون اللسان الفصيح بما يكفي، لذا وجب الإلحاح على المؤلف البليغ، متخرج القرويين، في أن يبسط لفته، على أن يأتي الباقي من مهارات الإخراج والتشخيص. إضافة إلى أن رفع الستار يكون على رواية هزلية من فصل واحد، تقدم بالعامية، تأتي مقبلة للطبق الدسم الموالي، ويؤلفها ويخرجها رئيس الفرقة وبشخص فيها الدور الأول.

وقد تولى بوشعيب رشاد التنقيب عن المواهب الواعدة وإبراز العديد ممن أنصفهم المستقبل فسقط نجمهم. نذكر من

كانت تعبر الشارع البيضاء، وأسهم بقسط وافر في الجهود التي عملت في مرحلة أولى على تجنيد التعبير التلقائي الشعبي المسرح مزلق الابتذال والدونية. فكان من الذين أسسوا لمسرح الأحياء في صورتها الأولى، في ذات الساحات التي كانت تقام عليها الحفلات، منافسة للمسرح الأجنبية المشارب ومنها مسرح العيث الذي ظهر كملهاة جديدة تشغل الناس، والشباب منهم على الخصوص، وتوظف الألعاب البهلوانية، ومهارات السحر وخفة اليد... (الراس المقطوع). ومن أجل خلق هذه الانتفاضة الثقافية، وتكوين التيارات المدسوسة والدفع بها في اتجاه أخلاقي وطني ذي جمالية فنية أصيلة، عكف الرواد على إنشاء الأنشطة الثقافية خلال مواسم لها حرمتها لدى العموم، فتميزت من بين هذه التظاهرات على سبيل المثال "حفلات رمضان" التي كانت تعرف العروض المتواصلة لبعض الروايات الاجتماعية والطرائف الفكاهية والأناشيد الوطنية والقراءات الشعرية، إضافة إلى ترتيب الذكر الحكيم، كل ذلك في جو احتفالي مفعم بالحماس والعفوية...

خلال كل مرحلة البدايات، كانت لغة الإبداع في مجملها هي العربية الدارجية. واستمر ذلك إلى أن تبين التخطيط الاستعماري لطمس الهوية الوطنية بكل مقوماتها. فسرى في أوساط النخبة الفنية تعليمات الإجماع باعتماد اللغة العربية الفصحى في إنجاز كل عمل إبداعي ذي بال.

لاشك أن أقدم مرحلة للإنتاج المسرحي في صيغته النظامية الكلاسيكية قد انبثقت إرهاباتها عن جو المقاومة والبطولات التي خاضها الكفاح المسلح ضد احتلال البلاد، والأصداء التي خلفها، زيادة على الرواج المتزايد للعروض التمثيلية المتقدمة الآتية من الشرق والغرب. وقد أذكى جذوتها زخم أحداث المقاومة الحضرية التي تعددت إثر إعلان الظهير البربري (1930) وإلى رفع وثيقة المطالبة بالاستقلال (1944) ثم تصعيد العدوان الاستعماري بنفي رمز سيادة البلاد آنذاك السلطان محمد بن يوسف.

يعتبر بوشعيب رشاد من أهم نشطاء هذه المرحلة. أسس جمعياته الفنية سنة 1942، في خضم دوامة الحرب العالمية الثانية، وأسماها "الفرقة التمثيلية البيضاء". أنتجت الفرقة كل أعمالها الأساسية باللغة الفصحى إلى حدود انفجار الأزمة الوطنية سنة 1953 حيث قررت كل الأوساط الثقافية المنتزعة اعتماد موقف حدادي مقاطع لكل مظاهر الاحتفال، ومناصر لفترة الكفاح المسلح الحاسمة التي توجت باستقلال البلاد.

وافقت مرحلة التأسيس هاته، على الصعيد الوطني، مرحلة عطاء متميزة عند الفنان بوشعيب رشاد.

كانت المسرحية الأولى، "قصة نبي الله يوسف"، على غرار جل أعمال البدايات في ذلك الوقت، ذات صيغة تاريخية، لها مغزى رمزي، تواجه العدوان من أرضية

بينهم حمادي عمور، الذي انتقل بعد ذلك إلى فرقة المنار ثم إلى الإذاعة الوطنية؛ وعبد الرزاق الهراوي، الذي أسس في أواسط الخمسينيات فرقة العروبة المسرحية التي قامت بعد وفاة المؤسس على إدارة المسرح البلدي؛ ومحمد عفيفي، الذي انخرط في الفرقة الوطنية؛ وثلة من الشخصيات الفكاهية المتميزة من بينهم عبد الرحمان الصوري، المفضل الحريزي، بوجمعة وجود، عبد الرحيم التونسي...

وحتى معضلة الأدوار النسائية التي لم تكن تجد لها حلا في الغالب إلا بإسنادها لشباب متكررين، قد وجدت بعض حلها في البنية الأسرية التي ميزت الفرقة التمثيلية البيضاوية. بل وبلغ تكافؤ الفرص بين الجنسين إلى حد منح مسؤولية تأليف رواية "حكمة الله" إلى الممثلة الموهوبة التي اضطلعت فيها بالدور الأول والتي وصفت وقته بأنها "أول فتاة مغربية تقوم بالتأليف المسرحي".

عرفت بداية عهد الاستقلال طفرة كبيرة، ظهر خلالها كم هائل من الأسماء والأنشطة. لكن بعد فترة المقاطعة، التي استغرقتها مرحلة الغداء التي عمت التراب الوطني بزعامة مناضلي الدار البيضاء، ابتعد جل الرواد عن الساحة الفنية إلا قلة قليلة كان من بينها شعيب رشاد. عاد متجردا من بطانته الأولى من الرعييل المثقف، فاشتغل على الرواية الهزلية باللغة العامية كما دأبت على ذلك الموجة الجديدة. وواصل في أناة ومثابرة عمله الذي لا يكمل في سبيل اكتشاف المواهب وتكوين الجيل. وقد اهتم حتى بميدان المنوعات، فظهرت على يده بعض الأصوات المتميزة منها محمد البورزكي ولطيفة الجواهري... وما انفك يملئ الروايات على شركائه الجدد، ويخرج ويمرن. وقيمت إبداعاته متميزة بالنفس الأخلاقي المرح، يحبكها ويجول بها عبر البلاد يقربها من عموم الناس مسليا ومصلحا.

لما رحل شعيب رشاد إلى عفو الله، في خريف سنة 1398 / 1977 بعد حياة من الخلق والنضال، والكفاح والعفاف، انتهى معه جيل البناء العصاميين، وخبث جذوة المدينة القديمة كمركز إشعاع ثقافي يعج بالطاقات.

في منتصف القرن الماضي، وفي حميمة الدروب، بين باب مراكش وسيدي بوسمارة والسور الجديد (التناكر، الجزء 8، ص. 2573)، كانت خطوات قليلة فقط تفصل بين دار شعيب رشاد والبشير العليج والحبيب القديري وبوشعيب البيضاوي ومحمد ماسيست وأحمد عيدان ومصطفى الغريباوي وعبد الرزاق الهراوي، وغيرهم كثير، خاصة إذا أضفنا إلى أقطاب الفن المسرحي رموز الفنون الأخرى والآداب والعلوم. أما اليوم فقد أقتلت كل هذه الأبواب وأهمل ذكر أصحابها ومعهم نصيب تليد من ذاكرة الأجيال والإبداع لحاضرة الدار البيضاء العالمة، الذكية والجميلية.

إدريس الفاسي

ابن رشد الجدد، محمد بن أحمد القرطبي، أبو الوليد

فقيه الأندلس وعالم العدوتين. ولد بقرطبة في شوال عام 450 / نونبر - دجنبر 1058، وبها نشأ ودرس على كبار علماء ذلك العصر، فأخذ أصول الفقه وفروعه عن الفقيه المتفنان أبي جعفر أحمد ابن رزق (ت. 477)، وعليه كان اعتماده وظل يتذكر مجالسه طوال حياته ويستحضر مناقشاته للمسائل العويصة في المذهب ويستشهد بأرائه في دروسه ومؤلفاته؛ وعن الفقيه المحافظ محمد ابن خيرة الأموي (ت. 487) وكبير المفتين بقرطبة محمد بن فرح ابن الطلاع (ت. 497). وتتلذذ في علوم الحديث على الإمام الراوية أحمد بن عمر العذري الدلاتي (ت. 478)، وشيخ جماعة المحدثين حسين بن محمد الغساني الجباني (ت. 478)، كما أخذ اللغة عن إمامها في الأندلس عبد الملك بن سراج (ت. 489).

أدرك ابن رشد شأواً كبيراً في مختلف العلوم التي درسها وبخاصة الفقه الذي وعى أصوله وفروعه، ونسأه بالتدريس والإفتاء والتأليف طوال حياته، حتى أصبح كبير فقهاء العدوتين بدون منازع، وتخطت شهرته حدود الغرب الإسلامي إلى مصر وما وراءها من بلاد المشرق، وأصبحت اجتهاداته التي كثيراً ما يعبر عنها بقوله: "الذي يظهر لي... الظاهر" معتمدة معدودة من المصادر التي يرجع إليها فقهاء المالكية شرقاً وغرباً، سواء منهم معاصروه أو الذين أتوا من بعده.

كان محمد ابن رشد - بإجماع من ترجموا له - ناسكاً عفيفاً، كريم الخلق سهل الحجاب، كما كان أستاذاً بطبعه، يجب التدريس ويحسن طرق التبليغ، تسعفه مادة غزيرة، وتفكير منظم، وذاكرة قوية، وعبارة منطلقة، وحرص على نفع الطلبة. ولم ينل ابن رشد تقدير الأوساط العلمية ببلده وكفى، بل أجله الناس في العدوتين، حتى أمير المسلمين ملك المرابطين في مراكش، واعتقده أهل قرطبة بصفة خاصة وأحبوه لأنه كان إمامهم وخطيبهم في الجامع الأعظم الذي كان يسع أهل المدينة جمعاً، ورأوا فيه العالم بالشريعة المتحلي بها، إياه يستفتون في مسائل دينهم وديانهم، وإليه يفزعون فيما يلم بهم من ريب الدهر ونوائبه.

تخرج على يد ابن رشد عدد من فقهاء الأندلس ومحدثيها ومؤرخيها النابيين أمثال القاضي الجماعة بقرطبة محمد بن أصيبغ (ت. 536) وسارده الملازم له محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الوزان (ت. 543) والقاضي عياض بن موسى السبتي (ت. 544) وعبد الملك ابن مسرة اليحصبي (ت. 552) والمحدث محمد بن يوسف ابن سعادة (ت. 556) والمفسر المحافظ علي بن عبد الله ابن النعمة (ت. 567) والمؤرخ خلف بن عبد الملك ابن يشكوال (ت. 578).

وبالرغم على ما كان يتمتع به ابن رشد من حظوة واعتبار لدى المرابطين، سواء منهم ملوك مراكش والأمراء حكام الأندلس لم يتقلد أي خطة رسمية إلا في العقد الأخير من عمره (عام 511 / 1117) حيث أسند إليه قضاء

الجماعة بقرطبة والإمامة والخطابة بجامعها الأعظم. ويبدو أنه لم يقبل ذلك إلا بإلحاح من علي بن يوسف بن تاشفين. وكان في هذا الوقت منهمكاً في تأليف البيان والتحصيل كما سئري.

يعتبر كتاب البيان والتحصيل أهم مؤلفات ابن رشد، وأعظم موسوعة فقهية أبقى عليها الدهر من تراث الفقه المالكي بالأندلس، وضمنها سماعات الفقيه محمد العتبي القرطبي (ت: 314) من تلاميذ الإمام مالك مباشرة، وقد كتب ابن رشد في مقدمة البيان والتحصيل أن جماعة من أصحابه فقهاء جبان جاؤوه في صدر عام 502 وبعض الطلبة من أهل شلب يقرأ عليه في كتاب الاستلحاق من العتبية، فمر بمسألة أشكلت على القارئ والحاضرين، فشرحها لهم بما أزال غموضها، ورغبوا إليه أن يتتبع عويص هذا الكتاب بالشرح والبيان، فرد عليهم ابن رشد بأن العتبية كلها بحاجة إلى توجيه وتوضيح، ضارباً لهم المثل بأول مسألة فيها تتعلق بالوضوء، تبدو وكأنها لا غبار عليها مشيراً حولها أحد عشر سؤالاً لم يحيروا لها جواباً، "فتنبهوا لذلك وشروها إليه وحرصوا عليه" واشتد إلحاحهم، فلم يجد ابن رشد بداً من إسعافهم والشروع في تحرير كتاب البيان والتحصيل مرحلة مرحلة، حتى إذا حل عام 511 وقد أكمل نيفاً وخمسين جزءاً، أي نحو نصف الكتاب، امتحن بالقضاء وشغلته أمور المسلمين عن التأليف، فلم يعد يتفرغ إليه إلا يوماً واحداً في الأسبوع ينقطع فيه عن الناس. ومضت أربعة أعوام هكذا في القضاء لم ينجز خلالها الشيخ إلا أربعة كتب أو خمسة، قال: "فأيست من تمامه في بقية عمري إلا أن يرحمني الله تعالى من ولاية القضاء، وكنت من ذلك تحت إشفاق شديد وكرب عظيم، وذكرت ذلك لأمير المسلمين وناصر الدين أبي الحسن علي بن يوسف ابن تاشفين - أدام اللع تأييده وتوفيقه - في جملة الأعذار التي استعفيت بسببها، وغبظته بالأجر على تفرغي لتمامه، فقبل الرغبة فيما رغبته فيه من الثواب، وأسعف الطلبة فيه لما رجاه بأن تشغل بذلك موازينه يوم الحساب..."

تدارك ابن رشد ما فاته أيام القضاء بعد إعفائه منه أواسط عام 515، فأقبل بكلية على كتابة ما بقي من البيان والتحصيل حتى أمته في مستهل ربيع الآخر من عام 517. ثم طلبوا منه أن يهد له بمقدمات تنبئ عن مسأله، فرأى أن يكتبها بالمقدمات الممهدة التي كان يوردها أثناء تدريسه للمدونة بعد أن هذبها ورتبها، لتشابه أبواب المدونة والمستخرجة.

وقد حقت بالاشترك مع جماعة من الفقهاء المغاربة كتاب البيان والتحصيل والمقدمات الممهدة ونشرتهما كاملين لأول مرة دار الغرب الإسلامي في بيروت، البيان والتحصيل سنة 1404 / 1984، في عشرين جزءاً، والمقدمات سنة 1408 / 1988 في ثلاثة أجزاء.

ولابن رشد الجهد مؤلفات أخرى، منها فتاواه، التي حققها المختار التليلي كأطروحة جامعية، ونشرتها كذلك

دار الغرب الإسلامي في بيروت سنة 1407 / 1987 في ثلاثة أجزاء. ثم نشرت في المغرب في جزئين؛ واختصار المبسوطة ليحيى بن إسحاق اللبشي؛ وتهذيب مشكل الآثار لأحمد الطحاوي؛ واختصار المحجب على مذهب مالك بن أنس مما روي عن زيد بن ثابت؛ وفهرست الشيوخ، وتنسب إليه كتب أخرى ربما ضاعت.

ومما يدل على استمرار حظوة ابن رشد عند المرابطين بعد إعفائه من خطة القضاء أنه عندما انتهت هبة القشتالين التي استمرت نصف سنة توغلوا أثناءها في ديار المسلمين بالأندلس حتى وصلوا إلى ما لم يصلوا إليه قط، وهم يتلفون ويحرقون ويقتلون ويأسرون، شد ابن رشد الرحلة - على كبر سنه - إلى مراكش (3 ربيع الأول عام 520 / 29 مارس 1126) ليطلع أمير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين. وقد نزل ابن رشد على الرحب والسعة في بلاط الملك المرابطي الذي استضافه شهراً تعرّف منه خلاله على أحوال الأندلس، واستفتاه في أمور تهم الدولة. ولم يكذب يرجع ابن رشد إلى قرطبة حتى أتم به مرض ألزمه الفراش أربعة أشهر وأياماً، ومات ليلة الأحد حادي عشر ذي القعدة عام 520 / 28 نونبر 1126 ودفن عشية الأحد بمقبرة عباس مدفن سلفه شرقي قرطبة.

"وكان مشهده حفيلاً - يقول تلميذه ابن الوزان - والتفجع عليه جليلاً، لم ير أحد من أهل زماننا مشهداً أكثر تولهاً وتفجعاً منه. وبحق فقد كان - رحمه الله - طود علم، وإنسان فضل وحلم، وكوكب ذكاء وفهم، وواحد جلالة وديانة، وفذ رجاحة وأمانة".

م. ابن رشد الجهد نفسه، البيان والتحصيل، المقدمة؛ تلميذه علي ابن الوزان في خاتمة نوازل ابن رشد، مخطوط؛ تلميذه القاضي عياض في الفتية، تج. ماهر زهير جزار، بيروت، 1982، ص. 54. 57؛ تلميذه أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي، فهرسة، طبعة جديدة عن طبعة سرقسطة سنة 1893 بإشراف زهير فتح الله، 1923، ص. 243؛ تلميذه خلف ابن بشكوال في الصلوة، مصر، 1922، 2؛ 572، 577، رقم 128؛ محمد بن عياض، التعريف بالقاضي عياض، تج. م. بن شريفة، فضالة، د. ت. ص. 123؛ أحمد الضبي، بغية المتلمس، طبعة جديدة عن طبعة مجريط القديمة سنة 1881، ص. 20، رقم 24؛ م. الحجاري ومن معه، المغرب في حلي المغرب، تج. شوقي ضيف، سلسلة ذخائر المغرب، 10، د. ت. ص. 1؛ 105؛ ابن القطن، نظم الجمان، تج. محمود علي مكي، تطوان، د. ت. ص. 107 مع الهامشين، 1 و 2؛ م. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ط. 2، حيدر آباد الدكن، 1222، 4، 65؛ ابن أبي زرع، القرطاس، تج. الهاشمي القبلائي، الرباط، 1936، 2؛ 89؛ صلاح الدين الصفي، الراعي بالرفقيات، 1962، 2؛ 114؛ ع. الله الياضي، امرأة الجمان، حيدر آباد الدكن، 1337، 3؛ 228؛ أبو الحسن النباهي، المرقبة العليا، مصر، 1948، ص. 98؛ إبراهيم ابن فرحون، الدهباج الذهب، مصر عام 1351، ص. 278؛ أ. ابن قنفذ القسنطيني، شرف الطالب، الرباط، 1972، ص. 60؛ مؤلف مجهول، الخلل

الموشية، تج. سهيل زكار، وع. القادر زمامة، ص. 90-97-98 :  
مجهول، مفاخر البربر، بعناية ليفي بروفنسال، الرياض، 1934،  
ص. 52 : أ. المقرئ، أزهار الرياض، المحمدية، عام 1980، 2 : 59 :  
حاجي خليفة، كشف الظنون، اسطنبول، 1941-1942، ص. 261 .  
1912 : ع. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، بيروت، د. ت. 4 :  
62 : إسماعيل البغدادي، هدية العارفين، اسطنبول، 1951، ص. 2 :  
85 : م. مخلوف، شجرة النور الزكية، بيروت، 1249، ص. 129،  
رقم 276 : م. المحجوب، الفكر السامي، فاس، 1926، 1930، 4 : 54 :  
ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرياض، 1980، 4 : 58 : ع. رضى  
كحالة، معجم المؤلفين، دمشق، 1957، 8 : 228 : إحسان عباس،  
نوازل ابن رشد، مجلة الأبحاث للجامعة الأميركية، بيروت، م.  
حجي، تقديم البيان والتحصيل، الجزء الأول : تراث الأندلس، الدار  
البيضاء، 1964، ج. 2 : 24-26.

محمد حجي

ابن رشد الحفيد، 520-595 / 1126-1198) أبو  
الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد، عرف عند مؤلفي  
أوروبا في العصر الوسيط بالشارح، أي شارح أرسطو. ولد  
بقرطبة في عائلة من النخاسة شهيرة، فقد تقلد جده أبو  
الوليد ثم والده أعلى المناصب في الإمامة والقضاء. تعمق  
الحفيد في دراسة الفقه ودرس الطب. ولا نجد في المصادر  
إشارة إلى من أخذ عنهم الفلسفة.

في سنة 548 / 1153، كان أبو الوليد بمراكش، ويبدو أنه  
حضر إليها على عادة وجهاء الأندلس تعبيراً عن ولائه  
للخليفة الموحد عبد المومن، وفي ضمن ذلك نوى القيام  
بزيارة لتربة المهدي بن تومرت بتنمل، ويذكر لنا أنه قام في  
مرتفعات الأطلس أثناء هذه الزيارة بعلميات رصد فلكية.  
وهذا يدفع إلى التساؤل عما إذا كان الاشتغال بالفلك قد  
كان ضمن الاهتمام الأول عند ابن رشد في بدايته، إذ يظهر  
أن شرحه لكتاب الماجسطي من تأليف شبابه، ولطالما عبر  
على ضرورة تأسيس علم فلك طبيعي لا رياضي وحسب،  
وآخر إشارة إلى هذا المشروع وردت عنده في الشرح الكبير  
لكتاب ما بعد الطبيعة (آخر مقاله اللام).

وفي المرحلة الموالية كبر النشاط العلمي لابن رشد في  
عدة اتجاهات : ففي الفلسفة وضع مختصرات للكتب  
الطبيعية لأرسطو : كتاب الطبيعة، كتاب السماء والعالم،  
كتاب الكون والفساد، الآثار العلوية، كتاب الحيوان، كتاب  
النفس. وفي الطب وضع كتاب الكليات (عام 1163) :  
وفي الفقه وضع كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد (عام  
1163).

توطدت علائق ابن رشد الفيلسوف بأمرء الموحدين في  
عهد كل من أبي يعقوب يوسف (1163-1184) وأبي يوسف  
يعقوب المنصور (1184-1199)، وكان لهما ولع بالاطلاع  
على العلوم والتعمق فيها، ولربما بحث بحثاً في هذا النهج  
على أثر مؤسس الدولة، ابن تومرت، عن عماد لسطانهم.

وكان الذي قَدَّم ابن رشد للخليفة أبي يعقوب يوسف بن  
عبد المومن عام 1169 هو أبو بكر ابن طفيل. وقد اشتهرت  
المقابلة بين الرجلين بفضل ما نقل عنها أحد تلامذة ابن رشد  
للمؤرخ عبد الواحد المراكشي، وكان لها أثر رئيس في قصة  
الفلسفة بالغرب الإسلامي، إذ أنها كانت وراء قرار ابن  
رشد بالتصدي لشرح كتب أرسطو الكبرى. فقد كان قبل  
هذا التاريخ شرع في وضع شروحه الوسطى، وكان مشغولاً  
بها في إشبيلية حيث كان قاضياً عام 567. وفي المدة ما بين  
1171 و1180 كان يتردد على إشبيلية وقرطبة ومراكش،  
وفيهما وضع الشروح الوسطى على أرسطو ووضع الكتب  
التي بيّن فيها مواقفه من المتكلمين في قضايا الدين في  
الإسلام ولا سيما رده على الغزالي بكتاب "تهافت  
التهافت".

وفي عام 1182 حل محل ابن طفيل الذي أدركه الهرم  
في منصب طبيب البلاط عند السلطان أبي يعقوب. وبعد  
وفاة هذا الأخير عام 1184 استمر ولده السلطان يعقوب  
المنصور برعاه ويمتعه بالخطوة، فكان أن عينه قاضي القضاة  
بقرطبة. وفي ما بين عام 1180 و1193 اشتغل ابن رشد في  
وضع سلسلة شروحه الكبرى لأهم كتب أرسطو وهي بالتتابع  
كتاب النفس وكتاب ما بعد الطبيعة، كتاب البرهان أو  
التحليلات الثانية.

لم يقتصر ابن رشد على شرح أرسطو، ولكنه رمى إلى  
كمال معرفي عندما شرح بعض كتب ابن سينا وجالينوس  
في الطب، وبظلموس في الفلك وأفروديز ونيقولا  
الدمشقي في ما بعد الطبيعة والفارابي في المنطق.

تعرض ابن رشد في آخر حياته (1195) لإبعاد السلطان  
له فترة عابرة، ويظهر أن العداء الذي حمله له الكثيرون  
كان بسبب مذاهبه الفلسفية، ولكن الأسباب الحقيقية لتلك  
النفرة تظل محاطة بالغموض في أعين المؤرخين، فقد أمر  
الحليفة بأن يقيم منفياً في لوتشينا وهي بلدة قريبة من  
قرطبة، ولكنه استدعي بعد ذلك في جماعة من ذوي العلم  
والجاه فقدم على السلطان بمراكش حيث مات بعد مدة  
قصيرة من وصوله (10 دجنبر 1198).

لم يعد تأثير ابن رشد على من بعده أمراً يحتاج إلى  
رثبات، فعلمه من أحجار الزاوية في الفلسفة في العصر  
الوسيطة، فقد كانت أعمال ابن رشد في ما بين القرن الثالث  
عشر والرابع عشر حاسمة من حيث تأثيرها على الفكر  
اليهودي والفكر المسيحي، وصارت لها سمعة أسطورية،  
كما قد يستنتج من بعض التصوير الإيقوني عند أندريا دا  
فيرانزي، مثلاً، وفي بعض الأشعار كما عند فيون Villon  
ومن بعض الملاحم كما عند دانتلي. فقد وصلت معظم أعمال  
ابن رشد إلى الغرب اللاتيني بسرعة، وفي أقل من ثلاثين  
عاماً بعد موته. فقد أقدم ميشيل سكوت Michel Scot  
على ترجمة الشروح الكبرى التي أشرنا إليها من العربية  
مباشرة، وكان ذلك الانتشار السريع سبباً في إثارة بلبله في

أذهان أوساط الكنيسة بعد 1240، إلى حد أن إدانته قد صدرت ضد الفكر الرشدي من خلال دروس شيوخ الفن في جامعة باريس وعن سلطة الكنيسة الرسمية عام 1227. ومع ذلك فقد توالى ترجمات كتب ابن رشد إلى العبرية واللاتينية لمدة ثلاثة قرون، وظهرت في أقل من مدة قرن (1494-1560) عدة طبعات للمتن الرشدي المترجم.

تلخيص بعض أعماله : مختصر كتاب النفس. في هذا التأليف، أراد ابن رشد أن يقرر عن طريق الاستدلال ما بدا له في موضوع العلم بالنفس بشكل أكثر ما يكون مطابقة لخلاصات كتاب الطبيعة وأقرب ما يكون إلى مقاصد أرسطو. فالمسألة الجوهرية وهي معرفة ما إذا كانت النفس، وقد عرفها تبعاً لأرسطو بمثابة صورة جسم، يمكن أن تكون مفارقة، هذه المسألة تتخرج في مسألة طبيعية أعم، مفادها : بأي كيفية توجد في المادة صورة مفارقة ؟ فإذا كانت النفس يمكن أن تفارق بالقدرة العقلية، فمن المترتب على ذلك أن تتساءل عما إذا كانت هذه القدرة تأتي بالقوة تارة وبالفعل تارة أو أنها بالفعل على الدوام كما يرى ذلك معظم الشراح، ولكنها إنما هي في حالة طفولتها في وسط من الرطوبة ؛ أو ما إذا كان بعضها موجوداً بالقوة وبعضها الآخر موجوداً بالفعل، وما إذا كانت أزلية أو قابلة للتكون والفساد ؟ كثيرة هي الأسئلة من هذا القبيل والمتعلقة بالمشكل الذي تطرحه نظرية العقل عند أرسطو : ما هي طبيعة هذه القوة المهيأة لتلقي المدركات وهي المسماة "العقل المادي" (العقل المنفعل عند أرسطو) وما هو دور الصور الخيالية في عملية الإدراك. فقد وقع شراح أرسطو، ولا سيما تامسبتيوس، في الغلط عندما جعلوا من العقل مادة أو جوهرًا أزلياً لها كل ما للمادة من مميزات كما هو متعارف عليها، أي أنها تتعرض لصور التكون والفساد. بناء على هذه التحليلات رفض ابن رشد رأي ابن باجة الذي غالط عندما قال إن الصور الخيالية هي المقوم للمدركات كما أن العين أساس مادي للبصر. فعلاقة المدركات بالصور الخيالية عند ابن رشد هي بمثابة علاقة الحاسة بالمحسوسات أو علاقة البصر بالمرئيات. وبهذا الاختزال تمكن من أن يشدد بقوة على ما جاء في النص الأرسطي من كون العقل المادي أزلياً، وهو تقرير البصر بالعين ضروري لتفادي التناقضات الناتجة عن وجود صورة غير ما دية في قوام جوهر قابل للتكون والفساد. فأصل الغلط في نظرية أرسطو في العقل يوجد في كون الشراح، ولاسيما تامسبتيوس وبعده ابن سينا، قد خلطوا نظرية العقول الثلاثة عند أرسطو بنظرية أفلاطون بخصوص المثل الخالدة. جوامع ما بعد الطبيعة. عزم المؤلف على أن يجعل كتابه هذا في خمسة فصول، غير أنه لم يحجر منها سوى أربعة هي ما وصل إلينا في النص العربي والترجمة اللاتينية. فالمفروض أن تلخيص ما بعد الطبيعة يتطرق للأقسام الثلاثة لهذا العلم، والضروري منها اثنان : موضوع

الأول هو الجوهر المحسوس وأنواعه والمقولات العشر : وموضوع الثاني هو مبادئ الجوهر المحسوس : الجواهر المفارقة ومبدوها الأول (الغاية القصوى والفاعل الأول). الإله، العلوم الجزئية والمنطق ومبادئها. في هذا العلم القائم على الاستدلال المرتبط بالدليل، انطلاقاً مما هو معروف لدنيا إلى ما هو معروف بالنسبة للطبيعة، أو انطلاقاً من الفرضيات البديهية بنفسها أو القريبة من أن تكون كذلك. هناك سؤالان متماثلان يوجهان الأبحاث : هل في الجوهر المحسوس المركب من مادة وصورة، أو مبادئ سابقة عنه ؟ هل يوجد جوهر اعتباره أصل الجوهر المحسوس، أو أن هذا قائم بنفسه ؟

أما علم الكائن بما هو كائن، فدراسة المفاهيم المشتركة التي تكون في نفس الوقت مواضيعه تحدد على التوالي (في ترتيب أكثر نسقية ما ترتيب الكتاب الرابع من كتاب ما وراء الطبيعة) مفاهيم الموجود والمادة والعرض والكم والكيف والعلاقة والجوهر والشئ، والواحد والمثل والمعارضة والأخر والفرق والقوة والفعل والكامل والناقص والكل والجزء والسابق واللاحق والسبب والمادة والصورة والمبدأ والعنصر والضروري والطبيعة.

إذا أمعنا النظر في النتائج المنطقي الموجود في الفصول المكونة لكتاب ما بعد الطبيعة فإن بعض الاستنتاجات تتبين من التقسيم الأول لهذا العلم الذي يشغل كل الفصول السابقة للفصل الرابع (الأقسام الثلاثة الأولى للتلخيص) : فالكائن لا يدخل في المقولات لا من جهة اشتراك الاسم ولا من جهة الترادف وإنما من جهة السابقة واللاحقة : بالنسبة أولاً، ثم بالنسبة لبقية المقولات : فالجوهر هو أصل وجود مجموع المقولات الأخرى : فالجوهر الأصلي مركب من مادة وصورة، وكلاهما جوهر : فالمحولات (الكليات) والمدركات المتعلقة بالجواهر المحسوسة ليس لها وجود خارج النفس وليست عللاً للخواص المحسوسة. إنما الصور والمادة المخصوصة وحدهما علتا الموجود الفردي : فالصورة والمادة العامتان ليستا قابلتين لا للتكون ولا للفساد. فنقد مذهب المثل عند أفلاطون، أي الصور غير الضرورية لشرح تكون الكائنات المحسوسة المتوقف على العلة الأربع، يبرز شمولية فكر أرسطو. فقد جعل هذا الأخير من مبدأ فاعلاً بالعرض (الصورة الأفلاطونية)، ومن ثمة جعله بعيداً عن الجوهر مبدأ فاعلاً بالجوهر ومن ثمة قريباً من هذا الجوهر.

فوجود جواهر مفارقة، مبادئ عقلية بالضرورة للجوهر المحسوس، يتقرر بناء على استنتاجات كتاب الطبيعة، وبالنسبة لابن رشد خاصة، بناء على فرضية وجود محركات غير مادية، من هنا تظهر صعوبتان رئيسيتان داخل هذه الميتافيزيقا : كيف يصح لأشياء أزلية أن تكون مبادئ لكائنات قابلة للفساد ؟ كيف يصح أن تكون مبادئ عقلية ذات علم بالأشياء التي هي مبادئ لها.

فنظرية الفعل، باعتباره سابقاً في جميع الاعتبارات

عن القوة، إذا رُدَّت إلى الحركة المحلية، تمكن من إيجاد تلاقٍ ورباط بين الكائن الأزلي والكائن القابل للفساد، وفي هذا الانسجام يرى المؤلف العناية الإلهية.

أما الصعوبة الثانية فتجد حلها بالاستناد إلى نظرية الفيض وبالإحالة على ما ورد في القرآن (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، 67-14). فما هو فائض من فاعل العلم بما هو عالم هو معلوم بالضرورة. يضاف إلى ذلك أن المعقولات بالنسبة للإنسان وبالنسبة للعقول المفارقة انطلاقاً من العقل الفعّال ووصولاً إلى الإله باعتباره من نفس النوع ولكنها معروفة بكيفية غاية في مزيد النبل من قبل الإله بالنظر إلى علم الإنسان بها، من جهة؛ ثم إن مذهب أرسطو وأتباعه في ما يتعلق بالعقل الفعّال يقول ضمناً بأنه يعلم ما هو في العالم السفلي، من جهة أخرى: لفرضية ابن رشد تقول إن الإله، وهو النهاية الوحيدة والقصى للعلل الثلاث الفاعلة والصورية والغائية، يعرف العالم الذي هو أسفل منه. فهذه الفرضية (ولعلها من أصل ديني) تشكل فرقاً بارزاً بين متيافيزقا أرسطو ومتيافيزقا ابن رشد.

فلما كان الاختلاف أكثر احتمالاً في جنس الجوامع منه في الشرح الكبير فإن ابن رشد قد أفصح عن مراميه. فإذا استثنينا بعض نقذات موجهة لثامسطيوس الذي حاول في موضوع التكون التلقائي أن يعود إلى آراء أفلاطون، أو موجهة للرواقيين الذين يقولون، على ما جاء عند الاسكندر، بالتدبير الإلهي الذي يطال الأفراد، فإن ابن رشد قد ركز نقده على ابن سينا، ومن ثمة على متكلمي الإسلام. فعندما أنكر هؤلاء المتكلمون سابقة الممكن في الزمن بالنسبة للشيء، الممكن، فقد اضطروا إلى إنكار حرية الاختيار في العلوم العملية. فالقول بوجود سابق في الزمن لفاعل، كما هو رأي المتكلمين، يجعل بالضرورة بلا جواب هذا السؤال: كيف يسبق الزمن فاعل الزمن؟ فأولية الحركة، وهو ما يرفضه المتكلمون، فرضية ضرورية لكي لا نتصور الإله فاعلاً في القوة قبل أن يكون فاعلاً في الفعل. فالاستيقان من فهم عقلي لوجود الكون (كوسمولوجيا) وكذا القول بحرية الإنسان في الاختيار هو ولاشك هدف من أهداف الضمير الديني عند ابن رشد في عصره.

**فصل المقال في ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال.**  
ليس هذا التأليف تعليمياً ولا استدلالياً، بل إنه يتدرج في مقام خاص من جهة الجدل الديني. هدفه إضفاء القبول والتجوز على جهة الشرع على العبارة الفلسفية وجعلها من أمور الشرع التي تلزم كل عالم مسلم. فطرق المعرفة الثلاث، البلاغية - الشعرية والجدلية والبرهانية هي في نظر ابن رشد كونية ونهائية، ولكن البرهانية وحدها تقود إلى معرفة الله معرفة يقينية. فالشرع الوارد بالوحي استعمل هذه الطرق الثلاث لتعليم الناس، فقد استعمل المثال والمجاز

لإقناع عامة الناس، واستعمل الجدل لإقناع المعارضين، واستعمل الإشارة التي يعود حق تأويلها بالضرورة إلى الذين يملكون علم البرهان، فهؤلاء وحدهم أضيفوا إلى الله في معرفة تأويل كلامه. فالعقول الكبرى من بني الإنسان يجد الإيمان عندها أساسه في العلم.

**كشف مناهج الأدلة في عقائد الملة.** يتناول الاستدلال على نظرية معارضة للنظرية الواردة في "فصل المقال"، وهي التطابق الشديد بين الوحي والفلسفة. فشعائر الدين بسيطة ويقينية، مجردة من جدال المتكلمين الذي يتضابق به عقل العامة ولا يجد لها العالم أساساً منطقياً. لها معنى ظاهر مطالب بإدراكه عامة الناس، ومعنى باطن لا ينكشف إلا لأهل العلم بالاستدلال: فذات الله وصفاته وأفعاله كما هي معروفة حسب المعنى الظاهر يمكن فهمها دون اللجوء إلى جدلية قائمة على الخلاف، وهي أداة سجالية نظر إليها المتكلمون خطأ على أنها غير قابلة للخطأ؛ فمشيئة الله ثابتة، ولكن لم يرد ما يفيد أنها أزلية ولا أنها مخلوقة؛ والعالم موجود، ولكن لم يرد في شأنه ما يفيد أنه مخلوق من عدم أو مخلوق من شيء سابق الوجود. فالرجل من العامة والرجل من أهل العلم، وهم الطبقتان الفعليتان، يتمتعان بدرجة متكافئة من اليقين إزاء الشرع كما ورد به الوحي. فالضالون إذن هم ثلاثة أصناف: مسطو الاستنتاجات العلمية لإشاعتها مثل الغزالي، والذين حاولوا إخضاع معطيات الشرع الوارد به الوحي للعلم (ربما كان هذا الغمز موجهاً لابن سينا)؛ والمتكلمون الذين يجهلون في مناقشاتهم أدوات علم الاستدلال.

**تهافت التهافت.** رتب ابن رشد هذا الكتاب على غرار ترتيبه لشرح كبير من الشروح التي وضعها على كتب أرسطو. كتبه رداً على الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة، أراد أن يبين فيه أن عبارة الغزالي في الرد على الفلاسفة هي من قبيل الاقتناع وتبقى بالنسبة لمعظم الناس دون مستوى اليقين الاستدلالي. فالهدف يفسر هذا المسعى المصوغ فلسفياً. فقد تأثر الفارابي وتأثر ابن سينا على الخصوص بالمتكلمين الأشاعرة والفلاسفة المسلمين، ولذلك رفضا الدخول معهم في مجادلة. أما ابن رشد فقد عرض آراء تلاميذ أرسطو ومشاطيريه في آرائه ودافع عنهم بعبارة اقتناعية أقوى من عبارة معارضتهم. وهكذا جاء الكتاب غير استدلالياً بالضرورة، ففيه حث على التأكد من يقينية الآراء المقدمة وعلى التعمق في الفلسفة والعلم. وقد جاء غنياً بمقدمات ونتائج تدخل في العلوم الفلسفية والدينية. وترجع أهميته بين كتب ابن رشد إلى أربع نقاط على الأقل: (1) عرض عدد كبير من أطروحات أرسطو على أنها نتائج استدلالات مقررّة وحاصلة؛ (2) نقد الحجج الأشعري وأسسه باعتباره استدلالاً مبنياً على القياس؛ (3) بيان عدد من أطروحات ابن سينا نسبها للغزالي لعامة الفلاسفة مثل



1977 ; G. Jehamy, *Averroès, Paraphrase de la logique d'Aristote*, 3 vol., Beyrouth, 1982 ; D.M. Dunlop, *Averroès on the modality of propositions, Islamic Studies, Karachi I* (1962), trad. angl. N. Resher in *Studies in the History of Arabic logic*, Pittsburg, 1954. \* Physique : *Rasa'il Ibn Rusd*, Haydarabadn 1947 ; J. Puig, *Averroès, Epitome in physicorum libros*, Madrid, 1983 ; G. Nogales, *Averroès, Epitome de anima*, Madrid, 1985 ; F.S. Crawford, *Averroès, Cordubensis Commentarum Magnum, in Aristotelis de anima Libros*, Cambridge (Mass), 1953 ; H. Gajje, *Die Epitome der Pana Naturalia des Averroès*, Wiesbaden 1961 ; H. Blumberg, *Epitome of Pana Naturale Translated from the Original Arabic and the Hebra and Latin Version with Notes and Introduction*, 1961. \* Métaphysique : M. Horiën, *De Métaphysie de Averroès (1198) nach. dern. Arabischien übersetzt und erläutert*, Halle, 1912 ; S. Vandes Berche, *Die Epitome der Metaphysie*. \* Ethique et politique : L. Berman, *Excerpts from the lost arabic original of Ibn Rusd's Middle Commentary on the Nichimachean Ethics, Oriens*, 20 (1967) ; E.I.J. Rosenthal, *Averroès Commentary on Plato's Republic, Edited with an Introduction, Translation and Notes*, Cambridge, 1956. \* Théologie et droit : L. Gauthier, *Ibn Rochd (Averroès) Traité décisif (Faql al-maqal) sur l'accord de la religion et de la philosophie suivi de l'Appendice (Dhamima), texte arabe, traduction française remaniée avec notes et introduction*, Alger, 1942. Paris, 1983 ; G.F. Houran, *Kitab faql al maqal*, Leyde, 1959 ; *On the Harmony of religion and philosophy*, Londres, 1961 ; A.N. Nader, *Ibn Rusd, Kitab fast al maqal*, Beyrouth, 1968 ; J. Muller, *Philosophie und theologie von Averroès*, Munich, 1875 (éd. et trad. du *Kasf manahig al-adilla fi 'aqa'id al-milla*) ; M. Alonso, *Teologia de Averroès*, Madrid/Grenade, 1947 ; G. Vajda, *Deux versions hébraïques de la dissertation d'Averroès sur la science divine, Revue des études juives*, 13, 1954. B. H. Zeller, *Averroès Destructio destructionum philosophiae Algazelis*, in the latin version of Calonymos, Calonymos, Milwaukee, 1961 ; S. Vanden Bergh, *Averroès Tahafut al-Tahafut (The incoherence of the incoherence)*, Londres, 1954 ; *Ibn Rush al-hafid, Biduyat al-mugtahid wa-nihayat al-muqtasid* (ouvrage fondamental de droit musulman), Le Caire, s. d. \* Médecine : *Kitab el culiat (libro de las generalidades) por Abu el walid Mohamed Ben Roxd el andalusi (Averroès)*, Larache, 1939. \* Ouvrages généraux : P. M. Alonso, *Teologia de Averroès*, Madrid, Grenade, 1947 ; G.C. Anawati, *Bibliographie d'Averroès (Ibn Rusd)*, Alger, 1978 ; A. Badawi, *Histoire de la philosophie en Islam*, II, Paris, Vrin, 1972 ; M. Cruz Hernandez, *Historia del pensamiento en el mundo islamico*, II, Madrid, 1981 ; E. Renan, *Averroès et l'averroïsme* (1852), Paris, 1949 ; H.A. Wolfson, *The twice-revealed Averroès, Speculum*, 36, n° 3, 1961. \* Quelques études relatives aux œuvres des notices : R. Arnaldez, *La pensée reeligieuse d'Averroès, I : La doctrine de la création dans le Tahafut*, S. I., VII, 1957, 99 - 114 ; II : *La théorie de Dieu dans le Tah.*, *ibid.*, VIII, 1957 ; III : *L'immortalité de l'âme dans le Tah.*, *ibid.*, X, 1959 ; M. Fakhry, *The antinomy of the eternity of the world in Averroès, Le Museon*, 66, 1953 ; L. Gauthier, *La théorie d'Ibn Rochd (Averroès) sur les rapports de la religion et de la philosophie*, Paris, 1909 ; G. Houran, *Averroès musulman*, in *Multiple Averroès*, Paris, 1978 ; J. Jolivet, *Divergences entre la métaphysique d'Ibn Rusd et d'Aristote, Arabica*, t. XXIX, fasc. 3, 1982 ; M. Mahdi, *Averroès on human wisdom and divine law*, in J. Grosby (éd.), *Ancient and Moderns*, New York, 1960 ; A.F. Mehren, *Etudes sur la*

مذهب الممكن والضروري، ومثل الطابع العرضي للوجود أو الجواهر العقلية المفارقة المتمتعة بنفس (4) شرح مذهب ابن رشد الفقهية الذي بسطه في كتابه "فصل المقال"، والمتعلق باعتبار المعرفة الاستدلالية العقلية مقبولة في الشرع الإسلامي. استعمل ابن رشد كل هذه العدة لكي يجيب عن ثلاثة تقارير هي التي من وراء الإدانات التي صدرت عن الغزالي (1) اتهام الفلاسفة بالقول بعدم العالم وكون الاتهام ناتجا عن رؤيا تشبيهية عند المتكلمين (2) القول بأن الله يعلم الجزئيات : فالقضية غير مطروحة بشكل صحيح عند المتكلمين، وعلى أثرهم ابن سينا، عندما استعملوا الاستدلال القياسي بين علم الدين وعلم الإنسان (3) اعتبار البحث بالأجسام قضية غير فلسفية، فهذه المسألة تعود تاريخيا إلى عهد أنبياء بني إسرائيل : فخلود الروح عند قدماء الفلاسفة كانت مسألة ذات طابع فكري سجالي.

\* المنطق : م. س. سالم، ابن رشد، تلخيص الخطابة، القاهرة، 1967 ; تلخيص كتاب أرسطو في الشعر، تأليف أبي الوليد ابن رشد، القاهرة، 1971 ; ابن رشد، تلخيص كتاب الجدال، القاهرة، 1979 ; ع. بدوي، أرسطو في الشعر : الترجمة العربية القديمة مع شرح الفارابي وابن سينا وابن رشد، القاهرة، 1954. م. بويغ، تلخيص كتاب المقدمة، بيروت، 1932. م. قاسم، ابن رشد، تلخيص المقررات، القاهرة، 1980 ; ابن رشد، تلخيص العبارة، القاهرة، 1981 ; تلخيص كتاب البرهان، القاهرة، 1982. ع. بدوي، ابن رشد، الكويت، 1984. ج. علوي، مقالات في المنطق والطبيعات، الدار البيضاء، 1983. \* الطبيعة : ج. علوي، تلخيص السماء والعالم لأبي الوليد بن رشد، فاس، 1984. أ. ف. الأهواني، ابن رشد، تلخيص كتاب النفس، القاهرة، 1950. أ. بدوي، الحفاص والمختصر لابن رشد، ط. 2، بيروت، 1980. \* ما وراء الطبيعة : م. القباني، ابن رشد، تلخيص مبادئ الطبيعة، القاهرة، 1907. أ. أمين، ابن رشد، تلخيص مبادئ الطبيعة، القاهرة، 1958. م. بويغ، تفسير ما بعد الطبيعة، بيروت، 1938. \* الأخلاق والسياسة - الدين والقانون : ج. ف. حوراني، كتاب فصل المقال، ليد، 1959. أ. ن. نادر، ابن رشد، كتاب فصل المقال، بيروت، 1968. م. عمارة، فصل المقال، تأليف أبي الوليد ابن رشد، القاهرة، 1959. م. قاسم، كتاب كشف مناهج الأدلة، القاهرة، ط. 2، 1964. م. بويغ، ابن رشد، تهافت التهافت، بيروت، 1930. س. دنيا، ابن رشد، تهافت التهافت، القاهرة، 1964. \* الطب : كتاب الكليات، العرائش، 1939. \* كتب عامة : أ. ف. الأهواني، ابن رشد في (A History of Muslim Philosophy, I) تحت إشراف م. م. شريف، فيزيادن، 1963.

\* Logique : F. Lasinio, *Il commento medio di Averroès alla Poetica di Aristotele*, Pise, 1872 ; *Il commento medio di Averroès alla Retorica di Aristotele*, Florence, 1877 ; A. Badawi, *Averroès, Paraphrases in libros Rhetoricorum Aristotelis*, Le Caire, 1960 ; C.E. Butterworth, *Averroès Three Short Commentaries on Aristotle: "Topics", "Rhetoric", and "Poetic"*, Albany,

عبد العلي العمراني جمال

**الرُّشَاي،** أو الرُّشَيْي أو الروشاي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Rosal - Rochel ؛ وهو اسم مدينة إسبانية وكان منهم عبد الرحمن بن أحمد الرشاي عالم يدرس بجامعة القصبية، وقد أوصى بصرف ثلث ماله للعناية ببرج مرتين ولقراءة القرآن بجامعة القصبية ولشراء أرض تخصص لدفن المسلمين ؛ توفي عام 1174 (1761) وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان.

محمد ابن عزوز حكيم

**الرُّشَاي، أحمد بن عبد الرحمن التطواني،** الفقيه العلامة المدرس النفاة المفتي الصالح الزاهد الرحالة المشارك، كان بهي الطلعة نظيف البزة حافظاً محققاً في الفقه المالكي لا يشق غباره فيه، حيباً متودداً متواضعاً من رآه أحبه، لذلك كان محل حب وتقدير من كافة الطبقات لمحاسن أخلاقه وسعة صدره وعفته ونزاهته وصيانتها، كان يؤم الناس بجامعة (الربطة) بحي الصياغين، ويدرس بالجامع الكبير مختلف العلوم لأنه كان يحسن التفسير والفقه والنحو والتوقيت إلى فنون أخرى، رحل إلى المشرق ودخل تركيا وأقام بها ما شاء الله حتى عرف لغتهم، ولما عاد من وجهته أكب على التدريس والعبادة، وتأمل بتطوان مالا منه دار من أكبر دورها وأحسنها بحي (المظامر) آلت إلى السيد علال الخطيب ومازالت لمحدثه إلى الآن، وأوصى ببعض متخلفه لطلبة العلم الشريف المقيمين بالمدرسة المجاورة للجامع الأعظم بتطوان (لم يبق لهذه المدرسة اليوم عين ولا أثر) كما كان له روض نزه بحجر الديوان بحي (قاع الحافة) وقد انقرض الآن عقبه بعد وفاة حفيده له منذ سنوات.

أخذ عنه كثيرون وانتفع به من لا يحصى لانقطاعه للعلم والتعليم وكفي أن نذكر من تلاميذه أبا العباس ابن عجيبة والسكريج المورخ وغيرهم، وكان إلى جمال وجهه وكمال سمته شديد الحياء والخجل يعتره انقباض وبرتج عليه حال إقرائه ويتلجلج لسانه إذا رأى من لا عهد له به بالمسجد حتى حكى أنه رأى - وهو في مجلس درسه - فقيراً متصوّفاً ذا هيئة بلحية مخضبة ويعتقه سبحة ويرأسه عمامة

ضخمة، فحجل ووقف، فأعلمه الطلبة بحال الرجل الداخل وأنه أمي لا في العبير ولا في النفير وأن عادة المتفكرة لباس مثل ذلك، فسرى عنه، ووقفت على مخطوطات فقهية لكتب معتبرة كانت ملكاً له. ظل الرجل على هذه الحال إلى أن توفي في 24 رجب عام 1210 / 3 فبراير 1760. ومن غريب الاتفاق أن لفظ (رُشَيْي) عادة بحساب الجمل (1210). فكان لقبه رمزاً لسنة وفاته، وقد أشار إلى هذه تلميذه الفقيه الأديب عبد القادر المنون التطواني في نظم تاريخ وفاته فقال :

لا تسل عا اعتراني يا أخي إنني قد همتُ وجدا برُشَيْي  
وتوالت ادمعس لما نأى في (كُد) من رجب عام (رُشَيْي)  
ومن أثر المترجم له بيتان له أوصى أن يشيع بها لقبه،  
مازال البيتان يقرآن في الجنائز لدى بعض الطوائف  
العيساوية بتطوان، وكانت جنازته مشهودة ودفن جنب قبر  
الشيخ أحمد الوردزيري الشهير رحمهما الله.

ابن عجيبة، أزهار البستان، ص. 206، مخطوط : سكيرج، نزهة

الإخوان، ص. 62، مخطوط خاص : أ. الزهوني، عمدة الراويين، 4.

162، مخطوط : م. داود، تاريخ تطوان، 6 : 187.

محمد بوخيرة

**ابن رُشَيْد، أحمد من صلحاء مدينة فاس في النصف الثاني من القرن السادس (12 م).** لم يرد له ذكر فيما بين يدينا من المصادر باستثناء كتاب الاستفادة لمحمد التميمي الذي أفرد له ترجمة مقتضبة، نعته فيها بـ"الشيخ" واعتبره "من أهل الجهد والاجتهاد". وقد استقى التميمي أخباره مباشرة منه كما أسند له بعض أخبار عباد فاس. ومن المرجح أن ابن رشيد كان مندمجاً في شبكة من الأصحاب الذين يجتمعون حول الشيخ أبي مدين الفوث خلال إقامته بمدينة فاس. فالتميمي يخبرنا أن ابن رشيد كان من أصحاب الشيخ أبي عبد الله محمد البنسي الذي كان بدوره من أصحاب الشيخ أبي مدين. ولا ندري هل ثمة علاقة عائلية أو أسرية كانت تربطه مع أبي الحسن علي بن رشيد أحد صلحاء فاس في نفس الفترة.

وملخص ما يرويه محمد التميمي أن أحمد ابن رشيد أراد المسير من فاس لقضاء حجة الفريضة وهو ما يزال صغيراً إلا أن والدته منعتة من ذلك قبل أن تأذن له بعد أن رأت في منامها قائلاً ينيها إلى أن وقت حجه قد جاء. وبعد أن ترك لها كل ما يملك، خدم أياماً بفاس فتوفر له اثنتا عشر درهماً، ولما كان يوم خروجه من فاس إلى مكة، خرج بعض أصحابه في تشييعه، فناوله ثلاثة دراهم، فكملت عنده خمسة عشر درهماً، فأنتق منها من فاس إلى المهديّة اثني عشر درهماً، ووصله باقي ذلك، مع ما خدمه بالمهديّة أياماً إلى مدينة الإسكندرية. وتنخلل ترجمته مجموعة من الكرامات التي تدور حول تخطيه للصعوبات

التي لقيها خلال سفره إلى المشرق وانتقاله ما بين فاس  
وجاية والإسكندرية ومكة والمدينة.  
م. التيسبي، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما والاها من  
البلاد، مخطوط، ورق90، 103.

محمد الشريف

ابن **رُشيد**، **إدريس** بن يحيى بن محمد بن عمر  
الفهري، يكنى أبا العلاء وينتسب إلى أسرة ابن رشيد  
الفهرية بسببته، وهو حفيد الرحالة الشهير محمد بن عمر بن  
رشيد صاحب ملء العيبة. كان إدريس فقيها عدلا وكاتبا  
وأثنى عليه ابن الأحمر ووصفه بالصاحب.  
توفي إدريس ابن رشيد سنة 788 / 1387.

ابن الأحمر، نثر الجمان، تج. م. رضوان الداية، بيروت، 1976،  
ص. 460؛ م. حجي، محقق، ألف سنة من الوفيات، الرباط،  
1976، ص. 131، 223؛ أ. ابن القاضي، درة الحجال، تج. محمد  
الأحمدي أبو النور، القاهرة، تونس، 1971، ج 1، ص. 214.  
رشيد السلامي

ابن **رُشيد البغدادي**، **محمد** بن أبي بكر، أصله من  
قصر كتامة، كان كثير الأسفار جال في البلاد طلبا للعلم،  
دخل الأندلس فأخذ عن بعض علمائها مثل أبي يحيى بن  
عبد الرحمن ابن عبد المنعم ابن الفرس. ورحل إلى المشرق  
فأخذ عن علماء دمشق وبغداد واستقر بها وغلبت نسبتها  
عليه. وزار مصر فأخذ عنه بها عدد من أهل العلم.  
كان عالما فقيها شافعي المذهب، نظارا فيه، محبا في  
العلم كثير الانشغال به في مجالسه. واختص في الوعظ  
والتذكير، فكان يعقد مجالس وعظ مؤثرة ينفع الناس لها  
كثيرا.

له قصائد مشهورة سماها *الوترية* في مدح محمد أشرف  
البرية. وهي تسع وعشرون قصيدة على عدد الحروف، وفي  
كل قصيدة منها واحد وعشرون بيتا.

عاد إلى المغرب بعد سنوات طويلة قضاها في المشرق،  
ودخل مراكش صدر سنة 1257 / 655، وأقام بها مدة تتلمذ  
فيها عليه عدد من علمائها وطلبتها ذكر بعضهم ابن عبد  
الملك المراكشي الذي يعد أحدهم، وقد خصه بأوسع ترجمة له  
وأثنى على طريقته في الوعظ والخطابة والإنشاء، وأشاد  
بذكائه وسرعة بديهته، وحسن إيرادهِ للإجابات على الأسئلة  
التي كانت تطرح عليه، وسعة حفظه في الشعر والنثر. وقد  
احتفى به أهل العلم بمراكش، فمدحه من أدبائها أبو موسى  
هارون السماتي الإشبيلي، وأبو محمد عبد الواحد بن عبد  
الرحمان أحد أحفاد عبد المومن الموحي بقصائد طويلة.

ثم رحل إلى الأندلس ودخل غرناطة وغيرها من المدن،  
وكان شأنه في زيارته عقد مجالس الوعظ. ورجع إلى  
مراكش وبقي بها مدة خرج بعدها إلى المشرق فجع، ولم يعد

إلى بغداد التي كانت قد سقطت بيد التتر سنة 656 / 1258،  
ووصله الخبر وهو بمراكش بفقد بعض أفراد أسرته في تلك  
الكاتبة. ولاشك أن هذا هو السبب الذي جعله يقرر العودة  
إلى المغرب للاستقرار به. وفي طريق رجوعه إلى المغرب  
وافته المنية بتونس في محرم سنة 663 / أكتوبر - نونبر  
1264، وخلف بمراكش أحد أبنائه وكان فقيها هو أبو العباس  
أحمد، وبها توفي سنة 679 / 1280.

ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تج. م. بشريفة، الرباط،  
1984، ج. 8، ص. 274؛ ع. الله گون، ترجمة الواعظ البغدادي  
صاحب الوترية، مجلة البحث العلمي، ع. 19667، 269-279.  
محمد المغراوي

ابن **رُشيد**، **رشيد** بن يحيى بن محمد بن عمر الفهري  
السبتي. تربى في وسط عائلي تميز بنبوغ عدد من أفرادهِ  
في ميدان الفقه والخطابة والكتابة كوالده يحيى الفقيه  
الخطيب العدل بمدينة فاس المتوفى سنة 750 / 1350 وجده  
محمد القاضي الخطيب، لذلك بزغ نجم رشيد ولمع في سماء  
الأدب حتى إن ابن الخطيب كان يصفه بالفقيه الحسن  
الرواء، العظيم المران على الأغراض السلطانية، العذب  
الحديث والفكاهة.

في إطار الصراع حول السلطة والحكم بين الأمير المريني  
عبد الحلیم بن عمر والوزير المستبد عمر بن عبد الله بن  
علي الياباني برز بعض أهل العلم والفقه بمدينة فاس القديم  
للمساهمة في هذا الصراع السياسي، فكان سعيد ابن رشيد  
قد اختار مساندة الأمير المريني عبد الحلیم وانضم سنة 763 /  
1362 إلى حاشيته وقلده خطة العلامة وقدمه على رئاسة  
القلم الأعلى.

ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، تج. أ. مختار العبادي، الدار  
البيضاء، 1985، ج 2؛ ص. 307، 352، 353؛ تج. السعيدة  
فاغية، الدار البيضاء، 1989، ج 3؛ ص. 39، 37؛ ابن الأحمر،  
ستودع العلامة، تج. التركي ومحمد بن تاريت الطنجي، تطوان،  
1964، ص. 71؛ أ. ابن القاضي، *جدوة الاقتباس*، الرباط، 1973،  
ص. 197-539.

رشيد السلامي

ابن **رُشيد الصبتي**، محمد بن عمر بن محمد بن عمر  
الفهري. أحد أعلام المغرب الكبار، وأحد الرحالة  
المشهورين. ولد عام 58 / 1259 بسببته التي كانت تمر  
وقتها بالعلماء والفقهاء والأدباء. درس على شيوخ كثيرين  
منهم مالك بن المرحل، وأبو الربيع الإشبيلي النحوي، وأبو  
إسحاق القبتوري، وأبو إسحاق التلمساني...

لم يقتنع بما أخذهُ عن شيوخ سببته، فرحل إلى فاس،  
وأخذ عن علمائها، ولما ملأ وطابه رجع إلى سببته وتصدر  
للتدريس بها.

وكما أخذ عن علماء فاس، أخذ أيضا عن علماء المشرق والذين لقيهم أثناء رحلته إلى الحج في تونس ومصر والحجاز والشام كابن دقيق العيد وابن النحاس... وقد رافقه في هذه الرحلة صديقه ابن الحكيم اللخمي ذو الوزارتين فكان له نعم العون والرفيق.

حل بغرناطة بدعوة من صديقه ابن الحكيم، وتولى الخطابة بمسجدها، والتدريس بها فتقاطر عليه العام والمخاص، فطارت شهرته لانتساع معارفه وفصاحة لسانه. وقد بقي بغرناطة إلى سنة 1309 / 708 فغادرها لما قُتل صديقه الوزير ابن الحكيم.

أمّ مراكش فأسندت له الإمامة والخطابة بها، ثم استدعي إلى فاس حيث أقام بقيه عمره محترما معظما موثقا من العامة والخاصة إلى أن توفي بها.

ترك ابن رشيد عدد من المؤلفات في مختلف العلوم المتداولة يومئذ، أحصى منها الحسن الشاهدي 21 مؤلفا (أدب الرحلة بالمغرب، 1 : 148) لعل أشهرها رحلته التي سماها "ملء العيبة في ما جُمع بطول الغيبة في الوجهيتين الكرمتين إلى مكة وطيبة" وقد سجل فيها أحداث الرحلة التي أعملها مع صديقه الوزير اللخمي إلى الحج مرورا بتونس ومصر والحجاز والشام. وقد استمرت رحلته هذه ثلاث سنوات من 683 إلى 1284 / 686. وكان أثناء هذه الرحلة حريصا على زيارة المراكز العلمية ولقاء العلماء يأخذ عنهم ويأخذون عنه ويسألهم ويناقشهم، وقد أثبت ذلك كله في هذه الرحلة التي لم تكن من أجل أداء فريضة الحج بل كانت إلى جانب ذلك رحلة علمية استفاد منها وأفاد.

كانت هذه الرحلة معروفة ومتداولة بين العلماء في المشرق والمغرب، يستفيدون منها وينقلون عنها كما فعل المقري والعباشي وغيرهما. ورغم شهرة الرحلة فلم تبق منها إلا نسخة واحدة بالأسكوريال تقع في سبعة أجزاء ضاع منها الأول والرابع، وقد طبعت أخيراً.

ذلك هو ابن رشيد العالم والأديب الذي قال فيه ابن الحاج البليفيقي : "من أهل المعرفة بالقراءات السبع، وصناعة العربية، وعلم البيان والآداب، والعروض والقوافي، مشاركاً في غير ذلك من الفنون... أديبا خطيبا بليغا ذا كرام متأدبا يقرض الشعر على تكلف، ويجود النثر، ويبصر مواقع حسنة".

توفي بفاس يوم 23 محرم عام 1721 / 22 فبراير 1321 ودفن بمطرح الجلطة من مقبرة القياب.

م. ابن رشيد السبتي نفسه، ملء العيبة، تج. م. الحبيب ابن الحوجة، تونس، 1981، الكتاب كله ؛ تعريف المحقق ابن حوجة بابن رشيد، ج. 2 : 25، 29. (وانظر هناك 38 من مصادر ترجمته)؛ ل. ابن الخطيب، الإحاطة ؛ ع. الله كتون، التبويغ المغربي ؛ م. ابن تاويت التظواني، الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى ؛ الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني.

محمد الحامي

**الرشيد بن الشريف العلوي**، المؤسس الحقيقي لدولة العلويين بالمغرب إذا اعتبرنا فتحه لقاعدة الملك، مدينة فاس، واتخاذها عاصمة للدولة الناشئة، واعتبرنا كذلك توحيد معظم جهات المملكة خلال مدة حكمه القصيرة (1075 . 1082 / 1664 . 1672).

عندما توفي مولاي الشريف في رمضان من سنة 1069 (1695 م) وبويع ولده مولاي محمد، حدث بين الرشيد وهذا الأخير تنافر جعل الرشيد يترك سجلماسة ويتوجه شمالا للبحث عن مساندين له فيما سيصبح لاحقا مواجهة مفتوحة مع أخيه مولاي محمد. وبعد إقامة قصيرة ببلاد الدلاء، ثم بفاس لاستكشاف الأوضاع توجه شرقا إلى نواحي تازة حيث حظي بدعم أحد شيوخ التصوف، أبي عبد الله اللواتي. وقد أمدّه هذا الشيخ بالرجال، فاحتاج إلى المال الذي حصل عليه بهجومه على أحد الأثرياء من يهود نواحي تازة، واستيلائه على ذخائره من الذهب والفضة. وقد تقوى أمره بعد ذلك وأصبح يشكل خطرا حقيقيا على المولى محمد المستقر بشرق المغرب. وبسرعة تحولت المنافسة بين الأخوين إلى مواجهة عسكرية مفتوحة قتل فيها محمد بن الشريف، فبايع الأحرار وبنو إزناسن أخاه الرشيد وتوحدت بذلك السلطة العلوية في يد هذا الأخير.

لم يكن المولى الرشيد قائدا عسكريا مقداما فقط بل كان رجل سياسة له من النباهة وتُعد النظر ما يسمح له باستباق الأحداث والتخطيط لها بما يلزم من الحكمة والدقة. وقد قامت هذه السياسة على التروي والأخذ بالأسهل من الأمور قبل المرور إلى ما صعب منها. وبعد أن استعصت عليه مدينة فاس، وهي باب الغرب بالنسبة للدولة العلوية الناشئة، فضل المولى الرشيد أن يغض عنها الطرف وأن يعزز سلطته في المناطق الشرقية والشمالية . الشرقية قبل أن ينقض على باقي البلاد.

وبما أن الدولة لا تقوم إلا بالمال والرجال فقد سعى المولى الرشيد إلى توفير هذين العنصرين بضمان القوة القتالية الضرورية والبحث لها عن الوسائل المادية التي تفي بحاجياتها. لذلك ركز المولى الرشيد على تكوين جيش يقوم مقام العصبة القبلية التي يفتقد إليها، وفتح الطرق التجارية مع الشمال والجنوب حتى يتحصل لديه ما يكفي من مدد لإرساء قواعد الدولة الجديدة. وقد اعتمد بالنسبة للجيش على شراكة وهم خليط من العناصر العربية والبربرية المستقرة بنواحي أنكاد وتلمسان، أسكنهم السلطان بالقصبة التي سميت باسمهم بعد فتحه لمدينة فاس. كما عزز هذه القوة العسكرية القوية بعقد تحالفات مع بعض الأعيان ذوي النفوذ والسلطة، مثل عبد الله أعراس الريني الذي سهل له بسط حكمه في منطقة الريف. أما الركيزة الثانية التي اعتمد عليها المولى الرشيد في

ونظراً لهشاشة حكم الشبانان بهذه المدينة فقد سهل عليه إخضاعها في وقت يسير ( 1072/1669)، ومنها توجه إلى سوس حيث قضى على إمارة السملانيين (1080/1670).

هكذا استطاع المولى الرشيد إخضاع البلاد وتوحيدها في ظرف وجيز، ربما يفسر نجاحه بضعف وهشاشة الكيانات الإقليمية أكثر مما يفسر بقوة الدولة العلوية الناشئة. لكن هذا السلطان العلوي تمكن على الرغم من قصر مدة حكمه من إرساء أسس الدولة الجديدة فزودها بنواة عسكرية صلبة ووسع قاعدة الدولة بعقد تحالفات مع القوى الجهوية المؤثرة، وخاصة بمدينة فاس التي تعتبر قاعدة الحكم ومصدر المشروعية الدينية والسياسية. وتوفي المولى الرشيد بمراكش عام 1082/1672 بعد أن وحد البلاد ووضع أسس الدولة العلوية الفتية.

أ. الناصري، كتاب الاستقصا، الدار البيضاء، 1956، الجزء السابع؛  
ع. الرحمان ابن زيدان، المنزح اللطيف في مفاخر المولى  
إسماعيل بن الشريف، تج. ع. الهادي النازي، الدار البيضاء،  
1993؛ إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناش، الرباط،  
1931، الجزء الثالث؛ م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، تج.  
أ. العماري، الرباط، 1986.

محمد المنصور

ابن رشيد، علي أبو الحسن من صلحاء مدينة فاس وأحد "أصحاب" الشيخ أبي مدين شعيب، ولا نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من كتب المناقب والطبقات والتراجم ومعاجم الأعلام. ولو لا ترجمة محمد التميمي له في كتاب الاستفاد لظل أمر هذه الشخصية الصوفية مجهولاً، ولا ندري إن كانت تربطه علاقة عائلية أو أسرية مع ولي آخر من أولياء فاس، هو أبو العباس أحمد بن رشيد سابق الترجمة. ومن المؤكد أنه عاش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري (12 م) لأن محمد التميمي (المتوفى سنة 603 أو 604/1207-1208) سطر ترجمته اعتماداً على المعاينة والمشاهدة الشخصية، بل إنه ينفرد بذكره ضمن لائحة أصحاب أبي مدين الغوث. فقد كان ابن رشيد يصلي به إذا اجتمع عنده الأصحاب، ربما لطيب نغمته بالقرآن وخشوعه، إذ كان "خاشعاً حاضر القلب لا يكاد يسمعه أحد إلا خضع وبكى". ويبرز التميمي بعضاً من خصاله التعبدية والتقشفية، قائلاً: "وكان مجتهداً قواماً صواماً، ظهرت له براهين من نور يضيء عليه إذا صلى. ومروءته ودينه كثير". إلا أن التميمي لم يورد له أية كرامة أو برهان أو مكاشفة.

محمد ابن عبد الكريم التميمي، استفاد من مناقب العباد بمدينة فاس وما والاها من البلاد، مخطوط، ورقة، 146، 147.

محمد الشريف

بداية أمره فهي التجارة حيث سهر على تأمين الطريق الرابطة بين سجلماسة والساحل المتوسطي. كما شجع التجار الأوربيين على الاستقرار بمراسي الريف لتنشيط التجارة الخارجية وجلب ما تحتاجه الدولة الناشئة من سلع ومواد حربية. وبذلك اكتسب المولى الرشيد من القوة البشرية والثروة المادية ما جعله قادراً على ترسيخ أسس الدولة بالشريط الممتد بين تافيلالت والبحر المتوسط، ثم الانطلاق في مرحلة ثانية لإخضاع ما تبقى من البلاد.

لم تكن مدينة فاس تشكل فقط باب المولى الرشيد باتجاه الغرب والساحل الأطلسي بل كانت تمثل كذلك رمز الشرعية السياسية في البلاد. إذ لا تكتمل سلطة سياسية لها طموحات على المستوى الوطني الواسع إلا بضمان ولائها، حتى وإن كانت العاصمة السياسية بمراكش أو غيرها من المدن. لذلك جعل الأمراء العلويون منها هدفاً لحركتهم منذ البداية. وكانت أول محاولة في هذا الاتجاه هي التي أقدم عليها مولاي محمد بن الشريف في سنة 1059/1649، لكنها باءت بالفشل، فأقنعت العلويين بأنها "ثمرة لم تتضح بعد" فحولوا اهتمامهم عنها لبعض الوقت. وفي سنة 1075/1665 عزم المولى الرشيد على فتحها لكنه لم يتمكن من دخول فاس الجديد إلا بعد حصار ومحاولات استغرقت ما يقرب من السنة. أما المدينة القديمة فكانت تتطلب أكثر من مجرد القوة العسكرية كي تدين بالطاعة للسلطة الجديدة.

كانت مدينة فاس قد استقلت عن حكم الدلايين وأصبحت في قبضة رئيسين هما أحمد بن صالح الليريني المتزعم لجهة الأندلس، وابن الصغير رئيس جهة اللمطيين. وكان لزاوية القلقليين نفوذ كبير بالمدينة، الشيء الذي جعل المولى الرشيد يقصد شيخها، أحمد بن عبد الرحمان الفاسي، ويعقد معه تحالفاً للإيقاع برئيسي المدينة وتسهيل دخول العلويين إليها. وهو ما حصل بالفعل. ثم إن المولى الرشيد نجح في الحصول على دعم العلماء، وفي مقدمتهم علماء الأسرة الفاسية، لتفريق ذمة ابن الصغير واليريني، فقتلاً وحيزت ثروتهما الهائلة إلى بيت المال.

كان إخضاع مدينة فاس ضربة للدلايين وإن كان حضورهم السياسي بهذه المدينة أصبح محدوداً ورمزياً لا أكثر. لكن نجاح المولى الرشيد في الاستيلاء عليها وجعلها عاصمة لمملكته كان يكتسي أكثر من دلالة، وكان يؤذن بسقوط ما تبقى من المناطق المستقلة.

كانت الإمارة الدلاية أهم عقبة وقفت في وجه العلويين منذ البداية، وكان الأمراء العلويون يدركون كذلك أن سقوطها سيعني سقوط السد أمام المد العلوي العارم، بحيث لن يمنعه بعد ذلك مانع من اكتساح بلاد المغرب. وهذا ما حدث بالفعل، فبعد تخريب الزاوية الدلاية في ذي القعدة عام 1078/ أبريل 1668 وترحيل أهلها إلى تلمسان أصبحت طريق مراكش مفتوحة في وجه المولى الرشيد.

الرشيدي بن المأمون الموحي، ببيع مطلع سنة 630/1232 وعمره لا يتجاوز أربع عشرة سنة. وكانت فترة حكمه فترة اضطرابات وضعف شلت أوصال الدولة الموحدية، التي لم تنجح في إعادة الأمور إلى نصابها، بسبب انقسام الصف الموحي إلى معسكرين، والتخلي عن عقيدة ابن تومرت، وخروج القبائل الزناتية بقيادة بني مرين، وقبائل الخلط ومعقل عن الطاعة. علاوة عن الاستقلال الفعلي لإفريقية والمغرب الأوسط والأندلس عدا إشبيلية والجزيرة الخضراء. فضاقت الخناق على الموحيين بمراكش، وقلت مواردهم.

وصل الرشيدي إلى الحكم في هذا السياق، وعمل بمساعدة عمه أبي محمد سعد بن المنصور، جهد المستطاع لإعادة الاستقرار، لكن المشاكل كانت أكبر، وقضى وقته على رأس قواته، محاولاً بث الروح في دولة أصابها الهرم، ولهذا لم يعرف له إسهام يذكر في مجال البناء والتشييد.

دخل الرشيدي مراكش سنة 630، بعد أن واجه خصمه يحيى بن الناصر وانتصر عليه، فعفى عن أهل مراكش وأمنهم على أنفسهم وممتلكاتهم، وكافأ قوات الروم وحلفاءه من عرب الخلط بالأموال الوافرة، ووصلته البيعات من كل الجهات. وقد وفد عليه عمر بن وقاريط من جبله، مصطحباً معه إخوة الخليفة الرشيدي، بعد أن تركهم أبوهم المأمون في حمايته. وقد نسج ابن وقاريط علاقات قوية مع مسعود شيخ قبيلة الخلط، ثم غادر مراكش إلى هسكورة، وهناك غير ولاءه لصالح يحيى الناصر، وكان ذلك إيذاناً ببداية مرحلة من الاضطرابات، لم ينجح الرشيدي في احتوائها.

دفع قيام بلاد هسكورة ومزلة وأكلاوة، الخليفة الرشيدي إلى تنظيم حركة إلى هنالك، ثم قفل راجعاً على وجه السرعة بعد أن تأكد أن يحيى بن الناصر وابن وقاريط وجموعهم، كانوا يريدون مراكش، وحصلت بين الطرفين معركة انسحب يحيى على إثرها إلى الجبال، ورجع الرشيدي إلى مراكش. وكان لهذا النصر أثر في رجوع بعض مشايخ الموحيين إلى الطاعة، ومن بينهم أبو عثمان سعيد الجديوي، الذي عمل على إقناع غيره من الشيوخ بالرجوع إلى معسكر الرشيدي، ولما عزموا على ذلك، حال شيخ الخلط دون رجوعهم، وحاول اغتيالهم بإيعاز من ابن وقاريط، لكن دون توفيق. وكان ذلك من أسباب عزم الرشيدي على الإيقاع بمسعود الخلطي، وإعماله الخيلة في استدراجه إلى مراكش، وقتله رفقة جماعة من أصحابه، حينئذ رجع جملة من الموحيين إلى مراكش، بعد أن اشترطوا على الرشيدي أن يرجع إلى مذهب ابن تومرت، فاستجاب الخليفة لهم وبالحق في إكرامهم.

كان مقتل شيخ الخلط سبباً في رجوع هذه القبيلة إلى العصيان، وتحالفها مع ابن وقاريط ويحيى بن الناصر.

وكان عيشهم بأحوال مراكش قد أزم أحوال الناس، فارتفعت الأسعار، وانعدمت الأقوات، وبدت بوادر المجاعة. وقد حاول الرشيدي مواجهة الخلط خارج مراكش، لكنه انهزم أمامهم، فأخلى مراكش وقصد الجبل في اتجاه سجلماسة، دون أن يتأثر بمطاردة الخلط له، وسقطت مراكش في يد غريمه يحيى آخر سنة 632/1235.

استقر الرشيدي بسجلماسة وبلاد القبلة بضعة شهور، إلى أن أسس من نفسه القدرة على الحركة، فخاطب عرب سفيان واستجاشهم، ولما قطعوا وادي أم الربيع، حصلت مواجهة شديدة بين قواد الرشيدي وقوات يحيى بن الناصر، فانهمز هذا الأخير، ورجعت بلاد صنهاجة ودكالة ورجراجة إلى نفوذ الرشيدي، ثم دخل مراكش وهو عازم على مطاردة خصومه بشمال البلاد، خصوصاً بعد أن تغيرت التحالفات من جديد، فالخلط استنصروا بابن هود الجذامي، بإشارة من ابن وقاريط، وتركوا يحيى الناصر الذي توجه إلى بني معقل، فأجاروه ثم اغتالوه وساقوا رأسه إلى الخليفة الرشيدي، الذي سرعان ما قصد فاس، وأقام بها أياماً ريثما يتوصل بجباية غمارة وفازاز. وأعطى أمره بقتل بعض شيوخ العرب المعتقلين بمراكش، وأنعم على الموحيين بالمال والأنعام، ثم عاد إلى مراكش صدر عام 634/1236.

لم تتوقف مناورات عمر بن وقاريط، فقد اختار الابتعاد إلى الأندلس، وأقام عند ابن هود، ثم أقتعه بالاستيلاء على سلا، فمذه بمركيين من أسطوله، لكنه لم يتمكن من مراده، ورجع عنها خائباً. ويشير صاحب البيان المغرب إلى حالة الاستقرار التي عرفتها البلاد ما بين 634 و636، بفعل حركات الرشيدي بين مراكش وفاس، فقد وصلته ببيعة أهل سبتة وإشبيلية، ورجع ابن الأحمر إلى مولاة الدولة الموحدية، كما انتهى عصيان عمر بن وقاريط إثر اعتقاله بإشبيلية وتسليمه للرشيدي، الذي أمر بسجنه بأزمور صحية مجموعة من أشياخ الخلط، قبل أن يأمر بقتلهم جميعاً سنة 635/1238. وعلى الرغم من الحماس الذي أبداه الرشيدي من أجل إعادة الدولة إلى سابق قوتها، فإن المشاكل كانت أكبر من إمكاناته، فقد أدت كثرة الفتن وقلة الأمطار وغلاء الأسعار وانتشار الرياء عام 637/1240 إلى فراغ البلاد الغربية من ساكنتها، علاوة على ما كانت تعرفه أحوال مكناس وفاس والقصر من اضطرابات سببها حركة بني مرين المتوثبة، وخلافاتهم المستمرة مع بني رياح وبني عسكر ومثلي الدولة الموحدية. لقد حاول الخليفة الرشيدي احتواء توسعات بني مرين، لكنه انهزم أمامهم ثلاث مرات في ظرف سنتين، وكانت بينه وبينهم مهادنات ومراسلات، وانتهى به الأمر إلى الاستقرار بمراكش، مكتفياً بنفوذ محدود على جنوب المغرب إلى غاية وفاته سنة 640/1243.

ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحيين، 1985 : ابن أبي زرع، القرطاس، 1973 : أ. الناصري، الاستقصا، ج. 2، النار البيضاء.

تعتمد الجماعة في اقتصادها على الفلاحة والصناعة التقليدية والتجارة والسياحة. وهي تضم سوقين أسبوعيين، وثلاثة فنادق مصنفة وخمسة فنادق غير مصنفة.

يعتمد القطاع النظامي للتعليم على 14 مدرسة يلجها 10.250 تلميذا، وثلاث مؤسسات إعدادية لفائدة 6.271 تلميذا، وأربع ثانويات لفائدة 3.975 تلميذا، ومؤسسة واحدة للتعليم العالي يؤمها 973 طالبا. يضاف إليها خمس مؤسسات للتكوين المهني تابعة للقطاع العمومي وأربعة للقطاع الخاص.

يتهيكل قطاع الصحة حول مستشفين اثنين، يضمن 22 طبيبا و158 ممرضا، و5 من المراكز الصحية، بها 10 أطباء و67 ممرضا، و3 سيارات للإسعاف.

كما تتوفر البلدية من أجل تقديم الخدمة العامة على خبرة 15 من الأطر العليا و82 إطار متوسط وفرقة قوامها 205 من العمال.

تستفيد الجماعة من خدمات المكتب الوطني للماء الصالح للشرب الذي يزود أكثر من 11.000 مستفيد، ومن خدمات المكتب الوطني للكهرباء لفائدة حوالي 22.700 شخص.

عدد الوكالات البريدية أربعة، كما تتوفر شبكة الهاتف الثابت على خط أوتوماتيكي بطاقة 6.300 مشترك. ومن بين المعالم الدينية والاجتماعية، يوجد 16 مسجدا ومركزا ثقافيا واحدا وخزانة وداران للشباب وأربعة أندية نسوية.

موحى حدوش

ابن وشيقي، عبد الوهاب بن يوسف بن محمد بن خلف بن محمد بن أيوب الأنصاري القصري، من أهل قصر عبدالكريم، وأصل أسرته من الأندلس، كان أبوه قد استوطن القصر وبه ولد المترجم في شعبان سنة 587 / غشت - شتنبر 1191.

كان والده عالما من تلاميذ عياض وابن العربي، وعنه أخذ العلم ابنه عبد الوهاب بمسقط رأسه. وتعلم أيضا لبلديه الشيخ أبي محمد عبد الجليل القصري (ت. 608 / 1211) وغيرهما. وصحب من علماء بلده قصر عبد الكرم أيضا الشيخ أبا العباس أحمد بن محمد بن هابيل العبدري المعروف بالأشقر.

كان فقيها مالكيا عالما، جمع الفضل ونبل الأخلاق والورع. رحل إلى المشرق واستوطن مصر وتصدر لتدريس العلم بالجامع العتيق بالقاهرة، واحترف بها أيضا حطة العدالة. وعاش بها قليل ذات اليد.

الرشيد، محمد مقاوم من مواليد سنة 1937 بالدار البيضاء من أبويه عبد القادر بن محمد وفاطمة بنت محمد. كان معروفا بغيرته الوطنية وكفاحه البطولي حيث عمل بجهد وإخلاص في صفوف المقاومة السرية بمدينة الدار البيضاء مع منظمة الهلال الأسود تحت مسؤولية لحسن الأكلاوي، وناضل بكل شجاعة وإقدام في سبيل تحرير الوطن.

وقد شارك في تنفيذ العديد من العمليات الفدائية منها إحراق أوربي بداخل سيارته بطريق مديونة واغتيال متعاونين سنة 1955 بالإضافة إلى مشاركته في إضرام النار بمتجر للدخان بدارب الإسبان.

ونظراً لنشاطه البطولي طارده قوات الاحتلال ففر هاربا ولم يعرف له أثر إلى اليوم حيث أصبح في عداد المفقودين من يوم الأحد 13 ذي الحجة 1375/22 يوليوز 1956.

المنادية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال : شهادة عبد القادر الرشيد شقيق المترجم.

محمد وحيد

الرشيدية حاضرة تافيلالت تقع مدينة الرشيدية على طريق القوافل التي كانت تربط بين شمال المملكة والبلدان الأفريقية المجاورة. وكانت تسمى سابقا قصر السوق اعتبارا لمكانتها في ترويح أهم البضائع المتبادلة بين القوافل. ومع مطلع السبعينيات من القرن العشرين، وبالضبط بمناسبة تدشين عملية المسيرة الخضراء عام 1975 من طرف الأمير مولاي الرشيد، أخذت المدينة تسميتها الجديدة.

يرجع تطورها العمراني أساسا إلى موقعها الجغرافي في سافلة حوض زيز الأعلى، بين الجبال الأطلسية والصحراء، وإلى استفادتها من جمع أكبر قسط من المياه المتسربة من أعالي الحوض، التي أسهمت في تعزيز اقتصاد المناطق شبه الصحراوية على مدى العصور.

أحدثت جماعة الرشيدية، سنة 1959، على مساحة 2200 هكتار، وهي تضم حاليا أزيد من 62.500 نسة، تتوزع على حوالي 10.500 أسرة. من بين أهم القبائل التي تكون الجماعة، نخض بالذكر آيت ازك والمراطين والشرفاء.

يستقبل الموقع تساقطات مطرية لا يتعدى معدلها السنوي المائة مليمتر، مع وضع حراري يتجاوز 38 درجة كمعدل للحرارة القصوى لشهر يوليوز، و1.1 درجة كمعدل للحرارة الدنيا لشهر يناير. وادي زيز الذي يخترق المدينة، يتحول بعد خروجه من الأطلس الكبير الشرقي إلى مجرى شديد الموسمية يتأرجح بين الشح العميق في الغالب،

للبيروترياسي. يبلغ الاختياطي الحالي بنحو 11 مليون طن بنسبة 4٪ من الرصاص.

- تامسجوط (الأطلس الصغير الغربي)، يوجد هذا الراسب في صخور الدولوميت التحت كمبرية (هولوسيت تامسجوط) الكثيرة الانكسارات المسلوقة بالسيليس حيث ينحصر وجود الرصاص الذي يصاحبه أحيانا الحارصين والنحاس.

- إقليم رغو (الطرف الجنوبي الشرقي للأطلس المتوسط)، على بعد بعض الكيلومترات غرب قرب رغو)؛ تركيبة هذه المنطقة أساسا كربوناتية من صنف اللياس، تمعدناتها الرصاصية عموماً على شكل تكدسات كربوناتية على مقرية من التقصفات الكبرى الاقليمية.

2 - رواسب عرقية ينحصر وجودها أساساً في صخور القاعدة حيث تقطع المستويات الأكثر صلابة :

- مفس (جنوب شرق مدينة الرشيدية)، تقطع هنا الرواسب العرقية حجر الرمل الأوردليشي، طول هذه العروق يصل إلى 6 كلم، وسماكها 05 إلى 1.5 متراً، يوجد أغلبها في صدوع شبه رأسية، على هيئة أعمدة مشتملة على الجالينا، البلاند، الكالكوبيريت، والبيريت؛ أما الشوائب المعدنية فتتمثل في السيد بيرت والكالسيت والباريت والمرو. ويحتوي الرصاص على حوالي 60٪ من الرصاص. هذا وقد استغل إلى حدود سنة 1977 أكثر من 20.000 طن من الرصاص، ومازال الاستغلال قائماً حتى الآن بطريقة يدوية. - أحولي (شمال شرق ميدلت)، نجد العروق المتمعدنة

توفي ليلة عيد الفطر سنة 1252 هـ برباط الأمير فخر الدين عثمان بن قزل بسفح جبل المقطم بالقاهرة. جمال الدين ابن الصابوني، تكميل إكمال الإكمال في الأسما، والأنساب والألقاب، بيروت، عالم الكتب، 1986، ص. 160. 161، بغداد، 1957.

محمد المرغوي

**الرصاص**، معدن سنجابي اللون (أشهب أزرق) كامد بسبب التآكل؛ ثقيل الوزن، لين، ثقله النوعي 11.35، ووزنه الذري 206.91؛ ينصهر في 334° سغ، كثير الاستعمال في الصناعة. رمزه الكيميائي Pb وكثيراً مايجده مجتمعاً مع الكالسيوم (Ca) والحديد (Fe) والمنغنيز (Mn) في الصوانيات. يجتمع أيضاً بالكبريت (S) والفضة (Ag) والفوسفات (Ph) والكالسيوم (Ca) في الكبريتيات والفضيات والفوسفات والكربونات.

تعتبر الغالينة أهم المعادن الخامة للرصاص وتسمى أيضاً كبريت الرصاص (PbS)، نظامها البلوري مكعب، صلابتها 3.25، كثافتها 7.2.7.6. لونها أشهب أسود لامع. نجد معدن الرصاص في الصخور الرسوبية الكربوناتية أو الحثية وفي الصخور البركانية الرسوبية، وخاصة في الأركزة الهرمائية المتكونة من الكربونات ومن المرو، والبيريت والنحاس والبلند.

على المستوى الاقتصادي المغربي يأتي ترتيب الرصاص إلى جانب الحارصين بعد الفوسفات مباشرة.

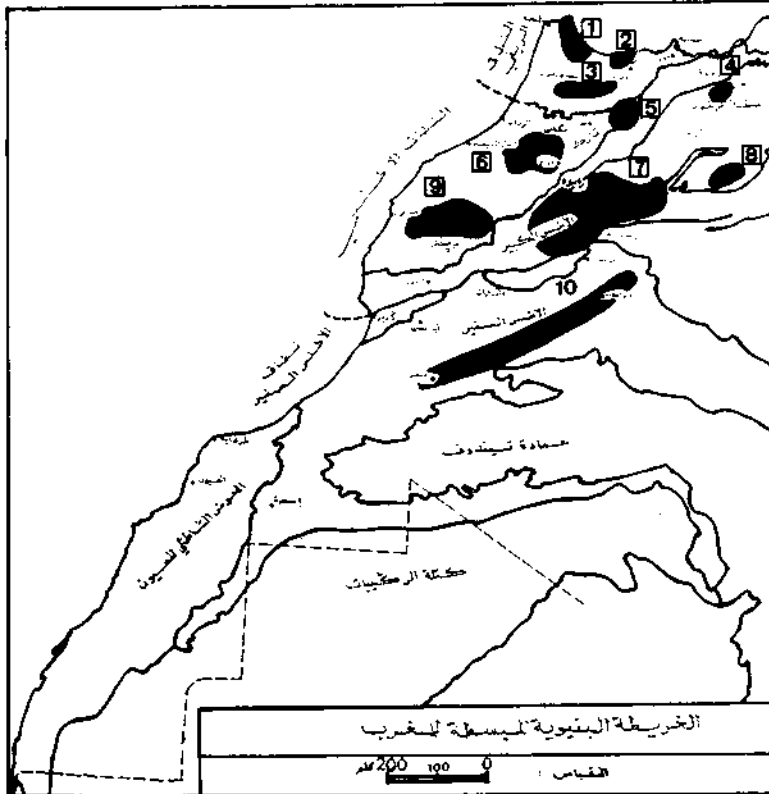
تنوزع رواسب معدن الرصاص بالمغرب إلى :

1 - رواسب طبقاتية، ينحصر وجودها في اتجاه قاعدة صخور الغطاء الرسوبي؛ نذكر منها هنا مناجم :

- بوبكر - تويست - بيدان (جنوب وجدة) ذات التمعدنات المتمركزة في كتل طويلة أو مختلفة التشعب، وتوجد هذه الكتل في ثلاثة مستويات يعلو بعضها البعض الآخر وذلك في نسق كربوناتي شديد التمدت ينسب إلى اللياس والبازوسي. وقد اكتشف بالمغرب في هذه المنطقة التي ما تزال تحت الاستغلال، احتياطات جديدة تمثل حالياً 65 ملايين طن بنسبة 14٪ من الرصاص و 5.4 ج من الفضة لكل وحدة من الرصاص. أما قبل هذا، فقد تجاوز إنتاج الرصاص والحارصين بالمنطقة المليون طن.

- ميلادن (شرق شمال ميدلت) تتكون رواسبها من كتل رصاصية تنحصر بين صدعين في اللياس الأوسط والعلوي الطيني الكربوني التجاوزي فوق صخور القاعدة القديمة لنهر ملوية. تقدر الاحتياطات المؤكدة بنحو 300.000 طن بنسبة 8٪ من الرصاص.

- زيدة (شمال غرب ميدلت)، يوجد الرصاص هنا على شكل كتل غير منتظمة في صخور الأكور التابع





**الرصاصة،** أو الكلس العضوي المزخرف. تعرف الرصاصة عندنا باسمها اللاتيني ترافرتان (Travertin). وتعتبر عدانيا تكوينا كاربوناتيا ثانويا. تستعمل في تزيين واجهات البيوت وفي التلبيط الراقى، وتدمج تجاوزا من طرف الصناع في حيز الرخام (الرخام، الجزء 13).

وهي بديعة التكوين والتطور والهيئة، وإن كانت منقطعة العلاقة بأي كلس متحول من شأنه أن يربطها بالرخام. تخرج عن المألوف مقارنة مع الأكلاس الأولية، البحرية منها والبحيرية، وحتى مع الثانوية الأخرى كالفشرات الكلسية بمختلف سحناتها. ذلك أنها تتوضع على السطح بحجم يمكن أن يضاهاي التكوينات الأولية تماما، وبسرعة قياسية تتفوق بها على كل الأكلاس.

أصل المشيدات منها عضوي بامتياز، يمكن أن يتراكم بإيقاع أقصى مضبوط بالمواسم المناخية للسنة، يتحقق متى توفرت العاليات الكلسية والرطوبة الكافية وظروف الاستيقاف من أجل الترسيب. كل القواعد صالحة لاستقباله، مع تفضيل للعنصر النباتي، تلتف التغليفات الكاربوناتية من حوله. جل السحنات الموصوفة من النوع المسامي الخفيف، المعروف برصاصة القصب. يتهيكل تثبيت مادة المحلولات على أساس تصفيقات متوالية من جاليات الطحالب والفطور، هي التي تثبت المادة الكلسية المشبعة للمحلولات وتفسر السحنات المزخرفة، المترددة الوشاحات والتعاقبة التلون التي تكسبه، عند اكتمال التطور والتصلب، جمالية الرخام والصقيل التام المبرقش اللماع.

هناك ترافق أكاديمي بين الرصاصات واللبائد، يكاد لا يذكر أحدهما بدون الآخر. لا يبدو أن التمييز بينهما ذو طبيعة خلقية سلالية: الرصاصة متينة، مقاومة ومنتظمة البنية، واللبيدة (tuf) هشة، غالبا ما تظهر بوصفها ترسبات متراكبة وستائر طبيعية عند منابع الفرشات المائية الجوفية الكارستية.

تتركز الظهورات الرئيسية للرصاصات واللبيدة بالمغرب، عند حافات الجبال والهضاب الكلسية الكافية الرطوبة، السانحة البنيات والتوجيه.

أحسن الأوضاع متوفرة ولاشك في المحيط الشمالي والغربي للأطلس المتوسط، نظرا لطابعه الكاربوناتي العام لمعدل التساقط الذي يتأرجح بين 500 و1000 ملم، وللميل التفضيلي للفرشات الهيدروجيولوجية إلى الشمال الغربي، ولتمتع الحافات بالتوجيه الظليل الرطب المواتي للمجتمعات الحيوية الغنية بالطحالب والنباتات المائية من المواقع الأكثر تعبيراً، المدرج الواسع الغني بمختلف السحنات والمتوافر التوضعات كما وكيفا، الذي تتوسطه

في راسب ميلادن الطبقاتي وفي وسط صخور الشيبست المتحولة، وجرانيت ملوية القديمة والنسق البركاني. التمعدن هنا إما على شكل كتل، أحيانا متقطع وغير منتظم، وإما على هيئة عروق، كعروق هُتري، وعروق جُورج. ويوجد التمعدن أساساً في الجالينا المتأكسدة، والسيروست، والآنجليزيت والبلاند. أما بخصوص الشوائب المعدنية فتشمل المرو والباريت والفلوريت. يقدر الاحتياطي الحالي في عروق أحولي بما يناهز 5 مليون طن بنسبة 28٪ من الرصاص.

• جبل عوام (غرب مدينة اميرت)، توزع تمعدنات الرصاص بهذه المنطقة على خمسة مجاميع من العروق (سمكها من 1 إلى 10 أمتار، وطولها يصل إلى 5 كلم) توجد كلها في الصخور الباليوزوية للمغرب الأوسط الهرسيني. ومن المعادن الحاملة للرصاص هنا، نذكر السيديريت، والجالينا؛ أما الشوائب المعدنية فتتمثل في المرو والكالسيت والباريت. يصل الاحتياطي بمنطقة جبل عوام إلى ما يفوق 80.000 طن من الرصاص.

3. رواسب مكسرية، ونذكر هنا تمعدنات جبل بوظهر: يوجد جبل بوظهر شمال شرق مدينة الرشيدية، وينفرد بكونه يشتمل على تمعدنات ممكزة في الشعاب المرجانية الدوميرية المرتكزة على الصخور الباليوزوية. ومن هذه المعادن الجالينا، البلاند، البيريت، الكالكويريت؛ أما الشوائب المعدنية فتتمثل في الكلسيت، السيديريت، الانكريت، الباريت والمرو.

ونشير هنا إلى أنه توجد رواسب مكسرية أخرى كالرواسب الموجودة في التكوينات الكاربونائية والرميلية في تافيلالت، المعاندر، الأطلس الكبير الشرقي، والأطلس المتوسط لتنازة.

لقد وصل إنتاج هذه المجموعة منذ بداية استغلال المنطقة ما يزيد على 100.000 طن من الرصاص المركز.

مناجم معدن الرصاص

1- الريف الباليوزوي

2- بوكوية

3- منطقة وزان

4- منطقة المرتفعات (بوكير، توسيت، بيديان)

5- كتلة تزكا (الأطلس المتوسط لتنازة)

6- جبل عوام

7- ميلادن، زايدة، أحولي، بوظهر، تافيلالت، مقيس

8- منطقة الأطلس الصغير

9- منطقة الجبيلات والرحامنة (شمال مراکش).

عبد الله بوصحابة

مدينة الحاجب. لقد أخذت جل المواد التحليلية المقعدة لهذا العمل من موقع الحاجب بوصفه مرجعا معياريا لأنواع الرصاصة والليدة بامتياز، بما في ذلك اللقظات المرافقة عن السحنات المجهرية وذات المقياس الطبيعي التفصيلي والشامل. حقول أخرى ذات أهمية تعلق وتحف بمدنتي صفرو والقصبية.

على مسافات أطول، توجد التراكمات الرصاصية المرافقة لهوامش الأطلس الكبير. وهي بالطبع شديدة الالتماثل بين السفوح الشمالية الرطبة والجنوبية التي غالبا ما تجمع بين جفافي التوجيه القاحل والبرودة، ومتناقصة الكتلة والامتداد حسب تناقص الرطوبة من الغرب إلى الشرق. من أشهر المواقع الموصوفة تلك المرتبطة بشلالات إيوزار إيدا أوتان، وأوزود، والأودية من حول دمنات.

حقول مقعدة تحيط بالأعراف الكاربوناتيية بمنطقة جباله، غرب سلسلة الريف في أقصى الشمال، وتهم الهوامش الغربية للأطلس الصغير، بالسفوح المفضية للتغليفات البحرية لسوس ماسة تزنت. أما في الريف، فتبدو الرصاصة أساسا كتطور تلحيم لمواد الانهيار الغزيرة جدا التي تحيط بالعوارض والفلسات والقدرات، وكلها قائمة البنية، نشيطة البنائية، أحدثت في دولومي الترياس شبكة شقوق كثيفة تسببت في التطعيم بالفئات وبمحاليل التلحيم. وأما من حول الأطلس الصغير الجاف، حيث لا تنتظر مواد ترطيب من هذا القبيل، فإن النوع الخاص من الرصاصة هنا، يبدو كما لو كان آخر مواد إفراغ للأودية الموسمية الجبلية، في صورة قذى ليدي، ترمي به في اتجاه الصحراء، داخل المنخفضات المراتية للحمادات.

من الواضح أن الرصاصة في كل هذه الأوضاع لا تستجيب دائما للتعريف السحني المعروف، وأنها كباقي الأجناس الصخرية لا تنحصر في التعريف الظاهراتي البسيط والضيق ولكنها تتحدد بجملة معايير منها المرفلوجي والصخاري والعداني. إحلالتها مكانة الجنس الصخري الشامل، سمح باكتشافها كظهورات ذات انتشار أوسع بكثير مما كان يعتقد.

وعليه، فإن الرصاصة من المشيدات القارية الخاصة المتميزة بمنشئها العضوي. مرت ظروف الرصاصة في المغرب بمراحل ازدهار وانكماش. يعتبر مجمل المناخ الحالي فترة تراجع، يمكن أن نشهد خلالها التكون الفعلي للرصاصية، لكن في أوضاع محطية ضيقة، حول العيون الظليلة وضمن الأودية والأجام البليلة الغدقة. على أن النيوجين والرياعي قد شهدا مراحل تشييد استثنائية الحدة، تنتمي بالأساس إلى مناخ متوسطي أرطب من الحالي، نذكر منها البليوسين الأوسط، المعروف كذلك باتساع المجالات

البحيرية في ظروف بيومناحية زاهية، ومنها فترات بذاتها من دوري الملوياتي والعميري من الحقب الرابع المغربي (الرابعي المغربي، الجزء 13).

الخاصية الإلزامية للتشيد الرصاصي أن يكون الانطلاق من تأليف عضوي، تطلتع به المشتريات المنتظمة داخل جاليات حية مستندة بصفة تفضيلية إلى أحراج مائية. يساعد النبات في تسريع التراكم الكلسي حيث إنه، لأغراضه الوظيفية، يركز المحاليل ويستخلص الغاز الفحمي. في هذه المرحلة البدائية، تتحقق الشبكة الهيكلية المتسعة المسامية، والتي لا غنى عنها في ضبط الانتساب إلى الجنس وإن كانت، إلى هذا الحد، عبارة عن سجاد طحلي متفاوت التغليف الكلسي، غرض التكوين وأهي المقاومة. لكن سرعان ما يتحول إلى مصيدة فعالة تتركز بها ترسبات كلسية أخرى فيزيو- كيمائية وعناصر فتاتية من الطين والأكاسيد الفلزية. تواتر تصفيف الجاليات الطحلية والفطرية مع ما شابهها هو الذي يعطي ثنائيات الشرائح الدقيقة المتضاربة إلى داكن فاتح. وهي التعبير المباشر على إيقاع الفصول، البارد والحار في النطاق المعتدل، والجاف والرطب في عروضنا المتوسطة.

في البدايات، تتراكم هذه المواد القارية على شكل تلال عضوية، تماما كما لو كانت حشقات مرجانية وسط البحار. لكن مرور الوقت من خلال تكرار دورات التحليل والترسيب وتزايد التبخر والتصخر، يحو أكبر جزء من البنيات الظاهرية المعبرة، مسطحا السحنات ومقربا إياها من الكلس الكتلي الصلب الاعتيادي. رغم بقاء الآثار الأصيلية في السحنات المجهرية.

إذا ما قارنا الرصاصة، من وجهة التصخر والتمعدن، مع باقي التطورات التكلسية القارية الأخرى، ألفتناها في وضعية يمكن أن نقول عنها إنها وسطى بين الكلس البحري والقشرة وأنها بمستوى الحث أو الحجر الرملي، وذلك بالاحتكام إلى ما يلي من القواعد.

يكفي في الاحتباس المفضي إلى ترسيب الكلس البحري أن يكون طبوغرافيا. وما نعلمه عن هذه الظروف في بلداننا، خلال فترتها الزاهية المعتدلة المناخ في البليوسين الأوسط، أنها ترفقت بالأطيان دون ما تغيير يذكر، ولم تحدث أي عسف في مضمونها السلكاتي.

يوجد تكوين القشرات الكلسية تحت رحمة البيومناخات بالضرورة، إذ ينتج عن الانحباس الكيمائي التحففي القاسي الذي يؤدي بالتدرج وعلى المدى الزمني الطويل إلى التغيير الحاسم للأطيان والعسف العميق للمادة الترابية الفتاتية السليسية بتحويلها كلية إلى مادة كلسية.

تأتي الرصاصة في وضعية بينية، الانحباس فيها أحيائي أيضا صرف. وهي قادرة بذلك على تشييد الكلس بأسرع السبل الممكنة طبيعيا، بحيث يتم بالإيقاع الموسمي للحياة النباتية في النطاق المعتبر، منشئا المنوال العضوي -

164, 1986 ; J. Vaudour, *Travertins et croûtes calcaires*. Bull. Assoc. Géog. Fran. Paris, 479 - 480, p. 203 - 210, 1981 ; A. Weisrock, *Géomorphologie et paléoenvironnement de l'Atlas atlantique*. Thèse, Paris, 1986.

إدريس الفاسي

### الرصيف القاري، يطلق اسم الرصيف القاري على

مساحات تحت بحرية شاسعة تمتد من الشواطئ حتى مستويات قد تفوق أعماقها 200 متر، وهو معدل لأعماق (ما بين 60 و400 متر) يتغير بها شكل وطبوغرافية القعر بشكل جذري حيث يتكسر الانحدار التدريجي والطبيعي للتضاريس تحت بحرية لينشأ عنها جرف سحيق قد يتعدى الألفي متر.

على السواحل المغربية المتراصة على واجهتين (متوسطة وأطلسية) باختلاف المعطيات البيئية واختلاف التاريخ الجيولوجي لهاته الواجهتين أدى، بالطبع، إلى اختلاف في تكوين، شساعة وعمق الرصيف القاري فيهما. أما على الساحل المتوسطي فلا يتعدى عرض الرصيف القاري 15 كلمترا وعمقه حوالي مائة متر ويقسم حسب استقرارية معطياته الرسوبية إلى ثلاثة مناطق : منطقة سبتة، منطقة الحسيمة والمنطقة الشرقية. خلافا لذلك فإن عرض الرصيف القاري على الواجهة الأطلسية للمغرب لا يقل عن 15 كلمترا وقد تفوق أعماقه 200 متر. وإذا كان عرض الرصيف القاري قد يتعدى 110 كلمترا فإن المعدل العام يتأرجح ما بين 40 و60 كلمتراً. يمكن تقسيم الرصيف القاري الأطلسي للمغرب كذلك إلى ثلاثة مناطق : منطقة أولى تمتد من "رأس سبارطيل" إلى "رأس غير" قرب أكادير وتتميز برصيف قاري عرضه يتأرجح بين 30 و50 كلمترا وعمق أقصاه 200 متر. أما المنطقة الثانية فتتمتد بين "رأس غير" و"رأس يارباس" وقد يتعدى عرضه 110 كلمترا، أما المنطقة الثالثة وتوجد في أقصى جنوب المغرب فلا يتعدى عرضها 60 كلمترا وعمقها 120 متر.

ونظرا لشساعة الرصيف القاري وكذلك تعدد وتباين المعطيات البيئية فيقسمه الخبراء إلى طبقات أو مستويات مختلفة تدخل في تحديد معالمها معطيات عدة كالضوء، وطبيعة الدعامات، والرطوبة، ونسبة غمورها بالماء، إلخ. وهاته المستويات هي (من الساحل نحو العمق) : ما فوق الساحلي (Adlittoral)، فوق الساحلي (Supralittoral)، بيساحلي (mediolittoral)، تحت الساحلي (infralittoral) وما تحت الساحلي (Circalittoral). ولكل من هاته المستويات ظروفه البيئية التي تجعل من ساكنته الحيوانية والنباتية أحياء مميزة له، لكن وبصفة عامة فإن الحياة تزدهر وبشكل أكبر في المستويات أو الطبقات السطحية والمغمورة في نفس الوقت بالماء حيث تكثر الأملاح المعدنية وتتوفر الطاقة الضوئية والشمسية اللازمة لتحويل هاته الأملاح

المعدنية الأول، ومثبتا إياه بدفعات متتالية من تيلر الكلس. وقد بدأ لنا، في السابيس على سبيل المثال، أن تصخر الرصاصة يتم، على غرار التحجر في الحث، بوصفه عملية واسعة للتلحيم على أساس قاعدة مسامية، في وسط فتاتي قاري معد لانسياب المحاليل. يتحول بالموازاة المضمون الطيني للرصاصة بصفة سريعة، لكن بدون عمليات عسف ملموسة.

هناك من الطوائري أحداث يمكن أن تكثف من إنتاج الرصاصة وأن توسع من رقعة انتشارها. حدث من بينها بصفة فعالة خلال الرباعي، أزمتان بنائية قوت الأحجام الطبوغرافية وعددت خطوط المنابع وعتبات التأكسج المسببة للترسيب الكلسي. كذلك الشأن بالنسبة للحوادث البركانية التي تزيد من الاضطرابات الجوية وأنوية التكتاف وبالتالي من الترطيب في العاليات التي اعترها الفوران، ومعها زيادة تفسخ الأكلاص بتوافر إشباع المحاليل بالغاز الفحمي. يصحبها تراكم الأكلاص في السافلات ذات الجو الأصفى والعتبات المعددة لفرص التأكسج.

ومن المثير للانتباه أن فترتي الرصاصة القصوى التي عرفها الرباعي قد وافقت، في الملوياتي والعميري بالضبط، إضافة لنزعات الترطيب المناخي الضرورية، أهم أزمتان البنائية والبركنة التي شهدها الحقب.

مرة أخرى، يتأكد الدور الحاسم الذي تلعبه الجبال المغربية بفعل شموخها وتوسطها للمجال الوطني. فبالإضافة إلى قيامها بتوزيع الموارد المائية والترابية بأكثر ما يمكن من التوازن وأبعد ما تسمح به الأوضاع العرضية، فإنها كذلك، عن طريق دينامية المحلولات، تدفع بمختلف السحنات الكلسية القارية إلى كل السافلات متنوعة الركائز الصخرية ومطعمة الأتربة وموفرة مواد نافعة جديدة للأشغال العمومية والبناء والزينة. وإلى أمد قريب، كان جنس الرصاصة مجهول المعالم في جل مظاهره، مهضوم الملامح بين الكلس البحيري والقشرة الكلسية. أما وقد اكتشفت الآن بعض تجلياته، فإنها تسمح، ليس فحسب بمعرفة أقوم لأصقاع واسعة من التراب الوطني، ولكن كذلك باستجلاء بديع لفترات ثرية، غنية بالماء والحياة، تضيف تفاصيلها الغناء للتاريخ الطبيعي للمغرب.

J.P Adolphe et C. Billy, *Biosynthèse de calcite par une association bactérienne aérobie*. C. R. Ac. Sci. Paris, t. 278, 1974 ; J. Casanova, *Morphologie et biolithogénèse des barrages de travertins*. Paris, p. 45 - 54, 1981 ; D. Fassi, *Les formations carbonatées secondaires : crolûtes et travertins*. R.G.M., p. 183 - 220, 1994 ; L. Mathieu, *la géomorphologie et la géologie quaternaire comme bases fondamentales pour une juste définition et une cartographie rapide des sols et des milieux. Application dans la province de Taza (Maroc) et dans la cuvette d'Andapa (Madagascar)*. Thèse Fac. Sci. Agro. Gembloux, Belgique, 1017 p., 1977 ; J. Nicod, *Facteurs physico-chimiques de l'accumulation des formations travertineuses. Essai de synthèse*. Médit. 1 - 2, p. 161 -

(Ciripèdes)، مزدوجات الأرجل (Amphipades) ومستويات الأرجل (Isopades) ورخويات كذلك كمعديات الأرجل (Gasteropades) وثنائيات الصدفة (Bivalves)، لكن تبقى كلها حيوانات وإن كانت لا تستطيع العيش بدون ماء فهي تتحمل عدمه لبعض الساعات (طيلة الجزر) كما أنها تتحمل تقلبات الظروف البيئية كالملوحة والحرارة الناتجة عن توالي مرحلتي المد والجزر. أما بالنسبة للنباتات فوفرة الماء واستقراريته خلال مرحلة المد أمن لبعض الطحالب جل الظروف الأساسية لنموها خاصة تلك التي هي أكثر تحملا لتوالي مرحلة المد والجزر وكذلك ما ينتج عنهما من تقلبات الظروف البيئية الأخرى ومن بين هاته الطحالب بعض الطحالب الكلسية (Coralines) أو جنس Ultra، المنتشر بشكل كبير في الشواطئ الصخرية والمعروف بـ"خز البحر".

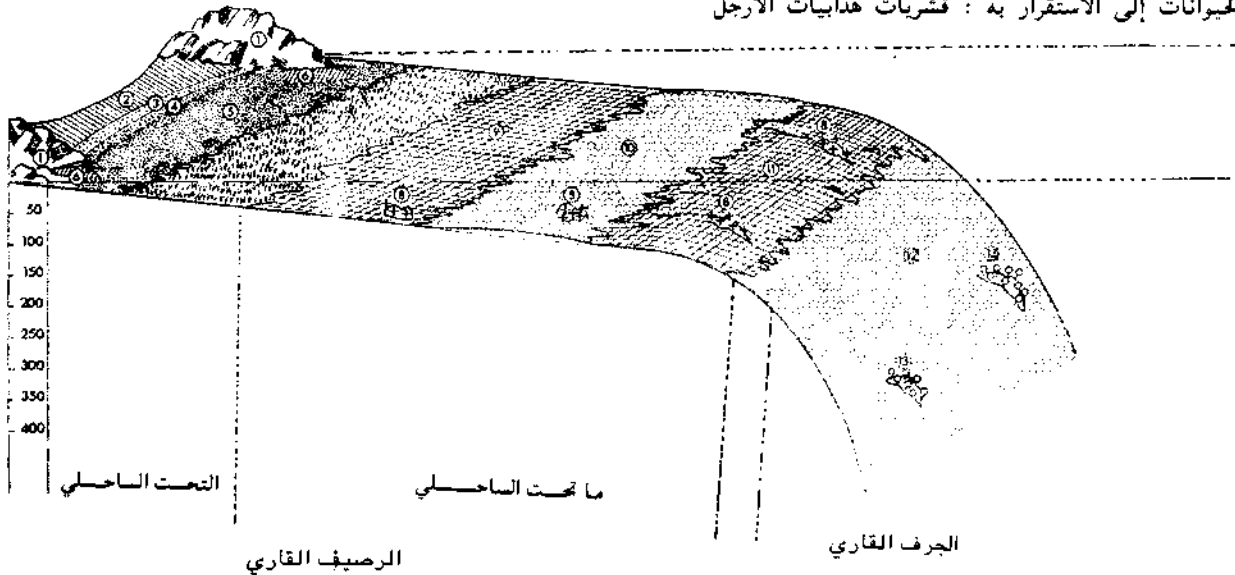
- المستوى التحت الساحلي : ويمتد من منطقة الجزر حتى حوالي 40 مترا من العمق. فهو إذن مستوى تغمره المياه بشكل دائم وتتسم ظروفه البيئية بكثير من الاستقرار والتوازن مما يوفر للعديد من الأحياء الملجأ والغذاء وأماكن ظروف التوالد، إلخ، ونظرا لقربه من اليابسة ووفرة مياهه وتعرضه باستمرار للطاقة الشمسية فهو يعد من أغنى الطبقات والمستويات حياة حيث أن الأملاح المعدنية القادمة من اليابسة تُذاب في مياهه وتحول بفعل الطاقة الضوئية والشمسية إلى مواد عضوية ضرورية لنمو الحياة وتكاثرها. ولذلك فهو مستوى توجد فيها كل الشعب الحيوانية وأغلب النباتات (الطحالب والزهرات البحرية) وهو بالتالي مستوى يلعب دورا أساسيا في استقرار الظروف البحرية داخل هذا الوسط.

المعدنية إلى مواد عضوية نباتية صالحة للإستهلاك من طرف الحيوانات. أما خصائص هاته المستويات فهي :

- المستوى ما فوق الساحلي وهو مستوى لا يصل إليه ماء البحر إلا في حالة العواصف وهيجان هذا الأخير، حيث ترتفع الأمواج لتصل إلى مواطن لم تكن لتبلغها في ظروف عادية وهكذا فهي مواطن تحت التأثير الدائم للملوحة وضباب البحر لكن تحت تأثير ماء البحر في ظروف استثنائية فأحياءها أرضية بشكل عام لكنها قد تتحمل الملوحة (Halophiles). أما الحيوانات التي تعيش في هاته الطبقة (Etage) فهي قليلة التنوع وتتكون في غالبيتها من حشرات ثنائيات الأجنحة (diptères) كبعض أنواع الذباب والباعوض وكذلك من غمديات الأجنحة (Coléoptères). أما النباتات فهي تعتمد أساسا على زهرات ملحية (Phanérogames) (halophytes) تعيش فوق الكتيبان الرملية المجاورة للشاطئ والمغمور دوما بضباب بحري محمل بملح البحر.

- المستوى فوق الساحلي : ويتميز بكونه قد تغمره مياه البحر بصفة استثنائية لكن منتظمة خلال كل فترة مد كبرى ونظرا للنسبة العالية للرطوبة فيه، فظروفه أقرب للظروف البحرية فتختفي منه مثلا غمديات الأجنحة التي تعيش فقط على اليابسة لتستبدل برخويات ساحلية جد متأقلمة مع ظروف هذا الوسط حيث يمكنها البقاء مدة طويلة دون ماء لكنها لا يمكنها العيش أبدا بمنأى عن البحر كما تظهر كذلك بعض النباتات الأشنة (lichens) لا تستطيع العيش تحت الماء - لكن لا تطيق العيش دون رطوبة عالية ودائمة.

- المستوى يساحلي وينعث به منطقة المد والجزر حيث استقرارية وجود الماء (عند كل مد) أدى بالعديد من الحيوانات إلى الاستقرار به : قشريات هدايات الأرجل



- 7 - عشاير الزهرات، حوالي 40 مترا نهاية الطبقة التحت ساحلية  
 8 - عشاير الطحالب الكلسية والحيوانات ذات الهياكل الصلبة  
 البقية عشاير ما تحت ساحلية تعيش في الرمال والأوحال

- 1 - 2 - مخور محيطية بمنطقة رسوبية  
 3 - شاطئ (طبقات مافوق، فوق بيساحلية)  
 4 - 5 - 6 - عشاير مختلفة للمستوى تحت ساحلي

\* \* \* يمكن تصنيف الموارد المعدنية، في عرض السواحل، إلى فئتين تطورتين. فئة تخص المواد المنقولة من طرف التيارات البحرية، والأخرى تصرفها الأنهار. الواقع أن تميزا من هذا القبيل هو مجرد تبويب تقني، إذ يحدث أن توجد المادتان معا، وغالبا ما يرجع لهما تأمين التوضعات التي تسمح بالاستغلال الاقتصادي.

هناك بلدان تستغل مناجم القصدير (أندونيسيا، التايلاند) أو الماس (ناميبيا)، وأخرى تستخرج كاربونات الكالسيوم (بهاماس، إسنادا)، ومع ذلك يبقى المورد المعدني الأساسي للرصيف القاري متمثلا في مواد البناء، وخاصة منها الرمل، والناتجة عن تفكك وتوضع مواد السواحل البحرية والعناصر التي تحملها التيارات.

استغلال الرمال والحصى، في عرض السواحل، يرجع بالنسبة لبعض البلدان إلى العصر الوسيط، حيث كانت القوارب المسطحة أو الطوفيات تقصد في فترات المد القيعان الرملية الضحلة وترخي فيها إلى أن يحين الجزر وتثبت على اليابس. عندئذ تشحن الرمال والحصى بالمجرفات. ومتى عاد المد، طفا القارب ورجع إلى الشاطئ من أجل التفريغ.

يشكل الفسفات موردا آخر، ناتجا عن تيارات الصعود المؤدية إلى ترسيب أملاح الفسفور الكامنة في المياه المحيطية. بإمكان توضعات الفسفوريت المتراكمة أن تخول حالات استثمار (السنغال).

من بين الموارد الأخرى، يمكن اعتبار الرمال السوداء. وهي توضعات غنية بالحديد والتيتان والزركونيوم، ناتجة عن تعرية الكتل المتضمنة للمعادن الحديدية - مغنيزية، صرفتها الجداول. يحصل تراكمها بمستوى مصاب الأنهار على شكل رواسب تتحكم فيها طاقة التيارات، البحرية والنهرية، وكذا طبوغرافية الشاطئ. توجد أهم التوضعات المعروفة بالمغرب عند مصاب أم الربيع وتانسيف وتيديسي ولهوار وأدودو، عند الساحل الأطلسي. وقد حصلت الإشارة، بالساحل المتوسطي، إلى رمال سوداء تهم الشواطئ بمقرية من ملوية وكيس.

في الوضع الراهن، يتم تطوير منجم واحد فقط، ما بين إفني وطرفاية، لمعالجة رمال الزركون بموقع بوسافن. يمثل الرصيف القاري كذلك مجال استكشاف بترولي. المناجم المكتشفة متعددة، نذكر منها، على سبيل المثال، المنتمية لبحر الشمال ولعرض كابندا.

أما في ما يخص المغرب، فإن الأشغال جارية في عرض القنيطرة - اللكوس، والرباط - أسفي، وفي عرض طرفاية. وقد أبانت الدراسات الأولية عن مواطن تشابه جيولوجية وجيوفيزيائية مع ما هو معروف في مواقع أخرى، موفرة بذلك قرائن قوية.

في بعض الجهات (خليج المكسيك على الخصوص)، يحصل أن ترتبط الهيدروكربورات بجيس الطيات

مستوى ما تحت البحري : ويمتد على أعماق تفوق الأربعين مترا تقريبا وحتى الجرف القاري. يتميز هذا المستوى بضالة الضوء فتقل بذلك أو تنعدم لقدرة النباتات على تحويل الأملاح المعدنية إلى مواد عضوية وبالتالي فهي لا تستطيع النمو ولا التكاثر بل ولا حتى التواجد. وبما أن هاته الطحالب هي اللبنة أو الحلقة الأولى في السلسلة الغذائية والبيئية في الوسط البحري فإن كل الحلقات المرتبطة بها كالحيوانات العاشبة أو اللاحمة لن تستطيع التكاثر بشكل سريع ومكثف بل ومنها من لا يستطيع الوجود في هذا الوسط المظلم.

أما معالم الحياة في هذه الطبقة فهي تعتمد أساسا على الحيوانات خاصة تلك التي تستغني في غذائها عن النباتات. لكن هناك عشاير تعيش على الدعامات الصلبة خاصة الصخرية وهناك عشاير تحت فوق أو داخل الرمال أو الأوحال. فبالنسبة للدعامات الصخرية وبالإضافة إلى القليل من الطحالب الكلسية هناك العديد من الحيوانات خاصة تلك التي تتوفر على هيكل خارجي صلب كالجزايات، والمرجانيات وشوكيات الجلد وبعض القشريات. أما فيما يتعلق بالدعامات الرملية فعدم وجود أمواج وحركية مائية دائمة يجعل الأوحال والمواد العضوية تترسب فوقها مما يعطي لهاته الرمال طباعا وحليا غنيا بالمواد العضوية وبما يسهل بالتالي وجود حيوانات تعتمد بالأساس في تغذيتها على المواد العضوية العالقة في الماء أو الممزوجة بالرمل ومن بين هاته الحيوانات هناك العديد من الاسفنجيات واللواصع الريشيات (Pennatulaires) وشوكيات الجلد خاصة النجميات وخيار البحر وكذلك بعض الرخويات معديات الأرجل وثنائيات الصدفة.

أما الأهمية الكبرى للرصيف القاري بالنسبة لبلادنا فتكمن أساسا في غنى مياهها بالموارد البحرية ذات القيمة الاقتصادية الكبيرة من أسماك وقشريات ورخويات. فإذا كانت المياه الساحلية الغير العميقة تكتنز موارد هائلة من الرخويات القواقع خاصة في مصبات الأنهار والبحيرات المالحة فإن هناك موارد أخرى عالقة أو قعرية تعيش في مناطق أكثر عمقا. بل وإن الظروف البيئية (التيارات البحرية خاصة) التي تميز الرصيف القاري المغربي تجعل من مياهه إحدى أغنى المياه في العالم من حيث الموارد السمكية كالمسربين مثلا أو الموارد الرخوية كالأسيات الأقدام والتي تصدّر في معظمها إلى اليابان.

A. Berraho, *Ressources halieutiques et potentialités aquacoles au Maroc*. Expo. Lisb., 1998 ; J.M. Peres, *Précis d'océanographie hydrologique*. Paris, 1976 ; R. Mathieu, *Les sédiments du plateau continental du Maroc atlantique entre Dar Bouazza et Mohammadia*. Bull. Inst. Pêches Maritimes, n° 16, 1986 ; B. Jaaidi, *Les environnements, sédimentaires actuels et pleistocènes du plateau continental atlantique marocain entre Larache et Agadir*, Doctorat de 3ème cycle, 1981 ; F. Monario, *Exploracion acemografica del Africa occidental desde el Cabo Ghir y Cabo Juby*. Inst. Esp. Ocosnog. n° 20, 1947.

محمد منبوي

بين مارس وأكتوبر. فمه خال من الأسنان والسم. يعيش منعزلا أو مزدوجا في أغلب الأحيان وكثيرا ما يشاهد في المراعي بين قطع الغنم والبقر إلا أنه لا يرضعها كما هو منسوب إليه.

حيوان بيوض يتغذى من الحنافس والعناكب والعقارب وأم الأربع والأربعين والفئران الصغيرة وصغار الطيور وبعض الفواكه. ينسب إليه أيضا أنه يتغذى من بيض الحجل وغيره من الطيور إلا أن هذه المعطيات تحتاج إلى براهين للتأكد منها. شائع في معظم المناطق الوسطى والجنوبية والشرقية بالغرب : الحوز والأطلس المتوسط والكبير وعوينة تورقوز وزاكورا ووارزازات وفكيكج وأرفود والرصاصي والطور والراشيدية وهضاب حمادة وطانان والعيون والسامرة وكريسيف وتاوريرت ويني إزناسن. مضايق في عدة مناطق من طرف الرعاة الذين يطاردونه لألوانه الزاهية كما يستعمل في الطب التقليدي وفي عالم السحر، فنجد عدة نماذج مجففة عند بائعي الأعشاب.

يتوالد في الربيع - أبريل ومايو - وتضع الإناث بداخل التراب 15. 18 بيضة بيضاء، تظهر الصغار في غشت - شتنبر وتتغذى من النمل وحشرات صغيرة أخرى.

م. رمضاني، بوبريس، معلمة المغرب، الجزء، 5، ص. 1627. 1628.  
: الزواحف، معلمة المغرب، الجزء، 13 : أ. مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، ط.  
1988.3 : أ. العلوف، معجم الحيوان، القاهرة، 1932.

Salvador, *Guía de los anfibios y reptiles españoles*. Madrid, 1974, 274 pp. ; J. Bons, *Les Lacertilien du sud-ouest marocain : Systématique, Répartition géographique, Ethologie, Ecologie*, Rabat, 1959.

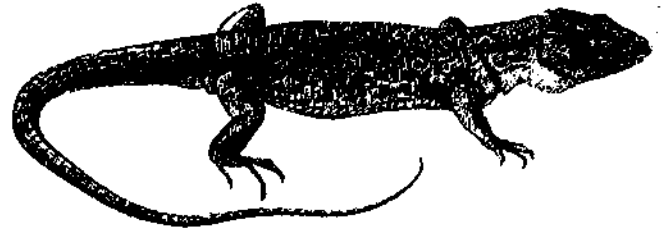
محمد خربوطة

الاختراقية الملحية، فتعطي مناجم كبريت من طراز "القلنسوة الصخرية" (cap rock). يستخرج هذا الكبريت "بطريقة فراش" (Frasch process)، التي تعني حقن الاستبارات بخار الماء على حرارة عالية جدا وتحت ضغط مرتفع، واسترداد الكبريت السائل في المقابل.

عدي عزى

## رَضَاعَةُ البَقْرِ، كما هو شائع في الدارج بأقطار

إفريقيا الشمالية ومصر، جنس حيوان من الزواحف Reptilia ومن رتبة متفوقات الألسنة وفصيلة العظائيات Lacertidae. يعيش في المناطق الجافة وشبه الجافة الإفريقية والآسيوية وأوروبا الجنوبية وتحمل حرارة مرتفعة. اسمه العلمي Lacerta lepida Daudin var. pater وبالأمازيغية تازرموميت وبالفرنسية Lézard ocellé وبالإنجليزية Lizard وإسبانية Lagarto ocelado. يدعى سحلية في مصر وسقاية في الشام ويعرف في البوادي المغربية وبشمال إفريقيا رضاعة البقر أو رضاعة البكرات.



رضاعة البقر

**الرَضَنْدُو،** ويكتب أيضاً الرضنضو والرندنو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Redondo و Arredondo ؛ وهناك من يعتقد أن اسم هذه الأسرة الأصلي هو المدور وعندما أرغمت على كتابة اسمها بالحروف اللاتينية لأنها ظلت بالأندلس بعد سقوط غرناطة فقد ترجمته إلى اللغة الإسبانية بدليل أن كلمة Redondo أو Arredondo معناها المدور، مع الإشارة إلى أنه توجد بإسبانيا مدينة اسمها Redondo وأخرى اسمها Arredondo. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1180 / 1767.

**الرَضَنْدُو، أحمد بن الحسن** الذي اشترى بعض أملاك أولاد النفسيس المصادرة لصالح بيت المال في شهر رجب 1079 (ديسمبر 1668).

**الرَضَنْدُو، علي** الذي كان يزاول خطة العدالة سنة 1124 (1712).

يتميز بجسم رشيق ويبلغ الطول الأقصى للكبار جمعا بين الجذع والذنب 60 سم، الرأس دائري ومسطح قليلا، كبير لدى الذكور وصغير عند الإناث. الذنب رقيق وطويل جدا يتعدى 30 سم ويحمل حلقات رقيقة ومزدحمة، القوائم طويلة وقوية تنتهي بخمسة أصابع طويلة ذات مخالب، يحمل العنق 9. 13 حرشفة وعلى ظهره 62. 78 حرشفة رباعية الأضلاع ومصففة بدقة. الحراشف البطنية صغيرة مرتبة على 8. 10 صفوف طويلة و28. 35 صفا مستعرضا. المنطقة الشرحية محاطة بـ 2. 4 حراشف شبه دائرية. لونها أخضر أشهب مبقع بالأسود والأصفر على الظهر وأبيض مصفر على البطن، ويتغير لونه حسب المناطق والسن ؛ الصغار زيتونية اللون ومبقعة بالأبيض المصفر وبخطوط داكنة على كل جانب، يقضي الليل والأيام الباردة في الجحور وبين شقوق الصخور ويستأنف نشاطه نهارا. يأخذ مكانه غالبا فوق الصخور ويمد رأسه عاليا ليتمكن من مراقبة ما يحيط به. يختفي طيلة فصل البرودة وينشط ما

## الرَضْنَدُو، علي (الحاج -) بن الحاج محمد الفقيه

المتوفى سنة 1180 (1766).

م. ابن عزوز حكيم، كشاف عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 733.

محمد ابن عزوز حكيم

**الرضوان** (عرف)، يتدرج هذا العرف ضمن نسق العلاقات الرعوية في بلاد الظهرة بالجبهة الشرقية من المغرب. وليس هناك ما يدل دلالة واضحة على أصل هذه الكلمة وجذرها التاريخي في إطار ما تختزنه الذاكرة الجماعية للقبائل الرعوية بالمنطقة من تراث شفاهي زخم. لكن يبدو على الأرجح أن الكلمة تحيل اشتقاقا على مفهومي الرضى والتراضي وهي دلالات تصب في المعنى الوظيفي العام الذي يكرسه عرف الرضوان داخل المنظومة الرعوية المحلية. لأن العرف في الواقع هو نظام تعاقد بين الرعاة الذين لا يملكون سوى قوة عملهم وجماعات القبائل التي تملك قطعان المواشي، حيث يتم بموجب هذا التعاقد العرفي تأجير الرعاة بحصة معينة من رؤوس المواشي فضلا عن بعض المواد الغذائية والكسوة التي تمنح مكارمة (على وجه المحاسنة الواجبة) على رأس كل سنة من طرف القبائل المتعاقد معها. مقابل التزام الرعاة برعي قطعان المواشي وتعهدها بالعناية والرعاية التي تستحقها داخل المجال الرعوي، مأكلا وشربا وعلوفة.

وينتشر عرف الرضوان بصيغ تختلف أو تتقارب بهذا القدر أو ذاك داخل جل قبائل المجتمع الرعوي ببلاد الظهرة بوجه أعم. ففي أولاد البوكايس والطوال اللتين تنتميان إلى مجموعة حلف أولاد الحاج يجري العمل بعرف الرضوان بالصيغة التالية :

(1) عصا : قطع من الأنغام يتراوح عدده بين 300 و400 رأس.

(2) الليلة : وحدة قياس تعادل 10 شياه سنويا.

(3) قرديات : جمع قردية وهي صاع يزن 5 كيلوغرامات.

ويترجم هذا العرف في بعده التنظيمي بنية مجتمع رعوي تتركز في نمط معاملاتهما على اقتصاد عيني بدرجة أساسية حيث لا وجود للنقد إلا لماما، وهي بنية تشتغل فيها باستمرار آلية توزيع ثروة الماشية بين الكاسب والمعدم وفق نموذج تأجيري يعيد دوما إنتاج نفس التراتبات الاجتماعية القائمة محليا بين مختلف الجماعات.

معانيات ميدانية : روايات شفوية.

Tag Boutayeb, *Des mutations agro - pastorales à l'urbanisation dans le Maroc oriental* (Thèse de doctorat d'Etat), Toulouse, 1987.

محمد الفقيه

**ابن رضوان**، أسرطان فاسيتان، إحداهما من الخزرج الأنصار النجارين كانوا بمالقة ولهم فيها أعلام كبار، "واستقر خلفهم بفاس، ولهم بيت وحظوة بها" (بيوتات، ص 70). والثانية أصلها من بني زروال شمالي مدينة فاس.

**ابن رضوان، عبد الله بن يوسف النجاري الملقب** يكنى أبا القاسم من قبيلة الخزرج العربية. استوطن أجداده بالأندلس وأنشأوا هناك بيتا هو بيت بني رضوان النجارين الذي اشتهر بالعلم وخدمة الأمراء والملوك. فكان جده رضوان عالما فقيها، تولى القضاء والحظابة لأمير مالقة أبي سعيد، كما تولى أخوه محمد الوزارة لنفس الأمير. أما والده فهو الفقيه يوسف الذي تولى قيادة ديوان الجند في عهد الأمير إسماعيل بن أبي سعيد صاحب مالقة. ولد ابن رضوان بمالقة سنة 718 / 1319 ونشأ وتربى في هذه البيئة العلمية. فدرس أولا على أبيه وأجازه إجازة عامة ثم على خاله أبي الحكم بن القاضي أبي القاسم بن ربيع. كما أخذ يتردد على كثير من علماء وفقهاء مالقة وقرطبة ليفتخر من منهل الإسلام والفكر كعلوم العربية وعلوم القرآن كالتفسير والقراءات، وعلوم الحديث وأصول الفقه والتصوف والفلسفة وعلم المعقولات. ومن أبرز شيوخه وأساتذته في الأندلس الفقيه العالم قاضي مالقة أحمد بن عبد الحق الجدلي والإمام المحدث أبو جعفر الطنجالي والقاضي الفيلسوف أبو بكر بن منظور والعالم أبو عبد الله ابن أبي الجيش الصريحي الذي قرأ عليه الكراسة والحمل وألفية ابن مالك والإيضاح والأسرار العقلية لأبي العز،

عدد رؤوس المواشي	قيمة الرضوان (أو أجرة الراعي) السنوية	المكارمة (أو المحاسنة الواجبة)
------------------	---------------------------------------	--------------------------------

ما بين 300 و400 رأس	18 شاة في حالة ما إذا كان	200 ريال + 2
من الغنم (أي «الليلة») (3) زرع «عصا» (1) شاة واحدة على كل ليلة	«اللبلة» (3) زرع «عصا» (1) شاة واحدة على كل ليلة	قالب سكر + 10
واحدة		+ نعال

جذي واحد مقابل جمل - 4 «قرديات» من واحد  
 خروف مقابل جملين . قالب سكر  
 خروفة مقابل 3 جمال . 400 دريال

وكلما ارتفع عدد الجمال إضافة إلى الكسوة عن هذا الحد المحدد قيمة الرضوان بناء على اتفاق يتم بين الراعي وصاحب الإبل حول الحصة الواجب آداؤها خرفانا وماعرا

والخطيب العالم الحافظ أبو القاسم بن جزي، قرأ عليه كثيراً من كتب القراءات وكذلك الموطأ ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود والشمائل والشفاء. وسمع على الشيخ الفقيه قاضي الجماعة أبي البركات ابن الحاج السيرة والعمدة ودرر السمط، كما تفقه في علوم النحو على الفقيه الصالح الصوفي أبي علي عمر بن عتيق الهاشمي والفقيه العالم الصوفي عبد الله بن سلمون وأستاذ الجماعة ورئيس النحاة ابن الفخار البيري وغيرهم. ولازم كبير كتاب بني مرين أبا محمد عبد المهيمن الحضري والقاضي أبا إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى، وأبا العباس بن يربوع السبتي. وأخذ في تلمسان عن إمام المعقولات أبي عبد الله محمد الأيلي وأبي عبد الله محمد بن التجار وغيرهما. كما أخذ بتونس عن قاضي الجماعة أبي عبد الله بن عبد السلام الهواري وغيره. ولاشك في أن ابن رضوان كان سعيد الحظ في الاتصال بكل هؤلاء العلماء والأخذ عنهم لأنهم كانوا في زمنه رموز الثقافة الإسلامية في الغرب الإسلامي. وكان ابن رضوان ذو التكوين الرصين يتطلع إلى مزيد من التألق ويظمح إلى خدمة ملوك المغرب من بني مرين كياقي أقرانه من العلماء والفقهاء، إذ لم تعد تفرقة وظيفته القاضي والعدل التي كان يشرف عليهما بما لقيه، كما لم تعد تناسب مركزه العلمي، لذلك فضل الهجرة إلى المغرب والاتصال بعلمائه وأعيانه ومحاولة التقرب من ملوكه وأمرائه. لقد كان أبو الحسن المريني سلطان وقته حيث طارت شهرته ووجهه للعلماء في آفاق الأندلس، وأصبحت مجالسه العلمية تستقطب كبار علماء الغرب الإسلامي كله، فكانت مثار اهتمام ابن رضوان وسبب سعيه للانضمام إلى هذه الصفوة.

رحل أولاً إلى سبتة بعد واقعة طريف التي انهزم فيها جيش بني مرين سنة 741 / 1341، فاتصل بالسلطان أبي الحسن ومدحه. وكان لإبراهيم بن أبي يحيى التسولي قاضي العسكر وخطيب السلطان الفضل الكبير في تسهيل اللقاء بين السلطان وابن رضوان، وإذ كان قد تعرف عليه خلال سفارات قام بها إبراهيم إلى ملك غرناطة وأعجب حينها ببراعته في الأحكام كقاض، واختير إمكانياته الخطابية وقدراته العلمية وإجادته وإتقانه لفن الترسل وخباياه ودقته في كتابة الوثائق، فكان ذلك سبباً كافياً. حسب ابن خلدون - لأن يتدخل لدى السلطان ويعرفه بشخص ابن رضوان وثقافته الواسعة والمتنوعة، وقرنه من مجلسه. وكان إبراهيم هذا يستنبيه أحياناً في القضاء والخطبة بفاس، فكانت فرصة مهمة أن يتصل ابن رضوان بأبي محمد عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمي رئيس الكتاب واحد كبار علماء العصر، فأختص بخدمته وأخذ عنه أسرار خطة الكتابة وأصول الترسل، واستفاد من علمه الغزير ونهل من خزائنه التي كانت تضم تزيد من ثلاثة آلاف سفر في الحديث والفقه والعربية والأدب والمعقول وسائر الفنون (التعريف، 513). وعند رحيل السلطان سنة 748 / 1348 لغزو

إفريقية وقمع تمرد الأعراب هناك، اضطرب معه كعادته صفوة من العلماء إلى جانب حاشيته كعبد المهيمن وابن رضوان. وفي تونس التقى هذا الأخير بالمؤرخ الكبير ابن خلدون الذي صاحبه واستفاد منه كثيراً واتصل بعلمائها الكبار، فازدادت حظوته لدى السلطان ولع نجمه بين الاقربان إلى أن تعكر الجو وتلبد بعد ثورة بني سليم على السلطان والغدر به فحاصروه بالقيروان. كما نار أهل تونس على أشياخه وحاشيته الذين اعتصموا بالقصبة حيث ولد السلطان وأهلته. وانتفض شيخ الموحدين أبو محمد بن عبد الله بن تافراكين مع أعراب بني سليم على أبي الحسن وحاصروا القصبة فهب الهلع والخوف وانتفض من حول السلطان بعض حاشيته وأقربائه من أمثال كاتبه عبد المهيمن بينما صمد ابن رضوان وبقي مع خديمه يقاوم الثائرين إلى أن المجتأ الأزمه وتمكن أبو الحسن من الإفلاج سالماً من القيروان إلى سوسة ومنها إلى تونس، فتركت هذه الوقفة النبيلة لابن رضوان أثراً بليغاً في نفس السلطان ورعاها له. وعندما قرر أبو الحسن العودة إلى المغرب عام 750 / 1350 استخلف ابنه أبا الفضل وترك معه ابن رضوان يكتب له مدة إلى أن غلبهم على تونس الفضل بن السلطان أبي يحيى الحفصي، وتمكن الأمير المريني من الفرار إلى المغرب والاتحاق بأبيه في الوقت الذي فضل فيه ابن رضوان البقاء في تونس ما يقرب من العام. وإذا كنا نجمل الأسباب والدوافع الحقيقية التي اضطرت ابن رضوان إلى عدم مرافقة الأمير المريني، فإن الأمر قد يكون له صلة برغبته في الانتظار حتى تتجلى بعض الأحداث الغامضة خاصة بعد أن شاع في البداية خبر غرق أسطول السلطان أبي الحسن ثم مجيئه وانقلاب ابنه أبي عنان عليه. لكن خطر الطاعون الأسود الذي جرف الناس والحيوان بإفريقية عجل من تحرك ابن رضوان وخروجه مع بقية أتباع السلطان من تونس والسفر عن طريق البحر إلى المرية بالأندلس. وهناك دعاه أبو الحجاج ابن الأحمر صاحب غرناطة للانضمام إلى بلاطه وعرض عليه وظيفة كاتب العلامة إلا أن ابن رضوان رفض هذا العرض لأنه كان يتطلع إلى خدمة ملوك بني مرين ويرغب في تحقيق مستقبل سياسي زاهر في فاس. لذلك اضطر للعبور إلى العدة والقدوم على سلطانها الجديد أبي عنان الذي استقبله بحفاوة كبيرة، وحفظ له موقفه الإنساني مع والده عند أزمته في القيروان وفرار الأقرباء من حوله، فقرر به من مجلسه وكلفه بالكتابة عنه تحت رئاسة صاحب القلم الأعلى محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي الذي اختص ابن رضوان ورعى موهبته الفذة فألحقه بالمجالس الخاصة وأتابه في كتابة العلامة خلال فترات غيابيه. وحينما أرسل أبو عنان وزيره ابن أبي عمرو إلى بجاية على رأس حملة عسكرية، انفرد ابن رضوان بالكتابة عن السلطان. ولما عاد الوزير من مهمته سخط عليه أبو عنان وساءت العلاقة بينهما وأقصاه من بطانته



وأرسله ثانية إلى بجاية واليا عليها وجعل لابن رضوان الكتابة والعلامة معا في عام 754 / 1354. فكان هذا المنصب الجديد تحولا مهما وانطلاقة حقيقية لمسار ابن رضوان السياسي وبداية لتحقيق طموحاته في البلاط المريني. بقي في وظيفته كصاحب القلم الأعلى والعلامة مدة ثلاث سنوات من 754 / 1354 إلى 757 / 1356، وعزل بعد ذلك دون أن يقطع صلته بحاشية السلطان. وبعد مقتل أبي عنان سنة 759 / 1358 على يد وزيره الحسن بن عمر الفودودي واستبداده بالحكم وحجره على السلطان الطفل أبي بكر السعيد أعيد ابن رضوان إلى وظيفته السابقة وبقي فيها طيلة حكم أبي بكر حتى سنة 760 / 1359. ويبدو أن ابن رضوان لم يعد ينفرد في عهد السلطان أبي سالم (760 / 1359 - 762 / 1361) بمنصب صاحب العلامة والقلم الأعلى لوحده بل زاحمه فيه أشخاص آخرون اختلفت روايات المؤرخين في تحديد أدوارهم الحقيقية وعلاقتهم بهذا المنصب. فابن الأحمر يذكر أن عليا بن محمد ابن مسعود الخزاعي شارك ابن رضوان في الكتابة عن السلطان أبي سالم، أما ابن خلدون فينفي ذلك ويقرر أن ابن رضوان لم يتول ذلك المنصب قط وأن الخزاعي المذكور هو الذي كان صاحب العلامة لأبي سالم في حين اسندت لابن خلدون خطة الإنشاء والتوقيع والسر لنفس السلطان. إلا أن ابن رضوان سرعان ما استعاد منصبه وموقعه من جديد وأصبح كاتب العلامة لعدد من خلفاء أبي سالم كتاشفين بن أبي الحسن (762 / 1361 - 763 / 1362) وأبي زيان محمد بن أبي عبد الرحمن بن أبي الحسن (763 / 1362 - 767 / 1366) وعبد العزيز بن أبي الحسن (767 / 1366 - 774 / 1373) وأبي زيان محمد بن عبد العزيز (774 / 1373 - 776 / 1375) ثم في الولاية الأولى لأبي العباس أحمد بن أبي سالم (775 / 1374 - 786 / 1385). وكان ابن رضوان قد اصطحب هذا السلطان في حركته إلى مراكش لحصار عبد الرحمن بن أبي يفلوسن الثائر بها لكنه توفي وهو في الطريق بمدينة أزموور أو بمدينة أنفا على الأرجح سنة 783 / 1382 ودفن هناك بمقبرة الحاج صالح.

لقد كان لمنصب ابن رضوان السامي وخدمته ثمانية ملوك من بني مرين الاثر الأكبر في صقل موهبته واكتساب خبرة ومعرفة كبيرتين بدوايب وأسرار المخزن المريني الشيء الذي جعله معدودا بين أشهر رجالات الدولة المرينية ويتصدر موقعا متميزاً بين صفوة كتابها النجباء. لذلك لم تتوان كتب التراجم في الثناء على شخصه والاعتراف بمكانته العلمية والدينية، فلا عجب إذن أن ينيهر بشخصه علماء كبار عاصروه وسعدوا بلقائه والاتصال به. فهذا ابن الخطيب يكاثبه ويخاطبه نظماً ونثراً، وهذا ابن خلدون قرينه

يتردد إليه ويفتخر بصحته له، وهذا ابن مرزوق يعترف بأهليته وصفاته السنية. ويكفي ابن رضوان أنه صنع وحافظ على موقعه المتميز بين هذه الرموز الفكرية والسياسية فاستطاع بذلك أن يكسب ود ورضى سلاطين بني مرين بدون أن يتورط في مؤامرة أوديسة وهو أمر لا نجد له مثيلاً، إلا فيما ندر.

بالرغم مما عرف عن شخصية ابن رضوان الفكرية ومقارنته لعلماء عصره. فإن الزمن لم يحفظ لنا من إنتاجه الأدبي والسياسي والعلمي إلا بالنز القليل بقي مشتتاً بين المصادر في شكل إشارات وعناوين. فرسانه التي كتبها للمرينيين لا نعرف عنها شيئاً، ولاشك أن الكثير منها كان معروفاً في زمنه ولو وصلتنا لكانت بحق وثائق أساسية للكشف عن أحداث أهم وأخطر فترات تاريخ المغرب في عهد بني مرين. وذلك بحكم منصبه في هرم الدولة وبحكم معاصرته لمرحلتين مختلفتين من تاريخ بني مرين، مرحلة القوة التي انتهت مع أبي الحسن وأبي عنان ومرحلة الأزمات والصراعات السياسية التي بدأت بعد وفاة أبي عنان واستمرت إلى نهاية الدولة. فما وصل إلينا من إنتاج ابن رضوان الغزير هو مجرد بعض الأشعار في فنون شتى كالمدح والرثاء والوصف والزهد والورع والمولديات وردت كلها متفرقة في بعض المصادر كالإحاطة والكتيبة الكامنة لابن الخطيب وتثير الجمان لابن الأحمر ونفع الطيب للمقري. ثم مجموعة من رسائل الاخوانيات تبادلها مع كل من ابن الخطيب وابن الحاج النميري وابن الأحمر. وذكر صاحب فهرس الفهارس والأثبات أن لابن رضوان فهرسة من طريق السراج وابن الأحمر غير أنه لم يتم العثور عليها.

إن أهم ما تبقى من إنتاج ابن رضوان كتابه المشهور باسم *الشهب اللامعة في السياسة النافعة* وهو كتاب جليل يندرج ضمن ما يعرف عند المفكرين المسلمين بعلم السياسة أو السياسة الملوكية، ألفه سنة 762 / 1361 بأمر من السلطان أبي سالم المريني على سبيل الإمتاع والانتفاع، تناول فيه فضل الخلافة وحكمتها وسير الملوك وتدبير الرأي والمشورة والوزارة والكتابة والمخطط الدينية والعملية وسياسة الحروب وغيرها من الأحكام السلطانية. وإذا كان ابن خلدون وابن الخطيب لم يشيرا قط إلى كتاب *الشهب* هذا. وهو أمر يشير الاستغراب، فإنه مع ذلك اعتبر من أهم ما كتب في بابه خلال القرن التاسع (15 م) حيث تأثر به ابن الأزرقي (ت. 896 / 1491) ونقل عنه كثيراً في كتابه *بدائع السلك في طبائع الملك*، كما انتشر صيته في مؤلفات المغاربة وغيرهم كأبي زكرياء السراج في فهرسته وأحمد باب التنبكي في نيل الابتهاج.

فتخرج مشاركاً في اللغة والأدب والفقه والفرائض والحساب والطب. لقيه أحمد المقرئ في مدينة مراكش وترجم له في

كتابه روضة الآس قائلاً عنه : "وهو من ذرية الإمام رئيس الكتاب الشهير أبي القاسم ابن رضوان صاحب المؤلف في السياسة وغيره" وذكر جملة من أشعاره.

توفي عام 1014 / 1605.

إ. ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، الرباط، 1972 : أ. ابن القاضي، جذوة، الرباط، 1974، ج. 21 : دة الحجال، بيروت، 1970، ج. 1 : أ. المقرئ، روضة الآس، الرباط، 1983، ص. 338. 339.

محمد حجي

**الرطل**، كلمة يونانية (Litra) استعملت للدلالة على وحدة للوزن ووحدة للكيل، غير أن استعمالها للوزن هو الغالب، وتتخذ "صنوج" الوزن من بلوات زجاجية أو من معادن الرصاص أو الحديد أو النحاس. وقد استعملت في المغرب عدة أرتال يمكن تصنيفها إلى قسمين الأرتال الشرعية والأرتال العرفية.

1- فالرطل الشرعي هو الرطل الشائع في الكتب الفقهية الذي تتعلق به الأحكام الشرعية من زكاة وغيرها، وقد عرف باسم "رطل مكة" أو "رطل الكيل" أو "الرطل البغدادي" ومع أن مقدار وزن الرطل في البلدان الإسلامية يختلف تبعاً لاختلاف البلدان والأزمان واختلاف الأشياء الموزونة، فقد اتفق فقهاء مختلف المذاهب على اختيار الرطل البغدادي أساساً للوزن في الحقوق الشرعية وفي المعاملات مع اختلافهم في تقدير وزنه. فحسب فقهاء المذهب المالكي يساوي الرطل 128 درهماً شرعياً أو 12 أوقية، ونظراً لأننا حققنا وزن الدرهم الشرعي = 29116 جرام، فإن وزن الرطل البغدادي يساوي (29116x128) = 372.68 جرام، وقد أثبت الفقيه عمر الكرسيفي (ت. 1214 / 1799) أن الرطل البغدادي يعادل رطل مكة، فقد حدد بأن الرطل 12 أوقية وأن الأوقية تساوي أحد عشر درهماً غير ثلث أي 10.67 درهماً، وهو ناتج قسمة 128 على 12، وبما أن الكرسيفي يجعل الرطل 12 أوقية تتأكد معادلة الرطل البغدادي لرطل مكة بضرب 12 في عدد دراهم الأوقية الواحدة وضرب الحاصل في وزن الدرهم الشرعي يساوي (12x10.67x29116) = 372.68 جراماً وبهذا الرطل تحمل المسائل في المعاملات الفقهية سواء في قيم الكيل أو قيم الوزن.

وانطلاقاً من معرفتنا لوزن الدرهم الشرعي بعدد حبات الشعير بالكيل أمكن أن نعرف اجماً ببقية المكاييل الشرعية وأوزانها التي يعتبر الرطل إما مضاعفتها كالدرهم أو أجزاءها كالوسق، وذلك حسب الجدول التالي :

ملعبة الكسيف الزهوني، تج. م. بن شريفة، الرباط، 1987، ص. 163. 164 : ل. ابن الخطيب، الإحاطة، تج. م. عبد الله عنان، القاهرة، 1975، ج. 3، ص. 443. 456 : ملحق الإحاطة، تج. عبد السلام شقور، تطوان، 1988، ص. 144. 155 : أوصاف الناس في التواريخ والصلوات، تج. م. كمال شبانة، المحمدية، د. ت. ص. 55 : نفاضة الجراب، تج. أ. مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، ج. 2، ص. 140. 141 وتج. السعدية فاغية، مطبعة، الدار البيضاء، 1989، ج. 3، ص. 47. 48. 66 : الكتيبة الكامنة، تج. إحسان عباس، بيروت، 1963، ص. 254. 259 : م. ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، تج. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص. 173. 376 : ابن رضوان، الشهب اللامعة، تج. علي سامي النشار، الدار البيضاء، 1984 : ابن الأحمر، النفحة الترسنية، تج. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص. 53. 55. 57. 59. 60. 62. 63. 65 : نشير الجمان، تج. م. رضوان الداية، بيروت، 1976، ص. 233. 247 : روضة الترسين، الرباط، 1962، ص. 29. 30. 31. 32. 34. 35 : مستودع العلامة، تج. التركي ومحمد ابن تاويت الطنجي، تطوان، 1964، ص. 51. 56 : بيوتات فاس الكبرى، الرباط، 1972، ص. 70 : فهرس السراج، مخطوط، خ. ع حرف ك 1242 أول مجموع : يحيى ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، بيروت، ط. 1988، ص. 514. 515. 523. 525 : ابن الأزرقي، بدائع السلك، جزآن، تج. م. ابن عبد الكريم، ليبيا - تونس، 1977 : أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1973، ص. 435. 437 : دة الحجال، تج. محمد الأحمد، أبو النور، القاهرة، تونس، 1970، ج. 3، ص. 280 : أحمد باب التنيكي، نيل الانتهاج، علي هامش الديباج لابن فرحون، القاهرة، 1351، ص. 145. 147 : م. حجي، محقق، ألف سنة من الرقيات، الرباط، 1976، ص. 130. 155. 220. 279 : أ. المقرئ، نفع الطيب، تج. إحسان عباس، بيروت، 1968، ج. 6، ص. 106. 112 : أزهار الرياض، الرباط، 1978، ج. 2، ص. 345 وج. 3، ص. 196 وج. 4، ص. 296. 300 : ع. الحلي الكتاني، فهرس الفهارس، باعتماد إحسان عباس، بيروت، ط. 1982، ج. 1، ص. 441 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1977، ج. 8، ص. 223. 228 : إحسان عباس، ابن رضوان وكتابه في السياسة، كتاب العيد، بيروت، 1967.

رشيد السلامي

**ابن رضوان، عثمان الوزروالي الفاسي وصفه في بيوتات فاس** به "الفقيه الأستاذ النحوي المقرئ الحيسوبي شيخ ابن الأحمر. توفي بفاس سنة 788 / 1386 (بيوتات، ص 70).

**ابن رضوان، محمد بن يوسف النجاري الفاسي ولد بفاس سنة 967 / 1559، ودرس على كبار شيوخ عصره**

الكيل	نسبته	سعتبقيات الشعير(ح)	وزنه بالكيلو والكيلو وزنه بالسكة المخزنية	اسم الوزن	وزنه بالكيلو والكيلو وزنه بالسكة المخزنية
الدرهم	الوحدة الأساسية	ح 50.4	80 كيلو 25 جرام	القطار البقالي	
الأوقية	10.67 درهما	ح 537.6	40 كيلو	نصف القطار	
الرطل	12 أوقية	ح 6451.2	20 كيلو	ربع القطار	32 ريال
المد	1.33 رطل	ح 8601.6	800 جرام	الرطل منه	
الصاع	4 أمداد	ح 34406.4	400 جرام	نصف الرطل	
الوسق	60 صاعا	ح 2064384	200 جرام	ربع الرطل	
5 أوسق	نصاب الزكاة	ح 10324920	100 جرام	الأوقيتين	
			50 جرام	الأوقية	

#### جدول وحدات الكيل والوزن الشرعية المتفرعة عن الرطل

ج - الرطل الحضاري : لوزن الخضر واللحم والفحم والصوف، ويزن 40 ريالا = 1000 غ

اسم الوزن	وزنه بالكيلو والكيلو وزنه بالسكة المخزنية	وزنه بالكيلو والكيلو وزنه بالسكة المخزنية
القطار الفحامي	100 كيلو	
نصف القطار	50 كيلو	
ربع القطار	25 كيلو	
الرطل منه	كيلو 1 = 1000 جرام	40 ريال
نصف الرطل	500 جرام	
ربع الرطل	250 جرام	

د - رطل السوق، وهو رطل خاص يدعى "رطل السوق" تميزا له على بقية الأبطال الشائعة ويدعى كذلك ماركو (Marco) وهو من الصنوج الوزنية التي كانت مستعملة بأوروبا خاصة في إسبانيا وفرنسا وإيطاليا وإنجلترا، واستمر العمل به هناك إلى أن تم تطبيق النظام المترى الذي شمل مختلف المقاييس عند منتصف القرن الثالث عشر (19 م)، وقد وقع استيراد هذا الرطل فاستعمل في المغرب - حسب ما وقفنا عليه - خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وقد وجدنا في النطق المحلي بسوس ومراكش بإضافة الهمزة في أوله "أماركو"، وكان يصنع في أوروبا ثم أصبح يقلد صنعه في مراكش وفاس وهو "صنجة نحاسية" معدة للوزن بحيث تتألف من ثمانين قطع هي : النصف والربع والأوقيتان والأوقية والثمانون والثلثون ونصف الثمن وربعه وثلثه. وكل قطعة تحتضن الأصغر منها لتكون في النهاية قطعة واحدة.

ومن حيث وزن هذا الرطل فهو يتألف من 16 أوقية كل أوقية تزن 31.8 غ والرطل في المجموع يزن 508.2 كرام، وقد راقبه الفقهاء، فكان يزن 11520 حبة من حبوب الشعير = 11520 x 0.4412 = 5083 غ كما يزن 20 ريالا من سكة مولاي عبد العزيز.

2 - أما الرطل العرفي فهو الذي يستعمل في الحياة العملية في الأسواق المغربية وقد عرف المغرب أقطالا متعددة في المجال التجاري تختلف باختلاف البضائع الموزونة، وكان الرطل إلى حدود القرن الثاني عشر (18 م) يتخذ على أساس عدد ما يزنه من الماشقيل الفضية (المنقال عشرة دراهم شرعية يزن 29 غ) ثم تحول في القرن الثالث عشر (19 م) إلى عدد الريال الفضي من السكة الفرنسية الوازنة 25 غ. وتصنع الأبطال من معادن النحاس والحديد والحجر المنحوت أحيانا، ويقوم المحتسب بمراقبتها على الدوام، وتوجد منها ثلاثة أقطال مشهورة. هي : الرطل العطارى والرطل البقالي والرطل الحضاري حسب البضائع التي توزن به ويوضحها مقارنة بوزنها بالكيلو وبعده الريالات مع بيان أجزائها ومضاعفاتها حسب الجداول الآتية :

أ - الرطل العطارى : لوزن السكر والشاي والتوابل ويزن 20 ريالا = 500 غ

اسم الوزن	وزنه بالكيلو والكيلو وزنه بالسكة المخزنية	وزنه بالكيلو والكيلو وزنه بالسكة المخزنية
القطار العطارى	50 كيلو	
نصف القطار	25 كيلو	
ربع القطار	12 كيلو و 500 جرام	
الرطل منه	500 جرام	20 ريال
نصف الرطل	250 جرام	
ربع الرطل	125 جرام	
الأوقية	30.25 جرام	

ب - الرطل البقالي : لوزن الفواكه والسمن والسلع البرية، ويزن 32 ريالا = 800 غ

كان الرطل الريايطي جيد العرف على الريايط حسن الغناء بصوته وإلى ذلك كانت له مشاركة في عدة فنون كما كان طيباً ومعدلاً.

إ. التادلي، أغاني السقا، مخطوط، ص. 77، الباب السابع.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الرعد، من الظواهر الكهربائية للجو، ويظهر الرعد عادة عندما تصبح الحمولة الكهربائية للسحب كافية لخلق فصل ما بين الشحنة الإيجابية والشحنة السلبية وهذا الفصل يمكنه أن يتم ما بين منطقة وأخرى داخل السحب أو ما بين السحب وسطح الأرض. وتظهر هذه الظاهرة على وجه الخصوص في السحب العاصفية من نوع الركام المزمي التي يصل ارتفاعها عادة في العروض المغربية إلى حوالي 10 كيلومترات وهي مكونة أساساً من قطرات من الماء في الطبقات السفلى ومن بلورات من الجليد في مستوياتها العليا.

وعملية فصل الحمولة الكهربائية داخل السحب هي من الشروط الأساسية لنشوء العواصف الرعدية كما أن نقل هذه الحمولة يتم عن طريق التيارات العمودية المتصاعدة والنازلة، فالحمولة المشحونة إيجابياً هي في الغالب ذات كثافة خفيفة تحملها التيارات المتصاعدة، والحمولة المشحونة سلبياً تكون ذات كثافة نسبياً كبيرة تستقر في المستويات الدنيا، لذلك فإن الأجزاء العليا من السحب الرعدية والمكونة من بلورات من الجليد تكون ذات شحنات إيجابية بينما قاعدتها والمكونة من قطرات مائية تكون ذات شحنات سلبية.

في مرحلة معينة من التطور يخلق داخل السحب قطب مزدوج للحقل الكهربائي يفصل ما بين مختلف الطبقات الداخلية وما بين قاعدة السحب وسطح الأرض حيث يوجد باستمرار حقل كهربائي ضعيف مشحون إيجابياً. عندما يكون التيار الكهربائي يخترق العاصفة الرعدية تتركز القوة الإليكترودينامية المصاحبة وتزداد داخل قناة ضيقة حجم الضغط الناتج عن ذلك مما يؤدي في الأخير إلى انفجار هو الدوي المميز للرعد. ففي خلال أقل من ثانية ينقل الرعد حمولة تقدر بحوالي ما يعادل مائة مليون مصباح كهربائي وخلال هذا الجزء من الثانية تتحول أيضاً هذه الحمولة إلى طاقة إلكترومغناطيسية وهي في نفس الوقت طاقة سمعية وحرارية.

والعواصف الرعدية في المغرب من نوعين، نوع مرتبط بالأمطار التصاعدية ذات الأصل الحراري وهو النوع الذي يتردد على المغرب خلال الصيف خاصة مع الزيادة في وثيرة الوضعيات الجوية القارية والتي يصبح على إثرها الهواء في المناطق الداخلية غير مستقر يفسر في الغالب على أمطار نوعاً ما مهمة مصحوبة بعواصف رعدية لكنها محدودة في الزمان والمكان. أما النوع الثاني فهي تصاحب

وختاماً فإن هذه الأبطال كانت مصدراً لاختلاف الأوزان، فإن كان الرطل الشرعي يزن 12 أوقية والرطل العرفي 16 أوقية فإن ضبطهما في الوثائق بوحدة الكرام كان عسيراً لأن الريال المستعمل كوحدة للوزن كان الريال الفرنسي من 25 غ غير أنه استعمل أحياناً الريال الحسني في بعض المدن مثل مراكش ويزن 29.116 غ والرطل منه من 20 ريال = 582.32 غ وأحياناً استعمل الريال العزيزي كما في فاس ويزن 25.3 والرطل منه 506 غ، وقد كان هذا مصدراً للاختلاف. وفي مطلع القرن الرابع عشر (20 م) - في عهد الحماية - 1912 استعمل الريال الفرنسي لتوحيد الأبطال، ثم الانتقال مباشرة إلى نظام الكيلوغرام، عندما حددت الأوزان المغربية على أساس النظام المتري الأوروبي بظهير 14 أكتوبر 1914 (23 ذي القعدة 1332).

ع. أفا، التقود المغربية في القرن الثامن عشر، الرباط، 1993، ص. 70، 144، 163؛ مسألة التقود في تاريخ المغرب، أكادير، 1988؛ نظام المقاييس والأوزان المغربية وتطورها نحو النظام المتري ضمن كتاب فكر وتاريخ، الرباط، 1998، ص. 185، 200؛ ع. الكرسيفي، رسالة في تحقيق أوزان التقود، ص. 144 ضمن كتاب التقود المغربية في القرن 18؛ جورج لوطنونو، فاس قبل الحماية، ص. 407.

عمر أفا

**الرطل**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Ratal - Artal . م. ابن عزوز حكيم، كشاف عائلات تطاون، تطاون، 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 716.

محمد ابن عزوز حكيم

**الرطل**، محمد الريايطي، أديب وفقه تتلمذ في الموسيقى الأندلسية على عالم الريايط المشارك إبراهيم التادلي الذي ذكره من بين تلامذته، وحلاه بلقب شيخ الصنعة والعالم بالموسيقى.

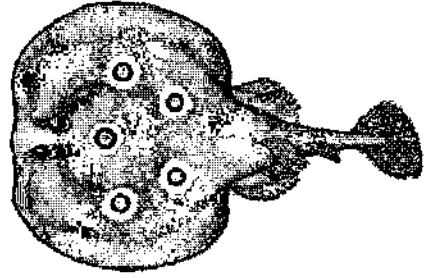
وقد لفته بصفة خاصة ميزان بسيط رصد الذيل واحدى صنعات الحجاز الكبير. وفي هذا الصدد يقول التادلي متحدثاً عن نفسه : ولما عاد المؤلف إلى الريايط لم يجده فيه (أي طبع رصد الذيل). ولما سمعه منه شيخ الصنعة الفقيه محمد الرطل الريايطي وهو عالم بالموسيقى بالرباط تعجب وقال له : يا فقيه، أحسن هذا، وهي نغمة رصد الذيل ؟ فأجاب : نعم، ثم ألح عليه في تعلمها لفقدتها بالرباط فصار يتعلمها ما تيسر له ذلك هو ومعه الشريف سيدي المكي الفيكيكي الريايطي وعلمت بالرباط أيضاً السيد محمد الرطل العربي بوجندار صنعة كبرى من الحكايزي الكبير، ولكن صعبت عليهما لكثرة أدوارها وموازينها وتلحيناتها، فلم يدركا منها حتى دخولها.

الأمطار الجبهية التي تسود خلال الفترة الممتدة من أكتوبر إلى أبريل وهو الترع الذي يمكن أن يدوم لعدة أيام وعلى مناطق شاسعة.

علي البليشي

**الرعادة أو التورب أو الرعاد**، كما هو في المعاجم، جنس أسماك غضروفية بحرية متوسطة وكبيرة القد من رتبة الأشلاق أو الشلقيات Rajiformes وفصيلة الرعاديات Torpedinidae منها ثلاثة أنواع تعيش في المياه البحرية المغربية. تدعى بالفرنسية Torpilles و Raies électriques وبالإسبانية Tremolina وبالإنجليزية Electric ray و Torpedo.

الجسم مسطح يشبه الراية في الشكل والبنية، الفتحات الخيشومية على السطح البطني للجسم. تعيش الأنواع في البحار الدافئة وجسمها مكهرب يملك عضوا خاصا يحدث رعشة قوية عند لمسه لأي شيء، يخدر جسم الضحية عند الملامسة.



## الرعادة

الذيل ضخم والقرص سميك وجوانبه لحمية : الأعضاء الكهربائية نامية جدا على كل جانب من الرأس. يتراوح طول الجسم حسب الأنواع بين 60 - 180 سم. تتغذى من كل أصناف الحيوانات الصغيرة القاعية.

تصاد بالجيبات والشباك المستقيمة وحبال الصنابير العميقة. تستهلك منها "الأجنحة" فقط وتباع طرية ونادراً مجففة أو مجففة. توجد باستمرار في الأسواق السمكية المغربية.

يعيش نوع "ترسينتي" *Torpedo nobiliana* المسمى بالفرنسية *Torpille noire* في المياه البحرية المغربية على الأعماق الرملية والوحلية بين 10 - 150 م وأحيانا في أعماق تتعدى 500 م وهو نوع قاعي مستقر يتغذى من كل أصناف الحيوانات الصغيرة القاعية. يبلغ طوله الأقصى 180 سم وشائع بين 60 - 80 سم.

الرعادة الرخامية *Torpedo marmorata* : تسمى بالفرنسية *Torpille marbrée* وتعيش في أعماق مختلفة بين 20 - 200 م أحيانا في أعماق تتعدى 500 م هو نوع قاعي

مستقر. يبلغ طوله الأقصى 180 سم وشائع بين 60 - 80 سم. أ. مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، ط. 3، 1988 : أمين المعلوم، معجم الحيوان، مذبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, FAO, 1998, 263p.

محمد رضاني

**الرعي في المغرب القديم**، تشير النصوص القديمة إلى التمجيد الذي حظيت به حيوانات هذه المنطقة، فهي تتحدث عن "آلاف القطعان من الغنم ونفس العدد من قطعان الأبقار، وهي توجد في مراعي لا حدود لها" (Ovide, *Métamorphoses*, 4, 630 - 640)، وأن هذا النشاط كان أساس الحياة الاقتصادية الموربة إذ أن "الناس أجمعين من الأمير إلى الراعي لهم ما يكفيهم من الجبن والحليب الطري واللحم. والحليب متوفر في كل يوم لأن النعاج تلد ثلاث مرات في السنة" (Homère, *Odyssée*, 4, 85 - 90).

وتذهب الرحلات الجغرافية حول هذا الموضوع إلى حد تغيب ممارسة الزراعة من طرف ساكنة شمال إفريقيا التي تعتمد على الرعي والترحال. وهذا ما نجد في رحلة بوليبيوس الذي قال : "توجد في إفريقيا الحبول والأبقار والأغنام والماعز بأعداد كثيرة جدا تجمعني لا أظن وجود مثلها في باقي العالم المسكون، وهذا يرجع لكون الشعوب الإفريقية كانت تعيش من قطعانها ومعها لم تمارس الزراعة" (Périple de Polybe, 12, 3, 3 - 4). كما أشارت باقيا الرحلات الجغرافية التي وصفت سكان موريطانيا (المغرب القديم) بأنهم كانوا يعتمدون على ممارسة حياة التنقل بقطعانهم بين المراعي. كما نجد ذلك في رحلتي سكولاكس وحانون (Périple de Scylax, 112 et Périple d'Hannon, 6). تبين هذه الإشارات التاريخية أن قطعان الماشية كانت تتكون من الأغنام والأبقار والماعز والحبول والدواب وغير ذلك، مما يكشف عن أهمية هذا النشاط في الحياة الاقتصادية القروية قبل السيطرة الرومانية على المغرب القديم.

وتكشف نظية المواقع القروية في المغرب القديم عن أهمية ممارسة الرعي في المناطق التي تسجيب لشروط ممارسته. فقد أشار "ماريون" أن طبيعة أشكال المواقع القروية في الجهة الشرقية تكشف عن ممارسة الرعي واستغلال الغابات في هذه المنطقة. وساعدتنا أشكال الاستغلال الفلاحية على الوقوف على جوانب خاصة من البناءات من ساحات وإسطبلات لتربية الحيوانات. ففي موقع جرف الحمرا تقع بنايات ثانوية في الجهة الشمالية الغربية، وتتكون من خزانات ومحلات للماشية حيث تظهر أرضيتها مغطاة بأحجار مصففة. وفي المناطق المجاورة أكدت الأبحاث انتشار عظام الحيوانات خاصة الأبقار، مما

القبائل) المعنية بالأمر تعين شيخ المراعي الذي يعهد إليه بالسهر على تطبيق هذه المقتضيات.

وكما أن المرعى كان عموميا، فقد كانت تسند كل قطعان القبيلة إلى راعٍ عمومي يُشغله كل الكسابة، أو كانت تُرعى بالتناوب من أشخاص ينتمون إلى مختلف المجموعات المالكة للقطعان.

تختلف وضعية الراعي المادية منها والاجتماعية باختلاف المناطق، وبصفة عامة، كان يتم تشغيل الرعاة وقت الجز. ويتم التعاقد - في مناطق مثل بني مسكين - لا مع فرد بل مع أسرة حيث إن كل أقارب الراعي يمكنهم أن يساهموا في عملية الرعي (إن اقتضى الأمر ذلك)؛ ويكون الراعي رجلا ثقة يحظى بمكانة داخل المجتمع. بينما يتم التعاقد على العكس في مناطق أخرى - كالغرب - مع فرد غالبا ما يختار من بين الفئات الأقل حظوة في المجتمع (من بين المسنين أو العجزة أو الأطفال).

كان يتم التعاقد - عند بني مسكين - بين صاحب القطيع والراعي بطريقة شفوية وفق طقوس متعارف عليها، فتقدم للراعي وجبة طعام (بمثابة قربان) تتيح اشتراك الطعام، مع كل ما يوحي هذا الطقس من تقارب بين الأفراد واستحالة الخيانة والغدر؛ ثم يُنصَّب الراعي حيث تقدم له كسوة أو قيمة مالية تعتبر هدية. ويحدد نصيبه، مقابل عمله في هدايا تمنح له في فترة الحصوية، وحصه من الحليب ومن الصوف وربع البهائم التي تولد خلال السنة.

أما في مناطق كالغرب، فقد كان الراعي يعمل مقابل ريع سنوي زهيد.

بصفة عامة، عندما يبدأ الراعي مهمته يقدم له "تسبيق" مادي أو عيني و"سلف" مادي أو عيني كذلك؛ كما يقدم له كل ما يحتاجه من ضرورات الأكل. والمجدير بالملاحظة أن السلف لم يكن يعوض، مما يجعله يساهم في الحفاظ على الوضع القائم وتحويل الراعي إلى قن وعقد الراعي إلى وضعية اجتماعية، بحيث يبقى الراعي مرتبطا بسيده بحكم الدين الذي عليه. ويعتبر كل تخل عن العقد بمثابة جريمة يعاقب عليها.

يدل على أن هذه البناءات هي إسطبلات لتربية الأبقار".

ومما يزيد من التأكيد على أهمية النشاط الرعوي في المغرب القديم الاهتمام الذي أولته المصادر التاريخية للغابات والبراري والمرجات، باعتبارها مناطق ممارسة النشاط الرعوي والثروة الحيوانية. فبالرغم من أن "سالوستيوس" يعتبر أن أغلبية أراضي ليبيا الغربية عقيمة من حيث الأشجار والماء غير أن هذه الصورة العامة سرعان ما تنتزع عندما يتم التركيز على المغرب القديم الذي يقول عنه "سترابون" أنه تميز بغابات غنية ذات أشجار عالية ومتنوعة، وأنها مجال استقرار القبائل الموربة التي تحصر تنقلاتها بين المناطق الداخلية والمناطق الجبلية.

ونظراً لأهمية قطاع الرعي في المغرب القديم فقد عمدت السلطات الرومانية إلى محاولة التحكم في هذا النشاط عن طريق الدخول في علاقات متباينة مع أهم القبائل الموربة التي تمارس هذا النشاط. هذا ما يكشف عنه ملف العلاقات التي كانت تربط روما بالقبائل الموربة والذي تبين مدى اهتمام الرومان بالمجالات الرعوية التي كانت مكملة للمجالات الزراعية، مما استدعى حنكة دبلوماسية سخرتها روما للتحكم في هذه القبائل التي بقيت تعتمد على التنقل والترحال.

D.-P. Kehof, *Pastoralism and agriculture, JRA*, 3, 1990, p. 386 - 398 ; J. Granet, *La loi agraire de 111 et l'élevage, Pallas*, 35, 1989, p. 141 - 153 ; L. Borson, *Aperçu de l'élevage bovin dans l'antiquité. Ethnozootechnie*, 32, 1983, p. 38 - 50 ; M. Ponisch, *Exploitations agricoles romaines de la région de Tanger, B.A.M.*, V, 1964, p. 243 - 252 ; A. Jodin, *L'exploitation forestière du Maroc Antique, Act., du 93ème Cong. Nat., des Soc. Sav.*, Tours, 1968, Paris, 1970, p. 415 ; J. Desanges, *Pliny L'Ancien, Histories Naturelles, Livre V*, 1 - 46, Paris, 1980, p. 148 - 149 ; L. Emberger, *Les limites naturelles de la forêt de Mamora. Bulletin de la Société des Sciences Naturelles du Maroc*, t. 9, 1929, p. 220 - 222 ; P. Boudy, *Economie forestière nord-africaine, 2. Monographie et traitement des essences forestières*, Paris, 1950, p. 102 - 125 ; M. Euzennat, *Le Limes de Tingitane. La frontière méridionale*, Paris, 1989 ; J. Ramin, *Atlas et l'Atlas, dans Annales de Bretagne et des pays l'Ouest*, 1977, p. 531 - 539.

سعيد البوزيدي



## الرعي والرعاة، حين تكون القطعان وافرة العدد في

مناطق تربية الماشية يعهد برعيها إلى أفراد تنحصر مهمتهم في السهر عليها. ويستلزم الرعي الانتجاع نحو المناطق التي يتوفر بها الكلاً، الشيء الذي يفترض التنقل عبر مجال غير مجال القبيلة صاحبة الماشية، مما يحتم ربط علاقات بين القبائل المعنية بالأمر تسمح بانتجاع القطعان طبقاً لقوانين أو أعراف يتفق عليها وطبقاً لنظام معين. فقد كانت تحدد مسبقاً مجالات الرعي، والطرق المؤدية إليها، والوقت المناسب لانطلاق القطعان نحو المراعي، والكثافة التي يمكن أن يتحملها كل مرعى. وكانت القبيلة (أو

يعترض صغار الكسابة على ولوج أجانب عن القبيلة إلى هذه المراعي. ذلك أن الرعي أصبح، أكثر فأكثر، يخضع لمنطق رأسمالي لا يعير أي اهتمام للأعراف التي كانت تنظم سابقا استغلال المراعي. كما أن شراكة الكسابة مع بعض المدينين يؤدي إلى تزايد الكثافة الحيوانية فوق نفس المساحة، مما يفقر الأرض ويعرضها للتصحّر، كما يعرض الماشية للتلف في أوقات الجفاف.

وبما أن كبار الكسابة يسعون إلى أن يوجدوا بمختلف المناطق التي بها كلاً وتكون بها الأثمان مرتفعة، ونظراً لكونهم لا يستطيعون مراقبة القطعان والرعاة بكيفية مباشرة، فقد أخذوا يلجأون إلى الشراكة مع صغار الكسابة الذين سيتحولون تدريجياً إلى مجرد عاملة في خدمة فئة تحتكر سرق الماشية واللحم.

Lefebure Claude, *Accès aux ressources collectives et structure sociale : l'estivage chez les Ayt Atta (Maroc)*, in Equipe Ecologie et Anthropologie des Sociétés Pastorales : *Production pastorale et société*, Cambridge, Paris, 1979, pp. 115 - 126 ; P. Pascon, *Etudes rurales. Idées et enquêtes sur la campagne marocaine*, Rabat, 1980.

عبد الجليل حليم

### الرعي والمراعي بالمغرب، المراعي أراض

هامشية لا تصلح للزراعة نظراً لعدة عوامل كقلة التساقطات المطرية، أو وعورة التضاريس، أو ضعف خصوبة أو سمك التربة، أو ارتفاع نسبة الملوحة، أو كثرة الأحجار...

تغطي المراعي المغربية حوالي 65 مليوناً من الهكتارات، 9 ملايين منها غابوية أو شبه غابوية. يقدر الإنتاج العلفي للمراعي سنوياً بحوالي 8.86 مليار من الوحدات العلفية (الوحدة العلفية تساوي كيلو واحد من الشعير)، أي ما يعادل 8.86 مليون طن من الشعير. يغطي هذا الإنتاج 70٪ من الحاجيات العلفية للماشية المقدر عددها بحوالي 22 مليون رأس.

تقسم المراعي إلى عشر مناطق، تتميز كل واحدة منها عن الأخرى بتركيبها النباتية وظروفها المناخية



يمنع على الراعي أن ينسب عنه شخصاً آخر، أو أن يترك القطيع وحده في المرعى أو أن يغير مجرى الانتجاع دون إذن من سيده؛ كما يتحمل كل ما يمكن أن ينتج عن مثل هذه التصرفات من عواقب كالسرقة أو كضياع في صفوف القطيع. كما كان عليه أن يساهم في الضرائب المؤداة عن القطيع.

العقد المبرم بين الكساب والراعي غير محدود في الزمان، إذ يستمر العمل به حتى بعد وفاة أحد الطرفين الشيء الذي يفسر ظاهرة الصحبة والعزابة. ولكن يمكن فسخه من لدن السيد، مما يجعل وضعية الراعي شبيهة بوضعية الحماس. ولا يمكن أن يفسخه الراعي إلا في حالات استثنائية كالذهاب إلى الحج أو الإصابة بمرض عضال.

بيد أن حق الراعي في الربح ومساهمته في الضرائب ومسؤوليته القضائية في حال سرقة أو ضياع في صفوف القطيع جعلته يتحول إلى شريك. بينما يلاحظ كذلك أن الهدية أخذت تتحول تدريجياً إلى أجرة.

في فترة الحماية قامت الإدارة الفرنسية بتغيير الاتفاقيات المبرمة بين القبائل والمتعلقة بالانتجاع الشيء الذي كان له تأثير على علاقات القبائل فيما بينها (كما هو الشأن مثلاً بالنسبة لبني مكيلد وبني مطير)، إذ ستضطر بعضها إلى التنقل نحو مناطق جديدة. كما عملت الحماية على تقليص مجالات الرعي وتحويل أجودها إلى أراضٍ فلاحية لصالح المعمارين الشيء الذي كان له تأثير نفسي وسياسي سلبي بالنسبة للقبائل التي أصبحت محرومة من جزء من أراضيها، فكان عليها أن تعيد النظر في علاقاتها السياسية الداخلية.

كما صاحب تقليص المجال الرعوي خصوصاً بعد الاستقلال، نمو ديمغرافي وكثافة على مستوى الماشية. فصار احتلال المجال لا يتم، كما كان عليه الشأن سابقاً، في إطار القبيلة وإنما يخضع لقرارات اقتصادية واجتماعية وسياسية تتخذها مجموعات متنافسة لكل منها رهاناتها الخاصة. وهكذا أصبحت تتحكم في المراعي مجموعة من كبار الكسابة، تستحوذ عليها، بل وتمنعها عن غيرها، وذلك على حساب صغار الكسابة والرعاة. أضف إلى هذا أن جزءاً من المراعي حول إلى أراضٍ فلاحية تنتج من أجل السوق، وبذلك سنصبح أمام تعدد وتشعبت بالنسبة للمراكز التي تتخذ القرارات المتعلقة بالرعي.

هكذا فإن جل الأراضي الرعوية - التي تفوق خمسة ملايين من الهكتارات فوق الأراضي الجماعية وخمسة عشر مليون هكتار فوق أراض تعتبر بدون مالك - غير خاضعة لأي قانون وتستغل عملياً من نفس الأشخاص الذين أخذوا يمتلكونها ولا يدعون منها إلا قطعاً صغيرة للرعاة وصغار الكسابة. بل إن هذه الفئة من كبار الكسابة، التي تحتل المراعي الجماعية وتنصرف فيها وكأنها ملك لها، صارت تفوتها كراءً لآخرين، مما يؤدي إلى نشوب نزاعات إذ

الأعشاب الحولية معتدلة الاستساغة أو الأنواع المعمرة قليلة الاستساغة بل سامة أحيانا.

يتجلى تقسيم المجال الرعوي بالمغرب في المناطق العشر المذكورة أسفله :

- الهضاب الشرقية ووادي ملوية :

تتمتد المنطقة على مساحة تقدر بـ 5.249.950 هـ. تشمل سهوب الحلفاء والشيع. يتغير إنتاجها الرعوي حسب التقلبات المناخية والظروف البيئية. فيتراوح سنويا ما بين 40 و150 وحدة علفية.

بفضل ممارسة الرعي طوال السنة تتمكن المنطقة من سد نلشي حاجيات القطيع. ويوفر الثلث الباقي من بقايا المزروعات والشعير وكسب الشمندر المجفف.

يتكون القطيع أساسا من مليونين من الحيوانات المجترة الصغيرة، 29٪ منها من الماعز والباقي من الأغنام. سلالة الغنم السائدة في المنطقة هي سلالة بني كيل التي تشتهر بتحملها للظروف المناخية القاسية، وبذلة لحمها. يقدر معدل الإنتاج السنوي للرأس الواحد بـ 16 كيلو من اللحم الحي و2 كيلو من الصوف. وهو أعلى إنتاج على الصعيد الوطني.

غير أن هذه المراعي عرفت في العقدين الأخيرين من القرن العشرين استغلالا مفرطا أدى إلى اندثار الأنواع ذات الأهمية الرعوية الكبيرة، وانتشار الأنواع قليلة القيمة الرعوية. إضافة إلى هذا تعرف المنطقة توزيعا غير متوازن للموارد المائية، الشيء الذي ينتج عنه عدم استغلال الموارد الرعوية بصفة متوازنة.

- الأطلس المتوسط : تبلغ مساحة المنطقة حوالي 1.213.050 هكتار. تشمل غابات الأرز والبلوط وماطورالات الشجيرات المختلفة الأنواع، والمروج. يتراوح إنتاجها الرعوي سنويا ما بين 240 و300 وحدة علفية في الهكتار. تساهم مراعي المنطقة بنسبة 70٪ من حاجيات القطيع. والباقي يوفره الاستغلال الفلاحي على أشكال مختلفة مثل التبن والحشيش المجفف والشعير والعلف المركز، وذلك في فصلي الخريف والشتاء المصادفين لفترة البرد وقلة العشب. وتجدر الإشارة إلى أن القطيع يمارس ظاهرة الانتجاع ما بين الجبل والدير.

كان يقدر عدد الماشية في سنة 1990 بحوالي 1.586.800 رأس، 85٪ منها من الأغنام التي تسودها سلالة تمحّضيت. يلاحظ أن نسبة الوفيات في صفوف الخرفان مرتفعة. الإنتاجية الحيوانية ضئيلة نسبيا، إذ تقدر بحوالي 11.4 كيلو من اللحم الحي سنويا لكل رأس من الأغنام و8.0 كيلو في ما يخص الماعز.

عرفت تربية المواشي بالمنطقة تغيرات جذرية أدت إلى اضطرابات في استغلال المجال. نتجت التغيرات عن نقص العقود القبائلية التي كانت تقن ممارسة ظاهرة الانتجاع، وتوسع مساحات أراضي المزارع على حساب المراعي. مازالت هذه التغيرات تعتبر مصدر النزاعات ما بين

والترابية. تشمل هذه المناطق غابات وسهوبا وأشكالا أخرى من المراعي. وهي إما أراض في ملك الخواص أو جماعية أو عمومية. وأكبرها مساحة هي أراضي الجموع التي تمتد على حوالي 11 مليون هكتار.

منذ زمن طويل كانت تربية المواشي بالمغرب تعتمد على الحيوانات المجترة الصغيرة، والترحل والانتجاع. الشيء الذي جعلها تتكيف وتتعايش في حالة توازن مع المجال الطبيعي لمدة طويلة. لكن أنظمة استغلال المراعي تغيرت كثيرا في العقود الأخيرة. حيث ازدادت الحاجيات من الموارد العلفية ومن الحطب وتقلصت مجالات الرعي، واستقر السكان بالمراكز، فاشتد استغلال المراعي المجاورة لها. وهكذا صارت الحموله الرعوية تتجاوز في أغلب الحالات ثلاثة أو خمسة أضعاف إمكانات المراعي. إضافة إلى هذا تعتبر سنوات الجفاف من العوامل التي تساهم في ظاهرة تدهور المراعي.

تتجلى أهمية الرعي الاقتصادية في مؤشراتته في مجال النسيج الاقتصادي الوطني. ففي السنة الفلاحية 1996 - 97، مثلت تربية المواشي 25٪ من الناتج الإجمالي الداخلي، و8٪ من الإنتاج الفلاحي الإجمالي، و8 ملايين درهم من القيمة المضافة. وكانت تضمن 20٪ من فرص الشغل في المجال الفلاحي، وتؤمن العيش لـ 18٪ من عدد المستثمرين الفلاحيين. كما يقدر عدد المستثمرين الفلاحين الذين يزاولون تربية المواشي بـ 1.100.123. وتنسب 30٪ من مساهمة تربية المواشي في الدخل الوطني إلى إنتاج الأغنام، و4٪ إلى الماعز.

أما في ما يخص أعداد رؤوس القطيع فإنها تتوزع على الشكل التالي :

السنوات	1974	1996	1998	1999
الأغنام	11.437.000	16.726.000	14.784.000	14.588.000
الماعز	4.230.000	5.703.000	4.959.000	4.704.000
الأبقار	3.211.000	2.383.000	2.569.000	2.565.000

يعود تطور أعداد رؤوس الأغنام والماعز إلى التقلبات المناخية وتأثيرها على كميات العلف وشمه، وكذلك الوفيات. إضافة إلى هذه التقلبات الحولية يلاحظ تقلبات فصلية.

من حيث الجوانب البيئية، تتميز المجالات الرعوية بتنوع كبير يجعلها متكاملة في ما بينها. الشيء الذي يمكن من قابلية استغلال مواردها العلفية.

من جهة أخرى مكنت دراسة المراعي من التعرف على حوالي 114 منظومة بيئية رعوية موزعة على 10 مجالات رعوية، يعيش فيها حوالي 4.000 نوع نباتي، أغلبها من



الجماعات المستغلة لنفس المجال. وتشكل نتائج هذه النزاعات عوائق حمة تحول دون تطبيق مشاريع التهيئة الغابوية والرعوية.

- الأطلس الكبير الأوسط والشرقي : تمتد المنطقة على مساحة قدرت بحوالي 2.269.750 هـ. يتكون الغطاء النباتي بغابات وماتورالات. يتراوح الإنتاج الرعوي السنوي ما بين 100 و240 وحدة علفية في الهكتار. ويغطي ما بين 60 و100٪ من حاجيات القطيع. يضمن تنوع الطبقات النباتية تمويها علفيا لمدة طويلة في السنة. لكن الاستغلال المفرط لهذه الموارد كان السبب الرئيسي في تدهورها.

قدر القطيع سنة 1990 بحوالي 934.000 رأس، 75٪ منها من المجترات الصغيرة. ترعى الماعز في الارتفاعات العالية بينما تبقى الأغنام في السفوح. يلاحظ أن نسبة الوفيات عالية عند صغار الماشية. تتراوح الإنتاجية لكل رأس ما بين 86 و14.7 كيلو من اللحم الحي بالنسبة للأغنام وما بين 5.5 و12 كيلو من اللحم الحي للماعز.

تتميز المنطقة بعزلتها خارج نطاق التنمية الاقتصادية والاجتماعية المغربية. وتتمثل هذه العزلة في الإنتاج التقليدي والاقتصاد الضعيف. إن تنوع الأنشطة قد يساهم في تخفيف الضغط الرعوي على المجال.

- الريف وهوامشه : تمتد المنطقة على مساحة تقدر بحوالي 916.550 هـ، تسود المنطقة غابات الأرز والبلوط والعرعر وماتورالات مشكلة نباتات مختلفة كالدم والقسستوس والمطران. يتراوح الإنتاج الرعوي سنويا ما بين 150 و500 وحدة علفية في الهكتار. وهو يغطي ما بين 57 و84٪ من حاجيات القطيع. ويعوض الباقي بما ينتج عن المزروعات.

يتشكل القطيع بحوالي 963.599 رأس. نصف العدد من الأغنام والنصف الآخر من الماعز. سلاسة الماعز محلية، وسلاسة الأغنام السائدة لبني حسن الموجودة بسهول الغرب. تتراوح الإنتاجية سنويا ما بين 12 و19 كيلو لكل رأس من الماعز وما بين 16 و18 كيلو لكل رأس من الأغنام. تفرّد المنطقة بوعورة المسالك وندرة الموارد العلفية في فصل الشتاء ونقص التأطير. وذلك ما يعيق كل محاولة للتنمية الاقتصادية.

- المعمورة والهضبة الوسطى.

تقدر مساحة المنطقة بحوالي 809.100 هـ. يتكون غطاؤها النباتي بغابات البلوط والعرعر والزيتون البري، وبماتورالات مشكلة بالدم والقسستوس، بالإضافة إلى الأراضي الزراعية. كما توجد بالمنطقة عدة غابات اصطناعية من الأوكالبتوس والصنوبر والأكاسيا. يقدر الإنتاج الرعوي سنويا ما بين 400 و500 وحدة علفية في الهكتار. تساهم المراعي الطبيعية في تلبية حاجيات القطيع بنسبة 59٪ مقابل 38٪ بالنسبة للمنتجات الزراعية.

كان عدد القطيع في سنة 1990 يقدر بحوالي

1.355.300 رأس، 90٪ منها من الأغنام. تتراوح نسبة الوفيات عند صغار الماشية ما بين 10 و26٪. تقدر الإنتاجية من اللحم الحي لكل رأس بحوالي 15 كيلو لكل رأس.

يعتبر نقص العلف في فصل الشتاء من العوائق التي تحول دون نجاح محاولة تنمية الرعي بالمنطقة.

- الهضاب والسهول شمال الأطلس :

تمتد المنطقة على مساحة تقدر بما يقارب 1.275.000 هكتار. يتكون الغطاء النباتي بتشكيلات من الجُنَبَات مثل الدوم والأعشاب الحولية أو البصلية بالإضافة إلى السدر. يتراوح الإنتاج الرعوي سنويا ما بين 100 و240 وحدة علفية في الهكتار. باستثناء بعض المجالات المروية، تتميز المنطقة بزراعة الحبوب المطرية وبتربية المواشي المعتمدة على الأغنام أساسا. يمارس الرعي في فصلي الشتاء والربيع. يقدم التبن للماشية في فصل الخريف. وترعى الماشية في الصيف ما بقي في الحقل بعد عملية الحصاد. يستعمل العلف المركز من كبار الكسايين. تساهم المراعي في تلبية حاجيات الماشية بنسبة تقارب 36٪. ويصدر الباقي عن المزروعات في الأراضي المروية.

في سنة 1990 كان القطيع يقدر بحوالي 2.220.400 رأس، 93٪ منها من الأغنام التي تسودها سلالة الصردى. تتراوح الإنتاجية من اللحم الحي ما بين 22 كيلو لكل رأس في تادلة، 11.2 في الشاوية، و19 في السراغنة. تتشكل العوائق التي تحول دون نجاح تنمية القطاع في الأمراض الناتجة عن ارتفاع نسبة الفليون في المياه وندرة المياه واتساع رقعة الأراضي المزروعة.

- الساحل الأطلنطي :

تمتد المنطقة على مساحة تقدر بحوالي 77.160 هـ. يشكل غطاؤها النباتي بأعشاب حولية وبصليات مرافقة للدم والكندول الذي هو نوع شجري قسي وخاص بهذا المجال. يتراوح الإنتاج الرعوي سنويا ما بين 150 و200 وحدة علفية في الهكتار. تستغل الماشية المراعي في فصلي الشتاء والربيع. وقد تصل مساهمة المراعي في تلبية حاجيات الماشية بنسبة 73٪.

كان القطيع يقدر في سنة 1990 بحوالي 1.071.000 رأس، 99٪ منها من الأغنام. تقدر الإنتاجية الحيوانية سنويا بحوالي 16.4 كيلو من اللحم الحي لكل رأس.

تعرف المنطقة نفس العوائق المذكورة أعلاه.

- تشكيلات أركان :

تمتد المنطقة على مساحة تقدر بما يقارب 1.459.550 هـ. يتميز غطاؤها النباتي بتشكيلات أركان ومحليا بتشكيلات العرعر. يتراوح الإنتاج الرعوي سنويا ما بين 115 و155 وحدة علفية في الهكتار. تتميز المنطقة بإمكانية استعمال مختلف الموارد العلفية الناتجة عن أشجار أركان. تساهم المراعي في تلبية 70٪ من حاجيات القطيع.

في سنة 1990 كان القطيع يتكون بحوالي 1.323.000 رأس من الحيوانات المجترة الصغيرة. ثلثا العدد للماعز والثالث الباقي للأغنام. الإنتاجية الحيوانية ضعيفة، إذ تتراوح ما بين 10.3٪ من اللحم الحي لكل رأس من الأغنام، و13.6 كيلو بالنسبة للماعز.

أما في ما يخص العرائق فإنها لا تختلف في مجملها عن التي ذكرت سابقا.

المنطقة شبه الصحراوية :

تمتد المنطقة على مساحة تقارب 5.666.950 هـ. يتميز غطاؤها النباتي بتشكيلات سهبية مكونة من الشيع والقطاف وأنواع أخرى. لا يتعدى معدل الإنتاج الرعوي السنوي 120 وحدة علفية. تساهم المراعي في تلبية حاجيات المنطقة من العلف بنسبة 91٪.

كان يقدر عدد القطيع في سنة 1990 بما يقارب 2.605.400 رأس، 60٪ منها من الأغنام التي تتكون من عدة سلالات مثل ساعرو، وسيروا والرَحالي والدَمَّان. تقدر الإنتاجية الحيوانية سنويا بحوالي 8.8 كيلو لكل رأس. وأعلى إنتاجية سنويا للصوف على الصعيد الوطني هي التي تعطيها سلالة سيروا وهي 3 كيلو لكل رأس. تعتبر شساعة المجالات من أهم العرائق التي تحول دون القيام بالتأطير اللازم.

الصحراء :

إنها أكبر منطقة إذ تبلغ مساحتها 46.552.450 هـ. يتميز غطاؤها النباتي بتشكيلات سهبية صحراوية وشجيرية ومحليا شجرية مكونة ن أنواع الطلح. إنتاجها الرعوي ضعيف، إذ لا يتعدى سنويا 30 وحدة علفية في الهكتار ما عدا مراعي وديان الطلح التي يصل إنتاجها محليا إلى 70 وحدة علفية في الهكتار. تعرف جل هذه المناطق تدهورا متفاوتا درجاته من منطقة إلى أخرى.

تفاديا لاستفحال تدهور المراعي، اتخذت الدولة منذ 1969 إجراءات لتهيئة واستثمار هذه المجالات شملت عدة مناطق. وذلك لتحسين إنتاجيتها وضمان استدامتها. لكن النتائج لحد الآن تبقى في مجملها غير مرضية. فمازالت أراضي الزراعة تتوسع على حساب المراعي، ومازالت المراعي تتدهور، ومازالت مشاركة السكان ضعيفة في برامج التهيئة.

Institut Agronomique et Vétérinaire Hassan II et Utah State University. *Stratégie de développement des terres de parcours au Maroc, phases I, II et III*, Rabat, 1993 ; Ministère de l'Agriculture et de Mise en Valeur Agricole. *Stratégie de développement des terres de parcours au Maroc. Schéma Directeur d'Aménagement des parcours*, Rabat, 1995 ; Ministère de l'Agriculture, du Développement Rural et des Pêches Maritimes, *Colloque national de l'agriculture et du développement rural*, Rabat 19 - 20 juillet 2000.

عبد الحى ابن عطية الأندلسي

ترجمة عبد المالك بنعبيد

**الرعييني**، أسرة أندلسية انتقل بعض أفرادها إلى فاس ومراكش ابتداءً من القرن السادس (12 م) ذكرهم صاحب بيوتات فاس الصغرى، واستمر ذكرهم - كما في رفع الالتباس - بفاس إلى عام 1635 / 1045 كما يرسم مكتوب على رق غزال، وكان لأحدهم بلاد بخولان (سيدي حوازم).

ابن الأحمر، بيوتات فاس : ع. ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون،

1 : 225.

**الرعييني**، **علي بن محمد الإشبيلي**، ولد هذا الأديب البليغ الناظم النائر بإشبيلية عام 592 / 1195. وكان سلفه يعرفون ببني الحاج نسبة إلى هيصم.

قرأ القرآن الكريم بالسبع والإدغام الكبير عن أبي عمرو بن العلاء علي أبي بكر القرطبي، ويقراء تي الحرميين، وبعضه بقراءة أبي عمرو علي أبي بكر بن عبد النور، وأكثر عنهما، وأجازا له. وأخذ بين سماع وقراءة عن أبي إسحاق بن غالب وأبائه بكر السقطي، وابن طلحة وابن قسوم ولازمهم.

توفي بمدينة مراكش سحر ليلة الأربعاء 24 رمضان 666 / 1267، ودفن عقب ظهره بجنانة الشيوخ مقاربا مقابلة باب السادة أحد أبواب مراكش. وكان الحفل في جنازته عظيماً لم يتخلف عنه أحد. ومن شعره قصيدة مطلعها :

علاك علتْ علوُ الشعْرَتَيْنِ مصادرة لأعلى المطلعَيْنِ

وأخرى مطلعها :

حيني إلى البيت العتيق شديدُ وشوقي إلى وادي العتيق يزيدُ

ع. الرعييني نفسه، مقدمة كتابه برنامج شيوخ الرعييني، تج. إ. شيوخ، دمشق 1962 : م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، س. 5 ق 1، ص 323 : أ. المقرئ، *نفع الطب*، تج. إحسان عباس، بيروت 1968، 1 : 311، هامش 1.

أحمد متفكر

**الرعيصني**، **علي بن نجمة بن يحيى بن خلف** الإشبيلي. سكن مدينة مراكش وروى فيها عن أبيه وأبي بكر عتيق الفصيح وأبي جعفر بن مضا وأبي محمد بن حوط الله.

كان متين الأدب، شاعراً مجيداً، كاتباً بليغاً، بارع الخط، كتب الكثير وراقة وإنشاء، وله : *اختصار متقن لكتاب أغاني الأصبهاني*.

م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، س. 5 ق 1، ص 414.

**الرعييني**، **محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمان** مُرسِيّ وشقيّ الأصل، سكن مدينة مراكش طويلاً وروى عن

أبي بكر بن أبي جمرة، وأبي عبد الله بن حميد وأبي القاسم بن حبیب وأبي موسى القزولي.

كان متحققاً بعلوم اللسان نحوياً ماهراً، وأديباً بارعاً، وشاعراً مجيداً، وكاتباً بليغاً، طيب النفس، حسن الأخلاق، جميل المعاشرة، فاضل الطباع.

درّس بمراكش وقرأ عليه بعض أولاد المنصور. له اختصارات في كثير من كتب العلم والأدب والتاريخ مثل : اختصار تفسير القرآن لابن عطية ومحكم ابن سيده ومطمع أبي الفتح وقلائده ومقدمات ابن رشد وغير ذلك. وكتب بخطه الكثير وتلبس في مراكش بعقد الشروط والشهادة. توفي بمراكش في حدود عام 620 / 1223.

م. عبد الملك، اللذيل والتكملة، ص. 6 / 96.

**الرعيّني، محمد بن سعيد المنعوت** أيضاً بالسراج الفاسي، شيخ محدث نفاع، أخذ عنه إسماعيل ابن الأحمر وآخرون.

توفي بفاس سنة 778 / 1376.

إ. ابن الأحمر، الفهرس، مخطوط : بيوتات فاس الصغرى : أ. ابن القاضي، جدوة : ع. ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون، 1 : 225.

**الرعيّني، محمد بن عبد الرحمن بن محمد الفاسي** الملقب بالركن. فقيه مشارك، ولي قضاء معدن عوام، قرب مدينة فاس. وتوفي سنة 598 / 1201.

ابن الأبار، التكملة : ع. السلام ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون، 1 : 225.

أحمد متفكر

الجزائر قرية تسمى رغبة اشتهر أهلها بالجهاد، ولا ندرى ما إذا كانت هناك علاقة لأسرة الرغاي بها. وأشار مؤلف الفهرس في عمود نسب الأدارسة بدون ذكر سنة، انتساب هذه الأسرة إلى الشرفاء لكن ذلك يحتاج إلى تحقيق.

ومن جهة أخرى يقال بأن أصل آل الرغاي الرباطيين من منطقة تسمى سيدي يعيش وغيغاية. ويصف محمد بوجندار هذه الأسرة بكونها من بيوتات العلم بالرباط، وأقدم من ذكرهم من أعلامها أحمد الذي كان فقيها وعدلا وخطيباً بمسجد مولاي سليمان وعاش في النصف الأول من القرن الثالث عشر (19 م). ولم يضبط بوجندار تاريخ وفاته إذ اكتفى بالقول بأن وفاته حصلت أواسط هذا القرن. لكن محمداً بن علي دبنية يقول بأن تاريخ وفاته كان بعد سنة 63 / 1280. 63 / 1864. وخلف ابنه محمداً الذي كان أديباً وشاعراً وتوفي سنة 1315. كما ورد اسم الظاهر الرغاي عند ابن زيدان أنه أخذ العلم عن عبد الرحمان بن محمد بصري المكناسي، ولم يثبت أصله ولا المدينة التي ينتمي إليها، ونعلم من ظهير مؤرخ في 7 ربيع 2 عام 1267 للسلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام أرسله إلى قائده الجبلاني بن بوغزة أن السلطان كلّف الظاهر الرغاي بحمل المال وقدره 13.592 مثقال إلى القائد المذكور قصد توزيع رواتب الجيش.

م. بوجندار، الاعتباط، ص. 50، ومن 208 إلى 218 : دينية، الانسباط، ص. 190، ومن 247 إلى 252 : ع. الرحمن ابن زيدان، الإتحاف، ج. 2، ص. 466. 498. وج. 5، ص. 18. 388 : م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، تح. العساري، ص. 149 : المريني العياشي، الفهرس في عمود نسب الأدارسة، طنجة، 1986 : روايات شفوية أدلى بها السيد محمد الأمين بلكتاوي وبعض آل الرغاي بالرباط.

**الرغاي، محمد بن أحمد** كان أبوه من فقهاء الرباط وعدوله وخطيباً بمسجد مولاي سليمان، أما محمد هذا فهو من مشايخ الرباط، درّس القرآن والحساب وفنوناً من الأدب، وكان شاعراً متمكناً من اللغة العربية، نسخ الكثير من الكتب مثل نفع الطيب ووفيات الأعيان والإحياء للغزالي، ونسخاً من شرح الغرناطي على الحازمية وأخرى من معاهد التنصيص، وكان يبيع من ذلك ما طلب منه بالتمن الغالي خصوصاً لأعضاء المخزن ممن كانت فيه أهلية من الوزراء والأهراء، وكان يهتم بتعليم الخط لكل من كان يقرأ عليه ويفرته أهبات الكتب، وما كتبه بخط يده الشاطبية ومنية ابن غازي ومختصر خليل. وكان يقصده كبار الطلبة ليأخذوا عنه الحساب الذي كان بارعاً فيه. وكانت له مساهرات مع نجباء الطلبة أمثال الشيخ عبد الرحمان لبريس وأخيه عبد القادر والشيخ محمد الوردغي، وكل واحد من أولئك كانت تعقد عنده جلسة ليلية بالتوالي وبحضور الشيخ الرغاي الذي كان يعرض على رفاقه

**الرغاي، أسرة** رباطية لها فروع، منها فرع في السراغنة إذ تصادف عند الضعيف شخصاً يحمل اسم سليمان الرغاي السراغيني أثناء الفتننة التي أعقبت وفاة السلطان مولاي إسماعيل، وسعى أبناء السلطان لاستقطاب الأنصار ضد بعضهم البعض مثلما فعل المستضيئ ضد أخيه مولاي عبد الله سنة 1158. كان الرغاي هذا قائداً للسراغنة في ذلك الوقت. ومنها فرع في جيش البخاري الذي أنشأه السلطان مولاي إسماعيل، مثل المختار الرغاي الذي توجه ضمن بعثة طلابية إلى إيطاليا على عهد السلطان المولى الحسن سنة 1291. ومنها فرع فاسي برز بالتدريس في القرويين كما برز في هذا الفرع الفاسي محمد الرغاي الذي عاش بالرباط وعمل كاتباً بالصدارة وبالأحباس، وولي نظارة أحباس مراكش وكان أبوه حبسوسيا. وله ترجمة في جريدة السعادة وترك تأليفاً لم يخرج إلى الوجود. ومنها فرع رابع هو الأكثر شهرة عاش بالرباط منذ مدة غير معروفة. ومن الجدير بالذكر أن في

المسائل المستعصية لمناقشتها واستجلاء غموضها، وكان يحفظ كتاب القاموس.

كانت للرغاي خزانة متوسطة مشتملة على أجود المؤلفات وغريبها، وجلها بخط يده، مع اعتنائه بمقابلة ما يستنسخه وإصلاح الأغلط، ومن شغفه بجمع الكتب أنه كان يستورد منها من مصر والشام ومن الهند حتى صارت له خزانة يضرب بها المثل، وبعد وفاته تهاقت عليها الطلبة، وأكثر هذه الكتب اشتراها بعض علماء الرباط، وجه بعضها لبعض البلدان، وكانت كتبه متميزة بتجليد خاص على نسق واحد، وعندما كان بفاس في بعض الخدمات السلطانية استحضر كتبه واستجلب عدة مجلدين إلى منزله مدة طويلة إلى أن انتهوا من تجليدها على نسق خاص عرفت بكتب الفقيه الرغاي لأنها معلومة بعنوانها المكتوب بخط يده المشهور.

كان بارعا في تجويد القرآن، وله معرفة بفن الأوقاف وسر الحرف أخذ ذلك عن أستاذه الظاهر ضاكة، كما أخذ عنه علم التنجيم وكان يميل إلى العزلة ولا يخالط إلا خاصته المذكورين قبل.

له أشعار منها قصيدة أنشأها في ختم السلطان مولاي الحسن صحيح البخاري، وقصيدة في مدح بعض علماء الرباط، وثالثة في مدح أحد أولياء الرباط المشهورين وهو سيدي الحسن بن سعيد.

توفي سنة 1315 / 1897 ودفن بالزاوية الناصرية بالرباط.

م. بوجدار، الاغتباط، الرباط، 1986، ص. 208-218.

### الرغاي، محمد بن التهامي.

ولد في العقد التاسع من القرن الماضي، تلقى العلم عن كل من إبراهيم التادلي وأبي حامد البطاوري والمفتي الجيلاني بن إبراهيم، أما بفاس فأخذ عن أحمد الخياط ومحمد القادري وعبد المالك الضرير والتهامي گنون والعباس التازي وغيرهم.

فقيه عدل وخطيب شغوف بالتعليم. زهد في خطة العدالة رغم فقره رغبة في تلقين المبتدئين وتكوينهم في العربية. بعناية كبيرة. تكوينا في البلاغة والمنطق والأصول والوضع، ومن هيامه بالمهنة أنه أسس مدرسة قرآنية علمية جدت معالم المدرسة المباركية التي تعد نواة المدارس العربية الحرة بالرباط.

كان يحرض الطلبة على النسخة التي كان يقول عنها إنها نصف المطالعة، ولكنه اهتم بنسخ بعض الكتب المطبوعة عوض أن يتجه إلى غيرها من المخطوطات العربية، وكان يغضب إذا شارك الطلبة في دروس غير دروسه لأنه كان يقول "إن التخليط من عوائق التحصيل، ومن فُتِح عليه باب قَلِيلِمْهُ". ومن مزاياه أنه كان يجمع تلاميذه بعد ظهر كل جمعة في بيته فيتهافتون على تقييد

قطع وقواعد له، وكذلك كان يقيم نزها للطلبة في عشية الخميس لا تقل فائدة عن نادي الجمعة.

له تقييد منها ختم أرجوزة الشيخ الطيب بن كيران في الاستعارة، وشرح على لامية الأفعال، كما أن له خطبا مختصرة قيمة.

توفي في 27 شوال 1358 / 9 دجنبر 1939 وأُقبر بمقبرة سيدي محمد الضاوي.

ع. الله الجبري، من أعلام الفكر المعاصر، الرباط، 1969، ج. 2.

### الرغاي، المختار البخاري من الطلبة المهندسين

الذين وجههم السلطان مولاي الحسن إلى إيطاليا سنة 1291 / 1874 رفقة عدد من زملائه مثل محمد بناني الفاسي وعبد السلام عينوس الأودي وذلك في إطار البعثات الطلابية التي أوفدها السلطان إلى البلدان الأوربية. وقبل أن يتوجه الرغاي لتعلم اللغة الإيطالية وتلقي الدروس الرياضية مكث مع أصحابه في طنجة لتعلم "مبادئ الألسن". وإذا كان ابن زيدان يقول بأن الرغاي مكث خمسة أعوام في إيطاليا فإن محمد المنوني يجعل مدة هذه الإقامة تسعة أعوام. وبعد مقدمه بمدة عينه السلطان في جملة موظفي دار السلاح بفاس فأُسند إليه وظيفة سامية إذ كان أحد المسيرين بها. ومن الجدير بالذكر أن دار السلاح افتتحت سنة 1309. وكان الرغاي يعمل تحت إمرة الكولونيل بريكليف الإيطالي الذي سبق للسلطان أن عينه مديرا عاما لهذه الدار.

ع. الرحمان بن زيدان، الإنحاف، ج. 2، ص. 466، ص. 498، طبعة سنة 1990؛ م. المنوني، مظاهر بقعة المغرب الحديث، الجزء الأول، يناير 1973.

عبد الإله الفاسي

### الرفاخة، موقع تاريخي جرت به معارك ضارية لمقاومة

الفرنسيين الذين احتلوا الدار البيضاء والشاوية قرب بلدة الكارة عند المجموعة القبلية المسماة المداكرة، بإقليم الشاوية شرقا، لا يبعد إلا قليلا عن الضفة اليسرى للواد المالح الذي يسير نحو مصبه بشواطئ المحمدية.



**الرفاعي**، أسرة رياضية أصلها من الأندلس، وأول قادم منهم إلى هذه العدة الشيخ أحمد الرفاعي الغرناطي، وهو ينحدر من سلسلة تصل إلى سيدي محمد كون جد أشرف بني كولان ذي القبر المشهور بواد زاء، يتصل نسبه بالمولى إدريس.

**الرفاعي، أحمد بن محمد بن محمد المدعو بالقسطالي**، من سلالة الشيخ أحمد الرفاعي القادم من الأندلس.

لتلميذه محمد بن التهامي شهادة فيها ذكر لأستاذه الرفاعي ولأبنائه وأشقائه وشجرة نسبه وهي مؤرخة بغرة ربيع الثاني 1243 ومن إمضاء العالم محمد المكي بن عبد الله بناني الرباطي. وقف على هذه الشهادة القاضي صالح الحكي فائلا بصحة جميع ما تضمنته شهادة العلماء، كان أحمد الرفاعي من العلماء والأدباء. له منظومة في علم الحظ وشرح عليها ضمنه الإشارة إلى علم الجدول الذي كانت له مهارة فيه أخذه عن أستاذه المعطي مريتو. ومن الذين أخذ عنهم الشيخ الرهوني والقاضي عمر بن العروصي.

كان الرفاعي ذا حظ جيد تعلمه على يد عبد السلام سبابة الأندلسي وعلى يد ابن عمه وأستاذه مولاي أحمد الرفاعي واستكمل ذلك على يد الشيخ العالم محمد التهامي العلمي الوزاني، وهذا الأخير أخرجه من فاس إلى داره بقبيلة بني ورياجل بمدشر الدردار بوادي ورغة بقصد الكتابة فكتب له كتبا عديدة خلال السنوات الأربع التي مكثها عنده، بعد ذلك انتقل عند الشيخ الكبير علي بن أحمد بن الطيب بن الشريف الوزاني الذي استدعاه إلى زاويته بوزان ليكتب له عدة كتب بدوره وذلك ما أخرجه صاحبنا خلال أربع سنوات أخرى وهي كتب في التصوف والمصحف الكريم. ومن عنده انتقل الرفاعي عند الوزاني المذكور محمد التهامي فأقام عنده مدة بوزان حيث كتب له التعديل، وبقي كذلك إلى أن وقع خطه في يد السلطان مولاي سليمان، فأرسل في طلبه واستخدمه كاتباً فكتب له تفسير الإمام البقاعي وعينه لتعليم أولاده ومنهم الأمير مولاي عمر، كما أقامه والياً على فاس مكان ابن عبيد المصدق سنة 1232 لكنه عجز عن القيام بهذه الوظيفة فعزله وولى مكانه الحاج محمد الصفار سنة 1233 فعاد لمرافقة السلطان مولاي سليمان وأولاده ولما اعتلى مولاي عبيد الرحمان كرسي الحكم وكان يعرفه ويقدر كبر سنه وعجزه عن الخدمة اتخذه لتأديب ولده مولاي أحمد.

له منظومة في صناعة الحظ التي اشتهرت في المغرب، وطلب منه أن يجعل لها شرحاً سماه حلية الكتاب ومنية الطلاب ورتبه على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة، وله أرجوزة، وشعر خاطب به الأديب ابن عمرو.

في إطار اكتساح الشاوية وغزوها بالقوة، تقدمت قوات عسكرية فرنسية في عهد السلطان عبد العزيز نحو الرفاخة التي وصلتها في الصباح الباكر من يوم 29 فبراير 1908، بقيادة ضابطين، كيرغولاي وروسو.

ولم يمض إلا وقت قصير من تلك الصبيحة حتى كان ردّ الفعل عنيفاً من جماعات من المقاومين، كل منهم ظل يعمل لحسابه ويسدد طلقاته إلى العدو، فكان على الغزاة يوماً عسيراً، فقدوا فيه أكثر من ثلاثين قتيلاً وما يزيد عن خمسين جريحاً.

وتوقف القتال بعد غروب الشمس، وانسحب المقاومون إلى جهات مختلفة ولم تشهد الرفاخة عراكاً في ما توالى من الأيام. وظن الجيش الفرنسي أنه هين على الموقف. لكن المقاومة نشطت بعد ذلك بأيام بدءاً من 8 مارس، واستمر العدو في تقييم خسراته وإحصاء قتلاه وجرحاه، الأمر الذي دفع بالجنرالين داماد وموانبي إلى إقامة شبكة من المراكز العسكرية المحصنة بالمنطقة. وعلى مقربة من الرفاخة، قتل الضابط بوشرون، فقرر داماد تغيير اسم الكارة المجاورة باسم "بوشرون" (Boucheron)، كما أقام في عين المكان لوحة تذكارية تحمل أسماء الضباط وبعض الجنود الذين لقوا حتفهم هناك في مختلف المواجهات، إلا أنها أُلقت بعد أيام. لكن بعدما استتب الأمر لسلطات الحماية، أقامت نصباً من الاسمنت والحجر منقوشة عليه تلك الأسماء، ببلدة الكارة / بوشرون وجعلته يتوسط مداراة بين الطرق فيها، ولم يزل قائماً حتى زال الاستعمار.

الشاوية، التاريخ والمجال، منشورات لجنة الشاوية، كلية الآداب بنسبيك، الدار البيضاء، 1997.

Dr. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, Rabat, 1947, pp. 169 - 173 ; L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939, p. 50 - 51.

أحمد بنجلون

**الرفاع، عبد الرحمان** مقاوم من مواليد سنة 1918 بحدوران ناحية الخميسات. دفعته غيرته الوطنية إلى الانضمام إلى صفوف المقاومة المسلحة حيث قام بعدة عمليات فدائية بالصحراء ببوعنان وبوذنيب والريش وكزامة، ثم الطاووس حيث سجن سنة 1951، وفي أواخر سنة 1954 انتقل إلى الخميسات مواصلاً عملياته الجريئة ضد المعمرين حيث كان مسؤولاً على فرقة تتكون من 13 فرداً قامت بعدة عمليات فدائية كإحراق مزارع المعمرين والحصول على مسدسات وتفجير القنابل، وإثر مشاركته في أحد الهجومات أُلقي عليه القبض حيث تم تقديمه للمحاكمة العسكرية.

توفي يوم 11 شعبان 1415/13 يناير 1995.

الندوية السامية لقداماء المعارين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال.

توفي عام 1256 / 1840.

م. بوجدار، الاغتباط، ص. 38، 48. م. دينة، مجالس الاغتباط، ص. 163، 165.

ترعرع محمد الرفاعي في فترة شائكة من تاريخ المغرب المعاصر حفلت بأحداث كانت لها تأثيرات هامة في اتجاهاته الفكرية والسياسية. فقد عاش الصراع بين السلطانين عبد العزيز وعبد الحفيظ واستقرار الأول بالرباط وما أثار ذلك من ردود فعل عند الأعيان وعمامة الناس. كما ظروف دخول الفرنسيين إلى الرباط وما تلا ذلك من تغيير جذري في الحياة العامة وما أثاره من قلق علماء العدوتين من التعامل مع "الكافر المحتل".

وبتأثير من أخيه الطاهر الرفاعي ثم بصفة خاصة من أستاذه ابن شعيب الدكالي والوطني الكبير أحمد الشرقاوي والشاعر والأديب محمد الجزولي تميز محمد الرفاعي عن كثير من أقرانه من علماء الرباط بدوره الإيجابي ومشاركته في الحياة الاجتماعية والعلمية بالعاصمة. وقد جعله ذلك ينخرط من العمل الوطني منذ انفجار قضية الظهير البربري في 16 ماي 1930 وأصبح أحد الأسماء الوطنية الفاعلة والظاهرة في فنة فقهاء وعلماء مدينة الرباط، مما جعله يكون في مقدمة الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال سنة 1944.

وكغيره من الموقعين، تعرض محمد الرفاعي لعنف السلطات الاستعمارية ولاضطهادها، وكما يذكر بعض أفراد عائلته ومعارفه من قداماء الحركة الوطنية، فقد حاولت السلطات الفرنسية الضغط عليه لسحب توقيعيه فقال رحمه الله للضابط وليطانتة من الجلادين : "لو وُجد السبيل لوقعتُ العريضة بدمي لا بقلمي". وقد كان مع الجيلالي بناني من أكبر الموقعين سناً على وثيقة المطالبة بالاستقلال.

وخلف ستار مهنة العدالة، ساهم الرفاعي في الحياة السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية بمدينة الرباط، وكان ينشر أحياناً بعض أفكاره وآرائه في جريدة الأطلس بدون توقيع. وفي أواخر أيامه اضطره الزمن الغادر للتوظيف بدافع الحاجة الملحة فتولى إمامة جامع باريز الذي كان يشرف على معهده ومرافقه وزير التشريفات قدور بن غريظ، إلا أن انحراف صحته وضعف بنيته لم يقويا على تحمل أجواء فرنسا وشتاتها الباردة، فلم يجد بداً من العود إلى مسقط رأسه متوكل الصحة. وإثر مرض عضال أعيا الأطباء علاجه التحق محمد الرفاعي بربه ليلة الخميس 21 محرم عام 1370 / ثاني نوفمبر 1950، ودُفن بصرح جده أبي العباس الكراري الرفاعي الكولاني الغرناطي بزنقة أبي العباس المتفرعة من السويقة بالرباط.

م. بوجدار، الاغتباط، بتراجم أعلام الرباط، الرباط، 1987 : ع. الجراي، من أعلام الفكر المعاصر : العربي المسطاسي، شهادة شفهوية، جلسة بمنزله يوم 27 أبريل 2001 : وثيقة المطالبة بالاستقلال، تراجم الموقعين، الندوية السامية لقداما المقاومين وأعضاء جيش التحرير، 1996.

عثمان بناني

**الرفاعي، الطاهر بن أحمد بن العباس** شخصية فذة في عالم الأدب مع أخلاق عالية وتحمس كبير للذود عن مبادئ دينه، وكان ذا حنكة سياسية وإطلاع واسع على ما يجري في العالم، كما كان عارفاً باللغة الفرنسية التي تعلمها ضمن الرعيل الأول من الشبان الذين درسوها بأول مدرسة فتحت بالرباط وهي ثانوية مولاي يوسف، وكان كفيف البصر إلا أنه من الوطنيين الغيورين ذو فهم وذكاء كبيرين. هو من الأشخاص الثلاثة الذين يعود لهم الفضل في فكرة إنشاء مدارس محمد الخامس بالرباط، توفي في 19 جمادى الأولى عام 1364 / 2 ماي 1945.

ع. الجراي، من أعلام الفكر، 2 : 310-313.

عبد الإله الفاسي

**الرفاعي، محمد (الحاج -) بن العباس الرباطي**، ولد بالرباط حوالي سنة 1304 / 1886. وتشير بعض الكتابات إلى أن عائلته هاجرت إلى المغرب من غرناطة وأنها تنتسب إلى الأدراسة من أهل البيت ( الاغتباط، 18).

تلقى محمد الرفاعي تعليمه الأولي في الكتابات القرآنية، ثم دروسه العلمية في مختلف الحلقات التي يعقدها العلماء أمثال أبي شعيب الدكالي وأبي حامد البطاوري والجيلالي بن إبراهيم وأحمد جسوس ومحمد العياشي ومحمد الرغاي.



عمل محمد الرفاعي في بدايته كاتباً في المخزن الشريف، وعندما لم يتحمل ظروف المهنة زهد في ذلك وتعاطى للتجارة الحرة، غير أن الحظ لم يساعده في أسواقها فاحترف خطة الشهادة ( أعلام الفكر، 2 : 125 ). وقد كان محمد الرفاعي عدلاً سيرزاً عرف بدمائة أخلاقه وطهارة ضميره واستقامته وسيرته الحميدة (العربي المسطاسي، شهادة شفوية).

**الرفروفي، عيسى بن سليمان عالم زاهد من أهل** قرية تاجنيت بتادلا، قام برحلة علمية واسعة إلى المشرق في أوائل القرن السادس الهجري (12 م) شملت عدة أقطار، أخذ خلالها عن الفقيه الشافعي الشهير أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي (ت. 507) ببغداد، والفقيه المالكي الشهير أبي بكر الطرطوشي (ت. 520) بالإسكندرية وغيرهما. ثم استقر بعد عودته بقريته تاجنيت متفرغاً للعلم والعبادة.

وكان من بين أعلام التصوف الأوائل في القرن السادس (12 م) بالمغرب. وانفرد بالحديث عنه ابن الزيات التادلي في التشوف وذكر أنه كان "من العلماء الأعلام"، ولم يذكر تاريخ وفاته.

ي. ابن الزيات، التشوف، تج. أ. التوفيق، الرباط، 1984، ص. 108.

محمد المرفاوي

**الرفقاس، يحيى** قائد شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان المتوكل وفر إلى أصيلا التي كانت آنذاك بيد البرتغال ومنها التحق بلبثونة حيث انضم إلى حاشية الأمير مولاي الشيخ ابن السلطان المذكور وظل بجانبه إلى أن اعتنق الأمير دين النصارى.

Archivo General de Simancas (España) : San Roman, Fr. Antonio de, *Jornada y muerte del Rey Don Sebastian*. Valladolid 1603 : I.M. de Queiroz Velloso, *Don Sebastian* (Traduccion Española por Ramon de Garcia sol). Madrid, 1943.

محمد ابن عزوز حكيم

### الرفاكي، أسرة ← الرفاكيون

**الرفاكي، أحمد بن محمد السوسي**. من أهم شيوخه والده المؤرخ الإغراري منه تمكن وأمعن في مختلف العلوم. وزار فاسا ولم يستغرق بها إلا وقتاً وجيزاً.

حاول أن يتبصر في علوم عصرية كالجغرافيا، وواكب إيديولوجيات سائدة في عصره، بل هو ميال إلى ما يوافق تكوينه وتربيته.

سجن سياسياً أسبوعين لكتابته رسالة استنكار ضد قائد قبيلة أكلو، كما كان له فضل كبير إبان الحماية في إدخال أهل المنطقة إلى حزب الاستقلال، مدينين كانوا أو عسكريين.

وعلى عهد الاستقلال كان رئيس الحزب مكرها بالقبيلة، إذ كان يتحاشى الظهور.

### الرفراف، طائر متوسط القد أزرق مخضر اللمعان

وجميل المنظر، يسمى في المعاجم مازور ورفراف وفي المشرق العربي صياد السمك وألو الرقص في مصر ومخيظ الماء أي خائظه في لبنان وفلسطين وسوريا. يصنف إلى رتبة الجواثم وفصيلة القرليات أو القاونديات Alcedinidae، يتميز بذب وقوائم قصيرة ويمتاز بطول جدا. يدعى علميا Alcedo Atthis وبالفرنسية وبالفرنسية Martin pêcheur d'Europe وبالإسبانية Kingfischer وبالإيطالية Martin pescatore.

طائر أسود المنقار طويله، أزرق الظهر والذنب أحمر البطن والصدر، أبيض العنق، عيناه محفوفتان جهة الخلف ببقعة بنية حمراء متبوعة ببقعة بيضاء. لون الجناحين أزرق رمادي، قوائمه بلون المرجان. يبلغ طول الجسم 16-17 سم ووزنه 30-45 غ وتبلغ بسطة الجناحين 25-28 سم؛ الإناث شبيهات بالذكور. يعيش منعزلا في أغلب الأحيان أو مزدوجا ويألف ضفاف الأنهار والبحيرات القارية والساحلية يقتات من أسماكها وبيض بداخل الجراف والجدران المجاورة لها.

طائر مستقر في المناطق الرطبة المغربية وخاصة منها البحيرات الطبيعية الأطلسية ومصبات الأنهار وضاية سيدي بوغابة وبحيرة مولاي بوسلهام المعروفة بالمرجة الزرقاء ومعظم خزانات مياه السدود المغربية. يعيش أيضا في شمال الجزائر وتونس وفي أوروبا الجنوبية والوسطى وآسيا الغربية، منه عدة مجموعات تشتت على مصب نهر النيل وفي البحيرات المجاورة له.

يتوالد في المغرب منذ مارس إلى غاية شهر غشت. يحفر الزوجان بواسطة المنقار غارا أفقيا وسط جدران عمودية مجاورة لضفاف الأنهار والبحيرات. يبلغ قطر الغار 5-6 سم ويتراوح طوله ما بين 60 و100 سم وينتهي بحفرة كبيرة غير مفروشة يوضع فيها البيض. يتوالد عادة مرتين في السنة وتبيض الإناث 8 بيضات بيضوية الشكل بيضاء يبلغ وزنها 5.4 غ ويبلغ طول قطرها 19 < 22.5 ملم. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 19-21 يوما. يعتني الأبوان بالصغار مدة أربعة أسابيع قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا.

يتغذى من الأسماك وأحيانا من الحشرات والقشريات. يأخذ مكانه على أغصان الأشجار أو على الصخور المظلة على البحيرة أو النهر ليقرب الأسماك من بعيد ثم يطير بسرعة فائقة ويغوص عموديا في الماء ليمسك السمكة بين شفتي منقاره ويعود إلى مكانه ليلتلع فريسته بكاملها أو يقدمها لصغاره.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 : أمين المعلوف، معجم الحيوان، مطبعة القنطف، القاهرة، 1932. H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of*

وعلى مستوى الوظائف امتنهن التعليم ثم القضاء، وكان من الأوائل الذين عينهم المغفور له محمد الخامس. ودشن عمله بأغلميم ثم التحق بمدينة أكادير "لحسن إدارته" وكان رئيس لجنة الأمانات بعد الزلزال.

وشهد له بالعدل، ولا يخاف في الله لومة لائم، كما أنه رفض مناصب سامية خوفاً من الوقوع في التجاوزات. وحاول أن يقرض الشعر ولم يفلح، وترك موجه ارتطم بموج القضاء الذي أخذ منه كل وقته. واشتهر بسبحات صوفية مُكثراً من زيارة المزارات.

توفي في 27 جمادى الأولى عام 1398 / 5 ماي سنة 1978.

**الرفاكي، محمد بن إسماعيل الإغراري.** تلقى تعليمه الأولي في إرغار وأيت جرار، وبعد أن أخذ عن عمه المدني التحق بمدرسة إيفلان لدى شيخها الحاج مسعود الوفاوي. وفي سنة 1946 التحق بكلية ابن يوسف بمراكش وأخذ بها شهادة الإجازة. وكان من أنجب الطلبة. ومن أهم شيوخه بها : محمد المختار السوسي ابن خالته، وعبد الوهاب الخلفي الدكالي المعروف بالصحراوي. وعبد السلام جبران المسفيوي، والرحالي الفاروقي في البلاغة وعلم الأصول، وآخرون. على يد هؤلاء الأباذل تمكن المترجم من ناصية العلوم خاصة الفقه وعلم الأصول. وقد غادر مراكش مكرها - مثل أخيه المذكور أعلاه - سنة 1950 لأسباب سياسية.

فقد كان دخوله لحزب الاستقلال مبكراً منذ وصوله إلى مراكش، وكان عضواً مسيراً نشيطاً. وساهم في بناء وتسيير المدرسة الحسنية الحرة بأكادير ومدارس أخرى بجهة سوس إلى جانب أقرانه كالحبيب الفرقاني.

كان هذا النشاط سبباً مباشراً في سجنه بسجن العاذر مدة غير قصيرة، وبعده نُفي إلى قريته إرغار وحوصر نشاطه السياسي. وبعد حين تمكن - رغم المراقبة - من السفر إلى فاس متنكراً بمزاولة مهنة السياقة لدى العائلة الشراقوية الفاسية.

ومن الوظائف التي زاولها : التعليم غداة الحماية ثم القضاء بعد الاستقلال. إذ أمسى حاكماً مفوضاً بتيزيت ثم بأغلميم، وأنيطت به شؤون جيش التحرير لفترة وجيزة (56 . 1957).

بعدها احتفظ بمنصب القضاء إلى سنة 1970 حيث تلقى تكويناً مكثفاً بمعهد القضاء بسلا عاماً ونيفاً. وكان من العشرة الأوائل، وكان خريتا في القانون الجنائي.

وقد خول له هذا التكوين التدرج في المراتب القضائية، وكان آخرها منصب وكيل الملك. وألقى عصا تسياره بمدن عديدة : أغلميم، تارودانت، غرسيف (بزوا)، انزكان وأكادير.

وكان أيضاً شغوفاً بالقراءة، لكنه - مع الأسف - لا يُعبر

للكتابه أي اهتمام، وكنت ألع عليه في كتابه مذكراته، لكن هيات.. وكان يتحاشى الحديث عن مساهماته في الحركة الوطنية.

ورث خزانة جزء منها مخطوطات فقهية وكنائش والده التي هي جديرة بالدراسة لقيمتها التوثيقية. ومن حسن الطالع أنه أضاف إليها كتباً معظمها مطبوعات وموسوعات.

كان محمد بن إسماعيل أرفاك اجتماعياً، تقلب في الحياة بطريقتها وتليدها، حسن المعاشرة، يألف ويولف. وما يعجبه فيه تأصيله للنصوص الفقهية وتحيينها في نفس الآن، مما يجعله على الدوام، مخاطباً طبعاً لمختلف الفئات العمرية والثقافية. بالمقابل كانت له جرأة لافتة للنظر.

توفي بعد مرض عضال يوم الجمعة 18 شعبان عام 1418 / 19 دجنبر 1997 صباحاً، ودفن بمقبرة إوحاش بتالبرجت القديمة بأكادير. وحضر تأبينه شخصيات ذات صيت رسمي وسياسي وعلمي.

### **الرفاكي، محمد بن إسماعيل الإغراري، نشأ**

وتعلم بقرية إرغار، وبعدها أخذ العلوم الأخرى بتازروالت على يد الشيخ عيسى الجاروي، ثم مكث قليلاً بمدرسة سيدي بوضحاب برأس الواد عند الشيخ سيدي عبد الله أو الفيض.

وبعد أن أخذ عن عمه المدني التحق بجامعة ابن يوسف سنة 1947، وبقي بها إلى أن حصل على الشهادة الثانوية. لكن نشاطه في الحركة الوطنية فرض عليه الهروب إلى بلده الأصلي، زمن الأكلواي الذي كان أعوانه يلاحقون الطلبة الوطنيين.

كانت له ميولات في علمي الفقه وعلم التوقيت، وفي الثقافة العامة. بيد أنه لم يمتحن إلا وظيفة التعليم وكانت له طرق تربوية تفرّدها بها في وسط الأكلويين والتزنييين.

وحين كان المقاوم عبد العزيز الماسي قائداً بملحقة أكلو فرض عليه قبول منصب مشيخه أكلو.

ولم يحل هذا المنصب من فقدان الصيت بين بلديه، حيث يشهد له معاصروه بحسن التسيير والتدبير والتوفيق بين متطلبات الإدارة ومتطلبات السكان.

غرق في البحر المحيط خلال النصف الثاني من ذي الحجة عام 1385 / أبريل 1966، وقد كانت جنازته خير دليل على صيته، إذ انتظرت وفود كثيرة من قبيلة أكلو ومضاربها أياماً بليلاً ونهاراً، حتى لفظه البحر الذي ابتلعه، وقد كان - رحمه الله - مولعاً بصيد السمك.

### **الرفاكي، المدني بن أحمد بن محمد الإغراري،**

ترجم له محمد المختار السوسي، وذكره عرضاً المقاوم الأستاذ عمر الساحلي. نشأ في دار أخيه المؤرخ الإغراري،



وأخذ عنه، ولازمه ولم يتجاوزته حتى تخرج. وكان له نصيب في مختلف العلوم وعلى رأسها الفقه. وخولت له هذه المكانة المشاركة في مدارس عديدة بماسة وهوارة وتازروالت وشتوكة وغيرها. وكان اصطدامه ببعض الطرفين سببا في هذه الانتقالات.

وهو من الموقعين لعريضة "استنكار ما يحاك ضد عاهل المغرب المغفور له محمد الخامس بزعامة الأكلوي". وكانت هذه المبادرة بقيادة مولاي سعيد الرداني. وحين ضبظت اللاتحة بطريق تمار بحاحة، طرد المترجم من وظيفة الشرط بسيدي ببيبي على يد الضباط الفرنسيين. من تلامذته أفراد من أسرته ومن أقرانهم، مثل عبد الرحمن أرفاك الشاعر والأديب صاحب الديوان الشعري، والحسين وجاج رئيس جمعية علماء سوس، والحسين بو العاقل التالوستي الجرازي؛ أحد شيوخ المدارس العتيقة بسوس. توفي في ثالث شعبان عام 1392. 1972 / 9 / 13.

**الرفاكيون.** يعرفون في الوسط السوسي بإرقاكن، مفردة أرفاك. من مهرة تجار القوافل. تناط بهم مهام كثيرة منها : قيادة القافلة والسهرة على ضمان ضرورياتها من خفر ومن حمولة ومناخ، وبهم يُهتدى في المفاوز والقفار والمسالك.

كما أنهم خبراء بشؤون البيع والشراء من ربط وعهد أو عقد وتواصل وما إليها.

وقد يبدو أن هذه الوظائف لا نجدها مجتمعة في معظم الرفاكيين إلا لماما، لذلك يحصرها اللغويون عادة في وظائف ثلاث لا غير وهي : الجمال والمُكربي والحادي.

إن وظيفة "ترفاكت" عرفت تطوراً واكب تطور التجارة القافلة بسوس، وواكب تداخلات الأفراد والقبيلة والمخزن. ولاصراً في أن الرفاكي اعتمد على علاقاته العائلية والمصلحية قبل كل شيء. فأثناء تنقلاته يستعين بها في الإيواء والإقامة من كلف المئونة والعلف وغيرها.

بالمقابل يستفيد من الحماية التي يوفرها له القواد والشيوخ، إذ تتوفر بعض العائلات القيادية، ذات نفوذ تجاري مثل الإيليغيين والتمنارتيين والكلصيين على روزنامة من مراسلات تبودلت بين قيادات سوس وشيوخها يلحون فيها على شد عضد بعض التجار بتوفير الحفر لهم وإيوائهم. وقد لاسنا كثرة تداولها في الجهات التي لا تنالها أحكام المخزن عادة. إضافة إلى استعانتهم برؤساء الزوايا لما يتمتعون به من أروية التوقيع من المخزن والسكان على السواء.

ولا شك أن المخزن المغربي اهتم بضبط أمن المسالك التجارية من خلال التكتير من "النزائل" لا استخلاص الرسوم على البضائع التجارية. وتخترق "الطريق السلطاني أو المخزني" التي يطلق عليها محلياً "تبريدا المخزن". ويفيد الشيوخ أن عرضها أربعون ذراعاً، احتفظ على معالمها إلى

عهود متأخرة، بينما الآن - مع الأسف - انحى أثرها وغزاها الحراثون والملاكون.

ويبدو أن وجود المخزن الفعلي اعتراه وهن في مناطق السوس الأقصى. لذلك - حسب ما تفرغ لدينا من معلومات - ركز وجوده ببعض الحواضر والقبائل الكبرى : تارودانت، أكادير ومضاربيها : گسيمة ومسگينة، اشتوكة، هوارة..

يبد أن هذه السياسة تغيرت تدريجياً أثناء حركتي المولى الحسن 1882 و 1886، إذ أسى وجود الأجهزة المخزنية أكثر فعالية من ذي قبل. لكنها لم تصل إلى المستوى المطلوب لمواجهة كل التهديدات الأجنبية بالجنوب.

فقد لاحظنا التكتير من دور المراقبة في المنافذ معتمدة على التزود بالمواد البشرية / العسكرية والمؤن من الإدالات السوسية بمراكز : تارودانت وتزنيت - بعد سنة 1303 هـ - وأيت باعمران واشتوكة، مع التركيز على موارد الصورة وحاجة التي هي عصب التنوين على الدوام.

من خلال هذه التحولات غدت مصالح عائلات تجارية مرتبطة أشد الارتباط بالوجود المخزني مثل عائلات إليخ وآل بيروك وآل تمنارت وعائلات رودانية واشتوكية وغيرها. بل إننا لا مسنا لأول مرة - حسب اعتقادنا - استفادة بعض الأسر من "ظهير الرفاكة" الذي تجاوز الطابع العام الذي يخوله ظهير التوقيع والاحترام.

فأثناء نزول المولى الحسن بمكان أمزور بقرية إكرار قبيلة أكلو، منح الأسرة الإكرارية ظهير الرفاكة.

وغني عن التذكير أن المحلة السلطانية سنة 1299 / 1882 نزلت بالمكان المذكور سبعة أيام، وزع خلالها السلطان ظهائر التوقيع والتولية لفائدة رجالات السوس الأقصى. ولم يكن والد المؤرخ الإكراري المشهور، صاحب روضة الأفنان، من المحظوظين، بينما ابنه استفاد مثل أقرانه من العلماء، إذ لم يكن حظ والده من العلم إلا قليلاً. لذلك أشار - والعهد على الرواية المحلية - على السلطان بظهير الرفاكة.

وقد اقتقدنا - مع الأسف - النص الأصلي لهذا الظهير، وثمة ثقة من أبناء المؤرخ يؤكدون أن أهمية الظهير تكمن في إعفاء حامله من الرسوم إعفاء تاماً. بل حتى من يرافقه في الظهير عبارة "ومن معه". فضلاً عن ذلك يناط إيوؤه - أو إيواء مرافقيه - بالقبائل التي يمر بترباها.

ويبدو أن الأسرة استفادت من ربط علاقات تجارية وحميمية مع مثيلاتها بأيت باعمران وتزنيت ومضاربيها وانتهاء بالصورة: بينما علاقاتها مع "التجارة الصحراوية" لم تذكرها الرواية بالمرّة. وغني عن البيان أن هذه التجارة الأخيرة اعترها وهن نتيجة تضرر التجارة السودانية من الاحتلال الفرنسي لمجالها.

بالمقابل أسى إشعاع السلطة المخزنية بالجنوب المغربي في تناقص مستمر بعد زمن الكلولي والباشا حم، حيث

دخلت القبائل السوسية في اضطرابات كان لها وقع سيء على التجارة.

وقد لفت انتباهنا وثيقة مؤرخة بـ 23 رمضان 1322 / فانتج دجنبر 1904، من توقيع المدعو الحاج علي الذي لا نعرف عنه أي شيء. ومن مقاصدها تنظيم دخول الرفاكين والمسافرين إلى قصبة تزنيتم.

وتشير هذه الوثيقة إلى ما يتعرض له هؤلاء من نهب وسرقة مما يطرح إشكالية الأمن أثناء ضعف الوجود المخزني زمن المرصيري. بل إنهم يتعرضون لشطط على يد بعض الشيوخ والعرفاء المحليين "إنفلاس". ولدرء هذه الاعتلالات فُرض على الرفاكين النزول بفندق منصوب داخل سوق الخميس بالمدينة، مدعم بمحلة مخزنية تحميهم من كل أفة.

إلا أن هذه الاجراءات - على ما يبدو - لن تكون لها فعالية نتيجة ضعف المركز منذ وفاة الوزير أحمد بن موسى، كما أن الظواهر المخزنية فقدت هيبتها ومفعولها. لذلك لا غرو أن الرفاكين اعتمدوا من جديد على أرصدهم المالية والمعنوية والعصبية.

ومع دخول الحماية الفرنسية تغيرت البنى التقليدية المعتمدة من ذي قبل، وتغير أسس التجارة، وفقد معظمهم مراكزهم، واحتفظ جزء يسير منهم بوظيفتهم بعد تغيير الخطى واندماجهم في الوضع الجديد.

رواية شفوية لثقافة علي رأسهم العم العربي أرفاك، والوالد عبد الرحمن : م. شفيق، المعجم العربي الأمازيغي، الرباط، 1990، الجزء الأول، ص. 255 و716 : م. المختار السوسي، الممسول، 13، خلال جزولة ومصادرة الأخرى : م. بن أحمد الإكراري، روضة الأفتان، تح. حمدي أنوش، طبعة 1998، كنانة الإكراري : إ. بن أحمد الإكراري، كنانته : ع. الساحلي المتوكل، المعهد الإسلامي بتارودانت، الدار البيضاء، 1990 : مقال بجريدة "المنظمة" ع 178 بتاريخ 29 شعبان، 1418، موافق 24 دجنبر 1997، (حول الوطني محمد بن إسماعيل أرفاك)، مقالتنا المختلفة حول تاريخ سوس. شفيق أرفاك

**رفوال پول** Révoil Paul موظف من موظفي السلك الدبلوماسية الفرنسي قام بالأدوار الطلائعية في شبك النفوذ الاستعماري الفرنسي على المغرب في السنوات الأولى من القرن العشرين. وكان من واضعي الخطة المعروفة بخطة "التسرب السلمي" (La pénétration pacifique)، حسبما قال أوجين أوبان Eugène Aubin صاحب كتاب مغرب اليوم الصادر سنة 1904، وذلك للتبليس على "البلهاء الاشتراكيين" في البرلمان الفرنسي وإخفاء الزحف الاستعماري من جهة الجزائر المني عي "الباسفكاسيون المتسرب" (La pacification pénétrante) على حد قوله.

وُلد رفوال پول يوم 23 مايو 1856، واشتغل بالمحاماة في محاكم باريز بعد الحصول على الإجازة في الحقوق. ثم

إنه التحق بديوان نائب كاتب الدولة في البحرية والمستعمرات، فاطلع لأول مرة على قضايا التوسع الاستعماري وذلك سنة 1886. وتصلع فيها حتى صار الكاتب العام للمجلس الأعلى للمستعمرات. ثم إنه انتقل إلى ديوان وزير الفلاحة فيما بين 1890 و1893. مما يفيد اتساع خبرته وشبكة ارتباطاته السياسية التي ألحقت بوزارة الخارجية، حيث عين قنصلا عاما على غير سبيل السلم التقليدي في التعيينات. وفي سنة 1895، انتقل إلى رتبة الوزير المفوض ليكون نائب المقيم العام الفرنسي في تونس. فتعززت خبرته الاستعمارية بالعمل الميداني في إفريقيا الشمالية. ولذلك أسندت له رئاسة المفوضية الفرنسية في المغرب بطنجة في فبراير 1900 خلفا لـ (دي مونبيل De Monbel). وقد اختاره لهذا المنصب وزير الخارجية ديلكاسي الذي جعل نصب عينيه، منذ تربيته على كرسي الوزارة سنة 1899، إلحاق المغرب بباقي المغرب العربي المحتل بكل ما يسنج من الوسائل. وكانت أول خطوة في هذا الاتجاه، احتلال واحات تدكلت يوم 28 دجنبر 1899 والشروع في ضم ما يتصل بها من واحات توات وكورارة إلى الجزائر المستعمرة. وكان من مهام رفوال في طنجة ممارسة شتى وجوه الضغط الدبلوماسية على المسؤولين المغاربة ليسكتوا عن ذلك الغزو الصارخ وليكرسوه ويستسيغوه تحت أنظار المغاربة وتحت أنظار الرأي العام الدولي. وذلك ما انكب رفوال على السعي فيه وإخراجه إلى حيز النفوذ، علما بأن الوزير الحاج أحمد بن موسى (الملقب ببا احماذ) توفي فجأة في ماي 1900. وأصبح المغرب بعد وفاته عرضة لتنافس الوزراء على السلطة. مع عجز السلطان الشاب المولى عبد العزيز عن القبض بناصيتهم والتحكم فيما صار يدخل الجهاز المخزني من الاضطراب، فوقع تحت تأثير بعض حاشيته من الضباط الانجليز الذين نصحوا له بفتح باب الإصلاح بدون حيلة ولاحذر، مما تتيج رفوال كل تفاصيله عن كئيب وظل يرفع به التقارير للوزير ديلكاسي. من ذلك ما كتب له به بتاريخ 4 فبراير 1901، مشيرا انتباهه إلى ما أصبح لمثلي إيجلثرا وألمانية من النفوذ لدى المولى عبد العزيز، ومنتذرا باحتمال انفجار أزمة سياسية في المغرب من شأنها في قوله : "أن تهز أركان الامبراطورية برمتها وأن تفتح بفتة المسألة المغربية". ثم أضاف متسائلا : "أليس في ذلك ما يحملنا على التساؤم أكثر مما يحملنا على التفاؤل ؟ ذلك بأننا كنا نسعى إلى حد الآن في أن نظل متمكنين من اختيار اللحظة التي تطرح فيها هذه المسألة على بساط الدرس، متمكنين من شروط التفاوض بشأنها ومن كيفية حلها. فلا ينبغي أن يعزب عن أذهاننا أن اقتحامنا لتوات قد زاد بشكل ملموس في إتضاح المسألة المغربية. وما كان احتلالنا لتلك الواحات [...] إلا ليزرع بذور القلق في المخزن ويشير انتباه الحكومات الأوروبية، وذلك بما دخل من التغيير على ما كان التوازن السياسي

في المغرب قائما عليه من قبل [...] فتحن اليوم تحت مزيد من المراقبة بما أصبح يخشى من جانبنا، ومهددون من جهتين، فإما أن نزيد في حدة القلق إذا نحن دأبنا على تعزيز تسربنا، وإما أن نتفهم عن المواقع المكتسبة إذا نحن التزمنا السكنون إقراطا في الحذر". ويبدو أن هذا التقرير كان له أبلغ الأثر على ديلكاسي، وأنه هو الذي حملته على فتح باب التفاهم مع المحتلرا بخصوص المغرب. كما يؤكد ما قاله أوجين أوبان من أن رفال هو صانع شعار "التسرب السلمي"، فهو الذي وكل به أمر بلورته في عين المكان. وكان ذلك يقتضي أول ما يقتضي، إضفاء صبغة المشروعية المغربية والدولية على انتزاع واحات توات وقطعها عن كل ما كان يتصل بها من أقاليم الجنوب الشرقي المغربي، وذلك بحمل المخزن على إمضاء وقفين محققين، أولهما وقعه وزير الخارجية المغربي عبد الكريم ابن سليمان يوم 20 يوليوز 1901 في باريس لدى سفارته إلى فرنسا. والثاني وقعه نائبه محمد (فتحاح) الجباس (يعقد الجيم) في الجزائر يوم 20 أبريل 1902. والوقفان كلاهما من حيك رفال ومن صياغته، ذلك بأنه هو الذي تفاوض مع عبد الكريم ابن سليمان بشأن الوفاق الأول. فقد كان في رفته لدى سفارته إلى باريس، ليس بصفة كونه وزير فرنسا المفوض في طنجة، ولكن بصفة الوالي العام على الجزائر بعد أن وقع الاختيار عليه لذلك المنصب في شهر أبريل 1901 ليجتمع بيديه كل وسائل الضغط على المغرب ولتتحول "التسرب السلمي" إلى "باسيفيكاسيون متسربة". وكان وفق يوليوز 1901 ستارا ديبلوماسيا لذلك بما تقرر في بنوده التسعة من اعتراف المخزن الضمني بالحاق واحات الجنوب الشرقي المغربي بالجزائر المستعمرة، ومن التذرع بمبدأ حرية النجعة لقبائل ذوي منيع وأولاد جرير لطمس قضية الحدود بين الإيالتين وجعل السلطات الفرنسية تضم إلى واحات توات كل الأقاليم المغربية المؤدية إليها عبر بشار والقنادسة ووادي الساورة. وكان على رفال، وقد أصبح واليا عاما على الجزائر أن يجعل من هذه الاتفاقية التي أقيمت في الظاهر على مبدأ تعاون الجانبين من أجل تسكين قبائل الحدود، إلى وسيلة لإثبات تفوق الجانب الفرنسي المتغلب على الجانب المغربي المغلوب. وذلك ما جاءت اتفاقية أبريل 1902 الموقعة في الجزائر بين محمد الجباس الأنف الذكر والجنرال كوشمير Cauchemez بكل جزئياته المحققة. وكان هذا الجنرال، وهو قائد الجيوش الفرنسية المرابطة على التخوم الجزائرية المغربية، إنما يعمل بأمر رفال وإرشاداته. وقد انتهز رفال الفرصة ليستقطب الوزيرين المغربيين المذكورين لمصالح فرنسا، ساعده على ذلك الترجمان قدور ابن غريبط الذي جعله رفال من يوم تعرف عليه في مفوضية فرنسا سن الرمح في خطة "التسرب السلمي". كما يعتبر رفال ممن كان له يد في إذكاء فتنة بوحمارة الذي كان معروفا لدى السلطات الفرنسية في الجزائر، حيث قضى فيها شيئا من

الوقت يتمرس على أعمال التدليس والشعوذة. وقد انطلقت ثورته في أكتوبر 1901 يوم كان رفال صاحب الحبل والعقد في الجزائر. وكان في حاشية هذا الفتان المدعو ديلبرل Delbrel وهو من الجواسيس الفرنسيين المتسربين من الجزائر. ومما يذكر أيضاً من مناورات رفال، أنه عاد إلى طنجة في شتنبر 1902 في زيارة عابرة ليلتقي بخلفه في المفوضية الفرنسية سان - ريني طايانديه Saint-René Taillandier ويول كامبون Paul Cambon سفير فرنسا في لندن الذي كان من دعاة التفاهم مع المحتلرا ومن صناع الوفاق الودي بينها وبين فرنسا.

على أن قدم رفال سرعان ما زلت به في الولاية العامة على الجزائر، ذلك بأنه ساير المعمرين المتطرفين في أقصى مطالبهم، فأحدث محاكم استثنائية خاصة بالجزائريين تفصل فيما يرتكبون من الجنح بما يطيب للقضاة المعينين من الأحكام، ولا سبيل فيها للاعتناق. فثارت ثائرة أنصار الفكر الحر في البرلمان الفرنسي، وألزمت الحكومة بعزل رفال عن منصبه، فعاد إلى وزارة الخارجية في باريس مكلفا بمهمة. ولم يعد اسمه يذكر إلا بعد استقالة الوزير دلكاسي نزولا عند ضغط الحكومة الألمانية في يونيو 1905، ذلك بأن خلفه على كرسي الوزارة كان هو رئيس الحكومة بول روفيه Paul Rouvier الذي كان عديم الخبرة بالمسألة المغربية وله ميل شديد إلى التفاهم مع ألمانيا. فوجد في رفال خير من يساعده في كلا الأمرين. فإن خبرة رفال بشؤون المغرب ورجالاته كانت من الدرجة الأولى. وكان من جهة أخرى معروفا بعدم مسابريته لما كان دلكاسي يكتنه من العداة لألمانيا، فإنه قال عنه ذات مرة: "المصيبة هو أن دلكاسي نافر كل النفور من التباحث مع ألمانيا، لأن الألمان على حد قوله مطويون على المكر". وكان دلكاسي من الجيل الذي عاش الهزيمة الفرنسية أمام الجيوش الروسية سنة 1870 ولم يكن لينساها. بينما ينتمي رفال وريينو وأضرابهما إلى الجيل الذي نشأ بعد الهزيمة فكانوا ينظرون إلى الألمان في المغرب على أنهم شركاء أكثر مما هم منافسون. وعلى هذا الأساس ألحق رفال برئاسة الحكومة ليقوم بالأدوار الطلائعية فيما جرى من المباحثات بين بول روفيه ورادلين Radolin سفير ألمانيا في باريس. وقد أسفرت تلك المباحثات يوم 8 يوليوز 1905 عن تبادل رسالتين بين الجانبين تثبتان اتفاقهما على عقد مؤتمر دولي لفك المسألة المغربية، وترسم الخطوط العريضة لعقده، منها سيادة السلطان ووحدة تراب المغرب والمساواة بين الدول في استغلال السوق المغربية ومصالح فرنسا وإسبانيا الخاصة الناجمة عن الجوار. كما أسفرت يوم 28 شتنبر من نفس السنة على وفق يحدد برنامج المؤتمر ومكان انعقاده. وبذلك صارت خطوط المناورة الاستعمارية الكبرى ضدا على المغرب كلها بيد رفال الذي تقرر إسناد رئاسة الوفاق الفرنسي إليه في الخزيرات. ولذلك عين سفيراً في سويسرا

مراعاة للترتب والتشريفات. وجاء إلى الخزيرات على رأس أكبر وفد، يساعده أوجين رينيو، بصفة كونه المندوب العام لصندوق الدين الدولي. وقد نشرت يوميات رفوالم عن المؤتمر. ويستفاد منها على ما يعتربها من الاقتضاب، كيف استطاع أن يحول المؤتمر من أداة دعا سلطان المغرب لعقدها لجعل حد للزحف الاستعماري الفرنسي في المغرب إلى أداة تفتح أبواب التسرب الأجنبي في البلاد على مصارعها. وشهد الجميع بما بذل رفوالم من وجوه المخاتلة والمكايسة حيال الوفد الألماني والوفد المغربي لتعزيز أدوات النفوذ الفرنسي في المغرب. وكان من جزائه أنه عين سفير لفرنسا في مدريد في يناير 1907. لكنه ما لبث أن تخلى عن الوظيفة الديبلوماسية ليدخل سلك الأبنك فإنه أنهى مساره الوظيفي في البنك الفرنسي العثماني بما يقترون في ذلك من الرواتب المعتربة.

*Annuaire diplomatique français. 1907 : P. Révoil. Journal tenu pendant la Conférence d'Algésiras. 12 janvier - 9 avril 1906, Paris. 1939 : P. L. Rivière Traités. Codes et Lois du Maroc. T. I. Paris. 1924 : P. Guillen. L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905. Paris, 1967 : C.R. Ageron. Histoire de l'Algérie contemporaine. 1871 - 1954. Paris. 1979.*

إبراهيم بوطالب

**الرفود (أعراف) منظومة من الأحكام العرفية التي كانت تنظم علاقات بعض القبائل المغربية فيما بينها. وهذا المصطلح المدني كان مستعملا خاصة في قبائل زعير والقبائل المجاورة لها كزومور والشاوية وبنو حسن وأعراب الرباط. ووجدنا مدينتي الرباط وسلا تلتجنان إليه كذلك لتنظيم علاقاتهما مع القبائل المجاورة. فما هي أصول الرفود؟ وما هي أحكامه؟**

من حيث الأصل اللغوي، نجد في مادة الرفود رَفَدَهُ يَرَفِدُهُ رَفْدًا أي أعطاه، وأرَفَدَهُ أَعَانَهُ. والمرافدة : المعاونة : ترافدوا : أعان بعضهم بعضاً.

والرفود عرفا، يعني تبادل التحملات والالتزامات من أجل حفظ الأمن وسيادة الهناء بين طرفين، ولا بد من وجود متحملين أي ملتزمين وضامنين للأطراف المتنازعة أي لإخوانهم إذا تعلق الأمر بقبيلة أو فرقة أو دوار. أما سكان المدينة فالغالب أن يكون المتحمل بهم هو الحاكم. وكان يطلق على هؤلاء المتحملين اسم : الرَفَادَة مفردهم رَفَاد.

والملاحظ أن الرَفَادَة كانوا في كثير من الأحيان من بين قواد المخزن المعنّين بظواهر سلطانية. وقد يتولى الرَفَادَة شيخ أو واحد من الأعيان مسموعي الكلمة وذوي النفوذ في قبائلهم وكان السلطان كثيرا ما يفضل أن يكون الرَفَادَة الفوقي، أي المتحمل الأعلى والضامن لإخوانه، هو القائد المخزني. على هذا الأساس، فالترافد يعني التعاون على حفظ الأمن ودوام الصلح بين القبائل.

وبما أن الرَفَادَة كان يتحمل بتعويض الضرر الذي يتسبب

فيه إخوانه أو محكوموه، وفي الوقت نفسه يضمن إنصافهم وأخذ حقوقهم إذا ما تعرضوا للضرر، من الطرف الذي خرق الرفود ؛ فيكون العطاء وارداً في هذه الحالة مثلما ورد في المعنى اللغوي. وقد يتعدى المعنى الاصطلاحي للرفود كتمارسه عرفية إلى معاني أخرى، حسب الحالات التي تستدعي اللجوء إلى عرف الرفود.

ومن خلال المستندات الرسمية والمصالحات بين القبائل أمكننا تمييز عدة حالات يدخل فيها مصطلح الرفود.

. فهناك الرفود من أجل حفظ الأمن، أي حالة تبادل التحملات والالتزامات، لاستتباب الأمن بين المترافدين.

وتهم هذه الحالة خاصة تأمين السبل.

. وهناك حالة الرفود بين المدينة والبادية، وهي تعني

إحلال الانفراج محل التوتر لتشجيع التبادل التجاري والتواصل الإنساني.

. وهناك حالة اللجوء إلى الرفود من أجل مواجهة

الأخطار الخارجية. وهذه الحالة الأخيرة كانت تفرز أخلاقا

مقدسة لمواجهة خطر خارجي أو عدو مشترك. وفي هذه

الحالة الأخيرة نجد أنفسنا أمام الأحلاف القبلية المعروفة

باللُفُوف (جمع لَف)، وهي أحلاف كانت تجمع عدة قبائل

تُكوّن ما يشبه الاتحادية في مواجهة اتحادية قبلية أخرى،

كَلَفَ آيت عطا مثلا الذي كان يواجه لَفَ آيت بافلمان.

لكن خصوصية الرفود تكمن في أن أحلافه تخضع

للمكان وللزمان. بمعنى أن أحلاف الرفود لا تتعدى مدة سنة

قابلة للتجديد كما سترى.

وهكذا، نلاحظ مثلا أن مسألة حفظ أمن السبل أي

تأمين المارة والمسافرين والقوافل التجارية، كانت من الأمور

التي يهتم بها المخزن اهتماماً متزايداً. وقد زاد هذا

الاهتمام خلال القرن الثالث عشر (19 م) مع تزايد التدخل

الأجنبي وتوظيف رؤوس أموال أجنبية في التجارة الداخلية،

وما صاحب ذلك من اضطراب في أمن الطرق. فكان

السلطين، نتيجة ذلك، يشجعون القبائل فيما بينها أو

بينها وبين المدن على اللجوء إلى الرفود لأجل حفظ الأمن.

وتأمين الطريق. وقد نالت الطريق الرابطة بين الرباط والدار

البيضاء اهتماما خاصا في أواخر القرن الماضي.

ففي سنة 1891 مثلا، نجد السلطان يأمر بالترافد بين

أعراب الرباط وزعير وسكان مدينة الرباط والأوداية، حيث

اجتمع قواد القبائل المعنية وأعيانها وترافدوا بحضرة

السلطان، بحيث تحمل كل واحد "بدرك ما عسى أن يصدر

من أحد من الكل بالطريق والحيام وألزمه لنفسه الالتزام

التام على قاعدة القبائل وعرفهم في ترافدهم..." وأمضى

السلطان أي وافق على ما جرى وأوجب العمل بمقتضاه.

وهدد من خالفه بدفع الذعيرة المقدرة زيادة على عقاب

السلطان.

وفي حالة ترافد المدينة مع البادية، كان الرَفَادَة يقو

أحيانا بعمل الزطاطة. وفي هذه الحالة، يجب على من يريد

وُعد أهل فاس الرفيسة من السميد الرقيق على شكل رغيف تُطهى في الفرن ثم تفتت وتطبخ بالعلسل المحلول في الماء مع الزعفران. ينثر عليها بعد الطهي اللوز المفروم وتزين بالسكر والقرفة والسنبل ويجعل في وسطها حفرة قلياً بسمن أو زبد طري تغمس فيه اللقمة قبل أكلها (كتاب الطبخ، 193).

بالإضافة إلى الرفيسة أو تارقيست، هناك أسماس الذي يعده المصامدة سكان مناطق الأطلس الكبير الغربي، ويقطع ويسقى بمرق به لحم كتف الغنم (أخبار المهدي، 33) وتاربوصت (إتمد العيينين، 180: 1) التي تعني بالأمازيغية خلط الخبز بالحليب أو اللبن.

البيدق، أخبار المهدي، الرباط 1971: ابن الزيات، التشوف، الدار البيضاء، 1984: ابن تيجلات، إتمد العيينين، الرباط، 1986: مجهول، كتاب الطبخ، مدريد، 1982: ابن زرين التجيبي، فضالة الخوان في طبيبات الطعام، الرباط، 1971.

عبد الرزاق ازركم

**الرقائق**، طحالب ساحلية تعيش في منطقة المد والجزر أو في أعماق جد منخفضة. وككل الطحالب وخلافاً للنباتات القارية فليس لها أوراقا ولا ساقا ولا جذورا تمتص عن طريقها المواد الغذائية والأملاح المعدنية الموجودة في الرمال والأوحال لتحولها بعد ذلك إلى مواد عضوية بل كل ما تحتاجه الطحالب من الوسط الذي تعيش فيه هو نقطة على دعامة تلتصق فيها. أما المواد اللازمة لنموها وتطورها فتتصحبها مباشرة من الماء.



الرقائق

وكما يدل اسمها على ذلك، فهاته الطحالب هي على شكل رقائق قد يتعدى طولها الخمسة أمتار وهي حسب الأنواع يمكن أن تعيش أكثر من عشر سنوات في أعماق منخفضة كمستطقة المد والجزر خاصة في مياه تكثر فيها الأمواج حيث إن هاته الطحالب لا تستطيع العيش في المياه الراكدة نسبيا والتي قد ينشأ فيها تلوث ما وبذلك فهي طحالب تدل على المياه الصافية.

تعتمد الرقائق في تولدها على جيلين اثنين وهما الجيل الطوربوغني (Sporophytes) تخرج منها بذورا (البوغ) تعطي مباشرة رقائق أخرى بعد إنباتها. أما الجيل الثاني فهو

الخروج من المدينة إلى البادية، لقضاء مصالحه كالتاجر الذي يسوق قافلة أو الكواشة الذين يريدون صنع (الفحم)؛ أن يدفع أجرة الرقاد الذي يتحول إلى زطاط بمنحه حمايته أو يدفع إليه علامته المعروف بها. ولهذا كان الزطاط يعرف بالكاسي وكأنه أليس من يحميه كسائه.

وهكذا فهناك فرق دقيق بين الرفود الذي يعني التزامات معنوية في الغالب، والزطاطة التي تعني تقديم خدمة مؤقتة مقابل أجر متفق عليه.

وقد يعني الرفود في بعض الحالات التعيشة لمواجهة خطر محتمل أو عدو مشترك كما لاحظنا في الحالة الثالثة.

ف نجد مثلا أن عددا من القبائل تتراقد فيما بينها بهدف الهجوم على غيرها. فهي تلجأ إلى تأمين مؤخرتها وتلتزم الدخول في حلف هجومي أو دفاعي موجه ضد طرف ثالث.

كما حدث في حالة مواجهة الاحتلال الأجنبي للمغرب سنة 1907 لجوء قبائل الشاوية إلى إعلان التراقد والتضامن فيما بينهما لمواجهة التدخل الفرنسي بالدار البيضاء. وفي هذه الحالة يجد المرء نفسه أمام حلف مقدس، يضم مجموعة من القبائل لجأت إلى عرف الرفود لتأمين السبل وتوفير الأمن وتوجيه الطاقات وجهة واحدة هي مواجهة الغزاة، والدفاع عن البلاد والوطن عامة.

وعلى كل حال، فعُرف الرفود لا يتعلق بممارسة عرفية تختص بها القبائل الضاربة في الهوامش والبعيدة عن الحضرة أو عن سلطة المركز فحسب؛ بل يتعلق الأمر بمنظومة من الإجراءات المتعارف عليها كانت تشترك فيها المدينة والبادية حتى ولو كانت تلك المدينة مما اشتهرت بحمايتها للشرع ومحافظتها على التقاليد الإسلامية مثل مدينتي سلا والرباط.

وثائق خ. ح. الخاصة بعهد مولاي الحسن 1870. 1894. ومولاي عبد العزيز 1894. 1907.؛ علاال الحديمي، عرف الرفود وحماية الأمن بتواحي الرباط وسلا خلال القرن التاسع عشر. ضمن كتاب التاريخ وأدب النوازل، دراسات مهداة للفقيد محمد زنيير، نشر كلية الآداب بالرباط، 1995.

علاال الحديمي

**الرفيسة**، نوع من الطعام الدسم يصنع من قطع الرغيف المطبوخة في اللبن والزبد بمقادير معينة، ويكثر تناول الرفيسة في البادية المغربية أثناء فصل الربيع.

وتُعد الرفيسة في مناطق الشاوية دكالة وعبدة بفظائر رقيقة من الدقيق الخالص تُهيأ خصيصا لهذه الطبخة يقال له "مسمن" ويقطع قطعاً صغيرة ثم يسقى بمرق به لحم أو دجاج في الغالب. وعند بعض الأسر بالحوز من قبائل زمران يُعدون هذه الوصفة يوم عيد الأضحى بقطع معلومة من لحم الأضحية لأن الشريد بمنطقة الحوز كان دائماً يعد باللحم ويوضع بقصعة من طين أو خشب فيستدعي الناس لأكلها بالبيت أو ترسل إلى الجيران أو المعارف فيجتمع عليها الأهل والأولاد في شكل حلقة (التشوف، 290).

الطورميشيجي (Gametophytes) على شكل خيوط نباتية قد تكون ذكورية أو أنثوية تُخصَّب أولاً ثانياً لتعطي رقائق جديدة.

تستغل الرقائقي في العديد من بلدان العالم خاصة في آسيا ويُستخرج منها العديد من المواد الأولية المستعملة عادة في ميايين عديدة خاصة في الصناعات الغذائية والصيدلية إلا أنه في المغرب فإن الاهتمام بهذا المجال، أي الطحالب، مُنصب أساساً على بعض الأنواع من الطحالب الحمراء (Rhodophycées) خاصة النوع Gelidium sesquipedale وذلك رغم طول السواحل الوطنية التي تناهز 3.500 كلمتراً، ورغم شساعة المجال البحري الذي يتعدى مساحة المغرب كله ورغم كذلك كثرة أنواعها التي تتعدى 500 نوعاً.

Riadi H., *Etude nationale sur la biodiversité - Flore marine*, PNUE / Min - Envi., 1997 ; Gayral P., *Les algues de la côte atlantique marocaine*. Nature au Maroc II, 523 p, 1958 ; Auteurs nombreux, *Les algues marines et leur utilisation*. PENN AR BED n° 37.

محمد منبوي

**الرقص**، هو مجموعة متناسقة للحركات الجسدية في تسلسل معلوم يوافق في الغالب متتالية إيقاعية، وهو كذلك تعبير إنساني آله الجسد إذ يستجيب لإيقاع الموسيقى بحركات إرادية وأخرى غير إرادية. وتختلف الرقصات عن بعضها في طبيعة إشاراتها ورموزها أولاً، وسرعة أدائها وتطور مساراتها الإيقاعية ثانياً، ثم تنسيقاتها الفردية والجماعية، والرقص هنا ليس مجرد شكل فني مستقل بذاته، غاية الإنجاز الجسدي لإيقاع الموسيقى، بل هو كذلك تواصل وتعبير واكتمال لتفتح الشخصية داخل محيطها الاجتماعي.

بالمغرب أغلب الرقصات تؤدي بصفة جماعية إذ ترتبط بممارسة القبيلة أو الطائفة، وتمثل عبر مختلف مظاهرها وضروبها تعبيراً حياً عن روح الجماعة، وهذا لا ينفي وجود مظاهر فردية متفرقة تبرز معالمها في رقصات الفتيات في الأعراس والمناسبات العائلية.

تتعدد الرقصات الجماعية بتعدد القبائل، ويشكل هذا التعدد حاجزاً أمام فهم كامل وتركيبى، ومع ذلك يمكننا أن نحصر الأمر في عدد محدود من الرقصات باعتمادنا على نماذجها العامة فقط وتجريد هذه النماذج من المتغيرات الجوهرية الكثيرة التي قس كل نمط فتعدد صيغة وتنوع أساليب إنجازها وأدائه.

ويفضي بنا التصنيف الأولي إلى اعتماد الفئات الآتية :

- الرقصات الجماعية الكبرى كأحيدوس وأحواش  
- الرقصات الحربية كتاسكيوين والعلاوي والنهارى

والهيت

- الرقصات الحوارية كتيسينت وهوارة

- الرقصات الصوفية كتلك المعتمدة لدى عيساوة

وحماشة

في بعض هذه الأنماط، يمكن أن يتحد الرقص تماماً مع الشعر الشعبي المرسل إلقاء أو المغنى إنشاداً وترنيمًا، وأن تستنجد الرقصة الجماعية بخدمات شاعر يجيد الإرتجال ويتدخل في وقفات الرقصة ومواقف الجمل الموسيقية، ويتوفر هذا الشاعر عادة على فراسة جيدة وملكة في تقدير المواقف واستدعاء معانيها ؛ وقد تنتظم بمناسبة الرقص وحوله مبارزات شعرية.

والرقصة كذلك ليست فقط مجموعة حركات ترتبط بالشعر والإيقاع والموسيقى، بل هي كذلك تشكيل لفضاء رمزي، إذ غالباً ما تكون هناك قصة أو خرافة تفسر ميلاد الرقصة وتؤسس لرمزيتها الخاصة، وكذلك الأمر بالنسبة للرقصات ذات الطابع الحربي أو الرقصات التي تعتمد على الحوار الراقص.

وفي هذا المجال الواسع تبرز رقصتان جماعيتان هما أحيدوس وأحواش فتغطيان أغلب المناطق في جبال الأطلس وما يحيط بها من قبائل إلى غاية التخوم الصحراوية، لكن للرقصتين أشكال وتعابير متعددة تجعل اختزالها في وصف عام متعزراً وصعباً، وهنا أيضاً سنضطر إلى اعتماد نماذج بعينها للتمثيل والاستشهاد.

أحيدوس مثلاً هي تلك الرقصة التي تتخذ مراكز لها قبائل الأطلس المتوسط، كما يمتد استعمالها إلى السهول المجاورة وإلى شرق الأطلس الكبير ؛ وليس لنا لحد الآن تفسير شاف لمعنى كلمة أحيدوس، رغم أن بعض الباحثين في فترة الاستعمار قد قال بارتباط اللفظة بـ "أحيدوس" (بالحاء) وهو الجلباب الخشن الذي كانت تلبسه الرجال في القبائل الأطلسية.

هذه الرقصة قد ترافق جل مناسبات القبيلة وتنطلق عادة في ليالي الصيف الدافئة حيث أصوات البنادير تكسر صمت الليالي وهي تستدعي للرقص شباب القبيلة وكهولها، فيحلو السمر ويتمكن الجميع من الاندماج بسهولة داخل الحفل لأن أحيدوس يعتبر فناً للهواة وفناً للمشاركة رغم أن دور المحترفين والمتمرسين ضروري ومهم لكي لا تتحول الرقصة إلى فوضى.

هؤلاء المتمرسون بفن الرقص يسهمون في تنشيط الفقرات وتغيير الإيقاعات واقتراح أشعار جديدة ؛ لذلك نجد أصحاب الحفل يعلمون أن وجود هؤلاء ضمان لكي ترتقي الرقصة نحو مستوى جمالي محبوب الأجزاء، وأن غيابهم يؤدي إلى انحسار الرقصة في تقديم عرض باهت لا طعم له ولا روح.

نميز غالباً ما بين أحيدوس الأكبر "أكسوات" وأحيدوس الأصغر "أمزيان"، فالأول يجمع أكبر قدر من المشاركين المهرة والمختصين ويستعمل إيقاعاً رصيناً محكم الحركات

فيعطي للنوع طابعه النبيل وقيمته الجمالية، ويبعث في القبيلة أسباب نخوتها وأفتتها. لذلك ينعقد هذا الأجدوس في المناسبات الكبرى. أما النوع الأصغر فهو الرقصة العامة أي تلك التي يستطيعها كل الشباب والهواة من ليست لهم تجربة الكبار والمحترفين، كما أن عدد المشاركين فيه محدود ومن خصائصه أيضاً سهولة الإيقاع والحركات.

لكن الحدود الفاصلة بين النوعين من أجدوس غير محددة بدقة، لا يستثنى أحدهما وجود الآخر، بحيث يمكن أن يترابط النوعان في حفل واحد، خصوصاً وأن الراقصين الممتازين يودون بين الفينة والأخرى الرجوع إلى السهولة والمرح البسيط والترويح عن النفس ومشاركة من هم دونهم تجربة ودربة.

وهذا الأمر هو الذي يجعلنا نفترض وحدة المراحل في أجدوس من جهة، ووجود متتالية مثلى تتدرج من الثقيل إلى السريع كما هو الحال بالنسبة لكل الرقصات الجماعية الأخرى؛ يمكننا إذن أن نقبل تقطيعاً نموذجياً تبرز ضمنه عدة مراحل لهذه الرقصة.

1. تماويات وهو موال فردي في صيغة النداء الفردي المتحرر من الإيقاع، تنشده في مقام الصبا امرأة أو رجل له صوت قوي وصادح يتسعمل معه طبقة من الغناء الرأسي؛ ويمكن لهذا الموال الأطلسي أن يشكل نوعاً قائماً بذاته ومنفصلاً عن الأجدوس.

2. مرحلة رصينة الإيقاع تشتهر بمقاساتها الحماسية وجملها الغنائية المسترسلة

3. مرحلة معتدلة السرعة تتضمن إيقاعات ثنائية سريعة وأخرى ثلاثية ومركبة لتختتم الرقصة في قوة وحيوية.

ويما أن الكلمة والإيقاع هما الأساس في أجدوس، فإن التنظيم المقامي بسيط لا يغطي إلا مسافة لحنية صغيرة لا تتجاوز حدود الرابعة التامة (سلباً من أربع نغمات فقط)، وبالتالي لا يمكننا الحديث عن مقامات في هذا المجال إلا بالقدر الذي يسمح به التقريب بين مجموعة محدودة من النغمات وبين ما يمكن أن تكون عليه لو استكملنا السلم النغمي.

يستعمل أجدوس آلة إيقاعية واحدة قد تتعدد هي نفسها في أيدي الراقصين، وهذه الآلة هي البندير وتسمى كذلك "ألون" (بتشديد اللام)، وهي آلة إيقاعية في شكل إطار خشبي دائري به ثقب جانبي يسمح لإبهام اليد اليسرى بإمسك الآلة والتحكم فيها لتبقى اليد اليمنى حرة في التوقيع على الإطار الجلد في نقرات تبادلية بين اليدين وبين وسط الإطار وحاشيته.

أغلب الجمل الغنائية في أجدوس تنتمي إلى تقاليد "إزلان"، وتثبت الألحان في الذاكرة بواسطة النص الشعري الذي يعقلها ويؤثر في عروضها ومبناها. وهذه الأشعار غالباً ما تعتمد على ثنائيات، يسمى فيها المصراع الأول "لغا" ويسمى الثاني "أوماس" بحيث يتم الغناء بالتناوب

بين مجموعتين في شكل حوار، ولأن الشطر الأول يتصل مباشرة بالشطر الثاني دون توقف فإن ذلك يحقق دائرة غنائية يصعب التمييز بين بدايتها ونهايتها إلى أن يبادر أحدهم بتغيير البيت فيتبعه الباقون.

المهم أن يكون هناك توافق إيقاعي بين الشعر والجمل الغنائية. أما القافية والروي فقد تصيح في موقع ثانوي إزاء المتطلب الأول، وفي غالب المرددات نجد مقاطع صوتية ليس لها من معنى إلا أن تحقق الملازمة بين عروضي الشعر والموسيقى (أوا داوا مثلاً) وقد يستعملها المغني لاستظهار اللحن بكامله قبل أن يتذكر الشعر أيضاً.

يتكون أجدوس غالباً في دائرة من الراقصين والراقصات حيث تتصل الأكتاف مع بعضها رجلاً فامرأة فرجل وهكذا وداليك، وهذه الدائرة تنتج تموجات مع الإيقاع والنغمات وتتيح المقابلة بين دوري الغنائي الثنائي؛ ويبدأ الراقصون في حركات تكاد لا ترى تفاصيلها لأن الجميع يستسلم للإيقاع يقودهم للحركات المطلوبة فتلتقط الأجساد نبرات الضروب فتتأرجح وتجعل هذا الإحساس يمر من كتف لأخرى.

وفي كل مرحلة تنوع الحركات بحيث تكون الأكتاف المتصلة مقرونة بحركة داخلية للأيدي نحو مركز الدائرة، ثم دوران بسيط يميناً ويسره، ثم حركات للأيدي كذلك أماماً وخلفاً نحو الصدور متشابكة الأصابع أو متصلة ببعضها في رفق؛ وفي مرحلة أخرى يتوقف الدوران ليستند الجسد على أحد الأرجل بتنكيس الحصر فتبدأ التشكيلات المختلفة لحركات الأكتاف والأيدي والأرجل بقيادة وتنسيق أحد الضابطين لإيقاع البندير وفي العادة لا تنحني المرأة بل تكتفي بالإيماء؛ وفي فترة أخرى تنفصل الأكتاف كذلك لتسمح بحركات مختلفة في شكل انحناءات وتأرجحات الجسد وحركات الأيدي.

لكن الواضح أن كل قبيلة تخرج حركاتها بشكل خاص ولو باعتماد نفس العناصر: حركة الأكتاف متصلة ومنفصلة، حركات الأيدي متصلة ومتشابكة ومنفصلة، حركات الأرجل المتبادلة، تأرجحات الجزء الأعلى من الجسد، الإنحناءات والتموجات الجسدية.

قد يعتمد الراقصون فيما بينهم شفرة معينة للتواصل، كأن يقوم العازف الأساسي مثلاً برفع البندير أو إدارته حول الإبهام للإعلان عن توقف الرقصة زمناً يكفي لتسخين البنادير وبداية فترة أخرى من الرقص.

موضوعات الأجدوس كثيرة ومتعددة بعضها في الدفاع عن الدين والابحاز بالتقوى، وبعضها يتطرق للحياة الاجتماعية، وأخرى للحب والهيام، وأخرى أيضاً للتعدي تارة والموعظة تارة؛ كل غناء يوافق حصة من الرقص يفصل بينها توقف يسير لربما أطلق أحد الراقصين العنان لصوته بموال يدعى "تماويات" وهذا الموال يمكن اعتباره شعاراً صوتياً يعبر في اختزال عن الأطلس المتوسط.

هو شرط للرقصة يشبه القناع في المسرح الإغريقي، وظيفته التركيز والإنسجام.

كلمة أحواش مصطلح يطلق في مناطق مصوودية مختلفة، أبرزها منطقة سوس، على نوع من الرقصات الجماعية تجتمع به القبائل والمداشر المعنية في مكان رحب يسمى "أسايس" (ساحة الرقص) ومنهم من يسميه "أسرير" أو "أسارك" يجتمعون لإحياء رقصة أحواش وما يتعلق بها كسهرة فنية أدبية راقصة، يفسحون المجال لكل من يستطيع الإسهام برقصه أو شعره أو غنائه أو إيقاعه.

لكي يكتمل الأحواش يلزمنا إذن أربعة عناصر وهي : الشاعر والراقصون والموقعون والجمهور. فالشاعر يسمى "أميرير" أو "أنظام" وهو مثال للنخوة، لا يتجول بين القبائل، ولا يتكسب بشعره كما يفعل "الرايس" مثلاً.

والراقصون يسمون "إمسوسن" وهم عصب الرقصة وزينتها يصطفون وينتظمون ويمثلون لإشارات أكبرهم خبرة ويسمى "أعلام" (بتشديد اللام)، وهذا الشخص القائد سنجده في رقصات أخرى يتحكم في سيرها لأنه يجمع ما بين دقة الحركة والذوق اللازم ومعرفة الإيقاعات والأوزان والألحان.

أما الموقعون أو عازفو الإيقاع، فيدعون بـ"إنقارن" يوزعون الأدوار في ما بينهم ويمنحون للراقصين ديناميكية وأرضية قوية للحركة. وأخيراً ليس هناك أحواش بدون جمهور يشجع، ويصفق، ويشير حماس الشعراء. لكن مفهوم الجمهور هنا يختلف عما نعرفه عادة كلما تعلق الأمر بالفصل بين العرض والتلقي في فنون أخرى. ففي أحواش يمكن للجمهور أن يشارك وأن يتحول في بعض الأحيان من موقع المتفرج إلى موقع آخر داخل الأحواش يمارسه مع من كان يتفرج عليهم فقط.

لعل أنسب وقت لأحواش هو تلك الساعات الليلية الجميلة التي تتخذ من الصيف زمناً لها ومن البادية السوسية والمصوودية موقعا، حيث يشكل هذا الفصل مبراً للحفلات والأعراس تيسر بموسم فلاحى مليء بالعمل والضنك. لذلك حين ينتهي الناس من جمع محصولهم من الأرض وثمار الأشجار، ويتفرغون لزيارة الأحباب وعقد الزيجات وإقامة الحفلات المختلفة، تنشأ الحاجة إلى رقصة أحواش العريقة.

وقد تكون لكل قبيلة أماكن معلومة لتنظيم هذه الرقصة حيث يلتقي أبناء القبيلة في ساحة رحبية تسمى "أسايس" تكون رقصة أحواش متضمنة لعدة عناصر تجعلها في ثلاثة وهي المناظرة الشعرية أو الإنشاد، الرقص الجماعي أو الثنائي، الحوار والحكي (تازارات) ؛ وكل من هذه العناصر قد يستقل بفسن قائم الذات. لكن جودة الأحواش هي قبل كل شيء من جودة شعرائه، فهم من يمنح المناسبة أجمل معانيها ومن يصيغ على المواقف زخماً من الشاعرية والرمزية والإيحاءات.

تماويات إذن هي غناء مرتجل يتكون من أربعة أشطار يؤديه صوت قوي وجميل يستحق بعد كل فصل تصفيق الحضور وزغاريد النساء. وتماويات نداء للحب كما هو نداء للتعبية الجهادية ومناسبة موالية للحديث عن حال المجتمع، وهو كذلك وسيلة للتواصل في القرية سواء داخل الأحيادوس أم في حقول العمل. ومن مكان لآخر في القرية تتعالى نداءات تماويات بألغازها لتسر الرتابة والوحدة وقد ينشأ حوار تلقائي بين عدة أماكن من الجبل.

وقد سادت بشأن أحيادوس بعض التأويلات التي ترجع الرقصة إلى أصول جاهلية ووثنية بدعوى أنها من رواسب الطقوس القديمة المتعلقة بتقديس الأرض والشمس تارة، أو تستمد جذورها من عبادة اليونان لديونيزوس. لا شيء يجعلنا نناق وراء هذه التأويلات. نعتقد بالمقابل أن الرقصة في نفسها عناصر الدلالة والمرجعية الكافية في النشاط الاجتماعي الأمازيغي، لكنها ككل الرقصات قد تتعارض مع مبادئ المتشددين في منع الاختلاط ومنع الرقص والموسيقى. ليست الأصول الوثنية، التي لا نعلم ماذا فعل بها الزمن من أكثر من إثني عشر قرناً، هي التي ستحدد رمزية الرقصة، بل هي مقتضيات التماسك والتآزر والتواصل.

فلنأخذ مثلاً أسطورة إملشيل في شرق الأطلس الكبير: يحكى أنه في زمن غير معروف، كان هناك شاب وفتاة منعهما الأهل من الزواج رغم حب كبير نشأ بينهما، فاستلما للبكاء حتى امتلأت الأرض بعيراتهما، ونشأت عند ذلك بحيرتان هما "إسلي" (الزوج) و "تسليت" (الزوجة). وقد لجأ الحبيبان إلى الولي الصالح سيدي حماد أولمغاني، حامى إملشيل، فمنحهما رعايته وفرض على القبيلة أن لا يتعرض أحد سبيل المحبين ؛ وفي رواية أخرى نجد أن الحبيبين قد تحولوا من كثرة الحزن والبكاء إلى بحيرتين. وتقول الأسطورة أيضاً إن القبيلة منذ ذلك التاريخ أصبحت تنظم موسماً للخطوبة مبدأه الإتفاق الحر بين الزوجين وعقد قران جماعي في القبيلة لتخفيف المؤونة مادياً على العرسان الجدد.

في أحيادوس كذلك إعادة إنتاج للحركات اليومية التي نشاهدها في الحفل وكل مجالات عمل الرجل والمرأة على السواء، حيث نستطيع المقارنة بين أية حركة في الرقصة وما قد يقابلها من حركات العمل (حرت وزرع للبذور، وهش على الماشية، ودوران على الساقية، وطحن للحبوب، وحصاد ودرس...)، كما أن الرقصة إذ تعبر عن اتحاد الجهود والتآزر لا يتنافى فيها ذلك مع تخصص كل فرد فيما يوكل إليه من دور في العمل الجماعي.

وتغلب مبادئ القبيلة في الرقصة على أية اعتبارات أخرى، بحيث يحدث أن ترقص المرأة إلى جانب رجل ليس من محارمها، لأن الرقصة تستدعي ذلك، وما وجود رقصات تجعل فيها النساء خماراً على أكتافهن ونقاباً على وجوههن إلا تعبير رمزي لا يمت للحجاب الشرعي بصلة، بل



الشاعر على استيطان جو الغناء وكل من لبي النداء والتحق  
بفضاء أسايس فقد دخل في الرقصة.

يقترح الشاعر أول مزدوجة شعرية في شكل بيتين أو  
شطرين "نيتماين أو مارك" يسمى البدء في النظم عند  
بعضهم "يوسي أراسال"، ويكرر الشاعر هذه المزدوجة مرات  
حتى يستوعبها المحضور فينطلق الغناء الجماعي في قوة  
ويقتسم الجملة فريقان يقومان بالغناء بصفة تبادلية بديعة،  
وغالبا ما يتأخر نقر الإيقاع حتى يبدأ الغناء بزمير يسير.  
يتحرك الإيقاع رصينا ثقيلًا فنقول "إزاي" ومعنى الكلمة  
أنه ثقيل، ويصل تدريجيا إلى مرحلة السرعة الفائقة فنقول  
عنه هذه المرة "إمسوس".

حركات الأحواش كثيرة يصعب حصرها لأنها تستنجد  
بالأجساد والأيدي والأرجل والتصفيق. كما أن الرقص  
الجماعي قد يضيف حوارات راقصة لها حكايات رمزية.  
لذلك يجب أن تعتمد الدراسة على نماذج بعينها تشتهر  
بغنى الحركات وجمال التنسيق بين الراقصين ومن تلك  
النماذج على الخصوص أحواش ورزازات أحواش أولوز  
أحواش إيميتانوت وقاسمها المشترك : أن المشاركة فيها  
متاحة للرجال والنساء، أن الرجال يقومون بدور المصاحبة  
الإيقاعية والموسيقية بينما تحيط بهم النساء وتضمن بتأمين  
الرقصة وأن عناصر أحواش الكامل الموجود من نظم وغناء  
ورقص وإيقاع وموسيقى.

في نموذج ورزازات تتبادل النساء الأدوار في غناء جملة  
موسيقية رباعية المقياس والوزن في نفس الوقت بعد أن  
يكون الأحواش قد خرج من المرحلة الأولى في "إزاي" التي  
تشبه النداء الجماعي غير المحدود بإيقاع إلا ما كان من  
نقرات متفرقة للظبل الكبير تتدخل مصحوبة بنقرات  
متتابعة متصلة للنادير في ما يشبه طلاقات البارود.

في نموذج إيميتانوت يصل التبادل والتناظر الغنائي  
مداه بحيث لا يكتفي الفريقان بتبادل الغناء حول جملتين  
بل يتقلص العمل فيهم شطرين من نفس الجملة. وهنا يغني  
الرجال مثلا لوحدهم جملة موسيقية من أربعة مقاييس  
رباعية الزمن فتعيد النساء نفس الجملة في طبقة صوتية  
خماسية الزمن، وينتقل المقياس من أربعة أزمنة إلى ثلاثة  
تهينا للتقليص والسرعة، وتقس السرعة كذلك مبدأ التناول  
التبادلي للغناء بحيث يصبح ذلك حول أجزاء الجملة الواحدة  
خاصا بمقياسين فقط من الوزن الثلاثي فتختتم الحصة إذن  
بالمرور من وزن بسيط إلى مقابله المركب والسريع.

ولا يقتصر الحوار على الغناء فقط بل تشارك فيه كل  
ملحقاته، فالبنادر تشارك، والتصفيق يشارك، والحلي  
نفسها تشارك، بحيث نجد أن في لحظة من اللحظات  
التسمة بالهدوء، تصمت الآلات ويحجم الراقصون عن  
الغناء فنسمع للحلي خشخشة معبرة قلاً السكون قبل أن  
يستأنف الجمع غناؤه وحركاته.

بعد أحيودوس وأحواش، هناك رقصات أخرى تزكي

تختلف الرقصة من منطقة إلى أخرى في حركاتها  
وإيقاعاتها وألحانها وأزنانها وأسمائها ومصطلحاتها الفنية  
ومراسيمها وألبستها. لكنها في الغالب تتأرجح ما بين  
قطبين، أحدهما أمازيغي خالص والآخر ينبت عن ارتباط مع  
العمق الإفريقي. وفي ذلك نسمع مثلا عن نوعين "أشلهي"  
و"أبودرار". أشلهي يقتضي استعمال البندير وأبودرار  
يقتضي وجود الظبل الكبير "كانكا" (بالجيم المصرية).

حين يقبل الليل يتوافد الموقعون ببناديرهم : إنهم "أيت  
أوحواش" (أهل الأحواش)، وتجتمع عناصر الرقصة تدريجيا  
في نفس المناسبة تتحلى النساء بما لديها من جواهر وتتهيا  
لدخول الرقصة. ينطلق في الأفق صوت حاد لأمرير الشاعر  
مقترحا أول مقاطع الغناء فتردها الجماعة قبل أن تلتحق  
بهم الفرقة المكلفة بالإيقاع الذي تتنامى فقراته تدريجيا من  
البطي، إلى السريع.

المشاركة في الأحواش ليست فقط لمجرد الترفيه : إنما  
تمنح الفرصة لحل بعض النزاعات داخل القبيلة. ستستعمل  
المناسبة وخصوصا الحوار الشعري "أبراز" وسيقبل المتنازعون  
تحكيم القبيلة في الأحواش حيث تستطيع الرقصة أن تنزع  
فتيل المشكل، وتبسطه فتجعله شيئا تافها. حيث يشارك  
الجنسان في الرقصة، يكون التمييز بينهما واضحا  
(فمجموعة النساء مقابلة للرجال أو في صف أو دائرة  
حولهم) وفي أماكن أخرى أحواش غير مختلطة منها ما  
هو للنساء فقط، وأخرى للرجال فقط.

الإيقاعات كثيرة ومتنوعة في شكلها وطبيعتها وهي  
تحمل بمواقع النبر وتنوعات الأداء : وخلافا لأحيودوس  
تتوافر لأحواش ممارسة متطورة للتعدد الإيقاعي المتزامن،  
ففيه نجد تقنية التوزيع بين الآلات لكل منها ضرب خاص،  
وفي جنوب المنطقة السوسية وشرقها نجد الظبل مثلا يمكس  
بالوحدات الكبرى للجمل الغنائية والثقيلة، كما يتدخل  
مرات بأزمنة مضادة للدفع بالجميع إلى حركية جديدة.

أما المقامات فهي ذات طابع خصاسي النغمات ثابتة  
السلاليم، إذ يسهم في دقتها وجود آلة نغمية من قبيل  
الناي المعدني "تالعوات" التي تسبق الغناء بتقسيماتها  
الحرّة في ما يدعى بـ"أستارا" (أي التجوال).

لكل منطقة أحواش خاص يمكن أن يكون مختلطا أو  
منفصل الجنسين، بغناء أو بدونه، لكن الراجح أن تتحد في  
الأحواش عدة كفاءات في الرقص والغناء والشعر والإيقاع.  
وفي هذه الحالة تكون القيادة ثلاثية بين الرايس وأعلام  
وأمرير الشاعر وينسق الثلاثة حركاتهم وتدخلاتهم لنجاح  
كل فقرات الرقصة. ويستعمل الراقصون كل إمكانات  
الجسد لمحاكاة الإيقاع وتشبيته كالتصفيق والركز متعدد  
الضربات "تامريقت اودار" وطائفة أخرى من التعبيرات  
الجسدية.

يبدأ الأحواش كما أسلفنا بأستارا حيث يقوم عازف  
الناي بارتجال نغمية تهيه السامع وتنبه الراقصين وتعين

صفة الفسيفساء التي نعتت بها فنون المغرب وحضارته وهو الشيء الذي تبرز معه خصائص جهوية وتمحور حوله إشارات خاصة ودالة ورمزية لها أصول في الثقافة المحلية. وتتوزع هذه الرقصات في اتجاهين متباينين تارة ومتكاملين تارة أخرى هما الإغواء والقوة، وبعبارة أخرى الأثوثة والذكورة، سنستعمل هذين المحددين لغرض العرض فقط، علما بأن الحدود تكاد تنتفي في الرقصة ما بين التعبير الغرامي واستعراض القوة.

وإذا كانت الرقصات ذات الطابع الحربي رقصات رجالية تستعمل القوة والترهيب والتخويف، ولها أدوات تحمل دلالاتها معها (الخنجر، السيف، العصا، البندقية، محافظ وأوعية البارود، وجود الفرس...) فإن الرقصات الوجدانية تعتمد على الحوار الغرامي صريحا أو رمزيا، فتبرز فيها المرأة بأنوثتها وحليها.

لكن المظاهر الخارجية للرقصة ليست هي التي تحدد طبيعتها الحربية، لأن الأسلحة المذكورة قد يتم توظيفها للترميز إلى الذكر في حوار الغرامي، دون أن تكون لها وظيفة قتالية، لذلك فالرقصات الحربية التي تغيب المرأة هي تلك التي تنبئ عنها حركاتها المومنة بالمبارزة والصياح والركز والمتزن وطلقات البارود والفروسية وأساليب المراوغة والتخفي، ومن أمثلة ذلك رقصات شرق المغرب، إهياضن (أولاد سيدي حماد أوموسى)، أقلال، وتاسكيون.

في رقصات شرق المغرب (العلالوي والمنكوشي والنهاري) تعبیر خالص عن مجتمع الرجال وعن قسوة الطبيعة، وتذكير بالفروسية والرماة، ويظهر ذلك في اللباس والأدوات وفي الحركات القوية ونظام الإشارات بالكر والفر والتنسيق في حركات الأكتاف والأرجل.

من أدوات الرقصات المذكورة نجد العصا والبندقية توهي بصفة مباشرة إلى جو القتال والتدريب الحربي، كما أن الراقص الفارس يبدو بمنطقا بحزام أوعية للبارود وأسلحة شخصية؛ وفي كل رقصة يمكننا أن نميز في اللباس والهئية ما بين ثلاثة فئات: "العرفا" وهم أصحاب الإيقاع، والشيوخ وهم الموسيقون، و"البارديا" أي الفرسان الرماة؛ هؤلاء يلبسون زيا فاخرا بينما يفضل الآخرون تبسيط لباسهم حتى تسهل حركاتهم في الرقص.

وكما في فيالق الجيش يعتمد الراقصون على شفرة معينة لتنسيق الحركات وهي ألفاظ تحيل على ضربات محددة في العدد ونسب الإيقاع، منها مثلا "السياسية" و"العرايشية" و"الصقلية" و"البونت" أما حركة الأكتاف فيسمونها "تزلويجة".

"إهياضن" هم أحفاد الولي الصالح سيدي حماد أوموسى، الذي ولد في بومروان جنوب أكادير سنة 1450 م، وهذا الولي تنسب له الذاكرة الشعبية قدرة جسمانية خارقة وألعابا بهلوانية خاصة، كما أنه اشتهر بكشف ما يخفيه المتحدث أمامه، ومعرفة منطق الحيوانات، وتحويل الرمل

إلى ذهب، وشفاء المشلولين، ومنح الخصوبة للنساء والحيوانات والنباتات.

اشتهر أتباعه بالجهد والرماية والألعاب البهلوانية، كما اشتهروا بنزوعهم إلى التجوال داخل القبائل المصودية عامة والسوسية على وجه الخصوص، وذلك ما أهلهم لمعرفة الأخبار وتكوين قاعدة فنية مشهود بقيمتها كخبرة قديمة في الرقص والألعاب البهلوانية.

أما في سهول درعة والمناطق السابقة عن الصحراء فنجد رقصة أقلال في صيغتين: أولاهما يعطي الأهمية للغناء الجماعي الرتيب تصاحبه ضربات الدف المربع ونغمات الناي في إيقاع رباعي رصين، وثانيهما تفرد للمبارزة بالسيف حيزا معلوما يسمى "صقل السيف".

تتكون الفرقة من الرجال في عدد لا يقل عن سبعة أفراد: راقصي السيف، وعازف ناي، وأربعة من أصحاب الإيقاع يستعملون الدف المربع والهراز، ويعتون في بساطة جملا ببطيئة توافق نير الإيقاع نفسه.

هذا البطء في الإيقاع يفرض بطءا في الرقص وإبهاء بالمبارزة قد نجد له مشيلا في العرضة النجدية أو رقصات حضر موت، مما يتيح لنا البحث عن أصول غابرة لم تكن القرون المتعاقبة كافية لمحوها.

في جانب آخر نجد رقصة تاسكيون تمثل لنا أبرز مثال وأوضحه للرقصات الحربية، إذ اجتمعت فيها كل مقومات النوع، إذ شبث كل راقص على كتفه الأيسر هلالية من البارود "تيسكت" (مفرد تاسكيون)، ويتمنطق بحزام المقاتلين ويأتي بخطوات متنوعة تفيد بأنه داخل فصيلة من الجيش، كما نجد محاكاة لطلقات النار في نقرات التعريجة، تصاحبها صيحات وتوقيع منتظم بالأرجل.

يقوم الراقصون بإنجاز مجموعة من الإيقاعات بخطاهم المنتظمة: مرة في صف مستقيم حيث يسير الراقصون خلف بعضهم، وأخرى في اتصال للأكتاف، ثم دورات ذات اليمين وذات الشمال. تعتمد الخطة الإيقاعية للرقصة على تناوب الموازين المختلفة.

إيقاع ثنائي القسمة من أربعة أزمنة، يعقبه إيقاع ثلاثي القسمة ثنائي الزمن يتميز آخره بنبر قوي، ثم إيقاعات متصلة من ستة وعشرة أزمنة، ثم انقطاع على إيقاع أعرج من خمسة أزمنة، فعود على بدء.

ويظهر أن التشكيلات المختلفة تلبى حاجة الراقصين إلى مصاحبة التغييرات التي تطرأ على حركاتهم.

في جانب آخر تبرز الكدرة لتؤثت سهرات بعض القبائل المتاخمة للصحراء والتي تتخذ من كلميم مركزا لها، ما الذي نراه سوى امرأة تزوج بين الحجاب والسفور، تظهر يداها منقوشتان بالحناء الصحراوي الأسود، تتفاعل مع الإيقاع المتصل الرتيب وتسهم بحركاتها في تصعيد التوتر بينما يصاحبها الحضور من نساء ورجال بالغناء والتصفيق، هذه المرأة القوية هي رمز المرأة الصحراوية "القادرة" نشقت اسم الرقصة بإبدال القاف جيما مصرية، بينما الخطأ

الشائع يلصق التسمية بأنية الإيقاع. تتصدر الراقصة مجلسها وهي على ركبتيها في وضعية بين القيام والقعود، تستعمل حركات اليد والأصابع وتقبل برأسها ونصفها الأعلى يمينه ويسرة، وهي غالبا ما تعض الجفون تحميها للخشوع إلى غابة الدخول في شبه إغماءة.

من الخصائص الفنية لهذه الرقصة أنها في تفردها توازج بين الأدائين الفردي والجماعي وتقيم توازنا فعلا بين الإيقاعات الثنائية والثلاثية.

على بعد نحو أربعين كيلومترا جنوب أكادير، توجد قبيلة هوازة ذات الأصول العربية والتي امتزج فيها بما أبدعته القبائل الأمازيغية المجاورة. تنتظم الرقصة في شكل صف من الراقصين الرجال ومعه في كل جانب راقص فردي امرأة ورجل سيكون عليهما أن يؤديا حركات حوارية ترمز إلى المبارزة والإغواء.

أهمية هذه الرقصة في ثراها الإيقاعي أولا وفي قوة التعبير في الحوار الراقص، إنها متتالية مضبوطة من المقاييس والموازن المعقدة، إذ تصادف أهم الإيقاعات الحساسية والسباعية في تناوب يديع مع الإيقاعات الثنائية والثلاثية المألوفة في رقصات أخرى، والتي تبين براعة العازفين الهواريين وتقسيم الأدوار فيما بينهم بحيث يحتفظ "الناقوس" عادة بالضربات المتصلة المتساوية، بينما البندير ينوع في الضروب ويفاضل في الأزمنة إذ يرجمل تأخيرات في النبر وتتبعات في الأزمنة المضادة وصروف الثنية والتثليث والتركيب.

تقول إحدى الأساطير المؤسسة لرمزية الرقصة إن أفعى عظيمة حالت بين القوم ومنايع المياه فتطوع أحد الرجال لملاعبتها وسحبها تدريجيا خارج مجال الماء، وهكذا ستعتمد الحركات على القفز ودوران الراقص والراقصة على نفسيهما فيما يشبه مراقبة الغريم لغريمه.

وعرف المغرب الرقص الحديث في اتصاله مع الحضارة الأوربية الحديثة رقصات أخرى استهوت الشباب فقلدوها ؛ ولم يقتصر الأمر على فن الباليه الذي ظل انتشاره محدودا في بعض المدن الكبرى حيث توجد المعاهد الموسيقية والمدارس الحرة لفنون الرقص، بل تعداه إلى الرقصات المرتبطة بالتنوعات الغربية التي وصلتنا بالوسائط الإعلامية المتعددة عبر "موضات" متعاقبة (الجاز والشارلستون قبل الروك والجيروك والتويست وقبل موجات البوب والديسكو والرقص الحديث).

في مجال الرقص الكلاسيكي، قليل هم المغاربة الذين أنتجوا نشاطا يستحق الاهتمام رغم أن هذا النوع يدرس بالمعاهد الموسيقية منذ مدة طويلة فيما يناهز نصف قرن، لأن النجاحة تقتضي مساندة مجتمعية لكل ممارسة، وفي غياب هذه القاعدة نجد بعض الجهود المحمودة تتطور نحو أسلوب مغربي يحاول المزج بين التراث الشعبي والإنتفاح على الرقص الأكاديمي المعاصر الذي يرتبط مع التيارات العصرية في المسرح وينهي الانغلاق القطاعي بين الفنون.

أحمد عبود

**الرقعي، محمد (الحاج -) الخياط،** أصله من رقعة وهي من قرى بلاد لمطة قرب فاس. استوطنت أسرته مدينة فاس بحي الشرشور. وبعد وفاة والده انتقل إلى قبيلة بني مستارة وعاش تحت كفالة خالته، وبها حفظ القرآن وتفقه في الدين. اتصل بالشيخ عبد الله بن إبراهيم العلمي مؤسس الزاوية الوزانية وأخذ عنه التصوف وصار من خاصة أتباعه، ثم عينه مقدما على أتباع فاس، وأسس بعد وفاته أول فرع للزاوية الوزانية في درب الشرشور بحي الشراييليين. اعتبر القادري الحاج الخياط الرقعي من مشاهير أولياء فاس، وتتجلى هذه الشهرة في كثرة أتباعه وشعبيته في صفوف العامة، وإليه يرجع الفضل في التعريف بالطريقة الوزانية بمدينة فاس. توفي عام 1703/1115 ودفن بزاويته التي بنى عليها السلطان مولاي إسماعيل قبة، والتي أصبحت مقرا خاصا بفقراء تلمسان وتاقيلالت وتوات القاطنين بفاس.

محمد القادري، نشر الثاني، ج. 2، الرباط، 1982، ص. 149.  
نح. م. حجي وأ. التوفيق : محمد بن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس، ج. 1، طبعة حجرية فاس، 1899، ص. 230، 231.  
محمد عمراني

## الرق أو الرگ (جغرافيا) ← الصحراء

**الرق أو الاسترقاق** في المغرب مؤسسة اجتماعية قديمة قامت على أسس شرعية وأخرى عرفية. والاسترقاق هو أكثر أشكال الإخضاع والإكراه قهرا وإرغاما لبني البشر، ومن سماته الأساسية العمل وتقديم الخدمات بالقوة، كما يكون الفرد الواقع في الرق في ملكية شخص آخر، فيصبح ملزما بالروض لطلباته مهما تعددت وتنوعت. والظاهر أن بدايات الاسترقاق في المغرب تعود على الأقل إلى فترة الاحتلال الروماني، حيث كان العبيد يشتغلون في الفلاحة واستخراج المعادن، دون أن يشكلوا أغلبية العاملين في الزراعة. وكان عدد السود ضمنهم نادرا، وتقدمهم مختلف الفسيفساء خداما لدى بعض العائلات الثرية. ومن الصعب جدا معرفة الكيفية التي وصل بها العبيد السود من قلب إفريقيا إلى ضفاف المتوسط، نظرا للصعوبات الكبيرة التي كان يطرحها التنقل عبر الصحراء إلى حدود القرن الرابع ق.م.

وفي أعقاب نمو تجارة القوافل مع الفتح الإسلامي، أثار ذهب السودان والعبيد انتباه تجار القوافل المغاربة. ويذكر الإدريسي بأن المغاربة كانوا يبيعون هناك الصوف والنحاس والمصنوعات الزجاجية، ثم يحصلون مقابل ذلك على الذهب والرقيق. لكنه لا يعطي أي أرقام. وبصفة عامة، يؤكد الباحث محمد الناجي الذي أنجز دراسة رائدة في الموضوع اعتمداها أساسا في تحرير هذه المادة، أن البدايات الأولى

للرقيق الأسود في المغرب قديمة جدا دون شك ومع ذلك فإن دراسة الموضوع بنوع من الدقة والشمولية تظل ممكنة لأسباب كثيرة بالنسبة لمغرب القرن الثالث عشر (19 م)، وبالرغم من محدودية هذه الفترة المدروسة، فإنها كافية لتقديم صورة عامة عن واقع الاسترقاق في تاريخ المغرب، لكن مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار للمستجدات الطارئة على الساحة المغربية، ومن أهمها وجود الحركات المناوئة لبقاء الاسترقاق واستمراره في بلدان العالم الإسلامي.

ويبدو أن الأوربيين ممن زاروا المغرب كانوا يعانون من لبس واضح في مخيلتهم عن لون الرقيق في أرض المغرب، إذ منهم من كتب في رحلاته بأنهم بيض، بينما أكد آخرون بأنهم قد كانوا سوداً. وأجمع جل الزوار والرحالة الأوربيين على أن الرقيق في المغرب وفي جنوب حوض البحر المتوسط بوجه عام كانوا يحظون بمعاملة طيبة لا علاقة لها إطلاقاً بالقساوة الشديدة التي كان يُعامل بها الأفارقة السود في أمريكا. أما في المغرب، فقد وصفهم الأوربيون بأنهم عبارة عن خدم يستمتعون بمعاملة جيدة ويحاطون بكثير من العناية من حيث الطعام واللباس والإيواء، بل وأنهم عادة ما يحتلون مكانة هامة في بيوت أسيادهم.

وإذا كانت الأرقام الخاصة بالرقيق خلال الحقبة الوسيطة والحديثة نادرة جدا، فإن الأمر يظل صحيحا حتى بالنسبة للقرن الثالث عشر (19 م)، وذلك على الرغم من وجود معطيات إحصائية لا يستهان بها لكنها متناقضة : إذ تبلغ أعدادهم حسب غرابير Graberg، حوالي 120.000، بينما يرى غودار Godard، أن هذا الرقم لا يعبر عن الواقع لأنه لا يدخل في الحساب الجهات الشمالية التي تتوفر على ساكنة هامة من العبيد السود والملوئين، فيقترح رقم 500.000، وهو ما يعادل عشر مجموع سكان المغرب وقتئذ. بينما قدرت "الجمعية البريطانية المناوئة للاسترقاق" عددهم سنة 1885 بـ 50000 فقط. أما ريدجواي Ridgeway مبعوث العاهلة فكتوريا إلى المغرب، فقد تحدث في تقرير عام أنجزه حول أوضاع المغرب العامة عن وجود ما لا يقل عن 300.000 من الرقيق في المغرب سنة 1893.

إن هذه التقديرات المتضاربة وإن كانت لا تخلو من أهمية، في غياب إحصاء رسمي دقيق، لا تميز بين العبيد الحقيقيين والأحرار المعتقن. ومع ذلك فهي تعبر عن الإحساس العام السائد آنذ عند الأوربيين والذي كان يفيد بأن عدد الرقيق في المغرب كان كبيرا. وفضلا عن ذلك يحتل الرقيق مكانة واضحة في الذاكرة الشعبية المغربية بفعل حضورهم القوي في الأساطير الشعبية وفي قصائد الملحنون بصفة خاصة. أما في جنوب المغرب، فإن الطبونوميا تذكر الأحياء بوجود أسماء معروفة لبعض العبيد، وتكفي العودة في هذا السياق إلى كتابات المختار السوسي.

وبوجه عام، تختلف وضعية العبيد في المجتمع المغربي

البائد حسب وجودهم في البوادي أو المدن. ففي المدن، يتحدث لوطرنو Le Tourneau، عن بضعة آلاف بالنسبة لفاص، ويشير إلى أن وجودهم كان ملحوظا جدا للأجانب في مراكش دون أن يقدم أرقاما تعزز أقواله. وكان امتلاك خادمة واحدة على الأقل من الضروريات في الحواضر. وإذا استندنا إلى فتوى فقهية قدمها عزوز بن المفضل، فإن الرجل الغني هو الذي يملك المال والماشية والعقارات وليس هو الشخص الذي يملك مسكنا لائقا وجارية تخدمه وما شابه ذلك. أما الثري حقا، فهو الذي يملك فضلا عن أشياء كثيرة عدداً كبيراً من الرقيق. أما بسطاء الناس وعامتهم، فعادة ما كانوا يشترون رقيقا قبل الزواج، إذ تعتبر النساء المقبلات على الزواج الحصول على خادم أو خادمة من العبيد شرطا أساسيا. ويتجاوز الأمر هنا مسألة التخفيف عن صاحبة البيت من مشاق العمل المنزلي اليومية، لأن امتلاك أمة سوداء اللون هو من بين الأشياء المطلوبة والتي ترفع من مستوى وقيمة ربة البيت، خاصة وأن تلك الأمة يمكنها أن تقدم للزوج خدمات من نوع خاص ربما ترفض الزوجة الحقيقية تقديمها إلى زوجها.

ولم يكن استرقاق السود في مغرب أمس أمرا قاصرا على الحواضر، إذ تكشف بعض الوثائق المكتوبة عن حضورهم القوي في البوادي المغربية وفقا لما يشبه خريطة لتوزيع الرقيق، وذلك مرورا بأراضي الغرب شمالا إلى أقصى السوس جنوبا. ففي دواوير منطقة الغرب، يمتلك السكان رقيقا أسود من كلا الجنسين، وإذا كان الاسترقاق نادرا في منطقة جبال، فهو كثير في جهات أخرى. ففي الشاوية مثلا، هناك حضور هام للرقيق في البيوت، كما تمتلك الزاوية العشرات منهم. وفي الجنوب، تخبر الوثائق المحلية بوجود أعداد مهمة أيضا في أراضي إداوتنان. وعلى أبواب المناطق الصحراوية والواحات، يرتفع عددهم إلى درجة أن الأشغال البدوية تكاد تصح من اختصاصهم دون غيرهم. وفي الصحراء ذاتها، فقد كان الرجل الميسورون يملكون عددا من الرقيق في خدمتهم. أما في سوس، وهي المحطة النهائية للقوافل، فقد كان الرقيق الأسود عملة رائجة إلى حد بعيد، وتوجد في كتابات المختار السوسي نماذج لأثرياء يملكون أزيد من خمسين رقيقا يحرثون الأرض. ومن بينهم أحد العلماء الذي كان يملك حوالي السبعين من العبيد الذكور المتزوجين والذين يعتنون بممتلكاته تحت العيون اليقظة لبعض أقربائه.

وكانت الأسر القوية النفوذ في المنطقة، كما هو الحال مع آل بيروك، يملكون أعدادا كبيرة من العبيد ربما تتجاوز كل التقديرات : حوالي 150 حسب الضعيف الرباطي. كما كانت تحتضن زاوية إليغ حوالي 700 من الرقيق، لكن عددهم تراجع بتراجع مكانة دار إليغ، فتحولوا تدريجيا إلى مزارعين، أو هاجروا نحو المدن بل وإلى أوربا. وفي أقصى الشمال، ترددت الأقوال بأن الشريف عبد السلام

الوزاني كان يملك 700 من العبيد. غير أن كل الأرقام الواردة أعلاه لابد أن تستعمل بكثير من التحفظ.

وفي مناطق المغرب الداخلية، هناك من الأثرياء من كان يكتفي ظاهرياً بعشرات من العبيد حتى لا يكشفوا عن درجة ثرائهم الحقيقية، خوفاً من إثارة انتباه موظفي المخزن الذين لا يمكن أن يسلم من تهديداتهم سوى المنحدرين من أصول عريقة لها مكانتها التقليدية، أو الأفراد الذين يمارسون مهام معينة لفائدة المخزن. ففي أواسط القرن الثالث عشر (19 م)، بلغ إلى علم السلطان عبد الرحمن بن هشام أن قائد دكالة البوعزيزي محمد بن إبراهيم كان يملك 400 من العبيد. وأن عائلة أويهي الحاجة تملك أزيد من 300 من الرقيق. ومن غير المستبعد أن يمتلك بقية القواد الكبار أعداداً ماثلة على الأقل : فقد اشترى أحد سماسرة الكندافي تسعة عشر عبداً في صفقة واحدة، كما كان الأگلاوي يقدم هدايا على شكل عشرات من العبيد. أما رجال المخزن، فقليل منهم من كان يصل إلى مثل هذه الأرقام وفي حوزته أزيد من مائة. وفي حالة الوفاة، غالباً ما كان المخزن يضع يده على المال الناض والخيول والعبيد.

وشكل العبيد في محطات تاريخية دقيقة سنداً للسلطة المخزنية كانت أبرزها هي تجرية عبيد البخاري الذين بلغ عددهم الإجمالي حسب طيراس Terasse، في نهاية حكم السلطان إسماعيل ما بين 30000 و50000. وفي سنة 1837 حاول عبد الرحمن بن هشام جمع شتات عبيد البخاري في الشمال، لكن محاولته فشلت. وفي 1847 تجددت محاولة جمع 500 من أبناء العبيد الصغار في الشمال، لكن الحصيلا لم تتجاوز 50 طفلاً، بينما فر الباقون نحو الجبال. وفي عهد محمد بن عبد الرحمن، كان العبيد الفارون من قساوة أسيادهم يُلقون بالجيش، كما كان يتم شراء البعض منهم لنفس الغرض لكن في سرية تامة. وفي عهد مولاي الحسن استقدمت أسر كثيرة من الحراطين من سوس لتقوية الجيش.

ويبدو أن هناك هوة ساحقة بين عبيد الخواص وعبيد المخزن الذين كانوا يسمون بالوصفان، مفردها وصيف. ويتميز عبيد المخزن بوضعية خاصة لا علاقة لها ببقية العبيد سواء في الحواضر أو البوادي. فالعبيد الذين كانوا في خدمة المخزن، ومن أبرزهم عبيد البخاري، كانوا في عداد الأحرار بحكم أنهم لا يباعون في الأسواق ولا يشترون إلا إذا اتضحت عدم قدرتهم على التعلم والتحصيل لخدمة المخزن. وكان منهم العدول والشهود وأئمة للصلوات الخمس ما عدا صلاة الجمعة التي يجب أن يكون القائم بها حراً خالصاً. فالوصيف إذن هو من الرقيق الذي تمكن تدريجياً من الانفصال عن وضعه السابق كخادم، فتحول إلى صنف جديد يقدم خدمات بالغة الأهمية ويقوم بمهام حساسة لفائدة المخزن في أعلى مستوياته. غير أن هناك حالات تتعلق ببيع رقيق المخزن. إذ تكشف الوثائق عن "بيع أوباش

الإماء" اللواتي عُرضن للبيع في الأسواق بالزاد العلني في لحظات متعاقبة إلى أن يرتفع ثمنهن إلى المستوى الذي يقبله الصدر الأعظم أو الحاجب. وغالباً ما كانت تعرض للبيع خادמות وفدن من القصر من تركات القواد والعمال، بينما كان يحتفظ بالجميلات منهن وباللواتي يُتقن الطبخ الجيد وبعض الصنائع.

وكان لعبيد المخزن إسهام خاص في خدمة الأمراء وتربيتهم، إذ غالباً ما كانوا يرسلون إلى جهات نائية من البلاد رفقة مجموعة من العبيد يسهر السلطان الحاكم على انتقائهم بكامل العناية، فيعهد لهم بتربيتهم على شطف العيش تحت المراقبة اليقظة لأحد العبيد ممن لا يتسامحون ولا يخالفون أوامر السلطان. وخير نموذج في هذا السياق، هو مولاي الحسن الذي كانت تربيته في وسط قاحل لا ماء فيه ولا شجر بزارية في الطريق الفاصل بين أسفي ومراكش، وذلك تحت عيون يقظة لعبيد كانوا كلهم من كبار السن وعاشوا أياماً وتجارب كثيرة مع سلاطين سابقين.

أما حين يكون العبيد في خدمة السلاطين، فيسمون "عبيد الدار"، ويحتلون قمة هرم الرقيق في المغرب، فيحظون بالاحترام، بل كان يخشاهم حتى كبار موظفي المخزن المركزي بحكم قربهم الشديد من شخص السلطان. ويكون كبيرهم هو قائد المشور أو الحاجب، ثم يليه قواد المجموعات، ومنهم الفراشون، والمؤقتون، وأصحاب السجادة والموسيقيون والحجامة وقايد الماء ومُول الوضوء وغيرهم من الحماة والجمالة.

وكان عدد "عبيد الدار" كبيراً ومتنوعاً، فيلازمون السلطان في حياته اليومية سواء تنقل في حركاته أو أقام بأحد قصوره، وقد يكون منهم الوصفان والأحرار. وكانت خدمة العبيد بداخل القصر تفتح أمامهم مجالاً للترقية وبلوغ المراتب العالية، وهناك عدة نماذج في هذا السياق : ففي أيام السلطان سليمان، برز اسم محمد السلوي الذي أصبح وزيراً، كما سبق له أن مارس مهامه كعامل على جهات عديدة من البلاد، إلى أن أصبح "وزيراً للأجناس"، وكثيرة هي المعاهدات مع الدول الأجنبية التي تحمل توقيعاته. وهناك نموذج أحمد بن مبارك وزير السلطان سليمان الذي هيمن أحفاده من بعده لمدة قرن من الزمن على مناصب عليا في جهاز المخزن المركزي. فقد كان موسى بن أحمد حاجباً وصدراً أعظم أيام محمد بن عبد الرحمن. ثم هناك باحسَاد المشهور الذي كان وزيراً وصدراً أعظم في عهد مولاي الحسن. ناهيك بالمكانة الكبرى التي بلغها الشخص نفسه أيام السلطان الفتى عبد العزيز. وقد كانوا يحظون بكل مظاهر التمجيد والأبهة، ويدفنون بعد موتهم في مقابر الأسرة السلطانية.

ويعتبر العبيد على اختلاف أصنافهم مجموعة من الأنشطة المتنوعة كانت تشكل ممارساتهم في الحياة اليومية. ومع ذلك، يمكن تصنيف الرقيق من حيث الجودة

ومستوى التكوين والتربية بل والكفاءة. فالمخزن المركزي وكبار موظفيه إلى جانب القواد الكبار كانوا يحرصون بعناية على امتلاك فصيلة راقية من العبيد والإماء من ذوي المهارات الرفيعة والنادرة. وهناك مجموعة من المقاييس يمكن اعتمادها، كإتقان فن الطبخ، واللباس كمظهر خارجي، والحالة الصحية للرقيق، وظروف عيشهم بوجه عام.

وإذا تم اعتماد فن الطبخ كمقياس وعن مهارة الطبخ وعلاقته بالرقيق، فإنه لا بد من الانطلاق من التباين الموجود في جودة التغذية بين البادية والمدينة وبين مآدبات القصر السلطاني وكبار القواد. فقد وردت إشارة سنة 1885 إلى تحضير 34 صنفاً من الطعام بمناسبة حفل استقبال سلطاني، فكان انبهار القواد الوافدين من مختلف أصقاع البوادي كبيراً جداً، لأن خبرة الطبخ الواسعة تلك لم تكن في متناول الجميع. وكانت الإماء الطبائحات من الدرجة الرفيعة يُعَمَّرُ بأثمنة عالية، وهذا في حالة عرضهن للبيع في أسواق النخاسة. ونظراً لهذه الندرة، فقد حرص المخزن على تكوين طبائحه من الطراز الرفيع بتوزيع صغار السن من الإماء على القواد والأعيان المقيمين بالمدن الشمالية بوجه خاص (حالة والده القائد أشعاش)، ثم أعيان الرباط مثل آل بركاش، وفرج وجازوليت وغيرهم. وقد تطول فترة تكوينهن، وتنتهي عادة بتسليم اعتراف لهن بالمهارات التي تعلمنها في ميدان الطبخ.

لكن مع ذلك، يظل المغرب بعيداً كل البعد عن نماذج الجوارى الوارد ذكرهن في قصص ألف ليلة وليلة. وإن كانت هناك حالة إحدى الجوارى التي بيعت في الجديدة بألف ريال لكونها عارفة بالعرزف على آلة العود وتتعاطى الآداب. بالإضافة إلى حالة السلطان محمد بن عبد الرحمن الذي كان مولعاً بالموسيقى، فكلف المصاوري، وهو أحد مشاهير الموسيقى في عهده بتمرين بعض الجوارى على فنون الموسيقى، وربما تابع خلفه مولاي الحسن النهج نفسه. وبالنسبة للرجال من الرقيق، كان الحرص على تعليم البعض منهم إلى جانب فنون القتال حرفاً معينة مثل البناء والبستنة والزراعة بوجه عام. فكانوا يسلمون إلى مزارعين قصد تعليمهم زراعة الخضر وغراسة الكروم. وقد طرحت صعوبات كثيرة أثناء تعليمهم ولم تكن النتائج دائماً حسنة. ويبدو أن أكثرهم حظاً هم وصفان القراءة الذين كانوا يسلمون منذ سن مبكرة إلى معلمين حضريين. أما عبيد المخزن، فكانت تفتح أمامهم آفاق لتعلم أمور دقيقة برفقة أمماء المراسي لتعلم الحسابات المعقدة، لأن السلاطين، كانوا يكلفون وصفانهم الذين يحظون بثقتهم بمراقبة حسابات بيت المال أو ينقل مبالغ مالية كبيرة من منطقة إلى أخرى، فكانت معرفتهم بالحسابات ضرورية لتكليفهم بمهام من هذا القبيل.

ويختلف اللباس والمظهر الخارجي للرقيق حسب مكانة

السيد وثروته. غير أن عبيد المخزن كانوا هم الأفضل في هذا الباب، إذ يحصلون على كسوة في الصيف وأخرى في الشتاء. وكذلك الأمر مع عبيد القواد وأعيان المحاضر. وبالنسبة للنساء، فإن الخليلات والمحظيات أكثر حظاً، وقد يحصلن على قفطان رفيع وحلي ثمينة، لكن دون أن تصل إلى مستوى ملابس وحلي الزوجة الشرعية.

وعلى مستوى ظروف العيش من سكن وتغذية وعلاج، يمكن أن يسكن بعض الرقيق في مسكن رفيع من أربع غرف يغضهم عليها حتى الأحرار، وقد لا تتجاوز أحياناً ركناً عادياً ينزوي فيه العبد داخل بيت السيد في جو يظفي عليه البؤس والحرمان. غير أن الحياة غالباً ما تكون قاسية جداً لأولئك العبيد ممن يشتغلون في المزارع والحقول، فلا يسكنون سوى أكواخ أو نوابل من الخشب أو القش. وتكاد تكون حالات سوء التغذية بل والمجاعة أمراً معهوداً في الأماكن النائية، حيث يُكْتَفَى بالنمر كمادة غذائية وحيدة، مما يجعلهم عرضة للأمراض بسهولة كبيرة. وفي حالة مرض العبيد، يحاول العديد من الأسياد أن يتخلصوا منهم في أسرع الأوقات بطريقة أو بأخرى، فيتخمونهم بالطعام لتسمينهم حتى لا يفطن الزبناء إلى مرضهم الداخلي فيشترونهم. غير أن تلك الحالات لم تشكل القاعدة، إذ كان الأسياد يحاولون في غالبيتهم مواجهة أمراض عبيدهم منذ البداية حسب الإمكانيات المتوفرة كالاعتماد على خبرة الحجامة، بينما كان المخزن يلجأ إلى خدمات الحكيم. أما أنواع الأمراض المنتشرة في أوساط الرقيق فقد كانت كثيرة، ومنها الجدري والسفلس التي كان يعتقد أنها صنف من الجذام. والعلاج الذي كان شائعاً هو اتباع نظام غذائي نباتي لمدة أربعين يوماً بدلاً من استعمال الميركور.

ويمكن تصنيف العبيد إلى مراتب متباينة، كما أن هناك علاقة وثيقة بين سلوك الرقيق وبين الوضعية العامة لأسيادهم، وليس من النادر أن يتصف بعض الرقيق بممارسات متناقبة للأخلاق كشراب الدخان والخمر وممارسة الشعوذة، بل ومخاطبة الجن حسب اعتقاد البعض (عيشة خدام). وعلى عكس ذلك، هناك العبد المرافق والملازم لسيد، سواء في الحركات السلطانية أو القائدية، أو في المهام الخاصة كالأمناء مثلاً. بل كان منهم من يصحبون أسيادهم إلى الديار المقدسة، وهناك نموذج قائد كالة الذي رافقه عشرة من عبيده إلى الحج، وهو شيء لا يمكن أن يحققه الأحرار لأنفسهم بسهولة. وحين يكلفون بحراسة الأبواب ومخازن الحبوب أو الزيت، فهي كالقلاع التي يستحيل على الغير اقتحامها. بل كان بعض العبيد يسهرون على الثروات والعقارات ويتحملون مسؤولية تسميتها لفائدة السيد وكأنهم رجال أعمال. ثم هناك الحراس في الزوايا والأضرحة، ومعلوم أن الزوايا تمتلك ثروات نقدية (الربيعة)، فضلاً عن الثروات العقارية والأراضي الفلاحية المعروفة بالعزيب، مما جعلهم يحظون بالتقدير لدى السكان ومقدمي الزوايا أنفسهم.

ارتكبتها في قيامه بأشغال البيت، وقد يُرمى بالرصاص وتذهب حياته هدرًا. وفي هذا السياق، هناك نموذج علي مزين من قبيلة شتوكة بسوس الذي ذبح أحد عبيده أمام المحلة المخزنية احتجاجًا على تظلم الولاة في القبيلة. وهناك حالة أخرى تم فيها تجريب مدى فعالية السم في أحد العبيد الذي مات في حينه. وإذا كانت مثل هذه الحالات منعزلة حقًا ونادرة الوقوع، فقد كانت مع ذلك موجودة وحاضرة كمؤشر على التباين الذي كانت تعرفه الحياة الاجتماعية في مغرب الأمس.

لكن ماذا عن الحياة العائلية والجنسية للرق في المغرب البائد؟ وإذا كانت للعبيد حياة عائلية، فكيف كان يتصرف فيها الأسياد؟ من المؤكد أن العبيد كانوا يتزاوجون فيما بينهم، إلا أنه ليست هناك ضمانات حقيقية بأن يحترم السيد ذلك الزواج. وفيما يخص هذه النقطة، فإن الوثائق المخزنية التي اعتادت الإفصاح عن معطيات لا يستهان بها تخص العبيد في حركتهم خلال النهار تلوه بالوصف في شأن ما كان يجري خلال الليل، وهو الوقت الذي كان يفسح فيه السيد المجال لنفسه لإشباع رغباته الجنسية. وهذا الموضوع لا توجد عنه أصداء متناثرة إلا في الفتاوى الفقهية؛ وقد وردت الإشارة في المعيار إلى جهات معينة في المغرب كانت تقدم فيها النساء للضيوف، وهكذا تشتغل النساء في العمل الشاق طول النهار، وتتحولن إلى مصدر للمتعة واللذة الجنسية في الليل.

وبطبيعة الحال، كانت هناك اختلافات بين الممارسات الجنسية عند القرويين والحضرين: ففي المدينة، تتحمل الزوجة الشرعية مسؤولية الحفاظ على الخلفة. أما المتعة الجنسية فتتطلب توفر الرجل على أربع نساء شرعا، ويمكنه في الآن نفسه أن يمتلك من الإماء والمحظيات والخليلات ما لا عد له ولا حصر. ويبدو أن الاهتمام كان كبيرا في المجتمع المغربي البائد بالعناصر السوداء، فالجشبات تفوق درجات حرارتهم فيما يبدو مثلتها عند أخواتهن البيض والباردات أحيانا برودة الثلج الأبيض. وكثيرة هي التنازل الفقهية التي تميظ اللثام عن تبرم النساء البيض من سلوك أزواجهن الجنسي لكثرة ارتباطهم بالخدم السود فتقلن عن الأزواج: كل عقله مع سودائه.

وكانت العائلات المسورة تقدم للأبناء قبل الزواج خادمة ثقة كهدية، الغاية منها أن تقدم إليهم نوعا من التربية الجنسية التجريبية. وانطلاقا من هذه الظاهرة، يمكن الحديث عن غياب العنصرية في مسألة الجنس، خاصة وأن الخادمة قد تلد مع سيدها فتتحول تبعا لذلك إلى زوجة شرعية. وهي ظاهرة قوية المحضور في عالم القواد والعمال، وخاصة في المدن الحضرية كفاس معقل نشأة البرجوازية المغربية الصاعدة. وهذا على الرغم من إلحاح الرجال وحرصهم الشديد على استعمال خليلاتهن من الإماء والجواري مختلف وسائل منع الحمل التقليدية الشائعة

ثم هناك خصال نبيلة اشتهر بها العبيد في المغرب، وهي الوفاء والإخلاص للسيد وأفراد أسرته، وأبرزها نموذج "دادة" التي تسهر على تربية الأبناء من ولادتهم إلى حين زواجهم وربما حتى بعد الزواج. وكان ابتعاد دادة أو غيابها عن البيت لسبب من الأسباب يؤثر في النفوس نظرا لأهميتها العاطفية. وهناك القلق الذي ينتاب الرقيق الذين يشتغلون داخل بيوت كبار الأعيان كلما حل المرض بأحد أفراد الأسرة أو سافر بعيدا عن البلد. بالإضافة إلى الحزن الذي يصيب عائلة السيد عند وفاة العبد الوفي لأنه تفانى في الخدمة إلى حد نكران ذاته ونسيانها. وفي هذا السياق هناك نموذج لأحد قواد مكناش الذي أسره الفرنسيون، فأبى عبده إلا أن يرافقه إلى السجن. وأيضا نموذج العبد الذي رفض بتاتا الكشف عن المكان الذي يخفي فيه سيده كتره على الرغم من الضرب المبرح الذي تلقاه في كل موضع من مواضع جسده.

غير أن هذا الوضع لم يكن يشمل كل الواقعين في الرق لوجود عدد كبير منهم في وضع مخالف جدا، إذ كان المشتغلون في الحقول أكثر تعاسة وأقل حظا. إذ كان عليهم حفر الحفارات وعصر الزيتون اعتمادا على مجهودهم العضلي فقط. أما في أراضي المخزن وفي المزارع التي كانت تمتلكها الزوايا والأشراف، فقد نجد بعض العبيد يشتغلون إلى جانب المياومين الأحرار. ومع ذلك، فإن العبيد لم يشكلوا قطّ عنصرا أساسيا لضمان استمرارية الإنتاج. ومن غير المؤكد أن استعمال الرقيق في البلدان الإسلامية ومن بينها المغرب كان يقتصر على الخدمة المنزلية، لأن هناك نموذج أحمد المنصور السعدي الذي استقدم عددا من العبيد من السودان للسهر على مزارع السكر ومعاصره.

وإذا كان بعض الرقيق يحيون حياة رغيدة في الوسط الحضري، فإن بعضهم الآخر كان يعيش في الجحيم. وعلى الرغم من أن العنف كان يشمل الأحرار والعبيد في الآن نفسه بحكم سيادة الاستغلال وسيطرة الرجل على المرأة والأولاد، وبحكم هيمنة سلطة القواد ونفوذهم في مغرب ما قبل الحماية، فلا مجال للاستغراب أمام ما يمكن أن يتلقاه العبيد من الضرب المبرح لأسباب حقيقية أو مفتعلة. وإذا كان الشرع يسمح للسيد بأن يؤدب رقيقه بعشر ضربات حسب الونشريسي، فإن المجال قد يفسح أمام التجاوزات التي لا يمكن إيجاد حد لها. ورغم أن العبد كان له الحق شرعا ومن الناحية النظرية في أن يطالب بعرضه للبيع أو بتحريره من الرق في حالة الإفراط في سوء معاملته، فإن الواقع قد أثبت في كثير من الحالات بأن الهروب هو الملاذ الوحيد، فيلجأ العبد الفار إما إلى أحد الأضرحة أو إلى المخزن أو حتى إلى قنصل أجنبي. وإذا لم يتمكن من الفرار، فإن مصيره هو التعذيب والعقاب، فيقيد بالسلاسل والأغلال، ويجلد بالوسط أياما وليالي تصل به إلى حدود الإغماء. وقد يتلقى خمسين جلدة مقابل مخالفة بسيطة

وقتئذ على علاتها. غير أن النساء كنّ يتلاعبن في ذلك، لأن الإنجاب من السيد كان إحدى الخطوات الأساسية والمضمونة في طريق الانعتاق.

وبناء عليه، فليس من الغريب أن تغيب الأسماء العائلية عند العبيد، بل حتى أَسْمَاؤُهُم الشخصية تتغير حسب رغبة السيد الجديد. وقد يباعون في الأسواق دون أدنى اهتمام يرباطهم الأسرية، وهذا من أفسى مظاهر الاسترقاق سواء في المغرب أو خارجه، على الرغم من أن الشرع يمنع بيع الأطفال قبل نمو أسنانهم. ومع ذلك، فقد كانت الأسواق مليئة بهم، بحكم أن الرقيق ليس سوى بضاعة. وكان من الصعب جدا أن يتعرف أحد العبيد على والده الحقيقي لتعدد حالات المضاجعة الجنسية بين السيد وجواربه المتزوجات. وتعرض في أسواق النخاسة كثير من الإماماء الخادِمات اللواتي تُعَبَّن بأثمان بخسة، لأن السوق تتيح فرصة مواتية للتخلص من الإماماء اللاتي قد يخلقن مشاكل عويصة سواء مع الزوجة الشرعية أو مع الأبناء والأصهار.

وهناك حالات عديدة لأشخاص لم يترددوا في احتراف كسب الرقيق وتربيته من أجل الإنجاب وبيع الأبناء بالربح في الأسواق لاعتبارهم أفضل من تربية أربع بقرات من حيث المدخول. وعلى العكس من ذلك تماما، فإن هناك من الأسياد من كان يحاول جاهدا أن يضمن حياة عائلية مستقرة للرقيق الخاضع لإمرته أملا في استخلاص أفضل النتائج منهم في مختلف الأعمال التي يمارسونها وأملا في الحفاظ على تماسكهم وعدم تفكيرهم في الفرار منهم.

وفي مغرب الأمس كانت حالات الفرار لا تقتصر على العبيد، بل تشمل الأحرار أنفسهم نتيجة للتقلبات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية العامة، ومنها حالات الفرار الناتجة عن الاستئانة من التاجر أو الثري المغربي مسلما كان أم يهوديا مرايبا أو من التجار الأوربيين ووكلائهم. وقد بفر أيضا الأشخاص الذين يعيشون وضعا مشابها للرقيق مثل الحماسة. كما كانت ظاهرة فرار الرقيق عامة سواء في المدن أو البوادي، وسواء لعبيد الأثرياء أو الأقل ثراء منهم. بل وحتى عبيد المخزن وعبيد الزوايا قد كانوا يفرّون، وفي ذلك دليل على أن وضعهم كان غير مريح، وأنهم كانوا مستعدين للتعبير عن رفضهم لذلك الوضع عن طريق الفرار.

وكان العبيد الراضون لوضعهم لسبب من الأسباب لا يترددون في استغلال الصراعات القائمة بين القبائل للفرار عند عناصر تنتمي إلى قبيلة مناوئة قد تكون مجاورة أو نائية. كما شكلت الزوايا ملجأ مفضلا للعبيد الذين كان البعض منهم يتحول إلى خادم لفائدة الزاوية ليضمن بقاءه بعيدا عن سادته القدامى. وقد يتجه العبد الفار إلى المخزن، وقبل سنوات الستين من القرن التاسع عشر كان المخزن يعيد العبد الفار إلى سيده. لكن بعد ذلك التاريخ

تقرر إدماج العبيد الفارين إلى المخزن في صفوف الجيش الرسمي. وقد تحقق ذلك بصفة تدريجية، فكانت البداية مع العبيد الفارين من القواد والشيخوخ، ثم شمل بعد ذلك عبيد الحواص. لكن هناك حالات عديدة لبعض الفارين من الرقيق ممن كانوا لا يقبلون اللجوء إلى المخزن ويفضلون المغامرة بالذهاب بعيدا إلى جهات أخرى، وكان من الصعب جدا العثور على العبيد الفارين، لكنه لم يكن أمرا مستحيلا. لأن الفارين يضطرون إلى المرور عبر المسالك الطرقية العامرة والمأهولة. كما كانت الزوايا تشكل مصدرا ثمينا لتتبع تحركات العبيد الفارين، إلى جانب موظفي المخزن من القواد وشيوخ القبائل. وهناك حالة الشيخ الذي نصح أبناءه بعدم منح الصدقة إلى المجرم القاتل والعبد الهارب والفار من سلطة المخزن. وعلى الرغم من العقوبات القاسية التي كانت تلحق بالفارين من الرقيق، فإنهم لم يترددوا في إعادة الكرة من جديد.

ومع ذلك فإنه من الصعب اعتبار حالات الفرار كمؤشر على وجود حالات تمرد أو ثورة فردية أو ربما حتى جماعية. ولا يمكن بتاتا الحديث في حالة المغرب عن ثورة عامة للعبيد. وهي حالة لو تم التسليم جدا بوقوعها، فإنها لا يمكن أن تقع إلا في الجنوب حيث يعيش عدد هام من الرقيق المجتمعين في إطار العمل الفلاحي الجماعي المعروف بقساوته الشديدة. لكن الغريب في الأمر أن هناك عدة حالات للفرار لا يرفض فيها العبيد الفارون مبدأ الاسترقاق في حد ذاته، بل يطالبون فقط بالانتقال إلى ملكية سيد آخر. غير أن هناك حالات أخرى متطرفة أقدم فيها العبيد أحيانا على قتل أسيادهم في الشياظمة وأولاد زيان مثلا. وفي غالب الأحيان، قد يتحول الفارون من الرقيق إلى لصوص : فربما تكون البداية هي سرقة ما يمكن الاقتنيات به، ثم يتحول الأمر إلى حرفة يمارسها العبد الفار ويتخذ منها وسيلة للانعتاق. وربما تكون البداية أيضا بالانخراط في عصابات لصوصية، وتلك هي حالة العبد بلال في حاحة الذي اعترض طرق المسافرين ونهب الزوايا لمدة عشر سنوات دون عقاب، فلجأ في نهاية الأمر إلى حرم إحدى الزوايا. وتوجد حالات مماثلة في الحوز ومليلية، حيث لم يتردد بعض العبيد الفارين في المساهمة في أعمال التهريب على حدود مليلية.

ويبدو أن الإسلام لم يحجر الرقيق بصريح العبارة، لكن الله تعالى حث المؤمنين من عباده على القيام بذلك، فتكررت الآيات القرآنية التي تحمّد فك الرقاب، وهي من الحسنات التي يُكافأ عليها فاعلها بأفضل الثواب. وفي هذا السياق، هناك نموذج لأحد قضاة سوس الذي ذكر المختار السوسي أنه حرر كل عبيده قبل وفاته، إلا أنها تظل حالة نادرة. وفي المدن هناك بعض الشرفاء أو كبراء الأعيان الذين يقومون بتحرير بعض عبيدهم رغبة في الثواب.



ويعتبر الخطف والاعتصاب في صفوف النساء الأحرار لتحويلهن إلى جوار ينتهي بهن المطاف في أسواق النخاسة أمرا معهودا ومنظم الوقوع في مغرب ما قبل الحماية. وتتراوح أعمال الخطف بين عمل الهواة الذين يختطفون الناس عند الحاجة وبين المحترفين، وعادة ما تتم العملية في الليل، وتقس الأطفال فيوضون داخل التلاليس، كما تمس الإناث أكثر من الذكور. وقد برزت أسماء مشهورة في هذا الإطار مثل "الحاج مول الكربة" في قبيلة الزبايدة، ويوقطب الذي كان مختصا في سرقة النساء بمنطقة زعير. وكان الأمر على مستوى من الجدبة والأهمية، إذ خصص له مولاي الحسن حيزا هاما في رسالته إلى رعاياه بمناسبة حلول مطع القرن الهجري الجديد (1300 / 1882 - 1883) نقرأ فيها : "ومن المنكر الذي لا يسع التغافل عنه والتساهل في أمره، هذا الخطاب النازل الوقتي الذي هو المجاهرة باستعباد الأحرار واسترقاقهم بدون وجه شرعي، فإن المستعبد للحر هو أحد الثلاثة الذين لا يقبل الله منهم صلاة" ( إتحاف، ج. 2، ص. 229). غير أن الأمور استفحلت بعد 1893، حيث ارتفع عدد الاختطافات عن طريق العنف في صفوف النساء الأحرار وأطفالهم في المناطق الجبلية لبتعم كعبيد في سوق النخاسة. وما كان يشجع اللصوص على تلك الممارسات وجود طلب كبير على الرقيق من كبار القوم واستعدادهم لدفع أثمان عالية مقابل الحصول عليهم. وما أن العمال والقواد "عمال الوقت" كانوا يشتركون أيضا في العمليات بالتستر عليها، فذلك يعني أن تركيبة المجتمع هي التي كانت تشجع على قيام بعض المغامرین بممارسات من هذا القبيل، مما كتب لها الاستمرار. وفي السياق نفسه، تقدم مقتطفات من رسالة للسلطان محمد بن عبد الرحمن المعطيات الآتية : «وغير ذلك من المنكرات وأشنعها وأبشعها ما يرتكبه الأشياخ الفجرة من بيع النساء على ما بلغنا. وصورة ذلك أن يقبض الرجل وتوظف عليه الذعيرة، فلا يفي بها ماله وتكون عنده الزوجة المرغوب فيها، فيتحمّل الراغب فيها بما بقي من الذعيرة ويسلمها له ويجعلها العدول الفجرة في صورة خلع، ويدخل بها الراغب قبل وفاء العدة (...)» (ابن زيدان، إتحاف، ج. 3، ص. 121). وهذا ما يفسر بسهولة سبب امتلاء دور القواد والعمال بالجوارى والخدم والإماء من مختلف الأشكال والألوان، مما يجعلهم يتحولون هم بأنفسهم إلى نخاسين يتاجرون في الرقيق. وأبرز نموذج في هذا السياق هو الأكلواوي بدون منازع.

ومن جهة أخرى، كانت المجاعات من بين الأسباب التي تدفع بعامّة الناس إلى بيع الأقارب والأبناء مقابل قطعة من الخبز أحيانا. ويمكن اختيار مجاعة 1879 كنموذج حدثنا عنه ابن زيدان مرة أخرى فقال : "ولما دخلت سنة خمس وتسعين بقي (السلطان) مقيما براكش شفقة على رعيته لما دهمها في تلك السنة من حبس المطر، وارتفعت بسببه

الأسعار، وبلغ ثمن المد من القمح بمكناس أربعة عشر مثقالا، فضع الناس وافتتنوا وكاد أن يأكل بعضهم بعضا، وصار المرء يفر من أخيه وأمه وبنيه ويبيع الوالد ولده (...)".

وشكلت محاربة الاسترقاق على الصعيد العالمي قضية بالغة الأهمية لبني الإنسان قاطبة، فكانت الدفارك أول الدول الأوروبية التي اتخذت مبادرة إلغاء الرقيق الذي استهدف السود سنة 1792، فالتحقت بها فرنسا سنة 1794 وبريطانيا سنة 1807، والولايات المتحدة سنة 1808. وفي مؤتمر فيينا المنعقد سنة 1814، حاولت بريطانيا استخدام نفوذها لحث دول أجنبية أخرى للاقتداء بسياستها، فأقرت جل الدول الأوروبية مجموعة من القوانين، أو وقعت اتفاقيات تمنع تجارة الرقيق الأسود. وقد ألغي الاسترقاق في المستعمرات البريطانية سنة 1833. وفي 1842 وقعت الولايات المتحدة وبريطانيا اتفاقية أشبورتون Ashburton، فنصت على أن تستعمل كلاهما مراكبها البحرية على امتداد السواحل الإفريقية لتطبيق المنع في تجارة العبيد. وفي 1845، تم تعويض التعاون بين القوات البحرية الفرنسية والإنجليزية بحق الزيارات المتبادلة للمراكب الخاصة بكلتا البلدين. وفي هذا السياق، حصل العبيد الفرنسيون على حريتهم سنة 1848، والعبيد الهولنديون أيضا سنة 1863. وحين تأسست جل الجمهوريات الجديدة في أمريكا الجنوبية، فقد حرصت على تحرير كل العبيد. غير أن البرازيل مثلا لم تعترف بإلغاء الرق إلا في سنة 1888.

وفي بلدان العالم الإسلامي وفي المغرب بوجه خاص، بذلت بريطانيا جهودا لا يستهان بها للقضاء على الاسترقاق أو على الأقل لمنع استمرار تجارته علنا في الأسواق. وكانت البداية في الأربعينيات من القرن التاسع عشر في منطقة البحر المتوسط بوجه عام، حين تأسست الجمعية البريطانية المناوئة للاسترقاق سنة 1839 : "British and Foreign Anti-Slavery Society"، فشنت بريطانيا حملة قادتها ضد تجارة العبيد في بلدان حوض المتوسط. حيث أقام أحد مبعوثي الجمعية، وهو جيمس ريتشاردسون Richardson، في مالطة بهدف الشروع في حملة ضد الاسترقاق في المغرب وتونس وطرابلس.

في تونس استجاب الباي للدعوات البريطانية لأنه كان ينوي الاعتماد على بريطانيا لدرء خطر الغزو الفرنسي. فتم منع تصدير العبيد من تونس سنة 1841، ثم منع بيع العبيد في جميع الأسواق التونسية سنة 1842. وفي أبريل 1842 منع جلب العبيد إلى تونس فأصبح كل عبد تطأ قدماه تونس يعتبر حرا. وبعد خمسة شهور، أصبح الأبناء الذين يولدون من أبوين عبيدين أحرارا، إلى أن أعلن عن الإلغاء النهائي للاسترقاق في تونس سنة 1846. وفي الخمسينيات من القرن التاسع عشر، صدرت بعد الفرمانات

في شأن تجارة الرقيق الأبيض في جورجيا وبلاد القوقاز، وأخرى في 1875 في شأن تجارة العبيد السود في أرجاء الأمبراطورية العثمانية، باستثناء الحجاز حيث كانت هناك معارضة قوية واعتبر إلغاء الاسترقاق عملاً متناقضاً مع الإسلام.

أما في المغرب، فقد اتخذت الأمور اتجاهها مخالفاً تماماً؛ إذ يخبرنا داندل مكنزي Donald Mackenzie، بأن مبعوث الجمعية البريطانية رينشاردسون قد بذل محاولة أولى سنة 1844 ليلبغ السلطان عبد الرحمن بن هشام رسالة في الموضوع، فرفض عامل الصورة نقلها إلى مراكش. ولم يكن هذا الرفض سوى تطبيق لتعليمات سلطانية، لأن بوسلهام بن علي في طنجة قد سبق له أن تلقى عرضاً مماثلاً من مجموعة بريطانية وفرنسية رغبت في الاجتماع بالسلطان للتباحث معه في موضوع منع تجارة الرقيق، فأمره السلطان بأن لا يسمح لهم بالتنقل إلى مراكش، ويكتفي باستلام رسائل منهم في الموضوع.

وفي أربعينيات القرن التاسع عشر، لم تكن هذه المحاولات لتحقق النجاح المطلوب، لأن الحكومة البريطانية لم تعزز مبادرات الجمعية المناوئة للاسترقاق، بحكم أن النفوذ البريطاني ظل عادياً. ويجب انتظار سبعينيات وثمانينيات القرن نفسه لتصبح الجهود حقيقية وفعالة نسبياً في هذا السياق. وتحفظ الوثائق البريطانية في لندن بنسخة لرسالة جوابية هامة من نائب السلطان محمد برغاش إلى سفير بريطانيا جون دراموند هاي بتاريخ 31 يناير 1884، تعكس جزءاً هاماً من الجهود التي بذلتها بريطانيا لإقناع السلطات المخزنية بإلغاء الاسترقاق. كما تقدم لنا موقف المخزن من الاسترقاق بوجه عام وردود فعله أمام تلك الدعوات التي لم تجد صدى لها على النحو الذي كانت تستمناه بريطانيا.

ويبدو أن الأمور لم تتجاوز هذا الحد، وظل المخزن ثابتاً من حيث مواقفه الميدانية في شأن الاسترقاق بالمغرب. وإذا كانت تجارة الرقيق قد تراجعت بشكل جدي في حوض البحر المتوسط منذ أواسط القرن التاسع نتيجة للمراقبة الصارمة التي مارسها البريطانيون انطلاقاً من مالطة، فإن التجارة العابرة للصحراء لم تعبأ بالمبادرات الدبلوماسية مهما تعددت على امتداد السنوات اللاحقة. وإذا كانت الطرق الشرفية التي تفضي إلى توات وتافيلالت قد ضعفت فيها حدة تجارة الرقيق خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر نتيجة للوجود الفرنسي في الجزائر، فإن الطرق الساحلية قد تزايدت أهميتها. ويؤكد ميسج بأن الفترة الممتدة بين 1840 و1870 قد سجلت عبور أزيد من 4000 من الرقيق في اتجاه المغرب. غير أن السنوات اللاحقة ما لبثت أن سجلت تراجعاً مهماً كما تشهد بذلك المصادر الأوربية نفسها.

ومع ذلك، فإن محمد الناجي الذي اشتغل كثيراً في هذا

الموضوع اعتماداً على مصادر مغربية قد أكد بأن تجارة الرقيق ظلت مهمة من حيث حجمها إلى حدود نهاية القرن التاسع عشر على الأقل وقد تراجعت تجارة الرقيق بصفة مؤكدة في مناطق المغرب الشمالية، بما في ذلك أسواق النخاسة بفاس ومكناس وسلا حيث كانت الحركة نشيطة من قبل. وكذلك الشأن بالنسبة للمناطق الساحلية، إذ سجلت أسواق الجديدة والدار البيضاء تراجعاً واضحاً. أما في المغرب الشرقي، فقد أصبح من النادر أن ترد الإشارات عن بيع الرقيق في سجلات الأماناء بوجدة. ومع ذلك فإن هذا التراجع ليس عاماً ولا متواصلاً على مستوى مجموع البلاد. ففي الجنوب مثلاً، ظلت حركة تجارة الرقيق محتفظة بأهميتها المعهودة فيما يبدو، وخاصة في أسواق مراكش حيث تصل أعداد هامة من العبيد ليتم توزيعهم من جديد على جهات أخرى في المغرب. وتؤكد الأرقام الواردة عند الناجي أن السنوات الممتدة بين 1876 و1880 قد سجلت بيع 4.000 من الرقيق سنوياً في مراكش. هذا وتجدر الإشارة إلى أن المغرب لم يوقع على اتفاقية بروكسيل التي صدرت قراراتها المناوئة لاستمرار الرق في 2 يوليوز 1890، بينما وقعت عليها إيران والأتراك العثمانيون.

ع. الرحمن ابن زبدان، إتحاف، ج. 2 و 3 : المختار السوسي.

المعسر، أجزاء مختلفة.

Ennaji Mohamed. *Soldats, domestiques et concubines, L'esclavage au Maroc au XIXe siècle*. Casablanca, 1994 : Ennaji Mohamed et Ben Srhir Khalid. "La Grande Bretagne et l'esclavage au Maroc au XIXe siècle", H.T., vol. XXIV, fasc. 2, 1991 : Chater Khalifa. *Dépendance et mutations précoloniales : la Régence de Tunis de 1815 à 1857*. Tunis, 1984 : Murray Gordon. *L'esclavage dans le monde arabe. VII-XXe siècles*. Paris, 1987 : Mackenzie Donald. *The Khalifate of the West*. London, 1911 ; Miège J.L.. *Le Maroc et l'Europe*, t. IV : Godard Léon. *Description et histoire du Maroc*. Paris, 1860, t. I. *British Documents in the Public Record Office*.

خالد بن الصغير

**الرقاص،** عند المغاربة هو الساعي عند المشاركة، أي الرسول الذي يصدر أو يرد بالكتب والمخاطبات من جهة إلى أخرى، وقد أورد المصطلح عبد الله ابن بلقين في مذكراته بقوله : "وأما الرقاصة من المغاربة"، وابن القطان في نظمه "وجه رقاصا" و"هؤلاء الرقاصين"، وابن صاحب الصلاة "ونهض الرقاص" و"سرى الرقاصون" وابن عذارى "وبعث رقاصا إلى أمير مكناسة" "فبعد وصول الرقاص بالكتاب إليه" و"ركب الرقاص" "أن يبعث الرقاصون" "وجاء بالكتاب رقاص..."

ولفظة الرقاصة ما تزال متداولة في المغرب إلى اليوم، وهي تقال كناية عن سرعة حركة الفرد وكثرة تنقله من مكان إلى آخر، وهي في نفس المعنى الذي كان يعطى لحاملي المراسلات في العصر الوسيط، وهو لفظ ينتسب

إلى الاصطلاح المغربي الأندلسي، والراجع أنه يعود إلى ما قبل الفترة المرابطية بدليل وروده عند عبد الله ابن بلقين أمير غرناطة (488 هـ تاريخ التأليف)، وابن القطان (628/1230).



وتحقيقا للاستعجال كان الرقاص يسري الليل والنهار قاصدا وجهة المرسل إليه، حيث تنقل لنا المصادر حقيقة هذه السرعة وحرارة هذا الاستعجال أثناء إيصال الكتاب بقولها "وطارت إليه طيارات الاستعجال" و"طارت الركبان". وكان الرقاص يستعمل أنواعا خاصة من الخيول الجيدة المرسجة مثل الخيول الفزازية والحمدية والمسيلية والأزابية، وإلى جانبها كان يستعمل السفن والمراكب البحرية خصوصا في الربط بين ضفتي البحر المتوسط وقد تسرع به الرياح وقد تؤخره.

لقد عكست المصادر السرعة التي كان الرقاص المستعجل يقطع فيها المسافات، فقد قطع المسافة بين سلا ومراكش في يومين فقط، والمسافة بين مرسية ومراكش في ستة عشر يوما، ويصفها ابن صاحب الصلاة بأنها غاية السير، وهذا دليل على أنه كان جادا في سيره، وفقا للمهمة التي كان يوكلها له الأمير أو الخليفة، فهو من كان يعينه إذا كان صادرا من عنده، أما رقاصو الولايات فقد كان الوالي أو الأمير هو من يعينهم، أما أجورهم ورواتبهم فالملحوظ أن ما كان يؤدي لهم لم يكن يكفيهم للسير أو يساوي قدر الجهد الذي كانوا يبذلونه، لذلك كانوا يكلفون الناس بعضا من مؤنثهم وعلف دوابهم، إلى أن جاء ظهير تنظيم البريد الذي تكلفت الدولة بموجبه بزادهم وعلف دوابهم، إضافة إلى إجزال العطاء لهم بسخاء بحسب قيمة الرسالة الواحدة ووجهتها والمسافة التي سيعبرها، أي أن العطاء كان يختلف بحسب الرحلة.

المقري، النفع 2: 146، تج. إحسان عباس، بيروت، 1968؛  
مذكرات الأمير ابن بلقين، 157، تج. أمين توفيق الطيبي،  
منشورات عكاظ: ابن القطان، نظم الجمان، ص. 163، 198، تج.  
محمود علي مكي، بيروت، 1990؛ ابن صاحب الصلاة، المن  
بالإمامة، 74، 76، 77، 78، 126، 200، تج. عبد الهادي التازي،  
بيروت، ط. 1987.3؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 4: 27، 29، تج.  
إحسان عباس، بيروت، 1980؛ قسم المرشحين، 50، 51، 66، 85،  
301، 302، 321، 345، تج. محمد إبراهيم الكتاني وآخرين،  
البيضا، 1985؛ المراكشي، العجب، 376، تج. سعيد العريان  
وآخر، البيضا، 1978.

محمد البركة

**ابن رقاصة، خليفة بن إبراهيم** وهو ابن عم خليفة ابن رقاصة قهرمان دار الأمير يوسف بن السلطان يعقوب المريني ثم القيم على أموال القصر عندما أصبح يوسف ملكا. وينتمي الاثنان إلى أسرة بني رقاصة (أو بني رقاصة) من اليهود المعاهدين بفاس الذين كان لهم شأن كبير في بلاط بني مرين أيام ملوكهم الأوائل. وقد لقب ابن رقاصة هذا بالصغير تمييزا له عن ابن عمه خليفة الكبير الذي نكب هو وأخوه إبراهيم وموسى بن السبتي وذويه، وكان ذلك على يد الحاجب عبد الله بن أبي مدين عند ما أحس بتعاطم نفوذهم وتغلبهم على هري السلطان وحاشيته

لكن رصد مراحل تطور الرقاصة بالمغرب يظهر أن هناك فرقا بين البداية الأولى لظهور الرقاصة، وبين الرقاصة بعد 16 ربيع الأول 543 تاريخ صدور الظهير المنظم للبريد أو للرقاصة على عهد عبد المؤمن بن علي الغومي؛ حيث أصبحت الرقاصة بعد هذا التاريخ نظاما له قواعد مضبوطة يسير عليها، وأسس معلومة شكلته كنظام بديع في ترتيبه؛ فهناك الرقاص العادي وهو الرسول الذي لا يحترف الرقاصة بل له مهمة أخرى يقوم بها كالتجارة أو غيرها، وتسميته بالرقاص العادي تأتي لكونه دائم ركوب الطريق وموصل الرسائل إلى الجهات التي يقصدها أو سيمر بها، وهذا النوع من الرقاصة ليس له أسس، فهو لا يرتبط بمدة محددة لإيصال الرسالة فيها، لأن مهمته هاته ثانوية، وتختلف وسيلة نقله بحسب إمكانياته الخاصة، وهو يتقاضى على مهمته هاته بحسب ما يمنحه له المرسل، على أن نوع الرسائل التي يتكلف بها هي في الغالب رسائل لعامة الناس.

أما الرقاص المستعجل، فهو رقاص يرتبط بمهمة سياسية أو عسكرية أو إدارية... بحسب مضمون مخاطبة الأمير أو مراسلة الوالي أو أحد موظفي الدولة، فهو يتنقل بين المراحل والمدن ممتطيا صهوة فرسه، ليجد في كل محطة يصلها وبعد كل مرحلة يقطعها حصانا مسرجا ملجما يمتطيه إلى المرحلة التي بعدها.

ولم تكن مراحل تغيير الحصان شبيهة بمراحل السير التي ذكرتها كتب المسالك، بل كانت لهم محطات معلومة ترتبط بعدد الأيام التي يلزم قطع الرحلة فيها، أي أن المسافة المرغوب اجتيازها تنوزع إلى مراحل بعدد الأيام التي يلزم قطع المسافة فيها. وكانت الدولة بعد ظهير تنظيم الرقاصة هي التي تتكفل بالدواب وعلفها وزادها حتى لا يكلف الرقاص الناس مؤونة رحلته خلاف ما كان سائدا قبل ذلك.

aux 13e et 14e siècle, Paris, 1966, p. 393 - 395 : M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986, p. 106 - 266 ; A. Khaneboubi, *Les premiers sultans mérinides (1269 - 1331)*, *Histoire politique et sociale*, Paris, 1987, p. 176.

رشيد السلامي

**الرققي، عبد الله بن حسين، المدعو القَبَاب.** والرققي نسبة إلى الرقة، بلدة بشاطئ نهر الفرات من أرض العراق قيل إن أصله منها. وقد فسر بعضهم الرقي، من الرق، بقاف معقودة، وهو الهضبة الحصوية. أما القباب، فهو أحد أسماء الأسد.

كان مولد الرققي بزواية سيد الناس، بفزواطة من درعة، في تاريخ غير محدد. ويتلك القرية تلقى تعليمه الأولي؛ ثم أخذ عن عالم درعة في وقته، الشيخ أحمد بن علي الحاجي (ت. 1590/998). وهو الذي لقنه ورد الشاذلي، عن أبي القاسم الغازي، عن علي بن عبد الله السجلماسي، عن أحمد بن يوسف الراشدي، عن الشيخ أحمد زروق البرنسي القاسي. ولما استند ساعده انتقل من زاوية سيد الناس إلى تامكروت، حيث علا صيته، وضاع عرفه، ودعيت الزاوية الحسينية، نسبة إليه.

ترجم للرققي عدد من الكتاب، منهم محمد المكي الناصري، في *الروض الزاهر*، الذي قال فيه: "هو القطب الجامع، والغيث الهامع، خاتمة الزاهدين، وإمام السالكين، عالم الشريعة، وأستاذ الطريقة، وسلطان الحقيقة، قطب الزمان، وعنصر العرفان، والحامل في وقته لواء أهل العيان، ونخبة النجباء الأعيان، مربي المريدين، وترجمان العارفين..."

والملاحظ أن الناصري المذكور لم يشر إلى مستوى المترجم العلمي، ولا إلى العلوم التي كان يتقنها؛ شأنه في ذلك شأن الإفرائي، الذي وصفه بأنه "أحد الأفراد السالكين للسنّة، في أقوالهم وأفعالهم، ومن المجتهدين في العبادة". ويتفق باقي من ترجموا له على أنه كان زاهدا متقشفا، في مأكله وملبسه، كثير الصلاة، مشتغلا بالذكر آتاء الليل وأطراف النهار، دائم الصيام، لا يفطر إلا يوم الجمعة. ولذلك صفه أصحاب المناقب في درجة القطبانية. ومنهم من جعل مرتبته فوق مرتبة الشيخ الغازي، صاحب سجلماسة (ت. 891. 1574).

يعتبر الشيخ الرققي المؤسس الثاني للطريقة الناصرية، بعد شيخه الغازي. فكان ورد المتجردين عنده سبعين ألفا (من الهللة)، والمتوغلين سبعة آلاف، والطلبة ألفا، والنساء كذلك. ذلك الورد الذي يرتكز أساسا على "لا إله إلا الله". لذلك كله ترجح أن التصوف كان هو الغالب عليه، أكثر من العلم. والدليل على ذلك أنه عمل، بجمعية تلميذه الشيخ أحمد بن إبراهيم الأنصاري على استقطاب محمد ابن ناصر "لينفعهما بعلمه". ونقل صاحب الدرر

فاعتقلهم وقتلوا جميعا في معسكره بمنصورة تلمسان وهو محاصر لها سنة 701 / 1302، إلا أن خليفة الصغير نجا من هذه المجزرة واستبقى حيا لصغر سنه حينذاك. وفي عهد السلطان أبي الربيع سليمان 708 / 1309 - 710 / 1311 استعمل خليفة الصغير بداره وكلفه ببعض المهن-مما سهل عليه الاتصال بحاشية القصر وبالسلطان مباشرة وكانت في نفسه رغبة جامحة للانتقام من الحاجب عبد الله بن أبي مدين قاتل أسرته. وعندما تمكن ابن رقاصة من مصاحبة السلطان والاستئثار بخدمته والاستحوذ على اهتمامه، أصبح المتصرف في دولته حتى إن ابن أبي مدين لم يكن يقدم على شيء من أمور الدولة إلا بعد مشاورة اليهودي الذي كان جميع الجيش ينادونه بسيدي أبي خزر (بيوتات، 58). استغل ابن رقاصة نفوذه وسلطته ودسّ إلى السلطان أن الحاجب ابن أبي مدين يعرض باتهام السلطان في ابنته، وأن صدره وغر بذلك وأنه متعرض بالدولة وأنه من دعاة آل يعقوب من بني مرين (العبر، 7: 479). وفي رواية أخرى أن ابن رقاصة استعمل براءة مزورة ونسبها إلى جارية من جوارى السلطان سليمان تخبر فيها ابن أبي مدين أنها تحبه وأعطاه ابن رقاصة للحاجب عند انصرافه من المشور وطلب منه أن لا يقرأها حتى يصل إلى داره، ثم خلا اليهودي بالسلطان وأعلمه بالخبر. فغضب سليمان وطالب بإحضار حاجبه وأمره بأن يعطيه البراءة التي لم يكن يعلم بمحتواها ثم أمره بالانصراف. وبعد ما علم السلطان ما في البراءة ظن أن ابن رقاصة كان صادقا فيما أخبره به فثارت تائرة السلطان وقرر قتل حاجبه، وكان مقتله على يد قائد الروم في جيش السلطان غنصالو النصراني عندما طعنه بالقرب من مقبرة الفقيه الإمام أبي بكر بن العربي المعافري بفاس. إلا أن وزير السلطان سليمان بن برزيكن تحمس على مقتل صديقه الحاجب وتفظن إلى مكر ابن رقاصة فأخبر السلطان بأن ابن أبي مدين كان ضحية خديعة اليهودي وهدفا للانتقام، وأطلعته على براءة كان الحاجب يعثها معه قبل مقتله ليقدّمها إلى السلطان ويخبره بأنه يتصل من التهم التي الصقها به اليهودي ويتبرأ منها تماما. بعد ذلك أدرك أبو الربيع مكيدة ابن رقاصة وندم على تسرعه في قتل حاجبه، فأمر بالتنكيل بخليفة وذويه من اليهود وقتلهم جميعا.

م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، تع. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص. 381؛ ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 60. 58؛ *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص. 23. 21؛ *النفحة النسرنية*، تع. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص. 39. 42؛ ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 483. 484. 497. 498؛ أ. ابن القاضي، *جدوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 438. 439؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، ج. 3، ص. 100. 99. 81؛ مادة بنرقاصة، *معلة المغرب*، مطابع سلا، سلا، 1992، ج. 5، ص. 1443.

Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et le Maghrib*

السطوح الطمية الرباعية الوسطى أو الحديثة. وهي أضعف الأثرية حسب الأهالي.

كما يسمى سكان السهول الداخلية (الحوز، البحيرة - السراغنة، تادلة...) التربة رقوقانا أو "رقوانة" التربة الدقيقة النسيج اللينة التي تغطي السطوح المنبسطة أو الخفيفة الانحدار. وهي حسب البعض تربة رقيقة لا تمسك الماء لحدوث السيل فوقها بسرعة، ولأنها تتعرض للتنشيف بسرعة كذلك (سهل السراغنة - البحيرة). ولاستصلاحها لا بد من قلبها وتهويتها. وحسب البعض الآخر هي تربة ثقيلة وغلظية تتطلب مياها كثيرة (الحوز الأوسط).

وعندما تشغل تربة رقوقان مجالات واسعة منبسطة يسمونها "الرك". وعندما تكون المساحات محدودة يطلقون عليها "الروكية" أو "رقوانة". ولعل هذه التسميات مشتقة من الكلمات العربية التالية :

- إما من الفعل رَقَنَ أو أَرَقَنَ أو رَقَّنَ أو تَرَقَّنَ أو أَرَتَّقَنَ أو استرقن بمعنى اختضب بالرقان أو الرقوقون وهو الحناء أو الزعفران. وربما المقصود هو تلون هذه التربة أحيانا بلونهما (SYR 4/4 : أدكن - محمر، أو SYR 5/4 : أحمر مصفر).

- وإما مشتقة من رَقَّ وهو ضد غلظ (لسان العرب). والرَّقُّ أو الرَّقُّ - وهذا يذكرنا بكلمة "الرك" التي يطلقها الأهالي على هذه التربة - أو الرَّقَّقُ : الأرض اللينة الواسعة (المنجد في اللغة والاعلام + لسان العرب)، أو الأرض الرقيقة (لسان العرب).

والرَّقاق : الأرض السهلة المنبسطة المستوية اللينة التراب تحت صلابة، أو الأرض اللينة من غير رمل (لسان العرب). والرَّقاق أو الرَّقاق : الأرض المنبسطة أو المستوية اللينة أو التي نضب عنها الماء (المنجد في اللغة والاعلام). والرَّقَّة : الأرض التي يغطيها الماء ثم ينضب عنها (المنجد في اللغة والاعلام)، أو كل أرض إلى جنب واد ينسبط عليها الماء أيام المد (الفيض) ثم ينحسر عليها (لسان العرب).

وفعلا، فإن المجالات التي يوجد بها هذا النوع من التربة هي في أغليبتها الكبرى أراضٍ منبسطة ومستوية لينة التراب تشكل سهولا ممتدة كما هو الحال بسهل البحيرة - السراغنة على الطريق الرابطة بين قلعة السراغنة وبن جريز، والذي يتعرض أثناء التهاطل أحيانا لمد المياه التي تنحسر عنه بعد بضعة أيام. من كل هذا يظهر أن تربة رقوقان مرتبطة في معظمها بمواد فتاتية لينة (طين، طمي ورمال) منقولة ومنشورة من طرف السيل. إذا تمثل هذه المنقولات الصخر الأم الذي تكونت فوقه هذه التربة.

من الناحية العلمية الترابية توافق تربة رقوقان مجموع الأثرية الدكناء (السمراء) الشبمدارية ذات المناخ الترابي البارد خلال الفصل المطير وذات المركب المشبع، وكذلك الأثرية الدكناء شبحلية ذات المركب المشبع والتي تتطور

كلام أحمد ابن إبراهيم الأنصاري، مخاطبا والد الشيخ محمد ابن ناصر، حيث قال : "إنا نريد أن تترك لنا ولدك سيدي محمد يقيم عندنا بالزاوية لبث العلم ونشره...". فلو كان الشيخ الرقي عالما لما طلب هو وتلميذه من الناصري الإقامة بتامكروت، للاضطلاع بالتعليم.

وتنسب إلى الرقي أقوال تنوه بالحصول، وتنفر من التهلكة على حظام الدنيا، وتدعو إلى الزهد، والصدع بالحق، والابتعاد عن الشبهات ؛ بما في ذلك "السبب". ولما اتهم بتعاطي الكيمياء قال : "خدمنا لا إله إلا الله، حتى وجدنا بركتها، فمن ظننا بغير ذلك فقد ظلمنا".

ويظهر أن الرقي كان من بين الأعلام الذين عكسوا عصرهم. فقد تميز عصره باستشراء الفتن والحروب، نتيجة الصراع الدائر بين أبناء المنصور الذهبي، وتضييق قواد السملالين على أهل درعة ؛ ولاسيما في ميدان الجباية ؛ كان التصوف ملاذاً لكثير من الناس.

وباستثناء تردد الرقي إلى تافيلالت لزيارة شيخه أبي القاسم الغازي، لم تعرف له رحلة. لذلك يظهر أنه كان قليل السفر.

توفي الرقي أثناء عودته من تافيلالت، قادما من زيارة شيخه أبي القاسم الغازي، بإزاء ثنية سجلماسة، على بعد حوالي خمسة عشر كلم من تامكروت، بعد زوال يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الثانية عام 1045 / 23 نونبر 1635.

وحمله تلميذه الشيخ أحمد بن إبراهيم الأنصاري إلى تامكروت، ودفنه بها، وبنى عليه الضريح المشهور. ومن كبار تلاميذه، فضلا عن ذكر، أبو بكر السكتاني.

محمد المهدي القاسي، تحفة أهل الصديقية، مخطوط خ.ع. الرباط 2990 ك : م. الإفرازي، صفوة من انتشر، طبعة حجرية، فاس : م. المكي الناصري، الروض الزاهر في التعريف بالشيخ ابن حسين وأتباعه السادات الأكابر. تح. المهدي الغالي، سنة 1999 : م. القادري، نشر المثاني، ج. 2 : موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996. ج. 3 : 1328 : النقاط الدرر : م. الحضيكي، طبقات... : أ. الناصري، طلعة المشري، ج. 1 : م. حجي، الزاوية الدلالية... : الحركة الفكرية، ج. 2.

أحمد عمالك

**رقوقان** (تربة)، يميز سكان المغرب بين أنواع مختلفة من الأثرية كأثرية "ترست"، أبيض أو بياض، الحمري، الرمل أو إكيسي، رقوقان أو ارقوان... وكما هو معلوم أن هذه التصنيفات المحلية من طرف الأهالي تعنى أساسا بالمظاهر السطحية كاللون والنسيج...

وعلى هذا الأساس يطلق سكان الدير الشمالي للأطلس الكبير الغربي اسم رقوقان على تربة حمراء إلى سمراء - محمرة ذات نسيج طميبي - طيني - رملي، موردة أحيانا. ونجدها بالخصوص فوق البروزات الترابية الحمراء أو فوق

في ظروف مناخ ترابي ساخن خلال الفترة المطيرة، وكذلك أتربة الكلساء Sierozems ذات المركب المشبع المتطورة تحت مناخ ترابي بارد خلال الفترة المطيرة (مختبر التربة التابع لمكتب الحوز). وهذه الأصناف الثلاثة هي أقسام ثانوية لقسم رئيسي هو الأتربة السيدبالية (67 C.P.C.S. و Aubert, 65). كما أنها تشغل مجالات واسعة من المناطق الجافة وشبه الجافة المغربية لدرجة أنها تعد التربة المميزة لهذه المناطق.

وتتطور هذه الأتربة بالخصوص فوق المواد الطينية - الطينية - الرملية الحديثة التي توضع خلال الفترة الرباعية السلطانية الرطبة على وجه الاحتمال. هذه المواد تارة تكون سميكة إذ قد يصل سمكها 2م فوق مواد متكلسة، وتارة أخرى تكون متواضعة السمك مع وجود تكلس فتوت في الأعماق أو وجود مواد غرينية خشنة منقولة (الحوز الأوسط). كما نجد هذه الأتربة أحيانا فوق الأتربة الحمراء الكستانية التي تشكل صخرا أمالها، والتي من المحتمل أنها تكونت في ظروف مناخية أرطب من الظروف الحالية. أما المناخ السائد بمجالات هذه الأتربة فهو المناخ المتوسطي، لكن المناخ المتوسطي ليس وليد الحاضر، بل يظهر أنه ساد خلال الرباعي كله، لكن مع تزايد أهمية التجفيف نحو الحاضر. كما يظهر أن دور المناخ في الترتب كان أقل أهمية خلال العشرات الآلاف السنوات الأخيرة من الرباعي (62 Raynal, Aubert). لذا يرى البعض أن المناخ الحالي ليس له سوى دور ضعيف جدا في تطور وتكوين هذه الأتربة، خاصة الكلساء التي تتميز بضعف التطور (مكتب الحوز). في حين يرى البعض الآخر أن أتربة الكلساء تمثل بالتأكيد الأتربة النموذجية بالمناطق الجافة الأكثر تأقلا مع المناخ الحالي خاصة بالحوز (67 A. Sassan)، حيث إن التربة الدكناء ناتجة عن حلول ظروف تعاشيبية Steppisation خلال نهاية السلطاني حيث تكونت أتربة سهبية دكناء وأتربة حمراء قتيبة والتي تطورت لتعطي الأتربة المناخية الحالية المسماة بالكلساء كما هو الحال بالحوز (67 Sassan).

أما العوامل الإحيائية المميزة لتكوين هذه الأتربة فتتمثل في سيطرة النباتات السهوية. فقد كانت هذه المناطق قديما مجالات تعاشيبية شجرة تتكون من أشجار من السدر (Ziziphus lotus) وفتسق الأطلس (Pistacia atlantica) والسنت (Acacia gumnifera)، لكن هذه التعاشيب الشجرية تدهورت نتيجة الظروف التالية : نزوح المناخ نحو التجفيف، اجتثاث الغطاء النباتي الذي تحول إلى غطاء عشبي خفيف ومنفرج ذي دورة انباتية سريعة. وازداد هذا التدهور حدة مع توسع المجالات المنزرعة واستعمار الأرض وإثارتها ؛ مما أدى إلى اختفاء النباتات التي تعيش في ظل الأشجار (67 Sassan). ومن نتائج ذلك حدوث اختلال خطير في تجدد المادة العضوية بهذه الأتربة،

أي غياب عامل مهم في استقرار بنيتها وخصائصها الفيزيوكيماوية.

وهكذا فمن المعطيات التحليلية لأتربة رقوان نجد :  
- أن نسبة المادة العضوية محدودة جدا لكنها جد متبدلة (0.3 / 17٪). ويمكن أن يعزى هذا الضعف إلى الاستعمال القديم لهذه الأتربة والنزوح نحو التجفيف. لكن ظاهرة السيدبالية واضحة جيدا، بحيث يلاحظ توزيع جيد للمادة العضوية بمجموع القطاعات الترابية مع وفرة بالمسكات السطحية. وهذه خاصية عامة للأتربة بالمناطق الجافة ونصف الجافة أي تناقص تدريجي للمادة العضوية مع التعمق، لكن نسبة المادة العضوية بأتربة الكلساء أضعف مما نجده بالأتربة السمراء (الدكناء).

- أن نسبة الهيدروجين تدور حول 8.5، أي أتربة رقوان خفيفة القاعدية كما تحتوي على قواعد مستبدلة (K, Na, Mg, Ca).

- أن نسبة الكاربون على النتروجين (ك/ن) دائما أقل من 10، هذا يعني أن الأتربة العضوية موجود كليا بديل التربة، وأن نسبته جد ضعيفة إذ تم من 1.62٪ بالمسكات السطحية إلى 0.07 بالمسكات العميقة. ويمثل هذا الضعف خاصية أخرى هامة بالنسبة لأتربة رقوان. كما يعبر مؤشر ك/ن عن انخفاض وضعف العناصر العضوية الأصل (الكاربون والنتروجين) الأكثر أهمية بالتربة.

- أن أتربة رقوان تظهر قطاعا كلسيا متمايزا، بحيث تبقى المسكات السطحية دائما كلسية حوالي 10٪ من الكلس الاجمالي خاصة بأتربة الكلساء. ويعبر ذلك عن ضعف عملية الملحلة في مجموع القطاعات. وترتفع هذه النسبة بالمسكات السفلى حيث تتراكم حبيبات الكلس في الأعماق. لكن أحيانا يغيب القطاع الكلسي تماما بحيث لا تتعدى نسبة Cao3 35٪ خاصة عندما تكون العالية المزودة بالرواسب الغرينية التي تمثل الصخر الأم لأتربة رقوان فقيرة من الكلس.

أن ألوان هذه الأتربة تتراوح بين :

- الأذكن - البيج (الصوفي) Brun - Beige، الأسمر - الفاتح Brun - clair، الأسمر، الأذكن - الأحمر = 4/4 5YR، الأسمر - المحمر - الفاتح = 3/4 5YR و 3/3 5YR، الأحمر - المصفر : 5/6 5YR و 4/6 5YR.

- وبما أن أتربة رقوان تكونت على حساب مواد لبنة طينية - طينية - رملية أو طينية - طينية - رملية، فإن خصائصها الآلية جيدة :

أنسجة متزنة، بنيات جيدة ؛ جلطية بالمسكات العليا وصفاحية بالمسكات السفلى، مسامية جيدة نسبيا. لكن البنيات السطحية تكون أحيانا مصمتة، متصلبة بخفة وشاحية وسستمتربة. وهي ناتجة عن ظاهرة التصفيح Glaçage السطحي المترتب عن عدة عوامل : التعرية الغشائية، اندكالك التربة نتيجة القسل السطحي الذي

تعرض له العناصر الدبقية (طين، دبال)، التربة الريحية، مما يسمح بتكوين قشيرة مكونة من الطمي والطين بعد التيبس.

من الناحية الزراعية تظهر أترية رقوان خصائص فيزيائية وكيميائية جيدة، الرطوبة المعادلة متوسطة إلى كافية حوالي 20٪ الدخيرة المائية النافعة كافية. التشيف سريع، الخصوبة الكيماوية لاتقة، لكنها أحياناً ضعيفة إلى متوسطة، بحيث قدرة التبدال حول 15 ملمعادل /100غ من التربة. نسب الفوسفور P2O5 والبوتاسيوم متوسطة إلى ضعيفة انعدام الملوحة والتقلية في معظم الأحيان. ورغم وجود الكلس بالمسكات السفلى، فإن هذا التكلس لا يحد من تعمق الجذور ولا يغير من الخصائص الزراعية لهذه الأترية، كل هذه الخصائص تجعل لأترية رقوان سلوكاً مائياً جيداً إذ أنها قابلة للري بالغمر أو بالرش.

المنجد في اللغة، الأعلام، دار المشرق، بيروت، 1973 : لسان العرب، للإمام أبي الفضل جمال الدين بن محمد، بيروت : أحمد زروال، دراسة جيومورفولوجية لدير أطلس مراكش بين وادي الزات وتساوت، الرباط، 1987 : إدريس الفاسي - محمد البدراري، تربة الحصري - معلمة المغرب - الجزء 11، ص. 3584 - 3986، مطابع سلا، 2000. 1421 : تحريات ميدانية.

G. Aubert, Cahier, ORSTOM, série pédologie, volume 3, fascicule 3, 109 p., 1965 ; Les sols de la zone aride. Etude de leur formation et de leur caractères, de leur utilisation et de leur conservation. Les problèmes de la zone aride, Paris, 127 - 150, 1962 ; J. Lozet et G. Mathieu, Dictionnaire de science du sol. Technique et Documentation, Paris, 1990 ; O.R.M.V.A.Hi Rapport sur les sols du Haouz, 1978 ; R. Raynal, Plaines et piedmonts du bassin de la Moulouya, 1961 ; A. Sasso, Recherches, écophysiologicals sur la flore bactérienne de sol des régions arides du Maroc, Tanger, 1967.

أحمد زروال

### الرقبواق، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس أُنجبت

بعض الفقهاء. تذكر الوثائق من بينهم : الهاشمي بن علي الرقبواق الذي كان يتعاطى العدالة من سنة 1234 / 1819 إلى سنة 1245 / 1829 : والهاشمي بن محمد الرقبواق الذي تعاطى نفس الحطة من سنة 1248 / 1832 إلى سنة 1250 / 1834.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان : المراجع العربية والأجنبية في الرقم 735.

محمد ابن عزوز حكيم

### الرقبواق، عبد السلام (الحاج -) بن الحسن

الطنجي. موسيقي، اشتهر بامتلاكه نسخة خطية جيدة لكتاش الحايك انتهت إلى ورثته. كان الفراغ من نسخها يوم الجمعة 15 شوال 1325.

وقد أعيد تصوير هذه النسخة وإخراجها في نسخ مرقومة، وذلك بتاريخ 30 أكتوبر 1981 كما تبين من عبارة واردة في ختام الطبعة باللغة الفرنسية، جاء فيها أن محمد ابن الحسن الحايك جمع النوبات الإحدى عشرة في عام 1701/1130 (كذا، والصواب 1717). وفي هذا مخالفة لما أجمعت عليه المصادر وهو أن جمع الحايك لكتاشه تم في سنة 1799/1214. 1800.

تحتوي نسخة ورثة الرقبواق على مقدمة الحايك بأكملها، وهي تخلو - على غرار نسخة الحايك الأصلية - من قائم ونصف الرصد، وقائم ونصف الحجاز المشرفي، كما تخلو من الإدراج والبراول.

وعلى الرغم من تأخر تاريخ نسخة الرقبواق بنحو عشرين سنة عن مراجعة كتاش الحايك من لدن لجنة الوزير الجامعي، فإنها احتفظت بالأشعار الأصلية لنسخة الحايك بما فيها أشعار نوبة رمل المائة التي كانت في موضوعي الغزل ووصف العشي، بدلا لموضوع المديح النبوي. الأمر الذي يمكن أن نستنتج منه تشبث أرباب الموسيقى الأندلسية في مدن الشمال - أيا منذ - بمستعملات الحايك الأصلية وعدم اطمئنانهم إلى التعديلات التي أدخلتها لجنة الوزير الجامعي عليها.

نسخة ورثة الرقبواق، طبعة مصورة في 30 أكتوبر 1981 : ع. العزيز بن عبد الجليل، الموسيقى الأندلسية المغربية، فنون الأداء. سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 129، محرم 1409/سبتمبر 1988، ص. 141 - 142.

عبد العزيز بن عبد الجليل

### الرُّكَّاب، هو ما يضع فيه الراكب رجله ليمتطي

الدابة، وعند استوائه على ظهرها يبقى رجله في الركاب إلى أن ينزل، فهو أداة تساعد على ركوب الدواب. كان الركاب في البداية رقيقاً مزعجاً ثم صُنِعَ الركاب العريض



احتياطية وعبيد وخدم يقومون بأشغال أسياهم وسهرون على راحتهم. عكس ما يكون عليه الحال في القوافل التي غالباً ما تكون تجارية، إذ يكتفي الأغنياء من التجار ببعث من ينوب عنهم من الوكلاء ويتجنبون بذلك مشاق السفر، فلا يتنقلون مع القوافل العابرة للصحراء إلا للضرورة القصوى، أما عامة الناس فغالباً ما يسافرون، بشكل جماعي (أقل عدداً) إما مشياً على الأقدام أو على الحمير (نزهة، 3 : 232 : التشرف، 125 و 176 و 202 : ملتقط الرحلة، 66، 68، 75، 95). وفي الأسفار البعيدة قد يستعين هؤلاء - في بعض المراحل - بركاء الدواب، وقد يستفيدون من اريحية بعض المحسنين، لكن المعول عليه هو السعي على الأقدام (المصادر نفسها).

تعرض الركبان مثل بقية أشكال التنقل الجماعي لخطر مهاجمة اللصوص وقطاع الطرق، وابتزاز القبائل التي تمر بها، ولا يسلم من ذلك الأغنياء ولا الضعفاء (التشرف، 304 و 340 و 423 : أنس الفقير، 7 : ابن خلدون، العبر، 7 : 227 : العبدري، الرحلة : وصف إفريقيا، 1 : 149 : الاستقصا، 3 : 50 و 84، 5 : 189).

يسير الركب مثله مثل القافلة بدليل من مرحلة إلى مرحلة، أي أنه يتخذ عدة أدلاء لهم معرفة ودراية بالمناطق التي يمر منها الركب، وتطول مدة سفره أو تقصر بحسب الظروف التي يسافر فيها، فليست الرحلة مضبوطة بالفصول أو الزمن مثل سفر القوافل إلى السودان، مثلاً فموسم زيارة ولي من الأولياء مرتبط بالشهور القمرية وينتقل مواعده عبر الفصول، ويتنقل الركب كذلك من مرحلة إلى أخرى ومن مكان إلى مكان بحسب طبيعة الطريق وتوفر الأمن أو انعدامه، فقد يضطر الركب عند ظهور مانع أو عائق إلى تغيير الطريق أو التوقف عن السير لفترة في انتظار تغير الظروف، فابن عابد الإدريسي مثلاً في كتابه ملتقط الرحلة ذكر : "أن السيول والجداول يتم قطعها عبر المخاضات" لأن الأعماق غالباً قليلة ؛ إلا أن السيول أحياناً تكون خطراً على من يقطعها وهكذا : "يتم قطع وادي غياغية في خواتم مولاي إبراهيم أكثر من 22 مرة والمسافة لا تتعدى 3 كلمترات"، والملاحظة نفسها سجلها البكري عن إفريقية.

وعن العوائق الأمنية أورد صاحب الاستقصا نصاً عن العبر : "وفصلوا (الوفد المصري) من المغرب إلى بلادهم في ذي الحجة 707 محملين بما أعطاهم السلطان أبو ثابت، ولما انتهوا إلى بلاد بني حسن في ربيع من سنة 708 بعدها اعترضهم الأعراب بالقفر فانتهبوهم..." فالرحلة حسب النص استغرقت أزيد من ثلاثة شهور رغم قرب المسافة من فاس إلى الصحراء المغربية الشرقية ؛ ويختلف السير اليومي للركب عن القوافل في كونه مرتبطاً بمواعيد محددة، لذلك كان اختيار الوقت الملائم للسير أو للتوقف مسألة نظرية فقط أي أن الركب كلما وجد في مرحلة أو

المرح فاعتبر ذلك فقرة تقنية تدخل في إطار تحسين قيادة الدواب والتحكم فيها للزيادة في راحة الراكب، ويُستعمل الركاب عادة في الحمول والبغال، وتطور عبر التاريخ ؛ بدءاً من الركاب البسيط المصنوع من الحبال إلى الركاب الخشبي والحديدي إلى الركابات المزخرفة والمنقوشة والمموهة بالذهب والفضة، وكان لها صناع متخصصون في حوانيتهم بمدينة فاس زمن الحسن الوزان (وصف إفريقيا، 1 : 188-189).

بلغت الركابات ذروة التائق والأبهة عندما صُنعت من الفضة ثم من الذهب (المسند، 130-452 و 453 : البيان، 4 : 126) ؛ وتدل الإشارات والأوصاف في المصادر أن الركاب الوسيط قريب جداً من الركاب التقليدي المستعمل الآن في الفروسية التقليدية (التبوريدة) في المغرب.

عرفت المدن الكبرى وجود عدد من الدكاكين التي تصنع الركابات، بل وجدت دكاكين متخصصة في نوع منها خلال العهد المريني والوطاسي (وصف إفريقيا، 188 و 189). وما يدل على تقدم المغرب فيما يمكن تسميته "صناعة تجهيز دواب النقل" أن الطلب على تلك المصنوعات كان كبيراً في الداخل والخارج خاصة من بلاد السودان وإفريقية وغيرها، كما أرسلت الركابات ضمن الهدايا التي يرسلها ملوك المغرب إلى رؤساء الدول (المسند، 452 و 453 : العبر، 7 : 226 و 227 : البيان، 4 : 26 : القرطاس، 387 : الاستقصا، 4 : 128-130).

ح. الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1984 : م. ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، الجزائر، 1981 : ع. ابن خلدون، العبر، بيروت، 5. ت : ع. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، بيروت، 1948، وتطوان، 1960 : ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972 : أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1955.

محمد حجاج الطويل

**الركب**، سفر جماعي على ظهر الدواب عرفه المغرب طوال العصر الوسيط، (انظر ركب الحاج). وأكثر الركبان الأخرى في المغرب كانت تستند لزيارة الصلحاء والأولياء كركب زيارة أبي يعزى، وزيارة رباط شاعر ورباط ماسة أو تجمع المتصوفة سنوياً على ساحل البحر المحيط قرب الصويرة (التشرف، 185 و 213 و 214 و 215 و 216 و 217 و 222 : أنس الفقير، 26، 27 و 71 : ملتقط الرحلة، 66 و 68 و 75 و 95) ؛ وتتعدد الأمثلة التي تزخر بها كتب المناقب والأسباب وغيرها، فالتنقل الجماعي إذن كان نشيطاً داخل البلاد وطيلة السنة، لكن الفصل الملائم كان دائماً فصل الربيع والصيف.

يختلف الركب عن القافلة في كونه يضم في العادة عليّة القوم وأعيانهم الذين لهم القدرة على السفر البعيد المدى وتحمل مصاريفه، إذ لا يستطيع الضعفاء والفقراء تحضير مستلزمات الركب من مصاريف متعددة ودواب وجمال للركوب وحمل الأمتعة والزاد والعلف، ودواب



المغربية. وللإشارة فقد طرأ عليه تغيير في عهد السعديين، حيث صار الركب المراكشي هو الركب الرسمي للدولة. وعلى الرغم من ذلك، فقد ظل الركب الفاسي يحظى بعناية خاصة لدى الحجاج المغاربة، كما يتبين من النماذج التي ساقها الأستاذ المتونني في كتابه ركب الحجاج المغربي.

وعدّد العطايا والإمدادات التي كان سلاطين المغرب، في العهدين المريني والعلوي، يقدمونها إلى الحجاج ليسيروا لهم أداء فريضة الحج، فضلا عما كانوا يسدون إليهم من خدمات، لتذليل بعض مصاعب الطريق؛ حيث كانوا يستوصون بهم خيرا، لدى حكام الحرمين الشريفين، ويصحبونهم بعدد من الجند المسلحين، لحمايتهم من اللصوص، وقطاع الطرق.

وعندما يحين وقت السفر، يتهيأ الركب للخروج فيبدأ الإعلان عن الاستعداد بالمساجد، حيث يدعو الخطباء الناس إلى الحج، ويذكرونهم بفضله، في خطب وعظية، تحثهم عليه، وتشوقهم إلى زيارة مقام الرسول صلى الله عليه وسلم. وبعد ذلك، يتم النداء في مدينة فاس، للإعلان عن يوم خروج الركب، الذي غالبا ما يوافق السابع والعشرين، أو الثامن والعشرين من جمادى الثانية. ويتم خروج الركب من باب الفتوح، لينزل بولجة العسال، على الضفة اليمنى لوادي سبو؛ حيث تضرب الأخبية، ويأتي الناس للتوديع والتشجيع. "يوم خروج الحجاج من فاس، يوم موعود ومشهود، قل من يبقى بالمدينة إلا خرج، ودب ودرج، الرجال والولدان، والأحرار والعبدان. فما أعجب من ذلك اليوم، ولا أحسن منه منظرا، أو مخبرا بروق البصر، ويميل بالفكر. عادة جميلة استندوا إليها، وطبيعة جلوا عليها" (الاسحاقي بنقل المتونني).

وكان السلطان هو الذي يعين له أميرا يكون من بين الأعيان، دينا، ثريا، عريقا في النسب، وقد غلبت عادة تعيين أمير الركب الفاسي من مدينة فاس، في عهد العلويين. ومن أشهر البيوت التي تولت إمارته آل عديل. وإلى جانب الأمير هناك القاضي والقائد؛ فضلا عن حامية عسكرية، تكونت في عهد يوسف المريني من خمسمائة فارس. وكان للركب علم خاص، يحمله بعض الحجاج، وطبل يضرب، إعلاما بالإقامة والظعن، وخباء متميز. وقد يصحبه بعض أبناء السلاطين، وبناتهم وأمهاتهم. أما عن عدد المشاركين في الركب، فيمكن أن يقدر بعدة مئتين.

أما عن طريق الركب، فإن كتب الرحلات تفيد عن الطريق التي يسلكها مختلف الركاب، بدقة متناهية. بل إن بعض الرجال قد أفرد موضوع المسالك بالكتابة على حدة. كما فعل محمد المرابط الدلاتي (ت. 1689/1099)، ومحمد بن منصور العامري (ت. حوالي 1756/1170). وسنفرّد لطريق الركب فقرة خاصة عندما ننظر إلى الركب الناصري.

كان الركب المغربي عامة، يلاقي حفاوة وترحابا

منطقة من المناطق الجو الملائم والظرف المناسب قطع مسافات كبيرة ربحاً للوقت الذي قد يضيع في أمكنة أخرى غير ملائمة ومازال المغرب، وقد قضت وسائل النقل الحديثة على أسفار الركبان، ينظم هذا النوع من التنقل الجماعي بالوسائل التقليدية والحديثة، مثل ركب مولاي إبراهيم، وركب مولاي عبد السلام وركب مولاي بوعزة وغيرها.

الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، نابولي إيطاليا، د. ت.، الجزء 3؛ ع. ابن خلدون، العبر، بيروت، د. ت.؛ أ. ابن قنفذ، أنس الفقير، الرباط، 1965؛ م. ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، الجزائر، 1981؛ التادلي، الشوف، الرباط، 1958 و1984؛ ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، بيروت، 1964؛ أ. البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، الجزائر، 1911؛ العبدري، الرحلة، الرباط، 1968؛ الماجر، المنهاج الواضح، مصر، 1933؛ أ. ابن عابد، ملئقط الرحلة من المغرب إلى حضر موت، الدار البيضاء، 1988؛ أزي، هداية الملك العلام، مخطوط؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954؛ م. ابن بطوطة، تحفة النظار، بيروت، 1968؛ أبو سالم العياشي، ماء الموائد، ط. حجر فاس.

J. Celerier, *L'Atlas et la circulation au Maroc*, Hesp., pp. 447 - 497.

محمد حجاج الطويل

## ركب الحجاج المغربي، يرجع تأسيس ركب الحجاج

المغربي إلى عهد الشيخ أبي محمد صالح، دفين أسفي، المتوفى سنة 1234/631؛ حيث كانت الدعوة إلى حج بيت الله الحرام أهم أركان طريقته، حتى سميت طريقة الحجاج. وقد دعي ذلك الركب، الذي يعد الأول من نوعه، بالركب الصالحي، نسبة إلى مؤسسه.

ولتمهيد الطريق التي كانت مليئة بالمخاطر، عمد أبو محمد صالح إلى تأسيس عدد من الرباطات بمختلف المراحل التي ينزلها الحجاج، في ذهابهم وإيابهم؛ انطلاقا من أسفي إلى مكة المكرمة. وللحفاظ على تلك الرباطات، استقر بعض أولاد الشيخ وحفدته، بتلك المراحل، للإشراف عليها. منهم عبد العزيز بن أبي محمد صالح، الذي أقام بالقاهرة حتى وفاته، ثم حفيده إبراهيم بن أحمد بن أبي محمد صالح بالإسكندرية، ثم ولد هذا الأخير، أحمد بن إبراهيم.

وما فتئ عدد الحجاج يتزايد حتى نشأت خمسة ركاب، كانت كالتالي: الركب السجلماسي والركب الفاسي والركب المراكشي والركب الشنجيطي والركب البحري.

ولنبداً الحديث بالركب الفاسي. تأسس هذا الركب في أوائل دولة بني مرين. ولعل أول ركب منه هو الركب الذي وجهه السلطان يوسف بن يعقوب المريني سنة 1304/703. وقد استمر هذا الركب على عادته تلك، حتى القرن الثالث عشر (19 م)، لأنه أصبح هو الركب الرسمي للدولة

كبيرين، من لدن عامة الناس وخاصتهم، في أكبر مراحل الطريق، مثل تونس، وطرابلس، والقاهرة، وبنوع، ومكة المكرمة. ومن جملة التآزر الذي كان يتم بين الركاب، أن الركاب المغربية قد اعتادت ألا تغادر مصر، إلا مع خروج المحمل المصري، ليشارك الحجاج المغاربة في الحفل، بل إن بعضهم كان يرافقه حتى مكة؛ كما وصف ذلك بعض الرحالين، كأبي سالم العياشي.

وكان سلاطين المغرب، منذ عهد بني مرين، حتى عهد المولى سليمان (1792 - 1822)، يكرمون شرفاء مكة والمدينة والينبع. فيبعثون بـ"الصرة" صحبة بعض أبنائهم، أو إخوانهم، من الأمراء، الذين يتوجهون مع الركاب. ومنهم من حبس أملاكاً على الحرمين، مثل المولى إسماعيل الذي حبس زيتون حمزية. ومنهم من كان يبعث بهدايا سنوية إلى علمائهما، وطلبتهما وأشرف الحجاج عامة، ونخص بالذكر السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

وفضلاً عن "الصرة"، كان الركاب الفاسي يحمل هدايا أخرى إلى المشرق، تتألف من مصاحف، وكتب قيمة، وجواهر فاخرة، عدد منها المنوني ما وجهه يوسف وأبو الحسن المرينيان، والمولى إسماعيل، وابنه عبد الله، وحفيده سيدي محمد بن عبد الله. فقد بعث هؤلاء بالمصاحف المزخرفة، والأموال الكثيرة، والجواهر النادرة، هدية إلى الحرمين؛ مشفوعة برسائل مبعوثة إلى روح رسول الله صلى الله عليه وسلم، يؤكدون فيها ولاهم للجناب النبوي، ويتضرعون إلى الله لحل أزماتهم.

وكان حكام المشرق، بدورهم، يبعثون بهدايا وطرف نادرة إلى ملوك المغرب، تمثل لهم بالناصر بن قلاوون، ملك مصر، والشريف سرور، أمير مكة المكرمة.

واعتماد الركاب الفاسي، إذا قفل من الحج، أن ينزل بضواحي تازا، فيبعث بالبشير إلى فاس ليعلم بقدم الحجاج؛ فيبهي له سكان فاس حفلاً بهيجاً، على غرار احتفالهم بخروجه.

وكان هذا الركاب، كثيراً ما يلتقي، في الطريق، مع بعض الركاب المغربية الأخرى، أشهرها الركاب السجلماسي؛ حتى إنهما قد يتحدان تحت رئاسة أمير واحد؛ غالباً ما يكون أمير الركاب الفاسي. وقد حدث هذا في عام 1121/1709، في الركاب الذي حج فيه الشيخ أحمد ابن ناصر (ت. 1129/1717). وقد يجتمعان، ويبقى كل أمير منها على رأس ركبه؛ مثلما وقع في ركب عام 1101/1690، الذي كان اليوسي والأمير عبد الملك بن إسماعيل من بين المشاركين فيه.

ويظهر أن الركاب السجلماسي كان من أقدم الركاب المغربية، فهو الركاب الذي وفد معه إلى المغرب جد الأسرة العلوية، الحسن بن قاسم الداخل. وأول أمير له - حسب المصادر - هو أبو إبراهيم العمري، الذي كان يقيد الحياة أوائل العهد المريني. وكان غالباً ما يسلك الطريق الوسط،

المر عبر فيكيك، فبسكرة، فشط الجريد، ثم صحراء الفزان، فطرابلس. ثم يسير محاذياً للساحل، عبر الجبل الأخضر وبرقة. وقبل أن يصل إلى الإسكندرية، يتنكب إلى اليمن، ليقصد بولاق؛ فيعبر نهر النيل إلى القاهرة. ومنها يستأنف السير إلى السويس؛ فيعبر صحراء التيه (سيناء). ومنها إلى العقبة فالوجه ليدخل إلى بلاد الحجاز وينتهي إلى مكة المكرمة.

ويظهر أن الركاب السجلماسي قد أصبح يكون مع الركاب الناصري، ركبا واحداً منذ سنة 1072/1662.

وفي عهد السعديين أصبحت مراكش، من جديد، عاصمة للبلاد؛ فصار ركب الدولة ينطلق منها. فدعي الركاب الرسمي بالركب المراكشي. ويرجع الأستاذ المنوني أنه تأسس في أيامهم، وانقطع بعد انقراض دولتهم، لاسيما وأن العياشي تحدث عن ركب مراكش عام 1072/1661 ووصفه بالضعف.

ومهما يكن، فقد كان له - شأنه في ذلك شأن باقي الركاب - أميره ودليله ومناديه وحمله علمه. وكان السعديون يعتنون به، عناية خاصة؛ فيوصون به ملوك الحرمين. كما كانوا يبعثون معه بهداياهم السخية إلى الأماكن المقدسة.

بالإضافة إلى هذه الركاب، عرفت منطقة الصحراء ركبا آخر، دعي بالركب الشنكيطي، كان يجتمع به مريدو الحج من سائر جهات تلك الأصقاع.

وعلاوة على الركاب البرية سافر كثير من المغاربة إلى الحج عبر البحر. ولم يكن ذلك مرتبطاً بتقدم الملاحة البحرية، كما هو معلوم في القرن الثالث عشر (19 م)، ولكن قبل ذلك بزمن غير يسير. من ذلك الركاب الذي سافر ضمنه الأديب محمد بن علي الرافعي التطواني، عام 1096/1685؛ حيث أبحر من مرسى تطوان، وعاد إليها على الطريق نفسها. كما كان بعض الحجاج المغاربة يفضلون الرجوع على طريق البحر.

إلا أن الركاب البحري قد نسخ مختلف الركاب في القرن الثالث عشر (19 م). والراجح أن لاحتلال فرنسا لبلاد الجزائر علاقة بهذا التحول. لذلك لم يعد هناك حديث عن الركاب المغربي، وإنما عن الحجاج المغاربة، الذين أصبحوا يتوجهون إلى الحج على متن سفن في ملك شركات أجنبية، معظمها أروبية. وهذا ما خلق للحجاج عدة مصاعب، حتى إن بعض السلاطين فكروا في منع الحج، لاسيما بعد تدخل السلطات القنصلية، للضغط على المخزن المغربي لاستحداث مخرج صحي، لأن الوباء قد دخل إلى المغرب، مع الحجاج أحياناً. وبما أن الدول الأروبية كانت تسعى إلى التفلغل في البلاد، فإنها كانت، كذلك، تخشى من سريان العدوى إلى رعاياها المقيمين بمختلف المراسي المغربية. من أجل ذلك اتخذت، عن طريق قنصلها، مواقف تعسفية ضد سفن الحجاج. وقد ابتدأت الصراعات بين

حفظ البلاد من آفة الوباء، فإنه في حقيقة الأمر كان يرمي إلى وقاية الأوروبيين المقيمين في المغرب، قبل حماية المغاربة. ويذكر الأستاذ الزاز أن الحجر الصحي أصبح عبئا ثقيلا على الحجاج، أضيف إلى ما كانوا يعانونه من الجوع والوباء، وعسف أصحاب النقل، والمغارم التي كانوا يؤدونها عند دخولهم لبعض المراسي، كالإسكندرية. بالإضافة إلى ذلك فإنهم أصبحوا مضطرين إلى قضاء مدة معينة في حجر صحي، شبيه بالسجن.

وهكذا أمر السلطان بتكوين مخيمين، غربي الجزيرة، أحدهما ينزله السالمون، والآخر ينزله المصابون. وأمر بإعداد كل ما يلزم لإقامتهم، طوال مدة الحجر. كما انتدب فرقة من المحراس للحفاظ على الأمن، ومنع الاتصال بين نزلاء المخيمين. وعلى الرغم مما اتخذته المخزن من تدابير، فإن المجلس الصحي قد تدخل، دون إذن من السلطان، ليشرف على تنظيم ذلك الحجر. فانتدب طبيبا، وبعض المرضين الأوروبيين للوقوف على "النزلاء". فكان هؤلاء ممنعون كل اتصال بين المخيمين، وبين نزلاء الجزيرة وباقي سكان المدينة. والأدهى من ذلك، أن مندوبي المجلس كانوا يعملون إلى تطهير ثياب الحجاج وأمتعتهم، عن طريق تبخيرها بالكبريت وطرحها في الهواء الطلق؛ الأمر الذي كان يشير سخط الحجاج. كما أن نزولهم جميعا بجزيرة الصويرة، يزيد بعضهم مشقة؛ لأن منهم من يقطن بشمال البلاد، أو شرقها. لذلك فليس من مصلحة هؤلاء أن ينزلوا هنالك، ثم يضطرون إلى سفر آخر، وهم متعبون، يحملون الأثقال...

وكان الحجاج مضطرين إلى الإقامة، في الحجر، ثلاثة أيام إذا كانوا سالمين. وإذا كانوا مصابين، فإن مدة الحجر قد تطول، لتصل إلى خمسة عشر يوما أو أكثر. هذا مع العلم أن تلك الجزيرة لم تكن ملائمة لنزول الحجاج، الذين كانوا يتعرضون لكل ألوان المهانة والمشاق، ولاسيما إذا كان البحر في حالة المد. وبسبب ضيق مساحة الجزيرة؛ فلا يمكن أن تستوعب كل الحجاج، الشيء الذي جعل المجلس الصحي يفرض على بعضهم قضاء حجر صحي بأحد الموانئ الأروبية.

وخلاصة القول، فعلى الرغم من تقلص مدة السفر، من ثمانية عشر شهرا إلى حوالي سنتين، في الركب البري؛ إلى ما يناهز خمسة أشهر، في الركب البحري؛ فإن مصاعب الحجاج لم تزد إلا استفحالا.

فعلاوة على ما كانوا يلاقونه من ابتزاز من قبل أرباب المراكب، وعسف المجلس الصحي؛ أصبحوا من بين عوامل نقل الكثير من الأوبئة والأمراض إلى بلاد المغرب. فكان حجاج الركب البري الموبؤون لا يصلون، إلا نادرا إلى المغرب، إذ يموتون قبل الوصول، بسبب طول مدة السفر. كما أن جراثيم كثير من الأمراض والأوبئة لا تتحمل شدة حرارة الصحاري التي يقطعها الحجاج؛ لذلك كانت تموت،

القناصل والمخزن المغربي، حول هذه القضية منذ مستهل القرن الثالث عشر (19 م)، وما فتئت تتراد حيث فرض أولئك القناصل على الحجاج أن يقضوا حجرا صحيا بأحد الموانئ الأروبية، قبل أن ينزلوا بطنجة. كما اقترح بناء محجر صحي، تارة بجزيرة تاوردة - قرب سبتة - وتارة أخرى بضواحي طنجة؛ وأخيرا استقر الأمر على بنائه بجزيرة الصويرة. على أن ضغوط الأوروبيين لم تتصاعد إلا بعد تأسيس المجلس الصحي، في سنة 1831. حسب الأستاذ الزاز - أو في سنة 1840 - حسب الأستاذ ج. ل. ميج - ولعل رأي الأول أقرب إلى الصواب، مادام ذلك المجلس كان يباشر أعماله منذ سنة 1836. فقد تدخل لمنع سفينة الحجاج العائدين من مكة، في 8 شتنبر، من النزول إلى البر، قبل قضائها مدة بالحجر الصحي، على الرغم من أنها قضت حجرا صحي في مالطة. وكان ذلك شأن سفينة حجاج أخرى، عادت إلى المغرب في شتنبر 1842، على الرغم من أنها تحمل شهادة تثبت سلامة ركبها. ويتضح من خلال رسالة بعث بها المجلس الصحي إلى السلطان مولاي عبد الرحمن، "أن السبب الذي استوجب اتخاذ هذا الإجراء (المنع من النزول إلا بعد قضاء حجر صحي) يكمن في تفشي الطاعون باستمرار، في الإسكندرية بمصر، وهو الميناء الذي يبحر منه الحجاج، والذي يعد القادمون منه من أخطر العناصر على الصحة العمومية". وينتهي المجلس إلى الإشارة على السلطان بأمر سلطات مختلف المراسي بمنع نزول الحجاج - وحتى أمتعتهم - إلا بعد الخضوع لمراقبة صحية صارمة، بمدينة طنجة. فما كان جوابه إلا أن قبل، وبعث برسالة إلى عمال المراسي "بأن لا يقبلوا من يرد من مراكب الحجاج"، إلا بعد أن يكونوا مروا بمدينة طنجة. لكن على الرغم من أنه لم يبد موافقته على مرورهم بأحد محاجر أوروبا، فإن القناصل اعتبروا صسته دليلا على قبوله. والدليل على ذلك أن المندوب الصحي أرغم سلطات تطوان على عدم السماح لسفينة مالطية قادمة من الإسكندرية، وعلى متنها مائة وعشرون حاجا، بالدخول إلى المرسى؛ في دجنبر 1845.

وما أن اندلع وباء الكوليرا في المغرب، سنة 1867، حتى شعر المخزن المغربي بضرورة إقامة محجر صحي، اختار له جزيرة الصويرة مقرا. ذلك أن الوباء كان قد اجتاح مكة المكرمة، في سنة 1865. ومنها انتقل الحجاج إلى مختلف جهات العالم. ولما علم به القناصل الأوروبيون المعتمدون في المغرب، رفضوا السماح للحجاج المغاربة بالنزول إلى البر، كما منعوا عنهم المؤن التي حاول المخزن إرفاقهم بها؛ حتى أدى الأمر إلى وفاة عدد كبير منهم. ومن ثم لم يكن أمام المخزن المغربي سوى حل واحد، فأمر بإحداث محجر صحي بجزيرة الصويرة، بواسطة ظهير مؤرخ في 10 رجب 1283 / 18 تونبر 1866.

وإذا كان ضغط القناصل، في ظاهره، كأنه يسعى إلى

أيضا لنفس السبب. أما مع تقليص المدة، وانخفاض الحرارة، بسبب اللجوء إلى النقل البحري، فقد أصبحت الجرائم تنتقل بسهولة. وبناء على ذلك كانت العدوى تنتقل بسرعة.

أبو سالم العياشي، ماء الموائد : الإصحاحي، الرحلة : ابن مريح السراج، أسس الساري... : أحمد بن ناصر، الرحلة... م. بن عبد السلام الناصري، الرحلة الكبرى : م. المنوني، من حديث الركب المغربي... م. الأمين اليزاز، حول الحج المغربي في القرن التاسع عشر، مقال نشر في مجلة "دار النياحة" العدد السادس، السنة الثانية، ربيع 1985، ص. 75، 87 : حول الحج المغربي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين : مآسي الحجر الصحي والنقل البحري، م. س. ن. العدد السابع، صيف 1985، ص. 66، 76. أحمد عمالك

### ركب الحاج الناصري، نسبة إلى الزاوية الناصرية

بدرعة، يتميز عن ركاب الحاج الأخرى المشار إليها آنفاً. وأول ركب نظمه الناصريون، كان في سنة 1070 / 1660 مع شيخ الزاوية الناصرية محمد ابن ناصر : بعدما كان أهل درعة يحجون مع الركب السجلماسي. ويبدو أن استقلال الناصريين بركب خاص بهم أضحت ضرورة ملحة، لا سيما بعد أن بدأ صيت زاويتهم يعلو في مختلف جهات بلاد المغرب... وعلى الرغم من هذا الترجيح، فإننا لا نستطيع أن نجزم بأن الشيخ محمد ابن ناصر توجه في تلك السنة على رأس ركب خاص به مستقل عن الركب السجلماسي، اعتماداً على العدد الكبير من الحجاج الذين رافقوه.

على أن الحال قد تغير في أثناء حجته الثانية، وهي الحجة الأولى لابنه أحمد الخليفة، سنة 1076 / 1665. وأفادت إشارة وردت عند أحمد بن خالد الناصري أن أهل درعة أضحت لهم ركب خاص. ففي حديثه عن حجة الشيخ أحمد الخليفة الثانية، في سنة 1096 / 1685، قال "وبات، أي الركب، أول ليلة بالوادي المسمى بأسيف أزاع، كما جرت به عادة ركب الحاج من أهل درعة". وكان أسيف أزاع أول مرحلة في طريق الركب، يبيت بها الحجاج، منتظرين أن يلتحق بهم أتباع الناصريين القادمين من مختلف الجهات. وأشار المصدر المذكور إلى أن عدد الحجاج الذين رافقوا الشيخ أحمد الخليفة، في تلك الحجة "لا يحصى".

ونستيقن من هذا الرأي، إذا علمنا أن كتاب الرحلة الناصرية، يفيد أنه صار لهؤلاء ركب خاص بهم. فقد أكد الشيخ أحمد الخليفة، عند حديثه عن حصار طرابلس، أن الركب الناصري شارك في الدفاع عن المدينة المحاصرة، فقال : "ونحن وركبنا معهم مستهلين بالشهادة، رافعين أصواتنا بالتكبير". وكان ذلك في أثناء حجته الثانية، سنة 1096 / 1685. ولما مر بسجلماسة، في حجته الثالثة سنة 1109 / 1698، ذكر في رحلته أن الركب السجلماسي توجه

إلى المشرق، قبل حلول ركب الناصريين بها، بزمن غير يسير.

بناءً على هذه القرائن نستخلص أن للناصرين ركبا خاصا بهم، اعتاد مريدوهم وأتباعهم أن ينضموا إليه، فور الإعلان عن موعد انطلاقه. لكننا لا ندري هل كان هذا الركب منتظما أم لا ؟ وما يمكن أن نجزم به أنه ظل مستقلا عن الركب الفاسي، الذي كان هو الركب الرسمي. أي أن المخزن لم يكن يتدخل لتعيين أميره، أو تزويده بجند لحمايته.

ولعل هذا الاستقلال كان سببا في إقدام السلطان المولى إسماعيل على منع الشيخ الناصري من التوجه إلى الحج، في سنة 1119 / 1707. وباستثناء هذا الحدث الذي يندرج في سياق خاص، فإننا لم نقف على أي تدخل في شؤون ركب الحاج الناصري، طوال الفترات اللاحقة.

وقبل الحديث عن الأدوار التي اضطلع بها شيوخ الناصريين، وأعمالهم طوال السفر، يبدو من المفيد أن نحدد أهم معالم الطريق التي كان ركب الحاج يسلكها.

من خلال كتب الرحلات الناصرية، تمكنا من تتبع أهم مسالك الركب : كما استطننا ضبط مواقيت خروجه.

(1) مواقيت انطلاق الركب : ينطلق الركب من تامكروت فيما بين منتصف ربيع الثاني وأواخر جمادى الأولى. وهكذا فقد خرج ركب سنة 1096 / 1685، يوم 16 ربيع الثاني، وركب سنة 1109 / 1707، يوم 5 جمادى الأولى. مع العلم أنه منع. أما ركب عام 1121 / 1709، فقد غادر تامكروت يوم 24 جمادى الأولى. وهذا مما يدل على أن الركب كان يقطع المسافة الفاصلة بين تامكروت ومكة المكرمة في مدة تنيف عن سبعة أشهر ! وهي مدة أقصر مما يستغرقه في أثناء الإياب، حيث كانت تتعدى ثمانية أشهر في المتوسط. وقد تصل أحيانا إلى سنة كاملة. وهذا راجع إلى أسباب سترجع إليها لاحقا. وللإشارة كذلك فإن يوم الانطلاق كان، في الأغلب هو يوم الخميس، لأنه ورد فيه حديث، كان شيوخ الناصريين يسمون به، معتقدين أن ذلك من السنة. وفي اليوم الموعود يجتمع الحجاج خارج تامكروت، في مكان دعي بالأندر، حيث كانت تضرب لهم أخبية يقيم بها من يردون على الزاوية، استعداداً للتشريق، أو بعد عودتهم من الحج ! حتى يتسنى توديعهم أو المشاركة إليهم. ويقع هذا المكان شمالي تامكروت. ويعتقد أواخر الناصريين أن الشيخ يوسف الناصري أعد منزلا لاجتماع الحجاج في المكان ذاته.

(2) الجانب التنظيمي في الركب : قبل انطلاق الركب يعين له أمير وقاض، وتقدم كل قبيلة رجلا. يكون هؤلاء بمثابة "مجلس" الركب، يمكن أن ينعقد للبت في بعض القضايا الشائكة التي تستوقف الحجاج، في بعض مراحل الطريق : مثل الوباء أو قطاع الطرق واللصوص، أو حين يضل بعض الحجاج.

ونتيجة لتعرض ركب الحاج لبعض المخاطر، يضطر إلى كراء الأدلاء، وحمل السلاح للدفاع عن النفس. ولم يخف الرحالة انزعاجهم من تلك الظواهر. فتواترت نصائحهم لمن يجيئون من بعدهم، بحمل السلاح والاستعداد للقتال.

3) طريق الركب : ينطلق الركب بعد صلاة الصبح، فيجد السير، عبر تزي - ن - تافيلالت، ولا يتوقف إلا بعد أن يصل إلى أسيف أزاغ : حيث يبيت الركب. وفي اليوم التالي يتوجه رأساً إلى تافيلالت. وهناك يقضي الحاج بعض المأرب، ولا سيما شراء الرواحل والقرب : ويبتون ليلتهم بمجان الغرفة، وهي قرية تقع شرقي واد زيز، مقابلة لتابوعصامت. ومنها يظعنون، ليؤموا تلغمت، حيث اعتاد الركب أن يخيم، فيقدم أتباع الناصريين وتلاميذهم من أيت عياش والمناطق المجاورة : لأخذ الورد أو تجديد العهد بشيوخهم. ومنها يقصدون القنادسة، حيث توجد زاوية ابن أبي زيان الناصرية. فكان الركب يقيم بها يومين أو أكثر : ثم يواصل الركب انعطافه نحو الشمال الشرقي. وبعد أن يمر ببشار، يتوقف بفغيگ، حيث كانت لأهل البلدة مصاهرة مع شيوخ الناصريين. كما اشتهرت برخص الثياب، ولا سيما البرانس الرفيعة الجودة. يقول أبو مدين الدرعي : "واشتروا (أي الحاج) بها ما يصلح لهم من الثياب والبرانس، إذ لا موضع الكسوة فيه رخيصة منها..". ومنها كان الحاج يشترى ما يكفيهم ودوابهم لثلاث مراحل. وقد اشتهر بنو عبد الجبار من بين الأسر التي كانت لهم عناية خاصة بالركب الناصري. وتنعقد حول قصورهم سوق تجارية كبرى. يلتقي فيها تجار تافالالت وتوات وتلسان. ثم يدخلون مجال قبائل حميان، وأهم مرحلة به قرية أبي سمغون، وهي أول مرحلة من بلاد المغرب الأوسط. يجمع الرحالة على أن تلك الجهات لم تكن تخلو من قتال، وكان أهلها يقومون بقطع الطرق ونهب الحاج : لذلك كان الركب يضطر إلى الإقامة بها يوماً وليلة، على الأقل، حتى يتأتى للحجاج أن يتأكدوا من سلامة الطريق.

وبعد أبي سمغون يجد الركب السير حتى يصل إلى عين ماضي، حيث تلتقي طرق الركاب الحجية، ولا سيما الركين الفيلاي والفاسي. وقد عرفت هذه البلاد رخص الغنم والإبل، بسبب كثرتها.

ومن عين ماضي يتجه الركب صوب بسكرة، التي تبعد عن المرحلة السابقة بحوالي اثنتي عشرة مرحلة، بعد أن يتركوا واحات الأغواط ذات اليمين. ويفصل بين عين ماضي وبسكرة عدد من المراحل، أشهرها واد الطرفة ثم وادي بوملول، ثم وادي دمت، فالتوميات. ويعتقد الحاج أن هذه المرحلة، هي منتصف الطريق بين فاس وطرابلس.

وأكبر مرحلة تلي التوميات، واد سيدي خالد الذي يعد أول بلاد الزاب. وبينها وبين بسكرة يتوقف الحاج عند خلوة عبد الرحمان الأخضرى - صاحب السلم المروتنق - وقرية مليلة، حيث بات ركب سنة 1121 / 1709.

واعتماد ركب الحاج الناصري أن يقضي بسكرة أحياناً يومين على الأقل. وقد دخلها الركب، في حجة الشيخ أحمد الخليفة الرابعة عصر 1121 / 1122 عصر السبت 23 رجب / 17 ستمبر 1709. ومن هنا يتجه الركب إلى توزر التي تبعد عن بسكرة بحوالي ثمانية أيام : وهي قاعدة بلاد الجريد : ومن أول أعمال تونس. ومنها إلى قابس يستغرق الركب حوالي ستة أيام. ولما يرتحل من هذه المدينة يقصد طرابلس، التي يصلونها بعد مسير حوالي أسبوعين، في أحسن الأحوال، لأن مفازة الفران، الفاصلة بين المدينتين من أخطر المفاوز، التي يقطعها الركب.

وبين القاهرة ومكة المكرمة مسيرة أربعين يوماً، تتخللها مراحل كثيرة، أولها عجرود عند مدينة السويس : ومنها يتوجه بعض الحاج، ولا سيما الصعاليك، إلى جدة عبر البحر. ولعل ظاهرة ركوب البحر إلى جدة، لم تستفحل إلا في القرن الثالث عشر (19 م).

وبعد أداء مناسك الحج يؤم الركب المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم : فيتبع الطريق نفسها : من مكة إلى رابغ، فمستورة، فبدر، فالصغراء، فالروحاء، فذو الحليفة، ثم أخيراً المدينة. ويقطع هذه المراحل في عشرة أيام.

وقد اعتاد بعض الحاج ألا يزوروا المدينة، فيتفرق الركب إلى فرقتين، عند بدر : فبعض قاصدو زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، جل أثقالهم مع الآخرين، ليلتحقوا بهم في ينبع النخل. كما اعتادوا أن يدخلوا المدينة المنورة يوم الإثنين ثاني محرم، فيمكثون بها خمسة أيام ويغادرونها بعد صلاة الجمعة، عبر الطريق نفسها، إلى أن يشارفوا بدر، فيتكثرون عنها يمينا، قاصدين ينبع النخل : حيث يستريحون يوماً أو يومين، ثم يظعن الركب بعد صلاة صبح اليوم الموالي : فيتجه إلى العقبة. وتنقسم هذه المسافة إلى أربع مراحل كبرى.

ومن العقبة يغرب الركب، ليتوجه صوب عجرود : فيقسمها إلى ثماني مراحل. وللإشارة فإن الطريق من ينبع إلى القاهرة منضبطة المسالك في الذهاب والإياب.

وعند دخول مصر يختص الركب الناصري باستقبال رائع : يشارك فيه المغاربة المقيمون بالقاهرة، وأمراء الجند، وكثير من أعيان البلد. وكان الركب الناصري غالباً ما يدخل القاهرة خلال العشر الأوائل من شهر صفر، فيبعث الحاج برواحلهم وبعض أثقالهم مع الجمالين إلى كرداسة، في انتظار اللحاق بهم : بعد قضاء مختلف مآربهم وأوطارهم.

وكان من عادة الناصريين أن ينزلوا بقرب مسجد الحسين، بدور يهيؤها لهم بعض المغاربة، مثل الحاج محمد الشرايبي، الذي كان مقيماً بالقاهرة. وغالباً ما كانت إقامة الركب الناصري، خلال حجرات أحمد الخليفة الأربع تناهر الشهر. وبعد ذلك يعبر الركب نهر النيل، فينزل بقرية

أما، ليجتمع الحاج. من أجل ذلك يضطرون إلى قضاء حوالي أسبوع في انتظار أن يلتحق الكل بالموكب ؛ لينطلقوا بعد صلاة الصبح، قاصدين الإسكندرية. وتنقسم هذه المسافة إلى خمس محطات كبرى، يقطعها الركب فيما يزيد عن عشرة أيام. وقد يقيم بالإسكندرية يومين أو ثلاثة، يزور الحاج خلالها أضرحة بعض الأعلام، مثل الطرطوشي وابن الحاجب وغيرهما.

ويظهر أن سبب مرور الركب الناصري بالإسكندرية راجع إلى وجود جماعة من تلاميذ الناصريين، كان الشيخ أحمد الخليفة قد قَدَّمَ عليهم، في أثناء حجته الرابعة، الحاج محمد الناصري.

وبعد الإسكندرية تتزايد الأهوال، وتشتد المشاق، ولا سيما أن الطريق التالية تعد أكبر مفازة يقطعها الركب. وتمتد إلى برقة، تبلغ مسافتها مسيرة شهر كامل. وكان الحاج ينزعجون منها أشد الانزعاج عندما يصل الركب إلى طرابلس، يتلقى أعيان البلد شيخ الناصريين بالترحاب، فيستضيفه بعضهم، كما فعل محمد بن أحمد المكني، مفتي طرابلس ؛ في أثناء حجة الشيخ سنة 1122 / 1710. بل لقد التقى هذا الأخير بوالي البلد، وبعض كبار رجال الدولة. فبالغ هؤلاء في قضاء مآرب الحاج ؛ حتى إن والي طرابلس أمر من يقف للبحث عن بعض ما سرق لأحدهم.

وكان الحاج يعبرون لهذه المدينة أهمية بالغة، لأنهم يكترون منها الرواحل، ويجاعلون الأدلاء والجمالين، كما يشترون منها كثيراً من الزاد. لذلك فيفور حلول الركب بها، يشتغل هؤلاء بكل ما يقيم أودهم ؛ فيبيعون ما حملوه من سلع، ويبحثون عما يحتاجون إليه. لذلك كله تطول إقامتهم بها، لتتعدى أحياناً خمسة عشر يوماً. واعتاد بعض أهل طرابلس، ولا سيما علماء المالكية وتلاميذ الناصريين أن يشيِّعوا الركب طوال مرحلة أو مرحلتين.

ومن طرابلس يشد الحاج الرحال، لعبور مفازة نفاوة، وهي أيضاً من الصحاري المعطشة، متوجهين إلى قابس، التي يصلها الركب بعد حوالي عشرة أيام من السير الحثيث (ليلاً ونهاراً). ويقاسب يقيم الحاج، عادة يومين، للاستراحة، والبحث عن جمالين جدد، لأن الجمالين الذين يرافقون الركب من مصر، قد اعتادوا أن يرجعوا مع الركب التونسي، الذي يكون في أثناء وصول الركب الناصري إلى قابس، في حالة تأهب للتشريق.

(4) ركب الحاج زاوية متنقلة ؛ حافظ شيوخ الناصريين ؛ من رأس الطائفة إلى يوسف بن محمد الكبير (ت. 1197)، عل الأقل ؛ على نفس المنهاج الصوفي. وتمسكوا بنشر طريقتهم في الحضر والسفر. وعن طريق ركب الحاج انتشرت الطريقة الناصرية في كثير من بلدان العالم الإسلامي. وتمت الإشارة إلى أن شيوخ الناصريين عنوا عناية خاصة بتلقيح الأوراد لكثير من سكان المدن والقرى والمدائر التي كانوا يرون بها. بل لم يكونوا يترددون في تقديم النقباء

والتفويض إليهم ؛ ليسهروا على نشر الطريقة ورعايتها. وإذا حاولنا أن نؤرخ لانتشار الطريقة الناصرية بطريق ركب الحاج، فيمكن بدء الحديث من سنة 1076 / 1665، أثناء حجة الشيخ محمد ابن ناصر الثانية ؛ حيث عقد هذا الشيخ محبة مع كثير من السكان الذين مرَّ بهم الركب، وخاصة في تونس وطرابلس والقاهرة. يشير الحسن اليوسي إلى أن المشاركة كانوا يأخذون عن شيوخه محمد ابن ناصر في أثناء حجته الورد يدونون السنة والزمان والمكان. أما في عهد ابنه الشيخ أحمد الخليفة، فقد تطور الأمر إلى تعيين المقدمين. وتذكر المصادر أنه أعطى "الإذن" لكثير من الناس، نذكر منهم محمد الأخصاصي بالمدينة المنورة، ومحمد بن منصور السفطي بمصر، والحاج عيسى بن خليفة ببرقة، وعلي بن عبد الصادق بطرابلس، وعبد الله المجذوب بحمة قابس.

وإذا علمنا أن طريق الركب كانت تمر بجهات ظلت هامشية، بالنسبة للسلطات التركية الحاكمة ؛ وكان سكانها متروكين لأنفسهم، فقد نقدر مدى ما كان متصوفة الناصريين يضطلعون به من أجل تقويم سلوك أولئك السكان.

فبالإضافة إلى تدخلاتهم في أثناء رحلاتهم، لبث التربية الصوفية، استطاعوا أن ينشئوا "خلايا"، على طول طريق ركب الحاج، نذكر منها في المغرب الأوسط تلمسان ووهران وقسنطينة، وقرية جلال، وأم الخير وسكرة وسيدي خالد. وفي تونس حامة مطماطة، وتوزر وقابس وصفاقس. أما في ليبيا فقد اشتهر أتباع الناصريين وزواياهم في طرابلس، وتاجوراء ومصراتة وبرقة .... وفي مصر استأثرت القاهرة بالنصيب الأوفر من الأتباع. وبما أن الطريقة الناصرية تميزت ببساطة أوراها، وقوة تعاليمها ولا سيما التفتح على سائر المذاهب، فقد أقبل مختلف الناس على الانخراط في سلكها. فقامت تلك الخلايا بالاضطلاع بنفس الأدوار التي قامت بها أم الزوايا.

هذا علاوة على ما امتاز به شيوخها من مكارم الأخلاق والعلم والصلاح ؛ الأمر الذي حولهم الاحترام والتقدير لدى سكان تلك البلدان. وعمل أولئك الشيوخ كل ما في وسعهم لدعوة الناس إلى أتباع السنة وترك البدع. وتصدوا إلى محاربة العادات والتقاليد الفاسدة. من ذلك مثلاً :

(1) السماع الذي استعمله بعض المتصوفة.

(2) الاختلاط بين النساء والرجال.

فبصد المسألة الأولى ؛ لما وصل الشيخ محمد ابن ناصر، في أثناء حجته الأولى إلى طرابلس، وجد جماعة من أتباع شيخ صوفي يستعملون السماع بالدق ؛ فبعث إليهم من يأمرهم بترك تلك العادة، "والا اعتزلوا عن أصحابه"، ولم يزل بهم حتى تركوا السماع.

(5) الوساطة والتحكيم ؛ لم يقتصر دور شيوخ الناصريين ومقدميهم على محاربة ظواهر السلب والنهب،

الشيخ في سفره هذا (حجة 1070) وفي غيره، لا يخل بدرس العلم وإقراء المتون، وإملاء الفنون...".

وذلك ما يذكبه بالعايشة الحسين بن ناصر، صنو الشيخ المذكور حين يقول : "ختمت على الشيخ الأخ الشقيق شمس المعارف سيدي محمد ابن ناصر خليل بن إسحاق ست مرات، ثلاث بأعلان عام ثلاث وخمسين وأربع وخمسين، وختمت فيما بين مصر وطرابلس الغرب وبسكرة النخل عام سبعين، وختمت فيما بين ذلك عام ستة وسبعين وسبعة وسبعين : والتسهيل كذلك، ثلاثاً بالبلد واثنتان كذلك....".

واستجاز العلماء الناصريون وطلبتهم بعض كبار العلماء المشاركة، فأجازوهم. ومن أمثال هؤلاء، محمد البقري بمصر، وعبد الله بن سالم البصري، بمكة المكرمة، والملا إبراهيم بن الحسن الكوراني، بالمدينة المنورة. وكما استجاز الناصريون هؤلاء العلماء، فقد أجازوهم بدورهم. من ذلك مثلاً، أن أحمد الخليفة وأخاه عبد الله قد أخذوا عن العالمين أحمد ومحمد ابني قاسم البقري بمصر. وأثبت محمد المكي الناصري نص الإجازة في كتابه فتح الملك الناصر. وتنبج الشيخ أحمد الخليفة وإبراهيم الكوراني، فأجاز كل منهما الآخر. ولم يكتف الناصريون بالتلقي، بل تصدروا بدورهم للتدريس، ولا سيما بمصر : حيث كان ركب الحاج يقيم مدة طويلة، تتراوح بين شهر وشهرين، فيعقد العلماء حلقات علمية يحضرها طلبة العلم، من أجل التحصيل والمناظرة. ومن بين من اقتعدوا كراسي التدريس بالجامع الأزهر عبد المالك التاجموعي، وأحمد الهشتوكي اللذين أجازا طلبة وعلماء من مصر ومن غيرها. وأقام محمد الصغير الورزازي الناصري بمصر، مدة : فاشتغل بالتدريس، حتى توفي هنالك، سنة 1139 / 1727. وإذا كان الشيخ أحمد ابن ناصر، لم يتصدر للتدريس، فقد أجاز بعض الطلبة والعلماء بكل من المدينة المنورة، ومصر.

وظل جبل التواصل ممدوداً بين العلماء، في كل من المغرب ومصر - على الأقل - في عهد الشيخ يوسف الناصري (1157-1197). واستمرت هذه العلاقة نشطة حتى مستهل القرن الثالث عشر (19 م) على الأقل : وهو التاريخ الذي سجل بدء تراجع ركب الحاج الناصري.

تذكر الرواية الشفهية المتواترة عند الناصريين، أن الشيخ محمد ابن ناصر، صحب معه في أثناء رحلته الحجيتين عدداً من التلاميذ. وكلما عثر على كتاب نفيس، إلا واستعاره ليوزع كراريسه عليهم. ثم يأمرهم بنسخه : ليحمله إلى تامكروت. وبهذه الوسيلة انتقل إلى الزاوية عدد كبير من الكتب.

وفي عهد ابنه أحمد الخليفة، تضاعفت مقننيات دار الكتب بما جلب إليها من المشرق. منها جل مصنفات ابن الأجدابي. ولما زار هذا الشيخ القاهرة في حجته الأخيرة، اشترى عدداً من الكتب. وفي الوقت ذاته اقتترض مبلغاً

وقطع الطرق، والتصدي للعادات والتقاليد المنحرفة : حيث كان لهذه الأمور ما يبررها، كانتشار عدم الاستقرار والفقر، وتوالي القحوط والأوبئة، في تلك الجهات : علاوة على بعدها عن مراكز الإشعاع الثقافي : بل تدخلوا للتحكيم في الخصومات، وتوسطوا بين المتقاتلين، وانتصروا للمظلومين. ونستحضر، في هذا المقام، عدة أمثلة منها :

فيما يتعلق بالزاعات بين القبائل، توسط الشيخ أحمد ابن ناصر، بأبي سمغون، بين ثلاث قبائل متناحرة، كان القتال بينها متواصلاً طوال أجيال خلت. ولما نديها إلى الصلح لم تتلأأ أية واحدة منها عن الاستجابة إلى طلبه. وليجعل ذلك الصلح نافذاً، أمرها بالتعهد كتابة بالالتزام به. وليقف الشيخ على تنفيذ الصلح، حرر مقتضياته كتابة، وأعطى كل فريق نسخة منه... : ولإبراز بعض مظاهر المصالحة، لم يغادر الشيخ المنطقة إلا بعد أن شاهد الناس يتبادلون الضيافة، ويلاقى بعضهم البعض. يقول بصدد ذلك : "فتوافوا وتضافوا إتماماً للعقدة وتأكيداً لها وزيادة في إشاعتها.. وإزالة الضغن والشحناء...".

وقد تمت الإشارة إلى التدخل الذي قام به الشيخ نفسه لدى قبيلة السليمة، لفسح المجال أمام الحجاج، والكف عن إذابتهم. وفي سنة 1154 / 1741 توسط أبو مدين الدرعي بين أولاد سيدي عبد الجبار - غربي بسكرة - الذين تقاتلوا بسبب خلاف حول أرض زراعية. فكان تحكيمه ناجعاً، إذ التزم الفرقاء بمقتضيات الصلح التي ارتضاها لهم ذلك الشيخ.

وإذا كانت تلك القبائل استجابت لوساطة الناصريين، فيمكن أن يستدل بذلك على المكانة المرموقة التي تبوأها هؤلاء لديها، علماً أنها كانت تحمي حياة هامشية، بالنسبة للسلطة المركزية. ولم يكتف شيوخ الناصريين بفض النزاعات، وإقرار الأمن بين السكان : بل توسطوا حتى بين الحكام وبعض الخارجين عن طاعتهم.

ومن أمثلة ذلك وساطة الشيخ أحمد الخليفة بين السلطان المولى إسماعيل، وابن أخيه أحمد بن الحفيد، الذي أعلن العصيان في المنطقة الشرقية. فاستطاع الشيخ أن يحسم الخلاف بين الرجلين، ويصلح ذات بينهما.

6) الجانب العلمي في ركب الحاج الناصري : تمت الإشارة إلى أن شيوخ الناصريين قد حظوا بالتقدير والاحترام لدى سكان القرى والمدن التي كانوا يرون عليها. فتعلق بهم العلماء والطلبة أينما حلوا وارتحلوا. وإذا كان هؤلاء الشيوخ قد جمعوا بين التصوف والعلم، فلا غرابة أن يكون ركب الحاج بمثابة مدرسة متنقلة، عقد العلماء والطلبة خلالها، حلقات علمية أثناء إقامتهم وطعنهم. فكانوا يتناظرون ويتذاكرون : ومنهم من يتابع دروساً منتظمة، "فيختم" في الرحلة كراسات وكتبا، قد "يسلكها" عدة مرات. ففي سياق حديث أبي سالم العياشي عن مداومة الشيخ محمد ابن ناصر على التدريس، يقول : "وكان

مالياً كبيراً، أنفق كله في اقتناء الكتب. وأضاف عبد الحى الكتاني، بصدد المناسبة نفسها، أن هذا الشيخ أنفق مائة مثقال ذهبي في شراء الكتب. ومن التحف التي جلبها الشيخ أحمد الخليفة إلى المغرب، النسخة اليونانية من صحيح البخاري؛ اشتراها من مكة المكرمة، بثمانين ديناراً ذهبياً.

ويظهر في مختلف الركاب، عادة، ثلاث فئات اجتماعية هي :

(أ) أعيان الحجاج؛ وتتكون هذه الفئة من الشرفاء والتجار وذوي الهيشيات.

(ب) صعاليك الحجاج؛ وهم ذوو الفاقة والبسطاء، الذين يرافقون الركب لتقديم بعض الخدمات في أثناء الطريق.

(ج) العبيد والخدم، الذين يصطحبهم الشيخ الناصري، وأعيان الحجاج.

وإذا كان "مجلس الركب" يمثل القبائل، ويتدخل للنظر في بعض المشاكل التي تطرأ بين الحجاج، فإن "شورى الركب" كانت بأيدي أعيانه، الذين يقومون بفض مختلف القضايا. ومن الأمثلة التي نود سوقها، في هذا المقام، ما نستفيده من كلام الشيخ أحمد الخليفة، حين استشكل أمر الطريق، في مفازة برقة، فقال: "وجمعنا أعيان الركب لنستخير ما عندهم، وما عليه جلهم، وما هو الأصلح لهم، واتفق رأيهم، بعد مراجعة في الكلام ومراسلة، ومناقبة ومواصلة، أن يتوجهوا منكبين طريق سلوك". نفهم من هذا أن حسم الأمر قد تطلب عقد جلسة، تخللها الأخذ والنقاش، للتباحث في تلك التازلة.

وقد سبقت الإشارة إلى أن أولئك الأعيان، عقدوا مجلساً آخر، لما اعترضت طريقهم فيضانات بعض أودية الصحراء، قبل أن يتنكبوا ذات اليسار، للمرور عبر واحات عين ماضي. أي أن الأعيان، هم الذين كانوا يقررون فيما يستوقف الركب من التوازل؛ طوال الطريق، وأنهم تبعاً لذلك، كانوا بمثابة السلطة العليا، في ركب الحجاج الناصري. هذا عن "مجتمع الركب"، أما فيما يختص بحياة الحجاج، طوال الرحلة، فقد استمرت فيها مختلف المظاهر. فقد ظل الحجاج متمسكين بكل الممارسات اليومية التي يعيشونها زمن الاستقرار؛ من تقاليد واحتفالات ومآتم.. وهكذا فبالإضافة إلى تلقي العلم وتلقينه، والتجارة وتبادل النقود وصرفها؛ احتفل الحجاج بالزفاف والعقيقة، ومنهم من توفي في أثناء الطريق. من ذلك أن المدعو علي بن أحمد الرسموكي قد عقد قرانه بصفية بنت علي بن عبد العزيز البوعنانية، في بداية الرحلة، ودخل بها بعد أن جاوز ركب سنة 1095 / 1685. وحملت منه، وما يزال معها كذلك حتى المدينة المنورة. وفي أثناء عودة الركب الناصري من حجة سنة 1122 / 1710، "أخذ الطلق إحدى مملوكات" الشيخ أحمد الخليفة. فوضعت ولداً ذكراً، عند حلول الركب بوادي

الحفشة. فأقام له الشيخ وليمة العقيقة، في اليوم السابع من ميلاده. وهذا ما يؤكد أن كثيراً من الحجاج - ولا سيما أعيانهم - كانوا يصحبون معهم نساءهم، وسرايرهم، وبعض أطفالهم.

وخلاصة القول إن الزاوية الناصرية مثلت حضوراً متميزاً في المجتمع، سواء على صعيد المغرب - بمدنه وقراه ومداشره - أو صعيد البلدان الإسلامية، التي يمر عليها ركب الحجاج الناصري. وظل شيوخها يعملون على ترسيخ تعاليم طريقتهم، في الظعن والإقامة؛ الأمر الذي أسهم في توثيق الصلات، عن طريق انتقال الأفكار والأسانيد والكتب، وبعض طرق التدريس بين المشرق والمغرب، اضطلع الناصريون، في كل ذلك - شيوخاً أو مقدمين أو أتباعاً - بالدور الرئيسي، وحظوا بمكانة رفيعة لدى سكان تلك البلدان.

وعلى الرغم من الصعوبات التي كانت تعترض سبيل ركب الحجاج الناصري، في بعض مراحل الطريق، فقد استطاع الشيوخ الناصريون تذليلها؛ بفضل التنظيم المحكم الذي تواضعوا عليه؛ سواء جعل الركب زاوية متنقلة، تضطلع بمختلف أدوارها المعهودة - من ذكر ووساطة وتعليم وأمر بمعروف ونهي عن منكر - أو بالحرص على استمرار مختلف مظاهر الحياة، في المنشط والمكره.

م. ابن ناصر، إتخاف المعاصر؛ أبو سالم العياشي، ما - الموائد؛ م. المكي الناصري، الروض الزاهر؛ فتح الملك الناصر، طليعة الدعة؛ الدرر المرصعة؛ أ. ابن ناصر، الرحلة؛ أ. الهشتوكي، هداية الملك العلامة، رحلة؛ أبو مدين الدرعي، الرحلة؛ محمد الخليفتي، أئدة الجلييلة؛ محمد بن عبد السلام الناصري، الرحلة الكبرى، المزايا فيما أحدث بأمر الزوايا؛ ح. اليوسي، المحاضرات؛ ح. الورقبلائي، توهة الانظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تج. محمد بن أبي شنب، بيروت، ط. 1974، 2. ح. ابن ناصر، فهرسة، نسخة علي الرسوني، شفشاون؛ القادري، نشر الثاني/ موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996؛ التقاط الدرر؛ الكتاني، فهرس الفهارس؛ رضا كحالة، معجم المؤلفين؛ الزركلي، الأعلام؛ أ. الناصري، طلعة المشتري؛ ح. مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1407 / 1987؛ م. المنوني، من حديث الركب المغربي، دليل دار الكتب الناصرية، البخاري الصحيح؛ معلمة المغرب؛ م. ماگمان، أدب الرحلات، د. ع مرقونة؛ أ. التوفيق، أبو الحسن علي بن سليمان الدمنتي البرجموعي ورسائله إلى الأفاق بحث نشر في النهضة والتراكم، دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربية، مهداة إلى الأستاذ محمد المنوني، المعرفة التاريخية، الدار البيضاء، 1986.

Michaux-Bellaire, *Conférences sur les confréries religieuses du Maroc*. A.M., vol. 27, 1917.

أحمد عمالك



المحيون للزرگاگيين من كل أنحاء المغرب يبتدئ من يوم 20 مارس وينتهي مساء يوم 27 أبريل مستغرقا 39 يوما يزور فيها المشاركون 14 زاوية و25 ضريح ولي وولية بمعدل يوم و ليلة لكل مقام يستضيفهم أهل دفين الضريح فيبيتون فيه مستغرقين الليل كله في الذكر وتلاوة القرآن والعبادة إلى وقت الأذان فيصلون الفجر ثم يعودون إلى التلاوة والاذكار إلى أن تطلع الشمس فيجتمع الناس إلى مقدميهم الأكارب من المرابطين ويستنبطون نوعاً حسناً من التوسل فيقول الأولون ويرد عليهم الآخرون إلى أن يدخلوا الروضة المقصودة فيصلون جميعاً على النبي صلى الله عليه وسلم المرة بعد المرة ثم يجلس الجميع سواء من كان داخل الروضة أو خارجها ثم يقرؤون سورة ياسين، ويعدده يشتغلون بالدعاء والابتهاج إلى الله تعالى والتضرع إليه بأنواع الأدعية لأنفسهم ولغيرهم من المسلمين ويختتمون الدعاء فيخرجون من حينهم ويذهبون قاصدين غير ذلك الولي. وهكذا دواليك.

م. المختار السوسي، *المسول*، ج 4، ص. 7 : ع. الله الرزگاگي السعيدي، *السيف المسلول*، ص. 27 : مخطوطة (طاطا) من تأليف محمد بن أحمد التلي عام 846 حول أصول الرزگاگيين وأنسابهم : مخطوطة : العيون الرضية في ذكر بعض مناقب الطائفة الرزگاگية، لأبي الفضل عبد الكبير ابن سعيد وهي مؤرخة بربيع الأول عام 1312 والمخطوطان من إخراج الأستاذ عمر أفا. محند أيت الحاج

**الرزگاگي، إبراهيم بن سعيد بن علي بن محمد** المراكشي فقيه مدرس مؤلف، له شرح *على التحفة* في مجلد، قال في ديباجته : (هذا تقييد مختصر كالشرح للتحفة العاصمية، لخصت فيه ما وقع عليه الاختيار مما تضمنه شروحها، وربما أزيد من غيرها مما تتم به الفائدة). وقال في آخره : (وكان الفراغ من مبيضة هذا التقييد ضحى يوم الأربعاء عشية يوم الأحد السادس عشر من شهر الله صفر عام تسعة وسبعين ومائة وألف). وله شرح *على الرقاقية*. توفي عام 1190 / 1776.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام، الرباط*، 1 : 187 : ع. السلام ابن سودة، *إنحاف الطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، 7 : 2409*

**الرزگاگي، أحمد (الحاج -) الأمين الرباطي،** عمل أميناً بالمراسي خلال القرن الثالث عشر (19 م)، عينه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان أميناً بمرسى الجديدة سنة 1281 / 1864 ثم أميناً بمرسى الدار البيضاء سنة 1283 / 1866.

ع. الإله الفاسي، *مدينة الرباط وأعيانها*، ص. 222.

**زرگاگة** أو رزجاجة، قبيلة من فروع قبيلة مصمودة الأمازيغية الكبرى، استوطنت منطقة الشياظمة بإقليم الصويرة منذ ما قبل الاسلام إلى اليوم، واشتهرت عبر التاريخ الإسلامي بالطائفة الرزگاگية المنتسبة إلى سبعة رجال المشهورين برحلتهم إلى مكة المكرمة فأسلموا على يد رسول الله (ﷺ) ففازوا بشرف الصحة ثم عادوا إلى بلدهم مشمرين عن ساعد الجند لنشر الإسلام والتصدي لأعدائه، يتوارث خلفهم عن الأسلاف هذه المهمة التي تختلف ظروفها وملابساتها من عصر إلى الآن. وتروي بعض كتب التاريخ المغربية للمرغيتي واليوسي والمختار السوسي أن أصل طائفة رزجاجة المشهورة بالصلاح والجهاد في سبيل نصره الدين أنهم من بقية الحواريين المومنين بالمسيحية (الدوناتوسية) انتقلوا من جزيرة الأندلس راكبين على سفينتهم حتى خرجوا بإقليم حاحة بمرسى (أغوز) وذلك قبل الإسلام عند مصب وادي تانسيفت وبنوا بها مسجداً لعبادة الله يسمى : (مسجد الحواريين) وبالأمازيغية : (تيمزگيدان حورن) وسكان المنطقة من المصاعدة يتبركون بهم ويعظمونهم واختلطوا معهم بالمصاهرة والتناسل، وكانوا يحفظون عن أسلافهم أن نبياً سيبعث، فبقوا يترصدون مبعثه، وحين بلغهم نبأ مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، هبوا لتلبية دعوته فجمعوا رؤساء المغرب، وساروا في وفد عظيم تحت رئاسة سبعة رجال المشهورين إلى مكة. إن من الثابت تاريخياً هو أن منطقة حاحة وزرگاگة كانت منطلقاً للدعوة الإسلامية بالمغرب وظلت مركز إشعاع ديني، ورباطاً للدفاع عن العقيدة الصحيحة ضد البدع الضالة وبالأخص عند ظهور برغواطة بتامسنا، وظل السادة الرزگاگيون متصفين بالخير والدين والصلاح والاستقامة والتمسك بأذيال الشريعة، والاجتهاد في الأعمال الصالحة وتعمير المساجد وإطعام ابن السبيل والضعيف وذوي الحاجة والإقبال على تعاطي المكرمات وهذا ما جعلهم معظمين محترمين لدى جيرانهم من قبائل الشياظمة وحاحه وغيرهم من المغاربة المرابطين على زيارة السادات السبعة رجال والاجتماع للدروران على أضرحتهم وزواياهم خلال فصل الربيع من كل سنة، وهم :

- سيدي واسمين في ظرف جبل الحديد بالشياظمة.
  - سيدي عبد الله أدناس على طريق وادي تانسيفت.
  - وسيدي عيسى بوخابية بوادي تانسيفت.
  - وسيدي يعلي بن واطل في أمسكن
  - وسيدي سعيد بن يقي غرب وادي شوشوا (شيشاوة)
  - وسيدي أبو بكر اشماس باقرمود.
  - سيدي صالح بن أبي بكر اشماس باقرمود نفسه.
- وقد تكاثر الرزگاگيون بالتناسل حتى بلغ عددهم حسب الإحصاء الأخير حوالي مائة ألف نسمة بمعدل نصف سكان قبائل الشياظمة البالغ نحو مائتي ألف نسمة. وموسم رزگاگة الذي تقيمه قبائل الشياظمة ويتوافد

ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تح. عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، ج. 3، ص. 53.

محمد المقرابي

**الزركاكي، عبد الفتاح** بن محمد بن علي الرباطي. ولد بالرباط في ثامن عشر شعبان عام 1344 / 3 مارس 1926. تابع دراسته الابتدائية والثانوية في المدارس العصرية وتخرج من قسم تكوين المعلمين بثانوية مولاي يوسف قبل أن ينخرط في سلك التعليم الابتدائي، والتحق بمدرسة المعلمين الإقليمية بالرباط - أول ما أسست في أوائل الخمسينيات - فدرّس في السنة التحضيرية عقوداً من السنن، وكان المشرف على تدريب الطلبة المعلمين بهذا القسم الذي هو أساس التعليم، وتخرج على يده عدد لا يحصى من المعلمين، متأثرين بأسلوبه البيداغوجي الحي لاسيما في دروس المحادثة التي كان يبدع فيها.



وبعد ذلك أسندت إليه مناصب سامية في وزارة التربية الوطنية زاولها بكفاية إلى أن أحيل على التقاعد، وأدركته الوفاة بالرباط يوم ثالث عشر رمضان عام 1415 / 13 فبراير 1995،  
وثائق عائلية وإدارية ومعرفة شخصية.

محمد حجي

**الزركاكي، عبد الله** بن محمد بن الطيب الرباطي. ولد بالرباط حوالي سنة 1321 / 1903. بدأ تعليمه بالكتاتيب القرآنية ثم دخل المدرسة الابتدائية العربية / الفرنسية، والتحق بعد الشهادة الابتدائية بمدرسة مولاي يوسف بالرباط.  
ونظراً لظروف عائلته المادية، التحق عبد الله الزركاكي بالوظيفة العمومية وهو في بداية شبابه، فعُين موظفاً بالجزالة العامة بالرباط، فكان بذلك أول مغربي يلتحق بهذا العمل الجليل، وأصبح مع مرور الوقت الرائد المغربي الأول في علم الوثائق والمكتبات في المغرب.  
وقد ساعدت ظروف العمل والصفات الحميدة التي كان يتمتع بها المترجم على أن يتطور علمياً وثقافياً داخل

## الزركاكي، أحمد (المهاج -) المؤلف

الرباطي، درس على الشيخ الصوفي فتح الله بناني وعلى بعض علماء الرباط، كما درس بالقاهرة أيام مكوثه بها قصد طبع مؤلفات شيخه البناني، واستغرق بقاؤه بالقاهرة مدة تزيد على العشر سنوات. كما عمل بإحدى مطابع مصر كمحرر ساعدته على طبع مؤلفات شيخه. ومع قيام الحرب العالمية الأولى عاد إلى مسقط رأسه الرباط ليشتغل بوزارة الأوقاف ومنها عين ناظراً للأوقاف بالصويرة، ومنها إلى مراكش ثم عاد إلى الرباط سنة 1346 / 1927، وكانت مدينة وجدة خاتمة تطوافه كناظر للأوقاف التي عمل فيها بكل حزم ونشاط وضيظ إلى أن أصيب بداء الفالج الذي ألزمه الفراش، وبعد أشهر من مرضه أعفي من عمله وعاد إلى مدينة الرباط. من مؤلفاته: الشمس المنيرة في تاريخ الصويرة مطبوع: عشرة أيام في مراكش.

عرف بحسن الحديث وحضور الذهن وطلاقة اللسان. توفي بالرباط عام 1374 / 1955 ودفن بضريح مولاي المكي.

ع. المجراري، أعلام الفكر المعاصر، 2: 9؛ ع. العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية، 3: 95.

أحمد متفكر

## الزركاكي، الجيلالي الرباطي، من خدام المخزن

في عهد السلطان مولاي الحسن الذي عينه أميناً لمستفاد مدينة الجديدة ابتداء من عام 1301 / 1883، والمستفاد يعني الضرائب على التجارة الداخلية وموارد أملاك المخزن، وتركات المنقطعين ممن لاوارث لهم ورسوم البريد الذي نظم في العهد الحسني.

ع. الإله الفاسي، مدينة الرباط وأعيانها، ص. 225؛ ن. التوزاني، الأبناء بالمغرب على عهد المولى الحسن، الرباط، 1979، ص. 133، 114.

عبد الإله الفاسي

## الزركاكي، عبد الرحمن بن زكريا بن محمد،

كان شيخاً صالحاً متحققاً بعلم الكلام. رحل من المغرب الأقصى إلى الأندلس وسكن قرطبة وولي قضاء إستجة من كورها. وكان شديداً في أحكامه.

درّس بقرطبة ونوظر عليه فيها، وذكره عدد من مشايخ الأندلس كابن حوط الله الأنصاري وأبي الربيع بن سالم الكلاعي ضمن شيوخهم. وكان من الفقهاء الذين عارضوا أبا الوليد بن رشد الفيلسوف وسجلوا عليه بعض المؤاخذات التي أدت إلى نكته رفقة عدد من المشتغلين بالفلسفة من أصحابه سنة 593.

توفي الزركاكي سنة 605.

الخزانة العامة، فطيلة سنوات عديدة وجد عبد الله الرجراجي نفسه بجانب فطاحل من العلماء الفرنسيين بالخزانة العامة يتابع عملهم ويقتفي أثرهم ويتعلم منهم، وقد كان على رأس هؤلاء ليقي بروقتصال (Lévi Provençal) الذي كان في هذا الوقت يشغل منصب مدير الدراسات بمعهد الأبحاث العليا ونائب محافظ الخزانة العامة، والذي وضع فهرساً للمخطوطات العربية التي اهتمت الخزانة العامة بجمعها منذ تأسيسها إلى غاية سنة 1920 (ل. بروقتصال، فهرس المخطوطات العربية، 1: 7)، والأستاذ بلاشير (Blachère) والدكتور رونو (H.P.J. Renaud) اللذان اعتنيا بوضع فهرس موجز للمخطوطات التي دخلت الخزانة العامة بين سنتي 1921 و1930.



وقد عاش عبد الله الرجراجي كل محاولات وعمليات فهرسة الرصيد المخطوطي الهام بالخزانة العامة بالرباط، كما ساهم في الجهود التي كانت ترمي إلى تزويد الخزانة العامة بأرصدة جديدة من المخطوطات.

ولتكملة ما قام به بروقتصال وبلاشير ورونو، قام عبد الله الرجراجي بمعية ب. س. علوش (Allouche) مدير قسم الآداب العربية بمعهد الأبحاث العليا المغربية ومحافظ القسم العربي بالخزانة العامة بوضع فهرس من جزئين للمخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة للفترة من سنة 1921 إلى 1953. وقد صدر الجزء الأول سنة 1954 والجزء الثاني سنة 1958. ويُعتبر هذا العمل الجليل الذي قام عبد الله الرجراجي مع علوش خدمة متميزة لثقافتنا الوطنية ووسيلة فعالة تعطي للباحثين فرصة للتعرف على تراثنا القومي الأصيل وتعريفنا بما تحتضنه الخزانة العامة المغربية من ذخائر علمية وأدبية ثمينة. وقد أظهر هذا العمل العلمي الجاد الذي شارك في إنجازها عبد الله الرجراجي والذي جاء وفق شروط المفهرسين الجهابذة مدى تمكنه من حرفته وضلوعه في علم الفهرسة والمخطوطات واطلاعه الواسع على عالم الثقافة والأدب.

وقد لعب عبد الله الرجراجي دوراً هاماً في نشر هواية القراءة والاطلاع بين التلاميذ والطلبة في مدينة الرباط، وما يزال يتذكر بعض قدامى خريجي مدارس محمد الخامس

ما كان يقوم به الرجل عندما كان قسماً على مكتبة باب شالة للخزانة العامة، فقد كانت هذه المكتبة مركز استقطاب لشباب المدينة وبعض رجالاتها، وذلك قبل تأسيس مدارس محمد الخامس المجاورة والتي ستصبح المكتبة عملياً جزءاً منها وامتداداً لها (أحمد ابن الغازي، شهادة شفوية).

وقد استطاع عبد الله الرجراجي من خلال عمله في الخزانة العامة أن يربط علاقات وثيقة مع العديد من الشخصيات التي لعبت أدواراً مختلفة في الحياة الوطنية والعلمية والاجتماعية، وهذا وضعه في قلب النضال الوطني وجعله يندمج في صف الوطنيين الأحرار المناهضين للاستعمار، وأعطاه حق التوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944.

ونظراً لكفاءة عبد الله الرجراجي ولقدرته ولباعه الطويل في تسيير شؤون الخزانة العامة عين بعد الاستقلال مباشرة مفتشاً للخزائن المغربية ومحافظاً للخزانة العامة حيث بقي في هذا المنصب إلى حين بلوغه سن التقاعد. وقد انتقل إلى الرفيق الأعلى بمدينة الرباط سنة 1399 / 1978.

ليقي بروقتصال، فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط، 1997 - 1998 : محمد ابن الغازي، شهادة شفوية، جلسة بمنزله يوم 23 أبريل 2001 : وثيقة المطالبة بالاستقلال، تراجم الموقعين، الندوة السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، 1996 : أحمد قريون، شهادة شفوية، جلسة بمكتبه يوم 3 ماي 2001.

عشمان بناني

**الرجراجي، عبد الواحد** بن أحمد بن عبد الله فقيه أخذ عن عمه محمد الرجراجي أتى الترجمة، وعن شيخ الجماعة عبد الواحد الشريف وعن المفتي الحافظ أبي عبد الله الترغبي المساري، وعن أحمد المنجور وغيرهم. له مشاركة تامة في العلوم، يستظهر مختصر خليل ويشارك في كثير من العلوم كالتنطق والبيان. اطلع المقرئ في مكتبته على كتب نادرة لم يسبق له ولا لبلديه التلمسانيين الوقوف عليها، كحواشي اللقاني على توضيح خليل، فاهداه الرجراجي نسخاً منها، انقلب بها المقرئ إلى أهله مسروراً، وكانت محط استغراب علماء تلمسان قاطبة. من مؤلفاته : اختصار منظومة ابن زكري في علم الكلام : وشرح نظم مغني اللبيب.

أ. المقرئ، روضة الأوس، 315 - 316 : أ. ابن القاضي، درة المجال، 3 : 142 رقم 1098 : م. حجي، الحركة الفكرية، 2 : 285.

أحمد متفكر

**الرجراجي، علي** بن سعيد من فقهاء السوس الأقصى في عهد الموحدين، نزيل جزولة بجبل الكست. كان

عالمًا ماهراً في اللغة العربية وأصول الفقه وأصول الدين. وكان فضلاً عن ذلك من حفاظ المذهب المالكي المتعمقين في فروعه. قام برحلة إلى المشرق حج فيها ولقي خلالها جماعة من أهل العلم منهم العالم اللغوي أبو موسى الجزولي "لقبه على ظهر البحر وتكلم معه في مسائل العربية" (نيل الابتهاج)، كما أتبع لعدد من أهل المشرق الاتصال به والأخذ عنه.

ألف كتاب مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل على كشف أسرار المدونة، أبان فيه عن تمكنه من فروع الفقه المالكي، ولخص فيه ما وقع للأئمة من التأويلات على كلام القاضي ابن رشد والقاضي عياض وتخريجات أبي الحسن اللخمي " (نيل الابتهاج) ، وتوجد من هذا الكتاب عدة نسخ مخطوطة في خ. ع. بالرباط وخ. ق. بفاس.

كان حياً سنة 633 / 1236.

أ. بابا التيبكي، نيل الابتهاج، طرابلس، 1989، ص. 316.

محمد المغراوي

### الزرگراكي، محمد بن عبد الله المراكشي،

المدعو بوعبدلي، مشارك في علوم القرآن والحديث والفقه وغيرها من الشرعيات واللسانيات. تولى خطة القضاء في مناطق مختلفة أيام أحمد المنصور الذهبي، وبعد وفاة القاضي أبي القاسم الشاطبي سنة 1002 / 1594 ولي محمد الزرگراكي قضاء الجماعة بحاضرة مراكش. صحب المنصور في رحلته الأخيرة إلى فاس فقدمه لإقراء التفسير بالقرويين "ووقعت له مع فقهاء فاس بحضرة السلطان المنصور مناظرات انحلت عن تحقيقه وتوحده بالبراعة في الفنون" (صفوة) وذكر ابن القاضي في الجذوة أن المنصور أمره باختصار الكشاف للزمخشري "والكلام في مواضع سقطه". وقد سجل محمد العربي الفاسي صاحب المرآة عند كلامه عما جرى به العمل بالغرب من أن القول قول والد القتييل فيما نهب من مال ولده بدون بيعة، مشهداً رائعاً للمجلس العلمي لأحمد المنصور بفاس الذي كان يحضره القاضي الزرگراكي.

وبعد وفاة المنصور رجع الزرگراكي إلى مراكش وانكب على التدريس والإفتاء والتأليف إلى أدركته الوفاة سنة 1022 / 1614.

ع. التمنارتي، الفوائد الحجة، مخطوط ؛ ع. الرحمن الفاسي، بستان الأذهان، مخطوط ؛ ابتهاج القلوب، مخطوط ؛ شرح العمل الفاسي، مخطوط ؛ ع. الله الفاسي، الإعلام بن غير، مخطوط ؛ م. الإفرائي، صفوة، ط. حجر فاس، ص. 99 ؛ م. الحضيكي، طبقات، تج. أ. بومزكو، د. د. ع. مرقون ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ط. 2، الرباط، 1976، ج. 5 : 248 - 250 ؛ م. حجي، الحركة الفكرية، 2 : 389 والهامش 41.

محمد حجي

**الزرگراكيون السوسيون**، اعتنت كتب التراجم باشكالية الانتساب إلى الزرگراكيين وملاقاتهم بالرسول عليه الصلاة والسلام، وبانتمائهم إلى الصحابة. وقد أنكر كثير من السوسيين هذا الاعتقاد، واعتبره "مردوداً وأمشاج أخلاط" وقليل منهم سايره بالسماع والقول مثل محمد بن سعيد المرغيثي السوسي المراكشي (ت. 1063)، وحذا حذوه من المتأخرين صاحب كتاب السيف المسلول.

واختلف كذلك حول أسباب دخول الزرگراكيين إلى حاحة وسوس موطنهم الثاني.

فقد كان دخولهم إلى جبال جزولة بقيادة "واسمين" فراراً من ملك فاس ابن خرز المغراوي بتاريخ 432. وهذا الإكراه هل كان مرده رغبة هذا الملك في نقل واسمين لما اشتهر وذاع صيته قصد التبرك به، ففكر ذلك بعض أولاده فخرج عشرة منهم إلى سوس، وقيل إن ذلك كان نتيجة الجراح التي أثنىها ابن خرز في الشرفاء الأعيان ؟ !

ومن العشرة الفارين، اتفقت المصادر على أربعة فقط، بينما الستة الباقون، فهم زاهدون وتائهون بقفار أحواز درعة.

إن مصدر المعلومات هو "عقد عتيق" كتب سنة 846، أي بعد أربعة قرون ونيف من التاريخ المذكور أعلاه. شهد بصحته شهود ينتسبون للزرگراكيين بعد ثلاثة قرون أخرى. ودام الإشهاد بذلك ما بين 1148 و1315.

وكيف ما كان الأمر، فمن المتأخرين من اهتم بالأمكنة التي تبوأها الزرگراكيون بالسكنى في سوس. ويمكن إجمالاً أن نذكر منها : ماسة "سيدي وساي" اشتوكة "سيدي علي بن أبوب" تزليمي بجاطة "سيدي عبد الله"، دُونَمَلَان بتافراوت "عبد الرحمن بن عاصم، وقيل ابنه عبد الله"، ومزارات أخرى بواد نون بتاغوست وبإفران وأيت باعمران ورأس الواد.

وكثيرة هي العائلات السوسية التي تفرعت عن هؤلاء، منها : الإيديكليون والسالميون والتمگدشتيون وآل أگني إيديان الإيغشانيون والدوملانيون والصوابيون. ونظراً للغموض الذي يكتنف الأصل، فقد تنازع الزرگراكيون مع البكريين حول الانتساب لسيدي وساي بماسة، ومع الدغوغيين حول الانتساب لأبي القنادل بفوننتي (أگادير). ولا يمكن أن تتسبنا هذه الاختلافات تلك الأدوار الجليلة المنوطة بعائلات زرگراكية كان لها شرف نشر الإسلام والاحتفاظ على جذوة العلم متوقدة بمدارس سوس، وقد ذكر صاحب كتاب السيف سبعة منهم وترجم محمد المختار السوسي لشخصيات أخرى.

م. المختار السوسي، المسلول، 3، ص. 110، 4، ص. 25. 5، ص.

5. 305، ص. 150، 1، ص. 137. 147 : خلال جزولة، 3، ص.

167 و168 ؛ م. الإغراري، روضة الأفتان، 193. 197 ؛

الحضيكي، طبقات، تج. أحمد بومزكو، مرقون ؛ الكراي، بشارة

الزائرين، مخطوط ؛ ع. الله الزرگراكي السعدي، السيف المسلول،

طبعة 1987، ص. 25، 39، 48، 49، 73، 74، 85، 87، 112، 116، 119، 203، 242، 252 + التراجم، الأرقام، 15، 77، 78، 173، 178، 227، 265، 308.

محمد أيت الحاج

**الرُّوكَّ**، ويكتب الرُّوكَّ وروك، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Roque وهو اسم مدينة إسبانية : وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1147 / 1735 .  
م. ابن عزوز حكيم، كشف أساء عائلات تطوان: والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 717.

**الركاب، محمد،** «أشهر من نار على علم» بالنسبة للسينما المغربية ولا يزال، حيث لقب بعدة ألقاب منها، المشاغب، المناضل، لكن أهمها كان «مسيح السينما المغربية» لما عاناه الرجل في هذا الحقل مخلقا إبداعات نيرة رغم قلتها لعل أشهرها فيلمه التحفة (حلاق قرب الفقراء) الذي يشكل انعطافة متميزة في تاريخ السينما المغربية سواء على مستوى الطرح الفكري أو على مستوى كتابته السينمائية.  
كما يعتبر محمد الركاب مرجعا نظريا لكثير مما يروج راهنا من آراء وتصورات ومقترحات في القطاع بفضل ما أدلى به المرحوم وشارك به في العديد من التظاهرات الثقافية والفنية شفويا وكتابة وتدريباً.



ولد محمد الركاب سنة 1942 بمدينة أسفي في عائلة متواضعة جدا نزلت برمتها إلى الدار البيضاء حيث كان والده يشتغل كعامل بمقر العمالة. وبدء من مستهل الخمسينيات تفتت ذهن الصبي محمد على عالم السينما بإقباله على قاعاتها المنتشرة في عدد من الأحياء الشعبية على رأسها سينما الكواكب رفقة عينة من زملائه الذين سيرافقونه درب الإبداع والمعاناة كان من ضمنهم الراحل محمد الزباني والمخرج أحمد البوعناني.

حصل سنة 1960 على شهادة البكالوريا علمية من ثانوية محمد الخامس ليقتضى سنة بعد ذلك بمدرسة فوجيرار

Vaugirard بباريز التحق بعدها بالمدرسة العليا العمومية للسينما بالاتحاد السوفياتي UGIK ليحصل من هناك على دبلوم في شعبة التصوير السينمائي ضمن أول فوج. قضى بعد ذلك سنة بجامعة بروكسيل الحرة لدراسة علم النفس.

تشكل سنة 1967 انطلاقة فعلية ورسمية لمحمد الركاب في مجال الإبداع الفني بالتحاقه بالإذاعة والتلفزة المغربية حيث أنتج وأخرج العديد من الأعمال التلفزيونية : برامج، وأفلام وثائقية وروائية، ريبورتاجات وسهرات ومسرحيات من أبرزها :

1968 : «كاميرا 4» منوعات تلفزيونية وقعه صحبة مخرجين آخرين هما : المرحوم حميد بنشريف وحسن المفتي.

- (التضحية) مسلسل - (رامدا) وثائقي عن سكان أورريكا بالدار البيضاء، (بصمات) برنامج خاص يتوثق بعض الفعاليات الثقافية والفنية المغربية كان ضمن حلقة خاصة بالمخرج السينمائي محمد عصفور.

كما صور وأخرج في نفس المرحلة عددا من المسرحيات منها : (الحراز) للطيب الصديقي - (زيارة غريب) لصلاح الدين بنموسى - (بنت العم) لمصطفى التومي - (بوحننة) لعلي الحداني... وتؤرخ نفس السنة المذكورة لأول ظهور لمحمد الركاب على الشاشة السينمائية كممثل بأدائه لدور صغير في الفيلم الروائي الطويل (الحياة كفاح) الذي وقعه كل من المرحوم أحمد المسناوي وحمد النازي.

وفي سنة 1972 أخرج شريطا قصيرا بعنوان (الحصار) شارك فيه كل من المرحوم مصطفى التومي وحسن الصقلي.

أما أول شريط روائي سينمائي طويل سيوقعه محمد الركاب فكان (رماد الزريبة) سنة 1976 بمعية ستة مخرجين آخرين هم : مصطفى وعبد الكريم الدرقاوي، سعد الشرايبي، نور الدين گونجار، عبد القادر القطع، ثم العربي بلعكاف.

والواقع أن فكرة الفيلم من أساسها تعود للركاب الذي كان من المفروض أن يخرج بمفرده، لكن ثمة مشاكل إنتاج وإدارته عاقت المشروع أدت إلى تدخل العديد من الأطراف التقنية عن ذكر فوقهوا الفيلم كمخرجين وهذه سابقة فريدة من نوعها في السينما المغربية، ورغم ذلك ظل الفيلم ولا يزال يحمل بصمات محمد الركاب التي ستبلور بالخصوص في فيلمه المقبل (حلاق درب الفقراء) إلى درجة أن كثيرا من النقاد السينمائيين والباحثين المغاربة ينسبون (رماد الزريبة) بكامله للركاب وحده.

انطلاقا من سنة 1977 وإلى غاية 1980 التحق بالمعهد العالي للصحافة كمدرس في شعبة «السمعي البصري» حين تتلمذ وتخرج على يده عدد من الصحفيين اللامعين في القطاع الإعلامي بمختلف منابره.

وخلال هذه الفترة أخرج محمد الركاب رفقة طلابه ثلاثة أفلام وثائقية هي :

(مدن الصفيح) - (المخطط المديرى لبني ملال) - (مهرجان أصيلا الثقافي الأول)...

ثم حلت 1982 ليستأثر محمد الركاب باستقلالية إخراج وإدارة تصوير أول فيلم روائي طويل له (حلاق درب الفقراء) عن مسرحية بنفس العنوان ليوسف فاضل الذي شاركه كتابة السيناريو. هذا الفيلم الذي يشكل كما أسلفنا انعطافة مهمة و متميزة في تاريخ السينما المغربية لجرأة طرحه الفكري وكتابته السينمائية المغايرة حيث ولجت الكاميرا الحارة الشعبية المغربية مصورة أدق تفاصيلها اليومية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بوات الفيلم مكانة مرموقة وجعلته يحظى بتتويه خاص من الصحافة المعتمدة في المهرجان السينمائي الوطني الأول المنعقد بالرباط سنة إنتاجه كما حصل في ذات العام 1982 على جائزة أحسن تصوير في مهرجان أيام قرطاج السينمائية بتونس، ثم على جائزة أفضل ممثل : محمد الحبشي في مهرجان واغادوغو بيوركينا فاصو.

وبدأ من هذا الفيلم ستنطلق معاناة محمد الركاب تجاه سوء توزيعه وعدم قدرته على سداد بعض ديون إنتاجه الشيء الذي أدى به الاعتقال، كما أن ظروف توظيفه من قبل بمختبرات المركز السينمائي المغربي الرطبة أدت إلى إصابة الركاب بداء السل، وتلك كانت شرارة معاناته مع المرض الذي سيودي بحياته ثماني سنوات فيما بعد.

ورغم هذا يعود نفس الثنائي الركاب ويوسف فاضل لصياغة سيناريو الفيلم الروائي الثاني للمرحوم وهو (مذكرات منفي) الذي قدم للجنة صندوق الدعم السينمائي المغربي فرفضت منحه ثلاث مرات متتالية!!

ويتمحور الفيلم حول قضية فلسطين انطلاقا من حادثة اغتيال أحد الزعماء السياسيين بمصر سنة 1944 من المدعو أحمد صالح بركات عن قصة لصالح عيسي.

ولعل من سخرية القدر ألا تقرر لجنة صندوق الدعم السينمائي الجود على (مذكرات منفي) بمنحة هزيلة إلا بعد أن كان محمد الركاب على حافة القبر حيث كان مقبلا على إجراء عملية جراحية لاستبداله رتثيه كانت نسبة نجاحها جد ضئيلة!! عن هذه المنحة المتأخرة صرح لنا المرحوم في آخر حوار أجريناه معه بباريز قبيل وفاته سنة 1990 قائلا :

«في شهر دجنبر 1989 حينما تقرر بعثي لفرنسا لإجراء عملية جراحية جد خطيرة بأمر من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، كانت نسبة نجاحها ضئيلة، حينذاك قررت لجنة صندوق الدعم منح الفيلم لا لشيء إلا لتأكدنا من وفاتي لتبرئة ذمة أعضائها. لكن ها أنت ترى أن القدر أعادني حيا فطرح لديهم مشكلا الآن».

ورغم ذلك لم يتوان محمد الركاب دقيقة واحدة عن الاشتغال على فيلمه، كتابة وبخنا عن مصادر تمويل وكان يجهد نفسه في العمل وهو بالمستشفى إلى أن أصيب

بذبحه جديدة دخل على إثرها غرفة الإنعاش، ليفارق الحياة يوم الثلاثاء 26 ربيع الأول عام 1411 / 16 أكتوبر 1990 بباريز حيث مات وفي حلقه غصّة إخراج فيلم مجهض.

خ. الحضري. كتاب دليل المخرجين السينمائيين المغاربة، باللغتين العربية والفرنسية : حوار أجريناه مع المرحوم الركاب نشر بجريدة العلم السينمائي يوم 21 أكتوبر 1990 إضافة إلى صفحات أخرى من نفس الجريدة نشرت معلومات وآراء عنه وللمرحوم الركاب. خالد الحضري

**الروكة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم : Roque وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1187 / 1773.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان : والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 719.

محمد ابن عزوز حكيم

**الركن**، مكان تاريخي يقع غير بعيد عن تازة قرب الطريق القديمة التي كانت تربط هذه المدينة بفاس، إلا أنه لم يبق له ذكر.

وقعت بالركن معركة حاسمة في عهد الدولة السعيدية، أيام السلطان أحمد المنصور، في مطلع القرن الحادي عشر (17 م) بين الناصر بن عبد الله الغالب الذي اندفع إلى حمل السلاح بمساعدة الإسبان لاسترداد ما ساءه حقه المشروع في خلافة والده، وبين عمه أحمد المنصور الذي قمت له البيعة بعد واقعة وادي المخازن (30 جمادى الأولى 4 / 986 غشت 1578). وكان الناصر على إثر هذه البيعة وما تلاها فر إلى البرتغال عن طريق العرائش. نزل الناصر بمجيلية يوم 3 شعبان عام 1003 / 13 أبريل 1595، وتقدم نحو تازة فاستقبلته أحسن استقبال واتخذها قاعدة للملكة بعد أن بايعه أهل الريف والبرانس وغيرهم، وشكل جيشا من المتطوعين تمكن من هم فرقة عسكرية بعث بها المنصور لقتاله، فأمر المنصور ولي عهده محمد الشيخ المامون في فاس بخروجه إلى الناصر في جيش قوي.

والتقى الفريقان بمكان الركن في صيف عام 1004 / 2 غشت 1595، في مواجهة ضارية استعملت فيها كل أسلحة الوقت، بما فيها النارية، على قتلها.

وشهد أطوار المعركة التي دامت ثلاثة أيام، المدعو بترس طريبولت (P. Treillaut)، أحد خدام أحمد المنصور، وهو من أصل فرنسي، كما روى بعض أطوارها المدعو بولو بلنزار وهو إسباني - ولا ندري من أين استقى أخبارها ..

وأسفرت الواقعة عن مقتل عدد كبير من جنوب الجانبيين وقوادهم كما قُتل الناصر، وأمر محمد الشيخ المامون بقطع رأسه وإرساله إلى مراكش.

محمد الصغير الإفرائي، نزهة الحادي، تج. ع. اللطيف الشاذلي، ص. 177 - 179، الدار البيضاء، 1998؛ أ. الناصري، الاستقصا، ج. 5، ص. 145 - 146.  
H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, T. II, p. 198, Casablanca, 1930 ; H. de Castries, *S.I.H.M., France II*, 1ère série, p. 205 - 212.  
أحمد بنجلون

**ركنام، إدريس بن الظاهر مقاوم**، ولد سنة 1903 ببني خيران إقليم خريبكة. كان من أشد الناس عداوة للاستعمار الأجنبي وتعلقاً بوطنه فشارك في ثورة الملك والشعب في ذكراها الثانية بمدينة خريبكة. وخلال هذه الانتفاضة قام الشهيد بعدة أعمال فدائية كإحراق وتخریب منشآت المعمرين بالإضافة إلى تحريض الناس على الانتفاضة. ونظراً لنشاطه هذا لا حقتة الشرطة الاستعمارية وأطلقت عليه الرصاص فاستشهد بتاريخ ثاني محرم عام 1375 / 21 غشت 1955.  
الندوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال.

**الركني، أحمد بن إبراهيم** ينتسب إلى الأسرة الركنية من قرية الركن قرب طاطا، من أسرة صنهاجية تسلسل فيها العلماء والصلحاء منذ القرن العاشر (16 م) (سوس العالمة، ص. 149).  
ولد أحمد الركني أوائل القرن الثاني عشر (18 م) ونشأ بين يدي والده العالم الفقيه المدرس إبراهيم بن عبد الله وأتم دراسته على ما يظهر بتامگروت على الشيخ حسين الشرحبيلي (المعسول، 16 : 6) وأخذ بعد ذلك بفاس وعاد أدراجه ليستقر بمسقط رأسه، ولیتصدر هناك للقضاء والفتوى والتدريس بمدرسة تاتلت السفلى، مما يظهر عمق معرفته للعلوم التي حصلها، وقد وصفه بعض أصحابه بأنه مبرز في اللغة والنحو والفقه ووصفه بالصلاح والاستقامة والزهد في الدنيا (المعسول، 16 : 10).  
أهلته مكانته في المنطقة لأن تكون له صلات بالسلطين العلويين فاتصل بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله، عندما وفد على أكادير سنة 1170 ومدحه بقصيدة مطلعها :

قلبي من الصبر الجميل سليب جلد يعاني الكارثات صليب  
وقد أب الركني من هذه الزورة بالإكرام ومجديد الظهائر  
الملوكية التي كانت لأسلافه بالاحترام والتوقير.  
بقي الركني مستقراً ببلده الركن حتى وفاته بعد سنة 1170 / 1756.

من مؤلفاته شرح قواعد الإعراب للزواوي سماه *المحاوي* على منظومة الزواوي انتهى من تأليفه سنة 1167 (المعسول، 12 : 252) وأجوبة فقهية، وكتاب *شفاء القلوب*

ومواهب علام الغيوب في مناقب سيدي محمد بن يعقوب أمه في عاشر محرم 1167، قال في المقدمة : "فهذه أوراق مشتملة على بعض مناقب الولي الصالح سيدي محمد بن يعقوب من صنهاجة قم تاتلت رضي الله عنه رأيت منقولاً عن عاصره أو قرب من عصره أو تليقته بالسماع من لا أتهمه بالكذب راجيا نيل بركته وأن أنخرط بذلك في سلك أهل محبته التي هي أرحى .." (ص. 1 - 2) اشتمل هذا الكتاب على كرامات الشيخ ابن يعقوب إضافة إلى كرامات أبنائه وأحفاده، حيث بدأ الركني بالحديث عن نسبه المنتهي إلى جد الصنهاجيين ثم برر اهتمامه بجمع أخباره وكراماته مستدلاً بأحاديث نبوية وأقوال المتصوفة، وأورد حكايات تشير إلى مكانة هذا الرجل الرفيعة تتضمن علاقته بشيوخه وبأهل عصره من العلماء والرؤساء والسلطين. وقد دفع الركني إلى تأليف هذا الكتاب تعلقه بزواية إمي نتاتلت التي انتشر إشعاعها بقوة في منطقة طاطا كلها، إضافة إلى صلته المتينة بأبناء هذه الأسرة العلمية الصالحة خاصة أحفاد مؤسس الزاوية محمد بن يعقوب التاتلتي.

ويكثر الركني في كتابه من النقل عن قاضي تارودانت عبد الرحمان التمنارتي في كتابه *الفوائد الجمّة في إسناد علوم الأمة* ويمزج بين النثر والشعر فيورد أحياناً مقطعات شعرية تتضمن حكماً وأمثالاً يعزز بها أقواله.

ويظهر من خلال إيراد القصائد المطولة والمقطعات أن الركني كان مغرماً بالأدب وأنه كان يستحضر كثيراً من الأشعار، وقد وجدت له بعض القصائد تتفاوت جودتها فمنها قصيدته السابقة في مدح السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وأخرى في رثاء صديقيه محمد بن الحاج أحمد ومحمد بن إبراهيم اليعقوبيين (ت. 1134).

وقصيدة أخرى في رثاء مرابطين يعقوبيين توفوا مقدّمهم من الحج، (شفاء القلوب، ص. 70 - 74) وهذه القصائد الساذجة من أولياته كما يظهر من تاريخ نظمها وقد علق المختار السوسي على أشعاره بقوله : وأيا كان فالرجل فقيه وليس مثله من ينساق مع الأدباء ما دام لا يقول إلا تلك المنظومات.. (المعسول، 16 : 9).

م. المختار السوسي، المعسول، 12، 16 : سوس العالمة، ط 2، الدار البيضاء، 1984 : رجال العلم العربي في سوس، طنجة، 1989 : أحمد بن إبراهيم الركني، شفاء القلوب ومواهب علام الغيوب في مناقب سيدي محمد بن يعقوب، مخطوط.

**الركني، محمد بن إبراهيم** من الأسرة الركنية الصنهاجية العالمة أخت الأسرة اليعقوبية المشتهرة في الجنوب المغربي تسلسل فيها العلم منذ القرن الحادي عشر للهجرة، ولد سنة 1960 بقرية الركن وبها بدأ دراسته فحفظ القرآن وبدأ أخذ العلوم على قريبه العلامة محمد بن يوسف الركني (ت. 1287) بمدرسة تاتلت أوفلا، ثم انتقل إلى قرية إيرزان في ضواحي تارودانت فأخذ بمسجدها الكبير

والحسين بن محمد اليعقوبي (ت. نحو 1316)، كما اشتغل بالإفتاء في النوازل ومزاولة الأحكام على عادة العلماء في الانتصاب لتلك المهام، وكان له ميل إلى الأدب وقرض الشعر بالخصوص في غرض الإخوانيات. وقد اشتهر بالترام التقوي والتعفف عن الأموال إلى أن فاجأته المنية نحو عام 1287.

م. المختار السوسي، المعسول، 16، 19، 22. رجالات العلم العربي في سوس. 213؛ خلال جزولة، 3، 125؛ سوس العالمة، ص. 149.

المهدي السعيد

**الركوة**، ماعون جلدي كان أكثر انتشاراً واستعمالاً من غيرها بسبب وفرة الجلود ولاعتماد السكان في المغرب آنذاك (العصر الوسيط وما بعده) على نمط العيش المرتكز على الرعي والنشاط الفلاحي - زراعة وتربية مواشي وصيد - من جهة، ولمرونة الأدوات والأثاث والموازين الجلدية وملاءمتها أكثر لحياة الترحال والنجعة (العبر، 404). والركوة من الأوعية الجلدية التي كانت تستعمل لتخزين الماء ونقله من مكان إلى آخر وقد كانت عادة للاستعمال الشخصي (التشوف، 263 - 360 وأنس الفقير، 82). والكلمة مستعملة إلى يومنا هذا في الكثير من المناطق والبيوادي وخاصة في جهة الشاوية - ورديفة، ومضمونها هو نفسه الذي ساد في العصر الوسيط وما بعده؛ وتجمع في اللهجة الدارجة على صيغة "ركاوي" وهي مختلفة الأشكال والأحجام، فهي كالقربة إلا أنها أصغر منها وأصلب وأمتن. وقد تردد ذكر هذه الأنواع في المصادر وارتبط بالمتصوفة الذين كانت المياه من كراماتهم (التشوف؛ المقصد).

والركوة المستعملة للوضوء قريبة من الركوة المعروفة اليوم في جهة الشاوية - ورديفة من حيث الشكل إلا أنها أكبر حجماً، ونظراً لغلاء الجلود الطبيعية، (جلود البقر والماعز والضأن)، فقد تكيّفت صناعة (الركاوي) مع الظروف الجديدة فأصبحت تصنع من الكاوتشو والمطاط المستعمل؛ فهي مخروطية الشكل ومدعمة بشرائط من



ركوة

على العلامة الحسن التلملي (ت. 1308) تلميذ الزاوية التمكديشية وعن عبد الله بن أحمد بن الحاج الحنكيري وقد لازم تلك المدرسة حتى غادرها وقد حصل علوم عصره من فقه ولغة وأصول وحساب..

غادر الركني مدرسة إيرازان بعد أن أتم أخذ العلوم وبدأ حياته العملية بالمشاركة في مساجد سوس فبدأ بمسجد إيليج بالفانجة (بامي نتاتلت وهي غير إيليج تازروالت) ثم مسجد تامجيرشت بسكتانة يحفظ فيها القرآن ويدرس العلوم وقد اشتهر بالشدة في معاملة طلبته، كما كان يشتغل بالنساجة التي أهلها خطه الجميل لممارستها، وكان يتصدى للإفتاء وقصل النوازل.

وكان لقامه بمدرسة إيرازان التي تعتبر فرعاً لزاوية تيمكديشت أثر في ميله للتصوف بمجاهدة النفس والإكثار من الأذكار وقد كان شيخه الحسن التلملي تلقن الطريقة الدرقاوية من شيخها سيدي المعدري، فسار على خطاه واتصل بالشيخ الحاج علي بن أحمد الدرقاوي وصار من مريدي الزاوية الإلغية يزور شيخها ويرافقه وينسخ له كتب التصوف كرسائل مولاي العربي الدرقاوي وديوان الحراق والعهود الشعرانية.. وينافح عنه أنصار الطرق المنافسة.

وكان لمزعه الصوفي أثر كبير في حياته التي أمضاها في التقشف والزهد مع الحرص على الظهور بمظهر العلماء في التدريس والإفتاء، ولو أن اشتغاله بالتصوف أثر على معارفه، حتى توفي عن سن عالية سنة 1333.

م. المختار السوسي، المعسول، 16، 46، 47، 49، 46. رجالات العلم العربي في سوس، ص. 214.

**الركني، محمد بن يوسف** ولد بقربة الركن قرب طاطا، قبل سنة 1230. وكان والده موثقاً حافظاً لكتاب الله فأشرف على تعليمه فحفظ القرآن وأتقن قراءته، ثم اتجه إلى المشاركة بقربة أفا إيزنكاض بالحاج من أهلها، ولم يكتف بما حصل من علوم القراءات التي لا تتيح له سوى التدريس، بينما يفتح له إتقان العلوم أبواب الحياة الاجتماعية، فاتصل بالعلامة محمد ابن أحمد الإيزنكاضي وأخذ عنه الفقه والعربية والفرائض والحساب والأصول وغير ذلك، ثم رحل إلى مراكش فأخذ عن علماء مسجد ابن يوسف، وعاد إلى سوس عالماً محصلاً، وصفه محمد المختار السوسي فقال: "تأنت له السعادة في عمله المستقيم، وفي تلاميذه وفي كل ما يزاوله، لأنه عالم ورع رباني، ولعله أكبر الركنيين الذين نعرفهم" رجالات العلم العربي، ص. 213.

استقر محمد بن يوسف الركني بمدرسة تاتلت أوفلا ثمانية عشر عاماً، ثم انتقل إلى مسجد قرية "أزرار" حيث شارط ابن عمه بن أحمد الركني، ولزم التدريس فخرج به نحو سبعين تلميذاً منهم أخوه عبد الرحمان بن يوسف (ت. قبل 1285) وقريبه محمد بن إبراهيم الركني (ت. 1309)



جلد متين مخاطة أو مثبتة بمسامير، ومنها كما أشرنا الصغيرة المعدة للاستعمال الشخصي سواء للوضوء أو للشرب، وتختلف الركوة التي تستعمل للشرب في كونها مرنة لا يمكن وضعها على الأرض قصد الوضوء وليست الركوة وعاء زائداً بل كان لابد منه للمسافر والمنتقل بصفة عامة، فالرعاة والحطابون وكل المشتغلين بعيداً عن معين للمياه لابد لهم منها، وكل متصوف ومومن حريص على أداء الصلوات الخمس في أوقاتها كانت الركوة من ضرورياته في التنقل أو السفر (التشرف، 252 - 364 والمقصد، 122 و145 والنقل والتنقل، ف 2).

الركوة الكبيرة المعروفة في جهة الشاوية - ورديفة كثيرة الاستعمال ففيها يتم جلب الماء إلى المسكن وفيها يحتفظ به للاستعمالات اليومية أو لورود البهائم، وتحمل الدابة منها ركوتين وتختلف عن الروايا والقرب التي استعملت في التاريخ الوسيط والحديث من حيث الشكل فالروايا والقرب تتخذ عادة من جلود الضأن والماعز والأبقار، وتُحمل معلقة مباشرة على الدواب أو على محامل، لكن لا يمكن وضعها على الأرض واستعمالها بسهولة مثل الركوة.

أ. ابن قنفذ القسطيني، أنس الفقير، الرباط، 1965 : ع.  
الرحمن ابن خلدون، العبر، ج 1، بيروت، د. ت. ي. ابن الزيات  
التادلي، التشوف، تج. التوفيق، الرباط، 1984 : ع. الحق  
البادي، المقصد الشريف، الرباط، 1982 : م. حجاج الطويل.  
النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط، أطروحة مرفوعة،  
كلية الآداب، الرباط، 1998 : تحريات ميدانية في جهة الشاوية -  
ورديفة، مذكرات خاصة.

محمد حجاج الطويل

## رَكُود، علال مقاوم من مواليد سنة 1922. كافع

في سبيل استقلال المغرب وعودة رمز سيادته إلى عرش أسلافه، حيث انخرط في صفوف جيش التحرير بالمنطقة الشمالية ضمن تشكيلة محمد بن علال بقيادة مركز بورد ناحية إقليم تازة، وقد عرف بين إخوانه المجاهدين بالشجاعة والبطولة. شارك في العديد من المعارك البطولية التي شهدتها المنطقة ضد المحتل الفرنسي. توفي يوم 9 فبراير 1995.

الندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال.

الركوش، أسرة أسفينة عريقة أندلسية الأصل. أعطت العديد من العلماء والتجار والصناع التقليديين البارعين نذكر منهم على الخصوص :

**الركوش، الحاج الحسن بن محمد بن علي،**  
أحد أثرياء مدينة أسفي وكبار التجار داخل المغرب وخارجه خلال القرن الثاني عشر الهجري. أسس مع أبيه السيد محمد بن علي الركوش شركة تجارية تتعامل مع الدول الأجنبية، لذا كان يرحل إلى أوروبا للتجارة بها ولجلب البضائع منها،

توفي عام 1199.

الكانوني، أسفي وما إليه قديماً وحديثاً.

## الركوش، محمد بن الحاج المكي بن الطيب المدعو

"سطاقش"، أحد الصناع التقليديين الفنانين البارعين في التجارة والنقش، عاش خلال النصف الأخير من القرن الثالث عشر والثالث الأول من القرن الرابع عشر للهجرة. يقول عنه الفقيه الكانوني : "أحد النبغاء في التجارة والنقش والتخريم، وقد أودع آثاره في قبة الشيخ أبي محمد صالح وفي دور الأمراء والقواد".

توفي عام 1329.

محمد الكانوني، أسفي وما إليه قديماً وحديثاً.

## الركوش، الهاشمي (الحاج -) بن محمد بن

الحاج الهاشمي أحد علماء مدينة أسفي. عاش في أواخر القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة، درس في بدايته بمسقط رأسه ثم بفاس على يد جملة من علمائها، وبعد رجوعه إلى أسفي درس مختلف العلوم في الجامع الكبير ثم في الجامع الفوقاني بعد وفاة العلامة سيدي عبد الرحمان المطاعي عام 1347 / 1928 . وكان الفقيه الحاج الهاشمي الركوش أول خطيب بمسجد الحاج محمد بن محمد بوقفظان حفيد الشيخ أبي محمد صالح وذلك يوم الجمعة 7 من رمضان عام 1345. ومعلوم أن هذا المسجد يوجد بطريق بياضة، وهو مقابل للحديقة العمومية المعروفة بـ "جنان الفسيان".

تفانيد بنهسية، مخطوط : م. الهسكوري، ماضي التعليم في أسفي، مخطوط : كريدية إبراهيم، الفقيه محمد الهسكوري، دار وليلي للطباعة والنشر، 2000، ص. 137.

عبد الرحيم العطاوي

## الركون، مقر القيادة المخزنية، والزعامة القبلية

منذ القديم بقبيلة آيت السيمور الباعمرانية، وترجع أهمية المكان إلى توفر عدة عوامل، كالممر الذي حفره وعمقه واد تانكارفا فصار طريقاً للقوافل التجارية (تأريدا) الذي يربط بين هضبة - ظهر - بالأخصاص وسهل - تاكراگرا -

وبالركون عين ثرة ومياه جوفية على عمق ثلاثة أمتار إلى خمسة أمتار، وفي عين المكان بقايا قلعة للمرابطين كمحرس لباي ذلك الوادي (حسب الرواية الشفوية).

ومن أشهر قادة الركون القائد باكريم بن إبراهيم التاسلاي الباعمراني من قادة السلطان الحسن الأول سنة 1299 (معلمة المغرب، 1011) وهو الذي تسلم قيادة محلة هذا السلطان عندما ودعها قائده أحمد بن الشيخ همو الخلفي بتيغزا. وكان باكريم هذا هو قائد ركون الذي يسمى أحيانا بتانكارفا. (تين جرفة) (إتحاف أعلام الناس، 2 : 243).

وبالركون أيضا مقر القائد علي - بوحلايس - من قبيلة أيت السيمور توفي سنة 1340 (روضة الأفتان، ص. 120) ونفس الشيء في طاقة ربحان لصاحب المعسول، ص. 29. وإلى ركون هذا لجأ القائد إبراهيم بن عدي بوفوس الشهير ببوهيا عند أصحابه وهو مجروح ومنهزم في معركة قبلية فذفن في تانكارفا (طاقة ربحان، ص. 30). وفي الركون مقر زعامة قبيلة أيت الخمس حتى الآن، ومنهم الشيخ الحسين بن يحيى (روضة الأفتان، ص. 125) ومن نفس العائلة الشيخ البيزيد والشيخ سعيد الوطني المعروف، ومازال ركون مسموح الكلمة، ومعتزفا له بالزعامة حتى الآن. وفي عين المكان مجموعة من قباب الصالحين، ومدارس عتيقة للعلم والروايات.

معلمة المغرب، 2713 : ع. ابن زيدان، إتحاف، 2 : 243 ؛ الأكراري، روضة الأفتان، تج. حمدي أنوش ؛ م. المختار السوسي، طاقة ربحان، ص. 30 ؛ ح. جهادي، جانب من تاريخ أيت باعمران، مرقون.

**رْكُونَتَا** (مرقع ومرسى ومعركة) يتوفر مركز ركونت في قبيلة أيت إخلف على كثافة من السكان ويقع على تابريدا طريق القوافل التجارية الرابطة بين شمال المغرب وجنوبه، ورغم أنها لا تبعد عن المحيط إلا بقليل من المسافة فإنها تتوفر على مياه حلوة من الآبار. لذلك كانت القوافل تنزل فيها للاستراحة، كما كانت ملتقى جميع حجاج الجنوب عند الذهاب إلى أداء الفريضة عبر تابريدا هذه، وذلك حول ضريح مقدس لصالح من قبيلة أيت باعمران أصلا، وهو أقدم من هناك من الصالحين واسمه سيدي محند وُزرو، وفيه تُحلف القبيلة من أنكر ما نسب إليه والناس يعتقدون فيه الخير والبركة.

وركونت المرسى البحري عبارة عن صخور غرانيتية برزت من قعر البحر حتى البر على شكل رصيف وهي بمثابة جدار طبيعي يحمي الزوارق من أمواج المحيط العاتية، وقد لعبت تلك المرسى دوراً كبيراً في الصيد البحري منذ القديم، وهي مقصد السكان ومصدر عيشهم وبالمناطقة ثروة سمكية غزيرة ومتنوعة.

أما معركة ركونت ضد الإسبان فاشتهرت في حرب تحرير أيت باعمران سنة 1377 / 1957، وبما أن هذا الموقع كان قريبا من مدينة سيدي إفتي وهو موقع استراتيجي يربط بين إفتي ومركز الإسبان بتابلوكوكت، فقد احتله جيش

التحرير الباعمراني فتولى المرحوم بوشروض الحاج محمد مع البالكوكي المحفوظ تفجير القنطرة هناك ففسدت خطة الإسبان من أجل إنقاذ المحاصرين بمركز تابلوكوكت حتى قُبضوا جميعا بمساهمة القائد عبد العزيز الماسي.

لذلك عزم الإسبان على احتلال موقع الركونت عن طريق البحر وفعلا خرجت القوة الإسبانية عن طريق المرسى لكن بدون جدوى بفضل العوامل الطبيعية المتمثلة في الخنادق الطبيعية التي حفرتها مياه الأمطار في المنحدر، فعصد الإسبان إلى احتلال الموقع عن طريق إسقاط المظليين لكن الباعمرانيين استعملوا طريقة الفتناميين، وهي غرس الأوتاد بشكل كثيف في مكان هبوط المظليين، لذلك لم ينج منهم أحد مما جعلهم يقذفون السكان بحراً وجواً، لكن جيش التحرير كان دائما بالمرصاد، وبذلك هُزمت قوة الإيمان بالله وبالوطن قوة الظلم والعدوان.

الحسين جهادي، جانب من تاريخ أيت باعمران، مرقون.

الحسين جهادي

**الرگيبات**، تجمع قبلي كبير في الصحراء، ينتسب إلى الشيخ سيدي أحمد الرگيبي (الجد) آتي الترجمة. كان يعيش في درعة ومات بها في أواخر عهد الدولة المرينية تاركاً زوجته حاملاً فوضعت ولداً سمي باسمه (الابن) ومات هذا بدرعة في مكان يعرف بالرگبة أو الرگيبة تاركاً زوجته حاملاً فولدت ولداً سمي كذلك أحمد الحفيد.

ويربط الشيخ ماء العينين بين هذا اللقب والدور الذي كان يؤديه الشيخ سيدي أحمد الرگيبي في تربية المريدين وصقل نفوسهم بالأذكار "فقد كان هذا الشيخ كثير الذكر جهراً، وكان الناس يقولون إذا رأوه : هذا الرقيب أو أتاكم الرقيب لمداومته عليه حتى سموه به، ثم صار يقال لأولاده الرگيبات" (الحركة الصوفية، ص. 168).

وتذكر كتب المناقب أن أحمد الرگيبي الحفيد ساح سياحة صوفية في شبابه، وبعد رجوعه من السياحة أنف من المقام بدرعة فهاجرها وهو ابن عشرين سنة نحو الساقية الحمراء حوالي سنة 1019 / 1610، ونزل بأرض الاخنيغات التي اشتراها من أهلها وهم بنوحفيان بستين قنطاراً من الذهب على وجه الكرامة، وهي أرض تمتد إلى وادي الشبيكة بإزاء جبل زيني على شاطئ البحر. (تبيين الأشراف، ص. 93، جوامع المهمات، ص. 71، الليث، ص. 169).

وعند حلوله بهذه الأرض اعتزل في خلوته عشر سنوات في مكان يعرف الآن بخلوة سيدي أحمد الرگيبي، وبعد خروجه من خلوته أقبلت عليه وفود القبائل التي شاعت فيها أخباره بالهدايا والهبات قصد التبرك به والانتفاع من علمه، فكثر أتباعه وامتد نفوذه في الآفاق.

ساهم بدور فعال في الحركة الإصلاحية في أقاليم المغرب الجنوبية، فكان يرشد الناس إلى الإسلام الصحيح

الصحراء المغربية، وأصبحت البلاد الصحراوية تسمى بتراب الرگيبات. ويقدر المجال الحيوي لهذه القبيلة بـ 400 ألف كلم مربع (الليث، ص. 14).

وتقدّر صوفي كاراتيني Sophie Caratini عدد أفراد هذه القبيلة في بداية الغزو الفرنسي للصحراء بـ 35000 ألف نسمة، في حين يقدرهم محمد باهي انطلاقاً من بعض الكتابات الأجنبية الأخرى بـ 50000 ألف (الليث، ص. 163).

**الرگيبي، أحمد** (الشيخ سيدي -) جد قبائل الرگيبات أضخم التجمعات القبلية في الصحراء المغربية ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي وفاطمة بنت رسول الله (صلع) عن طريق مولاي عبد السلام بن مشيش دفين جبل العلم كما يقرره النسابون الذين اهتموا بتأصيل قبائل الجنوب المغربي.

يتميز المهتمون بالتحقيق في نسب قبائل الرگيبات بين ثلاثة أشخاص يحملون نفس الاسم : المترجم له الجد، وابنه وحفيده.

عاش الرگيبي، الشيخ سيدي أحمد الجد في أواخر الدولة المرينية في زمن انتشرت فيه الفتن والتراعات والأوبئة، انتقل من شمال المغرب إلى تافيلالت واستقر عند أبناء عمه بسجلماسة، وتزوج بالسيدة فاطمة الزهراء بنت الشريف محمد الفاضل، ثم انتقل إلى وادي درعة وتوفي بنواحي زاكورة تاركاً زوجته حاملاً.

**الرگيبي، أحمد** (الابن -) ولد بعد وفاة والده الشيخ سيدي أحمد الرگيبي فحمل اسمه كما تقضي ذلك التقاليد المغربية، عاش في نواحي وادي درعة وتوفي بها في مكان يعرف بالرگيبة أو "الرگيبة" تاركاً أيضاً زوجته حاملاً. فسمي المكان الذي توفي به بقلب سيدي أحمد الرگيبي نسبة إلى مكان الذي دفن فيه، ولذلك يكون لقب الرگيبي أطلق لأول مرة على هذا الشيخ، وحمل ابنه من بعده اسمه ولقبه" (الليث، ص. 73).

**الرگيبي، أحمد** (الحفيد -) ولد حوالي سنة 999 / 1590 بنواحي درعة، وانتقل إلى الصحراء فهو يمثل النواة الأولى للتجمع القبلي الرگيبي في الصحراء المغربية، وهو صاحب الزاوية المعروفة باسمه في الساقية الحمراء. اشتغل في بدايته بتحصيل العلم، فلما حفظ القرآن بالروايات السبع ساح في الأرض متعبداً على طريقة الصوفية، ولما رجع من سياحته إلى درعة أنف من الاستقرار بها وانتقل إلى الساقية الحمراء.

توفي حوالي سنة 1074 / 1665 عن عمر يناهز 75 سنة، ودفن في الساقية الحمراء بوادي الحبشي، وخلف

على طريقة الشيخ محمد ابن سليمان الجزولي ويحارب الظلم والفساد ويعمل على استتباب الأمن وإصلاح ذات البين بين القبائل، وما يؤثر عنه في ذلك شفاعته لدى السلطان لبعض القبائل التي كانت تمارس النهب في الجنوب المغربي. يقول المختار السوسي في ذكر هذه الشفاعة : "اتفق أن كان عرب من معقل يسمون (تاكنة) يقطعون السبيل بين (فاس) و(مراكش) فهم السلطان بالإيقاع بهم، فأجفلوا بين يديه إلى الصحراء من حوز (سوس) فتقصى السلطان آثارهم وتوغل في الصحراء، فالتقى به الشيخ سيدي أحمد، وقد نزل هناك وشيكا بعدما اشترى أراضي واسعة إلى الساحل الاطلانطيكي، فتداول مع السلطان في أمر غرمانه ليبقي عليهم، فيعمروا معه تلك الأرض ضد البربر الذين كانوا متآصلين فيها، فدفن للسلطان مالا كثيراً يقال إنه أتى به على وجه الكرامة، فكان هذا هو سبب خدمة كل قبائل (تاكنة) لأولاد الشيخ سيدي أحمد الركاتبي إلى الآن" (المعسول، 12-88).

ولا تستبعد مساهمة هذا الشيخ في الحركة الجهادية التي انطلقت من الساقية الحمراء لمقاومة الغزو البرتغالي للجنوب المغربي والتي قادها مجموعة من الصلحاء والصوفية الذين عاصروهم مثل الشيخ عامر الهامل جد أولاد أبي السباع، وسيدي أحمد العروسي وسيدي أحمد بوغنبور وشرفاء أسا وغيرهم (الليث، 89-94) على الرغم مما ينسب إلى هذا الشيخ من كرامات، فإنه لم يكن صوفيا متجرداً ولا صاحب طريقة توكلية، ولكنه كان منخرطاً في الحياة مثل كثير من الصوفية العمليين الذين حاربوا التواكل ودعوا إلى العودة إلى الإسلام الصحيح.

وبعد تراكم ثروات أبناء الشيخ سيدي أحمد الرگيبي من الإبل والأغنام لم تعد أرض الخراويص تستوعب قطعانهم فانقسموا إلى قسمين : رگيبات الشرق، وهم أبناء قاسم، ويسمّون إبلهم بما يشبه الكاف ؛ ورگيبات الساحل وهم أبناء علي واعمر وإبراهيم، ويسمّون إبلهم بما يشبه الكاف.

وقد عمق المستعمر هذا الانشطار، فأصبحت قبائل الرگيبات بعد الحماية منقسمة إلى قسمين، قسم تابع لإسبانيا وقسم تابع لفرنسا، لكن هذا الانشطار لم يؤثر على وحدة القيم عند الرگيبات والمبادئ التي أوصى بها الشيخ أحمد الرگيبي أبناءه وحثهم على التشبث بها ومنها، "أن لا يزوجوا بناته إلا لعالم أو حامل القرآن أو شريف وأن لا يتزوج واحد منهم إلا بشريفة" حرصاً على شهادتهم وكرامتهم (تبيين الأشراف، ص. 93 جوامع المهمات، ص. 72).

وقد تنامت قبائل الرگيبات بسرعة وتكاثرت بكثافة قوية بفضل مرونتها وانفتاحها وتسايق القبائل إلى الانتساب إليها وتحالفها الدائم مع القبائل المجاورة لها وتنامي ثرواتها الحيوانية. فصارت أضخم تجمع قبلي في

**الركيبي، الفاجم** ولد مرزوك مقاوم ولد سنة 1929 بشبيكة قبيلة أيت الحسن فرقة المحجورن إقليم طنطان. انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 وبقي يعمل فيها بكل نزاهة وإخلاص وبمسالة نادرة حيث كان دائما في المقدمة في المعارك الطاحنة التي دارت رحاها بين جيش التحرير المغربي وقوات الاحتلال الفرنسي والإسباني.

استشهد رحمه الله في معركة العرگوب بالساقية الحمراء بعد أربعة أيام من الحصار الذي فرضه الجيش الإسباني بعدما غامر بنفسه لجلب مدفع من وسط المعبعة، حيث أصيب برصاص العدو وهو عائد بالمدفع يحمله على كتفيه وذلك سنة 1958 / 1378.

المنديبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال.

**ابن ركيطة**، أسرة تطوانية ويكتب أيضاً بركيطة، أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Burrique؛ كما توجد بإسبانيا أسر مسيحية تحمل اسم Burgueta وBurgueta؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان. والفرد الوحيد من هذه الأسرة التي تذكره الوثائق هو :

**ابن ركيطة**، علي الذي بصفته قائد المخزنية بحامية تطوان كان من بين سكان المدينة الذين وقعوا على بيعة الأمير مولاي سعيد بن اليزيد الذي نودي به سلطانا بتطوان يوم 12 جمادى الأولى 1236 / 15 فبراير 1821. م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 246.

محمد ابن عزوز حكيم

**الركيك، ادا** ولد عمار مقاوم ولد سنة 1933. ينتسب إلى قبيلة الركيبيات السواعد التي أبلت البلاء الحسن ماضيا وحاضرا من أجل الحرية والاستقلال. انخرط في الجيش الإسباني حيث اكتسب خبرات كبيرة في الفنون الحربية. ولما تهيأت له الظروف فرّ بسلحه والتحق بجيش التحرير بالمقاطعة التاسعة في مركز تافودرات تحت قيادة صالح بن عسو الجزائري وذلك بتاريخ 1956.

شارك ضمن فرقته في عدة معارك بالصحراء المغربية

أربعة أولاد وثلاث بنات. إبراهيم وعلي وعمر وقاسم وسلطنة وحواء وحوزة.

**الركيبي، سعيد** بن أحمد مقاوم ولد سنة 1934 بالساقية الحمراء. انخرط في صفوف جيش التحرير بمركز مرگالة تحت قيادة أبا الشيخ جلال سنة 1956، وقد كان نشيطا في عمله متحمسا في إيمانه معروفا بشجاعته، شارك في عدة معارك بالصحراء المغربية ضد الجيش الإسباني، كمعركة أم العشار ومرگالة التي استشهد فيها سنة 1957.

المنديبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال.

**الركيبي، علي** بن أحمد، وقد تفرغت عنه عدة تطوت منها : أولاد موسى، السواعد، أولاد داود، المؤذنين.

**الركيبي، عمرو** بن أحمد تفرغت عنه البطون التالية : أولاد الشيخ، التهالات، أولاد الطالب، أهل الدليمي (قبائل الصحراء المغربية، ص. 46).

**الركيبي، قاسم** بن أحمد وهو أكبر الأبناء وجدّ القواسم، وقد تفرغت عنه عدة بطون منها : البيهات، أهل إبراهيم وداود، الفقراء، سلام، أهل الحسن وأحماد، أهل القاسم وإبراهيم، المنحة أهل سيدي علال، السللكة، أولاد سيدي أحماد، الحميدنات وغيرهم.

**الركيبي، محمد عبد الرحمان** من فخذ أولاد الطالب ساهم بدور فعال في نشر الدرقاوية في الصحراء، توفي سنة 1379 / 1959 (المعسول، 12 - 172).

**الركيبي، محمد محمود بيد الله** من أعلام أولاد الشيخ البارزين في العلم والفتوى، اشتهر بفقته النوازل، وله في ذلك مجموعة من التأليف. (وفاء علماء الصحراء لبيعة الملوك العلويين، ص. 54).

الحاج الأحسن البعقلي، تبين الأشواق أهل دائرة الوسائل وقبيلة ترجمه كل سائل، الدار البيضاء، 1358 : م. المختار السوسي، المعسول، ج. 2 : م. سالم ولد الحبيب بن الحسين بن عبد الحمي، جوامع المهمات في أسرار الرقيبات، تح. مصطفى ناعمي، الرباط، 1992 : محمد أحمد باهي، الليث سيدي أحمد الركيبي، ط 2، الرباط، 1999 : حمداني شبيها ماء العينين، قبائل الصحراء المغربية، أصولها، جهادها، ثقافتها، الرباط، 1919 / 1998 : محمد دحمان، إسماعيل ولد الباردي، منشورات مؤسسة الشيخ مريه ربه، الرباط، 1999.

ضد الجيش الإسباني إلى أن استشهد بمعركة الدشيرة بتاريخ  
17 يناير 1958.

المدوية السامية لقدامى المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء  
الاستقلال.

**الركينة،** أسرة تطوانية شهيرة، أصلها من الأندلس،  
كآل الطريس، أو آل مدينة مثلاً. لا ندري، على وجه  
التحديد، من أين وفي أي تاريخ قدم أجدادهم الأولون إلى  
هذه الديار الأندلسية، هل دخلوها في ركاب طارق بن زياد  
أو موسى بن نصير. إبان فتحها وإخضاعها إلى الحكم  
العربي الإسلامي؟ أو أنهم استقروا بها، فيما بعد، كأن  
يكونوا مثلاً قد وصلوها في رفقة عبد الرحمن الداخل  
الأموي، الهارب من رقمة ويطش العباسيين؟  
ونفس الغموض يكتنف أيضاً تاريخ وملابس  
استقرارهم بمدينة تطوان، على أن الغالب على الظن أن  
يكون ذلك قد حدث غداة سقوط غرناطة سنة 1492، في  
يد الغلاة المسيحيين.

**الركينة، أحمد،** ولد في 26 صفر عام 1268 /  
18 يبرابر 1852. يُعد بكل تأكيد أبرز وأشهر شخصية  
انبثقت من هذا البيت، إذ تسنى له الاضطلاع بمهام سامية  
وخطيرة في الجهاز المخزني، كالأمانة، والحجابة، والوزارة،  
مدة ما يقرب من أربعين سنة، اعتباراً من أواسط العقد  
الثامن من القرن التاسع عشر.



وفي بداية أمره، وقبل الانخراط في سلك الخدمة  
المخزنية، وجريا على عادة أقرانه من أبناء الأسر التي  
تنتمي إلى وسطه الثقافي والاجتماعي، اشتغل لحسابه،  
في مجال التجارة والأعمال، وهو الأمر الذي مهّد له  
السييل وأهله، في مرحلة لاحقة، للعمل في سلك الأمانة  
في المدن والمراسي، ولكن دائما في مناطق التخوم  
والأطراف، كمدينتي وجدة أو مليلية، وذلك منذ سنة  
1303 / 1886.

وقد لا نبتعد عن الصواب، إذا ما اعتبرنا اختيار  
صاحبنا لتحمل المسؤولية في مثل هذه الجهات الصعبة المنال  
والانقياد، سياسيا، واجتماعيا، وجغرافيا، دليلا قويا على  
الثقة الكبرى التي كان يحظى بها في الدوائر المخزنية  
العليا من جهة، وعلى مؤهلات الرجل وقدراته على  
التفاوض والتعامل مع مخاطبيه من المغاربة والأجانب على  
السواء.

وأبان كان الأمر، فإننا نجد، في بداية عهد السلطان  
المولى عبد العزيز بن الحسن، يشغل مهام أمين الصائر بدار  
عديل بفاس، وبالضبط في سنة 1314 / 1897، قبل أن  
يُعين حاجبا، غداة وفاة الوزير الصدر أحمد بن موسى في  
شهر مايو 1900. وقد احتفظ بمنصبه هذا إلى أن خرج  
المُلك من يد المولى عبد العزيز سنة 1907، حيث عيّن  
السلطان الجديد المولى عبد الحفيظ بن الحسن أحمد  
الكريسي حاجبا في مخزنه.

وفي مستهل سنة 1903، وبعد أن أبان الدعي الفئان  
الجيلالي عبد السلام الزرهوني المدعو الروكي بوحامرة  
قدرات ومؤهلات حربية وسياسية رفيعة، مكنته من هزم  
جيوش السلطان المرة بعد الأخرى، ومجاهة في الإفلات من  
يد رجاله، تقرر تعزيز الوجود المخزني في المناطق الشرقية  
بوححدات من الكيش، والعسكر، وحراك القبائل، في كل من  
وجدة، وفكيك، وعجورود (قصبة السعيدة) على  
الخصوص، كما تقرر نقل أفرادها بحراً، من العرائش إلى  
وهران، ومن هذه الأخيرة إلى الجهة المعنية لخدمة كل فريق  
منهم، مروراً بالقراب الجزائري طبعاً، ومحاذاة للأراضي  
المغربية، عملاً بما نص عليه الاتفاق المبرم بين المغرب  
والسلطات الاستعمارية بالجزائر سنة 1901.

وكان القصد من هذا كله تعزيز النفوذ المخزني بهذه  
النواحي، والعمل على طرد الثائر وأتباعه منها، واستمالة  
قبائلها وعشائرها إلى جانب المخزن، بعد أن انحاز معظمها  
إلى حزب المتمردين.

إلا أن شيئا من هذا كله لم يتحقق لصاحبنا ولا لمن كان  
تحت إمرته من الجند المخزني وقواده، إذ استدعي إلى  
مدينة فاس، بعد مُضي حوالي سنة ونصف على التحاقه  
بوجدة وناحياتها، وعُين مكانه الباشا عبد الرحمن بن عبد  
الصادق الريفي الذي حل بالمنطقة أواخر شهر غشت 1904.  
وبعد فرض نظام الحماية على المغرب سنة 1912،

بعدها ؛ ج. 8، ص. 349 وما بعدها.

A.G.V., 3h15, Rapport en date du 6 octobre 1903 ;  
3h14, Rapport n° 208, en date du 31 décembre 1903, p.  
2 et suivantes.

مصطفى الشابي

**الرماة.** فرقة عسكرية تقوم بعملية الرمي أثناء المعارك. كان الرمي أولاً بالسهم ثم صار بالقذائف النارية. ولقد لعبت فرق الرماة دوراً أساسياً في التاريخ العسكري المغربي ؛ سواء على مستوى القبائل أو المدن. وبرزت بعض المدن المغربية بتنظيمات الرماة فيها وتأثيرهم في حياتها السياسية والاجتماعية كمدينتي سبتة وفاس على سبيل المثال. فقد اكتسب الرماة بهما مكانة اجتماعية مرموقة. الأمر نفسه يلاحظ في القبائل التي كان مقدمو الرماية فيها يترقون إلى مناصب القيادة.

والجدير بالذكر هو أن للرماية أصولاً دينية ثابتة كوسيلة للجهاد الذي شرعه الله لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام. وإذا كان الجهاد ركناً أساسياً في الإسلام وفرض عين أحياناً على كل مسلم، وفي الغالب فرض كفاية للقادرين عليه، كما هو معلوم عند الفقهاء، فإن تعلم وسيلته التي هي الرماية يعتبر من أوجب الواجبات.

ومن هنا كانت القبائل المغربية عبر التاريخ الإسلامي تُعَلِّي من شأن الرماية، وتحرص على تعليم أبنائها فنون الرماية والفروسية. وتربي فيهم مبادئ التعاون، وإيثار مصلحة الجماعة، والتضحية في سبيلها. فكان لكل قبيلة أو فرقة مقدم للرماية. وكان مفروضاً على كل أسرة أو خيمة أن تقدم فرداً من أبنائها على الأقل لتعليم الرماية والفروسية استعداداً للطوارئ. وكانت القبائل تتباهى في المواسم والأعراس بفرسانها ورماتها. فهي بذلك تشهر على الملأ استعدادها وتستعرض قوتها وزينتها. وما زالت بقية من آثار تلك الاستعدادات والاستعراضات، تلوح خافتة من أثر التطور، كما يلوح بقايا وشم في ظاهر اليد.

ويبدو أن تنظيم الرماة في طائفة خاصة قائمة بذاتها. وشبيهة بمؤسسة الزاوية حدث مع الشيخ علي بناصر الذي أسس بمدينة مراكش زاوية الرماية. وهو الذي وضع القواعد الأولى التي حددت واجبات الرماة تجاه شيخهم وواجبات المقدم حيال الرماة. فمن واجبات الرماة (الرمي)، طاعة الشيخ وتقديم الإعانة إليه خلال الحرث والحصاد وزيارته خلال الأعياد، وفي كل عيد يقدم الرماة أو الإخوان كمية من الصابون. وكان الشيخ يرد الهدية بأحسن منها حيث كان يمنح إخوانه شيئاً من البارود والرصاص.

أما واجبات شيخ الرماية، التي حددها علي بناصر فهي: على الشيخ أن يعلم المتخرفين في الطائفة كيفية الرماية وقواعد سيرة الرماة ويحافظ على الوفاق بينهم ويعاملهم باللين فلا يوبخ أحداً بحضور الآخرين.

وانفراد إسبانيا بالحكم في منطقة الشمال، انضم أحمد الركينة إلى مخزن الخليفة السلطاني بمدينة تطوان، الأمير مولاي المهدي بن إسماعيل بن السلطان المولى الحسن، حيث أسندت له، أول الأمر، مهام وزير المالية، قبل أن يصير صدراً عظماً فيما بعد.

وقد وافاه أجله المحتوم سنة 1343 / 1924 - 1925، ووُوري التراب بالزاوية الحراقية بمسقط رأسه.

**الركينة، محمد،** ولد بمدينة تطوان سنة 1875، وتولى أمانة المستفاد والجمرك عدة مرات، في مسقط رأسه ومدينة العرائش أيضاً، على عهد السلطانين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ. وفي سنة 1928، استقر بمدينة طنجة حيث عُيِّنَ ناظراً للأحباس بها، وكان على قيد الحياة سنة 1934.

**الركينة، محمد بن محمد،** عُرف بالفقيه، وكانت سكناه، في حدود سنة 1841، بحي الطرنكات الذي كان وقتئذ، حسب قول صاحب تاريخ تطوان من أهم حومات تطوان.

ويبدو أنه قبل انخراطه في سلك الوظائف المخزنية، اشتغل في مجال التجارة، إذ أشارت وثيقة بتاريخ 28 يبراير 1850، إلى طرود من أثواب ومنسوجات "مرزاية"، و"مركان"، و"سحون"، وجهها إلى مراسل له بمدينة فاس يُدعى محمد المودن.

ثم في مطلع شهر أكتوبر من سنة 1852، أُسندت إليه خطة الحسبة بهذه المدينة، مكان الحاج المهدي الشرتي الذي كانت قد صدرت الأوامر المخزنية بإلقاء القبض عليه واعتقاله. وظل صاحبنا يشغل هذه المهام حتى أوائل شهر غشت من سنة 1856.

وفي أواسط شهر يناير 1860، أي في خضم وقائع حرب تطوان، نُودي عليه مرة ثانية لتولي نفس المهام، ولكن لأيام معدودات فقط، إذ في ليلة الأحد 4 يبراير من نفس السنة "خرج هاربا من النصارى...". وفي هذه المدة الوجيزة، تمت تعبئة أرباب الأراحي والفرانات بالمدينة، وعشرات النساء والرجال، مسلمين ويهودا، يشرف عليهم العامل محمد الحداد والمحتسب محمد الركينة المذكور، وذلك من أجل تهيب الخبز وأنواع أخرى من العجائن للمجاهدين والجند الذين كانوا في ركاب الأمير مولاي العباس، صنو السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن بن هشام، القائد العام للجيش المغربي وقتئذ.

خ. ح. كناش رقم 21، ص. 40، وص. 63، رقم 172، ص. 120؛

رقم 234، ص. 14؛ رقم 763، ص. 487؛ مخطوط ح رقم 105؛

أ. الرهوني، عمدة الراويين، تح. جعفر بلحاج السلمي، المحمدية،

جزان، 1998؛ م. داود، تاريخ تطوان، ج. 3، ص. 336 وما

عبد الله أزيطان، كتيب في الرماية وفضائلها، مخطوط؛ ع.  
الحديدي، أصول الرماية والرمي في التراث الشعبي، الاتحاد  
الاشتراكي، 16 أكتوبر، 1998.

A.G.P. Martin, *Le Maroc et l'Europe*, Paris, 1928.

علال الحديدي

### رماية سبته كان لهم دور حيوي ليس للدفاع عن

المدينة فقط، وإنما لمراقبة مياه الزقاق كذلك. ومنذ الفترة  
الموحدية بدأ المؤرخون يشيرون إلى رماية المدينة ودورهم في  
المعارك البحرية، سواء محلياً أو دولياً خلال الحملات  
المغربية بالأندلس أو بمناطق المغرب الأوسط. وسرعان ما  
أصبحوا يشكلون طليعة الجيش المغربي.

لقد وصف ابن الخطيب سبته بأنها "دار الناشبة" لكن  
الأنصاري هو الذي يقدم لنا معلومات في غاية الأهمية  
حول تقنية الرماية لدى السبتيين. فهو يشير إلى وجود  
خمس عشرة منجرة في أيامه - بعد أن كانت أربعين في  
فترة سابقة - وكلها معدة "لعمل القسي". عشرون منها  
كانت توجد بالممر الأعظم، وهو الأمر الذي يشير إلى أهمية  
تجارتها داخل المدينة، بينما كانت العشرون الأخرى توجد  
بمنازل المعلمين والصناع. فقد تخصصت بعض الأسر السبتيّة  
في صنع القسي كبني القنطري وبني العاقل وبني العاقل  
وبني ابن غالب وغيرهم. ومن المؤكد أن هذه الحرفة كانت  
تحتل باحترام السبتي لأننا نجد الشرفاء والمتصوفة وبعض  
علية القول من الذين امتنوها. كما أن الأوصاف التي  
أطلقها الأنصاري على بعض الصناع مثل "الشيخ"  
والشريف والوجه والحسيب والمتقدم الحسب والفاضل تؤكد  
هذا الطابع وتلك الأهمية. ويبدو مع ذلك أن هذه الحرفة  
كانت خاضعة لرقابة السلطات المحلية. فمن بين ديار  
الإشراف التي وُجدت بسبته نجد دار الإشراف على البناء  
والنجارة وما يرجع إليها.

لكن أهم نصوص اختصار الأخبار هي المتعلقة  
بالسهولة الكبيرة التي كان السبتيون يستعملون بها  
الرماية والأماكن المخصصة لها. فحسب الأنصاري كان عدد  
المرامي المعبر عنها بالجلسات وأماكن السبق المعلومات  
للرماية أربعة وأربعين مرمى. بالمينا - تسع جلسات، جلسة  
الحفير [...] المخصوصة بالقاضي وصدور الفقهاء من  
العدول وغيرهم، إذ الرمي طبع لأهل سبته طبعوا عليه،  
فلا تلقى منهم شرفاً ولا مشروفاً ولا كبيراً ولا صغيراً إلا  
وله بصر بالرمي وتقدم فيه. ومعظم رميهم بالقوس  
العقارة، وهي من جملة الأشياء التي تميزوا بها [...] .  
ومرمى عاشر بوسط المصلى وهو بانفراذه للقرس العربية،  
وبالمنارة من داخل البلد إثنا عشر [...] ومن أبدعها جلسة  
بظهر خارج الملعب يرمي منها إلى ثلاث نواحي [...] .  
وبالقصبه جلسة واحدة وبالأرباض الثلاثة سبع جلسات

وعلى الشيخ أن يتصف بالأخلاق الحميدة، فلا يكذب  
ولا يسرق ولا يزني ولا يرتكب المحرمات. وإذا ثبت على  
الشيخ ارتكاب إثم، فإن عليه أداء ذعيرة قدرها عشرة  
مشاقيل وذبح أربع بهائم للإخوان في الطائفة. أما الذي  
يتخلف عن أداء الواجب من الإخوان فعليه أداء ذعيرة  
خمس أوقيات، زيادة على أداء أجرة الذي عوضه في خدمة  
الشيخ أثناء الحرث أو الحصاد مثلاً.

إن أهمية موضوع الرماية يظهر من خلال تناولها في  
مؤلفات عديدة، فزيادة على كتب الحديث التي تناولتها في  
باب الجهاد، يجدر بنا أن نشير إلى أن أول مؤلف خاص  
بأصول الرماية التي ترجع إلى العهد الإسلامي الأول هو  
الذي ألفه ابن هذيل الأندلسي في القرن الثامن (14 م)  
بأمر من الأمير محمد بن يوسف بن إسماعيل النصري. وقد  
عمد Louis Mercier القنصل الفرنسي والمفتش العام  
للسؤون الأهلية بالمغرب إلى ترجمة مؤلف ابن هذيل،  
ونشره تحت عنوان: "حلية الفرسان وشارة الشجعان"، *La  
parure des cavaliers et l'insigne des preux* (Paul  
Gueuthner, edit. Paris)

وقد اطلع الضابط المترجم Martin صاحب كتاب:  
*أربعة قرون من تاريخ المغرب*، على مؤلف ابن هذيل لكنه  
لم يتمكن من ترجمة النسخة التي عثر عليها لصعوبة  
قراءتها حسبما ذكره.

وفي مؤلفه: نجد مارتان يُعطي اهتماماً خاصاً لطائفة  
الرماية وينقل بعض المؤلفات والصحف التي دوت فيها  
قواعدها. وما يشير الانتباه هو أن مارتان اعتبر طائفة  
الرماة طائفة دينية ذات صبغة وطنية، وأرجع إليها كل أو  
معظم مواقف المغاربة تجاه التدخل الأجنبي.

وبالفعل، فإذا تذكرنا أصول الرماية المرتبطة بالجهاد،  
وإذا علمنا دور رجال الدين والعلماء في جهاد المغاربة ضد  
الغزو النصراني، منذ انطلاق الحملات الصليبية ضد المغرب  
إلى عهد الاستعمار تأكد لنا - بالفعل - أن ظهور طائفة  
الرماية في القرون الحديثة ارتبط بالجهاد ومقاومة الاحتلال  
الأجنبي. وإذا علمنا أن طائفة الرماية كان لها حضور قوي  
في بعض القبائل المجاورة للسواحل مثل قبائل الشاوية  
حيث توجد زاوية النواصر. وإذا تأكدنا من أن معظم زعماء  
الجهاد في هذه القبائل كانوا من مقدمي طائفة الرماة فهمنا  
الدور الفعال الذي كان يقوم به الرماة المجاهدون وعلمنا لماذا  
أولاهها الضابط الفرنسي ذلك الاهتمام!

وبالجملة، فقد اشتهر الرامي المغربي بتصويبه ودقة  
استهدافه للعدو، ولا شك أن هذه المهارة لم تكنسب إلا  
بالتمرين على الرمي وركوب الخيل. ولقد بينت لنا معارك  
المقاومة التفوق الحاسم في التكتيك وفي دقة رمي الفارس  
المغربي بخلاف الفرسان الأوروبيين الذين كانوا لا يصوبون  
رميهم إلا إذا ثبتوا فوق الأرض. أما اليوم فيبدو أن العلم  
الذي حذقه الغربيون قد جعلهم يتفوقون، وجعل سلاحهم  
أفتك من سلاح "رماة الحذق"!

## رماة فاس، يتميزون بالدور الهام الذي قاموا به

في تاريخ المدينة منذ أواخر عهد السعديين على الأقل. إلا أن تتبع تاريخهم ليس بالأمر السهل لقلة ما كتب عنهم : فالمادة التاريخية المتوفرة تكتفي بإشارات سريعة إلى هذه الفئة العسكرية، ويمكن أن نفهم ذلك إذا علمنا أن جل من سجل تاريخ المدينة هم من النخبة العاملة التي كانت تكن في الغالب الأزدراء والاحتقار لفئة انحدر أفرادها من الشرائح الدنيا للمجتمع ومارسوا العنف والابتزاز على أهل المدينة كلما تقلص ظل المخزن وعجز السلاطين عن إخضاع سكان فاس.

إن وجود مجموعات منظمة من الأحداث داخل المجتمع الحضري هو أمر عرفته الكثير من المدن الإسلامية. وبالنسبة لمدينة فاس نجد أول إشارة إلى هذه المجموعات شبه العسكرية لدى الباسط بن خليل، وهو تاجر مصري حضر على ما يبدو الفتنة التي عصفت بالسلطان المريني عبد الحق بن سعيد في سنة 870 / 1465، ففي رحلته، التي نشرها المستشرق روبري برانشفيك، توجد إشارة إلى "طائفة الزكارة" الذين قادوا الثورة الشعبية بالمدينة للتدبير بعيد الحق المريني وتعاظم نفوذ وزيره اليهودي. ويشبه الباسط بن خليل هذه "الطائفة" بما يعرف ببلده مصر بفئة "الزعر".

وعند بداية القرن الثاني عشر (16 م) يشير الحسن بن محمد الوزان إلى وجود مجموعات من الأحداث ينتظمون على أساس الأزقة والحوامات ويتسلحون بالعصي التي يستعملونها ضد المجموعات المنافسة. "وقد يشتد الخصام بينهم فيأخذون السلاح ويموت عدد من كل فئة... وبعد انتهاء الاشتباك يأخذون في التراشق بالأحجار حتى لقد يعجز رئيس الشرطة عن تفريقهم". وإذا كان الوزان لا يطلق أي تسمية على هذه المجموعات من الأحداث فإن وصفه لا يدع مجالاً للشك بأن الأمر يتعلق بما يشبه "الزعر" أو "العيارين" المشاركة.

وبوصول السعديين إلى الحكم عند منتصف القرن العاشر (16 م) شهد المغرب ثورة في التنظيم العسكري سوف يكون لها انعكاس واضح على تقنيات القتال لدى جيش الدولة في البداية، ولدى بعض فئات المجتمع في مرحلة لاحقة. وأهم ما ميز التنظيم العسكري خلال هذا القرن هو ظهور الأسلحة النارية واعتماد السعديين عليها لتطوير جيشهم، وخاصة بخلق ما سُمي بعسكر النار. فمحمد الشيخ المهدي كان له بفاس ألفان من الرماة المسلحين بالبنادق، وكانوا ينتمون إمّا إلى الأندلسيين أو

من ثمغائة [خطوة]، وبالرياض البراني جلسة من مائة خطوة [...] ويخندق القمل خارج الباب الأحمر جلستان" ويتوسع الأنصاري في هذا الموضوع بنفس تدل على أنه كان خبيراً بفن الرماية ويشير إلى أماكن سبق ومرامي أخرى في مختلف أنحاء المدينة.

لقد أبرز "ج. د لثام" أهمية هذا النص من الناحية التقنية، مشيراً إلى أن القوس العقارة التي كانت سائدة في سبته هي التي كانت معروفة في أوروبا في العصور الوسطى باسم "arabista ad duo pedes" لأن الرامي كان يثبت القوس بوضع قدميه على طرفيه قبل جذبته إليه ؛ وهو الأمر الذي كان يسمح له برمي قذائف أثقل وزناً وبالتالي أقوى مما كان سيرميه لو أنه استعمل قدما واحدة فقط كما هو الحال في قوس الركاب". كما كانت لهذه القوس مزايا أخرى هامة في المعارك. إنها لا تتطلب من الرامي قدراً كبيراً من التدريب. كما أنها كانت سلاحاً فعالاً جداً للمدى القريب المعارك بين السفن وفي المعامل. إن أهميتها تكمن كذلك في كونها تصلح للاستعمال براً وبحراً. ونجمل تاريخ بداية استعمال هذه القوس بسبته وإن كنا نرجح بداية استخدامها مع القرن (12 م) وهو القرن الذي عرفت فيه بلدان أوروبا استعمال القوس على انطلاق واسع براً وبحراً، من طرف الفرسان والمشاة، في الحصار وفي المعارك المنظمة شمال وجنوب أوروبا.

وكان يُستعمل لصنع هذا السلاح خشب الطخش والبقس اللذين كانا يبتان بناوحي بليونش. ولم يكن السبتيون يزاولون الرماية لأن الرمي طبع لأهل سبته طبعوا عليه فقط، وإنما الرماية كانت سلاحاً أكثر فاعلية بالنسبة للجنود في المعامل المحاصرة وفي المواقف التي لا تكون فيها الحركة في الاعتبار الأول. من هنا نفهم لماذا طلب الأميرال الأروغوني تزويده بالرماة لمساعدته في حصار سبته سنة 672 / 1274، كما لم تكن الرماية مجرد رياضة لأهل سبته وركزاً من رموز التمايز الاجتماعي وإنما كانت السلاح الأمثل للدفاع عن المدينة ووسيلة حيوية في الصراع من أجل السيطرة على مياه الزقاق. وكانت شهرة الرماة السبتيين وصل ذكراً إلى البلاد المسيحية قبل سقوط المدينة سنة 818 / 1415.

ابن سعيد، اختصار القدر المعلى، تج. إبراهيم الأبياري، بيروت، القاهرة، ط 2، 1980؛ م. الأنصاري، اختصار الأخبار، الرباط، 1973؛ أ. المقري، نفع الطب، ج 3، بيروت، 1988؛ ل. ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تج. كمال شبانة، الرباط، د. ت، 146؛ ابن أبي زرع، الفرطاس، الرباط، 1973؛ ع. ابن خلدون، العبر، ج. 7، دار بيروت، 1992.

G. Colin et R. Ricard, *Tanger et Ceuta dans un boniment de jongleur espagnol du XVe siècle*, Bulletin Hispanique, XLVIII, 1946 ; J. D. Latham, *The Strategic Position and Defence of Ceuta in the Later Muslim Period*, Islamic Quarterly, XV, 1971 ; Ch.E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIII et XIVème*



أهل سوس. وقد لعب هؤلاء الرماة دورا حاسما في غزو بلاد السودان على يد المنصور.

إلا أن تفتت السلطة السعدية خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر (17 م) أدى إلى وضعية جديدة بالنسبة لأهل فاس. فبعد وفاة أحمد المنصور في سنة 1603 أصبح سكان المدينة القديمة عرضة لهجوم وتطاول الجيش السعدي المتمركز بفاس الجديد، وكذلك جيش شراكة الذي اعتمد عليه الأمراء السعديون لكبح جماح التمرد بفاس والمغرب الشمالي بصفة عامة. وعندما تولى عبد الله بن محمد الشيخ المامون حكم المدينة أصبح جيش شراكة سنده الأساسي لكنه كان عاجزاً عن كف هجوماتهم وتعليمهم على أهل فاس، بل إنه سمح لهذا الجيش بالإقامة بالقصبة، وكذلك ببعض الفنادق داخل المدينة القديمة. وأمام تدهور الوضع الأمني بفاس بادر أهل المدينة إلى تولي أمر دفاعهم بأنفسهم.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو التالي : كيف انتقلت مؤسسة الرماية من الجيش السعدي إلى المجتمع الفاسي ؟ أو بعبارة أخرى، كيف انتقل فن الرماية واستعمال البندقية من جيش الدولة إلى سكان المدينة القديمة ؟ هناك على الأقل ثلاثة عوامل تفسر هذا الانتقال : أولاً، سياسة الدولة السعدية ذاتها. فالسعديون حسب مارمول وضعوا أهل فاس أمام اختيارين (سليجاً إليهما المولى إسماعيل العلوي لاحقاً). إما الخدمة العسكرية أو التعويض المادي لمن استطاع ذلك من أهل الثروة. بمعنى آخر فقد جندت مدينة فاس فرقة من المقاتلين شبيهة في سلاحها وتنظيمها برماة الدولة المقيمين بفاس الجديد. ثانياً، إن ظهور صناعة السلاح الناري بمراكش السعدية وفاس الوطاسية خلال النصف الأول من القرن العاشر (16 م) سمح بانتشار هذا السلاح بسرعة. وأخيراً، فإن تفكك الجيش السعدي وعجز خلفاء المنصور عن ضمان استمراره جعل العديد من عناصره تعرض خدمتها على الأطراف المتناحرة داخل فاس القديمة. وبذلك انصهر عدد من عناصره في البنية العسكرية للمدينة. وخير دليل على ذلك هو وجود أسماء قيادية ضمن رماة فاس تشير بوضوح إلى انحذارها من علوج السعديين (القائد مامي العليج) أو رماة أهل سوس (الجزوليين).

لكن المدينة لم تعرف قيادة موحدة لمقاتليها. فجمع واستنفار الرماة كان يتم على أساس العصبية الجهوية، وكان الأندلسيون واللمطيون ركيزتي هذا "الجيش الفاسي"، أما رؤساؤه فكانوا من ذوي العصبية القوية داخل المدينة، وهم الذين تشير إليهم المصادر تحت اسم "الشوار" أو "السياب" في أوقات الاضطراب، وتحت اسم "الرؤساء" عندما تكون الأمور في يد الدولة. إلا أن المجموعات المسلحة سرعان ما أصبحت وبالا على المدينة نفسها لانعدام قيادة موحدة ولسقوط هذه المجموعات في العمل الإجرامي

وعمليات السطو والابتزاز والاختتال الفئوي الذي كان يعطل الحياة الاقتصادية ويجعل الحياة جحيماً لا يطاق بالنسبة لأهل الثروة، وحتى بالنسبة لعامة الناس.

عندما استقرت الأمور لمؤسسي الدولة العلوية حاول هؤلاء الاستفادة من الطاقات العسكرية للمدينة، علماً منهم بأن فاس كانت تعميئ ستين ألفاً من المقاتلين أيام الفترة الفاصلة بين السعديين والعلويين. أضف إلى ذلك أن رماة فاس كانوا من خيرة المقاتلين ولهم تجربة ثمينة فيما يتعلق بحرب حصار المدن، وقد برهنوا على كفايتهم في هذا المجال عندما احتاجهم المولى إسماعيل سواء في حصار مدينة العرائش أو مدينة تارودانت. لذلك ألح هذا السلطان طيلة حكمه على ضرورة مساهمة المدينة في المجهود العسكري للدولة، سواء عن طريق المشاركة في الحركات أو عن طريق توفير فرق عسكرية لحراسة الشغور والمناطق الحدودية. وهكذا كانت المدينة مطالبة بتعبئة ألف وخمسمائة رام، كان ثلثها يرافق السلطان في تنقلاته، وثلث يربط على حدود مدينة سبتة المحتلة، بينما يقيم الثلث الأخير بمركز فكيك على الحدود الشرقية. ولم يقبل أهل فاس هذه المساهمة إلا على مريض، لأن العامة كانت تأنف من الخدمة العسكرية بينما كان أهل الثروة يتهبون من تكاليف تجهيز الرماة وتوفير أسباب خدمتهم. وهذا ما جعل عدد الرماة الذين يجندهم أهل فاس يتغير حسب قوة السلطان الحاكم أو اختياراته العسكرية. فالسلطان سيدي محمد بن عبد الله اكتفى بخمسين رامياً طالبهم بسكنى مدينة الصويرة. أما المولى سليمان فإنه كاد أن يسقط عنهم الخدمة العسكرية بالمرّة إذ طالبهم بثمانية عشر فرداً فقط (واحد لكل حومة) كانوا يرافقونه في تحركاته. ومع نهاية القرن الثالث عشر (19 م) رفع مولاي الحسن من حصة الرماة المفروضة على فاس لتصل إلى خمسمائة رام.

لم تكن الخدمة العسكرية بفاس خاضعة لمقاييس مضبوطة وقارة، لا بالنسبة لمقاييس التجنيد ولا بالنسبة لهيكلة المقاتلين وعلاقتهم بكل من المدينة والمخزن. فعدد المجندين كان يختلف حسب الظروف والأوضاع الأمنية بالمدينة ومحيطها وضعف أو قوة المخزن. فمن الآلاف التي كانت تستنفر أوقات الحصار كان عدد الرماة يتقلص أحياناً إلى بضع مئات توظف في حراسة أبواب المدينة والمرافق الحيوية بها. بل إن وجود سلطة مخزنية قوية بالمدينة كان يؤدي إلى شبه اضمحلال الرماة كمؤسسة عسكرية. فأوقات السلم والاستقرار السياسي كانت تضعف الرماة بل قد تؤدي إلى اختفائهم بالمرّة إذا طالت. ويقدم لنا عبد الكبير الفاسي، صاحب تذكرة الحسنين، مثالا عن ذلك عندما يلاحظ أنه في سنة 1235 / 1819، لما عجز المولى سليمان عن حماية المدينة من هجومات القبائل وجيش الوداية، لم يجد أهل فاس من يحسن استعمال البندقية "لطول مدة العافية".

أما عملية التجنيد فكانت تتم على صعيد الجهة (الأندلس، اللطيون، عدوة القرويين). فكل جهة من الجهات الثلاث كان لها "جيشها" الخاص بها والذي كان يخرج إلى القتال وهو يرفع علما خاصا يميزه. وعند انتهاء القتال كانت الأعلام الثلاثة توضع بضريح مولاي إدريس فيشار إليها بـ "أعلام مولاي إدريس". وأول من كان يستنفر للخدمة العسكرية الأحداث الذين لا حرفة لهم، إلا أن دائرة التعبئة كانت تتسع، إذا دعت الضرورة إلى ذلك، لتشمل كل القادرين على حمل السلاح من العامة، خاصة ضمن فئة الحرفيين. ولم يكن المقاتلون من البيوت المشهورة بل نجد أن جلهم ينتمي إلى ذوي الأصول المغمورة أو القبائل، وهو ما نلمسه في أسماء كثير منهم كالسلاسي والعماري واليازغي إلى غير ذلك من الأسماء.

ورئاسة هذه الجيوش كانت تخضع هي الأخرى لمنطق الجهة. إلا أنه من الصعب رصد قواعد ثابتة للتدرج نحو القيادة. إن الطريق المؤدي إلى الرئاسة كان يبدأ من الحومة أو حتى من الدرب عندما يتمكن شخص ما يتمتع بعزوة وعصبية قويتين من فرض نفسه وإثبات قدرته على تعبئة السكان لدرب الخطر عن أهل دربه أو حومته. وقد يتعلق الأمر في البداية بمجرد عصابة محدودة يبرز من بين صفوفها شخص يتوفر على القوة الجسدية والمقدرة القتالية تجعل الآخرين يلتفون حوله. ومن العوامل التي تُقوي حظوظ هذا الشخص في الوصول إلى مرتبة القيادة استناده إلى أسرة متماسكة ذات عصبية قوية، وقدرته على توظيف كل هذه العوامل لتوفير قيادة ناجحة تضمن الحماية لحومته وتصون شرف أهلها أمام التحديات الخارجية. وقد يبرز أكثر من مرشح واحد للقيادة، وقد يحدث التنافس بين أسرتين أو أكثر على مستوى الجهة الواحدة فيقع الحسم عن طريق السلاح. وهذا ما حدث مثلا بين عزوتي الجزولي وإزورر بجهة اللطيين في سنة 1150 / 1737 - 1738.

وإذا تجاوزنا الإطار العائلي نجد أن العلاقات الزبونية لعبت دورا هاما في اكتساب المؤيدين والأتباع؛ ويقدر ما تشعب هذه العلاقات بقدر ما تتسع دائرة نفوذ قائد معين. والقول بأهمية الزبونية يحيل منطقيا على عامل آخر، هو عامل الثروة التي توظف لاكتساب الأتباع. إلا أن الثروة لم تكن شرطا ضروريا لشق الطريق نحو القيادة، فمعظم الحالات التي أمامنا توضح أن العصبية القوية في المدينة اغتنت بعد أن فرضت نفسها عسكريا وسياسيا عن طريق النهب والابتزاز والاستيلاء على الممتلكات الحسبية وتزوير السكة إلى غير ذلك. وهذا كان يتم أساسا خلال فترات الضعف المخزني أو انعدام أية سلطة مخزنية بالمدينة كما كان الحال خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر (17 م).

إن الرماة لم يكونوا قوة عسكرية فحسب، بل كانوا كذلك قوة سياسية لها دور بارز على مستوى المدينة.

وكذلك في علاقة هذه بالدولة المركزية. فرؤساء الرماة كانوا هم حكام المدينة في غياب المخزن، وعندما تخضع المدينة لهذا الأخير فإنهم كانوا يوفرون له الأطر القيادية والإدارية بالمدينة. فخلال الفترة الفاصلة بين السعديين والعلويين كانت مدينة فاس تحت حكم زعيمين هما محمد بن الصغير من جهة اللطيين وأحمد بن صالح اللبريني من جهة الأندلس. وعندما وصل العلويون إلى الحكم حاول بعض السلاطين توحيد قيادة المدينة بفرض قائد واحد. لكن هذا الأمر لم يكن في متناول كل السلاطين. فعندما كان ميزان القوة يميل لصالح المدينة كما حدث بعد وفاة المولى إسماعيل تغلبت النزعة الانقسامية وعادت المدينة إلى القيادة الثلاثية، لكل جهة من الجهات الثلاث قائدها.

وكان الرماة يملأون كذلك عددا من المناصب الإدارية والأمنية بالمدينة، فكان منهم الجُرّاي، أو مقدمو الأحياء، وحراس الأبواب والأزقة وأعوان القاضي وناظر الأعباس إلى غير ذلك من الوظائف. ولم يكن الرماة يعيدون حكما مركزيا قويا لأن ذلك كان يحرمهم من المناصب الإدارية والأمنية داخل المدينة من جهة، ويحولهم من جهة ثانية إلى قوة محاربة ضمن الجيش المخزني، مما يفقدهم قوة التأثير داخل المجتمع الفاسي ويحرمهم حرية المبادرة والمناورة. فإذا أخذنا العهد الإسماعيلي كنموذج لحكم مخزني قوي نجد أن السلطان استغنى عن خدمة العديد من رؤساء الرماة وأعيانهم بتوحيد قيادة المدينة في يد خادمه بوعلي الروسي وحذفه لقيادة الجهة، بل قلص حتى عدد الجُرّاي من 24 إلى 3 (واحد لكل جهة). وهذه إجراءات لم ترق النخبة السياسية والعسكرية بالمدينة. أضف إلى ذلك أن المولى إسماعيل طالب بتجنيد الرماة للعمل ضمن الجيش المخزني، وهو أمر استنقله أهل فاس بصفة عامة لأنه كان يعني عينا إضافيا بالنسبة لأهل الثروة، وإكراهها على خدمة مخزنية محفوفة بالمخاطر بالنسبة للمجندين ورؤسائهم، دون أن يكون في ذلك كبير فائدة لهؤلاء. لذلك حاولت نخبة الرماة التهرب من الخدمة العسكرية تحت مظلة المخزن، الشيء الذي جعل المولى إسماعيل يتهم أهل فاس مرارا بالتراخي والمماطلة وتجنيد فقط "البشاشة" الذين لا يصلحون للحركات والقتال.

لكن أسباب التوتر بين المخزن والنخبة العسكرية - السياسية بفاس لم تكن ترتفع بمجرد إلغاء أو تخفيف الإلزامات العسكرية من طرف السلطان. فالمولى سليمان، الذي لم يكن يطالب المدينة إلا بمساهمة رمزية لا تتعدى ثمانية عشر فردا، وجد نفسه قُبيل وفاته أمام تمرّد كاد أن يعصف بحكمه، وهو التمرد المعروف بـ "فتنة فاس" والذي لعبت فيه قيادة الرماة دورا أساسيا. وأما سبب حقد هذه القيادة على المولى سليمان فكان يتعلق أساسا بسياسة

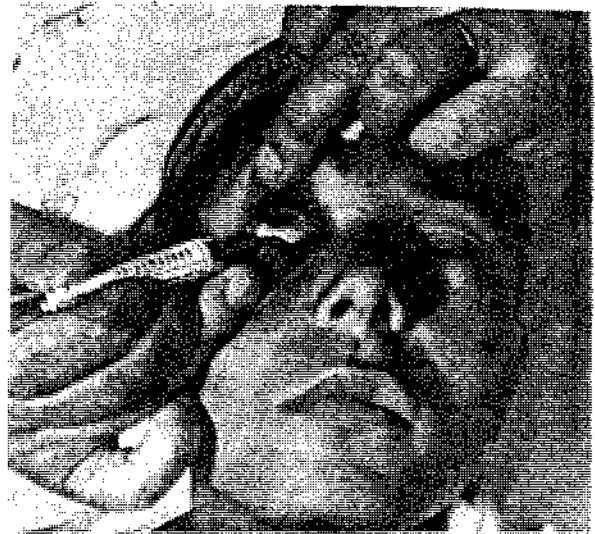
التهميش والتجاهل التي اتبعتها هذا السلطان تجاه أعيان المدينة ورؤسائها التقليديين. فالمسألة تتعلق أساسا بإشراك النخبة المحلية وتكثيفها من وسائل النفوذ والتأثير على المستوى المحلي.

م. القادري، نشر الثاني، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1977، 1986، 4 أجزاء؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1983، جلمان؛ ع. الكبير الفاسي، تذكرة المحسنين، مخطوط، خ. ح رقم 12235؛ أبو القاسم الزياني، جمهرة من حكم بقاس، مخطوط، خ. ح رقم 2348؛ م. ابن إبراهيم الدكالي، تقييد تاريخية، مخطوط مكتبة بودليان بأكسفورد، رقم 79 C؛ مارمول كريخال، إفريقيا، الرباط، 1984، 1989، الجزء الثاني.

R. Brunschwig, *Deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord au XV Siècle*, Paris, 1936; Mohamed El Mansour, *Urban Society in Fez: the Rumat during the Modern Period (17th - 19th Centuries)*, the *Maghreb Review*, vol. 22, n° 1 - 2, 1997.

محمد المنصور

**الرمد، التهاب العين يصيب الملتحمة والقرنية**  
ويتميز بوجود حبيبات والتهابات بالملتحمة. وهي ذلك الغشاء الرقيق الشفاف الذي يغشي الجهة الأمامية من كرة العين. وقد يمتد الالتهاب إلى بقية أجزاء الملتحمة ويفسدها، كما قد يؤثر في القرنية وربما يمزقها فيؤذي ذلك إلى فقدان البصر. وعادة ما يقسم الأطباء الرمد إلى نوعين حبيبيّ وصديدي، فالحبيبي، ويسمى أيضا التراكوما. وفيه يشعر المريض كأن بعينه بعض حبات الرمل، أما الصديدي فيتميز بإفرازات صديدية.



يتسبب في هذا الداء فيروس يسمى كلاميديا تراكوماتيس Chlamydia Trachomatis وتنتقل عدواه بما تفرزه العين المصابة من أبخرة وقذى وما يستعمله المصاب من مناديل وأدوات. والبدين والذباب.

يعتبر الرمد من الأمراض القديمة بالمغرب حيث ترد إشارات عن الإصابات به في بعض كتب الإخباريين، كما جاء على سبيل المثال عند ابن عيشون الشراط أثناء حديثه عن أبي الربيع سليمان، الذي تبرك به أحدهم من رمد أوجعه وأسهره ليلته ومنعه من النوم.

وذكره المحسن الوزان دون أن يشير إليه بالاسم حيث أورد عن أهل سجلماسة أن عيونهم تمرض في الصيف وأن الغبار من أسباب التهاب العين لدى الناس. وأشارت ماريا تيرمتلن الأسيرة الهولندية التي قضت بالمغرب اثنتي عشرة سنة ما بين 1731 و1743 إلى أنها مرضت وزوجها وأولادها بمرض العيون فيما بين نهاية غشت وشتتبر، ولاختال مرضا يسري بين العائلة دفعة واحدة، وفي تلك الفترة من السنة بالذات، سوى الرمد.

وفي معرض حديثه عن الأمراض الأكثر انتشارا بين المغاربة، أشار الطبيب لامبريير Lemprière أثناء مقامه بالمغرب سنة 1790، إلى التهابات العيون التي تتسبب في فقدان البصر. وفي رسالة وجهها أحمد الطالب إلى السلطان مولاي الحسن بتاريخ 18 شتنبر 1897 إلى أن إبراهيم بن حسادي أحد ولاة السهول، لم يستطع التوجه إلى العاصمة لأنه كان مريضا بالرمد في عينيه.

تشح المعلومات وتندر الأرقام بصدد الرمد وعشيانه في المغاربة خلال السنوات القليلة السابقة للحماية وحتى بعد توقيعها. ومرد ذلك فيما يبدو إلى أن الرمد لم يكن بالنسبة للفرنسيين، على درجة من الخطورة وسرعة الانتشار تستدعي حزما في استنفار الوسائل القيمة بمعرفة الداء وضبط عدد المصابين به، قصد محاصرته وتطويقه، فكان حظه من الاهتمام أقل من غيره من بقية الأمراض الفتاكة الأخرى كالزهري والسل على سبيل المثال. وكانت أولى الاحصاءات التي أجريت في هذا الشأن هي التي قدمها الطبيب رملنجر Remlinger عن طنجة وتهتم رواد المستشفى الفرنسي من المغاربة المسلمين، وهو ما يوضحه الجدول التالي :

حالات الرمد	العدد الإجمالي للمستشفيين	السنوات
16	9.716	1912
12	12.716	1913
21	13.855	1914

ولاحظت الطبيبة دولانوي Delanoé، منذ استقرارها بالمغرب سنة 1913، وكانت تعمل يومئذ في الممرضة الخاصة بالمغاربة في مازيغن (الجديدة)، أن نسبة المصابين بالرمد مرتفعة جدا تصل إلى ما بين 40 و50٪ من سكان المنطقة، وكان الأطفال على وجه الخصوص معرضين أكثر

من غيرهم للرمد ويصابون بالعمى نتيجة انتقاب في القرنية بسبب تحييات خبيثة.

ولم تبدأ الدراسات حول الرمد بشكل رسمي سوى سنة 1927، ولو أن العصابة المغربية لمكافحة ظهرت في سنة 1924، ومنذ سنة 1930 بدأت التقارير تجود ببعض الأرقام حول عشان هذا الداء، إذ يفيد تقرير إدارة الصحة أن عدد المصابين به خلال هذه السنة 38.415، وأن منطقة مراكش وحدها استأثرت بما يقرب من 20.000 منهم.

ويوضح الجدول عدد المسجلين المغاربة من المصابين المجدد بالرمد خلال النصف الأول من الثلاثينيات.

السنوات	عدد المسجلين الجدد من المصابين بالرمد
1932	18.000
1933	17.901
1934	26.083
1935	28.173

وجاءت الحرب العالمية الثانية وما رافقها من شدة وضيق وما ترتب عن ذلك من ندرة الصابون وقلة النظافة، فمهدت للرمد من أسباب التفشي ما جعله يعيش في المغاربة بشكل أدهى وأمر، وارتفع عدد الحالات المصرح بها من المصابين بالرمد في السنة الأولى من الحرب بحوالي 10.000 عما كان عليه الحال في سنة 1938. ويوضح الجدول التالي عدد المسجلين من المصابين الجدد بالرمد خلال سنوات الحرب العالمية الثانية.

السنوات	عدد المسجلين من المصابين الجدد بالرمد
1939	42.938
1940	38.803
1941	46.121
1942	48.162
1943	53.266
1944	86.868
1945	67.487

المجموع : 383.645

ظلت نسبة المصابين بالرمد مرتفعة في السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية وعلى وجه الخصوص في المناطق الجنوبية، إذ بلغت نسبة المصابين من أطفال المدارس مستويات عالية.

وتفاحش أمر الرمد في بداية الخمسينيات مما جعل إدارة الصحة تنشئ مصلحة خاصة تسمى "المصلحة المركزية لأمراض العيون" وترد ذلك بخلق مجموعات جراحية متنقلة، كانت تجوب ضواحي مراكش وأرفود وورزازات، وهي مناطق معروفة باحتضانها للرمد.

وحسب بعض الأبحاث التي أنجزتها إدارة الصحة العمومية، يمكن تقسيم المغرب من حيث انتشار الرمد إلى ثلاث مناطق :

- المناطق الساحلية ويتراوح فيها مؤشر الرمد ما بين 0 و25٪.

- المناطق الداخلية ويتراوح فيها ما بين 25 و40٪.

- منطقة الجنوب، ويستأثر مؤشر الرمد فيها ما بين 70 و100٪.

وكان المغاربة يعالجون الرمودين ببعض ما ورد من وصفات في كتاب الرحمة أو كتاب الأنطاعي، بالإضافة إلى وصفات أخرى دونتها A.R. De Lens في كتاب صدر لها سنة 1925، خصصته لوصفات العلاج والتجميل والشعوذة. ومن جملة ما أوصى به السيوطي في كتاب الرحمة وصفات أخرى مما يقطر من نقيع النباتات أو يكتحل به من المواد وما يكتب من الرقي والتعاويد. أما De Lens فقد استقت وصفاتها مما كانت تقع عليه عينها عند عائلات الرمودين مثل حليب المرضع، أو خليط العسل مع ماء البصل.

واستعمل الفرنسيون على إثر سيطرتهم على المغرب علاجات أخرى ضد الرمد فاهتدت الطيبة دولانوي في العشرينيات إلى استعمال زيت يسمى زيت الشولموغرا Chaulmoogra وكان يستخرج من حبات ثمرها أشجار من جنوب آسيا. وقد نجح إلى حد ما في علاج الرمد والتخفيف من حدته وتمكنت دولانوي حسب قولها أن تزيح ضره عن 25.000 مرمود، سيما وأن المصابين كانوا يتحملون فرك الجفون بزيت الشولموغرا لأنه غير محرق وغير مؤلم.

وابتداء من سنة 1938 ظهر ما كان يسمى يومئذ، بالسولفاميد Les sulfamides وهو مركب عضوي أزووتي ومكبريت مضاد للجراثيم. وكان هذا الدواء الجديد لا يضرب بعد استعماله بالجفون ولا ببقية أعضاء العين. وفي الخمسينيات ظهرت مراهم التتراسيكلين والأريوميسين، وأمكن تعميم الوقاية من الرمد، على الأقل في المدن، حيث كانت توكل لمعلمي المدارس مهمة حقن عيون الأطفال بالمراهم المضادة للرمد.

ج. السيوطي، الرحمة : الأنطاعي، تذكرة أولي الألباب : م. ابن عيشون الشراط، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس : علاقة المخزن بأحوال سلا.

Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc ; Delanoé, Trente années d'activité médicale et sociale au Maroc, Larousse médical "MASSON" : Lemprière.

ما بين 50 ميكرومتر و2000 ميكرومتر أو مليمتريين اثنين. ويعتبر الرمل، على هذا الأساس، أحسن فئة داخل قطاع المواد الفتاتية الدقيقة، تربو أحجام حياته عن الطمي والطين، وتقل عن الحصى والحصى والجلاميد وهي قوام المواد الفتاتية الخشنة على سطح الأرض.

يكاد يكون من المستحيل العثور على تكوين طبيعي رملي خالص. تعتبر الكتيبان الريحية عامة، والساحلية منها على الخصوص، المركبة من رمال شتيتية، من التكوينات الأكثر فرزا والأكثر نفوذية وتصريف للمياه.

#### 1 - مقومات تحليلية للرمال :

بالإضافة إلى كون الرمل مادة معدنية، مختلفة التركيب الكيماوي والفرز القياسي، يطلق مصطلح "الرمل" كذلك في المغرب على بعض أنواع الأتربة التي تكون فيها نسبة الرمل الحبيبي عالية لكنها لا تقصي الفئات الدقيقة الأخرى وإلا لما كانت تربة، ذلك أن حدا أدنى من المادة الدقيقة إلزامية في أي تربة حتى تكتمل مواصفاتها. تعتمد جل البيانات النسيجية للأتربة الرملية 70٪ من الرمل الحقيقي كحد أدنى من مجموع المادة الدقيقة، تتقاسم الباقي منها الطين والطيني بصيغ مختلفة. قد يشذ التصنيف الأهلي المغربي محليا عن هذه القاعدة النسيجية لأسباب وجيهة. حيث تقع تساهلات مع القاعدة في المناطق التي تغلب على أترتها الأطنان وتكون غنية بأتربة التيرس، كالغرب ومنخفضات الوردغة بالريف مثلا، فتطلق تسمية الرمل على أتربة طميية رملية يمكن أن تزيد نسبة الطين فيها عن 20٪.

تتميز الأتربة الرملية بخصوصيات نوعية منها :

- ضعف القدرة على احتجاز الماء، الذي يجعل الاحتياطي المائي محدوداً جداً، مانحا هذه الأتربة حساسية عالية إزاء الجفاف.

- نفوذية كبيرة للماء في التربة، تجعل الماء يعبر سريعا للوصول إلى المسكات العميقة. أما إذا انعدمت كل مسكة مصمتة من القطاع، فإن الأتربة الرملية تكون جيدة التصريف.

- تندرج من ضمن الأتربة الحارة، ذلك أن التنشيف يحدث سريعا جدا بعد التساقطات المطرية. وهي كذلك أول الأتربة التي تصير قابلة للتشغيل بعد أية فترة مطرية. على أن الأتربة الرملية تتطلب جرعات ضعيفة من السقي لكن بإيقاع أسرع من غيرها.

- ينتج عن التصريف الجديد امتياز خاص بهذه الأصناف من التربة يخول لها احتمال مياه سقي مألحة نسبيا.

يستحق هذا الامتياز وقفة خاصة.

ذلك أن جودة التصريف تزداد هي ذاتها في حال وجود مياه سقي ذات ملوحة محسوسة، حيث تشتت الأملاح مقادير الطين القليلة الشائبة للرمال، حائلة دون تندها

#### رمضان، ريس، عالج فرنسي الأصل من مدينة

مارسليا يدعى أصلا توماس ميولان (Th. Miolan). انخرط في صفوف الجهاد البحري بسلا الجديد في مطلع عهد مولاي إسماعيل ؛ لكن حياته المهنية لم تدم طويلا، وسرعان ما تم أسره من طرف السفن الفرنسية وهو لا يزال شابا (19 عاما) سنة عام 1675 م. حيث أشرك منذ تلك السنة في طواقم السخرة على متن القادس الملكي "Le Superbe"، ولم يطلق سراحه إلا بعدما مكث سبعا وثلاثين سنة، بعدما قبل الملك الفرنسي إطلاق سواحه سنة 1124 / 1712 عن سن ست وخمسين عاما باعتباره من الشيوخ ومن قدماء الأسرى المغاربة.

S.I.H.M., 2ème série, France, T. VI, p. 82.

حسن أميلي

#### رمضان بن محمد الإنسانسي ← رمضان أسرة

#### رمضان، أسرة إزناسنية تنتسب إلى الشيخ

رمضان ابن محمد "فتحاح" بن عبد العزيز الولي الصالح البركة الذي عاش في نهاية القرن الثاني عشر ومطلع القرن الثالث عشر (18 - 19 م) بزوايته المسماة باسمه "الزواية الرمضانية" الكائنة بجبال بني إزناسن بالسفوح الشمالية لجبال بني منقوش المطلة على حامة فزوان القريبة من بلدية عين الرгада عمالة إقليم بركان. وقد شيد ضريحه بزوايته المذكورة بدوار أولاد سيدي رمضان في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) مع المسجد العتيق الذي يحيط بها والبئر الذي يرتوي من مائة الزائرون والوافدون، وهو الذي أعطى الانطلاقة للطريقة الطيبية الزوانية بالمنطقة التي ورثها عن جده عبد العزيز تلميذ مولاي التهامي الزواني حسب ما تشبته إحدى الوثائق. ويتصل عمود نسبه بالمولى إدريس حسب ما تذهب إليه إحدى الوثائق.

ميمون بوشلاغم، الزواية الرمضانية ووثائق من بني يزناسن، بإشراف الأستاذة هاشم العلوي القاسمي، كلية الآداب بفاس، ص. 65، 1985 ؛ أحمد الغزالي، مساهمة في البحث عن زوايا بني يزناسن، القادريّة البيوتنشيشية نموذجاً، 155 ص، 1996.

محمد الرمضاني

#### الرمل، الأتربة الرملية والترميل. كلمة الرمل هي

أولا مصطلح حبيبي يخص فئة قياسية من الحبات من ضمن الصخور الفتاتية أو الأتربة. تدرجها حدودها القياسية في

وميسرة ظروف تصويلها وفتح مسالك المسامية الكبرى في سبيل التصريف السريع.

وقد شاع استعمال المياه المالحة في سقي الرمال خاصة في البلاد المجافة التي يتواكب فيها طبيعياً كثرة الأتربة الرملية وقلة المياه العذبة. يدخل في هذا السياق كل الجنوب المغربي، مع إشارة خاصة للوحدات النهرية في الأحواض العليا للساورة والداورة وحوض درعة، التي تخلل جل مجاريها وسلالتها ومصاطبها الدنيا أتربة غرينية رملية طينية رمادية اللون، نسيها طمي النخيل، تسقيها مياه تزيد نسب الأملاح في معظمها عن المطلوب في الماء الشرب.

يوجد بنفس البيئة مواقع للتجريب والإنتاج المتخصص، تستعمل الماء الرعاق (من 5 إلى 15 غرام بالليتر) لسقي الحبوب والأشجار بسهل تافيلالت مثلا، مستعملة مياه عين العاطي التي تندرج في الرعاق الأعلى الأقرب إلى المالح الصرف.

وتجدر الإشارة في هذا السياق لاستعمالات أوسع وأشمل، في أراض جافة بها ساكنة عالية الكثافة، كما هو الشأن في سهل الجفارة مثلا بالقطر الليبي، في الإقليم الكبير لطرابلس، حيث تجرب السقي بالمياه المالحة شائع ويعطي نتائج مشجعة، إذ تستعمل مياه البحر رأسا مختلطة بنسب متفاوتة من المياه العذبة.

لكن على العموم، يبقى أمر استعمال المياه المالحة صعبا، كما هو الشأن في المجالات الصحراوية أو المجافة القريبة من البحر التي تتداخل فيها مياه الفرشة الأحفورية المستنزفة وغير المتجددة مع مياه البحر. يزيد التعقيد بتراكم الأملاح في التربة والتلوث بتركيزات المحاليل بمختلف الفلزات كالحديد والمنغنيز، التي تسهم في تعطيل تجهيزات السقي.

يمكن أن يستغل التصريف السريع في الأتربة الرملية كذلك من أجل إغناء الفرشات الجوفية أو إعادة حقنها إذا كان بالإمكان الحصول بطريقة ما على مياه سقي عذبة ومقبولة المواصفات. ولا يتيسر ذلك إلا عن طريق تصفية ماء البحر، وهو أمر مكلف، إلا إذا كان يدخل في إطار مشروع أوسع يمكن أن يهتم تزويد ساكنة السواحل بالحاجيات الحضرية بما فيها زراعات الضواحي، ويبدو أن مشروعا من هذا القبيل متوقع على السواحل المغربية.

كما يمكن أن يتأتى عن طريق جلب مياه منقولة من مصادر عذبة غزيرة. نموذج هذا الوضع النهر الصناعي العظيم بليبيا الذي حتمه استنزاف الفرشات على مر الزمان في الأراضي الأهلة قرب المدن الكبرى المحاطة بالمزارع المغللة، حيث بلغ الاستغلال المكثف إلى قرار الخزانات المائية الطبيعية المالح المكبر والفلزي الضار بالناس والمحاصيل والتجهيزات والأتربة. الإتيان بمياه النهر الصناعي، انطلاقا من فرشات عميقة عالية الجودة، لسقي

الأراضي المتضرة، من شأنه أن يحسن بنية التربة ويرفع المحاصيل ويسر استعمال الأجهزة، وعلى الخصوص، أن يعدل منسوب المياه العذبة داخل السدائم الجوفية من خلال التسرب عبر الأتربة الرملية الطاغية على المجال. هنا يكون إذن الطابع الرملي للتربة أمرا إيجابيا، يسند المدخرات المائية ويعيد تطعيمها.

. قدرة حجز وتوفير العناصر المعدنية من طرف التربة لفائدة المحصول النباتي، المعبر عنها بقدرة التبادل الكاتيوني، تكون ضعيفة في الأتربة الرملية. يتفرع عن ذلك نتائج سلبية عديدة، منها بالطبع تدني خصوبة التربة حيث إن العديد من الأراضي الرملية متروكة للاستعمال الغاوي وأكبرها على الإطلاق بالمغرب غابة البلوط الفليني بالمعمورة. لكن عندما يتوفر بعض التطعيم الطيني في التربة الرملية ومعها الماء الكافي وقرب مواطن الاستهلاك أو مسالك التسويق أمكنها أن تكون مجالا متخصصا في إنتاج البواكير ومختلف الخضروات.

ومن النتائج السلبية كذلك اختلال في التخصيب. فمثلا إذا ما تساقطت أمطار غزيرة بعد نشر الأسمدة، تعرضت العناصر المعدنية المراد توفيرها للنبات إلى الحلحلة والتبديد في اتجاه الفرشات المائية. وبالفعل، فإن السدائم الموجودة تحت التكونات الرملية هي الأكثر تأثرا بتلوث كيمائيات التسميد والتطهير.

. تحسين المقومات الآلية والخصوية الكيماوية للأتربة الرملية رهين بالتزويد بالمواد العضوية أو التطعيم بالأطيان. يوفر التزويل والحلاط العضوية، المضافة إلى الأتربة الرملية، زيادة في قدرة احتجاز الماء، وفي إغناء التربة بعناصر التخصيب وتكوين احتياطي معدني داخل تركيبات عضوية نافعة. وبما أن وجود المادة العضوية يضبط حركة الماء داخل التربة، فإنه يحسن تزويد المزروعات بالماء، ويققل من حلحلة الملوثات ونقلها إلى الفرشة. وقد أجريت بالفعل دراسات ميدانية على مثل هذه المنظومات في أقاليم المناصرة واللوكوس.

. هناك أوضاع طبيعية تفيد في مسألة إغناء الترب الرملية بالدقيق. يلاحظ مثلا في السهول الحبيسة لدكالة، خلافا للمتتظر، وجود تربة رملية أو رملية طينية تتناقض بخشونتها مع محاصيل الحبوب الرفيعة التي تدرها ومع التجمع المائي السريع كلما اشتد التساقط المطري. ذلك أنها في الواقع مجرد وشاح متفاوت السمك يغطي تربة طينية من صنف التيرس أو الحمري (التربة المغربية : الجزء 7، ص. 2311 ؛ التيرس، الجزء 8، ص. 2663 ؛ الحمري، الجزء 11، ص. 3584). هذه التربة الأخيرة محلية أصيلة متجانسة مع تجميع الدقيق وتنشئة الأطيان النفوخة في ظروف الانحباس. أما الوشاح فهو نتاج الإمداد المتواصل بمواد التحريك الآتية من إقليم الرحامنة المجاور من الشرق. لكن لا ينتظر أن تفضي عمليات التزويد بالمواد الخشنة،

من المجال الداخلي الجاف والعميق من أي غطاء نباتي طبيعي ذي فعالية، إلى الردم النهائي للقواعد الطينية بل الحاصل في جل الحالات هو الاختلاط بها والتطعيم المتبادل معها.

تفيد هذه الأوضاع المركبة في ضرورة الاطلاع على الأنساق الجيومورفولوجية من أجل التعامل مع الأتربة واستثمارها، خاصة في الظروف الموسومة بالجفاف السائدة بالمغرب، والتي تغلب فيها تعرية الأتربة وحركة المواد على السطح.

(2) مبادئ توزيع الأتربة الرملية بالمغرب.

تتطور الأتربة الرملية فوق طبقات صخرية رملية أو فوق قواعد صخرية تعطي رمالا من جراء التفسخ كالحث والكرانيت والدولوميت. كما أنها توجد في سافلات المواد المنتجة للرمال.

- طبقات الصخور الرملية المؤهلة لإعطاء ترب رملية هي في الغالب تلك المدينة القريبة من السطح، ومن أهمها المستويات البحرية النيوجينية والرباعية، نذكر منها الرمال الصهباء أو رمال مكناس، ورمال المعمورة، وهي في أكثر الحالات رمال سيليسية صرفة. أكيد أن جل الحالات تتسم بخصائص التترب السالفة الذكر. لكن بعضها أعطي محليا أتربة حمراء بها بعض الطين. ونظراً لضعف تندف الأتربة وعدم تكوين المجمعات، فإن هذا الطين، على قلته، استطاع أن يتوزع على مسامية الرمال ومعها الأكاسيد والظمي فعيابها وأصمتها. وكان الناتج أراض غدقة، رغبانية، تتجمع المياه على سطحها موسمياً، معطية أتربة رملية لكنها محليا مبهية، في أوساط مختزلة، تتغير ألوانها السطحية من الحمر إلى الصفرة.

- الطبقات الحثية المنتجة للرمال بالتفسخ إما من فوقها أو في سافلتها إذا كانت قسماً أو هضاباً عالية، يطبع الوضع الساحل الشمالي الغربي للمغرب بصفة متفاوتة من فحص طنجة إلى حدود إقليم الغرب. أهم مصادر رمال التفسخ هنا الحث أو الحجر الرملي النوميدي، والحث الأصفر لطية اللوكوس الزاحفة وكلها بمنطقة اجبال، غرب جبال الريف. الرمال على العموم سيليسية، بالإمكان التعرف على المشتقة منها من الحث النوميدي بخشونتها الزائدة التي تميزها عن غيرها.

- قواعد صخرية أخرى تنتج الرمال بعد تطور تفسخي طويل، يستدعي على ما يبدو رطوبة عالية، منها ظلفاء الدولوميت بالأطلسين المتوسط والكبير، المنتمية للياس. يعطي تفسخ الدولوميت كرسنة غير مكتملة، تطمرها جزئياً رمال تفسخ سرعان ما تتخلص من شوائبها الطينية القليلة والحمراء، فتصير رمالا مفروزة مبيضة. رمال الدولوميت مغنيزية فقيرة.

- بائوليتان الكرانيت أو الصخور الانداسية المشابهة تنتج أصناف الرمال المتفاوتة الأحجام حسب بنية الصخر

الأصلي ومواصفات مراحل التاريخ البيومناخي الفاعل في تطورها السطحي. جل الانداسات هرسينية، نذكر منها بائوليت الزعير الأعلى بالهضبة الوسطى الغربية وكتلة تيشكا بالأطلس الكبير.

الشريط الساحلي يسهم بقوة في توفير الرمال إما مباشرة أو في أغلب الأحوال على حساب ظلفات أو دكات حثية متفاوتة الصلابة. تنتمي المستويات إلى مجموعة الأدوار المتواترة من "المغربي" (البليوسين الأوسط) إلى الرباعي الحديث والحالي. الرمال هنا مختلطة، بعضها سيليسي وجزءها كلسي عضوي. فتاتي.

رمال المد الصحراوي، تأتي على شكل كتبان رملية لسبين اثنين. أولاً، لأن جل الركائز الصخرية للمجال الصحراوي الأفريقي العريض مكونة من ركائز كرانيتية من فوقها تغليفات كوارتزيتية وحشية قابلة للتحويل إلى رمل، إضافة إلى ظهورات الشبست. هذه القواعد موعلة في القدم، توجد في قلب ما يعرف في الاصطلاح الجيولوجي القديم بقارة كوندوانا التي لم تتجدد طبقاتها بأي غمر بحري منذ أمد بعيد، في حين تعرضت للتعرية والتسطيح بصفة مستمرة.

ثانياً، تسبب هذا الوضع القاري الموعل في البعد عن كل السواحل في تعميق التجفيف وجعله يسود جل المناخات عبر الأحقاب. وقد نتج من جراء ذلك فرز معين للمواد السطحية بواسطة التذرية الريحية المنتقية للفتاتات الصخرية الرملية دون غيرها إلى خلق التراكمات الكثيبيية الهائلة التي كونت الأعراق في وسط الصحراء، معبئة المنخفضات العريضة والأودية الجافة وأقدام الجبال، كما هو الشأن بالنسبة للعرقين الغربي والشرقي والأعراق الطولية الأخرى المنتشرة في الصحراء.

تختلف رمال الأشرطة الساحلية عن رمال الكثبان الصحراوية في كونها محشوة بعدسات حصوية متفاوتة في سمكها وخشونة عناصرها مترتبة عن التعرية البحرية. لكنهما تجتمعان في خلوهما من الشوائب الدقيقة مما يجعلهما معا شديدي الحساسية إزاء عوامل التذرية والتحرك الريحي العنيف السائد في كلا الواسطين.

أما الأولى، شأنها في ذلك شأن كل المواد السطحية الرملية العارية من الصيانة النباتية، فهي محتاجة إلى عمليات التثبيت من أجل حمايتها والحفاظ على المنظومات الإنتاجية التي تعيش عليها ويجوارها من جملة النبات التي تقام في مثل هذه الأوضاع. مصدات الرياح، وحبك التسييح، والاستنبات المتكيف والالتزام بحماية النباتات، وطبيعي أن تتنوع المعالجات بحسب تنوع الأوضاع. لقد أقيمت أورش ناجحة من أجل تثبيت رمال ساحلية كانت تهدد الخلق والممتلكات في مدرج الصورة وخليج أكادير وشاطئ المهديية، وأحدث في تحريجها غابات العرعار المغاربي والأحمر وغيرها من النباتات المتحملة للقواعد الرملية وظروف الجفاف الترابي المحطي.

تتكون المرتفعات الرملية فوق قاع مفتت مهما كان قياس نسبة حبيباته (حبيبات صغيرة أو كبيرة) كلما بلغ التيار السرعة المتوسطة الكافية :

(1) الوسط القاري، حيث تتوزع المرتفعات الرملية إما داخل المجال الصحراوي ذي المناخ الحار نهائياً والبادر ليلاً، المتميز على العموم بأمطار سنوية تقل عن 10 mm، وينطبق هذا على جنوب المغرب وبالأخص، جنوب الأطلس. وإما تتوزع كذلك داخل المجال الرطب، المتميز بمعدل للأمطار السنوية ينحصر ما بين 700 mm و 1000 mm؛ ويتضمن القمم الجبلية والمناطق الشاطئية وكذا معظم سلسلة جبال الريف.

(2) الوسط البحري حيث تظهر المرتفعات الرملية إلى عمق يزيد على آلاف الامتار.

(3) الوسط المختلط، يمثل في مصب الأنهار، والشواطئ، حيث تتعرض مورفولوجيات المرتفعات الرملية إلى تغيرات ثابتة ناتجة عن كثرة تقلبات اتجاه التيارات.

يوجد الرمل بكثرة في الوسط القاري الصحراوي، وفي مجاري المياه (الأنهار)، والشواطئ الرملية. يعتبر الرمل أحد المصادر المهمة لمادة السيليس المستعملة في الكهرياء، والبصريات، وصناعة الزجاج، والحزف، والياف الزجاج والمقاومات، والمواد الساحجة، ويستعمل في صناعة المعادن كقوالب لذرغ الحديد والصلب، وكذلك في الصباغة والمطاط والجيس والصابون والزفت.

يعتبر الرمل في حد ذاته مادة مهمة للبناء. أما بالنسبة للمغرب، وإذا ما استثنينا بعض المناطق كالنجد الساحلي، والمغرب الشرقي، ومضيق طنجة، فنجد أن الرمل الصالح للاستعمال في البناء موجود بكثرة في جميع أنحاء المملكة المغربية.

أنتج المغرب سنة 1976 ما يزيد على 11 مليون طن من الرمل والحصياء للبناء، وكذا لإنشاء الطرق. استعمل المغرب أكثر من 285 مليون طن ما بين الرمل والحصياء في المدة ما بين 1973 و 2000. لقد بينت الدراسات الجيوتقنية أن مناطق النطاق الأطلسي ومضيق طنجة والمغرب الشرقي والتي تعتبر من أكثر الجهات استهلاكاً لمادة الرمل، فهي تفتقر لهذه المادة، ولا توجد إلا في الكتبان الرملية الساحلية والتي يجب المحافظة عليها وحمايتها للدور الذي تلعبه في المحافظة على التوازن البيئي. فماعداً هذه المنطقة فيتوفر المغرب على ما يكفيه من الرمل المستعمل في البناء.

A. Foucault, et J.F. Raoul, *Dictionnaire de géologie*. 3ème, Paris, 1988 ; E. Saaïdi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (français-arabe)*. Rabat, 1990 ; J. Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*, Paris, 1986 ; Rudolf Duda et Lubos Rejl, *La grande encyclopédie des minéraux*, Paris, 1989 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (substances métalliques et non métalliques)*, 2ème éd., t. 1, Rabat, 1980 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains*

أما رمال الصحراء فهي تعيث في وسطها الطبيعي دون ما قيد، منوعة أشكال الانكساب التي تتخلل أنماط التشكيل الصحراوي الصخري الغالب من حمادات ورقاق، وكلها شبه فراغات بشرية وأحيائية. لكن المنظور يختلف بمجرد وصول التراكمات الرملية إلى مشارف الواحات تتهددها بالإطمار، وإلى هوامش النطاق البيومناخي الموالي. عند هذه الحدود الأهلة، ذات البيئة الأحيائية الأوفر، يدعى كل تدخل من الصحراء المجاورة والمورث للاحتال وتنصيب المياه الجوفية أو السطحية وتخريب الغطاء النباتي "صحرا"، وكل غزو من طرف رمال التذرية يتلف المحاصيل ويعطل المنشآت "ترميلاً".

مبدئياً تعالج إذايات الترميل في الصحراء، حول الواحات والبنيات التحتية، وعلى هوامشها، بمنزل ما تعالج به في أورش تثبيت الرمال أياً كان موقعها فتكون إذن مسألة هندسية صرفة تعمل على معاكسة التذرية، إضافة إلى إيجاد النبتة المتكيفة والمياه اللازمة لسقيها. لكن يبقى هذا علاج المواجهة الأخير الذي لا مناص منه عندما تكون الأزمة قد بلغت مداها. في الواقع جذور التصحر عميقة ومعقدة يحتاج التعامل معها إلى تقصي الأسباب بمفهوم بيئي بنوي متكامل وبمختلف المقاييس حتى تكون المكافحة ناجعة على المدى الطويل وليس إجراءات اليأس الذي يتصدى للأسباب وحدها يناوشها دون أمل في التغلب عليها (التصحر، الجزء 7، ص. 2384).

إدريس الفاسي ومحمد البدرابي

\* \* أصل كلمة الرمل (Sable) لاتيني صابولوم (Sabulum) وتعني مجموعة من حبيبات المعادن، المغطية للأرض : أما معناها العلمي : صخر مفتت مكون من حبيبات المرو أساساً والكلست والبلق بنسبة أقل. ويدقه أكثر فالرمل عبارة عن رواسب حطامية متفتتة، ذات حبيبات يتراوح قطرها ما بين 1/16 mm و 2 mm. وتنتج حبيبات المرو والبلق عن قرص الصخور الانصهارية والرسوبية والتحولية : أما حبيبات الكلست فتنتج عن الطحن الميكانيكي للأصداق أو تفكك الأحجار الكلسية. ويصنف الرمل حسب نوعية العناصر المكونة له :

الرمال الكوارتزي (مكون من حبيبات المرو)

الرمال الكلسي (مكون من حبيبات الكلس)

الرمال الفلسباري، البلقي، التبري، الخ ...

يتنقل الرمل بواسطة مجاري (الأنهار والودان) والهواء بالاستدراج أو الإنتقال القفزي، مما ينتج عنه تكون كتبان رملية على شكل علامات النيم (Ripple- marks) ذات ارتفاع يصل إلى حوالي بعض السنتيمترات إلى عشرات الامتار، متساوية التباعد، ذات انحدارات متقايمة (العياب، الأمواج المنتظمة) أو غير متقايمة (مجري مدارج الأبحار، والهواء).





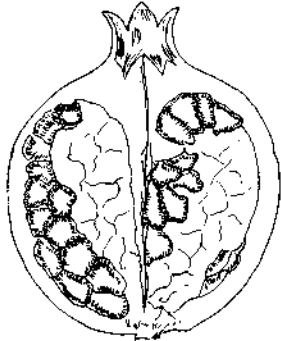
المتوسطة وشبه الجزيرة العربية وإيران. ولا يعتقد وجوده طبيعياً بالمغرب أو حتى بصفة عامة في الجهة الغربية من المنطقة المتوسطة. من المعتقد حسب بعض العلماء أن الرمان المغروس تأصل من الرمان البري الذي يصادف طبيعياً كنوع قبسي في جزيرة سوقطرة بجنوب اليمن.



زهرة الرمان

زرع الرمان منذ أقدم العصور. فازدهرت زراعته في كل أنحاء المنطقة الآسيوية الجنوبية والمنطقة المتوسطة. اشتهرت به حدائق بابل المعلقة المشهورة. وفي القرون الأخيرة أدخل الرمان إلى المناطق الحارة وشبه الحارة من أميركا وأستراليا.

يحوي الرمان عدة ضروب تختلف بأذواق ثمارها. ومنها السُفري والعظمي والسلطان والوجدني والفمحي والميمونة... وثمرة الضرب الأول أكثر لذة وذات بذور غليظة لحمية ونواة عظيمة دقيقة.



ثمرة الرمان

يغرس الرمان في كل المناطق المغربية الدافئة أي في الطابقيين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ، من الساحل المتوسطي إلى واحات درعة وتافالالت. وزراعته مسقية في كل هذه المناطق. ولهذا تصادف غراسة الرمان عادة بجوانب السواقي التي تمر محاذية للبيساتين. وفي هذه الحالات تعتبر سطور أشجار الرمان كسياج أخضر يحد من الدخول إلى البستان المحاط بهذه الأشجار المثمرة.

ثمار الرمان جد محببة عند الإنسان المغربي. يؤكل اللب أو يعصر ليعطي عصيراً أرجوانياً. تستعمل قشرة الجنود والجنح والثمار في التطبيب

فأخذ عن أبي بكر بن العربي المعافري وأبي الوليد ابن رشد الجد وأبي بحر الأسدي، وأجازه غيرهم مراسلة.

ذكر ابن عبد الملك المراكشي أنه كان حافظاً للفقه نظاراً فيه بارعاً في معرفة أصوله، ماهراً في استنباط معانيه، شافعي المذهب معولاً على بسيط الغزالي واقفاً على عيونته. مبرزاً في الكلام على نكته" (الذيل) وإلى جانب علمه كان من أهل الفضل والورع والزهد والتزاهة. ولاشتهار فضله بين أهل فاس قام أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين باستدعائه إلى مراكش فصار من أخص أعضاء مجلسه. ثم قدمه للقضاء بفاس سنة 533، فسار فيه بأعدل سيرة، واشتد في حماية الحقوق، لكنه لم يلبث أن استغفى سنة 535. وتفرغ بقية عمره لنشر العلم والاشتغال بالتدريس. وكان من المنقطعين إلى العلم، محبباً إلى طلابه، محسناً إليهم. وكان الطلبة يرحلون إليه من مناطق متعددة للأخذ عنه بفاس، لذلك فإن لائحة الأخذين عنه من الأندلسيين والمغاربة طويلة.

انكب على التأليف، فألف في الفقه كتاب تسهيل المطلب في تحصيل المذهب، وكتاب التبيين في شرح التلقين، للقاضي عبد الوهاب في الفقه المالكي، والتفصي في فوائد التفصي لابن عبد البر، ووضع مختصراً نبيلاً في أصول الفقه، وفي التصوف اختصر كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي.

ولد سنة 449 / 1057، وتوفي سنة 567 / 1172.

ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تح. ع. السلام الهراس، الدار البيضاء، ج. 2، ص. 158؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، تح. م. بنشريف، الرباط، 1984، ج. 8، ص. 325؛ أ. ابن الزبير، صلة الصلة، تح. ع. السلام الهراس وسعيد أعراب، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، القسم الثالث، 1993، ص. 21، 22.

محمدالمغراوي

**الرُّمَانُ**، شجر مشمر معروف من فصيلة الرمانيات

Punicaceae. واسمه العلمي هو يونيكا غرانانثوم Punica granatum لا يتعدى ارتفاع شجرة أو جنبية الرمان 10 م، وهي ذات أغصان شبه مشوكة. أوراقها نفضية تتساقط في فصل الشتاء، مرتبة في أزواج أو مجموعات متقابلة، بيضوية الشكل، ملساء لامعة. أزهارها تنمو في أطراف الأغصان، ذات لون أحمر قان، كبيرة الحجم، مشكلة من كأس أنبوبي أحمر اللون ولحمي، ومن 5 إلى 7 بتلات، ومن عدد كبير من الأسدية. ثمارها لحمية، صفراء محمرة. مستديرة، ذات قطر يتراوح ما بين 5 و12 سم، مقسمة من الداخل إلى عدة حجرات تحوي عدداً كبيراً من البذور المكسوة بلب طري.

الموطن الأصلي للرمان هو الجهة الشرقية من المنطقة

الهرسينية. أما من الشمال فتحد الحوض، هضاب مرشوش وأحد لبراشوة النيوجينية.

كما يشكل الحوض من الناحية البشرية، منطقة اتصال بين مجال انتشار قبائل زموور في الشمال الشرقي ومجال قبائل زعير في الجنوب الغربي.

مجال حوض الرمانني ضيق. إذ لا يزيد عرضه عن 5 كلم. تتميز سفوحه باللاتماثل. لأن السفوح الشمالية بعكس الجنوبية، طويلة ومقعرة. تشكلت عند قدمها حادورات في الطين والبازلت الترياسيين، اللذين تعلوهما بتنافر إفريزات، توافق دكة كلسية ميو - بليوسينية. يصعب انحدار هذه السفوح مركبا، جهة الغرب والجنوب الغربي، لكونها تشكلت في صخور الزمن الأول الحثية والشيسية، وبالقرب من الحوادث البنائية على طول مجرى وادي خنوسة.

يبلغ مدى انخفاض سطح قعره، مقارنة بسطح الهضاب المشرفة عليه حوالي 170م. مع انحنائه الخفيف، من الجنوب حيث لا يفوق ارتفاعه 480م نحو الشمال بارتفاع 390م. تتخلله تلال ومتون وأكمام شاهدة. يسلح قسمها الكلس الميوسيني الصلب (مثال: المعدن، الكارة 490م، الكعدة 450م) (الشكل، 2).

مناخيا، يوجد حوض الرمانني حسب تصنيف أمبرجي (الشكل، 3)، ضمن النطاق شبه القاحل. فصل شتائه معتدل، بتساقطات مطرية لا يزيد معدلها السنوي عن 420 مم. مقابل حرارة تتراوح معدلاتها، ما بين 10° كحرارة دنيا و26° كحرارة عليا. وهو بهذا يطابق حسب البيان المناخي النباتي (الشكل، 3) ل Beaudet (1969) ميدان الماطورال (الناصرى، 1987).

إلا أن واقعه النباتي الحالي، يوجد في وضعية جد متدهورة، نتيجة تعرضه لاجتثاث شامل ومنهجي. استفحل مع احتلال الاستعمار الفلاحي الفرنسي للحوض. في الوقت الذي تتحدث فيه الدلائل التاريخية عن توفره على غطاء غابوي كثيف، قبل 1400 سنة (C. Rougier، 1985).

يكون الحوض من الناحية الهيدرولوجية، منطقة اقتران شبكة مائية ضعيفة. تصرف جزءاً من مياه الدرج الانتقال

التقليدي نظراً لكونها تحتوي على نسبة كبيرة من مادة الدباغ المستخدمة أيضاً في صباغة الصوف لصنع الزرابي، ودباغة الجلود وغير ذلك.

أبحاث شخصية: ألبرت هيل، 1962، تر. عبد المجيد زاهر وآخرون، النبات الاقتصادي، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة - نيويورك.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle*, Paris, 1997 ; L. Embarger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبد المالك بنعيبد

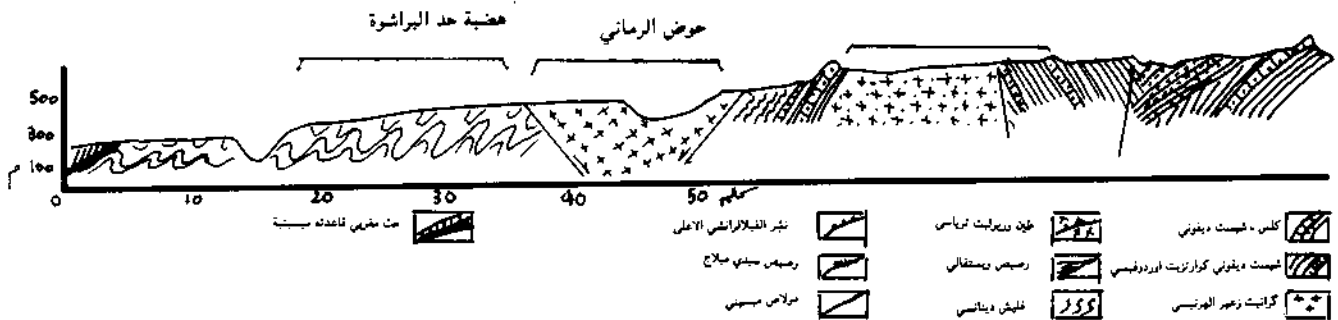
**الرمان**، أسرة تطوانية ويكتب أيضا رومان، أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Roman ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1141 / 1729.

محمد ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون : المراجع العربية الأجنبية في الرقم 723.

محمد ابن عزوز حكيم

**الرمانني** (حوض -) يمثل حوض الرمانني من الناحية المرفونية، منطقة اتصال، بين الدرج الانتقالي للهضبة الوسطى المشرف بينته الكرانيتية الهرسينية، على الدرج الأسفل، ذي الغطاء الرسوبي الترياسي والتيجيني شماله. (الشكل : 1). كما يحتل بنويا، منطقة اتصال بين المركب المقعري الغربي، الفيزي لسيدى بطاش، المتد عند الهوامش الشمالية الغربية للهضبة الوسطى والمركب المحديبي الديفوني بالأساس لخربيكة - ولماش المتد شرقا، جنوب الحوض (Michard, 1976).

ما يميز حوض الرمانني في الدرج الأسفل، كونه يشكل امتدادا هامشيا، جنوبيا غربيا لحوض بوفكران - الخميسات - المعازيز الترياسي. باتجاه ج غ / ش ش. يحده من الغرب وادي كريفلة، من الجنوب الأعراف الكوارتزيتية الأوردوفيسية، التي تحد جنوبها هضبة الغوالم الكرانيتية



موقع منخفض الرمانني الترياسي لمجال هضاب زعير العليا والسفلى

عام دام حتى الكريتاسي الأعلى، جعلها أراضي مشرفة فاصلة بين الأخدود - جنوب - الريف في الشمال والخليج الكريتاسي لإقليم الشاوية في الجنوب. تعرض مجال حوض الرمانني من جديد، خلال الإيوسين والأوليوكوسين لحركات رفع. جعلته يعرف تطوراً قارياً تعروباً دام حتى الميوسين الأعلى. نجم عنه تشكيل سطح تحاتي عام، قبل أن يتعرض للتهدل، ضمن الهوامش الشمالية الغربية للدرج الأسفل، ليسمح بتقدم الغمر البحري من الشمال خلال الميوسين النهائي (Vidal, 1986).

لكن دور الحركات البنائية البليوسينية كان حاسماً، لكونها أدت إلى حدوث تفاوت مرفونيوي. سمح بإشراف الدرج الانتقالي للهضبة الوسطى على درجها الأسفل. رغم ضعف سمك الرواسب الميسينية الكلسية، فإنها مازالت تلعب دوراً مرفولوجياً فاعلاً. إذ تعمل على انسجام وتسليح سطوح الهضاب، الموافقة لامتداد ظهوراتها أكسبها نوعاً من المناعة تجاه الأساليب المورفوتشكالية. كما سمح بتطور أترية طينية غنية بالقواعد، عملت على جلب السكان واستقرارهم بالمنطقة منذ زمن طويل.

خلال البليوسين الأعلى، تعرضت المنطقة لرفع بنائي، بعبادة نشاط الحوادث الهيرسينية والترياسية داخل حوض الرمانني على الخصوص. وافقه حدوث تحول بيومناخي، أخذ ينزع نحو الجفاف. أدى إلى إزالة الفسحات والأترية التي تطورت سابقاً، وتحريكها على نشر، نسيجه غير منسجم تغلب عليه الخشونة، يعرف بالنشر الفيلافرانشي (Beaudet, 1969). مشيراً إلى بداية تعمق الشبكة المائية في سطوح الهضاب النيوجينية، وانطلاق تشكيل وديانها ومنخفض الرمانني، وبالتالي خلق تفاوت مرفوتشكالي بين سطوح تلك الهضاب وقعر الوديان ومعها منخفض الرمانني. تراوح بين 150م و200 م. ومن ثم بداية التطور المرفولوجي للأحجام التضاريسية الحالية للمنطقة، ضمن مجال هضاب زعير السفلى.

من أهم نتائج التطورات السابقة، نشأة مشهد مرفوترايبي متنوع (الشكل : 4). ارتباط تطوره بتنوع الركائز الصخرية، والأوساط المرفولوجية الموافقة لها.

فالبروزات الأولية، سمحت بتطور نوعين رئيسيين من الأترية :

- أترية ضعيفة التطور ومبتورة. مهدرته قاعدتها متحددة. متعددة الأصول والمراحل. يحتوي قطاعها المرفوترايبي الكامل على المسكات التالية : (A) الرملية السطحية، مروراً بدرع حديد - منغيزي (Fem) ومسكة متطينة مهدرته (BTg) ثم (C) قبل الوصول إلى القاعدة الشيسيتية.

ينتشر هذا النوع من الأترية، بصفة مفضلة فوق السطوح المشكولة في الظهورات الشيسيتية الكتومة، وحيث ظروف التصريف عسيرة :

لهضاب زعير العليا في الجنوب، بحيث تتجه تبعاً لامتداد الحوادث البنائية وأهمية سمك الرواسب الترياسية. تتمثل هذه الشبكة بداخل الحوض، في أودية صغيرة ؛ أهمها مجرى وادي مشرع، الذي تكون نتيجة اقتران مجاري خنوسة، سبيضة وهناتة ثم العريض، قبل أن يصب جهة الشمال الغربي في وادي كريفلة. هذا بالإضافة إلى مجرى وادي مويلحة الموسمي، الذي يصب في واد كرو في ش.ش. إنها أودية تمكنت من إفراغ وتشكيل الحوض بشكله الدائري، خلال الزمن الرابع (1969, Beaudet, الناصري, 1987).

عرف حوض الرمانني تطوراً مورفونيويًا. استمر طويلاً، منذ الزمن الأول حتى نهاية الزمن الثالث. مع استمرار تحكم القاعدة الهيرسينية في تشكيل مرفولوجيته. فنهاية حقبة الديفوني، تعتبر مرحلة حاسمة في انطلاق التطور الباليوجغرافي الطويل للمنطقة، حيث تعرض مجال الدرج الانتقالي من الهضبة الوسطى لرفع بنائي، أصبحت على إثره وبشكل نهائي منطقة قارية، في الوقت الذي ظل فيه حوض الرمانني ضمن خليج الرباط (Choubert, 1951) والهوامش الشمالية الغربية للمنطقة، تحت مياه بحار العصر الفيزي الأسفل والأوسط. لكن عند نهاية الفيزي الأعلى، تراجع البحر بصفة نهائية عن المنطقة، تحت تأثير الحركات الهيرسينية. ليدخل مجال حوض الرمانني بدوره، تحت تأثير تطور قاري. تميز بتطور مرفوتشكالي، وتسطيح عام، استمر حتى حقبة الترياس الأعلى، الذي زامن بداية انفتاح المحيط الأطلسي (A. Michard, 1976). وذلك بفضل الحركات الهيرسينية الانكسارية، التي جعلت من مجال الرمانني، منطقة ضعف بنائي، تحكمت في نشأة الحوض الترياسي به لاحقاً.

تزامنت الرواسب الترياسية البحرية الضحلة (Lucas, 1962)، التي ترجع إلى فترة (Termier et al., Keuper) (1949)، مع ظروف مناخية حارة ورطبة. يشهد عليها انسجام سمكها في الحوض، وتميزها بتداخل الرواسب الطينية - الطينية (الناصر، 1987) مع البازلتيّة من نوع الدوليريت والبيلولافا، والذي يعني تنافس الحركات التهدلية وعمليات الترسب داخل الحوض. لكنها رواسب قارية في الأصل. مورثة عن فسحات تطورت تحت ظروف مناخية عدوانيتها متوسطة. سمحت بأكسدة الحديد الموجود بنسبة مهمة في صخور القارة الهيرسينية. كما أن ضعف نسبة الطين بهذه الرواسب وضعف نسبة طين الكلوريت، بالإضافة إلى ندرة الأملاح وغياب الأطيان الليفية، مؤشرات على ضحالة مياه الحوض الترياسي، واعتدال الظروف المناخية فوق الأوساط القارية المحيطة به (الناصر، 1987).

غياب الرواسب الجوراسية ولا سيما الكريتاسية، يشير إلى أن المنطقة كانت بارزة ومشرفة. لكونها تعرضت لرفع

**الروماني**، مدينة صغيرة تقع جنوب الرباط بحوالي 80 كلم على الطريق الرئيسية رقم 22 الرابطة بين الرباط ووادي زم كانت شمس خلال فترة الحماية Camp Marchand نسبة للعقيد Marchand الذي قتل بالمنطقة على يد المقاومين الزعريرين إبان التدخل العسكري الفرنسي يوم 14 يناير 1911 على بعد حوالي كيلومترين من قصبه مرشوش. وأسس الفرنسيون مركزاً عسكرياً بالمنطقة اختاروا له موقعا استراتيجيا في وادي زيدة العميق حتى يكون محميا بالتلال المحيطة به، ومنه تنطلق العمليات العسكرية لاحتلال ما تبقى من أراضي زعير وللتوغل في تراب زمور وزيان وبني خيران.



أصبح مركز Marchand دائرة تراقب كل بلاد زعير منذ 24 غشت 1916 وباستقرار الإدارة الفرنسية والمعمرين أصبح عدد سكان هذا المركز سنة 1936 : 1150 نسمة موزعين على الشكل التالي :

1.031	المغاربة
109	الفرنسيون
10	الأجانب

ارتفع عدد السكان سنة 1952 إلى 1556 نسمة منهم 248 أجنبياً.

أما من حيث التنظيم الإداري فقد كان المركز سنة 1921 مقرا للمراقبة المدنية التابعة لجهة الرباط يراقب جميع قبائل زعير وعددها 19 قبيلة موزعة على 14 قيادة. وفي سنة 1937 أصبح المركز تابعا لدائرة الرباط يراقب 17 قبيلة موزعة على 4 قيادات. أما باقي القبائل فأصبحت تابعة لمركز مولاي بوعدة.

- أتربة مسمرة متطورة. يضم قطاعها مسكة رملية (A) ومسكة سمراء فاتحة رمل - طينية، بنيتها جلطية ومبقعة (BT) ثم مسكة (C) كفسخة للكرانيت مبقعة بالأحمر والأصفر تحت ظروف الهدرتة. تطورت هذه التربة فوق الفسحات الرملية الكرانيتية، لهضبة الغوالم المشرفة جنوبا :

أما فوق سطوح الهضاب الكلسية، فقد لعبت الكاتيونات الكلسية والأطيان النفوخة، دوراً حاسماً في تطور أتربة غنية، تبعا لظروف التصريف، التي يمكن أن نميز بفضلها ثلاثة أنواع من الأتربة وهي :

- أتربة قلوية من نوع التيرس المسودة يحتوي قطاعها على مسكات (C, B, A). تنتشر في مواضع منخفضة ومنبسطة، تصريفها ضعيف، حيث توافق مجالات امتداد بروزات الكلس الميسينية وفسحات البازلت الترياسي، الغنيين معا بطين السمكيت :

- أتربة محمرة متحذسلة، تطورت في هوامش الهضاب الكلسية، وفي مواضع بارزة، حيث التصريف جيد، وفوق الصخور الكلسية ذات النفاذية العالية. أتربة متطورة، كما يشير إلى ذلك تمايز مسكاتها : (A1, A2, BT1, BT2)، قبل الوصول إلى القاعدة المثلثة في الحث - الكلسي الميسيني.

- أتربة سمراء كلسية من نوع الشرساء، ارتبط تطورها بهوامش الهضاب والانحدارات المهمة، فوق البروزات الكلسية الميسينية والبازلت الترياسي. وهي أتربة ضعيفة التطور. قطاعها بسيط لا يتعدى سمكه 60 سم. غالبا ما تتميز بتطور قشرة وشاحية، بل أحيانا ظلفاء كلسية عند قاعدتها.

الملاحظ، أن تطور التريات السمراء ينحصر في المواضع الأكثر انبساطا. في حين تنتشر تربة الشرساء، التي تحتوي على كسارات القشرة الكلسية، في المواقع المنحدرة.

G. Beaudet, *Le plateau central marocain et ses bordures, étude géomorphologique*. Thèse de doctorat es-lettres, 478 p, 125 pl, 28 fig. 4 carte, 1969 ; G. Choubert, *Essai de chronologie hercynienne*. N.S.G.M., t. 4, 1951 ; H. Ghanem, *Contribution à la connaissance des sols du Maroc. Genèse, classification et répartition des sols des régions des zones de la basse-Chaouïa et des Shoule*. Thèse. Cah. Rech. Agro. 2 t. 481 p. 1981 ; J. Lucas, *La transformation des minéraux argileux dans la sédimentation, étude sur les argiles du Trias*. Mém. Serv. de la carte géol. Als. et Lorr. n° 23, Univ. Strasbourg, 202 p. 49 fig. 7pl. 1962 ; A. Michard, *Éléments de géologie marocaine*, N.M.S.G., 1976 ; G. Naciri, *Étude géomorphologique de la cuvette Romani et ses bordures nord et sud*. Thèse de 3ème cycle. Univ. Med. V. Rabat (en arabe), 1987 ; C. Rougier, *Altération, pédogenèse et paléopédogenèse sur massif granitique des Zaer (Maroc central)*, Thèse 3ème cycle, Univ. Bordeaux I, 208 p. 1985 ; H. Termier, G. Termier, *Mode de gisement des basaltes "Permo-triasique" au Maroc*. B.S.S.G., t. XIX,

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 727.

**رَمِيرُو** ويكتب أيضاً الرُميرُ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Romero - Remiro ؛ وأما أفراد هذه الأسرة الذين مكثوا بالأندلس بعد سقوط غرناطة فقد أُرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Arumiru - Rumiru ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 . 1677.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 728.

**الرَمِيرُو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ramis ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1177 / 1764 .

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 729.

محمد ابن عزوز حكيم

**الرمييزة، المحجوب بن الحسين** مقاوم ولد سنة 1936 بمراكش وانخرط في صفوف جيش التحرير المغربي منذ سنة 1954 وعمل تحت قيادة السيد العمراني، وذلك ضمن فرقة الأطللس الكبير بعدما كافع بغفساي ومكتب ثلاثاء يعقوب ثم بناحية مراكش. وقد ناضل بكل نزاهة وإخلاص في سبيل الوطن إلى أن استشهد بطريق الدار البيضاء، حيث كان يقوم بمهمة فدائية وذلك في أوائل سنة 1956/1376.

الندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال.

**الرميقي** أو الرميقيون، أسرة قصرية أصلها من دوار العناسة بالغرب. كانوا يشتغلون بالفلاحة، وبعضهم كان مخالطاً للتجار الايطاليين، ويقال إن بوسلهام الرميقي كان قائداً في منطقة الغرب قبل انتقاله للقصر. واعتماداً على الظهائر والرسائل التي تملك بعض أصولها، والنسخ التي حصلنا عليها من عدة أسر، وبعضها زودنا بها سالم الرميقي من الأسرة نفسها توضح أن القائد بوسلهام الرميقي استقر في البداية في "عدوة" أو حي باب الواد بالقصبة قرب الجامع الأعظم بمدينة القصر الكبير، ثم انتقل إلى زنقة القطنين قرب سبعة رجال، حيث بنى مقراً حكيمته عبارة عن دار ورياض وبنيقة.

أصبح هذا المركز بعد الاستقلال يحمل اسم "مدينة الرماني" نسبة لبسانين الرمان المنتشرة بوادي زبيدة. بلغ عدد سكان المدينة حسب إحصاء شتنبر 1994 : 11.433 نسمة وبلغ معدل الولادة بها 3.94 ٪ بينما وصل عدد الوفيات 28٪ ينقسم السكان حسب فئة الأعمار على الشكل التالي :

من 1 إلى 15 سنة	50٪
من 16 إلى 50 سنة	40٪
أكثر من 50 سنة	10٪

تتوزع أنشطة السكان على ثلاثة قطاعات : التجارة والصناعة ويشغلان حوالي 40٪، والفلاحة 35٪ بينما 25٪ المتبقية تشتغل في البناء وأنشطة متفرقة.

تشكل مدينة الرماني اليوم دائرة ترأب سبع قبادات أهمها عين السبت والبراشوة ومرشوش، تبلغ مساحتها 3516 كلم<sup>2</sup> يسكنها حوالي 81.729 نسمة وهي تابعة لإقليم الخميسات جهة الرباط، سلا، زعير، زمور.

م. ابن سودة، قبيلة زعير قديماً وحديثاً، الدار البيضاء، 1977.

Guide des Communes, Rabat, 1991 ; Le Maroc catholique, n° 3, mars 1942 ; Organisation territoriale du Maroc et commandement indigène au 1er nov. 1921 et 1er janvier 1937 : Robet (J.T.), Dictionnaire des villes et localités du Maroc, Rabat, 1936 ; Villes et tribus du Maroc.

صالح شكاك

**الرموز،** ويكتب أيضاً الراموش أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ramos ؛ وإلى هذه الأسرة التي انقرضت بتطوان تنسب إحدى أبواب المدينة وهي باب الرموز. وقد انحبت هذه الأسرة عدة فقهاء لم نعرف منهم أحداً باستثناء :

**الرموز، علي بن محمد** الذي كان يزاول خطة العدالة من سنة 1086 إلى 1090 (1677 . 1679).

**الرموز، عليوة بنت العدل** المذكور التي كانت أول امرأة أسست حبسا لمعالجة اللقالق سنة 1091 (1680).

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 726.

**الرُمُون،** أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Remon ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1183 / 1770.

**الرميقي، بوسلهام** (الحاج -) الخلطي القصري، قائد الغرب والقصر الكبير، لم نحصل على تاريخ التعيين الأول ولكن لدينا ما يثبت تقلده لمنصب القيادة وهو على الشكل التالي :

أحمد بن محمد

حكاه بنو انكاداء من ايد النضا سلا علىك ورحمة الله  
 بوجوه نيلك زعمك الله وبعثه وان الفقيه فيصبح اجمر  
 اصلا مفرق على كاتبة اولاد ابطل حسبها بنو وفد  
 انلنا بكتاب بنم بيه بنم بيه بنم بيه بنم بيه بنم بيه  
 عمه وعلي بنم بيه بنم بيه بنم بيه بنم بيه بنم بيه  
 احد من بنم بيه بنم بيه بنم بيه بنم بيه بنم بيه  
 كلك نيلك زعمك الله وردوا له هذا المصفي بنم بيه بنم بيه  
 محمد بن سوار بنم بيه بنم بيه بنم بيه بنم بيه بنم بيه



رسالة منه كقائد إلى حاكم سوق الثلاثاء بالغرب مؤرخة بـ 5 شوال 1323 الموافق 1 / 12 / 1905 : ظهر مولاي عبد العزيز لقائده الرميقي بأمره باحترام زاوية الشريف البركة السيد أحمد بن محمد الشريف البقالي، مؤرخ في 18 ذي القعدة عام 1323 الموافق 13 / 1 / 1906 : ظهر مولاي عبد الحفيظ لقائده الرميقي بأمره باحترام زاوية الشريف البركة السيد أحمد بن محمد الشريف البقالي مؤرخ في 14 رجب الفرد عام 1326 الموافق 11 / 8 / 1908 : ظهر مولاي عبد الحفيظ بمثابة تعيين للقائد بوسلهام بن علي الرميقي على مدينة القصر الكبير. مؤرخ في 13 رمضان عام 1327 الموافق 27 / 9 / 1909 : ظهر خليفي لتعيين القائد الحاج بوسلهام الخلطي الرميقي على قبيلتي الخلط والطلق مؤرخ في 3 رجب عام 1331 الموافق 7 / 6 / 1913.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ  
 بوسلهام بن علي الرميقي

توقيع القائد الحاج بوسلهام الرميقي  
 قائد الغرب وباشا القصر الكبير

لقد رأينا أن الحاج بوسلهام الرميقي هو الذي كان قائداً وباشا القصر الكبير وقبائل الخلط والطلق. غير أن فترة 1909 / 1910 ( شاهدت صراعاً بين الرميقي والريسوني، وذلك بعد تعيين مولاي أحمد الريسوني على المناطق الجبلية بتاريخ 22 / 2 / 1909. وعلى القصر الكبير بتاريخ 14 جمادى الأولى 1328 الموافق 3 / 6 / 1910. ( الشريف الريسوني والمقاومة، ص. 21). وقد تم تنصيبه عملياً بالقصر الكبير في 20 / 7 / 1910 عن طريق الوزير أحمد الجاي. واستقر الريسوني بالقصر مدة قصيرة انتقل بعدها إلى أصيلا.

في هذه الفترة وقع صراع مسلح بين الطرفين، وانحازت قبائل الخلط والطلق لصالح الرميقي رافضة الريسوني. والصراع كان ترجمة للصراع على العرش بين مولاي عبد العزيز الذي كان له نفوذ في الصورة والجديدة والمنطقة من طنجة إلى ما وراء الرباط، حيث بقي الرميقي وفيما لمولاي عبد العزيز، بينما انحاز الريسوني إلى مولاي عبد الحفيظ. في هذه الظروف كان الصراع على أشده بين إسبانيا وفرنسا على احتلال العرائش والقصر، وهو ما حدث دون مقاومة في العرائش 8 يونيو والقصر 10 يونيو.

**الرميقي، عبد السلام** باشا أصيلا كان عبد السلام ابن القائد بوسلهام الرميقي باشا على مدينة أصيلا، وذلك حسب الظهير الخليفي لمولاي المهدي بن إسماعيل المؤرخ في 25 جمادى الثانية عام 1650 الموافق 7 / 11 / 1931.

**الرميقي، محمد الملالي** قائد الحركة وباشا القصر الكبير. ولد في قرية عين سخون (للأميمونة) حوالي سنة 1304 / 1886 اشتغل مع عمه القائد الحاج بوسلهام سابق الترجمة في الحركة للسيطرة على القبائل الجبلية، ثم أصبح قائداً لها وخليفة لعمه في القبائل التابعة له. ويوجد ظهير خليفي لمولاي المهدي بن إسماعيل، يعين بمقتضاه محمد الملالي الرميقي على القبائل الجبلية وهي : قبيلة آل سريف، وبني غرفط، وبني يسف، وبني زكار، وصانة بتاريخ 19 شوال 1337 الموافق 18 / 7 / 1926 : ظهر خليفي آخر لمولاي المهدي بن إسماعيل، يعين بمقتضاه محمد الملالي الرميقي باشا على القصر الكبير بتاريخ 20 رمضان 1344 الموافق 5 / 4 / 1926. بعد وفاة عمه الحاج بوسلهام الرميقي.

الظواهر والرسائل المشار إليها في النصوص السابقة : روايات شفوية.

محمد أخريف

**الرؤيلة** (زاوية -) من زوايا درقاوة بمراكش تقع في حومة باب دكالة أسسها طائفة من مردي شيخ الطريقة الدرقاوية بسوس الحاج علي الدرقاوي الإلغي بأمر منه

وهم : إبراهيم بن برك الركابي والحاج إدريس الورزازي والحاج العربي برادة والحاج حماد برادة ... وغيرهم ( المعسول، 15 : 38 ) اشترى هؤلاء المريدون أرضا بحي الرميلة سنة 1327 ( المعسول، 12 : 134 ) وبنوها في السنة الموالية ونزل بها الشيخ علي الدرقاوي أثناء سياحته الكبرى في سوس والحوز ومكث بها ثمانية عشر يوماً. وبقيت الزاوية قائمة بدورها في استقبال المريدين وإن بدا أنها فقدت مكانتها بعد رسوخ الحماية، حتى حلها محمد المختار السوسي ابن الشيخ علي الدرقاوي مرجعه من رحلته الدراسية التي قادته إلى فاس والرباط، فاستقر بها في محرم 1348 / يونيو 1929 وحول جزءاً منها إلى مدرسة مواصلاً نهج والده في التوعية، مستعيناً بلبلوغ أهدافه بنشر المعرفة والعلوم والاعتزاز باللغة العربية وبالعقيدة الإسلامية السنية كما عرفها السلف.

لقد جاء افتتاح مدرسة زاوية الرميلة في سياق عمل الحركة الوطنية على تأسيس تعليم وطني حر مخالف للتعليم الرسمي الذي وضعته إدارة الحماية وهَمَّشت فيه كل ما يمت إلى الهوية الوطنية من مقومات إسلامية ولغوية واعتنت بتربيتهم أفكارها وتصوراتها، فكان التعليم الحر وسيلة لمجابهة هذا المخطط. وهكذا أسست بمراكش تسع مدارس حرة تشرف عليها نخبة من الوطنيين المراكشيين (راجع أسماهم في الإلغيات، 1 : 9) ويمكن التمييز في التاريخ التعليمي لزاوية الرميلة بين ثلاثة أدوار :

أ - الدور الأول : دور التأسيس والازدهار، وقد استغرق سبع سنوات من سنة 1348 / 1929 زمن حلول العلامة السوسي بمراكش وانطلاق عمله بالرميلة وينتهي بنفيه سنة 1355 وفي هذا الدور بدأ المختار السوسي عمله بالزاوية على غير قصد منه وإنما كان اهتمامه بالدروس في المساجد، غير أن تخلق التلاميذ الصغار من أبناء أسرته وأقاربه ثم أبناء جيران الحي حوله في الزاوية جعله يفكر في تنظيمها لتصبح مدرسة نموذجية، وقد تولى إدارتها ابن عمه إبراهيم بن أحمد الإلغي ( الإلغيات، 1 : 8 )، واتسعت الدائرة لتتجاوز مدينة مراكش وجاءت وفود التلاميذ والطلبة من القبائل المجاورة كالشياظمة والرحامنة وعبد بل من سوس والصحراء وهكذا تجاوز العدد الثلاثمائة.

ب - الدور الثاني : استغرق هذا الدور سنتين من 1355 حتى 1357 / 1936. ويبدأ بنفي المختار السوسي عن مراكش إلى الغ، وقد حاول طائفة من الطلبة الكبار الحفاظ على مكانها حتى عودة أستاذهم من منفاه، فقسّموا بينهم المهام الإدارية والتعليمية، ودام عمل هؤلاء الطلبة نحو سنتين بالزاوية حتى أغلقتها إدارة الحماية في صيف 1357 / 1938 فتوقفت الدراسة بها (المعهد الإسلامي، 2 : 435).

ج - الدور الثالث : ويبدأ من آخر سنة 1364 / 1944 زمن رجوع المختار السوسي من منفاه إلى مراكش، وعودته إلى زاوية الرميلة للتدريس بها وبمسجد باب دكالة حيث

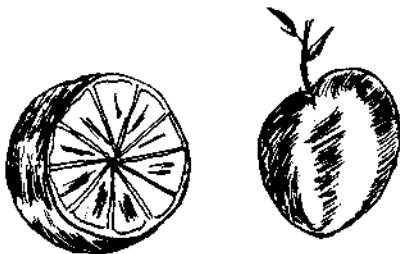
الدروس العامة، وقد عمل السوسي على إعادة المدرسة إلى سابق عهدها محافظاً على المواد المدروسة وعلى مناهج التدريس وطرقه، فالتحق به طلبة جدد بلغوا أزيد من 100 (راجع لائحتهم في المعهد الإسلامي، 2 : 441) ولما نظمت الدراسة بجامعة ابن يوسف كان السوسي يعد طلبته للالتحاق بها قصد نيل شهادتها الرسمية الثانوية ثم "العالية".

وقد انتهى هذا الدور بتوقف زاوية الرميلة نهائياً عن عملها التربوي والعلمي الذي استمر خمسة عشر عاماً بانتقال المختار السوسي إلى الدار البيضاء عام 1370 / 1950 بعد توتر الوضع وعزم إدارة الحماية بمراكش على إلقاء القبض عليه بسبب تزعمه حملة جمع توقيعات للاحتجاج والمطالبة بالحرية. (محمد المختار السوسي حياته وشعره، ص. 100-101).

م. المختار السوسي. المعسول، ج. 2. 12. 15. 16 : الإلغيات، 3 أجزاء : الرسائلان البونعمانية والشرقية، تطوان : ذكريات، الرباط، 1405 1984 : إلبليغ قديما وحديثا، تج. م. الورداني، الرباط، 1386 1966 : م. خليل، محمد المختار السوسي حياته وشعره، الدار البيضاء، 1406. 1985 : مصطفى الشليح وآخرون، محمد المختار السوسي، سلسلة أعلام المغرب، 1996 : ع. المتوكل الساحلي، المعهد الإسلامي والمدارس العلمية العتيقة بسوس، ج. 1. 2. الدار البيضاء، 1986 : المختار السوسي، الذاكرة المستعادة، ندوة علمية، 1984 : وثائق دار إلبليغ في حوزة الأستاذ بودميعة البخاري : ع. الرحمان، رواية شفوية، تلميذ محمد المختار السوسي : ح. جلاب، عراصي مراكش ودورها في تكوين الشباب، مجلة دعوة الحق، عدد، 352.

المهدي السعيد

الرتنج أو التارنج هو ما يعرف بالبرتقال المر أو بالبرتقال النارجي أو بشجرة الزهر. اسمه العلمي هو سِيتْرُوسُ أَوْرَانْتِيَوْمُ Citrus aurantium. شجرة صغيرة لا يتعدى ارتفاعها 8 م، قليلة الأشواك، وتتميز بأوراق ذات عتق مجنح وأزهار بيضاء ذات عطر





- الغار العادي وهو لوروس نوبيليس *Laurus nobilis*  
 - الغار الآسوري وهو لوروس آسوريكا *Laurus azorica*  
 للتوعين صفات نباتية مشتركة تتمثل في كونها شجرة  
 أو شجيرة لا يتعدى ارتفاعها 10 م. أوراقها رمحية  
 الشكل. أزهارها صغيرة الحجم، ذات لون أبيض يميل إلى  
 الاخضرار، ومجمعة في ازهار خمي الشكل. ثمارها  
 عنبية، بيضوية الشكل وسوداء اللون.

يتميز النوع الثاني عن الأول بوجود زغب على  
 الأغصان الفتية، وأوراق مستديرة القمة، غير لامعة  
 ومنتجة الحواف، وذات عروق متفرعة ومزغبة. كلا  
 النوعين طبيعي بالمغرب لكن بصفة نادرة. ويصادفان ممثلين  
 بأفراد منعزلة أو بياقات في الغابات الطبيعية.

يستوطن الغار العادي المنطقة المتوسطية حيث يصادف  
 من آسيا الصغرى إلى المحيط الأطلسي باستثناء ليبيا  
 ومصر. لكنه نظراً لاستخدامه لعدة أغراض وبصفة مفرطة  
 من طرف الإنسان، لا يصادف طبيعياً إلا في بعض الأماكن  
 المنعزلة أو المحمية. من جهة أخرى لا بد من الإشارة إلى  
 كون هذا النوع قد استفاد بغرسه من طرف الإنسان في  
 مناطق عديدة من العالم داخل وخارج موطنه الأصلي.

أما في المغرب فإن التوزيع الجغرافي للرند العادي  
 يقتصر على الهضاب والجبال غير العالية في المناطق الرطبة  
 من سلسلة الريف ذات البيومناخات شبه الرطبة والرطبة  
 والرطبة جداً ذات شتاء دافئ أو معتدل. وفي كل هذه  
 الحالات يقطن هذا النوع أترية سميكة وخصبة توجد في  
 الطابق المتوسطي الدافئ.

للغار الآسوري توزيع بيوجغرافي ما كارونيزي يشمل  
 الجزر الخالدات وجزيرة ماديرا وجزر الآسور ومنطقتين في  
 المغرب. أولاهما بناحية القصيبة بالجزء الجنوبي من الأطلس  
 المتوسط حيث تنتشر تشكيلاته المثلثة بياقات من الأفراد  
 متناثرة في غابات البلوط الأخضر وبلوط الزان، لكن ما  
 يؤسف له هو أن الاستغلال المفرط لجني أوراق الرند من  
 طرف الإنسان أدى في الوقت الحاضر إلى تدهور بالغ  
 للأشجار التي تكاد تشاهد بدون أوراق. وتنحصر المحطة  
 الثانية لهذا النوع في الأطلس الصغير شرق تيزنيت، حيث  
 توجد الشجرة ممثلة بعدد قليل جداً من الأفراد المتناثرة على  
 أجرف الجبال التي تأوي تشكيلات أجمال (انظر، دم  
 الأخوين).

يعيش الرند الآسوري في نفس الظروف البيئية المذكورة  
 أعلاه.

عرف الرند منذ أقدم العصور كشجرة طبية وعطرية  
 وفاتحة للشهية، وكرمز للانتصار وخاصة عند الرومان الذين  
 كانوا يشيدون أقواس النصر مستعملين أغصان هذه الشجرة  
 التي مازالت تحظى بعناية كبيرة. مما جعلها موجودة بكثرة  
 في جل الحدائق العمومية والشوارع الرئيسية لروما وللمدن  
 الأخرى في إيطاليا والبلدان المتوسطية في الضفة الشمالية.  
 كما يغرس الرند عادة في الحدائق المنزلية لاستعمال أوراقه

قوي. ثمارها يرتقالة متوسطة الحجم، ذات لون برتقالي  
 محمر، ولب شديد المرورة يجعلها لا تصلح للأكل. عند  
 النضج يتقلص لب البرتقالة فيصير مركزها فارغاً.

الموطن الأصلي للرنج هو جنوب شرق آسيا. ومن هناك  
 انتشرت زراعته في كل المناطق الحارة من العالم، وذلك  
 كشجرة زينة أو لاستخراج العطر من أزهاره وقشرة ثماره  
 وللاستعمالات أخرى. ولهذه الأغراض أدخله العرب إلى  
 شمال إفريقيا والأندلس حتى أصبح مألوفاً في حدائقها  
 العمومية والشوارع الرئيسية لمدنها. ولفظ الزهر "azahar"  
 بالاسبانية المأخوذ عن العربية هو الشاهد عن ذلك.

يستخرج زيت ماء الزهر المستعمل في العطور والشاي  
 المغربي والحلويات من الأزهار وقشرة الثمار بعد تقطيرها.  
 وعملية التقطير معروفة عند الأسر المغربية وخاصة الحضرية  
 منها. كما تستعمل الثمار في صناعة المربي وتهبسي بعض  
 المشروبات والأدوية.

أما في الزراعة فالرنج والليمون هما أهم أصول التطعيم  
 بالنسبة لإنتاج البرتقال والكليمانيتين والليمون نظراً  
 لكونهما أكبر مقاومة للطفيليات المضرة الموجودة في التربة.  
 وبالإضافة إلى كل هذه المزايا لا بد أن نشير إلى أن  
 الكليمانيتين نتج عن عملية تهجين بين الرنج والماندرين قام  
 بها أحد الرهبان الفرنسيين "Clément" بناحية وهران بالجزائر  
 إبان عهد الاستعمار.

أبحاث شخصية : ألبرت هيل، النبات الاقتصادي. مؤسسة  
 فرانكلين للطباعة والنشر، ترجمة عبد المجيد زاهر وآخرون، 1962،  
 القاهرة، نيويورك.

**الرند** أو ورق موسى، أو الغار، أسماء عربية تطلق  
 على نباتين من جنس لوروس *Laurus* الذي هو من فصيلة  
 الرنديات *Lauraceae*. والنوعان هما :



في الطبخ وفي تحضير عدة مأكولات أخرى. ولهذا سمي برند المرق "Laurier - sauce" لكي يميز عن الدفلة - "Laurier - rose" (انظر دفلة).

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 1999; A. Benabid et F. Cuzin, *Populations de dragonniers (Dracaena draco ssp. aijal Benabid et Cuzin) au Maroc, valeurs taxinomiques, biogéographique et phytosociologique*. C.R. A.S., 1997, 320, 267 - 277; L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

الشداوي بمدريته الكتانية الحرة، كان من العلماء القلائل في نوعية تفكيره ورؤيته للأمور، فكان حديث المجالس الأدبية لما كان يتوفر عليه من وعي وقوة فكر، وفي كثير من الأحيان كان يعتمد على رأيه وتفكيره ضاربا عرض الحائط بالنصوص، ومن ولوعه العلمي أنه على كبره انخرط في سلك المدرسة الجديدة فنال شهادة الدروس الابتدائية في اللغة الفرنسية وكان ذا ميل للعلوم الرياضية والاجتماعية. تعاطى خطة العدالة طويلا في أحواز الرباط، وكان له ولوع بالطرب والعزف على آلة الكمان وغيرها، وكان أبوه وأخوه مولعين بالموسيقى أيضا.

توفي في 25 شوال عام 1349/15 مارس 1931.

ع. الجراي، من أعلام الفكر، ص. 57، 58.

عبد الإله الفاسي

**الرُنْدِي، عبد الحميد الرباطي.** أديب مشارك في الفقه وعدة فروع من العلوم اللغوية والشرعية. اشتهر بمؤلفه *الكتابة والكتاب*، وهو محاضرة ألقاها بفاس يوم 27 رمضان 1341 / 13 ماي 1923 وطبعت هناك في المطبعة الحجزية عام 1342 / 1924 في اثنتين وثلاثين صفحة، حاول فيه أن يعطي نظرة عامة عن تطور الإنشاء العربي في المشرق والمغرب منذ الجاهلية إلى العصر الحاضر، فسقط في الاختصار المخل الذي لا يكاد يبين أحيانا. وأولى عناية خاصة بكتّاب الإنشاء المغاربة حسب تسلسل الدول، واختار نماذج من الأدباء الذين خدموا في ديوان الإنشاء. وطبع له أيضاً كتاب *بيان المراد من علم الاقتصاد* في المطبعة الأهلية بالرباط سنة 1355 / 1926 في تسع وثلاثين صفحة. وله كذلك كتاب *كشف اللبس عن أحوال الأطلس* إلا أنه لم يطبع.

شغل في آخر عمر منصب نائب قاضي الرباط في الأحواز فكان يخرج إلى الأسواق الأسبوعية للفصل بين الخصوم.

توفي في حدود 1350 / 1931.

ع. الرندة نفسه، كنية المذكور : م. الأخضر، *الحياة الأدبية*، الدار البيضاء، 1977، ص. 478 : م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1977، 1 : 11، *والهامش* 18 : إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات العربية*، سلا، 1988، ص. 132.

محمد حجي

**الرُنْدِي، عبد السلام بن مسعود** من كبار الفقهاء ولد بمدينة فاس، ودرس على كبار شيوخها أمثال عبد القادر الفاسي والحسن اليوسي واشتغل بالتدريس بمدينة فاس، وسلا ومكناس، وكان يختم مختصر خليل كل سنة، وقد أعجب الطلبة بحسن عبارته، وتحقيقه. كما تولى

**الرُنْدِي، أسرة** تطوانية ويكتب أيضا أرند أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها مقيمين بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Aranda ؛ ومازالت هناك بعض الأسر الإسبانية التي تحمل اسم Aranda و Randa ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1788 / 1202.

وأرندا Aranda اسم مدينة إسبانية.

م. ان عزوز حكيم، *كشف أسماء عائلات تطاون : المراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 730.*

**الرُنْدِي أو الرُنْدِي أو الرُنْدِي، أسرة** تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ronda و Rondi و Rondeño نسبة للمدينة التي تحمل نفس الاسم ؛ وتذكر الوثائق الحسين الرندة بن أحمد التطواني الذي كان أسيراً بفرنسا يحمل رقم 7221، وأُطلق سراحه بطلب من قائد تطوان علي بن عبدالله الحماسي يوم 6 ذي القعدة 1123 / 16 ديسمبر 1711.

وقد انقرضت هذه الأسرة من تطوان، ومازالت حتى اليوم في الرباط وفاس.

م. ان عزوز حكيم، *كشف أسماء عائلات تطاون : المراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 731 و 732.*

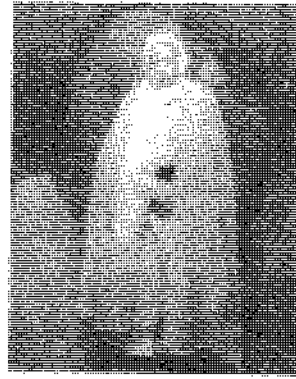
محمد ابن عزوز حكيم

**الرُنْدِي، إبراهيم الأندلسي.** لقبه بها الرحالة ابن بطوطة يخطب بمسجد هاشم، ثم استدعي لولاية القضاء بالمغرب فعاجلته المنية عند وصوله إلى الرباط أواسط المائة الثامنة في عهد بني مرين وهو أقدم الرنديين المعروفين بالمغرب.

م. بوجندار، *الاعتباط*، ص. 238.

**الرُنْدِي، أحمد بن محمد الرباطي،** من أبناء الرباط الموصوفين بالنبوغ، تلقى تعليمه عن والده محمد بن عبد السلام الوزير، وعن الفقيه محمد الرضاوي والفقيه الصديق

القضاء بسلا عام 1076 / 1665 ويزرهون وكان يقيد كل نازلة وقعت بين يديه ويعيد فيها النظر ويسمعه.



اختصر عبد السلام الرندي التنوير في إسقاط التدبير لابن عطاء الله الإسكندري عام 1083 / 1673. 72 (مخطوط خ. ع، ق 556) كما اختصر المعيار للونشريسي. لم نقف على تاريخ وفاة المترجم ويبدو أنه توفي أواخر القرن الحادي عشر (17 م).

أ. ابن عاشر الحافي، فهرس، 248-249 : م. بن علي الدكالي، الإتحاف الوجيز، 111 : إتحاف اشرف الملا، 2، 6 : ع. ابن زيدان، المنزع اللطيف، 222.

محمد السعديين

**الرندى، محمد بن عبد السلام، الأندلسي الأصل** الفاسي ثم الرياطي، ولد سنة 1288 / 1870، فقيه يتقن الأحكام والنوازل، اشتغل أولاً بالكتابة بمراكش أيام السلطان مولاي عبد العزيز، ثم عين عدلاً بمرسى العرائش ثم مرسى أسفي وأبلى في وظيفته البلاء الحسن، فسمي عضواً في مجلس الاستئناف الشرعي لأول إنشائه، وبعده تولى القضاء بإشارة من أحمد بناني إلى السلطان بعد أن امتنع بناني منه وكان من المرشحين لاختيار قضاة البوادي، فتوجه للدار البيضاء ومراكش صحبة نائب وزير العدل وأخيراً تولى وزارة العدلية.

كان متقشفاً في ملبسه وفرشه، ويقول بعض عارفه إن له تأليفاً حول الأضرحة والمزارات التي بالرياط وشالة، وحواشي وتعليقات على المصباح المنير للفيومي وشرح المحلى على جمع الجوامع وحاشية المهدي الوزاني على شرح التاودي على التحفة. وبعد إعفائه من الوزارة انكب على التدريس والتبليغ، فكان أستاذاً ماهراً بصور غامض الفقه بتبسيط كبير.

توفي يوم الجمعة 12 ربيع النبي 1365 / 15 يبرابر 1946 ودفن بأرض شالة.

ع. الجرابي، من أعلام الفكر، ص. 130-140.

عبد الإله الفاسي

**الرنداحي،** من الأسر السبتية الشهيرة التي ارتبط اسمها بقيادة الأسطول البحري في شمال المغرب خلال النصف الأخير من القرن السابع (13 م) وبداية القرن الذي يليه. لقد أطلعنا المصادر التاريخية على وجود خمسة أفراد من هذه الأسرة تناوبت قيادة الأسطول البحري في فترة تميزت بشدة الصراع الإسلامي المسيحي حول الثغور الأندلسية، الشيء الذي يبرهن على أهمية الدور الذي لعبته هذه الأسرة في صنع الكثير من الأحداث ليس فقط داخل سبتة وإنما أيضاً في الضفة الغربية من البحر المتوسط. إلا أن مصنف التاريخ لم ينصفوا هذه الأسرة باعطائها ما تستحق من عناية على مستوى التوثيق إذ أن ما نعثر عليه بين طيات المصادر يقف في كثير من الأحيان عند حد إدراج لقب "الرنداحي" والحديث المرتبط به مما حال دون وضع تصنيف كرنلوجي دقيق وواضح لهذه الأسرة وتحديد العلاقة الدموية التي تربط بين أفرادها.

أقدم اسم يصلنا عن هذه الأسرة هو حجبون الرنداحي، ويعرف بأبي العباس. لا نعرف شيئاً عن أصوله. وقد يفهم من كلام صاحب البيان المغرب أن تولي حجبون الرنداحي لقيادة الأسطول ربما تزامن مع فترة حكم ابن خلاص. إلا أن المؤكد منه أنه كان للرجل سلطة نافذة على جيوش البحر وهو ما يشير إليه ابن عذاري بقوله "وكان له فيه على الغزاة النهي والأمر" (البيان، 397) وقد تتفق المصادر على اعتبار القائد ابن حجبون الصانع الحقيقي لثورة الزعيم الديني الفقيه أبي القاسم العزفي ضد السيطرة الحفصية، والمؤسس الأول لرياسة بني العزفي على سبتة. يذكر أنه بعد وفاة أبي علي ابن خلاص في رحلته البحرية إلى تونس سنة 646 / 1248-1249، عين أبو زكريا الحفصي على سبتة ابن عمه يحيى ابن الشهيد والوزير ابن أبي خالد (العبر، 7 : 383) فاستوطنا قصبة المدينة. إلا أن ابن أبي خالد أضر بأهلها فنشأ خلاف بين هذا الأخير والقائد الرنداحي الذي أخذ يضمر للقائدين الحفصيين العدا - (البيان، 397). وقد تزامنت هذه الأحداث مع سقوط اشبيلية في يد المسيحيين ووصول ما يقدر بمائة ألف من المهاجرين الاشبيليين إلى سبتة وعلى رأسهم قائدهم شقاف يسطحبه عدد من قواده وجنوده (البيان، 397) ويبدو أن القائد شقاف الحفصي كان يأمل في مقاسمة ابن أبي الشهيد حكم سبتة. إلا أن صوت كل من أبي زكريا الحفصي والسعيد الموحد عجل بتفجير الأوضاع بخروج أهالي سبتة بزعامة القائد الرنداحي عن صمتهم بعد أن ضاقوا ذرعاً بظلم ابن أبي خالد، وتجاهل ابن الشهيد للأمر وتحكم الأجانب في مصائرهم. "فاجتمع القائد الرنداحي - يقول ابن عذاري - مع الفقيه المعظم أبي القاسم العزفي فحرضه على القيام بأمر بلده وأن يعينه على ذلك بعده وعدده والتزم له أن يقوم بالأمر حتى يخلصه فوافقه الفقيه على ذلك". فكانت المكيدة التي دبرها القائد الرنداحي، بحيث أقام حفل عشاء في بيته وقد

وافق ذلك ليلة 27 رمضان من سنة 647 / 3 يناير 1250 دعا إليها معظم قادة الجند. وبينما المدعوون في غيبة من أمرهم منشغلين - يقوم ابن عذارى "بالسمع والرقص في الدار" أرسل القائد الرنداحي رجاله ليلا فقتلوا القائد شفاف وأعوانه ودخلوا إلى القصبه وقتلوا ابن أبي خالد. أما ابن الشهيد فقد طرد في زورق إلى الأندلس ومنها إلى تونس ( البيان، 398). انتهت ثورة الرنداحي وأبي القاسم العزفي بعودة سبتة إلى حظيرة السيادة الموحدية في شخص المرتضى الذي ابقى على رياسة الفقيه العزفي على سبتة بينما عقد لحجبون الرنداحي على قيادة الأساطيل في المغرب كله. وفي نفس السنة شارك القائد الرنداحي في الحملة المغربية البحرية على جزيرة قادس حيث قتل ثمانين من القادة الروم ( الذخيرة، 76).

في سنة 653 / 1256 يسجل صاحب (الذخيرة) وفاة "القائد محمد الرنداحي" بوادي إشبيلية ( الذخيرة، 81). من الأكيد أن الأمر لا يتعلق بالقائد حجوبن ولا ندري في الواقع طبيعة الرابطة الدموية التي تربط بين الشخصين. ففي سنة 659 / 1261 نجح القائد حجوبن يسرع في تجميع جميع أصفان سبتة كبارا وصغارا بأمر من الفقيه أبي القاسم العزفي لمواجهة سفن بني الأحمر التي كان يرأسها القائد ظافر والتي أخذت تضيق على سبتة ومحاصر ميناءها عقب العداوة التي تحكمت بين أمير سبتة وبين الأمير أبي عبد الله ابن الأحمر. فكان النصر بجانب القائد أبي العباس الرنداحي الذي ظفر بالقائد ظافر وأمر بقتله في جملة من قتل. "فعلقت جثته - يقول ابن عذارى - في البحر على حجر السودان وطيف برأسه سبتة وعلق... ويسمى هذا العام بسبتة عام ظافر" ( البيان، 425 : 63 L'Espagne ) وفي سنة 662 / 1264 نجح "القائد أبا القاسم الرنداحي" (وربما المقصود منه أبو العباس حجوبن) يخرج مع ابن حمدان بالقطنان الغزوانية بأمر من الفقيه أبي القاسم العزفي صاحب سبتة نحو طنجة لحماية أهلها المستنجدين به خوفا من هجوم جيوش أبي يوسف المريني عليهم لقتلهم أولاد الأمير أبي يحيى وحوالي ثلاثمائة فارس من فرسان بني مرين. وقد حدث ذلك انتقاما لاغتيال هؤلاء لأميرهم ابن الأمين صاحب طنجة ( الذخيرة، 433). وفي سنة 681 / 1282 يؤرخ ابن أبي زرع لوفاة "القائد الرنداحي" بسبتة ( القرطاس، 406) ومن المحتمل جدا أن يكون المقصود هو أبو العباس الجند. بعد وفاته ورثها عنه - يقول ابن خلدون - بنوه إلى أن زاحمهم العزفي بمنالك رياسته ؛ فقوضوا عن سبتة فمنهم من نزل بمالقة على بني الأحمر، ومنهم من نزل ببيجاية على آل أبي حفص ولهم في الدولتين آثار تشهد برياستهم" ( العبر، 7 : 383). من بين الذين بقوا بالمغرب تطلعنا المصادر على ثلاثة أفراد من هذه الأسرة تناوبت على ما يبدو قيادة الأسطول ودار الصناعات البحرية في سبتة وذلك إلى حدود بداية القرن الثامن (14 م). ففي سنة

684 / 1258 يسجل ابن خلدون أن القائد محمد بن أبي القاسم الرنداحي هو الذي كان يقود الأسطول الذي ركب على متنه الأمير يوسف المريني في رحلة عودته من غزوته في الأندلس بأمر من أبيه لتفقد أحوال المغرب ومباشرة أموره ( العبر، 7 : 435 : القرطاس، 373). وفي نهاية القرن السابع وبداية الثامن (13 : 14 م) نقف على اسم أحمد الرنداحي كقائد للأسطول والمشرف القائم على دار صناعة السفن بسبتة (El-Maqsad, 98) ومن المحتمل جدا أن تتزامن فترة قيادة أحمد الرنداحي هذا للأسطول مع فترة حكم الأمير أبي طالب العزفي على سبتة 678 - 1280 / 706. أما القائد الرنداحي الذي يشير إليه ابن خلدون (1307). كآخر أمراء البحر الرنداحيين في سبتة قبل نزوحه إلى الأندلس، فلقد وجد قائداً للأسطول إبان تعيين الأمير العزفي أبي زكريا يحيى على ولاية سبتة وهو ما يناسب زمنيا سنة 707 / 1308. ويبدو إن اقضاء القائد يحيى الرنداحي تم بشكل رسمي عندما أسندت قيادة الأسطول إلى أبي زيد عبد الرحمان بينما عين على رأس دار الصناعة البحرية أبو الحسن علي (Le Musnad, 13) فكانت بذلك نهاية الرياسة الرنداحية للأساطيل المغربية ولدار الصناعة البحرية في سبتة.

ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1973 : ابن أبي زرع، الذخيرة السنوية، الرباط، 1972 : ابن خلدون، تاريخ العلاء ابن خلدون أو كتاب العبر، بيروت، المجلد السابع : ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدين، تج. محمد إبراهيم الكتاني، محمد زبير، محمد بن تاويت، عبد القادر زمامة، بيروت، 1406 / 1985.

R. Arie, L'Espagne musulmane aux temps des Nasrides (1232 - 1492), Paris ; Ibn Marzuq, Le Musnad... Extraits ed. et trad. Levi-Provençal, Hesp., 1925, vol. V., 1er trim. ; El-Badisi, El-Maqsad ash-sharif..., trad. fr. G.S. Colin, A.M., 1926, vol. XXVI.

زليخة بنرمضان

**الرهادانية أو الراذانية، مجموعة تجار يهود، اختلف المؤرخون حول أصلهم، بين قائل بأصل عراقي وقائل بأصل فارسي وقائل بأصل أوروبي غربي. جابوا أنحاء العالم المعروف، واشتهروا، خلال القرن الثالث (9 م)، بنشاطهم التجاري الكثيف.**

يعد نص ابن خرداذبة ( المسالك، 131، 132 )، أهم أثر مكتوب بقي لنا عن التجار الراذانية. وي طرح الاسم الذي عرفوا به مشكلة لدى الباحثين، فسواء كانوا راذانية أو رهدانية، فقد فسره البعض بأنه يعني "المهاجرين الذين يجوبون البلدان" ورده البعض الآخر إلى "العارفين بالطرق والمسالك"، ورأى فيها آخرون أنه لقب يدل على أصلهم الأوربي الغربي، وبالتحديد من وادي الرون Rhône، ومنه جاءت تسميتهم بالرهادنة، حيث انتشروا عبر خط نهر الموز La Meuse ونهر السون La Saône والرون، ومن هناك

تجمعوا في مدن تجارية مثل مرسيليا وأرلس وجنوة وفي مقاطعة سكسونيا.

واستفادت هذه الجماعات اليهودية من الغزوات الكبرى في الغرب الأوربي، فتعاطى أفرادها للتجارة خاصة تجارة الرقيق، دون أن يلفتوا النظر إليهم. فقد اشتغلوا وسطاء تجاريين بين أوروبا والعالم الإسلامي، إذ مقابل الرقيق الذي كانوا يزودون به أسواق العالم الإسلامي، كانوا يحصلون على بضائع الشرق، ليقوموا ببيعها للملوك الجرمان، ومن ضمن هذه السلع الحصيان والرقيق والفراء والسيوف والحزير، التي انتقلت بواسطتهم إلى الشرق، وحصلوا مقابلها على المسك والكافور والصبير L'aloès والقرفة وغيرها، هذا فضلا عن سلع إسلامية مثل الأقمشة والحزير والذهب والتوابل والأدوية.

وكان لمعرفة الراذانية باللغات العربية والفارسية والروسية والإنجليزية والصلبية، دور كبير في تمهيد الطريق أمامهم لعبور العديد من الجهات والأقاليم، هذا بالإضافة إلى اختصاصهم بالعمليات التجارية مثل الصرف، ثم اعتمادهم على انتشار بني ملتهم في البلاد الأوربية والإسلامية، مما مكنتهم من تجاوز الحواجز القائمة بين "دار الإسلام" و"دار الحرب"، بل إنهم نجحوا في تمتيع أنفسهم بضمانات تهم نشاطهم التجاري العالمي، سواء من الجانب الأوربي أو من الجانب الإسلامي.

وهكذا انتقل الراذانية بين مختلف أقاليم البلاد الإسلامية، خاصة الموانئ والمدن، في المشرق والمغرب، واتصلوا بالسلطات الإسلامية، خاصة في بغداد العباسية والقاهرة الفاطمية؛ فكانت لهم دور وفنادق وأحياء استقروا بها، وكان من نتيجة ذلك، تجاوزهم دور الوساطة التجارية، خاصة الرقيق، إلى خدمات مبادلة الأسرى وفدائهم.

وبلغت أسفار التجار الراذانية الهند والصين، قاطعين مسافات طويلة جدا، انطلاقا من خروجهم من بلاد الإفرنج بحرا ووصولهم إلى "الفرما" بمصر، ومنها إلى الحجاز ثم توغلهم في المحيط الهندي حتى الصين. كما أنهم كانوا يسلكون طريقا بحريا آخر ينطلق من مصب نهر الأرونـتـة L'oronte، فيحلون بسوريا، ويتجهون إلى حلب وأنطاكية، وعبر الفرات إلى بغداد، ومن هناك إلى المحيط الهندي عبر دجلة والخليج، ليصلوا أخيرا إلى الصين عبر نهر الهندوس L'Indus.

وفي طريق العودة، يسلك هؤلاء المسالك البحرية نفسها، غير أن بعضهم يتوقفون ببضاعتهم في القسطنطينية، ليواصل الآخرون رحلتهم إلى فرنسا. ولهذه الغاية كان بعضهم يمتلكون أسطولا بحريا يسهل عملية انتقالهم عبر البحر.

أما الطرق البرية التي سلكها الراذانية، فهي تنطلق من فرنسا أو إسبانيا، وتخترق ألمانيا والبلاد السلافية، لتصل إلى "اتل" عاصمة الخزر على مصب نهر الفولجا ثم يجتازون

بحر الخزر La mer caspienne ويقصدون بلخ فيما وراء النهر، ومن هناك إلى الصين عبر بلاد "التغزغز" Ouigoures في آسيا الوسطى.

ويبدو أن وجه اتصال الراذانية بالمغرب الأقصى، كان يمر عبر نشاطهم المكثف في إسبانيا الإسلامية، وكذا عبر الطريق البري الثاني، حيث يخرجون من فرنسا إلى إسبانيا إلى مضيق جبل طارق ثم بلاد المغرب فمصر وسوريا والعراق وجنوب فارس حتى يصلوا الهند والصين.

ويعتبر نشاط التجار اليهود الراذانية امتدادا لنشاط تجار يهود مدينة أريونة الفرنسية، الذين نشطوا خلال القرن الثاني الهجري (8 م)، كما بعد حلقة ضمن تجارة اليهود الدولية، التي بلغت حد الاحتكار الاقتصادي العالمي.

ومنذ بداية القرن التاسع (15 م)، تراجع الواسطة اليهودية الراذانية، أمام استغناء الأوربيين عنها، لصالح الكاتالانيين والبنادقة والجنوبيين وأهل بروفنسا؛ إذ بعد أن بلغت هذه الواسطة أوجها في القرنين الثالث والرابع الهجري (9-10 م)، استنادا إلى الرقيق خاصة، انكفأ دور هذه المجموعة دون أن يعني ذلك إلغاء تاما للوساطة اليهودية، التي ظلت قائمة في القرون اللاحقة.

ابن خرداذبه أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، 1988؛ ابن الفقيه أبو بكر بن أحمد بن محمد الهذلي، مختصر كتاب البلدان، 1988؛ كلود كاهن، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، 1977؛ إبراهيم حركات، النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط، 1996؛ توفيق بن عامر، الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، ج. 2، 1998. عبد الإله بنمليح

**الرهن المعمول به في مراكش وبعض المدن المغربية الأخرى، صورته أن يدفع المكتري قدراً من المال متفقاً عليه إلى صاحب المنزل على وجه السلف. وتحدد مدة إرجاعه إلى المكتري بعد أن يستغل مقابل ذلك المنزل مدة معينة حسب الاتفاق، ويكون الكراء مقابل ذلك أقل من المعهود في مثل ذلك المحل، ويحرق عقد الدين بذلك في النهاية.**

مبنى هذا التصرف هو العرف. وينظر إليه من جانبين : الأول : في وجه التسمية بالرهن، وهي غير جارية على أحكام الرهن المعروفة في الفقه الإسلامي، إذ هذا التصرف قائم على مقابلة كراء بالأقل في مقابل التمتع بسلف، وهذا على خلاف أركان وشروط الرهن المعلومة في الفقه.

الثاني : في حكم هذا التصرف من الناحية الشرعية تكلم فيه بعض فقهاء العصر ومنهم شيخ الجماعة بمراكش الرحالي الفاروق، ومنعوه شرعاً لأنه مبنى على عرف فاسد متعلق بقاعدة "سلف جر نفعاً". إلا أنه يمكن العمل به في دائرة "الضرورات التي تبيح المحظورات" إذا ثبتت الحاجة إليه من جانب المكري والمكتري لا سيما في عصر أصبح الاقتراض عسيراً، ولا يكون إلا بالربا غالباً، وما عليه

ومنشأ ووفاة، الفقيه العلامة المفتي النوازي المؤرخ المشارك القاضي ثم وزير العدلية وأخيرا رئيس المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي بتطوان، شيخنا السخي المتواضع المعتقد الصوفي التجاني الطريقة المغالي فيها وفي شيخها.



ولد بتطوان زوال يوم الأربعاء 18 جمادى الأولى عام 1288/ 5 غشت 1870، وأدخل الكتاب فتعلم مبادئ القراءة والكتابة على يد الفقيهين أحمد شابو والمأمون ابن عبود العمراني وأتم حفظ القرآن في سبع ختمات برواية ورش و16 حزبا برواية قالون، وفي كتاب هذا الأخير حفظ مقدمة ابن آجروم والألفية ابن مالك ولامية الأفعال ولامية الجمل لابن المجراد والمرشد المعين لابن عاشر.

ثم أخذ يطلب العلم على يد القاضي محمد بن علي عزيمان وعبد الله لوقش وعن محمد ابن الأبار الأندلسي ومحمد بن عمر أسنوس وعلي الشريف المفضل بن محمد ابن الهاشمي أفيلال، بردة البوصيري، وعن الفقيه القاضي التهامي بن محمد أفيلال، وغيرهم، درس عليهم في مسقط رأسه مبادئ علوم اللغة والشريعة. وفي أواسط صفر 1309/ أواخر شتنبر 1891 توجه المترجم إلى فاس لطلب العلم، فقرأ على المشايخ أحمد ابن الحياط، وعبد الملك العلوي الضير ومحمد بن التهامي الوزاني ومحمد بن جعفر الكتاني ووالده ومحمد بن عبد السلام كتون ومحمد القادري وأحمد ابن الجيلالي الأمغاري وغيرهم، أخذ عنهم علوما جمّة، وامتونا مهمة واستجاز معظمهم فأجازوه وقد ضمن مقروآته وإجازاته ترجمته الذاتية ابتداء من الجزء الثامن إلى العاشر من تاريخه عمدة الراويين، ثم تصدى للتدريس والفتوى والمخطابة زاول ذلك كله بنشاط وإقبال وكان من عادته كتابة دروسه فإذا أتم متنا تدرسا يكون أنهاء تأليفا، فلذلك شرح معظم التون المقرومة ابتداء من مختصر خليل إلى الرسالة والمرشد المعين والأجرومية والألفية وغيرها مما يجاوز الخمسين شرحا ورسالة هي في غالها مختصرة وملخصة، منها مختصر نفع الطبيب

الأمر من أزمة الكراء بارتفاع أئمنته على الفقراء. فتبادل المنفعة بين الطرفين بالتراضي وقيام الحاجة تجعله مثل الجعالة، وبيع السلم، والقراض الخ. مع أنها مخالفة لأصل عقد البيع، مما يشفع لجواز هذا التصرف الذي يجب أن يقوم على قاعدة أن "الضرورة تقدر بقدرها"، ولا يتوسع فيها. ومع مراعاة شروط العمل بالضرورة.

محمد رياض، أصول الفتوى والقضاء في المذهب المالكي، الدار البيضاء، عام 1416/ 1996، ص. 452 : الرحالي الفاروق، فتوى في الزهن بمراكش، ضمن فتاويه بالمجلس العلمي بمراكش. محمد رياض

**رهونة**، قبيلة جبلية ورد اسمها عند البكري (ص. 114) والإدرسي (ص. 46، 120) والنوزان (ص. 269) ويرى ابن خلدون أنها شقيقة غمارة (العير، ج. 6 ط. بولاق، ص. 224 وص. 296 طبعة الجزائر). تحد شرقا بقبيلة غزاوة، وشمالا بقبائل كل من بني زكار وبني يسف وأهل سريف، وجنوبا وغربا بقبيلة مصمودة.

كانت رهونة في الماضي تنقسم إلى خمسة أخماس وهي : خمس اللوطاويين، وخمس بني زكون، وخمس بني بوهاشم، وخمس الفطاحنا، وخمس أولاد بورندا، وابتداء من القرن الثالث عشر (19 م)، مروراً بعهد الحماية إلى الآن، أصبحت تتكون من أربعة أرباع أو فرق أو مشيخة على الشكل التالي :

اللوطاويون أو الواديون (مناطق منخفضة) وتضم المداشر التالية : عين أشالو، أعساوس، أمزو، الزيتونة، دار العباس، دشر لعار، الصف، عين غايث، عين حسن، زيدور، أكتنور، دار المودن، السقيفة، مغواسة، فج دمنة، تزرورت، قطارة، الفلاجة، بونيدار، أوس، رسالة، دار المودن. بني بوهاشم وتضم المداشر التالية : المصباحة، زرادن، لبيابرة، بريكشة، زكتاوة التحتية، العدامين، الزرايب، بني محمد، ريف، الصدق، الوجلة ألبور، الضواهر : أولاد بورندة أو الفتاحنة (سميت بهذا الاسم لأن الربع واقع في فتحة بين جبلين) وتضم المداشر التالية : بوتون، تيباما، تالا، الشان، السطر، الغوية، الزعانن، البلوطة، أكضا، زكتاوة الفوقية، الغراء، الفرحة، خندق زيارة، بني زكون وتضم المداشر التالية : العبايدة، بوعلون، الدشير، البعاجين الفوقية، البعاجين التحتية، القلعة، العنصر، لوار، النشارين.

وتنقسم القبيلة حاليا إلى جماعتين قرويتين هما : جماعة اللوطاويين وجماعة بريكشة واشتهر رجالها بالتمكن في العلوم الدينية.

محمد أخريف

**الرهوني**، أحمد بن محمد بن الحسن النجار لقباً أول، ثم الرهوني لقباً ثانياً، الأحماسي قبيلة، التطوان مولداً

والاستقصا وغيرهما ونتائج الأحكام طبع بعض هذه الكتب. ومن أهم أوضاعه : تاريخه الحافل لمدينة تطوان عمدة الراوين في تاريخ تطاوين في عشر مجلدات بخطه الكبير يوجد أصله بخزانة تطوان، وقد شرع بطبعه وهو ثاني تاريخ لهذه المدينة بعد تحفة الاخوان للسكيج، وحج مرتين رئيسا لوفد الحجاج وكتب في الأولى رحلة مطبوعة.

ودخل المترجم في خدمة المخزن كاتبا بدار النيابة بطنجة مع النائب الطريس وبعد وفاته مع النائب محمد الجياص، قال : " ولم أزل معه (الجياص) في عز ورفعة إلى أن وليت بها مستشارا شرعيا وقاضيا للاستئناف وكاتبا أول ومدرسا بالمدرسة الكبرى هناك بأوامر مخزنية، وقمت بأعمال كبيرة منها سياسية وقضائية إلى أن انقسمت الإيالة السعيدة منطقتين فانضخت لوزارة العدلية بالمنطقة التطوانية في معية الخليفة السلطاني مولاي المهدي بن إسماعيل بن السلطان محمد بن عبد الرحمن إلى أن أخرجني عن وظيفتي وهو مريض. وبعد وفاته سميت في فاتح حجة 4/ 1342 يوليوز 1924 قاضي قضاة المنطقة، وفي السنة بعدها عينت قاضيا لتطوان، وفي سنة 1353/ 1934 أخرجت عن الجميع، وبعد سنوات عينت مفتشا للعلوم، ثم رئيسا لمجلس التعليم الأعلى.

ظل المترجم له على ذلك إلى أن ضعفت قواه واختلت حاله في أواخر أيامه بسبب تبيده الذي أفضى به إلى الفقر والحاجة بعد الجاه والثناء، وشاهدت من أحواله ما فيه عبرة وأي عبرة فقد كان ملجأ القاصدين، وملأ المحتاجين، يتمسح الناس بأذياله، وينحنون لمروره وتقيل يده وكان قصير القامة، ويزدحمون على بابه للزيارة والتهنئة بالأعياد وغيرها، ولما امتحن بإديار الدنيا والجاه، انفضوا من حوله وتجاهلوه، واستتروا منه واستقلوا ظله، وعاش سنوات منزويا في بستانه على حاله تلك إلى أن لبي داعي ربه في 14 ربيع الثاني عام 1373 / 21 دجنبر 1953 ودفن بالزاوية العيساوية من حي العيون بتطوان.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، الأجزاء 8، 10.9 : خ. الزركلي، الإعلام، 13، 253، ط. 4 : إدريس خليفة، الحركة العلمية والثقافية بتطوان، 2، 519، المحمدية.

**الرّهوني، مَحْمَد (الحاج -) بن أحمد بن محمد بن يوسف بن علي الحاج المدعو (بريكشة)،** ينتسب إلى قبيلة رهونة بين مدينتي شفشاون ووزان، الفقيه المالكي العلامة المنفرد في وقته بتحقيق نقوله وتحرير أصوله، الخطيب المفتي التقي الورع الزاهد العابد، ولد برهونة في ذي القعدة 1159/ 11/نوفمبر - دجنبر 1746 وأخذ العلم ببلده وبوزان وتطوان وفاس، وعمدته في الأخذ المشايخ : الجنوي التطوانى، والتاودي ابن سوذة الفاسي وأحمد الورزازي التطوانى وأجازوه، واتصل بالسلطان مولاي سليمان وانتفع هذا بجالسته، وهو الذي أمره بتأليف حاشيته الشهيرة على

شرح الزرقاني لمختصر خليل. كما كان يكلفه وغيره من فقهاء مجلسه بتحرير مسائل فقهية توجد منسوبة إلى السلطان المذكور.

قدم من بلده إلى تطوان وانقطع إلى شيخه الجنوي بها ويكناس لما انتقل إليها واستقر بمدرسة الحضارين كما أشار إلى ذلك في باب قصر الصلاة من حاشيته وقرأ عليه كثيراً قراءة تحقيق وتدقيق، وقد تحدث عن ذلك وعن بداية طلبه ومشايخه وما أخذ عنهم وما أجازوه به وأسانيده للكتب في أول هذه الحاشية، ولما عاد إلى وزان انقطع للإفتاء والتدريس والتأليف مستعيناً بخزانة كتب الزاوية الوزانية التي كانت يومئذ محتضن المآت من دواوين الفقه المالكي وأمهاته، واشتهر بالإجادة والتحقيق وقصد لحل المشكلات، وفض النزاعات العضلات، فكتب في كثير منها رسائل وردوداً نالت إعجاب معاصريه فقرظوها له، ومنهم قرينه عبد الرحمن الهايك المصمودي التطوانى، أودع كثيراً منها حاشيته المذكورة التي أسماها أوضح المسالك وأسهل المراقي، إلى سبك ابريز الشيخ عبد الباقي وقد تنوسى هذا الاسم واشتهرت بحاشية الرهوني، التي تتبع فيها ما يحتاج إلى التعقيب والإتمام من حاشيتي شيخه التاودي، ومحمد بن الحسن بناني، وزاد فوائد ونقلوا غزيرة عن الأمهات وأصول المذهب، فضحت اغلاطا كثيرة وقعت لمن قبله في الاختصار والتلخيص أفسدوا بها كلام المتقدمين، وغيروا الفقه عن مواضعه، وهي مما أذخره الله للمتأخرين، فكانت حجة على المتقدمين كما قال الحجوي. وقد غلا في مدح هذه الحاشية من اعتبرها معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، والحق أنها في القمة من الجودة دلت على فضل المترجم وتمكنه في الفقه المالكي وفرط ذكائه وتفطنه لدقائقه وإتيانه بما لم يسبق إليه، وقد طبع بمصر وفاس مرارا في 8 مجلدات، وله غيرها كخطب الجمعة الشهيرة وقد طبع على الحجر والحروف، وله حاشية كبرى على الدرر الثمين على المرشد المعين لميابة، إلا أنها لم تكمل، ورسالة التحصن والمنعة بمن اعتقد أن السنة بدعة في مسألة المجهر بالذكر مع الجنائز، وقد طبع، ورسائله كثيرة كرسالته في الغناء، وفي حكم التجارة إلى أرض العدو، وهما مخطوطان، وغيرهما من رسائل أدرج بعضها في حاشيته المذكورة.

وظل الفقيه الرهوني على حاله إلى أن لبي داعي ربه بمدينة وزان فجر يوم السبت 13 رمضان عام 1230 / 19 غشت 1815 ودفن بروضة شيخه في الطريق الشيخ علي بن أحمد الوزاني عن يسار محرابها.

محمد الرهوني نفسه، أوضح المسالك وأسهل المراقي، ط. حجر فاس، الجزء الأول : م. الكتاني، سلوة الأنفاس، 1 : 154، ط. الحجر بفاس : م. مخلوف، شجرة النور الزكية، ص. 378، طبع مصر : م. الحجوي، الفكر الساسي، 2 : 296 : ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، 4 : 181 : خ. الزركلي، الإعلام، 6 : 17، ط. رابعة.

**الرهبوني، يحيى** بن موسى أو عبد الله، أبو زكرياء شرف الدين، قال الحافظ ابن حجر : المغربي الأصل، وتصحف في الدرر الكامنة بالدهوني بالدال، وفي شذرات الذهب بالزهبوني، وزاد ابن العماد : نسبة إلى زهون جبل قرب فاس، والصواب : الرهبوني نسبة إلى قبيلة رهونة قرب وزان.

الشيخ الإمام الحافظ الفقيه المتفتن الأصولي المنطقي الكلامي المالكي، أخذ عن أحمد بن إدريس البجائي الفقيه، والأصول عن أبي عبد الله الأبيلي وغيرهما، اشتغل ومهر واشتهر بإفريقية، ونزل مصر وحاز فيها رئاسة المالكية، ودرس بالشيوخية والمنصورية وأملى الحديث بالصرغتمشية بالقاهرة، وأفتى وألف وخرّج تخاريج دلت على ثقب ذهنه، ورواية عقله، وبراعة استنباطه، إلى دين متين، ووقار وهيبة، وجود وإيثار بالدنيا وأوتي منها سعة، حج مرتين. انفراد بتحقيق مختصر ابن الحاجب الأصلي، وله عليه شرح حسن مفيد كما علق على تهذيب البرادعي للمدونة تعليقا يذكر فيه المذاهب الأربعة، ويرجع مذهب مالك، ومات دون إتمامه.

مات بالقاهرة في ثالث شوال، أو ذي القعدة سنة 773 أبريل - يونيو 1372 وفي وفيات الوئشريسسي 775 وما في الإكليل والتاج للقادري من أنها كانت سنة 4 أو 575 فخطأ.

ابن حجر، أنبا، الغمر، 1، 36، طبع الهند : الدرر الكامنة، 5 : 196 ط. مصر : إ. ابن فرحون، الديباج للذهب، 2 : 362، ط. مصر : ع. الرحمن السيوطي، حسن المعاصرة، بأخبار مصر والقاهرة، 1 : 262، ط. مصر، سنة 1299 : ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 6 : 230، ط. مصر : م. القادري، الإكليل والتاج، مخطوط : أ. الوئشريسسي، الوفيات/ موسوعة أعلام المغرب، 2 : 683، بيروت، 1996.

محمد بوخزة

**الرهبنة**، ملكٌ يتنازل عنه صاحبه مقابل دين لفائدة دائته إلى غاية تسديد الدين. ويتعلق الأمر في البداية، بقطعة أرضية (أو حصة ماء) تصبح في حوزة الدائن يستغلها بصفة مطلقة طالما لم يتحرر المدين من دينه. وقد يضطر هذا الأخير، تحت ضائقة الحاجة، إلى اقتراض ديون أخرى تحوكه إلى خادم / زبون لدائته، وقد تؤول به إلى فقدان ما كان يملكه. مما يجعل علاقة الدائن بالمدين علاقة سيطرة وتبعية، علاقة هيمنة وزبونية. وكانت هذه العلاقات الناتجة عن الرهن إحدى آليات اغتصاب أراضي صغار الفلاحين لفائدة بعض الأعيان القرويين.

يتحول الفلاح في حالة فقدانه أرضه، - إن لم يهاجر قريته - إلى خماس في خدمة دائته. ووقت "عنت العام" (وهي الفترة التي يكون فيها الحماس قد استهلك كل ما

كان يدخر بينما فترة الحصاد لم تحن بعد) يضطر إلى الاقتراض من صاحب الأرض : وفي حالة عدم تسديد دينه يلزمه تجديد عقد الحماسة مع صاحبه. وقد تتكرر هذه العملية التي تدفع بالحماس لأن يرهن حرته إلى حد تجعله يتحول إلى شبه قن في خدمة الدائن / مالك الأرض.

عبد الجليل حليم

**الرواشد**، إحدى قبائل زعير، تندرج ضمن الكفبان الذين يمثلون إلى جانب المزارعة القسمين الكبيرين لزعير. تقع قبيلة الرواشد قرب ثلاثاء سبارة الواقعة شمالي أحد الغوالم بحوالي 15 كلم، ومن أقباضها : العزازبة، والخمسان، وأولاد حنيش، وأولاد بو علو وآيت مامون. وقد استقر فرع من الرواشد بقبيلة أولاد خليفة الواقعة بين أحد البراشوة ومغشوش. وتجدد الإشارة إلى أن هناك قبيلة أخرى بناحية أبي الجعد تعرف بالرواشد، إلا أن المصادر لم تشر إلى القبيلة التي تمثل الأصل.

تميزت قبيلة الرواشد الزعرية بحفظ القرآن الكريم، وبالجهاد ضد الاحتلال الفرنسي. وقد جرت بتراب هذه القبيلة معركة عين سي موسى، ومعركة ولجة العظام في شهر يوليوز 1911 قرب أحد الغوالم بحوالي خمسة كيلو ميترات بقيادة المجاهد عبد القادر اليواشري، الأمر الذي دفع سلطات الحماية إلى القيام بعدة عمليات عسكرية قصد إخضاع انتفاضات الزعيرين، وذلك ما بين 13 و24 من نفس السنة. وبعد اندلاع ثورة ابن عبد الكريم الخطابي، أرغمت سلطات الاحتلال بعض أفراد قبيلة الرواشد على المشاركة في إخمادها، ومن هؤلاء : بوعمرو بن محمد، وعباس بن عبو وابن قدور بن الجليلي.

ومن أبرز قواد قبيلة الرواشد، المصطفى بن القرشي المباركي الراشدي الذي تولى القيادة في مطلع سنة 1330 / 1912، وفي حدود 1340 / 1922 أصبح ابنه المكي بن المطصفي قائداً على قبيلة الرواشد، وزيدت له قبيلة الغوالم وذلك حسب الظهير اليوسفي المؤرخ في 17 شعبان عام 1340، ثم أضيفت إليه قبائل أولاد عمران، والنغامشة وأولاد موسى. وقد تم عزل القائد المكي بتاريخ 16 شعبان عام 1350. ويقبيلة الرواشد مزارات يتبرك بها أفرادها وهي: سيدي عبد الهادي، وسيدي حشلاف وسيدي الدحاوي.

م. ابن سودة، قبيلة زعير قديماً وحديثاً، 2 ج.

Sicard, Organisation des Zaeir, Paris, 1952 : Villes et tribus du Maroc. Rabat et sa région, T. III, p. 139 - 162.

محمد السعديين

**روانو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما

زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ruano : وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1146 / 1734.



الاعتبار لطرائق السرد والحكي والوصف بعيداً عن أساليب (المقال) و(الخطبة) و(الرسالة) ... وهي الأجناس التي كانت سائدة خلال الفترة السابقة المذكورة.

وما تجدر الإشارة إليه أن الكتابة الرحلية تحررت من ألوان البلاغة والبدع، وأسست كتابة تقوم على التقاط اليومي والمعيش مثل الرواية، فاستعملت كلمات دارجة وأخرى أجنبية، توخياً للدقة والأمانة في نقل المشاهد والأحداث. كل ذلك يشير إلى أن لغة الكتابة الأدبية أصابها نوع من الاختلال بابتعادها عن (الفصحى) وعن أساليب البلاغة التقليدية بحثاً عن بلاغة جديدة في ارتباط مع التحولات التي كانت تتم ببطء على المستويات السوسيوثقافية والسوسيولسانية.

إلى جانب هذا التطور على مستوى اللغة والمتخيل الأدبي والتقاليد الاجتماعية، عرفت العلاقات الثقافية بين المغرب والمشرق العربي ازدهاراً نسبياً عبر الصحافة المصرية التي كانت تصل إلى المغرب حاملة أصداء الفكر والأدب والسياسة؛ وكان من نتائج ذلك تبلور (مناقفة) عربية داخلية مغربية - مشرقية نجد أصداءها في الحركة السلفية بالمغرب المتأثرة بالسلفية المشرقية، وفي الحركة الشعرية التي انطلقت نحو الجديد مقتفية أثر المدرسة الرومانسية المصرية، وفي الحركة القصصية والروائية التي اتخذت نماذجها المثلى من المرجعتين المصرية واللبنانية. إن العوامل الداخلية (المكونات) والخارجية (المؤثرات) مجتمعة ومتفاعلة، مثلت الشروط التكوينية والتاريخية التي ساهمت في تبلور أولي للوعي بجنس الرواية والمغرب والشروع في وضع اللبنة الأولى للمؤسسة الروائية.

- الانتاج الروائي والتصنيف :

يستخلص من الإحصائيات التي تناولتها بعض الدلائل الخاصة بالحصيلة البيبوغرافية للرواية المغربية ما يلي : بلغ عدد النصوص الروائية التي صدرت، منذ 1942 إلى 2000، 285 رواية موزعة حسب تاريخ صدورها كما يلي :

- في الأربعينيات : نص روائي واحد هو "الزاوية" 1942 للتهامي الوزاني

- في الخمسينيات : خمس روايات

- في الستينيات : ثلاث عشرة رواية

- في السبعينيات : خمس وعشرون رواية

- في الثمانينيات : ثلاث وستون رواية

- التسعينيات : تسع وسبعون ومائة رواية

إن ذلك يعني أن الرواية العربية في المغرب لم تعرف انطلاقها الحقيقية إلا في الستينيات والسبعينيات، وبلغت درجة تعتبر مؤشرة على رسوخ نسي للكتابة الروائية على امتداد الثمانينيات والتسعينيات، بانخراط أجيال جديدة من الكتاب الشباب الذين تميزوا بكتابة الروايات القصيرة خاصة. وما لا شك فيه أن هذا التراكم

## الرواية العربية في المغرب : سنحاول تناول هذا

الموضوع من ثلاث زوايا : (1) التكوين (2) الإنتاج والتصنيف (3) التلقي، محاولين، عبر التحقيق والتصنيف إبراز الإطار العام الذي نشأت فيه الرواية المغربية المكتوبة العربية وتحديد مراحل تطورها وضبط محافل تلقيها، بإيجاز، من الأربعينيات إلى نهاية الألفية الثانية.

1) التكوين : تركز الفكرة الأساس في هذه المقاربة على مسلمة نقدية تتمثل في أن الأجناس الأدبية، ومنها السردية، تتكون وتتطور تحت تأثير ما نسميه بـ(العوامل الداخلية) التي نعتبرها "مكونات" مدعمة بالعوامل الخارجية ليست هي في نظرنا مجرد "مؤثرات".

وتتصل المكونات المشار إليها بمستوى التطور اللغوي معجمياً وتركيبياً ودلالياً، وبنوعية المتخيل الأدبي، وبدرجة إدراك أبعاد الجنس السردية، في ضوء نظرية الأدب؛ كل ذلك في إطار ما يسمى بـ(المؤسسة السردية) التي أخذت تترسخ كمفهوم للكتابة يختلف شكلاً ومضموناً عن الكتابة الاستدلالية بمختلف تشكلاتها. وهكذا نشأ في المغرب وعيان متماسكان : الوعي لغوي جديد يقوم على (التعددية) ووعي أجناسي ينزع نحو (الحكاية)، استجابة للتحولات التي طالت الأذواق والتصورات والأفكار، في علاقة وثيقة مع مفهومي (العصرية) و (التجديد) اللذين نجد لهما صدى واسعاً في آثار بعض الكتاب المغاربة بين العشرينيات والثلاثينيات، كما يتجلى ذلك في (فواصل الجمان في وزراء وكتاب الزمان) سنة 1348 لمحمد غريظ، وفي (الأدب العربي في المغرب الأقصى) سنة 1929 لمحمد بلعباس القباچ، وفي (الزاوية) سنة 1942 للتهامي الوزاني...

لقد لوحظ، منذ العشرينيات، بروز حركة اجتماعية نحو التحرر من بعض العاهات السائدة التي أشار إليها محمد غريظ في (فواصل الجمان...) محدداً هدفها في (تلخيص الشبيبة العصرية منار من ربعة تقليد العواتد)، وصاحب ذلك ازدهار كتابة الرحلات ونشرها في الصحف اليومية المغربية مما يدل على نوع من الانفتاح على الخارج، وتلق إيجابي لهذا الجنس الأدبي المتجدد من مختلف محافل التلقي من ناشرين وقراء. وهكذا نشرت في جريدة (السعادة) مثلاً الرحلة الحجازية الأولى سنة 1916 والرحلة الحجازية الثانية سنة 1932 لأحمد الصبيحي، والرحلة الحجازية سنة 1917 لمحمد دينية ورحلة محمد بن يحيى الصقلي (وداعاً وإلى الملتقى) سنة 1928، والرحلة الحجازية لإدريس الجعدي سنة 1930...

إن الاهتمام بالرحلة يمثل في نظرنا مرحلة أساسية في تاريخ تكون الرواية المغربية، لأنها ساهمت في إعادة

العددي عبر خمسة عقود أحدث تطوراً على المستوى الفني كما سيتضح من التحقيب والتصنيف التاليين :  
الاتجاه الإحالي :

إن (الإحالي) يكاد يغطي كل كتابة روائية لذلك اعتبرناه رديفاً وشبه مرادف للواقعي والتاريخ والسيرري والسيرذاتي.

وما سنصدره من تصنيفات ليس مطلقاً ولا نهائياً فلربما لا يقتنع آخرون بهذا التحديد وهذا الطرح النظري. إن تصنيفنا سيقوم على اعتبار العناصر المهيمنة في النص وعلى التسلسل التاريخي للكتابة الروائية.

لقد انتقل الاتجاه الإحالي من تناول التاريخي العام المنتزج بالسيرري والسيرذاتي (الزاوية) للتهامي الوزاني سنة 1942، إلى التاريخ المتعلق مع السيرذاتي (في وزير غرناطة) 1950 لعبد الهادي بوطالب، كما نعرش على التاريخ حاضراً بشكل عجائبي في الروايات القصيرة، لعبد العزيز بن عبد الله في الخمسينيات. وفي كتاب (في الطفولة) 1958 لعبد المجيد بن جلون، تدخل الكتابة السيرذاتية مرحلتها الروائية.

وقد كانت الستينيات والسبعينيات فترة عرف فيها الاتجاه الإحالي في صيغته الواقعية بعض الازدهار بصدور (دفنا الماضي) 1966 و(جيل الظمأ) 1967، ثم (المعلم علي) 1973، و(المخاض) 1972، و(الظييون) 1977 و(المغتربون) 1979 وحدث تحول في الأساليب والأشكال في نهاية السبعينيات وخلال الثمانينيات والأربعينيات بصدور (عربيات ليجال) 1979، و(السنوات العجاف) 1984 و(الخنزير) 1984 و(أوراق الصفصاف) 1995 و(وكر العنكبوت) 1997...

تلحق بالاتجاه الإحالي الكتابة المتعلقة بتجربة الاعتقال كما تحدثت عنها عدة روايات، منها (سبعة أبواب) 1965 لعبد الكريم غلاب و(كان وأخواتها) 1986 و(الساحة الشرفية) 1999 لعبد القادر الشاوي.

ولهذا الاتجاه الروائي المغربي الذي يحمل أيضاً اسم (أدب السجون) أو (أدب المقاومة) صفات أسلوبية وتيمات أصيلة، ويتميز عن كتابات أخرى عربية مماثلة بميله إلى الإيقاع الروائي، رغم الطابع الذاتي لهذه الكتابة، وذلك عن طريق الانشطار النصية التي تفضي إلى خلق عوالم ممكنة مغايرة للخط المهيمن للأحداث.

ويلحق بالكتابة الإحالية رهنأ السير ذاتي أو المصاقب له، باعتباره رؤية خاصة للواقع ولصيورة التاريخ، مثل (الضريح) 1994 و(الضريح الآخر) 1996، لعبد الغني أبو العزم و(زمن الشاوية) 1994، و(مسار الشوق) 1994 لشعيب حليفي، و(رجوع إلى الطفولة) 1995 لليلى أبو زيد، و(فلا تنس الله) لليلى لخلو...

الاتجاه الحدائي : الحدائة باعتبارها تمثلاً للقيم الفكرية والأدبية والفنية تعتبر لحظة حاسمة في تاريخ الرواية

العربية في المغرب، ابتداء من السبعينيات بظهور (المرأة والوردة) سنة 1972 لمحمد زفراف، و(زمن بين الولادة والحلم) في نفس السنة و(الجنازة) سنة 1987 لأحمد المدني، و(الغربة) 1971 و(اليتيم) 1978 لعبد الله العروي و(إملشيل) 1980 لسعيد علوش... وتقوى هذا الاتجاه في الثمانينيات بصدور (الخيز الحافي) 1982 لمحمد شكري، و(الفريق) للعروي و(الأبله والمنسية وياسمين) 1982، و(عين الفرس) 1988 للميلودي شغوم، و(أحلام بقرة) 1988 لمحمد الهراي، و(لعبة النسيان) 1987 لمحمد برادة، و(المبارة) 1988 لمحمد عز الدين التازي...

واستمرت الكتابة الحدائية عند محمد الأشعري (جنوب الروح) وشعيب حليفي (رائحة الجنة) وحسن نجمي (الحجاب) وزهور غرام (جسد ومدينة) وأحمد طليعات (المختصر من مقامات الإنفاق) ويوسف فاضل (ملك اليهود) وعلي أفيال (شجرة التين) وكلها في سنة 1996.

إن الانتاج الروائي الذي صدر في إطار الحدائة يمثل أكثر من نصف الإنتاج الصادر في المغرب في هذا المجال، وكان له حضور على المستوى الأكاديمي وفي الساحة الثقافية والأدبية بحيث يمكن أن نقول إنه كان يسعى لجعل (المغرب الروائي) يعيش على إيقاع أحداث العصر من نظريات فكرية وقيم أدبية وفي تفاعل معها. ولاشك أيضاً أن الإنتاج الروائي الحدائي، كما وكيفا، يمثل نقلة نوعية في مجال الكتابة الأدبية وفي مجال تطور الفكر في المغرب المعاصر.

لقد استغلت الحدائة الروائية ما أسيناه (التباس العلامات) وله علاقة بالخاصية الدينامية للنص الروائي، في مستواه العبر لساني ؛ وذلك بتوظيف مختلف مجالات التعبير السردية والشعرية وأصناف المفارقات وتعدد محافل الخطاب وتداخل الضمائر النحوية وتشعب مستويات الرمز والأسطورة، وتوظيف الانشطار الروائي بأنواعه الشذري والمرآوي وانشطار البقايا ؛ وقد أدى ذلك كله إلى خلق بيضات وفجوات لا يتمكن المتلقي من ملئها بالرجوع إلى الموسوعة المعرفية العامة. إن من أبرز مقصديات الرواية الحدائية من حيث الشكل البحث عن الصنعة القائمة على الغموض، وذلك يؤدي إلى (إقصاء) شرائح كثيرة من القراء، ويجعل النص حكراً على (دائرة) ضيقة من المتلقين الذين يتناقص عددهم تدريجياً، بخلاف الرواية الإحالية التي تؤكد على جلاء المعنى عن طريق تقنيات حكائية وسردية وأساليب وصفية وتساعد على جعل الخطاب مباشراً وشفافاً لدى المتلقي.

هناك في تجربة الحدائة تغييب قصدي لما يسمى بالحكاية وتعويضه بتقديم أوصاف ومشاهد وخطاب استدلالي ذي طابع إيديولوجي. إن الروايات التي تدخل في هذا الإطار تحاول في أغلب الأحيان الانفلات من إواليات الارتداد وتسعى إلى المغامرة في مستوى الأشكال والطرانق

السردية. ونجد في الروايات الحديثة أحيانا توظيفاً جزئياً للتراث كما هو الشأن عند محمد زقزاق في (المرأة والوردة) وعند الميلودي شغوم في (الأبله والمنسية وباسمين) وفي (عين الفرس) وعند محمد الأشعري في (جنوب الروح)، كما يصبح ذلك التوظيف ذا طابع انشطاري تناوبي كما يتجلى ذلك في (بدر زمانه) لمبارك ربيع.

اتجاه الحدائثة التراثية : يقوم هذا الاتجاه الروائي على الانغماس في التراث العربي والشعبي بمختلف تجلياتهما وعلى توظيف انتقائي لطرائق السرد الحديثة. إنه يعني، في نظرنا، امتلاك وعي مزدوج لدى بعض الكتاب المغاربة : وعي بالمأزق الذي وصلت إليه تجربة الحدائثة في إطارها الغربي في مجال الإنتاج الروائي (الغموض، الاستلاب، التعقيد)، وعي بالألق الذي يفتحه التراث الكلاسيكي والتراث السردى الشعبي على مختلف مستويات البناء والتركييب، في إطار المحافظة على خصائص الذائقة الجمالية المتوارثة.

وتأكيدنا على هذه التجربة بأنها (حدائية) ينطلق من إيماننا بالفكرة التي ترى أنه (لا يصح أن تبحث الحدائثة العربية من منظور غربي، وضمن معطيات الحدائثة الغربية، وإنما يجب أن تبحث في أفق الفكر العربي أصولاً وتاريخاً وضمن معطياته الخاصة وبأدواته المعرفية، وفي إطار القضايا التي أثارها أو نتجت عنها) أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب بيروت، ط. 2، 1985، ص. 19.

وقد ظهر في المغرب الاتجاه الحدائثي التراثي في مجال الرواية، من المقدمات النظرية التي أشرنا إليها، ممثلاً في بنسالم حميش بـ(مجنون الحكم) 1993 (العلامة) سنة 1997 موظفاً شخصيات تاريخية تتخلى تدريجياً عن انتمائها التاريخي لتسير خطاب إيديولوجي يتعلق بالأوضاع الراهنة.

وقد بلغت الحدائثة التراثية مرحلة نضجها في روايات أحمد التوفيق (جارات أبي موسى) سنة 1997 (وشجيرة حناء وقمر) سنة 1998 (والسيل) سنة 1999 (وغريبة الحسين) سنة 2000.

إننا في هذه الروايات نتحسس التاريخ لا باعتباره (وصفاً موضوعياً لتعاقب الأحداث) بل باعتباره (إعادة تشكيل للماضي في ذهن المؤرخ). والكاتب الروائي الذي يلمس لذلك الماضي فيقرأ على صفحته قراءة نقدية أحداث الحاضر.

إن تجربة الحدائثة التراثية في نماذجها الناجحة حظيت بتلق إيجابي من النقد الأدبي في المغرب والمشرق العربي، لأنها تستثمر التاريخ دون الخوض في تفاصيله كما كان يفعل جرجي زيدان وتتيح للغات متعددة عربية فصحي مركزية ودارجة وصوفية ومهنية وعالمية التسلسل إلى النص دون أن تحوله إلى خطاب إيديولوجي مباشر، كما هو الشأن

عند جمال الغيطاني، وتخلق عوالم ممكنة في إطار إعادة الاعتبار لسلطة (الحكاية) وسلطة (اللغة) وخصوصيتهما، وبذلك تحقق للمتلقى متعة ومعرفة في آن واحد.

ولا شك أن الروايات التي تنتمي لهذا الاتجاه تجد صدى إيجابياً لدى عموم القراء أيضاً لاستجابتها للذائقة الجمالية العربية والشعبية عبر التاريخ، مؤكدة مبدأ الصيرورة الإبداعية، ولطرحها، في الدرجة الثانية، أسئلة العصر بأساليب بعيدة عن الأسلوب المباشر ذي الطابع الدوغمائي، وبطرائق فنية ناضجة.

لا يمكننا أن نختم هذه العجالة حول الرواية المغربية دون الإشارة إلى ظاهرتين أدبيتين لم يكتب لهما الاستمرار :

(1) ظاهرة الرواية القومية التي قتلها روايتان (الناز والاختيار) سنة 1969 لحنانة بنونة و(رفقة السلاح والقمر) سنة 1975 لمبارك ربيع، إذ تمثل نقطة الارتكاز فيهما في اختلال الوعي القومي العربي، ومجال العقدة الحدائية في الصراعات التي خاضتها الأمة العربية والإسلامية من أجل تحقيق أهدافها العليا.

(2) ظاهرة الرواية البوليسية التي نجد بعض عناصرها في إنتاج أحمد عبد السلام البقالي، وفي (الحوت الأعشى) سنة 1997 لميلودي حمدوشي وعبد الإله الحمدوشي.

إن الرواية المغربية نشأت في أحضان التاريخ والسيره والسيره الذاتية ولم تتحرر من الواقع، رغم تنوعاتها التخيلية، لأنها كانت تستمد دائماً أهم عناصرها من الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية في المغرب المعاصر.

التحولات على مستوى التقاليد الاجتماعية والأساليب الكتابية : محمد غريبط، فواصل الجمان في وزرا - وكتاب الرمان : م. الموقت المراكشي، الرحلة المراكشية ورمأة المساوي الوقتية، 1939 : وسيلة الرحلات المنشورة وصحيفة السعادة ما بين 1916 و1932 : أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، 1987، ص. 19 : أحمد البيوري، الرواية العربية : التكون والاشتغال، شركة المدارس، سنة 2000، الدار البيضاء : محمد إدراغة، الرواية المغربية : الحصيلة الجغرافية، 1999 : دينامية النص الروائي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993.

M. Bakhtine, *Esthétique et théorie du Roman*, Paris, 1978 ; D. Dubois, *La politique du texte, enjeux socio-critiques*, 1992

أحمد البيوري

\* \* إلى جانب الرواية العربية برزت في المغرب ظاهرة الكتابة (الإبداعية) بلغات أجنبية أبرزها اللغة الفرنسية (الرباط - سلا - الدار البيضاء - فاس الخ) والإسبانية (تطوان وطنجة وشمال المملكة بعمامة وكذا أقاليمها الجنوبية). أما اللغة الانجليزية، التي تحتل الصف الثالث في هذا السياق، فقد تم تبنيتها لغة إبداعية انطلاقاً من قناعات واعتبارات شخصية لا تخضع بالضرورة للتفسيرات الواردة فيما يرتبط باللغة الفرنسية والإسبانية.

قصدنا بذلك استعمار فرنسا وإسبانيا للمغرب وانعكاساته التربوية والبيداغوجية على النسيج الثقافي والفكري المغربي.

ويخصوص الرواية المغربية بالإسبانية والانجليزية نلاحظ أنه لم يتكون بعد رصيد أو تراكم جدير بالذكر يكون، على الأقل، في مستوى ما صدر بهاتين اللغتين من شعر وقصة، فالمحاولات الروائية قائمة بكل تأكيد (ونذكر على سبيل المثال محاولات عبد اللطيف أقييب وليلى أبو زيد والجيلالي الكدية وغيرهم بالإنجليزية، ويوسف الرقاب وغيره بالإسبانية)، غير أن استشراق المستقبل ليس محبذا في هذا المضمار. وهكذا تظل الحقيقة التي نلصقها راهناً تقول إن حصة الرواية المغربية المكتوبة بالانجليزية والإسبانية ضئيلة جدا.

الواقع أن الفرنسية هي، بعد العربية، اللغة الغالبة من حيث النصوص الروائية (والإبداعية تعميما) التي تصدر عن أقلام مغربية. بل إن الرواية المغربية المكتوبة بالفرنسية قد كسبت صيتا خارج حدودنا لم تعرفه أختها المكتوبة بالعربية. كيف ذلك؟ السبب ليس جماليا ولا موضوعيا، بل يكمن في أن الموضوعات المطروقة وكذا الموقف الغرائبي والعجائبي الذي يبني عليه جل الروائيين المغاربة نصوصهم يخضع لتصميم ينزل رأسا عند أفق انتظار القراء الفرنسيين والفرنكوفونيين والغربيين بشكل عام. إدريس الشرايبي والظاهر بن جلون وعبد الكبير الخطيبي ومحمد خير الدين وعبد الحق سرحان و (في السنوات القليلة الأخيرة) فؤاد العروي وغيرهم يعتبرون من أبرز الأسماء الروائية التي تكتب بالفرنسية. وبينما تستقي جل رواياتهم، إن لم نقل كلها، موضوعاتها من مجتمع المغرب وفضاءاته وثقافته وحضارته، ينزع هؤلاء (بوعي منهم) عند بناء الرواية وتحبيكها في الغالب، وليس دوما، إلى تبني طروح واستراتيجيات "استشراقية" تحت شعار التمرد على الموروث "المتعفن" وبذريعة استبداله بقيم إنسانية وحضارية نافعة. وينضم إلى مؤلفي الرواية المغربية بالفرنسية اسم إدمون عمران المليح الذي دخل حقل الإبداع الروائي في سن متأخرة. ولما كان الظاهر بن جلون، نظرا لعدة اعتبارات، أبرز روايي مغربي (وعربي مناصفة مع اللبناني أمين معلوف) يكتب باللغة الفرنسية، أثرنا أن نخصص له هذه الوقفة القصيرة التي نروم عبرها إنصاف الثقافة والحضارة المغربيتين اللتين عادة ما ينهل منهما ابن جلون بقلم يقصد إلى تحقيق الشهرة لصاحبه مهما يكن الثمن.

بدأ الظاهر بن جلون (المولود بفاس سنة 1944) كتابة الرواية بروح الكاتب الملتزم بقضايا الأمة العربية (وعلى رأسها القضية الفلسطينية) وهوم المضطهدين فكريا أو سياسيا، ولكنه انتقل إلى توجه يرضي أفق الانتظار لدى القارئ الفرنسي، والغربي تعميما. وقد بلغت هذه الظاهرة ذروتها عند الظاهر بن جلون منذ أن حاز جائزة "غونكور" الفرنسية الشهيرة سنة 1978، حيث نلاحظ لديه نزوعا

واضحا إلى اتخاذ كل ما هو موضوع الساعة على صعيد الرأي العام والإعلام الغربيين (العنصرية، الحجاب، الرشوة، حقوق الإنسان، الخ الخ) موضوعا لرواياته بأسلوب (يتبنى التفريب والتعجيب بامتياز) عادة ما يستلهم فضاء مغربيا (أو عربيا أو إسلاميا) وشخصا "شرقيا" يكرسون النظرة الغربية المعهودة. وفي مقابل المتنبين لهذه القراءة يوجد فريق الفرنكوفونيين الذين يعتبرون روايات الظاهر بن جلون إحدى قمم التعبير عن المعيش انطلاقا من الخيال، مع توظيف بارع للتراث وحوارية الحضارات. بل إنهم وجدوا في نصوصه (ونصوص أمثاله) التمثيل الجمالي المناسب للنموذج "الشرقي" الذي رسخته في لاوعينهم عقلية استعمارية قديمة فذابوا على قراءتها والدعاية لها وترويجها بشتى الوسائل.

تطرح الكتابة الإبداعية (والفكرية أيضاً) بلغة غير اللغة الوطنية (أي العربية) إشكالات وتساؤلات متعددة، ولكن السؤال الأجدر في رأينا طرحه قبل غيره حول الرواية المغربية المكتوبة بالفرنسية (أو بلغة أخرى غير العربية) سيظل لا يتمثل في جدوى الكتابة بهذه اللغة الأجنبية أو تلك من أبعاد (واردة أو محتملة) إيديولوجية أو حضارية بالنسبة إلى المواطن المغربي، بل في ماهية النص الذي يتشكل من استعمال معين لتلك اللغة. وإذ لا نتربص عزوف روائيينا الفرنكوفونيين عن كتاباتهم، لا نخجل من الدعوة إلى توكيد دور اللغة العربية (بصفتها رمزا حضاريا ودينيا) في التعبير عن الهوية المغربية وحمايتها من الاختراق، ثم دعوة نقادنا وقرائنا الباحثين إلى التعامل مع تلك النصوص بعين فاحصة لا تعاني من مركب النقص الذي طالما ألزم الكثيرين منهم الصمت أو التفاضل.

وقبما يلي بعض العناوين الإبداعية والتقدية الكثيرة ذات الصلة بالموضوع أعلاه.

A. Khatibi, *Un été à Stockholm*, Paris, 1990 ; *Tryptique de Rabat*, Paris ; D. Chraïbi, *Le passé simple*, Paris, 1954 ; *Civilisation ma mère*, Paris, 1972 ; T. Ben Jelloun, *L'enfant de sable*, Paris, 1981 ; *La nuit sacrée*, Paris, 1987 ; L. Mouzouni, *Le roman marocain de langue française*, Paris, 1987 ; M. Boughali, *Espaces d'écriture au Maroc*, Casablanca, 1987 ; A. Memmes, *Signification et interculturelité*, Rabat, 1992 ; J. Déjeux, *Littérature maghrébine de langue française*, Quebec, 1978 ; M. Gontard, *Violence du texte*, Paris & Rabat, 1979 ; A. Tenkoul, *Littérature marocaine d'écriture française*, Casablanca, 1985.

إسماعيل العثماني

**الروايس**، شعراء مغنون متجولون باللسان الشلحي. يطلق على الواحد منهم اسم "الرايس"، ويقابل ما يعرف في مجموعات "أحواش" باسم "أمارير" أو "أنظام"، ويسمون أيضا "الرايس".

تشكل منطقة سوس الرابضة في المنخفضات التي تتوسط الأطلسين الصغير والكبير الفضاء الأمثل لنشوء مجموعات الروايس.

المجموعة الواحدة كانوا يتجاوزون الخمسة غالبا، وهم يقومون بأدوار العزف والغناء والرقص، غير أن بعض المجموعات ربما ارتفع عدد أفرادها إلى ما يفوق العشرة. وقد كان الحاج بلعيد أبرز الروايس الذين لمع نجمهم بالمغرب في الثلاثينيات، (انظر بلعيد في المعلمة).

وقد تتلمذ عليه عدة أشياخ أصبحوا بدورهم من ألمع الروايس، ومن هؤلاء، الرايس مبارك التازروالتي عازف الرباب، والرايس العربي الوجيه الجباري. والرايس محمد بن العربي الباعمراني، وكلاهما يعزف على لوتار، وهو كغيري ذو ثلاثة أوتار، والرايس مولاي علي الصوري الناقر على الطاسة.

وإلى جانب الحاج بلعيد عرفت الساحة الفنية بالمغرب جملة من الروايس الرواد، كان فيهم الرايس الحسن غودو، والرايس حمو الطالب، والرايس محماد بن لحسن ساسيو الذي استفاد منه شوتان في تأليف كتابه موسيقى ورقصات بربر بلاد الشلوح، والرايس محمد بصير الذي اشتهر بلقب "أبو كاض"، والرايس محماد بن يحيى بن حمو المشهور بلقب "أوتزناخت"، والرايس مولاي علي بن المدني أحد تلامذة محماد ساسيو، والرايس الحسين أوبومالك الشهير بلقب "جانتي".

ومن الروايس المتأخرين الذين ملأوا الساحة الفنية بعد هؤلاء، الرايس الحاج محمد بن لحسن الدمسيري (1937 - 1989)، والرايس الحاج عمرو واهروش (1933)، والرايس احماد أمنتاگ (1931)، والرايس لحسن بومارگ (1927)، والرايسة فاطمة تيجيحيث، والرايسة رقية الدمسيرية، وغير هؤلاء كثير.

وعلى غرار ظاهرة فرق الأجيال التي انتشرت في السبعينيات، عرف مجال أغنية الروايس نشوء فرق جديدة تحمل - هي أيضا - شعارات التجديد والبحث. ومن بين هذه الفرق برزت مجموعة عبد الله إيزنزان التي لقيت أعمالها

بترأس الرايس فرقة من الموسيقيين قوامها عازفون على آلات الرباب ولوتار والناقوس والتوفقات، والبندير أحيانا، إضافة إلى راقصات يُرجعن لوازم الأغاني على طبقة صوتية حادة. ويحرص الروايس على الظهور أمام الناس بمظهر خاص يعتبرونه طقسا يميزا لهم عن غيرهم من رواد الأغنية الأمازيغية. وفي هذا الموضوع كان الرايس الحاج محمد الدمسيري - وهو أحد أبرز الروايس المعاصرين - يرى أنه لا بد من العمامة والبلغة والحزام والرباب، كما كان الرايس الحاج بلعيد شديد التمسك بارتداء الجلباب الأبيض وتقلد الخنجر ودليل الخمرات والكُمبية وأقرب والمجادل.

وقد عرفت في المغرب مجموعات متعددة للروايس، اشتهرت بأسماء رؤسائها الذين يجمعون - في غالب الحالات - بين القدرة على النظم والتلحين والعزف والغناء؛ ومن ثم فإن الرايس يحصر نشاطه في إنشاد ما يبده بنفسه، ولا يكاد ينشد ما أبدعه غيره من الروايس إلا في فترات التلمذة على أحدهم.

تقوم أغاني الروايس على ألحان موسيقية يرتجلونها، وتخضع في مجملها لطبيعة الموسيقى السائدة في منطقة سوس والقائمة على جنس المقام الخماسي Pentatonique وتشكل الأغنية من مقاطع شعرية يضطلع بإنشادها الرايس أو أحد أفراد المجموعة، وتتوسط هذه المقاطع لازمة يقوم بترجييعها باقي أعضاء الفرقة.

أما مضامين أغاني الروايس فتشكل سجلا حافلا بوصف الأحداث التي عاشتها منطقة سوس في فترات ترسيخ الوجود الاستعماري بها، كما تعكس صورا مشرقة من بطولات المجاهدين مشيدة برجال المقاومة الوطنية، ومنندة بالحنونة والمتخاذلين. وهي إلى ذلك تطرق مواضيع الوعظ والإرشاد الديني، وتنتقد ما ساء من عادات الناس، أو تصف رحلات الروايس وجولاتهم في الأقطار التي زاروها.

وتذكر المصادر الفنية بأغاني الروايس أن أعضاء



الاستحسان. أما ما عداها من الفرق ففي رأي المرحوم الرايس محمد الدمسيري "أن أعمالها مجرد إسفاف وابتذال".

ع. أمير، الشعر المغربي الأمازيغي، ص. 11، 28، 29، 59، 74، 75، 129، 151 : الاتحاد الاشتراكي، حوار أجراه محمد خميس مع الدمسيري، 14 غشت 1988 : إيزنارن عبدالله، مج. التراث الشعبي، العدد 2، السنة 12، 1981، ص. 117-118.

Prosper Ricard, Préface du livre d'Alexis Chottin : *Corpus de Musique Marocaine. Fas. II. Musique et danses berbères du pays chleu*, 1932, p. 14.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**أبو الرواين، أحمد بن حسين العبدلي السهلي.** كبير أصحاب الشيخ محمد بن عيسى (ت. 933 / 1526)، وأحد مشاهير الملامية خلال النصف الأول من القرن العاشر (16 م) وأشهر المشايخ الجزوليين المنتسبين إلى هذه الطائفة. وإذا كان سنده العيساوي يصنفه في الطبقة الجزولية الثالثة، فإن لقاءه وأخذه عن صدر الطبقة الجزولية الأولى الشيخ محمد الصغير العمري السهلي (ت. 918 / 1512) متواتر في كتب طبقات الطائفة الجزولية، ويرفعه إلى الطبقة الثانية، ويجعله على قدم المساواة مع شيخه ابن عيسى. كما أن لقب السهلي الذي جاءه من قبيلة أولاد عبد الله السهلين القاطنين بحوز سلا، والذي يشترك فيه مع كبير صحب الإمام الجزولي الذي ينتسب للسهول من جهة أخواله، قد يتصل بقربة طينية يمتاز بها أبو الرواين عن أتباع شيخه السهلي، والذين تذكر منهم مصنفات التراجم شيخه ابن عيسى وعبد الحق الزليجي وعبد الوارث البالصوتي (ت. 971 / 1563).

ولا يقلل من شأن لقاء وأخذ أبي الرواين عن السهلي ما تؤكد عليه المصادر من أنه استأذن فيه شيخه ابن عيسى فأذن له، وأن السهلي لما أحس منه الميل إليه صرفه إلى شيخه الأول. كما لا يشترك أبو الرواين مع شيخه ابن عيسى في الأخذ عن الشيخ السهلي فحسب، بل ويخالطه في تراجمه، ويتفرد بالذكر فيها دون بقية أتباعه، وتدور حوله كراماته، وتتحقق فيه، وتفيد بعض الأخبار المتصلة بالعلاقة التي نظمت بينهما تحمل شيخ الطائفة العيساوية لأمر كانت تصدر عن أبي الرواين، وتشذ عن آداب المرید مع الشيخ. إذ كان يأتيه بالليل فينقر عليه، ويسأله هل نحن باقون على العهد ؟ فيجيبه : باقون يا ولدي إن شاء الله ! وأنه ضرب يوماً ولده، فقال له : والله يا ولدي لأنت أعز منه !

ولا تذكر المصادر اتصال أبي الرواين بالأفحامية التي تعد الطريقة الثانية والكبرى في الزروقية إلى جانب الراشدية، والتي أحيت طريق أهل الملامة بالمغرب مع مطلع المائة العاشرة للهجرة. وذلك على يد إبراهيم بن علي الزرهوني المعروف بأفحام أو أفهام (ت. 926 / 1520) كبير

صحاب الشيخ أحمد زروق (ت. 899 / 1493) من أهل المغرب الأقصى، وأيضاً تلميذه الأوحى أحمد بن علي الصنهاجي الملقب بالدوار (ت. 941 أو 947 / 1531 أو 1540). ولما كانت ملاميته الشيخ أفحام أقرب إلى جوهر الطريق الملامتي كما عرف به مشايخه الأوائل بخراسان خلال القرن الثالث (9 م)، فلا يستبعد أنه لم يقصد إلى تأسيس طائفة لها مشايخ ومریدون. وإنما ظهر بصفات وأداب الملامة التي ميزت طريقه عن بقية الطرق، وسمح لكل فرد شاء التأسى به أو نهج سبيله أن يفعل دون شرط انتساب أو انتماء. ولعل هذا ما يفسر التناقض الملحوظ بين الانتشار الواسع الذي حظيت به طريقه، وتفرد علم واحد فقط بالجمع بين النسبة إلى مذهبه والتلمذ عليه، وهو الدوار. وتؤيد هذا القول حال شهير آخر من مشايخ الملامية المكناسيين المعاصرين لأبي الرواين، وهو الشيخ أبو الفضل فرج الأندلسي المكناسي (ت. حوالي 939 / 1532)، الذي لا تعرف له نسبة إلى الشاذلية بفرعها الجزولي والزروقي، ولا إلى أية طريقة أخرى، عدا مسلك أهل الملامة. وهذا ينفي التلازم بين الانتساب إلى أهل الملامة والانتماء إلى الزروقية - الأفحامية، ويهون من شأن افتراض أو عقد صلة لأبي الرواين بالدوار الذي آلت إليه مشيختها بعد وفاة شيخه أفحام.

والصلة الوحيدة التي جمعت بين أبي الرواين والدوار هي دالة المشيخة على تلميذها عبد الرحمان بن عياد الشهير بالمجذوب (ت. 8 / 976 - 1569)، ويفضل فيها الدوار بصدارة كافة مشايخ المجذوب، وكونه أول من اعتمد عليه وانتسب إليه في الطريق، ويراجع في هذه القضية الفصل الذي عقده عبد الرحمن الفاسي (ت. 1096 / 1685) لمشايخ المجذوب من كتابه *ابتهاج القلوب*. كما يمتاز فيها أبو الرواين بالسبق إلى الأرجال التي سينسج المجذوب على منوالها ويشتهر بها، والمعروفة بالرباعيات. ومن كلام أبي الرواين الذي اشتهر عند الناس :

بالهوى عملوا التلميذ عناية لاسر جديد

ما يروا إلا التمجيد ويلهم عزوا بهم

ولا يعتد بما ذهب إليه أحمد بن علي المنالي الزبادي (ت. 1209 / 1794) من أخذ الدوار عن أبي الرواين، وسلوكه في الجزولية. والذي ينبغي وضع اليد عليه من هذا القول هو الاهتبال بعقد صلة لأبي الرواين بالزروقية - الأفحامية، وذلك من قبل العيساويين من أهل القرن الثاني عشر (18 م). أما الكيفية التي نسجت بها هذه الصلة، ووضعها لأبي الرواين في مقام الشيخ للدوار، فيجب تركها لفراغها من كل حقيقة تاريخية. ولأنها تعبر بالأساس عن صورة الطائفة العيساوية بفاس أواخر القرن الثاني عشر (18 م)، كما رسمها المنالي في كتابه *سلوك الطريق الوارية*. حيث أحلها صدارة الطوائف الصوفية الكبرى المنتشرة بالحاضرة الإدريسية. ولا يجب أن يعزب عن بالنا

أن لبيت المنالين يدا في هذا الظهور، وأن أخاه عبد المجيد المنالي الزبادي (ت. 1163 / 1749) كان مقدما على الزاوية العيساوية الكائنة بدرب حسان من حومة البليدة بفاس. وأن أحمد المنالي نفسه يدين بالتلمذة لأحد أحفاد الشيخ ابن عيسى، واسمه أبو الرواين ويدعى روان (ت. 1169 / 1755).

إنها لمصادفة عجيبة أن نجد لصاحب الترجمة سميّا من عقب شيخ الطائفة العيساوية، وذلك بعد مرور قرنين على وفاته. وإنها لدلالة عميقة على حرص خلف الشيخ محمد بن عيسى على النسبة الدينية لخليفته أبي الرواين مثل حرصهم على النسبة الطينية لمجدهم مؤسس الطائفة. وهذا يعكس الأثر البالغ الذي كان لمشيخة أبي الرواين للطائفة العيساوية، والتي أعقبت مشيخة مؤسسها مباشرة، ونيفت على الثلاثة عقود. وتنبها لصاحبها من التأثير في النفوس مالم يتنبها لغيره من المشايخ. وكان له من الأتباع من ينتمي إلى أقاصي البلاد مثل محمد بن صالح المعروف بعريان الراس دفين تسابت بتوات، ومن عمّر إلى أن أدرك العقد الثالث من القرن الحادي عشر (17 م) مثل محمد بن يحيى البوخسيبي المعروف بقدار (ت. 1024 / 1615)، وهو من أشهر فقهاء الغرب في وقته. ونكتفي في هذه العجالة بطرح السؤال عن مقدار اتصال التطور الذي انتهى بالطائفة العيساوية إلى الصورة التي استقرت عليها بمشيخة أبي الرواين؟ وهل عرقلت هذه المشيخة نمو طريقة الشيخ ابن عيسى في المهدي، وصيرتها إلى طائفة عيساوية قالبا وروائية قلبا؟

ولا أثر للسلك الجزولي بوجه خاص والآداب الشاذلية بوجه عام فيما اشتهر به أبو الرواين في حياة شيخه ابن عيسى ومن بعده، إلا ما عرف عنه من اتخاذ الأهل والولد، ولبس رفيع الثياب. وفيما عدا ذلك فقد كان ملامتيا ذا أحوال تعتربه على الدوام، ولم يكن في ملامته يأخذ نفسه بالبخع والتأنيب، بقدر ما كان يتعمد الظهور في الناس بالأمر الموحشة التي تجلب لومهم وتؤدي إلى تنافرهم عنه. فكان يتكلم بكلام فاحش، ومن ذلك أنه دخل على شيخه ابن عيسى ومعه حضور، فقال له: يا سيدي اني جعلت زمام نفسي بيدك، وقد شغفت بحب النساء، فان لم تكن لك عناية ربانية فصاحبك يعصي الله في هذه الليلة.. والله حتى أفعال! وكان إذا لقي أحدا من الأمراء وأرباب الأموال وغيرهم من الأعيان يقول له اشتر مني ولايتك بكذا، أو تجارتك بكذا، أو نفسك بكذا! وكان يصيح غنيا ويمسي فقيرا لا يلوي على شيء، يدفع كل موجود له للضعفاء والمساكين.

وقد جذب أهل مكناسة مرة، وأتوه يستسقون به، فقال لهم أمهلوني. فذهب إلى داره وتصدق بكل ما فيها وبجميع ما كان عليه وعلى أولاده، ولم يترك بداره لقمة خبز ولا حبة زرع، ولبس تليسا! وكان يوما مارا عليه

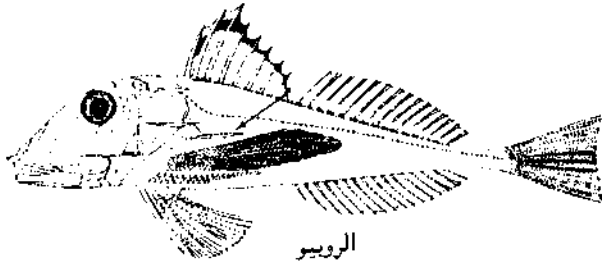
ثياب رفيعة، فقال له أحدهم: إن كنت تحب الله فتمرغ في هذه الطين. وكان في الطريق طين. فجعل يتمرغ!

ولا تقف خطورة الشيخ أبي الرواين عند درجته الرفيعة في الجزولية والعيساوية والملاطية، ولا عند أثره البارز في الحياة الروحية والاجتماعية بحاضرة مكناس أيام المتأخرين من بني وطاس. بل تعدت ذلك إلى اليد التي كانت له في الأحداث الكبرى التي عرفها المغرب خلال النصف الأول من القرن العاشر (16 م)، والتي انتهت بدخول الشرفاء الزيدانيين فاس عام 956 / 1549، وينبغي التمييز في ذلك بين مرحلتين يفصل بينهما عام 933 / 1526 الذي ألت فيه مشيخة الطائفة العيساوية إلى أبي الرواين، وانتقل من أكبر تابع للشيخ ابن عيسى إلى متبوع من قبل أكبر طائفة صوفية في القسم الخاضع من البلاد للسلطة الوطاسية.

تسجل المرحلة الأولى اهتمام أبي الرواين بالجهاد، وبالحرث الدائرة بين المسيحيين والمسلمين، ليس في المغرب الأقصى فحسب، بل وفي المغرب الأوسط أيضا. وحين سقطت وهران في يد الإسبان عام 915 / 1509، لبس تليسا، وطفق يطوف بمكناسة قائلاً: أخذت وهران يا صبيان، أبشروا بالذل! وتذكر المصادر تتبعه لأخبار الحركات الجهادية، وما يحققه المجاهدون من غلبة وما تقع عليهم من هزيمة. وهو لا يختلف في هذا عن معاصريه من المشايخ الذين انخرطوا في الجهاد ضد الإبريين وقد أحرقوا بالمغرب، وتمكنوا خلال العقدين الأولين من القرن العاشر (16 م) من احتلال ثغوره الواقعة على البحر المحيط إلى مصب نهر ماسة من بلاد السوس الأقصى باستثناء ثغر سلا. وأخضعوا قبائل عبدة ودكالة، وشارفوا في تغلغلهم داخل البلاد أبواب مراکش حاضرة الامارة الهنتانية. وقد كان الشيخ الملامتي فرج الأندلسي المكناسي يحضر غزوات المجاهدين، واستشهد في إحداها.

ويبرز الشيخ أبو الرواين في المرحلة الثانية كأحد دعائم المخزن الوطاسي، وكعنصر فاعل في الصراع الدائر بينه وبين القوات السياسية الداخلية المتنازعة على الرئاسة. فشارك في حادث إجلاء أمراء بني الحميد عن قيادة القصر الكبير وإخضاعه لنفوذ الوطاسيين، وحضر الوفد الذي عمل على إبرام صلح بوعقبة بينهم وبين السعديين عام 943 / 1536. ولم يترتب عن دخول السعديين مكناس عام 955 / 1548 خفوت الدور السياسي للشيخ أبي الرواين، بل العكس هو الذي حدث. وتجمع المصادر على أن سقوط فاس في يد محمد الشيخ المهدي (ت. 964 / 1556) ما كان ليتم لولا وقوف أبي الرواين في صفه، والثابت أنه أفلح في تبديد مخاوف بعض كبار مشايخ الوقت، وقد بلغت أخبار الأضرار والإحراق للذين حسم بهما ماهد دولة الشرفاء الزيدانيين مادة بعض الروايات التي فسدت علاقته بها، وهذا قبل تقدمه نحو فاس. كما يتصل ذكر أبي الرواين بحادث مصرع الخطيب الحسن بن أحمد حرزوز (ت. 961 / 1553)،

Longfin gurnard وبالإنجليزية Grondin rouge وبالإسبانية  
.Cabracho



الروييو المخطط Trigloporus lastoviza ويسمى  
بالفرنسية Grondin camard وبالإنجليزية Streaked gurnard  
وبالإسبانية Rubio.

الروييو الريابي Trigla lyra يسمى بالفرنسية  
Grondin-lure وبالإنجليزية Piper gurnard وبالإسبانية  
Garneo. ظهره ضارب إلى الحمرة وبطنه أبيض. لا يتعدى  
طوله 60 سم وشائع بين 10 - 40 سم. يعيش في الأعماق  
الرملية والوحلية والصخرية وعلى الأعشاب بالهضبة  
القارية في أعماق تتراوح بين 50 - 700م.

الروييو الصغير Scorpaena notada يسمى بالفرنسية  
Petite Rascasse وبالإنجليزية Small red scorpionfish  
وبالإسبانية Escorpora.

الروييو الأسود Dcorpaena porcus يسمى بالفرنسية  
Rascasse brune وبالإنجليزية Black scorpionfish  
وبالإسبانية Rascacio.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم  
الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 : أمين المعلوف،  
معجم الحيوان، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

D. Lloris & J. Rucabado, Guide d'identification des  
ressources marines vivantes du Maroc. FAO. 1998.

محمد رمضان

الروجي، سمك كما هو شائع في الدارج المغربي  
وبشمال إفريقيا الغربية، سمك عظمي من شائكات  
الزعانف وفصيلة موليدي Mullidae والاسم معرب من  
الفرنسية Rouget ويسمى في اللغة سلطان إبراهيم وفي  
طنجة سلطان الحوت.

ثلاثة أنواع شائعة في المياه البحرية المغربية تتميز بلون  
وردي ويزاندين لحميتين طويلتين ورقبتي على مؤخرة الفك  
السفلي :

1 - روجي الصخور Mullus surmuletus 4464 يسمى  
بالفرنسية Rouget barbet de roche وبالإنجليزية Streped

الذي حال بين أهل مكناس ومبايعة السلطان المذكور.  
توفي أبو الرواين عام 963 / 1555 ، ودفن قريباً من  
شيخه ابن عيسى، واشتهر ضريحه بمكناس.

م. ابن عسكر، دوحة الناشر، ضمن موسوعة أعلام المغرب، بيروت،  
1996، 2 : 848. 859. 887. 888. 892 : م. العربي الفاسي، امرأة  
الحاسن، ط. حجرية، 190 : ع. الفاسي، ابتهاج القلوب، تج.  
ج. النازي، 124. 130. 159. 160. 162. 167. 408 : م. المهدي  
الفاسي، متع الاسماع، تج. ع. العمراوي و. ع. مراد، 58. 109.  
110. 152 : تحفة أهل الصديقية، مخ خ ع. ج. 45 : م. ابن  
عيشون، الروض العطر، تج. ز. النظام، 108. 109. 125 : م.  
الإفرائي، نزهة المحادي، تج. ع. الشاذلي، 57. 69. 71. 76. 84 : أ.  
المثالي، سلوك الطريق الوارية بالشيخ والمريد والزواية، تج. ن.  
بنونة، د. د. ع. كلية الآداب براكش، 5. 1996. 382. 393 : ع.  
بن زيدان، إتحاف أعلام الناس، 4. 13. 14. 20. 24. 27 : أ.  
الناصر، الاستقصا، 4. 111 : ع. نجمي، من تاريخ التصوف  
المغربي خلال القرن العاشر الهجري، الملامية، مجلة تاريخ المغرب،  
العدد الأول، 1981، 15. 57.

A. Cour, La dynastie marocaine des Beni Wattäs,  
Constantine, 1920 ; R. Brunel, Essai sur la confrérie  
religieuse des Aissäouä, Paris, 1926.

عبد الله نجمي

الروييو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل  
بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم  
عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Arrubya - Rurio - Rubio  
وما زالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Rubio ومعناه الأشقر ؛  
وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677. ويكتب  
أيضاً الرُّيُّ - بدون مدّ -

م. ابن عزوز حكيم، كشاف عائلات تطاون، والمراجع العربية  
الأجنبية في الرقم 741.

محمد ابن عزوز حكيم

الروييو، سمك ، وأغونجا وكروندان المغرب كما هو  
شائع في أسواق الأسماك المغربية، والدجاج في تونس  
وكالينا في موريتانيا والجزائرية في الإسكندرية، سمك  
بحري من العظميات شائكات الزعانف وفصيلة الطريغلية  
Triglidae. منه تسعة أنواع شائعة في السواحل المغربية،  
أهمها على الجانب الاقتصادي :

Aspitrigla cuculus

Aspitrigla obscura

Eutrigla gumardus

Lepidotrigla cavillone

Lepidotrigla dieuzeidei

Trigla lucerna

Trigla lyra

Trigloporus lastoviza

الروييو الأحمر Aspitrigla cuculus يسمى بالفرنسية



**رَوَّح بن حاتم**، بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة، أحد أفراد الأسرة المهلبية التي عهد إليها الخلفاء العباسيون بإخماد نار الثورة الخارجية في المغرب، بعد نجاحها في حرب الخوارج في المشرق، خاصة منهم الأزارقة.

عمل روج بن حاتم حاجبا للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور في أول أيامه، ثم عين واليا على البصرة والكوفة والسند وطبرستان وفلسطين وغيرها من الولايات العباسية. ويرتبط حلول روج بن حاتم بالقيروان وبداية ولايته في رجب عام 171/ دجنبر 787 - يناير 788، معينا من قبل الخليفة هارون الرشيد، بعودة الهدوء إلى إفريقية، في حين كان عليه أن يواجه إعلان قيام دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى، لذلك لم يتردد في مهادنة عبد الرحمان بن رستم الإباضي صاحب تاهرت بالمغرب الأوسط.

ضبط روج بن حاتم شؤون إفريقية، بتغيير بعض العمال وإقرار آخرين، مما أفضى إلى استقرار البلاد وتأمين مسالكها وطرقها. وعرف عنه تعظيمه العلماء وتقربه منهم، مثل العلاء بن عقبة وعبد الله بن فروخ وعبد الله بن عمر بن غانم. وتحدثت المصادر عن مناقبه فأشادت بحزمه وصلابته - رغم كبر سنه - وكرمه وبلاغته. كانت وفاته في رمضان 174/ فبراير 791، ودفن بالقيروان بمقبرة باب سلم.

الرفيق القيرواني، *تاريخ إفريقية والمغرب*، 1990؛ ابن عثاري المراكشي، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، ج. 1، 1983؛ النويري أحمد بن عبد الوهاب، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، 1985؛ لسان الدين بن الخطيب، *أعمال الأعلام فيمن يبيع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام*، ق. 3، 1964؛ سعد زغلول عبد الحميد، *تاريخ المغرب العربي*، ج. 1، 1979؛ جورج مارسيه، *دائرة المعارف الإسلامية*، م. 10، د. ت.

عبد الإله بنمليح

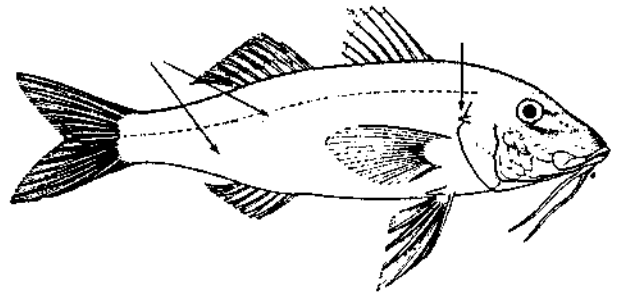
## رودانة ← تارودانت

**الروداني، إبراهيم**، مقاوم 1907 - 1956 عُرف عدو ابن إبراهيم أو إبراهيم الروداني في أوساط المقاومة المغربية بـ "الوالد" للدور الذي قام به خلال الخمسينيات لصالح القضية الوطنية.

كان عضواً بالمنظمة السرية، وهي إحدى منظمات المقاومة المسلحة بالدار البيضاء ومدت نشاطها بعيداً عن الدار البيضاء، وانتسب قبل ذلك لحزب الاستقلال. وقد نجح إبراهيم الروداني في ربط علاقات أفادت كثيراً رجال

red mullet وبالإسبانية Salmonete de roca. يألف القيعان الصخرية والغنية بالحصى وأحيانا على المناطق الرملية تتراوح الأعمال التي يعيش فيها بين 10 - 400 م على الأقل. يبلغ طوله الزقصى 40 سم وشائع بين 10 - 25 سم. يقنات من القشريات الصغيرة والرخويات والديدان. يصاد بالشباك المستقيمة وبالجيبيات والشباك الدائرية الحلقية وبالصنابير. يكثر الإقبال عليه في الأسواق السمكية ويسمى بولحية في الجديدة والقاضي في مولاي بوسلهام والروجي وسلمونيت في طنجة والعرائش وسلطان الحوت في طنجة والروجي في الرباط وسلا والدار البيضاء والمحمدية.

2 - روجي القيعان الوحلية أو الروجي الأحمر Mullus barbatus يسمى بالفرنسية Rouget-barbet de vase وبالإنجليزية Red mullet وبالإسبانية Salmonete de fongo. يعيش في الهضبة القارية بين 5 - 500 م وهو سمك قاعي يفضل المناطق الوحلية وأحيانا الرملية. يبلغ طوله الأقصى 30 سم وشائع بين 10 - 20 سم. سمك لاجم يصاد بالجيبيات وبالصنابير المنقية. يسمى الروجي في كل الأسواق المغربية.



3 - الروجي السنغالي Pseudupeneus prayensis يسمى بالفرنسية Rouget-barbet du Sénégal وبالإنجليزية West-african goat fish وبالإسبانية Salmonete bardudo. وهو أكبر أنواع الروجي طولاً (55 سم كطول أقصى). سمك قاعي لاجم يألف المناطق الساحلية ويدخل أحيانا البحيرات الساحلية ومصبات الأنهار. يعيش في أعماق لا تتعدى 300 م ويصاد بالجيبيات وبالصنابير العميقة والشباك المستقيمة العميقة. يتميز عن باقي الأنواع بشوكة على الجانب الخلفي لغشاء الحياشيم وثمانية أشواك على الزعنفة الظهرية الأمامية. على جانبيه 3 - 4 خطوط طولية حمراء. يسمى الروجي في كل الأسواق المغربية.

Hureau J.C et Monod Th., *Check list of the North Eastern Atlantic and of the Mediterranean (Glofnam)*, Paris, vol. 1 et 2, 683 p. et 331 p., 1973 ; Bianchi G., *Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche, Guide des ressources halieutiques de l'Atlantique marocain*, Rome, 151 p., 1984 ; Lloris D. et

المقاومة، نذكر على الخصوص تدخلاته لدى مصالح الأمن الفرنسية لتسريح بعض المقاومين قبل إحالتهم على المحكمة، فنال تقدير الكثير من الوطنيين، ومن ذلك قبول منظمة "الهلال الأسود" وساطته لفض الخلاف الذي كان قائماً بينها وبين المنظمة السرية التي حاولت استقطاب جميع تنظيمات المقاومة لقائدة حزب الاستقلال.



ولما كان إبراهيم الروداني يقوم بمساعي لإصلاح ذات البين بين الهلال والمنظمة السرية حصلت اغتياالات في صفوف منظمة الهلال التي اعتقدت أن إبراهيم الروداني متورط بشكل أو بآخر في هذه الاغتياالات نظراً لمعرفته الكبيرة بأسماء المقاومين الهلاليين من الشوريين والشيوعيين واللامنتيين. فترصد له ثلاثة من أفرادها واغتالوه ليلة الخميس 5 يوليوز 1956، حين كان يُغادر معملاً لصنع مادة ماء جافيل يقع في ملكه برقم 14 زقفة موناستير في المدينة الجديدة بالدار البيضاء.

لوموند، ع. 3564، الأحد الأثنين 9.8 يوليوز 1956، ص. 2 والعلم، ع. 2224، 7 يوليوز 1956، ص. 1.

Tahieb ben Bouazza, *La naissance du syndicalisme ouvrier au Maroc*. Casablanca.

محمد وحيد

**الروداني، سالم بن سلامة السوسي أبو علي أو أبو محمد،** ولد بتارودانت أواخر القرن الخامس الهجري، والمرجع أنه درس بها أولاً قبل أن يلتحق بفاس حيث قرأ الفقه على محمد بن عيسى التادلي، وصحيح الإمام البخاري عن أبي عبد الله بن الروامة، وانتقل إلى الأندلس فأخذ عن أبي العباس بن أبي جمرة (جدوة الاقتباس، القسم الثاني، ص. 521) ثم نزل أغمات وهي آنذ حاضرة علمية مشهورة فقرأ بها على عبد السلام بن ومحال الجراوي أحد كبار حفاظ مذهب الإمام مالك، وعلى ابن شبونة.

استقر ابن سلامة الروداني بسجلماسة ولازمها مدرساً ومفتياً (التشوف للزيات، ص. 283) حتى توفي بها عام 589 / 1193 (الموسوعة المغربية، 2: 6) وقد نيف على مائة سنة، كان أبو سالم رجلاً صالحاً فاضلاً وصفه ابن الأبار فقال: "كان حافظاً لمسائل الفقه قديراً على أدائها باللسان

البربري زاهداً موصوفاً بالبله وسلامة وإجابة الدعوة" (الإعلام للعباس المراكشي، 10: 33) ويبدو أن استيطان الروداني سجلماسة له علاقة بوجود طائفة من الخوارج الإباضية بها يسمون الوهيبية، فيظهر أن الداعي لاستقراره هناك هو التفرغ للتدريس والإفتاء، والدعوة لنشر المذهب المالكي موظفاً قدرته الفائقة على بسط الفقه المالكي باللسان البربري، لمجاهدة الآخذين بالرأي بهذه المدينة وكان ذلك فاشياً بها يعتنقه حتى رؤساؤها. (التشوف للزيات، ص. 98).

ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، تح. أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1984: م. المختار السوسي، رجالات العلم العربي في سوس طنجة، 1989: أحمد بن القاضي، جفوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1974: العباس بن إبراهيم، الإعلام بين حل مراكش وأغامت من الأعلام، المطبعة الملكية، الرباط، 1403. 1985: ع. العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، مطبوعات وزارة الأوقاف، 1975.

المهدي السعيد

**الروداني، محمد بن سعيد الأسفي،** المعروف بـ"الطالب" لأنه كان يعطي دروساً في الكتاب، يُعتبر من أشهر شعراء الملحنون بأسفي وأعرقهم إلى درجة أنه أصبح يشكل مدرسة بكل مقوماتها تتلمذ له عدد من كبار شعراء الملحنون على الصغيد الوطني أمثال الشاعر محمد بن علي الدمناطي ومحمد الريايطي. لم تسمح له ظروفه المادية بالعيش العادي الشيء الذي أجبره على التكسب بشعره عن طريق مدح كبار الشخصيات. ولما مرض أصبح تلميذه محمد بن علي الدمناطي يقوم بنفسه بالعمل وينسبه إلى أستاذه.

كان إنتاجه رائعاً متعدد المواضيع، وأكثره في مدح الرسول - عليه السلام - والتوسل والغزل وغير ذلك. ومن روائع قصائد قصيدة يتغنى فيها ببنات أسفي حريتها: يابنات أسفي نوضوا اتبايعو لبوعيون شهلا لالة بوسالف خدوج منير بصكري، الشعر الملحن بأسفي، د. د. ع. كلية الآداب الرباط، 1587، ص. 348: تحريات ميدانية بمدينة أسفي؛ علال رگوگ، موسيقى أسفي قيد الطبع.

علال رگوگ

**الروداني، محمد بن سليمان.** ولد بمدينة تارودانت في الجنوب المغربي، ونشأ بها وتعلم، وهي يومئذ حاضرة بلاد سوس العلمية، بما تتوفر عليه من علماء أجلة قائمين على حلقات التدريس في المساجد الكبرى الثلاثة لا سيما الجامع الأعظم ومدرسته السعدية الأنيقة. ثم تابع الروداني دراسته في الزاوية الناصرية بدرعة، والزاوية الدلائية بالأطلس المتوسط، ومدينة مراكش عاصمة الملوك السعديين

قبل أن ينتقل إلى المشرق، فكان من شيوخه المغاربة أبو مهدي عيسى السكتاني. وفي طريقه إلى الشرق أخذ بالجزائر عن سعيد بن إبراهيم قُدورة، ثم أخذ عن أعلام مصر والشام، كهلي الأجهوري، والشهاب الحفاجي، والشهاب القلوبوي، ومحمد بن أحمد الشويري، والشيخ سلطان، وخير الدين الرملي، ومحمد النقيب بن حمزة الحسيني، ومحمد بن بدر الدين ابن بلبان، وأجازوه جميعاً إجازات عامة وخاصة، فكانت إجازاتهم مادة فهرس صلة الخلف.

وبعد أن أدى الروداني فريضة الحج، جاور بالمدينة المنورة سنين طويلة إلى أن أزعج عنها بمكايد حساده وخصومه، فتوجه إلى مكة المكرمة. ورحل ابن سليمان الروداني عام 1071/ 1671 إلى القسطنطينية عاصمة الخلافة العثمانية، فمكث بها في حظوة كبيرة سنة رجع بعدها إلى مكة المكرمة، وقد فُوض إليه النظر في أمور الحرمين الشريفين، حتى صار شريف مكة لا يصدر إلا عن رأيه. ولما مات الوزير التركي الذي كان يسانده تمكن خصوم الروداني من استصدار أمر الباب العالي بنفيه عن مكة إلى بيت المقدس، فأبى متعللاً بقلّة الأمن في الطريق، ولكنه اضطر أخيراً إلى أن يترك أهله بمكة ويخرج إلى الشام، حيث عاش بدمشق منزويًا عن الناس مقبلاً على التأليف، إلى أن أدركه أجله بها.

أجمع الذين ترجموا لمحمد بن سليمان الروداني - مغاربة ومشاركة - على أن ذهنه لم يكن عادياً، وأن أعماله العلمية ليست كأعمال معاصريه. أول ما يتجلى ذلك في مشاركته في جميع العلوم المعروفة في عصره - كما يظهر ذلك في صلة الخلف - مشاركة تختلف عما اعتيد في غيره من العلماء، ذلك أن المشارك - عادة - يضلّع ويبرع في علم، ويشدو في علوم أخرى شداً قليلاً أو كثيراً لا يبلغ حد البراعة، غير أن صاحبنا متمكن من كل علم عرفه تمكن من لم يعرف غيره.

ويمكن القول إن المعقولات هي التخصص الدقيق لمحمد ابن سليمان الروداني، قرأ ما عُرِب من كتب اليونان، ومؤلفات حكماء الإسلام راوياً بعضها مسلسلاً كذلك إلى مؤلفيها. وقد عبّر عن تمكّنه في ذلك أحد تلاميذه الدمشقيين عبد القادر بن عبد الهادي، وكان قد لازم مجالس الروداني العلمية وأفاد منه كثيراً وصحبه في رحلته إلى القسطنطينية، قال: "وكان - يعني الروداني - في الحكمة والمنطق والطبيعي والإلهي، الأستاذ الذي لا تنال مرتبته بالاكْتساب، وكان يتقن فنون الرياضة لأقليدس، والهيئة، والمخروطات، والمتوسطات والمجسطي، ويعرف أنواع الحساب والمقابلة والارتماطقي وطريق الخطأين والموسيقى والمساحة، معرفة لا يشاركه فيها غيره إلا في ظواهر هذه العلوم دون دقائقها والوقوف على حقائقها". وأكد ذلك الرحالة المغربي الشهير أبو سالم العياشي في

ماء الموائد، وكان قد عاش ابن سليمان الروداني سنة كاملة في المدينة المنورة، واطلّع أثناءها - عن قرب - على مؤلفاته ومخترعاته واقتبس منها، فكتب عنه: "... حكيم الإسلام، وأحد العلماء الأعلام، المتوقّد فطنة، والمتوهّج ذكاء، الممتلئ حكمة وإيماناً، ولم يرشح له وعاء، ولا حلّ له أحد وكاء... وقد حقق علم التنجيم بجميع أنواعه، مع ما يتوقف عليه من علوم كالحساب وغيره، إلا أنه يتحاشى تعاطي ما يدل منه على الحوادث المستقبلية ديانة منه - رضي الله عنه - وله قصيدة في علم التوقيت أكبر من الروضة، بالغ في تجويد نظمها، وأتقن فيها الفن غاية الإتقان، وخالف كثيراً من المؤلفين في ذلك الفن في أشياء بيّن حقيقتها بالدليل والبرهان، وقرب العمل فيها بضوابط وقواعد مبنية على الإرصادات الصحيحة الواقعة في هذه الأزمنة القريبة..."

الذي يشير الانتباه أكثر في هذا النص، هو اجتهاد الروداني في علم الفلك، وعدم تقليده الأزياج القديمة، واعتماده على الأرصاد الحديثة. هذه منهجية النقد في طرق البحث الحديث، كان يتبعها الروداني في جميع أعماله العلمية، ولا يقبل من الحقائق والوقائع إلا ما أبدته التجربة، وأقرّه البرهان. وقد آناه الله ذهنًا متوقّداً ويداً صناعاً، فكان يصنع الآلات الفلكية بيده من اسطرلابات وأرباع ودوائر وأنصاف ومكانات.

وأعجب مصنوعات الروداني المبتكرة التي وصلت إلينا أوصافها مفصلة، كرة فلكية دقيقة تغني عن كثير من الأعمال الحسابية والآلات الهندسية، سماها الآلة الجامعة، وهي - كما يقول العياشي - في الرحلة - : "كرة مستديرة الشكل، منعمة الصقل، مغطاة ببياض الوجه الصمّو بهن الكتان، بحسبها الناظر بيضة من عسجد لإشراقها، مسطرة، كلها دوائر ورسوم، قد ركبت عليها أخرى مجوّفة منقسمة نصفين، فيها تخاريم وتجاويف لدوائر البروج وغيرها، مستديرة كالتى تحتها، مصقلة مصبوغة بلون أخضر، فيكون لها ولما يبدو من النبي تحتها منظر رائق، ومخير فائق، وهي التي تغني عن كل آلة تستعمل في فني التوقيت والهيئة، مع سهولة المدرك، لكون الأشياء فيها محسوسة، والدوائر المتوهّمة في الهيئة والتقاطع الذي بينها مشاهد فيها، وتخدم لسائر البلاد على اختلاف أعراسها وأطوالها".

وألف ابن سليمان الروداني كتاباً صغيراً في وصف هذه الكرة وكيفية العمل بها سماه: النافعة على الآلة الجامعة، يقع في مقدمة وخمسة وأربعين باباً وعشرة فصول وخاتمة، اعتنى بتحقيقه الأستاذ شارل بيلا، من جامعة السربون، اعتماداً على مخطوطة المكتبة الحمزاوية (رقم 128) ونشر النص العربي في مجلة الدراسات الشرقية بدمشق (جزء 27، سنة 1973)، ثم نقله الأستاذ بيلا إلى اللغة الفرنسية، وعمل على إعادة تركيب الآلة على حسب

ما ورد في الكتاب من وصف أجزائها، ورسم الأشكال اللازمة للإيضاح، مستعينا في مراجعة الحسابات والتأكد منها بالسيدة كاريانتي، الأستاذة المبرزة في الرياضيات. ونشرت الترجمة الفرنسية أيضا بمجلة الدراسات الشرقية بدمشق (جزء 28 سنة 1975).

وقارن صديقنا الأستاذ محمد الأخضر محمد بن سليمان الروداني في ذهنيته العلمية واختراعاته المفيدة بمعاصره العالمين الأوربيين : الرياضي الفرنسي باسكال مخترع الآلة الحاسبة، والفيزيائي الإنجليزي نيوتن مكتشف قانون الجاذبية الأرضية. ولاشك أن آفة الروداني أنه كان يعيش في أمة أمرها إلى إديار، غشيتها من الجهل والغفلة والبأس ما غشيتها، بينما عاش الأخران في بيئة متحفزة إلى الرقي، منطلقة إلى الأمام.

توفي الروداني مغترباً بدمشق في عاشر ذي القعدة عام 1094 / 31 أكتوبر 1683، ودفن بوصية منه في سفح جبل قاسيون.

م. الروداني، صلة الخلف بموصول السلف، تح. م. حجي، بيروت، 1988 : أبو سالم العياشي، رحلة ما-الموائد، 2 : 45.30 : محمد أمين المحي، خلاصة الأثر، 4 : 204. 208 : محمد بن عبد الرحمان الفاسي، المنح البادية في الأسانيد العالية، مخطوط : م. الإفرائي، صفوة من انتشر، ص. 196. 198 : م. القادري، نشر الثاني موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 4 : م. الحضيكي، طبقات، مخطوط : م. الحجوي، الفكر السامي، 4 : 116. 115 : ع. الهي الكتاني، فهرس الفهارس، بيروت، 1982، تح. د. إحسان عباس، ج. 1 : م. المختار السوسي، سوس العامة، ص. 181 : ع. بن إبراهيم، الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام ط. فاس، 4 : 334. 359 : إسمايل البغدادي، هدية العارفين، 2 : 298 : إبطاح المكنون، 1 : 267. 2 : 7 : خ. الدين الزركلي، الأعلام، 7 : 294 : ع. السلام بن سوادة، دليل مؤرخ المغرب الأنصبي، 2 : 304 : ك. بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 2 : 459، والملحق 2 : 601 : ع. الله كتون، النبوغ المغربي، 1 : 284. 285 : ع. كحالة، معجم المؤلفين، 11 : 221 : م. ابن تاويت، وعيفي، الأدب المغربي، ص. 313 : م. الأخضر، الحياة الأدبية بالمغرب على عهد الدولة العلوية، ص. 106. 113 : شارل بيلا، مقدمة الناقعة على الآلة الجامعة، ص. 6.

محمد حجي

### الروداني، محمد بن عبد الله البولاني الإدريسي

الملقب بخرباش ثم كوثر، ولد سنة 1336 / 1917 بحي سيدي وسيدي العتيق بتارودانت ونشأ في أسرة مشهورة بالعلم والصلاح فولده عبد الله بن محمد التاماسيني الوزكيتي عارف بالقراءات والحساب والفرائض، وعييد الطريقة الدرقاوية بتارودانت، ومريد شيخ زاوية إغ الحاج علي الدرقاوي. أما والدته فهي ابنة الفقيه عمر بن أحمد الهشتوكي تلميذ الحسن التلمي (المعسول، 14 : 228).

في هذه الأسرة ولد محمد بن عبد الله الروداني فكان ميله للعلوم والصلاح فطرة فيه منذ صباه، ويمكن تقسيم حياته إلى مراحل ثلاث.

المرحلة الأولى : النشأة والدراسة الأولية بتارودانت. لم يكد الروداني يبلغ الثامنة من عمره حتى توفي والده وتركه يعاني مرارة اليتيم والفقر، فقد كان والده كما قال : "إماما في فني القراءات والميراث لهذا لم يترك لنا من تركته إلا الألواح والتساويح حيث كان درقاوي الطريقة، لهذا كان عيشنا في ضنك" (شعر محمد بن عبد الله الروداني بحث الإجازة للطالبة أمينة إيليلو إشراف الأستاذ البيزيد الراضي كلية الآداب أكادير، 1992، ص. 10).

قرأ الروداني القرآن وحفظه على تلميذي والده أحمد بن محمد الإيزاني الملقب بوتالونت، والحسن بن مولود السكتاني، ثم التحق بالفقيه أحمد بن المصلوت الهواري مدرسة الجامع الكبير بتارودانت فلازمه سنين يأخذ عنه علوم العربية والشرح ويحفظ متونها المتداولة، وخلال ذلك حضر بعض دروس باشا تارودانت الشنگيطي ومحمد بن الحسن بمسجد فرق الأحياب (المعسول، 14 : 228).

وخلال هذه المرحلة تشرب الروداني الشعور الوطني وتعرف على الحركة الوطنية ومطالبها وناضل ضد الوجود الفرنسي فكان مهتما بنشر الفكرة بتارودانت خفية في بعض المساجد لدى الشباب خاصة من التلاميذ. وكان يقوم بشرح مرامى الاستعمار ومخططاته وأعمال الوطنيين في مناوآته رابطا ذلك بالسيرة النبوية وبسيرة السلف الصالح والأناشيد الحماسية وتحفيظ الأناشيد الوطنية كما كان يقوم بنشر الشعارات الوطنية وكتابتها على الجدران. (شهادة الطيب الحياطي ضمن أعمال ندوة تكريم محمد بن عبد الله الروداني، ص. 10).

### المرحلة الثانية : عهد الحماية.

شعر الروداني بحاجته للاستزادة من العلم وبأنه لم يعد في مدينته ما يروي ظمأه فغادرها سنة 1933 متجها إلى مراكش وقد اجتذبت إليها سمعة مدرسة الرميطة وكان محمد المختار السوسي حوكلها إلى مدرسة بعد أن كانت زاوية درقاوية، فلازمه أربع سنوات استتم خلالها عليه ما كان ينقصه من معارف لغوية وشرعية وأدبية كالنحو والفقه والأصول والحديث والتفسير.

وقد تأثر الروداني بسمة مدرسة الرميطة وهي العناية بالأدب وبترية الطلبة على الإقدام والشجاعة الأدبية وعلى الفكرة الوطنية، وفي هذه المرحلة تفتقت ملكته الشعرية فنظم القصائد المطولة ومنها قصيدة في أبي شعيب الدكالي وقصائد عرشية، كما أقبل على التعلم إقبالا كلياً، قال أستاذه السوسي : "فلم يدع بابا إلا طرقة ولا كتابا أدبيا إلا طالعه فيستحضر الأدبيات والتاريخ العام والخاص" (المعسول، 14 : 229) كما انصرف إلى تعلم اللغة الفرنسية من أحد الرهبان بمراكش مقابل تعليمه العربية.

وقد زامل الروداني في أخذه بمراكش طائفة من الطلبة الذين علا شأنهم في ميداني الوطنية والأدب نذكر منهم عبد القادر حسن وأحمد بن عرفة الفاسي وأحمد النور والحسن التناي وإبراهيم الإلغي ومحمد الأسفي وعبد الله إبراهيم والحسين بن علي البيوي ومحمد بن العربي الأسفي وعبد السلام المسفيوي.

غير أن هذه المرحلة لم تدم سوى أربع سنوات، ففي سنة 1937 نفي المختار السوسي بعدها إلى مسقط رأسه إلخ وتفرق شمل طلبته، فتوجه الروداني إلى فاس للالتحاق بالقرابين، إلا أنه لم يتوقف في ذلك لما كان يلقاه من سلطات الحماية من ملاحقة ومضايقة، فغادر فاسا وحط رحاله بالدار البيضاء ليعتمد على نفسه في التعلم وليتصرف إلى طلب المعاش والكسب، متقلبا بين عدة وظائف وهي : التجارة، والتعليم : حيث عمل بمدرستين حرتين من المدارس الوطنية وهما مدرسة الأميرة عائشة التي التحق بها سنة 1937 واشتغل بها عدة سنوات، ثم مدرسة الفلاح ليث بها من سنة 1948 إلى 1964.

- تلقي الشهادات : رغب الروداني في الالتحاق بسلك القضاء غير أن طلبه رفض اعتبارا لسوابقه الوطنية ولتلتزمه للمختار السوسي، فقتع بتلقي الشهادات والتوثيق فيما بين سنتي 1948 . 1953.

- الصحافة : أصدر الروداني في يونيو من سنة 1952 مجلة "هنا كل شيء" وشغل منصب مديرها المسؤول واستمر صدور المجلة حتى بلغت 34 عددا وتوقفت نهائيا بعد صدور عددها الأخير في 20 فبراير 1954، وكانت أزل الأمر شهرية ثم نصف شهرية، وقد اعترضتها صعوبات فلم تكن منتظمة الصدور وكان الروداني يكتب افتتاحياتها لي طرح أفكاره الإصلاحية الوطنية التي لم تكن تركز على الجانب السياسي بل تتجاوز لتعالج الجوانب الاجتماعية والفكرية والثقافية، وكانت تطمح إلى مخاطبة عامة الناس راغبة في الوصول إلى أكبر عدد من القراء، جاء في افتتاحية عددها الأول : "عاهدنا أنفسنا على أن لا نتبع إلا خطة واحدة وهي خدمة الشعب المغربي من الناحية الاجتماعية لأنه في حاجة ماسة إلى مثل هذا العمل... ففي هذا المجموع يجد العامل جميع الإرشادات الضرورية... كما يجد الفلاح النصائح الفنية... أما المرأة وهي أساس المجتمع فقد خصصنا لها صفحتين... فكما يرى القارئ العزيز فكرنا في جميع العناصر التي يركز عليها المجتمع فالعامل والفلاح والمرأة والطفل والرياضي يجدون... مواضيع تهمهم يعلق عليها شبان مغاربة..." (أنقار، قصص الأطفال بالمغرب، ص. 114).

المرحلة الثالثة : الاستقلال.

نال المغرب استقلاله سنة 1956 وظهرت الحاجة لأبناء المغرب لممارسة استقلالهم وخدمة بلادهم بشغل الوظائف الإدارية، فالتحق الروداني كغيره من المثقفين بالإدارة

الوطنية وعمل كاتبا بعمالة إقليم الشاوية إلى أن عين أستاذه المختار السوسي وزيرا للتاج فالتحق به وعينه سنة 1957 مدير ديوانه، ورافقه في عمله على إخراج مؤلفاته الأدبية ومجاميعه التاريخية وبقي ملازما له حتى وفاته سنة 1963، فانتقل إلى المطبعة الملكية مساعدا لمديرها ثم ملحقا بديوان وزارة التجارة والصناعة سنة 1966 فمكلفا بمهمة بديوان وزير شؤون موريطانيا والصحراء سنة 1967 وفي سنة 1973 أُلحق بالخزانة الملكية وبقي بها إلى سنة 1980 لما أُلحق بأكاديمية الملكة إبان إنشائها وتقديرا لعمله الأدبي والفكري منح جائزة الاستحقاق الوطني سنة 1991. بقي الروداني ملحقا بأكاديمية الملكة حتى وفاته يوم 27 يونيو 1992 عن 75 سنة رحمه الله.

خلف الروداني إنتاجا متنوعا شمل الشعر والتحقيق والنثر رسالة ومقالة. غير أن إنتاجه قليل جدا لا يعبر عن إجادته فلم يوجد له سوى 386 بيتا موزعة على 18 قصيدة ومقطوعة وقد نتج ذلك عن انصرافه عن تعاطي الشعر بسبب استئثار المشاغل والوظائف باهتمامه، أو شعوره أحيانا بأن الأدب مضيعة للوقت.

واتخذ الروداني الرسالة وسيلة لتجديد الصلة بأصدقائه وشيوخه ولمخاطبة الجهات الرسمية ولتدقيق معارفه التي كان في حاجة إليها في أعماله العلمية غير أن الموجود من رسائله قليل لا يتجاوز ثمانين رسالة.

ونشر الروداني أولى مقالاته في مجلة "هنا كل شيء" ثم في مجلات وصحف وطنية أخرى مثل مجلة دعوة الحق الصادرة عن وزارة الأوقاف ومجلة الأعماق ومجلة أبعاد فكرية... كما تنوعت الموضوعات التي عالجه فشملت الترجمة للأعلام والمقالة الإصلاحية والمقالة الأدبية والمقالة الوصفية التأملية ثم المقالة التاريخية.

وكان حسه الوطني السلفي موجهه في كتاباته الصحفية، ففي مقالة الترجمة للأعلام كان يتلمس ملامح شخصيات علمية أو صوفية أو تاريخية كأبي مهدي عيسى السكتاني (مجلة دعوة الحق) وعبد السلام بن مشيش والشيخ يعزى ويهدى (مجلة الأعماق) وسيف بن ذي بزن وابن سينا (مجلة هنا كل شيء) ويعتبرها نموذجاً يحتذى في التضحية والإخلاص والصلاح وعمل الخير بناء على نموذج للصفوة التي يدعو إلى اتباعها وجعلها مثلا أعلى يجب على الشباب التأسى به واتباعه.

أما المقالة الإصلاحية فتتبع مظاهر التفسخ والانحلال في المجتمع والأدب والفكر منبهة إلى خطر ضياع الهوية وضرورة اليقظة لمواجهة التأثير السيئ للحضارة الغربية على مقومات الشخصية المغربية، أما المقالة الوصفية التأملية فتلفت الانتباه إلى ما في الكون والحياة من مظاهر الجمال والاعتبار والحكمة.

أما أسلوب الروداني فيتميز بالسلاسة والانسحاب مع الوضوح والتخفق مما لا يلزم من محسنات بلاغية كما تغلب

على مقالاته سمة الاستطراد والاهتمام بإيراد الحكايات الغربية والاستدلال بالأبيات المفردة والمقطعات القصيرة. عمل الروداني على إخراج ثلاثة كتب هي إيليج قديما وحديثا لشيخه محمد المختار السوسي، والدعاء الناصر والتيسير في المداواة والتدبير لابن زهر الأندلسي.

وكان الروداني خلال عمله في هذه الكتب يحرص على ضبط المتن وتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأبيات الشعرية وشرح الكلمات الغامضة، كما عني خاصة في كتاب شيخه السوسي بضبط أسماء الأماكن والأعلام والأحداث التاريخية وشرحها والتعليق عليها مما أدى إلى كثرة هوامشه واتساعها مع أهميتها ودقة ما فيها من معلومات وإشارات.

محمد المختار السوسي، المعسول، ج. 14 : إيليج قديما وحديثا، تح. محمد بن عبد الله الروداني، الرباط، 1966 ؛ فقيده العلم والأدب محمد بن عبد الله الروداني، ندوة تكريمية، منشورات الجمعية الوردانية للثقافة والتراث ؛ شعر محمد بن عبد الله الروداني، بحث الإجازة للطالبة أمينة إيليلو، إشراف الأستاذ الزيد الراضي، كلية الآداب أكادير، 1992 ؛ محمد بن عبد الله الروداني الأديب المحقق، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الآداب للطالبة سعيدة إدريسي تفراتي، إشراف الدكتور محمد خليل، كلية الآداب عين الشق الدار البيضاء، 1996 ؛ محمد أنقار، قصص الأطفال بالمغرب، تطوان، 1998 ؛ عمر المتوكل الساحلي، المعهد الإسلامي والمدارس العلمية العتيقة بسوس، ج. 1، الدار البيضاء، 1985.

المهدي السعيد

**رُودَة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Roda وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه المدينة بتطوان سنة 1150 / 1738.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان، تطوان، 1999 ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 742.

محمد بن عزوز حكيم

**روساي**، راييس بحري من كبار رياس عهد مولاي إسماعيل. كان يقود سنة 1104 / 1693 سفينة مجهزة بأربعة عشر مدفعا وطواقم مؤلف من مائة رجلا، وبها نفذ عملية مثيرة للإعجاب أكسبته شهرة عالية. فقد استولى في مياه جزيرة ماديرة على سفينة كرافيل برتغالية تقل عامل جزر الأصور دون ميلشور دي طوري (D. Milchior de Torrè) وحاشيته، ولم تكن الكرافيل مجهزة سوى ببعض البنادق وستة منجانيقات حاولت الدفاع بها عن نفسها خلال معركة دامت يومين وثلاث ليال. وفي النهاية استسلمت للرايس روساي بعد أن قتل من رجالها أربعة

بحارة وأسر بقية طاقمها ومن بينهم عامل الجزيرة ونجله ورجل دين، وبلغ مجموع الأسرى واحد وثلاثين شخصا من بينهم امرأتان. وقد وصل روساي إلى مرسى سلا يوم 19 أكتوبر بغنيته وأسراه، حيث تدخل القنصل الفرنسي على الفور من أجل معاملة الأسرى بما تقتضيه مرتبتهم الاجتماعية.

وخلال حملته سنة 1964 لم يحقق روساي وهو يقود سفينة مجهزة بستة عشر مدفعا أية نتيجة تذكر طيلة شهرين، ودخل المعمورة في 25 يوليو أمام أنظار السفن البرتغالية المحاصرة لمرساها دون أن يصاب بأذى. وغامر في البحر مجدداً في خريف نفس السنة وعاد إلى المرسى في دجنبر بخفي حنين.

وفي نهاية 1695 استولى الرايس روساي في مياه الجزر الخالدات على قارب إسباني سبق وأن غنم طريدة فرنسية، وكان على متنه ريان وبحاران، ادعى أحدهما أنه أحد أبرع صناع المتفجرات بفرنسا، وأنه على استعداد لاعتناق الإسلام. وقد قرر روساي أن يسوق غنيته إلى ساحل سبتة حيث كان يدرك حسن الاستقبال الذي يوفره له أهالي المنطقة، لكن الرياح لم تكن في صالحه فاضطر إلى التوجه إلى الجزائر التي مكث بها شهراً وعاد إلى مدينة سلا في 15 مارس 1696.

واستمر نشاط روساي خلال المواسم التالية حيث تسجل الوثائق حضوره ضمن لائحة الرياس العاملين، وخاصة خلال موسم 1111 / 1699 الذي اتخذ في ميناء العرائش منطلقاً لعملياته دون أن يفلح في تحقيق أية غنيمة.

S.I.H.M., 2è série, Franca, T. IV, p. 296 ; T. V, p. 271 - 72 ; Coindreau, Les corsaires de Salé, p. 85 - 86

حسن أميلي

**روسدير** Rhysaddir، مدينة وردت في مصادر مختلفة بهذه الصيغة، باستثناء الكاتب الأول الذي ذكرها وهو الجغرافي بومبونوس ميلا الذي أصدر كتابه حوالي سنة 40م (Méla, 1, 5, 29). فقد كتب اسم المدينة كما يلي : روسغادة Rusgada، وذلك في وصفه للواجهة المتوسطية لموريطانية، والمدينة مرتبة من الغرب إلى الشرق بين واد تمودة Tamude - مارتيل حاليا - ومدينة سيكة Siga الواقعة في مصب واد تافنا.

وبعد ذلك وردت المدينة عند بلنيوس الأكبر المتوفى سنة 79م، وهو الذي كتبها حسب الصيغة المألوفة عند جمهور الدارسين والتي اخترناها لكتابة اسمها، وهو روسدير Rhysaddir. ذكر الكاتب هذه المدينة مشيراً إلى توفرها على ميناء، وذلك في آخر فصل أعده لجغرافية موريطانية، حيث تحدث عن الواجهة المتوسطية. وقد رتب المدينة من الغرب إلى الشرق كما يلي : هناك واد لاود Laud. لاو الحالي - الصالح للملاحة ومدينة وميناء روسدير ثم نجد واد

ملوان Malvane - ملوية حاليا - الصالح أيضا للملاحة (Pline, 5, 18).

وفي القرن الثاني الميلادي تحدث عنها الجغرافي بطليموس في وصفه كذلك للواجهة المتوسطية. والمدينة مرتبة عنده من الغرب إلى الشرق، بين رأس سيستاريا Sestaria ومصب واد ملوشات Molochat. ملوية الحالي .. وقد كتبها كما يلي : Rousadir وحدد موقعها حسب الإحداثيات التالية : الطول 16° والعرض 34° و45° (Ptolémée, 4, 1, 3).

وفي القرن الثالث الميلادي وردت في مسالك أنطونوس، في وصف المحطات الطرقية الممتدة عبر البحر المتوسط متجها من الغرب إلى الشرق. وقد وضعت المدينة في أقصى نقطة من هذه الطريق، على بعد خمسة عشر ميلا من المحطة الواقعة قبلها وهي رأس تريس فوركاس Tres Forcas، وعلى بعد ثلاثمائة وثمانية عشر ميلاً من طنجة. وقد كتبت كما يلي : Russadir Colonia. (Itinéraire, 1.) وهذا يعني أنها صارت مستوطنة رومانية في العهد الروماني.

لقد رجح شارل تيسو أن مدينة أكروس Akros الواردة في رحلة سكولكس هي روسدير، ملاحظاً أن كلمة أكروس الإغريقية ترجمة لاسم روسدير، ومعناها في اللغة الفينيقية أو البونية "الرأس القوي أو الرأس الكبير"، وهذا ما جعل الكاتب يرجح أن المدينة فينيقية أو بونية. وهو رأي وافقه فيه روجي.

والملفت للنظر أن سكولكس الذي قدم وصفا للواجهة المتوسطية متجها من الشرق إلى الغرب، قد ذكر مدينة أكروس بعد مدينة سيكة. والكاتب بذلك يتفق مع بومبيوس ميلا في ذكر روسغادة قبل سيكة حسب اتجاه معاكس للاتجاه المتبع في رحلة سكولكس. أما سطيغان كسيل فظن أن مدينة متانغتيون Metagonion الواردة عند هيكانتي الميستي Hécatée de Milet فهي روسدير أيضاً.

إن الإشكال ما زال مطروحا حول ماضي وهوية مدينتي روسدير وكذلك مدينة روسبيس، اعتباراً لنعتهما بتسمية فينيقية أو بونية. فإلى أي حد تعكس هذه التسمية حقا أصولها الفينيقية أو البونية ؟ إن المصادر المتعلقة بموضوع الوجود الفينيقي واليوناني في موريطانية تجعلنا نرجح الوجود الفينيقي عن الوجود اليوناني أو القرطاجي. فنص رحلة سكولكس ينعت مدينتين موريثين يكونهما فينيقيتين. والأمر يخص لكسوس المعروفة حالياً، وتماثرية Thumiatería الواقعة على نهر كرابيس Krabis وهو واد سبو (Périple de Scylax, 112) لكن آثارها ما زالت مجهولة.

أما الوجود اليوناني القرطاجي في موريطانية فنعرفه بواسطة نص وحيد هو رحلة حنون، حيث ورد ذكر ست مستوطنات قبل إن حنون أنشأها خلال رحلته، بين مضيق

أعددة هرقل ونهر لكسوس (Périple d'Hannon, 2 et 5). غير أن آثار هذا الوجود القرطاجي قد اختفت منذ التاريخ القديم، كما يشهد على ذلك بلينيوس الأكبر، في سياق حديثه عن مدينة لكسوس قائلاً : "إن معظم الكتاب الإغريق وكتابتنا أيضاً يتحدثون عن أساطير من بينها أن حنون أنشأ عدة مدن في هذه الناحية. لكن ليس هناك أي أثر لها، ولا أحد يتذكرها" (Pline l'Ancien, 5, 8).

ثم إن سكولكس القريب من وقائع رحلة حنون، لم يكن على بينة من الأصل الفينيقي لروسيدير المتوسطية التي علم بشأنها، من خلال ذكر مدينة أكروس، التي يرى تيسو في اسمها ترجمة إغريقية لمدينة روسدير. بينما نجد سكولكس ملما بالمبادلات التجارية التي كان يقوم بها الفينيقيون في جزيرة كرنى Kerné على المحيط الأطلسي. وقد أسفرت الأبحاث الأثرية على مصداقية قوله بأن الفينيقيين كانوا يبيعون الخزف الآتيكي للسكان، وذلك بعثور المتقيين على هذا النوع من الخزف مع المواد الفينيقية في نفس الوسط الأثري خاصة في جزيرة مكدور، التي يرجع تاريخها إلى ما بين القرنين السابع والسادس قبل الميلاد. وبرغم أننا لم نتيقن بعد من مطابقة الجزيرة البائدة مع الجزيرة الحالية، فلا شك أن مكدور كانت تشهد رواجاً ماثلاً لما كان يجري في كرنى.

وأياً ما كن الأمر، فيجوز أن روسدير المتوسطية والأطلسية. ومعهما روسبيس، هي مواقع تعكس ذكرى المراكز الفينيقية بالمغرب القديم. والجدير بالذكر أن سترابون أكد وجود هذه المراكز الفينيقية قائلاً : "في جنوب لكسوس ورأس كوطيس Kotes يوجد خليج يدعى بالأمبوري Amprikos لأنه يحتوي على مراكز للتجارة الفينيقية Amporias". وفي سياق آخر أورد نفس الكاتب خبراً حول هذه المراكز، وهو يستغرب من مبالغة مصادره في تقدير عددها. وهذا قوله : "يحكى أن في الخلدجان التي تلي الخليج الأمبوري، توجد مراكز لأهل صور وهي اليوم مندرة، وكان عددها يناهز ثلاثمائة مدينة، لكن الفاروسيين والنكريتين حطموها عن آخرها، ويقال إن مواطن هذين القومين بعيدة عن لكسوس بحوالي ثلاثين يوماً من المشي" (Strabon, 17, 2 - 3 et 8).

وأخيراً نشير إلى أن مدينة روسبيس تندرج في ما كان يعرف ببلاد الكيتوليين، التي كانت لها مكائنها الاقتصادية في المغرب القديم. ولقد أشادت المصادر بالثروات المتنوعة التي كان يزرع بها هذا المجال، وخصوصاً اشتهاؤه بالأرجوان Gaetulia Purpuriae (Pline l'Ancien, 5, 201; 6; 127; 9; 12) ونعقد أن ميناء المدينة التي نحن بصدددها، والميناء الذي كان على نهر أسانة Asana وغيره من الموانئ الأطلسية القديمة، كان لها دور في الأنشطة الملاحية للمورين عبر المحيط. وبواسطتها استثمروا ثروات بلاد الكيتوليين، التي كانت تخضع لمملكتهم. ولعدة

de la Maurétanie Tingitane, Paris, 1878 ; S. Gsell, *Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord, 1, Hérodote*, Alger, 1916 ; Idem, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, tome 2, Paris, 1912 ; R. Roget, *Index de topographie antique du Maroc*, P.S.A.M., 4, 1938 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, 1948 ; P. Cintas, *Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc*, Paris, 1954 ; M. Tarradell, *La necropolis punico-mauritana de San-Lorinzo en Mellia*, Congreso Arqueologico del Marruecos Espanol. (Tetuan, 1953). Tetuan, 1954, p. 253 - 66 ; Idem, *Historia de Marruecos, Marruecos punico*, Tetuan, 1966 ; J. Mazard, *Corpus nummorum numidia mauretaniaeque*, Paris, 1955 ; F. Villard, *Céramique grecque du Maroc*, B.A.M., 4, 1960, p. 1-26 ; M. Euzennat, *Héritage et influences gréco-romaines au Maroc à la veille de la conquête romaine*, 8ème Congrès International d'Archéologie Classique, Paris, 1963, p. 261 - 78 ; R. Rebuffat, *Histoire de l'identification des sites antiques du Maroc*, Africa Romana, 13, 2000, p. 865 - 914 ; J. Desanges, *Commentaire de Pline l'Ancien, L'Histoire Naturelle*, Livre 5. I - 46, Paris, 1980.

محمد مجدوب

\* \* ترتبط معرفتنا بروسدير بمميزات شبه جزيرة هرك القلعية التي أجبرت الملاحين الفينيقيين على التوقف منذ نحو ألف وخمسمائة سنة قبل الميلاد بالشمال الشرقي المغربي، وهم الذين أطلقوا اسم "رس أدر" (RS ADR) على شبه الجزيرة، وعنوا بذلك، حسب لغتهم "الرأس الأكبر"، إشارة إلى اندفاع كتلة شبه جزيرة هرك وتوغلها في مياه البحر المتوسط نحو الشمال على هيئة لسان صخري هضبي مثلث الشكل بارتفاع متوسط يصل إلى ثلاثين مترا، يرسم حدوده الجنوبية مجرى كل من واد المدور وواد غساسة. اختص المركز التجاري الفينيقي المحدث بساحل شبه الجزيرة، باسم رس أدر حيث أطلق على الكتلة الصخرية الكلسية الواقعة في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة. وكان لهذا الاختيار ما يبرره، فالصخرة شبه جزيرة صغيرة محيطها ألف متر ومائتان وأربعة وعشرون مترا، تتوفر على جون صغير محيطه نحو ثلاثمائة متر، ومتعمق في البر بنحو سبعين مترا.

لم يكن هذا الاختيار بعيدا عن الأهداف الاقتصادية التي كانت الباعث الأساسي على الاستقرار بالصخرة والتعامل مع الخلايا البشرية القديمة المستقرة بشعاب جبل قبيلة قلعية. وقد دلت الحفريات التي أجريت بمصب واد المدور عن تقدم المركز الفينيقي نحو الغرب واستقرار تجاره على كدية واقعة على الضفة اليمنى من واد المدور دعيت بعد ذلك بكدية مزوجة أو تينرت، وهي التي سماها الإسبان Cerro de San Lorenzo. سبق أن عرّفنا بها في هذه المعلمة.

والظاهر أن النفوذ الروماني كان أكثر توغلا في شبه جزيرة هرك، مما يسمح بترجيح اتساع نفوذ مركز رس أدر، بسبب إضافة الأهمية العسكرية إلى الدور التجاري، مما

اعتبارات لا يسمح المجال بالإسهاب فيها هنا، نرجح أن المورين باحتكاكهم مع الفنيقيين وغيرهم من الشعوب، قد لهموا في ميدان الملاحة، وكانوا يقومون بدور الوساطة التجارية بين بلاد الإثيوبيين والعالم المتوسطي قبل خضوع البلاد للرومان.

هذا عن المدينة كما وردت في المصادر. فماذا نعرف عنها انطلاقا من نتائج الأبحاث الأثرية ؟ إن الدارسين يعتقدون بأن مدينة مليلية تغطي أطلال روسدير المتوسطية. أما المواد الأثرية التي تنتمي لروسدير فهي نقدية تحمل اسمها مكتوبا بحروف بونية، مثلها في ذلك مثل ساتر المدن المورية، التي تشترك في مارسم عليها من منتجات فلاحية تتجسد في عنقود العنب وسنبلة القمح، مع امتياز عملة روسدير عن غيرها بمشول نحلة عليها إلى جانب المنتجات الزراعية.

ومن جهة أخرى أسفرت تنقيبات طراديل في مقبرة مجاورة للمليلية عن مخلفات أثرية سلطت بعض الضوء على فترة من إعمار المدينة. يتعلق الأمر بأوان من الخزف المعتاد، التي يرى المنقب أنها تتميز بتأثيرات بونية. إضافة إلى إناء من الخزف المصبوغ وثلاث أوان من الخزف الكمباني B فضلا عن أمفورتين من النوع Dr. 18 وأمفورتين من النوع Dr. 7-11. وقد أكد المنقب أن هذه المقبرة لا تحتوي أية آثار ترجع للقرن الثالث قبل الميلاد، مما جعله يؤرخ لها بالقرنين الثاني والأخير قبل الميلاد، وهو تاريخ مقبول اعتبارا لزمان رواج المواد المذكورة.

فإذا كانت المقبرة تضم رفات سكان مدينة روسدير، فهذا يفيد أنها كانت معمورة منذ القرن الثاني قبل الميلاد. ومادام رأي تيسو يبدو سديدا في المطابقة بين روسدير وأكروس الواردة في رحلة سكولكس التي ترجع للقرن الرابع قبل الميلاد، فإن لروسدير تاريخا أقدم مما أسفرت عنه التنقيبات في المقبرة المذكورة.

انفرد بلنيوس الأكبر بذكر مدينة ثانية باسم روسدير Rhysaddir في وصف ساحل المحيط الأطلسي، اعتماداً على المعلومات الواردة في رحلة بوليبيوس Polybius التي تمت سنة 146 قبل الميلاد. وقد رتب الكاتب هذه المدينة كالتالي : "بعد روتيبس يوجد رأس صوليس Solis ثم ميناء روسدير فبلاد الكيتوليين الأوطلول Gaetulotules (Plin. 5, 9). لقد ظن تيسو أن المدينة المذكورة تقع قرب أكادير، وهو رأي وافقه فيه جيروم كاركوينو. بينما ظن گسيل أنها توجد قرب الصويرة. أما روجي فانطلق من معنى "الرأس القوي" الذي يشتمل عليه اسم هذه المدينة، ليرجح أنها كانت تقع قرب رأس غير. وقد وافقه ديزانج في هذا الرأي.

م. مجدوب، دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، 1988، مرقونة.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée*



جعل الرحالة الروماني بارتولومي Bartolome يعد المركز البونيقي مستعمرة، وهو ما تكرر سنة 70 م. على يد الإمبراطور فاسبسيانوس Vaspesianos.

والجديد في مركز رس أدر أن الرومان أحاطوا حدود الصخرة بسور، وسيكون هذا أول علمنا بتأسيس سور مدينة رس أدر. غير أن الزحف الوندالي سيضع النهاية لتلك المزايا كلها، فلم تر مدينة رس أدر النور من جديد إلا بعد قرن ونيف إثر محاولة البيزنطيين استعادة السيطرة على المدن الرومانية، فبعد حملة ترميم المدن المخربة بساحل الشمال الإفريقي جاء دور رس أدر في سنة 534 م. ويعد اسم رس أدر الفينيقي أول الأسماء الذي عرفت به مدينة مليلة القديمة منذ الفتح الإسلامي في آخر القرن الهجري الأول، وهو التاريخ الذي نحدده لاستبدال اسم رس أدر بمليلة.

حسن الفكيكي، المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة، البيضاء، 1997 : معلمة المغرب، مادة تينرت، 8 : 2756.

Fernando de Castro y Pedreda, *Melilla prehispanica*, Madrid, 1945 : *Africa, Revista de las tropas coloniales* ; R. Rézette, *Los enclaves españoles en Marruecos*.  
حسن الفكيكي

**روسيل**، (جون) John Russel، قنصل عام بريطاني كلف بتمثيل بلده لدى سلطان المغرب مرتين، الأولى سنة 1727 والثانية سنة 1729. فخلال سفارته الأولى، تلقى وهو ما يزال بصخرة جبل طارق نبأ وفاة السلطان مولاي إسماعيل، فانتظر حتى تتضح الأمور خاصة بعد اندلاع الحروب بين أبناء السلطان. ولما استقرت الأمور، ولو إلي حين، لمولاي أحمد الذهبي، قصد روسيل مكناس رفقة الوفد المرافق له، يحمل الهدايا محاولاً كسب ود المقربين من السلطان، مستفيداً من النصائح التي كان يمده بها عبد القادر بيريس الذي سبق أن ذهب في سفارة إلى بريطانيا. وقد لعب في سفارة روسيل، بالإضافة إلى دور المترجم، دوراً كبيراً في تمهيد الأجواء وتذليل الصعاب بهدف ضمان نجاح مهمة السفير. وسجل لنا جون بريتوايت، الذي كان من المرافقين للسفير، تفاصيل هذه السفارة. لقد كان روسيل، فنصلاً عاماً لبريطانيا، لكن صلاحيات واسعة فوضت له للعمل على تجديد معاهدة 1721 التي وقعها شارل ستوارت، واقتداء الأسرى، والتفاوض لزيادة فصول إضافية تتعلق بالتجارة البريطانية وتموين الحامية الإنجليزية بجبل طارق. ورغم إلحاح بريتوايت علي أن تكاليف هذه السفارة كانت باهظة، فإن روسيل لم يجد كبير عناء لضمان النجاح لسفارته، فقد تم تجديد معاهدة 1721، وإضافة مواد أخرى، بمقتضاها أصبح بإمكان المغاربة، سواء كانوا من المسلمين أو اليهود، أن يمارسوا التجارة بكامل الحرية في صخرة جبل طارق وجزيرة مينورقة بشرط ألا يستقروا هناك

أو يتخذوا مراكز تجارية في هاتين النقطتين. كما أن لهم حرية نقل سلعهم دون عراقيل إلى المناطق التابعة لامبراطور المغرب. وتم الاتفاق على أن رعيا ملك بريطانيا المقيمين في بلاد البربر (المغرب) ليسوا مجبرين على المثول أمام القاضي، بل إن النزاعات التي تحدث بينهم وبين المغاربة تعرض على حكام المدن التي يقيم فيها الرعايا البريطانيون. ويتم البت في النزاع بحضور القنصل البريطاني. وأصبح الخدم الذين يعملون لدى الرعايا الانجليز معفيين من أداء الضرائب. كما أن الرعايا الانجليز الذين يتم إلقاء القبض عليهم في عرض البحر من طرف المغاربة، ولو كانوا على ظهر سفن أجنبية، يتم إطلاق سراحهم في الحال وإرسالهم إلى جبل طارق. والأهم من كل هذا، أن روسيل نجح في إضافة بند يضمن تموين جبل طارق دون أداء الرسوم الجمركية، مع التأكيد على أن المعاهدة بشقيها أي معاهدة 1721 المكونة من 15 فصلاً والمواد الملحقة بها تترجم إلى اللغة العربية وتعلق في أبواب جميع المدن المغربية التي تقع على البحر.

غير أن الاضطرابات التي كان يعرفها المغرب في هذه الفترة جعلت تطبيق المعاهدة أمراً صعباً، خاصة مع تغيير السلاطين بشكل سريع. وهذا ما دفع جورج الثاني، ملك بريطانيا إلى إرسال جون روسيل مرة ثانية في شهر يونيو سنة 1729 إلى مدينة فاس ليطلب من السلطان عبد الله بن إسماعيل تطبيق ما تم الاتفاق عليه مع أسلافه. وقد تطلبت هذه السفارة إنفاق مبالغ باهظة. ويظهر المقال الذي كتبه مگالي مورسي Mogali Morsy التكاليف التي تتطلبها بعثة دبلوماسية أجنبية إلى المغرب وقتئذ، وهو بحمل العنوان الآتي :

"Le coût d'une ambassade anglaise au Maroc au XVIIIè siècle"

لقد كانت النفقات داخل بريطانيا وجبل طارق تتم بالعملة الإنجليزية، أما في المغرب فتستعمل العملات المحلية مثل البلانكي والأوقية والندوكة. كان على روسيل أن يتحمل تكاليف تمثيل بلده مثل أجور الخدم ولباسهم، والهدايا الموجهة للسلطان وحاشيته، كما كان عليه تحمل تكاليف الطريق مثل الطعام للرجال والحيوانات، لا سيما وأنه خلال إيايه كان مرفوقاً بعدد مهم من الأسرى الذين نجح في اقتنائهم. وأخيراً كان عليه أن يتحمل تكاليف المفاوضات، كإرضاء بعض القواد الذين بإمكانهم دعم مطالبه لدى السلطان. وإجمالاً، فإذا كانت تكاليف السفارتين تبدو مرتفعة تبعاً لما أوردته بريتوايت والوثائق البريطانية التي اعتمدت عليها مگالي مورسي، فإن فهم ذلك لا يستقيم إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار الامتيازات التي حصلت عليها بريطانيا من وراء هذه المعاهدة.

Braithwaite (John), *Histoire des révolutions de l'empire de Maroc...* Amsterdam, 1731 ; Morsy M., *Le coût d'une ambassade anglaise au Maroc au 18è siècle*.

عبد الإله الدحاني

ابن روسو، ويكتب أيضا برُسو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هنا كأسر إسبانية تحمل نفس الاسم Barroso؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 249.

محمد بن عزوز حكيم

### روسيا والمغرب، يعود تاريخ إقامة العلاقات بينهما

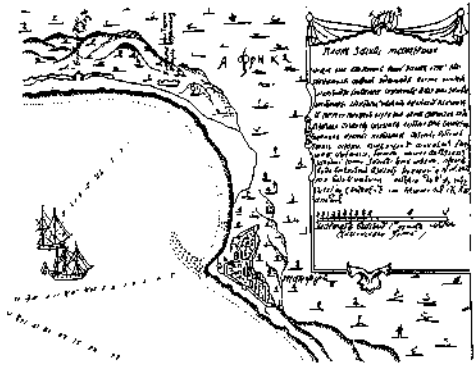
إلى عام 1897 حين فتحت القنصلية العامة للإمبراطورية الروسية أبوابها في مدينة طنجة، لكن هذا لا يعني أن الاتصال بين البلدين كان منعدماً قبل هذا التاريخ، ذلك أن هذا الاتصال الذي تجلّى في العديد من المناسبات ظلّ متواصلًا طيلة أزيد من قرنين. لكن بُعد المسافة حال دون ربط علاقات نشيطة ومستمرة بينهما.

يعود اهتمام الروسيين بالمغرب إلى زمن بعيد، ففي مطلع القرن الثاني عشر (18 م) نجد بعض الإشارات إليه في مقالات نشرت على صفحات أولى المجلات الروسية التي كان يسهر عليها الإمبراطور بطرس الأول نفسه. وقد أتت هذه المقالات بعدد من الأخبار حول المغرب عموماً وحول جيشه وحالته الاقتصادية والاجتماعية خصوصاً. أما الاتصال المباشر بين البلدين فيرجع عهده إلى الربع الأخير من القرن الثامن عشر، وهي الفترة التي قام فيها السلطان سيدي محمد بن عبد الله بإصلاحات سياسية واقتصادية مهمة كان من بينها فتح البلاد على العالم الخارجي وإبرام اتفاقيات تجارية ومعاهدات سلم ومهادنة مع عدد من الدول. فلما علمت حكومة الامبراطورية الروسية بالسياسة الجديدة للمغرب أولت هذا الخبر أهمية قصوى وذلك لعدة أسباب، أهمها أن التوقيع على معاهدة سلم مع المغرب سوف يضمن مصالح روسيا وأمن سفنها في الجزء الغربي من جنوب البحر المتوسط حيث كان يترصصها على الدوام خطر غارات سفن الأتراك العثمانيين من جهة وسفن القرصنة النشيطة في تلك الربوع آنذاك من جهة أخرى.

إثر ذلك جرت عام 1778 لقاءات في مدينة "ليفورنو" بين السفير المغربي السيد محمد بن عبد المالك والسيد "كوز" لا يتنوف" أحد المسؤولين الروسيين الكبار الذي كان موجوداً آنذاك في إيطاليا. وقد أكد الرجلان خلال لقاءاتهما رغبة العاهلين المغربي والروسي في إبرام معاهدة ودّ وسلام. وتم بعد بضعة أيام تدوين خطابي المسؤولين في شكل رسائل رسمية تبادلها الطرفان. وتعتبر هذه الرسائل أقدم الوثائق الرسمية للعلاقات بين المغرب وروسيا.

وفي شهر مايو من نفس السنة (1778) نقلت سفينتان

حريتان روسيتان السيد محمد بن عبد المالك وحاشيته من "ليفورنو" إلى طنجة. وقد كتب السيد "سكوراتوف"، وهو القائد العام للسفينتين في أحد تقاريره أنه خصّص له ولبحارته استقبال حار، وذلك تنفيذاً لأوامر السلطان الذي قرر إدراج البواخر الروسية في قائمة سفن البلدان الصديقة وتقديم كل المساعدات الممكنة لها في الموانئ والمياه المغربية. وطلب عامل طنجة من البحارة الروسيين أن يبقوا في عرض الميناء في انتظار وصول رسائل من السلطان ليحملوها إلى الامبراطورة "كاتيرينا" الثانية ووزيرها "تشير نيشيف". وبقيت السفينتان في عرض طنجة أزيد من شهرين تنتظران الرسائل حتى وصلت وتسلمها "سكوراتوف" بتاريخ 21 يوليوز عام 1778. ولقد استغل ضباط السفينتين هذه المدة الطويلة لوضع خرائط للميناء والساحل المحيط به، كما أنهم زاروا المدينة وكتبوا وصفاً لها ودوتوا ما شهدوه بها.



خريطة خليج طنجة من وضع البحارة الروس بتاريخ 19 ماي 1778

وتعتبر تقييدات "سكوراتوف" وزملائه أقدم الوثائق الروسية وأكثرها تفصيلاً حول مغرب الربع الأخير من القرن الثامن عشر.

وبعد ذلك تمت خلال عامي 1782 و 1783 مراسلة أخرى أكد فيها العاهلان وفاءهما لما كانا قد اتفقا عليه قبل سنوات.

توقف الاتصال بين البلدين مدة طويلة ولم يعد ذكر مستقبل العلاقات بينهما إلى الواجهة إلا في عهد السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام حين تجدد الحديث في

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ الْعَرَبَ الْعَرَبِيَّةَ  
مِنْ رَبِّهِ وَاللَّهُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

إلى محكمته التوفيقية والشوكة كونه إبتدأ في سنة 1783  
أثوية سأل عن حال من أبيع الصلوات ما يبعه وإن شاء لنا عمل  
محل القضاة والحقم المنفعة التي كان جعلها لنا  
القائد محمّد بن عبد المالك وكان في غاية الحكمة لئلا  
النا جهة بعض الوصول إلى الملكة والحمد لله وأفيد الترة  
أفرادك وكذا كتبنا لك كتابنا هذا الذي نكتبه فيه إن شاء الله  
معكم على ما قلناه من العاهلة والصلح وكما قلناه في  
من أكله الله نرى لم يرسا فلا يتعظم أهلك من عهدنا كذا  
عانتو ففوز صلحك وكذا في وز من قنا ولا جك لم يرسا فقل  
له التمييز هذه ناهي عنك كذا ناهي عنك كذا ناهي عنك كذا  
شعبان المبارك بحسبكم والله

روسيا عن توسيع مجال تجارتها مع بلدان جنوب غرب البحر المتوسط وعن أمن بواخرها في تلك المنطقة. فكلفت الحكومة الروسية أحد دبلوماسيها المرموقين "غورتشاكوف"، بتهيئ دراسة وافية حول هذه المسألة. وقد أعد غورتشاكوف عدة تقارير في الموضوع وكان يوصي فيها دوماً بإقامة علاقات دبلوماسية وتجارية مع المملكة المغربية لما في ذلك من نفع كبير لروسيا. وفي شتنبر 1830 أكد الدبلوماسي الروسي في تقرير بعثه إلى وزارة الخارجية الروسية ضرورة فتح قنصلية عامة في المغرب ونبه حكومته إلى أن المغرب بلد مستقل تمام الاستقلال عن الدولة العثمانية وأضاف : "... ولا بد من التأكيد هنا على أن بنود الاتفاقيات التي تربطنا بالدولة العثمانية والتي تضمن لنا تعويضاً عن الخسائر التي قد تلحق بتجارنا في منطقة البحر المتوسط نتيجة القرصنة التي تمارس على ساحل إفريقيا الشمالية لا يمتد مفعولها بأي حال من الأحوال على المغرب الذي لم يعترف قط بزعامه السلطان التركي...". وقد أرفق "غورتشاكوف" تقريره هذا بمذكرة طويلة جاءت في سبعين صفحة كتبها صديقه السويدي "غرايبر دي هيمسو"، وهو أكبر الخبراء في الشؤون المغربية آنذاك. وعنوان هذه المذكرة المكتوبة أصلاً باللغة الفرنسية "ضرورة وفوائد عقد معاهدة سلام بين روسيا والمغرب وفتح قنصلية عامة للإمبراطورية الروسية في طنجة". ورغم كل هذا فإنه لم يحصل أي اتصال رسمي بين البلدين لإقامة علاقات بينهما. وقد يكون مرد ذلك إلى الأوضاع الداخلية لكل من المغرب وروسيا وكذلك لقلّة عدد السفن التجارية الروسية في المنطقة. غير أن هذه التقارير أعطت أكلها فيما بعد، إذ تزايد الاهتمام بالمغرب الذي توافد عليه عدد من الأدباء والعلماء ورجال دولة روسيين أمثال "بوتكين" و"سوماروكوف" والأمير "قيازيمسكي" و"دانتشيكو" وغيرهم. وقد دون هؤلاء الرحالة مختلف مراحل أسفارهم داخل المغرب. وتجدر الإشارة إلى أن القارئ يلمس من خلال هذه الكتابات كثيراً من الاحترام والتقدير للشعب المغربي كما هو الشأن بالنسبة للأديب "بوتكين" الذي كتب "جنت إلى طنجة قصد الالتقاء بأحفاد صانعي تلك الحضارة الأندلسية العظيمة في إسبانيا التي لازالت معالمها شامخة في عصرنا هذا".

وشكلت تقارير غورتشاكوف وكتابات الرحالة الروسيين بالنسبة للحكومة الروسية أرضية متينة للتفكير جدياً في إقامة علاقات دبلوماسية مع المغرب في أواخر القرن التاسع عشر. وقد دشنت الامبراطورية الروسية توجهها السياسي الجديد في منطقة شمال إفريقيا بطلب المزيد من الدراسات والتقارير حول المغرب. إثر ذلك اعترفت الحكومة الروسية بالسلطان الجديد مولاي عبد العزيز، ثم تعاقبت الأحداث بسرعة فتم سنة 1897 الاتفاق بين الحكومتين على إقامة علاقات رسمية ومباشرة بينهما وفتح ممثلية روسية في

طنجة. وتم تعيين "باخيراخت" (1851-1916) على رأس هذه القنصلية العامة. تقول الباحثة موساتوفا : "... لقد جاء في أوراق اعتماده أن "باخيراخت" عين لدى السلطان المغربي بوصفه وزيراً مقيماً على رأس "المثلية الدبلوماسية" الروسية في المغرب. وبهذه الصفة فإنه كان يعتبر ممثلاً دبلوماسياً قبل كل شيء، كما أن تعيينه بواسطة أوراق اعتماد يجعلنا نتحدث عن إقامة علاقات دبلوماسية بما في الكلمة من معنى بين روسيا والمغرب وليس عن علاقات قنصلية فقط".

وصل "باخيراخت" إلى طنجة في شهر مارس من عام 1898 واستقبله محمد الطريس، وتبادل الرجلان كلمات تبرز مشاعر البلدين الصديقة في تعزيز العلاقات بينهما. وفي 11 أبريل من نفس السنة (1898) قدم الدبلوماسي الروسي أوراق اعتماده إلى السلطان مولاي عبد العزيز في حفل كبير أقيم في القصر الملكي بمراكش. وظل "باخيراخت" على رأس ممثلية بلاده في طنجة أزيد من سبع سنوات قام خلالها بنشاط متنوع نذكر منه على الخصوص تنظيم رحلة السفارة المغربية الأولى إلى روسيا وتسهيل مأمورية أفرادها. وكان العاهل المغربي قد قرر إرسال بعثة رفيعة المستوى إلى هذه البلاد كرداً على فتح المثلية الدبلوماسية في طنجة. وقد وصلت تلك البعثة إلى "سان بيترسبورغ" يوم 20 يوليوز 1901 قادمة بواسطة القطار من باريس حيث قامت بزيارة رسمية ماثلة. وكان الوفد الذي رأسه عبد الكريم بن سليمان يضم أزيد من عشرين فرداً نذكر من بينهم على الخصوص بناصر غنّام ومحمد الكباص ومحمد بنشقرن. ولقد خصص للوفد استقبال حار وأثار مجيئه اهتماماً كبيراً عند الرأي العام الروسي كما أن الصحافة واكبت الزيارة منذ بدايتها إلى نهايتها وخصصت لها العديد من المقالات. وفي يوم 23 يوليوز خصّ الإمبراطور نيكولا الثاني الوفد المغربي باستقبال كبير في القصر الصيفي بضواحي العاصمة "سان بيترسبورغ"، وقدم عبد الكريم بن سليمان خلال هذا الحفل رسالة خطية باسم السلطان المغربي إلى الامبراطور الذي سلمه بدوره رسالة جوابية، وبعد ذلك تم تبادل الهدايا. وغادرت البعثة روسيا يوم 4 غشت بعدما قامت بزيارة لمدينة موسكو.

وقد خلفت هذه الزيارة ارتياحاً كبيراً لدى الجانبين المغربي والروسي. ويرجع الفضل في نجاح مهمة السفارة إلى الجهود المتواصلة التي كان يبذلها "باخيراخت" الذي ظل اسمه مقروناً لمدة تفوق سبع سنوات بمجموع العلاقات المغربية الروسية.

خلف "باخيراخت" على رأس البعثة الدبلوماسية الروسية في طنجة "بوتكين"، وهو ابن أخ أحد الرحالة الروسيين الذين سبق لهم أن زاروا المغرب وكتبوا عنه. وشغل الممثل الجديد هذا المنصب إلى غاية أبريل من عام 1912، أي إلى حدود توقيع معاهدة الحماية التي غيرت

الأوضاع كلها، فتحولت البعثة إلى وكالة دبلوماسية، وعين على رأسها "قوودوف" الذي بقي بها إلى غاية 1917.

ورغم الظروف الصعبة التي كانت تعرفها أوروبا خلال الحرب العالمية الأولى وخاصة الظروف المأسوية التي كانت تعيشها الامبراطورية الروسية في أيامها الأخيرة، فإن الامبراطور نيكولاي الثاني بعث عام 1916 إلى سلطان المغرب مولاي يوسف "وسام ألكساندر نيفسكي المرصع بالألماس" اعترافاً من روسيا بجهود المملكة المغربية وتضحية جنودها المحاربين في صفوف الحلفاء ضد ألمانيا. وقد سلم "قوودوف" هذا الوسام إلى المقيم العام الفرنسي الجنرال ليوطي.

أقفلت الوكالة الدبلوماسية الروسية أبوابها عام 1917 مباشرة بعد سقوط الامبراطورية وانتصار الثورة البولشيفية.

بعد الإعلان عن ولادة دولة الاتحاد السوفيتي لم ينقطع الاهتمام بالمغرب في روسيا، وذلك من خلال عدد من الكتابات بأقلام القادة الجدد للدولة أمثال "لينين" و"قرونزي" وغيرهما، كما أن العديد من الكتاب والمؤرخين السوفيتيين خصصوا للمغرب حيزاً كبيراً في كتاباتهم حيث كانوا يشجبون السياسة الاستعمارية الفرنسية ويناصرون حركاته التحررية. وهذا الموقف هو الذي كانت تدافع عنه الدولة السوفيتية رسمياً في جميع المنابر الدولية.

وبعد استقلال المغرب أقيمت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في فاتح شتنبر 1958. ومنذ ذلك الحين تطورت كثيراً علاقتهم وسارت في تحسن مستمر. وهذا ما يشهد عليه تبادل الزيارات الرسمية الرفيعة المستوى التي حصلت بينهما. فبالإضافة إلى تبادل الزيارات الودية المتعددة بين كبار المسؤولين فإن "بريجنيف" و"بودغورني" قاما بزيارة رسمية للمغرب، كما أن العاهل المغربي الحسن الثاني زار بدوره الاتحاد السوفيتي. وتوجت هذه الزيارات سنة 1966 بتوقيع اتفاقيات حول التعاون الاقتصادي والتقني والعلمي والثقافي، وتلتها اتفاقيات أخرى تخص التجارة الخارجية والصيد البحري والتعاون في ميادين الجيولوجيا والطاقة وتكوين الأطر وبناء السدود إلى غير ذلك من الاتفاقيات (ويمكن للمهتم بهذا الموضوع أن يرجع إلى الكتاب المرقون حول أعمال مناظرة "حصيلة وآفاق العلاقات المغربية السوفيتية" التي نظمتها الجمعية المغربية لخريجي الجامعات والمعاهد السوفيتية بتاريخ فاتح نونبر 1988 بمناسبة مرور ثلاثين سنة على إقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين).

بعد تفكيك الاتحاد السوفيتي استمرت العلاقات الدبلوماسية وقيمت الاتفاقيات المبرمة والموقعة من قبل سارية المفعول بين المغرب وجل الجمهوريات السوفيتية السابقة وعلى رأسها دولة روسيا الفيدرالية. ويمكن القول

إن هذه العلاقات التي يطبعها الاحترام المتبادل تتطور الآن كذلك بشكل سارٍ وأنها في تحسن مستمر.

موساتوفا، تاتيانا، روسيا والمغرب في الماضي البعيد والقريب، دار النشر "ناووكا"، موسكو، 1990، (بالروسية)؛ موساتوفا، تاتيانا، العلاقات الروسية المغربية... نقله من اللغة الروسية عبد الرحيم العطاوي، مجلة دار النياحة، العدد 18، 1988، ص. 25. 31؛ عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المحمدية، 1986، 1989، في عشرة أجزاء، ج 9 10؛ حلقات من تاريخ المغرب الدبلوماسي، العلاقات المغربية الروسية، مجلة البحث العلمي، العدد 11، 12، 1967؛ عبد الرحيم العطاوي، اهتمامات روسيا بالمغرب في عهد مولاي عبد الرحمن في كتاب جامعة مولاي علي الشريف الحرفية، أعمال الدورة الخامسة، مركز الدراسات والأبحاث العلوية، الريصاني، دجنبر، 1993، دار المناهل للطباعة والنشر (وزارة الشؤون الثقافية)، 1966، ص. 34، 43؛ كتابات روسية حول طنجة في كتاب "طنجة في التاريخ المعاصر، 1800 / 1956، منشورات كلية الآداب بالرباط ومدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة، الرباط، 1991، ص. 187، 195؛ أعمال مناظرة، "حصيلة وآفاق العلاقات المغربية السوفيتية" التي نظمتها الجمعية المغربية لخريجي الجامعات والمعاهد السوفيتية بتاريخ فاتح نونبر 1988، كتاب مرقون؛ إدريس الحيواي، العلاقات المغربية السوفيتية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الرباط، مرقونة.

S.I. Miliavskaya, *Connaissances sur l'Afrique en Russie au XVIIIè s.*, in *Russie et Afrique*, Moscou, 1966.  
عبد الرحيم العطاوي

**الروسي** (أسرة) أصلها من جبل حبيب من بلاد الهبط، انتقل بعضهم إلى فاس وعملوا في حكومة المخزن العلوي لعدة أجيال. فقد تولى آل الروسي مناصب القيادة والاستشارة وتنفيذ الأحكام والمراقبة وجمع الجبايات وغير ذلك من الأمور التي جعلت علاقتهم بأهل فاس علاقة متوترة، تتجاوزها الأحقاد، ويطبعها الاستياء والشكوى والانتقام أحياناً. ومن أبرز الأسماء التي تعاقبت في سلك الخدمات المخزنية نذكر:

**الروسي، حمدون** (الجد)، استوطن مدينة فاس، وبعد أن تعرف المولى إسماعيل على ولده عبد الله ولاه النظر في الإرائنة، وهناك بعض الإشارات التي تدل على أنه أشرف على بعض الإصلاحات أو البنائيات في هذا العهد. توفي عام 1090/1679.

**الروسي، حمدون بن عبد الله**، تولى أمر فاس في سنة 1114 - 1115 قبل أن يعيد السلطان ابن أخيه أبا علي

الروسي إلى منصبه، ثم برزت شخصيته من جديد أيام حكم المولى عبد الله الذي ولاه أمر فاس عام 1141 وبلغ من عدوانته لأهل فاس أن هدم أسوارها ونقل أبوابها إلى فاس الجديد عام 1143. كما أن أهل المدينة أظهروا غضبهم من سياسته حتى إنهم قذفوه بالسباب وهو خلف السلطان في موكب زيارته لضريح المولى إدريس مما أثار غضب السلطان ورجوعه بدون إتمام الزيارة.

**الروسي، عبد الخالق**، يلقب بالبطل الرئيس، عين في قيادة فاس في فترة ولاية صولاي حفيد بن المولى إسماعيل، ويظهر أن الوحشة استحكمت بين الرجلين وانتهت بأن أمر صولاي حفيد بقتل عبد الخالق الروسي في مكناسة.

**الروسي، عبد الرحمان** (ت. 1685/1096)، ورد ذكره كأحد القادة أثناء حصار تارودانت ومحاصرة صولاي الحمران (الترجمان المغرب، ص. 379؛ رسالة عبد السلام القادري إلى عبد الخالق الروسي ضمن مجموع خ. ع 163 د، 42 ظ). توفي عام 1679/1090.

**الروسي، عبد الله**، الوزير والرئيس الأعلى والوالي على عمال المغرب، هكذا تقدمه المصادر بصفات دالة على مكانته عند السلطان وعلى قدراته المهنية. ولد في فاس، وبها نشأ وتعلم صناعة النسيج، ثم خدم أحمد بن صالح الليريني إلى أن ساء العلاقات بينهما عند دخول المولى الرشيد إلى فاس. قربه المولى إسماعيل وفوض له أمر فاس فكان يسهر على الجباية والأجاس وتنفيذ الأحكام وغير ذلك. وقد حقق مكانة خاصة في وظائفه جعلت السلطان يتخذ منه مستشارا وهي مكانة لم يبلغها أحد عنده وذلك بفضل حسن تدبيره وسداد رأيه وإخلاصه له وقد تأكد ذلك للسلطان عدة مرات منها.

عند تنظيم بيعة أهل فاس.

أثناء التخطيط لطريقة التخلص من أحمد بن محرز بواسطة إقناع شيوخ أولاد جرار الذين غدروه بعد أن كانوا بطانته وخاصته.

عندما حرص على توجيه النصح إلى محمد العالم الثائر على والده وقد أطلع السلطان على مراسلات سرية كانت تصل إلى ولده الثائر.

لكل ذلك غدا عبد الله الروسي والياً واسع السلطة، ونظراً لحاجة السلطان إليه نقله إلى مكناسة وأتاب عنه والده فترة ثم ولده عبد الخالق وبعده حفيده أبا علي.

وفي فاس بالذات متنّ علاقته مع الأسر الفاسية عن طريق المصاهرة، فقد تزوج أربع نساء إحداهن ابنة سيده القديم أحمد ابن صالح. وسهر على تسيير شؤون المدينة

فكان صاحب عدد من الاقتراحات منها :

- وضع المكوس على أبواب فاس وأسواقها (عام 1108 / 1697).

- الإشراف على المباني الحضرية.

- التشدد في تطبيق مسألة جمع الحراطين وتقليصهم للدولة.

توفي عام 1721 / 1132 - 20.

**الروسي، عبد اللطيف بن عبد الخالق** (ت. 31 / 1144 - 1732)، ورد اسمه ضمن قادة مدينة فاس، ويظهر أنه رام نفس السياسة فقد أمر المولى عبد الله بقتله.

ابن الحاج، الدر المنتخب، مخطوط، الأجزاء 6، 7، 8؛ س. ح. الحوات، الروضة المقصودة، تح. ج. 2، 689؛ أ. الزباني، البستان الطريف، مخطوط، 44؛ م. الفاسي، رسائل السلطان المولى إسماعيل، مجلة تطوان، عدد خاص، 1962، 27، 35؛ ع. القادري بن الحياض، التحفة القادرية، مخطوط، ج. 2، 355، 353؛ القادري، ع. بن الطيب، رسالة إلى عبد الخالق الروسي، ضمن مجموع خ. ع. 163 د؛ القادري م. بن الطيب، نشر المثنوي، الأجزاء 2، 3، 4؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1956، ج. 7.

نقيسة الذهبي

**الروسي، علي**، والمعروف عنه أنه من أبناء الجبل من قرية الرواوسة من جبل حبيب الواقعة على السفح الشمالي من الجبل. غير أننا لم تتمكن من التعرف على نشاطه الجهادي إلا في ذي قعدة - ذي الحجة 919 / يناير 1514. وقد أبدى علي الروسي أو الرواس مثلما يدعوه المصدر البرتغالي المعتمد لتتبع نشاطه الجهادي منذ بداية ظهوره كفاءة ومقدرة حربية كبيرتين، إلى درجة أن أسلوبه في الغارات على أصيلا وطنجة أصبح نموذجاً يحتذى به، سار على منواله من أتى بعده من المقدمين، وكثيراً ما خصه صاحب حوليات أصيلا برناردو رودريكيث بعناوين خاصة تشهد بأعماله الخطرة على المدينتين المحتلتين.

جمع علي الروسي حوله عدداً من أشهر محاربي جبل حبيب، سبق للبعض منهم أن تحمل أعباء نفس المهمة، وسينهض بعضهم الآخر بنفس المسؤولية بعده، منهم مساعده الأيمن المدعو عبد الله وعلي بن يعيش وعلي الحريش ومحمد يونس وعمر النجار وابنه الحسين النجار.

تجلت خطته الحربية في معرفته الجيدة للميدان الحربي وموقع الظلائع وأحوالها ومدخل المدينة ومخارجها والأسلوب الحربي البرتغالي المتبع. ظهر كل ذلك في طريقة استغلال نصب الكمان داخل الميدان وخارجه، وبذلك حصل على عدد كبير من الأسرى، سواء من ميدان أصيلا أو طنجة. وشاع ترديد البرتغاليين لقولهم كلما علموا بوجوده

: "الله يحفظ من الرواس". وبالقدر الذي كان جنود أصيلا يخافون الوقوع بيد علي الرواس كان سجناءه يشنون عليه وعن حسن معاملته لهم نقلهم إلى شفشاون، فهم كانوا يقضون بمنزله ضيافة ثلاثة أيام يستدعيهم أثناءها إلى وليمة فاخرة، ولا يس أي شيء مما يجده في حوزتهم.

أقلق علي الروسي راحة حاميتي أصيلا وطنجة خلال أربع سنوات مما وصلنا من أخباره، ولا يمر أسبوع أو أسبوعان دون مباغتته جنود أصيلا أو طنجة بالهجوم على الطلائع وأسر ذويها، مما كان مفضلا لديها للتمكن من استبدال الأسرى مما كانوا بحوزة أصيلا. ويمكن في الجملة عد خمس عشرة غارة قام بها من تلقاء نفسه، علاوة على التي شارك فيها مع قائدي شفشاون وتطوان أو جمعية القواد الآخرين، إلى جانب انضمامه إلى الحركات السلطانية، مما يبرر قلق حاكم أصيلا الذي كثيرا ما صرح بعدم الاهتمام إلى وسيلة ناجعة لتلافي عواقب تحركاته السريعة بالميدان من جهة وبين جبل حبيب وبين ومراس وبني كرفظ من جهة أخرى.

ونشير كنموذج لتلك الغارات إلى ما قام به في صيف سنة 1516/922 وهو جمعية حاكم شفشاون علي بن راشد العلمي ببني أحمايد بصدد حماية المحصول الزراعي لتلك السنة. وإذا كانت أغلب الأمثلة مما بهم أصيلا فإن القليل منها هو الذي بهم طنجة، على الرغم من أن صاحب حوليات أصيلا يجعل عدد غارات المجاهد علي علي طنجة لا يقل على التي قادها ضد أصيلا، إذ كان من عادة الرواس أن يخصص كل أسبوع للإغارة على إحداهما.

ونعرف من خلال الحوليات أن المقدم علي الروسي استمر في مهمته إلى آخر سنة 1518/924. ففي شهر دجيمبر السنة نظم محمد البرتغالي غزوته المعتادة نحو أصيلا وطنجة وكان من عادة رجال شفشاون وتطوان السير في المقدمة، وحدث أن أصيب علي الروسي في هذا التاريخ بالطلق المدفعية الفاتلة.

أ. ابن القاضي الكعداوي، تقييد، مخطوط في خ. ح ؛ حسن الفكيكي، مقاومة الوجود الإيبيري بالشفور الشمالية الغربية، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991 ؛ سيدي محمد بن عبد الله وحاصر مليلة، الرباط، 1996 ؛ الطاهر اللهيري، حصن السلام بين زيدي أولاد عبد السلام، الدار البيضاء، 1978.

B. Rodrigues, *Anais, de Arzila* : Francisco de Miranda, *Diario*, t. 2.

حسن الفكيكي

**الروسي، أبو علي الحسن بن عبد الخالق**، توفقت المصادر كثيراً عند ذكر قسوته فقد "نهب، وضرب، وفعل بأهل فاس ما لم يفعله بهم أحد في الماضي... ولم يسمع لشريف ولا مشروف" (الدر، ج. 7، ص. 153-154) كان تعيينه على فاس عام 1115/03. 1704 بعد عزل الزعيم -

الذي تولاه مدة قصيرة بعد مقتل عبد الخالق الروسي - وقد عمل أبو علي منذ توليه على تنفيذ الصرامة في الأحكام والتشدد في جباية الأموال مما جعل أهل فاس يستشفعون بالسلطان أكثر من مرة وقد أدت تجاوزاته أحيانا إلى غضب السلطان وإلى عزله حيث عين أخاه حمدون لكنه بدوره انساق في نفس السياسة فعزل وعين مكانه حم قسارة، غير أن إبعاد آل الروسي جعل ضبط أمور المدينة صعبا، لذلك نجد المولى إسماعيل يعيد أبا علي الروسي إلى منصبه.

أضر أهل فاس لأبي علي الحقد لتصرفه فيهم بالمغارم والزجر والإقصاء فثاروا عليه بعد وفاة المولى إسماعيل مباشرة، وقتلوه في داره ثم مثلوا به في الأزقة، كما قتلوا من أصحابه من ظفروا به. ولم يكن الحادث بسيطا فقد أعقبته مرحلة جديدة من الفتن في فاس. ثم وجّه أهل فاس اثنين من كل قبيلة من مشاهير الأشراف إلى السلطان مولاي أحمد المبايع بمناسبة بقصد الاعتذار. قتله الشوار في داره بفاس سنة 1139/1727.

**الروسي، مسعود بن عبد الخالق**، ولاء علي بن المولى إسماعيل على فاس عام 1147 هـ. فأخذ يتشدد في جمع الكلف ويلزم أهل المدينة بإخراج الرماة وينتقم من انهمهم بمقتل أخيه أبي علي كلن أهل فاس غضبوا عليه وأعلنوا سخطهم مما جعله يلوذ بالفرار. ويعد مبايعة المولى عبد الله بعثه واليا على فاس من جديد سنة 1149 هـ لكنه طورد من قبل الفاسيين.

قتل في فاس سنة 1149/36. 1737.

ابن الحاج، الدر المنتخب، مخطوط، الأجزاء 6، 7، 8 ؛ س. الحوات، الروضة المصودة، تج. ج. 2، 689 ؛ أ. الزياتي، البستان الطريف، و مخطوط، 44 ؛ م. الفاسي، رسائل السلطان المولى إسماعيل، مجلة تطوان، عدد خاص، 1962، 27، 35 ؛ القادري، ع. بن الخياط، التحفة القادرية، مخطوط، ج. 2 ؛ 353، 355 ؛ القادري ع. بن الطيب، رسالة إلى عبد الخالق الروسي، ضمن مجموع خ. ع. 163 ؛ القادري م. بن الطيب، نشر المثاني، الأجزاء 2، 3، 4 ؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1956، ج. 7.

نيسة الذهبي

**الروشة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Roxas, Roza, Rocha ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 746.

محمد بن عزوز حكيم

**روش ليون** Roches Léon موظف من موظفي السلك الدبلوماسي الفرنسي، متواضع المنشأ غريب الأطوار، ساقه ما أحدثه اختلال الجزائر سنة 1830 وانهزام المغرب أمام الجيوش الفرنسية في معركة إسلي سنة 1844 إلى القيام بالأدوار الطلائعية في رسم الحدود الجديدة بين الأياليات في اتفاقية لالة مغنية المحجفة.

وُلد ليون روش في مدينة كرينويل Grenoble يوم 27 شتنبر 1809. ثم إنه التحق سنة 1832 بوالده في الجزائر حيث كان من الأفواج الأولى من المعمرين. لكن الشاب ليون روش فضل الانخراط في الجيش فشارك في معارك المدية سنة 1836. إلا أنه انعزل عن الجيش بعد اتفاقية تافنة بين الفرنسيين والأمير عبد القادر بن محيى الدين، وذلك ليلتزم بالعمل في الكتابة الشخصية للأمير فيما بين 1837 و1839، بعد أن أعلن اعتناقه للإسلام وتسمى باسم عمر. وقد علل ذلك في مذكراته بأنه كان قد وقع في غرام سيدة من مسلمات وهران فربها زوجها خوفا من الفضيحة، فلم يجد روش صبراً على ذلك وخرج يبحث عنها فدخل في خدمة الأمير. واطلع بالنسبة على العديد من أسراره، وتعلم بين حاشيته اللغة العربية حتى صار يتكلمها بمنتهى الطلاقة. ثم إنه قام بالفرار منه يوم صار نفاقه على وشك أن يفتضح بين الجزائريين، فعاد إلى الجيش الفرنسي ليستغل ترجمانا عسكرياً في هيئة أركان الحرب لدى الجنرال بوجو Bugeaud. مما يوحي أن ليون روش دخل المخابرات العسكرية الفرنسية، وأنه كان من جواسيسها. وقد كلف بمهمة طواف بلاد المشرق في السنوات الأولى من الأربعينات لإبطال مفعول الدعوة إلى الجهاد التي كان الأمير عبد القادر يدعو إليها ويلتمس فيها السند من كافة الأمة. وكتب عن رحلاته كتاباً في آخر عمره زاد فيه ونقص بما أملاه عليه هواه. ولما عاد من المشرق إلى الجزائر ألحق بالوفد الفرنسي المكلف برسم الحدود الجديدة مع المغرب بناء على ما اغتصبه الجيش الفرنسي من الأراضي المغربية. وقام روش بالأدوار الطلائعية في توهيم الوفد المغربي الذي كان يقوده احميدة الشجعي. وأثبت كل ذلك في اتفاقية لالة مغنية (18 مارس 1845)، التي لم يمضها السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام وظل يحتج عليها، حتى اشتدت ضغوط فرنسا عليه، مقرونة بضغوط إنجلترا وبما تفاقم من شغب الأمير عبد القادر الذي لجأ إلى جبال الريف المغربية وصار يهدد من حيث قصد أو لم يقصد استقرار البلاد الداخلي. وأرتأت الحكومة الفرنسية اللجوء إلى أساليب المراوغة والمخاتلة، فأوفدت ليون روش الذي ذاع صيته بالمهارة في تلك الفنون لدى السلطان المولى عبد الرحمان، فجاء ليلتقي به وهو في الرباط يومئذ، في النصف الثاني من شهر نونبر سنة 1845، معتمداً ما كان عليه من طلاقة اللسان وسيولة القلم باللغة العربية، وما كان في جعبته من

سياحته المطولة في الشرق عن الثقافة العربية وكونه من المسلمين، مستعملاً فضلاً عن ذلك ما نعثه في تقاريره بأنه سياسة "الدبلون"، كناية عن شراء ذمم ذوي الحل والعقد من خدام السلطان، من أمثال محمد بن إدريس العمراوي وبوسلهام ابن علي ومحمد بن عبو. وهكذا استقبل في الرباط استقبالا يتجاوز صفته المتواضعة التي جاء بها، وهي صفة ترجمان موفد من قبل المكلف بأعمال فرنسا في طنجة إيدم دي شاطو Edme De Chasteau. فأُنزل منزل الأمير المولى أحمد، ثالث أبناء السلطان. ثم استقبله المولى عبد الرحمان استقبالا متميزاً، بما استطاع أن يكسب من النفوذ لدى الوزير ابن إدريس، وبما أبدى من الجرأة على المقدسات المغربية ومن التحايل عليها. ووعدده السلطان بكل ما جاء يلتمسه منه، ومفاده أن تجند كل طاقات المغرب لإبعاد الأمير عبد القادر عن الريف أو طرده من التراب المغربي. كما أقتنع السلطان بضرورة إيفاد سفارة إلى باريس ليكون فيها اعتراف مغربي بجوار فرنسا لأراضيها من جهة الشرق. وعاد روش إلى طنجة وهو متوج بإكليل النصر في نظر رؤسائه. وكان من مهامه أن يرافق السفير المغربي المعين للرحيل إلى باريز، وهو عبد القادر بن الحاج محمد أشعاش التطواني. وقد رافقه طيلة السفارة في مطلع سنة 1846. مما جعله من الخبراء بشؤون المغرب، فقررت وزارة الخارجية الفرنسية إحاقه بسلك موظفيها، فعيّن مساعداً لدى المكلف بالشؤون الفرنسية السابق الذكر إيدم دي شاطو الذي صاهره بابنته، وجاء معه في خريف نفس السنة إلى مراكش لممارسة مزيد من الضغط على المولى عبد الرحمان في أمر الأمير عبد القادر. وكان ذلك آخر عهده بالمغرب، حيث افتضح أمره وتبين للسلطان تلاعبه بالدين ومروقه، فلم يعد من الممكن أن تنظلي حيله على أحد في المغرب سيما وأن ابن إدريس توفي سنة 1847. وتقلب ليون روش بعد ذلك على عدة تنصليات ومراكز دبلوماسية فرنسية، فكان في تريسسطا سنة 1849، ثم قنصلاً عاماً ومكلفاً بالشؤون الفرنسية في تونس سنة 1853. وأعلى ما بلغ من الرتب رتبة الوزير المفوض في اليابان سنة 1863. وقد أحييل على المعاش 1870. فاشتغل بتدوين مذكراته التي صدرت سنة 1885 تحت عنوان "إثنان وثلاثون سنة في دار الإسلام"، لم يتجاوز فيه سنة 1845، أورد فيه الغث والسمين، واعتمد على السرقة والخيال أكثر من اعتماده على ارتسامات شاهد العيان.

المديرية العامة للوثائق الملكية، الوثائق، العدد الأول والثاني (سنة 1976)، الرباط.

Roches Léon, *Trente-deux ans à travers l'Islam, 1832-1864*, Paris, 1884 - 1885 ; Cossé-Brissac, Philippe de, *Les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie (1830 - 1847)*, Paris, 1931 ; Caillé Jacques, *Une mission de Léon Roches à Rabat en 1845*, Casablanca, 1947.

إبراهيم بوطالب

**الروشو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Roio - Royo ؛ وما زالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Ruso ؛ وأما الأسرة التطوانية فقد انقرضت سنة 1729/1141.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك أسرة أخرى تحمل نفس الاسم أصلها من الجزائر.

م.ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان : والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 747.

**الروصي**، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر وقد انقرضت بتطوان سنة 1236 (1820) غير أنه إلى غاية سنة 1257 (1841) كانت بحومة الطرانكات دار تعرف بدار الروصي.

م.ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان : والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1624.

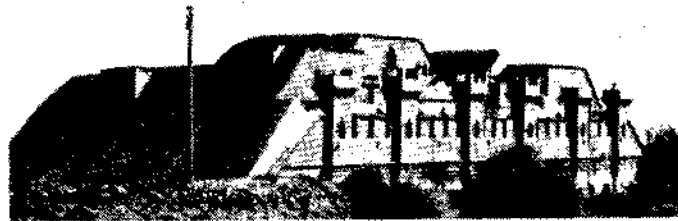
محمد بن عزوز حكيم

### روطنبورگ فالطير Rottenburg Walter، مهندس

مدني ألماني ولد بمدينة دانتسيك Dantzig، عمل أول الأمر في الجيش في الهندسة العسكرية، وتخرج بدرجة قبطان في جيش الاحتياط. وهو آخر فرانتز روطنبورگ، أحد قضاة هيئة المحاسبة لدى رئاسة الحكومة الألمانية، الذي أسندت إليه نيابة كتابة الدولة في الداخلية في حكم المستشار الألماني بيسمارك في الثمانينات من القرن التاسع عشر، وكان ذا حظوة لديه، مما جعله يقدم أخاه فالطير للرحيل إلى المغرب، حيث وكل به السلطان المولى الحسن أمر بناء البرج الكبير بالرباط خارج باب العلو، على شاطئ البحر، وكان يعرف أيضا بالبرج الألماني. وقد شرع في بنائه ابتداء من سنة 1303/1885 بمساعدة المهندس المغربي الزبير سكيرج. وكان "القائم بالبناء والصائر عليه ومراقبة شؤونه جميعها بناء وحراسة وغير ذلك، على ما قال صاحب الإتحاف، الأمين الحاج عبد الخالق فرج، محتسب الرباط وناظره الذي بقبت بيده مفاتيحه إلى آخر العهد الحفيظي"، وكان فالطير روطنبورگ من جهة أخرى وكيل دار كروب Krupp لصناعة السلاح، وعلى يديه اشترى المولى الحسن "المدفعين

العظيمين الذين أراد جلبهما" من ذلك المصنع الذي كان معجبا بمنتجاته. وتوجهت إلى مدينة أيسن Essen في ألمانيا بعثة مركبة من الأمين الحاج محمد الزكاري ومن الزبير سكيرج الأنف الذكر وفالطير روطنبورگ ومجموعة من الطبجية المغاربة، منهم الحاج إدريس بن عبد الواحد والقائد محمد الشديد والقائد محمد سباطة للوقوف على اختيار المدفعين، وذلك سنة 1308 / 1890، ولم يتوصل المخزن بهما إلا سنة 1893. ولم يتأت تركيبهما في البرج المذكور إلا سنة 1898. وهكذا امتد مقام فالطير روطنبورگ في المغرب. وكان نموذج الخبراء الألمان المقتدرين الذين حاول المخزن أن يستعيض بهم عن بعض نظرائهم من الضباط الفرنسيين والنجليز والإسبان الذين كانوا أكثر استعدادا للتجسس على المخزن والضغط عليه منهم إلى الأخذ بيده ومساعدته على إصلاح شؤون جيشه. واعتبر الفرنسيون الحصن الذي بناه روطنبورگ بمثابة موطن قدم للنفوذ الألماني في المغرب، ولذلك بادروا إلى تغيير اسمه بعد الحماية فأطلقوا عليه اسم بعض ضباط مدفيعتهم يدعى هرفي Hervé. وإذا كان روطنبورگ قد حظي برضى المولى الحسن الذي مكثه من دار فاخرة لسكناه في طنجة، فإن حكومة الحاج ابا احمام غضت الطرف عنه بسبب نزاع حول تلك الدار، التي كان روطنبورگ يقول إن المولى الحسن ملكها إياه، بينما كان الحاج يرى أنه أسكنها على سبيل الكراء. وما زاد من النفرة المخزنية منه، أن دار كروب أسندت وكالة شؤونها في المغرب لغيره. لكن ما أن توفي الحاج، حتى عاد روطنبورگ إلى سابق حظوته لدى حكومة المولى عبد العزيز الجديدة، وبخاصة لدى وزير الحوب المهدي المنبهي. فإنه انتدب ليرافقه في سفارته إلى برلين في صيف 1901. وما تميزت به السفارة أن قام كاتب السفارة عمر التازي بزيارة معامل كروب بمدينة أيسن رفقة روطنبورگ، الذي يذكر من منجزاته أيضا أنه أقام في القصر السلطاني في فاس حماما بالرشاش بأمر من المولى عبد العزيز الذي ولع بمخترعات الأوربيين. وبقي روطنبورگ مقيما في طنجة، حيث كان منزله وكالة للدعاية الألمانية في المغرب، إلى أن وفاه أجله في مارس 1906.

ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف، الرباط، الجزء الثاني، 1930 : ع. الإله القاسي، مدينة الرباط وأعيانها في القرن التاسع عشر وبداية



قصر البحر من بناء روطنبورگ



العشرين 1830. 1912، الرباط، منشورات رباط الفتح، (د).  
ت.)

Guillen Pierre, *L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905*, Paris, 1967.  
إبراهيم بوطالب

ثلاث قسّمات كبرى، هي قسمة آل بهان وقسمة آل الرواغة (بعقد الكاف على الطريقة البدوية) وقسمة آل المناصرة. وينقسم آل الرواغة بدورهم إلى خمس فرق، آل الجياص وآل بني عزيز وآل الزوائد وأولاد عسكر وآل المعارف. وينسب الجيلالي الروگي إلى أولاد غيضان من قسمة مجال قبيلتهم على الضفة اليمنى من وادي الروم.

تقول الرواية التاريخية المتداولة إن الرجل كان متواضع الأصول خامل الذكر، "حرفته رعي البهائم ونحو ذلك من عمل أهل البادية"، على ما قال صاحب الاستقصا، إلى أن "وكل به جني أو شيطان ففاه بالمخارق"، على حد قول المؤرخ المذكور، فافتتنت به العامة في ناحية بلدة كورت، وذلك في مطلع رجب من سنة 1278/1861. ثم تحولت الفتنة ثورة، وأدى الأمر بالثوار إلى محاصرة دار القائد المحلي عبد الكريم بن عبد السلام بن عودة الحارثي بالعصي والمقالع حتى اقتحموها عليه فقتلوه وقتلوا من كان معه من ذويه وأصحابه. فازدادت العامة افتتاناً بزعيمها وانقادوا به وانساقوا معه وتمسكوا بأقواله ووعوده، إذ كان يمتنهم ويعدّمهم بالسوط على الملك والتمكن من الخيرات والأموال، ضامناً لهم السلامة من قوة المخزن وموهماً إياهم بعجز سلاحه عن التأثير فيهم. يقول صاحب فواصل الجمان: "وقد اطلعت على خطبة لبعض من أشربهم ضلالاً ومخرقة فجنوا به جنون هبّتمة، منها قوله: هذا الجيلاني مجدد الدين، هذا قانع المعتدين، هذا خليفة سيد أحمد التجاني، هذا الذي بشر به سيدي فلان إلى غير ذلك من الأوهام".

وكان السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان يومئذ في الرباط. فأمر أخاه المولى الرشيد بالتصدي للجيلالي الروگي الذي اكتفى بأن رمى الجيش السلطاني بأنصاره مسلحين بأرسان وشكائم صنعوها من الدوم على اعتبار أنهم منتصرون لا محالة ولن يكون عليهم سوى قيادة ما سيقع بأيديهم من الخيل. لكن نيران مدافع السلطان سرعان ما بددت تلك المزاعم. واضطر الجيلالي الروگي إلى الفرار واحترم بضريح المولى إدريس الأكبر في زهون، مدعياً أنه من الشرفاء الأدارسة. ويقول صاحب الإنحاف إن بعض "البله من الشرفاء" مالوا إلى التصديق بذلك، ووقع شيء من الأخذ والرد بينهم وبين الشرفاء العلويين حتى اضطر القيسون على الضريح إلى إيداع الجيلالي الروگي في قوس لا يصله أحد في انتظار ما يكون من حكم السلطان عليه. وسبب ذلك في الراجح أن الشرفاء الأدارسة كانوا نافرين من أن تنتهك حرمة ضريح جدهم المقدس. ولكن بعض الشرفاء العلويين، يدعى أحمد بن المامون العلوي الإسماعيلي، جاء "متجرداً في قميص غير متمنطق"، مورباً بعدم حمل أي سلاح، راغباً فقط في النظر إلى وجه الفتان، معزراً مع ذلك بعضية من الشرفاء العلويين. فلم يسع الحراس إلا أن أذنوا له بدخول القوس. وما أن دخله

**الروكاش**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Rocas ؛ وكانت من الأسر التطوانية التي هاجرت إلى القصر الكبير إثر الاحتلال الإسباني لمدينة تطوان سنة 1860/1276.

**الروكاش**، عبد الكريم بن أحمد، فقيه زاول خطبة العدالة بتطوان وكان بقيده الحياة سنة 1784/1198.

**الروكاش**، محمد بن عبد الكريم، فقيه تعاطى للاقتناء إلى غاية سنة 1816/1231.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم .

**الروكس** ويكتب أيضا الروكش، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ros ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1765/1178.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 744.

محمد ابن عزوز حكيم

**الروگي، الجيلالي** نادر من أولئك الثوار، أو فتان كما تقول الرواية التقليدية، من أولئك الفتانين الذين كانوا يقومون من حين لآخر في مغرب ما قبل الحماية ليصدعوا بظلم لحقهم من الحكام أو ليفصحوا، من وجهة نظر المؤرخ المعاصر، عن تناقضات مجتمع واقع بين مركزية مخزنية مفتقرة لأدوات المراقبة المسترسلة وبين حرية قبائلية غير واعية بما يفصل الحرية عن الفوضى. فكانت القاعدة القبلية لا يمكن أن تسمع صوتها إلا بالثورة والشغب العنيف، مثلما أن الجهاز المخزني كان لا يفرض سلطته وطاعته إلا بالقمع والحركة (بإسكان الراء) إلى حيث يقتضي الأمر ذلك. فإذا كنا لا نعرف شيئاً عن أسباب ثورة الجيلالي الروگي الملموسة، فإنه لا صعوبة في استشفاف أسبابها الاجتماعية والسياسية في ظروفها العريضة. والجيلالي الروگي هذا من عرب قبيلة سفيان، المستوطنة لسهول الغرب إلى جانب قبيلة بني مالك. وينقسم عرب سفيان إلى

وأغلقت الأبواب عليه حتى بدا الدم يجري من تحتها، ذلك بأن الشريف المذكور كان قد أخفى مديته في عمامته فحفر الجليلي الروكي بها فأراحه وأراح منه، وكان ذلك في منتصف شعبان من السنة المذكورة.

وإذا كنا على بينة من كيفية قيام الثورة وكيفية انتهائها، فإن المصادر التاريخية ساكنة عن أسباب قيامها في ذلك المكان وفي ذلك الزمان. مع أن صاحب الاستقصا يقر بأنه كان "حاضرا لهذا الخطب العظيم". ولكن وظائفه المخزنية، وما دخله ولا شك من الرعب من هيجان العامة، حال بينه وبين أن يلتبس أدنى عذر للشوار الذين لم ير فيهم إلا "أخلاقا من الأوباش"، افتتنوا «بهذا المعتوه»، الذي يسمه صاحب فواصل الجمان بالجيلالي المعجاز» زيادة في الاستخفاف به وإغراقا في الحط من شأنه. وكذلك يسمه ميشو - بلير الفرناوي بالموهوم (illuminé). ومثل هذه الثورات أو الفورات الجماهيرية العارمة المفاجئة أكثر من أن تخصص في تاريخ المغرب. وكانت سرعة اشتعالها لا يضاھيها إلا سرعة انطفائها كلما كان السلطان قويا. فإن ثورة الجليلي الروكي لم تتجاوز أكثر من أربعين يوما. لكنها توحي بما كان متجذرا في مجتمع ذلك العصر من الفكر المهدي الثوري الذي قد يتمخض في حالة النجاح عن قيام دولة جديدة، وفي حالة الفشل يكفي بالتعبير عن تذمر سياسي أو اجتماعي بعيد الأغوار. وكانت الأوضاع السياسية في مغرب بداية عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان في تمام الاضطراب، "والناس بين نارين، على ما قال ابن زيدان، بل نيران، نار فتنة الإصيان (يعني حرب تطوان) ونار فتنة الروكي، وفتنة المفسدين الرحامنة". فاختلفت الأمور وغلّت الأسعار وصار الأوربيون المقيمون في المغرب يفكرون في مهاجرته. هذا على الصعيد العام.

أما على الصعيد المحلي، فلا شك أن الجليلي الروكي لم يكن على تلك الدرجة من الحفارة التي تصوره عليها المصادر التاريخية المتداولة. وهل يمكن أن يأخذ بلب الجمهور إلا من له نصيب غير هين من المعرفة؟ وليس ذلك بغريب في منطقة كثيرة الزوايا والمدارس، لم يكن أرزاق الناس فيها على رماحهم فحسب بل أيضا على أفعالهم. وهل كان للجيلالي الروكي نزاع مع القائد عبد الكريم بن عودة؟ كل ما في علمنا أن أولاد ابن عودة هؤلاء دخلوا على المنطقة، فهم من الجزائر، من قبيلة الفليطنة، إقليم تيارت، هجروا أوطانهم واستوطنوا المغرب في عهد المولى سليمان، وأقطعوا الأرض في بني سفيان. وكان عبد السلام ابن عودة قائد المولى عبدالرحمان بن هشام على المنطقة. ويروى ميشو - بلير الفرناوي أن الذي خلف القائد عبد الكريم ابن عودة المقتول هو صهره و"مشاوره" المدعو الجليلي الجرايفي. وكان يقال إن له يدا خفية في ثورة الروكي. وكان من أضحى خلق الله وأشدهم قساوة على الرعية. ولم يفلت من بطش السلطان سيدي محمد إلا

لكونه عرفه بمضحكه المسمى عبد السلام البقالي المدعو أبو النقطيب، الذي كان من شيوخ الرماة ومن نال الحظوة الكبرى لدى السلطان المذكور، فكان يدافع عن الجليلي الجرايفي ويغطي على تجاوزاته. ولعل هذه المعلومات لاتشبع ولا تغني من جوع، بيد أنها تصور تصويرا ملموسا لما كانت عليه أحوال المغرب عند اشتعال فتنة الجليلي الروكي، موحية بعمق جذورها في الثقافة السياسية التقليدية، وبما كان لها من الصدى داخل البلاد وخارجه حتى إن العامة ظلت تعتقد بأن الجليلي الروكي لم يقتل، وأنه قائم من جديد لا محالة. وصار من يومئذ كل من قام بأدنى حركة على السلطة التشريعية يدعى بالروكي، مثلما حصل لبوعزة الهبري في قبيلة بني وارين، والجيلالي الزرهوني المدعو بو حمارة في الأقاليم الشمالية الشرقية في مطلع القرن العشرين. وتلقف الأوربيون هذا الاسم وروّجوه في كتبهم وصحفهم حتى حولوه من اسم شخص معين بالذات إلى مفهوم بنيوي يدل على سوء استقرار المغرب ويبرر لزوم استعمارهم له.

أحمد الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، دار الكتاب، الجزء التاسع، 1960 : ابن زيدان، عبد الرحمان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، الرباط، المطبعة الوطنية، الجزء الثالث، 1350/ 1932 : غريط، محمد، فواصل الجمان في أنبا، وزرا، وكتاب الزمان، فاس، المطبعة الجديدة، 1928.

Michaux-Bellaire, Edmond, *le Gharb, A.M.*, 1913.

إبراهيم بوطالب

الروم (في الجيش المغربي الوسيط)، فرقة من النصارى استخدمت في الجيش المغربي منذ القرن السادس (12 م). وقد قمت الإشارة إليها في المصادر والمراجع بمسميات مختلفة مثل : الروم، الرماة المسيحيون، جند الافرنج، الفرنج (Franc)، جند النصارى، الكتابب المسيحية، الميليشيات المسيحية (milices chrétiennes) أو المرتزقة النصارى. وقد استعمل ملوك الغرب الإسلامي كالمرابطين والموحدين والحفصيين والزيانيين والمرينيين وبني الأحمر هؤلاء في جيوشهم النظامية لكن دورهم على الساحة السياسية المغربية سيزداد خطورة أواخر الحكم الموحدي. ويظهر أن أول إشارة تتعلق بانضمام هؤلاء إلى الجيش المغربي ترجع إلى عهد السلطان المرابطي علي بن يوسف الذي اعتُبر أول من استعمل الروم وأركبهم في المغرب وقدمهم على جبهة المغارم (البيان، 4 : 102 ؛ الملل، 84). وتؤكد هذه الإشارة ما ورد في المصادر الإسبانية أيضاً وخاصة في أخبار الامبراطور الفونسو ملك قشتالة من أن "أولفاً كثيرة" من الجند النصارى كانوا في عاصمة علي بن يوسف وابنه تاشفين وأن البعض منهم هاجر

المدينة سنة 541 / 1147 بعد دخول الموحدين إليها في اتجاه طليطلة (L'église, p. 72). غير أن بعض الباحثين اعتقدوا أن بداية تجنيد الروم في الجيش المرابطي تعود إلى عهد السلطان يوسف بن تاشفين عندما اشترى حوالي 250 فارساً من الأعلاج من الأندلس (النظام، 149؛ الموحدون، 227). مما لاشك فيه أن هؤلاء الروم منذ استعمالهم في الجيش المرابطي لعبوا أدوراً رئيسية في كثير من أحداث المغرب خاصة في فترات الانتقال من دولة إلى أخرى (من المرابطين إلى الموحدين إلى المرينيين) أو عند انتقال السلطة ومقاييد الحكم من ملك إلى آخر، الشيء الذي يعطي الانطباع بأن الروم شكلوا ما يشبه عصبية مستقلة عن عصبية الدولة الحاكمة، فهم جسم غريب يعتمد على الارتزاق ويختلف عن المغاربة جنساً وديناً ولغة وعادات، ولذلك نُظر إليهم كعناصر فتن وقلقل كانت وبالاً على استقرار المغرب. فأدوارهم تجاوزت طبيعة مهمتهم العسكرية والأمنية وأصبحت تستخدم من طرف ملوك أوروبا والكنيسة للتدخل في شؤون المغرب وإضعاف مخزونه بإثارة الفتن والمؤامرات. يعود أول حضور رسمي للروم في الأحداث المغربية على الأقل إلى سنة 534 / 1140 في عهد علي بن يوسف عندما خرج ولي عهده تاشفين بعسكر كبير من لمتونة والحشم وزناتة وجمع من النصارى مع قائدهم اليرتير Reverter لقتال جيش الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي. ويظهر من تفاصيل هذه الأحداث أن تصاعد خطر الموحدين وكثرة الثائرين على الدولة المرابطية وعدم ثقة المخزن المرابطي في ولاء العناصر الزناتية والمصمودية كانت من الأسباب الرئيسية التي اضطرت علي بن يوسف إلى الاستعانة بالنصارى والاعتماد عليهم في قمع المتمردين والحد من المشاكل التي بدأت تهدد الدولة المرابطية في وجودها. ولذلك لم تستطع المصادر المغربية إخفاء مدى بسالة وشجاعة القائد اليرتير وجنوده من الروم، البالغ عددهم حوالي 4000 فارس. في قتال الموحدين والدفاع عن المرابطين وسلطانهم علي وولي عهده تاشفين إلى أن سقط قتيلاً سنة 539 / 1145.

وفي سنة 541 / 1147 كان عبد المؤمن حاصر مراكش الحصار الأخير فداخله جند الروم الذين كانوا يعملون في الجيش المرابطي وكانوا يداخل المدينة، واتفقوا معه على أن يسهلوا له فتحها والدخول إليها من أحد أبوابها وهو باب أغمات مقابل تأمينهم والصفح عنهم. وقد تمكن عبد المؤمن بفضل خيانة جند النصارى فتح مراكش واحتلالها حسب رواية كل من صاحب الحلل وابن الأثير والتويري. أما البيدق وابن عذاري فلم يشيرا إلى أي دور لهؤلاء الروم في سيطرة الموحدين علي المدينة. ويبدو أن بعض فرسان هذه الفرقة الذين فضلوا البقاء شكلوا نواة مهمة إلى جانب القبائل البربرية والعربية والغز في الجيش الموحد. فقد استعملهم عبد المؤمن مع غيرهم من الأجناد مباشرة بعد الفتح وبالضبط سنة 542 / 1148، في إخماد ثورات بعض

المعارضين والمنشقين كمحمد بن عبد الله بن هود المعروف بالماسي الذي ثار بالسوس. ويلاحظ أن خليفة عبد المؤمن أبا يعقوب يوسف كان بدوره يستكثر من الروم ويشركهم في الاستعراضات العسكرية التي كان يشرف عليها خارج أسوار عاصمته مراكش وخاصة أمام باب الشريعة. وقد أشار البيدق إلى أن يوسف الموحد كان قد أجاز النصراني المسمى جرنده Geraldo Sempavor من الأندلس إلى مراكش وجعله قائداً لكتيبة من الروم مكونة من 350 فارساً بمنطقة السوس لقمع المتمردين هناك. لكن الموحدين اكتشفوا أمره بعد ذلك وتأكدوا من اتصالاته ومراسلاته السرية مع سيده ملك البرتغال الفونسو هنريكز (ابن الرنك)، فأمر يوسف بقتله بعد أن نفاه إلى درعة سنة 565 / 1169. نعتقد أن دور الميليشيات المسيحية على الساحة السياسية المغربية ظل محدوداً في فترات قوة المخزن الموحد. لكن في فترات ضعفه وانحلاله خاصة بعد هزيمة العقاب سنة 609 / 1212 بدأت قوة هذه الميليشيات تتعاظم بسبب تفاقم المشاكل السياسية للدولة وتراجع هيبة الجيش الموحد وتكاثر الظالمين في الخلافة من بني عبد المؤمن الذين أصبحوا يستعينون بالروم أكثر من غيرهم لتنفيذ الدسائس وحك المؤامرات وخلع هذا الخليفة أو تعيين آخر مكانه. ويشكل عهد المامون مثلاً واضحاً على بداية تغلغل خطر الميليشيات في جسد الدولة المغربية وتزايد اعتماد ملوك المغرب عليهم في نزاعاتهم الداخلية. فلما تخلى أشياخ الموحدين على بيعتهم للمامون الموحدون وباعوا ابن أخيه يحيى الناصر. اتصل وهو بالأندلس بملك قشتالة فردنانة الثالث Ferdinand III يستنصره على الموحدين ويطلب منه مساعدته بجيش من النصارى يجوز بهم إلى المغرب لمحاربة يحيى ومؤيديه. وقد اختلفت الرويات في تحديد عدد أفراد هذا الجيش بين 500 فارس حسب ابن عذاري و12.000 فارس حسب ابن أبي زرع. ويضيف ابن أبي زرع أن تلك المساعدة تمت على أساس قبول المامون لمجموعة من الشروط من أبرزها منحه ملك قشتالة عشرة حصون تلي بلاده ويختارها بنفسه ثم بناء كنيسة في وسط مراكش تكون مكان عبادة لأفراد هذه الميليشيا، كما شرط عليهم أن لا يقبل إسلام من أسلم من هؤلاء الروم وأن يقبل من تنصر من المسلمين. فلم يجد المامون سبيلاً آخر غير قبول هذه الشروط المجحفة وتنفيذها بهدف استعادة عرشه. وبهذا يعتبر المامون أول ملك مغربي يستخدم الروم بناء على اتفاق مشروط مع ملك أوربي، كما سيدشن بذلك وجوداً قوياً للروم القشتاليين في الجيش المغربي. ويفضل هذه الكتيبة تمكن المامون سنة 627 / 1229 من السيطرة على مراكش والتنكيل بمعارضيه وناكثي بيعته من أشياخ الموحدين وأشراقهم وقتلهم جميعاً في عدد يصل حسب القرطاس إلى أربعة آلاف وستمائة. وفي إحدى

حركات المامون إلى مدينة سبتة استطاع يحيى بن الناصر العودة إلى مراكش سنة 629 / 1231 فعات فيها فسادا وقتل كثيرا من اليهود والنصارى الذين كانوا في خدمة جيش المامون كما هدم كنيسهم. وقد استمر الحضور المسيحي قويا خلال حكم الخليفة عبد الواحد الرشيد ولعبوا دوراً كبيراً في بيعته تحت ضغط أمه حباب الرومية ومرقسيل Sancho el Francil قائد فرقة النصارى في عهد والده المامون، وبفضل هؤلاء ومباركة أشياخ الخلط ككانون بن جرمون السفيناني وبعض رجالات المخزن الموحدى كشمعيب أخي وقاريط الهسكوري احتل الرشيد مراكش سنة 630 / 1232 وفرض نفسه خليفة للموحدين. وقد أثار تزايد هيمنة الروم على الخليفة وكثرة تدخلهم في سياسة الدولة حفيظة العلماء والفقهاء وبدأوا يعبرون عن سخطهم لما وصل إليه أمر الموحدى من خضوع واستسلام لحباب أم الرشيد ومعاونيتها من جيش الروم حتى إن ابن عميرة لم يستطيع تمالك نفسه وهو يشاهد الخليفة الرشيد لا يتحرك إلا وحوله الروم فقال متحسرا :

يمشى في الروم بين زغنفسة فيه وفيهم يحار من فكر  
وما رأى الناس مثله عجبا أبرهة حوله بنو الاصفى

وفي عهد خلفه السعيد ظلت أجناد الروم في واجهة الأحداث التي تميزت بحدة الصراع على الحكم بين الموحدى من جهة وبين بني مرين وبني زيان من جهة أخرى. واستغل الروم هذه الفرصة ليضعوا خدمتهم كورقة مؤثرة يستعملها الطرف الذي يدفع أكثر مجسدين بذلك طبيعة الارتزاق التي غلبت على وجودهم في المغرب. ومن ضحايا هذا الصراع الأمير أبو معرف محمد بن عبد الحق الذي اعتبر أول أمير مريني يسقط قتيلا بيد أحد فوسان الروم في جيش السعيد الموحدى واسمه خوان غيتان Juan Gaitan وذلك سنة 642 / 1244.

ويلاحظ أن في عهد المرتضى الموحدى تزايد أجناد الروم في الجيش الموحدى وتعاضم أمرهم لتظافر مجموعة من الأسباب : أولها تفاقم ضعف المخزن الموحدى، وثانيها احتدام الصراع بين أمراء الموحدى وبني مرين، وثالثها تزايد التدخل المسيحي في شؤون المغرب سواء من طرف ملوك أوربا أو من طرف الكنيسة. وقد ذهب البابا اينوسانت الرابع Innocent IV بعيداً في مساندة الخليفة المرتضى على المسيحيين الذين يعملون في جيشه وطلب منه في رسالة إليه مؤرخة بـ 649 / 1251 أن يمنحه بعض الثغور البحرية المغربية لتوفير أمن وسلامة كل المسيحيين القاطنين بالمغرب مع زواجهم وأولادهم بما فيهم الميليشيات العاملة في جيشه الذين يتعرضون للاخطار من جراء تهديد وانتقام المعارضين والثائرين ضد ممارساتهم، ولأن المخزن الموحدى لم يعد قادراً على حمايتهم فقد وجب إعطائهم هذه المدن والمواقع المحصنة لحمايتهم والحفاظ على أرواحهم وتسهيل رحيلهم إلى بلدانهم عند اشتداد الخطر عليهم. كما أكدت

الرسالة أن عدم تنفيذ هذه الأوامر سيضطر البابا تكليف أسقف المغرب بأن يعمل على جعل كل المسيحيين يتروكون الخدمة لدى الخليفة الموحدى ويمنع أي مسيحي جديد من الانضمام إلى الجيش الموحدى (17 - 16). (Traité).

لقد استخدم خلفاء الموحدى المتأخرون وأمراء بني مرين على السواء أجناد الروم القشتاليين كعناصر أساسية في الصراعات التي حوى وطيسها بين الطرفين أكثر من نصف قرن. وتؤكد تفاصيل الأحداث على أن الروم كانت لهم مشاركة واضحة فيما عرفه المغرب من فتق واضطرابات ساهمت في تفويض الخلافة الموحدية وانهارها. فمنذ سنة 613 / 1216 وبعد هزيمة الموحدى أمام المرينيين فيما عرف بعام المشغلة، بدأنا نشهد نشاطا مكثفا لجند الروم سواء في الجيش الموحدى أو في الجيش المريني، وتزايد الاصطدام حدة بين الروم أنفسهم وقتل عدد كبير منهم في عهد الرشيد والسعيد والمرتضى وأبي دبوس آخر ملوك الموحدى ( البيان، ق. م، 319، 354 ) وفي المقابل كانت لهم اليد الطولى في كثير من المجازر التي ذهب ضحيتها عدد لا يستهان به من رجالات المخزن الموحدى والمريني على السواء. فالميليشيا المسيحية التي كانت تتمركز بفاس في مائتي فارس تواطأت بأمر من قائدها زنار Chanar وشديد ويتحالف مع أشياخ فاس في قتل عامل بني مرين على المدينة السعوى بن خرياش الحشفي وأربعة من رجاله وخلع بيعة الأمير المريني أبي بكر وبيعة المرتضى وذلك سنة 647 / 1249. كما كانت لهم مشاركة في محاربة وتصفية كثير من الثوار والمتمردين على المخزن الموحدى مثل محمد القطراني الثائر بمدينة سجلماسة سنة 655 / 1257 وابن يدر الثائر بسوس 661 / 1263.

يبدو أن انتقال الحكم من الموحدى إلى المرينيين لم يغير شيئا في أهمية دور الميليشيات المسيحية في أحداث المغرب خلال هذه الفترة، بل يمكن القول أن ملوك بني مرين أصبحوا يعتمدون على هذه الميليشيات بشكل مشير مند بداية ظهورهم على الساحة المغربية وحتى نهاية دولتهم. لكن الجديد في الأمر هو أن بني مرين لم يعودوا يعتمدون كثيراً على روم قشتالة بل على روم أرغون الذين أصبحوا يشكلون عناصر أساسية في الجيش المريني. كما أن عملية تجنيد هؤلاء أخذت أكثر من ذي قبل طابعا تنظيميا بحيث غدا انضمامهم للجيش المريني موضوعا رئيسيا في المفاوضات والاتفاقيات والمعاهدات التي يتم عقدها بين ملوك المغرب وملوك أرغون. وبناء على ذلك يمكن القول إن الوجود المسيحي في الجيش المريني أصبح أكثر تقينا وأكثر مراقبة من طرف المخزن وإن كانت أدوارهم السياسية والعسكرية ظلت في نفس المستوى تقل في فترة حكم ملوك أقويا، وتزداد خطورة في فترة الضعف والانحلال.

لاشك في أن أول اتصال بين بني مرين والروم تم في إطار الصراع بين هؤلاء وملوك الموحدى. فالأمير أبو يحيى

جدول بأسماء قواد الروم العاملين في الجيش المغربي الوسيط

عدد جنوده	مقر فرقتة	السلطان الذي كان في خدمته	جنسيته	اسم القائد
؟	؟	المرابطون	قشتالة	- بشير
؟	؟	المرابطون	قشتالة	- صنفل
350	مراكش	يوسف الموحدى	قشتالة	- جرنده (Garando) Geraldo Sempavor
؟	مراكش	يعقوب الموحدى	قشتالة	- بيدرو فرنانديز د كسترو Pedro Fernandez de Castro
؟	مكناسة	المستنصر الموحدى السعيد الموحدى	قشتالة	- غنصالة Gonzalo
>	مكناسة	المستنصر الموحدى السعيد الموحدى	قشتالة	ابن القمط (أبو زكريا يحيى)
؟	مراكش	المستنصر الموحدى	البرتغال	- الأمير بيير البرتغالي L'Infant Pierre de Portugal
500 أو 12000	مراكش	المامون الموحدى الرشيد الموحدى الرشيد المرتضى	قشتالة	- مرقسيل (سانشو) Sancho El Francil
200 أو 300	فاس	أبو ديوس (الموحدون) أبو بكر المريني	قشتالة	- زنار Chanar
200	فاس	الرشيد الموحدى المرتضى الموحدى أبو بكر المريني	قشتالة	- شديد
؟	مراكش	المرتضى الموحدى	قشتالة	ذي اللب Don Lope
؟	مراكش	المرتضى الموحدى	قشتالة	- غرسية طاليس Garcia Talis
؟	؟	يعقوب المريني يوسف المريني	قشتالة	- غرسية مارتينيز د كاييغوس Garcia Martinez de Galligos
؟	فاس	يوسف المريني أبو ثابت عامر المريني	أرغون	- بيير خيمينيز د إسيبلونغا Pere Giménez de Espilonga
؟	مراكش	يوسف المريني	أرغون	- جبيرمو د بوخالظ Guillermo de Pujalt
؟	تلمسان (أثناء الحصار) فاس	يوسف المريني سليمان المريني	أرغون	- لوبي سانشيز د خويرا Lope Snachez de Juvera
؟	؟	أبو سعيد عثمان الثاني المريني	أرغون	- رامون د ميرامبل Ramón de Mirambell
؟	؟	"	أرغون	- بيير سيكي Pere Segui
؟	؟	"	أرغون	- خومي سيكي Jaume Segui
؟	فاس	"	أرغون	- خومي د كنسير Jaume de Cancer

عدد جنوده	مقر فرقته	السلطان الذي كان في خدمته	جنسيته	اسم القائد
؟	؟	المرابطون	قشتالة	- بشير
؟	؟	المرابطون	قشتالة	- صندل
350	مراكش	يوسف الموحيدي	قشتالة	- جرنده (Garando) Geraldo Sempavor
؟	مراكش	يعقوب الموحيدي	قشتالة	- بيدرو فرنانديز د كسترو Pedro Fernandez de Castro
؟	مكناسة	المستنصر الموحيدي السعيد الموحيدي	قشتالة	- غنصالة Gonzalo
>	مكناسة	المستنصر الموحيدي السعيد الموحيدي	قشتالة	ابن القمط (أبو زكريا يحيى)
؟	مراكش	المستنصر الموحيدي	البرتغال	- الأمير بيير البرتغالي L'Infant Pierre de Portugal - مرقسيل (سانشو)

هذا الاتفاق من الطرفين. وقد تجدد نفس السطلب مع السلطان أبي يعقوب يوسف في رسالتين منه إلى خايمي الثاني ملك أرغون، الأولى بتاريخ 15 شعبان 703 / 24 مارس 1304، والثانية بتاريخ فاتح ذي الحجة 703 / 5 يوليوز 1304. وتؤكد الرسالتان على رغبة السلطان المريني في استعادة سبتة ولو عن طريق مساعدة أرغونية لمهاجمة المدينة من البحر (174 - 155 - 154 Documents). وخلال هذه الأحداث نشطت الآلة الدبلوماسية بين أرغون والمغرب، ولعبت فيها العناصر المسيحية دوراً ملحوظاً سواء أثناء حصار تلمسان أو أثناء حصار سبتة التي تم استرجاعها من طرف أبي الربيع سليمان سنة 709 / 1310 بدون مساعدة أرغون، ولكن بفضل ثورة أهلها ضد الحماية الأندلسية وتدخل القائد المريني تاشفين بن يعقوب الوطاسي. وكان لقائد الفرقة العسكرية المسيحية في الجيش المريني غييم سيغي Guillem Segui وبعده برنات سيغي Bernat Segui، وهما من أسرة سيغي الكطلانية التي خدمت ملوك بني مرين مدة طويلة، بصمات واضحة في تنشيط العلاقات السياسية والتجارية بين فاس وبيشلونة. وسيكون لذلك تأثير كبير في دعم وتعزيز الوجود الأرغوني في المغرب على حساب الوجود القشتالي خاصة بعدما نصبت قشتالة نفسها منذ بداية الدولة المرينية العدو الأكبر للمغرب. ويسبب هذا الموقف تزايد تحنيد نصارى أرغون وقل الاعتماد على نصارى قشتالة الذين تورطوا في كثير من أحداث الفتن التي شهدتها المغرب في بداية القرن الثامن الهجري الثامن (14 م). فقد اندلعت بمراكش انتفاضة عارمة ضد جنود الروم بعد اكتشاف مدفن القاضي عياض تحت انقاض مقبرة مسيحية وكنيسة كانت قد شيدت لهم أيام المامون الموحيدي، فنهبت ديارهم وأبيحت أموالهم

المريني وأخوه أبو يوسف يعقوب كانا يتوفران على كتيبة مسيحية جل أفرادها كانت تعمل فيما قبل في جيش الخليفة السعيد الموحيدي، وازداد عدد هؤلاء سنة 652 / 1254 بعد انضمام عدد من المرتزقة النصارى الذين فروا من بطش أمير تلمسان يغمراس بن زيان على إثر فشل انقلابهم عليه. وقد شكلت جميع هذه العناصر المسيحية النواة الأولى للميليشيا التي ستعمل في خدمة ملوك بني مرين والتي ستتعزز بجلب آخرين من إسبانيا وخاصة من كطلونيا في إطار اتفاقيات رسمية إضافة إلى انضمام بعض المغامرين أو الفارين من بطش أسيادهم النبلاء القادمين من شمال الأندلس سواء من قشتالة أو من كطلونيا.

وهكذا فنجد البداية استعمل بنو مرين الروم في جيشهم إلى جانب العرب والغز وغيرهم. والمصادر المرينية لا تخفي الدور البارز الذي كان لهؤلاء الروم في استحواذ بني عبد الحق على السلطة. فقد ساهموا في دخول الأمير أبي يحيى مدينة فاس سنة 646 / 1248 وفي توسيع نفوذه على المناطق الشمالية، وكانوا حاضرين كذلك في فتح يعقوب بن عبد الحق لمدينة مراكش والقضاء على بقايا الموحيدين سنة 668 / 1269 وحصاره تلمسان سنة 670 / 1271 وسيطرته على سجلماسة سنة 673 / 1274. وترجع أول اتفاقية تنظم عملية تحنيد الروم في الجيش المريني إلى عهد أبي يوسف يعقوب سنة 673 / 1274 (18 نوفمبر) وقد عقدت ببيشلونة بين ممثلين عن السلطان المريني وخايمي الأول ملك أرغون الذي تعهد بتقديم 500 فارس أرغوني بأسلحتهم تكون رهن إشارة السلطان لمساعدته في حصار سبتة. في مقابل ذلك يتعهد السلطان المغربي بمنح ملك أرغون امتيازات مالية باهضة له ولفرسانه. لكن لأسباب متعددة لم يتم تنفيذ بنود

لاعتقاد المراكشيين بأن هؤلاء النصارى هم حفدة أصحاب المقبرة والكنيسة. من جهة أخرى شارك قائد الميليشيا المسيحية القشتالية غنصالة سانشيز دي ترونكونيس Gonzalo Sanchez de Troncones إلى جانب بعض رجالات المخزن في التمرد ضد السلطان أبي الربيع سليمان ومحاوله خلعه والدعوة للأمير عبد الحق بن عثمان سنة 710 / 1311. كما ساهم قائدان قشتاليان آخران وهما خوان سانشيز دوجيا Juan Sanchez de Bugéa وخوان رويث دمندوزا Juan Ruiz de Mendoza إلى جانب الأمير أبي علي عمر في الثورة مرتين الأولى ضد والده السلطان أبي سعيد عثمان سنة 720 / 1321 والثانية ضد أخيه السلطان أبي الحسن سنة 733 / 1333. في مقابل ذلك كان للميليشيا الأرغونية دور بارز في قمع الثورة التي اندلعت ضد أبي سعيد المريني، وكان ذلك سببا في تشبثه بخدماتهم إلى درجة لم يعد معها قادراً على التخلي عنهم حتى وإن كان ملك أرغون نفسه في حاجة إليهم. وقد حدث أن بعث خايمي الثاني إلى السلطان يطلب إمداده بنصارى أرغون العاملين في جيشه لمساعدته في حملته العسكرية إلى جزيرة سردانية. وقد رفض السلطان السماح لمائة فارس من كتيبته الارغونية بالالتحاق بملك أرغون، وحتى لا يتسبب ذلك في وقوع أي توتر في العلاقات بين الطرفين اقترح علي ملك أرغون أن يمده بجنود مغاربة بدل الارغونيين (Los documentos, p. 171).

لعل قوة حضور مؤسسة المخزن في عهد السلطانين أبي الحسن وخلفه أبي عنان وماراقت ذلك من استقرار سياسي وازدهار اقتصادي حالت دون أن تمارس الكتائب المسيحية أدواراً مؤثرة كما دأبت على ذلك في الفترات السابقة بحيث لم تجد فرصة ملائمة لحبك الدسائس والمؤامرات وإثارة الفتن، بل على العكس من ذلك، تفرغت هذه الكتائب أكثر من ذي قبل للقيام بمهمتها الأساسية المتمثلة في حراسة القصر المريني ومراقبة السلطان في ترحاله والركوب معه في حملاته العسكرية الداخلية أو ضد الدول المجاورة كما حدث في الحملتين اللتين قام بهما إلى إفريقية كل من أبي الحسن سنة 748 / 1348 وأبي عنان سنة 758 / 1357.

لكن ما إن انتهى عصر السلطانين حتى داخل المغرب في مرحلة جديدة من الاضطرابات والفتن عاد معها جند النصارى إلى سياستهم القديمة في التآمر وتأجيج الصراع بين الأمراء وأفراد المخزن المريني. فبعد وفاة أبي عنان سنة 759 / 1358 استبد وزيره الحسن بن عمر الفودودي وأنفرد بالحكم دون السلطان أبي بكر السعيد الذي كان ما يزال صبيبا وتابع سياسة المواجهة مع جيرانه بني عبد الواد. وفي إحدى حملاته العسكرية إلى تلمسان بقيادة مسعود بن رحو، انقلب عليه هذا الأخير وبايع أحد أمراء بني مرين المرفقين له وهو منصور بن سليمان بن أبي مالك بن يعقوب بن عبد الحق وشاركه في دعوته أحد أمراء بني الأحمر وقائد

جند النصارى في جيشه والمعروف باسم القمندور El Comendador الذي ساهم بشكل ملحوظ في سيطرة بني مرين على تلمسان. وفي سنة 762 / 1361 تحالف الوزير عمر بن عبد الله الياباني مع قائد النصارى غرسيه بن أنطون Garcia ben Antoun واتفقا على خلع السلطان أبي سالم ومبايعة الأمير تاشفين بن أبي الحسن مكانه لكنهما تورطا في قتله على يد أحد جنود النصارى. وبعد هذا الحادث بقليل انقلب قائد النصارى المذكور على حليفه القديم وتآمر عليه مع حليف جديد هو سليمان بن نصار. وقد تنبه الوزير إلى خطورة المؤامرة فتسكن من قمعها في مهدها وقتل القائد وطائفة من جنده، وكانت هذه الحادثة فرصة اهتبلها سكان فاس للتعبير عن سخطهم وغضبهم من استفحال خطر النصارى فثاروا ضدهم وطاردهم في شوارع المدينة ثم زحفوا إلى الملاح بجوار فاس الجديد وعاثوا في مساكنهم وانتهبوا أموالهم وأمتعتهم وكادت أن تتحول هذه الثورة إلى مجزرة كبرى لولا تدخل بني مرين لحماية النصارى. غير أن هذه الانتفاضة لم تمنع هؤلاء الجند من معاودة مشاركتهم في زرع الفتنة عند أية فرصة كما وقع في النزاع بين السلطان عبد العزيز بن أبي العباس والأمير أبي الفضل بن أبي سالم سنة 769 / 1368 ثم في الصراع بين نفس السلطان ووزيره يحيى بن ميمون بن أمصود. كما نسبت المصادر إلى جند النصارى دوراً خطيراً في المواجهات التي دارت بين السلطانين موسى بن أبي عنان وأبي العباس أحمد بن أبي سالم سنة 786 / 1385.

لا تذكر المصادر المغربية أي شيء عن طبيعة مساهمة الميليشيات المسيحية في أحداث المغرب بعد نهاية القرن الثامن (14 م). ويبدو أن انتفاضة العامة بفاس ضد الروم وتراجع نفوذهم وحظوتهم عند المخزن المريني إضافة إلى تزايد الهجومات الإسبانية والبرتغالية على السواحل المغربية كلها معطيات ساهمت بشكل أو بآخر في غياب أخبارهم، وإن كان هذا لا يعني أنهم تخلوا نهائياً عن خدمتهم للملك بني مرين الأواخر على الأقل كحراس خاصين بهم، ومن الممكن أن يكونوا قد تخلوا عن دورهم العسكري والجبائي تفادياً لأي احتكاك أو تصادم مباشر مع المغاربة وإثارة غضبهم ضدهم.

من المؤكد أن هؤلاء الجند النصارى كانوا يتقاضون مرتبات وامتيازات مقابل خدماتهم مما شكل عبئاً ثقيلاً على بيت المال. وتسمح بعض المؤشرات بإعطاء فكرة عامة عن طبيعة التعويضات المادية التي كان النصارى يتقاضونها ومستوى الاختلاف بين مرتبات القواد والفرسان. فقد جاء في معاهدة 702 / 1302 التي أبرمت بين أبي يعقوب يوسف المريني وخايمي الثاني الأرغوني أن كل جندي من الكتيبة المسيحية العاملة في جيش السلطان يتقاضى 60 ديناراً بينما تقاضى أفراد الفرقة القشتالية في عهد أبي الحسن المريني راتباً شهرياً يتراوح ما بين 5 و50

ديناراً ذهبياً. وكان راتب القائد الأعلى للميليشيات العاملة في الجيش الحفصي أو الزياتي يتجاوز بكثير راتب الجندي العادي ويتراوح ما بين 2000 و3000 دينار، ومن المحتمل أن نفس الراتب أو ما يقاربه كان يتقاضاه القائد الأعلى الرومي في المغرب. وتجدد الإشارة إلى أن هذا الراتب المرتفع لا يأخذه القائد الأعلى كله بل يتقاسمه مع ملكه الذي يخضم منه الثلث ويترك الثلثين للقائد (Espagne, 517). وإذا علمنا أن ملك أرغون أو قشتالة هما اللذان يختاران القائد أو الفارس الذي سيلتحق بالجيش المغربي فهنا أهمية المداخيل التي يحققها من هذه العملية. ويستفاد من نص لابن مرزوق أن هذه الرواتب كانت تثقل كأهل السكان بشكل لا يطاق لأنها كانت تقتطع منهم على شكل ضريبة عرفت ضريبة المروس وتوفر أحيانا ما يقرب من 150000 دينار ذهبي في عهد أبي الحسن المريني. وأمام ضخامة هذا الرقم وما يحدثه من ضرر على الناس اضطر أبو الحسن إلى الغاء تلك الضريبة وعوض للنصارى رواتبهم من بيت المال لاتساق المسلمين بهم حسب ابن مرزوق (السند، 282). ولم يكتف جند النصارى بمرتباتهم فقط بل كانوا يحظون كذلك بامتيازات كثيرة من أهمها الإبقاء على دينهم وتعيين أساقفة يشرفون على شؤونهم الدينية وممارستهم أحيانا التجارة وتمتعهم بحي سكني خاص بهم يطلق عليه اسم الملاح أو ربح النصارى ويوجد بفاس الجديد خارج باب الشريعة بناه أبو العلاء بن أبي طلحة سنة 659 / 1261 بأمر من السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني بعد أن أخرجهم من مدينة فاس.

ولم يقتصر سكني جند النصارى على فاس الجديد فقط بل سكنوا أيضاً في مدن أخرى كسجلماسة ورياط الفتح وخاصة مراکش حيث خصص يعقوب المنصور الموحد لحرس الرماة المسيحيين البالغ عددهم 500 فرد قصرين بقصبة المدينة.

ابن الأثير. الكامل في التاريخ، بيروت، 1966، ج. 10، ص. 537.  
584؛ ع. الواحد المراكشي، المعجب، الدار البيضاء، د. ت، ص.  
483؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، تع. عبد الهادي التازي، بيروت، 1987، ص. 343؛ البيهقي، أخبار المهدي بن تومرت، الرباط، 1971، ص. 89؛ ابن القطان، نظم الجمان، تع. محمود علي مكي، بيروت، 1990، ص. 140، 263؛ ابن عذارى، البيان المغرب، تع. إحسان عباس، بيروت، 1983، ج. 4، ص. 98، 102.  
103؛ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تع. مجموعة من الأساتذة، بيروت، الدار البيضاء، 1985، ص. 18، 20، 31، 284، 298، 299، 354، 355، 360، 371، 396، 399، 402، 413، 414، 417، 419، 428، 430، 436؛ مجهول، الذخيرة السنوية، الرباط، 1972، ص. 74، 75، 79، 88، 91، 95، 96؛

النوري، نهاية الأرب، الدار البيضاء، 1985، ص. 410، 411؛ ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1973، ص. 246، 250، 251، 254، 259، 290، 292، 294، 302، 306، 309، 390، 394، 397؛ ابن خليل، اختصار القديح العلوي، تع. إبراهيم الأبياري، القاهرة، 1959، ص. 44؛ ابن الحاج النميري، فيض العباب، نج. م. ابن شفرون، الرباط، 1984، ص. 63؛ ل. ابن الخطيب، الإحاطة، تع. م. عبد الله عنان، القاهرة، 1973، ج. 1، ص. 411؛ نفاضة الجراب، تع. أحمد مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، ج. 2، ص. 230، 277، 278، 330؛ أعمال الأعلام، تع. أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، 1964، القسم الثالث، ص. 235؛ ابن مزروق، المسند، نج. ماريا خيمسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص. 116، 282؛ مجهول، الحلل الموسية، تع. سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، 1979، ص. 84، 85، 117، 129، 131، 138، 139، 146، 173؛ ابن الأحمر، بيارات فاس الكبرى، الرباط، 1972، ص. 20؛ ع. الرحمن ابن خلدون، المقدمة، بيروت، 1988، ص. 338، 339؛ العمري، بيروت، 1968، ج. 6، ص. 475، 476، 530، 534، 545؛ بيوت، 1978، ج. 7، ص. 351، 352، 356، 359، 361، 379، 491، 493، 497، 501، 508، 615، 630، 651، 654، 658، 673، 675، 731؛ يحيى بن خلدون، بقية الرواد، الجزائر، 1903، ج. 1، ص. 114، 115؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبحار، تع. مصطفى أبو ضيف أحمد، الدار البيضاء، 1988، ص. 94، 111، 155، 147؛ الفلقشندي، صبح الاعشى، القاهرة، بدون تاريخ، ج. 5، ص. 154؛ ج. الوزان، وصف إفريقيا، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، الرباط، 1983، ج. 1، ص. 132؛ مارمول كريخال، إفريقيا، تر. مجموعة من الأساتذة، الرباط، 1988، 1989، ج. 2، ص. 50؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954، ج. 2، 3، 4، 5؛ الصديق بن العربي، طوائف وشخصيات مسيحية بالمغرب، مجلة تطوان، العدد الأول، 1956، ص. 153، 163؛ روجيه لوترونو، فاس في عصر بني مرين، تر. نيقولا زيادة، بيروت، 1967، ص. 34؛ حوسي أليمان، الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة، تر. أحمد مدينة، دعوة الحق، العدد 5، 1978؛ م. المنوني، ورفات عن الحضارة المغربية، الرباط، 1979، ص. 71، 72، 75؛ إبراهيم حركات، النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، الدار البيضاء، د. ت؛ المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء، 1984، ج. 1، ص. 207، 327؛ ج. 2، ص. 133؛ هوكينز، التنظيم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، نقله عن الانجليزية أمين توفيق الطيبي، ليبيا، تونس، 1980، ص. 141، 144، 148؛ م. القبلي، مراجعات حول الثقافة والمجتمع بالمغرب الوسيط، الدار البيضاء، 1987، ص. 36؛ ع. الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، المحمدية، 1988، ج. 7، ص. 122، 128، 131، 149، 151؛ م. ابن شريفة، كيف ظهر ضريح القاضي عياض، مجلة كلية الآداب، مراکش، 1990، العدد 6، ص. 29، 40؛ عز الدين عمر موسى، الموحدون



**الرومان والمغرب**، أو علاقة المملكة المورية مع الرومان قبل خضوع البلاد لسيطرتهم، وذلك في مدى زمني يتراوح ما بين أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، ومنتصف القرن الأول الميلادي، حيث انتهى عهد الملوك الموريين وبدأت سيطرة الرومان على موريطانية.

وتشير إلى أن رسم معالم هذه الفترة يستند على المصادر التاريخية التي تناولت بعضا من شؤون موريطانية بمناسبة تناولها لتاريخ الصراعات التي خاضها الرومان مع الكيانات السياسية التي حكمت أقطار الشمال الإفريقي، ابتداء من الصراع ضد قرطاجة على أرض إفريقيا في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، ثم خلال الحرب ضد الملك النوميدي يوغرطة في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، وأخيراً خلال الحروب الأهلية الرومانية التي شملت القرن الأخير قبل الميلاد، وجرت بعض أحداثها في أقطار الشمال الإفريقي وفي إسبانيا.

ندلي في البداية بملاحظة حول المصادر المعتمدة في هذا الموضوع وهي نوعان :  
- المعطيات الأثرية، هي مواد تم اكتشافها في تنقيبات أجريت بالمغرب وإيطاليا، والأمر يتعلق بالحرف والأمفورات والنقود.

- النصوص التاريخية، لكتاب إغريقيين ورومانيين، متحيزين لرومة، همهم الإشادة ببطولات قادتها العسكريين، وهم يؤرخون للحروب التي خاضها الرومان لفرض نفوذهم على شمال إفريقيا. والجدير بالذكر أن معظم الكتاب ليسوا شهود عيان على الأحداث التي ذكروها، برغم أن بعضهم عاش في الفترة المورية. وأقدمهم هو بوليوس الذي عاش ما بين سنتي 202 و120 ق. م. وآخرهم هو هوديون كسيوس الذي عاش ما بين سنتي 155 و230 م.

تتميز الفترة المورية في المغرب القديم بازدهار البلاد اقتصاديا وعمرانيا، في ظل الملوك المذكورين في النصوص التاريخية، أولهم باغا Baga، الذي برز في أحداث ترجع إلى أواخر القرن الثالث قبل الميلاد. وآخرهم بطليموس Ptolemeus بن يوبا الثاني Iuba، الذي انتهى حكمه سنة 40 م. شمل حكم هؤلاء الملوك في موريطانية مجالا ينحصر بين مضيق أعمدة هرقل وجبال الأطلس، وبين المحيط الأطلسي ونهر ملوشة Mulucha وهو نهر ملوية الحالي. ثم إن مجال نفوذ الموريين شمل غرب نوميدية منذ حرب يوغرطة، في حدود لا ندري مداها في البداية، لكن هذه الحدود الشرقية وصلت إلى نهر أمباسكة Ampsaga منذ عهد الملك الموري بكوس الثاني Bocchus (مجدوب، 1)، 1990، ص. 18، 21، 1999، 7، 8.

أما بالنسبة لإيطالية، فإن هذه الفترة تمثل أوج التوسع الروماني، وما واكب ذلك من سيطرة عسكرية واقتصادية على البلدان التي تحيط بالبحر المتوسط عامة، وشمال إفريقيا على وجه الخصوص. ويندرج ذلك في أحداث ساخنة

في الغرب الإسلامي، بيروت، 1991، ص. 42، 226، 229؛ إبراهيم القادري بوتشيش، بعض الجاليات المتوسطية في المغرب العربي خلال عصر المرشحين، الكراسات التونسية، تونس، 1991، المجلد 43، عدد مزدوج (156، 155)، ص. 95، 121؛ ع. الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، بيروت، 1994، ج. 2، ص. 178، 181، 198، 235؛ أ. عزوي، رسائل موحدة جديدة، الدار البيضاء، 1995، ج. 1، ص. 402، 404؛ مصطفى نشاط، الارتزاق المسيحي بالدولة المرينية، ضمن أشغال ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1955، ص. 117، 135؛ رشيد السلامي، وثائق مرينية، دراسة وتحقيق، بحث مرقون نوقش بكلية الآداب، الرباط، 1989، ص. 51، 56، 65، 70، 72، 95، 93، 75.

Mas Latris, *Traité de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale du moyen âge*, Paris, 1866 ; (Traité), pp. 297 - 312 ; Tauxier (H.), *Les variations de sens des mots Berber, Roum, Afarek, Beranés, Botr, Macigh et Frank*, R.A. Alger, 1879, n° 133; Alemany (J.), *Milicias cristianas al servicio de los sultanes musulmanes del Almaghreb*, in *Homenaje a D. Francisco Codera*, Zaragoza, 1904 ; Giménez Soler (A.), *Caballeros españoles en Africa y Africanos en España*, *Revue Hispanique*, Paris, 1905, T. XII ; Tisserant (E.) et Wiet (G.), *Une lettre de l'almohade Murtada au pape Innocent IV*, in *Hesp.*, 1926, 1er tr. ; Cenival (P. de), *L'église chrétienne de Marrakech au XIIIe siècle*, *Hesp.*, 1927, T. VIII ; Huici Miranda (A.), *El reinado del califa almohade Al-Rachid, hijo de al-Mamun*, in *Hesp.*, 1954, T. XLI, 1er et 2e tr. ; Dufourcq (Ch. E.), *La question de Ceuta au XIIIe siècle*, *Hesp.*, 1955, T. XLII, 1er et 2e tr. ; *Ibid*, *Un projet castillan du XIIIe siècle, la croisade de l'Afrique*, *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb*, Alger, 1966, n° 1 ; *Ibid*, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIe et XIVe siècles*, Paris, 1966 ; *Ibid*, *Les relations de la péninsule ibérique et de l'Afrique du Nord au XIVe siècle*, in *Anuaio estudios médiavales*, Barcelona, 1970 - 1971, vol. 7 ; *Ibid*, *Les relations du Maroc et de la Castille pendant la première moitié du XIIIe siècle*, *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb*, Alger, 1968, n° 5 ; De Torrella (M.G.), *Milicias Cristianas en Berberia*, in *Boletin de la sociedad arqueologica Lusitane*, Palma de Mallorca, 1973, T. XXXIV ; Capmany (A. de) y Montpalau (de.), *Antiguos Tratados de Pacés y alianzas entre algunos reyes de Aragon y diferentes principes infieles de Asia y Africa desde el siglo XIII hasta el XV*, Madrid, éd. 1974 ; Dhina (A.), *Les états de l'occident musulman aux XIIIe, XIVe et XVe siècles*, Alger, 1984 ; Kably (M.), *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986; Khaneboubi (A.), *Les premiers sultans mérinides (1269 - 1331)*, *Histoire politique et sociale*, Paris, 1987 ; Ferhat (H.), *Le Maghreb aux XIe et XIIIe siècles : les siècles de la foi*, Casablanca, 1993 ; *Ibid*, *Sabta des origines au XIVe siècle*, Rabat, 1993.

رشيد السلامي

كان فيها دور للملك الأفارقة. نوجز هذه الأحداث في القضايا التالية : الحروب البونية وحرب يوغرطة والحروب الأهلية الرومانية.

1 - الحروب البونية : يتعلق الأمر بالصراع القرطاجي الروماني، ما بين سنتي 218 و146 ق. م. أي خلال الحربين البونيتين الثانية والثالثة. والغرض في هذه القضية هو معرفة مواقف المورين من الصراع المذكور. المصدر الرئيسي حول هذه الأحداث هو المؤرخ الإغريقي بوليبيوس، الذي عاش في رومة، وعاصر الحرب البونية الثالثة، وكان مرافقا لسكيبو Scipio الإيميلي خلال قيادته للحرب البونية الثالثة. وقد نقل عن بوليبيوس المؤرخ الروماني تتوس لفيوس الذي عاش ما بين سنتي 59 ق. م. و17 م.، ثم المؤرخ أبيانوس الذي عاش ما بين سنتي 95 و165 م.

نعلم من هذه المصادر كيف تورط الملوك النوميديون في الحرب البونية الثانية. حيث تحالف الملك الماسولي Gaia مع قرطاجة، وكلف ابنه مسينسا Massinissa بقيادة النوميديين ومساعدة القرطاجين في إسبانيا (Polybe, 11, 5, 21 : Tite Live, 24, 49, 1 - 6 ; 29, 29 - 6 ; Appien, Iber, 25 et 27).

بينما كانت رومة تراود الملك الماسيسولي سيفكس Syphax، وتدعوه إلى التحالف. وبعد وفاة Gaia تحالفت قرطاجة مع سيفكس وسحقت له بالاستيلاء على مملكة الماسوليين واحتلال عاصمتهم كيرتة Cirta.

وهذا ما جعل الأمير مسينسا وهو في إسبانيا يضطر إلى التحالف مع سكيبو، الذي لقب فيما بعد بالأفريقي، بعد قضائه على قرطاجة في الحروب البونية الثانية.

وقد اشترك مسينسا مع سكيبو في حملته على قرطاجة ما بين سنتي 204 و202 ق. م. وأفضت هذه الحملة إلى الإطاحة بالملك سيفكس، واسترجاع مسينسا لمملكته، وضم مملكة الماسيسوليين إلى مجال نفوذه.

انتهى هذا الصراع بمعركة زامة التي انتصر فيها الرومان، ونصت اتفاقية السلم على حق مسينسا في استرجاع أجداده من قرطاجة.

ثم حافظ مسينسا على ولائه للرومان وقدم لهم مساعدات مادية وعسكرية في حروبهم التوسعية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط. كما ساهم في إضعاف قرطاجة لتصير لقمة سائغة لرومة.

ثم شارك أبناؤه مع الرومان في الحرب البونية الثالثة، وظلوا أوفياء لرومة بعد سقوط قرطاجة (سالوست، حرب يوغرطة، 7 : 67 Appien, Iber).

أما عن المورين، فليس هناك نص صريح يفيد أن ملوكهم تدخلوا في هذا الصراع، برغم أن بوليبيوس أشار إلى وجود عناصر مورية في عساكر القائد القرطاجي حنبعل سنة 218 ق. م.، وقد ترك هؤلاء المورين لأخيه حسدريل

في إسبانيا (Polybe, 3, 33, 15). والغالب أن الأمر يتعلق بمرتزقة لا تتحمل السلطات المورية مسؤولية مشاركتهم في هذه الحرب، لاسيما وأن المؤرخ المذكور أكد أن المورين الذين شاركوا في معركة زامة كانوا مرتزقة كالليغوريين والغالين والبيلياريين. وعددهم جميعا يقدر بإثني عشر ألف رجل (Polybe, 5, 11, 1). والراجح أن المورين الذين ذكروهم نفس المؤرخ مع القرطاجين في الحرب البونية الثالثة كانوا هم أيضا مرتزقة (Polybe, 38, 2, 7).

كما أفاد المؤرخ تتوس لفيوس أن المورين كانوا ضمن قوات حسدريل في إسبانيا (Tite Live, 23, 26, 11 ; 29, 24, 15, 2) ; 14 وشاركوا مع القرطاجين في معركة زامة كمرتزقة (Tite Live, 30, 33, 5 et 10 et 13). ثم أكد أبيانوس على وجود مرتزقة مورين في معركة زامة. كما أفاد أن القرطاجين كانوا يأملون في مساعدة المورين في الحرب البونية الثالثة (Appien, Lib. 44 et 111).

وفي أخبار تتوس لفيوس ما يفيد أن سكيبو حاول استقطاب المورين، عندما كان سفراؤه يتصلون بالملك سيفكس سنة 206 ق. م. قصد التحالف معه. جاء في النص ما يلي : "لما كان سكيبو يستعد لتنفيذ حملته، فكر في الاعتماد على الملوك والشعوب، فقرر أن يبدأ بسيفكس" (Tite Live, 28, 17, 4). وفي خبر آخر أوضح نفس الكاتب ما يلي : "أمر سكيبو سفراءه ألا يكتفوا بسيفكس، بل كلّفهم بالاتصال مع باقي أمراء أفريقيا، وبعث إليهم هدايا تمشثل في أثواب فاخرة وأكواب ذهبية يزن كل واحد منها ثلاثة ليرات "Livres" (Tite Live, 27, 4, 9). كما أفاد أن القرطاجين قاموا بنفس المحاولة، لما علموا بالحملة التي كان سكيبو يعتزم شنّها عليهم في إفريقيا بعد انهزامهم بإسبانيا (Tite Live, 29, 4, 4).

الغالب على الظن أن الحكام المورين هم من بين الملوك والأمراء المشار إليهم في هذين النصين. لكن ليس هناك خبر أكيد عن استجابتهم لرجاء الطرفين المتصارعين. خاصة وأن تتوس لفيوس أورد خبرا صريحا، يفيد أن الملك الموري باغا رفض المشاركة مع الرومان، في حملتهم على قرطاجة في أواخر الحرب البونية الثانية.

فبعدما انفصل مسينسا عن القرطاجين بإسبانيا سنة 206 ق. م. وتحالف مع سكيبو، أوضح المؤرخ ما يلي : "لما علم مسينسا بوفاة عمه وابن عمه الشقيق، عبر من إسبانيا إلى موريطانية حيث يحكم باغا على المورين. وبعد ما بالغ في التوسل إليه لطلب المساعدة أمده بأربعة آلاف من المورين لمرافقته في الطريق فقط، ولم يوافق على مشاركتهم في الحرب. انطلق مسينسا مع المورين وبعث رسالة إلى أصدقاء والده وإلى أنصاره هو. ولما وصل إلى حدود مملكته وجد فقط حوالي خمسمائة نوميدي في استقباله. وحينئذ عاد الموريون إلى ملكهم كما تم الاتفاق على ذلك، برغم أن القوات التي التحقت به كانت أقل مما

توقع، ولا تكفي للمهمة التي جاء من أجلها" (Tite Live, 29. 30, 1 - 4)

المعروف أن المهمة التي ذهب مسينسا من أجلها إلى نوميديا هي مواجهة سيفكس والقرطاجين، فضلا عن المشاركة في حملة سكيبو على قرطاج. والنص السالف ذكره يوحي بأن مسينسا طلب من باغا مساعدته في هذه المهمة. والغالب أن الأمير النوميدي عرض عليه التحالف مع الرومان، فرفض ذلك رفضا باتا، برغم إلحاح وتوسل مسينسا كما ورد في النص. ويبدو أن الملك الموري استجاب لحد أدنى من مساعدة مسينسا، نظرا لعدالة قضيته، وذلك بتأمين وصوله إلى بلاده التي سلبها سيفكس. وتأكيد المؤرخ على أن المورين عادوا إلى ملكهم كما تم الاتفاق على ذلك، يدل على رفض المورين لأي شكل من أشكال التورط الرسمي في الصراع القرطاجي الروماني، الذي صار مسينسا طرفا فعلا فيه. ثم إن الشاعر الروماني سلبوس إبطالكوس، الذي عاش ما بين سنتي 25 و101 م، يتحدث عن وجود عناصر وشخصيات مورية ضمن قوات حنبعل. يتعلق الأمر بالبنيوريين Baniurae والأطلوليين Autololes وأهل مدينتي طنجة ولكسوس، بالإضافة إلى شخصين غير معروفين في المصادر هما شاب يدعى لكسوس Lixus وشخص سماه بالموري سيكس Saces. كما ذكر أشخاصا يحملون أسماء الملوك المورين هم باغا Baga وبيكوس Bocchus وبيكوس Bougus. وأشار إلى أن بيكوس كان يكشف الغيب، وقد قتل في الحرب مثل باغا وشاب يدعى لكسوس.

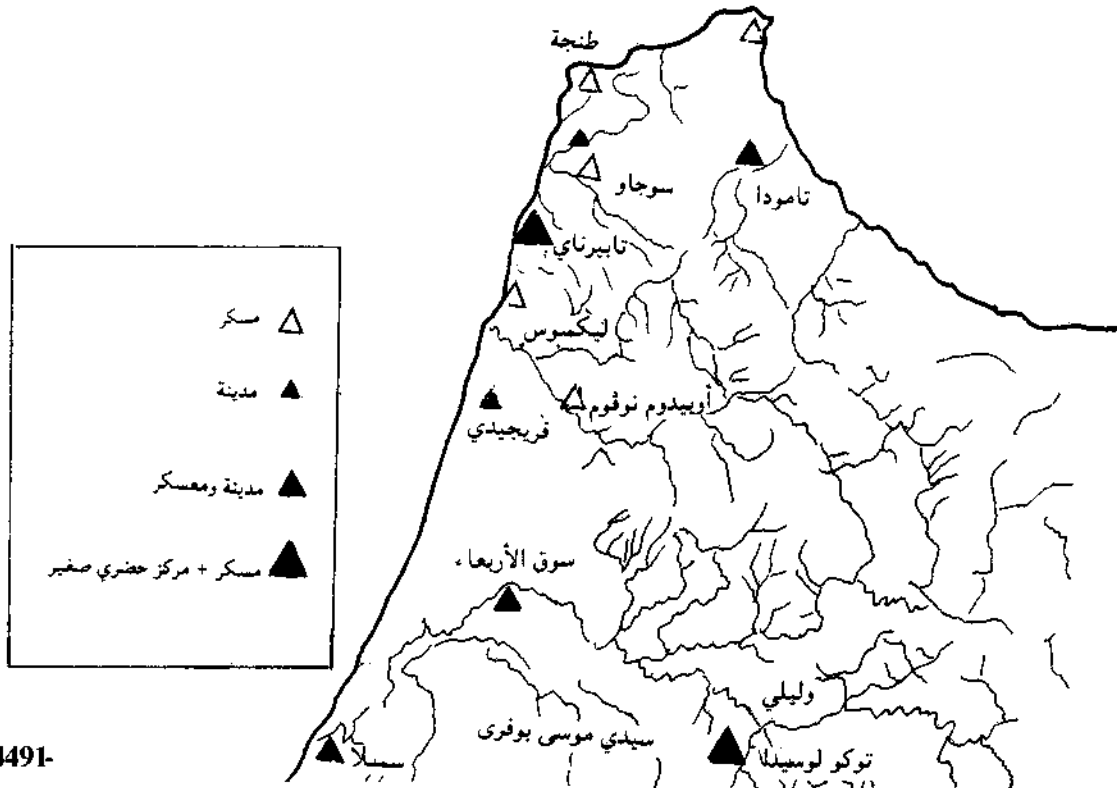
والجدير بالذكر أن كلمة بيكوس تطابق الصيغة التي

كتب بها سترابون اسم الملكين بيكوس الأوس وبيكود (Strabon, 2, 3, 4 ; 17, 3, 5 et 7).

وفي تقديري أن ما أورده الشاعر المذكور اقتضته المبالغة الشعرية وصورها الفنية، في ملحمة كرسها لتمجيد الأبطال الرومان الذين حاربوا حنبعل. وهي معلومات توحي بوجود مرتزقة موريين ضمن القوات القرطاجية، كما هو وارد في أخبار بوليبيوس، الذي استقى منه الشاعر مادته التاريخية، مثل غيره من الكتاب.

إن ما استنبطناه من المصادر التاريخية حول عدم استجابة الموريين للتعاون مع الرومان، يفيد أن ملوكهم التزموا مواقف الحياد في الصراع القرطاجي الروماني. إنها مواقف أملت عليها ضرورة الحيطة والحذر من الهيمنة الرومانية، والرغبة الأكيدة في الحفاظ على استقلالهم الاقتصادي والسياسي.

إن هذا التصور حتم علينا القيام ببحث ميداني، لدراسة المواد الأثرية، التي راجت خلال الفترة المورية. والأمر يتعلق بالحرف ذي البرنيق الأسود والأمفورات التي تم اكتشافها في المغرب لحد الآن (مجدوب، 1998، ص. 201 - 245). فبالنسبة للحرف الكمباني الذي راج في العالم المتوسطي خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد، اهتمتينا بدراسة الباحث الفرنسي جون بول ميريل لهذه المواد في المغرب، الذي أكد أن معظم هذا الحرف ورد على موريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد. وهي نفس النتيجة التي توصل إليها المنقبون في موقع الدشر الجديد (زليل)، حيث وجدوا مستويين موريين : أسفلهما لا يتضمن السلع الرومانية، وهو سابق عن القرن الأخير قبل الميلاد. أما المستوى الذي



يعلمه فيحتوي على الحزف الكمباني والأمفورات الإيطالية أهمها النوع 1. DR. وقد أُرخ المنقبون للوسط الأثري الذي يشتمل على هذه المواد فترة تمتد ما بين 80 و30 ق. ف. (Akerraz, 1982, p. 203 - 4). ونفس النتيجة توصل إليها بوب في دراسته للحزف الكمباني الذي يوجد في موقع سلا.

أما عن النقود الرومانية، فقد تم الكشف في التنقيبات التي أجريت لحد الآن بالمغرب، على عدد قليل منها. معظمها يرجع إلى القرن الأخير قبل الميلاد. وقد استخلص البعض من فحص النقود الرومانية المحفوظة في المتحف الأثري بالرباط، أن العلاقة مع رومة بدأت في فترة تتراوح ما بين سنتي 110 و100 ق. م. أي خلال الحرب مع يوغرطة (Hesnard, 1987, p. 50).

لقد تم العثور على نقود رومانية كثيرة في ساحل الصخور السوداء بالدار البيضاء سنة 1923، ويبدو أنها من مخلفات حطام سفينة ما غرقت قرب المكان المذكور. وأقدم هذه القطع النقدية يرجع إلى سنة 174 ق. م. وآخرها يرجع إلى سنة 31 ق. م. وهو تاريخ قريب من غرق سفينة كانت تحمل هذه النقود (6 - 1, Brethes, 1939).

أما في بناسة فتم اكتشاف خمس قطع من العهد الجمهوري، أقدمها يرجع لسنة 122 ق. م. (Thouvenot, 1951, p. 84). وفي المستوى الموري بتوسيدة، الذي يرجع تاريخه إلى القرن الأخير قبل الميلاد، تم العثور على قطعتين رومانيتين فقط، أقدمهما يعود لسنة 105 ق. م. (100 et 72, Morel, 1965). وفي سلا تم العثور في وسط أثري مماثل للوسط المذكور، على تسع قطع يمتد تاريخها ما بين سنتي 109 و31 ق. م. (Boube, 1992, p. 255).

ومن خلال دراسة ماريون لنقود بعض المواقع الأثرية، أحصى في المغرب خمس وأربعين قطعة رومانية، وهي موزعة كما يلي :

- في وليلي توجد أربع عشرة قطعة. فترتها من سنة 91 ق. م. إلى عهد أغسطس.

- في تموسيدة تتوفر ثمان عشرة قطعة. فترتها من سنة 38 ق. م. إلى عهد أغسطس.

وفي دراسة أخرى لنفس الباحث، يتضح أن أقدم قطعة نقدية رومانية بوليبي يرجع تاريخها إلى سنة 94 ق. م. وبتوسيدة أفاد أن أقدم قطعة رومانية يرجع تاريخها إلى سنة 112 ق. م.

والجدير بالذكر أن تواريخ إصدار العملة لا يعتد به كثيرا في التأريخ لتداولها، نظرا لسريان النقود خلال زمن أطول بعد إنتاجها. وهناك مثال كنز قُدِّر تاريخ إخفائه بوليبي بحوالي سنة 122 م. وهو يتكون من نقود يرجع تاريخها ما بين 82 و54 ق. م. (Marion, 1978, p. 180 et 184).

إن هذه النتائج تدل فعلا على وجود فترة فراغ في العلاقات التجارية بين موريطانية ورومة خلال القرنين

الثالث والثاني قبل الميلاد. وكان لا بد من التأكد من استغناء الموريين عن السلع الرومانية في هذه الفترة. وقد اقتضى ذلك بحثا ميدانيا لدراسة الحزف والأمفورات الرومانية في المغرب. فتم التأكد من هذه النتيجة، من خلال ندرة الحزف الكمباني A القديم وكذلك ندرة الأمفورات الإغريقية الإيطالية (مجدوب، 1998، ص. 201 - 245 : 94 - 288, Majdoub, 1996).

إن هذه الفترة التي دامت فيها قطيعة الموريين مع رومة كانت المواد الرومانية تسري فيها بكثافة، في بلدان الحوض الغربي من البحر المتوسط. وقد توزعت في نوميديا وإسبانيا وقرطاجة برغم عدائها لرومة. والأمر يتعلق برواج الحزف الكمباني A القديم في البلدان المذكورة خلال القرن الثاني قبل الميلاد. وكذلك الشأن بالنسبة للأمفورات الإغريقية الإيطالية. بينما توصلت موريطانية بالأمفورات الإيطالية أهمها النوعان 1. DR. و4 - 2. Dr. ثم الحزف الكمباني B وقليل من الحزف الكمباني A المتأخر. وكلها مواد توزعت في البلاد خلال القرن الأخير قبل الميلاد.

وقد تم التأكد نسبيا من الزمن الذي راجت فيه هذه المواد بالمغرب بواسطة استبارات حديثة العهد في وليلي (مجدوب، 1998، ص. 341 - 381, 91). أما المواد المورية التي توزعت في إيطاليا وغيرها من بلدان البحر المتوسط خلال القرن الأخير قبل الميلاد، فأهمها أمفورا من النوعين 11 و7 - Dr. التي كانت تصنع في موريطانية وتنقل الكارم (مجدوب، 1998، 103, 118).

إن ما أسفرت عنه دراسة المواد الأثرية يتفق مع النصوص التاريخية، التي لم يرد فيها ذكر لدور السلطة المورية في الصراع القرطاجي الروماني. ونجد عند بوليبيوس خبرا يعكس القطيعة بين موريطانية والعالم الروماني، في قوله : "إن البلدين المظلمين على مضيق أعمدة هرقل لا تربطهما أية علاقة" (Polybe, 16, 7, 29). وهذا يفيد أن موريطانية لم تكن تتعامل تجاريا مع إسبانيا في القرن الثاني قبل الميلاد، الذي عاش فيه المؤرخ وقام فيه برحلة حول المحيط الأطلسي سنة 146 ق. م. إثر اندحار القرطاجيين فيها خلال الحرب البونية الثانية (Pline l'Ancien, 5, 9).

ومن جهة أخرى نجد مصداقية تامة في إشارة المؤرخ الروماني سالوستيوس إلى القطيعة التي كانت بين الموريين والرومان قبل حرب يوغرطة. عاش الكاتب ما بين سنتي 86 و34 ق. م.، وأرّخ لحرب يوغرطة، وأبرز دور بكوس الفعال في إنهائها بتسليم يوغرطة لرومة. وهذا قوله : "كان الموريون تحت سلطة الملك بكوس (الأول) الذي إذا استثنينا اسمه فإنه كان يجهل كل شيء، عن الشعب الروماني، وكذلك نحن لم تكن لنا معه أية علاقة لا سلمية ولا عدائية" (سالوست، حرب يوغرطة، 19). وفي سياق آخر تطرق المؤرخ نفسه للمفاوضات بين بكوس الأول وسولا،

فأكد اعترض الملك على اقتراح القائد الروماني القاضي بتسليم يوغرطة، فنسب المؤرخ للملك قوله التالي : "زيادة على خوفه من أن هذا الإخلال بعهدته يغير عليه قلوب رعاياه، الذين يحبون يوغرطة بقدر ما يكرهون الرومان" (سالوست، حرب يوغرطة، 111).

ومجد نفس الموقف في رواية سترابون، الذي عاش ما بين سنتي 64 ق. م. و19 م. حول تجرية أودكس الكوزيكي Eudoxe de Cyzique وهو من رجال الأعمال النشيطين في العالم الروماني، في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد. أفاد الكاتب أن الشخص المذكور اتصل بالملك بكوس الأول حوالي سنة 111 ق.م. وطلب منه أن يشرف على مشروعه في اكتشاف الطريق المؤدية إلى الهند عبر المحيط الأطلسي، فاعترض أعوان الملك بشدة على المشاركة في هذا المشروع، بحجة أن ذلك خطر على بلادهم وسيجعلها عرضة للتدخلات الأجنبية.

ورد في النص ما يلي : "لما وصل (أودكس) سالما إلى موروسية Maurusia باع مراكبه. ثم قصد بگوس Bogos (بكوس الأول) ماشيا، وعرض عليه أن يتولى الإشراف عن الرحلة البحرية التي يعتزم القيام بها. لكن أصدقاء بگوس تشبثوا بالرفض، محذرين ملكهم من مغية جعل البلاد عرضة للغزو إذا صار الطريق معروفا عند الغزاة الأجانب" (Strabon, 2, 3, 4). وقد سبق لنا توظيف هذا النص في معالجة أوضاع موريطانية وإثارة دور الموريين في الملاحاة بالمحيط الأطلسي.

إن هذا الموقف يدل على تصلب رعايا الملك بكوس الأول، وتشبثهم بعدم التعامل مع رومة. لكن الملك قرر أن يغير سياسته، فتعامل مع الرومان خلال حرب يوغرطة. وهو الحدث الذي يمثل منعطفًا في تاريخ المملكة المورية. فمنذئذ بدأ اندماج موريطانية تدريجيا في العالم الروماني سياسيا واقتصاديا وثقافيا.

الخلاصة هي أن المصادر التاريخية والمعطيات الأثرية منسجمة في رسم أطوار العلاقات بين رومة وموريطانية. وهي تفيد أن الموريين تميزوا عن جيرانهم النوميديين في اتخاذ الاحتياطات اللازمة لتفادي الهيمنة الرومانية، وذلك بعدم التورط في الحروب البونية، والاستغناء عن السلع الرومانية. وقد التزموا بهذه المواقف لغاية قيام حرب يوغرطة، حيث فرض الملك بكوس الأول إرادته في تغيير سياسة بلاده بالانفتاح على رومة سياسيا واقتصاديا.

2 - فترة حرب يوغرطة في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد

تزامنت هذه الحرب مع عهد الملك الموري بكوس الأول Bocchus، الذي كان معاصرا للملك النوميدي مكيسا Micipsa بن مسينسا المتوفى سنة 118 ق. م. والواضح مما جاء من أخبار حول العلاقة بين الموريين ورومة قبل هذه الحرب، أن الملك الموري المذكور نهج السياسة التي اتبعها

سلفه مع الرومان، وذلك بعدم التعامل معهم والاحتراز من سياستهم التي ترمي إلى الهيمنة عن البلاد الإفريقية، حسب ما هو واضح من تعامل رومة مع الملوك النوميديين وتدخلها في شؤونهم، من خلال تصرف سكيبيو الإيميلي في تولية عرض نوميدي بعد وفاة مسينسا سنة 148 ق. م. حيث أعرض القائد الروماني على تطبيق العرف النوميدي في تولية العرش لأكبر أفراد الأسرة الملكية سنا، الذي تم تطبيقه بعد وفاة غايا والد مسينسا (Tite Live, 29, 29, 6). بل على العكس من ذلك، عمد القائد الروماني إلى تولية العرش لثلاثة من أبناء مسينسا وهم مستنبعل Mastanabal وكلوسا Gulussa ومكيسا Micipsa (Polybe, 36, 2, 16 ; Tite Live, Abrégé, 50 ; Valerius Maximus, 2, 4 ; Appien, Lib., 105). وهذا هو الوضع الي حاول يوغرطة تصحيحه لما تشبث بحقه في الانفراد بحكم نوميدي. وهو يراهن على تأييد الموريين، مما جعله يتزوج ابنة بكوس الأول. وبالفعل نجد يوغرطة يحظى بولاء الموريين خلال صراعه مع ولدي مكيسا مباشرة بعد وفاة هذا الأخير، وخلال أشواط الحرب ضد الرومان.

ولما احتد الصراع بين يوغرطة ورومة ود الملك بكوس أن يغير سياسته تجاه الرومان في بداية الحرب لأسباب وتقديرات ارتأى فيها أن مصلحة بلاده تكمن في ضرورة الانفتاح على الرومان. وهذا ما نستقيه من حديث سترابون عن تجرية أودكس الكوزيكي في محاولة التعامل التجاري والملاحي مع الموريين، خلال مشروعه في استكشاف الطريق المؤدية إلى الهند عبر المحيط الأطلسي. والنص المتعلق بهذه القضية يعكس من جهة تذبذب الملك وميوله إلى الانفتاح على الرومان، ومن جهة أخرى يؤكد صرامة رعاياه وتشبثهم بمواقفهم السابقة.

ونستفيد من جهة أخرى من كتاب سالوست حول حرب يوغرطة أن مواقف الموريين بقيت متناقضة منذ بداية الحرب سنة 112 إلى نهايتها سنة 105 ق. م. ويرجع ذلك في تقديرنا إلى كون الطرفين المتصارعين في هذه الحرب عرضا معا التحالف مع الملك الموري. فالطرف الروماني استجاب له الملك ومعه بعض خواصه وأصدقائه. والطرف النوميدي أيده عموم رعايا بكوس وضمنهم فرقة أخرى من خواصه وأصدقائه. ولا يجوز بتاتا أن نصدق بمفعول الرشوة التي كان يوغرطة يقدحها على الموريين، حسب زعم سالوست. وهذا ما يبيّن باحتداد التناقضات الداخلية في موريطانية. فما كان على الملك بكوس إلا أن يرسم خطة خاصة للتعامل مع هذه الحرب.

سنقتصر على ذكر أهم عناصر هذه الخطة، وما ترتب عنها من مواقف ووقائع. ونحيل القارئ على تفاصيل هذه النقطة على المرجعين التاليين : (مجدوب، 1) 1990، ص. 82، 83 ; 1990، ص. 91، 110). - في بداية الحرب حوالي سنة 112 ق. م. توترت العلاقة

بين يوغرطة ويكوس الذي شن هجوما على نوميديا واستولى على القسم الغربي منها.

- في نفس السنة بعث بكوس وفدا إلى رومة للتفاوض حول التحالف. لكن الحزب الشعبي عارض هذا التحالف مقابل التنازل عن نوميديا لبكوس، لأنه يعتبر نوميديا ملكا للشعب الروماني.

- ما بين 111 و108 قطيعة بكوس مع طرفي النزاع واستمرار احتلاله لغرب نوميديا. وحينئذ رحب الملك بعناصر من الجيش الروماني سبق لهم أن انضموا إلى يوغرطة، ولما بدأت المفاوضات بين يوغرطة والقائد الروماني ميتلوس الستجاوا إلى بكوس. كما رحب بالفارين النوميديين الذين شملهم غضب يوغرطة لما اكتشف مؤامرتهم مع ميتلوس على اغتياله.

- ما بين 108 و107 تحالف الملكين واشتركا في محاربة القائد الروماني ماريوس للانتقام من هجومه على غرب نوميديا المخاض لبكوس. وأهم ما أسفر عنه هذا التحالف هو تحرير مدينة كيرتة التي كانت عاصمة المملكة النوميديا.

- ما بين 107 و105 المفاوضات بين ماريوس وبكوس تولى فيها القائدان الرومانيان مانليوس وسولا مهمة الذهاب إلى بكوس. وتولى هذه المهمة خمسة من المورين اتصلوا بماريوس وذهبوا إلى رومة. ولعل أحدهم هو ماغدولسا Magudulsa الذي نعلم باسمه كأحد مشجعي الملك على التعاون مع الرومان. وتولى أصبار Aspar دور ممثل يوغرطة في المفاوضات بين بكوس وممثلي الرومان.

105. انتهاء المفاوضات بتواطئ بكوس وسولا بحضور شخص نوميدي يدعى دبار Dabat، حول تسليم يوغرطة للرومان. فأصبح بكوس ملكا صديقا وحليفا للشعب الروماني، مع الاعتراف بسيادته على غرب نوميديا.

- ما بين 105 و91 ثورة المورين ضد بكوس، فتصدى لها بعنف وتشبث بموقفه المتمثل في مواصلة العلاقات مع الرومان. وبعد إخماد الثورة خلد بكوس انتصاره على الطريقة الرومانية، وذلك بإرسال تماثيل ذهبية لتعرض في الكبتول Capitole برومة. وهذه الأنصاب لإلهات النصر الرومانية تحمل شعارات الغلبة Victoires porteuses de Trophées. بالإضافة إلى تماثيل تصور بكوس وهو يسلم يوغرطة لسولا (Plutarque, Marius, 32 ; Sylla, 6 ; Aurelius, 75).

3 - فترة الحروب الأهلية الرومانية خلال القرن الأخير قبل الميلاد : اتسمت هذه الفترة بهيمنة القادة العسكريين الرومان على الملوك الأفارقة في نوميديا وموريطانية. واقتضى ذلك أحيانا تدخل الجيوش الرومانية لقرض نفوذهم في البلدين معا. وتحتمت على الملوك الأفارقة ضرورة المشاركة الفعلية في الصراعات بين الرومان. وكان لذلك انعكاس سلبي على أوضاع الملوك لأن الملك الذي لم يحالفه

السعد في اختيار القائد الذي سينتصر فهو يقضى عليه. تزامن الصراع بين ماريوس وسولا مع انتفاضة جديدة في موريطانية، ترجع أن سببها الرئيسي هو وفاة بكوس في وقت لا ندره. مما جعل أعداء الرومنة من المورين يتزعمون ثورة ضد الملك الجديد الذي يدعى أسكاليس Askalis. نعرف من أحداث هذه الثورة ما اقترن منها بتدخل أحد أتباع ماريوس وهو القائد الروماني سرطربوس في موريطانية حوالي سنة 82 ق. م. وقد تحالف مع الثوار المورين وانتهى نشاطهم بقتل أسكاليس حينما التجأ إلى طنجة، والقضاء على القائد الروماني بكيانوس Paccianus، الذي كلفه سولا بمساعدة أسكاليس (Plutarquen Sertorius, 7-9).

ثم تدخل أحد أتباع سولا وهو القائد الروماني بومبيوس ماغنوس Pompeus Magnus في موريطانية، بعدما أنهى مهمته في ولاية أفريقيا Africa، حيث هزم حاكمها الروماني الموالي لماريوس وهو دوميتيوس أهنيوباريوس Domitius Ahenobarbus. كما انتصر في نوميديا حيث أطاح بالملك النوميدي هيارباس Hiarbas وأعاد الحكم للملك هبسال Hiempsal، الذي ثار عليه الملك السالف ذكره. والجدير بالذكر أن أحد أبناء بكوس المدعو بگود Bogud قد ساعد القائد الروماني في القضاء على هيارباس بمدينة بولا رگية Bulla Regia. ونعتقد أن بومبيوس نصب مستانسوس Mastanesos ملكا على المورين إثر هذه الحملة على موريطانية.

- الصراع بين بومبيوس وقيصر : استمر نفوذ القائد بومبيوس على الملوك الأفارقة منذ نشاطه السالف الذكر. والغالب أنه هو الذي تدخل في شؤون المورين في وقت لا ندره، فقسم مجال نفوذهم إلى مملكتين يفصل بينهما نهر ملوشة (ملوية الحالي)، الذي كان يمثل الحدود الشرقية للمملكة المورية، قبل أن يخضع غرب نوميديا لبكوس. ففي القسم الغربي أي في موريطانية الأصلية حكم الملك بگود وفي القسم الشرقي أي في غرب نوميديا حكم الملك بكوس الثاني بن مستانسوس.

ولما اندلع الصراع بين بومبيوس وقيصر في إسبانيا سنة 59 ق. م، تدخل الملكان الموريان المتعاصران لمناصرة بومبيوس. لكن قيصر تمكن من استمالتهم إلى صفه خلال انتصاره الأول في إسبانيا. ثم قدما له المساعدة اللازمة في بقية حروبه خاصة في ولاية أفريكاما بين سنتي 46 و47 ق. م. أو في إسبانيا سنة 45 ق. م. وقد استفاد بكوس الثاني من هذا التحالف بحياسة قسم إضافي من نوميديا، مما جعل مجال نفوذه يمتد شرقا إلى واد أميساگا Ampsaga.

- الصراع بين أنطونيوس وأكتافوس : لقد اختلف الملكان الموريان في مواقفهما لأسباب لا ندرها. وكان ذلك وبالا على الملك بگود، نظرا لسوء حظه في التحالف مع أنطونيوس، الذي مني بالهزيمة في هذا الصراع. فقد تدخلت

céramique à vernis noir de Sala, *BAM*, 16, 1985-86 ; Idem, *Les amphores de Sala à l'époque préromaine*, *BAM*, 17, 1987-1988 ; Idem, *La circulation monétaire à Sala à l'époque préromaine*, Rome ; Chelbi F., *La céramique à vernis de Carthage*, Tunis, 1992 ; Empereur J. Y [et al...], *Les amphores hellénistiques du bassin occidental de la Méditerranée, Céramique Hellénistique et Romaine*, 2, 1987 ; Guerrero Ayuso V. H., *Una aportacion al estudio de las anforas Mana C*, *Archeo-Nautico*, 6, 1988 ; Hesnard A. [et al...], *Les négociants italiens en Maurétanie avant l'annexion*, *BCTH*, NS, 19 B, 1983 ; Hesnard A. [et al...], *Aires de production des gréco-italiques et un Dr. 1*, *Collection de l'Ecole Française de Rome*, 114, p. 21 - 65 ; Hesnard A., 1990, *Les amphores*, *Revue Archéologique de Narbonnaise*, Supplément 21, 1990, p. 47 - 54 ; Jodin A., *Mogador comptoir phénicien du Maroc atlantique*, Rabat ; Krandel Ben Younes A., *La nécropole rurale de Thigibba Bure*, *Djebba*, *Reppal*, 7 - 8, 1992 - 3 ; Lancel S., *Tipasitana III, la nécropole préromaine occidentale de Tipasa*, rapport préliminaire (campagne de 1966 - 7), *BAA*, 3, 1968 ; Leglay M., *A la recherche d'Icosium*, *Antiquités Africaines*, 2, 1968 ; Laubenheimer F., *Production des amphores en Gaule Narbonnaise*, Paris, 1985 ; Majdoub M., *Les luttes du début du 1er siècle av. J.-C. au nord de la Maurétanie*, *Collection de l'Ecole Française de Rome*, 166, 1992 ; Idem, *Nouvelles données sur la datation du temple C à Volubilis*, *Africa Romana*, 10, 1994 ; Idem, *La Maurétanie et ses relations commerciales avec le monde romain*, *Africa Romana*, 11, 1996, p. 287 - 302 ; Idem, *Pompeus Magnus et les rois maures*, *Africa Romana*, 12, 1998 ; Idem, *Octavius et la Maurétanie*, *Africa Romana*, 13, 2000 ; Marion J., *Les séries monétaires de Tingitane*, *BAM*, 4, 1960 ; Idem, *Note sur la contribution de la numismatique à la connaissance de la Maurétanie Tingitane*, *Antiquités Africaines*, 1, 1967 ; Idem, *Les trésors monétaires de Volubilis et de Basama*, *Antiquités Africaines*, 12, 1978 ; Morel J. P., *Les niveaux préromains*, *Thamusida. I*, *Collection de l'Ecole Française de Rome*, Supplément, 2, 1965 ; Idem, *Céramique d'Hippone*, *BAA*, 1, 1967 ; Idem, *La céramique à vernis noir du Maroc*, *Antiquités Africaines*, 2, 1968 ; Idem, *Recherches stratigraphiques à Hippone*, *BAA*, 3, 1968 ; Idem, 1969, *Kerkoine ville punique du Cap Bon*, *Ibid*, p. 473-518 ; Idem, 1978, *A propos des céramiques campaniennes de France et d'Espagne*, *Archéologie en Languedoc*, 1, p. 149 - 68 ; Idem, 1982, *La céramique à vernis noir de Carthage Byrsa*, *nouvelles données et éléments de comparaison*, *Colloque sur la céramique antique de Carthage*, Carthage, 1980, p. 43 - 73 ; Idem., 1983, *Les importations de céramique grecque et italienne dans le monde punique*, 5 - 1er s. av.-J.C., *révision du matériel et nouveaux documents*, 1er Congreso internacional di studi fenici e punici, p. 731 - 40 ; Idem, 1990 (1), *L'apport des fouilles de Carthage à la chronologie des céramiques hellénistiques*, *Colloque sur le problème de chronologie des céramiques hellénistiques*, Athènes, 1989, p. 17 - 32 ; Idem, 1990 (2), *Nouvelles données sur le commerce de Carthage punique entre le 7ème et le 2ème s. av.-J.C.*, 113ème Congrès National des Sociétés Savantes, (Strasbourg 1988), p. 67 - 100 ; Idem, 1990 (3), *Aperçu sur la chronologie des céramiques à vernis noir aux 2 - 1er s. av.-J.C.*, *Revue Archéologique de Narbonnaise*, Supplément 21, p. 55 - 71 ; Idem, 1992 (1), *La céramique à vernis noir du Maroc*, *Collection de l'Ecole Française de Rome*, 166, p. 217 - 33 ; Idem, 1992 (2), *La céramique à vernis noir du Parking de La Mairie*, *Musée des Beaux Arts et d'Archéologie*, p.

قوات أكتافيوس في موريطانية ضد بگود وأطاحت بعرشه سنة 38 ق. م. وبعده سُمح أكتافيوس لبكوس الثاني بضم موريطانية إلى مجال نفوذه. وإثر وفاته سنة 33 ق. م. صار أكتافيوس يتحكم في مصير البلاد، وحاول ضمها إلى مجال نفوذ الامبراطورية الرومانية، لكن المورين شنوا ثورة ضد سياسته غير أن مقاومتهم باءت بالفشل أمام التدخل العسكري العنيف لقوات أكتافيوس في موريطانية. وإثر ذلك أنشأ اثنتي عشرة مستوطنة رومانية في المجال الذي كان خاضعا لبكوس الثاني، منها أربعة في موريطانية، هي طنجة وزليل وبابة وبناسة. وفي سنة 25 ق. م اضطر أكتافيوس إلى تنصيب يوبا الثاني ملكا على المورين، ثم خلفه ابنه بظليموس سنة 23 م إلى أن اغتاله الامبراطور الروماني كليغولا Caligula سنة 40 م. وبعد ذلك ضم الرومان مجال نفوذ المورين وأحدثوا فيه ولايتين رومانيتين هما موريطانية الطنجية في بلاد المورين الأصلية، وموريطانية القبصرية في القسم الغربي من نوميديا، الذي كان خاضعا لسلطة المورين، كما أشرنا إلى ذلك أعلاه.

محمد مجدوب، 1990(1)، *أضواء على أوضاع موروسية من خلال حرب يونغرة*، *بحوث*، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العدد 2، 3، ص. 61، 82. نفسه، (2) 1990، *مملكة المورين وعلاقتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م.* رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، مرقونة : 1992، *العملة الملكية في المغرب القديم*، *بحوث*، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العدد 5، ص. 47، 60. 1993، *أوضاع موريطانية من خلال رحلة أودكس الكوزكي في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، سلسلة الندوات، 5، ص. 31، 53. 1995، *مختصر حول تاريخ موريطانية قبل السيطرة الرومانية*، *بحوث*، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العدد 6، ص. 149، 174. 1998، *دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد*، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، مرقونة : 1999، *المملكة المورية وحدودها في المغرب القديم*، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، سلسلة الندوات، 6، ص. 7، 20.

Akerraz A., El Khatib-Boujibar N. et al., *Fouilles de Dchar Jdid*, 1977 - 80, *BAM*, 14, 1981 - 2, p. 169 - 225 ; Arcelin P. et Cayot A., *Reflexions sur l'abandon de l'agglomération hellénistique de Saint-Blaise (Saint-Mitre-Les remparts)*, *Revue Archéologique de Narbonnaise*, 17, p. 53 - 70 ; Belen M. et Fernandez Miranda M., *El fondadero de Cales Cobes (Menorca, Islas Baleares)*, *EAE*, 101, p. 110 - 3 ; Ben Younes H., 1993, *La nécropole punique d'El Khayma*, mai 1984, *Reppal*, 2, p. 31 - 172 ; Bisi A.M., 1985, *Le commerce des amphores puniques : quelques remarques à propos des découvertes de Mellita (Sabrta)*, *B.C.T.H.*, N.S., 19 B., 1983, p. 3 - 15 ; Brethes J.D., 1939, *Contribution à l'histoire du Maroc par la recherche numismatique*, Casablanca ; Boube J., *Introduction à l'étude de la*

أيضا وادي رحو وهو رافد صغير يقل ماؤه في الصيف ويكثر في الشتاء حيث يلعب دورا هاما في تغذية البحيرة من الأملاح المغذية ومن كمية وافرة من الوحل الذي يزداد تراكما في مدخل النهر ؛ وقد نتج عنه نمو سريع ومكثف لنبات القصب المائي ونبات البردي والسمار على مقربة معظم الضفاف.

تتميز مياه البحيرة بجودة عالية إلا أنها مهددة بالمواد الكيميائية المستعملة في الحقول المجاورة للتخايب وللمحاربة الأعشاب والحشرات المضرة بالفلاحة. لقد تم إحصاء حوالي 90 نوعا من الطحالب المجهرية في هذه البحيرة إلى جانب 120 نوعا من القشريات الصغيرة المائية والحشرات والضفادع.

وتعتبر هذه الضاية من البحيرات الأكثر أهمية لتطور مراحل النمو لعدة أنواع من الأسماك يكثر الإقبال عليها من طرف هواة الصيد الرياضي. كان سمك البريس Barbeau النوع الوحيد الذي يعيش فيها بكيفية طبيعية في مطلع القرن الجاري،

وبعد الثلاثينيات منه تم إدخال عدة أنواع من أوروبا لقيت نجاحا كبيرا في التأقلم والتطور وخاصة منها الشبوط العادي Carpe commune وسمك البلوقي Blue-gill والزنجور والقم الأسود Black bass. لقد عرفت السنوات الأخيرة تساقطات مطرية ضعيفة جدا في المنطقة ونشاطا مكثفا في استعمال المواد الكيماوية المبيدة للحشرات والنباتات المضرة أدى مفعولها إلى موت عدد كبير من سمك الشبوط العادي والبلوقي سنة 1986. وقد عوض المركز الوطني لتربية الأسماك بأرزو هذه الخسارة بإدخال عدد كبير من صغار سمك الزنجور والضبوط الصيني العاشب والقم الأسود خلال السنوات الأخيرة، تلبية لمتطلبات هواة الصيد الرياضي ولعلاج التخايب المفرط في هذه البحيرة.

تستقبل البحيرة كل سنة عددا هائلا من الطيور القواطع تنصدرها أنواع البط كالعنق الأخضر Anas platyrhynchos وA. acuta, A. crecca, A. clypeata, إلى جانب المالك الحزين وطيور البقر وعشرات من أنواع الطيور المائية الصغيرة تحج إلى هذه الضاية خلال الفصول لتفتتات وتستريح.

N. Elkhiani, Biotypologie et biogéographie des Charophycées du Maroc. Contribution à l'étude des peuplements d'Algues et de macrophytes de l'hydrosystème de Tamaris (Meseta occidentale). Thèse d'Etat, Marrakech, Semlalia, 1995, 155p ; M. Ramdani, Les eaux stagnantes au Maroc : étude biotypologique et biogéographique du zooplancton. Trav. Ins. Scri. Rabat, Zool. 1988, 43p ; C. Berthon, Dynamique des populations phytoplanctoniques du lac marocain (Dayet Er Romi). Thèse 3<sup>e</sup> cycle, Clermont Ferrand, 1983, 85pp.

نجاة الخياطي

213 - 6 ; Nieto et al., 1985, *El Yacimiento arqueológico submarino de Reills La Colta y su relación con Ampurias, 6ème Conreso Internacional de Arqueologia Submarina*, Carthagene, p. 265 - 83 ; Py M., 1976, *Note sur l'évolution des céramiques à vernis noir des Oppidas languedociens de Roque-de-Viou et de Nages (Gard France)*, MEFRA, Archéologie, 88, 12, p. 545 - 606 ; Idem, 1978, *Apparition et développement des importations des céramiques campaniennes à sur l'Oppidum des Castels (Nages, Gard). d'après les fouilles du dépotoir J. 1, Archéologie en Languedoc*, 1, p. 43 - 70 ; Rodero Rianza A., *El fondadero de Cales Coves (Alayor Menorca Espana), avance de las campanas 1980 - 7, 11ème Congreso internacional di studi fenici e punici*, p. 1183 - 6 ; Siraudeau J., 1988, *Amphores romaines des sites angevins (France) et leur contexte archéologique*, Bouchemaine ; Solier Y., 1972, *Céramique punique et ibéro-punique sur le littoral de Languedoc du 6ème au début du 2ème s av.-J.C., Hommages à Benoit, Bordighera*, p. 127 - 50 ; Tchernia A., 1986, *Le vin de l'Italie romaine, essai de l'histoire économique d'après les amphores*, Rome ; Thouvenot R., 1951, *Note sur les monnaies de Banasa*, dans PSAM, 9, p. 83 - 7 ; Vuillémot G., 1965, *Reconnaissances aux échelles puniques d'Oranie, Autun ; Villard F., 1960, Céramique grecque du Maroc, BAM, 4, p. 1 - 26.*

محمد مجدوب

**الرومي (ضاية -)** بحيرة قارية طبيعية دائمة تقع جنوب مدينة الخميسات (X = 427 ; Y = 350 على خريطة المغرب 1 / 50000) وتبعد عن الرباط بتسعين كلم. تتكون المنطقة الجنوبية لعمالة الخميسات من عدة ضايات أكبرها ضاية الرومي التي تبلغ 12 مترا من العمق بطول (شرق - غرب) يقدر بـ 1.6 كلم ويعرض يتراوح بين 300 - 800 م. تتراوح السعة بين 5 - 6 ملايين م مكعب من الماء ويختلف طول العمق الأقصى بين الفصول الرطبة والجافة ويقدر معدله بـ 6.2 م. يفوق عمقها 8 أمتار في الجهة الشرقية ولا يتعدى 4 أمتار في الجهة الغربية.

يمكن الوصول إلى البحيرة عبر طريقين معبدين وتحيط بها جنوبا وغربا مسالك غير معبدة. يوجد بها مخيمان ومعظم لاستقبال الزوار أيام العطل سواء للمتعة أو للصيد الرياضي أو للرياضة على الزوارق التي تعرف نشاطا مكثفا خلال الربيع والصيف.

أثبتت الدراسات أن تكوين ضاية رومي يرجع إلى العهد الجيولوجي الثالث مع نشأة حوض المعازيز لأسباب جيولوجية تتجمع فيه مياه الأمطار والمجاري السطحية والعيون الباطنية. تستقبل هذه البحيرة مياه الأمطار التي تتراوح بين 430 - 530 ملم في السنة ومياه ضاية السلاك المجاورة على الضفة الشمالية الشرقية عبر قناة لا يتعدى صيبيها 10 لترات في الثانية. تحتضن الضفة الجنوبية عدة عيون غازية تلعب دورا هاما في المحافظة على مستوى الماء بهذه البحيرة خلال الفصول الجافة. تستقبل ضاية رومي



المعارف، ويختص بالموسيقى العربية. وفيه يعقب على المؤلف بتصحيح ما عنده من أخطاء في الكتاب، ويضيف إليه ما رآه مكملا لعمل المؤلف.

اسكندر شلفون، دائرة المعارف الموسيقية وقاموس المعهد، القسم الأول - تاريخ الموسيقى - الموسيقى العربية، 1927.

J. Elsner, *Musique arabe. Congrès du Caire 1932*, Le Caire 1992, p. 200 ; Jules Rouanet, *Encyclopédié de la musique et dictionnaire conservatoire*, pp. 2183 - 2943 ; Idem, pp. 2676 - 2812 ; 1ère partie, *Histoire de la musique : la musique arabe*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

## رؤي دي بينا Rui de Pina مؤرخ برتغالي احتل

مكانة مرموقة بالبلاط البرتغالي لدى الملك جواو الثاني وخلفه ضون مانويل. وقبل وفاته ما بين سنوات 1519 و1523 كلف بإدارة خزانة "أرشيف طوري طوميو"، ومن هناك استمد المادة التاريخية، وقد تبنى ما كان نظيره زورارا بصدد تسجيله عن الملك ألفونس الخامس، كما استفاد من حوليات إخباري آخر يدعى "قرناو لوبيس" Fernao Lopes.

ظهر لرؤي دي بينا أولا كتابه عن الملك ضون ضوارتي، *Chronica d'el Rei D. Duarte*. وأهم ما تضمنه الكتاب بالنسبة للتاريخ المغربي المعلومات المتعلقة بأصول الحملة البرتغالية على مدينة طنجة وعملياتها الحربية سنة 1437. إلا أن سرده توقف بالنسبة لطنجة عند الهزيمة البرتغالية، ولم ينل المطلب المغربي الذي ألح عليه المرينيون مما يخص استرجاع سبتة المحتلة سوى النثر اليسير من سرده، نتيجة توقفه عند وفاة ضون ضوارتي سنة 1438.

وتكمن فرصة الاستفادة من قراءة حوليات ألفونس الخامس *Chronica d'el Rei D. Affonso* من استغلال كل ما تعلق بأصول حملة لشبونة على القصر الصغير سنة 1458، وعلى أصيلا وطنجة سنة 1471. ولكن معرفتنا لن تتجاوز الاستعدادات البرتغالية للحملة والعمليات الحربية التي أدت إلى سقوط المدن الثلاثة بيد الغزو البرتغالي.

على أن الاستفادة تتأني أكثر بتفحص كتابه الثالث المخصص للملك جواو الثاني، *Chronica d'el Rei D. Joao II*. فمنه يؤخذ ما يتعلق بحاكم الشاون علي بن راشد العلمي وحاكم القصر الكبير طلحة العروسي سنتي 1487 و1488، علاوة على التعاليق المرافقة لحملة جزيرة اللكوس وما تلاها من الهدنة وغارات سبتة على ترغة وسوق خميس أنجرة. تم نشر تأليفه بلشبونة سنة 1792 في مجموعة كتب تاريخ البرتغال *Collecção de Livros de Historia Portuguesa*, t. 2.

ح. الفكيكي، مقاومة الوجود الإسباني بالشعور الشمالية الغربية المحتلة، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

*Chronica d'el Rei D. Joao II ; Chronica d'el Rei D. Affonso ; Chronica d'el Rei D. Duarte*.

حسن الفكيكي

الرواكن، ويكتب أيضا الرواكن، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Royas و Ruas ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان ؛ مع الإشارة إلى أنه إلى غاية سنة 1841 / 1257 كانت بحومة الطرانكات دار تحمل اسم هذه الأسرة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 740*.

رواكن، ويكتب أيضا الرواكن، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Roan ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 738*.

محمد ابن عزوز حكيم

## رووانيت، جول Rouanet Jules، موسيقي فرنسي

معاصر. اشتغل بالمعهد الموسيقي الفرنسي بباريز في العقد الأول من القرن العشرين، ثم انتقل إلى العاصمة الجزائرية حيث كلف بإنجاز أبحاث حول الموسيقى العربية.

وخلال الفترة التي قضاها بالجزائر زار المغرب وسوريا ومصر، والتحق بالجمعية المطرية التي كان قد أسسها المطرب اليهودي ادمون ناطان يافيل Edmond Natan Yafil قبيل 1910، وهناك تعرف على الفنانين الجزائريين : محيي الدين باشتارزي (1897. 1986) ومحمد بن علي اسفينجة، وقد اعتمد على هذا الأخير كثيرا في إنجاز دراسته عن الموسيقى الأندلسية بالجزائر مستعينا بيافيل الذي كان يقوم بالترجمة. وقد شكلت هذه الدراسة الوثيقة التي اعتمدها المؤتمر الأول للموسيقى العربية المنعقد بالقاهرة عام 1932، إلى جانب وثيقة الباحث رودولف ديرلانجيه المقيم يومئذ بتونس بغرض المقارنة بين الطوبع الأندلسية المستخدمة في الجزائر والمقامات الموسيقية المستخدمة في مصر، هذه المقارنة التي سوف يتبين أنها - كمشيلتها الخاصة لمقارنة طوبع موسيقى الآلة المغربية - مجافية للصواب.

شارك رووانيت في إنجاز "دائرة المعارف الموسيقية وقاموس المعهد" بإدارة ألبيير لافينيياك Albert Lavignac، فكتب خلال سنوات 1912. 1913. 1914. 1922 فصولا متعددة عن :

- الموسيقى العربية في دول المغرب *La musique arabe dans le Maghreb*

- الموسيقى في المغرب *La musique au Maroc*

- تاريخ الموسيقى العربية *Histoire de la musique : musique arabe*

وقد قام الباحث اللبناني المقيم بمصر اسكندر شلفون بتعريب هذا الفصل، وهو قوام الجزء الأول من دائرة

**الرويجل عيد السلام السريفي**، مقاوم ولد سنسة 1916 بوزان من والديه أحمد بن عبد السلام ورحمة بنت احساين.

انخرط في صفوف المقاومة السرية منذ انطلاقتها حيث ساهم بعدة أعمال فدايية نذكر منها : توزيعه لبعض المناشير لتهديد بائعي السجائر كما أنه قام بإحراق بعض مزارع المعمرين، بالإضافة إلى قيامه بعملية اغتيال بعض الخونة. كما أنه شارك مشاركة فعالة في مظاهرة 20 غشت الخالدة، وألقي عليه القبض حيث صدر الحكم عليه بستة أشهر سجناً.

الندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال.

**الرويز**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ruis - Ruiz ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 749.

**الرويضة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Rueda ومعناه العجلة ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان. وتعجده الإشارة إلى أنه توجد بإسبانيا مدينة اسمها Rueda.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 748.

محمد ابن عزوز حكيم

**الرويجمات**، تعد هذه التجزئة فصيلة من قبيلة أيت لحسن التي تنتمي إلى لف أيت الجمل من اتحادية تكتة بوادي نون والساقية الحمراء. ويبدو من خلال تاريخ هذه الفصيلة ومعنى تسميتها، تباين انتمائها الأصلي مع الجذر الإثني المؤسس للقبيلة. كيف ذلك ؟ يكشف هذا السؤال الإشارات الهامة إلى تنوع مشارب الفصائل المكونة لهذه القبيلة. ذلك أن هذا الانتماء يعد من بين المرجحات الفعلية والمنهجية للبحث الميداني المكتشف. ننطلق من إشارة أحمد التوفيق إلى الرابطة القوية بين أهل بوعيدة أعيان هذه الفصيلة والمد الإسباني خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين (انظر مادة أساكا بالمعلمة). فتتساءل عن معنى صيغة "الرويجمات" وهل هناك ما يدعو إلى ربطها بالغور المسيحي الإسباني خلال القرن الخامس عشر الميلادي بالساحل المواجه لجزر كناريا ؟

كانت قبيلة أيت لحسن خلال هذه الفترة تنتمي إلى

الغور السكاني التكني المقيم بأسرير حيث ما تزال ملكياتها المسقية المسماة حالياً (تواغيل أيت لحسن) تشهد على انتمائها إلى لف أيت عثمان (لف أيت بلة). انتقلت جل فصائل أيت امحمد أو لحسن (أيت بومكوث وإنجورن وأيت داود أو عبد الله) يومها من أسرير إلى المشايك الواقعة بمنطقة كير جنوب غرب وادي نون لتشكّل فيما بعد تدريجياً ما أصبح يعرف بقبيلة أيت لحسن. وفي هذه الأثناء بقي جزء من أيت امحمد أو لحسن بأسرير حيث ما يزالون يمثلون بعين المكان فصيلة من أهم فصائل قبيلة أزوافيط.

تعد مدينة تكاوست إحدى العواصم الثلاث لوادي نون مع نول مظة وتغاجيجت. فقد ورد الاسمان الأولان لدى كل من ابن خلدون وابن سعيد بينما ورد الثالث لدى أبي بكر البيدق على صيغة "تاعكيزت". وعلى الرغم من تكالب الضربات العقلية الحسانية خلال القرنين الرابع والخامس عشر، فإن ابن الوزان يشير إلى أهمية مدينة تكاوست التي كانت ما تزال من بين أهم العواصم التجارية بهذه الضفة الشمالية الغربية للصحراء (انظر مادة تكاوست بالمعلمة). ولا شك أن هذا العامل الأساسي هو الذي جعل المد الأيبيري يركز عليها طلعانه مستهدفا الإقامة بها والتحكم في حركيتها إلى أن تم له ذلك كما يتضح من خلال وثيقة بوطاطا سنة 1499. كانت مجموعة من فصائل الغور السكاني الأقدم تقيم يومها بتكاوست من بينها أولاد إدريس وأيت أيوب وأيت إيسك والسماهرة. كانت هذه الفصائل في صراعات مفتوحة بينها ومع المغافرة بني حسان المسيطرين يومها على حوض وادي نون سياسياً دون التسرب إلى ملكية الأرض والساقية.

لن تصل قبيلة أيت لحسن إلى عين المكان قبل نهاية القرن الحادي عشر (17 م). ويدخلها إلى المدشر المتهالك من جراء تكالب المحن السياسية والبيئية والتجارية. وربما أخذ الرويجمات يومها في التحول من ممثلين للمد المسيحي إلى أعيان محليين بعد أن مثلوا تحالفاً طبيعياً مع المد الإسباني. ولربما كان دخولهم الإسلام يعود إلى هذه الفترة. مهما يكن من أمر هذه الفصيلة، فإنها تنتمي إلى أصل إيبيري حسب ما أكد السيد علي بوعيدة. وهي فرضية قد تزكيتها نوعية التسمية. ذلك أن صيغة "الرويجمات" إنما تفيد ما معناه "الأروام" الذين قد لا يقاسمون الغور السكاني الأقدم نفس الانتماء الإثني. يوجد على موقع مدينة تكاوست التاريخية السوق المعروف بسوق الرويجمات "النصاري". وتسمح أية معانية ميدانية بالتأكد من أن الطوبونيميا تلعب هنا دوراً أساسياً في المزج العضوي بين الحركية المحلية وديناميكتها التجارية عبر مسالكها الساحلية المتجهة نحو البحر حيث كان سوق النصاري ومازال يحتل موقعا بالغ الأهمية للربط بين المدينة ومحيطها الساحلي.

أهم القيم الأيديولوجية التي انبنت عليها توجهاتهم السياسية داخل الاتحادية.

وهنا نسجل أن تملك الأرض يعتبر من بين أهم الأسباب العملية التي تقف وراء استراتيجيات التحالف القبلية. بل وتحسد هذه الاستراتيجية المحرك الأساسي الذي يولد من خلال النزاعات نوعية العلاقات الاجتماعية. وهو ما يتضح هنا من خلال ارتباط الروميات بملكياتهم الأرضية الجورية والمسقية. والمتتبع للخلاقات القديمة بين الروميات وآيت بومكوت. يدرك بكامل الوضوح ترامي هذه الفصيلة على بقايا الغور السكاني المجاور تاريخيا للروميات بعين المكان. فقبل وصول آيت بومكوت، كان الروميات يثبتون مواقعهم عبر تملكهم لأراض من حجم لا يستهان به مقارنة مع ما يمتلكونه حاليا. فبمعية أهل الكويتي مؤسسي دولة الكويت الحالية، كان أهل بوعيدة خاصة يجسدون غورا سكانيا حوالي تكاوست يعود تاريخه المحلي إلى ما قبل سنة 1500 ميلادية كما رأينا. وهناك وثائق محلية تثبت نوعية الصراع الذي كان قائما بين الروميات الأوائل والواردين عليهم من آيت بومكوت. ندرك من خلالها لماذا تبنت هذه الفصيلة المرونة التحالفية مع مختلف القوى المحلية بما فيها آيت احماذ أو اعلي من قبيلة أزوافيط وآيت الخمس وباقي فصائل آيت لحسن.

مصطفى ناعمي

**الرياح** هي عبارة عن هواء متحرك في مختلف مستويات طبقة الطروبوسفير وخاصة عند المستويات الدنيا، وهي تنتج عن اختلاف في الضغط الجوي الذي ينجم بدوره عن تباين في كثافة الهواء داخل هذه الطبقة بسبب الفروق الحرارية ما بين أنواع الكتل الهوائية المتواجدة داخل هذه الطبقة والذي يؤدي في النهاية إلى تحول هذه الطاقة الحرارية إلى طاقة حركية.

وعلى الرغم من أن تحرك الهواء السطحي يبدو انسيابيا إلا أن ما يحكم حركته هاته هو غير ذلك حيث عادة ما تتخلله حركات غير انسيابية بسبب الحركات الدوامية من أحجام وأشكال مختلفة وما السرعات غير المنتظمة والاتجاهات المتعددة التي يتخذها إلا دليل على ذلك.

والرياح كعنصر من عناصر المناخ ينقسم إلى قسمين منها ما هو نطاقي ودائم ومنها ما هو محلي وعابر، فبواسطة النوع الأول يتم نقل الهواء والحرارة ما بين مختلف العروض لذلك فهي تعمل على الحفاظ على التوازن المناخي الحالي على سطح الأرض، بينما يعمل النوع الثاني على خلق الظروف النوعية للمناخات الجهوية أو المحلية.

والمغرب يحكم موقعه بالنسبة للعرض يكون خلال

تنتمي فصيلة الروميات إلى إينجورن من قبيلة آيت لحسن شأنها في ذلك أهل الناجم وأهل امبارك أو احماذ وأهل عمار أو داود وآيت عبد القادر وآيت ساعد. على أن أي متأمل لتشكيل فصيلة الروميات يدرك بسهولة نوعية التحالفات التي تميز مكوناتها. ذلك أن الروميات يتكونون علاوة على أهل بوعيدة من أهل الراعي وأهل السلامي وأهل الصخراوي وأهل امحمد الدليمي. وهي تسميات تكشف عن الطابع المختلط المتباعد الانتماء الإثني. هذا المعطى يدل على دور أهل بوعيدة في تسهيل مأمورية أهل الراعي وأهل السلامي وأهل الصخراوي وأهل امحمد الدليمي في الاستقرار بعين المكان وتحصيل شرعية الانتماء إلى الوحدة القبلية الحسنية.

يرتبط مجال ترحال آيت بومكوت الذين يضمون من بين فصائلهم الروميات بمنطقة وادي نون أساسا. وهو مجال تحده من الغرب إلى الشرق كل من أرض امفيس وكدية كبير مروراً بمدشر تسكنان المجاور لتكاوست. ولا شك أن الاعتبارات المحلية أساسية هنا لتوضيح هذا الارتباط بالشريط الساحلي. ذلك أن الاقتراب من الساحل الأطلسي يعد مركزيا بالأساس في التأطير لنظام التحالفات داخل الفصيلة. ومن شأن أية متابعة للعلاقات بين الروميات وآيت الخمس المنتمين لآيت باعمران أن توضح حقيقة هذه العلاقات. كما أن من شأن الانتساب لمجود مختلفين داخل فصيلة صغيرة من هذا الحجم أن يكشف عن مستوى التداخل بين الذي يحد بشكل واضح من أحقية الروميات في ادعاء الانتماء إلى جد مشترك واحد. من هنا فإن إشكالية الانتساب القبلي لا تطرح أي مشكل كفيصل بتحديد الهوية القبلية كمشجر قرايبي جينالوجي متكامل الأبعاد. بل على العكس نجد هذه الاشكالية إطارا طبيعيا لبنية تبادل المصالح والتحالفات والدمج والاستيعاب التي تحدد بشكل واضح ملامح وحدود الانسجام داخل الفصيلة. على أن إحدى مميزات فصيلة آيت بومكوت شأنها في ذلك شأن باقي فصائل قبيلة آيت لحسن هي استراتيجية احتواء الدخلاء عبر عمليات التزويج. فقد كان من بين الشعارات المعروفة آنذاك شعار "دفا بالرجالة" الذي كان يفيد استراتيجية التزويج مقابل صداقات رمزية. وإذا كان الهدف من هذه الاستراتيجية هو توسيع حجم القبيلة ديموغرافيا في مواجهة أزوافيط، فإن خصوصية الروميات كانت تتمثل في ضرورة تجاوز هذه الخطة. كانت استراتيجية الروميات تتمثل في قدرتهم الفعلية على المصاهرة مع أزوافيط أنفسهم. فقد كانت لهم من الكفاءات السياسية والحنكة ما أهلهم للتحالف مع أهم خيام آيت احماذ أو اعلي عبر منحهم النساء الروميات. نجد هذه الاستراتيجية سارية المفعول حتى منتصف القرن العشرين. وإذا كان منح النساء قصد احتواء الرجال من أبرز المكونات القربانية لآيت لحسن، فإن مقولة انتمائهم لأحرار تكنة ظلت مع ذلك من

تأثير صعود هذه المياه الباردة إلى حذف دور عامل العرض.  
علي البليشي

**الرياحي الإدريسي، الحسين (مولاي -)، مقاوم**  
ولد في برشيد سنة 1920 من والده مولاي عبد الرحمان  
الملكي وأمه زازية بنت التهامي، كان من الرعيل الأول الذي  
انخرط في المنظمة السرية تحت مسؤولية السيد بلعيد،  
حيث قام صحبة رفاقه بعدة عمليات فدائية قبل أن يلتحق  
بمجموعة درب السلطان التي ظل يعمل بها إلى أن حصل  
المغرب على استقلاله.

توفي بمدينة برشيد.  
المدوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهيداً.  
الاستقلال.

**الرياض،** يمثل سكنا مغربياً أصيلاً عرفته الحواضر منذ  
ما يقرب من عشرة قرون. وحسب بعض الأدبيات ظهر في  
القرن الخامس (11 م) (Palais) بمراكش وامتد بعد ذلك إلى  
باقي المدن مثل فاس ومكناس والرباط وسلا وتطوان إلى  
غيرها من المدن العتيقة.

يتميز الرياض عن المنزه بكون هذا الأخير يمثل إقامة  
فصلية تتوسط الأشجار والخضرة بالعرة التي غالباً ما  
كانت تقع بالقرب من أسوار المدينة. يطيب فيها المقام أيام  
فصل الربيع البديع حيث كانت تقضي به العائلة لحظات  
زاهية مليئة بالمتعة والراحة. هذا في الوقت الذي يشكل  
الرياض سكناً دائماً غير أنه يتميز على البيت التقليدي  
المغربي بكونه "يتوسطه عوض الصحن المبلط حديقة ذات  
مغارس وأزهار مختلفة".

ينتظم معمار الرياض حسب مبادئ وتصورات هندسية  
معمارية طالما توارثتها الأجيال. فالبرغم من الظروف  
التاريخية المتباينة والخصوصيات الجغرافية وكذا اختلاف  
الممارسات الفنية العمرانية لكل مدينة نجد أن الرياض قد  
اكتسب مميزات تنظيمية أساسية موحدة.

فما تفرزه قراءة فضاءات الرياض أن هذا الأخير ينتظم  
حسب تصميم مغربي أصيل تتوسطه حديقة داخلية تأخذ  
مكان الصحن أو الفناء، وتنتفح على هذه الحديقة أهم  
الأجنحة المعمارية المشكلة للرياض. تفصله عن الخارج  
أسوار عالية شبه منغلقة تحجبه عن أعين المارة والجيران  
وتوفر حميمية وحرمة للحياة العائلية.

يختلف مدخل الرياض عن مدخل البيت العادي. تأخذ  
الباب الخارجية نوعاً من الفخامة والبساطة في آن واحد.  
فهي باب ذات مصرعين غير أن عناصر التزيين تلخص في  
شكله المقوس والإفريز الناتج المغطى بالفرميد الأخضر  
المشرف من الأعلى وتقل النقوش.

الفترة الممتدة من أكتوبر إلى أبريل تحت سيادة الرياح  
الغربية المهيمنة على حركة الهواء في العروض الوسطى  
والتي تتخللها اضطرابات الجبهة القطبية المحدثة للأمطار  
في المغرب، وخلال الصيف تتردد على المنطقة المغربية  
وحسب عدة وضعيات جوية رياح من النوع المحلي هي رياح  
الشرقي.

وتكاد تكون الرياح هي العنصر الطاغي على مختلف  
العناصر المناخية في المناطق الجافة في كل من شرق المغرب  
أو أقاليمه الجنوبية، ولذلك فهي التي ترسم أهم الخصائص  
المناخية لهذه المناطق من حيث دورها النشط في تكثيف  
عملية التبخر الذي يتولد عنها طبعاً حالة عجز مستمر  
للميزانية المائية اللازمة للسلخات الجافة.

كما تلعب هذه الرياح دوراً بارزاً في تحديد المعالم  
الكبرى لإحدى المناخات الجهوية المغربية والتي تسود خاصة  
خلال الصيف في المناطق الساحلية الجنوبية ابتداءً من عرض  
أسفي في اتجاه المناطق الساحلية من الأقاليم الصحراوية،  
فخلال هذا الفصل تكون هذه المناطق بالذات إلى الجنوب من  
خلية الضغوط الجوية شبه المدارية لعالي الأسور مما يجعلها  
تخضع لسيادة الرياح الشمالية الشرقية الشديدة الانتظام  
وهو الأمر الذي يجعل تأثيرها قوياً على هذه المناطق وهو  
الذي يعطي أيضاً لما تخلقه هنا صفة نظام قائم الذات يطلق  
عليه النظام الأليزي نسبة للاسم الذي تشتهر به باللغة  
الفرنسية Alizés.

فهذه الرياح الشمالية الشرقية تصل إلى المناطق  
المحيطة بالمعادية للساحل فتدفع بالمياه السطحية نحو  
عرض المحيط مما يترتب عنه صعود مياه باردة من الأعماق  
لإعادة التوازن حسب مبدأ أرشيد، وهذه المياه الباردة ستؤثر  
بدورها على طبقة الهواء الملامسة عن طريق خفض حرارتها  
مما سيؤدي إلى الوصول إلى درجة تشبع هذا الهواء وتكاثفه  
وخاصة في مستوياته الدنيا فتتشكل على إثر ذلك سحب  
طبقة أو ضباب يحجب أشعة الشمس ويمنعها من الوصول  
إلى السطح مباشرة فتبقى حرارة الطبقات الدنيا للهواء  
منخفضة وانخفاضها يؤدي إلى الاستقرار، مما يعني عدم  
وجود إمكانية لتساعد الهواء والذي يعني كذلك انعدام  
إمكانية حدوث التساقط، وهكذا فإن هذا النظام في آخر  
المطاف يخلق لنفسه ظروف استمراره ودوامه حيث تصبح  
لآلياته انعكاسات متبادلة ومتسلسلة تترتب عنها حالة من  
الشذوذ المناخي تتجلى في كون أن على الرغم من وجود هذه  
المناطق بجوار المصدر الرئيسي للرطوبة الذي هو المحيط  
تسود فيها بعض المظاهر الواضحة للقحولة.

كما أن لصعود المياه الباردة من الأعماق آثاراً واضحة  
على التوزيع المجالي للحرارة على طول الساحل الأطلسي  
المغربي جنوب الدار البيضاء حيث يلاحظ انخفاض غير  
عادي للحرارة عموماً كلما اتجهنا نحو الجنوب، وهي أيضاً  
ظاهرة جد استثنائية في المناخ الحراري المغربي حيث يؤدي

تشكل الحديقة الترجمة الحقيقية لقلب الدار. وتأخذ على العموم شكلا مستطيلا ينتظم حسب تنظيم هندسي كلاسيكي متعامد الأجزاء. يعبره أفقيا وعموديا محران متعامدان يلتقيان عند نقطة المركز بالدار وهما الرابطان الأساسيان بين قلب الحديقة والأروفة المحيطة بها.

تحمل الممرات غطاء من الفسيفساء الزاهية الألوان أو الرخام الأبيض المزين بحوش من الزليج أو الرخام الأسود خاصة في الرياضات الفسيحة والبلاطات.

وتظهر الحديقة بذلك منقسمة إلى أربعة فضاءات مربعة أو مستطيلة مغروسة بمختلف الأشجار والأزهار والورود. ومن أهم أصناف النباتات التي تحدث عنها معظم الأدبيات :

- أشجار النخيل والزيتون والتين والرمان والزفروف والثوت والبرتقال والليمون الحامض والصنوبر والقيقلان.

- النباتات العاطرة كالباسمين الأبيض والأصفر ومسك الليل والريحان (Myrthe) والحبق والعطرشة والتنعان والسالمة والشيبية.

- الأزهار والورود مثل السوسن والبنفسج (Violette) والجلنار (Capucine) وخذ خدوج المدلية على الدبوز" (Geranium puant) والرنجس والأقحوان (Marguerite) والورد البلدي.

يغلب بذلك على الرياض طابع الحضرة والظلال التي تلطف وهجة أشعة شمس الصيف المحرقة وتضفي هذه الأغراس والنباتات لمسة الطبيعة البهيجة على البيت لتعطي إحساساً بجمالية الألوان ورقة العطور.

يمنح الرياض من أعلى الشرفات مشهداً رائعاً زاهياً بالألوان حيث تنسج أشعة الشمس خضرة هذه الأشجار الظليلة وتفسح الرؤيا على لوحات شجرية وزهرية مركبة في تناسق وانسجام وبراعة قل نظيرها.

ومما يزيد من بهاء وسحر الرياض وجود نافورة ماء أو صهريج يشغلان قلب الحديقة وتسمع خرير المياه المتدفقة تعزف تحت الظلال نغما سمفونيا في تجاوب تام مع روعة الألوان وعطر النسيم وزغاريد الطيور.

عُرفت هذه الحدائق ذات التنظيم الهندسية في بلاد الأندلس إبان العهد الإسلامي في البيوتات والقصور ومازال طابعها هذا يضفي لمسات عربية على الحدائق العمومية بالمدن الإسبانية حالياً مثل غرناطة وإشبيلية وقرطبة ومالقة وغيرها. كما تذكرنا بتلك العهود الزاهرة كثرة النخيل وأشجار الرنج والزيتون. كما توحى رياضات فاس ومراكش وغيرها بتدرج ألوان وأشكال حدائق الجنان العالي (Generalif) لقصر الحمراء بمدينة غرناطة حيث يمكن من أعالي الرواق الاستمتاع بسحر الماء وتناسق الضياء والظلال.

تحيط بالرياض رواقات مقوسة عالية من أشرطة السواري تعلوها أقواس واسعة من واجهتين متقابلتين (أو أكثر).

تنفتح على الأروقة الأبواب المنقوشة للغرف والقبب. كما تنفتح عليها البهوات الأنيقة. زينت النوافذ العالية التي تحف بالأبواب الشبائيك الحديدية الزهرية الأشكال والزجاج الملون المعروف بالزجاج العراقي. وتعلو الأبواب الشماشيات المزخرفة بالجيس الملون.

تشرف من الطابق العلوي الغرف والصالات والمصريات وكذا المنازه. وهي الغرف المتميزة التي تتميز بالمنظر الجميل على الرياض) في ترتيب متناسق مع الطابق السفلي تحدها شرفات ودرابيز مكونة من شبائيك حديدية أو خشبية.

زينت الأرض والحيطان والسواري بالزليج الفاسي حسب أنماط وألوان متناسقة زاهية وتأخذ زخارف الجيس والأخشاب المنقوشة أعالي الحيطان وتيجان الأعمدة ودائرة وسط الدار التي تحدها من أعلى السطح إفريزات من القرميد الأخضر ولا تقل زخرفة وجمالية الطابق العلوي عن الطابق السفلي والكل في انسجام عمراني وفني كامل.

يعتبر حسن فتحي أحد المختصين بالعمارة العربية أن البيت العربي هو نتاج لذهنية ثقافية وحضارية حددت معالمها تفاعلات طبيعية وبشرية ويرى أن "الثقافة من حصيلة تفاعل بين ذكاء الإنسان والبيئة التي تعيش فيها في عمليات استيفاء حاجياته المادية والروحية في الحياة".

مما يشير الملاحظة من أول الأمر أن غط السكن ذي الصحن الداخلي يمتد في البلدان العربية من المغرب إلى المشرق مروراً من الأندلس المسلمة.

وما يربط بين هذه الأقطار كلها أنها تنتمي إلى بيئة قاسية حارة وجافة، حيث يشتد وهج الشمس وتكثر الرياح طيلة شهور طويلة خلال السنة. وقد أثرت هذه الظروف في ثقافات المجتمعات العربية على العموم والمجتمع المغربي على وجه الخصوص في تشكيل السكن والعمارة.

وقد لعبت التقاليد الإسلامية دور المحفز على انفتاح البيت على الفناء الداخلي بحثاً عن تحقيق حميته من فضولية المارة وحواس الجيران وتوفير عزلته وحرمنته.

لم يظهر الماء بالصحن إلا بعدما استطاعت التقنيات حمله بمقادير كافية إلى السكن. وسيشغل وسط الدار في موضع متميز يعبر على مدى اعتبار الثقافة العربية لهذا السلسيل الثمين الذي يتطابق وجوده مع الحياة.

وبذلك يظهر الرياض وكأنه عبارة عن كون مصغر (Microcosme) يحمل بعداً فلكياً وله أكثر من دلالة رمزية.

فتقسيمه إلى أربعة أركان يقرنا من الحضارات الشرقية التي كانت تعتبر أن العالم منقسم إلى أربعة أجزاء وهي الرؤيا التي حددت معالم الحدائق الساسانية. كما أن لوجود الماء بوسطة دلالة تعبيرية قوية. فهو رمز التقاء السماء بالأرض عبر انعكاس السماء الحقيقية فوق السماء الرمزية المثلثة بالنافورة أو الصهريج.

فهذا المعمار الرفيع الانساني أصبح مهدداً اليوم بالانقراض بسبب القطيعة التاريخية التي يعيشها المغرب منذ ما يقرب من قرن.

فالاستعمار السياسي والاقتصادي الذي عرفته البلاد بسط قوته ونفوذه إلى غزو والعقول وتفتيت القيم وتغيير السلوكات والمرجعيات الثقافية. فتكرست القطيعة مع الذات يفرض نظم ونماذج ثقافية غريبة عن البيئة الثقافية المغربية. وتبلورت هذه النظم والنماذج في السياسة الحضرية التي فرضها عهد الحماية والتي لم تعرف أية مراجعة منذ استقلال البلاد لا على المستوى الفكري والثقافي ولا على المستوى الاقتصادي والاجتماعي. فأدوات التعمير المطبقة وليدة الثورة الصناعية الأوربية وغط الإنتاج الرأسمالي الدخيل.

حسن فتحي، المنزل العربي في الوسط الحضري في الماضي والحاضر والمستقبل، مجلة الفكر العربي، العدد 30، السنة الرابعة، 1915.

J. Revault, L. Golvin, A. Amahan, *Palais et demeures de Fès*, 3 volumes, 1992, Paris ; S. Mouline, *La ville à la maison arabo-musulmane*, IMC, 1981 ; JC Galloti, *Le jardin et la maison au Maroc*, Paris, 2 volumes, 1925.

عائشة البلغيشي العلوي

## الرياض العنبري، مدينة الرياض العنبري أو المدينة

البيضاء، وهي التي أمر المولى إسماعيل سنة 1088 / 1678. بينائها في الموضع المسمى بالرياض الذي كان يمتد جنوب شرق القصبة الاسماعيلية. لتكون مقراً لوزارته ولأعيان دولته ولجيش الأوداية بعد أن ضاقت قصبته عن استيعابهم كما توضح ذلك الحوالات الحيسية : "ضاقت المدينة المولوية بجيشه المنصور، أمر أيد الله أمره... ببناء المدينة الجديدة العنبرية المختطه بأمره السلطاني..." (حوالة المساجد الصغار، 4 : 205).

وأشار (أي المولى إسماعيل) على خاصته حسب ما جاء في الإتحاف (1 : 148) "وأمرهم ببناء دورهم بها وفيها كانت دور العمال والكتاب وذوي الحيشيات من أعيان الدولة". ولم تليث أن أصبحت مدينة قائمة الذات يتم الاتصال بينها وبين قصبة المخزن عبر "باب بالقاري".

وقد أجمعت المصادر على وصف جمال مدينة الرياض وتنافس العمال والقواد في بناء الدور والقصور بها وكانت كما يقول الزباني في الروضة السليمانية (247) "زينة مكناسة وبهجتها وبها آثار أهل دولة المولى إسماعيل كل من كان له وظيف بخدمته بنى داره بها. فقد كان بدار على وشي أربعة وعشرون حلقة يجمعها باب واحد، وكانت دار عبد الله الروسي وأولاده كذلك أعظم منها، كأنها حومة وأمثالهما من القواد، وخذلوا بها آثاراً عظيمة، وبنى كل عامل مسجداً في حومته... وكانت تنفق فيها البضائع

التي لا تنفق بغيرها" وفي وسط مدينة الرياض كان ينتصب الجامع الاتيق الذي شيده المولى إسماعيل من ماله الخاص (1088 / 77 - 1678). وحمل اسمه (المسجد الأعظم الإسماعيلي) وحس عليه دوراً وأسواقاً ورباعاً كثيرة (يمكن الرجوع إليها في كتاب أوقاف مكناس (الفصل السابع) وبنى بجانبه مدرسة ومكتبا لتعليم القرآن كما يوضح هذا النص : "ومن إنشأاته المحيسة جميع المكتب المسند على الجامع الأعظم المذكور لتعليم أولاد المسلمين القرآن". (حوالة المساجد الصغار، 4، ص. 208). وأمر بجلب الماء إلى الجامع من العين البيضاء التي كانت توجد على بعد 5 كلم جنوب مكناس، وكلف ناظر أحباس الإيالة ومن له النظر العام في البناءات السلطانية محمد الكاتب الأندلسي وناظر المسجد المذكور عبد الوهاب بن محمد حجاج بالإشراف على إيصال الماء للجامع، كما أمر بعد سنين بتوسيع الجامع وبإضافة قادوس آخر وجر الماء إليه من وادي بوفكران.

كان مصير هذه المدينة التي تنافس المؤرخون في وصف جمال قصورها وساتينها الهدم والتخريب، فقد هدمت بأكملها على سكانها وهم نيام بعد أن عمرت خصسا وخمسين سنة، وذلك في فجر 27 شوال عام 1143 / 5 ماي 1731 على يد السلطان عبد الله بن المولى إسماعيل. فحسب أكتسوس في الجيش العرمرم ص. 102 أن المولى عبد الله بن إسماعيل "أمر النصارى والشعبانية أن يهدموا مدينة الرياض التي فيها أخواله الأوداية وفيها دور العمال والقواد والكتاب وأعيان دولة والده مولانا إسماعيل، ركب عند الفجر، وأشرف على كدية وأمر بالهدم من كل ناحية والناس نيام لا علم لهم...". ثم استمر التخريب فيها عشرة أيام، صارت بعدها كومة من ثراب، ولم يبق الآن من أطلالها سوى بابها الغربي، مع بعض السور المتصل به إلى جهة حي سيدي سعيد، ومازال هذا الباب ينم عما كان وراءه من المدينة المنذرة، حيث يبدو قوسه عاليا يتوجه نقش شعري من ثلاثة أبيات فيها اسم يانسه وتاريخ بنائه (الإتحاف، 1 : 164) أما موضع هذه المدينة فقد أصبح - الآن - حيا عامرا حمل من جديد اسم "الرياض".

حوالة المساجد الصغار، 4 : 205 : الزباني، الروضة السليمانية، 246.

247 : أكتسوس، الجيش العرمرم : ابن زيدان، الإتحاف، 1 : 146.

148 : رقية بلمقدم، أوقاف مكناس.

رقية بلمقدم

## الرياضة بالمغرب، مارس المغاربة قبل فترة الحماية

أنواعا رياضية كثيرة كالفروسية التي كانت تعتبر رياضة الرجولة لما لها من ارتباط بالمجال الحربي كما مارسوا الرماية والقتص والسياحة التي كانت تعلم للأطفال في سن مبكرة. هذا بالإضافة إلى رياضات أخرى ذات طابع تنافسي فرجوي كالمصارعة (المعايزة) التي يتبارى فيها

المتعلقة بتخطيط الملاعب وتنظيم التحكيم وإجراء المباريات وأسسوا لجنا للفضل في المنازعات وتآديب المشايخين، وكان المتطوعون ينجزون تلك المهام مجاناً، ولم يكن الانخراط في العصابة إلا بعد فحص دقيق للفريق المرشح ومعرفة كاملة بأعضائه ومسيريه لأن الإدارة الاستعمارية كانت تحاول تسريب عملاتها إلى داخل العصابة التي كانت هدفها نشر الأفكار الوطنية في الوسط الرياضي.



لعبة تاكورة

أما اللجنة التي كانت تشرف على هذه العصابة فكانت تتكون من السادة عبد السلام بناني وعبد الرحمان اليوسفي وعمر بوستة وناصر حركات وإدريس بنشقرون وبنزاكور وبلهاشمي ومحمد بلكناري أما المشرفون على سير المباريات فكان جلهم من المناضلين وعلى رأسهم الشهيد محمد الزرقطوني.

ورغم أن هذه الفترة امتزجت فيها الرياضة بالنضال الوطني فقد عرفت ظهور أبطال فاقت شهرتهم أرجاء المغرب لتغزو ملاعب أوروبا ففي كرة القدم، كان العربي بتمبارك والأب جيكو والعربي الزاولي وفي ألعاب القوى بوهالي محمد والغازي وفي كرة المضرب عمر السوسي وعلي العروسي كما برز محمد حبيبي في سباق الدراجات والحسين الجديدي ومحمد الوجدي والزوهوني في الملاكمة.

بعد إعلان الاستقلال، بقيت الرياضة خاضعة لتأثير نفس القوانين والمفاهيم الموروثة عن الفترة الاستعمارية بينما ظل مضمونها الإنساني ضحلاً وغايتها التربوية بعيدة عن تحقيق الطموحات المنتظرة. وفي ظل هذا التأثير تكونت الاتحادات والجامعات (انظر مادة الجامعات الرياضية) رغم العشوائية والارتجال في التسيير وغياب البنيات التحتية الأساسية لقيام رياضة صحيحة، ورغم كل هذه العوائق استطاع بعض رجالات المغرب المخلصين أن يصمدوا ويتأبروا من أجل بناء صرح رياضي ويفضلهم حقق المغرب إنجازات رياضية هامة على الصعيد القاري والعالمي ففي كرة القدم كان المغرب أول بلد إفريقي وعربي وإسلامي يشارك في بطولة كأس العالم وقد شارك فيها أربع مرات

شخصان دون استعمال اللكم، ثم هناك (الهاي) التي تعتمد على الصراع بالأرجل ويرتدي المصارع السروال فقط واقفاً على رجل واحدة وموجهها بالأخرى ضربه بشكل سريع ومفاجئ لظهر خصمه، ويقتضي الاتفاق أن تكون الأرجل حافية وتحسب النقط حسب الضربات التي يلحقها اللاعب بظهر خصمه وتبقى الفترة الزمنية للعبة غير محددة إلى أن ينسحب أحد المتصارعين معلناً اندحاره. أما اللعبة التي كانت تمارس بشكل واسع فهي (الشيرة أو تاغورا) وهي عبارة عن لعبة يمارسها الذكور تشبه الرماية وتتخذ من الحجر وسيلة لإسقاط الشارات ولأنها كذلك كانت تتطلب الدقة في التصويب يتفق اللاعبان أو الفريقان على رقعة الميدان وأبعاده فتبني شارات من الحجارة الواحدة تلو الأخرى وتنسجم فيما بينها حسب مواقعها والمسافات الفاصلة بينها وفي علوها، وتعطى انطلاقة اللعبة بعد عملية القرعة ثم بالتناوب يرمي كل واحد بواسطة عصا معقوفة قطعة من حجر مختارة ويعتبر الفائز من كان سباقاً في إسقاط شارات خصمه.

ومن الألعاب التي مارسها المغاربة قديماً الجري وهو شيء حيوي بالنسبة للإنسان المغربي ولا يمكن الاستغناء عنه وقد أورد صاحب مختصر الأفاريد جزءاً من أخبار منافسات الجري وبعض شروطها ولعل الجري هو الذي جعل البريد يعد من أقدم وأنجع الوسائل في إيصال الأخبار والرسائل لأصحابها في آجال محددة ومضمونة.

وتبقى بعض الرياضات ذات طابع محلي أي لا تمارس إلا في مناطق معينة كمشقلية - والهاي - والغرس ويوحفرة. ومن الرياضات الذهنية التي كانت تمارس في المحاضرات هناك الشطرنج الذي تمارسه نخبة معينة من المجتمع الحضري بالإضافة إلى الضامة والورق وقد مورست بشكل واسع في الأوساط الشعبية والحرفية لكن مع دخول الاستعمار جلب معه أنواعاً رياضية أخرى لا عهد للمغاربة بها، وبدأت شيئاً فشيئاً محاولات خجولة من طرف الأهالي لممارسة بعض هذه الأنواع الرياضية الجديدة بعد أن كانوا يكتفون بالتفرج عليها وفي هذا الطرف بالذات كان لا بد للنخبة الواعية من البحث عن أشكال جديدة في مجالات الرياضة البدنية تسامر العصر وتساهم في توعية الفرد المغربي.

وقد انطلق الشباب الطلائعي منذ الثلاثينيات يعمل ويجد رغم الصعاب ليؤسس وينظم الأندية الرياضية التي ترفض التسلية كهدف بل تتجه إلى أهداف أعمق. وهكذا تأسست العصابة الحرة للرياضة وتوسعت قاعدة النشاط الرياضي على الفرق الرياضية الحرة في الأحياء والمدن وكانت أغلبها تمارس كرة القدم.

وفي بداية الحرب العالمية الثانية بلغ عدد الأندية الرياضية في الدار البيضاء وحدها ما يقارب 60 فريقاً وقد اكتسب تنظيم العصابة الحرة للرياضة صفة سرية أثناء التهيب والتحصير وقام أعضاؤها بترجمة القوانين الدولية

**الرياضيات في المغرب في الماضي، أي منذ بداية القرن السادس (12 م) إلى حدود القرن التاسع (15 م)** تقريباً، ظلت اهتمامات الرياضيين المغاربة منحصرة في الرياضيات التقليدية التي كانت تمارس في الشرق الإسلامي والتي تجعل من المعادلات الجبرية والمسائل الهندسية الإقليدية موضوعاً لها. وقد ساهموا إلى حد كبير في تطوير كتابة هذه المسائل ورغم أن هذا النوع من الرياضيات يشكل الأصل في تطوير مجموعة من النظريات المعاصرة كالهندسة الجبرية ونظرية الأعداد، فإن الرياضيين المغاربة، كغيرهم من الرياضيين العرب، لم يدركوا هذا وقيمت اهتماماتهم ومساهماتهم محدودة رغم أهميتها. ففي نفس الفترة عرفت الرياضيات في أوروبا تطوراً سريعاً أدى إلى بلورة كل النظريات المعاصرة التي مازالت موضوع البحث والدراسة إلى يومنا هذا. فبعد اكتشاف هندسات جديدة (لوا تشفسكي وريمان) ساهم اكتشاف نظرية المجموعات لكانتور في وضع الشكل النهائي الذي نعرفه الآن لعلم الرياضيات. كما أن اكتشاف الحساب التفاضلي من طرف لايبنتز ونيوتن في القرن العاشر (16م) كان له الدور الكبير في وضع نظريات الميكانيك الكلاسيكية لنيوتن. كما أن هذه النظريات كلها أدت فيما بعد إلى اكتشاف نظرية النسبية لألبرت انشتاين في بداية القرن الرابع عشر (20 م).

وقد عرفت الحقبة الممتدة من بداية القرن الرابع (10 م) إلى القرن التاسع (15 م) بروز عدة أسماء نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: الشريف الإدريسي (1166. 1099)، الجغرافي الشهير، حيث يقول ابن خلدون أن كتابه الصغير يعد من أحسن الكتب في تقديم علم الحساب (Arithmetique).

- ابن برجان، القرن السادس (12 م) وكان من كبار اختصاصيي الجبر والحساب والهندسة.  
- ابن باجة نفس القرن وكان أستاذاً لابن طفيل. وقدم أعمالاً كثيرة في الهندسة وعلم الفلك وألف فيهما زيادة على أنه كان طبيباً وفلكياً وقد مات في فاس.  
- علي ابن خلف الانصاري وهو رياضي وفلكي أتى من الأندلس واستقر بقصر كتامة.

- السموأل المغربي، من أسرة يهودية في الأصل تحولت إلى الإسلام وقد انتقل إلى بغداد ثم إلى ازربجان حين لقي هناك تشرifaً كبيراً وقد ألف كتباً كثيرة في الرياضيات.

وهو رياضي من الدرجة الأولى وقد أثبت المبرهنة  $x^m = x^n$  و  $x^{n+m}$  وساهم في تطوير نظرية الحدود وتوفي سنة 1875.

- ابن طفيل وهو عالم كبير اشتهر كفيلسوف ولكنة

وهذا رقم قياسي بالنسبة لأفريقيا والعالم العربي كذلك الشأن بالنسبة للألعاب الأولمبية كما فاز ببطولة إفريقيا للأمم وفازت العديد من أندية بكأس إفريقيا، وظهر لاعبون محترفون بأعرق الأندية الأوروبية.

أما في ألعاب القوى أم الرياضات فقد سطع نجم المغرب عالياً بفضل أبطاله الكبار سعيد عويطة وإبراهيم بوطيب وخالد السكاح ونوال المتوكل ونزهة بيدوان وزهرة واعزيز واللاحة طويلة ويفضل إنجازات هؤلاء الأبطال غزا المغرب سيورة الأرقام القياسية العالمية. وكذلك هو الشأن بالنسبة لكرة المضرب حيث يعتبر الثلاثي هشام أرازي وكريم العلمي ويونس العيناي من أبرز اللاعبين العالمين حسب التصنيف الدولي لهذه الرياضة.

وإذا كانت كرة القدم وألعاب القوى وكرة المضرب والگولف من الرياضات التي تحظى بالرعاية والعتاية وتصرف عليها أموال طائلة فإن باقي الرياضات تعاني الكثير من التهميش رغم ما حققته من إنجازات عالمية وصعودها منصة التتويج في التظاهرات الأولمبية وكمثال على ذلك رياضة الملاكمة.

أما على مستوى تنظيم التظاهرات الدولية فقد نظم المغرب عقب حصوله على الاستقلال الألعاب العربية وكذلك نظم ألعاب البحر المتوسط وكأس إفريقيا للأمم والألعاب الفرانكوفونية وألعاب السلام وأولمبياد الأشخاص المعاقين.

ومن أبرز التظاهرات الرياضية العالمية التي ينظمها المغرب سنوياً كأس الحسن الثاني للگولف وجائزة الحسن الثاني لكرة المضرب وكأس الحسن الثاني لكرة القدم والذي كان يحمل اسم كأس محمد الخامس وقد شارك في هذه التظاهرة فرق عالمية مثل ريال مدريد وبرشلونة وأتلتيكو مدريد وبايرن مونيخ وفلامنكو ويوكاجونيور ودينامو كييف واندرلخت والعلم الأحمر وانتيرميلانو.

لكن رغم كل هذه الإنجازات تبقى الرياضة المغربية يعوزها الكثير على مستوى البنيات التحتية كالملاعب ومراكز التكوين والطب الرياضي وإنجاز الملاعب المدرسية التي تعتبر النواة الأولى والأساسية لاكتشاف المواهب ويبقى الأمل معقود لتحقيق هذه المنجزات بترشيح المغرب للمرة الرابعة لاحتضان نهاية كأس العالم التي تعتبر أكبر تظاهرة رياضية عالمية وفرصة لتحقيق أحلام الرياضة المغربية خاصة وأن رئيس (الفيفا) جوزيف بلاتير صرح أخيراً بأنه حان الوقت لكي تنظم هذه التظاهرة في إحدى بلدان القارة السمراء بعد احتكار أوربي أمريكي دام أكثر من 70 سنة.

ع. رشد، تاريخ الرياضة بالمغرب، 1918، 1998، ط 3، 1998.

الدار البيضاء: م. الهياضي، الرياضة المغربية شواهد وأسرار،

الرباط، 1992؛ ن. الكهدية، كرة القدم المغربية وثائق وأرقام،

1956، 1990.



اهتم بالرياضيات وعلم الفلك والطب والأدب وقد تتلمذ في قرطبة على يد ابن باجة وانتقل إلى المغرب.

- ابن رشد (1198 - 1126) ويعتبر من كبار مفكري الانسانية وقد ألف كتباً كثيرة في الرياضيات وعلم الفلك.

- ابن الياسمين المتوفى سنة 1204/600، وقد ولد في

فاس وهو ينتمي للقبيلة البربرية بني حجاج. وهو من الرياضيين المغاربة الذين أثرت أعماله في من تبعه وقد تكون في الأندلس على يد أبي عبد الله ابن القاسم وقد توفي في مراكش سنة 1204 / 600.

الرياضيات في المغرب حالياً :

تتدخل الرياضيات في عدد كبير من المجالات الأخرى كالاقتصاد والصناعة والعلوم الأخرى مثل الفيزياء والكيمياء والطب وغيرها. ولهذا يرتكز تكوين المهندسين وأطر الاقتصاد والصناعة على الرياضيات المتطورة الحديثة. وبهذا يمكن اعتبار الرياضيات والأبحاث الفضائية العلم الذي لا يمكن لأي دولة أن تتقدم بدونها ويعتبر الاستثمار في البحث فيها استثماراً في المستقبل. ونظراً لأهمية هذا العلم فقد أعلنت الجمعية الدولية للرياضيات ومنظمة اليونسكو سنة 2000 سنة دولية للرياضيات. ويعرف تدريس الرياضيات على مستوى التعليم الثانوي تطوراً مستمراً من أجل اختيار مهندسي المستقبل حيث يعطي لهم تكويناً قوياً في مدارس يوجه لها أجود التلاميذ في الثانوي. أما على مستوى الجامعة فيعطى للطلبة تكويناً في الرياضيات الأساسية يمكنهم من ممارسة البحث في هذا الميدان في المستويات العليا.

على مستوى التعليم الثانوي عرف تدريس الرياضيات تطوراً مهماً بخلق الاقسام التحضيرية للمدارس العليا للمهندسين (Grandes écoles). وقد كونت المدارس العليا في العشر سنوات الأخيرة عدداً مهماً من الأساتذة المبرزين في الرياضيات، تشتغلون الآن بعدد مهم من المراكز التي أنشئت في كل المدن الكبرى للمهندسين حيث تم هذه المراكز المدارس العليا للمهندسين بأزيد من 100 طالب سنوياً وهو عدد المهندسين الذي يتخرج سنوياً في المغرب والذي يلبي حاجيات مؤسسات الدولة والقطاع الخاص من هذه الأطر.

وتتدخل الرياضيات بشكل أساسي في تكوين هؤلاء المهندسين كيفما كانت اختصاصاتهم كما هو الشأن بالنسبة لجميع دول المعمور.

أما جودة تعليم هذه المادة وفي هذا المستوى فيمكن اعتبارها في المستوى المطلوب دولياً حيث يسافر عدد كبير من المهندسين المكونين في المغرب إلى دول متقدمة ويتم قبول أولئك المختصين في ميادين المعلومات أو الاتصالات (Télécommunications) للعمل في هذه الدول.

أما على مستوى البحث العلمي فقد عرف هذا الميدان تطوراً ملحوظاً في العشر سنوات الأخيرة - كما هو الشأن بالنسبة للبحث العلمي الأساسي بجميع اختصاصاته تقريباً ..

الرياضيات في الجامعة :

لقد بدأ إنشاء شعب واختصاصات في علم الرياضيات في المستوى الجامعي في المغرب منذ إنشاء جامعة محمد الخامس في أواخر الخمسينيات. إلا أن تطور البحث العلمي في هذا الميدان ثم بشكل بطيء حتى بداية الثمانينيات مع إنشاء جامعات أخرى في جل المدن المغربية الكبرى.

وقد عرفت الجامعات المغربية ارتفاعاً مهماً في اعداد الباحثين في الرياضيات بالمغرب من بداية الثمانينيات.

ورغم توفر الجامعات المغربية على هذه الطاقات من جميع الاختصاصات في مجال الرياضيات، فإنها لا تستغل جيداً نظراً لعدم توفر الامكانيات المادية أو سوء استغلالها، ومع ذلك عرف الانتاج العلمي في هذا المجال تطوراً مهماً خلال العشر سنوات الأخيرة حيث أن عدد مهماً من المساهمات من المستوى الرفيع تقبل للنشر في المجالات الدولية من امريكية وفرنسية وغيرها. وبهذا (حسب المعلومات المتوفرة لنا) يحتل المغرب المرتبة الثانية بعد جمهورية جنوب إفريقيا.

وحتى نعطي فكرة عن أهمية الإنتاج المغربي سنورد مقارنة مع إحدى الجامعات الفرنسية والتي تعتبر مركزاً مهماً في الرياضيات بفرنسا وهي جامعة ستراسبورغ. ففي هذه الجامعة تنتج شعبة الرياضيات ما معدله سنوياً خمسين نشرة تقريباً، أغلبها من المستوى الجيد. وتتوفر هذه الجامعة على حوالي 80 أستاذاً أو باحثاً في الرياضيات وعلى إمكانيات مادية مهمة جداً. وبالمغرب أنتجت جامعة القاضي عياض بمراكش وهي التي تحتل المرتبة الأولى في المغرب في العشر سنوات الأخيرة حوالي 200 نشرة علمية أغلبها من مستوى جيد، نشرت في المجالات الدولية الكبرى، أي بمعدل 20 نشرة في السنة وهو رقم مهم جداً مقارنة مع امكانيات الجامعة المغربية ومع عدد الباحثين بها.

لكن رغم هذه المكانة التي تحتلها جامعة مراكش يبقى إنتاج الجامعات الأخرى متواضعاً مقارنة معها وربما يرجع ذلك لأنه لم يحصل تراكم عند الجامعات الأخرى بسبب سوء تطور الأجيال الأولى التي تعلمت الرياضيات في الجامعات الأوربية والتي بقي ههنا هو الحصول على درجة علمية هناك من أجل تحسين وضعيتها المادية بالمغرب.

محمد القادري

**ريافة طنجة**، يُقصد بـ"ريافة طنجة"، أو "ريفي

طنجة"، ساكنة هذه المدينة من أهل الريف الذين استقروا بها عبر فترات تاريخية مختلفة. ويكاد يمثل الوجود الريفي أهم ساكنة مسلمة بالمدينة قُدِّرَت نسبتها خلال القرن الرابع عشر (20 م) بحوالي 70٪، بينما تأتي بعده عناصر أخرى أهمها عنصر جبالة.

وقد ارتبط الوجود الريفي بطنجة بتاريخ تحرير المدينة خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17 م) وذلك عندما قاد الجيش الريفي حصار طنجة وحررها من يد الإنجليز عام 1097/1684 بقيادة علي بن عبد الله الريفي. وكان السلطان المولى إسماعيل قد أوكل إلى جيش المجاهدين مهمة تحرير الثغور الشمالية. وتحرير طنجة، أعطى لعناصر الجيش الريفي حق الاستقرار بالمدينة وحوزها واستغلال الأراضي الزراعية مقابل الخدمة العسكرية. وبهذا عرفت طنجة وحوزها خلال هذه الفترة استقرار عناصر ريفية ممثلة في قبائل الريف الشرقي والأوسط مثل قبيلة تمسمان وبقوية ويني ورباغل ويني توزين... وولى السلطان أسرة الريفي، التي قادت الجهاد، قيادة طنجة والمناطق المجاورة؛ فطعمت بذلك الجهاز المخزني بالمدينة استمر لقرون رغم بعض الانقطاعات. ونحفظ من أسماء هؤلاء القواد: علي بن عبد الله الريفي، وابنه الباشا أحمد بن علي، ثم أولاد عبد الصادق مثل الحاج عبد السلام بن عبد الصادق الذي قاد طنجة وفحصها في مطلع القرن العشرين. وقد برز الريفيون عموماً في مختلف المجالات مثل الأمانة، والحسبة والتجارة والقضاء، والإمامة والخطابة والتدريس...

ويبدو أن هذا الوجود الريفي قد اكتسب القوة والاستمرارية، على الأقل لفترة تاريخية معينة، لرغبة المخزن في إحكام سيطرته على منطقة حساسة مثل طنجة وأحوازها، وللدور السياسي والعسكري والدبلوماسي الذي اضطلعت به أسرة الريفي، إضافة إلى موقع طنجة الاستراتيجي الذي جعلها تستفيد من دور الوساطة بين المغرب وأوروبا. وأصبحت العناصر الريفية المستقرة تجد في طنجة موطناً أصلياً لها، وسرعان ما ألفت الحياة بالمدينة التي أصبح يغلب عليها الطابع العسكري.

وفي هذا الإطار نجد أن المراسلات المخزنية ربطت بين طنجة وأهل الريف سواء عند ذكر سكان طنجة أو مخازنية أهل الريف أو العيادة الذين يقبلون على السلطان بالتهاني والهدية، أو عند ذكر دور أهل الريف في الحركات التي يقوم بها السلطان...

ودلت أسماء المداشر حوز طنجة وأسماء أعيانها وأواخر القرن الثالث عشر (19 م) مثلاً على الحضور الريفي من خلال مدشر اجزانية، ومدشر بني سعيد، ومدشر بني توزين، وكذا أسماء أعيانها: اجزاني، والتمسماني، وأقلعي... وكان العناصر الريفية نقلت من خلال هذه الأسماء مواطنها الأصلية بالريف إلى مدينة طنجة وحوزها.

وإذا كانت بعض الكتابات تذكر أن ريفي طنجة ينحدرون كلهم من الجيش الريفي وأسرة الريفي الذين استوطنوا المدينة وحوزها بعد التحرير. فإن توافد الريفيين على طنجة في فترات لاحقة (مثل في فترات الكوارث الطبيعية) يجعلنا نميز بين ريفيين قدامى وآخرين جدد، وهذا ما ذهب إليه إحدى الروايات الشفوية وكذا الأنثروبولوجي

هارت Hart؛ حيث دعم الريفيون الجدد الوجود الريفي القديم بالمدينة، ورأوا فيه مثلاً يُحتدى به في الاستقرار بطنجة.

وقد ذكر مولييراس Moulieras أن أهل الريف، وأواخر القرن الثالث عشر (19)، كانوا مركزين في فحص طنجة، وخاصة في المصلى والسواني... كما أنهم اختلطوا أيضاً في مناطق أخرى بباقي العناصر. بينما ظلت قسبة طنجة هي مقر إقامة الجيش باعتبارها دار المخزن. وفي هذا الإطار نجد أن السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام يشدد على مسألة استمرار سكنى الجيش قواد وجنوداً بالقسبة.

وحالياً، في مطلع القرن الخامس عشر (ق. 20 - 21) لازال الحضور الريفي بطنجة ماثلاً من خلال الأسر الريفية المستقرة بالمدينة مثل التوزاني، أمغار، التسمساني، ابن حدو، العمارتي... ويُعتبر الريفيون من الذين يستأثرون بمراكز اجتماعية مرموقة وبوضعية اقتصادية تجعل منهم أصحاب نفوذ ومال.

وإن كان العديد منهم من ذوي المستوى المادي المتواضع. ولا زالت أسماء بعض القرى (مدشر اجزانية مثلاً) عند مدخل مدينة طنجة، إضافة إلى أسماء بعض الأزقة في المدينة القديمة بطنجة (مثل القاضي التسمساني) تذكر بهذا الحضور الريفي.

ولا بد من الإشارة إلى أن أعداداً من الأسر، بالرغم من أصلها الريفي، لم تحتفظ باسمها الأصلي. كما أن عدداً من الأسر الريفية المنحدرة من أسرة الريفي والجيش الريفي، إن لم يكن أغلبها، تتوزع بين طنجة وتطوان مثل أسرة الحمامي، والريفي وأبطيو، وأبغير التي هاجرت إلى مدينة تطوان حيث اندثرت، وأسرة الحمامي التي استقر بعض أفرادها بمدينة شفشاون... ولا شك أن تضافر الظروف التاريخية للبلاد وللمنطقة عامة ولطنجة خاصة، وطول المدة الزمنية وسياسة المخزن هي التي أدت إلى عدم استمرار عدد من هذه الأسر.

ويبقى أن رفاة طنجة طبعوا مجتمع طنجة وواقعه، وأثروا في الأحداث كما تأثروا بها، فهم جزء من تاريخ ومجتمع طنجة. وهم تعبير عن استقرار قبائل ريفية بطنجة في إطار مساهمة هذه القبائل في تحرير الثغور، وفي إطار سياسة المخزن الذي هدف إلى وضع عصبية غربية عن محيط جبالة يسهل معه التحكم في كل هذه العناصر ريفية كانت أو جبلية. كما أن الوجود الريفي يعكس مدى الإغراء الذي تقدمه مدينة طنجة لهؤلاء الذين يعانون في المناطق الجبلية (بما فيها جبالة والريف) من صعوبة العيش... وبهذا فلا يمكن فصل العنصر الريفي عن تاريخ المدينة خلال الفترة الحديثة والمعاصرة من تاريخ المغرب.

م. ابن عزوز حكيم. مادة: "أبطيو"، معلة المغرب، المجلد الأول، 1989، ص. 99؛ مادة "أبغير"، معلة المغرب، المجلد الأول، 1989، ص. 99؛ ع. الكريم ابن موسى الريفي، زهر الأكم،

الرباط، 1992، تج. أسية بنعدادة : محمد سكيرج، رياض البيجة  
في أخبار طنجة، جزء 1، مخطوط خزنة عامة/ ميكروفيلم  
1452؛ أ. الناصري، الاستقصا، جزء 7، الدار البيضاء، 1956.  
تج. جعفر ومحمد الناصري : وثائق مديرية الوثائق الملكية  
بالرباط.

Henri de Castries, *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*, 2ème série, France, Tomes I, II, III, IV, VI, VII, Paris, 1922. 1924. 1927, 1931, 1960, 1970 ; David Montgomery Hart, "Notes on the Rifian community of Tangier", *The Middle East Journal*, Washington, 11, spring, 1957, pp. 153 - 162 ; Auguste Mouliéras, *Le Maroc inconnu*, Tome II, *Exploration des Djebala*, Paris, 1899 ; Magali Morsy, "Mulay Ismaïl (1673 - 1727) ou l'instauration de l'état Alawite", *Les Africains*, Tome IV, Paris, 1977, pp. 129 - 163 ; *Villes et tribus du Maroc*, Tome VII, *Tanger et sa zone*, Paris, 1921.

فاطمة بوستة

**الريال**، كلمة إسبانية (Réal) معناها ملكي. وقد أطلقت هذه الكلمة على القطعة النقدية ابتداء من قبول الريال الإسباني منذ ابتداء رواجه بالمغرب في بداية القرن الثالث عشر (19 م) قبل الريال الفرنسي بالمغرب رسمياً سنة 1261 / 1845، وحينما قام السلطان مولاي الحسن بالإصلاح النقدي سنة 1281 / 1881 ضربت بأوروبا قطعة نقدية حسنية من عشرة دراهم باسم الريال الحسنى ولها عدة أجزاء. كما سميت نفس القطعة من عشرة دراهم بالريال في عهد السلاطين مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ ومولاي يوسف، فكان كل ريال يُسند إلى السلطان الذي أصدره، منها الريال العزيزي الحفيظي واليوسفي. وقد انقطعت عملة الريال سنة 1920.

وفيما يلي نماذج هذه الريالات التي راجت بالمغرب حسب الترتيب الذي أوردناه.

### نماذج من الريال الإسباني



ريال زيبيل



ريال بومدفع



ريال بوذن

1 - الريال الإسباني حسب الوثائق المخزنية - تأتي القطع الفضية الإسبانية في المرتبة الأولى، فقد راجت قطع الريال الإسباني الذي يعرف في الوثائق والسجلات المغربية باسم الريال الكبير تمييزاً له عن الريال الصغير الفرنسي كما يسمى أيضاً الريال الذهبي رغم كونه فضياً. وقد درج الناس على تسمية الريالات الإسبانية حسب الصور أو أسماء الملوك المرسومة عليها تبعاً لتعاقب الإصدار طيلة القرن التاسع عشر، فعرف بين التجار :

- ريال بومدفع نظراً لوجود صورة عمودي هرقل عليه، فشيها المغاربة بالمدافع.

- ريال زيبيل أو ريال المرأة وهو الذي يحمل صورة الملكة إيزابيلا الثانية (1833 - 1868).

- ريال بوذن، حيث أن الصورة الجانبية المرسومة للملك الإسباني أمادو الأول (1871 - 1873) كانت أذنه تبدو فيها واضحة.

- ريال كارلوس أو ريال أقرلوص، عليه صورة الملك كارلوس السابع (1872 - 1876 - 1885).

- ريال فونصو وهو الذي رسمت عليه صورة الملك ألفونصو الثاني عشر (1875 - 1885). وكذلك الفونصو الثالث عشر (1886 - 1931) (لوحة، 9).

كما عرف في العهد الحسني أيضاً ريال بونقطة وريال بوطيارة، وقد استعمل المغاربة مصطلح الريال Real ومصطلح الدورو Duro للدلالة على نفس القطعة الكبيرة التي تتألف من خمس بسيطات وتزن 25 غراماً من الفضة ذات عيار 9000 في الألف، وللريال أجزاء كلها بنفس العيار، منها :

- نصف ريال ويزن 12.5 غرام فضة.

- 5/2 ريال وهو بسيطتان بوزن 10 غرامات فضية.

- 5/1 ريال وهو بسيطة = 10 سنتيم وتزن 5 غرامات.

- 10/1 ريال وهو نصف بسيطة = 50 سنتيماً وتزن 2.5 غرام.

- 1/20 ريال ويسمى بليون كما يسمى قرش = 20 سنتيماً.

وهناك أجزاء أقل قيمة من هذه لكنها من فلوس النحاس (البرونز) التي تتوارد في بعض الفترات من مليبية، وكانت معروفة باسم الصولدي وهي غير مرغوب فيها، وقد أمر السلطان الحسن قائد وجدة باسقاط تلك "الصوالدة" عندما استفحل أمرها.

1) الريال الفرنسي :

أما القطع الفضية الفرنسية فقد راجت منها قطعة الريال الفرنسي والتي قبلت رسمياً بالمغرب في تاريخ سابق

لقبول قطعة اللوز، وهو 1845 وكان الريال الفرنسي يعرف في الوثائق المغربية باسم الريال الصغير لكونه أصغر قيمة من الريال الإسباني من حيث الصرف، كما يعرف بالريال بلا مدافع أو الريال الرومي أو الريال أذربي. كما يطلق عليه اسم ريال بوشطبه نظراً لأن صورة نابليون الثالث المرسومة على هذه الريال كانت تبدو بلحية دقيقة شبيهاً السكان بذلك، وكانوا أحياناً يطلقون عليه اسم ريال الفرنسي في أواخر القرن التاسع عشر.



ريال 5 فرنكات فرنسية

وكان نظام الريال الفرنسي وأجزائه كما يلي :  
 قطعة تساوي 5 فرنكات وتزن 25 جراما بعبارة 900 في الألف.  
 قطعة تساوي 2 فرنك وتزن 10 جراما بعبارة 835 في الألف.  
 قطعة تساوي 1 فرنك وتزن 5 جرامات بعبارة 835 في الألف.

وكانت قطع البرونز تمثل التدرجات الأخرى 10 و5 و2 و1 من السنتيمات وهي تزن على التوالي 10 و5 و2 و1 من الكرامات.

(2) الريال الحسني :

قرر السلطان مولاي الحسن (1878 - 1894) القيام باصلاح نقدي يقوم أثناءه بضرب السكة المغربية بأوروبا فور الانتهاء من مؤتمر مدريد 1880، بدلاً من السكة التي كانت تضرب بدور السكة المغربية في مدن فاس ومراكش ومكناس وتطوان.

وقد اجري عدة استشارات - كمادته - شارك فيها الامناء والتجار والفقهاء والقضاة، وغيرهم من موظفي المخزن، كما فتح مشاورات مع سفراء بعض الدول وقناصلها خاصة مع الدولتين الفرنسية والانجليزية بواسطة الأمين

الزبدي الرباطي والنائب السلطاني بطنجة محمد بركاش واسفرت المشاورات على اختيار الدولة الفرنسية لضرب السكة بباريس بمقتضى عقد "كنطرده ضرب السكة" التي حددت شروط عمليات الضرب مما له علاقة باجرة الضرب وعمليات نقل المعادن من المغرب إلى باريس ونقل السكة إلى المغرب، وقد حدد مواصفات السكة وإشكالها وأعدادها وأوزانها. وقد ضربت السكة على أساس الريال الحسني. وفيما يلي جدول بمواصفات الريال وأجزائه الخمسة وعبارة كل قطعة بما فيها من خالص الفضة بالنسبة الألفية:

القطعة	وزنها بالدرهم	وزنها بالكيلو	عبارةها
الريال	10 دراهم	29.116 غ	900%
نصف الريال	5 دراهم	14.558	835%
ربع الريال	2.5 درهم	7.279	835%
عشر الريال	1 درهم	2.911	835%
1/20 ريال	نصف درهم	1.455	835%

وكانت عملية الضرب بأوروبا عملية عسيرة لآقي فيها المخزن عسراً تجلي في الحفوقات والتجاوزات التي يمارسها أصحاب دور السكة بأوروبا بناء على عدم توفر الأطر الخبيرة المخزنية لضبط شروط الكنطردات ومتابعة تطبيقها سواء على المستوى التقني والقانوني، ولذلك وقع تصعيد نفقات الضرب بما يؤدي عنها في الحراسة والتأمينات والعمولات "الكوميسيون" وفوائد الماطلة "لانطريس" وغيرها، وقد وجد المخزن نفسه مضطراً للسير في عمليات الضرب بدون توقف رغم ما يتكبده من خسائر واضحة أحياناً وخفيه أخرى في مجال الاصلاح النقدي الحسني (انظر مسألة النقود، 243، 244).



ريال فونصو : XII و XIII

(3) الريال العزيزي :

استمر السلطان مولاي عبد العزيز (1894 - 1908) في نفس الاتجاه وبنفس الوسائل في عمليات ضرب الريال

جدول الريال وأجزائه المضرب بأوروبا  
ما بين سنوات (1299-1336) / (1881-1918)

سنة	ضرب به :		المسكوك
	هجرية	ميلادية	
1881	1299	باريس	الحسن الكيفية
1891	1309	"	"
1892	1310	"	"
1893	1311	"	"
1894	1312	"	"
1895	1313	"	"
96.95	1313	برلين	الراجح العزيز
1896	1314	باريس	الحسن الكيفية
1896	1314	"	الراجح العزيز
1897	1315	برلين	"
1897	1315	باريس	"
1898	1316	"	"
1899	1317	"	"
1900	1318	"	"
1900	1318	برلين	"
1901	1319	باريس	"
1902	1320	إنكلند	العزيز الكيفية
1902	1320	برلين	"
1902	1320	باريس	"
03.02	1321	"	"
1902	1321	إنكلند	"
1902	1321	برلين	"
1903	1322	باريس	"
1903	1323	"	"
1911	1329	"	الحفيظي
1912	1331	"	اليوسفي
1918	1336	"	"

وأجزائه وإذا كان والده قد اقتصر على ضرب السكة بباريس فقد عدده السلطان مولاي عبد العزيز دور الضرب في باريس برلين وفي لندن وبرمنكهام. وكان قد اقتصر على نموذج الريال الحسنيني خلال السنوات الأولى الثلاث، وبعد ذلك وضع نموذجين لضرب النقود العزيرية.

استمرت عمليات ضرب السكة في العهد العزيري بدون توقف في عدد من ديار السكة في كل من ألمانيا وفرنسا وإنجلترا لمدة اثنتي عشرة سنة حصلت من ذلك سيولة نقدية تجاوزت حاجيات البلاد إذ بلغت الكميات النقدية 65 مليون بسيطة حسنية سنة 1903 وحصل بذلك تضخم جعل الدولة في سنة 1904 عاجزة عن متابعة عمليات الضرب من جراء هذا التنازم ومن وضعية الصرف وعلاقة الريال المغربي بالريال الأجنبي وخاصة منه الإسباني، وقرار السلطان تحويل السكة المغربية من نظام المثقال السداسي إلى النظام اللاتيني العشري لمسايرة الريال الإسباني والفرنسي لكن الأهالي لم يستطيعوا تكيف نظام الصرف مع نظامهم القديم فوقع اضطراب في الأسواق فاضطر السلطان إلى إلغاء النظام العشري والعودة إلى نظام المثقال لكن آثار التدخل الأجنبي غالب في مجال الصرف، فقد بلغت خسارة الريال العزير بالقياس إلى العملة الإسبانية التي ترتبط بها 25 في المائة سنة 1897 وبلغت 37 (في المائة) 1902. - Sidbon, p. 25 (26) : مسألة النقود، ص. 251.

وقد عكست وضعية الريال كل الأحداث التي عاشها المخزن في هذه الظرفية.

5) الريال الحفيظي والريال اليوسفي :

حاول السلطان مولاي عبد الحفيظ 1908. 1912) أن يهتم بأمر السكة وإصدار عملة جديدة ولكن الأحداث داهمته فلم يستطع ضرب ريال خاص ونصفه وربعه إلا سنة 1911 حين اكتفى بترويج الرصيد العزيري من مختلف القطع الفضية حتى وقع الاحتلال سنة 1912 فقام السلطان مولاي يوسف. يضرب الريال وأجزائه سنة 1912 كما ضرب الريال ونصف الريال سنة 1918 حسب القطع النقدية المتوفرة غير أنه نتيجة التحولات التي عرفها المغرب خلال عهد الحماية فقد قرر الفرنسيون إلغاء النقود الفضية المغربية تماماً سنة 1920 وإحلال الفرنك الفرنسي من العملة الورقية والمعدنية محلها. ومع إلغاء الريال من التداول فإن المغاربة احتفظوا بكلمة الريال وأطلقوها على قطعة 5 سنتيمات إلى اليوم.

ونظراً لأن مجموع الريلات المغربية وأجزائها المضروبة بأوروبا من العهد الحسنيني والعزيري والحفيظي واليوسفي ثم تحديدها إذ بلغت 84 قطعة في نماذجها وتم تحديد السنوات التي ضربت فيها، فقد سجلناها كاملة في الجدول الآتي :

المسكوك	عدد القطع				
	1 ريال	1 ريال	1 ريال	1 ريال	1 ريال
الحسن الكيفية	1	7	7	7	7
الراجح الكيفية	1	8	8	8	8
العزيز الكيفية	2	6	6	6	6
الحفيظي	1	1	1	1	1
اليوسفي	2	2	1	1	0
مجموع القطع :	7	24	23	16	17

تأثير الموسيقى العربية في الأساليب الغنائية الإسبانية الأروبية.

توفي ريبيرا بمسقط رأسه عام 1934 عن عمر يناهز ستا وسبعين سنة.

Mariano Perez, *Diccionario de la Música y Los Musicos*. Madrid 88. Vol. 2, p. 348 ; Vol. 3, p. 102.  
عبد العزيز بن عبد الجليل

### الريحان في المغرب العربي هو الآس في المشرق

العربي حيث يستعمل لفظ الريحان كذلك لما نسميه بالمغرب الحيق (انظر مادة "حيق"). ونظرا للرائحة العطرة التي تفوح من هذا النبات فقد استعمل هذا اللفظ لتسمية النبات : ريحانة، آسية.

الاسم العلمي لنبات الريحان هو ميرتوس كومونيس Myrtus communis. والنبات هو الجنس الطبيعي الذي يمثل فصيلة الآسيات Myrtaceae بالمنطقة المتوسطية علما بأن هذه الفصيلة تشمل الأوكالبتوس (انظر أو كالبيتوس) وأجناساً عديدة أخرى يعيش أغلبها بأستراليا.



الريحان هو النوع الطبيعي الوحيد الذي يمثل جنس ميرتوس. إنه نبات جنوبي أو شجيري لا يتعدى 3 م من الارتفاع، ذو أغصان متقابلة. أوراقه دائمة الاخضرار متقابلة، بيضوية أو رمحية الشكل، طولها يتراوح ما بين 1 و3 سم، وعرضها يبلغ 1,5 سم، ملساء، صلبة ولامعة. أزهاره إبطية، معنفة، ذات لون أبيض، يفوح منها عطر زكي. ثماره عنبية، بيضوية أو كروية الشكل، لحمية، ذات لون أزرق يميل إلى السواد، وذات مذاق لذيذ بالنسبة للإنسان.

يقتصر التوزيع البيوجغرافي للريحان بالمغرب، على المنطقة الشمالية حيث يكثر في الريف وخاصة الجهة الغربية وشبه الجزيرة الطنجوية، وبناحية تازة، وبالنهضة الوسطى والمعصورة ومنطقة بنسليمان. وفي كل هذه المناطق يقطن الريحان في غابات البلوط على أترية حمضية وفي بيومناحات جد رطبة ورطبة وشبه رطبة وشبه جافة، ذات شتاء دافئ أو معتدل، أي في الطابق المتوسطي الدافئ. لأوراق الريحان استعمالات كثيرة جداً. فبالإضافة إلى

ع. أفا، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر، ص. 46، 134، 143، 221، 255؛ وضعية النقود المغربية بين دور السكة بالمغرب ودور السكة بأوروبا في القرن (19 م)، الجامعة الصيفية، المحمدية، مطبعة فضالة، 1987، ج. 2، ص. 157؛ أحمد الحسني، بهجة المشتاق في بيان حكم الأوراق، مطبعة كردستان العلمية، القاهرة، 1911، ص. 145؛ أ. الناصري، الاستقصا، ج. 9، ص. 64؛ عبد الغني الدالي، محاضرات في النقود والبنوك، كلية الحقوق، الرباط، 1972، ص. 39؛ ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف، ج. 2، ص. 451؛ أ. التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، ج. 1، ص. 276.

R. Le Toureau, *Fés avant le protectorat*. 1949, Casa, p. 285 ; B. Sidbon, *La question monétaire au Maroc*, Paris, 1912 p. 25 ; J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Paris, 1962, T. 3, p. 98 - 99 ; R.S. Yeoman, *A catalog of modern world coin (1850 - 1960)*, U.S.A. 1972, p. 175 - 438 ; D.J. Galtier, *Monnaie et économie dans l'Espagne du Nord et du centre*, H.T., 1962, vol. 3, p. 73 ; B. Michaux, *L'organisation des finances au Maroc*, A. M., 1907, vol. II, p. 219.  
عمر أفا

### ريبيرا إيطاراكو خوليان Ribera y Tarragò, Julian

مستشرق إسباني، ولد في كركخينطي قرب بلنسية في 19 فبراير 1858. درس القانون في جامعة بلنسية، ثم انتقل إلى مدريد حيث حصل على الدكتوراه في الفلسفة والأدب، وقد أجب على دراسة اللغة العربية، فلما بلغ الثامنة والعشرين من عمره عين أستاذاً لها بجامعة سرقسطة، ثم تقلد تدريس "الأدب العربي الإسباني" بعد حصوله على الدكتوراه في موضوع "الحضارة المغربية اليهودية".

له مؤلفات متعددة تتعلق في مجملها بدور الثقافة العربية وأثرها في تكوين الثقافة الأوربية عموماً والإسبانية خصوصاً. وتتركز أغلب هذه المؤلفات على موضوع الموسيقى العربية بالأندلس ووجوه تأثيرها في الأساليب والأنماط الغنائية بإسبانية. ومنها :

- الموسيقى الأندلسية في القرون الوسطى في أغاني الثروبادور. وهو كتاب يحوي 356 عملاً موسيقياً منسقا لألة البيانو (arrangement pour piano) نقلها من مخطوطات وسيطة (1923، 1925).

- الموسيقى العربية الوسيطة وأثرها في الموسيقى الإسبانية (1927).

- كتاب الأغاني لابن قزمان (1910).

وفي هذا الموضوع - أيضا - ألقى في بحر سنة 1912 محاضرة بالأكاديمية الإسبانية تحت عنوان "الأشعار الغنائية لابن قزمان والثقافة العربية الإسبانية". إضافة إلى كتب ودراسات أخرى تشيد في مجملها بالثقافة العربية في إسبانيا المسلمة وتعرف بأعلامها ومؤسساتها التعليمية.

ولعنايته الكبرى بإبراز أثر الموسيقى العربية في الثقافة الإسبانية فقد نعت بأنه كان مشهوراً بنظرياته المبالغ حول

استخدام النبات للزينة في الحدائق أو لاستخراج العطر بواسطة عملية التقطير، تستعمل الأوراق لعدة أغراض في الطب التقليدي كعلاج أمراض الجهازين التنفسي والغذائي، وأمراض العيون. كما تدخل في تحضيرات تخص التجميل لفائدة النساء كخلطها مع الحناء (انظر حناء) أو الغاسول لتلوين الشعر باللون الأسود أو لتنظيفه.

من الاستعمالات الأخرى استخدام الأوراق في عملية غسل الميت، أو وضعها معه في قبره قبل أن يغمر بالتراب. كما توضع أغصان النبات على القبور في ليلة القدر.

أبحاث شخصية.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 1999, 370 p. ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle*. 1997, 764 p. ; L. Embenger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938 ; A. Métro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*. Rabat, 1955.

عبد الملك بنعبيد

## ريحان الأسود، من الزهاد المتصوفة السبتيين

المشهورين، لا نعرف عنه أي شيء سوى ما ذكره ابن القاسم الأنصاري من أنه مشهور الكرامات والمكاشفات وأن قبره الكائن في مقبرة المنارة من سبتة مزار مشهور يتبرك به (اختصار، 15) ورد ذكره أيضاً عند ابن الزيات التادلي (التشوف، 138).

يبدو أن ريحان الأسود كان زنجي الأصل كما يدل على ذلك اسمه. كما أن اسم ريحان الذي عرف به لا يطلق في الواقع إلا على صف العبيد من الناس شأنه شأن مرجان ولؤلؤة وغيرها. لذا قد يعتبر هذا دليلاً آخر على أن سبتة عرفت هي الأخرى تجارة العبيد في عصورها الإسلامية المتوسطية، سيما وأن زراعة قصب السكر التي كانت منتشرة في ضواحيها في بليونش وخصوصاً في متنان كانت تتطلب يدا عاملة كثيرة (Ceuta, 165, 327). فريحان الأسود هذا قد لا يعدو أن يكون أحد مخلفات تجارة الرقيق التي كانت سبتة تشكل إحدى محطاتها أو على الأقل معبراً رئيسياً لهذه البضاعة في طريقها إلى أوروبا. وما الموضع المسمى بأحجار السودان من سبتة سوى المكان الذي كانت تتم فيه هذه التجارة أو على الأقل المسلك الذي كانت تعبر منه إلى الضفة الأخرى من البحر المتوسط (معلمة، 145).

التادلي، التشوف، الرباط، 1958 : ابن القاسم الأنصاري، اختصار الأخبار، الرباط، 1403 1983، ط. 2 : معلمة المغرب، مطابع سلا، 1410 / 1989، المجلد الأول.

Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIe et XIVe siècles : essai de reconstitution de la civilisation musulmane*, Thèse de 3ème cycle, Aix-Marseille I, 1987.

زليخة بنرمضان

الريحية حذاء نسوي كان المغاربة ومازالوا ينسب ضئيلة تقل أكثر فأكثر مع مرور الزمن ينتعلون أحذية خاصة بهم تدعى البلغة لا وجود لغيرها في البلاد على الإطلاق قبل مجيء الاستعمار الأجنبي. ومن هذه الأحذية ما كان مخصصاً للذكور وما كان مخصصاً للإناث. وكانت الموجهة منها إلى الإناث تنقسم إلى ثلاثة أنواع هي الريحية والمشاية والشربيل، ولكل واحدة مما ذكر جودة معينة ووظيفة معلومة.

فأما الريحية فتحتل مرتبة وسطاً من حيث الجودة. فهي أحسن من المشاية البسيطة الصنع والتي تلبس داخل البيوت للقيام بمختلف الأشغال اليومية لكنها أدنى مرتبة من الشربيل البلغة الزاهية المخصصة للأفراح والمناسبات والريحية في العادة تصنع من جلد الماعز الجيد ولونها السائد هو الأسود علماً بأن بعض النساء في فاس وتطوان والرباط وغيرها من الحواضر كانت تلبسها حمراء أو برتقالية أو باذنجانية أو خبازية أو زرقاء مشربة بحمرة. يباشر إنتاجها حرفيون متخصصون يدعون "الرواحية" ويغيب فيها كل تجميل وتحتوي وكل شكل من أشكال الطرز والتوشية وإن وجد فيها تزيين فإنه يكون قليلاً لا يثير الانتباه.

وتلبس الريحية أساساً خارج البيوت مطوية العقب دائماً ومرفوعة الكعب أحياناً بهدف تغطية مؤخرة قدم الأنثى وإخفاء أي أثر للملامح رجلها. وقد صممت كذلك زيادة على لونها الأسود حتى لا تلفت نظر الذكور وتثير اهتمامهم كما يظهر جلياً من مقدمتها الأمامية الواسعة والمستديرة التي لا تنحصر على الرجل ولا تحدد ملامحها. وقد كانت النساء السوسيات ومازلن يلبسها من لون برتقالي أو أحمر تنمقه جدائل ذات ألوان زاهية على عكس ما هو متداول في الحواضر المغربية وتسمى محلياً "الريحيت" بالتاء البسيطة. ومازال هذا النوع منتشرًا في أرجاء واسعة من مدن وبادي سوس وحاحا والشياظمة وتخوم الأطلس الكبير والمناطق الممتدة على طول الدير المجاور له.

وكانت الريحيات تتخذ من ثلاثة مقاسات تحسب بعرض أصابع الصانع الحرفيين وهي من الأصغر إلى الأكبر بلغة الحرفيين : "السباعي" ثم "الثماني" و"التساعي" أي ما يبلغ طوله سبعة وثمانية وتسعة أصابع مع مراعاة هامش معين في اتجاه الزيادة أو النقصان وتجنب كل ريحة مقدودة (sur mesure) لأن المقاس الوسط هو المطلوب. لذلك كانت مقاسات الريحيات التي يصنعها الحرفيون إما "صافية" أو "ناقصة" أو "وافية". أما إذا تجاوزت المقاس الأكبر المحدد للإناث وهو "التساعي" فإنها تسمى "رجل الفصالة" وإذا نزلت عن الحد الأدنى وهو "السباعي" دُعيت "رجل العويطة" أي قدم الفتاة العازبة التي لم تبلغ بعد سن الرشد إشارة إلى صغر رجل المرأة، وفي كلتا الحالتين فإن هذين المقاسين يصعب وجودهما في السوق لمخروجهما عن المعتاد السائد ولا بد من الاتصال رأساً بالصانع الحرفي للحصول

عليهما تحت الطلب مما كان الناس عادة يسمونه "البلغة بالصوية". لكن هذه المقاسات الأخيرة كانت قليلة على العموم وكانت المقاسات الثلاثة المذكورة سلفاً هي السائدة. هذا وكانت الرياحيات المتداوية في المغرب من نوعين : النوع الأول "والريحية بالبنارة" (البنارة في اللسان الدارج تعني العرف الأحمر الموجود في قمة رأس الديك) وهي تحصل عرفاً صغيراً من جلد مستدير يشبه عرف الديك يكون من نفس لونها ويقع إلى الداخل من وسط مدخل القدم. أما النوع الثاني فهو "الريحية بالبنارة والقبّة" ولها نفس العرف لكنه يوجد خارج مدخل القدم فوق الرقعة وهو أكبر من الأول حجماً ويختلف عنه بشكله الاهليلجي. أما مؤخرتها (طوقها بلغة الحرفيين) فهو أكثر ارتفاعاً يشبه تقريباً مؤخرة الأحذية الحديثة العادية ويتوسطه لسان مستطيل يميل شكله إلى شكل قبة ومن هنا جاءت تسمية الريحية وهي أفضل من سابقتها من حيث الجودة والنعل والرقعة والاتقان. وهناك نوع من الرياحيات كان سائداً في معظم الحواضر والبيوادي لا يختلف إلا قليلاً أو كثيراً عن الريحية بالبنارة لكنه لا يحمل أي تنسيق بل يقتصر على الألوان.

أمين الريحاني، المغرب الأقصى، بيروت، 1975 : حلمي محمد عشيش، المغرب الأقصى كما رأيته، القاهرة، د. ت : علي أمهان، البلغة، معلمة المغرب، الجزء الرابع : محمد الحلوي، معجم الفصحى في العاصية المغربية، الدار البيضاء، 1988 : محمد المختار السوسي، المعول، الجزء الثالث، الدار البيضاء، 1960 : تحريات مبدئية في فاس، تطوان، الرباط، مراكش.

Henri Duquaire, *Découvrir l'âme du Maroc*, Paris, 1935 ; Jules Leclercq, *De Magador à Biskra*, Paris, 1881 ; G. Spillman, *Les Aïr Atta du Sahara*, Rabat, 1936 ; Jean Delorme, *Les marocains*, Paris, 1936 ; Marie Bugeja, *Le feu du Maroc*, Tanger, 1937 ; Francis Ambière, *Le Maroc Monaco* ; R. Guyot [et al...], *Les cordonniers de Fès, Hesp.*, tome 23, 1936 ; R. Guyot, *Le commerce des babouches à Fès, B.E.M.*, tome 3, 1936 ; Louis Brunot, *La cordonnerie indigène à Rabat, Hesp.*, tome 33, 1946.

محمد بوسلام

**ريختر** Richter، أسرة ألمانية مشهورة كان لأفرادها وجود بالمغرب ابتداء من أواخر القرن الثالث عشر (19 م)، وهم ثلاثة : غوستاف Gustav ولداه هانس Hanz وماكس Max، وقد تحرف الوثائق المغربية هذا النسب إلى ريطر Ritter وتخلط بين هذا الأخير شريك هيرشة Hiersche التاجر المقيم بالدار البيضاء وبين ريكتر لثقارب الكتابة والنطق فيهما :

ريختر (غوستاف) كان تاجراً مقيماً بأسفي خاصة، وله علاقة بالبيوادي المجاورة في الفلاحة وتربية المواشي. وريختر (هانس) كان يمثل أباه في التجارة والفلاحة. بينما كان لريختر (ماكس) شركة تجارية بمدينة فاس خاصة، فأنخذ فيها سماسة لتجارته وشركاء وخطاء له لفلاحته

وأشغاله بالبيوادي في شتى النواحي المغربية. وقد تولى في مطلع القرن الرابع عشر (20 م) النيابة القنصلية عن بلاده بها، لكنه كان كثير الخلاف مع السلطات المحلية. كانت له معرفة بالبلغة العربية وبالعواد المغربية، ولما صرح بأنه اعتنق الإسلام وصفته المصادر الفرنسية بالنفاق ويكونه عيناً لبلاد. لكن السلطان قال في إحدى رسائله سنة 1324/1906 : إن ريكتر "رغب في دين الإسلام، وتنصل من دينه، فأنعمنا عليه بظهيرنا الشريف بتوقيره وتوقيره عزائبه وأصحابه".

م. بوشعراء، الاستيطان والحماية، ج. 3، ص. 1182 وج. 4، ص. 1442 : ص. 2 من كتاب مكاتب الطابع الشريف، رقم 1695، خ. ع. بالرباط : الوثائق المغربية.

Roger Le Toureau, *Fès avant le Protectorat*, p. 161 ; Pierre Guillen, *L'Allemagne et le Maroc*, p. 441.

**ريدجوي** (J. West Ridgeway)، أنجليزي كان سفيراً

لبلادة بطنجة طيلة ستة أشهر (يناير - يوليو 1893). وكان "مبعوثاً خاصاً في مهمة مؤقتة" وهي أن يربط من جديد مع الحكومة المغربية العلاقات الودية التي كانت من قبل قائمة مع المملكة المتحدة. كان أول أمره ضابطاً بالجيش البريطاني من سنة 1860 إلى سنة 1889، وأسندت إليه كتابة الدولة في شؤون إيرلندا، وكان يحظى بعطف ملكي خاص فأنعم عليه باللقب الشرفي المعروف "السير" وعين عضواً في مجلس الملكة الخصوصي.

وخلال المدة القصيرة التي قضاه بالمغرب نجح في إزاحة السحب التي كانت تخيم على العلاقات بين البلدين، بعد أن أفسدت تصرفات سلفه تشارليز إيوان - سميث Ch. Euan - Smith فأدخل بها توتراً كبيراً بينه وبين السلطات المخزنية بننطعاه وكبريائه. فقد نصب سنة 1892 عنوة بفاس التاجر الإيقوسي ج. ماك آيفر ماك ليود J. Mac Yver Mac Lead بوصفه نائباً قنصلياً، وتجرأ على رفع علم بلاده على الدار التي كان يسكنها دون إذن من المخزن، فوقع بها اضطرابات "فقال المخزن والناس الأمر، حتى ماج بعضهم في بعض، وما سكنناهم إلا بمشقة، وتأخرت الصلاة" (صلاة الجمعة) "عن موعدها" حسب رسالة سلطانية إلى الطريس.

أدى ريدجوي مهمته على أحسن وجه، وتبادل الهدايا والتحف مع الشخصيات الرسمية، وأهدى امرأة للحاج محمد بن العربي الطريس النائب السلطاني بطنجة مع رسالة التوزيع في منتصف سنة 1893، تاركا خلفه إيرنيست ساطاو E. Satow الطريق مهددة.

م. بوشعراء، الاستيطان والحماية، ج. 2، ص. 502 وج. 3، ص. 1175 1156 : الوثائق الملكية : وثائق مكتبة تطوان.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, tome I, p. 103 et tome IV, p. 277 - 279.

مصطفى بوشعراء



**ريد ليويس** وويليام W. Reed Lewis، أميركي كان تنصلاً عاماً للولايات المتحدة بطنجة من بداية سنة 1887 إلى نهاية سنة 1889. وقد ولي هذا المنصب خلفاً للكولونيل فيليكس أ. ماثيوز Felix A. Mathews الذي كان يمثل بلاده بالمغرب سنوات عديدة فعزل عن منصبه لشططه وسوء تصرفه، وعين بدله ريدليويس هذا.

من مواليد مدينة فيلاديفيا بشرق الولايات المتحدة سنة 1860، وعين في هاته المهمة بالمغرب وهو ابن ثمان وعشرين سنة، فكان قليل الدراية والمعرفة بالعوائد والأعراف المغربية. غير أن سيرته كانت قبيحة مع السلطات، وكان يتاجر في بطائق الحماية ويوليها لمن شاء من المغاربة بحيث كان يسلم بطائق بيضاء موقعة من لدنه ولا سيما لترجمانه ابن زرقين.

وقد تعرضت الوثائق فصورته سلوكه. ففي سنة 1305 / 1888 كتب مولاي الحسن إلى الطريس قائلاً :

"وصل كتابك شارحاً فيه ما هو عليه نائب المركان من خرق القوانين والشروط، وذكر أنك إن اقتضى نظرنا الشريف جعل الحجج عليه بما يصدر منه من ذلك ويقبح سيرته، وإنهاء ذلك لدولته أو تقريره بجمع مدريد فعلت، وصار باليال، فنعم، اجعلها عليه بذلك وأنهى لدولته..."

كانت له نزاعات مع السلطات، وهي ترجع بالأساس إلى الشطط في استعمال حق الحماية من جهة أولاً وإلى قضية مال الفابور Favor التي حدثت له مع وزير الخارجية محمد المفضل غريط من جهة ثانية وإلى شجاره مع سلطات المرسى في حيازة السلاح من جهة أخيرة.

1 - التهديد والشطط : كان ريد ليويس قد وجه سنة 1305 / 1888 إلى المخزن لوائح المحميين فرجع عددهم إلى أربعة وخمسين لكن دون أن يبين موجب حمايته إياهم. فردت النيابة السلطانية بطنجة إليه تلك الوثيقة، فأعادها إليها كما هي، فرفضتها وأرجعتها مرة أخرى إليه. وهنا أضاف إليها ستة أشخاص وبعث بها محتوية على ستين محمياً زاعماً أنهم "دخلوا في حمايته حديثاً".

ولكن تهديده باستجلاب القوة البحرية وتلويحه بقطع العلاقات لم يكونا ليرها المخزن، وكل ما آلتا إليه أنهما جعلته مسخرة أمام السلك الدبلوماسي.

وعن ترسية المركب الأمريكي قالت الوثائق المغربية : إن السفينة الحربية وردت لمرسى طنجة، وأقامت بها ثلاثة أيام، وأظهرت علامة "العيب" بعدم تسليمها على البلاد على العادة، وبطلوع البنديرة بسنحها سوداء."

رأى المخزن في "العيب" دليلاً على توتر العلاقات فأمر السلطان العمال والأمناء بالحذر من توجيهها لمرسى العدوتين والدار البيضاء، والجديدة، ومع ذلك جنح المخزن للتفاوض مع القنصل العام بعد أن تمكن الخلاف في مسألة المحميين الستين وفي قضايا ثلاثة محميين آخرين.

2 - قضية مال الفابور : أغرب في أمر ليويس أنه كان

يريد أن تفصل دعاويه هو ومطالبه الشخصية قبل أن تحل قضايا بلاده ومشاكل مواطنيه القليلين المعدودين على رؤوس الأصابع. كان طلب مشافهة فقط أن تدفع 200 ألف ريال وضمنها على وجه الاحتمال عملته. ثم إنه أراد بعد ذلك أن يقبض من يد وزير الخارجية محمد المفضل غريط المكتاسي مبلغ 15 ألف ريال لقاء غضه الطرف عن المطالب والدعاوي القائمة بينه وبين المواطنين المغاربة.

سميت هاته القضية مال الفابور وهي كلمة إسبانية من أصل لاتيني Favor تعني الإحسان أو الإنعام.

عن الاتهامات المصقة بها جاء إلى المغرب محققون أمريكيون، وكان معهم ابن زرقين أحد تراجمه القنصلية العامة. كان المخزن يعلم - وغريط أيضاً - "أن لا غرض لهم في البحث عن حال المذكور، وإنما الغرض عندهم "الطمع" واقتراح الأمور المخارقة حسبما ورد في رسالة غريط المؤرخة في 22 رجب 1305 / 4 أبريل 1888 والمتعلقة بخبر مجيء سطوريبيل بعد ذلك بنحو ثلاثة أسابيع.

وقد زكمت الأتوف بأفعال ليويس في المغرب وأمريكا وحتى في فرنسا حيث اعترف السفير الأمريكي بباريس بأن القنصل العام "رجل ظالم" حسبما ورد في رسالة العربي أبارودي إلى غريط في 4 شوال / 14 يونيو.

3 - حيازة السلاح فسرأ : تورط فيها القنصل الأمريكي سنة 1307 / 1889 عند ما أرسل أحد الأمريكيين لحيازة صندوق فيه 10 مكاحل و6 كوابيس، مشهراً بيده بطاقة الحيازة المضادة من لدن القنصل العام. وكان طبعياً أن يمنع أمناء طنجة الثلاثة هذا الشخص من أخذ الصندوق، ولكنهم أخذوا الوثيقة وعرضوها على الطريس.

وفي الوقت نفسه بلغ إلى علم ريدليويس هذا المنع، فاستشاط غضباً وذهب بنفسه إلى المرسى لحيازة السلاح فسرأ مخالفاً بذلك القوانين الجمركية والدولية على ما تفيده رسالتنا الأمناء في 18 و23 ربيع الثاني 1307 / 12 و17 دجنبر 1889.

كانت هاته الغلطة مما استغله الحاج محمد الطريس الذي كان يعرفه حق المعرفة ويصفه بالمتهور الطائش فأعلم المخزن بالحادثة ثم أبرق إلى وزير خارجية أمريكا مسترعياً على افتتاحات قنصلها العام وسوء سيرته مع المخزن وطالبا إقالته وإرجاعه إلى بلاده. وبعد مدة قصيرة نشرت الصحف نبأ عزله نهائياً في الشهر الأول من سنة 1890.

م. بوشعراء، الاستيطان والحماية، ج. 2، ص. 473 إلى 479 وج.

3، ص. 985 إلى 987 وص. 1153 : الوثائق الملكية : وثائق

مكتبة تطوان : وثائق أمريكية.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome IV, p. 356 ; J. Caillé, *La petite histoire du Maroc*, troisième série, p. 53 ; M'hammed Benaboud, *Problems of American Protection in Morocco*, p. 79 - 93 in *The Atlantic Connection 200 years of Moroccan - American Relations : 1786 - 1986*, Edited by Jerome Brookin - Weiner and Mohamed El Mansour, 1990.

**ريدمان (Redman)**، أسرة إنجليزية أو طارقية تنجلت وهي من اللواتي قدمت إلى المغرب من جبل طارق في الثلث الأول من القرن الثالث عشر (19 م)، فاستوطنت مختلف المدن الشاطئية للتجارة والمعاملات الاقتصادية. إلا أن آل ريدمان كانوا يسكنون بالجديدة فقط أزيد من 70 سنة، وهي تتألف من أربعة إخوة : أكبرهم جون يليه ألفريد (أو فريدو) وكليمنت. أما فريدك فلم أقف إلا على اسمه. وزيادة على التجارة كان الثلاثة الأولون يتولون الشؤون القنصلية بالجديدة سواء لبلدهم الأصلي أو لغيرهم من الدول الأخرى.

**ريدمان، ألفريد (Redman Alafred)** ولي النيابة عن بلده وعن بعض الدول مثل هولاندا وبلجيكا وألمانيا والولايات المتحدة منذ سنة 1864 إلى وفاته سنة 1896 اتخذ سماسرة لتجارته بذكالة والجديدة.

**ريدمان، جون (Redman John)** هو أكبر إخوته وصل إلى المغرب سنة 1826 أو 1830، وصار يتعاطى مع أخيه ألفريد التجارة بالجديدة واتخذ شركاء وسماسرة، ومثل بلاده ثم هولاندا حتى عجز أو توفي سنة 1864 أو قبلها.

**ريدمان، كليمنت (Redman Clement)** اشتغل بالتجارة بعاصمة دكالة وتولى سنة 1865 أو قبلها النيابة القنصلية عن فرنسا.

**ريدمان، فريدريك (Redman Frederic)** كان بلا شك يتعاطى التجارة.

م. بوشعرا، الاستيطان والحماية، ج 3 صفحات مختلفة ولا سيما، ص. 992 : الوثائق الملكية ؛ وثائق مكتبة تطوان ؛ وثائق بركاش، خ ع بالرباط.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, tome I, p. 158, tome II, p. 186, 490, 800, tome III, p. 159, tome IV, p. 89.

مصطفى بوشعرا.

**ريزيندي غارسييا Garcia Resende**، من مؤرخي البرتغال خلال القرن السادس عشر (10 هـ) ترك حوليات موازية لما قدمه روي دي بينا آتي الترجمة خصها لتاريخ جواو الثاني، يعود تأليفها إلى سنة 1533 وتم طبعها أولا سنة 1545 بعنوان : *Cronica de D. Joao II e Miscelanea* ثم أعيد طبعها بلشبونة سنة 1978.

تتضمن *الحوليات* لقطات عن تاريخ المغرب عامة والشغور المحتلة خاصة إبان الغزو البرتغالي. غير أنه يصعب في كثير من الأحيان التمييز ما للإخباري روي دي بينا وما

لمثله ريزيندي بسبب التشابه الموجود بين نصوص المؤلفين في موضوعات الفصول وترتيبها إلى درجة التطابق.

فمن حوليات غارسييا ريزيندي يمكن الاطلاع على تاريخ احتلال مدينة أصيلا وأسر قائد القصر الكبير طلحة العروسي وحاكم الشاون علي بن راشد وافتدانهما، وكذا ما يتعلق بمسألة حصن جزيرة اللكوس البرتغالي وغارات سبتة على ترغة وعلى سوق خميس أنجرة.

حسن الفكيكي، مقاومة الوجود الأيبيري بالشفور الشمالية الغربية، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

Garcia Resende, *Cronica de D. Joao II e Miscelanea*.  
حسن الفكيكي

**الريس، مبارك بن المختار**. مقاوم ولد سنة 1920 بمدينة أسفي. ولما اشتعلت شرارة الكفاح المسلح ضد الاستعمار الفاشم، انضم إلى العمل السري سنة 1953. قام بعمليات فدائية وحده، دون تشكيلة، وترأس المظاهرات الصاخبة بمناسبة 20 غشت لسنتي 54 و55 وبينما كان يقوم بواجبه النضالي خلال مظاهرة 20 غشت 1955، أصابته رصاصة الشرطة الاستعمارية الفرنسية فسقط في ساحة الشرف بأسفي.

الندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء، الاستقلال.

**ريسون (الجدة)**، رفع ابن عسكر في دوحه الناشر نسبها إلى علال بن عبد السلام بن مشيش، واعتبرها البعض الآخر من بيت بني راشد العلميين أمراء شفشاون. وما لفت الانتباه أن ريسون حملت في كتاب *الدوحة* لقب الست مما يدل على أنها كانت من علية نساء بلاد الهبط خلال القرن العاشر (16 م). كانت هذه المرأة حسب نفس المصدر من بين النساء اللواتي برزن في ميدان الصلاح، أخذت الطريقة الشاذلية الجزولية عن الشيخ عبد الله الغزواني. وهناك وجه آخر لشهرة الشريفة ريسون باعتبارها أم علمين بارزين في التصوف هما الشيخان عبد الرحمان وعلي ابنا عيسى، وأصل النسب الريسوني من الجدة، وأول من انتسب إليها ولدها علي ابن ريسون، فصار عقبه يعرفون بأبناء ريسون.

م. ابن عسكر، دوحه الناشر، الرباط، 1977، ص. 24 و25، م. حجي ؛ م. بن الصادق الريسوني، فتح العليم الخبير، مخطوط رقم 856، خ. ع. تطوان، ص. 80، 79؛ علي الريسوني، مقدمة فتح التأييد، لمحمد بن ريسون، تطوان، 1985، ص. 3.

ابن ريسون أو الريسوني، أسرة علمية شريفة تنحدر من الجد الجامع للشرفاء العلميين يونس بن أبي بكر عم القطب عبد السلام بن مشيش، موطنها الأصلي قرية

تازروت بقبيلة بني عروس الواقعة على عتبة جبل العلم. ومنها انتقل الريسونيون إلى مختلف قبائل ومدن الشمال الغربي. كان تأسيس هذه الأسرة على يد الشيخ مولاي علي بن عيسى المتوفى 1556/963 أول من حمل كنية ابن ريسون نسبة إلى أمه ريسون. وهو أحد مشايخ الطريقة الشاذلية الجزولية الذين أنجبهم الشيخ عبد الله الغزواني. ظهرت هذه الأسرة بعد انقراض إمارة بني راشد بشفشاون على يد السلطان عبد الله الغالب سنة 1562/969 بعد أن أسس الشيخ مولاي محمد بن علي ابن ريسون أول زاوية علمية بتازروت سنة 1568/975، ما لبثت أن تحولت إلى رباط جهاد ساهم في معركة وادي المخازن إلى جانب السلطان السعدي عبد الملك، وهذا ما جعل خلفه أحمد المنصور الذهبي يكافئ الشيخ بالإنعام على زاويته بالأرض التي جرت فوقها المعركة المعروفة بتامدا. كما أسدل عليه رداء الوقار والاحترام، مما عزز مكانة هذه الأسرة في المجتمع الجبلي. واتسع نفوذ الريسونيين بفعل الدعم المادي والمعنوي الذي تلقاه هؤلاء من طرف سلاطين الدولة العلوية، ذلك أن السلطان المولى إسماعيل جدد لزواية تازروت إقطاع المنفعة وأصدر ظهيرا نص على توقيير واحترام الشرفاء الريسونيين، وعين الشريف محمد بن عبد الرحمن ابن ريسون نقيباً عليهم، وبذلك تخلصوا من الخضوع لسلطة أبناء عمهم العلميين بشفشاون. وتوطدت علاقة الريسونيين بالمخزن على عهد سيدي محمد بن عبد الله، الذي كان وراء نمو النشاط العلمي بالزاوية الريسونية حيث أوقف عليها مداخيل ميثاق فضالة وطنجة وبنى بها دوراً للطلبة والمدرسين. ويمكن اعتبار فترة حكم السلطان مولاي سليمان (1206. 1226 / 1792. 1811) من أهم أطوار حياة الأسرة الريسونية، إذ تزايدت مكانة الأسرة الريسونية في الحقل السياسي بشكل ملحوظ وأصبحت سندا قويا للسلطان. يتجلى هذا في الدور المنوط بالشريف محمد بن الصادق الريسوني أستاذ السلطان وابن عمه الشيخ علي بن ريسون، خلال فترة الصراع على السلطة بين مولاي سليمان ومولاي مسلمة واضطراب الوضع في الشمال الغربي، حيث توسط الشريفان بين مولاي سليمان وأخيه مولاي مسلمة الذي لجأ إلى حرم العلم، وبين المخزن والقبائل الجبلية المتمردة، ومثلاً فضلاً عن ذلك، سندا قويا للسلطة المخزنية في محاربة الحركة الدرقاوية بتطوان. وبغض النظر عن الامتيازات المادية والمعنوية المحصل عليها في مقابل تلك الخدمات المذكورة حققت الزاوية الريسونية مكسبا آخر لا يقل أهمية، يتجلى في تعزيزها بفرع تطوان بأمر من مولاي سليمان السُّقَّام بفندق لوقش المنعم به على الشيخ علي ابن ريسون. ومن تحولات هذه الفترة في حياة الأسرة الريسونية استقرار أعيانها بتطوان، وتبدل نمط عيشهم. وتزايدت مكانة الأسرة الريسونية الاجتماعية والسياسية خلال القرن الثالث عشر (19 م)، بفعل الأدوار

التي لعبها الشيخ عبد السلام ابن ريسون، الذي كان صاحب سلطة رمزية قوية وإذا كلمة نافذة في المجتمع التطواني والقبلي على حد سواء، مما أهله للقيام بنجاح بدور الوساطة عدة مرات بين المخزن وقبائل الجبل كالأخماس وبني عروس وأنجرة على عهد السلطانين سيدي محمد ابن عبد الرحمان ومولاي الحسن. واستنادا إلى مكاتته الاجتماعية ساهم الشيخ في الحفاظ على التوازنات داخل الوسط الحضري التطواني، وحماية تطوان من غارات القبائل الجبلية. ولا ريب أن حضور الشيخ في المدينة مثل دعامة أساسية للمخزن وسلطة رمزية لا تعوض، ولعل السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان أدرك جيدا الفراغ الذي تركه في تطوان بعد رحيله عنها واستقراره بتازروت بسبب سوء التفاهم الحاصل بينه وبين مولاي العباس إثر حرب تطوان، ولذا ألح عليه في العودة إليها. ويبدو أن أحداث أواخر هذا القرن ومطلع القرن الموالي وأزمة العلاقة بين الشريف مولاي أحمد الريسوني والمخزن بعد رحيل الشيخ المذكور نالت من مكانة الريسونيين الاجتماعية والسياسية.

الحسن بن ريسون، فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد، تطوان، 1985، تقديم وإخراج علي الغالي الريسوني : قطعة من الكناش الريسوني، ضمن تأليف مساهمة رباط تازروت في معركة وادي المخازن، تطوان، 1989، ترجمها عن الإسبانية محمد بن عزوز حكيم : محمد عمرواني، الشرفاء وقيادة الحركة الجهادية في جبال الهبط خلال حكم الوطاسيين والسعديين 1471-1578. ضمن أعمال ندوة الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في الشمال الغربي المغربي، الرباط، 1995، ص. 21. 35 : رسائل مخزنية، نشر لجها علي الغالي الريسوني في كتاب رجل ومواقف دفاعا عن وحدة الأمة، 1982.

محمد عمرواني

**ابن ريسون، إبراهيم** ولد بتازروت قبيلة بني عروس سنة 1140 (1728) وكان من علماء بني عروس فاختاره السلطان سيدي محمد بن عبد الله للوزارة، وقتل بقرية العماير من قبيلة الخلط عندما كان يحاول اخماد فتنة قامت بالقبيلة المذكورة سنة 1200 (1786).

علي الريسوني المحامي، أبطال صنعوا التاريخ، تطوان، 1975.

**ابن ريسون، أحمد بن الصادق** عالم جليل وُلد بمدينة شفشاون يوم 19 شوال 1319 (29 يناير 1902). تعاطى للكتابة والتوثيق والأمانة والخطابة والتدريس والوعظ والإرشاد والافتاء له تأليف في الأنساب عنوانه *المتح القدسية في النسبة الريسونية الإدريسية* وآخر بعنوان *مدخل لتاريخ شفشاون*.

توفى يوم 22 ذي القعدة 1393 (18 ديسمبر 1973)

علي الريسوني المحامي، أبطال صنعوا التاريخ، تطوان، 1975.

ابن ريسون، أحمد بن علي، فقيه كان من بين أعيان تطاون الذين بايعوا الأمير سعيد بن مولاي اليزيد سلطاناً بتطاون يوم 12 جمادى الثانية 1236 (17 مارس 1821). وكان من بين أعضاء الوفد التطاوني الذي توجه إلى فاس في شهر جمادى الثانية 1238 (مارس 1823) لتهنئة السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام بولايته؛ والوفد الذي توجه إلى مراكش لتقديم "الهدية" للسلطان مولاي عبد الرحمن في عيد الأضحى لسنة 1242 (يوليوز 1827). توفي بعد سنة 1828/1243.

م. ابن عزوز حكيم، الجديد في تاريخ تطاون، 2000.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن ريسون، أحمد بن علي بن التهامي بن أبي بكر خفيد معركة وادي المخازن. رُلد بقبيلة بني سعيد الغمارية سنة 1249 (1833) وتوفي بها سنة 1310 (1893). وصفه أحمد الرهوني في عمدة الراوين بالرجال الصالح من الأولياء الواصلين ورجال الله الذاكرين. أ. الرهوني، عمدة الراوين في تاريخ تطاون، مخطوط.

ابن ريسون، الحسن بن محمد (الحاج -). من علماء قبيلة بني سعيد الغمارية، عمل بجانب مولاي أحمد الريسوني في المقاومة المسلحة وكان عضواً في مجلس القيادة الثورية حيث شارك بهذه الصفة في مؤتمرات الثورة المتعددة بعين الدالية بضواحي طنجة يوم 11 ماي 1913 ويضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز من نفس السنة بقرية الزوة بقبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915.

توفي بعد سنة 1333 / 1915.

م. ابن عزوز حكيم، المقاومة المسلحة بشمال المغرب، تطاون، 1984.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن ريسون، الحسن بن محمد بن علي الحسني العلمي نزيل فاس يكنى أبا محمد الفقيه الحسيب النسيب الصوفي النسابة المطلق الحير الصالح ولد بتازروت مسقط رأس أبائه بقبيلة بني عروس سنة 936 / 1529 وقرأ بها القرآن ومبادئ العلم ثم انتقل إلى تطاون وأخذ عن علمائها ومنها إلى فاس وتلقى عن علماء القرويين، ثم اتصل بالشيخ عبد الرحمن بن محمد الفاسي ولازمه وأخذ عنه مالا يحصى على حد تعبير الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي في أزدهار البستان وأخذ العلم عن الترجم كثير من المريدين، واثنى عليه كل من ترجم له، وكان له إسهام في التأليف فكتب رسائل في السيرة والفرائض والنسب، وكتاب فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد.

ومن آثاره أيضاً كنانة مخطوطة لم نجد لها ذكراً عند أحد من الباحثين لسبب بسيط وهو وجود أصل المخطوطة في حوزة المؤرخ الإسباني طوماس كاثييا فيجيراس Tomas Garcia Figueras الذي استولى عليها عندما كان مراقباً بإدارة الحماية بقبيلة بني عروس سنة 1349 (1930) واحتفظ بها في خزائنه بمدينة شريس الأندلسية إلى أن أعلن عن وجودها بعد استقلال المغرب واعتمد عليها في وضع كتابه الأخير الذي ألفه تحت عنوان *Mulay Ahmed El Raisuni, gran figura del Marrecos contemporanes* مولاي أحمد الريسوني، شخصية بارزة في المغرب المعاصر.

قال القادري في النشر كان للمترجم عقب بفاس مع أبناء عمه، ثم عرض لهم انتقال بعد أن باعوا دار سكناتهم وهي المتصلة بمزارع مولانا إدريس بأبها وبينها وبين السقاية الموجودة الآن، فانتقلوا لمحل سكناتهم وسلفهم من جبل العلم وأحوازه ولم يبق أحد منهم الآن بفاس قاطناً إلا أنهم يردون عليها لأموال وأغراض في بعض الأحيان.

توفي المترجم له بفاس ضحوة الجمعة سادس وعشرى جمادى الأولى سنة 1055 / 20 يوليوز 1645 ودفن بالروضة المعروفة لهم باب الفتوح بقرب مسجد الأندلس رحمه الله.

م. ابن الطيب القادري، الإكليل والتاج، ص. 36، مخطوط؛ نشر الثاني، موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، 4، 1421؛ م. الكتاني، سلوة، طبع حجر فاس 1300، 2، 7؛ ع. ابن سودة، دليل، الدار البيضاء، 1960، 1، 236؛ ع. بن الغالي الريسوني، مقدمة فتح التأييد، طبع تطاون؛ أبطال صنعوا التاريخ، تطاون، 1975.

محمد بوخيزة

ابن ريسون، الطيب بن محمد بن علي بن عيسى. ولد بتازروت سنة 948 / 1541 وهو فقيه مجاهد شارك في معركة وادي المخازن إلى جانب والده وعمه وسقط بها شهيداً يوم 30 جمادى الأولى 986 (4 غشت 1578).

ع. الريسوني المحامي، أبطال صنعوا التاريخ، تطاون، 1975؛ م. ابن عزوز حكيم، معركة وادي المخازن، تطاون، 1950.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن ريسون، عبد الرحمن بن عيسى بن عبد الرحمن ابن الحسن حفيد المولى يونس الجمد الجامع للإشراف العلميين. ولد عام 875 / 1970. وذكر ابن عسكر في الدوحة أنه من حفدة الشيخ عبد السلام ابن مشيش، وتعقبه القادري في الإكليل والتاج فقال: غلط صاحب الدوحة فنسبه للقطب سيدنا عبد السلام، ونسبهم لسيدى يونس كما ذكرنا لا يشك فيه واحد منهم ولا من غيرهم ممن له حاسة بالأنساب. عقب عليه الشيخ الرهوني في عمدة الراوين بأن السيدة (ريسون) من حفدة مولانا عبد السلام، فأولادها من حفدته بلاشك.

أخذ المترجم له عن الشيخ عبد الله الغزواني وهو عمدته في التصوف، وحلاه بعض مترجميه بالعلم ولم نقف على أثر لذلك، وإنما كان الغالب عليه النسب والانقطاع له والتبطل والزهد والتقشف، ولما كان بشفاون عرض عليه أمراء بني راشد بناتهم للتزويج بلا تكليف فلم يقبل كما كان لا يقبل من أحد شيئاً ويأتيه الناس بالحوائح فيتركها بفناء بيته ولا يتعرض لإعطائها ولا حملها، وكان منظوياً على نفسه مؤثراً للوحدة والعزلة في بيت مغلق عليه، فراشه قشور شجر البلوط، وظل على ذلك حتى مات ولم يشعر به أحد حتى تفقدوه في ليلة شاتية عاصفة وكسروا باب بيته فوجدوه ميتاً. قال ابن عسكرو : لقيته وأنا صغير فدعاني بخير وكان والدي من أصحابه.

توفي بتازروت ليلة الأربعاء 5 شعبان عام 954 / 1547 ولم يعقب لأنه لم يتزوج، ولابن ابن أخيه الحسن بن محمد كتاب في مناقبه يسمى : التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد.

م. ابن عسكرو، دوحه الناشر، تج. محمد حجي، الرباط، 1976 : م.  
بن الطيب القادري، الأكليل والتاج، مخطوط : ح. بن محمد بن ريسون، فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد، طبع تطوان : أ. الرهوني، عمدة الراويين، 9 : 7، مخطوط : أ. بن الأمين الريسوني، حقائق تاريخية عن زاوية تازروت، طبع تطوان.  
محمد بوخيزة

ابن ريسون، عبد السلام بن علي الحسني. ولد بتطوان ونشأ بها في بيت اشتهر بالجاء واليسر. وكان وجيها في الناس حتى لقب "السيد". كما كان على حظ من التصوف والصلاح، إلى جانب معرفته بالموسيقى الأندلسية وولوعه بممارسة مستعملاتها عزفاً وحفظاً وإنشاداً.

وقد التف الهواة حول ابن ريسون واتخذوا من بيته منتدى من منتديات الفن المرموقة بتطوان في وقت كانت فيه سوق الموسيقى الأندلسية بهذه المدينة نافقة واسعة النفاذ حتى شاعت ظاهرة مجالس الطرب الخاصة.

ولم تفتأ المجالس التي كان يحتضنها بيت ابن ريسون أن تحولت إلى حلقات منتظمة لتعليم الغناء والعزف، خرجت نخبة من العازفين والمنشدين أمثال الفنان الحاج عبد الكريم بنونة الذي كان يتقن العزف على مختلف آلات الجوق الأندلسي إضافة إلى تفوقه في استخدام البيانو، والفنان السيد العربي الحمار عازف الكمنجة الشهير، وغيرهما من الهواة الممتازين.

وينسب إلى "السيد" أنه اخترع آلات موسيقية عجيبة الصنع، من بينها "السلامة" أو "محسن النغم". ولعلها أن تكون - هي نفسها - عوداً من وتر واحد في أعلاه صفر إذا نُقر فيه أبكى الحاضرين.

وقد توفي "السيد" ابن ريسون عام 1299 / 1881.

ابن حلكان، وثبات الأعيان، مطبعة بولاق، ج. 2، ص. 102 : ع.  
العزیز بن عد الجليل، مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع 65، 1983، ص. 213، 214 : مجلة تطوان، السنة الثانية، العدد 5 و6 فبراير - مارس، 1975 : إبراهيم التادلي، أغاني السقا ومغاني الموسيقى، خ. ع. د 109، ص. 100.

عبد العزیز بن عبد الجليل

ابن ريسون، علي بن الصادق من فقهاء قبيلة بني عروس انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها أحمد الريسوني ضد الغزو العسكري الإسباني لشمال المغرب، وبصفته عضواً في قيادة الثورة شارك في المؤتمرات المنعقدة بعين الدالية بضواحي طنجة يوم 11 ماي 1913 وبضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز من نفس السنة وبقرية الزوة بقبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915.

م. ابن عزوز حكيم، المقاومة المسلحة في شمال المغرب، تطوان، 1984.

ابن ريسون، علي بن عيسى بن عبد الرحمان بن الحسن بن موسى بن الحسن بن عبد الرحمن الشريف. ولد بقبيلة بني عروس سنة 880 / 1475، وهو جد جميع الشرفاء الريسنيين الذين كانوا يعرفون بأولاد الشريف، وهو أبو محمد ابن ريسون بطل معركة وادي المخازن.

ترجم له ابن عسكرو في دوحه الناشر ووصفه بـ "سيد فاضل ماجد عابد صالح زاهد كريم الخلق سليم الصدر كثير التلاوة والذكر لا يفتر عن ذلك ساعة ما دامت حياته".

كما ترجم له حفيده الحسن بن محمد بن علي في كتابه فتح التأييد حيث قال إنه "كان من خيار أهل زمانه أخذ عن سيدي عبد الله الغزواني وانتفع به وكان له قدم راسخ في الدين والسنة شديد التحفظ والورع في مكسبه مجاب الدعوة محترفاً بالتجارة بأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحض على الخير منقبضاً عن الناس ويعلم الصبيان".

يقول المؤرخ الإسباني طوماس غارثيا فيغيراس Tomas Garcia Figueras في كتابه المخطوط Mulay Ahmed El Raisuni, gran figura del Marreco contemporanes (مولاي أحمد الريسوني شخصية بارزة في المغرب المعاصر) إن المترجم له كان يشارك بجانب أمير شفاون مولاي علي ابن راشد في بعض غزواته ضد البرتغاليين المحتلين لمدينتي أصيلا وطنجة. حيث شارك في الغزوة المنظمة ضد مدينة أصيلا سنة 1503 / 909 وسنة 1508 / 914 وضد مدينة طنجة سنة 1509 / 915 وضد المدينتين سنة 1511 / 917 وقد سقط أسيراً أثناء الغزوة المنظمة ضد مدينة طنجة سنة 1512 (غير أنه استطاع الفرار).

توفي بها سنة 1556/963.

م. ابن عزوز حكيم، مساهمة رباط تازروت في معركة وادي المخازن، الرباط، 1989 : ع. الرسوني المحامي، أبطال صنعوا التاريخ، تطوان، 1975.

Tomas Garcia Figueras, *Mulay Ahmed El Raisuni, gran figura del Marruecos contemporaneos.*

محمد ابن عزوز حكيم

**ابن ريسون، علي بن محمد بن علي الحسيني العلمي**  
الشيخ الشهير الصالح المتبرك به، ولد بقرية (تازروت) قرب جبل العلم بقبيلة بني عروس، وهي مقر أسلافه عام 1158، وبها نشأ، وشدا شيئا من العلم واستقدمه إلى تطوان المجذوب عبد الله الحاج البقال التتوفى عام 1207 وصاحب الزاوية المشهورة بساحة الفدان. لما أحس بدنو أجله، فقدمها واستوطنها وأقبل عليه أهلها فأحبوه وخدموه وتزوج من كرامتهم بنت راغون، وعلا صيته، وكثر مريدوه، فنظر إليه أمراء الوقت بعين الاعتبار وأدركوا من نفوذ كلمته، وبالع أتره في الناس ما أوجب استشارته والأخذ برأيه، وثمة مراسلات بينه وبين السلطان مولاي سليمان واخوه الطيب ومسلمة وغيرهم، واستوسط مولاي مسلمة المترجم له وابن عمه محمد بن الصادق بعد فشل ثورته لدى مولاي سليمان ليسمح له بالرجوع إلى المغرب والإقامة بفاس. ومن مظاهر هذا الاعتبار أن السلطان مولاي سليمان أقطع المترجم فندق لوقش بالصباغين ليبنى به زاويته القائمة به إلى الآن والدار الكبرى والروض المتصل بها بالباب السفلي قرب باب الجياف، وظلت الدار والروض بيد أحفاده إلى أن بيعت، وقد أدركت الدار على حالها والبيت الكبير وأمامه صهريج واسع محتب بورود وازهار وأنوار في منظر شاعري جذاب. وهناك كان رواد الموسيقى الأندلسية يجتمعون مساء كل جمعة للتعزف والغناء واستمراراً لسنة المترجم له وولده الشيخ عبد السلام وكلاهما من العارفين بالموسيقى واستعمال آلتها، وكانت أشعار المديح النبوي وخصوصاً البردة والهزمية للبوصيري تتشد بلحون الآلة بطريقة خاصة إلى جانب الطريقة الحراقية.

ولا نعرف للمترجم له نشاطاً علمياً ولا شيوخاً وإن حلي بالعلم والمعرفة. وكان ما ذكر عنه فمن قبيل الكرامات والكشوف والحوارق جمعها السيد محمد غيلان التطراني في أوراق. ومع هذا فقد كان ضالعا في محنة الشيخ أحمد ابن عجيبة مع عامل تطوان حمان الصريدي التي سجن فيها الشيخ المذكور وأخوه الهاشمي وعدد كبير من مرديه لما دخلوا تطوان حاملين السج في أعناقهم رافعين أصواتهم بالذكر، فترك الناس أعمالهم وتبعوهم فانتهم بهم المطاف إلى السجن بأمر علماء البلد ومشايخها وعلى رأسهم المترجم له، وكان من المریدين الفقيه محمد المكودي النازي الذي ألف بعد خروجه من السجن كتابا في شرح هذه النازلة

والرد على العلماء سماه (الارشاد والتبيان، لما انكره الرؤساء من أهل تطوان) وهو مخطوط لخصه الأستاذ داود في تاريخ تطوان ومن أثر ذلك أن المؤرخ النسابة الأديب سليمان الحوات لما بلغته محنة الشيخ ابن عجيبة هذه بعث بقصيدة لوم وعتاب إلى المترجم له وهو صديقه ومادح بيته وآله استهلها بقوله :

أبا حسن كن مثل والدك الذي تغيب في سكر الشهود عن الحسن  
وله ولغيره فيه أمداح وقصائد، وهكذا ظل الرجل يتردد بين مسقط رأسه (تازروت) وتطوان إلى أن وافته المنية يوم الثلاثاء رابع جمادى الآخرة عام 1229 / 1813.

أ. الرهوني، عمدة الراويين في تاريخ تطواين، (5 : 46)، مخطوط خاص : م. داود، تاريخ تطوان، (6 : 261)، طبع تطوان و (3 : 206) : ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، (4 : 182).

**ابن ريسون، محمد الصادق بن المختار بن محمد**

بن العربي بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي مدين بن عيسى بن محمد بن علي الجذ الجامع لآل ريسون الحسيني العلمي، وما ورد في إتحاف المطالع من أنه الصادق بن محمد، فسبق قلم. الشريف القاضي الوزير الفقيه المفتي المدرس الخطيب. ولد بمدينة شفشاون يوم 17 ربيع الثاني 1282 وحفظ القرآن بالقراءات السبع على السيد المهدي العافية وغيره، وطاف على علماء بلده وقبيلة الأخصاس فأخذ عن أحمد بن الطيب العلمي وأحمد بن علوش وعبد الكريم بوجنة ومحمد بن عمران قاضي الأخصاس، وأحمد حمدون، وفي عام 1302 انتقل إلى فاس فأخذ بالقرويين عن محمد بن التهامي الوزاني والمهدي الوزاني وأحمد بن الحياط وجعفر الكتاني وعبد الملك الفيلاي الضير وعبد الرحمن بن القُرشي وأحمد ابن خالد الناصري والتهامي گنون، وعبد العزيز بناني. ثم رجع لمسقط رأسه عام 1306 وياشر الافتاء والتدريس والتوثيق إلى عام 1311 حيث عين قاضياً على الأخصاس. وفي عام 1320 حل بشفشاون (بوحمارة) واتصل بالمترجم له وأغراه أن يعينه وزيره على أن يساعده في ثورته فرفض وفي رمضان 1326 كتب بيعة السلطان عبد الحفيظ وفي عام 1328 عين قاضياً على القصر الكبير بظهير حفيظي وما ورد في الموسوعة من أن تعينه قاضياً بالقصر كان عام 1333 فخطأ، وفي 1330 كتّبت بيعة أهل القصر للسلطان مولاي يوسف واستعفى من قضاء القصر بعد نحو عشر سنوات وانتقل إلى تطوان وعين مدرساً من الدرجة الأولى بقرار وزير عام 1339 وفي نفس السنة عين عضواً بالجمعية العالمية للمآثر التاريخية، وفي عام 1342 عين وزيراً للسالية في الحكومة الخليفية وأعفي منها عام 1345 واقتصر على التدريس والافتاء والامامة والخطابة بجامع العيون من تطوان وفي أثناء ذلك

محمد بوخيزة

**ابن ريسون، محمد العربي بن الحسن بن امحمد**  
بطل معركة وادي المخازن.

فقيه وأحد مجدينة شفشاون سنة 1050 (1640) وتوفي بها  
سنة 1139 (1726) وهو الذي أسس الزاوية الريسونية  
بشفشاون.

ع. الريسوني المحامي، أبطال صنعوا التاريخ، تطوان، 1975.

محمد ابن عزوز حكيم

**ابن ريسون، محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن**  
الحسين بن محمد فتحا ابن علي ابن ريسون الحسيني العلمي  
الشريف الصالح المتبرك به، عاش ذا أحوال يعتره الجذب  
فيغيب عن حسه ويقول في أثناء ذلك قصائد من الملحون  
في المديح النبوي ومدح الصالحين والتنويه بمقاماتهم يتخلل  
ذلك اطراء فيه غلو اشتهر كثير منها في حياته وما زال  
منها ما ينشد في زواياهم بتازروت وتطوان وشفشاون  
وغيرها فيما يسمونه الحضرة. وهذا السيد هو والد الشيخ  
علي صاحب الزاوية الشهيرة بتطوان والذي كان له ذكر في  
أحداث سياسية ونوازل اجتماعية كثيرة. ترجم له الشيخ  
التاودي في فهرسته واثنى عليه. وذكر أنه تلمذ على  
الشيخ عمر ابن عبود العمراني وقال : رأيت أول ما رأيت  
بسيدي أحمد الشاوي نفعنا الله به وأنا يومئذ صبي وهو  
قريب من البلوغ له شارب دقيق وليس على وجهه شعر وقد  
غطى رأسه بشاشية، والرجال دائرون به وهو يقول وهم  
يكتبون، ونحن نتعجب من ذلك ولا نفهم شيئا من ذلك  
وأنا عجبنا من تبعية القوم له وهم كبار وهو صغير، ثم  
ذهب من ثم إلى مولانا إدريس رضي الله عنه، وأقام  
الحضرة هنالك، فكنا نسمع أن الشريف سيدي محمد بن  
مولاي يحيى الإدريسي دخل عليه بقصد الإنكار عليه  
وأخراجه، فخرج هو من عقله وجعل يرقص ويلقي ثيابه إلى  
أن وقع به ما وقع به وجعلت السلسلة في عنقه، ثم صير به  
إلى السيد المذكور فتسكن وبقي بداره لم يخرج إلى أن  
مات. واستمر الشيخ التاودي يتحدث عن كراماته وأحواله  
بما لا يخرج عن هذا مما يروج على المعتقدين دون تعقل ولا  
توقف، ويؤثر عنه حزب مازال يتلى في الزوايا الريسونية،  
وفيه كثير من الكلام الدارج. واشتهرت عنه قصيدة من  
الملحون يتغنى بها في الحضرة بلحون خاصة مطلعها :

رسي قراني ذا الكلام وافتح لي كل أجناب

ولد المترجم له سنة ثلاث عشرة ومائة وألف عام  
الكسوف المشهور المؤرخ به، وتوفي يوم الاثنين حادي عشر  
جمدى الأولى عام 1189 / 10 يوليوز 1775 بعد أن مرض

كان يفني ويستشار في القضايا الكبرى يحضر بوزارة  
العدلية كل سبت لذلك، وفي عام 1372 عينه الخليفة مولاي  
الحسن بن المهدي عضواً بالمجلس الخليلي الخاص إلى آخر  
حياته. وله تقايد منها موجز تاريخ شفشاون والدر المكنون  
في ترجمة الزعيم ابن ريسون وقد طبعها وهما رسالتان  
ومجموعة خطب وفتاوي.



والرجل كان خفيف الروح ذا دعابة، عالي الهمة جريئاً  
لا يهاب أحداً حافظاً لكثير من المتون مطلعاً إلا أنه يعوزه  
الضبط والإتقان فمن ثم تقع له الأوهام والمبالغة، وقد  
جالسته وحضرت كثيراً من دروسه وسمعت من غرائب. ومن  
مواقفه - وقد كان الواسطة بين الإسبانيين والشريف  
الريسوني - أن المقيم خردانة الإسباني نال من المجاهدين وهو  
يفاضه فغضب المترجم له على مكتبة بيده محتجا  
فانكسرت الدواة. وكان هذا بحضور القبطان بيكبيدير  
مساعده فاستعفى من مهمته ورحل إلى ألمانيا. ولأجل هذه  
الحادثة مات خردانة غما وقيل إنه انتحر لفشله في مهمته  
في اخضاع الشريف الريسوني وحديثي قاضي بتطوان  
وشفشاون الحاج أحمد السمار أن المترجم له ترأس وقدامة  
الأشراف للوساطة لدى السلطان عبد الحفيظ للإفراج عن  
الريسوني لما كان معتقلا بالصويرة. فكلمه بجرأة نادرة كلام  
الأقران والسلطان ينظر إليه متعجبا، ثم أفرج عن الشريف،  
ووقع بين المترجم له والصدر ابن عزوز جفاء فرغب إليه  
الوزراء أن يترضى الصدر فأبى وألحوا عليه فأجاب حيث  
لقيه في ملاء من الناس فخاطبه بلهجة مترفعة : يا ابن  
عزوز قالوا لي بأنك كنت مريضاً ما عندك بأس وانصرف.  
ومعلوم ما كان للمترجم له من أثر سياسي وتحرك وسعي  
دائم في أثناء ثورة ابن عمه مولاي أحمد الريسوني، كان  
من اثر فراقه له وقدمه إلى تطوان إلى ولي الوزارة وغيرها  
وسافر إلى إسبانيا وتجول في ربوعها.

وبعد عمر طويل توفي صبيحة 26 ربيع الثاني 1376  
فاتح دجنبر 1956 ودفن بالزاوية العيساوية بتطوان.

ابن ريسون، م. الصادق نفسه، الدر المكنون في ترجمة الزعيم ابن  
ريسون، شفشاون، 1415 هـ : موجز تاريخ شفشاون، شفشاون،  
1986 م : أ. الرهوني، عمدة الراوين، (5) 20، مخطوط : ع. ابن

تسعة أيام ومات في حالة جذب ودفن ببيته الذي كان يسد عليه حالة جذبه بإيضاء منه، وبنيت عليه قبة ومسجد متصل به بقرية (تازروت) وصلى عليه الفقيه محمد بن الحسن الجنوي.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، 5: 39، مخطوط : ع. ابن سودة، إتخاف المطالع/موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، 7 : 2393 : أ. بن الأمين الريسوني، حقائق تاريخية عن زاوية تازروت، الكتاب كله : التاودي بن سودة، فهرس، مخطوط مصور.

م. بن الطيب القادري، الإكليل والتاج، مخطوط : م. القادري، نشر الثاني/موسوعة أعلام المغرب، 3: 1172 : أ. الرهوني، عمدة الراوين، 5: 14، مخطوط : أ. الريسوني، حقائق تاريخية عن زاوية تازروت وبعض صلحاء بني ريسون، الكتاب كله، طبع تطوان.

محمد بوخيزة

**ابن ريسون، محمد الغالي بن أبي مدين بن عيسى بن محمد بطل معركة وادي المخازن.** ولد بتازروت بقبيلة بني عروس سنة 1120 / 1708. وكان شيخ جماعة علماء قريته وقد ترجم له الشيخ التاودي ابن سودة في حاشيته.

ويقول المؤرخ الإسباني كارثيبيا فيغيراس Tomas Garcia Figueras في كتابه المخطوط *Mulay Ahmed El Raisuni, gran figura del Marreco contemporanes* (مولاي أحمد الريسوني شخصية بارزة في المغرب المعاصر) أن المترجم له كان يقوم بمهمات خاصة بتكليف من السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

توفي بها سنة 1180/1767.

م. ابن عزوز حكيم، مساهمة رباط تازروت في معركة وادي المخازن، الرباط، 1989 : ع. الريسوني المعامي، أبطال صنعوا التاريخ، تطوان، 1975.

Tomas Garcia Figueras, *Mulay Ahmed El Raisuni, gran figura del Marreco contemporanes*.

محمد ابن عزوز حكيم

**ابن ريسون، محمد بن محمد الصادق بن أحمد بن الحسين بن الجد الجامع للريسونيين محمد بن علي بن عيسى زوج السيدة (ريسون) التي إليها نسبتهم، الحسيني العلمي البونسي.**

الشريف الفاضل النسابة النقيب الراوية الفقيه المحدث المسند أبو عبد الله، وصفه بالعلم والفقه والمشاركة كل من ترجم له منهم تلميذه السلطان مولاي سليمان في عناية أولي المجد ومحمد بن الحسن الجنوي، والطالب ابن الحاج القاسي، وجعفر الكتاني في الشرب المحتضر والتهامي بن المكي ابن رحمون في اختصار جمهرة التيجان للزياني وعبد السلام السكيج في النزهة والفقيه الرهوني التطواني في العملة وغيرهم من آخرهم الفقيه محمد المرید التطواني في التعميم المقيم كما اطراه النقيب الأديب سليمان الحوات شعراً ونثراً، والمحدث المسند الشهير عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس ولخص نعتهم وأقوالهم فيه الأستاذ داود في تاريخه.

والحق أن الرجل انفرد في أهل بيته بل وبين معظم معاصريه باتقان علم النسب ولا سيما ما يتعلق منه بالأداسة ولا سيما شعبة العلبيين الذين كان نقيبهم

**ابن ريسون، محمد بن علي بن عيسى بن عبد الرحمن بن الحسن بن موسى بن الحسن بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عبد الله بن يونس بن أبي بكر الجد المباشر للشيخ عبد السلام بن مشيش، ويونس هو الجد الجامع للأشراف العلبيين بالمغرب وغيره.** ولد في حدود العشرين من القرن التاسع (15 م) وقرأ القرآن على أبي القاسم الشريف إمام جامع تازروت ولازم أبا القاسم ابن حمو الفقيه الشهير ببني حسان، وانتقل لفاس ونزل بالمصباحية ورافق بها صاحبيه في الطلب عبد الله بن طاهر العلوي ويوسف الفاسي ومكث بفاس ست سنوات اثني عليه أبو حامد العربي الفاسي في (مرآة المحاسن) بالعلم والولاية وكثرة المریدين وعظم النفع وحسن الأخلاق وكرم العنصر والطباع. وقال : زرتُه بتازروت (قرب جبل العلم بقبيلة بني عروس) مرات وانتفعت به كثيراً، وربما أفرد لي مجلساً من الظهر إلى المغرب أو إلى العشاء، وربما قرأت عليه شيئاً من كتب التصوف وبالجملة. فلقاؤه من المفاخر التي يتنافس فيها والحمد لله على ما من من ذلك.

رحل المترجم له إلى الشيخ عبد الله بن الحسّان بتامصلحت قرب مراكش وأخذ عنه ودعا له بخير وهو عمدته في التصوف وبه تخرج كما قال القادري في (الدر السنّي).

والده علي نزيل تازروت وبها ولد المترجم له كما سبق وبها توفي بعد أن أسس بها زاوية كانت محط الزائرين فزارها للقاءه والأخذ عنه كثير من الأكابر كالعربي الفاسي وقد سبق كلامه وأبي العباس المقرئ وقد ذكره في أزهار الرياض وأخذ عنه صيغة صلاة نبوية لقتها في المنام بفاس. وأحمد بن سليمان الرسموكي وعبد الله الحجّام وغيرهم من أهل العلم والتصوف.

وأكبر منقبة يذكر بها المترجم أنه شارك هو وأخوه أحمد وابنه الطيب وأتباعهم في معركة وادي المخازن قرب مدينة القصر الكبير التي أسفرت كما هو معلوم عن نصر مؤزر للمغرب، وقد أقطعها السلطان المنصور الذهبي جزءاً له على ذلك أراضي فلاحية خصبة بالفريقية مازالت بأيدي حفدته إلى الآن ويدهم ظهائر الإقطاع والانتفاع.

توفي المترجم له ضحوة يوم الخميس 18 محرم عام 1018 في أبريل 1609.



كوالده الفقيه سيدي المكي، وتزوج ولم يرزق إلا بولد واحد  
سافر إلى إسبانيا للدراسة ثم أصيب بخلل وعاد إلى تطوان  
فعانى منه المترجم شدة.

تولى المترجم نقابة عموم الأشراف الرياسة بتطوان  
وشفشاون والقبائل والقصر الكبير والعرائش وأصيلاً كما  
تولى وزارة المالية في الحكومة الخليفة عقوداً من السنين  
مع النزاهة والعفة إلى أن أخرج عنها في أواخر عمره.

توفي بتطوان عام 1389 / 1969.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع موسوعة أعلام المغرب، بيروت،  
1996، 9، 4309: معلومات شخصية.

محمد بوخيزة

**ابن ريسون، المختار بن المجاهد** كان من بين الشرفاء  
سكان قبيلة بني عروس الذين انضموا إلى حركة المقاومة  
المسلحة التي كان يقودها مولاي أحمد الريسوني ضد  
التدخل العسكري الإسباني بشمال المغرب؛ وكان قائد فرقة  
من المجاهدين، وحضر في مؤتمرات الثورة المنعقدة بعين  
الدالية بضواحي طنجة يوم 11 ماي 1913 وبضريح مولاي  
عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز من نفس السنة  
وبقريّة الزوة من قبيلة جيل حبيب يوم 11 يناير 1915.

توفي بعد 1333 / 1915.

م. ابن عزوز حكيم، المقاومة المسلحة في شمال المغرب، تطوان،  
1984.

محمد ابن عزوز حكيم

**ابن ريسون، المكي بن علي بن محمد بن علي ابن**  
ريسون الحسنى العلمي الشريف الفاضل الفقيه العلامة  
العابد الزاهد. ولد بتطوان عام 1215 ونشأ نشأة صلاح  
وصيانة وقرأ القرآن وأخذ عن علماء البلد حتى صار  
معدوداً من العلماء، ثم عكف على المطالعة لكتب التفسير  
والحديث والسير، وحبب إليه النسك والانتقطاع له والأعراض  
عن الدنيا وأهلها، وكان له أتباع وتلاميذ وأصحاب  
يجالسونه ويشاركونه هوايته الموسيقى واستعمال آلات  
الطرب كغالب أهل بيته؛ والده أبي الحسن وأخيه الشيخ  
عبد السلام وغيرهم. وظل هكذا إلى أن توفي فجأة عام  
1288 موافق 1871 ودفن براوتهم الشهيرة بحي الصياغين  
من تطوان قرب والده، وهو والد الشريف الوزير النقيب  
السيد محمد بن المكي الريسوني سابق الترجمة، وللمترجم  
له مراثية همزية لتطوان بعد الاحتلال الأول ذكرها الأستاذ  
داود في تاريخه.

أ. الرهوني، عمدة الراويين، (5: 62)، مخطوط؛ م. داود، تاويخ  
تطوان، (5: 265) ط. تطوان.

محمد بوخيزة

المرجوع إليه في تحقيق ذلك إلى سراوة نفس وعلو همة  
وسيرة ذكر وحرص على العلم والرواية، وقد ترجم لنفسه  
في فهرسته المفيدة وذكر شيوخه الذين تلقى عنهم رواية  
ودراية وأجازوه من أشهرهم المشايخ: محمد بن الحسن  
الجنوبي، والتاودي بن سودة، ومحمد بن الحسن بناني، وعمر  
الغاسي. ووالده، ومحمد بن علي الوردازي التطواني  
وغيرهم يناهز عددهم الأربعين بين مشاركة ومغاربة ومن  
تلاميذه: السلطان مولاي سليمان، وعلي بن أحمد الوزاني  
والنهامي بن المكي ابن رحمون، وأحمد بن عبد الرحمن  
الطرابلسي.

انتقل المترجم له إلى فاس لطلب العلم عام 1177 وأخذ  
عمن أخذ عنهم من سميّا وغيرهم، وعاد إلى مسقط رأسه  
(تازروت) وتردد على (وزان) و (تطوان) واتخذ في كل  
منها زوجة وداراً وخداماً وحشماً واتصل بالسلطان مولاي  
محمد بن عبد الله وأيده، فكان معه ضد ولده المتشقّ اليزيد  
رغم انتصار أشراف الشمال له، ولما توفي السلطان وولده  
اليزيد قام ولده مسلمة يدعو لنفسه فأيده المترجم له ولما  
فشلت ثورته. بايع أخاه مولاي سليمان وصار من حاشيته،  
فتعلق به وبابن عمه صديقه مولاي مسلمة علي أن يتوسطا  
له لدى أخيه سليمان في العفو عنه، ولكن مسلمة لج في  
العناد فأعرض عنه المترجم له. وله مواقف سياسية  
 واجتماعية نزل على شقوق منزلته وما كان يتمتع به من  
نفوذ كلمة وجاه عريض، وله تأليف شهير مازال مخطوطاً  
يسمى (فتح العلم الخبير، في تهذيب النسب العلمي بأمر  
الأمير) يعني به السلطان مولاي محمد بن عبد الله، وقد  
لخصه الفقيه الرهوني في العمدة وتوجد نسخه عند الناس  
ومنه نسخة بخط الفقيه الرهوني بخزانة تطوان، وقد سطا  
عليها بعض الأدعياء وزاد فيها ونقص ونسبها إلى نفسه  
وطبعت باسم حصن السلام.

ولد المترجم له بمسقط رأسه قرية (تازروت) العروسية  
نحو عام 1155 أو 1156 لأنه أدخل الكتاب (المسيد) عام  
1161 وسنه خمسة أعوام وخمسة أشهر وخمسة أيام كما  
وجد بخط والده.

وتوفي بزوان بين 1234 - 36 / 1237 - 1723 ودفن  
بضريح الشيخ علي بن أحمد الوزاني.

أ. الرهوني، عمدة الراويين في تاريخ تطواين، (6: 62)، مخطوط  
خاص؛ م. داود، تاريخ تطوان، (6: 266)، طبع تطوان و (3: 206)  
؛ فهرسة المترجم له، الكتاب كله، مخطوط خاص.

**ابن ريسون، محمد بن المكي بن علي ابن ريسون**  
الحسنى العلمي البونسي التطواني الفقيه العدل النسابة  
الشريف النزيه الوزير النقيب.

ولد بتطوان عام 1302 (1884) وقرأ ما شاء الله  
وتعاطى العدالة، وكان في شبابه موسوماً بسيم جمال لاقت  
للأنظار إلى معرفة العزف على العود والموسيقى الأندلسية

ابن ريسون، المكي بن محمد بن محمد بن الصادق بن أحمد بن الحسين بن علي بن الحسين بن امحمد بطل معركة وادي المخازن.

ولد بتازروت بقبيلة بني عروس سنة 1268، حفظ القرآن بسقط رأسه ثم انتقل إلى قبيلة أهل سريف حيث قرأ العلم وفي سنة 1300 (1883) استقر بتطوان حيث زاول خطة الافتاء والعدالة إلى أن وافته المنية يوم 10 صفر 1342 (22 سبتمبر 1923).

م. ابن عزوز حكيم، الجديد في تاريخ تطوان، تطوان، 2000.

محمد ابن عزوز حكيم

## الريسوني (أسرة) ← ابن ريسون (أسرة)

**الريسوني، أحمد** (مولاي -) بن محمد بن عبد الله، سليل الزاوية الريسونية وينتمي في مرتبة أعلى إلى الأسرة الإدريسية. ولتيسير فهم حياته وحركته نرى ضرورة تقسيمها إلى فترتين :

مرحلة ما قبل الحماية وفترة بسط الاحتلال الإسباني :  
فبالنسبة لحياته خلال مغرب ما قبل الحماية يجب أن نثبت أولاً أنه قد ولد حوالي سنة 1284 / 1868 والتحق بالمدارس القرآنية والدينية. وقد حالت وفاة أبيه المبكرة دون متابعته لهذا النهج حيث فضل الفعل في الفضاء الاجتماعي الذي كان سائداً آنذاك.

ونظراً لتعاطف الإساءات التي كان سبباً فيها من قطع طريق وقتل وغير ذلك، تكاثرت الشكايات الواردة على السلطان بصده، فأمر عامله بطنجة عبد الرحمان بن عبد الصادق بالقبض عليه سواء باعتماد القوة أو الخيلة. وقد تمكن من تحقيق ذلك حيث نجد أحمد الريسوني يبعث إلى سجن الصويرة لقضاء زهاء ست سنوات، وبعد وفاة باحماد ونظراً لشفاعة الشرفاء الريسونيين المتكررة وكذا نائب السلطان بطنجة محمد الطريس، تم إطلاق سراحه سنة 1317 / 1900.



وبعد خلوده إلى الهدوء زهاء سنتين، رجع إلى نشاطه القديم، لكن بإتقان أكثر وجرأة أكبر هذه المرة. ويتضح ذلك

من طبيعة سلوكاته التي أحدثت إزعاجاً حقيقياً للمخزن للمنطقة خاصة وأن أحداثها كانت تدور بالقرب من مدينة طنجة التي كانت تشكل عاصمة دبلوماسية آنذاك. ونظراً للأبعاد التي اتخذتها أفعاله أرسل مولاي عبد العزيز حركة ضده سنة 1321 / 1903 لم تتمكن من القضاء عليه، بل استطاع الريسوني فرض ذهاب المحلة المخزنية بعد القبض على والترهايس مراسل جريدة التايمز الذي أراد أن يلعب دور الوسيط بين الطرفين.

وقد تمكن الريسوني من فرض نفسه عاملاً على بعض القبائل في منطقة جباله كنتيجة للشروط التي فرضها لإطلاق سراح رهينته الأمريكي إيفان بريديكاريس والانجليزي كارصويل فارلي سنة 1904. ورغم وظيفته المخزنية ولعدم انضباطه والضعفوات الأجنبية الناجمة عن ذلك، أرسل السلطان ضده محلة أخرى سنة 1325 / 1907 لم تتمكن من القضاء عليه، بل توصل مرة أخرى إلى اختطاف الوسيط الذي لم يكن سوى الشخصية الإنجليزية المشهورة آنذاك بالكلونيل ماكلين. وقد تزامن ذلك مع بيعة المولى عبد الحفيظ حيث انحاز الريسوني إلى هذا الأخير والذي عينه على العديد من القبائل الجبلية إضافة إلى مدينة أصيلة. ويمكن القول أن سلوكه قد تميز بالانضباط والشرعية خلال هذه المدة وإلى حين دخول قوات الحماية الإسبانية للمنطقة.

أما خلال فترة الحماية، فقد كان سلوكه المتقلب مثاراً لاختلاف العديد من الكتاب والمؤرخين في الحكم على طبيعة حركته. فقد استمر في مزاولته لوظيفته أثناء بسط قوات الحماية لسلطتها بشكل سلمي على مجموعة من المدن كالعرائش والقصر الكبير وأصيلة التي كانت تحت نفوذه إضافة إلى مدينة تطوان.

ونظراً لبعض الخلافات مع السلطة الإسبانية وخاصة سلفيستر الذي كان قائداً عاماً لقوات العرائش، التحق الريسوني بصف المقاومة الجبلية ليصبح زعيماً لها. وقد عرفت زعامته عدة صراعات مع بعض الزعامات المحلية الأخرى وبعض القبائل الجبلية. كذلك اختلفت طبيعة علاقاته مع الإسبان حيث تميزت بالتفاوض والسلم خلال بعض المراحل، كما عاشت على المناوشة والصراع خلال حقبة أخرى.

وإجمالاً يمكن القول إن أحمد الريسوني التحق بالمقاومة في أواسط سنة 1331 / 1913 ليستمر في مناوشة الإسبان إلى حدود سنة 1333 / 1915. ونظراً لظروف الحرب العالمية الأولى والحياد الإسباني المعلن، تم عقد هدنة مع الريسوني تمكن خلالها من تحقيق العديد من الامتيازات. وبعد نهاية الحرب، فضلت السلطات الإسبانية اختيار سياسة القوة التي أدت إلى إخضاع العديد من المناطق الجبلية بما فيها مركز تازروت التي كانت مقراً للشريف الريسوني. وخلال هذه الأثناء وقعت معركة أنوال التي فرضت على السلطات

الإسبانية مراجعة حساباتها. لذلك راهنت قوات الحماية من جديد على الهدنة في الناحية الغربية من منطقتها والتركيز على المنطقة الريفية. ونسجل أن الشريف الرسوني ابتداءً من سنة 1340 / 1922، لم يقم بأي سلوك حربي تجاه الإسبان.

وتدرجياً، نجد القبائل الجبلية تتحاز لحركة محمد بن عبد الكريم حيث فرضت على قوات الحماية أشد المعارك ضراوة خلال ما عرف بالانسحاب الجزئي الإسباني سنة 1924 أو انسحاب برمودي ريفيرا الذي كان حاكماً إسبانياً وعين نفسه "مقيماً عاماً" في نفس الوقت.

ونظراً للامتداد الذي عرفته حركة محمد بن عبد الكريم داخل منطقة جبال، فقد أصبحت حركة الرسوني شبه معزولة، الشيء الذي سهل القضاء عليها من طرف حركة محمد بن عبد الكريم عام 1343 / أوائل 1925، واثراً ذلك تم نقل أحمد الرسوني إلى مركز تامسنت بالمنطقة الريفية حيث توفي هناك في 9 رمضان عام 1343 / 3 أبريل 1925. أحمد مهدها

**الرسونوية (الزاوية)**، توجد الزاوية الرسونوية الأم بقرية تاغزوت بقبيلة بني عروس وقد تأسست في حدود سنة 1568/ 975 وليست كباقي الزاويا تابعة لطريقة صوفية معينة، وذلك لأنها أنشأت كرباط للجهاد ضد الغزو المسيحي لشمال المغرب.

وللزاوية الرسونوية فروع في عدة مدن مغربية، غير أن فرعها بتطوان له أهمية كبرى نظراً للدور الذي قام به في الميادين الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية منذ تأسيسه يوم 14 ذي القعدة 1208 (13 يونيو 1794) على يد القطب سيدي علي الرسوني.

يعرف فرع تطوان بزاوية سيدي علي ابن رسون وهي أشهر زوايا المدينة حيث اختارها قادة الحركة الوطنية في عهد الحماية كعقل يلجؤون إليه لعقد تجمعاتهم العلنية والسرية يتخذون خلالها قراراتهم الحاسمة ضد السياسة الاستعمارية لإدارة الحماية الإسبانية بشمال المغرب والفرنسية بجنوبه؛ وبالزاوية كانت تلقى الخطب السياسية وتعقد التجمعات الشعبية ومنها تنطلق المظاهرات الاحتجاجية خصوصاً بعد صدور الظهير البربري ليوم 16 ماي 1930، وكانت قراءة اللطيف ضد الظهير المذكور لأول مرة بالشمال بهذه الزاوية يوم فاتح غشت 1930 كما أن التجمع الشعبي الذي تقرر فيه تنظيم مظاهرة يوم 8 أبريل 1948 انعقد بها ومنها انطلق الجماهير احتجاجاً على منع زعيم حزب الإصلاح الوطني من الدخول إلى تطوان فكانت هذه المظاهرة بداية النهاية للاستعمار الإسباني بشمال المغرب.

م. ابن عزوز حكيم، وثائق تشهد، الجزء الثاني، الرباط، 1981،

ص. 89.

محمد ابن عزوز حكيم

**الريش**، مدينة صغيرة بإقليم الرشيدية ميزتها الأساسية التي يجدر التأكيد عليها منذ البداية هي تلك المفارقة بين الظروف القاسية التي تعيش وسطها والتي تحدد مواردها وأنشطتها من جهة، ومن جهة أخرى ديناميتها السكانية والعمرانية التي تتسارع منذ أكثر من عشرين سنة. وللبحث عن دواعي هذه الوثيرة يبدو أنه لا بد من اعتبار ذلك التفاعل الوثيق بين موقع مركز الريش الاستراتيجي وما خلفه من استقطاب وظيفي وسكاني.

إن ما يميز فعلاً توطين مركز الريش ليس هو موضعه على الضفة اليسرى لواد زيز الأعلى في بيئة جد شحيحة، فذاك شأن قرى ودواوير المنطقة التي تستقر كلها على ضفاف الأودية أو على مقربة من المنابع، نظراً لتقلص الحيز القابل للزراعة وجفاف المناخ السائد بالدرجة الأولى. بل ما يكسبه خصوصيته دون مماثليه من المراكز المجاورة، ويفسر حتى نشأته ونموه المطرد، هو ذلك الموقع الاستراتيجي على المستويين المحلي والإقليمي الذي يجعله يعتبر نقطة تقارب أودية حوض تجمع واد زيز ويتوسط مجموعة من الوحدات والاتحادات القبلية ويمثل ممراً شبه اضطراري نحو تافيلالت والأطلس المتوسط والسايس.

تقع مدينة الريش وسط بنية وتضاريس لها طابع خاص وفريد في آن واحد، إذ تتواتر المحداثيات الضيقة والمنكسرة أحياناً والتي تتكون من طبقة اللباس الكلسية السمكية مع المقعرات الواسعة ذات الكلس الجوراسي الأقل سمكاً والذي يعلو اللباس، وهذا التناوب الذي غالباً ما يأخذ اتجاه غرب الجنوب الغربي - شرق الشمال الشرقي قد أفرز مشهداً منضدباً واضح المعالم، حيث تتوالى الاضلاع المديدة وغير المتماثلة، التي يتراوح أوج ارتفاعها بين 1800 و2200 على العموم، والأحواض والسهول الفيضية الفسيحة والمكسوة بالرواسب والمنقولات الرباعية.

لا تنال من هذه البساطة والرتابة سوى تلك الحزات التي تكون تارة عبارة عن فجاج قصيرة تسمى الأفوام والتي تتخذ تارة أخرى شكل خوانق مستمرة وجد متعمقة. وهكذا فإن قم تيليشت الذي يوجد شمال الريش، على بعد ثمانية كيلو مترات يمكن من الاتصال بحوض ملوية (ميدلت) عبر فج آيت خرو ثم خانق تيزي نتلغمت؛ كما أن خوانق زيز المشهورة تبتدئ جنوب الريش بخانق زعبل وتنتهي بقم غيور (حيث بُني سد الحسن الداخل) لتفضي إلى الرشيدية ومنها إلى منطقة الواحات بتافيلالت، أما نحو الغرب فأول ممربوط سهل الريش بالمنطقة المجاورة فهو فج تاماگورت الذي يسمح بالوصول إلى عالية حوض غريس عبر فج إمطر. وأخيراً باتجاه الشرق حيث تتلاشى المرتفعات تدرجياً على نحو ظاهر، تفتح منطقة الريش على عالية حوض كبر عبر مركزي گورامة وبني تاجيت.

يستنتج مما سبق أن تطويق الريش بتضاريس وعرة لا يؤدي حتماً إلى انحصار طبيعي عسير الاختراق، ولا إلى



النهرية بفعل التعرية المائية قد ساهم في تقليص بعض أجزاء الأحزمة الزراعية خاصة بقري زاوية سيدي بوكيل وأيت سعيد والكرس وتادركولت ويوخلوف. وهناك عامل آخر زاد آثار الجفاف حدة، خصوصاً بعد قحط 1981، ويمثل من جهة في توسع الأراضي الزراعية الذي يستوجب ضخ المياه لريها ومن جهة أخرى في استعمال الفلاحين الميسورين للضخ بجانب الري التقليدي عبر السواقي؛ مما أثر سلباً على الفرشة المائية وأدى إلى نبض أو إضعاف صبيب بعض العيون، وخصوصاً في قري تيغرماتين وتاماكورت وتادركولت. كما أن حجم الحيازات الزراعية الخاصة، التي تعرف تفتتاً وتشتتاً باستمرار بسبب الإرث، لا تسمح باستغلال كفيل بسد حاجيات كل الفلاحين ولا تثبتهم في محاطاتهم. فضلاً عن ذلك فإن قانون الأراضي يخول للأوقاف والحبوس قسطاً وافراً من المساحة القابلة للزراعة، وهذا لا يحفز كثيراً تطوير وتكثيف الزراعة لا سيما وأن كراء الأراضي يكون في غالبية الأحيان من نصيب كبار الفلاحين. يتعلق الأمر بزوايتي سيدي حمزة (1634 هكتار) وسيدي بوكيل (1798 هكتار) اللتين تملكان أراضي بتاماكورت والثابية والزاوية وأيت سعيد وأيت العباس وتالغولت وأيت بني يحيى وإدالون. وإذا كانت هذه الأراضي تستغل مباشرة أو بواسطة إدارة الأملاك المخزنية، فإن أوقاف المسجد الموجودة بكل القرى المحيطة بالريش يستغل معظمها تحت إشراف نظارة الأوقاف التي تأجرها لخواص لمدة تتجدد كل ست سنوات.

استفادت الأسر المزارعة منذ أواسط السبعينات من الموارد الخارجية غير الفلاحية، نتيجة رحيل بعض الأبناء للعمل في بلدان أوربياً الغربية والهجرة الداخلية للبعض الآخر؛ وكان من شأن ذلك أولاً تطوير الزراعة بتحديثها وتنويعها باليستنة والزراعة العلفية خصوصاً، وثانياً تحسين مستوى عيش تلك الأسر وحث بعضها إلى التوجه إلى مركز الريش. وتجدر الإشارة إلى أن أسر العمال المهاجرين كانت هي السبابة إلى توظيف إيرادها في بناء المنازل بالمجال القابل للتعمير في المدينة.

جلب الريش للعمال المياومين بفعل انتشار أورش البناء في بداية الثمانينيات، الذي أذكاه جفاف 1981، حتى إن أفواجاً كاملة من الأسر المتضررة بالوسط الريفي اضطرت للرحيل إلى مركز الريش. ولما كان قطاع البناء عاجزاً على استيعاب كل الرافدين ظهرت جحافل من العاطلين يشتغلون بقطاع الخدمات غير المشكل ولا سيما في سياقة العربات اليدوية لنقل البضائع داخل المدينة.

يتضح إجمالاً أن السيورة الاقتصادية والديمقراطية والتعميرية للريش تتوقف على محيطها الريفي الذي تتلاحم وتتفاعل وإياه، إلى حد أنها تشكل معه كياناً نسقياً متلازماً تلازماً عضوياً. وأكثر من ذلك فإن صيرورتها رهينة بمدى وقع التحولات التي تشهدها هذه

المنطقة التي أفرزت المدينة وظلت تغذيها بالبضائع وتزودها بالناس، كما خلقت ظروفها جديدة أخذت تتحكم أكثر فأكثر في مختلف أوضاع المدينة وتجعلها تعيش على موارد خارجية بالدرجة الأولى.

لكن سرعان ما انعكس احتداد ظاهرة النزوح إلى الريش على التوسع العمراني، وفي غياب وثائق التعمير حتى وقت قريب صار الموضوع غير ملائم للامتداد، نظراً لمحاصرة المدينة غرباً وجنوباً بواد زيز، حيث ظلت الضفة اليمنى فارغة وموصولة بقنطرة وطريق واحدة، ونظراً كذلك لإحاطتها شمالاً وشرقاً بالشريط الزراعي الذي يزحف عليه السكن الأفقي من كل جانب. فظهر خلل بين توسع المدينة والتهنية التي تشرف عليها البلدية وكذلك عدم توازن بين العرض وضغط الطلب على الأرض للبناء، ووقع تنافس بين ملاكي الضيعات والمضارين والعمال بالخارج والوافدين الجدد. وكان من الطبيعي أن تصبح المضاربة العقارية في أشد نشاطها، وأن ترفع أثمان الأرض واستتجار المنازل والمحلات الوظيفية ويسود في نفس الوقت البناء العشوائي في الهوامش. أما تصميم التهنية الذي أنجز سنة 1986 فقد جاء متأخراً لاستدراك الوضع التعميري المتفاقم وإعادة هيكلة المدينة، كما أصبح الآن متجاوزاً وصار من الضروري تحيينه.

زيارة ميدانية خاصة لمدينة ومنطقة الريش: الإحصاءات العامة للسكان والسكنى 1960، 1971، 1982، 1994، مديرية الإحصاء؛ المرائط الطبوغرافية والعمامة، مديرية المحافظة العقارية والمخازنية؛ تصميم التهنية لمدينة الريش، 1986، مديرية إعداد التراب الوطني.

لحسن أيت الفقيه ومصطفى عباد

**الريش، محمد بن محمد بن عمر الرباطي،** من خيرة المسمعين والمادحين الذين أُنحيتهم الزاوية الحراقية بالرباط تتلمذ على صهره عميد هذه الزاوية على عهده الفنان المقتدر عبد السلام أگديرة، وأدرك المجالس الفنية التي كان يعقدها بالزاوية الشيخ سيدي أحمد بتعاشر الحداد وأنشد بحضرتة.

وإلى ذلك فقد برع في الموسيقى الأندلسية، فكان يتقن العزف على الكمان، ويتصرف في الطوبوع ويتقن الانتقال بينها، وبذلك شهد له شيخه عند ما قال: إذا أردت إتقان الإنفاق والمستعملات فعليك بسيدي محمد الرباطي.

وقد توفي بالرباط عام 1392 / 1972.

ع. اللطيف بنصور، مجموع ازجال وتواشيع وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية المعروفة بالمهايك، إعداد وتنسيق وترتيب وتبع، 1977، ص. 456، 457.

عبد العزيز بن عبد الجليل

إفريقيا، الرباط، 1980؛ الحميري، الروض العطار، بيروت، 1957  
: مجهول، كتاب الاستبصار، الاسكندرية، 1958 : مارمول  
كريخال، إفريقيا، الرباط، 1984.

Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Casablanca,  
Paris, 1967.

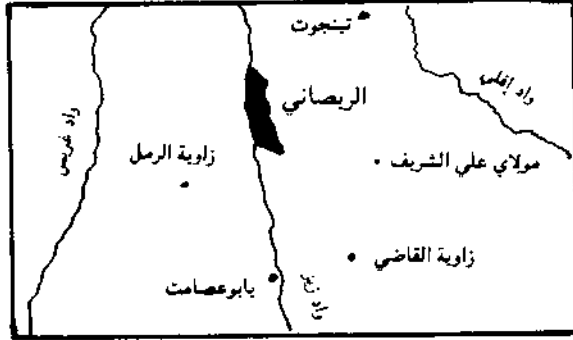
محمد حجاج الطويل

**الريصاني**، مدينة عتيقة بتايفيلات تشترك من حيث موقعها مع الموقع الأثري لسجلماسة. وتعتبر مهد الدولة العلوية، إذ يوجد بها ضريح الجد المؤسس مولاي علي الشريف. كما تضم العديد من المآثر العمرانية، نذكر منها على سبيل المثال قصر عرب الصباح، ويبدو أنهم على صلة بحاملي الاسم بالشرق الأوسط، قصر أولاد عبد الحليم، قصر الفضي، قصر الشرفاء، قصر سيدي بوزكري.

أحدثت جماعة الريصاني سنة 1992 على مساحة 740 هكتار. يبلغ تعداد سكانها 18.450 نسمة، تتوزع على 2.800 أسرة، من مختلف القبائل الموجودة هناك وهي أساسا الشرفاء وأيت عطا والأدارة والأحرار والعييد.

معدل التساقط المطري لا يتجاوز 30 ملم، في حين يصل معدل الحرارة القصوى لشهر يوليو إلى 41.5 درجة ومعدل الحرارة الدنيا لشهر يناير إلى 7.7 درجة.

تعتمد الجماعة في اقتصادها على الفلاحة والصناعة التقليدية والتجارة والسياحة، وهي تضم سوقا أسبوعيا وفندقين غير مصنفين.



يتوفر القطاع النظامي للتعليم على خمس مدارس يرتادها 4.167 تلميذاً، وإعدادية واحدة تسع 2.008 من التلاميذ، وثانوية واحدة وبها 1.182 تلميذاً. لا يوجد بالجماعة في الوضع الراهن أي مركز للتكوين المهني.

أما القطاع الصحي العمومي فيقدم خدماته من خلال مركز صحي واحد يضم ثلاثة أطباء وخمسة عشر ممرضا، مدعوم بسيارة للإسعاف تابعة للبلدية. كما تعتمد البلدية من أجل الخدمة العامة على ثلاثة أطر عليا و18 إطار متوسط ومجموعة من الأعوان قوامها 23 نفرا.

**ريش النعام**، يكاد يتفرد بالإشارة إليه في العصر الوسيط صاحب المقصد الشريف (ص 86) فقد أشار إلى وجوده في شمال المغرب مستعملا كمراوح لطرد الذباب ؛ ولكن الحديث عن ريش النعام كمادة تجارية يصدرها المغرب إلى أوروبا لم يبدأ إلا في العهد العلوي (Histoire, p. 248) وقبله بقليل (Histoire, p. 233) واستمر كمادة تجارية مطلوبة في أوروبا إلى بداية القرن العشرين وبذلك نتساءل هل بدأ استهلاك الأوروبيين لريش النعام منذ الفترة المشار إليها أم أن الريش المصدر عن طريق المغرب كان أجود وأرخص ؟

لاشك أن دخول ريش النعام في التزيين والأفرشة والمباهاة في المجتمع البرجوازي والإقطاعي الأوربي قد انطلق مع عصر النهضة، أما تصدير المغرب لهذه المادة فقد جاء متأخراً أي أن الوقت الذي كان المغرب يعجب بهذا الطائر العملاق لدرجة أن كثيراً من الرحالة أعجبوا بكثرته خلال العصر الوسيط وحتى بداية التاريخ الحديث لم يكن الطلب على ريشه موجوداً، بل لم يكن أحد يعيره اهتماماً فالرحالة الشريف الإدريسي لم يشر إلى ريش النعام مع أنه فصل الحديث عنه وعن منافعه : "... أنقال ويقال لها دار المرابطين أيضاً... قبالتها فحص طويل قد انحشرت إليه طيور النعام فهي في أكتافه سارحة وعلى مراقبه دراجة وهي آلاف لا تحمد ولا تعد، وأهل تلك النواحي يصيدونها طرداً بالخيال فيقبضون منها جملاً كبيراً وصغاراً، وأما بيضها فكثير يتجهز منه إلى كل البلاد... طعامها وخيم يفسد المعدة، وأما لحومها فلهوم باردة يابسة، وشحومها نافعة عندهم من الصمم تقطيراً ومن سائر الأوجاع البدنية" (نزهة 3 : 237 و 238). وصف الإدريسي يتعلق بوسط تامسنا ما بين قريتي أنقال ومكول (منطقة المذاكرة الحالية).

أما الحسن الوزان الذي جاء بعد الإدريسي بحوالي أربعة قرون فقد ذكر وجود النعام في المناطق الصحراوية والشبه الصحراوية في المغرب أشار إليه في تلبلت وفي درعة حيث تتم تربيته وأكل لحومه لكنه لم يذكر ريشه، وقد ركز في نهاية كتابه على المواد المصدرة من المغرب إلى أوروبا وبلاد السودان وقارن أسعار كثير من المواد المتبادلة بين هذه المناطق، لكنه لم يذكر ريش النعام مما يؤكد ما ذهبنا إليه من أن ريش النعام لم تزدهر تجارته والطلب عليه إلا بعد انسحاب النعام إلى المناطق الصحراوية والمتاخمة لها (وصف إفريقيا، 2 : 120، 129، 132، 163، 259، 284).

تبقى الإشارة اليتيمة إلى ريش النعام في المقصد الشريف كدلالة واضحة على تأثر المناطق الشمالية للمغرب بالأندلس أكثر وقبل غيرها وأن استعمال ريش النعام في التزيين كان قد بدأ في الأندلس قبل أن ينتقل إلى أوروبا إبان الحروب الصليبية الغربية.

البادسي، المقصد الشريف، الرباط، 1982 : ش. الإدريسي، نزهة الشائق، الطبعة الإيطالية، نابولي، د. ت : ح. الوزان، وصف

توجد بالجماعة شبكة لتوزيع الماء الشروب، يسيرها المكتب الوطني للماء الصالح للشرب لفائدة 3.100 مستفيد. كما يقوم المكتب الوطني للكهرباء بتوزيع الكهرباء على 4.431 مشترك. وكالة بريدية واحدة تقوم بخدمات الاتصال، أما الخط الأوتوماتيكي للهاتف الثابت فيتصرف في طاقة بحدود 1.700 مشترك.

موجى حدوش

**الريف** أو الأرياف المغربية، يطلق مفهوم الريف على كل المجالات التي تخرج عن نطاق الدوائر الحضرية. والمجال الريفي عادة ما يعرف سلبيا بكل ما هو غير حضري، وتتميز الأرياف المغربية بوزنها السكاني حيث تضم قرابة نصف سكان المملكة (47,4٪) ووزنه الاقتصادي والثقافي حيث تظل الفلاحة إحدى دعائم الاقتصاد الوطني. وقد شهدت الأرياف المغربية خلال العقود الأخيرة تطورات شديدة الارتفاع كان من ورائها انفتاح هذه المجالات على اقتصاد السوق واحتكاكها بالعالم الخارجي مما زج بها ضمن المجالات الهامشية رغم بعض مظاهر التنمية الإيجابية.

الأرياف وتباين الأنظمة الإيكولوجية. تبلغ المساحة الفلاحية الإجمالية بالمغرب قرابة 8.732.223 هكتار أي ما يناسب قرابة 12٪ من المساحة العامة للبلاد، وهذا الرقم وحده كاف لإبراز أهمية الحدود التي تفرضها الظروف الإيكولوجية والبشرية أمام التنمية الاقتصادية والاجتماعية. فالامتداد الإقليمي للبلاد بين خطي عرض 21 و36 درجة شمالا، وانفتاحه في الشمال والغرب على واجهتين بحريتين وفي الجنوب والجنوب الشرقي على مجالات صحراوية وعدم رتابة الأشكال الطبوغرافية أدى إلى تنوع إقليمي واضح بين الأرياف الساحلية والأقاليم الداخلية وبين المجالات الجبلية المرتفعة والسطوح المنبسطة السهلية والهضبية.

المجالات الجبلية المرتفعة : تتكون المجالات المرتفعة بالمغرب من الأطلس الكبير والمتوسط والصغير ومن جبال الريف. قمم عالية تصل في الأطلس الكبير إلى 4165 م، وانحدارات قوية خصوصا في الريف وأودية تتحول إلى خواتم كما هو الشأن في الأطلس الكبير الأوسط، ومجالات هضبية عليا أساسا في الأطلس المتوسط الغربي. تتصل السلاسل الجبلية بحيطها السهلي أو الهضابي بواسطة مناطق غنية بآثارها ومياهها وحياتها البشرية، غالبا ما يطلق عليها نعت "الدبر".

يزيد من تنوع المجالات الجبلية الاتجاه العام الذي تتخذه هذه السلاسل حيث تكون قوسا ذا اتجاه غرب / شرق على الشاطئ المتوسطي بينما تكون الأطلس كتلة ذات اتجاه عام شمالي شرقي جنوبي غربي تاركة بينها وبين البحر سهولا وهضابا واسعة مما يؤثر على توزيع العناصر المناخية

حيث يمنع من تسرب المؤثرات البحرية نحو الداخل وبقي من تسرب الرياح الصحراوية الجافة نحو الشمال.

تتلقى المجالات الجبلية عموما أزيد من 600 ملم من الأمطار سنويا وتعتبر بذلك المزود الأساسي لسائر البلاد بالأتربة وبالمياه، فمنها تنبع كل الأنهار المغربية سواء منها التي تصب في البحر المتوسط أو التي تنتهي إلى المحيط الأطلسي أو التي تصرف داخليا. وبناء عليه فهي تضم أهم التشكيلات الغابوية في البلاد.

هذه الظروف فرضت ومنذ القدم تكيف الإنسان مع الطبيعة الجبلية الهشة وخلق عادات وتقاليد في تدبيرها، سواء تعلق الأمر بحماية الغطاء النباتي أو تدبير الموارد المائية والترابية.

المجالات السهلية والهضبية : تمتد المجالات الواطئة في المغرب على الجزء الساحلي الشمالي الغربي : سهل سائس، الغرب، الشاوية ودكالة وعبدة ثم سهول داخلية تتكون أساسا من سهول الحوز وسهل السراغنة وتادلة وسهل البحيرة، أما نحو الجنوب فيمتد سهلاً سوس وتزنيت. أما شمال شرق المغرب فيشغله سهل ملوية والهضاب العليا.

هذا التوازن الإيكولوجي الهش كان السكان يتعاملون معه بلطف، حيث استطاعوا استثماره ولقرون بدون مشاكل كثيرة : فمن جهة لم يكن الضغط الديموغرافي كما هو عليه الآن. ومن جهة ثانية كان الاستغلال المجالي يتحاشى التركيز المجالي. فكان السكان يمارسون أسلوب الترحال أو شبه الترحال فوق جل المجالات مما يسمح باستعادة التوازن دوريا.

الأرياف المغربية والتطورات الحديثة. بعد انفتاح المغرب، وأساساً منذ نهاية القرن الماضي تطافت عوامل متعددة لتخل بذلك التوازن الهش القائم بين الإنسان والطبيعة :

أدى التحسن النسبي في ظروف عيش السكان إلى انفجار ديموغرافي حيث انتقل عدد سكان المغرب، وفي قرابة قرن من الزمن، من حوالي خمسة ملايين نسمة إلى ما يقارب 28 مليون نسمة. ويمثل الريفيون من هذه الكتلة قرابة 48٪، حيث يزداد عددهم سنة بعد سنة، وبشكل مطرد رغم تناقص نسبتهم ضمن مجموع سكان البلاد.

السنة	1900	1914	1926	1936	1952
نسبة	93 - 92	90.7	87.8	85	78.8
السنة	1960	1971	1982	1994	
نسبة	74.8	65	57.3	48.6	

المصدر : RGPH et R. Escalier 1981

فترة	70-61	60-51	50-1929
عدد	5	4	7
نسبة	8.3	6.6	11.6
المجموع			
فترة	60-91	90-81	80-71
عدد	17	19	8
نسبة	28.3	33.3	13.3

المصدر: الأطلس الفلاحي 2000

لقد تطلب تدبير المجالات المسقية الحديثة إحداهت بنيات إدارية ثقيلة أهمها المكتب الوطني للري ومن بعده المكاتب الجهوية للاستثمار الفلاحي بينما أهدت المديريات الاقليمية للفلاحة في المجالات التي تغطي فيها الأراضي البورية، وهكذا تكرست من جديد صورة "المغرب النافع" الشمالي الغربي و"المغرب غير النافع" والمتكون من باقية التراب الوطني.

هذا اللاتوازن الإقليمي فرض إعادة النظر في السياسة الريفية للبلاد ونهج سياسة جديدة مع بداية السبعينيات أهم معالمها:

- محاولة تنظيم النسل للتقليل من الضغط الديموغرافي؛

- محاولة الحد من الهجرة الريفية نحو المدن الكبرى بنهج سياسة اللامركزية وتشجيع بروز المراكز المتوسطة والصغرى؛

- التحكيم إلى السياسة الجهوية قصد إعادة التوازن الإقليمي؛

- التحكيم إلى إعادة التقطيع الإداري مرات ومرات لخلق أقطاب التنمية والتحكم في المجالات الريفية؛

- إعادة النظر في السياسة الفلاحية القائمة أساسا على المنشآت الهيدروفلاحية الكبرى، حيث بدأ الاهتمام بالمجالات البورية وبالمجالات السقوية المتوسطة والصغرى.

كما أن تفاقم مشاكل البيئة بازدياد توحد السدود وفقدان الأتربة الصالحة للزراعة وتراجع المساحات المكسوة بالغابة وتلوث المياه وزيادة ندرتها، أدى إلى ظهور اهتمام كبير بالمجالات الجبلية.

إن تواتر سنوات الجفاف خصوصا خلال العقود الأخيرة وتنامي مشاكل الأرياف وتبعاتها على المجالات الأخرى فرض التفكير في برامج أحيانا استعجالية لإنقاذ الأرياف أو العالم القروي، وهكذا شهدنا ظهور برامج مثل:

- برنامج كهربية العالم القروي، حيث ينتظر إيصال الكهرباء إلى جميع القرى في حدود عام 2010؛

- برنامج تزويد العالم القروي بالماء الشروب؛

- برنامج فك العزلة عن العالم القروي وذلك بشق المسالك وإيصال شبكة الهواتف إلى المناطق النائية ونشر التمدرس؛

أدى الاستعمار وما صاحبه من استيلاء المعمرين على ما يتجاوز مليون هكتار من الأراضي الزراعية (272 ألف هكتار عن طريق الاستعمار الرسمي و830 ألف هكتار عن طريق الاستعمار الخاص) خصوصا داخل السهول الخصبة كسايس والغرب والشاوية وتريفة وسوس إلى تثبيت السكان وضبط مجال تحركاتهم واحتماء حشد كبير منهم بالمجالات الجبلية، كما أدى إلى تكسير ذلك التكامل التقليدي القائم على الانتجاع بين الأراضي المرتفعة والأراضي الوطيفة، والمبني على إراحة الأرض موسميا كل سنة. إن استيلاء المعمرين على الأراضي الجيدة أدى إلى استقرار السكان وبكثافات عالية فوق الأراضي الهشة وتركز الأرض بين أيدي الملاكين الكبار وظهور قلة من الفلاحين بدون أرض وعمال.

فئة المساحة	عدد الاستغلاليات	%	المساحة	%
أقل من 3 هك	762033	53.23	1075089	12.31
3 إلى 20	610604	42.65	4786282	54.81
20 إلى 50	47985	3.35	1526289	17.48
50 فما فوق	11011	0.77	1344554	15.40
المجموع	1431633	100	8732223	100

المصدر: الإحصاء الفلاحي 1996/الأطلس الفلاحي 2000

تنامي ظاهرة الهجرة نحو المدن وتكوين أحزمة الفقر حولها، حيث تكدس السكان داخل مدن الصفيح وعززوا داخلها صفوف البرولتريا والفقراء.

لقد دشنت مرحلة الاستعمار فترة التدخل الرسمي لتنهى وتجهيز الدوائر المسقية الأولى والتي ستكون نواة الفلاحة العصرية المغربية، حيث ظهرت أولى السدود الكبرى على وادي أم الربيع ووادي بهت.

بعد الاستقلال، كان على المغرب أن يقوم بتدبير التركة الثقيلة التي خلفها المعمر. فكان عليه أن يسترجع الأراضي المستعمرة وأن يقوم بتوزيعها وتأسيس تعاونيات الإصلاح الزراعي وشركات فلاحية عسومية مثل الصوديا والصوجيتا... كما كان عليه أن يتدبر أمر التجهيزات الهيدروفلاحية الكبرى.

هكذا، وسعيا وراء توسيع المجالات الفلاحية العصرية من أجل تحقيق الأمن الغذائي وتشجيع الصادرات وتوفير الطاقة للمدن وللصناعات الناشئة وإيجاد فرص العمل داخل الأرياف، تمت متابعة إقامة التجهيزات الهيدروفلاحية الكبرى حيث تتوفر المؤهلات الإيكولوجية حيث تم تشييد أزيد من 53 سدا ما بين 1951 و2001.



**الريف الطبيعي**، الريف سلسلة جبلية في شمال المغرب تظهر على شكل قوس. يحده من الشمال بحر البران ما بين طنجة غرباً ومصب ملوية شرقاً. يتميز عن السلسلات الأطلسية المغربية بموقعه المحاذي للساحل المتوسطي وانتمائه إلى المجموعة الألبية، ويتضارسه شديدة التجزء، وبمناخه ذي المفارقات، وبفلورته وفوقته الغنيتين وبشكيلاته النباتية شديدة التنوع.

1 - الجيومورفولوجية والنيوية والهيدرولوجية : الريف قوس محدب في اتجاه الجنوب الغربي، مواز للساحل المتوسطي. يبلغ طوله 360 كلم وعرضه 80 كلم في جزئه الأوسط. ينفرد الريف بتعدد قممه ووديانه ولا سيما في جزئه الأوسط حيث يصادف تدغين أعلى جبال السلسلة إذ يبلغ ارتفاعه فوق سطح البحر 2452 م. ومن أهم الجبال نذكر من الغرب إلى الشرق جبل كلتي (1927 م) والجبل الأقرع أو الأشهب (2170 م) وجبل تيزيرين (2101 م) وجبل الحمان (1957 م) وجبل أزرو أقشار (2010 م) وتعتبر هذه القمم الأوسطية الفاصل الطبيعي ما بين حوضين رئيسيين، حوض متوسطي شديد الانحدار، والآخر أطلنطي ضعيف الانحدار بالمقاومة مع الأول إذ ينتهي تدريجياً في منخفض الهبط وسهول الغرب وسائس وممر تازة وسهول وادي ملوية السفلي.

التضاريس جد وعرة وذات منحدرات طويلة وشديدة الانحدار. الوديان والأنهار جد مقعرة وسيلية الجريان، ولا سيما المتوسطية منها التي حفرتها مجاري جد عميقة، نظراً لشدة الانحدار.

ومن أهم الأنهار النابعة بالريف نذكر تلك التي تصب في المتوسط مثل وادي مسون أكبر روافد ملوية، ووادي التكور الذي ينتهي في خليج الحسمة ووادي الأحد ووادي لار والوادي الكبير أو الوادي المحنش التي تصب ما بين الجبهة وتطوان. أما تلك التي تصب في المحيط فأكبرها وادي اللوكس الذي ينتهي بمدينة العرائش ووادي ورغة الذي يعتبر أخطر روافد سبو من حيث صيبه الهام وجريانه الجارف إبان الأمطار الغزيرة.

يقسم الريف من حيث النيوية إلى ثلاث مجالات، وهي ابتداء من الشمال في اتجاه الجنوب :  
- المجال الشمالي الذي يشمل :

منطقة الدهر القديم الممتدة من الجبهة شرقاً إلى سبتة غرباً والمكونة من عدة صخور مثل الكنيس والميكاشيست

- برنامج التضامن مع العالم القروي من أجل التغلب على آثار الجفاف وذلك بإعفاء الفلاحين من الضرائب ابتداء من بداية الثمانينيات إلى غاية 2000 ثم 2010، وتقديم الأعلاف للماشية وإيجاد مناصب شغل للحد من تدفق القرويين نحو المدن ومحاربة انجراف التربة وتدهور الغابة والبحث عن الماء الشروب.

لقد اتسمت تدخلات الدولة في ميدان تهيئة الأرياف وعلى مر العصور بنوع من الانتقائية وعدم الشمولية مما أدى إلى خلق تفاوتات في التطور حيث تطورت المجالات المسقية على حساب المجالات البورية والمجالات السهلية على حساب المرتفعات الجبلية، كما تم إيلاء أولوية لمنتجات التصدير وأهملت المنتجات الرئيسية في الاستهلاك المحلي. كما أن الغايات الاقتصادية أنست المتدخلين الجوانب الاجتماعية مما أدى إلى تنامي مظاهر الفقر كالأمية والعزلة والبطالة... فأصبح الريف بعدما كان يغدي المدينة بحاجياتها مصدراً من مصادر مشاكلها المتعددة.

خاتمة : إن كل القرائن تدل على أن المجالات الريفية المغربية تتقلص سواء من حيث حجمها أو من حيث وزنها الديموغرافي بل وحتى الاقتصادي. فإن كان هذا يدل على وجود مؤشرات للتطور الإيجابي فإنه يجب أن لا يخفي حدود هذه التطورات.

فتناقص نسبة سكان الأرياف لم يُوازهِ تناقص في الضغط على الأراضي الفلاحية ولا تنامي استعمال الآلات الفلاحية (17.31٪) من الفلاحين يستعملون الآلة الحاصدة و16.1٪ يقتنون البذور المنتقاة... ؛ كما أن الفائض من السكان ينجرّف نحو المدن ليعمق مشاكلها مما يجعل هذه الأخيرة تتوسع وتتضخم لتبتلع لتصبح منافس الفلاحة على مستوى الأرض والماء واليد العاملة.

إن التدخلات التي عرفها المجال الريفي أدت إلى ظهور مجالات تعتمد على الري العصري كالرش والتقطير والضخ الآلي، كما أدت إلى انتشار منتجات فلاحية تسويقية كالموز، وإلى تطور صناعات فلاحية كصناعة السكر والقطن وصناعة التعليب والتبريد.

إن التدخلات المختلفة وعلى مر السنين أدت إلى تحسن في مستوى عيش السكان، وينعكس ذلك على مستوى الخدمات الصحية والتعليلية كما انعكس على مورفولوجية السكن الريفي وتجهيزاته وعلى مستوى تنوع أنشطة السكان لكن هذه التجديدات يجب أن لا تخفي استمرار معالم الفقر والتهميش. فهذه التحولات زادت من تعميق أزمة المجالات الهامشية كالجبال والواحات والمجالات البورية الجافة.

Bencherifa Abdellatif, *Le monde rural marocain : diversité spatiale et culturelle*. In G.E.M. Vol. *Géographie humaine*. Dirigé par T. Agoumy et A. Bencherifa. Rabat, 1989 ; Escalier Robert, *Citadins et espace urbain au Maroc*, 2 t., Tours, 1981 ; D. Noin, *La population rurale du Maroc*, 2 T., Paris, 1970 ; Royaume du Maroc,

والحث والكوارتزيت والمارن الحثي. تتشكل تضاريس المنطقة من هضاب وجبال ضعيفة الارتفاع.

السلاسل الكلسية الشامخة والسائدة بارتفاعاتها ولونها الأشهب الموجودة في الجزء الغربي من الريف ما بين أسيفان شرق شفشاون من جهة، وجبل موسى المطل على مضيق جبل طارق غربا.

المنطقة الوسطى المكونة من صخور شيسيتية وكلسية ومارنية، وهي تغطي هضابا وجبالا ضعيفة الارتفاع. المنطقة الجنوبية أو ما يعرف بمقدمة الريف الممتدة من المحيط إلى تازة والمتميزة بهضابها المارنية التي تشتد فيها ظاهرة التعرية نظراً لانهدام الغطاء النباتي الغابوي بسبب اجتثاثه بغية استعمال الأراضي للزراعة، وخاصة زراعة الحبوب.

المجال الداخلي الذي يضم الطيات الزاحفة الريفية : وهي طية بني بدر الممتدة ما بين شفشاون والقصر الصغير المشكلة من عدة أنواع من الصخور أهمها حثيت المارن والحث ؛ وطية جبل الشوآمات وملوسة الموجودة شرق طنجة والمكونة من حثيت المارن والشيسيت أو الحث ؛ وطية تيزيرين الشامخة والمشكلة من حثيت الشيسيت والحث الممتدة ما بين أسيفان غربا وجنوب الحسيمة شرقا، والطيات التوميديية المتميزة بتضاريسها الجبلية العالية الملوثة أساسا من حثيت حثي والسائدة جنوب السلسلة الكلسية ومن أشهر قمم هذه الأخيرة جبل الحزانة، وجبل السنة وجبل أبو هاشم وجبل العلم موقع ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش العلمي، وجبل الحبيب شرق العرائش والجبل الكبير غرب طنجة وجبل زمزم ما بين تطوان وسبتة، وجبل أوثكا غرب تاونات، وجبل الناصور وجبل بركان في الجزء الشرقي من الريف.

2. المناخ والبيومناخات : يتميز الريف عن السلاسل الأطلسية أيضاً بمناخه المتوسطي الخاص. ومن أهم هذه المميزات :

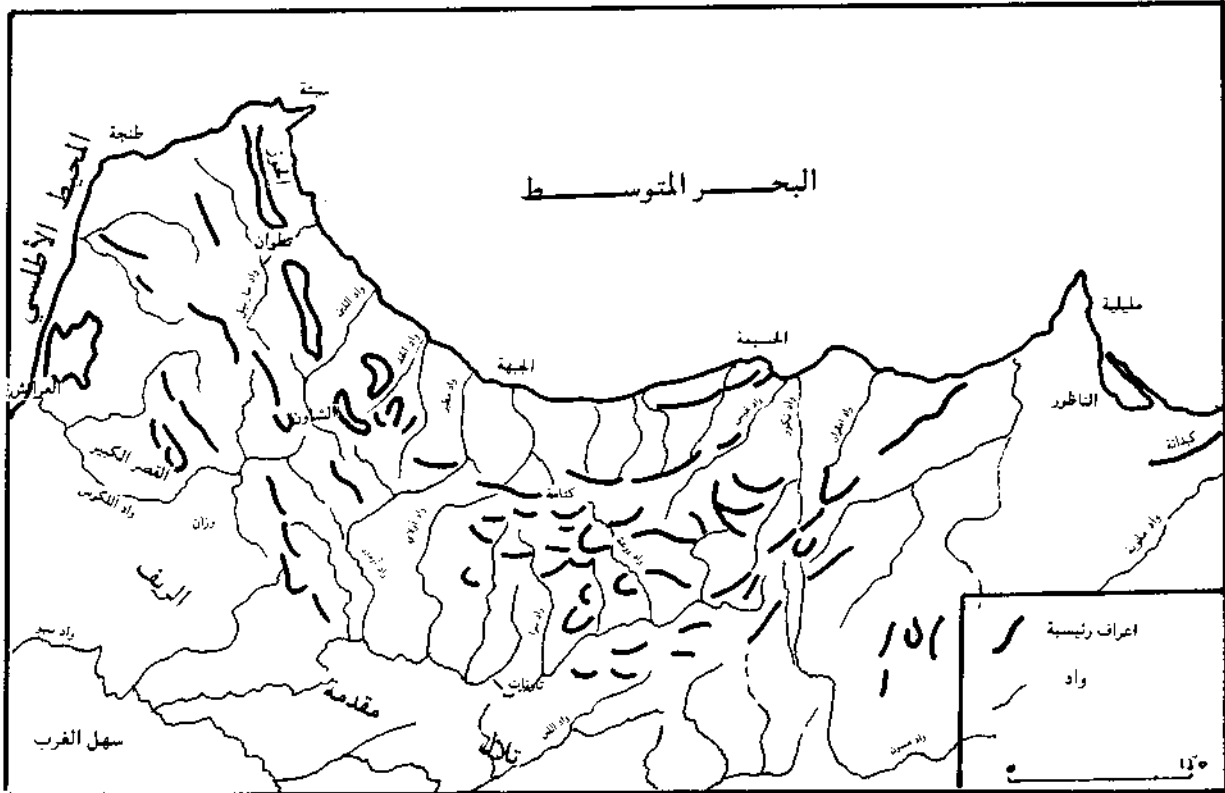
المجال الخارجي المكون أساساً من صخور مارنية وشيسيتية الذي يشمل :

- تلطيف المناخ بفضل تأثيرات المحيط وذلك بتقليل الفوارق الحرارية، إذ أن شتاء الريف يكون أقل برودة من شتاء الأطلس المتوسط، وصيف الريف أقل حرارة من صيف الأطلس المتوسط.

المنطقة الريفية الداخلية التي تضم غربا وحدة طنجة ذات الصخرية المارنية والشيسيتية ووحدة كتامه ذات

- وفرة التساقطات المطرية بالمقارنة مع الأطلس.  
- المفارقة البيئية بين الريف الأطلنطي المطار في الواجهة الغربية والغربية الجنوبية من جهة، والريف المتوسطي الجاف نسبيا في الواجهة الشمالية الشرقية من جهة أخرى.

فمن حيث الحرارة يعرف الساحلان تلطيفا محسوسا للدرجات القصوى والدنيا، غير أن الساحل الأطلنطي يكون في الشتاء أقل حرارة من الساحل المتوسطي نظراً لوجود



تضاريس جبال الريف

التيارات البحرية الكاناري الصادر من الشمال في اتجاه الجنوب مروراً في عرض المحيط بالقرب من الساحل. وهكذا يلاحظ أن معدلات درجات الحرارة القصوى لأحر شهر في السنة تسجل مرتفعة في مقدمة الريف بسبب هبوب رياح الشرقي حيث تسجل 37.6 في قرية أبا محمد و39.6 بتيسا في حين لا تتجاوز على الساحل المتوسطي 30.2 ببني حذيفة، و29.2 بملوسة. لكن أقلها ارتفاعاً هي التي يعرفها الساحل الأطلنطي حيث يسجل 27.2 بالعرائش و25.7 بطنجة. أما المناطق الجبلية فهي بالطبع أقل حرارة بالمقارنة مع محطات المناطق المنخفضة. فمعدل الحرارة القصوى لأحر شهر لا يتعدى 27.9 بكتامة و28.5 بباب برّد. أكثر الشهور حرارة هو في الغالب شهر غشت. أما في ما يخص معدلات درجات الحرارة الدنيا لأبرد شهر في السنة فإنها تُظهر أن سلسلة الريف دافئة نسبياً. ففي كتامة التي هي أعلى محطة، يلاحظ أن المعدل يساوي 9° في شهر يناير. وهو أدنى معدل سجل لحد الآن. غير أن القمم العالية مثل جبل تدغين وجبل الأقرع وجبل تيزيرين وغيرها فمن المفروض أن تكون أكثر برودة من كتامة. تسجل المعدلات المتراوحة بين 9° و3° في المناطق القارية الموجودة على ارتفاع يتراوح ما بين 900 و1500 م، ولا سيما في الجزيرتين الشرقي والجنوبي من السلسلة. في حين تظهر المناطق المنخفضة معدلات تتراوح ما بين 3° و7°. أكثر المحطات دفناً في فصل الشتاء هي تلك التي تصادف على الساحل المتوسطي حيث يسجل 10° بالجهة و9.9° بالحسيمة في حين لا يتعدى هذا المعدل 7.5 بأصيلة.

من حيث المعدلات السنوية للتساقطات فإنها تظهر على العموم أن الريف أكثر رطوبة من سلاسل الأطلس. وكما أشرنا له سابقاً فإن الواجهة الأطلنطية أكثر غزارة، بينما تُظهر الواجهة المتوسطية تساقطات ضعيفة في معدلاتها. يسجل أقصى المعدلات السنوية للتساقطات المطرية في القمم المصادفة في الجزء الغربي. وهكذا تبين محطة أبو هاشم الموجودة على ارتفاع 1094 م، ما مقداره 2168 مم. وهو أعلى معدل في المغرب. وتأتي بعده محطات جبل أوتوكّا بمقدار 1758 مم وكتامة بمقدار 1616 مم. ومن البديهي أن تسجل الأرقام القياسية في قمم الجبال لهذه المحطات. أما في ما يخص المرتفعات المتوسطية والهضاب فإن المعدلات تبقى مهمة. ففي شبه جزيرة طنجة تكون المعدلات السنوية أكثر من 700 مم. يسقط 930 مم بملوسة و874 مم بوزان و1123 مم بزومي. لكن هذه الأرقام تنخفض في اتجاه الشرق حيث يسجل 572 مم بقرية أبا محمد و551 مم بتيسا. يشتد الانخفاض على الساحل المتوسطي من الغرب إلى الشرق، 602 مم بمارتيل، 464 مم بواد لاو، 361 مم بالجهة، 327 مم بالحسيمة، 293 مم برأس الماء (رأس كبدانة). ثم يرتفع ارتفاعاً محسوساً بالناظور (370 مم) ومليبية (401 مم). يسجل نفس الانخفاض

التدريجي من الغرب إلى الشرق في المناطق القارية من الساحل المتوسطي : 681 مم بعلي ثلاث، و400 مم بتارغيست، و325 مم ببني بوفراج، و294 مم بمضار، و281 مم بالدريوش. وأكثر المناطق الريفية جفافاً هي التي تصادف في السفوح الشرقية المحاذية لوادي ملوية. تسقط الثلوج في المرتفعات الريفية عدة أيام في السنة. لكنها لا تدوم حتى بداية الصيف إلا على بعض القمم الشامخة، وذلك بسبب التأثيرات البحرية. ينتج عن التأثيرات البحرية كذلك ارتفاع درجات رطوبة الجو والتساقطات الخفية مثل الندى. فالمعدل السنوي للرطوبة النسبية يفوق في كل الحالات 70٪. ويسجل 78٪ في طنجة. ويبلغ المعدل السنوي للرطوبة الليلية 90٪ بالعرائش حيث يسجل 69 يوماً من الندى سنوياً. كما تعرف السلسلة ولا سيما ساحلها المتوسطي ومرتفعاتها أياماً عديدة من الضباب الصادر عن المتوسط ولا سيما في فصل الصيف إبان هبوب رياح الشرقي الشديدة الحرارة، فتشتد هذه الأخيرة في مقدمة الريف. وعند بلوغ هذه الرياح البحر يشتد تبخر المياه ويتكون ضباب كبير ويتصاعد مع وديان السفوح الشمالية في اتجاه الجنوب فتبطل تضاريس الريف الغربي بينما الحرارة شديدة في مقدمة الريف. ويفضل الضباب تطفح حرارة الجو الصيفية في هذه المناطق المظلة على البحر المتوسطي.

تتميز سلسلة الريف كذلك بقوة رياحها ولا سيما في منطقة المضيق الواقع بين البحرين، حيث يلاحظ اتجاهان سائدان وهما رياح الشرقي ورياح الغربي. تهب رياح الشرقي من الجنوب الشرقي والشرق وترتفع معها الحرارة في السفوح الجنوبية للسلسلة. بينما تكون رياح الغربي ملطفة. لكن تسجيل السرعة والقوة للرياح لا يتم إلا في بعض المحطات الرئيسية مثل طنجة وتطوان والحسيمة. ويكاد ينعدم في المحطات الأخرى.

يستنتج من دراسة العوامل المناخية بالريف أن السلسلة تعرف كل البيوماتخات المعروفة في المغرب والمنطقة المتوسطية باستثناء البيوماتخ الصحراوي.

يقتصر البيوماتخ الجاف على جزء محدود من منخفضات السفوح الشرقية للريف. بينما يمتد البيوماتخ شبه الجاف على كل أطراف الجزء الساحلي المتوسطي شرق واد لاو على جزء واسع من الريف الشرقي ومن مقدمة الريف جنوباً. ويلاحظ البيوماتخ شبه الرطب على الجزء الأكبر من الواجهة الأطلنطية، ويصل إلى البحر المتوسط في تسمان شرق خليج الحسيمة وفي جبل غوروكو المطل على الناظور. وينحصر البيوماتخ الرطب في شبه جزيرة طنجة وفي المرتفعات من الريف الغربي والأوسط. أما البيوماتخ شديد الرطوبة فهو يلاحظ على قمم الجبال العالية من الريف الغربي.

3- الفلورة والغطاء النباتي. من حيث التنوع

محليا الصنوبر الحلبي (*Pinus halepensis*).

- صخور سيليسية : في البيومناخين شديد الرطوبة والرطب البارد والباردين والقارسين : غابات الأرز الأطلسي (*Cedrus atlantica*) والبلوط الزغبي (*Quercus pyrenaica*) وبلوط الزان (*Quercus canariensis*) على العموم، ومحليا باقات الصنوبر البحري المغربي (*Pinus pinaster var. maghrebiana*).

في البيومناخين شديد الرطوبة والرطب الدافئين والمعتدلين : غابات بلوط الزان (*Quercus canariensis*) والبلوط الفليني (*Quercus suber*) ومحليا غابات البلوط الزغبي (*Quercus pyrenaica*) والبلوط الأخضر (*Quercus rotundifolia*) والبلوط القرمزي (*Quercus coccifera*) وباقات الصنوبر البحري الإيبيري (*Pinus pinaster var. iberica*).

في البيومناخ شبه الرطب البارد والقارس : غابات الأرز الأطلسي (*Cedrus atlantica*) والبلوط الأخضر (*Quercus rotundifolia*) والبلوط الفليني (*Quercus suber*) ومحليا بلوط الزان (*Quercus canariensis*) وباقات الصنوبر البحري المغربي (*Pinus pinaster var. maghrebiana*).

في البيومناخ شبه الرطب الدافئ والمعتدل : غابات البلوط الفليني (*Quercus suber*) في الجزء الغربي والبلوط الأخضر (*Quercus rotundifolia*) في الجزء الشرقي، ومحليا الصنوبر البحري الإيبيري (*Pinus pinaster var. maghrebiana*).

- صخور مختلفة في البيومناخ شبه الجاف والجاف في الريف الشرقي : تشكيلات العرعر البربري (*Tetraclinis articulata*) والبطم الأطلسي (*Pistacia atlantica*).

#### 4. الطوابق النباتية والوحدات البيئية التعااقبية :

من حيث التوزيع البيوجغرافي للوحدات البيئية التعااقبية على الطوابق النباتية نجد أن الريف ينفرد بتنوعه الكبير في هذا المجال. فالسلسلة تظهر كل الطوابق النباتية ما عدا الطابق تحت المتوسطي. قبل التفاصيل في هذا الموضوع نريد أن نشير إلى أن أنواع الصنوبر المذكورة أعلاه وإن كانت تشكل غابات بكل معنى الكلمة، فإنها لا تنظم وحدات بيئية تعااقبية وإنما تكون تشكيلات تعتبر بمثابة أطوار من التطور التقدمي أو التراجعي للوحدات المناسبة. الصنوبر الحلبي (*Pinus halepensis*) والصنوبر البحري الإيبيري (*Pinus pinaster var. iberica*) يظهران في مجالات الوحدات البيئية التعااقبية للطابق المتوسطي الدافئ. بينما يظهر الصنوبر البحري المغربي (*Pinus pinaster var. maghrebiana*) في مستويات الوحدات البيئية التعااقبية للطابقين المتوسطي وفوق المتوسطي. وينحصر وجود الصنوبر الأسود (*Pinus nigra var. mauritanica*) في الطابق فوق المتوسطي المطابق للوحدة البيئية التعااقبية المنظمة من طرف الشوح المغربي (*Abies maroccona*).

البيولوجي، يعتبر الريف أغنى المناطق المغربية ومن أهم المراكز في المنطقة المتوسطية. ويتجلى ذلك في فلورته وفونته وتشكيلاته النباتية وأنظمتها البيئية. فغطاؤه الغابوي شديد التنوع. إذ تقطنه جل الأنواع الشجرية الغابوية باستثناء العرعر الفواح (*Juniperus thurifera*) وأنواع الطلح (*Acacia*) وأركان (*Argania spinosa*) الذي يشكل غير بعيد عن الريف باقات منعزلة بالسفح الشمالي الغربي لجبال بني إزناسن بشرق وادي ملوية. وينفرد عن السلاسل الأطلسية بإيوانه لأنواع غابوية قيسية مثل الشوح المغربي (*Abies maroccona*) أو نادرة جداً مثل الصنوبر الأسود (*Pinus nigra var. mauritanica*) أو لا تصادف بالمناطق الأخرى لشمال إفريقيا مثل البلوط الزغبي (*Quercus pyrenaica*) والقسطل (*Castanea sativa*) والبتولة (*Betula celtiberica*) والمغث (*Alnus glutinosa*).

من حيث التوزيع البيوجغرافي لغابات الريف يلاحظ انتشارها حسب الظروف المتاحة :

- صخور مارنية : تشكيلات البلوط القرمزي (*Quercus coccifera*) أو البلوط الأخضر (*Quercus rotundifolia*) في البيومناخ الرطب، وتشكيلات الزيتون البري (*Olea oleaster*) في البيومناخ شبه الرطب، وتشكيلات العرعر البربري (*Tetraclinis articulata*) أو محليا الصنوبر الحلبي (*Pinus halepensis*) في البيومناخ شبه الجاف.

- صخور كلسية أو مارنية كلسية :

في البيومناخين شديد الرطوبة والرطب البارد والقارسين تصادف غابات الشوح المغربي (*Abies maroccona*) وبلوط الزان (*Quercus canariensis*) والبلوط الأخضر (*Quercus rotundifolia*) على العموم، ومحليا باقات من الأرز الأطلسي (*Cedrus atlantica*) والصنوبر الأسود (*Pinus nigra var. mauritanica*) والصنوبر البحري المغربي (*Pinus pinaster var. maghrebiana*).

في البيومناخي شديد الرطوبة والرطب الدافئين والمعتدلين، تشكيلات البلوط القرمزي (*Quercus coccifera*) في شبه جزيرة طنجة والبلوط الأخضر (*Quercus rotundifolia*) في المناطق الأكثر قارية، أو محليا غابات الصنوبر البحري الإيبيري (*Pinus pinaster var. iberica*).

في البيومناخ شبه الرطب البارد أو القارس : غابات البلوط الأخضر (*Quercus rotundifolia*) ومحليا باقات الصنوبر البحري المغربي (*Pinus pinaster var. maghrebiana*).

في البيومناخ شبه الرطب الدافئ والمعتدل : تشكيلات البلوط القرمزي (*Quercus coccifera*) على العموم ومحليا البلوط الأخضر (*Quercus rotundifolia*) أو الصنوبر البحري الإيبيري (*Pinus pinaster var. iberica*).

في البيومناخ شبه الجاف الدافئ والمعتدل : تشكيلات العرعر البربري (*Tetraclinis articulata*) على العموم أو



والعساكر المشتغلين بالمئات. وكانوا يشتغلون ليل نهار مستعنيين بكل ما يلزمهم من عتاد حربي كالدبابات العسكرية مثلا. فنتج عن ذلك تخريب جل غابات بلوط الزان، إذ لم يبق حاليا إلا عدد قليل من الأشجار الهرمة والمعطوبة غير الصالحة لتوفير خشب جيد.

- الطابق فوق المتوسطي : يوجد هذا الطابق كما يدل على ذلك اسمه فوق الطابق المتوسطي. ويندرج ما بين 1400 و1800 م من الارتفاع فوق سطح البحر. تكون البيومناخات في مستواه شبه رطبة ورطبة وشديدة الرطوبة ذات الشكل القارس. يتميز الطابق عن الطوابق الأخرى بتنوع غاباته وجمالها وديناميتها. فهي أقل تدهورا وأقل تدميرا من تلك التي تصادف في الطابقين السفليين. الأنواع الشجرية المنظمة للوحدات البيئية التعااقبية مورقة ومخروطية. يمثل المورقات ذات الأوراق الصلبة البلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) ومحليا البلوط الفليني (Quercus suber) اللذان يشكلان غاباتها في المناطق الأقل رطوبة ولا سيما في الجزئين الشرقي والأوسط من الريف تاركين الجزء الغربي الأكثر رطوبة للمورقات النفضية المثلثة بالبلوط الزغبي (Quercus pyrenaica) وبلوط الزان (Quercus canariensis) الذين يكسوان جزءا كبيرا من المرتفعات السيليسية المنتمية لهذا الطابق. أما المخروطيات فهي ممثلة بالشوح المغربي (Abies maroccana) الذي تزدان به القمم الكلسية في الريف الغربي، وكذلك بالأرز الأطلس (Cedrus atlantica) الذي يشكل باقات على الصخور الكلسية في حالة انعدام الشوح، ويغطي بغاباته جل القمم عندما تصير الظروف المناخية وخاصة البرودة غير ملائمة للبلوطين النفضيين. مما يجعل الأرز يسود هذا الطابق في الجزء الأوسط من الريف الأكثر برودة والأقل أمطارا من الجزء الغربي الأقل ارتفاعا. تجدر الإشارة هنا إلى أن اجتثاث الغابة محدود لأن الظروف المناخية غير ملائمة للزراعة. فزراعة الكيف مثلا ضعيفة الإنتاجية في هذا المستوى.

- الطابق الجبلي المتوسطي : يعتبر هذا الطابق أعلى الطوابق الغابوية بالمعنى الصحيح لأن الظروف المناخية للطابق القمّي وهو الطابق الأعلى ليست ملائمة لتشكيل غابات، وإنما تشكيلات شبه غابوية أو شبه سهبية أو سهبية أو غير ذلك. يوجد الطابق الجبلي المتوسطي ما بين 1800 و2300 م، الشيء الذي يجعله ينحصر على قمم الريف الأوسط ما بين جبل كلتي غربا وجبل الأرز شرقا. إنه طابق غابوي شديد الرطوبة تتساقط فيه الأمطار والثلوج بكمية هامة لكن شتاء قارس جدا، وقساوة برودته تمتع عدة أنواع من النمو في هذا المجال. فالأنواع الشجرية المنظمة للوحدات البيئية التعااقبية تقتصر على الأرز الأطلسي (Cedrus atlantica) والشوح المغربي (Abies maroccana) والبلوط الأخضر (Quercus rotundifolia) مقتسمين المجال

حسب الظروف البيئية. فإذا كان الشوح الأكثر تطلبا لكمية الأمطار يكسو القمم الكلسية فإنه يترك للأرز القمم السيليسية الموجودة في قلب السلسلة. ويكتفي البلوط الأخضر بالنمو في المجالات غير الملائمة مطريا للتعاقبين السابقين، ولا سيما في الواجهاث المشسّسة والجافة نسبيا من الريف الشرقي والأوسط.

إنه من النادر جدا مصادفة مجالات مخصصة للزراعة نظرا لقساوة البرودة في هذا المستوى. الشيء الذي يجعل عملية الاجتثاث منعدمة.

- الطابق فوق الجبلي المتوسطي : يقتصر هذا المستوى في الريف على قمة جبل تدغين وبالتحديد على الجزء الموجود ما بين 2300 و2452 م، حيث ينظم الأرز الأطلسي (Cedrus atlantica) وحدة بيئية تعااقبية شبه سهبية بالرغم من وجود بيومناخ شديد الرطوبة. وذلك لأن فصل الشتاء أشد برودة من الطابق الجبلي المتوسطي. والملاحظ هنا أن العشيرة الأوجية لهذه الوحدة قد انقرضت في الماضي القريب دون معرفة السبب. ولم يبق فوق قمة تدغين إلا بعض الشواهد المثلثة ببعض الجثث الواقفة للأرز الأطلسي. 5. أنواع الأثرية والطوابق النباتية والوحدات البيئية التعااقبية :

يستنتج من الدراسة العميقة لتوزيع أنواع الأثرية المنطقيّة أن هناك علاقة وطيدة بين هذه الأخيرة وتنوع الوحدات البيئية التعااقبية حسب توزيعها على الطوابق النباتية. وها هي لمحة وجيزة عن أنواع الأثرية المنطقيّة مسرودة حسب تنطقها ابتداء من السهول المنخفضة الجافة في الريف الشرقي وانتهاء بالقمم المطيرة :

- تلاحظ الأثرية الكستنائية في مجالات الوحدات البيئية التعااقبية للبطم الأطلسي وللعرعر البريري الموجودة بالريف الشرقي. وذلك في الطابق المتوسطي الدافئ. - تصادف الأثرية التحديدية الحمراء في مجالات الوحدات البيئية التعااقبية الموجودة في المتوسطي الدافئ. والمنظمة من طرف العرعر البريري والبلوط القرمزي وبلوط الزان والبلوط الفليني. كما تصادف أيضا على الصخور الكلسية في مجالات الوحدات البيئية التعااقبية المندرجة في الطابق المتوسطي.

- تتكون الأثرية التحديدية الدكناء في مجالات الوحدات البيئية التعااقبية الموجودة على الصخور الكلسية في سقف الطابق المتوسطي وفي الطابق فوق المتوسطي أو على الصخور السيليسية في الطابق المتوسطي.

- تنظم الأثرية الغابوية الدكناء في المجالات شديدة الرطوبة المنتمية للوحدات البيئية التعااقبية فوق المتوسطية المشكلة على الصخور السيليسية من طرف البلوط الزغبي وبلوط الزان، وللوحدات البيئية التعااقبية على الصخور الكلسية، في الطابق الجبلي المتوسطي.

- تنحصر الأثرية الديجورية العكراء في مجالات  
الوحدتين البيئيتين التعاقبيتين المنظمتين من طرف الأرز في  
الطابقين الجبلي المتوسطي وفوق الجبلي المتوسطي.  
أما فيما يخص الأثرية لا منطقية فهي توجد في  
المجالات ذات الظروف البيئية المناسبة لها :

- الأثرية الترسية خاصة بالسهول والمنخفضات الموجودة  
في مجالات الوحدة البيئية التعاقبية للزيتون البري.

- الأثرية الشرساء مشكلة على المنحدرات فوق الصخور  
المارنية في مجال الوحدة البيئية التعاقبية للزيتون البري.

Benabid A. *Etudes phytoécologique, biogéographique et dynamique des associations et séries sybratiques du Rif occidental*. Thèse Doct. es. Sc. Fac. Sc. et Tech. St Jérôme, Aix-Marseille III, 1982, 199 p. + annexes ; *Etudes biogéographique et dynamique des peuplements forestiers du Rif*. Annales Recherche Forest. au Maroc, T. 23 - 49 - 129, 1983 ; *Etude phytécologique des peuplements forestiers et préforestiers du Rif centroccidental*. Rabat, 1984.

عبد المالك بنعبيد

\* \* إذا كان مصطلح الريف يشمل بالمعنى الجغرافي مجمل  
المناطق الممتدة في شكل سلاسل جبلية على طول الشريط  
الساحلي بشمال المغرب الأقصى. بينما يعمد المهتمون  
بالإرث الثقافي والحضاري وبالخصائص الاجتماعية المحلية  
إلى التمييز بين بلاد الريف حيث مضارب جملة من القبائل  
الأمازيغية المتفرعة عن الأصول النفزية وبلاد جباله وغماره  
الممتدة على المرتفعات الغربية والمتأصلة في البطون  
الصنهاجية والمصمودية.

ولم يتحفظ رواد المهتمين بتاريخ المغرب الأقصى  
الوسيط من الإقرار بأن عبارة الريف لم تستعمل للدلالة  
على جزء من شمال المغرب إلا ابتداء من العصر المريني  
خلال القرن السابع (13 م). مصداق ذلك ما ذكره البادسي  
ضمن مقصده الشريف عن "الريف الكائن ما بين مدينتي  
سبتة وتلمسان". وهو ما يتجلى من خلال الإشارات المتواترة  
لدى جملة من المؤرخين المتأخرين الذين تناولوا بالذكر بلاد  
الريف في متون مصنفاتهم، نخص منهم بالذكر ابن خلدون  
في العبير وابن أبي زرع الفاسي في القرطاس. ومما ساهم في  
ترسيخ هذا الاعتقاد خلو كتب المسالك والممالك الجغرافية  
القديمة من ذكر بلاد الريف ضمن أعلامها الجغرافية. كما هو  
الشان لدى ابن حوقل في صورة الأرض والبكري في ذكر  
بلاد المغرب وغيرهما ممن دأب جمهور الباحثين على  
اعتمادهم.

وبصرف النظر عن اقتران مصطلح الريف عموما  
بالبادية، حتى غدت الأرياف من المصطلحات إن لم تكن  
من الحقول المعرفية المرتبطة بالبوادي ؛ لم يتردد بعض  
الدارسين من التماس الأصول اللغوية لعبارة الريف في

اللهجات العامية. مع العلم أن قواميس اللغة العربية تشير  
إلى ارتباط مصطلح الريف "بالخصب والسعة في المأكل".  
مؤكدة على علاقته بالعمران الحضري ؛ ففي لسان العرب  
المقصود : "بالريف، حيث يكون الحضر والمياه". وليس أدل  
على عمق الارتباط بين المعنيين مما ورد في حديث العرنين  
بالقول : "كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف، أي أنا من  
أهل البادية لا من أهل المدن".

ولا تعوز القرائن الدالة على استبحار العمران الحضري  
بشمال المغرب خلال القرون الثلاث الهجرية الأولى. فأول  
مدينة بنيت بالمغرب بعد الفتح الإسلامي حاضرة نكور ببلاد  
الريف، التي سرعان ما غدت حسب تقدير البيهقي "المدينة  
العظمى". كما أنشئت بعدئذ مدن المزمة ويادس إضافة  
لجراوة ومرجانة وتاوريرت. وتعددت التجمعات القروية،  
مثل تمسمان ويدكون وإبذي وقرية الصقالبة. وما فتئت  
المصادر التاريخية تكشف عن مواقع جملة من القلاع  
والحصون القديمة ببلاد الريف مثل تسفت وكرط وإكري  
ومسطاسة، إلى ما يند عن الحصر من المرافئ البحرية مثل  
مرسى بقوة وتمسمان وبلش وأدار وأوتيسس وكرط وهرك،  
الوثيقة الارتباط عبر الخطوط البحرية بالعدوة الأندلسية.  
لعل في جملة هذه العناصر ما يدعو إلى التماس أصول  
مصطلح بلاد الريف في ذات المرحلة التاريخية الممتدة من  
الفتح الإسلامي إلى غاية منتصف القرن الرابع الهجري.

وعلى عكس تحاليل ثلة من الدارسين الذين تناولوا  
الأصول التاريخية لهذه العبارة، يبدو من خلال جملة من  
القرائن أن مصطلح الريف المتأصل في لسان العرب قد  
استعمل منذ وقت مبكر بدلالات جغرافية وعرمانية لنع  
مجمل الشريط الساحلي الممتد شمال المغرب الأقصى.  
مصداق ذلك، ما ورد لدى ابن عذاري اعتمادا على مصادر  
قديمة، في سياق حديثه عن حملة النورمان على حاضرة  
نكور وبلاد "العدوة فاستباحوا أريافها"، على حد تعبيره.

والجدير بالملاحظة، أن نفس اللفظ استعمل للدلالة على  
المناطق الساحلية العامرة بالعدوتين المغربية والأندلسية، بل  
وكذا على غيرها من مناطق دار الاسلام التي تحمل نفس  
المواصفات السالفة، أي الخصب والسعة والقرب من البحر  
واستبحار العمران الحضري. يتجلى ذلك من خلال إشارة  
ابن خرداذبه إلى "بطن الريف" الكائن بمصر، وغير ذلك من  
الإشارات المتواترة بخصوص "ريف شذونة" بالأندلس و"ريف  
غماره" بالمغرب. من الطبيعي في ظل التشابه العمراني بين  
سواحل العدوتين خلال القرون الأربع الهجرية الأولى أن  
يعمد أهل القلم إلى تمييز "ريف الأندلس" بالصفة المقابلة  
عن "ريف المغرب"، كما يتجلى من خلال ما احتفظ به ابن  
عذاري والقاضي عياض من اقتباسات.

إلا أن الجديد يكمن في إضفاء دلالات اجتماعية  
وتاريخية على ريف المغرب خاصة دون بقية الأرياف

**الريف** (مقدمة -) منطقة متميزة بشمال المغرب تطبعها مظاهر طبيعية وبشرية تختلف عن مثيلاتها شمال وجنوب هذه التلال. فهي وحدة تضاريسية تتميز بأشكال طبوغرافية بسيطة، من قسم منعزلة وأعراف وانحدارات. وهي عبارة عن جبال سفلى سطحها جد متقطع وارتفاعاتها متباينة قلما تتجاوز 800 م. تختلف مجالات هذه التلال من حيث التهوية بسبب اتساع أو ضيق قعور الأودية التي تخترقها ارتباطا بنوعية الصخور التي تميز مختلف المجالات.

تقع هذه التلال في النهاية الجنوبية لجبال الريف، ويطلق عليها أيضاً تلال ما قبل الريف *Les collines pré-rifaines*. وكلا هاتين التسميتين تعني أن جبال الريف لها بداية جنوبية تختلف في مظهرها عن الجبال الشمالية المرتفعة التي تصل ارتفاعها إلى 2456 م بجبل تيد غين.

تتند تلال مقدمة الريف من الشمال الغربي نحو الشمال الشرقي وتشكل حزاماً جنوبياً لهذه السلسلة، شكلها العام هلالى مقعرة نحو الشمال ومحدبة نحو الجنوب. تشرف غرباً على حوض اللوكوس وفي الجنوب الغربي على سهل الغرب، وجنوباً على الساييس، وشرقاً على النهاية الشمالية الغربية للأطلس المتوسط. يبلغ امتدادها الطولي حوالي 300 كلم في التراب المغربي، ويستمر ظهورها في جبال التل بالجزائر وتونس إلى حدود رأس بون وعلى مشارف شط دجريد بالتراب التونسي. وهكذا فإن سلاسل تلال ورسالة والدهرة بالجزائر تعتبر امتداداً لهذه التلال.

تعرف تلال مقدمة الريف من حيث قطاعها المستعرض اتساعاً في الوسط الجنوبي إذ يصل عرضها إلى حوالي 50 كلم؛ أما في اتجاه الشمال الغربي والشمال الشرقي فإن عرضها يتقلص ليصل إلى حوالي 10 كلم في الجانبين. وتبلغ المساحة الكلية لهذه التلال حوالي 10 000 كلم<sup>2</sup>.

تتخلل هذه الوحدة التلية شبكة هيدروغرافية كثيفة ترتبط بأودية مهمة أغلبها تتجه نحو الجنوب الغربي لتصب في المحيط الأطلنטיكي؛ واد سبو واللوكوس وروافدهما الأساسية مثل واد ورغة. وهناك نسبة قليلة من هذه الأودية تتجه نحو الشمال الشرقي لتصب بالبحر المتوسط؛ واد ملوية وبعض روافده مثل واد مسون، واد كرت.

هناك اختلافات من حيث الارتفاعات من موضع إلى آخر رغم أن نسبة كثيرة من القمم يتراوح ارتفاعها بين 300 و700 م، ونسبة قليلة جداً تصل الارتفاعات فيها إلى 800 و1000 م، خصوصاً في تلال مقدمة الريف الشمالية. وتوجد انخفاض النقط الارتفاعية على طول المجاري المائية وهي تختلف حسب القرب أو البعد إما من العالية أو من السافلة. وكمثال فالمحاور الرئيسية عند النهاية الجنوبية لتلال مقدمة الريف تنخفض ارتفاعاتها لتصل إلى أقل من 50 م، بينما في العالية نحو الشمال والشمال الشرقي تصل الارتفاعات لهذه المجاري إلى 400 و500 م. وللإشارة فإن

المتوسطة، بما في ذلك ريف الأندلس؛ حتى غدا مصطلح الريف مع مر الزمن مقرونا به دون غيره. وذلك اعتباراً من سقوط إمارة بني صالح، مع ما ترتب عن ذلك من فراغ على إثر خراب نكور سنة 473 هـ. أسفر ذلك عن اختفاء عبارة بلاد نكور تدريجياً من متون المصنفات التاريخية المتأخرة، تاركة المجال لرسوخ العبارة البديلة: بلاد الريف.

هكذا تبلورت معالم مصطلح ذي دلالتين تتمايزان في السياق حسب الاستعمال: الريف بمعناه الجغرافي والعمراني الأصلي القديم، ويشمل مجموع المنطقة الشمالية بالمغرب الأقصى. وهو ما عبر عنه ابن سعيد الأندلسي بالقول: "وذلك الساحل يعرف بالريف" أو "بلاد الريف" حسب ابن الخطيب، أو "جبال الريف" حسب الوزير الغساني. ثم الريف بمعناه الاجتماعي والتاريخي الذي يستثني معظم جبال غمارة وينضبط بدقة في المناطق التي شملتها إمارة بني صالح الغابرة، حسبما يتضح من الاستعمالات المتواترة في كتابات ابن عبد الملك المراكشي وابن خلدون والناصري وغيرهم. أما التمييز الذي ورد لدى الحسن الوزان وغيره من متأخري المصنفين "بين الريف وكرط"، فلا يعدو أن يكون مجرد تقسيم إداري يعمد إلى إحصاء الأقاليم المغربية بـ "خامسها الريف... وسادسها هو كرت".

ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1973؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ليدن، 1967؛ ابن خرداذبه، المسالك والممالك، نشر ذي حويه، ليدن، 1967؛ ابن الخطيب، الإحاطة، نج. م. عبد الله عنان، م. 2، القاهرة، 1973؛ ابن خلدون، العبر، ضبط خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، بيروت، 1981؛ ابن سعيد، سبط الأرض في الطول والعرض، نج. خوان فرنيث خينيس، تطوان، 1958؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الثامن القسم الأول، نج. م. بنشريف، الرباط، 1984؛ ابن عذاري، البيان المغرب، نج. ج. س. كولان ولغفي برونفسال، بيروت، 1980؛ ابن منظور، لسان العرب، نج. عبد الله علي الكبير وآخرون، القاهرة بدون تاريخ، ج. 4، حرف الفاء؛ البهاسي، المقصد الشريف، نج. سعيد أعراب، الرباط، 1993؛ البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، نشر دي سلان، باريس، 1965؛ الغساني، حديقة الأزهار، نج. م. العربي الخطابي، بيروت، 1983؛ القاضي عياض، أزهار الرياض؛ مارمول، إفريقيا، تر. محمد جحي وآخرين، الرباط، 1984؛ أ. الناصري، الاستقصا، نج. جعفر الناصري ومحمد الناصري، النار البيضاء، 1954؛ الوزان، وصف إفريقيا، تر. محمد جحي ومحمد الأخضر، الرباط، 1980؛ محمد أونى، مفهوم الريف المغربي، حوليات الريف، العدد الأول، السنة الأولى، 1998، ص. 14، 44.

Patrice Cessier, *Prospection archéologique dans le Rif (zone de l'ancien royaume de Nakur)*, présentée à l'Université de Paris - Sorbonne - Michaux-Bellaire, *L'Histoire du Rif*, in *Rif et Jbala*, Paris, 1926.  
أحمد الطاهري



التكتونية إلى نهاية الطرطوني، حيث أدت إلى رفع مقدمة الريف، وإلى تراجع الغمر البحري مما أدى إلى ظهور تلال مقدمة الريف، عززتها تعرية نشيطة طبعت مجال هذه التلال مشكلة مظاهرها الحالية.

ولتلخيص ليتوستراتيغرافية هذه التلال نورد الجدول أسفله (رقم 1) مرتباً ترتيباً كرونولوجياً مخالفاً للمواقع الميداني بالمنطقة.

جدول رقم 1 : الفترات والعصور وأنواع الصخور بتلال مقدمة الريف

أنواع الصخور	الفترات والعصور الجيولوجية
مكون من ست درجات على جوانب الأودية ذات مواد خشنة في القاعدة ومواد دقيقة في الأعلى	الرباعي
مكون من حصيباء قارية سميكة في المنطقة الغربية (عرباوة)	الفيلاترانشي
• الميوسين الأعلى : حث رصيص - صلصال أسود ملحي وصلصال رملي . • الميوسين الأسفل : حث صلصالي ورصيصي أحيانا	الميوسين
صلصال وكلس وكلي صلصالي وصلصال حثي	الايوسين
• الكريتاسي الأعلى : صلصال ملحي مدغم أحيانا بركائز كلسية وحشبية . • الكريتاسي الأسفل : صلصال يحتوي على جبس	الكريتاسي
صلصال كلسي - كلس أحمر - نضيد حثي وكلسي - كلس كتلي	الهوراسي
كلس دلوميتي - كلس وصلصال كلسي	اللياس
طين أحمر ملحي وجبسي ودوليريت	الترياس

المصدر : Ressources en eau du Maroc, 1978 - التقارير المنجزة في إطار مشروع حوض سيو (اللتولوجيا)، 1968.

ونتيجة لهذه الستراتيغرافية المشوهة بمنطقة مقدمة الريف، فإن تكتونيتها متأثرة بالاختلافات الصخرية الملحوظة حيث إن زحف المواد أدى إلى تراكم الأجزاء الصلبة وتراكبها على شكل مجموعات تفصل فيما بينها منخفضات مكونة من صخور هشة أدى زحفها إلى اختلاطها وتبعثرها إلى حد اتلاف معالم بنيتها في كثير من الأماكن.

تحتوي تلال مقدمة الريف على وحدات متميزة من الناحية التكتونية والصخرية، ويمكن تقسيمها من الشمال نحو الجنوب إلى أربع وحدات كبرى :

• منطقة الصفوف في الشمال (Les sofs) : تمتد من منطقة وزان إلى منطقة واد المسون على شكل أعراف متتالية مكونة من الكلس أساساً، وهي وحدة كتلية بارزة في المنطقة. تتكون هذه الصفوف Sofs من عدة أجزاء متراكبة فيما بينها، وهي عبارة عن تجمعات شبه محدبة، صخورها كلسية، حثية ونضيدية تنتمي إلى اللياس والهوراسي.

نسبة تعلق بعض الأودية بتلال مقدمة الريف قد تصل إلى 400 أو 300 م إلى أقل من ذلك بكثير.

أما من الناحية الجيولوجية، فإن أهم ما يميز تلال مقدمة الريف هو تاريخ تكوينها الحديث والأصل الغير محلي لكثير من مواد هذه المنطقة، الناتجة عن الزحف حيث تسمى "الطيات الزاحفة" Les nappes de charriage.

تقع تلال مقدمة الريف من الناحية البنيوية في الجزء الجنوبي من الأخدود الجنوب ريفي بين تجمعات مقدمة الريف (منطقة مولاي إدريس زرهون وسيدي قاسم) جنوباً ومنطقة الريف الداخلي Zone intra-rifaine شمالاً.

تشكل هذه التلال ميدانا للطيات الزاحفة التي تنقسم إلى قسمين : طية وزان وطية مقدمة الريف. توضع مواد الطية الأولى في المنطقة الداخلية من الأخدود الجنوب ريفي وزحفت بعد ذلك نحو الجنوب. أما مواد الطية الثانية فقد توضع في الجزء الجنوبي من الأخدود الجنوب ريفي.

يرتبط زحف هذه المواد بالحركات التكتونية التي ما زالت آثارها موجودة في استراتيغرافية التكوينات بالجزء الجنوبي من الأخدود الخارجي، وخصوصاً في مواد الجوراسي ومواد الزمن الثالث. وقد كان هذا الزحف مدعماً بشكل عام بواسطة حركات رفع في المناطق الشمالية وحركات تهدل في المناطق الجنوبية. ومن الحركات التكتونية الأساسية حركات الرفع في أواخر الاوليغوسين وخلال الطرطوني الأوسط، تم بواسطتها انفصال في التكوينات الداخلية للأخدود مما أدى إلى الانزلاقات الكبرى عن طريق المجاذبية من الشمال نحو الجنوب. ولتوضيح ميكانيزمات تموضع هذه الطيات نشير إلى النتائج التي توصل إليها D. Leblanc سنة 1979 حيث لخصها من ناحية التاريخ الجيولوجي إلى أربع مراحل :

• قبل الحوادث التكتونية للميوسين : كانت منطقة تلال مقدمة الريف مغمورة بالبحر، بينما المناطق الداخلية كانت مكشوفة، مما جعل مقدمة الريف الخارجي تعرف إرسابات صلصالية.

• خلال المرحلة الأولى للحوادث التكتونية في الميوسين الأسفل : تواصلت الإرسابات في مقدمة الريف الخارجي وبدأ الزحف من الشمال نحو الجنوب.

• خلال المرحلة الثانية من الحوادث التكتونية في الميوسين الأوسط وفي بداية الطرطوني : أدت هذه المرحلة إلى تقدم ما يسمى "بالوحدات العليا العائمة" والتي لم تتوضع في مقدمة الريف الخارجي إلا خلال الطرطوني الأعلى.

• التطور المابعد الطيات : تحدد الغمر البحري في مقدمة الريف مع تواصل في نشاط بعض الحركات

- مقدمة الريف الحقيقية : تمتد من الشمال نحو الجنوب بين منطقة الصفوف وتجاعيد مقدمة الريف، وتهم مساحة هامة بين الوحدات الأخرى وتشمل الوحدة الثالثة التي سنتناولها مستقلة (وحدة طية وزان) بغض النظر عن طية وزان تتكون هذه التلال الحقيقية من مواد صلصالية بالأساس :

+ صلصال محلي وجبسي، ينتمي إلى الترياس  
+ صلصال كريتاسي يحتوي على رفوف حثية وكلسية  
+ كلس حثي وصلصالي ينتمي إلى الأيوسين والأليگوسين

+ صلصال الميوسين الأعلى

وقد عرفت الأنواع الهشة من هذه الصخور زحفا نحو الجنوب وتوجد بين التكوينات الميوسينية بمنطقة الغرب ومنطقة فاس ومكناس.

- طية وزان : هي عبارة عن كتل صخرية صلبة تتناثر هنا وهناك داخل مقدمة الريف الحقيقية المشار إليها آنفا. تسمى هذه الطية أيضا "الكتل العائمة" فوق تكوينات مقدمة الريف وتتكون أساساً من مواد الزمن الثالث :

+ صلصال أبيض صواني ينتمي إلى الأيوسين الأسفل  
+ تكوينات الميوسين الأسفل مكونة من الحث والريص

+ بعض عناصر الأيوسين الأعلى والأوليگوسين  
+ تكوينات الطرطوني الأسفل والأوسط  
وكل هذه المواد زاحفة من الشمال أي من أقصى الوحدات الشمالية للريف.

- تجاعيد مقدمة الريف : تشكل هذه التجاعيد الحد الجنوبي لطية مقدمة الريف وتوجد أساساً قرب الحميسات، سيدي قاسم، مولاي إدريس زرهون، وتتكون من :

+ تكوينات اللباس الأسفل : كلس، صلصال، كلس حثي، حث "حث زرهون".

+ تكوينات الكرتياسي : طبقات متعاقبة من الصلصال والكلس.

+ تكوينات الزمن الثالث : كلس يحتوي على أجزاء حثية - مولاس من الصلصال الكلسي، صلصال أبيض "صلصال بني عمار".

إن مختلف هذه الوحدات تشكل من الناحية التضاريسية تباينات واضحة في المجال. ويمكن أن نصف البعض منها في إطار الجبال المنخفضة : يتعلق الأمر بمنطقة الصفوف، بطية وزان وتجاعيد مقدمة الريف، وتبقى وحدة مقدمة الريف الحقيقية عبارة عن تلال حقيقية اعتباراً لأشكالها البسيطة وارتفاعاتها المنخفضة.

تحتوي تلال مقدمة الريف على أشكال كبرى وصغرى :

- الأشكال الكبرى وتمثل في :

+ الأشكال البنيوية وهي عبارة عن أعراف طولية  
+ الأشكال السفحية : تتنوع حسب وضعية تراكب الصخور الصلبة والصخور الهشة ؛ ونتيجة لذلك تكون السفوح إما مقعرة أو مركبة.

+ الأشكال النهرية : عملت الأودية بتلال مقدمة الريف خلال فترات الزمن الرابع على بناء درجات نهرية وتتكون من ست مستويات متدرجة وتحتوي من الأسفل نحو الأعلى:

- مستوى حصوي حصيبي ورملتي يختلف من حيث درجة التماسك حسب قدمه وحسب نوعية اللحام.

- مستوى رملتي وطيني يتأثر سلباً أو إيجاباً بعوامل التعرية (الإزالة أو الاغناء بالمواد السفحية).

الأشكال الصغرى : هي أشكال مركزة ناتجة عن عمل التعرية وخطيت بدراسة مفصلة من الناحية النوعية (خرائط التعرية المنجزة من طرف Avenard في إطار مشروع حوض سيو) بعموم تلال مقدمة الريف. ونورد فيما يلي أهم الأشكال التي توجد بهذه المنطقة :

+ الأشكال المرتبطة بالنمت الجانبي للأودية : تهم هذه التعرية المجالات المنخفضة من تلال مقدمة الريف، حيث أن الأودية خلال الفصل الممطر وأثناء الفيضانات، تعمل على اكتساح جوانبها وتؤثر سلباً على السفوح المشرفة عليها. تتسبب قوة المياه في انهيارات على جوانب الأودية وانزلاقات كتلية على السفوح.

كما توجد بتلال مقدمة الريف أشكال أخرى للتعرية، مرتبطة إما بنوعية بعض الصخور أو بعمل الإنسان وتأثير المراسي على السفوح.

جدول رقم 2 : أصناف الانحدارات بتلال مقدمة الريف

أصناف الانحدارات (%)	نسبة المساحة (%)
من 0 إلى 5	08
من 5 إلى 15	18
من 15 إلى 25	28
من 25 إلى 35	22
من 35 إلى 45	12
من 45 إلى 65	10
أكثر من 65	02
المجموع	100%

المصدر : خرائط الانحدارات لمقدمة الريف بمقياس 1:100.000،

1967، مشروع سيو.

جدول رقم 3 : معدل التساقطات والحرارة في بعض محطات القياس بمقدمة الريف (1933 . 1963)

معطيات القياس	الارتفاع (م)	معدل التساقطات السنوية (ملم)
تلال مقدمة الريف	670	904
الشرقية	240	551
تلال مقدمة الريف	164	885
الغربية	150	571

معدل الحرارة القطوى (C°)	معدل الحرارة الدنيا (C°)	
23.4	11.4	تلال مقدمة الريف
26.6	12.2	الشرقية
25.7	10.6	تلال مقدمة الريف
26.0	12.0	الغربية

المصدر : Ressources en eau du Maroc, 1978, p. 83 بتصرف

قبل التعريف بساكنة هذه المنطقة لايد من توطيئها حسب المعطيات التي أفرزها التقسيم الإداري لسنة 1982، والإشارة إلى خصوصية هذا التقسيم بالنسبة لهذه الوحدة. توجد هذه التلال في التراب الإقليمي الخمس عمالات، وتتنمي كليا أو جزئيا إلى ثلاث عشرة دائرة وهي كالتالي:

جدول رقم 4 : العمالات والدوائر بمنطقة مقدمة الريف

العمالات	الدوائر
سيدي قاسم	حد كورت مشروع بلقاصيري وزان سيدي قاسم
تاوانات	قرية أبا محمد غفصاي تاوانات تيسة
تارة	اكنول تاهلة تاينست
تطوان	القصر الكبير سوق أربعاء الغرب
القنيطرة	

المصدر : الإحصاء العام للسكان والسكنى لـ1982 (بتصرف)

هذا التقسيم لا يتطابق جغرافيا مع الحدود الطبيعية لهذه الوحدة التلية، الشيء الذي لا يمكن من التوفيق بين الحدود الطبيعية والحدود الإدارية. مما ينعكس سلبا على المعطيات الإحصائية عند الحديث كليا عن تلال مقدمة الريف، باعتبار أن الامتداد الترابي للعمالات والدوائر قد لا يغطي أو يتجاوز الحدود الطبيعية لهذه المنطقة وهذه المسألة - كما في المناطق الأخرى - لا تمكننا من استعمال إحصائيات متكاملة، ولذلك سنقتصر في الجانب السكاني على اختيار بعض الدوائر دون الأخذ بعين الاعتبار مسألة الحدود الجغرافية مميزات بين الخصوصيات الحضرية والريفية. إن أهم التجمعات الحضرية بتلال مقدمة الريف تشمل في مدينة وزان التي يصل عدد سكانها حسب إحصاء 1982 إلى 40485 نسمة، تليها مدينة تاوانات بـ 10810 نسمة. أما المراكز الحضرية المهمة فهي على التوالي : قرية أبا محمد (5562 نسمة) حد كورت (3140 نسمة) وتيسة (2251 نسمة). وللإطلاع على التطور الذي عرفته هذه المدن والمراكز الحضرية نورد الجدول التالي :

جدول رقم 5 : أعداد الساكنة الحضرية ونسبة الزيادة بمقدمة الريف حسب إحصاءي 1971 . 1982

السنوات	1971	1982	نسبة الزيادة
وزان	33.267	40.485	1.9
تاوانات	3.101	10.810	22.59
قرية أبا محمد	4.246	5.562	2.8
حدكورت	1.257	3.140	13.6
تيسة	1.385	2.251	5.68
المجموع	43.256	62.248	3.99

المصدر : الإحصاء العام للسكان والسكنى لـ1982

من الملاحظات الأساسية من خلال هذا الجدول، الزيادة المهولة التي عرفتها ساكنة بعض المراكز والمدن، وعلى رأسها مدينة تاوانات (22.59٪) والمركز الحضري حد كورت (13.6٪).

إن وظائف هذه المدن والمراكز بسيطة وتتلخص في الوظيفة الإدارية والتجارية لكونها تقتصر على تأطير وتزويد مجالها الريفي القريب بالمحاجيات الضرورية، إضافة إلى كونها تشكل نقاط التقاء محلية لأن أغلب هذه المراكز والمدن لا تقع على الطرق الرئيسية للبلاد.

تستثنى من هذه المراكز مدينة وزان التي تحتوي على وظيفة صناعية وأخرى دينية. تتمثل الأولى في الصناعة التقليدية حيث تتوفر على معاصر الزيتون وعلى محلات

للحياكة. وتتمثل الثانية في الزاوية الإدريسية والدور الذي لعبه الشرفاء الوزانيون.  
وتشكل ساكنة الأرياف بتلال مقدمة الريف نسبة عالية بالمقارنة مع ساكنة المراكز الحضرية فمن خلال معطيات الدوائر المعتمدة (انظر الجدول أسفله) تصل نسبة سكان الأرياف بهذه المنطقة سنة 1971 إلى 92.59٪ و91.59٪ سنة 1982. وتعرف المنطقة كثافة سكانية عالية قدرت سنة 1968 (*Ressources en eau du Maroc*) بـ 80 نسمة في كلم<sup>2</sup> في الجهة الغربية وبين 40 و70 نسمة في كلم<sup>2</sup> في الجهة الشرقية. وعرفت هذه الكثافة زيادة كبيرة بين الإحصاءين (1971، 1982) تمشياً مع الارتفاع الملحوظ في عدد السكان حسب الدوائر وتتراوح الزيادة عموماً بين 1.32٪ و1.91٪ سنوياً، وهو ما نلاحظه من خلال الجدول التالي :

جدول رقم 6 : السكان القرويون ببعض دوائر مقدمة الريف حسب إحصاء 1971 و1982

الدوائر	السنوات	1971	1982	الزيادة العددية بين الإحصاءين	نسبة الزيادة السنوية (%)
وزان		98.546	113.030	14.484	1.33
تاوانات		113.296	129.834	16.538	1.32
قرية أبا محمد		99.179	118.783	19.604	1.79
حدكورت		111.028	128.969	17.941	1.46
تيسة		118.358	143.332	24.974	1.91
المجموع		540.434	633.948	93.514	1.34

المصدر : الإحصاء العام للسكان والسكنى لـ 1982

يرتكز النشاط الاقتصادي لسكان الأرياف بتلال مقدمة الريف على الأنشطة الفلاحية، أساسها زراعة الحبوب والخضراوات، والمغروسات الشجرية وتربية المواشي. فمن خلال خريطة استعمال التربة (أطلس حوض سبو) نميز بين بعض المجالات وبعض أنواع المزروعات والأنشطة.  
تبين الخريطة السالفة الذكر بأن الجهة الشمالية الوسطى من هذه التلال تحتلها مساحات غابوية مهمة، تقل كلما اتجهنا نحو الجنوب، وهي مجالات للمراعي الدائمة ولاستغلال الأخشاب فضلاً عن استغلال بعض المساحات للنشاط الزراعي (الزراعات الخريفية).  
وتختص قعور الأودية بهذه التلال في الزراعات المتخصصة مثل الخضراوات والحوامض والثمار الصيفية كالدلاح والبطيخ، نظراً لتوفر الرطوبة وفي بعض الجهات المياه السطحية والباطنية.

وتنتشر على السفوح الوعرة وفوق بعض القمم

مغروسات أهمها أشجار الزيتون، وبعض الأنواع الأخرى من الأشجار المثمرة مثل أشجار التين رغم قلتها وهي مغروسات تعرف انتشاراً كبيراً في الجهة الوسطى والغربية من تلال مقدمة الريف.

أما بالنسبة للزراعات فهي زراعات متعاقبة من صنفين كبيرين :

+ الزراعات الخريفية مكونة من قمح وشعير  
+ الزراعات الربيعية مكونة من الذرة والقطاني  
بأنواعها المختلفة ومن المعلوم أن سكان هذه المنطقة يتعاطون لأنشطة تكميلية مثل تربية المواشي والتجارة بالأسواق المحلية، فضلاً عن وجود نسبة هامة تهاجر موسمياً نحو المناطق الشمالية والجنوبية للعمل بالقطيع الفلاحي، ووجود عمال مهاجرين بالخارج يساهمون بعائدتهم في تحسين وضعية أسرهم.

من خصوصيات السكن بتلال مقدمة الريف احتلاله لمواضع معلقة فوق القمم أو في أعالي السفوح : إلا أن التطور الحالي، وبعد استرجاع الأراضي من المعمرين، بدأ السكن ينتشر في قعور بعض الأودية بالقرب من نقط الماء. ويستغل السكن التقليدي مواد بناء محلية وخاصة الصلصال والحث بينما يستعمل السكن المعصري الذي بدأ يظهر على جوانب طرق المواصلات المواد المصنعة المعروفة. وبالجملة فإن تلال مقدمة الريف هي منطقة شبه متجانسة طبيعياً وبشرياً، وتتسم بثلاث خصائص أساسية. تتعلق الأولى بالتنوع الملحوظ في الأوساط الطبيعية وفي الأنشطة الفلاحية المزاولة. وتعلق الثانية بالمحدودية المطلقة في الأنشطة بالمدن والمراكز الحضرية. أما الخاصية الثالثة فهي مرتبطة بالزيادات السكانية السريعة مما يؤدي إلى ارتفاع الكثافات بالأرياف وتوسع المدن والمراكز الحضرية بهذه المنطقة.

J. Avenard, *Les cartes d'érosion du Prérif au 1 : 50.000, I.N.R.A., Projet Sebou*, édition provisoire, 1965 ; G. Lazarev, *Structure agraire et grandes propriétés en pays Hayaina (Prérif)*, R.G.M., n° 9, pp. 23 - 32, 1966 ; Projet Sebou, "Différents rapports inédits sur l'aménagement de la région prérfaine", Documentation complète (*Etude physique et humaine sur le bassin du Sebou*), 1963 - 1968 ; *Cartes des pentes du Prérif au 1 : 100.000*, I.G.N dans le cadre du P.N.U.D. 1967 ; *Atlas du bassin du Sebou, Carte de l'utilisation du sol*, planche 16, 1970 ; M. Combe, *La zone prérfaine et les rides prérfaines. Ressources en eau du Maroc*, pp. 81 - 111, 1978 ; D. Leblanc, *Etude géologique du Rif externe oriental, au nord de Taza. notes et mémoires du service géologique du Maroc*, n° 281, pp. 134 - 139 ; *Recensement général de la population et de l'habitat du Royaume du Maroc en 1982*, Bulletin officiel n° 3679 du 4 mai 1983 ; A. El Bouzidi, *Vallée moyenne de l'oued Lebène (Prérif, Maroc)*, Etude de cartographie géomorphologique, thèse de 3ème cycle, Université de Poitiers, France, 1987.

عيسى البوزيدي

## توزيع السكان

إقليم	مساحة كم <sup>2</sup>	السكان	قرويون	حضريون	كثافة ن/كم <sup>2</sup>
طنجة	1.195	627.963	101.748	526.215	525.5
العراش	2.784	431.476	229.991	201.485	155.0
تطوان	3.242	537.290	169.941	367.349	165.7
الشاون	4.350	439.303	396.389	42.914	101.0
المسيمة	3.550	382.972	270.384	112.588	107.9
تاوانات	5.585	628.840	576.566	52.274	112.6
تازة	15.020	708.025	501.844	206.181	47.1
الناظور	6.130	683.914	437.801	246.113	111.6

الإحصاء العام 1994

ورغم وتيرة الهجرة، فسكان الحواضر يشكلون أقل من ثلث السكان، بل أقل من العُشر بجهة تازة المسيمة تاوانات وهو قرابة ضعفي المعدل الوطني، يحمل مضامين تؤكد موقع ودلالة هذه الجبال كمجال يستقطب أنشطة فلاحية بالأساس. كما يوحي بحجم البنيات التحتية اللازم على الدولة توفيرها لتلبية حاجيات قاعدة هرمية ضخمة من السكان.

## بنية الأعمار ببعض أقاليم الريف

أعمار	المسيمة	تازة	تاوانات	الشاون	تطوان
4.0	14.6	13.3	14	17.1	12.5
9.5	14.9	14.5	15.1	17.0	12.3
14.10	13.2	13.8	14	13.6	11.9
19.15	11.1	11.6	11.1	10.4	11.6
24.20	9.3	9.3	9.1	8.0	9.8
29.25	7.5	6.9	6.6	6.1	8.2
34.30	7.0	6.4	5.7	5.9	7.8
39.35	5.4	5.0	4.4	4.6	6.0
44.40	3.8	3.9	3.9	3.7	4.7
49.45	2.5	2.8	2.7	2.6	3.1
54.50	2.9	2.9	2.9	2.7	3.4
59.55	2.4	2.5	2.6	2.1	2.9
64.60	2.1	2.5	2.6	2.1	2.5
69.65	1.3	1.4	1.4	1.2	1.4
70+	2.1	3.1	2.8	2.8	2.8

الإحصاء العام 1994

أهمية الناشئة والفئات ذوي الأعمار الدنيا بالريف تظهر جانباً مما يلزم توفيره على مستوى التمدرس والتطبيب والخدمات الاجتماعية. فبعدما ظل الريف قطبا

\*\* بعض أهم قضايا الجغرافيا البشرية للريف : يستقطب الريف ما يقرب من 5\1 ساكنة البلاد، حيث تتجمع بنسب قل نظيرها بالمناطق الجبلية. وهو ما تعكسه كثافة متوسطة تتجاوز 100 ن \ كلم<sup>2</sup>، أي ثلاثة أضعاف المعدل الوطني. ولعل انتشار السكن وغلبته على المنظر العام لبواديه يترجم مدى الضغط الذي تتحمله الموارد الطبيعية من غابات وأتربة ومياه.

يتجه استقرار السكن إلى النوع المتفرق المتباعد، وفي حالات أخرى يحتفظ بتجمعات متراسة على هيئة دواوير ومدامر غالباً ما تستقر في قعور الأودية أو تحتسي فوق السفوح الوعرة الآمنة.

غير أن الصفة الملازمة لسكنة جبال الريف حالياً هي تدهور أنماط عيشها، الأمر الذي ينعكس باستغلال عنيف للمجال انتهك حدود التحمل منذ أوائل القرن 20. وقد تجددت وتيرة الاستنزاف منذ السبعينيات بطريقة أعنف لأسباب اقتصادية وعقارية تتمحور حول تملك الأرض والزراعة المحظورة. ومن أهم مسببات الضغوط التي توالت بهذه المنطقة نجد :

- تزايداً كبيراً في أعداد السكان (أزيد من 3\ \ سنة) حيث تم تجاوز حاجز 5 مليون نسمة. وهذا ما يفسر كثافات تناهز 100 نسمة \ كم<sup>2</sup> بعدما كانت في حدود 40 سنة 1971.

- النسبة العالية من السكان القرويين 5\4 رغم موارد فلاحية محدودة ومتداعية لا تفي بحاجيات غذائية من حجم هذه الساكنة.

- اتساع الأنشطة غير المبرجة كالمسالك القروية والمنشآت والمباني مما زاد من كثرة الأعطاب المستنزفة لتوازن السفوح.

- تضاعف أعداد المراكز والقرى المستقطبة للسكان بالساحل المتوسطي وعلى امتداد الطرق والمرات الجبلية.

ومثلما يوحي هذا التقديم بقدر الاستنزاف الممارس على المصادر الأولية كالماء والتراب والغابة، يتم تعويض الخصائص على مستوى الأراضي الفلاحية والعقارية باستئصال الغابة، علماً أن الطلب يتضاعف موازاة مع النمو الديمغرافي، على رأس كل 20 سنة.

السكان والكثافات بالأقاليم الشمالية : يتميز توزيع ساكنة الريف بظاهرة الانتقال نحو الهوامش الجبلية والعزوف عن الجهات الوعرة المنعزلة خاصة بعد تدهورها وتقلص الإمكانيات اللازمة للاستجابة إلى المتطلبات الأساسية وبالطبع سيؤدي التكديس المفرط للسكان على السواحل إلى تصحر حقيقي لها كما يتجلى من المشاهد الماثلة لسواحل الهضبة الوسطى والهضاب الأطلنتية.

ومصدرا للمعرفة عبر الزوايا والمدارس، تحول في أواخر القرن 20 إلى بؤرة للجهل والامية كما يتبين من الجدول التالي :

#### توزيع الوحدات الإدارية بالريف الأوسط

إقليم	دائرة	أ.ج. قروية	ج. حضرية
الحسيمة	3	31	4
الشاون	4	33	1
تاوانات	4	44	5
تازة	6	43	6
تطوان	2	25	6
المجموع	19	176	22

التقسيم الإداري، المجريدة الرسمية، 1992

بينما تتوزع الحواضر الكبرى المحيطة صفة الولاية : طنجة وتطوان وفاس إلى جانب وحدة في الشرق. وهو حتما تقسيم لا يراعي كافة الاعتبارات وفق وحدات متكاملة تستجيب لمتطلبات تدبير وتنمية فعلية. وليست كل الجماعات متوفرة على البنيات والشروط اللازمة لخدمة المصالح الفعلية للسكان.

ولطبيعة انتظام التضاريس أثر مباشر على توزيع ساكنة الريف خاصة منها تجمعات المراكز القروية والحضرية بحيث يمكن اقتراح تراتبية عبر خمسة محاور رئيسية شرقية غربية تنتظم من الشمال نحو الجنوب على الشكل التالي : المحور الأول ساحلي، تتنامى به بعض المراكز هي طريس، مسطاسة، سيدي فتوح، الجبهة، أمتر، بأحمد، ترغفة، واد لآو، أمسي.

المحور الثاني بين الحسيمة - تطوان ويشتمل من الشرق إلى الغرب على مراكز أجدير، بني حديفة، تارجست، إكاون، باب بَرْد، باب

المجموع	الريف	تازة	تاوانات	الناظور	الحسيمة	الشاون	تطوان	طنجة	البلد
720.000	199.356	8.840	22.270	40.755	22.637	34.600	36.762	22.192	فرنسا
170.000	93.353	2.590	4.910	38.832	9.487	5.432	13.452	15.150	بلجيكا
190.000	69.812	2.028	1.420	28.945	10.642	4.545	10.250	9.590	هولندا
80.000	50.781	6.800	3.027	28.960	7.382	3.645	2.122	4.445	ألمانيا
130.000	22.498	9.600	2.042	4.905	3.547	3.107	2.012	4.235	إيطاليا
90.000	53.202	3.000	4.200	14.980	10.002	3.070	12.850	6.700	إسبانيا
28.000	11.048	1.640	-	2.200	-	1.337	1.390	7.892	إنجلترا

المحور الرابع يبدأ من مزكيتام ثم

كهف الغار، بني فراسن، عين مديونة، عين عيشة، وارتراغ، تافرانث وأخيراً جرف الملح.

المحور الخامس يبدأ من لمسون، ثم بوقلال، مكناسة، بني لنت، أولاد زباير، وطابوعبان، تيسة، أولا جامع القرية.

وينتهي هذا الترتاب جنوبا على نفس الصيغة بدءاً من منخفض كرسيف وانتهاءً بمنخفض الغرب ومروراً عبر الفحامة، تازا، باب مرزوقة، واد أمليل، الشبابات، مطماطة، الطوايع، سايس.

ومع تباين التقسيمات يتضح أن المنطقة الريفية تخضع

#### الامية لدى ساكنة الريف

إقليم	حواضر	قرى	ذكور	إناث	مجموع
الحسيمة	42	76	48	81	65
الشاون	33	75	51	89	70
تاوانات	41	74	54	88	72
تازة	39	75	48	78	64
تطوان	38	78	37	63	50
المغرب	37	75	41	67	55

وكالة تنمية الأقاليم الشمالية 1999

وكرر فعل تلقائي إزاء هذا الفائض البشري المتفقد لسبل التنمية، تحولت المنطقة إلى مصدر لليد العاملة باتجاه باقي جهات المغرب واتجاه أوروبا ( الرفاص، 1996 ) مثلما كانت الهجرات الداخلية والخارجية سائدة طوال النصف الثاني من القرن 20، تزود جبال الريف بواسطتها المدن والمراكز الساحلية بفائض السكان، وهو دور مارسه مع دول الضفة الأوربية المقابلة.

الهجرة نحو أوروبا حسب البلاد المنسقطية وحسب مناطق "التصدير"

البلد	طنجة	تطوان	الشاون	الحسيمة	الناظور	تاوانات
فرنسا	22.192	36.762	34.600	22.637	40.755	22.270
بلجيكا	15.150	13.452	5.432	9.487	38.832	4.910
هولندا	9.590	10.250	4.545	10.642	28.945	1.420
ألمانيا	4.445	2.122	3.645	7.382	28.960	3.027
إيطاليا	4.235	2.012	3.107	3.547	4.905	2.042
إسبانيا	6.700	12.850	3.070	10.002	14.980	4.200
إنجلترا	7.892	1.390	1.337	-	2.200	-

وكالة تنمية الأقاليم الشمالية 1999

التقسيم الإداري بين المجالات القروية والمراكز الحضرية : من مجموع 16 جهة على الصعيد الوطني، تتوزع الريف ثلاث جهات اقتصادية هي الجهة الشرقية والشمالية الوسطى والشمالية الغربية. يعتمد التقسيم الإداري بالريف منذ 1992 أقاليم جبلية بالأساس هي الحسيمة، الشاون، تاوانات، تطوان تازا، تشمل لوحدها 198 جماعة، 176 منها قروية و19 حضرية.

لنفوذ محورين حضريين هامشين هما :

1 - محور وجدة - بركان - الناظور

2 - محور طنجة - تطوان

خصائص في المنشآت الأساسية بالريف : من عناصر إشكالية التنمية بالريف كذلك عدم اندماج المنطقة كليا في المنظومة الاقتصادية والاجتماعية الوطنية جرأً نقص محسوس في شبكة الطرق والمسالك المعبدة والتجهيزات ذات الطبيعة الحيوية. كما أن ضعف المراكز المؤهلة والقادرة على بلورة تطلعات السكان وتوظيف مثالي للموارد الطبيعية يجعل قضية التنمية عملية صعبة بتعذر الوصول إليها أنيا. وهي مسألة ذات حساسية تجعل من الريف وسطا مغلقا رغم وجود غاذج جبلية مماثلة بالأطلس المتوسط (إفران، إيموزار، الحاجب...) تعتبر مراكز استقطاب حقيقية مقارنة مع كنامة، تارگست، بني بوفراح التي تشتمل على عناصر تنمية مشابهة. وبالطبع كل ذلك يوجه أنماط الاقتصاد وطبيعة النماء المحلي والجهوي.

ظلت الشبكة الطرقية بالريف إلى حدود سنة 2000 دون الحد اللازم للوفاء بمستلزمات السكان ومتطلبات التنقل. ومن ذلك أن الكثافة الطرقية بمعدل 1.5 كم \ 1000 نسمة هي دون المعدل الوطني الذي يصل 23 كم \ 1000 نسمة. مع العلم أن نصف النسيج الطرقي يستدعي عناية فعلية لمواجهة تداعيات الحركات السفحية وفيضانات قعور الأودية. وقد يتعذر استغلال جزء كبير من هذه البنيات حين تتطلب إصلاحات متكررة وجد مكلفة. لذلك مازالت بعض الجهات الساحلية بين الناظور والجهة تفتقد لطرق حقيقية وتعاني من العزلة المطلقة.

#### البنية الطرقية الريفية (كم)

أقليم	طريق رئيسي	طريق ثانوي	طريق ثلاثي	المجموع
تطوان	159	151	36	345
الشاوون	172	135	277	583
تاوانات	59	274	362	695
الحسيمة	158	110	140	409
تازة	149	491	377	1.017

وكالة تنمية الأقاليم الشمالية 1999

للطرق تأثير مباشر على تنظيم المجال الريفي خاصة من حيث توزيع الساكنة واختيار الأماكن والمواقع الملائمة لمختلف الأنشطة. حيث ساهمت على قلتها في تغيير الأسس السوسيو - اقتصادية للمنطقة من حيث كونها تسمح بالحد الأدنى لرواج التجارة والخدمات. لذا أجمع كل المتدخلين في الحوار حول إعداد التراب الوطني سنة 2000 على ضرورة ملاءمة البنيات التحتية لهذا المجال بحيث تستطيع تلبية الاحتياجات وتجاوز ثنائية محدودة قائمة

على محور طريق الوحدة (بين تاوانات وكنامة) من جهة ومحور طريق القمم بين تطوان والحسيمة من جهة أخرى.

جرأً هذا الافتقاد لطرق موصلات فعالة، اندفع السكان إلى شق المسالك والممرات الوعرة تؤلف حاليا شبكة عشوائية أُنجزت في إطار مبادرات منفردة أو تؤطرها بعض الجماعات. وهي بقدر ما سهمت في فك العزلة عن التجمعات السكنية، بقدر ما ألحقت أضرار بليغة بالشبكات السفحية الترابية والنباتية.

ومن شأن إنجاز الطريق الساحلي خلق بوادر تحولات نوعية ستطرأ لا محالة على الواجهة المتوسطية لتحدد منظومة مجالية وفق المنظور التالي :

- تسريع ظاهرة التمدين وتضاعف أعداد المراكز الحضرية نحو الساحل

- تزايد ساكنة المناطق الساحلية

- التحول من اقتصاد زراعرعوي إلى اقتصاد الخدمات

- تحديث نماذج الإنتاج الفلاحي من أجل تلبية سوق متنامٍ وذلك بسهولة نكور، بني بوفراح، مسطاسة، بأحمد، واد لاو...

- تراجع وقع العزلة ارتباطا بتنامي السياحة ورواج السوق المالية.

يتضح مما سلف أن الوضع السكاني بجبال الريف يعاني من الحالات التالية :

1 - عدم التكافؤ بين كثيرين من جهة وموارد طبيعية منهكة ثم بنيات هزيلة من جهة أخرى

2 - انعدام منظومة حضرية مترابطة ومتوازنة النفوذ والإشعاع

3 - حالة العزلة التي تعم البوادي وغياب الاندماج ما بين المجال القروي والإطار الجهوي

4 - اتجاه عام نحو الزراعة المتنوعة زراعة القنب الهندي : الكيف وتجارة التهريب.

استعمال متنوع للتربة : لا يمكن تعميم منظور موحد يحكم استعمال التربة بالريف نظراً لاختلاف المؤثرات الطبيعية والبشرية بين أجزائه بحكم أنها تحدد سلفاً أنواع الاستغلال ومدى قابلية الأراضي لأنشطة زراعية معينة دون أخرى. والواقع السكان يحددون سلفاً نوع الاستغلال في أكثر من جهة. فترجع تربية الماشية نتيجة حتمية لزوال المجال الغابوي وهذا يتم تعويضه بزيارة أحادية هي زراعة الكيف.

ويمكن التمييز بين أربع مناطق ذات شخصية فلاحية قائمة :

- شبه جزيرة طنجة وضمنها قطاع اللكوس السقوي، تنوع المحاصيل بين زراعات موسمية مقالة وزراعة المضاربة والتسويق

- المنطقة الوسطى وهي جبلية متضرسة، ذات مردود فلاحي هزيل لايفي بحاجيات السكان، مما دفع بهم إلى

الهجرة أو تعويض نقص الإنتاجية بعائدات الكيف.  
- المنطقة الشرقية : تربتها ضعيفة، تشكو قلة الأمطار والجفاف، تعتمد الحبوب ومغارس اللوز والتين  
- مقدمة الريف بين وزان وتازا، تمتاز أتربتها بالغنى والإنتاجية ومحاصيل القطني والحبوب والزراعات البورية ومغروسات الزيتون.

#### توزيع المساحات حسب أنماط الاستغلال

إقليم	أراضي بور	أراضي سقي	غابات	مراعي	مجموع
الحسيمة	129.000	6.500	116.000	111.800	364.200
الشاون	96.200	3.800	175.000	160.000	435.000
تاونات	369.800	2.000	36.400	162.800	571.000
تازة	312.700	20.300	506.000	561.000	1.400.000
تطوان	68.300	7.700	130.000	48.000	254.000

وكالة تنمية الأقاليم الشمالية 1999

ومن شأن تحديد نطاقات فلاحية تمتد أفقياً عبر هذا المجال الجبلي إضفاء طابع متكامل للريف كوحدة جغرافية كبرى ؛ وتتألف هذه النطاقات من :

- حزام الزراعات البورية الموسمية من حبوب وقطني تشغل سلسلة التلال والجمال المنخفضة دون 1000م الممتدة من العرائش إلى تازا.

- حزام المغروسات والأشجار المثمرة فوق السفوح الوعرة للريف بين أكنول ووزان ومنها أشجار التين والزيتون والعنب المعلق والبرقوق والرمان واللوز والجوز...

- نواة وسطى تتألف من سفوح عارية أزيحت عنها غابات متنوعة، حلت محلها زراعة الكيف المحظورة.

الغطاء النباتي وتقييم الموارد الطبيعية : يتميز الريف بكونه أغنى منطقة بالمغرب من حيث التشكيلات النباتية (بنعبيد، 1982 ؛ مورير، 1990). كما أن خصائصه البيوجغرافية تأخذ معانيها من المقاربات التي تربطها بالضفة الشمالية للبحر المتوسط والسلسلة البيتيقية.

تتناقص التشكيلات النباتية من الغرب نحو الشرق، وتقل النباتات الوعائية حوالي 2000 نوعاً أغلبها يستقر بالريف الأوسط بينما تستقطب السفوح المتوسطة حوالي الثلث. وتبلغ الأنواع الأصلية حوالي 215 نوعاً. إلا أنه بالنظر إلى حجم الزوال الذي يصيب الغابات، أصبح ما تبقى منها يكتسي أهمية قصوى جعلت الجهات المعنية تلجأ إلى العمل بالمحميات الطبيعية (بقويا، تلاسطن) حفاظاً على نبيت ووحيش المنطقة أو عملاً بتوصيات بعض المؤسسات النافذة.

تتألق أحراج الواجبة المتوسطة من العرعر والضرور والربوب إلى جانب الخروب مما يعكس مناخية شجافة ما تلبث أن تتحول إلى غابات البلوط الأخضر والبلوط الفليني بعلو 30م ثم أشجار الأرز والشوح التي تعلو إلى 50 و60م أحياناً.

غير أن زوال الغابة ظاهرة تلازم جل مناطق الريف حيث تتعري مساحات بكاملها ولا تتوقف إلا بمناسبة روضة ولي أو مجال وقف أو محيط إدارة المياه والغابات. وهي عملية تبدأ من قعور الأودية لتتصعد في اتجاه القمم، وقد تتآكل من الأطراف فتتقلص بطريقة تراجعية أو انطلاقاً من نقطة نائية أو تتم إثر حرق ممنهج "إجرامي" لا تلبث الزراعة أن تحل محله خلال الموسم اللاحق.

أفرزت هذه "الدينامية" أرقاماً تعبر عن حصيلة إجمالية لعقود من سوء التدبير هي كما يلي :

- غابات وأحراج : أقل من 15%.

- استغلاليات زراعية ومغارس 30-40%.

- مراعي وأراضي صخرية عارية حوالي 50%.

ومن القضايا القائمة بالريف تلك المرتبطة بتلف الأثرية جراء عنف الأمطار وعنف الجريان السائغ والمركز. ينتج عن ذلك تقلص المساحات المزروعة بشكل يمكن معانيته على فترات وجيزة خاصة وأن تراجع الغطاء النباتي يتم بوتيرة متسارعة. ولعل المناطق على الساحل شوق الجبهة هي الأكثر نزيفاً على الإطلاق (أحواض مسطاسة، بني بوفراج، غيس، نكور)، تليها عالية ورغة ومقدمة الريف.

ويتعميم شديد لتشكيلات ومظاهر التعرية السائدة يمكن تحديد مظاهر تستقر فوق صخور الطين والفليس المورق والشيست والصلصال.

1 - تعرية غشائية وسيول تتطور نحو الأساحل بالريف الأوسط والشرقي ومقدمة الريف.

2 - تعرية مزدوجة سطحية وعميقة فوق سفوح مقببة ومنتجة تتأثر لها المغروسات والمنشآت والطرق.

3 - تعرية كتلية وسفوح متدرجة ذات حفر وألسنة للدق الروحلي تنشط موسمياً.

وهي أشكال توحي بدور فعال للمناخ في تحديد الدينامية ارتباطاً بالتوجيه والرطوبة. كما تسبب مضايقة حقيقة للأشجار والمباني والأعمدة والأنشطة الفلاحية بما في ذلك الحيازات المسقية وقطاعات الري الصغرى. وفي ذات الوقت يبدو أن المنشآت المائية وحقيقتات السدود المحيطة بالريف بدأت فعلاً تواجه تحولا كاملاً في سد علي تحلات والنخلة وجزئياً في سد محمد الخامس والمخازن وتهديد الباقي بما في ذلك إدريس الأول و9 أبريل والوحدة.

خلاصة :

بالرغم على العديد من المعطيات المشتركة مع السلسلة



د. د. ع. كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، ص. 240 ؛ سعيد شاكرو، 1996 ؛ مظاهر السطح والتشكيل بمجال غفساي (الريف الأوسط)، دراسة جيومورفولوجية، د. د. ع. كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، ص. 248 ؛ محمد بلمزونة، 1993 ؛ التوضعات السطحية بمنطقة مشرع بلقاصيري، دراسة جيومورفولوجية، د. د. ع. في الجغرافيا، كلية الآداب، الرباط، ص. 238 ؛ محمد زاكي، 1996 ؛ منطقة تافرانة، المحرض الأوسط لوادي ورغة، دراسة جيومورفولوجية، د. د. ع. كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، ص. 310.

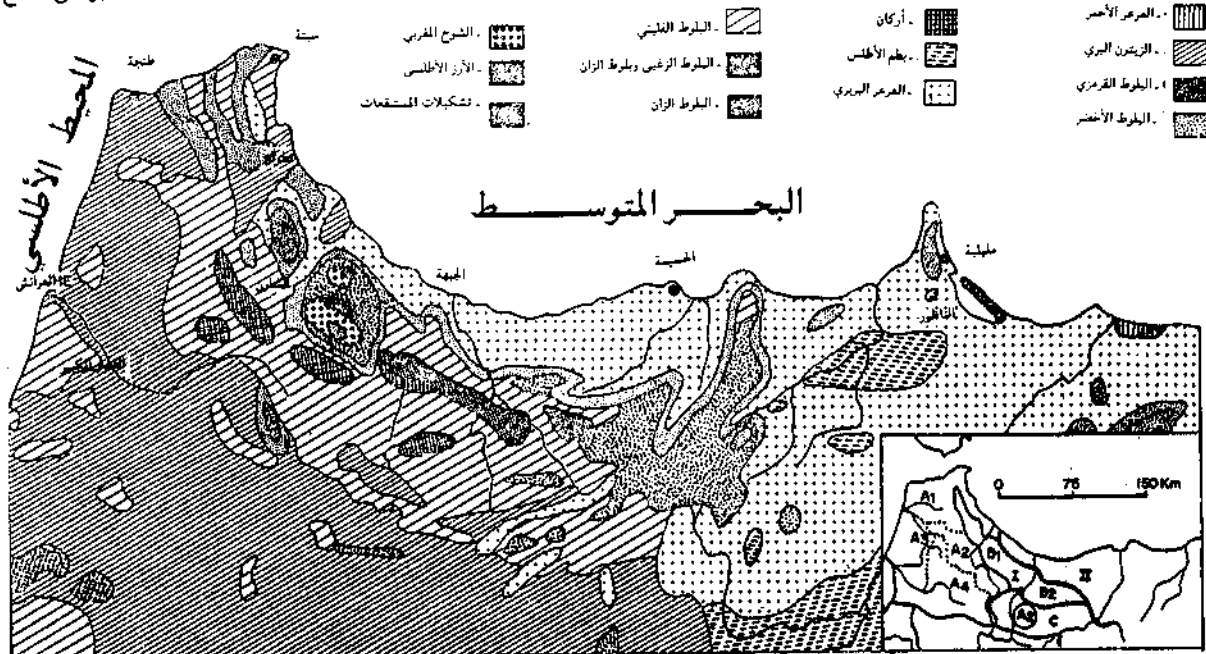
A.P.P.N (Agence de Promotion des Provinces du Nord), *Rapport d'activité 1999*, inédit Paidar Med (Programme d'Action Intégré pour le Développement et l'Aménagement de la Région Méditerranéenne Marocaine), 1996 ؛ L. Asebriy, *Evolution tectonique et métamorphique du Rif central, définition du domaine subriftain*, Thèse d'Etat, Univ. de Rabat, 284 p., 1994 ؛ J.J. Barathon, *Bassins et littoraux du Rif oriental, Evolution morphoclimatique et tectonique depuis le Néogène supérieur. Etudes Méditerranéennes*, fas. 13, 531 p., 1989؛ Direction Provinciale d'Equipement de Chefchaouen, *Rocade Méditerranéenne*, loi. n° 2, Tétouan - Al-Hoceima : *Etude d'impact*, 1999 ؛ A. El Gharbaoui, *La Terre et l'homme dans la péninsule Tingitane, étude sur l'homme et le milieu naturel dans le Rif occidental*, Rabat, p. 439, 1981 ؛ J. Lecoz, *Le Gharb, Fellahs et Colons*, 2 tomes, Rabat, 1964 ؛ Mara, *Plan Directeur des Aires Protégées du Maroc. Etude et définition des sites protégés et élaboration des plans de gestion des parcs nationaux du Maroc*, 1995 ؛ G. Maurer, *Les montagnes du Rif central, étude géomorphologique*, Rabat, 1968 ؛ A. Reffas, *L'organisation urbaine de la péninsule tingitane*, thèse doct. d'Etat, Univ. Paris I, 1993 ؛ J.P. Thauvin, *Ressources en eau du Maroc, domaine du Rif et du Maroc oriental*, Rabat, 1971 ؛ J.F. Troin, *Les souks marocains, marchés ruraux et organisation de l'espace dans la moitié nord du Maroc*, Aix-en-Provence.

بوشتي الفلاح

التلية والبيتيقية، لجبال الريف خصائص محلية ترتبط بالمفارقات بين السطح المتوسطي شمالا ومقدمة الريف جنوبا، كما أن الفوارق كبيرة بين واجهة شرقية يغلب عليها الجفاف والريف الغربي حيث تطفئ الرطوبة.

من هنا يتحدد الجانب الأكبر من الموارد الطبيعية وما يليها من نماذج استقرار بشري وأنشطة سكانية. ومن الطبيعي أن استغلال التربة دفع ساكنة الريف إلى انتهاج أساليب في التعامل مع مجالها ترتبت عنه مخلفات سلبية ما لبثت أن أخلت بالتوازنات. لذلك وفي غياب سياسة جادة واضحة المعالم لحماية التراب وإصلاح المجال، تطبق على أرض الواقع في شكل مشاريع للتنمية المستدامة، ستحصده هذه الجبال لا محالة مزيدا من الأضرار التي قد تسبب نزيفا شاملا يفرغها من مقوماتها الطبيعية الأساسية ويدفع بها نحو تصحر كلي.

بوشتي الفلاح، دراسة جيومورفولوجية لجزء من أخدود الجنوب الريفي، ممر تازة غرب فج الطواهر، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، الرباط، ص. 233، 1986 ؛ 2000، حركات السفوح والمخاطر المرتبطة بها في الريف الأوسط، أطروحة، د. د. كلية الآداب، الرباط، ص. 330 ؛ نعيمة كبي، 1999 ؛ عالية حوض ورغة، منطقة ظهر السوق ؛ دراسة جيومورفولوجية، التطوير المرفلوجي والدينامية الحالية، الدكتوراه الوطنية، كلية الآداب، الرباط، ص. 321 ؛ فاطمة الشويخ، 1996 ؛ التكوينات السطحية والدينامية الحالية لمنطقة تروال - أولاد عيسى (مقدمة الريف الغربي)، د. د. ع. كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، ص. 205 ؛ فاطمة مودكيري، 1996 ؛ مظاهر السطح والتشكيل بمجال تاونات (الريف الأوسط)، دراسة جيومورفولوجية،



الغطاء النباتي

تم طبع الجزء 13 من معلمة المغرب  
بمطابع سلا ومطبعة النجاح الجديدة  
في رمضان عام 1422 / نونبر 2001



مطابع سلا

قسمة 14، زنقة عثمان بن عفان  
الحي الصناعي لتابريكت  
ص.ب. 596 سلا

معلمة المغرب

Directeur de publication : Mohamed **Hajji**

Comité de rédaction : Ahmed **Toufiq**  
Mohamed **Hajji**

Comités scientifiques :

Pour les sciences humaines

Mohamed **BENCHERIFA**, Faculté des Lettres, Rabat.  
Brahim **BOUTALEB**, Faculté des Lettres, Rabat.  
Salem **YAFOUT**, Faculté des Lettres, Rabat.  
Mustapha **NAIMI**, Institut Universitaire pour la Recherche  
Scientifique, Rabat.

Pour la géographie et les sciences de la nature

Abdellah **LAQUINA**, Faculté des Lettres, Rabat.  
Dris **EL-FASSI**, Institut Agronomique et Vétérinaire Hassan II, Rabat.  
Mustapha **AYAD**, Faculté des Lettres, Rabat.  
Abdelmalek **BENABID**, Ecole Nationale Forestière, Salé.  
Mohamed **RAMDANI**, Institut Scientifique, Rabat.

Tous droits réservés, y compris le droit de traduction ou de reproduction  
même partielles sous quelque forme que ce soit.



**IMPRIMERIE DE SALÉ**

Lot 14, Rue Othman Ibn Affane  
Zone Industrielle de Tabriquet  
B.P. 596 - SALÉ

# Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.



Publiée par

**L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication**

Editée par

**L'Imprimerie de Salé**

**"SALA"**

**2001 - 1422**

Copyright © IMPRIMERIE DE SALÉ "SALA" 2001

ISBN (Ensemble) 9981 - 03 - 000 - 7

ISBN (Tome XIII) 9981 - 03 - 019 - 8

**Encyclopédie  
du  
Maroc**

# معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف  
الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى



من إنتاج  
الجمعية المغربية  
للتأليف والترجمة والنشر

نشر  
مكاتب سلا





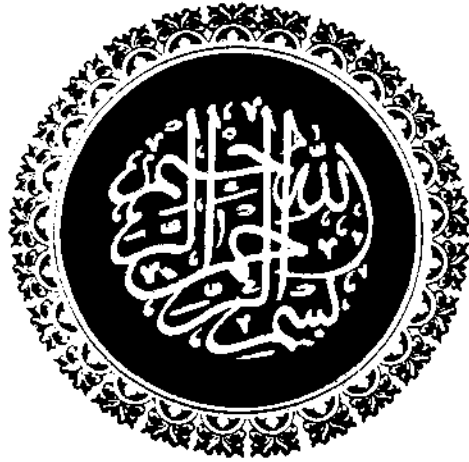


رقم الإيداع القانوني  
بالمخزنة العامة للكتب والوثائق - الرباط -  
1984/629

جميع حقوق النقل والترجمة - جزئياً أو كلياً بأي شكل كان - محفوظة  
للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولطابع سلا

رد مك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)

رد مك 1 - 020 - 03 - 9981 (الجزء 14)



أعد هذا الجزء من معلمة المغرب  
بدعم من وزارة الثقافة والاتصال  
ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة  
أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق  
عبارات الشكر والامتنان.



المدير المشرف

: محمد حجي

لجنة التحرير

: أحمد التوفيق، أستاذ التاريخ بكلية الآداب،

الرباط

محمد حجي، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

لجنة العلوم الإنسانية

: محمد بنشريف، أستاذ الأدب المغربي والأندلسي

بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية،

الرباط

إبراهيم بوطالب، أستاذ التاريخ بكلية الآداب،

الرباط

سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط

مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي

بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافيا : عبد الله العويطة، أستاذ الجيومورفولوجيا بكلية

الآداب، الرباط

مصطفى عياد، أستاذ الجغرافيا البشرية بكلية

الآداب، الرباط

إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية

الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة،

الرباط

عبد المالك ينعييد، أستاذ بالمدرسة الوطنية

الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة

والبيطرة، الرباط

محمد رمضان، باحث في البيولوجيا الحيوانية

بالمعهد العلمي وأستاذ بكلية العلوم، الرباط

# اختصارات

تد .	= توفي
تج .	= تحقيق
تر .	= ترجمة
خ . ت	= خزانة تطوان
خ . ح .	= الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ . ص .	= الخزانة الصبحية بسلا
خ . ع .	= الخزانة العامة بالرباط
خ . ق .	= خزانة القرويين بفاس
خ . ي .	= خزانة ابن يوسف بمراكش
د . ت	= دون تاريخ
د . د . ع .	= دبلوم الدراسات العليا
د . م .	= دون مكان
ط .	= طبعة
←	= انظر

\* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

## المشاركون في تحرير هذا الجزء

- ميلود احسن، كلية الآداب - مراكش  
 محمد أخريف، باحث - القصر الكبير  
 محمد الأخضر، باحث - الرباط  
 الفقيه الإدريسي، كلية الآداب - بني ملال  
 محمد أديوان، كلية الآداب - الرباط  
 شفيق أرفاك، كلية الآداب - أكادير  
 عبد الرزاق ازويكم، كلية الآداب - مراكش  
 سعيد أعراب، باحث - تطوان  
 عمر أفا، كلية الآداب - الرباط  
 المختار الأكل، كلية الآداب - المحمدية  
 العربي اكنينج، المدرسة العليا للأساتذة - فاس  
 حسن أميلي، كلية الآداب - المحمدية  
 خالد أوشن، باحث - أكادير  
 محند آيت الحاج، وزارة التربية الوطنية - البيضاء  
 محمد آيت حمزة، كلية الآداب - الرباط  
 لحسن آيت لفيقه، كلية الآداب - بني ملال  
 أحمد إيشرخان، باحث - الرباط  
 عيسى إيكن، وزارة الثقافة - الرباط  
 محمد البايك، باحث - مراكش  
 محمد البدرأوي، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط  
 عكاشة برحاب، كلية الآداب - المحمدية  
 محمد برأص، باحث - الرباط  
 محمد البركة، باحث  
 الحسين البعاوي، وزارة التربية الوطنية - العرائش  
 محمد بلعربي، باحث - الرباط  
 عائشة البلغيشي العلوي، كلية الآداب - الرباط  
 عبد العزيز بل القايدة، كلية الآداب - القنيطرة  
 رقية بلمقدم، كلية الآداب - القنيطرة  
 علي البليشي، كلية الآداب - الرباط  
 أحمد بنجلون، باحث - الرباط  
 زليخة بنرمضان، كلية الآداب - المحمدية  
 زينب بشرحون، أستاذة باحثة بالرباط  
 عبد المالك بنعيبد، المدرسة الغابوية للمهندسين - سلا  
 عبد الرحيم بنعلي، كلية الآداب - مراكش  
 حليلة بنكرمي، كلية الآداب - القنيطرة  
 عبد الإله بنمليح، كلية الآداب - فاس  
 عثمان بناني، كلية الآداب - الرباط  
 رحال بويريك، كلية الآداب - أكادير  
 محمد الأمين بوخيزة، باحث - تطوان  
 عبد القادر بوراس، المركز الجهوي التربوي - القنيطرة  
 سعيد البوزيدي، كلية الآداب - القنيطرة  
 عيسى البوزيدي، كلية الآداب - القنيطرة  
 فاطمة بوسعة، باحثة - الرباط  
 محمد بوسلام، وزارة التربية الوطنية - الرباط  
 أحمد بوشرب، كلية الآداب - الدار البيضاء  
 مصطفى بوشعراء، باحث - سلا  
 عبد الله بوصحابة، كلية العلوم - فاس  
 إبراهيم بوطالب، كلية الآداب - الرباط  
 أحمد بوعزيز، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط  
 أحمد بومزكو، وزارة التربية الوطنية - تيزنيت  
 جامع بيضا، كلية الآداب - الرباط  
 عبد العزيز توري، وزارة الثقافة - الرباط  
 أحمد التوفيق، محافظ الخزانة العامة - الرباط  
 حسن جلاب، كلية اللغة العربية - مراكش  
 الحسين جهادي، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء  
 محمد الحاقمي، كلية الآداب - أكادير  
 حسن حافظي علوي، كلية الآداب - مراكش  
 محمد حجاج الطويل، كلية الآداب - الدار البيضاء  
 محمد حجي، كلية الآداب - الرباط  
 عبد الفتاح الحجمري، كلية الآداب - الدار البيضاء  
 موحى حدوش، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط  
 عبد الجليل حلیم، كلية الآداب - فاس  
 نجيب خداري، صحافي - الرباط  
 غلال الخديمي، كلية الآداب - الرباط  
 محمد خربوغة، المعهد العلمي - الرباط  
 خالد الحضري، وزارة الثقافة - الرباط  
 نجاة الحياطي، كلية العلوم - الرباط  
 عبد الإله الدحاني، كلية علوم التربية - الرباط

صافية العمراني، وزارة التربية الوطنية - مراكش  
 عبد العلي العمراني جمال، بالمركز الجامعي للبحث العلمي - باريز  
 محمد عمrani، كلية الآداب - القنيطرة  
 عبد الله العويضة، كلية الآداب - الرباط  
 أحمد عيدون، وزارة الثقافة - الرباط  
 مصطفى عياد، كلية الآداب - الرباط  
 محمد العيوض، المدرسة العليا للأساتذة - الرباط  
 إدريس الفاسي، كلية الآداب - الرباط  
 عبد الإله الفاسي، كلية الآداب - القنيطرة  
 محمد فتحة، كلية الآداب - الدار البيضاء  
 حسن الفكيكي، كلية الآداب - القنيطرة  
 بوشتي الفلاح، المعهد العلمي - الرباط  
 محمد القادري، كلية العلوم - الرباط  
 محمد كربوط، كلية الآداب - الرباط  
 ليثي شمعون، كلية الآداب - الرباط  
 محمد ماكامان، وزارة التربية الوطنية - مراكش  
 أحمد متفكر، باحث - مراكش  
 محمد مجدوب، كلية الآداب - المحمدية  
 ثريا المرابط، المركز الوطني للتنسيق وتخطيط البحث - الرباط  
 محمد المغراوي، كلية الآداب - الرباط  
 محمد المنصور، كلية الآداب - الرباط  
 محمد منيوي، المعهد العلمي - الرباط  
 أحمد مهدها، كلية الآداب - مراكش  
 مصطفى مولاي أرشيد، كلية الآداب - الرباط  
 شاكر ميلودي، كلية الآداب - الرباط  
 محمد ناجي بن عمر، باحث - أكادير  
 مصطفى ناعمي، معهد البحث العلمي - الرباط  
 عبد الله نجحي، كلية الآداب - الرباط  
 أحمد هوزالي، كلية الآداب - مراكش  
 أحمد الواوثر، كلية الآداب - الجديدة  
 إبراهيم الوافي، كلية الآداب - أكادير  
 محمد وحيد، باحث - الدار البيضاء  
 محمد عزيز الوكيل، وزارة التربية الوطنية - الرباط  
 أحمد البيوري، كلية الآداب - الرباط  
 مصطفى اليزيدي، كلية الآداب - وجدة  
 خديجة اليملحي، كلية علوم التربية - الرباط

نفيسة الذهبي، كلية الآداب - القنيطرة  
 محمد رابطة الدين، كلية الآداب - مراكش  
 علال رگوگ، كلية الآداب - بني ملال  
 محمد رمضان، المعهد العلمي - الرباط  
 محمد الرمضاني، باحث - وجدة  
 بوجمعة رويان، كلية الآداب - القنيطرة  
 محمد رياض، باحث - مراكش  
 الميلود زروقي، كلية الآداب - وجدة  
 عبد الخالق الزرواطي، المعهد العلمي - الرباط  
 أحمد زروال، كلية الآداب - مراكش  
 قاسم الزهيري، باحث - الرباط  
 عبد الفتاح الزين، معهد البحث العلمي - الرباط  
 خليل السعداني، كلية الآداب - بني ملال  
 محمد السعديين، وزارة التربية الوطنية - سلا  
 عبد السلام السعيد، باحث - مراكش  
 المهدي السعيد، كلية الآداب - أكادير  
 رشيد السلامي، كلية الآداب - مراكش  
 محمد السمار، باحث - الرباط  
 مصطفى الشابي، كلية الآداب - الرباط  
 خالد شاوش، باحث - تطوان  
 محمد الشريف، باحث - تطوان  
 محمد عزيز الشفشاوني، باحث - الرباط  
 صالح شكاك، وزارة التربية الوطنية - الرباط  
 الحسين شوقي، وزارة التربية الوطنية - قلعة السراغنة  
 حمادي شيمي، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط  
 عبد الرزاق الصديقي، كلية الآداب - المحمدية  
 خالد بن الصغير، كلية الآداب - المحمدية  
 أحمد الطاهري، كلية الآداب - المحمدية  
 محمد الطليسان، كلية الآداب - الرباط  
 محمد الطريف، كلية الآداب - المحمدية  
 عبد العزيز بن عبد الجليل، وزارة الثقافة - مكناس  
 إسماعيل العثماني، مديرية الوثائق الملكية - الرباط  
 أحمد عزاوي، كلية الآداب - القنيطرة  
 محمد ابن عزوز حكيم، باحث - تطوان  
 عدّي عزّي، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط  
 عبد الرحيم العطاوي، كلية الآداب - الرباط  
 أحمد عمالك، كلية الآداب - مراكش



## Liste des principales abréviations des périodiques

- A.A : *L'Afrique et l'Asie.*  
A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*  
Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales.*  
A.E.S.C : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*  
A.F : *Afrique Française.*  
A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*  
A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*  
A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*  
A.M : *Archives Marocaines.*  
A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie.*  
And. : *Al-Andalus*  
Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*  
Ant. Afr. : *Antiquités Africaines.*  
B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*  
B.A.R : *British Archeological Reports.*  
B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*  
B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*  
B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*  
B.G.M : *Bulletin de Géographie du Maroc.*  
B.I.D.M : *Bulletin de l'Information et de la Documentation Marocaine.*  
B.I.F.A.N : *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire.*  
B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*  
B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*  
B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne.*  
B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*  
B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*  
B.S.G.Æ.O : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*  
B.S.H.M : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*  
B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*  
B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Préhistoire du Maroc.*  
Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique.*  
C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*  
Cah. Rech. Agron. : *Cahiers de la Recherche Agronomique.*  
C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*  
C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*  
C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*  
C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos.*  
C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam.*  
C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée.*  
C.R.A.I.B.L : *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*  
C.R.A.S : *Compte-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*  
C.T : *Cahiers de Tunisie.*  
E.B : *Encyclopédie Berbère.*

**E.I.1** : *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*  
**E.I.2** : *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*  
**E.T.A.M** : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*  
**Et. Médit.** : *Etudes Méditerranéennes.*  
**F.M** : *France - Maroc.*  
**F.S.S.A.N** : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*  
**G.E.M** : *Grande Encyclopédie du Maroc.*  
**Hesp** : *Hespéris.*  
**H-T** : *Hespéris-Tamuda.*  
**H.T.E** : *Hommes, Terre et Eaux.*  
**I.G** : *Information Géographique.*  
**I.H.E.M** : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*  
**I.H.E.M** : **N-D** : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*  
**Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar.** : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*  
**I.S.C** : *Institut Scientifique Chérifien.*  
**Isl. Cult.** : *Islamic Culture.*  
**I.S.P.M** : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*  
**J.H.S.N** : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*  
**M.A.I.B.L** : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*  
**Medit** : *Méditerranée.*  
**M.E.F.R** : *Mélanges de l'Ecole Française de Rome.*  
**N.A.M.S.L** : *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*  
**P.I.H.E.M** : *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*  
**P.S.A.M** : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*  
**P.S.H.M** : *Publications de la Section Historique du Maroc.*  
**R.A** : *Revue Africaine.*  
**R.A.P** : *Revue de l'Action Populaire.*  
**R.C.C** : *Revue de la Chambre de Commerce.*  
**R.D.M** : *Revue des Deux Mondes.*  
**R.E.A** : *Revue des Etudes Anciennes.*  
**R.E.I** : *Revue des Etudes Islamiques.*  
**R.E.L** : *Revue des Etudes Latines.*  
**R.G.L** : *Revue de Géographie de Lyon.*  
**Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn.** : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*  
**R.G.M** : *Revue de Géographie du Maroc.*  
**R.H.C.M** : *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*  
**R.H.E** : *Revue d'Histoire Economique.*  
**R.H.M.C** : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*  
**R.M.D.E.D** : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*  
**R.M.E** : *Revue Maroc-Europe.*  
**R.M.F** : *Revue Militaire Française.*  
**R.M.F.P.E** : *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie.*  
**R.M.M** : *Revue du Monde Musulman.*  
**R.P.P** : *Revue Politique et Parlementaire.*  
**Rev. Inst. Hist. Mil.** : *Revue Internationale d'Histoire Militaire.*  
**S.G.L** : *Sociedade de Geografia de Lisboa.*  
**S.I** : *Studia Islamica.*  
**S.I.H.M** : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*  
**Soc. Sc. Nat. Phys. Mar.** : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*

**الريفي،** أسرة نابهة حكم عدد من أفرادها منطقة الشمال المغربي منذ أواخر القرن الحادي عشر (17 م)، أصلها من قبيلة تسمان إحدى قبائل الريف الشرقي، وهي نفسها المعروفة بالبطوئي والحمامي، نسبة إلى تحالف بطوية، والحمامة الكائنين بقبيلة تسمان، تمييزاً عن غيرها من الأسر المنتمة إلى باقي جهات منطقة الريف.

تأسست الأسرة الريفية الحمامية بالشمال الغربي بانتقال القائدين الأخوين أحمد وعمر، ابني حدو الريفي اللذين عملا في قيادة المنطقة الشمالية منذ تعيينهما من طرف المولى إسماعيل سنة 1673 / 1084 لرئاسة نواة ما عرف بالجيش الريفي الجهادي المختص بتحرير الثغور الشمالية المحتلة، وقد علا شأن هذه الأسرة بعد تحرير المعمورة والعرائش وطنجة وتخطيط المولى إسماعيل لاسترجاع سبتة. وقد سبقت ترجمة القائدين أحمد بن حدو البطوئي وأخيه عمر بن حدو التمساني بأعمدة هذه المعلمة.

ومن هذه الأسرة برز على الخصوص الباشا علي بن عبد الله الحمامي الريفي المتوفى سنة 1713 / 1125 وابنه أحمد التالي له في القيادة والباشوية المقتول عام 1743 / 1156 أثناء ثورته على السلطان المولى عبد الله. وقد سبقت ترجمتهما أيضاً. ومن نسل هذين الأخيرين تولى عدد منهم باشوية طنجة وحكم المنطقة الشمالية وإسناد شؤون الريف إليهم، بدءاً من عهد السلطان محمد بن عبد الله (1757 - 1790). وعلاوة على ذلك فقد مكثهم موقعهم بمدينة المصيق مباشرة جوانب ما فوض لهم من السياسة الدبلوماسية على أساس مزاولته منصب النيابة السلطانية بطنجة.

وكان لحكام هذه الأسرة ميل إلى تلبية رغبات الإسبان الحاضرة بحدود ثغري سبتة ومليلة. تفرغ امتداد نسل الأسرة الريفية إلى فرعين : أسرة عبد الصادق وأسرة عبد المالك. ومن الفرعين نستمد التراجم التالية :

وثائق ح. ح : وثائق مديرية الوثائق الملكية : مضطفي بوشعرا.. الاستيطان والحماية، 4 : م. داود، تاريخ تطوان، 6 : وثائق الأرشيف التاريخي الوطني بمديرية : ح. الفكيكي. المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة : مقاومة الوجود الإسباني بالثغور الشمالية المحتلة : معلنة المغرب، 4 : 11.

حسن الفكيكي

**الريفي، أحمد بن بوسلهام** التوزيني التطواني، الرجل الصالح المعتقد، صاحب الضريح الشهير بحومة العيون. قبالة المسجد الجامع من تطوان. ولد عام 7 / 1125 1713 وكان أبوه بوسلهام من جيش الباشا أحمد بن عبد الله الريفي الحمامي التمساني. وذكر سكيروج في تاريخه نزهة الإخوان أن الزولين الصالحين أحمد بن محمد بنغيد الله مَعن الأندلسي الفاسي، والحاج أبا الحسن علي ابن محمد بركة الأندلسي التطواني اجتمعا بضرخ الولي الشهير أبي محمد عبد السلام ابن مشيش. فوجه لهما الباشا أحمد حملاً من المؤنة صحية بوسلهام الكوش، ففرقا تلك المؤنة على شرفاء العلم، ولما قرعنا طلب منهما بوسلهام (سخرته) على عادة (المخزنية) فقالا له : ما تريد؟ قال : أن يرزقني الله ولدا صالحا، فدعوا له. فلما رجع إلى تطوان، ولد له ولد فلما كبر أدخله الباشا أحمد في خدمة داره، وكلفه بالطاس (يعني غسل الأيدي للطعام) فصار ينطق بكلام لا يليق بالحكام، فسجنه بطنجة أربعة وعشرين شهرا. ثم سرح بعد موت الباشا.

قال الرهوني : "وقد سخر الله لهذا الرجل رجلاً صالحاً هو السيد محمد بن عبد العزيز العسبيل المولاطو الأندلسي فكان يخدمه وينفق عليه من حرقته (الحجامة) إلى أن توفي فدفنه في بيت من داره، ثم وجه إليه السلطان مولاي سليمان بن محمد بن غنيد الله يسأله عن المترجم له، فأخبره

بوفاته، وبموضع دفنه، فأمر السلطان بإخراج ذلك البيت من الدار وجعله ضريحاً مستقلاً، وقد دفن معه خادمه المولاي طوب وغيره. وحكى الزبدي في سلوك الطريق الوارية له كرامات.

توفي عام 1797/1212.

عبد المجيد الزبدي، سلوك الطريقة الوارية، مخطوط : ع. السلام سكيرج، نزعة الإخوان، مخطوط، ص. 15 : أ. الرهوني، عمدة الراويين، 4/90. مخطوط : م. داود، تاريخ تطوان، طبع تطوان، 6/190، 3/155.

محمد يوخزة

## الريفي، أحمد بن حدو ← الحمّامي، أحمد بن حدو

الريفي، أحمد بن عبد الصادق من المكلفين سنة 1308 / 1890 بأمر من المولى الحسن للمشاركة في معاينة تعيين حدود مليلة تطبيقاً لا تفاق مدريد يوم 10 محرم 1308 / 26 غشت 1890، وذلك بعد عدة محاولات كان آخرها محاولة سنة 1890/89-1307 التي خرجت فيها لجنة مشتركة لوضع علامة من الحجر.

وتائق. ح : وثائق مديرية الوثائق الملكية : ح. الفكيكي، نفورنا المحتلة، مشروع كتاب، الأرشيف التاريخي الوطني بمدير، 5503 : ح. الفكيكي، المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة، الرباط، 1997.

حسن الفكيكي

الريفي، أحمد بن علي بن عبد الله الشهير بالباشا. ولد بتطوان سنة 1682/1093، حيث كان والده يشغل منصب القائد العام بالمنطقة الشمالية من المملكة الممتدة من وادي ملوية إلى وادي سيو.

ونجهل كل شيء عن حياته قبل أن أصبح ينوب عن والده في حكم تطوان أو في قيادة الجيش المرابط على مدينة سبتة، الشيء الذي جعل السلطان مولاي إسماعيل يعينه ليقوم مقام أبيه إثر وفاته يوم 6 شعبان 1125/29 غشت 1713، ولعله هو أول من لقب بـ"الباشا" بتطوان.

ويستفاد من الرسالة التي وجهها الباشا أحمد إلى وزير خارجية فرنسا يوم 28 رمضان 1125/18 أكتوبر 1713، أنه كانت له نفس الاختصاصات التي كانت لأبيه فيما يخص العلاقات الخارجية مع الدول الأوروبية، وما يؤكد ذلك أنه هو الذي أبرم مع السفير الإنجليزي المستر شارل استيوارت (Charles Stewart) على ظهر باخرة بريطانية بجاه مرتين معاهدة الصلح ليوم 18 ربيع الأول 1133/17 يناير 1721، كما أنه هو الذي استقبل السفير المذكور عندما جاء إلى تطوان للمرة الثانية من أجل افتداء الأسرى الإنجليز يوم 9

رجب 1133/6 ماي 1721 وقد رافقه في سفره إلى مكناس ثم عاد معه إلى تطوان في 28 رمضان/23 يوليوز بعد أن وافق مولاي إسماعيل على إطلاق سراح نحو 300 أسير بريطاني.

وتشهد المصادر الإسبانية بأنه واصل الحصار المضروب على مدينة سبتة منذ سنة 1696/1108 والذي استمر إلى أن مات السلطان المذكور سنة 1727/1139.

ويتضح من المصادر المختلفة التي تتوفر عليها أن الفقيه محمد داود كان على حق عندما قال عن الباشا أحمد إنه "كان من عظماء الرجال بالمغرب وكان ذا همة عليا وإرادة قوية وكان رجل الإدارة والتدبير والتنظيم والتعمير، ولكن الكمال لله فلقد كانت فيه أيضا نواحي نقص أدت به إلى مظالم كبرى وصاعب عظمى ونهاية محزنة مؤلمة (تاريخ تطوان، ج. 2، ص. 48).

واتفقت جميع المصادر على القول بأن الباشا كان يحتاج إلى مال كبير لمواجهة المصاريف الضخمة التي كان يقوم بها من أجل التعمير، الشيء الذي جعله يتقل كاهل سكان منطقة نفوده وخاصة منهم أهالي تطوان بضرائب فادحة وغرامات طائلة : ويبدو أنه عند وفاة السلطان مولاي إسماعيل صار الباشا في عهد السلطان مولاي أحمد الذهبي يتصرف في تطوان وناحيتها كالمالك في ملكه خصوصا وأنه استطاع بماله أن ترك له حاشية السلطان الحبل على الغارب يفعل في سكان منطقتة ما يشاء حيث ارتفعت الضرائب وتكاثرت الغرامات.

وكانت القبائل المجاورة لتطوان أول من امتنعت عن أداء الضرائب والغرامات الغير المشروعة المفروضة عليها، واعتبر الباشا هذا العمل تمردا على سلطته فقام بحملة تأديبية لبعض القبائل، وكان رد فعل هذه القبائل أنها رفضت حكمه ونبذت طاعته وأعلنت الثورة العلنية ضده. وما إن رأى أهالي تطوان أن الباشا لم يستطع الوقوف في وجه تلك القبائل المتمردة ضده حتى تضامنوا معها وطردهوا من المدينة أخ الباشا ثم حطموا جميع بناياته بما في ذلك قصره المعروف بالمشور بساحة الفدان وقصره الآخر الذي كان بضواحي المدينة بالمكان المعروف بسانية السلطان بكيتات : وكان متزعم هذه الحركة بتطوان في أول الأمر أحد أفراد أسرة بايص الذي ألف وفدا من أعيان البلاد وأرسله إلى العاصمة المكناسية من أجل المطالبة بعزل الباشا أحمد وتعيين شخص آخر في مكانه.

ولم يستجب السلطان مولاي أحمد الذهبي لطلب الوفد إلا بعد مرور ثلاثة أشهر حيث أصدر يوم 15 ذي القعدة 1139/4 يوليوز 1727 قرارا يقضي بعزل الباشا من منصبه بتطوان مع احتفائه بباشوية طنجة وأصيلا والعرانش، وتعيين القائد عبد الملك بوشفرة مكانه بتطوان.

وتجاهل الباشا أحمد القرار السلطاني حيث نجده يغادر مدينة طنجة على رأس جيش يتكون من 6000 رجلا متجهًا

نحو مدينة تطوان حيث حاصرها من يوم 2 إلى يوم 5 صفر 1140/ 19. 22- سبتمبر 1727 في محاولة أولى منه لأجل إخضاع المدينة لحكمه، غير أنه وجد سكانها قد أعدوا العدة لمقاومته فرجع إلى طنجة.

ولم يمر على هذه المحاولة سوى أسبوعين حتى قام الباشا أحمد بمحاولة ثانية وغادر طنجة هذه المرة على رأس جيش يتكون من 9000 من المشاة و800 من الفرسان، وقد بدأ حصاره لتطوان يوم 19 صفر/6 أكتوبر وفي يوم السبت 24 صفر / 11 أكتوبر اقتحم المدينة وجرت معركة كبيرة قتل فيها من جانب الباشا نحو ألف رجل ومن جانب تطوان نحو 350 رجلا، وكان الحاج عمر لوقش هو الذي ترأس الدفاع عن المدينة في غياب الباشا بوشفرة الذي تركها ليلا خوفا من أن يقع بيد الباشا أحمد، وقد عرفت هذه المعركة بـ"عيطة تطوان".

وعاد الباشا أحمد إلى طنجة لينتظر هناك فرصة تمكنه من الانتقام من أهالي تطوان، وطال انتظاره من سنة 1140 إلى سنة 1151/ 1727. 1738 حيث بوع زوج ابنته السلطان مولاي المستضى فلم تعترف به أهالي تطوان، وكان رد فعل السلطان الجديد أنه أعاد جهة الباشا أحمد إلى باشوية تطوان مع الاحتفاظ بباشوية طنجة وأصيلا والعرانش، ولم يكن في وسع سكان تطوان الوقوف في وجه ذلك القرار الذي مكن الباشا أحمد من العودة إلى المدينة وحكمها للمرة الثانية.

وفي سنة 1153/ 1740 خُلع السلطان مولاي المستضى الذي لم يجد مكانا يعتصم به سوى دار عمه الباشا أحمد بطنجة فتوجه إليها خصوصا وأن الباشا لم يعترف بمولاي عبد الله الذي اعتلى العرش مرة أخرى، بل إنه قام بمبايعة مولاي زين العابدين بطنجة وتطوان وأصيلا والعرانش في شهر ربيع الأول/1154/ ماي - يونيو 1741.

وأصل عداوة الباشا أحمد للسلطان مولاي عبد الله يرجع إلى كون الباشا كان قد أرسل إلى السلطان المذكور سنة 1143 هدية ثمينه مع وفد يتكون من ثلاثمائة من أعيان الريف فأمر مولاي عبد الله بقتلهم لأسباب مجهلة، وهذا ما يفسر الموقف العدائي الذي كان يقفه الباشا أحمد من مولاي عبد الله في المرات العديدة التي بوع فيها، لدرجة أنه عندما اعتلى مولاي عبد الله العرش للمرة الرابعة في أواخر سنة 1155/ أوائل عام 1743 خرج الباشا أحمد من طنجة على رأس جيش يتكون من 50.000 مقاتل لمحاربة السلطان وإعادة مولاي المستضى إلى العرش، غير أنه فشل في محاولته لانتهزام قواته بضواحي فاس في معركة قتل فيها من جانب الباشا نحو ألف رجل وقد جرت هذه المعركة يوم 22 صفر 1156/ 17 أبريل 1743، حيث عاد الباشا إلى طنجة.

وبعد ثلاثة أشهر أعاد الباشا أحمد الكرة حيث خرج من طنجة على رأس جميع قواته في جمادى الأولى 1156/

يوليوز 1743 وعند وصوله إلى المنزه بالقرب من القصر الكبير وجد السلطان مولاي عبد الله ينتظره لخوض المعركة الفاصلة التي مات فيها الباشا أحمد يوم الاثنين 14 جمادى الثانية 1156/ 5 غشت 1743، حيث قطع رأسه وعلق بباب المحروق بفاس، ولم يوافق السلطان على إنزاله إلا بعد أن تشفع فيه أولاد عبد الرحمن الشعالبي من الجزائر وكان ذلك يوم 17 شوال من نفس السنة/4 ديسمبر 1743، وهذا لم يمنع السلطان مولاي عبد الله من مصادرة جميع أملاك الباشا أحمد.

ومن آثار الباشا أحمد بتطوان القصر المعروف بالمشورر بساحة الفدان الذي كان التطوانيون قد هدموه ثم أعاد هو بناءه، وهنا أيضا الجامع المعروف بجامع الباشا الواقع قرب القصر المذكور وقد بناه سنة 1150/ 1737، وهناك البرج الهائل الذي بناه على مصب وادي مرتين سنة 1132/ 1720 والذي لازال قائما إلى يومنا هذا، وأخيرا هناك قسبة طنجة.

والجدير بالذكر أن هناك تأليفاً في مدح الباشا أحمد ألفه المهدي الغزال سنة 1149/ 1736 تحت عنوان "نزهة الإحسان ومناهج الصلوات الحسان" ويقع في سبعين صفحة. ولا بأس من أن ننقل هنا قصة خيالية عن الباشا أحمد جاء بها محمد بن عبد السلام الضعيف في تاريخ الدولة السعيدة (صفحة 126 من النسخة الموجودة بالخرانة العامة بالرباط) حيث قال :

"ولما أخبر (أحمد الريفي) بأنه يدخل فاس أميرا بعث للروم على أن يصنعوا له سرير المملكة فصنعوه ورضعوه وأنفقوه في غاية الإقتان وموهوه بالذهب والفضة وأنفقوا عليه مالا عريضا، ولما أكملوه بعثوه له ثم بعث لهم على الملف والكتان والانتفاض والبارود وغير ذلك من السلاح ثم ادعى الشرف بأنه من أولاد مولانا عبد السلام بن مشيش نفع الله به وبعث المال الكثير لأولاد مولانا عبد السلام والملف والكتان وغير ذلك على أن يشهدوا له بالشرف فشهدوا له بأنه من الأشراف أولاد حمام فشهد له العلماء من أهل تطاون والفقهاء ومن القصر الكبير والعرانش وطنجة وشفشاون ثم بعث لمولانا الطيب من وزان على أن يشهد له بالشرف أيضا فأبى وأجابه بأن قال له ليس في حفظنا ما تشهد لك به من الشرف الذي ادعيت به الآن أما أنت فرجل من أهل الخير ومن دار كبيرة وأما الشرف فليس لنا به علم فاغتاظ من ذلك وبعث لأهل الريف على أن يغيروا على الشرفاء وضيقت بهم وبأصحابهم وكان ينزع لهم الخيل كرها وتقادى عليهم وصار يقبض من أصحابهم الخراج".

عبد السلام سكيرج، نزهة الاخوان.

John Windus, A Journey to Mequinez th residence of the present Empeureur of Fes and Morocco, London, 1725.

محمد ابن عزوز حكيم

الفرنسيون والاسبان يخشون عواقب أدواره المشكوكة على سياستهم الاستعمارية، فقرر الفرنسيون منعه من الرجوع إلى منطقة نفوذهم، وقرر الإسبان عدم السماح له بالظهور في مركز الحدود. عندئذ، تمكن من اقتحام العقبات والالتحاق رسميا بالقيادة العليا لقوات محمد عبد الكريم حيث أنيطت به كل المهام التي كانت تتطلب دراية بالشؤون الأوربية.

وكم كان يحلو له أن يحسب نفسه "مديرا للشؤون الداخلية"، ولئن كان الزعيم الريفي يتطير منه ويعدده منافقا ومخادعا، فإنه ظل يحظى بثقة وحماية اثنين من وزراء محمد عبد الكريم، وهما محمد أزرقان، وزير الخارجية، ومحمد بوجبار، وزير المالية.

يبدو أن حدو كان يعاني من نقص في موارده المالية وأن دائتيه العديدين شذوا عليه الخناق، فراح يبحث عن مخرج لأزمته. وفي هذا السياق، تمكن من إقناع بعض الزعماء الريفيين بأن العلاقات، بل الصداقات التي ربطها ببعض الفرنسيين تكلفه نفقات تجمي ثورة الريف ثمارها. إلا أن ثورة الريف كانت في حاجة إلى المال لأداء أثمانه الأسلحة والمواد الغذائية المستوردة والأدوية. لكن محمد بن عبد الكريم قرر توظيفه فجعل منه وسيطا بينه وبين الفرنسيين عبر ضابط الاستعلامات كابريلي.

وهكذا أصبح حدو يحمل لقب القائد بصورة رسمية، وكان ينقل الرسالة المتبادلة بين المجاهدين الريفيين والفرنسيين، وصار هو الناطق باسم حكومة محمد بن عبد الكريم. وبهذه الصفة، شارك إلى جانب محمد أزرقان وأحمد ولد الحاج شدي، في المفاوضات التمهيدية التي انعقدت بين الطرفين.

وعندما استسلم محمد بن عبد الكريم في أواخر أبريل 1926، قررت فرنسا في شأن حدو الريفي ما قررت في شأن باقي وزراء محمد بن عبد الكريم، أي الإبعاد عن مساقط رؤوسهم والإقامة الإجبارية. وفي هذا الإطار، أبعده القائد حدو إلى مدينة الصورة.

إلا أن الفراغ القاتل في الصورة، وعدم ربطه علاقات مع بعض سكانها الذين باتوا يتعدون عن السياسة، جعل منه عنصرا مدمنا على الخمر الذي كان في بعض الأحيان يلعب برأسه. فيطلق عقدة لسانه ويمضي القائد حدو في كلام لاذع بالنسبة للفرنسيين "الحائنين للصداقة، المنتكرين للجميل"، ويذكر الناس بشجاعة أهل الريف وبطولة محمد ابن عبد الكريم وصحبه والهزائم العديدة التي ألحقوها بالساكنين الإسبان والجيش الفرنسية.

تضايق حكام الصورة وقتئذ من هذه الأقوال، فقررت السلطة العسكرية المحلية بالخصوص، عام 1943، إبعاده السجن، فنقل إلى سجن العادر بالجديدة.

لكن الظروف المادية والأمراض والشيخوخة تكالبت عليه بدون رحمة وبعد مرور خمسة أعوام، أطلقت السلطات

الريفي، حدو بن حصو المعروف بالقائد حدو، ولد حوالي عام 1890/ 1308 أصله من منطقة الريف الشرقية، كان عام 1927 يقطن مدينة وجدة ويشغل منذ شبابه خادما في بيت المراقب المدني الفرنسي لويز صاي (Louis Say). كان يتحدث الفرنسية والإسبانية بلسان طليق، وكان ذكيا، متاورا، مغامرا، محبا للاضطلاع بدور سياسي ما.

بدأت شهرته يوم تعرف عليه ضابط في الاستخبارات الفرنسية، عام 1927، يسمى ليون كابريلي الذي كان في نفس الوقت رئيسا لدائرة تاويرت. وإذ كان حدو يمارس مهامه الرسمية في بيت لويز صاي، فإنه استطاع أن يحظى كذلك بثقة المجاهدين الريفيين الذين راحوا يذيقون الإسبان الامرين.



أخذ حدو يتعامل مع كابريلي، فيبلغه الأخبار الحقيقية عن المعارك التي كانت تدور رحاها بين القوات التي يقودها محمد عبد الكريم الخطابي وبين جيش الاحتلال الإسباني، كما كان يبلغه أهداف الثورة على أفواه رجالها، ويبلغ إلى المجاهدين "تقدير الحكومة الفرنسية واحترامها لهم" إلى درجة أن الريفيين اعتبروه "سفيرا" لهم لدى السلطات الفرنسية" وخصصوا له بعض الامتيازات المادية. وفي تنقلاته بين الجبهة الريفية ووجدة مرورا بتاويرت، كان يرتدي تارة العمامة على الشكل الريفي وملابس ريفية وتارة ملابس أوربية. مزينا عمامته أو طربوشه برموز الريف وأسلحته، الأمر الذي جعله يظهر بمظهر الرجل "ذي الوجهين" أو الشخص المزدوج كما يقولون.

لم يلبث على هذه الحال إلا بضعة أشهر حتى بدأ

العسكرية سراحه، فغادر سقلمه وعاد إلى الصويرة عام 1948، فعدل طبعاً عن الخمر، وصار يخصص كثيراً من أوقاته للعبادة، قلما يتحدث مع الناس، لا يكلمه إلا من كانت له ضرورة مخاطبته. لكن فئة قليلة من الشباب الواعي في ذلك الوقت، كانت تحييه إذا صادفته في أحد الأماكن العمومية وتعرب له عن تعاطفها مع المجاهدين الريفيين، إلى أن توفي بالصويرة عام 1950/1369.

Gabreilli. Abdelkrim.

أحمد بتجلون

**الريفي، عبد الرحمن بن عبد الصادق**، كان خليفة والده، أتى الترجمة. عين في منصبه الجديد سنة 1310 / 1892، وكثرت منه الشكايات لإضراره بالجيش الريفي. وفي عهده قام عبد السلام الأنجزي لمعارضة مد إسبانيا لأسلاك التلغراف بقبيلة أنجرة. ولم يمكث عبد الرحمن بن الصادق طويلاً بمنصبه، رد أنه توفي في الأجل القريب وتولى الباشوية مكانه أخوه عبد العزيز بن عبد الصادق.

وثائق خ. ح : مديرية الوثائق الملكية : مصطفى بوشعراء، الاستيطان والحماية.

**الريفي، عبد الصادق** لا تعرف اسم والده ونرجح أن يكون بن محمد بن عبد الصادق أو ابن أخيه أحمد بن عبد الصادق، وهما معا من أحياء سنة 1206 / 1790. عين عبد الصادق عاملاً على الريف، من طرف المولى عبد الرحمن، وكلفه السلطان بالمساهمة في إعداد اتفاق عام 1260 / 1844 الخاص بحدود الثغور المغربية المحتلة إلى جانب باشا طنجة بوسلهام بن علي أزطوط الريفي، إذ أن الإسبان كانوا قد هياؤا برنامجهم التوسعي. ففي يناير 1845 كانوا قد أعدوا مشروعهم بطرح الأسئلة التي هي في مغزى المطالب على حاكم طنجة بوسلهام بن علي، وعلى عبد الصادق الريفي عامل الريف.

وثائق خ. ح. ومديرية الوثائق الملكية : وثائق الأرشيف التاريخي الإسباني.

**الريفي، عبد الصادق بن أحمد** حفيد عبد الصادق ابن أحمد بن علي أتى الترجمة. عامل طنجة ما بين 1295 / 1878 و1309 / 1891، مكان سابقه الجيلالي بن حمو، وكان خليفة له. ربما كان حفيد عبد الصادق بن أحمد بن علي. بقي بهذا المنصب إلى وفاته سنة 1308 / 1891 وحل محله خليفته ابنه عبد الرحمن.

وثائق خ. ح. ومديرية الوثائق الملكية : مجلة الوثائق : ع. الرحمن بن زيدان، العلاقات السياسية : م. بوشعراء، الاستيطان والحماية.

**الريفي، عبد الصادق بن أحمد بن علي**، أول من نعرف من حكام طنجة من الأسرة الريفية البطونية الحمامية، نسل الباشا أحمد بعد تربع السلطان سيدي محمد بن عبد الله على العرش سنة 1171 / 1757، إذ أن السلطان لم يتمكن من الاستغناء عن خدمة أبناء الباشا أحمد بن علي الريفي الثائر على والده. تم تعيينه في تاريخ لم نوفق إلى تحديده، ولكننا نعلم أنه كان قبل شوال عام 1172 / أبريل سنة 1765 في منصبه. وظهوره بالوثائق مرتبط بإثارة مسألة حدود الثغور المغربية المحتلة التي بدأ الإسبان الجري وراء تحقيقها منذ مستهل أبريل 1765 على عهد كارلوس الإسباني، وذلك حينما وصل الوفد السلطاني إلى ميدان سبتة حاملاً الرسالة السلطانية الأولى الموجهة إلى البلاط الإسباني، وهي بتاريخ 22 شوال 1172 / 13 أبريل 1765. وكان الوفد مزوداً أيضاً برسالة قائد طنجة عبد الصادق بن أحمد الريفي الموجهة إلى حاكم سبتة، وإلى غاية صيف تلك السنة كان حاكم سبتة قد توصل إلى إحكام الصلة بقائد طنجة، وقد لعب المترجم له دوره في الوساطة التي انتهت باتفاق 28 مايو 1767.

لم نتح لنا الوثائق التي بأيدينا متابعة فترة بقاء المترجم له في منصبه إلا بما قد ينتج عن مقارنتها بفترة حكم تاليه قريبه الريفي، محمد بن عبد المالك، فحسب علمنا أن هذا الأخير كان سنة 1196 / 1781 في منصب الباشوية.

ح. الفكيكي، مسألة الثغور المغربية المحتلة واتفاق عام 1181 / 1767 : مجلة الشروع، الرباط، 1986 : الأرشيف التاريخي الوطني الإسباني A.H.N., Estado

## الريفي، عبد الكريم (البطل) ← الخطاببي

**الريفي، عبد الكريم بن موسى** فقيه ومؤرخ مؤلف كتاب في تاريخ الدولة العلوية سماه زهر الأكم. ويعود الفضل في الكشف عن اسمه وتأليفه إلى محمد الضعيف الرباطي، فهو الوحيد الذي أشار إلى اسمه ومؤلفه والافتباس منه، لذا بقيت معلوماتنا مقتصرة على تلك الإشارة، وعلى ما يمكن استخلاصه من زهر الأكم.

لا يعرف تاريخ ولادة عبد الكريم بن موسى أو وفاته، ومن الصعب الترجيح بكل اطمئنان. وما يجوز لنا قوله إنه من مواليد آخر القرن الحادي عشر (17 م)، ويكون بذلك قد عاصر فترة المولى إسماعيل. وآخر عهدنا به هو سنة 1153 / 1740، وكان وقت انتهاء الضعيف من نسخ زهر الأكم في العاشر من جمادى الأولى سنة 1200 / 11 مارس 1786 قد توفي.

وإذا كانت كنيته الريفي تجعله من أبناء منطقة الريف،

فالمرجح لدينا أن يكون من الناحية المشرفة على حوض واد النكور، أي من المحيط الذي تشغله قبائل بني توزين وتسمان وبني ورياغل، بناء على معرفته الجيدة للمنطقة التي منها استقى الأخبار الواردة في كتابه عن الريف. وكمثال على ذلك ما ذكره عن حرب المولى الرشيد مع القائد أحمد أعراض، حاكم ناحية وادي النكور والريف الغربي وأخباره الدقيقة عن احتلال جزيرة النكور في مستهل حكم المولى إسماعيل.

ويبدو أيضاً أنه كان من المقربين إلى مخزن المولى عبد الله بن إسماعيل، بصفته أحد الفقهاء، بناء على تأليفه الذي خصه للعصر الأول من الدولة العلوية، وعلى أخباره عن البلاط وعن الأمراء وعن الإدارة والجيش والمالية خلال فترة أزمة الثلاثين سنة. والغالب من جهة أخرى أنه اختص بالسلطان المولى عبد الله، وربما كان لقبه الحاج مرتبطاً بمرافقة وفد خاتمة بنت بكار إلى الديار المقدسة سنة 1173 / 1730-1731.

ولعلّ الحاج عبد الكريم بن موسى الريفي رافق حركات المولى عبد الله، استناداً إلى المعلومات التي انفرد بها مما أدلى به في تأليفه من تفاصيل الأحداث وإبداء الملاحظات. ونعرف أنه كان في جمادى الثانية من سنة 1153 / غشت - شتنبر 1740 يقص آخر الأخبار عن عودة المولى عبد الله بن إسماعيل من معركة أم نرات في شهر رجب السنة، ويختم تاريخه بكلمة: "هنا انتهى بنا هذا التأليف"، أن نعرف سبب ذلك التوقف المفاجئ، وبهذا الإعلان احتجبت عنا أخباره.

م. الضعيف الرباطي، تاريخه: أسية بعدادة، زهر الأكم، تحقيق ودراسة، الرباط، 1992: حسن الفكيكي. مقاومة الوجود الإيبيري بالشعور الشمالية الغربية، أطروحة، مرقونة، الرباط، 1991.

**الريفي، عبد الملك بن محمد بن عبد الملك،** مساعد والده باشا طنجة على عهد محمد بن عبد الله، لا نعرف عنه سوى أنه كان من المكلفين من طرف السلطان محمد بن عبد الله لمحاولة إقناع المجاهد محمد الرتبي. سابق الترجمة بعدم مواصلة الجهاد ضد إسباني مليلة حسب مراسلة 16 شوال 1202 / 21 يوليوز 1788.

الأرشيف التاريخي الوطني الإسباني: ح. الفكيكي، المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة، 1997.

حسن الفكيكي

**الريفي، علي بن عبد الله ← الحَمَامِي، علي بن**  
عبد الله

**الريفي، علي مغيث** الوفائي الحسني المدعو الريفي الشيخ الصالح، العالم، الناصح، الشريف الأصيل، الحسيب النبيل. أصل هذا الشيخ من مصر وأهله من الأشراف

الوفائيين الحسنيين. البيت الشهير بمصر، وهم الذين كان أصهر إليهم الإمام أبو العباس المقري التلمساني ثم الفاسي الأديب المؤرخ الشهير صاحب نفع الطيب وغيره وانتفع بجاههم ومكتبتهم العامرة، ولكن زواجه انتهى بالطلاق. استوطن أسلاف المترجم له الجزائر مدة مديدة، ومنها انتقلوا إلى قبيلة بقبوية إحدى قبائل الريف بشرفي الشمال المغربي. واشتهروا فيها بلقب أولاد الهجّام، وربما أوحى هذا اللقب بفريضة الجهاد والاشتغال بها، وسكنوا جزيرة (باديس) الأسيرة، وكان بها منهم علماء وأولياء وأفاضل ومازالت فرقة منهم هناك بقبوية إلى الآن. سمي الفقيه الرهوني منهم أفراداً بتطوان وطنجة، ومن الريف انتقلت فرقة منهم إلى قبيلة بني سعيد الجبلية القريبة من تطوان. ومن هؤلاء كان المترجم له. وقد أثروا بقبيلة بني سعيد ثراء كبيراً وتصاهروا مع السادات الرسونيين، فتزوج هؤلاء منهم نحو اثنتي عشرة امرأة بكرة وامتزوجوا بهم وانتقلت ثروتهم إليهم، ومنهم من انتقل إلى تطوان واستوطنها وعرفوا بها بلقب (امكيكو) ومازال منهم بتطوان إلى الآن. ولما توفي المترجم له دفنه الباشا أحمد بن علي الحمامي الريفي المعروف بقبة جُبيل شمال مجشر (كيتان) بمكان نزه غاية وبني على قبره قبة مازالت قائمة. ودفن داخلها معه كثير من الفضلاء والعلماء من آل غيلان وغيرهم. وكانت هذه القبة تأثرت بقنابل المدافع الإسبانية لالتجاء المجاهدين إليها ورمت بعد ذلك.

أخبر الشريف النسابة السيد الحسين الرسوني أن المترجم له توفي في حدود عام 1020 قال الرهوني: ولا يبعد ذلك وأهل مكة أدرى بشعابها لأن آل الريفي أخوال الرسوني المذكور، ولكن هذا لا يتفق مع تاريخ بناء القبة التي بناها الباشا أحمد الريفي وكانت ولايته من عام 1125-1156. إلا أن يكون الباشا بنى القبة بعد ذلك عليه.

ومن ذكر المترجم له وبعض أحفاده الشيخ عبد المجيد الزبادي الفاسي في كتابه سلوك الطريق الوارية وتحدث عن زيارة قبره وما جرى له هناك، كما ذكر ذلك مع التعليق عليه الأستاذ داود في تاريخ تطوان.

أحمد الرهوني، عمدة الراويين، 6: 22، مخطوط: محمد داود، تاريخ تطوان، 3: 157، طبع تطوان: محمد عبد الغني حسن (المقري)، من سلسلة أعلام المغرب، طبع القاهرة.

محمد بوخزة

**الريفي، عمر (الحاج -)** بن عبد القادر، رجل مثقف اشتهر بنشاطاته وعلاقاته مع الأوساط الإسلامية وأهل العلم بالمغرب ومصر وتركيا والحجاز. ينتمي لإحدى قبائل الريف، استقر بمدينة طنجة سنة 1908 وكان منزله بحي المصلّى حسبما يفهم من بعض الرسائل التي تبادلها مع أخيه الحاج علال بن عبد القادر الريفي.



أهم ما ميز نشاطات الحاج عمر الريفى علاقته مع السلطان عبد الحفيظ، خاصة بعد تنازله عن العرش. ففي سنة 1913، كان الحاج عمر ضمن الوفد المرافق لعبد الحفيظ في حجه للديار المقدسة بمكة والمدينة.

كان الحاج عمر مثله في ذلك مثل مولاي عبد الحفيظ من مريدي الشيخ محمد بن جعفر الكتاني الذي هاجر بلاده قبيل الاحتلال إلى المدينة المنورة. وكان منزله بالمدينة ملتقى الاتصالات والمراسلات التي تصدر عن الحاج عمر وترد عليه.

والأمر الذي لا شك فيه أن الرجل كان منخرطاً في صفوف المجاهدين ضد الاحتلال الفرنسي والإسباني للمغرب. ولهذا وجدناه وهو بالديار المقدسة يرأس إخوانه وأصدقائه بطنجة، ليطلع على مجريات حركة الجهاد المغربية ضد الاحتلال الإسباني والفرنسي. ومن خلال تلك المراسلات تبين أن الرجل كان من بين النشطاء في ميدان المقاومة ضد الاحتلال.

في سنة 1916 أُلقي القبض على الحاج عمر الريفى بمدينة طنجة بتهمة التآمر ضد المخزن. وتبين من هذا الحادث، أن الرجل كان معرضاً للمراقبة من طرف استخبارات الإقامة العامة بالرباط، والحكومة الفرنسية، انطلاقاً من مراقبة مولاي عبد الحفيظ، الذي استقر بإسبانيا دون رغبة الفرنسيين ورفض العودة لطنجة.

والواقع أن مولاي عبد الحفيظ، حاول التنسيق مع الألمان والأتراك ضد الفرنسيين، وكان الحاج عمر من المقربين منه ومن الذين يربطون الاتصال بينه وبين المجاهدين بالريف ومنطقة جباله. ويظهر أن الرجل كان مكلفاً بمسألة تهريب السلاح للمجاهدين، فقد اتهم بأنه كان هو القيم الخاص للسلطان السابق، وأنه كان يربط علاقات مع القنصل الألماني بمدينة الجزيرة الخضراء.

علال الحديبي، أخبار الجهاد والمجاهدين بالمنطقة الشمالية خلال الحرب العالمية الأولى في "المنطقة الشمالية والكفاح الوطني 1909 - 1956"، نشر الندوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، 1998؛ الوثائق الدبلوماسية بمدينة نانت، (ADN، 1913 - 1982).

علال الحديبي

**الريفى، محمد بن عبد الله** (عمبو) بن عبد المالك، حفيد السابق عبد الملك بن محمد بن عبد الملك، مولده بطنجة سنة 1213 / 1798. تقلب في وظائف سامية بالجيش الريفى، وعين باشا طنجة سنة 1271 / 1854 بمناسبة انفراد سابقه محمد الخطيب بمهمة النيابة السلطانية. بقي بمنصبه إلى أن عزل سنة 1275 / 1858، وتوفي في 13 ربيع الأول 1275 / 21 أكتوبر 1858.

م. بوشعرا، الاستيطان والحماية : مبيح، المغرب وأوروبا، 2.

**الريفى، محمد بن عبد المالك**، باشا طنجة برز بالوثائق المعتمدة منذ سنة 1196 / 1781، ولا نعرف امتداده النسبى وارتباطه بعميدي الأسرة الريفية أحمد وعمر ابني جدو البطونى الحماسي أو بالنسبة للباشا علي وابنه أحمد. كلف بقيادة المباحثات المتعلقة برسم حدود سبتة بعد العودة إلى ربط العلاقات المغربية الإسبانية التي كانت قد توقفت بسبب حصار مليلة، واستمر بها إلى عهد المولى اليزيد.

ففي آخر سنة 1195 / 1781 بدأ حاكم سبتة في الاتصال به، فكان من ذلك أن وعد حاكم سبتة ورئيس الحكومة الإسبانية بإتمام مسألة تعيين الحدود على أحسن حال وفي أقرب الآجال. وفي أغلب الاعتقاد أنه كان يعني توصله بمراسلة 29 حجة 1195 / 16 ديسمبر 1781 التي يستنتج منها وصول الأمر السلطاني القاضي بالشروع في تعيين الحدود الفاصلة من الوجهة الحربية بين الميدان المغربى وحدود سبتة. وقد تم للإسبان بعض ما أرادوه حسبما يفهم من مراسلة 19 محرم 1196 / 4 يناير 1782.

توطدت المراسلات والاتصالات بين محمد بن عبد الملك وحاكم سبتة والقنصل الإسباني بطنجة طيلة ما تبقى من حياة السلطان محمد بن عبد الله، مثلما تدل عليه مراسلة متم شوال 1204 / 12 يوليو 1790.

كان المولى اليزيد بمجرد اعتلائه العرش والشروع في حصار سبتة عازماً على تصفية الحساب مع المتهمين بالتواطؤ مع الإسبان خلال حياة والده بالنسبة للتقدم الإسباني الحاصل على حدود سبتة. ومن أجل ذلك بدأ بمعاينة محمد بن عبد الملك الريفى، وتم قتله مثلما يظهر مع العربي الأفندى وعدد آخر حسب مراسلة 20 صفر عام 1205 / 29 أكتوبر 1790.

وثائق خ. ح : وثائق مديرية الوثائق الملكية : وثائق الأرشيف التاريخى الإشباني.

حسن الفكيكي

**الريفية، رقية** بنت محمد كانت رمزاً لتضحية المرأة ونضالها بمدينة مكناس، فقد لعبت دوراً في معركة وادي بوفكران في 2 شتنبر 1937، فقد كانت تلقي - أثناء المعركة - من فوق منزلها المطل على ساحة الهديم بالحجارة على الجنود الفرنسيين وتصب عليهم الماء الساخن، فجرحت عدداً منهم، وألقت برحى على أحدهم فأردته قتيلاً، فرماها أحدهم برصاص اخترق صدرها، وأصيبت في ثديها اليسر، فنقلت إلى المستشفى، وقد عولجت وخرجت من المستشفى في 23 أكتوبر 1937، وظلت حية حتى عام 1402 / 1981.

بوشى بوعسرية، أحداث بوفكران، ص. 311 : إبراهيم الهلاي، التبيان لمعركة ماء بوفكران مع وجوب اتباع الإمام.

رقية بلقندم

**الرئيسة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Arraena و Reina ومعناه الملكة ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1178 / 1765، مع الإشارة إلى أنه إلى غاية سنة 1257 (1841) كانت بحومة الطرانكات دار تعرف بدار الرئيسة.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 752.

محمد ابن عزوز حكيم

**رينو لوسيان** Raynaud Lucien، ولد في جنوب شرق فرنسا سنة 1866 من عائلة تهتم بالطب. وبعد أن قضى ثلاث سنوات من العمل في أحد كبار المستشفيات بمدينة الجزائر، ناقش أطروحته في الطب بباريز سنة 1892 في موضوع "الاضطرابات التي تسببها الملاريا للعين"، ثم عين في السنة الموالية طبيبا زائرا لدى مصالح الصحة البحرية بمدينة الجزائر.

وفي سنة 1900 أرسلته وزارة الخارجية الفرنسية إلى طنجة ليدرس مسألة تنظيم المحاجر الخاصة بالحجاج العائدين من الديار المقدسة هناك، ودامت مهمته هاته من أبريل إلى أكتوبر من السنة ذاتها. تمكن خلالها، في أوقات فراغه، من التقاط ما كان يتيسر له من معلومات عن المغرب، وتدوين ملاحظاته عن الأحوال الصحية بهذا البلد وطرق العلاج البدائية التي كانت متبعة به. وعاد رينو في بعثتين أخريين سنتي 1901 و1902 تمكن أثناءهما من توسيع مداركه حول الصحة وطرق العلاج بما أهله ليكتب مقالات شتى في هذا الموضوع أهمها :

داء الكلب بالمغرب (1901)

الكحول والإدمان على الكحول بالمغرب (1901)

المجلس الصحي الدولي بالمغرب (1902)

الإعانة العمومية بالمغرب (1902)

غير أن أهم كتاب اشتهر به رينو هو كتابه :

"دراسة حول حفظ الصحة والطب بالمغرب متبوعة بموجز عن مناخ المدن الرئيسية في الامبراطورية"

وقد صدر هذا الكتاب بمدينة الجزائر سنة 1902. وفيه تعرض المؤلف لما كان يتهدد المغاربة من أوبئة وأمراض، ويسط أنواع الأدوية والعقاقير التي كان المغاربة يستعملونها لمواجهة ما كان يحيق بهم من صنوف الداء، وختم كتابه بالحديث عن الحالة المناخية ببعض مدن المغرب في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر.

توفي الطبيب رينو في 4 شتنبر 1931 في تيبازة بالجزائر.

Maxime Rousselle, *Médecins, chirurgiens et apothicaires français au Maroc (1577 - 1907)*, Paris, 1996; Lucien Raynaud, *Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc*, Alger, 1902.

بوجمعة رويان

**رينو أوجين** Regnault Eugène هو الوزير المفوض لفرنسا في المغرب فيما بين 1906 و1912، الذي وكل به أمر إحكام القبضة الاستعمارية على البلاد بالمراوغة والمخاتلة كل ما أمكن ذلك وبالعلاقات العسكرية إن اقتضى الحال، حتى أفضى الأمر إلى عقد الحماية الذي كان رينو هو الموقع عليه باسم فرنسا إلى جانب السلطان المولى عبد الحفيظ باسم المغرب.

ولد أوجين رينو يوم 28 دجنبر 1857. والتحق بالسلك الدبلوماسي بعد حصوله على الإجازة في علوم القانون. اشتغل أول أمره في المقيمة الفرنسية في تونس فيما بين 1884 و1890، وبخاصة لدى أول مقيم عام فيها، بول كامبون Paul Cambon، فتمرس على حيل الاستعمار عن طريق الحماية، وعلى أساليب الدبلوماسية وما يحفزها من المصالح الاقتصادية الملموسة. وكان لبول كامبون وأخيه جول Jules Cambon أدوار لا يستهان بها من أجل إلحاق المغرب بباقي المستعمرات الفرنسية بما تلقيا عليه كلاهما من المناصب الإدارية ومن السفارات الكبرى. فقد كان بول كامبون بعد تونس واليا عاما على الجزائر من 1890 إلى 1896، حيث رام احتلال توات سنة 1892. ثم كان سفيرا في لندن حيث سعى سعيا حثيثا في إبرام الوفاق الودي بين فرنسا وإنجلترا سنة 1904 الذي أطلق يد فرنسا في المغرب. وكان أخوه جول سفيرا في برلين إبان اشتدت المنافسة بين ألمانيا وفرنسا حتى أصبح ذلك معروفا بالمسألة أو الأزمة المغربية في المحافل الدولية. وكان رينو من أصحابهما، ذا حظوة لديهما سائرا في فلكهما. وقد مر رينو من القنصلية الفرنسية في أثينا وسالونيك في اليونان. ثم عاد إلى باريس قبل أن تسند إليه القنصلية العامة في جنيف سنة 1898. ويوم فرضت قروض 1904 على المغرب، أسند إليه وظيفة وكيل أصحاب الدين المهون بما قدره 40% من الجمارك المغربية، فكان بمثابة سن الرمح مما كان ينعث يومئذ في الدعاية الاستعمارية بالتسرب السلمي، الرامي إلى اقتحام الجهاز المخزني من جهة بيت ماله فهو القلب النابض منه. وكان صندوق الدين أول ما أثبت من "النظام الفرنسي" في الجهاز الحكومي المغربي. وصار رينو يعين المراقبين للجمارك في الموانئ الثمانية المفتوحة أمام التجارة الدولية. ولم يكن الأمر هينا في السنتين الأوليين، إذ تصامم الكثير من أسماء الجمارك المغربية عن أوامر رينو ونواهيها، وساروا معه ومع مراقبيه سيرة من لا يستسيغ تدخل النصارى في شؤون البلاد، وإن كان ملزما بالتخلي عن نسبة غير هينة من الدخل.

ثم تطورت المسألة المغربية على الصعيد الدولي حتى أدى الأمر إلى انعقاد مؤتمر الجزيرات (انظر هذه المادة في مكانها من المعلمة). وعيّن رينو نائب رئيس الوفد الفرنسي، بول رفال (ينظر في مكانه من المعلمة). وقد مكنته خبرته بشؤون الدين من إدخال المغرب في شبكة

ببغيتته، ذلك بأن المولى عبد العزيز ارتحل على وجه السرعة من فاس إلى الرباط وتنازل لرينيو في خريف سنة 1907 عما كان قد رفض التنازل عنه لسان ريني طايانديه سنة 1905. وسبب ذلك قيام المولى عبد الحفيظ في مراكش، مناديا بالجهاد ومعلنا بالإطاحة بالمولى عبد العزيز. وكان رأي رينيو أن تساند فرنسا السلطان الشرعي وأن تنتزع منه ما تصبو إليه من التسرب الاستعماري. لكن المسؤولين الفرنسيين في باريس فضلوا التورية بالحيداء في النزاع على العرش بين الأميرين. وما كان على رينيو إلا أن يمثل ويحيك حول السلطان الجديد ما كان قد حاكمه حول سلفه من أعمال المراوغة والمكاسية، علما منه بأنه يكفي أن يتنازل المولى عبد الحفيظ مرة أولى ليجد نفسه ملزما بالتنازل عن الباقي، لأن شبكة الاستعمار كانت قد اتصلت فروعها وامتدت. واضطر السلطان الجديد إلى الاعتراف بشروط الجزيرات ليحصل على الاعتراف الدولي بمشروعية حكمه (يناير 1909). ولم يمتنع ذلك إلا مقابل استقبال رينيو في فاس استقبالا رسميا والشروع معه في مفاوضات تجديد الثقة بالبعثة العسكرية الفرنسية والالتزام بأن لا يستعين في الإصلاحات إلا بالفرنسيين. ولما ألح على رينيو في انسحاب الجيوش الفرنسية من وجدة ومن الدار البيضاء وإقليم الشاوية الذي توسع فيه الفرنسيون في الشهور التي كان الصراع على أشده بين السلطانين، عرض رينيو عليه شروطا ألزمته هو بدوره بالاقتراض من السوق المالية الفرنسية، فوقع فيما كان قد سبقه أخوه المخلوع إليه، ولكن هذه المرة مع وزير مفوض فرنسي خبير بشؤون المخزن مطلع على عوراته، يساعده من حيث يدري أولا يدري محمد المقرئ الذي جعله المولى عبد الحفيظ وزير ماليته قبل أن يسند إليه الصدارة الكبرى. وسافر المقرئ إلى باريس للتفاوض بشأن قرض جديد وقع الاتفاق عليه في مطلع سنة 1910، قضى على البقية الباقية من حرية المغرب المالية. وغدا المخزن الحفيظي هو بدوره فريسة لا تنتظر فرنسا للإجهاد عليها إلا أن تتخلص من المنافسة الألمانية. ولقد قام رينيو في هذا المضمار بالأدوار الطلائعية. فهو الذي دعا إلى الاتفاق مع ألمانيا في فبراير 1909 ضمنا لمساواة رجال أعمال الدولتين في استثمار خيرات المغرب. لكن الجيوش الفرنسية أقدمت على احتلال فاس في مايو 1911. وكان رينيو يومئذ في باريس لا يفارق وزير الخارجية كروبي Cruppi الذي أمر بالزحف إلى فاس على إثر "المأذبة المغربية" التي حضرها كل من كان يحث على احتلال المغرب بما فيهم رينيو. وردت ألمانيا بأن أوفدت بارجة "بانطير" إلى خليج أكادير. وكان ذلك سببا في احتدام الأزمة المغربية الثانية. واضطرت فرنسا إلى التعاقد مع ألمانيا بشأن استغلال المغرب، وإلى التخلي لها عن جزء من الكونغزو مقابل اعتراف ألماني بحق فرض الحماية الفرنسية على المغرب. وكان رينيو من صناع هذا الوفاق إذ

محكمة من الموثيق المالية والتجارية الدولية التي لم تزد التسرب الفرنسي في البلاد إلا قوة ومناعة، هذا فضلا عما كان حصل طيلة شهور المؤتمر الثلاثة من المخالطة اليومية لأعضاء الوفد المغربي وللرجل الثاني فيه على الخصوص، وهو محمد بن عبد السلام المقرئ الذي توثقت الصلات بينه وبين رينيو من يومئذ فلا يدرك ما جرى من الإعداد للحماية على التراب المغربي بدون الرجوع إلى هاذين الرجلين. ذلك بأن مؤتمر الجزيرات عاد على فرنسا بفوائد حملتها على السير بخطة التسرب السلمي قدما إلى الأمام، إذ حل رينيو محل سانريني طايانديه Saint-René Taillandier (ينظر في هذه العلقة) في صيف 1906، وزير فرنسا المفوض، مهمته إخراج كل ما سطره المؤتمر من القرارات المخلة بحرية المغرب إلى حيز التنفيذ، من ذلك إقامة بنك الدولة ليكون بيت مال المخزن تحت رحمته، وإقامة الضرائب الجديدة، وتنصيب الشرطة الفرنسية والشرطة الإسبانية في الموانئ، وتجهيد السبيل أمام الاستثمارات الدولية عامة والاستثمارات الفرنسية بوجه أخص. وقد أقيم مهندس فرنسي لهذا الغرض وهو بورشي - بانيس Porché-Banés ليدشن الأوراش التي كانت التجارة الدولية في حاجة إليها للتغلغل داخل السوق المغربية، وذلك بناء على مبدأ الباب المفتوح الذي أقره مؤتمر الجزيرات، وطبقا لأساليب التسرب السلمي التي كانت قد أسفرت عن فرض الحماية الفرنسية على تونس سنة 1881. وكان رينيو قد خبرها تمام الخبرة، وما جاء إلى المغرب إلا بقصد إعادة الكرة عليه. وظل يدافع عن هذه الخطة باستمرار، ضدا على خطة السلطات الفرنسية في الجزائر التي كانت ترى أن الجهاز المخزني المغربي إنما هو حكومة وهمية، وكفي استقطاب القبائل طوعا أوكرها لاستعمار البلاد. أما رينيو فإنه كان يعلم من وقوفه على حقيقة الأمور في الميدان منذ 1904 بأن المخزن المغربي حكومة قائمة الذات ثابتة الأركان، وأن الحماية الفرنسية لن تتم ولن يستقر لها قرار ما لم يكن ذلك بإرادة السلطان ويتفويض منه. بيد أن حمل السلطان على ذلك لم يكن من الأمر اليسير. وقد أدرك رينيو ومساعدوه في طنجة أن لا مفر من الإخلال بثقة العاهل المغربي بسلطانه بإثارة كل أسباب الشعب عليه لإخافته واضطراره إلى الارتقاء في أحضان فرنسا. وذلك ما حصل أول الأمر مع السلطان المولى عبد العزيز الذي فقدت الرعية كل ثقة فيه غداة مؤتمر الجزيرات ونفرت منه تمام النفور بعد احتلال الفرنسيين لوجده انتقاما بزعيمهم لمقتل الطبيب موشان Mauchamp في مراكش (أبريل 1907)، ونزول أسطولهم وجيوشهم على مدينة الدار البيضاء التي ثارت فيها ثورة قبائل الشاوية بسبب انتهاك حرمة مقبرة كانت في جوار المرسى الذي شرع الفرنسيون في بنائه. وكانت الفرصة مواتية في كلتا الحالتين لإحكام القبضة العسكرية على المغرب من جهة الغرب ومن جهة الشرق. وظن رينيو أنه فاز

كان على بيته من أن ما أحرزته فرنسا من قصب السبق داخل الجهاز المخزني لا يمكن أن يشوش عليه ما كان لبعض المقاولات الألمانية في السوق المغربية من المصالح. وما أن أطلق العنان لفرنسا بشأن الحماية حتى انكب رينيو على رأس لجنة من الخبراء من مختلف التخصصات يضع الصياغة المنشودة لعقد الحماية. وهو النص الذي حملة في حقيبته إلى فاس في الأسبوع الأخير من مارس 1912 ليلازم المولى عبد الحفيظ بإمضائه في صيغة محكمة تضع مصر المغرب بين يدي السلطات الفرنسية تحت ستار الالتزام بسيادة السلطان ووحدة التراب المغربي واحترام الأعراف والشرائع الدينية. ولم يجد المولى عبد الحفيظ الذي كانت الرعية قد نفرت منه هو بدوره بدأ من التوقيع عليه. وما أن ذاع خبر ذلك حتى ثار سكان فاس ثورة شعواء ابتداء من 17 أبريل. وفنك الثوار بكل ما وقعت عليه أيديهم من النصارى وأنصارهم من اليهود. وبذلك فقد رينيو ما كان يتشرف إليه من أن يكون أول مقيم عام فرنسي في المغرب المحمي. وفضلت الحكومة الفرنسية عليه الجنرال ليوطي ليجتمع في قبضته سلاحا الدبلوماسية والجيش فيجعل حدا للصراع الذي طالما تعثرت فيه السياسة الفرنسية حيال المغرب في سنوات ما قبل الحماية بين أنصار التسرب السلسي من موظفي وزارة الخارجية وأنصار الغزو العسكري زحفا من الجزائر ونزولا من البحر. وآخر حلقة من هذا الصراع دارت بين رينيو والجنرال موانسي Moinier، قائد جيوش احتلال فاس، الذي أراد الانتقام من ثورة فاس يدك المدينة جملة وتفصيلا تحت وابل من القنابل، وكان من شأنه أن يفعل لولا معارضة رينيو الشديدة الذي تبدي التقارير التي رفعها إلى وزارته في تلك النازلة أن الضباط الفرنسيين لهم جانب من المسؤولية فيما يسمى في مصادرهم بأيام فاس الدامية.

وحل ليوطي مدينة فاس في شهر ماي وسلمه رينيو سلطانه، بل رسم له خطوط فلسفة الحماية كما يبدو من خلال آخر تقرير له عن المغرب. فقد جاء فيه : "ما لاشك فيه أن غلبتنا لا مناص من أن لا تشوبها شائبة. بيد أن الغلبة لا تكفي لإقامة حكومة منتظمة، ذلك بأن دور الإدارة الفرنسية، مدنية كانت أم عسكرية، في البلاد المغربية لا بد أن تترفع على ما يتجاوز القوة من الأساليب، ولا بد أن تتمسك بالمبادئ النبيلة. وإن كثيرا من ضباطنا قد أعجبوا بما رأوا من القبائل. ولكن ما تشيره فينا مذابح فاس من الاشمزاز، لا ينبغي أن يكون مبرراً لاحتقار الأهالي وانتقام الإدارة منهم. ولا يجوز أن نترك الأجيال الصاعدة في ممتلكاتنا الإفريقية تنشأ على الشعور بالاندحار واليأس. وعلينا أن نشرع بدون ملل ولا كلل في كسب قلوب هذا الشعب بإثارة مصالحه وعواطفه في أن واحد. وإذا أردنا أن نمحو أسباب التعصب في هذا البلد، فينبغي أن لا نقلب البنيان الاجتماعي المغربي رأسا على

عقب، مهما كان من تأكله. بل علينا أن نسنده وأن نعمل على تقويمه من خلف الستار بكل حذر. كما علينا أن نقرب منا كل ذوي النفوذ والتبصر في المجتمع المغربي من بين عالم وشريف ومرابط. وخلاصة القول أن فضائل حمايتنا لن تستحسن ولن تستساع إلا بقدر بما يبدي رجال إدارتنا من الاحترام للدين الإسلامي ولأعرافه، نابذين كل مظاهر القلق وكل تكبر طائش وكل عنف في تعاملهم مع الأهالي، ملتزمين بما في الطابع الفرنسية من المجاذبية، فلا مناص منها لكسب قلوب شعب أبي مرهف الحساسية، بعيد كل البعد من أن لا يتأثر بأساليب اللطف والأدب والإحسان وبمبادئنا العادلة واحترامنا للإنسان".

وإن دل هذا التقرير على شيء، فإنما يدل على أن ليوطي لم يتكر سياسة الحماية، وأنه حاول أن يعمل بالمسطرة التي رسمها رينيو ولم يكتب له تطبيقها بسبب ما هوّل العسكريون الفرنسيون من ثورة الشارع الفاسي غداة عقد الحماية لتكون وظيفة المقيم العام من نصيبهم. وقد تم لهم ذلك في شخص ليوطي الذي سعى في باريس سعيا حثيثا في الفوز بالمنصب. مما حملة على الحكم على رينيو بأنه كان تاجرا بكل ما في الكلمة من معنى، متمسكا بالملموسات، يروم دائما أكل الكتف من حيث ينبغي أن تؤكل. وقد عين أوجين رينيو سفيرا في سويسرا تعويضا له عن الإقامة في الرباط. لكنه سرعان ما انسحب من السلك الدبلوماسي للعمل في القطاع الخاص.

*Annuaire diplomatique de France, 1914 ; François Charles-Roux et Jacques Caillé, Missions diplomatiques à Fès, Paris, 1955 ; Burke, Edmund III, Prelude to Protectorate in Morocco, Chicago, 1976 ; Charles-André Julien, Le Maroc face aux impérialismes, 1415 - 1956, Paris, 1978 ; Daniel Rivet, Lyauté et l'institution du Protectorat, Paris, 3 vol., 1988.*

إبراهيم بوطالب

**الرؤوس**، ويكتب رؤوس أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Rios ومعناه الانهار جمع نهر : وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان حيث يوجد زقاق يعرف بدرب الرؤوس بحومة الطرانكات.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 755.

محمد ابن عزوز حكيم

**الريوطي، محمد بن علي بن محمد الأزدي** الطليطلي، أخذ عن جماعة من شيوخ طليطلة، وسمع من عبد الرحمن بن سلمة وقاسم بن هلال، وأبي الوليد الباجي وجعفر بن عبد الله القرطبي. كان مكفوف البصر. انتقل بعد سقوط طليطلة إلى المغرب الأقصى وسكن

مدينة فاس مدة، ثم انتقل منها إلى مدينة سبتة، وكان خطيبا بالموضعين. روى عنه القاضي عياض السبتي، وسمع منه غيره. وظل خطيبا بسبتة إلى وفاته سنة 1109/503.

أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1973، ج. 1، ص. 252؛ م. ابن عياض، التعريف بالقاضي عياض، تح. م. بن شريفة، الرباط، المحمدية، ص. 124؛ ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تح. عزت العطار الحسيني، القاهرة، 1955، ج. 2، ص. 537؛ القاضي عياض، الغنية، تح. ماهر زهير جرار، بيروت، 1982، ص. 35.

محمد المفاوي

## الريّ (مكتب -) ببني عمير وبني موسى في تادلا

بعد أن شيد سد بين الوردان على نهر أم الربيع سنة 1937 لسقي سهل تادلا الذي كان يعاني من الجفاف رغم خصوبة أرضه. وقد تم إحصاء 90.000 هكتار على الضفة الشمالية لأم الربيع، و150.000 هكتار على الضفة الجنوبية، يمكنها الاستفادة من عملية السقي بحيث يصبح من الممكن إدخال مزروعات جديدة توجه نحو السوق. وبالفعل، فقد عرفت المنطقة، علاوة على الحبوب والخضراوات والزيتون، زراعة القطن والقصة ومجموعة من النباتات الصناعية.

وفي 1941، أنشئ مكتب الري ببني عمير وبني موسى قصد التنسيق بين مختلف المصالح المهتمة بالمشاكل التقنية والاقتصادية وكذا الانسانية المتعلقة بالري. وكان من أهداف المكتب كذلك تعميم الري بالمنطقة، وتأطير الفلاحين المغاربة، والعمل على نشر فلاحية عصرية وعلى إيجاد حلول لتسويق المنتجات سواء داخل المغرب أو خارجه. وبالفعل فقد عرفت قبائل بني عمير وبني موسى ارتفاعا في الإنتاج الفلاحي، وبدأ مستوى دخل السكان وعيشهم يرتفع هو بدوره.

ونظرا لهذا التغيير الذي شهدته المنطقة، ارتأت الإدارة أن تسهر على وقاية السكان من المضاربات العقارية، ف جاء ظهير 1938 يمنع كل أجنبي عن القبيلة من شراء أرض بالمنطقة، وذلك في انتظار أن يبلغ الفلاحون نضجهم وتقييم أرضهم تقييما صحيحا.

ثم ما لبث هذا الظهير، بعدما تم تحديد الملك العائلي، أن عوض بظهير مارس 1953 الذي يجيز اشتراء الأرض في المنطقة المسقية، وكذا الشراكة مع الفلاحين المغاربة لمدة عشرين سنة. وهكذا، أخذت الأرض تنتقل إلى موظفي وتقنيي مكتب الري ببني عمير وبني موسى، وإلى المستغلين الفرنسيين الذين صاروا يفدون على المنطقة، بحيث استولى المعمرون على أكبر قدر ممكن من الأراضي، هذا مع الحرص على تفادي هجرة قروية يمكن أن تنتج عنها مشاكل اجتماعية وسياسية بالمدن.

إضافة إلى هذا، تم الاستيلاء على ما اعتبر فائضا من أراضي السكان، وعلى ممتلكات الفلاحين الذين لم يسددوا ديونهم نحو المكتب، بحيث أنشئت ضيعات عصرية شاسعة لصالح المعمرين.

واجتنابا لأي رد فعل من السكان، أخذ مكتب الري ببني عمير وبني موسى يهتم بما أسماه بالتعاون الفرنسي - المغربي، وذلك بإشراك الفلاحين في الاستفادة من الأرباح التي يدرها السقي، وتلقيهم مبادئ الفلاحية العصرية.

بعدما تم بناء السد، شرع المكتب في تعويض الفلاحين الذين شمل السد أراضيهم، وذلك بمنحهم قطعا في المنطقة السقوية، معتبرا في ذلك المساحات التي سجلوها في المحافظة العقارية. وبما أن عددا منهم لم يكونوا قد صرحوا بالمساحات الحقيقية التي كانوا يملكونها، فإنهم لم يعوضوا إلا على ما تم التصريح به وتسجيله، وتم توزيع الباقي على المعمرين. كما أُلزم الفلاحون بزراعة القطن؛ ونظرا لكونهم يجهلون تقنيات هذه الزراعة، فإن مداخيلهم لم تسمح لهم بتسديد ديونهم إزاء المكتب، مما اضطر العديد منهم إلى التنازل له عن أراضيهم.

وهكذا، كانت عمليات التحديث تلك، التي قام بها المستعمر في هذا الإطار أو في أطر أخرى (انظر البيزانا، التحديث القروي، شركة سبو) مجرد وسيلة للاستحواذ على الأراضي المغربية ولدعم الرأسمال الأجنبي، رغم ما كان يضى عليها - من الناحية الميدانية - من طابع إنساني.

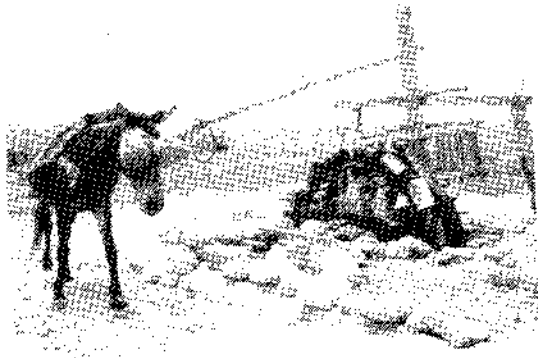
A. Halim, *Le capitalisme agraire au Maroc*. Université Paris 7. 1986 ; Marthelot, *Expériences marocaines dans le domaine rural jusqu'à l'indépendance*, in *Réforme agraire au Maghreb*, Paris, 1963 ; Pourtauborde, *Documents politiques et sociaux*. L'Office de l'Irrigation au Bani Amir et Bani Moussa, in *Encyclopédie mensuelle d'Outre-mer*, juin 1954, document n° 28.

عبد الجليل حلم

## الري التقليدي بالمغرب، تقدر المساحة الإجمالية

للأراضي المغربية المسقية بحوالي مليون هكتار. وهي ثمرة جهود الإنسان المغربي منذ أقدم العصور. فالمعطيات المناخية المتميزة بندرة التساقطات بالنسبة لمعظم أراضي البلاد، وبالتذبذب البيسنوي والفصلي لكمياتها في الشمال والشمال الغربي، جعلت الأسلاف يسخرون طاقاتهم وخبراتهم وتقنياتهم لتعبئة المياه بهدف ضمان الاستقرار والازدهار. ونفس الحافز هو الذي جعل إدارة الحماية قبل 1956 وحكومات المغرب منذ الاستقلال منشغلين بموضوع تعبئة الموارد المائية. وما يترجم هذا الانشغال سياسة "مشروع ري مليون هكتار في أفق سنة 2000". ومعلوم أن تعبئة المياه لا تقتصر على الموارد السطحية فقط، بل تشمل الموارد الباطنية. واعتبارا لظروف هذه التعبئة يمكننا التمييز بين تقنيات الري التقليدي وتقنيات الري العصري.

(Jante) سطول مفتوحة في نفس الاتجاه. ويرتكز محور العجلة على قائمتين ثابتتين. ويعمل التيار المائي على دفع وتدوير العجلة. ومع دورانها تملأ السطول عند شروعها في الصعود وتفرغ سعتها من الماء في ساقية عند شروع في النزول.



السبلة

والملاحظ أن هذا النوع من الناعورات ظل قليل الانتشار بسبب سهولة تدميره من السيول ولكنه تقنية من المبادرة الفردية عكس الأگوگ الذي كان من المبادرة الجماعية.

وتبقى كمية المياه الممكن تعبئتها بواسطة الناعورة محدودة جدا (< 2 ل / ث ) مما لا يسمح بري سوى مساحة ضيقة (بعض الهكتارات فقط). أما الأگوگ فيمكن من تعبئة صبيب يقدر ببعض العشرات من الليترات في الثانية مما يجعل المساحة المسقية تقدر بعشرات الهكتارات (والوضع يختلف حسب أهمية الموارد المائية وقدرة المجموعة البشرية على التحكم فيها).

## 2. تعبئة المياه الباطنية :

تتشكل المياه الباطنية من السديمات التي تختلف عن بعضها عمقا وأهمية المياه المخزونة وهما عاملان يفسران طبيعة تقنيات التعبئة. وتتلخص هذه التقنيات في إعداد الآبار والتجهيزات الضرورية لنزح مياهها من جهة وفي الخطارات من جهة أخرى.

1 - الآبار : تسمى البئر في المناطق الصحراوية بالحاسي وفي بعض المناطق الجبلية بـ "آتو - ثانتوت" وغالبا ما يتراوح عمقها بين 5 و 10 أمتار ونادرا ما كان هذا العمق يزيد عن 20 - 30 م. ولنزح المياه من البئر استعملت تقنيات مختلفة مثل : الناعورة والرقاص والبكرة.

الناعورة (السينية = السانية) : هي العجلة الواردة أوصافها أعلاه مع فرق أساسي على مستوى الطاقة للمحركة لها. فعلى هذا المستوى نجد حيوانا يدور عجلة ثانية منصبة أفقيا ينتج عن احتكاك عناصر جتارها بأشعة الناعورة دوران هذه الأخيرة. ومع هذه الحركة تملأ السطول عند الصعود لتفرغ عند النزول في ساقية تحمل الماء نحو

تقنيات الري التقليدي : قدرت مساحة الأراضي المسقية بالمغرب في مطلع القرن العشرين بـ 200.000 هـ. وهي أراض كانت تُسقى كلها بطرق تقليدية اجتهد الإنسان المغربي في ابتكارها أو في استيرادها وتكييفها مع البيئة المغربية. وبما ميز هذه التقنيات كونها متنوعة ومختلفة تشيا مع اختلاف الظروف المناخية والمرفلوجية المحلية وطبيعة وأهمية المورد المائي. والحديث عن تقنيات الري يجعلنا نفكر في جوانب متعددة نحتفظ منها بتقنيات التعبئة، والتجميع والنقل، وأخيرا التوزيع والإرواء على مستوى المشاركة.

أ - تقنيات التعبئة : إن الموارد المائية نوعان : سطحية وباطنية. وحسب هذا النوع أو ذلك، طورت تقنيات مختلفة للتعبئة.

1 - تعبئة المياه السطحية : تتعدد مصادر المياه السطحية. وتتمثل عموما في العيون، والوديان ومياه الفيضان، ومياه الجريان Ruissellement. وفي كل هذه الحالات، يُطرح مشكلان أساسيان : تحويل جَرِّ (تحريف) الماء من المجرى الطبيعي ورفع مستواه حتى يشرف على المساحات المراد سقيها. ويبدو أن أسسط عملية قام بها الإنسان لاقتياد المياه من منبعها أو من مجراها الطبيعي هي عملية جر المياه Captage. وقد تم ذلك بواسطة سد صغير يسمى في مناطق كثيرة من المغرب بـ "أگوگ" أو "أگوي" أو "أگوچ" وهو حاجز ذو خط رسم متقاطع مع رسم جريان الماء. يشيد بمواد محلية تشمل الجلاميد، والتراب وأغصان الأشجار والأعشاب...

في عدد من الحالات لا ينتظر من الأگوگ تحريف الماء فقط، بل رفع مستواه بهدف الإشراف على مساحة أوسع خاصة في المناطق الجبلية حيث تسود الأودية الضيقة القعر. قد تقام عدة سدود على المجرى المائي الواحد كما هو الشأن بالنسبة للوديان الوافدة من الأطلس الكبير نحو الحوز (Paul Pascon) ونحو الصحراء (أو حَجُّو الكبير) وبالأودية الجبلية الداخلية كواد كيجو ورافده المداز، وكواد ملؤللو الأعلى بالأطلس المتوسط (محمد كربوط).

والملاحظ أن الأگوگ لا يقام على المجاري الدائمة فقط، بل على المجاري الموسمية كذلك وخاصة على الوديان جنوب سلسلة الأطلس. ويكون الهدف من هذه السدود هو تحويل مياه الفيضانات نحو أراض شاسعة غالبا ما يكون الفلاح قد أعدها لزراعة الحبوب. وتعرف هذه الأراضي "بالمعَادَر". ومن خاصيات الأگوگ أنه هش وغالبا ما يدمره الفيضان، مما قد يفرض إعادة بنائه مرات متعددة خلال الموسم الفلاحي الواحد.

## الناعورة :

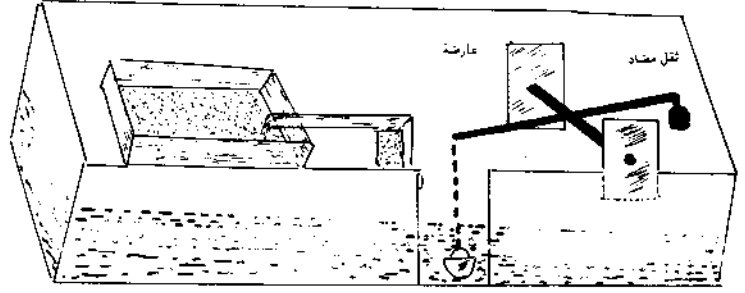
إلى جانب الأگوگ، تم الاعتماد على "الناعورة" لرفع وتحويل المياه السطحية وبالمخصوص مياه الوديان.

وتتشكل الناعورة من عجلة خشبية تُثبت على جتارها

حوض للتجميع قبل التوزيع على الأراضي. وتنصب على آبار غير عميقة.

كان لهذا النوع من الناعورات انتشار واسع بضواحي سلا وبالشريط الساحلي المتخصص في زراعة الخضر والمعروف بالولجة جنوب غرب الدار البيضاء، حيث تُعرف بالسواني (م. سانية).

سناد



حوض لتجميع المياه

برابرة خروج المياه

سدنة

الحيوان المسخر لهذا الغرض. وتتلخص هذه التقنية في وضع جبل (شريط) على الهامش المدار الخارجي للبكرة الذي يكون محفرا. ويثبت بإحدى نهايتي هذا الجبل سطل قد يكون من الجلد أو المطاط أو المعدن. أما النهاية الأخرى فتربط إلى جهاز أُعد للجر من طرف حيوان في الكثير من الحالات.

وفي هذه الحالات بالضبط يهيا أمر يزداد انحداره نحو الخارج انطلاقا من البئر، يسلكه الحيوان عند جره للدلو مملوءا في الاتجاه المنحدر ليرفع الماء بسهولة وفي الاتجاه المعاكس عندما يكون الدلو فارغا. وتتطلب هذه التقنية تشغيل شخصين يتكلف الأول بقيادة الحيوان والثاني بإفراغ الدلو. ويمكن الاستغناء عن هذا الأخير بإدخال بكرة ثانية وإدخال بعض التعديلات على النظام.

ونظرا لضعف كمية المياه المعبنة، فالمساحات المسقية لا تقاس سوى ببعض العشرات من الأمتار المربعة كما هو الحال بالنسبة للآبار بالرقاص وربما بعض مئات من الأمتار المربعة.

الخطارة (ج. خطارات يُسميها البعض بالعين) : هي تقنية لجر المياه الباطنية وجعلها تخرج إلى السطح على شكل منبع ؛ يعود ظهورها بالمغرب إلى أيام المرابطين (بعد 1107 م). (بول باسكون 1977، الجزء 1، ص. 376).

تبقى الخطارة كتقنية معروفة في جهات مختلفة من المغرب لكن تطبيقها انتشر بشكل واسع بإقليم الحوز حيث وصل عددها 500 خطارة توفر 5000 لتر في الثانية (P. Pascon). نجدها كذلك بتافيلالت وبفكيك وجوار كتلة باني في الجنوب وأخيرا بملوية العليا عند آيت يوسي النجيل.

تتلخص تقنية الخطارة في حفر متزامن لنفق باطني ولمجموعة من الآبار على طول خط رسمه. ويجب أن يكون هذا الخط في اتجاه انحدار السطح، أي متقاطعا مع خطوط التسوية، وهو ما يفسر زيادة عمق هذه الآبار من سافلة الخطارة إلى عاليتها. وتتمثل وظيفة هذه الآبار في إخراج المواد المقتلعة أثناء إنجاز النفق. وفي الصيانة بعد الانتهاء من الإعداد.

أما وظيفة النفق فهي التقاطع مع السديمة وجر مياهها نحو السطح لتتدفق بواسطة الراحة على ارتفاع دون ارتفاع السديمة. عند النهاية السفلى للخطارة غالبا ما يشيد حوض لتجميع المياه قبل استعمالها.

والملاحظ أن طول الخطارة الواحدة قد يصل إلى عدة مئات من الأمتار، وعدد آبارها إلى بعض مئات (J. Chiche, 1984, p. 180).

وتعرف تقنية الخطارات في الوقت الراهن أزمة ناجمة عن صعوبة إعداد خطارات جديدة وعن عدم صيانة الخطارات القديمة. ويرجع ذلك إلى القلة المتزايدة للمتخصصين في الميدان وإلى الانتشار السريع لوسائل

ونظرا لضعف كمية الماء المنزوحة عن طريق هذه السواني، فالمساحات المسقية تكون ضيقة. وتبقى السواني تجهيزاً فرديا لا يتطلب استثمارا كبيرا على مستوى العمل. وتعيش هذه التقنية حاليا أزمة تهددها بالاندثار بسبب الإقبال المتزايد للفلاحين على المضخات الميكانيكية التي تشتغل بالحروقات (المازوت أو البنزين) أو بالطاقة الكهربائية وبسبب نزول مستوى السديمات.

الآبار بالرقاص (Les puits à balanciers)

تقنية يعرفها البعض بنظام "أغرور" وتعرف عند البعض الآخر بنظام الدكو وعند آخرين بنظام الشادوق. ويتعلق الأمر بتقنية قديمة جدا انتشرت بواحات وادي درعة (اكثاوة والمحاميد...) وتافيلالت، وتكاد تندثر اليوم بسبب منافسة تقنيات الضخ العصري لها.

تتلخص التقنية في تجهيز البئر بعارضة طويلة يُثبت بنهايتها الغليظة ثقل مضاد، وبنهايتها الأخرى يُشد سطل كان يصنع في الماضي من الجلد ومنذ وقت قريب من المطاط.

يستقر مركز حاذبية العارضة فوق حاجز Barre محمول على سنادين متقابلين في شكل جدارين. ويقوم شخص واحد بتحريك العارضة مميلا إياها في اتجاه نهايتها للملء السطل وفي اتجاه الثقل المضاد لرفع الماء الذي يفرغ في ساقية تقوده نحو حوض للتجميع أو إلى المزروعات مباشرة. ونظرا لضعف الكمية المعبأة فالمساحة المسقية لاتتعدى بعض المئات من الأمتار المربعة.

الآبار بالبكرة (Les puits à poulies) : البكرة هي قطعة معدنية دائرية أو أسطوانية الشكل، تثبت بعارضة مرتكزة على سنادين متقابلة بجوار فوهة البئر. ويهدف من إقامتها إلى تسهيل عملية رفع الماء والتخفيف من عناء

الضخ العصري التي تتسبب في انخفاض المستوى للسديمات وتبيس الخطارات.

ب - تقنيات تجميع ونقل وتوزيع مياه الري

1 - تقنيات التجميع :

غالباً ما يفرض ضعف كمية المياه المعبأة بهدف الري - كما هو الحال بالنسبة للعيون وللخطارات ذات الصبيب الضعيف .. وكما هو الشأن بالنسبة للآبار حيث تنزح المياه بالدلو... - القيام - بتجميع المياه قبل توجيهها إلى المزروعات.

ويتطلب توفير هذا الشرط إعداد صهريج أو صهاريج بجوار العيون وبمخارج أنفاق الخطارات وعلى مقربة من الآبار. وحسب أهمية المورد المائي يختلف حجم هذه المنشآت كما يختلف شكلها ومواد بنائها.

فهناك صهاريج دائرية وأخرى مستطيلة أو مربعة وهناك من الصهاريج ما لا يتخذ أي شكل هندسي معين أما مساحة الصهريج، فتتراوح ما بين بعض الأمتار إلى بعض المئات من الأمتار المربعة وعمقها من نصف متر إلى بضعة أمتار وهو ما يجعل سعتها متفاوتة.

قد تشيد داخل الأرض تحت مستوى السطح بعد إفراغها، وقد تبنى فوق السطح، وقد تكون على شكل حفرة يحجز بها الماء بواسطة المواد المحلية (جلاميد وتراب...) أو على شكل مبني مواده تتضمن مسأكة كبيرة.

وغالباً ما يتطلب ملء الصهريج وقتاً طويلاً بالمقارنة مع الوقت الذي يتطلبه إفراغه. ويتم هذا الإفراغ بواسطة بوابة تكون عند مستوى أرضية الصهريج من الجهة المشرفة على الأرض المسقية. ولهذه الصهاريج أسماء محلية كثيرة.

2 - تقنيات النقل :

منذ القديم اعتمد السقي بالمغرب على نظام الراحة بمعنى أن الماء يتبع الانحدار. وهذا يتطلب وجود إشراف بين مكان مصدر المياه (العين، الصهريج، السد...) والأرض المرغوب في سقيها. ويعني ذلك ضرورة نقل المياه بين النقطتين. وكان هذا النقل يتم بواسطة الساقية التي تسمى في جهات متعددة من المغرب بـ"ترگا أو ترؤا".

وإذا كانت الساقية تتخذ عموماً شكل خدشة في سطح الأرض ناتجة عن عملية حفر وإفراغ، فهي أحياناً كانت تتخذ شكل قناة تم بناء جدرانها بمواد صلبة، تكون أحياناً محمولة فوق قناطر أو جدران. كما هو الحال بساقية عين عتيك بين تمارة والرباط (يمكن رؤيتها بحي الرياض) وبالسواقي التي كانت تحمل المياه إلى معامل السكر التي تحدث عنها Berthier أيام السعديين.

وفي جميع الحالات، كان بناء السواقي يفرض مراعاة العامل الطبغرافي بحيث غالباً ما كان خط رسم السواقي الرئيسية موازياً لخطوط التسوية أو متقاطعةً معها بزوايا ضعيفة، خاصة عندما يتعلق الأمر بواد ضيق. وفي مثل هذه الحالة، كان السد ينشأ نحو العالوية بعيداً عن الأرض

المسقية وأحياناً بأراض ليست في ملكية المستفيدين من المياه مما يخولهم الحق في حصة من مياه الساقية.

عندما تتعدد السدود على مجرى مائي معين مزودة بالمياه عدة سواق على ضفتيه تتشكل شبكات للري على شكل أضلاع السك كما هو الحال بحوز مراكش.

وذكر شبكة الري يجرنا للحديث عن تراتبية السواقي. ونسجل هذه التراتبية عندما يكون الصبيب المعبأ كبيراً يقاس بالعشرات من الليترات في الثانية بحيث نميز :

ـ الساقية الرئيسية أو الساقية الأم : تشرف على دائرة مسقية أو على جناح واسع منها.

تنقل صبيبا مهماً. يتراوح طولها بين بضع و10 كلم ولا يتعدى قطاعها المستعرض المترين. أما عمقها فحوالي نصف متر.

ـ الساقية الثانوية أو "المصرف" : تشرف على قطاع داخل الدائرة المسقية أو داخل جناح منها. وحسب الحالات تجدها تحمّل مياه الساقية الرئيسية أو جزءاً منها ويكون اشتغالها دائماً أو بالتناوب (متقطعاً) حسب طبيعة نظام السقي.

ـ الساقية الثلاثية : تشرف على مصطبة داخل قطاع من الدائرة المسقية وقد تحمل الماء إلى المشارات مباشرة. وعموماً يكون جريانها غير منتظم لأسباب مرتبطة بالحقوق على المياه. وهي الأخرى ينطبق عليها اسم مَصْرَف.

ـ الساقية الرباعية : تحمل المياه إلى الحقل ولا تجري إلا يوم أو أيام النوبة، صبيبا لا يتعدى الفأس وهو الصبيب الذي يتحكم فيه شخص مزود بفأس (أقل من 30 ل / ث).

ونظراً لكون السواقي الترابية تتسبب في ضياع نسبة كبيرة من المياه بسبب التسرب والتبخر، فقد عمدت الجماعات والمصالح المختصة في حالات كثيرة إلى الرفع من مسابقتها عن طريق بنائها بالإسمنت وقديماً بالحجارة والجير...

ج - تقنيات قياس وتوزيع الماء والإرواء على مستوى المشاركة

1 - وسائل القياس والتوزيع :

قبل أن تصل المياه إلى المشاركة لتروي المزروعات بها غالباً ما تكون قد خضعت لعملية تقسيم يفرضها الجانبان القانوني (الحقوق على الماء) والتقني (أهمية الصبيب والطبوغرافية).

فعلى المستوى القانوني تكون حصص ذوي الحقوق على مورد مائي معين متفاوتة لأسباب مختلفة وتحديدًا يتم بوحدات زمنية وبوحدات حجمية.

زمنياً يتم ضبط حصة كل ذي حق بجعله يستفيد من ماء مصدر معين كلياً أو جزئياً خلال مدة زمنية تشكل جزءاً من مدة زمنية أطول هي مجموع حصص ذوي الحقوق. وهذا ما يدخل في مفهومي "النوبة والدور".

فالدر - له علاقة بالدورة - يعني المدة الزمنية الفاصلة



بين سقيتين بالنسبة لأرض ما بعدما يكون كل المستفيدين قد سقوا أرضهم.

أما النوبة فهي جزء من الدور باعتبار تقسيم هذا الأخير تتردد حسب فاصل زمني معين وحسب ترتيب معين بالنسبة للنوبات الأخرى. وقد يقصد بالنوبة حصة ذي حق وموقعه في الترتيب داخل نوبة من نوبات الدور. ولمفهوم النوبة مرادفات محلية مثل الخروبة والفردية.

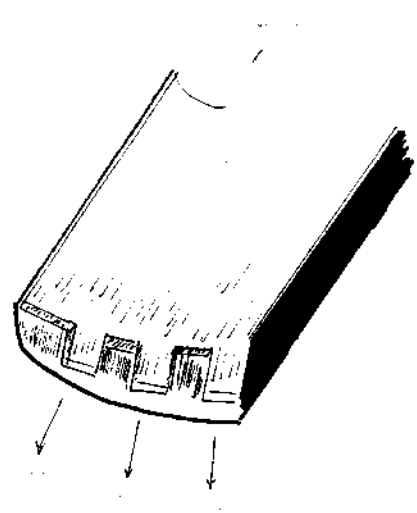
كان تجديد المحصص والنوبات يتم باعتبار فترات النهار ومواقيت الصلاة وبالاعتماد على الظل (ظل شخص أو جدار أقيم للغرض ووقمت الأرض من حوله (القياس بالحية).

ومن وسائل القياس الزمنية نذكر الساعة المائية المعروفة بـ : تانستت ويتعلق الأمر بتسخير زلاقة وسطل وبعض الليترات من الماء. تكون الزلاقة مثقوبة عند قطبها (وسط قعرها) ولها قطر من 18 سم وعمق 7 سم. ويكون عمق السطل 30 سم. يملأ هذا الأخير بالماء وتوضع به الزلاقة في وضع عائم لتتملأ شيئاً فشيئاً عن طريق الثقبة إلى أن تنزل إلى قعر السطل. وتستغرق مدة الملء ما بين 10 و12 دقيقة وهي الفترة الزمنية المسماة بـ"تَانَسْتت" والمعتمدة لضبط الحقوق.

من زاوية الحجم : يبقى الصيب جد متفاوت من مصدر لآخر وهو ما يفرض تجميع أو تقسيم المياه قبل استعمالها. عند توفر الماء بصيب يصعب التحكم فيه من شخص واحد مستعين بفأس يتم تقسيمه إلى وحدات جريان تسمى في جهات كثيرة "بالفاس د الماء". وهو الصيب الممكن التحكم فيه من طرف شخص وأهيمته متغيرة نمشياً مع الموارد المتوفرة ومع الطبوغرافية. ويمكن أن يتراوح في نظرنا بين 5 لترات و30 لتراً في الثانية.

وتقسيم المياه يفرض المراقبة تفادياً لحدوث سرقات وهو ما يتم بواسطة وسائل مختلفة قد تكون من تراب وأحجار أو من أخشاب (لوحات) أو من أسمنت وحديد تقام عند مصدر المياه مباشرة أو بعد وصول الساقية الرئيسية إلى الأرض المراد سقيها.

ويتعلق الأمر بخلق أبواب متناسبة مع الحقوق قد تكون مفتوحة باستمرار أو بالتناوب تسمى "المقاسم".



حين يتعلق الأمر بمورد مائي متواضع يفرض استعماله تجميع المياه قبل توزيعها بين الملاك. تكون حصة كل واحد عبارة عن جزء من سعة الصهريج الذي يجمع المياه. وتحدد عن طريق قياس مثبت على جدران الصهريج أو عن طريق عصى "أغزال" مرقمة، وقد يطبق هنا نظام النوبة بحيث تعود مياه الصهريج كلها لشخص، وبعد مله ثانية لشخص ثان ثم لشخص ثالث إلى النهاية قبل بداية دور ثان.

2. تنظيم استعمال الماء داخل الدوائر والمشارت.

تفرض تقنية السقي بواسطة الغمر توفير صيب أدنى ليتسنى ذلك الغمر وهذا ما يحتم تجميع الماء بالصهاريج في حالة ضعف المورد. لكن لما يكون هذا الأخير وفيراً يصبح ضرورياً التقسيم إلى "قيسان" يتحكم فيها بدون حدوث المخرف للترية واقتلاع للمزروعات.

أما طريقة تداول الماء على مستوى الدوائر المسقية فهي مرتبطة بطبيعة نظام الري الذي قد يتميز بالزامية احترام قاعدة التتابع من العالية نحو السافلة (أو العكس) من طرف ذوي الحقوق داخل نوبة معينة. وهو نظام "الربطة وجارتها أو المكسر وجاره". وقد يتميز بحرية استعمال الماء بدون ترتيب. لكن إذا كانت حصص ذوي الحقوق في الحالة الأولى غير محددة زمنياً دائماً، ففي الحالة الثانية يصبح الأمر بديهيًا، وفي هذه الحالة بالضبط يكون وضع الماء من الناحية القانونية منفصلاً عن وضع الأرض على خلاف الحالة الأولى. وذلك ما جعل المستفيدين يتحدثون عن "الماء العزري".

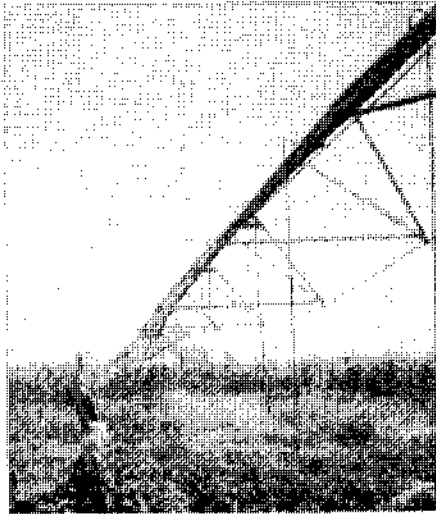
عندما يصل الماء إلى الحقل لا يروي هذا الأخير دفعة واحدة بل جزءاً بجزء. ويرجع ذلك إلى رغبة الفلاح في نجاعة أكبر وفي اقتصاد للماء. وتمشياً مع الانحدار وطبيعة التربة والمزروعات. وكلها اعتبارات تقود نحو إعداد مسبق يتخذ شكل تقسيم إلى وحدات مساحية أصغر مفضولة عن بعضها بسواقي أودفوف (دو = أبادو = تايدوت = Ado). وأهم هذه الوحدات اللوحات (الحمايل م. أحمال) والأحواض "التربطات" والخطوط (Billon).

تعتمد اللوحة كوحدة للغمر عندما يتعلق الأمر بمزروعات لا تحتاج إلى عناية كبيرة كالحبوب والأشجار وفي حالة وفرة المياه والحوض (الربطة) حين يكون الصيب ضعيفاً أو في حالة الغرس والخضر...

ويتم غمر اللوحات و"التربطات" والخطوط والأحواض حول الأشجار بتحويل مياه المصرف انطلاقاً من باب صغير يفتح ويغلق بالتراب والنباتات يعرف بأسماء محلية كثيرة مثل الربطة والمكسر وإزرزم.

تبقى تقنيات الري التقليدي متنوعة بتنوع الظروف الطبيعية والثقافية. وبدل تنوعها هذا على أهمية الماء في حياة السكان. وإذا كانت بعض التقنيات خاصة على مستوى الجر (Captage) والنقل (Transport) كانت من

للماء بشكل مكثف لم يعد معه صبيب العيون والمحطارات التي بدأت تجف قادرا على تليته، فلجأت إلى استغلال الثروة الباطنية بواسطة الضخ الآلي لمياه الآبار، مما تسبب في استنزافها، مما دفع أجهزة الدولة إلى التدخل فعملت على إعادة هيكلة شبكات السقي وتحديثها بهدف تعبئة كميات المياه الضائعة بواسطة التسرب والتبخر، كما بذلت جهودا لإعادة هيكلة البنية العقارية التي عقدها اختلاف أنواع الملكية وعمليات تقسيم الملك المتوالية عبر الأجيال. كما عملوا على إنشاء بنى تحتية جديدة وتأطير الفلاحين وتكوين تعاونيات للري أو تسويق المنتجات... غير أن هذه الجهود لم تسفر عن النتائج المنتظرة حيث تعثرت في مراحل التطبيق، وبات الإصلاح مقتصرًا على تعويض شبكة السواقي الترابية بقنوات من الإسمنت المسلح، وظلت أكبر عرقلة لتطوير أساليب الري هي الجانب الاجتماعي المتمثل في تنوع الملكيات ما بين أراضٍ جماعية وكيش وأحباس وتفتت الملكية الخاصة بسبب التقسيم بين الورثة، وهي ظاهرة لم تنل قسطها من العناية، وبقيت كل المحاولات التحديثية محاصرة بثقل الأوضاع القانونية للأرض والماء وتعقد العلاقات والبنى الاجتماعية.



ويبدو من الصعب اليوم إقامة حد فاصل بين الري التقليدي والري العصري خاصة بعد استفحال أزمت الجفاف وتناقص المياه الذي فرض تغييرات عميقة على أساليب تدبيرها، يضاف إلى هذا الرغبة السياسية في تقليص الفوارق الإقليمية وانفتاح الأرياف لعوامل التحديث وتغلغل اقتصاد السوق وما يرتبط به من تحولات فكرية واجتماعية وما تعرضت له منظومات الري من تحديات، لقد ترتب عن كل هذا ظهور نوع من التجانس يتمثل في التجديد المستمر لأساليب الري وأدواته، فقد أدى تكثيف الري واستفحال الجفاف إلى انخفاض كبير

مبادرة "المخزن" فالجزء الأكبر من المبادرة كان من صنع السكان المتضامنين داخل مجموعات في إطار التنظيم القبلي. وما تجدر الإشارة إليه كون كثير من المفاهيم المتداولة في موضوع الري التقليدي عبر جهات المغرب قد توحي بوحدة المضامين إلا أن ذلك غير صحيح، ولذلك لا بد من التأكد من المحتويات قبل استعمالها. وما لا جدال فيه ارتباط الجانب التقني بجوانب أخرى اجتماعية وقانونية ومؤسسية لها لونها المحلي وتساهم في اختلاف أنظمة الري. يضاف إلى هذا كون هذه الأنظمة في تطور تفرضه التحولات الثقافية والطبيعية (جفاف).

J. Brunhes, *L'irrigation, ses conditions géographiques, ses modes d'organisation dans la péninsule ibérique et dans l'Afrique du Nord*, Paris, 1902 ; M. Kerboul, *Les périmètres irrigués du dir moyen - atlasique septentrional d'Agourai à Al Manzal. Etude géographique*. Thèse de 3ème cycle, Tours, 1981 ; Mancville (Lieutenauk), *Les problèmes de l'eau dans la région de Berkine*. B.S.G.M., n° 3 - 4, Juillet - octobre, 1936 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Rabat, 1977, 2 vol. ; *Théorie générale de la distribution des eaux et de l'occupation des terres dans le Haouz de Marrakech*. R.G.M., n° 18, 1970 ; P. Pascon et Chiche J., *La question hydraulique. I Petite et Moyenne hydraulique au Maroc*, Rabat, 1984 ; A. Robaux, *L'eau et la vie dans le sud marocain*, Revue de géographie marocaine n° 1 et 2 ; I. Zeryouhi, *Systèmes et pratiques de captage traditionnel des eaux au Maroc*, Texte ronéotypé, Mars, 1983 ; Lakbir Ouhajjou, *Espace hydraulique et société. Les systèmes d'irrigation dans la vallée du Draa Moyen (Maroc)*. Thèse de 3ème cycle. Géographie de l'aménagement, option espace rural, Montpellier III ; S. Colin Georges, *La Noria marocaine et les machines hydrauliques dans le monde arabe*. Hesp., T. XIV, 1er trimestre, 1932 ; P. Berthier, *Les anciennes sucreries du Maroc et leurs réseaux hydrauliques*, Paris, Rab at, 2 tomes, 1966.

محمد كربوط

## الري العصري بالمغرب، ظهرت أسباب الري

العصري في بداية عقد الثلاثينيات وقد ارتبطت بالمعمرين الأوربيين الذين أدخلوا تقنيات جديدة للحصول على المياه وأساليب للسقي فتوسعت المجالات المسقية واغتنت بمشاريع وبرامج جديدة وإدخال مزروعات تسويقية وصناعية وشجرية جديدة اكنست أهمية متزايدة في اقتصاد المغرب، وبذلك تركزت تلك الشائبة التي تقابل الري التقليدي بالري العصري.

لقد شهدت المجالات السقوية التقليدية (العتيقة) تحولات في مظاهرها المتعددة سواء على مستوى المجال أو المزروعات. وكان أول محرك لهذه التحولات هو تدخل سلطات الحماية في تغيير نظم التوزيع الأصلي للمياه، إذ طبقت مجموعة قوانين أهمها مبدأ تملك الدولة للمياه العمومية، فأعدت توزيع مصادرها بين الأرياف والمدن وأعطت نصيبا للمعمرين الجدد. وأفضت متطلبات الإنتاج الجديدة بفعل تأثير السوق الحضرية إلى تزايد حاجة الفلاح

للفرشات المائية ترتب عنه جفاف المخازن والعيون والآبار، مما أدى إلى تدميرها واستعمال الضخ الآلي وبناء صهاريج وقنوات وسواقي مبلطة بالإسمنت وتوزيع المياه بخراطيم المطاط أو البلاستيك وتطبيق أساليب جديدة لاقتصاد مياه الري كالرش والتنقيط والترشيح... كما استفادت شبكات الري التقليدية من أساليب الري العصري عند بناء السدود على أوديتها، مما غير المعطيات القديمة وفرض توزيع المياه بأساليب جديدة.

يشكل قطاع الماء بالمغرب رهانا استراتيجيا نظرا لما يلعبه من دور حيوي في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وما يرتبط به من مخططات وبرامج ومشاكل. تجلت هذه الأهمية على ميدان الواقع بتبلور سياسة السدود التي تهدف إلى سقي مليون هكتار سنة 2000. فاعتبار نوعية المناخ المغربي الذي يتميز بعدم انتظام التساقطات وأهمية ثروته المائية سواء الجارية أو الباطنية، شكلت تعبئة موارد المياه تاريخيا محور التقدم الزراعي، وحظي باهتمام السلطات خاصة سلطات الحماية التي أدركت أن الأراضي في هذا الوسط الشبه الجاف تفقد أهميتها دون ضمان موارد ري دائمة.

وباعتبار نظام الجريان السطحي الذي يتميز بفيضانات فصلي الشتاء والربيع تضيق مياهها في البحر، وشح خطير في فصل صيف طويل حار وجاف، واعتبار فتوة التصاريس وتنوع النباتات الجيولوجية التي توفر خنادق وأودية كبيرة وصغيرة وأحواضاً، اقتنع المسؤولون الجدد أن أفضل حل لإنعاش نهضة اقتصادية فلاحية وعمرانية، هي بناء السدود بهدف تخزين المياه لاستعمالها في تزويد الفلاحة والمدن والصناعة بالماء والطاقة. فخطط لبناء عدد من السدود والمنشآت المائية المختلفة المضمون والأهداف. ويمكن تقسيم مشاريع الإعداد الهيدرولوجي إلى ثلاث مراحل رئيسية.

مرحلة أولى (1930 - 1955) : لتوسيع قطاع الزراعة الرأسمالية الحديثة وتأمين الأراضي التي وزعت على المعمرين أو اشتروها بأفضل السهول، شرعت أجهزة الحماية في بناء السدود. ففي 1929 بنت أول سد على واد أم الربيع : سيدي سعيد معاشو بحقيته بلغت 32 مليون م<sup>3</sup>. وفي 1931 تم بناء سد المالح على واد المالح قرب الدار البيضاء لتزويدها بالماء الشروب حقيته 25 مليون م<sup>3</sup> وبناء سد قصب تادلة على أم الربيع لتغذية قناة سهل تادلة، وسد التهيلة على واد لاو قرب الشاون، وفي 1935 تم بناء سد القنصرة على واد بهث حقيته 160 مليون م<sup>3</sup> وسد للاتركوست على واد نفيس قرب مراكش حقيته 50 م<sup>3</sup> وكانت نطاقاتهما بمثابة مدرسة لإتقان الأساليب الزراعية الجديدة. وتوالي بناء السدود إلى أن وصل عددها في نهاية عهد الحماية 13 سدا، كان أهمها سد بين الوديان على واد العبيد حقيته 1,4 مليار م<sup>3</sup>.

ولم تنحصر عمليات تعبئة المياه على بناء السدود بل

تعدتها إلى مشاريع تقنية متنوعة الأهداف مثل بناء حواجز صلبة على الوديان لتغذية القنوات والسواقي وتبليط بعض السواقي التقليدية الكبرى، وإنشاء محطات للضخ الآلي سواء على الآبار أو مياه الأنهار الجارية. وبناء حواجز لتشتيت مياه السيول وتحويلها إلى جريان منتشر لسقي الأرض وتغذية الفرشة المائية وإنشاء خطارات حديثة وبناء سدود باطنية لأخذ مياه الجريان السفلى للوديان وإنشاء قنوات لصرف المياه الباطنية الزائدة بالنطاقات المسقية لمنع صعود مستوى المياه الجوفية الذي يتسبب في تعفن جذور الأشجار، وأخيرا بناء السدود التلية.

وكانت مشاريع هذه المرحلة موجهة كلها تقريبا لصالح المعمرين الأوربيين، لكن بعد 1950 كوتت النطاقات السقوية الجديدة بملوية السفلى ودكالة وبنى موسى بتادلة مجالا واسعا لتعلم المغاربة حيث بدأت تظهر بوادر طبقة عمالية زراعية ساهمت بوعيتها في إنعاش الحركة الوطنية للمطالبة بالاستقلال.

وانتهت هذه المرحلة بتبلور أهم النطاقات السقوية المغربية العصرية التي صارت أهم محرك لمشاريع تحديث الزراعة، وبلغت المساحة المسقية المهينة 145.000 هـ جهز منها 81.500 هـ، لكن المساحة المسقية فعلا بأساليب عصرية لم تتجاوز 45.500 هـ كلها في ملكية المعمرين.

المرحلة الثانية (1956 - 1968) : كانت مرحلة توقف لإعادة استيعاب المشاكل الجديدة الناتجة عن مغربة الأطر والتخلي التدريجي للأوربيين عن ضيعاتهم إما بالبيع أو المصادرة لصالح الدولة التي كوتت قطاعا زراعيا عوميا ذلك أن بعض أراضيهم تدخل في إطار الاستعمار الرسمي إذ تسلموا الأراضي مجانا من أجهزتهم الحكومية، وحل محلهم طبقة جديدة من الملاكين الحضريين وأغنياء الريف، كما أنشئت بعض تعاونيات الإصلاح الزراعي فوق أراضيهم المسترجعة. كوتت هذه المرحلة فترة تأمل وتحليل للأوضاع الجديدة تميزت بالشروع في دراسة مشاريع جديدة للري والتجديد القروي والإصلاح الزراعي... مثل مشروع سبو الذي كان بمثابة أول تصميم توجيهي لإعداد مندمج لحوض نهري كبير، كما أنجزت دراسات وطنية على مستوى الري الصغير والمتوسط بهدف تطوير زراعته بكل من حوض أم الربيع واملوية ودرعة حيث درست إمكانية بناء خزان كبير وتحديث أنظمة السقي كما تميزت بالدراسات القيمة التي قدمها المكتب الوطني للري التي أسفرت عن تهييء قانون الاستثمار الفلاحي.

المرحلة الثالثة ما بعد 1968 : وهي مرحلة المنجزات الضخمة الهادفة إلى تدبير الثروة الوطنية المائية وتعميم أساليب الري العصري بكل أرجاء المغرب. عرفت قفزة نوعية خاصة، حيث دشّن صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني في خطاب العرش سنة 1967 سياسة وطنية لبناء السدود الكبرى لتحقيق هدف وطني : ري مليون هكتار، فعرفت

بطيء ظل يتسبب في هدر اقتصادي كبير، ذلك أنه رغم بناء السدود وتسوية الأرض وإنشاء قنوات الري الرئيسية فإن الفرق بين المساحات المهيئة للري من السدود وتلك المجهزة داخل النطاقات السقوية المستغلة ظل كبيرا، فمن 100.000 هـ جهزت بالقنوات الكبرى بين 1956 و1966 لم تتجاوز المساحة المجهزة والمروية فعلا 40.000 هـ. ورغم كل ذلك فإن عملية بناء السدود وتجهيز المناطق السقوية ما تزال تحظى بالقسم الأعظم من استثمارات الدولة الموجهة للزراعة إذ تستوعب سنويا حوالي 60% من ميزانية التجهيز ووصلت المساحة المسقوية سنة 1997 إلى حوالي نصف مليون هكتار. وفي سنة 2000 بلغت 896.000 هـ من بينها 570.000 بواسطة الري الكبير و326.000 بواسطة الري الصغير والمتوسط يضاف إلى هذا مساحة 108.000 في طور التجهيز في إطار البرنامج الوطني لسقي مليون هكتار.

أما السعة الكلية للخزن ببحيرات السدود فقد بلغت سنة 1996 بعد ملء بحيرة سد الوحدة 15 مليار م<sup>3</sup> تمكن من تعبئة 70% من الموارد المائية بالمغرب، لكنها لا تمتلئ في السنوات الرطبة إلا بحوالي 80% وتنخفض في السنوات الجافة إلى حوالي 25% فقط. لقد بلغت نسبة امتلاء السدود 55% في دجنبر 1991 و18% في أكتوبر 1993 وأقل من 20% في مارس 2001.

وتتعرض السدود لأخطار أخرى هي التوحد المستمر لتراكم الرواسب الطينية التي تحملها مياه الوديان الجارية، فعندما تستقر في بحيرة السدود تصفى مياهها وترسب حمولتها الطينية الصلبة التي تختلف حسب مياه كل واد من 2 كغ / م<sup>3</sup> إلى 20 كغ / م<sup>3</sup> ويتراكم الرواسب تنقص حقيبة السدود.

لقد تزامن تطبيق أسباب الري العصري مع إنجاز المنشآت المائية الكبرى في عقد الثلاثينات، وتطلب ذلك استثمارات لتدبير موارد المياه على أسس تقنية وتنظيمات جديدة تراعي ظروف الفلاح ومشاكله، وإدخال مزروعات جديدة مطلوبة في الأسواق الداخلية والخارجية وتطبيق أساليب عمل وإنتاج أقرب ما تكون إلى النشاط الصناعي. والعمل على توعية الفلاحين وإخراج الأرياف من ركودها، ويتطور أسلوب عمل أجهزته باستمرار تبعا لتغير الحاجيات والأهداف... ويتميز مساره بمرحلتين متباينتين.

مرحلة ما قبل 1965 : منذ ظهور مشاريع الري العصري في الثلاثينيات كانت تدخلات أجهزته تقتصر على المنشآت الخارجية فتقوم بجلب الماء إلى الضيعة، ويبقى خبراءها خارجها لا يتدخلون في كيفية استغلال الفلاح له ولا في تحديد نوع المزروعات ولا في أساليب عمله، خاصة وأن الفلاحين المعنيين آنذاك هم في الدرجة الأولى المعمرين الأوربيين الذين يحملون معهم تجارب أوربية وتحركهم أهداف وسلوكات نوعية خاصة، لكن رحل

عملية بناء السدود زحما كبيرا في التصميم الخامس 1968. 1972 وما تلاه من تصاميم كما تم وضع تصاميم توجيهية لإعداد مجالي مندمج لأحواض أم الربيع وسوس والحوز الأوسط وتساوت السقوى. وفي سنة 1969 صدرت نصوص قانون الاستثمار الفلاحي الذي كان بمثابة وثيقة وطنية للفلاحة المغربية، فخصصت الحكومات ميزانيات ضخمة وحصلت على قروض أجنبية لبناء سدود كبرى. فتم إنجاز 7 سدود بين 1967 و1974 وهي سد محمد الخامس على ملوية ومولاي يوسف على تساوت والحسن الداخل على واد زيز والمنصور الذهبي على واد درعة ويوسف بن تاشفين على واد ماسة وسيدي محمد بن عبد الله على واد بورغراگ. وتسعة سدود أخرى في الفترة 1975. 1985 أهمها سد المسيرة على أم الربيع الذي بلغت حقيقته 2.724 مليون م<sup>3</sup>، واستمرت الجهود لتشييد المزيد من السدود الكبرى توجت سنة 1996 ببناء سد الوحدة الذي بلغت حقيقته 3.8 مليار م<sup>3</sup>. وشدت بداية الألفية الثالثة بإنجاز سد دشر الوداد على نهر أم الربيع قرب خنيفرة حقيقته 408 مليون م<sup>3</sup>. وباستغلال جل الأماكن الصالحة لبناء السدود الكبرى والمتوسطة التفت المسؤولون إلى الوديان الصغيرة والسيول للشروع في بناء مئات السدود التلية التي تبنى عادة من المواد المحلية : حجارة وأتربة لتلبية حاجيات محلية للشرب والسقي.

لقد تطلبت كل هذه المنجزات أشغالا هندسية كبرى مرافقة لها تتنوع ما بين سدود تعويضية وتنظيمية إلى شبكة قنوات متراتبية وما تتطلبه من منشآت هندسية لعبور الأنهار والطرق ومحطات التقسيم والتوزيع ومعامل لإنشاء القنوات الإسمنتية والأنابيب وغيرها من التجهيزات الضرورية.

وعمقت الأجهزة المختصة تدخلها بإنجاز تجهيزات داخلية متنوعة على مستوى الضيعات والمشارب، وعجلت وتيرة عملها التي انتقلت من استصلاح 8.000 هـ / سنة كمعدل في الفترة 1957. 1967 إلى 17.500 هـ في السنة في الفترة 1967. 1972. بل وصلت قمتها في الفترة 1973. 1980 حيث أُنجزت 24.000 هـ في السنة ثم تقلصت وتيرة الاستصلاح في عقد الثمانينات إلى حوالي 2.500 هـ في السنة لظهور انعكاسات أزمت الجفاف وتقل القروض الأجنبية، كما أدت كثرة المشاكل الطارئة إلى ضعف النتائج المنتظرة من ثورة الري العصري.

ورغم ما استوعبته العملية من نفقات هائلة وديون أجنبية، فإن هذه الجهود لم تثر حماس الفلاحين ولم تحل مشكل تفتت الملكية وسوء توزيعها وتعدد أنواعها، ولم تحقق مشاريعها الصغيرة لإصلاح زراعي وتداخلاتها الكثيرة إنعاش المزروعات التسويقية والصناعية، كما لم تحفز هذه الجهود أصحاب الأموال للاستثمار في الفلاحة التي أعفيت من كل ضريبة مباشرة طيلة عقود، إلا بشكل

معظمهم بعد الاستقلال ولم يبق في الساحة غير الفلاح المغربي الذي لم يستفد كثيرا من الوضع السابق، لكن الأجهزة الحديثة اتجهت إليه لتأطيره عبر مختلف البرامج.

مرحلة ما بعد 1965 : صارت أجهزة الدولة تتدخل ببرامج إعداد مندمجة مكنت خبراءها من التدخل في شؤون الضبعة، فتقوم بتوجيه الفلاح لتطبيق تناوب زراعي جديد في كل مشاركة واختيار أنواع المنتجات بل والضغط عليه للاهتمام بمزروعات صناعية خاصة مثل الشمندر، كما تقوم بتزويد الفلاح باليدور المنتقاة وبعض الأدوات والآليات وخصصت لذلك أجهزة تمويل أهمها القرض الفلاحي وما زالت تعمل لترشيد المياه ومعالجة المشاكل المترتبة عن الزراعة المسقية مثل غسل التربة أو تملحها وصعود الفرشة المائية وقتين البنية التحتية بإنشاء مسالك وقنوات ثانوية وثلاثية وحفر قنوات صرف المياه الزائدة وتجهيز وسائل نقل المنتجات. لقد صارت أجهزة الدولة تتكفل بكل أعمال استصلاح الأراضي وتجهيزها للسقي فتقوم بتسوية السطح وتنقيته من الحجارة وتحديد مساحة المشارات وأسلوب السقي وتلزم الفلاح بتطبيق دورة زراعية رباعية أو خماسية تقوم على تناوب زراعي مدروس يعطي الأولوية لمزروع تسويقي أو صناعي. كما تقوم أحيانا بمجهودات لدمج الأراضي ومنع تقسيم الاستغلاليات بين الورثة الشيء الذي لم يحترم، وبناء على مستوى التدخلات وتباين طرق الحصول على المياه واختلاف استعمالها، صنف الري بالمغرب إلى صنفين :

الري الكبير : يتناول مجالات النطاقات السقوية الكبرى. وهي تسعة ظهرت أولى أجهزته وأطره في الثلاثينيات عند بناء أول السدود العصرية المهمة مثل سيدي معاشر والقصرة.. واتضح معالمة بوضوح عند بناء أول السدود الكبرى في عقد الستينيات، تشرف على شؤونه أجهزة متنوعة الاختصاص تابعة لوزارة الفلاحة والأشغال العمومية، تقوم بتدبير شؤون الماء سواء في عاليته أي عند إنتاجه أو عند استعماله المتنوع، وتهدف برامجه إلى رفع مساحة نطاقاته السقوية إلى أكثر من 80.000 هكتار سنة 2000، ليس فقط بإضافة مساحات سقوية عصرية جديدة وإنما كذلك بتحويل مساحات مروية بأساليب تقليدية من دائرة الري التقليدي والري العصري الصغير والمتوسط إلى نطاقه، حيث تتوفر الخبرة ومياه السدود الكبرى.

الري الصغير والمتوسط : تتكون مجالاته من النطاقات العصرية الصغيرة التي لا تتجاوز 5.000 هكتار ومن مجالات الري التقليدي التي لا تستمد ماءها من السدود الكبرى والمتوسطة، بل من سواقي الوديان التي تنطلق من حواجز هشة على مجراها بالإضافة إلى مياه العيون والحظارات كما تستعمل مياه الفيض الموسمي والآبار. ونطاقات الري الصغير والمتوسط كثيرة ومتنوعة إذ تنتشر

في الأودية الجبلية ومناطق الدير والواحات وضاف الأنهار فهي تعد بالمئات. وتدخل أجهزة تدبير المياه فيها يكون محدودا، كما أن نصيبها من استثمارات ميزانية الري يكون محدودا لم يتجاوز 10% من المجالات المسقية بالمغرب. ويلاحظ أن وجودها التاريخي وخضوعها لأعراف وحقوق سابقة يناهض كل محاولات التغيير والتقويم من طرف أصحاب المصالح الكبيرة. كما أن تشتت مجالاتها بكل أرجاء المغرب يجعل محاولات إصلاح شؤونها صعبة. وتقدر الدوائر المختصة أن إعداد هكتار واحد بنطاقات الري الكبير يكلف 3.000. 4.000 د/هـ / وفي النطاقات الصغيرة المفتتة الملكية يكلف 8.000 . 10.000 د/هـ. أما في النطاقات التاريخية حيث يسود التفاوت الكبير في الملكية وتفتتها بالإضافة إلى تناثر الورثة فإن عملية الإعدادات تكلف 20.000. 25.000 د/هـ. وغالبا ما تقتصر التدخلات على تبليط سواقي أو حفر بئر أو شراء مضخة. ويرى بعض الدارسين أنه يتعذر إصلاح وضعية هذه النطاقات دون تطبيق برامج لدمج الملكية وتكوين ضيعات كبرى تشرف عليها تعاونيات المشتركين في ملكيتها وتوزيع ثمارها على الملاكين السابقين حسب أهمية كل سهم وما قدمه صاحبه من عمل أو تعاقد...

وتختلف تقديرات المساحة القابلة للري بهذا النطاق، فإن كانت مساحات الري الكبير الممكن إعدادها تصل إلى 800.000 هـ فإن نطاقات الري الصغير والمتوسط تتباين تقديرات مساحتها من 300. 500 ألف هـ. وأحصيت سنة 1989 فأعطت النتائج التالية : المساحات الدائمة السقي 180.500 هـ وأراضي السقي الموسمي 175.000 هـ والسقي بالفيض 59.400 هـ المجموع 414.900 هـ. لكن استفحال الجفاف أقصى مساحات شاسعة من السقي سواء الدائم أو الموسمي، مما يجعل المساحات المروية تنقلص، إذ منها ما تحول إلى أراضي بور ويوار منذ سنوات.

الأجهزة المشرفة على الري العصري : إن تنمية الزراعة المسقية لا تنحصر في تنمية الموارد المائية فقط، بل أصبح رهان اليوم يتمثل أيضا في التحكم وتدبير الطلب على الماء وترشيد استعماله وهذا شيء بالغ الأهمية باعتبار النظام الهيدرولوجي المضطرب، ويقترن هذا بارتفاع حاد للحاجيات من الماء مما دفع إلى سن سياسة جديدة للماء وقيام أجهزة وزارة الأشغال العمومية المشرفة على قطاع إنتاج الماء بالتشاور مع مختلف الأطراف المعنية والمؤسسات العمومية المختصة ومراجعة الأدوات التشريعية، إذ وافق البرلمان سنة 1995 على قانون جديد للماء يشكل القاعدة الأساسية لاستعمال الماء بالمغرب.

لقد اكتسب المغرب خبرة لا يستهان بها في ميادين دراسة وإنجاز واستغلال المنشآت المائية، وأنشأ أج هزة عديدة متنوعة الاختصاص والمسؤولية منها ما هو عمومي ومنها مؤسسات خاصة وطنية وأجنبية، وتوج ذلك بإحداث

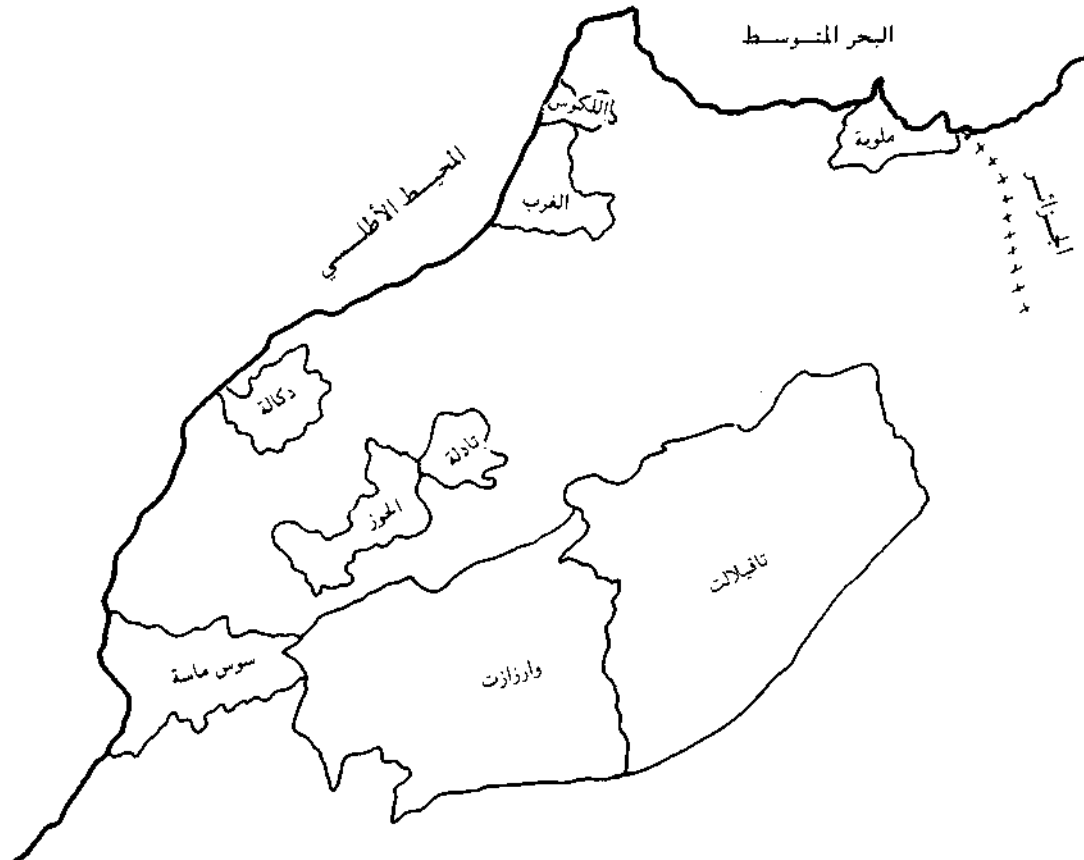
المجلس الأعلى للماء والمناخ الذي يرأسه صاحب الجلالة، وهو بشكل متتدي واسع الصلاحيات تتنافس فيه أجهزة الدولة ومختلف المؤسسات والمنتخبين والجمعيات المهنية والمستهلكين حول مواضيع بالغة الأهمية لتنمية الموارد المائية وتحديد التوجهات التي ينبغي اتباعها، وهو متأهب دوما لمواجهة جميع المشاكل سواء المزممة أو الطارئة بما تتطلبه من دراسة وحلول، وقد أوجد المسؤولون عدة أجهزة لتدبير شؤون الماء وتأطير الفلاحين وهي :

المكتب الوطني للري O.N.I. : لإعداد نطاقات الري دعت الضرورة إلى إنشاء أجهزة تقنية واجتماعية وإدارية، وإمدادها بترسانة من القوانين لتنظيم عملها، وقد اكتسبت الأطر الأولى التي كانت مدعمة بأطر أوربية خبرة واسعة في النطاقات المروية الأولى خاصة بتسهيل تادلة، ولتطبيق أسس السياسة المائية الجديدة أنشأت سلطات وزارة الفلاحة سنة 1960 المكتب الوطني للري، وهو مؤسسة عمومية لها شخصيتها القانونية واستقلالها المالي، ضمت كل الأطر والأجهزة السابقة المشرفة على الري، تكلفت بشؤون الري الكبير من دراسة أمكنة السدود إلى تشييدها وإنشاء القنوات وإعداد المجالات المسقية وتأطير الفلاحين المعنيين وإرشادهم لتحديث أساليبهم الزراعية. ودعت عمله بمنشأة أخرى هي :

المكتب الوطني للتجديد القروي : يتدخل في المجالات التي لا يهتم بها المكتب الأول خاصة النطاقات المسقية التقليدية والنطاقات الصغرى المنتشرة بأرجاء المغرب. مكاتب الاستثمار الفلاحي : في سنة 1966 أدمج المسؤولون المؤسستين السابقتين في مؤسسة واحدة هي

مكتب الاستثمار الفلاحي O.M.V.A مكلفة بتطوير وتجهيز الأراضي الفلاحية في الدوائر المسقية وتأطير الفلاحين التي سرعان ما تحولت من مؤسسة مركزية وطنية إلى تسع مؤسسات جهوية للاستثمار الفلاحي : O.R.M.V.A تعمل في نطاق ري خاص بها لتطبيق سياسة اللامركزية الجديدة، وتشرف هذه المكاتب على حوالي 1,7 مليون هكتار أن مكتب كل جهة لا يشرف فقط على نطاق مسقي مرتبط بمنشأة مائية بل كل الأراضي المجاورة له والداخلة وسطه دون أن تنهياً لها شروط الاستفادة من الإعداد المحلي للسقي العصري، وكذلك إذا كانت تسقى بأساليب الري التقليدي سواء الدائم أو العرضي، والأراضي غير الصالحة للاستغلال الفلاحي كالأراضي المحجرة أو التلال والجبال. لكن مجال عملها الحقيقي هو الأراضي المسقية التي بلغت سنة 1985 حوالي 500 ألف هكتار أي 7% من مساحة المغرب وتقترب اليوم من 1 مليون هكتار أي 14% من المساحة الوطنية. وتتدخل أجهزتها لتوجيه عمليات الحرث في الأراضي البورية وتوزيع البذور المنتقاة للبيع وتمتلك مراكز تنتشر بالنطاق المسقي C.M.V تقوم بخزن الآليات وتوزيع الخدمات. وهي تقوم بالإضافة إلى أعمال التجهيز بخدمات اجتماعية تمتد من تسوية المشاكل العقارية ودمج الملكية (تمكنت من دمج 300 ألف هكتار بين سنوات 1968 و1980) إلى تأطير الفلاحين وإرشادهم لتحديث أساليب الفلاحة.

لقد تمكنت المكاتب الجهوية من إعداد 70% من المساحات المهيأة للسقي في النطاقات الجديدة ورفعت



المساحات المسقية بالري العصري الكبير من 65.000 هـ، سنة 1956 إلى حوالي 800.000 هـ.

المديريات الجهوية المائية : تدار من طرف وزارة التجهيز مهمتها ضمان صيانة واستغلال التجهيزات المائية، كما تعمل على تسيير الموارد المائية على المستوى الجهوي والإقليمي، تنجز أنقباؤاً قصد التعرف على إمكانية الفرشة الباطنية وضبط الموارد المائية السطحية من خلال مراقبة صبيب مختلف الوديان والأنهار وذلك لتحديد قدراتها على الاستغلال للأغراض المحلية والإقليمية.

النطاقات السقوية الكبرى : يبلغ عددها تسعة، يعطيها المسؤولون السياسيون والاقتصاديون الأولوية في التجهيز والإدارة باعتبارها رائدة الفلاحة في المغرب، يستهدفون إنعاش الزراعات المسقية في هذه النطاقات إلى تحقيق اكتفاء غذائي وزيادة المزروعات الصناعية الأساسية كالشمندر والتسويقية المطلوبة في الأسواق الأجنبية كالبرتقال والطماطم لتعديل ميزان التجارة الخارجي، وكذلك لتوفير العمل للشباب الريفي لتقليص الهجرة نحو المدن، ورفع مداخيل الفلاحين وإنشاء بنية لامركزية لصناعة غذائية، وتتوقف هذه الأهداف على ترشيد استعمال المياه وتحديد أساليب الزراعة لرفع مردودية الأراضي وإنتاجية الاستثمارات، وأهم النطاقات :

نطاق الغرب : هو الأكبر والأغنى والأكثر تطوراً وإنتاجاً وسكاناً يعتبره المسؤولون مدرسة لتكوين الأطر وإتقان الأساليب الجديدة لتطوير الفلاحة المغربية. كان يسود الغرب قديماً نظام الأراضي الجماعية وأراضي الكيش تكثر به المستنقعات ويتعرض لفيضان واد سبو وروافده إذ يستغله سكانه في زراعة خفيفة للحبوب وفي الرعي الذي تستفيد منه كذلك القبائل المجاورة للغرب، لكن خصوبة تربته الغنية : التبرس والدهس ووفرة مائه وجودة مناخه، أغرت الأوربيين في بداية عهد الحماية بإنشاء قطاعات زراعية عصرية خاصة بهم كانت هي الأكبر والأغنى في المغرب، وبعد الاستقلال رحل معظمهم وباعوا ضيعاتهم أو تحولت إلى ملكية الدولة تشرف عليها مؤسستا صوجيا وصوجيتا. ويوجد بهذا النطاق طبقة عمالية زراعية تسميز بمهارتها وتقاليدها الجديدة. وتقدر المساحة القابلة للسقي العصري 234.000 هـ منها 30.000 هـ في نطاق سد القنطرة على واد بهت كانت هي أول مجال مسقي رائد بالمغرب منذ 1931. كما استفاد هذا النطاق من السقي من مياه سبو ومن مياه فرشة باطنية غنية بالضح الآلي. كما جففت المستنقعات التي تحولت إلى أفضل الأراضي المنتجة للأرز. وزود السهل بشبكة واسعة من قنوات صرف المياه الزائدة تنتهي في المرجة الزرقاء وبمجرى سبو الأدنى. وفي 1973 تم بناء سد إدريس الأول على واد إيتاون الذي تصل حقينته إلى 1,2 مليار م<sup>3</sup>. كما أقيم مؤخرا سدواق على مصب سبو لحمايته من صعود مياه البحر المالحة. كما زود النطاق بعدد

آخر من السدود الثانوية على واد إيتاون وغيره. ويتكون اليوم من عدة نطاقات ثانوية موزعة بسهولة مستوية بصفته اليمنى واليسرى. وفي سنة 1996 أنهى بناء سد الوحدة الذي هو أكبر خزان للمياه بالمغرب حقينته 3,8 مليار م<sup>3</sup> سيسقي بالغرب أكثر من 10.000 هـ إضافية ويحميه من الفيضان، وستصل مياهه عبر قنوات باطنية إلى الشاوية. طبق المسؤولون في نطاق الغرب بعض العمليات المحدودة للإصلاح الزراعي الذي تناول مساحات بلغت 42.000 هـ منها 14.000 مسقية استفاد منها 4.925 فلاحا اندمجوا في إطار 145 تعاونية فلاحية. لقد حققت المشاريع هنا أفضل النتائج سواء من حيث المردودية أو الإنتاجية وذلك بتطبيق دورات تناوب زراعي لقيت استحسانا من طرف الفلاحين، وقد تزايدت المساحة المسقية في نطاق الغرب من 30.000 سنة 1956 إلى 91.000 هـ سنة 1990 منها 15.000 تابعة لدائرة الري الصغير والمتوسط. ودعمت هذه النهضة الزراعية بعدد كبير من المعامل لمعالجة المزروعات الصناعية كالشمندر، قصد سكري، طماطم، خضر وفواكه، ومعامل لتلفيف الخضر والفواكه الموجهة للتصدير مثل البرتقال والطماطم.

لقد تحول نطاق الغرب إلى أغنى منطقة زراعية بالمغرب نظرا لما يتميز به من مؤهلات طبيعية فأنهاره هي أغنى أنهار المغرب وأمطاره وفيرة 600 إلى 700 ملم في السنة، يحيط به عدد من المدن الكبرى تكون سوقا رائجة لمنتجاته وموانئ تسهل تصدير فائضه من الخضر والفواكه وتسميز بزراعات ناجحة منها الحبوب والخضر والفواكه والأرز والعلف...

نطاق اللكوس : يتكون في مجموعته من 250.000 هـ منها 40.500 قابلة للري، لكن لم تجهز منها لحد الآن وتُسقى سوى 18.000 هـ إلى حدود سنة 1990 منها 3.000 هـ تابعة لإدارة الري الصغير والمتوسط. وتسقى من مياه سد واد المخازن حقينته 800 مليون م<sup>3</sup>، لكن الكمية التي يتم تدبيرها سنويا تقدر بـ 320 مليون م<sup>3</sup>، كما تستفيد من 32 مليون م<sup>3</sup> من مياه واد الدردار ومن الآبار كذلك. وقد جهز واد اللكوس بسد واق بمجره الأسفل لحمايته من صعود مياه البحر. ويتميز هذا النطاق بتجهيزه بصوامع صهرجية لإعطاء الماء ضغطا يستغل في أجهزة الرش المستعملة على مساحة 16.000 هـ وقد حقق هذا النطاق نتائج إيجابية كبيرة بتعميم زراعة قصب السكر والشمندر والعلف والخضر والبرتقال والفرل السوداني الذي أغنى المغرب عن استيراده وأخيرا توت الأرض الذي توجه كميات منه إلى التصدير.

نطاق ملوية السفلى : بلغت مساحته 70.000 هـ سنة 1990 تتغذى من مياه واد ملوية الذي أنشئ عليه سد حاجز بمشروع حمادي سنة 1955 لتغذية قناة ري كبرى، وأنشئ عليه سنة 1967 سد محمد الخامس حقينته 490 مليون م<sup>3</sup> ونظرا لتراكم رواسب كثيرة به فإن الحقينة المستغلة لا

تتجاوز 300 مليون م<sup>3</sup> كما استغل بهذا النطاق فرشة مائية غنية أنشئ عليها أكثر من 3.000 بئر تزود المنطقة سنويا بحوالي 60 مليون م<sup>3</sup>. وأهم نشاط يهتم به الفلاحون هو زراعة الخضر التي كانت تجد في الجزائر سوقا رائجة تلبها زراعة الفواكه خاصة البرتقال والكرام واهتموا بزراعة الشمندر والعلف لتغذية الأبقار. ويعتبر هذا النطاق اليوم المزود الرئيسي لسكان شرق المغرب بحاجياتهم من الخضر والفواكه والحليب والدواجن.

نطاق دكالة : يشمل مجال تدخل المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي لدكالة 500.000 هـ لكن المساحة القابلة للسقي هي 126.000 هـ تسقى منها 62.700 هـ إلى حدود 1990. وهو يتلقى من سدود نهر أم الربيع حوالي 550 مليون م<sup>3</sup> حاليا. وقد ابتدأ الري العصري هنا منذ 1940 عندما استخدم المعمرون قناة تتغذى من سد إيفوت. أما أول سد أقيم بالمغرب على واد أم الربيع سنة 1929 سد سعيد معاشو فقد كان موجها لإنتاج الكهرباء وتزويد مدينة الدار البيضاء والجديدة بالماء الشروب. ويعتبر اليوم سد المسيرة الذي أنشئ سنة 1979 بحقينة بلغت 2,7 مليار م<sup>3</sup> هو المزود الرئيسي لنطاق دكالة بمياه الري. ويتميز هذا النطاق بتجهيزات تحتية مهمة منها قناة رئيسية طولها 111 كلم وصوامع ضغط الماء التي أشاعت استعمال الرش فوق مساحة 33.500 هـ وأهم منتجات هذا النطاق هي الحبوب الشتوية والشمندر والخضر والعلف وأنواع البطيخ وأخيرا فول الصوجا. ويتميز الشمندر هنا بمرودية كبيرة 63 طن/ هـ لخصوبة التربة العميقة الحمري وجودة ظروف الإنبات والمناخ. ويعطي هذا النطاق أهمية كبرى لتربية الأبقار من الفصائل الجيدة المستوردة والمهجنة لإنتاج الحليب ولهذا صارت المنطقة أكبر منتج للحليب بالمغرب وتتميز بإنشاء عدد من المعامل لتعبئة الخضر والفواكه والحليب وغيره أهمها : معملان لإنتاج السكر بسيدي بنور وخميس الزمامرة.

نطاق تادلة : بلغت مساحته 115.400 هـ سنة 1990 منها 97.000 هـ تدخل في نطاق الري الكبير ينقسم هذا النطاق إلى قسمين متباينين هما :

نطاق بني عمير : هو الأسبق إذ بدأ المعمرون يكونون به ضيعاتهم منذ بناء سد حاجز على نهر أم الربيع بقصبة تادلة سنة 1931 بغذي قناة بفضته اليمنى تنطلق جنوبا إلى القصبة الزيدانية حيث تستغل فارق الارتفاع بين مجراها العالي وسرير النهر فتشغل معملا لإنتاج الكهرباء ثم تعبر النهر عبر "سيفون" إلى الضفة اليسرى حيث تسقى قطاعا زراعيا مساحته 35.400 هـ. ويكمل القطاع حاجته للماء من فرشة باطنية غنية غده بحوالي 115 مليون م<sup>3</sup> من المياه سنويا. ونظرا لأسبقية هذا القطاع وتقدم تجهيزاته فقد تطلب إعادة بنائها وتحديثها. ولتوسيعه وضمان حصته من المياه تم بناء سد جديد على أم الربيع بعاليته سنة 2001 هو

سد دشر الواد حقينته 400 مليون م<sup>3</sup>. ويشتهر هذا القطاع باهتمامه بزراعة الخضر والعلف والحبوب والشمندر وتربية الأبقار الحلوب والدواجن، لكن تستبعد هنا أشجار البرتقال بسبب ارتفاع نسبة ملوحة مياه أم الربيع خاصة في الصيف (1,5 غ/ لتر).

نطاق بني موسى : أحدث وأكبر مساحته 70.000 هـ يتزود من سد بين الوديان الذي بني سنة 1953 على واد العبيد بحوض ووزعت، حقينته المستغلة 1,2 مليار م<sup>3</sup>. وتعبير المياه نفقا يتغذى من سد التعويض أيت وردة نحو أفورار المشرفة على سهل تادلة حيث أنشئت إحدى أهم المحطات الكهرمائية التاريخية بالمغرب. ويتزود هذا القطاع بـ710 مليون م<sup>3</sup> من مياه السد التي تتوزع عبر قنوات رئيسية طولها 120 كلم وثانوية 200 كلم أما شبكة قنوات السقي والصرف فيبلغ طولها 1.700 كلم. ويزود هذا القطاع الأسواق المغربية خاصة الدار البيضاء بكميات كبيرة من الخضر والفواكه خاصة البرتقال والشمندر والقطن والبطاطس والعلف والحبوب. أنشئ به عدد من المعامل لمعالجة منتجاته أهمها ثلاث معامل لمعالجة السكر.

نطاق الحوز : يعتبر من أكبر النطاقات مساحة 160.000 هـ ويادخال مجالات الري بالأودية الجبلية والدير تتجاوز المساحة المسقية 200.000 هـ تسقى في معظمها بطرق تقليدية إما موسميا أو عرضيا أو بصفة دائمة من سواقي تاريخية وخطارات وآبار وعيون إلى جانب مياه السدود الحديثة. ولا زالت نطاقات الري به تتوسع إذ يتوقع المسؤولون تجاوزها 200.000 هـ في حالة توفر المياه الكافية. يشرف عليه المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للحوز وهو مكلف بتطوير وتجهيز الأراضي الفلاحية في الدوائر المسقية لسقي الحوز المنتشرة فوق مساحة 456.000 هـ. ويقسم هذا النطاق الواسع إلى ثلاث نطاقات رئيسية هي :

نطاق الحوز الأوسط : هو أقدمها وأوسعها مساحته 57.000 هـ اشتهر ببساتين الحوز التاريخية التي تستفيد من شبكة الخطارات التي بلغ عددها في الثلاثينيات 615 جفت كلها تقريبا وبساتين الأودية التي تستفيد من سواقي واد نفيس. شرع المعمرون الأوربيون في الثلاثينيات في إنشاء نطاق سقوي عصري بالسويهلة غرب مراكش فوق مساحة 6.000 هـ تطلب سقيه بناء أول سد بجنوب المغرب : للاتركوست (كافنيك سابقا) حقينته 50 مليون م<sup>3</sup> ونظرا لردمه جزئيا بالرواسب فقد زيد علو جداره بلام مما رفع حقينته إلى 80 مليون م<sup>3</sup> وهو يروي حاليا حوالي 16.000 هـ. كما يستفيد نطاق الحوز الأوسط من مياه أودية غيغاية وأوريكا وغدات التي تغذي عددا كبيرا من السواقي التاريخية ويزيادة الطلب على الماء حفرت الآبار : 7.000 منها 4.000 بئر في حوض نفيس. ويمكن تقدير ما يستخرج منها سنويا بحوالي 64 مليون م<sup>3</sup> ويقدر ما يتلقاه نطاق الحوز الأوسط من وديان الأطلس : روافد تانسيفت : 400



مليون م<sup>3</sup> وقد استفاد هذا النطاق من إمداده بمياه الواد الأخضر منذ منتصف الثمانينيات وهو من روافد أم الربيع تصل مياهه عبر قناة الريط البالغ طولها 118 كلم. تتغذى من حقينة سد الحسن الأول : 350 مليون م<sup>3</sup> وتأخذ ماءها من السد الحاجز سيدي إدريس، تنقل إلى الحوز الأوسط في السنوات الوفيرة الأمطار 300 مليون م<sup>3</sup> للسقي ولتزويد مدينة مراكش بـ 35. 40 مليون م<sup>3</sup> من الماء الشروب. لقد تضررت فلاحه الحوز الأوسط كثيرا من توالي سنوات الجفاف مما أدى إلى نقص كبير في مياه الري، دفع إلى حفر مزيد من الآبار مما يترتب عنه تناقص خطير لمخزون المياه الباطنية وانخفاض مستواها بعشرات الأمتار. ولتلافي سلبيات هذا الوضع يخطط المسؤولون لبناء سدود جديدة على وديان أورिका وغياغة والزات وأغذات بالإضافة إلى سدود تلية عديدة لحزن مياه الفيض الربيعي وشحن الفرشة الباطنية. ويشتهر هذا النطاق بانتشار واسع لأشجار الزيتون والمشمش وفواكه أخرى كالعنب والبرتقال والبرقوق والتفاح، كما يتوسع في زراعة الخضر والأعشاب الطبية الموجهة للتصدير باستعمال أساليب زراعية حديثة خاصة في الري الذي يشيع فيه استعمال الرش والتنقيط والتقطير والواقيات البلاستيكية.

نطاق تساوت العليا : تنتشر أراضيها بسهل الحوز الشرقي وهو قطاع زراعي تاريخي اشتهر ببساتين الزيتون والرمان والمشمش وزراعة الحبوب والقطنيات كان يستفيد من شبكة سواقي تاريخية تتغذى من وادي الأخضر وتساوت خاصة، أقام به المعمرون نطاقا سقويا عصريا حول قلالت يستفيد من مياه تساوت إلى جانب الضخ الآلي من آبار فرشة غنية. وعند بناء سد مولاي يوسف على واد تساوت سنة 1969 بحقينة 160 مليون م<sup>3</sup> شرعت أجهزة المكتب في استبدال شبكة السواقي الترابية بشبكة قنوات حديثة، ولإحياج العملية تطلب الأمر القيام بعمليات دمج الأراضي وتكوين تعاونيات وإقامة تجهيزات جديدة وتأطير الفلاحين وإرشادهم ليتكيفوا مع الوضع الجديد، فصاروا يهتمون بالزراعات الشجرية والعلفية والخضر وبنون الحظائر لتربية الأبقار الحلوب المستوردة والمهجنة، وإنتاج القمح الذي تضاعفت مردوديته باستعمال الري وتبلغ مساحة هذا النطاق 35.000 هـ.

نطاق تساوت السفلى : يقع خارج سهل الحوز الجغرافي، إذ يشرف على سهلي السراغنة وتادلة يسقى بمياه الواد الأخضر وتساوت عبر سواقي تاريخية مثل البعقوبية والمنصورية والقابدية... ونظرا لاستغلال مياه الواديين في النطاقين السابقين بعد إنشاء السدود عليهما، تناقص نصيب هذا النطاق من المياه فاضطر المسؤولون إلى تعويضه بنصيب من مخزون سد بين الوديان الذي يصل إليه عبر قناة جديدة سنة 1990 تعرف بـ T2 أي تساوت الثانية وتزوده بحوالي 230 مليون م<sup>3</sup> تبلغ المساحة المسقية هنا

44.000 هـ لكن جلها يقع بدائرة الري الصغير والمتوسط ويبدل المكتب جهوده لتأطير الفلاحين لاستيعاب الأساليب الجديدة وبناء حظائر عصرية لتربية الأبقار، إذ يهتم الفلاحون هنا بزراعة العلف خاصة الفصة كما يهتمون بزراعة الأشجار : الزيتون والحبوب والخضر.

نطاق سوس ماسة : اشتهر سهل سوس ببساتين الزيتون والخضر والحبوب خاصة ضواحي مدينة تارودانت. وأقام به الأوربيون نطاقا واسعا لزراعة البواكر أي الخضر التي تنضج مبكرة قبل نضجها في بقية أرجاء المغرب وأوربا مستفيدة من دفء سوس لموقعه الجنوبي، وتجد منتجاته أسواقا رائجة سواء بالداخل أو الخارج. تعتمد فلاحته على آبار الفرشة المائية التي يغذيها واد سوس بجريانه السفلي ومياه فيضانه الشتوي والريعي التي تغذي شبكة من السواقي التقليدية، إذ لم يُبنى سد أولوز بعالية واد سوس لتنظيم الري وشحن الفرشة الباطنية سوى سنة 1989 بحقينة تبلغ 110 مليون م<sup>3</sup> كما بني سد آخر : عبد المومن بن علي على واد إيسن رافد شمالي لواد سوس سنة 1983 بحقينة 216 مليون م<sup>3</sup>. وتستمد بساتين سوس حوالي 680 مليون م<sup>3</sup> سنويا من مياه الفرشة المائية التي استنزفت بخطرورة كبيرة مما يهدد كثيرا من البساتين بجفاف نهائي لأبوابها إذ يؤخذ منها أكثر من طاقتها خاصة مع توالي سنوات الجفاف في العقدين الأخيرين من القرن العشرين. ويطبق المزارعون السوسيون أحدث الأساليب الزراعية لترشيد المياه وحماية المنتجات بواقيات البلاستيك، ينتجون الخضر خاصة الطماطم والبرتقال والموز الموجه إلى الأسواق الوطنية والأجنبية وكذلك القطنيات والعلف لأنهم يهتمون كذلك بتربية الأبقار الحلوب. وقد حققت الفلاحة التقليدية هنا تطورا كبيرا بحيث يصعب تمييزها عن الفلاحة العصرية. ويقسم المكتب الجهوي سوس إلى ثلاث نطاقات ثانوية هي نطاق واد يسن 13.000 هـ وعالية سوس 6.300 هـ وسافلة سوس 26.000 هـ ونطاق رئيسي هو :

نطاق سهل ماسة : يتكون من نطاق عصري مساحته 18.000 هـ ينتشر فوق سهل شتوكة ونطاق تقليدي تنتشر بساتينه بضمفتي واد ماسة الأسفل مساحته 1.250 هـ يستمد هذا النطاق مياهه من سد يوسف بن تاشفين الذي شيد على واد ماسة سنة 1973 بحقينة 300 مليون م<sup>3</sup>. ونظرا لغلبة التربة الرملية بسهل شتوكة وارتفاع مستوى السهل عن مياه السد، فإن السقي يتم هنا برفع المياه إلى صوامع صهرجية لإعطائه ضغطا يستغل في الرش أو التنقيط والترشيع لترشيد استعمال الماء بعزيمة قوية. ويهتم المزارعون بزراعة الخضر والحبوب والعلف لأنهم يهتمون كذلك بتربية الأبقار الحلوب. ويوجه قسم مهم من الطماطم إلى الأسواق الأجنبية والوطنية. تبلغ المساحة الإجمالية لنطاق سوس ماسة 104.000 هـ منها 32.700 هـ تابعة لدائرة الري الكبير.

نطاق تافيلالت : اشتهرت تافيلالت بواحاتها المنتجة للتمور منذ القديم نظرا لجفافها وارتفاع حرارتها وندرتها أمطارها فإن بسايتها تسقى بمياه وادين هنا زيز وغريس وعدد من الخطارات والآبار، اكتسب فلاحوها مهارة وتقاليده زراعية خاصة، تنتشر بسايتهم في عدة قطاعات مروية متباعدة، مما جعل المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي لتافيلالت يقسم هذا النطاق إلى ثلاث نطاقات هي :

نطاق تافيلالت : يتكون من قطاعين مسقيين هما المجرى الأوسط لواد زيز، يمتد بين أرفود وسد الحسن الداخل الذي بني سنة 1971 بحقينة 360 مليون م3. وسهل تافيلالت بسافلته الذي يتكون من المجرى الأسفل لوادي غريس وزيز. يستفيد هذا النطاق من مياه واد زيز الذي ينظم استغلالها منشآت السد ومن عيون ضفتي واد زيز التي تزوده سنويا بحوالي 25 مليون م3 أهمها العين الزرقاء لأيت مسكي كما تستفيد من مياه فيض الواديين زيز 25 مليون م3 وغريس 30 مليون م3 ومن مياه آبار وصل عددها 5.000 مترا يستعمل معظمها الضخ الآلي ومياه 370 خطارة لازال معظمها منتجا، ويستمد هذا النطاق من الآبار والخطارات حوالي 30 مليون م3. ومنذ بناء السد تم تجهيز وسقي 21.000 هـ بواسطة شبكة من القنوات الرئيسية والثانوية بلغ طولها 430 كلم.

نطاق حوض واد كبير : مساحته 5.100 يستفيد من مياه فيض واد أيت عيسى وواد كبير (الذي يعبر الحدود الجنوبية إلى الجزائر حيث شيد عليه سد صغير)، كما يستفيد من فرشة مائية ضعيفة تغذي عددا من الخطارات والآبار. ولشح الموارد المائية هنا شرع المسؤولون في بناء عدد من السدود التلية لحزن بعض الماء للشرب ولشحن الفرشة المائية.

نطاق حوض واد غريس : مساحته 10.800 هـ تتلخص تدخلات المكتب هنا في إصلاح السواقي التي تتزود من حواجز ترابية على واد غريس، وذلك لمنع تسرب المياه التي يضيع منها حوالي 60 مليون م3 بالتسرب، وإنشاء سدود حواجز لتغذية السواقي وإقامة محطات للضخ الآلي لتزويد الفلاحة والسكان بالماء. لقد تضررت تافيلالت من استفحال الجفاف، وتبذل أجهزة مكتب الاستثمار جهودها لضمان حد أدنى من الاكتفاء الغذائي وحماية النخيل من الأمراض خاصة البيوض وتلقين الفلاحين أساليب جديدة لرعايتها وتعويض المفقود منها بفسائل نخيل تقاوم هذا المرض الفطري، إذ لاتزال تافيلالت أكبر منتج للتمور بالمغرب. يبلغ مجموع نطاق تافيلالت 50.000 هـ منها 28.000 تسقى بآليات الري الكبير.

نطاق درعة : اشتهرت درعة بتمورها ونخيلها الذي ينمو بواحات تنتشر على طول مجرى واد درعة وبعض الوديان الموسمية النابعة من الأطلسين الصغير والكبير. وأكبر مزود لهذا النطاق بالمياه هو سد المنصور الذهبي الذي بني سنة 1972 على واد درعة بحقينة 560 مليون م3 لكنه

لا يمتلئ بكامله إلا مرة كل عشرين سنة كمتعدل. وقد تضرر هو الآخر من استفحال الجفاف. وأنشئ على واد درعة خمسة حواجز صلبة لتغذية قنوات السقي بالمياه الذي يطلقها السد تبعا لبرنامج، ويبلغ طول القنوات الرئيسية والثانوية 350 كلم. وهناك سبع محطات للضخ، تزود كل هذه الموارد نطاق درعة بحوالي 320 مليون م3، وتبذل هنا كذلك جهود لعلاج النخيل من مرض البيوض واستبدال المفقود منه باعتبار واحات درعة من أهم منتجي التمور ومزودي سوق مراكش بصفة خاصة. كما تبذل الجهود لنشر زراعة الأعلاف لتغذية الأبقار التي تربي في الحظائر وزراعة الحضر والحبوب لضمان أكبر قدر من الاكتفاء الغذائي. تبلغ مجموع مساحات نطاق درعة 66.000 هـ منها 26.000 تابعة لإدارة الري الكبير.

تطور تقنيات الري : تعمل أجهزة الري العصري على ترشيد استعمال المياه بإدخال تغييرات على أساليب العمل والإنتاج لرفع المردودية وإدخال مزروعات جديدة واستعمال بذور منتقاة مهجنة غالبا وبناء مختلف منشآت السقي كما تعمل على دمج الملكيات الصغيرة لتسهيل عملية السقي والتنقل واستعمال الآلات الزراعية كالجرار وغيره، وعندما تحقق هذه الجهود نتائج إيجابية فإن المردودية الزراعية ترتفع بخمسة أضعاف مقارنة بزراعة بورية في سهل جيد مثل دكالة، وتهدف من وراء هذه الجهود إلى تلبية حاجيات السوق سواء الوطني أو الخارجي وضمان أعلى حد ممكن من الأمن الغذائي خاصة في مواد أساسية مثل السكر والزيوت والحليب واللحوم والخضر والحبوب، ورفع مداخيل الفلاحين بتطبيق دورات زراعية مدروسة علميا واجتماعيا تراعي حاجياتهم إلى الاستهلاك والنقود، ولترشيد استعمال المياه تعمل مكاتب الاستثمار الفلاحي على ترك السقي بطريقة غمر الأحواض التي كانت سائدة في المغرب إلى نهاية عقد التسعينيات سواء في مجالات الري التقليدي بنسبة 100٪ أو العصري بنسبة 78٪ وتعتبر في عصر الندرة واستنزاف الموارد مضيعة لثروات مائية مهمة، وتعمل على تلقين طرق وتقنيات جديدة هي :

الرش : لم تهتم به أجهزة الري الصومية إلا في نهاية عقد الستينيات وطبق أولا في مجالات محدودة يتعذر استعمال الغمر بها بسبب ميل السطح أو انعدام الميل كليا مما يعرقل تنقل الماء أو لشدة التسرب بالتربة الرملية أو ضعف مسامية التربة، لكن بعد التأكد من امتيازاته وقدرته الكبيرة على اقتصاد الماء بنسبة 50٪ وتخصيب الإنبات، بدأ يشيع في جهات كثيرة بالمغرب خاصة بنطاقات العرائش وسوس ودكالة فبلغت المساحات التي تستعمله حوالي 180.000 هـ سنة 2.000 فهي تتناول ربع الأراضي المسقية في مجالات الري الكبير. وهو يتطلب نفقات وتجهيزات إضافية لاقتناء مختلف الأنابيب والرشاشات وإقامة صوامع صهرجية عليا لتوزيع ماءها مضبوطة لتستعمله الرشاشات.

الري بالمحاور : هو نوع من الرش المتحرك استعمل خارج إطار النطاقات المروية المعروفة بسهولة واسعة غير مشجرة. وطبقت التجارب الأولى بأراضي جماعية اكثر من طرف مؤسسات مالية وطنية، وذلك بإقليم قلعة السراغنة والشاوية وهي تقتصد حوالي 65٪ من المياه مما لو استغلت بطريقة الغمر. لكن الري المحوري ذو تكلفة مرتفعة تصل إلى حوالي 15 مليون درهم للمحور الواحد الذي يتحرك ليسيقي دائرة مساحتها 50 هكتاراً ولهذا لم يتوسع استعماله كثيراً إذ لم يتجاوز 10.000 هـ سنة 2000.

الري بالتنقيط : لازل استعماله محدوداً رغم اقتصاده الكبير للماء، ويستعمل خاصة لري الأشجار المثمرة حيث يمر أنبوب بلاستيكي على صف الأشجار ويثقب عند جذع كل شجرة لخروج قطرات ماء تحافظ على رطوبة دائمة عند جذرها تمكن عروقها من تغذية مستمرة، وأحياناً يضاف إلى هذا الماء مواد تخصيب وأدوية لاقتصاد العمل.

الري بالترشيح : طريقة جديدة تقوم على دس أنبوب داخل عرف ترابي بالحقل (أبدو) يغطي بغلاف من البلاستيك يثقب أعلاه لاستنبات فساتل نبتة ثمينة كتوت الأرض أو الجلبان. ويرشح الأنبوب عبر ثقوبه الصغيرة ما يغذي جذر النبتة. ويحمي غلاف البلاستيك ثمراتها من التلوث بالتراب والوحل.

الري تحت واقبات البلاستيك : ويتم إما بالرش أو التنقيط أو الترشيح وهذه طريقة تقتصد الماء وتحافظ على جو من الرطوبة والدفء داخل الواقية يزيد في انتعاش النباتات خاصة الطماطم والخضر والنباتات الثمينة والهشة كالورود، تحميها من شدة البرودة شتاء خاصة ليالي الصقيع أو الحرارة المرتفعة والرياح الحارة صيفاً.

توصيل الماء إلى الأحواض بأنابيب البلاستيك صلبة أو خفيفة بدل السواقي التي تضيع قسماً من مساحة الحقل والمياه واستعملت بكثافة في حقول الوجبة الصغيرة بالسواحل الوسطى. ويشيع اليوم استعمالها في مناطق الري بالضخ الآلي.

حصيلة 75 سنة من سياسة الإعداد المائي : إن تجهيزات السقي العصري الكبير مرتفعة جداً كسائر التجهيزات العمومية ومنشآت البنية التحتية، واسترجاع استثماراتها لا يتم إلا جزئياً وعلى مدى عقود كثيرة. كما أن مردوديتها لازالت منخفضة لحد الآن نظراً لما يتطلبه تسييرها وصيانتها من تكاليف، ولانخفاض مساهمة المستفيدين في تكاليفها إذ لا يدفعون في المعدل لاستصلاح أراضيهم إلا حوالي 1800 درهم للهكتار في نهاية الثمانينات، وهذا لا يمثل إلا حوالي ثلث إلى عشر تكاليف تجهيز الهكتار، كما أن سعر مياه السقي يبقى رمزياً إذ لا يتعدى 0.22 د هـ / م<sup>3</sup> ولا يرتفع إلى 0.5 د هـ / م<sup>3</sup> إلا بنطاق واد إيسن بسوس. وبهذا لا تتعدى مداخيل ماء السقي ثلث ميزانية تسيير أجهزته التي تستهلك نسبياً مرتفعة من اعتمادات الدولة

للقطاع العمومي. وهذا يتطلب مزيداً من التنظيم وتطوير قوانين الاستغلال وتكوين تعاونيات وجمعيات مهنية كمحاور جاد متفهم بشرك الفلاحين في الإدارة وتحمل المسؤولية واتخاذ القرارات. كما أن استمرار تفتيت الأراضي الزراعية بسبب تقسيم الإرث بين الورثة يناهض كل مجهودات الإصلاح وي طرح مشاكل عويصة عند توزيع حقوق المياه. إن توالي سنوات الجفاف يضع مؤسسة السقي العصري أمام تحد عسير فكيف يمكن تدبير السقي عندما تنخفض حقيقتة سدود مهمة إلى 25٪ بل إلى 6٪ وكذلك عندما تنخفض حقيقتة السدود بفعل استمرار طهرها بالرواسب مثل سد سيدي إدريس الذي نقصت حقيقتة في ظرف 10 سنوات من 7 مليون م<sup>3</sup> إلى 1، إلا أنه بفضل نباهة أطرها وتقنياتها والدراسات العلمية التي تقوم بها، استطاعت مواجهة أوضاع حرجة ببرامج مدروسة على أسس اقتصادية اجتماعية كتحديد المساحات المسقية في كل موسم وإعطاء الأولوية لمزروعات معينة واستبعاد أخرى لارتفاع استهلاكها للمياه، وتوزيع المياه على فترات متباعدة، والحث على ترشيد المياه باستعمال وسائل سقي حديثة كالرش والتنقيط... لكن هذه الإجراءات تنعكس سلباً على الانتاج وذلك بتقلص المساحات المسقية، بل حتى المساحة المسقية يتراجع إنتاجها كثيراً بسبب نظام العطش الذي يفرض عليها. وبهذا يتراجع الهدف الوطني لسقي المليون هكتار وتحقيق اكتفاء ذاتي في مزروعات حيوية. ولئن استطاع هذا النظام إنقاذ اقتصاد المغرب لفترات محددة كسنة فإنه لا يزال عاجزاً عن وضع برامج طوارئ لعدة سنوات لأن جل السدود ترمج حقيقتها لمدة سنة، ولا يمكن أن تساهم بخزن مياه أكثر احتياطاً لعدة سنوات لأن جل السدود ترمج حقيقتها لمدة سنة، ولا يمكن أن تساهم بخزن مياه أكثر احتياطاً لعدة سنوات جافة مقبلة، إذ لا يطبق ذلك جزئياً إلا على سدود قليلة موجهة أساساً لتزويد المدن بالماء الشروب كسد واد الحاشف بنواحي طنجة أو سدي المسيرة والوحدة باعتبار حقيقتيهما الكبرى. وإن استطاعت برامج السقي العصري تحقيق استقرار اجتماعي بالأرياف وكبح جماح الهجرة جزئياً نحو المدن والمساعدة على التجديد القروي بإدخال تقنيات ومزروعات جديدة بددت ركود الأرياف وفقرها جزئياً، فإنها لم تستطع دمج الشباب القروي المتعلم، ولا المستثمرين الناهضين الحضريين أو المحليين الذين جمعوا أموالاً من أنشطة أخرى خاصة التجارة أو مشاريع البناء أو أموال الهجرة، إذ لازالت تجتذبهم أنشطة المدينة. ورغم نمو مدن صغيرة في أهم النطاقات السقوية وازدهار حركة التجارة والتعليم والخدمات والنقل فإن المجالات المسقية العصرية لم تستطع تحقيق ما كان منتظراً منها أي تكوين أقطاب تنمية تكون بمثابة قاطرة جهوية لتنمية اقتصادية اجتماعية ريفية باعتبار رصيدها الفلاحي المهم وإمكاناتها الواعدة

للماء - ! معلومات من مقالات حول الزراعة بالصحف الوطنية.

Sous la direction de Ahmed Lahimi Alami, *La grande encyclopédie du Maroc : Agriculture et pêche*, volume 7. 1988 : Mustafa Qarouach. *La croissance de l'agriculture marocaine*, Casablanca, 1988 : M. I. Alaoui et P. Carriere Editeurs. *Aspect de l'agriculture irriguée au Maroc*, Université Mohammed V, Rabat et Paul Valery Montpellier ; *Hydroplus 1er forum mondial de l'eau. Maroc l'eau souveraine*, mars 1997, Marrakech ; Des numéros de la revue marocaine des sciences agronomique et vétérinaire, *Homme terre et eau* . Jean-Jacques Perennes. *Le Maroc à portée du million d'hectares irrigués. Monde Arabe Maghreb Machrek*, n° 173, sept. 1992.

أحمد هوزالي

**ريان**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت

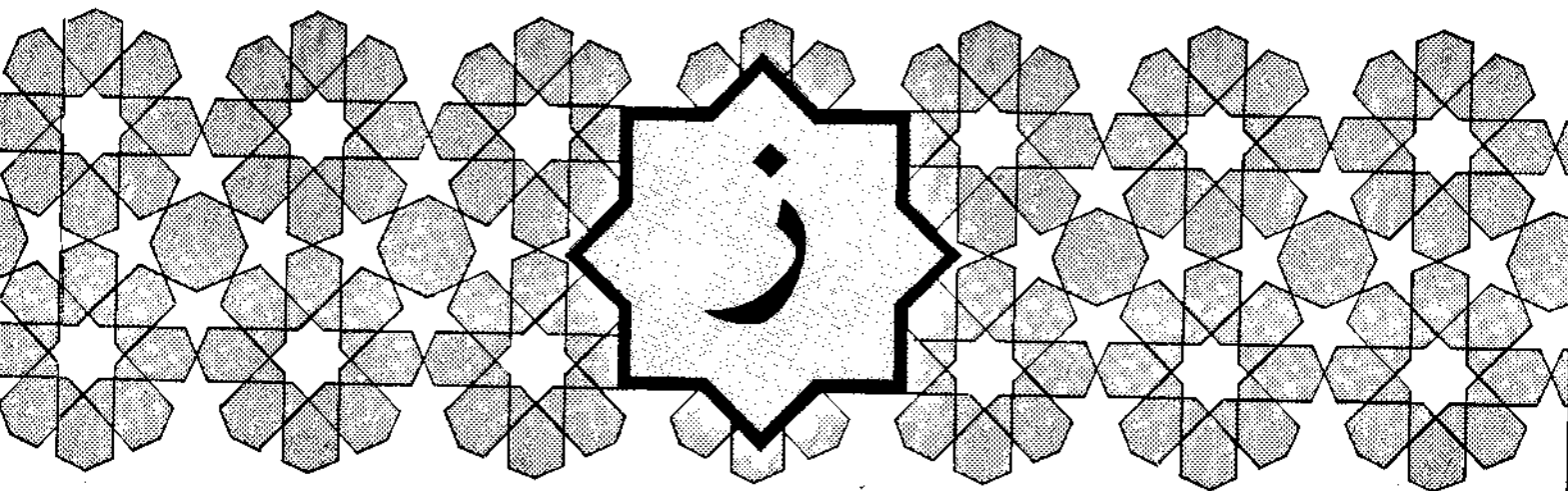
هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Rollan و Rellan : وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1806/1221.

م. ابن عزوز حكيم، اكتشاف أسماء عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 751.

محمد ابن عزوز حكيم

والاستثمارات العمومية التي تستوعبها، لكنها استطاعت  
توظيف كفاءات علمية متنوعة في أجهزتها، وتجديد  
أساليب الفلاحة وخلق أنشطة جديدة وصناعات سواء داخل  
فضاء الفلاحة أو بعاليها كصناعة الأسمدة والأدوية  
والبذور المنتقاة والقنوات والأنابيب وبعض الآليات الزراعية  
وخلق أنشطة أخرى بسافلتها حافظت على إبقاء جزء من  
فائض القيمة الزراعي في الأرياف يتمثل في مصانع معالجة  
المنتجات كمعامل السكر والتعليب والعصر والتلفيف،  
ومحطات إصلاح الآليات وفروع الأبنك وشبكة من مراكز  
الأشغال الفلاحية ومكاتب المرشدين الفلاحيين... كما خلقت  
رواجا تجاريا مهما يرافق الفلاحة المروية في جميع مراحلها.  
إن التطور الفلاحي الحديث والانفتاح الذي فرضته  
العولمة على الأرياف والتخطيط لأهداف وطنية فلاحية يلقي  
على مؤسسة الري العصري مسؤوليات جديدة، ويؤهلها  
للقيام بأدوار اقتصادية واجتماعية حيوية.

بحوث واستطلاعات ميدانية : شوقي بنعزو، الماء - التحدي المستمر،  
منشورات بانوراما، 1994 : حسن المباركي، تعبئة المياه لأجل الري  
في المناطق شبه الجافة، حالة حوز مراكش مجلة المزارع المغربي العدد  
11 مارس 2001 : أعداد من مجلة الماء والتنمية، المجلة المغربية





زا . - بزاي مفخمة - هو أحد روافد نهر ملوية يقع مقره به شمال مدينة تاويرت. من أهم ما يميز هذا المجرى عن واد ملوية نفسه، وعن مختلف روافده، جريانه الدائم، حيث يتغذى من مياه الفرشات الباطنية، ابتداء من عيون بني مطهر وتكفايت. ذلك ما دعا إلى تسميته بالواد الشارف عند عالية المجرى، حيث الهضاب العليا منبسطة وجافة، وبالواد المحي عندما يصبح الجريان دائما، ويواد زا، في الجزء الأسفل حيث بتعمق على شكل خوانق في جبال الهورست، وحيث بني سد الحسن الثاني، ثم ينتهي على شكل مخاريط قديمة واسعة بمنطقة تاويرت.

سمح الانتظام النسبي للجريان بالسافلة، بممارسة نشاط زراعي مسقي قديم ومتنوع على طول المجرى، وذلك كلما توفرت الظروف الطبغرافية والترابية الملائمة. كما يتميز واد زا بشساعة حوض نهره الذي يمتد على 18000 كلم مربع، إذ يصرف المياه المطرية لأغلب الهضاب العليا المغربية والجزائرية، شرقا، ومن مشارف تاندرارة جنوبا، كما يصرف مياه الهوامش الجنوبية لسلسلة الهورست. نتج عن اتساع الحوض وتنوع تضاريسه، من جبال وهضاب وأحواض سهلية، اختلاف في علو وعنق ونوع وفتحات حدود التساقطات؛ إذ كثيراً ما تحدث على شكل عواصف رعديّة عفيفة في أماكن محدودة، كما يمكن أن تكون شاملة للحوض، أو على شكل ثلوج فوق الجبال على الخصوص. هكذا، ارتباطاً بنوع التساقط من حيث علوه وعنقه وامتداده على المجال، يعرف صبيب زا تغيرات مهمة وخطيرة في نفس الوقت، إذ كثيراً ما تلحق فيضاناته أضرارا كبيرة بالسكان ويمختلف منشأتهم.

اعتمدنا في دراسة الصبيب والحمولة الصلبة التي ينقلها واد زا، على المحطة الهيدرولوجية بتاويرت التي بنيت سنة 1956 وشرع في استغلالها سنة 1959، كما بنيت محطة هيدرولوجية ثانية بعالية موقع سد الغراس سابقا.

بلغ معدل الصبيب عند مستوى المحطة الهيدرولوجية بتاويرت 34 متر مكعب / ثانية، كما تراوحت المعدلات السنوية خلال 30 سنة من الملاحظة، ما بين 1.2 و9.9 متر مكعب / ثانية. فأعلى معدل سنوي سجل سنة 1974 وأخفض معدل لوحظ سنة 1986.

في الواقع، لولا وجود عيون تكافيت لكان واد زا جافا، لا يعرف جريانا إلا على شكل فيضانات محدودة. فالصبيب اللحظي المرتبط بالفيضانات هو المسؤول عن اكتساح المصاطب النهرية المزروعة وهدم الكثير من الطرق والقناطير والمنشآت الهيدرומائية العصرية منها والتقليدية. من أعنف الفيضانات تلك التي تم تسجيلها سنة 1972، حيث بلغ الصبيب اليومي اللحظي 99 متر مكعب / ثانية، وهو أخطر ما سجل منذ نشأة المحطة.

أما من حيث فترات وفصول حدوث أقوى جريان فيمكن تلخيص ذلك في جدول لمعدل الصبيب الشهري لواد زا، وذلك من 1959 إلى 1980.

شهر	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	دجنبر	يناير	فبراير
م/2	3,8	5,7	3,8	2,3	2,4	2,1
شهر	مارس	أبريل	ماي	يونيو	يوليوز	أغشت
م/2	3	6,9	4,6	3,9	2,7	2,8

يتضح أن أهم الموارد المائية بواد زا تتوفر خلال شهر أبريل حيث يبلغ متوسط صيبه 69 متر مكعب / ثانية، ثم يليه بالتوالي كل من أكتوبر وماي. هكذا يبدو فصل الربيع أكثر وفرة من حيث المياه الجارية في القعر، لأن الأمطار تكون مرتبطة بنظام الجبهات، وبالتالي أكثر دواما وانتشارا على الحوض النهرية. أما شهور الخريف فأمطارها تكون على شكل عواصف رعديّة، مركزة في الزمان

والمكان. لكن يجب العلم بأن 46٪ من تردد الصيب اليومي الأقصى سجل في شهري سبتمبر وأكتوبر، وأن الصيب الأقصى اللحظي تردد بهما كذلك بنسبة 43٪ يليهما شهر ماي بـ 15٪ ثم شهر يونيو (شاكر 1998).

ذلك الجريان العنيف، المهدد للتربة والمنشآت، يحدث على الخصوص في فصل الخريف، حيث الأمطار عنيفة والسطوح عارية. كانت بذلك الحمولة الصلبة، أو الصيب الصلب، لمياه واد زا هو 8.6 غرام / لتر. أما التوحد الأقصى اللحظي، فقد بلغ 114 غرام / لتر.

إذا كان من الصعب استخلاص العلاقة بين الصيب وعلو التساقط لعدم وجود المحطات اللازمة للقياس داخل الحوض النهري، فإن العلاقة بين أهمية الحمولة والصيب لا تبدو جيدة، حيث غالبا ما تكون أحداث مطرية متواضعة من حيث علوها وصيبيها، هي المسؤولة عن أقوى حالات تدهور الأثرية وتحريك المقولات في اتجاه السافلة. فعلى سبيل المثال، سجلت الحالة القصوى لمعدل التوحد (27 غ / ل)، نتيجة صيب سنوي سنوي من مستوى 3.04 متر مكعب / ثانية.

فإذا اعتمدنا على مختلف هذه القياسات، نستخلص أن التعرية الإجمالية بحوض واد زا، تبقى متواضعة، إذ لا تتجاوز 50 طنا / كلم مربع / سنة، ويكون واد زا بذلك أقل عدوانية بالمقارنة مع باقي حوض ملوية الذي بلغت به مقادير الإزالة 156 طنا / كلم<sup>2</sup> / سنة. لكن رغم المقادير المفقودة المتواضعة على مستوى الكلومتر المربع، فإن هذه الإزالة تبقى خطيرة من الناحية الزراعية، حيث غالبا ما يتم كشط المواد السطحية الدقيقة والغنية بالمخضبات، وذلك ارتباطا بالتعرية الغشائية السائدة في مثل هذه الأوساط. ونظرا لشساعة الحوض النهري، فإن مقادير الإرسابات المحمولة إلى كل من سد محمد الخامس على ملوية، وسد الحسن الثاني على واد زا، من شأنها أن تهدد حقيقتيهما بالإطماء، مما سينعكس سلبا على القطاعات السقوية والماء الشروب بالمنطقة الشرقية.

يعتبر سد الحسن الثاني (الغراس سابقا) والذي أصبح جاهزا منذ بضع سنوات فقط، من أهم المنشآت الهيدروليكية بالمنطقة الشرقية التي أنجزت في نهاية القرن العشرين، حيث سيخصص 27٪ من مخزونه لتموين بعض المراكز الحضرية بالماء الصالح للشرب، وعلى رأسها مدينة وجدة. كما سيسهم السد بتوسيع رقعة القطاع المسقي، بسافلته، بحوالي ألفي هكتار، التي سوف لن تعود مهددة بالفيضانات التي دمرت غير ما مرة مختلف المنشآت البشرية وأخضب الأراضي الزراعية الموجودة على شكل مصاطب داخل الوادي.

شاكر ميلود

## الزات (واد -) واد جبلي من روافد تانسيفت ينبع من

السهل الشمالي للكتلة القديمة للأطلس الكبير المراكشي، يتميز واديه بانفراجة وخلوه من الخوانق العميقة، وتعدد إفريزاته وسطوحه الضعيفة الميل لكثرة الصخور الهشة به، فهو يختلف عن جاره الغربي واد أورिका، الكثير التعمق في واديه، يبلغ طول مجراه الرئيسي في حوضه الجبلي 50 كلم ومساحة حوضه 496 كلم<sup>2</sup> ومعدل ارتفاعه 2000 ومعدل ميل سطحه 18٪ يتجه اتجاهها جنوبيا غربيا مخترقا أعراف ثنيات وأحواض، وعندما يخرج إلى السهل ينحرف في اتجاه غربي شمالي غربي، يجري في سرير رملي كثير الحجارة عريض 500. 800 م مكونا ثنيات واسعة أو يتفرع إلى مجاري متوازية. وبعد 8 كلم ينقسم إلى فرعين أحدهما رئيسي شمالي يتصل بواد أورिका المعروف في سهل الحوز بواد غمات بعد 12 كلم، كما يتصل به الفرع الثانوي قبل 4 كلم. ويسمى المجرى الجديد واد الحجر، ترجمة عربية لكلمة الزات التي تعني الحجارة، يقطع 9 كلم ليصل مستوى قاعدته واد تانسيفت على بعد 3 كلم بسافلة زاوية ابن ساسي، بعالية المنطقة المعروفة بالولجة وهو شريط بضفة تانسيفت اليسرى كانت تنفجر به عيون تتغذى من فيض فرشة الحوز.

تنطلق منابعه من سفوح جبال الكتلة الوسطى العالية : جبال السور وتاسگا نوات وميلتسين 3573 م وهو أعلاها، يغلب على صخوره مواد صلبة من الريوليت والحث كما تكثر بمجاريه العليا والوسطى صخور البيروترياس وتكوينات فتاتية حمراء سميكة تتوضع بكيفية متناثرة فوق صخور الزمن الأول وتختلط أحيانا بتدفقات بازلتية (صعب على الدارسين تحديد أصلها وتاريخ موضعها لندرة الأحياء بها، مما جعلهم يطلقون عليها اسما مركبا : بيرموترياس)، يضاف إلى هذا حث وردي مرتب جيدا : حث أوكايمدن الموجود بكثرة فوق هضبة يگور وهي أكبر سطح هضبي معلق بالجبال المتوسطة 2200. 2600 م يشرف على سهل الحوز بأجرف عالية ويفصل بين وادي الزات وأوریکا. يشتهر بمراعيه وعزبانة ونقوشه الحجرية.

يتكون مجراه الأوسط والأسفل من مجموعة أحواض، وهي إما بهرات مفرغة أو مقعرات أشهرها حوض آيت زياد بسافلته أو مقعرة معلقة أشهرها مرتفع تسغيموت 1003 م الذي يبدو كحصن يحرس مدخل وادي الزات. ويتميز حوض الزات بتناقضات صخرية فهناك صخور رخوة تتمثل في مركب الترياس الأعلى ومن طبقة صلصالية هشة ترجع إلى الجوراس والإيوسين بالإضافة إلى المواد الميوليوسينية، ثم هناك صخور صلبة تتمثل في بعض الذكات البازلتية واللياس الكلسي الدولوميتي، وقد تعرضت هذه الصخور منذ الأيوسين الأعلى لحركات بنائية أكسبتها ملامحها الحالية، كان من نتائجها التواء الغطاء الثانوي والثلاثي



بعض أيام الصيف أكثر من 40 درجة كما تنخفض حرارته الدنيا شتاء إلى ما دون الصفر. لا يعرف صيب وديان الأطلس إلا جزئياً لقدم القياسات وتقطعها وتغيرها الكبير في سنوات الجفاف، فنسبة الحظاً في أرقامها تصل إلى 25٪. يتميز صيب واد الزات بتغيراته السنوية والفصلية بل واليومية الكبيرة، فقد أعطت القياسات بين 1931. 1963 صيباً سنوياً معدله 150 مليون م<sup>3</sup> عند محطة قرية تيفرياط بمخرج الوادي، ومتوسط أمطار حوضه 676 ملم / سنة يسقط منها جزء على شكل ثلوج فوق علو 1500 م، لكن هذا المعدل انخفض في الثمانينات إلى 451 ملم / سنة. وسجل بمركز أربعاء تغدوين 508 ملم / سنة كمعدل سنوي وبأيت أورير 363 ملم / سنة، وانخفض بالتالي معدل الجريان السنوي إلى 137.7 مليون م<sup>3</sup> ومتوسط صيبه 4.4 م<sup>3</sup> / ث، يعرف قمة جريانه في شهر أبريل عند ذويان الثلوج وتساقط أمطار الربيع، وقد سجل به أقصى صيب يومي 1000 م<sup>3</sup> / ث ولحظ 1500 م<sup>3</sup> / ث. لكن تذبذب التساقطات من سنة لأخرى يجعل العلاقة بين معدل الجريان السنوي الأعلى والأدنى تصل إلى 12.1 ضعفاً. ويسجل ضعف صيبه الصيفي الذي يقل عن 1 م<sup>3</sup> / ث. ذلك أن 46٪ من صخور حوضه غير مسامية و40٪ نصف راشحة و14٪ مسامية راشحة، كما أن أمطار الصيف نادرة باستثناء عواصف رعدية عارضة في آخر الفصل. وباعتبار ارتفاع نسبة الصخور الهشة فإن الزات يتميز بحمولة صلبة كبيرة تصل إلى 4 كلغ / م<sup>3</sup>، مما يجعل حمولته السنوية الصلبة تصل إلى 600.000 م<sup>3</sup>، فتبدو مياهه خلال بعض فيضانات الربيع كأوجال متقلبة.

التربة : تربة بدائية مشتقة من صخور الجبل غير متطورة بها أحجار كبيرة مكورة، لونها أسمر أو أبيض ذات نسيج رملي طيني غير سميك سوى ببعض الهضبيات والأحواض الأكثر استواءً أو انغلاقاً، وهي سريعة العطب سواء بالغسل بمياه الري أو الانجراف بالمياه الجارية لكن طمي فيضان الواد يحدد خصوتها.

النباتات : لقد تراجع الغطاء النباتي كثيراً عما كان عليه في بداية القرن العشرين، إذ بتزايد السكان المعتمدين أساساً على الزراعة والرعي وتزايد الحاجيات الجديدة، انضاف إلى عمليات قطع الحطب وخشب البناء اجتثاث الأشجار الغابوية بصفة مشروعة وغير مشروعة لتلبية حاجيات أسواق حضرية تنمو باستمرار، فحملت الشاحنات أطنان الحطب لتلبية حاجيات الحمامات والأفرنة وصناعة الفحم، كما زاد طلب النجارة على خشب أشجار الجوز والعراعر بماكش خاصة. يضاف إلى ذلك حالياً استفحال الجفاف الذي يقضي على أشجار كثيرة بمناطق إعادة التشجير، وهكذا صارت مساحات واسعة عارية، بحيث لم تتعد نسبة التغطية الغابوية بالحوض 55٪.

على شكل مقعرات عريضة ومحدبات ضيقة وبهرات مفرغة تكشف عن تلال بازلتية، ومعظمها أحواض منزلفة. وقد تعرضت جل هذه الوحدات البنيوية لتعرية متوالية انتهت بتكوين أشكال بنيوية تعكس تناقضات صخرية كبيرة. وتظهر إفجيجيات عند خرق الواد لأعراف البهرات والمحدبات، مما يكون أفواها تعرف بإيمي (الفم) أشهرها إيمي ن الزات بمدخل الوادي. فالأشكال البنيوية بالحوض معظمها من النوع المشتق، أما الأشكال الأولية فهي نادرة وتتمثل في السطوح التي تتوسط القعور مثل آيت زياد ونافيلالت والصور، إذ تمثل طبقة غمرية صلبة. إن حوالي 40٪ من مساحة حوض الزات يتكون من صخور هشة ما بين رواسب قارية ومستنقعة حمراء، بالجبال المتوسطة وتلال كرتناسي وجوراسي بمنطقة الدير الأعلى. ويلاحظ أن الزات ككل وديان السفح الشمالي غير متكيف مع بنيته، فهو سالف ومنطبع يقطع الطيات والتصدعات بكيفية تحافظ على تخطيطه المستقيم قاطعاً عدة عوارض أضعفتها الانكسارات. لكن انطلاقاً من دوار تالينت يغير مجراه فجأة راسماً علقولا ويصبح متكيفاً مع البنية حيث يجري في منخفض بهرة إيكوردان المكونة من صخور هشة في الغالب، ثم يخرج إلى السهل بعد أن يقطع آخر الطيات المقعرة الكبرى : آيت زياد ليجري فوق سطح مخروطه الذي يتميز بانتظام شكله وميله التدريجي نحو واد تانسيفت الذي تزحج تحت ضغطه نحو الشمال.

وفي السهل ينشر الزات مواده الغرينية إما فوق الموليبيوسين أو فوق المسطحات المتدرجة أو المتداخلة، وتزداد أهمية النشر كلما اتجهنا نحو السافلة، لكن المواد الفلافرانشية سرعان ما تغوص تحت المواد الرباعية الحديثة. ومع تعقيدات بنية حوض الزات فإنه يمكن تمييز المستويات المتداخلة أو المتدرجة لبقايا درجات معلقة متفاوتة الارتفاعات والمساحة تبدو بوضوح عند دوار الشمس، إذ أن جلها تدهور بفعل الحفر الذي قامت به الشعاب المنحدرة نحو معاوير الجريان.

يشكل الزات مخروطاً حديثاً واسعاً سميكا منتظم الانحدار، وباعتبار تهدل سهل الحور المستمر طيلة الرباعي، فإن الرواسب تتراكم بكثافة كبيرة، تبدو متنافرة خشنة تزداد بها أهمية المادة الدقيقة كلما ابتعدنا عن المجرى الحالي. وترتبط هذه الأشكال بشبكة مائية تتمثل في محاور قوية عملت على تعميق مجراها وتركزها ارتباطاً بحركات الرفع المتأخر واختلاف سمك ومقاومة الطبقات. وهذه التعرية الحظية ليست سوى بداية تعرية انتقائية تسعى لتحقيق تسطیح جانبي مما يعكس التطور الكبير للشبكة المائية.

المناخ : يتميز حوض الزات بمناخ متوسطي قاري شبه جاف يتحول إلى قاري جبلي مع الارتفاع بأعلى الوادي، يتميز بتباين حراري فصلي ويومي كبير، إذ يسجل به في

والسكنية القريبة من مجرى الماء، وتنجر تربة السطوح الملاصقة له وتقتلع الأشجار المثمرة، وتكرر ذلك في العقد الأخير مرتين : 1995 و1999.

السكان : يشير المؤرخون كالبكري والبيدق وابن خلدون إلى أن حوض الزات كان مسكونا منذ القديم من طرف قبيلة مصمودية هي مسفيوة، وهي من مخلفات قبيلة رعوية وهي كبيرة عرفها المؤرخون بهزرجة، وفدوا إلى المنطقة انطلاقا من الجنوب منذ قرون وزحفوا في القرون الأخيرة على مخروط الزات وأوريكا إلى أبواب مراكش وضفة تانسيفت. وكانت مسفيوة قبيلة مفتوحة تستقبل الوافدين من مختلف الجهات وتهضمهم بالزواج والتشارك في أعمال الفلاحة، وتميزت بحبسية دافقة أدت إلى ترمذات كثيرة على السلطنة المخزنية مما جر عليها انتقالها عدة مرات، ودفع الملوك إلى محاصرة وادبهم بإقامة قصبات وإسكان فلول من قبيلة الرحامنة وغيرها بمخروطهم، وكانت مبالغة إلى التحرر من قيود السلطنة المخزنية مما جعل فقهاءها يعتونها ببلاد السبية، دخلت مع سلطات المخزن بمراكش في صراعات منذ القرنين 18 و19 دفاعا على حقوقها المائية والترايبية بمخروطي الزات وغمات. وفي نهاية القرن (19 م) اصطدمت بتوسع نفوذ كلالوة، واستطاع القائد المدني الأكلواوي بعد حروب مخربة إخضاع مسفيوة وسلبها جزءا من أراضيها ومائها في مطلع القرن 20 وأسس مركز آيت أورير بمدخل الوادي وقصيته لمراقبة مجال مسفيوة، واستقدم إليه عددا كبيرا من أعوانه من أكلالوة بالسفوح الشرقية للأطلس الكبير. ورغم انصراف المعمرين عن وادي الزات وقهر حكم الأكلواوي الذي دفع ببعض الأسر والسكان إلى الهجرة وتجنيد السلطات الفرنسية لبعض أهل مسفيوة في فرق خيالة ومخازنية خارج منطقتهم لاستحسانهم لمخائن سكانها، فإن سكان حوض الزات ومخروطه عرفوا تزايدا متوسطا منذ مطلع القرن العشرين إلى نهايته لكن يصعب تتبعه بدقة للتغير المستمر في مساحات وحدود الجماعات القروية. وقد عرفت دائرة آيت أورير التي تضم سكانا آخرين خارج حوض الزات وقبيلة مسفيوة نموا كبيرا في العقود الأخيرة.

1971 149.814 ن

1982 180.184 ن

1994 211.615 ن

وبهذا تعتبر آيت أورير أكثر دوائر الحوض سكانا.

كما تطور سكان بعض الجماعات الواقعة كليا أو جزئيا بحوض الزات ومخروطه وهي :

	1960	1971	1982	1994
تيفدوين	12.754	14.872	18.744	20.939
تيديلي	-	18.310	21.951	22.056
آيت أورير	20.600	26.620	34.715	-

ويلاحظ نوع من التدرج في الغطاء النباتي من الدبر إلى أعالي الحوض، ففي الدبر السفلي بحاشية المخروط كانت تنتشر نباتات عشبية وشوكية منفردة مثل السدرة والدوم والطلح والبطم والزيتون البري، لكن اندثر جلها أمام توسع المجال الزراعي ولم يبق به سوى السدرة والدوم. وفي الدبر العلوي أي بعد 1000 م تنتشر بقايا غابة الثويا والعرعار الأحمر، وفي الوسط نجد البلوط الأخضر وهو الأكثر انتشارا إذ يكون 70% من الغطاء الغابوي، ينتشر على شكل تجمعات تفصل بينها قيعور الأودية والسفوح الصخرية أو القوية الميل، تختلط أحيانا مع عناصر من الأرز الشوكي والخروب وعينات محلية نادرة كالعصفية والفسق البري... ولا تظهر له تجمعات مهمة إلا بعد 1200م وتصدد أشجاره إلى علو 1800 - 2000 م. وفي الأعالي تظهر تجمعات العرعار الفواح إن لم يأت عليها الرعي، إذ يقطع الرعاة أغصانها لتغذية مواشيهم بأوراقها. وترتفع الغابة إلى 2200 م بالسفوح الشمالية و2500 - 3000م أحيانا فوق السفوح الجنوبية المشمسة. أما سرير الواد فتنتشر به نباتات خاصة مرتبطة بالماء وهي الصفصاف والدردار الذي توجد له خمائل جميلة وكذلك الطارفة والدفلة التي تنتشر بكل المجاري سواء الرطبة أو الجافة.

لقد تراجعت الغابات كثيرا وتحولت السفوح الدنيا إلى ماطورال متدهور، ومن مظاهر ذلك، صعود المستوى الجاف وتعرض السفوح لتصحح زاحف متصاعد يعري مساحات متزايدة من كل شجر إلا ما نجده متخلفا ببعض المقابر وحدائق الأضرحة. ويترتب عن هذا استفحال ظاهرة التخديد بكل أشكالها ومساوئها. ولحماية البيئة من مزيد من التدهور طبق المسؤولون منذ أيام الحماية برامج تشجير خاصة بجوانب المحاور الرئيسية للتنقل وهوامش المنشآت المائية، كما بنيت حواجز حجرية على مجاري السيول لتشتيت جريانها وأخيرا تبنى سدود تلية في جهات محظوظة. إن عملية التشجير التي استمرت طوال عقود الاستقلال لا تهم سوى نقط محدودة حيث تم غرسها بأشجار صنوبر حلب الذي كون غابات جميلة عند مخرج الوادي أهمها محمية غروگا للخنازير على عرف أندين المحيط بحوض آيت زياد.

كما يتم التشجير كذلك بأشجار الكافور واللوز والعرعار والصبار وأحيانا البلوط الأخضر، ويتم الغرس بحفر أخاديد موازية لمخروط التسوية لمقاومة التعرية. لكن المساحات المشجرة لم تغلت هي الأخرى من سلبات التدخل البشري والجفاف، لأن مشاريع حماية هذه البيئة السريعة العطب لا تأخذ بعين الاعتبار حاجيات السكان المحليين من جهة وخاصيات الوسط الطبيعي، حتى يمكن إعادة التوازن بين الإنسان وبيئته. ولم تتضرر هذه البيئة من توالي سنوات الجفاف فقط بل كذلك من فيضانات مفاجئة مخربة لواد الزات وروافده، فتنهار الحواجز والسواقي والمنشآت المائية

واللفت والفلفل والنعناع، بل هناك من تصدى لزروع طبي وهو اللوزة التي كانت تشتريها شركة لتصديرها. ومن المنتوجات الفلاحية الجديدة التي تتوسع زراعة وتسويق فساتل الزيتون والبرقوق والتفاح والورود...

وينظم السقي على مخروط الزات بشكل نموذجي، إذ تبدو شبكته على هيئة فقرات هيكل سسكة تخرج من ضفتيه اليمنى واليسرى، وكل ساقية تغذي عددا من السواقي الثانوية تعرف بالمصرف توزع مياهها حسب الحقوق على بستان أو مشاركة أو حوض يتكون من بضعة أمتار مربعة أحيانا، ويغذي الزات 32 ساقية رئيسية بمجره الأوسط ومخروطه، لكن مياهه تستنفد في معظم السنة عند بداية مخروطه بالسقي والتسرب والتبخر، إذ وجد أن سواقيه الترايبية الطويلة تهدر 50٪ من مياهها، وهي تتحكم في مجال قابل للسقي تبلغ مساحته 17000 هـ لكن لا يسقى منها عمليا إلا حوالي 5000. 2500 هـ حسب وفرة المياه.

ويلاحظ في الحوض غياب الملكية الحضريّة اللهم إذا هاجر أصحابها أو أبناؤهم وأصبحوا حضريين، لكن الأسر الأكلوية الوافدة في بداية عهد الحماية والمدعومة بنفوذ السلطة استطاعت الحصول على بساتين وأراضٍ شاسعة بمخروط الزات، وكذلك بعض المعمرين الأوربيين. أما أراضي الوادي فلم تغر الحضريين خاصة أنه لم يحظ بأنشطة سياحية ولا تتعقد به مواسم مهمة تجتذب الحضريين.

تعرف الفلاحة بالزات في العقدين الأخيرين تحولات كبيرة بفعل الضغط الديموغرافي والجفاف وتزايد الحاجيات، فبعد أن كانت الفلاحة تسعى إلى تحقيق اكتفاء ذاتي صارت الآن موجهة لحاجيات السوق وحاجة السكان إلى النقود لتلبية حاجيات كثيرة جديدة. وأمام هذه الضغوط انتقلت الزراعة من الأحواض والمنخفضات إلى المنحدرات والمجالات الغابوية حيث يلاحظ غزو حقيقي لأوعز السفوح من طرف زراعة الحبوب التي تحتل معظم الأراضي وهي أراضٍ سهلة العطب إما لقوة انحدارها أو فقر تربتها وكثرة أحجارها. وكانت الأنشطة الفلاحية قديما تتم في إطار تنقل وتكامل بين السهل والجبل، لكن هذا التكامل عرف تقلصا كبيرا بسبب انتشار التملك وتوسيع الزراعات والبساتين بالدير والسهل، كما تقلصت مراعي الجبل العالية بسبب تقنين استعمال الغابة وتوجيه حركات الرعي نحو الأحواض والهضبيات التي تضررت من الرعي الجائر والجفاف الذي قلص أهمية مروجها وعيونها وغدرانها، والنتيجة تقلص أعداد المواشي الصغيرة، والميل إلى بناء الحظائر لتربية الأبقار الحلوب، لكن في الأودية الوفيرة المياه والترية الخصبة. أما الأحواض الفقيرة بالأعالي فكتيرا ما تدفع بسكانها إلى الرحيل أفرادا وأسرًا. إن الأراضي الصالحة للزراعة ضيقة ومحدودة بحوض الزات الجبلي، فوادي الزات

وقسمت جماعة آيت أورير في إحصاء 1994 إلى بلدية سكانها 12162 ن وجماعتي آيت فاسكا 16210 ن وآيت سيدي داود 17307 ن المجموع 45679 ن، وقد بلغت كثافة السكان في كل من تيفدوين 46 ن / كلم<sup>2</sup> وآيت أورير 166 ن / كلم<sup>2</sup>. إلا أن هناك جماعات سجلت تناقصا في سكانها بين إحصائي 1982 و1994 مثل آيت فاسكا وتمكّرت.

لقد عرفت جماعات الزات تزايدا مهما لسكانتها، لكنه أقل مما سجل عموما في أرياف المغرب، وذلك بسبب ارتفاع الوفيات خاصة لدى الأطفال وبسبب الهجرة الداخلية إلى المدن والسهول الأطنينية أكثر من الخارج، ويقدر معدل التزايد الديموغرافي في جماعات الحوض 2.1٪ سنويا و5٪ آيت أورير.

يستقر السكان في قرى صغيرة ومتوسطة وكبيرة إذ يتجاوز بعضها 1000 ن مثل أمانوز ووينمداسن و700 ن في تالتاست وتقايا، تنتشر على طول المجاري المائية ويجوار العيون تجتديها اليوم خاصة الطرق المهمة والمرصفة وتتكاثر عند مخرج الوادي.

الفلاحة : اشتهر حوض الزات منذ القديم بمزروعات خاصة مثل الدخن وإيلان والثوم والقطنيات والجوز بالإضافة إلى محاصيل تقليدية مثل الحبوب والزيتون وتربية المواشي وزراعة الحضر وبعض الفواكه المثمرة مثل الرمان والمشمش.

لمواجهة تزايد السكان والحاجيات لجأ السكان إلى توسيع المجالات الزراعية على حساب السفوح الصعبة والغابات وبناء المزيد من المدرجات وإبصال السواقي إليها، وباعتبار تقنين الرعي بالغابات وتراجعها وتدني قيمة المراعي بسبب استفحال الجفاف اتجه الفرويون إلى تربية الأبقار الحلوب المستوردة والمهجنة في حظائر جديدة وتوسعوا في زراعة العلف والبحث عن موارد جديدة للمياه لا يجدونها غالبا سوى في حفر الآبار واستعمال الضخ الآلي. ونجد بجماعة تيفدوين التي تهيمن أراضيها على معظم الحوض الجبلي للزات أن حوالي 75٪ من الأسر تمتلك من الأبقار 5. 1 و7. 6 بقرات. ولتسويق الحليب في ظروف جيدة تأسس بالجماعة 5 تعاونيات، ولا زالت تربية البغال تكتسي أهمية جوية فهي وسيلة التنقل المفضلة في المسالك الجبلية. وإذا كان سكان عالية الوادي لازالوا يعتمدون على تربية المواشي الصغيرة فإن سكان المجرى الأوسط والمخروط يعتمدون على توسيع مجالات الزراعة المسقية وتحديث المزروعات، وذلك بتجديد أشجار الزيتون والإكثار منها، ولم يقدموا على غراسة التفاح والبرقوق إلا مؤخرا، حيث بدأ يتصدى لها بعض الملاكين الأغنياء نسبيا، وتوسعت زراعة الحضر حيث صار كل الفلاحين يخصصون مساحات لزراعة البطاطس والبطاطم التي تجد سوقا واسعا بمراكش وغيرها، وكذلك زراعة الجزر

الأعلى وروافده ضيقة ولا تتسع سوى في المجرى الأوسط، لكنه يتوفر بسافلته على أحواض واسعة أهمها آيت زياد الذي تشغله بكامله جماعة تيديلي مسفية. فالأراضي الصالحة للزراعة بجماعة تغدوين لا تتعدى 6% لكنها تتوسع بمخروط الزرات فتبلغ في جماعة آيت أورير السابقة 740/.

تتميز الفلاحة في حوض الزرات كما يتجلى ذلك في جماعة تيديون يازدواجية : تقليدية - عصرية، ذلك أن عملية التحولات انتقائية يتصدى لها أولا الملاكون المحظوظون الذين يتوفرون على أراضٍ كافية تمكنهم من تحقيق تراكم مالي أو مداخيل غير فلاحية لإنفاقها في مزيد من التجهيز، أما الملكيات الصغيرة الممزقة بالتقسيم بين الورثة عبر الأجيال إلى مشاركات مكروسكوبية متناثرة متباينة الأشكال والمساحات، فإنه يصعب علاج مشاكلها في وادي لا يقر سكانه بعد بمشاريع إصلاح زراعي ودمج الملكيات، وهؤلاء هم المرشحون للهجرة وممارسة أنشطة غير فلاحية والعمل خارج المنطقة، وأثبتت الدراسة أن ثلث الفئة الشغيلة تعمل خارج المنطقة خاصة بالبناء والتجارة والنقل والأعمال الفلاحية بالضيعات العصرية.

كما اشتهرت قرى الزرات بحرف تقليدية مثل الفخار والنسيج والتجارة خاصة صناعة المحارث والأبواب ونجارة الأخشاب الكبيرة، التي تدخل في صناعة عوارض الأبواب الكبيرة ومعاصر الزيت وقنوات الري المصنوعة من خشب الدردار الذي ينبت بضاف الواد والمعروفة بتغذوت ومنها أنت تسمية الجماعة وفرقة القبيلة : تيديون وهي جمع تغدوت هي المعارضة الخشبية المستعملة فيما سبق ذكره.

كما اشتهرت بعض القرى بالحدادة وتصنيع الدوم، لكن كل هذه الأنشطة تعرف اليوم تراجعاً كبيراً سواء في عدد الممارسين أو الإنتاج، ذلك أن انفتاح الوادي سهل غزو المصنوعات الحديثة، كما أن الأجيال الجديدة من سكانه لا تميل إلى المصنوعات التقليدية وأنشأ أحد المعمرين في عهد الحماية معملًا لمعالجة الدوم الذي يجمعه السكان وبيعونه له، لكنه توقف في بداية عهد الاستقلال. أما النشاط المعدني فباستثناء استغلال أحواض الملح قرب آيت أورير التي أنشأها هي الأخرى معمر أوربي وتوقفت منذ عقود، فإن الأنشطة المنجمية ظلت مجهولة بهذا الحوض، لكنه ساهم في الاقتصاد المعدني بنشاط وافر عندما وصل إليه معدن المنغنيز من إيميني عبر نقال هواني (تيليفيريك) من أگلموس بطريق تيزي - ن - تشكا بالمنحدرات الجنوبية إلى محطة لتجميعه قرب مركز أربعاء تيديون لنقله بالشاحنات إلى مراكش. أما السياحة سواء الوطنية أو الأجنبية فلم تنشط بهذا الوادي سواء في عهد الحماية أو بعده رغم وجوده كمعبر إلى مراعي هضبة يگور المشهورة بنقوشها الحجرية ومناظرها الطبيعية الجميلة وإمكانياتها في الرياضات الثلجية.

المراكز الحضرية : اشتهر حوض الزرات بقراه الكبيرة ومراكزه السكنية، أهمها آيت أورير، وقد تحول اليوم إلى بلدية سكانها 12162 ن (1994) ومركز دائرة تضم 5 قيادات و15 جماعة قروية لم تحدد حدود بعضها بدقة على المجال، وكان عددها 9 في إحصاء 1982 لكن الكثير منها يخرج كلياً أو جزئياً من حوض الزرات ومخروطه، وينتمي إلى حوضي أوربيكا وغدات. (انظر آيت أورير).

أما أهم مركز يعرف تطوراً كبيراً مستفيداً من الأوضاع الجديدة، فهو مركز أربعاء تيديون الذي يوجد بوسط الوادي على علو 1041 م سكانه 535 ن (1994)، وقد صار اليوم مركزاً محددًا يضم مقر القيادة والجماعة القروية ومدرسة مركزية ومستوصفاً وصيدلية وعدداً من المصالح تابعة لوزارة الفلاحة والأشغال العمومية والبريد. ينعقد بها سوق أسبوعي يوم الأربعاء ولضيق المكان فإنه ينعقد بنفس المركز حيث تتحول دكاكين السوق كلها إلى المساهمة في أنشطة السوق يضاف إليها تجار صغار لبيع الخضار وملابس وبيع خفيفة بجانب أزقتها. ويتميز المركز بتجمع تجاري خدماتي قديم قرب محطة السيارات، لكن المتاجر ومحلات مختلف الأنشطة تعرف امتداداً نحو الجنوب على طول طريق يتجه بجوارزة مع الواد على مدرج طولي جنوباً نحو عمق الوادي والمنشآت السياحية الجديدة. لقد عرف مركز أربعاء تيديون حدثين مهمين في تاريخه الأول يرجع إلى بداية عقد الخمسينات عندما قررت الشركة المعدنية المستغلة للمنغنيز إيمين نقله عبر نقال هواني إلى مركز تيديون لتجنب عبور الشاحنات فج تزي ن تشكا، وإنزاله بمحطة قرب مركز تيديون الذي ظهر في عهد الحماية فتم ترصيف الطريق الثلاثي، طوله 18 كلم يربطه بالطريق الرئيسي : مراكش - ورزازات واستمر التهييء للمشروع عدة سنوات وبدأ العمل سنة 1956 واستمر 1969، حيث تراجع إنتاج المنغنيز وتسويقه وظهرت شاحنات كبيرة قوية قادرة على عبور فج تيزي - ن - تشكا بحمولتها الثقيلة. وأدى هذا المشروع إلى ظهور عدد من المصالح الإدارية والتقنية بالمركز وربطه بالشبكة الوطنية للكهرباء، وإقامة برج ماء، لكنه لازال يعاني من مشكل التخلص من المياه المستعملة التي تدفن حالياً في آبار وحفر خاصة، ويتخوف من تسربها إلى مياه الواد، ولهذا يهين مشروع لتنظيم شبكة لصرفها ومعالجتها قبل إعادة استعمالها في الري.

أما الحدث الثاني فقد ظهر في بداية عقد التسعينات عندما توصل بعض الزوار إلى اكتشاف الفعالية العلاجية لمياه عيون معدنية كانت تنبع دائماً من سفح أحد السطوح بأحد روافد واد الزرات تبعد عن المركز بحوالي 3 كلم عددها 4 تبعد عن بعضها ببعض عشرات من الأمتار تنبع من سفح هضبة مسطحة تستغل في الزراعة تسقى بسواقي واد الزرات، وهي غير بعيدة عن زاوية وضريح سيدي أحمد

استثمارات وما يخلق من مشاكل جديدة تتطلب حولا جديدة.

بحوث ميدانية، معلومات من المرشدين الفلاحين وأعضاء السلطة المحلية والسكان؛ تحليل خرائط طبوغرافية وجيولوجية لمحوض الزات؛ أ. زروال، دراسة جيومورفولوجية لدير أطلس مراكش بين وادي الزات وتساوت، الرباط، 1987؛ بحوث طلبة السنة الرابعة في الجغرافيا بكلية الآداب مراكش.

P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Rabat, 1983 ; *Theorie de la distribution des eaux et de l'occupation des terres dans le Haouz de Marrakech*, R.G.M, N° 18 - 1970 ; O.R.M.V.A.H, *Les ressources naturelles et la mise en valeur actuelle de la plaine du Haouz*, R.G.M, N° 17, 1970 ; M. Lafuente, *La vie humaine dans un groupement berbère du Haut Atlas de Marrakech - Les Ait Oucheg* - R.G.M, N° 14, 1968.

أحمد هوزالي

**الزاز، الطاهر**، مقاوم ولد سنة 1911 بمدينة أسفي.

انخرط في صفوف التضال الوطني منذ سنة 1948 وحين اندلعت ثورة الملك والشعب التحق بإحدى المنظمات الفدائية تدعى "اليد المباركة" ضمن خلية تضم عشرة أفراد وقد كان الفقيه متخصصا في صنع القنابل التقليدية التي كان يمد بها خلايا أخرى بالمدينة. إلى أن تحقق الاستقلال. توفي يوم 26 أكتوبر 1995.

المدوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال.

**الزآگ**، مدينة تقع على بعد 120 كلم إلى الجنوب

الشرقي من مدينة غلميم. وقد كان عدد سكانها في إحصاء 1982 : 1357 نسمة، وبلغ في إحصاء 1994 : 2.759 نسمة بوتيرة تصاعدية عالية جدا، رغم الوضع الصحراوي المتوغل في القحولة.

يوجد المركز في أقصى شمال غرب حمادة درعة الفاصلة بين التحدب الجبلي الكبير للأطلس الصغير في الشمال، والدرع الجرانيتي قبل الكبير للرقبيات في الجنوب. لا تتعدى التساقطات بالموقع 70 مم، كما تنزل الحرارة الدنيا إلى 3° وترتفع العليا إلى 45° مئوية.

يعتمد الاقتصاد المحلي تقليديا على الرعي، وبصفة متزايدة على التجارة، خاصة خلال العقود الثلاثة الأخيرة، الأمر الذي مكن من موازنة الهجرة التي عرفتها المدينة باستمرار قبل هذه الفترة.

إن ظروف المناخ الصحراوي الجاف الذي يميز المنطقة، وكذلك الأوضاع الحدودية الراهنة والنقص في التجهيزات الأساسية لم تمكن من تطوير الأنشطة الاقتصادية القارة. وقيت التجارة في المواد التي يتم ترويجها لفائدة الشككات العسكرية من أهم الأنشطة التي يعتمد عليها سكان هذه المدينة.

موحا حدوش

الوافي الذي أطلق اسمه على المكان. ورغم عدم التأكد من فعالية هذا الماء فقد أغرى طعمه المعدني الخاص الزوار وبعض المرضى للقدوم إلى ينابيعه للانتجاع والعلاج، وسرعان ما ظهرت بعين المكان تحت ظلال أشجار الصفصاف والدردار والزيتون الكثيرة هنا منشآت عشوائية لقاء ومآرٍ للمبيت، فتدخلت السلطة ومنعت البناء فوق مدرجات رخوة معرضة للفيضان والانهيار، لكن جمال الموقع وجودة ظلاله ومياهه أنست مختلف المنشآت الخدمائية التي تجاوز عددها اليوم 100 كلها مبنية بالقصب والخشب والبلاستيك... ما بين مقاهٍ ومطاعم ومآرٍ للمبيت ودكاكين لمختلف المواد الاستهلاكية، بل ظهر بينها محلات للتسلية وحمام. وهي تنتشر حول مسلك يتبع خط تسوية يتوازي مع مسلك آخر عندما يتسع المسطح، وقد حصل المستثمرون على الأراضي إما بالشراء أو الكراء، وتمنع السلطات البناء وتخطط لفتح تجهزة بمركز أربعة تبغديون لبناء كل المنشآت التي تتطلبها هذه الأنشطة السياحية وتحويل منطقة العيون وطريقه إلى بستان للنزهة.

لقد استفاد مركز أربعة تبغديون من هذا النشاط بشكل تلقائي إذ يفد عليه المئات من الزوار يوميا، خاصة أثناء العطل والأعياد ليس للعلاج فقط بل للنزهة والترفيه. وأدى هذا النشاط إلى بناء عدد من المنازل والدكاكين والمقاهي ومحلات مختلف الخدمات بالمركز، مما جعل عددها الإجمالي يصل إلى 220 تفتتح كلها يوم السوق ويغلق منها حوالي 40٪ في غير أيام السوق، كما ترتب عن ذلك تنشيط حركة البناء، مما جعل المنازل التقليدية الترابية تختفي تحت واجهة من مباني الإسمنت المصبوغة باللون الأحمر ذات طابع حضري وترصيف بعض الأزقة. ويهيئ بمصالح السكني والتعمير مشاريع عمرانية وسياحية لتنظيم وتقيين أنشطة السياحة التي امتدت أخيرا إلى هذا الوادي، وتخطط لمدرج طريقٍ مرصف من المركز إلى هضبة يكور الذي يمكن أن تتحول إلى مجال للرياضات الشتوية على سفوح جبل ملتسين المنتظمة الانحدار وهو غني بمروج خضراء وعيون ونقوش حجرية كثيرة ترجع إلى العصر الحجري الأوسط والمجديد، بالإضافة إلى تل حجري له قداسة دينية قديمة. كما يخطط المسؤولون لبناء سد تلي ليتحول مستنقع إيفرض إلى بحيرة متوسطة الحجم تغني المنتجح السياحي، كما يخططون لبناء فنادق بالمركز وإنشاء مخيم مجهز، لكن ضيق المكان يطرح صعوبات يجب تذليلها ذلك أن منشآت المركز وساحة سوقه ومحطة سياراته ودوابه تنتشر فوق سطح طولي ضيق محصور بين جرف يشرف على سرير الواد ومنحدر غابوي بالعالية تغطيه أشجار العرعار الأحمر والثويا تضيء على فضاء المركز جمالا يؤهله لسياحة بيئية ريفية يزداد عليها الإقبال. ويرتقب السكان بناء سد عند إيمي - ن - الزات، ستغمر مياه بحيرته جزئيا حوض آيت زياد، لما سيوفره ذلك من مناصب الشغل وما يجلب من

ابن زاكور، أسرة فاسية عريقة، انتقل بعض أفرادها إلى تطوان. وقد اطلع مؤلف إزالة الالتباس على ظهر نسخة من شرح الشيخ محمد بن قاسم ابن زاكور لكتاب المقصور والممدود لابن مالك انتسخت عام ستة وثلاثين ومائة وألف (أي بعد وفاة المؤلف بقليل بخط قديم يظنه لبعض العلماء) : عبارة "شرح العلامة ابن زاكور المصلاسي" ومصلاسة ببلاد الريف. وكان لآل ابن زاكور بفاس، علاوة على العلم والأدب، خطط شرعية كالشهادة والحسبة. قال : وعرضة أولاد ابن زاكور توجد بالكردان مازالت شهيرة بهم.

ع. السلام ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون، ج 1 : 232.

ابن زاكور، أحمد بن محمد بن قاسم الفاسي، ابن المؤلف الكبير محمد بن قاسم آني الترجمة. قال عنه صاحب إتحاف المطالع : "كان فقيهاً واعظاً مطلعاً شاعراً" ووصفه صاحب تذكرة المحسنين "بالفقيه العدل الواعظ الفصيح القارئ المجيد" لم نطلع على شيء من نشره أو شعره.

توفي ليلة الأحد ثاني عشر ربيع الثاني عام 1176 / 10 نونبر 1761 ودفن بالقباب خارج باب الفتوح.

ع. الكبير الفاسي، تذكرة المحسنين : ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 7 : 2378 ; إزالة الالتباس، مرقون، 1 : 232.

ابن زاكور، عبد الكريم بن عبد السلام الفاسي أصلاً التطواني داراً، الفقيه الأديب الكاتب الموسيقي الرئيس الزجال الفاضل. لعله ولد بفاس من أسرة بني زاكور التي منها من ينتسبون إلى الجزائر، وتلقى تعليمه بفاس وعمل في ديوان المخزن كاتباً على عهد السلطان محمد بن عبد الله، ثم ولى عمالة مدينة العرائش، ولما عزل السلطان المذكور القائد الحاج محمد لوقش وفد عليه أهل تطوان منتصلين من قائدهم المذكور وولى عليهم بدله المترجم له عام 1171 / 1757، لكونه حضرياً مثلهم على حد تعبير اكنسوس، فلبث فيهم إلى عام 1179 / 1765 حيث نكبه السلطان بالسجن واستصفى أمواله، ولعله ذهب ضحية غلط أو دسياسة لأنه كان جميل الأخلاق حسن المعاملة يحب أهل الخير والدين، يعمر أوقاته بنظم الموشحات والأزجال في المديح النبوي والصالحين والأولياء، لم تعرف له صبوة، ولا سجلت عليه نبوة، لم يقل فيه أهل تطوان كلمة سوء بل أجمعوا على مدحه وفضله، ومما بقي من آثاره الزاوية العباسية التي بناها المترجم له بساحة الوسعة باسم الشيخ أبي العباس السبتي، وفوق بابها كتبت أبيات بخط بديع بالزليج من نظم بانيتها المذكور، وقد كانت أيامه بتطوان كما قال في وصفها سكيج المورخ أيام هناء وسرور، وفرح وحبور، وشمل بالأحباب مجموع، وانشرح موصول غير

مقطوع. وقال الأستاذ داود في وصف المترجم : كان هذا الرجل الحاكم الأديب مولعاً بالموسيقى، ويرحم الله زماناً كانت فيه تطوان بمجازة بين مدن المغرب بإجادة أهلها رجالاً ونساءً للموسيقى الأندلسية التي كانت من أعز ما حمله المهاجرون معهم من غرناطة وطنهم الأول إلى تطوان وطنهم الثاني، فكانوا يتقنون فيها ويبدعون، ويتفنون فلا يملون، ويساتين تطوان وأنهاؤها ونزهها ومجالسها ومرح أهلها كل ذلك كان مضرب الأمثال ولكنه صار في خير كان. ومما يسجل هنا قول النقيب ابن زيدان في كتابه النهضة العلمية إن السلطان محمد بن عبد الله كان يحيي ليلة المولد بجامع السنة بالرباط وكان إنشاد الأمداح النبوية فيه مناوبة بين أهل فاس وأهل تطوان، ومثل هذا قاله الضعيف في تاريخه.

للمترجم له ديوان مدائح ضخم يقع في ثلاثة مجلدات يوجد أحدها بالخزانة الداودية والأخران من نفس النسخة بالخزانة الحسينية، وقد اشتملت على مات الأزجال والموشحات والأنظام في بعضها جودة وبراعة ومعظمها في المديح النبوي وفيها مدائح في بعض الصالحين كالشيخ عبد السلام بن مشيش والمعطي بن صالح الشرقي وكتابه الذخيرة ولا يعرف تاريخ وفاته ولا مكانها، وأغلب الظن أنه توفي بتطوان في نهاية المائة الثانية عشرة، والله أعلم.

م. داود، مختصر تاريخ تطوان، ص. 93. 95. 96. 100. 101. ط. تطوان : موسوعة أعلام المغرب، تنسيق محمد حجي، 7 : 2434، ط. دار الغرب.

محمد بوخيرة

ابن زاكور محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد ابن أحمد الفاسي، عالم متمكن في العلوم الشرعية، بحثة شهير، وأديب لامع، ورحالة كبير.

ولد بفاس أواسط القرن الحادي عشر (17 م)، وقرأ على أكابر أعلامها، أمثال عبد القادر الفاسي، ومحمد المهدي الفاسي، وأحمد بن الحاج، والقاضي بردلة، ومحمد القسنطيني، والحسن اليوسي، وعبد السلام القادري.

توجه ابن زاكور إلى تطوان حيث أخذ عن الحاج علي بركة، ثم إلى الجزائر فأخذ عن مفتيها محمد بن سعيد المعروف بقُدورة.

وكان ابن زاكور متضلعا في البلاغة واللغة والعروض والقوافي، تضلعه في الفقه والحديث والتاريخ، يحفظ عن ظهر قلب عدداً من الأمهات، كمختصر خليل، والكافية، والتسهيل لابن مالك، وكافية ابن الحاجب.

وترك عدداً ضخماً من المؤلفات القيمة الدالة على موهبته الحق. ويمكن تصنيفها كما يلي :

1- تراجم وتاريخ :

أ- الاستشفاء من الألم يذكر أثر صاحب العلم، في نسب الولي الصالح المولى عبد السلام بن مشيش.

ب - فهرست، تحتوي على تراجم علماء تطوان والجزائر الذين أجازوه سَمَها : نشر أزاهر البستان فيسن أجازني بالجزائر وتطوان من فضاء الأكابر والأعيان.

ج - العرب المبين عما تضمنه الأنيب المطرب وروضة التسرير

2 - حديث وأصول :

أ - الخلة السيرا في حديث البراء

ب - نظم ورقات إمام الحرمين بعنوان : معراج الوصول إلى سماوات الأصول  
3 - طب :

أ - الدرّة المكنوزة في تذييل الأرجوزة، وهي كما يدل عليها اسمها ذيل لأرجوزة الرئيس ابن سينا الطبية.

4 - توقيت :

أ - الروضة الجنيّة في ضبط السنة الشمسية، وهي أرجوزة على غط المقنع للمرعشي.

5 - أدب وقواعد اللغة :

أ - الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض، وهو ديوانه،

ب - الحسام المسلول في قصر المفعول على الفاعل والفاعل على المفعول،

ج - أنفع المسائل في أبلغ الخطب وأبدع الرسائل، وهو مجموع رسائل وخطب،

د - شرح حماسة أبي قام، سماه : عنوان النفاة في شرح الحماسة،

هـ - شرح قلائد العقيان بعنوان : مقياس القوائد في شرح ما خفي من القلائد،

و - شرح المقصور والمدود لابن مالك، بعنوان : الجرد بالموجود،

ز - شرح لامية العرب للشنفرى، بعنوان : تفرج الكرب في شرح لامية العرب،

ح - شرح الخزرجية في العروض والقوافي، بعنوان : النفحات الأرجية والنسمات البنفسجية بنشر ماراتق من قصيد الخزرجية،

ط - شرح بديعية صفي الدين الحلبي، بعنوان : الصنيع البديع في شرح الحلية ذات البديع.

تدل هذه القائمة، ولو أنها غير تامة، على أن ابن زاكور كان أديباً أكثر منه مؤرخاً وقيماً ؛ وعلى أنه شاعر وشارح ناقد أدبي قبل كل شيء.

وبصفته شاعراً، عالج ابن زاكور جميع الموضوعات الشعرية، ونظم قصائد رائعة في العزل، والخمر، والوصف، والمدح ؛ كما أن له موشحات رائقة لطيفة، وقد في موشحين كلاً من ابن سهل الاسرائيلي في ليل الهوى يقظان، وصفي الدين الحلبي في شق حبيب الليل عن نحر الصباح، وهما في غاية الحسن والابداع.

وبصفته ناثراً، فقد برهن ابن زاكور في جميع شروحه،

سواء منها المتعلقة بالشعر والأدب، أو بالنحو والبلاغة، أو بالعروض والقوافي، عن حساسة نقدية مرهفة، وذوق سليم، ومعرفة واسعة. أما النقد ذاته، فالغرض الأساسي منه - يقول ابن زاكور - هو البحث عن الحقيقة، وعدم التحامل على الغير ما أمكن، والاعتماد فقط على القواعد وشهادة كبار شيوخ الأدب.

ولا تقل سلاسة النثر وعذوبته عند ابن زاكور فيما عدا النقد، كما نشاهد ذلك في وصفه لمنتزهات كيتان بضواحي تطوان فنثره المسجّع جذاب بشروته اللغوية، وصفاء ديباجته، وحسن صورته الموحية.

وبالجمل، فابن زاكور من أكبر رجال الأدب، وصاحب مدرسة تنتمي إلى الحسن اليوسي وتمتد بواسطته إلى محمد بن الطيب العلمي، وهي مفخرة الأدب المغربي.

توفي ابن زاكور بفاس يوم العشرين من محرم الحرام عام 1120 / 11 أبريل 1708، ودفن خارج باب عجيصة.

م. ابن تاويت، وعفيفي، الأدب المغربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ماي 1960، ص 346-354 : ع. الرحمان ابن زيدان، المنزح اللطيف في التلميح بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم ج ص 595، 330 : ع.

السلام ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1960، الجزء الأول، ص. 163 و182 و261 : الجزء الثاني، ص. 387 و401 و438 و441 و483 : م. الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، 1075-1311 / 1664-1894، دار الريشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1977.

ص. 161-171 : محمد بن عبد السلام، بناني، فهرست، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم 9225، غير تامة ؛ س. الحوات، الروضة المقصودة، ذكرها صاحب فهرس الفهارس، الجزء الأول، ص. 185-190 : م. داوود، مختصر تاريخ تطوان، مطبعة المهديّة، تطوان، 1955-1375، ب) تاريخ تطوان، الجزء الأول، ص 283-284، تطوان 1379-1959، ص. 416-423 : م. السائح،

النتيخات العميقة لطلاب المدارس الثانوية، الرباط، المطبعة الرسمية، 1920، ص. 59-60 : م. الكانوني، تاريخ الطب العربي في عصور دول المغرب الأقصى، مخطوط خزانة عبد السلام ابن سودة، ص. 87 : عبد الحفي، الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والسلسلات، فاس، المطبعة الجديدة، الجزء الأول، 1346-1927، ص. 130-131 : محمد بن جعفر،

الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثه الأكياس من أقبر من العلماء والصلحاء، بفاس، المطبعة الحجرية، فاس، 1316-1898، الجزء الثالث، ص. 179 : عبد الله، كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1961، الجزء الأول، ص. 313، الجزء الثالث، ص. 82، 83، 131-133 : 231 و291 و305 و312 : ذكريات مشاهير رجال المغرب، رقم 13 : أ.

التميشي، تاريخ الشعر والشعراء، بفاس، مطبعة أندري، فاس، 1343-1924، ص. 74.

C. Brockelmann, *Geschichte der Arabischen Literatur*, Weimar, Berlin, tome I, 1943, nle éd. Leiden,

وتتميز كذلك الحياة الاقتصادية والاجتماعية بهذه المدينة بتطور سريع للقطاع السياحي خاصة خلال العقدين الأخيرين حيث امتدت الطاقة الإيوائية على أكثر من 2.000 سرير في 10 فنادق مصنفة. وكان لهذا النمو السياحي أثر إيجابي على تطور قطاع الصناعة التقليدية والخدمات بصفة عامة.

موحا حدوش

**الزاكوري،** أو أزاكوري اسم لعائلة يهودية مغربية تنحدر من زاكورة وهي مدينة كان عدد كبير من اليهود يقيمون بها لعدة قرون (قصر بني صبيح، قصر ابن حيون، الخ) ونفس الشيء بالنسبة لمناطق أخرى مثل واد درعة (ومنه ينحدر اللقب الشائع درعي).

**الزاكوري، أبراهام** عمل قاضياً وأنهى حياته العملية بالمحكمة العليا متخصصاً في القانون الموسوي وهو صاحب المؤلفات التالية :

"الطلاق حسب القانون التلمودي عند المغاربة ذوي الاعتقاد اليهودي والتعديلات الطارئة في هذه المادة".

"نظرة عامة حول تطبيق القانون الموسوي في الأحوال الخاصة للمغاربة اليهود".

ملخص القانون العبري العام (الأحوال الشخصية لليهود).

**الزاكوري، يحيى** ينحدر من أسرة يهودية عريقة بالدار البيضاء، والده نسيم كان من الأعيان الذين ساهموا في تسيير الجماعة اليهودية للدار البيضاء في القرن الثالث عشر (19 م).

اشتغل في سنة 1907 مترجماً بالفنصلية الفرنسية وبقي موظفاً وعاملاً بالإدارة الفرنسية التي ستكلفه بوظيفة مفتش للمؤسسات اليهودية بالمغرب. وهذا لم يمنعه من العمل كرئيس لأكبر جماعة يهودية وهي الجماعة اليهودية بالدار البيضاء لمدة تزيد عن خمسين سنة إلى أن حصل المغرب على الاستقلال. وعمل من خلال منصبه هذا على تطوير المؤسسات الاجتماعية أما على الصعيد السياسي فقد عمل على بقاء الأقلية اليهودية بعيدة عن الصراع الدائر من أجل الاستقلال.

**ابن زاكين، ليون** من مواليد غشت 1901 بالدار البيضاء والده إسحاق بن زاكين ووالدته استير المالح. درس الطب بباريس حيث تآلق كطبيب داخلي، وكان بذلك أول مغربي يحصل على هذا اللقب متخصص في أمراض الجهاز التنفسي وخاصة في السل وعمل في هذا التخصص كمساعد بمستشفى لينك Laënnec وبمصلحة ليون بورجوا Léon Bourgeois.

p. 26 ; Suppléments, I, p. 54, 545, Leiden, 1937 ; M. El Fasi, La littérature marocaine. Maroc, L'Encyclopédie coloniale et maritime, Paris, 1948. p. 535, A et B ; M. Lakhdar, La vie littéraire au Maroc sous la dynastie 'alawide (1075 - 1311 / 1664 - 1894), Rabat, 1971. pp. 126 - 133 et passim ; E. Levi-Provençal, Les historiens des chorfa. Essai sur la littérature historique et biographique au Maroc du XVIe au XXe siècle, Paris, 1922, pp. 287 - 290, ainsi que les références citées.

محمد الأخضر

**زاكورة،** مدينة تعتبر القلب النابض لواحاح درعة التاريخية. ويحكم موقعها الجغرافي بالقرب من أكبر الواحات المغربية (ترناتة) التي تفوق 6.000 هـ، وكذلك تموقعها في ملتقى طرق القوافل الرابطة بين الجنوب والشمال حيث ازدهرت تجارة مهمة عبر التاريخ بل وكذلك بين الشرق والغرب في التبادل الحضاري بين القبائل منذ العصور الأولى.



يبلغ عدد سكان مدينة زاكورة 26.174 نسمة في 1994، مسجلاً بذلك 3.11٪ كوثيرة للنمو الديمغرافي مقارنة مع 1982، ويمثل فيها الفلاحون نسبة 37٪ من مجموع الأسر خاصة في الدوائر السقوية المجاورة للمدينة حيث يحتفظ فيها السكان بكثافة عالية جدا (28 نسمة / هكتار).

ويرجع هذا النمو أساساً إلى النمو الحضاري في المنطقة بسبب تفتح المنطقة على العالم الخارجي من جهة وصعوبة الاستثمار بالعالم القروي من جهة أخرى، بينما يعزى التطور الفلاحي إلى تزايد متطلبات السوق المتأثرة بعامل التمدن.

تتميز المدينة بمناخ صحراوي جاف حيث لا تزيد التساقطات المطرية على 75 ملم بينما ترتفع الحرارة في الصيف إلى أكثر من 45 درجة.

تتمتد الأراضي الفلاحية على مساحة 13.200 هـ من مجموع منطقة نفوذ الدائرة الحضرية. وتتمثل هذه المساحة في 10.000 هـ من المراعي، 1.200 هـ من الأراضي الفلاحية و2.000 هـ من الأراضي الصالحة للزراعة.

وتأتي زراعة الحبوب والتخيل والخضروات في صدارة الأنشطة الفلاحية وذلك إضافة إلى بعض المنتجات الحيوانية كالبحر والغنم والمعز والإبل.



الريف الصلصالية الهشة، عند النهاية الشرقية لهضاب إقليم سايس فاس - مكناس البليورباغية، المسلح سطحها بالكلس البحري للبيوسين الأعلى.



الموقع المرفق ببيوي جبل زلاغ شمال فاس 0 5 10 كم

ارتبط تطور هذا الجبل، بالزحف الجاذبي (Vidal, 1977) لمركب فرشة مقدمة الريف الجنوبية الميوسينية، الذي ردم الأخدود الجنوب - ريفي التهذلي خلال الميوسين الأوسط والأعلى (Michard, 1976). لذلك فإن بنيته ليست راسخة. لكونه تتكون من صخور ضلومييتية - كلسية جوراسية سمكية، تنتمي للياس الأسفل والأوسط (Fassi D., 1999). تم نقلها وهي طافية، ضمن مكونات الفرشة الصلصالية الميوسينية والزاحفة من الشمال نحو الجنوب، مكونا بذلك الحاشية الجنوبية لمقعر شاخص، ضمن مقدمة الريف الخارجية، جنوب نهر سبو.

D. Fassi, *Les formations superficielles du Sais de Fès et de Meknès : du temps géologique à l'utilisation actuelle des sols. Notes et Mém.*, Rabat, 1999 ; A. Michard, *Elément de géologie marocaine*, Rabat, 1976 ; M. Tailassane, *Le massif du Zerhoun et ses bordures Est et Nord-Est au Nord du Sais Fès et Meknès. Etude géomorphologique*. Thèse 3è cycle. Univ. Med. V, Rabat, 397 p., 80 fig., 53 tab., 38 phot., 9 cartes, 1986 ; J.C. Vidal, *Structure actuelle et évolution depuis le miocène de la chaîne rifaine (Partis sud de l'Arc de Gibraltar)*. *Bull. Soc. Géol. Fr.*, Paris (7), t. XIX, n° 4, 1977.

محمد الطيلسان

**الزاهر، لمعلم الحداد علي** مقاوم ولد حوالي سنة 1900 بافاناسة ظهر السوق إقليم تاونات. وشارك في الكفاح المسلح ضمن وحدة من وحدات جيش التحرير تحت قيادة حمادي اغمير، وكان يقوم بالتجنس لصالح جيش التحرير ويقوم بتضليل فيالق الليف الأجنبي ويوقع بهم في كمائن المجاهدين فيسهل بذلك مهمة الانتفاض عليهم، كما كان يساعد بالملابس والمواد الغذائية والرصاص وشارك كذلك في اتلاف القناطر والأعمدة الهاتفية والهجوم

وفي سنة 1938 استقر بمدينة الدار البيضاء لممارسة الطب إلا أن إدارة مستشفى كولمباني Colombani قامت بإسناد جناح الأمراض الصدرية إلى طبيب فرنسي داخلي من باريس مثله ولم تستندها إليه فاشتغل بجناح السل عند النساء بمستشفى عين الشق وبمصحة أورثليب Orthlieb قرب مستشفى كولمباني بالإضافة إلى عمله في مصحة - ملحق الاغاثة للأطفال "Oeuvre de secours aux enfants".

كان ابن زاكين رجلا نزيها يتميز بشقافة عالية، ويعد من أبرز الأطباء اذلك وتميز كذلك بحس وطني إلا أنه كان كيقية البرجوازية اليهودية في تلك الفترة يتأرجح بين الوطنية والنفوذ الفرنسي.

في الخمسينيات قام بتأسيس جمعية تجمع الأطباء والصيادلة وأطباء أسنان مغاربة وذلك لكون عددهم القليل لا يسمح لهم بتكوين جمعيات في تخصصهم، وقد قامت هاته الجمعية بالتعبير عن ولائها وحبها ودعمها للملك محمد الخامس عندما أصبح هذا الأخير يتعرض للمؤمرات الاستعمارية وذلك بقيامها بزيارته.

وفي سنة 1956 بعد رجوع محمد الخامس إلى عرش أجداده وإعلان الاستقلال قام بتعيين مبارك البكاري رئيسا لمجلس الوزراء باختيار وزير يهودي. بعد تحري ومشاورات تم اختيار الطبيب ابن زاكين وزيرا للبريد والمواصلات، فكان أول وزير يُصدر طابعا بريديا عليه صورة الملك المغفور له محمد الخامس بالإضافة إلى إصداره عدة رسائل ودوريات ومعاملات إدارية لإرسال البعثات التي تحمل الأدوية والمواد البيولوجية.

كان رئيساً للجماعة اليهودية بمدينة الدار البيضاء من الستينيات إلى أن توفي في سنة 1977 بالدار البيضاء، حيث دفن بها وتم تشييعه في وسط حشد هام من رجالات الدولة مع ممثل عن الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، وهو المشتتار أحمد بن سوادة الذي ألقى كلمة بالمناسبة.

شمعون ليفي

**زلاغ** أو زلاغ (جبل -) يشرف على مدينة فاس من الشمال. وتغطي سفوحه مغارس الزيتون العتيقة خصوصا الشمالية. عبارة عن عرف عرضي. امتداده شش ش/غ ج غ، على مدى يفوق 3 كلم. تتراوح ارتفاعاته ما بين 864 م في الشرق و900 م في أقصى غربه، حيث تصح قمته حادة، تتوجها أجراف عمودية، يشرف بها على الأحياء الشمالية لمدينة فاس العتيقة، على بعد 35 كلم. وذلك شرق المجرى الأوسط لنهر سبو، قبل اقترانه شمالا بواد إيتاون.

بنيويا، بشكل عرف زلاغ، قشرة كلس - ضلومييتية جوراسية، صلدة. وهيدة الميل نحو الشمال (Suter., 1967). تبدو على شكل ضلع منعزل وسط بنية فرشة مقدمة الريف الزاحفة، وهو بذلك يجسد الحد الجنوبي لتلال فرشة مقدمة

على ملحقه بني وليد، وألقي عليه القبض بعد أن أوشى به وعندما رفض أن يدل العدو على مراكز جيش التحرير، تعرض لعذاب شديد من طرف السلطات الفرنسية وقطعت رجلاه.

استشهد رحمه الله تحت التعذيب يوم 15 دجنبر 1955.

المنديبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير. شهداء الاستقلال.

**الزاوية**، مكان معد للعبادة وإيواء الواردين وأبناء السبيل وإطعامهم، وتسمى في الشرق "خانقاة" جمعها خوانق. فهي شبه مسجد خاص، وعرفت دائرة المعارف الإسلامية الزاوية المغربية بأنها "مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة ... تشبه الدير في العصور الوسطى". ولم تظهر الزاوية في المغرب إلا بعد القرن الخامس (11 م) حلت محل الرباط وسميت في البداية "دار الكرامة"، كالتى بناها يعقوب المنصور الموحدى في مراكش كما سميت "دار الضيوف".

تكاثرت الزوايا بالمغرب في القرن السابع (13 م) وفي القرون التالية بتكاثر عدد الزهاد والصالحين، كما يتجلى ذلك عند ابن الزيات (ت. 617) في التشوف، وعبد الحق البادسي (ت. 722) في المقصد الشريف، ومحمد الحضرمي السبتي (ت. 787) في السلسل العذب، وأحمد ابن قنفذ القسنطيني، (ت. 810) في أنس الفقير، ومن أقدمها زوايا أبي محمد صالح الماجرى (ت. 631) الذي كان يحض مريده على حج بيت الله الحرام، بعد أن تقاعس المغاربة والأندلسيون عن الحج بسبب اختلال الأمن في الطريق، وبلغ عدد زواياه ستاً وأربعين فيما بين المغرب ومصر. وكانت تدعى أيضاً رباطاً، وبقي اسم الرباط غالباً على زاويته الأصلية بأسفي حتى اليوم. وهذا يدل على أن الرباط أصل للزاوية، فكلاهما معد للعبادة، لكن مع الإقامة للجهاد في الرباط، والإيواء والإطعام في الزاوية.

وعُرف السلطان أبو عنان المريني (749 / 760 - 1348) بالاعتناء بالزوايا تشييداً وتجهيزاً واززاقاً حتى قال كاتبه محمد ابن جزى "أمر السلطان أبو عنان بعمارة الزوايا بجميع بلاده لإطعام الطعام للوارد والصادر، وقد جعل التصدق على المساكين بالطعام يوماً رحمه الله". ومن منشأته الزاوية العظمى التي أسسها على غدير الحمص (وادي الجواهر) خارج المدينة البيضاء (فاس الجديد)، وقال عنها ابن بطوطة في الرحلة: إنها أعظم زاوية شهدها في المغرب والمشرق، ولا يوجد اليوم في هذا الموقع إلا بقايا أسوار يُظن أنها أطلال تلك الزاوية العظمى؛ والزاوية الكبرى بسبتة خارج باب فاس أحد أبواب أفراك، قال عنها صاحب اختصار الأخبار: "أعدّها هناك للغرباء ولمن اضطر إلى المبيت بها من التجار وغيرهم، ملوكية البناء كثيرة

الزخرفة والتنسيق، متسعة الساحة، متعددة المساكن، وصومعتها من أبداع الصوامع بسبتة صنعاً وأتمها إحكاماً؛ وزاوية النساك خارج باب فاس بمدينة سلا التي قال عنها ابن الخطيب في مقامات البلدان: "والزاوية كأنها البستان" وكانت إذاك مجتمع أهل الخير والصلاح من الأولياء، فكان ابن الخطيب يتحنن فيها الليالي ذوات العدد ويقصده الزوار من الأدباء والعلماء المترددين بين سلا وفاس، ووصف ابن الخطيب زاوية النساك عن مشاهدة في الإحاطة قائلاً: "لها بيوت كثيرة وقبة للصلاة ويجري إليها الماء الجاري من سور الأقواس. ولها بابان، أحدهما مواجه لسلا، والآخر لشالة وهو المقابل لضريح أبي العباس" وهي اليوم خراب لكن بقايا المرافق التي ذكرها ابن الخطيب مازالت قائمة، وسواقي المياه في الصحن مزخرفة بالزليج الملون المعروف في العهد المريني.

وهناك زوايا قديمة في الحواضر والبوادي اندثر أكثرها وبقيت آثار بعضها قائمة على حالها أو رُمّت، مثل زاوية أبي محمد صالح بأسفي وزاوية الشيخ الكامل محمد ابن عيسى بمكناس، وزاوية الدلاء بالأطلس الكبير، والزاوية الناصرية في تامغروت بدرعة، والزاوية الوزانية بوزان. وأشهر الزوايا الحديثة الزاوية التجانية بفاس، والزاوية الدراووية في بوبرج من بلاد بني زروال الجبلية، وفروعها الكثيرة في مختلف أرجاء المغرب، فضلاً عن الزوايا المعاصرة، مثل الزاوية الكتانية بفاس والزاوية القادرية البودشيشية في تاغجيرات بيني إزنان وفروعها في الأقاليم.

ي. ابن الزيات التادلي، التشوف، تج. أ. النوفيق، الدار البيضاء، 1984؛ ع. الحق البادسي، المقصد الشريف، تج. سعيد أعراب، الرباط، 1982؛ م. الحضرمي، السلسل العذب، تج. م. التجار، سلا، 1988؛ أ. ابن قنفذ، أنس الفقير، تج. م. الفاسي وأ. فور، الرباط، 1965؛ م. الأنصاري، اختصار الأخبار، الرباط، 1983؛ إ. ابن الحاج النميري، فيض العباب، تج. م. ابن شقرون، د. ت. ولا مكان الطبع؛ م. ابن بطوطة، تحفة النظار، القاهرة، 1287؛ م. ابن مرزوق الخطيب، المسند الصحيح المحسن، تج. م. خ فيغرا، الجزائر، 1981؛ ل. ابن الخطيب، الإحاطة، تج. عبد الله عنان، القاهرة، 1973؛ ع. الكبير الكتاني، روض الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية، مخطوط؛ م. ابن علي الدكالي، الإتحاف الوجيز، تعليق مصطفى بوشعراء، ط 2، الرباط، 1996؛ ج. الناصري، ابن الخطيب في سلا، سلا، 1988؛ دائرة المعارف الإسلامية، تر. أ. الشنتواني وآخرين، القاهرة، 1933؛ م. حجي، الزاوية الدلانية، ط 2، الدار البيضاء، 1988.

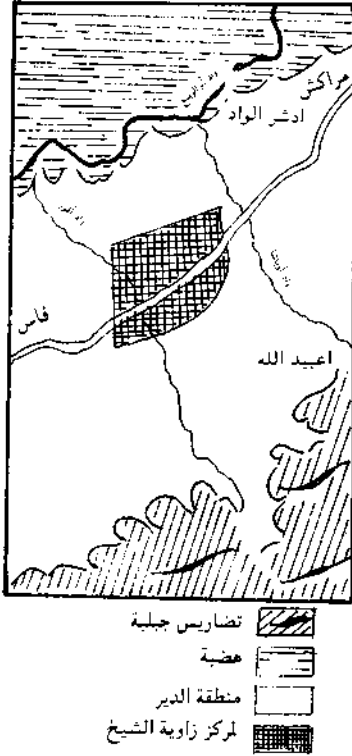
محمد حجي

**زاوية سبتة** أنشأها السلطان المريني أبو عنان (748 -

758 / 1348 - 1358). وقد تم تشييدها في إطار برنامج رسمي تضمن إنشاء سلسلة من الزوايا في عدد من مدن

يرجع الأصل في التسمية بزواية الشيخ، نسبة إلى الشيخ أحمد بن ناصر التامگروتی، الذي يوجد ضريحه بحي الزاوية القديمة، ويرجع الفضل لهذا الشيخ في تأسيس فرع الزاوية الناصيرية بهذه المنطقة. وامتد نفوذ الزاوية وإشاعها خلال قرون متتالية على كل بلاد تادلا والأطلس المتوسط ومنطقة وريدغة. وكان يقصدها حفظة القرآن والتعاليم الدينية والشريعة من كل ناحية وصوب.

ويقع المركز الحضري لزاوية الشيخ عند التقاء النقطة الكيلومترية (ط. 418 كلم - ع. 224 كلم) على الطريق الرئيسية رقم 24 الرابطة بين فاس ومراكش ويبعد عن عاصمة تادلا (بني ملال) بحوالي 50 كلم في اتجاه بلاد زيان.



ويعرف سكان المركز بانتصانهم لقبائل "أيت أم البخت"، المتفرعة عن اتحادية أيت أسري، هؤلاء السكان استوطنوا المنطقة من زمن بعيد، منحدرين إليها من جنوب المغرب. واستقر أيضا بهذه الزاوية إلى جانب الشيخ أحمد بن ناصر، عدة أولياء، من بينهم خلفاء الزاوية الدلائية عبد الرحمن بوزيان.

لقد شجع المولى إسماعيل ظهور هذه الزاوية، للحد من نفوذ الزاوية الشراوية. فأصبحت تنتمي إلى اتحادية أيت الربع التادلوية، وأنيطت بها مهمة مراقبة تحركات بعض القبائل المجاورة والمتردة خاصة أيت ويرة وزيان. وأصبحت تكتسب بذلك تنظيما وخصوصية أقرب إلى الزوايا منه إلى المدن التقليدية. وعلى الرغم من وجود هذه المؤسسة

المغرب آنذاك. بنيت هذه الزاوية خارج باب فاس أحد أبواب أفراگ (المعلمة، 2: 547) وقد أنشئت بغرض إطعام المارة من المسافرين وضمان المبيت للتجار ولغيرهم من الغرباء الذين يتعذر عليهم ولوج المدينة حينما تغلق أبوابها عقب مغيب الشمس.

لم تكن تختلف هذه الزاوية من حيث الهندسة المعمارية وجمال الصنعة عن باقي الزوايا التي شيدها نفس السلطان في عدد من مدن المغرب وراء أسوار الحواضر. يحدنا الأنصاري على أنها كانت مليحة البناء كثيرة الزخرفة والتنسيق قائمة على مساحة واسعة وبها مساكن متعددة منها قاعة للصلاة وغرف للمبيت. وقد تميزت هذه الزاوية بصومعتها التي اعتبرت من أبداع الصوامع في سبتة من حيث جمال الصنعة والدقة في البناء. والملاحظ أنه إلى حدود زمن كتابة الأنصاري لمؤلفه أو بالأحرى حدود سنة 818 / 1415 تاريخ الاحتلال البرتغالي للمدينة لم تكن بنائية هذه الصومعة قد خلصت بعد (اختصار، 32).

م. الأنصاري، اختصار الأخبار عما كان يتفرسته من سني الآثار، ط. الثانية، الرباط، 1403 / 1983 : معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1410 / 1989، المجلد الثاني.

زليخة بنرمضان

### زاوية الشيخ (مركز)، يدخل المجال التضاريسي الذي

يمتد فوقه مركز زاوية الشيخ، في النهاية الشمالية الشرقية لحوض تادلا البليورباغي، المعروف بسهل تادلا. وتتميز الجماعة التي ينتمي إليها هذا المركز بالخصائص التالية :

1- سطح شبه منبسط وخفيف الانحدار في الوسط، وشديد التضرس عند الأطراف الشمالية والجنوبية.

2- موقعها عند التقاء وحدات مورفوبنيوية مختلفة.

- الأطلس المتوسط الذي يشرف من الجنوب بأعراف ذات قسم منحوتة في صخور كلسية لياسية أساسا.

- هضبة الفوسفاط التي تمتد في الشمال، كلسية كريتاسية، تعطي سطوح متدرجة نحو الجنوب وشديدة التقطع.

- المنخفض الجنوبي الشرقي للهضبة الوسطى في الشرق والشمال الشرقي، حيث نجد تدرج حادورات مشكلة في صخور القاعدة القديمة.

ويسود بالمنطقة مناخ شبه جاف ذو شتاء بارد نسبيا، ارتباطا بالحرارات المرتفعة والتي تزيد معدلاتها عن 40 درجة، وكمية التساقطات لا تتعدى بها 500 ملم.

ويحد مجال انتماء منطقة زاوية الشيخ : من الشمال كهف النسور الذي يدخل ضمن إقليم اخريبكة، ومن الشرق زاوية إسحاق التابعة لإقليم خنيفرة، ومن الغرب سمكت ومن الجنوب والجنوب الشرقي القصيبة وتيزي نيسلي.

الوظيفية. فإن ذلك لم يمنع من وجود بعض الوظائف الأخرى المعروفة في مجالات مختلفة.

عرف المركز تمدنا ضعيفا خلال مرحلة ما قبل الحماية تجسد على مستويين :

1 - على مستوى المورفولوجيا :

- السور الذي يحيط بالزاوية وتوفر أبواب تغلق ليلا .  
- هناك دروب مستقلة بعضها عن بعض، واحتضانها في نفس الوقت للعديد من الأنشطة.

- تمحور تنظيم الزاوية على بيت أحد أحفاد الناصريين على عكس الكثير من المدن التقليدية، حيث كان التنظيم متمركزا حول المسجد الكبير.

2 - على المستوى الاجتماعي :

- هناك فصل بين أهل الزاوية والأسر النبيلة وخدم الزاوية.

- تتوفر الزاوية على نظام تعليمي هام، حيث كانت تحتضن العديد من الطلبة الذين يدعون "لمسأفرين" وكانت هناك ملاحق في كل من أدشر الواد وأوعبيد الله.

- توفر نظام لحراسة الزاوية تقوم به الأسر بالتناوب.

كان النفوذ الديني خلال هذه الفترة حاضرا في زاوية الشيخ، ولو أنه كان يتوفر في بعض الاتجاهات، خاصة عندما يصطدم بقوى رادعة أو نفوذ زاوية منافسة (أبي الجعد). لكن على مستوى الاستقطاب، فمن المؤكد وجود ارتباط وثيق بينها وبين الزاوية الناصرية في الجنوب على المستوى الاقتصادي، حيث كانت الزاوية ترسل فائض إنتاجها إلى الزاوية الأم.

ويحكم الموقع الاستراتيجي للزاوية على الطريق الرئيسية الرابطة بين العاصمتين التاريخيتين فاس ومراكش، أخذت تستقبل بعض المهاجرين خلال فترة الحماية، فظهرت بها بعض الأحياء من أهمها حي المطالب. وتراجع خلال هذه الفترة نفوذ الزاوية الديني مع غياب لدورها الإداري.

وظهر تقسيم إداري جديد مع فترة الاستقلال، فأصبحت زاوية الشيخ تخضع لنفوذ العاصمة الإقليمية بني ملال وظهرت بسهل تادلا مراكز جديدة بالقطاع المسقي في الوقت الذي تحولت الأنظار عن هذا المركز القديم. وعلى الرغم من ذلك عرفت الزاوية توسعا ملحوظا، ارتبط بسنوات الجفاف التي عرفها المغرب ككل في بداية الثمانينات.

ارتفعت خلال هذه الفترة نسبة البناء من 25٪ سنة 1971 إلى 75٪ في سنة 1995. كما انتقل متوسط الغرف بالمسكن من 1.8 إلى 2.6. كما ازداد مستوى الارتباط بين متغيرتي حجم الأسرة وحجم المسكن من 0.22 سنة 1971 إلى 0.62 سنة 1990.

وتحسنت وضعية التجهيز بالكهرباء والماء الصالح

للشرب داخل المركز، إذ نجد حوالي 95٪ من المساكن مزودة بماء الأنابيب، بعدما كانت متعدمة سنة 1971.

ويرجع تطور هذه النسبة إلى انخفاض كلفة التجهيز بالمركز، ارتباطا بعدم وجود الوكالة المستقلة للماء والكهرباء. لكن لا يعني هذا أن هناك تغطية شاملة لكل الأحياء.

ويلاحظ أن أحجام الأسر، لا تتعد عن المعدلات الوطنية، إذ انتقل متوسط حجم الأسر بين 1971 و1990 من 4.2 إلى 5.2.

غير أن نسبة الأمية جد مرتفعة بهذا المركز، رغم الدور الديني الذي لعبه فترة تاريخية طويلة، ووصلت نسبتها مع بداية التسعينات حوالي 53٪.

وتوجد علاقة وطيدة بين المهن الممارسة من طرف السكان الشيطيين وحجم سكان المركز.

لقد بلغ عدد سكان المركز سنة 1990 حوالي 17100 نسمة، بلغت نسبة العاملين منها في قطاع الوظيفة العمومية 11.4٪ وهي نسبة منخفضة بالمقارنة مع المراكز المجاورة.

وعلى العكس فإن العاملين في قطاع الجندية والمياومين يشكلون نسبة تزيد عن 54٪ من مجموع الشيطيين المشتغلين.

يرجع ضعف هاته الأنشطة وعدم قدرتها على تقديم ريع إضافي يساهم في سرعة تحول مجال المركز إلى أن فترة أواخر الثمانينات شكلت أنشطة التجارة 51٪ داخل المركز من مجموع الأنشطة، تحتل فيها تجارة المواد الغذائية نسبة قد تصل إلى 70٪.

أما على مستوى التوزيع فمركز زاوية الشيخ لا زال لم يتعد مستوى المركز الوحيد والمتمثل في بوسمجان. وبالتالي فإن نفوذ المركز يمتد على تراب دائرته. يعني أن مركز زاوية الشيخ يعد بمثابة مركز محلي النفوذ.

ويمكن للمركز أن يلعب دورا اقتصاديا طلائعيا في المستقبل بحكم احتضانه لسد أدشر الواد على واد أم الربيع، والذي سيزود قسما كبيرا من قطاع بني عمير بمياه الري.

م. ميوسي، الجهاز الحضري بتادلا، مراكز قديمة في تحول، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، الرباط، 1990.

R. Peyronnet, *Tadla, pays Zaïan, Moyen Atlas*, Alger, 1932.

عبد الرحيم بنعلي

ابن زايد، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Benecid ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان، مع الإشارة إلى أنه إلى غاية سنة 1257 (1841) كانت توجد دار بحومة الطرانكات تحمل اسم دار ابن زايد.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية الأجنبية التي ذكرها في الرقم 252.

محمد بن عزوز حكيم

وعند قرب اندلاع المقاومة بجبل صاغرو خلال ربيع 1933 كان زايد أحماد على اتصال بأخ قائد المقاومة بصاغر والمدعو "باسو وبسلام" وأمه بالأسلحة التي غنمها في المعارك السابقة.

كما شارك في معارك كردوس إلى جانب "أوسكونتي" أو "طرمون" "علي عرجي" في بداية صيف 1933 وجرح فيها بعدما فقد زوجته التي قتلت بفعل الغارات الجوية على المنطقة فرجع إلى مسقط رأسه "إقدمان" مكسور الحاطر. ومن باب منزله بقصر "إقدمان" المشرف على وادي آيت هاني " كان يتربص ويلاحظ بمرارة شديدة تحركات الجيوش الاستعمارية وهي تدوس بآلياتها وتجهيزاتها الحقول الضيقة التي تشكل المصدر الوحيد للعيش بالنسبة للفلاحين الفقراء. وفي هذه الأثناء كانت النساء يرددن أشعاراً تعبر عن هذه الانتكاسة ومن ذلك :

أيمصبرين أوراوان إيشي النبي يادُ أمور إدى النبي  
توارينيس إمان ديمزورا نقيم إمگورا إ بوليس د "بولا"  
وهو ما معناه :

. يا معشر المستسلمين لكم لم تعودوا تحت حماية النبي، لقد ذهب النبي وذهب بركاته مع الأولين والأجداد وبقينا نحن في هذا الزمن الرديء المتأخر تحت رحمة بوليس وبولا (المقصود هنا ب بوليس هو Dupleisseis وبولا هو Paulin) وهما من أشد ضباط الشؤون الأهلية في المنطقة فتكا بالسكان.

وقد ساهمت هذه الوضعية في تأجيج الروح الوطنية في "زايد أحماد" وما كاد يتماثل للشفاء حتى التحق بزواوة "سيدي بوعقوب" بأسول وذلك قصد الاستماع للفقهاء والمريدين لكسب شحنة معنوية. وقد احتضنت زاوية "أسول" جهاده وشجعته على المضي في خطته الجهادية.

وكان يردد من حين لآخر أنه ينبغي الاستمرار في الجهاد والمقاومة" وتم إخبار ضابط الشؤون الأهلية بأقواله ونواياه. وقد استغل هذا الأخير وجود "زايد أحماد" في ورش لشق الطريق لإهانتته وذلك بصفه أمام الملاءم وقزق ملبسه. إلا أن المقاوم كتم غيظه بضعة أيام، واختفى عن الأنظار بعدما طلب رخصة للتنقل والسفر نحو سهل الغرب قصد العمل. وقد التجأ إلى هذه الرخصة من أجل التمسوه. ومنذ ذلك الحين دخل "زايد أحماد" في مرحلة المقاومة على شكل "حرب للعصابات" ومباغنة الاستعمار في أماكن مختلفة. وامتدت من 1934 إلى 1936. وبين الجدول الآتي أهم العمليات التي قام بها "زايد أحماد" خلال هذه الحقبة :

Gramaulh 1934 / 6 / 11 : وضع كمين للملازم

"كرماي" بأعالي نهر تدغة قرب "تامنتوشت" (مقتل جنديين من اللفييف الأجنبي)

1934/6/26 : سقوط الملازم فيليبون في كمين وضعه

زايد أحماد بتانا قرب أسول (مقتل الضابط فيليبون

## زايد أحماد، مقاوم لمع اسمه ما بين 1934 و1936

في الناحية الوسطى للأطلس الكبير والواحات المجاورة لها. وذلك عبر مسافات شاسعة تمتد من أعالي نهر زيز وغريس وتدغة إلى واحات تافيلالت وتدغة وغريس وفركلة ودادس ودرعة بحيث لمع اسمه في هذه المناطق بسبب عملياته البطولية ضد جيوش الاحتلال التي أصيبت بالرعب والهلع لدرجة أن الذاكرة الشعبية نسبت إليه الخوارق.

يكنى "زايد أحماد" بـ "أوماخداش" نسبة إلى عائلة "آيت ماخداش". وهو من مواليد إحدى السنوات الخمس الأخيرة من القرن الثالث عشر (19 م) وذلك بقصر "إقدمان" التابع لمركز "آيت هاني" على مقربة من منابع نهر زيز. وينتمي إلى قبيلة آيت مرغاد المنتمة إلى كوندراية قبائل آيت يافلما. ويقال أن أمه عطاوية (آيت عطا) لهذا يلقب "ربيب آيت عطا" ولاشك أن هذا الانتساب مكنته من ربط علاقات مع آيت عطا بتدغة السفلى استغلها في جهاده لاحقاً.

وقد كسب "زايد أحماد" خصالاً حربية جيدة وقوة جسمانية خارقة وذلك بسبب تعاطيه في السنوات الأولى من شبابه للرعي والسير وراء الماشية عبر مسافات شاسعة بل بالإضافة إلى تعاطيه للصيد في براري وجمال المنطقة وشارك قبل دخول الجيوش الاستعمارية إلى المنطقة في مغامرات لقطع الطريق أمام المارة.

ومع دخول جيوش الأكلاري إلى تدغة في أواخر 1918 بوصفه عميلاً للاستعمار الفرنسي : عرفت المنطقة حالة استفار قصوى لمواجهة الأكلاري الذي يمثل رأس جسر للاحتلال الفرنسي. وهكذا استنجد سكان تدغة بالمحاربين من "آيات مرغاد" وآيت حديدو" وذلك لتنظيم المقاومة ضد "الأكلاري" وعملائه في المنطقة، وقد كان "زايد أحماد" من المجاهدين الذين لبوا نداء المقاومة وشارك في توجيه ضربات للجيوش الأكلوية، وفي تقليص نفوذ خليفته الذي لم يعد في حدود 1930 يتعدى أسوار القصبة، مما جعله يستغيث بالجيوش الفرنسية لاحتلال تدغة سنة 1931. كما شارك "زايد أحماد" في عدد من المعارك ضد الجيوش الاستعمارية المغيرة ومن أهمها مشاركته إلى جانب البطل "زايد أوسكونتي" في المجابهة المسلحة ضد قافلة عسكرية إستعمارية يوم 25 أكتوبر 1932 "بإقا نيوتفاريست" في أعالي نهر زيز وقتل على إثر هذه المعركة الضابط Guyétand "كابتون" بالإضافة إلى عدد كبير من الجنود الاستعماريين.

Philippon وإحراق سيارة جيب وغنم زائد أوحاماد سلاحه  
وذخيرته)

19 غشت 1934 : مهاجمة قافلة لفوج الاتصال بمضيق  
تدغة (دون نتائج) وترتب عن فشل العملية أن تم تنصيب  
كمين مماثل للمقاوم زايد أوحاماد نجا منه بأعجوبة وذلك يوم  
1934/8/30

1934/10/10 : عملية ضد شاحنة قرب وين إيوليون  
Ouïn Iwalione بين الراشدية وگلميمة (مقتل السائق وفرار  
الركاب وهم مغاربة)

1934/12/01 : عملية بمضيق تدغة (مقتل جنديين  
استعماريين)

1935/01/27 : عملية بين آيت هاني وتغوير (مقتل  
ضابط الصف Tristani تريستاني)

1935/06/01 : عملية قرب مركز إيميليشيل (مقتل  
الملازم فروماتان Fromentin)

22 غشت 1935 : عملية بأييت هاني (مقتل عميل هو  
شيخ آيت الريان)

1935/10/09 : مهاجمة موكب أحد الأغنياء قرب  
أسول لتسوين المقاومة (السيطرة على ثروة تبلغ 120 دورو)  
1935/11/16 : مهاجمة سيارة أحد رجال الأعمال  
بدعى بوركوان (نجا ممثل شركة Cie Vaccum بأعجوبة)

1935/11/16 : عملية ضد الكوم السابع باغبالو  
تكدروس (مقتل 6 جنود وغنم الأسلحة)

1935/12/30 : عملية ضد حانة بتغوير (مقتل 3  
جنود من اللفي وجرح اليهودي صاحب الحانة ومخزني  
مغربي)

1936/03/05 : مهاجمة زايد أوحاماد بتدغة (مقتل  
زايد أوحاماد ورفاقه الثلاثة بالإضافة إلى مقتل 3 جنود  
فرنسيين)

وقد بلغت خسائر الجيش الاستعماري من جراء عمليات  
"زايد أوحاماد" المختلفة حسب الملازم هنريس رئيس دائرة  
أسول ما يلي :

2 ضباط 1 ضابط صف 5 جنود اللفي الأجنبي 3 شيوخ  
23 من المخازنية وهو ما مجموعة 34 قتيلاً

في حين يرى ذ. الكتاني سيدي محمد : "أن القوات  
الفرنسية خسرت من جراء مقاومة زايد أوحاماد لها : ستة  
وأربعين قتيلاً من بين الكوم والمخازنية وضابطين فرنسيين  
وشيخ "آيت أرتان" امبارك أو عسلام" مع مساعده موحى  
سكي، كما قتل "زايد أوحاماد" شخصاً من قصر آيت بوجان  
(تغوير) خطأ ويدعى خوجمان" وقد استمد هذه الاحصائيات  
من الروايات الشفوية المختلفة. وجدير بالذكر أن مقاومة  
"زايد أوحاماد" كانت تتمتع بتأييد شعبي واسع النطاق ولولا  
ذلك لما أمكن لحركته هذه، أن توجه ضربات موجعة لجيوش  
الاحتلال وهذا التأييد هو الذي جعله يتحرك بسرعة عبر

مسافات شاسعة ونقط متباعدة. إذ كان يجد في كل مكان  
يحل به المأوى والغذاء بالإضافة إلى معلومات عن تحركات  
الجيش الاستعماري في إطار البحث عنه. كما تجدر الإشارة  
أيضاً أن زايد أوحاماد لم يكن يتحرك لمفرده بل أنه منذ  
الوهلة التقى برفقيه : "موحا وحمو" و "مبارك أوتاراروت"  
وقد شاركاه في أغلب العمليات التي نفذها. وإذا كان  
"امبارك أوتاراروت" قد انسحب من الحركة لأسباب عائلية  
الشيء الذي فتح ثغرة في حركة زايد أوحاماد فإن "موحا  
وحمو" على العكس من ذلك استمر في المقاومة إلى جانب  
رفيقه وظل يحمل مشعل الحرية بيدتين قويتين ولم تهن  
عزمته إلى أن استشهد هو و"زايد أوحاماد" و "موحا احسو"  
الذي استقبلهما في منزله بتدافالت بتدغة السفلى.

لقد كان "زايد أوحاماد" يدرك أن مصيره قد حدد وأنه  
لن يلتقي بالجنود الاستعماريين إلا ميتاً. وغالباً ما كان  
يردد اشعاراً تدل على إصراره وعناده واستمراره في النضال  
إلى آخر نفس من حياته.

وإذا كانت مقاومة "زايد أوحاماد" محدودة في الزمن  
والمكان كغيرها من المقاومات العفوية التي واجهت  
الاستعمار في المغرب فإنها مع ذلك لفتت الدروس  
للاستعمار : إذ تمكن فلاح فقير سلاحه الوحيد روحه  
الوطنية من إلحاق خسائر بهذه الجيوش بحيث تم استنفار  
قوات تابعة لثلاث مناطق عسكرية لمدة سنتين وهي قوات :  
مكناس وتادالا ومراكش. وفشلت هذه القوات في إلقاء  
القبض عليه. ولولا الخيانة والوشاية لما تمكنت هذه القوات  
الضخمة من القضاء عليه يوم ثاني عبد الأضحى، 11 ذي  
الحجة عام 1354 / 5 مارس 1936.

م. الكتاني، زايد أوحاماد ومقاومين للاحتلال الفرنسي في جنوب  
الأطلس الكبير الشرقي من 1934 / 1352 إلى 1936/ 1354، مجلة  
تاريخ المغرب، العدد 5 نونبر 1994، ص. 101، 135. م. المعروزي  
هاشم بن الحسن العابدي العلوي، الكفاح المغربي المسلح في حلقات  
من 1900 إلى 1935، الرباط، 1987.

Jean Saulay, *Les Goums marocains*, Tome I, Paris,  
1981 ; Le Capitaine Henrys, *Zaid ou Hammad rapport  
sur les opérations de 1934 à 1936* ; Le Caïd Brahim Srijil,  
*Le Jihad de Goulmima au Jbel Baddou*, 1987 ; Moha  
Khettouch, *Zaid ou Hmad, Lamalif n° 128* septembre  
1981, p. 50 - 53 ; Voinot, *Sur les traces glorieuses des  
pacificateurs du Maroc*, p. 446.

عبد القادر بوراس

**الزكاي،** أو ابن زاير أسرة تطوانية أصلها من الأندلس  
حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Azair :  
وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483  
إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع في الرقمين 253 . 757.

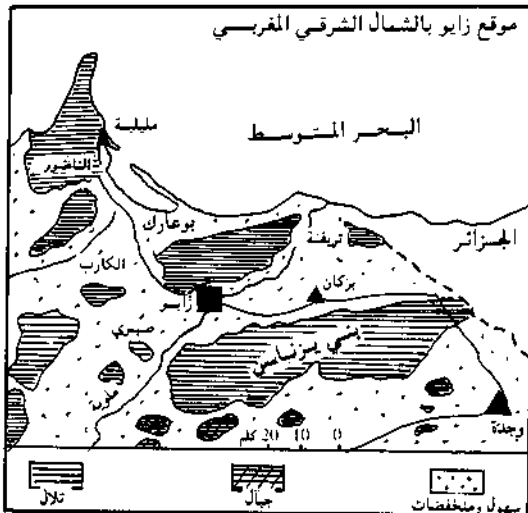
محمد بن عزوز حكيم

زايرجة أبي العباس السبتي دفين مراكش  
 زايرجة سهل بن عبد الله  
 زايرجة عمر بن أحمد بن علي الخطائي  
 الزايرجة الشيبانية  
 الزايرجة الهروية

ع، ابن خلدون، المقدمة، المجلد 1، ص. 907، ط. 3 : طاش كبرى  
 زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، المجلد 2، ص. 549 :  
 محمد حسين الأعلمي الحائري، دائرة المعارف الشيعية العامة، 10  
 / 159 : فريد وجدي، دائرة معارف الشعب، 4 : 514 : البستاني،  
 دائرة المعارف، 9 : 163 : حاجي خليفة، كشف الظنون، 2 : 947 :  
 ج. الوزان، وصف إفريقيا، ط. 2، بيروت، 1983.

أحمد متفكر

**زايو**، مركز حضري حديث النشأة، يسكنه 25.920 نسمة، مقر لبلدية، ينتمي إداريا لإقليم الناظور، يقع في الشمال الشرقي المغربي على الطريق الوطنية الرابطة بين وجدة والناظور، في القدم الجنوبي الغربي لجبال كبدانة مشرفا على سهل صبري. يرتبط ظهور المركز بالفترة الاستعمارية الإسبانية حيث عملت السلطات على إنشاء ثكنة عسكرية سنة 1911 قرب ضريح سيدي عثمان بزايو لتحيط بجبال كبدانة وتراقب القبائل المجاورة وخاصة أولاد ستوت، ولكي تجعل من واد ملوية الحدود الفعلية للاستعمار الفرنسي. وقد ظل المركز متواضعا إلى حدود الستينيات إذ لم يتجاوز عدد سكانه 1.500 نسمة، لكن مع السبعينيات وإنجاز سد محمد الخامس ومشروع حمادي، وفتح ما يقارب من 30 ألف هكتار للرعي بالضفة اليسرى لواد ملوية، عرف المركز انطلاقة السكانية، فاستفاد سهل صبري من سقي 8.000 هكتار خصصت منها مساحة 3.400 هـ للشمندر و500 هـ لقصب السكر، وتطورت الزراعات العلفية، وروفق هذا المشروع الفلاحي بإنجاز



**الزايرجة**، ضرب من التنجيم مبني على أسرار الحروف في الدلالة على المستقبل، وقد كان لهذا العلم شأن خطير عند علماء العرب. وعقد ابن خلدون فصلا مطولا في الجزء الأول من المقدمة عن كيفية استخراج أجوبة المسائل بهذا العلم. يقول : "... من القوانين الصناعية لا استخراج الغيوب فيما يزعمون (بزايرجة العالم) المعزة إلى أبي العباس السبتي من أعلام المتصوفة بالمغرب. وهي غريبة العمل صناعة، وصورتها التي يقع العمل عندهم فيها دائرة عظيمة، في داخلها دوائر متوازية للأفلاك والعناصر والمكونات الروحانية وغير ذلك من أصناف الكائنات والعلوم، وكل دائرة مقسمة بأقسام فلكتها. إما البروج، وإما العناصر أو غيرها. وخطوط كل قسم مارة إلى المركز، ويسمونها الأوتار وعلى وتر حروف متتابعة موضوعة، منها برشوم الزمام التي هي أشكال الأعداد عند أهل الدواوين والحساب بالمغرب، ومنها برشوم الغبار المتعارفة في داخل الزايرجة. وبين الدوائر أسماء العلوم ومواضع الأكوان، وعلى ظاهر الدوائر جدول متكرر البيوت المتقاطعة طولاً وعرضا يشتمل على 55 بيتا في العرض، و31 في الطول، منه جوانب معمورة البيوت تارة بالعدد، وأخرى بالحروف، وجوانب خالية البيوت..."

وقد استمر ابن خلدون يصف بتفصيل عمليات ملء دائرة الزايرجة لاستخراج الجواب عن السؤال المطروح، لكنه حكم في الأخير بطلانها قائلاً : "وقد رأينا كثيراً من الخواص يتهافتون على استخراج الغيب منها بتلك الأعمال، ويحسبون أن ما وقع من مطابقة الواقع، وليس ذلك بصحيح، لأن الغيب لا يدرك بأمر صناعي البتة، وإنما المطابقة التي بين الجواب والسؤال من حيث الأفهام والتوافق في الخطاب حتى يكون الجواب مستقيماً أو موافقاً للسؤال".

وذكر الحسن الوزان في وصف إفريقيا (1 : 264، 266)، وهو يتحدث عن السحرة بفاس، قاعدة الزايرجة أي مخاطبة الأرواح، "لا يربطون عملياتهم بنصوص بل يعتبرونها جزءاً من العلوم الطبيعية... غير أن القواعد الزايرجية متناهية الصعوبة، ويجب أن يكون المرء منجماً ممتازاً ورياضياً ليعرف طريقة استعمالها... ولقد شاهدت عملية زايرجة في صحن المدرسة البوعنانية بفاس وهذا الصحن مبلط بالرخام الأبيض الرقيق الناعم طوله من كل جانب خمسون ذراعاً. وقد استعمل ثلثا الصحن في كل ما تطلبته الكتابة على رسم الزايرجة وقام بتخطيطها ثلاثة أشخاص عمل كل واحد منهم في جزء منها، ومع ذلك تطلب العمل يوماً كاملاً لإنجازه. وشاهدت زايرجة أخرى في تونس قام بها أستاذ ماهر شرح أبوه قواعد هذه العملية في ثلاثة مجلدات..."

ومن الكتب المصنفة في هذا الفن فهي :

معمل لتكرير السكر بزايو، فكان هذا من وراء نمو ساكنة المدينة، وقد تجاوز إيقاعه خلال السبعينيات 13٪ سنويا، وهي من أعلى النسب على المستوى الوطني.

ويعتبر السهل العنصر الأساسي وراء هذا النمو، فقد بقي إلى فترة قريبة مجالاً للصراع بين القبائل، وظل رغم الفترة الاستعمارية دون تطور يذكر بسبب سلطة أحد القواد على السهل، إضافة إلى تردد السلطات الإسبانية وموقفها من الحدود مع فرنسا، فقد ظل مجالاً للرعى والزراعات البورية، موضوع نزاع قضائي بين السكان والقائد منذ الثلاثينيات، ولم تستطع السلطة البت في القضية إلا في أواخر الستينيات مع انطلاق مشروع السقي.

وعلى إثر ترقية المركز إلى مقر لدائرة لوطا وانطلاق الإنتاج، أصبح للمركز إشعاع جهوي، يقوم بتحويل 231.000 طن من الشمندر و30.000 طن من قصب السكر، وبذلك عمل على خلق فرص للعمل في النشاط الفلاحي وعمل على استخدام بطريقة مباشرة 300 عامل دائم وما يناهز 200 عامل موسمي إضافة إلى الأنشطة المرتبطة به بطريقة غير مباشرة مثل الجمع والنقل والتوزيع حيث يعمل على تحريك ما يزيد عن 100 شاحنة. وساهم في خلق عدة مؤسسات صغرى ومتوسطة بالجهة تقوم بتحويل وتصبير المواد الفلاحية.

وقد أثر هذا على توسع المدينة الجغرافي، وفي غياب وثيقة تصميم النهائية، تم تطور المدينة الجديد بعيدا عن النواة مما جعل بنية المدينة ونسيجها متلاشين، وهذا ما حدا بالسلطة إلى محاولة جمع شتات المدينة بأعداد هذا المجال الفارغ وفتحته للبناء وربط النواة بالأحياء الجديدة، وقد شهد النمو السكاني التطور التالي :

السنة	عدد السكان	نسبة النمو السنوي
1960	1.569	7.5
1971	3.468	13.9
1982	14.559	13.9
1994	25.920	4.9

بوضع الجدول وتيرة النمو وسرعته خاصة مع عقد السبعينيات والتي تعزى إلى ما خلفه المعمل من نشاط، إضافة إلى الدور الذي تلعبه الهجرة الدولية بالمركز، وهذا ما جعل المركز يقفز إلى 25.000 نسمة، ويغذي النمو بالأساس الهجرة الريفية وخاصة من القبائل المجاورة مثل أولاد ستوت ومن جبال كبدانة. وعند فحص أصول أرياب الأسر نجد أن إشعاع المركز محلي يطغى عليه المولدون خارجة، نجد 73.4٪ وأفدين من الريف و11.6٪ ولدوا بعين

المكان، أما الذين وفدوا من المدن فيشكلون 15.0٪ مما يميز الطابع الريفي للمركز وينعكس على عناصره الأخرى مثل متوسط أفراد الأسرة 5.4 الذي يزيد على المتوسط الوطني وعلى المستوى الثقافي حيث تصل نسبة الأميين لدى هؤلاء 51.3٪.

وتتشكل الهجرة أساسا من العناصر الريفية المجاورة للمدينة مثل أولاد ستوت وكبدانة، فيمثل المولدون بجبال كبدانة 22.4٪ من مجموع أرياب الأسر، يليهم أولاد ستوت 21.0٪ مما يبين قوة الجذب التي يمارسها المركز على المجال المجاور في حين يتقلص إشعاعه أمام قوة بركان من الجنوب والناضور من الشمال. أما عن أنشطة السكان، فنجد النشاط الإنتاجي من فلاحية وصناعة وبناء يشغل 46.5٪ يليه القطاع التجاري بـ 19.0٪ ثم الخدمات بـ 14.0٪، في حين يشغل قطاع النقل والاتصال 12.0٪، وأخيرا الوظيفة العمومية بـ 8.5٪. فالنشاط الإنتاجي يعطيه ميزة خاصة داخل التراب الجهوي. ورغم تنوع أنشطة السكان، تظل نسبة البطالة من أعلى النسب على الصعيد الوطني بـ 32.4٪. ويعاني المركز من ضعف البنيات التحتية في مجال المواصلات دون أن يتوفر على محطة طرقية، وفي مجال السياحة دون فنادق، وفي المجال الصحي لا يتوفر سوى على مركز صحي وحيد.

تجربات ميدانية.

المصطفى الزبدي

### الزبدي، عبد المجيد بن علي بن محمد المنالي

من الشرفاء الحسينيين الذين استقروا بإقليم سوس ردها من الزمن قبل أن يرحل أسلافه إلى سلا ثم فاس التي هي مسقط رأسه ومركز دراسته وتخرجه بكتاب علماء القرويين أمثال محمد بن قاسم جوسوس ومحمد المسناوي وأحمد الوجاري فكان بيته بيت علم وصلاح، وكان هو واسطة عقده بعلمه وتصوفه وورعه وحسن سلوكه فقد انتسب إلى الطريقة العيساوية وأخذ الطريقة القاسمية على يد الشيخ أحمد السوسي دفين مراكش، فكان محبا للذكر وعقد حلقاته إلى درجة الوجد حيث ينشد أشعارا رمزية صوفية ولم يشغله هذا الانتماء الصوفي عن التضلع في مختلف العلوم التي برع فيها وأفاد طلابه بها فكان مثالا للعالم المتعدد المشاركة العلمية، فهو أديب ولغوي وعروضي وفقهه وصوفي ونسابة. وتكشف رحلته الحجازية التي قام بها سنة 1159 على اهتمامه بملاقات العلماء واستجارتهم وتظهر سعة معلوماته وإمامه بفهارس الشيوخ الذين تعرف عليهم وفي طبيعتهم الشيخ أحمد بن مصطفى الصباغ الاسكندري الذي قال عنه : "له فهرسة كبيرة جامعة لمرويات كثيرة من أسانيد الكتب الخديشية والتفسير والقراءات والمسلسلات وكتب الفقه والتصوف والأحزاب وأسانيد طرق القوم..."

وعلاوة على هذا الاهتمام التربوي أعطى للتأليف



توفيت بفاس عام 1142 / 1730-29.

ع. المجيد الزبادي، كناشة، مخطوط : م. المنوني، مركز المصحف الشريف بالمغرب، دعوة الحق، عدد 3، السنة 11، يناير 1968، ص. 177-71.

محمد حجي

**الزبّاخ**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الأخماس الجبلية، أنجبت عدداً من الفقهاء والمجاهدين منهم :

**الزبّاخ، الطيب** بن عبد الله كان يرأس جماعة مجاهدي قبيلة الأخماس، وانضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني، وعين عضواً بالمجلس الاستشاري للمقاومة في المؤتمر الذي انعقد بقرية عين الدالية يوم 11 ماي 1913، وحضر باقي المؤتمرات وشارك في خمس معارك.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب، الرباط، 418.

Capaz, Fernando, *Cabecillas ceber de Gomara*, 1940.

**الزبّوج**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Xebuch وما زالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Acebuche وهو اسم مدينة إسبانية ومعناه شجرة زيتون بري ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية الأجنبية التي ذكرها في الرقم 758.

محمد ابن عزوز حكيم

**الزبدة الحيوانية**، مادة دهنية يستهلكها المغاربة منذ القديم يستخرجونها بمخض حليب البقر أو الغنم ونادراً الماعز، كما استخرجها المعمرون الأوربيون من القشدة التي تفصل عن الحليب الطازج بآلية خاصة.

وجدت بالمغرب منذ قرون باعتبارها أحد أهم المواد الدهنية المغذية بالإضافة إلى زيت الزيتون وأركان والشحوم الحيوانية. كانت تستخرج من الحليب الطازج وذلك بتركه في أوانٍ حتى يتخثر ثم يمحض في قربة من جلد الضأن تدعى الشكوة مدة تتراوح ما بين نصف ساعة إلى ساعتين تبعاً لظروف التخثر، فتفصل المادة الدهنية وتلتئم على شكل كويرات مكونة زبدة طازجة يميل لونها إلى الاصفرار المشرب بالحمرة. ويتحول بقايا الحليب إلى "لبن حامض". ثم

نصبها من حياته فشارك الشعراء في نظم القريض خص به النبي عليه السلام في المديح والشوق إلى الديار المقدسة وتهنئة شيوخه عند ختم الكتب التي يدرسونها للطلاب، ولو جمعت قصائده لكونت ديواناً وأما مؤلفاته فهي :

الرحلة الحجازية المسماة بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام (مخطوط).

سلوك الطريق الوارية في الشيخ والمريد والزواية، مخطوط.

إتحاف المسكين الناسك ببيان المراحل والمناسك وهي رحلة دليلية منظومة في 127 بيتاً اقتدى فيها بالشيخ زين العابدين البكري ومحمد بن محمد المرباط الدلائي.

أرجوزة في فروع الشرفاء العمرانيين بفاس.

شراب الصفا بالتوسل إلى أهل الاصطفا.

إفادة المراد بالتعريف بالشيخ ابن عباد وهو الفقيه الصوفي محمد بن إبراهيم بن عباد النفزي.

وتمتاز كتابته بالوضوح وانسجام الأسلوب والبعد عن التكلف. وأما تلميذه محمد بن الطيب القادري فقد شهد له بباعه الطويل في شتى العلوم وحلاه بقوله : "ومنهم شيخنا العلامة الصوفي اللغوي العروضي سيدي عبد المجيد المدعو بالزبادي الشريف..."

توفي بفاس في ثاني عشر شعبان عام 1163/17 يوليو 1750، ودفن قرب الشيخ دراس بن إسماعيل خارج باب الفتوح من عدوة الأندلس.

ع. المجيد الزبادي نفسه، الرحلة الحجازية، مخطوط : م. بن الطيب القادري، نشر الماني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 6 : 2162، 2163. ل. بروفسال، مؤرخو الشرفاء، تعريب عبد القادر الخلافي : عبد السلام بنسودة، دليل مؤرخ المغرب، ج 2 : م. الأخصر، الحياة الأدبية في المغرب في عهد الدولة العلوية؛ م. ماكامان، الرحلات المغربية في القرن 11 و12.

محمد ماكامان

**الزبادي، محمد بن علي المثالي الحسني الفاسي** شقيق عبد المجيد سابق الترجمة. كان عارفاً بعلوم القرآن، خطاطاً فناناً كتب بيمينه مصاحف كثيرة وغيرها كأخته فاطمة التي ستذكر بعده.

توفي بفاس عام 1209 / 94، 1795.

ع. المجيد الزبادي، سلوك الطريق الوارية، الباب السادس، مخطوط : م. المنوني، تاريخ المصحف الشريف بالمغرب، دعوة الحق، ع. 4، السنة 22، يونيو - يوليو 1981.

**الزبادية، فاطمة بنت علي المثالية الحسنية الفاسية**، أخت الشيخ عبد المجيد الزبادي سابق الترجمة. كانت صالحة مشاركة في علوم القرآن، خطاطة فنانة كتبت بيدها ما يزيد على خمسة وثلاثين مصحفاً.

تستهلك طازجة أو تعالج لتتحول إلى سمن. وكانت جل المواشي الحلوب تلد صغارها في فصل الربيع مستفيدة من توفر الأعشاب الطرية وينتج ضرعها الحليب بكميات إضافية، فيكثر الحليب في هذا الفصل وبالتالي الزبدة، فتحتفظ الأسر بقسم منها بإضافة الملح إليه إلى أن تتجمع لها الكمية المطلوبة، فتغلى على النار وتتحول إلى السمن وهو المادة الدهنية التي تختزن لاستهلاكها عند الحاجة طيلة السنة وبإضافة أعشاب وطرق معالجة خاصة، يحصل المغاربة على أنواع متعددة من الزبدة والسمن مثل السمن المر والسمن الحلو والسمن بودراع... تباع في المدن التقليدية في دكاكين خاصة يعرف بائعها بالبقال. وباستثناء الزبدة واللبن والجبن الطري الذي ينتج في بعض الأقاليم بالشمال خاصة، لم يكن المغاربة عارفين بطرق الحصول على أنواع الأجبان المصيرة المعروفة بأوروبا. وظلت الزبدة والسمن طعام النخبة والمناسبات العائلية لا يعم استهلاكها إلا في فصل ربيعي خصب.

لكن بدأ هذا الوضع يتغير في عهد الحماية بإدخال المعمرين الأوربيين لأساليب جديدة لإنتاج الزبدة أهمها آلة إنتاج القشدة Ecrimeuse تفصل الحليب عن القشدة بفعل تدويره في صفائح معدنية فتتفصل القشدة الأخف وزنا عن الحليب بفعل القوة الطاردة المركزية وتتدفق من أنبوب خاص. وتترك القشدة إلى أن تتخش ثم تمخض في محضرة خاصة La Barate وهي أسطوانة خشبية تدور في وضع أفقي يدويا أو آليا، فتتفصل جزئيات الزبدة عن ما بقي بها من حليب فتتكاثف وتغسل بما بارد لتعطي زبدة طازجة نقية موجهة إلى الأسواق العصرية غالبا. طبق ذلك على مستوى الضيعات الأوربية بأجهزة يدوية كما طبق بالمعامل الأولى لمعالجة الحليب بالمدن. وهكذا ظهرت زبدة جديدة تزايدت كمياتها المسوقة بأهم نطاقات الزراعة العصرية المسقية والمدن الكبرى كالدار البيضاء حيث ذاعت شهرة شركة : الحليب المركزي. ومراكش : الحليب الجيد... لكن كميات الزبدة المنتجة محليا لا تلي طلب السوق الوطني، مما دعى إلى استيراد الزبدة "الرومية" من دول أوروبية طيلة عقود، تباع غالبا بثمان أقل من الزبدة المحلية، كما بدأ يزاحمها ظهور زبدة مصطنعة من الزيوت النباتية تعرف بالمارجرين، أشاع الأهالي عنها أنها مضرّة بالصحة، لكنها كانت واسعة الاستعمال في صناعة الحلويات والطبخ بالفنادق. لقد تزايد الطلب على الزبدة الحيوانية بعد الاستقلال مما دعى إلى استيرادها بكميات متزايدة، وقد استفاد المغرب من فائض الزبدة الأوروبية خاصة الفرنسية التي كانت تصدر إليه بسعر مدعم، مما يجعل سعرها بالسوق منخفضا في متناول كل الشرائح الاجتماعية، إلا أن هذه السياسة أضرت بالإنتاج المحلي. ولم تتخذ السلطات إجراءات للحد من تدهور وضع الزبدة المغربية إلا بعد عقود، ففرضت ضرائب على الزبدة المستوردة لتشجيع الإنتاج المغربي الذي تكاثرت خاصة من

طرف شركات معالجة الحليب بالمدن الكبرى والمتوسطة التي فاق عددها العشرين، لكن لا زالت شركة الحليب المركزي التي تمغربت وصارت في ملكية المجموعة الاقتصادية "أونا" مهيمنة على السوق الوطني بمعالجة وتسويق 65% من الحليب ومشتقاته بالمغرب.

عرف استهلاك الزبدة في بداية الثمانينات ظاهرة اجتماعية جديدة هي التقليل أو التخلي التدريجي عن استهلاك الزبدة الحيوانية بسبب ما شاع عن مضاعفاتها السلبية على المرضى بالكولسترول وأمراض القلب والضغط، فتزايد الاتجاه إلى استهلاك الزبدة المصطنعة من الزيوت النباتية خاصة زيوت الصوجا المستوردة من الولايات المتحدة والتي عمت السوق المغربي، وتقوى هذا الاختيار في عقد التسعينات، فلم تحل سنة 2000 حتى صار يعرض بالأسواق الممتازة ودكاكين الأحياء عشرات الماركات من الزبدة النباتية، فشاع استعمالها واشتد الإقبال عليها في جميع الأوساط الاجتماعية بسبب وفرتها وانخفاض سعرها الذي لا يتجاوز 20 د.هـ / كلغ، وأعدت الزبدة الحيوانية إلى الهامش فصار المعلمون التقليديون يحولون قسما متزايدا منها إلى أنواع من السمن الجيد الذي يباع بضعف ثمن الزبدة الأصيلة و 4 - 5 أضعاف ثمن الزبدة النباتية.

وهكذا تراجعت أو اختلفت الزبدة الحيوانية من بين واردات المغرب، بينما تزايد استيراد الزيوت النباتية، إذ بلغ وزنها 242000 طن سنة 1998 وثمانها 1489 مليون د.هـ، بالإضافة إلى 283000 طن من الحبوب والمنتجات الزيتية الخام ثمنها 773 مليون د.هـ.

بحوث ميدانية ومعلومات من أصحاب الحرف : المغرب في أرقام، نشرة إحصائية لقسم التخطيط بالرباط 1999.

أحمد هوزالي

## الزبدة النباتية ← مرجرين

**الزيدي**، أسرة رياضية واسمها الحقيقي الزيدي وأصلها من الشرق العربي من مكان يقال له عين زبيدة (زوجة هارون الرشيد). وأول من عرف في التاريخ باسم الزيدي أبو بكر بن الحسن الزيدي صاحب تأليف طبقات النحويين واللغويين، المتوفى سنة 379 هـ. وربما هاجرت أسرة الزيدي إلى الغرب الإسلامي ضمن من هاجروا إلى الأندلس بعد أن أصبحت مقراً للممالك الإسلامية. وبعد عدة قرون هاجرت إلى المغرب ضمن الأسر الأندلسية النازحة من الأندلس سنة 1609 حيث استقرت مثيلاتها من أسر الأندلسيين المهاجرين بمدينة الرباط التي عرفت إحياء

وقاضي القضاة بمكة المكرمة عبد الله بن حسن الحنبلي،  
والشيخ محمد الهندي الدهلوي وغيرهم. وزار بدمشق  
الشيخ بدر الدين فأجازه بجمع مرويته في الحديث،  
ويحلب الشيخ راغب الطباخ مؤلف تاريخ حلب. فأجازه  
أيضاً.

كان أحمد الزبدي علاوة على ذلك شاعراً يكثر من مدح  
الرسول - عليه السلام - وله قصائد ومقطعات أدبية  
 واجتماعية وتاريخية ومساجلات مع عدة أدباء وشعراء  
توفي عام 1383 / 1963.

ع. الجراي، من أعلام الفكر، 2: 58-69.

**الزبدي، محمد بن الطاهر** ولد بالرباط عام 1220 /  
1805 واشتغل بالتجارة في بداية أمره وتوجه للحج مرتين،  
وهو متزعم الانتفاضة التي قادها أعيان مدينة الرباط سنة  
1261 / 1845 ضد عاملهم الحاج محمد السوسي، والتي

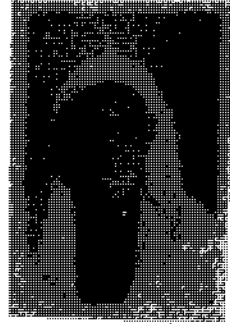


نصوه على إثرها عاملاً لمدينتهم وعلى الرغم من غضب  
السلطان المولى عبد الرحمان الذي عزله بعد وقت قصير  
فإنه لم يلبث أن قربه وأسند إليه أمر المالية والشؤون  
الخارجية التي ترد من النائب السلطاني بطنجة إلى  
السلطان، وعند نشوب حرب تطوان كلفه السلطان محمد بن  
عبد الرحمان بالتفاوض مع الإسبان، ثم عين أميناً  
للحسابات. وفي سنة 1293 / 1876 وجهه السلطان مولاي  
الحسن سفيراً إلى الدول الأوربية وهي فرنسا وإنجلترا  
وبلجيكا وإيطاليا للتفاوض في أمر الحماية الفردية التي  
تفاقت في المغرب بعد أن حرفت المعاهدات المبرمة في

لنشاطها الاقتصادي والعمراني والسياسي والثقافي على  
يدهم أواخر عهد دولة السعديين، وعرف أفرادها باسم  
الزبدي. ولقد كان منها الحاج محمد الزبدي عضو الديوان  
الأندلسي في بداية القرن الحادي عشر (17 م)، في القصة  
التي أصبحت تحمل اسم القصة الأندلسية (قصة الاوداية)  
وظهر منها الحاج إبراهيم أحد فقهاء الرباط المتخرجين عن  
الشيخ الكبير علي العكاري. كما كان ابنه محمد الزبدي  
فقيها ملازماً للشيخ المذكور.

**الزبدي، أحمد بن محمد** من العلماء الرباطيين تلقى  
العلم على عدد من الشيوخ ابتداء من سنة 1304 / 1886  
سنة دخوله المكتب لقراءة القرآن على يد الأستاذ المربي  
الهاشمي القصري الذي أخذ عنه أيضاً متون الأجرومية  
والمرشد واللامية والألفية. وبعد عشر سنوات بدأ يتلمذ  
على الشيخ المكي البطاوري في النحو والفقه والحديث  
والأصول والبيان والتوحيد وأجازه في جميع مرويته سنة  
1322، ودرس أيضاً على يد الشيخ محمد بن عبد السلام  
الرتدة الذي أجازه أيضاً وعن الأديب أحمد جوسوس، وحضر  
مجالس الشيخ أبي شعيب الدكالي.

وفي سنة 1352 / 1933 رحل إلى المشرق لأداء فريضة  
الحج فلقى عدداً من شيوخ العلم وأخذ عنهم العلم بمصر  
ومكة ودمشق، ففي مصر حضر مجلس الشيخ يوسف



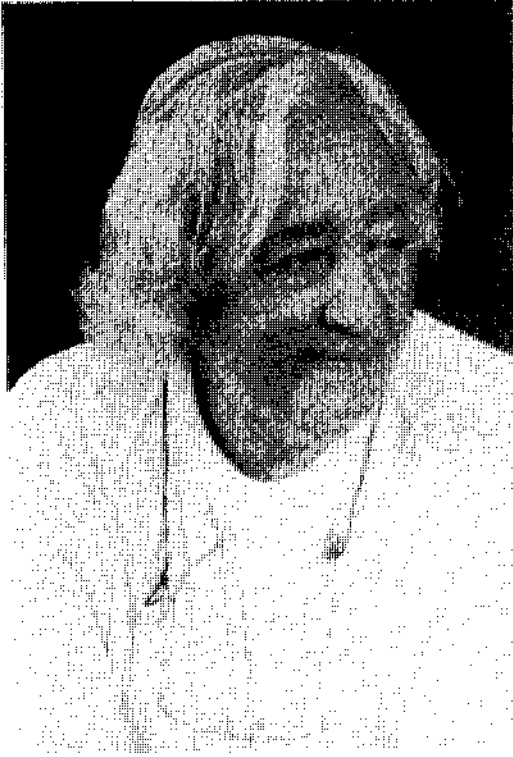
الدحوي من علماء الأزهر الذي أجازه إجازة عامة، ومجلس  
الشيخ محمد العربي الدسوقي من أشياخ أبي شعيب  
الدكالي، ومجلس محمد الحلبي في الحديث، وحضر أيضاً  
دروس مفتي مصر سابقاً الشيخ محمد بخيت المطيعي  
ومحمد الحضرمي حسين، ومحمد فريد وجدي مؤلف دائرة  
المعارف، والشيخ الطنطاوي جوهر الذي أجازه، والمصلح  
الكبير محمد رشيد رضا، زاره في منزله في شهر ذي  
القعدة 1352 وأجازه.

وبمكة أجازه الشيخان عمر بن أبي بكر باجنيد والشيخ  
عبد الستار الهندي، وحضر مجلس الفقيه عمر حمدان،

شأنها تحريفاً اتخذه الأجانب قنصلية وتجاراً مطية للتناول على المخزن وعلى المواطنين المغاربة.  
توفي يوم الجمعة فاتح ربيع الأول 1304 / 28 نونبر 1886.

م. دينية، مجالس الانبساط، ص. 213؛ ع. الإله الفاسي، مدينة الرباط وأعيانها، ص. 230.

أحرز كمال الزبيدي على دبلوم معهد اللوثر (موضوع الأسلحة المغربية منذ العهد الفنيقي)، ثم انتقل إلى إيطاليا لدراسة اللغة والأدب الإيطالية، وقضى سنة كاملة بجامعة (وربوديجيا) تعرف خلالها على كبار الفنانين والأدباء والمفكرين الإيطاليين، كما كانت له صداقة متينة مع الكاتب الإيطالي ألبر تومورافيا.



توفي بالرباط في حدود 1995.

م. أديب السلاوي، أعلام الفن التشكيلي العربي بالمغرب، بغداد، 1982.

محمد بلعربي

**الزبل** من زبل. وزبل زرع يزيله زبلا سمدّه. والزبل السرقيين والسرجين معرب عن الكلمة الفارسية سركين (مادة سرجن، محيط المحيط)، يستعمل لتخصيب التربة إذا ذهب رطوبتها وضعفت مادتها، ولا يصلح إلا للأرض الضعيفة الرقيقة، أما الأرض الغليظة فيقوم لها القلب مقام الزبل (ابن بطال، 55-65).

قسم علماء الفلاحة العرب الزبل المستعمل في تسميد الأرض إلى سبعة أنواع وهي: زبل الخيل والبغال والحمير والإبل وكل الدواب، وزبل الآدمي، والزبل المضاف، وزبل الغنم، وزبل الحمام، وزبل الحمامات والأفران والزبل المولد (ابن حجاج 9، وابن بصال 49، وابن بطال 10).

**الزبيدي، محمد العربي بن محمد بن الطاهر، عينه السلطان مولاي الحسن أميناً لموسى الرباط سنة 1302 / 1881** مكان والده الذي شاخ وعجز عن العمل، ولي أمانة الحسابات في عهد السلطان نفسه وهذه المهمة وصفها المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان في كتابه "إتحاف أعلام الناس" ومن هذا الوصف يمكن أن نحدد هذه المهمة فيما يلي: مراجعة حسابات الأملاك المخزنية والمستفادات والرباع والنظار ووكلاء الغيب، محاسبة قواد القبائل، مراقبة الداخل والخارج في جميع ما تملكه الدولة، حفظ جميع دفاتر الدولة وجعل برنامج خاص لما راج منها بعد ختمها وجعلها في صناديق، الترحال بهذه الدفاتر حيثما اتجه الركب السلطاني رغم كثرتها وثقلها لإيقاع الحساب مع العمال فيما يترتب بذمهم من الزكوات والأعشار فيقيد ما قبض والباقي في الدم ويختم العمال على ذلك بأختامهم ويجوز ذلك أمين الحسابات المذكور.

في سنة 1329 / 1911 ولي محتسباً بمدينة الرباط خلفاً للحاج العربي بن عبد الله لبضعة أشهر توفي سنة 1344 / 1926.

ع. الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج 2، ص. 514-515؛ م. دينية، مجالس الانبساط، مخطوط، ص. 203؛ ع. الإله الفاسي، مدينة الرباط وأعيانها، ص. 231.

عبد الإله الفاسي

**الزبيدي، محمد كمال الرباطي رسام وشاعر، ولد بمدينة أسفي عام 1928** حيث قضى فترة من صباه ثم غادرها رفقة أسرته نحو مدينة فاس التي استقر بها مدة أخرى، وتابع دراسته إلى أن اشتد عوده، فأخذ ينهل من الآثار الإسلامية والمعاصرة وتشبع عن فطرة بروح الخلق والإبداع.

هاجر محمد كمال الزبيدي إلى باريس سنة 1947 لمتابعة الدراسة فانضم إلى معهد اللوثر الذي يهيئ اختصاصيين في تاريخ الفن العام ومحافظي المتاحف الوطنية.

استطاع كمال الزبيدي صقل موهبته بالعاصمة الفرنسية كفنّان وأديب حيث تمكن من المزج بين الريشة والقلم والحركة والكلمة بأسلوب يشم عن عمق الرؤيا الإبداعية، وبمجرد ما شرع في تنظيم معارضه الأولى لفت أنظار النقاد الأوروبيين الذين خصصوا لأعماله دراسات في غاية الأهمية.

1 - زيل الدواب : حارٌ رطب، وحرارته أكثر من رطوبته، وهو من النوع الذي تجود به مختلف النباتات، ويستعمل كما هو بعد تنقيته من التبن دون تعفين في كل فصول السنة ما عدا فصل الشتاء، ويستحسن استعماله بعد مرور عام عليه، وإن ترك عامين كان أحسن، وهو بعد ثلاثة أعوام أفضل أنواع الزيل على الإطلاق، وهو يوافق التربة الرملية (ابن حجاج 9 أ، وابن بصال 49، وابن بطلال 11) وهذا ما يفسر ما ذكره الرحالون عن حرص سكان المناطق الواحية على جمع هذا النوع من الزيل وغيره من الأزيال. ذكر العياشي أن أهل وادي سوف يعالجون نخيلهم بأبعاد الإبل وغيرها بأن يضعوها في أصولها، وكذلك يفعلون بأنواع الخضر والبقول وسائر ما يغرسونه وقال بأن ركب الحجاج الذي كان فيه، تبعه حين غادر سوف كثير من أهلها يلتقطون البعر من منزل الركب (ماء الموائد، 1 : 51-52) وذكر العوامر أن أهل سوف يجعلون للنخلة ما دامت صغيرة شيئاً قليلاً من بعر الغنم أو من روث الدواب مخلوطاً بالرمال لنلاً تحترق عروقها. وعندما تكبر النخلة يجعلون لها أبعاد الإبل مخلوطة بالتراب وتعرف أبعاد الإبل عندهم باسم الجللة (الصروف، 66).

2 - زيل الآدمي : طبعه الرطوبة واللزوجة، ولا حرارة فيه، وهو زيل ميت عظيم الفائدة يوافق النبات ويصلحه خصوصاً في زمن الحر لأنه رطب لا حرارة فيه ولا يبوسة، وتجود به الخضر، وهو علاجها إذا احترقت. وكيفية استعماله في علاج الخضر المحترقة أن يرش بالماء حتى يصير في هيئة الطين، ثم يوضع في مجرى الماء، ويسرح الماء في المجرى، فيتحلل مع جري الماء في المجرى، فتحيى الخضر إثر سقيها به (ابن حجاج 9 ب وابن بطلال 11).

وقد اشتهر عن أهل قابس ما اشتهر من بيع فضلاتهم، وهم يقرون بذلك ويدعون شدة احتياجهم إليها، وأن النخيل في بلادهم لا يشر إلا به (البكري، 2 : 667 والتجاني 90 ومعجم البلدان، 4 : 289 والروض المعطار، 145). وقد أجاز الفقهاء بيع الأزيال والعذرة وهي الغائط، وقد قيل فيها : المشتري أعذر فيها من البائع، وبنوا حكمهم فيها على ما جاء في المدونة وغيرها حول جواز بيع النجاسات عند الحاجة إليها (المعيار، 5 : 315). ولما ذكر محمد بن عبد السلام ابن ناصر الرواية القائلة بتبايع أهل الجريد بالبلاد التونسية لزيل الآدمي قال بأن الداعي إلى ذلك أن أرضهم في غاية الجوف لقربيها من الصحراء وأنها بحاجة إلى ذلك الزيل لتدمن. قال : قلت وهذا التبايع في البلاد الصحراوية الرقيقة التراب أو ذات الرمل، فإنها إذا لم تنزل لا يأتي منها كبير نبات، سيما إن كان فيها ماء جار كقابس وبلاد درعة، فتلجئهم الضرورة إلى بيع الزيل والتفاني فيه (الرحلة الكبرى، 135). وقد دفعت الحاجة ببعض الفلاحين أحياناً إلى أن يهبوا الدور لغيرهم يسكنونها على أن يكون زيل دواب الساكن لرب الدار. وقد أفتى الفقهاء بعدم جواز ذلك وقالوا بأن الزيل لرب الدواب وعليه كراء المسكن (المعيار الجديد، 8 : 142).

3 - الزيل المضاف : وهو الزيل المؤلف من الكناسات وغيرها (ابن حجاج 9 أ) وهو الزبالة عند العامة (مادة زيل محيط المحيط). وهو ذو حرارة ورطوبة ولزوجة وملوحة، ولأجل هذه الخصائص المجتمعة فيه هو من أفضل الأزيال، وأكثرها موافقة للتربة، لأن لزوجته تلين التربة. ولا يستعمل إلا بعد مرور عام عليه، والأبال كلها لا ينبغي أن تستعمل إلا بعد انقضاء العام، وكل زيل استعمال قبل ذلك، فهو غير محمود لأنه نبيء يمرض الأرض ويدخل الدواخيل، أي تتولد منه حشرات تضر بالنبات. وما تجاوز العام إلى ثلاثة أعوام كان أفضل. وعلى العموم فهذا النوع من أنواع الزيل مفيد قوي، يقوم القليل منه مقام الكثير من غيره (ابن حجاج 9 ب و10 أو 11 أو ابن بصال 150).

4 - زيل الغنم : ويعرف في اللسان الدارج بالبربر وهو حار رطب أيضاً، غير أنه أقل جودة من غيره من الأزيال التي ذكرناها أعلاه، لأن الضأن تأكل الحشائش، فلا تنضج في بطونها، وتبقى زريعته دون تغيير، فتلقبها كما أكلتها حتى إذا استعمال هذا الزيل لتسميد التربة، نبتت تلك الزريعة مع النبات وغلبت عليه. ولتفادي ذلك يترك هذا الزيل حتى يتعفن وتوت زريعته، ويستحسن أن يخلط مع غيره ولا يستعمل وحده (ابن حجاج 10 أو ابن بطلال 12 وابن بصال 51).

5 - زيل الحمام : ذو حرارة مفرطة ورطوبة شديدة ولا يبوسة فيه وهو أحسن الأزيال للنبات الذي ضعف وتخبر من شدة البرد، فإذا جعل له القليل منه فإنه يحيى من حينه، وينبغي ألا يستعمل إلا عند الحاجة لأنه بمنزلة النار، وقد يأتي على احراق النبات، فيصعب بعد ذلك اصلاح ما أفسده (ابن حجاج، 10 أ).

6 - زيل الحمامات والأفران أي الرماد : ذو يبوسة وملوحة ولا رطوبة فيه، وهذه الخصائص لا توافق الخضر والنبات، ولأجل ذلك لا يستعمل الرماد إلا لتحلية التربة الحشنة المرشاة، وبالجملة فهو زيل غير محمود (ابن حجاج، 10 أو 10 ب). ويستعمل الرماد أيضاً كما هو معلوم في تبييض الغزل (المعيار الجديد، 5 : 545).

7 - الزيل المولد وهو الزيل المتخذ من الحشيش والتراب ثلاثة أنواع : النوع الأول : تخلط فيه أصناف العشب والتبن وتوضع في حفرة ويضاف إليها رماد الحمامات أو رماد الأفران ويصب عليها الماء، ويواضب على هذا الخليط بالتحريك والتقطيع، لأن ذلك يعجل نضج الزيل ويجعله معتدلاً جيداً. والنوع الثاني يخلط فيه حمل من الزيل المضاف مع ثلاثة أحمال من التراب ويواضب على ذلك الخليط بالتحريك يأتي منه زيل جيد بعد عام. والنوع الثالث يخلط حمل من زيل الحمام مع عشرين حملاً من التراب ويترك عاماً، يأتي منه زيل جيد متمكن الحرارة والرطوبة. والزيل المولد يوافق الفصول الأربعة، وهو زيل نقي لا يخالطه حجر ولا جلود ولا عظام كما يخالط سائر

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 759.

محمد ابن عزوز حكيم

**الزبيدي، أبو بكر** محمد بن عمر بن قطري من أهل إشبيلية، من بيت شهير بالعلم. أخذ بالأندلس عن جماعة منهم أبو الوليد الباجي وأبو العباس العذري الدلائي وأبو عبد الله بن سعدون القروي وأبو الليث السمرقندي. وكان عالماً بالنحو والأصول وعلم الكلام.

رحل إلى المشرق فجال في الحجاز والعراق والشام ومصر وصقلية. أخذ بمصر عن ابن فضال والحشني وابن بابشاذ النحوي وأبي عمران الصقلي ومهدي بن يوسف الوراق، ولقي بها الفقيه عبد الحق بن هارون الصقلي. وسمع بمكة الحسين الطبري وأبا محمد بن جماح السبتي من المجاورين بها، وهبة الله المقرئ الضريز، وأبا محمد النيسابوري وأبا الحسن الصقلي. وسمع بمدينة صور بساحل الشام من الشيخ أبي بكر الخطيب البغدادي الحافظ.

وبعد عودته أقام بإشبيلية مدة، ثم انتقل إلى سكنى سبتة، وعلم بها العربية، أخذ عنه بها القاضي عياض بعض كتب الخطيب البغدادي. وظل يدرس بها إلى وفاته سنة 501 / 1107.

القاضي عياض، الفتنية، تج. ماهر زهير جرار، بيروت، ط 1، 1982، ص. 76، 79؛ محمد ابن عياض، التعريف بالقاضي عياض، تج. محمد بن شريفة، الرباط، مطبوعات وزارة الأوقاف، ص. 69؛ ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تج. السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1955، ج. 2، ص. 536 - 537؛ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تج. عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، دار المعرفة، د. ت. ج. 1، ص. 332.

**الزبيدي، حسن** بن خالد بن إبراهيم شيخ صالح من فقهاء سبتة، غلب عليه الخير والزهد، وكان من أهل الفقه والدراية بالقراءات. سمع من إسحاق ابن يربوع وأبي عبد الله بن الشيخ وغيرهما من علماء سبتة. ورحل إلى المشرق فحل بالقيروان وسمع من علمائها، ودخل مصر فقرأ بها القرآن على طاهر بن غلبون. وبعد عودته إلى سبتة ولي الخطبة والصلاة بجامعها، وانتصب به لإقراء القرآن والقراءات.

ابن حمادة السبتي، مختصر المدايك، ملحق بترتيب المدايك للقاضي عياض، تج. سعيد أعراب، المحمدية، 1983، ج. 8، ص. 172.

محمد المغراوي

الأزبال غير أن الزبل المضاف أقوى منه وأجود (ابن حجاج 10 ب و 11 أو 11 ب وابن بصال 51 : 52 و 53).

ابن حجاج الأندلسي، الفلاحة، مخطوط، خ. ع رقم 1410 د؛ ابن بصال، كتاب الفلاحة، نشر دخوسي مارية مياس ببيكروسا ومحمد عزيمان، تطاون، 1955؛ ابن بطلال، كتاب الفلاحة، مكروفيلم مصور عن النسخة المخطوطة في خ. ح رقم 6519؛ أبو عبيد البكري، المسالك والمسالك، ج. 2، تع. أدريان فان ليوفن وانديري فيري، تونس، 1992؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج. 4، بيروت، 1979؛ ابن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار، تع. إحسان عباس، بيروت، 1984؛ م. التجاني، رحلة التجاني، ليبيا - تونس، 1981؛ أ. الونشريسي، المعيار، ج. 5، بيروت، 1981؛ أبو سالم العياشي، ماء الموائد، ج. 1، الرباط، 1977؛ م. ابن ع. السلام الناصري الدرعي، الرحلة الكبرى، مخطوط، خ. ح رقم 6904؛ إبراهيم محمد الساسي العوام، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تونس، 1977؛ المهدي الوزاني، المعيار الجديد، ج. 5 و 8، المحمدية، 1998.

حسن حافظي علوي

**الزبيب،** فاكهة مجففة تحضر من أصناف العنب (انظر داليا) ذات المحتوى السكري العالي واللحم المتناسك.

أشار المؤرخون إلى إنتاج الزبيب بسجلماسة وسوس في القرن الخامس (11 م). وكانت عملية التجفيف تتم تحت الظل فسمي بالزبيب الظلي. لكن في الوقت الحاضر صار إنتاج الزبيب شبه منعدم إلا في بعض المناطق كالريف وجباله حيث مازال الأهالي يحضرونه بكيفية تقليدية خاصة : تغسل عناقيد العنب في الماء المزوج برماد الضرو أو بظم لانتيسسك Pistacia lentiscus (انظر بظم) وتبخر ثم تدهن بالزيت وتجفف في الشمس.

نظراً لندرة الكميات المحضرة محلياً فإن المغرب يستورد معظم احتياجاته من الزبيب من تركيا كالسلطاني وإسبانيا وغيرها من البلدان المتوسطية.

يستهلك الزبيب طازجاً في كل الأوقات أو مطهواً مع اللحم في عدة مأكولات مغربية كبعض الطواجين والكسكسو وبعض الحلويات.

ونظراً لكونه غنياً بالسكريات والأملاح المعدنية فإنه في أغلب الأحيان يدخل في محتويات زاد المسافر. يستعمل اليهود المغاربة الزبيب لصناعة شراب الماحيا.

أبحاث شخصية.

J. Bellakhdar, La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires. Paris, 1997.

عبد المالك بنعبيد

**زبيدة،** أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا - Çobay et Zubeit و Zubay ومازالت إسبانيا أسر تحمل اسم Acevedo

لون الزجاج	المادة المزدادة في الزجاج
الأخضر	أملاح الحديد والكروم
الأزرق	أملاح النيكل
الأزرق	أملاح الكوبالت
ياقوتي أحمر	أملاح الذهب
أحمر أو ليموني	أملاح الكاديوم أو السليسيوم

كانت صناعة الزجاج قديماً تعتمد على انصهار أوذويان المواد الأولية ؛ داخل غراريف من الطين أو حُفر. ولا زالت هذه الطريقة مستعملة في الصناعة التقليدية الحديثة، لانتاج كميات قليلة من الزجاج، كالبرصيات مثلاً. إلا أن معامل الزجاج العصرية أصبحت تذوب كميات أكبر داخل أفران ضخمة على شكل أحواض، تتسع لأكثر من 1000 طن من الزجاج، مما يمكن إنتاجاً يومياً يفوق 500 طن. وتعمل هذه الأفران باستعمال الغاز أو المازوت أو الكهرباء.

أنواع الزجاج كثيرة نذكر منها هنا :

(1) الزجاج المنبسط، المستعمل خصوصاً في العمران ؛ كزجاج النوافذ، والشرفات، وغيرها. يتراوح سمك هذا النوع ما بين 3 و8 ملم.

(2) الزجاج السائل، ويمر هذا الأخير تحت مدامك خاصة، حيث يضاف إليها أحياناً خيوطاً من السلك الحديدي ليصبح زجاجاً مسلحاً، أو توضع أوراق من البلاستيك الشفاف ما بين رقتين من الزجاج الرقيق لصنع واقية الهواء بالنسبة للسيارات مثلاً. وإضافة إلى الزجاج المسلح، وواقية الهواء، يستعمل ويكثر هذا النوع من الزجاج في الكثير من الميادين المعمارية.

(3) الزجاج المجوف، ويستعمل لصنع القنينات الزجاجية، والقمام، والقوارير والمصابيح.

(4) الألياف الزجاجية، نحصل عليها بتمطيط المادة الزجاجية المنصهرة إلى أن يصل سمكها ما بين 0.5 و15 ميكروميتر، ثم ينسج أو يبلد تماماً كما يفعل بالنسوجات. وتدخل الألياف الزجاجية في بعض صناعات الأقمشة مما يجعلها رقيقة ونادرة، وكذلك في صناعة الآثاث الثمين. وترجع قيمتها إلى الاستقرار الكيميائي للألياف الزجاجية، ومقاومتها للنار والماء ؛ فهي لا تصدأ كالحديد ولا تتعفن كالحشب.

(5) الزجاج التقني، ويشمل الزجاج البصري (عدسات النظارات وآلات التصوير والمجاهر)، وكذا العديد من أنواع الزجاج والتي تتميز بخاصية ميكانيكية أو ضوئية (زجاج مختبرات البحث العلمي مثلاً، يصد للحرارة، ولا يتأثر بالكيماريات كالحوامض والكاويات).

يعد المغرب من البلدان المستوردة لأغلب حاجياتها من مختلف مصنوعات الزجاج، من أوروبا (فرنسا، إيطاليا، إسبانيا، روسيا، تركيا، رومانيا، الخ ...) وكذلك من آسيا (الصين الشعبية، الطابوان، اليابان، الخ ..). أما إنتاجات المغرب من مصنوعات الزجاج فتبقى دون تلبية حاجيات السوق الداخلية، ونذكر منها هنا صناعة القناني

الزُّيَيْر، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم هكذا : - Zubeyr - Zuveir - Azubaire - .Azoveyre

الزُّيَيْر، الحاج حمو بن علي، قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني بوغافر انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف سيدي محمد أمزيان ضد التدخل العسكري الإسباني بناحية الناظور وشارك في عدة معارك وسقط أسيراً بيد الإسبان في المعركة التي جرت بأولاد غانم بقبيلة بني سيدال يوم فاتح سبتمبر 1910.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 760 ؛ أعمال ندوة الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي ( 1909 - 1912)، تطاون 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

**الزجاج**، أصل الكلمة لا تيني "فيروم" (Vitrum) وتعني جسم صلب، شفاف وهش. يوجد الزجاج في الطبيعة على شكل صخور شفافة كالسج (زجاج بركاني أسود)، والتيكيتيت (صخر صواني زجاجي). ويعتبر الزجاج مادة لا بلورية، مكونة أساساً من السليس المنحدر من الرمل والمرو المنصهر في درجة حرارة عالية والمزوج بالصوانات والبورات. الشيء الذي يجعله يفقد بنيتة البلورية عند عملية التبريد مما يعطي مادة زجاجية شفافة وهشة. وتمزج أغلب أنواع الزجاج بمواد أولية مختلفة كالقلي (موادة مضادة للحوامض) ونذكر منها هنا كربونات الصوديوم أو البوتاسيوم ؛ مما يخفف من درجة حرارة انصهارها وتلجزه. ولهذا السبب، وحسب تركبة الزجاج، فهناك أنواع تنصهر عند بلوغ درجة الحرارة 500 C° ؛ وأخرى يمكن أن تصل درجة حرارتها 1700 C°. ونشير هنا إلى أن الجير والدولوميت (ثاني كربونات الكلسيوم والمنغنيزيوم) يلعبان دوراً هاماً كمثبت بالنسبة للخليط الزجاجي. إن أكسيد التنتال والتوريوم يزيدا كثيراً في تقوية دليل إنكسار الأشعة للزجاج الصافي. ويمكن زيادة بعض المواد الكيميائية كالأكاسيد مثلاً حسب نوعية الاستعمالات المنتظرة من مادة الزجاج، وذلك قصد تغيير خصائصه الكيميائية والفزيائية والميكانيكية.

للحصول على مادة صافية وعديمة اللون، يزيد الزجاجيون مادة المنغنيز لإبطال مفعول بقايا الحديد، والتي تعطي للزجاج لونا بنياً مخضراً. ونشير هنا إلى أن لون الزجاج مرتبط بنوعية المادة الملونة الكيميائية، والمقادير المستعملة وكذا تركبة المحيط الجوي للزجاج إبان الانصهار. نحصل على تلوين الزجاج بزيادة الأكاسيد المعدنية كما يلي :

وبعض الأوعية، وكذا الواح الزجاج المستعملة في العسرن كزجاج النوافذ، والشرفات، الخ... من بين أسباب تخلف صناعة الزجاج بالمغرب، سواء منها التقليدية أم الحديثة، نذكر قلة أو حتى انعدام وجود الرمل المناسب لهذه الصناعة. ونشير هنا كذلك إلى أن المغرب يستورد كل حاجياته تقريباً من مادة هذا الرمل من الخارج منذ إنشاء هذه الصناعة بالمغرب.

A. Foucault et J.F. Raoul, *Dictionnaire de géologie*. 3ème éd. Paris, 1988 ; E. Saïdi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (français-arabe)*, Rabat, 1990 ; J. Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*, Paris, 1986 ; D. Rudolf et Lubos R., *La grande encyclopédie des minéraux*, Paris, 1989 ; *Goéologie des gîtes minéraux marocains : Substances métalliques et non métalliques*, 2ème éd., t. 1, Rabat, 1980 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (Phosphates)*, 2ème éd., t. 3, Rabat, n° 19 ; J. Agard, *Minerais et substances utiles de la carte géologique au 1/200.000è des environs de Casablanca, rapport SEGM*. n° 151, 1950 ; A. Michard, *Elément de géologie marocaine*, Rabat, 1976 ; *Eléments de la géologie du Maroc*, Rabat, 1977 ; *Marbres et roches ornementales*, Mines, Géologie et Energie, Rabat, 1979 ; *Bulletins mensuels de la conjoncture minière* ; D. Reig, *Dictionnaire Arabe-Français, Français-Arabe, As-Sabil*, Paris, 1986 ; P. Lapadu-Harques, *Précis de minéralogie*, Paris, 1954 ; B. Bariand, F. Cesbron et J. Geffroy, *Les minéraux, leurs gisements, leurs associations*, 3 vol., 1978 ; A. Bouhaoui, *Note sommaire sur les sables marocains utilisables dans l'industrie du verre et les fonderies*, Notes techniques SEGM, n° 86, 1975 ; O. Köppel O et M. Nataf, *Les sables de Sidi Yahia du Gharb, de Mohamedia, de Sidi Allal El Bahraoui et de Sisi Madj, Etude préliminaire en vue de leur utilisation éventuel en fonderie*, Note technique SEGM, n° 101, 1976 ; M. Nataf, *Etude d'un grès siliceux de Boussetham Taguentecha (Maroc oriental), et de trois sables de Rabat et de Meknès en vue de leur utilisation éventuelle dans la fabrication de verre à vitre*, Rapport technique SEGM, n° 10, 1967 ; G. Berger, *Etude des sables noirs des plages atlantiques du Maroc*, Notes Serv. Géol. Maroc, t. 14, n° 133, 1956.

عبد الله بوصحابة

دخل مدينة مراكش سنة 640 / 1242، وهي مسرح للحروب والفتن بين الموحدين المتقاتلين على إرث الخلافة، ثم بينهم وبين المرينيين الذين قضوا على دولتهم. عاش في عصر كله نكبات ومحن وفتن في الأندلس والمغرب. كما كان كثير الانقياض والقناعة، صبوراً على الوحدة. وقد تميز بين أقرانه باهتمامه الكبير بالثقافة العامية، وعنايته الخاصة بما يعرف بالتراث الشعبي. له ري الاوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام استخرج منه محمد بنشريفه كتاباً سماه (أمثال العوام في الأندلس). توفي بمراكش ضحى يوم الخميس ثالث وعشري رجب عام 694 / 24 يونيو 1295.

صلة الصلة، 139، الذيل والتكملة، 8 : 3 : درة الحجال، 2 : 334 ; الزركلي، الأعلام، 4 : 191 ; م. ابن شريفه، أمثال العوام في الأندلس، التقديم.

أحمد متفكر

**الزَجَل**، مصطلح موسيقي يراد به في أشعار الموسيقى الأندلسية ما نظم بلهجة عامة أهل الأندلس القديمة. ويقال في المقطوعة المنظومة على هذا النحو : "صنعة زجل" تمييزاً لها عن أنواع النظم الثلاثة الباقية، وهي : الشعر الفصحى الموزون، والتوشيح، والبرولة.

ومثال صنعة "الزجل" من قدام نوبة رمل المائة :

نمدح محمد سيد	أهل السما والأرض
من جانا بالشرائع	والسنن والفرض
واطوى الأرض البسيطة	طربها والعرض

وقد تنظم الأرزجال المغناة على فط الموشحات من حيث تبيتها نظام توالي الاقفال والأبيات. ومثالها زجل من قدام نوبة رصد الذيل :

شمس النهار	ما تصبر
على شمار	حين تصفر
لا يا عشية لا	تلهمني أنسا مضى
وكاس المدام خلا	يلهني لما أضا
قلبي جمار أملا	يوهمني نار الغضا

ويحفل كناش الحايك بأزجال أغلبها مما نظمه شعراء أندلسيون، غير أن صعوبة اللهجة الأندلسية وانقطاع العهد بتداولها بعد هجرة الأندلسيين إلى المغرب كانا مما دفع بالشعراء المغاربة في العهود المتأخرة إلى استبدال بعض الأرزجال الأندلسية بأخرى مغربية اللهجة ومثال ذلك معارضة الأديب المفضل أفيلال (ت. 1276) لزجل أندلسي أوله :

من ملك عقلي رهين	رست على خده اليمين
يزجل آخر أوله :	
من كمال عقلي الرزين	هام فيمن وصفه بزين

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الزجالي، عبيد الله بن أحمد بن محمد بن**

أحمد بن محمد القرطبي. ولد بمدينة قرطبة عام 617 أو 618 / 1220 أو 1221، وذلك قبل خروج المسلمين منها بنحو خمس وعشرين سنة ودرس على بعض شيوخها منهم: علي القرشي، وابن الطيلسان.

ثم انتقل إلى شاطبة سنة 636 / 1238، وتعتبر حياته في شاطبة استمراراً لحياته الدراسية في قرطبة، وامتداداً لها، وقد درس على بعض علمائها مثل :

أبو عبيد الله محمد بن لب بن محمد بن عبد الله بن خيرة الشاطبي، وعن أبي عبد الله القطني، وعن أبي القاسم بن أبي القاسم الشاطبي.

تولى القضاء بمدن عديدة كأبذة، وشريش، وجبان، وشاطبة، وقرطبة في الأندلس. كما تولى قضاء سبته، وفاس، ومراكش، وأغصات وريكة من مدن المغرب.



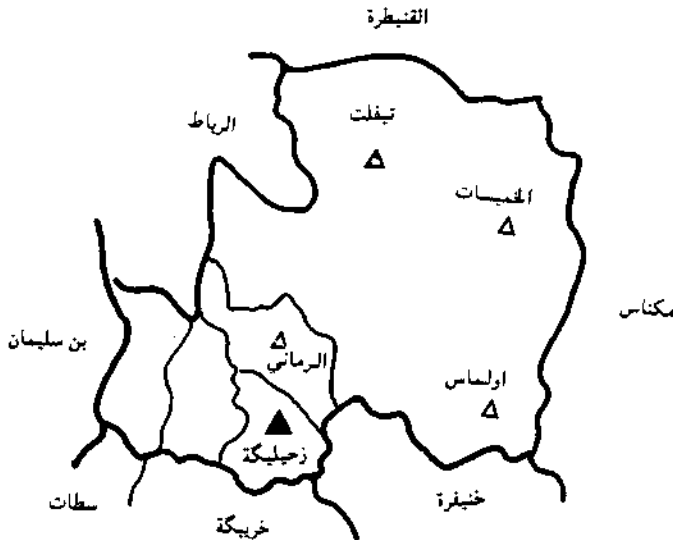
الخامسة عشرة 39,16٪، في حين من هم في سن الشغل (15 . 59 سنة) يشكلون 52,19٪، أما المسنون (60 سنة فأكثر) فيمثلون 8,65٪.

السكان البالغون بين 0 و5 سنوات	15,05٪
بين 6 و14 سنة	25,11٪
بين 15 و59 سنة	52,19٪
أكثر من 59 سنة	8,65٪

ووصل الرقم التركيبي للخصوبة (معدل الأطفال لكل امرأة) بجماعة زحيليغة إلى 3,38 طفل، وهو رقم أعلى من المعدل المسجل على الصعيد الوطني (3,3)، وكذلك أعلى من المعدل الجهوي (2,7).

ومن خلال دراسة الأشخاص البالغين من العمر 15 سنة فأكثر حسب الحالة الزوجية، نستنتج هيمنة صفة المتزوج بـ 55,77٪، وتمثل صفة الأعزب 36,82٪، أما الحالات الأخرى من أراامل ومطلقين ... فلا تمثل سوى 7,40٪.

المتزوجون	55,77٪
العزاب	36,82٪
حالات أخرى	7,40٪



أما متوسط السن عند الزواج الأول فيصل إلى 25,71 سنة، ويعرف اختلافا ما بين الذكور والإناث، بحيث نجد أن الإناث يتزوجن في سن مبكرة نسبيا مقارنة مع الذكور (22,85 سنة في أوساط الإناث مقابل 28,08 سنة في أوساط الذكور).

وفيما يخص المستوى التعليمي بالجماعة (دائما حسب

**الزحيلي، علي بن محمد بن عبد الواحد الفاسي** موسيقي نوه به إبراهيم التادلي في كتابه "اختصار تذكرة الانطاكي" و"أغاني السقا" وكذا في إجازته لمحمد بن خليفة المدني، وتنته بأنه إمام في هذا الفن، ويحسن الضرب على العود بيده. توفي بفاس الجديد يوم الثلاثاء 23 رمضان عام 1265 / 1849، ودفن بالقباب.

إ. التادلي، أغاني السقا، اختصار تذكرة الأنطاكي : إجازة محمد ابن خليفة المدني، خ. ع 5. 1427 : م. المنوني، مجلة البحث العلمي، السنة 6 العدد 14 و15 شوال رمضان 1389 / يناير - يراير 1969، ص. 162 و175.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

**الزحيني، محمد بن أحمد (ابن أبي العافية أو ابن العافية)** المصمودي ثم التطواني. الفقيه العلامة القاضي النوازلي المدرس، أصله من مدشر إزاجن من قبيلة مصمودة الغرب قرب مدينة وزان، وغالب الظن أنه ولد هناك ونشأ وشب وتلقى العلم إلى أن أصبح مؤهلا لتولية القضاء فتولاه ببلده، ثم ولى قضاء تطوان وقد وجد رسم عدلي سجل عليه بالوصف المذكور سنة 1111 ووجد التسجيل عليه بذلك سنة 1113. وللمترجم له تأليف في أنساب شرفاء المغرب سماه **دواعي الطرب**، في أنساب العرب لم أقف عليه. وفي التقاط الدرر للقادري وكذلك في **نشر المثاني** أنه توفي بالوصف المذكور سنة 1115 (1702) والظاهر أن وفاته كانت بتطوان.

م. داود، مختصر تاريخ تطوان، ص. 247 . 248 ط، تطوان، موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1896، 56 : 1896 : مختصر عمدة الراوين، ص. 103، مخطوط.

محمد بوخيصة

**زحيليغة (جغرافيا -)** تقع زحيليغة بإقليم الحميسات في أقصى الجنوب الشرقي، وتبعد عن عاصمة الجهة الرباط بحوالي 110 كلم، وتمتد على مساحة 540 كلم<sup>2</sup> بكثافة سكانية تصل إلى 0,31 نسمة في الهكتار الواحد.

عدد السكان	16.778 نسمة
المساحة	540 كلم <sup>2</sup>
الكثافة	0,31 ن /كلم <sup>2</sup>

تبلغ ساكنة زحيليغة 16778 نسمة حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1994، ويتشكل الهرم العمري لهذه الساكنة من 51,95٪ ذكور و48,05 إناث، وتتميز هذه الساكنة بكونها شابة، إذ تبلغ فئة الشباب دون

الحالة في المهنة	المعدل العام	ذكور	إناث
مستقل	28.63	26.35	2.28
مأجور	23.44	21.99	1.45
مساعد عائلي	38.80	36.72	2.07
أخر	9.13	8.92	0.21

أما فيما يتعلق بمميزات الأسر وظروف السكن بجماعة زحيليكة حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1994، فقد بلغ معدل الأفراد بالأسرة الواحدة 6,3 شخص (16778 نسمة موزعة على 2661 أسرة).

وفيما يخص نوعية السكن بهذه الجماعة فيطغى عليه السكن الريفي حيث يأتي 38,75٪ من الأسر، كما يأتي السكن البدائي شريحة مهمة من الأسر تصل إلى 30,26٪، في حين لا يمثل السكن المغربي سوى 15,87٪.

سكن ريفي	38,75٪
سكن بدائي	30,26٪
سكن مغربي	15,87٪
فيلا أو شقة	0,74٪
أخر	14,39٪

وفيما بهم عدد غرف السكن التي تشغلها الأسرة، فخلال سنة 1994 نجد أن حوالي 67,95٪ من الأسر بجماعة زحيليكة تشغل مسكنا يتكون من غرفة واحدة أو غرفتين على الأكثر، في حين نلاحظ إنخفاض نسبة الأسر التي تسكن ثلاث غرف على الأقل حيث لم تسجل هذه النسبة الأخيرة سوى 32,06٪. ويصل معدل شغل المسكن الذي يعد مؤشراً يبرز مدى الكثافة بالغرف، والمعبر عنه بمتوسط عدد الأشخاص بكل غرفة، إلى 3,13.

1 إلى 2	67,95٪
3	19,66٪
4	5,56٪
5 وأكثر	6,84٪

أما بصدد صفة حيازة المساكن التي تقطنها الأسر بهذه الجماعة، فحسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1994، فإن ما يناهز 81,12٪ من الأسر ما لكون لدورهم، في حين ناهزت صفة المكتري 3,86٪.

نفس الإحصاء)، نجد أن نسبة الأميين من السكان البالغين 10 سنوات فأكثر تبلغ 73,10٪، ويعزى هذا المعدل على ضعف التعليم في صفوف الإناث بصفة كبيرة حيث تصل نسبة الأمية في صفوف الإناث إلى 85,54٪ بينما تحوم في صفوف الرجال حول 61,40٪. أما فيما يتعلق بنسبة التمدرس (تمدرس الأطفال 7 - 12 سنة) فتحوم حول 45,09٪ مع تسجيل فوارق عميقة بين الذكور والإناث، فإذا كانت هذه النسبة الأخيرة تصل في أوساط الرجال على 54,42٪ فإنها لا تتعدى في صفوف الإناث 34,37٪.

معدل التمدرس	45,09٪
في أوساط الذكور	54,42٪
في أوساط الإناث	34,37٪
معدل الأمية	73,10٪
في أوساط الذكور	61,40٪
في أوساط الإناث	85,54٪

سجل معدل النشاط 31,23٪ بجماعة زحيليكة، في حين وصل معدل البطالة إلى 9,23٪، وحسب الجنس فإن هذين المؤشرين يسجلان في أوساط الذكور 55,49٪ و 7,29٪ على التوالي، وفي أوساط الإناث 5٪ و 32,50٪ على التوالي.

معدل النشاط	31,23٪
في أوساط الذكور	55,49٪
في أوساط الإناث	5,00٪
معدل البطالة	9,23٪
في أوساط الذكور	7,29٪
في أوساط الإناث	32,50٪

ويتبين من خلال توزيع السكان النشيطين بهذه الجماعة القروية حسب الحالة في المهنة بروز ظاهرة المساعد العائلي الفلاحي بـ 38,80٪ لكون اقتصاد المنطقة يقوم أساساً على الزراعة البورية وتربية الماشية، في حين يمثل المستقلون 28,63٪ في وقت سجلت صفة المأجور 23,44٪.

ونشير كذلك إلى وجود نشاط تجاري لا بأس به لكون مركز زحيليكة يعتبر محطة طرقية على الطريق الوطنية الرابطة بين الرباط و بني ملال.

صالح شكاك

مالك	81.12/
مكتر	3.86/
أخر	15.02/

**زداغة**، مجموعة من القبائل، معنى الكلمة معرب من الكلمة الأمازيغية "إزداغن" أي المستقرين حديثاً في مقابل "إيگيزولن" المستقرين الأصليين. وتقع هذه المجموعة البشرية إذا وزداغ جغرافيا في السفح الجنوبي للأطلس الكبير في الشمال الشرقي لمدينة تارودانت تحيط بها قبائل متناكدة غربا والمنابذة وأيت إيگاس جنوبا وتافنكولت شرقا، وسكساوة وكدميووة شمالاً.

وتتكون هذه المجموعة من قبائل : أيت سمك، أيت إيگاسا تيجوگا إگنسان، أيت يوسف، تالگجونت - حنكيرة أيت تامنت (وادي العسل) ادا اومسطوگ.

وتعتبر تالگجونت مركزا قياديا وفيه كانت القيادة في أسرة بازين. وقد عرفت المنطقة ببعض المآثر من بينها. زاوية "تافياللت" زداغة وبها ضريح سيدي عبد الله بن سعيد الحاحي المشهورة في قبيلة أيت تامنت المتوفى عام 1603 / 1012 وقد تمكن ابنه يحيى الحاحي أن يسود سياسياً على أودية الأطلس الكبير المحيطة بزاوية تافياللت وعلى مدينة تارودانت بل وعلى مراكش كذلك في بداية القرن الحادي عشر (17 م). أما في قبيلة إذا اومسطوگ فيوجد قبر السيد عبد الله بن الحاج إبراهيم التاساقتي مؤلف كتاب "رحلة الوافد" في القرن الثاني عشر (18 م).

وقد أخرجت هذه المنطقة العديد من العلماء بفضل مراكز التعليم في المدارس العتيقة وخزاناتها العلمية مثل مدرسة زاوية تافياللت ومدرسة قديمة بايت سمك وقد درس صاحب رحلة الوافد من المدرسة الأولى. غير أنهما اندثرا معاً في الوقت الحاضر.

ع. أفا، مسألة التقود في تاريخ الغرب، ص. 72. 73 (خرطة سوس) : التاساقتي، عبد الله بن إبراهيم، رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد، نج. على صدقي، منشورات كلية الآداب بالقطيفة، سنة 1992 : معلومات خاصة من الأستاذ أحمد بوزيد الكنساني. عمرفا

**الزدوتي، إبراهيم بن أبي بكر ولد بقريه تيكي نتركا بقبيلة إداوژدوت في الجنوب الشرقي من مدينة تارودانت. وقد عميت أخباره العلمية عن المؤرخين ولا يذكر إلا باعتباره من مريدي الطريقة الدراقوية التي تلقاها، على عكس كثير من المريدين السوسيين، من الشيخ مولاي المهدي الدراقاوي المراكشي. كان الزدوتي فقيها مشهوراً ببلده، قبل أن يسلك طريق**

أما فيما يتعلق بدرجة التجهيز بهذه الجماعة الريفية فهي جد ضعيفة، فإذا كانت نسبة الأسر المرتبطة بشبكة عمومية للكهرباء في حدود 9.23٪ فإن نسبة الأسر المرتبطة بشبكة الماء لم يتجاوز 4.06٪. أما بالنسبة للتجهيزات الأخرى فإن حجم الأسر المتوفرة على مرصاض يصل إلى 17.71٪، في حين أن نسبة المنازل المجهزة بحمام لم يتعد 5.54٪.

الماء	4.06/
الكهرباء	9.23/
مرصاض	17.71/
حمام	5.54/

تجربات خاصة.

R.G.L.H, Série communale, 1994 ; Caractéristiques démographiques et socio-économiques de la population des communes urbaines et rurales du Royaume, Volume IV, 1997.

\* \* أما عن تاريخ زحيليگة، فهي قرية صغيرة، اشتهرت بمعركة "الفج" التي جرت فيها بتاريخ 2 دجنبر 1912، بين مقاومي زعير والقوات الفرنسية، حيث قتل الضابط "Christian". وأسس الجنرال "Blondlat" بهذه المنطقة مركزاً عسكرياً سماه "Camp Christian" نسبة للقبطان المقتول، وذلك بهدف ضبط الأمن بالمنطقة وتوجيه الحملات العسكرية لإخضاع ما تبقى من زعير وقبيلة بني خيران المجاورة والتوغل في أراضي زايان.

أصبح هذا المركز مستقراً للعسكريين والمعمرين، ملحقة بالمراقبة المدنية للروماني. وبعد الاستقلال أصبحت تعرف بـ "زحيليگة" نسبة للمنحدرات القوية التي وجدت بها. بلغ عدد سكانها في شتنبر 1994 : 16.778 على مساحة 540,00 كلم<sup>2</sup>. ترتبط أنشطتها الاقتصادية بالفلاحة خاصة. تشتهر بسوقها الأسبوعي (الخميس). وتشكل محطة لتوقف المسافرين والحافلات بين الرباط من جهة، ووادي زم وخربكة وبني ملال من جهة أخرى. وهي اليوم جماعة قروية وقيادة تابعة لدائرة الرماني، إقليم الخميسات، جهة : الرباط - سلا - زمور - زعير.

م. ابن سودة، قبيلة زعير قديماً وحديثاً، الدار البيضاء، 1977.

التصوف، ويتعرف على الشيخ الحاج علي الإلغي الدرقاوي ويصبح من مريديه ومن أعمدة الطريقة في بلده، حيث كان يستقبله عندما يسبح إلى تلك الجهة مع فقائه ويراسله عندما يستقر في زاويته بأبلغ دون أن يزورها ولو مرة واحدة.

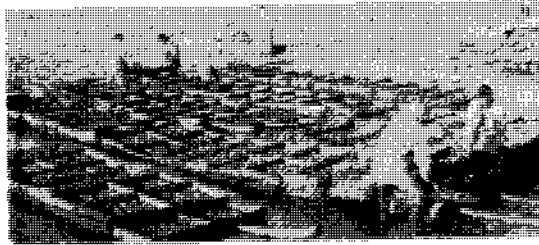
توفي الزدوتي في حدود سنة 1325.

م. المختار السوسي، العسول، 16 : 234 : رحلات العلم العربي في سوس، ص. 211.

المهدي السعيدي

غابرة حيث إن الصينيين كانوا يتعاطون تربية أسماك المياه العذبة ورغم قدم هذا النشاط فإن الإنسان لم يتحكم بعد في مراحل تربية العديد من الأنواع المائية ومازالت تربية الأحياء المائية لا تنتج إلا أقل من 20٪ من المنتج العالمي من الموارد البحرية والمائية بشكل عام. أما في المغرب فتلك النسب لا تتعدى 1٪ نظراً لضعف الاستثمار في هذا المجال ونظراً كذلك لضعف التحكم في تقنيات تربية العديد من الأنواع. ومن المشاكل التي تعترض تقدم وتطور هذا الميدان هناك :

- التوالد حيث إن تربية العديد من الأنواع المائية، خاصة الأسماك يعتمد بالأساس على توفر نسل يلتقط في معظمه من الوسط المائي، إلا أن مشاكل التلوث والإفراط في الصيد الخ، يضعف من إمكانية العثور على نسل وقير يمكن من تأمين حاجيات المستثمرين في صغار الحيوانات المرباة.



- نمو وتطور البرقات حيث إنه من المعروف أن أغلبية الحيوانات المائية تلقي حيواناتها المنوية وبويضاتها بالآلاف في الماء لتلتقي بينها وتتخاضب، لكن تلك البويضات المخصبة وبعد تطورها إلى يرقات تبقى انتقائية جداً من حيث ظروف الوسط الذي تعيش فيه الشيء الذي لا يمكن وجوده وتحضيره بشكل كامل في الوسط الاصطناعي.

- التغذية التي يمكن أن تسبب مشاكل على مستويين (كمي وكيفي)، أما من حيث الكيف فإن ما يعطى لنوع من الأسماك قد لا يصلح لنوع آخر بل وداخل نفس النوع فقد يختلف. غذاء البرقات عن غذاء الأفراد البالغة. أما على مستوى الكم فما زال مشكل "الكمية" الكافية وغير الملونة قائماً بالنسبة لمجمل الزراعة المائية التي تسبب غالباً أضراراً بيئية قد يمكن تفاديها لو عرف المستثمر الكمية التي عليه أن يقدمها للأنواع المرباة.

- القابلية للتربية حيث إن الحيوانات اللاحمة المزعم تربيتها قد يصعب جمعها في مكان واحد نظراً لطبيعتها الافتراضية.

**زراعة وتكتب في بعض المصادر المغربية زرار والزرارات، وهي من عشائر قبيلة الأوداية التي أصلها من عرب معقل الصحراويين، وكانوا ينتجعون بين الصحراء وسوس الأقصى، وقد جمعهم السلطان مولاي إسماعيل في قصة مشهورة، وشكل منهم قبيلة مخزنية قوية، وكتبهم في ديوان الجيش، ووزعهم بين فاس ومكناس. ثم أمر بنقلهم إلى حوز وجدة، وأضافهم إلى إخوانهم من بين معقل الشبانات الذين نقلهم من حوز مراكش، وولى عليهم القائد أبا البقاء ابن الزويعر الزرهوني الزراري.**

وتمكنت زرارة بعد وفاة السلطان مولاي إسماعيل مع أولاد جرار والشبانات من الهروب في اتجاه بلادهم، ونهبوا جميع ما مروا به، كما ذكر الريفي في دولة السلطان محمد ولد عربية. وذلك عام 1150. ولما تولى السلطان سيدي محمد بن عبد الله رحل أولاد دليم من بلادهم وأعطاها لزرارة والشبانات مما جعل الصراع حول المجال يمتد إلى عصر ابنه مولاي اليزيد. وكانت زرارة من أشد المساندين للسلطان مولاي هشام ضد أخيه اليزيد، وحتى بعد مبايعة مولاي سليمان ظلوا متشبثين ببيعة مولاي هشام. وقد استقروا قرب زاوية الشراذي، وأصبح وادي الحلوفا يعرف ببلاد زرارة.

ع. الكريم الريفي، زهر الأكم، 248 : م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، تح. العماري، ص. 214 و236 و263. ابن الحاج، الدر المنتخب، مخ خ س 12184 ج 6، ص. 109 : ابن زيدان، العز والصور، 1 : 164.

أحمد ابشرخان

## الزراعة ← الفلاحة

**الزراعة المائية،** تطلق على تربية نباتات (طحالب مثلاً) وحيوانات (رخويات أسماك الخ) مائية من أجل استغلالها خاصة في ميدان التغذية. وقد يعني بذلك حيوانات ونباتات تعيش في المياه القارية العذبة أو تلك التي تعيش في البحر.

والزراعة المائية نشاط اقتصادي معروف منذ عصور

واعتماداً على المعطيات البيئية للوسط المستعمل في تربية الأحياء المائية قد يلجأ المربي لتلك الأحياء إلى تطعيم الوسط بمواد مغذية تساعد الحيوانات على النمو والتطور. وقد يستغني عن ذلك إذا كان الوسط الذي تعيش فيه تلك الأحياء غنياً بالمواد العضوية الكافية لنمو كل حلقات السلسلة الغذائية التي تنتمي إليها الأنواع المزمع تربيتها.

يمكن تقسيم زراعة الأحياء المائية إلى ثلاثة أنواع حسب الهدف من هذه الزراعة.

1 - زراعة إنتاجية والهدف منها تكثيف إنتاج أحد الأنواع المرباة وذلك إما لدورها الاقتصادي والاجتماعي وإما لتخفيف الضغط على أنواع أخرى مستهلكة.

2 - زراعة توظيفية والمراد من تسميتها مساعدة بعض الأنواع المهتدة أو في طريق الانقراض على التكاثر حتى تضمن الاستمرارية للنوع الذي تمثله.

3 - الزراعة الاحتياطية وهي زراعة أحياء مائية لأنواع مستعملة قد لا تكون مهتدة لكن الإفراط في استعمالها قد يعرضها لذلك يوماً ما، لذا فإن زراعتها للتحكم في مراحل تطورها قد يساعد يوماً ما على إنقاذ وجودها إذا ما أصبحت مهتدة.

رغم شساعة مساحة المنطقة الوطنية البحرية ورغم طول السواحل المغربية ووفرة الأوساط المحمية، فالمناطق المستعملة لزراعة الأحياء المائية تبقى جد محدودة (بحيرة الناظور، بحيرة الواليدية، بحيرة طرفاية...)، أما الأنواع المرباة فهي تقتصر على ثلاثة أنواع من الأسماك ونوعين من الرخويات. أما الإنتاج، وكما ذكرنا سابقاً، فهو لا يتعدى 1% من مجموع الأسماك المستخرجة من البحر ولا يتعدى 2000 طن فقط.

محمد منيري

## الزراعة المغطاة أو الدفيئة، أنماط زراعية

متطورة تعتمد البيوت المغطاة أو الدفيئة. والبيوت المغطاة بنيات محيطة مكونة من هيكل يحمل مربعات زجاجية أو غشاء بلاستيكي، يتلخص دورها في تعديل مفعول المناخ وتكييفه مع متطلبات المغروسات بأقل كلفة. يسمح هذا التغيير الاصطناعي للوسط بزراعة النباتات خارج إبان إنتاجها الطبيعي، حيث تعجز في غيابها عن النمو، أو إذا حصل، كان المدود هزئياً وإنتاج الفواكه أو الخضار أو الزهور ضعيف الجودة.

وتسمح الواقيات الخفيفة (الأنفاق البلاستيكية، الأنفاق الوطنية، السقيقات)، ذات الكلفة المتواضعة، بحماية النباتات من عنف الرياح ومن الصقيع، وكذا باكتساب بضع درجات حرارية خلال فصل الشتاء. ويتسرع إبطار الجني بأسبوعين إلى أربعة أسابيع حسب الأنواع النباتية المزروعة. ومقارنة بزراعة الفضاء الطلق، تخول الدفيئة أو النفق

البلاستيكي الامتيازات التالية :

- تكثيف نظام الإنتاج، خاصة في حيز المساحات الصغيرة ؛

- تعجيل الجني من أجل الاستجابة لطلب السوق بشأن

الفواكه والخضار المبكرة ؛

- تقسيط الإنتاج وبالتالي ترتيب المداخيل ؛ استثمار

منتج في آجال تحصيل قصيرة ؛

تأمين أفضل وتحسين ظروف العمل.

تاريخياً يبدو أن البيوت المحضرة قد عرفت النور بهولندا، خلال النصف الأول من القرن السابع عشر، إبان كان البلد أول قوة بحرية في العالم جعلته يتمتع بأعلى مستوى معاشي على الإطلاق. وقد كان من مباحج العيش في البلاطات الملكية بألمانيا وبريطانيا العظمى وفرنسا ما تقدمه زراعة البواكير، بالدفيئات المخولة للإزهار الشتوي، التي توفر العنب والفواكه في غير أوانها. ولا زالت هولندا، حتى اليوم، من ضمن البلدان الأكثر تطوراً لزراعات الزهور والخضار تحت الدفيئات في أوروبا.

عرف المغرب واقبات الدفيئة ابتداءً من السبعينيات، وقد حصل ذلك تبعاً للتضييق الزمني الذي فرضته أسواق المجموعة الاقتصادية الأوروبية بتخصيص فترة تصدير الطماطم ما بين نونبر وأبريل. فأصبح لزاماً على المغرب إعادة هيكلة قطاع البقول (اتفاقية المغرب - س.ق. أ. 1976). ومن مقتضيات مشروع إعادة هيكلة قطاع البواكير (1979 - 1987). تقوية الإنتاج الشتوي وتحسين جودته وتكييفه مع توقيت التصدير. أجريت تجارب على زراعة الطماطم والفلفل تحت الدفيئة في 1970 بأكادير، ثم امتدت بعدها إلى نواحي الدار البيضاء، أسفي والمجديدة.

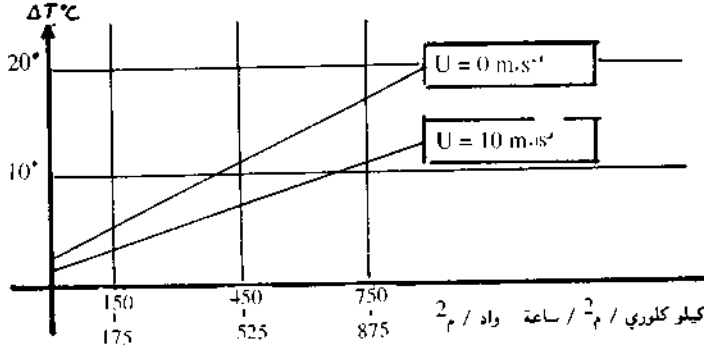
انتقلت تغطية الدفيئات من 5 هكتارات في 1973 - 1974 إلى 1.500 هكتار، 1.300 منها بالطماطم، في 1986. مع متم مشروع البواكير. وفي 1994 - 95، أصبحت التغطية 8.560 هكتاراً، 5.270 منها لزراعات البقول الباكورة، 2.930 للموز، 325 لزراعة الزهور و35 لزراعات مختلفة منها الدالية والخوخ والأناناس. خلال 1998 - 99، احتلت البقول في الأنتافق البلاستيكية وحدها 7.770 هكتاراً لإنتاج 652.500 طن، تغطي الطماطم منها 3630 هكتاراً، متبوعة بالفراولة (1.475 هكتاراً)، والبطيخ (1.320)، والفلفل (416)، والدلاع (320)، والخيار (200)، والفاصولية (180)، وغيرها.

أما المناطق التي همتها هذه الزراعات فهي أساساً سوس - ماسة (5000 هكتار)، الغرب - اللوكوس (1400 هكتار)، دكالة - أسفي (1200 هكتار)، الدار البيضاء - الرباط - ابن سليمان (650 هكتاراً)، سطات - تادلا - الحوز (300 هكتار)، وغيرها (100 هكتار).

أصناف الدفيئات المستعملة بالمغرب.

- الدفيئات المعدنية.

وتفاوت المدى الحراري الأقصى كذلك حسب الموقع العرضي واختلاف فترات السنة. ففي شهر دجنبر، تسمح الدفيئة إذا كانت حجوزتها كافية بريح 10 درجات (شكل 2). لكن بقدر ما يكون مفعول الدفيئة مطلوباً في فصل الشتاء، بقدر ما تخشى عواقبه في الصيف، إذ أن ارتفاعات للحرارة تصل إلى 15 و20 درجة التحكم فيها بمجرد التهوية السكونية.



شكل 1: ارتفاع الحرارة (ΔT) تحت دفيئة مغلقة، مسقفة، حسب حدة الإشعاع الشمسي (RG) وسرعة الريح (u) (نتائج نموذج رياضي)

هناك فوائد أخرى لمخابئ الدفيئة حيث إنها، بالإضافة إلى مفعولها على الحرارة، تحمي الغرس من تقلبات الجو (رياح عنيفة، أمطار...) كما إنها تقلل من التبخر والنتج بنسبة 30 إلى 40% مقارنة مع زراعات الحقول المفتوحة، الشيء الذي يحدث اقتصاداً في استهلاك المياه يترتب بالخصوص عن ارتفاع الرطوبة النسبية للهواء ومفعول صد الرياح.

الأنفاق الوطنية.

الأنفاق الوطنية أو الأنفاق النانوية هي أنفاق نصف أسطوانية ذات هيكل من أسلاك الحديد المغلفن الراسخ في الأرض، تشد فوقها تغليفات بلاستيكية. وهي تعتبر بنيت تخول "نصف التبريد"، مستعملة بصفة مؤقتة من أجل تسريع انطلاق الزراعة في مراحل لازال الجو فيها بارداً جداً. أما إذا اقتترنت بعمليات تفرش التربة فإنها تسمح بالزيادة في حرارة الهواء والتربة بما يناهز 5 إلى 10 درجات، على الأقل خلال النهار. ويتراوح مدى التبريد، مقارنة بالمجالات المفتوحة، ما بين أسبوعين وثلاثة أسابيع. تستعمل هذه الأنفاق، على الخصوص، في زراعات الفراولة والبطيخ. وتقدر المساحات المجهزة بها حالياً بحوالي 1000 هكتار.

مواد التغليف والتفريغ

مواد التغليف.

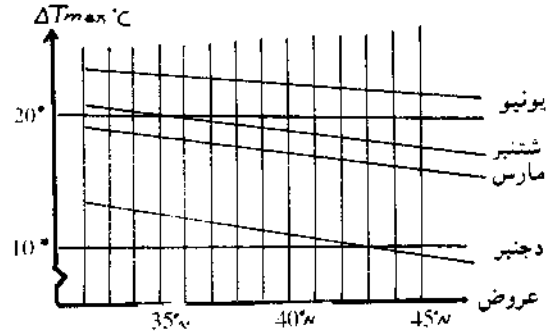
تمثل أغشية متعدد الاثيلين قاعدة الصناعة في مواد التغليف (Polyéthylène : P. E.) ويكون توزيعها على

تشكل الدفيئات المعدنية من أنفاق ذات هيكل معدني نصف - أسطواني مصنوع من أنابيب فولاذية مغلقة، يبلغ علوها 3 أمتار (نفق دلتا 9) إلى 3.5 أمتار (نفق سوكودام)، وعرضها 9 أمتار على طول 56 متراً. تشغل هذه الأنفاق مساحة أرضية هي 504 أمتار مربعة وحجم 1210 أمتار مكعبة (نفق دلتا 9) إلى 1350 متر مكعب (نفق سوكودام). من الأنفاق ما هو بسيط ومنها ما هو متعدد المقصورات. وفي الحالات الخاصة بغراسة الموز والورد يمكن أن يبلغ علوها 4.5 إلى 5 أمتار. تغطي الدفيئات المعدنية مساحة 4300 هكتار أي 50% من مجموع المساحة المغطاة.

الدفيئات الخشبية.

تسمى كذلك بالواقيات الكنارية وهي متعددة المقصورات مسطحة ذات انحدار ضعيف، يتألف هيكلها من أعمدة مصنوعة من خشب الكلبتوس، راسخة في الأرض ومشدودة بعقد السلك الحديدي. تغطي الدفيئات من هذا النوع، في ما يخص زراعات البقول، ارتفاعات من 2.7 إلى 6.630 متراً، ومساحة أرضية من 2.530 متراً مربعاً بحجم 3.300 هكتار منها 2.200 هكتار من الموز.

المواد من المخابئ الدفيئة بالمغرب أن تكون بنيت تسمح بنفوذ الأشعة الشمسية، الأشعة تحت الحمراء القصيرة، لكن مع حبس جزء من الإشعاعات تحت الحمراء الطويلة التي تعكسها التربة والنباتات تحت تأثير التسخين الشمسي خلال النهار. يحدث ذلك ارتفاعاً في درجات الحرارة، تبقى عالية في الليل داخل النفق معها خارجه، إلا ما كان من حالات استثناء الانعكاس الحراري. ذلك بالضغط هو ما يسمى بمفعول الدفيئة. قليلاً ما يتعدى الارتفاع الحراري الليلي الناتج 2 إلى 5 درجات، في حين يتزايد الفائض الحراري في النهار بحسب حدة الإشعاع الشمسي وضعف الرياح (شكل 1).



شكل 2: المدى الأقصى (ΔTmax) لارتفاع الحرارة تحت دفيئة مغلقة، في فصول مختلفة وتحت عروض مختلفة.

هيئة لفائف يتراوح عرضها ما بين 2 و6 أمتار. كما يتفاوت سمكها بين 40 ميكرون في الأنفاق الصغيرة النانوية أو في مواد التفريش، إلى 180 أو 220 ميكرون في دفيئات الموز.

وتعرض مواد البلاستيك أصنافاً مختلفة :

- متعدد الاثيلين العادي (P. E.) : شفاف، بدون تلوين، لا يعمر أكثر من 6 أشهر، أما مفعول الدفيئة الذي يوفره فهو ضعيف. لا يستعمل إلا نادراً على الأنفاق.

- متعدد الاثيلين فوق البنفسجية (PEUV) : ينتج عن معالجة الصنف العادي، السالف الذكر، بإضافات الغرض منها تأجيل التدهورات المترتبة عن الأشعة فوق البنفسجية الشمسية. يبلغ مدى حياة غشاء من هذا النوع موسمين أو ثلاثة مواسم زراعية، وربما أكثر إذا كان محكم التركيب ومطلياً في مستوى الدعامات.

- متعدد الاثيلين تحت الحمراء (PEIR) : يأتي في الغالب على أساس متعدد اثيلين فوق البنفسجية مغنأة بسليكات الألومين أو المغنيزي، الأمر الذي يقلل من نفوذيته إزاء الأشعة تحت الحمراء الطويلة، محدثاً بذلك مفعول دفيئة أفضل. لكنه أقصر عمراً من الأغشية السابقة ويتمزق بسهولة أكبر.

- متعدد الاثيلين خلات الفينيل (Polyéthylène vinyl-acétate : PEVA, EVA) : وهو غشاء من الصنف

الأول أو الثاني، معنى بخلات الفينيل التي تسهم بزيادة خفيفة في شفافيته للأشعة الشمسية، مع تقليل واضح لشفافيته بالنسبة للأشعة تحت الحمراء الطويلة، الشيء الذي يرفع من مفعول الدفيئة. كما أنه أكثر مرونة من الأغشية العادية وأطول عمراً.

- متعدّدات الاثيلين الخاصة :

- مضادة للتضبيب، وهي أغشية من متعدد الاثيلين معالجة بإضافات تحول دون تكاثف الماء على جدران الدفيئة.

- مضادة للغبار، وهي أغشية تتوفر على كهرة سكنوية تنزع إلى إبعاد الغبار عن الغشاء البلاستيكي. حصل تجريب مختلف الأغشية البلاستيكية في جهتين مختلفتين، جهة الدار البيضاء لحساب المنطقة الشمالية، وجهة أكادير لحساب المنطقة الجنوبية.

ففي المنطقة الشمالية، تبين أن استعمال الأغشية البلاستيكية ذات المفعول الحراري هي الأنسب حيث أسهمت في زيادة المردودية شتاء، شريطة أن يكون تدبير مناخ الدفيئة (الحجوزية، التهوية المناسبة) قد تم في ظروف ملائمة.

أما في المنطقة الجنوبية، فإن استعمال الأغشية ذات المفعول الحراري غير مرغوب فيها بالضرورة. ذلك أنه في الدفيئات الضعيفة التهوية (أقل من 20 إلى 25٪ من سطح الأرض)، يمكن أن يحصل فائض حراري، حتى في

فصل الشتاء، يترتب عنه ذبول النباتات. كما إن تبرد الدفيئات في هذه المنطقة يكاد لا يحصل إلا خلال الليل، يتسبب فيه الإشعاع الأرضي المرتفع الذي يخص فترات الليالي الصافية. هذا النوع من التبرد يكون دائماً مصحوباً بتكاثف الماء على جدران البلاستيك مما يتسبب في مفعول دفيئة من المستوى الممتاز، يدوم بدوام الفترة الباردة. لذا فإن دفيئة مغطاة بغشاء من متعدد الاثيلين فوق البنفسجية (بدون مفعول حراري) توفر مفعول دفيئة بالقدر الكافي في الجو البارد، دون ما أي مفعول دفيئة يذكر خلال النهار عندما يختفي التكاثف.

- التفريش.

يخول التفريش البلاستيكي للتربة تغيير حرارة الهواء والتربة بالجوار المباشر للنبات. عملياً، ترتفع حرارة التربة بدرجة واحدة إلى 5 درجات في المعدل حسب طبيعة الغشاء وطريقة نصبه. فالنسبة لتفريش بمتعدد الاثيلين أسود، تتحسن الحرارة الليلية بما قدره 2 إلى 3 درجات بسبب امتصاص الإشعاع، في حين لا يطرأ أي تغيير يذكر على حرارة التربة خلال النهار.

كما يساعد التفريش عموماً على مكافحة الأعشاب الضارة، وعلى الحد من التبخير والتج، واندكاك التربة وتصويلها، ويؤثر على التبيكير ومردودية الزراعات. تدبير مناخ الدفيئة.

يكون التحكم في بيئة الدفيئة إما باستعمال تقنيات بسيطة واقتصادية (تهوية سكنوية، تسخين شمسي سلمي، تبييض الغشاء البلاستيكي، طلاء الدعامات...) أو باستعمال طرق معقدة ومكلفة (تسخين بريح مدفوعة، حواجز حرارية، تهوية دينامية...). يتم اختيار تقنية دون الأخرى بالنظر إلى طبيعة الدفيئة ذاتها، وإلى القيمة الاقتصادية للمزروع ومدى تحملها لتكلفة الاعتمادات المترتبة، وإلى مستوى تأهيل البستاني، وإلى مدى توافر مصادر الطاقة.

أما المتغيرات الأساسية المراد التحكم فيها فهي : الحرارة، والنور والرطوبة. الحرارة.

فمن أجل حفظ الحرارة وتحسين الأجواء الليلية، يوصى باعتماد التقنيات الرئيسية الآتي ذكرها :

- استعمال حاجز مثنى من أجل ردع الحرارة القصوى والرفع من الحرارة الدنيا. تؤمن هذه التقنية اقتصاداً للطاقة قدره 40 إلى 50٪ مقارنة بالتسخين الاعتيادي، مع رفع للحرارة الدنيا يبلغ 2 إلى 3 درجات.

- مزاولة التسخين الشمسي السلمي بالنسبة للزراعات المقامة بين نومبر ويناير تخول الحصول على رفع المعدلات الحرارية الدنيا بما قدره 4 درجات تحت الغلاف الوحيد، و6 درجات تحت الغلاف المثنى، مع تحسين مردودية البطيخ مثلاً بـ 50٪ مقارنة بالدفيئات غير المعرضة للتسخين،

وربع في التبيكير من 2 إلى 3 أسابيع.

- إقامة مصدرة الريح للحد من الإلتلاف الحراري داخل الدفيئة.

- إقفال الدفيئة في الزوال الباكر عند هبوط الحرارة إلى 25 درجة.

- استعمال حاجز حراري متحرك، يتم نشره ليلا.

- استعمال غشاء بلاستيكي ذي شفافية قصوى بالنسبة تحت الحمراء القصيرة (متعدد الاتيلين من صنف تحت الحمراء، وصنف خلات (أسياتات) (الفينيل).

أما في حالات ارتفاع الحرارة الصيفية، فإن تقنيات الحد من الأشعاع صيفا تسهم في تخفيض الحرارة بداخل الدفيئة.

- النور والتشميس.

الوسائل التي تضمن أفضل ظروف التنوير هي كالتالي:

- استعمال غشاء بلاستيكي للتغليف يتوفر على شفافية قصوى للأشعة الشمسية، وعلى خاصيات لاسكونية مانعة لوساخة الجدران. ويستحسن في هذا الصدد استعمال بلاستيك 120 ميكرون كل سنة بالنسبة للزراعات المتطلبية للنور (بطيخ، طماطم)، في حين يمكن استعمال الأغشية البلاستيكية لموسمين في الزراعات المتواضعة الطلب على النور كالقرع الأخضر.

- الإبقاء على تهوية جيدة من أجل تجنب تكاثف الماء على البلاستيك والنباتات.

- إقامة الدفيئة في مواقع خارجة عن الظل.

- استعمال الكثافة المثلى في الغرس، وإيجاد التوجيه المناسب للخطوط المغروسة حتى تحظى النباتات بالقسط الأوفر من النور.

خلال الصيف، يحصل أن تتعرض الدفيئة إلى إفراط في السخونة بسبب الإشعاعات المرتفعة التي يمكن أن تصل، في الجو الصحو، إلى 1.5 وحدة حرارية للسنتيمتر المربع في الدقيقة. لذا ترتب التحسب لذلك بالتظليل بواسطة تبييض سقف الدفيئة أو باستعمال أنسجة التظليل المهواة، المنتقية (استبعاد الأشعة تحت الحمراء القصيرة وحدها)، والمنقولة المعدة لردع الحرارة المفرطة. الرطوبة.

وجبت مراقبة رطوبة الهواء مادامت تسهل تكاثر الأمراض الفطرية.

أما في الجو الحار والجاف، فغالبا ما تهبط الرطوبة بداخل الدفيئة إلى ما دون المستوى المرغوب فيه، فتكون التقنيات العملية التي تسمح بالرفع منها هي التظليل، ورش التربة، والتضييب بالبخ وكذا إقفال الدفيئة. أما اقتناء نظام التبريد فهو ممارسة مكلفة، ويصعب التحكم فيها.

وعلى النقيض، عندما تكون الرطوبة النسبية للهواء مرتفعة، يجدر اتخاذ الإجراءات التالية : - تهوية الدفيئة

باكرا في الصباح.

- استعمال التفريش البلاستيكي والسقي المحلي عوض السقي بالجاذبية.

- نزع الأوراق عن قواعد النبات لتسهيل حركة الهواء.

- التسخين من أجل الرفع من حرارة الهواء.

- استعمال الحواجز الحرارية.

لاشك أن هاتين التقنيتين الأخيرتين فعاليتين، لكن إقامتهما مرتفعة التكاليف ولا مبرر لهما إلا مع الزراعات ذات القيمة المضافة العالية.

على العموم، يتبين أن الزراعة المغطاة، لما تقتضيه من تدبير معقد نسبيا ومن حاجيات ماسة للتقنيات المتطورة، تقتضي المستوى المعرفي الرفيع والمستخدمين المؤهلين. كما يتوجب على بنيات الدعم التقني (معاهد البحث، هيئات التنمية، محطات التجريب، ...) أن تسهم في تسهيل تحويل هذه التكنولوجيات الجديدة، بعد أن تكون قد تحققت من نجاعتها وتوافقها مع الظروف النوعية لوسط الإنتاج.

ولالي الأودي، ضوء المكان، قسم البستنة، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط.

K. Bendaou, *Impact des accords du GATT sur les exportations agricoles du Maroc*. Rabat, 1997 ; *Cultures protégées en climat méditerranéen*. Bulletin de la FAO, n° 90, 1988 ; A. Hamdi et C. Lacirignola, *An overview of protected agriculture in the mediterranean countries*. In *regional consultative meeting on greenhouse production in the mediterranean region*, November 1993. Agadir, pp. 300 - 319, 1993 ; Mamva, *Bilan du secteur des primeurs au Maroc. Campagne 1998 - 99*, 1999 ; M. Sirjacobs, *Les cultures protégées au Maroc. Choix des régions climatiquement favorables*. H.T.E., 1986 ; A. Morchid, *Potentialités de développement des cultures sous abris serres dans la zone côtière du périmètre du Gharb*. Mémoire de troisième cycle de l'Institut Agronomique et Vétérinaire Hassan II, Rabat, 1999. إدريس الفاسي

**الزرايعي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا :- Alaçaraque - Laçaraque - Alaçaraque ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Lazraque.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 763.

محمد ابن عزوز حكيم

**زريان أوكروم**، مقاوم ولد سنة 1920 بأيت عكناس، عرف منذ شبابه بالغيرة الوطنية والشجاعة مما دفعه إلى الالتحاق بإخوانه المجاهدين في صفوف جيش التحرير وذلك يوم فاتح شتنبر من سنة 1955 بالأطلس



المتوسط تحت قيادة محمد بن قدور ضمن تشكيلة السلام  
الناري والأبيض بأيت حلوسين ملحقة بركين.

شارك في عدة هجومات على دوريات الاستعمار، منها  
الهجوم على مركز بركين الذي كان الغرض منه الاستيلاء  
على السلاح، وإثر الاشتباك مع جنود الاستعمار سقط  
المجاهد زربان وكروم شهيدا وذلك يوم السبت 13 صفر عام  
1375 / فاتح أكتوبر من سنة 1955.

المدوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء  
الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 508890.

**الزربية**، اشتهر أهل المغرب في الجبال والهضاب  
والسهول بتربية الأغنام التي توفر لهم اللحم والجلود  
والصوف، ومن الصوف يصنعون ملابس وأفرشة راقية  
وأهمها الزرابي أو البسط التي تفتنت فيها أيدي العاملات.  
يعالج الصوف من أجل صنع زربية بغسله وتنقيته وندفه  
وحلجه وصبغه وإقامة سداه ثم نسجه، وتحيط بهذه  
العمليات طقوس ومعتقدات تجمع بين حبور الاكتشاف  
والشعور بمقاربة الخفي والمجهول.

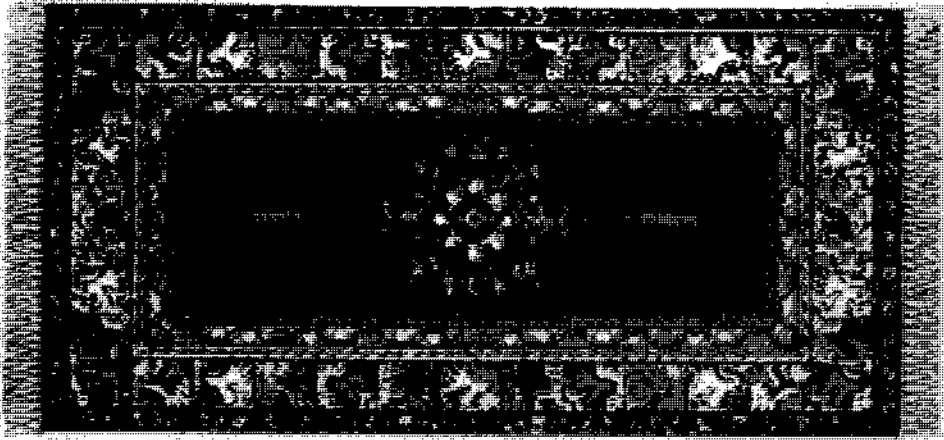
تصنع الزربية من مآت آلاف العقد ينسج بعضها على  
بعض على سدى تتخالف فيه خيوط ملونة تتخليل المعلمة  
الناسجة الأشكال التي ستنتج عنها دون أن تضع لذلك رسما  
مخططا، فيأتي شكل الزربية في تزويقها متوازنا متماثلا  
مشيراً للإعجاب. وهكذا تعبر الزربية المغربية بكيفية  
طبيعية عن شخصية جمالية وخصوصية ثقافية وذوق قد  
لا يكون غاية في الرقة ولكنه خال من الخلط والابتدال.

كان نسج الزرابي على امتداد تاريخ المغرب وإلى غاية  
النصف الثاني من القرن العشرين عملية تجري داخل العائلة  
ولا سيما في البوادي، وتمهتت فيها في كل جهة عائلات  
توارثت صناعتها، وربما شارك الرجال في النسج أو في  
بعض جوانبه إلى جانب النساء. فالنساء والرجال هم حفظة  
التقاليد العريقة في صناعة الزرابي نسجا ورسما.

صناعة الزرابي تقليدان : حضري وبدوي، فالتقليد  
الحضري تمثله الزربية الرباطية، وقد نشأت في مدينة سلا  
صناعة للزرابي في الربع الثاني من القرن العشرين.

فالزربية الرباطية كزربية مدن المغرب الكبير كالقبيروان  
وزرابي الهضاب العليا في جهة قسنطينة هي ممّا أدخله  
التأثير التركي حوالي القرن الثامن عشر. فأصلها  
النموذجي من آسيا الصغرى ولا سيما جهة موجور وربما  
دخلت فيها عناصر من زاربي غيورديش وكوبا ولاذق  
وميليز.

فالزربية الرباطية مثل زرابي الجهات المذكورة تتضمن  
سبعة ألوان (الأحمر والأزرق والأصفر والأخضر والبرتقالي  
والأسود والأبيض)، ويوجد بينها تشابه أيضاً في غنى  
التأطير وقوته. وتتميز الزربية الرباطية بعناصر ربما شكلت  
أصلتها، منها أن الخلفية الوسطى هي دائما حمراء لا  
يتغير لونها؛ وأنها بخلاف الزربية الشرقية تكاد لا تحتوي  
توجها إلى القبلة حيث يكون لها في زوايا حقلها الأوسط  
أربع ركنيات (بدل اثنتين في زربية الصلاة)؛ يضاف إلى  
هذا أن الزربية الرباطية هي على العموم موسومة في  
وسطها بحلية مزوقة على شكل معين رباعي أو رسم  
سداسي الأضلاع، أما مقاس الزربية الرباطية فيتميز



زربية رباطية

8 سم) وهي الحمراء والأقل طولاً (1.3 سم) من ألوان مختلفة (زرقة، صفراء، برتقالية، سوداء، بيضاء)، وتتميز عن زرابي الأطلس المتوسط بتأطير لعله من تأثير زربية الرباط.

بوياحي : يغلب على صوفها الوافر تلوين أزرق - أخضر - زيتي، معينات تزويقها مليئة بزواقات تتكرر عرضياً بشكل متماثل وتتغير في اتجاه الطول. سجل تراويقها أغنى وأكثر زخماً مما في زرابي الأطلس المتوسط الأخرى، ففيها مربعات ومثلثات ومعينات مع عناصر جديدة كرسوم مشبكة قائمة ومائلة. وبسبب وفرة صوفها المتدلي تكون زربية بويحيي ثقيلة، ولكنها نادرة.

زمور : الزرابي البدوية التي رأيناها أعلاه ذات سمات مشتركة : مصنوعة من صوف معالج بأدوات وطرق ومواد متشابهة، وتزويقها هندسي بالأساس، وهذه السمات عامة في الزربية البدوية. غير أن اختلافات في معالجة المادة الأولية ونسجها يفضي إلى تميز كل مجموعة بسمه خاصة يدركها صاحب العين المدربة. فهناك تنوع لا يحصى في الوحدة. تتميز زربية زمور بطغيان اللون الأحمر الذي تفرغ فيه تلوينات لا تقل حدة، (البرتقالي والأصفر) وتتخلله فضاءات مفتوحة أو مغلقة مكونة من نقط بيضاء أو سوداء ولا نجد الأزرق إلا نادراً. تراويقها من معينات لكنها ذات خطوط منكسرة أو ممشقة.

وزكيتة : تتميز زرابيهم بتعارض غير صادم بين الأبيض والأسود أو بين الأزرق والبرتقالي، مع إمكان إدخال الأحمر والأصفر، بل وحتى الأخضر المحصل عليه باستعمال النيلة أو فوة الوزال الشائك. صوف زرابيهم أقل رقة وأكثر بريقاً. عقد النسج في الطول أقل منه في العرض بكثير. (وفي المتوسط : 9 إلى 14) يظهر وكأن كل صف في العرض معزول عن المجاور له بحوالي 1 سم. فرؤوس الخيوط مقطوعة بكيفية مائلة، وهذه التقنية لا توجد إلا في الزرابي الفنلندية.

شيشاوة : عمق أحمر موحد تارة وحامل تراويق متماثلة تارة أو مغطى بلوحات عرضية متوالية. يغادر مجال التزويق الهندسي ليدخل مجال تزويق أكثر انفتاحاً يستوحى في بعض الأحيان من مشاهد طبيعية فيها حتى مشاهد أشخاص أحياء.

توجد منسوجات للفرش تشبه الزرابي وتسمى الحنابل، وتتميز بمتانتها وبكونها أقل سمكا من الزرابي وأخف منها وزناً ولاسيما بالنسبة للزرابي ذات الصوف الوافرة والنقط المعقودة. نسجها محفوف مخلوق، تستعمل إما للفرس أو الغطاء أو إقامة الخيام. فيها من الأنواع بقدر ما في الزرابي، وأشهرها حنابل سلا وحنابل زيان وحنابل وزكيتة. تتفاوت جودة الزرابي بحسب المواد المستعملة وتقنية المعالجة والنسج والصبغة. وقد أنشأت السلطات الإدارية طابعا يضمن الأصالة ودرجة الجودة وتشتراط مقتضيات

بالضيق في العرض ويطول ممتد في بعض الأحيان وذلك ليأتي على مساحة الغرف ذات العرض الضيق والطول الكبير كما نجدها في مساكن المدن المغربية.

فالزربية الرباطية تتميز بالتباين في الألوان بين إظاراتها وبين حقلها الأوسط : فبينما يتأكد بجلاء اللون الأحمر النحاسي في الحقل الأوسط، يتنحى في الحواشي لكي يدع المجال لعدة أنساق لونية بعضها أقل عمقا وبعضها أكثر صفاء ؛ بينما نجد الوسط لا يحتوي في ما عدا الحلبة المركزية إلا على زواقات صغيرة، أما التأطير فتؤتته عناصر نباتية بمقاس أكبر تتوالى على طول الحواشي المتنوعة المفروقة بطريقة ذكية بواسطة أشربة دقيقة انتقالية ؛ أما الركينات فتتزين بزواقات ذات قياس متوسط تتناغم في توجيهها وألوانها مع الخطوط المائلة للتقاويس المجاورة.

أما الصناعات البدوية للزربية فتمثلها على التقليد القديم جهات : - جيگو : من أشهر زرابيه تلك التي تتكون تراويقها من معينات لا غير وتنحصر ألوانها في الأحمر والأسود والأبيض. ليس في تكرار المعينات رتابة في حين تتدخل في الألوان توابت غير متوقعة وفي قالب شد الحيط وفي قطع البُسْط، ثم بعض التنوع في البنية الداخلية للمعينات ولاسيما عند رؤسها، كل هذا يجعل التزيين بعيداً عن الجمود الآلي ويشكل مجموعاً رائعاً للنظر. لا شيء في زرابي جيگو يوحى بالتأطير، مثال بلد جيگو الذي لا يعرف حدوداً دقيقة. وفي أنواع أخرى لا نجد المعينات وحدها بل تقوم النساجة بإدخال لوحات أفقية متوازية تتناوب فيها لحنات مكرورة ويسط من حاشية إلى أخرى.

بوب : تشبه زرابيه زرابي جيگو التي تراويقها من المعينات، ولكنها أغنى تلوينا.

مكجيلد : تتميز زربية بني مكجيلد بتزويق يستعمل فيه تشبيك من المعينات لا يكون رسمه بخطوط مائلة بل بمربعات صغيرة قائمة مما يعطي منظراً شطرنجياً. يكون تغير الألوان خفيفاً في بعضها حسب مناطق عارضة متوالية وتنوع زواقات بارزة في المحور الأفقي وفي الحواشي، وهذا يبعد كل رتابة عن منظر الزربية.

مرموشة : قد تبلغ زربية مرموشة وزربية بني وارين 5 أو 6 أمتار في الطول. وهكذا يمكن أن تتخذ فرشاً أو غطاء لعائلة بأكملها. قد تتناوب فيها وتتوالى لوحات مختلفة التزاويق بكيفية مستعرضة. يتكون بعض هذه اللوحات من معينات كبرى متداخلة متكونة أضلاعها من مربعات صغيرة. عند مرموشة كما كانت عند عدد من قبائل الأطلس المتوسط يشارك الرجل المرأة في نسج الزرابي.

زيان : تشبه زرابيهم زرابي مرموشة وبني وارين في وفرة صوفها ولكن زرابي زيان يغلب عليها اللون الأحمر تتدلى من صفحتها خيوط متفاوتة القطع (من 5 إلى

المراقبة أن تكون الزربية من نقط معقودة أو منسوجة باليد من صوف منقى من الروائح والشحوم، يمكن أن تكون خيوط لحمته وسداه من القطن كما يمكن أن يدخل فيها شعر المعز أو وبر الإبل، ولا يمكن أن تحيد من حيث الألوان والصبغة عن النماذج المحددة لكل صنف رسمياً.

تتوقف درجة رقة الزربية على درجة رقة مكوناتها : اللحمية والسدي و عدد العقد، وكلما كانت الزربية دقيقة كلما تطلبت وقتاً ونفقة، فالنوع العادي يتكون من حوالي 20 نقطة في كل عشر سنتيمترات خطية أي 40.000 نقطة في المتر المربع، وقد تنزل إلى 14 نقطة في عشر سنتيمترات وقد تصل إلى 30.

هذه هي الوضعية إلى منتصف القرن العشرين. وبعد ذلك تطورت الزربية وصناعتها من حيث المواقع واتخاذ الطابع غير العائلي ومن حيث الكثرة في الإنتاج استجابة للسوق الداخلية والخارجية ومن حيث التزيين في النسيج ومن حيث التفنن في الزواقات وفي إدخال ألوان جديدة، هذا كله دون أن تفقد طابعها المغربي حضرياً كان أو بدوي، (ترد ضمن مادة : صناعات فنية معلومات حول هذا التطور الصناعي والاقتصادي الذي عرفته الزربية بعد منتصف القرن العشرين).

P. Ricard, *Corpus des tapis marocains*, Paris, 1923  
- 34 ; *Les arts indigènes, Numéro spécial de "Nord-Sud"*,  
Casablanca, 1930 ; J. Baldou, *Les tapis*, Rabat, 1942.

أحد التزيين

ملخص ومترجم عن ب. ريكار  
(*Tapis marocains*, Rabat, 1952)

**الزردة** أو الضيافة الكبرى أنواع كانت تحتل مكانة متميزة في العلاقات الاجتماعية بالمغرب، وعلى ضوئها يصنف الشخص بخيلاً (لا يزد الناس) أو كريماً (كثير الزرود)، وما تزال تلعب الدور نفسه في البوادي وفي المدن (بدرجة أقل) ومن أنواعها على سبيل المثال. ما يعرف عند العامة (بالنصاف) أو (الحق) وهي زردة مفروضة على الشخص أو الجماعة التي ارتكبت خطأ أو مخالفة في حق الغير أو خرجت عن العرف السائد... ويفرض هذا النوع من الزردة (الجماعة) المكونة من حكماء القوم فتلزم الشخص أو الجماعة التي (فيها) النصف أو الحق بإقامة وليمة قد تكون محتوياتها ووجباتها اختيارية وقد تكون مفروضة، وذلك تبعاً لفداحة الخطأ أو المخالفة ومراعاة لحالة الشخص أو الجماعة وتخضع فيها لقرار (الجماعة) وغالباً ما تكون فيها الذبيحة الكبيرة (جمل، عجل أو بقرة) أو ذبيحة صغيرة (شاة من الغنم أو الماعز).

كان الاحتكام في المنازعات الصغرى بين أفراد القبيلة أو الدرب في المدينة إلى مقدم الجماعة (وهو مقدم غير رسمي) بل شخص عرف في القبيلة أو الدرب برجاحة عقله

وحصافة رأيه وحياده واستقامته وفي حالة تعذر وجود المقدم أو لصعوبة الحكم في النازلة، أو في حالة عدم امتثال المعني بالأمر للحكم يتم اللجوء إلى سلطة أعلى وهي "الرمي" وهو جماعة من الناس لم يشتغلوا بالذبيحة بل يعيشون من تبرعات المحسنين ليس في شكل صدقة وإنما نزولاً عند طلب هؤلاء (المتصوفة المجاديب)، كان "الرمي" يحلون بالقبيلة والذوار في دورات معروفة خلال السنة فتعرض عليهم الحالات العالقة، أما وجودهم الدائم ففي الأسواق الأسبوعية بالبوادي حيث يكون لهم قيطون أو عدة قباطين معلومة ؛ ويحضر أمامهم الطرفان المتنازعان أو الطرف المهضوم الحق وحده، وبعد الاستماع، والتثبت وفق مسطرة معروفة عند الجميع يصدر الحكم بإقامة زردة تنتهي بعقد الصلح وبحل النزاع، وفي حالة عدم الامتثال إلى الحكم بعد محاولات عديدة، تتم معاقبة الطرف الرافض وذلك "برميته بطلقات"، ومن هنا جاءت كلمة "الرمي" إذ تتم العملية في طقوس (يجذب) فيها هؤلاء ويهيجون ثم يسددون في اتجاه الشخص أو الجماعة المذنبه بناذقهم التي هي عبارة عن عطى ويطلقون عليه النار التي هي عبارة عن دعاء ضده حتى ولو كان على بعد كلمترات، أي أنهم يتوسلون إلى الله أن يهلك الطرف المعني أو يصيبه في بدنه أو ذريته أو ماله وهكذا ؟ وفي حالة الامتثال وإقامة الزردة يكون العكس، فسلطة هؤلاء هي "الفاحة" لصالح الشخص أو ضده ؛ وبهذه السلطة استطاعوا تحقيق بعض التوازن في المجتمع إلى حدود منتصف القرن الماضي، وما تزال بقايا من هذه السلطة يمكن الوقوف عليها في بعض القبائل خاصة في منطقة الغرب (رواية شفوية).

النوع الثاني من الزردة ما يقيمه الشخص أو الجماعة من وليمة وإكرام لأهله ومعارفه وأصدقائه وجيرانه بمناسبة نجاح معين في التجارة أو الفلاحة أو بمناسبة بناء دار أو مؤسسة أو غيرها وقد تكون تلقائية أو يطلب وإلحاح من الآخرين الذين يعتبرونها حقاً لهم، وإلى وقت قريب "كنموذج" كان المحضار في المسجد يقيم أهله الزردة بمناسبة بلوغه سورة طه في حفظ القرآن الكريم وسمونها الزردة الصغرى، أما الزردة الكبرى المصحوبة بكسوة الفقيه ويهدايا أخرى فتكون بمناسبة ختمه حفظ القرآن (السلكة).

النوع الثالث مرتبط بالأبهة أو إظهار القوة والجاه أو بالسلطة، سواء كانت سلطة دينية (زوايا، أضرحة) أو قيادية (خاصة في ق 19) أو المخزن نفسه، ففي هذا النوع يتم إظهار العامة وإرهابهم بإبراز القوة والعظمة اعتماداً على ما يذبح ويقدم للناس من أطعمة في ولائم حاشدة يحشر إليها الناس على اختلاف مكانتهم ومستوياتهم.

النوع الرابع يقوم به عادة المخزن وأعوانه ويكون "ملغوماً" إذ الهدف منه إيهام "المزودين" بأن المخزن راضٍ عنهم في حين يكون الهدف الإيقاع بهم وسجنهم أو قتلهم وأمثله متعددة عبر التاريخ (الضعيف).

المستعمر وتحرير الوطن من حيز الاستعمار، وبعد أن أحرز المغرب على استقلاله وأصل الفقيه دوره الوطني بعد انخراطه في صفوف القوات المسلحة الملكية إلى أن أحيل على التقاعد. وتوفي يوم الاثنين 30 رجب عام 1415 / فاتح يناير 1995.

المدوية السامية لقداما، المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء، الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 505529.

### زروق، أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى

البرنسي الفاسي، شيخ الطريقة الزروقية التي انتشرت في آفاق البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً، ومحيي الطريقة الشاذلية بالمغرب، وذو اليد البيضاء في تمكينها من الغلبة به ابتداء من القرن 9 / 15 إلى هلم جرأ. وهو المههد لعصر التصوف في هذه البلاد بدفاعه عن الوحدة بين الشريعة والحقيقة في إطار الطريقة، وعن الفقه والتصوف لحصول الكمال في الدين. وصاحب حركة إصلاحية دينية كبرى نال بها الصفة الجليلة والضمخة التي أطلقها عليه علماء المغرب، وهي "محتسب العلماء والأولياء"، والتي لم يظفر بها غيره من علماء وصوفية الإسلام، ولا فيما قبله ولا فيما بعده. وهو مصنف التأليف النفيسة والغزيرة في مختلف صنوف العلوم، والتي وقف الجهابذة عند ساحلها، وعز على الفطاحل الغوص في دقائقها وجلو حقائقها.

ويمكن التمييز في سيرته الحافلة بين المراحل الأربع التالية :

1 - ولد زروق بفاس يوم 28 محرم 846 / 7 يونيو 1442، وكان وحيد أبويه اللذين توفيا في الأسبوع الأول من ميلاده نتيجة الطاعون. وكفلته جدته لأمه، وكانت فقيهة صالحة حرصت على أن ينال أفضل تربية وتعليم، فحفظ القرآن وهو في عامه العاشر، وهو نفس العام الذي توفيت فيه جدته أم البنين، فاضطر لمعانة حرفة الخرازة لكسب قوته. ولما بلغ السادسة عشرة من عمره تحول إلى طلب العلم، وانتظم في سلك طلبة جامع القرويين والمدرسة العنانية. وأخذ عن أعلام الحياة الفكرية بالمغرب خلال الطور الأخير من أطوار الدولة المرينية، كما انتسب إلى بعض مشاهير مشايخ التصوف بالحاضرة الفاسية. وقد ذكرهم بأسمائهم في كتابه، وأبعدهم أثراً في روحه وفكره الشيخ محمد بن قاسم القوري (ت. 872 / 1467) آخر حفاظ المدونة بالمغرب، ومقتل حطة الإفتاء بقاعدة ملك بني مرين؛ والشيخ محمد بن عبد الله الزيتوني (ت. 901 / 5 . 1496) المتصدر لمشيخة زاوية بوقطوط الشاذلية بفاس، وحامل أركاب الحجيج المغربية، والذي توغل في محبته واجتهد في خدمته ولازمه في حضره وسفره. وقد أثمر هذا الأخذ والانتساب أول تعليق على الحكم العنانية صنفه زروق الشاب، وأيضاً كتيباً عنوانه تحفة المرید وروضة

قلت في البداية إن مدلول الزردة تطور فأصبح اليوم يختلط بالضيافة العادية أو "العزومة" حتى ولو لم تكن فيها ذبائح وأصبحت هنا مرادفة لحفلة غذاء أو عشاء، ولا يجب أن نخلط كذلك ما بين الزردة بالمفهوم والمقاييس التي عرضناها وما بين الذبيح في المناسبات مثل المواسم والنذر والأعراس والعقيقة والحلتان والزفاف وما إلى ذلك فهذه اكتسبت صبغة الاكراه الاجتماعي وأصبحت مفروضة بحكم الأعراف والتقاليد والدين.

الرواية الشفوية : مذكرات خاصة : ابن صاحب الصلاة، كتاب المن بالامامة، بيروت، 1987 : تاريخ الضعيف الرباطي الرباط، تج، أحمد العماري، الرباط، 1986 : ابن عسك، درحة الناشر، الرباط، 1976، تاريخ إقليم أسفي، الدار البيضاء، 2000.

محمد حجاج الطويل

**زروق، أسرة** تطوانية أصلها من الأندلس كان من بين أفرادها بعض الفقهاء مثل :

### زروق، أحمد بن عبد الصمد الذي كان بقيق الحياة

سنة 1130 (1718)

### زروق، محمد بن أحمد بن المختار الذي زاوول خطة

العدالة بالمدينة سنة 1154 (1741).

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسما، عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 768.

محمد ابن عزوز حكيم

### زروق، أسرة

عرائشية أصلها من أولاد يحيى فرقة من بني حيارة في عداد قبائل غمارة بني حسان، ينتسب بعضهم إلى النسب الشريف ولاحظ لهم فيه. وقد وقف مؤلف رياض الجنة في مجموعة للمؤرخ النسابة العربي القادري الفاسي على رسم مثبت صحيح مخاطب عليه بالإعمال لقاضي الجماعة بفاس عبد الواحد الحميدي يتضمن الطعن فيما ادعاه بنو حيارة من النسبة النبوية ومعه كتاب لأبي القاسم ابن خجو مصرحاً بأنه لم يصح عندهم ببني حسان شرف الرجلين والحياريين والزياتيين والشداديين عدا فرقة بني عمران من بني شداد.

### زروق، أحمد مقاوم ولد سنة 1921 بدوار تزران

قيادة تفرانت دائرة غفصاي إقليم تاونات.

انضم إلى صفوف جيش التحرير منذ انطلاخته سنة 1955 وشارك في العديد من المعارك التي استهدفت طرد

الفريد وفوائد لأهل الفهم السديد والنظر المديد الذي جمع فيه مختاراته من قراءته.

2 - نيف عمر زروق عن العقدين حين اندلعت بفاس فتنة عام 869 / 1465 التي عصفت بدولة بني مرين، وعابن ذبح السلطان عبد الحق المريني، وإطلاق اليد في دماء اليهود وأعراضهم وأموالهم، ومحنة شيخه القوري الذي أبى أن يمكن الثوار من فتوى تبيح خلع السلطان ونقض ذمة اليهود لعدم وجود موجب شرعي لذلك وأجبر على تسليم الفتوى المطلوبة. ولاشك أن زروق قد وقف في صف شيخه في محتته هاته، وأصابه من شرورها مثل ما أصابه، ففسدت العلاقة بينه وبين شيخه الزيتوني الذي قد يكون من جملة المشايخ الذين أضرمو نار الفتنة على بني مرين، وغادر فاس في سباحة أربعينية محمومة، وألقيت عليه شبهة اليهودية.

ولم يدر العام على هذه الأحداث التي زعزعت كيان زروق الطالب والمريد حتى بلغ فاس نعي الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (ت. 870 / 5 - 1466) الذي سمه بعض الفقهاء، وأذن اغتياله لاشتعال فتنة أخرى أشد فتكا وأطول زمانا وأوسع مكانا. ولم يلبث زروق أن رزى في شيخه القوري الذي توفي عام 872 / 1467، فيقرر أداء فريضة الحج في العام الذي يليه. وستستغرق رحلته الحجازية سبع سنين كاملة، حج خلالها وجاور بالمدينة، وأقام بالقاهرة ذهابا وإيابا، وأخذ بها عن جملة من العلماء والمشايخ المشاركة، ومنهم الفقيه الشهير محمد السخاوي (ت. 913 / 1507)، الذي ترجم لتلميذه زروق في كتابه "الضوء اللامع". واهتدى بها أيضاً إلى شيخه وعمدته في الطريق أحمد بن عقبة الحضرمي اليمني (ت. 895 / 1490)، الذي صدر به في الطبقة الأولى من طبقات المشايخ الذين صحبهم شرقا وغربا، واعتبره واسطته الرئيسية في سنده في الشاذلية.

وينصح الشيخ الحضرمي زروق بالعودة إلى المغرب ليأسه من المشرق وأهله، فيأخذ السميت إلى فاس وفي جعبته، بالإضافة إلى أسانيده العلمية والصوفية العالية، ثمانية شروح على الحكم العطائية وكتاب "النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية" الذي ألفه بجامعة الأزهر عام 877 / 1473، والذي يعتبر من أكثر مؤلفاته شيوعا وتداولاً بين الناس، وكتاب "الجامع لجمال من الفوائد والمنافع" ويعرف باسم "النصيحة الصغرى" كتبه عام 878 / 1474.3، وبينه وبين كتاب "النصيحة الكافية" قدر كبير من التشابه.

3 - عاد زروق إلى فاس ما بين 879 و880 / 1475. ليجد حال المغرب أسوأ من الحال التي تركها عليه، من اضطراب وانتكاس مملكته، وإفتراق كلمة أهله، وعتو قبائل الشاوية في غربه، واستبداد عمر المغيطي (ت. 890 / 1485) بجنوبه، وسقوط ثغري أصيلا وأنفاويعض سواحل سوس في يد البرتغاليين، وانتقال سلطنة فاس من يد

محمد الجوطي إلى محمد الوطاسي بعد حرب وتهالك. ورغم الغموض الذي يكتنف الأعوام الأربعة التي مكث زروق خلالها بالمغرب في صدر الدولة الوطاسية، فإنه من السهل تصور كسفه بدر فقهاء وفقراء المحاضرة الفاسية بوجه خاص ونظرانهم في بقية البلاد بوجه عام، وهروع طلبة الفقه ومريدي الفقر للكروع من حياض علمه الظاهر والباطن، وتشوفهم إلى تحصيل أسانيده العلمية والصوفية الرفيعة، من الفاسيين وغيرهم، ولاشك أنه قد اجتمع عليه منهم خلق كثير. كما اتصل به رجال الطوائف الصوفية، وقدموا إليه من مختلف أصقاع البلاد، والثابت اجتماعه بجماعة من المريدين أتباع المغيطي جاؤوه من الجنوب، وهم أشهر وأخطر طائفة صوفية على عهده.

والدليل على تصدر زروق للتدريس بفاس خلال المدة التي تهمننا تأليفه لجزء في الحديث، ويعرف أيضا "برسالة في تحديد مصطلح الحديث"، وتعليقه على قصيدة ابن البناء السرقسطي (ت. 649 / 1251)، ويعرف بشرح المباحث الأصلية وباللوائح الفاسية في شرح المباحث الأصلية. وقد فرغ زروق من هذين المصنفين في عام 881 / 1477. كما صنف خلال هذه السنوات الأربع خمسة شروح من أصل الشروح السبعة عشر التي وضعها على الحكم العطائية، وهي في ترتيبها من العاشر إلى الرابع عشر.

ويبقى الأثر الجليل الذي أخرجه زروق بفاس عام 882 / 1478 هو كتاب قواعد التصوف، الذي يعد أفضل تصانيفه الصوفية على الإطلاق. وهو تأليف نفيس ضمنه زروق عصاره ثقافته الواسعة وزيدة تجرته الروحية وخلاصة آرائه الإصلاحية، في أسلوب متين شديد التركيز، ورتبه في مائتين وسبع عشرة قاعدة. فجاء كالطود الشامخ والراسخ وسط طوفان العصر المتلاطم الأمواج، يبسط برنامج مدرسة صوفية يحتاج تفصيله وتطبيقه إلى أمد طويل، ويدعو إلى نهضة علمية وتعليمية في مضمار التصوف المغربي، تدور على الاجتهاد والتجديد. ويقدم حلولا لمشاكل عصره الذي افترق أهله بين فقهاه وفقرائه، وطمع فيه القائم على الرئاسة الروحية في الرئاسة الدنيوية، وانعدم فيه المتوجه بصدق إلى الله.

وإذا كانت المصادر تؤرخ لفساد العلاقة بين زروق ومشايخ المحاضرة الوطاسية من أول لقاءهم به، وأن النفرة حصلت بينه وبين وفداهم الذي خرج لاستقباله، فإن الكارهين لهودته والمتوجسين من حركته لم تلبث قيامتهم أن قامت، فضيقوا الخناق عليه، ودفعوه إلى الهجرة الثانية والأخيرة من المغرب. ومع جهلنا بحقيقة ما حدث نلاحظ أن زروق قد غادر فاس دون أهله، وترك بها زوجته فاطمة الزلاعية وابنيه الأحمدين الأكبر والأصغر، مما يضيف على هذه المغادرة طابع الاستعجال إن لم نقل الفرار والذهول عن الابن والصاحبة، ولعل ما حدث كان من العرامة بحيث بلغ صداه إلى القاهرة.

4 - وصل زروق إلى القاهرة عام 884 / 79 - 1480 يائساً من أهل المغرب يأس شيخه الحضرمي من أهل المشرق، وجدد اتصاله بشيخه المذكور وبأستاذه السخاوي، وربما حج للمرة الثانية. ثم اختار بلدة مصراتة الواقعة على الساحل الليبي مستقراً، وصاهر المصراتيين، وولد له ولدان أحمد أبو الفتح وأحمد أبو الفضل وبننت سماها عائشة. وصنف زروق أثناء ذلك أهم تأليفه الإصلاحية، وهي *إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين* الذي فرغ منه ببجاية عام 883 / 1479، ورسالة في الرد على أهل البدع، والنصح الأنفع والجنة للمعتصم من البدع بالسنة، وعدة المرید الصادق من أسباب المقت في بيان طريق القصد وذكر حوادث الوقت الذي ألفه عام 886 / 1 - 1482، ولاشك أن ظفر زروق بصفة محتسب العلماء والأولياء قد جاءه من تأليفه هاته.

ولم يغادر زروق مصراتة إلا مرتين، الأولى عام 891 أو 892 / 6 - 1487 حيث غرّب لإحضار زوجه وولديه الذين تركهم بفاس، وكاد العقد أن يكتمل على فراقه لهم، وقد توقف بالمغرب الأوسط وأقام به إلى أن لحقوا به؛ والثانية عام 894 / 8 - 1489 حيث شرف لأداء حجته الأخيرة. ومن تأليفه المصنفة خلال مقامه بمصراتة: شرح صدور المراتب لشيخه الحضرمي، وشرح عقيدة الغزالي، ونظم أرجوزة في عيوب النفس، وشرح الحكم، وشرح حزب البحر، وشرح الرسالة القيروانية، والكناش، ومناقب الحضرمي. وحاصل ما تعرضنا لذكره من تصانيف لا يمثل إلا ثلث التراث الزروقي الحافل، والذي يربو عن المائة تأليف، في التفسير والحديث والفقه والتصوف والكلام والطب والتراجم وغيرها من العلوم والفنون.

وتمثل المرحلة المصراتية أوج شهرة الشيخ أحمد زروق العلمية والصوفية، والتي طارت في بلاد الإسلام شرقاً وغرباً، وصار له أتباع ومحبون يقصدونه من مختلف الأصقاع، ومنهم من لازمه حتى وفاته التي حدثت يوم 18 صفر عام 899 / 28 نونبر 1493، ومنهم من جاور بضريحه إلى يوم رمسه.

عبد الله كتون، ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والسياسة والأدب: أ. زروق، رقم 23، الدار البيضاء، دون تاريخ، 5: 47؛ المؤلف نفسه، أحمد زروق، دفين مصراتة، مجلة كلية الآداب، الجامعة الليبية، العدد الثاني، 129 - 163؛ ع. ف. خشم، أحمد زروق والزروقية، دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة، الطبعة الثانية، 1980؛ ع. نجسي، بين زروق ولوثر في الإصلاح الديني والعصور الحديثة، ضمن *الرياطات والزوايا في تاريخ المغرب*، 77 - 120؛ إدريس عزوزي، الشيخ أحمد زروق آراؤه الإصلاحية تحقيق ودراسة لكتابه عدة المرید الصادق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المحمدية، 1998، 9: 235.

G.S. Colin, Sayyidi Ahmed Zarruq, Estrato della rivista della Tripolitania, anno II, num I, Rome, 1925; A.F. Khusaim, Zarruq the Saffi, Tripoli, 1976.

عبد الله نجسي

**زروق، أحمد بن عيد الخالقي**، قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته الساحل. انضم إلى حركة المقاومة المسلحة بزعامة الشريف مولاي أحمد الريسوني، وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة:

- بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913.

- عين الدالية يوم 11 في نفس الشهر.

- ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913.

- قرية الزهرة يوم 11 يناير 1915.

وشارك في 9 معارك.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**زروق، عيد السلام العرائشي**، أبو محمد دعاه

في رياض الجنة: ابن زروق. ولد في العرائش في حدود سنة 1265 / 1849 قال عنه تلميذه عبد الحفيظ الفاسي: كان عالماً مشاركاً في الفقه والحديث والسير والعلوم العربية، ماهراً في التنجيم والتعديل، ميّالاً إلى التصوف، متفتناً فاضلاً كثير الأذكار والأوراد مع التقشف والقناعة والميل إلى الخمول، منقبضاً عن مخالطة الناس، مشتغلاً بما يعنيه، ملازماً لمحلّه وما هو مكلف به من التوقيت بمنار الجامع بالعرائش".

درس على كبار شيوخ العلم بفاس كأحمد بناني ومحمد بن عبد الرحمن العلوي، ومحمد كنور الذي أجازته إجازة عامة، وسلك طريق القوم على يد شيوخ الشاذلية والجزولية، وخاصة الطريقة الناصرية التي أخذها عن عدد من رجالها بسند عال.

كان يقضي معظم وقته في غلبية الموقت بالمسجد الأعظم بالعرائش وفيها اجتمع به عبد الحفيظ الفاسي وأخذ عنه وأجازته، ولزروق تأليف عديدة وتقاييد كانت في المكتبة الأحمديّة بفاس وضاعت.

توفي في 15 قعدة عام 1328 / 18 نونبر 1910.

ع. الحفيظ الفاسي، رياض الجنة معجم الشيوخ، الرباط، 1931؛

ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب،

بيروت، 1996، ج 8: 2860؛ جريدة الميثاق، عدد 214.

محمد حجي

**زروقي، العربي بن محمد**، مقاوم ولد سنة

1343 / 1924 بقبيلة بني خيران، وانضم إلى العمل المسلح

ضمن منظمة اليد السوداء التي كان فرعها بقبيلة السماعلة بقبيلته ساهم في العمليات الفدائية التي عرفها الإقليم بكل إخلاص ووطنية وحماس.

وفي يوم 20 غشت 1955 شارك في المظاهرة التي

عرفتها مدينة وادي زم، فأبلى البلاء الحسن أثناء هذه المعركة وفر إلى دار القائد الضاوي التي أوى إليها العديد من المتظاهرين هاربين من نيران المستعمر حيث استشهد مع عدد من رفاقه في المقاومة.

الندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهادة / الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 520895.

### الزُرُوقِيَّة، طريقة صوفية وحركة إصلاحية تزعمها

الشيخ أحمد زروق البرنسي الفاسي (ت. 899 / 1493) خلال النصف الثاني من القرن التاسع واستمرت إلى هلم جراً، وانتشرت في آفاق بلاد الإسلام شرقاً وغرباً وهي الطريقة الثانية والكبيرة في الشاذلية بالمغرب إلى جانب الجزولية، ومنهما تسلل غالب المشايخ والطوائف والزوايا، إلا من شذ عنها من بهلول ومجنوب أو صاحب حال ممن لا يعرف له شيخ. وبهما تحققت الغلبة للشاذلية، وحصل لها من الانتشار ما جعلها تعد بحق الطريقة الرسمية بالبلاد.

وقد نظم مؤرخو التصوف المغربي أواخر القرن الحادي عشر (17 م) وقائع وأحداث هذه الغلبة تنظيماً رجح كفة الجزولية على كفة الزروقية في مضامرها، وأسلكوا الجزولي في أسانيد زروق في الشاذلية، وجعلوا الزروقية من فروع الجزولية. وحذا المؤرخون المحدثون حذوهم، وقالو بنشوء الزروقية في سياق التيار الصوفي السائد الذي اصطلحوا على تسميته بالشاذلية - الجزولية، وعدوها من جملة فروعه، ونسبوا إلى الجزولية العصر الأخير من عصور التصوف المغربي برمته.

ويفيد التأمل في مسار هذه الغلبة، وقراءة أحداثها ووقائعها على ضوء التلون الزروقية، في إعادة النظر في هذه الصورة المتواترة. ويفضي إلى فك الارتباط بين الزروقية والجزولية، وبالأخص خلال العقدين الأخيرين من المائة التاسعة للهجرة، واللذين اسفرقتهما المشيخة الزروقية. ذلك أن الزروقية لم تخرج من رحم الجزولية بحال، ولم تنظم علاقة المريد بالشيخ بين زروق والجزولي، ولا ذكر لصاحب دلائل الخيرات في الكناش الذي عدد فيه صاحب "الوظيفة" مشايخه وأساتذته من المغاربة والمشاركة. والاتصال الحقيقي بين الزروقية والجزولية إنما تم بعد اكتمال العقد على وفاة الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (ت. 870 / 5 : 1466)، وحصل بين زروق وأعلام الطبقة الجزولية الأولى. وذلك في صدر الدولة الوطاسية، وبالضبط خلال السنوات الأربع التي مكث فيها زروق بالمغرب، من عام 879 أو 880 / 4 : 1475 إلى عام 883 / 1478. وبومها كانت أسانيد الزروقية في الشاذلية متعددة، وأعلهاها السند الذي حصله زروق من شيخه أحمد بن عقبة الحضرمي اليمني (ت. 895 / 1489) الذي انتسب إليه في القاهرة. كما كانت لها أسانيد في طرق أخرى، وهي القادرية والسهوروردية والجشتية والعروسية.

وقصدت الزروقية خلال هذا النيف من السنين إلى إصلاح التصوف المغربي داخل الجزولية السائدة في البلاد، ثم حدثت القطيعة بينهما، فتطورت إلى حركة إصلاح خارجها بل وضدها. وكان الموقف من الرئاسة الدنيوية من بين دواعي الخلاف الحاسمة بينهما : وقد أفادت الجزولية من مشاكل الألفية وهواجسها التي كانت تنتاب أهل القرن التاسع (15 م)، وأخذت منها ما يقوم به ناموسها من الحضرية والفاطمية وما اتصل بهذه الدعاوي من الاعتقاد بعدم مجاوزة الأمة الألف وقرب أوان الصيحة الأولى. وواجهت الهجمة الابيرية، ورفعت لواء الجهاد، وبادرت إلى تحصين الذات. وسعت إلى المصالح العامة من أيواء وإطعام وتعليم وانشاء ورد المظالم، ولم تخف طموحها إلى الرئاسة. وحاربت الزروقية حب الرئاسة هذا، وجعلته أصلاً من أصول بدع العصر، إلى جانب نقص الايمان، والجهل بأصول الطريقة، واعتقاد الفرق بين الشريعة والحقيقة.

ويحتل الموقف من الرئاسة حيزاً هاماً من المنظومة الفكرية الزروقية التي ترسم أبعاد العلاقة بين الإنسان وخالقه والوجود بأكوانه الأخروية والدنيوية، والتي تعبر عن الوجود الدنيوي الذي يعيشه وهو المجتمع "بالنظام"، لاستقامة أمر الناس به في حياتهم. وتهتم بخاصته من الأمراء والشرفاء والفقهاء والفقراء، وتقصد إلى حفظه واستمراره بالأسباب الموجبة لبقائه من علوم وصنائع. وترى بأن الرئاسة هي قطب رحي هذا النظام، لأنها شرط حفظه وتذهب كل مذهب في الدفاع عنها، وتتوسل بالأحداث النبوية والوصايا الماثورة وأقوال العلماء التي تجمع على تحريم الخروج عن الإمام بقول أو فعل، بل وتوجب الصلاة وراء كل بر وفاجر من الولاة وغيرهم، ما لم يكن فسقه في عين الصلاة، وكذا الجهاد مع كل أمير من المسلمين، وإن كان فاجراً لا غيره.

ويتصل دفاع الزروقية عن الرئاسة والقائمين عليها من الأمراء بالأزمة السياسية التي أعقبت زوال ملك المرينيين واستدامت، حيث وضع المغاربة في أعناقهم، وفي ظرف ثماني سنين بيعة ثلاث دول متعاقبة، وذلك ما بين عام 869 / 1465 و عام 876 / 1471. ولم تقو إحداها على مقاومة الأطماع الخارجية والفتن الداخلية، ولم تفلح أي منها في القيام بمصالح البلاد والعباد. ولم تقصد الزروقية بدفاعها مرينياً ولا جوطياً ولا وطاسياً، وإنما رامت الذود عن وسيلة حفظ النظام، والذي يتحقق بها الذب عن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، وإقامة حرمتهم، والنصرة لهم في جميع أحوالهم جلباً ودفعاً. وراحت تدعو إلى الحفاظ على الدولة القائمة على ضعفها، والصبر على ظلم أمرائها، وجورهم وفسقهم، والسعي في المصالح العامة تحت إمرتهم، وعدم إغراء الرعية بالفتننة وشق عصا طاعتهم.

وامتكلت الزروقية كل مقومات الصبغة الدينية المفيدة للملك الوطاسي، من توجيهها في حسبتها إلى السلطتين

العلمية والروحية، وتحميلها أبواب الرئاسة الدينية، من مشايخ الطوائف الصوفية ومتقلدي الخطط الفقهية ومعهم الشرفاء، مسؤولية اختلال نظام المغرب. ودعوتها إلى سد ذرائع القيام بالمصالح العامة التي قصرت عنها هم الملوك، من سد رمق الرعية ورفع الظلم عنها ودفع النصارى عن أرض الإسلام. ومع هذا لم ينتهز الوطاسيون هذه الدعوة الدينية إبان وجود صاحبها في حاضرتهم، ولم ييسطوا أيديهم إلى خصومه، وكانوا فيه من الزاهدين. ولم يتخذوا الزرّوقيين شعبة إلا بعد حين، وظاهروا بهم على الاتجاه الغالب والمتطارع على الشرفاء الجوطيين من قبلهم والزيدانيين على عهدهم.

وفي مضمار الرئاسة الروحية اختلفت الزرّوقية مع الجزولية في قضية التوبة، ورامت التهوين من التهويل الذي أناطتها به. حيث جعلت الجزولية للتوبة أركاناً وشرائط، أهمها قص شعر الثائب، والاجتماع عند حلق رأسه، وإقامة الوليمة لذلك، ونسبت الإذن بالتقصيص إلى الخضر عليه السلام. ولم تر الزرّوقية في ذلك سوى الدخول على الناس من جهة الدين، وإحداث طريق لأكل حطام الدنيا. وفصلت في التوبة وسطت فروعها الكثيرة ومداخلها الغزيرة، وجعلت تصحيحها أصل كل مقام، ومجراها في المقامات مجرى الأرواح في الأجسام. وأعانت الناس على أن يعلموا أن التوبة ليست من فعل الخلق، ولا ينفع فيها تقصيص أو وليمة، وأنها من فعل الحق. وأن التوبة منهم إليه توبة منه عليهم، وأن بدارهم إليه هداية، وتوفيقهم منه عناية. وهدت الزرّوقية التائبين إلى ميراث ترك الذنوب، وهي أمور كلها خير في الحياة وبعد الممات. وأكدت على الثمرات الدنيوية من لذة عبادة ورحمة وطيب حياة، عكس الجزولية التي كانت تحني التائبين بالنجاة يوم المعاد.

وبقى الأثر البعيد للطريقة الزرّوقية في دفاعها عن الوحدة بين الشريعة والحقيقة في إطار الطريقة، والتكامل بين الفقه والتصوف، ليحصل الكمال في الدين. ويرجع الفضل لصاحبها في رفع العداء المستحکم بين الفقهاء والصوفية، والتمهيد لعصر التصوف بالمغرب، وصيل أهل القرن العاشر ومن بعدهم إلى التصوف بالكلية. فالانتشار الواسع الذي تحقّق للطائفة الجزولية خلال القرنين 9 / 15 تم بين جمهور عوام البوادي والحواضر، واستعصت عليها فئة الفقهاء، والذين كانت وفاة الجزولي على يد أحدهم. والزرّوقية هي التي أعانت أهل الظاهر على التغلب على توهّمهم وحذرهم من الطريق وأهله، ودفعت بهم إلى الإقبال عليه والانخراط في سلكه. وبذلك اندمجت هاتان الفئتان الدينيتان والاجتماعيتان الكبيرتان في فئة واحدة، بعد أن كانتا متعارضتين ومتنافرتين، فتقررت بوحدهما بنية الزاوية واستكملت شروط هيمنتها على المجتمع المغربي وتاريخه. وكانت من عواقب هذا الاندماج أيضاً بروز الدور التعليمي للزوايا بشكل لم يعهد مثله من قبل، والذي بلغ أوجه زمان الفترة من القرن الحادي عشر (17 م).

وقد آن الأوان للتمييز في الشاذلية بالمغرب الحديث بين شاذليتين جزولية وزرّوقية، مع اعتبار خصوصية كل منهما، والتحفظ بشأن توهم الانسجام والوحدة داخلها، وترك تسميتها بالشاذلية - الجزولية. ولا شك في امتياز الشاذلية - الزرّوقية وإحيائها لمبادئ التصوف السني الخالص، وللتقاليد الشاذلية الأصيلة، حيث بلغت شروح زرّوق على الحكم العظائية وحدها سبعة عشر شرحاً. ولا ريب في كونها مسكة ختام الحركات التي رامت إصلاح التصوف المغربي، والتي تزعمها كل من الشاذلي (ت. 656 / 8 م. 1159) وابن البناء السرقسطي وابن عباد الرندي (ت. 792 / 1390).

وكما سعى مؤرخو التصوف المغربي أواخر القرن الحادي عشر (17 م) إلى اختلاق نوع من الانسجام والوحدة داخل حركة الإحياء التي همت الشاذلية بالمغرب خلال القرن التاسع (15 م)، وغمطوا الزرّوقية، وجانبوا التطفيف في حق الجزولية، وهرع المؤرخون المحدثون على أثرهم. فإن هؤلاء الأخيرين زادوا عليهم بالشطط في النظر إلى تاريخ الطريقة الزرّوقية بعد انقضاء أجل مؤسسها، وذلك عبر سلسلة من الكتابات التي أنجزوها، سواء في إطار تاريخ الطوائف والطرق في بلاد الغرب الإسلامي، أو في سياق تاريخ التصوف المغربي، أو ضمن المونوغرافيات المفردة في زرّوق والزرّوقية.

وقد انطلق هذا النظر مع المؤلفين Coppolani و Depont (1897) اللذين اختزلا أربعة قرون كاملة من تاريخ الطريقة الزرّوقية في ما عايناه من قلة انتشارها على عهدهما، فذهبا إلى القول انه على الرغم من شهرة الشيخ أحمد زرّوق التي طارت في آفاق بلاد الإسلام شرقاً وغرباً، إلا أن طريقته ظلت مجرد تنظيم جنيني معاق لا ينمو ولا يتطور. وذلك لأن مذهبه ظل حكراً على الخاصة من أهل العلم، ولأن أفكاره لم تجد سبيلاً إلى التأثير على عامة الناس الذين اكتفوا بفكرة غائمة عن صاحب هذه التعاليم، وخلصوا إلى التفكير في عد الزرّوقية ضمن دائرة الطوائف التي تخطف نحو العدم وتسير إلى زوال. وتلقف Colin (1925) هذا القول، وأكد أن الفكر الزرّوقي كان أرقى مستوى، ولعله كان أنقى وأصفى من أن يحظى بقبول العامة. وهذا ما قصره على الدائرة الضيقة من الطبقة الزرّوقية الأولى في حياة الشيخ أحمد زرّوق، ولم يقدر الذبوع والانتشار بعده إلا لوظيفته. ووافق Spillman (1951) المؤلفين المذكورين، وجزم باختفاء الطائفة الزرّوقية من المغرب. وبلغ هذا النظر مبلغ التواتر مع خشيم (1975) الذي قرّر قلة انتشار الطريقة الزرّوقية، في الماضي والحاضر، وإخفاها في اجتذاب الوفير من الأتباع كما هو الحال بالنسبة لطرق أخرى، وأنها ظلت محصورة في بعض المناطق ومقصورة على قلة من الناس. واعترف بأنه قد فقد الخيط تماماً في بحثه عن تاريخ هذه الطريقة بعد حديثه عنها في حياة



مؤسسها خلال النصف الثاني من القرن التاسع (15 م)، وأن تاريخها ظل مجهولاً بالنسبة له إلى غاية انتصاف القرن الثالث عشر (19 م). وعلل الأمر بأنه لم تكن لطريقة متنورة كالزُّوقية، في تلك الأيام المعتمدة من تاريخ الحضارة الإسلامية، أن تستمر بتقائها وصفاء جوهرها. وهي ربما كانت طريقة الخاصة من الناس، أما عامتهم فلم طرق أخرى تتفق مع ميولهم وأهوائهم ومستوى إدراكهم العقلي والروحي على السواء. هذا ولم يذهل أصحاب هذه الأسطوغرافية عن نشوب الزُّوقية في الأسانيد الشاذلية لغالبية الطرق والطوائف والزوايا المغربية، وكانوا يعلمون أن أتباع الشيخ أحمد زروق قد أسسوا طوائف وطرق وزوايا تعد لها فروعاً، لكن وقر في ذهنهم تحوّل وانحراف هذه الفروع عنها ووقوفها حجر عثرة في طريق نموها وتطورها.

وأصل الشطط في هذا النظر هو عدم اعتبار أصل معين من أصول الطريقة الزُّوقية، دارت حوله العديد من متونها وأكادته، وجعلته أساس الانتساب إلى التصوف ورجاله. وقوامه الدعوة إلى التحرر والتجديد وطرح التقليد الصوفي الواحد أو السائد، والتشجيع على الإقبال والنهل من مختلف المشارب والتيارات التي عرفها تاريخ التصوف الإسلامي، بما فيها المذاهب التي دأب الناصحون على التحذير من كتبها، ولم تجتمع كلمة الناس على مشايخها. ورغم أن الزُّوقية جاءت بمذهب صوفي متكامل يرسم أبعاد العلاقة بين الله والوجود والإنسان، فإنها لم تلزم أحداً بالتقيد بها واعتمادها والسير على هديها. بل دافعت عن تعدد الطرق إلى الله، وأكدت على مبدأ الاستحسان، وقالت إن لكل فريق طريقاً. وفتحت بذلك آفاقاً فكرية وروحية رحبة، وهونت من شأن المذاهب الصوفية المحظورة أو الخطيرة، ليأخذ كل فرد بالمذهب الصوفي الذي يراه الأحسن، والذي يتفق مع استعداده الطبيعي ودرجته في العلم، شرط التقيد بالكتاب والسنة.

وتنتفي مع هذا الأصل القطيعة المتوهمة في الأسطوغرافية التي ذكرنا، ويتم الاتصال بين حلقات تاريخ الطريقة الزُّوقية، وتتنظم متسلسلة من عهد مؤسسها الأول فالطبقة الأولى من أتباعه فأتباعهم إلى هلم جرأً. ويرتفع معه القول بالانحراف والتحول عن التعاليم الزُّوقية بعد مواراة مبدعها الثرى، ويحل محله القول بالاتباع والعمل وفق هذه التعاليم بالذات، والإسهام في حيوية الفكر الصوفي، والضرب بنصيب في انتعاش الحركة الفكرية بالمغرب، وتمكين مغاربة القرن 10 / 16 ومن بعدهم من حلول روحية مناسبة لمشاكلهم وأزماتهم.

وقد اعتنى محمد المهدي الفاسي (ت. 1109 / 1698) بتاريخ الطريقة الزُّوقية في كتابه تحفة أهل الصديقية، ونظم أعلامها الذين اشتهروا خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16 و 17 م) في سبع طبقات، وصدر بالشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (931 / 1524) في الطبقة الزُّوقية الأولى.

ولا مرأء في اليد البيضاء التي أسداها الراشدي للزُّوقية بالمغرب بوجه خاص وللشاذلية به بوجه عام : فعن طريقه ستصبح الزُّوقية الواسطة في الشاذلية بالنسبة للبيوسفية والحياطية والغازية والسهيلية والصادقية والكرزازية والشيخية والناصرية والحنصالية والزبانية والدرقاوية، وغيرها من الطوائف والزوايا المغربية، بالإضافة إلى كبار صحب الراشدي من المغاربة والذين لا يعرف أنهم أسسوا طريقة أو أقاموا زاوية. وقد نسج الراشدي طريقه على منوال مذهب أبي يزيد البسطامي (ت. 261 / 874)، وانتشر من طريقه دعاة المحبة الخالصة بالمغرب، وطرحوا به مشكلاً فكرياً حاداً، أسال مداداً كثيراً، وأراق دماء غزيرة.

ولم تنتشر الطريقة الزُّوقية بالمغرب فقط من الطريق الراشدي الذي طرأ عليه من المغرب الأوسط خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م)، بل تفرعت به أيضاً من طريق داخلي وسابق عنه، وزعيمه الشيخ إبراهيم بن علي الزرهوني المعروف بأفحام أو أفهام (ت. 926 / 1520). وهو صدر الزُّوقيين المغاربة، وكبير الأخذيين عن الشيخ أحمد زروق إبان عودته من المشرق واستقراره بالمغرب في صدر الدولة الوطاسية، وصاحب الطريقة الثانية والكبيرة في الزُّوقية إلى جانب الراشدية. وقد ذهب الشيخ أفحام مذهب الشيخ الراشدي في الاستناد إلى مبدأ الاستحسان في اختياره للمذهب الصوفي الذي بنى عليه طريقته، والتي ستشكل أحد التيارات الصوفية المتميزة والبارزة خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16 و 17 م). ونهل مثله من مدارس التصوف الإسلامي التي نشأت بخراسان خلال القرن الثالث (9 م)، واقتفى أثر شيخ الملامتية بنيسابور حمدون بن أحمد القصار (ت. 271 / 884). وهو مذهب صوفي عريق في تاريخ التصوف المغربي، وسابق في نشأته عن الطريقة الشاذلية بالمغرب بما يزيد عن القرن.

وإذا كانت الطريقة الراشدية تمثل الواسطة الغالبة في الأسانيد الشاذلية - الزُّوقية خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16 و 17 م)، عكس الأثر الماحل والضئيل لسند أفحام فيها. فإن هذا يتناسب عكسياً مع خطورة الدور الذي كان لهذا التيار الزُّوقية الداخلي، ليس في تاريخ الزُّوقية بوجه خاص، بل وفي تاريخ المغرب الحديث بوجه عام. ولم تفت المؤرخ أحمد الناصري ملاحظة هذا الأمر، فأثبتته في كتابه الاستقصا. ورأى أنه من الأمور العظام التي حدثت في صدر المائة العاشرة للهجرة، وأنه حدث جليل لا يقل في خطورته عن نزول الإيبيريين بشغور البلاد، وظهور الأتراك بالمغرب الأوسط.

ولم ينفلت أعلام الطبقة الزُّوقية الأولى جميعهم من باب الاستحسان إلى طرق ومذاهب مخالفة للزُّوقية مثل البسطامية واللامتية، كما فعل الشيخان الراشدي وأفحام. وقد ثبتت ثلثة منهم، وبالأخص من أهل المغرب الأوسط، على الزُّوقية الإصلاحية، ولم يستحسنوا غير الحسبة

والنهى عن المتآكر وقمع الغش والتدليس في الدين. وكانوا يحق أبطال طور مبكر من أطوار السلفية بهذه البلاد، وأشهرهم محمد بن علي الخروبي (ت. 963 / 1556)، والصغير بن محمد الأخضر بن عبد الرحمان الأخضر. وقد أحيى الخروبي بالمغرب ذكريات حسنة شيخه زروق على أعلام الطبقة الجزولية الأولى، وأثار كثيراً من الجدل والتفكير في كلا المغربين الأوسط والأقصى. وأنكر على معاصريه من الطبقة الجزولية الرابعة مشايخا وأتباعا قضية قص شعر التائب، التي جعلوها من أركان وشرائط التوبة ومن شعار الطريقة. وبعث برسالة إلى الشيخ أبي عمرو القسطلي (ت. 974 / 1567) صدر هذه الطبقة الجزولية، والمتصدر لمشيخة أكبر زاوية بمراكش، والتي يمكن القول إنها أم الزوايا الجزولية خلال العهد السعدي الأول، وأبدع له فيها. وقد استقطبت المشيخة القسطلية جل الأمور التي أنكرها الشيخ أحمد زروق على أسلاف الجزولين الأوائل، من التعلق بالأحوال ومنها الجذب، والخوض في مقامات ودرجات أهل الخصوصية، والظهور بالولاية، وإنشاء الكرامة، وإيثار المصالح العامة، وتتبع الفضائل، والجروح إلى طعام الطعام، واستيفال العوام، والجرأة على الحكام. ولم تفتقر الحسبة الخروبية التي حدثت غداة انتصاف المائة العاشرة للهجرة، واستمرت عواقبها إلى نهاية المائة التي تليها.

وكان للزروقية الإصلاحية القائمة على مبدأ الحسبة مجال مغربي خاص، ومجال إسلامي عام يشمل المنطقة الممتدة من المغرب الأوسط إلى الحجاز، وكذلك بالنسبة للزروقية التجديدية القائمة على مبدأ الاستحسان. وما جليته في هذه المادة إنما يتصل بتاريخ الحيز الخاص من جغرافية الطريقة الزروقية، وهو المجال المغربي. ويبقى مجالها الإسلامي الواسع، والممتد من بجاية غرباً إلى مكة شرقاً خارج نطاق هذه المادة. ولا بأس من الإشارة إلى اشتغال المتون الزروقية على جوانب تتصل بتاريخ هذا المجال العام، وأن كل مشتغل بتاريخ التصوف، في كل بلد من بلدان هذه المنطقة المذكورة، يستطيع أن يتعرف على ملامح بلده وتاريخه في ثنايا هذه المتون، وأن استخلاص مونوغرافيات قطرية منها هو القمين برسم حدود الأبعاد الإسلامية للحركة الإصلاحية الزروقية.

وقد اشتهرت عدة طرق وطوائف صوفية تفرعت عن الزروقية، وانتشرت في هذا المجال، ومنها "الراشدية" وشيخها أحمد بن يوسف الراشدي، دفين مليانة بالمغرب الأوسط. و"السلامية" وشيخها عبد السلام الأسمر، دفين زليتن من أعمال طرابلس. و"البكرية" وشيخها أبو الحسن البكري (ت. 909 / 3 / 1504) بمصر، ومؤسسو هذه الطوائف الثلاث من تلامذة الشيخ أحمد زروق، ومن أعلام الطبقة الزروقية الأولى. و"المدنية" وشيخها محمد حسن ظافر المدني (ت. 1263 / 1846)، وتأسست بالمدينة المنورة،

وانتشرت في الحجاز وتركيا وبلاد المغرب العربي. و"البيشرطية" التي تسلمت منها، وشيخها علي نور الدين البيشرطي (ت. 1309 / 1891)، وهو من أهل تونس، وصار له أتباع في فلسطين ولبنان. و"السنوسية" وشيخها محمد بن علي السنوسي (ت. 1276 / 1859)، وآل إلى مشايخها حكم البلاد الليبية.

م. الخروبي، الرسالة الخروبية، مخطوط خ ع، عدد 91 ج 36. 38؛  
أ. ابن أبي محلي، رسالة في الرد على الخروبي، مخطوط خ ع،  
عدد 611 ك : م. المهدي الفاسي، تحفة أهل الصديقية، مخطوط خ  
ع، عدد 76 ج 65. 105؛ أ. الناصري، الاستقصا، 4، 163؛ ع.  
گون، ذكريات مشاهير رجال المغرب، أحمد زروق، أحمد زروق  
دفين مصراة؛ ع. ف. خشم، أحمد زروق والزروقية؛ ع. نجمي،  
بين زروق ولوتر، في الإصلاح الديني والعصور الحديثة؛ البدعة  
والتصوف بالمغرب، طائفة العكاكزة، من تاريخ التصوف المغربي  
في القرن العاشر الهجري، الملائمة؛ م. الصدي، الشيخ أحمد  
زروق وطريقته الزروقية بالمغرب، د. د. ع. كلية الآداب بالرباط،  
1989، 8؛ أ. الغزوي، الشيخ أحمد زروق؛ المهدي البوعبدلي،  
الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركية وآثارها،  
مجلة الأصالة، قسنطينة، 1974، العدد 19، 133، 148؛ عبد  
الرحمن الأخضر وأطوار السلفية في الجزائر، مجلة الأصالة، السنة  
السابعة، 1978، العدد 53، 3521؛ م. حجي، الحركة الفكرية، 1،  
170، 172، 277، 282، 284.

O. Depont et X. Coppolani, *Les confréries religieuses musulmanes*, Alger, 1987, 457 - 460 ; G. S. Colin, *Sayyidi Ahmad Zarruq*, Estrato dalla rivista della Tripolitania, anno 2, 1925, 13 ; G. Spillman, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, s. d, 75 ; E. M. Bouabdelli, *Le Cheikh Mohammed Ibn El Kharroubi (XVe siècle)*, Revue, 1952, 330 - 341 ; A.F. Khusaim, *Zarruq the süfi*, Tripoli, 1976.

عبد الله نجمي

**زُرَيْدَة**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Çerdan - Çereda - Çerda ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Cerda و Çerdan ! وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1145 / 1732.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 769.

ابن **زُرَيْق**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني غير الغمارية، استوطنت تطوان في القرن العاشر (16 م) وقد انقرضت غير أنه إلى غاية سنة 1257 (184) كان يوجد بحومة الطرانكات فندق ودار يحملان اسم هذه الأسرة. وبين أفرادها تذكر الوثائق :

ابن زريق، فاطمة بنت أحمد فقيهة تزوجت القاضي بالقاسم بن عبد الرحمن الكراسي وكانت بقيد الحياة سنة 1012 (1603).

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 254.

محمد ابن عزوز حكيم

**زرزاي، المقدم عمرو** المعروف بالأقرع أحد زرزاية أو إزرزايين أي الحمالين بفاس الذين تدرجوا في الخدمة المخزنية، كالسيد دح الزرزاوي الذي عينه السلطان مولاي إسماعيل قاندا، وأصبح من الأعيان، وقد قتل أثناء حصار مدينة مراكش عام 1114 في ثورة محمد العالم.

كان عمرو الزرزاوي من أصدق الحمالين الذين لهم المعرفة الدقيقة بدروب فاس وأزقتها، وعندما أمر السلطان مولاي إسماعيل بالقبض على الخياط الزهوني وقتله بمكناس عام 1125، أمر تولية عمرو هذا مقدا على اللمطين، ورغم أن السلطان كان قد أمر قائده أبا علي الروسي أن لا يعطي للمقدم سوى موزونتين، فقد تحسن وضعه المادي، وتزوج من فاس، وسكن في رياض يقال له رياض جحا. واستمر على حاله إلى أن قتله أهل فاس ونهبوا داره ودار رئيسه الروسي بعد وفاة السلطان مولاي إسماعيل عام 1139.

م. الفادري، نشر الثاني، ضمن م - أ - 5، م: 2274؛ ح. ابن الحاج، الدر المنتخب، مخ غ ن 12184 ج. 7، ص. 46 وج. 8، ص. 177.

أحمد ايشرخان

## زرزاية (حمالة) ← إزرزايين

**زُرْزَايَة** (قبيلة) تنتمي مجاليا إلى حوض ملوية الوسطى، وتؤلف إلى جانب قبائل أخرى متجاورة معها ما يعرف حاليا بأهل تانديت. يحد قبيلة زرزاية شرقا الطريق الرئيسية المؤدية إلى مدينة جرسيف، وغربا وادي ملوية وشمالا وادي الواعر، وجنوبا وادي إبراهيم. وتندرج هذه القبيلة بمقتضى التقطيع الجماعي الأخير ضمن جماعة لقرطسة، وترتبط إداريا بدائرة أوطاط الحاج التابعة لإقليم بولمان.

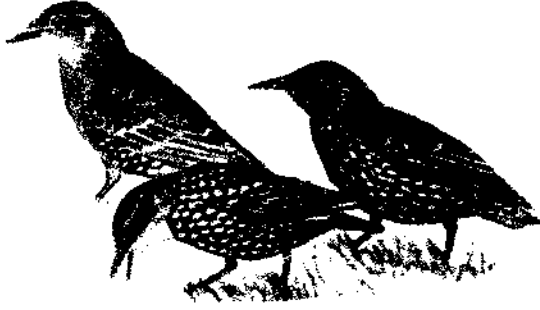
وبخصوص الدلالة الاشتقاقية لكلمة زرزاية التي تشكل القوام الاسمي للقبيلة منذ زمن بعيد، ليس هناك في الوثائق المحلية والمعالم الطبوغرافية ما يسمح بإمكانية إماطة اللثام عن أبعاد هذه الدلالة، ولذلك يبقى من الأرجح، حسب ما تتداوله الذاكرة الشفاهية، أن كلمة زرزاية وسمت بها القبيلة أو ألصقت بها بالأحرى من قبل

السكان المحليين كناية عن ممارسة "زرزايت" (الحمالة) التي كانت تحترفها بصورة جماعية معظم عناصرها بمدينة فاس.

تستوطن هذه الجماعة القبلية بحوافي وادي ملوية الأوسط بمحاذاة مجموعة من القبائل ذات أصول إثنية عربية وبربرية كقبائل رغو وأهل فقوس وأولاد جرار وأهل ترنيست .. يمارس سكانها أنشطة زراعية داخل مجال لا تتعدى مساحة الاستغلاليات الزراعية فيه بعض الرقع المحدودة للغاية. كما يتعاطون للرعي الذي يعد النشاط الأساسي المشترك بين كافة الأسر والعشائر. بيد أن هذه الأنشطة الفلاحية، وإن تنوعت شكلا، فإنها لا تحقق ولو الحد الأدنى من موارد العيش التي يقتضيها عادة اقتصاد الكفاف أو بعبارة أصح اقتصاد القلة. وتعود الأسباب البنوية لهذا الوضع، إلى نذرة المياه الناتجة عن الطابع شبه الجاف للمنطقة وقلة معدل التساقطات السنوية إن لم نقل انعدامها أحيانا، علاوة على ضعف الإمكانيات المادية والتقنية التي من شأنها أن تمكن من جهة الساكنة المحلية من ضخ المياه الجوفية واستجلاب المياه من وادي ملوية، ومن جهة أخرى استصلاح الأراضي والزيادة في حجم المساحات المزروعة. وقد أدت هذه الظروف الصعبة إلى انعكاسات شديدة على سيورة التوازن المحلي بين السكان والمجال. مما أدى إلى انطلاق حركة هجرية لازمت المنطقة منذ أمد ليس بالقصير، كما هو الشأن بالنسبة لباقي ساكنة ملوية الوسطى برمتها.

ففي العقود الماضية كانت أغلب الجماعات المهاجرة من سكان القبيلة يتوجهون إلى مدينة فاس، حيث يمتنون مهنة "زرزايت" أسوة بغيرهم من طوائف الحمالين الآخرين من نفس الجهة، أي جهة ملوية الوسطى، كأولاد سيدي عيسى وأولاد جرار وأهل ترنيست.. وكانوا يمارسون عملهم في إطار گلسة خاصة بهم هي گلسة القطنين بعدوة القرويين. على أن الخدمات التي كانوا يضطلعون بها في نطاق "زرزايت" كانت تتمثل بوجه أساسي في حمل الأمتعة ونقل البضائع حملا على الأكتاف عبر مدارات تتوزعها في الأغلب الأعم الأحياء السكنية والأسواق التجارية والمصانع الحرفية. وبهذه المهام اليومية كان حمالة طائفة زرزاية إلى جانب اخوانهم الحمالين في گلسات أخرى يلعبون أدواراً على قدر كبير من الحيوية سواء من خلال الربط بين الأحياء والأزقة عبر جولات روتينية بالأمتعة المحمولة، أو من المساهمة في تنشيط دينامية الحركة التجارية عبر عمليات نقل البضائع من أماكن إنتاجها إلى أماكن تسويقها أو استهلاكها. وإذا أخذت هذه الخدمات في سياق أنظمة التبادل الوظيفي القائمة بين مختلف آليات الشبكة الاقتصادية للمدينة العتيقة يمكن الإقرار بدون تردد، بأن جماعات الحمالين كانت تساهم - وماتزال إلى اليوم - مساهمة ملموسة في دورة الاقتصاد المحلي للمدينة سيما

سائر الجسد وبتنقار مصفر مستدق الرأس وقوي يساعد على أكل الثمار والحشرات والديدان والحبوب. الإناث شبيهة بالذكور : يبلغ طول بسطة الجناحين حوالي 40 سم وطول الجسم 21-22 سم. الذيل قصير ومستقيم المؤخرة. يعيش في مجموعات متعددة الأفراد ويخلف أضراراً بمزارع الزيتون والعنب وحب الملوك ومزارع الحبوب. ينتقل في مجموعات ويحدث ضجيجاً بأصواته المرتفعة.



يشنو من شتير إلى فبراير في المناطق الشمالية المغربية - سهول وجبال الريف والأطلس المتوسط وسهول الغرب - ويخلف أضراراً في مزارع الزيتون. يهاجر إلى أوروبا في بداية الربيع ليتوالد منذ أبريل إلى غاية شهر يونيو. ينصب الزوجان العش بين حفر جذوع الأشجار وبين شقوق الجدران وصخور الجرف ويتكون من الريش ومن قطع التبن الصغيرة. تبيض الإناث 4-6 بيضات بيضوية الشكل ملساء مخضرة شاحبة تميل إلى الأزرق المصفر، يبلغ طول قطرها 17.8 × 23.3 ملم. تحضن الإناث البيض 12-14 يوماً ويقوم الزوج بالحراسة. تتغذى الصغار من الديدان والحشرات يأتي بها الآباء وتبقى بداخل العش حوالي ثلاثة أسابيع قبل أن تأخذ حريتها تدريجياً. تتوالد بعض الأفراد مرتين في السنة.

يقرب من المدن والقرى وتلتجئ المجموعات ليلاً إلى الأشجار وصخور الجرف لتنام ثم تتوجه في الصباح الباكر إلى المزارع والحقول.

الزرزور الأسود *Sturnus unicolor* يدعى بالفرنسية *Spotless starling* وبالإنجليزية *Etourneau unicolor* وبالإسبانية *Estornino negro* وبالإيطالية *Storno nero*.

يتميز بمنقار أصفر طويل مستدق الرأس وبريش أسود داكن موحد خلال الربيع والصيف، تتخلل الأجنحة نقطا بيضاء في فصل الشتاء. الإناث شبيهة بالذكور : يبلغ طول بسطة الجناحين حوالي 40 سم وطول الجسم 21 سم وتزن الكبار حوالي 80 غراماً. الذيل قصير ومستقيم المؤخرة. يعيش في مجموعات متعددة الأفراد ويفضل أكل ثمار الزيتون والعنب وثمار الكرز (حب الملوك) والحبوب. ينتقل في مجموعات ويحدث ضجيجاً متواصلاً بأصواته المرتفعة.

إذا علمنا أن هذه الجماعات كانت تمثل وحدها دون سواها عماد حركة النقل مع الغياب الكلي لوسائل النقل الحديثة. وفضلاً عن الخدمات الآتفة الذكر، كانت طائفة زرزاية تتولى في بعض المناسبات الاجتماعية كالأعراس مثلاً حمل عمارية العروس وجهازها وكل ما يتصل به من توابع ولواحق. كما كانوا يحرسون البيوتات والفنادق والمحلات التجارية ليلاً بحكم ما كانوا يتسمون به من ثقة وأمانة واستقامة، وهي أخلاق يحرص الحمالون على اختلاف أصولهم وكنساتهم، أشد ما يمكن الحرص، على التحلي بها لأنها هي "الرأس المال الرمزي" الذي يحافظ باستمرار على شرف المهنة ويضمن بالتالي كسب المعاش اليومي. وإذا حدث أن اقترب أحد الحمالين ما يخالف مبدئياً تلك الأخلاق والثوابت فإنه يطرد من الكنيسة أو يعاقب بصورة من الصور وفق الأعراف المتواترة داخل الحرفة بحسب نوع وحجم المخالفة.

والجدير بالملاحظة في هذا الشأن، أن حمالة زرزاية كانوا يتوارثون هذه الحرفة خلفاً عن سلف، عبر تدرجات الزمان وتعاقب الأجيال، لدرجة صارت معها هذه الممارسة سلوكاً سوسيوولوجياً موجهها للأنماط الثقافية المحلية للقبيلة ومؤطراً في نفس الوقت لتطلعات أبنائها كلما جنحوا إلى التفكير في أفق الهجرة خارج الوطن الأصلي غير أنه في العقدين الأخيرين، ومع الأزمة التي صار يعاني منها حمالو زرزاية في مدينة فاس نتيجة للتحوّل النوعي الذي طرأ على وسائل النقل (سيطرة الدواب على حركة النقل) تناقصت أعداد المتعاطين لهذه الحرفة في صفوف سكان قبيلة زرزاية بصورة ملحوظة، إذ بدأ شبابها يقصد وجهات أخرى داخل مجال المغرب الشرقي، كمدن : بركان ووجدة وزايو للعمل إما في قطاع الفلاحة أو في مهن أخرى تعتمد أساساً على المجهود العضلي.

ح. الوزان، وصف إفريقيا، 1 : 235 : م. كاربخال، إفريقيا، 2 : 151 : ر. لوطنونو، فاس قبل الحماية، 1 : 58، 353 : المعلمة، 1 : 332 : 33 : معانيات ميدانية : روايات شفوية.

الفقيه الإدريسي

**الزرزور** والزرزور طائر من رتبة الجواثم أو العصفوريات *Passeriformes* ومن فصيلة الزرزوريات أو السودانيات *Strunidae* وهو طائر أسود، أصفر من الليل، يألف الغابات والحقول الزراعية ويعيش في مجموعات كثيرة العدد. الزرزور اسمه الشائع في شمال إفريقيا ومصر والسودان والعراق ومن أسمائه أيضاً الوشواش وهي شائعة في عمان وفي كتب اللغة ويدعى بالأمازيغية أمسبريد ج. نسبيريدين. منه نوعان يعيشان في المغرب :

- الزرزور الأرقط أو المنقط يدعى علمياً *Sturnus vulgaris* وبالفرنسية *Etourneau sansonnet* وبالإنجليزية *Starling* وبالإسبانية *Estornino pinto* وبالإيطالية *Storno*. يتميز بريش أسود داكن مرقط بالأبيض الملطخ على

يتوالد في المغرب من أبريل إلى يونيو وينصب العش بنفس طريقة الزرزور المنقط. تبيض الإناث 6 بيضات زرقاء شاحبة وكبيرة نسبياً، يبلغ طول قطرها 21.5 × 31 ملم. تحضن الإناث البيض 12 - 13 يوماً ويقوم الزوج بالحراسة. تبقى الصغار بداخل العش حوالي 21 - 23 يوماً.

يعيش هذا النوع في جميع المناطق الزراعية المغربية ويعيش أيضاً في إسبانيا والبرتغال وإيطاليا وجنوب فرنسا وتونس والجزائر. معظم المجموعات التي تعيش في المغرب مستقرة وتهاجر نادراً إلى أوروبا.

م. رمضان، تيسيط، معلمة المغرب، الجزء 8، ص. 2655 : م.  
رمضاني، الليل، معلمة المغرب، الجزء 4 : الأسر مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان - الطبعة الثالثة، 1988 : أمين العلوف، معجم الحيران، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with north Africa and the Middle east*, 1979, 320 p. ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1977, 430 p.

محمد رمضان

**ابن أبي زرع، كنية ثلاثة أعلام من أسرة فاسية قيل إن أصلها غرناطي، عاشوا في العهد المريني وهم :**

محمد ذكره أخوه صاحب الذخيرة السنية ووصفه بالمخيطيب المحدث، وذكره المقرئ، الجدي، في فوائده. ووصفه بالعدل. امتدت حياته إلى دولة يوسف المريني، ما بين 685 و706. كان عدلاً بسماط القرويين وتولى الخطبة بجامعة فاس الجديد.

أحمد كانت وظيفته التلاوة بجامعة القرويين، وقدمته العامة للإمامة سبعين يوماً في حدود عام 683 أواخر دولة يعقوب المريني.

علي ذكر صاحب كشف الظنون، أنه علي بن محمد بن أحمد، وصفه القادري في *لقط الفرائد*، بالكاتب، ولعله يقصد الكتابة بالبلاط المريني. ذكر صاحب دليل مؤرخ المغرب الأقصى (ج. 1، ص. 188) أن عبد السلام القادري له تأليف في ابن أبي زرع هذا، يقع في نحو الكراسة، يوجد طرف من أوله بخزانة صاحب الدليل ضمن مجموع. أدرج ابن القاضي وفاة علي بن زرع في وفيات سنة 741.

اشتهر علي هذا بكتابه *الأنيس المطرب* بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. ورد المؤلف والتأليف عند المجهول الذي كتب التقييد المسمى ذكر مشاهير أعيان فاس في القديم. وعند الشيخ زروق في شرح أرجوزة ابن البناء وعند ابن القاضي في *الجدوة*، وعند ابن إبراهيم الذكالي في *سلسلة الذهب المنقود* وعند أكنسوس في *الجيش*، بالإضافة إلى من ذكرناهم أعلاه. ووقع عند هؤلاء اضطراب كثير في اسم المؤلف، إذ خلط اسمه باسم

أحد أخويه، وفي نسبة الكتاب إليه، إذ نسبه بعضهم لابن عبد الحليم، وفي عنوان الكتاب، إذ ورد بصيغ مختلفة، بعضها أطول من بعض. ألقى البحث الذي كتبه ليفي - بروفنصال حول فتح المغرب بالعدد الأول من مجلة *Arabica* عام 1954، ألقى بعض الضوء على شخصية المؤرخ صالح بن عبد الحليم الذي عاش بنفيس في وقت كانت فيه تلك الجهة المراكشية هامشاً بالنسبة لفاس، عاصمة الدولة المرينية، وكان عدد من الناس، ومنهم ليفي - بروفنصال، قد نسبوا لهذا المؤرخ الإيلاني كتاب *القرطاس*، وليس لديهم من معلومات إلا ما وقعت الإشارة إليه في *مفاخر البربر* من كونه كان علي قيد الحياة عام 712. ويعد أن ظهر لابن عبد الحليم هذا، كتاب في الأنساب، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت عدد ك 1275، وكتاب بعنوان *كتاب القبيلة* بمجموعة الأوقاف بنفس الخزانة، وبعد أن نشر مصطفى يعلى أطروحته المقدمة إلى جامعة مدريد، محققاً فيها كتاب *الأنساب ومفاخر البربر*، صارت المعلومات المتوفرة عن ابن عبد الحليم أكبر، وتداعت بذلك أطروحة ليفي - بروفنصال الأولى بنسبة كتاب *القرطاس* إليه، وتداعت تبعاً لذلك أطروحة محمد الفاسي، الذي ذهب في نفس الاتجاه (مجلة *تطوان*، ع. 5، 1960) ولولا المشاحة لكان الاكتفاء في حسم الموضوع بما كتبه محمد التطواني بمجلة الثقافة المغربية، (عدد جوان - جويي 1945) والذي قبله، وهو نسبة *القرطاس* إلى ابن أبي زرع علي، وهو ما أبده بحث عبد الله كنون في *النبوغ المغربي* (ط. 1961، ص. 212) وفي مقالة له بالعدد الثاني من مجلة *تطوان*، 1957. وقد قارن كل المعطيات، ليخرج بنفس النتيجة الأستاذ محمد الناصري، في كتابه *من فارس إلى مراكش* (نسخة مرقونة عند عائلته).

أما مايا شاتز ميلر في كتابها *L'historiographie mérinide : Ibn Khaldoun et ses contemporains* (Leiden, 1985)، قد احتارت في الحسم وتشككت حتى في نسبة *الذخيرة السنية* إلى ابن أبي زرع علي، مؤلف *القرطاس*.

وما نثار حوله الجدل بين الذين اهتموا بهذا الموضوع، قضية وجود نصين لأصل *القرطاس*، أحدهما كبير والآخر صغير، والقول بأن الصغير هو الذي وصل إلينا، والقول بأن لفظ *القرطاس* الوارد في الشطر الأول من العنوان اسم لجنان بخارج فاس.

كتاب *القرطاس* تاريخ مغربي محلي، بدأ بالأدارة، ملوك فاس، وتبع مآلهم إلى الانقراض، ثم تعرض للإمارات البربرية بعدهم ولأخبار المرابطين والموحدين والمرينيين إلى حوادث عام 1326 م في بعض النسخ، وإلى حوادث عام 1332 م في نسخ أخرى. كتاب حسن الترتيب منتق لأهم الحوادث، فني العبارة التاريخية، مهتم باختلاف الروايات، متضمن لعدد من الوفيات. ذهب البعض أنه

تزلف به لأمرأ بني مرين، وإن كان ابن مرزوق قد ذكر أن كثيراً من أخبار ابن زرع أنكرها السلطان أبو سعيد. طبع المستشرق طورنبرغ بمدينة أوسالا بالسويد قسماً منه، مع ترجمة إلى اللاتينية عام 1843، وفي سنة 1860 ترجمة بومسي Beaumier إلى الفرنسي، وترجم في نفس القرن التاسع عشر إلى عدة لغات أوربية أخرى، وطبع على الحجر الفاسي مرات، أولها سنة 1303. بعناية محمد الفاطمي الصقلي وتقرظه. وطبع على الحروف عام 1355 / 1936 بالرباط بعناية محمد الهاشمي الفيلاي وتقديم سعيد حجي، وآخر طبعاته صدرت عن دار المنصور عام 1973 بعناية عبد الوهاب بنمنصور.

المصادر المذكورة داخل النص.

أحد التوفيق

**أبو زرعة**، من التابعين المدفونين - على ما يقال - في مقبرة التوتة من حي الميناء، شرقي مدينة سبتة حسب كتاب اختصار الأخبار وقبره من المزارات المشهورة. وقد نقل الأنصاري عن الفقيه أحمد بن محمد بن أحمد العربي عن شيخه الفقيه عبد الله بن عبيد الله الحجري أن أبا زرعة هذا هو الذي أدخل القرآن إلى المغرب (اختصار، 13).

من المحتمل أن يكون أبو زرعة من القرنين الذين دخلوا المغرب مع الفاتحين الأولين وساهموا في نشر الإسلام وتعليم السكان قراءة القرآن وأحكام الدين - يذكر أن عقبه بن نافع الفهري عندما قفل عائداً إلى الشرق ترك جماعة من أصحابه وأوكل إليهم مهمة تعليم الأهالي القرآن، ومنهم صاحبه شاعر المنسوب إليه الرباط المشهور بنفس الاسم. وقد سار على نهجه موسى ابن نصير الذي انتفى من بين جنده، عشرة من خيرة رجاله وكلفهم بتعليم القرآن للأهالي، وأنزل جماعة من هؤلاء الحفظة بين سكان طنجة وقبائل غمارة المصمودية. كما تذكر كتب التواريخ أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز أنفذ إلى إفريقيا والمغرب عشرة من الفقهاء لنشر القرآن وتلقيته لأهالي الأقاليم المفتوحة. فلا شك إذن أن يكون أبو زرعة المذكور أحد الفاتحين الأولين من حفظة القرآن احتفظت باسمه الذاكرة السبتية فجلت مقداره واتخذت من قبره مزاراً للتيمم والتبرك ولاشك أن الكشف عن خبايا شخصية أبي زرعة قد يساهم في التعرف على جوانب تاريخية جديدة حول دخول القرآن إلى المغرب ومراحله.

ابن القاسم، الأنصاري، اختصار الأخبار كما كان يثغر سبتة من سني الآثار، الرباط، 1403 / 1983.

زليخة بزمضان

**الزرعي**، محمد الجدميوي السبتي، اشتهر بلقب التاريخي الحافظ. برع في الوراثة هو وأخوه بمدينة سبتة. عاصر الرحالة القاسم التجيبي وكان من أبرز أصدقائه

وشيوخه، لكنه لا يشير إليه في كتابيه الرحلة والبرنامج باسم الزرعي بل باسم آخر هو الكتامي وذكر أنه قرأ عليه بسبته مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه وأجازه جميع ما ألفه ورواه، كما سمع عليه كتاب الزكاة لابن الجمد الفهري وكتاب النظر في أحكام النظر لابن القطان وكتاب معرفة أنواع علم الحديث وكتاب رائع الدرر ورائق الزهر في أخبار خير البشر لابن زكرياء اللغوي والمسند الصحيح وكتاب الموطأ وكتاب سيرة رسول الله لأبي إسحاق بن يسار المدني وغيرها من أمهات الفقه والتاريخ. وقد عرف عن الزرعي تأليفه لمصنف في التاريخ في نحو من أربعين سفراً، ورتبه على حروف المعجم جمع فيه أخبار العلماء والأدباء وضمنه كثيراً من روائع النظم والنثر والحكايات والفوائد والتندرات. كان الزرعي يعقد الشروط في سماط الموثقين بجوار مسجد مقبرة زجلو بمدينة سبتة كما كان يقوم بالإقراء في هذا المسجد وأيضاً في مسجد زقاق السلال يجهل تاريخ وفاته ولكن يفهم من كلام التجيبي أن الزرعي أو الكتامي بقي على قيد الحياة بعد سنة 693 / 1294.

القاسم بن يوسف التجيبي، استفاد الرحلة والاعترا، تج. عبد الحفيظ منصور، ليبيا - تونس، 1975، ص. 161، 178؛ نفسه، برنامج التجيبي، تج. عبد الحفيظ منصور، ليبيا - تونس، 1981، ص. 7462، 132، 135، 139، 140، 199، 202، 272، 274؛ مجهول، بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، المطبعة الملكية، الرباط، 1984، ص. 27، 28؛ محمد المنوني، تاريخ الوراثة المغربية، الرباط، 1991، ص. 59.

رشيد السلامي

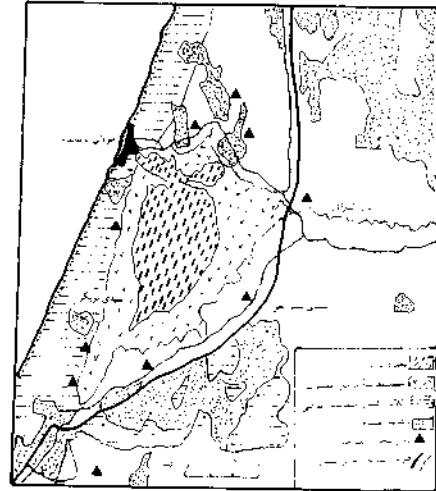
**الزرقاء** (المرجة -)، وينطق بها أيضاً: "الزرزقة"،

بحيرة شاطئية ومحمية بيولوجية تحادي جنوباً مدينة مولاي بوسلهام بإقليم القنيطرة، وتعد من أمهات المواقع المغربية للطيور وأهم موقع مائي لعبور وإشطاء البطيات وطيور المستنقعات. وتجدر الإشارة إلى أن المغرب يتوفر على ثلاث مناطق مائية ذات الأهمية العالمية، وهي سيدي بوعابة بالمهدية وخليج خنيفيس بالقرب من طرفاية والمرجة الزرقة التي تعتبر أهم واحدة ضمنها.

تغطي المساحة الإجمالية لهذه المحمية حوالي 7.000 هكتار، أما المرجة بمفردها، والتي يبلغ عمقها في الوسط 1,5م، فتتمتد على مسافة 9 كلم طولاً و5 كلم عرضاً، أي أنها تتخذ شكلاً إهليلجياً تبلغ مساحته 4.500 هكتار ويتكون من حلقتين مستنقعتين تطوقان قلب البحيرة، وهما المشاب في الخارج والموحل في الداخل.

لقد صارت البحيرة داتمة منذ 1953 وأخذت تفضي إلى البحر عبر مضيق منعرج، حتى أن النظام المائي والتركيب الكيماوي أصبحا يعرفان باستمرار تغيرات هامة تحت تأثير حركات المد والجزر بالأساس، علاوة على نقل الصبيب

المترافع للمياه العذبة القادمة من الفرشة المائية المجاورة وكذا واد الدرادر الآتي من الشرق وقناة الناظور لتصريف مياه الغرب الآتية من الجنوب.



المرجة الزركة

الغرب يتوفر على 168 موقع ذات النفع البيولوجي والبيئي. ذلك أن بالإضافة إلى المنتزهات الوطنية الطبيعية هناك 146 محمية طبيعية مائية وغير مائية، منها 108 بالمجال القاري و38 بالمجال الساحلي. أما نصيب منطقة الغرب منها فهو ضعيف (2 حول مولاي بوسلهام و5 بين المهديّة وسيدي يحيى الغرب)، ولكن ثلاثة من بين مواقعها لها صيت عالمي، وهي غابة المعصورة وبحيرتا المرجة الزركة وسيدي بوغاية اللتان تتوفران على ذخيرة بيولوجية.

يتخذ استغلال المرجة عدة أساليب، أهمها الصيد في قلب البحيرة، مع تخصيص بعض الأحواض المتواضعة لتخزين السلور في انتظار تحقيق بعض مشاريع تربية الأسماك، ثم الرعي وضرر حصائر السمار وقطع خشب الأوكالبتوس على جوانب وهوامش البحيرة، وأخيراً السياحة البيئية المتعلقة بالطيور. غير أن مجموعة من الضغوط تلحق أضراراً عدة بالمحمية وتهدد صيانة هذا التراث الطبيعي النفيس، إذ أنها تشكو أولاً من ضعف التجهيز ونقص في التأطير. ذلك أن التقني المعتمد من طرف إدارة المياه والغابات، والذي استقر نهائياً بالبحيرة منذ 1985، لا يتوفر على وسائل التنقل، كما أن المرشدين الخمسة لم يسبق لهم أن خضعوا لتكوين ملائم في ميدان السياحة البيئية. أما الحراس الأربعة فلا يتمكنون لوحدهم من التحكم في كل مساحة المحمية الواسعة.

فضلاً عن ذلك، فقد تم منع التخميم والصيد والقنص في المحمية، لكن السكان المقيمين على ضفاف البحيرة، وعددهم يفوق 10.000 نسمة، لهم الحق منذ 1951 في ولوج المحمية، وبالتالي في استغلالها، والواضح أنهم يفرطون في استغلال مواردها عن طريق الرعي وقطع الخشب والسمار، وذلك من دون أن تتمكن إدارة المياه والغابات من مراقبتهم، بما أن الأمر موكول لمقدمي وشيوخ وزارة الداخلية، بل هناك تجاوزات أخطر تم تسجيلها بشأن تكثيف الصيد المحظور وكذا الاستمرار في القبض على بعض الأنواع من الطيور المحمية لتزويد حديقة الحيوانات بتمارة. زد على ذلك أن أحوال المرجة تتفاقم بفعل عوامل أخرى، منها الطبيعية ومنها الكيماوية، والتي تتمثل في التلوث والاطماء المتزايد والمحدثين من طرف واد الدرادر وقناة الناظور (التي تعتبر منفذ سهل الغرب على الضفة اليمنى لنهر سبو). كما أن تطوير زراعات البواكر وقصب السكر في الهوامش يعمل على التقليل من حمولة الفرشة المائية وعلى إلقاء نفايات المواد الكيماوية المستعملة في الفلاحة داخل البحيرة.

نظراً لكل هذه الضغوط والمعوقات فإن عدة حلول تم اقتراحها لتحسين تدبير المحمية والمحافظة عليها، وترتبط أولاً بتحديد واحترام خط الفصل بين الميدان البحري ومجال نفوذ البحيرة الذي يندرج ضمن الملك العمومي، وكذلك

تتضمن النباتات المستقرة داخل وحول البحيرة على تكوينات متنوعة تتمثل في النباتات المعصورة في قلب المرجة وأوالف الملح في المعشاب وقصب المكاس والسمار على ضفاف واد الدرادر وقناة الناظور. إضافة إلى ذلك فإن الحور (في الشمال) ومشاجر الأوكالبتوس تحيط بالبحيرة، ولتثبيت قمم الكتيان الساحلية تم غرس شريط من الأوكالبتوس الذي تتخلله بقع من السنط يمتد عرضاً على 50 م وطولاً من مجاز البحيرة إلى مدينة القنيطرة. أما الثروة الحيوانية المائية فتختلف حسب تنوع مواطنها داخل المرجة، إذ أن غالبية الأسماك ذات الأصل البحري لا تتعدى المضيق، في حين أن مجاري البحيرة تأوي الأسماك الأليفية للمياه المالحة والعذبة على السواء من نوع السلور على الخصوص، وداخل البحيرة يعيش 16 نوع من الضفدعيات والزواحف، أربعة منها مستوطنة في المغرب.

إلا أن الشهرة الحقيقية التي تكتسبها المرجة الزركة ترجع إلى كونها تمثل موقعا مائياً يتردد عليه حوالي مائة صنف من الطيور، وهذه ظاهرة لا مثيل لها في المغرب، لا سيما وأن تجفيف مرجات الغرب أصبح شبه تام. كما تستقر بها، وخاصة في فصل الشتاء 15.000 إلى 30.000 من البطيات (أهمها البط الصافر) ونفس العدد من الغرر و1.000 إلى 2.000 من النحام الوردية. وتجدر الإشارة إلى أن بعض الطيور التي تتوالد فيها تعد من النوع الفريد أو المهدد. كما أن المرجة الزركة توجد غير بعيدة عن مواقع مائية أخرى تتكامل معها (مرجة حلوفة ومصب سبو وبحيرة سيدي بوغاية وواد الفوارات).

لكل هذه الأسباب ارتقت المرجة الزركة سنة 1978 إلى صف المحميات البيولوجية التي يخضع استغلالها إلى مجموعة من التنظيمات والتقنيات. وما يجدر ذكره أن

ببذل مجهودات أكبر في مجال التوعية والإخبار البيئيين، كما تتعلق بوضع نظام تديري مستعجل ويتحدد الضوابط القانونية لاستغلال المرجة.

Ministère de l'Agriculture et de la Réforme Agraire,  
Plan directeur des aires protégées, Rabat, Montpellier,  
1992, 6 volumes ; A. Akerraz, M. Ayad, A. El Khayari,  
E. Etahiri, J. Kadiri, A. Oubaizi. Patrimoine culturel et  
territoire de la région du Gharb. Secrétariat d'Etat chargé  
de la Culture, Rabat, 1996. 164 p.

مصطفى عباد

## الزرقطون (معدن) ← الزركون

**الزرقطوني، محمد بن محمد بن علي،** مقاوم كبير من أسرة تنتمي لسيدى محمد بوزرقطون دفين الشياظمة. كان والده مقدماً للطريقة الحمدوشية بجامعة الدرسة بفاس قبل أن ينتقل إلى الدار البيضاء عام 1912.

ولد الزرقطوني المقاوم بالدار البيضاء عام 1927 / 1345 وما بلغ ربيعه الرابع عشر حتى كان قد حفظ القرآن. وبعد مرور خمس سنوات أي عام 1946 انخرط في صفوف حزب الاستقلال، وهي نفس السنة التي أعلن فيها عن زواجه من هيبية بنت بويه الشيطمي.



جرى تعيينه ضمن لجنة استخبارات أوكل لها حزب الاستقلال مهمة التحري في صحة الأنبياء الراجحة حول وجود أعضاء سُموا الخط المعتدل للحزب المتمثل في قراءة النشرات ودفع الاكتتابات وإنشاء لجان التزيين للإشراف

على الاحتفالات التي كانت تقام في بعض المناسبات الوطنية كذكرى اعتلاء سيدي محمد بن يوسف العرش في 18 نونبر 1927، وكوّنوا إطاراً دعي بـ "اتحاد الجنوب" وكان في طليعة مؤسسيه عبد الرحمان الصنهاجي.

تأثر محمد الزرقطوني بتوجهات أعضاء هذا الاتحاد، وانتهى به الأمر إلى الانضمام إليهم، وهكذا أصبح عضواً في أول خلية مسلحة بالمدينة القديمة في الدار البيضاء، وكانت تتألف من محمد صدقي ومولاي محمد المصلي ومصطفى الطنجاوي وسعيد المنوزي وشعيب شجاع الدين.

وقد جرت لقاءات كثيرة بين الصنهاجي ومحمد الزرقطوني منذ حل اتحاد الجنوب، وتم معظمها في مقهى بزقة 3 رقم 15 درب التريعة بالدار البيضاء وذلك منذ أبريل 1951، وأتت مرحلة تكوين قيادة التنظيم التي غدت على الشكل التالي بعد النجاح في استقطاب العديد من الأفراد : عبد الله الصنهاجي ومحمد الزرقطوني والنهامي النعمان وحسن العراشي. وفي سنة 1952 انضم محمد بن الحاج منصور الحريزي ومحمد بن أحمد آجار... وزوّد الزرقطوني التنظيم الذي سيعرف لاحقاً بـ "المنظمة السرية" بسلاح عبارة عن مسدس.

ووفقاً لرواية المقاوم بوشعيب رغيب الشرقاوي، لم يعد بعد عام 1952 أي اتصال مع حزب الاستقلال. قد يكون هناك اتصال ولكنه ضعيف، خاصة بعد نجاح الزرقطوني في استقطاب العديد من الأشخاص. وكان يتم الخروج إلى وادي النفيخ أو وادي إيكم لإجراء تدريبات كانت تتخذ مظهر نشاط للكشفية، ووفقاً لنفس الرواية بعث الزرقطوني رسالة للسلطان سيدي محمد بن يوسف جاء فيها : "أحرق ولا تمزق إن العدو ينسحق"، وبعد مرور شهر حل أحد الأشخاص يدعى الفقير الرگيبي يحمل جواب السلطان وهبة ملكية وكانت عبارة : "سرّ على بركة الله" بمثابة الضوء الأخضر من محمد بن يوسف للمقاومة.

ونظراً لعلاقة الزرقطوني بالتجارة في الخشب خلال فترة من حياته، فإنه دلّ رفاهه في المنظمة على مستودعات خشب كانت في ملك معمرين معروفين لديه قصد إحراقها. كما كان الزرقطوني ضمن إحدى الجماعات الأربع التي انتقل أفرادها إلى مراكش للقضاء على محمد بن عرفة الذي جرى تصيبيه "سلطاناً" للمغرب في غشت 1953. وعقب نجاح السلطات الفرنسية في إلقاء لقبض على محمد منصور ومقاومين آخرين اتهموا بالتورط في تدبير وتنفيذ عملية السوق المركزي بالدار البيضاء يوم 24 دجنبر 1953، حاولت المنظمة الرد فاقترح كريم محمد بن إبراهيم إضرام النار في مجموعة من محطات توزيع البنزين في وقت واحد، بينما اقترح محمد الزرقطوني القضاء على أربعة خونة لكن لم يؤخذ برأيه (انظر أنوال، ع. الخميس 21 يونيو 1984، ص. 1). كما أسهم محمد الزرقطوني في بعض العمليات المسلحة في مدينة فاس ومنها الهجوم على



ع. العزيز الفشتالي، مناهل الصفا...، ص. 44.

L. de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian, S.I.H.M., France I*, p. 575 - 627, 605-610 ; Nieto, Fr. Luis de., *Relación de las guerras de Berberia y del suceso y muerte del Rey Don Sebastian (Codoin, t. 100, p. 411- 458, 456) ; Agrippa d'Aubigné, Histoire Universelle, S.I.H.M., France, t. 1, p. 628-648, 645.*

**زرقيق**، أسرة تطوانية أصلها من مدينة الجزيرة الخضراء بالأندلس. كان جل أفرادها فخارين باستثناء :

**زرقيق، محمد بن علي** الذي تعاطى خطة العدالة من سنة 1798/1212 إلى سنة 1800/1215، وكان من المدرسين بتطوان حيث يعد من تلاميذه العالم الفقيه عبد الله شطير. م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999* ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 765.

محمد ابن عزوز حكيم

**الزركون (الزرقون)**، أصل الكلمة عربي، زرقون وتعني زنجفر وزنجفر من فعل زنج ؛ ويقصد بها معدن متفتت بصاص أحمر، يصبغ به الحديد ويدهن به ليسلم من الصدأ. ينتمي الزرقون إلى فصيلة السيليكات رباعي الوجوه، منفرد، بنيته المعدنية  $Zr [SiO_4]$ ، تحتوي زيادة على الزركونيوم (Zr) على الاورانيوم (U) والثوريوم (Th) الإشعاعين. نظام الزركون رباعي، على شكل مواشير ذات أربع أضلاع قصيرة، مدكوكة، هرمية الأطراف. صلابته 6.5-7.5، كثافته 4.71-3.90 ؛ انفصاماته ناقصة ؛ ألوانه : متعدد، أصفر، اسمر، برتقالي، أحمر، بنفسجي أزرق وأخضر. من أهم خاصياته، ألوانه الطبيعية المنتشرة، نذكر منها الأخضر، والأحمر المائلين إلى السمرة. أما الزركون العديم اللون فهو نادر جداً ونفيس. ونحصل على هذا الأخير بطريقة تتمثل في تسخين أحجار الزركون السمراء حتى حرارة  $800^{\circ}C$  - 1000، حيث يتغير لونه ويصبح عديم اللون أو أزرق ؛ إلا أنه كثيراً ما يرجع إلى لونه الأصلي. ويعتبر الزركون العديم اللون ذات قيمة تكاد تنافس أحياناً بعض أنواع أحجار الماس. يمكن أن يستعمل الزركون كأحجار كريمة في مجالات صناعة الحلي والصياغة. أما عنصره الكيميائي الأساسي (Zr) الزركونيوم، فيستعمل كأغلفة لقضبان اليورانيوم، وفي خليط اليورانيوم - راديوم (U - Ra) المستعمل في استقرار المفاعلات النووية، وكذا في الصناعة النارية كالمصابيح، والذخيرة، والبارود، والأسهم النارية، وضد تآكل وصدأ المواد الإلكترونية، وعازل للمكثفات، وصمامات التقويم. ويستعمل الزركونيوم كذلك في ميدان الطب وعلى الخصوص في صنع مواد وأليات

خليفة الباشا بمقاطعة باب الفتوح في 1 ماي 1954. أما في الدار البيضاء فقد هاجم الزرقطوني الخائن عبد العزيز الزواق يوم 12 مارس 1954.

وما تزال عملية اعتقال محمد الزرقطوني في 18 يونيو 1954 واستشهاده بابتلاع قرص سم تُخبر الكثير من الجدل، إذ يتم التساؤل حول الدواعي التي جعلته لا يغير مقر إقامته بالدار البيضاء بعد أن جرى اعتقال رفيقه شجاع الدين بمدينة فاس.

تسكنا من الإلمام بأهم الوقائع في حياة محمد الزرقطوني من العروض المقدمة في المهرجان الذي نظمته أحزاب الكتلة الديمقراطية بقاعة سينما رباطو بالدار البيضاء بمناسبة الذكرى الأربعين لاستشهاده (18 يونيو 1994). وفي سبيل تفاصيل أخرى انظر *أنوال*، ع. 16 يونيو 1983).

محمد وحيد

## الزرقون (معدن) ← الزركون

**الزرقون**، ويكتب أيضاً الزرق، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Zarcon و Zarco ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان. م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999* ؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 764.

**زرقون، محمد بن علي**، قائد شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان عبد الملك، صار فيما بعد قائدا لجيش الموالي وصاحب خزائن الدار في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي.

ع. العزيز الفشتالي، مناهل الصفا...، الرباط، 1972.

Medico Judio, *Carta a su hermano, S.I.H.M., Anglaterra, T. 1, p. 312 - 321.*

**زرقون، محمد** "الكاهية" أصله من وادي آش بالأندلس، انتقل حوالي سنة 1569/977 إلى عاصمة الجزائر حيث تعرف على عبد الملك السعدي الذي كان آنذاك لازال يطالب بعرش أبيه ؛ وعندما جاء مولاي عبد الملك إلى المغرب سنة 1577/985 صاحبه القائد زرقون الذي شارك بجانبه في معركة الركن التي جرت بالقرب من فاس يوم 16 ذي الحجة 983/17 مارس 1576 وفي معركة فندق الريحان التي جرت بالقرب من وادي الشراط يوم 12 ربيع الثاني 984/9 يوليو 1576 ؛ كما كان في معركة وادي المخازن يقود الجيش المعروف بعساكر النار، وبعد المعركة المذكورة بشهر واحد نكبه السلطان مولاي أحمد المنصور الذهبي في رجب 986/سبتمبر 1578.

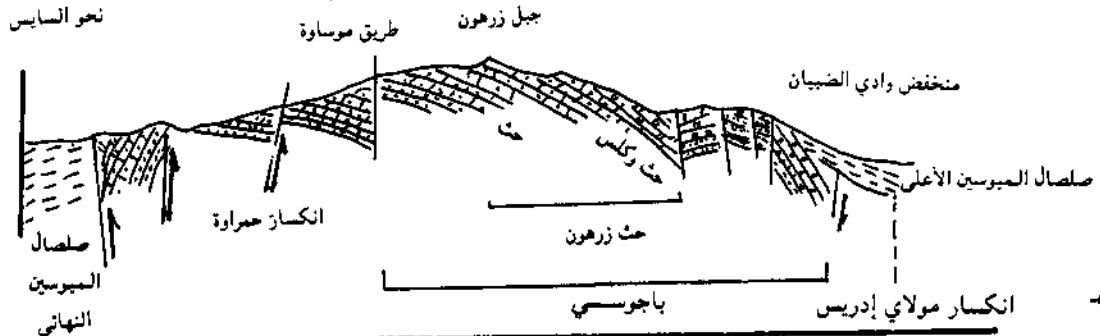
وذلك وسط تلال وهضاب وسهول حديثة، غنية تتمثل هذه الأخيرة في تلال فرشة مقدمة الريف الميوسينية، الممتدة شرقها وشمالها، وهضاب السابيس البليوريباعية في الجنوب وحوض سهل الغرب الرياعي النهدي في الغرب. تفصل بين هذه الكتلة الجبلية والمناطق التي تحتضنها، شبكة من الانكسارات والانخلاقات العميقة، ذات اتجاهات مختلفة. حدثت مزامنة للرواسب المكونة لهيكل بنية الكتلة (Faugères, 1978).

تشكلت تضاريس كتلة زرهون، في صحارة متنوعة، ضمن بنية التوائية راسخة، تنتمي للزمنين الثاني والثالث. تتمثل صخور الزمن القاعدي في رواسب الترياس واللياس القاعدي. تبرز الرواسب الترياسية بصفة محدودة من خلال نواة بسيطة، شمال جبل تاكرمة في هضبة ضاية موساوة، التي يرجع سبب ظهورها لرواسبه الطينية، التي تكون مركز محدد اختراقي، يتوسطه حادث مولاي إدريس الرئيسي، الذي يفصل جبل النصراني وزرهون عن عرفي تاكرمة - قنوفة. لكن الأسبار كشفت تحت قبة ظهر النسور - التي تتوسط كتلة زرهون، عن وجود كتلة طينية - محلية - جيسية، بسك 2140م، على عمق 1100 م تحت طبقات اللياس الكلس - ضولوميتية، والتي تستمر نحو الشرق والشمال الشرقي تحت مركب فرشة مقدمة الريف الغنية ببيروانها.

تغلف هذه الرواسب مجموعة جوراسية. صخورها كلسية - ضولومية، سمكية (400 م - 600 م) تنتمي للياس. يتوجها حث زرهون الباجوسي. تشكل تلك الصخور أغلب تضاريس كتلة زرهون.

بعد ثغرة إرسابية، يتم المرور إلى مجموعة صخرية تنتمي للكريتاسي الأعلى والباليوسين، صاصالية - كلسية - فوسفاطية سمكية (230 م). ينحصر مجالها في الحاشية الجنوبية الشرقية للكتلة، بين جبل النصراني وقبة ظهر النسور، حيث تكون المنخفض المقعري، الذي يحتضن حوض عالية مجاري ضبيان، لسند والضاية ومجرى بوخربوش.

تظهر صخور الزمن الثاني، المكونة لتضاريس زرهون، محاطة في الشرق والشمال بسفوح تتوجها مثلثات، تشكلت في غلاف رسوبي، صخوره متفاوتة السحنة والصلابة. تنتمي للميوسين الأوسط الأعلى السابق لزحف مركب فرشة مقدمة الريف الجنوبية، وذلك على شكل بهرة ضخمة. يتوج هذا الغلاف بصلصال كلسي أبيض (80 م)، تنتشر فوقه أقدم مغاريس أشجار الزيتون بالمنطقة.



العمليات الجراحية كالصفائح، واللواجب والكعاب، وكذلك خليطة المواد المعدنية. ونجد الزركون عامة في المغرب كمعدن ثانوي مألوف في صخور الغنايس، والكرانيت، والبغمانيت والسيانيت والاسوانية النفلينية. ويتوقع الزركون على شكل شواذ طول الساحل الأطلسي من لورورة بجنوب منجم بوسافن (عمالة غلميم) إلى طرفاية؛ وكذا جنوب غرب أخفير على ما يقرب من 6 كلم، ومصب واد سوس وإد أولعيان. وقد قدرت المدخرات من الزركون بمنطقة واد سوس وحدها بما يزيد على 52.6 مليون طن من المعدن الخام بنسبة 0.07% من أكسيد الزركون.

عبد الله بوحصاية

**زرهون** (كتلة وجبل ومدينة) تكون كتلة زرهون بغابيتها من أشجار الزيتون، خلية جبلية مكنتزة ومتضرسة. تمتد بين خطي طول 8°، 50 د و 8°، 80 د، وبين خطي عرض 37°، 37 د و 38°، وذلك في أقصى جنوب سلسلة جبال الريف و ش غ الأطلس المتوسط الهضي. كما يفصلها من جهة الغرب عن المحيط الأطلسي سهل الغرب بحوالي 80 كلم. (الشكل، 1). تبلغ مساحتها 363 كلم، حيث تطورت ملتصقة بسفوحها ستون (60) قرية، تتوزع بين ست جماعات قروية، إلى جانب مركز زاوية زرهون. يعيش بها ما يعادل 102.555 نسمة (إحصاء 1994).

باستثناء الامتداد الشمالي للكتلة، المتمثل في عرف بوقنفود - تسلفات. تتكون هذه الوحدة طبوغرافيا (الشكل، 2) في نصفها الجنوبي من تجاور ثلاث مجموعات متفاوتة: مجموعة عرضية وسطى أولى، تضم من الغرب إلى الشرق جبل قفص وكتلة زرهون وتجميدتي تغات وزلاغ المشرفة مباشرة على مدينة فاس. ومن الجنوب مجموعة ثانية جنوبية، تكونها جبال تاكرمة، قنوفة، تاحياحت وزرهون المشرفة على سايس مكناس والمؤثرة في بنيتها، إضافة إلى مجموعة ثالثة، تمتد انطلاقا من تجعدة قفص وملحقاته الشمالية الغربية (جبل عاري وأوطيطا).

تتمركز وسط هذه المجموعات، قبة جبلية هرمية الشكل تعرف بجبل ظهر النسور. تفصل فيما بينها مجموعة من الأحواض تختلف من حيث الشكل والاتجاه والامتداد والأصل أيضاً (الطيلسان، 1986).

بنية كتلة زرهون التوائية. صخورها جوداسية في الوسط ونيوجينية في عند الهوامش. تشكل تقريبا النصف الشرقي لتجاعيد مقدمة الريف، التي تنتصب في أقصى جنوب الأحودود الجنوب - ريفي الحارجي، بأعرافها الحادة،

توافق هذه الوحدة، بنية التوائية انضغاطية راسخة. تمخلها شبكة من الانكسارات. إضافة إلى بنيات وحيدة الميل، توافق الرواسب الميوسينية، تمتد على الخصوص في شرق وشمال الكتلة. تسلمها طبقات كلسية، ذات ميل متوسط إلى قوي في الغالب نحو الشرق، حيث تنتصب على سبيل المثال، في عرف النصراني الممتد جنوب شرق الكتلة.

ارتبطت نشأة كتلة زرهون باليوغرافيا، خلال اللباس الأعلى برصيف تحت - بحري لأحدود الأطلس المتوسط. قليل العمق وهادئ. يمتد نحو الجنوب والشرق، محيطا بكتلة هرسينية وسطى. استقبال رواسب كربونانية وضولوميتية، يعكسها تركيبها الصخري (Pedan, 1985, Michard, 1976). لكن هذا الانتماء للأطلس المتوسط، بدأ في الانقسام، ابتداء من اللباس الأوسط بدأت تتضح الحدود البنيوية، بعد تطور حوض مستقل بينهما، استقبال رواسب بحر عميق، كلس - صلصالية. مع نهاية الباجوسي بدأ انكشاف مجال التجاعيد، نتيجة ردمه برواسب رملية دلتائية سميكة، هي الأصل في حث زرهون (Faurères, 1927, Levy et al, 1952, 1978). تميزت حقبة النيوجين، بتهدل مجال التجاعيد والسايس وعودة الإرساب إليهما. امتد بحره حتى الجرف البيريني للأطلس المتوسط. لكن خلال الميوسين الأوسط والأعلى، حدثت حركات بنائية إقليمية بالميدان الخارجي الريفى صحبها تهدل أحدود أمامي لمقدمة الريف والجنوب - ريفي. انطلقت على إثره فرشاة زاحفة، اندمجت مع الخلاط الخارجية (Vidal, 1977) من الشمال.

حدث تطور بنائي عكسي، من نهاية الميوسين الأعلى إلى البليوسن، أدى إلى رفع التجاعيد، التي حاصرت البحر في منطقة السايس، قبل انحساره النهائي خلال الرفع البنائي العام لكل المنطقة الجنوب - ريفية فوق حوض سهل الغرب، ومن ثم بناء التجاعيد الجنوب - ريفية (Fassi, 1999, Tailassane, 1986, Feiberg et al. 1970, Beaudet, 1964, LeCoz, 1969). جعل تضاريس الكتلة ترتبط جغرافيا، منذ ذلك الحين، بمقدمة الريف الجنوبية أكثر منه بالأطلس المتوسط.

تقدم كتلة زرهون، تضاريس بنيوية إفراغية، مشتقة وبسيطة، ضمن بنيات وحيدة الميل، تنحني بظهور منتظمة صوب الشمال. في حين تتصل بالسايس والغرب عبر انكسارات. يصل مداها 100 م (Ait Braim et al. 1983, Faugères, 1978, Vidal et al, 1975) وذلك كنتاج لنشاط بنية هورست وكرابن، بين طيات عريضة عادي (Fassi, 1999) تتصل بالسايس بواسطة انكسارات عمودية يميني، ومع الغرب بانكسارات يسرى ميلها خفيف. (Vidal et al, 1975). وقد تم ذلك، ضمن سياق تطور بنية الريف المقعرة، ارتباطا بتزحزح وانغماس الصفيحة الإفريقية

تحت الكتلة الريفية، وهذه الأخيرة تحت صفيحة بحر الألبوران، وبالتالي حدوث انزلاق جاذبي لمكونات الفرشة (Feinberg, 1981, Vidal, 1977).

تشكلت تضاريس الكتلة، نتيجة تضافر الرفع البنائي الحديث والمتواصل ونشاط الأساليب المرفوتشكالية التغيرية. أدى إلى إفراغ جزئي لمحدبات تجاعيد زرهون، (حفرة البير والنصراني)، ومن ثم تشكيل وديان وأحواض إفراغية، تضيق أو تتسع، تطول أو تقصر تبعا لسماك وامتداد واتجاه الطبقات الهشة والحوادث البنيوية (الظيلسان، 1986)، مخلفة بذلك تضاريس مشتقة، بل معكوسة أحيانا. وذلك منذ انكشافها مع نهاية غمر الميوسين الأسفل. بحيث أصبحت تشكل تضاريس جوراسية، تجسدها بهرة ضخمة. يتوسطها تقب حتر ظهر النسور المشتق. توطرها من الخارج حادورات بنيوية للغلاف الميوسيني الممتدة في الشرق والشمال، حيث تشكلت أجراف ومثلثات ضخمة.

وقد ساهمت في تشكيل تضاريس الكتلة، شبكة مائية حديثة وموافقة، تغلب على جريانها الموسمية. تصرف مياه الكتلة نحو الخارج صوب الشمال، أهمها مجرى زكوطه، بطول لا يتعدى 20 كلم، قبل اقترانه بنهر سبو. يليه واد الضيآن، الذي يكاد يصرف معظم مياه الكتلة صوب الغرب، ليقطع هضبة الكعدة البليورباغية، عبر مجرى الرمان، الذي يصب في مجرى الردم.

ختاما، أشير إلى أن مجال كتلة زرهون عرف ولوج الانسان النيولتي إليه، حيث عثر الأركيولوجيون على بعض معالمه في ملاحي وكهوف الكتلة (Belarbi, 1980). كما تشير آثار وليلي وبعض الكتابات فيها، إلى وصول الفنيقيين ولا سيما الرومان، الذين توقفت حضارتهم فيها ابتداء من القرن الثالث الميلادي. لكن في نهاية القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي، ستعرف المنطقة توافدا سكانيا مهما، مع وصول المولى إدريس الأول. أما خلال القرنين التاسع والعاشر (15 و 16 م)، فقد عرفت حسب وصف ليون الإفريقي، تطور 50 قرية وقصراً، وسط غابة كثيفة لأشجار الزيتون، بساكنة غنية، ضمن مجال أصبح يتوسط عاصمتي المغرب فاس ومكناس.

ويطلق اسم جبل زرهون، على العرف الجبلي العرضي الجنوبي، للجزء المتكثل من تجاعيد مقدمة الريف، المشرف مباشرة على هضبة سايس مكناس من الشمال، والتي اصطلح إطلاقها على هذه التجاعيد (الظيلسان، 1986, Fassi, 1999).

ينتصب هذا العرف، كأهم تجعدة في مقدمة الريف الجنوبية، ضمن شريط جبلي، بسفح وعرف في أقصى جنوب الكتلة على هضبة سايس مكناس. فهو عبارة عن تجاور عرضي لأعراف طويلة، متفاوتة الامتداد على مسافة 10 كلم. اتجاهها العام شرقي - غربي. تبلغ أقصى ارتفاعها في

التوسع شمالا، حيث تنزل بعض أحيائها الحديثة، عبر سطح هضبة بلاد بورياح بالقرب من مجرى الرومان. بهذا الموقع، تتوسط المدينة مشهدا غابويا، قوامه أشجار السنديان الأخضر والصنوبر في الجنوب، وأشجار الزيتون في الشمال.

جاء موقع مدينة زرهون الدفاعي، عند بوابة كتلة جبلية، غنية بغابة تغلب فيها أشجار الزيتون في الشرق، مشرفة غربا على مجال هضبي وتلي، يخصص معظم مجاله لزراعات الحبوب البعلية. باستثناء الرساتيق المسقية، فوق الضفاف السلطان - غربية لمجاري الرومان والردم.

اقترنت نشأة هذه المدينة، بقيام دولة الأدارسة بالمغرب في نهاية القرن الثامن الميلادي. إذ تولى بها المولى إدريس الأول، سليل الحسن بن علي بن أبي طالب، حكم المغرب فيما بين 172. 175. الموافق (178. 791. Histoire du Maroc) (1968)، لتمثل بذلك عاصمة أول دولة إسلامية بالمغرب. لا زالت تحتضن ضريحه.

تبدو مرفولوجية المدينة بأزقتها الضيقة بدون تصميم. يعكسه تداخل ألوان جدران بيوتها البيضاء بلون سقفها القرميدية المحمرة، باستثناء ضريح المولى إدريس ذي السقف الأخضر، الذي يقع بحي الحفرة شرقا، إلى جانب الأحياء الثلاثة الرئيسية الأخرى، المكونة للمدينة وهي : تازكا الحفرة، خيبر، قصبه البلغيشين (Belarbi, 1980).

تضم المدينة، خليطا من السكان. ذوي أصول مختلفة، من بين أهمهم : الشرفاء الأدارسة، الصحراويون، بين يزغا، جبالا والعرب البلغيشيون.

وقد عرفت ساكنة المدينة تطورا محتشما، إذ لم تزد عن الضعف خلال 70 سنة الأخيرة من القرن العشرين، وذلك ضمن 2659 عائلة (إحصاء 1994)، كما يؤكد ذلك الجدول التالي :

السنوات	1926	1931	1936	1954	1971	1994
السكان	6.211	6.932	7.434	7.388	8.051	12.521

تطور ساكنة مدينة زرهون خلال القرن العشرين

تقاء بالزاوية، سوق السبت الأسبوعية، التي يعتمد سكان الدواوير الغربية والشمالية من كتلة زرهون على الخصوص في التزود بحاجياتهم منها. حاليا، أصبحت مدينة زرهون تشكل بلدية، تنتمي

عرف جبل زرهون بـ1118 م. هذا العرف عبارة عن تجاور عرضي شرقي - غربي، طويل على مسافة 10 كلم، لمجموعة من الأعراف، متفاوتة الامتداد. تتمثل في عرف جبل زرهون، الأكثر استقامة وارتفاعا، حيث تم تشييد مركز الدفع الإذاعي والتلفزي لزرهون. يتراجع الارتفاع شرقا، عبر جبل تاكرمة (881 م) صوب جبل قنوفة (949 م)، وفي اتجاه الغرب المشرف على هضبة بلاد الملالي (800 م). يشرف هذا العرف على هضبة سايس مكثاس جنوبا، بسفوح وعرة تتقعر في أسفلها، وإن كانت تتميز بوجود درجات عند عرف زرهون يصل مداها أحيانا إلى 50 م. تتوجها جميعا أجراف عمودية محمرة.

يمثل عرف زرهون مرفولوجيا، ضلعا خفيف التقوس. قمته حادة، سفحاه غير متماثلين.

يوافق سفحه الشمالي المنتظم، ظهر الطبقة الحثية العليا المنتمية للباجوسي، تميل بـ 20 إلى 30 نحو الشمال. مخدد بعمق. بينما يشرف نحو الجنوب عبر جرف حاد، تشكل في نفس الصخور في الأعلى، إضافة إلى أخرى صلصالية منتمية للأليني في الأسفل. تقطعه مجموعة من الانكسارات عمودية وعادية ومعكوسة، خصوصا الحادث الانكساري، الذي يحده جنوبا عن السايس، حيث تكون درج انكساري مداه 1000م، أفرغته التعرية. لتشكل به ضمن طية محدب مفرغ، بهرة جانبية، انكشاف من خلالها الصلصال الأليني، المكون لقب المحذب. يشرف عليها ضلع الحث الباجوسي، الذي ينتهي بسفحه شبه بنيوي شمالا. تعبر هذه البهرة، طريق تربط بين قرى : حمراوة، المغاسيين، ومساواة، التي ترصع السطح الجنوبي لهذه التجمدة.

أما مدينة زرهون أو الزاوية، كما تسمى محليا، أكبر مركز قروي بكتلة زرهون (Belarbi, 1980). توجد معلقة ومنعزلة، فوق صخرة، ضمن حلبة متضرسة. تطورت عند مفصلة محدب مقروص. صحوره كلس ضلوميئية، تنتمي للدوميري. منحصرة بين ضلع جبل زرهون في الشمال وضلع الكوار شمالا، محتلة بذلك موضعا حصينا.

تحده جنوبا أجراف عمودية، تشرف من خلاله على سليل خانق مجرى انشائيش بحوالي 100 م، والذي يعتبر

الأطول بكتلة زرهون، لكونه يكاد يصرغ معظم مياهها السطحية، انطلاقا من منخفض الضبيان الكريتاسي الصلصالي، حيث ينعت بهذا الاسم هناك. قبل أن يصبح تحت اسم واد الرومان أو خومان، وهو يعبر هضبة وليلي صوب مصبه بوادي الردم غربا. في حين تمكنت المدينة من



nord-occidental. Notes et Mém. Serv. Géol. Maroc. Rabat, t. 30, n° 225, pp. 21 - 26, 1970 ; Brignon [et al...], *Histoire du Maroc*, 4ème édit. Casablanca, 1968 ; Lecoq J., *Le Rharrh : Fellah et colons. Etude de géographie régionale*. Rabat, 2 t. ; *Le cadre de la nature et de l'histoire*, 1964 ; Levy R. et Druderer W., *Considération sur la "nappe pré-rifaine" d'après les travaux de la société chérifienne des pétroles. C.R. 19ème congr. Géol. inter. Alger*, pp. 277 - 294, 1952 ; Michard A., *Elément de géologie marocaine*, 1976 ; Recensement du 1994. Rabat, 1976 ; Tailassane M., *Le massif du Zerhoun et ses bordures est et nord-est au nord du Sais Fès et Meknès : Etude géomorphologique*. Thèse 3ème cycle. Univ. Med. V. Rabat, 1986 ; Vidal J.C. et Faugères J.C., *Une nouvelle interprétation de la structure des rides pré-rifaines (Rif, Maroc) : rôle des décrochements. C.R. Acad. Sc., Paris*, t. 281, 1975 ; Vidal J.C., *Structure actuelle et évolution depuis le Miocène de la chaîne rifaine (partis sud de l'Arc de Gibraltar) Bull. Soc. Géol. Fr., Paris (7), t. XIX, n° 4, 1977.*

محمد الطيلسان

**الزهروني، إبراهيم بن عبد القادر** كان من أبرز كتاب الدولة المقيمين من السلطان المولى الرشيد، وأجل حلة الأعلام في عهده، عارفاً باللغة العربية وآدابها وإنشائها "أديباً بليغاً وجيهاً مجللاً فقيهاً نبيهاً أريحياً مهذباً ملحوظاً بعين الاجلال والاكبار، من عظماء دولة الانحرف مولاي رشيد". الإنحرف (ابن زيدان، الإنحرف، 1 : 263). كانت وفاته في 17 شعبان عام 1080 / 10 يناير 1670.

رقية بلنقدم

**الزهروني، إبراهيم بن علي** المعروف بأفحام أو أفهام، السوسي النجار الزهروني المذفن والدار، يرتبه محمد المهدي الفاسي في الدرجة الثانية من الطبقة الزروقوية الأولى، بعد الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الملباني (ت. 931 / 1524) صدر هذه الطبقة، وذلك من كتابه *التحفة*. وينسجم هذا الترتيب مع قصد مؤلف التحفة من أفرادها في التاريخ العام للطريقة الزروقوية شرقاً وغرباً، ولو كان قصد بها التأريخ للزاوية الفاسية التي ينتسب لها لانقلب هذا الترتيب، وعادت الصدارة إلى أفحام وتخلف الراشدي إلى الرتبة الثانية، ذلك أن واسطة بني الجد في الزروقوية من طريق الشيخ أفحام أقوى وأشد من واسطتهم فيها من طريق الشيخ الراشدي.

ولا تمتاز مكانة صاحب الترجمة في تاريخ الزاوية الفاسية فحسب، بل وتعلو في تاريخ الطريقة الزروقوية بالمغرب بوجه عام. ويأتي ذلك من اعتباره صدر الزروقويين المغاربة، وكبير الأخذين عن الشيخ أحمد زروق (ت. 899 /

لإقليم مكناس المنزه، التابع لجهة مكناس - تافيلالت. يساكنة يبلغ تعدادها، حسب إحصاء (1994) 12.521 نسمة، تمثلها 2.659 أسرة.

كما تضم المدينة مقر دائرة حضرية، تتحكم في ست جماعات. تعيش بها 44.533 نسمة، تمثلها 16.613 أسرة. جلهم قرويون (إحصاء 1994). (انظر الجدول أسفله) :

الجماعات شرقاوة	كرمة المغاسيين	بنسالم	بني عمار	عدد السكان
5.154	5.026	8.212	9.465	
الجماعات وليلي سيدي عبد المجمع	الله الخطية	عدد السكان		
6.594	10.082	44.533		

تطور ساكنة بلدية مركز زرهون (حسب إحصاء 1994)

يتعذر في هذه المدينة، التمييز بين ما هو حضري فيها وما هو قروي. ومع ذلك فإنها تحتضن مقر بلدية كتلة زرهون. بفضل وجود قبر أول لاجئ سياسي، استقبله المغرب الإسلامي في نهاية القرن الثامن الميلادي. تحول إلى ضريح، وحتى زمن قريب، كانت زيارته 40 مرة متتالية، تعادل القيام بمناسك الحج بالحرمين الشريفين (Belarbi, 1980). لذلك دأبت المدينة على تنظيم موسم سنوي للمولى إدريس الأكبر، يستقطب سكان القبائل القريبة والبعيدة لإحيائه، قصد تحقيق هذه الغاية.

Ait Brahim L. & Chotin P., *Mise en évidence d'un épisode compressif dans les calcaires plio-quaternaires du bassin du Sais. C.R. Acad. Sci., Paris*, t. 296, p. 133, 1983 ; Beudet G., *Le plateau central marocain et ses bordures, étude géomorphologique*. Thèse de doctorat es-lettres, 478 p., 125 pl., 28 fig., 4 cartes, 1969 ; Belarbi M., *Zerhoun, population et structures agraires, Etude de géographie rurale*. Thèse de 3ème cycle, Bordeau I, 1980 ; Daguin F., *Contribution à l'étude géologique de la région pré-rifaine*. Rabat, 1927 ; Dresch J., *Essai sur l'évolution du relief dans la région pré-rifaine (Maroc occidental)*. Paris, 1933 ; Fassi D., *Les formations superficielles du Sais de Fès et de Meknès : Du temps géologique à l'utilisation actuelle des sols*. Rabat, 1999 ; Faugères J.C., *Les rides sud-rifaines. Evolution sédimentaire et structure d'un bassin atlantico-mésogéen de la marge africaine*. Thèse d'Etat. Univ. Bordeau I, t. 1, 480 p., 1978 ; Feinberg et Lorenz G., *Nouvelles données stratigraphiques sur le Miocène supérieur et le pliocène du Maroc*

1493) إبان استقراره بفاس في صدر الدولة الوطاسية، وصاحب الطريقة الثانية والكبيرة في الزروقية إلى جانب الطريقة الراشدية، والتي شكلت إحدى التيارات الصوفية المتميزة والبارزة بمغرب القرنين 10 و 11 / 16 و 17. زيادة على عمله على استقرار عبد الله الحياض (ت. 939 / 1533) تلميذ الراشدي بزوهون، وتمكين التيار الزروقي من الانتشار بهذا الجبل.

وقد اعتمد أفحام في طريقته على أصل مكين من أصول الطريقة الزروقية، وهو مبدأ الاستحسان الذي أكد عليه الشيخ أحمد زروق في مذهبه وجعله أساس الانتساب إلى التصوف ورجاله. وهو مبدأ يقول بحق كل فرد في اتخاذ المذهب الصوفي الذي يراه الأحسن، والذي يتفق مع استعداده الطبيعي ودرجته في العلم، شرط التقيد بالكتاب والسنة. فنهل أفحام من مدارس التصوف الإسلامي التي نشأت بخراسان خلال القرن 9 / 3، واقتفى أثر شيخ الملامتية بنيسابور حمدون بن أحمد القصار (ت. 884 / 271). وبقى استحسانه من صميم التصوف المغربي، وبعد إحياء لسلك عريق في تاريخه، وسابق في ظهوره عن الطريقة الشاذلية بالمغرب بما يزيد عن القرن. وقد تمت الإشارة إليه في كتاب 'التشوف"، واشتهر به الشيخ علي ابن حرزم (ت. 559 / 1164)، وهو شيخ أبي مدين الذي تتلمذ على يده عبد السلام بن مشيش الذي أخذ عنه أبو الحسن الشاذلي. وتواتر ذكر مسلك أهل الملامة في مصادر التصوف المغربي المصنفة بعد ابن الزيات (ت. 627 / 29 - 1230). ثم إن تراث الشيخ أحمد زروق حافل بما يسوغ عقد الصلة بين الزروقية واللامتية، ويعين على الذهاب إلى القول إن استحسان تلميذه أفحام هو من صميم طريقته ومذهبه، وإن الاتجاه الإفحامى هو استقرار للزروقية واستمرار لها، ودليل على أن العمق لم يزم بها بالمغرب بعد خروج الشيخ زروق منه مفاضياً، وإنها قد أجزأت به قبل أن تغادره، وخلفت بناتها به قبل أن تغارقه.

ولعل ملامتية الشيخ أفحام كانت أقرب إلى جوهر الطريق الملامتي الذي قصد به مشايخه الأوائل إلى مجاهدة النفس ورياضتها، والحرص على ألا ينم الظاهر عن الباطن، وألا تظهر الأسرار في الأقوال والأفعال، وكتمان المعاملة مع الخالق. فسيرته عاطلة بالمرّة مما يفيد ظهوره بما يجلب عليه من الغير الملامة، أو بأخذه النفس باللوم والبخع والتأنيب. بل إن مترجميه يجعلون طريقته محمدية، ويقولون إنه كان قد رأى النبي (ص) في النوم ففتح له على يده الكريمة وأخذ عنه (ص)، ثم انضاف إلى الشيخ زروق وصحبه وانتسب إليه بقصد التربية والتهذيب. ومع تلميذه علي الصنهاجي المعروف بالدوار (ت. 941 / 1535) ومن بعده سيخرج الملامتية المغاربة من طور الخمول والكتمان إلى طور الظهور والإعلان، وتعتمدون الظهور في الناس بالأمر الموحشة التي تجلب لومهم وتؤدي إلى تنافرهم عنهم.

وتتأكد الصلة بين الملامة والمجذب والبهل والخال، وتيسر موافقة ضروب من السلوك غير جارية على الشروط الشرعية، ويسهل الخروج في العبادات والعادات عما هو معروف من ظاهر الشريعة.

توفي بزوهون عام 926 / 1520.

ي. الزيات التادلي، التشوف، تح. أ. توفيق، 169 : م. العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ط. حجرية، 191 : م. المهدي الفاسي، مجمع الأسماع، تح. ع. العمراوي وع. مراد، 111 : المؤلف نفسه، تحفة أهل الصديقية، مخ خ ع 76 ج. 65 : م. الكتاني، سلوة الأنفاس، ط. حجرية، 2 : 221 : أ. الناصري، الاستقصاء، 4 : 163 : م. حجي، الزاوية الدلائية، 50 : م. مفتاح، الخطاب الصوفي، مقارنة وظيفية، الدار البيضاء، 1997، 131 - 132 : ع. نجمي، من تاريخ التصوف المغربي في القرن العاشر الهجري، الملامتية، 30.

عبد الله نجمي

### الزوهوني، إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمان شيخ

تأسفت، من الشرفاء الأدارسة الذين دفعت بهم الظروف إلى البحث عن مستقر لهم بالمناطق الجبلية، فكان موطن أسلافه في الأطلس الصغير بإفراغ قبل الانتقال إلى تأسفت الواقعة بقبيلة كندافة بعمالة حوز مراكش. وهناك ولد إبراهيم سنة 1070 وتولى مشيخة الزاوية بعد وفاة والده وتفرغ لشؤونها وأملأها مع تربية المريدين والاهتمام بتوفير المستوى الضروري من التعليم للسكان وتنظيم مجالس الحديث في كل مناسبة دينية وربط صلات الود والصداقة مع عدد من الفقهاء الذين زاروا الزاوية. وسعى لتمتين الروابط الروحية مع ذرية المرابط سعيد بن عبد المنعم الحاحي أصحاب زاوية تافيلالت بزداغة وآل بناصر الدرعي بتمجروت. وفي سنة 1121 قام برفقة ابنه عبد الله بأداء فريضة الحج. واستمر في القيام بمشيخة الزاوية في أمن واستقرار معززا موقرا في الوسط الجبلي إلى سنة 1125 حيث اكفهر الجو السياسي بينه وبين المخزن فوصلته رسالة من السلطان المولى إسماعيل طالبا منه الحضور باستعجال إلى عاصمته مكناس لمقابلته، غير أن الشيخ أوجس منه خيفة وخبرته أحداث الماضي بمكابد رجال السلطة وشاعت الأقاويل حول أسباب غضب السلطان عليه، فمن قائل بأنه كان مؤازرا لابنه محمد العالم في ثورته بتارودانت ومن زاعم بأن الشيخ يملك سيفا أثريا وطولب بإحضاره أو بيعه للأمير. ومن مردد أن للشيخ له سيطرة واسعة على قبائل وادي نفيس ويخشى من نفوذه الروحي الذي قد يحوله لمواجهة السلطة فتوالت الرسائل الرسمية على الشيخ وقدم عليه مبعوثو الأمير لإقناعه بالذهاب إلى مكناس ووجدها باشا مراكش عبد الكريم بن منصور التكني فرصة لتحريض السلطان عليه بتوجيه المحلة للقضاء عليه، فعهد المولى إسماعيل لابنه المولى الشريف بهذه المهمة العسكرية فجد

عاصمة البرتغال حيث انضم إلى حاشية الأمير مولاي الشيخ ابن السلطان المتوكل وظل بجانبه إلى أن اعتنق هذا الأخير دين الضلال.

Archivo General de Simancas (España) ; Ojeda, Luis de, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian, S.I.H.M. France I*, p. 575 - 627.

محمد ابن عزوز حكيم

**الزوهوني، عبد الرحمن بن التهامي بن الفقيه يحيى**  
بن عبد الواحد الإدريسي الزوهوني، شريف حسني. درس بمدينة زهون ثم انتقل إلى فاس. فأخذ عن شيوخها خاصة مولاي إدريس البكراوي الذي أجازته في علم القراءات، رجع إلى زهون حيث تسلم إمامة ضريح مولاي إدريس التي توارثها أسلافه. وعرف عنه أنه : "فقيه أستاذ، ناسك بركة، فاضل جليل من أهل الخير والدين" (الإتحاف، 5 : 292) كان من مردي الشيخ سيدي عبد القادر العلمي المكتاسي، صحبه مدة وعنه أخذ طريق القوم.  
توفي ببلده زهون عام 1332 / 13 - 1914.

رقية بلنقدم

**الزوهوني، عبد الله بن عثمان الصنهاجي، لقب**  
بالزوهوني نسبة إلى أمه الزوهونية، عرف بالصلاح والمعرفة بطريق التصوف والحفظ لأخبار الصالحين. وقد أدرك عدداً منهم كابن حزمه وأبي شعيب السارية وأبي يعزى.  
ذكر له ابن الزيات في التشوف مجموعة من الكرامات، يظهر منها أنه كان يقيم مدة برياط شاكراً.

ي. ابن الزيات، التشوف، 424 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 8 : 211.

أحمد إشرخان

**الزوهوني، عبد الله بن عز الدين قائد** كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني سعيد انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الرسوني، وشارك في المؤتمر الذي عقدته الثورة بقرية الزوة (جبل حبيب) يوم 11 يناير 1915 وشارك في أربع معارك فقط لأنه استشهد في معركة اشروطة بقبيلة بني حسان ليوم 19 ربيع الثاني عام 1343 / 17 نوفمبر 1924.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الرسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب، الرباط، 1981.

Capaz Fernando, *Cabacillas* ..., 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

**الزوهوني، عمر ← الخطاط**

لها 9.000 فارس و23.000 رجل ووجدت قبائل وادي نفيس نفسها محاصرة ومهددة بالتأديب والانتقام لتضامنها مع شيخ الزاوية واعتمادها في تسيير شؤونها على الأعراف المتبعة وأهمها الطاعة بدون التقييد بالتكاليف. ولجأت السلطة إلى اغراء شيوخ المنطقة وبذل الجهد في كسر تضامنتهم، فتمكنت جيوشها من الدخول إلى الجبل ونهج سياسة الدمار وإتلاف الأشجار وتخريب الزاوية وذلك في فاتح رمضان عام 1127. ووصف ولده عبد الله الزوهوني هذا الدخول في رحلته المسماة رحلة الوافد : "وفي صحوة يوم السبت الأول من رمضان المعظم عام سبعة وعشرين ومائة وألف وقع الغدر بين قبائل نفيس بثنية وشدان وكان ذلك بسبب طلوع المخزن لبلادهم حتى طوعها كلها وطاع له أهل جبل درن ونهب أموالهم ومثل بهم ...".

وأمام هجوم المحلة، فر الشيخ وأسرته وجماعة من أصحابه إلى اغبار ثم إلى سكساوة. ومع أن المعركة وضعت أوزارها فإن الشيخ اعتصم في منفاه مهادنا ومراوغا إلى أن وافاه أجله في رجب سنة 1134 / أبريل - ماي 1722، في أعلى وادي مسطوكة في قبيلة زداغة. وهكذا فإن الظروف المؤلمة التي عرفتتها المنطقة تعكس الصراع بين المخزن والزاويا في حالة قوتها.

ع. الله الزوهوني، رحلة الوافد، نج. علي صدقي ؛ م. ماگامان، *الرحلات المغربية في القرنين 11 و12*.

*La Rihla du Marabout de Tassaft*, traduit par C. Justinard, *Revue Africaine*, 1942, H. Terrasse, *A propos de la Rihla du Marabout de Tassaft*.

محمد ماگامان

**الزوهوني، أحمد بن الحسن بن علي بن الأمير فقيه**  
حافظ من أهل مكناسة الزيتون، ينتمي إلى أسرة علمية، فقد كان أبوه فقيها، وكان جده من حفاظ المذهب المالكي.  
قام برحلة إلى المشرق فجع، وعند عودته أقام بالأسكندرية مدة التقى فيها بالحافظ أبي طاهر السلفي (ت. 576) وأخذ عنه كثيراً من الحديث، وبعض الكتب كالناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس، وغريب القرآن لابن عزيز، ومسند الموطأ للجوهري، وشرح غريب الموطأ للأفضل، وذلك سنة 533 / 1139.  
وكان الفقيه أبو يوسف الزناتي يشي عليه ويصفه بالحفظ.

أبو طاهر السلفي، معجم السفر، نج. عبد الله عمر البارودي، مكة المكرمة، المكتبة التجارية، (د. ت. د)، ص. 39.

محمد المغراوي

**الزوهوني، بسا يوسف، قائد** شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان محمد المتوكل ثم فر إلى أصيلا التي كانت آنذاك بيد البرتغال، ومنها التحق بلشبونة

**الزهرهوني، عمر بن عبد العزيز بن عمر الخطاب**  
الزهرهوني فقيه مشارك، ولد بمدينة فاس سنة 972. كان بارعا في النحو وفي استظهار مختصر خليل وتدرسه. وصفه القادري بـ "الفتية الشهير البركة" (نشر الثاني، 1 : 41) توفي قتيلا آخر ذي القعدة عام 1002 / 17 غشت 1594.

رقية بلمقدم

**الزهرهوني، قاسم** قائد بجيش زواوة شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان مولاي عبد الملك وذكره الإفراني في *نزهة الحادي* من بين قواد الجيش في عهد السلطان مولاي عبد الله الغالب بالله.  
م. الإفراني، *نزهة الحادي*. الطبعة الثانية - الرباط. د. ت. صفحة 47 و55.

Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian*, (S.I.H.M. France I, p. 575 - 627).

محمد ابن عزوز حكيم

**الزهرهوني المقدم الحياط، رئيس اللطيين بفاس**  
أيام السلطان المولى إسماعيل. كان عدد حومات فاس في هذا المعهد أربعاً وعشرين، في جهة اللطيين ثمان، وفي جهة الأندلسيين عشر، وفي عدوة الأندلس ست، وعلى كل حومة جار وعليهم رئيس، والحياط الزهرهوني هو رئيس اللطيين. لا تذكر المصادر اسمه الكامل ولا تاريخ ولادته. ولد بمدشر العامة بزهرن، وكعادة أغلب الزراهنة، التحق بفاس لإتمام دراسته، فقرأ القرآن بالروايات العشر، ثم قرأ "المخرجة" و"القصادي" و"المنية"، فتفوق في الحساب وعلم الفرائض، وأصبح له إلمام بالتاريخ وأيام الناس وسياسة الملوك. ولم يؤهل للتدريس بالقرويين فاتخذ مكتباً لتعليم الصبيان بحومة زقاق الحجر بفاس، حيث عمل زمناً لجاريها، ثم صار يزوم لجميع الجاريين باللطيين ويجمع لهم حساب الأداءات المخزنية، فتقرب بذلك إلى أبي علي الروسي فولاه رئيساً على الجميع، فاستبد بالأمر، وأصبح نموذجاً للمقدمين المستبددين حتى قيل في حقه : "لم يبق لأحد معه في تلك الجهة من الأمر شيء"، فكان يجمع المغارم والوظائف المخزنية بتجاوز وتسلط، ويقبض على من لم يؤد ما وظف عليه من المغم، ولو كانوا في حرمة المساجد، فترك الناس بسبب ذلك مجالس الوعظ، وأصبح قلة منهم يستمع للتوريق بمسجد القرويين، فبلغ ذلك السلطان مولاي إسماعيل بواسطة مؤنسه المؤذن، فأمر بالقبض عليه وعلى أتباعه، وأرسل رسالة تهديد إلى عامله أبي علي الروسي، ثم أمر بضرب عنق الحياط الزهرهوني، بمكناس عام 1125 / 1713. ففرح أهل فاس بذلك، وقيلت بالمناسبة أشعار وقصائد ملحون.

م. القادري، *نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 6، ص. 2274 : م. ابن الحاج، *الدر المنتخب*، مخطوط، مخ خ س 12184، ج. 8، ص. 97 : ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 3، ص. 13.

أحمد إيشرخان

**الزهرهوني، موسى بن بويكر**، قائد حصن بادس من قبل أبي حسون الوطاسي ما بين مارس 1549 ويناير 1552. لم تكشف المصادر عن اسمه وهويته بسهولة، فمارمول يسميه فقط الزهرهوني. وعرفت به مراسلتان باسم سيدي موسى، بينما قال "بيدرو سلزار" إنه سيدي موسى بن بويكر (Cidemuca dembucar). وبذلك سندعوه موسى بن بويكر الزهرهوني. وقيل أيضاً بعض الشيء عن سابق عمله قبل التحاقه بمهمته بجزيرة بادس، فمرة قيل عنه إنه كان قاضي القضاة بفاس، وأنه أحد أقرباء قاضي القضاة فقط. وإذا كان لا بد من الترجيح فإننا نميل إلى الرأي الثاني، إذ أن سيدي موسى أبان خلال مدة اعتصامه بالجزيرة عن مهارة ومعرفة بشؤون البحر. علاوة على أن عبد الله الغالب عينه قائد أسفي سنة 974 / 1566، وكان قد التجأ إليه إثر فراره من بادس.

فالظاهر من تجميع الأقوال أن موسى بن بويكر الزهرهوني كان من المحظوظين لدى أبي حسون، بفضل ما توفر عليه من خصال القيادة الحريية. وغير بعيد أن يكون هو من الموالين للأمير البادسي منذ استقرار هذا الأخير ببادس، وأن ما تم من الإصلاحات بالجزيرة كان على يده. وكيفما كان الأمر فإن أبا حسون كلفه بحراسة الحصن وشحنه بالأقوات والعتاد الحرب، وبالقطع المدفعية خاصة. واستناداً إلى ذلك استخلص الجزيرة لنفسه أثناء أوج الصراع بين أبي حسون ومحمد الشيخ السعدي وتأجج الأطماع الإسبانية. بيم نفس تمازج هذه المواقف الثلاثة ؟ الواقع أننا نجهد تفاصيل هذا الحدث، فلم تأتأ أخباره إلا من مليبية التي أرى إليها أبو حسون منذ 17 أبريل 1549، بعد استفساره عن سبب قدومه إلى المدينة. كما وصل نفس الخبر إلى غرناطة على لسان أسير فر من بادس. فالظاهر أن محمد الشيخ السعدي كان قد وكل أمر القبض على أبي حسون إلى مولاي بوزكري، صهر هذا الأخير، بعد التباطؤ الذي أظهر في عدم الاستجابة لاستدعائه المتكررة، وإلا أن أبا حسون تظن بالغاية من مقدمه قبل إشرافه على حوز بادس الساحلي.

فالظاهر أن الأمير الوطاسي فكر في التحصن بجزيرة بادس من ملاحقة محمد الشيخ السعدي. وإلى غاية 14 مارس كان قد نصب أربعين قطعة مدفعية، واختار لقيادة الجزيرة المدعو موسى بن بويكر الزهرهوني. ونعتقد أن امتناع موسى بن بويكر الزهرهوني بالجزيرة لم يكن مبرراً كافياً لمغادرة أبي حسون مركز إمارته بتلك السرعة وعلى تلك



وكان نحوياً جامعاً للقراءات بالطرق العشر، وله قدم راسخة في العلم.

وهو تلميذ الشيخ أبي عمرو المراكشي القسطلي، وربما أخذ عن الغزواني كذلك قبل اجتماعه بأستاذه الأخص المذكور لذلك قدمه عليه في نظمه الذي نظم فيه السلسلة الشاذلية الجزولية :

وتوسلي لسه بالرجال وشيخنا الغزواني والقسطلي  
ويقال بأن فقهاء زعيم اتخذه ورداً في وظيفتهم.  
ومن المستبعد أن يكون الزروالي قد أخذ عن الغزواني  
الذي توفي سنة 935 / 1528 فإذا سلمنا أنه لقيه قبل وفاته  
فان ذلك سيحمله يعمر أزيد من قرن. وهو أمر لم ينبه إليه  
أحد من الذين ترجموه (إذ كانت وفاته كما سئرى سنة  
1045. 1635).

أخذ الطريقة الجزولية عن أبي عمرو المراكشي، عن عبد  
الكريم الفلاح الحاجي، عن عبد الله الغزواني عن الجزولي  
(قبيلة بني زروال).

قال فيه الحلفاوي ... المشهور بين العباد والزهاد،  
المحيط بالسنة بالعمل والاجتهاد... (شمس المعرفة).

وكان صاحب كشف وقراسة نافذة. وقال فيه ابن أبي  
محلي : العالم الذي عن حوض الحقيقة والشرعية لا يزداد،  
وعلى قدره الشريف لا يزداد (الإصليتي) تقدم لحضرة فاس  
في طريق القوم بعد وفاة شيخه أبي عمرو، وأخذ هناك  
الوظيفة الزروقية عن محمد الحرفوي تلميذ زروق. قبل أن  
يتجه إلى مكة المشرفة مجاوراً.

قبل عنه إنه كان صاحب تأليف في العشق وغيره إلا  
أن أهم مؤلفاته هو كتابه شمس القلوب لكل محبوب ألفه  
في مناقب شيخه أبي عمرو ورتبه على مقدمة وأربعة  
أبواب.

المقدمة : تمهيد في أصول الكتاب وقواعده التي تبني  
عليها جميع الأبواب.

الباب الأول : في اثبات نسبتته المرضية وإسناد طريقته  
المروية وتسمية أشياخه واحداً عن واحد إلى خير البرية.  
الثاني : فيما دل على تخصيصه بإشارة أشياخه وحسن  
سيرته.

الثالث : في ظهور دعوته البالغة وبراهينه البازغة  
وحججه الدامغة ونفحاته السابغة.

الرابع : في شيء من كلامه المشكور وتفسير ما تيسر  
منه على حسب الفتح والنور، وكراماته الظاهرة وخصائصه  
الباهرة ومحاسنه الزاهرة.

الخاتمة : في ذكر وفاته وما ظهر على بعض خواص  
حضرته من فضل بركاته (شمس القلوب).

أورد فيه قصائد عديدة في مدح شيخه وأعلام الطريقة  
الجزولية.

ذكر صاحب دليل مؤرخ المغرب الأقصى أن الزروالي  
توفي بمكة المكرمة بعد الألف، في حين حدد محمد البشير

الهيئة من الاستعجال في اتجاه مليلة. وبذلك جاز لنا أن  
تصور تعرض أبي حسون لرحف صهره وتمرد قائد الجزيرة في  
وقت واحد، أي أن الزهوني أغلق باب حصن الجزيرة في  
وجه أبي حسون حينما اقترب مولاي بوزكري من بادس،  
وكان هذا رفضاً لقبول الطاعة للسعديين أيضاً.

والراجح عندنا أن لتمرّد موسى الزهوني على أبي  
حسون علاقة متينة بما كان يروج حول علاقات أبي حسون  
بالإسبان والبرتغال، إذ أن مراسلاتهم لم تخل من التلميح  
إلى جزيرة بادس. ولا نظن أن القائد كان يجهل هذا. يظهر  
هذا من موقف الزهوني الملاين تجاه أبي حسون، إذ أنه لم  
يعبر عن أي موقف عدائي باستثناء رفضه تسليم الحصن.  
ولذلك كان من الأفضل أن نتحدث عن مجرد وجود الخلاف  
بين القائد وأمير بادس.

وفي الوقت الذي وجدنا موقف قائد الحصن واضحاً تجاه  
أبي حسون والأطروحة الإسبانية اتسم موقفه تجاه السعديين  
بازدواجية حيرت الجانب السعدي. فالقائد الزهوني اعترف  
بالسعديين ولكنه امتنع امتناعاً كلياً من التنازل عن الجزيرة  
لغيره والتخلي عن منصبه بها. عبر عن ذلك حينما طلب  
منه تسليم الحصن إلى محمد الشيخ. ومع مرور الأيام  
كشفت عن رغبته الرامية إلى تعيينه قائداً للحوز. وهذا هو  
مادل عليه وتوصل إليه في محرم صفر 960 / يناير 1552،  
ويبقى بتلك الصفة إلى يناير 1554 حينما تخلى عن منصبه  
نتيجة الزحف التركي.

ح. الفكيكي، مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية الغربية،  
أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

P. Salazar, Hispania : A.G.S. Guerra Antigua Miguel  
Ortiz, Relación de lo que se entiende de Barbaria,  
A.N.T.T. Gaveta 15. maco 18, nº 23, S.I.H.M. Espagne...;  
S.I.H.M., Portugal.

حسن الفكيكي

## زروال أو أزروال ← بني زروال

الزروالي، محمد بن عبد الرحمن الفقيه المقرئ

الصوفي جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أبي زيد عبد  
الرحمن بن يوسف الشريف الحسيني المعروف في بلاده بابن  
الفقيرة ينتمي لقبيلة بني زروال الجبلية الشهيرة بشمال  
المغرب.

يكتنف سيرته غموض كبير، فقد تردد محمد المهدي  
الفاصي في اسمه فسماه حيناً الوزروالي وحيناً آخر الزروالي  
في نفس الترجمة (مستع الاسماع، 171، 172) وتبعه عباس  
بن إبراهيم في ذلك (الأعلام، 5: 183، 184).

تجهل تاريخ ميلاده والكثير عن حياته، قال فيه صاحب  
الابتنهاج : كان ممن رحل إلى الحجاز وأخذ عن الشيخ  
الحطاب المالكي، وله معه منازلات، وجاور بمكة.

ابن عبد الله الفاسي الفهري تاريخ وفاته في سنة 1045 / 1635 ومكان دفنه بمدشر المحجرة من فرقة أولاد قاسم الزروالية (قبيلة بني زروال).

م. الزروالي، شمس القلوب لكل محبوب، مخطوط، خ ع رقم 3694 د : أ. ابن أبي محلي، الاصلية المحررت، مخطوط خ. ح. رقم. 100 : ع. ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، الدار البيضاء، 1960 : م. الحلفاوي، شمس المعرفة في سيرة غوث التصوفة، مخطوط : م. البشير الفاسي، قبيلة بني زروال، الرباط، د. ت : م. المهدي الفاسي، تمتع الاسماع، تع. ع. المحي العمري وآخر، الدار البيضاء، 1994.

حسن جلاب

**الزروالي، محمد بن عمرو.** ينتسب إلى أولاد ابن عليلو من مدشر دار بن هيدور بقبيلة اغزاوة. سكن والده بقبيلة بني زروال قبل أن يستقر بمدينة فاس.

تتلمذ محمد بن عمرو الزروالي على كبار علماء الحضرة الفاسية الذين عاصروا السلطان سيدي محمد بن عبد الله أمثال محمد التاودي بن سودة، شيخ الجماعة المتوفى سنة 1795، ومحمد الطيب بن كيران، وعبد الكريم اليازغي. وقد كان الزروالي من جملة العلماء البارزين في دولة المولى سليمان، وصفه صاحب سلوة الأنفاس بكونه "بحراً لا يجارى في مجاري العلوم". تتلمذ عليه المولى سليمان وأخذ عنه الفقه والحديث والتفسير والنحو، وعندما تولى مقاليد الحكم في البلاد خصه بالاحترام وجعله ضمن دائرة العلماء الذين يحضرون مجالسه العلمية ويستشيرهم في القضايا المهمة.

ومن الفتاوى التي وقعها الزروالي جواباً على أسئلة السلطان فتوى تتعلق برفع حرمة الزوايا التي تتستر على الأموال المغصوبة لبيت المال، وفتوى تسمح باستئناف الحج في سنة 1811 بعد التحقق من ظروف الأمن السائدة بالحجاز على إثر استيلاء الوهابيين عليه.

وتوفي الزروالي في 12 ذي القعدة من عام 1230 الموافق ليوم 16 أكتوبر 1815.

م. الكتاني، سلوة الأنفاس، 3 : 5 : 6 : ع. الكبير الفاسي، تذكرة الحسين، ضمن موسوعة أعلام المغرب، تع. م. حجي، بيروت 1996، 7 : 2496.

محمد المنصور

**الزروالي، محمد بن مبارك** مقاوم ولد سنة 1921 بوجدة انخرط بصفوف حزب الاستقلال، وكان من أعضائه البارزين، شارك في مظاهرات 16 غشت التي شهدتها مدينة وجدة، وبعد ثلاثة أشهر ألقى عليه القبض وتعرض لشتى أنواع التعذيب والتكديب حيث حكم عليه بسنة ونصف سجنًا، توفي بتاريخ 17 محرم عام 1375 / 5 شتنبر 1995.

المدوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء، الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 514965.

**زروالي، ميلود** بن عبد السلام، مقاوم ولد سنة 1906 بدوار إزروالن ملحقة أجدير بإقليم تازة. نشأ كجميع أبناء المنطقة على حب الوطن. وخلال تأسيس جيش التحرير بالشمال انخرط ضمن الفرقة التي كانت مرابطة بأسويل ببورد تحت قيادة اشتاتو الحاج عمر. وقد عرف بين أفراد فرقته بالجرأة والإقدام فكان مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله نشيطا في عمله متحمسا في إيمانه مستعداً للتضحية والاستشهاد. شارك في عدة معارك منها الهجوم على مركز بوريد ومركز بوزينب إلى أن استشهد في معركة بجبل إبقريا بتاريخ 15 صفر عام 1375 / 3 أكتوبر 1955.

المدوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء، الاستقلال، رقم 504659.

## الزروية ← الجزر

**زروفات** أو زروفة مصطلح كان يطلق بقبائل الشاوية على جماعة صغيرة من حكماء القبيلة كانت تنزع الفصل في الخلافات وتسيير أمور القبيلة أثناء ضعف السلطة أو أثناء السبية، ويظهر أن جماعة زروفات كانت تتكون من أعراف الدواوير، أو الفرق الذين يفضلون في مواضيع الخلاقات الجنيحية وفي أمور الحرب والسلم اعتماداً على أعراف القبائل. أي أنها كانت تحتكم للعرف أي "إزرف" باللهجة الأمازيغية : ومن هنا جاء اسم زروفات.

تردّت كلمة زروفات أو حكم زروفات، أثناء انتفاضة الشاوية ومواجهتها للاحتلال الفرنسي بين 1903 - 1908. وعلى هذا الأساس فجماعة زروفات كانت تظهر خلال الانتفاضات القبيلة على المخزن : حيث كان زعماء الفرق يتصدون للفصل في شؤون القبائل. كانت جماعة عرفاء القبيلة تصدر أحكامها وقراراتها خلال اجتماع قصير تحضره وفود الجماعات المكونة للقبيلة.

وكانت تلك الوفود من الجماعات تسمى "بالجواقفة"، وكان الاجتماع العام يسمى "الجوقفة"، وخلال الاجتماع تبحث الجنيح التي ارتكبت وتثبت التهم وتصدر الأحكام. وغالباً ما كانت الأحكام بأداء الغرامات، ومن لم يستطع دفع الغرامة تباع أرضه أو بهائمه. وهكذا هو "حكم زروفات" : إنه حكم سريع جزافي لا يستأنف.

تحريرات ميدانية.

Martin, *Quatre siècles d'histoire marocaine*, Paris, 1924, p. 371 - 372.

علال الحديدي

فأقام الحق على الكبير والصغير، وجرى في العدل على صراط مستقيم إلا أنه نغم عليه اتخاذ شمام يستنشق على الناس روائح الحمر.

أرسله أبو يعقوب سفيراً إلى الأندلس ودخل غرناطة، وربما جلس للإقراء بها مدة على عادة كبار العلماء في رحلاتهم؛ ويذكر ابن الخطيب أنه حضر مجلس إقرائه ويبدو أنه كان لم يتجاوز الثامنة من عمره؛ فابن الخطيب كان مولده سنة 713 - 1213 ووفاة الفقيه راشد كانت سنة 719 - 1219، والله أعلم بحقيقة الحال.

وعلق ابن مرزوق على ترجمة ابن الخطيب لابن الحسن الصغير بقوله:

"قصر المصنف في التعريف والإعلام، بالشيخ أبي الحسن شيخ الإسلام؛ وهو الذي ما عاصره مثله، بل وما تقدمه فيما يقاربه من الأعصار؛ وهو الذي جمع بين العلم والعمل، وبمقامه في النفقة والتحصيل يغرب المثل!"  
لم يخلف أبو الحسن أثراً في صورة تأليف، وإنما خلف تلاميذ علماء ومؤلفين، فقيدوا عنه ما كان يمليه في مجالسه، وأخرجوها في صورة تأليف، من ذلك: ما قيده على المدونة (تهذيب البرادعي)، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، وقتاوى.

ومن تلاميذه الذين جمعوا تقييده على المدونة أبو فارس عبد العزيز بن محمد القروي الفاسي، المتوفى سنة (750 - 1349). كتبه بخطه، وجسه بفاس؛ وهو أحسن تقييد تلاميذه وأصحها، وقع النقل عنه في المعيار في غير ما موضع. ويقال كان أكثر اعتماد أهل المغرب على هذا التقييد وهو التقييد الصغير كما يقول الحجوي؛ ونبه على أن التقييد الكبير جمعه رجل من صدور الطلبة يقال له اليمودي؛ قال ويقع في ستة أجزاء ضخمة من القطع الكبير حسبما بعين ماض؛ بدأ بمقدمة في فصل العلم يرمز فيه؛ بالضاد للقاضي عياض، وبالشين لابن رشد، وبالحاء للخمي، وبالميم لابن يونس، وبالعين والقاف لعبد الحق، وبالشيخ لمؤلفه المملي. يعني أبا الحسن - مترجمنا.

ونقل عن أبي عبد السلام الناصري أنه لا يوجد بالزاوية الناصرية (مكتبة تمكروت) إلا جزآن. ومن الذين كتبوا عن هذا التقييد وعلقوا عليه؛ أبو عبد الله محمد ابن غازي المكتاسي المتوفى سنة 919 - 1513، وأسماء تكميل التقييد.

وأبو القاسم محمد بن عبد العزيز التازغدري نسبة إلى تاز غدري قرية بقبيلة بني زروال. حيث مدفن الشطبي - كما عند محمد البشير الفاسي في كتابه قبيلة بني زروال. ونسب له بعضهم - خطأ - تأليف في البدعة والابتدعة، ولعل أول من تعرف على هذا الكتاب، ونسبه له أبو عبد الله محمد المهدي الفاسي، صاحب مجمع الاسماع إذ قال: ومن أنكر حلق الرأس للتوبة؛ أبو الحسن الصغير في

الزرويلي، أبو الحسن الصغير علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي اليلصوتي. ويعرف عند أهل إفريقية بالمغربي؛ يتصل نسبه بيلصوت العثماني الأموي أحد قواد موسى بن نصير بشمال المغرب.

قال في نشر المثاني: وبنو يلصوت من قبيلة غمارة، ولعل ذلك كان قبل تسمية إحدى قبائلها بالأخماس، وإلا فأحد أخماسها يعرف - إلى الآن - ببني زرويل بالأخماس السفلى حيث يدفن يلصوت هذا وإليهم ينتسب مترجمنا ويعرف بالزرويلي، وتصحف في الإحاطة بالزرويلي، وعند عنان في أحد تعاليقه بالزروالي، قال نسبة إلى قبيلة بني زروال - وهو خطأ - كما لا يخفى.

ولد أبو الحسن في حدود سنة 619 وتعلم ببلده تعليمه الأولي، ثم رحل إلى فاس فأنتهى بها دراسته. ومن شيوخه المشهورين بفاس: الفقيه راشد بن أبي راشد الوليدي، لازمه طويلاً وانتفع به وعليه كان اعتماده، وصهره أبو الحسن بن سليمان، وتصحف في الإحاطة بـ (سليم) وأبو عمران الجوزاني، وفي الإحاطة: (الجورماني) ولعله تحرب وأبو زيد عبد الرحمان بن عفان الجزولي، وأبو إبراهيم بن مطر الأعرج البادسي.

ومن تلاميذ أبي الحسن المعدودين: أبو سالم إبراهيم التسولي، المشهور بابن أبي يحيى، وعبد العزيز القروي، وعلي بن عبد الرحمان البيرني، عرف بالطنجي، والقاضي أبو البركات، المعروف بابن الحاج.

وذكر ابن الخطيب من أوصافه: أنه كان ربعة، آدم اللون، خفيف العارضين، يلبس أحسن زي - صنعة؛ وفي الجدوة (أنه كان قصيراً يلبس الشيايب البيض الحسنة. وكان قيماً على تهذيب البرادعي حفظاً وفقهاً، يشارك في شيء من أصول الفقه، يطرز بذلك مجالسه مغرباً به بين أقرانه من المدرسين في ذلك العهد؛ وكان يدرس بجامع مع الاصدع من داخل مدينة فاس يحضر مجلسه نحو مائة نفس؛ يقعد على كرسي عال يسمع القريب والبعيد على انخفاض كان في صوته؛ يفتح في مجلسه: ما ينيف على الثمانين ديواناً، فيعرضها حفظاً عن ظهر قلب؛ وكان حافظاً محصلاً، يقال إنه حفظ كتاب الفصح في ليلة واحدة لقصة ذكروها. وكان حسن الإقراء، وقوراً، صبوراً متثبتاً.

انتصب للفتوى وكان أحد الأقطاب الذين تدور عليهم الفتوى أيام حياته؛ ترد عليه الأسئلة من جميع بلاد المغرب، فيحسن التوقيع على ذلك على طريقة من الاختصار وترك فضول القول. وكان مستشاراً خاصاً لأستاذه راشد الوليدي المذكور آنفاً؛ وكان لا ينفذ حكماً ولا جواباً في نازلة حتى يحضره ويرى رأيه فيه، ثم أسندت إليه ولاية القضاء حيث قدمه أبو يعقوب المريني لقضاء تازا، ثم ولي قضاء فاس على عهد أبي الربيع حفيد أبي يعقوب وأقام أوده وعضده فانطلقت يده على أهل الجاه،

تأليفه الشهير، والذي أوقعه في هذا الوهم : قاصد رواية  
الناسخ في طالعة الكتاب من زيادة شارح المدونة.

ولم يطلع كذلك على تأليف أبي عبد الله السنوسي في  
الرد عليه الذي اسماه بنصرة الفقير، في الرد على أبي  
الحسن الصغير - بفتح الصاد وكسر الغين فياء ساكنة -  
وذكر أن المعنى به : أبو الحسن الصغير المكناسي، وقد جاء  
في مقدمته بعد أن أورد طائفة من أوصاف علماء الظاهر :  
"فأردت الكلام على بعض ما يتعلق بحالهم ولا سيما أوراق  
تشبه الطرر، بعثها أبو الحسن الصغير المكناسي". فلما  
وقعت في يدي هذه الأوراق التي اعترض فيها على أهل  
الطريقة وسماهم مبتدعة، ولم يقيد قوله بشيء، وأطلق  
عنايته إطلافاً كلياً، نذت والله تأليفه وراء ظهري وبغضت  
فعله بسري : وكنت قبلُ أسمع من الطلبة يقولون : أبو  
الحسن الصغير هذا عالم يشبه أبا الحسن الصغير شارح  
المدونة، وكنت أفرح بذلك ؛ فلما لقيت الشاب الفقيه العالم  
الحافظ الأديب الرياني أبا العباس أحمد البرنسي، الذي  
يعرف بزروق وسألته عنه - لما قدم سنة 846 . 1842) قاصداً  
حج بيت الله فأخذ عنا علوماً جمّة، وأخذنا عنه سرّاً وأديباً،  
فقلت له يوماً : ما بال أبي الحسن الصغير : يقول ويعترض  
؟ فقال : نعم، أبو الحسن ليس له إلا تزويق الظاهر خاصة  
وليس معه في الباطن شيء وقال بعبارة : هو فقيه قح،  
محبوب عن الدقائق.

قلت مخاطبته خطاب الحاضر لعل أن يقف عليه أو  
يصل بواسطة بعض الرسائل إليه.

فتلخص أن مؤلف الكتاب في البدعة والمبتدعة ليس هو  
أبا الحسن الصغير - بضم الصاد وفتح الغين وكسر الياء  
المشددة - شارح المدونة. بل هو أبو الحسن الصغير - بفتح  
الصاد وكسر الغين فياء ساكنة - المكناسي ؛ وهو من أهل  
القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي عاصر أبا عبد  
الله السنوسي وأبا العباس أحمد زروق بينما أبو الحسن  
الصغير الزرويلي - مترجمنا - من أهل القرن السابع الهجري  
الثالث عشر الميلادي.

توفي بفاس يوم سادس رمضان عام تسعة عشر  
وسبعمائة / 21 أكتوبر 1319 وسنه يقرب من مائة وعشرين  
سنة ؛ ودفن خارج باب الجيسة بجبل العرض ويقال له :  
جبل الزعفران.

وكان قبره معروفاً عند العامة بقبر سيدي الحسن  
الزرويلي، ثم انطمس بالأثرية التي كانت تتراكم هناك مع  
طول الزمن.

ل. ابن الخطيب، الإحاطة، ج. 4 - ط 2 ؛ إ. ابن فرحون، الدياج، ط.

1 ؛ أبو الحسن الصغير المكناسي، تأليف في البدع، مخطوطة

خاصة ؛ أبو عبد الله السنوسي، نصرة الفقير، في الرد على أبي

الحسن الصغير، مخطوطة خاصة ؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ط.

1 ؛ أبو عبد الله محمد المهدي الفاسي، مستع الأسماع، ط. حج ؛

ابن الطيب القادري، نشر الثاني، ج. 1، ط. 2 ؛ الكتاني محمد بن

جعفر، سلوة الأنفاس، ط حج، محمد المجوي، الفكر السامي، ط  
2 ؛ محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ط 1 ؛ محمد البشير  
الفاسي، قبيلة بني زروال، ط 1.

سعيد أعراب

**زرياب، علي بن نافع المغني البغدادي المشهور بلقب**

زرياب. ولد حوالي عام 160 / 777. كان من ملازمي المغني  
إسحاق الموصلي. وقد حدث أن قدمه يوماً للخليفة هارون  
الرشيد، فلما سمع غناؤه لم يخف إعجابه به. وقد وجد  
الأستاذ في نفسه من حظوة تلميذه لدى الخليفة، فخيره بين  
أن يضرب في الأرض بعيداً عنه وعن محافل بني العباس  
وبين أن يقيم ببغداد على كره منه، فاختار الفتي لنفسه  
مغادرة العراق، وشد الرحال نحو القيروان. وبعد أن قضى  
زرياب فترة في قصر الملك زيادة الله الأغلبي، رحل من  
جديد نحو المغرب، فحط لفترة قصيرة بمدينة سبتة في  
انتظار مبعوث الخليفة الأموي بالأندلس وقبل أن يغادرها  
إلى قرطبة مقر الخلافة الأموية حيث سيدشن معهد التعليم  
الموسيقى والغناء.

وليس في وسعنا أن نحدد الفترة التي قضاه في سبتة  
قبل انتقاله إلى قرطبة، ولكن الذي نعلم هو أن سبتة كانت  
يومئذ إلى جانب طنجة ومليبية محطة لاستقبال الوافدين  
من المشرق إلى الأندلس، تطول إقامتهم فيها أحياناً وتقصر  
أخرى.

ويخبرنا المقرئ في النفع أن زرياباً وهو في سبتة كتب  
إلى الحكم الأول 180 - 206) المعروف بشغفه بالموسيقى  
يستأذنه في دخول الأندلس ويشرح له إمكاناته الفنية.  
وكان عليه أن ينتظر جواب الأمير قبل عبور جبل طارق، ثم  
كان عليه بعد نزوله بالجزيرة الخضراء أن ينتظر ما ستؤول  
إليه دعوة الأمير الحكم بعد أن بلغه نبأ موته وقبل أن يجدد  
الترحاب به الأمير الجديد عبد الرحمن الأوسط.

وقد عني بأخبار زرياب جملة من المؤلفين كان أقدمهم  
عهداً الحميدي (ق. 5 هـ) ؛ ثم تلاه آخرون أهمهم علي  
الإطلاق أحمد التيفاشي (ق. 7 هـ) وابن خلدون (ق. 8)  
والمقرئ (ق. 11)، وأقلهم شأنًا الإفرائي (ق. 11 هـ)  
وإبراهيم التادلي (ق. 14).

وبهنا من كتاب التيفاشي متعة الأسماع في علم  
السماع إشارته إلى أن زرياب وفد على الأمير عبد الرحمن  
الأوسط، فجاء بما لم تعهده الأسماع، واتخذت طريقته  
مسلكاً ونسي غيرها.

ويخصوص هذه الطريقة يوافقنا المقرئ في ثنايا كتابه  
ببيان تفاصيلها، فيذكر أنه كان يصطفي تلامذته من بين  
من كان صوته صافياً قوياً لا تعثره غنة ولا حبسة ولا  
ضيق نفس، فإذا تم له ذلك أقبل عليه يعلمه وفق النهج  
التالي :

1 - يقرئ المتعلم الأبيات ويعلمه الإيقاع في تلاوتها، وأن ينقر الدفء للتعرف على مواطن الإيقاع، ويتعود على ضبط الحركات.

2 - يلقن المتعلم الألحان في شكلها البسيط.

3 - يطالب المتعلم بترجيع اللحن، وهو أثناء ذلك يدلّه على وسائل تحلية الأداء بإظهار العواطف.

وقد استمر التنويه بزرياب وبصنيعه في الأندلس قائما ومتواترا بين المؤرخين والأخباريين حتى رأينا التيفاشي يصفه بالإمام المقدم في شأن الموسيقى، ورأينا ابن خلدون من بعده ينعتّه بأنه "أورث بالأندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه إلى أزمان الطوائف وطما منها بإشبيلية بحر زاخر، وتناقل منها بعد ذهاب نضارتها إلى بلاد العدو بإفريقية والمغرب، وانقسم على أمصارها، وبها الآن (القرن الثامن) صباية على تراجع عمرانها وتناقص دولها".

وبوافقنا المقرئ بما يفيد أن زرياب أرسى القواعد الأولى لنظام النوبة بالأندلس عندما حدد للمغني المراسيم التي يتعين عليه التقيد بها، وهي أن يبدأ التشيد بأي نقر كان، ثم يتبعه بالبسيط، ويختم بالمحركات والأهزاج.

وقد توفي زرياب عام 238 / 852 بعد أن حقق عدة إنجازات فنية كان أهمها :

- إحداث معهد للموسيقى بقرطبة يمكن اعتباره أول معهد موسيقي يقام بالغرب الإسلامي.  
- إقرار طريقة جديدة لتعليم الموسيقى والغناء.  
- استبدال مضراب العود المصنوع من الخشب بمضراب من قوادم النسر.

- إضافة وترخامس إلى أوتار العود الأربعة.

أ. التيفاشي، متعة الاسماع في علم السماع، مخ. بالخرانة العاشورية، تونس بواسطة : م. ابن تاويت، مجلة الأبحاث، المجلد 21، العدد 2، 3، 4 ديسمبر 1968، ص. 114، 115؛ ابن خلدون، المقدمة، المطبعة التجارية، ص. 428؛ المقرئ، نفع الطيب، ج. 3، ص. 124 و128.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

**الزريعة لغة** عامية شائعة بمعنى البذور. وقد بدأ استعمال البذور مع العصر النيوليتي، حين تحول الإنسان من عهد "القطاف والقتص" إلى ممارسة الزراعة.

1 - تعاريف

يمكن أن تعرف البذرة عموما بأنها جسم حي يحتوي على رشم، الأمر الذي يسمح بإطلاقها في أن واحد على بزور النباتات السامية أو على بوع الفطور والبكتريا.

تعرف البذرة من الوجهة الزراعية بأنها "أي عضو أو قطعة نبات قادرة من خلال تطورها على إعادة إنتاج النوع الذي تنحدر منه". يترتب على البذرة إذن أن تُنتش وتنمو لتنتج النوع المعني بالأمر.

فما هو تعريف الإنتاش ؟

- بالنسبة للمزارع، هو ظهور النبتة الفتية على سطح التربة. في الواقع، يوافق هذا الظهور، عند الخبير الزراعي، مرحلة الرفع وبروز النبتات.

- بالنسبة للسجوب، هو ظهور جزء من الجنين (رأس الجذير في الغالب) خارج أغلفة البذرة. حقيقة الإنتاش، بالمعنى الدقيق، هي تحول البذرة من الحياة البطيئة إلى وضعية النمو النشط والمحقق. يعتبر الإنتاش أول مرحلة لنمو النبتة.

- بالنسبة للعالم النباتي، هو التحول من جنين غير ذاتي التغذية إلى نبتة ذاتية التغذية.

2 - طبيعة الزريعة :

تميز بين نموذجين كبيرين من البذور :

- البذور المائية، أصلها نباتي، يحتوي على 70 إلى 90% من الماء، ومن أمثلتها، بصيلة البصل، عساقيل البطاطا أو فسل قصب السكر. تتكون من قطع نباتية بها على الأقل برعم وجزء من الساق أو الجذر. تحقق التكاثر الإنبائي من فرد واحد. يشكل نتاج هذا التكاثر ما يسمى باللمة أو الكلون.

- البذور الجافة، أصلها مجنّس (ثمرة أو بذرة) تتراوح نسبة الماء فيها ما بين 7 و20%. تسمى البذور الجافة في الغالب بزور أو حبات (وهي الأقرب إلى مفهوم الزريعة العامي). على أن هذه الكنابات ليست دائما صحيحة، إذ كثيرا ما تكون ثمارا جافة متفاوتة الاكتساء ببقايا تغليفات المبيض أو الثمرة.

لذا أمكن التمييز من وجهة النظر النباتية ما بين :

البزور الحقيقية (ثمار مخصصة) مغلفة بأغشية بذرية فقط، وتلك التي تأتي من الكريهة، وأمثلتها : الخنبلة المطبقة للإيدومارون، برّة القمح والذرة، قطع الثمار كالجزر. ثمار بسيطة مكسوة. تعود أغلفتها للثمر، تضاف إليها القنابات أو العصيفات (شعير، خرطال) وحتى القنبتات (السبيلة).

- ثمار مركبة : تجميع ليضع من الثمار البسيطة المتلاحمة، مثالها كبيبات الشمندر.

3 - تشكيل البزور :

تميز الأغشية واللوزة، التي تحتوي على الجنين والذخيرة.

1 - 3. الأغشية، وتلعب دورا هاما في التبادل المائي والغازي وهي بذلك تتحكم في تعبير البزور وسرعة إنتاشها.

2 - 3. الجنين، ويأتي من تطور البيضة الأساسية. يحتوي على مشروع النبتة (جذير، سوق، عجز) وفلقة واحدة أو فلتتين، فتكون النبتة أحادية أو ثنائية الفلقة.

3 - 3. الذخيرة، تبعا لموقعها بداخل السويداء أو الفلقات، تميز ما بين :

- البزور المؤحنية، حيث تضم البذرة السويداء وفلقات ورقية الشكل غير لحمية، مثل القمح والذرة والخرع.

- البزور الطرد - مؤحينة، حيث تتحول الذخيرة من السويدا - إلى فلقات الجنين، التي تصير لحيمة كالفاصولية والبيقية.

وحسب الطبيعة الغالبة للذخيرة، يمكن تمييز :

- البزور السكرية (قمح، ذرة)،  
- البزور الدهنية (نوار الشمس، خروع، قطن، كتان)،  
- البزور البروتينية (القطاني).

تؤثر طبيعة الذخيرة على التعمير، إذ تتدهور البزور السكرية بصفة أسرع مما عداها. في الواقع، تتضمن كل البزور الأصناف الثلاثة من الذخيرة، لكن بنسب متفاوتة.

البزور في حال سبات : لا يلاحظ خلالها أي تطور تشكيلي، مع اجتفاف واضح، ومبادلات تنفسية خافتة جدا. لكن يبقى هناك نشاط أدنى على أساس استعمال الذخيرة. يبين الجدول التالي، رقم 2، التعمير الأقصى في ظروف تخزين جيدة. ويختلف الأمر داخل التربة. على العموم، تتميز البزور ذات الذخيرة السكرية (النجيليات) بتعمير أضعف منه في بزور الذخيرة البروتينية (القطاني) أو الدهنية (الزيديات).

الجدول 2. مدة الحياة القصوى للبذور (بالسنوات)

النوع	كفاءة إنباتية عادية	غياب تام للإنبات
حبوب		
- قمح	4 إلى 10	7 إلى 17
- سلت	3	5 إلى 6
- شعير	7 إلى 8	11
- خرطال	2 إلى 9	11
- ذرة	7 إلى 9	11 إلى 12
زراعات صناعية		
- شندر	10	17 إلى 18
- نوار الشمس	4	4
- كتان	9 إلى 12	13 إلى 14
قطانيات ذات بزور		
- فول وفول مصري	10 إلى 13	14 إلى 15
- عدس	8	12 إلى 15
- جليان	10	15
- فصة	8	< 20
- بيقية	7	12
- نفل بنسجي	5	< 20

مصدر : Schribaux, Bussard, Franck

6. المعايير التقنية الخاصة بجودة البذور :

6.1. الهوية :

على العموم لا يوجد أي إشكال في التعرف على النوع، لكن الإشكال في ضبط الضروب، ذلك أساسا بسبب الضبابية المحيطة بمفهوم الضرب ذاته. يوافق الضرب، من الجهة الزراعية، مجموعة أفراد تربط بينها عدة خصائص أحيائية وزرعية. لكن التجانس الوراثي فيها يمكن أن يكون شديد التفاوت حسب :  
- نسل التناسل،

جدول 1. تركيبة بعض البذور (ب % من البذور الجافة)

البذور	% البروتينات	% الدهنيات	% السكريات
القمح	14.9	2	72.68
الذرة	11.9	5.4	73.66
كتان	25.21	38.34	25.20
خروع	20.15	55.46	15.5
فول	27.22	20.15	52.45
صوية	33	18	30

(مصدر : André et al)

4. ظروف الحفاظ على البذور :

ظروف الحفاظ على البذور هي :

4.1 - رطوبة ضعيفة، دون 15% بالنسبة للحبوب ودون 12.10% بالنسبة للبزور الزيتية (كتان، نوار الشمس)، وإلا فإن الأغشية تتراكم، والمبادلات الغازية مع الجو تصير ممكنة، مسببة استئثاف التنفس، فيترتب تسخين مخزون البذور وتحطيم الأجنية، وامتناع الإنبات عن البذور.

4.2 - حرارة منخفضة، هناك تفاعل بين الحرارة والرطوبة النسبية للهواء مع الكفاءة الإنباتية للبذور.

تكون صيانة البذور المائية أصعب، إذ يوجد الماء دائما بما يكفي لتحويل أبيض عادي. فلا يمكن أي تدخل فعال إلا بتوفير :

- حالة جو كافية البرودة،

- استعمال مواد كابثة (تعطيل الأنزيمات). تستعمل للبطاطا النهرية الباردة في الجو الجاف ؛ كما يفيد الكريزيل في التعقيم من الجراثيم.

5. التعمير :

نعني بالتعمير هنا مدى حياة البذور. وهو ضعيف عند البذور المائية، يتراوح بين بضعة أشهر وسنة أو سنتين ؛ أطول في البذور الجافة حيث يكون من بضع سنين. تكون

- البيولوجية الفلورية للنوع،

- مستوى الانتقاء.

من ذلك قوة تجانس البذور في :

- الضروب "اللثة" ("الكلون")، المحصل عليها بالتكاثر

النبوتي. تتميز بتطابق وراثي مطلق، ناتج عن كون ممثلي

الضرب من هذا الطرز تنحدر كلها من نفس الفرد.

- ضروب السلالة الخالصة المحصلة على النباتات

المخصصة ذاتيا بواسطة تلقيحات ذاتية متتابعة انطلاقا من

فرد واحد. يكون الناتج مجموعة أفراد جنيسة، أمثلة لها :

قمح، شعير، جليان...

ومنه على التقيض تجانس ضربي أقل في :

- ضروب الفئة، وهي عبارة تطلق على فريق من الأفراد

توجد بينها نخبة من الخصوصيات المرفولوجية والزربية

المشتركة (الإيكار، إيقاع النمو...).

توجد ضروب الفئة في نباتات التخصيب الدخيل مثل

الشمندر، الكرنب، السلجم وجل ضروب النجيليات

والقطنيات. وهي إما ناجمة عن انتقاء طبيعي للوسط

(طراز بيئي نباتي)، وإما عن عملية انتقائية الغرض منها

التقريب الأقصى بينها رغم أنها تبقى مختلفة الاقتران.

وخلال الزراعة، تقلل التكاثرات المتوالية من التجانس

الحاصل بالانتقاء.

- الضروب التركيبية، ويحصل عليها بالإخصاب الذاتي

الجبي في نباتات ذات إخصاب دخيل. يكون الناتج سلالات

خالصة يتم تهجينها بينها لإمدادها بالعنفوان. كما هو

الشأن في انتقاء الذرة. كذلك الأمر بالنسبة للنباتات

العلفية، لكن تكون المعالجة على مستوى الفئات. في

المرحلة الأولى، يحصل تجانس الأرومات بتلقيحات ذاتية

متوالية. وفي المرحلة الثانية، يقع تهجينها وزرعها لجيل

أوجيلين للاستفادة من تفوق الهجين.

6.2 - الصفاء :

ويقدر بالوزن بـ % من البذور الخالصة على وزن مجموع

حصة البذور. تتكون الشوائب من البذور الأجنبية والمواد

الجامدة، مع وجود نسبة تتسامح مقبولة بهذا المعيار. من

ذلك أنه لا يسمح، ضمن بذور الفصاة، بأكثر من 3 بزررات

من الكسوث في الكيلو غرام الواحد. ويجب أن يكون

الصفاء الضربي بنسبة :

99,8% في الانتقاء،

99,0% في التناسل،

95 إلى 98% في الزراعة.

6.3 - الكفاءة الإنتاشية :

وتقدر بـ % من البذور المنتشة بعد فترة زمنية محددة

بالنسبة لنوع مُعطى. وتتم التجربة على عينة من 100 بذرة

في ظروف منمنطة.

الأجال الاصطلاحية هي :

7 أيام لتوكر الشمس، النقل، الذرة، الشعير !

- 8 أيام للقمح، الصوية، الجليان :

- 10 أيام للخرطال، الفصاة، البيقة :

- 14 يوما للشمندر، العشب الشعاعي، الأرز.

6.4 - الطاقة الإنتاشية :

وتقدر بـ % من البذور التي أنتشت بعد جزء من الوقت

المحصور المحدد لتقدير الكفاءة الإنتاشية (مثلا : 4 أيام).

6.5 - القيمة الزربية :

وتعرف كالتالي :

القيمة الزربية = (الصفاء X الكفاءة الإنتاشية) / 100

الجدول 3، مثال للقيمة الزربية

زراعة	صفاء : ص	كفاءة إنتاشية : ك	قيمة زربية : ق ز
القمح	98	85	83.3
الشمندر	97	68	66
الفصاة	95	80	76
إصعية	82	80	65.6

6.6 - الحالة الصحية :

تعتبر الحالة الصحية للبذرة معيارا كفييا من المستوى

الرفع، إذ أن مخاطر نقل الطفيليات والأمراض بواسطة

البذور كبيرة. هناك أمراض ذات النقل الخارجي، كالنخر

والسواد، وأمراض ذات النقل الداخلي كالفتور،

الفيروسات والبكتيريا. ترتب عن هذه الآفات ضرورة

معالجة البذور. وتتم المعالجة إما من طرف مؤسسات تسويق

البذور (SONACOS، الخواص) أو من طرف المنتج ذاته،

باستعمال :

\* مبيدات الفطر :

- مواد عضوية - زئبقية لمكافحة نخر القمح، سوادات

الخرطال، سواد الشعير المغطى، البوغ الدودي، القدم

السوداء في الشمندر، مغزلي الحبوب، وتعتبر هذه المواد

سامة للإنسان والنبات.

- المركبات الكلورو بنزينية الخصائص : سداسي الكلور

وخماسي الكلورونيترو في مكافحة نخر القمح فقط.

وتتميز هذه المواد بضعف سميتها النباتية.

- أكسينات النحاس، ضد نخر القمح.

- المشتقات الكينونية، ضد النخر، وضد فطور القمح

المغزلية والمثشقة.

\* مواد أخرى مستعملة :

تيرام، فورمول من 25٪، كيتان ضد الفطر العنقودي في

الشمندر.

\* مبيدات الحشرات :

وغالبا ما تكون مخلوطة بمبيدات الفطر : ليندان،

الدرين، سباعي الكلور. ومن جهة أخرى، يتحرك الانتقاء أكثر فأكثر إلى إنشاء ضروب مقاومة لأنواع محددة من الأمراض، مثل ضرب الطماطم المقاومة للفطر المغزلي أو الدواري.

أحمد بوغزير

أشعة لينة. الزعنفة الذيلية هلالية الشكل ومستدقة الرؤوس تنتهي ببقع داكنة. الحراشف دائرية وصغيرة يبلغ عددها على الخط الجانبي 73. 85.

تألف الزريعة المناطق الساحلية المتوسطة والأطلسية الغنية بالأعشاب والطحالب وكذلك الأماكن الرملية والصخرية في أعماق لا تتعدى 30 مترا بالنسبة للصغار وتتعدى أحيانا 200 متر بالنسبة للكبار. سمك شائع في المياه البحرية الوطنية الضعيفة العمق وموجود أيضاً في البحيرات الساحلية كبحيرة الناظور والواليدية وسبدي موسى وخنفس وشرم الداخلة. يتحمل المياه القليلة الملوحة في مصبات الأنهار. يعيش في أغلب الحالات منعزلاً أو في مجموعات صغيرة. يتغذى من الرخويات وخاصة منها القواقع وثنائيات الصدف كبلح البحر (بوزروك) ومن القشريات (الإريبان وصغار السرطانات) وصغار الأسماك. ويتغذى أحيانا من الأعشاب والطحالب.

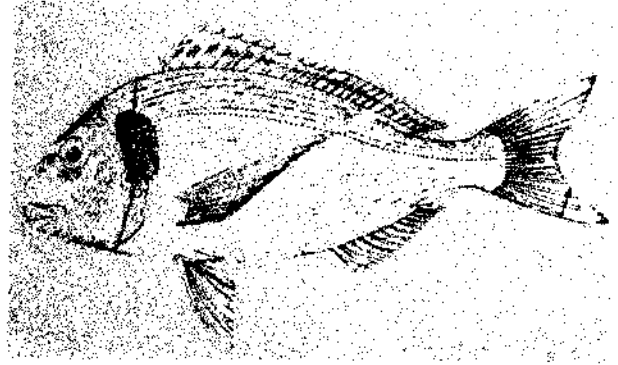
الزريعة سمك خنثى في أغلب مراحل النمو، ومعظم الصغار ذكور قبل سنتين من العمر (20. 30 سم) وتصير إناثا ما بين سنتين وثلاث سنوات من العمر (33. 40 سم). يقتصر التوزيع الجغرافي لهذا النوع على البحر المتوسط وعلى الشواطئ الأطلسية الممتدة من بريطانيا إلى الرأس الأخضر بالسواحل الإفريقية.

صيده في المغرب شبه صناعي ورياضي وتقليدي بالجيبات العميقة والشايطية والشباك المستقيمة والصنابير ويباع في أسواق الأسماك المغربية بصفة منتظمة. لحمه لذيذ يكثر الإقبال عليه ويستهلك طريا أو مجمداً. يلخص الجدول التالي الكمية المصطادة سنويا لسمك الزريعة في المغرب :

السنة	1990	1991	1992	1993	1994
الكمية بالطن	151	142	292	152	127
السنة	1995	1996	1997	1998	1999
الكمية بالطن	138	229	111	133	147

يربى في البحيرات بكيفية ناجحة في المغرب وتونس وفي بعض الدول الأوروبية (فرنسا، إيطاليا، اليونان، إسبانيا)، بدأت تربيته في المغرب سنة 1986 في بحيرة الناظور وقد عرفت هذه التربية نجاحا من طرف شركة ماروست حيث يتراوح الإنتاج ما بين 130. 800 طنا سنويا تصدر إلى الأسواق الأوروبية والوطنية. وفي سنة 1993 أنشئت شركة "صام" "SAM" الاستزراع السمكي قرب السعيدية ومصب نهر ملوية تعتنى بتربية سمك الدرعي

الزريعة، كما هو شائع في الأسواق السمكية بالدار البيضاء والرباط والمحمدية والجديدة والصويرة وأكادير وطنطان وطرفاية والداخلة وطنجة، سمك بحري من العظميات يطلق عليه أيضاً اسم "محرقة" في كل من صولاي بوسلهم والعرائش واسم "أمون" في الصويرة وطرفاية والعيون ويوجدور والداخلة واسم "الدوراد" المعربة من الفرنسية Daurade في معظم الأسواق السمكية الوطنية. يعرف عند مربي الأسماك في تونس وليبيا بسمك الدنيس وأوراطا ويقال له في مصر والعراق ولبنان وسوريا سمك المرجان ومرجان مذهب أو المذهب. وذكر أمين المعلوف في معجمه الأسماء الآتية لأنواع فصيلة الأسبوريات Sparidae : مرجان - بردة - أبو بصل - رباك - سرب - الكحلاء الجريدي - عريض - الفريدي - حفار - السرغوس، وهذه أسماء محلية مجهولة في أقطار المغرب العربي.



والزريعة من الأسماك العظمية شائكات الزعانف ومن فصيلة الأسبوريات Sparidae. اسمها العلمي Sparus aurata (=Chrysophrys aurata) وتسمى بالفرنسية Dorade) وبالإنجليزية Gilthead seabream وبالاسبانية Dorada. طوله شائع بين 20 و60 سم ويبلغ أحيانا 70 سم. الجسم بيضوي الشكل ومضغوط جانبيا، العينان صغيرتان، الشفتان غليظتان، يحمل كل فك 6.4 أسنان أمامية شبيهة بالأنياب، تليها أضراس مرتبة على 2. 4 صفوف. تنمو ضرس كبيرة على مؤخرة كل جهة من الفكين عند الأفراد التي يفوق طولها 20 سم. الجسم رمادي فضي على الجانبيين وأزرق رمادي جهة الظهر. تعرف الكبار ببقعة صفراء مرجانية مدهية بين العينين ومحاطة ببقع سوداء. الجانيان مخططان بخطوط رقيقة داكنة. الزعنفتان الظهرتان متواصلتان، تتكونان من 11 شوكة ومن 12. 13.



السياسي لهذا الحزب، وانتخب عضواً في أول برلمان مغربي وفيما بعده.

توفي في حدود سنة 1412 / 1992.

أ. معنينو، دكرات وملكرات، طنجة، 1991، ج. 5 : 130 : معرفة شخصية.

أحمد معنينو

**زريولة**، قرية إلى الجنوب الغربي لمدينة اكلميم (كلميم) قاعدة وادي نون الذي يحده الأطلس الصغير جنوباً. ترجع هذه التسمية إلى فصيلة الزواولة المنتمين إلى آيت سعيد من قبيلة إيزرغيين (انظر مادة إزرغيين بالمعجمة). ومن المعلوم أن هذه القبيلة تعد من أهم فصائل قبيلة أزوافيط حيث نجد إيزرغيين جزءاً لا يتجزأ من آيت بوليد (انظر مادة أزوافيط بالمعجمة). وما تزال بقية زريولة بعض الأسر تحمل أسماء دالة كأهل بومزيريك وأهل زريكين. وما تزال الرواية الشفوية تحتفظ بذكرى إيزرغيين بالقرية حيث كانوا يتحالفون باستمرار مع أمازيغ آيت موسي أو اعلي بلبيار القريبة.

كان حمو اسعيد إزركي قائد المولى إسماعيل لدى اعلي شندورة أمير الترازة رمزاً للتماسك الحربي الذي كانت تمثله قبائل تكنة عبر مسالك الصحراء الأطلسية. فقد كانت قدرات هذه الكنفدرالية الحربية والتجارية تؤهلها لمراقبة المسالك التجارية وحماية صغريات القبائل المنوعة من حمل السلاح من قبائل الزوايا وقبائل الغور الصنهاجي للمتوني والموسفي والكدالي الأقدم.

كانت القوافل تعود محملة بالسلع والبضائع لتستقر قبل دخولها أسواق وادي نون بقرية زريولة وليبار. فهناك نجد المروس التي كانت تجسد بنية تجارية ومكاناً لحفظ المخزونات. وقد عرفت القرينان لهذا السبب بطابعهما المتميز روحياً ودينياً. ذلك أن صبغة المقدس التي كانت وما تزال تبسطها عليهما الرواية الشفوية، تعد بمثابة درع واقٍ من اعتداء المعتدين.

على صراعات مفتوحة بين فصائل قبيلة أزوافيط، توجهت فصائل إزركيين إلى جنوب أوربورة حيث أقاموا في ترحال مستمر جعلهم يجاورون فصائل آيت أمحمد أو لحسن القادمين من أسير. وقد أدى تبني الطرفين لنمط العيش الترحالي إلى تسميتهما بآيت الجمل على امتداد المحور الساحلي الممتد من أوربورة شمالاً إلى جنوب الساقية الحمراء. أصبحت زريولة بعد ذلك قرية صيفية لأيت احماذ أو اعلي آيت بوليد وبعض الفصائل الزفاطية الأخرى. كما شكلت مسرحاً لأحداث وصراعات جمعت بين أزوافيط بعض القبائل التكنية الأخرى. ولم يتوان سكان زريولة من طلب الذبيحة من الشيخ ماء العينين عندما اقترب من القرية طالبا الإقامة بها. فما كان من الشيخ إلا أن أعلن عن أنه سوف يذبح قربانا لله لا لغيره. ولم يتردد سكان

وسمك الزريقة والإريان، وتعرف هذه الشركة حالياً بصعويات تتعلق بالتدبير. يلخص الجدول التالي الكمية المنتوجة سنوياً لسمك الزريقة في أحواض الاستزراع السمكي التابعة للشركتين معا :

السنة	1990	1991	1992	1993	1994
الكمية بالطن	133	205	234	585	792
السنة	1995	1996	1997	1998	1999
الكمية بالطن	590	658	245	161	566

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان - الطبعة الثالثة، 1988 : المعلوم أمين. معجم الحيوان، مطبعة المتوقف، القاهرة، 1932 : دليل تعريف الموارد البحرية في المغرب، المنظمة العالمية للتغذية، روما، 1998.

Ramdani M. et N. Elkhiati, *Flore et faune marines du Maroc, Biodiversité, Biologie, Ecologie et Biogéographie. Expo 98, Lisbonne, Rabat, 1998* ; Ministère des Pêches Maritimes (Maroc), *La mer en chiffre, Synthèse de l'activité du Ministère des Pêches Maritimes et de la Marine Marchande, 1999.*

محمد رمضان

**زريوح، محمد حمو الريفي**. ولد بقبيلة بني سيدال عام 1326 / 1908 وحفظ القرآن في الكتّاب بتسمان، ودرس بمدينة وجدة ومزونة، وأتم دراسته بجامعة الأزهر بالقاهرة ضمن البعثة الحسينية التي توجهت من تطوان سنة 1357 / 1938 وحصل هناك على إجازة القضاء العالمية. وكان في نفس الوقت يشارك في الحركة الوطنية فعُين عضواً في لجنة الدفاع عن مراكش بالقاهرة.



ولما عاد إلى المغرب استقر بمدينة مليلة، وتابع نضاله السياسي واشتهر بصراحته وغيخته الوطنية. أسس حزب المغرب الحر وانتخب رئيساً له، وفي سنة 1375 / 1955 تقلد منصب وزير التربية الوطنية والثقافة في الحكومة الخليفية بتطوان. وبعد الحوادث التي عرفتها منطقة الشمال سنة 1956 قَدِّم استقالته ووقع اندماج حزب المغرب الحرفي حزب الشورى والاستقلال، وعين زريوح عضواً في المكتب

الاسم الأمازيغي الشائع في الأطلس الكبير وهو أزوكئي (انظر أزوكئي) مع الإشارة لكل مرادفاتها العربية والأمازيغية التي تطلق على أنواع ثلاثة أجناس متقاربة في العطر، منتمية لنفس الفصيلة وهي الشفويات Lamiaceae. والأجناس الثلاثة هي أوريجانوم Origanum الذي يشمل 5 أنواع، 3 منها قيسية خاصة بالمغرب، وتيموس Thymus الذي يضم 24 نوعا، منها 12 قيسية لا توجد إلا بالمغرب، وساتوريا Satureja المثلثة بـ 23 نوعا منها 7 قيسية لا تصادف في البلدان الأخرى غير المغرب. وكل أنواع الأجناس الثلاثة تشتهر بتعدد استعمالاتها كتوابل في المأكولات كالرفيسة وبركوكش والسلطة والسمن المصبر وكنباتات برية طبية وعظرية لعلاج أمراض الجهازين التنفسي والهضمي ولتنشيط الشهية. ذكر البعض منها في "عمدة الطبيب" و"تحفة الأحباب" ومن طرف الوزير الغساني وابن البيطار.



وأكثر الأنواع استعمالا هي النباتات التالية :  
أوريجانوم Origanum : جنسيات معمرة ذات أوراق بيضية الشكل وعريضة، وازهارات سنبلية مجتمعة في ازهارات مركبة. كأس الزهرة أنبوبي وله 5 أسنان قصيرة، تاجها أبيض أو وردي، لها 4 أسدية :

- أوريجانوم إلونجاتوم Origanum elongatum نبات أزغب في قاعدته وأجرد في أطرافه العلوية، ذو ازهارات سنبلية ضعيفة الكثافة، وأزهار كبيرة الحجم نسيبا.

إنه نوع قيسي يصادف في غابات المناطق الرطبة في الأطلس المتوسط وفي الريف حيث يسمى بالزعر الريفي أو زعر تاركيست. يكثر فوق أترية سيليسية ويعيش في الطوابق النباتية المثلثة في المتوسطي وفوق المتوسطي والجبلي المتوسطي.

تقطف كميات كبيرة من هذا النوع في الريف الأوسط من أجل استعمالها في التطيب التقليدي وتقطيرها لا استخراج الزيوت العطرية المستخدمة في صناعة عدة أدوية. كما يشتهر هذا النوع بجودة العسل الذي ينتجه النحل بحرسه ازهار هذا النبات.

- أوريجانوم كومباكتوم Origanum compactum : نبات أزغب، ذو ازهارات سنبلية كثيفة وقصيرة، وأزهار تتميز بلون أرجواني فاقع.

زربولة يومها من إعطاء الشيخ ليلة ماء أصبحت منذ ذلك الحين حكرا عليه وعلى عائلته.

تتميز هذه القرية بعين طبيعية معدنية غير صالحة للشرب. إلا أنها تسقى الحقول والماشية الصغيرة والكبيرة التي تأتي من أماكن بعيدة للارتواء. وقد أمكن تنظيم ساقية من حجم كبير شدت إليها الساكنة بشكل متزايد وانتهت بأن جعلت من القرية نقطة من نقط أزوايفط العامرة خلال مرحلة ما قبل الاستعمار. إلا أن تفتت الديناميكية التجارية وتحول حركية المسالك نحو الساحل أدت إلى تطور ظاهرة الهجرة من أجل العمل بالمهجر مما أدى إلى اضمحلال القرية تدريجيا وانتقل سكانها إلى مدينة كلميم التي انتفعت تدريجيا بفعل الهجرة.

وتعد هذه القرية اليوم بمثابة نقطة سكانية ذات أهمية محدودة مما يدعو إلى إعادة هيكلتها وإلى النظر في الدور الاقتصادي الذي بإمكانها أن تلعبه. فهي مؤهلة بحكم موقعها وطبيعتها إلى لعب دور أساسي في ميدان السياحة الأيكولوجية والبيئية. كما أنها توفر للمنطقة المجاورة غطاء نباتيا من مادة الصبار قد يصلح لإنشاء تعاونيات هامة لإنتاج المربي وباقي المشتقات الممكنة. وكل تعاونية من هذا النوع بإمكانها تشغيل 500 امرأة على الأقل. وهو أسلوب تنموي بالغ الأهمية قادر وحده على تحقيق تنمية مستدامة تابعة من الخصوصيات البيئية المحلية.

مصطفى ناعمي

**الزطاط**، يعني في الأمازيغية المؤمن واستعمل اللفظ

اسماً للشخص القوي المسلح الوثاق بنفسه الذي يؤمن المسافرين والقوافل وأمتعتهم في الطرق بين المدن والقرى وعبر القبائل، مقابل أجرة معينة ويصاغ منه اسم الحرفة الزطاطة "تازطاط" بالأمازيغية كما تستخلص مبالغ مالية من المسافرين بهذا الاسم "تازطاطت" وقد عرفها السجلماسي الرباطي شارح العمل الفاسي، بأنها : "القيمة التي تؤخذ على رؤوس المسافرين أو حسب دوابهم أو حسب ما يحملون من السلع" وقد استعمل للشخص المؤمن على طرق المسافرين اسم المزراك أو الحفير، أو الزطاط بنفس المضمون وربما اكتسبت مدينة سطات هذا الاسم من الزطاط، لأنها تقع في مكان يمر فيه المسافرون بين الدار البيضاء ومراكش. وهم في حاجة إلى زطاط

ع. أفا، مسألة التردد في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر، ص. 418. 404. م. ابن القاسم، الرباطي السجلماسي، شرح العمل الفاسي، المطبعة الحجرية بفاس، 1288.

عمر أفا

**زعبول ← صبار**

**زعر**، لقد سبق لنا أن تطرقنا لنباتات الزعر تحت

كذلك منتج لأجود العسول المغربية. تجده يباع عند كل العشابين بالمغرب وذلك نظراً للكثافة الإحيائية المتوفرة في مناطقه، مما يسهل عملية القطف لأجل بيع أوراقه مجففة أو لتقطيرها.

- ساتوريا Satureja : جنينة أو جنينة تختلف أسماؤها حسب اختلاف أنواعها. فمنها الزعيترة وتازوكنيت ومانتا والنبطة وفليو البري...  
تصادف أنواعها بكل المناطق المغربية لكن بكمية قليلة جداً حيث تستعمل محلياً.

A. Benabid. *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 2000 ;  
J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*. Paris, 1997.

عبد المالك بنعبيد

## زعرور ← أدمام

**الزعرور، الحسين بن الحسين** أحد المقاومين البارزين الذين تصدّوا لسلطات الحماية بمدينة الرباط. ولد بعين الخلوف الواقعة جنوبي الرباط بحوالي 20 كلم. كان يسكن بحي دوار الدباغ، احترف صناعة الحدادة وقبل نفي السلطان محمد بن يوسف، عمل الحسين الزعري على تكوين خلية سرية مسلحة في حيه. وكانت تضم في البداية خمسة أشخاص : الحسن الحلوي، ومحمد المسطاسي، ومحمد الصحراوي لمصارني، وعلي بن بوغزة بالإضافة إلى صاحب الترجمة المعروف باسم الحسين "موسطاش" وبعد نجاحه في تكوين هذه الخلية، اتجه هذا الأخير إلى حي العكاري قصد توسيع اتصالاته، وهناك اتصل بأبي بكر الشرقاوي الذي زوده بالسلاح، وعرفه بعبد الرحمان البيضاوي، أحد أعضاء المنظمة السرية بالبيضاء. هكذا أصبح المترجم يتزود بالسلاح من هذه المنظمة، الأمر الذي دفعه إلى تمديد اتصالاته بالمدينة العتيقة وبأحواز الرباط، خاصة بعين الخلوف. وكانت الخلية عازمة على تنفيذ عملية في باريس ضد الباشا الأكلوي، غير أن الشرطة الاستعمارية كشفت عن الجماعة التي ينتمي إليها الحسين الزعري، وزجت بهذا الأخير في زنزانه بالرباط يوم 17 يناير 1954، وبقي بها إلى فاتح مارس من نفس السنة قبل أن يتم نقله إلى سجن القنيطرة بعد أن صدر في حقه حكم الإعدام مرتين من طرف المحكمة العليا بالرباط. وعقب تكوين المجلس الوطني المؤقت لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، وجه الحسين الزعري رسالة إلى هذا المجلس بتاريخ 13 نونبر 1974 مصحوبة بملف عن مقاومي الرباط الذين وردت أسماؤهم في الصحف الوطنية والأجنبية في عهد الحماية والاستقلال معاً.  
رواية شفوية ومعرفة شخصية.

محمد السعديين

يصادف هذا النوع في المناطق الشمالية والوسطى من المغرب حيث يتواجد في الطابق المتوسطي الدافئ، شبه الجاف وشبه الرطب.

تكثر استعمالات هذا النوع في التطبيق التقليدي لأن النبات ينمو في المناطق التي توجد فيها كثافة سكانية. مما أدى إلى ندرته أو انقراضه في بعض الأطراف من موطنه الأصلي.

- أوريجانوم ماجورانا Origanum majorana : وهو مرددوش أو مردقوش أو بردقوش أو مرزنجوس أو سمسق أو سمسق أو عترة.

نبات عشبي زغبى رمادي ذو ازهارات كثيفة مجتمعة على شكل كروي.

يزرع في بهوات أو حدائق المنازل للأغراض السابق ذكرها، وكذلك على مساحات شاسعة في مناطق مراکش وأكادير أو غيرها لتصديره كنبات مجفف يستعمل لنفس الأغراض.

- تيموس Thymus : جنبيات أو جنبيات قائمة أو زاحفة، وعطرة، ذات ازهارات حلقية وأزهار ذات كأس أنبوبي وجرسى الشكل. منها ما يسمى بالزعرور أو أزوكني أو الزعيترة أو تزوكنيت. كلها طيبة وعطرية ومنتجة للعسل.

- تيموس بروسونيتي Thymus broussonetii : هو الزعتر أو الزعيترة أو زعتر الحمير أو الزعتر الصوري. نبات جنبي قائم وجد عطر.

إنه نوع قيسي يصادف في سهول وهضاب المناطق الساحلية ما بين القنيطرة والصريفة على أتربة صخرية. تعرف تشكيلات هذا النوع تدهوراً خطيراً يكاد يؤدي بها للانقراض وذلك بسبب عمليات القطف المفرط لهذا النبات المجيد من طرف السكان نظراً لقوة عطره وجماله.

- تيموس ساتوريويديس Thymus saturojoides : وهو أشهر نوع من الزعيترة أو تزوكنيت. جنينة قائمة يبلغ علوها ما بين 30 و60 سم، جد متفرعة، ذات أوراق ملعقية الشكل وازهارات كروية وضعيفة الكثافة، وأزهار وردية أو ذات لون وردي مفتوح يميل إلى البياض.

إنه نوع قيسي، ولذا ينظم تشكيلات كثيفة في فرجات غابات العرعر Tetraclimis articulata واستثنائياً البلوط الأخضر، وذلك على سفوح جبال الأطلس الكبير وخاصة الجزء الغربي منه المصادف للطابقين المتوسطي الدافئ والمتوسطي شبه الجافين وشبه الرطبين. ولا يصادف بالأطلس الصغير إلا بصفة قليلة.

ينتج النحل الذي يجرس أزهار هذا النوع أجود العسول المغربية وأغلاها.

كما يعطي هذا النوع من الزعيترة مواد جد مهمة من حيث الجودة والكمية والمنفعة والمزايا. فهو طبي وعطري يتميز باستعماله لكل الأغراض السابق ذكرها أعلاه، وهو

**الزعرى، الحسين بن محمد السلوي**، أحد المتعلمين الذين وجهوا إلى إيطاليا أواخر القرن التاسع عشر. ولد بمدينة سلا يوم 10 حجة 1293 / 27 دجنبر 1876، وأصل أسرته من أيت العروسي بقبيلة زعير. تلقى دراسته الأولى بكتاب قرآني، غير أننا نعرف أنه لم يتعلم اللغة الإيطالية بالمغرب، فلم يشر إلى ذلك في التقييد الذي خلفه، مقتصراً على القول إنه وصل إلى طنجة في شهر شتنبر سنة 1888 وأنه في آخر هذا الشهر سافر إلى إيطاليا على متن الباخرة الإيطالية "ضونزولو: Dondolo" التي رست بميناء جنوة حاملة عدداً من الشبان المغاربة. وبعد ذلك استقلوا القطار إلى مدينة طورينو ليتحقوا بالمعهد الدولي الإيطالي Istituto internazionale وفيه التقى بعدد من الطلاب والأوربيين والطلاب الأفارقة مثل الأمير أحمد فؤاد الذي سيعتلي عرش مصر فيما بعد.



يطورينو بدأ أعضاء هاته البعثة التي كانت هي الثالثة من نوعها إلى هذه البلاد الإيطالية يتعلمون اللغة العربية بواسطة مدرس لبناني يسمي ماركوس واللغة الإيطالية على يد أستاذ إيطالي. وذكر الحسين الزعري أنهم بعد أن قضوا ثلاث سنوات فيها وزعوا على ثلاث فئات : فئة دراسة تربية الجنود وتدريبهم وفئة دراسة علوم البحار، وفئة صناعة السفن، واستعرض بعد ذلك أسماء المرافقين له بمن كانوا يدرسون هناك، مبيناً نوع تخصص الكثير منهم. تعد المذكرة التي أملاها الحاج الحسين على السيد الحاج أحمد معنيو ومذكرة أحمد الجيلي العيدوني زميله في الدراسة وأبي الدكتور أحمد الجيلي العيدوني الرباطي وسببه من أفضل ما تخلف لدينا عن أحوال المتعلمين بإيطاليا.

ثم يضيف الزعري أن البعثة بعد أن قضت ثمانين سنوات في الدرس رجع أفرادها إلى أرض الوطن برتبة ضابط باستثناء اثنين ماتا هنالك وتأخر بعدهم قليل للانخراط في مدرسة اللغات بطورينو إلى أن نال شهادة منها سنة 1898، وأنه كان ينوي الانتقال إلى مدينة فلورنسا لتتبع تعلم اللغات ولا سيما الألمانية ولتعلم القانون. غير أن أمراً مؤكداً ورد عليه بالرجوع إلى المغرب. إذ استفدته الحاج محمد الطريس من إيطاليا على يد

جوليوسا لموسى سفير بلاده بطنجة، فكتب بذلك يوم 10 شتنبر 1898، وكانت عودته إلى المغرب في نونبر من هاته السنة بعد غياب دام أكثر من العشر سنوات.

وكان رجوعه كذلك يطلب من أبيه إذ جاء في رسالة سلطانية إلى نائبه الطريس في فاتح ربيع الثاني 1316 / 19 غشت 1898 أن الحسين بن محمد الزعري كان "وجه لأرض الطليان لتعلم آلة الحرب والفايريكات واللسان وغير ذلك، من جملة من كان توجه بقصد ذلك لبعض الأجناس. وهذه مدة من نحو اثني عشر عاماً وهو هنالك. وقد طلب والده من علي جانينا التوجيه عليه لصلة رحمه به. وعليه فإن حصل الغرض المقصود فليأت، والسلام".

كان الحسين يتكلم عدة لغات أجنبية : الإيطالية والفرنسية والإسبانية والبرتغالية والإنجليزية والألمانية ويتقن بعضها. ولما فتح بعد مدة من رجوعه إلى المغرب مدرسته لتعليم اللغة الأجنبية بالرباط مع رفيقه أحمد الجيلي العيدوني المذكور أعلاه قامت عليه ضجة حتى قيل إنه حبس من أجلها وأنه لم يفرج عنه إلا بشفاعة سفير ألمانيا بطنجة.

تقلب في وظائف متنوعة مع الحاجب أحمد بن موسى ومع العلاف (المكلف المخزني بشؤون العسكر) مع محمد بن محمد الكباص أحد المتعلمين بالبلاد الإنجليزية الذي أسندت إليه وظيفة النيابة السلطانية بعد وفاة الطريس، وعين ترجماناً للمهندس الألماني فالطير روتنبورغ أثناء تشييده لبرج الرباط. وفي سنة 1909 أصبح قائداً للطابور الثامن للمشرطة المغربية بمدينة الصويرة.

وفي سنة 1332 / 1914 عين خليفة لعامل سلا، ثم قائداً بسبيدي بطاش قبيلة كفيان بزعير، وبقي هناك إلى حدود سنة 1339 التي أعفي فيها من منصبه، وقضى بقية عمره ترجماناً بالمصالح البلدية بسلا.

ويحكي الذين عاشروه أنه كان رحمه الله مثال النزاهة والاستقامة، ولا تزال أمام مخيلتي صورته الجسمانية في الأربعينيات : ربعة في القد وبياض مشرب بحمرة قليلة لابساً جلباباً وطربوشاً أحمر بالرزة، وأمام عينيه نظارتان، متأبطاً بعض الجرائد التي كان يشتريها من الدكان المعروف "باليزار" الموجود بحي الرمل.

توفي يوم الاثنين 18 جمادى الأولى عام 1375 / ثاني يناير 1956، ودفن قرب ضريح الشيخ أحمد ابن عاشر بجوار حوش شهداء الاستقلال.

م. بوشعراء، الاستيطان والحماية، ج. 4، ص. 1363. 1365. 1387: التعريف ببني سعيد، ج. 2، ص. 247. 248 : أ. معنيو، مذكرة طالب مغربي أرسل في بعثة مغربية إلى إيطاليا منذ ثمانين سنة، في دعوة الحق، عدد نونبر، 1968، ص. 143. 148 : كنانة الحاج أبي بكر الصبيحي، بالخرانة الصبيحية بسلا : وثائق مكتبة تطوان : وثائق الخرانة الصبيحية.

مصطفى بوشعراء

**الزعرى، العربي بن بلال النجدي المزارعي لا**  
يُعرف شيء عن أوليته. بيد أن كل القرائن تدل على أن  
الرجل من أسرة غنية، كان أبناؤها من أعيان القبيلة. وأن  
العربي كان حافظاً للقرآن، لأننا نجد المؤرخ الضعيف  
الرباطي يتعنه بـ "الطالب العربي ولد عبد الله بن بلال  
المزارعي النجدي".

ومن الجدير بالذكر أن عبد الله بن بلال المزارعي، كان  
ضمن أعيان زعير الذين قاتلوا الشاوية في صفوف  
السلطان مولاي سليمان وأنه قتل في إحدى المعارك  
بامزاب.

وهكذا فالطالب العربي بن بلال، ينتمي إلى قبيلة  
النجدة، إحدى الفرق المكونة لقسم المزارعة، الذين يكونون  
نصف زعير. أما النصف الآخر فيكونه الكفبان. وتقع  
مواطن النجدة حول وادي گرو يحدها شرقاً قبيلة زمور،  
وتجاور فرق أولاد علي وأولاد ميمون وأولاد عزيز وهي فرق  
من المزارعة. وبالنجدة يقع المكان التاريخي گلثة الفيلا وهو  
مركز النجدة اليوم يقع على الطريق الرابطة بين الرمانى  
والخميسات. وإلى الشمال من هذا المركز توجد بقايا قسبة  
ابن بلال على بعد حوالي 12 كلم.

أول ظهور للعربي بن بلال في الميدان السياسي، حدث  
بمناسبة الخلاف الذي نشب بين الباشا محمد بن العامري  
عامل بني احسن وعرب الويدان (زعير - الصباح - السهول)  
وبين قبيلة الدغمة وهي إحدى قبائل عرب الصباح. وكان  
منشأ الخلاف خروج القبيلة عن طاعة ابن العامري الذي  
ألقي القبض على بعض رجالها ورفض جميع الوساطات في  
الموضوع.

وعندما تهيأ ابن العامري لمعاينة الدغمة التي تعبت  
حول وادي الشراط استعداداً للدفاع عن نفسها ضد أربعين  
ألف حشدهم الباشا، قدمت زعير إعانة من الرماة للدغمة،  
ثم تواطأ عرب الويدان على إعانة إخوانهم ورفضوا أوامر  
ابن العامري. وأمام هذا التحالف تراجع الباشا عن القتال  
خوفاً من لف الدغمة وعرب الويدان.

وفي 2 شعبان 1229، تحالفت عرب الويدان على رفض  
حكم ابن العامري وقد ساق الضعيف الرباطي سبب خروج  
هذه القبائل عن طاعة الباشا كالتالي :

في 15 رجب 1229 الموافق جاء الطالب العربي بن بلال  
بزكاة زعير للباشا الذي قبضها قاتلاً : هذا المال لا أحسبه  
من الزكاة والعشور وإنما هو دية أبي الذي قتلتموه. وأمام  
هذا التصرف غافل ابن بلال أصحاب الباشا وانسل راجعاً  
إلى بلاده. ولما لحقه بعض أصحاب الباشا بمجاز وادي أبي  
رقرق، هددهم وقال : والله لا أنظر وجهه إلا إذا كنت أمامه  
راكباً على فرسي" (الضعيف، 383).

منذ ذلك الحين بدأ العربي بن بلال يبرم التحالفات بين  
عرب الويدان، حتى تم الاتفاق بينهم و "حتى حلفوا بتحريم  
أولادهم أن لا يتصرف عليهم ابن العامري".

في 5 شعبان جدد التحالف بين عرب الويدان والدغمة  
بسيدي يحي زعير، ثم اتفقوا على الذهاب للسلطان  
يطلبون موافقته على عزل ابن العامري عنهم. وقدم لهم ابن  
بلال قنطاراً من المال مساعدة منه.

كتب ابن العامري للسلطان يتهم القبائل المذكورة  
بالخروج عن طاعته. فبعث السلطان صاحبه مولاي أحمد  
القسطالي، ليبحث في حقيقة الأمر. وصل مبعوث السلطان  
لزعير بصحبة مساعدين للباشا ولما قرأ كتاب السلطان  
عليهم، انبرى العربي بن بلال فشمم الباشا وحلف أن لا  
يقبل حكمه. ثم قدم سُخرة مضاعفة للشرى الذي كتب  
للسلطان بحقيقة عزم عرب الويدان على رفض حكم ابن  
العامري.

وكانت الخطوة التالية، هي ذهاب وفد عرب الويدان إلى  
السلطان الذي كان بمكناس. فوسطوا أخت السلطان،  
واستحرموا بضريح مولاي إدريس بزهون، بعد أن كان  
السلطان قد عزم على القبض عليهم بالمشور. وبعد هذا  
الحادث كتب لهم السلطان بالأمان، فجاء وفد عرب الويدان  
يتزعمه الظاهر بوعرى أحد أعيان الصباح والعربي بن بلال  
أحد أعيان زعير. وقد اتفق على تقديم ابن بلال الذي ولاه  
السلطان على جميع عرب الويدان وفوض له. ويبدو أن  
مولاي سليمان ولى ابن بلال باشوية سلا كذلك حسبما يفهم  
من عبارة الضعيف : " فتعمل الباشا العربي بن بلال وذلك  
يوم الأحد 20 شعبان (1229). وكتب السلطان لعشعاش  
(عامل الرباط) على أن يقبض الباشا ابن العامري"  
(الضعيف، 384). وإثر ذلك أطلق سراح مساجين الدغمة  
وزعير وكانوا حوالي 41 سجينا.

حكم ابن بلال عرب الويدان، الذين كانت أراضيهم تمتد  
من الشاوية إلى حدود زمور بما في ذلك الرباط وسلا.  
ويبدو أن سلطة الرجل كانت شاملة ومسيطرة، باستثناء  
محاولات فاشلة من الدغمة الذين حاولوا التنم عن الباشا  
ابن بلال لكنهم اضطروا للخضوع بدون حرب من أواسط  
1230. كما يبدو أن قوة ابن بلال كانت بارزة فقد ذكر  
الضعيف أن ابن بلال كان يلعب البارود "بمائة من الخيل"  
عند استقباله لوزير السلطان محمد السلاوي.

ولقد سعد نفوذ ابن بلال الزعري، وعزز السلطان جانبه  
بتوليته باشوية الرباط كذلك. فبعد انتفاضة قصيرة تزعمها  
الدباغة والخرزون بما فيهم اليهود، ضد حكم عشعاش  
التطواني، نجد السلطان يصدر ظهيراً بتولية العربي بن بلال  
على أهل الرباط. ويعطى ولاية سلا لمحمد بن الجبالي أخى  
سليمان بن القرشي السقيري الحسناوي.

قرئ كتاب تولية ابن بلال على الرباط بالجامع الكبير  
يوم 7 رمضان 1230. وإثر ذلك استلم منصب الباشوية  
بمحضور جم خفير من سكان المدينة وبحضور البحرية  
والطبيعية وقاضي المدينة عبد القادر مرين. كان العربي بن  
بلال أحد ركائز دولة مولاي سليمان، إذ كان السلطان

رفض التعاون مع الفرنسيين المحتلين لقبائل الشاوية المجاورة لقبائل زعير، واستمر في جهاده إلى النهاية.

ولد علي بن حمو في دوار لحرأكتة بفرقة الغوالم، إحدى فرق قسم الكفيان من زعير. لا يعرف شيء عن شباب الرجل. بيد أن شهرته ارتبطت بالجهاد ضد الاحتلال الفرنسي. ذلك أن علي بن حمو نشط في معارضة كل تعامل مع المحتلين، وكان من أبرز الشخصيات الزعرية التي وقفت في وجه النفوذ الفرنسي. وتشير بعض الروايات إلى تعاون الرجل مع العربي بن البشير وأخيه الحبشي بن البشير أخوى المرباط الزعري الشهير سيدي عبد القادر بن البشير المباركي (انظر مادة البواشوية).

ويظهر أن علي بن حمو قد تبوأ مرتبة الزعامة بين ذويه وبين قبائل الكفيان، نتيجة لنشاطه المعارض للتدخل الفرنسي ولقد أثبت له السلطان مولاي عبد الحفيظ هذا التقدير إذ عينه مقدماً عاماً على قسم الكفيان بظهر مؤرخ شهر ماي 1908، سلمه على بن حمو لأحد الفرنسيين الذين كانوا مراقبين للمحلة الحفيظية الآتية من مراكش إلى فاس عبر قبائل زعير أواخر 1908 وبداية 1909 وهو الضابط Cicard.

وتعني وظيفة أمين عام أو مقدم عام أن صاحبها كان هو المشرف العام أو القائد الأعلى المشرف على القيادة ومراقبتهم واقتراح توليتهم أو عزلهم في بداية العهد الحفيظي.

كان للشيخ علي بن حمو نفوذ كبير في كل قبائل المخاليف وقد استقبل بفاس أواخر 1908 (رمضان 1326) ضمن قواد زعير ونعت في إحدى الوثائق "شيخ الربيع". وهذه الصفة تعني زعيم الثوار أو المقدم الأعلى لقيادة القبيلة أثناء الثورة أو أثناء ضعف السلطة المركزية.

لعب الشيخ علي بن حمو دوراً رئيسياً في جهاد زعير ضد الاحتلال الفرنسي، وكان ينسق جهاده مع زعماء آخرين مثل القائد الحفيظي عبد القادر ولد عويش والعربي بن البشير المباركي وأخيه الحبشي وغيرهم. وكان حزب المقاومة من القوة بحيث نجده يصادر أموال الأعيان والقياد الذين نبت تعاملهم مع الفرنسيين المحتلين للشاوية خاصة لما انتخب علي بن حمو قائداً للجهاد على رأس الكفيان وبني خيران ومجاهدي زيان وتادلة في اجتماع قرب الرمانى يوم 31 يناير 1911.

ولقد حاول الفرنسيون - دون جدوى - إغراء علي بن حمو بالجاه والمال لكنه أبى. ويظهر أن علي بن حمو لم يكن عربياً عن حادث مغشوش المشهور في المؤلفات الفرنسية "بكمين مغشوش" الذي وقع في يناير 1911. وذلك الحادث الذي تعرضت فيه دورية فرنسية دخلت لزعير إلى الهجوم والفتك بأفرادها.

فقد قاد حاكم المركز العسكري بمدينة الكارة بالذاكرة مفرزة من الجنود ودخل لقبائل زعير بهدف كسب المتعاونين

بصحبته معه في جميع الحركات، ضد الخارجين عليه. ففي شوال 1230. قدم عرب الوندان بقيادة ابن بلال مساعدة حاسمة للسلطان ضد الشاوية فقد انتصر السلطان على المازمة الذين تشفع فيهم العربي بن بلال وعامل بني حسن فقبل السلطان شفاعتهما على عكس ما كان يرغب فيه عامل الشاوية عبد الخالق كيران الحريزي.

ولما عاد ابن بلال إلى الرباط التي كان قد عين فيها الحاج فرج خليفة عنه، تلقت المدينة "بالطبل والبارود" (الضعيف، 393).

والأمر الذي يدل على مكانة الرجل عند السلطان ومكانة إخوانه الحربية، أن مولاي سليمان عندما أراد الحركة لتأفيلات ضد آيت عطا، أصر على استصحاب الباشا ابن بلال بالرغم من مرضه. ذلك أن السلطان أشرف بنفسه على مداواة عامله "بالأشربة والأدوية وبعث له البعض من جواربه يسمّونه بورق الكرب مدهوناً بالزيت. وبيعه للحمام ويعوده كثيراً ويسأل عليه في كل حين حتى وجد الراحة وسار معه.

ويظهر أن ابن بلال كان من دهاة الحكام. إذ ظلت إبالته خاضعة لسلطته طائفة للسلطان. وفي عهده حكمت بادية الرباط على مدينتها. وكانت علاقة الرجل ودية مع قبائل بني مكيلا التي كان يصطاد بأرضها. ففي 1232 يذكر الضعيف أن بني مكيلا تلقوا للباشا "بالبارود وصنعوا له أربعين قصعة. وكل قصعة بين أربع نساء يحملنها".

إلى حدود سنة 1230 / 1815، كان ابن بلال مازال يقطن في خيمته إذ كان الغالب على سكنى عرب الوندان الخيام، وإذا كانت زعير اليوم خالية من قصبات القيادة، فإن الاستثناء الوحيد هو صمود قصبة ابن بلال للأحداث وبقاء جدرانها قائمة إلى اليوم دالة على مجد غابر وحكم قوي قاهر.

وبالجملة، فإننا لا نستطيع - نظر الانعدام الشواهد - أن نحجز بمصير حكم العربي بن بلال الزعري. لكن الرواية الشعبية تشير إلى استمرار حكم الرجل بالرغم من شيخوخته. فيقال إنه ظل يحكم حتى بعد فقد بصره. حيث كان يخفي حقيقة عماء، ويتصرف مع الناس الذين يهابونه وكأنه يراهم بواسطة مساعد يضعه إلى جانبه !

وهكذا لم يجرؤ الإنس على معرفة حقيقة من كانت قوته تتصرف فيهم ؛ كما لم يعرف الجن حقيقة موت سليمان إلا بعد أن دلتهم عليه "دابة الأرض تأكل مناساته" م. الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة، تج. وتقديم ؛ أ. الصاري، دار المآثورات، 1986 ؛ ع. الحديمي، قبائل زعير والمخزن خلال القرن التاسع عشر، في البادية المغربية عبر التاريخ، نشر كلية الآداب، تنسيق، إبراهيم بوطالب، ندوات ومناظرات، رقم 77 ؛ بوشعرا، مصطفى، الاستيطان والحماية، جزء 2، ص. 743.

الزعري، علي بن حمو مجاهد صلب، وزعيم قبلي

العالي توباً علينا لا تخافينا إلى ابغيت الجمال اطلع لشمال  
يعتمد أداء هذه المتفرقات في البداية على دخول الحني  
بواسطة الآلة والإيقاع وبعد ذلك يكون السؤال بواسطة جملة  
موسيقية يضعها العازف ثم يكون الجواب بواسطة البيت  
الشعري الذي ذكرناه وبعد ذلك يستمر العازف في عزفه  
متصرفاً كما يساد في المقامات إلى أن يعود فيسأل بالجملة  
الموسيقية المعروفة ليحييه المغني أو المغنية بالبيت الشعري  
وهكذا.

لقد تطرق هذا النوع من الغناء لكل المواضيع  
والأغراض مثل الطبيعة والمرأة والاجتماعي والاقتصادي  
والمقدس وذلك نظراً لسهولة أدائه ولكثرة النظم والتجديد  
في أشعاره. مما ساعده على اكتساح كل مناطق المغرب.  
من الرواد الأوائل لهذا اللون نجد الشبيخة خربوعة وولد  
العواك وانعيتية والموتشو وغيرهم، أما من رواده الحاليين  
فذكر ولد مبارك.

إجمالاً، يعتبر هذا اللون الغنائي من الألوان الأكثر  
انتشاراً بين الناس نظراً لسهولة وعذوبته ومصاحبته  
لعمليات الرقص والرشق.

علا رگوك، الغناء المغربي الشعبي مظاهر وتجليات، مطبعة  
وليلي، مراكش، 2000 : علا رگوك، غادج من الزعري بيان  
اليوم الثقافي، 17، 21، 1552.

علا رگوك

### الزعري، محمد بن بوعمر، باشا قبيلة زعير في

عهد الحماية، ولد حوالي سنة 1332/1914 بدار الحساسة  
من قبيلته بأولاد علي اهتم والده القائد بوعمر بن رحو  
العليوي بتعليمه بقبيلته، ثم التحق بثانوية مولاي يوسف  
بالياباط حيث حصل على الشهادة الثانوية. وبذلك أصبح  
سندا لأبيه في مهامه. وقد طلب هذا الأخير - بعد مرض  
أزمه الفراش - من السلطان محمد بن يوسف أن ينصب ابنه  
قائداً على القبائل التي كانت تحت ولايته وهي : المراكشية،  
والمراشيش، وأولاد خليفة، وقد تم ذلك عام 1945، واستقل  
المرجع بالأمر بعد وفاة والده في 2 أكتوبر 1948. اشتهر  
محمد بن بوعمر بحزمه لكن بعد الأزمة المغربية انحاز إلى  
جانب الإقامة العامة ضد علي السلطان الشرعي للبلاد،  
ومال كل الميل لحركة الباشا الكلاوي، وبذلك تمت ترقيته  
إلى منصب باشا. هكذا شارك المترجم في عملية إبعاد  
السلطان محمد بن يوسف عن العرش وبعد رجوع هذا  
الأخير من منفاه التحق الباشا محمد إلى فرنسا، وبقي  
هناك إلى أن صدر العفو الملكي على القواد والباشوات  
الاثني عشر الذين كانوا خارج الوطن، فرجع المترجم إلى  
قبيلته بأولاد علي. توفي محمد بن بوعمر في 16 ربيع  
الثاني عام 1389/2 يوليو 1969 بالسويقة بالرباط، ودفن  
بمقبرة سيدي المهدي بعين السبيت بقبيلته.

ع. ابن زيدان، الإصحاح، 2: 468، م. ابن سودة، زعير قديماً  
وحديثاً، ج. 2 : أ. معينو، مذكرة طالب أرسل في بعثة مغربية

ونشر النفوذ الفرنسي. لكنه عندما وصل إلى قبيلة أولاد  
دحو، في طريقه إلى قصبة مغشرش - حسبما ادعى  
الفرنسيون - للقاء المرابط عبد القادر بن البشير، تعرضت  
الدورية للهجوم المباغت، حيث قتل معظم أفرادها ومنهم  
الضابط مارشان Marchand الذي أطلق اسمه على قرية  
الرماني بعد الاحتلال، واستولى المهاجمون على سلاح الجنود  
وخيولهم.

وقد اتهم علي بن حمو ورفاقه بالتسبب في الحادث  
وعوملوا على أساس ذلك من طرف المحتلين.

رفض علي بن حمو الخضوع للمحتلين الذين سيطروا  
على القبيلة وهاجر إلى القبائل المجاورة (بني خيران). وظل  
في هجرته وجهاده هو ومعظم سكان دواره الحراكتة والقائد  
عبد القادر ولد عويش إلى أن غلبوا على أمرهم بعد أن  
تغلبت قوة الاحتلال.

صودرت أموال دوار الحراكتة، وسجن الشيخ علي بن  
حمو بسجن عين علي مومن قرب سطات في حين أدخل عبد  
القادر ولد عويش لسجن الرباط. وبعد سنتين أطلق سراح  
المجاهد الزعري الذي لم يلبث أن وافاه الأجل في حدود عام  
1333/1915، وعمره حوالي 90 عاماً. أما القائد ولد عويش  
فبعد أن سرح أعيد للسجن الذي ظل فيه إلى وفاته بتدبير  
من المستعمرين وأعاونهم بدون شك..

رسالة من الحاج أحمد إلى قائد المشور الحاج بنعيسى، رمضان،  
1326 : تحريات ميدانية.

Archives de guerre Vincennes, 3h18 (9 - 2 - 1911) :  
Cicard, L'organisation des Zaers, R.M.M., 1910.

علا الحندي

### الزعري (غناء) أو العيطة الزعرية نسبة إلى مجالها

الجغرافي أي منطقة زعير، هذا اللون نجد فيه تقاطعا لكل  
من نمط العيطة الحوزية والمرساوي والملائي وهو قريب من  
الخريجي أي نمط الغناء الموجود في خريجة.

والملاحظ في العيطة الزعرية أنه يوجد بها نمط العيطة  
المركبة التي تتكون من مقدمة وفضول قفل وأهم عيطة  
زعرية في هذا الباب عيطة "اجعيدان" نسبة إلى بوعبيد  
الشرقي ولي الزاوية الشرقاوية وهي مشهورة جداً من  
مقاطعتها :

اجعيدان ايسان سيري لا تخاف والسي

وتتم تكملة الوزن بترديد عبارة "ألباس ألباس" أو  
أعوام أعوام" والإيقاع هنا مركب وصعب يعتمد فترات  
مهزوزة تنتهي بقفل عبارة عن وقفة تردف بإيقاع سريع  
ينتهي بقفل عبارة هو من وقفة كذلك.

هذا بالنسبة للشطر الأول الذي هو عبارة عن عيطة  
مركبة وتتلوها عيطات أخرى من نفس اللون ولكنها بسيطة  
وهي عبارة عن متفرقات تتكون من بيت من الشعر يتكون  
من صدر وعجز يشكل في بيت صورة متكاملة من حيث  
الموضوع أو الغرض الشعري كقولهم مثلاً :

إلى إيطاليا منذ ثمانين سنة، دعوة الحق، السنة 12، العدد الأول، 1968 / 1388، ص. 143، 148؛ زكي مبارك، مذكرات مقاوم، ضمن سلسلة تاريخ المقاومة وجيش التحرير من أفواه رجالاتها، مذكرات الحسين الزعري.

J. Caillé, *Histoire de Rabat*, 1 : 331 ; V. Loubignac, *Textes arabes des Zaër*, Paris, 1952 ; Cicard, *Organisation des Zaër*, R.M.M., 1910 ; *Villes et tribus du Maroc, Rabat et sa région*, T. III, p. 139 - 162.

محمد السعديين

**الزعري، محمد بن مبارك بن أحمد بن مسعود**، الشيخ الشهير، نسبه بعضهم إلى الشرف، ونفاه عنه تلميذه أحمد بن أبي محلي في كتابه الإصلي (الإكليل والتاج، 303 : الإعلام، 5، 179) لكن المتفق عليه أنه من قبيلة عربية بالمغرب، يقال لها زعير. ولذلك يقال عنه : محمد بن أمبارك الزعري أصلاً ونسباً (إتحاف، 4 : 39 ؛ قبيلة زعير، 79).

كما لم تذكر المصادر التي ترجمت له تاريخ ولادته، لكن يفهم من تاريخ وفاته، وستوات عمره أنه ولد حوالي عام 938. وذكر بعضهم أيضاً أنه ولد باوطاط من وادي ملوية، ثم انتقل إلى مكناس، وفيها نشأ (قبيلة زعير، 79). ولذلك يعرف أحياناً بالزعري أصلاً المكناسي نشأة (إتحاف، 3 : 39). ويذكر أنه نزل في حاضرة مكناسة قصد تعاطي القراءة، لكن صعب عليه الأمر، وتعذر عليه الفهم، فعاد إلى البادية (إتحاف، 4 : 39)، واستقر في تستاوت بأرض زيان. ولذلك يعرف بالزعري التستاوتي (متمتع، 127؛ قبيلة زعير، 79).

وهذا يعني أن محمد بن مبارك لم يأخذ نصيبه في علوم الظاهر، بل تصرح بعض المصادر أنه كان أمياً (الإكليل والتاج، 304)، ومن ثم اشتغل في البادية بالفلاحة وتربية الأنعام، وخاصة تربية النحل (متمتع، 127). إلا أن ذلك لم يمنعه من الانخراط في عالم التصوف والصوفية. وكان دخوله هذا العالم على يد الشيخ المراكشي الشهير أبي عمرو القسطلي، أحد كبار أولياء المغرب في القرن العاشر. وبرى في هذا الصدد "... أن عرب زعير لما ذهبوا إلى سيدي أبي عمرو وصحبوه، قال لهم "من أنتي بها كلها ذهب بها كلها"، قالوا يعني المحبة. وكان (محمد بن مبارك الزعري) إلى الآن ما صحبه. فلما رجعوا من عنده، وتحدثوا بقوله ذلك سمعه (الزعري)، فجمع جميع ماله من ماشية وغيرها حتى جمع القدر التي يطبخ فيها، وذهب بذلك كله، هو وزرجه إلى الشيخ، فقال له ياسيدي قد سمعت عنك أنك قلت وقلت، وقد أتيت بها كلها، يعني ما يملك من الدنيا. فقال له : وأنت قد ذهبت بها كلها، فامتلاً منه مدداً، من حينه، وأصابه الجذب، وصار من المحبين في شيخه، ومن أتباعه في الطريقة (متمتع، 127).

وإذا علمنا أن أبا عمرو القسطلي جزولي السند

والنحلة، فمن تحصيل الحاصل القول بأن محمد بن مبارك الزعري، كان مثل شيخه، جزولياً. وقد أهله مجاهداته إلى الارتقاء في مقامات الطريقة الجزولية، مما جعل شيخه يأذن له بالتصدر للمشيخة في "مسجد" أسسه في تستاوت، غير بعيد عن أبي يعزى (إتحاف، 4 : 39 - 40). وما اشتهر به هذا الرجل في مشيخته أنه كان "قباض الحال، باهر الخوارق" (متمتع، 127)، وأنه كان صاحب "مائدة"، وصاحب "فائدة"، بل أعجوبة في دقائق التصوف، وأسرار كلام القوم، مع أنه أمي (الإكليل، 303، 304 ؛ الإعلام، 5 : 177). كما قالوا عنه بأنه أحد الرجال الكمل الربانيين في زمانه (الإعلام، 5 : 177)، وقالوا عنه أيضاً بأنه وصل مقام القبطانية (متمتع، 127).

وقد بلغ صدى شهرة ابن مبارك الزعري إلى كبار أولياء زمانه. ومنهم جاره سيدي بوعبيد الشرقي، دفن بوجعد بتادلا، فبعث إليه، وكأنه يدعو إلى الأخذ عنه، بييتين من الشعر الملحون، جاء فيهما :

يا الساكن في أرض البرادي لا تتمدش المسارد

أصحب هاذ الطريقة تحصل لك الفوائد

(متمتع، 127)

فأجابه ابن مبارك، بييتين من الشعر الملحون، كذلك، افتخر فيهما بخصوصية طريقة شيخه في التربية الصوفية، ويقوة مدده، وكفاية ما أخذ عنه، وقال :

تا الله ما كان هذا إلا من مجذوب سالك

يسفي خمر للرجال مملوك من الحق مسالك

وما أجابه إلا بعد أن ألح عليه أصحابه في الجواب. ويقال إن سيدي بوعبيد الشرقي أعجب بالجواب واستحسنه (متمتع، 127)، بل يذكر أن ابن مبارك قال يوماً أهل زماننا محسبون علينا فبلغ ذلك سيدي بوعبيد الشرقي فقال : شهدوا أنا من أهل زمان ابن مبارك (إتحاف، 4 : 39). وقد لفتت شهرته أولى الأمر في البلاد كذلك. نضيف هذه الإشارة استناداً إلى رواية تفيد حدوث اتصال بين الرجل وسلطان زمانه، عبد الله الغالب السعدي. فقد ذكر القادري أن هذا السلطان بعث إلي ابن مبارك يقول له "... إذا مت من يرث منك هذا السر ؟ فقال للرسول : قل له إذا كان بالعناية فالسلطان، وإذا كان بالقرابة فمحمد ابني ؟ وإذا بالأخلاق الحسنة فبب علي الشربة، لرجل من أصحابه الفاسيين، قل له : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء" (الإكليل، 304).

وقد ظل محمد بن مبارك يحظى بهذه الشهرة في زاويته بتستاوت إلى أن أتاه أجله في ثاني عيد النضر 1006 وقيل 1008، وكانت وفاته بالوفاة، ودفن في تستاوت، مخلفاً عقباً وتلامذة (متمتع، 127 ؛ الإعلام، 5 : 177 ؛ إتحاف، 4 : 40).

م - بن الطيب القادري، الإكليل والتاج، تج. مارية دادي، د.د.ع،

9 : 1991، مرقون، خزانة كلية الآداب بالرباط : م. المهدي

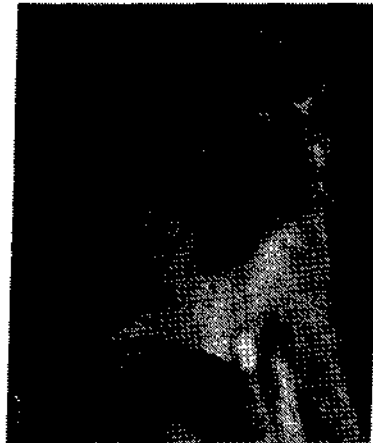


الفاسي، منتج الأسماك، طبعة حجرية بفاس، 1313؛ ع. الرحمن ابن زيدان، إنحاف أعلام الناس، الرباط : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، ج. 5؛ م. ابن سودة، قبيلة زعير قديما وحديثا، الجزء الثاني، الدار البيضاء، 1987/ 1397.

أحمد الوارث

### زعطوط أو أزعوض، اسم أمازيغي للقرود المغربي

مقطوع الذيل. يعرف جغرافيا بـ Le Magot de Berbérie وعلميا بـ Macaca Sylvanus. متوسط الحجم، وزن ما بين 5 و10 كلغ والذكور أكبر حجما من الإناث. جسمه متكامل لا ذيل له، يبلغ طوله من الرأس إلى المؤخرة 65-75 سم. له أنف أفطس ضعيف البروز ينفتح من الأعلى وخطم مكور وعينان دائرتان محاجرهما عارية من الشعر وحاجبان بارزان. يغطي جسمه وبر كثيف متوسط الطول لونه أصهب خليط من اللونين البني والأصفر، يكون داكنا بالظهر وجوانب الأعضاء الخارجية وأصفر شاحب بالبطن والجوانب الداخلية لأعضائه، شعر وجهه قصير. وهو أكل عشب وفواكه يكمل تغذيته بالحشرات والطيور والبيض والزواحف الصغيرة، كما يلتهم لحاء أشجار الأرز عند المجاعة. يفضل العيش فوق الأشجار حيث يجلس على مؤخرته ويستخدم يديه في معالجة أكله وتبادل تنقية شعره مع رفاقه من القمل خاصة، ويستعمل قوائمه الأربع للمشي على الأرض. يقدر متوسط عمره بـ 20 سنة، تصل صفاره إلى النضج الجنسي في سن 4 إلى 5، تحمل الأنثى مدة 5 إلى 6 أشهر وتلد مولودا واحدا في فصل الربيع ونادرا اثنان، ولأنثاه دورة حيض شهرية مشابهة للمرأة، وهو حيوان اجتماعي يعيش في إطار جماعات صغيرة فوق مجال خاص قطره حوالي 10 كلم، ويلاحظ أن الأنثى لا تفارق أمها بعد البلوغ عكس الذكور. يسود المجموعة تراتبية، يوجد بقمته ذكر قوي يهيمن على حريم الإناث وصغارها، يعيش في صراع مستمر مع منافسيه الذكور خاصة العزاب الكبار. ولشبهه بالإنسان في مظاهر عديدة اعتبرته الأساطير الشعبية بشرا مسخه الله لأخطأ ارتكها.



مجاله : تعيش معظم قرود فصيلته اليوم البالغ عددها 11 بأسيا وهو الوحيد الموجود منها بإفريقيا، اكتشف أقدم هياكله بشمال وادي النيل. كان واسع الانتشار في كل حوض البحر المتوسط منذ حقبة البلايستوسين، وذلك بفضل الانتشار السابق للغابات المخروطية المعتدلة التي هي مجال عيشه المفضل، لكن لم تبق له اليوم تجمعات سوى في الجزائر والمغرب خاصة وجبل طارق الذي أدخل إليه من المغرب لأول مرة سنة 1740، لكن مجاله في تقلص مستمر منذ عقود بحيث صار مهددا بالانقراض.

لم تتناول الدراسات العلمية الحديثة بالمغرب إلا مؤخرا بعد 1974 عندما لوحظ تقلص أعداده بوتيرة متسارعة. وتوجد اليوم 75٪ من تجمعاته الوحشية في الأطلس المتوسط بغابات الأرز الخالصة أو المختلطة بالبلوط الأخضر، حيث يعتبر وجوده مؤشرا بيئيا وبيولوجيا يحدد مستوى التوازن البيئي فيها، وذلك من حيث أعداده وتناسله وسلوكه وتغذيته وتقلباته. كما توجد له تجمعات مهمة بالريف والأطلس الكبير. وبناء على نتائج دراسة علمية تبين وجود القردة بالغابة الكحلة بقلب منطقة غابوية للأرز بالأطلس المتوسط مساحتها 483 كلم<sup>2</sup> بكثافة بلغت 44 فردا / كلم<sup>2</sup> سنة 1968 لكن تراجعت إلى 18.68 فردا / كلم<sup>2</sup> بناء على دراسة ميدانية أجريت سنة 1998 وأحصي بها 3775 قرد، لكن بحكم ميلها إلى التخفي والهروب عند سماع أو مشاهدة أبسط حركة بشرية، قدر الباحثون أعدادها بنفس المنطقة بأكثر من ذلك. ولوحظ خلال الدراساتين تناقص مستمر لأعدادها خاصة الإناث التي صارت تكون 25.86٪ من المجموعة والصغار غير البالغين 37.40٪ أما نسبة الذكور فقد بلغت 40.24٪.

إن تراجع المساحات الغابوية وانقسام وحداتها الكبرى إلى أجزاء تفصل بينها طرق وتجمعات بشرية، فصل بين مجموعات القردة وجعل كلا منها تتكيف على حدة مع الوسط البيئي التي انحسرت فيه ليس على مستوى السلوك والتغذية بل حتى على مستوى الخصائص الجينية والنفسية. كما أدى تناقص الغذاء الذي اعتادت عليه بسبب توالي سنوات الجفاف إلى التهامها للحاء أشجار الأرز وأطراف الشجيرات الصغيرة مما يضر كثيرا بتجدد أشجار غابات الأرز. وتلاحظ هذه الظاهرة خاصة في المناطق التي ينعدم فيها الماء أو عندما تجف موارده.

لقد تغلفت الأنشطة السياحية بالأوساط الغابوية وحولت بعض المجالات إلى مناطق سياحية تميزت بمزابلها خاصة من فضلات الطعام وورق وعلب وبلاستيك وأنسجة... اجتذبت فضول القردة وأثارت شهيتها، فصارت تعتمد على هذه الفضلات وتأتي إليها ليلا بل حتى نهاراً في بعض الأماكن إلى أن صارت أكثر تجمعات القردة تلاحظ من طرف الزوار حول الأماكن السياحية

المشهوره مثل غابات رأس الماء ومشليفن وشجرة الأرز الضخمة كورو وغابات عين اللوح وبحيرة أزگزا قرب خيفرة بالأطلس المتوسط وكذلك بحمية تلامنتان بغابة الصنوبر الحر Le Sapin حول شفشاون بالريف. ويشلال أوزود بالأطلس الكبير الأوسط. وحتى بأقصى مجالها الجنوبي بالأطلس الكبير المراكشي، فبعد أن سجل الدارسون حضورها منذ عقد الثلاثين بأجراف هضبة يگور بوادي أوریکا، وكادت تختفي خلال الستينيات والسبعينيات، فإن مجموعة منها قدر عددها بستين قردا عاودت الظهور وهي تنتقل جماعة بسفوح ومنحدرات الضفة اليمنى لوادي أوریکا بين أجراف هضبة يگور المنبعا على الرعي وشلال ستي فاطمة الذي سار منتجعا مهما للمصطافين الذين يتروكون به فضلات كثيرة.

وسجل هجوم بعض القردة على الخيام بالمخيمات المرتجلة حول بحيرة أزگزا ورأس الماء، وسرققتها لأطعمة وأحيانا ملابس وعلب وورق، في غفلة من أصحابها والفرار بها إلى الخمائيل الكثيفة.

لاحظ الدارسون استمرار تراجع أعداد القردة في منتصف التسعينيات بسبب استفحال سنوات الجفاف وما يترتب عنها من ضغوط على الغابات بالرعي الجائر للمواشي، كما أن فصل الثلوج صار قصيرا مما يسمح بدوام طويل لعائلات الرعاة بغابات ومراعي الأطلس المتوسط، بل سجل في بعض المناطق حضوراً مستمراً له لا ينقطع أبداً، ووجود المواشي بأعداد كبيرة بفضل نقلها بالشاحنات. وعندما تفر جموع القردة من الضغوط البشرية وكلاب الرعاة التي تكون خطراً عليها إلى غابات منزوية بعيدة، نجد أن الرعاة بمواشيهم قد سبقوها إليها، ورغم اختفاء آخر الفهود بمجالها الأصلي التي تكون أعداها الطبيعية إذ تتغذى عليها وتحافظ على التوازن البيئي بالغابة، وذلك لمحاربتها من طرف الفلاحين والرعاة لما تكونه من خطورة على مواشيهم فإن أعدادها في تراجع مستمر، وقدر الباحث السيد محمد مونا مجموع أعدادها بالمغرب حوالي 12.000 في صيف 2001 ولوحظ أن 80٪ من المواليد المدروسة اختفت ما بين فصلي الصيف والخريف، وأن ما يصيب القردة من توتر عصبي بسبب انتهاك حرمة غاباتها يتسبب في ضعف خصوبة الإناث، وإذا ما ظلت هذه الأوضاع قائمة فإن القردة المغربية التي سجل حضورها بغابات الأطلس المتوسط منذ آلاف السنين ستضمحل بعد عقود قليلة، لأن المجالات الغابوية تنقلص باستمرار وما بقي منها يتعرض لهجوم بشري متعدد الأشكال خطير العواقب على التوازن البيئي. وبسبب ما أطلقه الدارسون من إنذارات فإن الوزارة المكلفة بحماية البيئة تدخلت بعدة إجراءات بيئية وقانونية لحماية القردة، منها تخصيص حدائق وطنية محمية لها ولغيرها من الحيوانات خاصة بعين اللوح وهنا بدأت تسترجع حيوتها واطمئنانها. ومنع صيدها وقتلها وبيعها،

لكن مع ذلك مازالت صغارها تصطاد وتروض للعروض والفرجة بساحات بعض المدن خاصة جامع الفنا براكش التي كانت ومازالت منذ بداية القرن العشرين، تعرض القردة بحالاتها لفرجة الجمهور الشعبي والأجنبي كذلك.

وحيش المغرب، منشورات مكتب تنسيق التعريب بالعالم العربي، محمد لحضر غزال، الرباط، 1976؛ عروض ودراسات علمية حول القردة، ندوة حول التنوع البيولوجي وحماية الثروات الطبيعية، جامعة الأخوين إيفران مايو 13، 15 سنة 1999؛ عرض شفوي حول القردة بالأطلس المتوسط لمحمد مونا، أستاذ باحث بالمعهد العلمي، الرباط.

M. Mouna, M. Arahou, A. Camperia Ciani, *Etude sur la vie sauvage des singes du Moyen Atlas, Ifran, 1999* ; *La grande encyclopédie du Maroc : La faune*, Rabat, 1987.

أحمد هوزالي

**الزعرفران**، اسم فارسي الأصل يطلق على نوعين نباتيين من التوابل والأصباغ يستعملان لعدة أغراض كإعطاء الأغذية لوناً أصفر فاقعاً ونكهة وِعطراً متميزاً، وكذلك لهدف العلاج.

النوع الأول هو الزعفران الحر الذي يسمى علمياً كَرْوَكُوسْ ساتيفُوسْ *Crocus sativus* وهو من فصيلة السوسنيات Iridaceae ومن فرغ نباتات وحيدة الفلقة.

أما النوع الثاني فهو زعفران القرطم أو العصفر المسمى علمياً كارطاموس تانكتوريا *Carthamus tinctoria* وهو من فصيلة المركبات Asteraceae ومن فرع نباتات ذوات الفلقتين.

الزعفران الحر :

هو نبات عشبي بصلي يشبه السوسن والنجرس تستعمل مياهم وأقلام أزهاره كتوابل وكمادة للأصباغ. موطنه الأصلي هو بلاد الكاشمير. ومنها انتشرت زراعته إلى بلدان أخرى من آسيا الجنوبية وآسيا الصغرى والمنطقة المتوسطية.

فمنذ أقدم العصور زرعه الهنود والآشوريون في ما بين النهرين، والفنيقيون، والإغريق، والرومان، والعرب في آسيا الصغرى وشمال إفريقيا وصقلية والأندلس التي منها انتقلت زراعته إلى أوروبا الجنوبية. وذلك ما ذكره البيروني والوزير الغساني والبكري وابن البيطار وغيرهم، ابتداء من القرن العاشر الميلادي. وربما تكون زراعة الزعفران بالمغرب قد بدأت في هذه الفترة.

تقتصر زراعة الزعفران حالياً بالمغرب على ناحية سكتانة بمنطقة تاليوين حيث تصادف ظروف مناخية ملائمة توفرها الهضاب المرتفعة الموجودة ما بين الأطلس الكبير والأطلس الصغير بناحية جبل سيرة. فالمنطقة شبه سهبية والبيومناخ شبه جاف لكنه يتميز بالبرودة المفرطة في فصل الشتاء كما هو الشأن بالنسبة لموطنه الأصلي كاشمير.

المنديبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء  
الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 515848.

**زعواط، محمد سالم مقاوم من مواليد مدينة**  
طرفاية، ولد سنة 1981، وانخرط في صفوف جيش التحرير  
منذ سنة 1957 ضمن المقاطعة الثامنة تحت قيادة ناضل  
الهاشمي وابا الشيخ ابا علي.

وقد ظل وفياً لمبادئه الوطنية حيث انتقل من طانطان  
إلى مخيم الوحدة بالعيون لتأكيد الوحدة الترابية للمغرب  
في الاستفتاء التأكيدى وهناك وافاه أجله المحتوم يوم 21  
شوال عام 1416/11 مارس 1996.

المنديبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء،  
الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 500522.

**زعير،** مجموعة قبلية كبرى مستقرة جنوب الرباط،  
يلف الغموض جوانب كثيرة من مكوناتها ولا توجد مؤلفات  
- في حدود علمنا - كتبت عن هذه القبيلة في تطورها  
التاريخي، باستثناء شرف السيق الذي ناله أحد قضاة زعير  
بتأليفه كتاب : قبيلة زعير قديماً حديثاً . بيد أن قصور  
أهداف الرجل وأدواته، جعله يقتصر على جمع الروايات  
جمعاً ونقل الأخبار المتفرقة نقلاً، فنال بذلك حسنة المجتهد  
على أية حال. ولذلك بقي على الباحث المحقق أن يلتقط  
الإشارات والأخبار من حوليات التاريخ المغربي وهي نادرة  
في حالة زعير. ومن مؤلفات الأجانب وهي قليلة وتحتاج  
إلى سلاح المؤرخ لفرز الغث من السمين. ومع ذلك كله :  
تبقى هذه الكتابات قاصرة عن إعطائنا الصورة التي نريد.  
فلا مندوحة - إذن - من اللجوء إلى تقنيات عديدة توفرها  
علوم مساعدة كالانثروبولوجيا والطبونيما واللغويات،  
بالإضافة إلى الثقافة الشعبية بأساطيرها وأحاجبها : ثم



زعير

ويفضل المرودية العالية لزراعة الزعفران اشتهرت  
تاليوين. فحتى القائد الغلاوي الذي كانت سيطرته تمتد إلى  
هذه المنطقة كان يفرض على مزارعي الزعفران أن يؤدوا له  
قديراً من محصولهم، مما جعله يجمع ثروة هائلة بفضل هذا  
المنتوج.

يستعمل الزعفران الحر حالياً كتابل وكماة تلوين  
الأغذية في كثير من الأطباق المغربية الشهيرة وخاصة في  
الحفلات الكبرى. كما يدخل في تحضيرات تخصص التطبيق  
التقليدي، وفي تلوين بعض الأدوية.  
العصفر :

هو نبات يقال إن موطنه الأصلي هو الهند، ومنها انتشر  
في جل البلدان الحارة، وذلك نظراً لأهميته في الصباغة  
وتلوين الأغذية. من الممكن كذلك استخلاص زيت من  
بذوره.

وتجدر الإشارة إلى أن العصفر يشمل ضربين، أحدهما  
ذو أزهار حمراء أو برتقالية تعطي لونا أحمر، والآخر ذو  
أزهار صفراء تعطي لونا أصفر. من الممكن مصادفة زراعة  
العصفر في جميع المناطق المغربية غير الباردة.

أما من ناحية الإنتاجية فإن العصفر يعطي كمية تفوق  
بكثير تلك التي ينتجها الزعفران الحر. لكن هذا الإنتاج  
أقل قيمة من النوع الأول.

أبحاث شخصية : ألبرت هيل، 1962، تر. عبد المجيد زاهر  
وآخرون، الثبات الاقتصادي، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر،  
القاهرة - نيويورك.

J. Bellakhdar, La pharmacopée marocaine  
traditionnelle, Paris, 1997, 764 p.  
عبد الملك بنعبيد

**زككو، عبد الرحمان بن عبد السلام، مقاوم ولد سنة**  
1915/1333 بغفساي إقليم فاس، انضم إلى صفوف جيش  
التحرير المغربي بالمنطقة الشمالية غداة تأسيسه تحت قيادة  
محمد ولد علي المكناسي. وقد خاض إلى جانب رفاقه في  
النضال عدة معارك ضد المستعمر الغاشم وقواته، فكان  
مثالا للرجل المجاهد، وأصل نضاله ضمن صفوف جيش  
التحرير بكل شجاعة وروح نضالية صادقة إلى أن استشهد  
في معركة اللبانية سنة 1956/1375.

المنديبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء،  
الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 507116.

**الزعماري، محمد مقاوم، من مواليد سنة 1929 انخرط**  
في جيش التحرير، وكان من المسؤولين آنذاك بمنطقة  
الحاجب، شارك في الكفاح المسلح ضد المستعمر الأجنبي  
وحضر عدة معارك برهن خلالها عن شجاعته ونكران الذات  
والتضحية في سبيل الوطن.

توفي يوم الأربعاء 27 صفر 1416/26 يوليوز 1995.

إلى كتب المناقب. هذا لمعرفة ماضي القبيلة. أما معرفة تطورها في التاريخ المعاصر، فلا بد من الاعتماد - زيادة على ما سبق - على المستندات الرسمية بما فيها الوثيقة المخزنية والتقارير العسكرية ومراسلات القناصل الأجانب.

تُكوّن زعير مجموعة قبلية كبرى مجاورة لمدينتي الرباط وسلا، تتصل من الغرب والجنوب الغربي بقبائل الشاوية وقبائل تادلا مثل ورديفة ويني خيران والسماعلة. ومن الشمال والشمال الشرقي بقبائل السهول وزمور ومن الجنوب الشرقي بزبان.

وهناك غموض فيما يتعلق بأصل كلمة زعير وبلاشتقاق اللغوي بهذا الاسم، فالشائع في النطق عند العموم هو زعير، بتسكين الأول وفتح الثاني، أو زعير بفتح الأول والثاني كما تنطق الكلمة وتكتب في اللغة الفرنسية. بيد أننا إذا ما اطلعنا على روايات الإخباريين، وخاصة على كنانيش كتاب المخزن خلال القرن التاسع عشر، نجد اسم زعير يكتب وينطق هكذا : زعير أي برفع الأول وفتح الثاني.

وفيما يتعلق باشتقاق هذا الاسم فهناك روايتان شائعتان : ترجع الأول للقرن العاشر (16 م) تدعي أن الاسم مركب من لفظتين هما : زع و ري، وتقول الرواية إن اللفظين، كان يستعملهما جد القبيلة لجزر الجمل والحصان على التوالي أثناء عملية الحرث. وعلينا أن نلاحظ هنا أن التسمية نجد سندها في نشاط بشري يتعلق بالزراعة.

أما الرواية الثانية وهي متأخرة عن الأولى، فترجع الاسم إلى صفة الزعورة من لون البشرة. وتقول : إن هناك بعض القبائل الزعرية التي تنتشر فيها هذه الصفة.

وإذا كنا لا نطمئن لهذه الرواية المتأخرة فإننا نستبعد كذلك الرواية الأولى لأنه من السهل تطبيق الروايتين معاً على مجموعات بشرية عديدة زيادة على تأخر الروايتين عن ظهور المجموعة.

إن بعض التحريات الميدانية، والاشتقاقات اللسانية، جعلتنا نميل ونستأنس ببعض اكتشافات الرواية الشفوية التي تدلنا على أن اسم زعير قد يكون اسماً لفعل حركة. ونسوق في هذا الموضوع ثلاث حكايات تصب في مجرى واحد.

ملخص الأول : أن مجموعة قبلية كبيرة، افرقت أثناء سيرها، فقرر قسم منها التحرك بعيداً، ولما افتقده القسم الأول وأراد أن يرده وجده ابتعد قبيل : "زعرور" أو "تزعراو" أي ابتعدوا وسميت المجموعة لذلك زعير.

وتقول الثانية إن كلمة زعير اسم يطلق كذلك على نوع من الجراد. فالجراد عندما يضيع ببضه ويخف من حمله وتحلّق أسراه في السماء ذاهبة بعيداً، يسمى حينذاك "زعير" بلغة أعراب الصحراء !

أما الثانية : فنأخذها عن بعض اللهجات المنتشرة في بعض الفرق الزعرية ذات الأصول العربية. فبقبيلة سفيان

الشرقية، نجد أهالي فخذة عوف قرب عين الدفالي، يقولون للذي ابتعد في سكنائه عن المجموعة لماذا "تزعيرت". ومن هذه الروايات أو نستفيد بأن اسم زعير يدل على السير والحركة.

وبالفعل عرفت المجموعة التي تنتمي إليها زعير حركة واسعة قادتها خلال قرون إلى مواطنها الحالية. لكن هل نطلق كلمة زعير على مجموعة بشرية معينة. نعرف تحركها في الزمان وعبر المكان ؟ أو على كل تائه تحرك أو حرك من مكان لآخر ؟ وفي هذه الحالة لا تختص زعير بهذا الفعل أو الصفة. نقول هذا مع ملاحظة أن أحد الملاحظين الأجانب، قال : سنة 1910، اعتماداً على الرواية الشفوية - بدون شك - إن كلمة زعير قد تعني التائه.

إذن هل يمكن الاطمئنان إلى أن اسم زعير أطلق على المجموعة الأصلية وصفاً لحركتها. أو لقلتها وتفرقتها حسبما يفيد الأصل اللغوي. ويبقى السؤال مع ذلك مطروحاً متى ألحق الاسم بالمسمى أو الصفة بالموصوف ؟

هل منذ انطلاق المجموعة القبلية المعقلية من شبه الجزيرة العربية، على فرض أن زعير هلالية معقلية. أم أن الاسم أطلق منذ انطلاق فرق زعير من فيافي الصحراء المغربية نحو المراعي الخضراء في الجبال الأطلسية والسهول الساحلية بعد ذلك حسبما تفيدنا الأسطورة الهلالية ؟

إن الذي أوحى لنا بهذه الأسئلة هو ما أشارت إليه بعض المعاجم من وجود قبائل الوغيرات بالاردن، والزعير بالعراق. وما نعرفه عن هجرة للهاليين والمعقلين في رحلتهم الطويلة عبر الزمان والمكان، من الجزيرة العربية إلى المغرب الأقصى وشمال إفريقيا. ثم ما يستفاد من الصويونيمياء ومن الانثروبولوجيا، حيث توجد آثار بني معقل في محاميد الغزلان ومازالت فرق عربية في وادي درعة تشبه اختها بزعير اليوم من حيث الفلكور. زد على ذلك أسماء أماكن وأودية وقصور تحمل اسم زعير.

يلاحظ وجود بعض الروايات التي تنسب قبائل زعير إلى الأصل الأمازيغي. ويبدو أن منطلق هذه الروايات، ما رواه ابن خلدون من أن زعير تنتمي إلى لواتة من البرابر البتر، الذين ينتمون إلى مادغيس الأبتير. وحسب هذه الرواية، فإن فرق لواتة كانت منتشرة في شمال مصر وبلاد برقة بليبيا. وعلى هذا الأساس فأصول زعير تشبه أصول زناتة التي اختلطت بالقبائل العربية بعد أن تنقلت أو نقلت عبر المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى.

وعلى كل حال فقد نسب عبد العظيم الزموري زعير إلى الأصل البربري كذلك. وكتب دوفوكو De Foucault سنة 1883 يقول : "إن زعير يكونون قبيلة قوية ومستقلة من أصل أمازيغي وتتكلم الأمازيغية".

وإذا كذب مسافر أوربي آخر هو كدانفلدت Quadenfeldt الألماني رواية دوفوكو تكديماً. وأكد أنه تحدث مباشرة إلى رجال من زعير، مرات عديدة، وثبت لديه

أن لغة القوم عربية صميمة. فإننا نستبعد - بدورنا - انطباق رواية ابن خلدون على قبائل زعير الحالية.

والواقع أننا إذا ما حاولنا تتبع أصول زعير، فسنجد أن أصولها العربية ثابتة وأنها ترجع إلى خليط من القبائل الهلالية والمعلقية.

ومع ذلك فلا ينبغي أن ننسى أن الأرض التي انتهت إليها قبائل زعير كانت تسكن من طرف القبائل البرغواطية. وأن تحرك القبائل كان متحركاً عاماً شاملاً لفرق عربية وأخرى أمازيغية، وأن اختلاط الأصول أمر لا شك فيه : انطلاقاً من التحولات الجغرافية والتطورات السياسية.

إن فرقة أولاد كثير الزعيرة - مثلاً - ترجع أصولها إلى الأثيخ من بني هلال. ثم إن استقرار زعير جاء لاحقاً لمرور القبائل الهلالية التي سبق أن انتشرت في تاسنا وتادلا منذ العهد الموحد.

والأكيد أن الدلائل اللغوية والانثروبولوجية، تثبت أن قبائل زعير تنتمي للأصول المعلقية. وأن مواطنها التي انتهت إليها في الصحراء كانت قرب أو في محاميد الغزلان أي في واحات درعة. حيث لاتزال إلى اليوم آثار مادية وعناصر بشرية معلقية تثبت مرور زعير عبر تلك الجهات. ومن الصحراء انتقلت الفرق الزعيرة نحو الشمال بحثاً عن المراعي الخضراء، مدفوعة بالتغيرات المناخية والتبدلات السياسية والتغيرات الاجتماعية المرتبطة بالأوبئة والمجاعات.

لا نعرف الطريق التي اتبعتها الفرق الزعيرة حتى وصلت إلى مواطنها اليوم، ولكن يبدو أن تلك الطريق كانت طويلة وأن سلوكها استغرق قرناً عديدة.

تدل بعض الإشارات التاريخية على أن زعير كانوا بأعالي وادي ملوية وأنهم كانوا خلال القرن العاشر (16 م) بالأطلس المتوسط قرب هضبة ادخسان. وفي أواخر هذا القرن استقروا بمنطقة تاستاوت حيث يوجد اليوم ضريح ولي القبيلة وعالمها سيدي محمد بن المبارك الزعيري، الذي توفي ودفن بأرض القبيلة سنة 1597 والذي تنسب إليه الزاوية الزعيرة.

ولقد أكد الضعيف الرباطي في تاريخه على أن زعير إخوان العرب الصباح، مثلهم في ذلك مثل السهول والدغمة. وأطلق على تلك القبائل في موطنها الحالي عرب الويدان (إشارة إلى انتشارها في أودية : الشراط وإيكم، وكريفلة، وكرو وأبي رقراق).

ومهما يكن من أمر، فإن استقرار زعير في مواطنها الحالية، لم يتم إلا خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18، 19 م). وقد شاهد القرن الأخير تحركات وتنقلات القبيلة ولم تستقر القبائل في مواضعها اليوم إلا مع بداية القرن العشرين. ولاشك أن تدافع القبائل لا يرجع للعوامل الطبيعية والبشرية، بل يساهم الحكام في تلك التدافعات والتنقلات القبيلة.

لقد أشار الحسن الوزان إلى أن زعير كانوا من أتباع الملك عندما أشار لوجودهم بأدخسان خلال بداية القرن العاشر (16 م). وهناك روايات تاريخية تحدثت عن إنشاء مولاي إسماعيل لفرقة من عبيد زعير. وهذه الفرقة هي التي وضعها محمد بن عبد الله في قصة المنصورية.

ويعد وفاة سيدي محمد بن عبد الله، بدأ اسم زعير يتردد في الروايات التاريخية، نتيجة لحضور القبيلة في الأحداث السياسية. فقد أيد طرف منها أو كلها مولاي مسلمة بن محمد ضد إخوته. وتزعم القائد محمد الزعري بيعة مولاي مسلمة وزحف نحو الرباط ضد أتباع مولاي سليمان. لكن القائد الزعري هزم قرب مدينة الرباط. ثم ما لبثت زعير أن أيدت مولاي سليمان وعلى عكس بعض الروايات، فإن علاقة مولاي سليمان بالقبيلة كانت علاقة ودية وتأييد متبادل.

فبعد مخالفة زعير وعرب الويدان عامة، عن قائد مولاي سليمان محمد بن العامري، ورغبتها في ولاية أحد أبنائها نجد السلطان يقبل اقتراح الوفد الزعري الذي زار السلطان بمكناس يتعين الطالب العربي بن عبد الله بن بلال النجدي المزرمي الزعري قائداً على كل عرب الويدان وباشا على مدينة سلا سنة 1229 / 1814. ثم ولأه باشوية الرباط التي عزل عنها الباشا عبد الرحمان عشعاش سنة 1230 (الموافق 1815). ومنذ هذا التاريخ أصبحت زعير خاصة وعرب الويدان عامة، من القبائل الخليفة للسلطان والمؤيدة له باستمرار ؛ حتى أن السلطان لم يكن يفرط في حركات هذه القبائل عند كل تحرك سلطاني إلى جنوب البلاد أو إلى صحرائها.

وفي عهد مولاي عبد الرحمان، بدأت إدارة زعير تتوزع وعلاقتها بالمخزن تتوطد. فقد قسمت زعير إلى قسمين في ديوان الجباية هما :

(1) الكفيان

(2) المزارعة

يقع قسم المزارعة في شرق القبيلة، ويقع القسم الثاني إلى الغرب والجنوب الغربي.

ويظهر أن تسمية القسمين عائدة إلى الموقع : فالكفيان ينتشرون إلى غرب القسم الأول أي إلى قضاء (هذا احتمال).

أما قسم المزارعة فيقع فوق هضاب خصبة، كانت تربتها ومازالت موضع زراعة مزدهرة. ولهذا سمي القسم تبعاً لنشاط سكانه الزراعي. في حين يغلب على قسم الكفيان النشاط الرعوي.

وعلى كل حال فقسم الكفيان، يضم القبائل الآتية :

(1) بني عبيد جملة، وفرقيهم : أحرار - الرمامحة، أولاد الطيب وينتشرون حول سيدي يحيى زعير، وفدان النموس والمنزه.

(2) السلامنة، (حول عين فوزار)

- (3) أولاد زيد، (سيدي عبد الرحمان)  
 (4) أولاد دحو، (صبارة)  
 (5) الخليليف، (واد تمسين، دار قاسم)  
 (6) الرواشد، (سيدي حشلاف، اعويد الماء)  
 (7) المخاليف، تضم (الفرق الآتية، الغوالم، أولاد  
 عمران، آيت العروسي)

وينتشرون حول (المرس البيض، سهب الاريح)  
 (أسواقهم اليوم حد الغوالم، خميس الزحليلغة).

أما قسم المزارعة فيضم القبائل الآتية :

- (1) النجدة، (مركزها التاريخي گلثة القبيلة)  
 (2) أولاد علي، (عين السبيت)  
 (3) الكصيصات، (عيون السلطان أو عيون ماسي)  
 (4) البراشوة، (حد البراشوة، الدار البيضاء)  
 (5) أولاد كثير، (زبيدة)  
 (6) أولاد خليفة، (زبيدة)

في بداية القرن العشرين، كانت قبائل زعير تتكون من  
 حوال 6300 خيمة. وهذا هو التقدير الذي حرر سنة 1910  
 (Cicard, L'otganisation des Zaers).

وحددت تقديرات أخرى لاحقة عدد خيام زعير بـ 8087  
 خيمة وعدد السكان بـ 40.500 نسمة.

والملاحظ أن التجزئ الإداري وصل في زعير إلى مده  
 في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان وخاصة في  
 عهد ابنه مولاي الحسن (1873 - 1894). وتفيدنا المستندات  
 المخزنية أن كل قبيلة كانت خاضعة لقائد، وأحياناً كان لكل  
 فرقة قائد وخاصة في عهد مولاي عبد العزيز الأول أي أيام  
 صدارة أحمد بن موسى البخاري (أباً حماد).

وهكذا كانت إدارة زعير في سنة 1310 الموافق 1892 .  
 1893، تتوزع إلى ما يقرب من (25) خمس وعشرين قيادة.  
 والملاحظ أن هذا التجزي ظل سائداً إلى عهد الحماية حيث  
 ركز الفرنسيون السلطة في أيدي أسر معينة تعاملت مع  
 المحتلين وخدمت أهدافهم. وقبل أن نتطرق لعلاقة زعير مع  
 الاحتلال الفرنسي، ارتأينا أن نعرض بعض سمات طبيعة  
 علاقة القبيلة مع السلطة المركزية.

لقد أوجت بعض الحوادث التي أفرزتها علاقة قبائل  
 زعير مع المخزن ومع جيرانها من قبائل ومدن، مثل الشاوية  
 وأعراب الرباط، وزمور، ومدنتي الرباط وسلا ؛ خلال  
 القرن التاسع عشر ؛ أوجت لبعض الملاحظين الأجانب  
 بإطلاقي نعوت وأوصاف على زعير، أحياناً تكون صحيحة  
 وفي كثير من الأحيان لا أساس لها من الحقيقة.

فقد وضعت القبيلة "بالعصيان" و"بالشغب" و"النهب"  
 و"التوحش". ورتبت في خانة القبائل "المستقلة" عن المخزن  
 أو قبائل "السبية".

بيد أن التأمل في وثائق المخزن، قد مكنتنا من ملاحظة  
 أن كل تلك النعوت، لم تكن إلا أوصافاً نسبية. ولذلك فإن  
 تعميمها على القبيلة فيه تجنُّ على الحقيقة التاريخية.

إنها أوصاف وأحكام قد تصدق على فترة زمنية محدودة  
 ومكان معلوم. وقد تهم فرقة صغيرة أو دواراً مكوناً من  
 بعض الخيام في ظروف خاصة بالمجموعة البشرية المعنية.  
 وهكذا فلا دوام في الزمان ولا عموم في المكان  
 للأوصاف التي نصادفها في الكتابات الأجنبية حول زعير.  
 والمجدير بالإشارة هو أن ملاحظات الأجانب على أحوال  
 القبيلة خلال القرن التاسع عشر كثيراً ما اعتقدت على  
 روايات وأخبار مختلفة تناقلتها ألسن الدبلوماسيين أو  
 برقياتهم الدورية.

والواقع، أن علاقة زعير بالمخزن لم تشذ في عمومها  
 عن علاقة المجموعات البشرية المجاورة بها. وحتى إذا ما  
 بحثنا في صميم الخطاب المخزني الموجه لزعير أو في  
 المكاتب الإخبارية الرسمية ؛ فلن نعثر إلا على كلمتين  
 تستحقان الانتباه هما : "الصلاح" و"الفساد". وإذا حللنا  
 طبيعة محتوى الكلمتين والمقصود منهما، فسنجدهما  
 مرادفتين، على التوالي، لطاعة أوامر المخزن في أداء  
 الواجبات الجبائية أو عصيان تلك الأوامر.

إن مشكل علاقة زعير بالمخزن كان على العموم مشكل  
 جباية وأمن. وحول مسألة الجباية والأمن يتمحور خطاب  
 الصلاح والفساد. فيكون الصلاح والفساد - نتيجة لذلك -  
 مسألة نسبية. فإذا دفعت القبيلة الواجب من زكاة وأعشار  
 فهي سالحة. وإذا لم تدفع توصف بالفساد. وقد يكون  
 نصف القبيلة صالحاً، لأنه دفع الواجب. والنصف الآخر  
 فاسداً لأنه تماطل في الدفع ؛ (دون البحث في علة التماطل  
 وبسبب التهرب).

وهكذا فلا أثر لدلائل على فساد عام أو عصيان دائم  
 فأحرى أن نقبل وصف "الاستقلال" و"السبية".

وعلى الرغم من ثقل الجباية، وما ينتج عنها من تهرب  
 في الأداء، وطلب الإمهال، وأحياناً الفرار ؛ فإن زعير ظلت  
 خاضعة للمخزن. وتكفي الإشارة إلى أن بلاد زعير بالرغم  
 من وعورتها ظلت طيلة عهد مولاي الحسن معبراً لتنقلات  
 السلطان بين جنوب البلاد وشمالها كما كان الحال في عهد  
 مولاي سليمان ومن جاء بعده. وقد أفرز هذا الحضور  
 المكثف للسلطان مصطلحات عديدة في مجال الطبونيميا ؛  
 فهناك أماكن معروفة منسوبة للسلطان أو جيشه ؛ عيون  
 السلطان، عرگوب السلطان، عرگوب المحلة... وهناك  
 محطات معروفة كانت عبارة عن منازل لتخميم محلة  
 السلطان عبر ممرين يخترق أحدهما وسط زعير، عبر گلثة  
 القبيلة وسط قبيلة النجدة. ويمر الآخر بشمال غرب زعير  
 انطلاقاً من الرباط.

والملاحظ أن منطقة زعير التي تحتل موقعاً متوسطاً،  
 يتحكم في الطرق الرابطة بين جنوب البلاد وشمالها، جعلت  
 المخزن يوليها اهتماماً خاصاً للمحافظة على أمن القوافل  
 والسيارة. ذلك أن قرب زعير للطريق الساحلي، وتوفر  
 الجبال والأودية والغابات، كان يدفع بعض الناس إلى قطع

الطرق وارتكاب أعمال النهب ضد القوافل، وقد ازداد الاهتمام بحفظ الأمن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، عندما تضررت البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع المغربي بفعل عوامل كثيرة أهمها وأبرزها عامل التدخل الأوربي بعناصره المتعددة.

يمكننا القول : إن طبيعة بلاد زعير وغط العيش السائد الذي كان يتميز بعدم الاستقرار، وإبلان الرحلتين ؛ رحلة الشتاء والصيف، والسكنى تحت الخيمة وهي مسكن من السهل طيه بسرعة والانتقالات من المتابعة. إن كل ذلك إذا أضفنا له سيادة اقتصاد القلة والكفاف لم يفرز سلطة ثابتة الأركان بزعير. فلا تتوفر زعير - إذا قورنت بقبائل الشاوية المجاورة مثلاً - على قصبات تحمي القيادة وتجعلهم يراكمون أسباب القوة ويستجيبون الاستبداد.

لقد كان القائد الزعيري في كثير من الأحيان لا يتعدى رتبة شيخ في قبيلته. فلا يستطيع إخضاعها إذا تمرت عليه بكاملها. ولذلك يظهر أن القائد بزعير كان يحافظ على التوازنات داخل الفرق الأمر الذي كان يجعله - أحياناً - يتأخر عن تنفيذ أوامر السلطان، ويتلطف حتى يستوفي واجبات المخزن.

وبالجمل، فإذا وضعنا في الاعتبار هذه العناصر : طبيعة جبلية قد تخيف وقد توفر الملجأ والحماية. وغط في العيش يدفع إلى التضامن والاتحاد داخل الفرقة ؛ ويحتم ظهور جماعة قوية بأفرادها المكونين تكويناً حربياً للطوارئ، وغلبة المعتقدات الدينية المشوية بانتشار الأمية، وسيادة اقتصاد الكفاف واتساع هامش الفقر مع نهاية القرن الثالث عشر (19 م) ؛ إذا جمعنا كل هذه العناصر، سهل علينا أن نتقبل ظهور حوادث قطع الطرق، ونهب قوافل التجار، وبالتالي بروز هاجس الأمن في أحواز الرباط. ذلك الهاجس الذي جعل زعير صعبة الاختراق على الأوربيين.

لقد حاول بعض الكتاب إذن أن يجعلوا من حوادث متفرقة، وقع أغلبها ليس في أرض زعير، بل في أحواز الرباط حيث توجد قبائل أعراب الرباط والأودية وبعض فرق زعير، أن يجعلوا من تلك الحوادث دلائل لوصف زعير كلها بالتعصب والنهب والعصيان. بل تجدهم يتهمون سكان الرباط وسلا بالتعصب والمحافظ، ويرجعون السبب إلى حضور قبائل زعير وزمور المجاورين. والغريب أن هذه الأوصاف كثرت لما بدأت قبائل زعير تتحفز للجهاد في إطار ردود فعل المجتمع المغربي بأكمله ضد مظاهر التدخل العسكري الفرنسي، بعد إعلان ميثاق الجزيرة سنة 1906.

ولقد أصبحت قبائل زعير مواجهة للمحتلين الفرنسيين بعد احتلال الشاوية 1908. وانتشرت فيها الدعوات للجهاد. وازداد حماس الناس للجهاد بعد إعلان بيعة مولاي عبد الحفيظ في 16 غشت 1907 بمراكش. ولذلك أبدت زعير جانب السلطان الشاوي.

كانت مساهمة زعير في جهاد الشاوية محدودة لكن

أرضها مثلت مجالاً حيوياً لمجاهدي الشاوية الذين كانوا يتزودون من زعير بحاجياتهم وينظمون فيها أنفسهم. ومنذ 1910 بدأ الاصطدام الفعلي بين القوات الفرنسية وقبائل زعير. فلما حاول بعض الضباط الفرنسيين بمركز ابن سليمان التدخل في جيرانهم زعير لإلقاء القبض على بعض الزعيريين ووجهوا بمقاومة مسلحة حيث قتل قائد السرية التي توغلت في زعير إلى أن وصلت عين فوزار يوم 18 فبراير 1910.

وقد حاول الجنرال مواني Moinier انتهاز فرصة الحادث ليتدخل في زعير وينفذ أول عملية عسكرية كبيرة. وهكذا دخل إلى أرض القبيلة على رأس قوة عسكرية قوامها 1000 رجل. وعسكر في المكان الذي قتل فيه الضابط الفرنسي. ثم توغل داخل القبيلة ليتعرف على المسالك ويمهد بعض الطرق. ولما وصل إلى قرب وادي كريفلة تعرض لهجوم شديد اضطره للعودة إلى معسكر فوزار. وفي 8 مارس 1910 هوجم المعسكر الفرنسي من جديد فاضطر قائد جيش الاحتلال. إلى الخروج من زعير وبذلك فشلت المحاولة الفرنسية الأولى في الدخول لزعير والتمركز في بعض قبائلها.

وبعد مرور حوالي سنة أقدم ضابط فرنسي آخر كان مكلفاً بالاستخبار على الدخول إلى زعير ليربط اتصالات مع بعض الأعيان ويتم عمل المخبرين. توجه القبطان ناسني بصحبة ضابطي صف نحو قرية مغشوش حسب الرواية الفرنسية للقاء المرابط عبد القادر المبارك. لكن السرية الفرنسية تعرضت لهجوم خاطف بقبيلة أولاد دحو يوم 14 يناير 1911. وأسفر الهجوم عن مقتل وجرح معظم أفراد القوة الفرنسية، واستولى الزعيريون على كل أسلحتها وخيولها ولم ينج قائدها من القتل إلا باللجوء عند أحد الأعيان.

وإثر هذا الحادث أقام الحزب الاستعماري ضجة إعلامية حول ما سماه بـ "اعتداء زعير" وجعل من حادث 14 يناير قضية هامة في العلاقات الدولية ؛ بين المغرب وفرنسا وألمانيا. فقد طلب قائد جيش الاحتلال بالشاوية في 17 يناير بالسماح له بالتدخل في زعير، وإرسال إمدادات عسكرية جديدة إلى المغرب. ثم ذهب إلى بايز لإقناع المسؤولين بمشروعه. والواقع أن الحكومة الفرنسية ترددت في البداية، لأنها كانت لا تزال تتفاوض مع السلطان الذي كان يأمل في أن تحترم الحكومة الفرنسية تعهداتها له.

ومع تولي جان كروبي J. Cruppi وزارة الخارجية زال تردد الحكومة، فتقرر إرسال إمدادات عسكرية للشاوية بدل سحب القوات المحتلة. وقد أبدى المغرب معارضته بهذه الإجراءات التي عارضتها بها الحكومة الألمانية وبدأت تستعد لردود الفعل.

أما في الجانب الشعبي فالملاحظ أن زعماء الجهاد بزعير كانوا على جانب كبير من الوعي بخطورة الموقف

ويقوة الفرنسيين. ومع ذلك فقد صمموا على المقاومة ومواجهة الغزاة مهما كان الثمن. وقد نشطت الاتصالات بين القبائل، وأرسلت وفود إلى القبائل المجاورة لزعيير، خاصة زيان وزمور وتادلة تدعوها إلى الجهاد ضد المحتلين. وقد أثمرت هذه الاتصالات، انعقاد جمع عام قرب قرية الرمانى في يومي 30-31 يناير 1911، أي بعد الحادث بسنة عشر يوماً. وفي ذلك الجمع تبادل الحاضرون السلام علامة على التحالف وتقرر أن توزع القيادة لمواجهة الاحتلال كما يلي :

\* القائد حمو الشليخ بترأس مجاهدي المزارعة وزمور.

\* علي بن حمو بترأس مجاهدي الكفيان وبني خيران وزيان وتادلة.

كما تقرر تخريب الطرق التي مهدها الفرنسيون لجلب المدفعية داخل زعيير وإلقاء القبض على الأعيان والقواد الذين يتصلون بالعدو وقتلهم. وأرسلت الوفود لتنفيذ هذا الأمر مباشرة. فألقي القبض على قائد أولاد كثير، لكنه سرح ريثما يقع القبض الجماعي على أمثاله. وتدلنا التقارير العسكرية الفرنسية على أن زعيير أبدوا معارضة قوية للتدخل الفرنسي في بلادهم. وأن الاتصالات قطعت وصودرت أموال الذين اتهموا بالتعامل مع المحتلين ولم ينج من العقاب إلا من استطاع الهروب إلى الشاوية. وصدرت الأوامر للقبائل المجاورة لزعيير بالاستعداد للدفاع عن نفسها.

وأمام مظاهر التحدي وإعلان الجهاد تدخلت الحكومة الفرنسية لدى السلطان وطلبت منه معاقبة زعيير ومنعهم من التسوق في أسواق الرباط والدار البيضاء.

أما السلطان مولاي عبد الحفيظ فقد حورب بهذه القضية وهو في وضع لا يحسد عليه. لقد كان يعيش أزمة مالية حادة ويرغب في تنظيم جيش قادر على بسط سيطرة المخزن. لكن الفرنسيين كانوا يخططون لإضعافه فافتعلوا قضية زعيير بهدف المزيد من الاحتلال.

والواقع أن السلطان قد استاء من الحادث ورأى فيه تصعيداً من جانب المحتلين لا يبرر له إلا الضغط عليه. كما رأى في إثارة ضجة حول ما وقع، برهاناً على سوء نية الحكومة الفرنسية ومخالفة أفعالها لأقوالها وتعهداتها. وهكذا اتهم السلطان العسكريين الفرنسيين بالتهور وحملهم مسؤولية الحادث. وطلب من الحكومة الفرنسية إصدار تعليماتها لضباط الاحتلال لكي لا يتسببوا في حوادث جديدة.

وأكد أن أي تحرك ضد زعيير معناه فتح لياق الفتق بالمغرب "مع أنه لولا مجاوزة أولئك العساكر حدودهم - يقول السلطان - لما وجد من يرومهم بسوء ولكنهم لما بدأوا بالعداء جنوا على أنفسهم عاقبته".

ويبدو أن موقف زعيير الراض للاحتلال وموقف السلطان الذي ندد بالعسكريين وحملهم المسؤولية، يبدو أن

ذلك دفع الأوساط الاستعمارية إلى تصعيد الأحداث داخل المغرب. وهكذا تولد عن مشروع معاقبة زعيير مشروع أخطر منه هو : تنظيم حملة عسكرية كبيرة لاحتلال فاس وإسكات السلطان ثم وضع زعيير وزمور بين كما شتى الاحتلال في الشرق والغرب.

وبالفعل نظم الفرنسيون حملتهم حيث احتلوا فاس في ماي 1911، وبعد احتلال العاصمة توجهت الجيوش الفرنسية من الشرق ومن الغرب نحو زعيير في صيف 1911. وبذلك بدأت معارك المقاومة في هذه القبيلة التي أخضعت للاحتلال بالقوة سنة 1912.

وثائق خ.ح. : كناش رحلات السلطان مولاي الحسن : ابن أبي محلي، الإصليبت، مخ : الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تر. محمد حجي، الأخضر غزال، ج. 1 : م. الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة، تج. العماري 1986 : أ. الناصري، الاستقصاء، 9 أجزاء : محمد بن عمر ابن سودة، قبيلة زعيير قديماً وحديثاً، جزء 1 : غلال الحديمي، مقاومة قبائل زعيير للتدخل الفرنسي، 1906-1912. ضمن ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار، 1904-1956 : نشر المنذوية السامية للمقاومة، 1991 : قبائل زعيير والمخزن خلال القرن التاسع عشر، ضمن البادية المغربية عبر التاريخ، تنسيق إبراهيم بوطالب، نشر كلية الآداب بالرباط، ندوات ومناظرات، رقم 77 : أزمة أكادير، 1911، والعلاقات الألمانية الفرنسية المغربية، ضمن أعمال ندوة أكادير الكبرى، المحور التاريخي، نشر كلية الآداب أكادير، 1990، ص. 123-153.

Archives de guerre Vincennes, Paris, 1910 - 1911 ; Arch. des Aff. étrangères, Paris : Quedenfeldt, *Division et repartition de la population berbère au Maroc*. Traduit de l'Allemand par H. Simon, Alger, 1904 ; Dr. Mauran, *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1909 ; Cicard, *L'organisation des Zaërs, R.M.M.*, 1910 ; *Document diplomatique français, Aff. du Maroc*, 1910.

غلال الحديمي

**الزعيمي**، أسرة تنتمي إلى الشرفاء الحسينيين، وهي موجودة في شتى أنحاء البلاد، في الرباط وفي مدينة مولاي إدريس زرهون وفي المغرب الشرقي في قبيلة بني خالد حيث تلقب عندهم بالشرفاء. ويقال إن لها وجوداً في مدينة أبي الجعد وفي نواح أخرى وما أورده ابن إبراهيم المراكشي في كتابه الإعلام (الجزء الثاني، ص 280) من كون أولاد زعيم بدكالة فهو يمكن أن يكون صحيحاً غير أن أولاد زعيم قبيل والزعيمين قبيل آخر لا علاقة بينهما إطلاقاً لأن الأخيرين شرفاء معروفون في شتى أنحاء المغرب ولهم شجرة أنسابهم وظهائرهم التي تثبت ذلك.

**الزعيمي**، أحمد بن محمد بن علي لا يعرف له إخوة أو أخوات، ولد بالرباط في العقد الثامن من القرن الثالث عشر (19 م) ربما يكون ميلاده بين سنتي 1270



تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بكوليج مولاي إدريس بفاس ثم دخل كلية الحقوق فحصل على تكوين أدبي واقتصادي و"أصبح رجلاً من صنف استثنائي بسعة ثقافته" كما قال عنه عميد كلية الآداب الأسبق شارل أندري جوليان مما أهله إلى تولي إدارة إحدى المؤسسات الكبرى في العاصمة العلمية وخلافة رئاسة الغرفة التجارية والاقتصادية إلى جانب اهتمامه بالتعليم ورئاسة جمعية قداماء تلاميذ الإدريسية قبل أن يصبح عضواً في الغرفة المغربية لمجلس شورى الحكومة في عهد الحماية.



عرف منذ حدثته بالحكمة والالتزان والتفكير المتأن في القضايا المطروحة حول الشأن العام وبتقانه للغتين العربية والفرنسية تحريراً وخطاباً وله بعض القصص والدراسات. كان عذب الحديث والبيان قوي الحجج والافتناع، حلو المعاشرة. وكان إلى جانب إخلاصه لوطنه وخاصة عنايته بالطلبة وأعدادهم للمستقبل، حر الفكر لا ينتمي إلى حزب أو حركة سياسية بعينها، ولكن لا تستغني إحداهما عن مشورته. من ذلك إسهامه في تحرير وثيقة المطالبة بالاستقلال سنة 1944، وهو ما أشارت إليه الوثيقة وكان من أوائل الموقعين عليها في استهلالها ذاكراً لإسهام بعض الشخصيات الحرة" هو والحمياني ختات وأحمد أبا حنيني، ومحمد العربي العلمي. وكان ممن اختيروا لتقديم الوثيقة إلى الإقامة العامة الفرنسية بالرباط يوم 11 يناير 1944. وقد توجه إلى ممثل فرنسا قائلاً: "إنني أقوم بأنبل عمل في حياتي وهو المطالبة إلى جانب إخواني باستقلال وطني". كان هذا الموقف سبباً في اعتقاله وحبسه مدة سنتين. ظل ثابت الجنان، متشبهاً بالمبادئ الوطنية شأنه شأن الرعيل الأول من أبناء جيله وأصدقائه كأحمد بناني وعبد الكبير بن حفيظ الفاسي. وكان ملكياً وفيماً لجلالة محمد الخامس ومن جملة الذين ناضلوا في سبيل عودته إلى

و1275، تعلم على شيوخ وقته أمثال القاضي محمد بن إبراهيم والعالمين الحاج عمر عاشور وعلي دينية، وكان ذا حظ جيد واشتغل بالعدالة والتوثيق. اختير كاتباً من كتاب النائب السلطاني محمد بركاش، ثم استدعاه المخزن فاتخذته كاتباً من جملة كتبه واستخدمه أيضاً ببعض المراسي المغربية ثم عاد للتوظيف مع المخزن. وأخيراً رجع إلى الرباط فتعاطى خطة الشهادة، وكان من العدول المبرزين أيام القاضي محمد البربري والقاضي علي دينية إلى أن جاء القاضي أحمد بناني فأخذه عن الشهادة، ويقال إن السبب في ذلك كون هذا العدل المبرز كان رجلاً رقيق المشاعر محباً للطرب وللعرف على آلة العود، مما يتبين منه أن سلوك القاضي معه فيه إجحاف وظلم.

توجه أحمد الزعيمي إلى الديار المقدسة للحج والعمرة سنة 1304 / 1887، تولى الخطابة في جامع مولاي سليمان. شهد له معاصروه ومن أتى بعدهم بعلو كعبه في اللغة والأدب والبلاغة والشعر وكان من خواص القاضي المكي البطاوري له معه محاورات أدبية ومساجلات شعرية أثبتت في بعض كتب تراجم الرباطيين. ارتحل إلى فاس واكتسب شهرة في عالم الأدب ظل صداها متردداً بين المنتديات والمجالس، وترك عدة أشعار رقيقة ودبوانا كاملاً في المدح النبوي. وفي أيام قضاء أبي حامد البطاوري رجع إلى خطة الشهادة وبقي فيها إلى أن أسندت إليه خطة القضاء بالدار البيضاء حيث ظل هناك خمس سنوات من 1325 إلى 1329 / 1907. 1911. ولم يكن قضاء الدار البيضاء في ذلك الوقت مستقلاً عن قضاء الرباط بمعنى أن قاضي الدار البيضاء كان يتوب عن قاضي الرباط في هذه المدينة. توفي بالدار البيضاء يوم 20 صفر 1329 / 20 فبراير 1911 إثر إراحته من خطة القضاء بها.

**الزعيمي، محمد بن علي** ورد اسمه سنة 1237 / 1822 ضمن أعيان الرباط الذين قدموا البيعة للسلطان الجديد مولاي عبد الرحمان بن هشام وأمضوها بتوقيعاتهم ولا نعلم شيئاً آخر عن هذه الشخصية سوى ما سجل عن سيدي العربي التهامي الرباطي بأن محمد بن علي الزعيمي ورد من الدار البيضاء وكان يعدل بها. أما موطنه الأول وأسرته فلا علم لنا بهما.

م. دينية، مجالس، ص. 293. 298. م. بوجندار، الاعتباط، 55. 62. ع. الجزائري، من أعلام الفكر، ص. 14. 20. ع. بن إبراهيم، الإعلام، ج. 2، ص. 280.

عبد الإله الفاسي

**الزغاري، محمد بن محمد الفاسي.** شخصية من كبار رجال الدولة المخضرمين الذين قدموا أجل الخدمات لبلادهم في عهد الحماية الفرنسية والعقد الأول من استقلال المغرب. ولد بفاس سنة 1320 / 1902.

كتاباً بخط يده أعرب له فيه عما له من شرف المكانة لديه. وتمتع بنفس المكانة لدى السلطان مولاي زيدان بن إسماعيل الذي جدد له ظهائر التوقير.

**زغبوش، أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن عبد المغيث**، ولد بمكناس ونشأ بها وفيها أقر "فقيه معظّم، وجيه محترم، تقي زكي" (الإتحاف، 1: 298) نشأ في بيت أدب وعلم وتقوى وصلاح، تقلد عدة مناصب هامة أفراداً وجمعا منها خطة العدالة، حظي بمكانة عالية عند المولى إسماعيل فشمسه بعنايته وحمله على كاهل الميرة والاحترام.

**زغبوش، أحمد بن محمد بن حماد بن محمد**، فقيه جليل تقي ورع، حافظ لكتاب الله تعالى كثير التلاوة له، ماهر مع ذلك في معرفة الهياة والتعديل، أصيب بالعمى آخر عمره، فلما جاءته الموت تلا: "فكشفتنا عنك غطاءك فيصرك اليوم حديد"، فارتد إليه بصره (الروض الهمتون، 52).

**زغبوش، سهل بن القاسم بن عبد الله** ولد بوادي آش حيث كان أبوه قاضياً. وصحبه إلى تاورا، عاد بعد وفاة والده إلى الأندلس وأخر سنة 610 وذلك بسبب توالي أسباب الخراب على تاورا وغيرها من حوائر مكناسة، فولي بالأندلس قضاء مدن متعددة منها: رندة وآستجة كما ولي قضاء مدينة طنجة ثم مرسية إلى أن توفي. (الروض الهمتون، 34).

ترك تقييماً منه نقل صاحب الروض الهمتون الكثير من أخبار مكناسة ورجالها.

رقبة بلنقدم

**زغبوش، عبد الله بن محمد بن حماد المكناسي**. قرأ في صغره بمدينة فاس في أواخر عصر المرابطين، ثم تأثر بدعاية الموحدين، ففضل ترك فاس والتحق بهم، وبمراكش انتظم في سلك طلبة الحضرة التي كانت تعتبر أعلى هيئة علمية رسمية، ودرس على بعض شيوخ الطلبة تأليف المهدي بن تومرت كابن الإشبيلي، كما أخذ عن عدد آخر من علماء مراكش.

كان من أهل المعرفة والنباهة، ومن المتحمسين لثراث المهدي بن تومرت، وكانت له عناية بتأليفه، وبمجموع كتاب أعز ما يطلب الذي أملاه الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي.

ويعتبر عبد الله بن زغبوش من القلائل الذين كتبوا عن ابن تومرت، حيث اجتهد في إثبات هدايته، فكتب في ذلك كتاباً "استخرجه بالاستقراء من الكتاب العزيز، كان شيخو طلبة الموحدين يسألون أبداً عن هذا الكتاب ويشنون عليه

عرشه بعد خلعه ونفيه من لدن السلطات الفرنسية فكان من الواجب الاستفادة من مؤهلاته وتجربته وحكته عند حصول المغرب على الاستقلال: عُيّن نائباً للوزير الأول في الحكومة الأولى ثم في عدة مناصب عليا منها إدارة مكتب الفوسفاط ثم بنك المغربي وصك النقود، ثم سفيراً بفرنسا. كما عاد فعين على رأس وزارة الدفاع الوطني والتنمية الاقتصادية ونائباً للوزير الأول مرة أخرى ثم عاد إلى محافظة بنك المغرب.

عرف بالأمانة والإخلاص في العمل الدائب من أجل الشأن العام والوفاء للعرش وللعاهلين محمد الخامس والحسن الثاني اللذين كانا يعتبرانه من الأوفياء المخلص ويكثان له المودة والتقدير.

توفي مساء يوم الثلاثاء ثالث وعشري قعدة عام 1388 / 11 فبراير 1969 بالرباط، ونقل إلى فاس فدفن بالقباب بروضة التازي وكان تشييع جنازته حافلاً وترك أحسن الذكر لدى الخاص العام.

معرفة شخصية: ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 9: 3408.

قاسم الزهيري

**زغبوش، أسرة مكناسية عريقة**، ورد ذكرها ضمن القبائل الأولى التي كانت تسكن موقع مكناس يوم كانت ماتزال حوائر. وقد أُنجبت عدداً من الفقهاء والرؤساء والصلحاء منذ عصر المرابطين والموحدين.

**زغبوش، أحمد الحَضْر بن محمد بن عبد القادر**، مكناسي المولد والنشأة والأقبار، سليل عائلة عريقة مشهود لها بالولاية والصلاح والعلم، فهو حفيد الولي الصالح الشهير بسيدي مغيث (عبد المغيث).

لا يعرف لميلاده ولا لوفاته تاريخ، كما أن المصادر بما في ذلك الوثائق الحبسية وظهائر التوقير والإتحاف لا تتحدث عن مشايخة لكنها تجمع على تحليته بأوصاف عالية مثل: "فقيه عدل ثقة مبرز وقور، صالح... محمود الغريزة والطبع، معدود فيمن يترقب له للمعضلات الدفع، نبيه العقل وجيه في عهد الفضل..." (الإتحاف، 1: 334).

كانت له منزلة عظيمة لدى السلطان مولاي إسماعيل: "منظور إليه من الجلالة السلطانية الإسماعيلية بعين الإكبار، مسبول عليه من لدنها رداء الوقار والفخار..." (حوالة المساجد الصغار، 4: 205)، فمتعه بظهائر توقير تشهد بعلمه وصلاحه وأسرته وعلو مكانتها "اعتناء بقدره الذي سمت به رياسة أسلافه في أعلى المظاهر. ومشت بطرق العلم والعمل والمحبة في جانب الخلافة المؤيدة بالود الباطن والظاهر" (الإتحاف، 1: 334). بل كتب له

**زغبوش، محمد بن حماد بن محمد فقيه جليل علامة**  
دراة درس بمدينة قرطبة وغيرها وصحب جلة من أهل  
زمانه" (الروض الهتون، 32).

امتحنه والي المرابطين على مكناسة "يدر بن ولجوط" مع  
سبعة من قرابته، حيث حبسهم في دار وجعل عليهم حرسا،  
ولم يزالوا محبوسين إلى أن أصبحوا مقتولين ذبحا، وفي  
الدار نقب يقضي إلى السور لعله كما قيل من فعل الوالي  
المرابطي. وسبب نكبتهم، هجرة عبد الله بن محمد بن حماد  
إلى الموحدين أثناء وجودهم بفاس حيث كان يدرس،  
وإكرامهم له وظهوره محلثهم أثناء حصارهم لمدينة مكناسة  
(540) فاتصل ذلك بالوالي فنكب والده وقرابته (انظر  
التفاصيل عند ابن غازي، الروض الهتون، 22).

رقية بلمقدم

**زغراوي، محمد،** مقارم ولد سنة 1921 بأولاد بويكر  
بناحية بركان إقليم وجدة.

شارك في النضال الوطني وفي العمل الفدائي في  
صفوف المقاومة السرية المغربية بمدينة الناظور والمنطقة  
الشمالية للمغرب تحت مسؤولية السيد مصطفى بوعونة.



كان معروفا بأنه مناضل نشيط في حزب الاستقلال منذ  
سنة 1946 التي عليه القبض ثلاث مرات، سجن خلالها  
ثلاث مرات لمدة أربع سنوات متفرقة شارك في المظاهرة  
الوطنية الشهيرة بمدينة وجدة يوم 16 عشت 1953. وعندما  
ألقي عليه القبض للمرة الأخيرة، اشتهد تحت التعذيب  
بمركز جنود الدرك الفرنسي بتافوغالت سنة 1374 / 1955.  
المنودية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء  
الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 401.284.

## زغْنَعْن ← أْزْغْنَعْن

**زغزاف، محمد** 1945 - 2001، اقترن اسم محمد  
زغزاف بتاريخ إبداعه في مجال الكتابة السردية  
الحديثة بالمغرب والعالم العربي قصة ورواية، وبإيقاع  
متواصل ومنتظم وثري شكلا ورؤية وذخيرة.

وعلى صاحبه" ولم يكتب لهذا الكتاب أن يشتهر، لأنه  
اختفى على يد أحد طلبة الموحدين أيضا وهو الشيخ أبو  
إبراهيم إسماعيل بن محمد بن أيوب المصالي الذي ولي  
"عمل مكناسة، وكان متشيعا للمهدي حافظا لتأليفه،  
قانما على مذهبه، من طلبة الموحدين ومن زهادهم، وكان  
ناقدا عليهم غير راض عما ابتدعوه، فألح في طلب هذا  
الكتاب حتى ظفر به فكان آخر العهد به" (الروض  
الहतون).

بقي عبد الله بن زغبوش بمراكش مدة ملازما لهيئة طلبة  
الحضر، إلى أن عينه الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد  
المؤمن قاضيا بمدينة شاطبة وجزيرة شقر، واستقر بها طويلا،  
وكان قاضيا بها سنة 567، "ولما أسن رغب في استيطان  
بلده فأسعت رغبته، واستوطن داره بتاورا إلى أن مات سنة  
594 في سن الثمانين" (الروض الهتون). لكن بعضا من  
ذريته فضلوا الاستقرار نهائيا بشرق الأندلس لأنهم كانت  
تربطهم بها قرابة من جهة الأم.

م. ابن غازي، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، الرباط،  
ص. 12؛ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام  
الهراس، الدار البيضاء، دار المعرفة، ج 2، ص 305.

محمد المغراوي

**زغبوش، عبد المغيث** (سيدي مغيث) القرشي  
الملقب بأبي الفضائل من أولياء مكناس الشهيرين، ضريحه  
قرب باب البرادعيين مزارة مقصودة للتبرك إلى الوقت  
الحالي.

لا يعرف له تاريخ مولد ولا وفاة، استدل ابن زيدان على  
قدمه بوقوفه على عقد صداق لبعض عقبه مرفوع فيه نسبه  
إليه بتاريخ 11 ربيع الثاني 1217، يكون سيدي مغيث هو  
الجد الحادي عشر له.

ويصفه ابن زيدان بقوله: "فقيه عدل صالح، نبيه كامل  
ناصح، عابد سالك ناسك، متبرك به فالح، ذو مواهب  
سنية..." (الإتحاف، 4: 317) كما وقف على تحليته في  
بعض العقود القديمة بـ "الزكي العابد الناسك المجاهد، قدوة  
العباد، وعلم الزهاد، قطب العارفين، وغوث المستغيثين،  
من ظهرت بركاته ويات مآثره وكراماته..." (الإتحاف، 4:  
317).

**زغبوش، القاسم بن عبد الله بن محمد.** كان فقيها  
عالما، ولي القضاء بجهات متعددة من المغرب والأندلس  
(غرناطة)، ثم اعتزل وعاد إلى بلده تاورا سنة 597 حيث  
اقتصر على الاشتغال بالفلاحة إلى أن مات. (الروض  
الहतون، 34).

ولد سنة 1945 بسوق أربعماء الغرب. امتهن التدريس بالتعليم الثانوي بالدار البيضاء. وانضم عضواً بالتحاد كتاب المغرب منذ يوليوز 1968. تعددت اهتماماته الأدبية وتوزعت بين كتابة القصة والرواية والترجمة. صدر له :



هكذا، استطاع محمد زفزاف أن يكون مساهماً ومطوراً لأسلوب خاص في ابتداع الحكايات، فقد أتى إلى الكتابة بعد تجربة غنية في الحياة وقراءات خصبة للأدب الرفيعة أهله ليكون أحد رموز أدبنا السردي المغربي والعربي الحديث والمعاصر.

لقد عرفت الكتابة السردية المغربية، على الأقل، منذ أواسط الستينيات اهتماماً ملحوظاً بسؤال الكتابة وابتكار أشكال من التعبير القصصي والروائي ذات صلة بالنسيج الثقافي والفكري وتوترات المرحلة الاجتماعية والسياسية. إن ما تراكم من نصوص قصصية وروائية خلال العقود التالية يفيد وعي الأديب المغربي بقيمة التخيل بوصفه أفقاً للمحتمل وسبيلاً للتعبير عن العلاقة بالعالم والأشياء وما يخترقها من أجواء وأحوال يعكسها الواقع المغربي والعربي بكل تعدداته الثقافية والاجتماعية والسياسية. لأجل ذلك، يتصف التطور المتنامي الذي تعرفه الكتابة السردية بالمغرب، خلال العقود السالفة، بالتنوع على صعيد الأداء الفني والتناول الشكلي؛ وتبدو مساهمة زفزاف في هذا الإطار لافتة للنظر لما يميز عوالم قصصه ورواياته من حيث تجذرها في عمق الواقع المغربي والعربي بكل اختلافاته وخيالاته وتناقضاته وأحلامه.

يتسم أدب زفزاف بكتابة سردية ذات علامات مثيرة للاهتمام تعلن عن جملة من الإيحاءات تختزنها عوالم تجرية ذاتية تستكين في عمقها لقيم إنسانية أرحب وأشمل. هكذا، تحفل قصصه ورواياته بتشخيص للأحداث يبني السرد وفق أسلوب تصويري يستمد من المشاهدات اليومية وسير شخصيات مألوفة وصرحة وصادقة في أحاسيسها رغم فواجع الحرمان والتهميش الذي تعانيه؛ من هنا براعة وبلاغة السرد الأدبي عند زفزاف؛ وراء واقعية الحدث والموقف والسلوكيات والعلاقات تكمن رمزية ساحرة وباروديا أسرة وسخرية هادفة. لذلك، يستثمر زفزاف مختلف أدوات الكتابة السردية لخلق وضعية وجودية تغدو، على صعيد التخيل، أفقاً يمكننا لقول الحقيقة وانتقاد الواقع القائم.

يستطيع محمد زفزاف، باقتدار وفتنة، أن ينقلك في قصصه ورواياته إلى عالم حكاياتي على مسافة قريبة مما هو محيط بك من علاقات وقضايا توهلك دوماً بلعبة البحث عن مطابقتها بالواقع الذي تحيا فيه، كأن الحكاية قطعة محذوفة منه أو مضافة إليه. ولذلك، لا تسرد أبطال قصصه ورواياته حكايات معتادة، لكنها تشهد لحظات من التغميب والتهميش التي اعتادت مواضع المجتمع إهمالها بالنية أو بدونها.

تبدو الحكاية في "المرأة والوردة" و"قبور في الماء" و"الثعلب الذي يظهر ويختفي" و"بيضة الديك" وأفواه واسعة" وفي غيرها من النصوص، راغبة في احتواء شساعة وضيق الأزمنة والأمكنة، إلا أنها تبدو مولعة أكثر بفهم

حوار في ليل متأخر (قصص) دمشق وزارة الثقافة

1970

المرأة والوردة (رواية) بيروت الدار المتحدة للنشر 1972  
أرصفة وجدران (رواية) بغداد منشورات وزارة الإعلام

العراقية 1974

بيوت واطئة (قصص) الدار البيضاء دار النشر المغربية

1977

قبور في الماء (رواية) تونس الدار العربية للكتاب

1978

الأقوى (قصص) دمشق اتحاد كتاب العرب 1978  
الأفعى والبحر (رواية) الدار البيضاء المطابع السريعة

1979

الشجرة المقدسة (قصص) بيروت دار الآداب 1980  
عجر في الغابة (قصص) بيروت المؤسسة العربية

للدراسات والنشر 1982

بيضة الديك (رواية) الدار البيضاء منشورات الجامعة

1984

محاولة عيش (رواية) تونس الدار العربية للكتاب

1985

ملك الجن (قصص) الدار البيضاء إفريقيا الشرق 1988  
الملك الأبيض (قصص) القاهرة مطبوعات فصول 1988

الثعلب الذي يظهر ويختفي (رواية) الدار البيضاء

منشورات أوراق 1989

الحي الخلفي (رواية) منشورات عالم الصحافة 1992

العربة (قصص) منشورات عكاظ 1993

أفواه واسعة (رواية) الدار البيضاء مطبعة الجنوب

1998

قيم وسلوكات وعلاقات مكشوفة ليس بالإمكان إخفاؤها أو نسيانها.

لا مجال للهذيان في حكايات زفزاف، ثمة فقط سحر التجربة ولحظات من الأحاسيس المهفة ترددها أصداء النصوص بقوة وتفرد.

هكذا، تعبر كل شخصية من الشخصيات الروائية والقصصية عن مصيرها بجرأة وكرامة أيضا. إنها شخصيات تحاول تبديد العتمة المحيطة بها، تحيا الحب والأمل ببساطة وألفة وسط أوضاع الزيف السائدة.

ويبدو العالم الروائي والقصصي عند زفزاف قريبا من المألوف واليومي، مادته الخام سخرية عميقة تلتقط التفاصيل وتنظم صيغ الكلام بانتقاد هذا الوعي أو ذاك، وتحريه من الضياع الاجتماعي وحتى الأيديولوجي.

بهذا القصد وبغيره، يغدو سؤال الكتابة لدى زفزاف حريصا على اكتشاف تجليات الحياة اليومية "واقعية" أدبية لا تلغي إبهامات التخيل وتلويحاته. وتستمد تشخيصات الواقعية إمكاناتها من خصوصية المنجز النصي الذي يركز على ما يلي من عناصر وأفكار :

أ - منح النص إمكانية تنوع محتمله الحكائي إظهارا لهموم النفس واستبطانا لصوتها الداخلي الملازم لعبثية الأقدار ومناقتها (المرأة والوردة).

ب - انفتاح النص على تلميحات تنقل تفاصيل الأفعال والأقوال، مثلما تنقل تقاطعات الأزمنة والأمكنة دفاعا عن قيم نبيلة تخرج الأحلام من دائرة الإحباط وقمع السلطة ومرارة الفشل (قبور في الماء).

ج - غياب البطل عن النصوص الحكائية لزفزاف وحضور الإنسان في مواجهة اليومي والطارئ والمتردي (الثعلب الذي يظهر ويختفي).

د - استيعاب واقعية الحكاية عند زفزاف قدرة متفردة على تركيب أساليب السرد بتوزيعات من الكلام اليومي اللاذع (الأقوى والبحر).

هـ - إيمان شخصيات زفزاف القصصية والروائية بالمكتوب والقدر القاهر، كما تؤمن بالأمل الذي يخلصها من جهامة المصير (بيضة الديك).

و - تحمير واقعية السرد عند زفزاف من المحاكاة الباردة للواقع وكشفها، بالمقابل، عن موضوع حكائي تخيلي يقاوم الوعي المغلوط والمعتقد الذي يسلب الإنسان حريته في التفكير والوجد (أفواه واسعة).

هذه اعتبارات تجعل كتابته السردية محكمة الصنع وذات تنوعات دلالية متماسكة في تشكيل اللوحات الحكائية : تنتقل من المألوف واليومي إلى الاستبطاني والتأملي. كتابة محمد زفزاف تكشف أكثر مما تصف، تجهز أكثر مما تهمس. إنها مرآة عاكسة لشروح الواقع وسحر التخيل.

بكل هذه المعاني، استطاع الأديب محمد زفزاف أن

يكون مساهما ومطوراً لأسلوب خاص في كتابة السرد بالمغرب والعالم العربي بحس إبداعي مهرف ودال على حقيقة منشودة من أجلها كرس كتاباته : حقيقة أن يعيش الإنسان في عالم قاس ومعقد. ولذلك، لم يكن محمد زفزاف يشغل باله بالكتابة النظرية، كان فقط، ينصت - ويحسن الإنصات ؛ يتأمل - ويحسن التأمل - ثم يكتب ؛ أي يخلق بعيدا في عالم رحب ظل ملاذه حتى في أعقد وأدق وأصعب لحظات حياته... عالم زوده بالصبر والإصرار على المقاومة وحب الحياة.

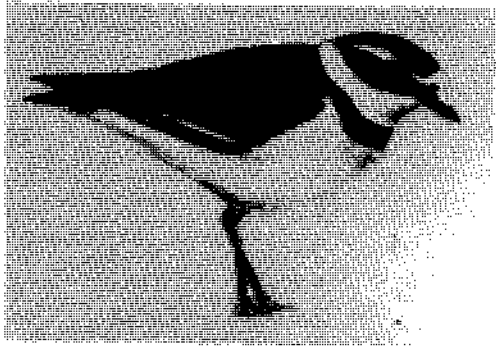
توفي بمصحة بالدار البيضاء يوم الجمعة 21 ربيع الثاني عام 1422/13 يوليوز 2001.

دليل الكتاب المغاربة، اتحاد كتاب المغرب، الرباط، 1993 ؛ معرفة شخصية.

عبد الفتاح الحجري

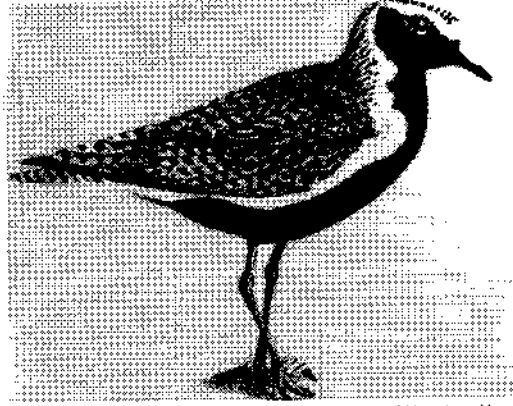
## الزفزاف ← أزگار

**الزقزاق** أو أبو الرؤوس كما هو شائع في المعاجم، وسقاسق وتورم وقطقاط وأبو ظفر ورسول الغيث في مصر والسودان والشرق العربي، جنس طير من الفصيلة الزقزاقية Charadriidae ورتبة طوارق الساق Charadriiformes، منه سبعة أنواع كلها من القواطع تشتت في المغرب وتآلف المناطق الرطبة والشواطئ البحرية وخصاف الأنهار والبحيرات الساحلية والقارية. تتميز بمنقار قصير وبسرعة فائقة في المشي، كما أنها دائمة التحرك والتنقلات مما أدى إلى تسميتها بالزقزاق :



الزقزاق المطوق Charadrius hiaticula يسمى بالفرنسية Grand gravelot وGravelot à collier وبالإنجليزية Ringed plover وبالإسبانية Chorlito grande وبالإيطالية Corriere grosso. تسميه العامة في لبنان وسوريا دمشق. الإناث شبيهة بالذكور، المنقار يرتقالي قصير وقوي ينتهي برأس مستدق أسود. القوائم برتقالية مصفرة وقصيرة، ريشه أسود على قاعدة المنقار ثم أبيض متبوع بلقافة

سوداء، يحمل الصدر بقعة من الريش الأسود على كل جانب توحى بشكل طوق غير مكتمل. يظهر على جناحيه خط أبيض عند الطيران. يألف المناطق الساحلية الرملية والغنية بالحصى. يشتمو في أغلب المناطق الإفريقية والآسيوية ويتوالد في سواحل إفريقيا الشمالية وأوروبا الجنوبية وآسيا الوسطى الغربية (منذ إيران إلى المغرب). منه عدة آلاف تأتي إلى المغرب عبر مضيق جبل طارق تنضم إلى عدة مجموعات شبه مستقرة في المغرب تقوم بتنقلات موسمية نحو الجنوب بحثا عن الأكل وتتوالد على ضفاف الشواطئ الساحلية المغربية. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 24 - 26 يوما ويبلغ طول قطريه 2.4 × 3.3 سم. شائع في الحريف والشتاء على ضفاف البحيرات القارية والساحلية ومصبات الأنهار والسدود.



الزقراق الذهبي *Pluvialis parvicaria* يسمى بالفرنسية *Pluvier doré* وبالإنجليزية *Golden plover* وبالإسبانية *Chorlito dorado* وبالإيطالية *Piviere dorato*. تسميه العامة في لبنان وسوريا دمشق ذهبي. يبلغ طوله 19 سم من أكبر الزقراق التي تعيش في المغرب، الذكور شبيهة بالإناث، ريشه على ظهره مبقع بالأسود والأصفر الذهبي، ريش العنق والصدر والبطن أسود داكن محفوف بلقافة من الريش الأبيض تمتد من الرأس إلى الذيل، المنقار والقوائم رمادية. يألف المناطق الساحلية الرملية والغنية بالحصى. يشتمو في سواحل إفريقيا الشمالية والشرق الأوسط وأوروبا الجنوبية والوسطى ويتوالد في سواحل أوروبا الشمالية. منه عدة آلاف الأفراد تأتي إلى المغرب عبر مضيق جبل طارق ولا تتعدى منطقة سوس بجنوب المغرب. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 26 - 28 يوما ويبلغ طول قطريه 3.6 × 5.2 سم. تفارق الصغار الأبوين بعد شهر من التفقيس. شائع في بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام وسيدي بوغابة والوليدية وسيدي موسى ومصبات الأنهار والسدود.

الزقراق الرمادي *Pluvialis dominica* يسمى بالفرنسية *Pluvier argenté* وبالإنجليزية *Grey plover* وبالإسبانية *Chorlito asiatico* وبالإيطالية *Piviere asiatico*. يبلغ طوله 28 سم ويعد من أكبر الزقراق التي تعيش في المغرب،

سوداء تحيط بالعينين، الصدر مطوق بلقافة سوداء. ريش الظهر بني رمادي والجناحان محفوفان بريش أسود ويشتملان على لقافة بيضاء تظهر فوقه عند الطيران. يبلغ طول الجسم 19 سم. يعيش في مجموعات متعددة الأفراد ويتميز بسرعة كبيرة في المشي. عدة مجموعات تحصى بالآلاف الأفراد تأتي من أوروبا عبر مضيق جبل طارق لتشتو في المغرب من شتنبر إلى مارس، وذلك في مختلف المناطق الرطبة الساحلية. يتوالد في أوروبا الشمالية بين مايو ويوليوز. ينصب العش بين الرمال الشاطئية وعلى ضفاف الأنهار. تبيض الإناث عادة 3 - 4 بيضات بيضوية الشكل مصفرة رمادية منقطة بالأسود، يبلغ طول قطريها 2.5 × 3.5 سم. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين بين 22 - 27 يوما. تغادر الصغار العش مباشرة بعد التفقيس وتحسن الطيران بعد ثلاثة أسابيع. يتغذى من العناكب والحشرات والقشريات الصغيرة والفواقع والديدان يبحث عنها على ضفاف شواطئ البحيرات الساحلية والقارية وفي مصبات الأنهار. يعود إلى أوروبا في أواخر الربيع ليتوالد. يعيش أيضاً في المناطق الساحلية الأوروبية والآسيوية وفي كل مناطق حوض البحر المتوسط. شائع في مختلف المناطق المغربية الرطبة الساحلية منذ بداية الحريف إلى بداية الربيع : بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام وسيدي بوغابة والوليدية وسيدي موسى ومصبات الأنهار والسدود.

الزقراق الصغير *Charadrius dubius* يسمى بالفرنسية *Petit gravelot* وبالإنجليزية *Little ringed plover* وبالإسبانية *Chorlito chico* وبالإيطالية *Corriere piccolo*. تسميه العامة في لبنان وسوريا "دمشق" وأبا الرؤوس". يبلغ طوله 15 سم، المنقار والقوائم مصفرة شاحبة، يحمل الرأس والعنق خطوطا عريضة متتالية من الريش الأبيض والأسود. جناحاه لا يحملان الخط الأبيض. يألف المناطق الساحلية الرملية والوحلية والغنية بالحصى. يشتمو في أغلب المناطق الإفريقية والآسيوية ويتوالد في شمال إفريقيا وفي أوروبا وآسيا. منه عدة آلاف الأفراد تأتي إلى المغرب في الشتاء عبر مضيق جبل طارق تنضم إلى عدة مجموعات شبه مستقرة في المغرب تقوم بتنقلات موسمية نحو الجنوب بحثا عن الأكل وتتوالد على ضفاف الشواطئ الساحلية المغربية. نمط عيشه شبيه بنمط عيش الزقراق المتطوق السابق الذكر. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 24 - 26 يوما ويبلغ طول قطريه 22 × 3 سم. شائع في بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام وسيدي بوغابة والوليدية وسيدي موسى ومصبات الأنهار وبعض السدود.

الزقراق الإسكندري *Charadrius alexandrinus* يسمى بالفرنسية *Gravelot à collier interrompu* وبالإنجليزية *Kentish plover* وبالإسبانية *Chorlito negro* وبالإيطالية *Fratino*. تسميه العامة في لبنان وسوريا دمشق والزرقراق في المغرب. يبلغ طوله 16 سم، المنقار والقوائم

منه عدة مئات الزوجات تأتي إلى المغرب عبر مضيق جبل طارق لتقضي فصل الشتاء وتتوزع على طول السواحل الأطلسية والمتوسطية. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 24. 26 يوماً ويبلغ طول قطريه  $29 \times 39$  سم. تفارق الصغار الأبوين بعد 4 أسابيع من التفقيس. شائع في بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام وبحيرة سيدي بوغابة والواليدية وسيدي موسى وخنفيس وشم الداخلة ومصبات الأنهار وبعض البحيرات القارية والسدود الكبرى.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 : أمين المعلوم، معجم الحيران، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britan and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris, 1977.

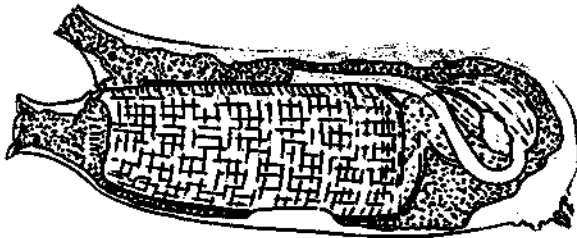
محمد رضاني

### زق البحر، حيوان بحري رغم شكله الكيسي العادي

ورغم فط عيشه البدائي لاصقاً على دعامة يتغذى على حيوانات صغيرة يمتصها من الماء. ورغم عدم وجود أي عنصر خارجي شبيه بالرأس، فإن زق البحر يعتبر من أكثر الحيوانات تطوراً حيث يصنف مع اللاقريات كالحشرات والنواعم الخ... بل مع الحيليات أي تلك التي لها حبل ظهري شبيه بالنخاع الشوكي كالإنسان.

تتميز هذه الحيوانات بتوفرها على كساء فريد من نوعه في عالم الحيوانات فهو يتكون من 60% من مادة تشبه ما يعرف بالسليولون عنه النباتات أما 40% الباقية فهي مكونة من 27% من المواد الأزوتية و13% من الأملاح المعدنية، إلا أن هذا الكساد يبقى شفافاً فيمكن في غالب الأحيان رؤية معظم الأجهزة والأعضاء الداخلية لزق البحر.

لزق البحر خياشيم بارزة بل هناك بلعوم تابع للجهاز الهضمي على شكل كبير وهو الذي يلعب في نفس الوقت دورين اثنين أولهما تصفية الماء من المواد العضوية التي يقتات عليها زق البحر والآخر امتصاص الأكسجين الذائب في الماء.



الذكور شبيهة بالإناث، ريشه على ظهره مبعق بالرمادي والأصفر رصاصي اللعمان، ريش العنق والصدر والبطن أسود داكن محفوف بلفافة من الريش الأبيض تمتد من الرأس إلى الذيل كما هو الشأن عند الزقواق الذهبي، يختلف عن هذا الأخير ببقعة من الريش الرمادي على إبط الجناحين تزه عند الطيران. المنقار والقوائم رمادية. يألف المناطق الساحلية الرملية والغنية بالحصى. يشتو في سواحل إفريقيا الشمالية والشرق الأوسط وأوروبا الجنوبية ويتوالد في سواحل أوروبا الشمالية الوسطى. منه عدة مئات الأفراد تأتي كل سنة إلى المغرب عبر مضيق جبل طارق لتشتو. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 23 يوماً ويبلغ طول قطريه  $35 \times 51$  سم. تفارق الصغار الأبوين بعد 4 أسابيع من التفقيس. شائع في بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام والواليدية وسيدي موسى وخنفيس والداخلة ومصبات الأنهار والسدود والبحيرات القارية.

الزقواق المغفل أو زقواق الألب *Eudromias morinellus* (Charadrius) يسمى بالفرنسية *Pluvier guignard* وبالإنجليزية *Dotterel* وبالإسبانية *Choelito carambolo* وبالإيطالية *Piviere tortolino*. تسميه العامة في لبنان وسوريا دمشق. يبلغ طوله 21-22 سم، الذكور أقل حجماً من الإناث، المنقار داكن والقوائم صفراء مخضرة. يختلف لون ريشه بين الصيف والشتاء. العنق أبيض والصدر رمادي مفصول عن البطن بخط أبيض. البطن أسود، جناحه لا يحملان الخط الأبيض. يألف المناطق الساحلية الرملية والوحلية. يشتو في أغلب مناطق إفريقيا الشمالية والشرق العربي وتركيا ويعود في أواخر الربيع مباشرة إلى الدول الاسكندنافية ليتوالد في سواحلها. يقطع مسافات طوال دون أن يستريح في أوروبا الجنوبية والوسطى. منه عدة آلاف تأتي إلى المغرب عبر مضيق جبل طارق ابتداء من أكتوبر. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 23 يوماً ويبلغ طول قطريه  $29 \times 44$ . تفارق الصغار الأبوين بعد 4 أسابيع من التفقيس. شائع في بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام والواليدية وسيدي موسى وخنفيس والداخلة ومصبات الأنهار والسدود والبحيرات القارية.

زقراق الماء أو قبرة الماء *Arenaria interpres* من فصيلة سكولوباسيدي *Scolopacidae*، يسمى بالفرنسية *Turnestone* وبالإنجليزية *Tourne-pierre à collier* وبالإسبانية *Vuelvepedras* وبالإيطالية *Voltapietre*. تسميه العامة في لبنان وسوريا دمشق. يبلغ طوله 22-23 سم، الذكور شبيهة بالإناث، ريشه على ظهره أسود أشقر، ريش العنق والصدر أسود داكن وريش البطن أبيض لامع، المنقار أسود قصير وقوي، القوائم برتقالية حمراء. يألف المناطق الساحلية الوحلية والرملية الغنية بالحصى. يشتو في سواحل إفريقيا الشمالية والشرق الأوسط وأوروبا الجنوبية والوسطى ويتوالد في سواحل الدول الاسكندنافية.

كل أنواع زق البحر تقريباً أحادية الجنس حيث إن نفس الفرد يحمل أعضاء تناسلية في نفس الوقت ذكورية وأنثوية. أما الحيوانات المنوية فكلها تلتقي في الماء كما أن البويضات غالباً ما تلتقي في الماء إلا أنه في بعض الأحيان يحتفظ ببعضها داخل الجسم. إذن فتلقح البويضات يتم في الماء إلا في بعض الحالات حيث يتم تلقيحها داخل الجسم. ولزق البحر طريقة ثابتة للتكاثر وهي التبرعم.

هناك في العالم ما يناهز 3000 نوع لزق البحر تعيش في كل بحار العالم من منطقة المد والجزر إلى أكبر الأعماق. إلا أنها وحسب العديد من التجارب فإنها لا تتحمل نقصاً في ملوحة الماء حيث إنه ليس هناك نوع واحد من تلك الحيوانات بإمكانه العيش في مياه تنقص ملوحة عن 15 غراماً في اللتر الواحد.

محمد منبوي

**الزقاق،** أسرة فاسية عاتلة أصلها من الأندلس من قبيلة تُجيب العربية، عُرِفَتْ هنا وهناك بإتقان الفقه والنحو والأدب، واشتهر منهم الشاعر الكبير علي بن عطية ابن الزقاق البهنسي صاحب الديوان المطبوع، (ت. في حدود 530).

ولعل أول قادم منهم إلى فاس قاسم بن محمد بن مبارك الزقاق الأموي الإشبيلي في منتصف القرن السادس (12 م) تخرّج على يد كبار الأساتذة المقرئين وشيوخ العلم المشهورين بالأندلس في عصره. قال ابن القاضي في الجذوة (2: 513): "نزل مدينة فاس وتصدر للإقراء، وأخذ الناس عنه، وكان مقرئاً فاضلاً نحويًا حافظاً مسنداً، حدث عنه ابن خروف، وأبو المجد هذيل بن محمد، وأبو الصير أيوب بن عبد الله، لقيته بسبحة سنة تسع وخمسين وخمسمئة، وتوفي بسلا بعد ذلك (بعد سنة 570 / 1175).

وعن شهرة الزقاقين بهذا اللقب، وُجِدَ بخط الفقيه علي ابن قاسم الزقاق: "حدثني بعض شيوخ قرابتي وهو موثوق به أن الزقاق ليس بنسب لصناعة، نعم كان جد والد الذي ذا مال، ولا يعيش له ذكر، فدل على أن يسكب زقاً من زيت على ما يتزايد من ذكر له يسخنه به ثم يتصدق به ففعل، فعاش ذو الزق فاشتهر بذلك، فبقي في ذريته شهرة.

وتميز من الزقاقين الفاسيين فقهاء كبار، كانوا في القرن العاشر (16 م) في نطاق المذهب المالكي صلة وصل بين الاجتهادات الأندلسية أو عمل أهل الأندلس، والاجتهادات المغربية المعروفة بالعمل الفاسي. كما عرف آل الزقاق الفقهاء بفاس بالعناية الفائقة بمختصر خليل حفظاً وفهماً وتدريساً "ولهم تقييد كثيرة وبه اعتناء كبير" (فهرس المنجور، ص. 57). قال في الدر البهية (2: 343) "ولم يبق الآن من أولاد الزقاق بفاس فيما أعلم إلا رجل واحد هو الآن ثاوي بالسيطريين قرب مسجد القرويين".

**الزقاق، أحمد بن علي بن قاسم التجيبي الفاسي،** درس على والده الإمام علي بن قاسم الزقاق التجيبي، وعلى الفقيه الكبير أحمد الونشريسي مؤلف المعيار، وعلى شيخ الجماعة محمد ابن غازي وغيرهم من أهل المغرب، ومن أهل المشرق أثناء رحلته إلى الحج، فقيه متمكن ملازم لإقراء مختصر خليل، وله عليه حاشية سماها الدرر على المختصر أو قريب من هذه التسمية. وقد عقب أحمد المنجور في فهرسه عند حديثه على هذه الحاشية بقوله: "قلت: ولم تظهر بعد موته عدا أنه دخل بيدي نحو ورقتين في القالب الشني من حاشية عليه (المختصر) لأبي العباس هذا بخط يده مختصرة محققة". (فهرس المنجور، ص. 57).

وللمترجم له أيضاً شرح مختصر رشيق لمنظومة والده المعروفة بالزقاقية وبالمنهج المنتخب إلى قواعد المذهب، كتب منه نحو النصف ثم حال الموت دون إتمامه، وله تعاليق على الرسالة، والمدونة.

توفي بفاس عام 931 أو 932 / 1525 - 1526.

**الزقاق، عبد الوهاب بن محمد بن علي التجيبي الفاسي.** ولد سنة 905 / 1500 ودرس على كبار، شيوخ عصره، وفي مقدمتهم عمه أحمد الزقاق، وأحمد الحياك، والمحدث عبد الرحمن سقين، وأكثر قراءته على الامامين المفتيين علي بن هرون، وعبد الواحد الونشريسي.

انقطع للتدريس بالقرويين، يحضر مجالسه كبار الطلبة، ومنهم أحمد المنجور الذي خصه بترجمة مطولة في فهرسه، وذكر ما قرأ عليه في الفقه والأصول وقواعد اللغة، والتفسير والتصوف، ووصف دروسه الثلاثية المتوالية التي يستهلها بتفسير القرآن الكريم "ينقل عنه من كلام ابن عطية، وكثيراً ما ينقل عن كلام ابن العربي في القانون... وكان فصيح العبارة غزير الحفظ ويقرأ بعد فراغه من التفسير الرسالة ينزل على كلامها فروع خليل في المحل، ثم ينقل من كلام الشيخ ابن عباد على حكم ابن عطاء الله بلفظه لا يغادر منه حرفاً ولا يغيره نحو نصف ورقة منه ولا يشتته عليه ما قرأ قبله من التفسير والفقه مع تطويله". وذكر قصة تدل على أنه كان يلقي هذه الدروس الثلاثة دوناً حاجة إلى مطالعة ومراجعة قال: "وهذا غاية الحفظ".

كان يسكن داراً بزقة حجامة، متمتعاً بتقدير العامة والخاصة من أهل فاس، وملوكها الوطاسيين. ولما رجحت كفة السعديين واستولوا على معظم مناطق المغرب باستثناء فاس التي تمنعت عليهم بسبب موقف الشيخين عبد الوهاب الزقاق وعبد الواحد الونشريسي اللذين أفتيا بعدم جواز ميابعتهم لقيام بيعه الوطاسيين في الأعتاق، فلما دخل السلطان محمد المهدي الشيخ إلى فاس. للمرة الثانية يوم السبت 24 شوال عام 961 / 22 شتنبر 1554 بعد قضائه على أبي حسون الوطاسي ومن معه من الأتراك، أمر بقتل عبد الوهاب الزقاق لأنه اتهمه بالميل إلى أبي حسون. ولما



وقرأت عليه بلفظي جملة وأفرة من خزرجية العروض وانتفعت به في ذلك كله".

توفي بالقاهرة سنة 968 / 60 . 1561.

أ. المنجور، فهرس المنجور، نج. م. حجي، الرباط، 1976 في  
مواضع متعددة : أ. ابن القاضي، جذوة، الرباط، 1974 : درة  
الجمال، نج. م. الاحمدي، القاهرة، 1974 : لفظ الفرائد /  
موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 2 : م. ابن عسكر  
الشفشاوني، دوحه المناشر، نج. م. حجي، الرباط، 1976 : أ.  
باب الننيكتي، نيل، بيروت، د. ت. : أ. القري، نفع الطبيب، نج.  
إحسان عباس، بيروت، 1968 : ع. الكبير الفاسي، تذكرة  
المحسنيين / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 2 : إدريس  
الفضيلي، الدر البهية، نج. أحمد العلوي وآخر، المحمدية، 1999 :  
م. الكناني، سلوة، ط. حجر فاس، 1300، ج 3 : م. المحجوي،  
الفكر الساسي، فاس، 1930، ج 4 : ع. ابن سودة، إزالة  
الالتباس، مرقن : ع. القادر الصحراوي، جولات في تاريخ  
المغرب، الدار البيضاء، 1961.

محمد حجي

### الزُقُوم، يطلق هذا اللفظ على عدة أنواع نباتية

مشوكة، منها التي ذكرناها في مادة الدغُموس (انظر  
دغُموس)، ومنها التي ستطرق لها هنا وهي شجرة  
تَيْشِطُ أو تُوكُّا أو بلح الصحراء أو تمر الغراب أو  
تَيْبُورَاق المسماة علمياً بِالْأَنْبِيْتَيْسِ إِيْجِيْبِيْسِيَاگَا  
Balanites aegyptiaca والمنتصية إلى فصيلة القديسيات  
Zygophyllaceae. ولا ندري إن كان الزقوم المذكور في  
القرآن الكريم ينطبق على هذا النوع. فالشجرة مازالت  
موجودة بشبه الجزيرة العربية، لكن ثمارها حلوة المذاق  
وليست مرة وتؤكل من طرف الإنسان.

تيشط جنبية أو شجرة قصيرة القامة لأن ارتفاعها لا  
يتجاوز 10 م. تاجها مستدير. قشرة جذعها مشققة وذات  
لون أسود. أغصانها مزودة بأشواك مستقيمة وطويلة قد  
يصل طولها 12 سم، خضراء اللون كما هو الشأن بالنسبة  
للأغصان الفتية لأن الشجرة تفقد أوراقها لمدة طويلة في  
السنة. أوراقها صغيرة، متقابلة، مركبة بوريقتين اثنتين.  
تظهر أزهارها ابتداء من شهر نونبر. ثمارها نوية  
واهليلية الشكل، خضراء اللون ثم صفراء تشبه البلح عند  
نضجها ما بين دجنبر ومارس.

تصادف الشجرة بالمناطق المدارية والصحراوية من  
المحيط الأطلسي إلى آسيا الصغرى مروراً بالصحراء  
المغربية حيث نجد تشكيلاتها ما بين قم الحصن وأسأ  
وجنوب هذه الأخيرة وفي الساقية الحمراء. يعيش النوع في  
تشكيلات نقية أو مختلطة مع أنواع الطلح (انظر طلح)  
فوق أترية رملية سميكة نسيجا، في الوديان الصحراوية.  
وذلك في المناطق القاحلة وفي الطابق تحت المتوسطي الدافئ  
بالمغرب.

مثل الزقاق بين يدي السلطان قال له : اختر بأي شيء  
تموت، فقال له الفقيه : اختر أنت لنفسك فإن المرء مقتول بما  
قتل به، فقال لهم السلطان : اقطعوا رأسه بشاقور. وتم  
قتله في شهر ذي القعدة عام 961 / أكتوبر 1554.

### الزقاق، علي بن قاسم التجيبي الفاسي، وسماه في

درة المجال علي بن محمد. أعلم فقهاء هذه الأسرة  
وأشهرهم. ولد ونشأ ودرس بفاس على كبار فقهاء عصره،  
وفي مقدمتهم الإمام محمد القوري، (ت. 872) وذهب إلى  
الأندلس قبل سقوط غرناطة بسنوات معدودات وقرأ عل  
فقهائها. وكبيرهم الإمام محمد المواق (ت. 897).

كان علي الزقاق خطيب جامع الأندلس بفاس، وبه يلقي  
دروسه وجامع القرويين، كان رفيقاً لأحمد الوئشريسي  
مؤلف المعيار الذي يدعو صاحبا، مواظبا على إقراء  
مختصر خليل قيساً عليه حفظاً وفهماً، وكتب عليه شرحاً  
مفيداً وصل فيه إلى الخبض أو الأوقات وقطع الموت دون  
إقامه، فأكمله ابنه أحمد سابق الترجمة. على أن أشهر  
مؤلفات علي الزقاق لاميته الفقهية المسماة : المنهج المنتخب  
إلى قواعد المذهب، "وشرح منه أبياتاً كثيرة ما يقرب من  
الثمانين شرحاً محققاً مفيداً قطع الموت على إكماله"  
(فهرس المنجور، 57) ثم أعاد شرحه ابنه أحمد إلى نحو  
النصف ومات قبل إتمامه، فشرحه شرحاً مدققاً كاملاً تليمه  
أحمد المنجور. ويعتبر المنهج المنتخب أصل الاجتهادات  
الفقهية بالمغرب المسماة بالعمل الفاسي بناء على ما تضمنه  
من عمل أهل الأندلس.

توفي بفاس عن سن عالية في 6 شوال عام 952 / 19  
فبراير 1507.

### الزقاق، محمد بن عبد الله التجيبي الفاسي. حلاه

تلميذه المنجور في الفهرس بقوله : "الفقيه الأستاذ النحوي  
العروضي الفرضي الحاج الرحال". درس على شيوخ فاس في  
عصره، ولا سيما عبد الواحد الوئشريسي، والأخوين  
المشترانيين، محمد بن عبد الرحمن ابن إبراهيم وكان قارئه  
(الذي يسرد بين يديه) في المدونة والرسالة والمختصر، وأبي  
القاسم ابن إبراهيم قرأ عليه النحو وغيره. ورحل عام 948  
أو 949 إلى المشرق فحج ولقي كبار الشيوخ وأخذ عنهم،  
مكث هناك أزيد من خمس عشرة سنة استوطن فيها مصر  
إلى أن توفي. ومن أكبر شيوخه فيها الإمام ناصر الدين  
اللقاني، وأخذ التصوف عن الشيخ محمد الذاكر وتزوج  
بنته.

كان محمد الزقاق مدرساً نافعاً كثير التلاميذ سواء في  
المغرب أو في مصر، وذكر المنجور في الفهرس ما قرأه  
عليه: "ألفية ابن مالك... يقرئها إقراء حسناً جيداً ينقل  
عليها المرادي ويستوفيه، ومعنى اللبيب (لابن هشام).

بالإضافة إلى استعمال أوراق الشجرة وثمارها ولحانها وأغصانها في عدة وصفات من التطبيب التقليدي، يستخدم خشبها الصلب والمتين لبعض الأغراض، وتستعمل سيقانها الفتية في عملية تنظيف الأسنان. كما تؤكل ثمارها (بلع الصحراء، تمر الغراب) من طرف الإنسان، وترعاها الحيوانات مثل الإبل والأغنام والمعز.

A Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc. évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 2000 ;  
J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997.

عبد الملك بنعبيد

## الزكرنسيون (Les Zegrenses)، يعد الجغرافي

بظليموس (Ptolemés) المؤلف الوحيد الذي ذكر الزكرنسيين ضمن "قبائل" موريطانيا الطنجية. وحدد مواطنهم جنوب السهل الأحمر (Campus Rufus)، عند خط طول 30° 9' وخط عرض 30°.

فما المقصود بالسهل الأحمر ؟

تتعدد الافتراضات وتباين تحديدات الباحثين. فهل السهل الأحمر هو الأراضي الحمراء الواقعة جنوب أم الربيع والتي توافق هضاب الرحامنة ؟ أم هل هو "البحيرة الحمراء" الواقعة قرب مراكش، والمحصورة بين نهر تانسيفت والأطلس الكبير في الأقليم الحالي لشيشاوة ؟ أم هل هو المنطقة المحصورة بين جنوب جبال الريف وسهل الغرب ؟

يبدو أن بظليموس - من خلال تحديده لمواقع "القبائل" الموريتية - كان يعتمد على نقل أسماء موضوعة على خريطة ينطلق فيها من الغرب إلى الشرق هذا من جهة، ومن جهة ثانية فاللائحة التي اعتمدها حول القبائل تقتصر فقط على ذكر "القبائل" التي تقع مجالاتها داخل ولاية موريطانيا الطنجية ؛ أو لها علاقة ما بالولاية إما سياسية أو عسكرية.

وعليه يجب أن نبحث عن مجال الزكرنسيين ضمن المجالات الواقعة تحت النفوذ الروماني، أو لها علاقة ما بمنطقة النفوذ الروماني. وليس في مجالات بعيدة قرب جبال الأطلس مثلا.

وليس من المستبعد أن يكون اسم الزكرنسيين مستمدا من الكلمة الأمازيغية "أزغر" التي تعني البقر أو البقرات بصورة عامة. فإذا كان اسم "القبيلة" بالفعل موافقا لهذا الافتراض، فهذا يعني أننا أمام "قبيلة" موريتية تحمل هذا الاسم لأنها كانت تعتمد في نمط عيشها على تربية البقر. كما أنه من المرجح أيضا أن اسم "القبيلة" قد يكون مشتقا من "أزغار" الذي يعني مجال الانتجاع في السهل خلال فصل الشتاء.

وسواء كان الاسم مشتقا من "أزغر" الذي يعني البقر أو "أزغار" الذي يعني مكان الانتجاع، فإن هذا يجعلنا أمام

"قبيلة" تعتمد في نمط عيشها على تربية الماشية في مجال يضم منطقة جبلية، وأخرى سهلية.

وما يدعم هذه الأطروحة، أي كونهم كانوا مربي أبقار وأن مجالهم ربما امتد بين السفوح الجنوبية لجبال الريف والمجرى الأوسط لنهر سبو هو العثور على مجموعة من اللقى الأثرية (Vestiges) لها علاقة بهذه "القبيلة" في موقع بناصا الأثري (Banasa)، ومنها شاهد يحمل منحوتة تمثل الرب "كورزيل" الإله الموري الخاص بالبقر. والكتابة الإبيغرافية بلوحة برونزية تعود للقرن الثاني الميلادي بنفس الموقع وقد عثر عليها خلال حفريات 1957. ويتضمن نص النقيشة معطيات متعلقة بمنح المواطنة لزعيم "القبيلة" يوليانوس ولزوجته "زدينا" وأبنائهم الأربعة، وحفدتهم كذلك.

وتتوزع النقيشة إلى ثلاث فقرات على النحو التالي :

- الفقرة الأولى : تتضمن رسالة صادرة عن الإمبراطورين مارك أوريل (Marc Aurele) وثيوس (Verus) موجهة إلى بروقراطور (Procurateur) (والي / نائب) موريطانيا الطنجية كوديوس ماكسموس (Cadius maximus) استجابة لطلب هذا الأخير، وذلك للموافقة على تسليم الجنسية الرومانية لعائلة زكرانسية تتكون من الأشخاص السابق ذكرهم : يوليانوس (Iulianus) وزوجته زدينا (Zidina) وأبنائهم الأربعة.

- الفقرة الثانية : عبارة عن رسالة ثانية في عهد مارك أوريل (Marc Aurele) وكومود (Commode)، قصد تسليم الجنسية الرومانية لزوجته يوليانوس الثاني (أي الابن)، وهي المسماة فگورة (Faggura) وأبنائها الأربعة. ولقد صار يوليانوس الثاني، في هذه الفترة، هو رئيس اتحاد "قبائل" الزكرانسيين.

- الفقرة الثالثة : تشير إلى المصادقة على تغيير جنسية هذه العائلة الأمازيغية من طرف مجلس روماني سام مكون من 12 شخصية. عرف باسم الكونسيليوم برانسييس (Consilium principis). ووقت المصادقة في 6 يوليوز 177 ميلادية.

يوليانوس الأول

زدينا

ديوجينيانوس ماكسموس ماكسموس يوليانوس الثاني

فگورة

ديوجينياس يوليانوس الثالث ماكسيما يوليانا

يبدو أن القصد من نقيشة بناصا الآنفة الذكر إخبار أبناء "قبيلة" الزكرنسيين الذين يترددون على المدينة بالتكريم الذي حصل عليه زعيمهم ؛ وفي نفس الوقت

1974, p. 175 - 186 ; A. Luquet, *Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc, région du Gharb, B.A.M.V.I.*, 1966 ; P. M. Morestin, *Le dieu au chef cornu de Banasa, H-T II*, fasc. 2 - 3, 1961, pp. 337 - 344 ; W. Seston et M. Euzennat, *La citoyenneté romaine au temps de Marc - Aurèle et de commande d'après la Tabula Banasitana, C.R.A.I.*, 1961 ; ID, *Le dossier de la chancellerie romaine, la Tabula Banasitana. Etude de diplomatique, C.R.A.I.*, 1971 ; R. Thouvenot, *Une colonie romaine de Maurétanie Tingitane, Valentia Banasa*, Paris, 1941.

مصطفى مولاي رشيد

ابن زكري، أسرة أندلسية هاجرت إلى فاس وتطوان وتلمسان قبل سقوط غرناطة وانتقل بعض أفرادها إلى العرائش ومراكز أخرى في الشمال. وفي كشف أسماء عائلات تطاون أنه مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Cegri - Zegri. واشتهر منهم في تطوان فقهاء : أحمد ابن زكري، قائد عسكري شارك إلى جانب السلطان المخلوع محمد المتوكل السعدي في معركة خندق الريحان بالقرب من وادي الشراط يوم 13 ربيع الثاني عام 984 / 9 يوليو 1576 حيث لقي حتفه ؛ ومحمد بن علي ابن زكري الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1285 إلى سنة 1295 / 1878.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطوان، والمراجع العربية والأجنبية في رقم 255.

S.I.H.M., France, 1 : 649 - 688.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن زكري، أحمد الفقيه المفتي. أقدم من تحدثت عنه المصادر من فقهاء هذه الأسرة إلا أنها لم تنسبه إلى فاس أو غيرها من المراكز التي وجد بها أبناء زكري الأندلسيون. وإن كان بعض الباحثين رجع نسبه إلى فاس. وابن زكري هذا معاصر للأمير الشريف علي ابن راشد مؤسس مدينة شفشاون وإمارة بني راشد التي امتد نفوذها إلى جبال غمارة وبلاد الهبط، التي اشتهرت بالجهاد ضد البرتغاليين المحتلين لسبتة وغيرها من الشغور الشمالية. ولما أبرم أحمد بن محمد الوطاسي (ت. 960 / 1552) الهدنة مع البرتغاليين للترفيع لمواجهة السعديين، لم يعترف المجاهدون وأميرهم علي بن راشد بالهدنة وظلوا يهاجمون النصارى. فقام فقهاء البلاط يشتمون على المجاهدين عملهم بدعوى أن الجهاد لا يصح إلا مع السلطان وبإذنه. وفي هذا السياق طرح سؤال على فقهاء المغرب عامة، ومنهم المترجم : "ما ترون في هذا الشريف القائم بأمر الجهاد الآن في المغرب الأقصى من سور سبتة وأحوازاها. فهل فعله اليوم جائز شرعاً لكون السلطان صالح المشركين" ؟ - الجواهر المختارة.

وقد فند الفقهاء الأحرار رأي مانعي الجهاد. وستكرر الموقف بعد أزيد من قرن مع المجاهد العياشي السلوي ومناوئين شيعة للمتأخرين من السعديين.

دفعهم إلى قبول وجود الحكم الروماني. ولا يبدو معقولاً أن يكون زعيم الزغرنيين وعائلته يسكنان مع "قبيلتهم" قرب مدينة مراكش بينما العثور على كتابة تتعلق بهم على ضفاف نهر سبو. كان من السليم أن نعثر عليها مثلاً بموقع سلا الأقرب للجنوب.

وعليه، فيبدو أن "القبيلة" كانت تستوطن منطقة قريبة من بناسا. ونظراً لرغبة الرومان في استمالتها وجعلها "قبيلة" موالية لهم منحوا زعيمها المواطنة مع احتفاظه بكامل استقلالته وحقوقه داخل "قبيلته" وذلك حتى يؤثر عليها ويجعلها تسير في فلك الرومان.

وما يركي هذا الطرح العثور على مؤشرات أثرية أخرى - غير التي ذكرنا - تعود للعهد الروماني وجدت بالمجالات المقترحة لامتداد نفوذ الزغرنيين. نذكر منها نقوداً من فاس البالي وعين مديونة قرب تاونات، وبقايا أبنية ما قبل إسلامية قرب هذين الموقعين، ومقابر أمازيغية غير بعيدة عنهما.

وفي حالة إذا بات بالإمكان توطين "قبيلة الزغرنيين" بشرق بناسا بالوادي الأعلى لنهر ورغة، وكذلك على المنحدرات الأولى لجبال الريف. فقد يبدو هذا التوطين محتملاً للمعطيات الأثرية السابقة الذكر.

وانفتاح الرومان على السكان المحليين لموريطانيا الطنجية يتزامن مع ظروف سياسية صعبة جداً، ذلك أن "القبائل" في أوسط القرن الثاني الميلادي، قاومت بشدة المواقع الرومانية وشكلت تهديداً واضحاً على الوجود الروماني، بل أكثر من ذلك فقد عبرت مضيق الأعمدة وهددت الرومان بجنوب إقليم البتيك (Bétique) حيث حاصرت ما بين 169-177 م بعض المدن الإسبانية، لا سيما إيطاليا وسانجيليا باربا (Singilia Barba)، وغالباً أن "قبيلة" الزغرنيين التي يفترض أنها كانت تقطن بالجنوب الغربي لسلسلة الريف، قد كان لها النصيب الأوفر في تهديد الكيان الروماني حتى بالجنوب الإيبيري، ومن الطبيعي "تجنيس" زعيمها واستمالتها لكسب وفائه هو وعائلته ولم لا باقي أفراد "قبيلته" !

مصطفى أعشى، العلاقات السياسية والعسكرية بين المر والرومان ما بين 144-285، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، الرباط، 20 يونيو 1980، ص. 66، 107؛ مصطفى مولاي رشيد، المغرب الأقصى عند الإغريق واللاتين، الدار البيضاء، 1993؛ نفسه، "مضيف الأعمدة والجوار الموري - الإيبيري حسب المصادر الأدبية القديمة"، وقفات في تاريخ المغرب، دراسات مهددة للأستاذ إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات 27، الدار البيضاء، 2001، ص. 273-267.

G. Camps, *Les berbères, Mémoire et identité*, 2e éd., Paris, 1987 ; J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines dans l'antiquité classique à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; M. Euzennat, *Les voies romaines dans l'itinéraire d'Atonin, Hommage à A. Grenier*, Bruxelles, 1962 p. 595-610 ; Id, "Les Legrenses", *Mélanges W. Seston*, Paris,

توفي أحمد ابن زكري في النصف الثاني من القرن العاشر (16 م).

م. ابن عسكرو، دوحة الناشر، الرباط، 1976، ص. 59، 60؛ ع. العزيز الزياتي، الجواهر المختارة، مخطوط؛ م. عمراي، الشرف والمجتمع والسلطة السياسية، أطروحة مرقونة في كلية آداب الرباط، 2001؛ محمد البرتغالي الوطاسي، معلمة المغرب، 4: 1141، 1142.

**ابن زكري، محمد بن عبد الرحمن الفاسي، عالم** درآك مجتهد يتقن كثيراً من العلوم اللغوية والشرعية. أخذ العلم عن مشيخة فاس، والتصوف عن شرفاء وزان، محمد بن عبد الله الشريف، ثم ولده التهامي فولده محمد الطيب. وصفه تلميذه عبد المجيد الزبادي المنالي بقوله: "الشيخ الإمام الحبر الهمام، الثقة الحجة، السالك من مناهج الدين أوضع محجة، المحافظ الضابط الثبت، الحسن النعت والسمت، العلامة الفهامة الدراكة المشارك، الذي لم يعقه عن الانفراد بدائرة وقته متدارك".

ألف كتباً كثيرة كان يبدو فيها متفتحاً معتدلاً غير متقيّد بما ألفه الناس من مسلمات قد تؤدي إلى التناقض فيما قرره الإسلام من مبادئ كمالغة تفضيل العرب على العجم التي تمس قضية المساواة بين المسلمين وذلك مثلاً في همزته التي عارض بها همزية البوصيري، ولم يسايره في بعض مبالغاته التي ترسخت في أذهان العامة والخاصة عن حسن نية وبالغ محبة في الجناب النبوي الشريف. وقد توقف محمد بن الطيب القادري عند هذه النقطة في ترجمة ابن زكري في نشر المثاني واستطرد صفحات كثيرة في الرد على الشعوبية، وكان المترجم له منهم، بالرغم على ما سمعه القادري من ثناء أشياخه المتلمذين على ابن زكري العالم المحقق المدقق الصوفي. وقد ألف أحد علماء فاس وهو أحمد بن عبد السلام بناني (ت. 1234 / 1818) كتاباً في جزءين في الانتصار لابن زكري والرد على المتحاملين عليه: تحلية الآذان والمسامح، بنصرة الشيخ ابن زكري العلامة الجامع، وسماه أيضاً بأسماء أخرى على عادة بعض المؤلفين.

من مؤلفات ابن زكري المطبوعة بالمغرب: الإمام والإعلام بنقشة من بحورما تضمنته صلاة القطب مولانا عبد السلام ابن مشيش (ط. حجر فاس عام 1316 هـ، 312 صفحة)؛ حاشية على صحيح البخاري وبهامشه كتب أخرى (ط. حجر فاس د. ت. خمسة أجزاء)؛ المهمات المفيدة في شرح الفريدة؛ فريدة السيوطي في النحو (ط. حجر فاس، 1319 هـ، جزآن)؛ همزية في مدح الجناب النبوي (ط. حجر فاس، 1330، 32 صفحة). ومن مؤلفاته التي مازالت مخطوطة: تفسير مواضع من القرآن العظيم؛ الفوائد المتبعة في العوائد المبتدعة؛ وشرح النصيحة وشرح النصيحة كلاهما للشيخ أحمد زروق؛ وشرح الحكم لابن عطا- الله؛ وشرح الشمائل المحمدية للترمذي؛ حاشية على

توضيح ابن هشام؛ وتقاييد في النحو والبيان والمنطق والأصول والفقه والتصوف وأشعار كثيرة.

توفي بفاس ليلة الأربعاء 8 صفر عام 1144 / 22 غشت 1731. ودفن بدار بالدرب الطويل صارت بعد ذلك مقبرة.

م. ابن زكري نفسه، مؤلفاته المذكور لاسيما همزية وشرحها؛ ع. المجيد الزبادي، فهرس، مخطوط؛ م. القادري، التقاط الدرر؛ نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 5: 2033 - 2044؛ أ. بناني، تحلية الآذان والمسامح، مخطوط؛ م. الحضيكي، طبقات، تح. أ. بومزكو، مرقون؛ م. ابن جعفر الكناني، الأزهارالعاطرة الأنفاس، مخطوط؛ سلوة الأنفاس، ط. حجر فاس، 1300؛ ج. 1: 158؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1955، ج. 8: 83؛ م. مخلوف، شجرة التور، لبنان، د. ت. ص. 335؛ سركيس، م. كحالة، معجم المؤلفين، بيروت، 1957؛ ج. 140؛ إ. الإدريسي، معجم المطبوعات المغربية، سلا، 1988، 143-144.

**ابن زكري، محمد المفضل بن عبد الغني الفاسي، عالم** محدث مشارك، صوفي ذاكر ناسك، تخرج على يد كبار مشيخة العلم بفاس في وقته كمحمد بن المدني گنون وعبد المالك العلوي الضرير وأحمد ابن الخياط ومحمد بن التهامي الوزاني ومحمد القادري وأحمد بناني وغيرهم. ولم يكن يعقد مجالس عامة للتدريس، وإنما كان يشتغل في البحث عن المراجع وسرد كتب الحديث مع جماعة خاصة من أقرانه. قال عنه في سل النصال: "لا يعرف قيمته إلا الخواص من الناحية العلمية والدينية. اجتمعت به مراراً وتبركت به وذاكرته".

توفي في ثالث عشر جمادى الأولى عام 1352، ودفن بالقباب.

ع. ابن سودة، إتحاف المطالع؛ سل النصال / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 8: 3021.

محمد حجي

**الزكريتي، محمد بن حموش** مقاوم من مواليد سنة 1328/1910 بدوار زكريتين ملحقة اجدير إقليم تازة.

انضم إلى صفوف الثورة المغربية الريفية بقيادة البطل عبد الكريم الخطابي وأصيب بجروح، كما كان من المؤسسين لجيش التحرير سنة 1955 في كل من الناظور وقبيلة اكزناية، حيث كان ينفذ التعليمات الحربية المسندة إليه بكل شجاعة وإخلاص تحت قيادة أخيه الشهيد سيدي الحسن الزكريتي الذي كان قائداً لفرقة ضمن صفوف جيش التحرير.

توفي يوم الثلاثاء 29 جمادى الأولى عام 1416 / 24 أكتوبر 1995.

المدنية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 524246.

## زكرياء، أحمد بن زكرياء بن الحسين الباعمراني

اشتهر باسم والده زكرياء. وتعجب صاحب المعسول من انتقال هذه الأسرة من البسائط الفسيحة فكيك إلى بقليلة الضيقة، هذا وقد استجوبت مترجمنا هذا فقال : أوكد لك عن عدم أي أثر يردنا إلى فكيك اللهم إلا مالنا من أجسام كاملة طويلة على عكس البودراريين القصار هذا كلامه.

ولد المترجم سنة 1335 / 16 / 1917. وبعد نموذجاً للشخصية الباعمرانية، فقد نشر المعرفة هناك وبث روح المقاومة الوطنية في تلاميذه وكان دائماً في المقدمة، وما أنني من تلاميذه فمن الواجب عليّ أن أشير إلى ما قيل فيه من خير وإكبار وإشادة بمكانته.

قال عنه صاحب المعسول : "هذا هو الذي إليه يساق الحديث، ويسببه ذكرنا جميع من في هذه الأسرة المباركة". حفظ القرآن في زاوية سيدي سليمان على يد أحمد الباعمراني من قبيلة إيمستين ثم التحق بالمدرسة العلمية (الجمعة) بقبيلة أيت عبلاً الباعمرانية عند سيدي محمد بن عبد الله أولكوش، ومن هناك إلى مدرسة تانالت عند سيدي الحاج الحبيب البوشواري سنة 1354 ثم التحق بزاوية - إلغ - الدرقاوية عند الشيخ المدني، ومن إلغ إلى مدرسة إيفيلان عند الحاج مسعود الوقفاوي إلى سنة 1361 ثم انتقل إلى فاس فأخذ عن جلة علماء فاس. وهكذا جال في معظم المدارس العلمية بسوس، وأخذ عن كبار أساتذتها، وكان ولاشك سمع قوله الشيخ بلقاسم من - تيفنوت - عند ما قال لبعض المحصلين من تلاميذه : ها أنت تعلمت العلوم وأتقنتها، فإذهب إلى فاس لتتعلم العبارة ( المعسول، ج. 10، ص. 250).

شارط الأستاذ زكرياء في عدة مدارس علمية وتخرج على يده كثير من أطر الدولة حالياً ومن تلك المدارس مدرسة - بوجرفا - حتى تعرض فيها لمضايقة الاستعمار الإسباني، ثم شارط في مدرسة أيت بويكر حيث كان يقصده الهاريون من فدائيي الدار البيضاء، ثم في مدرسة سيدي سليمان، وأخيراً صار أستاذاً في المعهد الإسلامي بتارودانت إلى أن بلغ سن التقاعد.

كان يكره الظلم بقدر ما يكره الاستعمار، وكانت دروسه لا تخلو من الشحنة الوطنية، لذلك انضم إلى قادة أيت باعمران وشيوخهم عندما استنكروا الحالة المدنية لأيت باعمران وفيها الجنسية الإسبانية (الصبيرية) فأقام كل بأمغار - تبريحا - بسوقه يتبرأون من الجنسية الإسبانية، فكان رد إسبانيا هو القبض على الزعماء وعلى رأسهم مترجمنا هذا، وذلك سنة 1366 فسجنوا في الداخلة بالصحراء المغربية لمدة سنتين ونصف.

وساهم في المقاومة السرية بالدار البيضاء صحبة الشاويش أحمد الباعمراني وعلي الخمسي الباعمراني ثم ساهمنا في تكوين فرقة أخرى في خريكة تحت يد سعيد بن

المعلم مبارك الباعمراني ومعنا عبد العزيز الماسي (المعسول، ج. 10، ص. 263).

وكانت مدرسة أيت بويكر هي مقصد الفدائيين حيث مترجمنا هذا ومنها إلى مدينة سيدي إفني.

وعند رجوع الملك محمد الخامس سُمح في إفني بالاحتفال للأجئيين دون الباعمرانيين، ولما فرض أيت باعمران احتفالهم بالقوة قبض على المتزعمين ومنهم مترجمنا هذا ونقلوا إلى الداخلة لمدة أكثر من خمسة شهور، كان مترجمنا هو الذي تولى الخطاب باسم وفد أيت باعمران بالرباط سنة 1376 / 1956.

وبما أن الحكومة المغربية لم تسرع إلى تسلّم السلطة في أيت باعمران فإن المقاومة الشعبية بدأت من جديد فاعتقل مترجمنا هذا ونقل إلى السجن بالجزر الخالدات لمدة مائة يوم، ولما أطلق سراحه صادق من جديد الثورة التحررية لأيت باعمران ضد الإسبان في 24 نوفمبر 1957 فكان مترجمنا هذا ممن يشجع ويبحث عن تموين المجاهدين، كما تفرغ لتكوين الشباب ثقافياً بالمعهد الإسلامي بتارودانت.

تنبأ له صاحب المعسول منذ كان في إلغ بقوله "لهذا الأديب الكبير ربيب المدرسة الإلغية آثار أدبية لا بأس بها، وذلك سنة 1356. قال عنه المرحوم حمدي أنوش "حرم مترجمنا من زيارة أهله وهو طالب بتالت سنة 1935 ولاشك أن هذا الحادث له وقع كبير في مسيرته التضالية..." وأضيف هنا حتى الأدبية وقد جُمع له حتى الآن 3100 بيت كموضوع لذكواته لدولة.

وقال عنه اليزيد الراضي : "ونذر نفسه لخدمة الأجيال الصاعدة وتكوينها تكويناً متيناً سليماً، ينسجم مع هويتنا الحضارية ومبادئنا الدينية وتطلعاتنا المستقبلية".

وقال عنه أحمد أبو القاسم : "انخرط في ثورة الشعر المتأججة ضد الاستعمارين، فلم يبق له وقت للممارسة الإبداع، بل صرف كل جهوده للمشاركة في تنظيم وتسيير حركات المقاومة المغربية".

هذا وقد أقيم تكريم للمترجم من طرف جمعية أيت باعمران للتنمية بمدينة سيدي إفني يوم 13 نونبر 1994. وتوفي يوم 29 جمادى الثانية عام 1416 / 23 نونبر 1995.

م. المختار السوسي، المعسول، ج. 10، ص. 241 : الإلغيات، تكريم الأستاذ أحمد زكرياء، من طرف جمعية أيت باعمران للتنمية، عروض وشهادات، ص. 27.

الحسين جهادي

## زكزل، اسم لأهم أنهار سهل تريفة شمال سلسلة جبال

بني إزناسن بالمغرب الشرقي. والظاهرة الغربية التي يتميز بها أن عيونته تتفجر بالعدوة الجنوبية بطيبة كبرى تقع أسفل الجبال المذكورة من الجهة المذكورة ثم تتجمع عند وهد

تقعري يكسو سريره تركيب مختلط بين الأترية الطينية ومسطح من الكلس. ويمر الوادي عبر خنك، أي خانق، يبلغ عمقه زهاء 700م، تحت الجبال، قبل أن يطل من إبط بركان. ومن غرائب الطبيعة هناك أيضاً، أن الخنك المذكور تعلوه طبقتان مسطحتان، احدهما على ارتفاع 800 م والثانية تتخللها قسم يتباين ارتفاعها من 1150 م إلى 1200 م، باستثناء قمة واحدة مرتفعة بنحو 1400 م. وتوجد بجوانبه خوانك كثيرة تحمل اسمه.

وتتميز الضفة الغربية لوادي زكزل بوجود عينين، عين أولول وعين الكرمة مما أثار الانتباه إلى ما قد يكون تحت سهل اتريفة وسهل انكاد من مياه جوفية، وفعلاً أكدت أعمال الحفر أن المنطقة غنية بتلك المياه، وقد تم اكتشافها على عمق 63 م، وشرع في استغلالها منذ عدة عقود. ويواصل زكزل مسيرته نحو الشمال حيث يصير اسمه واد الشرع الذي يصب في ملوية على نحو 30 كلم من البحر المتوسط.

وهناك جماعة قروية يخترق أرضها واد زكزل تسمى باسمه قاعدتها بلدة أكلميم التي أصبحت بلدية بـ 8.000 من السكان، ومركزاً لدائرة عدد سكانها 76.000 نسمة، في حين تبلغ ساكنة الجماعة القروية 25.000 نسمة.

R. Raynal, *Plaines et piedmonts du bassin de la Moulouya (Maroc oriental)*, Rabat, 1961, pp. 166, 254 ; A. Stretta, *Amalat d'Oujda : la plaine des Triffa*, pp. 43, 45 ; L. Gentil, *Extrait du Bull. Soc. Geog.*, t. XXIII, jan. 1911, pp. 17 - 38 ; Ministère chargé de la population : Direction de la Statistique, *Recensement 1944*, Rabat.

أحمد بنجلون

**الزكارة**، قبيلة تقطن بجبل زكري الذي يبعد بحوالي خمسة وعشرين كيلومتراً جنوب غرب مدينة وجدة، وتنتشر في مجال يمتد من وادي إسلي إلى مشارف العيون الشرقية. ويعود أهلها في أصولهم إلى جهات مختلفة من بسط أنكاد ويني إزناسن وكرسيف ودبدو وفكيك والصحراء، ويشتغلون بالفلح والرعي.

وستحسب من تاريخ هذه القبيلة على إبراز الأثر البعيد الغور الذي خلفه انخراطها في سلك الحركة الصوفية التي تزعمها الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 931 / 1524) خلال الربع الأول من القرن العاشر (16م)، وثبات أهلها على المحبة في هذا الشيخ والتعلق بمذهبه وخدمة ضريحه وحفدته. وتأتي على رأس مهندهات انتساب الزكراوين إلى الطريقة الراشدية مجاورة بلادهم للمنطقة الغربية من المغرب الأوسط التي شكلت مهد هذه الطريقة ومجال انتشارها في حياة الشيخ أحمد بن يوسف، والممتد من سهل شلف شرقاً إلى ندرومة غرباً ومن السواحل المطلة على البحر المتوسط شمالاً إلى تخوم الصحراء جنوباً. وقد أهلت هذه المتاخمة قبيلة الزكارة لتحتل قلب جغرافية الطريقة الراشدية في المغرب وتتصدر تاريخ حلقات

انتشارها به، إذ تأسست غالبية الطوائف والزوايا الراشدية المغربية الأولى في الناحيتين الشرقية والجنوبية من البلاد، مثل السهيلية والشيخية والكرزازية والصادقية والغازية وغيرها.

وتعتبر الرواية الشفوية الزكراوية عن هذا الامتياز، وتحدث بخبر زيارة الشيخ الراشدي للزكراوين ونزوله بين ظهرانيمهم، وهو خبر لا سبيل إلى إثباته أو نفيه. والمؤكد هو طرود حفدة هذا الشيخ على الزكارة، قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1245 / 1830 ومن بعده، وانتظامهم في المجموعات المشكلة لها، وتفرعهم إلى عدد من فرقها، وتقاسمهم الرئاسة الروحية بها مع حفدة الشيخ عمر بن سليمان تلميذ الشيخ أحمد بن يوسف، ومؤسس الطائفة اليوسفية المتفرعة عن الراشدية. وتؤديها السيرة المفردة في الراشدي من قبل محمد الصباغ القلعي خلال العقد السادس من القرن العاشر (16 م)، وذلك فيما يتعلق بتأكيد اسم شيخ اليوسفيين، وجعله من أعلام الطائفة الراشدية الأولى، ومن كبار صحب الراشدي ومن المقربين من أتباعه، الذين كانوا يقضون الليل في بيته، وذلك في قرية مصراته المجاورة للقلعة من البلاد الراشدية. وتتباين أخبار سيرة الشيخ عمر بن سليمان في الرواية الشفوية الزكراوية، نتيجة التعارض بين مروجيها "أولاد الزروقي" المنتسبين إلى فرقة "أولاد سيدي أحمد بن يوسف" حفدة شيخ الطريقة الراشدية و"الرسمه" حفدة شيخ الطائفة اليوسفية، وهما فرقتان زكراويتان متنافستان حباً في الرئاسة والاستظهار : وينسب الأولون الشيخ عمر بن سليمان إلى وطن بني راشد، ويقولون بنشوته على دين اليهودية، ويفخرون بإسلامه على يد جدهم، ويحملونه مسؤولية الانحراف الذي لحق بالطريقة الراشدية على يده، والمتمثل في دعوته إلى البدعة اليوسفية. ويقول الراسميون إن هذا الشيخ جدهم الأعلى، ويرفعون نسبه إلى إدريس الأكبر، ويجعلون ضريحه بقصبة شراعة من قبيل تريفه، ويذكرون أنه قد بنى بإحدى بنات أو حفيدات شيخه أحمد بن يوسف.

وقبيلة الزكارة ليست الوطن الأصلي لعشيرة الراسمين، الذين يزعمون أنهم خلف طائفة صوفية أندلسية ! ولا يعلم متى طرأوا على بني عتيق في بني ازناسن، واستقروا بالموضع المسمى تغاسروت، وهو الموضع المسمى اليوم تزغين قرب أبركان. ولم ينظر بنو عتيق بعين الرضى إلى هؤلاء الطارئين المنتحلين لمعتقدات أنكروها، وكافحهم وراسوا استئصال شأفتهم. ولم تنج منهم إلا فئة قليلة فرت إلى فرقة أولاد محمد الزكراوين المنتسبين إلى الطائفة اليوسفية، والذين استضافوهم وأكرمهم، واتخذوهم متبوعين لاتصال نسبهم بمؤسس هذه الطائفة.

ولا يتفرد الزكراوين بإقرار الراسمين على صلتهم الدينية والطينية بالشيخ عمر بن سليمان، بل يقطع بهذه الصلة أيضاً الغنافة القاطنون بين مراكش وتامصلوحت في

مطلع القرن الرابع عشر (20 م)، وهم معدودون من جملة اليوسفيين. ويسوغ هذا التساؤل إذا ما كان موضع تزغين موطن استقرار عمر بن سليمان بعد خروجه عن شيخه أحمد بن يوسف، وهل هذا مسقط رأسه أيضا ووطن عشيرته؟ وهل شكل المجال الجغرافي الممتد من قصبه شراعة من قبيلة تريفة شمالاً إلى فرقة أولاد محمد من قبيلة الزكارة جنوباً، مروراً بهذا الموضع من بني عتيق، موقع تأسيس الزاوية اليوسفية الأم، ومجال نفوذها في حياة مؤسسها الشيخ عمر ابن سليمان؟

وهكذا يكون الزكراويون قد انتسبوا إلى الطريقة الراشدية من طريق الطائفة اليوسفية التي تأسست قريبا منهم، في حياة الشيخ أحمد بن يوسف، خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م)، وصاروا تابعين لأحد أعلام الطبقة الراشدية الأولى، وهو الشيخ عمر بن سليمان. وقد تفرعت الطريقة الراشدية بعد انتقالها إلى المغرب إلى اتجاهات متفقة في النسبة الزروقية - الشاذلية، ومختلفة في رؤاها الفكرية والمذهبية. وتزعمت الطائفة اليوسفية الاتجاه الذي تعلق بمذهب الشيخ أحمد بن يوسف، والمتصل بفكر أبي يزيد البسطامي (ت. 261 / 874)، والقاتل بالإحسان بلا علل، والمجبة الخالصة، والتساهل في تحقيق الحشية والرجاء. وقد بلغت الطائفة اليوسفية في التأسس بالطريقة الراشدية التي تسلمت منها إلى درجة انتحال أحد أسماؤها وهو اليوسفية، والتعفف عن اتخاذ اسم يخصها ويميزها عنها، وظلت تعرف بهذا الاسم طول القرن العاشر (16 م). وستدعى من بعده، وعلى مدى تاريخها الطويل والممتد من القرن العاشر (16 م) إلى القرن الرابع عشر (20 م)، بتسميات متعددة. منها ما ارتضاها أتباعها لأنفسهم كالأحمدية والملاينة نسبة إلى الشيخ أحمد بن يوسف وضريحه بجليانة، ومنها ما أطلقها خصومهم عليهم كالبضاضة نسبة إلى إباضية مزاب بالمغرب الأوسط، والشاركة نسبة إلى القبائل التي انتقلت منه إلى المغرب الأقصى. والعكاكرة نسبة إلى العكاكز أحد شعارات الفرق، وهي التسمية التي اشتهرت بها هذه الطائفة أواخر الدولة السعدية وصدر الدولة العلوية، وطفعت على كافة تسمياتها السابقة. هذا بالإضافة إلى القبائل التي ظلت على هذه النحلة الصوفية إلى مطلع القرن الرابع عشر (20 م)، والتي لم تعد تعرف إلا بأسماؤها كالزكارة التي تهمننا وبني محسن والغنامة والملاينة.

وبعد المشرب الصوفي الذي كرع الزكراويون من حوضه من المشارب الصوفية غير المرغوب فيها من قبل غالبية مشايخ التصوف المغربي من أهل القرن العاشر (16 م)، الذين كانوا يرون فيه أصل شيبوب الفتن، والطريق المباشر إلى الانحراف، وكانوا يحذرون الناس من مشايخه، ويصرفونهم عن مصنفاته، ويقولون إنها تسد باب الفتح. فطوقت الطائفة اليوسفية بثمة البدعة، وجوبت بالمكافحة

على عهد الوطاسيين والسعديين. وأفاد اليوسفيون من زمان الفترة الطويلة التي امتدت من وفاة السلطان أحمد المنصور (ت. 1012 / 1063) إلى قيام الدولة العلوية، وظهروا ظهوراً خطيراً. وتوفر من تاريخ قبيلة الزكارة، خلال هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الطائفة اليوسفية بالمغرب، على الإشارة التي جاءت بكتاب "تبصرة الرئيس الأمين في ذكر شروط إمام المسلمين" للمؤلف المجهول الذي عاش بالمغرب أواخر الدولة السعدية، وبرحلة أحمد الهشتوكي الحجازية التي تمت عام 1096 / 1684 وعنوانها "هداية الملك العلام"، وقوامها ذكر بني يعلى من بني يزناسن ضمن المواضع اليوسفية التي طبقت شهرتها آفاق المغرب على عهد الفترة من القرن الحادي عشر (17 م) وبني يعلى المقصودون هم الساكنون في اجراة والراجعون لقبيلة الزكارة الكبرى، وأيضا إختوتهم من بني عتيق الزناتيين اليزناسيين.

وحاكم السلطان مولاي رشيد اليوسفيين عام 1080 / 69 - 1670 واستتابهم، ونكهم السلطان مولاي إسماعيل عام 1102 / 1691، وخرب أنشط وأهم مواضعهم الواقعة بتادلا وزمور، ونفذ حكم الزندقة في مشايخهم، وبدد تراثهم، وفرق شمل عوامهم وأجلاهم عن مطاعنهم إلى حيث لا شيعه لهم، ونفاهم خلال القبائل التي لا تدين بنحلتهم، وقد أفادت قبيلة الزكارة من موقعها الجغرافي الثاني عن السلطة المركزية والقريب من مراكز الطائفة اليوسفية والطريقة الراشدية في تزغين ومليانة، فنجت من هذه النكبة، وازدادت أهمية بعد نزوح الرسميين إليها من تزغين وهم حفدة شيخ اليوسفيين، وتكاثر بها حفدة شيخ الراشديين. حيث طرأت عليها فرقة جديدة منهم فارة في وجه الفرنسيين بعد احتلالهم للجزائر، وهي فرقة "أولاد الزروقي" التي انضافت لفرقة "أولاد الزناكي" المستقرة بالزكارة قبل القرن الثالث عشر (19 م). وهناك فرقة زكراوية تالفة تدعى النسبة إلى طائفة "أولاد سيدي أحمد بن يوسف" وتدعى "الغواثة"، ولا تفرها الفرقتان السابقتان على ذلك، وتنسبناها إلى مؤذن وخديم جدهم الشيخ أحمد بن يوسف، وانتشر النفوذ الصوفي الزكراوي بعد تفرق الرسميين أيادي سبأ، وانتشارهم في القبائل التي ظلت على النحلة اليوسفية في بني محسن من قبيلة غيائة في ناحية تازة، والغنامة المستقرين بين مراكش وتامصلوحت، والملاينة المستوطنين سهل الغرب. وبدت الزكارة في مطلع القرن الرابع عشر (20 م) بمظهر الزاوية اليوسفية الأم، واعترفت لها القبائل المذكورة بالتبعية الروحية، وقصدتها بالزيارات ورفع الهدايا.

وإذ أذنت نكبة عام 1102 / 1691 لحرب اليوسفيين أن تضع أوزارها، ولأهل السنة أن ينصرفوا عن الاهتمام بهم بعد خضد شوكتهم، وللمصادر السنينة أن تسكت تماماً عن أخبارهم، حيث اعتور تاريخهم فتور لم ينشط من عقاله

أبد الدهر. فإن المجاورين والمخالطين للزكراويين لم يجنحوا إلى السلم، واستمروا على مكافحتهم لليوسفيين منهم. ونقصد بالمخالطين "أولاد الزروقي" المتنافسين مع إخوانهم "أولاد الزناكي". والذين تسلحوا بصورة البدعة اليوسفية في خصومتهم معهم ومع شيعتهم الرسميين، واستخدموها كنهمة يلوحون بها ويهددون. ولا يستبعد أن تكون هذه أيضاً حال بعض المجموعات المكونة للقبيلة الزكراوية من غير اليوسفيين، أمثال "أولاد رياح" و"المحافظ".

وتتلخص صورة البدعة الزكراوية المروجة من قبل الخصوم في غلو الزكراويين اليوسفيين في محبة الشيخ أحمد بن يوسف وتفضيله عن الرسول (ص)، وجريهم على سنن سلفهم في إنكار نبوته (ص)، والمرأة على الاستخفاف به (ص). وفي تعدد مظاهر إباحتهم، من تعظيمهم أركان الإسلام الخمسة، ورفضهم الضحية وتفضيل الميتة عليها، واستحلالهم أكل الخنزير، وارتكابهم المحارم واشترآكهم في النساء في ليلة معلومة تدعى ليلة الخلطة أو الغلطة، وعقدهم القران بين الرضيع والبالغة وتفككه رسمتهم بالأبكار. وتتصل صورة البدعة الزكراوية هاته بالصورة التي رسمها أهل السنة لليوسفيين خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16 و 17 م)، وقصدوا بها إلى كافة المغاربة تحذيراً لهم من انطلاء ناموسهم عليهم، وإلى ولادة الوقت انتهاضاً لهم لإطفاء شرمهم ووضع الحكم الشرعي فيهم. وهي صورة غريبة عن المنطق الحقيقي والمصدر التاريخي للنحلة اليوسفية وهي الطريقة الراشدية، وهي بداية هذه البدعة في المصادر السنية. أما متوسطها ونهايتها وقوامها الغلو والإباحة فلا يمتان إلى الواقع بصله، ويؤولان إلى تاريخ الخيالات والذهنيات، ويتصلان بالتهمة المتواترة كونياً، ومنذ أقدم العصور، والملفقة للخصوم في المذهب والدين.

وهكذا تلازم ثبات الزكراويين على النسبة اليوسفية مع إصرار واستمرار مجاورهم ومخالطهم على مكافحتهم والتصديق عليهم، وذلك في إطار قطيعة تامة مع تاريخ هؤلاء وأولئك. وقد نتجت هذه القطيعة عن الفجوة التي حدثت في تاريخ الطائفة اليوسفية، والتي أعقبت نكبة عام 1102 / 1691 واستغرقت القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 و 19 م) بأكملها. ولم يعد الزكراويون يذكرون من تاريخ أسلافهم اليوسفيين شيئاً، ونسوا تماماً تاريخ الخلاف المذهبي الطويل الذي در قرنه بينهم وبين أهل السنة في إطار الإسلام والتصوف منذ أولية القرن العاشر (16 م)، ولم تخف حدته إلا في نهاية القرن الذي أعقبه، وهذه حال خصومهم أيضاً الذين يجهلون تاريخ المكافحة السنية التي عنها يصدرون.

وفي خضم هذا النسيان الشامل للجذور التاريخية للخلاف الناشب بين الزكراويين وخصومهم طراً اهتمام جديد بأهل جبل زكري ونحلتهم، وانطلق من مدرسة الاستشراق

الفرنسي التي نشأت بالجزائر، والتي ما انفك علماؤها منذ استقروا بهذه البلاد يسألون الناس ويبحثون في بطون الكتب عن إمكانية وجود قبيلة مغربية وأمازيغية بالأساس لا تدين بالإسلام. وكان يحلو لهم أن يظنوا أن قفار جنوب وشرق المغرب الشاسعة وكنتلة الأطلس الهائلة لا زالت تأوي جماعات تحافظ على معتقدات جد بدائية ظلت مستعصية على الإسلام. وتسلسل هذا الوسواس أكثر ما تسلط على Auguste Mouliéras أستاذ اللغة العربية بوهان، الذي بعث بمخبره الجزائري المستتر في مرقعة الفقر في ثلاث بعثات استكشافية إلى المغرب يبحث له عن ضالته المشوذة : قبيلة مغربية أمازيغية لا تدين بالإسلام. وكان مخبره المذكور يعود إليه في كل مرة يخفي حين، إلى أن قاده إلحاحه إلى رجل من بني إزناسن أسر إليه بأن الزكراويين الزناتيين لا يدينون بالإسلام، وأن مجاورهم يرون أنهم على دين النصرانية، وعليه أن يحقق هل هم نصارى حقاً أم من عبدة الأوثان ؟

وفرغ Mouliéras بهذا "الاكتشاف" فرح الصائد بالقنيص، واعتقد أنه اهتدى . حسب تعبيره . إلى العثة التي قطعت الطريق على الفيل الذي هو الإسلام، والحطام الذي نجا وطفا على السطح بعد طوفان الإسلام الذي أغرق كل الأديان والشعوب التي تعاقبت وتوالت على المغرب ! وأخرج ما في جعبته في مقالات متسلسلات ثلاث جمعها في كتاب (1903 - 1905)، وأثار ذلك حين صدوره ضجة عارمة، حاول البعض إخماد نارها، وسعى البعض إلى إذكاء أوارها. وكان له على هاته وسقطاته فضل لفت النظر إلى القبائل المغربية التي ظلت على النحلة اليوسفية إلى مطلع القرن الرابع عشر (20 م)، كما كان وراء إنتاج تراكم لا بأس به من الكتابات التي همت مختلف أوجه الحياة في قبيلة الزكارة.

ووضع Mouliéras يده على مظاهر الغلو والإباحة من النحلة الزكراوية، والمخالفة للإسلام المخالفة الصريحة، كبغض الرسول (ص) ورفض المأمورات واقتحام المنهيات، وترك ما دون ذلك. وكذب كل الأخبار التي تهمة اشتراك الزكراويين في النساء تكذيباً قاطعاً، ونسبها إلى كرد المسلمين لهم لاستعصانهم . في نظره . عن الدين الحنيف. وجعلها مجرد أراجيف واقتراءات باطلة، واجتهد في دحضها متوسلاً بكل التأويلات الحسنة لها، ومستعيناً بكل الأساليب الساخرة تنكيتاً على مروجيها وتسفيهاً لهم.

ولم يكن Mouliéras من الأصل متحمساً إلى نسبة الزكراويين إلى المسيحية، لميوله الماسونية واستخفافه بالأديان السماوية. ورأى بأن نحلتهم موعلة في القدم، وترجع إلى عهود البدائية السحيقة. فالزكراويون . في نظره . لم يبروا لا بالمرحلة الأسطورية ولا الدينية، والعقيدة التي لا يزالون يحيون عليها حتى مطلع القرن العشرين إرث حي



ومباشر تخلف عن المجتمعات البدائية، واستمر خالصاً من كل شائبة، رغم تعاقب الأديان والمذاهب على الصقع المغربي قراية ثلاثين قرناً. وظلت هذه العقيدة مرآة صافية تعكس العصور القديمة التي سبقت الأساطير والنواميس التي مهدت للأديان السماوية.

ولم يستقر Mouliéras على مذهب واحد بعينه في بحثه عن مصدر النحلة الزكراوية، وقال بجملة من الأصول فسر وأوّل بها تبعاً لنحلة الزكراويين : فبعد أن توهم في بادئ الأمر أنهم نصاري، رجح بأن عقيدتهم تأليهية خالصة أو ارتيائية. ولم يلبث أن جعلها وضعية بدائية، ثم عاد وقال إنهم زنادقة ملحدون، كما سيعتبرهم فولتيريين وماسونيين. وكانت قضية هذه القبيلة من بين القضايا التي اهتم بها وتدارسها المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين، الذي انعقد في مدينة الجزائر في شهر أبريل عام 1905، وقد حضره خمسمائة عضو جاؤوا إليه من مختلف الأقطار. وقد تقدم كل من محمد بن عبد الرحمن و W. Marçais و Von Oppenheim بملاحظات في موضوع النحلة الزكراوية، وساهم E. Montet بعرضه هوانه "هل الزكراويون مسيحيون أم مسلمون؟"، وقارن W. Marçais بينهم وبين بني عداس الجزائريين الذين يسمون أيضاً بالعامرية أو عامر. وواصل E. Montet اهتمامه بمشكل هذه القبيلة، تبعاً للجدل الذي أثاره عرضه السابق الذكر، فنشر في العام نفسه مقالا وسمه "الزكارة في المغرب : مشكل ديني"، وأكد فيه أن الزكراويين مسلمون، وأن نحلته مجرد بدعة، وربما كانوا على صلة بالشعبة الدرور.

واهتم R. Basset بهذه النحلة في خاتمة مقاله "أبحاث عن الديانة عند الأمازيغ" (1910)، الذي استعرض فيه الدين عند الأمازيغ منذ الوثنية إلى عهود الإسلام الأولى في المغرب. وتساءل إذا ما كان الزكراويون على صلة بالمذاهب الخارجية والشيعية والبورغواطية، والحادثة في المغرب قبل المائة السادسة للهجرة. ولم يؤيد A. Bernard ما ذهب إليه Mouliéras بصدده عقيدة الزكراويين، وذلك في كتابه الحدود المغربية الجزائرية (1911)، والتي تقع قبيلة الزكارة قريبة منها، ورأى بأنهم ربما كانوا على مذهب الإباضية أو على دين اليهودية. وأكد L. Voinot في كتابه وجدة والعمالة (1912) على نسبة الروايات التي تهمة هذه القبيلة إلى المجاورين والمخالطين لأهلها، وأن الزكراويين ينكرونها ويعلمون إسلامهم، إلا أنهم تغلب عليهم رقة الدين، وأن مشايخهم لا علاقة لهم بالكهنوت، وأنهم صلحاء مبنجلون.

وأقر E. Friang بحته لتبيل شهادة التخرج في سلك المراقبين المدنيين سنة 1946 في البدعة الزكراوية، وانتهى فيه إلى تفهقها في وجه العقيدة الإسلامية، واستدل على ذلك بالرحلة الحجازية التي قام بها أحد الرسة مع ثلاث زكراويين قصد أداء مناسك الحج عام 1937. وقال باختفاء

ليلة الغلظة، واضمحلال بقية الشعائر والمراسم الجنسية من تفكك الرسة بالأبكار وزواج الرضيع من البالغة.

وأعد Monsempe المنتسب إلى معهد الدراسات العليا الإدارية الإسلامية بباريس دراسة عنوانها مساهمة في التعرف بقبيلة : الزكارة، وذلك عام 1955. وهي مونوغرافية مفصلة عن جغرافية هذه القبيلة، وأصول سكانها، وأحوالهم المادية والاجتماعية والإثنوغرافية. وقد عمد هذا الباحث إلى التحري الميداني، وقام بالاستخبار في عين المكان. ويبدو أن مهمته لم تكن بالسهلة اليسيرة، وأنه كان مستخيراً مشبوهاً وجوبه بالخنز والحيطه. وأكد أن الصبر كان ديدنه، وأن تردده المستمر على الزكراويين، والعلاقة الطيبة التي نظمت بينه وبينهم، قد أثمرت صداقة ومودة وثقة ألفت بينه وبين بعضهم. وخالصة استخباره في شأن البدعة الزكراوية قوله إن الروايات المتعلقة بها مادة يصعب تحديد مقدار الصحة فيها، أو تعيين مقدار الخيال فيها، سواء كان مصدرها المنكرون أو المستحلون، وإقراره بعجزه عن اتخاذ موقف منها تأييداً أو إنكاراً.

وأذنت نهاية الحماية الفرنسية على المغرب، عاماً واحداً بعد هذه الدراسة، بنهاية اهتمام الفرنسيين بقبيلة الزكارة، وبغيرها من المجموعات القبلية المغربية التي ظلت على النحلة اليوسفية إلى القرن الرابع عشر (20 م). ودخل تاريخ الزكراويين طور الحصول من جديد، وانحصرت أخبارهم في نطاق المحلية الضيق، لكن إلى حين. وقد تلقف عبد الصمد الديالمي ما عند Mouliéras في كتابه المرأة والجنس في المغرب (1985)، فدفع برمضان مصباح إلى شد الرحال إلى الزكارة والاستخبار فيها مع رئيس جماعتها القروية وطائفة من كهولها ومسنينها، ونشر حصيلته تحت عنوان "بين أوغست موليبيراس وعبد الصمد الديالمي ضاع إسلام وكفاح قبيلة الزكارة" (1986)، وخالصة مقاله أن معاصرنا الزكراويين لم يعودوا يذكرون إلا ما كتب وقيل عنهم في عهد الاستعمار.

م. الصباغ القلعي، بستان العارفين الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار، مخ خ ع 243 ك. 59 : مجهول، تبصرة الرئيس الأمين في ذكر شروط إمام المسلمين، مخ خاص، غير مرقم : أحمد بن محمد النهشتوكي، هداية الملك العلام إلى حج بيت الله الحرام والوقوف بالمشاعر العظام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام، مخ خ ع 190 ق. 71 : قدور الورطاسي، بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1976، 20، 93، 94 : عبد الصمد الديالمي، المرأة والجنس في المغرب، الدار البيضاء، 1985، 44 : رمضان مصباح، بين أوغست موليبيراس وعبد الصمد الديالمي ضاع إسلام وكفاح قبيلة الزكارة، العلم الثقافي، العدد 792، السبت 6 شتنبر 1986، 4، 5 : ع. محجي، النصف والبدعة بالمغرب، طائفة العكاكرة ق 16 و 17، منشورات كلية الآداب بالرباط، الدار البيضاء، 2000، 33، 36.

A. Mouliéras, *Une tribu Zénète anti-musulmane : les Zkara*, bull. soc. archéo. Oran : 26e année, t 23, fasc XCVII, oct - déc 1903, 293 - 332, 1ere partie ; 27e année, t 24, fasc c, juillet - sept 1904 ; 28e année, t 25, fasc CII, janv - Mars 1905 ; *Une tribu Zénète anti-musulmane : les Zkara*, Paris, 1905 ; V. Aymé, *Lettre à Mr Mouliéras à propos d'ethnologie berbère*, bull. soc. géo. archéo. Oran, 1904, 405 - 407 ; J. Corriéras, *Une tribu Zénète anti-musulmane : les Zkara*, A.F : R.C. année 1906 ; *Actes du 14e congrès international des orientalistes d'Alger*, 1905, I : 45 - 46 ; A. Bel, *Le 14e congrès international des orientalistes d'Alger*, 1905, bull. tr. soc. géo. archéo. Oran, 28 année, t 25, fasc CIII, avril - juin 1905, 192 - 204 ; E. Montet, *L'histoire des religions au congrès des orientalistes d'Alger*, revue de l'histoire des religions, t 52, 1905, 78 - 84 ; M. Bencheneb, *3e section langues musulmanes dans le congrès d'Avril 1905 à Alger*, revue africaine, 2e - 3e tr, 1905, 263 - 343 ; E. Montet, *Les Zkara du Maroc : un problème religieux*, revue de l'histoire des religions, t 52, 1905, 418 - 425 ; R. Basset, *Recherches sur la religion des Berbères*, revue de l'histoire des religions, vol XLI, n 3, 291 - 342 ; A. Bernard, *Les confins algéro-marocains*, Paris, 1911, 29 - 30 ; L. Voinot, *Oujda et l'Amalat*, Oran, 1912, 186 - 189 ; E. Friang, *Les Zkara et leur évolution devant l'Islam*, mémoire de Fin de stage des contrôleurs civils, promotion 1946 ; E. Dermenghem, *Le culte des saints dans l'Islam maghrébin*, Paris, 1954, 237 - 238 ; Monsempe, *Contribution à la connaissance d'une tribu : les Zkara*, archives du centre des hautes études administratives musulmanes, Paris, 1955.

عبد الله نجيمي

**الزكاري، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة أسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Zacari.**  
وكانت بتطوان أسرة أخرى أصلها من قبيلة بني زگار الهبظية منهم، أحمد بن محمد الزكاري من أعيان تطوان، عين أميناً للمستفاد بالعرانش في 22 ربيع الثاني 1304 وتوفي بطنجة سنة 1330 (1911).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 770.

محمد ابن عزوز حكيم

## الزكاري أحمد الفاسي ← ابن الخياط

**الزكاري، محمد (الحاج -) التطواني** خليفة النائب السلطاني بطنجة وأمين مرساها). ينتمي إلى إحدى العائلات الشهيرة بتطوان في القرن الثالث عشر (19 م) (مختصر، 2: 333) والتي تولى بعض أفرادها مناصب مخزنية هامة، وخاصة منها مناصب الأمانة. وقد برز من

بينهم أشخاص حملوا نفس اسم المترجم منهم الحاج محمد الزكاري الذي كان يشتغل أميناً بمرسى العرائش 1249 / 1834 (تاريخ تطوان، 8: 286)، وكذلك محمد الزكاري الذي كان يشغل منصب أمين الداخل بمكناس سنة 1274 / 1858 (إتحاف، 3: 549). هذا ولا نعرف إذا كانت هنا قرابة عائلية بين هؤلاء وبين المترجم الذي نكاد لا نعرف عنه هو نفسه شيئاً، قبل اندماجه في الخدمة المخزنية، سوى ما وصفه بلديه مفضل أفيلال في الرحلة المراكشية عندما نزل ضيفاً على خطيب المسجد الأعظم بطنجة الفقيه الفلوس في شوال 1277 / ماي 1261، وكان الحاج محمد الزكاري من بين الطلبة المستقبليين له، فكتب عنه يقول :

"وإذا بالشاب الأديب، الورع الحسيب، من طاب خلقاً وخلقاً، وفاق أقرانه نباهة وتقى، حاج الحرمين، ومجل العلماء بلامين، من خاضت في محاسنه أفكاره، الحاج محمد الزكاري، فتفاعلت بطلعته السعيدة وبمنه، على صغر سنه، أقبل كالطبي النافر وأحضر كل ما يحتاج إليه المقيم والمسافر... (تاريخ تطوان، 7: 202)، وهذه كلها صفات من شأنها أن تجذب نظر المخزن إليه لتولي مناصب هامة في أسلاك الدولة. وهكذا ولاه السلطان المولى الحسن أميناً بمرسى طنجة فيما بين شعبان 1301 / ماي 1883 وربيع الثاني 1304 / يناير 1887 (كناش خ ح رقم 677). وعندما قرر إرسال نائبه بطنجة الحاج محمد الطريس سفيراً عنه إلى روما لدى البابا ليون الثالث عشر سنة 1888 (تحفة، 100، 108 : الاستيطان، 1: 390, 383) استنابه عنه ليقوم مقامه بشؤون دار النيابة السعيدة بطنجة أثناء مدة غيبته عنها (وثائق تطوان، مح 6: 75) التي استمرت شهري فبراير ومارس من نفس السنة (الاستيطان، 1: 385). وظل المترجم على اتصال دائم بالنائب السلطاني الحاج محمد الطريس يروما يكتب له عن كل ما يجري بدار النيابة ويتلقى منه الأجوبة عن ذلك (تحفة، 108)، كما كان يكتب إلى السلطان بما يجيبه به الطريس وكذلك النواب الأجانب باعتباره "خليفة خديمتنا الأَرْضى الحاج محمد الطريس" كما كان ينعته المولى أثناء غيبته هذا الأخير عن طنجة (وثائق تطوان، مح 6: 79). وكانت العادة الجارية أن مهمة هذا الشخص غالباً ما تنتهي بعودة النائب السلطاني إلى محل أشغاله بطنجة، إلا أن الحاج محمد الطريس تعمد الإبقاء على المترجم معه بدار النيابة للاستعانة به على كثرة الأشغال وقلة المعين، خاصة بعد أن عينه المولى الحسن في 82 ماي 1888 لمحضور المؤتمر الدولي المزمع عقده في مدريد للحد من أضرار الحماية القنصلية بالمغرب (وثائق تطوان، مح 6: 114) والذي سوف يتم تأجيله المدة تلو الأخرى قبل أن يتم إلغاؤه (Miège, 4: 155 - 165). ومن أجل ذلك طلب من السلطان جعل الأجرة للمترجم أي جعله خليفة له بصفة رسمية، إلا أن المولى الحسن كان له موقف آخر، وهو أن يبقى أمر الانابة إلى السلطان. (وثائق تطوان، مح 27 : 153).

وبالرغم من التبرم الذي أبداه السلطان في هذا الجواب، فقد ظل الحاج محمد الطريس مصراً على طلبه، محاولاً إستغلال علاقات الود التي تجمعها بالوزير غريط المذكور آنفاً (وثائق تطوان، مح 27 / 165).

هذا ولم يلبث السلطان المولى الحسن أن وافق على طلب الحاج محمد الطريس بجعل خليفة له من دون أن يعين له أحداً حسبما أجابه به الوزير محمد المفضل غريط في 25 ربيع الثاني 1306 / 29 دجنبر 1888 بقوله :

وأمرني مولانا نصره الله بالكتابة لك بأن تعين للنيابة عنك من تطيب فيه نفسك.. (وثائق تطوان، مح 28 : 48).

لكن بالرغم من هذه الموافقة من طرف السلطان، فإن تنفيذ ذلك لم يتم إلا في 28 رجب 1308 / 9 مارس 1891 عندما تم تعيين الحاج محمد الصغار لشغل هذه المنصب "نحو العاميين ويبدل بغيره" (وثائق تطوان، مح 165). ويعود هذا التأخير - فيما يبدو - إلى تكليف المترجم بمهام جديدة، ذلك أن المخزن كان بصدد التهيء لشراء مدفعين كبيرين يتم تركيبهما على البرج الكبير أو البرج الألماني، وهو حصن يوجد بالقرب من مصب أبي رراق. كان المهندس الألماني روتنبيرغ (Rottenburg) قد انتهى من إنجاز الأشغال الكبرى فيه في ربيع 1889 (162 - 161 Guillen). وقد أرسل المولى الحسن لهذه الغاية بعثتين إلى ألمانيا قادهما المترجم بمعية المهندس الزبير سكيرج، وذلك في سنة 1307 (بداية 1890) و1308 (نهاية 1890) (إتحاف، 2 : 489) : مجلة دار النيابة، ع. 8 : 30).

أما في عهد السلطان المولى عبد العزيز، فلعل أهم منصب تقلده المترجم هو "التكليف بالقرض الفرنسي الجاري بطنجة وغيرها من المراسي السعيدة" الذي كان يقتطع 60٪ من مداخيلها، وذلك بموجب الفصل (13) من عقد قرض سنة 1904 الذي ينص على أن : "تعين الدولة الشريفة نائباً خصوصياً من قبلها يكون واسطة بينها وبين حملة الاستلزامات ويكون محل استقراره بطنجة وأن جميع ما يتعلق بأمر هذا السلف يكون يخبر به خيراً صحيحاً نيابة عن دولته كما يتعين عليه أن يرفع لأمناء المراسي الأوامر المماثلة للأوامر التي يوجهها نائب حملة الاستلزامات لوكالاته بعد الموافقة بينهما. وأن راتب النائب المذكور وصوائره تكون على الدولة الشريفة (كتاش، خ ح. رقم 773). وقد شغل المترجم هذا المنصب على الأقل منذ سنة 1905 (كتاش، خ ح. رقم 707) إلى أن أعفاه منه السلطان المولى عبد العزيز في يونيو 1907 وولى مكانه محمد بن محمد بن المفضل ابن خلدون الفاسي، وكتب بذلك إلى أمناء مرسى تطوان (كتاش، خ ح. رقم 666، ص. 12). وكذلك إلى نائبه بطنجة الحاج محمد الطريس (كتاش، خ ح. ك 2720، ص. 350). وكان آخر ما وقفنا عليه بالنسبة للمترجم هو أنه كان يشتغل أميناً بطنجة في رمضان

1328 / سبتمبر - أكتوبر 1910 (كتاش، خ ح. رقم 569، ص. 304).

وبالرغم من أننا لا نعرف مآل الحاج محمد الزكاري بعد سنة 1910 ولا تاريخ وفاته، فيمكن القول إن مسار الرجل ما بين 1883 و1910، رغم تدبده، يعكس الدور الذي اضطلعت به بعض الأسر المنحدرة من مدينة تطوان في مد المخزن بحاجياته من الأطر المقتدرة في ميادين مختلفة كالمال والسياسة من مغرب ما قبل 1912.

وثائق خ ح. كتاش، 569 و666 و677 و701 و773 : وثائق، خ ع. كتاش، ك 2720 : وثائق تطوان، مح 6 ومع 27 ومع 28 ومع 165 : ع. ابن زيدان، إتحاف، ج. 2 و3 : م. داود، تاريخ تطوان، ج. 7 و8 : م. داود، مختصر تاريخ تطوان : أ. الكردودي، التحفة السنوية : م. بوشعراء، الاستيطان، ج. 1 : مجلة دار النيابة، ع. 8 : 1985.

P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905*, Paris, 1967 ; J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, tome IV, Rabat, 1989.

ميلود أحسن

**ابن زكُون، حسن بن إبراهيم بن عبد الله، فقيه مالكي ولد بتلمسان سنة 484 / 1091 وسكن مدينة فاس.** دخل الأندلس فأخذ بها عن بعض علماء قرطبة ومرسية. ورجع إلى مدينة فاس فصار كاتباً لقاضيها عيسى بن يوسف ابن الملقوم الأزدي. ويحكم خبرته في الفقه وأحكام القضاء ألف كتاباً في الرأي والنوازل سماه اعتماد الحكام في مسائل الأحكام، لا يزال مخطوطاً، وتتوزع أجزاءه بين خزنة القرويين، وبعض الخزائن الخاصة. توفي بفاس سنة 553 / 1158.

ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تح. ع. السلام الهراس، الدار البيضاء، ج. 1، ص. 217 : ابن الأبار، معجم أصحاب أبي علي الصديقي، نشر فرانسيسكو غوديرا، مدريد، 1885، ص. 73 - 74 : أ. ابن القاضي، جذوة الانتساب، الرباط، 1973، ج. 1، ص. 183 : عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، بيروت، 1971، ص. 61.

محمد المغرادي

**الزُكْمُوْزِي، محمد** نسبة إلى زكْمُوْز، بكاف معقودة، أحد مداشر ونبيلة الواقعة على طريق تلوات القديمة، جنوب غربي مدينة دمنات. ولعل زكْمُوْز علم لشكل طبيعي. إذن فهو اسم موقع. لذلك يتكرر توارده في جهات أخرى، أشهرها، الوادي الواقع بين أراضي إيوزيون، وأراضي إسكتان، شمالي الطريق الواصلة بين تازناخت وتاليوين، على سفح الأطلس الصغير الشمالي (رحلة الوافد، 142).

أما محمد الزكْمُوْزِي، فهو ينتمي إلى الجهة الأولى.

وردت ترجمته عند الخليفتي ( الدرّة الجليلية، 264)،  
ولعله ينفرد بها. لا تعرف شيئاً عن تاريخ ولادته ونشأته؛  
ولا عن مستواه العلمي. وتفيدنا المعلومات القليلة التي  
جمعها الخليفتي، أنه "كان من أجل تلاميذ الشيخ أحمد بن  
ناصر". ولعل هذا ما خلد اسمه. وقد كونت زاويته، مع  
باقي فروع الناصريين المنبثّة في تلك الربوع، عناصر أساسية  
لحفاظ على تماسك تلك القبائل، ودعم توازنها، بما اضطلع  
به شيوخها من وظائف؛ مثل نشر التعليم، والتحكيم في  
النزاعات، والمساهمة في العمل على سيادة الأمن  
والاستقرار، في ذلك الموقع الذي تخترقه طريق كانت  
مطروقة بكثافة في ذلك العهد.

وقد ترقى الزكوزني في سلك الطائفة الناصرية حتى  
أصبح مقدما على فقراء جهته. و"عرف باتباع الحق والقول  
به، ناسجا في ذلك على منوال شيوخه الناصريين".

توفي بزكوزن وبه دفن في تاريخ غير معروف؛ لكن  
الراجع أن وفاته كانت قبل سنة 1182 / 1768.

الزهوني، رحلة الوافد، تح. علي صدقي، ص. 142؛ الخليفتي،  
الدرّة الجليلية، مخطوط؛ التحري الميداني.

أحمد عمالك

**الزكندري، عبد الله بن محمد أحد العلماء**  
المراكشيين الكبار والحفظة التميزين للمصحف الكريم. اسمه  
عبد الله بن محمد بن عبد الله الهرغي يلقب بالزكندري أو  
الزقندري نسبة إلى المدينة المغربية القديمة زكندر أو زقندر أو  
زجندر التي اختطها أبو يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن سنة  
578 / 82 - 1183. بإقليم سوس بالقرب من معدن للفضة  
(نفاضة، 62؛ الإعلام، 8؛ 232). ولد بمراكش يوم 17 ربيع  
الأول من عام 705 / 7 أكتوبر 1305، وبها درس الحديث  
والفقه واللغة (نفاضة، 66).

وقد عرف بالفقيه المهذب المحدث الرزين العالم  
الفاضل، الشاعر الأديب، الظريف العلمي، الحسن الهيئة  
(بلغة، 178).

خرج الزكندري من مراكش في رحلة حجازية علمية أخذ  
خلالها عن كثير من العلماء في الغرب الإسلامي وشرقه ولم  
يخلف لنا أثراً لها على غرار ما قام به مواطنه التجيبي  
وابن رشيد السبتيين. فيعد أن اكتمل تعليمه على يد  
أساتذته المراكشيين من أمثال ابن العباس العفاري وأبي  
الحجاج الدغوي وأبي القاسم ابن معنصر وأبي القاسم بن  
القشاش وأبي عبد الله بن مسعود، خرج إلى أغمات فأخذ  
بها عن أبي يحيى الجزري. وفي فاس تتلمذ عن أبي محمد  
عبد العزيز القروي. كما توقف في تازة حيث أخذ عن أبي  
محمد الرجالي وفي تلمسان تتلمذ عن الشيخ الفقيه النظار  
أبي موسى ابن الإمام وأبي عبد الله الأيلي. ومن التونسيين  
أخذ عن أبي عبد الله بن دمعون وأبي عبد الله بن جابر

وفي الأسكندرية تفقه على يد عدد من العلماء الكبار من  
بينهم أبو العباس بن فتوح وأبو الحسن ابن الفرات ومحمد  
بن عبد الكريم بن عطاء الله وإسماعيل العزيز. كما حضر  
في القاهرة حلقات العلم التي كان يلقها قاضي المالكية  
تقي الدين الاحساني وأبو الحسن المارديني. ثم تابع رحلته  
إلى بلاد الشام فتوقف بدمشق حيث أخذ عن جملة من  
مشايخها من بينهم شهاب الدين بن فضل الله كاتب  
الانشاء وبالصالحية حيث درس على عز الدين المقدسي  
وغيره. وفي الحجاز حيث أدى فريضة الحج، توقف بمكة  
للأخذ عن مشايخها الكبار كشمس الدين النوفري وخليل  
ابن أحمد وتفقه في المدينة عن عفيف الدين المطري (نفاضة،  
165).

بعد أن أتم رحلته الحجازية المشرقية عاد إلى وطنه  
فولي قضاء أغمات. ثم بعد ذلك ولي قضاء سبتة. كما  
جلس للتدريس بالمدرسة الجديدة منها. فكان يستقبل وفود  
الطلبة السبتيين بمنزله الشهير الكائن آنذاك بأعلى زقاق  
الوراق من سبتة فانتفعوا من علمه. وكان أبو محمد القاسم  
بن أبي حجة من بين العلماء السبتيين الكبار الذين تفقهوا  
على يديه في (كتاب مسلم بن الحجاج) (بلغة، 178) وقد  
ظل بسبتة إلى أن أحيل من قضاءها. ففعل راجعاً إلى بلده  
مراكش فتسلم قضاءها في 15 رمضان من عام 760 / 10  
غشت 1359 (شرف الطالب، 84؛ وفيات، 125). كما جلس  
للتدريس بها واختص في تلقين علوم التفسير والحديث وقد  
أخذ عنه عدد من العلماء بمراكش من بينهم أحمد بن قنفذ  
القسنطيني (شرف الطالب، 84؛ كتاب الوفيات، 366)  
وأحمد باب التميكتي (نيل، 224) وبمراكش لقي به محمد  
ابن الخطيب السلمي الذي خصه بجميل القول وحسن  
الاشادة والذكر (نفاضة، 63).

يذكر التميكتي أن وفاته كانت في سنة 808 / 1406  
(نيل، 224) ولعل الصحيح أنه توفي سنة 768 / 1367  
(الإعلام، 8؛ 232، شرف، 84؛ وفيات، 125؛ لفظ، 213؛  
كتاب الوفيات، 366).

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، المطبعة الملكية، الرباط، 1974، الجزء 8.  
؛ أ. بابا التميكتي، نيل الابتهاج، نشره عبد الله الهرامة،  
طرابلس، 1398 / 1989؛ بلغة الأمية ومقصد اللبيب، تح. محمد  
ابن تاويت، مجلة تطوان، العدد 9، 1964؛ ابن الخطيب، نفاضة  
الجراب، تح. أ. مختار العبادي، الدار البيضاء، أ. ابن القاضي،  
لقط الفرائد، تح. م. حجي، كتاب ألف سنة من الوفيات، الرباط،  
1396 / 1976؛ أ. ابن قنفذ، شرف الطالب، تح. م. حجي، كتاب  
ألف سنة من الوفيات، الرباط، 1396 / 1976؛ كتاب الوفيات،  
تح. عادل نويهيض، بيروت، ط. 2، 1978؛ الوثنرسي، وفيات  
الوثنرسي، تح. م. حجي، ألف سنة من الوفيات، الرباط، 1396 /  
1976.

زليخة بنرمضان

الزگوندور، مَنجَم لاستخراج الفضة، بكتلة السيروا بالأطلس الصغير الأوسط، على بعد 30 كلم إلى الشمال من تاليوين. ويبدو أن الموقع معروف منذ زمن بعيد باعتبار معنى التسمية الذي يفيد الكنز بالأمازيغية.

من أواخر فترات استغلاله، نخص بالذكر تلك التي قامت بها الشركة المنجمية لسيدي لحسن (SOMIL)، إحدى فروع مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية (BRPM)، خلال الثمانينيات. وقد توقف استخراج المعدن في الوضع الراهن. بالإضافة للفضة، يضم المنجم مواد مختلفة منها الزنك والرصاص والنحاس واليورانيوم. وتتركز التعدادات في مواطن السحق البناي على حد تقاطعات البنيات الشرقية - غربية والشمالية - جنوبية من ضمن التكوينات الطينية المتحجرة لما قبل الكامبري.

عدي عزي

### زكي الإدريسي مولاي إدريس بن المختار (مقاوم) :

ولد سنة 1925 بمرآكش، وتلقى تعليمه الابتدائي بإحدى مدارسها. إلا أنه لم يستمر في الدراسة، فانصرف إلى العمل في ميدان التجارة في سن مبكرة. وكان يقيم بفونتي بأكاير في الفترة الممتدة بين سنتي 1953 و1960. وقد انخرط في حزب الاستقلال منذ سنة 1944، وبرز فيه كأحد العناصر المهمة التي تسيّر أنشطة الجمعيات التابعة له، وكان يقوم بمهمة توعية المواطنين واستنهاضهم من أجل دعم مطالب الحركة الوطنية المغربية بعد تقديم عريضة الاستقلال سنة 1944. واستمر في القيام بأنشطة سياسية بصفة سرية إلى غاية سنة 1952، حيث تمكن من تأسيس منظمة مسلحة بالاتفاق مع بعض أصدقائه الذين شاطروه الرأي بشأن الانتقال من العمل السياسي إلى العمل المسلح في مواجهة السلطات الاستعمارية الفرنسية بمدينة أكادير، وهم : عبد الله أوثن (النوصيري)، محمد بن العربي الشيشاوي، وإبراهيم بن الحاج بوسلام، وقد انضم إليهم آخرون وبلغ مجموعهم 25 فرداً، واتفقوا على تسمية منظمتهم بـ "الفرقة التحريرية"، وعرفت بعد العمليات الفدائية التي قامت بها بـ "اليد السوداء".

كانت الاجتماعات السرية التي يعقدها مع عناصر المنظمة تتم في منزله الكائن بأغزديس قرب مدينة أكادير، وفي بعض الأحيان في منزل أحد تلك العناصر، وكان يشرف مباشرة على تخطيط وتدبير العمليات الفدائية التي تقوم بها. وقد تبنت منظمته فعلاً مسؤوليتها عن أكثر من سبعة انفجارات استهدفت عدة مصالح فرنسية، إضافة إلى اختطاف عميد الشرطة الفرنسي كروازو المعروف بتعذيبه للمقاومين المغاربة وللمتطاعين معهم.

ألقت الشرطة الاستعمارية القبض عليه وعلى أكثر زملائه، واستجوبوا وعذبوا أثناء التحقيق، وقدموا إلى

المحكمة العسكرية بالدار البيضاء يوم 11 مايو من سنة 1954 لمحاكمتهم، وتراوحت الأحكام الصادرة عنها في حقهم بين 5 و10 سنوات سجناً إضافة إلى ما بين 5 و20 سنة نفيًا. وكان الحكم الصادر في حق زكي الإدريسي مولاي إدريس يصل إلى السجن لمدة 10 سنوات والنفي لمدة 20 سنة. وأطلق سراحه في يوم 23 يناير من سنة 1956 بناءً على البرقية 140 س، وذلك بعد عودة المغفور له جلالة محمد الخامس رحمه الله إلى المغرب. وبعد خروجه من السجن، شغل منصب محتسب مدينة أكادير مدة من الزمن إلى أن أحيل على التقاعد، وهو متزوج وله 4 أبناء. (شهادات المرحوم عبد الله النوصيري وزكي الإدريسي مولاي إدريس بن المختار).

عرض مفصل حول أعمال الفرقة التحريرية الملقبة بمنظمة اليد السوداء. (مرقون)، أرشيف المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير - نيابة أكادير : شهادة إدارية، وهي عبارة عن تصريح مصادق عليه بتاريخ 10.7.1979، بحوزة المرحوم عبد الله النوصيري (أوشن) : شهادة من إدارة المستودع المركزي لأرشيف العدالة العسكرية بمو (Meaux)، مؤرخة بتاريخ 25 شتنبر من سنة 1964، تحت رقم HY 135000 : شهادة عبد الله النوصيري، (أوشن) على شكل استجواب محرر بتاريخ 25 و26 نونبر من سنة 1986 : شهادة زكي الإدريسي مولاي إدريس مؤرخة بتاريخ 11 يناير 1987 : خالد أوثن، الوعي الاجتماعي بالمقاومة الوطنية، (فوزج أكادير، 1953 - 1956) بحث لنيل الإجازة في التاريخ، تحت إشراف الأستاذ محمد أعقيف، السنة الدراسية 1986 - 1987، بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط : عبد الرحيم الوردغي، المقاومة المغربية ضد الحماية الفرنسية، 1952 - 1956، الرباط.

خالد أوثن

### زكي، علي صحفي مصري كان يعمل بصحيفة المؤيد

المصرية. فأرسلته هذه الصحيفة المقرية من الأوساط الإسلامية إلى إسبانيا سنة 1906، ليواقيها بأخبار مؤتمر الجزيرة الخضراء الذي انعقد من يناير إلى أبريل 1906.

ويظهر أن علي زكي ربط علاقات مع الوفد المغربي، وهو أمر طبيعي لكون الوفد المغربي كان الوفد الرسمي العربي في المؤتمر الذي لم تستدع له أية دولة إسلامية مثل مصر أو تركيا كما كان يأمل بعض المراقبين المسلمين.

بدون شك استفاد الوفد المغربي الذي كان من أبرز أعضائه الأمين محمد المقرري الذي كانت له اتصالات مع المشاركة، من خدمات الصحفي المصري، وربما أصبح علي زكي من تراجمة المؤتمر وربما اقترح عليه العمل بالمغرب. لهذا نجد علي زكي عوَض أن يرجع إلى مصر يذهب إلى فاس إثر انتهاء أشغال المؤتمر.

قبل علي زكي العمل مع المخزن كترجمان رسمي بدار النيابة ولذلك سكن بطنجة وظل يزاوَل مهامه كموظف

مخزني إلى بداية عهد الحماية.

تولى علي زكي رئاسة لجنة السمسة التي أحدثها مؤتمر الجزيرة في إطار إنجاز الأشغال العامة بالمغرب على أساس سياسة الباب المفتوح. كما تولى عدة وظائف عندما أصبح الحاج محمد المقرّي وزيراً أولاً في عهد مولاي عبد الحفيظ، قبل الإشراف على الشؤون الاجتماعية بطنجة وأعمال الصحة والوقاية بين 1909 و 1911.

كان علي زكي مرتبطاً بمحمد المقرّي بكتابة بكل ما يطرأ بطنجة من كل الأمور التي تهم العلاقات المغربية الخارجية.

وزيادة على عمله الرسمي كان يهتم بالأمور الثقافية ويظهر أنه في عهد الحماية، قد شارك في ميدان التدريس بالثانوية الإدريسية بفاس. فكتب عن التربية والتعليم والأحياس والمالية وتربية الأطفال وأمراض أجهزة التغذية والتنفس.

ولقد كان علي زكي نفسه مبتلى بمرض اليواسير الذي أرقه مدة حسبما يفهم من مراسلاته مع محمد المقرّي.

وبالجمل، فقد كان علي زكي واحداً من المثقفين العرب الذين أبدوا استعدادهم للتعاون مع إخوانهم المغاربة. فقد قدّم خدماته للمغرب في ظروف حرجة، كان المغاربة يصارعون فيها ضد الهجمة الاستعمارية الفرنسية في مطلع القرن العشرين.

ع. زكي، مراسلات، خ. ح. الرباط، محمد بن الحسن الوزاني، حياة وجهاد، 1، ص. 278.

علال الخديبي

**الزكي، محمد بن العباس** أسرة الزكي من الأسر الرباطية، برز فيها محمد بن العباس الذي عاش في القرن الثالث عشر (19 م)، تولى خطة الحسبة في الرباط ابتداء من 25 ربيع الثاني 1266 / 1851 خلفاً لمحمد بناني وهو ابن عم المحتسب الذي يحمل اسمه وسبقه للخطة بمسقط رأسه الرباط أيضاً. أما المحتسب الزكي فقد ظل في الخطة مدة طويلة امتدت ستاً وعشرين سنة أعفي منها سنة 1292 / 1875.

م. دبنية، مجالس، ص. 203؛ ع. الفاسي، مدينة الرباط وأعيانها، ص. 124.

عبد الإله الفاسي

**الزلازل بالمغرب**، يقصد بالزلازل في علم الجيوفيزياء تلك الاهتزازات الفجائية، التي تعترى القشرة الأرضية بسبب تحرك كتل صخرية عظيمة في باطن الأرض وعلى سطحها أحياناً، وذلك عبر الصدوع والتشققات، مدفوعة بقوة الطاقة الحرارية المتجمعة والمتراكمة في مكان مناسب من باطن الأرض خلال فترات زمنية طويلة جداً.

يؤدي تراكم تلك الطاقة الحرارية المتجمعة والمتراكمة إلى ظهور قوة حركية هائلة، تبدأ على شكل توتر واضطراب في مكان تأثيرها، وتأخذ الصخور بالتشوه شكلاً وبالتشني أحياناً، ولكن مع تزايد الطاقة الحرارية وشدة تأثيرها يتصاعد التوتر ويزداد التشني ويبدأ ظهور الشقوق الصغيرة متناثرة في البدء، ثم تتجمع على شكل أحزمة، وفي لحظة الضعف الكبرى للصخور - اللحظة الحرجة - تنشق الكتل الصخرية على شكل صدع أو شق كبير دافعاً طرفي الصدع باتجاهين مختلفين، وربما يرتفع أحد الأطراف وينخفض الآخر وذلك خلال ثوان أو دقائق معدودة. قد يمتد الصدع عشرات الكيلومترات أفقياً وعمقاً، يرافق ذلك تحرير طاقة تحركية مدمرة وبصورة فجائية تبلغ قوتها قوة بضعة ملايين من القنابل الذرية المعيارية، كالتي أقيمت على مدينة هيروشيما اليابانية. مثل هذه الطاقة نراها في الزلازل المدمرة التي يزيد مقدارها عن سبع درجات حسب مقياس ريختر.

اتضح سبب وقوع الزلازل بمقاربة الملاحظات المتطورة للعلماء التي انتهت بنظرية جديدة، مهمة بالنسبة لتطور القشرة الأرضية ولها تأثير مباشر وحيوي في ظهور الفعاليات الزلزالية في المحيطات والقارات. عرفت بنظرية تكتونية الصفائح، حيث كانت الملاحظة الأساسية التي توصل إليها علماء الزلازل هي أن الجزء العلوي من القشرة الأرضية المسمى بالغلاف الصخري "الليثوسفير (Lithosphere) هو في حالة صلابة ويتحرك فوق طبقة لزجة تدعى غلاف الانسياب (Asthenosphere) وعلى الرغم من أن الصفائح أو الألواح المتحركة التي تشكل القشرة الأرضية تتفاوت مساحتها من بضعة مئات إلى عشرات الملايين من الكيلومترات المربعة، فإنها تشترك في سمة واحدة هي صلابة قوامها الداخلي. لذلك فهي تخضع لتشوهات رئيسية عند هوامشها فقط، حيث تحدث بها فعلاً الأحداث الجيولوجية الكبرى، فعند مواقع تصادم الصفائح تتشكل الجبال وتظهر البراكين، وعند مواقع تباعدها تنفتح أحواض المحيطات ويتكون قعر بحر جديد.

الموجات الزلزالية : تقع الزلازل إثر التحرر القوي والعنيف للطاقة المتكدسة في الصخور انطلاقاً من البؤرة بواسطة ثلاثة أصناف أساسية من موجات مرنة، مماثلة للموجات المألوفة في الهواء والماء، تؤدي إلى الارتجاج وتحدث أضراراً، إثنان فقط من هذه الموجات تنتشران في جسم الصخور، لذا تدعى بالموجات الجسمية (Onde de volume) الموجات الطولية والموجات المستعرضة.

تعد الموجات الطولية (Onde primaires P) الأكثر سرعة، ومن خاصياتها الأساسية، أنها تستطيع اختراق الصخور الصلبة والمواد السائلة كالمحيطات، كما تستطيع أن تعبر الأوساط الغازية كالهواء، عندما تخرج من أعماق الأرض إلى السطح تصدر دويماً على شكل موجات صوتية.

منطقة البؤرة الزلزالية السطحية والأماكن المجاورة لها مباشرة، وهنا يمكن للأشياء أن تقذف نحو الأعلى. وتظهر الحركات الأفقية واضحة من خلال الأشجار المنحنية والمداخن والمآذن والأبنية أحياناً، أما الحركات الدورانية للأشياء فإنها أقل حدوثاً ولكنها ليست نادرة.

مقاييس وخصائص الزلزلة :

لمعرفة ما يحدث لسطح الأرض أثناء وقوع الزلزال أقيمت في أوائل القرن العشرين محطات الرصد السيزمية، وهي أجهزة استقبال حساسة مؤلفة من مراجف (Seismographes)، تسمح بمعرفة ماذا يحصل بالضبط خلال حدوث الزلزال. فهي تسجل اهتزاز الأرض عادة بواسطة قلم حبر على ورقة ملفوفة على أسطوانة لها حركة دورانية. وقد بدأ في السنوات الأخيرة تسجيل تلك الحركة بالتصوير الفوتوغرافي أو بالشرط المغناطيسي، كما صممت أجهزة منيعة الحركة بشكل يتحمل الاهتزاز العنيف للأرض بطريقة يمكن بها الحصول على تسجيلات، تقرأ على شكل تعجيل أو تسارع الأرض مباشرة، وتدعى المعجلات أو أجهزة قياس التعجيل (Accelerographes).

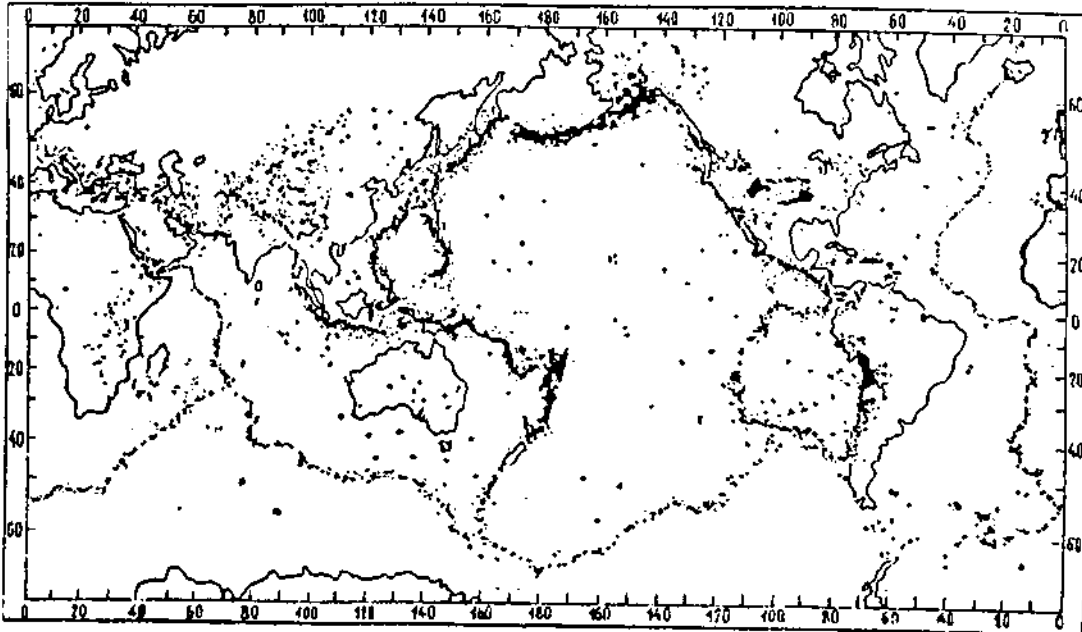
وبناءً على معلومات آلات التسجيل تتم معرفة خصائص الزلازل وهي : موقع الزلزال، وإحداثياته، وشدته، ومقداره.

وقد عرف المغرب خلال تاريخه عدداً لا يستهان به من الزلازل، جاءت أول إشارة إليها في أقدم سجل لها "كشوف الصلصلة عن وصف الزلزلة" لجلال الدين السيوطي (ت. سنة 911 / 1505). كما وردت أنباء الزلازل ضمن ما كتب من حوليات وتراجم سواء في المشرق أو المغرب غير أن أهميتها بالنسبة للمغرب مؤلف محمد بن الطيب القادري (ت. سنة 1187 / 1773) في مؤلفه نشر الثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني وكتاب التقاط الدرر

يشعر بها في البداية عندما يقع زلزال فتتذبذب الجدران والتوافذ. وبعد ثوان من ذلك تصل موجة (S). تدعى الموجات المستعرضة (S) (Ondes secondaires) تسير في جسم الصخور، بسرعة أقل من الأولى ولا تخترق الوسط السائل. تصل إلى محطات الرصد الزلزالية بعد فترة من الزمن بالنسبة للطولية وقد يتراوح التأخير بين بضع ثوان وعدد من الدقائق، ذلك حسب بعد مركز الزلزال عن محطة الرصد، عرفت بالموجات اللاحقة أو الثانية، وتقل سرعتها عن الطولية بمقدار ثلاث مرات. وتتميز عنها بأنها لا تغير حجم الوسط الذي تمر فيه، لكنها تغير الوسط الذي تخترقه، وبحركتها من أعلى إلى أسفل ومن جهة لأخرى، تهز سطح الأرض عمودياً وأفقياً، فتكون هذه الحركة هي المسؤولة على الأضرار الحاصلة في البنايات.

والنوع الثالث من الموجات يعرف بالموجات السطحية (Ondes de surface) وتتميز بانتشارها في الأجزاء السطحية من القشرة الأرضية، وهي ذات سعة ودور زمني أطول من النوعين السابقين، يمكن تصنيفها إلى مجموعتين : الأولى تدعى "لوف" (Love) وحركتها في الأساس تشبه حركة موجات (S) تحرك الأرض من جانب لآخر فقط، في مستوى أفقي مواز لسطح الأرض، ونتيجة للاهتزاز الأفقي الذي تسلطه على أسس المنشآت تخلف دماراً. أما المجموعة الثانية فتسمى بموجات "رايليغ" (Rayleigh) وهي أقل سرعة من الموجات الطولية والعرضية، تنتقل في الوسط المشوه كما تنتقل الموجة البحرية المتدرجة.

وتجدر الإشارة إلى أن الأنواع الثلاثة لهذه الموجات الطولية والمستعرضة والسطحية، تتسبب في تحريك جزئيات المادة بثلاثة مظاهر، رأسية وأفقية ودورانية، تظهر الحركة الرأسية عندما تصطدم أو تجتاح الأشعة الاهتزازية سطح الأرض بزاوية شبه قائمة مثل هذه الحركة ترصد عادة في



توزيع البؤر الزلزالية في العالم

ومستفاد المواعظ والعبير، ثم الناصري (ت. سنة 1315 / 1897) في كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. وضمن اهتمام الأوربيين بالمغرب سجل بعض التجار والرحالة والأسرى وغيرهم حوادث الزلازل ضمن الحوادث الأخرى، فتضمنت تقاريرهم ومذكراتهم ومراسلاتهم كل ما كان يحدث في المغرب بما فيه الزلازل. وهي إذا كانت قد سجلت زلازل لم تذكرها المصادر المغربية وفصلت في بعض منها، فإن أغلبها يتسم بكثير من الخلط للأحداث والتضخيم في الأضرار، لذا أوجب استعمالها الكثير من الحيطة والحذر.

لقد توفرت معلومات أغلب الحوادث الزلزالية بالمغرب إنطلاقاً من القرن الحادي عشر (17 م)، غير أن غالبها كان بهم الحواضر وبصفة خاصة فاس العاصمة العلمية ومليبية بحكم استعمارها المبكر. ومن خلال تلك المعطيات تبين أن المغرب عرف خلال تاريخه حصيلة لا يستهان بها من الزلازل المحسوسة، المدونة في مصادر ومراجع مختلفة ومتعددة، تفوق 400 هزة أرضية محسوسة فيما بين القرن التاسع الميلادي وأواخر القرن العشرين.

خلفت بعض الزلازل أضراراً مادية فقط في كل من فاس ومليبية وبإداس والحسيمة وأسفي وأكادير وغيرها، لكن البعض الآخر خلف أضراراً مادية وبشرية بشدة سبغ - ثمانية درجات من سلم VII-VIII MSK، حيث أسفرت عن عدد مهم من الضحايا.

وصل البعض الآخر مستوى كارثة بشدة عشر درجات (XMSK)، كزلزال 1624 الذي خلف خسائر مادية وبشرية كثيرة بفاس وبلغت شدته عشر درجات من سلم XMSK حيث تصدعت الجدران ووقعت أغلب المنازل، وحتى ما لم يقع آل إلى الوقوع لتشقق جدرانه، بل خوفاً من وقوعها صار أصحابها يهدمونها بأنفسهم خشية وقوعها عليهم، فلم يمر أسبوع دون أن تنهار أربعة أو خمسة منازل، منها ما يقع نتيجة الهدم وأخرى تسقط من تلقاء نفسها. ومن الطبيعي أن يخلف زلزال بهذه القوة عدداً مهماً من الضحايا 11 في فاس الجديد و1500 في فاس القديم.

ثم زلزال فاتح نونبر 1755 المعروف بزلزال لشبونة، الذي شمل مناطق شاسعة بما فيها المغرب سواء بواسطة الزلزال الذي بلغ مستوى كارثة (XMSK)، مخلفاً أضراراً مادية وبشرية كبيرة، في جل المدن المغربية خاصة مكناس، كما حصلت أضرار هامة، بواسطة موجات البحر الزلزالية (تسونامي) التي أودت بكل ما صادفته في طريقها في جل الشواطئ المغربية من طنجة إلى أكادير.

ثم زلزال أكادير في 29 نونبر 1960، الذي خلف خسائر فادحة، دمر 75٪ من حصيلة بنايات و15.000 من الضحايا وآلاف المشردين. لقد كان لهذا الزلزال أهمية كبرى. كان حافزاً لاهتمام السلطات المسؤولة بالموضوع، ووضع قانون البناء المقاوم للزلازل، ووضع محطة ثانية سنة

1964 للرصد الزلزالي، بدأت تتوسع شيئاً فشيئاً لتشمل حالياً ست شبكات جهوية تكون مجملها شبكة وطنية متكاملة.

أ. الناصري، الاستقصا، 9 أجزاء، الدار البيضاء، 1956؛ القادري محمد بن الطيب، نشر الثاني، تح. م. حجي وأ. التوفيق، في أربعة أجزاء، الدار البيضاء، 1982؛ بروس بولت، الزلازل، تر. سهل السنوي وأمين إبراهيم حسون، بغداد، 1988؛ شاهر جمال آغا، الزلازل وتطور وتبدل الأرض في القرآن، المكتب الإسلامي، 1416 / 1996؛ ثريا المرباط، تاريخ الزلازل بالمغرب من سنة 846 إلى 1960، رسالة دبلوم الدراسات العليا، 1991، جامعة محمد الخامس، الرباط.

ثريا المرباط

## زلاغ (جبل) ← زالغ

**الزَوالغي**، نقد نحاسي صغير يجمع على "الزَوالغ" ويساوي جزءاً من 12 جزء من الفليس. وفي مجال القسمة ينقسم إلى 12 حبة. وتدعى هذه القطعة النقدية "تازالاغت" بالأمازيغية، ويمكن من قبيل التداعي الربط بين تازالاغت كقطعة نقدية نحاسية وتازالاغت المدينة القديمة التي تتوفر على منجم للنحاس شرق قبيلة تافراوت بسوس ما يزال يحمل هذا الاسم وهو غني بهذا المعدن.

وينسب الزوالغي لجبل زلاغ بفاس. واستمر رواج هذه القطعة حتى أسقطها السلطان مولاي الحسن.

ع. أفا، مسألة النقود في تاريخ المغرب، ص. 404؛ ع. ابن زيدان، العز والصولة، الرباط، 1961، ص. 408.

عمر أفا

**الزلاقة**، معركة كبرى انتصر فيها المرابطون والأندلسيون على القشتاليين فسميت باسم المكان الذي جرت منه وهو سهل الزلاقة الفسيح الواقع بين نهر جبوره شمالاً ونهر جرير جنوباً، القريب من مدينة بطليوس. كان سقوط مدينة طليظلة وضمها إلى مملكة قشتالة في عهد الفونسو السادس سنة 477 / 1085، إيذاناً بانقلاب موازين القوى في شبه الجزيرة الأيبيرية بين دار الإسلام ودار الكفر لصالح الطرف الثاني بعد أن كانت الغلبة والتفوق للمسلمين منذ الفتح الإسلامي (الاستقصا، ج. 1 و2)، وأصبح المسيحيون منذ سقوط طليظلة يهاجمون دار الإسلام، يخربون مزارعها وساتينها ويحتلون مدننها وحصونها، ويخضعون حكامها لمعاهدات وقيود وغرامات جائرة (التبيان، 121). ولما اشتدت وطأة الإمارات المسيحية على ملوك الطوائف لم يجدوا مغيثاً ولا متقدماً غير المرابطين "وكان يوسف بن تاشفين لا تزال تفد عليه وفود ثغور الأندلس مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين



بالحق والإسلام مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته فيسمع إليهم ويصغي لقرولهم وترق نفسه لهم".

لم يكن يوسف بن تاشفين قادراً على تلبية نداء الأندلس قبل أن يخضع لنفوذه وسلطته مدينة سبتة التي استعصت عليه، فاشترط على المعتمد بن عباد كبير أمراء الأندلس أن يقدموا له الدعم والمساندة البحرية لفتح المدينة ؛ وفعلاً جرت معركة برية وبحرية بين الحلف المرابطي الإشبيلي وحاكم سبتة سكوت البرغواطي وأبنائه كاد الانتصار فيها أن يكون حليف هذا الأخير لولا دخول سفينة حديثة الصنع إلى المعركة (ابن بسام، الذخيرة، ج 2، ص 1)، وبعد فتح المدينة أصبحت الطريق إلى الأندلس سالكة.

جاز المرابطون البحر بقيادة يوسف ونزلوا بالجزيرة ومنها ساروا في اتجاه مدينة اشبيلية، وفي ظاهرها التقوا بالأندلسيين جيوشاً وأمراء وقادة فكانت درجة الحماس عند اللقاء عالية بعد زوال الحواجز النفسية والخوف عند الأندلسيين، فالجيش المرابطي نزل بلاد العدو بنظام وانضباط.

علم الفونسو السادس ملك قشتالة بعبور يوسف بن تاشفين وهو يحاصر مدينة سرفسطة ففك عنها الحصار وعاد إلى طليطلة ليستعد للحرب فاستنفر جيوش بلاده وبعث إلى ملك أراغون الذي كان محاصراً لمدينة طرطوشة، واستدعى قائده البرهانس الذي كان محاصراً لمدينة بلنسية فلحقوا به، وقدم الفرسان من فرنسا وإيطاليا وغيرها. حشد له من جنود النصراري ومنطوعتهم أمماً لا حصر لها "وبعث إلى بلاد قشتالة وجليقية ونبيلونة فأناه من تلك البلاد من حشود الروم أمم لا تحصى" (القرطاس، 145، 146) ؛

الاستقصا، 2 : 14) ولما رأى الفونسو السادس كثرة جيوشه أصابه الغرور وهتف قائلاً "بهؤلاء أقاتل الجن والإنس وملائكة السماء" (الروض المعطار، 289).

أما يوسف ابن تاشفين ورعياً لقواعد السنة الإسلامية. أرسل إلى الفونسو خطاباً يدعو فيه إلى الإسلام أو أداء الجزية أو الحرب، فاستكف الطاغية واستكبر. وخرج بجيوشه وحشوده الهائلة متوجهاً نحو بطليوس وكان المسلمون قد عسكروا بالقرب من المدينة في بسط الزلاقة واستقرت الجيوش النصرانية في مكان يبعد بنحو ثلاثة أميال عن المعسكر الإسلامي، يفصل بينها وبين فرع وادي يانة الممتد شمالاً في اتجاه نهر "التاجا (دولة الإسلام، 322) ؛ ورغم اعتداد الفونسو بكثرة جيوشه، فإنه لجأ إلى الخديعة فأرسل إلى المعتمد بن عباد يوم الخميس مقترحاً أن تكون المعركة يوم الاثنين مبرراً اقتراحه بكون الجمعة والسبت والأحد أياماً مقدسة عند المسلمين والنصارى واليهود (القرطاس، 150) لكن المعتمد ابن عباد بما أوتي من تجربة وحكمة فطن إلى الخديعة فأمر جنوده أن يكونوا على أهبة الاستعداد التام للمعركة وأرسل إلى يوسف مخبراً إياه فاستنفر جيوش المرابطين ؛ وقبل بزوغ فجر يوم

الجمعة 12 رجب عام 479 / 23 أكتوبر 1086 بدأت الجيوش المسيحية زحفها نحو المعسكر الإسلامي، وهذه أصح الروايات في تاريخ معركة الزلاقة كما وردت في القرطاس والحلل الموشية، وفي رسالة يوسف بن تاشفين إلى المغرب يعلمه بالفتح والنصر، ورأى المسلمون أن يبقى الجيش المرابطي مختبئاً بعيداً عن الجيش الأندلسي بحوالي ستة أميال ولا يدخل المعركة مع الجيش الأندلسي بقيادة ابن عباد إلا فرقة على رأسها القائد داود بن عائشة (القرطاس، 156، استقصا، 2 : 14 و 15).

كانت الخطة المسيحية تعتمد على عنصر المباغتة، وقد قسم الفونسو جيوشه إلى قسمين : الأول بقيادة القائد القشتالي البرهانس وملك أراغون ابن رودمير والقسم الثاني بقيادة الفونسو نفسه بحيث يهاجم الأول الجيش المرابطي ويتولى الثاني مهاجمة القوات الأندلسية ؛ ودخل الجانبين المسيحي والإسلامي المعركة وفق الخطط التي رسمها المتحاربون ؛ لكن الجيش المسيحي كان أكثر عدة وعدداً حتى إن التقديرات جعلته أضعاف الجيش الأندلسي والمرابطي مجتمعاً ثلاث مرات، فكان الظهور أولاً للمسيحيين وتراجعت طوائف كثيرة من الأندلسيين بطليوس لكن المعتمد بن عباد على رأس جيشه صمد في وجه العدو وقاتل بشجاعة نادرة رغم كثرة الجراح التي أصابته، فأيقن الفونسو السادس من الانتصار وبدأ جنوده يلاحقون المتراجعين من جنود الأندلس طائنين أن المعركة في نهايتها وأنهم قاتلوا الجيوش المغربية والأندلسية مجتمعاً. عندئذ برزت جيوش يوسف مقسمة إلى قسمين : فرقة بقيادة ابنه الأمير سير واتجهت لنجدة ابن عباد، والفرقة الثانية بقيادة يوسف نفسه اتجهت نحو معسكر العدو ؛ وانقضت على محلة الفونسو فنهيتها واضرمت النار في الخيام بعد أن قتلت حراسها وسبت حرمتها ثم التحق بالمعركة الكبرى فانقلبت الموازين لصالح المسلمين إذ انتقلت إليهم المبادرة، فسحق جيش قشتالة - المنهك ولم ينفع الملك القشتالي وقليل من رجاله إلا الفرار، وطاردهم المسلمون إلى أن حال بينهم الظلام ثم استؤنفت المظاردة في اليوم الموالي ؛ وتؤكد مختلف الروايات الإسلامية أن الخسائر في الأرواح في صفوف المسيحيين كانت كبيرة : "مات من جيشهم خلائق، وتبددوا في الطريق، فمن بين قتل وميت مشغل صريع ... (التبيان، 125) وعن القتلى في صفوف المسلمين قال أحد الذين شهدوا المعركة وهو كانت ابن عباد (أبو بكر بن القصيرة) : "ولم يصب بحمد الله من المسلمين - وفرهم الله - على هول المقام، وشدة الإقتحام كثير ولا مات من أعلامهم تحت تلك الجولة إلا عدد يسير..." (الذخيرة، ج 2، ص 1 : 244).

ومما ساعد المسلمين على الانتصار في معركة الزلاقة مشاركة حرس ابن تاشفين من السودانيين، وكان عددهم أربعة آلاف مقاتل، ووفرة الجمال، فقد "أمر يوسف بن

1119 / 1120 / 1127 وكانت له معرفة بالشيخ الشهير أبي الحسن علي بن محمد بركة الأندلسي ووقفت له على مساجلة شعرية معه بدأها المترجم له مادحاً الشيخ المذكور، مطلعها :

يهنئك أن حزت المفاخر كلها لما رقيت منابر التوفيق

توفي عبد الرحمن الزلال بتطوان عام 1130 / 1717.

أ. الرهوني، عمدة الراويين، 6 : 171. مخطوط : م. داود، تاريخ تطوان، 2 : 287، 286 : مجموع مخطوط رقم 605 بخزانة تطوان العامة.

محمد بوخيرة

**الزلال، عبد السلام بن أحمد**، قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني مصور، انضم إلى صفوف المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني ؛ وشارك في جميع المؤتمرات التي عقدتها الثورة وعين عضو القيادة المركزية للثورة في المؤتمر المنعقد بضريح مولاي عبد السلام يوم الأحد 15 شعبان عام 1331 / 20 يوليوز 1913.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة بشمال المغرب، الرباط، 1981.

**الزلال، العربي بن عبد السلام** قائد كان يرأس مجاهدي قبيلة بني مصور انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني، وقد شارك في جميع المؤتمرات التي عقدتها الثورة في كل من ضريح سيدي يسف التليدي وضريح مولاي عبد السلام بن مشيش وقرية عين الدالية سنة 1331 / 1913 عضو القيادة المركزية للثورة ؛ وشارك في عدة معارك إلى أن استسلم وقدم الطاعة للخليفة السلطاني سنة 1345 / 1926 حيث عين قائداً على قبيلته.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة بشمال المغرب، الرباط، 1981.

**الزلال، العياشي** قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني مصور انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني، انتخب في مؤتمر الثورة المنعقد بقرية عين الدالية يوم 11 ماي 1913 عضواً في المجلس الأعلى للثورة ؛ وهو الذي استلم البنادق ذات الطلقات الخمسة (الخماسية) التي اشتراها زعيم المقاومة بالسوق السوداء بطنجة يوم 29 أبريل 1913 ؛ وفي مؤتمر الثورة المنعقد بقرية الزوة بقبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915 عين وكيل مالية المقاومة وقد شارك في 45 معركة إلى أن انتهى أمر المقاومة سنة 1345 / 1926 وعندئذ استسلم وقدم الطاعة إلى الخليفة السلطاني بتطوان.

تاشفين بعبور الجمال فعبور منها ما أغص الجزيرة وارتفع رغاؤها إلى عنان السماء ولم يكن أهل الجزيرة رأوا جملاً قط ولا خيلهم رأتها قط فصارت الخيل تجتمع من رؤية الجمال ورغائها وكان ليوسف رأي مصيب في عبورها فكان يحدق بها عسكريه ويحضرها الحرب فكانت خيل الفرنج تجتمع منها" (وفيات الأعيان، 5 : 27 : 116). ووقعت مبالغات في تقدير خسائر الجانبين في هذه المعركة "وإن كانت الرواية النصرانية تُجمع على أن الموقعة كانت هائلة، وأن خسائر النصارى كانت فيها ذريعة فادحة. ولا ريب أيضاً أن خسائر المسلمين كانت عظيمة وإن كانت أقل بكثير من خسائر النصارى" (دول الطوائف، ص. 328)..

وتجمع كذلك كل المصادر على أن انتصار المسلمين في معركة الزلاقة أعطاهم فرصة البقاء في الأندلس أربعة قرون أخرى بعد أن كانوا قد زلزلوا فيها زلزالاً شديداً.

ابن بسام الشنتيني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، بيروت، 1978. 1979 : ع. الله ابن بلكين، التبيان، الرباط، 1995 : أ. ابن خلكان، وفيات الأعيان، بيروت، 1968 و1969 و1979 : ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972 : ع. المنعم الحميري، الروض المطار : أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954 : يوسف أشياخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1958 : ع. الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 1964 و1987 و1988 : ملوك الطوائف (العصر الثاني)، ط2، القاهرة، 1969.

Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Paris - Casablanca, 1967 ; J. Descola, *Histoire de l'Espagne*, Paris, 1959.

محمد حجاج الطويل

**الزلال**، - بتفخيم اللام المشددة - أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني مصور إحدى قبائل الجبل القريبة من تطوان وطنجة لمجشري الخندق ويوغايش ومنهم من تولى القيادة أيام الحماية.

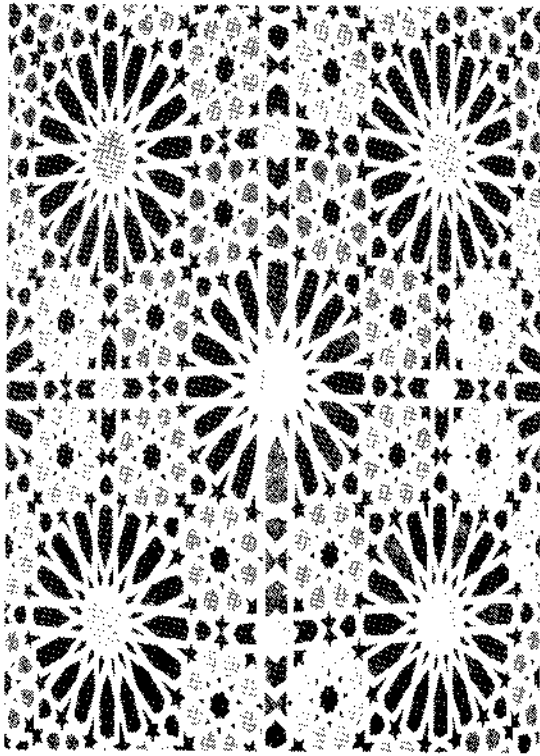
**الزلال، عبد الرحمن بن علي** التطواني الفقيه العلامة المفتي النوازلي القاضي الأديب الخطيب، لا ندري عن أوليته ودراسته وأهله، ومن تلاميذ المترجم له الشريف العلمي الشفشاوني، فقد وصفه بشيخنا في نوازله ونقل عنه فتاوي في الأنكحة وغيرها. ومنها حكمه القضائي المهم في النزاع الناشب بين قبيلة الحوز وأهل تطوان في أراضي شاسعة أسفل الماليتين إلى شاطئ البحر كان الطرفان يدعيان ملكها بدون حجة، فحكم بأن تبقى هذه الأراضي مراعي مشتركة بينهما، ووقع التراضي عليها بعد ذلك وملكت منها حقول بيعت بعد استقلال المغرب بأموال طائلة وأقيمت عليها مشاريع سياحية وفنادق وملاعب وغير ذلك، وحالها كما سمعت، وقد كان المترجم له قاضياً أعوام

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الرسومي والمقاومة المسلحة بشمال المغرب، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

في عالم الزخرفة لدى المجتمعات البدائية أو الرحالة. تطورت في العديد من الحضارات أشكال زخرفية معتمدة على التناظر والمبادئ الهندسية المشابهة لفن الزخرفة العربي. نذكر من ذلك على سبيل المثال فن "المندلا" (الهند، والصين واليابان) وفن "المودرا" (الحركة في الرقص الهندي) والرسوم الرملية لتفاجو (أمريكا الشمالية) والتشبيكات السلتيّة.

ولكن مع ظهور الإسلام وانتشاره، منذ القرن الأول (7 م) وإحيائه لمفهوم الوحدانية المطلقة، وانفتاحه على العديد من عوالم التمثيل التي عرفت تقاليد المجتمعات الرحالة والمستقرة على حد سواء، سيظهر فن جديد مزيج بين التعددية والوحدانية" ليخرجها في ألمع صور التجريد الدقيق والشاعري. إنه "تعال" ورقي جمالي في مخاض، ظهر قبل التجريد الذي طبع الفن التشكيلي الغربي بعشرة قرون.



- أصبح فن الخط هو عنوان الفعل الإبداعي الرباني.  
- وجسد فن الزخرفة العربي أقصى رمزية في مملكة النبات.

وعكست الزخرفة الهندسية ذلك البحث العميق عن المرح بين علم الأرقام والأفكار والأشكال الأولية لأفلاطون من جهة وذلك الحدس العارف للجمال الملازم للعالم المعدني والبلوري من جهة أخرى.

من إشبيلية إلى لاهور ومن بغداد إلى فاس، ترى نفس الحلق / الاستلاب المائل نحو إبداع الأشكال الهندسية والتداخلات المقصورة يحدد أسلوب زخرفة المساجد والمدارس والقصور والإقامات الخاصة.

**زُلو،** أسرة سلوية ربّما كان أصلها من سوس من عشيرة الشيخ وگاگ ابن زلو صاحب الرباط الشهير قرب مصب وادي ماسة وهم أهل حرفة ومرّوة وديانة. ينتسبون إلى الزاوية الحجيّة، وتوارثوا التقديم على مريدي هذه الزاوية معظم القرن الرابع عشر (20 م) وأشهر هؤلاء المقدمين الحاج حجي زلو والحاج عمر زلو. كما اشتهر منهم أساتذة مدرّون كانوا يعلمون الصبيان القرآن في كتاب معروف لهم بالمدينة إلى جانب كتاتيب الأساتذة المدرّين في القرن الماضي : بريتّل ويوشعرة والنجار.

**زُلو، العربي** موسيقي ماهر يعزف على آلة البانجو. كان موظفا بوزارة المالية، ثم تفرغ للفن فعمل في عدة أجنّاق، حافظاً نويات الموسيقى المغربية المسماة أندلسية، والطرب الغرناطي، وقصائد الملحون والأمداح النبوية. وشارك في عدة مهرجانات وطنية ودولية بإشراف وزارة الشؤون الثقافية.

توفي بسلا سنة 1407 / 1987. وأقيم له حفل تأبيني عند مرور سنة على وفاته شارك فيه عدة جمعيات ثقافية وموسيقية.

وثائق عائلية، ومعرفة شخصية : أبو رقرق مجلة، ع. 4، 1988.

محمد حجي

**الزليج،** ينطلق الفن الإسلامي من رفض تقليد المظاهر المحسوسة ممثلا في ذلك لمقتضيات الدين. فالقرآن في الحقيقة يحرم الأصنام وليس الصور. وهكذا فالجمالية في الفن الإسلامي تضم الفنون المستوحاة من الشهادة العقدية بعظمة الله تعالى ووحدانيته : "لا إله إلا الله".

ويتّرجم ذلك فعلا، في الفن المعماري، بالتجريد.

كونية الفن الهندسي : ينبثق الفن الهندسي للزليج مباشرة من نظرة شمولية وموحدة : إنه فن تجريدي إيقاعي وساحر : هدفه هو جعل سمة الخلود تنعكس على الحاضر، وجعل الباطن ظاهراً عبر الهندسة وموسيقى الأشكال. وانطلاقاً من بعده الراقي هذا يمكننا تحديد مدى مساهمته في الحضارة الكونية. ولقد قارب هذا المبدأ للنظام العالمي، خلال العصر الذهبي الأندلسي تخوم الخيال الإبداعي منقياً في كل أشكال التناسق انطلاقاً من الحوارزميات وكأنها "مرآة فنية" للتقدم العلمي يطبعها نموذج وحدة المعرفة والتعالّي.

إن المقومات أو "عناصر اللعبة" في الشكل الهندسي وكذا المفاهيم الأولية للتناظر كانت موجودة منذ غابر الزمن

تفوق 400 شكل، ويمكن تصنيفها حسب مجموعات صغرى :

- الأشكال البسيطة : أدهار يتم الحصول على الرسم بواسطة قطعة واحدة منسوخة متنوعة حسب لون القطعة.  
- الأشكال المعقدة حيث يوظف عدد كبير من القطع.  
يمكن تصنيف مجموعتين كبيرتين من الأشكال :

- عَمَلٌ عادي

- عَمَلٌ بالقطيب

ومن أمثلة العَمَلِ العادي :

- العنكبوتي : توحى التسمية ببيت العنكبوت، وذلك لسببين أولهما أن شكل الرسم يذكر بيت العنكبوت، وثانيهما أن تركيب مقياس التناسب يتم ابتداءً من الوسط نحو المحيط الخارجي.

- السطاشري، وهو كذلك صنعة دائرية لكن مركزها مكونٌ من نجمة متفرعة إلى 16 ورده.

ومن نماذج "العَمَلِ بالقطيب"، هي صنایع أو شبكة أشكال تحيط بجميع المقاييس المكونة، هذه البنيات ذات المهارة الفائقة، يمكن أن تكون مستوى واحداً إلى خمس مستويات من التعقيد والتشابك.

تهيئ: لوحات على الجدران وتوسيتها.

يقع تركيب اللوحات من طرف معلم فراكش في مرحلتين :

- بعد أن تؤخذ مقاييس الجدار، يقسم إلى قطاع بشكل لوحات مستطيلة الشكل في الغالب، ويقوم المعلم حينئذ بتخطيط الخطوط الكبرى للزخرفة المعينة على الأرض ويشرع في العملية الدقيقة للتجميع المقلوب. تكون القطعة الرئيسية (مقياس التناسب) هي التي توضع أولاً، وتأتي بعدها القطع الخارجية المحيطة وشيئا فشيئا تتسع الدائرة إلى أن يأخذ الزخرف المعين شكله النهائي.

تأتي بعد ذلك مرحلة تقوية التجميع، فيوضع إطار عند نهاية التجميع ويملأ تخليط من السيمان والرمل الدقيق من أجل ضمان تماسكه والتحامه.

- ثم تلتصق اللوحات على الجدار حسب تسلسل تجاورها المرتب مسبقاً. ويُستعمل من أجل ذلك بين اللوحات والجدار خليط سائل مزيج من الماء والسيمان ليضمن الالتحام النهائي للوحات بالجدار.

محمد عزيز الشفاواني

**زليل** Zilil مدينة قديمة ورد اسمها في المصادر بصيغ مختلفة نوعاً ما كما سنعرض لذلك. وقد اخترنا صيغة زليل نظراً لتوافقها مع اسم المدينة كما هو وارد في النقائش.

أول من ذكرها هو ألكساندر بولسطور Alexandre Polyhistor، الذي عاش في القرن الأخير قبل الميلاد، وهو

وستوارث أسرار فن الزليج أباً عن جد بدون أي تعليم منظم. و فقط طبقاً لقواعد التناسب التي سنتسق بين أبعاد الأشكال الأولية (كالمثلث والمربع ومسدس ومثلث الزوايا) ونسق معين من التقاطعات والتلاحمات ستظهر زخارف دقيقة غنية مماثلة لمجموعات نجوم من قبيل الأنظمة ذات 8، 16، 24، 32 و48 فرعاً أو زوايا الاتساع.

- ولقد اختص المغرب الأقصى والأندلس بالفن الهندسي حتى أصبح الفن الطاغى بهذه البلاد ليبلغ أوجه في صناعة الزليج التي بها زُخرف قصر الحمراء بغرناطة وقصر البديع بمراكش وجل المنشآت المعمارية في المغرب الوسيط والمعاصر. وبعد سقوط ممالك الأندلس ورث المغرب مكاسب من هذه الحضارة المشرقة وصناعاتها الماهرة.

سيرورة الإنتاج. كما في مجال صناعة الفخار، فالطين هو المادة الخام الأساسية المستعملة في صناعة الزليج. في البداية يوضع الطين الخام مفتتاً في صهرج ماء دائري (زوية) حتى يتم التأكد من تحلله. ويدوم التخثير هكذا يومين إلى ثلاثة أيام. وبعد ذلك تتم عملية المجانسة عجنًا ودلكًا باليد مع التنقية من الفضلات. وهكذا بعد التجفيف في الظل نحصل على عجين من طين قابل للقولبة.

وتتمثل العملية المولية في صناعة المربعات. لهذا الغرض يملأ المعلم الضراب قالبه طيناً بواسطة مطرقة مسطحة، بعدها، توضع المربعات تحت أشعة الشمس لتجف وتيبس. وبعد ذلك تأتي عملية الحرق داخل فرن محكم الإقفال حرارته 950 درجة مئوية. وتدمج عملية الحرق هذه لساعات. وبعد برود الفرن تستخرج المربعات وهي معدة للطلاء بالميناء وهو تلون وجه المربعات وإعطاؤها لمعانا معيناً. ويتم تحضير الطلاء اعتماداً على مسحوق الألوان مع إضافة معدني القصدير والرصاص. ويتذوب العناصر الثلاثة بالنار، نحصل على سائل الصباغة. ولتثبيت طلاء المينا وضمان لمعانه يتم اللجوء ثانية إلى عملية الحرق في نفس الظروف التي مرت بها الأولى.

القطع والأشكال :

تتم صباغة النموذج من لدن المعلم الخطاط الذي يضع الهندسة المعمارية للرسم على الورق ثم يسلمها للمعلم النفاش قصد التقطيع. وتتطلب عملية الانجاز عدة مراحل . مرحلة التحليل حيث تمحدد أشكال وأعداد مقاييس التناسب المنحوتة.

- مرحلة رسم المربعات بواسطة المسطرة أو اعتماداً على القطعة الرئيسية التي يراد نسخها.

- مرحلة القطع في حد ذاتها التي تشتمل على قطع أولي تقريبي ثم قطع نهائي دقيق.

وقد تكون لأنواع القطع الممكن الحصول عليها من النموذج الواحد أهمية بالغة ولكل مقياس تناسب هويته واسمه الخاص.

تُعد مقاييس التناسب في مجال فن الزليج بالمتنات، قد

نفس الاتجاه في سرد المواقع التي تندرج ضمنها هذه المدينة، أي من الجنوب إلى الشمال، فوضعها بين تابرنيس Tabernis ومستوطنة تنجيس (Le Tingis Colonia) (Géographe de Ravenne, 5, 4). وفي سياق آخر خالف الكاتب الاتجاه المتبع في مسالك أنطونوس بالنسبة للطريق الذي تندرج فيها المدينة، أي بدأ من الشمال ورتب المدينة بين تنجي وتبريس (Le Géographe de Ravenne, 3, 11).

إن بعض هذه الأخبار التي تحدثت عن وضعية المدينة تعكس مصير البلاد كلها بعد وفاة الملك بكوس الثاني سنة 33 ق م. حيث قرر القائد الروماني أكتافيوس Octavius أن يسيطر على موريطانية وتحولها إلى ولاية رومانية. لكن الموريين ثاروا ضده ومنعوه من تحقيق مشروعه التوسعي. فما كان على القائد المذكور إلا أن يتدخل عسكرياً في موريطانية. فتصدى لمقاومة السكان بعنف مدمر، ترك بصماته في التخريب الذي تعرضت له عدة مواقع أثرية في شمال موريطانية، وهي قودة وسيدي عبد السلام البحر في ناحية تطوان ومواقع قرؤية في ناحية طنجة وزليل ولكسوس.

وتعتقد أن ترحيل سكان زليل مرتبط بهذه الأحداث. مما يعكس إمعان أكتافيوس في الانتقام منهم، لكونهم ربما تزعموا هذه المقاومة ضد رومنة بلادهم. وهذه سياسة طبقها أكتافيوس حتى في إيطاليا حيث شرد سكان عدة مدن وحولها إلى مستوطنات خاضعة له (Dion Cassius, 51, 4). وفي موريطانية تمكن أكتافيوس من إخماد الثورة المورية، وأقام أربع مستوطنات هي طنجة وزليل وبناسة وبابة.

هذا عن المدينة وبعض من شؤونها كما وردت في المصادر، فماذا نعرف عن نتائج الأبحاث الأثرية حول هذه المدينة؟ لقد قام الحلاف حول موقع المدينة منذ شارل تيسو، الذي ظن أن مدينة أصيلا تغطي أطلال زليل القديمة. غير أن أوزنا رجح أنها تقع في مكان بعيد عن أصيلا بحوالي 13 كلم جوا يسمى حالياً الدشر الجديد، حيث توجد أطلال قديمة رجح تيسو أنها مثل موقع أدمركوري Ad Mercuri القريب من زليل في مسالك أنطونوس. لكن موريس لنوار أوضح أن صاحب هذا الرأي هو باحث إنجليزي يدعى سبول Spaul، وذلك في أطروحة أنجزها سنة 1957.

ثم إن البعثة الأثرية المغربية الفرنسية التي تنقب في موقع الدشر الجديد اكتشفت سنة 1986 نقاش لاتينية تحمل اسم زليل كما كتبه بلنيوس الأكبر، وتحدثت عن سكانها بالصيغة التالية Zilitanorum. وبذلك قضى الأمر في الحلاف حول تحديد موقع هذه المدينة القديمة. كما اكتشفت نفس البعثة موقع أدمركوري بين زليل وطنجة وفقاً لما ورد في مسالك أنطونوس.

أهم ما أسفرت عنه تقييبات البعثة المذكورة هو وضع استراتيجيات مضبوطة لمراحل إعمار المدينة في الفترة المورية مع التمييز بين مستويين أثريين.

معاصر ليوليوس قيصر. وقد كتبها كما يلي: Xilia وذلك في كتابه الرابع الذي يحمل عنوان Libyques. بعد ذلك وردت عند سترابون في بداية القرن الأول الميلادي. وهذا قوله: "إذا أبحرنا انطلاقاً من لونكس Lunx (لكسوس) متجهين صوب البحر الداخلي (الأبيض المتوسط) فإننا نجد على التوالي زليس Zelis وتيكة Tiga (طنجة)" (Strabon, 17, 3, 6). وفي سياق آخر تحدث مرة أخرى عن طنجة قائلاً: "في ما مضى كانت هناك مدينة مجاورة لتيكة تدعى زليس Zelis، لكن الرومان نقلوها (يقصد نقل أهلها) إلى الساحل المقابل (يقصد الساحل الإسباني)، بعدما أضافوا لسكانها قسماً من أهل تيكة. ثم أتوا إليهم بمستوطنين رومانيين وكونوا منهم مستوطنة تحمل اسم إيوليا إيوزا (Strabon, 3, 1, 7). Iolia Ioza".

ثم ذكرها بومونيوس ميلا الذي أصدر كتابه في الجغرافية حوالي سنة 40، وذلك في تعريفه بالمواقع الأطلسية، متجهاً من الجنوب إلى الشمال قائلاً: "نجد على البحر كلا من سلا ولكسوس التي يسقيها نهر لكسوس ثم مستوطنة زلية Zilia" (Méla, 3, 10, 107).

ثم تحدث عنها بلنيوس الأكبر المتوفى سنة 79 في تعريفه بالمواقع الأطلسية، متجهاً من الشمال إلى الجنوب وهو الذي سماها زليل قائلاً: "بعد خمسة وعشرين ميلاً من تنجي Tingi نجد على ضفاف المحيط مستوطنة أغسطسية تدعى إيوليا كستانتيا زليل Colonia Augusti Iulia Constantia Ziliil. وهي لا تخضع لسيادة الملكين، (يقصد الملك بوبا الثاني وابنه بظليموس اللذان تمتد فترة حكمهما بين 25 ق م و 40) نظراً لارتباطها إدارياً مع بيتيكا Baetica. وبعدها توجد مدينة لكسوس على بعد اثنين وثلاثين ميلاً" (Pline, 5, 2).

ثم كتبها الجغرافي بظليموس في القرن الثاني الميلادي كما يلي: زلية Zilia وذكرها على رأس المدن الداخلية، متبعاً في إحصائها الاتجاه من الشمال إلى الجنوب. وحدد لها الإحداثيات التالية: الطول 6 و 10 والعرض 35 و 30. وبعدها ذكر ليكس Lix (لكسوس) (Ptolémée, 4, 1, 7).

كما وردت في مسالك أنطونوس في القرن الثالث الميلادي بصيغة زلي Zili مرتبة على الطريق الرومانية الساحلية، في اتجاه من الجنوب إلى الشمال. فذكرت بعد تابرناي Tabernae بأربعة عشر ميلاً، وقبل أدمركوري Ad Mercuri بستة أميال وهي تبعد عن مستوطنة تنجي Tingi Colonia بأربعة وعشرين ميلاً (Itinéraire, 2)، وهي مسافة تكاد تكون مطابقة لما ذكره بلنيوس الأكبر حول المسافة الفاصلة بين مدينتي طنجة وزليل.

وأخيراً وردت عند الجغرافي الراقيني في القرن السابع الميلادي، بنفس الصيغة التي وردت بها في مسالك أنطونوس، علماً بأن هذا المصدر هو الذي اعتمده الكاتب المذكور في معرفة عدة مواقع مورية. ولقد اتبع الكاتب

المستوى الأسفل يتضمن ما يلي :

الحزف المصبوغ

الأمفورات A 4 أو Mana 2-3 Kouass

الحزف المغطى بطلاء أحمر Céramique à engobe rouge

المستوى الثاني يتضمن ما يلي :

الأمفورات الموربة من النوع Dr. 18

الحزف الكيمباني المتأخر معظمه من النوع B بكمية أكبر

من النوع A المتأخر

الأمفورات الايطالية خاصة النوع Dr. 1

الحزف الدقيق Céramique à paroi fine

ولقد تعرض هذا المستوى للتخطيط قبل رواج الحزف

الأرتزي في حوالي السنة 30 ق. م.

يؤكد الدارسون أن التأريخ للمستوى الأول مرتبط من

الناحية الستراتغرافية بالمستوى الثاني، الذي يعلوه ذون

فاصل واضح. وهذا يعني أن تاريخ إعمار المستوى الأول

يبتدئ من وقت غير مضبوط، ولكنه ينتهي في أواخر القرن

الثاني قبل الميلاد. أما المستوى الثاني فيمتد تاريخه من

بداية القرن الأخير قبل الميلاد إلى حوالي سنة 40 ق. م.

نظراً لعدم وجود الحزف الأرتزي.

وفي سياق آخر، أكد الدارسون أن المستوى الأول تعرض

للتخطيط خلال القرن الثاني قبل الميلاد، دون تدقيق أوضح،

وتلا ذلك إعمار جديد انتهى بالتخطيط حوالي سنة 30 ق.م.

أما التحاليل المخبرية فقد توصلت إلى أن أقدم آثار الموقع

ترجع إلى ما بين القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد.

الإشكال الذي ظل معلقاً حتى الآن بالنسبة للمستوى

الأسفل هو عدم إكمال الاستبار حتى الأرض البكر. والغاية

من التنقيب حتى الأرض البكر هي التأكد من بقية المواد

التي يفترض أنها توجد بالموقع، وربما العثور على مستوى

آخر أسفل المستوى الموري الأول. وقد يكون مستوى فنيقيا

كما هو الأمر في مكدور ولكسوس وسيدي عبد السلام د

البحر وأسة. وهنا أتساءل عن الحزف الأحمر الذي يوجد

في المستوى الموري الأول إلى أي حد يمثل مواد متبقية من

مستوى أسفل ؟

ثم إن الكشف عن كل الطبقات في زليل سيفيد في

مسألة وجود الحزف الإغريقي أو انعدامه، وهو معروف في

مواقع أخرى خاصة في موقع الأقواس القريب من زليل. وقد

استمر رواجه في المواقع الموربة حتى القرن الرابع قبل

الميلاد.

ومهما يكن من أمر، فإن استراتغرافية زليل هي على

درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لدراسة الحياة الاقتصادية

بموريطانية، وعلاقتها التجارية في الفترة الموربة. ومن

المعلوم أن هذه الستراتغرافية تعد من الناحية المنهجية،

النموذج الأمثل مما أنجز لحد الآن، في ضبط تراتب مستويين

موربين "مختلفين ثقافيا واقتصاديا"، حسب تعبير المنقبين

في الموقع.

فالمستوى الأسفل يمثل مرحلة الاعتماد على المنتجات المحلية والاستغناء عن السلع الرومانية، التي كانت تروج بكثافة في بقية أرجاء العالم المتوسطي مثل قرطاجة ونوميديا وإسبانيا. أما المستوى الموري الثاني فإنه يتميز بانفتاح موريطانية للسلع والتأثيرات الرومانية. وقد فسر الدارسون للموقع هذا التحول كما يلي : "إن هذه القطيعة الثقافية بين المستويين تبدو عميقة ... والدليل على ذلك هو غياب المواد المستوردة في المستوى الأول، وغزارتها في المستوى الثاني".

ونحن هنا بصدد مسألة عزيزة على الباحث في التاريخ القديم، وهي تطابق النصوص والآثار حول موضوع شغل اهتمامنا كثيرا، عالجنه في مادة الرومان والمغرب. والأمر يخص العلاقات بين موريطانية وروما التي ظلت جامدة إلى أواخر القرن الثاني قبل الميلاد.

م. مجدوب، مملكة الموربين وعلاقتها مع رومة لغاية سنة 33 ق.

م. رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم

الإنسانية، فاس، 1990، مرقونة : أعضاء على أوضاع مورويسية

من خلال حرب يوغرطة، بحث، مجلة كلية الآداب والعلوم

الإنسانية، المحمدية، العددان، 3. 2، 1990، ص. 82.61 : دراسات

عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد.

أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،

المحمدية، 1988، مرقونة.

A. Akerraz, N. El Khatib-Boujibar, A. Hesnard, A. Kermorvant, E. Lenoir, M. Lenoir, *Fouilles de Dchar Jdid 1977-80*, B.A.M., 14, 1981-2, p. 169-225 ; A. Akerraz, N. El Khatib-Boujibar, A. Hesnard, A. Kermorvant, E. Lenoir, M. Lenoir, G. Monhel, *Ab eo XXV in ora oceani Colonia Augusti Iulia Constantia Zilil, Africa Romana*, 4, 1987, p. 433-44 ; *Recherches archéologiques récentes à Dchar Jdid. (Zilil), les découvertes monétaires*, Bulletin de la Société Française de Numismatique, 44ème année, 2, 1989, p. 510-5 ; M. Kovatchévan, *Recherches archéologiques sur trois sites archéologiques du Maroc*, B.A.M., 16, 1985-6, p. 285 - 93 ; P. Rouillard, *Le commerce grec du 5ème et 4ème siècles av. J.C. dans la région de Lixus et de Gades*, Collection de l'École Française de Rome, 166, 1992, p. 207-15 ; M. Majdoub, *Les luttes du début du 1er s. av. J.-C. au nord de la Maurétanie*, Collection de l'École Française de Rome, 166, 1992, p. 235-8 ; Idem, *La Maurétanie et ses relations commerciales avec le monde romain jusqu'au 1er s. av. J.-C.*, Africa Romana, 11, 1996, p. 287-302 ; Idem, *Octavius et la Maurétanie*, Africa Romana, 13, 2000, p. 1725-37 ; Idem, *Note sur les niveaux maurétaniens dans les régions de Tétouan et de Tanger*, Journée d'études sur les niveaux maurétaniens organisée par l'Institut National des Sciences d'Archéologie et du Patrimoine, Rabat, 26/5/2000, sous presse ; M. Lenoir, *Ad Mercuri Templum, voies et occupation antique du nord du Maroc*, Madrider Metellungen, 100, 1993, p. 5079-20.

محمد مجدوب

زمهيل (Zumbiehl) طبيب فرنسي من الأطباء الذين

متوجة بخفة مكونة من توالي تقنيات ومنخفضات كبيرة الشعاع. وتوافق المنخفضات إما مجاري فروع دائرة لواد تساوت في اتجاه ثغرة واد كاينو شمالا، وإما منخفضات شبه مغلقة كمنخفض بويده شمال قلعة تازارت.



زمران

من الناحية البنيوية تعد بلاد زمران جزءا من منخفض سهل الحوز الذي يمثل حوضا رسوبيا قاريا منذ النيوجين إلى الزمن الجيولوجي الرابع. وبذلك شكلت بلاد زمران مجالا تراكتت فيه خلال هذه المدة مواد فتاتية مولاسية مكونة من توالي عدسات رصيصة، حشية أو صلصالية ميوليوسينية، أو مواد رباعية مختلفة الأبعاد أكثرها أهمية مواد الرباعي الأوسط. ومجموع هذه المواد ناتجة عن تعرية سلسلة الأطلس الكبير التي تعتبر المناطق المزودة بالرواسب والمياه. ويبلغ سمك هذه المواد عموما 200 م، إلا أنه يقل في اتجاه الشمال. وتتكون الركيزة الجيولوجية من الترياس والزمن الأول، إلا أن مواد الترياس تنتهي مائلة مباشرة بحاشية الأطلس التي تحدها انكسارات عكسية كانكسار سيدي رحال. ولهذه المعطيات البنيوية انعكاسات على التربة والموارد المائية خاصة الباطنية.

أما مناخ بلاد زمران فيصعب التدقيق في خصائصه، لكنه بصفة عامة يتميز بمميزات المناخ المتوسطي السائد في كل سهل الحوز. وهو بذلك يجمع بين المساواة بالجزء السهلي شمالا، وبتزايد الأمطار وانخفاض طفيف للحرارة في اتجاه الحاشية الجبلية بحكم تزايد الارتفاع. المتوسط الحراري السنوي مرتفع عموما (قلعة السراغنة 19.7 شمالا أيت أورير 18.9 جنوبا، سيدي رحال 18.5 بالدير). متوسط أبرد شهر 11.9 ومتوسط أسخن شهر 27.1. فوارق يومية وشهرية كبيرة. أعلى معدل (39 بقلعة السراغنة، 37.1 بأيت أورير). أدنى معدل (4.5 بقلعة السراغنة، 5.4 أيت أورير). كما تتعرض المنطقة لموجات حرارية عليا أو دنيا قصوى حادة 50.5 بشهر يوليو 1924 بقلعة السراغنة و(3 بشهر يناير 1918، ثم 48.8 يوليو 1938 و0 بأيت أورير).

متوسط التساقطات يتراوح بين 300 و600 ملم سنويا (قلعة السراغنة 257 ملم، سيدي رحال 392 ملم وأكادير بوعشيبية 612 ملم)، لكن توزيعها غير منتظم مجاليا وزمانيا.

عملوا بالمغرب عدة سنوات. ولد في 19 غشت 1866 بمدينة مولوز Mulhouse، وتابع دراسته في كلية الطب بنانسي Nancy حيث قدم أطروحته في صيف 1889.

عين زمبيل بطلب من ليناريس Linares في البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب، ليحل محله في تلك المهمة ما بين 1899 و1902، وليوازن به تأثير الطبيب الإنجليزي Verdon (وهو أخ لأحد ضباط ماكلين Mac Leau. بقي طبيبا لحرس السلطان إلى سنة 1912). عند اصطحاب أعضاء البعثة خلال تحركات المحلة السلطانية. وكان الدكتور زمبيل يتقن اللغات الإنجليزية والألمانية والعربية. نودي على زمبيل لأول مرة إلى القصر السلطاني في نونبر 1901 ليعالج السلطان من نزلة زكام ألمت به، فأظهر براعة في كشفها عنه وفحص عدة من حريم القصر، مما جعل السلطان يقره ويهديه حصانا مسرجا.

وفي سنة 1902 غادر الدكتور زمبيل المغرب إلى الجزائر ومنها عاد مرة أخرى إلى المغرب في سنة 1907 ليترأس مصلحة الصحة الخاصة بطوابير عمليات احتلال الدار البيضاء. وفي ماي 1913 أصبح طبيبا رئيسا لمستشفى ماري فويي Marie-Feuillet بالرباط، ثم عين بعد ثلاثة أشهر مديراً عاماً لإدارة الصحة، وهو أول من عمل على رأس هذه الإدارة. وفي سنة 1918 عين طبيبا لدى السلطان مولاي يوسف.

أنهى الدكتور زمبيل مدة عمله العسكرية كطبيب رئيس لساحة فرساي (Place de Versailles) وشطب عليه من مهامه في سنة 1925.

Maxime Rousselle, *Médecins, chirurgiens et apothicaires français au Maroc (1877 - 1907)*, Paris, 1996.

بوجعة رويان

## زهران، أو زمراوة أو إزمران منطقة تقع في النصف

الجنوبي من سهل الحوز الشرقي. يحدها شرقا وادي تساوت عند خروجه من جبال الأطلس الكبير، وجنوبا الحاشية الشمالية الشرقية لأطلس مراکش الممتدة من أيت أورير إلى أكادير بوعشيبية عبر زاوية سيدي رحال. وتحدها من الشمال بلاد السراغنة أولاد سيدي رحال ثم بلاد الرحامنة. أما الحدود الغربية فتتمثل في سليل وادي تخزيرت.

من الناحية التضاريسية بلاد زمران عبارة عن مجال سهلي. وإذا كان الانبساط هو الطابع العام، فإن أرض زمران مكونة في التفاصيل من مجموعة من المخاريط الانصبابية المتفاوتة الأهمية. هناك مخروطان كبيران هما : مخروط واد غدات غربا ومخروط واد تساوت شرقا. تفصل بينهما مخاريط صغرى أهمها من الشرق نحو الغرب مخاريط أودية أماسين، تازارت، لاغ وتوامة - أماسين. وتفصل بين المراوح الانصبابية منخفضات بيمخروطية متفاوتة الحجم كذلك. وكلما توجهنا شمالا نجد طبغرافية

الرياح السائدة ببلاد زمران غربية وشمالية غربية رطبة عموما، غير أنها تتعرض صيفا لهبوب رياح الشرقي والقبلي الساخنة والجافة لمدة لا يستهان بها. كما أن الرطوبة ضعيفة عموما والتبخر قوي خاصة خلال فصل الصيف.

ولهذه المعطيات انعكاسات على الغطاء النباتي والتربة والموارد المائية.

فيما يخص الموارد المائية السطحية، يعبر بلاد زمران محوران هيدروغرافيان رئيسيان يتميزان بالجريان الدائم هما واد غدات غربا الذي يعتبر جزءا من حوض تانسيفت وواد تساوت شرقا وهو ينتمي لحوض أم الربيع. وبذلك تمتد بلاد زمران بين حوضين هيدروغرافيين مختلفين. وتتفرع عنهما عدة سواق تلعب دورا أساسيا في حياة السكان :

السواقي المأخوذة من واد تساوت والتي تروي بلاد زمران هي من العالية نحو السافلة : السلطانية، الخزائية، الجديدة، العراضية والوكادية.

أما السواقي المتفرعة عن واد غدات فهي : تازمورت، أفياض، تامسنين، الكرنابية، الجديدة، آيت بن أحمد. هذا بالضافة اليسرى. أما بالضافة اليمنى فنجد : الفقراء، تاخيارت، تاطولت، الزاروية، أولاد راضية والريكي. وتستعمل في الري الموسمي. بالإضافة إلى هذين المحورين هناك محاور ثانوية هي من الشرق نحو الغرب : واد أماسين وتازارت تصريفها ببلاد زمران ثم واد لاغ وواد توامة - أماسين وواد تخزيرت وكلها تصب في تانسيفت. وتستعمل مياه هذه الوديان في غمر الحقول أثناء فترات الفيض القصيرة جدا.

لكن بلاد زمران شهدت في النصف الثاني من القرن الرابع عشر (20 م) تجهيزات هيدروزرارية هامة تتمثل في شبكة عصرية من السواقي الإسمنتية. وذلك بعد تشييد سد مولاي يوسف على واد تساوت سنة 1970.

أما فيما يخص الموارد المائية الباطنية، فإن بلاد زمران هي جزء من الخزان المائي للحوض الشرقي الذي يتميز بتراكم مواد فتاتية نيوجينية ورباعية سمبكية تعطي مواصفات رديئة لحركة المياه الباطنية خاصة في جنوب المنطقة. وتحسن هذه الحركة في اتجاه الشمال. كما أن عمق السديمة المتوحة بالنسبة لسطح الأرض يصل بجنوب بلاد زمران إلى أكثر من 100م، لكنه يقل في اتجاه الشمال والشمال الغربي حيث لا يتعدى عشرة أمتار بضواحي تاملالت.

كما أن الظروف المناخية تنعكس على الغطاء النباتي والأترية. فالغطاء النباتي الطبيعي ببلاد زمران تطبعه السهوية والتدهور. وقد كانت النباتات الذروية متكونة من أشب من الأحرش أو من غابة من العتاب أو السدر Ziziphus lotus الذي يواكبه نبات السنط أو الطلع Acacia gummifera، بالإضافة إلى البطم أو فستق الأطلس

Pistacia atlantica. هذا بالإضافة إلى النجيليات ثم الزوج أو الزيتون البري Olea europea. وعموما يصعب تحديد العشرة النباتية ببلاد زمران نظرا للتدهور الذي لحقها ارتباطا بالتدخل البشري العميق. وهكذا فإنه لم يبق من الأنواع الغابوية سوى عناصر الزوج والسدر والسنط بالمقابر.

أما الأترية فنجد حسب التصنيف المحلي تربة الحمري التي تنتشر بالخصوص بمخروط تساوت شرق بلاد زمران، الحرشة أو تربة بياض أو تربة الفكرون التي تجدها بالحاشية الجنوبية بالدبر خاصة الرمل التي تجدها بجوانب الوديان والسيول المنحدرة من الحاشية الجبلية، تربة الترس التي تجدها بالمنخفضات شبه المغلقة كمنخفض بويدة أو بسافلة التلال البازلتية المطلة على السهل وبالخصوص بغرب البلاد. وأخيرا تربة رقبان الموجودة فوق المواد الطينية - الطمبية بالسطوح المنبسطة خاصة شمال غرب المنطقة. أما من الناحية التصنيفية العلمية الترابية فإن أترية بلاد زمران تدخل في إطار الأترية السيدبالية (65, Aubet). وهي أترية في معظمها قابلة للري بنسبة 92٪ بزمران الغربية و88٪ بزمران الشرقية (73, Ducrocq). تمثل التربة القابلة للري من الدرجة الأولى 11٪ بزمران شرقا و44٪ بزمران الغربية. لكن مشكل كثرة المواد الخشنة المتركة على السطح أو المرصوة على عمق متواضع خاصة بشرق وشمال زمران الشرقية بنسبة 10٪ إلى 50٪ من الحجم العام (M. Ducrocq, 1973). في حين تمتاز زمران الغربية بسيادة الأترية القابلة للري ذات النسيج المتوازن والتي تقل بها نسبة المواد الخشنة.

تستقر ببلاد زمران قبيلة زمران أو زمرارة التي تنقسم إلى قسمين : زمران الشرقية وزمران الغربية. إداريا بلاد زمران تابعة حاليا لإقليم السراغنة، تتكون من بلدية سيدي رحال وجماعتين قرويتين هما : زمران الغربية وزمران الشرقية.

وكانت بلاد زمران في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) عبارة عن أراض قليلة الاتزاع حيث كانت تشكل في معظمها مجالات رعوية لقطعان القبيلة. كما كانت السواقي محدودة جدا، مما جعل الزراعة نادرة ومتقلبة. إذ كانت هناك عدة صعوبات تقف أمام الاستغلال المستقر للمجال. وتتمثل تلك العراقيل في الصراعات التي كانت تقوم بين الزمرانيين والرحامنة من جهة، وبينهم والمسفيويين من جهة أخرى حول هذا المجال. أضف إلى ذلك تهديد كلالوة المستمر من جهة الجنوب. ذلك أنه منذ 1700 كان الصراع قائما بين قبيلتي زمران وكلالوة حول ساقية تازمورت المتفرعة عن واد غدات بزمران الغربية. إلى أن فصل ظهير المولى إسماعيل في هذا النزاع. أضف إلى ذلك صراع زمران مع فطواكة الذين التجأوا إلى كلالوة ضدهم. ومنذ ذلك الوقت كانت بلاد زمران تتعرض من حين لآخر



السديمة التي يتعدى 110م أحيانا.

- بالنسبة لزمران الغربية :

- عكس زمران الشرقية تطور فيها الري المتوسط والصغير والمتمثل في الضخ الخاص للبياه الجوفية نظرا لقرب المستوى التغمزي من سطح الأرض، ولأنها لم تكن موضوع استثمار فلاحي إلا مؤخرا. وقد بدأ هذا النظام بأربعة دواوير هي : أولاد عامر، أولاد حجاج، أولاد فطام والروحة. وذلك بعد حفر أول بئر سنة 1970. ويتطابق هذا التاريخ مع استعمال ماء سد مولاي يوسف بالحوز الشرقي وبالضبط بقطاع الصهيرج. بعد ذلك عرف حفر الآبار تطورا مهما خاصة خلال نوبات الجفاف حيث بلغ أوجه بين 1991 و1993. وبذلك عرفت المساحات المسقية توسعا ملحوظا (انظر الجدول 1) ببلاد زمران لكنها لا زالت ضعيفة جدا بزمران الغربية. إلا أن المساحة المروية ستعرف توسعا ملحوظا بعد استصلاح قطاع غدات السفلى (مكتب الحوز) انطلاقا من قناة روكاد.

وهكذا فإن المشكل الرئيسي الذي يعوق تطور المزروعات ببلاد زمران خاصة والحوز عامة هو الماء. ذلك أن الثروات المائية أقل من الحاجيات التي تتطلبها الاستثمار المكتنف للأراضي القابلة للري. ورغم ذلك تعتبر بلاد زمران محظوظة بالمقارنة مع باقي سهل الحوز.

الجدول 1 : المساحة المروية ببلاد زمران

المجموع	استعمال الأرض / الأراضي المسقية		المجموع
	نسبة الأراضي المروية	البور	
100	31.88	68.12	زمران الشرقية
100	95.6	4.4	زمران الغربية

المصدر : المركز الفلاحي سيدي رحال

- على مستوى الإنتاج الفلاحي والنظام العقاري :

معظم الأراضي الزمرانية ملك، إلا أن هناك اختلافا بين شطري البلاد : نسبة الأراضي الملكية مهمة جدا بزمران الغربية إذ تمثل 81.54% كما أن نسبة الأراضي الجماعية أهم بزمران الشرقية إذ تمثل 40.82% (الجدول 2).

الجدول 2 : توزيع الأراضي حسب النظام العقاري بالنسبة المئوية

المجموع	النظام العقاري				المجموع
	ملك الدولة	الأحياس	الملك	المجموع	
100	0.10	3.36	40.72	55.82	زمران الشرقية
100	0.2	3.15	15.11	81.54	زمران الغربية

المصدر : المركز الفلاحي أولاد ناصر

للتهب من طرف الاكلاوي بهدف فتح نافذة على سهل الحوز عامة وبلاد زمران الغربية خاصة. وتم له ذلك بالحوز الشرقي عندما شيد قلعته بمخرج واد تازارت المطلة على بلاد زمران. ثم في 1907 هُزمت الجيوش العزيرية الزمرانية من طرف الاكلاوي الذي أصبح رئيس الجيوش الشريفة.

كل هذه الظروف التاريخية كانت تمنع إقامة زراعة دائمة بالمجال الزمراني. فكان من الصعب الحديث عن أراضٍ جماعية، بل كانت بلاد زمران أراضي في ملك القبيلة مع وجود ملكيات خاصة حول السكن تدعى "المكلمات". وكانت محاصيل القبيلة تخزن سابقا في مطامير كما هو الحال بمرس البغال الذي شيد في عهد السلطان الولي الحسن. وبعد ذلك تحول نظام الأراضي القبلي إلى نظام "الكراوات" عندما قام أعيان زمران (القواد والشيوخ) باستصلاح الأراضي واستملاكها عن طريق الاستعمار بواسطة التوزيع أو المخابرة (البيزرة). ومارسوا فيها زراعة الحبوب بكيفية واسعة مثل "كران" ديلوصير وكران "البليشي". وتم تحويل بعضها فيما بعد إلى عزبان مثل عزيب التهامي الكلاوي باشا مدينة مراكش، والذي يدعى عزيب بويدة. وقد بلغت مساحة الأرض التي استولى عليها الكلاوي ببلاد زمران 1618 هكتارا مورست فيها الزراعة المعاشية والتسويقية عن طريق الكلفة والحماسة. ثم انطلاقا من 1950 تحول نظام الكلفة والحماسة إلى نظام الأجرة والبيزرة. وفي سنة 1957 وضعت أملاك الاكلاوي تحت الحراسة القضائية ثم أصبحت تسير من طرف مصلحة الأملاك المخزنية. في 1959 قمت دراسة مشروع تجزئة عزيب بويدة وتوزيع أراضيه كأنموذج للتحديث الزراعي بحوز مراكش. وذلك غداة توزيع الأراضي المسترجعة من المعمرين وغداة تشييد سد مولاي يوسف على وادي تساوت.

لقد أدى بناء هذا السد إلى خلق القطاع السقوي العصري لتساوت العليا. وتشغل بلاد زمران الشرقية الجزء الجنوبي الغربي منه (أولاد كايد، أولاد سعيد، بويدة). في حين لم تستفد بلاد زمران الغربية منه. وهكذا نجد عدة أوجه تشابه أو اختلاف بين شطري بلاد زمران.

- على مستوى التجهيز المائي :

- بالنسبة لزمران الشرقية :

يجمع التجهيز المائي بين نظامين :

- نظام تقليدي مهيكلمتمثل في شبكة من السواقي و متميز بوجود حقوق مائية عريقة خاضعة للتوارث والتقسيم والبيع والكراء. ولا توجد علاقة بينها وبين الأرض.

- نظام عصري للسقي الكبير متمثل في شبكة هندسية من القنوات و متميز بوجود محورين مائيين للري بالغمر هما أولاد كايد وأولاد سعيد. بويدة. ويأخذ هذا النظام بعين الاعتبار النظام التقليدي السابق له. والملاحظ أن الري الصغير والمتوسط لم يتطور بهذا الجزء من زمران نظرا لعمق

كما أن نظام الملكية الصغرى هو المسيطر، بحيث أن نسبة مهمة من الاستغلاليات تقل مساحتها عن خمسة هكتارات خاصة بزمران الشرقية. في حين أن زمران الغربية تمثل فيها الاستغلاليات التي تفوق خمسة هكتارات نسبة لا يستهان بها (الجدول 3).

الجدول 3 : البنية العقارية ببلاد زمران بالنسبة المئوية

المجموعة	أكثر من 20	9,9-5	4,9-0	حجم الاستغلالية بالهكتار
المناطق				
زمران الشرقية	2,8	10,45	16,75	70,00
زمران الغربية	3,42	23,22	23,46	49,9

المصدر : المركزان الفلاحيان أولاد ناصر وسيدي رحال  
+ مكتب الحوز بتصرف

الاستغلاليات الفلاحية هي استغلاليات عائلية والاستغلال المباشر هو الأكثر انتشارا بنسبة 82٪. كما نجد نظامي الشركة والكراء. وتنظيمات مهنية تتمثل في تعاونيات الإصلاح الزراعي خاصة بزمران الشرقية وتجمعات مستعملي الماء وتعاونية إنتاج الحليب الداخلة بزمران الشرقية والتي تضم أزيد من 553 منخرطا والتي أنتجت 2.318.873 ليتر من الحليب سنة 1995 (موني كباير 1995).

وهكذا يتميز الإنتاج الفلاحي ببلاد زمران بالجمع بين الإنتاج النباتي والإنتاج الحيواني : يمتاز الإنتاج النباتي بسيطرة زراعة الحبوب التي تشغل أكثر من 60٪ من المساحة المزروعة بزمران الشرقية، و89,5٪ بزمران الغربية نظرا لأهمية أراضي البور (الجدول 1).

تأتي بعد الحبوب الغرسة بحيث تمثل الشكارات المغروسة بالزيتون أحيانا أكثر من 33٪ من المساحة الزراعية المستغلة بزمران الشرقية، في حين لا تتجاوز 85٪ بزمران الغربية. على العموم يلاحظ في السنوات الأخيرة تطور في المساحات المغروسة.

كما تنتج بلاد زمران البقول، الحضر وخاصة المزروعات العلفية (الفصة، البرسيم، الذرة والشعير). وذلك لتطور الإنتاج الحيواني. تربية الأبقار مقصدة لأنها تعتبر ثروة يلجأ إليها الفلاحون الزمرانيون لتغطية تكاليف الإنتاج خاصة خلال الفترات الصعبة (الحوث الحصاد...). تقارن تربية الأبقار حسب أسلوب مكثف. ويتكون القطيع من ثلاثة أصناف : الصنف الأصيل، الصنف المهجن ثم الصنف المحلي. والاتجاه العام لبنيته هو نحو إدخال النوع المحسن (المهجن)، بينما الأصناف المحلية التي لم تبق سوى عند الفلاحين الصغار في تراجع مستمر. وتعرف تربية الحلوب تطورا مهما بزمران.

بالإضافة إلى الأبقار يربي الزمرانيون الأغنام غير أنها محدودة بزمران الشرقية نظرا لامتداد المساحات المزروعة وقلة أو انعدام المراعي. في حين تعرف انتشارا مهما بزمران الغربية نظرا لأهمية المساحات البورية وتوفر المراعي، إلا أنها تقارن بكيفية واسعة خاصة لدى صغار الفلاحين. تعرف أعداد القطيع عامة تغيرات بيسنوية ارتباطا بكمية المنتوجات العلفية المرتبطة بدورها بكمية مياه الري، وبأثمنة المواد العلفية التي تعرف ارتفاعا مهولا خلال فترات الجفاف.

أ. زروال، دراسة جيومورفولوجية لدير أطلس مراكش بين وادي الزات وتساوت، الرباط، 1987 : أ. زروال، تربة رقوان، مقال معد للنشر بمجلة المغرب : أ. توفيق، المجتمع المغربي في القرن 19 (إينولتان 1950، 1912)، الرباط، 1403 / 1983 : إدريس الفاسي - محمد البدرواي، تربة الحمري، مجلة المغرب، الجزء 11، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا، 1419، 1998 : منوغرافية عن إقليم قلعة السراغنة.

Direction de l'Hydraulique, Carte hydrogéologique de la plaine du Haouz (Maroc occidental) au 1.200.000. Notes et mémoires du service géologique. N° 284. Rabat. 1980 ; G. Aubert, Cahier. O.R.S.T.O.M, série pédologie, volume 3, fascicule 3, 109p, 1965 ; J. Dresch, Recherches sur l'évolution du relief dans le massif central du Grand Atlas, le Haouz et le Sous. Paris 1941 ; M. Ducrocq et P. Pascon, La mise en valeur du périmètre de la Tessaout (Haouz de Marrakech). H.T.E., N 6. 1973 ; M. Kebaier, Etat de la mise en valeur agricole dans la Tessaout - Amont - Rabat. 1995 ; N. Bouderbala, M. Chraïbi et P. Pascon, La question agraire au Maroc, B.E.S.M., N° 123-124 - 125 ; O.R.M.V.A.H, Etude d'actualisation de la factibilité des secteurs centraux de la PTI du Haouz central. Rapport définitif, Décembre 1992 ; P. Pascon, Le Haouz de Marrakech, Tomes 1 et 2. Rabat. 1977. أحمد زروال

### الزمراني، أحمد بن عبد العزيز، أديب شاعر عمل

كاتباً في بلاط محمد الشيخ المامون السعدي بفاس، وكان ينشد بحضرة مولديات في ليالي المولد النبوي على غرار ما كان يجري في بلاد أحمد المنصور الذهبي بمراكش. لقي أحمد المقرئ المترجم في فاس أثناء رحلته الأولى إلى المغرب عام 1010، وأثنى عليه في كتابه روضة الآس وأثبت له قصيدة ثانية في الغزل، ومطلع مولدية نونية من مولديات كثيرة ضاعت منه. وحلاه بقوله : "الكاتب المجيد، الناظم الناثر... ولهذا الكاتب فهم حسن ومشاركة في العلوم، وله نظم جيدة".

ومن أحسن شعره ما قاله في الدولاب (الناعورة) على وادي فاس :

ودولاب كان المساء فيه سيف جردت يوم اللقاء

ويحكى في سناه إذا تبدى بروق الجوى في كبد السماء

وأورد له سميح التلملي في طلائع اليمين والنجاح قصائد

في المولد النبوي وفي مدح محمد الشيخ المامون.

توفي بعد عام 1010 / 1602.

ع. العزيز التلمي، طلائع اليمن والنجاح، فيما اختص بمولد الشيخ من الأمداح، مخطوط : أ. المقرئ، زهرة الآس، الرباط، ط. 2، 1983.

محمد حجي

**الزهراني، البشير بن صالح** ولد عام 1302 / 1884

بديوار أولاد إبراهيم بزمران الشرقية، وهناك تربى تربية دينية وتعاطى الفروسية وركوب الخيل فأظهر خبرة نادره، ولعل ذلك ما دفعه إلى الانخراط في الخدمة العسكرية، حيث شغل في العهد العزيمي رتبة قائد المائة، وفي العهد الحفيظي أصبح قائد الرعي ! وحارب في الشمال والجنوب، حيث ساهم في تهديته الرحامنة بعد وفاة السلطان المولى الحسن، وفي تهديته مناطق شمال البلاد كبنى مستارة بالريف إضافة إلى عمله بجانب الجنود المخزنية في حرب الفتان بوحارة.

وفي آخر العهد الحفيظي أصبح قائدا على قبيلة زمران ثم على بعض قبائل شمال المغرب مثل التسول وتاونات ومقدمة الريف وكانت له ثروة طائلة وعقارات كثيرة بزمران.

توفي بفاس عام 1361 / 1942.

شوقي الحسن

**الزهراني، عبد الكبير بن الطالب الأنصاري** أديب

مناضل أستاذ ولد بمدينة مراكش عام 1331 / 1912، ولد والجيش الفرنسية تحط أقدامها على الأرض المغربية، وتفرض حمايتها عليه.

قرأ القرآن ومبادئ القراءة والكتابة بكتاب الحمي إلى أن استظهره، بعدها تطلع إلى المزيد من العلم والمعرفة، فالتحق



بمسجد أبي العباس السبتي القريب من حيهم ليدرس على الفقيه حم الفطواكي، وعلى سيدي محمد الصغير السباعي مجموعة من العلوم. بعدها التحق بالجامعة اليوسفية، ودرس على شيوخها نذكر منهم السادة العلماء :

أحمد أكرام - محمد بن عمر السمرغيني المعروف بابن

نوح، مولاي أحمد العلمي، والشيخ أبي شعيب الدكالي.

وفي عام 1351 / 1932 رحل إلى جامعة القرويين، فجالس مجموعة من العلماء، وهم السادة :

مولاي عبد الله الفضيلي، الطائع بن الحاج السلمي، محمد (فتحاً) العلمي، العباس بناني، ومحمد أقصيبي.

ولما أشيع نهمه، ونقع غلته من المعارف، انكفاً عائداً إلى مسقط رأسه، وشارك في مباراة الحصول على شهادة العالمية من جامعة ابن يوسف سنة 1358 / 1993، وبعد ذلك صار يقوم بدروس تطوعية بجامعة ابن يوسف وجامع باب دكالة الذي صار فيما بعد خطيباً فيه.

تقلب في مناصب عديدة منها :

- كاتب عند قاضي مسفيوة السيد ابن رحمون.

- كاتب خاص لدى محتسب مراكش الحاج عمر بن الطالب، ثم شارك في مباراة الالتحاق بالقضاء الذي نجح فيه، فعين عضواً بمجلس الاستئناف الشرعي الأعلى بالرباط. وعند زيارة جلالة الملك محمد الخامس لمراكش عام 1365 / 1945، وتدشينه مدرستين ابتدائيتين : الحسنية والعدلاوية، في إطار جهود الحركة الوطنية لنشر العلم والتعليم، عين الفقيه عبد الكبير الزمراني مديراً وأستاذاً بالمدرسة العدلاوية، حيث قام بالدور البارز في تربية الأجيال تلو الأجيال، على مبادئ الإسلام الصحيح، والوطنية الصادقة، إذ يعتبر من المؤسسين للحركة القومية (حزب الشورى والاستقلال) فيما بعد.

واستمرت المدرسة في عطاءاتها واشعاعها إلى سنة 1373 / 1953، حيث أوقلت من طرف السلطات الاستعمارية، وشرذ معلموها وتلامذتها إلى حين عودة جلالة الملك من منفاه فعدت المدرسة لعطائها المهود.

توفي يوم الخميس 22 شوال عام 1397 / 6 أكتوبر 1977، بعد مرض عضال، ودفن طبقاً لوصيته بضريح الولي الصالح سيدي أحمد السوسي. وعند حلول الذكرى الأربعينية لوفاته أقامت جماعة من قدامى تلامذة المدرسة العدلاوية حفلاً تأييبياً أقيمت فيه كلمات وقصائد بالمناسبة.

أ. متفكر، ذيل الإعلام، مخطوط.

أحمد متفكر

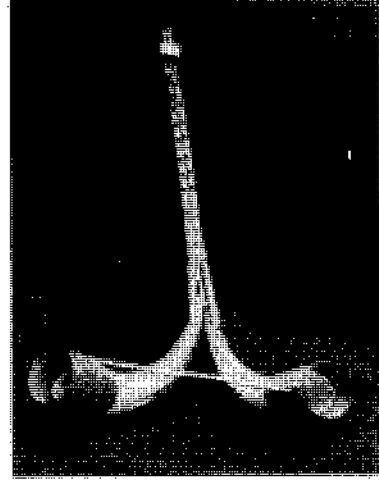
**الزمار (أو أزمار) آلة نفخ يستعملها الموسيقون**

المحترفون المعروفون باسم "أمديازن" والمنتشرون في مناطق الريف الوسطى والشرقية. وهو عبارة عن قصبين صلبتين ألصقت احدهما بالأخرى، وربط عند طرفيهما قرنا ثور مخروطان، تعلق بكليهما سلسلة من قضة بها قطع نقدية للزينة.

والزمار من الآلات الشعبية العتيقة، وقد ندر استخدامها في العهود المتأخرة، وخاصة بعد انبثاق ظاهرة

المجموعات الغنائية الحديثة التي تبنت آلات من قبيل البانجو والكيثار والكمنجة.

ويعتبر نافع الزمار رابع أربعة يشكلون فرقة أمديازان الموسيقية في منطقة الريف، وهم : الشيخ - ويضطلع بدور الغناء ونافخ القصبه ونافخ الزمار، وناقر البندير.



وتحتوي كلتا قصبتي الزمار على خمسة ثقوب يتم فتحها وإغلاقها مشئي بواسطة السبابة والوسطى والبنصر.

م. التوفالي، مجلة الزمان المغربي، العدد 3 و4، خريف، 1980، ص. 61.

عبد العزيز بنعبد الجليل

## زَمَام (أولاد -) ← زَمَامَة

**زَمَامَة**، أسرة فاسية أصلها من تلمسان، دخلوا إلى فاس في القرن العاشر (16 م) ولعل منهم الشيخ زَمَام المتوفى سنة 1024 / 1615 دفين روضة الشيخ أحمد الشاوي. واليهم ينسب درب ابن زَمَام داخل باب عجيسة المدفون به الشيخ أحمد بن يحيى اللمطي.

ع. السلام ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون، 1 : 242.

**الزَمَامِي**، محمد نسبة إلى أولاد زَمَام، وهم فرقة من قبيلة أولاد عريف، المنضوية تحت لواء اتحادية أولاد موسى العربية، بجهة تادالا. تقع مواطن أولاد زمام على الضفة اليمنى لواد أم الربيع، قرب قنطرة سيدي عيسى الواصلة بين مدينتي سوق السبت أولاد فة، والفقير بن صالح ؛ وغير بعيد عن ملتقى واد داي بواد أم الربيع.

إلا أن بعض كواين أولاد زمام توجد على الضفة اليسرى للواد المذكور.

أما محمد الزمامي، فقد ترجم له الخليلي ( الدررة

الجليلة، 369)، وعده من أجل تلامذة الشيخ أحمد ابن ناصر.

لا نعرف شيئا عن ميلاده وطفولته ؛ لكن من ترجمته نتبين أنه اشتهر بالصلاح والعبادة ؛ ولم نقف على ما يفيد فيما يتعلق بمستواه العلمي. ومن ثم نستنتج أن مبلغه من العلم كان محدوداً، وأنه اقتصر على التصوف.

ولاشك في أنه ترقى في هذا الميدان، حتى أصبح مقدم الناصريين بتادالا، يلحقن الورد لأتباع الناصريين، ويصلهم بالشيخ في تامغروت. لذلك كان كثير التردد إلى الزاوية الناصرية، حيث التقى ببعض شيوخها، مثل أحمد الخليفة وموسى بن محمد الكبير، ويكبار تلاميذهم كالحسين الشرحبيلي. كما كان محمد لزمامي من المقربين من الشيخ أحمد ابن ناصر، حتى إنه - في أثناء مرض موته - استوصى به خليفه موسى الناصري وأخاه عبد الله، حيث قال : "سيدي محمد الزمامي كنحن.."

ويلح الخليلي على أن المترجم "كان مجتهدا في دينه، وفي أمور الزاوية، وحسنت سيرته، وبانت عليه بركة الشيخ، ونال منه غاية النوال..."

وأيا ما كان الأمر، فإن محمد الزمامي قد اضطلع بدور بالغ الأهمية، بسبب موقع زاويته، في جهة عرفت بعدم الاستقرار، نتيجة سيادة حياة الترحال، وكون جهة تادالا معبراً يصل بين الشمال والجنوب ؛ وكون موطن أولاد زمام قريبا من مشرعة واد أم الربيع، يخوضها المارون بذلك المجال.

من أجل ذلك كله، تصدى محمد الزمامي للتحكيم والوساطة بين المتنازعين، كما تصدر لتلقين الناس تعاليم دينهم، ومحاربة بعض مظاهر الانحراف ؛ لا سيما وأن تلك الجهة كانت مسرحا لظهور بعض الطوائف الضالة، مثل العكاكزة والشراقة. لذلك يمكن القول إن محمد الزمامي، وغيره من الناصريين، قد أسهموا في استقرار المجتمع، وفي إقامة نوع من التوازن الذي كان يفتقد في أثناء الأزمات التي كانت تصيب الناس من حين لآخر.

وكما جهل الخليلي تاريخ ميلاد محمد الزمامي، فإنه أغفل ذكر تاريخ وفاته. لكن يغلب على الظن أنه عاش مدة بعد وفاة شيخه (1129 / 1717).

ولا نحازف بناء على الذاكرة الشعبية - حيث ظل ضريحه مقصوداً بالزيارة إلى أيامنا هذه - إذا استنتجنا أن محمد الزمامي ترك بصمات واضحة في تلك الجهة ؛ بما يؤكد أن زاويته لم تندثر بعد وفاته.

الخليليني، الدررة الجليلة : التحري الميداني.

أحمد عمالك

زهور، منطقة خصبة تبلغ مساحتها 350.000 هكتار،

وتقع بين مكناس شرقا وسلا والرباط غربا وبين غابة المعمورة شمالا والهضبة الوسطى جنوبا تمتاز المنطقة بترية خصبة تنتمي في مجملها إلى نوع التيرس وهي تربة سميكة، ونظرا للظروف الطبيعية الملائمة فإنها تسمح باستغلال فلاحي متنوع وبمردودية مناسبة، هذا بالإضافة إلى أراض رملية أقل جودة توجد بمحاذاة غابة المعمورة.

مناخ المنطقة شبه قاري حيث تتميز بالارتفاع خاصة كلما تم الابتعاد عن المحيط، معدل الحرارة يتراوح ما بين 10° و 27° درجة خلال الشتاء بينما يصل إلى ما بين 25° و 27° درجة أثناء الصيف. كما أن المناطق المرتفعة خاصة أولماس تعرف ارتفاعا في درجة الحرارة خلال الصيف تصل أحيانا إلى 30° درجة بينما تستقر الحرارة شتاء ما بين 7° و 8° درجة.

التساقطات المطرية في نواحي تيفلت تبلغ 528 ملم سنويا و501 ملم في منطقة تيداس أما المنطقة الجبلية فيصل معدلها سنويا إلى 655 ملم خاصة بأولماس. وتعتبر المنطقة خزانا مهما للمياه الجوفية تتجدد في الفرشة المائية للمعمورة حيث تسمح التشكيلات الصخرية المكونة من حث وكلس بتسرب واختزان كمية مهمة من مياه الأمطار. الغطاء النباتي مهم يتمثل في الشريط الغابوي للمعمورة الذي يمتد شمالا من سيدي غلال البحراوي إلى حدود الكتزرة كما يعرف تنوعا في مرتفعات الجنوب خاصة بأولماس حيث تتنوع الأشجار الغابوية. هذا بالإضافة إلى غابات اصطناعية من نوع الأوكالبتوس في منطقتي تيداس والمعازيز.

تستقر بهذه المنطقة قبيلة زمور وهي عبارة عن تجمع قبلي أمازيغي كبير يضم قبائل أيت أوريبيل التي لم تستقر مع باقي القبائل المكونة لزمور إلا في نهاية القرن الثاني عشر (18 م) على إثر زحف بعض قبائل الأطلس المتوسط عشر (18 م) على إثر زحف بعض قبائل الأطلس المتوسط وأيت بلقاسم وأيت مالك وأيت ايشو وأيت إيكو وأيت بويحيى وأيت سيمون وأيت سبيرن وأيت يدين وأيت عبو وأيت جبل الدوم وأيت واحي وهودران وأيت زكري ويني حكم ويني عمر والصفاصيف والماروديين.

وفي سنة 1911 ومع الزحف الاستعماري الفرنسي على مناطق زمور أنشئت مراكز عسكرية لمراقبة تحركات الزموريين ومنع أي اتصال أو تحالف مع جيرانهم الزعريين وهكذا شُيد مركز تيداس لمراقبة بني حكم في زمور العليا ثم مركز آخر في سيدي غلال البحراوي وكذا بالمعازيز وتيفلت وأولماس والخميسات، هذه المراكز العسكرية تطورت وأصبحت تشكل مراكز حضرية ومدناً متوسطة كالخميسات التي تعتبر اليوم نموذجا للجبل الحضري الجديد والقطب الاقتصادي الهام لمنطقة زمور. كما أن مدينة تيفلت عرفت بدورها توسعا عمرانيا مهما في العقود الثلاثة الأخيرة، ونفس المصير عرفته مراكز تيداس وألماس والمعازيز.

تعتمد ساكنة قبائل زمور على استغلال المعطيات الطبيعية والمناخية للمنطقة من أجل الحصول على موارد العيش. ففي زمور السفلى تسود الظروف المشجعة على الزراعة بفعل توفر تربة خصبة تصلح لزراعة الحبوب رغم ضعف مواردها. بينما منطقة زمور العليا التي يكثر فيها الكلال والغابة في المرتفعات والجبال فهي مجال يسود فيه النشاط الرعوي بالإضافة إلى الصناعة التقليدية (حياكة الصوف وصنع الزرابي). كما توجد بالمنطقة عدة أسواق للتبادل مع سكان المناطق الجبلية، وتطور بعضها إلى مراكز حضرية، كما تتوفر المنطقة على معطيات طبيعية وسياحية لم يستغل بالشكل الصحيح لتعود على المنطقة بالنفع ومن هذه المعطيات بحيرة ضاية رومي التي تعتبر من أكبر البحيرات بالمغرب.

م. حنيني، الخميسات، دراسة في الجغرافية الحضرية، د.د.ع.، كلية الآداب، الرباط، 1980؛ وزارة التخطيط وتكوين الأطر والتكوين المهني، الإحصاء العام 1982.

محمد بلعربي

**الزَمُورِي**، أسرة منسوبة في الغالب إلى قبيلة زمور المستوطنة فيما بين سلا ومكناس، وهي قبائل شتى. منهم من ينسب إلى مدينة أزموور عند مصب نهر أم الربيع فتحتفد الهمزة ويقال زَمُوري. ومن هؤلاء أسرة فاسية صنهاجية عالمة انتقلت من أزموور إلى فاس في أوائل القرن العاشر (16 م) فرارا من الاحتلال البرتغالي.

**الزَمُورِي، أحمد بن علي بن أبي بكر الصنهاجي** الفاسي، فقيه مشارك متخصص في النحو وعلوم القرآن من قراءات وتجويد وتفسير، يعرف المقارئ السبعة، ويحفظ مختصر ابن الحاجب الفرعي، وتسهيل ابن مالك عن ظهر قلب.

انتقل جده ووالده من أزموور إلى فاس في مطلع القرن العاشر (16 م) بسبب الاحتلال البرتغالي لثغور دكالة، وولد المترجم بفاس بعد عام 930 / 1524 ودرس على كبار فقهاؤها ومقرئها أمثال محمد بن أحمد السيستاني ومحمد بن أحمد ابن مجير المساري وأبي القاسم ابن إبراهيم الدكالي وأضرابهم.

شغل أحمد الزموري كرسي التفسير والقراءات بالقرويين وجامع الأندلس بعد وفاة شيخه ابن مجير، وكان يدرس إلى ذلك أمهات كتب النحو والفقه خاصة مختصر ابن الحاجب وتسهيل ابن مالك. وامتازت دروسه العالية في التفسير بما ينقل فيها من أقوال المفسرين وتأويلاتهم، وما يورد عليهم من عنده بما يرفع الإبهام ويزيل الإشكال. وقد أخذ عنه عدد كثير من علماء فاس والوافدين عليها، ومنهم أحمد ابن القاضي الذي ترجم له وذكره في كل كتبه وأثنى على علمه وخلقه وأدبه.

**الزموري، أحمد بن محمد المراكشي،** صنهاجي ينتسب إلى مولاي بوشعيب أزموور. ولد بحي القصور بمراكش حوالي عام 1287 / 1870. ودرس بها أولاً على الشيخ أزيظ وعبد الله أكنسوس والعربي الرحماني البربوشي، ثم توجه إلى فاس فقرأ على الشيخ أحمد بن الحياض ومحمد القادري ومحمد گنون وعبد السلام الهواري وعبد السلام بناني الطيب وغيرهم.

تولى القضاء في عدد من المدن إلى أن أحيل على المعاش فاستقر بمسقط رأسه مراكش. وتذكر له تأليف، منها حاشية على شرح الخزرجية في العروض. وكان إلى جانب تكوينه الفقهي "يملي الكثير من أشعار العرب والمولدين وخصوصاً شعر أهل الأندلس فقد كان يستحضر منه الشيء الكثير مع نسبة الشعر لقائله وذكر مناسبة إنشاده، يحفظ ذلك عن ظهر قلب لم أر مثله في ذلك" (سل النصال، ص. 3272).

توفي بمراكش عام 1951. ودفن بمقبرة باب أغمات.  
ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع : سل النصال / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 9 : أ. متفكر، ذيل الإعلام، مخطوط.

**الزموري، أحمد،** يُعرف بالقاضي الزموري. ولد بمدينة أزموور سنة 1314 / 1897. وكان توقيعه "الأزموري" لكن غلب عليه الزموري - دون همز - وكما هو شرطنا في المعلمة أدرجناه في الزاي، قال عنه مؤلف إتحاف المطالع "كان علامة مشاركاً مطلعاً شاعراً مفترداً، يجيد الشعر مع فصاحة وإقدام". ولي قضاء مدينة ابن أحمد أولاً، ثم نقل إلى قضاء الدار البيضاء درب السلطان. ضاعت أكثر آثاره الفقهية والأدبية إلا مولودية تونسية أثبتتها صاحب كتاب اليمن الوافر الوفي مطلعها :  
أهناكم قلائد العقيان أم هناكم معاهد التيجان  
توفي بالدار البيضاء، وهو قاض بها، يوم الأربعاء 8 ربيع الثاني عام 1373 / 16 دجنبر 1953 وأقبر بها.  
ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 9 : 3288. ع. ابن زيدان، اليمن الوافر الوفي، فاس، 1342.

محمد حجي

**الزموري، عبد السلام بن محمد الفاسي،** وصفه صاحب السلوة بـ "الفقيه الأديب اللوذعي الأريب" وحلاه الإدريسي في المعجم "بأبرع الأدباء المقتطف من رياض الأدب أزهاراً، والمقتبس من مصباح المعارف أنواراً". امتحن في أول دولة السلطان عبد الرحمن بن هشام، واشتهر بمنظومة الأتاي، وفيها يبدو متين اللغة سلس الأسلوب. وقد نعتها شارحها البطاوري "بالأرجوزة الفاتحة المستعذبة الرائقة".

والى جانب ذلك اشتهر أحمد الزموري بالأدب وقرض الشعر إلا أن أشعاره ضاعت سوى مقطعات قليلة احتفظ بها أحمد المقرئ في نفع الطيب (7 : 75) ومحمد الإفرائي في نزهة الحادي (ص. 52-53) ومعظمها تخميسات إلا أنها تدل على تمكن في فن النظم وذوق أدبي رفيع.  
كان أحمد الزموري يقضي شهر رمضان في حاضرة مراكش يؤم بأحمد المنصور في صلاة التراويح لحسن صوته وتجويده وحفظه. فيجزل له العطاء، وأعطاه ذات سنة نحو خمسمائة آلاف أوقية وجناناً بمراكش وأرض حرث وغير ذلك.

توفي بفاس ليلة السبت غرة رجب عام 1001 / 3 أبريل 1593 ودفن داخل المدينة في ضريح الشيخ محمد الحياطي بالدوح من طاعة فاس.

أ. ابن القاضي، جدوة، الرباط، 1974، 1 : 136 : درة المجال، تج. الاحمدي، القاهرة، 1970، 1 : 154 : المنتقى القصور، تج. م. رزوق، الرباط، 1986، 2 : 779-780 : أ. المقرئ، نفع الطيب، تج. إ. عباس، بيروت، 1968، 7 : 75 : ع. التنارتي، الفوائد الجمية، مخطوط : أ. الكلائي، تشبيه الصغير من الوالدان، مخطوط : م. الطيب الفاسي، مطمح النظر، مخطوط : م. الإفرائي، صفوة، ط. حجر فاس، د. ت : نزهة الحادي، ط. حجر فاس، د. ت : م. القادري، نشر / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 3 : م. المضيجي، طبقات، تج. أ. يومزكو، د. د. ع مرقون، كلية الآداب، الرباط : أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1956، ج 5 : م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 1300، ج 1 : م. الأزهرى، اليواقيت، القاهرة، 1908، م. مخلوف، شجرة النور، القاهرة، 1930 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1974، ج 2 : أ. النميشي، تاريخ الشعر والشعراء، بفاس، فاس، 1924 : م. حجي، الحركة الفكرية، المحمدية، 1976، ج. 2.

**الزموري، أحمد بن محمد الفاسي،** حفيد شيخ المقرئين بفاس أحمد بن علي الزموري سابق الترجمة. ولد بفاس عام 1012 / 3 / 1604. وبها درس على شيخ عصره وفي مقدمتهم عبد الرحمن الفاسي العارف. تخرج عالماً كبيراً وتصدر للتدريس بالقرويين، قال عنه تلميذه محمد الطيب الفاسي : "كان عارفاً بالنحو والفقه تام المشاركة في غيرهما من الفنون، أعجوبة الدنيا في الحفظ والفهم، كثير النقل في التدريس" (فهرس). ومن تلاميذه كذلك العالم الموسوعي عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، قال : "سمعت عليه الألفية ثلاث مرات بما يتعلق بها وخصوصاً محاذي ابن هشام. ولي أحمد الزموري خطة القضاء بفاس عام 1053 / 1643 إلى أن توفي في الثالث والعشرين من جمادى الثانية سنة 1057 / 15 يوليوز 1647.

ع. الرحمن الفاسي، أزهار البستان، مخطوط : م. الطيب الفاسي، فهرس، مخطوط : م. القادري، نشر الثاني، ع. الكبير الفاسي، تذكرة المحسنين / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 4 : م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 1300، ج. 2.

لازم عبد الغني مجالس الطب في مراكش ولا سيما دروس الشيخ أبي القاسم الوزير إلى أن شدا في فنه، ويرهن عن كفاءته النظرية والعلمية فأذن له في التطبيب والعلاج.

كان تكوين عبد الغني الزموري مزدوجاً، قرأ كتب الأطباء المسلمين القدامى واستوعبها مع شيخه الوزير الغساني، وتدرّب على مداواة المرضى مع والده مسعود، وتعرف على الأعشاب الطبية في الكتب وفي الميدان، وألف في ذلك كتابين.

1. الفائق المفيد في علاج الحصى بقول سديد، أهداه إلى الملك أحمد المنصور، ذكر في المقدمة خطر هذا المرض وانتشاره ومع ذلك لم يؤلف بخصوصه من الأطباء أحد، فجمع هذا الكتاب سالماً سبيل الاختصار وبين المصادر التي رجع إليها قائلاً: "معتماً في ذلك على ما طالعت من تصانيف المتقدمين، وتواليف مهرة الأطباء المتأخرين، كجالينوس وبقراط وعلي بن سينا، وعلي بن العباس المجوسي وأبي القاسم الزهراوي وعبد الملك بن زهر وأبي زكرياء الرازي وابن عبد ربه، وعلي بن الغليظ، وابن رشد صاحب الكليات وابن البيطار وغيرهم من فضلاء الأطباء حسبما حضر لي ذلك عند جمع هذا التأليف". وقد بناه على خمسة عشر باباً، يبين في الأبواب الأربعة الأولى هيئة الكلى وخلقتها ومزاجها وطبيعتها، وماهية الحصى وكيف يتولد، وأسباب تولده. وشرح في الأبواب الباقية أعراض هذا المرض وطرق علاجه وتفتتت الحصى وذكر الأدوية المفردة والمركبة، وسبل الوقاية منه.

وكتبت في أواسط سنة 1967 بعثت إلى طبيب صديق لي بمدينة مراكش أعرف فيه سعة الاطلاع على التراث الإسلامي في الطب، واهتماماً خاصاً بعلاج الحصى دواءً وجراحة، بعثت إليه بمقتطف من بابين من كتاب القانون المفيد للزموري: الخامس في علامات الحصى الخاصة بها، والسادس في الأعراض التي يقصدها الأطباء بالعلاج في الحصى وقوانين تديره. فتلقيت منه جواباً مطولاً يثبت صحة النقول الواردة في النص عن خلف الزهراوي وابن سينا وابن البيطار، ويؤكد "أن الأعراض المشار إليها مازالت صحيحة قائمة ولو أصبح التشخيص اليوم يعتمد على فحوص إضافية أخرى كالأشعة السينية والتحليلات الكيماوية الأخرى. أما في ذلك العصر فانهم كانوا يسترشدون بدقة العلامات المرضية وقوة الحدس. أما فيما يخص المداواة فإن كل الأعشاب المذكورة لا يعمل بها اليوم. وليس صحيحاً البتة أن كل المتخلى عنه اليوم والمهمّل لم يكن ذا جدوى فيما مضى وخاصة في الطب، إذ استطاع الإنسان أن يقاوم الأثم بشتى أنواع الوسائل من عشبية وفسانية..".

2 - كتاب في خواص النباتات، عرف فيه بالنباتات الطبية على غرار ما فعل شيخه أبو القاسم الوزير الغساني في حديقة الأزهار في شرح ماهية العشب والعقار. وشرح

لقت منظومة الأتاي إقبالاً كبيراً لدى عامة الناس وخاصتهم، لما اشتملت عليه من تدقيقات حول طرق صنع الأتاي وفوائده الطبية وما يطيبه من نعناع وعنبر، والآلات الضرورية لحفظها والظروف المواتية لهذا الشراب المنعش. واعتبرت منظومة الأتاي من النصوص الأدبية التي يجمل بالمتعلمين والمتأدين حفظها، فطبعت على الحجر بفاس ضمن مجموع المتون الكبير الأول سنة 1319 / 1901 إلى جانب الألفية ولاسية الأفعال ولاسية المجراد وسلم المنطق. كما نُشرت بنفس المطبعة الحجرية في مجموع المتون الثاني، وشرحها شيخ الفقهاء والأدباء بالرباط محمد المكي البطاوري.

زاول الزموري مهنة الوراقة وهو في وضع متأزم، ونسخ عدة كتب، منها المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل للإفرني، في 10 رمضان 1260، أيام إقامته بمراكش بعد خروجه من سجن مصباح، مخطوط خ ح 207. ثم نزهة الحادي للمؤلف نفسه، انتهى من نسخه في 2 ربيع الأول 1261. برسم عامل مراكش أحمد بن القائد عمر ابن أبي ستة، مخطوط خاصة.

توفي عبد السلام الزموري بفاس في تاسع عشر جمادى الثانية عام 1279 / 12 دجنبر 1862 ودفن خارج باب عجيسة بجامع روضة الشيخ أبي الحسن.

ع. السلام، الزموري نفسه، إزالة البوس، مخ خ س 3665 : منظومة في الأتاي، المطبعة الحجرية فاس، 1319، ضمن مجموع : المامون الكتاني، هداية الضال المشتغل بالقبيل والقال، مخ خ ع 320 ك : الطب البياز، الكناشة البيازية، خ س 3665 : م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 1300، ج. 3 : أ. النيسي، تاريخ الشعر والشعراء بفاس، 1924 : أ. سكريج، كشف الحجاب، ط. حجر فاس، 1325 : م. المكي البطاوري، شرح أرجوزة الأتاي، الرباط، 1946 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 8 : 487 : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 1 : م. كحالة، معجم المؤلفين، دمشق، 1957، ج. 5 : الإدريسي، معجم المطبوعات المغربية، سلا، 1988 : م. المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، 262 : قيس من عطاء المخطوط المغربي، 1 : 260 و 270 و 272 : السبيتي والخصاصي، من الشاي إلى الأتاي، ص. 24 و 302.

أحمد إيشرخان

**الزموري، عبد الغني بن مسعود**، ليس من الزموريين الصنهاجيين آل الأستاذ أحمد بن علي الفاسي، ولعله من زمور قبيل البرانس. عالم محقق وطبيب ماهر. كان أبوه مسعود طبيباً يمارس علاج المرضى بمراكش، فأراد عبد الغني أن يشاركه في مهنته وهو حديث سن مزجي البضاعة، فمُنِع من ذلك. وكان الأطباء يومئذ بحاضرة السعديين إلى نظر رئيسهم أبي القاسم الوزير الغساني، لا يمارس المهنة إلا من اختبر وأذن له.

الأدوية باللسان اليوناني والسرياني والفارسي والعجمي وغير ذلك مما يشكل عند أهل العصر.  
وبالرغم عن علم المترجم وعمله في التطبيق والتأليف لم يترجم له أحد من معاصريه ومن بعدهم، لأنه لم يكن فقيهاً وإنما عُرِفَتْ بعض أخباره من مقدمة كتابه القانون المفيد.

توفي في حدود عام 1030 / 1621.

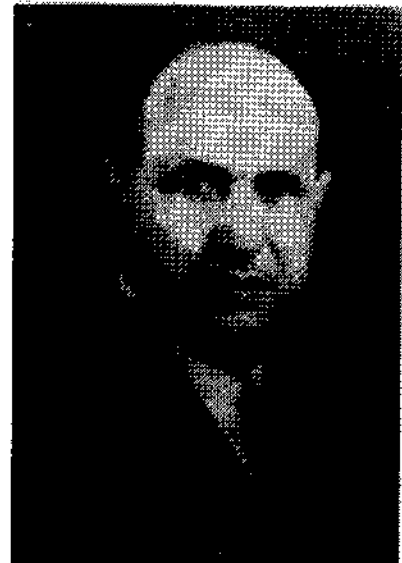
ع. الغني الزموري نفسه، القانون المفيد، مخطوط : م. الكائوني، الطب العربي بالمغرب، مخطوط : م. حجي، الحركة الفكرية، المحمدية، 1976، ج. 1 و 2.

**الزموري، علي** بن منصور الفاسي من قبيلة زمور. من بطون البرانس المستقرين بالسهول القريبة من ساحل البحر. كما هو منصوص عليه في بعض نسخ النشر. درس علي الزموري على كبار شيوخ فاس أمثال عبد القادر الفاسي، ومحمد ميارة الكبير، والحسن اليوسي وأجازته محمد بن عبد القادر الفاسي. فكان من هيئة المدرسين. وهو والد الفقيه محمد بن علي بن منصور الزموري الذي تولى القضاء بفاس.  
توفي علي الزموري بفاس يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب عام 1107 / 2 مارس 1696.

م. الطيب الفاسي، فهرس، مخطوط : م. القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 5 : م. الكائوني، سلوة، ط. حجر فاس، 1330، ج. 1.

محمد حجي

**الزموري، عمرو** بن ناصر يكنى بنو زكري إشارة إلى مولده بأيت زكري بإقليم الخميسات سنة 1916. أمازيغي المنبت، من الرواد الأوائل في الحركة الوطنية. اعتقل ونفي مراراً دفاعاً عن وحدة البلاد وحرمتها واستقلالها.



تلقي تعليمه الأولي بمدرسة موسى بن نصير في الخميسات والثانوي في مدرسة أزرو التي خصصتها إدارة الحماية الفرنسية إلى الأمازيغيين بنية فصلهم عن زملائهم الطلاب من أصل عربي تمهيداً لتكسير الوحدة المغربية التي برزت في الظهير البربري 16 مايو 1930.

تخرج عمرو بن ناصر من شعبة المعلمين فعين مدرساً للغة الفرنسية في إقليم زمور. وكان من الأوائل الذين تنهوا لتلك السياسة، فانخرط في كتلة العمل الوطني سنة 1934 وأخذ يناهض سياسة "فرق تسد" في زمور وأصبح من أكبر الدعاة في وسط الشباب وعموم سكان الإقليم، يقاوم التفرقة العنصرية والتنصير في صفوف التلاميذ الأمازيغيين الذين كانوا يوجهون لمدرسة أزرو، وألف جماعة من العاملين أخذت تعقد التجمعات الوطنية وتنظم التظاهرات. وكان من أعضاء هذه الجماعة عبد الحميد الزموري أحد الرواد كذلك من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال.

فصلت الإدارة الاستعمارية عمرو بن ناصر عن التعليم ثم اعتقلته ونفته إلى مدينة الصويرة سنة 1937. فلما عاد من المنفى تابع نشاطه التعليمي والوطني فأسس مدرسة "الأطلس" ومكتبة عربية بالخميسات. ثم دعي للتعليم في مدرسة "محمد جوسوس" التي أنشأها الحاج أحمد بلا فريج الأمين العام لحزب الاستقلال فكانت منارة إشعاع. وظل ينظم تجمعات الطلبة والشباب الأمازيغيين من زمور وزعيم ويوفد الكثير منهم إلى جامعة القرويين بفاس بدلاً من مدرسة أزرو، ترسيخاً لروح المواطنة البعيدة عن النزعة العنصرية في نفوسهم. وكان من الأعضاء البارزين في الحزب الوطني.

ونظراً لمكانته في العمل الوطني رشح من بين الستة والستين الذين حضروا وثيقة المطالبة بالاستقلال في يناير 1944 ووقعوها. فاعتقل ونفي من جديد. وبعد اطلاق سراحه عاد إلى التعليم وأخذ يسعف عائلات المسجونين والمنفيين. وبعد اشتداد الأزمة المغربية الفرنسية في الخمسينات وخلع محمد الخامس انخرط في المقاومة المسلحة وأصبح رفيقاً للشهيد الزرقطوني.

وبعد الاستقلال تقلد عدة وظائف سياسية في وزارة الداخلية التي تولى شؤونها مدة طويلة إدرس المحمدي أحد القياديين والموقعين كذلك على وثيقة المطالبة بالاستقلال. ثم تولى إدارة المدرسة الفلاحية بالقنيطرة إلى أن دعاه قاسم الزهيري أحد الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال والذي تقلد من بين المناصب منصب وزير التعليم الثانوي والتقني ليكون رئيس ديوانه. ثم أثار بعد انتقال هذا الأخير إلى منصب جديد أن يعود مرة أخرى إلى التعليم فتقلد إدارة مدرسة الأيوبي بسلا.

واقاه الأجل في حادثة سير سنة 1366 / 1974.

معرفة شخصية ووثائق إدارية.

قاسم الزهيري



**الزموري، مبارك** قائد شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان المتوكل ثم فر إلى أصيلا (التي كانت آنذاك بيد البرتغال) ومنها التحق بلشبونة حيث انضم إلى حاشية الأمير الشيخ ابن المتوكل وظل بجانبه إلى أن تنصر هذا الأخير.

Archivo General de Simancas España.

محمد ابن عزوز حكيم

**الزموري، محمد بن عبد الله** الفاسي، لعله من أوائل زمور صنهاجة المهاجرين إلى فاس من دكالة. كان من أقران الشيخ المحدث الزاهد رضوان الجنوي ورفاقه" وكان سكناه بالمدرسة التي يدرّب سيدي خلف الله، وبه كان منزل الشيخ الجنوي، "وكان كل واحد يتعاهد صاحبه بالزيارة ولم تر أحداً في وقتها أروع منهما" بهذا وصفه معاصره أحمد المرابي الأندلسي في كتابه مواهب الامتنان، وذكر أن الشيخ الجنوي قيّد بخطه شيئاً من أخبار محمد الزموري وتاريخ وفاته. ويذكر بعض مترجميه أنه كان من أشياخ المحدث رضوان الجنوي.

وما يمكن استنتاجه من النصوص القليلة التي تحدثت عنه أنه كان فقيهاً مشاركاً زاهداً صالحاً، يسكن منفرداً في أحد بيوت مدارس فاس، ولا يبرر الإقامة من وجهة نظر الوقف إلا أن يكون طالب علم أو مدرساً. ويظهر أن المترجم كان كذلك في أطوار حياته. متعلماً ثم معلماً. يؤكد الأثر الوحيد التي عُثر له عليه، وهي أرجوزة تعليمية في وصف منازل الكواكب يقول فيها :

وبعد فالقصد بهذا الرجز وصف المنازل بلفظ موجز  
توفي محمد الزموري بفاس . حسب تقويم رضوان الجنوي . في أوائل ذي القعدة عام سبعة وسبعين وتسعمائة/ أبريل 1570.

م. الزموري نفسه، أرجوزة في وصف منازل الكواكب، مخطوطة ؛  
م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 1300، ج. 3 ؛ أ. المرابي الأندلسي، تحفة الإخوان ومواهب الامتنان في مناقب سيدي رضوان، مخطوط.

C. Brocklmann, G.A.L. Supplément, Leiden, 1937, T.2.

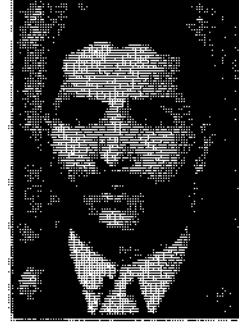
**الزموري، محمد** مقاوم من مواليد سنة 1331 / 1913 بعبدة ناحية أسفي. انخرط في صفوف العمل الوطني ضمن حزب الاستقلال منذ سنة 1944 ومع تأجيج الكفاح الوطني المسلح انضم إلى منظمة المشتقة الفدائية مع ثلثة من المقاومين الذين بلغ عددهم داخل هذا التنظيم إحدى عشر شخصاً ونتيجة نشاطه الفدائي فقد تعرض للاعتقال والسجن لمدة تزيد عن تسعة أشهر وذلك بتهمة المشاركة في عمليات المقاومة.

توفي يوم الأربعاء 15 شوال 1416/6 مارس 1996.

المدوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء

لاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 516826

**الزموري، عيسى بن الغازي**، مقاوم ولد سنة 1342 / 1924 بزمور. انضم إلى المقاومة المسلحة إبان الأزمة السياسية في أوائل الخمسينيات ضمن التشكيلة التي كان يرأسها غلال ابن عبد الله.



وقد عمل ضمن هذه التشكيلة بكل تفان وإخلاص إذ قام باغتيال أحد المتعاونين مع المستعمر فألقي عليه القبض في الحين من طرف شرطة الاستعمار، التي غذبت له ليصبح بأسرار التشكيلة التي كان ينتمي إليها، إلا أنه فضل الموت بتجرعه السم يوم الجمعة 27 ربيع الأول عام 1373 / 4 دجنبر 1953 واهبا روحه فدائماً للوطن.

المدوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء، الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 508269.

**الزموري، الفتوح بن عيسى بن أحمد الصنهاجي** الفاسي، يكنى أبا القاسم، ذكره السخاوي في الضوء اللامع دون أن يترجم له.

كان عالماً باللغة خصوصا علم العروض والقوافي، ولم نقف في بقية المصادر على ترجمة مفصلة له. ولم يصلنا من مؤلفاته سوى شرحه على الخزرجية، وهي منظومة في علم العروض تسمى "الرامزة" لمؤلفها عبد الله بن محمد الخزرجي المتوفى عام 549 / 1154 طبع شرح الفتوح الزموري على الخزرجية - التي سماها بعضهم "الإشارة الحلبية في حل رموز الخزرجية" على الحجر بفاس عام 1316 ضمن مجموع، وتوجد منه عدة نسخ مخطوطة بالخزانة العامة، أحصينا منها عشر نسخ، وفي نسخة د 2141 / 3، ذكر المؤلف أنه انتهى من إملاتها في أوائل جنادى الأولى من عام 816. بينما كانت وفاته - رحمه الله - عام 852 / 1448.

السخاوي، الضوء الأملع لأهل القرن التاسع، القاهرة، 1354، ج. 6، ص. 167 ؛ سركيس، معجم المطبوعات، 342 ؛ بروقصال، فهرس المخطوطات، الطبعة الثانية، ج. 1، 87 ؛ إ. الإدريسي، معجم المطبوعات المغربية، سلا، 189، 145 ؛ ع. العزيز بتعيد الله، معلمة المغرب، القنيطرة، 2000، ص. 137.

أحمد إشرخان

**الزُموري، مسعود بن الحسن المراكشي،** يكنى أبا سرحان، طبيب ماهر بالممارسة دون دراسة. كان يعالج المرضى في مراكش خلال النصف الثاني من القرن العاشر (16 م) لا تعرف له ترجمة ولم يتعرض له أحد من أصحاب كتب التراجم إلا ما ذكره عنه ولده وتلميذه الطبيب عبد الغني الزموري في مقدمة كتابه القانون المفيد. قال عنه : "وهو الماهر بهذه الصناعة... وإن لم تكن له يد في الطب (أي النظري) فطالما أخذها عن أربابها، معتنياً بتحصيل شروطها وقواعدها وأسبابها، حتى إنه مَدَّ فيها اليد والباع، وسلك فيها حيث تضيق على أربابها مسالك الاتساع، فهم يعرفون هذا العلم نقلاً، وهو يعرفه قولاً وفعلًا، فله فيه من المسائل النادرة الوقوع ما يشهد لذهنه الثاقب، وثناء الألسن عليه بأحسن المناقب. والله أسأل أن يعتني برضاه في إطالة عمره، حتى أفوز منه بما بقي لي من التقاط درره".

يظهر أن مسعود الزموري بدأ مزاوله مهنة التطبيب قبل أن تقف في عهد أحمد المنصور، ويصبح علماً يُدرس لطلابه بعد تمكثهم وأنه لمهارته وإقبال المرضى عليه لم يمنع من مباشرة عمله كما سُنِعَ غيره.  
توفي بعد سنة 994 / 1586.

ع. الغني الزموري، القانون المفيد، المقدمة، مخطوط : م. حجي، الحركة الفكرية، المحمدية، 1976، ج. 1.

محمد حجي

**الزُموري** يدعى إستيبانيكو (مشارك في استكشاف أمريكا) : عرف المغرب خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر حالة من الانحسار والتفكك كان من أبرز نتائجها اكتساح كل من البرتغال والإسبان لعدد من مدنه وتوغره في الشمال والجنوب على السواء، حيث سعى المستعمرون في إطار مخطط غزوهم إلى استنزاف كل خبرات البلاد. ولم يسلم السكان أنفسهم من هذا الاستغلال الشرس، إذ لجأ البرتغاليون في هذا السياق إلى استعمال وسطاء مسلمين ويهود لاختطاف وقص الكثير من الناس وبيعهم كرقيق إلى الأجانب. وكانت أزموور التي احتلت سنة 1513 تمثل سوقاً حيوية للمتاجرة في العبيد وتسويقهم. والجدير بالذكر أن هذا الصنف من التجارة بلغ ذروته إبان مجاعة 1521، حيث دفعت الفاقة الغذائية الكثير من المغاربة إلى بيع ذريتهم وحتى أنفسهم مقابل الحصول على القليل من الأكل. وتشير بعض المصادر إلى أن عدد المغاربة الذين تم ترحيلهم طوعاً أو قسراً في هذه الفترة نحو شبه الجزيرة الإيبيرية بلغ حوالي مائة ألف نسمة كان نصيب إسبانيا منهم ستين ألفاً.

وقد كان من بين أولئك الذين سقطوا في براثن العبودية شخص يدعى الزموري، حيث تم بيعه بقادس إلى

قبطان إسباني اسمه أندريس دورانتيس دي كرانكا (Andrés Dorantes de Carranca)، والذي أطلق عليه لقب إستيبانيكو (Estebanico) أو إستيبانيو (Estebanillo). ولا نعرف الشيء الكثير عن هذا الشخص غير كونه من مواليد أزموور. توجه هذا القبطان والزموري بصحبة الحاكم بانفيلودي ناربييس (Panfilo de Navaéz) في رحلة استكشافية نحو العالم الجديد في يونيو 1527. وانطلاقاً من كويا جهز الحاكم دي ناربييس أسطولاً يضم خمس سفن تحمل على متنها أربعائة رجل وثمانين حصاناً، وتوجه نحو فلوريدا في أبريل من هذه السنة. وبعد أن أرست السفن بالقرب من خليج طامبا الحالي (Tampa)، انطلق الحاكم بصحبة ثلاثمائة رجل فقط يحذوه الأمل في اكتشاف مناجم الذهب، في حين قرر المائة الآخرون العودة خوفاً من الهنود. ومن هذه المنطقة توجه المستكشفون ومن بينهم الزموري نحو الغرب. وصادفتهم مشاكل عديدة بفعل عداة بعض القبائل الهندية، وقلة الزاد، وصعوبة التحرك داخل مجال مطير حيث تتكاثر المستنقعات التي تساعد على انتشار الأوبئة القاتلة والأمراض الفتاكة. فقد بلغ على سبيل المثال عدد ضحايا إحدى هجمات الهنود على المستكشفين عشرين فرداً، مما اضطر الحاكم دي ناربييس إلى إنشاء خمسة قوارب قصد التوجه نحو المكسيك عبر البحر. ولم يبقَ آنذاك غير أربعين ومائتي فرداً. وأثناء هذه الرحلة التي استمرت حوالي أربعين يوماً عانى المستكشفون الأمرين، نظراً لصعوبة ملاحاة بخليج المكسيك وقلة المؤونة والماء. وبعد تجاوز خليج موبيل (Mobile)، وعلى مقربة من مصب نهر الميسيسيبي، تعرض البحارة من جديد للهجوم من طرف الهنود مما حتم عليهم العودة ثانية نحو البحر. وقد أدت الرياح العاتية إلى تفريق القوارب عن بعضها البعض باستثناء اثنين أبحرا بمحاذاة لويزيانا لبضعة أيام، قبل أن ترمي بهما العاصفة في نونبر 1528 نحو جزيرة كاليفورنيا (Galveston) بالقرب من تكساس. وقد بلغ عدد الناجين ثمانين رجلاً فقط. وبعد ذلك بأسابيع قليلة أسلم معظم المستكشفين الروح، ولم ينج من الموت غير خمسة من بينهم الزموري. كما توفي كذلك أغلب البحارة على ظهر القوارب الثلاثة الأخرى نتيجة الجوع والبرد، ومن نجا من هاتين الأفتين لم يفلت من سهام ونبال الهنود.

ذاق الزموري ورفقاؤه مرارة العبودية، إذ تعرضوا للأسر من طرف قبيلة هندية. وكانت ظروف عيشهم صعبة للغاية حيث اضطروا إلى أن يقتاتوا من جذور بعض النباتات والمحار والطحالب والسرطان. وتمكن أربعة من المستكشفين من الانسلاخ من هذه القبيلة في أبريل 1529 والتحقوا بأخرى. لكن وضعهم لم يتحسن خلال السنوات الخمس التي قضوها بين ظهرانيها، ولم يتمكنوا من الفرار إلا في خريف 1534. وتوجهوا بعد ذلك نحو المحيط الهادي حتى وصلوا إلى كاليفورنيا الحالية، واستقروا إلى جانب قبيلة

وما زالت الذاكرة الهندية تحتفظ بذكرى وصول هذا المغامر المغربي. أما الراهب ماركوس فقد وضع تقريرا مغلوفا أكد فيه وجود المدن الأسطورية، مما أفضى إلى إرسال بعثة استكشافية أخرى تحت قيادة فرانسيسكو باسكيس دي كورونادو (Francisco Vázquez de Coronado) لم تفض إلى أية نتيجة.

لقد غيبت الاستغرافية الغربية دور هذا المغامر المغربي، وأكدت فقط على ما قام به رفاقه ذوو السحنة البيضاء. بل تم وضع تمثال للكونكستادور كورونادو رغم أن الزموري سبقه إلى التعرف على الكثير من المناطق والتعريف بها سنة قبله. إن المطلع على تاريخ المنطقة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، والمدرج لحجم وخطورة المضاعب والمعيقات الهائلة التي رافقت الاستكشافات لشمال أمريكا من طرف الإسبان والفرنسيين والإنجليز، لا يسعه إلا أن ينظر بعين التقدير والإعجاب إلى هذا الرحالة المغربي المغرور الذي أبدى صمودا ومقدرة نادرين لعقد من الزمن في مواجهة مختلف التحديات الطبيعية والبشرية التي اعترضت سبيله عبر طول خط الرحلة التي قادته من شبه الجزيرة الإيبيرية ابتداء إلى شمال أمريكا انتهاء.

د. دي توريس، تاريخ الشرق : أ. بوشوب، وكالة : مغاربة في البرتغال.

A. Debo, *Histoire des Indiens des Etats-Unis*, Paris, 1994 ; J. Rostkowski, *Une rencontre manquée : la découverte du Nouveau-Mexique par un moine franciscain et un esclave maure in Destins croisés. Cinq siècles de rencontres avec les Amérindiens*, Paris, 1992, pp. 198-206 ; G. Martinet, *Fantastique exploit d'un explorateur marocain en Amérique. Première traversée de l'Amérique du Nord de l'Atlantique au Pacifique par Azemnouiri*, inédit.

خليل السعداني

**زنايق البحر** هي من نفس الشعبة التي تنتمي إليها قنفاذ البحر أو خيار البحر أو نجوم البحر إلا أن كل الدلالات البيولوجية تؤكد على ذلك. كل هاته الفصائل تنتمي إلى نفس الشعبة وهي شوقيات الجلد أي حيوانات تتميز بهيكل "عظمي" على شكل أشواك كلسية مبعثرة تحت الجلد. وقد تتطور هاته الأشواك وتنمو لتخرج عبر الجلد كما هو الحال عند قنفاذ البحر وقد تبقى صغيرة تحت الجلد كما هو الحال عند خيار البحر.

وإذا كانت كل شوقيات الجلد حيوانات يمكنها التنقل لتتطارد فرائسها فإن زنايق البحر هي الوحيدة التي قد تبقى ملتصقة بالصخر لتنتشر أذرعها العشرة بحثا عن الغذاء، هاته الأذرع التي قد تنكسر لكن زنايق البحر لها قدرة كبيرة على تجديدهما، بل على تجديد كل أحشائها إذا ما ضاعت بشرط أن لا يضيع جهازها العصبي.

تعيش زنايق البحر في معظمها في المياه الدافئة الاستوائية إلا أن البعض منها يعيش كذلك في المياه

أخرى مدة ثمانية أشهر، وتعاطوا المهنة الطب. وكان لنجاحهم في إشفاء أحد المرضى أثره الحسن في نفوس الهنود الذين أطلقوا على الزموري ورفقائه لقب أبناء الشمس. عقب ذلك انطلق المستكشفون في ماي 1535 نحو المكسيك جنوبا حتى وصلوا إلى نهر ريو كراندي (Rio Grande)، ثم عادوا في خريف نفس السنة نحو الشمال حتى وصلوا إلى حدود جبال الروكي، ليتوجهوا في خطوة أخرى بعد ذلك نحو الهضاب العليا بالمكسيك في صيف 1536.

لقد تمكن الزموري ورفقاؤه الإسبان، وهم أندريس دورانتيس دي كرانكا وألنصو دي كاستيو (Alonso de Castillo) وكابيسا دي باكا (Cabeza de Vaca) الذي اشتهر بروايته حول الرحلة، من قطع مسافة تقدر بحوالي 9000 كلم، 6000 كلم منها فوق الأراضي الحالية للولايات المتحدة الأمريكية، والبقية فوق أراضي المكسيك، وتعرفوا على ما يدعى حاليا بولايات فلوريدا وألاباما ولوزيانا والتكساس وأريزونا والمكسيك الجديدة. وقد صادف وصولهم إلى المكسيك وجود أنطونيو مندوسا (Antonio Mendoza) الذي عين منذ 1535 نائب الملك الأول لإسبانيا الجديدة. وكان هذا الأخير يرغب في توجيه رحلة جديدة نحو شمال المكسيك، من أجل الكشف عن مدن سيبوللا (Cibola) الأسطورية السبع والتي كثر الحديث حولها بشبه الجزيرة الإيبيرية منذ قرون عديدة. وارتأى أن يوكل أمرها إلى المغامر الأربعة، نظرا لما أبدوه من صبر وجلد وقدرة على ارتياد المخاطر. ولما رفض الإسبان المشاركة في الرحلة، لم يكن أمام الزموري إلا الامتثال للأوامر نظرا لوضعه العبودي. وكان عليه أن يقوم بدور المستطلع والمترجم في آن معا.

وفي ربيع 1539 انطلق الزموري بصحبة راهبين هما الفرنسيسكاني ماركوس دي نيسا (Marcos de Niza)، وأصله من مدينة نيس (Nice) بمنطقة السافوا (Savoie) وأونوراتو (Onorato) ومجموعة من الهنود المكسيكيين، وسرعان ما تخلى أو نوراتو عن الرحلة لأسباب صحية. كانت مساعي الزموري والراهب مختلفة، لأن هدف هذا الأخير كان متصلا بالتنصير ليس إلا. وكان الزموري أكثر معرفة بمجال الرحلة، وباعتبار دوره كمستطلع فقد كان يسير أمام ماركوس دي نيسا ويخبره عن كل شيء بواسطة مراسليه من الهنود. ففي ماي 1539 عبر الزموري الحدود الحالية لجنوب غرب الولايات المتحدة الأمريكية بأريزونا، وكان أول من وصل إلى أراضي قبائل الزوني (Zunis) بالمكسيك الجديدة، معتقدا أنه وصل إلى مدن سيبوللا حيث الجنة الموعودة والمعادن النفيسة.

وكانت نهاية الزموري المليئة بالمغامرات نهاية مأساوية حيث لقي حتفه في نفس السنة على يد إحدى قبائل الزوني، مما اضطر رفاقه إلى العودة إلى المكسيك.

التي تباينت الآراء في شأنها، وليس المقام مناسباً للخوض فيها.

وبقيت زنات سوقاً أسبوعياً فتمّ ترميم قصبتها (يوم السبت). واقتضت مصالح السكان وقبيلة جباله في أن تسترجع زنات بعض الاعتبار فجعلت منها الإدارة المركزية مقراً لجماعة قروية عدد سكانها 5565 نسمة، وأصبحت بمقتضى التقسيم الإداري الأخير، محسوبة على تراب دائرة مقرصات التابعة لإقليم تطوان.

ع. المريني، الجيش المغربي عبر التاريخ، دار نشر المعرفة، الرباط، 1997، ص. 382.

Dr. F. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, Rabat, 1947, p. 133 - 134 ; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830-1912)*, Paris, 1977, p. 385 ; Ch. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes (1415-1956)*, Paris, 1978, pp. 44 - 45, 62, 123.

أحمد بنجلون

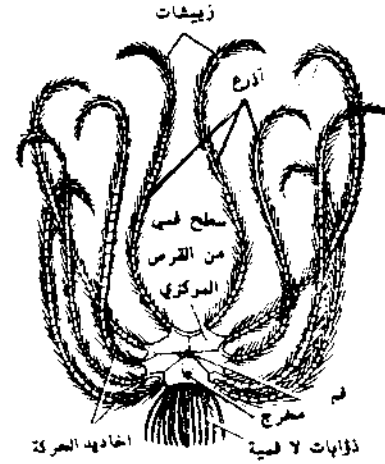
### زناتة، إحدى المجموعات القبلية الكبرى التي يقسم

إليها المؤلفون العرب قبائل البربر، سكان المنطقة الممتدة من واحة سواك جنوبي مصر إلى سواحل المحيط الأطلسي مروراً ببرقة والمغربين الأدنى والأوسط وبإدخال مجسوع بلاد التوارك في الصحراء الكبرى. وهذه المجموعات هي مضمودة الغالب عليهم الاستقرار ولا سيما في جبال الأطلس والسهول المجاورة للمحيط قبل دخول عرب بني هلال وبني سليم المغرب الأقصى. وصنهاجة وزناتة الغالب عليهم الترحال وهم متفرقون على امتداد المجال المذكور.

من نسميهم الجغرافيين العرب : اليعقوبي (ق 3 هـ) في كتاب البلدان، والاصطخري (منتصف ق 4 هـ) في المسالك والممالك، وابن حوقل (ت. 367 هـ) في صورة الأرض، والبيكري (منتصف ق 5 هـ) في المسالك والممالك، إلى النسابين كابن حزم (منتصف القرن 5 هـ) في جمهرته، إلى مؤرخي البربر وكبيرهم ابن خلدون (ق 8 هـ) لا نجد ما يفيد بالبيان بخصوص معنى هذا التقسيم. فأما من ناحية التوزيع الجغرافي، فهم يذكرون مجالاً به معظم كل مجموعة من المجموعات المذكورة مع ذكر وجود فلولها وفروعها في جهات ربما كانت بعيدة عن المجال الأعظم، وأما من حيث فظ العيش فيصرون بأن صنهاجة وزناتة يغلب عليهم الترحال مع إعطاء انطباع يرجح أن مضمودة هم أقدم استقراراً وأن زناتة كانوا على ما يشبه الجنوح إلى الاستقرار لو وجدوا مجالاً يساعدهم على ذلك، وأن صنهاجة هم الصحراويون الظاعنون، ولكن ذلك لم يمنعهم من اهتبال الفرصة في المستقرين ليؤسسوا إمارات ودولا تجعل منهم لمدة من الزمن مندمجين في سيرورة الاستقرار.

أما الفهم الجينالوجي الذي تبناه الكتاب المذكورون مشرقين وأندلسيين ثم اتبعهم عليه المغاربة بمن فيهم البربر أنفسهم، فهو فهم يعتمد النسب إلى جد أعلى كما

الباردة في أقصى شمال وجنوب الكرة الأرضية، تفضل المياه الغير العميقة حيث تكون لاصقة أو متشعبة بالصخور أو شعب المرجان أو الطحالب تنشر منها أذرعها لتلتقط بها عوالق نباتية أو حيوانية تغذى عليها. ليس لزنايق البحر جهاز تنفسي واضح، ليس لها رئة ولا خياشيم وهي تنفس بواسطة جلد الجسم كله. لزنايق البحر خمسة خصيات أو خمس مبيضات، حسب الجنس، وهي موجودة في أذرعها حيث عند وقت التوالد يقذف بالحيوانات المنوية والبويضات لتتخاضب في الماء عن طريق الصدفة.



يوجد في المغرب حوالي 170 نوعاً من شوكيات الجلد كلها تعيش في مياه البحر سواء منها المتوسطة أو الأطلسية ولا تمثل منها زنايق البحر إلا نسبة ضئيلة حيث لا يتعدى عدد أنواعها العشرة والمشهورة بجنس Antedon بينما يوجد في العالم حوالي 80 نوعاً.

محمد منبوي

**زنات،** قرية جبلية تقع على مسافة 45 كلم من طنجة إلى الجنوب الشرقي، و20 كلم جنوب تطوان. بجبل تازرؤت المجاور لجبل العلم. مع فقر المنطقة القروية كلها، يعيش أهالي هذه البلدة على تربية الماعز وقليل من الرعي الغابوي. اشتهرت بأنها كانت قاعدة لقوات أحمد الريسوني الذي ثار على السلطان عبد العزيز وحارب القوات الاستعمارية الإسبانية في مطلع القرن العشرين. وقد بنى الريسوني بزنانة قصبة محصنة تكسرت عند مشارفها كل المحاولات المخزنية للقضاء عليه. وفي يوم 13 يونيو 1903، استطاع القائد ابن بوشتي البغدادي على رأس حملة انطلقت من فاس أسبوعاً من قبل من الوصول إلى زنات وهزمت حامية القصبة الريسونية واستولت عليها، لكن بعدما خاب أمل ابن بوشتي في اعتقال الريسوني، اخترق قصره وخرّب القصبة وملحقاتها. أما الريسوني، فقد اختفى بين الجبال حيناً من الوقت، ثم ظهر ليواصل تحركاته ونشاطه وأعماله

اتخذ العرب في فهم أنسابهم. يرى هذا الفهم الجنيالوجي أن البربر تنسلوا من جد واحد هو بر وأن هذا الجد تنسل منه برنوس أبو البرانس ومدغيس الأيتر أبو البتر. وذكروا معظم قبائل البرانس وهي مصمودة وصنهاجة وكنانة وأوربة وأزداجة وعجيسة وأوريغة الذين منهم هواره، أما قبائل البتر فمنها زناتة التي تُنسب إلى جد أخذت منه اسمها حسب هذا الفهم وهو زانا أو شاننا أو جانا وينسب بدوره إلى داري بن زحيك بن مادغيس الأيتر.

هنالك عدد من النقط الغامضة التي نجعلنا لا نفهم على هذا الأساس الجنيالوجي ما الذي أدى تاريخياً إلى تمييز زناتة عن غيرهم من قبائل البربر أو مجموعات قبائل البربر، منها :

(1) لا يذكر النسابون زمن تميز البرانس عن البتر ؛  
(2) لا تراعي نظرية الأنساب الدقة في الآباء والأجداد بل تختزلها بحيث إن يوسف بن تاشفين مثلاً ليست بينه وبين جد حمير سوى عشرة آباء حسب شجرة أنساب ابن حزم في جمهرته ؛

(3) الأسماء أسماء الأجداد وأسماء القبائل البربرية، كما وردت عند الجغرافيين والمؤرخين كلها محرفة على الأقل بوضعها في صيغة تعريبه، فصنهاجة في اسمها الأصلي هي إزناكن ومصمودة هي إمصمودن بصاد مشمومة زايا أو أصادن (بصاد مشمومة زايا). وزناتة هي إزاناتن أو إجانانتن، أو إزاناتن.

(4) لم يكتشف بعد عمل معجمي معاني هذه الأسماء بما لا يدع مجالاً للشك وبما يعطيها معنى يتصل بتميز خاص له صلة بالمجال أو نمط العيش أو غير ذلك مما يبعدها عن الفهم على أساس الجد المخترع.

(5) لو ملنا إلى شرح عقلائي على أساس تقسيم المجال على صعيد مجموع ما نسميه اليوم بالشمال الإفريقي بين ثلاث مجموعات كبرى كانت لها هويات فعلية تتحرك بمقتضاها في وقت سابق للإسلام قبل التفرع الكبير وحتى التداخل، فإننا نفاجاً عندما تأتي إلى العهد الإسلامي فنجد واصفاً دقيقاً للمسالك كالبكري لا يتحدث كما سيفعل ابن خلدون في ما بعد على أساس مجالات كبرى بين كل من مصمودة وصنهاجة وزناتة، بل نجده في شمالي المغرب مثلاً يقدم لنا في وصفه ما يشبه رقعة شطرنج من ثلاثة ألوان :

- جاء البربر من فلسطين إلى بلاد المغرب وكانت زناتة فيمن نزل الجبال ؛

- زناتة عند البكري، تارة تتفرع عنها قبائل وتارة تقدم

كواحدة من القبائل التي يذكر آخرون أنها تفرعت عنها ؛

- زناتة من قبائل جهة تيجس قرب القيروان ؛

- زناتة من قبائل غربي تيهرت ؛

- تلمسان دار مملكة زناتة ؛

- زناتة أصحاب مدينة تابريدا في جهة قلعو غارت

(شرقي المغرب الأقصى) ؛

- زناتة مجاورون لمريسه في جهات نكور ؛

- زناتة مجاورون لغمارة ؛

- كانت بلاد تامسني لزنانة وزواغة قبل استيلاء برغواطة عليها، وهم الذين تحولوا إلى قوم دعوة يونس البرغواطي ؛

- زناتة الجبل كانوا مسلمين تحت وطأة البرغواطي ؛

- زناتة الأحساء قرب أرفود في طريق سجلماسة ؛

- زناتة من جملة قبائل أوداغوش بال sudan يسكنونها

تجاراً مع العرب في علاقات عداة ؛

- كان زناتة يهددون سجلماسة حين غزوا المرابطين لها.

يستنتج من إشارات البكري أن زناتة لم ينحصروا في صقع واحد ولم يكونوا نسيجاً بشرياً ممتداً على مجال بعينه، ارتبط ذكرهم بالجبال والسهول والواحات والمدن والرعي والفلح والتجارة. فلا يبقى مع هذا لا أن ينظر إليهم على أساس هوية للتمييز أو للدفاع عن النفس أو للهجوم والاكتماع مبنية على مجرد الانتفاء بقطع النظر عن شيء آخر. ولعل زناتة من بين المجموعات الثلاث كانوا أسبق إلى التفكك في المجال منذ الفتح الإسلامي على الأقل، ولعل ذلك مما جعلهم يلعبون فيه دوراً، في مقاومته ثم في تعزيزه فكونوا التجارب الأولى للإمارات الإسلامية المحلية إمارات مغراوة وبني بفرن. فمن مغراوة بنو خزر الذين ساندوا أموي الأندلس ضد الفاطميين، ومن زعمائهم زيزي بن عطية الذي حكم فاس بعد إبعاد الأدارسة. ومن أمرائهم بنو خزرون الذي حكموا سجلماسة إلى أن دخلها المرابطون.

تميزت زناتة في الأصل على ما يظهر بلغة خاصة داخل الأمازيغية ظلت معروفة في المغرب الأوسط ومنطقة مزاب وواركلا ولكنها اندثرت على الفلول التي جاورها غيرها وطفى عليها الماء. ولعل التجارة كانت السبب في حركية زناتة حيث نجدهم في سجلماسة وأغمات وأودغشت، ولعلهم كانوا ضحية هذه الحركية من جهة فقد العصبية، ولكن شحنة كبرى من هذه العصبية عبرت عنها فروع بني واسين التي تأخرت منهم متكتلة حتى شكلت القوة التي أسست دولة بني مريم في القرن السابع (13 م) هوية متجددة على القرون تغور وتغور.

في انتظار فرضية أكثر إقناعاً نجازف بالقول إن "إزاناتن" هم التجار، على التغليب، من فعل جدعه في الأمازيغية "زن"، فباع = ازنز. مع العلم بأن الفعل الذي منه اشتقاق اسم صنهاجة إزناكن، هو نفسه جدعه "زن" مع حرف ثالث للفرق هو ك (ج). وربما بالغنا في الافتراض بالقول إن أسماء المجموعات الأمازيغية الثلاث لها جذع مشترك لأسماؤها هو "زن" مع ثلاثة حروف للفرق "ك" و"ت" و"ذ".

الإصطخري، المسالك والممالك ؛ البكري، المسالك والممالك، ابن

حزم، جمهرة الأنساب ؛ ابن خلدون، كتاب العبر.

R. Basset, Etude sur la Zenatia du Mزاب, de Ourglia

### الزناتية، حدور بن فتوح بن حميد بن فتوح اسمه عبد

الله، وغلب عليه لقب حدور. أصله من أصيلا، ونشأ بسببته وتوجه للعلم في صغره فأخذ عن شيوخها كاسحاق بن يربوع محمد بن أبي مسلم الصدفي وابن حمادة وغيرهم. وكان ينتقل للتجارة بين المغرب والأندلس وخلال رحلاته كان يلتقي بالعلماء ويأخذ عنهم. ثم أقام بسببته خلال حكم سكوت البرغواطي. كان رجلا صالحا خيرا، "مقبول القول عند الرؤساء" (مختصر المدارك). ولم يذكر تاريخ وفاته.

ابن حمادة البني، مختصر المدارك، ملحق بترتيب المدارك للقاضي عياض، نج. سعيد أنراب، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف، 1983، ج. 8، ص. 179.

محمد المغراوي

### الزناتية، (الخط -) يعتبر من بين الخطوط / الرمز

التي يستعملها السحرة لاختزال معان وكلمات وجمل طويلة تدل على عنصر من العناصر أو عامل من العوامل أو حركة من الحركات الفلكية التي لها علاقة بالشخص موضوع البحث أو موضوع العمل والفعل السحريين.

وقد جعل الشيخ الزناتي، الذي سمي هذا الخط باسمه، لكل عنصر من عناصر الطبيعة الأربعة (النار والهواء والماء والتراب) حرفاً دالاً عليه، بحيث يكون الفعل السحري الذي يستعمل فيه هذا الحرف محرراً لقوى العنصر الطبيعي الدال عليه.

وهكذا جعل الباء رمزاً إلى عنصر النار وأعطى للباء مدلول "رأس الأشكال"، وجعل الزاي رمزاً إلى عنصر الهواء، وأعطى لهذا الحرف مدلول "ما يلي الأشكال"، وجعل الدال رمزاً إلى عنصر الماء، واعتبره دلالة على ما تحت الهواء، ثم جعل الحاء رمزاً إلى عنصر التراب ودلالة على ما تحت الماء.

وهكذا أيضاً كانت النار بمثابة الرأس وما اشتملت عليه الرأس من البصر والسمع، والهواء للكثفين والظرفين العلويين وما دخل ضمنهما، والماء للبطن والكلى والجهاز التناسلي، وما اشتملت عليه هذه كلها من الأعضاء، ثم التراب للركبتين والرجلين وما اشتملت عليه هذه الأطراف.

وجعل الشيخ الزناتي لكل حرف من الحروف الأربعة المذكورة (ب، ز، د، ح) قوة عددية كالآتي :

الباء : 2 للنار





الزاي : 7 للهواء

الدال : 4 للماء





الحاء : 8 للتراب

ولذلك جاءت الكلمة "بزوح" الجامعة للعناصر الأربعة المذكورة جامعة في الوقت ذاته للعدد 21.

وجعل الشيخ لكل كلمة بعد ذلك ولكل اسم منزلة من هذه العناصر الأربعة وجعل للدلالة على ذلك رموزاً مكونة في أساسها من نقطة وعارضة كالآتي على سبيل المثال :

الباء :  - الزاي :   
الدال :  - الحاء : 

وأفرد الزناتي لكل حرف من الحروف الأبجدية علامة مائلة ولكنها متميزة عن غيرها من علامات الحروف الأخرى.


مثال ذلك : الجيم :  الواو :   
الهاء :  ، الياء :  الخ.  
وبات التعامل مع الأسماء والعناصر والأفعال يتم من خلال هذه الرموز والعلامات، التي صارت كأنها السهام والحرايب والأسلحة الأخرى التي يتم بها الفعل التنجيمي والعرافي أو السحري.

وقد استعمل هذا الخط على الخصوص في ضرب الرمل حيث يكون هذا الضرب بعظام طويلة تدل على العارضة أو الشرطة، وأخرى قصيرة أو مكورة أو مكعبة أو نحو ذلك تدل على النقطة، حتى إذا ضربت هذه الأدوات أخذ العراف أو الساحر في قراءتها بحسب الترتيب الذي تأخذه فيما بينها تبعاً للعلامات المذكورة أعلاه والمتعارف عليها بين أهل هذه الصنعة، مع التذكير بأن عدد القطع المستعملة في ضرب الخط في الرمل لا يزيد ولا ينقص عن ستة عشر شكلاً تكون كلاً منه أربع قطع ما بين عارضات فقط.

وبطبيعة الحال فإن لكل شكل متكون من نقط وعارضات دلالة رمزية تشير إلى أفعال وأسماء وحالات لا تحصى، كالنصرة، والهزيمة، والقبط، والبسط، أو على أنواع المعادن ذات الدلالات السيميائية (Alchimique)، وبذلك يتم استعمال الخط الزناتي كتابة أو على الرمل لقضاء أغراض العرافة والتنجيم ومختلف أشكال السحر المعتمد على الخط المذكور.

أما علاقة خط الزناتي بالتنجيم فدليلها أنه جعل الحروف الستة عشر المذكورة أعلاه موزعة على العناصر الطبيعية الأربعة، بحيث يكون أربعة منها للنار ويقابلها فصل الصيف، وأربعة للهواء ويقابلها الربيع، وأربعة للماء ويقابلها الخريف، ثم أربعة للتراب ويقابلها الشتاء. كما فعل لكل شكلين كوكبين يناسبهما، ولكل شكل واحد شكلاً آخر يمازجه ليكون معه ثنائياً من الأشكال يناسبهما ثنائي من الكواكب.

ولأخذ مزيد من المعرفة عن هذا الترتيب الأخير ندرجه فيما يلي :

1 - زحل : له يوم السبت وليلة الأربعاء، وله من الأشكال : 



إليها ثلاث : بغداد وأصبهان ونيسابور".

ورد طرابلس الغرب عند عودته من المشرق قبل سنة 1124 / 517 ، وحدث بها برواية أبي حفص، ومن الآخذين عنه بها أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن عبيد الطرابلسي المالكي (517). ولا يعرف تاريخ وفاته.

أبو طاهر السلفي، معجم السفر، نج. عبد الله عمر البارودي، مكة المكرمة، المكتبة التجارية، (د. ت)، ص. 237. 238.

**الزفاتي، أبو يوسف**، فقيه مغربي من أهل القرن السادس الهجري، دخل الأندلس وسكن بإشبيلية مدة قصيرة عاد بعدها إلى المغرب الأقصى. أعجب فقهاء وطلبة إشبيلية بعلمه الواسع بفقته ومسائل المذهب المالكي فأجلسوه للتدريس والمناظرة عليه بمسجد رحبة الباجي، واجتمعوا إليه. ومن الآخذين عنه أبو عبد الله بن المجاهد.

لا يعرف تاريخ وفاته.

ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، نج. عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، دار المعرفة، ج. 4، ص. 227. 228.

محمد الغراوي

البحيرات القارية بالنصف الشمالي للكرة الأرضية وقد ظهر في بداية الحقب الجيولوجي الثالث.

يرجع تاريخ إدخاله من أوروبا إلى المغرب إلى سنة 1936 بواسطة محطة تربية السمك بأزر و بمساعدة هواة صيد السمك الفرنسيين المقيمين آنذاك في مكناس وفاس وأزر و خنيفرة. تم إدخال البيض والبلاغيط من فرنسا مدة 15 سنة لإنجاح التأقلم ولتعزيز وتقوية الصيد الرياضي في بحيرات الأطلس المتوسط والأطلس الكبير والسدود الكبرى. يعد المغرب البلد الوحيد في شمال إفريقيا الذي تكيف فيه سمك الزنجور بكيفية ناجحة، وفي ما يلي أهم



الزنجور

## زناكة ← صنهاجة

البحيرات والوديان الذي يعيش فيها حاليا : ضاية عوا وسيدي علي وحشلاف وأكلمان لعزيزة وتيفوناسين وويوان وأفنوير و بحيرة تسليت قرب إميلشيل وسد القنصرة (أدخلت فيه 5000 بلعوط في مايو 1947) ومشروع حمادي ومحمد الخامس وبين الوديان والوحدة والمسيرة وبعض السدود التلية كسد بوعامر وبوهودة والسهلة قرب تاونات ووادي تكركرا قرب أزر. تستعمل حاليا بحيرة أمغاس 4 الاصطناعية لاستقرار الفحول.

تأقلم الزنجور في هذه البحيرات إلا أن ولادته ضعيفة جدا وما تزال الأبحاث العلمية مستمرة في المركز الوطني لأحياء الماء وتربية السمك بأزر، تسعى إلى ضبط وتقوية الولادة الاصطناعية لهذا النوع قصد تعميم استزراعها في معظم البحيرات الطبيعية الجبلية والسدود التلية والكبرى. والهدف من هذا الاستزراع نلخصه كما يلي :

- تحقيق توازن في الوسط المائي للبحيرات ؛  
- تخفيض الكثافة والتكاثر العشوائي للأسماك العاشبة المرتفعة الخصوبة ؛

- تحويل لحوم الأسماك العاشبة ذات جودة غذائية ضعيفة إلى لحوم بيضاء ذات جودة ممتازة وذلك عن طريق السلسلة الغذائية ؛

- تنمية وتعزيز الصيد الرياضي حيث يفضل هواة هذه الرياضة سمك الزنجور لمقاومته الشديدة ولصعوبة اصطياده الذي يتطلب خبرة ومهارة ؛

**الزفاتي، أسرة** تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرائها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا :

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 779.

محمد ابن عزوز حكيم

**الزنجور** أو سمك الكراكي كما هو معروف في الشرق العربي وفي المعاجم، والبروشي - المغرب من الفرنسية Brochet. كما هو في الدارج في الأطلس المتوسط، سمك بحيرات المياه العذبة القارية، لآحم شرش كبير القامة ومستدق الرأس، تأقلم بكيفية ناجحة في البحيرات الطبيعية الجبلية بالأطلس المتوسط والكبير وفي عدد من بحيرات السدود التلية والكبرى بالأقاليم الشمالية المغربية. يصنف علميا ضمن الأسماك العظيمة شعاعيات الزعانف ورتبة إيسوسيفورم Esoisiformes وفصيلة الزنجوريات إزوسيدي Esocidae. تأقلم نوع واحد فقط من بين ثلاثة أنواع أدخلت إلى المغرب : الزنجور الشائع إيزوكس ليسيوس Lucius، بينما فشلت محاولة تربية النوعين Esox niger أو Esox masquinengy. يدعى بالفرنسية Brochet وبالإنجليزية Pike. موطنه الأصل



- رفع مستوى الدخل المادي الفردي للصيادين الحرفيين  
ببحيرات السدود وتحسين وضعيتهم المادية.

الزنجور سمك معروف كبير حجمه ولبطء هضم مأكولاته  
ولشهيته الضاربة عند شدة جوعه ؛ يتحرك قليلاً ويقاوم  
الجوع لمدة طويلة، الشيء الذي يدفعه إلى التحكم في  
طاقته الحرارية وإنفاقها بكيفية اقتصادية. يتميز بجسم  
متمدد مستطيل الشكل وبخطم مستدق الرأس على شكل  
منقار، واسع الشدق. يحمل الفك السفلي 5 مسام على كل  
جهة ونادراً 4 أو 6. يحمل الخط الجانبي أزيد من 176  
حرفشة ويتكون العمود الفقري من 57. 64 فقرة. يبلغ طوله  
الأقصى 1.4م، الزعنفتان الظهرية والشرجية متقابلتان على  
مؤخرة الجذع ومتقاستان. الجسم مغطى بحراشف صغيرة،  
الفكان قويان يحملان أسنانا مستدقة الرأس وعديدة، البطن  
فضي، الظهر والجانبان خضر داكنة أو سمر تتخللها أشرطة  
عمودية ناصعة مصفرة عند الصغار. يساعده لونه على  
الاختفاء بين النباتات المائية التي يلتجئ إليها في أغلب  
الأحيان ليتربص فريسته من الأسماك والضفادع وغيرها من  
الحيوانات.

الذكور سريعة النمو في المياه المغربية وتصير بالغة سنة  
وتزن 400. 500 غرام بطول يتراوح بين 20. 25 سم. تصير  
الإناث بالغة بعد سنتين بطول ينحصر بين 25. 35 سم وتزن  
بين 500. 1000 غرام. يتوالد في المغرب من مارس إلى أبريل  
في حرارة تتراوح بين 7. 18C. يرتبط عدد البيض بالقامة  
والوزن ويقدر بحوالي 2000. 35000 في الكيلو غرام  
والوحد. يبلغ قطر البيض 2. 3 ملم. تخرج الصغار من  
البيض بعد 4. 19 يوما بطول لا يتعدى 9 ملم وبدون فتحة  
فوهية. يصير طوله بين 9-25 سم بعد سنة.

التوالد الطبيعي لسمك الزنجور في المياه المغربية  
ضعيف جدا في البحيرات الطبيعية الجبلية إلى منعدم في  
بحيرات السدود وذلك لسبب النضج الجنسي غير المتزامن  
بين الذكور والإناث ؛ غالبا ما تسبق الإباضة نضج رول  
الذكور بأربعة أسابيع فينعدم التلقيح. والتناسل  
الاصطناعي وسيلة ناجحة لتكاثر هذا النوع واستزراعها في  
المغرب. يتم بعد حقن هرمون الغدة النخامية في بطن الإناث  
والذكور البالغين. يستخرج هذا الهرمون من الغدة النخامية  
لنفس النوع أو لسمك قريب النسب في التصنيف العلمي  
كالشبوط والسلمون. يلعب هذا الهرمون دوراً فعالاً في  
تنشيط وحث النضج الجنسي في أن واحد عند جنس سمك  
الزنجور وأنواع أخرى من الأسماك. يستورد هذا الهرمون  
من الخارج على شكل مسحوق يتم حقنه بواسطة جرعة  
مضبوطة ترتبط بالقامة والوزن. تحك جوانب بطن الذكور  
والإناث بعد حوالي 48 ساعة من عملية الحقن ويخلط رول  
الذكور بالبيضات التلقيح تحت حرارة مائية لا تتعدى 15  
درجة. تدوم مدة نشأة الجنين 4. 19 يوما حسب درجة الحرارة  
المائية.

يعيش منعزلا في أغلب الأحيان ويفترس كل أنواع  
الأسماك والضفادع والحشرات المائية، كما أن ارتفاع كثافة  
أفراده غير البالغين يخلق فيهم غريزة أكل بعضهم بعضا.  
يسهر المركز الوطني لأحياء الماء وتربية السمك بأزرو،  
التابع لوزارة المياه والغابات، على توسيع استزراع سمك  
الزنجور وتوزيعه بكيفية عقلانية على معظم البحيرات  
القارية المغربية دون خلطه بسمك التروتة.

م. رمضان، سمك التروتة بالمغرب، معلمة المغرب، 1998. جزء  
7، ص. 2341. 2342 : الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي  
في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة،  
1988 : أمين المعلوف، معجم الحيوان، مطبعة المتوقف، القاهرة،  
1932.

M.E. Himmi, *Reproduction artificielle du brochet :  
Elevage des alevins et pisciculture dans les lacs naturels  
du Moyen Atlas (Maroc)*. Fac. Sci. Meknès, 114 p., 1999 ;  
A. Zraouti, *Etude hydrobiologique et socio-économique  
des principaux plans d'eau à truite du Moyen Atlas*.  
Mémoire fin d'étude, ENFI, Salé, 1993, 98 p. : P. S.  
Maitland, *Les poissons des lacs et des rivières d'Europe*,  
Paris, 1977, 255 p. : B.J. Muus et P. Dahlström, *Guide  
des poissons d'eau douce et pêche*, Paris, 1973.

عبد الخالق الزرايطي و محمد رمضان

**الزنك**، فلز أبيض مزرق، رمزه الكيماوي Zn، عدده  
الذري 30، وزنه الذري 65.38 ووزنه الحجمي 7.14 غ / سم<sup>3</sup>.  
وهو طروق، قابل للتصفيح ما بين 100 و200 درجة حرارية.  
يصلح لصناعة خلاط الفلونة والسحن والتصفيح.

معدن الزنك معروف منذ ما قبل التاريخ، حيث كان  
يستعمل في تركيب البرونز والفضة (الفلزات)، من ذلك  
تحويل تاريخ الفترات المنتمة لما سمي بعصر البرونز. وهو  
يوجد في الطبيعة على شكل مركبات كبريتية (بلاند أو  
سفاليريت)، كاربوناتي (كالين، هيميمورفيت) أو  
سليكاتية (كالين، هيميمورفيت)، كما يكون في الغالب  
مشتركا مع معادن الرصاص والنحاس وغيرها.

في سنة 1999، قدر الاستهلاك العالمي بحوالي 8.357  
مليون طن مقابل إنتاج 8.369 مليون طن من الفلز.

يتم استغلال الزنك بالمغرب على شكل كالين في  
إقليم الرشيدية وبوعرفة (نطاق مكتب الشراء والتنمية  
للمنطقة المنجمية لتايفاليت وفكيك = Cadetaf) وعلى  
شكل كبريتات (بلاند) بمناجم حجار، حوالي 30 كلم إلى  
الجنوب من مراكش، وتيفزا (جبل عوام) بإقليم الحنيفة.

وقد بلغ استخراج معادن الزنك من المناجم المغربية، سنة  
1999، ما قدره 1.710.000 طن، أنتجت حوالي  
216.000 طن من المادة المركزة التجارية، توجهت إلى  
التصدير بحجم 211.102 طن وبقيمة 545.8 مليون درهم  
(المصدر : مديرية المعادن).

هناك علام معدنية مختلفة معروفة عبر التراب  
الوطني. كذلك الأمر على الخصوص بالنسبة لتبلي

(المغرب الشرقي) وأكرد نتازولت (الأطلس الكبير لناحية أزيلال). تهتم تنقيبات الشركات المعدنية حالياً بمحورين أساسيين : أحدهما يخص تمعدنات الكالين بالأطلس الكلسي، والآخر التمعدنات من صنف التراكمات المكبرية في بنيات الحقب الأول.

عدي عزي

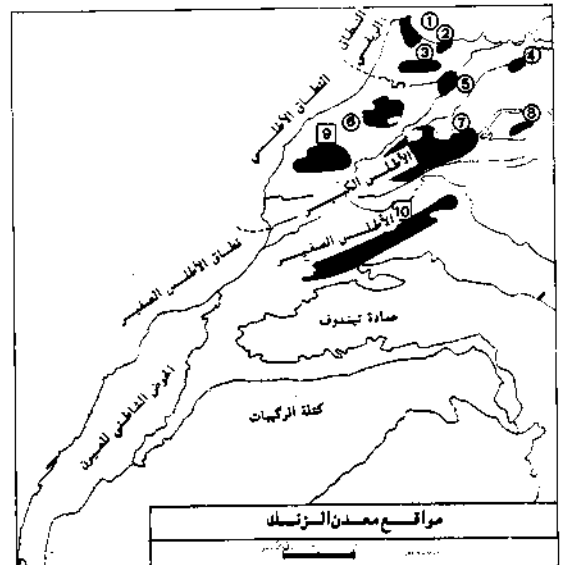
\* الزنك لفظ ألماني، ثقله النوعي 7.1، وزنه الذري 65.38، رمزه الكيميائي Zn. لا يوجد بتاتا في الطبيعة على شكله الحام، وإنما يدخل في تكوين كثير من المعادن وخاصة منها الكبريتيات (بلاند ZnS) والأوكسيدات (الزانسيت ZnO) والكربونات (سميتسونيت ZnCO3)، والمعادن التي تشمل السربوم (Ce) والارسونيك (As) والحديد (Fe)؛ وكذلك بعض المعادن كالسيليكات ونذكر منها هنا حجر التوتيا أو الكالين  $Zn_4(Si_2O_7)(OH)_2 \cdot H_2O$  والويليميت  $(Zn_2SiO_4)$ .

ونشير هنا إلى أن معدن البلاند هو أهم المعادن الحامة للزنك، إلى جانب لمعادن الأخرى سالفة الذكر.

- بلاند (انظر ما سبق)

- زانسيت : هي أوكسيد الزنك (ZnO)، نظامها البلوري سداسي الوجه، صلابتها 5.45، كثافتها 5.754، لونها أحمر إلى أحمر مصفر أو أحمر - أسمر، لمعانها شبه معدني، نجد الزانسيت بالعروق الحرمانية، وداخل الحلقات التحولية. - سميتسونيت : هي كربونات الزنك (ZnCO3)، تركيبها الكيميائية هي 64.90% من ZnO و 35.10% من CO2؛ نظامها البلوري معيني؛ صلابتها 5، كثافتها 4.3؛ لونها أبيض، أصفر، أحمر، أحمر ليموني وأزرق مخضر؛ لمعانها زجاجي إلى صدف. نجد معدن سميتسونيت في المناطق المؤكسدة.

- كالين : سيليكات الزنك، نظامه البلوري معيني؛ صلابته 5؛ كثافته 3.33؛ لونه أبيض، أزرق، أخضر،



أصفر، أسمر، أشهب وأحياناً لا لون له؛ لمعانه زجاجي، صدفى إلى حريري. تنتج الكالين أساساً عن تأكسد البلاند.

- الويليميت : سيليكات الزنك، تركيبها الكيميائية هي 72.96% من ZnO و 27.04% من SiO2؛ نظامها البلوري شبه معيني، صلابتها 5.5؛ كثافتها 4.0؛ لونها أبيض، أخضر، أصفر، أشهب، أسمر إلى أزرق مخضر، لمعانها شفاف عادة ما تكون مستشعة. نجد معدن الويليميت في غالب الأحيان ثانوياً في الصخور التحولية، زيادة على استعمال الويليميت كمعدن للزنك، فإن بلوراتها تستعمل لشفافيتها كأحجار كريمة.

يستعمل معدن الحارصين للغلجنة، والصناعات المعدنية، ونقل المعادن الثمينة، وكذا لخصائصه كمغزل في الصناعات. أما كبريت الحارصين فيستعمل كخضاب في صناعة الصباغة والمطاط والمنتجات الضيائية.

في المغرب يأتي ترتيب الحارصين إلى جانب الرصاص بعد الفوسفات مباشرة. يمكن تمييز خمسة عشرة رأسياً بالمغرب يتجاوز إنتاجها الإجمالي 800.000 طن من الحارطين وذلك حتى أول يناير 1974. وأما باقي الرواسب فيبلغ إنتاجها السنوي الإجمالي عشر إنتاج المجموعة السابقة الأكثر أهمية. وتنتمي معظم رواسب الحارطين في المغرب إلى نوع الرواسب العرقية وتتمثل في تمعدنات الصدوع وينحصر وجودها في صخور القاعدة حيث تقطع المستويات الأكثر صلاحية لحجر الرمل الأردوفيشي في تافيلالت، أو تتركز في الرواسب الطباقية لغطاء القاعدة والمتمثلة في كتل وطبقات تتداخل بين الطبقات وتحسبها الظواهر الخاصة بالانتشار وملء الشقوق.

وأخيراً الرواسب المكسرية المتمثلة في ملء الفواصل والفجوات المختلفة مع إمكانيات الانتشار أيضاً في الصخور المحيطة حيث تتركز على وجه الخصوص في السحن الكربونائية للأطلس المطوي الكبير والمتوسط، وفي الحقب الثلاثي المتدلت للحاجز الفلخي الجبيري لجبال الريف. ومن أهم رواسب الحارصين الموجودة بالمغرب ما يأتي : بويكر تويسيت - بيئات من الرواسب الطباقية على بعد أربعين كيلومتراً جنوب وجدة، حيث تتركز التمعدنات على نحو كتل من ثلاثة مستويات يعلو بعضها الآخر وذلك في نسق كبرياتي شديد التمدت ينسب إلى اللباس والبازوسي ومن أهم المعادن الموجودة بهذه المنطقة نذكر على سبيل المثال الحائنا والسلفا لريت (بلاند) والكالكوبيريت؛ ويوجد جزء من التمعدن المشتمل على صورة متأكسدة ونذكر منها السيروسيت والانجازيت واسميتسونيت.

- أحولي من الرواسب العرقية على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً شمال شرق ميدلت.

- ميبدلان من الرواسب الطباقية على بعد خمسة عشر

كيلومتراً شرق شمال ميدلت.

- زيدة من الرواسب الطبقيّة على بعد ثلاثين كيلمتراً شمال غرب ميدلت.

- جبل عوام من الرواسب العرقية الموجودة على بعد ثمانين كيلمتراً جنوب مدينة مكناس، وتوجد هذه العروق في الصخور الباليوزوية للمغرب الأوسط، حيث تُميّز مرحلتان رئيسيتان للتمعدن، الأولى تشتمل على السيدريت (البلاند) والجالينا والمرو، والثانية فتشتمل على الجالينا والبلاند والكالسيت، والمرو والباريتين.

- مفيس من الرواسب العرقية، على بعد مائة وعشرة كيلمترات جنوب شرق مدينة الرشيدية، وتشتمل هذه الرواسب على الجالينا، البلاند، الكالكوبيريت، البريتين، السيدريت الكالسيت، الباريت والمرو مع كميات مهمة من الفضة تصل أحياناً إلى 2 كلم في كل طن من الركاز الذي يحتوي على 60% من الرصاص.

- تامجوط من الرواسب الطبقيّة، الموجودة على بعد ثمانين إلى مائة وعشرين كيلمتراً جنوب شرق أكادير (الأطلس الصغير الغربي).

جبل بوظهر من الرواسب المتعددة الأشكال : عروقية، كسورية أو طبقيّة، على بعد مائة كيلومتر شرق شمال شرق مدينة الرشيدية. وتشتمل المعادن بهذه المجموعة على الجالينا، البلاند، البريت، الكالكوبيريت، الكالسيت، السيدريت الانكريت، الباريت والمرو.

يهتم حالياً مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية بالبحث والدرس للكثير من المؤشرات للزنك واستكشاف قطاعات أخرى بالتراب الوطني نذكر منها :

- قطاع أگلموس الموجود جنوب غرانيث مانت، حيث تم إظهار سواد هامة من الرصاص والزنك والنحاس.

- كتلة تازكة الواقعة بالأطلس المتوسط الشمالي، جنوب غرب مدينة تازة. وتتكون من هضبة الباليوزوية ظاهرة على شكل سفح، بها عدة مكامن ومؤشرات للرصاص والزنك والنحاس والحديد والباريوم والقصدير والذهب على شكل عروق أو انتشارات وتكدسات في تقصفات قشرة الأرض.

- منطقة إقليم رگو، من الطرف الجنوبي الشرقي للأطلس المتوسط المتعرج، المحتوية على تمعدنات الزنك والرصاص، الظاهرة على شكل تكدسات كربوناتية (سيليكات الزنك) على مقربة من التقصفات الكبرى الإقليمية.

مناجم معدن الزنك

1- الريف الباليوزوي

2- بوكوية

3- منطقة وزان

4- منطقة المرتفعات (بوكير، تويسيت، بيديان)

5- كتلة تزكا (الأطلس المتوسط لتازة)

6- جبل عوام

7- ميلادن، زايدة، أحولي، بوظهر، تافيلالت، مفيس

8- منطقة الأطلس الصغير

9- منطقة الجبيلات ورحامنة (شمال مراکش).

عبد الله بوصحابة

زنيبير، أسرة سلوية أصلها من الأندلس من مدينة غرناطة، ولما طُرد المسلمون من الأندلس في القرن العاشر (16 م) خرجوا من ديارهم وقيمت فيها بقية منهم ونزلوا بشمال المغرب ببلاد غمارة مند مجين مع قبائلها لذلك كانوا يوصفون أحياناً بالغماريين ومنها نزحوا لاحقاً إلى مدينة سلا وهم كثير العدد فيها فكان لهم سنة 1920 أزيد من ثلاثمائة نسمة، أصهروا قديماً وحديثاً إلى أسر أخرى إلى حد أنهم تفرعوا شعباً تميزت بألقاب مختلفة مثل : المحبس واللطام وأولاد عبد الهادي وأولاد حجي (القاضي شارح "الهمزية") وأولاد القاضيين : بناصر وبوعبيد وأولاد خريش المتعاطين للفلاحة، ثم عرفت بعض الشعب بألقاب ثانوية مثل الباش والزيت والفرّج وغيرها. ولعل من هؤلاء البقايا "محمد زنيبير الممنون عليه بالإسلام" الوارد على المغرب سنة 1219 / 1804.

احتل آل زنيبير في المجتمع السلاوي مكانة رفيعة فكان منهم المناضلون والأفاضل، وكان منهم الفقهاء والمتنون والولاة والقضاة والنظار والمحاسبين، والعدول والأمناء والتجار والفلاحون والمالكون العقاريون.

كوستي وعشاش، بيوتات مدينة سلا، تج. نخبة المريني، سلا، ص.

77 وما بعدها : حول محمد زنيبير الممنون عليه بالإسلام، وثائق

الحزنة الصبيحية، المحفظة 76 الوثيقة 8944 السلسلة الثالثة (18

رجب 1219 / 1804 ميلادية) : أخبار شفوية لا سيما من المرحوم

الحاج أبي بكر بن الحاج أحمد زنيبير.

مصطفى بوشعرا.

**زنيبير، أحمد بن إبراهيم السلاوي**، اشتهر بين معارفه

بلقب "الزيت"، الفنان البارح في مجال المديح والسماع. وكان يجيد حفظ الأمداح ؛ ملماً بالطبوع والأوزان. وقد عرف بولعه بإدخال القدود والتلاخين الشرقية ضمن مستعملات السماع والمديح المغربية، وهو أمر كان يثير حفيظة المنشدين المحافظين.

عرف الفنان زنيبير بنزغته إلى التجديد وتطعيم التراث بما كان يراه مناسباً. وقد استفاد منه أصدقاؤه وتلاميذته.

توفي رحمه الله عام 1376 / 1957 بالديار المقدسة حيث كان يؤدي مناسك الحج.

عبد اللطيف بنمنصور، مجموع أرجال وتواشيع وأشعار الموسيقى

الأندلسية المغربية المعروف بالحايك، 1397 / 1977، ص. 467.

عبد العزيز بنعبد الجليل

وكان من بين طلبته عمر الطنطاوي (عود) وعلي عاكب (ناي) وعبد العزيز السباعي (تشيلو) ومحمد كرم (دف) وصالح الشرقي (عود وقانون) ومحمد سميرس ومصطفى الحريري ورحال (كمان).  
وقد ظل الفنان زنبير مقيماً بالدار البيضاء حيث وافاه أجله في السبعينيات من القرن العشرين.

عبد اللطيف بمنصور، مجموع أزرال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية المعروف بالحايك، 1397 / 1977، ص. 450 :  
صالح الشرقي، أضواء على الموسيقى المغربية، ص. 122.  
عبد العزيز بنعبد الجليل

**زنبير، أحمد بن محمد بن محمد بن حجي حفيد**  
القاضي محمد بن حجي شارح الهمزية، ولي خطة أبي الموارث بسلا، وتوفي بعد سنة 1238. وصفته بعض المصادر بأنه هو الزعيم الذي رد لأهل سلا ما نهبه منهم أغراب عامر المجاورون للمدينة.

م. ابن علي الدكالي، الإنحاف الوجيز، ط 2، ص. 145، 147 : م.  
بوشعراء، ذيل، الإنحاف الوجيز، ط 2، ص. 224 : كوستي  
وعشاش، بيوتات مدينة سلا، ص. 79 : كناشة محمد بن المكي  
المريني، مخطوط الخزانة الصبيحية، الورقة 40.  
مصطفى بوشعراء

**زنبير، أبو بكر بن الطاهر بن حجي السلوي، عالم**  
سلفي يمثل اتجاه إصلاحياً متتورا يجمع بين القديم والحديث، وأهم ما كان يميزه عن غيره من الفقهاء المعاصرين هو فكره السياسي والإصلاحية.

ولد بسلا في مطلع القرن الرابع عشر (20 م) وهو ينتمي إلى أسرة اشتهرت بالعلم حيث يقول في مخطوطه حول التعليم : "... اذ بيتنا بني زنبير من البيوت القديمة في العلم المهمة بشأنه ولا يعرف كثير من أفرادها

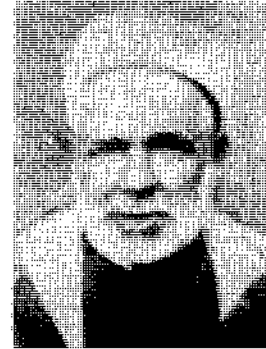


**زنبير، أحمد بن بناصر** من شعبة اللطام، فقيه سلاوي انتصب للعدالة ببلده، وكان سنة 1190 ما يزال كذلك، وتوفي بعدها.  
م. بوشعراء، ذيل، الإنحاف الوجيز، الطبعة الثانية، ص. 223 : رسوم الخزانة الصبيحية.

**زنبير، أحمد بن عثمان** من شعبة المحبس، كان من فقهاء سلا وعلماؤها توفي سنة 1301 / 1884.  
م. بوشعراء، ذيل، الإنحاف الوجيز، ط 2، ص. 225 : م. بوشعراء، التعريف ببني سعيد، ج. 2، ص. 57 و 61 : كوستي وعشاش، بيوتات مدينة سلا، ص. 78 : وثائق بنسعيد.  
مصطفى بوشعراء

**زنبير، أحمد بن المحجوب البيضاوي، من مواليد**  
الرباط عام 1294 أقبل منذ شبابه على تعلم الموسيقى، فأخذ عن شيوخها بالعدوة أمثال المعلم سعيد الذي علمه الغزف على الكمان، والمعلم المهدي بوستة، كما أخذ عن بعض أعلام الآلة بفاس كالمعلم إدريس بن جلون، وعبد السلام البريهي، وبذلك جمع بين إتقان الموسيقى الأندلسية والطرب الغرناطي.

ينسب إليه أنه كان أول من استعمل آلة القانون في جوق الموسيقى الأندلسية بعد أن نقله من حظيرة أجواق الطرب الغرناطي. وكان يقدم بإذاعة راديو المغرب حصصا موسيقية من حين لآخر.



انتدب في الأربعينيات للتعليم بدار الأيتام بالدار البيضاء، فكان يلقي دروس الموسيقى الأندلسية لثلة من نزلاء الميتم الذين حفظهم بعطفه وعنايته. وبعد أن كانت دروسه الموسيقية في البدء مقصورة على تلقين مستعملات "الآلة" انفتحت على الموسيقى الشرقية، وأصبحت المجموعة الفنية التي أنشأها بالميتم ميدانا لممارسة الفنون معا. وقد شكل هذه المجموعة من خيرة طلبته، ووزع عليهم أدوار الغزف على الآلات العربية العربية التقليدية وبعض الآلات الغربية كالقيولانسيل، إضافة إلى آلة القانون التي يعتبر أول من أدخل استعمالها إلى الأجواق العصرية بالمغرب.

الاحتراف بشيء سواه" ص. 29. ومن أبرز العلماء الذين درس عليهم أو استفاد من مجالستهم : الفقيه أحمد الجريري والمؤرخ أحمد الناصري والفقيه عبد الله بن خضراء، والمحدث أبو شعيب الدكالي، وكان له اتصال بشخصيتين سلفيتين كان لهما حضور وازن على الساحة الفكرية والسياسية هما محمد بن العربي العلوي ومحمد الحجوي.

وبرجعنا إلى مقدمة مخطوطه نظرات في تطور التعليم بالمغرب، يتضح لنا سعة اطلاع الشيخ أبي بكر زبير والمكانة العلمية المرموقة التي كان يحظى بها حيث يخاطبه الدكتور عمر فروخ مدير مجلة "الأمالي" قائلا : "حضرة صاحب السماحة والتقى العالم العلامة الأستاذ الجليل الشيخ أبو بكر زبير مفتي سلا الأكرم. ونظرا لما نعهده في سماحتكم من علم غزير واطلاع واسع رأينا أن نكتب إليكم راجين أن تشرفوا هذا العدد بالاشتراك في تحريره..." (ص. 1).

إن مقدمة كتاب جهود الإسلام في ترقية الأنام تعرفنا على رافد أساسي من روافد التكوين الثقافي للشيخ أبي بكر زبير وهو الفكر السلفي إذ يقول : "قصدت به خدمة الإسلام والأمة الإسلامية وأن أكون من أهل الإصلاح العاملين على ربط المستقبل بالغاير، ووصل حلقات سلسلة ما تقدم من الزمان بالحاضر".

إن تشعب أبي بكر زبير بالفكر الإصلاحي جعله شديد التنوع للأحداث الوطنية والإسلامية، يسمع كثيرا ويجتهد في القضايا التي تعرض عليه. وقد ظل ذهنه متفتحاً وكانت كتابته عصرية لا علاقة لها بما يكتبه الفقهاء، ويرجع ذلك إلى اتصاله الكبير بما كان ينشر في الشرق، وقدرته على الإحاطة بكل ما كان يروج في ذلك الوقت، يتتبع القضايا ويناقشها ويعرض رأيه فيها كقضايا الإلهاد وتنظيم الدولة والمجتمع والأحزاب والصحافة. أما علاقته بالشباب فقد كانت وطيدة فهو يحاورهم ويستفيد منهم ويفيدهم كما كان له استعداد دائم للعمل وتزويد الصحف والمجلات بالمقالات.

شكلت مسألة إصلاح التعليم في شموليته وإصلاح التعليم بجامع القرويين، إحدى أبرز القضايا الاجتماعية التي استأثرت باهتمام أبي بكر زبير وغيره من رواد الحركة السلفية، في عهد الحماية، ويدخل هذا الاهتمام في إطار مشروع وطني إصلاحي اضطلع به مجموعة المثقفين الوطنيين أمثال المختر السوسي، وعبد الله گنون، حيث وجدوا في مجال التأليف والتعليم، وإحياء قيم الثقافة الوطنية للرفض والمواجهة ووسيلة لبعث اليقظة وبث الثقة في النفوس، في اتجاه خلق حركة وطنية قادرة على الضغط على نظام الحماية والتعجيل باسترجاع الاستقلال الوطني.

تولى أبو بكر زبير عدة مناصب منها خطة العدالة بالدار البيضاء وسلا والقضاء بمدينة سطات وتاوريرت وسيدي قاسم وسيدي سليمان، ونظرا لأرائه الجريئة ولاستقامته في مزاولة مهام القضاء فقد أعفته سلطات الحماية من منصبه حوالي سنة 1924، ومنذ هذا التاريخ تفرغ للتدريس والتأليف والإفتاء ومقاومة الاستعمار، حيث كان يساهم في بعض المعارك السياسية كعالم مصلح يكتب العريضة ويوقع فيها. ويحضر بعض الاجتماعات العامة ويلقي المحاضرات. ويمكن القول بأنه من العلماء والقادة السياسيين الممارسين، الأمر الذي دفع السلطات الاستعمارية إلى اعتقاله هو وابناه الطاهر ومحمد سنة 1944، بعد تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال. للمتخرج عدة مؤلفات ما تزال في معظمها مخطوطة، منها :

- إرشاد الله للمسلم الغافل عن الله أو بداية الرحمة إلى الثقلين الإنس والجان، وهو تفسير للقرآن الكريم يقع في عدة مجلدات.

- جهود الإسلام في ترقية الأنام، مطبوع.

- نظرات في تطور تاريخ التعليم، قيد التحقيق.

- الصداق والمهر، ترجم ونشر باللغة الفرنسية.

- مجموعة من الفتاوى الفقهية.

- مذكرة حول تعليم الفتاة.

تجمع جميع المصادر المكتوبة والشفوية على أن أبا بكر زبير شخصية عالمة متميزة متشعبة بالفكر الإصلاحي، متفتحة على قضايا عصرها، متفاعلة معها بواسطة النقد وطرح الأسئلة ذات العمق الفكري والحضاري وتقديم المقترحات العملية اعتمادا على منهج الاجتهاد والبحث عن الحقيقة العلمية، إلى أن توفي بمسقط رأسه سلا يوم الأربعاء 3 ربيع الثاني عام 1376 / 7 نونبر 1956.

أبو بكر زبير نفسه، نظرات في تطور التعليم بالمغرب، مخطوط، جهود الإسلام في ترقية الأنام، نج. فائزة البيوكيلي، ع. الله الجريري، من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين، شهادات مجموعة من الأساتذة، محمد زبير (الابن) أبو بكر القادري عبد الرحيم بوعبيد - قاسم الزهيري - محمد حجي.

خديجة البلمحي

**زبير، بناصر** بن محمد من وجوه سلا كان سنة 1286 يتولى خطة نظارة الأعباس بسلا فكان يباشرها باشتراك مع ناظر آخر كما كانت العادة جارية في ذلك الوقت، وتوفي سنة 1298.

م. بوشعراء، ذيل، الإتحاف الوجيز، ط 2، ص. 225 : وثائق بنسعيد.

**زنيبر، بوعزة** بن بوعبيد أحد علماء سلا وفقهائها، ولي القضاء بها سنة 1230، وكانت وفاته بعدها.

م. بوشعراء، ذيل، الإتحاف الوجيز، ط 2، ص. 224 : تقييد جعفر الناصري حول قضاة سلا.

**زنيبر، حجي** بن **محمد** من علماء سلا ونوازييها وفقهائها أخذ يادئ أمره عن علماء المدينة وعلماء فاس، وأسند إليه القضاء في بعض المدن، وعين عضواً بمجلس الاستئناف الشرعي إلى أن أحيل على المعاش.

توفي في أواسط رجب عام 1389 / أواخر شتنبر 1969. تأثّل المال فكان ذا ثروة كبيرة.

ع. الله الجراري، من أعلام الفكر المعاصر بالمعدوتين، ج. 2، ص. 290.

**زنيبر، حجي** بن **محمد** (الحاج -) من أعيان المدينة السلاوية، انتصب للعدالة بمرسى الدار البيضاء سنة 1267 إلى أن عاد سنة 1273 لمباشرتها بمسقط رأسه. وتوفي بعد ذلك.

م. بوشعراء، ذيل، الإتحاف الوجيز، ط 2، ص. 225 : الوثائق الملكية : وثائق بنسعيد.

**زنيبر، الطاهر** بن أبي بكر من رجالات الأدب والفكر والوطنية بسلا على سنن والده الشيخ المفتي أبي بكر سابق



الترجمة. درس بمسقط رأسه سلا وبالرباط وهو من أوائل الشبان المغاربة الحاصلين على (الليسانص) في الأدب من الجامعات الفرنسية. انخرط مبكراً في حقل النضال الوطني فسجن هو وأبوه سنة 1944 على الرغم من حالته الصحية. لأنه كان سابع سبعة من أهل سلا وقعوا وثيقة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال.

وبعد الإفراج عنه عمل في سلك التعليم العربي الحر، بمدارس محمد الخامس سنتي 1948 و1949.

ولما بزغ فجر الاستقلال وظف بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية رئيساً لديوان الوزير، وظل كذلك حتى وافته المنية يوم 15 محرم 1391 / 13 مارس 1971 ودفن بمسقط رأسه.

ع. الله الجراري، من أعلام الفكر المعاصر بالمعدوتين، ج. 2، ص. 444 : معرفة خاصة بالترجم له.

**زنيبر، عبد الله** (الحاج -) بن **عبد الله** من ذرية المحبس، كان سنة 1290 خليفة لعامل سلا الحاج محمد بنسعيد.

م. بوشعراء، ذيل، الإتحاف الوجيز، ط 2، ص. 225 ، في الطبعة الثانية التعريف ببني سعيد، ج. 2، ص. 129 و130 : وثائق بنسعيد.

**زنيبر، عبد الهادي** بن **محمد** بن عبد الهادي بن الهاشمي نجل عامل سلا محمد بن عبد الهادي آتي الترجمة، احترف التجارة أول أمره بالداخل والخارج، ثم عين ناظراً للأحياس مع غيره بسلا، وتقلب في مناصب الأمانة بالعرائش والجديدة والدار البيضاء ومراكش قبل سنة 1291. وكانت وفاته سنة 1328.

كوستي وعشاش، بيوتات مدينة سلا، تح. نجاة المريني، ص. 81 : م. بوشعراء، ذيل، الإتحاف الوجيز، الطبعة الثانية، ص. 225. 226 : التعريف ببني سعيد، ج. 2، ص. 129. 173. 176. 223 : الاستيطان والحماية، ج. 3، ص. 973 : وثائق بنسعيد.

**زنيبر، عبد الهادي** بن **الهاشمي** الجد الأعلى لفرع أولاد ابن عبد الهادي الذين تولوا مناصب مختلفة في الإدارة والأمانة. كان عبد الهادي منخرطاً في سلك العدول وتوفي سنة 1241 بمدينة سلا.

م. بوشعراء، ذيل الإتحاف الوجيز، ص. 224 من الطبعة الثانية : كنانة محمد بن علي الذكالي، رقم 4257 د بالخزانة العامة بالرباط. الورقة 133 : رسوم الخزانة الصيحية.

**زنيبر، الحرّبي** - بفتح الراء - من شعبة المحبس رياضي ماهر في كرة القدم. كان سنة 1948 حارساً لمرمى نادي الأولمبيك الرياضي ثم حارساً ومدرباً لفريق الجمعية الرياضية السلاوية. سبق له قبل ذلك (وربما بُعِيدَ الحرب العالمية الثانية) أن كان حارساً لمرمى المنتخب المغربي الفرنسي، فخاض مباراة انتصر فيها فريقه على الفريق الفرنسي لنيل كأس شمال إفريقيا بثلاثة أهداف لواحد،

فكان لهذا الانتصار ولا سيما أثناء النضال الوطني صدى واسع في الأوساط الشعبية التي استقبلت المشاركين بالظبول على الرغم من قلة عدد المغاربة المسلمين المشاركين فيه.



أسس العربي زيبير فريق النجاح السلاوي ومنه تخرج لاعيون اكتسبوا صفة الدولية. عرف بديانته وحسن معاشرته للناس وتلاميذه حتى كان يدعى "أبًا عَرُوبًا".  
توفي حوالي سنة 1412 / 1992.  
معرفة شخصية.

مصطفى بوشعرا.

**زيبير، علي بن أحمد** يعد من بين الشخصيات المغربية التي لم تحظ بالبحث والدراسة الكافية بالرغم من كونه عاش في فترة زمنية قريبة ويرجع الأستاذ محمد زيبير سبب ذلك إلى كونه "... من الأشخاص الذين سبقوا زمانهم، فلم يصادف ما كان يستحقه من إنصات واهتمام، ولذلك فإن مواطنيه ومعاصريه أهملوا ترجمته" ويمكن اعتبار ما كتبه أبو بكر الصبيحي - حفيد المترجم - في مقدمة مخطوط منتخبات المشتاق من أرج روح الأشواق أهم مصدر لترجمته بالرغم من كونه لا يمدنا بالمعلومات والتفاصيل الدقيقة عن حياته وخصوصا ما يتعلق بدراسته وتكوينه العلمي.

ولد الحاج علي بن أحمد بن عبد القادر "اللطام" بمدينة سلا حوالي سنة 1290 / 1844، ورافق والديه وعمه إلى الأراضي المقدسة قصد المجاورة وهو ابن سبع سنوات، وبعد أداء مناسك الحج مات والداه فأرجعه عمه لسلا بعد أن أقاما في مصر مدة من الزمن.

كان الحاج علي زيبير يمتحن التجارة قبل أن يتوجه إلى مصر عام 1296 / 78 - 1879، التي عاش فيها نصف حياته، وقد عُرف بوكيل المغاربة نظرا لاهتمامه الكبير بأحوال المتوجهين منهم إلى الحجاز الأمر الذي تسبب في ضياع أمواله واضطراره للعودة إلى بلاده. بعد رجوع الحاج علي

زيبير إلى المغرب أقام مدة بطنجة تقدر بسنة أو أكثر قليلا. ثم انتقل إلى فاس حيث قضى عشرة أعوام. وفي سنة 1914 رجع إلى سلا مسقط رأسه حيث وافته المنية يوم 29 جمادى الثانية سنة 1332 / 25 ماي 1914.

إن طول إقامة المترجم في مصر جعلته من المغاربة الأوائل الذين تأثروا بالنهضة المصرية وأفكارها الداعية إلى اليقظة والإصلاح والأخذ بأسباب الحضارة الحديثة. وقد عبر عن هذه الأفكار الجديدة في مذكرة تحمل اسم حفظ الاستقلال ولفظ سيطرة الاحتلال نشرها للمرة الأولى الفقيه محمد المنوني في مجلة دار النيابة (العدد الرابع). ويعتبرها أول مشروع دستوري اقترح فيه صاحبه مجموعة من الإصلاحات من ضمنها : النظام النيابي وشعارات الدولة وأنظمة الحكومة.

ويشكل التصوف بعداً بارزاً في شخصية الحاج علي زيبير الذي كان في أول أمره قادريا ثم صار درقاويا، وقد عرف بتمسكه الشديد بالشريعة قولاً وعملاً ويجرأته في الجهر بالحق وباجتهاده في الدعوى للإصلاح، ويؤكد ذلك حفيده اعتمادا على ما طالعه من تقايبه وما سمعه عن عاشروه.

ونظراً للأحوال المتردية التي كان عليها المغرب في بداية القرن الرابع عشر (20 م) فقد كان الحاج علي زيبير يتوقع احتلاله من طرف الفرنسيين.

ترك المترجم له أربعة تأليف وهي :

1. تحفة القراء بنتيجة الجزيرة الخضراء

2. حفظ الاستقلال ولفظ سيطرة الاحتلال

3- درر عقد النصيحة بسلك الإبريز بنحو حور جنة

حبور مولاي عبد العزيز

4. منتخبات المشتاق من أرج روح المشتاق

هذه الكتب ما زالت كلها مخطوطة ولم يعثر على أصولها تامة باستثناء ديوان منتخبات المشتاق من أرج روح المشتاق. وتجدر الإشارة إلى أن الحاج علي زيبير كانت له خزانة تتوفر على مصنفات سياسية واجتماعية هامة تركها بعد عودته من مصر في عهدة ابنته وحفدته بسلا.

أبو بكر الصبيحي، مقدمة ديوان، منتخبات المشتاق، خ. ص، رقم 93 / 627 ؛ م. زيبير، مجلة دار النيابة، السنة الثانية، العدد السادس ربيع 1985 ؛ م. المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، ج. 2.

خديجة اليملاحي

**زيبير، قاسم** (الحاج -) بن محمد بن الحاج قاسم من فرقة المحبس، كان فقيها انتصب أول أمره لتلقي

بثانوية مولاي يوسف بالرباط. وتقلد بعد استقلال البلاد عدة مناصب إدارية، في ديوان جلالة الملك محمد الخامس، ثم بوزارة الخارجية التي كان يرأس بها قسم أفريقيا، وقد اضطرت به بعض موافقه إلى ترك هذا المنصب سنة 1961، وتفرغ للتدريس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط التي ظل من أعمدها إلى أن وافاه أجله.



كانت رغبته عندما التحق بالجامعة تدرس الفلسفة لكن ظروفًا حالت بينه وبين ذلك، فاختار تدرس التاريخ. وقد حضر في منتصف الستينيات دبلوم الدراسات العليا في موضوع: "تحقيق جزء من الذخيرة لابن بسام الشنتري".

كانت الاهتمامات العلمية لمحمد زينير متنوعة، وقد انعكست على كتابته وتآليفه، فقد بدأ بالكتابات السياسية في أواخر الأربعينيات ثم انتقل إلى الكتابة في مواضيع تحليلية وفلسفية، وظهر عليه اهتمام بالأدب والمتابعة للقضايا الفكرية والقومية. ثم انشغل بالكتابة التاريخية، وترك تراثًا غنيًا يتجاوز 300 عنوان. كما أسهم في تأليف عدد من المقررات الدراسية لمادة التاريخ في السبعينيات بعد أن كانت الكتب المقررة إما فرنسية وإما مشرقية. وكانت له إسهامات أدبية في القصة والرواية والمسرح، فازت منها بجائزة المغرب للكتاب رواية "الهواء الجديد" سنة 1972، ومسرحية عروس أغمات سنة 1991.

شارك محمد زينير في تأسيس عدد من الجمعيات الوطنية مثل اتحاد كتاب المغرب، والجمعية المغربية للبحث التاريخي، والجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر،

الشهادات ثم أسند إليه القضاء في سلا وبها توفي سنة 1160.

م. بوشعراء، ذيل الإتحاف الرجيز، الطبعة الثانية، ص. 323 ؛  
تقييد القضاة بسلا لجعفر الناصري ؛ تقييد ابن علي في كفاية  
الغيب محمد التطواني الوراقة 27 ؛ رسوم الخزنة الصباحية.

### زينير، محمد بن إبراهيم من الفقهاء السلويين

المشاركين في العلوم الفقهية والتاريخية، تقلب في نظارات الأحباس بمراكش وفاس وأسفي، وله تقييد في حرب الريف. توفي سنة 1348.

م. حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج. 8، ص. 2997.

### زينير، محمد (الحاج -) بن أحمد من وجهاء سلا

وفقيهاها، انتصب للعدالة بها، ثم عين سنة 1992 أميناً بالعرانش، وسنة 1298 أميناً بالصورة ومات بعدها.

م. بوشعراء، ذيل الإتحاف الرجيز، الطبعة الثانية، ص. 225 ؛  
وثائق بنسعيد.

### زينير، محمد (الحاج -) بن أحمد بن عبد القادر من

فرقة اللطام وشقيق الحاج علي زينير سالف الذكر، وكان يعرف بالبباش (ببلاء مفخمة) لأنه كان ضابطًا في جيش المدفعية. تعلم مدة قصيرة بمصانع كروب بألمانيا الشؤون الحربية سنة 1307 / 1890 وتقلب في وظائف عديدة منها أنه كان حاضرًا أثناء استخلاص طرفاية من الاحتلال الإنجليزي سنة 1313 / 1895.

توفي بمدينة سلا سنة 1320 / 1919.

م. بوشعراء، ذيل الإتحاف الرجيز، الطبعة الثانية، ص. 226 ؛  
الاستيطان والحماية، ج. 4، ص. 1350 ؛ عبد الرحمان ابن زيدان،  
الإتحاف، ج. 1، ص. 380.

مصطفى بوشعراء.

### زينير، محمد بن أبي بكر. ولد بسلا سنة 1341 /

1923. وتلقى تعليمه الابتدائي بمدرسة أبناء الأعيان بسلا، وتعليمه الثانوي بليسي كورو بالرباط (ثانوية الحسن الثاني حاليا)، حيث حصل على شهادة البكالوريا سنة 1946، ثم سافر في بعثة طلابية من 12 طالبًا إلى باريس للدراسة بجامعة السربون، بمنحة كريمة من جلالة الملك محمد الخامس. وحصل في دراسته الجامعية على ثلاث إجازات، في الفلسفة والأدب والتاريخ سنة 1950. وتقدم للتبريز (Agrégation) في اللغة العربية، فنال الشهادة ضمن ثلثة قليلة من المغاربة. وكان ذا ثقافة مزدوجة متينة.

عاد الأستاذ محمد زينير بعد تخرجه في نفس السنة إلى المغرب فانخرط في سلك التدريس بمدينة القنيطرة ثم



المشاق الوطني، بتاريخ 5-12-1993. م. حجاج الطويل، الشمس  
على أطراف النخيل، مجلة أمل، العدد 4، السنة 2، 1993، ص. 5  
8.

محمد المغراوي

**زنيبر، محمد بن حجي** عالم أدب، ولي قضاء سلا  
مرتين عامي 1162 / 48. 49. 17. 1194 / 1780. تتلمذ على  
يد علي العكاري (الشيخ)، وأحمد بن عاشر الحافي  
السللاوي ومحمد ملاح وغيرهم. ألف شرحا على همزية  
البوصيري نال به شهرة كبيرة نظراً لجودته وما جمع فيه من  
الفوائد وهو المعروف باسم نيل البشري، والسعادة الكبرى  
أو "الفوائد الزكية، والدرر البهية، والعوائد السنينة على  
ألفاظ الهمزية". وقد فرغ من تأليفه عشية الاثني 24  
جمادى الأولى عام 1165. قرض هذا الشرح شيخ المترجم  
أحمد بن عبد الله الغربي نثراً ونظماً، كما قرضه علماء  
آخرون أمثال عبد القادر بن العربي بوخرىص الفلالي  
الكامل، ومحمد ملاح. ألف الذكر. كتب محمد بن حجي  
زنيبر قصائد في مدح إدريس الأكبر، وإدريس الأصغر  
وشيخه أبي العباس الغربي. كان المترجم من الفارين إلى  
الرباط خوفاً من بطش عبد الحق فنيش الشهير، عامل سلا  
والقائم بها خلال هذه الفترة أي عام 1159 / 1746، وهي  
السنة التي جرت فيها مراسلات بين المترجم وشيخه أحمد  
ابن عاشر الحافي يتشوف فيها لإخوانه الطلبة والعلماء من  
أهل سلا، كما تبرز المكانة المتميزة التي كان يحظى بها  
محمد بن حجي زنيبر سواءً عند شيخه المذكور أو في  
المجتمع السللاوي.

توفي المترجم عام 1194 / 1780.

محمد السعديين

**زنيبر، محمد بن الطاهر**، كان سنة 1260 / 1844  
أحد عدول سلا، ثم في سنة 1267 عين أميناً يرسى  
العدوتين، وتوفي بعد السنة الأخيرة.  
م. بوشعراء، ذيل، الإتحاف الوجيز، الطبعة الثانية، ص. 225 :  
الروائع الملكية : وثائق بنسعيد.

**زنيبر، محمد بن عبد الهادي الهاشمي** أحد أعيان  
سلا، كان أول أمره ناظراً لأحياس المدينة المذكورة ثم أسندت  
إليه الولاية عليها سنة 1265 أو قبلها.  
وفي وقته قصف الأسطول الفرنسي المدينة سنة 1268 /  
1851 بسبب نهب السكان لعدد من أكياس القمح كانت  
أنزلت بالشاطئ، فقامت قائمة الحكومة الفرنسية طالبت  
بتعويض عن تلك الخسارة، فلما استمهلت ولم يفعل المخزن  
شيئاً قدم أسطول مؤلف من خمس قطع بحرية تحت إمرة  
الأميرال دوبورديوه Dubourdieu وأخذ في قبيلة سلا التي

وظل إلى آخر حياته عضواً في لجنيتها العلميتين اللتين  
تسهران على إصدار مجلة الكتاب المغربي ومعلمة المغرب.  
أما في الجانب التربوي فقد ساهم مع زملائه بشعبة  
التاريخ في تعريب الدراسة بها، واختاره زملاؤه بالشعبة  
رئيساً لها مرات عديدة، وشارك في تأسيس سلك تكوين  
المكونين، وكان مديراً للتكوين به، وأشرف على مجموعة  
هامة من الرسائل الجامعية في التاريخ.

تفتح الأستاذ محمد زنيبر على العمل الوطني في بيت  
أسرته، حيث كان والده من الوطنيين الذين كانت لهم  
مواقف سياسية معارضة للسياسة الاستعمارية. وقد شب  
وهو يواكب المواقف الوطنية المشهودة مما جعله ينخرط  
تلقائياً في النضال الوطني في سن مبكرة، مما أدى به إلى  
الاعتقال يوم 30 يناير 1944 رفقة والده وأخيه الطاهر زنيبر  
على إثر المظاهرات التي تفجرت بمدينة سلا وسقط فيها  
عدد من الشهداء على إثر تقديم عريضة المطالبة  
بالاستقلال. وسبق رفقة مجموعة من الوطنيين إلى معسكر  
كارني في الرباط (معسكر مولاي إسماعيل فيما بعد)  
حيث خضعوا للتعذيب والإهانة، ثم نقلوا إلى سجن لعلو،  
الذي انكب فيه المرحوم محمد زنيبر على تعليم المعتقلين  
وتثقيفهم. وأثناء إقامته بباريس أصبح مراسلاً لجريدة  
العلم. وفي نهاية الخمسينيات انضم إلى حزب الاتحاد  
الوطني للقوات الشعبية، ثم صار بعد ذلك عضواً في حزب  
الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، وتحمل المسؤولية في  
جماعة حضرية بمدينة سلا في انتخابات 1983.

وكان لمحمد زنيبر حضور دائم في الساحة الوطنية  
بمواكفته لمختلف الأحداث الثقافية والسياسية بتحليلاته  
ومواقفه الوطنية المتميزة.

وكان إلى جانب ذلك مؤرخاً أدبياً، متذوقاً للفن  
والموسيقى، باحثاً فيها، مرح الروح، ملماً بالتراث الشعبي  
المغربي وأمثاله وحكاياته، مع نيل الأخلاق وحسن المعاملة.  
توفي محمد زنيبر بمدينة قصر النبيرة الجبلية بنواحي  
مالقة بإسبانيا، وهو يشارك في مهرجان للأمداح والموسيقى  
الأندلسية، بمناسبة عيد المولد النبوي بدعوة من الجمعية  
الإسلامية الأندلسية، ليلة السبت 5 جمادى الثانية عام  
1414 / 20 نونبر 1993، في الساعة 9 ليلاً. ونقل إلى المغرب  
فدفن بمسقط رأسه سلا.

أ. التوفيق، العضو الغائب، جريدة العلم، بتاريخ 24-11-1993 :  
ن. المريني، الفقيه محمد زنيبر من رواد الجامعة المغربية، جريدة  
العلم، بتاريخ 3-12-1993 : ق. الزهيري، الثلاثة الذين قضوا  
نحبهم، جريدة العلم، بتاريخ 3-12-1993 : ع. الرحيم، غ، محمد  
زنيبر المناضل الوطني والديمقراطي، المثقف والأستاذ والإنسان،  
(1923-1993)، جريدة الاتحاد الاشتراكي، بتاريخ 14-12-1993 :  
ع. اللطيف الجعفري، محمد زنيبر الإنسان الذي أبدع من المهدي إلى  
اللحد، جريدة أنوال، بتاريخ 28-11-1993 : بوشعيب البغدادي،  
آخر لحظات في حياة الأستاذ محمد زنيبر، الملحق الثقافي لجريدة

وقعت بها أضرار جسيمة ومات عدد من السكان، كما فقد المهاجمون أرواحاً وحطمت بعض المراكب المعتدية. وبعد أن توترت العلاقات المغربية مع فرنسا، بذلت جهود للتصالح. وتوفي محمد بن عبد الهادي بالكوليرا سنة 1271 / 1855.

م. بوشعراء، ذيل، الإتحاف الوجيز، الطبعة الثانية، ص. 226؛ ما بعدها؛ أ. الناصري، الاستقصا، ج. 9، ص. 70؛ الوثائق الملكية؛ وثائق بنسعيد؛ وثائق الخزنة الصبيحية.

**زُنَيْبِر، مُحَمَّد بن قاسم (الحاج -) بن الحاج أحمد** أحد علماء سلا وفقه ورع، ولي قضاء المدينة من سنة 1122 إلى سنة 1126، وهو المعروف بالمحبس وخلف أملاً كاملاً معقبة على ذريته التي كانت تتعاطى العلم أو تتصف بالصلاح والدين.

وكانت وفاته سنة 1134 ودفن بحومة البليدة.

م. بوشعراء، ذيل، الإتحاف الوجيز، ط 2، ص. 223؛ وكذلك الذيل الثالث منه حيث رسوم الأوقاف المعقبة، ص. 272 وما بعدها؛ جعفر الناصري، تقييد القضاة، مخطوط؛ م. ابن علي الدكالي، إتحاف أشرف الملا، ص. 75؛ جعفر الناصري، سلا ورباط الفتوح، ج. 1، ص. 131 (مرقون ومخطوط بالخزنة الصبيحية).

**زُنَيْبِر، مُحَمَّد بن محمد، من شعبة اللطام، كان من** عدول المدينة السلاوية وشعرائها سنة 1253، ذا حظ رائق نسخ به بعض التأليف. له ديوان شعر بالخزنة العامة بالرباط رقم 1019 ج.

م. بوشعراء، ذيل، الإتحاف الوجيز، الطبعة الثانية، ص. 223؛ م. المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ج. 2، ص. 87؛ م. حجي، فهرس الخزنة الصبيحية، الجزء الأول، ص. 333؛ رسوم الخزنة الصبيحية.

مصطفى بوشعراء

**زُنَيْبِر، مُحَمَّد بن محمد بن حجي عالم، تولى القضاء** والخطبة بالجامع الكبير بسلا بعد وفاة أبيه سابق الترجمة عام 1194 / 1780، وظل قاضياً إلى أن توفي عام 1205 / 1790.

م. حجي زُنَيْبِر، نبيل البشري، والسعادة الكبرى بشرح همزية البوصيري، مخطوط خ. ص. رقم 29؛ علي العكاري الحفيد، البدر الضاوية، مخطوط خ. ع. 88 د، ص. 28؛ م. ابن علي الدكالي، الإتحاف الوجيز، تح م. بوشعراء، ط 1، ص. 118-119 والملحق، ص. 162.

محمد السعديين

**زُنَيْبِر، مُحَمَّد بن محمد بن عبد الهادي نجل** عامل سلا، ولي منذ 1303 الأمانة بالجديدة وأسفي

والعرائش، وكان أميناً بماكينة السلاح بمراكش سنة 1313. وصار محتسباً لمراكش سنة 1319. كانت وفاته سنة 1340. وسبق له أن كان عضواً بالوفد المغربي في مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 بوصفه أميناً.

م. بوشعراء، الاستيطان والحماية، ج. 2، ص. 681 و719 وج. 3. ص. 1031؛ التعريف ببني سعيد، ج. 2، ص. 129-173-176. 223؛ وكوستي وعشاش، بيوتات مدينة سلا، ص. 81؛ وثائق بنسعيد.

**زُنَيْبِر، مُحَمَّد بن محمد العربي بن عمر بن محمد** بن محمد (مرتين) بن عبد الرحمان من فرع اللطام، كان من عدول سلا ثم ولي القضاء بها بين سنة 1254 وسنة 1259 حتى خلفه بنحسون عواد. وكان له خط جميل نسخ به بعض الكتب في مطلع شبابه.

توفي قبل سنة 1294 بكثير.

م. بوشعراء، ذيل، الإتحاف الوجيز، الطبعة الثانية، ص. 224؛ م. حجي، فهرس الخزنة الصبيحية، الجزء الأول، ص. 333؛ تقييد جعفر الناصري حول القضاة؛ عبد الرحمان بن زيدان، الإتحاف، ج. 5، ص. 42؛ رسوم الخزنة الصبيحية.

**زُنَيْبِر، مُحَمَّد بن محمد المدعو الفريخ، وهو من ذرية** محمد بن حجي شارح الهمزية ولي خطة الحسبة بسلا من سنة 1326 إلى سنة 1329، وتوفي بعدها بقليل.

م. بوشعراء، ذيل الإتحاف الوجيز، الطبعة الثانية، ص. 226؛ رسوم الخزنة الصبيحية.

**زُنَيْبِر، مُحَمَّد المدعو "مخبل العقول" أديب وشاعر،** انخرط في شبابه بحزب الشورى والاستقلال فرع سلا. عيّن كاتباً بديوان الصدر الأعظم الحاج محمد المقرئ. وبعد الاستقلال انتظم في سلك القضاء، ثم أصبح عضواً بمجلس القضاء العسكري بالرباط. توفي وهو بهذه الصفة في متم رمضان عام 1420 / 6 يناير عام 2000.

معرفة شخصية.

**زهانة،** بطن من فرقة أولاد يحيى، قبيلة بني حسن، دائرة سيدي سليمان، إقليم القنيطرة. كان في صدر القرن العشرين يشتمل على عدة أفخاذ هي: أولاد حامد وأولاد ميلود وأولاد عمو وأولاد الشايب والغلالطة والجواير وأولاد البيت، وجميعهم يبلغ 199 خيمة. أما موطنهم فهو الجنوب الشرقي لمدينة سيدي سليمان، وقد انتشروا في مناطق بعيدة ومدن قريبة مثل سلا والقنيطرة ومكناس.

ويجب التمييز هنا بين زهانة الحسناوين وبين بني زهنة المنتمين إلى قبيلة غزران المستوطنة بقيادة رباط الخير (أهرمومو سابقاً) وبالعشائر المجاورة لها من دائرة المنزل

إقليم صفرو ودائرة تاهلة إقليم تازة.

ولي بعض أعيان الزهانيين مناصب إدارية ومحلية كالعمال الذين سأذكر فيما يأتي البعض مما وقفت عليه من أخبارهم.

م. شعراء، علاقة المخزن بأحوال سلا، صفحات مختلفة ولا سيما، ص. 19، 203، 204. التنظيم الجماعي والإداري لسنة 1992 : وثائق بنسعيد : الوثائق الملكية.

Villes et tribus du Maroc, Rabat, tome I et tome III, Beni Hsen.

**الزهاني، إبراهيم بن الحسن بوكرين،** من أشهر ولاية بني حسن، ولي على أولاد يحيى كافة أوائل عهد الحماية كان أول أمره حافظاً للقرآن حسن السيرة إلا أن مزاولته السلطة دعتة إلى مسaire رجال الحماية والاندساس مع جماعة المتأمرين على العرش، فأقام خيمة كبيرة بالقصيبة دعا إليها المتعاونين واعتنى بهم في حفل كبير. ولذلك صودرت بعض أملاكه.

كان قائداً على صف المعابد والمحامد من أولاد يحيى الذين بلغ عدد خيامهم في أول القرن الماضي 2800 وحدة. وصف المعابد واقع في الجنوب في المنطقة المتاخمة لكل من زمور وگروان والشراودة. وهو يشتمل على البطون التالية : النعاعسة (426 خيمة) وأولاد بوجنون (270) وأولاد بوثابت (120) وأولاد ملوك (198).

أما صف المحامد القاطن بالشمال من المنطقة المذكورة فيحتوي على البطون الآتية أولاد احمد (627) والخناشفة (449) والطيسان (175) وزهانة (حوالي 200) وأولاد ابن حمادي (92) وأولاد موسى حسين (173) وأولاد يسف (86).

لكن إذا أردنا تحيين إيالة إبراهيم قلنا على سبيل المثال تحتوي الآن في دائرة سيدي سليمان على قيادتين قيادة بومعيز وتحتها الجماعتان القرويتان ليومعيز وأولاد ابن حمادي وقيادة دار ابن العامري وتحت وصايتها الجماعتان القرويتان لدار ابن العامري وأزغار.

وهكذا كان الزهاني ذا قيادة فسيحة ولو أنه من بطن قليل العدد.

ومات سنة 1957/1376 عن نحو 80 سنة من العمر.

**الزهاني، إدريس بن المكناسي،** من أول ولاية زهانة في العهد الحسني، عين بعد وفاة القائد إدريس النعاسي اليحيوي سنة 1301 / 1884. كان رجلاً مستقيماً وصفته رسالة لأمينين من أولاد يحيى سنة 1309 / 1891 بأنه كان قبل ولايته مشهوراً بالمروءة والحياراة والديانة. وحيث تولى ازداد على عمله المذكور واشتغل بحكم الحق ومراقبته الله تعالى في ذلك ويجانب إذابة المسلمين و [يتولى] الرفق بهم إلى الآن، وأن له ولداً طالباً ذا علم وفهم ومروءة وخياراة

وديانة اسمه الطالب محمد.

استمر إدريس في منصبه إلى وفاته سنة 1313 / 1896 ولما أحصي متروكه لم يوجد فيه سوى 567 ريالاً.

**الزهاني، الجيلالي بن علال بوكرين** استعمل سنة 1327 / 1909 على زهانة وأولاد بوثابت والغلالطة وأولاد بورنجة، لكنه عزل وسجن في السنة الموالية ولم يفرج عنه إلا بوساطة ابن عمه القائد إبراهيم الزهاني المذكور سالفاً.

**الزهاني، محمد بن إدريس** خلف أباه سنة 1313 / 1896 واستمر كذلك إلى ما بعد سنة 1324 / 1906. وتقدمت بعض أوصافه في ترجمة والده.

**الزهاني، الميلودي بن بوكرين** كان أول أمره أميناً بالقبيلة من جملة سلك الأماناء القرويين الذي أحدثه السلطان مولاي الحسن سنة 1301 / 1884، ويعد أن أسندت إليه شؤون زهانة عدة أشهر عزل وأرجع إلى سالف منصبه.

م. بوشعراء، علاقة المخزن بأحوال سلا، قبيلة بني أحسن، 1860. 1912، ص. 135، 138، 139، 203، 204. وثائق بني سعيد : الوثائق الملكية : وثائق الخزانة الصبيحية بسلا.

Villes et tribus du Maroc, Rabat et sa région, tome I, Banlieue de Salé et Mehdiya et tome III : Tribu des Béni Hsen.

مصطفى بوشعراء

**زهجوكة،** قرية جبلية بقبيلة أهل سريف تقع على بعد حوالي 20 كلم شرق مدينة القصر الكبير، وهي حسب ابن خلدون من قبيلة أوربة. لكن البكري يذكر أنها لقبيلة رهونة. وكانت تقع وسط مجموعة من المداشر الجبلية التي عمرها الأدارسة بعد إجلائهم من فاس على يد موسى بن أبي العافية، كرهونة وأفتس والدمنة. وبها استقر كبير الأدارسة الأمير إبراهيم بن محمد بن القاسم المعروف بالرهوني أخي الحسن الحجام آخر أمير إدريسي بفاس. وتحولت بفضلها إلى مدينة صارت منطلقاً لعملياته قصد السيطرة على مدن الشمال، ومنها انطلق هذا الأمير وينوه للسيطرة على سبتة وطنجة في حركة توجت ببناء مدينة حجر النسر سنة 317 / 929 التي أصبحت القاعدة الجديدة للإمارة الإدريسية بحكم موقعها المتقدم نحو الشمال، فعوضت زهجوكة.

أما اليوم فتعرف بزهجوكة الجبل أو زهجوكة الغياطين تمييزاً لها عن قرية أخرى تحمل نفس الاسم وهي زهجوكة العرب. تتميز زهجوكة بتقاليدها في الموسيقى الجبلية وهي معروفة بذلك عالمياً. ذكر ميشو بلير أن سكانها في أواخر

القرن الثالث عشر (19 م) وبداية القرن الذي يليه كانوا حوالي 850 نسمة كلهم من البواخر الذين كان أغلبهم طبالة وغياطة، وكان بها 150 منزلاً. ومن المعروف أن فرقا متعددة من جيش البواخر قد استوطنت نواحي القصر الكبير منذ عهد السلطان مولاي إسماعيل في ظروف مختلفة. ولا يبعد أن يكون مستوطنو زهجوكة قد كانوا في الأصل من فرق العازفين في هذا الجيش. وقد صار عازفو زهجوكة خلال القرن التاسع عشر يكونون فرقتين موسيقيتين رسميتين كانتا تتناوبان العزف بدار المخزن بفاس شهرا لكل واحدة منهما. وكان لهؤلاء العازفين بزهجوكة دار عرفت بدار المعلمين كانت بمثابة مدرسة لتعليم الموسيقى الجبلية المعروفة. وقد توارث الأسر الزهجوكية هذه الموسيقى، الشيء الذي ضمن استمرارها عبر الأجيال، وتؤكد علاقة غياطي زهجوكة بالمخزن في القرن التاسع عشر مجموعة من الظواهر السلطانية التي لا تزال بأيدي عدد من أبناء أسر زهجوكة.

أما زهجوكة العرب فهي دوار صغير على ربوة مطلة على الضفة الجنوبية لنهر لكوس، ينتمي إلى قبائل الطليق، ويقع إلى الجنوب الشرقي للقصر الكبير على بعد حوالي 10 كلم، في حدود قبيلتي الطليق وأهل سريف. وقد ذكر ميشو بليز أن هذا الدوار كان في بداية القرن العشرين عزيبا للشريف مولاي العربي الوزاني، وكان له مقدم يشرف على شؤونه. واحتفظ بوصف لتوزيع السكن وطريقة البناء بهذا الدوار، ولا حظ أنهما يختلفان عن باقي مداشر جباله والخلوط، فالبيوت ملتصقة ببعضها بطريقة دائرية، وتظهر من الخلف كأنها جدار واحد يحيط بالقرية، وفي الوسط ساحة تستخدم لإيواء ماشية السكان، ولا تشبه طريقة السكن في مجال الطليق والخلط. ولا شك أن الظروف الأمنية هي التي تحكمت في هذا الشكل إضافة إلى صغر مساحة الربوة التي يقع عليها المدشر، وتأثره بشكل المداشر الجبلية. وقد أثبت بليز أن عدد منازل المدشر لم يزد على 15 منزلا، تضم 100 من السكان. وكان أسفل زهجوكة المكان التي تضرب به الشبكة الكبيرة لصيد الشابل الذي كان يشكل تجارة مهمة في الماضي، لأن عمق النهر هناك أقل من عمقه في المنطقة السهلية. ولا تزال زهجوكة العرب اليوم دوارا صغيرا على مقربة من سد وادي المخازن، ويعتمد سكانه على الفلاحة المعاشية أساسا.

أ. البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، باريس، 1911، ص. 114 : ابن عذاري، البيان المغرب، تونس، تج. كولان وليفي بروقنصال، ط 1983، ج. 1، ص. 210 : ع. الرحمن ابن خلدون، العبر، بيروت، 1981، ج. 6، ص. 192.

Michaux-Bellaire, G. Salmon, *Les tribus arabes de la vallée de Lekkous*, A.M., T. 4, 1905, p. 1 - 151. (p. 86) ; *Quelques tribus arabes de montagnes de la région du Habt*, A.M., V. 17, 1911.

محمد المفاوي

**الزهر،** يطلق على نورات الرنج (انظر رنج) أي البرتقال المر أو الترنج وعلى ماء الزهر المستخلص من تقطير النورات. ومازال الأندلسيون والايبيرون بصفة عامة يحتفظون بهذا اللفظ ومفهومه.

تتم عملية تقطير أزهار الرنج صناعيا في بعض المعامل لإنتاج القدر الأكبر من الكمية المستهلكة على الصعيد الوطني، أو بالكيفية التقليدية للاستهلاك الذاتي من نساء عائلات المدن القديمة كفاس ومكناس ومراكش والرباط وسلا وتطوان ووعدة. كما كان الشأن بالمدن الأندلسية إبان وجود المسلمين بها.

تستعمل أزهار الرنج طازجة أو مجففة في تحضير الشاي أو القهوة أو مشروبات أخرى.

كما يدخل ماء الزهر في تحضير عدة مأكولات وحلويات ومواد أخرى للطور والتجميل بالإضافة إلى استعماله في التطيب التقليدي لأغراض شتى كتهدئة الصبيان لمساعدتهم على النوم.

أبحاث شخصية.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 764 p.

عبد المالك بنعييد

ابن زهر، أبو بكر محمد بن عبد السمك بن أبي العلاء زهر، يعرف بالحفيد، ولد بإشبيلية سنة 507 / 1113 ونشأ وتعلم بها، ودرس الطب على والده وزاول المهنة تحت رعايته وبإشرافه. حفظ القرآن الكريم وسمع الحديث ودرس علوم العربية ولم يكن في زمانه أعلم منه بمعرفة اللغة. أتقن صناعة الطب - علماً وعملاً - وبرز في الأدب وقرض الشعر وأجاد فنّ التوشيح ؛ وبعبارة أخرى لم يكن متخصصاً في الطب مثل والده، بل كان "مشاركاً" متعدد المواهب.

خدم - مع والده - الدولتين المرابطية (أو اللمتونية) والموحدية ؛ ولما توفي والده في عهد الخليفة عبد المومن بن علي حلّ محله طبيباً للقصر الخلفي ؛ وخدم بعد ذلك الخليفة أبا يعقوب يوسف بن عبد المومن، ثم ابنه أبا يوسف يعقوب الملقب بالمنصور، كما خدم الخليفة محمد الناصر.

ألف الطبيب الوزير أبو بكر الحفيد لولي نعمته الخليفة يعقوب المنصور كتابه "الترياق الخمسيني". ومن المعلوم أن عمل الترياق كان الخلفاء لا يسمحون به، ولا يعهدون بإيجازه إلا لأرفع الأطباء مقاماً وأكثرهم كفاءة وأمتنهم ديناً وأجدرهم بالثقة وهذه صفات تخلفية كلها تتوافر في هذا الطبيب اللبيب.

يقول عنه ابن دحية : "كان شيخنا الوزير أبو بكر ابن زهر بمكان من اللغة مكين ومورد من الطب عذب معين. وكان يحفظ شعر ذي الرمة وهوثلث لغة العرب، مع

الإشراف على جميع أقوال أهل الطب والمنزلة العليا عند أصحاب المغرب مع سمو النسب وكثرة الأموال والنسب. صحبتُه زماناً طويلاً واستفدت منه أدباً جليلاً".

وقال في موضع آخر : "والذي انفرد به شيخنا وانقاد لطباعه وصارت النبهاء فيه من خوله وأتباعه : الموشحات، وهي زبدة الشعر ونخبته، وخالصة جوهره وصفوته، وهي من الفنون التي أغرب بها أهل المغرب على أهل الشرق، وظهروا فيها كالشمس الطالعة، والضياء المشرق".

تشوق - وهو بمراكش - إلى طفل له خلفه وراءه في إشبيلية فقال قطعة شعرية مطلعها :

ولي واحد مثل فَرَحِ القَطَاةِ صغيرٌ تخلفتُ قلبى لديه

سمع الخليفة المنصور هذه الأبيات فقام بعمل يدل على تقديره للعلم وعلى المنزلة السامية التي كانت يحتلها الشاعر الوزير ابن زهر : أرسل المهندسين إلى إشبيلية وأمرهم بدراسة دار ابن زهر وما يحيط بها، وأن يبنوا مثل ذلك في مراكش، ففعلوا ذلك في أقرب وقت وأثبوها بمثل أثنائه وجعلوا فيها مثل آلاته، ثم أمر المنصور بنقل أسرة ابن زهر وحشمه إلى الدار الجديدة، وجمي بالوزير لزيارة الموقع فتعجب من الشبه واحتار ووطن نفسه يحلم ! ثم قيل له : ادخل المنزل الذي يشبه منزلك، فدخله فإذا ولده الذي تشوق إليه يلعب داخله، فحصل له من الفرح والسرور ما لا مزيد عليه !!

ولتلا نظيل بذكر أشعار ابن زهر وموشحاته الجميلة نحيل القارئ الكريم إلى الكتب الأدب الأندلسي وتاريخه، ففيها ما يشبع النهم ويشفي الغليل ؛ وإنما يكفيننا هنا أن نرسم هنا هذه اللوحة الشعرية الجميلة التي قال في مطلعها :

إني نظرت إلى المرأة إذ جُلِيتْ فأنكرتُ مقلناي كل ما رأنا  
رأيتُ فيها شويحاً لست أعرفه وكنت أعرف فيها - قبل ذلك - فتى  
ورغم هذه الصورة اللطيفة التي رسمها لنا الشاعر الوزير الحفيد أبو بكر عن شيوخته، فإن مترجميه يذكرون أنه "كان معتدل القامة، صحيح البنية، قوي الأعضاء" ؛ وأنه في سن شيوخته ظل "محتفظاً بنضارة لونه وقوة حركاته ؛ لم يتبين فيها تغير، وإنما عرض له في أواخر عمره ثقل في السمع".

توفي بمراكش إثر أكل بيض سمه فيه الوزير الموحدى الداهية أبو زيد عبد الرحمن ابن بُرْجَان حسداً منه لهذا الوزير الطبيب الأديب الأريب ! وكانت وفاته سنة 595 / 1199.

أبو الخطاب ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب ؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنبياء، جزء ثالث ؛ المقرئ، نفع الطبيب، جزء ثالث، طبعة محيي الدين عبد الحميد ؛ فيبديل فرنانديث، الطب العربي بالأندلس.

ابن زُهر، زهر بن عبد الملك بن محمد بن عبد

الملك أبو العلاء ... الإبدي، ولد في إشبيلية التي رحل إليها والده من (دانية) بعد وفاة أميرها مجاهد العامري سنة 436 / 1044. تتلمذ على والده أولاً، ثم على غيره من العلماء والأدباء وخاصة أولئك الذين قدموا إلى الأندلس من المشرق كأبي العيناء المصري. ومن درس على أبي العلاء زهر، الطبيب الشاعر أبو عامر بن ينق الشاطبي.

اشتهر أبو العلاء بعلمه وأدبه، كما امتاز بالحنق في الطب والاطلاع على دقائق الصنعة وبكثرة التجارب وتنوع الخبرات ؛ ومع ذلك يبدو أنه كان متخصصاً في دراسة الضغط الدموي والبول، إذ يحكى عنه أنه كان يعرف أدواء بمجرد النظر إليهم، فكان لا يستخبرهم عن آلامهم، وإنما يشخص أمراضهم، ويعرف دوائهم عندما ينظر إلى قواريرهم (أنية بولهم) أو عندما يجس نبضهم.

اشتغل بالطب منذ الصغر وذلك أيام المعتضد بالله أبي عمرو عباد بن محمد بن إسماعيل ابن عباد ملك إشبيلية، فقد خدمه وخدم الدولة المرابطية من بعد سقوط ملوك الطوائف، ونال الحظوة لدى الحكام المجدد، وبخاصة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فقد عالج به عاصمة المرابطين الأولى (أغمات) كما عالج ولده من بعده أمير المسلمين علي بن يوسف، الأمر الذي أكسب أبا العلاء شهرة فائقة وأحله منزلة رفيعة وأكسبه ثقة بنفسه جعلته "يذم كتاب (القانون) لابن سينا، ويطرحه، ولا يدخله خزنة كتبه وجعل يقطع من طوره ما يكتب به نسخ الأدوية لمن يستقبله من المرضى !!"

ويحدثنا ابن البسح في كتابه المغرب عن مجالس أهل المغرب عن نبوغ أبي العلاء زهر وخلقه فيقول : "كان مع صغر سنه تصرخ النجاية بذكره ويخطب المعارف بشكره، ولم يزل يطالع كتب الأوائل متفهما، ويلقى الشيوخ مستعلماً، والسعد ينهج له مناهج التسيير، والقدر لا يرضى له من الوجاهة باليسر حتى برز في الطب إلى غاية عجز الطب عن مرامها وضعف الفهم عن إبرامها، وخرجت عن قانون الصناعة إلى ضروب من الشناعة، يخبر فيصيب ويضرب في كل ما ينتحل من التعاليم بأوفى نصيب ... لولا بذاة لسان وعجلة إنسان، وأي الرجال تكمل خصاله وتتناسب أوصاله".

كان أبو العلاء زهر أديباً شاعراً، فذات مرة، مرض أبو العلاء فقال قاضي قضاة إشبيلية ابن منظور القيسي مستهزئاً متعجباً : أيمرض ابن زهر ؟ ! فأجابه قائلاً : قالوا : ابن منظور تعجب دانساً أني مرضتُ فقلت : يعثر من مشى قد كان (جالينوس) يَمْرُضُ دَهْرَهُ فمن الفقيه المرتضى أكل الرشا ومن شعره الرقيق في الغزل قوله الذي يشفَ عما وراءه من فلسفة ورمز :

يا راشقي بسهام ما لها غرضُ إلا الفوائدُ وما منه لها عيوضُ  
ومرضي بجفون حشوها سقم صحت ومن طبيعتها التمرريض والمرض  
امتُن ولو بخيال منك يَطْرُقني فقد بسدَّ مسدَّ الجواهرِ العرضُ !

أما (هند) التي طالما عشقها الوالهون وأملوا وصلها فيقول عنها أبو العلاء زهر :

سمعت بوصف الناس هنداً فلم أزل أخاصبها حتى نظرت إلى هند فلما أراي الله هنداً، وزيتها تقيت أن أزداد بُعداً على بعد ! إن أعمال هذا الطبيب النطاسي وممارسته الفعالة لمهنته، لم تفسح له المجال لقرض الشعر فحسب بل أتاحت له في الوقت ذاته الفرصة لتأليف كتب عديدة في الطب منها :

- النكت الطبية : ألفه لابنه أبي مروان عبد الملك

- الأدوية المفردة.

- كتاب أمراض الكلي : ترجم إلى اللاتينية وطبع سنة

1497

- كتاب الخواص : وهو من مراجع العالم النباتي الشهير

: ابن البيطار

- كتاب حل شكوك الرازي على كتب جالينوس

- مقالة في الرد على ابن سينا في مواضع من كتابه

"الأدوية المفردة" : وقد ألفه كذلك لابنه أبي مروان عبد الملك.

- مقالة في بسطه لرسالة يعقوب بن إسحاق الكندي في

تركيب الأدوية.

- كتاب الإيضاح بشواهد الافتضاح : ويرد فيه على ابن

رضوان الذي انتقد كتاب حنين بن إسحاق المعروف باسم "المسائل" أو "المدخل إلى صناعة الطب".

- كتاب "المجربات" : وهو عبارة عن الملاحظات الطبية

التي كان أبو العلاء زهر وضعها بمراكش، ولم يتمكن من

جمعها، وأمر بجمعها أمير المسلمين علي بن يوسف بن

تاشفين من بلاد المغرب والأندلس، فتم جمعها - بعد موت

مؤلفها بسنة - في جمادى الآخرة سنة 526 / أبريل - مايو

1132. وتوجد بمكتبة الاسكوريال نسخة من هذا الكتاب

تحتل عدد 839 (قديم)، وعدد 844 (حديث).

وبعد عمر طويل حافل، توفي أبو العلاء زهر ابن زهر

بقرطبة متحناً من نغلة (خُرَاج) بين كتيفيه. وكان ذلك سنة

525 (113) ودفن بإشبيلية خارج باب الفتح إلى جانب

ضريح والده رحمهما الله.

عيون الأنبا، ج. 3، نفع الطب، ج. 3 : فيديل فرناديث، الطب

العربي بإسبانيا.

ابن زهر، عبد الله بن أبي بكر الحفيد يكنى أبا

محمد، ولد بمدينة إشبيلية سنة 577 / 1181، ولم يعيش إلا

ربع قرن من الزمان، فكان عمره أشبه ما يكون بأعمار

الزهور.

درس العلوم المختلفة بإشبيلية وتعلم على جهايزة

العلماء بها، وتخصص في الطب على والده، واشتغل معه

فحذق المهنة ووقف على كثير من أسرارها وطالع الكثير من

كتب الطب والنبات وأتقن معرفته، مما جعله يكثر الاعتناء

بصناعة الطب، ويجيد النظر فيها ويعمل على تحقيق معانيها ووضعها تحت محك التجربة والاختبار، يعينه على ذلك فكر ثاقب ورأي صائب وذكاء مفرط. يذكر بعض مترجميه أنه كان جيد الفطرة، حسن الرأي جميل الصورة مفرط الذكاء محمود الطريقة محباً لليس الفاجر من الشباب.

ألفه الخليفة المنصور - مع والده - بخدمته فكان طبيب

القصر ؛ ولما تولى الخليفة أبو عبد الله محمد الناصر الملك،

أحله نفس المنزلة التي كانت لأبيه، فكان يحترمه وأسرته

ويقدر علمه حق قدره... قال له ذات يوم : "إني يا أمير

المؤمنين - بحمد الله - بكل خير من إنعاصكم وإحسانكم علي

وعلى آبائي، وقد وصل إلي مما كان بيد أبي من إحسانكم

ما يغنيني مدة حياتي وأكثر، وإنما أتيت لأكون في الخدمة

كما كان أبي وأن أجلس في الموضوع الذي كان يجلس فيه

بين يدي أمير المؤمنين". فأكرمه الناصر إكراماً كثيراً

وأطلق إليه من الأموال والنعم ما يفوق الوصف.

وهكذا كان الخليفة يجلس إلى جانبه الخطيب القاضي

أبا عبد الله بن الحسن بن حجاج، والقاضي الشريف أبا عبد

الله الحسيني، وأبا محمد عبد الله ابن زهر (هذا) وأبا

موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي صاحب المقدمة

المشهورة في النحو المعروفة بالجزولية. ومن الجدير بالذكر أن

الجزولي كان أستاذاً ابن زهر في النحو إذ طالما جلس بين

يديه وتعلم منه دقائق العلوم العربية.

ربما يكون أبو عبد الله محمد بن الحفيد أبي بكر ابن

زهر اشتغل بالتأليف وربما غابت عنا الآن أسماء بعض

كتبه، إذ لم نعرف من مؤلفاته غير كتاب له عن "أمراض

العيون" وربما لو قدر له أن عاش عمراً أطول لجاد علينا

بأكثر من تأليف ؛ ولكن لكل أجل كتاب.

توفي مسموماً - مثل والده والطبيبة عمته - سنة 602 /

1205، وحدث ذلك بالرباط وهو في طريقه إلى عاصمة

الموحدين مراكش. ودفن هناك بصفة مؤقتة في انتظار نقله

جثمانه إلى إشبيلية، وقد نقل فعلاً فدفن خارج باب الفتح

في مقبرة آباءه وأجداده.

ولما توفي هذا الطبيب وهو في ريعان الشباب ترك

ولديه أبا مروان عبد الملك وأبا العلاء محمداً، وكلاهما

فاضل في نفسه كريم في جنسه، وكان للأخير منهما اعتناء

بالطب، واهتمام جيد بكتب جالينوس، فكان آخر طبيب في

هذه الأسرة.

ابن أبي أصيبعة، عيون الأنبا، ج. 3 : فيديل فرناديث، الطب

العربي بإسبانيا.

ابن زهر، عبد الملك بن أبي العلاء زهر أبو مروان.

ولد بإشبيلية في تاريخ غير معروف بالضبط، إلا أنه عاش

عمراً طويلاً ربما فاق المائة سنة. وقد أخذ العلم عن علماء

الأندلس مثل أبي محمد ابن عتّاب الذي أخذ عنه علوم

الحديث وأجازه - ووالده - من بغداد مؤلف المقامات الحيرية القاسم بن علي الحيري. أما الطب فأخذه عن والده وبرع فيه منذ الصغر حيث بدأ يزاول المهنة وهو ابن ست عشرة سنة. ويبدو أنه تخصص في الطب، إذ لم يكن "مشاركاً" مثل سائر أفراد أسرته ومعاصريه من الأطباء، يقول أحد مترجميه : "كان أول الطبيب محض تسجيله العصور لأنه اشتغل - فقط - بالطب متخلياً بذلك عن صفة "الموسوعي" التي كان يتحلى بها حكماء عصره ولأنه رأى من الواجب عليه أن يميز لأول مرة ويؤسس الفرق - الذي بقي منذئذ حتى اليوم - بين الطبيب والجراح والصيدلي وعالم النبات ... فكان بعمله هذا أول طبيب أندلسي يؤسس ضمن الإطار الطبي الشعب العظيمة الثلاث (الطب، والجراحة، والصيدلة) التي ألعنا إليها منذ قليل والتي مازالت منذ ذلك الوقت محافظة على استقلالها التام وتميز بعضها عن بعض".

حظي الطبيب أبو مروان ابن زهر بتقدير الدولتين المرابطية والموحدية. فقد ألف للأمير المرابطي إبراهيم ابن يوسف بن تاشفين كتاباً عجيباً سماه الاقتصاد في صلاح الأجساد وهو مخطوط يتألف من 140 ورقة توجد منه نسخة في مكتبة باريس... ويبدو أن صفو علاقته بالمرابطين تكدر، فاعتقله أمير المسلمين علي ابن يوسف بن تاشفين بأحد سجون مراكش أواسط الثلاثينيات حيث لقيه في السجن تلميذه عبيد الله بن غلندو آخر صفر من سنة 535، ولكنه سرح فيما بعد ورجع إلى بلده إشبيلية.

ولم يلبث نجم الموحديين أن سطع، واستقل الخليفة عبد المومن بن علي بالملك، فأظهر العدل وقرب العلماء وأكرمهم، واختص أبا مروان لنفسه، وجعل اعتماده في الطب عليه، وأتاه من الحظوة والإتعام فوق ما كان يتمنى. وقد ألف هذا الطبيب المختص للخليفة عبد المومن كتاب "الترياق السبعيني" الذي اختصره فيما بعد عشاريماً ثم سبعياً؛ كما ألف للخليفة أيضاً كتاب الأغذية. وله من الكتب الجيدة الأدوية المفردة وهو سرفران.

ومن كتبه : كتاب الزينة، وكان ألفه لولده الحفيد أبي بكر (انظره) وهو يعالج أمر الدواء المسهل وكيفية أخذه وذلك في أول سفره سافرهما نيابة عن أبيه، وكان ما يزال صغير السن؛ وألف له كذلك كتاب "التذكرة" ويتعلق بعلاج الأمراض. ومن كتبه كذلك "مقالة في علل الكلى" و"رسالة في علتي البرص والبهاق".

ومن أهم كتبه "كتاب التيسير في المداواة والتدبير" ألفه وأهداه إلى ابنه الروحي وتلميذه أبي الوليد ابن رشد (الحفيد). وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية وفيه تتجلى بشكل واضح شخصية الطبيب أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر.

كان طبيبنا - كما يقول ابن أبي أصيبعة - حسن المعالجة، قد ذاع ذكره في الأندلس وفي غيرها من البلاد واشتغل

الأطباء بمصنفاته، ولم يكن في زمانه من يماثله في مزاوله أعمال صناعة الطب، وله حكايات كثيرة في تأتبه لمعرفة الأمراض ومداوتها، مما لم يسبقه أحد من الأطباء قبل ذلك".

ويشير العلامة الاسباني فيديل فرنانديث إلى إحدى الخصائص التي تطبع عمل هذا الطبيب الاشبيلي الشهير وتتجلى ذلك في الأهمية التي كان يوليها الخبرة أو الممارسة في مقابل النظريات التي أتى بها أسلافه وتمكنوا أو لم يتمكنوا من تجربتها أو التحقق من صدقها وثباتها. ومن ثم لم يكن يحترم أو يقدر أي عمل سابق وإيمانه بأنه دائماً على صواب، كان يتحدث كأحد أقطاب المهنة. كان يتبع أسلوباً تجريبياً تاماً عندما يصف الأمراض التي تعترى الإنسان من مفرق رأسه إلى أخمص قدميه. ولكنه كان دائماً يعتمد في ملاحظاته على الذي علمته الخبرة إياه.

كان أبو مروان ابن أبي العلاء يأنف من اجراء عمليات القصد والجراحات الصغيرة لأنه كان يعتقد أنها عمليات دينية تليق فقط بالعبيد والمرء وسين والخدم؛ وكان يتحرج من عمليات استخراج الحصى من المثانة نظراً لما تتطلبه من الكشف على العورات، ولكنه مع ذلك قام بعمليات عديدة، وكان النجاح في معظمها حليفه. ويجدر بالملاحظة أن وظيفته كمدير للمستشفى وضعت تحت تصرفه جيشاً موتى غاب عنهم أهلهم. على أن أية قراءة لكتبه تسمح لنا بالتأكد من أنه مارس تشريح الحيوانات الحية، وجثث الموتى من بني آدم كذلك، وأنه كان - ربما - أعظم جراح كليتيكي في عصره.

لقد تمكن أبو مروان من التفريق بين الالتهابات الحادة (أو المزمنة) لغشاء القلب، وبين العلل أو الأدواء التي تعترى تجاويف القلب. وتمكن أيضاً من إبراز الفروق بين قرحة المعدة، وبين سلطانها، كما استطاع التمييز بين حمى المستنقعات (الملاريا) وبين سائر أنواع الحميات.

كان ابن زهر من المكتشفين، فقد اخترع القسطرة المرشبة، وهي عبارة عن إدخال قسطر أو ماصة طبية في مريء المريض بالضيق بغية تغذيته؛ وكذلك اخترع الحقن الشرجية المغذية. وعلى العموم نجده أسهم بقسط وافر من الأعمال والأفكار والاكتشافات، الأمر الذي رفع مكانته إلى الصف الأول بين شخصيات مجلس الأطباء : Protomedicato الذي كان يُعقد لاختيار المرشحين لمزاولة مهنة الطب في الأندلس.

توفي رحمه الله في آخر سنة 557 / 1162 ودفن مع والده خارج باب الفتح.

ابن أبي أصيبعة، عيون الأنبا - ؛ فيديل فرنانديث، الطب العربي بإسبانيا.

عبد الله العمراني

الزهرابي الهرادعي، العربي، ولد في بداية القرن

والقراءة إلى جانب القرآن الكريم الذي تلقاه ببعض مدارس الرحمانية، كما تشاء الأقدار أن تنتقل العائلة لأسباب اضطرارية إلى زاوية سيدي الزوين فقرأ القرآن على يد الفقيه السيد محمد المصلوحي الذي كان يحفظه بالقراءات السبع، كما تنقل بين مجموعة من المدارس ابتداء بمدرسة مولاي الطاهر القاسمي بدكالة ومدرسة القائد عبد القادر بن العروسي بالغرب قبيلة بني حسن، ومدرسة تازورت بقبيلة بني عروس قرب ضريح الشيخ الشهير عبد السلام ابن مشيش.



بعد انتهائه من الدراسة القرآنية تشوف للدراسة العلمية فقرأ بقبيلة الشاوية. ثم شد الرحلة إلى مدينة فاس عام 1315 / 1932 فالتحق بجامعة القرويين ودرس على مجموعة من علمائها نذكر منهم : العلامة عمر بن سوادة، العلامة الشريف عبد العزيز العراقي، العلامة محمد بن محمد بن سعيد المكناسي، العلامة عبد العزيز بن الخياط وغيرهم.

غادر مدينة فاس عام 1355 / 1936 قاصداً مدينة مستغانم بالجزائر، ثم رجع إلى فاس التي استقر بها إلى سنة 1356 / 1937، حيث ارتحل إلى الجديدة ودرس بها على الفقيه العلامة محمد (فتحاً) بن أحمد الرافي. ثم انتقل إلى مدينة مراكش ودرس على الفقيه الحيسوبي الميقاتي أحمد بن محمد الجديدي الحوزي.

ثم صار يعطي دروساً تطوعية بجامعة ابن يوسف وبالزاوية الناصرية. وبعد نجاحه في المباراة التي تخول له التدريس بالجامعة اليوسفية عين سنة 1362 / 1942 أستاذاً إلى سنة 1373 / 1953 حيث أبعده عن العمل لأفكاره الوطنية. ولما نال المغرب استقلاله، عين خليفة لرئيس المجلس العلمي بالجامعة اليوسفية، وبعد مدة قدم استقالته من ذلك المنصب، ورجع إلى التدريس بالقسم النهائي الديني، إلى أن أسست كلية اللغة العربية، وأنشئ المجلس العلمي من جديد، وحينئذ عين عضواً كاتباً به، ومدرسا بالكلية الفتية إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1392 / 1972. ثم عين رئيساً لمصلحة النشر بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط، كما كان يعطي دروساً بدار الحديث الحسنية في مادة الأصول وفي الخلاف العالي. وبعد

العشرين، وهو من مشهوري شيوخ الملحن المعاصرين بمدينة مكناس. تحدث عنه الباحث الكبير الأستاذ محمد الفاسي فذكر أن أصله من الصحراء، وأنه لقب باليرادعي لأنه كان يحترف صناعة البرادع.

تلمذ الزهراوي على بعض أعلام الملحن ممن بقوا بمكناس في العقود الأولى من القرن العشرين، كالشيخ أحمد ولد ماما المتوفى حوالي عام 1932، والشيخ ابن عيسى الحداد المتوفى عام 1936.

وقد استرجع الزهراوي عادة سرد المعراج بإذن من قاضي مكناس يومئذ الشريف ابن أحمد العلوي في فترة قضائه الثانية عام 1361 / 1942، وكان قد أوقف العمل بها قبل ذلك حوالي 1927، فبدأ الزهراوي يسرد المعراج صبيحة يوم عيد المولد بزواية سيدي الحارثي بحومة براكمة. وما تم أن أصبح ضليعا في فن الملحن خبيراً به نظماً وحفظاً حتى عد خزانا لكلام الملحن على عهده بالمغرب، فضلا عن واسع اطلاعه ومعرفته بكل ما يتعلق بهذا الفن وتوفره على كئاش كبير جمع فيه ما تفرق بين الأشياخ من قصائد وسرايات.

وقد أفاد منه الأستاذ محمد الفاسي فكتب له بنفسه مئات القصائد ووافاه بكثير من الأخبار التي تتعلق بشيوخ الملحن في الحاضرة الإسماعيلية وعلاقتهم بمعاصريهم في بقية مدن المغرب.

تلمذ على الزهراوي بعض شيوخ النظم والكريجة المتأخرين بمكناس، واستفادوا من محفوظاته. ومن هؤلاء محمد الإدريسي المربوح المتوفى يوم 9 مارس 2001، ومحمد الخياطي بوثابت والشاعر مولاي عبد العزيز العبدلاوي.

وقد نظم الزهراوي في كثير من أغراض شعر الملحن كالهجاء، والتصلية والتوسل والتشويق إلى المقام النبوي، كما نظم في مدح الأعيان ورجال السلطة، ومن ذلك مدحه للمقبين العامين جوان، وكيوم، ولمحمد بن عرفة، الأمر الذي يفسر - في رأي البعض - ولاه للسلطات الفرنسية.

وقد تصدى الشيخ نعيلى الدراز لمعارضته، فنظم في هجائه ست قصائد يتناولها بعض الحفاظ بمدينة مكناس.

توفي العربي الزهراوي في الستينيات من القرن العشرين، وله من العمر ما يربو على الخمسين عاما.

روايات شفوية للسادة، محمد الإدريسي المربوح ومحمد الخياطي

وعبد العزيز العبدلاوي : م. الفاسي، مجلة المناهل، السنة 10،

العدد 27، شوال 1403 / يوليوز 1983، ص. 29، 36.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الزهراوي، حسن بن عمر بن الحسن الرحمانى.** ولد

بدوار أولاد بلة سلام بقبيلة الغيبة بالرحامنة عام 1326 / 1908. وبعد إدراك سن التمييز صار يتعلم مبادئ الكتابة



أوتته إلى مراكش صار يلقي دروساً في كلية اللغة بعقدة التزام.

له كتابات في جريدة الميثاق لرابطة علماء المغرب، والدروس الحسنية، ومحاضرات ألقاها على طلبة اللغة العربية وفي دار الحديث الحسنية. إلى جانب هذا كان يقرض الشعر.

توفي بمراكش ليلة السبت ثاني جمادى الأولى 1399 / 30 مارس 1978 وأقبر بروضة باب ذكالة.

أ. متفكر، ذيل الإعلام، مخطوط.

أحمد متفكر

**الزهراوي، محمد** ولد بمكناس في أواخر القرن

التاسع عشر. واشتهر كفقيه يدير كتاباً قرأها عرف باسمه بجامعة سيدي زروق.

وكان إلى ذلك من رواد الزاوية العلمية، يواظب عليها ويعمرها بالسماع، وينشر في أوساطها الصناعات النادرة كنوشية غربية الحسين التي عمد ألحانها الأديب سيدي حمدون بن الحاج، وصنعة "مصحح بالحمي" من بسيط رصد الذيل، وغيرها مما كان يتفرد بحفظه في مكناس.

وقد اشتهر ذكره خارج مكناس، فأصبح مقصد المسعفين من فاس وسلا.

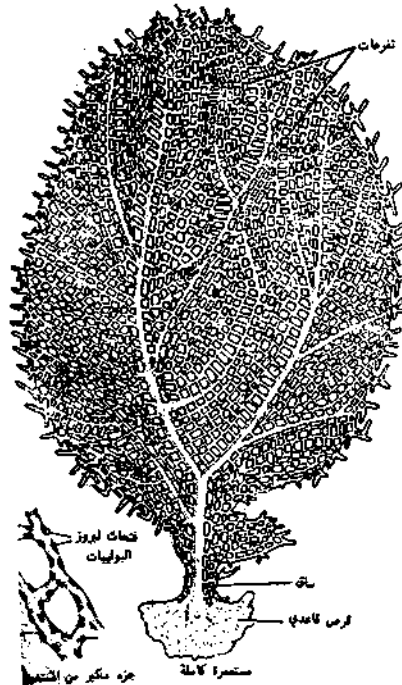
وكان حياً في أواسط القرن الرابع عشر (20 م).

معلومات خاصة.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**زهرة البحر** يدعى هذا الحيوان كذلك بالمروحة البحرية

وهي من اللاسعات وبالأخص من الزهريات ثمانية الجدران. تعيش في مستعمرات ملتصقة بالصخور واسطة صفيحة قاعدية ومتشعبة على شكل شجيرات منتصبة ومتبرعة على سطح ومستوى واحد كورقة الشجر. أما هاته



الفروع أو البراعم فهي مرتبطة بعضها ببعض بروابط مستعرضة مكونة بذلك صفيحة مسطحة منقبة ذات هيكل داخلي مكون بالأساس من مادة متفرقة لينة نسبياً وهي بالتالي قابلة للتشنج تدعى كركونين Gorgonine.

تعيش زهرة البحر كما يدل أسمها على ذلك في البحار والمحيطات في أعماق منخفضة نسبياً على دعائم صلبة في غالب الأحيان صخرية، تمتاز كذلك بألوان زاهية مختلفة من أحمر أو بني أو وردي مروراً بالأصفر والبرتقالي. يحمّد هذا الحيوان المياه غير الملونة، الصافية نسبياً من العوائق والدافئة كما أنه يفضل المواطن التي تقل فيها أشعة الضوء لذلك فهي حيوانات تكثر في المغارات التحت مائية المظلمة نسبياً والتي توجد على أعماق تفوق 80 متراً في غالب الأحيان، أعماق بعيدة عن أشعة الشمس.

من أهم مكونات هاته المجموعة في اللاسعات هناك المرجان الأحمر الذي يعيش في البحر الأبيض المتوسط وفي المناطق الإفريقية الشمالية للمحيط الأطلسي. فشجيرات المرجان التي قد تفوق 40 سنتيم من الطول كانت هكذا أحقاب غابرة مادة تستعمل في صنع المجوهرات النفيسة بل وكانت تستعمل كعملة تشتري بها الأحجار الكريمة واللؤلؤ.

محمد منبوي

**زهرة الفاسية،** لقب فني اشتهرت به مطربة يهودية

مغربية الأصل، ولدت بفاس عام 1905 ونشأت في أواسط فنية هيأت لها أن تصحح مغنية واسعة الشهرة، تستقدم لإحياء الحفلات العائلية، وخاصة في فترة ما بين العشرينيات والأربعينيات.

وقد تجاوزت شهرتها الأوساط الفنية في فاس بعدما انتقلت إلى الجزائر حيث تبنت الفن الجزائري المعروف بالشعبي ولحنت على نسقه أغاني كثيرة.

تتميز زهرة الفاسية من بين المطربات اليهوديات في المغرب برفقة صوتها وامتداد صواويلها، كما تتميز بكونها أول فنانة كانت تجمع بين القدرة على النظم والتلحين والغناء، واستطاعت بفضل جوقها الخاص الذي شكلته من عناصر مسلمة ويهودية أن تسجل مجموعة من الأغاني الخفيفة التي تتوزعها موضوعات عاطفية ووطنية ومن بينها أغنيتان شعبيتان: "ها هي جات" و"ياللي فيك الدموع ابكي امعايا"، سجلتا في شريط ضم أيضاً أغاني لمطربين يهود من معاصريها هم: إبراهيم الصوري، ولطيفة، ولبلى الشرقية، وألبيرسوسان.

ومن بين أغانيها الأخرى أغنية يابلا دي "وأغنية ياناس ياناس". رحلت زهرة الفاسية إلى إسرائيل عام 1960، ومنذئذ توقفت إذاعة أغانيها بالإذاعات الوطنية والجهوية. وقد انتهى بها المطاف إلى الإقامة في إحدى مؤسسات العجزة، وقبل أن يدركها أجلها يوم 23 يونيو 1995 كانت

مكتسباً. وسببه دخول مكروبات في جسم الإنسان تسمى اللوليبات *Tréponéma pallidum* وهو من الأمراض الجنسية ذات الخطورة الكبيرة على صحة الإنسان. حيث يؤثر بعد استفحاله على القلب والجهاز العصبي، وقد يتسبب للمبتلى به في تشوهات لا تطاق كما قد يجعل صاحبه عقيماً. ويتفشى هذا الداء عن طريق الاتصالات المباشرة، جنسية كانت أو ما بين الأم ورضيعها.



تنتج عن مرض الزهري قروح ظاهرية على الجلد وفي الخلق، وحببات حمراء في البدن وآلام في الرأس ووجع في المفاصل وانتفاخ في الغدد والغشاء المخاطي ويثور عميقة وانسداد في الشريانات. وتتعطل حركة الأعضاء كلها أو بعضها وتفلج. وتنتج عنه كذلك أمراض القلب والسقط عند النساء وعوارض شتى عند الأطفال المولودين من المصابين بالزهري.

يسمر الزهري بمراحل أولها ظهور قرحة صلبة غير مؤلمة على الأعضاء التناسلية ويصحب ذلك تورم في الغدد اللمفاوية المجاورة، ولا يتألم المصاب خلال هذه المرحلة، وتختفي معالم القروح حتى ليظن المرء أنه شفي. ثم تأتي المرحلة الثانية بظهور زوائد صغيرة حول العضو التناسلي، وبعد سنتين تأتي المرحلة الثالثة بظهور أورام في مختلف جهات الجسم وتطفو معها مضاعفات خطيرة.



قد أعربت عن أملها في العودة إلى المغرب بلدها الأصلي لتقديم أغنية جديدة تمجد فيها المغرب وقائده.  
أرشيف، إذاعة فاس الجهوية : جريدة العلم، ع 16494 في 25 . 6 . 1995

Izza Genini, *Civilisation du Maroc*, p. 241.  
عبد العزيز ابن عبد الجليل

**الزهري، عيسى** بن محمد بن عبد الله أصله من شتريين وسكن مدينة سلا. أخذ بالأندلس عن عدد كبير من العلماء منهم القاضي أبو الوليد الباجي وأبو عبد الله محمد بن فرج مولى ابن الطلاع، وأبو الحسن بن حمد بن وأبو جعفر بن رزق وأبو مروان بن سراج وأبو علي الجباني وأبي الحجاج الأعمى وأبو عبد الله بن أبي حمزة وأبو العباس العذري وغيرهم.

ورحل إلى المشرق فسمع من كريمة بنت أحمد المروزية كتاب البخاري، ومن أبي الحسن ابن بابشاذ وأبي معشر الطبري وأبي محمد بن صباح الشافعي الحبال وغيرهم. سمع منه عدد من العلماء بالأندلس والمغرب، لأنه كان ينتقل بين العدوتين في التجارة. وروى عنه القاضي عياض بسبب عدة كتب في الحديث والأصول والقراءات. توفي نحو 530 / 1136 عن سن عالية.

القاضي عياض، *الغنية*، تج. ماهر زهير جرار، بيروت، ط 1، 1982، ص. 184، 185؛ ابن بشكوال، *الصلة في تاريخ أئمة الأندلس*، تج. السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، 1955، ج. 2، ص. 417.

محمد المرغوي

**الزهري، محمد بن أحمد**، درس الفقه والعلوم الشرعية الأخرى، وتولى القضاء بمدينة سلا. كما أخذ التصوف عن الشيخ أحمد بن عاشر الجزيري السلاوي، واقتفى أثره في الزهد والورع، وكان يخدمه حينما أثر الخلة بداره. ذكر مترجمو الزهري أنه كان يقوم بنسخ كتب الفقه والتصوف التي يريدها شيخه المذكور ككتاب *العصمة* للمقدسي، *والنصائح والرعاية للمحاسبي وإحياء الغزالي*. ومن المعلوم أن ابن عاشر كان يحث مرديه على اطلاع هذه الكتب، والعمل بكتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام، وهو النهج الذي سار عليه محمد بن أحمد الزهري.

توفي المترجم أوائل عام 764 / 1363.  
م. الحضرمي، *السلسل العذب*، تج. مصطفى النجار، سلا، ص. 57  
58؛ ابن القاضي، *درة المجال*، تج. 2، 269.

P. Marty, *La zaouia de Sidi Ben Achir à Salé, R.E.I.*, 1933, cahier 1.  
محمد السعديين

الزهري، مرض خطير مُعدٍ ووراثي وقد يكون

مثل، "النوار"، و"السلطان"، و"البابوش".

وتحدث هرزن Herzen، وهو من الأطباء الذين كانوا يعملون بطنجة، في تصنيف الأمراض التي كانت منتشرة بالمغرب، وضعه سنة 1911، عن انتشار الزهري بين المغاربة سواء على شكله المكتسب أو الوراثي، حيث يصادف المارة في الأماكن العمومية أشخاصا يحملون تقرحات كبيرة على سيقانهم وتعلو وجوه بعضهم تشوهات أحدثها تآكل الحياشم بشكل يجعل من منظر صاحبها مخيفا. واعتبر صاحب هذا التصنيف الزهري من أسباب نقص السكان بالمغرب لأنه يتسبب في كثير من الإجهاضات ويجرف العديد من الولدان ولما يقضوا الأسابيع الأولى من حياتهم.

ولما تم توقيع الحماية على المغرب، انكب أطباؤها بحزم على دراسة الزهري واستقصاء حالاته وأنواعه تخوفا مما قد يهدد الجيوش الغازية والوافدين الأوربيين من خطره. فاستقدمت سلطات الحماية سنة 1915 طبيبين من نظاميبي الأطباء في الأمراض التناسلية هما لأكابير La capère ولوريد Lerède، وقدمتهما على مستوصفين لمحاربة الزهري أولهما بفاس والثاني بالدار البيضاء.

وفي ما بين 1916 و1919 قام لأكابير بفاس، بفحص عينة من 2731 حالة من حالات الزهري من ضمنها 342 طفلا، وتبين أن حالات الزهري كثيرة الانتشار، وخاصة في الدور الثلاثي، كما يتضح ذلك من الجدول الآتي :

أدوار الزهري	عند الكبار	عند الأطفال
زهري الدور الأول	$\frac{52}{2389} = 2.2\%$	$\frac{7}{342} = 2.0\%$
زهري الدور الثاني	$\frac{527}{2389} = 22.0\%$	$\frac{151}{342} = 44.1\%$
زهري الدور الثالث	$\frac{1810}{2389} = 75.7\%$	$\frac{184}{342} = 53.8\%$
المجموع	$\frac{2389}{2731} = 87.5\%$	$\frac{342}{2731} = 12.5\%$

ولاحظ لأكابير في محاضرة ألقاها سنة 1918، أن الزهري كان يصيب حسب المناطق ما بين 75 و90% من المغاربة ويضر بالجنسين دون تمييز، وفي مازيغن والصويرة وطنجة وصلت تقديرات الأطباء الذين سكنوا هذه المدن إلى 80%.

وعلى الرغم من خطورة الزهري، فلم يكن المغاربة يقيمون له أي وزن، ولا يأبهون به، بل يعتبرونه مرضا عاديا ما دامت تجلياته غير مؤلمة أو مزعجة، وهو ما يفسر تكرار المصابين في مراحل متقدمة من الداء.

يعود تاريخ مرض الزهري بالمغرب إلى بداية القرن السادس عشر حيث ذكره الحسن الوزان في وصف إفريقيا عند معرض حديثه عن أكثر الأمراض انتشارا لدى الأمازيغة بقوله : "وداء الإفرنج (الزهري) الفظيع بأوجاعه ويشوره وقروحوه منتشر كثيرا في بلاد البربر لا يكاد يسلم منه إلا القليل. حقا إن هذا الداء لا يكاد يعرف في البوادي وجبال الأطلس... وهذا الداء لم يشاهد قط ولم يذكر حتى اسمه، لكن عندما طرد الدون فيرديناند ملك إسبانيا اليهود من بلاده (أي في 1492) جاء كثير منهم إلى بلاد البربر، فظهر فيها هذا الداء الذي حمله عدد كبير من يهود إسبانيا. وكان لعدد من أشقياء المغاربة اتصال (جنسي) مع نساء هؤلاء اليهود، وهكذا انتشر قليلا في ظرف عشر سنوات حتى لم تعد تسلم منه أية أسرة".

ومن أول النصوص التي تمكنا من العثور عليها حول داء الزهري، بعد الذي ذكره الحسن الوزان، شرح أرجوزة في هذا الباب لعبد الكريم بن مومن بن يحيى العلاج، يعود تاريخها إلى عهد الغالب بالله ما بين 1557 و1574. يقول صاحبها موضحا أسباب تأليفها : "... فإن الغرض في هذا التقييد المبارك بفضل الله لما كانت تكاثرت في زماننا هذا قروح خبيثة في الناس يستعاض بالله منها يسمونها البييش وبعض البرابر الحقمم وبعض النصارى يسمونها مرض فرانسية لأنهم يزعمون أن أول ظهوره بفرانسية (كذا) وأنه مرض حدث في هذا الزمان القريب وأطباء الوقت يقولون بذلك ويزعمون أنهم لم يقفوا له على صفة في كتاب (كذا) الأوائل... ونوع هذا المرض لا ينزو بل يؤلم مفاصل البدن كلها وتمنع من الركوع والسجود ويسمونه بمرض المفاصل وهو غير المرض الموصوف بهذا الاسم في كتب الطب... وصنف آخر خالطه خلط حاد متعفن يقطع الأعضاء ويأكل اللحم ويشوه الخلقة والعياذ بالله، ويسمى بالحفار وهو أشبه شيء بالجذام...".

ويفيد صاحب تاريخ الضعيف أن المولى سليمان خرج في يوم السبت 24 من ربيع الثاني 1211 (1796) من مكناسة الزيتون ويات بوادي النجا، وفي صبيحة يوم الأحد دخل فاس وهو مريض بالنوار (أي الزهري). وتشير دراسة محمد الناجي عن العبودية في مغرب القرن 19 إلى شيوع الزهري بكثرة بين الجوارى.

واندهش الرعيل الأول من الأطباء الفرنسيين الذين قدموا إلى المغرب في مهمات استكشافية وتمهيدية، عندما وجدوا أن الزهري كان يعيث بشكل خطير في كل فئات الأعمار من المغاربة. وفي هذا الصدد لاحظ لوسيان رينو Raynaud، الذي استقر بالمغرب ما بين 1900 و1902 "أن الزهري كان منتشرا بشكل كبير بين المغاربة الذين كانت بتوره تآكل منهم في الجلد ووتائر الأنف والحنك والعظام"، فسماه بأسماء تحمل دلالات لها وزنها بالنظر لخطورته

وتفيد تقارير إدارة الصحة العمومية خلال الثلاثينيات بتقديم بعض الأرقام التي تخص المدن البلديات وتهم المسجلين الجدد. وهو ما يظهر في الجدول التالي :

السنوات	عدد المسجلين من المصابين الجدد بالزهري
1930	14.107
1931	14.872
1932	12.772
1934	10.725
1935	11.068
1936	11.305
1937	12.633
1938	12.911

وجاءت الحرب العالمية الثانية فجرت معها من التحولات في سبل جلب المعاش ما جعل المغاربة يعانون من نقص مهول في المواد الأساسية والأدوية، وتقاطر المهاجرون على المدن وتفتت على إثر ذلك البطالة والعمالة، فعات الزهري بشكل فظيع، وارتفعت أعداد المصابين الجدد به كما هو في الجدول التالي الخاص بالمدن البلديات :

السنوات	عدد المسجلين من المصابين الجدد
1939	14.562
1940	12.060
1941	14.456
1942	18.751
1943	17.714
1944	15.382
1945	20.260
المجموع	113.185

وكان المغاربة قبل مجيء الطب الفرنسي مع الحماية يعالجون المبتلين منهم بالزهري بطريقتين : أولاها شد الرجال إلى حامة مولاي يعقوب لما يتميز به ماؤها المكبرت الساخن من قدرة على حرق القروح وتجفيفها، ولو أن مفعولها يبقى سطحيا ومؤقتا إذ سرعان ما تنتفض تلك القروح على صاحبها بعد بضعة أيام. أما الطريقة الثانية فهي استعمال العشب الرومية Salsepareille. إذ يكون على المصاب تناول تقيع هذه العشب إما على امتداد عشرين يوما أو أربعين يوما مع التزام البيت والتوازي عن الأنظار طيلة مدة العلاج واتباع نظام غذائي من الحيز والماء أو الحيز واللحم.

وحاول القائمون بشؤون الصحة بالمغرب في عهد الحماية، التصدي للزهري ابتغاء درء خطره والتوقي من عدواه، وحيث إنه لا سبيل إلى ذلك إلا بمكافحة العهارة كأصل لهذه العلة، فقد سعت سلطات الحماية إلى تنظيم العهارة، وتخصيص أحياء لذلك، وفحص العاهرات وما إلى ذلك مما يضمن سلامة من يرتادون من العساكر أو المدنيين دور البغاء، من خطر الزهري. وقد واكب عملية تنظيم العهارة هذه، توجه نحو علاج المصابين إذ تم تهبيء مجموعة من المستوصفات المتخصصة في عدد من حواضر البلاد، واستعملت مواد كيميائية مركبة تسمى نوفاز سينوبنزول Novarsenobenzol. تقتل مكروب الزهري بمجرد حقنها في دم الإنسان. كما استعملت مواد أخرى كالزنيخ وملح البيزموت Sel de Bismuth، والزنبيق Mercure. وظلت هذه العلاجات متداولة إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث بدأ استعمال البنسلين ولو أن ثمنها المرتفع كان يحد من الإقبال عليها.

ورغم كل هذا لم تستطع سلطات الحماية تطويق الزهري، ولا تهبيء الأسباب للقضاء المبرم عليه، بل إنها اضطرت أمام ضعف وسائلها في هذا الباب إلى طلب الإعانة من الهيئات الدولية كمنظمة الصحة العالمية، مما ساعدها على القيام بمجموعة من الحملات ضد الزهري امتدت ما بين سنوات 1954 و1956.

جلال الدين السيوطي، كتاب الرحمة : تاريخ الضعيف، ج. 2 : وصف إفريقيا، الترجمة العربية، ج. 1 : جريدة السعادة، 23 و24 يناير 1916 : عثمان الكاديكي، الأمراض المعدية

Bulletin de l'institut d'hygiène du Maroc ; Ennaji, Soldats, domestiques et concubines, l'esclavage au Maroc au XIXe Siècle ; Herzeni, Notes et réflexion sur la nosologie du Maroc ; La capère, Les Contagions vénériennes au Maroc ; Larousse médical ; Maroc Médical ; Raynaud, Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc ; Renaud et Colin, Documents marocains pour servir à l'histoire du "Mal franc".

بوجمعة رويان

### زهريات Anthozoa من منا لا يعرف المرجان ذلك

"الصخر" الأحمر النفيس الذي ذكر في القرآن الكريم والذي تغنى به الشعراء وعشقته النساء. إنه في الأصل حيوانات بحرية تعيش في مجموعات متكاملة قد يتغير شكلها من نوع لآخر لكن زهريات نظراً لأنها تشبه الزهور في تفتحها وفي ألوانها. تنتمي الزهريات إلى اللواسع كقناديل البحر تلك الحيوانات التي تتميز عن الشعب الأخرى بتوفرها على خلايا لاسعة ذات مادة سامة تتمكن بواسطتها من إصابة طرائدها بالشلل قبل أن تلتهمها، فهي بالتالي حيوانات لاصحة تتغذى على أنواع صغيرة كالقشريات والرخويات والحلقيات وغيرها بل وقد "تعترض سبيل" حيوانات أكبر منها حجماً كالأسماك.

كانت النساء البدويات يستغلن الليل، فيقمن بطحن الحبوب عن طريق الرحي، قد تكون امرأة واحدة، وقد تكون اثنتان، واحدة تَحْمَصُ الحبوب على النار إذا كان الفصل شتاء، والأخرى تقوم بعملية الطحن. وقد يكون العدد أكثر. وتقوم المرأة المستعملة للرحي بإلقاء زجل شفوي، بإيقاع بطي، يتماشى والطريقة الدائرية للطحن، وينسجم مع الحركات الجسدية للمرأة وهي تطحن. ويزيده صوت احتكاك طرفي الرحي رنة خاصة. ويتميز كذلك بأسلوبه البسيط والمباشر. ويتكون من مقاطع قصيرة، كل مقطع يتناول موضوعاً بعينه، وقد يتضمن المقطع أكثر من موضوع وبين شطر وآخر من نفس المقطع تتكرر كلمات أو مهممات إيقاعية تحافظ على سيرورة النظم وتعطي للمرأة فرصة التفكير في المقطع الموالي. وغالباً ما تستمر هذه العملية إلى ساعة متأخرة من الليل.

يكون هذا الفن الشعبي عفويا وليد لحظة إبداعية، فأعادة القطعة خارج هذه الظروف يصبح صعباً. فلا يمكن تذكر إلا مقاطع منه. وقد يطرأ على بعض الكلمات والمعاني تغييراً.

يعكس "الزهيد" تصور المرأة البدوية للكائنات والأشياء، ويفسر نظرتها لمختلف مناحي الحياة، من الذات إلى اليومى المعيش، من الأسرة إلى الدوار إلى القبيلة، من مدح الأحياء إلى رثاء الأموات ... أولئك الذين تربطهم بها علاقة دم أو قرابة أو علاقة حب وإعجاب. وعليه فإن "الزهيد" ترجمة لأحاسيسها وتعبير عن مشاعرها.

وقد تبدأ المرأة "زهدها" بنظم حول الرحي :

"رحاتي حيش حيش

كيف العودة أم الحشيش

رحاتي ع نقرة

تطحن ع الفقرا

رحاتي ع حديد

تطحن ع العبيد"

وقد تتناول الناطمة ذاتها وما تتأثر به من عوامل طبيعية أو بشرية :

"ومالي واش داني والوعد اللي لا حني.

وتنتقل الناطمة إلى التعبير عن مكانة الفقهاء (حفظة القرآن) والأولياء والصلحاء : "حس الطلبة جايبه تكوليهها غانيم وارده

وإذا كانت الليلة مقمرة، فإن القمر يذكرها بأحبائها

الأموات أو الغائبين :

"الغمرة طلعت وضوات علي"

وتفكرني ف حياي العزاز علي"

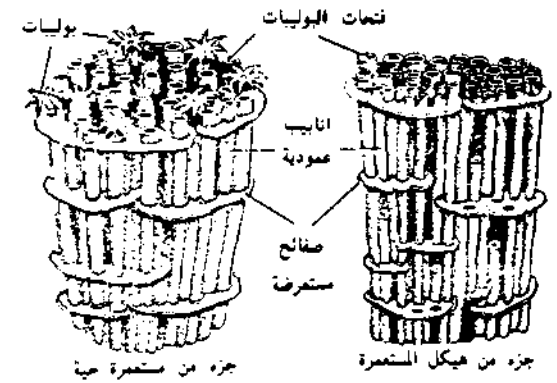
ونظراً لما للخيل والفروسية من قيمة في المجتمع البدوي، قد تمدح الفرس الباقي وترثي الفارس الراحل :

"الدهم فين مولاك مولاك اللي رباك

ونظراً لارتباط هذا الفن الشعبي النسوي بحياة البداوة

تعيش الزهريات في مجموعات يسمى كل فرد منها "بوليب" وهو على شكل زهرة منتصبه أو فرادى كشقائق البحر، مجوفة من الداخل بينما تفرز جدرانها عادة مادة كلسية تكون هيكل المجموعة.

حسب عدد جدران هاته "البوليبيات" تقسم الزهريات إلى مجموعتين اثنتين ثمانية الجدران هي حيوانات بحرية تعيش في مجموعات قارة على أعماق مختلفة. قد يصعب الغور في تصنيف هاته المجموعات من اللواسع أو اللاسعات نظراً للتشابه بين أفراد المجموعات ونظراً كذلك للاختلاف بين أفراد نفس المجموعة إلا أن القاسم المشترك بينها تبقى الجدران الثمانية التي تقسم تجويف البوليبي إلى ثمانية حجرات. ومن أهم وأشهر المجموعات التي يمكن التأكيد عليها هي زهرات البحر تلك الشعب المرجانية الزاهية الألوان والتي خلافا للشعب الأخرى تتفرع على فظ ثنائي في اتجاه واحد والتي في تبرعها تشبه تبرعم أوراق الشجر.



أما المجموعة الثانية من الزهريات فهي سداسيات الجدران والتي كما يدل اسمها على ذلك ذات تجويف بوليبي مقسم إلى ست حجرات عن طريق ستة جدران اثني عشر ثمانية عشرة الخ وكالمجموعة السابقة هناك منها ما يتوفر على هيكل كلي ومنها من ليس له هيكل كشقائق البحر. وإذا كان المرجان الأحمر ينتمي إلى المجموعة الأولى فإن سداسيات الجدران تتوفر على مرجان نفيس آخر وهذا المرجان الأسود النفيس والناذر في نفس الوقت بالإضافة إلى المرجان الأبيض.

يوجد في المغرب أكثر من 430 نوعاً من اللوامع أكثر من ربعها يتكون من المرجانيات أي الزهريات.

محمد منوي

الزُهَيْدُ، صنف من الأدب الشعبي الشفوي، وهو نظم عفوي خاص بالنساء البدويات أثناء طحن الحبوب بالرحي.

وما تعنيه من خيام وترحال، ومن فروسية وكرم... ونظراً لارتباطه بالليل والرحى، فإن تراجع هذه السمات لصالح المظاهر العصرية، جعل هذا الفن في طريقه إلى الانقراض. تحريات ميدانية.

صالح شكاك

**زهير بن قيس البلوي**، يكنى أبا شداد، ويقال له صحبة، كانت له عناية بالرواية، فقد روى عن علقمة بن رمثة البلوي وروى عنه سويد بن قيس.

شهد فتح مصر، وصحب عقبة بن نافع منذ سنة 43 / 663، حيث شارك في فتوح إفريقية منذ ذلك الحين، بل إنه كان أقرب رجاله إليه، فقد خلفه في قيادة الجيش العربي في عدة مناسبات، عندما كان ينطلق في فتوحه.

رشحه رجال الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ليخلف عقبة بن نافع، بعد مقتله، في ولاية بلاد المغرب، لتقواه وورعه وكذا لتجربته العسكرية الطويلة، وربما أيضاً لقربه من موقع الأحداث، فقد كان مرابطاً ببرقة قبيل تعيينه، خصوصاً وأن عقبة استخلفه - إلى جانب عمر بن علي القرشي - على القيروان، قبل خروجه في حملته الكبرى، وعندما وصلته أخبار مقتل عقبة تراجع إلى برقة.

يرتبط اسم زهير بن قيس البلوي في بلاد المغرب بحادثين اثنين، يضيفان على شخصيته طابع الرجل العسكري أكثر من طابع الرجل الإداري :

الحادث الأول : نجاحه في استعادة القيروان من كسيلة ورجاله، وتمهيد الحكم العربي في إفريقية، وذلك في موقعة ممش / 69 / 688. ذلك أن كسيلة تخلى عن القيروان عندما سمع بتحرك قوات زهير من برقة، مدعماً بأموال الخلافة ورجالها، ورابط في مدينة ممش حتى يحمي ظهره، وأسفرت المواجهة بين الطرفين عن هزيمة كسيلة ومقتله في معركة شهيرة، تلتها عملية مطاردة وصلت حد وادي ملوية بالمغرب الأقصى، مع ما يعترض الأخذ بهذه الرواية من صعوبة.

ويعتبر نصر زهير في ممش ثأراً للمقتل عقبة بن نافع من جهة، وهو ما يؤيده تراجعهم إلى برقة عقب ذلك، معتبراً الأمر حملة تأديبية ؛ ومن جهة أخرى فهو قضاء على مقاومة البربر البرانس الذين وقفوا في وجه الفتح العربي الإسلامي، متحالفين مع البيزنطيين. وتصور بعض المراجع الآثار التي أحدثتها هذا النصر تصورياً مبالغاً فيه، حيث تشير إلى انتقال المقاومة البربرية من الأوراس إلى المغرب الأقصى.

الحادث الثاني : مواجهته للبيزنطيين في برقة. فإذا كانت المصادر تغفل مرحلة ما بعد هزم زهير لكسيلة ورجاله، فإنها تتوقف عند اصطدامه بالبيزنطيين، الذين استغلوا انشغاله بأمر إفريقية، ليعيشوا فساداً في ساحل برقة، الذي هاجموا بحراً، انطلاقاً من صقلية. هكذا دخل زهير بن قيس في مواجهة غير متكافئة مع الأسطول

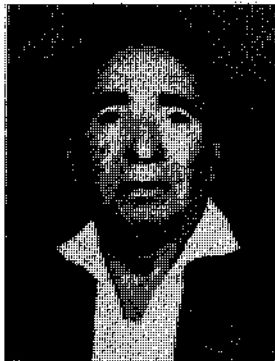
البيزنطي، انتهت بمقتله وهلاك جميع رجاله، مما أضفى طابعاً استشهادياً عليه. واليوم في مدينة درنة - القريبة من طبرقة - قبر ينسب إلى زهير، يخلد ذكرى استشهاده ورجاله.

ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية والأندلس، 1964 : الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، 1990 : ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج. 1، 1983 : النوري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 1985 : حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، د. ت : سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج. 1، 1979 : بطرس البستاني، دائرة المعارف، م. 9، د. ت.

عبد الإله بنمليح

**الزهيري**، أسرة سلوية شريفة تنتسب إلى الحسن المثنى بن الحسن السبط اختارت الأسرة الزهيرية بعد الهجرة إلى المغرب سكنها بتازروت وسط قبيلة بني عروس وقد "برز منها علماء وصلحاء ومجاهدون وكانت منطلقاً للجهاد البرتغاليين" (معلمة المغرب، ج. 6). خرج أحد الأجداد الأوائل للأسرة قاسم بن موسى الزهيري وكان عالماً زاهداً ورعاً من تازروت طلباً للجهاد واستقر بجبل حبيب بين العرائش وتطوان في مواجهة الأراضى التي كان يغير عليها البرتغاليون منذ 1471 واحتلوها لأمد طويل. فجاهد وحث الناس على الجهاد واتخذ من جبل حبيب مقراً لعائلته ومن انحدر من صلبه إلى يومنا هذا. وعندما هاجم الفرنسيون بعد ذلك مدينة سلا عام 1178. قرر محمد الزهيري أحد حفدة الجد الأعلى المذكور الخروج للجهاد ضد الغزاة. ومنذ أزيد من قرنين ونصف والأسرة المنحدرة من المجاهد محمد الزهيري تقطن بمدينة سلا ثم انتشرت بعد ذلك في الداخل والخارج لا سيما بمصر حيث استقر أحد أبنائها بعد فرض الحماية على المغرب.

**الزهيري، الطاهر** بن محمد ولد بسلا سنة 1914، درس بالمدارس العصرية في العدوتين. تقلد عدة مناصب في التعليم العمومي بعد ما تخرج من مدرسة المعلمين في أواخر الثلاثينيات فعمل في مدينة أبي الجعد ثم في



القنيطرة ومكناس وطنجة وغيرها. وارتقى إلى أن أصبح أستاذاً للغة والأدب العربية والترجمة في المدارس الثانوية، ثم اندرج في سلك الأساتذة بثانوية البعثة الفرنسية في مدينة طنجة حين كانت تحت الوضع الدولي. وبعد حصول المغرب على الاستقلال عاد من جديد إلى وزارة التهذيب الوطني فعين مفتشاً عاماً للتعليم الثانوي ثم في النهاية مندوباً للوزارة في مدينة مكناس. وتوفي بالرباط سنة 1994/1414.

**الزهيري، محمد المهدي** بن عبد القادر المعروف بالنسابة ولد بمدينة سلا سنة 1907. كان سلوباً نشأة وتعليماً وعملاً، حفظ القرآن ودرس المتون واللغة العربية على شيوخ زمانه كالعلامة البارودي وابن احساين النجار، وأخذ علم الأنساب من المؤرخ الشيخ محمد بن علي الذكالي صاحب الاتحاف الوجيز أو تاريخ العدوتين وعن خاله إبراهيم امبويز الذي كان له اطلاع كبير في علم الأنساب بمدينة سلا. وكان على اتصال دائم ببعض زملائه بالرباط ينسق معهم في التعريف ببعض العائلات التي انتقلت بين العدوتين، فتضلع في هذا العلم حتى صار يقصده أرباب العائلات من سلا والرباط لضبط أنسابهم. وكان مشهوراً بالورع وعلو النفس وحسن السم. عن ذلك أنه احترف النجارة كمصدر للرزق كفافاً وعفافاً وغنى عن الناس.

توفي بسلا سنة 1405 / 1985.

معلومات شفوية ووثائق عائلية.

قاسم الزهيري

**زهيلة** قبيلة من بطون نفزاوة، اندرجت فرقة منها في غمارة ويقت بنواحي بادس إلى العصر المريني. وإلى هذه القبيلة ينسب عدد من الأعلام من العلماء والصوفية، منهم أبو يعقوب يوسف البادسي الزهيلي أحد كبار صلحاء المغرب في وقته. وقد انقرض اسم هذه القبيلة، التي يبدو أنها انصهرت في إحدى قبائل الريف بالمنطقة المذكورة.

ع. الرحمن، ابن خلدون، العبر، بيروت، 1981، ج. 6، ص. 234 ؛  
ع. الحق البادسي، المقصد الشريف، تج. سعيد أعراب، الرباط، 1982.

**الزهيلي، المعز** بن منصور يكتى أبا تميم. قاضي قصر كتامة في عهد الموحدين. ينتمي إلى قبيلة زهيلة بنواحي بادس في جبال غمارة. لم ترده له ترجمة في أي من كتب طبقات العلماء المعروفة. ويعود الفضل لمحمد العربي الفاسي الذي نقل في كتابه مرآة المحاسن نصامهما عن هذا القاضي من كتاب مفقود هو معجم شيوخ أبي الصبر أيوب الفهري أحد علماء وزهاد سبتة وشهيد العقاب سنة 609 /

1212، الذي كان كثير التردد على مدينة قصر كتامة لطلب العلم، ولزيارة شيخه العارف أبي الحسن علي ابن خلف بن غالب القرشي الشلبي نزيلها، وفي زيارته لها أخذ أيضاً عن قاضيه أبي تميم الزهيلي الذي ذكره بين شيوخه وأثنى عليه وعلى ما أسداه لمدينة القصر.

من هذا النص الغني نستنتج أن الموحدين عينوا أبا تميم الزهيلي قاضياً بالقصر في بدايات دولتهم، وهو عداد القرى إذ كان قد تضرر من جراء الصراع بين المرابطين والموحدين، وأسندوا إليه صلاحيات واسعة. وإليه يعود الفضل في المساهمة في تعمير المدينة وتشجيع تجارها مزارعها حتى حسنت أحوال جميعهم. كما أسهم في دعم الحركة العلمية بقصر كتامة، الذي سرعان ما تحول إلى مركز علمي نشيط، بتشجيع طلبته واقتراحهم للوظائف والمخطوط. وتساعدنا هذه الشهادة على فهم الازدهار الملحوظ الذي عرفته المدينة خلال العصر الموحي خاصة في عهد يعقوب المنصور.

م. العربي الفاسي، مرآة المحاسن، فاس، طبعة حجرية 1324 / 1906، ص. 145.

محمد المغراوي

**الزواج بالمغرب**، يعتبر الزواج ظاهرة اجتماعية قديمة في الحضارات الإنسانية، بل هو أقدم الروابط الاجتماعية التي تربط الرجال بالنساء منذ فجر الوجود وبدء الخليقة كما يدل على ذلك ارتباط آدم بحواء، وهو أول ارتباط بين رجل وامرأة في تاريخ البشرية.

وعليه فإن رابطة الزواج عرفت أنماطاً من التحول في تاريخ المجتمعات، وتولدت أشكالها باختلاف التقاليد والأعراف والمؤسسات الاجتماعية. وفيما يأتي حديث عن الزواج في البيئة المغربية وهو زواج إسلامي يدخل ضمن أنواع الزواج الإسلامي المعروف بخصوصياته الدينية والاجتماعية والعرفية.

1 - يدخل الزواج في المغرب ضمن المؤسسات الدينية والقانونية التي يتم فيها تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس ديني شرعي وقانوني وضعي. ولا يعترف المجتمع المغربي بأي شكل آخر من أشكال الارتباط الجنسي بين الرجل والمرأة خارج مؤسسة الزواج ورباطته المقدسة.

2 - إذا كانت الأبحاث الأنتروبولوجية تقرّر أن الزواج مظهر للاستقرار في البنية الاجتماعية للأسرة ثم للقبيلة وأخيراً للمجتمع، فإن هذه الغاية قد قررها الدين الإسلامي في سائر تصوراته المفهوم العلاقة بين الرجل والمرأة في ظل ميثاق الزواج المقدس. فالمرأة سكن للرجل وهو الراعي لها والقيم على مصلحتها ومصلحة أبنائها مادياً ومعنوياً.

3 - من المعلوم أن المغاربة يشكلون مجتمعاً إسلامياً يقوم فيه الزواج على الأسس الشرعية المعلومة بالضرورة لدى كل من ينوي الإقدام على هذه الممارسة الدينية،

الاجتماعية وعقد وضعت شروط الزواج ومقتضياته المختلفة من عقد وصدائق ونفقة... وما يرتبط بذلك في صورة قانونية ضمن بنود مدونة الأحوال الشخصية المغربية (انظر مادة مدونة الأحوال).

4 - إن الزواج المغربي كأى زواج إسلامي يتعقد بما يفيد اتفاق العاقدین على إجراء سنة النكاح على سنة الله ورسوله. ومن شروط عقد الزواج حضور شاهدين عدلين وتسمية مهر للزوجة فضلا عن شرط البلوغ والعقل والخلو من الموانع الشرعية في كلا الزوجين. وفيما يأتي صورة لمراسيم الزواج المغربي في الأعراف السائدة :

يأتي أهل العريس "بالدفوع" وهو مجموع الهدايا التي يقدمها الخطيب لخطيبته وتشمل الأتواب الجديدة والذهب والأحذية وحقائب اليد والخواتم وغير ذلك من الحلبي حسب إمكانيات العريس المادية. ويأتي العريس وأهله أيضا بكيس من الدقيق الرفيع وكيس من السكر وصدوق من الزيت وذبيحة كالحروف أو الثور. وفي غمرة الزغاريد النسائية يدخل الموكب إلى دار العروس وتتقدمه أم العريس في بعض المناطق القروية رافعة علما من ثوب أخضر في الغالب علامة على السلم والخصب والرخاء. وتستقبل أم العروس الضيوف رافعة علما أو أعلاماً من ألوان مختلفة أغلبها الأبيض والأخضر والأصفر، مرحبة بأعلى صوتها بأهل زوج ابنتها أي أصحابها.

وعندما يخرج الفقهاء الذين قرؤوا القرآن والأذكار، يتعشى المدعوون ثم تستمر الحفلة. وفي ليلة هذا اليوم بالذات تقع الدخلة وهي "الرواح" حيث يجتمع الأهالي حول العريسين وتقوم النكافة بإلباسهما أنواعا مختلفة من اللباس الوطني الذي يرمز إلى لباس فاس والشمال ومراكش والجنوب وأخيرا ينتهي الحفل الساهر باللباس الأوروبي العصري حيث يتم توزيع قطع الحلوى الكبيرة على الحاضرين كما يقع في المدن الكبرى، أما في البوادي، فإن طقوس الحفل الساهر تختلف من منطقة إلى أخرى، ففي الشمال (جبال) يسهر الجميع مع جوق الطقطوقة الجبلية في عروضها الفنية إلى الفجر، وقد يتخلل ذلك بعض فترات الاستراحة من حين لآخر. أما في مناطق الجنوب لا سيما (إيمين تانوت) فإن الرجال والفتيات يرقصن على إيقاع البنادير وأصوات الناي رقصة (أسراگ) المشهورة بينما الأطفال الصغار وباقي الحاضرين من النساء والرجال والفتيات يتفرون من السطوح. وللتذكير فإن البنائيات في المنطقة مصممة في الغالب في هذه المناطق القروية تصميما يسمح بترك فضاء فسيح وسط المنزل في الأسفل لاستقبال الراقصين والموسيقيين، في حين تكون السطوح مشيدة بدقة لتكون قادرة على تحمل أفواج المتفرجين الذين يبلغون أحيانا المئات.

وفي أغلب المناطق الجنوبية تنتشر هذه التقاليد الرقصية كما هو الحال في منطقة (حاحا) التي يكون فيها الرجال

ساهرين في حفل راقص خارج البيت في ساحة "أترار" . وهي الساحة الخاصة بدرس الحبوب في القرية، أو الدوار . أو في فضاء بيت كبير وفي الفناء على وجه الخصوص. ويرقص الجميع على نغمات التصفيق باليدين والرقص بالأرجل . تبعا لإيقاع أحواش والبنادير والنايات التي يتعالى صوتها في ظلام الليل خارج مسرح الرقص.

وفي المناطق الحضرية الكبرى يستدعى للحفل فرقة أو جوق أو أكثر من الفرق أو الأجوام الموسيقية لإحياء الحفل إلى حدود الفجر، وفي منطقة الحميسات وخنيفرة وضواحي مكناس، قد نجد إلى جانب هذه الأجوام، فرقة "الشيخات" التي لا يخلو حفل زفاف منها في أغلب المناطق سواء في الشمال والجنوب أم الشرق والغرب في ربوع البلاد المغربية. فهذا التقليد الغنائي تقليد متأصل وراسخ، في البيئة الاجتماعية منذ قرون نظرا لكونه وجها من وجوه الفنون الفلكلورية التي حافظ عليها المغاربة منذ زمن طويل.

وتقدم خلال الحفل الهدايا للعروس وتعطى "الغرامة" للنكافة طوال مراحل الإلباس، في نهاية هذا الحفل تجهز الدابة التي ستنقل عليها العروس إلى دار زوجها (أي دارها الجديدة)، وقد تكون الدابة في أغلب الأحوال في القرى النائية أنثى حصان تدعى بالأمازيغية "تاگمارت"، وفي المناطق الجنوبية في هضاب حاحا وسهول سوس تلتحف العروس برداء من الصوف تضعه فوق لباس العرس، وتزين بخرقه ذات خيوط حمراء وسوداء وصفراء تدعى بـ"القضيب"، ويعصب رأسها بخرقه بيضاء توضع على رأسها على شكل عمامة صغيرة يفرس على طرفها من جهة الجبهة والفا أعضان رقيقة وناعمة من الورود الخضراء ذات الرائحة الطيبة والعطرة مثل "الحياق" خاصة.

وتركب العروس الدابة ويركب معها أخوها الأصغر، ويتوجه الموكب في عاصفة من الزغاريد والبكاء إلى دار العروس ويعني الجميع أغاني يفهم منها، توديع أهل العروس لابنتهم نظرا لالتحاقها ببيت الزوجية ويحسن أهل العريس استقبال زوجة ابنهم، نظرا لوفودها عليهم.

فأم العروس تنشد أناشيد الوداع، وأم العريس تنشد أناشيد الاستقبال الكريم وتطمئن أم العروس وتقول لها إنها سوف تتخذ العروس بنتا لها لا مجرد زوجة لابنتها. ويستمر الموكب في المشي إلى أن يصل إلى دار العريس حيث يحط الجميع الرجال، وقبل الدخول إلى البيت يسرع أحد أفراد عائلة العروس بتفقد عتبة الباب ومدخل الدار حتى يتأكد من عدم وجود أشياء يمكن أن تعرقل مسيرة الموكب "كالسبوب" وهي الأحذية التي يكتبها بعض السحرة لتنفيذ بعض ما يأمرهم به بعض الناس لإلحاق الضرر بالغير أو للتأثير فيه أو تطويعه وغير ذلك مما يشاع استعماله في الأوساط الشعبية المغربية وخاصة في القرى ونسبة أكبر.

وفي هذه الأثناء يكون العريس في السطح يرمي باللوز



وبعض الفواكه الجافة من أعلى البيت على المدعوين، فيهرع الجميع، لا سيما الشباب إلى جمع هذه الثمار تبسنا بها واستعجالاً لزواج يأملونه ويتمنون حدوثه في القريب. ويتبع موكب العروسة موكب يحمل الهدايا التي تحملها إلى بيت زوجها. ولا تختلف عادة البوادي عن المدن في هذه الطقوس إلا قليلاً.

يدخل الجميع فيشربون الشاي وما يقدم لهم من الحلوى أو الفطائر وبعد ذلك يتوجه الموكب إلى غرفة العروس حيث ستقع "الدخلة"، فيتقدون المكان بدقة رفقة أم العريس، ويرمون بالملح في جنبات الغرفة ثم يشعلون الشمع في سائر أرجاء الغرفة ويبخرون التباخير المختلفة خاصة التي تزيل الجن والرواحين كـ"الفاسوخ" و"الجاوي" و"الشانوج" وتجلس العروس فوق السرير، ثم يودعها الجميع بعد أن تكون أمها هي آخر من ينفرد بها، فتعلمها طقوس الليلة ونظام التعامل مع زوجها حتى ترم الأمور في أحسن الأحوال. ويتفرق الجميع بعد ذلك، ويعود الكل إلى مكانه ليغط في سبات عميق إلا أهل العروس والعريس فهم لا يغمض لهم جفن حتى تلوح تباشير الصباح و"تصبح" العروس بخير وعلى خير، وعندئذ يخرج العريس راضياً وأهله، ويتبادلون التهاني مع أهل العروسة لأنها استطاعت أن تشرف أهلها وتسون ماء وجوههم كما هو مطلوب وكما تقول الأغاني التي تُغنى في الصبحية.

هذا في البوادي أما في الحواضر، فإن الدخلة تتم عادة بعد الحفل الساهر، عندما يخرج العريس على متن سيارة للتجول في إحدى المناطق المشهورة في المدينة قبل الرجوع في موكب من السيارات التي لا تفتقر منبهاتها عن الصباح طوال الذهاب والإياب أثناء السير. وفي العادة يعود العريس إلى دار العريس، وقد صار بعض المتزوجين يفضلون كراء غرفة بإحدى الفنادق لقضاء ليلة الدخلة هناك.

وأياً كان المكان، فإن ليلة الدخلة تسفر عن صباح يبدأ فيه الزوجان (العروسان) حياتهما الزوجية، ويأتي أهل العروسة في الصباح بالفطور، وهذه عادة متأصلة في البوادي والحواضر المغربية على السواء. وبعد الفطور فإن الحياة ترجع إلى النظام العادي إلى اليوم السابع الذي تقام فيه مأدبة كبيرة يحضرها الأهالي مرة أخرى ويقضون يوماً من المرح والرقص والغناء بعده تدخل حياة الزوجين الجديدين إلى عالم العادة اليومية والرتابة المألوفة.

بحث ميداني وشهادات شفوية : إبراهيم الهلالي، مذكرات في الفقه الإسلامي، مراكش 1987.

R. Jamous, *La segmentarité et le mariage arabe, Annales Marocaines de Sociologie*, 1963 ; E. Laoust, *Le mariage chez les berbères du Maroc, A.B. I*, 1915 ; *Mots et choses berbères, Note de linguistique et d'éthnographie, Dialectes du Maroc*, Paris, 1920 ; *Notes berbères : les cérémonies du mariage au Maroc*, 1993 ; P. G. Murdock, *Social structure*. New York, 1949 ; E. Westermarck, *Ritual and belief in Morocco*, New Hy de Park University Books, 1926.

محمد أديوان

**الزواحف**، حيوانات فخرية تتكون من خمس مجموعات، وهي السلفقيات والثعبانيات والحرفقيات والتمساحيات ومسيخات الأنف أو العظائيات. يعد التغيرات الحراري من بين الخصائص المميزة لهذه الحيوانات ويعني ذلك أن الجسم يتوفر على حرارة مماثلة لحرارة البيئة الخارجية. تلجأ إلى الإسبات أو البيات الشتوي خلال الفصول الباردة التي تسبب انخفاضاً مهما في حرارة الجسم وبالتالي تباطؤ جميع الوظائف الحيوية. يكثر نشاطها في الفصول الدافئة والحارة فتتبع تحت أشعة الشمس للتدفئة وفي الليل تبحث عن مخبأ يقيها من البرد.

تدفن الزواحف بيضها بعد وضعه تحت الرمل أو التراب لضمان حرارته وتمكينه من التفرخ، وهناك بعض الأنواع من الأفاعي تحتفظ ببيضها داخل الجسم إلى غاية فترة انقاسه. تكون الصغار مستقلة تماماً مباشرة بعد التفقيس وقادرة على اللدغ وبث السم.

القوائم منعدمة لدى الثعابين والحيات بينما يختلف تركيبها عند الأنواع الأخرى. فهي قصيرة وسمينة تصلح كدعائم أثناء التنقل عند التماسح والسلاحف البرية والعظائية، وعلى شكل مجاذف سباحية عند السلاحف البحرية، هناك أيضاً قوائم تمكن من التثبيت بأغصان الأشجار لدى الحريا، وأخرى تمكن من الالتصاق بسطح أملس بواسطة معاجم لدى أنواع "أبو بريص".

جلد الزواحف مكسو بصفائح عظمية مغطاة بمادة مقرنة عند بعض الأنواع أو مغطى بقشور ملساء أو محززة تقي الجسم من زوال الماء لدى الأنواع التي تعيش في المناطق الجافة والمناطق الشديدة الحرارة. تتعرض الطبقة المقرنة للانسلاخ حيث تنمزق وتنقلع شيئاً فشيئاً أو تنسل مثل غشاء كما يحدث لدى الثعابين. ينقسم الجسم عند الزواحف إلى رأس شديدة الحركة وصدر وذيل. العينان مغلقتان بغشائين يضاف إليهما غشاء مختلج والأذنان باطنيتان. الاسنان متوفرة عند سائر الزواحف باستثناء السلاحف وتستعمل للقبض على الفريسة أكثر مما تستعمل للمضغ. تتلغ الفريسة كاملة ولو كانت ذات مقاييس كبيرة وذلك بفضل مرونة رباط العظم الذي يربط بين الفكين.

من بين المجموعات التي تعيش في المغرب :

- 1 - العظائيات وتتكون من حيوانات رباعية القوائم تتميز بالاستقلال يجعل الفرد قادراً على استعادة نموه ذيله بعد بترجزء منه. والتخلص من الذيل وسيلة دفاعية لينجو من الخطر. يتغير الجلد دورياً عن طريق الاحتكاك بالصخور وجذوع الأشجار. من أهم أنواعها : الزوغة أو أبو بريص، الورل الذي يعيش جنوب المغرب، والساسا والحريا والعظاية أو زرزومية كما هي معروفة عند العامة.
- 2 - الثعبانيات وقد سبق ذكرها في مادة ثعبان.
- 3 - السلاحف ومنها البرية والبحرية، ذكرت بتفصيل في مادة السلاحف.

الكناري. ومصدرها هي بعض أنواع جنس فالاريس<sup>١</sup>  
Phalaris الذي معناه النبات ذو البذور القضيبة.  
وجنس فالاريس من النجيليات Poaceae. يتميز  
بعشكول مكس طويل وسنبلي الشكل.

يمثل الجنس بالمغرب سبعة أنواع، ثلاثة منها معمرة  
تزرع لإنتاج الحشائش والأعلاف والحبوب الأنواع الأخرى  
حولية بدون فائدة كبيرة.

- فالاريس شيرولسان Phalaris caerulea : جذوره  
غليظة، قصب ساقه يحمل انتفاخا في قاعدته.

يعيش طبيعيا في الأراضي الطينية وفي بيومناحات  
شبه رطبة أو رطبة. يزرع في نفس الظروف البيئية.

يعتبر من أحسن النباتات الرعوية أو العلفية، إذ من  
الممكن أن يعطي في مجاله الطبيعي مردودية سنوية تقدر  
بـ 4000 وحدة علفية في الهكتار.

- فالاريس بولبوزا Phalaris bulbosa : لا يختلف كثيراً  
في صفاته النباتية عن النوع الأول، ويعيش في نفس  
الظروف البيئية، لكنه أكثر تحملا للرفس من طرف  
الحيوانات. ولهذا يستعمل في إنشاء المراعي الدائمة.

- فالاريس ترونكاتا Phalaris truncata : يختلف عن  
النوعين السابقين بغياب الانتفاخ في قاعدة قصبه.

يعيش في أراضي ذات نسبة عالية جداً من الطين من  
الممكن أن تغطي مؤقتا بالمياه في فصل الشتاء.

يعطي في الأراضي الخصبه مردودية مرتفعة جداً قد  
تتجاوز 6600 وحدة علفية في الهكتار الواحد.

A. Benabid, Flore et écosystèmes du Maroc,  
évaluation et préservation de la biodiversité. Paris, 1999.  
عبد المالك بنعبيد

**الزواوي،** أسرة سلوية أصلها من قبيلة زواوة القديمة  
كانت منتشرة في بلدان الشمال الإفريقي وصل أفرادها  
الأولون إلى ليبيا بعد أن منعوا من دخول مصر. وسكنوا  
مدينة قرطاج التونسية، ومنهم عشائر نزلت بالقطر الجزائري  
وبالمغرب الشرقي وتاقيلالت دبدو ثم انتقلوا إلى الشمال  
المغربي وهناك زواويون عسكريون كانوا في الجيش السعودي  
في القرن العاشر (16 م)، ذكر الفشتالي منهم في مناهل  
الصفاء أحمد وحدو كقائدين لجيش زواوة شاركا في معركة  
وادي المخازن إلى جانب عبد الملك المعتصم وأخيه أحمد  
المنصور.

ويبدو أن الزواويين السلوايين من هؤلاء، وهم يتفرعون  
بسلا إلى فرق، منهم فرقة الزواوي المؤقت التي خص أحمد  
المنصور السعودي أحد رجالها ببعض المناصب العليا، فكان  
عاملا على سلا في عهده، والوظائف الدينية كتوقيت  
الصلاة بالمسجد الأعظم، واستمرت ذريته تقوم بهذا العمل.  
ومنهم فرقة منقرضة اليوم بسلا هي أسرة محبوبة التي قيل  
إنها من أبناء عمومة المؤقت بل يروى أن الجد الأعلى

**الزواوي، إبراهيم بن أحمد بن محمد التونسي** يكنى  
أبا سلام. أخطأت بعض المصادر في اسمه فجعلته الزواوي،  
وضبطه الكتاني في سلوة الأنفاس. شيخ من الزهاد أهل  
الولاية والعرفان والاستقامة. صحب كبار صوفية زمانه  
بتونس كالشيخ ابن عروس وتلميذه منصور الزواوي وابن  
عرفة القيرواني، والشيخ أحمد بن عقبة الحضرمي والشيخ  
أبا عبد الله الزيتوني وتلميذهما الشيخ أحمد زروق (ت.  
899 / 1494) ولقي براكش الشيخ عبد العزيز التليح (ت.  
914 / 1508)، وشيوخه كثر في طريق التصوف.

استوطن الشيخ الزواوي القصر الكبير سنين، وبه لقيه  
أبو المحاسن يوسف الفاسي مراراً وتبرك به. ثم رحل إلى  
مدينة فاس وكان له مع صوفيتها صلات قوية، كالشيخ عبد  
الرحمن المجذوب. وكانت سمعته بها طيبة وله بها أتباع،  
وبها توفي حوالي سنة 961 / 1554، ودفن خارج باب الجيسة  
وبنيت على قبره روضة. وقد عمّر حوالي مائة وثلاثين سنة،  
وتنسب له كرامات.

ع. الرحمن الفاسي، ابتهاج القلوب بخير الشيخ أبي المحاسن  
ورشيخه المجذوب، تح. حفيظة النازي، د. د. ع. في التاريخ، كلية  
الأداب، الرباط، 1992، 2 : 362. م. المهدي الفاسي، ممح الاسماع،  
تح. عبد الحى العمري وعبد الكريم مراد، الدار البيضاء، 1994،  
ص. 78-166. م. بن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس، فاس، طبعة  
حجرية، 1334 / 1916، 3 : 124. م. بن عيشون الشراط، الروض  
العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تح. زهرا. النظام،  
منشورات كلية الآداب، الرباط، 1997، ص. 276. ع. ابن إبراهيم  
المراكشي، الإعلام بين حل مراكش وأغمات من الأعلام، الرباط،  
1974، ج. 1 : 179، 180.

**الزواغي، محند** بوشنة مقاوم ولد سنة 1922 ببني  
بويحي إقليم الناظور.

انخرط في صفوف جيش التحرير بعد فرار من الجيش  
الإسباني سنة 1955 وقد تجلّى عمله في تزويد أفراد المقاومة  
وجيش التحرير بالسلح الذي كان ينقله من التكنات  
العسكرية لجيش الاحتلال.

وأفته المنية يوم 17 مارس 1995.  
المنودية السامية لقدامى المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء،  
الاستقلال، بطاقم مقاوم رقم 529141.

**الزوان،** لفظ يطلق على نباتات علفية تستعمل حبوبها  
عادة في تغذية بعض أنواع العصافير الصغيرة مثل

شبابه ابتداء من سنة 1935، كما أنه تجول بأوروبا فأقام بفرنسا وإيطاليا وبلجيكا والبوسنة، وأقام بمدينة سراييفو. وكان خلال هاته الجولة التي استغرقت عدة شهور يرافقه عمه الحاج عبد النبي والفقير محمد داود مؤرخ تطوان، واتصلوا بعدة رجال في البلدان التي زاروها.



ولما تأسس النادي الأدبي السلوي سنة 1941 كان من أول رؤسائه، وعين من سنة 1945 إلى سنة 1950 عضواً بالمجلس البلدي بسلا، كما كان عضواً بمجلس شوري الحكومة، وترأس الغرفة الفلاحية بالرباط إلى سنة 1950 وأصبح فيها رئيساً لجامعة الغرف الفلاحية. عمل إلى جانب الصدر الأعظم الحاج محمد المقرئ فكان نائبه في الفلاحة وذلك في السنوات الأخيرة من عهد الحماية الفرنسية. توفي بسلا يوم 15 رجب عام 1415 / 19 دجنبر 1994 بسلا وبها دفن.

**الزواوي، محمد (الحاج -) بن المكي بن أحمد** المعروف بالمقدم الزواوي والموقت، ولد بسلا سنة 1277 / 1866 كان فقيهاً عدلاً بنظارة أحباس سلا، مكلفاً بالتوقيت



المباشر للأسرتين واحد. وهناك زواويون آخرون بسلا كان منهم فقهاء وعدول، عبر الحقب.

كارباخال مارمول، إفريقيا، ج. 1، ص. 93، ترجمة م. حجي، الرباط 1988؛ وثائق الزواوي الموقت؛ رسوم الخزانة الصبيحية.

**الزواوي، أحمد بن عمر** كان عاملاً على سلا في عهد أحمد المنصور السعدي.

**الزواوي، أحمد بن المكي** كان مؤقناً للمسجد الأعظم بسلا حتى نقله مولاي سليمان سنة 1236 إلى خطة التوقيت بمراكش.

وثائق آل الزواوي؛ وثائق الخزانة الصبيحية؛ أ. الناصري، الاستقصا، 8: 153 و 171؛ م. بوشعرا، ذيل، الإتحاف الوجيز، الطبعة الثانية، ص. 227؛ التعريف ببني سعيد، 2: 103. مصطفى بوشعرا.

**الزواوي، أبو سرحان** مسعود السبتي، علم من أعلام العصر العربي الأخير. تختلف النسختان المعروفتان من بلغة الأمتية في ضبط اسمه فهو في النسخة التي حققها الأستاذ محمد ابن تاويت مذكور بكنيته "أبو سرحان الزواوي". وفي النسخة الثانية مذكور باسمه. قد يكون اسمه هو مسعود الزواوي بينما يلقب بأبي سرحان كما جرت العادة عن معظم الشخصيات الفكرية خلال هذه الفترة. لا نعرف شيئاً عن هذا الفقيه سوى أنه نزيل بمدينة سبتة. نبغ في ميدان النحو، كما كان له باع في ميداني الفقه والفرائض. وكان يدرس في مسجد القفال منها، ولما عاد أبو العباس أحمد بن إبراهيم المريني المخلوع مجدداً إلى دار ملكه عام 789 / 1387 عينه قاضياً على سبتة ومدرسا في المدرسة الجديدة. لكن بعد مدة يصعب تحديدها، صرف أبو سرحان عن تلك الوظائف فرحل إلى الأندلس ونزل بقرنطة فتوى والتقى بالعلماء الغرناطين، ثم بعد مدة كر راجعا إلى المغرب فاستوطن مدينة تازة إلى أن توفي بها حوالي سنة 803 / 1399.

بلغة الأمية ومقصد اللبيب، تج. محمد بن تاويت، مجلة تطوان، العدد التاسع، سنة 1984.

زليخة بمرضان

**الزواوي، عبد الله (الحاج -) بن محمد بن المكي** آتني الترجمة أحد أعيان سلا ومثقفها الرواد، من أوائل المتخرجين في الهندسة الفلاحية من فرسنا، ولد في شهر شتنبر 1909.

كان معروفاً بأسفاره وجولاته بالخارج، فحج مراراً وساح بمصر والحجاز والشام والعراق وفلسطين وتركيا في أول

بالمسجد الأعظم بعد أبيه، ومقديماً للزاوية التيجانية القريبة من المسجد المذكور، موسعاً عليه في الرزق، سكن داراً فخمة بجوار المسجد الأعظم تعد من أجمل مدن المدينة سعة وهندسة وزخرفة.  
توفي بسلا سنة 1383 / 1966.

مصطفى بوشعرا،

**الزوايا بتراب البيضان،** تطلق هذه الكلمة بمجمل الصحراء الأطلسية على فئة الذين استقروا في أماكن خاصة بممارسة التعلم والعبادة. وهي أكنة متميزة كثيراً ما اعتبرت ربطاً للمرابطة في سبيل الله عادة ما ارتبط المتصوفة وحملته الكتاب من فقهاء وعلماء بهذا الاشتقاق اللفظي الذي يربطهم بأسباب وتاريخ معين. فمعلوم أن تاريخ هذه "الصيغة" يعود بالأساس إلى دور دولة المرابطين في خلق وقتين ركائز سلطة الفقهاء ذوي العلم الظاهر وغيرهم من المتصوفة ذوي العلم الباطن. فما تزال هذه الدولة تعتبر في نظر الزوايا هي التي حركت المتصوفة والعلماء وجعلتهم يعتبرون أن عليهم مسؤوليات سياسية على جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية. كان مفهوم المرابطة والترابط من أجل الجهاد بقصد "دفع المظالم" هو الشعار المؤسس للدولة المرابطية. فكان أن وفرت لهم دولة أبو بكر ابن عمر اللاتوني مرتكزات فعلية جعلت من علمائهم "ورثة الأنبياء وتراجمة الوحي وحفظة الكتاب وأمان الأرض وسور الإسلام الحصين". يسقط دولة المرابطين واختلاف مبادئ وأسس ومرتكزات دولة الموحدين، اضطلع أهل الكتاب من فقهاء ومتصوفة وعلماء من صنهاجة الصحراء بأدوار تاريخية عملت على تحديد العلاقة بينهم وبين باقي فئات المجتمع الصحراوي. يمكن اعتبار أن الأجداد الإسميين لجل قبائل الزوايا الحاليين ينتمون إلى هذه الفترة بالذات. على أنه يكون من اللازم التأكيد هنا على دور السلاح في تفجير الصراع بين الغور السكاني الصنهاجي والفصائل المعقلية الواردة. فقد تميز سلوك المعاقيل بالاعتماد المتزايد على دور السلاح في تدعيم مركزهم الاجتماعي. أما تشيبت شوكة أهل الكتاب الزوايا خلال هذه الفترة فقد ارتبطت بتطور الغور السكاني الصنهاجي بمختلف فصائله الكبرى والصغرى. ظل هذا الغور مكوناً من حاملي سلاح وحاملي كتاب إلى حدود القرن الحادي عشر / السابع عشر الميلادي. يومها فقط جسدت سياسة ناصر الدين آخر محاولة للغور السكاني لمواجهة المد المعقلي المتزايد.

تعتبر فئة المعاقل المسلحين من الفئات الاجتماعية التي استطاعت التغلغل التدريجي خلال الفترة الفاصلة بين القرن الثامن (13 م) والقرن الحادي عشر (17 م). فقد قامت على أساس عصبية مغايرة ذات تطلعات حربية متأثرة بظرفيات مصارعة الغور الصنهاجي المتفرع إلى

كمفدراليات وفصائل مختلفة الأصول والمصالح. ومع التقلبات السياسية وتنازع المصالح اضطلع المعاقلة بأدوار متخصصة في مراقبة المجال عن طريق السلاح وفرض الأتاوات على القوافل. من هنا فإن ما أكدت عليه النصوص المعاصرة بعد بمثابة المعطى العملي الذي تأسست عليه الحقائق التاريخية لنوعية الصراع المفتوح بين الغور السكاني والحضور المعقلي. لقد مثلت الحروب المسماة "شربة التباري" خلال منتصف القرن السابع عشر الميلادي الحدث الحاسم الذي فصل في إشكالية العلاقة بين حملة الكتاب وحملة السلاح. تجسدت منذ ذلك الحين سلطة المعقلين في احتكار سلطة السلاح رغم احتفاظ بعض التجزؤات وفصائل الغور السكاني بطابعها المحارب.

أصبح شعار الزوايا من حيث هم كحجاج الدين، "من حمل السلاح ترك الصلاح" معتبرين أنفسهم "فخر البلاد وعمارته ونورها علماً وصلحاً وديناً وثروة. فيهم أهل المدارس العامة والتأليف المفيدة والمشاخ أهل حلق الذكر والدين القويم والأموال الطائلة، أهل إنباط الآبار وتفجير العيون وحرث الحبوب وغرس الأشجار وأهل التجارة، وهم السفراء بين القبائل ومصلحو الثأر وأهل القضاة والفنوى والمحافظة على الدين والمروءة" (ابن البراء، الفقه، 47) تكون بذلك الزوايا قد تخصصت في الاستئثار بحمل الكتاب.

توسلوا بتقنيات النصوص الدينية والعلمية ضامنين بذلك حداً أقصى من المشروعية السياسية الحائثة على التسليم لأوامرهم. ليس هذا وحسب، ولكن دراسة إشكالية علاقة أهل الكتاب وأهل السلاح لا يمكن أن تتأني إلا من خلال دراسة علاقتهم بالسلطة. ذلك أن سلطة الزوايا تتمثل في علاقتهم بالعامّة التي لا يستقيم أمرها إلا بمشروعية علاقتهم بالسلطة الحربية. وهنا تكشف المصادر بما لا يدع مجالاً للشك، تهيؤ الظروف الموضوعية الملزمة لتناغم وتفاعل بين السلطتين الدينية والحربية في بلاد تميزت بدواعي وأسباب السببية. تكشف كتب الفتاوى عن دور الزوايا أهل الكتاب في تشكيل العنصر الرابط ونقطة الالتقاء بين الفئات المجتمعية المختلفة والسلطة المعقلية. والملاحظ أن الزوايا أهل الكتاب كانوا يشاركون أهل السلاح في أكبر تجليات النفوذ التي هي الطاعة والخضوع. فقد كانت لهم رقابة على السلطة السياسية باعتبارها حاملة للشرعية وللشرع والتصدي لأية انحرافات تقع من السلطة الحربية. في هذا الإطار كان تقديم النصح والمحاسبة من مقتضيات التي تستدعي التمسك بالمجال المعرفي وامتلاك المعرفة وتأييدها وتوجيهها. وهو ما كان يستدعي الابتعاد عن الأمراء بل ومقاطعتهم في بعض الأحيان. هذا ما تكشف عنه كتب السير والتراجم الفقهية وأدب الطبقات الصوفية مزكية دور العلماء والفقهاء المستقل سياسياً واجتماعياً مما أهلهم في كثير من الأحيان لتصدر الأحداث.

ومما يؤكد دورهم كقوة رقابية فاعلة كف أيديهم عن التدخل في أمور الدولة إلى أن سيطرت الإدارة الفرنسية وفرضت أمنها. تمتع الزوايا بمركز ومكانة اجتماعية لم تنحصر في المجالات التربوية والتعليمية ولكن دعمت قاعدتهم الاقتصادية. تطورت تدريجيا هذه القاعدة لتنتهي إلى متغيرات بنوية أصبحت تفرق اجتماعيا بين "الزوايا" المثبتة بقيم وممارسات الزوايا و"المرايط" الذي اقتصر على ممارسة الطقوس مبتعداً عن أخلاقيتها و"التلميذي" الذي فقد الدين والمروءة. (ابن البراء، الفقه والمجتمع والسلطة، 46).

كلى الدراسات الميدانية تشهد على أهمية النسيج الاقتصادي الذي ميز الانتساء الاجتماعي لهذه الفئة بأعلى السلم الاجتماعي. فحدد حجم هذا الانتساء الاجتماعي في خضوع فئات من الغور السكاني الأقدم من صنهاجة وأكواش حراطين وغيرهم لسلطة الزوايا السياسية. وتنتظهر فعالية نفوذهم الاقتصادي في قدرتهم على إحكام صلاتهم الاقتصادية بمنتجات الأرض وتربية المواشي. ولعل أهم ما ميز هذه العلاقة هي التبعئة السياسية التي قادوها في مقاومة التغلغل الأروبي على السواحل.

ابن البراء يحيى، الفقه والمجتمع والسلطة، دراسة في النظر الاجتماعي والسياسي للفقيه بين شمول أهل القبلة وأصرة أبناء القبيلة، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط، 1993، محمد المختار ولد السعد، حرب شريبه التباري أو أزمة القرن (17) في الجنوب الغربي الموريتاني، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، 1992.

مصطفى ناعمي

**زويج (ابن -) أبو بكر محمد بن عيسى السبتي**  
وأصله من بصرة المغرب. من أهل العلم والفقه والأدب، متفنن في علمه، نظار، صاحب حجة وجدل، عالم بالحديث. له رحلة إلى الأندلس في طلب العلم، ورحلة أخرى إلى المشرق حج فيها ودخل العراق، ولقي العلماء بمختلف البلاد. ورجع إلى قرطبة مرة ثانية واختص بقاضي القضاة بها أبي العباس بن ذكوان (ت. 413) وكان من وجوه أصحابه، ويسببه صارت له منزلة عليا عند أمير الأندلس عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر، وتمكنت أسبابه لديه، بما كان عليه من علم واسع وقوة في الشخصية وصلابة في الرأي. وقلده هذا الأمير القضاء بسبته وعملها، بإرشاد القاضي أبي العباس بن ذكوان، فكانت السجلات القضائية تحليه بقاضي سبته ووطنجة وأصيلا والمغرب، وجمع إلى القضاء خطة الشرطة العليا. وقد حمدت سيرته في مهامه، لذلك اعتبر من أجل قضاة سبته. واتصلت ولايته بما تبقى من إمارة المظفر ورجوع الأمويين إلى أن قامت مظالبة الحموديين، فكان آخر قضاة بني أمية بسبته.

وعندما ظهرت بوادر انقلاب القاسم بن حمود والي

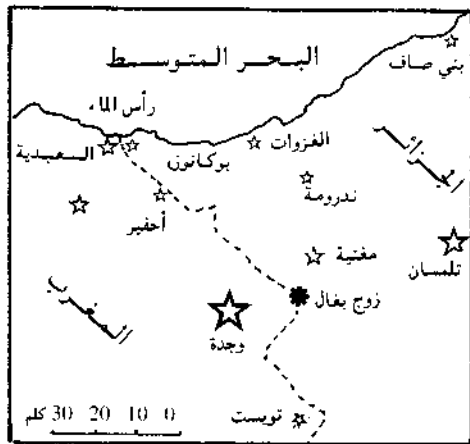
الجزيرة الخضراء ووطنجة على بني مروان، كان من قاضيهما هذا عنه بعض التأخر، ثم ظهر ولاؤه جليا للأمويين عندما اتصل هو وفقهه سبتي آخر يدعى ابن يربوع بالخليفة سليمان المستعين الأموي يخبرانه باتصال أخيه هشام الثاني، المسجون بقرطبة، يحاكم سبته علي بن حمود أخي القاسم يطلب منه إطلاقه من سجن أخيه المستعين ويتأمر معه في شأن تدبير انقلاب ضده. فأغرى علي بن حمود رجاله بالفقيهين انتقاما منها فقتلوهما حوالي سنة 404 / 1014. ورعب أهل سبته بقتل قاضيهما، ولم يختلفوا عليه لما عرف من استقامة وجزالة في أحكامه وصرامة في إنفاذ العدل، يؤكد ذلك قول القاضي عياض فيه: " وكان حسن السيرة في قضائه، وأيامه مشهورة لعلو مكانه وسعة علمه وبعد صيته".

القاضي عياض، ترتيب المدارك، تح. سعيد أعراب، الرباط، 1982، ج. 7، ص. 111-113-173-281؛ ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تح. السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، ط 1955، ج. 2، ص. 562؛ ابن عذاري، البيان المغرب، تح. كولان وليقي بروفتنصال، بيروت، ط 1983، ج. 3، ص. 115؛ لويس سيكو دي لوثينا، الحموديون سادة مالقة والجزيرة الخضراء، تر. عدنان آل طعمة، دمشق، دار سعد الدين، ط 1، 1992، ص. 20.

محمد المرازوي

### زوج بغال، - جغرافيا - يعتبر مركز زوج بغال حاليا

أهم منفذ للعبور الرسمي بين المغرب والجزائر. لا يبعد عن مدينة وجدة إلا بنحو 14 كلم في اتجاه الشرق. ويعتبر كذلك أحد البوابات الأساسية للاتصال مع الغرب الجزائري إلى جانب مركز أحفير إلى الشمال منه، ومركز فكيغ إلى الجنوب منه.



زوج بغال

يظل مركز زوج بغال أقدم وأهم مركز للعبور بين البلدين، بحيث جل تيارات البضائع والأشخاص كانت تمر

غيره لكونه يتوسط أهم مدينتين حدوديتين، وجدة على الجانب المغربي ومغنية على الجانب الجزائري. كما تقطعه شبكتان أرضيتان للربط بين البلدين؛ الطريق المعبدة التي تمت توسعتها بالإضافة إلى خط السكة الحديدية، الخط الوحيد الذي يربط التراب المغربي بالتراب الجزائري.

تحتل مراكز العبور مع الجزائر الصدارة أثناء فترات الفتح للحدود بالمقارنة مع الحدود الشمالية وذلك لكثافة تيارات العبور وخاصة خلال فترات العطل، حيث تجاوزت هذه المراكز سقف ثلاثة ملايين عابر في الاتجاهين خلال سنة 1991. ويعتبر مركز زوج بغال الحدودي أهم معبر للأشخاص، بحيث أن ما بين 30٪ و40٪ من الوافدين على المغرب خلال الفترة المتراوحة ما بين 1989 و1994 تنقلوا عبر مركز زوج بغال الحدودي. وتؤكد هذه النسب أهمية العلاقة مع الجوار المغربي لأنه من الخيارات الأساسية التي يراهن عليها.

إن أقدمية مراكز العبور الشمالية واستمرار رواجها الدائم لم يمنع المراكز الشرقية وخاصة مركز زوج بغال من احتلال المراتب الأولى في عدد العابرين بالمقارنة مع بقية المراكز المهمة الأخرى، باب ستة ويني أنصار - مليلية.

فالمقارنة بين أهم مراكز العبور الموجودة على الجهة الشمالية والشرقية، تجعل المنتع والمهتم بحركة العبور عبر الحدود الأرضية يكتشف أهمية تيارات الأشخاص عبر نقط العبور المختلفة مع الجزائر وما تحدثه من آثار في العديد من القطاعات الاقتصادية. فبالرغم من قصر مدة الفتح الأخيرة 1988 و1994 تجاوزت نسب الوافدين على المغرب عبر الطريق الأرضي بين المغرب والجزائر نسب الوافدين عليه عبر الناظور وستة، فمجموع العابرين للحدود الأرضية المغربية سنة 1991 بلغ أزيد من 35 مليون عابر 41.5٪ منهم استقبلهم مركز زوج بغال. وجل هؤلاء العابرين عبر هذا المركز الحدودي من جنسية جزائرية، على عكس الوافدين عبر بقية نقط العبور الأخرى من جنسية مغربية.

فالترباط الكبير بين طرفي الحدود المغربية - الجزائرية كان من وراء التدفق الكبير للسانح الجزائري الذي كان قبل ذلك يتوجه نحو فرنسا أو نحو تونس. ففتح الحدود المغربية الجزائرية مكن بالخصوص سكان الغرب الجزائري القريب من المغرب الشرقي الذي ظل يشاركه العديد من القسمات والخصوصيات، من زيارة المغرب وتفضيله على غيره من الدول لربط الماضي بالحاضر واستشراف المستقبل.

الميلود زروقي

\* وعن تاريخ زوج بغال تروج روايات متباينة عن تسمية الموقع، حيث اعتبره البعض ملتقى للبريد المحمول على الدواب وبالخصوص البغال بين المغرب والجزائر، وتبعاً لهذه الفرضية صار يسمى بالاسم المعروف به الآن، غير أن هذا التفسير لا يصمد أمام المعطيات التاريخية التي تم الكشف

عنها من طرف الباحثين، حيث لم يكن هناك بريد منتظم بين المغرب والجزائر، رغم أن المغرب عرف بعض المحاولات لتنظيم البريد في بعض جهات البلاد في نهاية القرن الثالث عشر (19 م)، إلا أن هذا التنظيم لم يشمل شرق المغرب، كما أن الموقع كان مشهوراً باسم "زوج ابغال" قبل تنظيم البريد.

وقد أورد مؤرخ المملكة رواية أخرى، مفادها أن مركز "زوج ابغال" قد "دُعي بهذا الاسم في تاريخ غير معلوم قبل الاحتلال الفرنسي لأقطار المغرب، بعد وقوع خلاف بين قبيلة من أهل وجدة وقبيلة بني واسين على بقعة ادعت كلاتهما أنها واقعة بأرضها، وكانت القبيلتان معا معدودتين يومئذ من قبائل المغرب الأقصى. وكاد الخلاف يفضي بهما إلى الاقتتال، فاتفق عقلاء القبيلتين على أن يطلقوا بغليش في ساعة واحدة يسير كلاهما في اتجاه الآخر، أولهما ينطلق مشرقاً من ضريح سيدي يحيى بن يونس بأرض أهل وجدة، وثانيهما ينطلق مغرباً من ضريح الحاحة مغنية بأرض بني واسين، فحيثما التقيا يكون الحد بين القبيلتين، فأطلقا وسار كل منهما في اتجاه الآخر حتى تلاقيا، فسمي مكان لقاتهما "زوج ابغال" منذ ذلك الحين". إلا أن هذه الرواية لم تعتمد مصادر مكتوبة، بل هي مستمدة من رواية شفوية نقلها صاحبها عن بعض الأعيان المستن من أهل تلمسان، ومن ثم فهي لن تصمد أمام الفحص الجاد، مما يدفع إلى استبعاد التفسير الذي تضمنته.

ومن المعروف أن وطني المغرب والجزائر قد تضابقوا من ذلك الاسم أيام النضال التحريري، لما يوحي به من المهانة والإذلال، فاستبدلوا به اسم "زوج فاقو"، وطالبوا بعد استرجاع الاستقلال تغيير الاسم القديم، وهو ما قامت به الحكومة الجزائرية، بينما أبتت الحكومة المغربية على الاسم القديم.

ويسود الاعتقاد أن سلطات الاحتلال هي التي روّجت تفسيراً مهيناً لاسم "زوج ابغال" بهدف النيل من سمعة البلدين بعد حصولهما على الاستقلال. ومن المرجح أن يكون ذلك من بين الأسباب التي دفعت الحكومة الجزائرية إلى استبدال اسم الموقع عقب استقلال البلاد سنة 1962، حيث صار يُنعت باسم العقيد لظفي، وهو أحد زعماء جبهة التحرير الجزائرية، بينما ظل الموقع نفسه من الجانب المغربي يُنعت باسم "زوج ابغال".

ومن الثابت أن تسمية "زوج ابغال" كانت متداولة بين قبائل شمال شرق المغرب قبل احتلال الجزائر، أي قبل سنة 1830، وُستخلص من ذلك أن السلطات الفرنسية لم تكن لها يد في تسمية الموقع بالاسم المشهور به حالياً. فقد نص اتفاق الحدود الموقع سنة 1845 على اسم موقع "زوج ابغال" أثناء سرد معالم الحدود بين المغرب والجزائر، التي وقع الاتفاق بشأنها بين المخزن وفرنسا من مصب وادي كيس

جاء كلامه على الشكل التالي : "... وقيل فيه جوج بغال (كذا)، لأنه قدر ما تحرثه جوج بغال...." (مخطوط منتهى النقول ومشتهى العقول، ص. 139). ورغم أن الصيغة التي استعملها المؤلف تفيد الشك، فمن المرجح اعتبار ما ورد في المصدر المذكور هو التفسير السليم الذي يتماشى مع الواقع السائد آنذاك، وفي الوقت نفسه يؤكد ما جاء في المصادر الفرنسية السابقة التي اعتبرت أن "زوج بغال" تسمية كانت تطلق في الأصل على مساحة من الأراضي الفلاحية، ولم تكن تعني نقطة على خط الحدود بين المغرب والجزائر. ويجدر التذكير هنا أن المخزن كان يحدد الضرائب الفلاحية بقياس المساحات المزروعة بزواج الحرث، ويقصد بذلك المساحة التي يمكن حرثها بواسطة محراث يجره زوج من البهائم خلال موسم الحرث.

وفي نهاية القرن الثالث عشر (19 م) صار موقع "زوج بغال" أهم نقطة لمرور السلع بين المغرب والجزائر، فأقام به المخزن العسس من أجل استخلاص رسوم التعشير التي كانت تدفع بمركز الديوانة بوجدة، وازدادت أهمية "زوج بغال" بعد أن شيدت السلطات الفرنسية بالجزائر المحتلة طريقا للعربات وأخرى للسكة الحديدية تربط بين مدينة مغنية والموقع المذكور، وكانت تخطط آنذاك لد الطريق وخط السكة الحديدية إلى وجدة.

وهو ما تحقق فعلا في فترة الحماية حينما صارت فرنسا تتحكم في المغرب والجزائر معا، فتوطدت العلاقة بين مغنية ووجدة بواسطة الطريق الرابطة بينهما عبر مركز "زوج بغال" وظلت هذه الطريق هي المنفذ المؤدي إلى البحر بهدف تصدير المواد الفلاحية المنتجة بشرق المغرب عبر ميناء الغزوات الجزائري خلال فترة الحماية، ويعتبر مركز "زوج بغال" أهم معبر بين البلدين الجارين، حيث تمر به الطريق الرئيسية المؤدية إلى وهران ومنها إلى العاصمة الجزائرية.

دورية الوثائق، مديرية الوثائق الملكية، الرباط، 1978. العدد الأول : على السوسي السملالي، منتهى النقول ومشتهى العقول، مخطوط : عبد الوهاب بن منصور، مع جلالة الملك الحسن الثاني في فاس وتارة ووجدة وتلمسان (21 مايو 1970)، الرباط، 1970، ص. 116، 118 : عكاشة برحاب، مفهوم الحدود في الوثائق المغربية منذ احتلال الجزائر : ندوة أعمال المجالات الحدودية في تاريخ المغرب، كلية الآداب، المحمدية، 1998.

H.M.P. De La Martinière et N. Lacroix, *Documents pour servir à l'étude du nord-ouest africain*, Alger, 1894, tome 1.

عكاشة برحاب

### الزوجة الفلاحية، يدل لفظها في معنى أول على

زوج من البهائم (حمير، بقر، خيول، بغال أو جمال) يستخدم في عملية الحرث. ويميز في هذا الصدد، بين الزوجة الصغيرة التي تتكون من حمارين، أو من حمار زائد

في البحر المتوسط إلى ثنية الساسي الواقعة شرق عين بني مطهر. حيث اعتبر اتفاق الحدود "زوج ابغال" معلمة حدودية بشرق سهل أنكاد، وقد جاء ذلك في البند الثالث بالصيغة التالية : "... وسرُ كذلك إلى جُرف البارود الكائن بوادي بونعيم، ومنه إلى كركور سيدي حمزة، ومنه إلى زوج ابغال [كذا]..." (انظر اتفاق مغنية حول الحدود في دورية الوثائق، العدد 1، ص. 476).

لم تكن تسمية "زوج بغال" في الأصل ترمز إلى موقع حدودي بين المغرب والجزائر قبل الغزو الفرنسي سنة 1830، وكما هو معلوم فإن خط الحدود بين البلدين أيام الحكم التركي بالجزائر كان بوادي تافنا شرق "زوج ابغال". وبعد توقيع اتفاق مغنية سنة 1845 نُقل الحد إلى جهة الغرب بحكم الغلبة التي كانت للجيش الفرنسي في معركة إسلي سنة 1844.

وقد أقرت السلطات الفرنسية في وثائق سرية خلال منتصف القرن التاسع عشر أن تسمية "زوج بغال" تطلق على سهل بشرق بسيط أنكاد، وهو ما تعكسه الرسوم والخرائط التي وضعت آنذاك ؛ وقد تم الاقتناع بهذا الأمر بعد مسح طوبوغرافي قام به ضباط فرنسيون بشرق أنكاد، كما اعترفت السلطات الفرنسية بالجزائر المحتلة آنذاك أن قبائل المنطقة من الطرفين المغربي والجزائري اتفقت على اعتبار نقطة واقعة بسهل "زوج بغال" هي المعلمة الحدودية المشار إليها في اتفاق الحدود ؛ وبهذه الكيفية حلت مشكلة تحديد موقع "زوج ابغال" بخط الحدود، ولزيد من الدقة تم وضع كومة من الأحجار في المكان المعلوم بهدف تمكين المهندسين الطوبوغرافيين من التعرف عليه لاحقا، رغم أن اتفاق مغنية ينص بشكل صريح على عدم تمييز الحدود بالحجارة أو إحداث بناء بها. (البند الأول من اتفاق مغنية).

وُستنتج من هذه المعطيات أن "زوج بغال" كانت في الأصل تعد تسمية لمنبسط من الأرض، ثم صار الاسم يُطلق على موقع بعينه، في إطار إطلاق اسم الكل على الجزء. وقد حاول أحد الضباط الفرنسيين - أثناء البحث عن موقع "زوج بغال" في منتصف القرن التاسع عشر - اعتبار كديتين صغيرتين بالأرض المشهورة بهذا الاسم أنهما الموقعان المقصودان باسم "زوج بغال"، إلا أن السلطات الفرنسية نفسها لم تحمل هذا التأويل على محمل الجد، ورغم ذلك فإن هذا التأويل كان وراء مغالطات، عمل الاستعمار على ترويجها بين سكان المنطقة.

ومن الجانب المغربي سجل كاتب البعثة المخزنية التي أرسلها السلطان الحسن الأول سنة 1884 لمعاينة خط الحدود، أن تسمية "زوج بغال" يُراد بها المساحة التي تحرثها بهيمتان (الزوجة)، وكان علي السوسي السملالي، وهو المقصود هنا، قد استفسر قبائل أنكاد وبني يزناسن عن مدلول اسم "زوج بغال"، فقيل له ما أشير إليه أعلاه، وقد

بقرة، أو فرس أو بغل) والزوجة الكبيرة (التي تتكون من فرسين أو بغلين أو جملين أو بقرتين، أو من فرس زائد بغل أو جمل أو بقرة).

أما إذا كان يجر المحراث حيوان واحد (فرس، بغل، جمل أو بقرة) فيُتحدث عن الفرد.

يعثر على الزوجة الصغيرة عند صغار الفلاحين، وتجبر محراثا صغيراً نظراً لضعف قوتها على الجر مما يعطي منتوجاً قليلاً. أما الزوجة الكبيرة والتي تجر محراثاً كبيراً، فنعثر عليها عند كبار الفلاحين.

وفي الأراضي الجماعية توزع الأرض على المستفيدين تبعاً لنوعية الزوجة التي يتوفر عليها الفلاح، مما يجعل التمايز الاجتماعي مقروناً بنوعية وعدد الزوجات لأنها هي التي تحدد المساحة الأرضية التي في ملك أو في حيازة الفلاح.

من ثم فالزوجة - في معنى ثان - تدل على وحدة زراعية لقياس الأراضي الزراعية، وهي المساحة التي يمكن حرثها بواسطة زوج من البهائم. وتختلف هذه المساحة تبعاً لطبيعة الأرض ونوعية الحيوانات المستخدمة في الحرث، إذ تتراوح ما بين 6 و8 هكتارات. إنها المساحة التي تستثمرها أسرة.

قبل الحرث، يحزى الفلاح أرضه إلى مجموعة مطاير (جمع مطيرة ويتعلق الأمر بجمع يساوي كل من أضلاعه عشرين متراً) يحرثها ويزرعها الواحدة تلو الأخرى.

تكون المطاير المتواجدة الواحدة بجانب الأخرى.. "مرجع" وهي المساحة التي تحتازها الزوجة ذهاباً وإياباً (رجوعاً) أثناء عملية الحرث. وتكون مجموعة من المراجع كرضة، بكعة أو كطعة وهي مساحة الفدان الذي يمتلكه فرد أو تمتلكه أسرة.

تعتبر الأرض من ثم ملكاً لصاحب الزوجة، ذلك أن التمييز بين من يملك ومن لا يملك يحيل لا على الأرض بل على الزوجة المستخدمة في الحرث. فالزوجة هي الوحدة المعتمدة في إحياء الأرض والتي تعبر عن القوة المادية الاقتصادية للفرد أو للمجموعة البشرية. فهي مقياس الضرائب وكذا الخدمة العسكرية، ومن ثم فإنها تترجم كذلك وتفسر السلطة التي يمكن للبعض أن يمارسها على الآخرين داخل المجتمع القروي.

للمزيد من التفاصيل، يمكن الرجوع إلى :

J. Berque, *Etudes d'histoire rurale maghrébine, les éditions internationales*, Tanger - Fès, 1938 ; P. Pascon, *La main d'œuvre et l'emploi dans le secteur traditionnel, Etudes sociologiques sur le Maroc*, Rabat, s.d.

عبد المجليل حليم

**زورارا، دي، كوسم إيانس، (Gomes Eanes de**

Zurar) من مشاهير الإخباريين البرتغاليين خلال القرن الخامس عشر ترك ما بين 1450 و1564 ثلاثة تآليف تهم التاريخ المغربي تغطي أحداث الفترة الممتدة بين 1415

و1564، استمد مادتها التاريخية من احتكاكه بالوجود البرتغالي بكل من سبتة والقصر الصغير، بفضل النشأة والرعاية التي أولاه إياها العاهل البرتغالي ألفونس الخامس، ومن اتصالاته برجال السياسة والحرب، ومن إشرافه على إدارة المركز الوثائقي المشهور "أرشيف طوري دي طومبو".

فبعد تعيينه مؤرخاً للبلاط البرتغالي شرع سنة 1449 في كتابة الأحرف الأولى من حولياته الخاصة باحتلال سبتة التي انتهت من كتابتها خلال سبعة أشهر، وذلك يوم 15 مارس 1450، وظهرت بعنوان تاريخ احتلال سبتة على يد الملك ضون جواو الأول *Cronica da Tomada de Ceuta por el Rei D. Joo I*، وقد تم نشرها بلمشونة سنة 1916 مؤلفة من مائة وأربعة فصول.

فبعد التطرق لموضوع الهدنة مع الجارة قشتالة بدأ زورارا الدخول إلى الموضوع ابتداء من الفصل التاسع المخصص لبحث فكرة احتلال مدينة سبتة. ولم تظهر غزارة معلومات زورارا عن الحملة البرتغالية ضد سبتة فقط، بل إنه أدلى بمعلومات عن المدينة المحتلة نفسها وعن حاكمها المغربي الأخير صالح بن صالح الياباني المريني، وعن الحالة الحربية التي كانت عليها المدينة والبادية المجاورة لها.

بدأ زورارا في تحرير الحوليات الثانية سنة 1458 وانتهى منها يوم 23 يونيو 1463، وعنوانها : *Chronica do Conde D. Pedro de Meneses* ونشرت الحوليات بلمشونة سنة 1790، وهي ضمن مجموعة : *Colleçao de libros Inéditos de Historia Portuguesa*, vol. 2, pp. 205 - 624.

رأى زورارا في حولياته الثانية ربطها بالأولى، إذ أنه خصها لسرد أحداث مدة حكم قبطان سبتة الأول ضون بيدرو دي منيسيس ما بين 1415 و1437، وبها مادة تاريخية ثمينة تبدأ من الفصل الرابع، لحرصه على سرد الغارات البرتغالية على قرى، وعرفنا أثناء ذلك على رجال المقاومة ومراكز انطلاقها وعلى غزواتهم. وأتمن ما تقدمه الحوليات هو إمكانية تركيب الخريطة السكانية للناحية.

يستغرق سرد الحوليات الثالثة المعنونة تاريخ الكونط ضون ضوارتي دي منيسيس *Cronica do D. Duarte de Meneses* من سنة 1429، وهي سنة بدء نيابة ضون ضوارتي دي منيسيس عن والده ضون بيدرو في قيادة الغارات على حوز تطوان لتستمر الحوليات سردها بمناسبة احتلال البرتغال للقصر الصغير سنة 1458.

فابتداء من الفصل الرابع شرع زورارا في استعراض أخبار المقاومة الموجهة ضد القصر الصغير. وقد سبق للمؤلف أن زار المدينة ومكث بها مدة سنة، أي ما بين 1467 و1468. ومن مشاهداته واتصالاته بالحاكم ورجال الحملات، وبعض المقاربة الداخليين إلى المدينة استقى معلوماته عن أشجرة ويني حزامار وطنجة البالية.



ونعلم من جهة أخرى أن العاهل البرتغالي الفونس الخامس كلف كاتبه الإيطالي الأصل "ماتيس دي بيزانو" Mateos de Pizano بترجمة جزء حوليات زورارالخاصة باحتلال سبتة إلى اللغة الإيطالية، وهو ما تم بالفعل سنة 1460، وظهرت الترجمة باسم "عن الحرب السبتية" (De Bello Septense) ثم أعيد النص إلى البرتغالية.

ح. الفكيكي، مقاومة الوجود الإسباني بالثغور الشمالية الغربية، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

Gomes Eanes de Zurara : *Cronica do Tomada de Ceuta* ; *Cronica do Conde D. Pedro de Meneses*. *Cronica do D. Duarte de Meneses*.

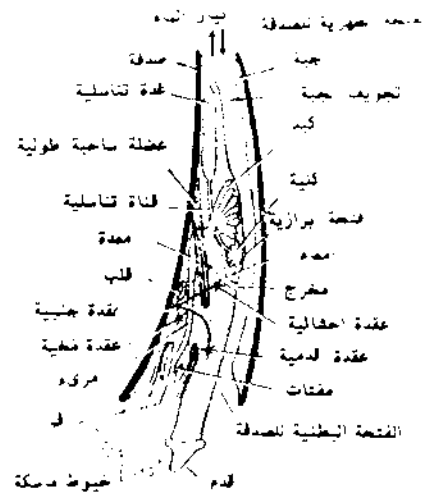
حسن الفكيكي

## زورقية الأرجل، هي من الرخويات أو النواعم لا يوجد

لها مثيل على اليابسة والمياه العذبة القارية. لا تعيش إلا في المياه البحرية في أعماق تتراوح ما بين بضعة أمتار حتى أكثر من ثلاثة آلاف متر.

شكل صدفاتها الخارجي يجعلها متميزة على باقي الرخويات، فهي أنبوبية، أسطوانية، شبيهة بناب الفيل مفتوحة من نهايتها الأمامية والخلفية.

يتكون الجسم من ثلاثة أقسام : الرأس وهو غير واضح المعالم وبدون أعضاء حسية ظاهرة ماعدا بعض الخيوط أوالمجسات الحيطية التي تمكنه من التثبيت داخل الرمل، أما القسم الثاني فهو الرجل، وهي شبيهة باللسان تلعب دوراً رئيساً في الحفر وتمكين الصدفة من الدخول في الرمل. يبقى ثالث قسم وهي الكتلة الإحشائية فتتكون من الأعضاء الأساسية لهذا الحيوان من جهاز هضمي ودموي...



ونظراً لنمط عيشه داخل الرمال فهو لا يستطيع ملاحقة الطرائد السريعة، وبذلك فهو محكوم عليه بتطوير نمط تغذيته حتى يستطيع أن يؤمن ديمومة جنسه ونوعه لذلك فقد "اخترت" زورقيات الأرجل أن حيوانات جد دقيقة

تكثر في الرمل وهي المنخربات (Foraminifères) التي في تنقلها بين حبات الرمل بالمجسات الحيطية لزورقية الأرجل التي ما عليها إلا أن تحمل ما علق بهاته الخيوط إلى فمها.

رغم أن زورقيات الأرجل حيوانات مائية فهي لا تتوفر على خياشيم فالجبية (manteau) تلعب لديها دور الرئة والخياشيم حيث كما أدخل الفرد إلى جسمه الماء أثناء الشهيق يقع تبادل غازي بين الماء وجدار الجبية التي تمص الأكسجين من الماء وتزوده بأوكسيد الكربون.

تكون الأجناس منفصلة عند زورقيات الأرجل ويتم التخلص في الماء خارج جسم الأنثى.

يوجد في المغرب حوالي 15 نوعا من زورقيات الأرجل يتم جلبها من البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي. لكن إذا كانت زورقيات الأرجل التي تعيش في المياه غير العميقة معروفة نسبيا فلا يعرف التي الكثير عن الأنواع التي تعيش في المياه المغربية العميقة ما عدا بعض ما جلب من بعض الرحلات العلمية القديمة.

محمد منيوي

## الزوركند، أحد طبوع الموسيقى الأندلسية المتفرعة عن

طبع الزيدان ذكر الحايك أنه بارد رطب نغمته شجية، ونسب استخراجها لمحمد بن عبد الرزاق من جزيرة الأندلس.

يرتكز الزوركند على مطلق وتر المايمة (نغمة ري) مع اشتمال دليل المقام على درجة "فا" الصاعدة (فادييز) عند صعود الجمل الموسيقية.

تقوم على هذا الطبع صنعات نادرة مدمجة في نوبة الاصبهان. وهي كل ما تبقى من نوبة الزوركند الضائعة. ومن نماذج هذه الصنعات صنعة من قائم ونصف الاصبهان أولها :

بالله يا زين الصغار كف الجفاسا

ومن نماذجها أيضاً "كرش صنعة" يا حبيب مه" من بطايحي الاصبهان.

محمد ابن الحسن الحايك، المقدمة : إبراهيم التادلي، أغاني السقا ومغاني الموسيقى الباب الخامس، ص. 31 : عبد العزيز ابن عبد الجليل، معجم مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية، منشورات معهد الدراسات الأبحاث للتعريب، 1992، ص. 29.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

## زُورَان بن يعلى : شخصية تجهل عنها الكثير، بيد أن

ما هو متداول في الروايات الشفوية، وما تتضمنه أنساب بعض الأسر الوسيطية، فإن نسبه شريف، يتصل بالفرع الإدريسي. وكان موطنه الأصلي هو "تامدولت واقا" المشهورة، نزح منها صحبة أولاده الثلاثة : حركيل، محمد أوتزليت، إدريس، بعد تهديهما، حسب ما هو متواتر في

- الطبقة الكلسية : المكونة خلال الزمن الأول والتي تنعش عيون واحة فكيك بصيب مستقر تم تقديره بـ 170 إلى 200 ب / ث. وقد تم إحصاء 28 فكارا (خطارة) بهذا الحوض.

وتعتمد الحياة الاقتصادية لهذا الحوض على الفلاحة بصفة عامة وتربية المواشي في المراعي بصفة خاصة إلى جانب الزراعة بواحة فكيك التي تمتد على مساحة تناهز 600 هـ والتي تحتوي الحصري على المدار الوحيد لفكيك الذي يتمحور حول جل النشاط الاقتصادي بالحوض.

تقدر ساكنة مدينة فكيك بـ 14.542 نسمة (1994) تستمد مياهها بواسطة بئر وثقب عميق (39 ل / ث) ويبقى هذا الصيب كافياً بالنسبة لهذا المركز حتى سنة 2020 نظرا للنقص المسجل في عدد سكانها. وللمحافظة على الحياة الاقتصادية بهذا الحوض يجب مراقبة حفر الآبار بكل صرامة ودراسة إمكانية تعبئة المياه العميقة لحوض زوزفانا.

موحا حدوش

### زوستيرا أو عشبة الأنقليس كما هو في المعاجم، نبات

معمر بحري من فصيلة بوطاموجيتوناسي Potamogetonaceae. أوراقه خضراء، ضيقة وطويلة جدا تشبه الحزام مما أدى إلى تسميتها بزوستيرا الذي يعني باللاتينية الحزام ؛ يألف المداخل البحرية الضحلة كمصبات الأنهار والبحيرات الساحلية والسواحل البحرية الخليجية المحمية من اضطرابات الأمواج والقليلة العمق (بين متر و3 أمتار). نوعان من هذا العشب يعيشان في المياه المغربية : زوستيرا نانا وزوستيرا مارينا.



زوستيرا

يتميز نبات زوستيرانانا Zostera nana Roth بأوراق يتراوح طولها بين 40. 10 سم ولا يتعدى عرضها ميليمترين، غدها مشقوق ولها ثلاثة عروق رئيسية طولية، الجانبيان منها غير واضحين. الجذور متفرعة جدا، الوردة مخضرة عارية تتكون من أسديتين وخيا، واحد فقط، الورود صغيرة وأحادية الشق ولا عنقية، موضوعة على صفين متوازيين والثمار ملساء. النوع شائع في البحيرات

الروايات، من قبل القائد محمد بن علي أمنحاجك. انتهى به المطاف بجبال جزولة، وبالتحديد بمنطقة "تافراوت المولود"، بينما توزع أولاده في مجالات جغرافية بالأطلس الصغير الغربي مكونين وحدات قبائل إيداولتيت. وتسعفنا مشجرات أنساب بعض الأسر الولتيتية بوضع خطاطة تقريبية لفروع آل زوزان والتشكيلات القبلية المنثقة عنها :

زوزان		
إدريس أسلال	محمد أوتزليت	حزجيل
	أرسموك	أبعقيل
بومروان	موزيت	أفلا أنزي
إيدا وسلال	إيدا وبعقيل	إيداو غارسنوكت

نسب آل زوزان، وثيقة من خزنة العوفي، تيزنيت ؛ م. المختار السوسي، المعسول، ج. 11 : 19 : 203 : 241.

L. Justinard. Notes sur l'histoire du Sous au XVI siècle, A.M., vol. XXIX, Paris, 1933.

أحمد بومزوك

### زوزفانا، حوض مائي يمتد على مساحة إجمالية تقدر بـ

3.000 كلم<sup>2</sup>، على طول الحدود المغربية الجزائرية. ويعتبر هذا الحوض المورد الأساسي للحياة الاقتصادية لواحة فكيك.

وبالرغم من قلة الموارد المائية السطحية بهذا الحوض، فإن البنية الجيولوجية ساعدت على توفير المياه الجوفية بكمية لصيانة واحات فكيك.

وبحكم ارتفاع درجة الحرارة في فصل الصيف (42.5 درجة مئوية) وانخفاض معدل الحرارة في فصل الشتاء (3.5 د م) عامل امبرجر (10.3) يجعل هذا الحوض في الطابق الصحراوي ذي فصل شتوي بارد إلى معتدل.

ويقدر معدل التساقطات خلال 41 سنة بـ 115 ملم بهذا الحوض يتم تسجيلها في مدة وجيزة (19 يوما) الشيء الذي يؤدي إلى فيضانات حملة أو ثلاث حملات في السنة. ويقدر معدل ارتفاع المياه السطحية بـ 10.8 ملم سنويا على مستوى الحوض كله مسجلة معدل 35 م<sup>3</sup> كواردات.

أما المياه الجوفية، فيتم استخراجها من طبقتين :

- الطبقة الترسيبية : المكونة خلال الزمن الرابع على

مساحة 35 كلم<sup>2</sup> بسلك 20 م يتم استغلالها بواسطة حوالي 60 بئرا ومعدل صيب 250 ل / ث. ويخصوص ملوحة مياهها فإنها تزداد حدة من الشمال الجنوبي حيث تم تسجيل مستويات تختلف من 1 غ / ل إلى أكثر كم 7 غ / ل.

والمدلول الثاني للكلمة هو أن الظاهر من تاريخ منطقة زومي أنها كانت مسكونة باهالي السوس الأدنى الذين ظلوا بها عشرات القرون قبل الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا وقبل زمان الترحيل، وغالب الظن أن هؤلاء هم الذين أطلقوا عليها هذا الاسم "زومي" بناء على الموقع الجغرافي للسكان وعلى هذا الاحتمال فإن التسمية قد تكون قديمة قدم السكان الأوائل الذين سكنوا المنطقة وهذا هو الراجع لدى عامة السكان الحاليين، فالموقع الجغرافي "لزومي" يوجد بين عدة جبال وتجوهر وهضاب وروابي منها : جبل تراسة، والباية، والوسعة، وعين أقطار، وهضبة بونيريز وربوة السوق القديمة.

وطبيعة هذا الموضع تدل على أنه كان ذا مياه جارية تنساب إليه من الجبال والمرتفعات المحيطة به من كل الجوانب، وأنه كان كذلك ذا أشجار وارفة الظلال ومختلفة الثمار، وهذا الموقع هو ما يعنيه الاسم باللهجة البربرية. ولكلمة زومي ما يناسبها من الأسماء في الوطن العربي مثل قرية : زومة بالجزائر، وقد يكون أصلها أيضا أمازيغياً، وما يثير الانتباه أن أكثرية الأسماء والمواقع بمنطقة زومي مازالت أمازيغية إلى يومنا هذا، وعلى سبيل المثال : مدشر ازاريف، وعين أغبول وأسدون...

وقعت زومي تحت الاحتلال الفرنسي سنة 1927، وبنيت بها أول مدرسة أهلية لتعليم أبناء الأعيان سنة 1930، وتحولت إلى جماعة قروية سنة 1962، وظلت تابعة للعاصمة الإدارية الرباط حتى سنة 1968 حيث أصبحت تابعة لإقليم القنيطرة حتى سنة 1974 إذ أصبح الجزء الأعلى من قبيلة بني مسارة الذي يضم زومي تابعاً لإقليم شفشاون، عدد سكان مركز زومي وحده : 2.175 نسمة وعدد الأسر بالمركز 472 أسرة.

أما عدد سكان الجزء الأعلى من قبيلة بني مسارة الذي يضم زومي فهو : 33.849 نسمة وعدد الأسر به هو : 5.517 أسرة...

عبد السلام البكاري

**الزَوَاقِ** أو الزَوَاقِي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Zuac و Zaguaque و Azaguaque

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 786.

محمد ابن عزوز حكيم

**الزَوَاقِي** أو الزَوَاقِ **أحمد** بن الظاهر الكتوني الحسني. قدم جده الرابع أو الخامس من مدشر الزواقين بقبيلة بني مستارة المذكور إلى تطوان.

المغربية الساحلية : بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام وسيدي موسى والوليدية وخنيفس وشرم الداخلة وكذلك في مصبات الأنهار : تاهدارت واللكوس وسيو وأبو رقرق وأم الربيع وماسة وغيرها. تفضل الأماكن الوحلية الرملية وتقتات منها عدة أنواع من الأسماك : حلامة، الأنقليس، البوري وغيرها من الأصناف اللاقترية العاشية. تشكل مراعي بحرية شاسعة تستعملها عدة أنواع من الحيوانات البحرية كملجاً لوضع البيض وللبحث عن المأكولات وللحماية (خاصة منها القشريات الصغيرة والسرطانات النهرية : *Carcinus maenas* و *Carcinus aestuaris*).

أوراق نبات زوستيرامارينا *Zostera marina* Linnaeus قصيرة وعريضة (بين 8.3 ميليمترات)، غمدتها غير مشقوق ولها 3-9 عروق رئيسية طويلة واضحة. الجذور متفرعة، الوردة خضراء غارية تتكون من أسديتين ومدقة، الورود موضوعة على صفيحتين متوازيتين والثمار محززة طولياً. يقتصر توزيعه الجغرافي على البحيرات الساحلية وبعض مصبات الأنهار الأطلسية من شمال الدار البيضاء إلى طنجة وفي بحيرات الساحل المتوسطي. غالباً ما تكون مراعي شاسعة في الأماكن الوحلية والرملية العميقة (من متر إلى عشرة أمتار) تلتجئ إليها حيوانات بحرية مختلفة تشكل مصدراً غذائياً هاماً للطيور المائية المهاجرة في فصل الشتاء.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc : Evaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 2000; P. Fournier, *Les quatre flores de France*. 1 : Texte, Paris, 1977, 1105 p. ; M. Ibn Tattou, *La grande encyclopédie du Maroc, Flore*. 1987, p. 130 - 131.

نحاة الحياطي

**ابن زوليط، أحمد** قائد كان بجانب السلطان محمد المتوكل عند ما لجأ هذا الأخير إلى قصبة إسناده (الواقعة بقبيلة بني يظفت الريفية) في شهر رمضان 1985 نوفمبر 1577 ؛ كما كان بجانب السلطان المذكور في معركة واد المخازن.

San Roman, Fr. Antonio de. *Jornada y muerte del Rey Don Sebastian*. Valladolid 1603 : Cruz (Fr. Bernardo da), *Chronica de El Rei don Sebastian*, Lisboa 1837 - y 1903.

محمد ابن عزوز حكيم

**زومي**، لكلمة زومي مدلولان، المدلول الأول أمازيغي ومعناه : المضيق، أو مكان يقع بين عدة هضاب وروابي وتجوهر وجبال وبالنظر في موقع زومي، فإن إطلاق الكلمة زومي على هذا الموقع بهذا اللفظ دلالة حقيقية...

ومعنى الكلمة : زم أي ضيق، وهي نقيض واسع، وتشابهاها كلمة زمزم القبطية، والسؤال الصعب الجواب هو متى أطلق هذا الاسم على هذه البقعة من بني مسارة ؟ ومن أطلقها ؟.

شيخنا الفقيه العلامة المشارك المدرس المفتي القاضي  
النزيه الورع القانت الخاشع، قال تلميذه الرهوني : سألته  
بواسطة عن ولادته وقراءته فأجاب بقوله : إن ولادته كانت  
عام 1277 (وما ورد في كتاب (الحركة العلمية الثقافية  
بتطوان) لسبطه الأستاذ إدريس خليفة من أنها كانت سنة  
1276 سبق قلم) وأن شيوخه اللذين قرأ القرآن عليهم :  
والده المذكور والفقيه سيدي أحمد العروسي وسيدي محمد  
البوزراتي، وأن طلوعه لفاش كان في أوائل عام 1297  
ورجوعه منها في أواخر شعبان عام 1305 وأنه قرأ العلوم  
الشرعية والآلية المعروفة على المشهورين يومئذ من علماء  
فاش وتطوان المشايخ : أحمد بن الحياض وكان عمدته، وعبد  
الملك العلوي الضرير، والكامل الأمراني، ومحمد بن  
التهامي الوزاني وأحمد بن الجليلي الأمغاري، والطيب ابن  
كيران وأحمد بناني ومحمد بن المدني گنون وأقرانهم،  
ويتطوان : محمد البقالي، ومحمد التجار الأنصاري ومحمد  
بوعزيز الجزائري وغيرهم. وأخذ عنه جل علماء تطوان بعده،  
وحج بيت الله الحرام في حدود عام 1326 ثم حج ثانياً عام  
1331 وجاور بالمدينة النبوية أشهراً عاد بعدها لبلده ولعمله  
في الخطابة والتدريس وكان يستخدم كاتباً بدار النيابة  
السعيدة بطنجة عام 1309 ولكنه ضاق درعا بها فاستقال



وعاد إلى بلده ودروسه فحتم ما شاء الله من المتون العلمية  
ومنها ما قرأه كله مراراً كمختصر خليل أقره مراراً على  
طوله، وبعد وفاة القاضي السيد التهامي أقبال عين  
قاضياً بتطوان ولكنه استعفى منه وعين أستاذاً خاصاً  
للخليفة السلطاني الحسن بن المهدي الذي كان يجله ويدافع  
عنه اعتراض السلطة الإسبانية على شدته وصلابته في  
الحق، ثم أسند إليه منصب مشيخة العلوم والمعارف

الإسلامية عام 1346 / 1927 ثم عين قاضياً بالقصر الكبير  
وتعرض للاغتيال بسبب معارضته للقائد الملاحي فسلمه الله  
ورجع إلى تطوان فعين قاضياً للمرة الثانية، ثم قاضياً  
للناحية الجبلية، وظل كذلك إلى وفاته.

وهو في جميع هذه الأطوار لم يتقاعد عن الإمامة  
والخطابة والتدريس ولا نعلم في تطوان من كان في سنه  
ووظيفه وهو مواظب على الإمامة بجامع السوق الفوقي  
حتى في صلاة الفجر رغم تعرضه للسرقه ومحاوله الاعتداء  
عليه ومازلت أذكر لزومه محله تجاه المحراب عقوداً من  
السنين لتلاوة أذكاره وأوراده بين العشائين ولاشتغاله  
بتحرير الأحكام ومطالعة الدروس وتصفح الفتاوي والرسوم  
لم يترك مؤلفات الا مقيدات مسودات وطرراً كثيرة على  
كتبه لو تصدى لجمعها وتصنيفها لجاء منها كثير من  
الكتب والرسائل في مختلف الموضوعات.

ومن انصافه رحمه الله ما حدثني به الفقيه الأديب  
السيد محمد علال البيخني وكان كثير المخالطة له أنه كان  
بذاكره في مسائل فروعية وغيرها ويشير إلى ضعف مدرك  
المالكية فيها، فكان يصغي باهتمام ويتأسف لفوات الوقت  
عن تدارك هذا والاشتغال به، ويقول هو العلم الصحيح لا  
مجرد الرأي ومثل هذا الموقف كان من تلميذه الفقيه محمد  
المرير الذي وقف على كتاب التمهيد لابن عبد البر لما أهدى  
إليه واجال النظر فيه، فتحسر وقال أنه لم يبق مجال في  
العمر للاشتغال به، ولم يلبث أن توفي الفقيهان نفعهما الله  
بنيتهما.

توفي المترجم بتطوان في 17 جمدي الأولى 1371 / 13  
فبراير 1952 ودفن بالزاوية القادرية ورثي بكلمات وقصائد  
نشرت بمجلة الأنوار التطوانية عدد مارس - أبريل 1952.

أ. الرهوني، عمدة الراويين في تاريخ تطوان، 6 : 163، مخطوط : 2  
: 500 : إ. خليفة، الحركة العلمية والثقافية بتطوان، طبع الأوقاف  
المحمدية؛ ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب،  
بيروت، 1996، 9 : 3273، ط. دار الغرب.

**الزواقي** أو الزواق محمد بن الطاهر الكتوني الحسني  
المستاري الأصل، قدم أحد أجداده من مدشر الزواقين بقبيلة  
بني مستارة إلى مجشر الكوف بقبيلة الحوز ومنها نزل  
تطوان واستوطنها.

الفقيه العلامة المشارك القاضي الأديب الكاتب الشاعر  
ولد بتطوان عام 1282 وحفظ القرآن على والده والفقيه  
البوزراتي، ثم شرع في القراءة والأخذ عن علماء بلده فأخذ  
عن سيدي المفضل أقبال ومحمد البقالي وطبقتهما، ثم  
لحق شقيقه الفقيه السيد أحمد بفاش فلازم معه سيدي  
أحمد ابن الحياض وطبقته وشارك أخاه في جل شيوخه  
منكباً بكامل الاجتهاد والمجد على التحصيل يساعده في  
ذلك ذهن سيال وحافظة قوية وعارضة أحوذي إلى أن

وقد اشتهر زويتن بإنجازة لنسخة من كتاب الحايك، نسخها بخط يده، وهي التي مهد لها الحاج محمد ابن المليح دون أن يفصح عن ذكر اسمه والتي نشرت مكتبة الرشاد بالدار البيضاء نسخا مصورة منها في بحر عام 1392 / 1972.

وقد ظلت نسخة زويتن بمفردها عمدة الراغبين في حفظ أشعار الآلة الأندلسية إلى حين ظهور المجاميع التي أنجزها على التوالي عبد اللطيف بمنصور عام 1397 / 1977 والمرحوم الحاج إدريس ابن جلون التومي عام 1401 / 1981، والمرحوم الحاج عبد الكريم الرايس عام 1402 / 1982.



وقد كان أحمد زويتن على رأس وفد المسمعين المادحين الذين يستقدمهم السلطان المغفور له محمد الخامس من فاس إلى الرباط ليلة المولد النبوي، وكانت تسند إليه مهمة تسيير المجموعات الفنية بهذه المناسبة، فإذا أشرف الحفل على النهاية تصدى لإنشاد قصيدتين في مدح السلطان من نظم الوزير المعمرى والنقيب عبد الرحمن بن زيدان، ينشدهما على طبع الموسيقى الأندلسية.

وقد كان زويتن إلى جانب براعته في السماع والانشاد غزير الحفظ لأشعار رجالات التصوف وموشحاتهم وأزجالهم.

توفي بفاس في تاسع ربيع الثاني عام 1380 / فاتح أكتوبر 1960، ودفن في القباب خارج باب الفتوح.

ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع : سل الاتصال / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 9 : 3354-1355 : عبد اللطيف بمنصور، مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المعروف بالحايك، 1397 / 1977، ص. 459 : رواية شفوية للفنان السمع المكناسي مولاي إدريس الشبيبي.

**زويتن، السهايد مطرب شهير، ولد بفاس عام 1350 / 1931.** وقد التحق طفلا - بكتاب الفقيه فضول أگومي، فحفظ ما تيسر من القرآن الكريم، ثم تحول إلى مدرسة الفقيه التادلوي حيث حصل على الشهادة الابتدائية عام 1946.

حصلت له الملكة وتأهل للتدريس والفتوى فرجع إلى بلده عام 1309 وعكف على التدريس والعدالة إلى أن استخدم عدلا بدار أعديل بفاس عام 1314 ثم عدلا بمرسى الجديدة 1316 / 1898 ثم عدلا بمرسى العرائش 1318 / 1900 ثم عدلا بمرسى الرباط 1322 / 1904 ثم عدلا بمرسى طنجة 1324 / 1906 وفي تلك السنة حج حجة الفريضة ثم رجع إلى بلده، وعند تأسيس أول حكومة خليفية بتطوان برئاسة المصدر الفقيه محمد ابن عزوز المراكشي عين المترجم له كاتباً للحكومة لما كان يعرف عنه من جودة إنشاء وبلاغة منطق وحديث الناس عن البيعة الخفيفية التي أنشأها بطلب من القاضي التهامي أفيلال فكتبها مجلسا بخط أنيق وإنشاء بديع. وبعد ما عين السيد أحمد الدكينة صدرا أعظم وغاب لموجب ناب المترجم له عنه خمسة أشهر حمدت فيها سيرته، واستجيدت سياسته وفي عام 1345 / 1926 عين قاضيا بمدينة القصر الكبير ومكث به إلى وفاته.

لا يعرف للمترجم له تأليف مستقل إلا أنه حرر كثيراً من التقارير والأحكام والرسائل ضاع أكثرها وهي لا تخرج عن مساره في الجودة لفظاً ومعنى، ويذكر عنه من اتفاق التعليم والتفهم وإبتكار الأساليب المفيدة في ذلك ما سبق به زمانه وتعاطى النظم إلا أنه كان يظن به لأنه يراه دون ما يريد ورأيت مرة عند بعض الناس نسخة من كتاب زهر الأفتان من حديقة ابن الوان وهو شرح سيدي أحمد بن خالد الناصري على قافية ابن الوان الشهيرة طبع على الحجر بفاس في مجلدين، وقد كتب المترجم له على هامشها طراً متداخلة على طول الكتابة بخطه المتقن الدقيق اشتملت على فنون من التحقيقات والتدقيقات والفوائد البديعات ولا أدري مصير تلك النسخة، وإذا ضاعت ضاع بها علم غزير وفكر أثير ولله في خلقه شؤون.

توفي المترجم له بمدينة القصر الكبير عام 1374 / 1928 ودفن بضرخ سيدي علي أبي غالب رحمه الله.

أ. الزهوني، عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، 6 : 166، مخطوط : إدريس خليفة، الحركة العلمية والثقافية بتطوان، المحمدية، 1994، 2 : 516.

محمد بوخزة

**زويتن، أحمد بن الحسن** من مواليد مدينة فاس عام 1313 / 1895. أخذ العلم عن شيوخ القرويين : أحمد بن الجيلالي الأمغاري، وأحمد بن محمد ابن الخياط الزكاري الحسني، والمهدي الوزاني، وأحمد العمراني، ومحمد بن قاسم القادري وغيرهم. وأخذ التصوف عن الشيخ محمد بن الفضل ابن إبراهيم الأندلسي الفاسي (ت. 1326) وهو عمدته. كما أخذ الموسيقى عن حذائها بفاس، كمحمد بوقاع، وأحمد بن الطاهر العلمي، وبرع في فن الموسيقى الأندلسية، كما برع في فني المديح والسماع.

ابن الزويزي، عبد الله بن أسمن، فقيه من أهل أصبلا تولى القضاء بها. ويعتبر من الطبقة الثانية ممن نبغ من فقهاء المغرب، عاش في أواخر القرن الرابع الهجري. كان بعيد الصيت في الفتوى على المذهب المالكي، حتى صار مضرب المثل في ذلك، وقد قال عنه القاضي عياض: "ويه يضرب المثل إلى الآن بالمغرب، ويقولون: لا أفعل كذا ولو أقتاك به ابن الزويزي". وكانت له مشاركة في الجهاد بثغور الأندلس زمن الإمارة العامرية، على عادة كثير من فقهاء المغرب الأقصى. ورغم شهرة هذا الفقيه وذبوع صيته فإنه لا تعرف له ترجمة أو ذكر عند غير القاضي عياض، كما هو الشأن بالنسبة لعدد آخر من فقهاء المغرب في الفترات المتقدمة، كما لا يعرف تاريخ وفاته.

القاضي عياض، ترتيب المدارك، تج. سعيد أعراب، الرباط، 1982، ج. 7، ص. 110.

محمد المرادي

## الزوين ← سيدي الزوين

**الزيّات والزيّاتي**، أسرتان تطوانيتان أصل الأولى من قبيلة غزاوة الجبلية وأصل الثانية من قبيلة بني زيات الغمارية وانقرضا بتطوان سنة 1201 / 1787. وقد أنجبتا عدة علماء وفقهاء وأدباء منهم عبد السلام الزيّات، كان يزاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1148 إلى 1156. وعلى بن محمد الزيّاتي فقيه تولى خطة العدالة من سنة 1020 إلى 1058 / 1611 - 1648.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1628.

محمد ابن عزوز حكيم

**الزيّاتي، أحمد بن يوسف بن مهدي العبد الوادي**. أصله من بني عبد الواد من قبائل زناتة التي كان لها الملك والسلطان بتلمسان، انتقل سلفه إلى بني زيات - إحدى قبائل غصارة، واستوطنوا مدينة تيجيساس، وبها ولد المترجم عام 1953 / 1546 ولما ولي عليها من قبل المرينيين فارج بن مهدي، جلا عنها أهلها لظلمه، ونزل بنو مهدي بمدشر بني جلا (جلدث)، ثم رحل هو وأخوه محمد إلى فاس لطلب العلم - حيث أخذ عن جماعة من الشيوخ كأبي العباس القدومي - ولازمه مجلسه مدة، وأحمد المنجور، وسواهما؛ ثم عاد إلى بلده فصحب أبا العباس أحمد الفلالي - دفين قبيلة بني بوزرة - بغمارة، وأخذ عنه طريق التصوف؛ ولما مات، عاد إلى فاس - ثانية - فصحب أبا المحاسن يوسف الفاسي، فتأثر بسلوكه، ومال إلى الزهد والخلوة، وليس الخشن من الثياب؛ وقد ارتحل عن فاس

وجد العابد زويتن في أجواء عائلته ما شجعه على أن يتخرط في ميدان الفن الموسيقي، فقد كان والده من حفاظ المديح النبوي ولم يتردد في أن يلقنه وهو في العقد الثاني من عمره - بعضا من مستعملات السماع والمديح ومختارات في الستينيات والمواريل، وبذلك نال استحسان ابن عمه شيخ المادحين بفاس أحمد بن الحسن زويتن سابق الترجمة.

في بداية الخمسينيات تعرف العابد زويتن على عازف القانون الفنان الغالي الحمسي الذي كان يرأس جوق الشعاع الفني بفاس، فضمه إلى مجموعته، وبذلك دخل دنيا الموسيقى العصرية كعازف على آلة الكمان.

وقد شجعه تعلقه بهذه الآلة على المشاركة في المباراة التي نظمتها الإذاعة الوطنية عام 1957 بهدف استقطاب عناصر شابة من المغنين والعازفين، وكانت لجنة التحكيم مشكلة من عبد الرحيم السقاط. والمعطي بلقاسم، ومحمد زبير، فحالفه النجاح، ودعي إلى الرباط يشتغل في جوق المنوعات برئاسة المرحوم أحمد الشجعي؛ ثم لم تمض غير ثلاث سنوات حتى عاد في رفقة الشجعي إلى فاس ليشتغل معه في جوق الإذاعة الجهوية بها، وليشكل إلى جانبه ومعهما محمد المزكلي والرحوم محمد فويتح - كوكبة من الفنانين أهلّت جوق فاس ليصبح في مقدمة الأجواق العصرية التي اسهمت في تطوير الأغنية المغربية.

تميز العابد زويتن في العزف على الكمان، ويرع في أداء المقدمات والفواصل الفردية، كما تفرد في تلحين مقطوعاته الموسيقية على هذه الآلة، وبذلك شذ عن غيره من الموسيقيين الذين كانوا يعتمدون آلة العود في تلحين الأغاني.

لحن العابد زويتن ما يزيد عن خمسين مقطوعة غنائية سجل أغلبها مع جوق إذاعة فاس. ومن بين هذه المقطوعات: كان يحن علي كان - فين غاب القمر - غير باللطافة - ضاعت لي نواره - أنا اللي ابغيتو - سيدي يا رسول الله - يا حجاج بيت الله - بلادي - أنا اسمحك - صباح الخير - الربيع - الحب الكبير - أغنية رمضان - المشوم - هذي ثلث أيام.

وقد غنى للفنان زويتن مشاهير المطربين المغاربة في مقدمتهم المطرب عبد الهي الصقلي الذي أدى جل أغانيه، ثم إسماعيل أحمد، والمعطي بلقاسم، ومحمد الإدريسي، ومحمد علي، ومحمد المزكلي، وعما عبد الكبير، وعبد المنعم الجامعي، كما غنى له من المطربات سعاد محمد، وتحفة المذكوري، ولطيفة رأفت، وعتيقة المجدوبي.

توفي في ذي القعدة عام 1419 / مارس 1999 عن عمر يناهز ثمانية وستين عاما بعد معاناته طويلة من المرض.

بطاقة شخصية ضمن أرشيف الإذاعة الوطنية بالرباط؛ جريدة العلم، 11 مارس 1999.

عبد العزيز بن عبد الجليل

عندما اضطرب أمرها، فاستوطن تطوان، وتولى التدريس والخطابة بها، فانتال عليه طلبتها يحضرون مجالسه، ويأخذون عنه، فكان عالمها حقيقة.

ومن مؤلفاته :

1- أجوبة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط (571-ك).

2- تأليف في الأتساب بنفس الخزانة (654-ك).

3- حاشية على رسالة ابن أبي زيد القيرواني - مبتورة

الأول - مخطوط الخزانة العامة - ضمن مجموع من ص. 40

114 رقم (815-ك).

4- وله كتابات على طر ابن عات.

5- وحواش على التناهي الصغير - ذكرهما ابن أخيه عبد

العزیز الزياتي في الجواهر المختارة 1- 179- ب، 2- 133- أ

(مخطوطة خاصة). فأبو العباس الزياتي : عالم عامل، من

أئمة النحو في عصره، حافظ للفقهاء، قائم عليه.

توفي بتطوان عام 1003 / 1594 ودفن بجوار سيدي

طلحة غربي المدينة.

ابن القاضي، درة المجال، دار النصر للطباعة، 1970 / 1392، 1 :

169 : ع. العزیز الزياتي، الجواهر المختارة، مخطوطة : ع. الرحمن

الفاقي، ابتهاج القلوب : م. العربي الفاسي، مرآة المعاسن، ص.

227، ط. حجرية بفاس، 1324 / 1906 : م. القادري، نشر المثاني،

موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 3 : 1070 : م. داود،

تاريخ تطوان، تطوان، 1959 / 1379، 1 : 315، 317.

سعيد أعراب

مفيدة، وجمع أجوبة شيخه أبي المحاسن وشرح الصلاة المشيشية ولامية الجمل للمجراد، وتوضيح ابن هشام رد فيه كثيراً على الأزهرى في التصريح. كتب منه نحو النصف في سفرين ولم يكمل، كتب تقاييد وأجوبة وفوائد تركها في بطائق وأوراق متناثرة جمعها بعد وفاته ولده عبد العزيز.

ولما اختلت الأحوال بفاس واضطرب الأمن وتفاقت

الفتن خرج المترجم فاراً بنفسه ودينه سنة 1022 / 1613 إلى

جبل كُرت من بلاد عوف وأقام به متعيشاً من أرض له

هناك وماشية إلى أن مرض وتوفي يوم الثلاثاء بين الظهرين

رابع وعشري رمضان سنة 1023 / 28 أكتوبر 1614 ودفن

بزاوية الهبط من الجبل المذكور.

م. القادري، الإكليل والتاج، تج. مارية دادي، د. د. ع. مرقون؛

نشر المثاني، موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996 : خ. الزركلي،

الأعلام، 2 : 228، ط رابعة بيروت.

**الزِيَاتِي، عبد العزيز بن الحسن بن يوسف بن مهدي**

العبد الوادي، وأمّه بنت الشيخ أبي المحاسن الفاسي، وبها

شب ولد بفاس ونشأ وأخذ عن أبيه وخاله أبي حامد العربي

الفاقي والعارف أبي زيد عبد الرحمن الفاسي وغيرهما من

علماء فاس ورحل إلى مراكش فأخذ بها عن يوسف التاملي

القراءات العشر له سلطان المزاحي الاجهوري وتضلع من

العلوم والمعارف حتى صار إماماً في الفقه والقراءات

والتجويد والنحو هذا إلى الزهد والورع.

ولما التحق أبوه بالهجرة من فاس لنشوب الفتن

والاضطرابات، نزل المترجم له بتطوان وسكنها وأم وخطب

بجامع القصبية وأقرأ بها مدة إلى أن توفي بها. وكان له

صيت ببلاة الهبط وغمارة وشفشاون وتطوان وشهرة بالفقه

والعلم والصلاح على فتاه سنه، وقد وقفت على نسخة

رسالة للمسمى سليمان نائب المجاهد الثائر الرئيس أبي عبد

الله محمد فتحا العياشي السلوي يدعو فيها المترجم باسم

رئيسه للدخول في طاعته ودعوة الناس إلى ذلك، وبعدها

جواب المترجم يتضمن مدح المجاهد حركته الجهادية وبعد

بالمطلوب، ومعلوم أن حركة العياشي فشلت باغتيالها.

وتعاطى في أول أمره علم الأوقاف وسر الحرف ثم وقع له ما

أوجب الإفلاق عنه والزهد فيه.

للمترجم نشاط في التأليف، فقد شرح أرجوزة خاله

العربي الفاسي في أحكام الزكاة في الفقه المالكي شرحاً

حافلاً يعتبر أحسن شروحها بما جلب فيه من نقول غريبة،

وفروع عجيبة، وقد طبع على الحجر بفاس قديماً في مجلد

وجمع مجموعاً في النوازل سماه النوازل المختارة، مما وقفت

عليه من النوازل ببلاة غمارة في مجلد ضخم حوى كثيراً

من أجوبة خاله وغيره من الفاسيين لا توجد إلا به إضافة

إلى عشرات الفتاوى لكثير من فقهاء تلك النواحي

المغمورين، وبه فتاوى تتعلق بحكم شرب الدخان والتجارة فيه لأول عهد المغاربة به إلى أحكام المخالطين للبرتغال والأسبان وتسمية بعضهم وما قاموا به من أعمال، وهذا في غاية الأهمية لتاريخ هذه الحقبة وللكتاب نسخ كثيرة وما أجدره بالتحقيق والنشر، وقد نشرت في مجلة كلية الآداب بالرباط بعض هذه الفتاوى.

توفي المترجم له بمدينة تطوان في سنة خمسة وخمسين وألف / 1645. قال ابن عجيبة (وهو قريب العهد به) :  
ودفن بالقرب من ضريح الولي الشهير طلحة، وقبره يزار.  
قلت : وما ذكر في المصادر الأخرى من أنه دفن خارج باب المقابر وبنيت على قبره قبة، غير صحيح، والله أعلم.  
ابن عجيبة، أزهار البستان في طبقات الأعيان، ص. 146، مخطوط : م. القادري، الإكليل والتاج، مرقون : نشر الثاني، موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 4 : 1421، بيروت، 1996 : م. داود، تاريخ تطوان، 1 : 341، ط. تطوان : خ. الزركلي، الأعلام، 4 : 16، ط. 4، بيروت.

محمد بوخيزة

**الزيّاتي، عمر** نسبة إلى قبيلة بني زيات إحدى قبائل غمارة، الرجل الصالح، الولي الفالح، الخير الفاضل الصوفي الكامل الزاهد الورع من أصحاب الشيخ أبي محمد عبد الله الهبتي.

أخذ عن الشيخ الشهير أبي محمد عبد الله الغزواني دفين حومة القصور من مراكش.

توفي رحمة الله عليه في العقد السادس من المائة العاشرة، ودفن بزوايته من قبيلته، وقبره مزار.

م. ابن عسكر، دوحه الناشر، ص. 141، الرباط، 1976 : م. القادري، الإكليل والتاج، مخطوط، ص. 155.

محمد بوخيزة

**زيّاد، أحمد** بن الحسن بن محمد الدمناتي : يعدّ من روّاد المغرب في القرن العشرين في العمل الصحفي، والأدبي.



ولد في المدينة القديمة، بالدار البيضاء، سنة 1337 / 1919. ونشأ في حيّ ابن جدية، حيث حفظ القرآن الكريم، وبعض المتون. واجتهد في الاطلاع على عيون التراث العربي، شعراً ونثراً. ثم تابع دروساً ليلية للرفع من مستواه العلمي والمعرفي باللغة الفرنسية.

وحين اكتملت فترة النضج في تكوينه العصامي، عيّن مدرساً في إحدى المدارس الحرة بالدار البيضاء. وكان ممّا رشحه لهذه المهمة نشره لأول إنتاج أدبي له في صحيفة الأطللس. ثم طفق يرأسل صحيفة المغرب لسعيد حجي منذ بداية صدورها. وكان عمله في المدرسة الحرة، وممارسته للكتابة الصحافية في جريدتين وطنيتين، هما : المدخل الذي عبر من خلاله إلى العمل السياسي والوطني، حيث بدأ بالاتصال بأسرة تحرير صحيفة البصائر الجزائرية لصاحبها الشيخ البشير الإبراهيمي. وشارك سنة 1936، في أول مهرجان دعت إليه الكتلة في مدينة الدار البيضاء. وهو المهرجان الذي أعقبته اعتقالات دامت تسعة وعشرين يوماً من شهر رمضان، قضاها المعتقلون في سجن غيبيلة.

وإثر الحوادث التي أعقبت عريضة المطالبة بالاستقلال، في 11 يناير من سنة 1944، أصدر محمد غازي مجلة رسالة المغرب، حيث عمل إلى جانبها أحمد زياد مصححاً ومحرفاً مسؤولاً عن إخراج هذه المجلة في أبهى صورة لمواصلة الكفاح ضد النظام الاستعماري وبلورة النشاط الوطني.

وقد مثل ميلاد جريدة العلم في 11 سبتمبر من سنة 1946، إضافة نوعية إلى النشاط الوطني المقاوم للاستعمار. وكان أحمد زياد في طليعة المنضمين إلى أسرة تحريرها حيث تميز بعمله كمشرف على قسم المراسلات الذي جعله يتعرض لمتابع ومضايقات يومية مع السلطات الاستعمارية. وكانت زاويته "من النافذة" من أكثر أعمدة الجريدة شهرة وتأثيراً، وكانت من أكثرها عرضة لمصادرة الرقيب.

وصاحب عمله الصحفي، ونشاطه الأدبي كناقذ معروف، عمله الوطني في تأسيس خلايا المقاومة التي عرفت عنفوان نشاطها عقب نفي السلطان محمد الخامس وعائلته في العشرين من غشت 1953. وقد كان أبرز أدوار أحمد زياد في المقاومة، هو إشرافه على تنظيم أعمالها في شمال المغرب، في تطوان وطنجة. كما أشرف على تأطير المقاومة في خارج المغرب.

وإثر حصول المغرب على الاستقلال، عاد أحمد زياد من القاهرة التي عاش فيها ظروف اعتقال غامضة لم ينقذ منها سوى توسط الزعيم عبد الحالق الطريس، سفير المغرب آنذاك، لدى الرئيس المصري جمال عبد الناصر. واستأنف عمله الصحفي في جريدة العلم ليغادرها في أوائل الستينيات متقلّباً في عدة مسؤوليات إدارية كان آخرها العمل في ديوان وزير الشبيبة والرياضة.



**زِيَار**، بلدة جبلية تقع جنوب مريّت بنحو 30 كلم وعلى مسافة 20 كلم إلى الشمال الغربي من خنيفرة وعلى مشارف الضفة الغربية لواد گرو، وتقع كذلك على الطريق الثانوية الرابطة بين خنيفرة ومولاي بوعزة.

يحيط بزيار سلسلة من الجبال أهمها تينگوت (850 م). ترتكز اقتصادياتها على النشاط الرعوي وقليل من الزراعة ومن بينها الفواكه الموسمية، رغم أن المياه متواجدة بجوانبها، وعدد سكانها لم يدخل في الإحصاء الرسمي لعام 1994. مما يبعث على الظن أن النسيان داهمها بعدما لحقها الإهمال وسعى الحراب إلى قصبها التاريخية.

ومع ذلك فإن بلدة زيار خلفت بصمات في الكفاح المسلح ضد القوات الاستعمارية الغازية في مطلع القرن الماضي. فبعد ما استولى الجيش الفرنسي على خنيفرة عام 1918 بدأ يفكر في تأمين الطرق المؤدية إليها لضمان وصول الامدادات الحربية والمؤونة لوحداته التي رابطت بعين المكان.

بينما كانت فيالق عسكرية فرنسية متجهة إلى خنيفرة يوم 12 أبريل 1919 تحت قيادة الضابط بوشون، إذا بجماعات من المجاهدين الزيانيين رجال محا أوحمو تفاجئ العدو بزيار ومشارفها فسقط من الفرنسيين خمسة قتلى وأصيب عدد منهم بجراح، كما استشهد بعض المقاومين.

إلا أن ضابطا فرنسيا آخر اسمه دوگا قرر ملاحقة المجاهدين في المرتفعات المجاورة، فوجد الزيانيين له بالمرصاد، فكانت معركة حامية، وصلت بالمتحاربين إلى الاشيائك بالأيدي واستعمال السلاح الأبيض، وتدخل الطيران الفرنسي في القتال، مما جعل القوى غير متكافئة. ومع ذلك، فإن الفرنسيين تكبدوا قتلى من بينهم عناصر من الكوم المغربي، كما جرح منهم عدد آخر كان قائدهم دوگا من بينهم.

وعادت زيار مرة أخرى تقسم الصدارة في أحداث المقاومة مع غيرها من المواقع، في عام 1920، عندما ظن الجنرال بوييرو Poémyrau قائد المنطقة العسكرية بكناس أن الهدوء أخذ يسود جهة خنيفرة فأوفد إليها كتائب بقيادة العقيد تيفوني (Theveney). لكن هذا الضابط وجنوده فوجتوا بوابل من النار يوم 20 يناير، بزيار وضواحيها، فأصيب منهم عدد من الجرحى والقتلى.

تلك هي زيار التي أصبحت القيادة العامة العسكرية الفرنسية تعتبرها من المواقع ذات الخطورة فأخضعتها للنفوة العسكري وظلت تحت هذا النظام طيلة عهد الحماية.

L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939 ; G. Bernier, *Moha Ou Hammou, guerrier berbère*, Casablanca, 1945 ; François Berger, *Moha Ou Hammou le Zayani*, Marrakech, 1929.

أحمد بنجلون

وقد تعددت التوقعات التي عرفت بها كتابات زياد الصحافية، ومنها : هو، أبو طارق، المعطي، زياد، أبو صيحة... وهذا التوقيع الأخيرة هو الذي عرفت به زاويته "صيحة في واد" التي ظلّ مداوماً على كتابتها كل يوم خميس في جريدة العلم، إلى أن وافته المنية في ثاني وعشرين فبراير من سنة 2001، في منزله بالرباط، بعد معاناة طويلة لمرض في الصدر.

عرفت كتاباته الصحفية، بميلها إلى التحليل، والاستطراد المفيد، مع نزوع إلى السخرية التي ميزت معظم إنتاجه الغزير الذي فاق ألف مقالة مازال معظمها لم يصدر في كتاب، باستثناء زاوية "من الناقد" التي صدرت في كتاب سنة 1998 متضمنة مقالاته التي نشرها في فترة الاستعمار.

وصدرت له في سنة 1974، رواية "بامو" عن دار الكتاب، وهي عمل سردي رائد يسجل إحدى ملاحم المقاومة والكفاح المسلح. ومثّل تحويلها إلى فيلم سينمائي من إخراج إدريس المريني بداية لقاء الأدب والسينما في المغرب.

وفي سنة 1986، صدرت له قصة *قال الراوي*. كما صدر له كتاب *دفتر أيام في الدار البيضاء* (1990)، وكتاب عن *عبد الحائق الطريس* ومساره النضالي على شتى الأصعدة (1996).

وقد أقامت أسرة المقاومة وأعضاء جيش التحرير تأبيناً ضخماً في الذكرى الأربعين لرحيل أحمد زياد، ترأسه الوزير الأول عبد الرحمن اليوسفي الذي أشاد بمناب زياد وشجاعته وأخلاقه النادرة وصدافته له أيام الشدائد. كما تميز هذا اللقاء الذي حضره حشد كبير من رواد الحركة الوطنية والمقاومين والوزراء والمثقفين بكلمات لمؤرخ المملكة عبد الوهاب بن منصور، والدكتور مصطفى الكثيري المندوب السامي للمقاومة وأعضاء جيش التحرير، وأحمد نصر الدين باسم المجلس الوطني المؤقت للمقاومة وأعضاء جيش التحرير، ومحمد التازي الصحافي السفير، ونجيب خداري باسم أسرة جريدة العلم، وأنور المرقيحي باسم اتحاد كتاب المغرب.

وما زالت كثير من كتابات أحمد زياد، في حاجة إلى أن تجمع في كتب ستكون مفيدة للاطلاع على حقبة حافلة من تاريخ المغرب المعاصر عاشها زياد بوعي تحليلي لصّاح، ويروح من السخرية اللاذعة النادرة والعميقة.

توفي بالرباط يوم الخميس 28 ذي القعدة عام 1412 /

22 فبراير 2001

معرفة شخصية : الحبيب الزماطي، مقالات أحمد زياد الأدبية، جمع ودراسة، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية آداب وجدة، 1996 ؛ صحف، العلم، أحداث مغربية، الرأي.

نجيب خداري

(علما بأننا سنخصص تقديماً مستقلاً لأيت سگوگو لاحقاً في مادة "س").

سيكون زيان على هذا الأساس هي القبائل التي تستوطن حالياً بالمجال الممتد من وادي سرو الأعلى بالأطلس المتوسط (على ارتفاع 2278 م) في الجنوب الشرقي إلى حدود أضيح منطقة بينهرية فاصلة بين واد بورقراق وواد گرو في الشمال الغربي بالهضبة الوسطى.

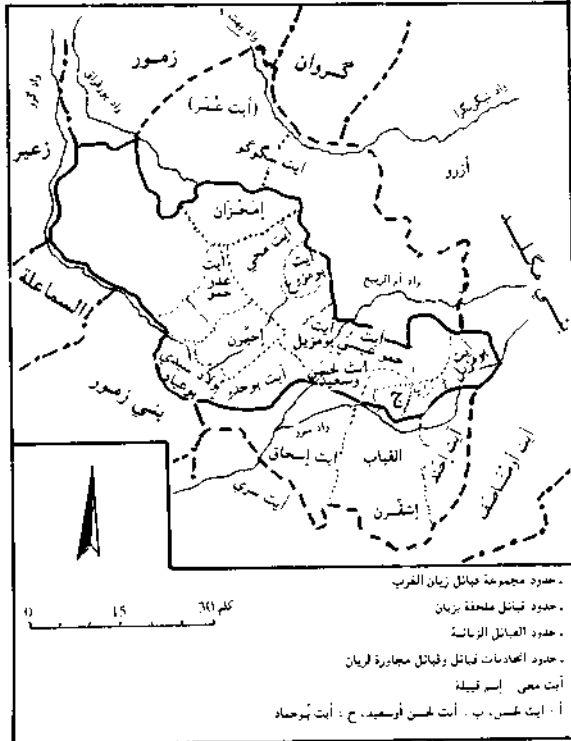
فما هي خصائص هذا المجال الزباني ؟

تمتد أرض زيان في الحدود المذكورة على مسافة 120 كلم طولاً وبين 15 كلم إلى 55 كلم عرضاً وتقدر مساحتها بحوالي 4000 كلم<sup>2</sup>.

يصاحب الامتداد الشاسع لأرض زيان من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي تنوع طبيعي ساهم في تكون محاطات المجموعات البشرية وتنظيم حياتهم الرعيزراعية القائمة على الإنتاج إلى وقت قريب.

فأرض زيان تتكون من مجموعتين طبيعيتين متميزتين من حيث الارتفاع والأشكال التضاريسية والمناخ والموارد الرعيزراعية هما الأطلس المتوسط والهضبة الوسطى.

أما الأطلس المتوسط فلا يمثل سوى حيز جد ضيق بالنسبة للهضبة الوسطى في أرض زيان، يشغل أقصى جنوب شرق هذه الأرض، وتثله النهاية الجنوبية الغربية للأطلس المنضدري وذلك في كل من كوس أغبال وكوس أجدير - حيث أكلسام أزگرا - وكوس سرو. وهي "أكواس" تتراوح ارتفاعاتها بين 1100م و1750م نحو الداخل وتبقى متماسكة ما عدا كوس سرو الذي قطعه هذا الواد ورافده واد شيوكة.



زِيَان، اسم أرض "Pays" ورسم إتحادية قبائل من أكبر الإتحاديات التي عُرفت في نهاية القرن XIX ومطلع القرن XX : ورد كذلك بصيغة إزيان "Izaian" الأمازيغية عند بعض الذين كتبوا حول الإتحادية في بداية القرن الماضي. يرتبط تحديد أرض زيان "Le pays Zaïan" بتحديد العنصر البشري المنضوي تحت هذا الاسم. وهو أمر ليس بالهين بسبب غياب الإجماع عند الذين كتبوا في الموضوع.

فمن هؤلاء من أدخل تحت إسم زيان مجموعات بشرية مثل إشقرن وأيت إحد، وأيت سگوگو. ومنهم من حصر زيان في قبائل بو محسوسن وأيت حركات وأيت كرات التي تعمر المجال الممتد حول خنيفرة من منابع واد سرو في الجنوب الشرقي بالأطلس المتوسط إلى حدود زعير بالهضبة الوسطى في الشمال الغربي.

فالناصري تحدث عن زيان (ظيان) كفخذ من ايت أومالو الذين هم بطن من صنهاجة يقران. واعتبر إشقرن كفخذ مستقل (الاستقصا، ج. 4، ص. 274).

ويعتبر Pillant كزيان كلا من القبائل التالية : بوحسوسن وأيت حركات وأيت كرات Krat، وأيت عمر، وأيت سگوگو، وأيت إحد، وإشقرن، وأيت إسحاق مع شك واضح عنده في انتماء أيت إسحاق وإشقرن إلى زيان.

أما بنداود فيتفق مع Pillant ما عدا فيما يخص إشقرن وأيت إسحاق الذين أبقى عليهم خارج زيان : وقد ميز بين زيان الغرب الذين سماهم زيان موحا أو حمو وزيان الشرق. أما عباس Abès، فإذا كان واضحا في إحقاق قبيلة أيت عمر - وهي واحدة من ثلاث "قبائل" تشكل أيت سگوگو - بزيان فموقفه غير واضح بالنسبة للقبيلتين الأخريين اللتين تنتميان إلى أيت سگوگو.

يظهر من خلال كتابات هؤلاء الأشخاص الثلاثة أن قبائل بوحسوسن وأيت حركات وأيت كرات تنضوي تحت اسم زيان بدون ضبابية بينما تبقى قبائل إشقرن، وأيت إحد، وأيت إسحاق، وأيت سگوگو محط شك وغموض وفي 1929، أدمج سعيد گنون القبائل الثلاث الأولى في زيان وترك أيت سگوگو جانبا.

أما خريطة قبائل المغرب (أقاليم الشمال) الصادرة سنة 1977 بمقياس 1/ 500000 فقد اعتبرت أيت سگوگو كإتحادية مستقلة، وأيت إسحاق وأيت إحد كقبيلتين مستقلتين وإشقرن كشبه الإتحادية sous-confédération خارج حدود إتحادية زيان.

وبالنظر إلى غياب الإجماع فيما يخص المجموعات المكونة لهذه الإتحادية أو اتحاد إتحاديات وقبائل زيان، يبقى أمامنا خياران : إما أن نعتبر الحد الأقصى لمضمون الاسم ونعتبر أنذاك كل المجموعات التي ورد اسمها مرتبطا بزيان بأي شكل من الأشكال، وإما أن نعتبر الحد الأدنى المتفق عليه في الأدبيات المذكورة : وهو الخيار الذي نحتفظ به

والحديث عن الكوس يعني سيادة الصخور الكلسية التي تساهم في التخفيف من الجريان السطحي وفي تخزين المياه باطنيا خاصة وأن صخور الترياس غير المنفذة تأتي مباشرة تحت الكلس اللياسي.

ونظرا لارتفاع الأكواس وتعرضها مباشرة للرياح الغربية الرطبة، فهي تتوصل سنويا بكمية كبيرة من التساقطات تفوق 700 مم، بعضها يأتي على شكل ثلوج خلال الشتاء والربيع عندما تكون الحرارة منخفضة. أما في الصيف فتبقى هذه الأخيرة ألطف مما هو عليه الحال في الأراضي السفلى (الهضبة الوسطى).

إن للارتفاع وللنخاخ الدور الكبير في الانتشار الكبير للغاية في شكل درجتين السفلى (دون 1500 م) للبلوط الأخضر والعليا للأرز.

وأما الهضبة الوسطى، فهي مجموعة تضاريسية كبيرة فاصلة بين الأطلس المتوسط شرقا والمحيط الأطلسي غربا، لا يشغل منها زيان سوى حيز ضيق جدا : يمتد من قدم الأطلس المتوسط إلى أضيق قطاع يفصل واد بورقراق ورافده واد گرو في الشمال الغربي وبين الوادين عموما.

يتوزع هذا المجال "الهضبة وسطى" الزياني على وحدتين : الوهدة الشرقية "La dépression orientale" والأراضي العليا "Le haut pays" حسب تقسيم Beaudet Gaston.

تنحصر الوهدة بين الأطلس المتوسط شرقا وبين الأراضي العليا غربا المفضولين بمسافة 40 كلم تقريبا. وهي مشكلة من منخفضات تتراوح ارتفاعاتها بين 700م و100م وغالبا بين 850 و950م وتتخذ إما شكل سهول عليا أو مناطق متن شيسيتية ومن أعراف مصففة أحيانا وذات اتجاه جنوب - غربي - شمال شرقي. تحد ارتفاعاتها إلى 1200. 1300 م مثل جبل أزدوز (1334 م) وجبل تايثوت (1289 م) وجبل حديد (1203 م).

أما الأراضي العليا، فتتمتد غرب الوهدة الشرقية التي تفصلها عنها منحدرات قوية (abrupts) وأجراف على عمق 50. 60 كلم بين النهايتين الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية.

وأهم ما يميز هذه الوحدة هو ارتفاعاتها الكبيرة بالنسبة للوهدة مما يجعلها مشرفة عليها، وكون حيز كبير من أراضيها مشكلا من الهضاب بالإضافة إلى المنخفضات والأعراف.

تنتشر هذه الأخيرة بشكل واضح في الطرفين الجنوبي الشرقي والشمال الغربي تاركة السيادة للهضاب والمنخفضات في الوسط. وتبقى أعراف الجنوب الشرقي هي الأكثر ارتفاعا حيث توجد قمم بين 1300 م و1627 م. كما تحيط سهولاً مثل سهل أگلموس وأحواضا متينة مثل حوض بلاد إحبرن وحوض بلاد الكعدة الملصق به.

أما الحيز الهضبي بين مجالي التصنيفين العرفيين

فامتداده كبير ويشمل هضابا مختلفة، بعضها متكتلة غرانيتية مثل هضبة امتنت (1280 م) وبعضها متقطعة مثل هضبة فوغال بشرق مولاي بوعزة وبعضها بركانية كما هو حال الهضبة الواقعة بين هضبة منت شمالا وشمال حوض بوحوسون المعلق. وتبقى سطوح هذه الهضاب عبارة عن متن (تشكيل).

تشكلت تضاريس الوجدتين وهي تضاريس أبلاشية في صخور قديمة تعود للزمن الأول (شيسيت، كوارتزيت، غرانيت...) وهو وضع جيومرفولوجي وجيولوجي لا يسمح بتوفر مياه دائمة كثيرة بسبب ضعف إمكانية الخزن الباطني في الفصل المطير بالرغم من أن التساقطات تتعدى 500 مم وبسبب التبخر خلال فصل الصيف حيث ارتفاع الحرارة بالمنخفضات. ولا يسمح بتكوين تربة غنية ومتصلة بل لا يسمح بتفاعل مع المناخ سوى بغطاء نباتي مطبوع بالفقر.

هذه الظروف الطبيعية المتباينة بين الأطلس المتوسط والهضبة الوسطى وداخل كل مجموعة منهما ساهمت في قيام نمط عيش واقتصاد مبني على التكامل والتنقل داخل إطار الاتحادية الذي كان يشكل المجال الأمني قبل الحماية. السكان تنظيمهم وتطورهم :

ينتمي زيان إلى ما يعرف باتحادية أيت أو مالو التي على ما يبدو استقرت مجموعاتها بالمنطقة بعد القرن الحادي عشر (17 م). ومن ضمنهم زيان [الغرب حسب تميز بنداود]، اللذين لهم حدود مشتركة مع كل من بني مكليد الجنوبيين (بأيت أو مناصف)، وآيت إحد وإشقرن، وآيت إسحاق من الشرق والجنوب الشرقي، وبني زمور والسماعلة من الجنوب، وزعير وزمور من الغرب والشمال. الغربي وأخيراً أيت سگوگو من الشمال والشمال الغربي على مسافة كبيرة. (انظر خريطة القبائل بمقياس 500000 / 1. أقاليم الشمال (1977).

يتشكل هؤلاء الزيانيون من 3 مجموعات قبلية تضم 16 قبيلة تنضاف إليها قبيلة أولاد سيدي بوعبداد والشرفاء. موزعين كما يلي :

مجموعة قبائل	أيت كرات	أيت حركات	بوحوسون
	أيت عمو عيسى	أيت شرط	حصار
	أيت بومزيل	أيت لحسن وسعيد	أيت رهو
القبائل	أيت بومزوغ	أيت بوحامد	أيت فسكات
	أيت بوحودو	أيت معي	أيت بوخيو
	أيت لحسن	إحبرن	أيت شگ
		أيت حدو وحمو	
المجموع	5	6	5

كانت حياة الانتجاع هي السائدة وذلك ما تعكسه أدبيات تلك الفترة ومنها دراسة Suzanne Nouvel (1919، ص. 63، 65) ودراسة سعيد كنون (1929، ص. 18، 25) فالأولى تصف حياة الزياتيين كمتعاطين للانتجاع لكنهم يملكون كذلك بعض الأراضي الزراعية المنخفضة كما هو الحال بالنسبة لفخوذات الوسط الذين يضطرون للانتجاع خلال الصيف نحو أودية الأطلس المتوسط... حيث تروي الوديان النازلة من الجبل المرعي. لكن ابتداءً من أكتوبر يتم النزول نحو الأراضي المنخفضة ما بين واد گرو وواد بورقراق. ويجانب الكسب يزرع زيان الحبوب (شعير وقمح) بالأراضي المنخفضة أي بأزغار والذرة بالجبل وذلك بالأراضي.

ومن جهة ثانية على مركز حضري مستقل هو خنيفرة في 1960 قبل أن تظهر الخمس مراكز الأخرى تدريجياً، ففي 1971 أحصي كل من أگلموس ومولاي بوعزة وكهف النسور كمراكز وفي 1982 أملاوإغريين وفي 1992 حد بوحسوسن، وللإشارة كان وضع خنيفرة في إحصاء 1982 قد تحول من مركز مستقل إلى بلدية وذلك بارتباط مع دورها كعاصمة للإقليم منذ خلق الإقليم في 1973.

إن إعادة التقسيم الجماعي والإداري فرضته التحولات الاجتماعية والاقتصادية والمجالية التي عرفتتها المنطقة خلال 3 عشرات شأنها شأن باقي المناطق بالبلاد وانشغالات المسؤولين بانعاش التنمية.

فمن ناحية الساكنة ارتفع عدد (الزياتيين) بما في ذلك سكان خنيفرة - بين 1960 و 1994 بـ 127.000 نسمة (أي بـ 142٪ وكان ذلك بمعدل 3.736 نسمة في السنة. إلا أن

وينتمون إدارياً إلى دائرة خنيفرة بإقليم خنيفرة التي لا يدخل في نفوذها بجانيهم سوى آيت سگوگو (جهة مكناس - تافيلالت) وقد سميت على عهد الحماية بدائرة زيان لمدة طويلة.

بتوزع زيان منذ 1992 على 11 جماعة قروية وبلدية (خنيفرة) و5 مراكز، بعد ما كان توزيعهم قبل ذلك يقتصر على 4 جماعات قروية من جهة قطعت على النحو التالي :

- جماعة أگلموس الأم التي قسمت إلى جماعتين :

- \* جماعات :
- \* موحا أحمو الزياتي
- \* الهري
- \* أگلمام أزگرا
- \* البرج

- جماعة مولاي بوعزة الأم التي قسمت إلى 3 جماعات :

- \* مولاي بوعزة
- \* حد بوحسوسن
- \* سبت آيت رحو

- جماعة سيدي عمرو الأم التي قسمت إلى جماعتين :

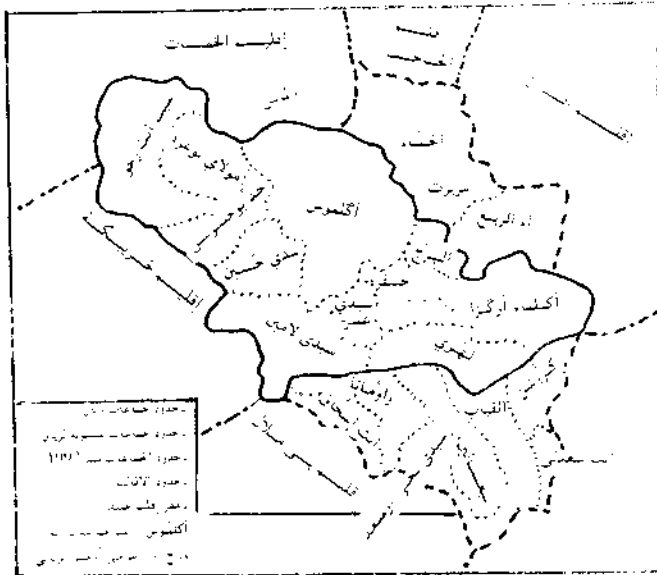
سيدي عمرو سيدي الأمين 2001، فالساكنة الحضرية تتميز بتمركزها بخنيفرة وأملو إغريين حيث يعيش 81٪ من سكان المدن عند زيان.

أما كون نسبة ساكنة الريف في تراجع، فهذا لا يعني تراجعاً في العدد المطلق الذي يسجل ارتفاعاً متواصلاً من إحصاء لآخر. ويعني ذلك زيادة في الكثافة السكانية التي تطورت من 18 نسمة / كلم<sup>2</sup> في 1960 إلى 20 نسمة / كلم<sup>2</sup> في 1971 ثم 24 نسمة / كلم<sup>2</sup> في 1982 وأخيراً 28.3 نسمة / كلم<sup>2</sup> في 1994. وقد تكون 30 نسمة / كلم<sup>2</sup> الآن (2001).

يصاحب التطور الحاصل في الساكنة من الناحية الكمية وكذلك على مستوى بنيتها وتوزيعها المجالي مشاكل تحتاج إلى حلول بهدف ضمان ظروف عيش مقبولة. وهي مشاكل ذات طابع اجتماعي واقتصادي ويبيّن نذكر منها الغذاء والشغل والخدمات والتدبير العقلاني للموارد الطبيعية.

قد يتسنى الحل إذا كان الاقتصاد يعرف تطوراً يتناغم وتطور السكان وحاجياتهم والأفلام من سيناريو الهجرة والضغط على الموارد وهما وضعان لا يخدمان دائماً التنمية المستديمة. فهل يتحرك الاقتصاد الزياتي بالسرعة المطلوبة ؟

ارتكز اقتصاد زيان دائماً على القطاع الأول الممثل في تربية الماشية والزراعة واستغلال الغابة. ولا تأتي القطاعات الأخرى إلا في درجة ثانوية جداً. فإلى مطلع الثلاثينيات



شكل رقم 2 : التقسيم الجماعي عند زيان منذ 1992

اعتمد على الأغنام والماعز ومكانة الأبقار والخيليات ظلت ثانوية بحيث بموازات مع قطع أغنام وماعز من حجم 500 . 600 رأس في ملكية شخص واحد لم يكن عدد الأبقار يتجاوز 10 (S. Guennoun, 1929, p. 20).

أما ميلهم للكسب فلم يمنع من تنوع مزارعهم فهم تعاطوا لأنواع كثيرة من المزروعات مثل الحبوب التي كانت سائدة والقطاني والخضر والأشجار المثمرة (عدا الزيتون).

ويجوار النشاط الرعيزراعي استغل الزبانيون الغابة التي تاجروا بمنتوجاتها مع الخارج كما تاجروا بالماشية. وقد اشتهر منهم باستغلال الغابة كل من أهل أسويل وشرفاء تاسكروت.

كانت هذه الصورة عن زيان وحياتهم واقتصادهم قائمة إلى مجيء الاستعمار الذي شكل منطلقاً للتحويلات التي قادتهم ومجالهم إلى الوضعية الراهنة.

فزعزعة أسس تنظيم الإنتاج التقليدية بدأت مع حرب الغزو التي مزقت وشتت السكان وأهلكت ماشيتهم وأحرقت زرعهم ودمرت قصورهم.

ولم تكن عودتهم بعد الهدنة لتتوجد الظروف الاجتماعية والاقتصادية والتنظيمية لما قبل الحرب.

فاستقرار الأسر فرادى أو بمجموعات صغيرة جداً يعني التخلي عن حياة الانتجاع لصالح الزراعة وعن وضع الأرض الجماعية للملكية الخاصة ويعني تلاشي دور المؤسسات التقليدية.

وقد ساهم هذا التحول في زيادة رقعة الأراضي الزراعية عن طريق الاجتثاث وتوسيع أراضي الملك الخاص. ومما عجل بالتنظير تخوف السكان من تسلط المعمرين على أرضهم إما مباشرة أو عن طريق إدخال الغابة في الملك العمومي وقد كان الأعيان هم السباقين للاجتثاث والتملك وبناء المنازل خاصة بالأزغار.

تواصلت هذه النزعة التطويرية طيلة أيام الحماية وبعد الاستقلال بارتباط مع تطور عدد السكان والمنظور الجديد للجماعات المحلية وحركاتهم الأفقية وهاجس التنمية عند الدولة.

وكان من نتائجها تحول في تنظيم وبنية استعمال الأرض. ففيما يخص التنظيم يتلخص التحول في المرور من نظام المحطات المتدرجة والتراقص الفصلي الذي يمثل حياة الانتجاع إلى نظام الحلقات والتناوب السنوي الذي هو نظام الزراعة الفلاحية.

وأما فيما يخص البنية من حيث الاستعمال الرعيزراعي فالتطور قاد إلى تقسيم المساحة العامة على النحو التالي :

- الأراضي الغابوية 32٪

- الأراضي الزراعية (SAU) 30٪

- المراعي 27٪

- الأراضي الأخرى 11٪ Terres incultes.

اعتبار الفترات البياحصائية الثلاثة منفصلة عن بعضها بين أن وتيرة النمو تتزايد سرعتها من فترة إلى أخرى. فبعدما كانت الزيادة المطلقة السنوية تقدر بـ 2.135 نسمة في الفترة الأولى، ارتفعت إلى 3.762 نسمة في الفترة الثانية ثم إلى 5.172 نسمة في الفترة الثالثة. إنها نزعة مشيرة للتساؤل حول أسباب التسارع. فما هو دور الزيادة الطبيعية ودور التوافد؟

أما التوافد، فلا يظهر أن الأرياف تجلب السكان مادامت ساكنتها تنمو ببطء كبير بسبب الزواج. ويبقى جلياً أن للتوافد على المركز وبالخصوص على خنيفرة مقر الإقليم والدائرة وعلى أملو إغريين (منامتها) الدور الأكبر في تفسير الظاهرة. وما نسبة نمو ساكنة المدن بين 1960 و1994 التي وصلت إلى 458.2٪ في الوقت الذي لم تصل فيه نسبة نمو الريفيين سوى إلى 59.4٪ إلا دليل أول على ذلك.

ساهمت حركية السكان وتدخل الدولة عن طريق التقسيم الإداري والترابي في تغيير بنية الساكنة حسب مقر السكنى : فبعد ما كانت السيادة لساكنة الأرياف بـ 80٪ في 1960 لم تعد نسبتهم تمثل سوى 52.3٪ في 1994 نسبة أعلى يقليل من المعدل الوطني آنذاك. ويرجع أن تكون هذه النسبة قد نزلت اليوم (2001) إلى 48٪ فقط. وإذا كانت نسبة التمدين قد ارتفعت إلى ما بين 50 و52٪ في المسقية.

أما الثاني الذي اعتمد في تقسيمه لأراضي زيان تقسيم السكان القائم على ثلاث مناطق وهي أزغار وأم الربيع وجبل زيان، فقد أكد ما ورد عند S. Nouvel بشيء من التفصيل.

فالأزغار يمثل أرض المراعي بفضل وفرة الكلا، ولطف الحرارة وتوفر المياه الكافية عن طريق الآبار. به يقضي السكان الشتاء والربيع عندما تسطع به الشمس الدافئة وتكسوا الثلوج الجبال. أرضه كانت جماعية ولا تنتفع منها الأسر إلا مؤقتاً باستثناء أيت بوحو الذين كان لهم وضع خاص. كانت الرقعة المحروثة ضيقة.

أما الجبل المتمدن من جبل تغات إلى بوكجدي وأفلكتور شرقاً فهو منطقة متوسطة الغنى نظراً لسيادة الصخر في الأجزاء المرتفعة التي تكسوها غابات الأرز الجميلة. لكن هذا لا يحول دون انتشار الأراضي المسقية بالأودية كما هو الحال عند أيت بومزوع وأيت شراط.

وعند الأجزاء السفلى القريبة من النهر تنتشر مجموعة من السهول الغنية بل وأودية مستغلة زراعياً.

والجبل هو كذلك منطقة قصور زيان فيه يعيش "السكان الرحل" تحت الخيام بجوار الحقول التي تحرق وتحصد غلاتها ويجوار العيون لإرواء الماشية خلال الصيف والخريف.

وإذا كان الزبانيون كسابة بالدرجة الأولى، فكسبهم

M. Abès, *Les Izayan d'Oulmès*, A.B., 1915 ; G. Baudet, *Types d'implantation humaine en pays Zaïan*, RGM, n° 8, 1965 ; *Le plateau central marocain et ses bordures. étude géomorphologique*, Rabat, 1969 ; J. Célerier, *La dépression du Serrou (Moyen Atlas Central)*, R.G.M., VI, 1928 - 1929, p. 110 - 121 ; G.S. Colin, *Origine arabe des grands mouvements de populations berbères dans le Moyen Atlas*, Hesp., tome XXV, 2e + 3e trim, consacré à la montagne marocaine, 1938 ; M. et E. Gouvion, *Kiṭāb Aayane al-Maghrib al-Aksa*, Alger, 1939 ; S. Guennoun, *La montagne berbère : les Aït Oumalou et le pays Zaïan*, 1929 ; E. Laoust, *L'habitation chez les transhumants du Maroc central*, Paris, 1935 ; V. Loubignac, *Etude sur le dialecte berbère des Zaïan et Aït Sgougou*, Paris, 1924 ; D. Noin, *La population rurale du Maroc. Etude géographique*, Thèse d'Etat es-lettres, 2 vol., Paris, 1970 ; S. Nouvel, *Nomades et sédentaires au Maroc*, Paris, 1919 ; R. Peyronnet, *Tadla : pays Zaïan - Moyen Atlas*, Alger, 1923.

محمد كربوط

**زَيَّان (وقعة -)** تميزت علاقة المخزن العلوي بقبائل الأطلس المتوسط بوجود تمايز بين ما يسمى ببرابرة الجبل ومن ضمنهم زيان، وبرابرة الوطاء كزموور وأيت إدراسن وگروان والذين اتخذ منهم السلاطين حلفاء لمواجهة حلف أيت أومالو ومن انضم إليهم من قبائل الجبل. وقد ظهر هذا التمايز بشكل جلي خلال عهد المولى إسماعيل الذي أراد احتواء القبائل الجبلية العاصية بالاعتماد على قبائل الدَّير والسهول كأيت إدراسن وأيت يمور وزموور، مستغلاً في ذلك تنافس هذين الفريقين على مجالات الحرث والرعي. وهو تنافس كاد يصبح أكثر حدة مع حركة الانتجاع وتنقل القبائل من مكان إلى آخر بحسب وفرة أو ندرة الموارد الاقتصادية. وقد استطاع المولى إسماعيل ومن جاء بعده من السلاطين أن يرسخوا التحالف بين المخزن و"برابرة الوطاء" الذين أصبحوا يشكلون حسب الزياتي "برابرة الدولة" في مواجهة برابرة الجبل.

هذا التحالف الذي أقامه العلويون مع برابرة الوطاء لم يكن تحالفاً قارراً ودائماً، بل كان مثل التحالفات القبلية يخضع لعدة اعتبارات مصلحية وظرفية، وكثيراً ما كان هذا التحالف يتعرض للانحلال بفعل التناقضات الموجودة بين قبائله، أو بفعل السياسة المخزنية التي كانت تقتضي توحيد كل برابرة الوطاء تحت قيادة واحدة قد لا تلقى القبول لدى طرف أو آخر، أو ظهور تناقضات بين قبائل هذا الحلف وجيرانهم من القبائل العربية. وكثيراً ما كان المخزن يتدخل في النزاعات التي تقوم بين القبائل فيناصر أيت إدراسن ضد گروان، أو أيت يمور ضد زمور، وقد تأخذ الأمور طابعاً أكثر حدة عندما يساند قبيلة عربية كيني حسن ضد قبيلة أخرى بربرية. لذلك فإن التحكم في هذه السياسة القبلية لم يكن بالشيء السهل وكان يحتاج إلى الكثير من المرونة والحكمة السياسية والمعرفة الدقيقة بمصالح وحساسيات كل طرف من أطراف المعادلة.

والى تقسيم الأراضي الزراعية (ومساحتها 121.000 هكتارا) على النحو التالي :

- الحبوب : 49.4٪
- الأراضي المستريحة : 43.3٪
- المزروعات العلفية : 5.0٪
- الأشجار : 1.3٪
- الخضز والقطاني : 1.0٪

وللإشارة 3٪ فقط من الأراضي الزراعية (SAU) مسقية وهي نسبة ضعيفة. ويتم استغلال الأراضي الزراعية في إطار استغلاليات صغيرة وعائلية تشترك بين الزراعة وتربية الماشية في إطار تقليدي.

وبالرغم من توسع النشاط الزراعي فمكانة الكسب لازالت كبيرة وربما أهم نظرا لاستقرار موردها بخلاف تدهب الإنتاج الزراعي بارتباط مع التساقطات. فزيان يملكون في الوقت الراهن حوالي 320 ألف رأس غنم بمعدل 2.8 رأس لكل ريفي وحوالي 110 ألف رأس ماعز أي تقريبا رأس واحد لكل ريفي. وما يقرب 20.000 رأس من البقر.

يتضح من خلال هذه المعطيات أن القطاع الرعيزراعي الذي يشكل ركيزة الاقتصاد الزياتي لازال تقليديا وغير مندمج وهو وضع لا يساهم في الإستجابة لحاجيات الساكنة المتزايدة مما يفرض عليها اتخاذ حلول قد تتنافى ومتطلبات التنمية المستديمة ومنها تدهور الغابة والمراعي... أما حل الهجرة فهو كذلك وارد وهو سبب تباطؤ نمو الساكنة الريفية.

يسجل المجال الزياتي على غرار المجالات المجاورة له دينامية متواصلة تعكسها التحولات في مقوماته وفي تنظيمه وفي علاقاته بالخارج. فسكانه تخلوا عن حياة الانتجاع ووسعوا النشاط الزراعي مما أدى إلى تشييب السكن.

أما ارتفاع عددهم وعجز الاقتصاد الفلاحي عن تلبية حاجياتهم فيشكلان عاملا على النزوح نحو المراكز وأساسا نحو خنيفرة (ونحو جهات أخرى) مما جعل نسبة التمدين تتراجع وطرح مشاكل من نوع آخر مادامت المراكز لا توفر التجهيزات والبنى التحتية الضرورية لإستقبالهم.

والملاحظ أن أهمية الدينامية غير متجانسة وهو ما يعني تفاوتاً في التنمية، كما أن هذه الدينامية لا تعني تحقيق التنمية المستديمة مادام هناك خطر واضح على الموارد الطبيعية.

ورغبة في تفادي هذه الأخطار وتحقيق التنمية المرغوب فيها اهتمت الجهات المسؤولة منذ أزيد من عقدين وأحيانا بتعاون مع منظمات دولية بتنمية المنطقة عن طريق برامج مختلفة مثل برنامج تحسين المراعي (A. P. T. L) ومثل مشروع واد سُرُو حيث يتوخى إشراك السكان.

أ. الناصري، الاستقصاء، الدار البيضاء، 1956، الجزء 4.

وعند بداية القرن الثالث عشر (19 م) اجتمعت كل العوامل الكافية لنسف تحالف المخزن ببرايرة الوطاء من جهة، ولتسهيل التقارب بين هؤلاء وخصومهم التقليديين ببرايرة الجبل. فالمولى سليمان سلك سياسة متشددة جعلته يطمح إلى مركز الإدارة المخزنية وسط سلطتها في أماكن لم يكن إخضاعها بالأمر المتيسر. كما أنه ساهم في إضعاف جبهة "برايرة الدولة" الذين كانوا يقفون حاجزاً بينها وبين ببرايرة الجبل عن طريق الحملات العقابية التي شنّها ضد البعض منهم (بني مطير في سنة 1802 وگروان في سنة 1807)، وعن طريق التخلي عن حلفاء الدولة التقليديين كإحجامه في سنة 1814 عن مناصرة أيت إدراسن أمام هجوم أيت أومالو، وهو ما جرّ الهزيمة على أيت إدراسن وفتح الباب أمام تزايد نفوذ أبي بكر أمهاوش ضمن ببرايرة الوطاء. ومن العوامل التي ساعدت على اتساع شعبية أمهاوش تسرب الطريقة الدرقاوية إلى جبال فزاز حيث أصبح لها أتباع ومتعاطفون في صفوف قبائل الجبل والدير على السواء، وهو أمر ساهم بالتأكيد في التقارب بين ببرايرة الجبل وببرايرة الوطاء. وأخيراً تشير إلى أن تأزم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية (مجاعة 1817. 1818، وباء 1818. 1820) خلق المناخ المناسب لاتفاق القبائل البربرية حول شخص مثل أبي بكر أمهاوش اتخذ من التنسك ناموساً ومن المهدوية إحياءً بأنه هو الماسك بأسباب الخلاص.

وعندما حلت المجاعة في سنة 1817 اعتقد المولى سليمان أن أفضل وسيلة لاختضاع القبائل الأطلسية العاصية هو إحكام حصار اقتصادي حولها ومنعها من التزود بالمحبوب لدى قبائل السهول. وفي سنة 1818 أرسل أوامره إلى قواد القبائل بمنع أيت أومالو من شراء الحبوب في الأسواق، وأن أي قبيلة تتجاهل هذا الأمر ستصبح هدفاً للانتقام من طرف الدولة أو من طرف جيرانها.

وعلى خلفية هذا التوتر واشتداد المجاعة وانتشار الوياء قرر المولى سليمان في ربيع 1819 أن يشن حملة تأديبية ضد ببرايرة أيت أومالو، وهو قرار جاء حسب الزباني بناء على نصيحة قائد المخزن ورئيس زمر محمد بن الغازي. وكان هدف الحملة هو الهجوم على منطقة أدخسان ببلاد زيان، وإفساد الغلال هناك، علماً بأن هذه المنطقة كانت من أهم مصادر الحبوب بالنسبة للقبائل الجبلية. ويقول الزباني إن انشغال الناس بالوياء بالمناطق الشمالية لم يكن يسمح باستنفار القبائل إذ "كان الناس في محنة وشدة من هذا الوياء الذي عم الحواضر والبوادي"، ويلقي الزباني باللائمة على ولد السلطان وخليفته بفاس، مولاي إبراهيم، الذي لم يبلغ والده بمراكش بما كانت عليه الأوضاع بالغرب.

وعندما اجتمعت بتدالة قبائل الحوز بقبائل الغرب التي قدم بها مولاي إبراهيم، أرسل أيت أومالو وفداً إلى السلطان ملتجئين عفوهم ومظهريين رغبتهم في أداء المال المفروض عليهم. لكن السلطان رفض أن يقلع عن حربهم،

وهنا يحمل الزباني المسؤولية لابن الغازي الزموري الذي نصح السلطان برفض الصلح، كما يتهمه بالغدر والتواطؤ مع أيت أومالو للإيقاع بمحلة السلطان وجيوشه. ويتراجع قبائل زمر عند بداية المواجهة دب الفشل في صفوف الجيوش المخزنية وهرب كل من استطاع ذلك، ولم يبق مع المولى سليمان إلا جيش العبيد والأودايا وقبائل الحوز، فانهارت عليهم أسراب أيت أومالو وكادوا أن يستأصلوهم. وعندما أظلم الليل بقي السلطان وحيداً، فلما تعرف عليه أيت أومالو حملوه إلى خيمة وأظهروا له كل إجلال، وأبقوا عليه عندهم بضعة أيام ثم رافقوه إلى مشارف عاصمة مكناس وأطلقوا سراحه. أما المولى إبراهيم، والمرشح لخلافة والده، فقد هلك في المواجهة فكان ذلك مما زاد من حسرة المولى سليمان الذي فقد كذلك ثلثة من كبار الدولة ورؤساء الجيش.

والواقع أن هذه الهزيمة القاسية سدوت ضربة قاضية للمخزن السليمانى تمثلت في تفكك الجيش وسقوط هيبة الدولة، وتفشي الاضطرابات في جميع المناطق. وأصبح السلطان عاجزاً حتى عن إقرار الأمن حول عاصمته والمناطق القريبة منها. ومن أهم ما ترتب عن هذه الهزيمة قيام أهل فاس ضد عاملهم ثم مبايعتهم لسلطان بديل بعد أن صرّح المولى سليمان بالعجز.

م. أكنسوس، الجيش العرمم، مخطوط، رقم د 339، خ.ع بالرباط؛  
أبر القاسم الزباني، الروضة السليمانية، مخطوط، رقم د 1275،  
خ.ع بالرباط؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1956،  
الجزء 8.

محمد المنصور

**الزباني، أحمد بن قاسم المنصوري، دفين وادي زم.**  
أصله من قبيلة المناصرة بأزغار الغرب، وولد بمكناس لكن والده الذي كان قائداً حريباً في دولة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان وابنه الحسن الأول انتقل به قبل سبع الولادة إلى المعسكر الذي كان يترأسه في خنيفرة واستوطنها وفيها نشأ المترجم ونسب إلى زيان.  
تكوّن أحمد بن قاسم تكويناً عربياً متيناً في اللغة وقواعدها وأدابها، والفقه وأصوله. وكان ذا موهبة في كتابة النثر الفني، طويل النفس في الشعر، طرق جميع أغراضه القديمة، ووصف طبيعة الأطلس الشامخ ومجتمعه الأبي الباسل، وكان إلى جانب علمه وأدبه فارساً يسابق ويجلّي. صحبته في بداية أعوام الستين إلى زاوية الدلاء لمعرفته بشعابها ودروبها ولسان أهلها، فكان مثال اللطف والنبل، وأنشأ قصيدة في تلك الربوع مطلعها :

ذكرت الصبا وعهده بمراجع مضت بين هاتيك الربوع الروائع  
تولى القضاء في عدة مدن، وكان من بين المغاربة الذين يُدعون لإلقاء محاضرات في معهد الدراسات المغربية العليا بالرباط لسيولة قلمه وسعة اطلاعه. وكانت

وقد ظهر ولعه بالمطالعة، فأقبل على قراءة الكتب وبعض ما كان يصل إلى المدينة من المجلات والجرائد العربية سواء منها المشرقية أو الصادرة في تطوان. انخرط في الحركة الوطنية وكان من العناصر النشيطة في حزب الشورى والاستقلال بمكناس وقد لقي في سبيل عقيدته الوطنية مضايقات كثيرة. وأهله عصابيته للانخراط في سلك التعليم في بداية عهد الاستقلال، فاشتغل معلماً للغة العربية ثم أسندت إليه مهمة الإدارة، فعين على التوالي مديراً لمدرسة الريش الابتدائية، ثم المجموعة المدرسية بالحاجب، ثم مدرسة الإمام الغفاري بالدار البيضاء. وأحيل على التقاعد وعاد ليستقر بمسقط رأسه أواخر سنة 1993.

ارتاد الزباني مجال الكتابة في سن مبكر، وكان من بين القلة من شباب مكناس الذين ذهب بهم الطموح إلى الكتابة في المجلات الوطنية بالمغرب. وبدل على ذلك سبقه إلى مراسلة مجلة الأنيس التطوانية التي نشرت له - على امتداد ثلاثة عشر عدداً من سنتي 1949 و1951 - سلسلة من المقالات الأدبية.

ولم ينقطع عن الكتابة حتى بعد التحاقه بالوظيفة، فقد أسس بتعاون مع نخبة من شباب مدينة مكناس "جمعية اللواء الثقافي". وكان له فضل السبق إلى إصدار مجلة تحمل اسم هذه الجمعية عام 1957، وهي مجلة أريد لها أن تعكس النشاط الثقافي للجمعية بالمدينة.

وكان أعضاء الجمعية يتناوبون على رئاسة تحرير مجلة اللواء، فأسندت إليه هذه المهمة في تحرير مواد العدد الثالث منها.

وتعتبر اللواء الثقافي أول مجلة عربية تصدر بمدينة مكناس بعد الاستقلال. صدر عددها الأول في مستهل سنة 1957، وتلاه العدد الثاني في مارس من نفس السنة، وتأخر صدور العدد الثالث إلى شهر مايو 1959. وبعد توقف تجاوز ثلاث سنوات صدر العدد الرابع في يونيو 1962. وقد طبعت الأعداد بأكملها بواسطة الستانسيل.

وبالرغم من قلة أعداد مجلة اللواء الثقافي، فقد استطاعت أن تستقطب أقلام فنة من علماء المدينة ومثقفها من الشباب. ومن هؤلاء العلامة المؤرخ المرحوم محمد بن الهادي المنوني وهو - يومئذ - مفتش لمادة التاريخ في ثانويات التعليم الأصيل ومراقب للدراس بالمعهد الديني بمكناس. ومنهم أيضاً الأستاذ سيدي محمد بن عبد القادر العرائشي مدير المعهد المحمدي بمكناس. وكان من بين الذين كتبوا بانتظام في المجلة : عبد العزيز بن عبد الجليل، وعبد الهادي المراكشي، وعبد الحميد بن عداة، والعلمي بن حلام، وأحمد الغرميلي، والهاشمي التهامي الراجبي. ومن شعراء المجلة : محمد بن أحمد الأجرابي، ومحمد بن عبد الله الرغني، وأحمد الصقلي، وعبد السلام الزيتوني.

موضوعاته المفضلة الحديث عن البادية المغربية وسكانها في الجبال والأودية وما أُنحيت من رجال فكر وأدب. وربما وسع بعض محاضراته فجعله كتاباً مثل الأبحاث الرشيدة عن الأدب بين تاوريرت وجبل دبدو ورشيدة. يقول في مقدمته : "ضرب الله لهذه البقاع بسهم من الأدب والعلم وفير، ومرّ فيها فطاحلة متشبعون بعلم غزير، ولم يخل محل من هذا المغرب الشرقي من علماء أجلة، إن لم يكونوا أقمراً فهم أهلة". وتحدث فيه عن آل عبد الجبار بفكيك وخزانتهم الغنية وآثارهم الثرية والشعرية، وعن الإمام محمد المختار ابن محمد أمزيان الدمراوي وقومه الرحل المستوطنين الآن بجوار دبدو، وأحمد ابن الوزان الملوكي صاحب الشمقمة. على أن أهم إنتاج أحمد الزباني هو كتابه تاريخ زيان، وهو إن لم ينشر بعد فقد استفاد منه كثير من الباحثين في تاريخ الأطلس ومنطقة الدير.

توفي بمدينة وادي زم عشية يوم الاثنين سادس عشر ربيع الثاني عام 1384 / 21 غشت 1964.

أ. الزباني نفسه، الأبحاث الرشيدة، مخطوط : تاريخ زيان، مخطوط : ع، ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 9 : م. حجي، الزاوية الدلالية، ط 2، الدار البيضاء، 1988.

محمد حجي

**الزباني، الضرب الهاشمي بن أحمد الرباطي، أستاذ الشيخين إبراهيم التادلي والمكي البطاوري والقاضين أحمد البناني ومحمد البربري والأخوين محمد والغازي ابن الحسين.** قرأ العربية والرواية والفقه والقراءات ومبادئ العلوم. كان له مجلس حفييل يحضره كثير من طلبة الرباط وخصوصاً في درس مختصر خليل وصحيح البخاري والشاطبية بالجمعي.

توفي في الساعة العاشرة من يوم الاثنين فاتح محرم 1300 / 12 نونبر 1882 ودفن بالعلو بروضة المجاهدين. م. بوجندار، الاغتباط، ص. 469.

**الزباني، عبدالرحمن** ولد بمكناس عام 1932، والتحق في طفولته بالكتاب، فحفظ القرآن الكريم وبعض المتون الفقهية واللغوية كالمُرشد المعين وألفية ابن مالك. لم تكن ظروفه المادية تساعد على الالتحاق بالتعليم المنتظم، فاحترف الحرازة، وكان دكانه الواقع بحومة التوتة ملتقى لثلة من الأصدقاء يتابعون دراستهم بالمعهد الديني، فكان يستعير منهم كتبهم الدراسية وخاصة منها ما كان له صلة باللغة والأدب، كما كان يحضر - أحياناً - مجلس الفقيه الأديب السيد محمد بن أحمد بن المفضل براءة بجامع الأنوار المعروف بجامع سوق السباط القريب من موقع دكانه، فيستمع إليه وهو يقرئ ألفية ابن مالك وشروحها.



### الزَيَّانِي، أبو القاسم بن أحمد بن إبراهيم، المؤرخ

الشهير، نسبته إلى قبائل زيان الأطلسية. استقر جده بمدينة  
مكناس بعد أن استقدمه المولى إسماعيل ليكون إماما  
خاصا به. لكن والده اضطر للتنقل إلى مدينة فاس بعد وفاة  
المولى إسماعيل في سنة 1727 واضطراب الأحوال  
بالعاصمة. وبمدينة فاس ولد أبو القاسم في سنة 1147 / 34 .  
1735.

عاش أبو القاسم الزَيَّانِي مدة طويلة (أكثر من مائة  
سنة إذا اعتمدنا التقويم الهجري) وعاصر خمسة سلاطين.  
إلا أن هذه الحياة الطويلة اتسمت بعدم الاستقرار والمحن  
الكثيرة التي اعترضت المترجم منذ سن مبكرة. كانت أولى  
هذه المحن غرق السفينة التي أقلته هو والديه من مصر  
إلى أرض الحجاز، وكان في نيتهم أن يتركوا المغرب بالمرّة  
لما كان يعرفه من فتن واضطراب سياسي. لكن ضياع  
ممتلكاتهم بعد هذه الحادثة جعلهم يقلعون عن الفكرة  
ويرجعون إلى وطنهم.

وبعد عودته إلى فاس وجد الزَيَّانِي أن أمور الدولة آلت  
إلى أمير مقتدر هو سيدي محمد بن عبد الله وأن معظم  
رفاقه في الدراسة قد التحقوا بخدمة السلطان الجديد.  
عندئذ تآقت نفسه إلى الالتحاق بهم، وتعلقت همته بالخدمة  
المخزنية على الرغم من نهي والده وتحذيره له من خدمة  
الأمراء. "فلم ينفع عزمي نهييه، يقول أبو القاسم، ولا ردني  
إنذاره وهديه"، فتقلد الكتابة بديوان السلطان مدة عشرة  
أعوام قبل أن يصاب بنكبة ثانية عندما عزل من الخدمة  
المخزنية عام 1769 / 1182 م. إلا أنه ما لبث أن رجع إليها  
بعد صفح السلطان عنه. لكن الزَيَّانِي لم يبق هذه المرة  
محصورا في دائرة الكتابة بل نجده يتقلد مناصب سامية  
حيث كلفه سيدي محمد بعدة مهام تتعلق بإخضاع قبائل  
أيت أو مالو، أو ولاية العرائش أو الإشراف على تربية أبنائه  
بتافيلات. وفي سنة 1786 / 1200 أرسله السلطان سفيرا  
إلى الدولة العثمانية، وهي السفارة التي تحدث عنها  
الزَيَّانِي بإسهاب في الترجمانة الكبرى في أخبار المعصور.  
وبعد عودته من إسطنبول عينه السلطان عاملا بتازة  
والمناطق الشرقية؛ وفي سنة 1788 نقله إلى تافيلات التي  
بقي بها إلى حين وفاة سيدي محمد بن عبد الله في سنة  
1790 / 1205.

وكانت هذه الوفاة إيذانا بنكبات أخرى تمثلت في  
إدخاله السجن مرتين على يد المولى اليزيد 1205 . 1207 /  
1790 . 1792). ولما بوع المولى سليمان كلفه بولاية وجدة  
بقصد كبح جماح عرب أنكاد، لكن القبائل الشائرة  
اعترضت طريقه قبل أن يصل إلى مقر ولايته، فنهيه هو  
ومن معه. عندئذ سئم الخدمة المخزنية، كما يقول، ولعله

أما عبدالرحمن الزَيَّانِي فقد شارك بدراسة متسلسلة  
تحت عنوان "ركن المربي" طرح فيها بعض إشكاليات  
العملية التعليمية بالمدرسة المغربية، كما شارك بدراسة  
أدبية ذيلها بتوقيع "أبو المطرف".

والى ذلك فقد كان الزَيَّانِي من بين كتاب مجلة دعوة  
الحق التي نشرت له عدة مقالات أدبية واجتماعية.

أما في مجال التأليف فقد صدرت للمترجم خمسة كتب  
أربعة منها طبع على السانسل وهي :  
- من وحي الشباب، فصول في الأدب والاجتماع. وهو  
في نحو ثلاثمائة صفحة.

- صور من الأدب النسوي، أدبيات الأندلس. صدر  
الكتاب في طبعين : الأولى عام 1396 / 1976 والثانية عام  
1397 / 1977. وقد ضم الكتاب ما سبق أن نشره المؤلف  
منجما بمجلة الأنيس التطوانية خلال سنة 1949 ابتداء من  
العدد 27 إلى العدد 34، وقوام ذلك أربعون ترجمة في نحو  
مائتي صفحة.

- من جنى الفردوس المفقود، سوانح وخواطر، 1997،  
الربش. وهو في نحو مائة وثمانين صفحة.

- أعلام من المغرب والأندلس، يضم ترجمتي مالك ابن  
المرحل وابن عمار المهدي، وهو في نحو مائتين وستين  
صفحة.

والى هذه المؤلفات الأربعة يضاف كتاب خامس تم طبعه  
بشركة الطباعة - صوت مكناس عام 1995، وعنوانه :  
الكتاب الإسلامي الكبير مصطفى صادق الرافعي - نظرات  
في مواقفه تحت راية الإسلام.

تتسم كتابات الزَيَّانِي بغلبة الأسلوب الخطابى والاندفاع  
العاطفي في إصدار بعض الأحكام أو استخلاص بعض  
النتائج. وهو يبرر جموحه هذا بما كانت تمليه عليه فورة  
الشباب من حماس، ولطموحه في أن يرى الفضائل متجسدة  
في قومه والمحاسن وقفا على معشره.

وقد أقعده المرض الفراش أواخر حياته إلى أن وافاه  
الأجل المحتوم في 22 شعبان 1419 الموافق 11 شتنبر 1998  
بمكناس.

كتب المترجم ومقالاته المذكورة في الترجمة : معرفة شخصية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

### الزَيَّانِي، عبد القادر بن محمد مقاوم من مواليد

سنة 1930 بدوار تيزي بودريس ملحقة دائرة أكنول إقليم  
تازة.

انخرط في صفوف جيش التحرير تحت قيادة الشهيد  
حسن الزكريتي وابنه عبد الله الزكريتي حيث خاض معارك  
مريرة ضد القوات الاستعمارية الفرنسية أبان خلالها عن  
روح نضالية عالية وشجاعة نادرة إلى أن بزغ فجر  
الاستقلال.

توفي يوم الأربعاء 10 رمضان 1416 / 31 يناير 1996.

1235 / 1819 بزعامة المرابط الكبير أبي بكر أمهاوش. وقد بذل هذا القائد وقبيلته تضحيات كبيرة من أجل نصرته السلطان وتخليصه من الأسر بعد وقوعه في أيدي البرابر أثناء أحداث معركة ضيآن الشهيرة التي جرت وقائعها سنة 1235 / 1819 (الإتحاف، ج. 5، ص. 531). واعترافاً بهذا الجميل استمرت قيادة زيان في بيت حمو الزياني وأوقف الملوك العلويون، منذ ذلك التاريخ ولاية هذا المنصب على عقبه فتولاها أبنائه تبعاً. ففي سنة 1294 / 1877 عين السلطان مولاي الحسن محا وحمو الزياني قائداً على إخوانه بعد مقتل أخيه سعيد في حروب مع جيرانه اشقيين. وكان عمره يومئذ عشرين سنة (موحا وحمو الزياني، ص. 13).



وقد زود السلطان محا وحمو بجيش كثير العدد والعدة لإخضاع القبائل النائرة في المنطقة وترسيخ النفوذ المخزني في الأطلس المتوسط بصفة عامة الذي لم تعد قبائله تعرف النظام والاستقرار منذ أحداث معركة ضيآن الأثفة الذكر. (الإتحاف، ج. 5، ص. 531) وقد ظل موحا وحمو الزياني وقيماً لسلطانه الذي لم يبخل عليه بالدمع المادي والمعنوي من جهته. فحافظ على الأمن من في المنطقة، وعمل على تأمين السبل، تنشيط الحركة التجارية بين مدينة فاس وبلده خنيفرة، فجلب إلى عاصمته نحو مائتين من كبار تجار العاصمة الإدريسية. كما استقدم إليها أيضاً قاضياً ومجموعة من الحرفيين والفقهاء لتعميرها والعمل على نهضتها. ولتعزيز أواصر القرابة بينه وبين السلطان أهدى موحا وحمو الزياني بنته البكر عروساً لولي عهده الأمير مولاي عبد العزيز. وبذلك تعززت مكانته في البلاط الملكي (موحا وأحمو الزياني، ص. 21). غير أن زواج المصلحة هذا لم يعمر طويلاً. فعندما توفي السلطان مولاي الحسن، تقلص نفوذ السلطة المركزية وبدأ القواد الكبار يتطلعون إلى الانفرد بالقرار والاستقلال بجهاتهم. وفي هذا الإطار. وبالرغم من مصاهرته لمولاي عبد العزيز الذي تقول الروايات إنه لم يمسس قط تلك الفتاة البربرية المهداة إليه أعلن موحا وحمو الزياني انفصاله التام عن المخزن وبدأ يكون جيشاً خاصاً به ضم عدداً وافراً من

خاف غضب السلطان. ففر إلى الجزائر ومنها قصد المشرق فزار الأستانة، قبل أن يسافر إلى الحجاز لأداء مناسك الحج. وبعد غياب دام سنتين قفل راجعاً إلى المغرب. لكنه لم يأمن على نفسه فأقام بتلمسان إلى أن وصله كتاب من المولى سليمان يطمنه ويدعوه إلى الالتحاق بأهله بفاس. وما لبث أن عرض السلطان عليه ولاية العرائش فقبلها بعد إلحاح. وفي سنة 1801 نقله إلى تادلا لكنه لم يوفق في كبح جماح قبائل المنطقة فكان ذلك آخر عهده بالخدمة المخزنية. إلا أن ابتعاده عن السياسة وقر له الظروف الملائمة كي يتفرغ للتأليف، فانكب على تدوين التاريخ وتسجيل أخبار رحلاته. وقد خلف الزياني كمية هائلة من التأليف التاريخية، أهمها الترجمان المغرب الذي قمت مراجعته وتكميله فأصبح يحمل عنوان البستان الطريف ثم الروضة السليمانية. وإذا كان هذا المؤلف قد غطى تاريخ المغرب إلى أواخر عهد المولى سليمان فإن الزياني قد سجل ما عاشه من عهد المولى عبد الرحمن في مؤلف صغير مستقل سماه تكميل الترجمان في خلافة مولانا عبد الرحمن. وبالإضافة إلى هذه التواريخ ترك الزياني عدة مؤلفات في شتى الفنون منها :

- الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار العالم برا وبحرا.
- ألفية السلوك في وفيات الملوك.
- تحفة الحادي في رفع نسب شرفاء المغرب.
- رسالة السلوك فيما يجب على الملوك.
- التاج والإكليل في مآثر السلطان الجليل مولانا سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل.
- تحفة النبهاء في التفريق بين الفقهاء والسفهاء.
- تكميل قضاة فاس على ما في جدوة الاقتباس.
- جمهرة من حكم بفاس.

وعلى الرغم من التكرار الذي يطبع مؤلفات الزياني الذي يبني على كتابات سابقة لينتج مؤلفاً جديداً لا يختلف كثيراً عن سابقه، فإن مؤلفاته لا تخلو من أصالة وتعتبر في مجملها مصدراً ثميناً لتاريخ المغرب في العهد العلوي اعتمده من جاء بعده من المؤرخين كمحمد أكنسوس في الجيش العرمرم وأحمد بن خالد الناصري في كتاب الاستقصا.

أبو القاسم الزياني نفسه، البستان الطريف في دولة أولاد مولاي الشريف، تح. رشيد الزاوية، الجزء الأول، الرباط، 1992؛ الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تح. ع. الكرم الفيلاي، الرباط، 1967؛ لبني بروفنسال، مؤرخو الشرفاء، تعريب عبد القادر الحلاوي، الرباط، 1977.

محمد المنصور

**الزَيَّانِي، مُحَا وَ حَمُو، بطل المقاومة في الأطلس المتوسط القائد ابن القائد حمو الزياني.** كانت لأبيه سالف خدمة في رحاب الدولة العلوية. فقد كان حمو الزياني من أنصار السلطان مولاي سليمان أثناء الانتفاضات المتلاحقة التي شهدتها الأطلس المتوسط في سنة

وانهيار مقاومة الأهالي، في يوم الأحد 17 رجب 1339 الموافق 27 مارس 1921 استشهد موحى وحمو الزياني على إثر رصاصة أصابته في عنقه، وبذلك أوشكت مقاومة الأطلس المتوسط على الانتهاء بعد اختفاء أحد زعمائها الكبار.

ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف الرباط، 1933، الجزء 5 : فرانسوا بيرجي، موحى وحمو الزياني، 1877. 1921. تر. محمد بوسته، طبعة، أنفو برانت، فاس، 1999.

العربي اكنينج

**الزياني، محمد حمادي بن محمد المعروف عمامو،** مقاوم، أحد رجال منظمة الهلال الأسود للمقاومة، برز في صفوفها بفضل حضوره في العديد من عملياتها، ومنها وضع قبيلة قوية المفعول مساء الخميس 13 ماي 1954 في القبلا التي يقيم بها المهندس الفرنسي "جان شامبيونا" (76 سنة) بزئقة الجنيرال "هومبيرت" (Humbert) قرب القصر السلطاني بالمدينة الجديدة في الدار البيضاء، وقد أدى انفجار القبيلة إلى سقوط المهندس المذكور قتيلاً.

تمكنت مصالح البوليس من اعتقاله عندما كان يمر رفقة عبد الله الحداوي ومحمد فتان الدكالي بمحج "بيبرسيموني" (2 مارس حالياً) على متن سيارة في ملك منظمة الهلال الأسود، وذلك يوم الخميس 26 يناير 1956، وأثناء الاستنطاق اعترف الزياني بتورطه في عملية تصفية أحد باعة التبغ يدعى "كازانوقا" وعمليات أخرى.

وقد راح الزياني ضحية الاعتقال الذي نشب بين الهلال الأسود والمنظمة السرية التي حاولت الهيمنة على باقي منظمات المقاومة، إذ ترصد له أربعة من أعضائها فاغتنالوه بإحدى دور درب البلدية بعد ظهر يوم السبت 21 ذي القعدة 1375 / 30 يونيو 1956.

*La vie marocaine*, n° 16136, 5 Juil. 1956, p. 5.

محمد وحيد

**الزياني، محمد حيدر** من جيل الرواد المغاربة السينمائيين منهم والتلفزيونيين، يرجع إليه فضل كبير في تفعيل التلفزة المغربية إبان البث المباشر في الستينيات حين كان مديراً لها من 1964 إلى 1967، وشغل فيما بعد منصب مدير عام للمركز السينمائي المغربي من 1971 إلى 1974. ولد محمد الزياني (شقيق المخرج التلفزيوني أحمد حيدر) سنة 1936 بالدار البيضاء. وبعد حصوله على شهادة البكالوريا في شعبة الآداب العصرية، قام بدراسة مسرحية بالمعهد الوطني للمسرح بباريس سنة 1956، ودرس إلى جانبه آنذاك عدد من الممثلين الفرنسيين الذين اشتهروا فيما بعد أمثال : جون بول بيلموندو، جون كلود بريالي وميشال ميريال وغيرهم...

وفور تخرجه لعب دوراً بطولياً إلى جانب الممثل جيران فيليب، في فيلم (أفضل حصة) للمخرج الفرنسي إيث ألفري Yves Allegret. كما لعب في نفس المرحلة دوراً في

الجنود النظاميين الفارين من محلات السلطان بالإضافة إلى أتباعه المقربين ومجموعة كبيرة من المستائين وقطاع الطرق. وعندما اكتملت نواة هذا الطابور أخذت فصائله تجوب البلاد الممتدة بين فاس وصفرو، وأزرو، ومكناس مرودة شعار الجهاد والتخلص من الأجنبي المسيطرين على السلطان وحاشيته (موحا أوحمو الزياني، ص. 31) وقد تصدى المخزن العزيزي لهذه التحركات وعمل ما في وسعه لإخضاع هؤلاء الثائرين إلا أن محاولاته في هذا الاتجاه باءت بالفشل. وعندما أطاح مولاي عبد الحفيظ بأخيه عبد العزيز، فتح باب حرمه فوجد بنت موحا وحمو الزياني المشار إليها آنفاً لازالت بكرراً فتزوجها على الفور، ثم كتب في أعقاب ذلك إلى صهره يخبره بأنه على أهبة الدخول إلى فاس عبر طريق السلاطين المعتادة التي تمر ببلاد زيان، وحضه على تسهيل مامورته وشده عضده. امتثل موحا وحمو الزياني لطلب السلطان، ووضع رهن إشارته فرقة عسكرية هامة من إخوانه واتجه شخصياً لاستقبال العاهل الجديد مصحوباً بأبنائه، ثم أحاطه بحامية من الحراسة قوامها خمسمائة فارس ذهبت معه إلى فاس في شتبر 1908. (موحا أوحمو الزياني، ص. 33). لم تستمر علاقات الرد والمؤازرة بين المخزن الحفيظي والقائد الزياني طويلاً. فعند ما تزايد تغلغل النفوذ الفرنسي في الشاوية ووجدت واستولى ضباط البعثة العسكرية الفرنسية على المحلات السلطانية، وفي أعقاب تزايد الضغوط الجبائية على القبائل واستنزافها لمواردها، توترت العلاقة من جديد بين موحا وحمو والمخزن، وبدأ في الاستعداد لمواجهة الغزو الفرنسي للمغرب. عندما شرعت القوات الفرنسية في تهديم منطقة الشاوية في سنة 1908، تمكن موحا وحمو الزياني بمساعدة المرابط علي امهاوش من تكوين حلف عسكري ضم على الخصوص مناطق نفوذ موحا أو سعيد بني ملال، ومحمد أقبلي خصمه بالأمس الذي كان يضم تحت نفوذه نواحي مريرت، وألماس وأزرو، بالإضافة إلى قبائل أعالي وسفوح الجبال التي كانت خاضعة من الناحية الروحية لآل أمهاوش منذ زمن بعيد. بدأ موحا وحمو حركة الجهاد بإرسال فرق صغيرة للقتال في الشاوية. وعند ما وصلت الجيوش الفرنسية إلى خنيفرة في 11 يونيو 1914. ناوشها، ثم شد رحاله نحو الجبال للاستعداد الجيد للمقاومة. وفي أحد أيام شهر نوفمبر من نفس السنة، نزلت قبائل زيان من كل حذب وصوب وهاجمت القوات المعادية في المكان المدعو بالهري، وألحقت بها هزائم كبيرة كلفت فرنسا 613 قتيلاً من بينهم 33 ضابطاً و163 جريحاً من بينهم 6 ضباط (موحا وحمو الزياني، ص. 57). شجع هذا النصر موحى وحمو الزياني على مواصلة الجهاد فاستمر في القتال وتحولت المواجهات الكبرى بينه وبين الغزاة إلى حرب عصابات أدت إلى إلحاق خسائر فادحة في أرواح وعتاد الجيش الفرنسي. إلا أن عدم تكافؤ القوة بين موحى وحمو المقدام والمجاهد الذي حارب باستماتة اعتماداً على أسلحة تقليدية وموارد محدودة، وبين دولة عظمى تتوفر على جيش جرار مزود بعنات حربي متطور، أدى في النهاية إلى غلبة المستعمر،

فيلم (عين بعين) للمخرج الفرنسي أندري كايات André Cayatte.

مباشرة بعد ذلك توجه إلى الاتحاد السوفياتي للدراسة بالمعهد العالي للسينما بموسكو حيث تخرج بديبلوم في شعبة الإخراج بإنجازة لفيلم بعنوان (الحظ الأخير) تحت إشراف المخرج السوفياتي سيرغي بوندار تشوك Serguei Bondarhouk سنة 1960.

و حين عاد إلى المغرب ولج الميدان السينمائي كمساعد مخرج في فيلم (لورانس العرب) للمخرج البريطاني دافيد لين David Lean، كما أخرج للسينما المغربية فيلمين قصيرين : (البساط) سنة 1968، و(إيه يازمان) أو حديقة الحيوان) سنة 1972، وهو فيلم طريف يؤسس للنسق الكوميدي في السينما المغربية حيث يعلق محمد الزياتي على عدد من سلوكات البشر المضحكة والغريبة على السنة مجموعة من الطيور والحيوانات الموجودة بالحديقة.

أما أعماله التلفزيونية فقد انحصر أبرزها في إخراج فيلم روائي طويل تحت عنوان (المتقاعد) كما صور وأخرج مسرحيات شهيرة من ضمنها : (درهم الحلال) و (أمجاد محمد الثالث) لإدريس السادلي و(الشاهد الأخير) و (مولاي رشيد)...

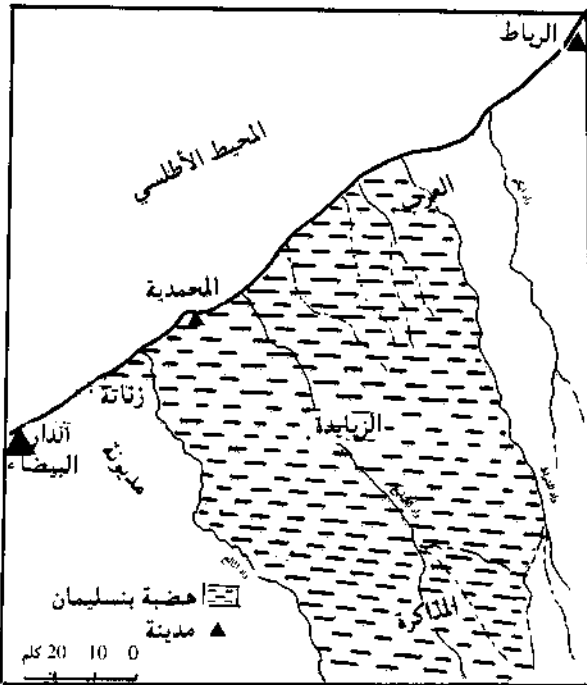
كما مثل في فيلم (أفغانستان لماذا) لعبد الله المصباحي سنة 1982، ورغبة منه في خوص غمار الإنتاج المستقل أسس المرحوم الزياتي شركة إنتاج سينمائية تحت اسم (الزياتي فيلم) بهدف إنجاز أعمال وطنية أخرى بالاشتراك مع غيرها من المؤسسات والأفراد من داخل وخارج الوطن. غير أن يد المنون اختطفت محمد الزياتي يوم الأحد 23 جمادى الأولى عام 1409 / فاتح يناير 1989 بمدينة مراكش ودفن في الرباط في الثالث من نفس الشهر والسنة.

خ. الحضري، دليل المخرجين السينمائيين المغاربة، واتصال شخصي بشقيق المرحوم، المخرج أ. حيدر الزياتي.

خالد الحضري

**الزِيَايَة**، أهم تجمع بشري اقترن اسمه بالجزء الشمالي الشرقي لبلاد الشاوية وذلك منذ أواخر القرن الثاني عشر (18 م) هو : قبيلة الزيايدة التي زحفت آنذاك من بلاد المذاكرة في اتجاه الشمال والغرب لتستقر في الأجزاء الجنوبية والوسطى لهضبة بنسليمان بين وادي الشراط ووادي المالح مستغلة الفراغ السكاني النسبي الذي كانت تعرفه المنطقة. وتفيد بعض الروايات أن الزيايدة في بداية استيطانها هذا المجال كانت محدودة الحجم، إذ كان عدد العائلات بها ينحصر في حوالي 20 عائلة أصلها أمازيغي من صنهاجة ؛ فكانت هذه العائلات ترحب بكل الوافدين عليها الفارين من القبائل المجاورة أو من مضايقات رجال المخزن من أنحاء مختلفة، وإما مغامرين يبحثون عن مورد عيش أفضل، ومن ثم شاع استعمال فعل "زاد" بين أفراد القبيلة، إشارة إلى كل وافد جديد انضاف إلى القبيلة، مما جعل العديد من أفراد هذا التجمع البشري يعتقدون إلى

الآن بأن قبيلتهم استمدت اسمها من فعل "زاد" تعبيراً عن التزايد المستمر في عدد سكانها الأجانب. وفي نفس الرؤية والتوجه يحكي الكثير من أرباب الأسر الزيايدة بأن لفظ "الزيايدة" ارتبط بالخيرات الفلاحية لبلادهم، وأن كان من زارها منذ القديم كان يتعجب لهذه الخيرات فيأتي بأهله وتكرر العملية التي أدت إلى تزايد حجم القبيلة وتزايد خيرات أرضها أيضاً. وهناك رواية أخرى تقول بأن القبيلة أخذت هذا الاسم "الزيايدة" في غضون القرن الأول الهجري أيام الفتوحات الإسلامية حيث قدمت إلى المغرب وفود من المسلمين، واستقر بالمنطقة أحد هؤلاء الفاتحين الذي لعب دوراً هاماً في حياة القبيلة ويدعى "زياد" ومنذ ذلك الحين أصبحت القبيلة تحمل اسم "بني زياد"، ومع مر الزمان تغير هذا الاسم ليصبح : الزيايدة التي كانت تشكل مع مديونة وأولاد زيان خلال القرن التاسع عشر مجموعة الشهاونة حسب التقطيع الترابي الذي وضعه المخزن من أجل التحصيل الضريبي.



الزيايدة أهم قبيلة استوطنت هضبة بنسليمان منذ أواخر القرن الثامن عشر

وعلى العموم فإن أحد لا يستطيع اليوم أن يجزم بمعرفة الأصول الحقيقية لقبيلة الزيايدة الموسعة المركبة لأنه داخل هذه القبيلة اختلطت الأصول البربرية بالأصول العربية، كما هو الشأن بالنسبة لمعظم قبائل الشاوية، إذ اندمجت عناصرها لتكون في النهاية قبيلة موسعة وحدتها الظروف التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، ثم زادت البيئته الجغرافية وطول المعاشرة والجوار ومتاعب تقلبات الدهر تماسكا وانصهارا. وقد عبر أحمد الناصري عن ذلك عندما قال متحدثاً عن قبائل

\* اسم الزئبق قديم، يتحدر من كلمة "إيدراجير" (Hydragyre)، وتنقسم هذه الأخيرة إلى "إيرور" وتعني الماء، و "أرجيروس" وتعني الفضة. ومن هنا أصبح رمزها الكيميائي Hg. يبلغ الوزن الذري للزئبق 200.51، أما كثافته فهي 13.6. الزئبق هو معدن أبيض، شديد النضاعة، يبقى سائلا من 39°C إلى 357°C. يمكن أن نجد الزئبق على حالته الطبيعية (أي سائلا) في بعض مناجم الزئبق، إلا أنه غالبا ما يوجد على شكل كبريتات. ويبقى الزئبق أهم ركاز للزئبق على الإطلاق. ونشير هنا إلى أن أصل كلمة الزئبق هندي، وتعني راتينج أحمر، وهو كبريت الزئبق (HgS)، نظامه البلوري معيني، ذات انقسامات بارزة، وشقق غير متساوية، لمعانه ماسي، صلابته 2 إلى 2.5، كثافته 8.09؛ غالبا ما يكون لونه أحمر قرمزي أو ضارب إلى السمرة، أشبه ضارب إلى الزرقة، وأصفر ليموني أو أصفر عند تفسخه. عند تسخين الزئبق، نحصل على مادة الزئبق على شكل قطرات سائلة. نجد الزئبق على شكل الزئبق في العروق الحرمانية، وعلى شكل تشبعات في الحجر الرملي والكوارتزيت، والصخر الكلسي، والنضيد الكاربوري أو الفحم.

A. Foucault et J.F. Raoul, *Dictionnaire de géologie*, 3ème éd. Paris, 1988 ; E. Saïdi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (français-arabe)*, Rabat, 1990 ; J. Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*, Paris, 1986 ; D. Rudolf et Lubos R., *La grande encyclopédie des minéraux*, Paris, 1989 ; *Goéologie des gîtes minéraux marocains (Substances métalliques et non métalliques)*, 2ème éd., t. 1, Rabat, 1980 ; *Goéologie des gîtes minéraux marocains (Phosphates)*, 2ème éd., t. 3 ; J. Agard, *Minevrais et substances utiles de la carte géologique au 1/200.000 des environs de Casablanca, rapport SEGM*, n° 151, 1950 ; A. Michard, *Elément de géologie marocain, Notes et mémoires du service géologiques*, n° 252, 1976 ; *Eléments de la géologie du Maroc*, Mins, Géologie et Energie, n° 41, 1977 ; *Marbres et roches ornementales, Mines, Géologie et Energie*, n° 45, 1979 ; *Bulletins mensuels de la conjoncture minière*, Ministère de l'Energie et des Mines, Direction des Mines, Maroc ; D. Reig, *Dictionnaire Arabe-Français, Français-Arabe, As-Sabil*, Paris, 1986 ; P. Lapadu-Harques, *Précis de minéralogie*, Paris, 1954 ; B. Bariand, F. Cesbron et J. Geffroy, *Les minéraux, leurs gisements, leurs associations* Paris, 3 vol., 1978.

عبد الله بوضحابة

**الزيت والزيتون**، بالرجوع إلى المصادر العربية التي أشارت إلى المغرب منذ الفتح الإسلامي وإلى مصادر التاريخ القديم، وباستنتاج الآثار المتخلفة عن الفترة الرومانية وما قبلها، يظهر أن إنتاجهما واستهلاكهما محليا كان مقتصرًا على بعض المدن والمستعمرات الرومانية (فتح BAM 248 م 5 و6) وقد استمر هذا النشاط الفلاحي إلى القرون الأولى التي أعقبت الفتح الإسلامي للمغرب،

الشاوية في أواخر القرن الماضي : "واعلم أن الشاوية... وقع فيها اختلاط كبير نسوا أنسابهم وأصولهم الأولى إلا في النادر، وذلك بسبب تعاقب الأعصار، وتناسخ الأجيال، وتوالي المجاعات والانتجاعات، ووقعات الملوك بهم في كثير من الأحيان، وتفريق بعضهم من بعض ونقل بعضهم إلى بلاد بعض". كل هذا يجعلنا نخلص في الأخير إلى أنه من الأسلم التمييز بين "الزيادة" كتعبير عن تركيبة بشرية غير متجانسة على صعيد الأصول والنسب و "الزيادة" كوحدة سوسيو - مجالية، فاللفظ يحيل على إطار ترابي واجتماعي أكثر مما يحيل على وحدة بشرية، وذلك لغياب ما يثبت الأصل المشترك للقبيلة ولعظم التصنيفات المتفرعة عنها من فخذات ودواوير، وحضور ما يدعم ويزكي الاعتقاد بالأصول المختلفة والمتفرقة. ونشير في هذا السياق إلى أنه حتى إذا سلمنا بصحة الأصل الأمازيغي للعائلات الزيادية الأولى فإن هذه العائلات قد انصهرت وذابت وسط العائلات العربية الوافدة عليها خلال حقبة زمنية متتالية إلى أن أصبحت اللغة العربية الآن هي اللغة الوحيدة المتداولة بين مختلف المجموعات البشرية المكونة لقبيلة الزيادية.

تحريات ميدانية : أ. الناصري، الاستقصاء، نج. جعفر الناصري

ومحمد الناصري، ج. 1، الدار البيضاء، 1956، ص. 66، 67.

Mission scientifique du Maroc, op. cit., 52.

المختار الأكل

**الزئبق**، أو الزواق معدن أبيض، لامع، شديد الثقل. وهو الفلز الوحيد الذي يوجد سائلا تحت الحرارة العادية، فلا يتجمد إلا عند بلوغ 39 درجة تحت الصفر. رمزه الكيميائي Hg وعدده الذري 80 ووزنه الحجمي 13.6 غ / سم<sup>3</sup>. عرف الزئبق منذ أقدم العصور. وقد جعلت منه كفاءته على إذابة الفلزات غير الحديدية، وعلى الخصوص منها قدرته على ملقمة الذهب، مادة مطلوبة جدا. وهو مستعمل في تجهيزات القياس (المحاررات، المضغاطات...) وفي صناعة سبائك معالجة الأسنان. إلا أن المضار المترتبة عن أبخرته تشكل إكراهات تحد من استعماله.

بالإمكان العثور على الزئبق في حالته العنصرية، غير أن مكانه الرئيسية توفره على الخصوص في وضعه المكبرت، المدعو بالزئبق.

هناك علائم للزئبق وصفت بالمغرب في موقع جنان النيش، بالريف، وكذلك بالأطلس الصغير حيث يوجد مشتركا مع الفضة في منجم إمبضر الذي يمثل حاليا المنجم الوحيد المنتج للزئبق كمادة ثانوية لمعدنة الفضة.

عدي عزى

وخاصة في المدن القديمة وليلي وليكوسس والمناطق المجاورة لها ؛ فالبيكري في كتابه أشار إلى وجود زيت الزيتون في فاس ( المغرب، 117 ) وقال المقدسي عن فاس وناحيته : "بلد كثير الخيرات والتين والزيتون" (أحسن التقاسيم، 229).

هذه الشهادات تبين مدى المجهود الذي بذله الأدارسة لتشجيع إنتاج زيت الزيتون لتلبية حاجيات المدينة في التغذية والدهان والإنارة، لكن هذا التوسع في إنتاج الزيتون ومشتقاته تم على يد فلاحين كسبوا الخبرة في الميدان لطول استقرارهم بالمنطقة فمدينة فاس ليست بعيدة عن مدينة وليلي التي تزخر بالأثار المرتبطة بإنتاج الزيتون كمعاصر الزيت وأرचितها (BAM). ومن القبائل التي يمكن القول إنها ورثت هذه الفلاحة وصناعة الزيت قبيلة مكناسة الزناتية حتى أن اسمها ارتبط بالزيتون (مكناسة الزيتون) تمييزاً لها عن باقي مكناسة. فمناطق إنتاج الزيتون وزنته واستهلاكه بقيت محصورة خلال الفترة الأولى من العصر الوسيط في (المثلث الروماني) وامتداده في سايس، وشكلت مدن فاس ومكناسة وتازا أهم مراكز الإنتاج في المرحلة الموالية حتى إن صاحب الاستبصار قال عن مكناسة في زمنه (العهد الموحدى) : "زيت مكناسة أكثر زيت في المغرب..." ( الاستبصار، 187 و188 و210 ؛ نزهة المشتاق، 3: 230 ؛ الروض المعطار، 541 و544؛ الحلل الموشية، 146؛ الروض الهتون، 6).

يرجع التوسع في إنتاج زيت الزيتون إلى تشجيع الموحدين (وهم أصلاً غراسون) فتوسع العمران وتعدد المدن وتزايد أعداد السكان المستقرين، وتحسن المستوى المعيشي أدى إلى ارتفاع الطلب على زيت الزيتون للتغذية والإنارة والإضاءة في المؤسسات العمومية (مساجد، مدارس، حمامات، فنادق، أسواق، وحتى الأزقة...) على أن هذا الاستهلاك ظل محصوراً إضافة إلى ما ذكر بين الأعيان والخاصة، أما العامة فكان استهلاكهم له قليلاً بسبب ارتفاع ثمنه.

من خلال الأسعار التي ذكرتها المصادر عن زيت الزيتون يظهر أنه كان متوفراً فقط في بعض الفترات غير المرتبطة بالمعطيات الطبيعية كالكوارث والقحوط والأمراض والآفات التي تصيب الأشجار المثمرة، أو تقلبات المناخ؛ وقد ارتبطت مسألة الوفرة أو القلة كذلك بظروف الأمن والاستقرار؛ ففي الظروف السلبية يتم تخفيض الاستهلاك عن طريق تخفيض الإنارة في المحلات العمومية، ويتم التغلب على الخصاص في الزيت أحياناً باستيراده؛ فقد جاء في كتاب نزهة المشتاق ص.239 عن مرسى سلا : "...مراكب أهل إشبيلية وسائر المدن الساحلية من الأندلس يقلعون عنها ويحطون بها بضروب من البضائع وأهل إشبيلية يقصدونها بالزيت الكثير وهو بضاعتهم..." (الحديث عن مدينة سلا).

الأسباب المشار إليها أن المنطقة الشمالية من المغرب كانت على اتصال أكثر بالأندلس عن طريق البحر، وأن الأندلس وخاصة إشبيلية كانت منتجاً رئيسياً لزيت الزيتون وأن ثمنه عند وصوله إلى المغرب كان أرخص من الزيت المصنوع محلياً، فالنقل البحري أرخص بكثير من النقل البري. ولم تكن مدينة سلا المستورد الوحيد لزيت الأندلس بل كانت مراسي البحر الرومي (المتوسط) نشيطة في هذا المجال، فالبادسي في المقصد الشريف تحدث عن تاجر كان محتكراً للزيت الإشبيلي في بادس.

وبالرجوع إلى التوزيع الجغرافي لشجرة الزيتون نلاحظ أن المناطق التقليدية لإنتاج الزيتون تبقى في المقدمة (مكناسة وفاس والناحية). وحتى التوسع الذي أشرنا إليه في العهد الموحدى الذي تزعمه الخلفاء والأمراء بأنفسهم قد توقف أواخر الدولة الموحدية؛ فكتاب التشوف الذي يعكس صورة المجتمع المغربي في هذه الفترة لم يشير إلى الزيت إلا عند ذكره "لفندق الزيت بسلا" ( التشوف، 186). وفي نفس الفترة، فترة الناصر الموحدى، أورد ابن عبد الملك في الذيل والتكملة أخباراً عن احتكار أحد التجار للزيت في مراكش إلى درجة أن المخزن الموحدى الذي كان في حاجة إلى زيت الزيتون التجأ إلى هذا المحتكر ( الذيل، س 8 ج. 178/1).

لم تنتشر شجرة الزيتون جنوب جبل دَرَن وسوس بسبب سيطرة زيت أركان الوفير ورخيص الثمن، وقد كانت مدينة مراكش قبل العهد الموحدى تستغني به عن غيره من الزيوت ( المغرب، 162 و163، الاستبصار، 210، ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، 59 ؛ بسط الأرض، 125)؛ ورغم تغير الوضعية الاقتصادية والاجتماعية في مراكش وانتشار الزيتون في مراكش وأغمات وسفوح درن الشمالية وفي الأودية والمصببات، فإن الاستهلاك الغالب عند العامة ظل مرتكزاً على زيت الهرجان لغلاء زيت الزيتون من جهة ولتعود الناس على استهلاك زيت أركان.

وإذا ما حاولنا البحث في كمية الإنتاج وتقديره، فإن النصوص القليلة المتوفرة تظهر أن الإنتاج كان كبيراً خاصة في فترات الحصب وسلامة المغروسات. فصاحب الاستبصار يقارن ما بين إنتاج المناطق التقليدية لشجرة الزيتون وهي مكناسة والمناطق الجديدة وهي مراكش فيقول "زيتون مراكش أكثر من زيتون مكناسة وزيتها أرخص وربما أطيب..." ( الاستبصار، 210). فالأمر يتعلق بمفهوم ما زال سائداً حتى اليوم عن الجودة إذ يقال إن زيت المناطق الجنوبية أفضل من زيت المناطق الشمالية، بسبب الرطوبة والجفاف، إذ كلما كانت المنطقة مرتفعة الحرارة وقليلة المياه كلما أعطت زيتاً كثيفاً وجيداً. ويؤكد تفوق المناطق الجديدة أو الحديثة العهد بالزيتون على المناطق التقليدية لغرسته صاحب الحلل الموشية، ص. 146 وصاحب الروض الهتون، ص. 6) وترد عندهما تقديرات بالثمن الإجمالي للمبيعات.

أنواعه كان محصوراً أساساً في بعض القبائل فلم يكن زيت الزيتون قد دخل في نظامها الغذائي سواء منها الموجودة في السهول الداخلية والساحلية أو الموجودة في الصحاري، فاعتمادها بالدرجة الأولى كان على المنتجات الحيوانية (الزبد السمن والشحوم) (البيان، 4 : 7 و 8 و 9، نفاضة الجراب، 88 و 89 و 90 و 91) (وصف إفريقيا، م س).

ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تح. عبد المنعم عامر، مصر د. ت : BAM : مجلة الآثار المغربية، Vol. 5 et 6 : أ. البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، الجزائر، 1911 : المقدسي، أحسن التقاسيم، ليدن، 1957 : مجهول، كتاب الاستبصار، 1958 : ش. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الطبعة الإيطالية نابولي، د. ت : الحميدي، الروض المغطى، بيروت 1957 : مجهول، الحلل الموشية، الدار البيضاء، 1979 : م. ابن غازي، الروض المتهنون، الرباط، 1964 : البادسي، المقصد الشريف، الرباط، 1982 : م. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، الرباط، 1984 : ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، بيروت، د. ت. وكتاب بسط الأرض، تطوان، 1958 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1974 : ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972 : الجزائري، جني زهرة الأس، الرباط، 1967 : ح. الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1980 : ابن عذاري، البيان المغرب، بيروت، 1983 : د. ابن الخطيب، نفاضة الجراب، الجزء الثالث، الدار البيضاء، 1989 : ع. الرحمن ابن خلدون، العبر، بيروت، د. ت : أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954 : م. حجاج الطويل، الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، كلية الآداب بالرباط، 1988.

Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Paris, Casablanca 1967 ; Martin [et al.], *Géographie du Maroc*, Paris - Casablanca 1967

محمد حجاج الطويل

**الزيتون** شجرة مثمرة انتخبت ضرورها من بعض ضروب الزيتون البري (انظر أزمور) الذي هو أوليا أوروبا *Olea europaea*. والمعروف أن أولى الضروب المنتخبة للزيتون المغروس هي بعض الضروب السورية للزيتون البري.

لا تختلف ضروب الزيتون المغروس في صفاتها النباتية عن الضروب البرية إلا في ما يخص الثمار التي تكون ذات حجم كبير بالنسبة للأصناف المنتخبة.

تطورت زراعة الزيتون المغروس وتنوعت ضروبه لتعرف ازدهارا واسعا شمل جميع مناطق البحر المتوسط الذي هو مهدها الأصلي الطبيعي قبل أن تنتشر في المناطق الأخرى الحارة وشبه الحارة من العالم ذات الظروف المناخية الشبيهة بمناخ منطقتها الأصلية.

وهكذا أدخل الزيتون إلى كاليفورنيا والمكسيك وأستراليا وجنوب إفريقيا والشيلي الأوسط. زرع الزيتون منذ ما قبل التاريخ. وقد استخدمه

وعن الاستهلاك : فقد أشرنا إلى ارتفاعه في العهد الموحدوي وبيننا أسبابه ويمكن الاعتماد على بعض الإشارات لتقديره، فقد أورد صاحب كتاب الإعلام محاورة بين أبي العباس السبتي وأحد المتبركين به: "سأل الرجل الرجل عن حاله فأخبره أنه عليه سبعين قنطاراً من الزيت دينا أخذه وأطعمه للفقراء..." (الإعلام، 1 : 271)، فالفقراء إذا كانوا يأكلون في بعض الأحيان مثل هذا القدر في مدينة واحدة فإن الفئات الأخرى الغنية والمتوسطة تستهلك أكثر من ذلك بكثير : أما عن الاستهلاك غير الغذائي فقد فصل القرطاس (ص. 66 و 67) فصل الحديث عن إنارة جامع القرويين والكمية التي تستهلكها من زيت الزيتون فقال : "الشريا الكبرى قنابلها 509 ووزنها 17 قنطاراً ونصف و13 رطلا من النحاس وتحمل قنطاراً وسبع قلال من الزيت؛ وعدد قناديل الجامع 1701 تسرج ب3 قناطر ونصف".

هذان المثالان عن الاستهلاك في التغذية وفي الإنارة يظهران أن حاجيات البلاد من الزيت خلال العصر الوسيط كانت في تزايد خاصة أيام الموحديين ؛ أما بعدهم فقد تراجع الاستهلاك وتدهور الإنتاج بشكل كبير خاصة منذ العهد المريني الثاني. ومنذئذ وإنتاج زيت الزيتون واستهلاكه متذبذب ما بين الانتعاش والتدهور ؛ ففي عهد الاضطرابات السياسية وانعدام الأمن يهجر الناس أراضيهم الخصبة ويلتجئون إلى الجبال والمناطق الوعرة للاحتماء بها من هجمات المغيرين، ويعتمدون في مواطنهم الجديدة القليلة الخصوبة لضعف التربة وتضرس الأرض على المواد الفلاحية الملائمة كالشعير وبعض الأشجار المثمرة ومنها الزيتون وعلى الماعز ؛ ولم يكن الإنتاج يتعدى الاستهلاك العائلي إلا في النادر. وقد يتحقق الفائض في بعض المواد فيتم تجميعه محلياً من قبل التجار وتسويقه خارج المنطقة؛ وأهم سلعة كانت مطلوبة "الزيت" خاصة في بعض المدن (وصف إفريقيا، 1 : 92 و 112 و 113 و 125 و 126 و 129 و 132 و 133 و 134 و 138 و 146 و 258 و 260 و 261 وما بعدها)، وفي بعض الفترات التي عز فيها الإنتاج وأصبح مطلوباً تخصصت بعض القبائل في إنتاج الزيت وترويجه محققه بذلك أرباحاً كبيرة مثل قبيلة هسكورة، وسكان السفوح الغربية لجبال فازاز وجبال غمارة (وصف إفريقيا، 1 : ص. 92 و 129 و 132 و 277 و 282)، إلا أن ذلك لا يعني أن الإنتاج حقق فائضاً محلياً وجهوياً بقدر ما يعني ضعف الطلب الداخلي المحلي بسبب ضعف القوة الشرائية فيعمد المنتجون المحليون إلى توجيه الكميات المتجمعة إلى السوق الخارجي، إضافة إلى أن الطلب على زيت الزيتون عاد ليتركز في المدن الكبرى وفي المناطق الشمالية، أما المناطق الجنوبية (جنوب وادي تانسيفت فعادت للاعتماد كلية على زيت الهرجان (وصف إفريقيا، 1 : ص. 185 و 264 وكذلك ص. 75 و 80 و 83 و 86 و 109)، هذا الاستهلاك بجميع

الفرانجة والإغريق والرومان وجاء ذكره في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم. ولهذا لا يعرف متى بدأت زراعته بالمغرب. يزرع الزيتون بالمغرب في كل المناطق الطبيعية لضروبه البرية حيث يجد الظروف البيئية المواتية (انظر أزمور). لا يمكن زراعته إلا في الطابقين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ؛ أي أن الشجرة لا تتحمل برودة الطوابق الأخرى. وإذا كانت الأمطار غير كافية فإنها تعوض بالري. كما هو الشأن في المناطق الجافة والصحراوية.



أهم مناطق الزيتون بالمغرب هي مقدمة الريف من وزان غربا إلى وادي ملوية شرقا، ودير الأطلس الكبير الشمالي، من بني ملال شرقا إلى غرب إيمي نتانوت، ومنطقة تارودانت.

تطورت زراعة الزيتون في المغرب في العهود الأخيرة لكنها لم تبلغ لحد الآن المستوى الذي بلغته هذه الزراعة في إيطاليا والأندلس وتونس، وذلك بالرغم من أن الظروف البيئية في المغرب أكثر ملاءمة.

أهم منتجات الزيتون هي ثماره والزيت المستخلص منها. وكلا المنتجين يدخلان في تغذية الإنسان نظراً لقيمتها الغذائية العالية. فالثمار تجنى إما قبل النضج النهائي لتؤكل نيئة بعد معالجتها بعدة طرق لإزالة مرارتها، أو تجنى ناضجة بعد ما تسود وذلك لتحضير أصناف أخرى من الثمار المصيرة أو المخللة، أو عصرها لاستخراج الزيت. الاستعمالات الأخرى للزيتون تبقى ثانوية. فبالإضافة إلى استخدام أوراقه في التطبيب التقليدي وتغذية الماشية، يستعمل خشبه في صناعة بعض الأدوات كالعصي وأشياء أخرى للزينة.

أنبات شخصية ؛ ألبرت هيل، 1962، تر. عبد المجيد زاهر وآخرون، النبات الاقتصادي، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة - نيويورك.

A. Benabid, Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité. Paris, 1993, 370 p. ; L. Emberger, Les arbres du Maroc et comment les reconnaître, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

\* \* كان لشجر الزيتون في المغرب القديم أهمية بالغة في الحياة اليومية عند الشعوب القديمة، إذ أصبحت الشجرة المقدسة في أرض كنعان، ورمزاً للسلام عند الإغريق والرومان. ففي أثينا وأولبيا كان الأبطال يضعون على رؤوسهم أكاليل من أغصان الزيتون، كما دأب المصريون على وضع أغصان صغيرة من شجرة الزيتون في مقابرهم.

يوضح ما ذكر أهمية هذه الشجرة عند الإنسان القديم وقد سيئتها. أما بخصوص تاريخ انتشار غراسه هذه الشجرة على ضفاف حوض البحر المتوسط فتفيد بعض المعطيات أن ذلك ربما يعود للألف الرابع قبل الميلاد. وفي إفريقيا أكدت الدراسات وجودها منذ العصر الباليوليتي الأعلى وبالتحديد في المغرب القديم حيث توفرت شواهد تفيد معرفة السكان لهذه الشجرة. ففي تافوغالت أفادت المعطيات أن الإنسان الإيروموروزي لمغارة الحمام كان يعرف شجرة الزيتون، كما كشفت حفريات الباحث م. بونسك في منطقة طنجة وضواحيها عن وجود حبات زيتون محروقة في عدة مقابر فينيقية. إن ما يؤكد الأهمية التي حظيت بها غراسه هذه الشجرة هو أنه على عهد الدولة القرطاجية تم خلق محور تجاري مزدهر. وسعياً لمواجهة المنافسة الخارجية قامت هذه الدولة بإتلاف أشجار الزيتون المغروسة في المراكز الفينيقية في سردينيا حفاظاً على الريادة القرطاجية في هذا المجال، الشيء الذي يعكس تفوق القرطاجيين في هذا المنتج.

لقد ازدهرت هذه الغراسه في منطقة الشمال الإفريقي بصفة عامة نظراً للظروف الطبيعية الملائمة من جهة وقلة المصاريف والعناية التي تتطلبها من جهة أخرى، علاوة على أن الأباطرة الرومان عملوا خلال فترة معينة على تنمية غراسه الزيتون لتلبية حاجيات روما المتزايدة من الزيت وكذا العمل على استقرار السكان، بهدف إكمال المشروع الروماني الاستعماري، وقد دلت الشواهد الأثرية في المغرب القديم على أن انتشار هذه الغراسه يعكس زمن السيطرة الرومانية.

وقد مثلت غراسه الزيتون إحدى الركائز الأساسية للاقتصاد المغربي القديم، حيث شكلت إلى جانب غراسه الكروم وزراعة الحبوب ثلاثياً فلاحياً. من العوامل المساعدة على نمو وتطور هذه الغراسه، إضافة إلى ملاءمة الظروف الطبيعية، عوامل مرتبطة بالسياسة التي نهجها بعض الأباطرة الرومان والذين عملوا على تقديم تشجيعات للسكان بهدف تنمية غراسه الزيتون لتلبية حاجيات روما من مادة الزيت. إن المعطيات المتوفرة تفيد أن غراسه الزيتون كانت سابقة عن مجيء الفينيقيين، ومع ذلك فإنه إذا استثنينا الأراضي التي كانت خاضعة مباشرة لقرطاج فإن مراحل انتشارها وتوسعها في هذه الجهة زامت مرحلة السيطرة الرومانية.

فيما يخص مناطق إنتاج الزيتون تم التأكيد على أن



الحالية وجود ما يقارب 15 معصرة في منطقة طنجة بعضها تم التأريخ له حسب بونسيك بالفترة الممتدة بين القرن 3 ق م والقرن الثالث الميلادي خاصة منها معاصر جرف الحمراء والضبيعة (Petit bois) في بوخالف عند قدم جبل كبير. أما بالنسبة لليكسوس فإن عدد المعصرات لا يتجاوز 16 معصرة.

. في بناسا : تم العثور على تسع معصرات، وهو عدد غير كاف لتلبية حاجيات الساكنة الشيء الذي يستدعي استيراد الزيوتين من خارج المنطقة خاصة وليلي التي لا تبعد عنها إلا بحوالي 60 كلم.

. سلا : وضعيتها الساحلية لم تمكنها من تطوير هذه الزراعة، وهو ما يفرض قلة المعاصر التي لا تتعدى أربع معاصر. الشيء الذي يعني الاستعاضة عن هذا النقص باستيراد هذه المادة، شيء أكده العدد المهم من قطع الامفورات المستعملة لنقل زيت "بنينكا".

. وليلي : تحتل مدينة وليلي وباديتها المكانة الأولى في عدد المعاصر، 60 معصرة داخل المدينة وحوالي 16 معصرة في باديتها، وهو ما يعني أن مدينة وليلي ومنطقتها الخلفية تعتبر من أهم المناطق لإنتاج للزيتون موريطانيا الطنجية.

تطور إنتاج الزيت :

دلت المعطيات على أن منطقة وليلي اشتهرت بإنتاجها للزيتون والزيت وبرز هذا من خلال ما كشفت عنه الحفريات من معاصر وصل عددها حاليا إلى 72 معصرة. كما وجدت بمنطقة بناسا عدد من المعاصر، وبالنسبة لهذه المنطقة لا تعرف لحد الآن ما إذا كانت في إحدى مراحلها التاريخية منطقة إنتاج للزيتون أم أنها استوردته من جهات أخرى خاصة وليلي. ويبدو أن الميل إلى الرأي الثاني هو الأسلم.

يعتبر التغيير الذي طرأ على بعض الوسائل المستعملة في استخراج الزيت مؤشرا على الزيادة في مردودية هذا الإنتاج إذ جرى في استخراج هذه المادة، اللجوء إلى مجموعة من الأدوات ومن بينها الثقالات التي كانت توظف في عصر الزيتون، إذ كانت في شكلها الأول عبارة عن ثقالات مقلّنة غير أنه تم الاستعاضة عنها بثقالات أسطوانية وهو تغيير يعكس الرغبة في الرفع من المردودية. وقد تم التأريخ لهذا التغيير بالقرن الثاني للميلاد.

وتجيب الإشارة إلى أنه في البداية احتوت معاصر الزيتون على ثقالات مقلّنة إلا أن هذا الشكل سيتم الاستعاضة عنه بنوع آخر أسطواني وقد عزا كل من موريس لونوار وعمر أكراز هذا التحول إلى الرغبة في الرفع من كميات الزيوت المستخرجة.

هذا التحول أرخ له بونسيك ببداية القرن الأول الميلادي في معصرة الضبيعة في ناحية طنجة، في حين أن دراسة معاصر وليلي أرخت لذلك بالقرن الثاني للميلاد.

الأرض الإفريقية تتلاءم أكثر مع زراعة الجيوب منها مع غراسة الزيتون، إذ (تشتهر تراكونيا بخمرها وإفريقيا بقمحها وقادس بأسماكها المملحة ونقيعها وبتيكا بزيتها). ويظهر أن هذا الاختيار مرتبط بسياسة الأباطرة الرومان الذين دأبوا خلال مراحل معينة على تشجيع هذا المنتج أو ذاك، فقد شجع الأبوليون - الكلاوديون سياسة القمح بينما سنّ الأنطونيون سياسة الزيت بتشجيع غراسة الزيتون. قبل تحديد أهمية الزيت من المفيد أن نعرف أولاً بعض الأساليب التي استعملت قديماً في غراسة الزيتون. ونذكر منها :

. التطعيم وهي تقنية تمارس على الزيتون البري.  
. الغرس وهي عملية نقل شجرة الزيتون لغرسها في مكان آخر ليكتمل نموها.  
. التشذيب وهي عملية تستهدف تقليص الشجرة في فترات معينة.

وقد حددت هذه المدة، حسب المصادر، في سنتين. ومن ضمن التقنيات الأكثر تداولاً تقنية التقطيب وهي عملية تحافظ على التجديد المستمر لشجرة الزيتون. وعلاوة على ذلك وجدت تقنية أخرى عرفت بالافتسال وقد كانت مفضلة عند الإغريق أكثر من التطعيم.

إذن ماذا عن أهمية الزيت في حياة الإنسان القديم ؟ استعملت زيت الزيتون في مجالات مختلفة، فقد وظفها القدماء في التطبيب، إذ اعتبرت إحدى المواد الأكثر تداولاً في تهيب، العديد من وصفات أبو قراط، كما استعملها غاليلان الذي عرف ما يناهز 473 دواء من أصل نباتي يوجد الزيت من ضمنها أحياناً كمادة أساسية وأحياناً أخرى كمكون. ومن بين الفوائد التي عرفت بها كذلك أنها تدفئ الجسد وتحميه من البرودة وتنعش حرارة الرأس، كما استغلت في علاج آلام الأذن واسترخاء العضلات والوقاية من الصداع والآلام، وقد استعملت كدواء لمعالجة أمراض الجلد والحروق إضافة إلى أنها كانت مادة أساسية في التغذية. وكان المستحمون يدهنون أجسامهم بها، ولها منافع أخرى كالتجميل وإضاءة القناديل... تعكس الآثار المادية المرتبطة بإنتاج مادة الزيت أهميتها الحيوية. وإذا كانت النصوص القديمة لا تساعدنا على الإحاطة بأهمية إنتاج الزيتون والزيت، فإنه برصد المناطق التي كشفت فيها الحفريات عن وجود آثار مادية مرتبطة بإنتاج الزيت، وكذا المناطق التي انتشرت بها أشجار الزيتون، نستطيع أن نكون فكرة عن أهمية هذا المنتج.

مناطق إنتاج الزيتون.  
كشفت الأبحاث الأثرية التي أجريت في عدد من مواقع موريطانيا الطنجية عن عدد مهم من بقايا معاصر الزيت. ففي منطقة طنجة أكدت تحريات بونسيك أنه إضافة إلى حبات الفول والقمح... التي وجدت محروقة في المقابر الفينيقية، وجدت كذلك حبات الزيتون. وقد أكدت الأبحاث

- التجارة الداخلية : لا تتوفر على أية معلومات حول هذه التجارة الداخلية، فالوسيلة التي كان يتم استعمالها لنقل هذه الزيتون المستخلصة غير معروفة ربما قد تكون من خشب أو أمفورات التي كانت تستعمل لنقل مواد أخرى، إذ عثر في ولبلي على أمفورات "درسل 18" التي عرضت بنقلها للكاروم، وولبلي منطقة داخلية لم تكن متخصصة في هذا الإنتاج.

وقد أشار عمر أكرز وموريس لونوار إلى أنه بالنسبة لهذه المدينة كان الفائض يسوق داخل الإقليم. يمكن القول بأن مناطق الإنتاج خلال الفترة الرومانية تطابق مناطق الإنتاج الحالية، ومن الأكد أن مدن بناصا وقوسيدا وسلا وليكسوس قد اعتمدت على فائض ولبلي من هذا الانتاج أو كمادة أولية يتم تحويلها محلياً.

التجارة الخارجية : ارتبطت موريطانيا الطنجية ببلدان البحر الأبيض المتوسط على المستوى التجاري، كما تدل على ذلك اللقى الأثرية التي تم الكشف عنها في عدد من المواقع، منذ مجيء الفينيقيين في أواخر الألف الثانية قبل الميلاد. وهناك شبه إجماع على أن المبادلات التجارية لموريطانيا الطنجية مع العالم الخارجي كانت تتم عبر وساطة بتيكا.

وإذا كانت واردات الزيت مؤكدة من خلال لقي الأمفورات خاصة "درسل 20" المتخصصة في نقل زيت بتيكا، فإن معلوماتنا عن صادرات موريطانيا الطنجية من هذه المادة شبه منعدمة. فيضع الباحثين أشاروا إلى أن جزءاً من زيت موريطانيا الطنجية قد تم تصديره إلى بتيكا وروما.

ذلك ما تؤكده نقيشة هيسباليس (Hispalis) في إشبيلية التي تخص مراقبة نقل زيوت ومواد أخرى المارة عبر شبه الجزيرة الأيبيرية والقادمة من موريطانيا الطنجية مع الإشارة إلى أن هذه الزيوت البتكية كانت تصل إلى موريطانيا الطنجية وذلك ما يؤكده العدد المهم من لقي الأمفورات المتخصصة في نقل هذه المادة إذ يتضح من البحث الذي قامت به مايي (Mayet) حول أمفورات موريطانيا الطنجية، أن بناصا تأتي في الأول، تليها ولبلي وقوسيدا. إلا أن العثور على قطع من نفس الصنف من الأمفورات بمنطقة ولبلي التي اشتهرت بزياتينها وإنتاجها للزيت، يجعلنا نطرح أسئلة حول مصدر استيراد هذه المادة. إن الجواب الذي يبدو مقنعاً في نظرنا يكمن في تلبية حاجيات جالية أجنبية فضلت استهلاك الزيت الإسباني التي اشتهرت بجودتها مقابل الزيت الإفريقية التي وصفت بالردينة.

وإذا كان نعت هذه الأخيرة بالردينة لا ينسحب على زيت موريطانيا الطنجية، فإن ذلك لا يعدو مجرد عملية دعائية لصالح زيت بتيكا التي كانت تجارتها منظمة تنظيمياً محكماً.

علي واحدي، الزيت والزيتون في المغرب القديم، نموذج ولبلي، أطروحة لنيل دكتوراة الدولة، فاس - ظهر المهرز، 1995، مرقونة : علي واحدي، مكانة ولبلي الاقتصادية في عهد الرومان، د. د. ع، كلية الآداب، فاس - ظهر المهرز، 1985.1986.

P. Fiorino, F. Nizzi, *L'oleiculture et développement, Olivae*, n° 44, 1997; A. Ichkhakh, *Une nouvelle huilerie à Volubilis, nouvelles archéologique et patrimoniales*, n° 1, avril, 1997; A. Jurada, *L'huile dans les remèdes populaires, Olivae*, n° 33, oct. 1990; *Les contraintes foncières au développement du secteur, Olivae*, n° 33, oct. 1988; A. Luquel, *Atlas du Gharb, BAM*, 6, 1966, p. 365 - 375; M.C. Mouretté, *Oleiculture dans la Grèce antique*, in *Agriculture in Ancient Grèce, proceeding of the seventh international symposium of swedish at Athens*, may 1990, Stockholm, 1992; F. Mayet, *Marques d'amphores de Maurétanie Tingitane, MEFRA*, 90, 1, 1978; A. Ouahidi, *Nouvelles recherches archéologiques sur les huileries de Volubilis, Africa Romana*, Atti del X convegno di studi oristano, Dicembre 1992; M. Ponsich, *Exploitations agricoles romaines de la région de Tanger, BAM*, 5, 1960; *Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région*, Paris, 1970; R. Thouvenot, *Volubilis*, Paris, 1949; *Éléments de pressoir à huile trouvés à Sala, PSAM*, 10, 1954; M. Akerraz, Lenoir, *Les huileries de Volubilis, BAM*, 14, 1981 - 82; *L'oleiculture dans le Maroc antique, Olivae*, n° 3, oct. 1984; R. Billiard, *L'Agriculture dans l'antiquité*, Paris, 1928; H. Camps Fabrer, *L'olivier et l'huile dans l'Afrique Romaine*, Alger, 1953; J. Boube, *Marques d'amphores découvertes à Sala, Volubilis et Banasa, BAM*, 9, 1973 - 1975; R. Etienne, *Le quartier Nord-Est de Volubilis*, Paris, 1960; Plin l'Ancien, *Histoire naturelle*, XV, texte établi et traduit par J. André, Paris, 1960.

محمد العيوض

### الزيتون والزيتوني أسرتان تطوانيان أصلهما من

الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Aceituno و Aceiton. وقد انقرضت هاتان الأسرتان بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء، عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمرجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 793 و794.

محمد ابن عزوز حكيم

### الزيتوني، محمد بن عبد الله الفاسي من مشاهير

مشايخ الشاذلية بالمغرب خلال النصف الثاني من القرن التاسع (15 م)، ومن ذوي الخطورة في الحياة الروحية بفاس خلال هذه الفترة المضطربة التي تداول فيها على حكم البلاد المرينيون والجوطيون والوطاسيون. أخذ عن شيوخ كثيرين، وذكر أحمد بن يوسف الفاسي (ت. 1021 / 1612) أنه قادري الطريقة لكنه لم يذكر له سنداً، ويجعله محمد بن عسكر (ت. 986 / 1578) من أهل الدائرة والعدد، ومن الأبدال، ويصفه بأنه كان أسود اللون أعمى، شديد القبض ممن تمكن في المقام النوحى، مجاب الدعوة، معروفاً عند

أهل التصريف من الصوفية بالحياة العمياء التي لا تعتق من سعته لسرعة إجابة دعوته. ولم يسلم المغاربة وحدهم بسطوته الروحية، بل شاركهم في ذلك أعراب الزاب وافريقية وغيرها، الذين كان يمر بمسارحهم ركب الحجيج الفاسي الذي كان يحمل هذا الشيخ، فلا يتعرضون له على جرأتهم وتمردهم، لما رأوا من خرق العوائد على يده. بل كانوا يأتونه راجلين بأهلهم وأولادهم بين أيديهم يتبركون به ويستعطفونه ويدفعون إليه البقر والغنم.

وقد استقطبت زاوية الشيخ الزيتوني بفاس، المعروفة بزواية بوقطوط، عددا وافرا من مردي الطريق من الفاسيين وغيرهم، خلال الطور الأخير من أطوار الدولة المرينية، ومنهم أحمد زروق (ت. 899 / 1493)، ومحمد بن عبد الرحيم بن بجيش النازي (ت. 920 / 1515.4)، وعبد العزيز القسنطيني (ت. حوالي 932 / 1526)، وإبراهيم الزواوي (ت. 961 / 1554.3). وإذ تمتاز مشيخة الزيتوني بانتساب زروق إليه في شبابه، وخدمته له، وتوغله في محبته، وملازمته له في حضره وسفره، فإن أثر هذه النسبة بعيد الغور في سيرة "محتسب العلماء والأولياء"، وينشأ في حدث الانقلاب الحاسم الذي حصل له في حياته، وقد أثبتته زروق في كتابه الذي ترجم فيه لنفسه. ورغم أن أزيد من ربع قرن يباعد بين هذا الحدث الذي يعود في تاريخه إلى عام 870 / 1466.5 وتاريخ هذه السيرة الذاتية المصنفة بعد عام 895 / 89 - 1490، فإن زروق لم ينس البرحاء التي أدركته من جراء غضب شيخه الزيتوني عليه يومها، بعد أن استكتمه سراً ثم اتهمه بافشائه، ولم يأف من استحضار امتحانه وبلاته وقد أصبح إمام أهل الطريق بلا منازع في شرق بلاد الإسلام وغربها.

ويستشف من هذه الحادثة الاعتقاد الكبير الذي كان لزروق المرید الشاب في شيخه الزيتوني، فقد حلف له بكل يمين بأنه كتم سره، فلم يقبل منه، فلم يقدر على تكذيبه، ولم يصح له تصديقه لما يعلم من نفسه، فكان يجوز أن الله ابتلاه بشيطان أسمعه ذلك. كما تصور التأثير الذي كان للشيخ الزيتوني على تلميذه زروق، والذي ضاقت عليه الأرض بما رحبت، فغادر فاس آخذاً السميت إلى تلمسان لزيارة ضريح أبي مدين التماسا للرحمة. وابتلى بشبهة اليهودية التي ألقيت عليه في سياحته المحمومة، عند خروجه من فاس وحين وصوله إلى بادس، بل إن يهود دار ابن مشعل ظنوه نجح شيخ اليهود بتازة. ووقعت له رؤيا في طريقه حيث ظهر له شيخه الزيتوني وقال له إنك مسجون أربعين يوماً، وظهر له صدقها لما وصل تلمسان يوم تاسع وثلاثين من تاريخ خروجه من فاس فلم يقدر على زيارة ضريح أبي مدين إلا في الغد بقية الأربعين يوماً المذكورة فيها!

ويورد ابن عسکر رواية مخالفة لامتحان الزيتوني لزروق، ويقول إن المرید سارع إلى الإنكار على شيخه لما

وجده جالساً وعن يمينه امرأة متزينة وعن يساره أخرى، وهو يلتفت إلى هذه مرة ويقبلها ويقبل عليها، ويرجع إلى الأخرى كذلك. وإنه اتهمه بالزندقة وانصرف عنه، فناداه: يا أحمد الكذاب ارجع! فرجع فلم يجد معه أحداً، فعلم أنه امتحن، فقال شيخه: أما التي رأيت عن يميني فهي الآخرة، وأما التي عن يساري فهي الدنيا، وأنت كذاب في دعوتك، ولكنك لا تبقى بالمغرب ساعة واحدة! وقد اهتبل كل من ترجم لزروق بحدث فساد العلاقة بينه وبين شيخه الزيتوني، وذهبوا في تأويله وفهمه أبانيد.

وغير خاف تزامن هذا الحدث مع الفتنة التي عصفت بفاس عام 869 / 1465، وانتهت بذيخ السلطان عبد الحق المريني، وإطلاق يد الثوار في دماء اليهود وأعراضهم وأموالهم، وإيذاء كل من خالف هذا الفساد والهلاك. ومعلوم أن زروق الطالب والمرید الشاب قد وقف في صف المعارضين لهذه الفتنة، وعلى رأسهم شيخه محمد بن قاسم القوري (ت. 872 / 1467) مفتي الحاضرة المريني، ولم ير فيها سوى محارم بطشية تورث تمكن الظلمة وزيادة الجراءة. وحمل مسؤولية ما وقع لمشايخ الفقه والتصوف الذين كان قيام عامة فاس على أيديهم، والذين دفعوا بهم إلى مخالفة الشرع بخلع البيعة ونقض الذمة، ودخلوا عليهم من جهة الدين، حياً في الرئاسة الدنيوية وحطام الدنيا.

فهل كان الشيخ الزيتوني من جملة المشايخ الفاسيين الذين أضرمو نار الفتنة على بني مرين؟ وهل يتصل امتحانه لتلميذه زروق بالشروع التي أصابت الذين لم يخلعوا بيعة بني مرين من أعناقهم؟ وهل شبهة اليهودية التي ألقيت على زروق قد جاءت من قوله بعدم وجود موجب شرعي لنقض ذمة يهود فاس؟

أسئلة نكتفي بطرحها لفراغ اليد بما يفيد في الإجابة عنها، ويعين على الوقوف على الدور الذي كان للشيخ الزيتوني وزاويته في الأحداث التي حملت الجوهريين إلى سدة الحكم بالمغرب. كما لا تنفرد على شيء يتصل بسيرة هذا الشيخ طوال العقود الثلاثة الممتدة من تاريخ هذه الفتنة إلى تاريخ وفاته التي حدثت في أول المائة العاشرة للهجرة، عدا أنه دفن بالمسيلة من بلاد الجريد.

ويتفرد محمد الحضيكي (ت. 1189 / 1775) بالإشارة إلى تأليف مفرد في الشيخ الزيتوني وضعه أحد تلامذته الفاسيين واسمه عبد الله بن أحمد بن محمد بردلة، وقد وقف عليه صاحب "الطبقات" ووسمه "بالمناقب". ونقل منه فقرة تفيد ظهور مخايل الصلاح على شيخ زاوية بوقطوط في طفولته المبكرة، حيث كان يتصدق بنصف قوته فصارت أمه لا تعطيه إلا نصف القوت فكان يتصدق بنصفه، فوهبته أمه لله وهو ابن خمس سنين أو ست. وجاء ببعض ما اشتهر من أقواله، ومنها: الولي له صورتان، صورة مع الحق على الدوام وأخرى مع الخلق. وقال مرة: بقي رجل غائباً عن أهله اثنتي عشرة سنة وما علموا بذلك لأنهم

**زيدان بن أحمد الأعرج السعدي.** أكبر أبناء أبيه وساعده الأمين في حركاته الجهادية وفي حروبه مع أخيه محمد المهدي الشيخ بعد أن أسد الوشاة ما بينهما وأفضى الحال بهما إلى القتال. ولما تغلب محمد المهدي الشيخ على أخيه أحمد الأعرج سنة 946 / 1539 سجنه هو وأولاده بمراكش وأجرى عليهم جرايات سخية ويقوا هناك مثقفين (في إقامة إجبارية) إلى أن قُتل محمد المهدي الشيخ يوم 29 ذي الحجة عام 964 / 23 أكتوبر 1557 فأسرع نائبه علي بن أبي بكر أزاياكي حاكم مراكش إلى قتل أحمد الأعرج وجميع بنيه ذكوراً وإناثاً وصبيّةً (بعد ثلاثة أيام من مقتل محمد المهدي الشيخ) هذه هي الرواية الشائعة. وذكر صاحب زهرة الشماريخ أن زيدان كان بسجلماسة وبويع بعد مقتل أبيه فلم يتم له الأمر. وتوفي سنة ستين وتسعمائة.

هكذا تختصر المصادر العربية - في شيء من التناقض - دور زيدان بعد خلع أبيه أحمد الأعرج، فتذكر أنه سُجن مع والده إلى أن قتل معه، أو وُجد في سجلماسة وبويع بها، غير أن ذلك لا ينسجم مع تاريخ وفاته المذكور في زهرة الشماريخ.

لكن الاسباني ديبغودي طريس مؤلف كتاب تاريخ الشرفاء الذي عاش في بلاط محمد المهدي الشيخ ثم عبد الله الغالب بمراكش زهاء ثلاثين سنة 953. 984 / 1546 - 1576 ساق خبر الأسر والقتل عن حضور ومشاهدة في الغالب، بطريقة أخرى مع كثير من التفاصيل أغفلتها المصادر العربية. ذكر طريس أنه لما استفحل الخلاف بين الأخوين أحمد الأعرج ومحمد الشيخ تدخل الشيخ لإصلاح ذات البين، وأبرم شبه اتفاق بينهما ورجع كل منهما إلى مقر حكمه، لكن الأعرج نقض السلم واستعد للحرب فتغلب عليه محمد الشيخ في معركة جرت في حدود الأطلس الشمالية على المحجة المؤدية من مراكش إلى تارودانت وأسر الأعرج وتراجع ابنه زيدان إلى مراكش ليجيش الجيوش ويحرر والده، لكن محمد الشيخ أبرم اتفاقاً مع أخيه الأسير وأطلق سراحه على أن يتعايشا بسلام : الأعرج في مراكش والشيخ في تارودانت. وبعد مدة وجيزة نقض الأعرج الصلح مرة أخرى بتأييد من ابنه زيدان الذي رأى في مبايعة الحزان ولياً لعهد محمد الشيخ إهانة شخصية له. والتقي الجمعان بسهل مراكش وجرت المعركة الحاسمة يوم 19 غشت 1543 (20 جمادى الأولى عام 950) طوال النهار. فكان النصر حليف محمد الشيخ واحتل ابنه عبد القادر مدينة مراكش. لكن الشيخ عفا عن أخيه الأعرج وأبنائه وأكبرهم زيدان وأمرهم بالإقامة في تافيلالت.

ثم رجع دي طريس في الفصول 106. 107. 108 للحدث عن أحمد الأعرج وزيدان. فذكر أن محمداً الشيخ قبل خروجه من مراكش إلى جبل الأطلس الخروج الذي مات فيه.

برونه معهم دائماً داخلاً خارجاً وأكلاً شارباً، يريد بذلك نفسه. ومنها : إذا ذكر الصالحون نزلت الرحمة، ويخلق الله تعالى من هذه الرحمة سحابة لا قطر إلا في أرض الكفار، وكل من شرب من مائها أسلم. وقد صدر محمد الصغير الإفرائي (ت. ما بين عامي 1156. 1157 / 1743 - 1744) بهذه العبارة في ديباجة كتابه "صفوة ما انتشر" للدلالة على ما في ذكر مناقب الصالحين من فوائد كثيرة، وما في جمع كراماتهم من أمور أثيرة، وأبهم عن اسم قاتلها، وجعله من العارفين تسليماً بدرجةه العالية في مضمار العلوم اللدنية. توفي بفاس عام 901 / 1496.5.

أ. زروق، الكناش، مخ خ ع 1385 ق، 68. 69. 82 : مجهول، التعريف بالشيخ أحمد زروق، مخ خ ع 2100 د، 283 : م. ابن عسكر، دوحة الناشر، ضمن موسوعة أعلام المغرب، 2 : 800. 808. 809 : م. المهدي الفاسي، مجمع الأسماع، نج. ع. العمرادي وع. مراد، 61 : تحفة أهل الصديقية، مخ خ ع 76 ج، 95 : م. بن عيشون، الروض العطر، نج. ز. النظام، 80. 109. 276 : م. الصغير الإفرائي، صفوة من انتشر، ط. حجرية، 1 : م. الحضيكي، طبقات، نج. أ. يومزكو، 216 : ع. گتون، ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والسياسة والأدب، أحمد زروق، 8. 11 : ع. ف. خشم، أحمد زروق والزروقية، 30. 37. 44 : إ. العزوي، الشيخ أحمد زروق، 47. 50. 53.

عبد الله نجمي

**زيد (أولاد -)** قبيلة عبديّة على الساحل شمال مدينة أسفي، أعطت عدداً من الأعلام من حكام وعلماء نذكر منهم علي سبيل المثال عثمان الزيدي الذي كان من حملة حكام عبدة في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله والحاج محمد بن ملوك الزرهوني الزيدي وإخوانه، والفقير عبد الكريم بن العربي الزيدي الكدالي. اشتهرت هذه القبيلة في العصر الحديث ببسالة رجالها ونسائها في مقاومة استبداد وبطش القائد عيسى بن عمر العبدي وطغيانه على سكان تلك المناطق في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) وبداية القرن العشرين، واستمرت مقاومة هؤلاء المحاربين المغاوير من أجل حياة حرة وعيش كريم مدة سنتين وقادها زعمائهم أولاد الزرهوني وعلى رأسهم شيخهم الحاج محمد بن ملوك الذي سُجن بعد الهزيمة مدة سبع سنوات في سجن دار السي عيسى ثم في سجن مدينة تطوان. وقد حُدد الأدب الشعبي في قصائد الحصبية من فن العيطة وخاصة في قصائد الفتانة الكبيرة الشبيخة حادة (حويدة) الزيدية بطولات أولاد زيد وأمجادهم.

أ. الصبيحي، عيسى بن عمر وفتانعه، مخطوط : تقييد ابن هيمه (كنايش مخطوطة).

A. Antona, La région des Abda, Rabat, 1931.

عبد الرحيم العطاوي

إليه فما نأمر به يفعله. قال زيدان : وعظم ذلك على إخوتي وظهر في وجوههم الكراهة.

وبعد أن انتهى المنصور من تجديد البيعة، رشع أولاده لحكم الأقاليم، وعقد لزيدان على بلاد تادلا. وبعد مدة نقله لمكناسة. ولما كان زيدان عاملاً على بلاد تادلا أسس القصة الزيدانية على ضفة نهر أم الربيع واتخذها حاضرة لإمارته، فكان يقد عليه فيها علماء تادلا وأدباؤها، ومنهم أبو القاسم الصومعي مؤلف كتاب *السعري في أخبار أبي يعزى*. وقد أنكر عليه زيدان صيغة *السعري* من عزاء الثلاثي - والعربية معه .. تثبث الصومعي برأيه دوناً حجة، فاحتد زيدان ولطمه على وجهه بالنعل، فكان ذلك سب النحس الذي لازم زيدان طوال حياته ولم تُنصر له بعداً راية.

ولما مات المنصور مطعوناً ليلة الاثنين 16 ربيع الأول عام 1012 / 24 غشت 1603 بفاس. بعد أن عزل ولي عهده المامون وسجنه، بايع أهل الحل والعقد زيدان لأن أباه أنابه عنه ومات بين يديه، لكن خالف أهل مراكش وبايعوا أخاه أبا فارس، وكثرت الحروب بين الإخوة سنين عديدة "وكان ذلك سبب خلاء المغرب" (نزهة، 346). وأخيراً اقتصر زيدان على مراكش صارفاً نظره عن فاس وغيرها.

وفي سنة 1020 / 1611 ثار الفقيه أحمد بن أبي محلي السجلماسي من وادي الساورة على زيدان وطرده من مراكش إلى أن رده إليها يحيى الحاحي بعد ثلاث سنين. وقبل خروج زيدان من مراكش جمع كتب خزائنه وخزانه والده المنصور وأرسلها من مرسى أسفي إلى سوس في سفينة فرنسية، لكن ريان السفينة ظن أن الصناديق مملوءة ذهباً ففرّ بها إلى فرنسا فاعترضه قراصنة إسبان واستولوا على الحمولة، ولما وجدوها كتبوا سلموها إلى الملك فأودعها دير الإسكوريال بضاحية مدريد حيث ما تزال حتى اليوم.

وكان من أثر هذا النحس والانتهزات المتوالية على زيدان أن اضطرت أعصابه، وصار يسفك الدماء دون توقف ولا تروء. قال الإفرائي "وأطلق زيدان السبيل في أهل فاس وحكم فيهم السيف... وخرجوا مرة يهتفون على انتصاره على أخيه فظن أنهم يستهزئون به فأمر بهم فسلبوا رجالاً ونساء وبقي بعضهم ينظر إلى عورة بعض... لكن زيدان يبدو بعكس ذلك في جوابه الرزين المطول ليحيى الحاحي متشبهاً بالتحاليم الشرعية في كل تحركاته السلمية والحربية. وعلى أي حال فالرجل لا يخلو من تناقضات بسبب ما عرّف أيام ملكه من فتن وأحوال.

قال الإفرائي : "وكان زيدان فقيهاً مشاركاً متضلماً في العلوم وله تفسير على القرآن العظيم، اعتمد فيه على نقل ابن عطية والزمخشري" (نزهة، 349). وخصص ابن القاضي القسم الأخير من *رائد الفلاح* لما رواه هو عن زيدان المجاز من آداب وأشعار وأخبار أملاها عليه زيدان بلغة المقامات البليغة. وتجرى أحداث إحداها بالزيدانية وقد

ترك ابنه عبد المومن عاملاً على مراكش، وعلي بن أبي بكر (أزايكي) خليفة له "وأوصاهما بشؤون المملكة وحراسة أخيه" (ص. 219) وهذا يقتضي أن محمداً الشيخ كان قد استقدم أخاه أحمد الأعرج وأبناءه من تافيلالت إلى مراكش ليكونوا تحت سمعه وبصره. كما ذكر طريس أن زيدان كان قد تزوج للامريم بنت عمه محمد الشيخ.

ولما اغتيل محمد الشيخ من قبل المحتالين الأتراك في حدود الأطلس، خرج ابنه عبد المومن في فرقة من الجند لملاحقة القتل، فتوهم خليفته علي بن أبي بكر أن الأعرج قد يغتتم الفرصة ويثور لاسترجاع المدينة ومملكته القديمة "فأمر ذات ليلة بقطع رأسه ورؤس أبنائه وأبناء أخيه وعددهم سبعة" ولم يذكر اسم زيدان من بين من قُطعت رؤوسهم، بل ذكر بعد ذلك ما يفيد أنه لم يقتل، حيث إن للامريم بعد أن استقر الأمر لأخيها عبد الله الغالب احتالت للانتقام من علي بن أبي بكر الذي "كان قد قطع رأس أبنائها والشريف الأكبر" (ص. 229) ولم تذكر زوجها زيدان، وهذا ما يتفق مع ما ذكره صاحب *زهرة الشماريخ* من أن زيدان كان آنذاك بسجلماسة ويبيع بها فلم يتم له الأمر. لكن يبقى اللبس أو الخطأ في السنة التي حددها مؤلف *زهرة الشماريخ* لوفدة زيدان.

وكانت وفاة زيدان - على الأرجح - بعد مقتل أبيه في ثاني محرم عام 965 / 25 أكتوبر 1557.

ديكودي طوريس. تاريخ الشرفاء، تر. م. حجي وم. الأخضر، سلا، 1988 : أ. ابن القاضي، *درة المجال*، تح. م. الأحمدى أبو النور، القاهرة، 1970، ج. 1 : 278 : ع. الرحمن القاسي، *زهرة الشماريخ في علم التاريخ*، ط. حجر فاس، 1922 : م. الإفرائي، *نزهة الحادي*، تح. ع. اللطيف الشاذلي، الدار البيضاء، 1998، ص 61 : أ. الناصري، *الاستقصا، الدار البيضاء*، 1955، ج. 5 : 18.

## زيدان بن أحمد المنصور السعدي، يكنى أبا

المعالي، أمه من الشبانات. نشأ بين أحضان والده ودرس على أعيان علماء فاس ومراكش وأديانها، فكان متضلماً في علوم القرآن والبلاغة والأدب، شاعراً رقيقاً حافظاً راوية. أجازته أحمد ابن القاضي إجازة عامة بجميع مروياته بفهرسه *رائد الفلاح بعوالي الأسانيد الصحاح*، وروى ابن القاضي المجيز عن زيدان السُّجَّاز أدبيات كثيرة أجازها بها زيدان فتدبجاً.

يتفق معظم مترجمي زيدان على أنه كان أعلم أبناء أحمد المنصور وأوفرهم عقلاً وذكاء، وكياسة وسياسة، ومع ذلك لم يرشحه والده لولاية العهد، لأن محمداً الشيخ المامون كان الولد البكر. لذلك أخذ المنصور البيعة للمامون من إخوته في شعبان سنة 987 / شتنبر 1579 وهم صغار دون بلوغ. ثم جدّد له البيعة في شوال عام 992 / أكتوبر 1584 بعد بلوغهم سن الرشد، وأحضر المصحف والصحيحين واستحلفهم إلا زيدان، قال المنصور : لا يحلف ولا يحتاج

اشد كلف زيدان وتشوقه إلى نوار إحدى حظاياها الأديبات، فركب إليها بعد منتصف الليل، وذكره زهير الأسد في طريقه بما اتفق لأبي الطيب المنيني... وقد تنبأت نوار في تلك الليلة بأن زيدان قادم إليها فأخذت في لباس الحلي والحلل حتى إذا وصل وجدها تتشد شطر بيت من قصيدة له حفظته عنه وهو :

باليلة وافي بها بدري

توفي زيدان بمراكش في التاسع من محرم عام 1037 / 20 شتنبر 1627، ودفن بجانب أبيه في قبور السعديين بظاهر قبلي جامع المنصور.

أ. ابن القاضي، رائد الفلاح بعوالي الأسانيد الصحاح، تج. م. البوعناني، د. د. ع. مرقون، كلية الآداب الرباط : المنتقى المنصور، تج. م. رزوق، الرباط 1986، ج. 1 : 416-417. والهاشمي : 22 : دورة المجال، القاهرة، 1974، ج. 1 : 277-278 : ع. العزيز الفشتالي، مناهل الصفا، نج. ع. الله گون، نظوان، 1964 : قاسم ابن القاضي، تنوير الزمان بقدم مولانا زيدان، مخطوط : أ. المقري، نفع الطيب، نج. إ. عباس، بيروت، 1968، ج. 2 : 479 : روضة الأسر، الرباط، 1983، ت. 63، 62 : م. الإفرائي، نزعة، تج. ع. اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1998، ص. 282-350. ومواضع أخرى : مجهول، تاريخ الدولة السعودية، نشر كولان، الرباط، ص. 83، 78 : ع. الرحمن الفاسي، زهرة الشماريخ، طبعة حجر فاس، د. ت. ص. 98 : م. القادري، التقاط الدرر، تج. ه. العلوي، بيروت، 1983، ص. 9 : نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 7 : 1283 : أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1955، ج. 6 : 72، 69 : ع. ابن زيدان إتحاف، ط. 2، الرباط، 1990، ج. 3 : 72، 67 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ط. 2، الرباط، 1975، ج. 3 : 253-258 : أ. النيسبي، تاريخ الشعر والشعراء، فاس، 1924 : ص. 29 : م. حجي، الحركة الفكرية، المحمدية، 1978، ج. 2 : 401، 402. والهاشمي 88. وفي أماكن متعددة أخرى.

محمد حجي

**زيدان بن إسماعيل العلوي** أمير من أولاد السلطان المولى إسماعيل. وكان لهذا السلطان ولدان اسم كل منهما زيدان، فأحدهما يعرف بزيدان الصغير وأمه حليلة السفيانية العسوة، والثاني هو المشهور وأمه عائشة مباركة الرحمانية، وهي أميرة ذات نفوذ إلى حين وفاتها في جمادى الأولى من عام 1127 / ماي - يونيه 1715 ويعتبر ولدها من الأمراء الذين لم يجهم في عهد والدهم السلطان المولى إسماعيل، فتقلد عدة مهام من سنة 1103 / 1692 إلى سنة 1119 / 1707 فارتبط اسمه بجملة من الأحداث التي عرفها المغرب كانت له فيها مشاركة فعالة أو فصل حاسم. ولعل مؤهلاته التربوية جعلت منه قائدا عسكريا وفارسا مغوارا وخليفة لوالده في شرق البلاد من تازا إلى وجدة ونواحيها، ثم في فاس وتارودانت فاكتمل بذلك

الحنكة المخزنية والجمع بين الحزم والعزم.

وهكذا نراه في رمضان سنة 1103 / ماي - يونيه 1692 على رأس الجيش المتجه إلى شرق البلاد لصد غارات العثمانيين، فبدأت المعارك شرق تلمسان وانتهت على ضفاف نهر ملوية وتعرف بمعركة المشارع التي كان الدور الحاسم فيها للدفعبة التركية، وتم على إثرها التفاوض وعقد الصلح بين الجانبين. غير أن زيدان ظل محافظا على موقفه المناهض للتوغل العثماني شرق البلاد، فخرج في سنة 1106 لناحية تلمسان فاشتبك مع أتراك الجزائر. وفي سنة 1111 عهد إليه المولى إسماعيل بإمارة المنطقة الشرقية، فكانت مدة ولايته بها كرا وفرا تمكن خلالها من تشريد الأتراك عن ناحية تلمسان، وانتهى في بعض حملاته إلى مدينة معسكر التي اقتحمها في غياب عاملها عثمان باي. وتبعها لمعاهدة السلام بين المغرب والعثمانيين فإن والده لم يقبل منه مثل هذه المغامرات المسلحة. فقرر نقله إلى فاس بصفته خليفة له، وعين معه حمدون بن عبد الله الروسي عاملا على المدينة وذلك عام 1113. وظل في هذا المنصب إلى سنة 1114 حيث عهد إليه والده بقمع قرد خليفته على تارودانت ابنه محمد العالم الذي اكتسح إقليم سوس ومدينة مراكش، ونشبت المعارك بين الاخيرين مدة ثلاث سنوات كلها مآسي، وتم فيها النصر لجيوش السلطان بقيادة الأمير زيدان وأسر محمد العالم وإرساله إلى والده ليلقى جزاءه الذي هو قطع أطرافه من خلاف، فأدى به هذا العقاب إلى الموت.

ويعد إخماذ هذه الثورة ولاء والده على تارودانت. وحسب المؤرخ أبي القاسم الزياني في كتابه "البيستان الظريف في دولة أولاد مولانا علي الشريف"، فإن الأمير زيدان أدركته الوفاة سنة 1119 وهو خليفة لأبيه بتارودانت وسوس، ونقل في تابوت إلى مكناس ودفن بجانب أخيه محمد العالم، وتبعه في هذا الزعم المؤرخ الأديب محمد اكتسوس في الجيش العرمرم وكذا المؤرخ أحمد الناصري في الاستقصا وعبد السلام بنسودة في دليل مؤرخ المغرب. غير أن المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان وهو حفيد أحفاد الأمير كشف عن وثيقة عدلية خاصة بالموالة بين زيدان وأخيه أحمد الذهبي بإشراف السلطان المولى إسماعيل، وجمع من الأعيان ونخبة من العلماء والقاضي أبي عثمان سعيد العميري في منتصف رمضان عام 1137. وهذه الوثيقة تشغل صفحتين وبضعة سطور في كتاب المنزع اللطيف، ووصف محررها الأمير زيدان بقوله : "عين الأعيان، صفوة ساداتنا الشرفاء مولانا زيدان المنجح الله مقاصده ويسر للصلح مصادره وموارده..." وأما موقف أخيه منها فهو تأييد لإرادة والده وعبرت عنه الوثيقة بما يلي :

"فتلقى سيدنا ومولانا أبو العباس ذلك بالفرح والسرور والتبشير والخبور... وأشهد أدام الله مجادته وحفظ سعاده أنه والى أخاه سيدنا نخبة الزمان مولانا زيدان

في حوزته ذخيرة من الوثائق الرسمية المتمثلة في الظهائر والرسائل السلطانية وفي السجلات المخزنية.  
قام ابن زيدان برحلة إلى الحجاز بقصد الحج ومر بمصر ولقي بها العلماء واستجازهم واقتنى الكتب، وكذلك فعل بمكة وتونس والقيروان.



بالغاية من المحبة والمودة والحنان وأصله محل الشقيق من أخوته، وحابه بالخالص وده ومحبته".

وبناء على هذه الوثيقة فإن زيدان كان حيا عام 1137 وتوفي قبل والده، ومن خلال قراءتها الكاملة يظهر أن السلطان كان مهتما بولاية العهد، ويرى أن هذين الأميرين هما المؤهلان لها. وأدرك بفراسسته مواقف رؤساء جيش عبيد البخاري من الأميرين المذكورين ومعرفة خصال كل منهما ومواطن القوة والضعف لديهما. فكانت رغبة السلطان أن يشد كل منهما أزر أخيه من خلال عقد الموالاة المذكور، لكن زيدان وافاه أجله قبل والده وأراحه الله من ثورات العبيد والتمردين ودسائس الطامعين، فهل يا ترى كانت وفاته طبيعية أم مات في ظروف غامضة؟ ولماذا انقطعت أخباره عن المؤرخين من سنة 1119 / 1707 إلى سنة 1137 / 1724 التي تم فيها عقد الموالاة مع أخيه أحمد الذهبي؟ فهذا التساؤل قد تجيب عنه الأبحاث في الوثائق المخزنية في يوم ما.

ع. الله الزرهوني، رحلة الوفاة، ص. 223، 224، 225، تج. علي صدقي؛ م. القادري، نشر الثاني، 3: 145 و167، تج. حجي والتوفيق؛ م. الضعيف، تاريخ الضعيف، تج. الصاري؛ م. أكتوس، الجيش العرمرم، تج. الكنسوسي، أ. الناصري، الاستقصا، ج. 7؛ ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف، 3: 77؛ المنزع اللطيف، ص. 230، 232، 392، تج. ع. الهادي التازي؛ ع. السلام ابن موسي، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، 1: 104.

محمد ماگامان

توفرت للمترجم في منتصف عقده الرابع هذه التجربة والمعرفة، وتوفرت له خزانة عامرة بالكتب كانت "أحب إليه من كل بستان" كانت فيها التحف ونفائس المخطوطات إلى جانب مطبوعات في مختلف المواضيع العصرية، وكان لها سجل به ما يقرب من أربعة آلاف عنوان، إلا أن عدداً من عناوينها ضاعت قبل أن يصل ما وصل منها إلى الخزنة الحسنية في أعوام الستين.

أعطت إدارة الحماية لابن زيدان صفة "المدير العربي" للأكاديمية العسكرية بمكناس وهي المسماة "مدرسة الدار البيضاء"، فكان بمثابة نائب لمديرها الفرنسي. ومن راتبه في هذا المنصب بالإضافة إلى عائدات محدودة من غلة أشجار زيتون وصلات من بعض المحبين كان يتعيش ابن زيدان ويقيم الولايم والضياقات المستمرة في داره التي كانت قبلة العلماء والشرفاء والباحثين الأجانب وأعيان الحماية منهم خاصة.

كان بمنزل ابن زيدان مجلس يلتقي فيه الأدباء والشعراء والعلماء، مجلس مطارحة ومذاكرة ودعابة في وقت كان فيه كيّان الدولة المغربية مهدداً والحس بالتاريخ لدي الناشئة ضعيفا، والملكية كرمز للوحدة مستهدفة طمع ابن زيدان إلى سد هذه الثغرات بكتابة التاريخ. ومن أهم كتبه

ابن زيدان، عبد الرحمان بن محمد العلوي، والده من أحفاد السلطان مولاي إسماعيل من ولده زيدان، ووالدته حفيدة السلطان مولاي عبد الرحمان. كان المقربون منهم يسمونه "مولاي الكبير" نسبة إلى جده الأكبر من قبل الأم. ولد سنة 1295 / 1878، بمكناس فترى بالقصر هناك وعرف نظامه. ذكر أنه طلب شهود ختمه للقرآن من السلطان مولاي الحسن. تلقى العلم عن ثلة من فقهاء مكناس ثم التحق بالقرويين بفاس. ومن أجازته بها أحمد بن الخطاط الزكاري ومحمد بن جعفر الكتاني، كما أخذ عن الشاعر أحمد بن المامون البلغيشي.

أنهى دراسته بفاس عام 1325 / 1907، وتصور ما يكون دخل في تكوين شخصيته الأدبية والسياسية بحكم محتده ويحكم مقامه بالعاصمة التي كانت تموج فيها تيارات سبب وقائع الضغوط الأجنبية على المغرب وحوادث العهد العزيزي وتطلع العلماء إلى إصلاح مستحيل.

عاد ابن زيدان إلى مكناس وحمل هناك لقب نقيب الشرفاء بمكناس وزرهون. وقد استطاع بموقعه من العائلة السلطانية وبفضل اهتمامه الشخصي أن يجمع عدداً كبيراً من الكتب ولا سيما ما يتعلق بتاريخ المغرب، كما وقعت

في التاريخ السياسي والفكري :

- (1) إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس ؛
- (2) الدرر الفاخرة بآثر الملوك العلويين بفاس الزهرة ؛
- (3) العز الصولة في معالم نظم الدولة ؛
- (4) المنزح اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف ؛
- (5) النهضة العلمية في عهد الدولة العلوية.

وموجهاته لدى ابن زيدان من ظروف المغرب الذي واجه تحدي الطمس الاستعماري ومن موقع المؤلف من العائلة المالكة وفي حضيرة الفقهاء ومن إرث الكتابة التاريخية عند المسلمين وعند المغاربة خاصة وفي مكناس على الأخص حيث بدأ ابن غازي وضع تاريخ لها منذ القرن العاشر الهجري، وكذا من احتكاكه بالأوروبيين الذين تقبوا في مصادر تاريخ المغرب التوثيقية والأثرية.

اهتم ابن زيدان بفكرة التاريخ واقتبس في هذا الموضوع من ابن خلدون وغيره. أما عمله المنجز في التاريخ فاتخذ فضاءين أساسيين للانطلاق : هما مدينته مكناس ومدينة فاس، ولكن هذين الفضاءين الأساسيين هما وسيلتان لإبراز تاريخ الدولة العلوية السياسي والفكري والنظمي والمعماري. ففي عمله الأضخم : إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس تشكل هذه المدينة دأثرته المركزية، والدولة العلوية دائرة ثانية. فمكناس كانت عاصمة الدولة في عهدها الإسماعيلي الزاهر، وفيها ضريح مؤسسها الفعلي المولى إسماعيل، والمؤرخ حفيده وكأنه يشعر بمسئوليته عن استنطاق كل الآثار التي ما تزال تفرض هيبتها في أركان القصة الإسماعيلية. والمدينة تشمل نواحيها بإدخال مدينة زرهون مدفن مؤسس الدولة الشريفة الأولى بالمغرب المولى إدريس بن عبد الله (ت. 117 هـ). وفاس التي ورثت زرهون وكانت عاصمة للمرينيين إنما استحققت الالتفات في كتاب الدرر الفاخرة بما بفاس من مآثر العلويين الزاهرة بما فيها من آثار العلويين الذين يعتبرهم ابن زيدان ورثة تاريخ الشرفاء السياسي. ولكن مدينة مكناس تبدو في الأخير وكأنها مجرد تعلقة للتاريخ للملوك العلويين، تعلقة أملاها الجنس الأدبي جنس التراجم، فكتاب إتحاف أعلام الناس قاموس تراجم أعلام من الرؤساء والعلماء والأعيان من المكناسيين أو ممن زاروها يوماً من الأيام. أما المادة المبثوثة في ثنايا هذه التراجم فهي مادة تاريخ في جوانبه السياسة والدبلوماسية والعسكرية والنظامية والعلمية والعمرانية. فضمن 2.700 صفحة في الكتاب وردت 553 ترجمة منها اثنتا عشرة ترجمة لسلاطين الدولة العلوية تُسَعُ نصف العدد المذكور من الصفحات على وجه التقريب. وهو تاريخ منظور إليه من زاوية إظهار الأجداد والمفاخر، ولكنه مشروع في سياقه يتصل بالوعي بالذاكرة كوسيلة للدفاع عن الشخصية الثقافية.

وقد تميزت كتابة التاريخ عند ابن زيدان باستعمال وسائل إيضاح لم يُسبق إليها في السياق المغربي ولا سيما صور الأشخاص والمآثر وصور الوثائق، كما أن كتبه تميزت بإخراج تعزز بفهارس مفصلة للمادة التاريخية حرر ما يتعلق بالإتحاف المؤرخ المرحوم عبد الكريم بن المدني ابن الحسيني الرباطي.

توفي عبد الرحمان بن زيدان يوم السبت 21 ذي الحجة 1365 (16 نونبر 1946).

وله في التاريخ مقالات منشورة في فصلات أو ضمن مسامرات معهد الدراسات العليا المغربي، وكان على ابن زيدان أن يعطي دليلاً على فقهه فاهتم ببعض المواضيع التي تتصل بنقد العوائد أو حل بعض القضايا الشرعية، ومن هذا الباب كتب :

- (1) تبين وجه الاختلال في مستند إعلان العدالة لثبوت الهلال ؛
- (2) قرأضة العقبان في تحقيق استمرار أفراد من الكهانة لآخر الزمان.

وقد عني ابن زيدان بالأدب كما هو ظاهر في الجوانب الآتية :

الشعر : فله ديوان عنوانه قوت الأرواح في مديح زين الملاح لا يجمع كل قصائده، وأصله في مخطوط بالحزنة الحسينية يحمل رقم 12386، ويغلب عليه المديح، ويكمله تأليف آخر عنوانه تأليف في المديح النبوي، أصله مخطوط أيضاً في الحزنة الحسينية تحت رقم 12463. وله عدد من القصائد بجريدة السعادة. كما أن لابن زيدان شعراً في مؤلفات أخرى منها التأليف الذي يدل على موضوعه عنوانه : تغيير الأسعار على من عاب الأشعار. ومنها العقود الزبرجدية في الرحلة السلطانية المحمدية حيث سجل رحلة محمد بن يوسف إلى جنوب المغرب عام 1360 / 1941. وله من شعريات المولدية قصائد منها مطولتان عنوان الأولى : كفاية المحتاج في مدح صاحب اللواء والتاج، والثانية بغية المستهام في مدح خير الأنام وهما مطبوعتان. وبحكم موقعه من السلطان واضطلاعهم بمهمة التأريخ لنشاطه أنجز أعمالاً أدبية مثل جمعه للقصائد التي قبلت في السلطان مولاي يوسف وذلك في ديوان سماه : اليمن الوافر الوفي في امتداح الجناب اليوسفي.

- المسامرات، وإن كان معظمها في مواضيع تاريخية فهي مفعمة بأسلوب النثر الأدبي الذي يبنى على أسلوب صاحبه في الكتابة وعدته في الثقافة العربية الإسلامية.

- الرسائل وتبادلها مع أصدقاء ومع بعض رجال الإدارة، وفيها نفس الملامح الأدبية التي في كتابة المسامرات.

لابن زيدان سبعة وعشرون مؤلفاً، نصف عددها في موضوع التاريخ بصراحة، ولكن عدد الصفحات التي يتكون منها حيز هذا الجانب يتعدى ثمانية أعشار سعة مجموع مولفاته.

تشكل ظروف كتابة التاريخ ودوافع هذه الكتابة



ع. الجبري، س. بنسعيد ؛ أ. التوفيق، عبد الرحمن بن زيدان،  
سلسلة أعلام المغرب، نشر مؤسسة أونا، مطبعة إيدال، الدار  
البيضاء، 1998.

أحمد التوفيق

ابن زيدان، عبد القادر بن عبد الرحمن العلوي  
العلوي المكناسي، فقيه مقرئ خطاط. قال عنه ابن أخيه في  
الإتحاف "أستاذ مجودٌ نحوي لبيب نبيل فاضل وجيه  
محاضر لطيف ظريف لسن كاتب له خط بارع نسخ عدة  
كتب فقهية وحديثية وتاريخية... وكان يؤدب الصبيان في  
أوليه أمره فتخرج على يديه عدد وافر من حملة القرآن،  
وكان يتعاطى خطة الشهادة بسماط العدول.

توفي بمكناس أواخر جمادى الثانية عام 1321 / شتنبر  
1903.

ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف، ط 2، 1990، ج. 5 : 353 - 354 ؛  
م. المتوني، تاريخ الوراثة الغربية، الدار البيضاء، 1991، ص.  
250.

محمد حجي

الزيدانية، قصبة بسوس ما تزال أطلال أسوارها ماثلة  
في الجنوب الغربي لمدينة تارودانت على بعد حوالي 3 كلم،  
وسط أجنة الزيتون وحقول الزراعة، تنسب إلى الأمير محمد  
زيدان بن السلطان إسماعيل، قام ببنائها بعد أن بعثه والده  
لقتال أخيه محمد العالم الثالث بسوس عام 1114. وهي غير  
الزيدانية بتادلة المنسوبة لزيدان السعدي ( المعسول، 12 ؛  
144).

كانت هذه القصبة شديدة التحصين كما يظهر من  
سورها الذي تهدمت أجزاء كثيرة منه، بعد أن تحولت  
القصبة إلى تجمع سكني (زيارة لعين المكان). وقد تم  
تأسيس القصبة حين قدم الأمير زيدان لقتال أخيه محمد  
العالم المنتص بتارودانت عقب عودته من مراكش التي  
استولى عليها واستباحها سنة 1015 (رحلة الوافد، ص.  
222-224). ولما ظهرت للأمير زيدان قوة الثوار المحتمين  
بأسوار تارودانت، واستماتتهم في القتال، مما يعني طول  
مدة الحرب، أمر ببناء القصبة وتحصينها ليتخذها الجيش  
المخزني منطلقاً لهجوماته على الثوار وقاعدة خلفية يلجأ  
إليها ويتحصن بها عند التعرض لضربات خاطفة من  
الخصوم. بنيت هذه القصبة في الجنوب الغربي لتارودانت  
لتركيز الهجومات على الجانب الغربي للمدينة الممتد من  
باب أولاد بونونة إلى باب الغزو المسمى الآن باب  
تارغونت. استمرت الحرب بين الفريقين ثلاث سنوات شهدت  
معارك ومناوشات عدة هلك فيها عدد كبير من الثوادر  
والأعيان والمقاتلين من كلا الطرفين.

لم يفلح الثوار في تجاوز سور الزيدانية الحصين. كما لم

يستطع الجيش المخزني اختراق أسوار تارودانت إلا باتصال  
الباشا عبد الكريم بن منصور التكني أحد قادة عبيد  
البخاري بأعيان حي أولاد بونونة واتفاقه معهم على فتح  
الأبواب للجيش المخزني مقابل حقن دماهم، وهكذا تمكن  
محمد زيدان من الدخول لتارودانت ففر أخوه محمد العالم  
أمامه راجياً اللجوء إلى قبيلة ركيطة (إيركيث) غير أن  
عبيد البخاري أدركوه، فألقى عليه القبض وبعث إلى  
مكناس حيث قتل يوم الأحد 16 ربيع الثاني 1118  
(الأعلام، 6: 12).

ولا تتوفر معلومات عن حال قصبة الزيدانية بعد  
القضاء على هذه الثورة، إلا ما كان من إشارة ترد بعد ذلك  
بزمن طويل في أوائل القرن الرابع عشر حينما اتخذها  
القائد الناجم الأخصاصي أحد رؤساء المجاهدين تحت إمرة  
الشيخ أحمد الهيبة قاعدة يشن منها الهجومات على حيدة  
بن ميس قائد الجيش المخزني بسوس المنتص بتارودانت  
(المعسول، 20: 112)، ولا يبعد أن تكون القصبة اتخذت  
بعد ثورة العالم قاعدة عسكرية قطنها فيلق من عبيد  
البخاري لمراقبة تارودانت والمناطق المحيطة وقمع الثائرين  
بها بعد ذلك مثل المولى أبي النصر بن المولى إسماعيل  
الذي ثار هناك سنة 1123 (الاستقصا، 7: 96) ثم أصبحت  
في مراحل لاحقة تجمعا سكنياً على غرار كثير من  
القصبات الإسماعيلية في نواحي المغرب. ولا تزال على  
ذلك إلى اليوم.

م. المختار السوسي، المعسول، المحمدية؛ عبد الله التاسفي، رحلة  
الوافد، تح. أزيكو، القنيطرة، 1992 ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام،  
ج. 6، الرباط، 1405، 1985 ؛ أ. الناصري، الاستقصا، ج. 7،  
الرباط، الدار البيضاء، 1955.

المهدي السعدي

زيدوح (ولد -)، أحمد بن محمد التادلاوي، اشتهر  
بغناه المنبني أساساً على ملكه لأكثر قطع ضان بتلك  
الجهة، وأوسع الحقول التي كان يخصصها لزراعة الحبوب.  
فضلاً عن أنه عرف بالكرم الزائد عن الحد. وهذا ما جعل  
ذكره تسيير به الركبان. وما يذكر أن سبب اتصاله بالمخزن  
يرجع إلى عهد السلطان عبد الرحمن بن هشام، حيث أخبر  
بعض الجباة أن ولد زيدوح من أكبر أغنياء تادلا، وأن له  
ألمعية متميزة بين سكان تلك الجهة، بما أوتي من بسطة في  
المال والجاه، وما توافر له من أتباع في القصبة التي حملت  
اسمه. هذه القصبة التي تقع على الضفة اليسرى لواد أم  
الربيع، غير بعيد عن القنطرة التي تربط اليوم، بين مدينتي  
سوق السبت والفقير بن صالح (انظر دار ولد زيدوح).

ولعل ذلك الغنى، فضلاً عن احتمال قوة عصبية ذلك  
القائد، قد كان سبباً في اتصاله بالمخزن، في سياق سياسة  
الاستقطاب التي كان ينهجها للتمكين لسريان أحكامه في

القبائل التي لم تكن سلطته فيها نافذة بما فيه الكفاية : مثل قبيلة بني موسى التي تقع دار ولد زيدوح في ترابها . في هذا السياق أصبح أحمد ولد زيدوح موظفا مخزنيا . يذكر الناصر أن سيدي محمد بن عبد الرحمن ، الذي كان خليفة لوالده بمدينة مراكش أوقع بقبيلة بني موسى ، "وقطع منهم أربعة وستين رأسا وقبض على مائة وخمسين مسجوناً" ، عقابا لهم على قتلهم لعاملهم أبي العباس أحمد ابن زيدوح" ( الاستقصا ، 9 : 65 ) .

وإذا علمنا أن الإيقاع ببني موسى كان في سنة 1269 / 1853 ، فيمكن أن نؤرخ لوفاته بما يقارب هذا التاريخ . وفي سياق خروج القبيلة المذكورة على عاملها ، يشير المصدر نفسه ، ضمن أحداث عام 1289 / 1872 ، إلى الغزواني ابن زيدوح قائداً للمخزن في تلك الجهة (الاستقصا ، م . س . ص . 123) وفي عهد هذا القائد استطاع السلطان ملاحقة الفارين من قبيلة بني موسى ، حيث استنزلهم من الجبال "على الأمان ودخلوا في الطاعة والتزموا الخدمة" كان ذلك عام 1294 / 1877 . لذلك لم يتلکأوا في أداء فروض الطاعة حين اجتاز المولى الحسن أرض قبيلتهم ، بعد حوالي سنتين من التاريخ المذكور . بل إن الحركة السلطانية أصبحت تقيم مخيمة بدار ولد زيدوح لينظر السلطان في بعض المظالم التي تعرض عليه من قبل الذين لم ينصفهم القاضي الجهوي (بوسلام ، قبيلة بني ملال ، ص . 153) . كان هذا ما دأب عليه السلطان مولاي الحسن . وهذا دليل على التمسكين الذي أصبحت سلطة المخزن تحظى به في قبيلة بني موسى ، بسبب قوة القائد ولد زيدوح . ومن ثم ظلت زيارات السلطان لدار ولد زيدوح تترى ، حتى كانت بها وفاته ليلة الخميس ثالث ذي الحجة ، متم عام 1311 / 7 يونيو 1894 .

أ . الناصري ، الاستقصا ، 9 : ابن زيدان ، إتحاف أعلام الناس ، 2 : م . جعي ، الزاوية الدلائية ؛ بوسلام ، قبيلة بني ملال .  
Repertoire alphabétique , 8 mars 1936 .  
أحمد عبالك

## زيدوح (دار -) ← دار ولد زيدوح

**الزَيْدِي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة ، وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Çaide - Çaydet - Çayde . وقد أنجبت هذه الأسرة عدة فقهاء لم نعرف عنهم شيئاً باستثناء : علي بن العربي الزيدي من سنة 1236 إلى سنة 1247 (1821 - 1831) . ومحمد بن أحمد الزيدي الذي كان عون القاضي سنة 929 (1523) .

م . ابن عزوز حكيم ، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999 ، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 796 .

محمد ابن عزوز حكيم

**الزَيْدِي**، أحمد مقاوم من مواليد سنة 1940 ببني بويحيى إقليم الناظور . التحق بصوف جيش التحرير المرابط بتيزي ندرا ، وقد أبلى البلاء الحسن في كل المعارك والهجمات التي شارك فيها إلى جانب وحدات جيش التحرير بجبال الريف إلى أن حصل المغرب على استقلاله . توفي يوم 23 . 9 . 1995 .

الندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير . شهداء ، الاستقلال ، بطاقة مقاوم رقم 524281 .

**الزَيْدِي الْكَدَالِي**، عبد الكريم بن العربي أحد فقهاء مدينة أسفي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر . تولى قضاء أسفي بالنباية ، وعنه يقول الفقيه الكاتوني : "الفقيه العلامة النوازلي القوال بالحق المفتي البارع... توفي رحمه الله في الكائنة بين القائد عيسى (بن عمر) وأولاد زيد ، فكان في جانب أهله ، ولما طولوا بالصلح وحضر لإمضائه غدرهم القائد المذكور فقتل الأعيان . وكان صاحب الترجمة ممن قتله القائد بنفسه حيث ناوله كتاب السلطان ، ففي أثناء القراءة أخرج السيف من غمده وضربه ، وذلك عشية يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة 1313 / 8 أكتوبر 1895 ، ودفن بأغرور من القصة العليا في جملة من مات في ذلك اليوم..."

م . الكاتوني ، جواهر الكمال في تراجم الرجال ، ج . 2 ، مخطوط ؛ أ . الصبيحي ، باكورة الزيدة من تاريخ أسفي وعبيدة ، نج . ع . الرحيم العطوي ، م . الظريف ، الرباط ، 1994 .

عبد الرحيم العطوي

**الزَيْدِي**، محمد بن داود ، مقاوم ولد سنة 1932 بدوار الكفاف إقليم خريبكة . شارك في الانتفاضة الشعبية التي عرفتها مدينة وادي زم يوم 20 غشت 1955 مشاركة فعالة ، وقد قام أثناء هذه الانتفاضة بعدة أعمال فدائية استهدفت إحراق وتخريب منشآت المستعمر .

وواصل كفاحه هذا بكل شجاعة وإقدام إلى أن استشهد في نفس يوم الانتفاضة بعد إصابته برصاص العدو .

الندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير ، شهداء ، الاستقلال ، بطاقة مقاوم رقم 520853 .

**الزَيْدِيَّة**، **للافاطنة** بنت محمد إحدى الوليات الصالحات بعيدة يبعد ضريحها ببضعة كيلو مترات عن شاطئ البحر شمال أسفي في المكان المعروف باسمها . يقول الفقيه الكاتوني عنها : "أصلها من حاحة ، وهي بنت الولي الشهير سيدي محمد وشان ..." أما الفقيه الصبيحي السلواي فيقول عنها : "هذه السيدة اشتهرت بقضاء الله تعالى حاجات زائريها ، ويقصدها النساء خصوصاً ومن

عادتهن أن كل امرأة زارتها في يوم من الأيام يصير عندها ذلك اليوم يوماً موقراً تتزين فيه ولا تغزل فيه ولا تأخذ مكسنة بيدها، وبالجملة لا تعمل فيه عملاً دنيئاً قائلة أنه يوم زيارتها لآل فاطمة محمد".

يقام بضرحةا موسم كبير كل سنة في 15 شعبان وتقضه جموع غفيرة من الناس وخاصة النساء اللواتي لهن فيها اعتقاد كبير.

م. الكانوني، جواهر الكمال في تراجم الرجال، ج. 2، مخطوط : أ. الصبيحي، باكورة الزبدة من تاريخ أسفي وعيدة، تح. ع. الرحيم العطوي، م. الظريف، الرباط، 1994.

عبد الرحيم العطوي

**الزيراوي، محمد بن بوشعيب زكي، مقاوم وأحد** وجوه حزب الاستقلال البارزة في مدينة الدار البيضاء خاصة في درب البلدية بالمدينة الجديدة حيث كان مسؤولاً في مكتب الدائرة الأولى للحزب الذي انضم إليه عام 1944 بعد قدومه إلى الدار البيضاء، إذ كانت ولادته بقبيلة أولاد بوزيري ناحية سطات.

تعرض لمحاولة أولى للاغتيال يوم الخميس 3 ماي 1956، وقد نجح بفضل تدخل أحد المارة، أما المحاولة الثانية التي قضت على حياته فقد جرت مساء الأربعاء 25 يوليوز 1956 بزققة مولاي الحسن بدرج البلدية بالدار البيضاء، وقد نفذ الاغتيال ثلاثة أفراد من الهلال الأسود التي حاولت الانتقام من المنظمة السرية . الخاضعة حديثاً لحزب الاستقلال - لإقدامها على اختطاف واغتيال عدد هام من رجال الهلال الأسود، وكان الزيراوي قد بذل مجهودات لا اعتقال عبد الله الحدادي أحد قادة الهلال البارزين، فحاول إغراء أحد أخواله، لكن دون جدوى، ومن المرجح أن تكون هذه المحاولة السبب المباشر لإقدام ثلاثة من الهلال على اغتياله.

(العلم، ع. 2244، الجمعة 27 يوليوز 1956، ص 1).

محمد وحيد

**زيرم بنت باب بن الناجم** مقاومة من مواليد سنة 1927 بالساقية الحمراء من والدها باب بن الناجم بن الرقيبي وأمها غيلة بنت الفاضل بنا لعبيدي. ساهمت مساهمة فعالة في مقاومة المستعمر الإسباني والفرنسي في جنوب المغرب حيث كانت تساعد جيش التحرير في معالجة الجرحى والقيام بكل ما يحتاج إليه فرقتها التي كان يرأسها السيد عزاز محمد بن أذخيل إلى أن استشهدت سنة 1958.

المدوية السامية قدما، المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 514707.

**زيري بن عطية بن عبد الله بن تبادلت بن محمد بن**

خزر الزناتي المغراوي يكنى أبا يوسف ويلقب بالفرطاس. كان أحد أمراء بني خزر في بادية المغرب الأوسط، ولما غلب بلكين بن زيري الصنهاجي صاحب إفريقية على بلاد المغرب الأوسط سنة 369 / 979 أجلى بني خزر إلى المغرب الأقصى وزعماءهم محمد بن الخير ومقاتل بن عطية وأخاه زيري بن عطية وخزرون بن فللول فوصلوا إلى سبتة التي كانت حينذاك تحت نفوذ بني مروان في الأندلس. وعندما أبان أمراء مغراوة عن شجاعتهم ويسالتهم في رد هجومات بني زيري الصنهاجيين الموالين للعبيديين في إفريقية انخرطوا في دعوة بني مروان وبايعوا الخليفة هشام المؤيد وحاجبه المنصور بن أبي عامر، وقد توافق هذا مع حاجة المروانيين لحليف قوي ومطواع لمواجهة التهديدات الفاطمية. وأصبح الحاجب يعول أكثر من ذي قبل على أمراء زناتة في ضبط بلاد المغرب الأقصى بعد انقطاع أيام الأدراسة وبني أبي العافية المكناسيين وكان على زيري بن عطية أن يستغل هذه الوضعية لظهور ولاته لبني مروان ويسالته في الدفاع على مصالحهم بالمغرب الأقصى. وقد عرفت سنة 377 / 987 ظهور شخصية أبي البهار بن زيري بن مناد الصنهاجي على مسرح الأحداث في غرب المغرب الأوسط. وكان أبو البهار هذا مناهضا لأخيه منصور بن بلكين صاحب إفريقية وظهير العبيديين، فخلع دعوتهم ومال إلى دعوة الخليفة هشام وحاجبه ابن أبي عامر وتمكن من الاستيلاء على مناطق واسعة باسم المروانيين كتلمسان وتنس ووهران وشلف وشرشال وجبال ونشريس والمدية وجزء كبير من بلاد الزاب. لكن بيعته للمروانيين لم تدم أكثر من شهرين إذ سرعان ما عاد إلى دعوة العبيديين، فكان ذلك مناسبة ملائمة استغلها زيري بن عطية بعد أن أمره ابن أبي عامر بقتال أبي البهار وعينه على ما كان تحت نفوذه من مدن ومناطق. وتمكن زيري فعلا من مطاردة أبي البهار والاستيلاء على بلاده. وقد عزز هذا الانتصار موقع زيري في البلاط المرواني بقرطبة وقوي سلطانه وارتفع شأنه بين أمراء المغرب، وأصبح المنافس القوي لأمير زناتي آخر هو يدو (أبو بدوي) بن يعلى اليفرني الذي كان المنصور يحسب له ألف حساب بين أمراء زناتة إذ كان كثير الثقل في ولاته للمروانيين. واعتبر المنصور أن زيري بن عطية هو القائد الذي يمكن الاعتماد عليه في تقليم أطراف الأمير اليفرني والحد من خطورته وتهديداته للوجود المرواني في الضفة الجنوبية للأندلس. في هذا الاتجاه استدعى الحاجب المنصور زيري بن عطية إلى حضرته قرطبة سنة 377 / 987 وأحسن وفادته ثم أمره بمآزرة وزيره ونائبه على المغرب الأقصى حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي في محاربة عدوهم المشترك يدو بن يعلى. وفي إحدى المواجهات العنيفة بين الطرفين سنة 381 / 991 جرح الوزير ثم هلك فيما بعد مما سمح لزيري بأن يظهر كرجل المروانية الأقوى والأنسب لخلافة حسن بن أحمد في هذه المرحلة التي شهدت من جهة

تزايد أطماع بني زيري الصنهاجيين في المغرب وتشدهم في مخالفة الدعوة المروانية ومساندة العبيديين ومن جهة أخرى تصاعد وتيرة المعارضة الداخلية بالمغرب الأقصى خاصة معارضة بني يفرن وهو الأمر الذي شجع الحاجب على مكتابة زيري بالولاية على المغرب الأقصى لبني مروان. وقد عرفت الفترة الممتدة من سنة 381 / 991 إلى سنة 383 / 993 فصول خطيرة من الصراع الدموي بين الأميرين الزناتيين زيري بن عطية ويدو بن يعلى وكانت الحرب بينهما سجالاً، وفي آخر جولاتها سنة 383 تمكن زيري من اقتحام مدينة فاس على يدو وقتله وبعث برأسه إلى الحاجب المنصور بقرطبة. ولم يكن مقتل الأمير اليفرنى نهاية الصراع بين القبيلتين مغراوة وبنو يفرن على الإمارة والرياسة بل استمر ذلك حتى بعد انسحاب خلفاء يدو بن يعلى إلى جهة شالة واستقرارهم بها. وتفيد المصادر بأن زيري استطاع بفضل حنكته العسكرية ودهائه السياسي توسيع مجال نفوذ الخلافة الأموية في العدة الجنوبية من السوس الأقصى إلى بلاد الزاب. وقلص من تهديدات الخطر الشيعي وأصبح الزعيم الزناتي الأقوى في المنطقة ولم يبق له بها منازع أو منافس وبدأ يمارس سلطات واسعة كأمر مستقل، فشد مدينة وجدة سنة 384 / 994 في موقع وسط متميز يقترب من موطنه وعصبيته ويبتعد عن المؤامرات التي كانت تحاك ضده بفاس. وقد جعل زيري من هذه المدينة عاصمة لإمارته المترامية الأطراف وإنزالها عسكره وحشمه، وبعث إلى الحاجب بقرطبة هدية عظيمة طار ذكرها بين الناس وتفنن المؤرخون في وصفها واعتبروها رمزا واضحا لقوة الأمير المغراوي وغنى مملكته. وفي سنة 386 / 996 ساءت العلاقة بين الخليفة هشام المؤيد وحاجبه المنصور بن أبي عامر. ووصلت لهذا الأخير بعض الأخبار مفادها أن زيري بن عطية يساند الخليفة في نزاعه مع الحاجب المستبد عليه وتجراً على خلق طاعته للحاجب ومحا اسمه من الخطبة وطرد عماله من المغرب وأجلاهم إلى سبتة واقتصر على الدعاء للخليفة هشام. وقد انعكس هذا الموقف على تطور العلاقة بين الحاجب وزيري في اتجاه الصراع والتصادم. والمنصور كان يعي جيدا أن زيري لم يقدم على هذه الخطوة الخطيرة إلا بعد أن أحس بنفوذه وقوته، ولذلك سعى الحاجب إلى محاوة قطع الطريق عليه وعدم السماح له بالوصول إلى أهدافه السياسية. فبدأ يناوشه وبعث له بالحملة العسكرية لكسر شوكته. وكانت أولى تلك الحملات حملة كاتبه عيسى بن سعيد اليحصبي التي دارت رحاها حول قلعة حجر النسر جنوب طنجة، ثم حملة قائده الكبير واضح الفتى الصقلي سنة 387 / 997 حيث استقطب عددا من أبرز أمراء وقواد زناتة المناوئين لزيري مثل إسماعيل بن البوري ومحمد بن عبد الله بن مرين ومحمد بن الحثير الحزري وابن عمه بكساس بن سيد الناس وخزرون بن محمد الأزداجي وزيري بن خزر وأبو بخيت بن عبد الله بن بكار

وغيرهم. وقد دامت هذه المواجهة حوالي ثلاثة أشهر في مجال واسع بين أصيلا ونكور. ولما علم الحاجب المنصور باستماتة زيري وصدده بقوة لهجمات قائده واضح بعث بحملة أخرى بقيادة ابنه عبد الملك المظفر وتحت إشرافه شخصيا، وزحف إلى طنجة حيث ضم جيوشه إلى جيوش القائد واضح وانطلق الجميع لمواجهة جيش زيري في معركة عنيفة بوادي منى (أبو دوادي ربات أو بجبل الحبيب حسب تعدد الروايات) من أحواز طنجة في شهر شوال من سنة 388 / 998. وقد استطاع الأمير المغراوي الصمود والثبات إلى أن غدر به أحد أتباعه وطعنه في غفلة منه وكان يريد نحره. لكنه أصيب بجراح وتمكن من النجاة والهرب إلى فاس ومن هناك إلى الصحراء. وبفضل هذه الهزيمة استعاد الحاجب ابن أبي عامر نفوذه على المغرب الأقصى.

بعد استجماع زيري لقواه وحشد مؤيديه انتقل من الصحراء إلى المغرب الأوسط حيث كانت الأوضاع مضطربة والصراع حول الحكم بين فصائل صنهاجة محتدا، فاستغل زيري انشغال الأمراء ونازل بعض المدن خاصة تاهرت واستولى عليها بعد حروب شديدة مع بني زيري. وقد شجعه هذا الانتصار على متابعة تحركاته العسكرية في إطار خطة مرسوم بدقة لاستعادة ملكه في المغرب الأقصى من خلال بوتنه الشرقية. وهكذا استولى سنة 389 / 999 على تلمسان وشلف وتنس والمسيلة وغيرها وأقام الدعوة فيها للخليفة هشام المؤيد والحاجبه ابن أبي عامر، كما كتب للحاجب بهذا الفتح يسترضيه ويشترط على نفسه الاستقامة والطاعة ويطلب منه إعادته إلى ولايته على المغرب الأقصى. وكان الحاجب يقوم بتسويفه وتماطل في السماح له بالعودة إلى أن وافق أخيرا بالقدوم إليه عندما كان محاصرا لمدينة أشير سنة 391 / 1001. وعند منصرفه اعتل زيري بن عطية وعادت عليه جراحاته وتوفي بعدها في شهر المحرم أو في شهر رمضان من نفس السنة 391 / 1000 دجنبر 1000 - غشت 1001 فخلفه ولده المعز بإجماع آل خزر وكافة مغراوة.

ديوان ابن دراج الفسطلبي، تح. محمود علي مكي، ط. 2، المكتب الإسلامي، 1389، ص. 1، 7؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، 1966، ج. 9، ص. 46، 68، 69، 152، 153، 155؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 1983، ط. 3، ج. 1، ص. 249 - 253؛ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، بيروت، 1983، ط. 3، ج. 2، ص. 281 - 282؛ مجهول، مفاخر البربر، نشره ليفي بروفتسال، المطبعة الجديدة، رباط الفتح، 1934، ص. 22، 39؛ ابن أبي زرع، القرطاس، دار المنصور، الرباط، 1972، ص. 102، 107؛ النوري، نهاية الأرب في فنون الأدب (جزء منه حول تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط)، تح. مصطفى أبو ضيف أحمد، الدار البيضاء، 1985، ص. 318، 325، 328؛ على الجزاني، جنى زهرة الأس، الرباط، ط. 2، 1991، ص. 54؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بروع

## الخطارات.

وقد لعب هذا السد دورا أساسيا في ري هذه الواحات حيث يمكن من تسخير معدل 106 مليون م<sup>3</sup> سنويا واستعمال 90.1 م<sup>3</sup> للزراعة.

يرتكز استعمال المياه الجوفية خاصة بسهولة تافيلات حيث يتم سقي 6.000 هكتار سنويا بواسطة الخطارات والآبار (20 م<sup>3</sup> سنويا).

وتعتبر الملوحة هاجسا مخيفا لاستدامة التنمية الفلاحية خاصة بسهولة تافيلات حيث تم تسجيل مستويات تفوق 8 غ/ل.

ويتميز هذا الحوض بوجود شبكة جهوية لتوزيع مياه الشرب على كل من الرشيدية، أرفود والريصاني والقصور الرابطة بينها والذي تم تشغيله منذ 1985.

ونظرا لضعف مستوى الواردات بهذا الحوض، فإن جل المقترحات في إطار المخطط المديرى لاستصلاح هذا الحوض تستهدف اقتصاد المياه المتاحة وحسن استعمالها إضافة إلى التحكم في ظاهرة الملوحة وتحويل المياه من سافلة حوض غريس إلى واحات زيز.

موحا حدوش

**زيز،** واد ينبع من جبل العياشي بالأطلس الكبير الشرقي، ويخترق إقليم تافيلات من شماله إلى جنوبه مارا بالخنك ومضفرة والترتب وتيزمي وتافيلات بالمعنى المحلي للكلمة ثم يخرج إلى القفر (وصف إفريقيا، 2: 254) : إفريقيا، 3: 152). يبلغ طوله من منابعه إلى الخملية حيث يلتقي بوادي غريس ويشكل معه وادي الدورة 200 كلم. له ثلاثة روافد في عاليته هي : أوتريات ونوساين وتلاست، تأخذ كلها منابعها من أوتريات على ارتفاع يتراوح ما بين 2400 و2700، وتجتمع هذه الروافد الثلاثة في واد يحمل اسم تاريبات، ثم ينضاف إليها وادي تزارين في أمرگو، ثم وادي مزيزل، ثم وادي سيدي حمزة ورافده واد النزالة (Errachidia, p. 8 ; Les problèmes de l'eau, p. 99).

لم يرد ذكر اسم زيز في المصادر الجغرافية للعصر الوسيط سوى في كتابين هما : البلدان لليعقوبي والجغرافيا لابن سعيد في حين تردد ذكره في مصادر العصور الحديثة. ولا نعرف ما تعنيه هذه الكلمة، فالزيز بالتحريف هو بصل الفار وذوية تطير وتفق طويلا على الشجرة ولها صوت كأنها تقول زيز فسميت به (محيط المحيط، 387) فهل سمي هذا الوادي بزيز لكثرة نبات الزيز فيه أو اشتق اسمه من خريز مياهه لأنه كان فيما مضى دائم الجريان ؟ الحقيقة أننا نستبعد أن يكون لاسم هذا الوادي علاقة بالمعنين المذكورين ونرجح أن تكون هذه الكلمة من أصل أمازيغي لكننا لم نتوصل إلى معرفة معناها في ضوء معلوماتنا الحالية.

قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تجر أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتان، الدار البيضاء، 1964، القسم الثالث، ص. 155. 160 : ابن خلدون، العبر، دار الفكر، بيروت، 1988، ج. 4، ص. 189. 190 : نفسه، العبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968، ج. 6، ص. 320-322 : القلقشندي، صبح الأعشى، القاهرة، د. ت. ج. 5، ص. 185-186 : أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1974، ص. 198-199 : الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954، ج. 1، ص. 206-224 : أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت، 1978، ص. 236-240 : الهادي رويحي إدريس، الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م. نقله عن الفرنسية حمادي الساحلي، بيروت، 1992، ج. 1، ص. 98-133 : عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، بيروت، 1994، ج. 2، ص. 84 : هاشم العلوي القاسمي، مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري / منتصف القرن العاشر الميلادي، الرباط، 1995، ج. 2، ص. 215-375.

G. Marçais, *Oujda. E.I.*, 1936, T. 3 ; Levi - Provençal, *Maghrawa, E.I.*, 1936, t. 3 ; Ibid, *Histoire de l'Espagne musulmane*, Paris - Leiden, 1950; T. 2., pp. 259 - 268 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1950, T. 2, pp. 135 - 208 ; E.F. Gautier, *Le Passé de l'Afrique du Nord*, nouvelle édition, Paris, 1964, pp. 369 - 391 ; J. Brignon [et al...], *Histoire du Maroc*, Paris, Casablanca, 1967, pp. 73 - 83.

رشيد السلامي

**زيز،** حوض يتكون من ثلاث مجموعات متوالية من الشمال إلى الجنوب :

المنطقة الجبلية التي تعتبر المورد الأساسي لسهل الريش،

المنطقة السفحية التي تتعش واحات الرشيدية والتي عرفت تشييد سد الحسن الداخل في سنة 1971،

المنطقة الجنوبية على الهضبات تغدي الواحات الشبية الصحراوية والصحراوية بما فيها سهل تافيلات حيث يلتقي مع واردات حوض غريس.

تقدر التساقطات المطرية بـ 250 ملم في المناطق الجبلية و130 ملم بينما لا تتعدى 75 ملم جنوب أرفود.

وتبلغ المياه السطحية معدل 68 ملم على مستوى قم تليشت و39 ملم في قم زعبل سنويا. ويتم استعمال هذه المياه لسقي حوالي 6.150 هـ من الأراضي الزراعية بعالية زيز.

ويحكم أهمية هذه الواردات (138 م<sup>3</sup>) وكذلك لضرورة وقاية الواحات الجنوبية من الفيضانات تم بناء سد الحسن الداخل وتسخيرها منذ 1971.

وتعتمد الواحات الجنوبية في سقيها (20.960 هـ) أساسا على مياه هذا السد إضافة إلى بعض العيون، عين مسكي مثلا، مياه غريس التي يتم تحويلها بواسطة بعض السدود التحويلية كسد الحميدة، إضافة إلى عدد كبير من

ذكر ابن حوقل الذي زار سجلماسة سنة 340 / 951 أن هذه المدينة على نهر يزيد في الصيف كزيادة النيل، في كون الشمس في الجوزاء والسرطان والأسد، فيزرع بمائه حسب زرع مصر في الفلاحة (صورة الأرض، 90). وذكر الوزان الذي أقام بقصر المامون مدة طويلة بعد أندراس مدينة سجلماسة أنه كثيراً ما يجف نهر سجلماسة في فصل الصيف ويقل الماء جداً بحيث لا يجد الناس غير الماء المالح المستخرج من الآبار (وصف إفريقيا، 2: 126). فيستنتج من ذلك أن تغيراً كبيراً طرأ على التصريف المائي لوادي زيز من زمان ابن حوقل إلى زمان الوزان.

ولأن سجلماسة منطقة شبه صحراوية، شديدة الحر. قليلة الأمطار (أحسن التقاسيم، 231 ومعيار الاختيار، 181 وصبح الأعشى، 5: 164) فإن وادي زيز لا يعتمد في جريانه على التساقطات المحلية وإنما يرتبط ارتفاع منسوب مياهه بتهاطل الأمطار وذوبان الثلوج في مناطق منابعه وهذا ما أكده ابن أبي زرع حيث قال: وفي سنة 381 / 991 كان قحط شديد ببلاد المغرب والأندلس وإفريقية، جفت من أجله المياه جفوا كثيراً، وجاء بهذه السنة بوادي سجلماسة سيل عظيم لم يعهد مثله، ولم ير بتلك الأرض كلها من السنة مطر، فعجب الناس من ذلك (القرطاس، 114).

وأورد البكري معلومات مهمة حول تغذية وادي زيز بمياه العيون قال: "وسجلماسة على نهرين عنصرهما من موضع يقال له الكلف تمده عيون كثيرة، فإذا قرب من سجلماسة تشعب نهرين يسلك شرقها وغربها (المغرب، 148) ونقل هذه المعلومات دون إضافة كل من صاحب الاستبصار وابن عبد المنعم الحميري (الاستبصار، 201 والروض المعطار، 306).

حاول روجي فور R. Faure إيجاد تفسير الكلام البكري وقال بأن المناطق الواقعة في الشمال الغربي لمدينة سجلماسة كانت تتوفر على عدد كبير من العيون ذات صبيب قوي، خصوصاً في المجال الواقع بين قصر الجبيل وقصر الدار البيضاء، وقد جفت هذه العيون بسبب تراكم الطمي المنقول بواسطة مياه وادي زيز. وقال بأنه من غير المستبعد أن تكون هذه العيون هي المقصودة بأكلف عند البكري (Le Tafilalet, p. 12) وأكد مارغا J. Margat هذا الرأي بنوع من التفصيل وقال بأن الفرشة المائية في المناطق المذكورة أعلاه تتوفر على مخزون مهم من المياه بسبب وجود سد حجري طبيعي بها يمنع تسرب المياه الجوفية نحو الجنوب، وهو ما أهلها لأن تكون منطقة غنية بمنايع الماء، وأهلها لأن تكون كذلك المقصودة في كلام البكري بأكلف. وأعزى جفاف هذه العيون في وقتنا الحالي إلى ارتفاع مستوى سطح الأرض في ضواحي مدينة سجلماسة بتسعة أمتار عما كان عليه زمان البكري (Note sur la morphologie) ومعلوم أن فيضانات وادي زيز وغريس تسبب في تراكم الطمي بمناطق تافيلالت بنسبة تتراوح ما بين 0.5 و1 سنتم في العام

الواحد، أي ما يعادل حوالي متر في كل قرن (Note sur la morphologie). وكل فيض لهذا الوادي تتراوح كمية مياهه ما بين 4 و5 مليون م<sup>3</sup> يحمل إلى تافيلالت حوالي 35.000 طن من الطمي (Les problèmes de l'eau, p. 117).

وبخصوص ما ذكره البكري حول تشعب نهر سجلماسة عند اقترابه من المدينة إلى نهرين يسلكان شرقها وغربها قال مارغا J. Margat بأن المقصود بهما وادي زيز والساقية المسماة بواد الشرفاء (Note sur la morphologie, p. 257). فيفهم من ذلك أن أهالي سجلماسة قد غيروا مجرى وادي زيز عبر ساقية كبيرة أصبحت مع الزمن تحمل اسم وادي، وإذا كان تاريخ استحداث هذه الساقية غير معروف، فإن نسبة تسميتها إلى الشرفاء يوحي بأنها وليدة فترة متأخرة عن زمان البكري، لأن الشرفاء العلويين دخلوا سجلماسة في أواخر القرن السابع (13 م). وقد كان الهدف من شق هذه الساقية هو تحويل مياه زيز لسقي الأراضي السهلية الواقعة إلى الشرق من مدينة سجلماسة (سجلماسة، 60) وهذه العملية لم تكن الوحيدة التي تدخل فيها الإنسان بتافيلالت لتغيير المجرى الطبيعي لوادي زيز، فالى الجنوب من أرفود ينقسم هذا الوادي إلى فرعين هما: وادي أمربوح في الشرق ويز الفيلالي في الغرب والأول هو المجرى الأصلي للوادي، أما الثاني فأحدث في تاريخ غير معروف لتقريب مجرى وادي زيز من مجرى وادي غريس بهدف الربط بينهما والاستفادة من مياه غريس في سقي الأراضي السهلية لسجلماسة (Le Maroc sah., p. 147).

لم يكن البكري هو الجغرافي الوحيد الذي أشار إلى تشعب وادي سجلماسة عند بلوغه المدينة إلى نهرين بل أكد ذلك كل من ابن سعيد والقلقشندي (الجغرافيا، 124 وصبح الأعشى، 5: 164) قال ابن سعيد: "ونهرها يأتي من الجنوب والشرق ومنبعه من جبل أزرو الكثير الحيات ومن عيون، وينقسم منها إلى قسمين، ثم يجتمع القسمان ويتصلان على غربها وشرقها... وينصب هذا النهر في نهر زيز الذي يمشي معه ومع نهر سجلماسة، وإليها خمسة أيام في العمائر والخيرات ثم ينصب نهر زيز في نهر ملوية الذي ينصب في بحر الرومان (كتاب الجغرافيا، 124).

يشير وصف ابن سعيد للمجاري المائية بسجلماسة مشاكل عديدة إذا ما قارناه بخريطة الشبكة المائية الحالية بتافيلالت. ويظهر أن هذا الجغرافي اشتهت عليه أمور كثيرة في هذا الموضوع فهو يتحدث عن نهرين هما: زيز وسجلماسة ولايستبعد أن يكون المقصود بنهر سجلماسة في كلامه هو وادي غريس الذي يعتبر أحد الأنهار الرئيسية في حوض زيز، وجعل منابع زيز في الجنوب والشرق، وهو توطين خاطئ لا يصح القول به إلا إذا اعتبرنا أنه كان يحدد منابع هذا النهر انطلاقاً من موقعها بالنسبة للمناطق الشمالية للمغرب الأقصى. كما جعل مصب هذا الوادي في البحر الأبيض المتوسط على الرغم من أنه يضيع في

ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، بيروت، 1970؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985؛ ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، المحمدية، 1976؛ ابن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، بيروت، 1984؛ الفلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج. 5، القاهرة، 1915؛ الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1982؛ مارمول كاربخال، إفريقيا، ج. 3، الرباط، 1984.

R. Faune, *Le Tafilalet étude d'un secteur traditionnel d'irrigation*, Paris, 1969 ; F. Joly, *Etude sur le relief du sud-est*, Rabat, 1962 ; J. Margat, *Note sur la morphologie de site de Sigilmassa*, Hesp., 1959, p. 254 - 261 ; D.J. Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Paris, 1982 ; M. Jarir, *Errachidia et l'organisation régionale de la vallée du Ziz*, Thèse de Doctorat de 3ème cycle, Université François Rabelais, Tours, 1983 ; Brik El-Mansour, *Les problèmes de l'eau dans la vallée Moyenne du Ziz et la plaine du Tafilalet*, thèse de Doctorat (Nouveau régime), Université de Nancy II, 1988.

\* وتعتبر مدينة زيز المدرسة من مدن إقليم سجلماسة. قال البكري : "ومدينة سجلماسة بنيت سنة أربعين ومائة، وبعمارتها خلت مدينة ترغة وبينهما يومان، وبعمارتها خلت زيز أيضاً" (المغرب، 148). وإذا كان من المحتمل أن يكون المقصود بترغة هو تدغة التي أجمعت الدراسات الحديثة على القول بأن موقعها قريب من منجم الفضة الذي تم اكتشافه مؤخراً في جبل صاغرو جنوبي المجرى الأعلى لوادي ايمبضر على بعد ثلاثين كيلومتراً جنوب غرب مدينة تنغير (*Le Maroc saharien*, p. 220 ; *Corpus des mon.*، p. 95 Idr., ومادة تدغة، معلمة المغرب، 7 : 2306 - 2307). فإن موقع مدينة زيز مازال غير معروف بكيفية دقيقة لحد الآن، ومازال ما كتب عنه بالاعتماد على التحريات الميدانية والروايات المحلية مجرد افتراضات، وسيظل كذلك ما لم يحسم الموضوع بالتنقيبات الأثرية.

وظن دانيال اسطاس D. Eustache مدينة زيز في منطقة الكراس على الضفة اليسرى لوادي زيز بين جبل بوحيد في الغرب وجبل لوقنديل في الشرق. وقال بأنه من المحتمل أن تكون هي غرسولين التي مازال بقايا أسوارها المرينية ماثلة إلى اليوم، وتعرف عند المحليين باسم الدوار (*Corpus des mon. Idr.*, p. 142).

ومعلوم أن مدينة غرسولين قد ذكرها الوزان باسمين آخرين مختلفين عن هذا الذي أثبتناه هنا وهما : غارسولان وغرسولين (وصف إفريقيا، 1 : 288، 3 : 122) وذكرها مارمول باسم غرس العيون (إفريقيا، 3 : 153 و155) وذكرها ابن الخطيب قبلهما باسم أقر سلوين (معيار الاختيار، 179) وذكر محقق معيار الاختيار أن أقر سلوين يحتمل أن يكون المراد بها قصبه سلوان حيث تقطن قبائل بين يفتتي بالريف (هامش الصفحة، 179 من معيار

الصحراء كما سنذكره في حينه (سجلماسة، 58، 59). أما لتحديدته لمنايع زيز بجبل أزرو الكثير الحياة فيعزره ما ذكره الوزان في معرض حديثه عن جبال زيز حيث قال بأن الأفاعي بها كثيرة، وهي في غاية الوداعة والألفة، تزحف في بيوت الزناكين كصغار الكلاب والقطط. وعندما يذهب أحدهم لتناول الطعام تتجمع حوله الثعابين الموجودة في البيت، وتأكل أكلاً عادياً، قطع الخبز وغيره من المأكولات التي تقدم لها ولا تؤذي أحداً أبداً إذا لم يؤذيها (وصف إفريقيا، 1 : 287).

وعلى عكس ما يعرفه وادي زيز من جريان موسمي في الوقت الحالي فإن المياه كانت وفيرة به في العصر الوسيط. فقد أشار ابن حوقل إلى وجود غلات القطن بسجلماسة (صورة الأرض، 90) ومعلوم أن القطن يحتاج إلى كميات كبيرة من المياه بالإضافة إلى حاجته للحرارة المرتفعة، وأكد كل الجغرافيين الذين اتوا بعده على وفرة المياه برادي سجلماسة (المغرب، 148 وكتاب الجغرافيا، 142 وصبح الأعشى، 5 : 164)، وحتى الوزان الذي قال بأن هذا الوادي يجف في فصل الصيف ذكر أنه بعد أن يخرج إلى القفر "يكون قرب قصر سفيلة بحيرة وسط الرمال، حيث لا يوجد أي سكن، غير أن الصيادين من الأعراب يختلفون إلى ضواحيها لأنهم يجدون فيها صيدا حسنا جدا" (وصف إفريقيا، 2 : 254) وهو ما أكدته مارمول أيضاً حيث أشار إلى أن هذه البحيرة تقع في صحراء الضهرة (إفريقيا، 3 : 152).

ولا يعرف مكان هذه البحيرة اليوم ولا مكان قصر سفيلة الذي ذكره الوزان لكن المناطق الملائمة لوجودها تنحصر في المكانين التاليين :

1- سيخة الدورة الواقعة إلى الجنوب من أوديكة 2 - المكان المسمى بالمحجز إلى الشمال من سيخة موراجتين وهما المكانان اللذان تتجمع فيهما مياه فيضانات وادي الدورة اليوم وترسوبهما توضعاته (*Etude sur le relief*, p. 308 et 484).

ويعتبر وادي الدورة استمراراً لوادي زيز، وتطلق هذه التسمية على هذا الوادي بعد التقاء زيز بغريس جنوب الخميلة. ويقطع وادي الدورة مسافة 200 كلم من الشمال إلى الجنوب، كما هو الحال بالنسبة لزيز، مخترقاً للحمادات الجنوبية وجامعا لمياه أودية كم كم خصوصاً واد آيت ترهلا. وعند تجاوزه لجبل عش الكطار ودخوله لعرك ايكيدي يحمل اسم وادي الأثل حتى إذا بلغ حاسي بن زهرة صعبت عملية تتبع آثاره بحيث لا يعلم ما إذا كان يتجه نحو وادي السورة أو نحو رحل الأمان (*Etude sur le relief*, 304). وبذلك يكون وادي زيز قد قطع ما يزيد على 400 كلم من منايعه إلى حاسي بن زهرة حيث ينتهي وادي الدورة.

ابن حوقل، صورة الأرض، بيروت، د. ت. : أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، شردوسلان، باريس، 1965 :

الاختيار) غير أن وصف ابن الخطيب لهذه المدينة يؤكد أنها هي التي وردت عند الوزان ومارمول بالأسماء المذكورة أعلاه.

يستفاد من وصف الوزان لقرسولون أنها من بناء الزناتيين قال : "ولم بين الزناتيون في الحقيقة هذه المدينة إلا لتكون حصنا للسيطرة على عمر نوميديا، إذ كانوا يخشون أن تتسرب قبيلة لتونة منه إلى بلادهم. ومع ذلك جاء اللتونيون من طريق آخر وخرّبوا المدينة وحطموها" (وصف إفريقيا، 1 : 288). ويستنتج من ذلك أن زيز قد تغير اسمها منذ القرن (5 هـ / 11 م) على الأقل ليصبح قرسولون، وأنها تعرضت للتخريب على يد المرابطين.

وإذا كان الوزان قد أعزى السبب في تأسيس هذه المدينة إلى رغبة الزناتيين في مراقبة المرات التي تسلكها صنهاجة الجنوب في رحلتها السنوية من مشاتها في القفر إلى مصايفها في المناطق الواقعة شمال جبال درن، فإن أسباب تأسيسها قد تتسع لتشمل عاملين إضافيين لا يقلان أهمية عن سابقهما وهما : مراقبة الطرق التجارية واستغلال المعادن.

بالنسبة للعامل الأول نسجل أن القوافل التجارية حين تخرج من سجلماسة في اتجاه فاس أو موانئ البحر الأبيض المتوسط، خاصة ميناء جراوة، كانت تتبع مجرى وادي زيز، وبعد خروجها من منطقة مدغرة تضطر إلى اختراق مضيق ضيق سماه مارمول بكنانة (إفريقيا، 3 : 152) وسماه الوزان الخنك (وصف إفريقيا، 2 : 254) ومازال يحمل هذا الاسم إلى اليوم، ولا يوجد مكان ملائم للاستراحة بعده إلا في منطقة الكرس، لذلك بنيت هذه المدينة هناك على مشارف الحدود الشمالية لإقليم سجلماسة بهدف توفير لوازم السفر للقوافل وضمان مرورها بسلام في مضائق الأطلس الكبير الشرقي وصره الأساسي تيزي ن تالغمت. (سجلماسة، 27).

أما السبب الثاني التي قامت على أساسه هذه المدينة فهو تعدين الفضة بالاعتماد على منجم كان يقع بالقرب منها، إما في تاگندوست أو بيززل، في المنطقة التي يخرج فيها وادي زيز من الأطلس الكبير الشرقي بين جبل بوحميد وجبل بوقنديل (Corpus des mon. Idr., p. 95 - 96).

وقد احتفظت لنا الأيام بأربعة دراهم ضربت في زيز : المؤرخ منها سنة 179 / 795 ليس ادريسيا وإنما يشبه الدراهم التي ضربت بأفريقية في عهد الولاة ويحمل في الدائرة المركزية النقوش التالية : محمد رسول، الله نبي، رحمته. أما الدراهم الثلاثة الأخرى فتحمل اسم عيسى بن إدريس صاحب أزقور، ويحمل واحد منها على الوجه في الدائرة المركزية اسم عبد الله ولقب المنتصر بالله، وقد ضربت في سنوات : 213 / 228 و229 / 844 و233 / 848 (Corpus des mon. Idr., p. 142 - 143 والأداسة، 157).

ويحتمل أن يكون عيسى بن إدريس قد بسط سيطرته

على زيز في نفس سيطرة يحيى بن إدريس على داي وتدغنة. وارتبطت زيز بوازقور عاصمة عيسى بن إدريس بطريق كان يعبر بعد خروجه من الكرس مر تيزي ن تالغمت وأعالي ملوية فأغبالون سردان فخنيفرة (Corpus des mon. Idr., p. 142 - 143).

أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشر دوسلان، باريس، 1965؛ الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج. 1 و2، ترجمة م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1982؛ مارمول كاربخال، إفريقيا، ج. 3، ترجمة م. حجي وآخرين، الرباط، 1984؛ ل. ابن الخطيب، معيار الاختيار، المحمدية، 1976؛ الموسوي العجلوي، مادة تدغنة، معلمة المغرب، ج. 7؛ حسن حافظي علوي، سجلماسة وإقليمها في القرن (8 / 14 م)، المحمدية، 1997؛ محمد صدقي، الأدراسة من النشأة إلى التجزئة، دبلوم الدراسات العليا، طهر المهرز - فاس، 1991.

D. Eustache, *Corpus des Dirhams Idrisites et contemporains*, Rabat, 1970 - 1971 ; D.J. Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Paris, 1982.

حسن حافظي علوي

### زيزاوة أو زكزاوة، أسرة وزاوية بالريف الشرقي.

فالأسرة مستقرة بقبيلة بني سعيد، ترجع الوثائق نسبها إلى المرابط الشيخ عمر بن أحمد الراسي، الذي كان حيا في بداية العصر المريني بالشمال الشرقي المغربي، دفين قرية تاحيدوست بجماعة زيزاوة ببني سعيد، بالكعدة الحمراء برأس واد الدفلة، لذلك دعي بالراسي، وذلك قبل أن تعرف الجماعة المنتسبة بزيزاوة أو زكزاوة.

واللفظ الأمازيغي "أزيزا" أو "أزكزا"، بمعنى اللون الأخضر، وبه عرف أفراد الأسرة، بعد وقوع الاختيار على اللون الأخضر المفضل في لباسهم، تيمنا بالبرنوس الأخضر الذي كان يلبسه جددهم عمر بن أحمد الراسي، حسبما تلح عليه الرواية الشفوية.

وأقدم وثيقة نعتد عليها لتسجيل ظهور الأسرة بالقبيلة هي المؤرخة بيوم 10 ذي القعدة عام 1015 / 9 مارس 1607، وهي وثيقة تجديد التوقير والاحترام الممنوحة للأسرة الزيزاوية المقيمة بالريف إثر وفاة أحمد المنصور السعدي. وهذا يتناقض مع ما قبل عن هجرتها حوالي منتصف القرن السابع الهجري إلى ناحية مستغانم من جهة ومع ما اعترف أفراد الأسرة من العودة إلى بني سعيد، حين أشاروا إلى هروبهم من الاحتلال الفرنسي للجزائر، مما يفهمنا أن الأمر لا يتعلق بمجموعة صغيرة سواء أثناء الهجرة أو العودة من جهة أولى، كما أنها من جهة ثانية كانت على اتصال بالبلاط المغربي منذ ما قبل ذلك. وقد عثرنا على وثائق تسلسلهم النسبي، يصلهم أولها العائلة إلى العهد السعدي بجددهم المرابط عمر بن أحمد، ثم على ثلاث وثائق تجديد التوقير والاحترام، بتاريخ 22 صفر 1118 / 5 يونيو 1706. و24 محرم عام 1289 / 3 أبريل



1872 / 6 رجب 1291 / 19 غشت 1874 و 14 جمادى الأولى  
عام 1298 / 24 أبريل 1880.

فالمستخلص من كل هذا أن جماعة من أحفاد المرابط  
عمر بن أحمد الراسي السعيدى هاجرت من بني سعيد في  
ظروف غامضة إلى ناحية غرب مستغانم الجزائرية واستقرت  
بقرية بطيوة أزبو إلى جانب العديد من الفرق السعيدية  
المهاجرة، بالشكل الجغرافي الذي نراه بقبيلة بني سعيد،  
مثلما يشبه الاستيطان للأغراض الاستراتيجية الحربية.  
وهناك من يقترح تاريخ الترحيل ويرده إلى الامتداد المريني  
بالجزائر على عهد السلطان أبي الحسن المريني في منتصف  
القرن الثامن (14 م).

وحوالي سنة 1854 أسس الفرنسيون بمستغانم قرية  
"سانت لو" مكان قرية بطيوة أزبو، مما أدى إلى إجماع  
السكان بضع مئات من الأمتار جنوبا، وكان لزاما على  
القرنيتين الرئيسيتين زيزاوة وبني تمابت أن تقسما المجال  
الجديد، مثلما هو عليه الحال بقبيلة بني سعيد بالريف. فمن  
الجماعة الزيزاوية انفصلت الأسرة التي اختارت العودة إلى  
موطنها الأصلي ببني سعيد، واستقرت بجوار قبة ضريح  
المرابط عمر بن أحمد الراسي. ويمكن حصر عدد أسر زيزاوة  
العائدة في بداية القرن الرابع عشر (آخر 20 م)، اعتمادا  
على تصريح وثائقهم بخمس وثلاثين دارا، وهو ما يوازي  
على الأقل 175 نفر.

وسرعان ما بادر فقهاء أسرة زيزاوة إلى إحياء مراسيم  
زاويتهم القديمة الواقعة بجوار ضريح جدتهم المرابط عمر بن  
أحمد الراسي. وأقبلوا على الاشتغال بتدريس العلوم الدينية  
والقيام بالدور الاجتماعي التوفيقي في المنطقة. وقد بلغ  
عدد علماء زيزاوة حسب المعلومات المقدمة لنا في متم رجب  
1306 / 1 أبريل 1889 أحد عشر فقيها، وحدد عدد الطلبة  
بنحو أربعة وخمسين طالبا.

وبرز من الأسرة الزيزاوية في النصف الثاني من القرن  
الثالث عشر قضاة استحوذوا على القضاء في بني سعيد  
دون منازع، أمثال: القاضي أحمد بن أحمد بن زرو ومحمد  
بن أحمد أشمال وأحمد بن إبراهيم وعمر بن محمد (حمو).  
وكان أجل علمانهم آنذاك هو الفقيه أحمد بن مزيان  
الزيزاوي المقتول في خضم الصراع مع الحضريين سنة 1309  
مسوما.

عاصرت زاوية زيزاوة كلا من زاوية الحضريين بنفس  
القبيلة، بفرقة إزعو من، وزاوية كركر بناحية كروا ببني  
بويحيى. غير أن المناقسة الشديدة التي واجهتها زاوية  
زيزاوة هي التي قابلتها زاوية الحضريين بزعامة محمد  
أحضري الأول وخلفه محمد أحضري. وقد جر احتدام  
المناقسة بين الزاويتين موجة من النزاعات التي أدت إلى  
تخريب الزاوية الزيزاوية وتهجير الأسرة، بل وقتل رؤوسها،  
مثلما يمكن الإشارة إلى أحداث ربيع الثاني من سنة 1308.  
ففي الوقت الذي كان فيه قائد القبيلة عبد الصادق

الريفي وخلفه محمد أقشيش السعيدى معترفين بالزاوية  
وبشرف الأسرة، تصدى لهم محمد أحضري، مقدم الزاوية  
والأمين ثم القائد الحاج بوزيان السعيدى بالاصرار على عدم  
اعتبار ما بأيدي الزيزاوين من ظواهر التوقيير التي يعود  
أول ما كان بأيديهم حسب اعترافهم إلى عهد المولى  
سليمان. وانضاف إلى ذلك اتهام جماعاتها بالتحريض  
على اغتيال المقدم محمد أحضري السعيدى في جمادى  
1301. ولم ينج الطرفان من اللقاء في ساحة المعركة، مثلما  
أدت به أحداث 21 شعبان 1302 و 23 رجب عام 1308 من  
الجرحي والقتلى.

وقد أدى رجحان كفة الزاوية الحضرية إلى إجلاء  
الزيزاوين عن موطنهم وتخريب زاويتهم وديارهم ومصادرة  
أموالهم وقتل رؤوسهم سنة 1309 في آخر عهد المولى  
الحسن، دون أن تلقى صرخاتهم بالبلاط الحسني والتجاؤهم  
مرات عديدة منذ 3 شوال سنة 1297 / 9 شتنبر 1880 إلى  
مقابلة السلطان أي رد فعل إيجابي، مثلما حدث يوم 13  
رجب 1306، وفي آخر اللقاءات يوم 5 شوال 1307. وكان  
المطلوب في كل مرة استرجاع مصداقية مستنداتهم والحث  
على تعيين نقيب لزاويتهم.

ولكن الحملة القوية التي شنّها خصومهم على ديار  
الزيزاوين البالغة آنذاك خمسا وثلاثين دارا، قضت على  
آمالهم، وذلك يوم 23 رجب 1308، وهذا هو الذي أدى إلى  
انتهاء دور الأسرة خلال غارة جمادى الثانية سنة 1309،  
مثلما سترد التوضيحات في تراجم أهم رجال الأسرة.  
وعلمنا من جهة أخرى أن بعض فقهاء الزيزاوين استقر بهم  
المقام بزواوية كركر المشار إليها.

وثائق زيزاوة التي بجوزة محمد الترابي : وثائق خ. ح. : كنانيش خ.  
ح. : وثائق مديرية الوثائق الملكية : عيسى البطوني، مطلب الفوز  
والفلاح في آداب طريق أهل الفصل والصلاح، تج. ح. الفكيكي،  
الرباط، 1999.

Revue Africaine, 1945

حسن الفكيكي

**الزيزاوي، أحمد بن أحمد بن زرو، قاضي بني سعيد**  
عهد المولى الحسن. ثبتت مزاولته للمهمة منذ ما قبل سنة  
1279 / 1880، مما يقودنا إلى تعيينه سنة 1291 أثناء زيارة  
المولى الحسن لقلعية. اقتسم هذه المهمة مع القاضيين  
الزيزاوين محمد بن أحمد أشمال وعمر بن محمد، حسبما  
يأتي في ترجمتهما.

كان أحمد بن زرو من المناضلين لإثبات شرف الأسرة،  
حريصا على عدم الرضوخ لما زعمه الحضريون ومساندهم  
قائد قبيلة بني سعيد الحاج بوزيان السعيدى حين اعتبر  
جماعة زيزاوة من العامة. وباستقراء مراسلاته الموجهة إلى  
البلاط الحسني يتضح أنه :

- ترأس الوفود التي التحقت بالعاصمة فاس قصد

عرض الوثائق التي تثبت استحقاق الأسرة للتوقير والاحترام، بدءاً من سنة 1279 / 1880. وتابع ذلك خلال السنوات التالية، إلى أن اعتقد بحصوله على موافقة السلطان، بناء على ما بيده من ظهائر أسلافه.

صادف معارضة قوية من مقدم زاوية الحضريين ومساندهم الأمين ثم القائد الحاج بوزيان السعيدني، سواء بالظعن في شرف الأسرة الزيزاوية، أو باتهامه بإثارة الفوضى والاضطرابات بالقبيلة والاستيلاء على أملاك محمد أحضري المقتول سنة 1301. وقد تلقى استدعاء الحضور إلى مشافهة السلطان بتاريخ فاتح عام 1305. وكانت المناسبة التي ترأس فيها وفد سنة 1306 وتاليه سنة 1307.

لم ينجح أحمد زرو من عواقب تصاعد حدة المنافسة والمترتب عنها من الأحداث الدامية فقرر الالتجاء إلى الفرقة المجاورة آيت قمايت، عند حلول الحركة ببني سعيد في 4 رجب 1306 برئاسة محمد الأمراني. وكانت رسالتنا بداية وأواسط جمادى الثانية من سنة 1309 آخر ما كتبه للسلطان في مأساة زيزاوة، وقد دبرت إثر ذلك حيلة اغتياله مسموماً، حسبما أعلم عنه القاضي عمر بن محمد الزيزاوي في مراسلة أواسط جمادى الثانية 1309 / أواسط يناير 1892.

ومن المشاكل التي تدخل فيها القاضي أحمد زرو مسألة المراقبة والإشهاد على تعيين مليلة التي استدعى إليها عدد كبير من القواد والأمناء والأعيان والفقهاء والشرفاء. وقد وصلت الدعوة إلى مترجمنا بتاريخ 25 ربيع الثاني 1308، وتم حضوره الفعلي فأجاب السلطان بتاريخ 11 رجب 1308 معلنا عن أسباب إخفاق اجتماع تعيين الحدود، منها ما هو ناتج عن تحايل الإسبان للزيادة فيما سمح لهم بحيازته من أرض بني شكر بنحو مائتي متر شمالاً.

وتفكك أحمد زرو من جهة أخرى من الاطلاع على محضر اتفاق 28 مارس 1859 الذي عثر عليه في دار المخزن بفرخانة، أو دار الجنان كما سماها هو، وقدم لنا معلومات لم نجدها عند غيره. فمن الاطلاع على نص الاتفاق اكتشف الغش الذي عمد إليه الإسبان أثناء إطلاق مدفع تعيين الحدود بوسيلتين، مبيهاً أولاً أن الإسبان استعملوا غياراً أعلى من المتفق عليه، كما أنهم من وجهة ثانية استغلوا علواً أكثر مما هو منصوص عليه في محضر الاتفاق بتعمد رفع فوهة المدفع وقت زبد القذيفة، وبتلك الوسيلتين زيد في مساحة الحدود نحو الميل سرقة واغتصاباً. ثم حمل أحمد زرو المسؤولية للمخزنيين المشرفين على التعيين، وفي مقدمتهم حمان السعيدني، قائد إدالة الحدود بجنادة فرخانة.

وثائق زيزاوة : وثائق خ. ح. وكتائبها : وثائق مديرية الوثائق الملكية.

**الزيزاوي، عمر بن محمد قاضي بني سعيد ظهر أثناء** نكبة زيزاوة إلى جانب محمد أشملال حسب مراسلة أواسط جمادى الثانية 1309 أواسط يناير 1892. وقد تابع الدفاع عن حق زيزاوة في الشرف، وشارك في الوفد المتوجه في شعبان 1309 / 13 مارس 1892 لتقديم الشكوى إلى البلاط الحسني، وربما لاقى نفس مصير الأسرة التي شملها الاعتقال على يد رئيس الحركة مولاي عثمان في ربيع الثاني 1310 / أكتوبر - نوفمبر 1892.

وثائق زيزاوة : وثائق خ. ح. : وثائق مديرية الوثائق الملكية.

**الزيزاوي، محمد بن أحمد أشملال، قاضي ببني** سعيد، حسب المستنسخ من وثيقة 18 ربيع الثاني 1299، بمشاركة أحمد بن أحمد زرو وعمر بن محمد. ونعلم منه أنه عمل قاضياً ببني وليشك المجاورة لبني سعيد إلى جانب القائد العربي الوليشكي لمدة سبع سنوات، ولكنه كان ببني سعيد سنة 1299 / 1882. ويعني هذا أن تعيينه الأول كان ببني وليشك على الأقل سنة 1292 أو التي قبلها، مما يوافق زيارة الحسن الأول إلى قلعية سنة 1291 بقصد ترتيب أمورها الإدارية والقضائية أيضاً.

شارك محمد أشملال رفقاءه القضاة في معركة التصدي لأهل زاوية الحضريين وقائد بني سعيد الحاج بوزيان السعيدني دفاعاً عن شرف زيزاوة بالكتابة المتوالية إلى السلطان، وكان ضمن الوفود الموجهة إلى الحسن الأول لعرض شكواهم ورفع تظلمهم، مما سبق بيانه في ترجمة أحمد بن زرو، قال في 24 شعبان 1307 : «ستوجه للحضرة لشرح ما جرى بهم مع العامل بوزيان».

وأثناء أحداث القبيلة المحتدمة بين الحضريين والزيزاويين المشار إليها التجأ محمد أشملال سنة 1308 إلى قلعية، ثم توجه مع أربعة من المرابطين الزيزاويين لملاقاة السلطان مع أحد قضاة قلعية يوم 13 شعبان 1309 / 13 مارس 1892 بعد حضور حرب سيدي ورياش الجارية بين القلعيين والإسبان. وكان من جملة الزيزاويين القاضي عمر بن محمد الزيزاوي سابق الترجمة.

بقي الوفد في انتظار ملاقاته مع السلطان نحو الشهرين حسب مراسلته المؤرخة بتم رمضان 1309. وأغلب الاعتقاد أنه عاد إلى قلعية ليتمكن مولاي عثمان من القبض عليه ضمن جماعة زيزاوة، حسب إفادة مراسلة 17 ربيع الثاني 1310.

وثائق زيزاوة : وثائق خ. ح. : وثائق مديرية الوثائق الملكية.

حسن الفكيكي

**زيطان، محمد بن عبد الرحمن، مقاوم شاب ولد** سنة 1937 بشفشاون من أبويه عبد الرحمن وفاطمة بنت محمد التهامي. انخرط في صفوف جيش التحرير المؤسس

بشمال البلاد بمركز تيزي وسلي تحت قيادة محمد الغبوشي  
حيث استمر في الكفاح ضد المستعمر إلى أن استشهد



بتاريخ 7 ربيع الأول عام 1375 / 24 أكتوبر 1955 عن  
الشهامة والإقدام.

الندوية السامية لقداما، المقاومين وأعضاء، جيش التحرير، شهداء،  
الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 506897.

**زيطان، محمد بن عبد السلام الحمسي** كان "طالباً"  
متظاهراً بالزهد والصلاح، وتمكن في وقت وجيز من استمالة  
قبائل جباله والهبط مستغلاً في ذلك استياء الرعية من  
استبداد القائد الغنيمي عامل المولى سليمان. وأصبح  
لسكان قبيلة الأخماس وبعض القبائل الجبلية الأخرى اعتقاد  
راسخ في صلاح زيطان وبركته، واستمر هذا الاعتقاد لعدة  
أجيال. ويشبه المؤرخ الناصري مكانة آل زيطان لدى قبائل  
الجبل بمكانة آل أمهاس لدى قبائل أيت أوامال الأطلسية،  
وهو ما يفيد بامتلاك محمد بن عبد السلام الحمسي لجاذبية  
دينية جعلت جموع العامة تتهافت عليه وتلتف حوله، وترى  
فيه المنقذ لها من معاناتها.

وقد حاول المولى سليمان في البداية 1208 / 1793 .  
1794) أن يستأصل داء هذا الثائر فأرسل له جيشاً تحت  
قيادة الغنيمي المذكور. إلا أن تهور هذا القائد جعله يتوغل  
في شعاب وأودية المنطقة، فلما توسط بلاد غزاوة انهال  
عليه الرماة من كل جانب وألحقوا به هزيمة قاسية. ثم أوكل  
السلطان أمر زيطان إلى أخيه مولاي الطيب، نائبه بطنجة  
والمنطقة الشمالية، فعالج أمر هذا الثائر وحارب القبائل  
المساندة له، فأخضع قبيلة بني غرف ثم قبيلتي بني بدر  
والأخماس، لكنه لم يظفر به إلا بعد أن أمضى له الأمان  
وتوسط له لدى أخيه، فعفا عنه وولاه على قبيلته، فصلحت  
سيرته وأصبح من مساندي الدولة وخدامها. وبعد مدة عزله  
المولى سليمان ونقله إلى مدينة تطوان حيث رتب له ما  
يكفيه من معاش. وعندما اختلت أمور الدولة ويايحت  
مدینتا فاس وتطوان إبراهيم بن اليزيد (انظره في 1)  
سلطاناً في سنة 1820 تمسك زيطان ببيعة المولى سليمان  
وحشد لها تأييد القبائل الجبلية. وبقي على قيد الحياة إلى  
أواخر الدولة السليمانية.

أ. الزياتي، الروضة السليمانية، مخطوط، خ. ع. د. 1275 : أ،  
الناصرى، الاستقصا، الجزء الثامن، الدار البيضاء، 1956 : م،  
الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، تح. أحمد العماري، الرباط،  
1986.

محمد المنصور

**زيمّة**، تقع وسط قبيلة احمر على مقربة من الشماعية  
التي تبعد بـ 87 كلم عن مدينة مراكش. وهي بحيرة كملح  
ببلاد عبدة، بنيت بالقرب منها قرية تحمل اسمها، وترتبط  
تاريخياً ببلاد احمر، وترد في النصوص المتعلقة بالرماة  
والرماية، ويسمى سكان المنطقة "لآلة زيمّة"، وبها الآن  
قرية باسمها.

وقد فرّ السلطان مولاي هشام بعد هزيمته عام 1206  
أمام أخيه مولاي اليزيد إلى زيمّة. كما ذكر الضعيف  
الرباطي .. وفيها أصيب السلطان مولاي اليزيد برصاصة  
في ركبته من أحد الرماة الحمريين.

وكان مجموعة من كبار شيوخ الرماية يقطنون قرب  
زيمّة، نذكر منهم سيدي سعيد بن محمد الناصري - نسبة إلى  
الناصرين الحمريين - القاطن فوق زيمّة بموضع يقال له رأس  
عين عريض، وهو من أشياخ أبي القاسم الفزكاري شارح  
قصيدة "روضة السلوان" فرغ منه عام 1211 / 1797، ومنهم  
سيدي سعيد الحمري البهيسي نزيل حوز زيمّة جوفاً منها،  
وهو أول من دخل من شيوخ الرماة الحمريين بلاد الغرب في  
عده السلطان محمد بن عبد الله وأخذ عنه خلق كثير  
بالغرب وبني حسن وغيرهما.

وقد بنى السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام داراً  
قرب موضع زيمّة، لتربية أبنائه وأحفاده، وجعل الانفاق  
عليهم من مستفاد الملح المستخرج من بحيرة زيمّة، معتبراً  
أن ذلك لا شبهة فيه، فينشأ من أنفق عليه منها في أحسن  
حال، وبها نشأ السلطان مولاي الحسن وتعلم الرماية على  
يد مجموعة من شيوخها، وذكر ابن الحاج أن ملح زيمّة كان  
يجلب للأقطار الحوزية. وبحيرة زيمّة اليوم من البحيرات  
الشهيرة بالمغرب لكثرة ما يستخرج منها من الملح  
الطبيعي، تبلغ مساحتها 500 هكتار، وطولها 4 كلم،  
وعرضها كيلومتر ونصف، ويقدر ما يستخرج منها بمئات  
الآلاف من الأطنان.

الفزكاري، شرح روضة السلوان، مخطوط، خ. ع. د. 1598، ص.  
10 : 27. م. الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة، تح.  
العماري، ص. 236 : أ. ابن الحاج، الدرر الجوهريّة، مخطوط،  
خ. ج. 512، ج. الأول، ص. 364 : ابن العربي، كتاب المغرب،  
ص. 162 : م. المنوني، قيس من عطاء المخطوط المغربي، ج. 3،  
ص. 1172، 1173.

أحمد إيشرخان

**زين العابدين بن إسماعيل بن الشريف العلوي** السلطان، عاش في كنف أبيه، وتربى على مبادئ الإسلام وتعاليمه، فحج مرتين واشترى أثناء مقامه بالمدينة المنورة بستاناً حبسه على ضريح الرسول عليه السلام. هذه الصفات أهله ليكون من ضمن الأمراء المجديرين بالإمامة. عندما توفي السلطان مولاي إسماعيل سنة 1139 / 1727، كان زين العابدين مستقراً بسجلماسة، ولما قامت الفتنة بين جيش عبيد البخاري وإخوته الثلاثة : المولى عبد الله والمولى المستضيء وأبي عبد الله محمد بن عربية، حول خلافة أبيهم على الملك، توجه إلى مكناسة الزيتون واستقر بها. ولم تكن له في البداية حسب ابن زيدان، أطماع سياسية في تولي الرئاسة. (إتحاف أعلام الناس، ج. 3، ص. 74). ولما علم المولى المستضيء، وهو يومئذ سلطان على البلاد، بوجوده هناك ألقي عليه القبض وأودعه السجن مدة ثمانية أشهر، ثم أمر بعد ذلك بإخراجه منه وضربه فضرب وهو مقيد ضرباً مؤلماً حتى أشرف على الموت، ثم رده إلى السجن. وبعد مدة من الزمن، وحتى يتخلص من خطره المحتمل، أمر ببعثه مقيداً إلى سجلماسة كي يسجن مع باقي الأشراف المحتجزين هناك (الاستقصا، ج. 7، ص. 154). فلما بلغ الخبر إلى رؤساء العبيد وجهوا من اقتفى أثره ليرده. فلحق به بصفرو، وأزال قيده وتوجه به لبني يازغة، وأودعه عند القائد أحمد الكعدي، وأوصاه به خيراً فأكرم هذا الأخير وفادته، وأنزله منزلاً رجا. وبقي عنده إلى أن عزل المستضيء ويبيع محله السلطان مولاي عبد الله البيعة الثانية. ففرح مولاي زين العابدين، وابتهج بخلع الأول وبيعة الثاني. وفي أعقاب تلك الأحداث، رحل من بني يازغة إلى فاس، وبقي بها مدة، ثم في ثالث عشر ذي القعدة عام 1152 / 1740 ذهب لمكناس وبقي بها وقتاً من الزمن ثم انتقل إلى طنجة، واستقر عند الباشا أحمد الريفي. فناصره هذا الأخير، وعضد جنبه ضد أخيه مولاي عبد الله (إتحاف أعلام المناس، ج. 3، ص. 74). وفي خضم تلك الأحداث هباً أحمد الريفي كتيبة من الخيل من عبيد البخاري وغيرهم، وبعثهم معه إلى مكناسة، فدخلها في ربيع سنة 1154 / 1742 ويبيع بها بيعة تامة، وقدمت عليه وفود القبائل والأمصار وفر أخوه مولاي عبد الله إلى رأس الماء، ثم رحل إلى بلاد البربر حيث توجد شيعته من أيت إدراسن وغيرهم. ولما استقر السلطان زين العابدين بحضرة مكناسة، وتم أمره أقام بها نحو الشهرين، ثم تهباً لغزو الأوداية وأهل فاس الذين تخلفوا عن بيعته، فنهض إليهم في جيش العبيد. ولما بات جيشهم بسيدي عميرة بقصد حصار فاس، اختلفت كلمة العبيد، ووقع بينهم التنازع فرجعوا بسلاطنتهم إلى مكناس، وبقي هذا الأخير رهينة بين أيديهم، بوجهونه كيف يشاؤون. ولما أتوا على ما كان بيده من المال بالخرائن، اتفقوا على عزله، وعادوا إلى مبايعة أخيه مولاي عبد الله الذي كان يتوفر وقتئذ على

بقية من الذخيرة، فبارح مولاي زين العابدين البلاد ناجياً بنفسه. وكانت مدة دولته نحو خمسة أشهر (إتحاف أعلام الناس، ج. 3، ص. 76).

ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف، 5 أجزاء، الطبعة الأولى سنة 1349 / 1931، الرباط : أ. الناصري، الاستقصا، 9 أجزاء، الدار البيضاء، 1956.

العربي اكنينج

**زينب بنت تومرت** هي زينب بنت عبد الله وتُومرت الملقب بأمغار أي الشيخ. أمها تعرف بأُم الحسين المسكالي من بني يوسف من أهل سوس. نسب أبيها في قبيلة هرغة المصمودية. أما نسبه إلى الحسن بن علي فقد شكك فيه ابن خلدون بينما أكده البيدق والمراكشي وابن الفطان. الراجح أن تاريخ ميلادها، كان قبل سنة 474 / 1081 على اعتبار أنها أكبر سناً من شقيقها محمد بن تومرت، المتوفى سنة 524 وعمره يناهز ما بين 50 إلى 55 سنة. وهي شقيقة أيضاً، لأحمد الكفيف وأخت من أبيها لأبي موسى عيسى وأبي محمد عبد العزيز، اللذين حاولا الثورة على عبد المومن بن علي بمراكش سنة 549 / 1154 فقتلا. كما كان لها أخت أخرى من أبيها كذلك لم تشر المصادر المتوفرة إلى اسمها.

يذكر ابن خلدون أن زينب تربت بين أحضان أسرة من أهل "النسك والرباط" فصارت من النساء اللواتي يملن إلى التقشف والزهد. فعاشت مع زوجها وأفراد أسرتها، عيشة بسيطة يسودها التماسك والخلق الإسلامي. وهو ما كان يظهر من علاقتها بشقيقها محمد بن تومرت. وكانت أيامها تتوزع بين الصلوات والاهتمام بشؤون الزوج والأولاد والأسرة إضافة إلى الاشتغال بالغزل والحياكة. وبما كان يدره هذا العمل المتواضع، من قدر بسيط من المال، كانت تساهم في توفير العيش لأسرتها ولأخيها محمد الذي كان يعيش تحت رعايتها. يقول ابن خلكان "كان قوته من غزل أخت له، رغيفاً في كل يوم بقليل من سمن أو زيت ولم ينتقل عن هذا حين كثرت عليه الدنيا".

بدل هذا على أن زينب وأسرته، بقيت بعيدة عن حياة الترف والغنى ؛ متمسكة بالزهد والتقشف، حتى بعد أن أصبح الحكم والملك في يد أفراد أسرتها وأقاربها ؛ وهو ما يمكن أن يفهم من قول ابن خلدون عند حديثه عن المهدي : "كان يلبس العباءة المرقعة وله قدم في التقشف والعبادة" ويبدو أن رعايتها لأخيها لم تقطع حتى بعد رجوعه من رحلته من الشرق وطوافه ببلدان المغرب الكبير، وظهور دعوته وكثرة أنصاره. بل إنها بقيت وفية له ولعهده حتى بعد وفاته بكتمان سر موته حتى عن زوجها وأقرب الناس إليها حيث احتفظت بذلك الكتمان. فبقيت الأمور تدبر باسم شقيقها إلى حين بيعة عبد المومن بن علي خليفة. يقول ابن القطان :

".. لما توفي رضي الله تعالى عنه، كنتم أصحابه وفاته. وما كان يعلمها إلا أهل الدار المسمون قبيل، وهم خدمته وأخته شقيقته. ولقد كتبت ذلك عن زوجها".  
تاريخ وفاتها غير معروف لكن الراجح أنها لم تعيش إلا سنوات قليلة، بعد بيعة عبد المومن التي شاركت فيها إلى جانب ثلثة من أهل الجماعة.

ع. الرحمن ابن خلدون، العبر، ص. 441، 465 : ابن الفظان، نظم الجمان، تج. علي مكي، ص. 123 : عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، 91، بيروت، 1982 : ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 73 : ابن خلكان، وفيات الأعيان، تج. إحسان عباس، ج. 5، ص. 45، بيروت : البيدق، المهدي بن تومرت، ص. 42، الرباط.  
عبد السلام السعيد

**زينب العابدة** السبئية ذكرها صاحب كتاب /اختصار الأخبار ضمن الأعيان المدفونين في مقبرة المنارة من مدينة سبئية وأن قبرها مزار مشهور يصعد منه النور في بعض الأحيان (اختصار، 19) لا تعرف شيئاً آخر عن هذه السيدة العابدة لكن يمكن أن نستنتج أن حركة التصوف لن تعد تقتصر على صنف الرجال من السنين بل غزت أيضاً النساء. كما تدل على الانتشار الرابع لهذه الحركة بين العامية من المجتمع. وقد وجدت كإطار لها للترسخ والانتشار الروايا والأرطبة التي عجت بها مدينة سبئية منذ وقت مبكر من تاريخها.

ابن القاسم الأنصاري، اختصار الأخبار كما كان يتفر سبئية من سني الأثار، الرباط، 1403 / 1983.

زليخة بنرمضان

### زينب بنت المهدي ← ابن سودة زينب

**زينب النفاوية** هي زينب بنت إسحاق الهواري الشهيرة بالنفاوية. أصل أبيها من القيروان. انتقل إلى أغمات، لممارسة التجارة، فصار من كبار تجارها وأوفرهم حالاً. الراجح أن تاريخ ميلادها، قد صادف الفترة التي أصبح المرابطون يهتمون فيها، بمدينة أغمات لأهميتها الاستراتيجية والاقتصادية ولا يستبعد أن تكون زينب النفاوية قد ولدت بهذه المدينة ما بين سنة 430 / 440 أي قبل استيلاء أبي بكر اللتوني عليها.

وفي جو الحياة العلمية والثقافية التي كانت شائعة في أغمات بفضل العلماء والأدباء الذين كانوا يقدون على ذوي الجاه والسلطان بها، رأت زينب النور وترعرعت بين أحضان أسرتها الميسورة.

ولما وصلت إلى عنفوان أنوثتها أصبحت تنضح رقة وجمالاً. وبجمالها اشتهرت أول الأمر بين الناس وذاع صيتها في الأرجاء يقول ابن عذاري : "وكان بها "أي

بأغمات" امرأة جميلة تعرف بزینب النفاوية. قد شاع ذكرها وأمرها بين قبائل المصامدة وغيرها". جمالها هو الذي أصبح يجذب العديد من الأمراء، قصد الزواج بها. وكانت لا تقبل الزواج إلا من يحكم المغرب" كان زواجها الأول بيوسف بن علي بن عبد الرحمان بن وطاس، شيخ أوريكة سنة 449 / 1057. وعند ما تغلب بنو يفرن بزعامه رئيسهم لقوط على أوريكة، وقتل زوجها، تزوجت بلقوط لكن زواجها الثاني هذا لم يدم طويلاً فلم تمض عليه إلا سنوات قليلة حتى عرف نهايته، بسبب موت لقوط في معركة ضد المرابطين في تادلا.

وبعد مرور فترة الحزن والحداد على لقوط، تقدم لطلب يدها للزواج منها، أبو بكر بن عمر اللتوني. فاستجاب لطلبه. ويبدو أن هذا الزواج قد بني على مصالح مشتركة بين الطرفين "فزينب كانت لا ترغب في بقائها أرملة وتريد أن تظمن على مصيرها. وبالمقابل كان أبو بكر بن عمر، يرى فيها عنصراً يمكن أن يقره أكثر إلى أهل أغمات" ومع مرور الوقت، تبين لزينب أن زوجها الثالث هذا، لم يحسن كثيراً الاهتمام بها بالقدر الذي كانت تطمح إليه. فهي لم تكن ترغب في البقاء مهمشة في زوايا المنزل، دون مشاركة زوجها أمره وهمومه. ويبدو أن فكرها قد أصبح مشغولاً بالبحث عن فرصة، تمكنها من الانفصال عن أبي بكر. وكانت مستجدات الأوضاع في الصحراء، من أهم أسباب طلاقها منه. فأبو بكر كان مضطراً للرجوع إلى الصحراء لإخماد الفتن التي شبت فيها نتيجة "الخلاف بين لمتونة ومسوفة سنة 452. ويوضح صاحب البيان موافقة الطرفين على الطلاق قائلاً : "ولا يمكنني أن أمشي، وأنت في عصمتي. فإن أنامت كنت مسؤولاً عنك. والرأي أن أطلقك فقالت له : "الرأي السديد ما تراه، فطلقها" وذكر ابن عذاري كذلك، أن أبا بكر طلب من ابن عمه يوسف ابن تاشفين أن يتزوج بزینب "فتزوجها فإنها امرأة مسعودة" ولم يتردد يوسف في تنفيذ أمر من عمه. ويبدو أنه لم يعجب بجمالها فقط ؛ وإنما سعد وأعجب أكثر بنبوغها وسرعة فهمها وفطنتها. ووجدت هي في زوجها الجديد، الرجل الذي طالما انتظرت. لتحقيق المكانة التي ظلت تحلم بها. فأصبحت تقف وراء زوجها يوسف بكل ملكاتها، لتجعل منه أكبر وأعظم أمراء المرابطين. وكانت زينب نعم المستشار والمساعدة، تزود يوسف بالأراء السديدة، التي تسهل عليه تخطي الصعوبات وتستتب له بها الأمور. قال ابن الخطيب : "واستشار يوسف بن تاشفين زوجته زينب التي اشترى بها سعادته واستقامت بأمرها أموره" وذلك ما حصل بالفعل. فقد استقام له الأمر خاصة بعد انتهاء الأزمة التي كادت أن تنشب وتبعثر التجربة المرابطية من أسسها. وذلك عندما رجع أبو بكر بن عمر من الصحراء إلى مراكش ليتسلم السلطة بها من جديد. فأصبح ابن تاشفين في ضيق وخرج من هذه العودة لأنه كان يتطلع إلى الانفراد بها كأمرير".

وهنا برز دور زينب كصاحبة فكر ثاقب ورأي سياسي بعيد الأثر، للحسم في حل هذه الإشكالية. فكان من رأيها ألا يستقبل ابن تاشفين، أبا بكر بن عمر، كأحد أتباعه بل عليه أن يظهر له أنه صار أمير المغرب. ونقرأ في البيان ما يوضح ذلك : "قالت له : "إذا قدم عليك وبعث مقدمات رجاله إليك، فلا تخرج إليه، ولكن بادره بهدية جليمة... فلا يقاتلك على الدنيا، فإن الرجل خير لا يستحل سفك دماء... وتفوز بملكك إن شاء الله". يتضح إذن أن الخطة التي اقترحتها زينب النزاوية خطة سلام، تتجنب الحرب وإراقة الدماء. فقبلها يوسف ورد عليها بقوله : "والله لا أخالفك في أمر تشيرين به أبداً". فلما حان موعد اللقاء بين الأميرين، رأى أبو بكر قوة جيوش يوسف. ولا حظ استعداده بالانفراد بالإمارة. فسلم له الأمر وكان ذلك سنة 465.

يتبين أن تطبيق نصائح زينب قد غيرت من مجرى تاريخ الدولة المرابطية وجعلت من ابن تاشفين أحد أكبر ملوك المغرب، عبر تاريخه الإسلامي. وهكذا كانت زينب تجمع بين دور الزوجة الوفية ودور المستشار المحنك. وكانت تعمل في الخفاء، وتتمتع بالقوة الضاغطة من وراء الحجاب "فكانت بالفعل عنوان سعده والقائمة بملكه والمديرة لأمره والفاخرة عليه، بحسن سياستها لأكثر بلاد المغرب".

كل ذلك جعل منها سيدة قصر ابن تاشفين. ومع سكوت المصادر عن نهايتها وسنة وفاتها ؛ فإن زينب النزاوية بما كان لها من خصال ومواقف، لا تقل شهرة عن مثل أفراد ذلك الفريق من النساء اللواتي كن يسيطن على أزواجهن، بما كان لهن من العقول الكبيرة ؛ لحل المعضلات والملمات التي كانت تعترضهن. كأم سلمى امرأة أبي العباس السفاح ؛ وزبيدة زوجة الرشيد ؛ وقطر الندى أم المقتدر في الدولة العباسية ؛ أو ست الملك أخت المعز لدين الله في الدولة الفاطمية.

ابن عذاري، البيان، ج. 4، ص. 14، 15، 18. م. زنيبر، زينب النزاوية ضمن مذكرات التراث المغربي، ج. 2، ص. 138، 139 ؛ ابن خلدون، العبر، ج. 6، ص. 376 ؛ ابن عذاري، البيان، ج. 4، ص. 21، 22 ؛ ل. ابن الخطيب، المغرب العربي، ص. 232 ؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1956.

عبد السلام السعيد

**زينب أحماد هي إحدى الشاعرات اللواتي وصل إلينا شعرهن عن المقاومة المسلحة بالجنوب المغربي، وخصوصا مقاومة أيت عبد الله وأملن وتافراوت خلال الثلاثينيات من القرن العشرين.**

يجهل تاريخ ولادتها، وإن كان المرجح حسب استقراء المعطيات الشفوية والمكتوبة المتوفرة، أن يكون ميلادها خلال العقد الأول من القرن العشرين، وذلك لكون شعرها في الثلاثينيات، صادراً عن إنسانة عاقلة وعارفة بكثير

من أمور الحياة، كما أن اختيارها للتأريخ من خلال الشعر للمقاومة المسلحة يعبر عن نضج ووعي متميزين عن ثقافة البادية المغربية في هذه المرحلة. وبين مدى اندماجها في الحياة الجديدة الناجمة عن وصول المستعمر الفرنسي إلى جبال سوس وأقصاه.

قد تكون الشاعرة زينة أحماد نظمت قصائد في أغراض شعرية أخرى، لكن الذي وصلنا من ذلك كله هي قصائد عن رفض للاحتلال وللإستعمار الدخيل، وهجاء لاذع ومؤثر ضد المستسلمين والمتخاذلين من أبناء منطقتها، الذين قبلوا الأمر الواقع واستكانوا للهزيمة.

وقد ورد في مطلع إحدى قصائدها التي نظمتها بعد سنة 1934.

أح مور ءاتوخ تين ءايت عبلاغ - تاسنو  
تعريبها :

أ... لن تمنحي من قلبي أبدا

قضية ءايت عبد الله لن أنساها أبدا

هذه الأبيات الشعرية آية من آيات النظم، الشيء الذي جعلها تحتاز كل عراقل النسيان حتى وصلتنا اليوم دون أن تكون قد دوت. فقد اجتازت كل هذه المدة الزمنية بقوام مضمونها وجمال نظمها، وحقيقة وصدق تعابيرها. فهي حسب محمد الحبيب الفرقاني "قطعة مؤثرة، عميقة الدلالة، تصور عمق الانفعال النفسي الذي هز نفس السيدة الأبية العيوف، من جراء الاحتلال، واستيلاء النصارى على البلاد".

وحسب الراوية الذي نقل عنه الحبيب الفرقاني فإن هذه السيدة كانت ما تزال على قيد الحياة سنة 1986.

ص. العمراني، المقاومة ضد الاستعمار من خلال نصوص شعرية أمازيغية، ندوة المقاومة المسلحة ؛ م. الحبيب الفرقاني، الآداب والفنون الأمازيغية ؛ أصالة شعبية، تاريخ وحضور حي مستمر في معركة التحرير وقضايا الحياة، أعمال الدورة الثالثة لجمعية الجامعات الصيفية بأكادير، الرباط، 1990، ص. 174.

صاحبة العمراني

**زينة الدار،** بناية تقع داخل الأسوار القديمة لمدينة طنجة، قدمها السلطان مولاي سليمان سنة 1821 للقنصل الأمريكي جون مولوني John Mullowny كهدية للشعب الأمريكي. وهي أقدم هبة على الإطلاق للولايات المتحدة الأمريكية من هذا الحجم. وقد صارت هذه البناية بمثابة مقر لإقامة الممثل الرئيسي للدبلوماسية الأمريكية بالمغرب منذ ذلك الحين إلى غاية استقلال المغرب سنة 1956، حيث تم إنشاء السفارة الأمريكية بالرباط. وقد كانت هذه الهدية محاولة من السلطان المغربي لإحياء وتفعيل العلاقات المغربية الأمريكية. وحسب شهادة القنصل مولوني، فإن هذه الحادثة جعلت الولايات المتحدة الأمريكية - البلد الناشئ آنذاك - على قدم المساواة مع جميع الدول الأوربية الممتلئة بالمغرب.

أرشيف المجلس الاستشاري للحفاظ على التاريخ بواشنطن : *Advisory Council on Historic Preservation*, (Washington), ع. التاريخ الديبلوماسي...، المجلد التاسع، عهد العلويين، 1408 / 1988 : م. بنهاشم، السياسة الخارجية المغربية في عهد السلطان المولى سليمان، د.د.ع.، جامعة محمد بن عبد الله، فاس، 1987.

### الزيوت الغذائية أهم المنتجات الدهنية في العالم هي

زيوت الصوغة، القطن، الفستق، نوار الشمس، السلجم، الجوجان، الذرة، الزيتون، النخيل، جوز الهند، الكتان، الخروع، ثم الزبدة ودهن الخنزير، الودك والزيوت البحرية. أربعة منها تهيمن على الإنتاج العالمي مشكلة حوالي 70٪ من مجموع إنتاج الزيوت النباتية. وهي زيوت الصوغة (26٪)، النخيل (17٪)، السلجم (14٪) ونوار الشمس (13٪). ويتكون الباقي من الزيوت النباتية الأخرى. يغلب عليها زيت الزيتون.

توجد أهم المناطق الجغرافية لإنتاج المواد الدهنية بأوروبا والولايات المتحدة وروسيا والصين والهند وماليزيا وأندونيسيا والبرازيل والأرجنتين واليابان وكندا. يمثل التبادل العالمي للمواد الدهنية ثلث الإنتاج، أي أكثر من 25 مليون طن، يقوم بتصديرها أساساً بلدان المجموعة الأوربية، أمريكا وإفريقيا.

ينتج المغرب زيوتته النباتية بالأساس انطلاقاً من البزور الزيتية ومن الزيتون ومن لوز الأركان. يتم الحصول على زيوت المائدة للصوغة ونوار الشمس والسلجم (الكولزا) والفستق وغيرها بواسطة التكرير وباستعمال المواد الأولية التي ينتجها المغرب (بالنسبة لنوار الشمس والصوغة...) أو يستوردها خاماً. أما بالنسبة لزيت الزيتون والأركان فهي زيوت تستهلك نيئة، بدون تكرير.

يحتل المغرب حالياً الصف السادس من بين البلدان المنتجة، والصف الثاني من ضمن مصدري زيتون المائدة (50.000 طن / سنة). وهو بالطبع البلد المنتج الوحيد لزيت أركان، لكن السلسلة الزيتية لهذا الأخير تعاني من الوجهة التكنولوجية وخاصة منها عملية دق الغلة. ومن أهم منافذ المنتج الزيتي الراهن الاستعمالات التجميلية. ومع ذلك فإن هذا الإنتاج من الزيوت الغذائية لا يغطي إلا 34٪ من الحاجيات، 14٪ منها تأتي من زيت الزيتون، أما 66٪ الباقية فهي مستوردة على شكل زيوت خام ومكررة (حوالي 200.000 طن من الزيت النباتية الغذائية السائلة).

تولي الدولة حالياً عناية خاصة لقطاع زيوت الزيتون بالاستثمار في إطار التصميم الوطني للزراعات الزيتية من أجل تغطية الخصائص الحاصل في ميدان الزيوت الغذائية. زيوت الزيتون : تشكل زراعة الزيتون قطاعاً بالغ الأهمية في الميدان الفلاحي المغربي، يحتل الزيتون بحوالي 550.000 هكتار، قرابة نصف المساحات الإجمالية المغروسة.

يسهم الإنتاج المحلي لزيت الزيتون بنسبة 14٪ (48.000 طن / سنة)، في تسديد حاجيات البلاد من الزيوت النباتية الغذائية السائلة (يبلغ الاستهلاك الحالي : 350.000 طن / سنة). كما يساعد تصدير زيتون المائدة في توازن الميزان التجاري بما قدره مليار واحد من الدراهم بالعملة الأجنبية. كذلك يوفر قطاع الزراعات الزيتية 11 مليوناً من أيام العمل في السنة، يخفف بها من ضغط هجرة الأرياف.

لهذه الأسباب الاجتماعية والاقتصادية، وضعت الدولة "التصميم الوطني للزراعات الزيتية"، الغرض منه رفع المساحات المغروسة بالزيتون إلى مليون هكتار مع متم 2010. وحرصاً منها على تحسين الجودة كذلك، فإنها قررت منع الاستهلاك المباشر لزيوت الزيتون الخالصة المعتبرة "الإتارة"، التي تزيد حموضتها على 33٪ (مرسوم برقم 93 - 2.97 وتاريخ 20 مايو 1997).

يتحقق نصف الإنتاج الزيتي للبلاد بواسطة وحدات تقليدية تدعى "معصرات"، ويأتي النصف الآخر من الوحدات الصناعية. لذا فإن الرفع من جودة الإنتاج الإجمالي يمر عبر مجانسة مواصفات الإنتاج على مستوى شروط النظافة وأوضاع البنية التحتية وإعداد المجالات وعقلنة المسالك التكنولوجية للاستخلاص.

نذكر من ضمن العوامل المتحركة في جودة الزيوت :

- العوامل المرتبطة بالتقنيات الزراعية (التخصيب، السقي، معالجات التطهير النباتي،...)

- العوامل المرتبطة بالمواد الأولية (الضروب، مناهج ومواقب الجني، تخزين الزيتين).

- العوامل السابقة للتحويل (إزالة الأوراق والغسل).

- العوامل المرتبطة بالمسالك التكنولوجية (السحق، الصفق،...).

- العوامل المرتبطة بتوضيب وتخزين زيت الزيتون.

يكون احترام المواصفات بالاحتكام إلى دليل الممارسة المثلى في إنتاج زيت الزيتون، الذي يجب أن يكون ملزماً بنفس الطريقة في القطاع التقليدي والصناعي على السواء، من أجل توفير زيت زيتون صالح في عمومته للاستهلاك.

جودة زيوت الزيتون بالمغرب : جل المعاصر التقليدية قاصرة عن التحويل الأمثل، متسببة في كثير من الضياع سواء من حيث المقادير المعالجة أو من حيث الجودة. تعالج المعصرات ما بين 150 و 200.000 طن من الزيتون في السنة، بمرودية زيتية لا تزيد على 14٪ في أحسن الظروف. فيالنظر إلى مضمون زيتي إجمالي من فئة 22٪ (في ضرب البيشولين (Picholine) المغربية، السائدة في القطاع)، يصل الفاقد إلى 25٪ من الإنتاج الوطني لزيت الزيتون.

كذلك تعتبر جل هذه الزيوت من جودة "الإتارة" غير الصالحة للاستهلاك بالرجوع إلى المواصفات الوطنية والدولية. في بعض الحالات ترقى مواصفاتها التحليلية

إلى فئة "فوق العادية"، لكن بعض العيوب المحسوسة فيها تعيدها إلى المراتب الأدنى.

يبقى استهلاك زيوت المعاصر التقليدية سائداً في العديد من الأرياف. وقد تعتبر بها، خطأً، الزيوت القديمة والعالية الحموضة من النوع الجيد. في حين أن ارتفاع حموضة الزيت مترتب عن الأكسدة الزائدة المؤدية إلى الغمّل. وتنتج ظاهرة الأكسدة، من جهة، عن تدهور الأحماض الدهنية غير المشبعة. أحماض الزيت والكتان التي تكون قرابة 90% من تركيبة الزيوت، ومن جهة أخرى، عن إنتاج مركبات ثانوية للأكسدة تؤكد أن بعضها ضار بالصحة، كالجزور الحرة مثلاً.

يعتبر زيت الزيتون المصنف "للإثارة"، من الناحية الاقتصادية، بأنه غير صالح للاستهلاك كما هو، وأنه بحاجة إلى التكرير حتى يدمج بعد ذلك مع زيت الزيتون المصنفة "عادية". أما من الناحية التغذوية، فإن التغيير الحاد لزيت الزيتون يتجسد في اتصالات في الجودة منها التي تصيب الحمض الدهني الجوهري (حمص الكتان) ويطبع الفيتامين E والكاروتين، وكذا في بعض التحويرات التي تنال من قيمة الخاصيات المحسوسة للزيت.

كما يلزم أن تخلو زيت الزيتون من الملوثات السامة، وهي بالأساس مواد الأكسدة، والسميات الفطرية، ومخلفات المبيدات والمخلفات الفلزية.

استخلصت المعطيات التالية من دراسة أصيلة مقارنة بين جودة زيت الزيتون المستخلصة من وحدات تقليدية وأخرى صناعية، مع تقديم إمكانات التحسين. وقد اختيرت الوحدات، وعددها يقارب المائتين، في مختلف مناطق الإنتاج على الصعيد الوطني.

تأثير المادة الأولية على جودة زيت الزيتون.

يكنسي مستوى نضج الزيتون أهمية بالغة في الحصول على زيت ذات جودة. هناك تقنين مختص في الموضوع، بموجب الظهير رقم 1.62.056 بتاريخ 30 يونيو 1962، يحدد سنويا وحسب الجهات تاريخ جني الزيتون. لكن صعوبة تطبيق هذا القانون أدت إلى التخلي عنه مؤخراً.

ومعلوم أن نمو الزيتون يمر عبر ثلاث مراحل : الأولى سريعة، والثانية بين غشت وشتمبر يكون فيها النمو بطيئا، والثالثة خريفية سريعة تغير خلالها لونها. وعلى مدى مراحل التلون، من الأخضر إلى نصف الأسود فالأسود، يتم تعزيز المكونات الفولية تبعاً لدرجة النضج وذلك إلى حدود مرحلة نصف السواد (نصف النضج) يأتي بعدها عكس للتطور. وعليه كانت الفترة المثلى لجني الزيتون هي مرحلة نصف السواد، بناء على أكبر تركيز لمعدّات الفول التي تتدخل كعامل طبيعي مقاوم للأكسدة، وتزود الزيت بخصوصياتها الحسية المتميزة. وقد أبان التحقيق الميداني أن 55% من الوحدات تعالج مجتنبات من مرحلة السواد، في حين 45% تستعمل خليطاً من الزيتون الأخضر والأسود، يتراوح بين 20 و60% من الزيتون الأسود.

على العموم، تبقى أساليب الجني تقليدية. في جل الأقاليم، يتم الجني بواسطة الحنط (90% من الجهات المدروسة)، والباقي يتأتى بالقطف أو الالتقاط اليدوي للزيتون المتساقط. أما الحنط فيضرب بالشجرة ومردوديتها ويسيء كثيراً لجودة زيت الزيتون. ويرجع ذلك أساساً للشدوخ التي يحدثها سقوط الغلة ووقوع العصا المستعملة. ذلك أن القروح المترتبة تسهل تسرب وتطور الحبيبات، الأمر الذي يتسبب في تدهور الجودة وارتفاع حموضة الغلة. ظروف الإنتاج بالمعاصر التقليدية.

- التخزين غير المناسب يلحق الضرر بجودة زيت الزيتون، فيصيبها بنوعين من التلف. أولهما، حلمهة ثلاثيات غليسريد الزيت، المعرفة بارتفاع مضمون الأحماض الدهنية الحرة الناتجة عن فعل الليبازات وعن الرطوبة والحرارة. من أجل معالجة الوضع، يلزم تخزين الزيتون والزيت في مواقع جافة ونظيفة. والصف الثاني من التلف، يتمثل في الغمّل بواسطة الأكسدة الذي يصيب الغلة المشدوخة على الخصوص.

أظهر الاستطلاع أن 56% من المعاصر تعالج الزيتون بعد تخزين سائب، 38% بعد التخزين في الأكياس، و6% فقط بعد التخزين في الصناديق. أما أمد التخزين فيقل عن 7 أيام في 43% من الحالات، لكنه يزيد على الأسبوعين في كل الحالات الأخرى، حيث يمكن أن يصل إلى الثلاثة أشهر.

إذا كان أمد التخزين قصيراً، يقل عن الأسبوع، فلا داعي للتلميح من أجل الصيانة. والواقع أن 40% من المعاصر لا تلجأ أبداً لإضافة الملح. وواضح أن مضاعفات التخزين تقل كلما اجتنبنا التجميع السائب للزيتون، وعوضناه مثلاً بصيغة التخزين على شكل تفرشات دقيقة لا يتعدى سمكها 20 إلى 25 سنتمتر، كما يجذب استعمال صناديق مثقبة تسمح بالتهوية.

- تجهيز الوحدات التقليدية يتلخص في معاصر معدنية أو خشبية، تستعمل الأرحاء لدعك معجون الزيتون معتمدة الطاقة البشرية أو الحيوانية. يجمع المنتج من الزيوت في صهاريج للتصفيق مصنوعة من الإسمنت أو الخزف أو الفخار.

معاصر الخشب قليلة (10% من قاعدة الإحصاء) وهي في طريق الانقراض، لا يوجد منها إلا في المناطق الجبلية، بناوحي أزيلال وشفشاون وتازا. يمتاز النظام المعدني بمردودية أعلى بسبب الضغوط التي يحققها والتي تصل إلى 150 كلغ سم<sup>2</sup> مقارنة مع 50 كلغ سم<sup>2</sup> التي يحدثها النظام الخشبي.

تمثل طريقة دعك الزيتون، برحي واحدة أو رحين اثنين، عملية حاسمة في توفير الجودة. تستعمل 80% من العينة المدروسة رحي واحدة، وتعتمد 84% التحريك الحيواني، بل ومازال بعض الوحدات البدائية تعتمد التحريك البشري



(9)، في جهات جبلية)، بحيث 7٪ فقط تحظى بالتحريك الآلي. وهذه الأخيرة هي التي تستطيع أن تقلل بصفة محسوسة من وقت عطالة وانتظار الزيتون التي تضر به قبل العصر.

- إزالة الأوراق والغسل، هي عمليات إلزامية لا تحظى بالعناية الكافية في الوحدات التقليدية.

تقوم 80٪ من العينة المدروسة بالعصر مع وجود نسبة من الأوراق تشوب الزيتون. يتسبب ذلك في تلويين الزيت باللون الأخضر الناتج عن اليخضور الذي يساعد على أكسدة الزيت ويعرقل بالتالي حفظ الحفاظ على جودتها. كذلك تتأكسد حبات الزيتون الفاسدة أو المشدوخة، كما يمكن أن تتعفن بفعل الجراثيم فتسبب في إتلاف الزيوت. وقد أظهر التقصي أن 70٪ من الوحدات لا تقوم بفرز الزيتون الفاسد. تحدث الشوائب الترابية والغبار تلويث الغلة بفلزات انتقال (حديد، نحاس) مسهلة أكسدة ثلاثيات الغليسريد والأحماض الدهنية غير المشبعة، وحادة من جودة الزيت. قرابة 60٪ من العينة لا تدخل الغسل في مراحل إعداد الزيتون.

تسهم إضافة الملح في الحفاظ على قيمة الغلة، بمقاومة العفونة على الخصوص. 42٪ من المعاصر تضيف 5 كلف من الملح للقنطار من الزيتون، و18٪ تضيف 10 إلى 30 كلف في القنطار، والأربعين الباقية لا تعالج بالملح.

- الجرش وفصل الزيت، عمليتان متتابعتان. تجرش الزيتون بالأرجاء، ويوضع العجين الناتج على حصر التصفية فيضغط بالمعاصر الخشبية أو المعدنية، ثم يقع الفصل بالصفق بين الزيت والماء المشعشع (المرجان).

يتفاوت الوقت المخصص للجرش ما بين 30 و240 دقيقة، على أن أكثر من نصف المعاصر تتعدى 90 دقيقة. وكلما طالت العملية، كما هو الشأن في المعاصر ذات الرحي الوحيدة، تراجعت نسبة متعددات الفنول بالتأكسد أو التكتاثف، مما يضعف إمكانات المحافظة على الزيت ويقلل من جودتها. تتراوح طاقة الجرش في جل المعاصر ما بين 3 و10 قناطر من الزيتون في اليوم. ولأجل تسهيل العملية، تضيف حوالي نصف المعاصر من 5 إلى 50 لترا من الماء لكل قنطار من الزيتون. إضافة هذه المياه، بصفة مفرطة في الغالب، تفقر الزيوت المستخلصة من متعددات الفنول ومن الفيتامينات.

ترتبط المردودية بطريقة تحضير عجين الزيتون والضغط الأقصى المخول. والفارق فيها كبير جداً يتراوح بين 11 و40 لتراً من الزيت للقنطار من الزيتون.

في غالب الحالات (75٪)، لا تقوم المعاصر بغسل حصائر التصفية، لأن الماء لا يوجد دائماً بالقدر الكافي ولأن البنيات التحتية كثيراً ما تكون متعذرة في الجوار. بسبب التهاون في عملية الغسل التلوث بالجراثيم والتخمر المضعف لجودة الزيت.

تتأثر جودة الزيت كذلك خلال عملية الفصل، من جراء المدة التي يستغرقها المكوث في صهاريج الصفق ونوعية الماء المضافة. ذلك أن الزيت العائمة أثناء الصفق توجد في اتصال مباشر مع الهواء، فتتأكسد إذا ما طالت المدة. أغلبية كبرى من المعاصر تدع الزيت يصفق لما يزيد على 12 ساعة، وقد يصل الوقت إلى 100 ساعة.

ظروف الإنتاج بالوحدات الصناعية.

تجهيز الوحدات الصناعية.

يمكن تصنيف الوحدات التي اختبرها البحث، وعددها 64، إلى ثلاث فئات: الأولى شبه حديثة تستطيع تكوين ضغوط من قبيل 200 كلف سم<sup>2</sup>، والثانية حديثة مجهزة بمعاصر ممتازة من فذة 400 كلف سم<sup>2</sup>، والثالثة حديثة مجهزة بسلسلة متصلة.

تشارك الفئة الأولى والثانية في نفس العمليات من جرش الزيتون بالأرجاء وضغطه ثم فصل الزيت في صهاريج مدفونة أو بواسطة الطرد المركزي. أما الفئة الثالثة فتستعمل مجارح مطرقية، وتذلك عجين الزيتون الناتج وتضيف له الماء الدافئ، ثم يتم فصل المرحتين الصلبة والسائلة (المهروش / الزيت + المشعشع) ثم المرحتين السائلتين (الزيت المشعشع) وكلاهما بالطرد المركزي.

تخزين الزيتون.

في جل الوحدات شبه الصناعية، يحمل الزيتون سائبا، ويخزن مكوما ومعرضا للهواء. يدوم استيداع الزيتون، بإضافة الملح بنسبة 50 إلى 100 كلف / طن، من 20 إلى 30 يوما وقد يصل إلى الشهرين. ولا تنجز عمليات التحضير من فرز وإزالة الأوراق وغسل الزيتون.

أما في الوحدات الصناعية، فيكون النقل في الأكياس والتجميع مكوما مقسما ومعرضا للهواء مع إضافة 30 إلى 100 كلف من الملح للطن من الزيتون. يدوم التخزين ما بين 5 و20 يوما، وهي مدة تعتبر طويلة، مردها أن الوحدات تنتظر توفر النصاب الكافي (50 إلى 100 طن) قبل الشروع في المعالجة.

معالجة الزيتون.

في الوحدات شبه الحديثة، تبلغ أقصى المقادير المعالجة 10 أطنان في اليوم، مع مردودية نسبيا ضعيفة تقدر بـ 14 إلى 16 كلف ريت للقنطار من الزيتون. لا تجري عمليات التحضير الضرورية، وتبقى الظروف الصحية المحيطة بالإنتاج دون المستوى المطلوب.

يكون الإنتاج في الوحدات العصرية من قبيل 16 إلى 20 كلف زيت في القنطار من الزيتون، وهي مردودية دون ما تحققة عادة البيشوليين المغربية (22٪). باستثناء قوة الدعك بالعصارات الممتازة، تكاد تكون كل العمليات الأخرى بمستوى إنجاز الوحدات الحديثة وفي نفس الظروف الصحية تقريبا.

يظهر نوع من التميز للوحدات المجهزة بالسلسلات

المتصلة حيث تكون مردودية إنتاج الزيت أعلى، مع إنجاز للعمليات التحضيرية في كل الوحدات المختبرة. تحصل إزالة أوراق الزيتون بواسطة جهاز سفت، وغسله في مغسل ما هوائي. مدة الجرش المطرقي قصيرة، بمعدل 20 دقيقة، ومدة العجن الآلي من 15 إلى 40 دقيقة. يسخن العجين في حدود 25 إلى 50 درجة، وتكون مقادير الماء الشرب المضافة من فئة 10 إلى 50 لترا في المائة كيلو غرام زيتون. ثم يتم الفصل المتدرج بالطرد المركزي.

مختصر التحليلات المختبرية في جودة الزيت.

أجرت الدراسة التحليلات المختبرية الفيزيوكيماوية الملائمة باستعمال الزيوت المستخلصة من مختلف المعاصر والوحدات المصنفة في هذا العمل. وقد أعطت بالنسبة لـ 80% من المعاصر التقليدية استدلاليات موافقة لزيت الزيتون الخالص من طراز "الإتارة". وبالفعل، فإن استدلال الاختبار امتصاص النور في 271 نانومتر يزيد عن 0.3. وهو أمر، كما سبق، مرتبط بتأثير العوامل التكنولوجية لتحويل الزيت على جودة الزيوت الخالصة التي تنتجها المعصرات.

واعتمادا على نفس الاختبار، تعتبر الأغلبية العظمى من زيوت الوحدات الصناعية صالحة للاستهلاك على حالها، وتصنف من طراز "فوق العادية" و"الجيدة" و"العادية". لكن تجدر الإشارة إلى أن المعالجة في السلسلات المتصلة تستوجب العجن، الأمر الذي يضعف نسبة المواد الفولية والبنزينية التي تضيع مع السائل المشعشع. لذا كانت قدرة هذه الزيت على الانحفاظ أقل مما تخوله الوحدات الحديثة المجهزة بالعصارات.

يلزم أن تحمل زيت الزيتون، كباقي المنتجات المغربية ذات الصلة، الإشارة إلى تاريخ الإنتاج وكذا المدى الأدنى للاحتفاظ بالمادة صالحة، بموجب ظهير 10 شتنبر 1993. يقدر أمد الاحتفاظ بزيت الزيتون على أساس الاستقرار التأكسدي (بالأيام)، والذي يعني عدد أيام تخزين الزيت في ظروف الحرارة المحيطة وفي الظلام، الموافق لاستدلالي فوق أكسيد يساوي أو يقل عن 20 مليمكافى 2 / كلغ زيت. ويبدو من تحريات التحليل الكيماوي للمنتج الزيتي أم مدة التخزين رهينة بالمسلك التكنولوجي المعتمد. ففي المعاصر التقليدية تبلغ مدة التخزين 99 يوما، وفي الوحدات المجهزة بالعصارات الممتازة تصل إلى 171 يوما، أما في السلسل المتواصلة فلا تتعدى 146 يوما. إذا ما حصل تجاوز هذه القيم، الموافقة للجودة حسب المعايير المغربية، تفقد الزيت من طراوتها وتعتبر غير صالحة للاستهلاك.

تعرف الزيوت المستخلصة من المعاصر التقليدية استقراراً ضعيفاً متناسباً مع حموضة عالية ومع نسبة ضعيفة من متعددات الفينول المتدهورة (0.15%). تتميز زيوت الوحدات المجهزة بالعصارات الكلاسيكية أو الممتازة باستقرار طويل الأمد، وهي مصوفاة بحموضة متوسطة الضعف ونسبة عالية من متعددات الفينول الإجمالية

المتدهورة (0.25%). أما زيوت النظام المتصل، فتوازنتها ضعيفة نسبياً توافق حموضة متوسطة ومضمونا نسبي الضعف من متعددات الفينول المتدهور (0.20%). والعلاقة وثيقة في كل الحالات بين نسبة تدهور متعددات الفينول وحموضة زيت الزيتون وتبعاً لذلك الاستقرار التأكسدي.

في نهاية الأمر، فإن قدرة الزيت على التمديد السليم لجودتها مرتبطة بتكنولوجيا المعالجة أكثر منها بطبيعة المادة الأولى المستعملة. وهي رهينة كذلك بالمواصفات الفيزيوكيماوية الأولية للمنتج الزيتي.

حمادي شيمي

### زِيَوُزِيُو، محمد بن محمد بن عبد الرحمن التطواني

الملقب كوالده الدرقاوي، الباشا الفاضل الحازم الأمين. وعانتهم من الأسر العريقة بتطوان، تولى باشوية تطوان بعد استعفاء سلفه الباشا السيد محمد بن محمد بن عبد السلام بريشة، وذلك في شوال عام 1349 / 1930 واستخلف عنه ولد عمه السيد عبد الخالق بن عبد السلام زيوزيو وظلا على حالهما إلى أن اقتضت الظروف نقله لأمانة ديوانة التعشير بتطوان عام 1350 / 1931 ولزم المترجم ووالده لقب (الدرقاوي) لتمسك الوالد بالطريقة الدرقاوية ودخوله فيها على يد بعض أهل الفضل بالقصر الكبير، قال الرهوني : وكان له فتح في فهم كلام القوم مع عدم تقدم تعاطيه شيئاً من علوم اللسان وغيرها، وكان يتاجر أولاً في السلع البحرية ثم تخلى عن ذلك وأقبل على ذكر أوراده وعبادة ربه إلى أن توفي عن أولاد منهم المترجم له.

ولم أقف على تاريخ وفاته.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، 2-3: 75، 114، مخطوط.

محمد بوخيزة

### زَيَان، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل

بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا - Zeyen - Zayan - Zaen - Çayan .

وقد هاجرت هذه الأسرة إلى الأندلس سنة 897 / 1492 حيث استقرت بناحية الريف ثم انتقلت إلى تطوان سنة 1200 / 1785 وتوجد خارج الباب السعيدة حومة تحمل اسم زيانة.

ومن رجالات هذه الأسرة : زيان محمد بن عبد الله كان يزاول الإفتاء سنة 1207 / 1793. زيان العربي بن عبد الله الذي كان هو الآخر يزاول الإفتاء في نفس السنة.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 792.

محمد ابن عزوز حكيم

**زَيَان بن أبي عياد بن عبد الحق**، أحد قواد بني مرين الذين ساهموا بشكل كبير في حملات السلطان يعقوب المريني إلى الأندلس. وقد عينه خلال حملته الثانية سنة 676 / 1277 قائد الحامية بين مرين بمالقة واستمر في هذا المنصب حتى سنة 677 / 1278 عندما تمكن ابن الأحمر من استرداد مالقة من يد قائدها الذي اعتقله بعد تأمره مع واليها عمر بن يحيى بن محلي.

ابن خلدون، العبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 408-417؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954، ج. 3، ص. 48.

**أبو زَيَان، محمد بن أحمد بن أبي سالم المريني**، لقبه المنتصر بالله، ببيع بعد خاله السلطان أبي فارس موسى ابن أبي عنان يوم الجمعة ثالث أيام رمضان من عام 788 / 1386 وهو لم يتجاوز سن الخامسة وخلع يوم الجمعة 15 شوال من نفس العام وبذلك يكون قد حكم حوالي 43 يوماً.

كان أبو زيان في عهد والده السلطان أبي العباس أحمد (775 / 1373 - 786 / 1384) نائباً له على مدينة سلا ثم مراكش. وبعد وفاة خاله السلطان موسى بادر أحد وزرائه يعيش بن رحو بن ماساي إلى تنصيب أبي زيان ملكاً. بعد ذلك عاد الوزراء وخاصة مسعود بن رحو أخو يعيش إلى ممارسة سياسة المساومات والدساتس، إذ تحالف مع أحد أمراء بني مرين المنفيين بالأندلس وهو أبو زيان محمد بن أبي الفضل واتفقا على عودته إلى فاس وتمكينه من الملك، وهو ما تم فعلاً بعد خلع أبي زيان المنتصر بالله وإرساله إلى الأندلس منفياً مع والده.

ابن خلدون، العبر، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 735، 738، 744. 745؛ ابن الأحمر، روضة السرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، 1962، ص. 37؛ نفسه، النفحة النصرية واللمحة المرينية، تح. عدنان محمد آل طعمة، دار سعد الدين، دمشق، 1992، ص. 67؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1974، ص. 209، 210؛ الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، 4: 71-72.

**أبو زَيَان، محمد بن أبي عبد الرحمن يعقوب بن أبي الحسن المريني** لقبه المتوكل على الله، ببيع يوم الاثنين 21 صفر عام 763 / 1361 وقتل غرقاً في يوم الأحد 22 ذي الحجة من عام 767 / 1366 ثم دفن بجامع قصره. كان قبل ولايته منفياً مع جملة من أمراء بني مرين بالأندلس عند صاحب قشتالة بيدرو الأول يستغلهم في الضغط على ملوك المغرب وابتزازهم كلما لاحت الفرصة. ولما تفاقمت الأزمة السياسية بالمغرب واحتدم الصراع بين

الوزراء والأمراء حول الحكم، بادر الوزير المستبد عمر بن عبد الله الياباني إلى محاولة التحكم في جميع خيوط اللعبة والسيطرة على الموقف المتدهور. ولتحقيق ذلك قام بالاتصال بصاحب قشتالة عن طريق وساطة ابن الأحمر وطلب منه السماح للأمير المريني أبي زيان بالعودة إلى المغرب وتنصيبه ملكاً عليه. وقد وافق بيدرو الأول على تسريح الأمير المريني مقابل شروط وعقود من أهمها تخلي الوزير عن مدينة رنذة الأندلسية لابن الأحمر وعدم التحالف مع عدوه صاحب أرغون. وبعد إتمام هذه الصفقة غادر أبو زيان إشبيلية في شهر المحرم من عام 763 / 1361 ونزل بسببته. وعندما علم الوزير عمر بوصول الأمير سارع إلى خلع السلطان أبو عمر تاشفين الموسوس تحت ذريعة عدم كفاءته وافتقاده للعقل وهما من شروط الخلافة، ثم بعث ببيعته وكتيبة من جنده وبعض العلماء كابن رضوان صاحب القلم الأعلى والشيخ محمد بن أبي القاسم بن أبي مدين صاحب الأشغال وديوان الجيش إلى السلطان الجديد وهو بطنجة. وبعد إتمام مراسيم البيعة الخاصة عاد الجميع إلى دار الملك بفاس الجديد وأخذ الوزير عمر على الناس البيعة العامة لسلطانه أبي زيان. ومنذ قيام هذا السلطان بالأمير تزايدت أعمال الفتن وكثر المعارضون ضد استبداد الوزير وانفراجه بالحكم وحجره على السلطان، وكان بعض أمراء بني مرين خاصة أولاد أبي علي أكثر المعارضين والثائرين خطورة على الوزير وسلطانه لذلك فرض على السلطة الجديدة مواجهة ثورتين عنيفتين، الأولى بقيادة الأمير عبد الحلیم بن أبي علي المتغلب على سجلماصة وأعمالها، والثانية بزعمارة الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوس بن أبي علي المتحالف مع الوزير مسعود بن رحو بن ماساي، لكن مصير الثورتين كان هو الفشل وفرار كل من عبد الحلیم إلى الشرق وعبد الرحمن ووزيره إلى الأندلس. إلا أن ذلك لم يعن القضاء النهائي على المشاكل والاضطرابات وتنامي العداء ضد الوزير المستبد وسلطانه، إذ سرعان ما انتفضت بعض الأطراف خاصة في الجنوب حيث اندلعت بمراكش ثورة الأمير أبي الفضل بن السلطان أبي سالم ووزيره عامر بن محمد الهنتاتي. وأمام عزيمة وتصميم الوزير عمر على وضع حد لثورة مراكش فضل الثوار الفرار إلى جبل درن في رجب سنة 767 / 1366.

يبدو من تفاصيل هذه الأحداث أن السلطان أبا زيان لم يكن يمارس مهامه بشكل طبيعي، بل كان مراقباً مراقبة شديدة من عيون وجواسيس الوزير، فقد صنع له حاشيته من خلصائه فأقام في رسم الوزارة صهره مسعود بن رحو بن ماساي وعين له على رسم المندامة الشيخ عمر بن العجوز والشيخ إبراهيم بن أحمد البطروجي، وبذلك أصبح السلطان وكأنه بمنزلة الخليفة العباسي بمصر والوزير الذي حجبه بمنزلة السلطان الأسفهلار من الترك والوزير منتابه مسعود بمنزلة وزيره المعبر عندهم بالصاحب (نفاضة، 3: 75). وقد

حاول السلطان المغلوب على أمره التخلص من وزيره وقتله، لكن الجواسيس أسرعوا إلى الوزير عمر واطلعوه على نية السلطان وما يعزم عليه فقرر تنحيته وقتله برمييه في قعر بئر بروض الغزلان من فاس وذلك في شهر ذي الحجة من سنة 767 / 1366 أو في شهر المحرم من سنة 768 / 1366 حسب رواية أخرى. فاستدعى الوزير حينئذ الأمير عبد العزيز بن أبي الحسن ويايعه سلطانا على المغرب.

ابن الخطيب، أعمال الأعمال، القسم الثاني (الأندلس)، نشره ليثي بروفنسال، الرباط، 1934، ص. 333 : نفاضة الجراب، تج. أحمد مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، ج. 2، ص. 303 - 343. 354. 358 : الدار البيضاء، 1989، ج. 3، ص. 67. 75 : ربحانة الكتاب ونجعة الكتاب، تج. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1980. 1981، ج. 1، ص. 96. 92. 304. 307. 478. 480. وج. 2، ص. 224. 225 : اللوحة البدرية في الدولة النصرانية، بيروت، 1978، ص. 114. 118. 119 : يحيى ابن خلدون، بقية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزائر، 1903، ج. 2، ص. 101. 102. 131 : ابن الأحمر، روضة النسر في دولة بني مرين، الرباط، 1962، ص. 32 : النفحة النسرانية واللمعة المرينية، تج. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص. 60 : مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تج. سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، 1979، ص. 180 : ابن خلدون، العبر، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 655. 658. 670 : ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1974، ص. 208 : أ. المقري، أزهار الرياض، تج. مجموعة من الأساتذة، القاهرة، 1939، ج. 1، ص. 62 : نفع الطيب، تج. احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج. 6، ص. 125 : الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء، 1954، ج. 4، ص. 44. 52.

G. Soler, *La corona de Aragon y Granada, Boletín de la real academica de Buenas Letras*, Barcelona, 1907 - 1908, T. IV ; R. Arié, *L'Espagne musulmane au temps des Nasrides (1232 - 1492)*, Paris, 1973 ; Ch. E. Dufourcq, *Catalogue chronologique et analytique du registre 1389 de la chancellerie de la couronne d'Aragon intitulé "guerre sarracénorum 1367 - 1386"*, in "Miscelánea de textos medievales", Barcelona, 1974, T. 2 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986.

**أبو زيان، محمد بن عبد العزيز بن أبي الحسن لقب** بالسعيد بالله وبوع تحت كفالة الوزير المستبد عليه أبي بكر بن غازي بن الكاس بعد وفاة السلطان عبد العزيز والده وهو محاصر لتلمسان سنة 774 / 1372. وعندما بوع أبو زيان يوم الخميس 22 ربيع الثاني من نفس العام لم يكن عمره حينذاك قد تجاوز الخامسة فكان الوزير هو الحاكم الفعلي. ولشظفه في استعمال السلطة واستبداده وحجره على السلطان الشرعي قامت ثورات ضده في شتى أنحاء البلاد وتزعّمها بعض أمراء بني مرين الطامعين في الحكم والذين يعتبرون أنفسهم الأحق بالملك من الملك الصبي أبي

زيان الذي لا حول له ولا قوة. ومن أخطر هذه الثورات ثورة الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن بن أبي علي بناحية بطوية من بلاد الريف سنة 774 / 1372 وثورة أبي العباس أحمد بن أبي سالم. وقد شكل التحالف المكون من الأميرين المذكورين وصاحب غرناطة ابن الأحمر تهديداً خطيراً هز أركان دولة الوزير ابن غازي وسلطانة القاصر اضطر معه هذا الأخير إلى التخلي عن سلطانه أبي زيان ومبايعة الأمير أبي العباس أحمد سلطاناً جديداً على المغرب واقتطاع سجلحماة وأعمالها لابن أبي يفلوسن. وعندما خلع السلطان أبي زيان يوم الأحد 5 محرم من سنة 776 / 1374 غرب إلى الأندلس منفي كثير من أمراء بني مرين. ومن المعلوم أن ابن الخطيب قد أثارته ظاهرة توليه أمراء صغار حكم المغرب نهاية الدولة المرينية فألف كتاباً في السلطان أبي زيان هذا وأعطاه عنواناً معبراً هو : "أعمال الأعلام فيمن بوع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام".

ل. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، الدار البيضاء، 1964، القسم الثالث، مقدمة المحققين : ابن خلدون، العبر، بيروت، 1978، ج. 7 : 698. 706 : ابن الأحمر، روضة النسر في دولة بني مرين، الرباط، 1962، ص. 33. 34 : النفحة النسرانية واللمعة المرينية، تج. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص. 63 : مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تج. سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار النشر الحديثة، الدار البيضاء، 1979، ص. 181 : أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1974، ص. 209 : أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954، ج. 4 : 60. 61.

**أبو زيان، محمد بن أبي عنان** ثامن ملوك بني مرين وأقصرهم حكماً إذ لم يدم ملكه إلا ساعة من النهار. فقد بوع له يوم الأربعاء 24 ذي الحجة من عام 759 / 1358 وأبوه السلطان أبو عنان لا يزال طريح الفراش ينازع الموت. وقام ببيعته وزير أبيه الحسن بن عمر الفودودي ثم خلعه وقتله خنفاً في نفس يوم بيعته وهو لم يتجاوز بعد سن السابعة عشرة ويبيع مكانه أخاه أبا بكر السعيد بعد تأمره مع خليفة مسعود بن رحو بن ماساي. وبهذا يكون الوزير عمر قد دشن مرحلة جديدة من سياسة حيك المؤامرات والدسائس وتعيين أمراء قاصرين والحجر عليهم والاستبداد بالحكم، وهي السياسة التي ستطبع الفترة الأخيرة من تاريخ الدولة المرينية.

ع. الرحمن ابن خلدون، العبر، بيروت، 1978، ج. 7 : 621. 622 : يحيى ابن خلدون، بقية الرواد، الجزائر، 1903، ج. 2 : 27. 30 : ابن الأحمر، روضة النسر في دولة بني مرين، الرباط، 1962، ص. 29 : النفحة النسرانية واللمعة المرينية، تج. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص. 54 : أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، دار المنصور، الرباط، 1974، ص. 207. 208 : المقري،

**أبو زِيَان، محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن**  
المربني، لقبه الوراق بالله. تولى حكم المغرب يوم الجمعة 15  
شوال من سنة 788 / 1386 وخلق يوم الخميس 5 رمضان عام  
1387 / 789. قضى حوالي العام الواحد من حكمه تحت  
استبداد وزيره مسعود بن رحو بن ماساي الذي زج به في  
صراعات دموية شاركت فيها أطراف متعددة داخلية من  
أمراء ورجالات المخزن وخارجية كصاحب غرناطة ابن الأحمر  
وملك قشتالة وانتهت بقتل الوزير وأفراد عائلته وحاشيته  
وذبح سلطانه الوراق بالله، وتمثل فترة حكم أبي زيان نموذجاً  
لاستبداد الوزراء وما جر ذلك على المغرب من ويلات  
الحروب والفتن. فكان الوزراء يبايعون ضعاف الأمراء وجلهم  
منفي بالأندلس إما بقرنطة أو بإشبيلية يستعملون للضغط  
على المغرب وزعزعة استقراره. وفي هذا السياق تم استقدام  
أبي زيان الوراق بالله المنفي عند ابن الأحمر إلى المغرب،  
وقد اختاره الوزير مسعود دون غيره من أمراء بني مرين  
المنفيين كأبي العباس أحمد وذلك لأن أبا زيان "أليق  
بالاستبداد والحجر" (العير، 7: 736) فبايعه البيعة الأولى.  
وكان على الوزير بعد ذلك الدفاع عن موقفه واختياره  
بمواجهة المعارضين ومحاربة المخالفين. وكان أول القائمين  
عليه بعض حاشيته وهم يعيش بن علي بن فارس الليباني  
وسبور بن يحياتن بن عمر الونكاسني وأحمد بن محمد  
الصبيحي الذين انتقضوا عليه ولحقوا بسببته والدعوة للوفاق  
بالله دون الوزير مسعود، ثم انتقلوا معه إلى جبل مغيلة  
قرب فاس واستعدوا لمحاربة مسعود وانضم إليهم ليفي من  
الغاضبين على الوزير من بعض وجهاء القبائل ورجالات  
المخزن مثل طلحة بن الزبير الورتاجني ومحمد التونسي بن  
أبي الطلاق وخارج بن مهدي. لكن الوزير مسعود استعد  
لهؤلاء جميعاً وقتلهم هنالك أياماً ثم انتهت المواجهة  
بتوصل الطرفين إلى الاتفاق على مسامحة المتوردين  
وتنصيب أبي زيان ملكاً على البلاد. وبعد دخول أبو زيان  
البلاد الجديد مع حاشيته بايعه الوزير مسعود البيعة الثانية  
في شهر شوال من العام المذكور خلفاً للسلطان المخلوخ أبو  
زيان محمد بن أبي العباس والذي نفاه نفس الوزير إلى  
الأندلس. ومباشرة بعد هذه البيعة قام الوزير بالتخلص من  
مناوئيه الذين حرضوا السلطان عليه إما بالحبس أو بالقتل،  
كما تمكن من إفشال قرد الأمير الحسن بن الناصر الثائر  
بجبل الصفيحة من بلاد غمارة ونفاه هو الآخر إلى  
الأندلس. وكان على الوزير بعد تهدئته للأوضاع بالمغرب  
أن يعمل على استعادة بعض الجيوب التي خرجت عن طاعة  
بني مرين خاصة مدينة سبتة المحاصنة لنفوذ بني الأحمر.  
وقد حاول ربط الاتصال مع صاحب غرناطة والتفاوض معه  
بهدف تسليمه المدينة. إلا أن المحاولة باءت بالفشل وكانت

سبباً مباشراً في اندلاع أزمة سياسية بين الطرفين. فاستعد  
الوزير وسلطانه محاصر المدينة واسترجاعها بالقوة واستغل  
بعض المعارضين من أمراء بني الأحمر لضرب صاحب  
غرناطة وشغله بحربهم لتسهيل دخول الجيش المريني إلى  
سبتة في المقابل كان ابن الأحمر على وعي بأهداف سياسة  
غريمه فرد عليه بنفس أسلوبه وذلك بأن حرض السلطان  
المريني اللاجئ عنده وهو أبو العباس أحمد ابن أبي سالم  
وشجعه على النهوض لاسترجاع ملكه ومحاربة الوزير  
المستبد وسلطانه أبي زيان. وقد استطاع أبو العباس فك  
الحصار عن سبتة والاستيلاء عليها واتخاذها قاعدة رئيسية  
لهجوماته نحو العاصمة فاس. فاتجه في البداية إلى طنجة  
فاستعصت عليه ثم أصيلاً فملكها. وتحت ضغط الجيش  
المريني بقيادة الوزير مسعود لجأ أبو العباس إلى جبل  
الصفيحة معتصماً به فحاضره الوزير هناك مدة شهرين ثم  
تدخل بعدها زعيم عرب المعقل يوسف ابن علي بن غانم  
مسانداً لأبي العباس لصداقة قديمة بينهما وبدأ يشن  
الغارات على المناطق المجاورة لفاس كتازة وصفرو ومكناسة  
ثم يشرع في حصار فاس في غياب وزيرها. إلا أن أخاه  
يعيش ونائبه على المدينة طير بالخبر إليه وهو محاصر لأبي  
العباس بجبل الصفيحة فاضطر مسعود إلى العودة  
ومحاربة المتوردين. لكن أبا العباس ظل يطارده إلى أن  
لحقه بالبلد الجديد وحاصره بجند عظيم مألّف من غرب  
المعقل والأندلسيين وبعض المعارضين وفي نفس الوقت  
انتفضت بعض المدن براكش والسرور وتازة ومكناسة ضد  
الوزير وسلطانه وأزرت حركة أبي العباس في مساعها.  
وبعد مضي ثلاثة أشهر على هذا الحصار اتفق الطرفان على  
تسليم أبي العباس مقاليد السلطة مقابل توفيره الأمان  
للوزير ويطانته وتركه في منصبه وإرسال سلطانه أبي زيان  
بن أبي الفضل إلى الأندلس. وبناء على ذلك دخل أبو  
العباس مدينة فاس في 5 رمضان من عام 789 ويبيع بها  
سلطاناً ثم اعتقل السلطان المخلوخ ونفاه إلى طنجة حيث  
قتل ذبحاً كما تنكر لعوده السابقة فاعتقل الوزير مسعود  
وامتحنه هو وأسرته ويطانته إلى أن توفي.

ابن الأحمر، روضة النسر، الرباط، 1962، ص. 37، 38؛ النسخة  
التسرينية واللمحة المرينية، تح. عدنان محمد آل طعمة، دمشق،  
1992، ص. 67؛ ابن خلدون، العير، بيروت، 1978، ج. 7، ص.  
747، 736؛ أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1974، ص.  
211، 210؛ الناصر، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954، ص. 72.  
73.

رشيد السلامي

**زِيَان الوطاسي، ابن عم السلطان محمد البرتغالي**  
وصهره. كان حسب شهادة الإخباريين (دوكويش)  
(بيرناردو رودوفيش) عاملاً على مكناش وقسم كبير من  
الشاوية. وذلك قبل أن يُنحيه أخو السلطان، الناصر

المعروف بالكديد سنة 1506 أو التي تلتها. وبعد عزله التجأ زيان إلى أزموور حيث كان له أقارب وأنصار كثيرون. وقد حاول زيان فرض نفسه على سكان المدينة. إلا أن هؤلاء رفضوا الانصياع له، وهو ما حتم عليه البحث عن سند خارجي لم يكن يتمثل آنذاك إلا في البرتغال الذي كان قد فرض الحماية على المدينة منذ سنة 1486، وأصبح بعد عصيانها يبحث عن سبيل لاحتلالها. وهكذا ربط زيان اتصالاً مع البلاط البرتغالي عن طريق صياد برتغالي كان كثير التردد على المدينة لصيد الشابل. وكان معروفاً بها. وذلك قبل أن ينتقل بنفسه إلى لشبونة لعرض خدماته على الملك أمنويل واقترح تجهيز حملة عسكرية ضدها.

وعول الملك على مساعدة الناصر وحلفائه لتسهيل مهمة الحملة التي جهزها في غشت 1508. إلا أن البرتغاليين فوجئوا بزيان وهو يترأس المقاومين.

ويبدو أن زيان الذي استقر بأزموور فيما بين 1508 و1510 غادرها في اتجاه مكناس أو فاس لاسترجاع المنطقة التي انتزعت منه إلا أنه فشل في مسعاه وعاد إلى أزموور مهزوماً ومسلوباً من كل شيء، ولم يمنعه ذلك من العودة إلى قيادة المدينة. وقد أعلن وفاءه للبرتغال ودخل في نفس السنة 1510 في مفاوضات جديدة معه بوساطة حاخام يهود أسفي، أبراهام ابن زميرو. كما أرسل كاتبه إلى لشبونة.

وتنتج عن تلك المفاوضات التزامه بتطبيق بنود معاهدة الحماية الموقعة سنة 1486 لمدة عشرين سنة. ولم يستغل زيان الحصار الذي ضربته القبائل الدكالية في دجنبر 1510. وبقيت أزموور متمسكة بولائها. وذكر (دو كويش) أن زيان تخلص من التزاماته مرة أخرى، وأرغم الوكلاء التجاريين على مغادرة المدينة، الأمر الذي حتم على الملك البرتغالي التدخل عسكرياً واحتلال أزموور يوم 3 شتنبر 1513. وكان زيان وأبناؤه على رأس المدافعين عن المدينة.

وقد التجأ زيان بعد احتلال المدينة إلى "مملكة فاس" وشوهد بسلا في منتصف ذي القعدة عام 920/ نهاية شهر دجنبر 1514.

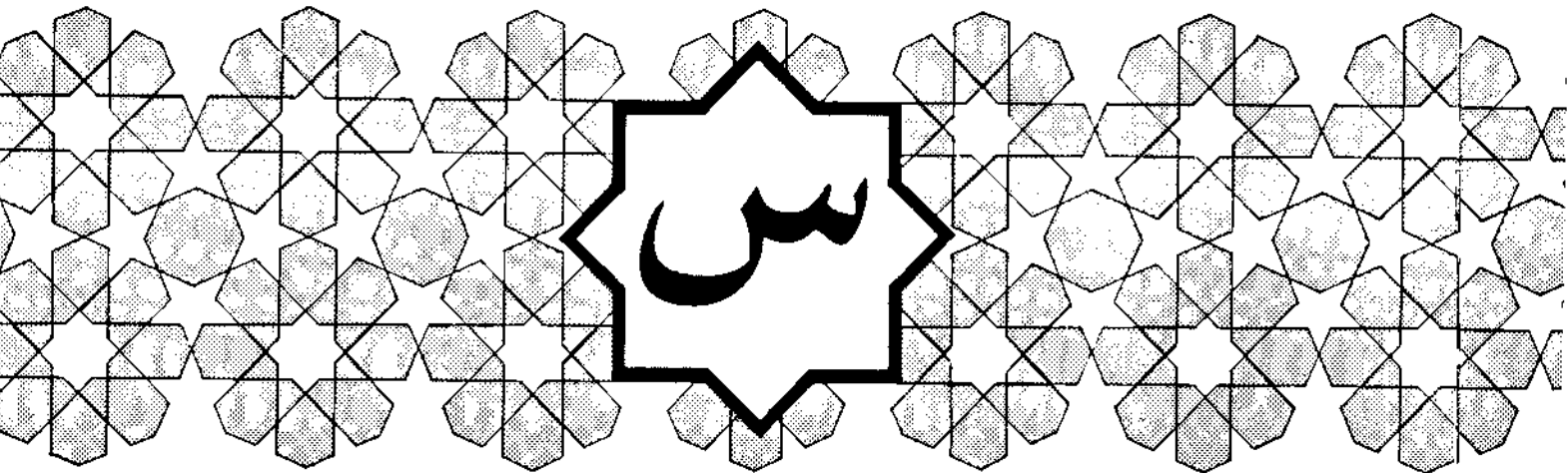
أ. بوشرب، وكالة والاستعمار البرتغالي، الدار البيضاء، 1984.

P. de Cenival [et al...], *Sources inédites de l'histoire du Maroc*; R. Ricard, *Les portugais au Maroc de D. de Gois. Extraits de la chronique du Roi D. Manuel de Portugal*, Rabat; B. Rodríguez, *Anais de Arsila*, Publ. D. Lopes, Coimbra, 1915, T. 1, p. 8 - 9.

أحمد بوشرب

الزِيَانِيَّة طَرِيقَةُ صُوفِيَّة ← بوزِيَان، محمد بن

عبد الرحمن







م. شفيق، المعجم العربي الأمازيغي، ج. 1، الرباط، أكاديمية الملكة المغربية، 1990.

Fagnan, *Additions aux dictionnaires arabes*, Bayrouth, s. d. ; J.C. Garcin [et al...], *L'habitat traditionnel dans les pays musulmans autour de la méditerranée. I, l'héritage architectural, formes et fonctions*, 1988 ; J. Hassar Benslimane, *Salé dans tous ses états ; Revault [et al...], Palais et demeures de Fès*, I, 1985 ; II et III, 1992 ; A. Touri et J. Hassan Benslimane, *Lexique des termes d'architecture traditionnelle du Maroc*, manusc., 1987.

عبد العزيز توري

ساتو، إرنست ماسون Ernest Mason Satow

دبلوماسي بريطاني، حصل على شهادة شرفية في 5 يوليوز 1861، فعين على إثرها ترجمانا متدرجا في اليابان، ثم تقلد عدة مهام إدارية وقنصلية في المفوضيات البريطانية بجهات كثيرة من آسيا، إلى أن تمت ترقيته مبعوثا ووزيرا مفوضا كامل التفويض وقنصلا عاما لدى بلاط السلطان مولاي الحسن ابتداء من 1 غشت 1893. وجاء هذا التعيين في ظروف انتقالية خاصة : ففي المغرب كان المولى الحسن يعيش أشهره الأخيرة وهو يواجه مخلفات سفارة تشارلز ريوان - سميث (Ch. Euan Smith) الصاخبة في فاس، ومخلفات أزمة مليلية مع إسبانيا على إثر أحداث سيدي ورياش الدامية. كما حصل هذا التعيين في وقت كانت فيه بريطانيا مقبلة على انتخابات جديدة.

وعلى الرغم من أن ساتو لم يمح في مهامه الرسمية بالمغرب سوى سنتين تقريبا، فقد قاد مفاوضات ناجحة بين المخزن الحسني وإسبانيا انتهت بتسوية أزمة مليلية بإبرام اتفاقية مراكش بتاريخ 5 مارس 1894، ولو أن ذلك قد تحقق على حساب المغرب الذي استجاب لضغوط بريطانيا فوافق على تسديد غرامة مالية قدرها 4 ملايين ريال كعويضات مقابل الحسائر البشرية والمالية التي تكبدتها

الساباط عموما هو المر أو الزقاق المغطى، وينطق بالدارج المغربي "صابة". اختلف تحديد مفهوم هذا المصطلح باختلاف الباحثين إذ نجد هو "المر المغطى" أو "المر أو الزقاق فوقه سقف مقبب" أو حتى "الطابق العلوي" (روفو وآخرون، 1985، ص. 224 - 1992، ص. 369)، ونجد "قسما من زقاق مغطى بمر يصل بين دارين" (كارسان وآخرون، 1988، ص. 240) أو "بنية فوق زقاق يمكنها أن تكون بيتا مستقلا أو معبرا نحو منزل آخر" (نفسه، ص. 269)، أو "سقيفة تحتها طريق" (شفيق، 1990، ص. 492).

ومهما يكن فالساباط أو الصابة عنصر مهم ودائم المحضور في تسيج المدينة المغربية القديمة، بل وحتى بالتجمعات السكنية المعروفة بالقصور والمنتشرة بالمناطق شبه الصحراوية، وذلك تحت اسم تساركت أو تازقاقت، أو تاسوكت - الأمازيغي.

وقد تطور مفهوم الصابة في بعض المدن كالرباط مثالا من الاقتصار على الزقاق المغطى ليشمل الزقاق المكشوف غير النافذ، كما خرج من حدود المدن العتيقة وفيها بقي وفيها لئذوله الأول - ليلتصق بالأحياء الحديثة المكونة من الدور والمنازل التي لا تتعدى طابقا علويا أو طابقين وفيها أطلق على المدلول الثاني.

الحامية الإسبانية في مليلية من جراء هجوم الريفيين عليها.

وحين توفي المولى الحسن يوم 7 يونيو 1894، أبلغ القائد ماكلين ساتو بالخبر سرا وعلى وجه السرعة يوم 11 يونيو، فتولى مهمة نقله إلى زملائه الدبلوماسيين في طنجة، ثم إلى حكومته في لندن، وكذا إلى بقية سفراء بريطانيا في باريس ومدريد وبرلين وينا وروما. ولما تبين بأن أهل الحل والعقد في البلاد قد أجمعوا على مبايعة عبد العزيز، أشار ساتو على حكمة بلاده بأن تتزعم اعتراف الدول الأوروبية الكبرى بسلطنة العاهل الشاب. وتفاعل ساتو بالهدوء والاستقرار النسبيين اللذين عرفهما المغرب في الأشهر الأولى من سلطنة عبد العزيز، فاقترح على وزير خارجيته كمبرلي Kimberley، أن يرضخ له بالتوجه في زيارة رسمية أولى إلى بلاط عبد العزيز ليقدّم إليه أوراق اعتماده، ويضع اللبنة الأولى لربط الجسور مع العناصر الفاعلة في التشكيلية المخزنية الجديدة.

وقد غادر ساتو طنجة إلى فاس يوم 11 أكتوبر 1894 يرافقه تراجمة المفوضية دويونتيو ومورانت والطبيب كريك ومادن بصفته كاتباً للبعثة، بينما تكلف القنصل وايت بالنيابة عنه على رأس المفوضية في طنجة. ودخلت البعثة السفارة البريطانية إلى فاس يوم 25 أكتوبر 1894، فوجدت في استقبالها عند مشارف المدينة الباشا وقائد المشور إدريس بن العلام وسعيد بن موسى وزير الحرب. وبعد استراحة دامت أربعة أيام، استقبل عبد العزيز ضيفه ساتو وسط الأجواء البروتوكولية المهيبة.

لم يكن ساتو يسعى في البداية من زيارة السلطان إلى تحقيق نتائج ذات أهمية خاصة، باستثناء محاولة إعادة الثقة بين الجانبين ومحو الآثار السيئة لسفارة سلفه إيوان سميت الفاشلة إلى فاس، بدليل أنه قد ذكر لوزير خارجيته بأن مهمته في فاس لن تستغرق أكثر من خمسة وثلاثين يوماً على أبعد تقدير. لكن تلك الزيارة دامت في الحقيقة أكثر من خمسة شهور، لأن ساتو لم يغادر فاساً إلا مع حلول يوم 18 أبريل 1895. ومن الطبيعي أن يكون لهذه الإقامة الطويلة ما يبررها، إذ وجد ساتو نفسه مضطراً لمعالجة ملفات لم تكن مسطرة في جدول أعماله الأصلي، لكنها شكلت في الوقت نفسه قضايا ذات أهمية ظلت معلقة بين الجانبين منذ عدة سنوات. ونذكر من أهمها قضية "شركة شمال غرب إفريقيا" القائمة في طرفاية منذ سبعينيات القرن التاسع عشر، ومطالب الرعايا البريطانيين المالية وديونهم القديمة، وقضية التمثيل القنصلي للأجانب في فاس. هذا فضلاً عن قضايا أخرى طرأت أثناء وجوده بفاس، منها ما تعلق بالمصالح البريطانية أساساً، ومنها ما تعلق بمشاكل عامة تمس الأوروبيين من جنسيات أخرى، لكنها تهم بريطانيا أيضاً، كما هو شأن موضوع أمن الأجانب في المغرب بوجه عام، وعلاقته بقضايا التجارة وبحرية التنقل في مختلف

أرجاء البلاد.

ولاشك أن التوصل إلى حل قضية الوجود البريطاني في طرفاية، بعد مفاوضات طويلة وجادة بين ساتو وباحامد في فاس ابتداء من 16 فبراير 1895، قد شكلت أهم إنجاز حققه ساتو خلال مهامه الرسمية بالمغرب، وذلك بحكم الحساسية الشديدة لهذه القضية ذات الصلة بوحدة التراب الوطني، وتأثيرها الكبير على توتو العلاقات بين الجانبين منذ السبعينيات حين أسس مكنتزي شركته في طرفاية دون إذن مخزني.

وبعد مرور أقل من شهرين على عودة ساتو من مهمته في فاس إلى طنجة، كافأته وزارة الخارجية البريطانية على النجاح الذي حققه في زيارته لبلاط السلطان عبد العزيز بتزويته وتعيينه مبعوثاً خاصاً ووزيراً مفوضاً بكامل التفويض لدى إمبراطور اليابان (1 يونيو 1895) وعينت مكانه في طنجة آرثور نيكولسن (A. Nicolson)، الذي لن يغادر منصبه الجديد في المغرب إلا بعد إبرام الاتفاق الودي البريطاني الفرنسي سنة 1904.

خالد بن الصغير، المغرب وبريطانيا العظمى، 1886 - 1904،

أطروحة دكتوراه الدولة، مرقونة بكلية الآداب، الرباط، 2001.

Foreign Office List for the year 1895, p. 345.

خالد بن الصغير

**ساتورنوس** معبود قديم أثار ت طبيعته المعقدة العديد من النظريات والتأويلات عند القدماء وعند المعاصرين، فقد اقترحت أصول متعددة له : سابينية، لاتينية، سيكولية، إغريقية وحتى إتروسكية.

يعتقد الباحث لوگلي أن ساتورنوس هو ثمرة لقاء معبودين متقاربين عن طريق نوع من التوفيقية المزدوجة (Syncretisme)، من جهة الإله بعل حمون البوني الذي سماه الاغريق كرونوس (Kronos) نظراً ربما للقربان الدموية التي كانت تميز طقوسهما، ومن جهة أخرى، الإله ساتورنوس، الإله الايطالي الذي تمت مطابقته أيضاً بكرونوسي أثناء هلبنة الديانة الرومانية.

وقد حصل هذا الاندماج بين ساتورنوس - كرونوس وبين بعل - كرونوس ربما فوق أرض إفريقيا غداة سنة 146 ق م، والتي تزامن استيطان روما الرسمي بهذه الأرض.

وقد تساءل لوگلي عن إمكانية تعرض هذا المعبود لما يسمى بظاهرة التأويل الروماني Interpretatio "Romana"، والتي يتم بموجبها إعفاء أسماء لاتينية للالهة المحلية، إلا أن هذه الظاهرة لا تمكننا من معرفة هل الاسم اللاتيني الذي اضفي على الإله الإغريقي - الروماني يدل فعلاً على هذا المعبود أم يختفي وراءه معبود محلي.

يجسد ساتورنوس الطموحات الدينية عند الأفارقة الذين اشتهروا بالزراعة، وقد عثر على عدة اهداءات موجهة لساتورنوس كإله يضمن الغلات ويخصب القطيع، وقد

احتل مكانة متميزة ضمن الزون الافريقي (Pantheon).

ومن بين الرموز التي تصاحب تجسّداته، نجد المنجل و"Harpe"، ويعتبر ارنوبيوس والقديس أو غسطينوس، المنجل رمزاً للاله الحامي للزراعة (Custos Ruris).

وقد عرفت عبادته نجاحاً كبيراً على عهد السفيريين، ولم يكن وراء هذا النجاح الدعاية الرسمية بل ارتباطه العميق بالفئات السبغية المحلية، ويؤكد هذا الرأي الباحث بنعبو، الذي يعتقد بأنه إذا كان الاله قد ظل إلهاً بونيا - أمازيغياً فلان أتباعه هم بونيون - أمازيغيون فرضوا عليه متطلباتهم الدينية. فماذا عن عبادته في المغرب القديم ؟

لم تفرز هذه الولاية الرومانية إلا القليل من الاهداءات المقدمة للالهة المحلية (Dieu au chef cornu, Autisva) ونفس الأمر ينطبق على ساتورنوس، إذ تبقى الشواهد الأثرية التي نشرها الباحث توفنو هي الوحيدة التي خلفتها الأبحاث الأثرية لحد الآن.

يتعلق الأمر بقطعة من قاعدة عشر عليها بوليلي وقد أعيد استعمالها في الباب الجنوبي الغربي، وهي مهداة ساتورنوس من طرف امرأة استقرائية تدعى Claudia Procula والتي قدمت تمثالاً له من الفضة. أما النقشية الثانية فهي عبارة عن مذبح الحشف بعين الشفور غير بعيد عن وليلي والذي تضمن تقدمه للاله فروجيفير المقدس (Frugifer sanctus) من طرف قائد كتبية الاثثوريين والغاليين بعد الشفاء من مرضه. ويبدو أن لقب فروجيفير يلتصق في إفريقيا تارة بساتورنوس وتارة بالاله بلوتون. ونعتقد أن الأمر يتعلق في المثالين بالاله ساتورنوس، اله السماء والخصوبة والاله الذي يمنح الخيرات بما فيها صحة الانسان. ويبقى هذان المثالان متعزلين في إطار جغرافي واسع، ومن الصعب الإجابة عن نذرة المخلفات الأثرية المتعلقة بعبادته في موريطانيا الطنجية.

وللإشارة فقد اكتشف معبد بوليلي أطلق عليه في البداية معبد ساتورنوس من طرف الباحثين بونسيك وتوفنو وأعاد دراسته الباحث Morestin، دراسة شاملة إلا أنه لا يتفق مع الباحثين المذكورين، في إسناده لساتورنوس، ويرى بأن المعبد يتعلق باله محلي أمازيغي ربما مبني محلي يمنح الخصوبة وقد بني له معبد من هذا الحجم نظراً لأهميته في المدينة.

G. Ch. Picard, *Les religions de l'Afrique antique*, Paris, 1954 ; h. Guitard, *Recherches sur saturne des origines à la réforme de 217 av.J.C.*, in *Recherches sur les religions de l'Italie antique*, Genève, 1976, p. 43 - 71 ; M. Le Glay, *Saturne africain - Histoire*, Paris, 1966 ; *Les dieux de l'Afrique romaine*, Archeologia, n° 40, mai-juin 1971, p. 67 ; H. Morestin, *Le temple "B" de Volubilis*, Paris, 1980 ; M. Ponsich, *Le temple "dit de saturne" à Volubilis*, B.A.M., 10, 1976, p. 131 - 144 ; Toutain, *Les cultes païens dans l'empire romain*, T. III, Rome, 1967 ; R. Thouvenot, *Le culte de saturne en Maurétanie Tingitane*, REA, LVI, 1954, p.150- 153.

عبد العزيز بل الفايذة

**الساحل** أو السواحل، قبيلة هيطية وسوق ومقاومة، فهذا الاسم تعرف قبيلة واقعة بتضرسات سطح الساحل الأطلسي الممتد بين أصيلا شمالاً ومصب واد اللكوس بالعرائش جنوباً. وهو ينقسم إلى شمالي تلي وجنوبي متضرس غابوي. والمعروف أن لفظ الساحل كان دالاً على نفس الجهة منذ ما قبل الاحتلال البرتغالي لأصيلا سنة 1471/876، وبه عرفت التجمعات السكانية المستقرة بشعابه. ولا يزال إسم الساحل إلى اليوم يحمله مجرى واد صغير ينحدر من سوق خميس الساحل الجديد. وتتوزع التجمعات السكانية تبعاً لطبيعة السطح إلى مجموعتين شمالية وجنوبية.

تمتد أراضي الساحل الشمالي من ضاحية أصيلا الجنوبية إلى مجرى واد النخلة المنساب من سوق الخميس الجديد، حيث يظهر مدشر بني كيسان من الساحل الجنوبي. وعلى الرغم من صغر مساحة الساحل الشمالي فإننا سجلنا خلال الربع الأخير من القرن التاسع الهجري وجود عشرين قرية ما يزال أغلبها قائماً إلى اليوم، منتشرة بين أصيلا والحدود المنتهية إلى بداية مساحة الساحل الجنوبي. وأهم تلك التجمعات تمثلها مداشر تندافل وميجلا و الأحمر والعقبة وبني مورير. ولا يظهر في التقسيم الإداري الحالي سوى فرقة واحدة متكونة من عشرة مداشر. وخلال فترة الحماية وصل عدد دور هذا القسم إلى 1204، أي ما يعادل نحو 6020 ساكن.

أما الساحل الجنوبي فقد سماه البرتغاليون بالغابة، في حين دعاه مصدر موليبيرا ساحل الكدية، إشارة إلى الكتلة المرتفعة الممتدة من مدينة لكسوس الأثرية جنوباً إلى بني كيسان شمالاً، وتألّف الساحل خلال فترة الحماية من ثلاث فرق هي : الرواض (8 مداشر) المدشر الجديد (7 مداشر) والركادة (6 مداشر). وكان عدد سكانها خلال نفس الفترة 1469 كانون. مما يوافق نحو 7345 ساكن.

وبالجملّة بين تلك التقديرات السكانية نصل إلى أن عدد دور قبيلة الساحل وصل في آخر فترة الحماية إلى 2673 وهو ما يعادل نحو 13.377 ساكن. وبالساحل الجنوبي يوجد سوق خميس الساحل.

وتعد قبيلة الساحل من الجهات التي تضررت بالغزو البرتغالي لمدينتي أصيلا وطنجة، سواء من جهة البر والبحر. ففي الوقت الذي كانت السفن البرتغالية تفرض الحراسة على طول الساحل الممتد من أصيلا إلى مصب واد اللكوس، كان نظام أصيلا الحربي يعد مساحة قبيلة الساحل الشمالي داخلة في حوز المدينة، ولذا هاجر معظم السكان إلى الجهات الجبلية الشرقية وحوز القصر الكبير، جنوب وادي المخازن، خاصة بعد سنة 1500 التي مثلت نهاية الهدنة بين الوطاسيين والبرتغاليين. وجرت العادة أن يقوم البرتغاليون على حراسة أهم مواقع القرى الخالية

بواسطة نصب الطلائع خلال النهار والانسحاب منها في آخره.

وَدَأب مجاهدو القصر الكبير من جهتهم، تحت قيادة آل عبد الحميد العروسيين، على السبق للتحصن بالمدامر المشرفة على أصيلا بقصد تنظيم الغارات على المدينة وأسر جنود الطلائع. وقد عانت مدامر الساحل الجنوبي بدورها من الغارات البرتغالية، لا سيما بني كيسان والبلاط طوال مدة الوجود البرتغالي بأصيلا إلى غاية الجلاء الأول عنها سنة 1550، مثلما تمت الإشارة إليه في هذه المعلمة.

وسوق خميس الساحل موقعان قديم وحديث. فالسوق القديم كان بالموضع المعروف حاليا لقرية الركادة، على الضفة اليمنى من مجرى مصب واد اللكوس، وذلك قبل سنة 1489 / 895. وموضعه على الضفة اليمنى من مصب واد اللكوس، (33 م). وقربه من الساحل يعطي الانطباع بدوره في التجارة البحرية والبرية معا.

وما نعرف عنه متصل بالمعركة التي خاضها محمد الشيخ الوطاسي ضد جنود جواو الثاني بعد تسرب قواته إلى قناة واد اللكوس والتوغل بها مسافة لتأسيس القلعة المعروفة في تواريخهم باسم "كراسيوسا" وفي تواريخنا باسم حصن الجزيرة. وقد عرفنا بتفاصيل الغزوة في هذه المعلمة. اختار محمد الشيخ الوطاسي موضع سوق الخميس القديم بفضل موقعه مركزا لحصار القوات المتسربة إلى الداخل ومنع الإمدادات عنها بطريقة سد قناة المصب المجاورة لسوق خميس الساحل الجنوبي بالعوارض الخشبية والسبل المثقلة بالأحجار والسلاسل الممتدة بين الضفتين.

وإذا كانت كافة المصادر متفقة على سنة غزو جزيرة لكوس، حينما حددتها بسنة 1489 / 895، فإن البعض منها ذكرت أن الغزو وقع في شهر يونيه، ليعرف نهايته بانسحاب الجيش البرتغالي يوم 21 شتنبر 1489 / 25 شوال 895. حسيما هو مبين في رسالة جواو الثاني وحوليات روي دي بينا. وإذا صدقنا محمد الكراسي فإن محمد الشيخ الوطاسي حل بمحلته بسوق الخميس في منتصف شهر غشت (شعبان رمضان)، بعد أن مضى شهران على تحصن البرتغاليين بحصن الجزيرة.

وليس لدينا أي دليل تاريخي يؤرخ لانتقال موقع سوق الخميس القديم إلى موضعه الحالي الكائن بأعلى كتلة الساحل المرتفع (185 م) المعروفة بكذبة الخميس أو مدمر الخميس، على مقربة من العرائش شمالا على الطريق المتجهة إلى أصيلا بدائرة المدمر الجديد، بين مدمشي قريمة والقايدة.

ونستمد المعلومات عن وجوده إلى ما ذكره مخبر مولييراس حوالي سنة 1309 / 1892، وأنداك كان مدمشي الخميس بمكانه، مشهوراً بمدرسته القرآنية والعلمية التي ترعاها الجماعة برواتب خاصة للمشارطين والطلبة الوافدين، حيث كان مدرس الفقه يتقاضى نحو 500 فرنك، ويصل

راتب معلم القرآن إلى 250 فرنك ويليه الإمام بنحو 75 فرنكا، ويقيض المعلم الطالب 50 فرنكا.

م. الكراسي، عروسة المسائل: الحسن الوزان، وصف إفريقيا: مارمول كاربخال، إفريقيا: أحمد بن القاضي، لقط الفرائد: محمد العربي الفاسي، مرآة المحاسن: حسن الفكيكي، مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية الغربية، معلمة المغرب، جزيرة اللكوس، بني كسان، البلاط، ضابط الأمور الوطنية الخليفة.

Berbaro Rodrigues, *Anais de Arzila, Geografia de Marruecos*; A. Moulières, *Le Maroc inconnu*, 2 t.; P. Cenival, S.I.H.M. Portugal, t.; *Expedition de los portugueses al rio de Larache y fundacion de la fortaleza de la Graciosa, Mauritania*, Enero-Junio 1941; Rui de Pina, C. de D. Joao 2; Garcia Resende, C. de D. Joao 2; Damiao de Gois, *Cronica de Rei D. Manuel*; Antonio Baiao, *Documentos do Corpo Chronologico relativos a Marruecos (1488-1514)*; Fernando de Meneses, *Historia de Tanger*.

حسن الفكيكي

### الساحلي، أحمد بن إبراهيم السلطاني العباسي،

نسبة إلى ثنية آيت عباس من سلالة بموضع يقال له بالأمازيغية "أزور أزرو" ومعناه "سطح الحجر"، وكُد في أواخر العشرينيات من القرن الثالث عشر الهجري بإيكرار، وتلقى دراسته الأولى بالساحل، كعادة أبناء بادية سوس مبتدئاً بحفظ القرآن الكريم وبعد إتمام الحفظ، شرع في حفظ بعض المتون الصغرى قبل أن يلتحق بمدرسة "أدوز" بآيت أحمد شرق مدينة تزنت، وهناك تلقى العلم على يد أحد كبار الشيوخ الأدوزيين وهو السيد العربي بن إبراهيم بن عبد الله البعقوبي (ت. 1286)، وكان هذا الشيخ ذا فكر وقاد، وعلم راسخ، واستحضر واستذكار، تولى مدرسة أجداده فعمرها أربعين سنة متواصلة.

ولم تفتقر عزيمة المترجم، ولم تقنع همته بما حصله من علم بالمدارس السوسية، وإنما قرر شد الرحال إلى الديار الفاسية فحل بالقرويين في مطالع النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م)، فوجدها طافحة بالعلم والعلماء والطلبة النجباء، فجلس إلى حلقات كبار العلماء المحققين، والمدرسين والنظار والأصوليين المدققين، من أمثال: محمد ابن الطالب ابن الحاج (ت. 1274)، وأحمد بونافع الفاسي (ت. 1260)، والفقيه ابن رحمون (ت. 1263)، والفقيه عبد الرحمن الشدادي (ت. 1268)، وغيرهم من كبار علماء القرويين.

عاد المترجم إلى مسقط رأسه فبقيا عالما بيانيا منطقيا أصوليا نوازليا، ليتبوا بهذا التكوين مكانة مرموقة جعلت المختار السوسي يصفه بياقوتة علماء أسرته بل بياقوتة العلماء كلهم بسوس، فتزوج قبل سنة 1260 وصار عالم زاويتهم المحترمة، وملاً بعلمه وسيرته المحسنة المجهة حتى لا يكاد يعلى عليه، ودخل مع زمرة من كبار علماء وقته في حلبة التعاطي للإفتاء في النوازل، وفض المنازعات، فكانت

(251) مقابل باب الكحل الذي "كان منه دخول الموحدين"  
(ورقات، 304).

**السادة** (باب -) براكش، يقع في الواجهة الغربية من سور حومة الصالحة التي شرع الخليفة الموحد المنصور في تشييدها عام 580 / 1184 م (الاستبصار، 210 : البيان، ق. م. 174) ولا يوجد حالياً في الواجهة المشار إليها. باب يحمل هذا الاسم. والباب الوحيد القديم الموجود بها يحمل اسم باب القصية. والإمكانات المرجعية المتداولة تسمح بقبول موقعه كمكان لباب السادة، لكنها غير كافية في غياب البحث الأثري لجعله باب السادة بالذات.

ساهم موقع باب السادة في خريطة المدينة في قيامه بجملة من الوظائف لصالح المخزن الموحد وحاشيته، منها أنه بوابة من بوابات خروجه إلى الجبل، وباب للتواصل مع المدينة المرابطية، ومنه خروجه إلى المصلى (البيان، ق. م. 320. 322)، وخارجه جبانة الشيوخ وفيها : مقابر أكابره وجنائز الأعيان في نهاية المياني والغراس (ورقات، 303).

يتلخص ما سجلته المصادر المتداولة من أحداث لها علاقة بباب السادة في أخبار ثلاثة : فمنه خرج العالم النحوي أبو موسى الجزولي، رفقة نقيب طلبة العلم عند الموحدين أبي القاسم المالقي، بعد لقائه بالخليفة المنصور (الذيل والتكملة، 8 : 1. 250 - 251) وعبره أخير أهل مراكش بولاية الرشيد الخلافة عام 630 / 1233 في وقت كانوا فيه ضد منافسه عليها إدريس المامون (البيان، ق. م. 300). وأمامه أفير المامون في حفير كبير الناكثين عليه من الموحدين ومن الهنتاتيين والتنلميين عام 626 / 1229 (البيان، ق. م. 285).

مجهول، كتاب الاستبصار، تج. سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، 1985 : ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، تج. ع. الهادي التازي، بيروت، 1987 : ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الثامن، الجزء الأول، تج. م. بنشريف، الرباط، 1984 : ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، تج. م. إبراهيم الكنتاني، م. زنيير م. بنتاويت ع. القادر زمامة، الدار البيضاء، 1985 : م. المنوني، ورقات عن الحضارة المغربية في عهد بني مرين، الرباط.

محمد رابطة الدين

**سَارَكَنَة** سمك بحري من الأسماك العظيمة ومن فصيلة بوماتوميدي Pomatomidae. اسمه العلمي السابق Pomatomus saltatrix وتسمى حالياً Temnodon saltator (L. 1766) ؛ يدعى في جنوب المغرب وفي موريتانيا وباللغوية أشكد وبالفرنسية Tassergal وBar marocain وبالإنجليزية Bluefish وبالأسبانية anchova de banco وAnjova وlorcho وsirvia. سركانة هو اسمه الشائع في الأسواق السمكية المغربية، في المعاجم قنبر.

بينهم صولات وجولات، تجاذبوا فيها أئنة البحث والنقاش والأخذ والرد، والإبرام والنقض.

وللمترجم ولع خاص بنسخ الكتب، إذ كان يوزع وقته في اليرم بين الكتابة والأحكام، يخصص للنسخ النصف الأول من اليوم، وأما النصف الثاني فيخرج فيه إلى الناس للفصل بينهم في النوازل، فيقدم له الضوء، فيصلي بهم ثم يشرع في الأحكام، ومنهجه في ذلك أنه لا يطيل في الأخذ والرد، وإنما يستمع للطرفين ويصدر الحكم ليسمعه الجميع، حتى صارت هناك بعض الأحكام، لإيجازها واختصارها ووضوحها، محفوظة لدى العوام.

تعتبر الخزانة الساحلية السملالية من أشهر الخزائن السوسية الطافحة بالمخطوطات النادرة. وقد حظي المترجم بمكانة مرموقة عند أولي الأمر، فكان من بين كبار العلماء الذين كلفهم السلطان محمد الرابع بتعبئة المجاهدين واستنفارهم للدفاع عن مدينة تطوان التي دهمها الإسبان سنة 1276 (انظر رسالة موجهة في ذلك إلى أعيان علماء سوس، المعسول، 6 : 266. 267).

كما حظي بالتوقير والاحترام من لدن السلطان الحسن الأول، وكان معه وفي ركبته لما أتى في رحلته الثانية إلى سوس، فصار معه إلى وادي نون ثم رجع الموكب السلطاني إلى تزنييت، فبات المترجم في القبة المخصصة لأمثاله من الوجهاء بعد أن صلى العشاء والتراويح، فنام نوما كان فيه موته. وذلك في رمضان عام 1303 / يونيو 1886، ودفن بمقبرتهم في تالمسيت عند ضريح يدعى سيدي أحمد أو أحمد.

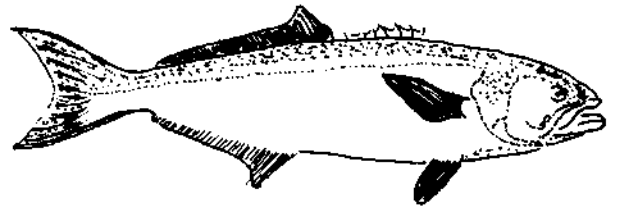
وقد ترك المترجم مجموعة من الفتاوى في نوازل مختلفة تنم عن جدارته العلمية وتمكنه، وانطباق كل ما وصف به عليه، وهذه الفتاوى منها ما هو منشور في المجموعة الفقهية الإلغية للمختار السوسي، والمدارس العلمية بسوس للأستاذ عمر الساحلي، وفقه النوازل في سوس للحسن العبادي، ومنها ما يزال مخطوطاً متناثراً بين ثنابا الأسفار التي تقاسمها الورثة.

أ. الساحلي نفسه، النوازل، مخطوطة ؛ إدريس الساحلي، روايات شعرية، م. المختار السوسي، المعسول، المحمدية، ج. 6.

إبراهيم الوافي

**السادة** (مصطلح موحد) مفردة السيد، وهو لقب مخزني موحد كان حكراً على أبناء الخلفاء من بني عبد المومن. وفيه مراتب منها : السيد والسيد الأعلى (المن بالامامة، 119 - 170)، تشير تسمية باب السادة براكش إلى إحدى مميزاته التي انفرد بها، وهو أنه كان مخصوصاً ببني عبد المومن إليه ينتهون على خيلهم، وعليه سلسلة أمامها ينزلون" (ورقات، 303) فهو أحد أبواب القصر المفضية إلى ظاهره وخارج مراكش (الذيل والتكملة، 8 : 1.

يعيش نوع واحد من الفصيلة في المياه المغربية وهو سمك بحري سطحي كبير القامة، ظهره رمادي مخضر والجانبان والبطن فضية لامعة، زعانفه الظهرية والشرجية والذيلية خضراء شاحبة مصفرة، تتميز صفاره ببقعة زرقاء واضحة جدا على قاعدة الصدريتين وتكاد تختفي عند الكبار. طوله الأقصى 120 سم وشائع بين 30 . 60 سم ويتراوح وزنه بين 2.5-8 كغم ويبلغ أحيانا 15 كغم. يألف المياه المعتدلة والمرتفعة الحرارة ويقتصر توزيعه الجغرافي على السواحل الأطلسية الشرقية الممتدة من خليج قادس إلى إفريقيا الجنوبية والسواحل الأطلسية الغربية وحوض البحر المتوسط والمحيط الهندي.



جسمه ممدد ومضغوط جانبيا، رأسه ضخيم وقوي واجهته الظهرية مقنطرة. الفم نهاية للجسم، الفك السفلي بارز؛ الأسنان حادة ومضغوظة مرتبة على صف واحد بالفكين وعلى القوس الفوهي. يحمل الظهر زعنفتين، الأولى قصيرة ومنحدرة، تتكون من 7 أشواك ضعيفة ومرتبطة بغشاء، الثانية طويلة، تتكون من شوكة و23 . 28 شعاعا لينا؛ الصدرتان قصيرتان لاتبلغان إلى مصدر الظهرية الرخرة؛ الشرجية أقصر بقليل من الظهرية الهشة وتتكون من شوكتين و23 . 27 شعاعا لينا. الذيلية متشعبة قليلا. الحراشف صغيرة، تغطي الرأس والجسم وقاعدة الزعانف؛ الخط الجانبي مستقيم تقريبا.

سمك قوي وسريع السباحة، نهاري النشاط بالخصوص. يعيش الكبار منعزلين أو في مجموعات قليلة الأفراد فوق الهضبة القارية وفي أعماق تنحصر بين 10 . 200 م. يقترب كثيراً من السواحل المغربية في فصل الصيف ويتوالد في الربيع والصيف. يبقى البيض سابحا في الكتلات المائية السطحية.

يتكون غذاؤه من الرخويات والقشريات والأسماك الصغيرة وتصيد الصغار وسط مجموعات وتفترس غالبا أنواع البوري والسردين والإسقمري والشرن والشابل والبيئيت وغيرها من الأسماك السطحية كما أنها تخلف خسائر كبيرة في الثروات السمكية إذ تفتك بعده كبير من الأفراد يفوق حاجيات أكلها.

صيده في المغرب شبه صناعي وتقليدي ورياضي. ومن أهم معدات الصيد المستعملة في صيده: الشباك الحلقية الساحلية، الشباك المزودة بالإنارة، الشباك المستقيمة العميقة والساحلية، شباك الجر العميقة، الصانير اليدوية والمجرورة وشباك الحواجز. وجوده موسمي أو عن طريق الصدفة في الأسواق السمكية المغربية. يستهلك طريا ومبردا ومجمدا وتستعمل منه كمية كبيرة في صناعة التصبير (Conserve) يكثر الإقبال عليها من قبل المستهلكين للأسماك المعلبة.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988؛ المجلد أمين، معجم الحيوان، القاهرة، 1932؛ المنظمة العالمية للتغذية، دليل تعريف الموارد البحرية الحية في المغرب، روما، 1998.

محمد رمضان

**ساسى**، أسرة سلوية عريقة، أنجبت فقهاء وحرفيين ماهرين ورياساً في البحر. وقد أورد ابن زيدان في الإتحاف (3: 353) نص ظهير للسلطان محمد بن عبد الله بتوقيع أولاد ساسى السلويين وإسدال أردية الاحترام عليهم مؤرخ في ثاني شعبان عام 1172. وذكر المؤلف من بين نظار هذا السلطان بسلا العربي ساسى المتوفى في نفس السنة (1172 / 58 . 1759) وابن أخيه محمد بن محمد ساسى الذي وكى بعده نظارة أوقاف المسجد الأعظم، وأثبت أيضاً نص وثيقة شرائه الموطأ للمسجد من الفقيه الطاهر بن علي ابن عبد السلام، تاريخها ثاني عشر جمادى الثانية عام 1274.

واشتهر الساسيون السلويون في القرن الثالث عشر (19 م) كرياض وصناع ماهرين في إصلاح السفن، منهم مصطفى ساسى الذي كان في أواخر هذا القرن بحرياً وفي نفس الوقت صانعاً يصلح القوارب بمختلف المراسي. والحسن ابن محمد ساسى الذي كان بحرياً، ومولعاً بجمع الوثائق والصور التاريخية؛ ومحمد بن الحسن ساسى الذي ورث عن والده مجموعة الوثائق والصور، وأضاف إليها تحفاً متنوعة خاصة أنواعاً من الساعات الحائطية (المجانبات) التي تستهوى المهتمين بمثل هذه الذخائر الفنية فيترددون على بيته يحي باب حساين، ومن بينهم فرنسيون في أوائل عهد الحماية.

ع. ابن زيدان، الإتحاف، ط 2، الرباط، 1990، ج 3، 355 . 356 م. بوشعرا، دليل الإتحاف الرجيز، ط 2، الرباط، 1996، ص 262 . 263؛ م. بن الحسن ساسى، تصيد، مخطوط، خ. ص؛ رواية شقوية عن الحاج عبد الله الطنجي.

ابن ساسى، عهد الله اليوسعي، صوفي كبير أخذ عن الشيخين عبد الله الغزواني وعلي بن إبراهيم

البوزيدي. وأكثرُ أخذَه عن الغزواني وإليه ينسب. قال عنه العربي الفاسي في المرآة : "كان من أكابر المشايخ الأعيان، وجلة المشاهير من أهل هذا الشأن".

أسره البرتغاليون بمدينة أزموور لما احتلوا وافتكته المسلمون فخرج منها حاملاً على رأسه قفة مملوءة بالكتب العربية أعطته إياها أسرته النصرانية. وكان ابن ساسي - كسائر شيوخ الشاذلية الجزوليين في عصره - منصرفاً إلى الجهاد وتربية المريدين وتهذيب أخلاقهم وسلوكهم.

توفي ليلة الجمعة 26 شعبان عام 961 / 26 يوليوز 1554 ودفن بزوايته على ضفة واد تنسيفت بمقرية من مراكش. وقبره مزارة شهيرة.

م. ابن عسكرو، دوحه، تج. م. حجي، الرباط، 1976؛ م. العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ط. حجر فاس، 1324 هـ؛ ع. الرحمن الفاسي، أزاهر البستان، مخطوط؛ م. الحضيكي، طبقات الحضيكي، تج. أبو مزكو، د. د. ع. مرقون بكلية الآداب، الرباط؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1977، ج. 8.

محمد حجي

الاستعماريين فرنسا وإسبانيا، وآخرها كان سنة 1912. تقع بين خطي عرض 26 و27، 40. وتبلغ مساحتها حوالي 82000 كلم<sup>2</sup>. وقد تغيرت هذه الحدود حسب التقسيمات الإدارية اللاحقة منذ عودة الإقليم إلى حظيرة الوطن سنة 1975.

تعدى صيت اسم الساقية الحمراء حدود المناطق المجاورة لينتشر في أرجاء شمال إفريقيا حتى تونس. فقد أشار دولاشبيل في الثلاثينيات من القرن العشرين إلى هذا الحضور القوي في ذاكرة سكان المغرب والجزائر للساقية الحمراء كأصل لأولياء تملأ أضرحتهم هذا المجال (P. de La Chapelle, F. p. 47 ; Dakhli, J., 183). كما كتبت جوسلين دخيلة في دراستها لمنطقة الجريد بتونس : "تعتبر الروايات الشفوية الساقية الحمراء كمكان لإعادة بناء حقيقية للإسلام". وقد لاحظنا بأنفسنا هذا الحضور للساقية الحمراء في ذاكرة العديد من المغاربة من تونس والجزائر الذين ما أن تذكر لهم اسم هذه المنطقة حتى يقاطعوك بحماس إن أصولهم من الساقية الحمراء حسياً تناقلته الرواية الشفوية المحلية لديهم، فأغلب هؤلاء ينتمون لعائلات متدينة.

ولمّا رجع أبو بكر بن عمر اللمتوني إلى الصحراء بعد أن ترك يوسف ابن تاشفين في أغنات، صحب معه جيشاً وبعض الفقهاء" فلما وصل الجيش إلى جبل الأحاديث ولاماء معه ضرب الولي عبد الرحمان - حسب الرواية الشفوية - موضع حافر فرسه بقوسه فتفجر الماء من ذلك الموضع وسمي الركاز، وهو الذي يشكل منبع الساقية الحمراء، ويذكر الطالب اخبار ابن الشيخ ماء العينين أن الأهالي كانوا يعتقدون أنه دفن في الساقية الحمراء ثلاثة أبناء ناهيك عن العدد الكبير من أولياء الله الصالحين الذين مازالت أضرحتهم تزار (Tâlib al-Hiyâr) إلى هذه الروايات المحلية الخصب تضاف تحاليل بعض الباحثين مثل ما قام به جاك بيري الذي اعتبر في إطار تحليله لظاهرة القداسة وانتشار الحركات الصوفية والطرقية في شمال إفريقيا أن الساقية الحمراء مصدر هذه الظاهرة، ويؤرخ لبداية أسطورة الساقية الحمراء بأواسط القرن الخامس (11م) والنصف الثاني من القرن السادس (12 م). فهو يعتبر أن المد الصوفي والطريقي بمثابة رد فعل القبائل المحلية ضد البدو الهلاليين القادمين من الشرق. فالساقية الحمراء كانت أقصى منطقة في المغرب وصلها الإسلام - في نظره - (Berque, J., p. 54).

لم يتوقف البعد الديني عند هذه الحقبة التاريخية. فالساقية الحمراء ظلت نواة القداسة بكل تجلياتها. فالعديد من القبائل الزوايا تعتبر الساقية الحمراء موطنها الأصلي وانطلاقاً أجدادها المؤسسين مثل تشمشة الموجودة حالياً بغرب موريتانيا وكننة المنتشرين عبر غرب الصحراء وأهل الطالب مختار دون أن ننسى الروايات التأسيسية لكل من

**ساعي، محمود،** مقاوم من مواليد سنة 1935

بگلميم انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 كسائق بمركز القيادة العليا بگولمين تحت قيادة محمد البيضاوي وقد كان من الأعضاء النشيطة في صفوف جيش التحرير حيث شارك إخوانه المجاهدين في جميع المعارك التي حاضنها وحدات الجيش بوادي الصفاء وأم العشار ومرگالة، وكذا معارك أيت باعمران.

توفي في 9 ذي الحجة عام 1415 / 9 ماي 1995.

المدوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 514486.

**الساقية الحمراء** منطقة بالصحراء المغربية تستمد

اسمها من واد ينبع من زمور ويتجه من الشرق نحو الغرب الشمالي ليصب في المحيط الأطلسي. هذا الوادي جاف في معظم السنة نظراً لقللة الأمطار، ولكن هذا لم يمنع من وجود آبار كثيرة ومراع خصبة، كما تعرف ضفاف الوادي زراعة حبوب ولو بشكل ضعيف وهو ما جعل منه منطقة استقطاب بالنسبة للرحل. وفي الذاكرة المحلية : كانت الساقية الحمراء في عهود سابقة مكاناً خصياً وكانت تسمى بالساقية الخضراء (Tâlib al-Hiyâr, p. 74).

أما عن موقع المنطقة فهي تقع في الجزء الشمالي من الصحراء، وكتب أحمد الأمين الشنقيطي في "باب الكلام على الساقية الحمراء" : " أنها أرض مشهورة، وهي آخر شنقيط من جهة واد نون، وتبعد عن شنقيط عشرين يوماً بالسير الحثيث"، (الوسيط، ص. 438). فمنطقة الساقية الحمراء كما حددتها الاتفاقيات الموقعة بين القوتين

العروسيين والرقيبات. فالروايات عن حشيات وصول كل من سيدي أحمد العروسي وسيدي أحمد الرقبيني إلى الساقية الحمراء تنتمي كلها إلى حقل الولاية والقداسة. ثم إن استقرار الشيخ ماء العينين في المنطقة قادما من الحوض وتأسيسه لمدينة اسمارة سنة 1315 / 1898 كرس بدوره هذا البعد الديني والروحي. (Boubrik, R., p. 143 et Caro Baroja, J.)

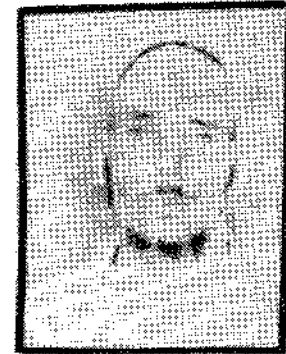
كانت اسمارة أول تجمع حضري نجح في استقطاب البدو الرحل من الباحثين عن العلم وبركة الشيخ أو الذين يقيمون في ضواحيها مرحليا قبل أن تصبح قاعدة المقاومة وقبلة لوفود القبائل البيضانية المجاهدة ضد الاستعمار الفرنسي. وفي إشارة لدار الشيخ ماء العينين كتب أحمد الأمين الشنقيطي: "وكانت الساقية الحمراء خالية لا أنيس بها لشدة الخوف، ولقحولتها دائما، حتى عمرها الشيخ ماء العينين، وبني فيها الدور، وغرس النخل فسهلت المواصلات بين شنقيط وغيرها من المواضع المغربية، أعني التابعة للمخزن (الوسيط، ص. 439).

أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أديبا، شنقيط، القاهرة، 1989؛ سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، رسالة الروض في أنساب أهل الحوض، مخطوط.

J. Berque, *L'intérieur du Maghreb*, Paris, 1978 ; R. Boubrik, *Saints et société en Islam. Une confrérie Ouest Saharienne la Fâdiliyya*, Paris, 1999 ; J. Caro Baroja, *Un santón Sahariano y su familia, Estudios Saharianos*, Instituto de Estudios Africanos, 1955, pp. 285 - 335 ; J. Dakhlia, *L'oubli de la cité*. Edition la découverte, Paris, 1990 ; F. De la Chappelle, *Esquisse d'une histoire du Sahara occidental*, Hesp., vol. XI, 1930 ; Tâlib al-Hiyâr [At-Tâlib Akhyâr], *Voyage dans le Rio de Oro et dans l'Anti Atlas marocain effectué par l'ainé des fils de Mâ al-Aynayn / Cheikh Thaleb al Kiar*, *Revue Militaire de l'Afrique Occidentale Française*, 15 octobre 1934.

رحال بويريك

**السالك بن الحاج بن بآ الحسن**، مقاوم ولد سنة 1929 بزني، قبيلة يكوت، فرقة آيت أبورك إقليم طانطان.



انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 وعمل بالمقاطعة الأولى بمركز الساقية الحمراء. تحت مسؤولية السيد علي المسوي وبقي يعمل بكل نزاهة وتفان، وكان مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله نشيطا في عمله متحمسا معروفا بغيرته الوطنية.

شارك مشاركة فعالة في معركة تكل الكبرى واستشهد بها رحمه الله سنة 1375 / 1956.

المنودية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 504607.

**السالك بن عبيدي بن لحبيب**، مقاوم من مواليد سنة 1934 بإشبكية إقليم طانطان.

دفعته غيرته الوطنية إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 بالمقاطعة التاسعة فرقة تفودارت تحت قيادة صالح بن عسو وقد كان مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله نشيطا في عمله متحمسا في إيمانه معروفا بتضحيته وإخلاصه.

شارك في عدة معارك بالصحراء المغربية إلى أن استشهد بمعركة الدشيرة أوائل سنة 1377 / أواخر 1957 وهي المعركة التي أقدمت فيها القوات الفرنسية والإسبانية على عملية التمشيط "ايكوفيون" ضد فيالق جيش التحرير الباسلة بالصحراء، والتي حققت انتصارات باهرة.

المنودية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 503624.

**ابن سالم**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Çalim - Çelim - Silim - Zilim، وما زالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Salem.

بني سالم علال بن عبد القادر بن محمد إليه تنسب شجرة الزيتون الواقعة بالقرب من قنطرة أبي صفيحة بقبيلة وادراس والتي وقعت تحت ظلالتها اتفاقية الصلح المبرمة بين الأمير مولاي العباس العلوي والجنرال الإسباني اودونيل يوم 3 رمضان 1276 / 25 مارس 1860 بعد حرب تطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطوان 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 339.

Gines Peregrin, *Recuedos de la guerra de Africa*, p. 44, 1943.

**ابن سالم**، محمد قائد شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان عبد الملك المعتصم، وقال عنه الفشتالي في *مناهل الصفا* إنه عُيِّن من طرف السلطان أحمد المنصور الذهبي صاحب الشرطة بمدينة فاس.



أبي سالم والاهتمام بدعوته فاضطر إلى مغادرة مازيغن في اتجاه أصيلا ليجد هناك تأييداً كبيراً بين قبائل غمارة. ويفضل تكتل هذه القبائل وراء دعوة أبي سالم انطلقت حركة هذا الأخير في اتجاه مدينة فاس وتمكن خلال ذلك من استقطاب قبائل أخرى والاستيلاء على مدينة أصيلا كما انضمت إلى دعوته مدن أخرى كطنجة وسبتة وجبل الفتح. وحتى يعطي الانطباع لمؤيديه ومعارضيه على السواء بأن المناطق الشمالية أصبحت خاضعة له وبأنه الأحق من غيره بالحكم، انشأ حكومة مصغرة استوزر فيها الحسن بن يوسف واستكتب لعلامته أبا الحسن علي بن السعود واختص الشريف أبا القاسم التلمساني بالمجالسة والمواكبة. وقد دفعت هذه التحولات الوزير المستبد بفاس الحسن بن عمر إلى إدراك مدى خطورة حركة أبي سالم وأن إمكانية السيطرة على الوضع أصبحت مستحيلة، كما أن تشبهه بالسلطان الطفل أبي بكر السعيد لن يحول دون استمرار زحف الأمير النائر، ولذلك اضطر إلى فتح قنوات الاتصال مع أبي سالم وتأييد دعوته ووعده بمبايعته وعزمه على خلع سلطانه السعيد.

لم يعد لأبي سالم أي منافس قوي يمكن أن يقف دون تحقيق أهدافه السياسية، فحتى المعارض الآخر الأمير منصور بن سليمان انفض الناس من حوله وتخلي عنه مؤيدوه ونزعوا إلى أبي سالم ودخلوا في طاعته، وعندما خلا له الجو وانعدم المنافسون أسرع بجنوده نحو مدينة فاس التي استقبله بها الوزير الفودودي وبايعه بعد أن خلع سلطانه أبا بكر لتسعة أشهر من ولايته وأسلمه إلى عمه أسيراً، ودخل أبو سالم البلد الجديد يوم الجمعة منتصف شعبان من سنة 760 / 12 يوليوز 1359 واستولى على ملك المغرب وهو في عتفوان شبابه لم يتجاوز بعد سن السادسة والعشرين. دشن السلطان أبو سالم حكمه بنهج سياسة متشددة تجاه خصومه ومعارضيه، فبادر بإبعاد الوزير الحسن بن عمر إلى مراكش وتعيينه والياً عليها ثم قتله بعد ذلك، كما سعى جاهداً إلى مطاردة ما تبقى من مناقسيه الأمراء مثل منصور بن سليمان الذي تم القبض عليه ببادس واقتيد إلى فاس مع ولده علي وأعدما معا آخر شهر شعبان من سنة 760 / 27 يوليوز 1359. ولكي لا يترك أية فرصة لأي منافس محتمل لم يتورع في قتل حتى القاصرين من الأمراء كما فعل مع الأمير محمد بن أبي يفلوسن ابن أخته تاحضريت الذي قتله وهو في حجرها. وفي نفس الاتجاه جمع الأبناء والقراية من ولد أبيه وعمه وهم حوالي عشرين أميراً من بينهم السلطان المخلوع أبو بكر السعيد ونفاهم إلى رندة بالأندلس تحت حراسة مشددة غير إن اثنين من هؤلاء أفلتا من الحجز ولحقا بأعمامهما بغرناطة وهما عبد الرحمن بن علي أبي يفلوسن ومحمد بن أبي عبد الرحمن ثم توجهوا بعد ذلك إلى إشبيلية واستقروا بها تحت حماية ملكها بيدرو الأول، أما

أبو سالم المريني، إبراهيم بن أبي الحسن علي بن أبي سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني. تولى حكم دولة بني مرين في فترة حرجة انسمت بالاضطرابات السياسية نتيجة الصراع على الحكم بين الأمراء وذلك مباشرة بعد وفاة السلطان أبي عنان سنة 1358/759. وكان أبو سالم هذا قد نفي في عهد أخيه السلطان أبي عنان إلى غرناطة مع بعض إخوته حيث استقر الجميع هناك تحت مراقبة أبي الهجاج يوسف بن الأحمر وذلك تفادياً لحوجهم عليه وانقواء قردهم عليه. وبعد ما تمكن أبو عنان من زمام الأمور في المغرب حاول إعادة أخيه إلى المغرب ليكون تحت نظره إلا أن صاحب غرناطة رفض دعوة أبي عنان مخافة استعمال هذا الأخير لأبي سالم ضده. وعند وفاة أبي عنان طغت من جديد مشكلة الخلافة خاصة وأن أغلب أولاده كانوا قاصرين مما شجع وزيره وقاتله الحسن بن عمر الفودودي على الاستبداد بالسلطة وتعيين أحد الأطفال من أولاد أبي عنان وهو الأمير السعيد بالله أبو بكر، سلطاناً على البلاد. وقد ساهم هذا الحدث في بروز معارضة قوية للوزير ولسياسته الاستبدادية تزعمها بعض أمراء بني مرين كمنصور بن سليمان، وتمكن بعض هؤلاء من مراسلة الأمير أبي سالم ودعوته إلى المغرب.

اعتبر أبو سالم المنفي بغرناطة أحد أبرز المرشحين في الصراع حول الحكم، وبدأ حملته بالاتصال بالمهاجج رضوان مدير دولة ابن الأحمر وطلب منه مساعدته في مسعاه. وبعد رفض المهاجج تمكن أبو سالم من الفرار ليلاً واللجوء إلى إشبيلية عند ملك قشتالة بيدرو الأول المعروف ببيدرو القاسي Pedro El Cruel وأطلعه على رسالة استدعائه من المغرب وطلب منه مساعدته في الجواز إلى بلاده. لم يضع صاحب قشتالة هذه المناسبة بل اعتبرها فرصة ذهبية للتدخل من جديد في شؤون المغرب وتأجيج الصراع بين أمراء بني مرين أعدائه، لذلك وافق على مساعدته وجهز له أسطولاً حربياً مقابل شروط.

تركز الأخبار في رحلة عودة أبي سالم إلى المغرب على الطابع البطولي الذي طبع محاولاته لحشد المساندين والمؤيدين لحركته، فحط في أول الأمر بمنطقة مازيغن من أحواز أزموور حيث أقام مدة يدعو لنفسه، إلا أن انشغال الناس هناك بتطورات الصراع بين السلطان أبي بكر السعيد والغالب على أمره وزيره الحسن بن عمر من جهة والأمير النائر منصور بن سليمان المدعوم من صاحب تلمسان من جهة أخرى، ساهم إلى حد كبير في عدم الاصغاء لتطلعات

الباقون فقد أغرقوا في عرض البحر على يد قائد الأسطول المريني أبي القاسم بن أبي بكر بن بنج بإيعاز من السلطان أبي سالم نفسه وذلك عندما كانوا متوجهين إلى المشرق. وبالرغم من هذه الصورة القاتمة عن شخصية أبي سالم فإن بعض المؤرخين كلسان الدين بن الخطيب المقرب جدا من السلطان ذكر ما يخالف ذلك ووصف خادمه بأنه "كان بقية البيت وآخر القوم دماثة وحياء، ويُعداً عن الشر وركونا للعاقبة" (الإحاطة، 1 : 310). وبالموازاة مع هذه السياسة اهتم أبو سالم بتقوية حاشيته وإسناد أمور الدولة إلى مقربيه ومساندي حركته. وهكذا استوزر مسعود بن رحو بن ماساي والحسن بن يوسف الورتاجني. وولى الحجابة لأحد خواص أبيه الفقيه والخطيب أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق وجعل للمؤرخ الكبير عبد الرحمن بن خلدون التوقيع وكتابة السر. ولتدعيم موقعه السياسي في مواجهة المعارضين والخصوم تابع أبو سالم سياسة أسلافه الهادفة إلى الاهتمام بالفعاليات الاجتماعية والفكرية التي كان لها تأثير واضح على العلاقة بين السلطان والمجتمع، ومن ذلك اعتناؤه الكبير بالشرف والأشراف فمنحهم الامتيازات والإكرامات ونفى جرايتهم وأجرى لهم الأرزاق تقرباً منهم ووعياً منه بأهمية دورهم المعنوي في تلميح صورته وإضفاء الشرعية على حكمه. وفي نفس الاتجاه اهتم كذلك بتنشيط المجالسة العلمية واستطاع أن يجمع حوله كبار علماء عصره وخيرة مثقفيه من أمثال ابن الخطيب وابن مرزوق وابن خلدون وابن رضوان وابن الأحمر الذين طبعوا بقرعة مسار الثقافة المغربية بإبداعاتهم الأدبية والتاريخية. ويكفي أن نشير هنا إلى أن كثيراً من هذه الإبداعات ألفت باسم هذا السلطان ويطلب منه ومن ذلك :

كتاب الشهب اللامعة في السياسة النافعة لابن رضوان وعمل من طب لئن حب وهو كتاب ضخم في الطب لابن الخطيب، وكتاب رقم الحلل في نظم الدول لابن الخطيب أيضاً، ثم رسائل وأشعار كثيرة نظمت في شخص أبي سالم وأعماله. أما على المستوى الخارجي فقد حاول أبو سالم التكيف مع الظرفية السياسية التي كانت تحيط بالمغرب والتعامل معها بنوع من الحيطة والحذر من خلال تنشيط علاقاته بالدول المجاورة وتجنيب بلاده المواجهات العسكرية مع أي طرف منها.

فعلى الواجهة الأندلسية لعب أبو سالم على التناقضات السياسية الداخلية المتفاقمة بين أمراء غرناطة حيث استقبل بحفاوة الأمير المخلوع الغني بالله محمد بن يوسف بن الأحمر واستضافه ثلاث سنوات من سنة 760 / 1359 إلى سنة 763 / 1362 مستعملاً إياه كورقة ضغط في نزاعه مع بني الأحمر. ونظراً لدور ملك قشالة بيدرو الأول في مساعدة أبي سالم في الاستيلاء على عرش المغرب، حاول هذا الأخير عدم الدخول في أي نزاع سياسي أو مواجهة عسكرية مع قشتالة أو حتى مع منافستها أراغون،

وتوضح بعض الوثائق الدبلوماسية المتوفرة حتى الآن أن العلاقات بين المغرب والممالك المسيحية الإسبانية كانت على العموم هادئة ولم تشهها توترات أو نزاعات يمكن أن تؤدي إلى اصطدام عسكري بين الطرفين خاصة بعد أن رفع المغرب يده منذ زمن عن الأندلس ولم يعد يتدخل في مشاكلها. كما نشطت البعثات والسفارات الدبلوماسية وأكدت على ضرورة التقيد بما يتم الاتفاق عليه من شروط المهادنة والسلم.

أما في الجبهة الشرقية فقد شهدت العلاقات بين تلمسان وفاس منذ البداية نوعاً من التوتر نتيجة استفزازات بني عبد الواد المتكررة ضد المغرب الشيء الذي جرّ أباً سالم إلى القيام بغزو تلمسان في منتصف سنة 1360/761 ودفع أميرها أبي حمو بن يوسف الزباني إلى الكف عن التدخل في شؤون المغرب. وبعد ذلك اضطر الطرفان إلى عقد معاهدة سلم بينهما. وقد ساهم هذا المعطى الجديد في تهدئة منطقة إفريقية وسمح لأبي سالم بإعادة كل من الأميرين اللاجئين بالمغرب إلى ملكهما، الأمير أبو العباس إلى قسنطينة والأمير أبو عبد الله إلى بجاية.

وفي إطار العلاقات بين المغرب وبلاد السودان فقد أشارت المصادر إلى أهميتها وتميزها، وتوقفت كثيراً عند طابعها السلمي وتبادل الهدايا بين الطرفين خاصة تلك الهدية الثمينة التي بعثها ملك مالي ماري جاطة إلى أبي سالم سنة 762 / 1361 والتي أثارت إعجاب المؤرخين بما تحتويه من تحف ونوادير على رأسها حيوان الزرافة الذي لم يشهد له المغاربة حتى ذلك الوقت مثيلاً وأججت قريحة الشعراء فنظموا فيها قصائد مشهورة.

عرف عن أبي سالم ميله الشديد إلى علم القضاء بالأحكام النجومية واشتغاله بالآلة الاسطرلاب تحت تأثير ونظر أستاذه وطبيب قصره أبي الحسن المراكشي المشهور بإجادته لعلوم التنجيم. ولعل انصراف السلطان الشاب إلى الاهتمام بهذا العلم واشغاله به وقلة خبرته وتجربته في الحكم ودساتره جعلته يهمل أمور السياسة ويترك شؤون دولته لحاشيته خاصة لحاجبه ابن مرزوق الذي أصبح مستبداً بالسلطة متمكناً من هوى السلطان، فجلب ذلك عليه عداوة كبار الدولة واستاءوا من حظوته لدى السلطان وتصيير زمام الدولة إليه. وكان من أبرز الساخطين على هذا الوضع الوزير عمر بن عبد الله بن علي بن سعيد الياباني الذي انقلب على سلطانه أبي سالم واستولى على دار الملك بمساعدة حليفه غرسيه بن أنطون غرسيه قائد الميليشيا المسيحية الإسبانية في شهر ذي القعدة من عام 762 / سبتمبر - أكتوبر 1361. وقد دعا الشوار لأخ السلطان أبو عمر تاشفين بن أبي الحسن المعتوه وابعوا له وخلعوا عليه مكان أبي سالم، فاندلعت بذلك الفتنة وعمت الفوضى مدينة فاس وكثر فيها النهب والقتل، وازدادت عزلة السلطان المخلوع وفشلت كل محاولاته في استعادة ملكه

خاصة بعد فرار الناس من حوله وتخلي المؤيدين والمقربين عن نصرته. فتربص المتمردون به وتمكنوا من اعتقاله بضواحي فاس، وذبحه أحد جند النصارى بإيعاز من الوزير المتمرد وذلك يوم الخميس 21 من ذي القعدة سنة 762 / 22 شتنبر 1361 ومثل برأس السلطان ودفنت جثته بعد ذلك بالقلعة خارج باب الجيسة بأعلى جبل العرض المعروف بجبل الزعفران.

ملعبة الكفيف الزرهوني، تج. محمد بن شريفة، المطبعة الملكية، الرباط، 1987، ص. 193 : الجزائري، جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس، المطبعة الملكية، الرباط، 1991، ص. 29، 30 : ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تج. محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975، ج. 1، ص. 303، 310 : ج. 2، ص. 21، 22، 27، 29، 39، 41، 302، 306 : ج. 3، ص. 117، 499 : ج. 4، ص. 452، 455 : نفاضة الجراب في عائلة الاغتراب، تج. أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ج. 2، ص. 81، 101، 121، 130، 162، 163، 172، 177، 184، 185، 215، 220، 230، 237، 240 : 278 : اللوحة البدرية في الدولة النصرانية، دار الافاق الجديدة، بيروت، 1978، ص. 114، 117، 118 : ربحانة الكتاب ونجعة المتاب، تج. محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980، 1981، ج. 1، ص. 10، 37، 101، 289، 294 : ج. 2، ص. 89، 92 : ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تج. ماريا جيسوس بيفيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص. 154 : ابن الأحمر، روضة السيرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، 1962، ص. 30، 31 : النسخة الترسينية واللحمة المرينية، تج. عدنان محمد آل طعمة، دار سعد الدين، دمشق، 1992، ص. 56، 58 : ابن رضوان، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تج. علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1984 : ابن خلدون، العبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968، ج. 6، ص. 417، 565، 566، 570، 851، 852، ط. 1978، ج. 7، ص. 259، 261، 306، 632، 397 : التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، (ذيل الجزء السابع من كتاب العبر) دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، ص. 862، 871، 894، 895 : يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزائر، 1903، ج. 2، ص. 62، 82، 89، 92، 123 : التنسي، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان، تج. محمود بوعباد، الجزائر، 1985، ص. 135 : ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1974، ص. 83 : المقري، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تج. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج. 5، ص. 31، 40، 84، 89، 95، 99، 100، 404 : ج. 6، ص. 13، 24، 173 : ج. 7، ص. 151، 154 : أزهار الرياض في أخبار عباس، صندوق إحياء التراث الإسلامي، الرباط، 1978، ج. 1، ص. 65، 66، 193، 196، 203، 207، 208، 270، 271، 275 : 286 : ج. 2، ص. 170، 173 : الناصري، الاستقصا لأخبار دول

المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955، ج. 3، ص. 186، 187 : ج. 4، ص. 7، 40 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام بمحل مراكش وأغمات من الأعلام، الرباط، ط. 2، 1993، ج. 1، ص. 176، 177 : محمد القبلي، مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين، مجلة كلية الآداب، الرباط، العدد 3، 4، عدد مزدوج، 1978، ص. 15، 17، 30، 32 : عبد الهادي النازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مطبعة فضالة، المحمدية، 1988، ج. 7، ص. 99، 102، 147، 149 : رشيد السلاحي، وثائق مرينية، دراسة وتحقيق، رسالة جامعية مرقونة نوقشت بكلية الآداب، الرباط، 1989، ص. 290، 318.

Mas-Latrie, *Traité de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale du moyen âge*, Paris, 1866, pp. 329 - 330 ; S.M. Alarcón y R. Garica Linares, *Los documentos arabes diplomaticos del archivo de la Corona de Aragón*, Madrid - Grenade, 1940, pp. 224 - 225, 231 ; Ch. E. Dufourcq, *Catalogue chronologique et analytique du registre 1389 de la chancellerie de la couronne d'Aragon, intitulé "Guerre sarracénorum 1367 - 1386"*, (1360 - 1386), in *Miscelanea de Textos Medievales*, Barcelona, 1974, Tome 2, pp. 68, 71 - 72 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986, pp. 168, 173 - 174, 209 - 213, 167, 302.

رشيد السلاحي

## سالم، محمد بن عيد الفتح العلوي

الصحراوي. ولد حوالي سنة 1322 / 1904 بالساقية الحمراء، بعد ورود والده علي الشيخ ماء العينين. أخذ العلم على يد مجموعة من أساتذة أسماطة من بينهم محمد بابا والشيخ النعمة ومحمد محمود البيضاوي خال الباشا الشهير بتارودانت. والحضرمي بن الشيخ أحمد، حفيد الشيخ محمد فاضل بن مامين، والد المحفوظ، ومحمد بن عبد العزيز بن حامد وماء العينين بن العتيق والشيخ سيديا بن حمادو بن سليمان وأب بن عبد الله من قبيلة آل بوجيين وغيرهم.

هاجر مع الشيخ ماء العينين إلى تزنييت. وظل يتنقل عبر عدد من المناطق السوسية في كردوس ووجان وآيت الرخا ومراكش إلى أن توفيت زوجته نحو سنة 1358 / 1939. فرجع إلى الصحراء. وبقي بها إلى أن توفي في نواحي طانطان نحو سنة 1364 / 1944.

خلف أشعاراً غزيرة في أغراض متنوعة، وخاصة في المديح النبوي ومن أشهر أمداحه النبوية ميممه مشهورة طبعت بسلا سنة 1358 / 1939 تحت إشراف الأديب عبد الرحمن حجي مطلعها :

وقفت أبكي ودمع العين ينسجم ونار شوقي في الأحناء تنظرم  
عنوانها مجمع العرفان في مدح نبي عدنان في مائه وعشرين بيتاً.

كما له أشعار متنوعة في مدح الشيخ ماء العينين وبعض أدياء وعلماء سوس. ومطارحات ومراسلات شعرية مع كثير من شعراء إلغ. أوردتها المختار السوسي في كتابه *المعسول* (ج. 3، ص. 36).

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 3، ص. 36؛ م. الطريف، *الحياة الأدبية في الزاوية المعينية*، د. ع. ع. مرقونة بالرباط، 1986.

محمد الطريف

**سالم (محمد -) ولد محمد ولد عبد الله.** مقاوم وكّد بقبيلة أولاد دليم فخذة لوديكاك بوادي الذهب سنة 1920 / 1338، وعُرف بإخلاصه وتفانيه من أجل الوحدة الترابية حيث ساعد بكل ما لديه من مال وزاد، وجعل منزله ملجأً لأفراد جيش التحرير ونقطة لانطلاق الهجومات على معسكرات العدو الإسباني بل إنه انضم إلى أفراد جيش التحرير سنة 1956. شارك في عدة معارك كمعركة العركوب وواد الشيف إلى أن استشهد برصاص العدو الإسباني بمعركة لكالات سنة 1957 / 1377.

المدوية السامية لقداما المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 506912.

**ابن سالم، الوالي بن محمد لين.** مقاوم من مواليد سنة 1922 / 1340 بالساقية الحمراء انخرط في صفوف جيش التحرير بالمقاطعة الثالثة عشر بمرکز آيت باعمران تحت قيادة بن المختار سنة 1956. وبقي يعمل في صفوفه بكل نزاهة وإخلاص حيث شارك في عدة معارك أبان فيها عن شجاعة نادرة كمعركة تراكراكة ومعركة تالوين وأخيراً معركة آيت باعمران التي استشهد فيها سنة 1957 / 1377.

المدوية السامية لقداما المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 505367.

**السالمي، أسرة** تظوانية تنسب إلى ريع بني سالم من قبيلة الحوز (مجنّسة قديماً). وعلى تراب هذه القبيلة بنيت مدينة تظوان. ومازال السالميون في تظوان حتى اليوم.

وهناك أسرة السالمي الفاسية، وتعد من أقدم بيوتات فاس، لكن لم يتعرف مؤلف *إزالة الالتباس* على أصلها، وذكر أنهم أهل معاش وحرفة، اطلع على ذكرهم في حوالة فاسية مؤرخة في عام 956 هـ، وكانت لهم عرصة بحومة اللرنج أسفل الزيات.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 173؛ م. داود، *عائلات تظوان*، مخطوط، المؤلف.

**السالمي، أحمد بن محمد بن علي الفاسي**

المراكشي، ابن فقيه مراكش ومفتيها محمد بن علي آتي الترجمة. كان مثله متضلعا في فروع المالكي وأصوله. متوليا كذلك خطة الفتوى في مراكش ستين عديدة موسعا عليه في الرزق، له معارضات ومحاورات فقهية مع قاضي مراكش عيسى السكتاني صاحب الفتاوي الشهيرة.

وصف الإفراني أحمد السالمي في *الصفوة* بقوله: "من أهل الرسوخ في العلوم، ومن أهل البراعة في المعقول والمنقول" ومن تلاميذه الأمير يحيى بن عبد الله بن سعيد الحاحي الذي أعجّد زيدان بن أحمد المنصور في مراكش وحكم السوس الأقصى ستين عديدة.

توفي أحمد السالمي في منتصف ذي العقدة عام 1040 / منتصف يونيه 1631.

ع. التمنارتي، *الفوائد الجمّة*، مخطوط؛ م. الإفراني، *صفوة*، ط. حجر فاس، د. ت. ص. 110؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تج. أ. بومزكو، مرقون؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1974، ج. 2: 307-308؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المهدية، 1978، ج. 2: 390.

**السالمي، محمد بن علي من الفقهاء الفاسيين** الذين انتقلوا إلى مراكش حاضرة السعديين في منتصف القرن العاشر (16 م) واستوطنوها حتى الوفاة. رفيق الشيخ أحمد المنجور في الأخذ عن الامامين محمد اليسيخني وعبد الواحد الونشريسي وغيرهما من كبار شيوخ الحاضرة الادريسية، وذكره المنجور في فهرسه من الشيوخ الذين ذكروهم واستفاد كل من صاحبه، ووصفه بالفقيه النحوي العددي الفرضي.

وقد سبق قلم أحمد ابن القاضي في *الجذوة* فسي المترجم محمد بن أحمد السالمي، وتبعه في هذا الإفراني والقادري وابن إبراهيم (انظر ملاحظتنا في *الحركة الفكرية*، 2 : 379).

ولي خطة القضاء والفتوى في مراكش إلى أن توفي بها عام 1002 / 93. 1594 على الأرجح.

أ. المنجور، *فهرس*، تج. م. حجي، الرباط، 1976، ص. 79؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، ط. حجر فاس، 207 - 208؛ م. الإفراني، *صفوة*، ط. حجر فاس، د. ت. ص. 100؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 3 : 1069؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تج. أ. بومزكو، مرقون؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1974، ج. 5 : 187؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المهدية، 1978، ج. 2 : 379.

**السالمي، محمد**، لم يذكر القادري في *النشر* اسم والده، وإنما وصفه بالأستاذ الناصح القاطن بالمدة المصباحية بفاس، وذكره ابن إبراهيم في *الإعلام* ووصفه بالأستاذ المقرئ الصالح الناصح.

محمد حجي

**السَّالِيةُ** أو الناعمة أو السالمة أو المرعية أو القويصة أو المفصحة أو سواك النبي بالعربية، وبالأمازيغية تمجوت، أسماء لنوع نباتي من فصيلة الشفويات دخيل في المغرب، واشتهر بزراعته في الحدائق منذ القدم. وهو ينتمي إلى جنس الناعمة أو سالفيا *Salvia* الذي يشمل بالمغرب 14 نوعاً طبيعياً من بينهم 5 أنواع قيسية خاصة بالمغرب. ويحذر الإشارة إلى أن لهذه الأنواع مزايا هامة. إذ تعتبر من أحسن النباتات العطرية والطبية والمنتجة للعسل. أما في ما يخص الاستعمالات كنبات للزينة فإن



الأمر يقتصر على الأنواع الدخيلة كالسالية المعروفة أو السالية ذات الأزهار الحمراء أو غيرها. لكن النباتات المغربية وخاصة القيسية منها فإنها من الممكن أن تكون من أجمل جنسيات وجنسيات الحدائق.

السالية أو الناعمية الطبية أو سالفيا أو فيسيناليس *Salvia officinalis*، جنسية يتراوح علوها ما بين 50 و60 سم جد متفرعة. أوراقها معنقة، بيضوية الشكل، ذات لون أخضر فضي ضارب إلى الزرقة. ازهاراتها سنبلية الشكل مكونة من 5 إلى 10 أزهار. كأس الزهرة جرسى الشكل وأرجواني اللون. تاج الزهرة ثنائي الشفتين وذو لون بنفسجي ضارب إلى الوردي لكل زهرة سداتان اثنتان.

الموطن الأصلي لهذا النوع هو الجزء الشرقي الشمالي من المنطقة المتوسطية. لكن مزاياه كنبات طبي وعطري وذو جمال خلاب جعلت الإنسان يزرعه في كل الحدائق والبساتين في المناطق المتوسطية المناخ. ففي المغرب يصادف في كل الحدائق ممثلاً ببعض الأفراد للزينة أو للاستعمال العائلي. كما يزرع على مساحات واسعة في بعض المناطق المغربية كما هو الشأن في نواحي مراكش وأكادير حيث ينتج بكميات كبيرة لأجل تصديره كمادة مجففة.

بالإضافة إلى كونها نبات زينة وتابل معطر للأطعمة

والمشروبات كالشاي والقهوة تستعمل السالية في عدة مجالات من التطبيب التقليدي. فهي عشبة مطهرة ومسخنة للجسم، ومفيدة لتزايد حليب الأم. ومعالجة لأمراض الفم ولهذا سميت بسواك النبي. كما يعتقد البعض أنها تزيل الخجل فسميت بالمفصحة.

من أهم الأنواع المغربية من هذا الجنس نذكر :

- سالفيا أو شيري *Salvia aucheri* وهي جنسية قيسية فضية اللون تصادف في فرجات الغابات التي تكسو الجبال المتوسطة الارتفاع من الجزء الشرقي للأطلسين المتوسط والكبير.

- سالفيا إنترتتا *Salvia interrupta* وهي جنسية قيسية جد نادرة تتميز بأوراقها المفصحة. لا توجد إلا في الجزء الغربي من الريف الكلسي وفي منطقة هضاب حاحا وإداوتانان من الأطلس الكبير الغربي.

أبحاث شخصية.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 2000, 360 p. ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997, 764 p.

زينب بنرحمون وعبد الملك بنعبيد

### السَّامِي، العربي مقاوم وُلد في المدينة القديمة

بالدار البيضاء سنة 1323/1905. مرّ من مرحلة الكتاب. اشتغل سائقاً بالقصر السلطاني. ثم أدار مؤسسة لتعليم سياقة السيارات. انتمى لحزب الاستقلال وانخرط في العمل المسلم بعد انضمامه لمنظمة الهلال الأسود للمقاومة، فكان أحد قادتها الأربعة الذين ترصد لهم أفراد من "اليوليس" بالتراب من حديقة الحيوانات بعين السبع في الدار البيضاء وقتلهم مساء السبت 8 ذي الحجة عام 1374 / 28 يوليوز 1956.

من شهادة حسن ثابت الحدادي ابن أخت صاحب الترجمة، انظر كذلك لافيحي ماروكين ليوم فاتح غشت 1956.

م. وحيد، مساهمة في دراسة الحركة الوطنية، مقاومة الدار البيضاء، 1952. 1956، أطروحة دكتوراه، مرقونة بكلية الآداب، الرباط، 2001.

### السَّامِي، المختار، مقاوم كان يعرف به

"بوصبيعات" وأحياناً به "گندوز". وُلد في المدينة القديمة بالدار البيضاء سنة 1325 / 1907 كان أمياً واشتغل ميكانيكياً بسفن الصيد. انتمى لحزب الشورى والاستقلال.

يعدّ من الوجوه الوطنية البارزة في المدينة القديمة. اعتقلته السلطات الفرنسية بسبب مواقفه، ومنها إقدامه

على جلد المتعاطيات للدعارة بدرب الجران في المدينة التي كان يتردد عليها الجنود "السغاليون"، وأفراد البحرية الفرنسية، فحكم عليه بسبب ذلك بشهرين نافدين سنة 1937. ولم يشته ذلك عن متابعة نشاطه الوطني فكانت له مشاركة مهمة في تأطير المظاهرات التي كانت تنطلق من المدينة القديمة إبان كل مناسبة يحدث فيها الصراع بين سلطان الحماية والحركة الوطنية.

اشتغل في وقت ما سائقاً لوزير العديلية عبد الكريم بن جلون لكنه فضل الانفصال عنه.

توفي سنة 1412 / 1991.

من شهادة حسن ثابت الحدادي ابن أخت صاحب الترجمة : م.

وحيد، مساهمة في دراسة الحركة الوطنية، مقاومة الدار البيضاء،

1952. 1956، أطروحة دكتوراه، مرقونة بكلية الآداب، الرباط،

2001.

### السّامي، الميلودي، مقاوم ولد في المدينة

بالدار البيضاء سنة 1328 / 1910. نال حظاً من التعليم، فحصل على شهادة الدروس الفرنسية، كان له محل لإصلاح الدراجات بزئقة الطيران الفرنسي (مصطفى المعاني حالياً)، وتعرض لمضايقات السلطات الفرنسية التي كانت تتهمه بتزويد ابن أخته محمد وعبد الله الحدادي بقطع الحديد التي تدخل من إعداد المتفجرات، وقد بعثت إحدى منظمات الإرهاب الأوروبي بشابة فرنسية قصد "إصلاح" دراجتها فيما كان أفراداً يترصدون له فأطلقوا عليه عبارات نارية قضت على حياته في الحين، وذلك يوم الجمعة 26 صفر عام 1375 / 14 أكتوبر 1955. لذلك قرّرت منظمة الهلال الأسود للمقاومة تصفية أحد أبرز أعضاء "لابريزانس فرانسييز" المدعو "كازانوفّا" (Casanova)، وكذا تصفية مهندس فرنسي بزئقة "سواسون" فتجند للعملية اعمامو الزباني وأحمد رزقي ورشيد عبد السلام المعروف بـ "بوعزة".

من شهادة حسن ثابت الحدادي ابن أخت صاحب الترجمة : م.

وحيد، مساهمة في دراسة الحركة الوطنية، مقاومة الدار البيضاء،

1952. 1956، أطروحة دكتوراه، مرقونة بكلية الآداب، الرباط،

2001.

محمد وحيد

### سان لوسيان Saint Lucien (1867 - 1938) هو

ثالث المقيمين العاملين الفرنسيين في المغرب، تخرج محامياً، ثم التحق بسلك الإدارة الداخلية ليمارس وظائف البريفيات Préfet، وهم ولاية المقاطعات وهناك عبر التراب الفرنسي، إلى أن أسندت إليه سنة 1921 وظائف الإقامة العامة في تونس حيث قضى أزيد من ثمان سنوات، تميزت بتصديه للحركة الوطنية التونسية وهي في طور النشأة الأولى

بزعامه حزب الدستور القديم. وكان من ذلك أن أُلزم زعيمى الحزب وهما عبد العزيز الثغالي وأحمد توفيق المدني بمهاجرة تونس. وتصدى لما كان يرومه الباي محمد الناصر في أبريل 1922 من فتح باب التفاوض مع الدولة الحامية لإشراك النخبة التونسية في تسيير شؤون بلادها. ولما توفي الباي المذكور بعد ذلك ببضعة أسابيع (يوليوز 1922)، سعى لوسيان سان سعباً حثيثاً في مبايعة الباي محمد الحبيب الذي كان أداة طيعة في قبضته. وتمكن من خلال من حكم القطر التونسي بشكل مطلق فمكن المعمرين من مزيد من الأراضي التونسية الجيدة. ولذلك أضحي مذكورا بلسان التنويه في الأوساط الاستعمارية إذ كان النجاح حليفه في كل ما رام في الحماية التونسية، وبخاصة بعد سنة 1926، عندما وقعت الحركة الوطنية التونسية في فترة الانتقال من نضالات حزب الدستور الأقدم في طليعة العشرينات إلى نضالات حزب الدستور الجديد برئاسة الحبيب بورقيبة في طليعة الثلاثينيات. ونشطت الحركة الاقتصادية في البلاد، فظن المسؤولون الفرنسيون أن لوسيان سان يستطيع أن يقوم في المغرب الأقصى بما قام به في المغرب الأدنى، فوقع الاختيار عليه في مطلع سنة 1929 ليخلف تيودر ستيك في الإقامة العامة في المغرب. وحل لوسيان سان بالرباط، وفي مقدمة ما يحمل من التعليمات أن ينهي أعمال الباسيفيكاسيون فيقضي على ما ظل حياً نشيطاً من المقاومة المغربية في ثنايا الأطلس الكبير وفي فيافي التخوم الصحراوية سواء منها تلك المتاخمة للجزائر أم الأخرى الجنوبية لموريطانيا، وذلك لأن العلاقات الدولية غدت لا تنذر بخير بعد فشل المباحثات الفرنسية الألمانية. ويات من مصلحة فرنسا أن تتمكن جيوشها من كل شبر شبر من التراب المغربي وتجعل حدا للضربات الموجعة التي ظلت المقاومة المغربية تلحقها بها، مثل الكمين الذي قتل فيه الجنرال كلافري Claverie جنوب فجيج في خريف سنة 1928، أو معركة آيت عقوب، قرية على بعد أربعين كيلومتر غربي مدينة الريش، في يونيو 1929، وذلك شهوراً معدودات بعد احتلال لوسيان سان لمنصب المقيم العام. وقد تصدى لقمع كل ذلك والانتقام منه وإتمام أعمال الباسيفيكاسيون بكل ما كان لديه من الجيوش. واستصحب معه لتنفيذ تعليمات حكومته الكولونيل نويس، وذلك بإشارة من المارشال ليوطي، وجعله رئيس ديوانه العسكري ومدير الشؤون الأهلية في آن واحد، مكلفاً بأمر تنسيق عمليات الباسيفيكاسيون. والتف من حول نويس مجموعة من الضباط الإسبان ممن كان من فريق ليوطي مثل هوري Huri وكاترو Catroux وجيرو Giraud ولوسطال Loustal. ووضعت خطة محكمة لتطويق المجاهدين ومطاردتهم، انطلاقاً من التخوم المغربية الجزائرية وحملهم على اللواذ بأوعار الأطلس الكبير وجبل صفرو، ثم محاضرتهم بين الأطلس الصغير والساقية الحمراء

سانت اكروز دي كابو دي جي Santa Cruz de Cabo de Gué أي الصليب المقدس الذي يقرب رأس غير، قلعة شيدت من طرف الدولة البرتغالية في إطار التنافس القائم بين هذه الدولة وجارتها الإسبانية على الجزء الجنوبي من الساحل الأطلنطي المغربي. وفي إطار ذلك، استغل البرتغال العرف السائد في العلاقات الدولية آنذاك والذي ينص على أن كل من وطئ أرضاً قبل الآخر، له الحق في احتلالها، ليربط علاقات تجارية مع أهل ماسة منذ سنة 850 / 1447، وتبع ذلك فتحه وكالة تجارية (Factorerie) سنة 902 / 1497 بموضع منحته قبيلة أهل ماسة للملك البرتغالي دون منويل (900 / 1495. 926 / 1521)، مقابل حمايته للقبيلة وفتحها للموانئ المغربية الخاضعة له في وجه



تجارتها. وتقع الوكالة التجارية السالفة الذكر عند قدم تل يتراوح ارتفاعه ما بين 250 و300 مترا وبالموضع ذاته، عيون ثرة يفوق عددها الخمسة، واجدير وسوق أسبوعي ينعقد كل يوم أربعاء، فعرف المكان من أجل ذلك أيضاً بأجدير الأربع.

وفي سنة 910 / 1505 قرر النبيل البرتغالي Joao Lopes de Sequeira إنشاء قلعة خشبية أطلق عليها اسم : سانت اكروز دي كابو دي جي مكان الوكالة التجارية، لوضع حد لهجمات حاكم جزر كناريا الإسبانية، وهو هجوم كانت تنصده له قبيلة أهل ماسة المرتبطة بالولاء مع السلطة البرتغالية وكذا لحماية قوارب الصيد الرابضة بالساحل وسانت كروز هذه عرفت عند المغاربة باسم : دار البرتغال أو دار الرومية أو اجدير لربع. وتطابق الدار ذاتها الموضع المعروف أيضاً باسم فونتي Fonte أي العين. وأخذت هذه الدار شكل قلعة كانت بمثابة وكالة تجارية ومركز إداري وعسكري يكون منطلقاً للتوسع وشن الغارات ضد القبائل المجاورة لإرغامها على الخضوع وأداء الإتاوات. وفي يوم 25 يناير 918 / 1513، اشترى الملك البرتغالي دون منويل قلعة سانت كروز وأصبح يحكمها

ليستسلموا. وتطلب ذلك ما لا يقل عن أربع سنوات. وكان للوسيان سان أن يفتخر بأن نيران الجهاد كانت على الانطفاء التام يوم انتهت مهمته في الرباط في يوليوز 1933.

بيد أنه لم يفلح في ذلك إلا بعد إشعال فتيل الحركة الوطنية التي كان لا ذكر لها قبل تعيين لوسيان سان في الرباط. حتى إذا تقلد منصب المقيم العام وانكب يشتغل بإتمام عمليات الباسيفيكاسيون، فرأى أنه قد يغري المجاهدين المغاربة الذين كان جلهم من القبائل الأمازيغية باستصدار ظهير يعرف في تاريخ المغرب المعاصر بالظهير البربري (16 ماي 1930)، ومن مقتضياته إقرار الأعراف القانونية والعمل بها، وفصل القبائل الأمازيغية عن سلطان الشريعة الإسلامية وحكم الإمام، وإحالتها على القضاء الفرنسي في الاستئناف، والسعي في التفرقة بين العرب والأمازيغ في المغرب، وضرب هؤلاء بؤلواتك حفاظاً على مصالح الاستعمار. ولكن الحركة الوطنية المغربية الناشئة تصدت لتلك المؤامرة بكل ما يكون في الكائن الناشئ من الإقدام والفتوة والحماس. وعرفت كيف تفضح سياسة لوسيان سان في الداخل وفي الخارج مستغلة كل وسائل التشهير والتنكير، سيما وأن وجود سان على رأس الإقامة العامة جاء مواكبا لحملة التنصير والتبشير بالمسيحية التي تزعمتها أسقفية الرباط. ووجد لوسيان سان نفسه مضطراً للتنديد بها، دون جدوى. كما حاول أن يشغل الرأي العام المغربي بالزيارة الرسمية التي قام بها للمغرب رئيس الجمهورية الفرنسية كاستون دومرك Gaston Doumergue. ولم يكن ذلك ليغطي على ما أصبح المغاربة يعانون منه من جبروت الاستعمار واستحواذ المعمرين على خيرات البلاد في الوقت الذي صارت آثار الأزمة الاقتصادية العالمية تعطل عملها في الأسواق المغربية، فلم يستطع لوسيان سان لا أن يسعف المعمرين الذين وقعوا في الضائقة ولا أن يسكت صوت الحركة الوطنية المغربية الناطقة بما أصبح للجماهير المغربية من الوعي بمصالحها. ولذلك انتهى عمل لوسيان سان في المغرب بالفشل الذريع فأحيل على المعاش وحل محله هانري بونصو (ينظر في مكانه من هذه المعلمة).

ع. الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، طنجة، د. ت.؛

م. حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، بيروت، 1982، 6 مجلدات.

R. Letourneau, *Evolution politique de l'Afrique du Nord musulmane, 1920 - 1961*, Paris, 1962 ; J. Berque, *Le Maghreb entre deux guerres*, Paris, 1962 ; L. Cerych, *Européens et Marocains 1930 - 1956 : sociologie d'une décolonisation*, Bruges, 1964 ; A. Mahjoubi, *Les origines du mouvement national tunisien, 1904 - 1934*, Tunis, 1982 ; C.R Ageron, *Politiques coloniales au Maghreb*, Paris, 1973 ; G. Lufiente, *Le Dahir Berbère* ; D. Rivet, *De Lyautey à Mohammed V*.

إبراهيم بوطالب

باسمه الدون فرانسيسكو دي كاسترو Dom Francisco De Castro الذي تحالف مع قبيلة هكسيمة فاستقرت حول أسوار القلعة لتكون درعا خلفيا واقياً لها. واستمر تعاقب الحكام على سانت كروز بعد ذلك إلى أن سقط البرج في يد المغاربة.

عرفت قلعة سانت كروز حركة تجارية هامة إذ روجت عبرها سلع مختلفة شملت التوابل والأقمشة والقبعات والصبغ، إضافة إلى الذهب والفضة والجواهر والرقيق والنحاس والقمح والجوز والتبغ وولود الماعز. وكان للعمل النقدي أهمية كبرى بالمركز إذ أن مقايضة الفضة بالذهب جعلت الدولة البرتغالية تحقق ربحاً ناتجاً عن تباين قيمة المعدنين الثمينين بالمرافق. ولمنافسة مركز سانت كروز انشأ السلطنة السعديون مراكز تجارية بتامراخت وتافتنا وتاكوكو وحفظوا الضرائب الجمركية بها قصد جلب التجار المتضررين من الاحتكار التجاري الممارس من طرف البرتغال. وأهم ما كان يتبادل به السعديون بمراكزهم التجارية هي الأسلحة.

هذا الوجود المسيحي بالجنوب المغربي وما خلفه من اضطلال لتجارة القوافل تازمت على إثرها الأوضاع بالعالم الإسلامي ككل، حرك الهمم لشحن حركات جهادية مستمرة شاركت فيها نساء المنطقة اللواتي عملن على تسهيل عملية اغتيال الحكام المتعاقبين على الحصن فيما بين سنوات 939 - 959 / 1524 و1533. وللغرض ذاته أنشأ الأمير السعدي محمد الحران قرية محصنة لمحاصرة القلعة البرتغالية (14 جمادى الأولى 946 / 16 شتنبر 1540) في قمة المرتفع المسمى: البكو O Pico (القمة) المقابل للحصن البرتغالي. وزود المغاربة القرية المحصنة بالمدافع الثقيلة خاصة تلك المسماة بالميمونة. وبعد حصار استغرق سبعة أشهر سقط الحصن في يد المغاربة يوم 15 قعدة عام 947 / 12 مارس 1541، فأسس محمد المهدي الشيخ مكانه مدينة أكادير، ومن ثم ظلت الحركة التجارية دون منافس بأكادير إلى أن أسس السلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله سنة 1186 / 1773 ميناء الصويرة.

أ. ابن القاضي، المنتقى المقصور، تح. م. رزوق، الرباط، 1986 :  
العنصر العربي والمجال في مغرب، 1459 . 1541 . بادية الواجهة  
الأطلنطية نموذجاً، ص. 219 . 220 . 235 . 246 . 247 .

Chronique de Santa Cruz du Cap de Gué, Texte portugais du XVI siècle traduit et annoté par Pierre de Cenivel, Paris, 1934, p. 38, 105 ; Encyclopédie de l'Islam, nouvelle édition, S.I.H.M, Portugal 1, p. 234... 239 + troisième impression, p. 252 et 253.

حليمة بنكرعي

سان - روني طايانديه جورج Saint-René Georges  
Taillandier موظف من موظفي السلك  
الدبلوماسي الفرنسي، التحق بالإدارة السياسية في وزارة

الخارجية سنة 1876 بعد الحصول على الإجازة في الحقوق والآداب. تقلب على عدة مناصب فألحق بسفارة فرنسا في روما سنة 1877، ثم بسفارة لوندن سنة 1881 ليعود إلى الإدارة المركزية سنة 1882، قبل أن يلحق بالقنصلية الفرنسية في مصر سنة 1884. ومن هنالك عاد إلى باريس ليرأس مكتب الحمایات الفرنسية في آسيا سنة 1887 قبل أن يعين قنصلاً في مونشبن أو مونيخ في ألمانيا سنة 1887. ومنها انتقل إلى بيروت سنة 1891 ليعود إلى باريس للعمل في الإدارة السياسية ابتداء من سنة 1895. وفي يونيو 1901 أسند ديلكاسي إليه مفوضية فرنسا في المغرب خلفاً لرفوال Révoil الذي عين والياً عاماً على الجزائر ليعمل معه على وتيرة واحدة لإحكام النفوذ الفرنسي في المغرب بناء على خطة التسرب السلمي.

قضى سان - روني طايانديه أزيد من خمس سنوات في المغرب، كانت حاسمة لوضع اللبئات الأولى للحماية الفرنسية. وإن ما كان يرفع من التقادير لحكومته ليعتبر من الوثائق التي لا غنى عنها لمن يريد أن يقف على مراحل التسرب الفرنسي وعلى أحوال المغرب في عهد المولى عبد العزيز وجهوده للتخلص من الحصار الفرنسي، منها مالم ينشر، ومنها ما نشر في سلسلة الوثائق الدبلوماسية، هذا فضلاً عن الكتاب الذي وضعه سان - روني طايانديه نفسه سنة 1930 تحت عنوان : "أسس المغرب الفرنسي، أو قصة بعثة دبلوماسية"، الذي يتتبع القارئ فيه مساعي هذا الدبلوماسي لفرض النفوذ الفرنسي على سلطان المغرب، في الوقت الذي كان رئيسه الوزير ديلكاسي يمهّد لإبرام الاتفاق الودي مع إنجلترا لاقتسام المغرب مع إسبانيا.

وقد استقبل سان - روني طايانديه من لدن المولى عبد العزيز أول مرة في الرباط في مطلع سنة 1902، ليحتج لديه على ما صار يبدو من النفوذ لإنجلترا في مشاريع الإصلاحات المغربية على يد بعض وكلائها في المغرب أو بعض أعضاء المخزن المنحازين لجانبها مثل وزير الحرب المهدي المنبهي. وما قال له على ما جاء في مذكراته : "بأننا نحترم استقلاله (يعني السلطان) تمام الاحترام، ولكننا لا يمكن أن نغض الطرف عن تنازله عن أدنى جزء منه لفائدة قوة أجنبية أخرى". وكان المولى عبد العزيز يومئذ في طريقه إلى فاس. وما أن استقر بها حتى تفاقمت أحوال البلاد الداخلية بما كثر من النكير على تصرفات السلطان المستفزة لمشاعير رعية قلقة نائرة متمزمتة، وما نتج عن تلك الأجواء من فتنة الجيلالي الزرهوني المدعو بوحمارة. وكان من نتائج ذلك، إقدام الحكومة الإنجليزية على التخلي لفرنسا عن المغرب، شريطة أن تتنازل فرنسا عن شواطئه الشمالية المتوسطة والجنوبية الصحراوية لإسبانيا، وذلك في أبريل 1904. وما أن تم هذا الاتفاق حتى أوفد سان - روني طايانديه الكاتب الأول للمفوضية سانتوليير



امتعاض. وأبى إلا أن ينتقم من المخزن باحتجاج صارم، جاء فيه : "لا سبيل إلى أن يتوسط بين الحكومة الفرنسية والحكومة المغربية أي قوة ثالثة، مثلما أنه لا سبيل إلى أن يقوم بين فرنسا الجزائرية والمغرب أي بلد، ذلك بأن فرنسا تصاقب المغرب بمفردها [...] والمخزن على بينة بما يلزمه من هذا الجوار من الواجبات التي لم يمثل إليها [...] فهو من الآن فصاعدا على بينة مما قد يتعرض إليه إذا ما رام كل ما من شأنه أن يمس بحقوق فرنسا بشكل من الأشكال". لهجة الوعد والوعيد الدالة على خيبة أمل سفير فشل في مهمته، ففضى الشهور الأخيرة من مقامه في فاس يبحث عن كيفية إهانة المخزن المغربي وإبداء قوة فرنسا ونفوذه أمام أنظار الشعب المغربي.

تجلى ذلك في قضية المدعو بوزيان الملياني، وهو من أصل جزائري، قبض عليه بعض قياد المخزن لجناية جناها، وأراد أن يطبق عليه مقتضيات الشريعة الإسلامية بحكم أنه من عامة المسلمين. لكن سان - روني طايانديه أبى إلا أن يهول القضية، ويلزم المخزن بإطلاق سراح الجاني، على اعتبار أن الرعايا الجزائريين في المغرب لا ينظر في جنابهم إلا الفصليات الفرنسية، بل ألزم المخزن بعزل القائد المغربي الذي أمر بسجن الملياني المذكور وتقديم رسالة اعتذار للمبعوث الفرنسي الذي أراد بذلك أن يغطي على فشل مهمته الأصلية وأن يبدي قدرته على استعراض عضلات دولته حيال دولة مستضعفة تتلاطمها أمواج الأطماع الأمبريالية. ولم يغادر سان - روني طايانديه فاس إلا يوم 26 أكتوبر 1905 وقد تقرر تعويضه في طنجة بأوجين رينيو.

أما هو فقد أسندت إليه سفارة في البرتغال فاشتغل بها إلى أن أحيل على المعاش سنة 1912. وما يذكر من أمره أنه تطوع جنديا من عموم الجنود للقتال على الجبهة عندما اندلعت الحرب العالمية سنة 1914. كما يذكر أن زوجته التي رافقته إلى فاس كانت هي أخت الكاتب أندري شفريون André Chevillon فاستدعته للحاق بها إلى العاصمة المغربية، وترتب على تلك الزيارة السياحة كتابه الشهير بعنوان : "فاس أو صورة من غسق الإسلام"، الذي يعتبر نموذجا من الكتابات المشروعة لبعض أحوال المجتمع المغربي لإثبات حاجته إلى النظام الفرنسي، ولزوجة طايانديه من جهتها مذكرات عن طنجة فيما بين 1901 و1906، تصور حياة المدينة يومئذ وللصالونات الدبلوماسية فيها، ولاشك أن كليهما ورثا سيولة القلم من خالهما الفيلسوف الفرنسي الذائع الصيت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر هيبوليت طين

ع. الحديدي، التدخل الأجنبي والمقاومات بالمغرب، 1894 - 1910،

حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية، إفريقيا الشرق، 1990.

Annuaire diplomatique de France, 1912 ; Documents diplomatiques français, Affaires du Maroc, 1901 - 1912, Paris, 1905 - 1913 ; Saint-René

Saint-Aulaire إلى فاس رفقة مبعوث بنك باريس والأراضي المنخفضة، للتفاوض مع المولى عبد العزيز بشأن القرض المالي الأجنبي الذي كانت الخزينة المغربية في أشد الحاجة إليه، علما بأن الحكومة الفرنسية كانت تواقفة إلى فرضه على المغرب بشروط كلها دروب مفضية إلى قلب السيادة المغربية. وانعدت صفقة القرض في شهر يونيو 1904. وبات الطريق مفتوحا أمام سلتريني طايانديه ليرحل من طنجة إلى فاس لإملاء شروط الإصلاح الاستعماري على السلطان. واستطاع المولى عبد العزيز من أن يرجئ موعد رحلة المبعوث الفرنسي، متذعرا بما جرى من احتلال عين بني مطهر على الحدود الشرقية في يوليوز من نفس السنة ظلما وعدوانا، وإبرام الوفاق السري الفرنسي الإسباني لاقتسام النفوذ في المغرب (أكتوبر 1904). وقد استنكر سلتريني طايانديه هذا الوفاق بمرارة، لأنه أجمع من نفور السلطان من كل تعامل مع الفرنسيين، فقال : "كان من سوء حظنا أننا أربنا اتفاقية مع إسبانيا من شأنها أن تنفخ فينا سواء أقررنا بها أم سكتنا عنها لدى المخزن". وذلك ما حصل بالفعل يوم حل سلتريني طايانديه مدينة فاس لحمل المولى عبد العزيز على الإذعان للحماية الفرنسية، مفاوضة على الطريقة التي أصليت بها الحماية الفرنسية على تونس قبل ذلك بربع قرن. وكان سلتريني طايانديه ينوي أن لا يقضي في فاس سوى بضعة أسابيع لإمضاء الأمر. لكنه أقام ضيفا على المخزن تسعة أشهر، انتهت بفشل مهمته وإبراء موعود الحماية سبع سنوات أخرى. ذلك بأن المولى عبد العزيز عامل البعثة الفرنسية يمثل ما ظلت تعامله بها من المراوغات والمناورات داخل المغرب وخارجه. ففي الداخل، استدعى السلطان نخبة من وجوه الأمة من كل الجهات لاستشارتهم في مقترحات السفير الفرنسي، وكانت تدور حول قضايا الإصلاح العسكري ليتمكن الضباط الفرنسيون من الإمساك بناصرية الجيش المغربي، وحول بعض الإصلاحات الاقتصادية المرتبطة بتيسير أسباب التصدير والاستيراد في الموانئ المغربية، وحول إصلاح الشؤون المالية بقصد ضبط المداخيل الجبائية والجمركية وإقامة بنك مخزني يتصرف بكل ذلك ويراقب دخل الدولة ونفقاتها. وقد استمرت الجلسات بين سلتريني طايانديه والمستشارين المغاربة المصحوبين بالوزراء منذ أواخر يناير إلى بداية شهر مارس سنة 1905 فيما كان يشبه حوار الصم. حتى إذا كان 31 مارس من نفس السنة، ونزل الإمبراطور الألماني بطنجة، وصرح بأن المغرب دولة مستقلة موحدة السيادة والتراب تحت قيادة سلطانها المولى عبد العزيز، عندئذ انتهت بعثة سلتريني طايانديه إلى الدرب المسدود بما كان من تازم العلاقات بين فرنسا وألمانيا، وضرورة الاحتكام إلى مؤتمر دولي لفك النزاع بينهما بشأن المغرب.

وقد امتعاض المبعوث الفرنسي من فشل مهمته أجا

### سانشو الرابع Sancho IV ملك قشتالة، ويسمى

في المصادر العربية بأسماء عدة منها : سانجة، سانجة، سانشو، شانجور دون جانجة، أما المصادر الإسبانية فتشير إليه باسم Sancho IV يعد سانشو هذا أحد أبناء الامبراطور القشتالي الفونسو العاشر الملقب بالحكيم Alfonso El Sabio (651 / 1252 - 683 / 1284) والمعروف عنه مؤرخي الغرب الإسلامي باسم الفونش بن هرانده.

ظهرت شخصية الأمير سانشو على مسرح الأحداث السياسية بقشتالة إثر تزعمه الثورة ضد والده سنة 681 / 1282، وهي الثورة التي نتجت عن الأزمة السياسية الخطيرة التي هزت البلاط القشتالي بعد احتدام الصراع بين الأمير سانشو وأخيه الأمير الفونسو المعروف بذي العرف العجوز. غير أن الثقة والافضلية اللتين حظي بهما الأمير الفونسو من طرف والده أثارت حفيظة سانشو واججت الحقد في قلبه الشيء الذي دفعه إلى استقطاب مناصره وتكوين حلف يضم معظم النبلاء بالإضافة إلى صاحب غرناطة محمد الفقيه ابن الأحمر (671 / 1270 - 701 / 1300). وأمام استفحال تمرد سانشو وتزايد مؤيدي حركته لم يعد للفونسو العاشر الذي ضاق الخناق حوله إلا طلب مساعدة قوة خارجية، ولم يجد أمامه إلا الاستنجاد بملك المغرب أبي يوسف يعقوب المريني الذي كان يتزعم آنذاك أكبر قوة عسكرية في غرب البحر المتوسط. وقد أشارت وثيقة مغربية وهي عبارة عن رسالة موجهة من يعقوب المريني (656 / 1258 - 685 / 1286) إلى ملك فرنسا فيليب الثالث الملقب بالجسور Philippe III le Hardi (671 / 1270 - 684 / 1258) والمؤرخة بـ 20 رجب 681 / 24 أكتوبر 1282، أشارت إلى موافقة السلطان المغربي وكذلك إلى طبيعة المساعدات العسكرية التي قدمها لملك قشتالة بهدف استرجاع ملكه وإعانتته على قمع عصيان ولده دون سانشو. وقد حرص يعقوب المريني في رسالته على توضيح طبيعة تدخله الذي يندرج حسب رأيه في إطار ما يراه واجبا تمليه عليه مبادئه الاخلاقية كسلطان وكأب لا يسمح بمثل هذا العقوق. كما بين أن تلك المساعدات ليست لأغراض ضد فرنسا وأن على فيليب الثالث المساهمة بدوره في إنهاء المحنة التي حلت بالفونسو العاشر بحكم القرابة التي تجمع بينهما والمتتملة في زواج ابن هذا الأخير، الأمير دون فيردناند Don Ferdinand من الأميرة Blanche أخت الملك الفرنسي فيليب الثالث.

وبناء على دعوة الملك القشتالي تحرك يعقوب في حملة

عسكرية إلى الأندلس سنة 681 / 1282 والتقى الفونسو العاشر بصخرة عباد وطلب هذا الأخير من السلطان المغربي أن يقرضه مبلغا من المال يستعين به على حرب ولده. وقد وافق السلطان على ذلك وأعطاه مائة ألف دينار رهنه ملك قشتالة فيها تاجه الموروث عن سلفه، وهو نفس التاج الذي بقي في حوزة بني مرين حتى نهاية القرن الثامن (14 م) وبالضبط حتى عهد ابن خلدون الذي شهد بذلك، إلا أن مصيره بعد هذا التاريخ بقي مجهولا. وقد تمكن الحلف المغربي القشتالي من دحر خطر ثورة سانشو واستعادة الهدوء والاستقرار إلى الكثير من المناطق الأندلسية.

وفي سنة 683 / 1284 توصل السلطان يعقوب أثناء تهيئه لأحوار مراكش، بخبر وفاة الفونسو العاشر واجتماع النبلاء والحاصه على ابنه سانشو وإعلانهم إياه الوريث الشرعي وملك مملكة قشتالة وزعيم النصرانية والمدافع عن المسيحية ضد السلطان المريني. وبالرغم من النوايا السلبية التي أبان عنها تعيين سانشو على عرش قشتالة فإن يعقوب المريني لم تمنعه مع ذلك لباقته الدبلوماسية وحسنه السياسية من أن يتريت وأن يبعث بسفارة عنه إلى إشبيلية لتهنئة الملك الجديد وتعزيتة في وفاة والده. وبالرغم من محاولات السلطان في تلطيف الأجواء السياسية بين الطرفين وإشاعة السلم في المنطقة فإن أطماع سانشو كانت كبيرة ونيتة في الاستحواذ على بلاد الإسلام بالأندلس كانت واضحة منذ البداية خاصة بعد إعلانه شن حروب الاسترداد Reconquisto بايعاز ومباركة الكنيسة. وهذا المنحى الخطير في سياسة سانشو لم يترك الخيار ليعقوب بأن يستنفر جيوشه ويعلن الجهاد ضد قشتالة. وفعلا تمكنت الجيوش المرينية من العبور إلى الأندلس في شهر صفر من سنة 684 / أبريل - ماي 1285 وتكشيف حملاتها العسكرية والسيطرة على الموقف العسكري في جزء كبير من المواقع والمدن الرئيسية التي تفصل بين مملكة غرناطة ومملكة قشتالة خاصة طريف ووادي لك وشريش وركش ولبلة وقرمونة واستجة وجبال الشرف وغيرها، بل واستطاعت هذه الجيوش تهديد العاصمة إشبيلية ومحاصرتها إلى حلول فصل الشتاء. وقد اضطر سانشو أمام قوة وهيمنة الجيش المغربي على الميدان إلى تغيير سياسته الحربية والاعتماد على خلق ثغرات وراء التحصينات المغربية وذلك بقطع الامدادات والمؤن عن الجيش المغربي والتي كانت تصله من السواحل المتوسطية المغربية والأندلسية وارسال اسطولته الحربي لاحتلال مضيق جبل طارق (الزقاق) واعتراض السفن المغربية. وقد أدت هذه السياسة إلى نشوب مواجهة بحرية عنيفة بين الأسطولين المغربي والقشتالي انتهت باندحار النصرارى.

بعد هذه المواجهات أدرك سانشو وكبار قومه مدى قوة وصلابة الجيش المغربي وأنه لا جدوى في محاربة السلطان يعقوب وبالتالي فإن اللجوء إلى السلم والمهادنة يبقى

690 / 1291، فشل في الأولى وتمكن في الثانية من السيطرة على المضيق والعبور إلى أرض العدو ومحاربة جيوش سانشو بِناتشو بِناتشو طريف وشريش وإشبيلية إلى أن داهمه مرة أخرى فصل الشتاء وقلت المُون والدخائر وعاقه ذلك عن متابعة حملته فاضطر للعودة إلى المغرب فاتح سنة 691 / 1292 تاركا وراءه الأندلس لتلقى مصيرها في مواجهة الخطر المسيحي. على إثر هذا التراجع المغربي أحس سانشو بأن موازين القوى الآن اختلفت عن السابق وأن الظروف مهيأة أكثر لتنفيذ مشروعه القديم، فعزم على تكوين حلف مناوئ للمغرب جمعه بحليفه القديم محمد الفقيه صاحب غرناطة وضمن دعم القوى الأخرى كتلمسان والبرتغال وحياد فرنسا وأراغون، وذلك من أجل منع الجيوش المغربية من الجواز مرة أخرى إلى الأندلس. وكانت الخطوة الأولى تركيز سانشو لهجوماته العسكرية على مدينة طريف في الوقت الذي يضطلع فيه حليفه ابن الأحمر بمدد بالمدة والميرة مدة حصاره لها وذلك مقابل أن يسلمها إياه عند استيلائه عليها. وبعد طول محاصرتها براً وبحراً عزلها عن الامدادات المغربية مدة أربعة أشهر دب الوهن والجهد في نفوس وأجساد الحامية المرينية في داخل المدينة، وأصاب أهلها الفناء فأجبروا على مراسلة ملك قشتالة وطلبوا منه فك الحصار عنهم والتزوع إلى الصلح مقابل تنازلهم له عن البلاد. فكان ذلك بداية استسلام المدينة وتملك سانشو لها نهاية شهر شوال من سنة 691، وقد خلد النصارى هذا الحدث إذ لازالت هناك لوحة مثبته بأحد أبواب مدينة طريف المعروف بباب شريش. وهو آخر ما تبقى من آثار عربية في هذه المدينة، وقد كتب على هذه اللوحة ما ترجمته : "مدينة طريف عظيمة الشرف، ذات ولاء ورسالة وافرين، استولى عليها من يد العرب سانشو الرابع الشجاع في 21 شنبير عام 1292". لا يمكن فهم حدث استيلاء سانشو على طريف إلا إذا وُضع في إطار ظرفية ساهمت إلى حد كبير في سقوط المدينة الإسلامية. ففي هذا التاريخ تزايدت أطماع دول المنطقة خاصة المسيحية وأباتت عن رغبتها في الهيمنة على مضيق جبل طارق، وكان من أبرز انعكاسات هذه الظرفية الاتفاق السري الذي أبرم بين مملكة أراغون في شخص خايمي الثاني ومملكة قشتالة في شخص سانشو الرابع سنة 690 / 1291 بمباركة من البابا وهو المعروف باتفاق مونتيياغودو Pacto de Monteagudo الذي ينص على اقتسام النفوذ بينهما على بلاد المغرب، فتكون المنطقة الممتدة من المحيط إلى وادي ملوية تحت نفوذ قشتالة، وتعود المنطقة الممتدة من وادي ملوية إلى إفريقية إلى نفوذ مملكة أراغون. ومن البنود التي تم الاتفاق عليها أيضاً التزام خايمي الثاني بتقديم مساعدات عسكرية لسانشو في حربه ضد السلطان المغربي في الوقت الذي كان فيه ملك أراغون يظهر للعيان بمظهر الوسيط المسالم الذي يرغب في تقديم خدماته لحل الخلافات

السبيل الوحيد في هذه الظرفية للتقليل من الخطر الذي أصبح يهدد قشتالة خاصة بعد التحاق كثير من معارضي سانشو كالفونسو ذي قزمان Alfonso de Guzmán بالمغرب وانضمامهم إلى صف يعقوب في مواجهة عدوهم المشترك. وفي هذا الاتجاه بعث سانشو الرابع وفداهما يتكون من النبلاء والبطارقة والرهبان وكبار النصارية إلى أمير المسلمين يعقوب المرابط بالجزيرة الخضراء يطلبون السلم وانتهاء الحرب وعقد الهدنة. وبعد أخذ ورد قبل السلطان عقد مهادنة بينه وبين ملك قشتالة على أساس مجموعة من الشروط أبرزها : مسالمة المسلمين كافة والوقوف عند مرضاته في ولاية جيرانه من الملك أو عداوته، رفع الضريبة عن تجار المسلمين بدار الحرب من بلاده، ترك التضريب بين ملوك المسلمين والدخول بينهم في فتنة، وعندما عرضت هذه الشروط على سانشو وافق عليها مباشرة وتم التوقيع على المهادنة بالقرب من وادي لك بحضور الملكين يوم الأحد 20 من شعبان عام 684 الموافق 21 أكتوبر 1285. وقد استغل يعقوب هذه المناسبة ليطلب من سانشو أن يسلمه عدداً من المخطوطات العربية التي استولى عليها النصارى قبل هذا التاريخ من بلاد المسلمين بالأندلس، وبذلك تمكن المغرب من استعادة حوالي 13 حملاً من الذخائر والنفائس العلمية والأدبية والدينية على رأسها مصاحف القرآن وتفسيره كتفسير ابن عطية وتفسير الثعالبي، وكتب الحديث وشروحها كالتهديب والاستذكار، وكتب الأصول والفروع واللغة العربية والأدب وغيرها. فأمر السلطان بحملها إلى عاصمة ملكه مدينة فاس حيث حبسها على المدرسة التي أسسها لطلبة العلم هناك بساحة الصفارين.

بعد حوالي خمس سنوات من الهدنة والسلم بين المغرب وقشتالة عرفت المنطقة خلالها وفاة ثلاثة من كبار محركي الأحداث فيها، الفونسو العاشر ملك قشتالة ويبيرو الثالث ملك أراغون ثم يعقوب المريني ملك المغرب، وقد سمح هذا الغياب ب بروز قيادات جديدة لعبت أدواراً أساسية فيما ستشهده منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط من تطورات جديدة على المستوى السياسي والعسكري. فالسلطان الجديد أبو يعقوب يوسف الذي خلف والده يعقوب سنة 685 / 1286 اشتغل كثيراً بالجبهة الشرقية وركز كل جهده على صد التهديدات المتواصلة لبني عبد الواد أصحاب تلمسان على المغرب، وفي الجانب الآخر عاد سانشو الرابع من جديد إلى سياسته القديمة المعتمدة على تصيد الفرص واستغلال انهماك السلطان المغربي بمشاكله الداخلية والمغربية على السواء ليعلمن عن أطماعه ورغبته في توسيع مجال نفوذ مملكته على حساب بلاد الإسلام وليبادر سنة 689 / 1290 إلى تنظيم حملته العسكرية كاسحة على المناطق الإسلامية المحاذية لقشتالة. وهذا التحول الجديد فرض على يوسف المريني أن يحارب على عدة جبهات، فدخل في مواجهتين بحريتين مع الأسطول القشتالي سنة

مجلة تطوان، العدد 8، السنة 1963، ص. 192 : عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مطبعة فضالة، المحمدية، 1988، ج. 7، ص. 12، 63، 67، 71، 73، 190، 192 : رشيد السلامي، وثائق مرينية، دراسة وتحقيق، رسالة جامعية مرقونة نوقشت بكلية الآداب، الرباط، 1989، ص. 25، 31.

Silvestre de Sacy, *Mémoire sur une correspondance de l'empereur de Maroc Yacoub avec Philippe - le - Hardi*, in *Mémoires de l'Académie des inscriptions et Belles Lettres*, nouvelle série, tome IX, 1826, p. 484 - 496 ; Mas-Latrie, *Traité de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale du moyen âge*, Paris, 1866, Introduction, pp. 142 - 143, traités, pp. 96 - 97 ; Morel - Fatio, *La lettre du roy Sanche IV à Alfonso Peres de Guzmán sur la défense de Tarifa*, Bulletin Hispanique, Paris, 1900, T. 2 ; Jiménez Soler, *La Corona de Aragon y Granada*, Barcelona, 1908 ; Ballesteros y Baretta (A.), *Historia de España*, Barcelona, 1922, t. 3, pp. 25, 27, 132 ; M. Gaibrois de Ballesteros, *Historia del reinado de Don Sancho IV*, 3 v., Madrid, 1922 - 1928 ; *Ibid.*, *Tarifa y la política de Sancho IV*, in *Boletín de la real academica de la Historia*, Tome 74, 75, 76 et 77, 1919 - 1920, pp. 418 - 436, 521 - 529 ; pp. 349 - 355 ; pp. 53 - 77, 123 - 161 ; pp. 420 - 449 ; *Crónica de Don Sancho IV*, éd. Rosell, Madrid, 1955 ; Gisèle Chovin, *Aperçu sur les relations de la France avec le Maroc, des origines à la fin du moyen âge*, in *Hesp.*, T. XLIX, 1957, pp. 283 - 289 ; Ch. E. Dufourcq, *Un projet castillan du XIII<sup>e</sup> siècle : la croisade d'Afrique*, R.H.C.M., Alger, 1966, n° 1, pp. 30 - 51 ; *Ibid.*, *L'Espagne catalane et le maghreb aux XIII<sup>e</sup> et XIV<sup>e</sup> siècles*, PUF, Paris, 1966, pp. 202 - 237, 298, 328 - 332, 342 - 346 ; R. Arié, *L'Espagne musulmane au temps des nasrides*, Paris, 1973, pp. 71 - 80 ; Charles Julian Bish Ko, *The Spanish and Portuguese reconquest, 1095 - 1492*, in *Studies in medieval Spanish Frontier History*, Variorum Reprints, London, 1980 ; M. Gonzalez Jimenez, *Guzmán El Bueno y su tiempo*, in *Les espagnes médiévales, aspects économiques et sociaux*, Annales de la Faculté des Lettres et Sciences Humaines de Nice, n° 46, 1983 ; F. García Fitz, *Andalucía en época de Sancho IV*, Sevilla, 1985 ; *Ibid.*, *La defensa de la frontera del Gajo Guadalquivir ante las invasiones benimerines del siglo XIII*, in *Actas del coloquio : Relaciones de la Peninsula ibérica con el magreb siglos XIII - XVI*, Madrid, 1988 ; *Ibid.*, *La frontera cadellano - Granadina a fines del siglo XIII*, in *IV coloquio de historia medieval andaluza. relaciones exteriores del reino de Granada*, Almeria, 1988 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986 ; A. Khaneboubi, *Histoire politique et sociale*, Paris, 1987 ; Angels Masía i de Ros, *Jaime II : Aragón, Granada i Marroc, Aportació documental*, Barcelona, 1989 ; *La expansión Peninsular y mediterránea (1212 - 1350)*, vol. I, *La corona de Castilla*, Madrid, 1990 ; M.A. Manzano Rodríguez, *La intervención de los Benimerines en la Péninsula ibérica*, Madrid, 1992 ; Philippe Gourdin, *Le "Partage" du Maghreb entre l'Aragon et la Castille au traité de Monteagudo (1291)*, in *Le partage du monde, échanges et colonisation dans la méditerranée médiévale*, Paris, 1998.

رشيد السلامي

بين ملك المغرب وملك قشتالة بنية الحفاظ على مصالح بلاده التجارية في المنطقة. إلا أن تنكر سانشو للوعد الذي أعطاه لابن الأحمر بتسليمه مدينة طريف قد دفع هذا الأخير إلى تغيير موقفه السابق والانسحاب من تحالفه مع قشتالة والعودة إلى صف المغرب لعقد تحالف سياسي جديد سنة 692 / 1293 قادر على مواجهة الحلف المسيحي واسترجاع مدينة طريف إلى حظيرة الإسلام. وقد كان لهذا التحول في التحالفات دور كبير في انهيار اتفاق مونتياغودو أو على الأقل تأخير مفعوله إلى وقت آخر. وبعد فشل المحاولات الأراغونية في التوسط بين فاس وإشبيلية اندلعت الحرب من جديد سنة 694 / 1295 استمات فيها الجيش القشتالي وسجل حضوره بقوة بينما ظهر الخلل عميقا في حصار الجيش المغربي لمدينة طريف، أدرك السلطان يوسف حينها صعوبة الموقف وأحس بقرب الهزيمة واستحالة استرجاع هذا الموقع الاستراتيجي، ففضل الانسحاب ورفع يده كليا عن الأندلس ومشاكلها وترك لابن الأحمر مراقبة مجموعة من الحصون المرينية. وقد انتهز سانشو مرة أخرى هذا التراجع المغربي ليستمر في احتلال الشغور الإسلامية المطللة على الزقاق، فكانت الخطوة التالية بعد طريف السيطرة على الجزيرة الخضراء لإحكام قبضته على المنافذ الرئيسية لعبور الجيوش المغربية إلى الأندلس، إلا أن المرض لم يمهله سانشو الرابع في الذهاب بعيداً بخطته، فمات يوم 25 أبريل 1295 بعد أن قضى حوالي إحدى عشرة سنة في محاولة توسيع مجال النفوذ القشتالي بشبه الجزيرة الإيبيرية على حساب الوجود الإسلامي.

عبد العزيز المزروعي، نظم السلوك في الانبياء والخلفاء والملوك، المطبعة الملكية، الرباط، 1963، ص. 131، 147 : ابن أبي زرع، القرطاس، دار المنصور، الرباط، 1973، ص. 337، 340، 356. 384 : ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح. محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973، ج. 1، ص. 561. 564 : اللعمة البدرية في الدولة النصرية، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1978، ص. 56 : أعمال الاعلام فيمن بوع قبل الاحتلام، القسم الأندلسي، تح. ليثي بروفنصال، المطبعة الجديدة، الرباط، 1934، ص. 332، 334 : ابن خلدون، العبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 423، 424، 445، 449. 454 : القلقشندي، صبح الاعشا، القاهرة، د. ت. ج. 5، ص. 197، 265 : الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح. محمد ماضور، تونس، ط. 2، 1966، ص. 99، 101 : المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، الرباط، 1978، ج. 1، ص. 61. 62 : أ. الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء، 1955، ج. 3، ص. 55، 66، 70، 72 : ماريانو أريباس بالار، بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة،

## سانطولير شارل Saint-Aulaire, Charles موظف

من موظفي السلك الدبلوماسي المغربي أدلى بدلوه في إحكام القبضة الفرنسية على المغرب قبل انعقاد معاهدة الحماية وبعدها. ولذلك فتقاريره ورسائله عن المغرب قبل 1912 وعن السنوات الأولى من نظام الحماية تعتبر من الوثائق التي لا غنى عنها لمن يريد التأريخ لتلك المرحلة. وقد كشف هو نفسه التقاب عن شيء منها في المذكرات التي أصدرها قبل وفاته بوضع سنوات، أورد فيها بعض ما علق بذهنه من عمله في المفوضية الفرنسية في طنجة طيلة سبع سنوات، وفي الإقامة في الرباط إلى جانب ليوطي مدة أربع سنوات، وذلك بأسلوب المتكلم من ناصية اللغة الفرنسية.

وقد وُكِّد الكونت شارل بويوال دي سانطولير يوم 13 غشت 1866 من أسرة عريقة في النبيل، ومنها جاء ما كان معروفا به من الأنفة والاعتداد بالنفس والنقمة على النظام الجمهوري، شأنه في ذلك شأن العديد من أضرابه من أبناء الطبقة النبيلة الفرنسية التي وجدت فيهم الجمهورية الفرنسية خير من يتحمل عبء العمل في المستعمرات إما في صفوف الجيش وإما في السلك الإداري. وقد التحق سانطولير بوزارة الخارجية سنة 1892، فور حصوله على الإجازة في الحقوق وتخرجه من مدرسة العلوم السياسية. وكان أول منصب أسند إليه خارج التراب الفرنسي تونس، حيث اشتغل في إدارة الحماية هناك سنة 1893. ثم إنه نقل إلى العمل في قنصليات الشيلي والبيرو والبرازيل فيما بين 1894 و1901. ولما عاد إلى الإدارة المركزية في باريس، لم يمض فيها إلا بضعة أشهر قبل أن يسند له منصب الكاتب الثاني في مفوضية فرنسا في طنجة في غشت 1902. وقد أقام في هذه المفوضية سبع سنوات، تحت إمرة سان - روني طاياندييه إلى صيف 1905، وبقيادة أوجين رينيو إلى سنة 1909. وتلك مرحلة حاسمة من تاريخ التمهيد لنظام الحماية والتناور على سيادة المغرب وإجبار الدولة المغربية على الدخول في مؤامرة ما كان موسوما عندهم بخطة التسرب السلمي. وقد قام سانطولير بالدور الطلائعي في ذلك، إذ هو الذي جاء في ماي 1904 مبعوثا لدى السلطان المولى عبد العزيز لمدة بالقرض الدولي الذي ضمنته الحكومة الفرنسية، وذلك غداة تحريرها من المنافسة الإنجليزية بمقتضى الوفاق الودي (أبريل 1904). وكان هذا القرض خطوة حاسمة أولى للتنفيذ إلى قلب السيادة المغربية. وقد أبدى سانطولير لحمل السلطان وحمل مبعوث بنك باريس والأراضي المنخفضة المدعو زانكاروسيانو Zangarussiano على إرضائه يوم 18 يونيو 1904 منتهى اللين في منتهى الشدة، بما مارس من أشكال الضغط الدبلوماسي على الهيئة المخزنية المغربية، وكان من ذلك أنه هدد بالانسحاب من فاس رفقة أعضاء القنصلية والبعثة العسكرية الفرنسية إن لم ينزل بدار بنيس الفاخرة عوض الدار

المواضعة التي أنزل بها أول الأمر. وكان قد نزل بدار بنيس مبعوث أمريكي يدعى لانكرمان Langermann جاء إلى فاس يدعي التمثيل الرسمي، وإن لم يكن في الحقيقة سوى مغامر ينتهز الفرصة، وجد فيه المخزن وسيلة للتخفيف من ضغوط سانطولير الذي لم يكن ليتطلي الأمر عليه ولا ليردد في إلحاق الهزيمة بالدولة المغربية، إذ طرد لانكرمان طردا من دار بنيس ليحل بها سانطولير حلول القاهر المنتصر. وقد قال في التقرير الذي رفعه إلى رئيسه بالمناسبة: "لامراء في أن الطريقة السلمية المقترحة في المغرب لن تؤتي أكلها إلا بالقدر الذي يترسخ في ذهن المغاربة أننا عازمون على سلوك النهج الآخر عند الاقتضاء".

أما من جهة ممثل الأنيك زانكاروسيانو المذكور، فإنه كان من أصدقاء سانطولير، تعرف عليه في البرازيل، وجاء كلاهما إلى فاس وهما على يقين بأن الكلام بلسان واحد هو خير ما يحول بين المخزن المغربي وبين التملص من الجبال المفتولة لإيقاعه في ورطة الدين الدولي. ولذلك اعتبر القرض المبرم يوم 18 يونيو 1904 من منجزات سانطولير. وكان جزاؤه أن ترقى في السلم الدبلوماسي حتى أصبح هو المساعد الأول للمفوض الفرنسي، فقام بالنيابة عن رينيو في الشهور التي قضاها رينيو في مؤتمر الحزيرات (يناير - أبريل 1906)، كما ناب عنه فيما بعد كلما كان رينيو يسافر إلى باريس أو إلى الرباط أو فاس لمقابلة السلطان. فعلا كعبه في ممارسة الوظائف الدبلوماسية، وكان لا يد من ترقيته في السلك الدبلوماسي. ولذلك عين مفوضا ساميا لفرنسا في فيينا عاصمة النمسا سنة 1909. وظل يعمل هنالك إلى أن أبرمت معاهدة الحماية، واقتضى نظر الحكومة الفرنسية تعيين الجنرال ليوطي أول مقيم عام في الرباط، فحرصت وزارة الخارجية على أن يسند منصب المنسوب العام للحماية وهو كاهية المقيم، إلى أحد موظفيها فاختارت لذلك سانطولير ليكون عينها لها على ليوطي ويسهر على أن تسير الحماية في نهج مراقبة الجهاز المخزني المغربي وليس في نهج الإدارة المباشرة. ولكن ليوطي وسانطولير كان من طينة واحدة، من البيوتات النبيلة الفرنسية المتفترزة من الحكم الجمهوري، الراغبة مع ذلك في توسيع نفوذ فرنسا حيث ما أمكن، هذا بسيفه والآخر بقلمه. وكان من حسن تعاملهما ما أبهر رؤسهما، فحصل بينهما كامل التلاقح، إذ أخذ ليوطي عن سانطولير أساليب المخاتلة والمراوغة الدبلوماسية مثلما أخذ سانطولير عن ليوطي كيفية القصف والمناورة العسكرية.

وقد ظل سانطولير يقيم صرح الحماية إلى جانب ليوطي أربع سنوات، إلى أن احتاجت وزارته إلى خبرته بشؤون أوروبا الوسطى فأسندت إليه مفوضية فرنسا في رومانيا سنة 1916، وظل يعمل فيها إلى أن حل وقت ترقيته

سفيرا، فتم تعيينه سفيراً لفرنسا في مدريد. لكن لم يقض في مدريد سوى بضعة أشهر من سنة 1920، لأسباب يذكرها من وجهة نظره في كتابه. وقد عوض عن مدريد بسفارة لندن التي قضى فيها أربع سنوات من 1920 إلى 1924، حتى إذا كانت الانتخابات العامة تلك السنة وأسفرت عن فوز اليسار، كان من قرارات وزير الخارجية في حكومة الكارطيل عزل سانطوليير وإحالته على الإدارة المركزية في انتظار سن التقاعد. وكان ذلك أقل ما يمكن أن يتخذ في حق موظف لم يخف أبدا استخفافه بالنظام الجمهوري. وفي طي مذكراته التي أصدرها سنة 1952 أكثر من دليل على ذلك.

*Annuaire diplomatique de France, 1924 ; C. Saint-Aulaire, Confession d'un vieux diplomate, Paris, 1953 ; Charles-Roux François et Caillé Jacques, Missions diplomatiques françaises à Fès, Paris, 1955 ; P. Guillen, Les emprunts marocains 1902 - 1904, Paris, 1972.*

إبراهيم بوطالب

**السانانية**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Azenia و Sania و Aceña وهي كلمة مشتقة من كلمة السانية (الناعورة) ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان حيث لم يبق منها إلا اسم حومة السانية التي أحدثها المهاجرون الأندلسيون الذين أتوا إلى تطوان سنة 1019 / 1610 حيث كانت الحومة المذكورة تعرف برباط الأندلس.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطوان 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1371.

محمد ابن عزوز حكيم

**السانانية والناعورة** اسمان لآلة تستعمل في استخراج المياه ورفعها من الأسفل إلى الأعلى مع بعض الاختلافات الدقيقة، وتجدر الإشارة إلى أنها لم يرد لها ذكر في المصادر المغربية قبل العهد المريني يقول صاحب القوطاس (407) : "عملت الناعورة الكبرى بوادي فاس، بدئاً بالعمل فيها في شهر رجب من سنة 685 / (1286) ودارت في شهر صفر 686".

ورد عن الناعورة يتعلق بالعهد المريني خاصة فترة حكم السلطانين أبي الحسن وأبي عنان، مما يعني أن هذه الآلة التي أعجبت الناس (خاصة وعامة) كانت حديثة العهد في المغرب ولم يسبق استعمالها فيه، وقد كانت معروفة في المشرق وفي الحضارات القديمة ومنها حضارات بلاد الرافدين؛ ما تزال مستعملة إلى يومنا هذا لرفع الماء من دجلة والفرات لسقي الحقول والبساتين. ولاشك أن هذه الوسيلة انتقلت

إلى المغرب عبر الأندلس وركبت أو بنيت كما جاء في المصادر على وادي فاس واستغرق تركيبها قرابة السنة، وقد استعملها سلاطين بني مرين لسقي حديقة (المسارة) (فيض العباب، ص. 20 - 47 - 50) ثم انتشر استعمالها بعد ذلك في باقي أرجاء البلاد (المعيار، 1 : 296).

هذا النوع من آلات استخراج المياه (الناعورة) ذاتي الحركة ولا يقيم إلا على ضفاف الأنهار ويشترط لإقامتها وبنائها وجود مساقط مائية أو مجرى مائي ذي تيار سريع حتى يتمكن من إدارة العجلة العملاقة (أو أصغر أو أكبر بحسب صبيب مياه النهر وعلو ضفافه) ويدورانها قلااً الاكواب المثبتة على محيطها تلقائياً وبشكل يجعلها تفرغ المياه على جفنة أو صهريج مبني على الضفة ومنه تؤخذ المياه في الاتجاه المرغوب فيه (فيض العباب، 1 : 6 - 61 - 51) ونفهم من إشارات وردت عند ابن الحاج (فيض العباب، 47 و50) إن هذا النوع من النواعير حديث وجاء ليخلف نواعير تقليدية قديمة تدار بواسطة الدواب هي التي كانت تعرف بالسانانية : "... ولما رأى مولانا أبذه الله أن هذه السانانية قد لا تبالغ في العطية ولا يسرع بعمل فريضة دورانها الحمارية وأنه قد يحتاج إلى أكثر من مائها وأعظم من نائلها وحياتها أمران تعمل على نهرها ناعورة توفي بالمقصود..."

فالسانانية حسب هذا النص وما تلاه من نصوص وإشارات في مصادر أخرى تختلف عن الناعورة، وأوجه الاختلاف متعددة أهمها اثنان :

- (1) الناعورة ذاتية الحركة.
- (2) الناعورة تقام على ضفاف الأنهار والمجاري لمائية.
- (3) كبيرة الحجم يتراوح قطرها ما بين 6 أمتار إلى 26م.

أما السانانية فهي أصغر حجماً وتديرها الدواب، وقد تقام على ضفاف النهر أو على الآبار، على أن مصطلح السانانية الذي ظهر في العهد المريني (فيض : مسالك، 294 و HT) جاء ليميز ما بين تلك التي ترفع الماء من الآبار وتديرها الطاقة الحيوانية، فالسانانية بحسب ما رأينا هي تلك الآلة التي ترفع المياه من الآبار المستطيلة الشكل وغير عميقة المياه وتلقي بها في جفنة أو صهريج معد لذلك ومنه تؤخذ للسقي أو لأغراض أخرى، وهذه الآلة لا تختلف في شكلها عن الناعورة، لكنها أكثر انتشاراً منها وقد عمت المغرب منذ ذلك العهد وانتشرت في مدنه وبواديه وتجاوز المصطلح الآلة ليشمل البئر وما تسقيه مياهه من بساتين وحقول، فأصبحت السانانية هي تلك الاستغلال المتوفرة على البئر وآلة استخراج المياه، والحقول والبساتين المعدة لانتاج البقول والفواكه والخضر ؛ وقد ساهمت هذه الآلات (السانانية) في تطور الفلاحة وازدهارها فكانت المدن العتيقة مليئة بالسواني وتحيط بأسوارها وتقتد إلى مسافات بعيدة بحسب وفرة المياه، وساعد على ذلك تزايد الطلب من قبل ساكنة المدن على المنتجات الفلاحية الطريقة، وشكلت السواني منتزهات داخل تلك المدن

وخارجها تغني بها الشعراء والمغنون مثل سواني مدينة سلا والرباط وغيرها.

ابن الحاج، فيض العباب، تح. م. ابن شقرون، الرباط، د. ت. : ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972 : العمري، مسالك الألبان، الجزائر، 1924، الرباط، 1979 : الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1980 : أ. الونشريسي، المعيار، الطبعة الحجرية، أحمد الفيومي، الصباح النير، مصر : عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، بيروت، 1983 : محمد الطويل، الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، د. د. ع. مرقونة كلية الآداب بالرباط، 1988.

محمد حجاج الطويل

**الساوري محمد بن محمد الفاسي**، نشأ بفاس في أحضان والده الذي كان من كبار حفظة الطرب الأندلسي بهذه المدينة، ومن ألقبهم السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن (1270 - 1290) بقصره من أجل تعليم الإماء صناعة الموسيقى.

وقد تأثر الفتى بوالده، وأخذ عنه مبادئ الموسيقى الأندلسية وحفظ بعض مستعملاتها.

ألقبه والده بإحدى ورشات التجارة، فكان يلتقي ببعض شيوخ وهواة طرب الآلة الذين يجتمعون فيها بين الفينة والأخرى على عادة الناس في ذلك العهد، ومن بينهم إدريس اسميرس، وناصر الصقلي، وأبو بكر العلوي وغيرهم وقد استفاد الفتى من مجالس هؤلاء فزاد ولعه بالموسيقى الأندلسية واتسع نطاق معرفته بمبازينها : وماعتم أن أصبح من الماهرين في حفظ الثوبات والعزف على آلة الرباب.

وقد أهدته مهارته في الموسيقى وخبرته في التجارة للالتحاق بالقصر الملكي على عهد العاهلين المولى عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ على التوالي، فكان يراوح بين تعليم طرب الآلة للإماء وبين تجميل القصر بالنقش والزخرفة على الخشب.

تتلمذ عليه بفاس سيدي محمد الوكيل والى الفنان مولاي أحمد الوكيل، فأخذ عنه الفنون معا : التجارة وطرب الآلة، وتعلم على يده العزف على آلة البيانو. ومن المتأخرين الذين أخذوا عنه أيضاً الفنان الفاسي محمد بن إدريس المطيري.

توفي المعلم محمد الساوري بفاس يوم 25 شوال 1345 / 28 أبريل 1927.

ع. الرحمن ابن زيدان، الإتحاف، 3 : 368 : حاتم الوكيل، الموسيقى الأندلسية من خلال مسيرة الفنان مولاي أحمد الوكيل، سلسلة المعرفة للجميع، عدد خاص مارس 1999، ص. 48.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**السايع، أحمد (سيدي -)** عبارة عن قبة تزار على ساحل البحر المحيط الأطلسي في قبيلة إداوسارن الحاحية جنوب مدينة الصويرة، وقد كان المكان رباطا للمجاهدين، وصمّن رباط فيه بقصد الجهاد ومحاربة العدو الوارد من البحر دفينه سيدي أحمد السائح المتوفى عام 1589/997، كما رباط فيه قبله العلامة الصوفي الكبير محمد بن سليمان الجزولي صاحب دلائل الخيرات، ولا يزال موضع رباط الجزولي مقدساً هناك عند الأهالي يسمونه (مرقع سيدي محند أو سليمان) ويقع عند أسفل الضريح إلى جهة الشمال الغربي على بعد مآت من الامتار.

يقال إن أصل سيدي أحمد السائح من فرقة إسماعيلين الموجودين بقبيلة متوكة، فلهذا يطلق إسماعيلي على القرية التي بجوار ضريحه.

تتركب هذه المزاراة الشاطئية من ضريح، وكتّاب، وبيوت لنزول الزوار ودكاكين صغيرة للبيع والشراء، وهو شاطئ سياحي جميل لكنه يفتقر إلى التجهيزات الحديثة. م. الصوري، الكتاب المتنقل : تحريات ميدانية.

محمد أيت الحاج

**السايع، محمد بن عبد السلام**، أصل أجداده من الأندلس ويعدّ شخصية بارزة من كبار العلماء والمثقفين بالرباط في النصف الأول من القرن العشرين. سامي التفكير عميقة، اشتهر في غير الرباط مثل فاس ومكناس، درّس بالمدرسة اليوسفية بالرباط ولقلة المصادر والتأليف التعليمية آنذاك كتب مؤلفاً للتلاميذ سماه المنتخبات العبقريّة لطلاب المدارس الثانوية في تاريخ المغرب والممالك الإسلامية وتراجم علمائه وأدبائه وأبطاله. وفي سنة 1921 رشح للعمل بالمحكمة العليا للجناتيات ثم مجلس الاستئناف الشرعي، وتولى القضاء بالمجديدة ويوادي زم وشراكة بأحواز فاس ثم بفاس نفسها وختم وظائفه القضائية بمكناس. كان يكره متقمصي التصرف الكاذب فألف رسالة سماها المنهل الوارد في تفضيل الوارد، حمل فيه حملة شعواء على المضللين ورؤساء الطرق الغاوين،







وأخرى مرتبة على حروف الصحابي عمران بن  
حصين، مطلعها :  
عودتني منك إحسانا وثقت به وحاشا فضلك أن أراه ممنوعا  
وأخرى مطلعها :

الله أكبر لا كبير سواه جلت محامده وعز ثناءه  
وهي قصيدة أنشدها توسلا عند شوب الحرب بين  
روسيا وتركيا بين سنتي 1294 - 1295 / 1877 - 1878 .  
فانجلي الهم الذي أصاب المسلمين آنذاك بانتصار الأتراك،  
وكان قد انعزل في خلوته أسبوعين يدعو الله حتى  
استجيب له.

توفي أبو المواهب محمد العربي ابن السائح بالرباط  
منسلخ رجب عام 1309 / 29 فبراير 1992. وضحيه مزاره  
شهيره بباب العلو. وكان ضريحه مسرحا لدروس دينية  
عالية حيث كان يلقي الشيخ أحمد بن المامون البلغيني  
1309 / 1891 دروسا في صحيح مسلم؛ كما درس الشيخ  
محمد المدني ابن الحسيني القواني الفقهية لابن جزي بين  
العشائين.

أ. ابن موسى السلاوي، ختم صحيح البخاري، مخطوط : ع.  
الرحمن ابن زيدان، إتحاف، ط 2، الرباط، 1990، ج. 5 : أ.  
سكيج، كشف الحجاب، ط 3، عام 1381 / 1961، ت : ع.  
السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت،  
1996، ج. 8.

عبد العزيز بن عبد الله

ابن السايح، محمد بن محمد مقاوم، ولد سنة  
1326 / 1908 بالسمايلة دوار أولاد الديك فخذة أولاد  
منصور جماعة البراكسة. كان يشتغل بالفلاحة وتربية  
الماشية ينتقل بين أسواق المنطقة مما جعله يطلع على  
القضية بجميع أبعادها، فدفعه شعوره هذا إلى الانخراط  
في تشكيلة منظمة اليد السوداء بوادي زم حيث قام بتنفيذ  
عدة أعمال تخريبية ضد المنشآت الفرنسية بالمنطقة.

وفي فاتح محرم عام 1375 / 20 غشت 1955 شارك  
مشاركة فعالة في مظاهرة وادي زم الخالدة التي أصيب  
خلالها برصاص الجنود الفرنسيين وسقط شهيدا في عين  
المكان.

الندوية السامية لقداما المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهيد،  
الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 508840.

السايس، هضبة (التوازن البيئي للإقليم) أهم ما  
يميز السايس، في وضع الخصائص البيومناخي الغالب في  
بلادنا، هو تمتعها بالطبيعة الأكثر توازناً، مقارنة مع باقي  
الأقاليم المغربية. وهو أمر يستحق التحليل ومحاولة رصد  
المؤهلات الطبيعية واستنباط مؤشرات القوة النسبية فيها.  
يُمثل السايس مجموعة هضاب وسهول، يبلغ معدل  
ارتفاعها 600 م، لكنها تبدو على شكل منخفض بنيوي،  
يسعُ لحوالي 2700 كلم<sup>2</sup>، بين مقدمة الريف، شمالاً، وكتلة

انتقاله من مكناس حسبما يقال ما شاهدته في أهلها من  
سماجة طباعهم وقبح معاشرتهم وخصوصاً العلماء، كما وقع  
للإمام ابن غازي فإن سبب انتقاله إلى فاس هو أنه أتاه  
صاحب الوادي في حالة إقرانه بمجلس درسه وطلب منه  
بوقاحة كبيرة أن يؤدي ما وجب عليه في إصلاح الوادي،  
ولم يمهله إلى الفراغ من الدرس، فقام الشيخ وقال هذا البلد  
يستحق الهجران". وأنشأ يقول :

طلقت مكناسة ثلاثا والشرع يابى الرجوع فيه  
ليست بدار سوى لقاضٍ أو عامل الجور أو سفيه  
لولا حلول الإمام فيها لم يُجرها فاضلٌ يفنيه  
ولعل لسيدى العربي بن السايح أعذاراً أخرى كانت  
السبب في هجرته إلى رباط الفتح، وهي هجرة تعد مفخرة  
للرباط.

قال في حقه مؤلف إتحاف أعلام الناس : "علامة  
مشارك نبيه، مدرس نفاع ناظم نائر بارع فاضل ماجد لين  
هين مهاب صالح، مرشد ناصح، له إشراف على التاريخ  
مستحضر لتراجم المتأخرين، معتن بقراءة صحيح البخاري،  
إذا تكلم في حديث أتى بما يبهز العقول، مما لا يُظفر به في  
ديوان منقول. من أهل الرسوخ في السنة والتمكين، عارف  
بربه دال عليه مرشد إليه قدوة..." (5 : 429).

أخذ عن الشيخ عبد القادر الكوهن القاسي دفين المدينة  
المنورة، والشيخ عبد القادر العلمي المكناسي (سیدی قدور  
العلمي)، ومحمد الهاشمي السمرغيني دفين عين ماضي أخذ  
عنه الطريقة التجانية التي كان ابن السائح من كبار رجالها.  
ومن أشهر تلاميذ ابن السايح الرباطيين الأديب أحمد  
جسوس (ت. 1331) والفقيه بلامينو (ت. 1333)  
والقاضي أحمد بناني (ت. 1340). ومن السلويين المحدث  
أحمد ابن موسى، (ت. 1328)، والأديب الحاج الطيب عواد  
(ت. 1336) وغيرهم كثير.

مصنفاته :

بغية المستفيد لشرح منية المرید (ط. القاهرة  
1886/1304).

- ختم صحيح البخاري، قيده تلميذه أحمد بن محمد  
ابن موسى السلوي (مخطوط 1746د).

- جواب على سؤال أحد أهل سوس التجانيين في  
موضوع تخفيف المكث بين السجدين وبين الركوع والسجود  
(مخطوط خ. ع 2462 د).

- كناشة (مخطوط خ. ع 133 ج)

- إفاذات وإنشادات (مخطوط خ. ع).

- ديوان شعر في الأمداح النبوية. كان بيد تلميذه  
العلامة عبد القادر لبريس الرباطي.

- ديوان صغير في المناجاة والتوسلات، وفيه إخوانيات  
وسلطانيات وغزليات وفكاهات.

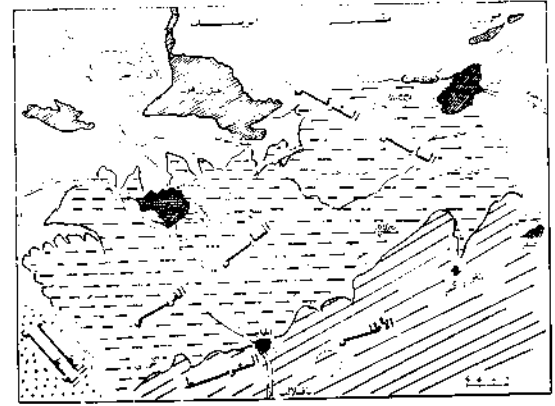
ومن غرر شعره قصيدة مطلعها :

يارحمة للعالمين وخير من تجلى به عنا المصائب والكره

الأطلس المتوسط، جنوباً. كما أنه يبسط نظام انحدارات، تقل عموماً عن 1٪، في ظروف مناخ متوسطي خال من مظاهر الإفراط.

تتألف قاعدته الصخرية البسيطة من مستويات رسوبية ثلاثة: كلس بحيري من فوق رمال وصلصال بحري عميق. يسمح ممال الطبقات الصخرية الضعيف، بصفة متجانسة مع الانحدار، بالتشكيل المضبوط المناسب للتصريف الكافي للمياه دون أن يؤدي الأمر إلى مخاطر نوعية كبيرة من حيث التعرية.

تكون بذلك قد اجتمعت أحسن الظروف من أجل إعداد وصون عطاء ترابي غني ومستقر، لا يتعرض بصفة تذكر لأي نوع من أنواع التحديث السطحي المناوي للخصوبة، لأن التربة توجد، على العموم وفي أن واحد، في مأمّن من التراكمات المطيرة لها، وكذا من الأزاحة المخربة.



أما مستويات القاعدة الأقدم، من تحت الصلصال، فهي نفس طبقة الدولومي السيليك ومعها تفرشة الطين الترياسي، المكونة لهضاب الأطلس المتوسط المشرف جنوباً، والمؤلفة في عمق الساييس وفي جل اتساعه لأحد أهم الخزانات المائية الجوفية الوطنية.

لاشك أن الرخاء الطبيعي النسبي قد أسهم في تسهيل التمرکزات البشرية بأشكال مبتكرة ومفرقة في القدم، بقي منها بعض الآثار المنتشرة في السهول وعلى سفوح الكتل الجبلية المحيطة. كما يتوفر الإقليم، من خلال مدينتي فاس ومكناس، على حاضرتين هامتين، عرفتا، بمدى مختلف، الاضطلاع بمسؤولية قاعدة الحكم المركزي والإشعاع الحضاري المناسب.

يعرف استعمال التربة الحالي، في جل الأراضي، الزراعة الآلية الكبيرة، التي جاءت بعد البستنة الدقيقة والمتفتنة التي كان يمارسها نخبة من المتأصلين من واحات الجنوب الصحراوي أو من مزارعي البساتين الأندلسية، والتي مازالت بعض مظاهرها قائمة في بطون الأودية من حول المدينتين.

السمة المعبرة التي أعطت لهضاب الساييس شخصيتها المتميزة هي الظلفاء السطحية المكونة من الكلس البحيري، الذي تراكم في قرار البحيرة الشاملة التي عمت المنطقة خلال البليو سين الأوسط. وهي مرحلة حاسمة، ترجع إلى ثلاثة ملايين ونصف من السنين قبل الآن، عرفت انطلاق أهم الأحداث الفاعلة في الجهة، وتعدتها إلى جزء كبير من العالم.

جدير بالذكر قبل كل شيء، أن البحيرة التي استمدت أكبر قسط من تعبثها من مياه الخزانات الدولوميتية للعالية الأطلسية، لم ترث من ضمن موادها تلك الخاصيات السلبية الملائمة لهذا الصنف من الصخور، والتي منها امتناعها عن الاستعمالات كأن تكون مادة أولية لصناعة الإسمنت مثلاً، وضعف جودة الأثرية المغنيزية من فوقها على العموم. بل حصل نوع من التصفية فرز كاربونات الكالسيوم صافية وكون منها الكلس البحيري الخالص. أما المغنيزيوم فقد تبين توظيفه على حدة في الأطنان السطحية التي تطورت في الأوساط الكيماوية الأكثر انحباساً، وخاصة منها الكلوريت والباليفورسيكيت في المراحل المتقدمة من تكوين القشرة الكلسية والرصاصية. كما أنه بالإضافة إلى نفس الظاهرة الرسوبية البحرية المتميزة، ومواكبة لها، حدث المنعطف المناخي الأساسي، المتجلي في الانتقال النهائي من المناخات الحارة ذات النزعة المدارية التي كانت سائدة من قبل، إلى ظروف توازن حيوي أكثر اعتدالاً، والمفضية إلى المناخات المتوسطة المتفاوتة الرطوبة التي طبعت البلاد حتى الآن.

وقد عرف الساييس، كباقي البلاد المتوسطية الجنوبية، التناوب المتكرر وغير المتكافئ لفترات رطوبة وجفاف، تتلخص في ثنائيات من مطير وبيمطير، يحمل كل منها اسم دور بذاته، يعمر بمعدل مائة سنة. وقد استفرد التطور كل المدى الزمني اللاحق للبحيرة، مع تسارع خلال الرباعي (الرباعي المغربي، الجزء 13).

ومن الملاحظ أن التقلبات البيومناخية قد جاءت مدعمة بتدخل قوي للبنائية. لعب التحكم البنائي أدواراً رائدة. إذ منذ بداية الرباعي، انقسم الساييس إلى إقليمين اثنين، واحد غربي، يوافق هضبة مكنايس الحالية، وقد تميز بالتصريف الخارجي للأودية، والأخر شرقي، هو سهل فاس الحالي، وقد عرف إلى حدود الرباعي الحديث ظروف انحباس تام. نتج عن ذلك أن أودية الغرب أكثر تعمقا وأجدر بالتزويد بالمواد الخشنة، مع بيانها هضبية أثرتها حمراء (الحمري، الجزء 11، ص. 3584) يعلوها بعض الاسرار. في حين تنزع الأثرية في الشرق إلى مواصفات السمرة والتيرس (التيرس، الجزء 8، ص. 2663) والميهية. استمر التحكم البنائي طيلة الرباعي، مع ظهور فترات أوجية منها الاهتياجات البركانية في الأطلس المتوسط

المجاور وتأثيراتها المباشرة خلال الرباعي القديم والأوسط (الدور الملوياتي : 500 000 سنة قبل الحالي والعميري : 500 000 ق. ح) ومنها الأزمنة الانتهاضية لبداية السلطاني (70 000 ق. ح).

أمدّ الثوران البركاني بطفوحات بازلتية، تسلمت إلى المنطقة من خلال الأودية، وأعطت محاطات خصبة من الأتربة المتحدسلة السمراء المستعملة في البستنة والزراعة التجارية، خاصة في المنخفضات الجنوبية عند خط العيون في قدم السفوح الرابطة بين الحاجب وإيموزار.

على العموم، تقوم البنائية بتنشيط ملحوظ للتطورات السطحية، كما تتولى تغليب نزعة تفضيلية على غيرها. لكن تبقى معالم كل دور من أدوار الرباعي رهينة بالوضع البيومناخي السائد خلاله، الأمر الذي سمح بوجود مظاهر موحدة للسطح، من أهمها : التلييد، والقرنة، والرصرصة، والنزركة، وأساليب ومظاهر تحريك الفتات على السطح.

التلييد تسمية مبتكرة لظاهرة فريدة لازالت مرجعية تفسيرها العلمي محدودة، رغم أن الأمر يتعلق بأداة تفسيح أساسي للصخور، لعبت الأدوار الأولى إقليمياً، فضلاً عن أنها أثبتت علاقات عضوية، وتفسيرية، مع ظاهرة القشرة. ومعلوم أن الاهتمام بالقشرات الكلسية استحوذ على القسط الأوفر من دراسات جيوكيما السطوح، وربما كان مسؤولاً بذلك عما أصاب أليات التلييد من تعقيم.

تعرض أوسع المجالات الساييسية لمفعول التلييد، في الملوياتي، الدور الأول من الرباعي، حول جزءاً هاماً من ظلفاء الكلس البحيري الشديدة الصلابة إلى سحنة هشّة، مبيضة، ليبيدية أي قريبة الشبه بالطباشير شكلاً ومقاومة. ولقد تبين أن وقعه هو أكبر وأكثر تعقيداً، حيث أنه قضى بتشيش الظهورات السطحية للأكلاسي الصلبة، والعسف المتفاوت التعمق في المواد الفتاتية الدقيقة، بما فيها الأطنان وحيات الرمل السليسي. وقد استطاع بذلك تلمس ومجانسة السطح بالخلق الكامل لطبقة كاربوناتيّة سطحية منشأة، على أساس تفسخي صرف.

وعلى العموم، فإن الظلفاء الكلسية الصلبة التي تعرف اعتياداً التلمس الكيماوي المشرب، المنتج لأتربة حمراء قوامها الأطنان الرملية المتوسطة الغنى بالسليسي المندمج، قد تعرضت في الملوياتي إلى تفسيح التلييد، القوي الكفاءة، الذي حقق التمشيش بفعل تخفيف كثافة الكلس الصلب والإنتاج الثانوي لطين حديد - مغنيزية سوداء، شديدة الغنى بالسليسي.

ومن غريب التطورات في الساييس، أن للتلييد يداً في رسم وإعداد شبكة الأودية. ذلك أن عمليات الانتشال الكيماوي المرافقة، خلفت ضمورات في هيئة مقعرات تفسخية، ركبتهما شبكة الأودية، فأعطت التشكيل المتموج النوعي لهضبة مكناس على الخصوص.

كما أن للتلييد مسؤولية مباشرة في تكوين القشرات الليبيدية المتكتلة التي عرفها الرباعي الإقليمي القديم على أوسع مدى.

لقد ثبت أن القشرات الكلسية تنتظم داخل متواليات طبوغرافية طويلة الأبعاد، جاءت حلقاتها المعبرة كالتالي : في العاليات، مباشرة من فوق الركائز الكلسية، توافق القشرات الليبيدية، بكل بساطة، التلييد التفسخي الأنف الذكر المتشكل على حساب الكلس المقاوم.

في السافلات المقابلة، يتلقى كل حوض استقبال فتاتي دقيق، ترابياً كان أم رسوبياً، الإمداد الجانبي للبيد التفسخ الفاتس بفعل تخفيف الكثافات الكلسية في العاليات. يتجلى أوضوح نموذج للوضع في منخفض الضويات، في جل المجال بين مدينة فاس ووادي مكس.

ليبيدة السافلات إذن مادة منقولة، توجد في مواقع الاستقبال. لا يمكن تعريفها في هذا الحيز إلا بوصفها قشرة مصحوبة بمظاهر العسف الكلسي. وقد حطمت فيها التطعيمات العذانية فئة المتطقات الطينية لفائدة الكلوريت وخاصة لفائدة الأطنان النفوخة.

وهكذا، فإن سلسلة التلييد، بين تفسخية في العاليات ومقشرنة في السافلات، تسهم في موجة توزيع وتعميم للمواد الجيرية الهشة المصحوبة بمضمون طيني غني. قاعدة صخرية هذا شأنها، في ظل المناخ الإقليمي السائد، قد عمست إلى حد بعيد الأتربة السمراء الكلسية، التي يزيد من دكنتها وغناها طين السمكيت، والتي تصير قابلة للتحويل إلى أتربة تيرسية كلما غلبت بنائية التهديل.

أما القشرة المتورقة الصلبة، فهي تبدو كسحنة تدهور بيومناخي لاحق، تكونت خلال أقصى التجفيف البيمطيري. يجعلها طابعها المستقل والسطحي لا مبالية بالقواعد الصخرية. معالم تنافرها متعددة يؤكدتها تكاثر عناصر التحريك الحديثة فيها.

لم تكن القشرة الكلسية الملوياتيّة ظاهرة عادية في الساييس، بل افترض تحققها اقتحام عتبات بيومناخية في اتجاه الترطيب تارة، حيث اللييد التفسخي، والتجفيف أخرى، بتشكيل التوريقات الصلبة. فلم تتكرر الظاهرة بعد ذلك إلا في الدور التانسفتي (الرباعي الأوسط)، معطية السحنات المتورقة وحدها. في الفترة البيينية، الفاصلة بين القشرتين الملوياتيّة والتانسفتية، أدخلت الرطوبة الزائدة، خلال العميري، مرحلة تفسح عميق، شخرت القواعد الكلسية الصلبة التي أدركها في الجهات الجيدة التصريف، وأنتج رصيذاً معتبراً من الأتربة الحمراء.

تعتبر الرصرصة شكلاً آخر من أشكال إعادة نشر الأكلاسي التفسخية. لكنها، خلافاً للقشرة، قد اكتست في المنطقة صبغة الشيوخ في الزمان. فواكبت بصفة متفاوتة مجموع البليو - رباعي القاري، بتخصيص ثلاث نويات أوجية كبيرة في البليوسين العلوي - الملوياتي وفي

العيمري وفي السلطاني والغربي القديم (راجع : الرصاصة).

أهمية الرصاصة هنا شاهد على تمتع الإقليم بتردد ملحوظ لفترات الرطوبة النسبية خلال الرباعي. فمعلوم أنها تشييد على أساس هياكل أحيائية، قوامها بسط طحلبية خفيفة، حلقاتها مهملة، يتم نسجها في أوضاع نسبية رطبة وباردة. تتحول هذه الهياكل العضوية الكثيرة المسامية إلى مواقع للتسرب الكاربوناتي الدقيق والنشط الذي يخول التكثيف والتلون المتغاير. تنتج الرصاصة الصخر الكلسي بإيقاع أسرع بكثير من أي أسلوب آخر.

ومن أهم الأدوار التي قامت بها على وجه الاستعجال، بالمقاييس الطبيعي، التحصين الجيومورفولوجي لحافات الهضاب العظوية، المهذبة بوقع التعرية. وقد تأكد ذلك بزخم خاص في الفترات الرطبة للعيمري والثانسفتي، حيث تتشعب المحاليل بسهولة من المادة الهشة للبانء الهضبة، التفسخية والقشرية معا، وتعيد استعمالها في تشييد تغليف رصاصي كثيف وصلب قادر على حماية الهوامش الشمالية المعرضة، خاصة منها هضبة مكناس.

وأخيراً، انكشف أن الأثرية في المنطقة ليست فقط نتاج تقابل الثنائية المكونة من الصخر الأم والبيومتاخ، ولكنها كذلك حصيلة تحريك للحبيبات على السطح، زادت حدته في الرباعي الحديث.

ففي ظروف زائد الرطوبة الذي غلب خلال الرباعي الأوسط، ساد تعميق التفسخ واستخلاص المواد الفتاتية من اللحام الكاربوناتي، وتكرر بصفة معتدلة في مطير الدور السلطاني، فتجمعت على الإتر أصداء هائلة من المواد غير الذووية. ثم طغى التحريك في اليمطير السلطاني التابع، طامسا جل البنيات السابقة. عقبه الغربي القديم، البادي الاستقرار، الذي أعطى، خلال آخر مطير كبير، ظروف الاستقرار الحيوي المواتية لإنتاج الأثرية السيدبالية والتيرسية.

وجاء الوضع الحالي للسطح بعد تطور غربي اختلافي، غير بعض معالم هذه الأثرية وكون الدرجات الطمبية الرمادية التي تعين قيعان الأودية.

يعني التغيير هنا، في البيأنهار، معاودة تحريك سطحي خفيف، لكنه عميم الفائدة. حصل من جرائه تجنيس للمسكات السطحية، مانحا إيها التوازن النسيجي والعدائي بفرز وتوزيع الكلس والرمل والطين والحديد، أفاد في التخفيف وخاصة في ترقية القطاع المائي للتربة.

على غرار جل المناطق جنوب البحر المتوسط، يبدو الساييس على هيئة فسيفساء ليس فقط بالنسبة لأنواع الأثرية والتكوينات السطحية ولكن كذلك بالرجوع إلى انتسابها الزمني والتطوري. من ذلك الطابع النفيس لهذا التراث، مضاف إليه الرصيد المائي، وكذا صعوبة تدارك التدهورات الحاصلة.

خلال القرن العشرين، تزايد الضغط على الموارد الطبيعية بصفة غير مسبوق، حيث تواتت الزراعات التجارية على الأراضي واستنزفت المياه، وتضاعفت المساحات المبنية في مدينة مثل فاس مثلاً بحوالي ست مرات، وتغير تشكيلها وغاذج الاستهلاك في هياكلها. وبدا واضحا أن مرد التدهور بشري، وأن من جملة المسارات التي أدت إليه : تهميش وإبعاد سكان الأرياف المدشن في فترة الاسعمار، وتهميش وإفقار المدن الأصلية بسبب مصادرة أزمة القيادة الاجتماعية والاقتصادية، وضعف تكيف المدن العصرية التي تحولت إلى هاوية إتلاف للموارد الطبيعية.

D. Fasi, *Les formations superficielles du Saïs de Fès et du Meknès du temps géologique à l'utilisation des sols*, Rabat, 1999.

إدريس الفاسي

**ساييس** (زاوية -) تقع بأولاد مسعود، فخذة من أولاد بوعزيز الجنوبية. وكانت من أهم حصون دكالة في القرن الثامن (14 م) تحمل اسم "حصن ساييس" كما سماها لسان الدين بن الخطيب عندما زارها في عهد الدولة المرينية. وصيغة هذا الاسم لاتدع مجالاً للشك في أصله الأمازيغي وفي كون هذا الحصن قد تم تشييده، حسب تعبير الحسن الوزان على يد الافارقة الأقدمين.

ولقد بات بن الخطيب في حصن ساييس أثناء رجوعه سنة 761 من مدينة أسفي، وكان ذلك في وقت انهيار الدولة المرينية، عندما استحوذ بعض الشيوخ على السلطة في الناحية واحتكروا الجبايات لأنفسهم، فشاهد النكية التي حلت بأحد هؤلاء الشيوخ، فقال عن هذا الحصن : "دار عادية ملوكة تُنسب لأحد أشياخ الوطن ممن غمَسَ يديه في الجباية في الدّم الفرت تدل على انسحاب دنيا كانت سحابة صيف..."

ثم كانت هذه القرية التي تقع على مقربة من قرية تارتر تابعة في القرن العاشر (16 م) إلى قبيلة مشنزاية. وفي عهد السلطان مولاي إسماعيل العلوي، ورد علي هذه القرية أحد الأمغاريين من تامصلوحت بجنوب مراكش يُدعى مولاي إسماعيل بن عبد السلام بن سعيد. يقول الكانوني إنه قدم مع والده لشنان وقع بينهم وبين أهلهم فتزلوا على مقربة من حصن ساييس حيث الآن زاويتهم المشهورة بالساييسية، نسبة إلى الحصن الذي هو أحد الحصون القديمة بدكالة والذي كان أصحابه يتحصنون به عند الحروب. وتوجد الآن آثاره وبعضها ما يزال ماثلاً للعبان حوله آبار عديدة، ويقام عنده سوق تجاري في كل يوم سبت من الأسبوع إلى الآن، يحمل اسم ساييس.

وكان مولاي إسماعيل بن عبد السلام الأمغاري الساييسي فقيهاً فاضلاً شريفاً سرياً هماماً له رحلة إلى

فاس أخذ فيها عن شيوخ القرويين وكانت له منزلة عند السلطان المولى إسماعيل وله منه ظهير بالتوقير والاحترام والتنويه والإعظام، مؤرخ بأوائل ربيع النبوي سنة 1138. وآخر من ولده المولى عبد الله يمثل ذلك بتاريخ تَيْف وأربعين، توفي تقريباً أواسط القرن الثاني عشر، وبنيت عليه قبة بزواية سايس.

وهذه الزاوية المعروفة اليوم باسم زاوية سايس كانت تشتمل على ثلاث زوايا هي :

(1) الزاوية الفوقانية المسماة بزواية أولاد سيدي سعيد أبي عثمان.

(2) الزاوية الوسطانية المسماة بزواية سيدي محمد بن احسين التي أسسها خمسة من أولاد مولاي إسماعيل. والتي كانت تشتمل على مدرسة يُدرّس فيها القرآن والتفسير.

(3) الزاوية التحتانية المسماة بزواية أولاد إسماعيل والتي تأسست على يد ستة آخرين من أولاد مولاي إسماعيل.

وكان نقيب زاوية سايس هو القائد مولاي الطاهر السايسي، كما كان لهذه الزاوية اجباس مسجلة في حوليات نظارة الجديدة.

وليس لهذه الزاوية وردٌ خاص بها، وإنما هي تابعة للطريقة المصلحية التي يرجع أصلها إلى الطريقة الشاذلية.

ل. ابن الخطيب، نفاضة الجراب : م. الكانوني، جواهر الكمال : أ.

بوشرب، دكالة : ناحية دكالة، سلسلة مدن وقبائل المغرب تر. م.

الشياطمي، مخطوطة.

محمد الشياطي

**السَّبَاب**، تعاويذٌ يُحتسَى بها ممّا يتهدد الإنسان ويقلقه. وقد عرف الإنسان التعاويذ منذ القديم، ومنذ ظهور العرافة في العشائر الأولى، على الخصوص، حيث

كان لكل عشيرة أو قبيلة أو تجمع مسكني عرافه وساحره، وكان هذا الأخير يصنع التعاويذ لبني قومه، وهي تائم ورقبات تعلق أو تحفظ في أماكن معينة، أو تثبت على جسد طالبها، كما كانت تقتصر أحياناً على كلمات يتفوه

بها العراف أو الساحر أو الكاهن أو تائم يلغظ بها غير مفهومة لدى غيره، أو جمل أو أشعار يتعنّى بها مصحوبة

بطقوس تختلف بين المجتمع والآخر منها البخور، ومنها الحركات الجسدية (الرقص والجدبة) ومنها تقديم القرابين من الذبائح أو الهبات والعطايا العينية أو التقديبة المختلفة.

وأكثر ما يعبر المغاربة عن التعاويذ بالسَّبَاب.

من السباب أو التعاويذ المعروفة في نفس السياق المذكور تعليق بعض أنواع النباتات عند بوابة المنازل أو

بداخلها كالثوم الذي يقال إنه يطرد الأرواح الشريرة، أو

تعليق الصفائح الحديدية المستعملة لحواضر الخيول. أو تعليق رسم راحة السيد أو الأصابع الخمسة (الخميسة)، أو تعليق رسم العين أو نحو ذلك مما جرت الأساطير والحرافات والحكايا الشعبية بذكره ضمن الأسلحة التي حارب الإنسان بها على مر الحقب السحيقة أعدهاء غير المرئيين !!

وقد عرف الإسلام ظاهرة التعويذة من خلال الاستعاذة من الشيطان الرجيم نطقاً، وتلاوة المعوذتين، ومن خلال تلاوة آيات كثيرة، وردت في السنة أو في الأخبار والآثار

ما تحقّقه من النفع النفسي والاستقرار العقلي والعاطفي لما تحمله من قوى نورانية كان أساسها وسيظل دائماً وأبداً إلهي المنشأ مادام الأمر يتعلق بكلام الله عز وجل القوي العزيز

والقاهر فوق عباده بلا استثناء، ومادام ذلك من قبيل ذكر الحق عز وجل مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى : (ألا بذكر

الله تطمئن القلوب...).

والتعاويذ أو السباب لا تختلف عن الرقيات، ومفردها "رقية" (بضم الراء وسكون القاف) إلا أن الرقية أطلقت

عند العرب على الكلام المنطوق، وعند المسلمين منهم على الذكر الحكيم، باعتباره يشتمل على آيات تتم بها ترقية

المستفيد من الرقية إن كان به مفض أو ألم أو قلق أو وسوسة من فعل الشياطين ونحوهم، وغالباً ما تكون لهذه

الأفعال الشيطانية مضاعفات جسدية سرعان ما تختفي أعراضها بذهاب مسبباتها الخفية، الشيء الذي جعل

البعض يعتقد بأن الرقية تنفع في دفع الأمراض والآفات الجسدية حتى ذات المنشأ الفيزيقي الملموس. وقد وقع في

هذا الخلل جمهور غفير من السذج ولذلك لانزال نرى بين ظهرائي. العالم الإسلامي من يسعى إلى الرقي والتعاويذ

لدفع بعض الأمراض الجسدية ذات المنشأ الفيروسي أو المكروبي أو العضوي الذي لا تنفع فيه سوى الأدوية

الملموسة المصنوعة لهذا الغرض.

ويطلق السباب عادةً على نوع معين من التعاويذ، هو النوع الذي تمت الإشارة إليه آنفاً والذي يقتضي قيام الكاهن

أو الساحر أو العراف بفعل من الأفعال أو حركة من الحركات مصحوبة بتلاوة تائم أو كلمات موضوعة لهذا

الغرض على الشخص المستفيد من العملية، ويمارس بعض المسلمين هذا الفن بواسطة التلاوة والرش بالبصاق أو بمحلول

يعد خصيصاً لهذا الاستعمال.

وقد يتم في "السباب" المسح على العضو المصاب بالمرض بواسطة قطعة من صوف الغنم ملبدة (ليگة الصوف) أو مغمسة في القطران أو في أي سائل يتم

إعداده لنقص الغرض، أو المسح بالرماد أو بـ "الحموم" وهو المسحوق المأخوذ من قيعان القدور المحترقة أو من بقايا أي

عنصر يتم إحراقه لهذا الغرض.

م. الركيلى، المدارس الباطنية بين العلم والفلسفة والعقيدة والدين، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، مرقونة، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1998 : ع. الرحمن سعيد وآخر، الجانب الخفي

## السباعي (أسرة) ← أبو السباع (أولاد -)

**السباعي، إبراهيم بن علي بن محمد الأمستاني** الأصل، التامغروتى الدار، أبو إسحاق. وعلى الرغم من شهرته بالسباعي، فإننا لم نستطع إثبات صلته بالسباعيين. ولد سنة 1034 أو 1037 بإفران من بلاد سوس؛ ومنها قدم إلى تامغروت سنة 1052 / 1642، فاستوطنها (الدرة الجليلة، ص. 223). وبها أخذ عن الشيخ محمد بن ناصر علوم الشريعة، وحضر مجالس درسه في مختلف الفنون كاللغة والحديث والتفسير والنحو واللغة. كما أخذ عن مشاهير من عجت بهم الزاوية الناصرية من العلماء، كمحمد بن سعيد الميرغثي وأبي سالم العياشي وغيرهما.

ثم ارتحل إلى فاس فأخذ بها عن عبد الرحمن بن القاضي، وعبد القادر الفاسي. كما شد الرحال إلى المشرق لأداء فريضة الحج، فلقي هناك جماعة من الأعلام، أخذ عنهم. منهم بالحرمين الشريفين، أبو مهدي الثعالبي، وإبراهيم بن حسين الكردي، ومحمد بن سليمان الورداني؛ وبدمشق عبد القادر الصفوري وعبد الباقي الحنبلي. وأخذ بمصر، عن عبد الباقي الزرقاني، ومحمد البابلي، ومحمد البقري، وعلي الطرابلسي، ومحمد الحرشي. وبعد تلك الرحلات، لازم شيخه محمد بن ناصر حتى صار عنده من المخصوصين؛ فكلفه بتأديب ابنه أحمد الخليفة، وإقرائه القرآن وغيره من العلوم (م. س. ص. 220). وقد برز السباعي في علم القراءات على وجه الخصوص، فكان "له فيه أوفر نصيب". ويذكر محمد المكي الناصري أن المترجم أجاز والده الشيخ موسى بن محمد الكبير، وأدرجه في آخر الإجازة، وهو صغير لم يتعد عمره أربعاً (الدرر المرصعة.. حرف الألف، فصل من اسمه إبراهيم).

وبعد أن جاور بالمدينة المنورة مدة، رجع إلى تامغروت، فتزوج بها وعكف على تدريس القراءات، حتى كان أشهر أساتيدها بالزاوية الناصرية. فانتفع به خلق كثير منهم، موسى الناصري وأخوه عبد الله، وأحمد بن عبد الرحمن السجلماسي.

توفي سنة 1135 / 1723، بعد أن عمر حوالي مائة سنة. وتشير المصادر إلى أن له تذييلاً حسناً على الوسيلة الناصرية، وفهرسة بعنوان الشمس المشرقة بأسانيد المغاربة والمشاركة لم نعرش عليها (م. س. ص. 220، 222).

م. المكي الناصري، الدرر المرصعة، مخطوط؛ الخليفة، الدرة الجليلة، مخطوط؛ ع. الهمي الكتاني، فهرس الفهارس، بيروت، 2: 416-419؛ ابن سودة، دليل، 2: 332؛ الزركلي، الأعلام، 1: 54، كحالة، معجم، 1: 67، وغيرهم.

**السباعي، أحمد بن إبراهيم بن علي؛ ابن** السابق. وإذا كنا لا نعرف شيئاً عن سني حياته الأولى، فإننا نعلم أن والده كان من بين أسانيد الزاوية الناصرية الأوائل، إذ كان ممن أخذوا عن الشيخ محمد ابن ناصر، الذي آتس منه سعة العلم، فاختصه بالإشراف على تأديب ابنه أحمد الخليفة وإقرائه، وذلك ما تمت الإشارة إليه. وبناء على ذلك نرجح أن يكون المترجم قد نال موفور حظه من العلم بتامغروت، التي كانت تعج آنئذ بالعلماء والطلبة، بجانب ابن الشيخ المذكور (الدرة الجليلة، م. س. ص. 221).

أخذ السباعي الورد عن الشيخ أحمد بن محمد ابن ناصر (م. س. ن. ص. 202). ولذلك ليس من الغريب أن نجد السباعي، كدأب والده، من بين أسانيد الزاوية الناصرية؛ سيما وأن الخليفة يذكر أنه "تمهر في العلوم، وكان متفنناً فيها"؛ بل لم يكن يجارى في علم التفسير، على الخصوص. وما يذكر هاهنا، أن كثيراً من الناصريين تتلمذوا عليه، منهم محمد المكي الناصري، مؤلف الدر المرصعة؛ الذي أثبت الإجازة التي نالها منه (فتح الملك الناصر، ص. 74-76). تؤكد هذه الإجازة ما قاله الخليفة إذ يبدو من خلالها أن السباعي كان متضلعا في علوم كثيرة، منها علم الحديث؛ سيما صحيح البخاري ومسلم، وجامع الترمذي وشماله، وموطأ مالك، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، وشفا عياض، والأربعين النووية، ومنتقى الباجي؛ ومنها القراءات، كالتشاطبية، والنشر. هذا فضلا عن تبحره في التفسير، والتصوف والرقائق والفقه (الدرة الجليلة، ص. 176، 178).

ومن جانب آخر كان المترجم ممن يغلب عليهم الجذب، فإذا غشيه ذلك يأوي إلى زاوية سيد الناس القريبة من تامغروت؛ فيمكث بها أياماً ثم يعود إلى داره بالزاوية الناصرية. وكان ذلك دأبه حتى وفاته بتامغروت، بعد عام 1141 / 1729. ويشير المصدر نفسه إلى أنه مدفون بمقبرة أبي القاسم الشيخ (م. س. ن).

الخليفة، الدرة الجليلة، مخطوط؛ م. المكي الناصري، فتح الناصر في إجازات مرويات بني ناصر، مخطوط.

أحمد عمالك

**السباعي، بويكر (سيدي -) ابن الولي سيدي** محمد بن المداح دفين الجرعان بقبيلة عبدة. ينتسب إلى فرقة أولاد الغازي السباعية المنتصية إلى فخذ أولاد عمرو. وقد اشتهر هو وأبوه بالخير والصلاح. ولهما زاوية في قبيلة عبدة تحظى بتقدير واحترام السكان ويؤمها الزوار من مختلف القبائل المجاورة لها.

وسيدي بويكر هذا هو ابن عم سيدي العروسي دفين

وادي تانسيفت ببلاد الشياظمة. (عقود النسب، د. د. ع : 449. 450).

ج. كفتاني. قبيلة أولاد السباع أبي في القرن التاسع عشر، د. د. ع. مرقونة، بكلية الآداب بالرباط، 1988.

حسن كفتاني

توفي بصعيد مصر بقرية تدعى أحغاز عام 1213 / 1799. 98.

ع. الرحمان الجشتي، المحضكيون، تر. رقم 62، مخطوط : م. المختار السوسي، المعسول، ج. 11، ص. 316 : عيد الهني الكتاني، فهرس الفهارس، بيروت، ط 2، 1982، ج. 1، 296. 298.

أحمد بومزكو

### السباعي، عبد الله بن المعطي بن أحمد

الصحراوي ولد عام 1310 / 1892 بمكان يقال له (ترس). حيث حفظ القرآن واتقن رواياته، ثم أخذ العلم عن والده بأحواز مراكش بقرية أولاد عبد المولى، ثم بمراكش عام 1338 / 1919 وتتلذذ على علمائها.

وفي سنة 1374 / 1954 أسس مدرسة تقليدية بأولاد عبد المولى بقبيلة أبناء أبي السباع يدرس فيها العلوم الإسلامية، كما تعاطى الإفتاء لدى المحاكم الشرعية. وقرض الشعر في المناسبات الدينية والوطنية، وله في ذلك قصائد كثيرة. ومن مؤلفاته، الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع. طبع عام 1406 / 1986. يرد فيه على الطاعنين في نسب الشرفاء أبناء أبي السباع : والارتفاق في الرد على من يقول بزكاة الأوراق (مخطوط) ؛ والأجوبة السباعية عن الأسئلة المراكشية.

توفي عام 1390 / 1970.

م. المختار السوسي، المعسول، 18 : 266. 278 : أ. متفكر، ذيل الاعلام، مخطوط.

أحمد متفكر

### السباعي، عبد المعطي بن أحمد بن محمد

يندرج نسبه تحت عمود "الغازي" الذي هو أكبر أولاد عمرو ابن عامر الهامل، ويعرفون بأولاد "الغازي" وهم مشهورون داخل قبيلة السباعيين بمكانتهم المرموقة في ميادين العلم والأدب بالإضافة إلى تحليهم بالحصول الحميدة من كرم وجود وشجاعة".

وفروع الغازي بن عمرو هم : أولاد عبد المولى، والعباسة، وأولاد شنان، وأولاد حمودة، والهلالات، والكوايات والمترجم من أولاد عبد المولى، وقد تبين أن لهذا الفرع ميزة تلقيح باقي الفروع الأخرى بالعلم وفضيلة الاعتراف على خدمته ونشره في الناس، وإنشاء المدارس العلمية الخاصة بذلك، ويشهد لما ذكرناه اقتداء العديد من المتخرجين من مدرسة أولاد عبد المولى من السباعيين بشيخهم عبد المعطي وأنجاله في إنشاء مدارس علمية خاصة بهم يقومون بها من مالهم الخاص.

ولد عبد المعطي السباعي أول عشرة السبعين ومائتين وألف هجرية في بوجمادة، وهو محل معروف بأولاد أبي

### السباعي، الجيلالي بن أحمد بن المختار، العالم

الحافظ المشهور من قبيلة أولاد بوسباع بأحواز مراكش. إن الإشارات والمعلومات القليلة التي تسمح بها المصادر لا ترقى إلى مستوى تتبع مراحل حياته، غير أن ما تسجله يشكل عام أنه نشأ وترعرع ببلده قبل أن يقوم برحلة لطلب العلم، قادته إلى سوس حيث مكث مدة أخذ عن الشيخين المحضكي بزوية أفيلال، وأحمد الهوزيوي بتارودانت. استطاع السباعي بعد استقراره ببلده أن يستقطب عدداً لا يستهان به من الطلبة وأن ينمي فيهم حب العلم وإتقانه، وأقبل على تعليم الناس وإرشادهم إقبالاً كبيراً. ويبدو من كلام الجشتي عنه أنه، نظراً لمكانته العلمية، تصدر للتدريس فترة بمراكش وغيره دون أن يستقر في مكان واحد. فأخذ عنه كثير من الطلبة، وكان يقرئ بالخصوص تفسير القرآن، وكانت له منزلة كبيرة عند العمال يوقرونه ويحترمونه. وقد أجهأ كثرة الإقبال عليه إلى الانقطاع عن المجلس، وقضى مدة منقبضاً عن الناس منعزلاً عنهم، فقرر أن يحج وتزامن مروره بمصر مع تعرض هذه الأخيرة إلى هجومات الفرنسيين، لذا سارع المترجم بالدعوة إلى الجهاد، وساهم بشكل فعال في التصدي للمحتل الأجنبي.

ومن أهم ما يسجل عن حياته العلمية أثناء وجوده بالمدينة المنورة، أنه كان مشاركاً في كثير من العلوم لاسيما التفسير والحديث، اللذين برع في تدريسهما بالمسجد النبوي. وقد حلاه تليذه أبو الفضل التهامي الأويري (ت. 1246 / 1830. 1831) في كتابه إتحاف الخلل الموالي... بالحافظ الحجية وأن له من الحفظ ما تحار فيه الأفكار وكونه يتوفر على عدة مؤهلات من ذكاء ونباهة وسرعة الحفظ. وهذا ما حدا بمحمد بن عمر البيوركي إلى اعتباره من جملة الحفاظ الكبار حتى قيل إنه "المجدد على رأس المائة لكثرة ما جمع من العلوم، مع اتساع الباع في الحفظ والفهم، قيل إنه استظهر القاموس حفظاً وإتقاناً".

ويبدو أن صدى نشاطه العلمي في البقاع المقدسة وصل إلى المغرب فأولاه السلطان مولاي سليمان عظماً خاصاً، بأن أرسل إليه إعانات مادية. بيد أن ما يستشف من كلام صاحب "إتحاف الخلل..." أن المترجم تجرد عن كل ما وصله من السلطان، وقد نبهه في مناسبة أخرى على توليته العمال الجائرين على الرعية عوض العلماء الاتقياء. ويظهر من هذا أن السباعي كان يتهرب وينفر من أية علاقة بالسلطة ورموزها. ويفضل الزهد والانزواء.

له قصائد في المدح والتصوف تدل على أنه أديب فصيح، كما كانت له مساهمات فقهية.

السباع، ير عليه الذهاب من مراكش إلى أكادير بعد الخروج من شيشاوة.

أخذ العلم عن جلة من علماء عصره بموطنه بأولاد أبي السباع وبمراكش وسوس، كما التقى بالعديد من كبار أهل العلم بالمغرب والمشرق واستجاز وأجاز إجازات علمية عامة وخاصة...

ولمّا حجّ لقي السيد إبراهيم السنوسي بشعر الإسكندرية فأجازه بكل ما يرويه، ورأى الشيخ عليش بمصر، وأخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ مبارك الدميسي السباعي وعن سيدي الزوين والشيخ إبراهيم السوسي اليعياوي.

والتقى في الصحراء بآل محمد سالم المجلسي والشيخ محمد المقرئ والشيخ إبراهيم بن حامل المستقل بقراءة العلم من عام 1274 إلى 1280 على يد الشيخ سعيد الشريف الكثيري (الإعلام، 8 : 386).

وقد أسس الشيخ عبد المعطي السباعي مدرسة بمسقط رأسه عام 1318 / 1901 فانقطع فيها لإقراء العلوم ودراسة الفنون والتنقيب والتدقيق والنخل والتحقيق، فقصده فيها الطلبة الغريباء من كل فج عميق، فتكفل لهم بالإبواء والإطعام، وشغل أوقاته معهم في التعليم والإفهام. واشتهرت مدرسته في عهده بالجد والعطاء والعمل الدؤوب واستمرت بعده على ذلك بفضل أولاده العلماء الذين تخرجوا على يديه، خصوصاً عبد الله الذي خدم العلم بكافة مظاهره مع تمكن واعتداد بالنفس، ورفع شأوه في ذلك من مستوى مدرستهم العلمي وقصدها الطلبة النجباء من كل مكان، وهي مدرسة جمعت بين اللغة والبيان، والفقه والإفتاء والمشاركة في كافة الميادين العلمية، وتخرج منها نخب متضلعة متتالية، وما زالت فيها أثارة من علم حتى الآن.

توفي عبد المعطي ظهر يوم الجمعة خامس شعبان عام ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة وألف / 18 يونيو 1915.

إبراهيم الوافي

الصغير، ثم علي ولده الثاني عبد الله. أخذ عنهما رسالة ابن أبي زيد القيرواني، والمرشد المعين بشرح ميارة، ثم الألفية بشرح السيوطي، وإضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة بشرح عليش. وفي سنة 1333 / 1914 رحل إلى مراكش ليتم دراسته العلمية بجامعة ابن يوسف، حيث درس على السادة العلماء : محمد بن التاودي السرعيني ومولاي أحمد العلمي والحاج عبد السلام بن محمد بن المعطي السرعيني عمر بن التاودي الصنهاجي عبد الرحمن المدني العمراني وشيخ الجماعة العربي الرحمان البربوشي وغيرهم. وقد أجازه جل الشيوخ إجازة تفر له بالتحصيل والفهم والادراك. وفي سنة 1343 / 1924 شرع في تدريس ماله من رواية ودراية وتدرج في سلك العلماء من الفئة الثالثة إلى الثانية إلى الأولى. ولم يقتصر نشاطه على التعليم بالجامعة اليوسفية، بل تجاوزه إلى منابر مساجد مراكش : كجامع الكتبية، وجامع المواسين، وجامع القصة وغيرها. حيث حاضر في التفسير والحديث، والألفية، والشيخ خليل، بمنهج يجمع بين خصائص الوعظ والإرشاد، وبين روح البحث العلمي الرصين.

وتشاء الأقدار أن يرحل إلى مدينة الدار البيضاء ليعمل بمدرسة السلام مدة خمس سنوات، ويتولى الخطبة بجامع الحمراء نيابة عن المفضل حريري. بعدها عاد للجامعة اليوسفية.

وفي سنة 1365 / 1945 تولى قضاء شيشاوة وإيمتانات مدة إحدى عشرة سنة. ثم استعفى وانصرف للتدريس بمراكش وتولى خطبة الجمعة في جامع القنارية نيابة عن الفقيه السيد عمر بن التاودي. ثم جامع الكتبية نيابة عن الفقيه السيد بوشعيب الشاوي.

ولما أنشئ المجلس العلمي لمدينة مراكش سنة 1402 / 1981 عين عضواً فيه باقتراح من رئيسه الرحالي الفاروق. توفي عشية الاثنين 23 رمضان 1419 الموافق 11 يناير 1999 وأقبر يوم الثلاثاء بمقبرة باب دكالة. روايات شغوية : أ. متفكر، ذيل الاعلام، مخطوط.

أحمد متفكر

### السباعي، محمد بن إبراهيم بن محمد بن

الحفيد الحاحي المراكشي من فخذ يعرفون بالعبيدات من أولاد أبي السباع، القبيلة المشهورة غربي مدينة مراكش :. ولد في أواسط العشرة الخامسة من القرن الثالث عشر (19 م) بمدينة مراكش. انقسمت مرحلة دراسته الأولى بين مسقط رأسه وبين قبيلة دمسيرة، حيث حفظ القرآن الكريم وشدا بعض المتون المتداولة، وعمدته آنذ الشيخ سعيد بولواح الدمسيري. وبعد أن أخذ بمراكش، انتقل إلى فاس حيث مكث ما ينيف عن خمسة أعوام. وقد أخذ بالمدينتين عن فحول علمائهما، كمولاي الصادق العلوي، وشيخ

السباعي، علي بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله السباعي نجاراً، المراكشي وجاراً، ولد عام 1312 / 1894 بدوار الروافع من قبيلة أولاد أبي السباع. ويسقط رأسه حفظ القرآن الكريم على يد الفقيه السيد محمد بن سالم السباعي إلى أن استظهر عليه كتاب الله، مع تلقي المبادئ الأولية للعلوم الإسلامية واللغوية. وفي سن الثالثة عشرة من عمره التحق بمدرسة أولاد عبد المؤمن بنفس القبيلة ليقرأ بها على الفقيه عبد المعطي بن الحاج أحمد السباعي، ثم على يد الفقيه محمد



الجماعة أحمد المريني، ومحمد بن المدني غنون، ومحمد بن عبد الرحمن الفلالي، وعمر ابن سودة ومولاي عبد المالك الصرير وغيرهم. وأجازته كل هؤلاء، كما هو مثبت في إظهار الكمال.

وكانت نتيجة تحصيله أن أصبح صدرأ من صدور العلم في زمانه. فبرز في علوم شتى، سيما التفسير والحديث والأصول والفقه المالكي، إذ كان حامل لوائه، وفي الأدب واللغة والعروض والتاريخ.

وانتهت إليه فضلا عن ذلك، رئاسة الفتوى في مراكش : بل كانت ترد عليه الأسئلة من كافة أنحاء المغرب. ويذهب تلميذه العباس بن إبراهيم المراكشي إلى أن أجوبته لو جمعت لأربت على نوازل المعيار (الإعلام، 7 : 193). وبالرغم من عدم شهرته باتباع طريقة صوفية معينة، فإنه كان ينسب ثناء جميلا على الناصريين. وكان على خلاف مع الشيخ محمد بن أحمد أكنسوس، التجاني الطريقة : حيث رد عليه تلميحا وتصريحا، وخاصة فيما يتصل بأولاد أبي السباع، الذين كان هذا قد بالغ في الإنكار عليهم، في نظر السباعي (البيستان الجامع .. نسخة خزنة آل سعود البيضاء، ص. 147 . 152). وكما اشتهر بأدبه وشعره، اشتهر بشدة شكيمته على مبتدعة عصره، وحسه النقدي ولسانه الحاد : حتى إنه لم يقتصر على الإنكار على مخالفه الشرع في زمانه فحسب، بل تصدى لبعض رجال المخزن كذلك.

من ذلك أنه ألف رسالة كشف الستور عن حقيقة كفر أهل بصور للتنديد بالمبتليين بالحماية القنصلية، التي استشرت بين كثير من المغاربة، في زمانه. ولم يكن ينسب عن تبيان أحوال حاشية السلطان، بما كانوا عليه من سوء السيرة ونهب أموال الرعية، وغير ذلك من الأفعال الدنيئة. وهذا ما دفع بعضهم إلى السعاية به إلى السلطان، فامتحن بالسجن ثلاث مرات : مرة في عهد السلطان سيدي محمد ابن عبد الرحمن، ومرتين في عهد ابنه مولاي الحسن. وبالإضافة إلى هذا السبب، يفصل المترجم سبب اعتقاله الأول بأن من تعرض لإذايته اتهمه بالتقاعد عما وضع عنده بعض العمال من مال. ويرجع سبب الاعتقال الثاني، والذي نقل على إثره إلى مدينة فاس، إلى تردده على الأمير مولاي علي بن عبد الرحمن. وأما الاعتقال الثالث، فلا تفصح عن سببه المصادر. وإنما ترجعه إلى أنه ألح في طلب "حق وجب له شرعاً".

"إلا أن كل ذلك لم يفل من غريه، ولم يوهن من صرامته ولا حده". بل استمر مهيب الجانب، محترما عند الجميع، بما في ذلك المخزن نفسه. في هذا السياق، يذكر أنه تشفع ذات يوم لدى السلطان المولى الحسن، في بعض أقاربه الذين كانوا مسجونين، فقبل شفاعته وأجزل صلته.

وبالجملة فإن الصرامة المزوجة بالدين المتين والنزاهة والهمة العالية والنفس الكريمة والأخلاق الزكية، قد جعلت

مترجمنا كثير الحاشية، واسع الناد، عظيم الثروة.

واشتغل المترجم بتلقي العلم، نحو نصف قرن، بمدينة مراكش التي استقر بها في نهاية الثمانين، بعد أن رجع إليها من فاس : فلاقى قبولا كبيرا، حتى أخذ عنه جل معاصريه. وقد علل ذلك فقال : "ومال المتعلمون كلهم لي عن غيري غالبا لأمرين : عدم الاشتغال عنهم بلا بطالة، ويأتون بظن حسن، ونية خالصة" (الإعلام، م. س. ن. ص. 204).

ترك السباعي آثاراً ذكرتها المصادر، منها شرح الأربعين النووية، وشرح خطبة الحرشي لمختصر خليل، أمه في 22 جمادى الأولى عام 1311، ومنها تقييد في أسباب خلع المولى عبد العزيز (مخطوط خ. ع رقم 3937 / 1).

ورسالة كشف النور عن حقيقة كفر أهل بصور، وختمة المختصر الخليلي، وسيف النصر لدفع الإيهايم مع ذكر خصائص مؤكدة لوجوب محبة ذرية مولانا هشام : ألفه في أسباب نفيه معتذراً عن نفسه وعن السلطان بكونه لا تبلغه الأشياء على حقيقتها، وأن حاشيته تلبس عليه توصلا لأغراضها. فرغ من تقييده يوم 10 ربيع النبوي 1309 : منه نسختان خطيتان في كل من الخزنة الحسنية، تحت رقم 309 والخزنة العامة بالرباط، تحت رقم 2942 د (المصادر العربية، 2197). وله عدة أشعار منها رائية من الطويل في ختم على أن أجل مؤلفاته هو كتاب البيستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عد بعض مآثر السلطان مولانا الحسن، الذي ألفه بإشارة من الوزير علي المسفيوي، بناء على اقتراح من السلطان نفسه : كما ثبت ذلك في رسالة وجهها الوزير المذكور إلى السباعي، مؤرخة في 9 جمادى الثانية 1306، جاء فيها : "وأمر أن تسرع في تأليف مصنف يكون محتويا على جميع سيرته، وتتبع فيه الوقائع الصادرة في ظعنه وإقامته من أول خلافته، ولا تتعرض فيه لوضع أحد ولا تنقيصه بما ليس فيه، وتقتصر على ما هو الأليق بالمقام، وتجتنب ما كان خارجاً على سياق الانسجام". وهذا الكتاب بالرغم من كونه يندرج في سياق الكتابة الرسمية، فإنه جاء حافلا بالمعلومات الموضوعية، لأن صاحبه عرف بالصدع بالحق وإنكار ما يستلزم الإنكار، سيما حين يتطرق إلى حركات السلطان، وسيرة رجال مخزنه. وقد وصفه الأستاذ المنوني بأنه مفيد جداً في تاريخ حركات العاهل المنه به". ولا يزال هذا الكتاب مخطوطاً، نعرف منه أربع نسخ : اثنتان بالخزنة العامة بالرباط، تحت قمي 1346 د و 1823 (مصورة على الشريط)، ونسخة بالخزنة الحسنية، تحت رقم 12432، ونسخة بخزنة آل سعود، بالدار البيضاء.

توفي محمد بن إبراهيم السباعي في الساعة الواحدة من ليلة الاثنين سادس رجب عام 1332 / فاتح يونيو 1914، عن سن تناهز سبعة وثمانين، ودفن بضريح عبد الله الغزواني، عند رجليه، على يمين الداخل إلى القبّة.

م. بن إبراهيم السباعي نفسه، البستان الجامع، مخطوط، خزانة آل سعود، الدار البيضاء : ع. الحفيظ الفاسي، معجم الشيوخ، 1 : 55، 61 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 7 : 190، 210 : ع. السلام بن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، 1 : 131 : الزركلي، الإعلام، 5 : 305 : م. المنوني، مظاهر بقعة المغرب الحديث، 1 : 328 : المصادر العربية، 2 : 201، 202.

أحد عمالك

**سبّاطة** ويكتب أيضاً شباطة أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Sabata Zapata، وكان سكنهاهم بحي العيون. ومازالت أسرة سباطة بمدينة الرباط، ولا يعرف إن كانوا جاؤوا مباشرة من الأندلس أو بعد أن استقروا مدة بتطوان.

م. داود، عائلات تطوان، مخطوط : م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1372.

محمد ابن عزوز حكيم

**سباطة، بناصر الرباطي** فقيه حافظ للقراءات السبع، اشتغل بتأديب الصبيان في كتاب مجاور لمسجد النخلة. وكان متمسكا بالطريقة الدرقاوية. ومن تلاميذه الذين قرؤوا عليه القرآن العالم المهدي متجنوش. توفي سنة 1294 / 1780. وترك ابنه محمداً الذي ورث عنه مهنة تأديب الصبيان. وكان يحضر مجالس الشيخ المكي البيطاوري. وطريقته درقاوية حراقية. وتوفي محمد ابن بناصر سباطة عام 1324 / 6 / 1907. دبية، مجالس الانبساط، ص. 196 و 269.

**سباطة، السغازي الرباطي**، من العلماء الذين كرسوا حياتهم لقراءة الحديث، وسرد كتب السنة على الشيخ السلفي أبي شعيب الدكالي إذ أوتي صوتاً رخيماً يستحليه السامع، ويغرب لرقته. وكان كل رمضان يسرد صحيح البخاري بالزاوية الناصرية.

حج سنة 1330 / 1912 وحضر دروس الشيخ محمد بن جعفر الكتاني بالمدينة المنورة في صحيح البخاري وموطأ مالك، وسرد عليه جملة من الصحيح، كما حضر مجلسه في همزية المديح للإمام البوصيري. وأجازه الكتاني إجازة بخط يده أمام الحجر الشريفة. وله ختم لصحيح البخاري حررها في الثالث من محرم عام 1351. وقد روى الصحيح على عدة شيوخ كالْمكي البيطاوري والقاضي أحمد بناني ورواه أيضاً على بعض كبار علماء الشرق كالشيخ يوسف النههاني البيروتية الذي أجازه به وجميع مروياته ومؤلفاته بالمسجد النبوي، والشيخ توفيق الأنصاري الشامي كما أجازه علماء آخرون.

تولى الكتابة مدة طويلة بوزارة العدلية، ثم القضاء بالرحامنة، وأخيراً ببني ملال، وعرف بنزاهته وعدالته أيام القضاء، حتى كان أحياناً لا يجد ما ينفق، وقد استعفى من خطة القضاء، غير أن الباشا بوجمعة كان يؤخر مكاتبه ويساعده على العيش من ماله الخاص إلى أن أعفي. ودرس أيضاً على الشيخ فتح الله بناني وأخذ عنه الطريقة الفتحية وكان يتولى السرد بين يديه.

ويذكر الجراي أن الغازي سباطة ما درس إلا عن كبير بدافع الولوع العلمي والشغف بالمعرفة، فقد كان في شبابه الأول يحترف صناعة الدباغة وأثناءها استظهر القرآن الكريم، إذ أخذ عن المعلم قاسم بريش بدار الدباغة وبعد استعفائه من القضاء، لزم داره إلى أن وافاه الأجل ليلة الأربعاء 6 رمضان عام 1356 / 10 نونبر 1937 ودفن بمقبرة سيدي محمد الضاوي.

عبد الله الجراي، من أعلام تفكر بالعدوتين، الرباط، ص. 375 و 376.

**سبّاطة، محمد بن أحمد**، من الفقهاء والأدباء الرباطيين، عرف بسمو الأخلاق والنجابة، وهو شاعر يميل إلى التصوف. تتلمذ على الشيخ المكي البيطاوري ثم على الصوفي فتح الله بناني. وله فيه قصائد عديدة. وترجمة أسماها : **الفتح الرباني في التعريف بالشيخ فتح الله بناني**. ومن شعره قوله من قصيدة أسماها : تحفة الأحياب في الحض على سلوك الصواب، مطلعها :

باهاتنا في الزرى قد زج في العلل قد خامرت عقله الأوهام بالأسل  
توفي بالدار البيضاء وهو أعزب في جمادى الثانية من سنة 1325 / يوليوز - غشت 1907 ودفن بالزاوية الفتحية هناك.

دبية، مجالس الانبساط، ص. 271 : عبد الله الجراي، من أعلام تفكر بالعدوتين، ص. 90 و 91.

عبد الإله الفاسي

**سبتة**، إحدى المدن التاريخية المغربية العتيقة. كانت قديماً تدعى سبتيم (انظر سبتيم) تقع في أقصى الشمال الغربي المغربي، وتحتل منطقة تضاريسية مرتفعة تمتد في البحر من الغرب في اتجاه الشرق، وهي تحتل بذلك موقعا جغرافيا استراتيجيا يمكنها من التحكم في مدخل مضيق جبل طارق مما أهلها لتقوم بأدوار تاريخية مهمة على مستوى أحداث الحوض الغربي للبحر المتوسط منذ أقدم العصور. فالتطور الذي شهدته المدينة لا يرتبط بالإمكانيات الاقتصادية المحلية المحدودة لبدايتها بليونش وما وراء ظهرها عموما، وإنما ارتبط بالبحر على الخصوص (Ceuta, 21).

زمني وتاريخي لظهور هذه النواة والتي بموقعها المتميز تكون قد جذبت أنظار البحارة القدامى وهم في طريقهم للبحث عن العبيد والمعادن وغيرها. ويبدو أن الكرتيين أول شعب جاب البحر الأبيض المتوسط باحثا عن النحاس وربما البرونز الضروري لصناعة الأسلحة، إلا أنه لم يتم العثور على دليل مادي أو غيره يفيد نزولهم بالمنطقة. ويميل الباحثون إلى اعتبار الاغريقيين أول شعب وطأ المنطقة معتمدين في ذلك على التراث الأدبي الذي تجسده قصة أديسا الشهيرة التي يتفق الباحثون على أن أحداثها وقعت في التلال المحيطة بسبتة وبجزيرة البنقدوس (Ile de Préjil). القريبة منها، إضافة إلى أسطورة هرقل المعروفة. كما أنه لا توجد أدلة تاريخية مادية للحديث عن بناء فينيقي لسبتة، في حين تم العثور على نقود قرطاجنية بجبل الميناء الشيء الذي دفع البعض إلى القول بالأصل القرطاجني للمدينة (Monedas punicas). ولعل أهم حدث يؤكد وجود المدينة منذ هذا التاريخ هي الحروب القرطاجنية الرومانية الثانية في مضيق جبل طارق. لقد تضمنت المصادر إشارة إلى سبتة التي استقبلت السفن القرطاجنية المنهزمة (Geografia, 26 : Historia de la ciudad..., 158).

لا نعلم شيئا عن ظروف انتقال سبتة من الحكم القرطاجني إلى السيطرة الرومانية. من المحتمل جدا أن الملوك الموريطانيين لم يظلوا في معزل عن الأحداث بل دخلوا في صراع ضد روما من أجل الحفاظ على استقلالهم. تجلّى تفوق روما من خلال التخصيصات الجديدة التي أقامتها حول سبتة، بل وفي إطار الإصلاحات الإدارية الرومانية اتخذت سبتة لقب "عاصمة موريطانيا" برمتها (Historia de la ciudad..., 31). لقد أكدت البحوث الأثرية الأهمية التي كانت لسبتة سواء في علاقتها مع روما (نقود) أو في علاقتها مع باقي أقاليم الامبراطورية (أدوات فخارية وغيرها) ; (310 : Monedas romanas..., 120) Monedas punicas....

تتميز الفترة الممتدة من القرن الثالث إلى القرن السادس الميلاديين بكونها فترة مظلمة في تاريخ سبتة. تتفق هذه الفترة مع أحداث النهب والسلب التي تعرضت لها الامبراطورية الرومانية من جراء الغزو الوندالي، ولم تنج سبتة كباقي الممتلكات الرومانية في شمال إفريقيا كاللكسوس وقودا من آثار هذا التخريب (Geografia, 160). إلا أن أهم الغزوات البربرية على الممتلكات الرومانية الافريقية تلك التي تعود إلى سنة 426 أو 427 الميلاديين والتي تكبدت سبتة من جرائها كغيرها من الممتلكات الرومانية خسائر كبيرة بحيث خرجت المدينة كلها (Les Vandales, 160 ; Historia de la muy noble, 21). وفي سنة 534 م استطاع الامبراطور البيزنطي جستينيان Justinien من الاستلاء على موريطانيا الطنجية

شكلت قبيلة غمارة الساكنة الأولى لمدينة سبتة، ومنها ظلت تستمد طاقتها البشرية خلال مختلف مراحلها التاريخية. كما أن معظم الحركات التمردية التي كان يرأسها أمراء الأسر الحاكمة، والتي كانت تنطلق من سبتة، كانت تستمد قوتها من غمارة، الشيء الذي يفسر الحملات الزجرية التي كان يقوم بها الجيش الامبراطوري ضد هذه القبيلة، كما يفسر من جانب آخر صعوبة تحديد مجال تحركات هذه القبيلة بحيث كان يضيق أحيانا ويتسع أحيانا أخرى. مع بداية حركات الاسترداد المسيحي في الأندلس، والدور الثقافي الذي أخذت تلعبه المدينة منذ القرن السادس (16 م) على الأقل اتسعت القاعدة السكانية وتنوعت بحيث أصبحنا نجد بها الإشبيلي والمالقي والجزيري والتلمساني والصقلي والصنهاجي وغيره (Ceuta, 30, etc.).



اختلف الكتاب حول أصل التسمية بين التفسير الديني للكلمة والذي يربطها بسبت ابن سام ابن نوح (البيان المغرب، 1 : 202 ؛ أزهار الرياض، 2 : 256)، والتفسير اللغوي الذي يرى أن الاسم جاء من التعبير "سبت النعل" (نزهة المشتاق، 2 : 528)، والتفسير التاريخي الذي يرى في اسم سبتة اشتقاقاً من الاسم الروماني "Septem Fractres" الذي كانت تنعت به مجموع المرتفعات التي يتكون منها جبل موسى والتلال المجاورة الممتدة على طول المضيق (Le Maroc, 142).

اختلف الباحثون حول الجذور التاريخية للمدينة. تؤكد البحوث الأثرية على أن سبتة عرفت استقراراً بشريا يعود إلى العصر البليوليتيكي (Paléolithique). وقد أكدت الأدوات المكتشفة التشابه في الضفتين الغريبتين للبحر المتوسط على أن الثقافة الكيسية (Capsienne) ذات الأصول الافريقية تمثل قاسما مشتركا بين جميع هذه المناطق (Geografia, 155). إلا أنه صعب على الباحثين وضع إطار

وطرد الوندال منها. وفي إطار التنظيمات الإقليمية الجديدة للامبراطورية البيزنطية والتي جاءت بعد خروج موريطانيا الطرابلسية عن سيطرة روما، أصبحت سبتة عاصمة لإقليم كبير أطلق عليه اسم "موريطانيا الثانية" يشمل كل من جزر البليار والممتلكات البيزنطية في إسبانيا (*L'Espagne*, 127) *byzantine*, 73 ; *L'Afrique byzantine*, 127). عرفت سبتة خلال هذه الفترة منشآت عمرانية واجراءات أمنية مهمة بحيث أعيد بناء المدينة المخربة وحصنت بأسوار متينة وأنزلت بها حامية عسكرية وأسطول حربي، كما أنشئت بها كنيسة (*L'Afrique byzantine*, 420).

تميزت مرحلة الاحتلال البيزنطي لسبتة بالتحركات الفزقراطية على المدينة. وقد اختلف الباحثون حول عدد هذه المحاولات ومصيرها بحيث يرى البعض أنها انتهت باحتلال القوطيين لسبتة مستغلين في ذلك انتفاضة البربر والضعف العسكري البيزنطي. يؤرخون الحدث ما بين 626 و 636 للميلاد أي خلال فترة حكم الامبراطور البيزنطي (*Ceuta*) Heraclius Septem (*byzantine*, 341). أما البعض الآخر فيرى أن سبتة ظلت تحت السيطرة البيزنطية حتى بعد سقوط قرطاج في يد العرب سنة 698 والتي فقدت بيزنطة على أثرها وبسبب الفتوحات الإسلامية جميع ممتلكاتها الإفريقية باستثناء سبتة التي كان يحكمها آنذاك الكونت يوليان (*L'Afrique byzantine*, 58).

اختلف الباحثون حول هذه الشخصية بين من يعتبره بيزنطياً (*Recherches sur l'histoire*, 65) وبين من يعتبره قوطياً (*Ceuta byzantine*, 342) وبين من يعتبره بربرياً (*Ceuta*, 52). يجزم الباحثون أن يوليان كان مع بداية القرن (8 م) مستقلاً بحكم سبتة. وتؤكد المصادر العربية على أنها الشخصية التي يسرت مهمة الفاتحين المسلمين ليس فقط في دخول سبتة وإنما في اقتحام إسبانيا القوطية (كتاب المغرب، 104 : البيان المغرب، 2 : 6).

ابتداء من سنة 89 / 708 أصبحت سبتة مقاطعة أموية تحت حكم يوليان أولاً، ثم بعد ذلك تحت حكم الولاة المعينين من قبل الخلفاء الأمويين. إلا أن وصول التأثير الخارجي إلى المنطقة والسياسة المالية الجاحفة للأمويين فجرت ثورات محلية من أهمها ثورتا 116 / 734 و 123 / 740 كان نتائجها طرد الحكام العرب والتخلص من السيطرة العربية وخلاء سبتة التي ظلت مهجورة إلى حين وفود أسرة بني عمام الغمارية (المعلمة، 5 : 1545) عملت هذه الأسرة على ازدهار المدينة التي أخذت تتوسع باستقبال المهاجرين الأندلسيين (كتاب المغرب، 104 : العبر، 6 : 435). إلا أن فترة الاستقرار التي شهدتها المدينة تحت حكم بني عمام مستقلة أو في إطار التبعية لدولة الأدارسة لم تدم طويلاً نتيجة الأزمات السياسية التي شهدتها الغرب الإسلامي برمتها والذي أصبح موزعاً بين المطامح الفاطمية والأموية والإدرسية (*Ceuta*, 58 etc.).

في سنة 319 / 931 سقطت سبتة في يد الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر كجزء من مشروع كبير يهدف إلى ضم الممتلكات الأموية القديمة على حساب الخلافة العباسية المشرقية، وكسياسة حثائية أمنية من التأثيرات الشيعية التي اقتنحت الغرب الإسلامي ووصلت إلى أبواب سبتة مكونة الأحلاف. لم يستطع الفاطميون والأدارسة اقتحام سبتة بالرغم من الانتصارات التي حققوها على الجيش الأموي في بوادي طنجة وسبتة وذلك بسبب التحصينات التي أقيمت حول المدينة في عهد الخليفة الناصر واستكملت خلال العهد العامري. ومع بداية القرن عندما اندلعت الثورة البربرية في الأندلس ضد سلطة بني أمية، استفاد القاسم وعلي ابنا حمود الإدريسي من الوضع بدءاً في تنفيذ مشروعهما السياسي أولاً في سبتة بمساعدة غمارة أحلافهم التقليديين، ثم بعد ذلك في الأندلس (المعجب، 67). ولم تمكث سبتة طويلاً في يد بني حمود بعد أن استقل بحكمها سقوط البرغواطي أحد مواليتهم الذي اتخذ لنفسه لقب "المنصور المعان" وصك عملاته باسم الخليفة العباسي (الذخيرة، 1 : 41).

ساهمت التطورات التي شاهدها الغرب الإسلامي في نهاية الإمارة البرغواطية المستقلة، ذلك أن ظهور المرابطين والدفع بفتوحاتهم شمالاً واصطدامهم بالمغراويين أدى بالضرورة إلى إقحام البرغواطيين في حوض الصراع. فكان رفض سقوط البرغواطي لعرض التحالف الذي تقدم به يوسف بن تاشفين ضد المغراويين مدعاة للمرابطين لإعلان الحرب عليهم ومن ثم القضاء على حكمهم أولاً في أحواز طنجة حيث قتل سقوط البرغواطي حوالي سنة 471 / 78-1079 ثم في سبتة حيث تمكن المرابطون - بعد محاولاتهم البرية العديدة - من اقتحام المدينة بحراً على مشن سفن ابن عباد حاكم إشبيلية الذي قدم المغرب مستنجداً بالمرابطين من جراء الضغط المسيحي. وقد تم ذلك سنة 476 / 1083 (القرطاس، 143 : الاستقصا، 2 : 39).

تميزت الفترة المرابطية بالتوالي السريع للولاة، وإقحام مجلس الشيوخ في تدبير شؤون المدينة. ويعتبر هذا الشكل من الحرية أحد الأسباب التي ساهمت في رضوخ ساكنة سبتة للحكم المرابطي. كما أن غياب هذا العنصر في العصر الموحدوي الموالي هو الذي تفسر به ثورات السبتيين ضد سلطة بني عبد المؤمن أهمها ثورة 543 / 1148 التي كان من أسوأ نتائجها تدمير أسوار المدينة بأمر من سلطان مراکش وتهجير ونفي القاضي عياض زعيم الثورة والمحرض عليها من بلده الأصلي (القرطاس، 191 : الاستقصا، 2 : 115).

لعبت سبتة دوراً مهماً في المجال العسكري الحربي خلال العهدين المرابطي والموحدي كجبهة قتالية متقدمة لتجميع المقاتلين ونقلهم بحراً عبر جبل طارق، إما لمواجهة الاعتداء المسيحي في الأندلس على الثغور الإسلامية، أو لتأكيد

السياسة التوسعية لملوك المغرب على حساب الممالك الإسلامية المحلية. ومن المؤكد أن سبته أدت الثمن غالبا عن ذلك سواء من الجانب المسيحي أو من الجانب الأندلسي نفسه (72 - 70, Ceuta).

تؤرخ أولى الحملات المرابطية التي تمت عن طريق سبته في سنة 479 / 1086، وهي الحملة التي أسفرت عن الانتصار التاريخي للمرابطين في معركة الزلاقة، وأصبحت في ما بعد المحطة الرئيسية لإقلاع جميع الحملات المرابطية في اتجاه الأندلس. وقد ظلت محتفظة بأهميتها العسكرية خلال العهد الموحد بالرمع من منافسة طنجة والقصر الكبير (القرطاس، 145). والملاحظ أن جنوم الأسطول الامبراطوري ببناء سبته جعلها عرضة لمحاولات عدائية عدة أهدمها اثنتان: الأولى في سنة 538 / 1144 وتشير المصادر إلى تنفيذها باسم "المجوس" (كتاب البيان المغرب، 4 : 103). أما الثانية فحدثت في سنة 576 / 1180 وقد انطلقت من البرتغال (تاريخ سبته، 72).

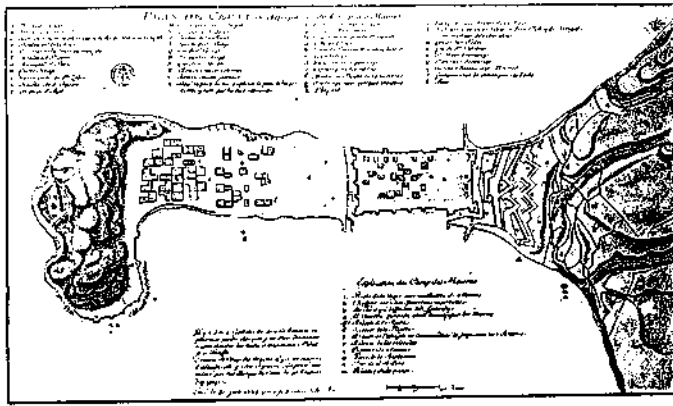
إلا أن الاندحار الكبير للموحدين في الأندلس بعد هزيمة العقاب أو Las Navas de Tolosa سنة 608 / 1212، وهزيمة القصر في البرتغال بعد ذلك حوالي سنة 614 / 1217، كان مؤشرا بأفول نجم الموحدين وبداية أزمة سياسية طويلة. فبعد الاستقرار النسبي الذي شهدته الحكم الموحد سرعان ما ستفجر الأزمة من جديد عقب موت المستنصر، وستتحول سبته على أثر ذلك إلى محطة نزول لجميع المتمردين والمطالبين بالسلطة من أمراء بني عبد المؤمن اللاجئين بالأندلس: ففي سنة 621 / 1224 استقبلت العادل ولي مرسيا السابق والذي رفض تولية عمه عبد الواحد، فأعلن نفسه ملكا بعد أن ترك أخاه أبا العلاء حاكما على الأقاليم الأندلسية، ودخل مراكش. إلا أن سبته - وتحت تأثير ثورة أبي العلاء في الأندلس وإعلان تمرد عن السلطة المركزية - ستجرف هي الأخرى مع التيار الجديد وستعترف متبوعة بطنجة وفاس وتلمسان وبجاية بالحاكم الجديد الذي أعطى لنفسه لقب "المأمون". وفي سنة 626 / 1229 دخل الخليفة المأمون سبته ومنها توجه إلى مراكش بعد أن عين على رأسها أخاه أبا موسى عمران. إلا أن التطورات التي شهدتها منطقة الغرب الإسلامي، ظهور ابن هود في الأندلس كقوة منافسة للسلطة الموحدية وسيطرته على إسبانيا المسلمة بما في ذلك مركزي التأثير الموحدية الجزيرة تمثل الفترة الأخيرة من تاريخ سبته الإسلامي المغربي والممتدة ما بين 759 / 1358 إلى حدود سنة 818 / 1415 مرحلة الاضطرابات، وهي تناسب فترة التدهور التدريجي الذي طبع المرحلة الأخيرة من الحكم المريني. أهم ما ميز هذه الفترة عودة المدينة من جديد إلى مركز لاستقبال المتمردين القادمين من الأندلس والمطالبين بالسلطة من أمراء بني عبد الحق، وتحول المدينة إلى نقطة صراع مريني - نصري حقيقي. وفي سنة 785 / 1384 قدم الأمير

الثائر موسى ابن أبي عنان سبته هدية إلى ملك غرناطة كثمن لمساعدته له في تمكينه من السلطة في المغرب. انتهى الاحتلال سنة 788 / 1386 بثورة أهالي سبته الحكم النصري وتسليمهم للمدينة إلى الجند المريني (الاستقصا، 4 : 73 ; Le voyage, 163). عادت سبته إلى حظيرة الدولة المرينية، إلا أن تدهور مؤسسات الدولة وعدم القدرة على حماية حدودها أصبح ينذر بانفجار هذا الوضع في الوقت الذي أخذت فيه حركات الاسترداد المسيحي تستعيد نشاطها وتكثف جهودها من جديد. فكان تخريب تطوان سنة 801 / 1399 على يد قشتالة (الاستقصا، 4 : 90) مشجعا للمشروع البرتغالي الذي انتهى باحتلال سبته سنة 818 / 1415 (الاستقصا، 4 : 92).

ساهمت الظروف الجغرافية والتاريخية لتجعل من سبته فضاء سياسيا وتجاريا وثقافيا له ما يميزه على مستوى مدن البحر المتوسط. لقد شكلت نقطة استقطاب ليس فقط للتجار الأوربيين من جنوين ومرسيلين وقطنيين وغيرهم حيث وجدوا سوقا دولية عالمية لاستثمار أموالهم (Traité de paix, 75 - 95 : Documents inédits, 1 : 261, 2 : 22)، وإنما أيضا نقطة جذب للعلماء مغاربة وأندلسيين. فتكون جبل من العلماء تشبع من تيارات ثقافية مغربية ومشرقية أثر في المسار الثقافي المغربي الأندلسي، وأثرى بانتاجاته الفكرية المتنوعة الخزانة العربية. فاتخذت صورة المدينة العلمية برعاية من حكامها أنفسهم وقد ارتبط اسمها بمنابر علمية كبرى كالمناظرة المعروفة بالمسائل الفلسفية الصقلية التي كانت بطلب من الامبراطور فريديريك الثاني ملك صقلية وقد انتدب للإجابة عنها الفيلسوف الصوفي ابن سبعين أخطر وأبرز ممثل لمذهب الوحدة الوجودية المطلقة في الإسلام والذي كان مقبلا آنذاك بسبته (المقصد الشريف، 32). كما نذكر المناظرة اللغوية التي كانت بين أبي عبد الله ابن خميس التلمساني الشاعر والنحوي اللغوي الشهير وبين طلبة سبته (أزهار الرياض، 2 : 297). كما كان من السبتيين ممن مثلوا بلادهم في الديار المشرقية حيث أوجدوا لأنفسهم موقعا محترما بين زمرة المثقفين المشاركة كأبي الخطاب وعمرو ابن دحية (المعلمة، 12 : 3977, 3978). ومن الأسماء السببية الشهيرة التي عرفت أيضا بالمغرب خارج حدوده الإقليمية والعقائدية نذكر الشريف الإدريسي، والقاضي عياض، وأبا العباس الخزرجي، وأحمد العزفي، وابن رشيد الفهري، وأبا القاسم التجيبي، وعبد المهين الحضرمي وغيرهم كثير (الحركة العلمية، 11 الخ : Ceuta, 291).

ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1973 : الذخيرة السنوية، الرباط، 1972 : ابن بسام، الذخيرة، ط. إحسان عباس، 1975 : ابن الأحمر الغرناطي، نشر الجمان، بيروت، 1976 : الإدريسي، نزعة المشتاق، بيروت، 1409 / 1989، ج. 2 : البادسي، المقصد الشريف، نج. سعيد أعراب، الرباط، 1402 : البكري، كتاب

هذا الإنقاذ هي الكشف عن مكانتها في تاريخ ركب الوعي الوطني المناهض للوجود الأجنبي. تأتي بداية البدايات من أن اختيار الأجنبي لمواقع محددة من سواحلنا المتوسطية لم يكن عبثاً حينما توجهت أسلحته لامتلاك سبتة، أم مدن الشمال الغربي المغربي. لقد كان الموقع الجغرافي ضمن الاختيارات الاستراتيجية الحربية والسياسية. فسبتة المدينة المغربية المغتصبة في حدودها الأصلية العائدة إلى سنة الاحتلال البرتغالي، شبه جزيرة صغيرة ممتدة بأقصى شرق الشمال الغربي المغربي، عند خط عرض 4.44 شمالاً وخط الطول 25.61 غرباً، بامتداد طولي متوغل داخل البحر شرقاً بنحو 2.50 كيلومتر.



وهناك عدة عوامل جعلت المدينة متميزة عن غيرها من المدن الساحلية المغربية. فالموقع البحري البارز بشكله الطبيعي بأقصى الشمال الغربي منفرد بانفتاحه على قناة مضيق جبل طارق. كل هذا يجعل من سبتة المدينة المتمتعة بمجال بحري متفرع نحو الغرب والشرق من جهة، وإقليم داخلي متنوع الأجزاء من جهة أخرى. ويمكن التمييز بسطح شبه جزيرة سبتة زمن احتلالها في العقد الثاني من القرن التاسع الهجري بين ثلاثة محاور عمرانية، اثنان منها بقيا خارج نطاق المقاومة في أغلب الأوقات، وهما الموقع الحربي الذي يعلو شرق شبه الجزيرة المعروف بجبل المينا، والمدينة الممتدة بين جبل المينا وحفير السهاج.

أما القسم الأخير المسمى بالجزيرة فهو الذي أصبح بحكم موقعه خارج الأسوار مما يلي الغرب مسرح المقاومة الغربية طوال الفترة الزمنية السابقة لمنتصف القرن الثالث عشر (19 م). وهو يضم مساحة مباني كل من الريض البراني القديم وقصر أفراك المريني. ومساحة الجزيرة وما عرفته من حراسة الحدود ومحاولات تحرير المدينة التي يهيم أمرها هذا العرض المخصص لتاريخ مقاومة الوجود الأجنبي بين سنة 818 / 1415 وسنة 1276 / 1860.

المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ط. دو سلان، باريس، 1965؛ ابن تائوت، تاريخ سبتة، الدار البيضاء، 1402 / 1982؛ إسماعيل الخطيب، الحركة العلمية في سبتة خلال القرن السابع، تطوان، 1406 / 1986؛ ع. الرحمن ابن خلدون، العبر، بيروت، المجلدان، 7 و6؛ ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، نج. محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، بيروت، 1406 / 1985؛ ابن عذاري، البيان المغرب، نج. ج. س. كولان وليفي بروغنسال، بيروت، الجزائر، 1 و2؛ القبتوري، رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي، نج. م. الحبيب الهيلة، الرباط، 1399 / 1979؛ المراكشي، المعجب، الدار البيضاء، 1979؛ أ. المقي، أزهار الرياض، الرباط، 1978، ج. 1 و2؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954، الأجزاء 2، 3 و4.

Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIème et XIVème siècle*, Th. 3ème cycle, Aix-Marseille I, 1987 ; L. Blancard, *Documents inédits sur le commerce de Marseille au Moyen Age*, Marseille, 1884, 2 tomes ; A. Correa de Franca, *Historia de la muy noble y fidelísima ciudad de Ceuta*, éd. T. Vargas Machuca García, in *Transfretana*, n° 3, 1983 ; C. Courtois, *Les Vandales et l'Afrique*, Paris, 1955 ; C. Diehl, *L'Afrique byzantine*, Paris, 1896 ; R. Dozy, *Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen-Age*, 3ème éd., Paris, 1881, T. 1 ; Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et la Maghrib aux XIIIe et XIVème siècle*, Paris, 1966 ; *La question de Ceuta au XIIIème siècle*, Hesp., T. XLII, 1955, 1e et 2e trim. ; Ibn Khaldun, *Le voyage d'Occident et d'Orient*, A Cheddadi, Paris, 1980 ; M. Gordillo Osuna, *Geografía urbana de Ceuta*, Madrid, 1972 ; P. Goubert, *Ceuta byzantine ou wizigotique ?* in *Miscellanea Puig I Cadalalch*, Institut d'Etudes Catalanes, Barcelone, 1947 - 1951 ; *L'Espagne byzantine*, in *Revue des Etudes Byzantines*, TIV, 1946 ; D. J. de Mascarenhas, *Historia de la ciudad de Ceuta*, Coimbra, 1918 ; M. L. de Mas-Latrie, *Traité de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen Age*, Paris, 1866 ; C. Posac Mon, *Monedas punicas e hispano-romanas halladas en Ceuta*, Tamuda, T. VI, 1958 ; *Monedas romanas imperiales halladas en Ceuta*, Tamuda, T. V, 1957 ; P. Schmitt, *Le Maroc d'après la géographie de Claude Ptolémée*, Th. 3ème cycle, Tours, 1973

زليخة بنرمضان

\* \* \* بعد احتلال سبتة من طرف البرتغاليين سنة 818 / 1415 مباشرة بدأت المقاومة الشعبية، وظهر وعي وطني عام كَوْن فصلاً ضخماً آخر من فصول تاريخ المدينة المغربية بعد أن حولها الغزو الأجنبي من بيئتها الإسلامية السالفة إلى مناقضتها المسيحية. وإذا كان من الواضح أن رصيدها التاريخي المتراكم بعد الاحتلال قد ابتلى بالنسيان، على عكس تاريخها الإسلامي المديد، فإن الحاجة أصبحت ملحة إلى إنقاذ ذلك الرصيد من الاندثار الذي تعرض له بسبب تقادم الوجود البرتغالي ثم الإسباني بسبتة إلى يومنا هذا على مدى ستمائة وست وثمانين سنة. وأولى خطواتنا نحو

والنتيجة الظاهرة من اختبار موقع مدينة سبتة تظهر أنه ثغر محصن، له نظام دفاعي بري وبحري متكامل. فالحصانة البرية المتمثلة في عقبة حفير السهاج العملاق من العناصر الدفاعية التي ارتاحت لها المدينة مع توالي العصور. فالحمية الوحيدة التي يمكن للمدينة الاستناد إليها في أمنها هي الاعتناء بالبحرية الحربية. لذا فقد كانت سبتة سيدة الموقف بالمنطقة إلى غاية العصر المريني الثاني، على عهد السلطان أبي الحسن علي المريني، حينما كانت معتدة بأسطول وطني متفوق في بحر المضيق. وباختفاء الأسطول منذ منتصف القرن الثامن (14 م). في معركة طريف سنة 741 / 1341 أصبحت المدينة بالنسبة للبحرية البرتغالية بعد أقل من القرن لقمة سائغة ومعركة فاصلة.

. فالثابت لدينا عن تحري طرفيات الاحتلال أن فكرة غزو مياه المضيق كانت موطدة على عهد الدولة البرتغالية، القائمة منذ سنة 787 / 1385 على يد أسرة آفيس وملكها "جواو الأول" (Joao I). وإلى جانب التطلع الخارجي للسياسة البرتغالية الذي كان أهم عناصر الغزو، انضاف عامل الهدنة المبرمة مع قشتالة سنة 814 / 1411، لتدخل فكرة غزو سبتة في مسارها الرسمي حوالي سنة 815 / 1412، بحجة القضاء على القرصنة المغربية التي لم يعن بها الاسبانيون سوى أدوار سبتة الجهادية بالأندلس الإسلامية، إذ أن بحرية سبتة كان قد انتهى أمرها قبل الاحتلال، مثلما تمت الإشارة إليه.

والواقع أن المتبع لتاريخ الصراع على مضيق جبل طارق، سيدرك أن الوضع العام أصبح في بداية القرن الخامس عشر بالنسبة للبرتغال مغربا على الغزو، بعد تخلي المغرب وانسحاب غرناطة من الميدان وتراجع أطماع قشتالة، مما أتاح لأسرة آفيس البرتغالية أخذ زمام المبادرة لأول مرة في تاريخها. ويمكن اعتبار سنة 1400 بحق بداية التنافس بين قشتالة والبرتغال حول مراكز مضيق جبل طارق. ولاشك أن الحملة القشتالية في تلك السنة على منشآت تطوان البحرية قويت هذا المعنى إلى السياسة البرتغالية.

ومن حسن حظ لشبونة أن وفاة هنري الثالث، وانشغال القشتاليين بالحرب الأهلية قد أصابا حركة التوسع القشتالية بالجمود، مما أثار حماس لشبونة للسبق إلى جني ثمار السياسة القشتالية للفوز بموقع استراتيجي بالمضيق، مثلما هو موقع سبتة، مستغلة الظروف السيئة التي كان المغرب المريني يجتازها منذ أزيد من نصف القرن.

ولا تتصور الظروف المغربية المناسبة للشبونة، المساعدة لها للانقضاض على سبتة، إلا في تأزم العلاقات الأندلسية المغربية وما رافق ذلك من تدخلات القرابة المرينية، في وقت تزامن فيه مع تفكير البلاط البرتغالي في غزو سبتة، ما بين 1409 و1415. وليس من الصدفة أن يبعث جواو الأول في السنة التي بلغت فيها الحرب بين أبي سعيد عثمان

وأخيه محمد السعيد أوجها لجنة استطلاع خاصة لأحوال سبتة، وهذا كان سنة 816 / 1413. وفي صدد البحث عن علات سقطت مدينة سبتة، نرى أن البرتغاليين، حينما قرروا الزحف على المدينة، ركزوا حساباتهم بالنسبة لأمرين : تدهور الوضع العام الداخلي، وضعف إمكانات سبتة الحربية المتمثلة في ضعف تحصينات المدينة. وإذا أضفنا إلى ذلك انطوائها على تطورات الأزمة الداخلية المترتبة عن التنازع على الملك بين الأمراء المرينيين أدركنا دواعي حلول كارثة الغزو بمدينة سبتة يوم الأربعاء 14 جمادى الثانية من عام 818. كما حدده محمد الأنصاري، صاحب مؤلف اختصار الأخبار، وكان على ما يبدو من جملة الناجين. وهذا التاريخ موافق لما عينه زورارا بيوم 21 غشت 1415.

من الصعب إيجاد التعابير المناسبة للدلالة على ما أصيبت به البلاد المغربية من جراء الاغتصاب، إذ أن فقدان المدينة بالنسبة لمغرب القرن التاسع (15 م) لا يقل في شيء عن وضع حاجز سميك حجب عن أنظاره حضارة مغربية تطلب تشييدها أزيد من ثمانية قرون متوالية. لقد كان بريق تلك الحضارة هو الذي جر دولة البرتغال إلى تنظيم حملة الاغتصاب، وهو نفسه الذي حث الجانب المغربي طوال القرون المتوالية ويصمود مشرف منقطع النظر على بذل قصارى الجهد لاسترجاع الإرث الحضاري المغربي الضائع.

لا ريب أن حدث اغتصاب سبتة قد وضع المغرب المريني أمام مسؤوليات جسام، نتيجة ما ترتب عنه من العواقب الوخيمة والنتائج المتشعبة الجوانب، بدءاً على الإقليم ثم على البلاد برمتها. وإذا كان البحث عن تلك النتائج وإبرازها من عمل المؤرخين، لما تطرحه مكانة سبتة من القضايا في جغرافية وتاريخ البلاد، فلن يكون من قبيل الأحكام العامة. إذا قلنا إن مرحلة جديدة من تاريخنا كانت قد أعلنت عن ميلادها. ومن أجل ذلك سنعد سنة 818 / 1415 بداية تاريخ المقاومة المغربية، وميلاد الوعي الوطني المناهض للغزو الأجنبي في هذا التاريخ المبكر، السابق بوقت غير وجيز لما سبق طرحه وتحديده في غير هذا المكان من طرف الكتابات الاستعمارية الناكرة لتلك الحقيقة.

لقد كان عزل المدينة عن السيطرة المغربية المباشرة صدمة قوية، إن استسلمت لها أقلام المؤرخين فإن الدعوة الشعبية إلى الجهاد والصمود بالميدان المشرف لم تتوقف بحال من الأحوال.

ولابد من التريث هنا لرسم المخطوط التاريخية العريضة لاستجلاء مكانة سبتة في سلم الوعي الوطني. ومن أجل ذلك نقسم العمل الجهادي إلى محورين اثنين رئيسيين من حيث الأهداف المرسومة لكل محور، وهما في نفس الوقت متكافئان مع فترتين زمنييتين. نسمي الأولى مقاومة الوجود الإسباني، ونخصص لها سنة 1188 / 1775، سنة فشل محاولة تحرير مليلية. ونطلق على الثانية مرحلة

مقاومة الحدود، وهي تبدأ من السنة الأخيرة وتنتهي بسنة احتلال مدينة تطوان عام 1276 / 1860 . وسنستطوع وفق هذين التقسيمين.

وبدا من فترة مقاومة الوجود البرتغالي الإسباني بمدينة سبتة لايد من الإشارة إلى وجود نوعين من مظاهر المقاومة، من حيث الحضور إلى الميدان، أو لهما متمثل في حراسة الحدود الدائمة بمواقعها قبالة أسوار المدينة المحتلة. وثانيهما هو الذي خصصناه لمحاولات تحرير المدينة من الوجود الأجنبي. وسنعالج الموضوع وفق التسلسل الزمني. فمن حسن الحظ أن البحث الحديث قد وضع بأيدينا عدداً من الأمثلة التي نستشهد بها على مكانة سبتة في سجل التاريخ الوطني. تتعلق الأمثلة الأولى بردود الفعل المبكرة على النشاطات المحلية والإقليمية والوطنية، إلى أن تأتي إيجاد تنظيم ذي حدود وأبعاد قارة، متواصل الحلقات إلى غاية منتصف القرن الثالث عشر (19 م).

ونشير في البداية إلى دور المؤسسات الدينية الهيبطية والغصارية وإلى مساهمات النطاق الوطني التي قصدت ميدان سبتة من الجنوب الغربي المغربي والنواحي الداخلية الوسطى، وجهات الناحية الريفية، بالصورة التي تبين أن أبعد المناطق المغربية وأكثرها عزلة عن الشمال الغربي لم تتوان عن تلبية دعوة الجهاد المنطلقة من حوز تطوان خلال السنوات الثلاث التالية للاحتلال بزعامة أول رؤساء الجهاد عب (عبد الله) بن محمد المريني.

ويمكن ملاحظة أن الهدف من العمليات الجهادية خلال تلك المدة كان مركزاً حول إرغام الجنود الإسبان المنحصرين بالجزيرة في برج من قصر أفراد المريني على الانسحاب من ذلك الموقع الهام، في انتظار التعبئة الوطنية الشاملة، الرسمية منها والشعبية، التي ستظهر خلال سنتي (821 / 1418-1419).

وهذا الحصار هو أول المحاولات التي نعرفها من هذا النوع، بعد ثلاث سنوات من التأمل والتدبير والاستعداد على النطاقين الوطني والأندلسي. وكل متتبع لأطوار الحصار يتبين له أنه مر في مرحلتين، أولاهما متمثلة في الحصار البري المغربي، وسرعان ما تلاه الحصار المشترك المغربي والغرناطي براً وبحراً، مما لم يكتب له النجاح.

من الطبيعي أن يطرأ على وتيرة الجهاد نوع من التوقف خلال مدة ما بعد الحصارين الأول والثاني وإلى غاية ظهور الحصار الثالث، باستثناء جهاد أبي الحسن علي المعروف بأبي جمعة العلمي القائم إلى جانب المجاهدين الجزوليين. فلا يعود علمنا باستئناف المقاومة إلا سنة 830 / 1426، حين قبل العاهل الحفصي التونسي عبد العزيز التدخل لصالح المقاومة ضد سبتة المحتلة.

وكيفما كان الأمر فإن ما نتعلق به هو ما خلفه الحصار المريني الحفصي من الآثار الحميدة بالإقليم، إذ أنه حرك حماس سكان ناحية سبتة وتطوان للعودة إلى الميدان خلال

السنوات التالية. والإشارة موجّهة إلى غزوات شيوخ بني عروس (821 - 831 / 1418 - 1427) وغزوات المرابط التطواني طلحة الدريح (821 / 1427 - 833 / 1429) وغزوة أحمد بن مرزوق المجكسي (833 / 1430) وانتصار جبل الدرفة على جيش الفونص الخامس البرتغالي (868 / 1464) والحصار المريني الرابع لسبتة سنة 879 / 1475 وما قام به المنظريون انطلاقاً من تطوان في سبيل المحافظة على المستوى المعهود (1485 - 1567) من المقاومة، إلى أن عاد تألق الجهاد خلال المرحلة النقبيسية التي تستحق كل الاهتمام (986 - 1078 / 1667).

والواقع أن تحرير كل من أصيلا والقصر الصغير قد وضع في أيدي مجاهدي الشمال الغربي لمقاومة سبتة فسحة من العمل موسعة أكثر من ذي قبل. فهذه قبيلة أئحزة، انطلاقاً من مركز القصر الصغير، عملت على تنظيم شؤونها الجهادية وبقيت بالميدان صامدة متكفلة بالحراسة الشعبية وحماية الحدود من كل تسرب جديد.

والملاحظ من جهة أخرى أن لمعركة وادي المخازن ونتائجها الإيجابية انعكاسات على الحركة الجهادية من حيث الزعامة، فهي التي أتاحت الفرصة لظهور أسرة آل النقبيس بصفتهم مقدمي الجهاد. وهناك من جهة أخرى انعكاسات تراجع مكانة دولة البرتغال إثر معركة وادي المخازن مثلما نعلم من الواجهة الإدارية والعسكرية، إذ أن سبتة أصبحت على عهد فيليب الثاني تحت الإدارة الإسبانية، ثم أضافت إلى ذلك الهيمنة العسكرية ابتداء من سنة 1050 / 1640 لتصبح سبتة تحت الهيمنة الإسبانية الكاملة.

وما وقفنا عليه إلى الآن من شؤون المقاومة أن جهاد النقبيسيين بميدان سبتة مر بمرحلتين : طور أول بدأ من سنة 997 / 1588 إلى 1041 / 1631، إلى أن توقف بسبب دخول العياشيين إلى تطوان ويقانهم بها إلى سنة 1050 / 1640. وطور ثاني استغرق من 1050 / 1640 إلى 1078 / 1667. وقد تخللت الفترة انضواء النقبيسيين تحت رايتي الدلائين مرة والحضر غيلان مرة أخرى.

والخلاصة أن القائمين بالجهاد في ميدان سبتة بعد انتهاء الفترة المنظرية هم من الأسرة النقبيسية الهيبطية اضطلع أفرادها بالمهمة، الواحد بعد الآخر منذ أن انحدروا من قبيلة بني يدر المجاورة لأئحزة، وأشرفوا على الحركة الجهادية بحماس وتنظيم كبيرين، وسيستمر أمرهم إلى العهد العلوي. دون أن ننسى أمثلة الجهاد العياشي (1629 - 1640)، التي باركت ميدان سبتة، مثلما فعلت في غيره، لنصل في النهاية إلى النموذج العلوي الإسماعيلي البارز في تاريخ الغزوات التحريرية.

فمن المعلوم أن المغرب الحديث، السعدي والعلوي إذا كان قد ضمد بعض الجراح باسترجاع جل المراكز التي كانت



بيد البرتغال، المركز بعد الآخر، فإن الحظ السعيد لم يكن بجانبه لاستعادة الثغور التي كانت بيد الإسبان، وبذلك أصبحت مدينة سبتة في صدارة المطلب الوطني على عهد المولى إسماعيل العلوي. وجدنا هذا المشروع في ذهن المولى الرشيد، وتؤكد بالمجهودات التي شمر لها السلطان العلوي، بدءاً من تأسيس الجيش الجهادي الريفي.

ومحاولة للكشف عن باكورة المجهودات الإسماعيلية تبين لنا أن هناك وقائع الحصار الأولى التي قام الجيش المغربي بضرب الحصار على سبتة قبل موعد الحصار الأكبر المعروف في التواريخ، امتد بين فاتح جمادى الثانية من سنة 1084 / 13 شتنبر 1673 إلى نهاية سنة 1100 / 12 أكتوبر 1689، كان ذلك بمثابة تجربة الدخول في مرحلة الحصار الأكبر المنتظر.

ظهر مشروع حصار سبتة الأكبر أول الأمر على حيز الوجود أثناء حصار العرائش سنة 1101 / 1689، إلى جانب الرائج حول ثغري مليلة ومازيغان. ولكن الإعلان الرسمي بالنسبة لسبتة لم يظهر إلا إثر الإنذار الذي وجهه المولى إسماعيل إلى حاكم المدينة بأمره بالجلاء عن المدينة أو انتظار شن حرب شاملة.

كانت سبتة المحتلة خلال السنوات التالية على مرعد مع أطول حصار عرفه الوجود الأجنبي بترابنا، إذ أنه ابتدأ من 3 ربيع الأول 1106 / 22 أكتوبر 1694 بقيادة علي بن عبد الله الريفي وابنه الباشا أحمد بعده، ولم ينته إلا سنة 1139 / 1727 بوفاة المولى إسماعيل. ويحتاج هذا الحدث الرطني إلى تقديم أبرز التفاصيل مختصرة.

لم تبدأ اللحظة الحاسمة لتنفيذ المشروع إلا يوم 9 بيع الأول عام 1106 / 28 أكتوبر 1694. وربما كان الأقرب إلى الدقة في تاريخنا ما جاء به محمد الضعيف الرباطي الذي أشار إلى يوم الأحد 26 من صفر عام 1106 / 16 أكتوبر 1694 والنزول بالميدان يوم 29 منه.

ويمكن الاطلاع على الترتيبات الحربية من خلال النصوص المتوفرة والخرائط المنجزة بتلك المناسبة التي أبرزت مواقع البطاريات الموضوعة بساحل بحر أبي بسول الجنوبي ويشعات الريض البراني وقصر أفراك وتلك التي تم نصبها على ساحل بحر الرمل الشمالي، مما شكل نصف دائرة هجومية ودفاعية مقابلة للمدينة والتحصينات الخارجية.

اعتمد التاكتيك الحربي المزدوج لقصف المدينة التي كانت الهدف الأول، على ما توفر لديه من المهاريس والقطع المدفعية وعلى تنظيم الهجوم على التحصينات الخارجية المنشأة للزحف تدريجياً نحو الريض البراني والقصر المريني. واستعمل المغاربة طريقة أخرى كانت قد أعطت ثمارها في استرجاع مدينة العرائش خاصة، وهو ما نسميه بحرب الأنفاق المعتمدة على فعالية زرع الألغام.

لا شك أن المحاولة الإسماعيلية كانت نموذجاً بارزاً في تاريخ الوعي الوطني، سواء من حيث المدة الزمنية أو

الوسائل الحربية المستعملة والحشود العسكرية، ولكنه كان أيضاً مثالا لقصور الإمكانيات المغربية مجتمعة عن تحقيق الهدف الوطني السامي، وهذا سيكون له التأثير على عدم العودة إلى ميدان سبتة رسمياً، باستثناء محاولة المولى اليزيد بن محمد بن عبد الله، والاكتفاء بدور حراسة الحدود على يد القائمين به من الجانبين الشعبي والمخزني.

ونتساءل عن سبتة ما بعد المولى إسماعيل، وهي فترة تستحق الإثارة والتأمل فيما هو شائع عن الميدان من خلو ساحة سبتة من المجاهدين. ويمكن لنا أن ننساق إلى ترديد أن السلطة المركزية كان قد اعتبرها ما اعتبرها من التفكك والاضطراب والوهن، ولكن الذي لا نقبله أن يقال إن ميدان سبتة كان قاعاً صافصفاً خالياً من الحراسة المخزنية والمجاهدين. لقد كان المولى عبد الله بن إسماعيل من أكثر المتنازعين على العرش اهتماماً بميدان سبتة، وهذا نابع من دوره وحضوره أثناء الحصار المشهور. هذا ما تدل عليه قراءة الوثائق المنتهية إلى هذه الفترة.

ومن المعروف أن الضمير المغربي كان لا يمل من البحث عن أوجه استرجاع الثغور المحتلة دون أن يكون هناك تمييز، ولكن الحكمة كانت تتجه تارة إلى التركيز على هذا الثغر أو ذاك حسب الآمال المعلقة على التدخل الحربي. وهذا هو الذي وجه المولى إسماعيل نحو سبتة، وهو السبب نفسه الذي صرف نظر السلطان محمد بن عبد الله عنها والتوجه نحو حصار مليلة، وهو عينه الذي أعاد المولى اليزيد إلى الإدلاء بدلوله في ميدان سبتة (1790 - 1792).

فالمعروف عما وصل إلينا عن محاولة المولى اليزيد في ميدان سبتة أنها مندرجة في عمليات محاولة تحرير ثغورها، ذلك أن هدف المحاولة تعبر عنه المطالبة الرسمية لاسترجاع المدينة، إن بالوسائل السلمية أو الحربية، اقتداءً بجده المولى إسماعيل. ولا ريب أن ما كان يفكر فيه المولى اليزيد والمحيطون به من رجال الشمال الغربي المغربي كخطوة أولى هو كبح جماح حامية سبتة عن التهام المزيد من التراب الوطني، ورد حاكمها عن المطالبة مجدداً بالامتيازات الحدودية المنتزعة في أواخر أيام السلطان محمد بن عبد الله. كانت تلك المطالب التي لم تعرف التوقف والنهاية من أكبر محن البلاد التي عانى منها الجهاز الرسمي وأهل الشمال الغربي على السواء. هذا هو ما يفسر السرعة التي توجهت بها عناية المولى اليزيد نحو ميدان سبتة.

تستلزم النظرة الشاملة في مسألة سبتة على عهد المولى اليزيد إثارة الخطوات التي مرت بها، ذلك أنها اتجهت أولاً إلى استعادة الجانب المغربي الإشراف على الحدود المغتصبة على عهد والده. وكل شيء بدأ بالنسبة للمولى اليزيد يوم 9 شعبان 1204 / 24 أبريل 1790. غير أن الموقف الرسمي المعتمد في تحديد الوضعية التي كان عليها ميدان سبتة هو الذي أوضحته مراسلة المولى اليزيد إلى

كارلوس الرابع، في منتصف شعبان 1204 / 30 أبريل 1790. ومنذ ذلك لاح للجانب المغربي أمل استرجاع المدينة عن طريق التظاهر الحربي.

وأهم ما يميز الحصار هو الاستعدادات الميدانية التي شكلت المرحلة الرئيسية الوحيدة المميزة للحصار. وفي وسعنا الاستعانة للتعريف بالمواقع الحربية بما سبق أن اتضح لنا أثناء الحديث عن حصار قوات المولى إسماعيل لسبتة، خاصة تلك التي تمثلت بمحيط قصر أفراك على امتداد واد فاس أو واد العرائش إلى الجهة المقابلة من ساحل بحر أبي بسول. ومن ضمنها أشبارات فنانشة سلا التي أشار إليها الناصري نقلا عن أكنسوس.

ومن المدافع والمهاريس التي بلغ عددها اثنين وعشرين قطعة، توالى قصف المدينة منذ يوم 10 محرم 1205 / 19 شتنبر 1790، وكانت يوم 4 صفر / 13 أكتوبر لا تزال مستمرة على وتيرته السابقة إلى أن تقرر رفع الحصار يوم 5 صفر 1206 / 4 أكتوبر 1791. كانت محاولة المولى اليزيد آخر محاولات مقاومة الوجود الإسباني بسبتة. وقبل ذلك كانت مرحلة مقاومة الحدود المشار إليها قد عرفت انطلاقتها، مما ستراه في الفقرة التالية :

إذا كانت ساحة سبتة قد عرفت محاولات ضد الأجنبي ومبادرات التحرير، فإن هناك مرحلة أخرى من الكفاح الوطني ندعوها بمرحلة مقاومة الحدود، وهي تبين درجات معاناة المغرب من جراء الضغوط الحربية والدبلوماسية للسطو على المساحة الحدودية المتصلة بالمدينة. وهذا هو ما وفق فيها الإسبان بمبادي النفور، ومدينة سبتة خاصة.

ويمكن تحديد الشروع في هذا الاتجاه بسنة 1181 / 1767 على عهد محمد بن عبد الله، غير أن مظاهره لم تكتمل إلا سنة 1188 / 1775. شكلت هذه المرحلة بالنسبة إلينا هجمة أخرى موجهة لاغتصاب المزيد من التراب الوطني بالادعاء، المتلبس بالإنسانية والود والصداقة الرابطة بين البلاطين المغربي والإسباني.

بدأت الهجمة باتفاق 29 ذي الحجة عام 1180 / 28 مايو 1767، وبه انتزع الإسبان الشرط التاسع عشر المقر بتوسعة حدود الثغور عامة، ومنها بالدرجة الأولى حدود سبتة. وبناء على ذلك ظهرت أولى المطالب لاغتصاب الحدود بحجة توفير مساحة للرعي وجلب المياه للمدينة والتخلص من مضايقات الحراسة المغربية. ويعني هذا العمل على ربح مساحة ترابية تصبح ملكا لسبتة وحمايتها من جهة، وتخصيصها لفك الحصار الاقتصادي عن المدينة، بعيداً عن أنظار المراقبة. وهذا هو الذي تمكن منه الإسبان على عهد محمد بن عبد الله جزئياً سنة 1179 / 1782 بالحصول على الواجهة الشرقية من مساحة الجزيرة، وهو ما اضطر المولى اليزيد إلى المصادقة عليه إثر فشل حصار سبتة.

وأمام معارضة أهل قبيلة أنجرة التي تقع مدينة سبتة

ضمن ترابها وتشدد الحراسة المغربية، انتزع الإسبان باسم الود والصداقة وحسن الجوار الشرط الخامس عشر الوارد في اتفاق 13 شوال 1231 / 20 مارس 1799، على عهد المولى سليمان. يسمَح هذا الشرط للإسبان بحرية استخدام القوة العسكرية تجاه رجال أنجرة المعارضين لتوسيع الحدود متى أرادوا ذلك.

وهناك محاولة المولى عبد الرحمن الجريئة التي نعرف من خلال مصادرها، عملاً بخطة إعلان الجهاد إثر الاحتلال الفرنسي للجزائر، أنه لم يتردد لاسترجاع الحدود المغتصبة فيما سبق، متحدياً التهديدات الإسبانية، لتبقى في حوزة المغرب ما بين 1253 / 1837 و1260 / 1844. وتبعاً لذلك بدأ للسلطان مشروع إعادة بناء القلعة الحدودية المعروفة بالدار البيضاء ضرورياً، فبناؤها حسب تعبيره "إرغام للعدو الكافر وزيادة في الاحتراس وأخذ الأهبة والاستعداد، لأنها شجى في حلق الكفار وقذى في أعينهم".

ومن المعلوم أن الوعي الوطني بخطورة الوجود الإسباني لم يكن بمستوى الإمكانيات الحربية المتوفرة، إذ أنه لم يستطع مواجهة ضغوط ومناورات الحكومة الإسبانية في وقت جد مناسب كان فيه السلطان تحت تأثير سلبيات معركة إيسلي.

وتبعاً لذلك تقدمت الحكومة بالإنذار الحربي الذي لم يترك للمولى عبد الرحمن مجالاً للتأمل والإحجام عن تلبية ما عرف بالمطالب الإسبانية السبعة التي لا محيد عن تنفيذها، وكانت النتيجة هي التي أقرها اتفاق 9 شعبان 1260 / 24 غشت 1844، وبها تم اغتصاب المساحة الممتدة إلى حدود قصر أفراك.

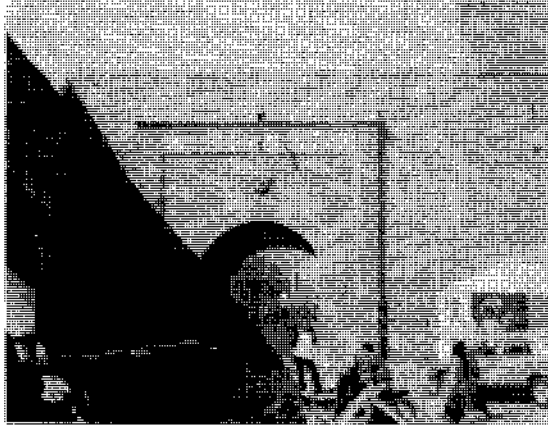
غير أن هذا الفوز لم يحظ بقبول الأطماع الإسبانية التي كانت تتشوف لتوسيع الحدود إلى مشارف السفح الشرقي من جبل بنيونش، وإدخال مركز حراسة الدار البيضاء ضمن تلك الحدود. وهذا هو ما تمكنت منه حامية سبتة يوم 23 ربيع الثاني 1276 / 19 نوفمبر 1859 أثناء افتعال حرب تطوان.

شكل احتلال الإسبان بقلعة الدار البيضاء قاعدةاً للتوسع الأخيرة التي كانت الهدف الأول لتقدم جيش سبتة يوم 16 جمادى الأولى 1276 / 11 ديسمبر 1859 إلى قرية الفنيدق، ومن هناك بدأ الزحف نحو المدينة الضحية.

وباحتلال تطوان استكمل الإسبان السيطرة على حدود سبتة على الصورة التي مازالت قائمة إلى وقتنا المعاصر، بعدما ما أغرقت البلاد في محيط من المشاكل وبحر من الديون التي لم تتخلص منها إلا بعد عشرين سنة ! وأخيراً تم تنفيذ الحيازة النهائية في صلح تطوان وتأكيد ذلك في اتفاق 15 شوال 1277 / 26 أبريل 1860.

ولا نجد من التعابير الدقيقة عن الأطماع التوسعية الإسبانية بميدان سبتة فيما يخص معضلة الحدود أكثر صدقاً مما أشار إليه المرجوم محمد داود حين قال : "فهم

وفي سنة 1151 / 1738 بنى عامل سلا عبد الحق فنيش برجاً ضخماً متصلًا بباب سبتة اتخذه مقرًا للنظر في شؤون المدينة والقضايا المعروضة عليه. بناه من أنقاض القصة الإسماعيلية (قصة غناوة) بجوار ضريح أبي موسى الدكالي. هدمها بسبب طفبان العبيد المقسمين فيها



حينما ضعفت السلطة المركزية أيام فتنة أولاد المولى إسماعيل، وصار عبيد القصة يتعرضون لنساء المدينة ويهتكون أعراضهن. هذا البرج مغلق من خارج تعلوه نوافذ عالية نصف دائرية وينفتح بابه داخل الأسطوان.

وقد استصلحت وزارة الثقافة أخيراً هذا البرج لتجعل منه خزنة علمية خاصة بحي باب سبتة.

أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1966 : م. ابن علي الدكالي، الإنحاف الوجيز، ط 2، الرباط، 1996، ص. 53.

محمد حجي

**السبتي، أسرة تطوانية - فاسية، نسبة إلى مدينة سبتة.** كان السبتيون بتطوان في القرن الثاني عشر (18م) يسكنون في حي النيارين، وقد انقرضوا الآن من تطوان، ومازالوا في فاس، وفي إزالة الالتباس أنهم أهل تجارة ومال وثروة وحرفة وشهرة، ولعل الجنان الواقع بالمرج المعروف بالسبتية خارج باب الخوخة ينسب إليهم، ومنهم أسر انتقلوا إلى الدار البيضاء والعرائش وغيرهما.

ومن الطائرين على تطوان مؤخرًا من يُدعون السبتاوي، نسبة إلى سبتة على غير قياس.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، مخطوط : م. داود، عائلات تطوان، مخطوط : ع. السلام ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون.

محمد بوخبرة

**السبتي، الطاهر بن محمد الفاسي.** وهو ابن الثري الشهير الحاج محمد السبتي من أكبر تجار شارع مديونة بالدار البيضاء، كان يساعد الحركة الوطنية ويؤازرها.

وقد اغتالت الحركة الإرهابية الفرنسية الطاهر السبتي في وضع النهار، وهو يغادر سيارته ليلتحق بمتجر والده، فأطلقت عليه خمس رصاصات أردته قتيلاً في الحين.

البارحة في تلك الأكمة، واليوم في سفح الجبل وغدا في قمته، وبعد الغد في واديه ثم في سهل، وهكذا. وهذا المخفر الصغير يتحول في الوقت المناسب إلى بناء متين ثم إلى حصن حصين ثم إلى مركز عظيم. وهكذا يبدأ السير حوا ثم يسير قفراً ثم يكون عدواً".

والناظر اليوم إلى الساحة الحدودية المختصة التي كانت فيما سبق ميدان شرف الصمود لمقاومة الوجود الأجنبي لا يأخذه العجب والاستغراب بانطماس معالمها بسبب انتشار العمران بأرجائها بقدر ما تملكه الحيرة والتأمل في الظرف والوسيلة اللذين ستسترد بهما الحقوق الجغرافية والتاريخية والسيادة الكاملة على مدينة سبتة المحتلة.

أبو عبيد الله البكري، المغرب : ابن حيان الأندلسي، المتيسر : عبد الواحد المراكشي، المعجب : ابن عسكر، دوحة الناشر : ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب : مجهول، الذخيرة السنبة : ابن خلدون، العبر : محمد الأنصاري، اختصار الأخبار : الحسن الوزان، وصف إفريقيا : مارمول كارخال، إفريقيا : محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة : محمد بن أحمد الشراط، تقييد : محمد داود، تاريخ تطوان، المجلة التاريخية المغربية، 1987 : وثائق الخزانة الحسنية : وثائق مديرية الوثائق الملكية : حسن الفكيكي، مقاومة الوجود الإسباني بالشفور الشمالية الغربية، أطروحة مرقونة : سبتة المغربية، الدار البيضاء، 2000 : رباط المروجع، معلمة المغرب.

Zurara, Chronica de D. Pedro ; J. Mascarenhas, Historia de la ciudad de Ceuta ; F. Fernandes, Description ; M. Gordillo Osunca, Geografía urbana de Ceuta ; A.G.S., Mapas, Planos y dibujos ; F. S. Montoya, Apuntes para la fotohistoria de Ceuta ; Mohamed Cherif, Contribution à l'histoire de Ceuta aux époques Almohade et Merinides ; Surede Blanes, Historia de Ceuta ; Damiao Peres, Ceuta Cercada, un problema cronológico ; Ignacio Bauer Landauer, Papeles de mi archivo ; José Antonio Marques de Prado, Historia de la Plaza de Ceuta ; Guillermo Gustavino Gallent, Los comienzos del sitio de Ceuta ; J. A. Marques, Historia de la Plaza de Ceuta ; Gazette de France, Mariano arribas Palau, Cartas arabes de Marruecos ; Tratados y convenios referentes a Marruecos ; Ramon Lourido Diaz, En torno al ensanche de los limites de Ceuta, Hespéris, 1982 ; S.I.H.M. Hollande ; Angleterre, France ; A.H.N. Madrid ; A.G.S. Valladolid, Espagne.

حسن الفكيكي

**سبتة (باب -)** أحد البابين الكبيرين القديمين لمدينة سلا في السور المرابطي الذي هدمه الخليفة الموحد عبد المومن - في جملة ما هدم من أسوار المدن - ثم جدد بناءه حفيده يعقوب المنصور. يقع باب سبتة في الجانب الشمالي الغربي لهذا السور، ويتكون من أسطوان (ساباط) فتح بابه الخارجي على الطريق الساحلي المتجه شمالاً نحو سبتة وطنجة، وبابه الداخلي في الهي المسمى كذلك حي باب سبتة.

الانتقاء : بيد أن ابن الزيات استشر خصوصية موضوع مؤلفه وحساسيته لما وقع فيه من الاختلاف (أخبار، 451) وأهل مراكش إلى زمننا هذا مختلفون، فمنهم من يراه ولياً... ومنهم من يكفره، ومنهم في يده، ومنهم من يراه ساحراً إلى غير ذلك من الأقوال التي تقال فيه، والله أعلم بحقيقة أمره (أخبار، 452). (453) من الجلي أن الإقدام على تناول موضوع أصبح قضية عند الناس كان الدافع المعبر عنه إلى تخصيص الشيخ بمؤلف منفرد، ساهم حجم الأخبار المتداولة عنه كتابة ورواية في التحفيز على المجازة. ودون شك أن تمهيد المؤلف باستحضار الوضع الاعتباري الخاص للرجل، وبعد شقة الخلاف حوله، يقدم تصويره طبيعة الموضوع وإطار للاشتغال عليه. ومن المجازان الرؤيا المتولدة من هذا وذاك. كانت تقتضي من ابن الزيات اليقظة والحذر من الميل إلى طرف من الأطراف المختلفة وهو الذي ظل أخذاً بمسلك الاعتدال في أمره (التشوف، 23)، وسير أغوار مناقب أهل الولاية والصلاح ولم يخف وعيه بنوعية مرجعياته (التشوف، 12).

ورغم ذلك اختار ابن الزيات الانتقاء من رصيد الأخبار الذي توفر له عن أبي العباس السبتي معترفاً بقيمته الكمية على الأقل (أخبار، 470 - 454)، وقاعدة الانتقاء الأخذ بمادة على حساب مادة أو مواد أخرى شرط الحفاظ على المعنى العام، والمؤلف نبه إلى أخذه بهذه القاعدة في صيغة تقويم ذاتي لمادة أخبار أبي العباس السبتي، كمادة تقدم مجموع عيون أخباره ومن أخباره ما ينوب عن العيان (أخبار، 451) وأخباره كثيرة عجيبة... وفي هذا القدر الذي ذكرته كفاية لمن أراد أن يستشرها (أخبار، 470). لكن في الانتقاء أيضاً أولوية في اختيار وترتيب المادة المنتقاة وفق معايير متعددة في ذهن المؤلف لم يكشف عنها. وكذلك اختصار يبقى غير مفهوم إذا استحضرننا من جهة مسألة عدم التوازن المشار إليها وشيكاً، ومن جهة ثانية كون عدد أخبار أبي يعزى بلغ في التشوف أربعة وخمسين خيراً، في حين لم يتعد مجموع أخبار أبي العباس في مؤلفي ابن الزيات معاً ستة وأربعين خيراً. في هذا السياق إذن تبدو بعض العناصر التي من شأنها أن تسهم في فهم دخول أبي العباس السبتي إلى مراكش وتقرب المخزن الموحد منه.

في مراكش تحددت الهوية الصوفية للرجل فأبو العباس السبتي دخلها فيما يبدو دون لون صوفي مميز. أما محتوى هذه الهوية فيمكن إجماله في الصدقة يقول ابن الزيات : مذهبه يدور على الصدقة وكان يرد سائر أصول الشرع إليها... وكان إذا أتاه أحد بأي أمراته، يأمره بالصدقة ويقول له : تصدق ويتفق لك كل ما تريده (أخبار، 453). (454). وعلى هذه القاعدة وضع خطأ تصاعدياً لمراتبها التي حددها في ثلاث محطات، أولها : المشاطرة،

إثر ذلك أقلت جميع المتاجر بالدار البيضاء، وعم الحزن سائر المغاربة، وشيعت جنازته في صباح الغد في موكب جنازي رهيب، وصفه عن مشاهدة عبد السلام ابن سودة في كتابه *إنحاف المطالع* : "فقد مرّت الجنازة في سيارة وبعدها سيارات أقاربه وأصدقائه وعائلته، وبعد ذلك صفوف من النساء ماشيات على الأقدام خمسة خمسة في الصف دام ذلك أكثر من ساعة زمنية، ثم الرجال خمسة خمسة في الصف كذلك وبقى مرورهم أكثر من ساعة ونصف، ثم أصحاب الدراجات وبقى مرورهم ما يقرب من نصف ساعة ثم أصحاب الدراجات النارية، ثم أصحاب السيارات ثم أصحاب الكاميونات، وفي كل نوع مروره أكثر من نصف ساعة وكان الموقف رهيباً، مما يدل على أن المغرب قد استرجع وعيه وقوته واجتمعت كلمته وردد في طور العمل. وما انتهى الاستعراض ذلك اليوم إلا بعد الساعة الثالثة ونحن نقضي لذلك العجب".

قتل - رحمه الله - يوم الأحد ثامن جمادى الأولى عام 1374 / ثاني يناير 1955 على الساعة التاسعة صباحاً. ووُري جثمانه مساءً يوم الاثنين الموالي بمقبرة الدار البيضاء. ع. السلام ابن سودة، *إنحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 9 : 3297، 3298.

محمد حجي

### السبتي أبو العباس صاحب الضريح الشهير

بمراكش. يستفاد من إشارة لابن الزيات أن مناقب أبي العباس السبتي كانت موضوعاً لتأليف صنفها بعض مرديه والشيخ مايزال على قيد الحياة، وأخباره كثيرة عجيبة، وقد جمعها أصحابه وكتبوا من كلامه كثيراً (أخبار، 470) وفي غياب هذه التأليف يبقى كتاب أخبار أبي العباس السبتي الذي وضعه معاصره ابن الزيات أصلاً لمعظم المعلومات المتداولة عنه في حياته ومرجعاً لما جاء بعد من كتابات في الموضوع.

ويسمح تأمل نص هذا التأليف الصغير برصد بعض عناصر الخلل والتشويش في مادته يبدو أنها تركت أثرها على المحتوى المقدم من خلاله. ويمكن اختزال هذه العناصر في ملاحظات ثلاث هي :

عدم التوازن : يتجلى في عدم تغطية الأخبار بشكل متوازن للمسار الصوفي للرجل الذي بدأت بوادره الأولى وهو في سن مبكرة من حياته، ولعل التوزيع المجالي والزمني لمادة الكتاب يعكس ذلك بكل بوضوح.

المكان	مدة الإقامة	عدد الأخبار
سبتة	بين 16 و20 عاماً	01
جبل غليز	حوالي أربعين عاماً	01
مدينة مراكش	حوالي عشرين عاماً	38

ثانيتها: الإحسان، ثالثتها شكر النعمة (أخبار، 459 . 461)، ومعيار التفاوت بينها هو قيمة البذل والعطاء، فالأولى تساوي التصدق بالنصف من الرزق، والثانية الثلثين، وتعادل الأخيرة خمسة أسباع منه.

يتضح من هذا المحتوى إذن أن الصدقة عند أبي العباس السبتي شكلت قاعدة اختيار صوفي بعينه في حين تبدو حاضرة كجزء من أعمال البر والإحسان ضمن الخدمات ذات الطابع الاجتماعي التي أدّاها متصوفة مراكش خلال نفس الفترة (Halima Ferhat, *Abil L-'Abbas*, 191).

من جانب آخر يلاحظ أن الصدقة كانت حاضرة في الراجحة الاجتماعية لأعمال المخزن الموحد، يحرضه على القيام بها، وأهمية قيمة الغلاف الذي كان يصرف فيها، واتساع قاعدة المستفيدين منها (المعجب، 278 . 287 ؛ القرطاس، 217)، وشموليتها لكامل الخريطة التي امتدت إليها السيادة (Halima Ferhat, *Le Maghreb*, 95)، وتنوعها بين الصدقات المنتظمة والظرفية.

وليس بمستبعد حضور البعد السياسي ضمن ما كان يستهدفه الإحسان المخزني من مرام وغايات جلياً للعطف، وحداً للعداء، ولعل الغاية من إقحام المخزن للمتصوفة في إنجاز هذا العمل. هي هؤلاء المتصوفة بالذات كطرف مستهدف من أجل تكسير شوكة المعادين منهم، والتخفيف من قوة مكانتهم عند العامة، مما يرجع ذلك طبيعة وحجم مشاركتهم في تنفيذ الإحسان المخزني، إما كعناصر مستفيدة (المعجب، 278 ؛ القرطاس، 217) أو كطرف وسيط في توزيعها (الذيل، 1 : 48 - 49)، أو كإطار للتحسيس بها والتحفيز على القيام بها. وحسبما يبدو فإن هذه المهمة الأخيرة تصدر للقيام بها في مراكش أبو العباس السبتي ومن غير المستبعد أن تكون الباعث الرئيسي من تشكيل تجرته الصوفية الخاصة.

توفي أبو العباس السبتي بمراكش عام 601 / 1205، ودفن خارج باب تاغزوت منها (أخبار)، وبموتها بدأ تاريخ آخر له أحلّه موقع القطب الأول في خريطة المقدس بمراكش وجعل منه محطة بارزة في تاريخ الذهنيات بمجالها، يتمتع بوزن اعتباري خاص، وقيمة رمزية فاعلة، وسلطة ولاية محترمة، مكنته من أن يكون واحداً من الرجال السبعة الذين تشدّ الرحلة إلى مزاراتهم في مراكش (*Les sept Patrons de Marrakech*) وجسدت من جهة ثانية الاعتقاد بامتداد وظائفه النفعية حتى بعد مماته (أنس الفقير، 7-9؛ أزهار الرياض، 1 : 272-273 ؛ نزّهة الحادي، 290)، وعند السكان المسلمين منهم وأهل الدّمة (أنس الفقير، 8 . 9)، ضرب صيته بجرايه فجاز إلى خارج المغرب الأقصى (نفع الطيب، 7 : 267 - 277) هكذا أضحى الرجل في التخيل الجماعي، مسلّكاً من مسالك جلب المنافع ودفع المضار فهو ترياق مجرب (نفع، 7 : 267) ومرجع للإنصاف وقوة ضمان للعهد والمواثيق، وملأ لدفع الضيم وتخفيف الكريات،

وأمل لتحقيق الرجاء، وقضاء الحوائج (أنس الفقير، 7 . 9)، وكان له أثره على التغيرات المجالية التي عرفها القسم المجاور من المدينة لمذفن أبي العباس السبتي، بحكم وظيفته الدينية التي حولته إلى مركز جذب بشري في خريطة المدينة (نفع، 7 : 267)، ترتبت عنه نتائج همت التعمير يمكن اختزالها في زيادات ثلاث، أولها : إعطاء اسم ثان لياب تاغزوت هو باب الشيخ أبي العباس السبتي (نزّهة الحادي، 56)، ثانيها امتداد مساحة المدينة إلى خارج الباب المذكور، ثالثها تحول روضة الشيخ إلى ضريح سرعان ما أصبح نواة لحومة دينية جديدة (نزّهة الحادي، 290).

ي. ابن الزيات التادلي، التصوف، ومعه أخبار أبي العباس السبتي، تج. أحمد التوفيق، الدار البيضاء، 1984 ؛ عبد الواحد المراكشي، المعجب، تج. محمد سعيد العريان ومحمد العربي العاصي، القاهرة، 1949 ؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، القسم الأول، تج. م. بنشريف، بيروت، د. ت. السفر الثامن، الرباط، 1984 ؛ ابن أبي زرع الفاسي، القرطاس، الرباط، 1973 ؛ مجهول، المحلل الموشية، تج. عبد القادر زمامة وسهيل زكار، الدار البيضاء، 1976 ؛ أ. ابن فنند الفسطيني، أنس الفقير، تج. محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط، 1973 ؛ أ. المقري، نفع الطيب، تج. إحسان عباس، الجزء السابع، بيروت، 1988 ؛ أزهار الرياض، تج. مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، ع. الحفيظ شلي، القاهرة، 1939 ؛ م. الصغير الإفرائي، نزّهة الحادي، تج. ع. اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1998.

Halima Ferhat, *Abil -'Abbas : contestation et sainteté, Al-Qantara*, vol. XIII, Fasc. I, Madrid, 1992 ؛ Henri de Castries, *Les sept Patrons de Marrakech, Hesp.*, tome IV, 1924.

محمد رابطة الدين

**السبتي، عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد العزيز بن أحمد الهواري الجزيري،** يكنى بأبي فارس. أصله من جزيرة شقر إحدى جزر شرق الأندلس. يعتبر أبوه الشيخ إبراهيم من أبرز صدورها وأعيانها. نزع عنها إلى تلمسان حيث ولد الابن عبد العزيز في رمضان سنة 617 / 1220. وعندما اشتد عوده رحل إلى سبتة وبها استقر إلى أن وافته المنية بها.

من أبرز شيوخه أبوه الذي رغبه في السماع منذ نعومة أظفاره. كما حبّب إليه كتابة الحديث وضيظه وتقييده. (إفادة النصح، ص. 8). ومن جملة الكتب التي سمع على والده المرطاً. كما سمع كتاب صحيح البخاري على أبي مروان الباجي عن الحافظ أبي بكر ابن الجند بسماعه عليه، وسنن الترمذي على أبي عمرو العبدري. كما أجازته أعلام من المشرق من بينهم ابن الحاجب وابن المنير وابن الصلاح وغيرهم (درة الحجال، ص. 134).

جلس عبد العزيز للاقراء بجامع سبتة الأعظم. فاعتبر

بغداد، ومن أهل أربيل ومن أهل واسط (ص. 304 . 306) ثم ذكر أسماء من أخذوا عن الأزدي، ومنهم الرعيني المذكور. ووصف ابن عبد الملك صاحب الترجمة بقوله : وكان شيخاً جليلاً، مسناً، راوية، مكثراً، عدلاً، ثقة ... وكان فقيهاً عاقداً للشروط ... ولي خطة القضاء بسبته، وعُرف بالنزاهة في أحواله واستقامة الطريقة في متصرفاته... " (ص. 307).

ومما ذكره ابن الزبير في صلة الصلة أن الأزدي روى على ابن عبيد الله فسمع عليه الموطأ والكتب السنة وسير أبي إسحاق بتهذيب ابن هشام وغير ذلك، وذكر مجيزه بن أهل الأندلس والمغرب وأن عدد من أجاز له من أهل المشرق واحد وستون رجلاً سماهم في برنامجه ثم قال "كان عدلاً، سنياً، راوية، ثقة، فاضلاً ... وكان له مال ورثة عن أبيه أنفقته في رحلته على الفقراء والمنتصين إلى التصوف حتى نفذ، وتحرف ببلده [سبته] بالتوثيق، واشتهر بالعدالة والقضاء... لقبته أنا سنة خمس وأربعين [وستمئة] وبعد ذلك، وقرأت عليه كثيراً، وأجاز لي مراراً، وهو ممن اعتمده".

أما تاريخ وفاته فيحدده بلبلة الاثنين 26 رمضان سنة 660 / 28 يوليو 1262.

م. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، القاهرة، 1955، ضمن الترجمة رقم 1716، ص. 679 : علي الرعيني الإشبيلي، برنامج شيخ الرعيني، طبعة دمشق، ص. 168 . 169 : م. ابن عبد الملك المراكشي الأنصاري : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، الرباط، 1984، السفر 8 الترجمة 99 : ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم التقفي الجبائي : صلة الصلة، قسم الفهرية، الملحق بأخر كتاب الذيل المذكور، ص. 518 . 519.

أحمد عزواي

**سبتيم** (Septem) هو اسم سبته في العصور القديمة. من خلال الأدبيات الكلاسيكية ارتبطت سبتيم (سبته الحالية) وموقعها بأسطورة البطل هرقل (Hercule le Thébain). حدد الكتاب القدماء محطاتهم أو رحلاتهم وراء الأعمدة المنسوبة لهذا البطل الأسطوري. وهي المعروفة باسم أعمدة هرقل (Les colonnes d'Hercule) (المعملة، 2، ص. 523).

فكان هيكتاتي المليلتي (Hécate de Milet) (VI ق م ونعرفه اعتماداً على الكتاب المتأخر إيتيان البيزنطي (Etienne de Byzance) أول من أشار إلى أعمدة هرقل إذ أنه حدد قريبا منها مدنه.

أما المؤرخ الإغريقي هيروdot (Herodote) (V ق. م) فأشار إلى الأعمدة في ثلاث فقرات من كتابه الرابع المتعلق بالمغرب القديم. فتحدث عن سطاسبيس (Setaspès) الذي قام برحلته برفقة بحارة مصريين وراء الأعمدة. وحدد أيضاً أطلس والأطلنت (Atlantes) وراء الأعمدة. ثم إنه موضع تجارة المقايضة التي جمعت القرطاجيين والسكان المحليين وراء نفس النقطة.

من أشهر محدثي عصره، وأكثرهم ثقة وعدالة. كما اعتبر من أسند شيوخ سبته خلال القرن السابع (13 م) لاعتنائه في الحصول على السند الصحيح خاصة السند العالي. فقد كان سماعه لصحيح البخاري - يقول ابن رشيد - بـ "إسناد لا نظير له في بلاد المغرب، جلالة رجال، واتصال سماع، وعلو صفة" (إفادة النصيح، ص. 7). بل يعتبره "أقرب إسناد يُسكن في الدنيا شرقاً وغرباً، فقد أنضينا في المطي في طلب أعلى منه فما وجدنا" (إفادة النصيح، ص. 114).

يبدو أن ابن رشيد وضع مؤلفه إفادة النصيح خصيصاً للتعريف بسند شيخه أبي فارس عبد العزيز ولترغيب ابنه محمد في سماعه. كما وصفه أبو القاسم التجيبي بـ "الشيخ العدل المبرز مقدم الموتفين المجيدين بسبته ورئيس جماعتهم" (برنامج التجيبي، ص. 74).

يعد ابن رشيد الفهري، وأبو القاسم التجيبي، ولب بن عمر ابن جراح الأنصاري الإشبيلي (بغية الوعاة، ص. 301). وأبو بكر محمد بن أحمد بن شبرين (الإحاطة، 2 : 242) من أبرز تلامذته. كما أجاز لابن جابر (درة المجال، ص. 134) ولأبي عبد الله ابن أبي بكر بن سعد الأشعري المالقي (الإحاطة، 2 : 179).

توفي بسبته ليلة الثامن من ذي الحجة سنة 701 / 1302 / 4 غشت 1302.

التجيبي، برنامج التجيبي، نج. ع. الحفيظ منصور، ليبيا / تونس، 1981 : ابن الخطيب، الإحاطة، نج. ع. الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزء الثاني : ابن رشيد، إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح، نج. محمد الحبيب ابن الحوجة، تونس، د. ت. أ. ابن القاضي، درة المجال، نج. م. الأحمدي أبو النور، تونس، القاهرة، الجزء الثالث، ع. الرحمن السيوطي، بغية الوعاة، بيروت.

زليخة بمرمضان

**المسبتي، محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن سليمان الأزدي.** ولد بسبته سنة 567 أو 568 / 1171 - 1173 فلم يترجم له تلميذه ابن الأبار لأنه لم يدرك وفاته، ولكنه ذكره من بين شيوخه باسم "شيخنا الأزدي". كما تتلمذ عليه الرعيني، وترجم له في برنامجه هكذا "أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأزدي أبقاءه الله، سمعت عليه جميع كتاب الشفا للقاضي عياض رحمه الله إلا يسيراً، قرأته بلفظي. حدثني به عن أبي عبد الله بن غاز سماعاً عليه عن مؤلفه سماعاً. وسمعت عليه رسالة عياض إلى رسول الله (ص). ووقفت على برنامجه وأجازه لي مع جميع ما يحمله. وقد أكثر عن ابن عبيد الله وعن غيره. وهو عدل ثقة" وقد ذكر ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة أسماء شيوخه الذين لقبهم وأخذ عنهم، وأسماء شيوخ مشاركة وغيرهم أجازوه دون أن يلقاهم، منهم من أهل مصر والأسكندرية، ومن أهل دمشق، ومن أهل

إذن فالأعمدة بالنسبة لهيروودوث وغيره من الكتّاب القدماء شكلت دوما نقطة الانطلاق نحو آفاق جديدة أو الحد الأقصى للعالم المأهول أي المعروف.

ويعتبر الرحالة سيلاكس المزعوم (PseudoScylax) (القرن IV ق. م) أول من أعطانا أحد أسماء هذين العمودين إذ ذكر في الفقرة 111 من رحلته بأنه عمود بليبيا ويعرف باسم أبيلا (Abila). ثم إنه قدم معلومات حول المسافة التي تفصل قرطاج عن الأعمدة وتصل إلى 7 أيام و7 ليال في حالة إذا كانت ظروف الإبحار جيدة. وفي الفقرة الموالية (112) عرف بالمعطيات التضاريسية والمواقع والشبكة المائية بل وذكر بعض القبائل الموجودة وراء الأعمدة عند البحر الخارجي (المحيط الأطلسي).

وحوالي سنة 350 ق. م تحدث إفور (Ephore) عن مدينة كاريكون تيكوس ذكر بأنها مدينة ليبية ووطنها يسار الأعمدة. ومعلوم أن الرحالة القرطاجي حنون (Hanon) (القرن V ق. م) ذكر بدوره هذه المدينة التي أدرجت ضمن المستوطنات التي أنشأها وراء الأعمدة.

وقدم الجغرافي المشهور سطرابون (Strabon) (ق الأول ق. م) معطيات إضافية وهامة حول الأعمدة إذ قال بأن كالبي (Calpé) وأبيلا هما أعمدة هرقل وبأن أبليكا (Abylica) يوجد بليبيا في مقابل كالبي وبأنه يرتفع فوق أرض الميتاغونيت (Metagonites) وهي حسب عناصر نوميدية. ثم إنه سمي المضيق الذي يفصل موروزيا عن إسبانيا بمضيق أعمدة هرقل. وذكر بأننا عندما نعبه وترك على يسارنا ليبيا نجد جبل أطلس المعروف كذلك الإغريق، فهو دريس (Dyris) حسب التسمية المحلية.

وخلال سرد عكسي لمعلوماته ذكر بأنه عندما نخرج من لونكس (Lynx) نجد مجموعة مواقع ثم مقابر الأخوة السبعة (AD septem fratres) ويعدها جبل أبيلا (Abila). وهكذا لا يعد استحضارنا للمعلومات حول الأعمدة أمراً اعتباطياً. فكما سئى الصلة وثيقة بين المدينة وهذه المعالم الطبيعية أي الأعمدة وبالأساس الإخوة السبعة أي التلال السبعة.

ذكر سطرابون بأن جبل أبيلا تشغله الحيوانات الضارية، كما أنه يتميز بأشجاره الطويلة. وحسب نفس المؤلف دائما لا تتعدى مساحة المضيق 125 غلوة طولا و60 غلوة عرضا في نقطته الضيقة القريبة من موقع إلفاس (Elephas). وللإشارة فالغلوة أو السمد تقدر بـ157 متراً. ولا يعد هذا التقدير هو الوحيد الذي يتعلق بالمضيق بل تعددت الآراء في هذا العدد وتباينت.

ذكر المؤلف الإسباني بومينيوس ميلا (Pomponius Mela) بأن العمودين متقابلان وهما معا يعرفان باسم أعمدة هرقل وربط سبب تسميتهما كذلك بالأسطورة التي تقول بأن هرقل فصل بين التلال التي كانت تربط بينهما بسلسلة جبلية مستمرة، وبذلك سمح للمحيط الذي كان

راسياً بسبب متلة الجبال بأن يتسرب حتى السواحل التي يغمرها حالياً. فهل هذا كل ما بقي عالقا في الذاكرة حول قارة "گندوانا"؟ وهل عملية الفصل الأسطورية هي التي يعبر عنها الجغرافيون بزحزحة القارات؟

قبل بومينيوس ميلا أورد ديودور الصقلي (Diodore de sicile) (المكتبة التاريخية، 1، ص. 285 . 286 من خلال مادة أعمدة بالعلمة العدد 2، ص. 523) رأيين في هذا الشأن: أولهما أن هرقل أقام هذه الأعمدة لتخليد حملته على غرب البحر المتوسط وذلك بتقريب طرفي القارتين المتباعدين (إفريقيا وأوروبا). وثانيهما أن القارتين كانتا في الأصل قارة واحدة ففصل هرقل بينهما مكوناً بذلك المضيق.

أما بلين القديم (Pline l'Ancien) (القرن الأول الميلادي) فقال بأنه توجد فوق جبل أبيلا القبلة، وكذلك الأمر بالنسبة للجبال المعروفة باسم الإخوة السبعة، وبأن هذه الجبال الأخيرة ومعها جبل أبيلا تسيطر على المضيق.

تحدث الجغرافي الإسكندري بطوليمي (Ptolemée) بدوره عن جبل الاخوة السبعة، وكذلك ذكر عمود أبيلا ووطنه عند خط طول 7°50' وخط عرض 35°40'.

وجاء الحديث عن آد أبليم (Ad Abilem) من خلال مسلك أنطونان d' Itinéaire (القرن الثالث الميلادي) وجعلها في نقطة وسط بين آد أكيلام مايوريم (Ad Aquilam majorem) واد سبتيم فراتريس (Ad Septem Fratres).

إذ هي على بعد 14 ميلا من كلتا النقطتين الأنفتي الذكر. وتبعد عن طنجيس بستين ميلا (90 كلم).

أما الشاعر أفينوس (Avienus) فذكر بأن جبل أبيلا هو جبل موريطانيا الذي يقابل في موقعه عند مضيق أعمدة هرقل الجبل الأوربي كالبي (جبل طارق).

وأشار مؤرخ الوندال بروكوب (Procopé) (القرن الرابع الميلادي) لسبتيم (Septem). ونجد بأن جغرافي راقينا (Le Géographe de Ravenne) (القرن السابع الميلادي) يطلق على المضيق الذي كان معروفاً عند سطرابون باسم مضيق أعمدة هرقل، تسمية جديدة وهي فريتوم سبتيم كاديثانوم (Fretum Septem Gaditanum) لأنه قريب من قانس من جهة ومن سبتيم من جهة ثانية.

وذكر جغرافي راقينا فقرة أخرى بأنه توجد بجوار طنجة مدن أخرى، عدد ضمنها مدينة سبتيم فينام (Septem-venam). وأورد في فقرة ثالثة معلومات ضافية قال بأنه توجد بموريطانية الكاديثانية مدن ذكر بعضها. واحتلت سبتيم فراتريس (Septem Fratres) المقام الحادي عشر ضمن تعداده.

ومعلوم أن موريطانيا الكاديثانية توافق أبريدا (Abrida). وهذا التسمية الأخيرة محلية. وهي موازية للمضيق المعروف. كما أسلفنا قوله. باسم سبتيم كاديثانوم

الذي يفصل موريطانيا عن إسبانيا، وبعبارة أخرى إفريقيا عن أوروبا.

وإذا استرجعنا مجموع المصطلحات التي أوردها الكتاب القدماء وتتبعناها مصطلحاً نجد أن كل واحد منها يوافق نقطة مختلفة، ولكن جميعها تقع عند المضيق الذي عُرف بدوره على الأقل في هذه المرحلة موضوع الدراسة بأسماء عديدة تهمنا منها تسميته بمضيق الأعمدة وسبتيم غاديتانوم. فهذه النقطة الهامة اتخذت مركزاً من طرف القدماء لوصف الكرة الأرضية وللفصل بين العوامل المأهولة والمجهولة.

وعند هذا المضيق نجد نقطا عديدة تستحق أن نقف عندها. سنذكر منها النقط التالية :

- اد أبليم (Ad Abilem) : توافقت عند بعض الكتاب المعاصرين مدينة سبتة، وهي التي سمت في العهد البيزنطي باسم (Septem) و(Septov). وما أنها كانت عند التلال (الجبال) السبعة وجبل أبيلا فلاشك أنها استمدت اسمها من وضعيتها الطبوغرافية. وزصح المصطلح المختزل (Septem) هو الأكثر انتشاراً خلال العصر الروماني التأخر، بل وإلى غاية الفتح الإسلامي لأن ما هو مؤكد هو استمرارها تحت النفوذ البيزنطي إلى غاية القرن السابع الميلادي بل اعتبرت عاصمة لهذه الجهة بدل طنجة. وجميعنا يعرف دو الكونت يولييان في تسخيل مهمة فتح إسبانيا.

- عمود أبيلا : ذكره العديد من الكتاب القدماء . كما أسلفنا قوله - منهم : سيلاكس المزعوم وسطرابون وغيرها ووافق عند المحققين جبل أكو (Acho). النقطة المرتفعة من سلسلة ألينا (Sieva d'Almina). التي تقع إلى الشرق من جزيرته سبتة. وهو عند آخرين جبل موسى أو جبل القرون المعروف عند البرتغاليين باسم (Sera de Ximeira) حيث يرتفع رأس ألينا (La pointe d'Almina).

وبهذه النقطة يوضحون مدينة سبتة التي يعتبرونها من أنبل وأغنى مدن موريطانيا الطنجية.

- سبتيم فراتريس (Septem Fratres) : وقد ذكرها كل من سطرابون وميلا وبلين القديم ويطوليمي. وتوافق حسب بعض الكتاب المعاصرين جبل بليونش الذي تشكل النقطة الجنوبية منه المدخل إلى المضيق.

- أد سبتيم فراتريس (Ad Septem Fratres) : وهي محطة تقع عند قدم جبل بليونش ومرسى دانيال وتبعد عن موقع أد أبليم (Ad Abilem) بـ 14 ميلا. ولكن حسب الباحث بزني (Besnier) لا تتجاوز المسافة أربعة أميال فقط.

إليفا (Elephas) : موقع قريب من المضيق لاشك أنه استمد اسمه من نوعيته الوحيش الذي كان يرتع في مجاله ونعني بذلك الفيلة هذا النوع الذي اشتهر في نقط عديدة من موريطانيا الطنجية ومن ذلك جنوب موقع سالا (Sala) إذ شكل تهديداً لساكنتها هذا قبل أن تستترقه الحروب والمسارح المدرجة.

وهكذا فقد احتلت سبتيم موقعا متميزاً عرفت ولاشك - قبل القرن IV ق. م. تحت اسم اد أبليم (Ad Abilem). وحملت من خلال مصادر القرن الأول قبل الميلاد وكذلك المصادر المتأخرة ومنها المسيحية اسم اد سبتيم فراتريس (Ad Septem Fratres) ولكنه اختصر إلى مصطلح سبتيم (Septem) سبتون (Septon) وبعد ذلك سبتة (Sebta). وقد سمتني جميع الأحوال نسبة إلى التلال (الجبال) التي وجدت عليها. وهي بموقعها هذا تذكرنا بعاصمتين كبيرتين أنشئتتا بدورها فوق التلال السبعة ونعني بهما روما ثم العاصمة البيزنطية بزنتة (Byzance). فهل محض الصدفة! احتفظت المصادر الإسلامية بالتسمية المتأخرة سبتيم وحورت إلى سبتة. ولكن لم يعد الكتاب المسلمون يعرفون دلالات الاسم القديم.

ومن خلال تتبع الشذرات باعتماد مصادر ما قبل الإسلام يظهر أن المجال الذي أنشئت به سبتة كان مغطي بنبات كثيف وبأشجار باسقة شكلت مرتعا للحيوانات ومنها الفيلة. واستوطنت المجال عناصر نوميدية مثلة في الميتاگونين (Metagonites) كما أن المدينة كانت محطة ضرورية لانطلاق ورجوع السفن من البحر الداخلي في اتجاه البحر الخارجي أو في اتجاه الضفة المالية للبحر المتوسط كما تفيد في ذلك قصة "كونت" سبتة يولييان. ولما لا تقرب العمودين زيلا وگالبي سهل الاتصال بين الحارتين إسبانيا والمغرب القديمين وبين القارتين أوروبا وليبيا ولعبت أد أبليم منذ عصورها القديمة دوراً رائداً في هذا الاتصال. ألم تكن غنية بمواردها الفلاحية، بوحشها وأيضاً بثرواتها البحرية؟ على كل فالكونت يولييان حاكم سبتة اشتهر كمصدر للخيل، فهو الاسم الوحيد الذي احتفظ به التاريخ إلى جانب الميتاگونيت "كقبيلة".

البيضاوية بلكامل، مظاهر اقتصادية من خلال نسيبنا الشمال الإفريقي، أطروحة دكتور الدولة مرقونة في كلية الآداب، الرباط، 2000 : م. اللبار، مضيق جبل طارق عبر التاريخ، مقال قيد النشر، المصطفى مولاي الرشيد، مضيق الأعمدة والجوار الموري - الابيري حسب المصادر الأدبية، ومضات في تاريخ المغرب، الدار البيضاء، ص. 267، 273، 2001 : علي واحدي ومحمد مقدون، أعمدة هرقل، معلمة المغرب، 2، ص. 523، 524، 1401 / 1989.

M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc (Maurétanie Tingitane)*, A. M. I, 1904 ; J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; Id. *Recherches sur les activités des méditerranéens aux confins de l'Afrique occidentale (VI<sup>e</sup> siècle av.J.C - IV siècle ap. J.C)*, Rome, 1978 ; Id, Plin l'Ancien, *Histoire naturelle* V, Paris, 1980 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; A. Siraj, *L'image de la Tingitane, l'historiographie arabe médiévale et l'antiquité nord-africain*, Rome, 1995, (Sabta, pp. 475 - 480) ; R. Ricard, *La côte atlantique du Maroc au début du XVI<sup>e</sup> siècle, d'après les*



على صاحبها حتى يؤدي ما عليه من الجباية فيسترد تلك  
الرهينة القسرية من الجابي.

يرتبط استعمال السبحة بالكتمان حيث يستعملها لعد  
الأذكار بعض الذاكرين تحت جلابيه، ولكن بعض المنتمين  
للمشيخات الصوفية يجهرن بإظهارها لتأكيد انتمائهم  
وتحمل تبعاته وإشهار الدعوة إلى طريق الأذكار. وهكذا  
نجد الطرق تتفاوت في هذا الصدد، وبعض الدرقاوين على  
سبيل المثال يحملون في العنق سبحة غليظة الحبات للتأكيد  
على إعلان الانتماء والغياب الشعوري عن كل انتقاد.  
وهكذا تكون السبحة رمزاً له معناه داخل الجماعة، وله  
معنى في حياة مستعملها الفرد الذي قد تصبح عنده بقيمة  
التزامه بالأذكار أي أغلى من كل قيمة مادية، وقد تورث  
وتعلق زينة على الجدران.

صارت السبحة في المغرب عنوان الانتماء إلى طريقة  
التصوف أكثر من المرقعة وغيرها من العلامات الأخرى  
المعتمدة في المشرق. ولكنها عند أصحابها لم يعد لها  
معناها الأصلي كوسيلة للعد وإنما التيسر جسدها بروح  
المعدود، فصارت قيمة للتذكير بعد أن كانت مجرد آلة  
للذكر.

M. S. Belguedy, *Le chapelet islamique et ses  
aspects nord-africains*, R.E.I., 1969/2, p. 191 - 322.

أحمد التوفيق

### السَّبْحَاتُ أو السِّبَاخُ جمع سَبْحَةٌ أو سَبْحَةٌ

مصطلح عربي يعرف بأوساط بيئية خاصة جداً لها ارتباط  
وطيد بملوحة مياهها وترتبتها. وحسب بعض الباحثين في  
علوم الجغرافيا والبيئة وخاصة الفرنسيين منهم، تعتبر كلمة  
سبحة مصطلحاً عربياً ذا أصول مرتبطة بالمواقع لافريقيا  
الشمالية وصحاريها (المغرب، الجزائر، تونس).

ولقد ترجم مصطلح سبحة حرفياً إلى اللغة الفرنسية  
ويكتب حسب الباحثين والمصادر العلمية بكيفيات مختلفة  
على النحو التالي : Sebkhha, Sebkhra, Sebkra, sebka.

ويبقى المفهوم الفرنسي الأخير هو الأكثر تعبيراً عن  
المصطلح العربي الأصلي للسبحة والسباخ.

أما المرادفات الأخرى للسبحة والسباخ باللغات الأجنبية  
غير الفرنسية فهي Salar و Salina (اصطلاح إسباني)،  
Alkali flat (s)، Salt flat (s) أو Salt pans (اصطلاح  
الجليزي - أمريكي).

وإذا كانت السبحة ساحلية فيطلق عليها اسم  
Maremme (مصطلح فرنسي).

في المجال العلمي وخاصة في علوم المياه، تعرف  
السبحة كقاع حفرة مغلقة خالية من النبات، تتميز بظهور  
تكوينات ملحية على السطح خلال فترات الجفاف، ومعرضة  
للفيضان بمياه الفيض أو بارتفاع مستوى المياه الجوفية

السبحة، أطلقت هذه الكلمة في بداية الإسلام على  
مازاد عن الفرض من الصلوات، ثم اختصت هذه بتسمية  
النوافل، وظلت السبحة تدل على المعقبات من تكبير  
وتحميد وتسيح. فقد أثرت عن الرسول صلى الله عليه  
وسلم صيغ لتعظيم الله وتسيحه وتقديسه وتنزيهه  
وتوحيده تذكر بكيفيات وأعداد وترتيب، مع ذكر فوائدها  
وفضائلها.



ولما كان لعدد تكرار هذه الصيغ أهمية، فقد بدت أول  
وسيلة للعد أصابع الذاكر. كان بعضهم يستعمل الحصى في  
العد ونوى التمر. وقد ذكر ابن الحاج في المدخل (3 : 205 -  
207) أن إحدى زوجات النبي كانت لها سبحة كانت تضعها  
في طاق وأن عمر بن الخطاب عاتب تيمما الداري على  
الظهور بسبحة في عنقه. وكانت السبحة في بعض أشكالها  
الأولى خيوطاً أو حبيبات رقيقة فيها عقد، ثلاث وثلاثون  
أو تسع وتسعون، وأصلها عبارة المعقبات "سبحان الله  
والحمد لله والله أكبر"، حيث تذكر ثلاثاً وثلاثين مرة لكل  
جزء من أجزائها الثلاثة فتأتي تسعاً وتسعين على عدد  
الأسماء والصفات. ثم وضعت لموضع الذكر سبحات مكونة  
من حبات الوحدة منها بحجم حبة الحمص، معظمها من  
خشب منجور، وبعضها من صدف أحمر أو إبنوس أو من  
قرن الكركدن المرصع بالفضة أو من خشب الصبر أو  
الصندل.

اشتهر في المغرب صنع السبحة من خشب العتّاب  
والزيتون وشجر أركان ومن أخشاب صلبة أخرى، وربما اتخذ  
بعضهم سبحة من الفول اليابس.

تستعمل السبحة في الذكر بالعدد وتحيط بها معان  
تكريمية باعتبارها وسيلة شيء يظهر ويشفي وهو الذكر،  
فينتقل ذلك الاعتبار إلى السبحة بذاتها حيث تستعمل في  
التبرك والاستشفاء أو التأهيل والحفظ كالحرز، كما  
تستعمل كهديّة ولا سيما من قبل القادمين من الحج. ومن  
شدة التعلق بالسبحة أن بعض الجباة كان يصادرها للضغط

المالحة خلال الفترة المطيرة. أما أطرافها أو جوانبها فهي مغطاة بأعشاب قصيرة متأقلمة مع الملح (سهب أليف الملح) مشكلة منطقة مراعي تسمى الشطوط (Chotts) وهي جمع شط (Chott). وكلمتا Chotts و Chott هما ترجمة حرفية للمصطلحين العربيين الأصل شطوط و شط. واصطلاحاً شط (Chott) و شطوط (Chotts) لم يعمها إلا حديثاً وبالخطأ على السبخة والسبخ أو السبخات.

وتعتبر السبخ كذلك كأراض ذات ملح ونز لا تكاد تُنبت أو كسطحات ملحية (Salt flats) ترتكز فوق تكوينات من الصلصال والغرين والطين ويتحكم مستوى الماء الجوفي في منسوبها، ويحتوي هذا الماء على نسبة مرتفعة من الأملاح الذاتية. ونتيجة لعوامل التبخر أو التبخر النتج بالسبخ، تتراكم المتبخرات (Evaporites) على شكل أملاح بما فيها تلك التي تكون القشرة الملحية (Salt crust (s), Efflorescence (s)).

وحسب عدة باحثين متخصصين في العلوم البيئية أو ميادين أخرى (هيدروولوجيا الأراضي المالحة، جيولوجيا، جيومورفولوجيا، رسابة...) وخاصة منهم الذين اهتموا وعملوا بشمال إفريقيا، تعتبر السبخ كمنخفضات تحتوي على طبقة مائية قليلة العمق. إن تغذية السبخ بالماء تنتج عبر السيلان والذي يكون مصدره هي الأراضي المالحة. ويمكن للسبخ أن تجف بأكملها خلال الفصل الجاف أو الفترات الجافة، وعندئذ تتغطى مساحتها بقشرة من كلوريد الصوديوم (NaCl) والتي تحتوي كذلك وغالباً على الجبس وفي بعض الحالات على متبخرات أخرى.

وتصنف السبخ كذلك ضمن البحيرات المالحة والتي تكون في مجملها بحيرات منجسة (Lacs endoréiques) والتي تكون ملوحتها ذات تركيب متغير جداً، الشيء الذي يتعاكس مع ملوحة البحار والتي لا تتغير إلا من ناحية درجات الملوحة وليس في ما يخص نسبة المواد الذاتية.

فالسبخ توجد جنوب النجود العليا والأطلس الكبير والأطلس الصغير وتحديداً جنوب الخط الذي يربط بوعرفة - الراشدية - ورزازات - طاطا - كلميم. وفي هذه المناطق الشاسعة، تتميز السبخات بعددها المحدود وصغر حجمها (مساحة صغيرة أو محدودة جداً عموماً).

أما المنطقة الجغرافية التي تعتبر ذات أهمية كبرى، بل وقصوى للسبخات، فهي تلك التي تمتد من جنوب وادي درعة الأسفل إلى الحدود مع موريطانيا شرقاً وغرباً (طرفاية وعمقها في اتجاه العيون والسمارة، الساقية الحمراء، كل وادي الذهب...).

فالمنطقة البيوجغرافية الممتدة جنوب غرب درعة بما فيها أقاليم الساقية الحمراء ووادي الذهب، تعتبر أكبر مكان توجد فيه السبخ المختلفة الأنواع والأشكال والأحجام، كانت ساحلية أو قارية، وتبقى السبخات القارية هي الأكثر عدداً وتواجداً في تلك الأقاليم المغربية الجنوبية.

أما بالنسبة للسبخات الساحلية المحاذية جداً للبحر المتوسط هناك بعض الدراسات التي أدمجت فيها ما يسمى بسبخة بوعارك (Sebkha Bou Areg) قرب مدينة الناظور والتي تسمى أيضاً Mar Chica أي البحر الصغير.

وفي الحقيقة، هذه البحيرة المائية المهمة التي تدخل في شبكة المواقع ذات الأهمية البيولوجية والأيكولوجية (Site d'Intérêt Biologique et Ecologique) حسب المخطط المديرى للمناطق المحمية (المحميات) بالمغرب تكون هوراً ساحلياً (Lagune littorale) لظروفها الهيدرولوجية والجيومورفولوجية والبيولوجية والبيئية. وهذه البحيرة المالحة تغطي مساحة 115 كيلو متر مربع تقريباً، وعمقها الأقصى يعادل 8 أمتار ويحدها من البحر شريط ساحلي طوله 22 كلم وعرضه يتغير من 160 إلى 1300. أما التربة التي تمكن الهور من الاتصال بالبحر، فعمقها يساوي 3 أو 4 م.

وبالمنطقة الجافة توجد سبخة زيم (Sebkha Zima) التي تتموقع غرب الشماعية وتحديداً جنوب الطريق الرابطة بين مراكش وأسفي وكذلك سبخة سد المسجون (Sedd El-Messjoun) الذي يتموقع بدوره بوهدة البحيرة (Cuvette de la Bahira) التي تمتد ما بين الجبيلات وتشكيلات الرحامنة.

كما توجد أيضاً سبخ أخرى بمناطق مختلفة بالأراضي الجافة بالمفهوم الواسع.

### 2.3 - أهم السبخات المغربية :

إن الدراسات العلمية المختلفة العامة منها والمتخصصة نادرة جداً وحتى إن وجدت، فهي لا تتعدى التطرق إلى بعض الإشكاليات الخاصة وفي مناطق خاصة أيضاً ومحدودة جغرافياً.

انطلاقاً من هذه المعطيات وارتكازاً على الدراسات الأيكولوجية والبيئية التي قمنا بها في مجال المناطق الرطبة والأراضي المالحة الساحلية والقارية للمصابم والأنهار والأهوار والدلتات والسبخات، يمكن أن نعطي لمحة موجزة عن بعض أهم السبخ بالمغرب.

ففي المنطقة البيوجغرافية الممتدة على طول الساحل الأطلسي من درعة الأسفل وخاصة من جهة طرفاية ونواحيها إلى الكويرة مروراً بالداخلية وبيتها المجاورة وكذلك في عمق الصحراء المغربية بأكملها (المنطقة الجغرافية الحيوية القارية فيها الحمادات، هناك كثافة مهمة للسبخات المتعددة الأشكال والمساحات والأعماق والظروف البيئية والبيولوجية والتطور (الديناميكية) والأعمار (تاريخ ظهورها ودوامها).

فمن أهم السبخات بمنطقة طرفاية مثلاً نجد سبخة الطاح (Sebkha Tah). فهذه السبخة تمتد على طول 30 كيلو متر، وعرضها يوازي 11 إلى 12 كيلو متر. ويجوار هذه السبخة، هناك عدة سبخ على شكل شبكة مهمة وخاصة بشمالها الغربي مثل سبخة تيسفرين (Sebkha

فاعامل الماء على العموم (كتل سطحية، سديمية متوحة، ماء جوفي، ماء باطني... ) يؤثر على الظروف البيئية للسبخات حسب درجة رطوبة التربة ومستوى عمق السديمية المتوحة بالنسبة لسطح السبخ.

وهذا التأثير يلعب دوراً أساسياً في تغيرات تركيز الأملاح أي في درجات الملوحة وبالتالي في الظروف الايكولوجية والبيئية والبيولوجية للسبخ (تأثير على الفلورا والفرا والنظم البيئية).

وعلى العموم، فرطوبة التربة ترتفع مع التساقطات المطرية وكذا اثر ارتفاع مستوى السديمية المتوحة وإثر المد وخاصة المد القوي للبحر والمحيط، وتنخفض تدريجياً في فترات الجزر ويقوة في الفترات الجافة والحارة.

3. 4. 3 - العوامل الجيولوجية والجيومورفولوجية والترية :

إن للصخور الأم والتشكيلات الجيولوجية المالحة تأثير مباشر على ملوحة البيئة المحيطة بها وخاصة منها السبخات. وهذه الصخور الأصلية تنتمي إلى عصور جيولوجية مختلفة من الزمن الأول إلى الزمن الرابع.

وهذه الصخور الأم تتكون من الصلصال الملحي الترياسي (Argile salifère triasique) أو من الطفل (مارن) الملحي (Marne salée) أو الجبسي (Marne gypseuse) أو الملحي - الجبسي (Marne salée et gypseuse) وكذا من صخور أصلية أخرى. فتفسخ الصخور المالحة تحت عدة عوامل وخاصة منها الفيزيائية والكيميائية يؤدي إلى تغذية السبخ بأملاح مختلفة.

2. 4. 2 - الفلورا والنظم البيئية

إن الفلورا أو النباتات التي تنمو بالسبخات المغربية تتميز بيولوجي جد مهم نظراً للتكيف القوي للنباتات أليفة الملح (Halophiles) والإفصلحية (Halophytes) مع الظروف الأيكولوجية للأوساط البيئية الطبيعية للسبخ. والتنوع البيولوجي النباتي للسبخات يختلف من سبخة إلى أخرى على الرغم من تواجد عدة أنواع وأصناف بل وحتى طرز بيئية مشتركة بين هذه الأشكال من الأوساط البيئية المتخصصة.

إن الجهد الأزموري القوي للنباتات المرتبطة بيولوجيا وأيكولوجيا بملوحة الماء والتربة يمكنها من النمو والتجدد في الظروف البيئية للسبخ وذلك حسب مستوى عمق المياه التي تغمر السبخات أو مستوى السديمية المتوحة أو درجة رطوبة التربة.

وكما أن العوامل الإيكولوجية الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية والجيومورفولوجية تلعب دوراً أساسياً في تنطق التربة حول قعر السبخات حتى المحيط البعيد عنه، فنفس الشيء يحدث بالنسبة لتسلسل الفلورا في أشكال وحلقات دائرية ومتراكزة انطلاقاً من وسط السبخ.

وهذه الوضعية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتغيرات في

(Tisfourine) وسبخة الخميرة (Sebkha Khemira). وفي الجنوب، هناك عدة سبخات : سبخة أم الضبع (S. Oum Dbaa)، سبخة ياهيفة (Sebkha Yehaifa)، سبخة أمسكير (S. Amsiquir). وبالجهة الشرقية والشمالية الشرقية، يوجد مجمع معقد للسبخ : سبخة ربولا (S. Rboula) وسبخة هوسلكا (S. Houiselga) وسبخة العزيز (S. El Azaiz) وسبخة تازرة (S. Tazra).

وهذا التراكم الملحي للمتبخرات الذي يظهر كقشرة من الأملاح على سطح الأرض يمكن أن يتكون تحت السطح كذلك على شكل كتلة ملحية صلبة يتعدى سمكها متراً أو مترين كما هو حاصل ببعض أطراف سبخة الطاح (Sebkha Tah) مثلاً.

وارتفاع الملوحة بالسبخات يعبر عنه زيادة عن استعمال عامل الناقلية الكهربائية (C.E.) بكميات الغرامات في اللتر (gr/l) أو بالملييكافتي في اللتر (meq/l).

انطلاقاً من هذه العوامل، فملوحة السبخات بالمغرب تتغير حسب الظروف البيئية والمناخية من بعض الغرامات في اللتر (2 إلى 5 غرام باللتر) إلى مئات الغرامات باللتر (100 إلى 200 غ / ل أو أكثر) وذلك حسب نوعية الأملاح والظروف البيئية وخاصة منها المناخية والبيومناخية حتى الوصول إلى التشبع وتكون الإبخاريات الملحية.

أما استعمال عامل الملييكافتي في اللتر (meq/l) والتي يعبر عنها بمجموع الأنيونات والكاتيونات، فبين أن الملوحة مرتفعة بالسبخ إذ يفوق العشرات، بل المئات وكذا الآلاف أو عشرات الآلاف وذلك حسب الظروف والعوامل البيومناخية وتركيز الأملاح وتكون الإبخاريات الملحية والطبقات الملحية.

والتعبير عن الملوحة بالناقلية الكهربائية يؤكد كل ما تم تناوله إذ يتغير هذا العامل من 2 - 10 (mmhos/cm) إلى أكثر من 50 - 100 (mmhos/cm) وهو ما يبين أن الملوحة تكون إما منخفضة أو متوسطة أو قوية جداً حسب ظروف الأوساط البيئية. وفي معظم الأحوال تبقى ملوحة السبخ جد مرتفعة.

3. 4. 2 - رطوبة التربة

زيادة على عامل الملوحة، فرطوبة التربة بالسبخ لها دور أساسي في تحديد ظروفها البيئية والبيولوجية وكذا تطورها عبر الأحقاب المتتالية. فالسبخات يمكن أن تمتلئ كلياً أو جزئياً بالماء الناتج عن التساقطات المطرية أو المتسرب عبر العيون والرشح (منايع مرتبطة بالتشكيلات الصخرية أو الأجراف على العموم). وترتبط كذلك بمياه البحر التي تتكدس في السبخات عبر الثغرات الصخرية الساحلية أو عبر الأهوار التي تلتحم بالسبخ كما يحدث بسبخة تازرة (S. Tazra) عبر هور الخنيفيس (Lagune de Khnifiss المرتبطة بالمحيط الأطلسي بغم اكويطير (Foum Agouitir).

الملوحة (2 إلى 5 أو 10 غ / ل) ، فهناك عدة أنواع تنتمي إلى السعديات مثل (*Scirpus maritimus*) والأسليات مثل (*Juncus maritimus* أو البريكيات مثل (*Typha angustifolia*) وكذا أنواع أخرى مختلفة ومتعددة تنتمي إلى فصائل أخرى جد متنوعة.

ومن مميزات التنوع البيولوجي للفلورا التي تساهم في تكوين نظم بيئية متعددة تنوزع بالسبخ حسب الظروف الأيكولوجية في تمازج مع الفونا، يجب التأكيد على أن السبخات تزخر بعدة أنواع وأصناف وطرز بيئية قيسية (*Endémiques*) بالنسبة للفلورا وكذا الفونا. وهذه المعطيات التي تهم الفلورا (النبات) والفونا (الحيوانات) والنظم البيئية تبين بوضوح أن السبخات المغربية تكون هزانا هائلا للموارد الجينية باختلاف أنواعها.

3-4. الفونا :

التنوع البيولوجي الحيواني (الفونا) باختلاف أنواعه له ارتباط وثيق بالظروف البيئية والعوامل الأيكولوجية للأوساط الحياتية بالسبخات المغربية كانت حالية أو موروثية من الأزمنة السابقة.

والأنواع المختلفة للفونا لها صلة قوية بالظروف الموقعية للسبخ وخاصة تلك المرتبطة بدرجة الرطوبة وخاصة الملوحة. ويتميز هذا التنوع البيولوجي بوفرة وسيادة الأنواع والأصناف المؤشرة للأوساط المالحة والمفرطة الملوحة.

فالمعطيات العلمية المحدودة والمساهمات المتوفرة التي تناولت موضوع هور الخنثيفس ومحيطه بينت بأن التنوع البيولوجي الحيواني مرتفع جداً بسبخة تازرة التي تم التطرق إليها في بعض الحالات.

والمساهمات التي لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بالموضوع لعدة باحثين دونت في عدد خاص من أعمال المعهد العلمي.

فيالنسبة للجنوب الغربي المغربي وخاصة هور الخنثيفس وسبخة تازرة ومحيطهما تتواجد عدة أنواع من الطيور المهاجرة والمائية منها على وجه التحديد.

ففي فصل التوالد تم جرد 56 نوعا بالمنطقة منها 24 متاولدة و23 محتملة للتوالد و9 يمكن أن تعشش. والمنطقة تعتبر محطة للعبور أو التشبية بالنسبة للطيور العابرة. والطيور المهاجرة التي يمكن أن تحصى في هذه المناطق متنوعة مثل النحام الوردية (*Flamant rose*) وأبو ملعقة (*Spatule*) والملك الحزين (*Héron*) وأبو طاق (*Cormoran*) وأنواع أخرى من البطيات (*Anatidés*) والردغيات (*Limicoles*) والنورسيات (*Laridés*).

وبالنسبة للبرمائيات والزواحف بالمنطقة، تم جرد 21 نوعا. أما الثدييات فيبلغ عددها 27 نوعا. وفي مجال الدراسات الهيدروبيولوجية تحتوي المنطقة بتنوع أوساطها الأيكولوجية على عدة أنواع من القشريات (*Copepoda*) (*Cladocera*, *Ostracoda*).

تغير درجات الرطوبة التي تنخفض تدريجيا أو بقوة حسب الظروف الموقعية (ارتفاع في الانحدار مثلا) كلما تم الابتعاد عن قعر السبخ.

أما درجة الملوحة، فهي ترتفع عادة كلما كان الابتعاد عن القعر السبخي أقوى وذلك لارتفاع عوامل التبخر والتبخر والنتج الشيء الذي يؤدي إلى تركيز الأملاح في الماء والتربة وتراكم المتبخرات على سطح الأرض المالحة. وعندما تتبخر مياه السبخات كلية، يحدث نفس الشيء في كل أرجاءها بما في ذلك القعر نفسه.

ومن الفصائل أو العائلات النباتية التي لها تنوع بيولوجي نباتي مرتفع جداً بالسبخ هناك السرمقيات أو ما يسمى أيضا الرماميات (*Chénopodiaceés*) والرصاصيات (*Plombaginacées*) والطرقيات (*Tamaricacées*) والقديسيات (*Zygophyllacées*) والنجيليات (*Graminées*) والبطباطيات (*Polygonacées*) والبادنجانيات (*Solanacées*) وعائلات أخرى دون الحصر مثل *Frankéniacées* و *Spergulariacées* و *Aizoacées*.

والتنوع البيولوجي النباتي الذي ينتمي إلى فصيلة السرمقيات يتكون من عدة أنواع دالة على ملوحة مرتفعة جداً تصل وتتعدى في عدة حالات 100 غ / ل.

والأنواع النباتية السرمقية الإلفلمحية التي تنتمي إلى هذه الفئة هي : التليث (*Halcnemum strobilaceum*) والهالوبوليس (*Halopeplis amplexicaule*)، الأرتروكنيسوم (*Arthrocnemum macrostachyum*)، وأنواع الأشنان أو الحرض (*Salicornes*) مثل الحزيري الجنيبي (*Salicornia fruticosa*) والحزيري العشبي (*Salicornia herbacea*) والسراة الجنيبية (*Suaeda fruticosa*) والروتا (*Salsola vermiculata*) والقظف أو السرمق (*Atriplex halimus*) إلخ.

وإذا كانت درجة الملوحة مرتفعة نسبيا أو معتدلة على العموم بالنسبة لبيولوجيا وأيكولوجيا النباتية الإلفلمحية (10 إلى 40 أو 50 غ / ل) فتظهر أنواع أخرى مثل الطرطيع أو الحمرة (*Frankenia hirsuta*) أو (*Frankenia corymbosa*) والشنان (*Anabasis aphylla*) ونوع من الباذنجانيات مثل العوسج (*Lycium intricatum*) والعدردق (*Nitraria retusa*) أو (*Nitraria schoberi*) وأنواع من القديسيات مثل (*Zygophyllum album*) و (*Zygophyllum gaetulum*) أو الطرفاويات مثل (*Tamarix aphylla*) و (*Tamarix speciosa*) و (*Tamarix boveana*) و (*Zygophyllum gaetulum*) إلخ...

أما الأنواع والأصناف النباتية الأخرى، فهي تنتمي إلى الرصاصيات مثل *Limonium delicatulum* أو النجيليات مثل *Phragmites isiacus* أو إلى فصائل أخرى متنوعة جداً من *Polygonacées* و *Aizoacées* و *Spergulariacées* و *Composées* إلخ... وفي الأطراف السبخية المحدودة

والتنوع البيولوجي للفونا بهم كذلك عدة أنواع حيوانية من معديات الأرجل والعنكبوتيات والحشرات (مجموعة من الحلزونيات والعناكب والعقارب والحشرات) وحتى بعض الأسماك التي يمكن أن تتواجد في الأوساط التي تربط هور الخنيفيس بسبخة تازرة.

وهذه المعطيات الموجزة والتي تهتم خاصة بمناطق طرفاية - الخنيفيس - عيون الساقية الحمراء والأوساط البيئية الساحلية تعطي فكرة مقتضبة على هذه المنطقة البيوجغرافية بما فيها السبخات المتواجدة بها.

5 - استغلال السبخ وتدهورها وضرورة حمايتها :

الاستغلال التي تخضع لها السبخ من طرف الإنسان ومنذ زمن بعيد مختلفة ومتنوعة الشيء الذي يؤدي بها إلى أن تلعب دوراً رئيسياً في بعض المناطق في المجالات السوسيواقتصادية والاقتصادية بل والثقافية أيضاً.

فالسبخ تستعمل في عدة مجالات من أهمها :

\* الرعي وتربية الماشية (إبل، أبقار، ماعز، أغنام، حافريات مختلفة الخ ...)

\* القنص والصيد البري

\* صيد الأسماك في الأوساط المتصلة بين السبخ والأهوار

\* الزراعة في الأوساط ذات الملوحة المنخفضة أو الضعيفة جداً وكذا بمحيط السبخ

استخراج واستغلال عدة أنواع نباتية وأعشاب تستعمل في مجال الطب التقليدي مثلاً ولأغراض أخرى (Ethnobotanique) وكذا الأنواع الجنينية والشجرية والتي تستعمل كحطب الوقود والتدفئة (الطرفاء، الأشتان ...).

وتستعمل أنواع أخرى مثل قصب الماء (Phragmites) كسباح للحقول ومزروعات الخضراوات والأسل أو السمار والحلال في البوريات (حصير منسوج).

\* استخراج واستغلال الأملاح وخاصة ملح المائدة (NaCl)

\* الترفيه والسياحة بمفهومها الواسع والسياحة البيئية الطبيعية (Ecotourisme)

\* استغلال المياه العذبة المحيطة بالسبخ (عيون، رشع، آبار ...) واستعمالها في مجالات الزراعات المختلفة وخاصة الخضراوات وإرواء الماشية الذي يمكن أن يستغل المياه السطحية للسبخ نفسها عندما تكون الملوحة ضعيفة جداً (مياه السطح المتجمعة بعد التساقطات المطرية خاصة).

وعلى الرغم من هذه المهام التي تقوم بها السبخ المغربية زيادة على وظائفها البيولوجية والإيكولوجية والبيئية والبيوجغرافية، وكذلك كأصقاع بيئية، فهي تتعرض لتدهور مستمر وإتلاف مكوناتها المختلفة (فلورا، فونا، أوساط حيوية، نظم بيئية) والأضرار التي تلحق بالسبخات مرتبطة بالاستغلال المفرط لمواردها الطبيعية المختلفة (ثورة نباتية وحيوانية، تربة، مياه، أملاح...).

وهذا الاستغلال المفرط للموارد الطبيعية بالسبخات أدى في حالات عديدة بالمناطق الجافة وشبه الصحراوية والصحراوية إلى تصحرها وترملها بكثافة عالية (سبخة تازرة مثلاً ...) الشيء الذي سيؤدي إلى الاندثار النهائي إلى السبخ التي تتعرض لهذه الآثار السلبية. وللسدود أيضاً آثار وتأثيرات سلبية مختلفة على الظروف البيئية والأيكولوجية لسبخ.

ونظراً لأهمية السبخ المغربية والوظائف المتعددة التي تقوم بها فإنه من الضروري حمايتها والمحافظة عليها.

وصون السبخ من التدهور يجب أن يتعدى النظرة التي لا تتجاوز المحافظة والحماية للمناطق الرطبة التي تدخل في إطار شبكة رمسار المنبثقة عن اتفاقية رمسار بإيران سنة 1971 أو Convention de Ramsar (Iran 1971) (مثل هور الخنيفيس التي تتصل به سبخة تازرة ناحية طرفاية بإقليم الساقية الحمراء والذي أدمج في الشبكة في 1980)، بل يجب أن يتعداه إلى كل السبخ المغربية.

وهذا التوجه يقلبه الأهمية القصوى للمناطق الرطبة بصفة عامة والسبخ بصفة خاصة في المجالات البيولوجية والإيكولوجية والسوسيو اقتصادية وغيرها.

فالسبخات التي طالها التدهور المستمر (استغلال مفرط، تحفيف، تلوث، تعميم الخ ...) لها عدة أدوار إيجابية بالنسبة للبيئة والإنسان والتي يمكن أن تلخص فيما يلي :

- ضبط الفيضانات

- تغذية المياه الجوفية

- تثبيت السواحل

- الحماية من العواصف

- حجز وتصدير الرواسب والمواد المغذية

- تلطيف التغيرات المناخية

- تصفية المياه

- مدخر للتنوع البيولوجي

- مد للإنسان بمواد مختلفة

- ترفيه وسياحة بما فيها السياحة البيئية

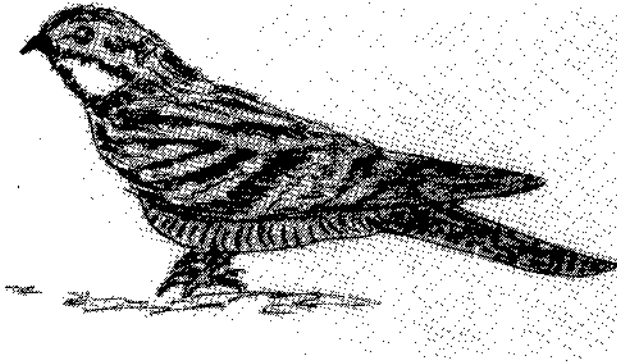
- قيمة ثقافية

فكل هذه الأدوار المتعددة للسبخ تحتم أن تولي لها أهمية بالغة في مجالات الحفظ والصون، الحماية والمحافظة، التدبير العقلاني والمستديم لمواردها الطبيعية في إطار استراتيجيات ومخططات وبرامج علمية تضمن هذا الاختيار.

ويجب كذلك ترميم السبخ التي طالها التدهور في إطار برامج شاملة ومتكاملة تهدف إلى تنمية مستدامة للمناطق الجغرافية التي تتواجد فيها تلك السبخ.

M. Bendaanoun, Etude synécologique et syndynamique de la végétation halophile et hygro-halophile de l'estuaire du Bou Regreg (Littoral atlantique du Maroc). Applications et perspectives d'aménagement. Thèse de Docteur-Ingénieur. Univ.

الغابوية والمراعي. العش عبارة عن حفرة غير مفروشة تتخذها الأنثى عادة بين الأعشاب. لا يتعدى عدد البيض اثنين لونهما أبيض رمادي مبقع بالأصفر والبني ومنظرهما رخامي. يبلغ طول قطريها 22.5 × 32 ملم. يحضن البيض من طرف الأنثى حوالي 18 يوما ويقوم الزوج بالحراسة. تغادر الفراخ العش مباشرة بعد التفقيش تأخذ حريتها تدريجيا وتحسن الطيران بعد أسبوعين.



يعيش السُّبْد في مختلف المناطق المغربية. ويعيش أيضاً في أوروبا بخلاف الدول الاسكندنافية وفي شمال إفريقيا والشرق العربي وآسيا الغربية ومنه عدة مجموعات تشتو في ليبيا ومصر وبعض الدول الإفريقية.

- السبّد أشقر العنق *Caprimulgus ruficollis* وبالفرنسية Engoulevent à collier roux وبالإنجليزية Chotacabras pardo وبالإسبانية Red-necked Nightjar وبالإيطالية Succiacapre colorosso. يبلغ طوله 31 سم ويختلف عن السبّد الأوروبي ببقعة من الريش الأبيض المصفر على العنق. الذكور والإناث متشابهة اللون وينتهي ذيلها ببقعة بيضاء واضحة. يبض مرتين في السنة ويحضن بيضتين في كل مرة. يتوالد في المغرب والجزائر وتونس وإسبانيا ويشتو في جنوب المغرب وفي عدة دول إفريقية.

- السبّد المصري *Caprimulgus aegyptius* وبالفرنسية Engoulevent d'Egypte وبالإنجليزية Egyptian Nightjar وبالإيطالية Succiacapre isabellino. طائر يعيش في الهضاب العليا بالمغرب الشرقي والمناطق الجافة وشبه الجافة المغربية والجزائرية والتونسية وفي مصر والعراق وسوريا وإيران والجزيرة العربية. لونه شبيه بالرمال ويحمل الذيل والجناحان خطوطاً بيضاء متقطعة. البطن أبيض ناصع. يشاهد أحيانا خلال النهار بعد ارتفاع الحرارة التي ترغمه على البحث عن مكان أقل حرارة. يصيده البندو أحيانا. يتشامم بهذه الطيور في عدة مناطق بالمغرب وينسب إليها أنها تأتي لتبلغ بخير الموت.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان. الطبعة الثالثة، 1988؛ أمين المعلوف،

Aix-Marseille III, Fac. Sci. St Jérôme, Marseille, 1981; *Etude écologique de la végétation halophile, halohygrophile et hygrophile des estuaires, lagunes, deltas et sebkhas du littoral atlantique et méditerranéen et du domaine continental du Maroc*. Thèse de Doctorat d'Etat Es-Sciences Naturelles. Univ. Aix-Marseille III, Fac. Sci. St Jérôme, Marseille, 1991; G. Choubert, A. Faure-Muret & L. Hottinger, *Le bassin côtier de Tarfaya (Maroc méridional)*. Notes et Mémoires du Serv. Géol., n° 175, Rabat, 1966; M. Dakki and W. Ligny (de.), *The khnifiss Lagoon and its surrounding environment (Province of La'youne, Morocco)*. Trav. Inst. Sci., M.H.S., I.S., Rabat, 1988; G. Gaucher et S. Burdin, *Géologie, géomorphologie et hydrologie des terrains salés*, Paris, 1974; A. Guilcher, *Précis d'hydrologie marine et continentale*, 1979; F. Joly, *Etudes sur le relief du Sud-Est marocain*, Rabat, 1962.

محمد بندعتون

السُّبْد يجمع على سُبْدَان كما هو في المعاجم وكما ينطق به في معظم الدول العربية، طائر من القواطع يصنف إلى رتبة الجواثم مشقوقات المناقير وفصيلة السيديات Caprimulgidae. يسمى أيضا الضوع في بعض المعاجم ويطلق عليه طائر الموت في بعض المناطق بالمغرب وأبو عمى في الشام وأبو النوم في مصر والقرة في السودان. اختلف العلماء في تحريم وتحليل صيده لشدة مشابهته باليوم في بعض أحواله وبالخطاف في نحالة وقصر القوائم وطول الجناحين.

تعيش ثلاثة أنواع في المغرب مسرولة الساقين وتتميز بشعيرات كالهلب حول المنقار. يكثر نشاطها في غسق الليل وتحدث صوتا عند الطيران بتردد اهتزاز سريع للجناحين:

- السبّد الأوروبي *Caprimulgus europaeus* وبالفرنسية Engoulevent d'Europe وبالإنجليزية Nightjar وبالإسبانية Chotacabras gris وبالإيطالية Succiacapre. طائر ريشه لين سريع الانتزاع لونه إلى الأسمر الرمادي ومبقع بخطوط ونقط بيضاء صفراء على الظهر والصدر. المنقار واسع مفلطح رمادي مسود، الرأس كبير ومسطح، القوائم شقراء، الجناحان والذيل طويلة. تتميز الذكور ببقع بيضاء على مؤخرة الجناحين والذيل. يبلغ طول الجسم 26-27 سم وتزن الكيبار 70-140 غرام. يعيش مزدوجا ونادرا وسط مجموعات قليلة الأفراد. عدة مجموعات تغادر المغرب لتشتو في إفريقيا الوسطى ثم يعود إلى المغرب وأوروبا خلال فترة التوالد. يتغذى من الحشرات يصطادها ليلا وهي طائرة. يأخذ مكانه نهارا بين الأعشاب أو على غصون الأشجار دون أن يتحرك وتصعب مشاهدته لشدة مشابهته بالمكان الموجود فيه.

يتوالد غالبا مرتين بين مايو وعشت في المناطق

أفرده بالتأليف فاختصره في مجلد لطيف، توجد نسخة منه بمكتبة الأوقاف ببغداد تحت رقم 2842.

3- الحججة في إثبات كرامات الأولياء، وإيضاح البراهين عن صحة وقوعها من الكتاب والسنة وإجماع الأمة، (مخطوط، خ. ع. الرباط، رقم ق 35، في 200 ص)، ولعله أوسع كتاب في الموضوع، عاد فيه إلى عشرات الكتب في التفسير والحديث والأصول والتصوف والكلام. لا تُعرف وفاة ابن سبع، وقد تكون في العقد الثالث من القرن السادس، وعُمر نفياً وثمانين سنة. ودفن بسببته في الرض الأسفل منها، بصحن جامع التبانين.

ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تح. عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، دار المعرفة، د. ت. ج. 2، ص. 160؛ ابن الزبير، صلة الصلة، تح. عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، الرباط، مطبوعات وزارة الأوقاف، 1413 / 1993، ج. 3، ص. 23-24؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، تح. محمد بنشريف، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1984، 8، 1، ص. 287. 288؛ سعيد أعراب، أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه، أبو الربيع سليمان بن سبع السبتي، 3 حلقات، مجلة دعوة الحق، ص 20، ع 8، 1399 غشت 17، 1979، 22، ع 9، شوال 1399 شتنبر 1979، 19، 26، ع 10، محرم 1400 دجنبر 1979، 39، 42.

### سبع بن منغفاد بن حيان الصنهاجي، ثائر قام ولم

تكن قد مرت على القضاء على ثورة مرزوغ الغماري إلا سنتان حتى اشتعلت الثورة من جديد في جبال غمارة، وتحديداً بين قبيلة صنهاجة التي كانت كبرى قبائل المنطقة. وقد تزعم العصيان الجديد سبع بن منغفاد الذي لم تقدم كتب التاريخ أي معلومات عنه. وقد تمكن من بسط نفوذ حركته على المنطقة الممتدة من وسط غمارة إلى سبتة، وأخذ يعيث فيها فساداً ويقطع الطرق للحصول على دعم مادي لحركته، كما أمعن في قتل وسبي من لم يخضع له. ووصل تهديده غرباً إلى منطقة الهبط فزرع الرعب في سكان قصر كتامة.

كان نشوب هذه الثورة سنة 562 / 1166 في منطقة حساسة وفي ظرف حرج يعتبر تحدياً كبيراً للخليفة الجديد أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن (558-580)، وتهديداً حقيقياً للدولة الموحدية ينذر بفصلها عن الأندلس، خاصة بعدما اختار الشوار التوجه غرباً بدل التوجه جنوباً نحو فاس كما فعل مرزوغ من قبل. فبدأ إعداد الموحدين لحملة عسكرية قصد معالجة التطورات المتسارعة التي أصبحت هذه الثورة المتأججة تفرضها. ونظراً لاتساع رقعة العصيان اقتضت خطة الموحدين الالتفاف عليه من جهتين، حيث أرسل الخليفة جيشاً بقيادة أبي سعيد يخلف بن الحسين إلى بلاد صنهاجة من جهة قلعة علودان (الجهة الغربية) في حين توجه جيش آخر بقيادة الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي من ناحية أخرى. ودارت بين الجيشين والشوار

### السبع، أحمد بن محمد بن الحسن

السفروشنى، نسبة إلى "دورة السبع" بناحية ميسور في المغرب الشرقي. فقيه نسابة، له كتاب في نسب شرفاء أيت سفروشن تعرض فيه لفرقهم وموقع كل فريق منهم بالقبيلة، وترجم لجدهم أبي عبد الحسن بن عمرو السبع السفروشنى دفين غزوان قرب وادي غير المتوفى سنة 559 / 63. 1164 في نحو ثلاثة كرارس، وقف عليه عبد السلام ابن سوذة في إحدى الخزائن الخاصة بفاس. (دليل، 83) وله أيضاً تقييد في نسب أبي الحسن علي بن عمر السفروشنى وهو اختصار للكتاب السابق، وقف عليه عبد السلام ابن سوذة وعرف به في الدليل (ص. 89).

توفي عام 1340 / 1922.

ع. السلام ابن سوذة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ط 2، الدار البيضاء، 1960؛ إنجاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1966، 8، 2927.

محمد حجي

### ابن سبع، سليمان العجيسي السبتي يلقب

بالخطيب : من علماء سبتة في العصر المرابطي، عاش إلى أوائل القرن السادس. لم ترد له ترجمة في المصادر المعروفة خاصة ترتيب المدارك لمعاصره وبلديه القاضي عياض. كان ابن سبع خطيباً جامع سبتة، ولذلك غلب عليه لقب الخطيب. ووصف في بعض المصادر بالفقيه الخطيب المحدث الحافظ، وتؤكد هذه الأوصاف مؤلفاته التي تدل على علو كعبه في العلم.

لم يذكر من تلاميذه سوى حفيده ولد بنته أبو عبد الله محمد بن حسين بن عطية الأنصاري المعروف بابن الغازي (508-591).

تعتبر كتب ابن سبع أقدم تراث علمي مغربي وصل إلينا. فقد ألف عدة مؤلفات وصلت منها ثلاثة، وهي :

1- شفاء الصدور في إيضاح البيان، عن كشف حقائق البرهان، في أعلام نبوة الرسول محمد بن عبد الله وخصائصه، وهو موسوعة في الحديث والسير، وكان يقع في 15 مجلداً، قضى مؤلفه في جمعه زهاء 30 عاماً. بقيت منه أجزاء منها ج 1، مخطوط، خ. ع. رقم ك 1383، مبتور الأول، في 334 ص. وقطعة ثانية بالخزانة الملكية، وهي النصف 2 منه، رقم 5733.

2- الخصائص، أدرجه في كتاب شفاء الصدور، ثم

- وتحدث دوتي عن سبعة رجال لئلا تترك كوست من بلاد وزغيتة (En tribu 222)

وكانت منطقة الحوز تعج بالأولياء قبل بناء مراكش : فأغامت كانت ملتقى الصوفية من القيروان والأندلس والمغرب، ونفيس كانت مجمع الصوفية المصامدة، ومواسم رباط شاعر كانت مجمع منات النساء الصوفيات فضلا عن الرجال ... وبعد بناء المدينة وتعميرها أخذت مكانة أغامت الاقتصادية والسياسية والدينية فانتقلت إليها مختلف الأنشطة من بينها التصوف.

ومع مرور الزمن تصاعدت أهميتها الصوفية وتكاثر أوليائها سواء المقيمين بها أو المدفونون بأحيائها وأزقتها، فصارت بحق وكما يقول العامة "كل قدم بولي". وقد تم اختيار سبعة أولياء من هذا العدد الكبير مرتين هكذا :

- 1 - يوسف بن علي الصنهاجي، المتوفى سنة 593 / 1196.
- 2 - القاضي عياض اليحصبي السبتي المتوفى سنة 544 / 1149.
- 3 - أبو العباس السبتي المتوفى سنة 601 / 1204.
- 4 - محمد بن سليمان الجزولي المتوفى حوالي سنة 870 / 1465.
- 5 - عبد العزيز بن عبد الحق التبايع الحرار المتوفى سنة 914 / 1508.
- 6 - عبد الله بن عجال الغزواني المتوفى سنة 935 / 1528.
- 7 - أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي المتوفى سنة 581 / 1185.

- تنظيم الزيارة : الأسباب الظروف والأهداف

نظمت في ترتيب سبعة رجال مراكش ومدحهم والحث على زيارتهم قصائد عديدة، إلا أن القصيدة العينية المنسوبة لأبي علي الحسن اليوسي حازت شهرة كبيرة وكانت تذكر كلما أثير الموضوع. وهي في أحد عشر بيتا مطلعها :

مراكش لاحت نجوم طواسع جبال رواس بل سيوف قواطع  
(إظهار الكمال 24).

إن ترتيب سبعة رجال لا يراعي العامل الزمني، ولا أفضلية الولي وعمله وإنما له اعتبار جغرافي محض كما سنرى. وقبل ذلك نساءل لماذا تم تنظيم الزيارة في هذا الزمان والمكان بالذات ؟

يرتبط هذا التنظيم بالأحداث التي عرفتها منطقة الجنوب (الشياظمة، حاحا، سوس) منذ أواخر العصر المريني عندما ضعفت السلطة المركزية بها، وظهرت طلائع الغزاة الأجانب - وخاصة البرتغال - في الشواطئ مما جعل السكان يتطلعون إلى زعماء القبائل وشيوخ الزوايا والرباطات لإنقاذ البلاد ودفع الأجنبي الدخيل عنها.

معارك طاحنة فرضت على الموحدين تعزيز قواتهم، فتدخل الخليفة على رأس جيش آخر بمساعدة أخويه الأميرين عمر وعثمان ابني عبد المومن. وزاد من صعوبة مهام الجيوش الموحدية طبيعة المنطقة الجبلية، خاصة عندما اعتصم ابن منغفاد بجبل الكواكب (جبل تيزران)، ولكن تقدير الموحدين لحظر هذه الثورة وإصدارهم في القضاء عليها جعلهم يستمتون في محاربتها مستغلين ظروف فصل الصيف وشهر رمضان. وفعلاً تمكنوا من إلحاق الهزيمة بالثوار وقتل سبع بن منغفاد الذي لقت عليه القبض بعض القبائل الغمارية وسلمته للموحدين، ثم طلبت القبائل الغمارية والصنهاجية الصفع منهم وكان المفاوضات عنها عمران بن منغفاد ابن أخ زعيم الثورة المقتول، فأجيبته إلى ما طلبت. وتم الفراغ من قمع الثورة في أوائل شوال 562 / غشت 1167.

تؤكد المصادر أن الموحدين غنموا في هذه الحملة غنائم هائلة من الدواب والماشية، مما كان سبع بن منغفاد قد جمعه من القبائل المعارضة له. كما أسروا حوالي 4000 شخص. ولطبيعة الانتصار على ثورة عمارة عسكريا وسياسيا، فقد بادر الخليفة يوسف بن عبد المومن بإرسال رسالة مطولة من إنشاء الكاتب أبي الحسن بن عياض مؤرخة بالربيع من شوال 562 إلى سائر الموحدين والأشياخ والطلبة بالمغرب والأندلس يخبر فيها بالنصر والقضاء على "الفتنة". ثم اقتضى نظر الخليفة أن يعين أحد مقربيه عاملا على سبتة وعمارة وبلاد الهبط لضبط أمورها، فوقع اختياره على أخيه السيد أبي علي الحسن.

البندق، أخبار المهدي بن تومرت، تج. عبد الحميد حاجيات، الجزائر، ص. 126، 1986، ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، تج. ع. الهادي التازي، بيروت، 307 - 323، 1964؛ ع. الواحد المراكشي، المعجب، تج. م سعيد العريان، م. العربي العلمي، القاهرة، ص. 251، 1949؛ ابن أبي زرع، القرقاس، الرباط، ص. 210؛ ابن عنذاري المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، تج. جماعة من الأساتذة، الدار البيضاء، ص. 94، 1985؛ ع. الرحمن، ابن خلدون، العبر، بيروت، 6؛ 320، 1981.

محمد المرقاوي

**سبعة رجال مراكش**، صلحاء أقبروا في هذه المدينة في تواريخ متباينة وتوجد مزارات أخرى لسبعة رجال في عدد من المدن والقرى منهم :

- سبعة رجال تلمسان

- سبعة رجال بني عروس (Le Maroc inconnu)

- سبعة رجال فاس بحي المصلي (Une ville de l'Islam:

Fès)

- سبعة رجال الفينديق قرب تطوان (خلاصة تاريخ

سبتة)



وانطلقت الدولة السعودية من هذه المنطقة معتمدة على شيوخ الطرق والزوايا، واستمرت هذه الحركة الدينية خلال العصر السعودي بكامله، وعندما بلغت الدولة مرحلة الضعف بسبب الصراع الذي احتدم بين أبناء المنصور الثلاثة حول الملك، فكون الطرقيون إمارات محلية سعت كل واحدة إلى تمديد مناطق نفوذها. ومن هؤلاء : ابن أبي محلي، أبو زكرياء الحاحي، أبو حسون السملالي، من آل احماذ وموسى بتزروالت، رجال رجاجة بجبل الحديد، وأتباع الجزولي بالشياطمة...

وقد حدثت مواجهات بينهم وبين ملوك السعوديين ومنهم من اقتحم العاصمة مراكش بجيوشه ( الاستقصا، 6 : 30 . 50).

وكان هم الدولة العلوية الناشئة معالجة هذه الأوضاع الفاسدة بمحاربة المتمردين والثوار، وإعادة الأمن والوحدة إلى البلاد. وفي هذا الإطار كانت مواجهة المولى الرشيد للزاوية الدلائية بالأطلس المتوسط، والشبانات بمراكش، وثوار سوس (ابليخ، تزروالت...) وتمكن فعلا من قطع أشواط كبيرة في هذا السبيل، إلا أن وفاته المفاجئة بمراكش جعلت مسؤولية إتمام هذا العمل على عاتق أخيه المولى إسماعيل الذي لم يجد صعوبة تذكر في توطيد الأمن بالبلاد.

إلا أنه كان يدرك رسوخ إيمان سكان سوس بأوليائهم وتعلقهم بهم إلى أبعد الحدود، مما جعل الثوار والخارجين يلجؤون دائما إلى سوس، ويعتمدون في تأليب العامة وجلبهم إثارة مشاعرهم الدينية وترويج أمور الزيارة والأولياء. (كان ابن محرز الثائر على عمه إسماعيل دائم اللجوء إلى سوس).

فكان أول عمل قام به المولى إسماعيل هو تجريدهم من القداسة بأن طلب من العلماء الإفتاء في أمر صحتهم. فأفتت جماعة منهم وعلى رأسهم محمد بن عبد القادر الفاسي بعد صحة ما قيل بزيارتهم للرسول، بدليل أن الصحابي الوحيد الذي دخل المغرب هو أبو زمعة البلوي دفين القيروان. إلا أن علما آخرين دافعوا - فيما بعد - عن صحة صحتهم متعمدين في ذلك على أحاديث واجتهادات. ويأتي على رأسهم محمد بن سعيد المرغيشي ( العيون المرضية، 14 - 19).

والخطوة الثانية التي خطاها هي تنظيم زيارة مضادة لسبعة رجال مراكش "العرب" مقابل الزيارة السابقة لسبعة رجال رجاجة "البربر". ووفر للزيارة الجديدة كافة وسائل النجاح لتجلب إليها الأنظار وتأخذ مكانة الزيارة السابقة وصيتها. ويعتقد أن الإمام اليوسي هو الذي أشرف على التنظيم.

بقي لنا أن نعرف لماذا اختيرت مدينة مراكش لاحتضان هذه الزيارة دون غيرها من المدن؟ ويمكن أن نجمل الجواب فيما يلي :

أ) اعتبرت مراكش منذ القديم تربة الأولياء، وسماها أبو العباس السبتي "مدينة العلم والخير والصلاح"، وسماها ابن الخطيب "تربة الولي، وحضرة الملك الأولى" (معيار الاختيار، 161).

ب) وهي تحتضن جثمان الجزولي الذي كان الشياطينة وحاحا يقدسونه ويتحاربون لامتلاكه، فهم سيقبلون على طواف يكون وليهم أحد أعلامه.

ج) وكانت ذكريات أهل مراكش مع المولى إسماعيل سيئة، فأراد السلطان تحسينها : إذ سبق له أن حاصر المدينة زهاء سنتين بعدما احتفى الثائر ابن محرز بأسوارها وساعده سكانها. وعندما دخلها السلطان في ربيع الثاني من سنة 1088 بونيه - يوليوز / 1677 قتل سبعة من رؤسائها وإباحها لجنده (الاستقصا، 7 : 50). فرغب - وقد تم له توحيد البلاد - استرضاء السكان، فأحیی هذا التقليد المحبب إلى نفوس الناس، والذي يخدم في نفس الوقت مصالح الدولة : فتنظيم زيارة سبعة رجال عرب في مواجهة سبعة رجال بربر، سيثير من الحساسيات والجدال ما يشغل الناس عما هو أخطر، كالانتساب للزوايا والتعلق بأوامر الشيوخ وخاصة أولئك الذين خرجوا على السلطان (كأمهاوش، وبعض الناصريين) بعد حركة أحمد ابن عبد الله الدلائي التي ناصرها البرابرة (84 - 81 Esquisse....).

وقد مهد المولى إسماعيل لذلك ببناء بعض الأضرحة والمزارات، وتجهيز أخرى وتوسيعها (كمسجد الجزولي وقبته، وقبة أبي العباس السبتي، وضريح يوسف بن علي...).

أما المعايير التي أخذت بعين الاعتبار عند تنظيم الزيارة واختيار اعلامها فهي :

1) تقليد الطواف حول الكعبة، فزريح يوسف بن علي يقع قبلي مراكش فأشبهه الركن اليماني في كونه قبلي البيت لأنه ناظر إلى جهة الشرق والانطلاق منه إلى باقي الأضرحة (بادرة الاستعجال، 20 ؛ واطهار الكمال، 31 - 32). ولا اعتبار لما قيل بأنه بديء به لأنه يمانى لقوله ص (الايمان يمان والحكمة يمانية)، ولسبق اليمانيين إلى نصرته الإسلام، ذلك لأنه لم يكن اليماني الوحيد من بين الرجال السبعة (السعادة الأبدية، 1 : 24 - 25).

2) وبالإضافة إلى موقع هذا الضريح شرق مراكش، فهو قريب كذلك من القصر السلطاني بالقصبة منطلق السلاطين ورجال الدولة للزيارة : فهم يخرجون منه يمينا لبدء الطواف الذي ينتهي بالسهيلى (أي باب الرب) القريب من القصر مرة أخرى.

3) وبعدما تم توضيح الانطلاقة يبقى العامل الأساسي المتحكم في الطواف هو العامل الجغرافي، مع السعي إلى تحقيق غايتين :

- الأولى، زيارة أكبر عدد ممكن من الأولياء فيكون السبعة مجرد أعلام يهتدى بهم.

الثانية، ملازمة لها، وهي المرور بأكبر عدد ممكن من الأحياء المهمة في المدينة دون تنكيس أو إرهاب للطناف بأن يزور نفس المكان مرتين أو يتقهقر إلى الوراء (إظهار الكمال، 34، 35).

هذا مع عدم إغفال الاعتبار السابق الذي هو الانتهاء إلى مكان قريب من القصر :

فبعد الانطلاق من ضريح يوسف تتم زيارة مقبرة باب أغمات وهي من أقدم مقابر المدينة، ثم الدخول إلى المدينة صوب حي باب ايلان حيث رابطة أبي إسحاق وزاوية الفلاح، وعدد من صلحاء وصالحات المدينة وعلى رأسهم عميدهم سيدي ايوب.

المحطة الثانية (عباض) يمر الطواف جهة باب الدباغ ليخرج من المدينة قصد زيارة مقبرة باب الدباغ أو الجانب الشرقي لمراكش، كما كان يدعو ابن الزيت، ويتم الدخول من جديد إلى المدينة عبر باب الخميس لزيارة أولياء الزاوية العباسية : سيدي غانم، أبو العباس الجباب...

فالوصول إلى المحطة الثالثة (السبتي). ونظراً لدخول الطواف في منطقة كثيرة المباني والسكان والأولياء فإن المراحل تصبح أقل طولاً. فمن ضريح أبي العباس إلى باب تغزوت، فعنق الجميل.

فالمحطة الرابعة (الجزولي) مسافة ليست طويلة ومن حي الجزولي إلى حي سيدي عبد العزيز التبايع.

المحطة الخامسة (سيدي عبد العزيز) يتم المرور بضريح أبي عمرو القسطلبي وصلحاء روض العروس والجزا. وهذه مهمة جداً لقرنها من أسواق المدينة ومن الأحياء القديمة بمراكش زاوية المحضر، حارة الصورة، اسول، امصفح، قاعة بناهض، مسجد ابن يوسف، وصلحاء هذه الأحياء. ويتجه الموكب بعد ذلك إلى حي القصور مروراً بحي المواسين وفي محاذة الأسواق دائماً للانتهاء :

إلى المحطة السادسة (الغزواني)، ومنها إلى المحطة الأخيرة (السهيلي) ندخل في مرحلة طويلة وقليلة السكان لزيارة مسجد الكتبية ومقبرة علي بن أبي القاسم وزهرة بنت الكوش ويوسف بن تاشفين مؤسس المدينة، وسيدي ميمون الصحرأوي، وأخيراً الإمام السهيلي ومقبرته الكبيرة. فينتهي الطواف بدخول الموكب (السلطاني) إلى القصبة.

(4) وقد تساءل بعض القدماء عن أسباب إقصاء أولياء أعلام أمثال ابن العريف وابن البناء وأبي عمرو وغيرهم، فأثاروا ما يمكن تسميته بالاختيار الخاص المكمل للاختيار العام الذي طرحناه (أي الترتيب).

وإذا كان ابن البناء يستوي مع عياض في موقع الدفن وفي الأصل العربي، والمستوى العلمي، فإن تفضيل عياض راجع إلى مواقفه السياسية والدينية، وتأليفه لكتاب الشفا الذي كان له صدى في الأوساط الدينية في العالم الإسلامي، ومادامت إحدى الغايات من تنظيم الزيارة ضمان

التفاف الناس حولها، فإن شهرة عياض أوسع من شهرة ابن البناء (قلو لا عياض لما ذكر المغرب). وهي نفس الأسباب التي جعلت عياضاً يفضل كذلك على ضجيعه عبد الكريم الفلاح (يفضل أبو عمرو القسطلبي عياضاً على الفلاح / شمس المعرفة، 63، 64).

أما أبو العباس السبتي فليس له منافس ليس فقط في منطقته، ولكن بين أولياء المدينة فهو حاميها الأول، ووليها الذي يفضلها الجميع.

وتطرح المحطة الرابعة منافسة بين الجزولي وأبي عمرو القسطلبي، إلا أن رأس الطريقة الجزولية، ومؤلف دلائل الحيرت، وخصوصاً رمز الصمود والاستشهاد بالنسبة لقبائل الشياظمة وحاحا، لا يمكن أن يبقى بعيداً عن الاختيار، فاختياره كفيلاً بأن يشير انتباه هذه القبائل ويكرمها ويعوض لها بالتالي طوافها المهمل (طواف رجراجة).

ولأهداف مماثلة تم اختيار كل من التبايع والغزواني فهما يمثلان فرعين مهمين من فروع الطريقة الجزولية.

وأما السهيلي فتم اختياره لمكانته العلمية التي لم يدركها الولي القريب منه سيدي ميمون الصحرأوي.

(5) خلافاً لطواف رجراجة السنوي، تتم زيارة سبعة رجال مراكش بالترتيب المسطر أعلاه كل أسبوع وتراعي في ذلك ظروف الزائر. فإن كان له متسع من الوقت ورغب في أداء الزيارة على وجهها الاكمل يخصص يوماً لكل ولي، حتى يتمكن من الاستراحة قليلاً بضريحه، وزيارة الأولياء المدفونين حوله، وتكون الانطلاقة يوم الثلاثاء بأبي يعقوب يوسف، والأربعاء لعياض، والخميس للسبتي، والجمعة للجزولي، والسبت للتبايع، والاحد للغزواني، والاثنين للسهيلي (رحلة الغسال، 6) فإن لم يكن لديه متسع من الوقت (يذكرنا هذا بالتعجل في رمي الجمار) زارهم في أي يوم شاء الواحد تلو الآخر إلى النهاية مع المحافظة على الترتيب.

ويذكر الحضيكي أن أهل مراكش كانوا يخرجون صبيحة الجمعة رجالاً ونساء وصبياناً لزيارة مشاهد سبعة رجال ويطوفون بهم جميعاً في ذلك اليوم (الرحلة، 11).

ومع تعاقب الأعوام تسربت إلى الزيارة التي وضعت أساساً للاعتبار وتذكر الموت والدعاء لهؤلاء الأولياء عادات وتقاليد أبعدها عن هدفها الأصلي : قال الإفرائي في (درر المجال، ص. 31) : "رأيت كثيراً من ضعفة النساء وجهلة الرجال يزورون هؤلاء السادات السبعة ماشين حفاة ويرون ذلك من كمال الزيارة".

ومن هنا عكس الترتيب عندما لا يتحقق الهدف المتوخى من الزيارة بالبدء بالسابع والانتهاء بالأول. ولم يعد الهدف من الزيارة الاعتبار... وإنما صارت محركه أغراض أخرى كالتماس فرج عند نزول شدة، والاستسقاء عند القحط، والاستشفاء من المرض، وطلب الفتح والفهم...

وتسجل المصادر مداومة كثير من علماء المدينة والوافدين عليها زيارة هؤلاء الرجال ( الارتجال، 142، ورحلة الحضيكي، 11 ظ 12 و) ومن السلاطين الذين قاموا بهذا الطواف : المولى محمد بن عبد الله والمولى الحسن، والمولى عبد العزيز، والمولى عبد الحفيظ (الاعلام، 1 : 361-362).

ونظراً لاهتبال الناس بهذه الزيارة والمواجهة الطريقين وشيوخ الزوايا للمولى سليمان دعا في رسالته الشهيرة إلى الأمة إلى الالتزام بالسنة في زيارة القبور، وحذر من تغالي العوام في ذلك، وكان تركيزه على طواف سبعة رجال، إذ قال (من الغلو البعيد ابتهاج أهل مراکش بهذه الكلمة "سبعة رجال" فهل كان لسبعة رجال شيعة بطوفون عليهم. إلى أن قال : فعلينا أن نقتدي بسبعة رجال ولا نتخذهم آلهة لنلا يؤول الحال فيهم إلى ما آل إليه في يغوث ويعوق ونسرا...)

وعلق صاحب ( الاستقصا، 8 : 123 ) على ذلك بقوله (رصدق رحمه الله فكم من ضلالة وكفر أصلها الغلو في التعظيم، وما ضلت النصارى إلا من غلوهم في عيسى وأمه عليهما السلام، قال الله تعالى : "يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق").

ولم تفلح هذه الدعوى الوهابية ولا غيرها في التأثير على العامة الذين دأبوا على تقديس رجالهم السبعة، والتمسك بركتهم والالتجاء إليهم في حالات الخوف من المرض وقسوة الطبيعة وظلم السلطان، وطلب الذرية أو العلم أو المال.

الادوار التي نهض بها سبعة رجال مراکش: لا يسمح المقام لتفصيل الأدوار التي نهض بها سبعة رجال مراکش على رأس صوفية المدينة والمنطقة، وكل ما يمكن ذكره انهم جميعا سعوا إلى خدمة مجتمعهم وحمايته ومساعدته في كل الميادين :

- سياسيا : مواجهة السلطة عند تعسفها، ومواجهة الاستعمار الأجنبي وخاصة الاسبان والبرتغال (الجزولي والغزواني) عند احتلالهم لبعض الشواطئ المغربية.

- تربويا : تعليم المريدون وتأطيرهم خدمة للدين والمجتمع، وذلك في زوايا فتحت في كل أنحاء المدينة.

اجتماعيا : مساعدة الفقراء والمحتاجين في سائر الأيام، وعلى الخصوص خلال فترة الجفاف والايوثة لتوفير الاطعمة، وشق السواقي وحفر الآبار (الغزواني). وقد أصبح الأمر مذهبيا خاصا نشره أبو العباس السبتي وما زال قائما إلى الآن إذ كان من الأوائل الذين اهتموا بدوي العاهات وساعدوهم على العيش الكريم.

وبذلك يتميز صوفية مراکش باندماجهم الكلي في المجتمع وخدمته لذلك حظوا بمكانة كبيرة في الأوساط الشعبية، واستمرت إلى ما بعد وفاتهم.

أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954 - 1956 : ع. ابن

إبراهيم، إظهار الكمال في تنميم مناقب أولياء مراکش سبعة رجال، مخطوط، خ. ح. رقم 232 : الاعلام، الرباط، 1974 / 1983 : بادرة الاستعجال في مناقب السبعة رجال. م. الغالي بن المكي الأندلسي، مخطوطة : ي. ابن الزيات، الشرف، نج. أ. التوفيق، 1984 : ح. جلاب، الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب، مراکش، 1994 : م. الإفرائي، درر المجال في سبعة رجال، مخطوطة : صفوة، ط. حجر فاس، رحلة الغسال، مخطوط، رقم 896 د : ح. اليوسي، رسائل اليوسي، نج. فاطمة خليل القبلي، الدار البيضاء، 1981 : الرمز الشعري عند الصوفية، بيروت، 1978 : م. الموقت، السعادة الأبدية، ط. حجرية، 1335 : قاسم الحلقاوي، شمس المعرفة في سيرة غوث المنصوفة : مصطفى محمود، الشيطان يحكم، المكتب المصري الحديث : محمد الأمين الصحراوي، الكواكب السيارة في البحث والحث على الزيارة، ح. ع. رقم 5479.

E. Doutté, *En tribu*, Paris, 1914 ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951 ; H. de Castries, *Les sept patrons de Marrakech*, Hesp., 1924, T. IV ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1959 ; Fagnan, *Un chant algérien du XVIII<sup>e</sup> S. à l'occasion du bombardement d'Alger par les danois*. R. A., T. 38 ; Gaillard, *Une ville de l'Islam : Fès*, Paris, 1905.

حسن جلاب

**السبهي، أحمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد السغروشني** (نسبة إلى آيت سغروشني)، عالم صوفي، ينسب نفسه في تأليف له إلى النسب الحسن.

برز اسمه في ميدان المقاومة المسلحة عندما بدأ الجيش الفرنسي يتطاول من الناحية الشرقية إلى بوذنيب في بداية القرن العشرين. وهنا قام بصرخ في القبائل الأمازيغية من إخوانه آيت سغروشني، وفي القبائل التي كانت تصيخ له وتعتقد في بركته، كأيت يزدك، وأيت مرغاد، وأيت خباش، وأيت عطلة، وأيت يوسي، وبعض قبائل تافيلالت كأولاد جرير وأولاد الناصر، حتى التأمت عليه جموع غفيرة، قصد بها بوذنيب، ومنها إلى المنكوب الذي يبعد عن هذه المدينة بحوالي 130 كلم شرقا. ويقول صاحب كباء العنبر إن "جل المجاهدين كانوا رجالة، وفيهم قليل من الخليل، وكان رئيسهم مولاي أحمد السبهي". (ج 2 ص. 26).

وقبل طلوع فجر يوم 16 أبريل من سنة 1908، قرر أحمد السبهي مباغطة الفرنسيين المتمركزين في منطقة المنابهة. وهكذا ضرب المغاربة الحصار على معسكر الكولونيل Pierron، وتسلسل البعض منهم إلى داخل الثكنة بعدما قضاوا بالخناجر على مراكز العسس الأمام، وجرت بين الطرفين معركة طاحنة استمرت من الرابعة صباحا إلى السادسة صباحا من اليوم الموالي، وكان أحمد السبهي أثناء المعركة يحرص على الثبات، ويرغب المقاتلين في الشهادة،

مستقبلاً مستقبلاً، والقذائف تتساقط أمامه وخلفه، وروساء القبائل يلحون عليه بأخذ الخنز وعدم المغامرة، فيأبى إلا الامام، وهو يصيح : "دونكم وأبواب الجنة مفتوحة"، وعندما يسمع هدير المدفعية تقعقع ينادي : "هذه زكاريم أبواب الجنة تفتح لكم". وحسب المصادر التي نستقي منها هذه المعلومات، فإن المغاربة استرجعوا مكز "المنكوب" وطردوا منه الجيش الفرنسي، غير أن الجنرال Allix، قائد القوات الفرنسية نظم جيشه بعدما جاءته الإمدادات من بشار، ونصب المدافع على المرتفعات والمنحدرات، وصب على المغاربة وابلا من القذائف التي كانت تحصدهم حصد الهشيم، فانسحبوا إلى التلال المجاورة، واستمر الترشاق بالرصاصة طيلة يوم 17 أبريل. ورغم أن المجاهدين تراجعوا ناكسين على أعقابهم، فإن معركة المنكوب، ألهبت الشعور في نفوس ذوي الغيرة الدينية والوطنية وأسهمت في شحذ الهمم، وإذكاء الحماس، ونفض الغبار عن عناصر الأصالة في هذه الأمة، وزاد التفاف القبائل الأطلسية والصحراوية بشيخهم مولاي أحمد السبعي الذي استمر هو وتلاميذه في طوافهم ونحوالهم، عبر الأطلس والصحراء لشرح مضمون الجهاد كحل حاسم ضد المد الاستعماري.

وعندما دخل السلطان عبد الحفيظ فاساً سنة 1326 / 1908 أمر المتحمسين للمقاومة، وخاصة شيوخهم، بالكف عن محاربة الغزاة باعتبار أن السلطان هو الوحيد الذي له الحق شرعاً في الإعلان عن الجهاد (كباء العنبر، ج 2، ص. 33). فوجب الامتثال لأوامر السلطان الجديد، الذي ظهر مبدئياً الجهاد والذب عن كيان الأمة ودينها وحدودها. فخفت صوت أولئك المجاهدين المخلصين أمثال مولاي أحمد السبعي. وقد يعزى هذا الموقف إلى الضغوطات التي كانت تقاسها فرنسا على المخزن، وتطالب بتعويضات كلما تعرض جيشها أو قوافلها أو مراكزها العسكرية لهجومات المقاومة. ولما اشتدت الأزمة على مولاي عبد الحفيظ، وانفلت الزمام من يده ورضي بالحماية الفرنسية على المغرب، عاد مولاي أحمد السبعي إلى استنهاض الناس، وتحريضهم على الجهاد ومواجهة العدو.

ظل يجاهد في الصحراء حتى وصل العدو إلى قبيلته آيت سغروشن (1915) فعاد إليها، وبقي في تلك الربوع قدوة للمجاهدين وقبيلتهم حتى وافته منيته سنة 1336 . 1917.

وكما سخر سيفه لله، فكذلك سخر قلمه للدفاع عن الإسلام وتخليصه من الشعوذة والمشعوذين، ومن روااسب الأفكار الجامدة. فبينما كان يستنهض الناس في تافيلالت، إذا بأحد المتصرف الكاذبين، الذين ألقوا التخاذل والتواكل، يجمع الناس، رجالاً ونساءً في حفلات راقصة، باسم الطريقة الدرقاوية، فيلتهمون المأكول والمشرب يوماً في هذه القبيلة ويوماً بالأخرى (كباء العنبر، ج 2، ص. 34).

ولم يكن هذا الدعي (اسمه عبد الله مراح المغلي من مُغل وهو قصر في نواحي بشار) يكتفي بهذا التصوف الكاذب، بل كان يصرح في القبائل بأن وقت الجهاد لم يصل بعد. فكتب له مولاي أحمد السبعي كتاباً مطولاً، كله مواعظ، تستند إلى أحكام الشريعة الإسلامية، وشاء القدر أن يجتمع به بأحد قصور آيت عظه، ويمكنه من الكتاب بنفسه وسط جموع غفيرة، وأن يجري معه مناظرة لعله يزكّي أو يذكر فتنتفعه الذكرى.

وقد شهد الدعي مع غيره من الحجج القاطعات والدلائل البيّنات على يد الشيخ السبعي ما هو أظهر وأجلى وأقطع من أن الجهاد صار فرض عين على كل مسلم بعدما عرفته البلاد من غزو استعماري صليبي. وللشيخ أحمد السبعي بعض التأليف منها واحد في نسب بيته مطبوع ومنها النصيحة...

أ. المنصوري الزياتي، كباء العنبر من عظام زيان وأطلس البربر، مخطوطة المزاينة العامة، قم 946 : م. المنوني، مظاهر يقظة المغرب، بيروت، 1985 ج 2 : م. المعزوي وهاشم العلوي، الكفاح المغربي المسلح في حلقات (1900 . 1935)، الرباط، 1987. A. Bernard, Le Maroc, Paris. 1932

محمد بن الحسن

ابن سبعمين، أبو محمد عبد الحق بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن سبعين العكي الغافقي، ولد بقرقوة من أعمال مرسية عام 613 / 1216. تفرغ في صباه وشبابه لطلب العلم، وقرأ دواوين في مختلف المعارف. ودرس علوم القرآن والحديث بإشبيلية، وأخذ عن عدد وافر من العلماء. تعمق بالفلسفة وعلوم الأوائل. وعكف على كتب أبي إسحاق إبراهيم بن دهاق الأوسي المعروف بابن المرأة (ت. 611)، في الفلسفة والكلام والتصوف، ولاشك أنه أخذ عن بعض تلاميذه وتشيع منهم بالخصوص بمبادئ الطريقة الشاذلية، حتى برع فيها وصار من أعلامها. انتقل إلى سبتة وأظهر تصوفه بها فالتف حوله أتباع كثير، ثم كلفت به امرأة موسرة فتزوجها، وأنفقت عليه مالا وبنّت له زاوية في داخل دارها" (المقصد) وتعتبر زاويته أول زاوية بالمغرب، إذ لم يكن هذا المصطلح معروفاً قبل ذلك. وكون بسبتة طائفته التي عرفت بالسبعينية، تميز أتباعها بملايس وهيآت خاصة، وكان الكثير من مرديه وأتباعه يقومون بخدمته ويحيطون به أثناء سيره في الطرق.

قضى ابن سبعين أخصب سني حياته بمدينة سبتة حيث ألف معظم كتبه. وبسبب تبنيه لفكرة الوحدة المطلقة ونمو تأثير طائفته، وخلافه الدائم مع الفقهاء ومناظراته لهم فإنهم نابذوه العدا، واتهمه بعضهم بالإلحاد، وألبوا عليه أبا علي بن خلاص صاحب سبتة فنفاه منها في حدود سنة 642، فغادرها إلى المشرق وترك بعض أبنائه بها. وحيثما حل كان الفقهاء يجتمعون لمناظرته والإنكار عليه.

سواء في كتابه بد العارف، فهاجم ابن سينا والفارابي وابن باجة وابن رشد والإمام الغزالي وإمام الحرمين الجويني. واعتبر جميع الفلاسفة المشائين من المسلمين مجرد مقلدين. وكان نقده للفقهاء لاذعاً أيضاً فقال في نفس الكتاب: "الفتية صالح الأصل فاسد الفرع، صادق الجنس كاذب النوع".

أبطل ابن سبعين جميع المناهج سواء الفلسفية أو المنطقية أو الكلامية أو الصوفية واعتبرها قاصرة عن الوصول إلى معرفة حقيقة الوجود، واقترح بدلها علما سماه بعلم التحقيق، لكنه اشترط في متعاطيه أن يتحقق بالوحدة المطلقة وإلا عجز عن الوصول إلى غايته. واعتبر أن موضوع هذا العلم ومنهجه وغايته هو الحق. زاعماً أنه جاء بما لم يأت به أحد من قبل "وهذا الذي نريد أن ننبه عليه هو بما لم يسمع في محضر، ولا قيل أنه ظهر في دهر، ولا مما دون أو علم في فلاة أو مصر" (شفاء السائل). يبدو ابن سبعين في كتبه ورسائله واسع الخيال ميالاً إلى التجريد المطلق والتلاعب باللغة، محاولاً بذلك إجراء بعض التعديلات على المناهج المختلفة ليصل إلى إثبات الوحدة المطلقة التي تحيل كل ما هو مادي إلى إلهي غير مادي.

تؤكد رسائله أن الطابع الفلسفي غلب على فكره أكثر من الطابع الصوفي. ولم يفته أن ينتقد التصوف حينما اعتبر أن التصوف لم يدركه أحد من سبق. فقال في وصيته لأتباعه: "واكفروا بالحقيقة التي في زمانكم هذا وقولوا عليها وعلى أهلها لعنة الله، لأنها حقيقة كما سمي اللذيع سليماً، وأهلها مهملون حد الحلال والحرام، مستخفون بشهر الصوم والحج وعاشوراء والإحرام، قاتلهم الله أنى يؤفكون" الإحاطة. وقال عن تصوف أهل المغرب: "كل شيوخ الغرب نسبتهم عملية يشملها أول وجه من التصوف. وما نحن بسبيله لا يقدر بذلك كله" (رسائل ابن سبعين). لهذا نعتقد أن مغادرة ابن سبعين لسبته لم تكن فقط بإيعاز من الفقهاء، بل يظهر أن التصوف المغربي ذي التوجه السني أيضاً لم يتقبل أفكاره، وبخروجه انحسر تأثير طريقته من الناحية الفكرية رغم بقاء عدد من أتباعه. إضافة إلى أن تعاليمه استندت إلى لغة شديدة التعقيد ومفاهيم مركبة تحتاج إلى قدر كبير من التركيز لاستيعابها، فقل عدد المتعاطين معها بالتدريج بعد رحيله وانتهت طريقته إلى زوال.

- تلاميذه : أخذ عن ابن سبعين العدد الهائل من التلاميذ والمريدين بالمغرب والمشرق، اشتهر منهم أبو الحسن علي الششتري (ت. بدمياط بمصر 668) أخذ عنه ببجاية وخدمه مدة، وسمى نفسه عبد ابن سبعين، وابنه محمد بن عبد الحق بن سبعين (ت. 666)، ويحيى بن أحمد البلسني، والطبيب أبو الحسن يحيى المعافري ابن الحاج (ت. 718).

تنقل في البداية بين عدة مدن ثم التحق ببجاية التي أخذ عنه بها عدد كثير، لكن تشييع فقهاها عليه اضطره لمغادرتها، فرحل إلى قابس وظل فيها إلى سنة 652، وتركها بعد أن قام ضده شيخ فقهاها أبو بكر ابن خليل السكوني واتهمه بالزندقة. وعند حلوله بمصر وجد تحذير الفقهاء منه قد سبقه إليها واتهامه بأنه "ملحد قائل بوحدة الخالق والمخلوق"، فغادرها إلى مكة المكرمة التي قضى بها بقية حياته منوها به لدى صاحبها الشريف أبي في محمد، وتوطدت العلاقة بين الرجلين بتلميذ أبي في على ابن سبعين في التصوف. ولا ندري أي دور لعبه ابن سبعين في بيعة أهل مكة للسلطان المستنصر بالله أبي عبد الله محمد ابن زكريا الحفصي التي كانت من إنشائه.

شاع ذكر ابن سبعين وقوي تأثيره بمكة وكثر أتباع طريقته، وكان حاكم مكة وصاحب اليمن يعتقدان فيه الولاية أيضاً. ومع ذلك فقد كان أعداؤه كثيرا كذلك، خاصة من الفقهاء والمحدثين الذين وجدوا في كتبه ورسائله وأفكاره كثيرا من الشطط.

- فلسفته : ركب ابن سبعين قواعد مذهبه من عناصر متعددة، وتأثر كثيرا بترات مدرسة ابن مسرة الصوفية بالأندلس، التي نهلت من الاعتزال والحكمة الإشراقية والأفلاطونية المحدثة، وقالت بوحدة الوجود ؛ وأيضاً من صيغتها الجديدة المتمثلة في الشوذية التي تعود إلى أبي عبد الله الشوذى الإشبيلي المعروف بالحلوي دفين تلمسان، والتي أخذها ابن سبعين من كتب ابن دهاق ومن تلاميذه. ورغم أن أياً من كتب شيوخ الشوذية لم يصل إلينا، فإن عناوين بعض الكتب التي وضعت في الرد عليها تؤكد حجم المعارضة التي واجهها بها الفقهاء والمحدثون بكل من الأندلس وسبته في أواخر القرن السابع الهجري (13 م)، ومن هذه الردود كتاب ردع الجاهل عن اعتساف المجاهل في الرد على الشوذية وإبداء غوائلها الخفية لأبي جعفر أحمد بن الزبير الغرناطي، وكتاب إمطة الأذية الناشئة من سباطة تاشوذية للمحدث أبي عبد الله محمد بن عمر المعروف بابن رشيد السبتي. ورغم ضياع هذين الكتابين فإن بعض الإشارات القليلة في تراجم بعض شيوخ الشوذية توضح جانباً من أفكارها، خاصة أبي إسحاق بن دهاق الذي اتهم بادعاء النبوة وبالقوة بسقوط التكاليف الشرعية عن مبلغ درجة العلماء ؛ وعلي بن محمد بن مطرف الجذامي الضرير الذي قال بإباحة الخمر، وإباحة زواج المتعة والزواج بأكثر من أربع.

لم يكتف ابن سبعين بتبني فكرة وحدة الوجود كما هي في تراث ابن مسرة والشوذى وابن عربي، وإنما عمل على تطويرها إلى فكرة الوحدة المطلقة، وبذلك اكتملت على يديه صورة التصوف الفلسفي، لأنه أراد أن يجمع بين الفلسفة والتصوف في صيغة جديدة، فوجه سهام نقده لمناهج الفلاسفة والمتكلمين والصوفية والفقهاء على حد

تأليفه : ألف تأليف عديدة ضمنها فلسفته وتعاليمه وأهمها بد العارف. أما رسائله فقد نشرت مجموعة منها (الرسائل، تحقيق عبد الرحمن بدوي، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، 1965. تضم 20 رسالة ؛ ورسائل أخرى نشرها التفتازاني في كتابه ابن سبعين وفلسفته الصوفية). ولا تزال مجموعة أخرى منها موزعة بين خزائن المخطوطات، وعددها 7 ؛ بينما فقدت مجموعة ثالثة وعددها 18 رسالة، ونعرف عناوينها فقط من خلال المصادر. ومن أهم رسائله جوابه على أسئلة صاحب صقلية الملك فردريك الثاني التي أرسلها إلى علماء سبته ووجهها إلى ابن سبعين للإجابة عليها (طبعت بعنوان الكلام على المسائل الصقلية، تحقيق شرف الدين يالتقايا، بيروت، 1941).

اختلفت المواقف من ابن سبعين اختلافاً كبيراً في حياته وبعد موته، فمن العلماء من اعتقد فيه النبوغ والولاية، ومنهم من كفره ونسبه إلى الزندقة وانحراف العقيدة. وحتى وفاته تعددت بشأنها الآراء بين قائل بأنه انتحر، وقائل بأنه قتل مسموماً على يد بعض منافسيه من المقربين إلى أمير مكة، وقائل بأن موته كانت طبيعية. توفي بمكة المكرمة يوم 9 شوال 669 / 21 ماي 1271 عن 56 سنة.

عبد الحق البادسي، المقصد الشريف والمنزغ اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تج. عبد الوهاب بمنصور، الرباط، المطبعة الملكية، 1982، ص. 35، 69 ؛ أبو الوفا التفتازاني، ابن سبعين وفلسفته الصوفية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1973 ؛ لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تج. محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1977، ج. 1، ص. 36 ؛ عبد الرحمن ابن خلدون، شفاء السائل لتهديب المسائل، نشر أبو يعرب المرزوقي، تونس، الدار الاعربية للكتاب، 1991، ص. 214 - 215 ؛ عبد الحق ابن سبعين، رسائل ابن سبعين، تج. عبد الرحمن بدوي، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، 1965 ؛ عبد الحق ابن سبعين، بد العارف، تج. جورج كتورة، بيروت، 1978 ؛ محمد ابن شاكر الكنتي، فوات الرقيات، تج. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1973-1975، ج. 1، ص. 247 ؛ ابن عساذ المنجلي، شذرات الذهب، بيروت، المكتب التجاري للطباعة، د. ت. ج. 5، ص. 329 ؛ أحمد أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية، تج. عادل نويهض، بيروت، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط 1، 1969، ص. 237 - 238 ؛ بدر الدين القرافي، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تج. أحمد الشتيوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1983، ص. 154 ؛ محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، بيروت، دار الفكر، د. ت. ص. 196 ؛ أحمد بن محمد المقرئ، نفع الطبيب، تج. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1986، ج. 2، ص. 196، 205.

محمدالمغراوي

سبيلينزوري Splisbury ضابط إنجليزي قضي

مدة بطنجة تاجراً بوصفه نائباً عن بعض المقاولات ومنها شركة غلوف فينتشر سينديكيت Glove ventun syndicate التي كان مقرها بلندن.

والحقيقة أن هذا الضابط الذي كانت له رتبة مييجور لم يكن إلا مغامراً ومهرباً للسلاح. ففي أواخر سنة 1897 استأذن المخزن في التجارة بالجنوب وانظر الجواب ولما لم يخول الرخصة، اكترى السفينة البريطانية "تورميلان Tourmaline" وشحن على متنها ميرة وأقواتاً، ودس فيها أسلحة وأعتدة عددها 5000 بندقية وقرابة مليون خرطوشة وألقت الباخرة مرساتها بنواحي وادي نون (أصاكة في رواية أولى أو أركسيس في رواية أخرى) وذلك يوم 17 يناير 1838، ثم نزل إلى الير مخاطباً الرؤساء المحليين على أنه تاجر وعميل لشركة غلوف.

وكان مصحوباً بالألماني والإنجليزي وبرتغالي زيادة على مغامر نمساوي هو كايلينغ (Gayling) وهو الذي سمى نفسه سنة 1879 الحاج عبد الكريم باي عندما كان بالصويرة قنصلاً مزعوماً) وكان مع الرفقة أيضاً يهودي مغربي اتخذوه ترجماناً لهم.

ولما بلغ الخبر للمخزن وجه إلى المكان عينه السفينة المغربية "الحسني" وعلى ظهرها مائة جندي. فلما وصلت استولت على البضائع المهربة فأطلق قبطان السفينة الإنجليزية عدة عيارات نارية ثم لاذت بالفرار.

أما المترجم فسقط بعد مقاومة شديدة رهن الاعتقال وأقتيد مع البحارة، وحملوا جميعاً إلى مرسى الصويرة وأودعوا السجن.

وقامت قائمة الصحف الإنجليزية والطارقية لأجل الإفراج عنهم، وظلت جريدة "جبل الطار كرونكل" ولا سيما في عددها الصادر في يوليوز 1898 تنادي بإخلاء سبيل سبيلينزوري، بل إن أعضاء من مجلس العموم البريطاني استجوبوا الحكومة عن أسباب هذا الاعتقال مطالبين بأن تحال المسألة على محكمة بجبل طارق.

قضية هذا الإنجليزي استمرار لمحاولات دونالد ماكينزي الذي استوطن طرفاية حتى خرج منها سنة 1895.

هذا ما ورد في هاته المسألة من مصادر أوروبية على وجه الاختصار. أما الوثائق المغربية فقد خصصت لذلك مجموعة من النصوص. ففي رسالة عامل الصويرة إلى الطريس أن هذا المغامر كان وصل إلى الصويرة وتلقى مع أحد تجار جبل طارق المنجلزين اسمه راطو Ratto وأخذ منه مبلغاً من المال ليدفعه لرعاغ صبويه (15 ربيع الأول 1315/ 14 غشت 1897، مكتبة تطوان 81 - 37). وكان سعيد الكيلولي أحد قواد سوس قد كلف يجعل الأرصاء والعيون على سبيلينزوري (رسالة السلطان إليه في 6 شعبان / 31 دجنبر) وتوجيه المساجين وما نزل معهم من السلعة إلى الصويرة قصد محاكمتهم بطنجة حيث عهد لعبد الله بن سعيد السلاوي بمفاوضة النائب الإنجليزي في

هاته المسألة لخلها (رسالة السلطان إلى الطريس في 10 قعدة / 2 أبريل، تطوان 16. 60)، وعين المخزن وكيلاً عنه في هاته الدعوى بمساعدة عبد الحكيم التونسي المعروف بعبد الحكيم المزوغي المغربي (رسالة السلطان إلى الطريس في 21 حجة / 13 ماي، تطوان 16 : 65).

وتكميلاً للحجة المخزنية أرسل الشهود من الصورة بحراً إلى طنجة، كما بعث عامل الصورة عينته من المكاحل والقرطوس على ظهر المركب الفرنسي لاهوز :

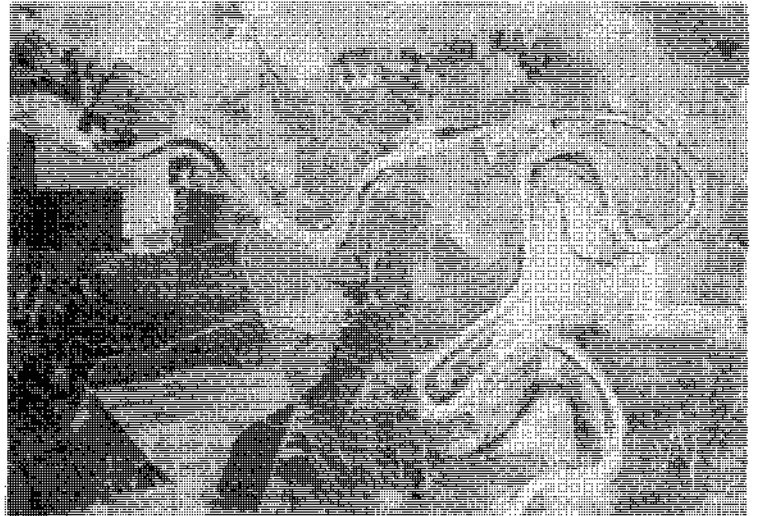
ب ج وجرز P. G. Rogers، تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى سنة 1900، تعريب يونان لبيب رزق، الدار البيضاء، 1989، ص. 300 : م. بوشعراء، الاستيطان، 4 : 1516. 1541 : وثائق

مغربية من مكتبة تطوان، الوثائق الملكية.

Jacques Caillé, *La petite histoire du Maroc, 3ème série, 1820 - 1894*, Casablanca et Rabat, 1954, p. 109 et suiv. ; F. D. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, Rabat, 1947, p. 89.

مصطفى بوشعراء

سيبو، نهر يعتبر أهم أنهار المغرب من حيث الموارد المائية التي يستقبلها من حوض نهري تتأخر مساحته 40000 كم<sup>2</sup> في الشمال الغربي، ويصرف مناطق الريف والأطلس المتوسط والهضبة الوسطى وسهول سايس والغرب. وتقدر الموارد المائية بسيبو بما معدله 5600 مليون متر مكعب، الشيء الذي يجعل سيبو يغطي مقداراً يزيد عن ربع الموارد المائية السطحية للمغرب، ويتميز هذا الوارد المائي بالتغاير الهام داخل السنة ومن سنة لأخرى.



يتكون حوض نهر سيبو من عدة مجالات جبلية وتلية وسهلية، تتميز بظروف جيولوجية ومناخية متنوعة، ويمكن إجمالها في خمس مجالات :

في المجال الريفي شمالاً، يمتد حوض ورغة، الرافد الأكثر وفرة بمقدار صبيب يناهز 3000 مليون متر مكعب

سنويا. وهو مجال مطر، صخوره متوسطة الصلابة إلى هشة، أوديته عميقة وذات سفوح وعرة، وغطاؤه النباتي شديد التدهور بفعل كثافة الاستيطان والاستعمال. وهذا ما يفسر ارتفاع مقادير صبيب المنقولات (13 مليون طن من الأوحال المنقولة سنويا) بسبب عنف عمليات انجراف التربة.

المجال الأطلسي جنوباً، يغطي الحوض الأعلى لنهر سيبو، والذي يحمل داخل هذه الوحدة الجغرافية ثلاثة أسماء متتالية، اسم كيكو، من المنبع وحتى حوض سكورة، اسم مداز بعد ذلك وحتى مقربة من حدود المجال الجبلي، ثم اسم سيبو، ابتداءً من العيون التي تزود النهر وتعطيه القسط الأوفر من صيبه في العالية. ويتميز هذا المجال المكون من جبال وهضاب عليا، برطوبة مناخه، وبرودته شتاءً، وأهمية التهاطلات الثلجية. كما يتميز بغلبة الصخور الكربوناتيّة المنفذة، ما عدا في أحواض جزئية مثل حوض زلول. وارتباطاً بتواضع الكثافة البشرية، فإن الغطاء النباتي حافظ على نوع من الاستقرار، الشيء الذي يفسر الضعف النسبي للحمولة الصلبة خاصة باعتبار غلبة الظهورات الصخرية الصلبة.

تلال مقدمة الريف، ذات السفوح المتوسطة والصخور الصلصالية الهشة وغير المنفذة، هي مجال سيل هام، تتكاثف فيه المجاري لتصب في تلال محاور نهريّة متقاربة، أهمها محور سيبو بعد خروجه من الأطلس المتوسط واجتيازه للنهاية الشرقية لسايس على مقربة من مدينة فاس، يليه من حيث الأهمية رافده إيناون الذي يصرّف مقدمة الريف كما يصرّف النهاية الشمالية لأطلس تازة. وثالث هذه المحاور. واد اللبن الذي يعتبر رافداً لإيناون. في هذا المجال التلي الصلصالي، يتميز سيبو وروافده بتقلب الصبيب، فصلياً ومن سنة لأخرى.

عند النهاية الغربية لتلال مقدمة الريف، يلتقي سيبو برافده الأساسي ورغة، على مشارف سهل الغرب فيكونان سيبو الأسفل الذي يتميز بأهمية صيبه وبمجره المنعطف على مسافة هامة من مصبه البحري، ويتسبب مجرى سيبو في السمات المنقعية للسهل، بسبب الفيضانات الكبرى التي كانت تغطي جل السهل، تاركة بعد تراجعها مرجات وضابيات واسعة. وهذا الفيض المتردد والممتد هو الأصل في التربة الغرينية لسهل الغرب. قبيل المصب، يتلقى سيبو آخر روافده الأساسية، وهو نهر بهت الذي يصرّف الحاشية الشمالية للهضبة الوسطى، قادماً من هضاب أزرو، كما يصرّف هضبة السايس المكناسي وجبال زرهون.

هذا التنوع الكبير، هو ما جعل سيبو يحتل مركزاً خاصاً بين الأنهار المغربية، وما جعل حوضه يتميز بالأهمية الكبرى اعتباراً لموارده. فالحوض التصريفي يغطي أقل من 6% من مساحة البلاد. لكنه يمنح ما مقداره ربع الموارد المائية. وهذا ما يفسر كونه أهلاً بالسكان (حوالي خمس ساكنة المغرب). وإنتاجه الفلاحي يقرب من ربع الانتاج

الوطني. يصل سكان الحوض إلى ما يفوق 5 مليون نسمة، ويضم مدنا هامة، منها فاس ومكناس والقنيطرة وتازة. كما يضم مناطق فلاحية هي من أهم المجالات الزراعية في المغرب (الغرب والسايس).

وفي الحوض تجهيزات هيدرولوجية كبيرة، من أهمها سد غلال الفاسي على نهر سبو نفسه، وسد الوحدة على رافده ورغة، وسد إدريس الأول على إيناون، وسد القنصرة على بهت. ولكل هذه السدود أدوار اقتصادية وبيئية متعددة. دورها الأول تنظيم الجريان ومنع حدوث الفيضانات المهولة التي كانت تهدد المجرى الأسفل لسبو في سهل الغرب. دورها الثاني حجز المياه من أجل استعمالها في الري، خاصة في سهل الغرب. والدور الثالث توفير الماء للشرب لعدد من المدن، وخاصة مدينة فاس.

إلا أن الموارد المائية لحوض سبو مهددة بالتلوث بسبب التنمية التي تعرفها الأنشطة الاقتصادية والتعمير. وينتج التلوث عن المصبات الحضرية والصناعية التي تقذف مياهها في المجاري النهرية بدون معالجة مسبقة. وتسبب الأنشطة الفلاحية بدورها في تلوث المياه السطحية والباطنية، بالمخصبات وأدوية النباتات. وتعتبر المدن الكبرى، خاصة منها المدن الصناعية، ذات أثر بالغ على جودة مياه سبو. ولمدينة فاس خاصة، المسؤولية الكبرى في هذه الوضعية المتأزمة، ذات النتائج الوخيمة على البيئة وصحة السكان في اتجاه السافلة. أما في سهل الغرب، فإن المعامل المصنعة للموارد الفلاحية تسبب في ارتفاع التلوث الكيماوي والعضوي. هذا ما حتم اتخاذ الإجراءات الضرورية من أجل الحد من هذا التلوث، وذلك باعتماد سياسة تعميم قنوات التطهير، إضافة إلى مشاريع معالجة مياه المدن والمصانع.

وينتهي نهر سبو، سافلة القنيطرة في المحيط الاطلنطي، من خلال مصب المهديّة، الذي يعتبر أهم المصبات النهرية في المغرب، إلى درجة أنه كان موقعا لأكبر ميناء نهري في المغرب، عند مدينة القنيطرة.

تحريرات ميدانية.

عبد الله العرينة

1963، نتيجة اتفاقية بين الحكومة المغربية والصندوق الخاص للأمم المتحدة. قصد دراسة المشاكل التي يطرحها سهل سبو وإيجاد حلول لها.

هكذا، أجريت ما بين 1963 و1968 عدة دراسات حول التربة والمياه، وكذلك حول الجوانب الزراعية والاقتصادية والسوسولوجية للمنطقة، لتحديد الطرق التي ينبغي اتباعها لاستغلال أراضي حوض سبو ومياهه بصفة عقلانية، سواء في ما يتعلق بتصريف المياه ووسائل السقي، أو بالمشاكل الزراعية والنظام السوسو اقتصادي.

حت المشروع، إذن، على إيجاد حلول لمختلف الاختلالات التي تعرفها المنطقة خاصة في الميدان العقاري (تمركز جل الأراضي بين أيدي المعمرين وكبار الملاكين التقليديين، انظر : شركة سبو)، وفي مجال غط الاستغلال غير المباشر الذي كان يشتمل ثلث الملكيات التقليدية، 35٪ من الملاكين الصغار الذين تقدر مساحتهم بـ 35.000 هكتار. هذا علاوة على ارتفاع نسبة النمو الديموغرافي التي تتعدى نسبة النمو الفلاحي.

يقترح المشروع في هذا الصدد، القيام بإصلاح عقاري لاسترجاع أراضي المعمرين التي سيضاف إليها الفائض من ملكيات المغاربة التي تتجاوز سقفا سيتم تحديده. وستوزع هذه الأراضي على صغار الفلاحين ومتوسطيهم، بحيث يتم توفير حصص أرضية تتيح استخدام التقنيات الحديثة. هذا إضافة إلى الاستفادة من برنامج الري ومن التحديث القروي.

يشتمل هذا الإصلاح العقاري في مرحلة أولى 80٪ من المساحة الفلاحية، و90٪ إثر تحديد الملكيات الكبرى المسقية، حيث سيستفيد منه 75٪ من أرباب الأسر بالغرب.

تحقيق هذا المشروع الذي يستلزم عدة إجراءات تمس كلا من الجانب القانوني والاجتماعي والديمقراطي والإداري. يفترض تحديث الدوار الذي ستعاد تهيئته، فيتحول إلى جمعية قروية للتنمية (SDV : Société de Développement Villageois). ستحصل هذه القرية.

بمقتضى هذا الإصلاح على رقعة تشمل ما يقابل الأراضي التي كانت تملكها سابقا في الدوار أو خارجه، زيادة على مقابل الأرض الجماعية التي كانت في حوزة الدوار، إضافة إلى قطعة من الأراضي الحكومية. هكذا، ستستطيع القرية / الدوار تحقيق المخططات التي يحددها المشروع، خاصة وإن المعنيين بالأمر سيطالبون باتخاذ قرارات تحمل مسؤوليات في إطارهم الاجتماعي المعتاد. سيصبح الدوار، من ثم عبارة عن مؤسسة تحاور الإدارة وتحمل مسؤولية في المخطط التنموي.

إلا أن هذا التصور الذي قدمه مشروع سبو كان يفترض وجود إرادة سياسية، لم تكن متوفرة وقتها، فأراضي المعمرين لم تكن الدولة قد استرجعتها بعد : بل

\*\* وهناك مشروع سبو لإصلاح الوضعية التي ورثها المغرب عن الحماية، والتي كانت تتجلى أساساً، بالنسبة لمنطقة الغرب في التوزيع غير العادل للأرض مع "شركة سبو" وما يصحبه من لا مساواة على الصعيد الاجتماعي، طرح على المسؤولين المغاربة مسؤولية العمل على تحسين أوضاع الفلاحين. ولم يكن يتعلق الأمر بمجرد مسألة تقنية، بل ولاحتي أخلاقية، وإنما كذلك بمشكل سياسي يهم استرجاع أراضي المعمرين، وإعادة النظر في وضعية الأراضي الجماعية. وفي توزيع جديد للأرض يأخذ بعين الاعتبار كلا من المعايير التقنية والاقتصادية وكذلك الاجتماعية.

في هذا الإطار أنشئ مشروع سبو بتاريخ 18 أبريل



إن جزءاً منها كان قد فوّت إلى بعض المغاربة بطرق غير قانونية. كما أن فكرة الإصلاح العقاري لم تكن لتروق كبار الملاكين. هذا علاوة على أن الإدارة لم تكن آنذاك لتقبل وجود نظام قروي مستقل عنها.

هكذا، أفرغ مشروع سبو من محتواه الاجتماعي وتحول سنة 1968، إلى مجرد مشروع تقني.

للمزيد من المعلومات، يمكن الرجوع إلى :

N. Bouderbala, *Quelques données élémentaires sur l'évolution des structures agraires dans la plaine du Gharb*, RGM, n° 20, 1971 ; De Mas Paolo, *Marges marocaines*, La Haye, 1978 ; J. Le Coz, *Le Gharb, fellahs et colons*, Rabat, 1964 ; G. Pallix et A. Tabet, *Drainage d'une plaine basse côtière sur sols lourds*, H.T.E., n° 7, 2e tri., 1973 ; *Projet de Sebou : Rapport intérimaire*, [s.l.], janvier, 1967.

\* \* أما شركة سبو فتأسست سنة 1919، بإيعاز من ليوطي، وذلك نتيجة انصهار مجموعتين متنافستين : اتحاد الأبنك والمقاولات الصناعية التابعة لبنك الهند الصينية التي كان يمثلها الماركيز دي سوغونزاك من جهة، وشركة دراسات الري بسهل سبو التي كانت مرتبطة بينك باريز والبلدان المنخفضة من جهة أخرى.

كان على الشركة أن تنكب على دراسة مشكلين : أحدهما تقني يتعلق بتجفيف المستنقعات والتحكم في مجرى وادي سبو والقيام بالأشغال الهيدرولية اللازمة : والثاني قانوني، يتوخى من ورائه إنشاء مستوطنات للمعمرين. ذلك أن منطقة الغرب كانت عبارة عن شبه مستنقع يعيش سكانه تحت الشلالات ويعانون من مرض حمى المستنقعات، ولم تكن ملائمة للزراعة نظراً لفيضانات سبو المتكررة والتي كانت تصل أحياناً إلى مستوى مشروع بلقيصيري وسيدي علال النازي لهذا كان الغريابيون يتعاطون لتربية الماشية أكثر من الفلاحة، ويملكون الأرض في إطار جماعي.

هكذا، كانت خصوبة المنطقة وخلوها وراء اهتمام الأوروبيين بها، مما أدى إلى إنشاء شركة سبو.

ذلك أن مكتب الشؤون الأهلية لشرع بلقيصيري قام بإيجاز دراسات حول مرجة مرقطان ومرجة بوخرجة اللتين كانتا تغطيان حوالي عشرة آلاف هكتار. وتقرر، نظراً للوضع الجماعي للملكية العقارية، تأجير أربعة أخماس هذا الملك إلى شركة سبو، شريطة العمل على تحقيق المستنقعات، وتحقيق أشغال هيدرولية لصالح الجماعات المحلية التي ستحتفظ بالخمسة الباقي من الأرض. وبما أن الشركة أوفت بما تعهدت به في العقد المبرم سنة 1919، فإن الدولة تنازلت لها، بتاريخ 8 شتنبر 1924، عن ملكية الأراضي المعنية بالأمر، أي 9.800 هكتار، سيضاف لها 1.700 هكتار، مما أعطى ملكاً يتكون من 11.500 هـ

عبارة عن قطعة واحدة. اشترت الشركة، بعد ذلك، 5.500 هكتار، من قبائل زموور وأنشأت فوق هذه المساحة ست ضيعات. أما الخمس الذي احتفظ به للسكان المحليين، فقد وُزِعَ إلى اثنتي عشر قسمة تحيط بملك شركة سبو، تتراوح مساحتها ما بين ثلاثين وخمسمائة هكتار.

هكذا، اذن، أدى تدخل شركة سبو إلى مصادرة ملكية السكان، الذين لم يستفيدوا بالنسبة لما تبقى لهم من الأرض من أي تجهيز، بل صارت قطعانهم لا تستطيع الولوج إلى المراعي التي اعتادت الرعي بها في فصل الصيف.

هذا الوضع دفع بالسكان إلى الهجرة، بشكل مكثف، إلى القنيطرة التي ستصبح عاصمة الغرب.

إلا أن الشركة لم تحقق الأرباح التي كانت تتوقعها، فاقترحت على الدولة استرجاع أراضيها. وهكذا، تمت تصفية الشركة ما بين 1929 و1931، ووزعت ممتلكاتها بين عدة شركات أخرى، أهمها La Société du Domaine de Koudiat Sbaâ التي تسلمت 3.000 هكتار، وLa Société des Fermes du Segmet التي تسلمت 4.000 هكتار، وLa Société Marocaine de Culture et d'Entreprise التي تسلمت 1.000 هكتار. بينما احتفظت شركة سبو بضيعتين.

إن تجفيف المستنقعات أتاح إنشاء ضيعات كبرى للحبوب، واعتماد المكننة في العمل الزراعي، وإدخال البرتقال والرز.

إلا أن هذه الزراعة الحديثة كانت تنتج أساساً من أجل السوق، ولم يستفد منها السكان المحليون الذين ظلوا ينتجون بطرق تقليدية. هكذا، ورت المغرب، عند حصوله على الاستقلال، وضعية يمكن نعتها بالازدواجية، الشيء الذي لا يتجلى فقط في وجود فلاحية عصرية وأخرى تقليدية، وإنما كذلك في اللامساواة التي تطبع توزيع الأراضي، إذ أن 60.000 هكتار أي 20٪ من أراضي الغرب كانت في ملك الأجانب، و68.000 هكتار أي 22,5٪ كانت بين أيدي كبار الملاكين وملاكين مغاربة عصريين لا يمثلون إلا 1,4٪ من أرباب الأسر، بينما لم يكن يملك باقي الفلاحين إلا 44٪ من الأرض، وكان 16٪ منهم فلاحين بدون أرض.

N. Bouderbala, *Quelques données sur l'évolution des structures agraires dans la plaine du Gharb*, RGM, n° 20, 1971 ; M. Bazin, *Un problème de modernisation rurale au Maroc : L'intégration des terres collectives dans les associations syndicales privilégiées du bassin inférieur du Sebou*, CHEAM, n° 1639, 20 mai 1949 ; J. Le Coz, *Le Rharb, fellahs et colons*, Rabat, 1964 ; *Projet Sebou : Rapport intérimaire*, janvier 1967 ; A. Halim, *Le capitalisme agraire au Maroc*, Université Paris VII, 1986 - 87.

عبد الجليل حليم

ليحيى بن تاعفوفت محررة في أواخر مارس 1514 عبر فيها عن عزمه على المرور من خلف القرى الواقعة فوق السبب على طول نهر أم الربيع. ولم يتم إلى حد الساعة التعرف بالضبط على موقع مدينة السبب.

الحسن الوزان، وصف إفريقيا: أ. بوشرب، دكالة.

### سپيلمان جورج (1899 - 1981) Spillmann

Georges، ضابط من ضباط الجيوش الفرنسية إبان الحماية، قضى جل مساره العسكري والإداري في المغرب ضمن هيئة ضباط الشؤون الأهلية، منطلقاً من أبسط درجات سلمها الهيراركي إلى أن بلغ رتبة الجنرال، مشتغلاً تارة في المراكز الثابتة وفي الأوعار الجبلية، وتارة أخرى في الإدارة المركزية في الرباط، وذلك زهاء ثلاثين سنة. ولد في مدينة ستراسبورج سنة 1899 يوم كانت تحت حكم ألمانيا. ولكنه كان فرنسي الروح، بحيث ما إن اندلعت الحرب العالمية الأولى حتى التحق بالتراب الفرنسي ودخل مدرسة سانسير العسكرية ليتخرج منها وينزل إلى ميادين القتال في الشهور الأخيرة من المعركة. ثم إنه انتقل إلى المغرب سنة 1920 ليندمج في صفوف ضباط الشؤون الأهلية في منطقة مراكش، وقت كانت جبال الأطلس كلها لا تزال ممتنعة عن الحكم الفرنسي. وكانت جيوش الاحتلال في أمس الحاجة إلى من يخبرها عن تلك المناطق وعن قبائلها وتواريخها وأعرافها لتمسك بزمام أمورها وتحكم التسرب في أوعارها بأقل ما يمكن من الخسارة في المال والأرواح، وهو ما كان يسمى عندهم بالسياسة الأهلية. ولقد أبدى جورج سپيلمان مواهبه في استنكاه أخبار البلاد والعباد، حيث تعلم اللغتين العربية والأمازيغية على اختلاف اللهجات فيهما. وشارك في أعمال "الپاسفيكاسيون" في العديد من جهات الأطلس، مبتدئاً بناحية أزيلال حيث جرح في إحدى المعارك هنالك سنة 1921. وعين سنة 1922 حاكماً على بعض فرق أيت محمد (فتحا)، فشارك في المفاوضات مع شيخ الزاوية الحنصالية الذي كف عن المقاومة وانحاز إلى جانب السلطة الفرنسية سنة 1922. مما أثار الانتباه إلى مؤهلات هذا الضابط الناشئ، فألحق سنة 1924 بالقسم السياسي لدى الإقامة العامة. ثم إنه عين حاكماً على مركز تلوات سنة 1926، يوم صارت الإدارة المركزية الفرنسية قبيل إلى تفكيك قيادة النهامي الأكلوي في الأطلس الكبير وما وراءه. ومن تلوات انتقل إلى حكم ورزازات، يوم صارت جيوش الاحتلال تخطط لاقتحام تلك المناطق الوعرة المستعصية. وقد قام جورج سپيلمان بأهم الأدوار الريادية، حيث تعرف برأ وجرأة على مجرى وادي دادس وأعلى مجرى وادي درعة، وألف في ذلك أول مؤلفاته تحت عنوان المناطق غير المسلوكة لوادي درعة الصادر سنة 1929، معزراً إياه

السبب (مدينة) كانت تقع على الضفة الجنوبية لنهر أم الربيع، وهي من مدن دكالة القديمة تبعد عن مدينة الغربية بنحو خمسة وستين علم. ولقد ورد ذكر هذه المدينة الصغيرة في كتاب وصف إفريقيا للحسن بن محمد الوزان، وضبط اسمها مترجم هذا الكتاب من الإيطالية إلى الفرنسية بضم السين وفتح الباء، بينما كتبه مترجماً النص المذكور إلى اللغة العربية بفتح السين وكسر الباء وتشديد الباء وفتحها، وواضح أن كلا القراءتين تصغير ليوم السبب، سواء تعلق الأمر بالنطق الفصيح أو الدارج. لكن يبدو أن اسم هذه المدينة لم يكن تصغيراً للفظ عربي وإنما هو لفظ أمازيغي هو السبب بسكون السين وكسر الباء الذي يعني يوم السبت، لأن اللغة الأمازيغية، كما هو معلوم وكما تدل على ذلك جميع القرائن وجميع أقوال الرحالة الذين زاروا هذه المنطقة، كانت لاتزال في القرن السادس عشر مستعملة في بعض أنحاء دكالة.

وكانت مدينة السبب، حسب قول الحسن الوزان، تخضع لأعراب دكالة، إذ أن غارات هؤلاء الأعراب كانت تعاني منها قرى دكالة وقرى الحوز في ذلك العصر، بما يحمله ذلك من تعسف وفرض إتاوات.

أما سكانها البربر، فكانوا يحيون حياة استقرار، ويتعاطون الفلاحة فيزرعون القمح ويربون النحل، وينتجون كثيراً من القمح والعسل. ومن المعلوم أن إنتاج القمح بكثرة يقتضي وجود تربة خصبة وأمطار غزيرة، ودراية بفن الفلاحة، كما أن تربية النحل، وبالتالي إنتاج كميات كبيرة من العسل والشمع، يتطلب وجود أشجار وأزهار كثيرة في تلك الناحية ودراية كذلك بفن تربية النحل. ويعيب الوزان على أهل السبب كونهم لا يهتمون بالبستنة وزراعة الكروم ويرميهم من أجل ذلك بالجهل. ويظهر أن الوزان قد تسرع في حكمه لأنه لم يدرك الفرق الموجود بين زراعة القمح وزراعة كثيفة. وهي فلاحية "بورية"، وبين البستنة وهي زراعة "سقية" وأن كلاهما يتطلب نوعاً من التخصص، وهذا ما كان يفعله أهل السبب الذين كانوا ينتجون كميات مهمة من القمح.

ولاشك أن اسم هذه المدينة مشتق من اسم السوق الذي كان يُقام فيها والذي كانت تُعرض فيه على الخصوص منتجات هذه الناحية كما هي العادة ببلادنا.

ويخبرنا الوزان أنه لما خربت بولعران سنة 1514، قام ملك فاس بنقل سكان مدينة السبب إلى مملكته وأعظامه مدينة صغيرة كانت مهجورة في إقليم فاس. وما لاشك فيه أن الذي تولى نقل سكان السبب إلى إقليم فاس هو الناصر المحلو، حاكم مكناس وخليفة السلطان فيها وفي بلاد الشاوية. ولم يرد ذكر هذه البلدة إلا مرة واحدة في رسالة

يكتتاب عن إقليم وقبائل درعة العليا (1931). وعاد مرة ثانية ليعمل في الإدارة المركزية في الرباط سنة 1929. وهناك اصطدم على ما يحكي هو عن نفسه مع الضباط الذين كانوا ينصحون بقتحام تافيلالت ووادي درعة عنوة، ذلك بأنك صار من المنسكين بخطة السياسة الأهلية، الداعين إلى بذل كل وجه السياسة والعمل السلمي قبل اللجوء إلى أعمال العنف لإخضاع القبائل المستعصية.

وما اكتشفه في الجهات التابعة لحكم الباشا التهامي الأكلادي أنه كان يمارس على السكان شتى أنواع العسف والابتزاز، مستعينا ببعض رجال الأعمال الفرنسيين مثل إيبينا Epinat صاحب شركة الستيام للنقل (أو شركة النقل المغربي C.T.M.) ومررنوا Mourgnot الصديق الحميم للمقيم العام يومئذ لوسيان سان Lucien Saint الذي طلب نفسه من سبيلمان بأن يمد صديقه المذكور بكل ماله من معلومات عن معادن المنطقة، بغض الطرف عما كان يرتكب في التنقيب عنها واستغلالها من خرق للقوانين الجاري بها العمل في المجال المعدني. ثم إن جورج سبيلمان عاد للعمل في المنطقة، في أكنز سنة 1931، تمهيداً لمحاصرة قبائل آيت عطا وإرغامهم على الاستسلام في أو عار بوگافر. وقد ألف في ذلك كتاباً تحت عنوان "قبائل آيت عطا الصحراوية ونشر الياسفيكاسيون في وادي درعة الأعلى"، صدر سنة 1936. وكان سبيلمان قد التحق من جديد بالإدارة المركزية للشؤون الأهلية في الرباط منذ سنة 1933. وظل يتتبع أحوال المجتمع المغربي على أدنى قواعد بنيانه. وكتسب في ذلك من المعلومات ما جعله خبيراً مبرزاً لدى سلطات الحماية في كل ما يتصل بالسياسة الأهلية. وكان من نتائج تلك الخبرة أن ألف كتاباً لا يزال معتمداً إلى يومنا في مادته وسمه "بمعالم التاريخ الديني للمغرب" تتب فيه تاريخ الزوايا والرباطات في المغرب منذ الفتح الإسلامي إلى عهد الحماية، مركزاً بالخصوص على بعض الزوايا الكبرى مثل الدلانية والمهاويشية والخصالية والناصرية والوزانية والدرقاوية، ملحقاً بكل ذلك جداول عن نسب بعض الأقطاب والشرفاء، في دقة توحى بما كان عليه جورج سبيلمان خاصة والمخابرات الاستعمارية عامة من التتبع والتتبع. على أن الكتاب لم يصدر إلا سنة 1951، وتحت اسم مستعار هو جورج دراك Georges Drague. ذلك بأن سبيلمان كان لا يزال ضابطاً نشيطاً في الجهاز العسكري والإداري الفرنسي. فإنه عاد إلى القيادة العسكرية الصرفة مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، فأسندت إليه قيادة طابور من الجنود المغاربة سنة 1940 في المهجرة بناحية كرسيف، وظل يعمل في الحفاء بعد الهدنة من أجل إعداد الطوابير المغربية الأخرى التي تمكنت فرنسا بفضلها من استئناف القتال بعد نزول الحلفاء في المغرب في نونبر 1942.

ولما تشكلت حكومة دي كول في الجزائر وأسندت فيها الشؤون الإسلامية إلى الجنرال كاترو Catroux، التحق

جورج سبيلمان بدويانه إذ كان قد عمل تحت قيادته في ورزازات وأكنز في مطلع الثلاثينيات. وكان من مخبريه عن أحوال المجتمع المغربي الباطنية وعن عمق ما صار معرضاً له من التقلبات. ورفع له تقارير مدققة عن الهوة السحيقة التي غدت تميز بين أوضاع المجتمع الاستعماري وعموم المغاربة، داعياً إلى التعجيل بالإصلاح غداة أحداث يناير 1944، ومشيراً بما من شأنه في نظره أن يحفظ الحماية الفرنسية من الانهيار أمام مد الحركة الوطنية، وهو أن يشارك المغاربة في إدارة البلاد وفي استغلالها بشكل من الأشكال. ولذلك كان معجباً بأراء إيريك لابون Eirik Labonne المقيم العام لمدة سنة (مارس 1946 أبريل 1947) الذي كان بحث هو كذلك على هذا النهج. مع أنه كان ممن نصح بعدم السماح للسلطان سيدي محمد بن يوسف بزيارة طنجة. وقد نفى نفياً قطعياً كون مجزرة درب ابن مسيك في أبريل 1947 من تدبير الشرطة أو القيادة العسكرية الفرنسية، مدعياً أن سببها إنما جاء صدفة من نقمة الجماهير المغاربة على "عبيد" الفرق السودانية المنضوية تحت الراية الفرنسية بعد مشاجرة جرت في حارة العاهرات. وكان آخر معسكر رابط فيه جورج سبيلمان في المغرب هو ثكنة القنيطرة وهو يومئذ في رتبة كولونيل، وذلك سنة 1947، وهو يمتعض على ما جاء فيما بعد في مذكراته، من عرض الأعلام عن معارك المقاومة الفرنسية وتحرير باريس في قاعات السينما المغربية، قائلاً بأن : "تمجيد أعمال التخريب والعداء ضداً على المحتلين (يعني الألمان) وإبراز الدليل على أن مجموعة من الرجال المسلحين بأخف سلاح والمدفوعين بقوة العزيمة يستطيعون الصمود في وجه جيش أجنبي فتاك، كل ذلك كان يبدو لي خالياً من التبصر في الوقت الذي صار فيه الشعور الوطني في المغرب يتحول إلى عداء صارخ للقوة الهامية". وقد غادر جورج سبيلمان المغرب بصفة نهائية في طليعة 1948 ليعمل في أركان حرب الجنرال دي لاتر دي تاسيني De Lattre de Tassigny في الهند الصينية. بعد ذلك عاد إلى باريس ليعمل في ديوان جورج بيدو Georges Bidault التي تربطه به روابط صداقة حميمة. وكان جورج سبيلمان مثل بيدو هذا رئيس الحكومة ووزير الخارجية الفرنسية. ينتم على الملك محمد بن يوسف بوجوده من النعمة خاصة. وكان ممن دعا إلى الحد من سلطانه بإدخال الأساليب الديمقراطية في المغرب، ليكون في ذلك متفناً لمشاركة الجالية الأوربية في سيادة المغرب. ومع ذلك فإنه لم يوافق على عزله عن عرشه في غشت 1953، متنبئاً بما ترتب عن عزله من العواصف الوطنية التي عصفت بنظام الحماية جملة وتفصيلاً.

ولما اشتعلت نيران حرب التحرير في الجزائر، هب جورج سبيلمان إلى الجزائر على رأس بعض فرق الكوم المغاربة لمحاولة إطفاء الفتيل في جبال الأوراس. ولكن عجلة

التاريخ صارت تجري بسرعة لم يعد يوسع رؤسائه في فرنسا أو في المستعمرات أن يوقفوها. وكانت النتيجة أن انكب في الستينيات على وضع كتابين، أولهما تاريخ للحماية عنوانه : "من الحماية إلى الاستقلال أو المغرب من 1912 إلى 1955"، ضمنه معلومات ووجهات نظر لا توجد في غيره من الكتب، والثاني مذكرات وسماها "مذكرات استعماري"، بنوع من الصراحة، يوحي بما كان عليه هذا الضابط على كل حال من النزاهة الفكرية وسلامة الطوية، شأنه شأن أبناء إقليم الأزراس على العموم، مما لم يقه من الخطأ والزلل في أحكامه، وأكثرها سخافة اعتقاده بأن نظام الحماية كان يمكن أن يدوم وأن النخبة السياسية المغربية كانت سنة 1955 لا تزال في حاجة إلى الحجر الاستعماري. وفيما عدا ذلك فإن أبحاثه الاستعلامية أزاحت الستار عن بعض جوانب تاريخ المغرب وعن مقوماته الجوهرية وتطرح من الأسئلة والقضايا مالا يملك البحث التاريخي المغربي أن يغض الطرف عنها.

G. Spillmann, *Les At-Ta du Sahara et la pacification du Haut-Dra*, Rabat, 1936 ; *Du protectorat à l'indépendance, Maroc, 1912 - 1962*, Paris, 1967 ; *Souvenirs d'un colonialiste*, Paris, 1968.

إبراهيم بوطالب

وخصوصا تيط وأسفي. وقد تمكن السبيح في سنة 1211 / 1797 من الاستيلاء على "سفينة كبيرة خارجة من أسفي موسوقة بالزرع، فيها اثنا عشر ألف فنيقة".

ونظراً للحظوة التي حصل عليها لدى السلطان، اعتنى هذا الأخير بإصدار أوامره بإنشاء سفيتين جديدتين في سنة 1214 / 1800 في أورايش الرباط. إحداهما لفائدة الرئيس المذكور، كلف الوزير أبو القاسم الزياني بالإشراف عليها، وتطلب انتظار استكمال بنائها وتعميمها مدة سنتين كاملتين. وقد واصل الرئيس السبيح نشاطه الملاحي إلى ما بعد سنة 1219 / 1805، معتمداً لدى السلطة المركزية، حيث أصدرت إليه الأوامر في جمادى الأولى بالتوجه إلى لشبونة.

وفي أواخر عمره عين الرئيس السبيح مشرفا على مرسى الرباط، إلى أن أقدم الوزير محمد السلاوي على عزله في إطار إشرافه على تغيير الطاقم الإداري لنظارة وجمارك الرباط سنة 1226 / 1811.

الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، ص. 195 - 218 - 275 - 318 - 324 - 334 - 367.

حسن أميلي

**السبيح، محمد بن المختار،** وُلد بالرباط أوائل القرن الرابع عشر (20 م). تعشق الموسيقى الأندلسية منذ شبابه، وأقبل على تعلمها، فأخذ عن شيوخها بالرباط، كما أخذ عن المعلم القاسي الفقيه محمد بن إدريس المطيري، وبرز في عزف الرباب. وفي عام 1942 التحق بمعهد مولاي رشيد معلما للصنعة والعزف، وكان في ذات الوقت يعمل عازفا ضمن الجوق الذي رأسه على التوالي الفنان الرباطي الحاج الطيب بن محمد بلكاية، والفنان السلاوي محمد البارودي، ثم تقلد بدوره قيادته بعد وفاة البارودي عام 1950، وظل على رأسه إلى حين تأسيس جوق الإذاعة الوطنية للموسيقى الأندلسية عام 1952 برئاسة المرحوم مولاي أحمد الوكيل.

وقد استمر الفقيه السبيح معلما بمعهد مولاي رشيد حتى وفاته يوم 25 رجب 1404 / 27 أبريل 1984. عبد العزيز بن عبد الجليل

**سَيِّ فاطمة،** وينطق بها محليا معجمة فاطمة، اسم ضريح وموسم وجماعة قروية بعالية وادي أورريكا بالأطلس الكبير. وأقدم عنصر في الموضوع هو ضريح وموسم ينسب للولية الصالحة والحامية المعنوية لمنطقة أورريكا. يختلف السكان والباحثون في مدلول الاسم فهناك من يدعي أنه لولية متفقهة كانت تقوم بالتدريس كالرجال وتلبس أحيانا ملابسهم فأطلق عليها لقب رجولي سيدي

**السبيح، بوبكر،** من مجاهدي البحر الرباطيين. عاش في النصف الأول من القرن الثالث عشر (19 م). وكان من رؤساء البحر المجاهدين أيام السلطان عبد الرحمان ابن هشام. ورث مهنة أبيه الحاج محمد السبيح الذي كان قائداً لإحدى السفن في عهد سيدي محمد بن عبد الله. وكان خليفة لأبيه عندما عينه السلطان رئيسا لمرسى الرباط. وكان السلطان عبد الرحمان أذن لأبي بكر السبيح بالسفر إلى فرنسا على متن سفينته "مسعودة" واصطحب معه ظهير هذا السلطان كجواز لسفره وهو مؤرخ بـ 18 ربيع الأول 1252 / 4 يوليوز 1836.

**السبيح، محمد الرايس،** من الرياس المغاربة المعتمدين لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ومن طائفة أهل الرباط. أوفده السلطان رايسا لإحدى السفن الأربع سنة 1203 / 1789 ضمن البعثة الملاحية الموجهة بذخيرة الحرب إلى القسطنطينية تحت إشراف القائد محمد الزوين والحاج المكي بركاش، وعاد ضمن الوفد في السنة الموالية على متن سفينة أوربية.

وقد استمر الرايس السبيح في نشاطه الملاحي حتى بعد وفاة سيدي محمد ابن عبد الله، حيث كان في عداد الرياس العاملين في أسطول مولاي سليمان انطلاقا من مرسى الرباط لا سيما إبان الأزمة السياسية، وكان مكلفا مع بقية الرياس بالتصدي للسفن التجارية الأوربية المتعاملة مع المراسي الخارجة عن نفوذ السلطان الشرعي،

انقسموا إلى ثلاث عائلات تتناوب الإشراف على الزاوية لكل واحدة سنة، تقوم برعاية الزوار الراغبين في المبيت والإنفاق على منشأتها مما يقدمه الزوار من الصدقات والهدايا، كما تدير الأراضي المحبسة على الزاوية المنتشرة على طول الوادي إلى مدينة أغمات، تقسم مداخيلها على الورثة فقط.

ويبدو أن شهرة الموسم السنوي لسنتي فاطمة وزاريتها يفوق أهمية ضريحها، ذلك أن سكان الأودية الجبلية اعتادوا إقامة مواسم فلاحية في قلب موسم الصيف بعد جني المحاصيل الزراعية، ويعتبر موسم سنتي فاطمة هو الموسم السنوي لقبائل أورिका، ينسى فيه القرويون الذين يحجون إليه بأسرهم أحيانا هموم ومشاق الحياة اليومية للترويح عن أنفسهم بالولائم وأهازيج أحواش تعبيراً عن فرحة الحياة والشكر لله على خيرات هذا الوادي الجميل، وتقديراً من السكان لولية صالحة تزكي وتلمهم أخلاق التعاون والتسامح والأمن والمحبة. ويبدو أن الموسم وجد بهذا المكان قبل ظهور سنتي فاطمة، وكان يسمى موسم "تزونت" وتعني نصف السمام - وسط الانقلابين الصيفي والخريفي - وذلك حسب تقويم فلاحي قديم مستمد من التقويم الشمسي الروماني فهو يعتمد في توقيته على السنة الشمسية كجمل المواسم الجبلية ويعقد أيام : 19-20، 21 غشت ويشرف على شؤونه شرفاء الزاوية ورثة الولية، أما الضريح الذي أعيد بناؤه مجدداً إذ بني عليه سقف من القرميد الأخضر فإنه يشرف عليه أفراد ومقدمون من قبيلة أيت عمران ولا يفتح للزيارة إلا في أيام الموسم من طرف المقدم الذي هو من القبيلة كذلك.

لقد اكتسب موسم سنتي فاطمة في العقود الأخيرة أهمية متزايدة إذ تحول من موسم فلاحي ديني محلي إلى عيد اجتماعي تجاري وترفيهي لأعداد متزايدة من الزوار بوادي أورिका والأودية المجاورة له والدير، كما يفد إليه الحضرين بكثرة من مراكش ومن المصطافين بفنادق وإقامات ودور الكراء بوادي أورिका. وبعد أن كان موسماً تجارياً محلياً يتخصص في بيع ما ينتجه الجبليون من أنسجة الصوف الثقيلة التي تصنع منها الجلاليب والبرانس الجبلية الثقيلة : الخيدوس وأخنيف، وثمار الحوز، والبيغال، إذ يقبل الجبليون على بيع البغال الهزمية التي تتحول رلى جر العربات بمراكش وشراء بغال فتية تولد خارج الجبل يجلبها التجار خاصة من سهل الحوز ودكالة، كما يكمل القرويون شراء حاجياتهم من الحبوب والقطنيات والزيت التي يعانون نقصاً في إنتاجها. لقد تحول السوق اليوم إلى مهرجان تجاري شعبي لبيع وشراء كل شيء من الراديو والكاسيت والملابس الجديدة والمستعملة العصرية والقديمة وأواني البلاستيك والألومنيوم وكل مواد التغذية الجافة والبطرية من خضر وفواكه ولحوم ومشروبات، لقد تحول الموسم إلى متنفس لسكان المنطقة لما يوفره من فرجة واستهلاك من جهة ومناسبة لترويج منتجاتهم والتسوق.

حولتها اللهجة المحلية إلى ستي وفاظمة اسم شعبي ديني، تحوير بربري لفاظمة بنت الرسول وهو واسع الانتشار في كل المغرب. وهناك من يدعي أنها مصرية الأصل لتشابه لقبها مع : "ستي" المصرية التي تطلق على الأنسة وربة البيت. ويذهب المحس ببعض الدراسات إلى الادعاء بأن سنتي هي سنتي إله المياه عند الفراعنة، فتكون من بقايا آثار الحضارة الفرعونية التي لازالت تتجلى في بعض المظاهر الفلاحية والاجتماعية بالأودية الجبلية خاصة فيما يرتبط بالمياه حيث كان يرافق حفلات الموسم الرش المتبادل والمفاجئ بالماء بين الفتيان والفتيات.

ومن المؤكد أن هذه الولية وافدة إلى المنطقة أجنبية عنها ظهر اسمها في عهد الوطاسيين أي قبل ستة قرون. حلت مع أبيها سدي عمرو بأغمات، ثم رحلت نحو قرى الوادي العالية إثر نزاع مع إحدى بناتها وحلت بدوار ثلاث ن ركا بأغبالو ثم رحلت عنه لمضايقة الناس لها إلى دوار تاخفرت حيث يوجد ضريح ابنتها ستي مريم، ومنه انتقلت دائما صعوداً إلى أعلى الوادي بدوار تنكري. ويحكى أنها كانت تترك منزلها مفتوحاً في وجه الوافدين وطالبي المبيت أينما استقرت، وأخيراً حلت بعالية الوادي حيث يتسع وتكثر القرى بجانيه، فاستقرت بدوار صغير صار يعرف فيما بعد بزاوية سنتي فاطمة. يبلغ سكانه 118 ن (1994) وهنا تزوجت لأخر مرة برجل من دوار أكاديرنايت بولمان ونظراً لما عانت من شظف العيش ونفور سكان المنطقة من الأعراب فقد فتحت بيتها لإطعام المعوزين ومبيت المسافرين والمحتاجين وإعانة اليتامى والمرضى، كما كانت تلتجئ إليها النسوة والرجال بسبب نضجها وحكمتها للتوسط وفض الخصومات العائلية والنزاعات. ولازالت زاويتها إلى اليوم تقوم باستقبال المسافرين العابرين إلى عمق الوادي أو لعبور الفجاج نحو الجنوب، على أن ضيافتها لا تتجاوز ثلاثة أيام. ولم يكن لهذه الزاوية البسيطة تأثير قوي سواء على المستوى السياسي أو الديني، ذلك أن سنتي فاطمة كانت امرأة عادية تقية. انحصرت منجزاتها في الأعمال الخيرية فقط ولم تكن عالمة أو زاهدة، بل كانت ربة بيت خلفت عدداً من البنات فقط، وكان الناس يتفألون بها لأنها تجلب الخصب والبركة أيضاً حلت وإذا قدمت لزوارها طعاماً فإنه يكفيهم مهما قل، كما أن بركتها تحمي الأمن وتعاقب السراق وخائني الأمانة، فلا يخرج السارق من واديه سالماً حتى تحمل به مصيبة. وذلك حسب الروايات الشفوية الشائعة في أورिका. وزاويتها أقرب ماتكون إلى منزل عادي تضم غرفاً للمبيت وللخزن وكتاباً صغيراً لتعليم القرآن، ويتولى الآن تعليم القرآن به فقها، من أسباط سنتي فاطمة. وعندما توفيت دفنت بمقبرة كانت مخصصة لذوي المكانة الاجتماعية والدينية على سطح عال بالضفة اليمنى المقابلة لزاويتها، يحيط بها قبران لابنتيها سنتي عزو وسنتي إيجة. وتوارث أسباطها من ابنة أخرى تدعى سنتي ماما،

بسرير الواد ضاقت كثيراً بأشطته إذ لا تتعدى مساحتها 4.000 م<sup>2</sup> فلم يبق بها متسع لمزيد من الخيام والشاحنات والسيارات الخصوصية التي تتوافد بأعداد كبيرة من مراكش ومن مصطافات الوادي وللعمال المهاجرين الذين يطوفون بأسرهم لزيارة أرجاء المغرب السياحية المشهورة، فيبعده عن مراكش بـ 62 كلم من طريق سياحي مصرف يغري كل من صادفه تاريخ الموسم بمراكش بزيارته لسهولة الوصول إليه للتمتع بصيف الجبل المشهور باعتدال طقسه وجمال مناظره، ويتسبب الاكتضاض في توسيع مساحة أنشطة الموسم لتشمل مجرى الواد الذي يكون قليل المياه في هذا الفصل إذ تنتشر المعروضات والبسط والخيام من الضفة اليسرى المتصلة بالطريق إلى الضفة اليمنى، فيقوم المعينون ببعض الإصلاحات للمساحة المطلوبة وذلك بتكديس المزيد من الحجارة والمال ثم يقيمون منشآتهم، وهذا ما يهدد الموسم بخطر الفيضان، إلا أن الناس كانوا يؤمنون بحماية الولاية لموسمها ويدعون أن الأمطار الرعدية التي تتسبب في الفيضان لا تأتي إلا بعد نهاية الموسم. والواقع أنه غالباً ما تأتي بسبب الشفرة التي يحدثها تكديس الناس بأعداد كبيرة وإيقاد النار وإثارة الغبار في توازن الطقس بعالية الواد. ولمواجهة ضيق المكان صار كل ملاكي المدرجات القريبة من ساحة الموسم يتكرونها لإقامة خيام ربما للراحة أو بعض الأنشطة، غالباً ما تكون مظلة بأشجار الجوز أو الصفصاف وهذا ما يجعل بعضهم يتركها دون زراعة لأنه يريح من كرائها لضع ساعات أكثر مما يريح من زراعتها خضر أو حبوباً طيلة أشهر.

يكون الزوار الحضريون حوالي الثلث أكثر من نصفهم من المصطافين بواد أويكا ويكون الثلثان الأخران زوار واد أوريكا في الدرجة الأولى خاصة سكان عالية الواد، والباقي من سكان الأودية المجاورة ودير الحوز. ولازال يقصد الموسم وزيارة الضريح عدد من الفتيات مرتديات اجمل ملابسهن لإظهار زينتهن أملاً في الزواج خاصة من شباب خارج الوادي أملاً في إنقاذهم من مشاق الحياة القروية، كما تمتلئ زاويتها بنسوة لازلن متشبثات بطقوس الزيارة التقليدية.

لقد تحولت منطقة ستي فاطمة بموسمها وجمال مناظرها وطقسها وثرات سكانها إلى إحدى أهم المحطات السياحية التي تفتي النشاط السياحي المراكشي، تلقى إقبالاً متزايداً ليس فقط من الأوريكيين أو المراكشيين والحضريين عامة بل حتى من السواح الأجانب إذ تغد إليه سياراتهم 4 × 4 أو حافلات لقضاء بضع ساعات للفرجة على مظاهر الموسم والوادي. كما تتحول الزيارة الدينية والموسم التجاري إلى مجال سياحة شعبية يتعاش فيها الجليليون والحضريون من مراكش وغيرها في تناغم عاطفي وتفاهم فكري ولو لضع ساعات.

الجماعة القروية لستي فاطمة : تقع بعالية وادي

ويضع الموسم لترتيبات معينة ففي اليوم الأول تنصب الخيام ويشرف أعوان السلطة على توزيع المساحة بين أصحاب المقاهي والمطاعم ومختلف التجارات وباعة الحبوب وباعة البغال والمواشي والأدوات المنزلية من معدنية وفخارية وخشبية وزجاجية، ومقدمو الخدمات الشخصية : حلاقة سكافة خياطة لحام إصلاح الراديو والساعات، يشبه كل ذلك سوق أسبوعي متوسط ويدفع كل من أقام خيمة أو بساطاً أو زمتي بسيارة أو دابة ضريبة للجماعة القروية، وأحصت طالبة قامت ببحثها هنا في صيف 1997 : 252 تاجراً وعاملاً بمختلف الأنشطة منهم 84 تاجر للمواد الغذائية يتوزعون ما بين تجار محليين في التجارات الصغيرة وتجار وأفدين على المنطقة من مراكش وغيرها بالنسبة للتجارات ذات الرأس المال الكبير إذ أن عدداً منهم لهم شاحناتهم الخاصة وسياراتهم الكبيرة التي يحولونها إلى متجر متنقل لبيع مختلف المنتجات والأدوات، ويتوزع الكل بشكل عشوائي لا يراع فيه تخصص ولا تجانس البضائع وتقع نزاعات ومناورات على اختيار الأماكن المناسبة. تعتبر مراكش المزود الرئيسي للموسم بحوالي 70% من المعروضات وتساهم منطقة أوريكا بحوالي 30% تتمثل في الحضر والفواكه واللحوم والمنسوجات الصوفية والمواشي، فيكون الموسم مناسبة للشغل للعاطلين وناقصي التشغيل إذ يتحول كثير من القرويين إلى تجار ومزاوي أنشطة متعددة وعمال مقاهي ومطاعم وباعة متجولين ونقالين ... لكن بركة وهيبة الولاية الصالحة لا تسمح بالإبتدال الحلقي والأعمال الغير المشروعة. وفي مساء اليوم الأول تبدأ اهازيج أحواش وتجمعات حلايق المهجرين والمغنيين وأصحاب الوعظ الإرشاد وألعاب الحظ وطبخ العشاء لسهرة ليلية يحتفل بها شباب المنطقة تحت النجوم الساطعة لصيف الوادي. ويعرف اليوم الثاني أهم حدث هو ذبح القرابين المقدمة إلى الولاية وتبلغ العشرات فكل قبيلة أو مشيخة تقدم قرباتها وهي ذبائح من الماعز أو الغنم، ثم تطهى وتوزع للإستهلاك حسب أعراف قبيلة خاصة غالباً ما لا يستفيد من لحمها سوى مقدموها من زبناء القبيلة أو الدوار، وتبدأ عمليات الطهي الجماعي بدار الزاوية حيث يعجن ويطحى الحبز بأعداد كبيرة لكن منظر القدور على النار يفيض لينتشر على جنبات الوادي. أما اليوم الثالث فيعتبر يوم الزيارة يفتح فيه الضريح للزيارة والتبرك ويوزع به الحبز، ويودع الناس بصندوقه صدقات من النقود والشمع.

لقد صار السوق التجاري الترفيهي يستمر لمدة أسبوع، لرغبة السكان في إطالة مدة الاحتفالات والاستجمام وكذلك لصعوبة نقل الخيام والتجهيزات وما تبقى من المنتجات والبضائع إذ تعمل الشاحنات طيلة الأسبوع لإخراج الناس ومقتنياتهم من عمق الوادي.

ومن أهم المشاكل الحالية للموسم أن الأرض المستوية

وخشبها الجيد الذي يستعمل في صنع أدوات خشبية تمينة يبلغ عددها 55.000 شجرة. تعيش الزراعة هنا تحولات إيجابية تتمثل في استعمال الأسمدة والمبيدات والبدور المنتقاة لإنتاج المحضر خاصة البطاطس والبطاطم التي تعطي مردوداً جيداً :

40 ق / هـ بالنسبة للبطاطس و30 ق / هـ بالنسبة للبطاطم، يوجه معظم إنتاجهما إلى السوق الحضري كما يهتم المزارعون بزراعة الإجاص والكرز والبرقوق والتفاح خاصة الذي وجد في الأودية الباردة بيئة مناسبة. ويلاحظ أن اللفة اليسرى أوسع كثيراً من اليسرى إذ تساوي ثلاثة أضعاف مساحة اللفة اليمنى ولهذا أنشئ بها الطريق المرصف كما تقوم بها جل القوى والمنشآت السكنية والسياحية والبساتين خاصة الحديثة التي يكونها الحضريون وتعتبر تربية المواشي نشاطاً أساسياً مكملاً للزراعة إذ تمدها بالأسمدة الطبيعية وتجد الأغنام والماعز في السفوح المخضرة والمكسوة في معظمها بغطاء غابوي كثيف مجالا رعوياً جيداً كما تجد الأبقار في سرير الواد وفي بقايا الزراعة المسقية تغذية لا بأس بها مما جعل السكان يساهمون في تكوين تعاونيات لإنتاج وتسويق الحليب ويقدر قطع المواشي حالياً بالجماعة. الأبقار 2.000 رأس الأغنام : 5.000 رأس الماعز : 9.000 رأس. وقد تراجعت أعدادها كثيراً لإصراف الجيل الجديد من الشباب عنها إلى الأنشطة الحديثة المتربطة خاصة بالسياحة والتجارة والهجرة.

عرف وادي أوركا في العقود الأخيرة ازدهار الأنشطة السياحية وتكاثر الإقامات والمقاهي والمطاعم والدكاكين والفنادق الشعبية والمصنفة، كما أنشأ القرويون عدد كبيراً من دور الكراء للمصطافين خاصة بجوانب الواد والطريق وانعكس ذلك على الاقتصاد المحلي بتكاثر المباني الجديدة ومختلف المنشآت السياحية، مما ضايق الطريق والواد وشوه المنظر في بعض المقاطع، وتتمت البنية التحتية، فقد وصلت شبكة الكهرباء والهاتف إلى جل القرى وإلى كل دواوير حوض ستي فاطمة ويبلغ عدد الأسر المستفيدة من الكهرباء بالجماعة 31% كما انتشرت أقسام المدارس بكل القرى إلى أن وصل عددها الخمسون وصار يعقد بها سوقان أسبوعيان : سوق الخميس أغبالو : أنشئ منذ 1964 قرب قرية أغبالو 597 ن تبلغ مساحته 1.863 م<sup>2</sup> يمتد فوق مدرج يرتفع عن مجرى الواد بعشرين متراً يرتبط بالطريق بسهولة، به عدد من الدكاكين ومنشآت متنوعة : مستوصف مدرسة مركز الجماعة والقيادة يساهم في حركته 120 تاجراً لكن هذا العدد ينقص كثيراً في فصل الشتاء، لا يقيم منهم في مباني من التراب ونادراً من الإسمنت إلا أصحاب المقاهي والجزارة وبعض البقالة أما الباقي فيكتفي بخيام وسط وأكواخ. وتعتبر مراكش أكبر مزود للسوق سواء بالمنتجات المصنعة أو المحضر والفواكه والدقيق،

أوركا وروافده العالية : تنزار وتيفني وأغنس و أومنزال وآيت أوشك بالسفح الشمالي للأطلس الكبير المراكشي تنبع من منطقة صخور غرانيتية صلبة تتخللها فوالق عديدة وأحياناً صخور هشة من البرموترياس فنتسج الوديان مكونة أحواضا عريضة نسبياً من أهمها مقطع ستي فاطمة حيث يتسع الوادي وتكثر به المدرجات الزراعية والقرى. بينما تفصل الأودية وتشرف عليها قمم عالية من صخور صلبة بلورية يقدر معدل الأمطار السنوية بـ 760 ملم وتتساقط الثلوج بكثرة خاصة بالقمم والأودية العالية مما يجعل واد أوركا أغزر وديان الأطلس الكبير الغربي، معدل صيبه السنوي 180 مليون م<sup>3</sup> إذ لا يحف مجراه أبداً، وإن كانت المياه تتناقص كثيراً خاصة في سنوات الجفاف ويتقلص معدل صيبه الصيفي إلى 1.5 م<sup>3</sup> / ث لكنه يصل في بعض أيام الفيضان الربيعي إلى 1.000 م<sup>3</sup> / ث وأكثر. تتميز تضاريس الجماعة ومناخها بطغيان الطابع الجبلي المعروف بالأطلس الكبير الغربي ولا زالت تحظى بغطاء غابوي جيد يتكون أساساً من البلوط الأخضر والثريا والعرعار الأحمر بسافلته ويقايا من غابات العرعار الفواح بعاليته.

تبلغ مساحة الجماعة 180 كلم<sup>2</sup> وهي تابعة لقيادة أوركا دائرة تاحوت بإقليم الحوز، تنقسم إلى أربع فحدات هي أماسين وتيمينكار وآيت أوشك وستي فاطمة - تمشي التي تتعمق بالأودية العالية، أما فحدة أوكايمدن فقد انفصلت وتحولت إلى جماعة جديدة. ويتميز حوض تيمشي حيث تستقر قبيلة آيت بزغمي ببرودته الشديدة شتاءً إذ تحاصره الثلوج من كل الجهات. يبلغ سكانها 20.526 ن (1994) يتوزعون على 59 دواراً أكبرها أنامر آيت أوشك 1.089 ن ينتمي السكان لقبيلة أوركا التي أشار المؤرخون إلى وجودها بهذا الوادي منذ حكم الموحديين وهم من البربر المصامدة، مزارعو الأشجار أو بلاد البرودة : زصيد عاشوا في نزاعات مزمنة مع قبيلة مسفي، القوة عدداً والمقيمة بالواد المجاور : الزات وقد تمكنت في القرون الأخيرة من الاستيلاء على كل منطقة دير واد أوركا حيث توجد مدينة اغمات كما استولوا على بعض زوديتها العالية : أوشك وتيمشي لكنهما أو عبداً إلى قيادة أوركا بعد الإستقلال.

الفلاحة : عندما يتسع الوادي تتعدد المدرجات على سفوحه فتزدهر الزراعة المسقية خاصة الأشجار المثمرة وأهمها الجوز والخضر والحبوب والأعلاف وهذا ما تحقق في عدد من مقاطع الوادي أهمها منطقتي ستي فاطمة وأغبالو وتقدر مساحة الأراضي الصالحة للزراعة بجماعة ستي فاطمة 1.270 منها 940 من أراضي البور ببعض السطوح والمدرجات العالية تزرع بالحبوب خاصة الشعير، و330 هـ مدرجات مسقية بسيرير الوادي والمدرجات السفلى. وأهم أشجار المنطقة هي أشجار الجوز التي تتميز هنا بشمارها

السَّيْفِ أو العليق أو التوت الشوكي بالعربية أو أنجيل أو أسنان إرمان أو سمر أو تابغا بالأمازيغية أو الرونس Ronce بالفرنسية هي أسماء لنبات رويوس أوليفوليوس Rubus ulmifolius الذي ينتمي إلى فصيلة الورديات Rosaceae. وقد ذكره ابن البيطار والوزير الغساني وغيرهما تحت اسمي التوت الوحشي وشجرة موسى. وتجدد الإشارة إلى أن هذا الاسم الأخير "شجرة موسى" هو الذي يطلق على نبات السيف الذي مازال يعيش في دبرطور سيناء في حجر جبل موسى عليه السلام.



السيف شجرة لبلابية قائمة ومضطجعة أو زاحفة ومزودة بأشواك مقوسة. براعمها الأرضية قائمة ثم مقوسة ومتدلية وفضية اللون، ومزودة بأشواك صلبة ومقوسة. أوراقها في وضع متبادل ومنقسمة إلى ثلاث أو خمس وريقات معنقة وذات الوجه العلوي أملس وبدون زغب، والوجه السفلي ويري وذو لون أبيض، شكل الوريقات بيضوي أو بيضوي منعكس. تظهر الأزهارات على شكل عناقيد إبطية أو طرفية على البراعم الأرضية. تشمل كل زهرة على خمس سبلات بيضاء ووبرية، وخمس بتلات وردية تنساقط بسهولة. الأسدية وأقلام السمة عددها كبير. الثمار توتية مركبة متجمعة، تكون خضراء بعد سقوط البتلات ثم تحمر قبل أن تسود عند نضجها. يعيش السيف بریا في جنوب أوروبا وآسيا الغربية وشمال إفريقيا والجزر الخالدات، والأصور وماديرا.

يصادف السيف طبيعياً في جل البيومناخات المغربية ما عدا الجافة منها والصحراوية، وفي جل الطوابق النباتية باستثناء فوق الجبلي المتوسطي. يفضل السيف الأماكن الرطبة وضاف الوديان حيث تكون الأتربة سميكة وغنية بالدبال، فيشكل أدغالا شديدة الكثافة. أما في الغابات الرطبة مثل غابات الأرز والشوح، فإنه يصادف بصفة متناثرة مع الأنواع النباتية الأخرى.

تؤكل ثمار السيف طازجة أو تستعمل في صناعة المربيات. كما تستعمل أوراقه في التطبيق التقليدي لتضميد الجروح.

ونظراً لارتباط السوق بالطريق المرصف فإن جل المتسوقين صاروا ينتقلون عاى وسائل النقل الآلية خاصة الشاحنات وسيارة النقل الغير مرخصة. مما جعل أعداد البيغال تتراجع لما تكلفه تغذيتها من شعير صار إنتاجه قليلا، وقد بلغ عددها بالجماعة حوالي 200 بغل.

يعقد يستي فاطمة سوق جديد يوم الأحد بالساحة التي يتعقد بها الموسم أي بسرير الواد ورغم انعدام المباني به لتعذر بنائها هنا فإن السوق يعرف نشاطا مهما لأنه تباع به المواشي دون السوق الأول وكذلك الحبوب التي يحتاجها السكان لنقص إنتاجها هنا. ومما يضعف أهمية السوقين تواجد دكاكين كثيرة لمختلف المنتوجات والبضائع على طول الواد والطريق الذي تحولت بعض مقاطعه إلى ما يشبه الشارع وحركية السكان الكبيرة التي تقودهم مراراً إلى مراكز حيث يجدون كل شئ أكثر وفرة.

عرفت الأنشطة السياحية بأوركا انطلاقة قوية منذ عقود تزداد منشآتها (ذكرت مصالح وزارة الداخلية أن عدد المصطافين بالوادي في هذا اليوم بلغ حوالي 30.000 لكن معظمهم يرجع مساء إلى مراكز وعدد المتوافدين عليها سنة عن سنة، لا أن فيضان 17 غشت 1997 الذي خرب عدداً كبيراً من منشآت السياحة خاصة المجاورة للواد، ومقاطع مهمة من الطريق وحطم مآت السيارات وأودي بحياة المآت من الزوار خاصة من الشباب المخيمين في بظفاف الواد. ألقى ظلالات من الشك حول مستقبل السياحة بهذا الوادي إذ صارت أوركا منطقة خطيرة في ادهان الكثير من الناس فعرضت الإقامات للبيع، ومنعت السلطة التخييم بجانب الواد وكذلك البناء وصارت تفرض شروطا معمارية وتقنية خاصة على بناء فتراجع الإقبال سواء من طرف الزوار أو المستثمرين لكن ذلك كان مؤقتا فقط إذ سرعان ما عادت الحياة والحركة والنشاط رلى وادي أوركا لجاذبيته السياحية التي لا تقاوم من طرف كل من زاره وتمتع بجمال بيئته، كما أن تدخل السلطة بتقلها بكل أجهزتها التقنية والتنظيمية ساعد على إعادة تنظيم المنشآت السياحية وحماية البيئة من الثلوث وحماية الزوار من أخطار الفيضانات المحتملة مستقبلا. والعناية ببناء الطريق السياحي وتجميله بإزالة كثير من أنقاض المباني التي تحجب رؤية الواد والإكثار من محطات وقوف السيارات مما أعاد إنعاش الاستثمارات السياحية.

زيارات وبحوث ميدانية؛ بحوث طلبة الجغرافية بكلية الآداب مراكز، مقياس فاتحة، من الزيارة الدينية إلى السياحة الشعبية، نموذج موسم ستي فاطمة، 1997، 1998؛ عبد الرحمن وعز، دور الأسواق في تنمية الاقتصاد الجبلي، سوق خيس أغبالو لوادي أوركا، 1995، 1996؛ رقية آيت إبراهيم، الفاعلون في التنمية المحلية، نموذج جماعة ستي فاطمة، 1999، 2000؛ تحليل خرائط طبوغرافية وإحصائيات السكان، وزارة التخطيط.

P.N.U.D., Etude monographique de la province d'Al Haouz, 1987 ; P. Pascon, Le Haouz de Marrakech, Rabat, 1982.

أحمد هوزالي



لكن أكثر استعمالات الستيف هي تشكيل الأسبحة الحية التي يستحيل اختراقها من طرف الحيوانات الكبيرة والإنسان وذلك نظراً لكثرة أشواكها. ولهذا الغرض يتم إكثار النبات بواسطة العقل والبراعم الأرضية التي تتجذر بسهولة كبيرة وتنمو بسرعة فائقة.

إضافة إلى هذا النوع البري الطبيعي نجد أنواعاً أخرى من نفس الجنس أدخلت في بعض المناطق من الهضبة الوسطى لإنتاج كميات قليلة جداً من التوت الشوكي الذي يسمى فرامبواز Framboise بالفرنسية.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée maroaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997 ; Abdelmalek Benabid, *Flore et écosystème du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 2000.

عبد المالك بعبيد

### الستوتي، علال بن مرزوق قائد كان يرأس

جماعة من المجاهدين ما قبلته أولاد ستوت انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي تزعمها الشريف محمد أمزيان ضد التدخل العسكري الإسباني بناحية الناظور، وشارك في عدة معارك إلى أن سقط أسيراً بيد الإسبان في المعركة التي جرت بسوق الخميس بقبيلة بني بوفورور يوم 30 سبتمبر 1909 حيث أجريت له محاكمة عسكرية بتهمة أنه كان من بين المجاهدين الذين كانوا بالمكان الذي قُتل فيه الجنرال دييث فيكاريو Diez Vicario وظل بسجن مليلية إلى غاية سنة 1934.

أعمال ندوة الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة الشمال الشرقي (1909-1912)، تطاون، 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

### ستيتو (ابن -) عمر بن عمر، مقاوم من مواليد

سنة 1910 بدوار تامجوت ملحقة أجدير دائرة أكنول بإقليم تازة، انخرط في صفوف جيش التحرير غداة تأسيسه بالمنظمة الشمالية بجبال الريف وعمل ضمن التشكيلة التي كان يرأسها محمد بن علال بمركز اسويل ببورد.

وقد ضل يجاهد ضمن فرقته بكل إخلاص وتفان شارك في عدة معارك وهجومات أبان فيها عن شجاعة نادرة نذكر منها هجوم بورد وآخر على مركز بوزينب، إلى أن استشهد يوم 15 أكتوبر 1955 ببوزينب.

الندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 504897.

### أبو سجدة علي بن أبي القاسم السنجاني اشتهر

بكنيته أبو سجدة، من رجال القواسم، أحد فروع بيت المشترايين المصامدة المعروف في دكالة (أسفي، 17 - 18 ؛ دكالة، 70 - 72) أخذ التصوف عن الشيخ أبي يحيى النيار

من بني أمغار (دوحة، 102). وكان ذلك في دكالة نفسها، ولاشك، إن لم نقل في تيط، مقر الأمغارين منذ القديم. يستفاد ذلك من رواية شفوية تقول بأن أبا سجدة كان في أوليته، مؤذناً في مسجد رباط تيط، قبل سقوطها في يد المحتلين البرتغاليين. وبعد احتلالها عام 919 / 1513، رحل عنها فيمن رحل، ونزل في بولعوان بدكالة، ثم انتقل إلى الشاوية، وبعدها إلى مراکش.

وذكرت مصادر أخرى أن أبا سجدة سلك طريق القوم على يد الشيخ عبد العزيز التباع، رفيق أبي يحيى النيار الأمغاري في صحبة الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (متمتع، 46). بينما قالت أخرى إنه من أصحاب الشيخ عبد الله الغزواني، تلميذ التباع وخليفته (البتهاج، 376). لكن، مهما كان الشيخ الذي استند إليه أبو سجدة، فالمهم أنه جزولي الطريقة والسند، لأن أولئك الشيوخ الثلاثة جميعاً من كبار أتباع الطريقة الجزولية، بل من كبار رجال طانفتها، ومن الرعيل الأول من المنتسبين إليها.

وقد بلغ أبو الحسن السنجاني في الطريقة الجزولية، بدوره، مقام الأولياء الكبار (دوحة، 101 - 102). وامتاز في جزوليته، عن باقي رفاقه فيها، بصفات خاصة، عبر عنها ابن عسكرو بقوله: "ولي الله تعالى أبو الحسن علي ابن أبي القاسم السنجاني المعروف بأبي سجدة، لأنه كان يقطع الليل كله بسجدة واحد" (دوحة، 101 - 102). وقيل، في توضيح هذه الخاصية، إنه "كان إذا صلى فسجد غاب، فلم يرفع رأسه ولم يزد عليها. ولعل ذلك، يقول محمد المهدي الفاسي، في صلاة الليل، وفي النافلة، لا في الفريضة. فيكون هو معنى قوله في الدوحة: يقطع الليل كله بسجدة واحدة، لا يزيد عليها، فيرجعان إلى وفاق" (متمتع، 46). "ويذكر في نفس الموضوع أن إخوانه أو أخاً له، قال له: إنك لتفسد الصلاة، فأريد أن أستفتي فيك، وأسألك عن أمرك. فقال له: من تستفتي؟ قال له الفقهاء. فقال أنا ما تشي بجلتي إلى البرادعيين. ويحكى أنهم تركوه حتى سجد، فأثوا بالخيال وجعلوها تحت حصيره، وجعلوا يرفعونه فلم يقدرُوا" (الإعلام، 9 : 183).

ويفيد هذا في القول بأن أبا سجدة كان من كبار العباد في الطائفة الجزولية، الأمر الذي مكنته من بلوغ رتب عليا في طريق القوم الصوفية، بل رفعه بعض تلامذته إلى مقام القطبانية (دوحة، 102). كما ساعده ذلك على تحقيق شعبية واسعة في مراکش، فقصده المتشوفون إلى التصوف الجزولي. وهب إليه عامة الناس ممن يسعى إلى البركة. بل يذكر البعض أن أبا سجدة كان له آلاف الأتباع من الجن أيضاً (دوحة، 102).

وقد جعلت له هذه الشعبية دالة على أولي الأمر في المغرب في زمانه، ونعني هنا زمن حكم الأشراف السعديين الأوائل في المغرب في بداية القرن العاشر (16م). وفي هذا

الصدد قيل عنه إنه : "كان كبير الشأن عظيم القدر، وكان إذا دخل على ملوك وقته لا يزيد في تحيته شيئاً على لفظ السلام، ويغلق لهم في القول إذا أمر بمعروف أو نهى عن منكر" (الإعلام، 9 : 183).

هذا، وكانت وفاة أبي الحسن علي بن أبي القاسم السنجاني المدعو بوسجدة عام 946 / 1540 ، وقيل 951 / 44 . 1545 ، ودفن بسور الحجر، على مقربة من جامع الكتبيين في مراكش (دوحة، 102 : الإعلام، 9 : 183 - 184). وقد خلف ذرية كبيرة اشتهر بعضهم بالتصوف مثله، أشهرهم على الإطلاق : سيدي إسماعيل دفين وسط دكالة، ومولاي الطاهر القاسمي، دفين نفس المنطقة.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1400 / 1980 . الجزء التاسع : م. ابن عسكر، دوحة الناشر، تح. محمد حجي، الرباط، 1977 : أ. بوشرب، دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء أسفي وأزمور، الدار البيضاء، 1985 : ع. الرحمن الفاسي، ابتهاج القلوب، تح. حفيفة الداوي، د.د.ع. مرقونة بكلية الآداب بالرباط؛ م. العربي الفاسي، مرآة المحاسن، طبعة حجرية بفاس، 1324 / 1906 : م. المهدي الفاسي، ممتع الأسماع، طبعة حجرية بفاس، 1313 / 1896 : محمد الكانوني، أسفي وما إليه قديماً وحديثاً، مصر، 1353.

أحمد الوارث



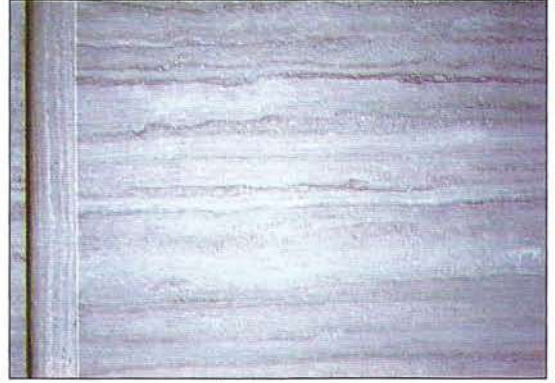
رخويات (في الماء)  
انظر صفحة 4324



رخام (كرانيت)  
انظر صفحة 4320



رخويات  
(يعرضها صياد)  
انظر صفحة 4324



رخام (طرافيرطان)  
انظر صفحة 4321

رصاص  
انظر صفحة 4360



الرخمة  
انظر صفحة 4323







الروبيو  
انظر صفحة 4464



الرعادة  
انظر صفحة 4373



الروحي  
انظر صفحة 4465



الرمان  
انظر صفحة 4442

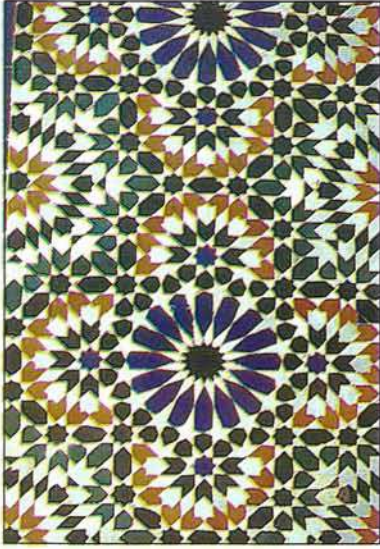
ضايه رومي  
انظر صفحة 4496



الرنده  
انظر صفحة 4449



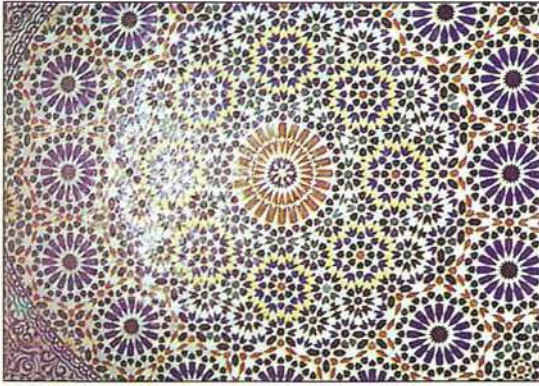




الزليج  
العملُ العنكبوتي  
انظر صفحة 4700



زعتَر  
انظر صفحة 4658



الزليج  
العملُ السطاشي  
انظر صفحة 4700



زعتِرة  
انظر صفحة 4659



الزليج  
العملُ بالقطيب  
تحيطُ به 8 وردات  
انظر صفحة 4700



زنجور  
انظر صفحة 4720





الزنگ  
انظر صفحة 4721



أشجار زيتون  
انظر صفحة 4775



وادي زيز  
انظر صفحة 4789



غصن زيتون  
انظر صفحة 4776



السالمية  
انظر صفحة 4821

غابة زيتون  
بضاحية وزان  
انظر صفحة 4777





- SIJILMASSI, M., *La Peinture marocaine*, Paris, 1972.
- SIRAJ, A., *L'Image de la Tingitane : l'historiographie arabe médiévale et l'antiquité nord-africaine*, Rome, 1995.
- SPILLMANN, G., *Du protectorat à l'indépendance, Maroc, 1912 - 1962*, Paris, 1967.
- SIRJACOBS, M., *Les Cultures protégées au Maroc : choix des régions climatiquement favorables*, H.T.E., 1986.
- STOUKY, A., *Baghdad Benas*, Rabat, 1980.
- TARRADELL, M., *La Necropolis punico-mauritana de San Lorenzo en Melilla*, Congr. Arch. de Marruecos, esp. Tetuan, 1954.
- TAILASSANE, M., *Le Massif du Zerhoun et ses bordures est et nord-est au nord du Saïs, Fès et Meknès : étude géomorphologique*, Th. 3e cycle, Rabat, 1986.
- TAUXIER, H., *Les Variations de sens des mots Berber, Roum, Afarek, Béranés, Botr, Mazigh et Frank*, R.A., n° 133, 1879.
- TENKOUL, A., *Littérature marocaine d'écriture française*, Casablanca, 1985.
- TERMIER, H. et G., *Mode de gisement des basaltes, permo-triasiques au Maroc*, B.S.S.G., vol. XIX, 1949.
- THOUVENOT, R., *Le Culte de Saturne en Maurétanie Tingitane*, R.E.A., 56, 1954.
- TORRELLA, M. G. DE, *Milicias cristianas en Berberia*, Bol. de la Soc. Arqueol. Lusitana, vol. 34, 1973.
- TORRES BALBAS, L., *Ribatas hispano - musulmanas, al-Andalus*, XIII.
- TOUTAIN, *Les Cultes paiens dans l'Empire Romain*, Paris, 1967, T. 3.
- VAJDA, G., *L'Aventure tragique d'un cadî maghrébin en Egypte fatimide*, Arabica, T. XV, Fasc. 1, Fév. 1968.
- VAN BERCHEM, *Titres califiens d'Occident*, J.A., 1907, T. 9.
- VAUDOUR, J., *Travertins et croûtes calcaires*, Bull. Assoc. Geog. Fran., 1981.
- VIDAL, J. C., *Strucure actuelle et évolution depuis le miocène de la chaîne rifaine (Partis Sud de l'Arc de Gibraltar)*, Bull. Soc. geol. Fr., T. 19, n° 4, 1977.
- VILLARD, F., *Céramique grecque du Maroc*, B.A.M., 4, 1960.
- VOINOT, L., *Oujda et l'Amalat*, Oran, 1912.
- WEISROCK, A., *Géomorphologie et paléoenvironnement de l'Atlas atlantique*, Th. : Paris : 1986.
- YEOMAN, R. S., *A Catalog of modern wored coin, 1850 - 1960*, USA, 1972.
- ZAANOUN, E., *La Confédération des tribus Aït Warain : étude géographique de l'évolution d'une tribu berbère*. Th. 3e cycle : Geo. : Paris VII.
- ZERYOUMI, I., *Systèmes et pratiques de captage traditionnels des eaux au Maroc (Ronéot.)*, 1983.



- MOREL, J. P., *Les Céramiques à vernis noir du Maroc, Antiquités Africaines*, 2, 1968.
- MOREL, J. P., *Kerkoine ville punique du Cap Bon, Antiquités Africaines*, 1969.
- MOREL, J. P., *Les Niveaux préromains, Thamusida I, Collection de l'Ecole française de Rome, Supplément 2*, 1965.
- MORESTIN, P. M., *Le Dieu au chef cornu de Banasa, H.T, II, fasc. 2. 3*, 1961.
- MORSY, M., *Le Coût d'une ambassade anglaise au Maroc au 18e S. Cahiers de la Méditerranée*, n° 11, déc. 1975.
- MORSY, M., *Moulay Ismail, 1673 - 1727 ou l'instauration de l'état alawite*, in *Les Africains*, Paris, 1977, vol. 4.
- MOULIERAS, A., *Une tribu zénète anti-musulmane : les Zkara, B.S.G.A. Oran*, vol. 23, Fasc. 97, Oct.-Déc. 1903 ; vol. 24, Fasc. 100, Juil-Sept. 1904 ; vol. 25, Fasc. 102, Janv.-mars, 1905.
- MOULIERAS, A., *Une tribu zénète anti-musulmane : les Zkara*, Paris, 1905.
- MOUZOUNI, L., *Le Roman marocain de langue française*, Paris, 1987.
- MURRAY, G., *L'Esclavage dans le monde arabe, VII - XXe S*, Paris, 1987.
- NAAMOUNI, K., *Le Culte de Bouya Omar*, Casablanca, 1993.
- NACIRI, G., *Etude géomorphologique de la cuvette Romani et ses bordures nord et sud*. Th. 3e cycle, Rabat, 1987.
- NICOD, J., *Facteurs physico - chimiques de l'accumulation des formations travertineuses : essai de synthèse*. Médit., 1 - 2, 1986.
- NOGALES, G., *Averroes : Epitome de anima*, Madrid, 1985.
- OUHAJJOU, L., *Espace hydraulique et société : les systèmes d'irrigation dans la vallée du Draa Moyen (Maroc)*. Th. 3e cycle, Géo, Montpellier III.
- PASCON, P., *Théorie générale de la distribution des eaux et de l'occupation des terres dans le Haouz de Marrakech*, R.G.M., n° 18, 1970.
- PASCON, P., CHICHE, J., *La Question hydraulique. I. Petite et moyenne hydraulique au Maroc*, Rabat, 1984.
- PERENNES, J., *Le Maroc à porté du million d'hectares irrigué. Monde arabe, Maghreb, Machrek*, n° 173, 1992.
- PERES, M., *Précis d'océanographie hydrologique*, Paris, 1976.
- PONSICH, M., *Le Temple dit de Saturne à Volubilis, B.A.M.*, 10, 1976.
- POSACMON, C., *Monedas punicas e hispano - romanas halladas en Ceuta, Tamuda*, V, 1958.
- POSACMON, C., *Monedas romanas imperialas halladas en Ceuta, Tamuda*, V, 1957.
- POURTAUBORDE, *Documents politiques et sociaux : l'Office de l'Irrigation au Bani Amir et Bani Moussa*. Encyclopédie mensuelle d'Outre-Mer, Juin 1954.
- PUIG, J., *Averroes : Epitome in physicorum libros*, Madrid, 1983.
- QAROUCHE, M., *La Croissance de l'agriculture marocaine*, Casablanca, 1988.
- QUEIROZ VELLOSO, I. M. DE, *Don Sebastian*, Madrid, 1943.
- REBUFFAT, R., *Histoire de l'identification des sites antiques du Maroc, Africa Romana*, 13, 2000.
- REFFAS, A., *L'Organisation urbaine de la péninsule Tingitane*, Doct. Etat : Paris I : 1993.
- REVAULT, J. [et al...], *Palais et demeures de Fès*, Paris, 1992, 3 vol.
- RICARD, R., *La Côte atlantique du Maroc au début du 16e S., d'après les instructions nautiques portugaises*, Hesp., 1927.
- RIVIERE, P.L., *Traité, codes et lois du Maroc*, Paris, 1924.
- ROBAUX, A., *L'Eau et la vie dans le sud marocain*, R.G.M, n° 1 et 2.
- ROBET, J. T., *Dictionnaire des villes et localités du Maroc*, Rabat, 1936.
- ROCHES, L., *Trente deux ans à travers l'Islam, 1832 - 1864*, Paris, 1885.
- ROUGIER, C., *Alteration pédogénèse et paléo-pédogénèse sur massif granitique des Zaer (Maroc central)*, Th. 3e cycle : Bordeaux I : 1985.
- ROUSSELLE, M., *Médecins, chirurgiens et apothicaires français au Maroc, 1577 - 1907*, Paris, 1996.
- SALVADOR, *Guía de los anfibios y reptiles españoles*, Madrid, 1974.
- SAINT-AULAIRE, C., *Confession d'un vieux diplomate*, Paris, 1953.
- SAN ROMAN, Fr. A. de, *Jornada y muerte del Rey Don Sebastian*, Valladolid, 1603.
- SASSON, A., *Recherches écophysiologiques sur la flore bactérienne de sol des régions arides du Maroc*, Tanger, 1937.
- SCHMITT, P., *Le Maroc d'après la géographie de Claude Ptolémée*, Th. 3e cycle : Tours : 1973.
- SESTON, W., EUZENNAT, M., *La Citoyenneté romaine au temps de Marc - Aurele et de commande d'après la Tabula Banasitana*, C.R.A.I, 1961.
- SESTON, W., EUZENNAT, M., *Le Dossier de la chancellerie romaine : la Tabula Banasitana : étude de diplomatie*, C.R.A.I, 1971.

- LEVI-PROVENÇAL, E., *Maghrawa, E.I.*, 1ère éd., 1936, vol. 3.
- LEWIS, W., *Journey into Barbary : Morocco writting and drawings*, Santa Barbara, 1983.
- LLORIS, D., RUCABADO, J., *Guide d'identification des ressources marines du Maroc*, Rome, 1998.
- LOUBIGNAC, V., *Textes arabes des Zaer*, Paris, 1952.
- LOZET, J., MATHIEU, G., *Dictionnaire de science du sol : technique et documentation*, Paris, 1990.
- LUCAS, J., *La Transformation des minéraux argileux dans la sédimentation : étude sur les argiles du trias*, *Mem. Serv. de la carte géol. Als et Lorr.*, n° 23, 1962.
- MACKENZIE, D., *The Khalifate of West*, London, 1911.
- MADELUNG, W., *Al-Mahdi, E.I.*, Nlle éd., vol. 5.
- MAHJOUBI, A., *Les Origines du mouvement national tunisien, 1904 - 1934*, Tunis, 1982.
- MAJDOUB, M., *La Maurétanie et ses relations commerciales avec le monde romain, Africa Romana*, 11, 1996.
- MAJDOUB, M., *Nouvelles données sur la datation du Temple C à Volubilis, Africa Romana*, 10, 1994.
- MAJDOUB, M., *Octavius et la Maurétanie, Africa Romana*, 13, 2000.
- MAJDOUB, M., *Pompeus Magnus et les rois maures, Africa Romana*, 12, 1998.
- MANEVILLE, *Les Problèmes de l'eau dans la région de Berkine, B.S.G.M.*, n° 3 - 4, Juil.-oct., 1936.
- MARÇAIS, G., *Note sur le ribat en Berbérie, Mélanges d'Histoire et d'Archéologie de l'Occident musulman*, Alger, 1957, vol. 1.
- MARÇAIS, G., *Oujda, E.I.*, 1ère éd., 1936, vol. 3.
- MARGAT, J., *Note sur la morphologie du site de Sigilmassa, Hesp.*, 1959.
- MARIN, M., *El Ribat en al-Andalus y en Norte de Africa, la Rapita Islamica*, San Carles de la Rapita, 1993.
- MARION, J., *Note sur la contribution de la numismatique à la connaissance de la Maurétanie Tingitane, Antiquités Africaines*, I, 1967.
- MARION, J., *Les Trésors monétaires de Volubilis et de Banasa, Antiquités Africaines*, 12, 1978.
- MARION, J., *Les séries monétaires de Tingitane, B.A.M.*, 4, 1960.
- MARTY, P., *Zaouia de Sidi Ben Achir à Salé, R.E.I.*, I, 1933.
- MASCARENHAS, D. J. de., *Histoire de la ciudad de Ceuta*, Coimbra, 1918.
- MATHIEU, L., *La Géomorphologie et la géologie quaternaire comme bases fondamentales pour une juste définition et une cartographie rapide des sols et des milieux : application dans la province de Taza (Maroc), et dans la cuvette d'Andapa (Madagascar)*, Thèse Fac. Sc. Agro, Gembloux, Belgique, 1977.
- MATHIEU, R., *Les Sédiments du plateau continental du Maroc atlantique entre Dar Bouazza et Mohammadia, Bull. Inst., Pêches Marit.*, n° 16, 1986.
- MAURAN, Dr., *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1909.
- MAYNE, P., *A Year in Marrakech*, London, 1990.
- MEMMES, A., *Signification et interculturalité*, Rabat, 1992.
- MICHAUX-BELLAIRE, E., *Conférence sur les confréries religieuses du Maroc, A.M.*, vol. 27, 1917.
- MICHAUX-BELLAIRE, E., SALMON, G., *Quelques tribus arabes de montagnes de la région du Habt, A.M.*, 17, 1911.
- MILIAVSKAYA, S.T., *Connaissance sur l'Afrique en Russie au 18e S.*, in *Russie et Afrique*, Moscou, 1966.
- MINISTERE DES PECHES MARITIMES, *La Mer en chiffres*, Rabat, 1999.
- MINISTERE DE L'AGRICULTURE, DU DEVELOPPEMENT RURAL ET DES PECHES MARITIMES, *Colloque national de l'agriculture et du développement rural, Rabat, 19 - 20 Juillet 2000*, Rabat, 2000.
- MINISTERE DE L'AGRICULTURE, ET DE MISE EN VALEUR AGRICOLE, *Stratégie de développement des terres de parcours au Maroc : Schéma directeur d'aménagement des parcours*, Rabat, 1995.
- MIRANDA, F. de., *Diario*, Madrid, 1939.
- MONARION, F., *Exploracion ocenografica del Africa occidental desde el Cabo Ghir y Cabo Juby, Inst. Esp. Ocasnavy*, n° 20, 1947.
- MONSEMPES, *Contribution à la connaissance d'une tribu : les Zkara, C.H.E.A.M.*, Paris, 1955.
- MONTAGNE, R., *La Civilisation du désert*, Paris, 1947.
- MONTAGNE, R., *Coutumes et légendes de la côte berbère du Maroc, Hesp.*, IV, 1924.
- MONTET, E., *L'Histoire des religions au congrès des orientalistes d'Alger, Revue de l'Histoire des Religions*, vol. 52, 1905.
- MONTET, E., *Les Zkara du Maroc : un problème religieux, Revue de l'Histoire des Religions*, vol. 52, 1905.
- MORALES, B., *Jornada de Africa del Rey Don Sebastian de Portugal*, Sevilla, 1622, Madrid, 1889.
- MORCHID, A., *Potentialités de développement des cultures sous abris serres dans la zone cotière du périmètre du Gharb, Mem. 3e cycle, I.A.V. Hassan II*, Rabat, 1999.
- MOREL, J. P., *Céramiques d'Hippone, B.A.A.*, I, 1967.

- GONTARD, M., *Violence du texte*, Paris, Rabat, 1979.
- GOUBERT, P., *Ceuta byzantine ou Wizigothique ? in Misc. Lania Puig I Cadalach*, Barcelone, 1947 - 1951 ?
- GOUBERT, P., *L'Espagne byzantine, rev. et. byz.*, IV, 1946.
- GRILLON, P., *La Correspondance du Consul Louis Chénier, 1767 - 1782*, Paris, 1970.
- GUERRERO AYUSO, V. H., *Una aportacion al estudio de las anforas Mana C.*, *Archaeo-Nautica*, 6, 1988.
- GUILLEN, P., *Les Emprunts marocains, 1902 - 1904*, Paris, 1972.
- GUITARD, C., *Recherches sur Saturne : des origines à la Réforme de 217 Av. J.C.*, in *Recherches sur les religions de l'Italie antique*, Genève, 1976.
- HALIM, A., *Le Capitalisme agraire au Maroc*, Th. Paris VII, 1986.
- HAMDI, A., LACIRIGNOLA, C., *An overview of protected agriculture in the mediterranean region*, Agadir, 1993.
- HART, D.M., *Notes on the Rifain community of Tangier*, *The Middle East Journal*, 1957.
- HESNARD, A. [et al...], *Aires de production des gréco-italiques et un Dr I*, *Collection de l'Ecole française de Rome*, 114, 1989.
- HESNARD, [et al...], *Les Négociants italiens en Maurétanie avant l'annexion*, *B.C.T.H.*, NS 19B, 1983.
- HORIEN, M., *Metaphysique de Averroès, 1197, nache dern Arabischien übersetzt und erlantert*, Halle, 1912.
- HUICI MIRANDA, A., *El Reinado del califa almohade al Rachid hijo de Al-Mamun*, *Hesp.*, 1er-2e trim, 1954.
- HUREAU, J.C., MONOD, Th., *Check list of the North Eastern Atlantic and of the Mediterranean*, Paris, 1973, 2 vol.
- IBN MARZUQ, *Le Musnad : extraits / ed. et trad. Levi-Provençal*, *Hesp.*, vol.5, 1er trim., 1925.
- INSTITUT AGRONOMIQUE ET VETERINAIRE HASSAN II, UTAH STATE UNIVERSITY, *Stratégie de développement des terres de parcours au Maroc, phases I, II, et III*, Rabat, 1993.
- JAAIDI, B., *Les Environnements sédimentaires actuels et pléistocènes du plateau continental atlantique marocain entre Larache et Agadir*, Th. 3e cycle, 1981.
- JAMOUS, R., *La Segmentation et le mariage arabe. Annales Marocaines de Sociologie*, 1963.
- JARIR, M., *Errachidia et l'organisation régionale de la vallée du Ziz*, Th. 3e cycle, Tours, 1983.
- JEHAMY, G., *Averroès : Paraphrase de la logique d'Aristote*, Beyrouth, 1982, 3 vol.
- JODIN, A., *L'Exploitation forestière du Maroc antique*, *Act. du 93e Congr. Nat. des Stés. Sav.*, Tours, 1968, Paris, 1980.
- KEHOE, D. P., *Pastoralism and agriculture*, *J.R.A.*, 3, 1990.
- KHATIBI, A., *Tryptique de Rabat*, Paris.
- KHATIBI, A., *Un été à Stockholm*, Paris, 1990.
- KHATIBI, A., EL MALEH, E.A., MARAINI, T., *La Peinture d'Ahmed Cherkaoui*, Casablanca, 1976.
- KHETTOUCH, M., *Zaïd ou Hmad, Lamalif*, n° 128, Sept. 1981.
- KHUSAIM, A. F., *Zarruq the Sufi*, Tripoli, 1976.
- KRANDEL BEN YOUNES, A., *La Nécropole rurale de Thigibba Bure, Djebba, Reppal*, 7 - 8, 1992 - 1993.
- LAFUENTE, M., *La Vie humaine dans un groupement berbère du Haut Atlas de Marrakech : les Aït Oucheg*, *R.G.M.*, n° 14, 1968.
- LAHJOMRI, A., *L'Image du Maroc dans la littérature française : de Loti à Montherlant*, Alger, 1973.
- LAKHDAR, M., *La Vie littéraire au Maroc sous la dynastie Alawide, 1075 - 1311 H / 1664 - 1894*, Rabat, 1971.
- LAMB, H. F., EICHER, U., SWITSUR, V.R., *An 18000 years record of vegetation : lakelevel and climatic change from Tiguelmamine*, *Middle Atlas Journ. biogeogr.*, 16, 1989.
- LANCEL, S., *Tipasitana - II : la nécropole préromaine occidentale de Tipasa, rapport préliminaire, campagne de 1966 - 1967*, *B.A.A.*, 3, 1968.
- LAOUST, E., *Le Mariage chez les berbères du Maroc*, *A.B.*, I, 1915.
- LASINIO, F., *Il commento medio di Averroes alla Poetica di Aristotele*, Pise, 1872.
- LASINIO, F., *Il Commento medio di Averroes alla Retorica di Aristotele*, Florence, 1877.
- LATHAM, J. D., *The Strategic position and defence of Ceuta in the later muslim period. Islamic Quaterly*, XV, 1971.
- LEBEL, R., *Les Voyageurs français du Maroc*, Paris, 1936.
- LEFEBURE, C., *Accès aux ressources collectives et structure sociale : l'estivage chez les Aït Atta (Maroc)*, in *Production Pastorale et société*, Cambridge, Paris, 1979.
- LEGLAY, M., *A la recherche d'Icosium*, *Antiquités Africaines*, 2, 1968.
- LEGLAY, M., *Les Dieux de l'Afrique romaine*, *Archeologie*, n° 40, Mai-Juin 1976.
- LEGLAY, M., *Saturne africain : histoire*, Paris, 1966.
- LEVY, R., DRUDERER, W., *Considération sur la nappe pré-rifaine d'après les travaux de la société chérifienne des pétroles*, in *C.R 19e Congr. géol. int.*, Alger, 1952.

- DAGUIN, F., *Contribution à l'étude géologique de la région pré-rifaine*, Rabat, 1927.
- DAKHLIA, J., *L'Oubli de la cité*, Paris, 1990.
- DAN, Père F., *Histoire de Barbarie et de ses corsaires...*, Paris, 1637.
- DAPPER, O., *Description de l'Afrique*, Amsterdam, 1686.
- DEJEUX, J., *Littérature maghrébine de langue française*, Québec, 1978.
- DESANGES, J., *Catalogue des tribus africaines dans l'antiquité classique à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962.
- DESCOLA, J., *Histoire de l'Espagne*, Paris, 1959.
- DHINA, A., *Les Etats de l'Occident musulman aux 13<sup>e</sup>, 14<sup>e</sup> et 15<sup>e</sup> siècles*, Alger, 1984.
- DIEHL, C., *L'Afrique byzantine*, Paris, 1896.
- DIRECTION DE LA STATISTIQUE, *Résultats des R.G.P.H, 1960 - 1971, 1982, 1994*, Rabat, 1995.
- DOZY, R., *Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen Age*, 3<sup>e</sup> éd., Paris, 1881.
- DRACH, P., *Embranchement du cephalocorbie*, in Grasse, PP, *Traité de Zoologie*, Paris.
- DUBREUIL, B., *Les Pavillons des Etats musulmans, H.T.*, vol. 1, fasc. 3, 1960.
- DUFOURCQ, Ch. E., *Les Relations de la péninsule ibérique et de l'Afrique du Nord au 14<sup>e</sup> S. Anuario estudios medievales*, 1970 - 1971, vol. 7.
- DUFOURCQ, Ch. E., *Les Relations du Maroc et de la Castille pendant la première moitié du 13<sup>e</sup> S. R.H.C.M.*, n° 5, 1968.
- DUFOURCQ, Ch. E., *Un projet castillan du 13<sup>e</sup> S : la croisade de l'Afrique, R.H.C.M.*, n° 1, 1966.
- DUNLOP, D. M., *Averroes on the modality of proposition. Islamic Studies.* (Karachi), I, 1962.
- EL-BADISI, *El Maqсад ash-sharif*, trad. G.S Colin, A.M., vol. 26, 1926.
- EL BOUZIDI, A., *Vallée moyenne de l'Oued Lebene (Pré-rif, Maroc) : étude de cartographie géomorphologique*, Th. 3<sup>e</sup> cycle, Poitiers, 1987.
- EL FASSI, M., *La Littérature marocaine*, in *Maroc. L'Encyclopédie coloniale et maritime*, Paris, 1948.
- EL MASOR, B., *Les Problèmes de l'eau dans la vallée moyenne du Ziz et la plaine du Tafilalet*. Th. Doct. Nancy II, 1988.
- EL MANSOUR, M., *Urban Society in Fez : The Rumat during the modern period, 17<sup>th</sup> - 19<sup>th</sup> centuries*, *Maghreb Review*, vol. 22, n° 1, 1997.
- ELSNER, J., *Musique arabe : congrès du Caire 1932*, Le Caire, 1992.
- EMBERGER, L., *Les Limites naturelles de la forêt de Mamora. Bull. Sté. Sc. Nat. Maroc*, 9, 1929.
- EMPEREUR, J. Y., HESNARD, A., *Les Amphores hellénistiques du bassin occidental de la Méditerranée*, in *Céramique Hellénistique et Romaine*, 2, 1987.
- ENNAJI, M., *Soldats, domestiques et concubines : l'esclavage au Maroc au 19<sup>e</sup> S*, Casablanca, 1994.
- ENNAJI, M., BEN SRHIR, K., *La Grande Bretagne et l'esclavage au Maroc au 19<sup>e</sup> S, H.T.*, vol. XXIV; Fasc. 2, 1991.
- ESCALIER, R., *Citadins et espace urbain au Maroc*, Tours, 1981, 2 vol.
- EUZENNAT, M., *Le Limes de Tingitane : la frontière méridionale*, Paris, 1989.
- FAGNAN, *Un chant algérien du 18<sup>e</sup> S. à l'occasion du bombardement d'Alger par les danois, R.A.*, vol. 38.
- FASSI, D., *La Forêt dans l'histoire de la terre*, in *Le Grand livre de la forêt marocaine*, Belgique, 1999.
- FASSI, D., *Les Formations carbonatées secondaires : croûtes et travertins, R.G.M.*, 1994.
- FAUGERES, J. C., *Les Rides sud-rifaines : évolutions sédimentaire et structure d'un bassin atlantico mésogéen de la marge africaine*, Th : Bordeau I, 1978.
- FEINBERG et LORENZ, G., *Nouvelles données stratigraphiques sur le miocène supérieur et le pliocène du Maroc nord-occidental, Notes Mem. Serv. Geol., Maroc*, T. 30, n° 225, 1970.
- FERHAT, H., *Ab<sup>2</sup>l-'Abbas : contestation et sainteté, Al-Qantara*, vol. 13, Fasc. 1, 1992.
- FERHAT, H., *Littérature eschatologique et espace sacré au Maroc : le cas de Massa, S.I.*, 80, 1994.
- FRIANG, E., *Les Zkara et leur évolution devant l'Islam*, Mém. fin de stage des contrôleurs civils, 1946.
- GAILLARD, H., *Une ville de l'Islam, Fès*, Paris, 1905.
- GALLOTI, J., *Le Jardin et la maison au Maroc*, Paris, 1925, 2 vol.
- GASPAR REMIRO, M., *El Negocio de Ceuta entre Jaime II de Aragon y Aburrebia Sulaiman, sultan de Fez contra Muhammed III de Granada, in Relaciones de la Corona de Aragon con los estados musulmanes de Occidente*, Madrid, 1925.
- GATJE, H., *Die Epitome der Pane Naturalia des Averroes*, Wiesbaden, 1961.
- GAUDEFROY - DEMONBYNES, M., *Masalik el -absar*, Paris, 1927.
- GAUTIER, E. F., *Mœurs et coutumes des musulmans*, Paris, 1931.
- GHANEM, H., *Contribution à la connaissance des sols du Maroc*, Th. Agr. 1981, 2 vol.
- GIMENEZ SOLER A., *Caballeros españoles en Africa y Africanos en España, Revue Hispanique*, 1905.

- BORSON, L., *Aperçu de l'élevage bovin dans l'antiquité, ethnozootechnie*, 32, 1983.
- BOUBE, J., *Les Amphores de Sala à l'époque préromaine, B.A.M.*, 17, 1987 - 1988.
- BOUBE, J., *La Circulation monétaire à Sala à l'époque préromaine*, Rome, 1992.
- BOUBE, J., *Introduction à l'étude de la céramique à vernis noir de Sala, B.A.M*, 16, 1985, 1986.
- BOUBRIK, R., *Saints et société en Islam : une confrérie ouest saharienne, la Fadiliyya*, Paris, 1999.
- BOUCHET CHANTON, R., *Zoologie I, Invertébrés*, Paris, 1962.
- BOUDERBALA, N. [et al...], *La Question agraire au Maroc, B.E.S.M*, n° 123 / 125.
- BOUDY, P., *Economie forestière nord africaine*, Paris, 1950.
- BOUGHALI, M., *Espaces d'écriture au Maroc*, Casablanca, 1987.
- BREBION, Ph., *Etude biostratigraphique et paléoécologique du quaternaire marocain, Ann. Paléont.*, 65, 1979.
- BRUNHES, J., *L'Irrigation : ses conditions géographiques, ses modes d'organisation dans la péninsule ibérique et dans l'Afrique du Nord*, Paris, 1902.
- BUKKALI, M.M., *Contribution à l'étude de la transhumance au Maroc*, Toulouse, 1972.
- BURKE, E., *Prelude to Protectorate in Morocco*, Chicago, 1976.
- BUTTERWORTH, C.E., *Averroes three short commentaries on Aristotele : Topics, Rhetoric, and Poetic*, Albany, 1977.
- CAILLE, J., *La Petite histoire du Maroc : 3e série, 1850 - 1912*, Rabat, 1954.
- CAMPS, G., *Les Berbères : mémoire et identité*, Paris, 1987.
- CAPMANY, *Antiguos tratados de paces y alianzas entre algunos Reyes de Aragon y diferentes principes infieles de Asia y Africa desde el siglo XIII hasta el XV*, Madrid, 1974.
- CARO BAROJA, J., *Un santon saharien et sa famille, Estudios saharianos*, 1955.
- CASANOVA, J., *Morphologie et biolithogenèse des barrages de travertins*, Paris, 1981.
- CASTRIES, H. de., *Les Sept patrons de Marrakech, Hesp.*, IV, 1924.
- CASTRO Y PEDRERA, F. de., *Melilla préhispanica*, Madrid, 1945.
- CAUTIER, D. J., *Monnaies et économie dans l'Espagne du nord et du centre, H.T.* 1962.
- CELERIER, J., *L'Atlas et la circulation au Maroc, Hesp.*, vol. 7, 4e trim., 1927.
- CELERIER, J., *La Dépression du Serou (Moyen Atlas Central), R.G.M*, VI, 1928 - 1929.
- CENIVAL, P. de., *L'Eglise chrétienne de Marrakech au 13e S., Hesp.*, vol. 8, 1927.
- CHARLES-ROUX, F., CAILLE, J., *Missions diplomatiques à Fès*, Paris, 1955.
- CHATER, K., *Dépendance et mutations précoloniales : la Régence de Tunis de 1815 à 1857*, Tunis, 1984.
- CHEBBI, J., *Ribat, E.I*, Nlle éd., Leiden, vol. 8.
- CHEIKHA, J., *Les Ribats d'après les livres de Tabaqat, La Rapita islamica : historia institucional I altres Estudis Regionals. I Congrés de les rapites de l'Estat Espanyol, 7 - 10 sept. 1989*, 1993.
- CHELBI, F., *La Céramique à vernis de Carthage*, Tunis, 1992.
- CHOUBERT, G., *Essai de chronologie hercynienne, N.S.G.M*, vol. 4, n° 83, 1951.
- CHRAIBI, D., *Le Passé simple*, Paris, 1954.
- CICARD, *L'Organisation des Zaers, R.M.M.* 1910.
- CINTAS, P., *Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc*, Paris, 1954.
- COLIN, G. S., *Massa, E.I*, Nlle éd., vol. 5.
- COLIN, G. S., *La Noria marocaine et les machines hydrauliques dans le monde arabe, Hesp.*, 1er trim., 1932.
- COLIN, G. S., RICARD, R., *Tanger et Ceuta dans un boniment de jongleur espagnol du 15e S., Bull. Hispanique*, 48, 1946.
- CONTAMINE, Ph., *La Guerre au Moyen Age*, Paris, 1980.
- CORNELL, V.J., *Ribat Tit - n - Fitr and the origine of Moroccan maraboutism islamic studies, Islamic studies*, XXVII, 1988.
- CORREA DE FRANCA, A., *Historia de la muy noble y fidelisima ciudad de Ceuta, Transfretana*, n° 3, 1983.
- CORRIERAS, J., *Une tribu zénète anti-musulmane : les Zkara, A.F. : R. C.*, 1906.
- COSSE - BRISSAC, Ph. de., *Les Rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie. 1830 - 1847*, Paris, 1931.
- COURTOIS, C., *Les Vandales et l'Afrique*, Paris, 1955.
- CRAWFORD, F. S., *Averroes Cordubensis Commentarum Magnum in Aristotelis de Anima libros*, Cambridge (Mass.), 1953.
- CRESSUER, *De un ribat a otro : una hipotesis sobre los ribat-s del Magrib al-aqsa (A paraître). Cultures protégées en climat méditerranéen, Bull. de la F.A.O.*, n° 90, 1988.
- CUNNINGHAME, R., *Maghreb el-Aksa : A journey in Morocco*, Evanston (Illinois), 1997.
- CUSSANE BALIN, *Un raid au sud de Sefrou, L'illustration*, n° 3600, 24 fev. 1912.

**Supplément**  
**à**  
**la bibliographie des ouvrages et des articles**  
**cités dans l'encyclopédie**

- ABES, M., *Les Izayan d'Oulmès*, A.B., 1915.
- ACKERMAN, G. M., *Les orientalistes de l'école britannique*, Paris, 1991.
- Actes du 14e Congrès international des orientalistes, Alger 1905*, Paris, 1905, vol. 1.
- ADOLPHE, J. P., BILLY, C., *Biosynthèse de calate par une association bactérienne aérobie*, C.R.A.S. (Paris), T. 278, 1974.
- AGERON, C.R., *Histoire de l'Algérie contemporaine, 1871 - 1954*, Paris, 1979.
- AIT BRAHIM, L., CHOTIN, P., *Mise en évidence d'un épisode compressif dans les calcaires plio-quadernaires du Bassin de Saïs*, C.R.A.S, T. 296, 1983.
- AKERRAZ, A., [et al...], *Patrimoine culturel et territoire de la région du Gharb*, Rabat, 1996.
- ALEMANY, J., *Milicias cristianas al servicio de los sultanes musulmanes del Almaghreb*, in *Homenaje a D. Francisco Codera*, Zaragoza, 1904.
- ARCELIN, P., CAYOT, A., *Réflexions sur l'abandon de l'agglomération hellénistique de Saint-Blaise (Saint-Mitre-les-Remparts)*, *Rev. Archéol. de Narbonnaise*, 17, 1984.
- AYME, V., *Lettre à Mr Mouliéras à propos d'ethnologie berbère*, B.S.G.A. Oran, 1904.
- BABIN, G., *Au Maroc par les camps et par les villes*, Paris, 1912.
- BADAWI, A., *Averroes : paraphrases*, in *Libros Rhetoricorum Anstolelis*, Le Caire, 1960.
- BASSET, H., LEVI-PROVENÇAL, E., *Chella : une nécropole mérinide*, Paris, 1923.
- BASSET, R., *Recherches sur la religion des Berbères*, *Revue de l'Histoire des Religions*, vol. 41, n° 3.
- BEL, A., *Le 14e Congrès international des orientalistes d'Alger 1905*, *Bull. trim. Soc. Géo. Archéo. Oran*, vol. 25, Fasc. 103, Avr.-Juin 1905.
- BELARBI, M., *Zerhoun : population et structures agraires : étude de géographie rurale*. Th. 3ème cycle : Géo, Bordeaux I, 1980.
- BELLAKHDAR, J., *La pharmacopée marocaine traditionnelle : médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997.
- BENABDELJALIL, A., *Le chant et la musique*, G.E.M : *Civilisation marocaine*, Casablanca, 1996.
- BENABID, A., *Flore et écosystèmes du Maroc*, Paris, 1999.
- BENABOUD, M., *Problems of American Protection in Morocco*, in *The Atlantic connection 200 years of Moroccan - American Relations, 1786 - 1986*, Rabat, 1990.
- BEN BOUAZZA, T., *La Naissance du syndicalisme ouvrier au Maroc*, Casablanca.
- BENCHENEB, M., *3e [Troisième] section langues musulmanes dans le congrès d'Avril 1905 à Alger*, R.A, 2e - 3e trim., 1905.
- BENCHERIFA, A., *Le Monde rural marocain : diversité spatiale et culturelle*, G.E.M. : *géographie humaine*, Rabat, 1989.
- BENDAOU, K., *Impact des accords du GATT sur les exportations agricoles du Maroc*, Rabat, 1997.
- BEN JELLOUN, T., *L'Enfant de sable*, Paris, 1981.
- BEN JELLOUN, T., *La Nuit sacrée*, Paris, 1987.
- BEN YOUNES, H., *La Nécropole punique d'El-Khayma, mai 1984*, *Reppal*, 2, 1993.
- BERGGREN, W. A., VAN COUVERING, J. A., *The Late Neogene : biostratigraphy, geochronology and paleoclimatology of the last 15 million years marine and continental sequences*, *Palaeogeography, palaeoclimatology*, vol. 16, n° 1 - 2, 1974.
- BERNARD, A., *Les Confins algéro-marocains*, Paris, 1911.
- BERQUE, J., *L'Intérieur du Maghreb*, Paris, 1978.
- BERRAHO, A., *Ressources halieutiques et potentialités aquacoles au Maroc*, Lisbonne, 1998.
- BERTHIER, P., *Les Anciennes sucreries du Maroc et leurs réseaux hydrauliques*, Paris, Rabat, 1965, 2 vol.
- BISI, A. M., *Le Commerce des amphores puniques : quelques remarques à propos des découvertes de Mellita (Sabrata)*, B.C.T.H., N.S 19 B, 1985.
- BLANCARD, L., *Documents inédits sur le commerce de Marseille au Moyen Age*, Marseille, 1884, 2 vol.
- BLUMBERG, H., *Epitome of Pana Naturalis*, transl. from the original arabic and the hebra and latin version with notes and introd., 1961.

تم طبع الجزء 14 من معلمة المغرب  
بمطابع سلا ومطبعة النجاح الجديدة  
في رمضان عام 1422 / نونبر 2001



مطابع سلا

قسمة 14، زنقة عثمان بن عفان

الحى الصناعى لتاهريكت

ص.ب. 596 سلا

Directeur de publication : Mohamed **Hajji**

Comité de rédaction : Ahmed **Toufiq**  
Mohamed **Hajji**

Comités scientifiques :

Pour les sciences humaines

Mohamed **BENCHERIFA**, Faculté des Lettres, Rabat.  
Brahim **BOUTALEB**, Faculté des Lettres, Rabat.  
Salem **YAFOUT**, Faculté des Lettres, Rabat.  
Mustapha **NAIMI**, Institut Universitaire pour la Recherche  
Scientifique, Rabat.

Pour la géographie et les sciences de la nature

Abdellah **LAOUINA**, Faculté des Lettres, Rabat.  
Dris **EL-FASSI**, Institut Agronomique et Vétérinaire Hassan II, Rabat.  
Mustapha **AYAD**, Faculté des Lettres, Rabat.  
Abdelmalek **BENABID**, Ecole Nationale Forestière, Salé.  
Mohamed **RAMDANI**, Institut Scientifique, Rabat.

Tous droits réservés, y compris le droit de traduction ou de reproduction  
même partielles sous quelque forme que ce soit.



**IMPRIMERIE DE SALÉ**

Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane  
Zone Industrielle de Tabriquet  
B.P. 596 SALÉ





# Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.



Publiée par

**L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication**

Editée par

**L'Imprimerie de Salé**

**"SALA"**

**2001 - 1422**

Copyright © IMPRIMERIE DE SALÉ "SALA" 2001

ISBN (Ensemble) 9981 - 03 - 000 - 7

ISBN (Tome XIV) 9981 - 03 - 020 - 1

Encyclopédie  
du  
Maroc

# معلمة المغرب

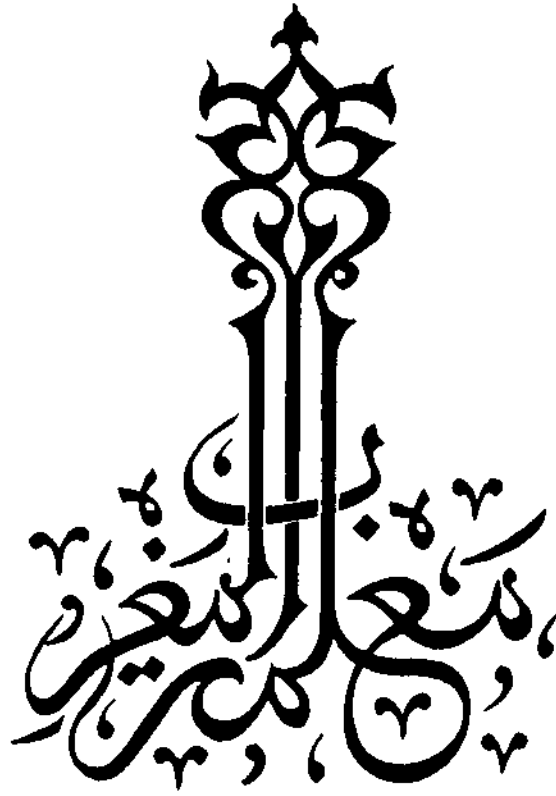
قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف  
الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى



من إنتاج  
الجمعية المغربية  
للتأليف والترجمة والنشر

نشر  
مكاتب سلا





التغزيب للأفصحي

رقم الإيداع القانوني  
بالمخزنة العامة للكتب والوثائق - الرباط  
1984/629

جميع حقوق النقل والترجمة - جزئياً أو كلياً بأي شكل كان - محفوظة  
للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولطابع سلا

رد مك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)

رد مك X - 021 - 03 - 9981 (الجزء 15)





أعد هذا الجزء من معلمة المغرب  
بدعم من وزارة الثقافة والاتصال  
ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة  
أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق  
عبارات الشكر والامتنان.



المدير المشرف

: محمد حجي

لجنة التحرير

: أحمد التوفيق، أستاذ التاريخ بكلية الآداب،

الرباط

محمد حجي، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

لجنة العلوم الإنسانية

: محمد بنشريفقة، أستاذ الأدب المغربي والأندلسي

بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية،

الرباط

إبراهيم بوطالب، أستاذ التاريخ بكلية الآداب،

الرباط

سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط

مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي

بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافيا : عبد الله العوينة، أستاذ الجيومورفولوجيا بكلية

الآداب، الرباط

مصطفى عياد، أستاذ الجغرافيا البشرية بكلية

الآداب، الرباط

إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية

الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة،

الرباط

عبد المالك بنعبيد، أستاذ بالمدرسة الوطنية

الغابرية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة

والبيطرة، الرباط

محمد رمضان، باحث في البيولوجيا الحيوانية

بالمعهد العلمي وأستاذ بكلية العلوم، الرباط

# اختصارات

= توفي	. ن
= تحقيق	. نج
= ترجمة	. تر
= خزانة تطوان	. خ. ت
= الخزانة الحسينية (الملكية) بالرباط	. خ. ح
= الخزانة الصبيحية بسلا	. خ. ص
= الخزانة العامة بالرباط	. خ. ع
= خزانة القرويين بفاس	. خ. ق
= خزانة ابن يوسف بمراكش	. خ. ي
= دون تاريخ	. د. ت
= دبلوم الدراسات العليا	. د. د. ع
= دون مكان	. د. م
= طبعة	. ط
= انظر	←

\* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

## المشاركون في هذا الجزء

- محمد إحدي، كلية الآداب - أكادير  
 عبد الحميد احساين، كلية الآداب - الدار البيضاء  
 ميلود أحسن، كلية الآداب - مراكش  
 محمد أخريف، وزارة التربية الوطنية - القصر الكبير  
 الفقيه الإدريسي، كلية الآداب - بني ملال  
 محمد أديوان، كلية الآداب - الرباط  
 شفيق أرفاك، كلية الآداب - أكادير  
 عبد الرزاق ازويكم، كلية الآداب - مراكش  
 مصطفى أعشي، معهد الدراسات الافريقية - الرباط  
 عمر أفا، كلية الآداب - الرباط  
 محمد الأكلع، كلية الآداب - مراكش  
 العربي اكنينج، وزارة التربية الوطنية - فاس  
 محمد الأمراني، أستاذ باحث  
 حسن أميلي، كلية الآداب - المحمدية  
 خالد أوشن، باحث - أكادير  
 عباس برادة السني، وزارة الخارجية  
 عكاشة برحاب، كلية الآداب - المحمدية  
 عبد اللطيف برحو، المعهد الوطني للبحث في الصيد البحري  
 محمد بلعربي، باحث - الرباط  
 عبد العزيز بل الفايذة، كلية الآداب - القنيطرة  
 عائشة البلغيتي، كلية الآداب - الرباط  
 رقية بلقدم، كلية الآداب - القنيطرة  
 علي البليشي، كلية الآداب - الرباط  
 أحمد بنجلون، باحث - الرباط  
 محمد بندعنون، المدرسة الغابوية للمهندسين - سلا  
 زينب بنرحمون، أستاذة باحثة - الرباط  
 زليخة بنرمضان، كلية الآداب - المحمدية  
 عبد المالك بنعبيد، المدرسة الغابوية للمهندسين - سلا  
 عثمان بناني، كلية الآداب - الرباط  
 رحال بويريك، كلية الآداب - أكادير  
 محمد بوخبزة، باحث - تطوان  
 عبد القادر بوراس، المركز الجهوي التربوي - القنيطرة  
 أحمد البوزيدي، كلية الآداب - فاس  
 محمد بوسلام، وزارة التربية الوطنية - الرباط  
 مصطفى بوشعراء، باحث - سلا  
 عبد الله بوصحابة، كلية العلوم، فاس
- إبراهيم بوطالب، كلية الآداب - الرباط  
 عبد المحيد بوكاري، باحث - الرباط  
 أحمد بومزكو، وزارة التربية الوطنية - تيزنيت  
 جامع بيضا، كلية الآداب - الرباط  
 محمد ابن تاويت التطواني، كلية الآداب - الرباط  
 عبد الله المرابط الترقي، كلية الآداب - تطوان  
 أحمد التوفيق، محافظ الخزانة العامة - الرباط  
 حسن جلاب، كلية اللغة العربية - مراكش  
 الحسين جهادي الباعمراني، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء  
 محمد الحاقمي، كلية الآداب - أكادير  
 عبد اللطيف حافظ، كلية الآداب - بني ملال  
 حسن حافظي علوي، كلية الآداب - مراكش  
 محمد حجاج الطويل، كلية الآداب - الدار البيضاء  
 محمد حججي، كلية الآداب - الرباط  
 عبد الرحمان الحرادجي، كلية الآداب - وجدة  
 أحمد حرزني، المعهد الزراعي، سطات  
 عبد الرحمان الحريشي، باحث - الرباط  
 عبد الجليل حليم، كلية الآداب - فاس  
 محمد حمام، كلية الآداب - الرباط  
 محمد حنداين، وزارة التربية الوطنية - أكادير  
 يحيى الخالقي، كلية الآداب - بني ملال  
 علاء الخديمي، كلية الآداب - الرباط  
 محمد خربوغة، المعهد العلمي - الرباط  
 خالد الخضري، وزارة الثقافة - الرباط  
 نجاة الخياط، كلية العلوم - الرباط  
 محمد عبد العزيز الدباغ، وزارة الثقافة - فاس  
 محمد معروف الدفالي، كلية الآداب - الدار البيضاء  
 نفيسة الذهبي، كلية الآداب - القنيطرة  
 محمد رابططة الدين، كلية الآداب - مراكش  
 علاء رگوگ، كلية الآداب - بني ملال  
 محمد رمضان، المعهد العلمي - الرباط  
 بوجمعة رويان، كلية الآداب - القنيطرة  
 فريد الزاهي، وزارة الثقافة - الرباط  
 أحمد زروال، كلية الآداب - مراكش  
 قاسم الزهيري، باحث - الرباط  
 خليل السعداتي، كلية الآداب - بني ملال

- محمد السعديين، وزارة التربية الوطنية - سلا  
 عبد السلام السعدي، باحث - مراكش  
 المهدي السعدي، كلية الآداب - أكادير  
 أحمد بن بنعاش السفياني، وزارة التربية الوطنية - سلا  
 م. الحسن السكراتي، كلية الآداب - أكادير  
 رشيد السلامي، كلية الآداب - مراكش  
 محمد السماحي، كلية الحقوق - الرباط  
 إبراهيم السوداني، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط  
 محمد السوسي البهاوي، باحث - تطوان  
 أحمد السوسي الثاني، باحث - سلا  
 مصطفى الشابي، كلية الآداب - الرباط  
 إدريس شحو، كلية الآداب - الرباط  
 محمد الشريف، باحث - تطوان  
 محمد عزيز بن عبد الله الشفشاوني، مهندس باحث - الرباط  
 أحمد الشكري، معهد الدراسات الأفريقية - الرباط  
 صالح شكاك، وزارة التربية الوطنية - الرباط  
 الحسن شوقي، وزارة التربية الوطنية - قلعة السراغنة  
 المصطفى شويكي، كلية الآداب - الدار البيضاء  
 محمد الشياظمي، باحث - الرباط  
 مبارك الشيكري، باحث - القنيطرة  
 ميروك الصغير، المعهد الوطني لعلوم الآثار - الرباط  
 علي الصقلي، وزارة التربية الوطنية - الرباط  
 علي العزيز الضعيفي، كلية الآداب - بني ملال  
 أحمد صالح الطاهري، المعهد الوطني لعلوم الآثار - الرباط  
 محمد الطيلسان، كلية الآداب - الرباط  
 محمد الظريف، كلية الآداب - المحمدية  
 عبد العزيز ابن عبد الجليل، وزارة الثقافة - مكناس  
 زين العابدين ابن عبد النبي، المدرسة الغابوية للمهندسين - سلا  
 عدي عزوي، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط  
 أحمد عزوي، كلية الآداب - القنيطرة  
 محمد ابن عزوز، باحث - تطوان  
 محمد علالي، المدرسة الغابوية للمهندسين - سلا  
 عبد العزيز العلوي، باحث - فاس  
 أحمد عمالك، كلية الآداب - مراكش  
 محمد عمراني، كلية الآداب - القنيطرة  
 الحاج موسى عوني، كلية الآداب - فاس  
 عبد الله العويطة، كلية الآداب - الرباط  
 مصطفى عياد، كلية الآداب - الرباط  
 حياة القراس، أستاذة باحثة - مراكش
- إدريس الفاسي، كلية الآداب - الرباط  
 عبد الإلاه الفاسي، كلية الآداب - القنيطرة  
 محمد فتحة، كلية الآداب - الدار البيضاء  
 حسن الفككي، كلية الآداب - القنيطرة  
 محمد الفقير، باحث - سلا  
 بوشتي الفلاح، المعهد العلمي - الرباط  
 محمد الفلاح العلوي، كلية الآداب - الدار البيضاء  
 المصطفى فنيتير، كلية الآداب - مراكش  
 أحمد أوبر القاسم، باحث  
 حمزة الكتاني، باحث - الرباط  
 محمد كربوط، كلية الآداب - الرباط  
 مصطفى لالي، باحث - وجدة  
 محمد اللبار، كلية الآداب - فاس  
 عبد الإلاه مالك، مدرسة الشرطة - القنيطرة  
 الملكي المالكي، كلية الآداب - تطوان  
 محمد ماكامان، وزارة التربية الوطنية - مراكش  
 أحمد متفكر، باحث - مراكش  
 الحسن المحداد، كلية الآداب - أكادير  
 المكّي مربي، باحث - مراكش  
 نجاة المريني، كلية الآداب - الرباط  
 محمد العربي المساري، جريدة العلم - الرباط  
 مصطفى المسناوي، وزارة الثقافة - الرباط  
 عبد العلي مشروح، المدرسة الغابوية للمهندسين - سلا  
 محمد المفراوي، كلية الآداب - الرباط  
 أحمد المكاوي، كلية الآداب - الجديدة  
 محمد المنصور، كلية الآداب - الرباط  
 محمد المنوني، كلية الآداب - الرباط  
 أحمد الموسوي، وزارة الشبيبة والرياضة  
 محمد الناصري، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط  
 عبد الله نجمي، كلية الآداب - الرباط  
 علي نجيب، باحث مغربي في السويد  
 محمد هشمي، المدرسة الغابوية للمهندسين - سلا  
 أحمد هوزالي، كلية الآداب - مراكش  
 أحمد الوارث، كلية الآداب - الجديدة  
 إبراهيم الوافي، كلية الآداب - أكادير  
 محمد وحيد، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء  
 عبد الرحيم وطفة، كلية الآداب - الرباط  
 محمد عزيز الوكيلى، وزارة التربية الوطنية - الرباط

## بيبليوغرافيا إضافية إلى ما ذكر في الأجزاء السابقة

- أحد تلاميذ الشيخ سيدي الغازي  
- مناقب الشيخ أبي القاسم الغازي، مخطوط.  
إسماعيل ابن الأحمر،  
- حديقة النسرين في أخبار بني مرين، مخطوط.  
ف. الإدريسي،  
- الجباية في عهد الدولة السعدية، د. د. ع. كلية الآداب فاس 94 . 1995 .  
أرشيبالد لويس،  
- القوة البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، القاهرة، 1960.  
- مجسوة جريدة السعادة، خ. ع الرباط،  
- أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية باريس وناط.  
أحمد سعيد أعراب،  
- ترجمة مطولة للشيخ الشطبي، جريدة الميثاق طنجة، ع. 42 . 43 . 44.  
- حول تأليف كتاب الجمال في مختصر أخبار الزمان، مجلة دعوة الحق، ع. 1 السنة 13، 1969.  
- نظرة في كتاب صنعة الفلاحة لأبي عبد الله الشطبي، مجلة دعوة الحق، ع 1.  
- أبو عبد الله بن صالح الغماري من شعراء البادية، مخطوط.  
حسن أنفا،  
- ديوان البونعماني، الرباط، 1996.  
- الشعر العربي في سوس بين الاتباع والابتداع، أطروحة مرقونة بكلية الآداب، أكادير، 2001.  
م. بن التهامي أقبيلال،  
- تنبيه الأكياس للاقتصاد في المآتم والأعراس، تطوان، 1976.  
محمد الأكلع،  
- دراسة جيومورفولوجية للنهاية الشرقية للحوز، الرباط، 1989.  
أ. أمزيان،  
- مساهمة في دراسة المجتمع الواحي بالجنوب الشرقي المغربي خلال القرن 19. فكيغ ما بين 1845 - 1903، د. د. ع مرقون كلية الآداب الرباط.  
محمد فال بن بابيه العلوي،  
- كتاب التكملة في تاريخ إمارتي البراكنة والتراتزة، تح. أ. ولد الحسن، تونس، 1986.  
ع. الجليل بادو،  
- الأثر الشاطبي في الفكر السلفي بالمغرب.  
أبراهيم باشا البغدادي،  
- هدية العارفين، بيروت، 1982.  
ماريا نوايباس بالاو،  
- بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة، مجلة تطوان، ع 8، 1963.  
يوسف بجاجا،  
- رحلة إلى كتامة وما جاورها عبر تضاريس المخدرات والتهريب أسبوعية الصحيفة، ع 18، 2001.  
محاند غلال البخلاتي،  
- مؤرخ طنجة محمد بن الحاج العياشي سكيرج، مرقون.  
م. فهد بدري،  
- العمامة، مطبعة الحكومة، 1968.  
كينيت براون،  
- موجز تاريخ سلا 1000 - 1800، تر. محمد حيدة و انس لعلو، 2001.  
عكاشة برحاب،  
- التهريب والحدود في شمال شرق المغرب (1845 - 1912)، ضمن وقفات في تاريخ المغرب كلية الآداب، الرباط، 2001.  
- السعيدية أو سعيدة عجرود صلة وصل بين المغرب والجزائر، مجلة جمعية تاريخ المغرب، وجدة، 1993.  
م. بن حمو البنحياتي،  
- ملذكات، مرقونة.  
سعيد بنسعيد العلوي،  
- الاجتهاد والتحديث، دراسة في أصول الفكر السلفي في المغرب.  
ع. العزيز بنعيد الله،  
- مظاهر الحضارة المغربية، الدار البيضاء، 1957.  
- معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى، المحمدية، 1972.

- محمد بنعيد الله،  
- فكرة تأسيس مسجد باريس بين اقتراح المولى محمد بن عبد الله وتنفيذ المولى يوسف، دعوة الحق. ع 268، مارس، 1988.
- شوقي بنعزوز،  
- الماء ذلك التحدي المستمر، الرباط، 1994.
- عبد العزيز بنكاغو،  
- الأركيولوجية المغربية من خلال أعمال لويس شاتلان، بحث لنيل الاجازة مرقون كلية الآداب، الرباط، 1989.
- ع. اللطيف بنمنصور،  
- مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية.
- م. بنهاشم،  
- العلاقات المغربية الأمريكية، دراسة في تاريخ التمثيل الدبلوماسي الأمريكي بالمغرب، فاس، 2000.
- الزاكي بنيتونس،  
- أبو القاسم السهيلي مفسراً، د. د. ع. مرقونة كلية الآداب، وجدة.
- ع. القادر بوراس،  
- جانب من مقاومة آيت عطا، مقاومة بوغافر بجبل صاغر، مراكش، 1990.
- إبراهيم يوطالب وأخر،  
- ستة ومليلية - تاريخ وواقع، الدار البيضاء، 1981.  
- لويس شينيبي قنصلاً ومؤرخاً، المناهل عدد 16 سنة 1987.
- م. بوطروش،  
- أبو عبد الله الشطبي، آثاره ومنهجه في التفسير، د. د. ع. مرقون كلية الآداب الرباط، 1990.
- محمد بوعميز،  
- المسار المغربي الجديد... النشأة والمسار، مراكش، 1993.
- بوشتي بوعمرية،  
- وطنيو مكناس الموقعون على عرضتي المطالبة بالاستقلال، جمعية أساتذة التاريخ، مكناس، 1990.
- م. بوغالي،  
- الفكر الباطني بالمغرب والأندلس والحركة المناهضة له حتى أواسط القرن السادس الهجري، د. د. ع. مرقون كلية الآداب، مراكش، 2000.
- م. بوكبوط وأحمد البوزيدي،  
- وثيقة مغربية عن معركة بوغافر هيسبريس تودا، ع 35، 1997.
- محمد بوهلال،  
- المهرجان الأول لإبداعات الشباب، 1998.
- ضياء الدين ابن البيطار،  
- الجامع لمفردات الأدوية والاعدية، 1992.
- إبراهيم التادلي،  
- زينة النحر بعلم البحر، مخطوط خ. ع رقم 1347 د.
- ع. الهادي التازي،  
- أزمور مولاي بوشعيب من خلال التاريخ المحلي والدولي للمغرب، مجلة المناهل، ع 35 دجنبر، 1986.  
- جامع القرويين، بيروت، 3، 798.  
- قصر البديع، مجلة البحث العلمي ع. 28، 1978.
- المهدي التيجكاني،  
- دار بريشة أو قصة مختطف، الدار البيضاء، 1987.
- عبد السلام تشاح،  
- جغرافيا النبات، الدار البيضاء، 1990.
- ابن مريم التلمساني،  
- البستان، الجزائر، د. ت.
- ع. الرحمن التمنارقي،  
- الفوائد الجمّة، مخطوط، ص 48 - 49 - 154.
- م. التميمي،  
- الاستفادة في مناقب العباد، مخطوط.
- الجزيري،  
- المقصد الحمرد، مخطوط.
- عبد الحميد الجلامي،  
- مونوغرافية صخور الرحامنة.  
الجماعة القروية سيدي العايدي،  
- مونوغرافية سيدي العايدي، مرقون.  
جماعة من الكتاب،  
- أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية، 1988.



- دراسات حول المختار السوسي، ضمن أعمال ندوة المختار السوسي، الدار البيضاء، 1986.
- زهرة الآس في فضائل العباس، الرباط، 1997.
- العرب وأفريقيا، بيروت، 1993.
- مصطفى الجنابي،  
- البحر الزخار والعيلم التبار، مخطوط.
- جواهري،  
- جامع الفنا، الرباط، 2001.
- يسرى الجوهري،  
- شمال إفريقية دراسة في الجغرافية الاقليمية، القاهرة، د. ت.
- عبد الرحمن حجي،  
- تقديم شرح بحرق الكبير على لامية الأفعال، سلا، 1939.
- م. المهدي المجوري،  
- حياة الوزان الفاسي، 1935.
- المحجوب بن الحرش،  
- سيدي رحال، مركز هامشي في طريق التمدن، بحث لنيل الاجازة مرقون كلية الآداب، مراكش، 1996.
- أحمد ابن حسون الوزاني،  
- فهرسة، 69، مخطوط.
- ح. حسني عبد الوهاب،  
- مختصر تاريخ تونس، تونس، 1980.
- المفضل الحضري،  
- عبد الصادق شقارة، الاتحاد الاشتراكي 15 - 11، 1998.
- م. الحلوي،  
- معجم الفصحى في العامية المغربية، الدار البيضاء، بيروت، 1988.
- الروض المعطار، بيروت، 1975.
- محمد حمام،  
- جوانب من تاريخ وادي دادس وحضارته، الرباط، 2001.
- النساء في الصلاح والولاية بالمغرب في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري (14 م)، الرباط، 1998.
- حوالة أحباس الساكنين لمكناس، مخطوط.
- م. الحيمر،  
- جيش العبيد والدولة المغربية منذ التأسيس إلى 1757.
- الفيق المحبوتي،  
- رحلة الحيموني، مخطوط.
- يحيى الخالقي،  
- الأنظمة الهيدرولوجية الكارستية للهضاب الجنوبية الغربية للأطلس المتوسط، أطروحة مرقونة، الرباط.
- خالد الحضري،  
- مرقع الأدب المغربي من السينما المغربية، الرباط، 1981.
- ف. خشيم،  
- أحمد زروق والزروقية، ليبيا.
- محمد العربي الخطابي،  
- أمير سعدي في خدمة البلاط الإسباني، مجلة المناهل، ع 13، 1978.
- سبينة رجالها ومكانتها وصلاتها العلمية بمختلف الحواضر الاسلامية، المناهل، ع 22، يناير، 1982.
- المغرب في طريق الاستقلال، الدار البيضاء، 1955.
- مساهدات ديبلوماسي في عهد المولى عبد الرحمان، مجلة دعوة الحق، ع 264، 1987.
- عبد الكريم الخطيب،  
- مسار حياة.
- ل. ابن الخطيب،  
- مثلى الطريقة، الرباط، 1973.
- إدريس خليفة،  
- الحركة العلمية الثقافية بتطوان، 1994.
- ع. العزيز الخليلي،  
- المخزن والضرائب المفروضة على التجارة الداخلية 1856 - 1896، د. د. ع، الرباط، 1989.
- المهدي الحياوي،  
- مدرسة سيدي الزوين، نشأتها ومنهجها في القراءات، بحث جامعي مرقون بمراكش، 1986.
- تعيمة الداويشميش،  
- الجماعة المحلية والتنمية نموذج صخور الرحامنة.
- عصمت ع. اللطيف دندش،  
- دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا، بيروت، 1988.

- أشغورد دوكلاس أي،  
- التطورات السياسية في المملكة المغربية، تر. عائدة سليمان عارف وآخر، الدار البيضاء، 1964.
- علال وگوگ،  
- الغناء الشعبي المغربي، أنماط وتجليات، مراكش، 2000.
- محمد بن سليمان الروداني،  
- صلة الخلف، تح. م. حجي، بيروت، 1988.
- ميشيل روسي،  
- المؤسسات الإدارية المغربية، الدار البيضاء، 1993.
- د. ريتو،  
- الطب والأطباء بالمغرب، صحيفة معهد الدراسات الشرقية، 1937.
- ع. المجيد الزبادي،  
- رحلة، مخطوط.  
مرتضى الزبيدي،  
- الفية السند، مخطوط.
- م. الزجال،  
- تاج العروس من جواهر القاموس، تح. عبد الستار أحمد فرج، الكويت، 1965.
- محمد زروال،  
- أمثال العوام في الأندلس، تح. م. بن شريفة، فاس، 1986.
- عبد القادر زمامة،  
- دراسة جيومورفولوجية للحاشية الشمالية لأطلس مراكش ما بين وادي الزات وغدات، الرباط، 1987.
- محمد زنيبر،  
- هذه الألوان وهذه الأسماء، مجلة الثقافة المغربية، ع 7، 1970.
- الزهري،  
- شذرات من تاريخ مدينة سلا.
- قاسم الزهيري،  
- كتاب الجغرافية، تح. م. حاج صادق، الإسكندرية، د. ت.
- أ. سجلماسي،  
- جنيف والعالم العربي، الرباط، 1988.  
- مذكرات دبلوماسي، الرباط، 1990.
- العباس السجلماسي الحجرتي،  
- المرض الطيب العرف، مخطوط.
- السخاوي،  
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، د. ت.
- محمد المكي السمرغيني،  
- الكواكب السيارة في البحث والحث على الزيارة، مخطوط، خ. ع.
- الميرالاي إسماعيل سرهنك،  
- حقائق الأخبار في دول البحار، مصر، 1312.
- ع. ابن سعيد المغربي،  
- القدح الملقى، تح. إ. الأبياري.  
- مختصر المغرب في حلى المغرب، تح. شوقي ضيق.
- م. السقطي،  
- في أدب الحسية، بيروت، 1987.
- أحمد سكيح،  
- منهل الورود الصافي، مخطوط.
- ع. الغني سكيح،  
- ديوان حب الحصيد، تطوان، 1987.
- محمد بن الطيب سكيح،  
- الشافي في علمي العروض والقوافي، مخطوط.
- م. بن العياشي سكيح،  
- قرة العين، برحلة يومين، مخطوط.
- سلفاتور،  
- العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وإيطاليا في العصر الوسيط، مجلة البحوث التاريخية، 1986.
- أبو عبد الرحمن السلمي،  
- طبقات الصوفية، تح. نور الدين شريفة، ط 3، القاهرة، 1997.
- محمد السليمان،  
- اللسان المغرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب، الرباط، 1971.

- محمد السمار،  
- مدينة الرباط من التأسيس إلى نهاية القرن السابع عشر الميلادي، أطروحة مرقونة، الرباط، 2000.
- ع. السلام السميح،  
- مقدمة تحفة الأنحباب في تسهيل علم الفرائض ومسائله الصعاب، مخطوط.
- م. الرضي السناني،  
- إعانة ذوي الخصاصة والإملاق بإخراج واجب زكاة الأوراق، فاس، 1341 هـ.  
- الشذرات والتقاط الفوائد وغرر العوائد، الدار البيضاء، د. ت.
- أحمد ابن سوادة،  
- في حديث المفتي، مسيرة تضال ونبات، ط 2، الدار البيضاء، 1987.
- علي السوسي الفاسي،  
- عناية الاستعانة في حكم التوظيف والمعونة، مخطوط.
- م. المختار السوسي،  
- أنا والآدب، مخطوط.
- عبد الله السوسي،  
- تاريخ رباط الفتح، الرباط، 1979.
- مصطفى الشابي،  
- النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر، المحمدية، 1995.
- التهامي الشاكري،  
- الأدوية الرواقي من أداء الاختلافات في ماء السواقي، تح. حسن حافظي علوي، مراكش، 2001.
- عبد القادر الشاوي،  
- السلفية والوطنية، مجلة المناهل. عدد خاص: السلفية ثوابت وسياقات.  
عمر كمال شبانة،  
- الدولة الموحدية وتأملات في تاريخها، مجلة البحث العلمي ع 20 / 21 السنة العاشرة 72 - 1973.
- شجرة عائلة شعشوع،  
- رسم محرر بفاس بتاريخ 5 ربيع الثاني 1292، مخطوط.
- محمد المعطي الشرقي،  
- سفر المراني والبشارت، مخطوط.
- م. بن الطيب الشركي،  
- إرسال الأسانيد، مخطوط.
- أ. الشريشي،  
- إضاءة الراموس وإضافة الناموس على إضاءة القاموس، تح. ع. السلام الفاسي وآخر، المحمدية، 1983.
- أبو القاسم الشريف السبتي،  
- أنوار السرائر وسرائر الأنوار، مخطوط، ع. ع.
- محمد الشريف،  
- رفع الحجب المستورة، تح. محمد الحجوي، المحمدية، 1997.
- ع. الله شقرون،  
- الأسطول السبتي بين الجهاد والتجارة في القرن (12 - 14 م)، مجلة البحث العلمي، ع. 15، 1998.
- ع. الله شقرون،  
- فجر المسرح العربي بالمغرب، تونس، 1988.
- علال ابن شقرون الكرمي،  
- كناشة عليية، مخطوط.
- أحمد شقور،  
- ديوان سليمان الحوات، مخطوط.
- أ. الشكري،  
- الإسلام والمجتمع السوداني، أبو طيبي، 1999.
- حمو بن محمد الشكري،  
- تقايد، مخطوط.
- محمد شلال،  
- كناش محمد شلال، خ. ح 1319 - 1323.
- محمد شماعي،  
- جريدة الورداد، سلا.
- الشيخ أ. ابن الشمس،  
- النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية، القاهرة، 1330 هـ.
- ابن الشماع،  
- الأدلة البيئية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية تح: العموري، ليبيا - تونس، 1984.
- محمد الأمين الشنكليطي الصحراوي،  
- مقدمة الاربعين، مخطوط خ. ع.

- م. الشنگيطي السباعي،  
- مجموع مختصر من كلام الشيخ أحمد التيجاني، مخطوط خ. ع.  
أحمد شهبون،  
- كتاب الجغرافية المغربية، فاس، 1315 / 1898.
- أليكس شوتان،  
- الرحلة الفنية إلى الديار المصرية، تعريب عبد الكريم برعلو، الرباط، 1932.
- الحسن شوقي،  
- قبيلة السراغنة خلال القرن التاسع عشر، مرقون.  
محمد الشوكاتي،  
- إنحاف الأكابر في إسناد الدفاتر، حيدر آباد.
- المصطفى شويكي،  
- علاقة مدينة سطات بالشاوية، حوليات كلية الآداب عين الشق - الدار البيضاء، ع 5، 1988.
- زينب الشبكل وأخرى،  
- الزاوية المعاشية ودورها الاجتماعي والسياسي، بحث للإجازة في التاريخ، مرقون، الجديدة 93 . 1994.
- أحمد الصبيحي،  
- باكورة الزبدة في تاريخ أسفي وعبدة، الرباط، 1993.
- ع. الله الصبيحي،  
- كنانة علمية، مخطوط خ. ص.
- أ. ابن الصديق،  
- سبعة العقيق بذكر مقامات الشيخ سيدي محمد ابن الصديق، مخطوط.
- خالد، بن الصغير،  
- المغرب وبريطانيا العظمى في القرن 19 (1856 . 1886)، الدار البيضاء، 1990.
- م. الصفريري،  
- فهرس، مخطوط.
- علي الصقلي،  
- لحة عن الشاعر محمد الفاطمي الصقلي، الدار البيضاء، 2001.
- عمر صلاحي،  
- كاتلوج تأبين، مراكش، 1993.
- ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفة،  
- تطوان، تطوان، 1952.
- الحسن ضعيف،  
- عوامل التطور العمراني بالمدن الصغرى نموذج شيشاوة، بحث مرقون.
- م. بن الوليد الطرطوشي،  
- سراج الملوك، تح. جعفر البياتي، لندن، 1990.
- عبد الفتاح الطوشي،  
- السحر الأحمر، بيروت.
- محمد الظريف،  
- الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين، د. د. ع مرقون كلية الآداب، الرباط، 1986.
- ديوان العلامة الأديب محمد ألبضاوي الشنگيطي، سلا، 2000.
- م. ابن عاصم،  
- جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، تح. صلاح جزار، عمان، 1989.
- محمد ابن العباس السوسي،  
- المواهب القدسية في أسانيد المشايخ الصوفية، مخطوط.
- محمد ابن العباس القباچ،  
- الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية.
- ح. ابن عبد الوهاب،  
- تاريخ القضاء في شمال المغرب، تطوان، 2000.
- محمد العيدوني،  
- يتيمة العقود الوسطى في مناقب محمد المعطى، مخطوط.
- ص. العبيدي،  
- الملابس العربية الإسلامية، بغداد، 1980.
- ماء العينين ابن العتيق،  
- سحر البيان في شماتل شيوخنا الشيخ ماء العينين الحسان، مخطوط.
- أحمد ابن عجيبية،  
- رحلة ابن حمادوش الجزائري، الجزائر.
- محمد العرايشي،  
- الثقافة بمكناس، أعمال ندوة المحاضرة الاسماعيلية، 1988.

- ابن العريف،  
- محاسن المجالس، نشر أسين بلا سيوس، باريس، 1933.
- أحمد عزوي،  
- الأسطول، التجارة، القرصنة فيما بين القرنين 6 و8 (12 - 14 م) ضمن البحر في تاريخ المغرب، المحمدية، 1999.
- محمد ابن عزوز حكيم،  
- معلمة معركة وادي المخازن، تطوان، 2002.
- أحمد العزفي،  
- إثبات ما لا بد منه لمريد الوقوف، مخطوط.  
- دعامة اليقين في زعامة المتقين، تح. أحمد التوفيق، 1989.
- ابن عطاء الله الاسكندري،  
- لطائف المنن، بيروت، 1998.
- ع. الله علي علام،  
- الدولة المرحدية في عهد عبد المومن بن علي، مصر، 1968.
- التقي العلوي،  
- أصول المغاربة، مجلة البحث العلمي، ع 33.  
- التنظيم الجماعي والإداري، مراكش، 1992.
- الزكي العلوي،  
- مطالع الزهراء، الجامع لأسماء بني الزهراء، مخطوط خ. ح رقم 656.
- عبد الحميد العلوي،  
- تاريخ وجدة وأنكاد في دوحه الأمجاد، الدار البيضاء، 1958.
- محمد بن الطيب العلوي،  
- العلامة محمد السدراتي، دعوة الحق، ماي 1978، ص 98.
- محمد ابن علي الذكالي السلوي،  
- نبذ من تاريخ سلا، مخطوط خ. ص.
- ابن العماد الحنبلي،  
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، د. ت.
- محمد عمارة،  
- الإسلام وفلسفة الحكم، ط. 2، بيروت، 1979.
- عمالة شيشاوة،  
- مونوغرافية شيشاوة، الدا البيضاء.
- ج. د. العمراني اشيطار،  
- طنجة بين سنتي 1900 - 1912، د. د. ع، الرباط، 95 - 1996.
- محمد عمراني،  
- جامعة القرويين، 1914 - 1934، د. د. ع مرقون كلية الآداب الرباط، 1988.
- محمد عمراوي،  
- دور التجارة والخدمات في التوسع الحضري لمدينة شيشاوة، بحث مرقون.
- العمرى،  
- مسالك الأبصار، الجزائر، 1924، الرباط، 1979.
- أحمد العمّاري،  
- نظرية التحديث والمواجهة عند علي السوسي السملالي ضمن أعمال ندوة الاصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، الرباط، 1986.
- عبد الله عنان،  
- فهارس الخزنة الملكية، الرباط.
- م. عناني،  
- الشائبة التونسية، مجلة الأمل الثقافي، أكتوبر، 1970.
- ف. العيساوي،  
- كلف البوادي المغربية، ندوة البوادي المغربية الرباط، 1999.
- أببير عياش،  
- المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية، 1985.
- المختار غازي،  
- إشارات من تاريخ سطات، الدار البيضاء، د. ت.
- عبد الرحيم غنيم،  
- تاريخ الجامعات الإسلامية.
- محمد الفيث النعمة،  
- الأبحر المعينية في الأملاح المعينية، تح. م المختار المداح، د. د. ع مرقون، الرباط.
- عبد الاله الفاسي،  
- مدينة الرباط وأعيانها، الرباط.

- ع. الحفيظ الفاسي،  
- الترجمان المغرب عن أشهر فروع الشاذلية بالمغرب، مخطوط. خ. ع.
- ع. الفاسي،  
- تحفة الأكابر، مخطوط.
- علاء الفاسي،  
- الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، طنجة.
- محمد الفاسي،  
- شعراء الملحون، مجلة المناهل عدد 23.
- محمد المهدي الفاسي،  
- الإلماع ببعض من لم يذكر في تمتع الأسماع، مخطوط.
- أبو الفدا صاحب حماة،  
- الأخبار القرينة عن الحوادث القديمة، مصر، 1919.
- ابن فركون،  
- ديوان ابن فركون، الدار البيضاء، 1987.
- ابن الفقيه الهمداني،  
- مختصر كتاب البلدان، ليدن، 1302.
- حسن الفكيكي،  
- المورسكيون بمنطقة مضيق جبل طارق الثالث الأول من القرن الحادي عشر (17 م) مجلة الأكاديمية، عدد 15.
- أحمد القادري،  
- مع هؤلاء : أبحاث ومذكرات، الرباط، 2001.
- القاضي النعمان بن محمد،  
- تأويل الدعائم، تح. محمد حسن الأعظمي، مصر، د. ت.  
- كتاب المجالس والمسامرات، تح. الحبيب الفقي وأخرون، تونس، 1978.
- محمد القبلي،  
- حول التحركات البشرية بمجال المغرب الأقصى فيما بين منتصف القرن الثاني عشر ونهاية القرن الثالث عشر للميلاد، مجلة كلية الآداب، الرباط، ع. 21 - 22، 1997.  
- قراءة في زمن أبي محمد صالح.
- عبد المجيد قدوري،  
- ابن أبي محلي الفقيه الثائر، الدار البيضاء.
- أ. القدميري،  
- إطلالة على دائرة تاهلة عمالة إقليم تازة، 1982.
- صالح بن قرية،  
- المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، الجزائر، 1986.
- زكريا الفزويني،  
- آثار البلاد وأخبار العباد.  
- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات.
- ع. بن يوسف القفطي،  
- إنباه الرواة عن أنبا النحاة، تح. م. أبو الفضل إبراهيم، مصر، 1952.
- عثمان الكاديكي،  
- الأمراض المعدية، بنغاري، د. ت.
- جاك كايي،  
- السفارات والبعثات المغربية إلى فرنسا، مجلة تطوان، ع. 6، 1961.
- إدريس الكتاني،  
- المغرب ضد اللادينية، الدار البيضاء، 1958.
- عبد الكبير الكتاني،  
- روض الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية، مخطوط.
- محسود كعت،  
- تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، تح. هوداس ودولافوس، المحي، 1913.
- الكفيف الزرهوني،  
- ملعبة الكفيف الزرهوني، تح. م. بنشريف، الرباط، 1987.
- عبد الصمد گنون،  
- مواكب النصر وكواكب العصر، طنجة.
- عبد الله گنون،  
- التعاشيب، تطوان، د. ت.
- عبد القادر الكوهن،  
- فهرس، مخطوط.

- محمد الكيكي،  
- مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال، نج. أ. التوفيق، بيروت، 1997.
- محمد اللبار،  
- حول مقاومة المغرب للأهداف التوسعية الرومانية خلال منتصف القرن 1 م. أعمال مهادة لايراهيم بوطالب، الرباط، 2000.
- دور المغرب الشرقي في عرقلة الوجود الروماني في إفريقيا الشمالية، جمعية تاريخ المغرب، بونيه، 1993.
- سعيد بن عمر لعاشي،  
- تحفة الحواشي في مناقب سيدي علي المعاشي، الرباط، د. ت.
- أبو بكر المالكي،  
- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، تح. بشير البكوش ومحمد العروسي، بيروت، 1983.
- المؤرخ التأسيسي لحزب الشورى والاستقلال،  
- ميثاق الاستقلال القومي، الدار البيضاء، 1946.
- أحمد متفكر،  
- ذيل الإعلام، مخطوط.
- مجهول،  
- تقييد في ترجمة الصفار، مخطوط.
- الرئاسة البحرية، ورجال القوة في المغرب، مخطوط، خ. ع.
- مجموع مؤلف من ظهائر شريفة وعمود أنكحة متعلقة بالشرفاء السجلماسيين وغيرهم، مخطوط، خ. ع.
- مراحل رحلات مولاي الحسن، مخطوط.
- الحسن المحداد،  
- الماء بحوض سوس، إسهام في دراسة نظام مائي مغربي جنوب أطلسي، أطروحة مرقونة، الرباط، 1999.
- محفظات المولى عبد الرحمان بن هشام، وثائق خ. ح.  
محفظة 1323، وثائق خ. ح.  
حسن أحمد محمود،  
- قيام دولة المرابطين.
- عبد الحليم محمود،  
- أبو الحسن الشاذلي الصوفي، القاهرة، 1967.
- المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي، القاهرة، د. ت.
- مصطفى محمود،  
- السر الأعظم، القاهرة، د. ت.
- مديرية الإحصاء،  
- المغرب في أرقام 1999، الرباط، 2000.
- م. خليل المرادي الدمشقي،  
- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر.
- مرييه ربه،  
- قرّة العينين في كرامات الشيخ ماء العينين، مخطوط.
- مركز الدراسات والأبحاث في العلوم الاجتماعية،  
- التقرير الاستراتيجي للمغرب 1995 - 1996، مجلة أبحاث، عدد خاص، الرباط، 1977.
- المركز السينمائي المغربي،  
- الفيلم المغربي الطويل، جرد فيلموغرافي، الرباط، 2000.
- الفيلم المغربي القصير، جرد فيلموغرافي، الرباط، 2000.
- نجاة المريني،  
- الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي.
- محمد العربي المساري،  
- المغرب ومحيطه، الرباط، 1998.
- محمد المسعودي،  
- بطاقة تقنية حول الصباغة النباتية، الدار البيضاء، 1989.
- مصطفى المسناوي،  
- أبحاث في السينما المغربية منشورات الزمن، العدد 27، الرباط، 2001.
- المشرفي،  
- الأنوار السنوية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف الحسنية، تح. ع. الكريم الفيلاطي، المحمدية، 1966.
- حسن أحمد المصودي،  
- صفحات في تاريخ المغرب المعاصر، تطوان.
- أحمد معنينو،  
- المجلس الوطني الاستشاري ومعارضة حزب الشورى والاستقلال 1956 - 1959، الدار البيضاء، 1986.
- الشفيق مقار،  
- السحر في التوراة والعهد القديم، لندن، 1990.

- المقرضي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح. ع. القادر عطا، بيروت، 1997.
- المكاري، صورة أوروبا في الكتابات المغربية خلال القرن 19 تنازع الانفتاح والانغلاق، أطروحة، فاس، 1996.
- م. محمد مكمل وآخر، مسألة الإصلاح عند المفكرين المغاربة في النصف الثاني من القرن 19. د. د. ع مرقون، فاس، 1988.
- م. زاوية سيدي إسماعيل، بحث لنيل الإجازة مرقون بكلية الآداب، الجديدة، 1991.
- عمر ابن الملتن، طبقات الأولياء، تح. نور الدين شريفة، القاهرة، 1973، تح. مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، 1998.
- صلاح الدين المنجد، تقرير بعثة معهد المخطوطات العربية إلى المغرب، 1959.
- المنذوبية السامية للمقاومة، تراجم الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، الرباط، 1996.
- م. منصور، تصوف الشرفاء، الممارسة الدينية والاجتماعية للزاوية من خلال مناقبها، الرباط، 1989.
- ابن منكلي، كتاب الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية في البحر، مخطوط، دار الكتب المصرية، القاهرة.
- م. المنوني، ركب الحاج المغربي، تطوان، 1953.
- م. المولد النبوي الشريف في المغرب المريني، دعوة الحق، ع 1، 1988.
- م. المهناوي، بعض مظاهر أزمة ممارسة الشورى بدولة الاسلام من خلال فتوى ابن ناجي في قضية تملك الحرطين.
- ع. المودن، منوغرافيا دائرة بولمان إقليم بولمان 1982.
- سوزان ميلار، صدفة اللقاء مع الجديد رحلة الصفار إلى فرنسا (1845 - 1846)، الرباط، 1995.
- أحمد الخليفة ابن ناصر، والحسين ابن شرجيل، رسائل ووصايا ناصرية، مخطوط خ. ع.
- جعفر الناصري، سلا ورباط الفتح واسطولهما الجهادي، مخطوط.
- المهدي الناصري، نعت الفطريس الغسيس هيان بن بيان المنتهي إلى سوس، مخطوط.
- م. الثاني ولد الحسين، صحراء اللثمين وعلاقتها بشمال وغرب إفريقيا، أطروحة مرقونة كلية الآداب، الرباط، 1997.
- أبو الحسن التباهي، المرقبة العليا، تاريخ قضاة الأندلس، بيروت، 1983.
- درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، جامعة الاسكندرية، 1974.
- أ. النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح. م. أبو ضيف، الدار البيضاء، 1985.
- داقيد منتغومري هارت، آيت عطا بالوسط الجنوبي المغربي، مجلة واجهة، ع مزدوج، 2001.
- م. الهبطي المواهي، مفتون منسيون بغصارة وشفشاون، 2000.
- إبراهيم الهلالي، التبيان لعركة ماء أبي فكران، الدار البيضاء، 1985.
- أ. الهلالي، فهرست، تح. رشيد المصلوت، 1981.
- تقي الدين الهلالي، الهدية الهادية للطائفة التجانية.
- م. بن سعيد الهنا، كثر الأسرار لواقع الأفكار، مخطوط.
- ابن جابر الوادي آشي، برنامج ابن جابر الوادي آشي، تح. م. الحبيب الهيلة، تونس، 1981.
- وثائق كوسومار، الدار البيضاء.
- وثائق المكتب الوطني للسكك الحديدية.



- محمد وحيد،  
- مساهمة في دراسة الحركة الوطنية، مقاومة الدار البيضاء نموذجاً، أطروحة دكتوراة مرقونة، الرباط، 2001.
- ابن الوردي،  
- خريدة العجائب وفريدة الغرائب، القاهرة، 1939.  
وزارة الاشغال العمومية،  
- تعبئة المياه بواسطة السدود الكبرى.  
عبد العلي الوزاني،  
- خاطبات من فاس، مجلة المناهل، دجنبر، 1979.  
محمد حسن الوزاني،  
- خطب وتصريحات صحفية، أربعة أجزاء - بيروت، 1988.  
دراسات وتأملات، ثلاثة أجزاء - بيروت، 1987.  
م. آيت بومهاوت الوسخيني،  
- مدار السعور عن تفرات الملود ومدرستها العتيقة.  
وفد حزب الشورى والاستقلال بالشرق،  
- هذه هي الحماية في مراكش، القاهرة، 1953.  
بنعبد الله الوكوتي،  
- مذكرات مقاوم، الرباط، 1996.  
مختار الوكيل،  
- جنيف والسياسة الدولية، جنيف.  
محمد التهامي الوكيلي،  
- السحر، الرباط.  
ولاية أكادير،  
- منوغرافية جهة سوس - ماسة - درعة، أكادير، 1999.  
المختار ولد حامد،  
- حياة موريتانيا - الجغرافيا - بيروت، 1994.  
جعفر بن منصور اليمن،  
- كتاب الكشف، تح. مصطفى غالب، بيروت، 1984.



**Supplément**  
**à**  
**la bibliographie des ouvrages et des articles**  
**cités dans l'encyclopédie**

- AIMEL, G., *Le Palais d'El-Badi*, A.B., III, 1918.
- ALLAIN, Ch., *Reconnaisances archéologiques dans le Massif des Rehmna et la Bahira*, Hesp., 1er - 2e tri., 1954.
- ARRIBAS PALAU, M., *Cartas de recomendación cursadas Al Sultan Abu Said Utman III de Marruecos por el Rey de Aragon Fernando I*, El Antequera, H.T., 1960, fasc. 3, vol. 1.
- ARRIBAS PALAU, M., *Intercambio de embajadas entre Abu Said Utman III de Marruecos y Fernando I de Aragon*, Tetuan, 1956.
- ARRIBAS PALAU, M., *Las treguas entre Castilla y Granada firmadas por Fernando I de Aragon*, Tetuan, 1956.
- AYAD, M., LE COZ, J., *Vers une nouvelle ère hydraulique au Maroc*, in *Aspects de l'agriculture irriguée au Maroc*, Rabat, Montpellier, 1991.
- BARDEL, G., *L'urbanisme*, Paris, 1959.
- BARROUQUERE, C., CLARET, C., *Settat: centre historique de la Chaouia*, Paris, 1919.
- BASSAC, *Note sur le Tafilalet et sur le Ziz*, B.S.G.A., 3e trim., 1929.
- BEGUIN, H., *L'organisation de l'espace au Maroc*, Bruxelles, 1974, 2 vol.
- BELAL, A., *L'investissement au Maroc. 1912 - 1964*, Paris, 1976.
- BELKAID, S., *La tannerie dans la ville de Marrakech*, Th. 3e cycle, Nice, 1983.
- BELLAKHDAR, J., *La pharmacopée marocaine traditionnelle : médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997.
- BENEVOLO, L., *Aux sources de l'urbanisme*, Paris, 1972.
- BENCHENEB, M., *Origine du mot chéchia*, R.A., n° 51, 1907.
- BENHATI, A., *La politique marocaine des barrages*, in *Les problèmes agraires au Maghreb*, Paris, 1977.
- BENZAKOUR, S., *Essai sur la politique urbaine au Maroc 1912 - 1975*, Casablanca, 1978.
- BERNARD, P., *Les anciens impôts de l'Afrique du Nord*.
- BERQUE, J., *Note sur l'histoire des échanges dans le Haut Atlas occidental*, A.E.S.C., n° 3, 1953.
- BONO, S., *Les corsaires en Méditerranée*, Rabat, 1998.
- BOUBE, J., *Documents d'architecture maurétanienne au Maroc*, B.A.M., 7, 1967.
- BOUBE, J., *Fouilles archéologiques à Sala*, H.T., 1966.
- BOUBE, J., *Les nécropoles de Sala*, Paris, 1999.
- BOULANGER, P., *Le cinéma colonial de l'Atlantide à Lawrence d'Arabie*, Paris, 1975.
- BOURDON, G., *Ce que j'ai vu au Maroc : les journées de Casablanca*, Paris, 1908.
- BRESSOLETE, H., DELAROSIERE, J., *Fès-Jdid : de sa fondation en 1276, au milieu du 20e S*, H.T., fasc. un, 1982-1983.
- BRUNOT, L., *Les babouches et leur décoration*, F.M., n° 3, 15 mai 1917.

- CAILLE, J., *Une ambassade autrichienne au Maroc en 1805*, Paris, 1957.
- CANARD, M., *Les relations entre les mérinides et les mamelouks au XIV<sup>e</sup> siècle*, A.I.E.O., V, 1939-1941.
- CARCOPINO, J., *La côte océanique du Maroc : ce qu'en ont connu les anciens*, Rabat, 1949.
- CASTELLS, M., *La question urbaine*, Paris, 1972.
- CATTENOZ, G., *La fiscalité marocaine*, Paris, 1927.
- CERDA, I., *La théorie générale de l'urbanisme*, Paris, 1973.
- CHACK, P., *Du Maroc à l'Océan indien*, Paris, 1939.
- CHALMETA, P., *Le barnamag d'Ibn Abi l-Rabi'*, Arabica, fasc. 2, juin 1968.
- CHOAY, F., *L'urbanisme : utopies ou réalités*, Paris, 1980.
- CHOUIKI, M., *Settat et son rôle régional*, Th. 3<sup>e</sup> cycle : Géo, Univ. Tours, 1985.
- CHOUIKI, M., *Settat une ville moyenne au rôle régional compromis*, in *Petites villes et villes moyennes dans le monde arabe*, Tours, 1986, T. 2.
- CHOVIN, G., *Aperçu sur les relations de la France avec le Maroc, des origines à la fin du Moyen Age*, Hesp., 3<sup>e</sup> -4<sup>e</sup> trim., 1957.
- COLIN, G., *Shawia, E.I.*, 1<sup>ere</sup> éd.
- CORNEVIN, R. et M., *Histoire de l'Afrique : des origines à nos jours*, Paris, 1956.
- CORNICE, *Notice sur les Cherarda*, A.B., vol. 4, fasc. 1-2, 1919-1920.
- COTE, M., LEGRAS, J., *La variabilité pluviométrique inter annuelle au Maroc*, R.G.M., n° 10, 1966.
- COUR, A., *Les derniers mérinides*, B.S.G.A., 1905.
- CUOQ, J., *Recueil des sources arabes concernant l'Afrique occidentale*, Paris, 1985.
- DELORME, H., *Note sur l'origine des Sraghna*, Dactyl.
- DEMUCE, J., *L'Afrique au 16<sup>e</sup> siècle et le commerce anversois*. Anvers, 1937.
- DERMENGHEM, E., *Le culte des saints dans l'Islam maghrébin*, Paris, 1954.
- DESMAZIERES, B., *L'évolution des grands courants commerciaux à l'intérieur du Maroc*, Mémoire C.H.E.A.M., 1948.
- DEVERDUN, G., GHIATI, M.B.A., *Deux Tahbis Almohades*. Hesp., 3-4 trim., 1956.
- Dossier sur le cinéma marocain*, Souffles, n° 2, 1966.
- DRESCH, J., LEPINY, J., *Guide alpin de la montagne marocaine : le Massif de Toubkal*, Rabat, 1938.
- DUCROCQ, M., PASCON, P., *La mise en valeur du périmètre de la Tassaout (Haouz de Marrakech)*, H.T.E., n° 6, 1973.
- DZIUBINSKI, A., *L'armée et la flotte de guerre marocaine à l'époque des sultans de la dynastie saadienne*. H.T., XIII, fasc. uni., 1972.
- ECOCHARD, M., *Casablanca : roman d'une ville*, 1955.
- EISENBETH, M., *Les juifs au Maroc*, Alger, 1948.
- EL MOUVTASSER, M., *Collectivités traditionnelles et espaces montagnards dans les zones d'arrière pays atlasiques méridionaux*, Th. : Géo, Aix-Marseille II.
- EMBERGER, L., *Aperçu général sur la végétation du Maroc*, Berne, 1939.
- EMBERGER, L., *Aperçu général sur la végétation du Maroc : commentaire de la carte phytogéographique du Maroc au 1/1.500.000*, Rabat.
- ESCALIER, R., *Citadins et espaces urbains au Maroc*, Tours, 1984, 2 vol.
- EUZENNAT, M., *Le limes de Tingitane : la frontière méridionale*, Paris, 1989.

- FAGNAN, E., *Extraits inédits relatifs au Maghreb*, Alger, 1924.
- FLOURIOT, J., *L'oléiculture dans la région de Marrakech*, R.G.M., n° 9, 1966.
- GALLAOUÏ, M., *La critique au pluriel*, Casablanca, 2002.
- GODINHO, *L'économie de l'empire portugais. 15-16e s.*, Paris, 1930.
- GOULVEN, J., *Les Mellahs de Rabat-Salé*, Paris, 1927.
- GRAILLOT, M., *Le culte de Cybèle, mère des dieux à Rome et dans l'empire romain*. B.E.F.A.R., 1912.
- GRAILLOT, M., *Les dieux tout puissants Cybèle et Attis et leur diffusion dans l'Afrique du Nord*, R.A., I, 1904.
- GRASSET, Cap., *A travers la Chaouia avec le corps de débanquement de Casablanca*, Paris, 1906.
- GROVE, A.T., *Africa South of Sahara*, Oxford, 1967.
- GUIHO, P., *La nationalité marocaine*, Paris, 1961.
- HEIM, M., *A travers le vieux Maghreb*, Paris, 1926.
- HOST, G., *Histoire de l'empereur du Maroc Sidi Mohammed Ben Abdallah*, Rabat, 1998.
- HUOT, *La situation politique en Chaouia, Août-Décembre 1907*, B.S.G.M., fasc. 2-3, 1922.
- L'industrie marocaine des parures*, B.I.D.M., juil. 1942.
- JAIDI, M. D., *Cinégraphiques*, Rabat, 1995.
- JAIDI, M. D., *Le cinéma au Maroc*, Rabat, 1991.
- JAIDI, M. D., *Public(s) et cinéma*, Rabat, 1992.
- LA CHAPELLE, F. de., *La formation du pouvoir monarchique dans les tribus berbères du Haut Atlas Occidental*, Hesp., vol. 8, 3e-4e trim., 1928.
- LE CORBUSIER, *La charte d'Athènes*, Paris, 1971.
- LE CORBUSIER, *Manière de penser l'urbanisme*, Paris, 1963.
- LE TOURNEAU, R., *Les débuts de la dynastie saadienne jusqu'à la mort de Mohammad Ach-Chaykh, 1557*, Alger, 1954.
- LAHBABI, A., *Villes et politiques urbaines au Maroc*, Th. 3e cycle, Grenoble, 1976.
- LAHLIMI, A., *Les terres irriguées et le monde rural dans la Tassaout moyenne*, R.G.M., n° 11, 1967.
- LENOIR, E. BRONQUIER-REDDI, V., *Bibliographie du Maroc antique*, Africa Romana, 1998.
- LINARES, F. J., *Voyage au Tafilalet avec S. M. le sultan Moulay Hassan en 1893*, B.I.H.M., juil. - sept. 1932.
- LLABADOR, F., *Port Say et son fondateur*, Oran, 1955.
- LUCCIONI, J., *Avènement de Sidi Mohammed Ben Youssef au trône du Maroc, 1927*, R.O.M.M., XII, 1972.
- MAILLOT, D., *Le régime administratif du cinéma au Maroc*, Rabat, 1961.
- MAS-LATRIE, *Traité et documents divers concernant les relations des chrétiens et des arabes au Moyen Age*, Paris, 1868.
- MASSON, P., *Histoire des établissements et du commerce français. 1560-1793*, Paris, 1903.
- MATHIAS, J., *L'artisanat marocain*, B.E.S.M., n° 96-97, 1963.
- MAUDUIT, R., *Le makhzen marocain*, A.F., n° 12, 1903.
- MAUNY, A., *La magie et l'astrologie*, Paris, 1860.
- MAUNY, R., *Découverte à Gao d'un fragment de partie émaillée du Moyen Age musulman*, Hesp., 3e-4e trim., 1959.

- MEUNIER, J., *Le grand riad et les batiments saadiens du Badi à Marrakech, selon le plan publié par Windus, Hesp.*, 1-2 trim., 1957.
- MICHAUX-BELLAIRE, E., *Les habous de Tanger, A.M.*, XXII, 1914.
- MICHAUX-BELLAIRE, E., *Les impôts marocains, A.M.*, vol. 1, n° 1, mars 1904.
- MICHAUX-BELLAIRE, E., *Tanger et sa zone, in villes et tribus du Maroc*, vol. 7, Paris, 1921.
- MINISTERE DU TOURISME, *Randonnées pédestres dans le massif du Mgoun*, Casablanca, 1989.
- MORSY, M., *North Africa, 1800-1900*, London, 1974.
- MORSY, M., *La relation de Thomas Pellow : une lecture du Maroc au 18e s.*, Paris, 1983.
- MURDOCK, G.P., *Africa : its peoples and their culture history*, New York, 1959.
- NIANE, Dj. T., *Le Soudan occidental au temps des grands empires*, Paris, 1975.
- OLIVIER, F., *Mémoire sur l'évolution économique des tribus de la banlieue de Meknès depuis l'occupation française, Mémoire C.H.E.A.M.*, 1937.
- PAVIS D'ESCURAC, H., *Le Magna Mater en Afrique, B.A.A.*, VI, 1975-1976.
- PERUGIA, J. D., *Noms de lieu d'origine berbère dans le sud-ouest de la France, H.T.*, vol. 18, fasc. un, 1978-1979.
- PIANEL, G., *Conquête du Soudan par Mawlay Al-Mansour, Hesp.*, 1953.
- RENE - LECLERC, C., *La presse au Maroc : aperçu historique et situation en juillet 1908, in Congrès de l'Afrique du Nord, Paris, 6 - 10 octobre 1908, compte-rendu de travaux*, Paris, 1909, tome I.
- ROUCH, J., *Saïdia, port méditerranéen du Maroc français. La géographie*, LX, n° 1-2, 1933.
- SEGONDS, *La Chaouïa et sa pacification*, Paris, [s.d].
- SIGELMASSI, *Les plantes médicinales au Maroc*, Casablanca, 1993.
- SMAILI, M.A., *Les années terribles du Maroc Oriental, 1844-1945, Oujda*, 1996.
- SOUIBA, F., EL-ALAOUI, F.Z., *Un siècle de cinéma au Maroc, 1907-1995*, Rabat, 1995.
- TARRIT, C., *Le cercle de BeniMellal : étude sur le front chleuh, pays Aït Srir, B.S.G.M.*, III, 1923.
- TASSERIE, G., *Contribution à l'étude de la tuberculose au Maroc*, Th, Doct., Paris, 1921.
- TERRASSE, H., *Note sur les ruines de Sigilmassa, R.A.*, 3e-4e trim., 1936.
- TIMOULE, A., *Les chroniques maritimes du Maroc : les statuts du marin et du navire marocains*, Casablanca, 1980.
- TROIN? J.F., *Vision et utilisation des souks au Maroc, in Connaissances du Maghreb : sciences sociales et colonisation*, Paris, 1984.
- TUBERT, *La Chaouïa, Bull. Sté. d'Alger, et de l'Afrique du Nord*, 1e-2e trim., 1914.
- VOINOT, L., *Une époque d'entente cordiale avec l'Amel d'Oujda, 1881-1885, R.A.*, 1926.
- WEISGERBER, F., *Les Chaouïa*, Paris, 1907.
- ZAFRANI, H., *Mille ans de vie juive au Maroc*, Paris, 1983.
- ZARTMAN, I.W., *Government and politics in Northern Africa*, London, 1963.

## Liste des principales abréviations des périodiques

- A.A : *L'Afrique et l'Asie.*  
A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*  
Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales.*  
A.E.S.C : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*  
A.F : *Afrique Française.*  
A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*  
A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*  
A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*  
A.M : *Archives Marocaines.*  
A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie.*  
And. : *Al-Andalus*  
Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*  
Ant. Afr. : *Antiquités Africaines.*  
B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*  
B.A.R : *British Archeological Reports.*  
B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*  
B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*  
B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*  
B.G.M : *Bulletin de Géographie du Maroc.*  
B.I.D.M : *Bulletin de l'Information et de la Documentation Marocaine.*  
B.I.F.A.N : *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire.*  
B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*  
B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*  
B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne.*  
B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*  
B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*  
B.S.G.Æ.O : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*  
B.S.H.M : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*  
B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*  
B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Préhistoire du Maroc.*  
Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique.*  
C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*  
Cah. Rech. Agron. : *Cahiers de la Recherche Agronomique.*  
C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*  
C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*  
C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*  
C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos.*  
C.H.I : *Cuadernas de Historia del Islam.*  
C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée.*  
C.R.A.I.B.L : *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*  
C.R.A.S : *Compte-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*  
C.T : *Cahiers de Tunisie.*  
E.B : *Encyclopédie Berbère.*

**E.I.1** : *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*  
**E.I.2** : *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*  
**E.T.A.M** : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*  
**Et. Médit.** : *Etudes Méditerranéennes.*  
**F.M** : *France - Maroc.*  
**F.S.S.A.N** : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*  
**G.E.M** : *Grande Encyclopédie du Maroc.*  
**Hesp** : *Hespéris.*  
**H-T** : *Hespéris-Tamuda.*  
**H.T.E** : *Hommes, Terre et Eaux.*  
**I.G** : *Information Géographique.*  
**I.H.E.M** : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*  
**I.H.E.M** : **N-D** : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*  
**Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar.** : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*  
**I.S.C** : *Institut Scientifique Chérifien.*  
**Isl. Cult.** : *Islamic Culture.*  
**I.S.P.M** : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*  
**J.H.S.N** : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*  
**M.A.I.B.L** : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*  
**Médit** : *Méditerranée.*  
**M.E.F.R** : *Mélanges de l'Ecole Française de Rome.*  
**N.A.M.S.L** : *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*  
**P.I.H.E.M** : *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*  
**P.S.A.M** : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*  
**P.S.H.M** : *Publications de la Section Historique du Maroc.*  
**R.A** : *Revue Africaine.*  
**R.A.P** : *Revue de l'Action Populaire.*  
**R.C.C** : *Revue de la Chambre de Commerce.*  
**R.D.M** : *Revue des Deux Mondes.*  
**R.E.A** : *Revue des Etudes Anciennes.*  
**R.E.I** : *Revue des Etudes Islamiques.*  
**R.E.L** : *Revue des Etudes Latines.*  
**R.G.L** : *Revue de Géographie de Lyon.*  
**Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn.** : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*  
**R.G.M** : *Revue de Géographie du Maroc.*  
**R.H.C.M** : *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*  
**R.H.E** : *Revue d'Histoire Economique.*  
**R.H.M.C** : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*  
**R.M.D.E.D** : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*  
**R.M.E** : *Revue Maroc-Europe.*  
**R.M.F** : *Revue Militaire Française.*  
**R.M.F.P.E** : *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie.*  
**R.M.M** : *Revue du Monde Musulman.*  
**R.P.P** : *Revue Politique et Parlementaire.*  
**Rev. Inst. Hist. Mil.** : *Revue Internationale d'Histoire Militaire.*  
**S.G.L** : *Sociedade de Geografia de Lisboa.*  
**S.I** : *Studia Islamica.*  
**S.I.H.M** : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*  
**Soc. Sc. Nat. Phys. Mar.** : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*



**سجلماسة** تطلق على مجال جغرافي واسع، وهي كنفيس ودرعة تحمل معنى مزدوجاً لأنها اسم لمدينة ولمحيطها القروي. وقد ضبط الفلقتشندي لفظ سجلماسة بكسر السين المهملة وكسر الجيم وسكون اللام وفتح الميم ثم ألف وسين مهملة مفتوحة وهاء في الآخر (صبح الأعشى، 5: 163). وذكر الوزان أن قائداً رومانياً بنى هذه المدينة وسمّاها سجلوم ميسي لأنها كانت آخر ما افتتحه من مدن ماسة، لأنها كانت كالتخاتم الذي يسجل نهاية فتوحاته، فحرف هذا الاسم بعد ذلك وتحول إلى سجلماسة (وصف إفريقيا، 2: 127).

صارت رواية الوزان هاته مصدر آراء عدد كبير من المؤرخين في موضوع تسمية سجلماسة، فذهب كولين Colin إلى القول بأن هذه الكلمة مشتقة من سجلوم Sigillum، وهي كلمة لا تينية مأخوذة عن الكلمة اليونانية Giyihhiov، واستعملت في اللغة العربية للدلالة على صكوك المباحات، وعلى كتاب يكتب به القاضي صورة الدعاوي والحكم فيها، كما استعملت للدلالة على الكتابة، وقد سلم فقهاء اللغة ومفسرو القرآن بأن كلمة سجيل من الدخيل على اللغة العربية، ونسبها بعضهم إلى الحبشية والبعض الآخر إلى الفارسية. والسجل بمعنى الوثيقة المكتوبة شائع معروف في اللغة العربية، لكن يبقى الجزء الأخير من الاسم غير مفهوم، ويظهر أنه ليس لا تينيا ولا عربياً (دائرة المعارف الإسلامية، 1: 297).

أورد ماكوك ملاحظات في غاية الأهمية حول رواية الوزان الخاصة باسم سجلماسة، وأشار إلى أن المعنى الشائع لكلمة سجلا Sigilla هو مجموعة من الرسوم أو الصور ولكن مفرداً الذي هو سجلوم، يمكن أن يعني أثراً أو سمة أو علامة، وقال بأن كلمات مشابهة لها سميت بها بعض الأماكن في بريطانيا الرومانية، كما هي الحال في مدينة Sigilocom، مع العلم بأن Locom تعني المكان، وأضاف بأنه حتى وإن كان لفظ سجيل دخيلاً على العربية فهو لا

يدعم حتماً التعليل الذي أتى به الحسن الوزان (الرواية التاريخية، 42).

وخلص الأستاذ العربي مزين إلى القول بأن تركيب هذه الكلمة غريب عن اللاتينية والعربية معاً، وقال بأنها من أصل أمازيغي وأنها مركبة من كلمتي سيگ + إلماس. وكلمة سيگ تعني فوق أما إلماس فتعني الماء في الأمازيغية قبل أن تتأثر هاته الأخيرة باللغة العربية فيكون معنى سجلماسة هو المكان المشرف على الماء، أو المكان الذي يوجد به الماء، وقد أضيفت إلى هذه الكلمة المركبة تاء الآخر بغرض تعريبها (مذكرات من التراث المغربي، 2: 25 sur l'etymologie, p. 20).

ويستعمل لفظ تافيلالت كمرادف للفظ سجلماسة، وذهب مونيي Meunié إلى القول بأن لفظ تافيلالت وليد العصور الحديثة، واستدل على ذلك بكون الوزان الذي ألف كتابه وصف إفريقيا في النصف الأول من القرن العاشر (16 م) لم يستعمل قط لفظ تافيلالت وإنما ذكر تلك المناطق باسم عاصمتها القديمة سجلماسة (Abbar, p. 10) والحقيقة أن هذه التسمية تعود إلى تاريخ أقدم من ذلك، فقد استعمل ابن خلدون لفظ تافيلالت كمرادف لسجلماسة أثناء حديثه عن مواطن أولاد حسين وأولاد أبي الحسين من عرب المعقل (العبر، 6: 77-87، 89).

اختلفت الروايات في شأن تاريخ تأسيس مدينة سجلماسة اختلافاً بيناً، ويمكن تقسيمها إلى قسمين: روايات تجعل تاريخ بنائها في الفترة الإسلامية وأخرى تعود به إلى الفترة الرومانية. وأقدم الروايات الإسلامية التي هي رواية البكري تؤرخ لتأسيس هذه المدينة بثلاثة تواريخ مختلفة. ذكر البكري في موضع من كتابه المسالك والممالك أن سجلماسة بنيت عام 140 / 757، وفي موضع آخر عام 104 / 723، وفي موضع ثالث قال إن بانيها هو مدرار بن اليسع بن أبي القاسم الذي قدم إليها من الأندلس عند وقعة الرض (المغرب، 148 و149). وثورة الرض كما

فستبعد، لأنه لا يعقل أن يتأخر بناء سجلماسة حتى عهد الرابع من أمرائها الصغرية.

وقد نقل صاحب الاستبصار عن البكري روايات التأسيس هاته وحرف فيها بعض التحريف (الاستبصار، 101) وعنهما نقل كل من الحميري والقلقشندي (الروض المعطار، 305، 306. وصحح الأعشى، 5 : 163).

أما الروايات القائلة ببناء سجلماسة في الفترة السابقة للفتح الإسلامي فأولها رواية ابن سعيد الغرناطي الذي قال بأنها من بناء الإسكندر الأكبر (Fagman, *Extraits*, 19)، وهو ما قاله الوزان أيضاً في إحدى رواياته ونسبه للعامّة (وصف إفريقيا، 2 : 127). وقال الزباني إنها من بناء بني مدرار قبل الإسلام (الترجمانة، 97) وقال الوزان إن مؤسسها حسب بعض مؤلفينا قائد روماني ذهب من موريطانيا فاحتل نوميديا بأسرها، ثم زحف شطر الغرب حتى ماسة، وسماها بـ : سجلوم ميسي (وصف إفريقيا، 2 : 127).

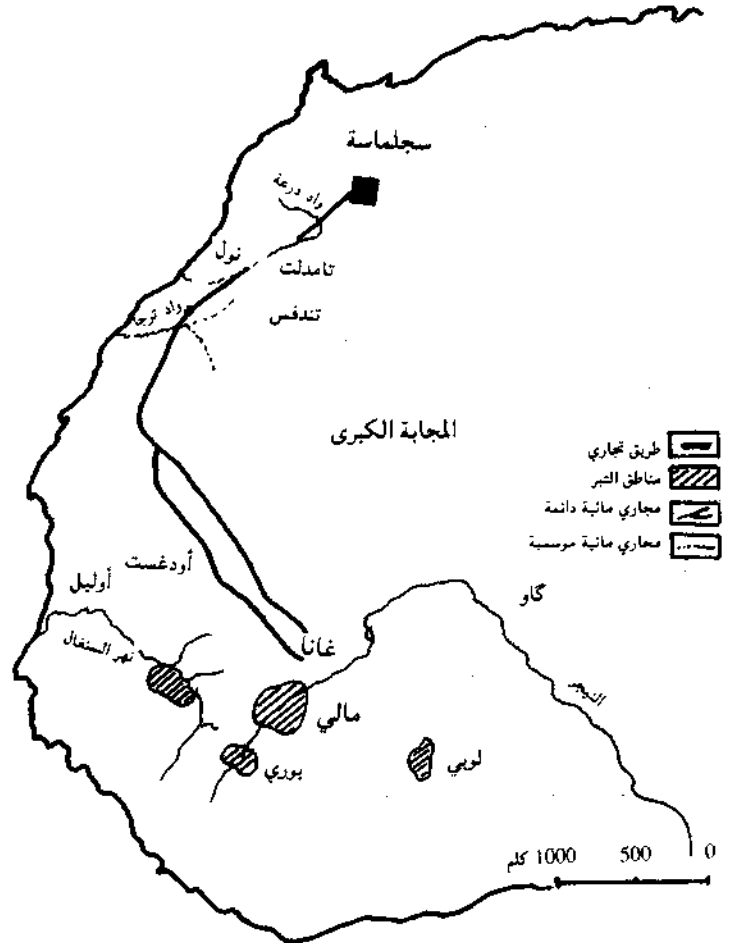
أثارت رواية الوزان هاته اهتمام الدارسين الأوروبيين على وجه الخصوص، وحاول بعضهم البحث عن عناصر مدعّمة لها، فنسبوا كل الآثار المبنية بالحجارة المقطوعة بتافيلالت إلى أصل روماني (Bassac, *Note sur le Tafilalet*, 409 : الرواية التاريخية، 39) مع العلم بأن ما سجله التاريخ من حضور روماني بتلك المناطق لم يتجاوز حملة سريعة قام بها القائد الروماني Suetonius Paulinus سنة 41م لتأديب قبائل (De la chapelle. *Getules. L'expédition de Suetonius*, p. 107).

وإذا كانت لفظة سجلماسة تعني المدينة وإقليمها كما سبق الإلماع إليه أعلاه فإن المجال الذي شمله نفوذ هذه المدينة لم يكن ثابتاً على الدوام، فقد اتسع ليشمل مناطق بعيدة عنها أحياناً، وتقلص ليقصر على مساحات ملتصقة بها أحياناً أخرى تبعاً للتطورات السياسية التي شهدتها تلك المناطق في مختلف مراحلها التاريخية، فسجلماسة في فترة حكم المدراريين تدل على إمارة واسعة امتد نفوذها غرباً حتى مناطق درعة وقسم كبير من بلاد القبلة، ثم عرفت هذه الإمارة اتساعاً كبيراً في عهد المغراويين الذين سلطوا نفوذهم على مناطق قريبة جداً من فاس، ثم خضعت بعد ذلك لمختلف الدول المغربية الكبيرة كالمرابطين والموحدين والمرينيين، ثم أصبحت في القرن الثامن (14 م) قاعدة لإمارة شمل نفوذها كل المناطق الجنوبية للمغرب الأقصى بعد أن استقل بها أبو علي عمر المريني وكون بها جيشاً من عرب المعقل افتتح به معاقل الصحراء والسوس ومراكش. ثم استقل بها بعده أبنائه وحفدته قبل أن تعرف اضطرابات كثيرة بسبب حروب بطون عرب المعقل فيما بينهم ويأتي عليها الحراب شيئاً فشيئاً (سجلماسة، 23).

كانت مدينة سجلماسة تضم مباني جميلة قارنتها ابن حوقل بمباني الكوفة (صورة الأرض، 90) وأكد غيره على

هو معروف تمت على مرحلتين بقرطبة زمان خلافة الحكم بن هشام بن عبد الرحمان : الأولى سنة 189 / 806 وقد تمكن هذا الخليفة من إخمادها بسهولة، والثانية في سنة 202 / 818، وكانت أعنف من سابقتها، وهي التي أسفرت عن تشريد أهل الربض في جميع أقطار الأندلس ومنهم من جاز البحر إلى العدو بالأهل والولد (البیان، 2 : 77) ويذكر البكري لاسم مدرار بن اليسع يكون قد نسب تأسيس سجلماسة إلى ثلاثة أمراء من أمراء بني مدرار وهم بالإضافة إلى مدرار المذكور أبو القاسم سمكو بن واسول وعيسى بن يزيد الأسود. غير أنه قال بعد كل ذلك بأن الرواية القائلة بتأسيسها من قبل أبي القاسم سمكو بن واسول وعيسى بن يزيد الأسود أصح في عمارتها من غيرها (المغرب، 149).

ويبدو أن سجلماسة أسست عام 140 / 757 وهو الأرجح، لأن تاريخ 104 ما هو إلا تحريف لرسم سابقه وهو من صنع الناسخين، أما تأسيسها إثر ثورة الربض



أولاد حسين من جهة ثانية، فاختلفت المدينة في خضم تلك الحروب (سجلماسة، 408-413) لكن التنقيب الأثري وحده قادر على إعطاء جواب شاف لهذا الموضوع.

اشتهرت سجلماسة بنشاطها التجاري مع بلاد السودان الغربي حتى كاد ذكر اسمها أن يقترن بالتجارة الصحراوية. وارتبطت مع أودغست وولاته بطرق ظلت لفترة طويلة من الزمن نشيطة وحيوية. لكن سجلماسة التي ازدهرت على حد زعم الكثيرين، يفعل مرور التجار في الذهاب إلى بلاد السودان والإياب منها، واختفت بتحول اتجاه الطرق التجارية عنها، عرفت بوفرة إنتاجها الفلاحي وجودة مصنوعات الصوفية والمعدنية، الأمر الذي يؤكد أنها لم تكن مجرد محطة للعبور بل قطب إنتاج مهم زود التجار بحاجياتهم من السلع التي تلقى إقبالا في الأسواق السودانية.

وقد اختصت منطقة سجلماسة بإنتاج بعض المواد الفلاحية التي لا تنمو أشجارها أو نباتاتها إلا في مثل وسطها الطبيعي. يتعلّق الأمر بالتكاوت التي كانت تستعمل في الدباغة، كما يتعلّق بالحناء والنيلة اللتين كانتا تستعملان في الصباغة (المغرب، 152 : الاستبصار، 201 : وصف إفريقيا الشمالية، 38). كما أنتجت سجلماسة القطن (وصف إفريقيا الشمالية، 38) لكن المصادر الجغرافية والتاريخية لم تشر إلى صناعة المنسوجات القطنية بها على الرغم من أن النساء السجلماسيات اشتهرن بمهارتهن في غزل الصوف، حتى بلغ ثمن الإزار من نسيجهن خمسة وثلاثين دينارا وأكثر (آثار البلاد، 42 ومعجم البلدان، 192).

وأكدت المصادر الجغرافية وفرة إنتاج سجلماسة من الكروم في الفترة الواقعة بين القرن الخامس والقرن الثامن (11 و14 م). وذكرت أن عنبها الذي لا تناله الشمس لا يربّب إلا في الظل ويعرف باسم الظلي (المغرب، 148 : الاستبصار، 801 : آثار البلاد، 42 وصبح الأعشى، 5 : 164).

كما أنتجت سجلماسة الحبوب بكثرة في العصر الوسيط، ولم يقتصر إنتاجها على توفير حاجياتها المحلية منها، بل تعداه إلى التصدير، فكان قنطار القمح السجلماسي يباع بأودغست بستة مثاقيل (صورة الأرض، 90). وتجب الإشارة هنا إلى أن هذا القمح السجلماسي لم يكن من النوع الجيد فهو رقيق صيني يسع مد النبي ﷺ منه خمساً وسبعين ألف حبة، وخلقته ما بين القمح والشعير (صورة الأرض، 90 والمغرب، 151) وقد سماه الإدريسي بيردن تزواو (وصف إفريقيا الشمالية، 37-38) وإذا ما استبدلنا واو الآخر بنون كطريقة للاستقراء لتصبح هذه الكلمة على النحو الآتي : يردن تزواو يكون معناها القمح الذي ذهبت بقوته رياح الشرقي فضعف وتغيرت حاله، وهو ما يسميه أهل تافيلالت اليوم بالقمح المشروب (سجلماسة،

جمالية معالمها المعمارية، لكن ما وصلنا من معلومات في هذا الباب لا يساعد على وصف تلك المعالم وصفا دقيقا ولا يوفر المادة الكافية لمعرفة خطط هذه المدينة، وكل ما نعرفه أن شكلها كان مستطيلا بناه على ما أثبتته الصور الجوية التي أخذت على علو خفيف والتي أكدت أن خرابها يمتد على مساحة 3 كلم طولا وما بين 500 و1000م عرضا (Terrasse, Note sur les ruines, p. 581) وموضع خرابها الذي تظهر به بقايا الهدم اليوم يحد من جهة الشمال بالساقية المسماة "واد الشرفاء" وفي الغرب بوادي زيز وفي الشرق بالريصاني وقصر أبو عام وقصيبة الحدب وفي الجنوب بقصر كرينفود (سجلماسة، 102).

انفرد الإدريسي بقول إن سجلماسة لم تكن محاطة بسور (وصف إفريقيا الشمالية، 37). وذكر المقدسي أن سورها من طين (أحسن التقاسم، 231) وذكر البكري أن بانيه هو اليسع أبو منصور بن أبي القاسم سنة 199 / 815 (المغرب، 148). ويرى مارغا Margat أن بقايا السور التي تظهر إلى اليوم بموضع سجلماسة تعود لعهد متأخر، لكن مواد بنائها لا تختلف عن مشيلتها التي بني بها سور سجلماسة القديم (Note sur la morphologie, p. 256) في حين ذهب تيراس Terrasse إلى القول بأن تلك البقايا ليست من السور الذي بناه اليسع، لكن تاريخ بنائها يعود إلى القرن السادس (12 م)، ومنها ما يعود إلى القرنين السابع والثامن (13 و14 م) (Note sur les ruines, p. 584). وقال ليسار Lessard إن سور سجلماسة كان مكونا من سورين : سور خارجي لا يحمل الأبراج وآخر داخلي به الأبراج يبلغ سمكه مترين، وبينهما مسافة تتراوح ما بين سبعة وثمانية أمتار (Sigilmassa, p. 9).

كان لسجلماسة عدد كبير من الأبواب حصرها البكري في اثني عشر باباً، الثمانية منها حديث (المغرب، 148) وأورد المقدسي أسماء بعضها وهي : باب القبلي، باب الغربي، باب غدير الجزارين، باب موقف زناتة (أحسن التقاسم، 131). كما ذكر ابن أبي زرع اسم أحدها وهو باب تاخست (القرطاس، 296) وهو باب تاخست عند الناصري (الاستقصا، 3 : 18).

لا نعرف تاريخ اندراس مدينة سجلماسة بنوع من التدقيق. ذكر الوزان أن تخريبها كان في نهاية فترة حكم السلطان المريني أبي العباس أحمد، أي سنة 796 / 1393. غير أن العملات المرينية التي ضربت بها تفيدنا أن دار سكنها استمرت في ضرب النقود حتى السنوات الأخيرة من القرن الثامن (14 م). وقد ضرب بها أبو فارس عبد العزيز المريني ثلاث عملات ذهبية بعد التاريخ المذكور أعلاه (سجلماسة، 101). ويغلب على الظن أن سجلماسة عانت كثيراً من غارات عرب المعقل في أواخر القرن الثامن (14 م) وبداية التاسع (15 م)، واضطرب جبل الأمن بها بسبب حروب عرب المناهضة والعمارة من جهة وأبناء عمومتهم

303) ونظراً لارتفاع كمية الحبوب المنتجة بسجلماصة في العصر الوسيط، اضطر فلاحوها إلى الحد من المساحات المزروعة من القمح حتى لا يكثّر القمح في الأسواق ويهون ثمنه. قال القزويني: "حدثني بعض الفقهاء من المغاربة وقد شاهدتها، يعني سجلماصة - أن مزارعها اثنا عشر فرسخاً من كل جانب، لكن لا يزرع في كل سنة الاخشيسها ومن أراد الزيادة على ذلك منعوه" (أثار البلاد، 42).

لكن ما اشتهرت به سجلماصة أكثر في مجال الإنتاج الزراعي هو التمر. ذكر ابن حوقل أن بها رطباً أخضر في غاية الحلاوة (صورة الأرض، 90) وذكر القزويني أن بها ستة عشر صنفاً ما بين عجوة ودقل (أثار البلاد، 42). وقال الإدريسي إن بها أنواعاً من التمر لا يشبه بعضها بعضاً، وفيها الرطب المسمى بالبرني وهي خضراء - جداً وحلاوتها تفوق كل حلاوة ونواها صفار في غاية الصفر (وصف إفريقيا الشمالية، 38) وقال أبو حامد الغرناطي إن بها نوعاً من التمر الجيد يسمى البتوني (Fagman, *Extraits*, 28) وورد في التشوف اسم نوع آخر من الأنواع الجيدة هو اليراري (التشوف، 307). وقال القلقشندي إن تمرها يفضل تمر سائر بلاد المغرب حتى يقال إنه يضاهي التمر العراقي (صبح الأعشى، 5: 164) وقال ابن بطوطة: "وتشبهها مدينة البصرة في كثرة التمر، لكن تمر سجلماصة أطيب وصنف إيران منه لا نظير له في البلاد" (تحفة النظائر، 2: 773).

كان التجار ينجهزون بتمور سجلماصة إلى مختلف المناطق المغربية (مسالك الأبحار، 140) وإلى بلاد السودان الغربي. ذكر الإدريسي أن أهل ملم لا يصلهم شيء من الفواكه الرطبة، إلا ما يجلب إليها من التمر من سجلماصة أو بلاد الزاب، يجلبه إليهم أهل وارگلان (وصف إفريقيا الشمالية، 5) كما وصل التمر السجلماسي إلى الأسواق الأوربية في القرن السابع (13 م) والقرن الثامن (14 م) (Mas Latrie, *Traité*, 99).

كما اشتهرت سجلماصة بجودة مصنوعات النحاسية معتمدة في ذلك على مناجم النحاس في كل من تبحامين وهي تازلاقت في وقتنا هذا وتنودادن وهي مجران في وقتنا هذا (المغرب، 156). كما عرفت سجلماصة صناعة الأواني الفخارية على نطاق واسع، وأثبتت التنقيبات الأثرية التي أنجزت في بعض المواقع السودانية أن أكثر من 60% من الأواني الفخارية التي نقلت إلى أودغست ما بين القرن الثالث (9 م) والقرن السادس (12 م) هي من صنع سجلماسي (J. Devisse, *Sigilmassa*, 19). كما تم العثور على الفخار السجلماسي والفاسي في ضواحي مدينة غاو (R. Mauny, *Découverte à Gao*, 516).

كان لهذه المنتجات السجلماسية أثر كبير في إنعاش قطاع التجارة بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي في العصر الوسيط. وعليه فإن سجلماصة لم تكن مجرد محطة

للاستراحة كما زعم الكثيرون بقدر ما كانت مركزاً فاعلاً في عملية المبادلات التجارية بما وفرت من سلع فلاحية و سلع مصنعة.

المقدسي، أحسن التقاسيم، لندن، 1909: ابن حوقل، صورة الأرض، بيروت، د. ت: البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، الجزائر، 1965: مجهول، الاستبصار، الدار البيضاء، 1985: القزويني، آثار البلاد، بيروت، 1969: الإدريسي، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، الجزائر، 1957: ابن عذاري، البيان، الدار البيضاء، 1985: ي. الحسوي، معجم البلدان، ج 3، بيروت، 1957: العمري، مسالك الأبحار، تح. مصطفى أبو ضيف، الدار البيضاء: ابن بطوطة، الرحلة، ج 2، بيروت، 1975: القلقشندي، صبح الأعشى، ج 5، القاهرة، 1915: ابن خلدون، العبر، ج 6 و7، بيروت، 1981: الحسيري، الروض المعطار، بيروت، 1984: الوزان، وصف إفريقيا، ج 1 و2، الرباط، 1982: مالك كوك، الرواية التاريخية، الدار البيضاء، 1895: ح. حافظي علوي، سجلماصة وأقلمها في القرن 8 هـ / 14م، المحمدية، 1997.

E. Fagman, *Extraits inédits relatifs au Maghreb*, Alger, 1924; Mas Latrie, *Traité et documents divers concernant les relations des chrétiens et des arabes au Moyen Age*, Paris, 1868; Bassac, *Note sur le Taffilaet et sur le Ziz*, B.S.G.A., 3ème trim., 1929; R. Mauny, *Découverte à Gao d'un fragment de partie émaillée du moyen âge musulman*, Hesp., XXXIX, 3 et 4ème trim., 1959; J. M. Lessard, *Sigilmassa la ville et ses relations commerciales au XI siècle d'après El Bekri*, H.T. vol. X, fasc. 1 - 2, 1969; H. Terrasse, *Note sur les ruines de Sigilmassa*, R.A., 3 - 4ème trim., 1936; De laChapelle, *L'expédition de Suetonius Paulinus dans le Sud-Est du Maroc*, H.T. XIX, 1939; L. Mezzine, *Sur l'étymologie du toponyme Sigilmassa*, H.T. vol. XXIII, 1984.

حسن حافظي علوي

### السجلماسي الحجرتي، أسرة فيلالية انتقل بعض

أفرادها إلى فاس في القرن الثاني عشر (18 م) وكان منهم العالم الكبير محمد بن عبد الرحمن السجلماسي الحجرتي شيخ الجماعة بفاس آني الترجمة، فنسب الحجرتيون الفاسيون إليه ودُعوا أولاد ابن عبد الرحمن. وكان في فاس فرقة أخرى يدعون أيضاً أولاد ابن عبد الرحمن أصلهم من قبيلة لمطنة انقرضوا أواسط المائة الثالثة عشرة (19 م). ع. ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون، ج. 2: 106.

### السجلماسي الحجرتي، أحمد بن محمد بن عبد

الرحمن الفيلالي ثم الفاسي. فقيه مشارك كأبيه آني الترجمة، متمكن من فروع الفقه المالكي، نشأ بفاس ودرس بها على والده ومن في طبقته من الشيوخ، حلاً في إتحاف المطالع بقوله: "كان فقيهاً مدرساً في جل الفنون، تولى النيابة عن قاضي الجماعة بمقصورة الرصيف وبقي عليها إلى أن توفي".

توفي بفاس زوال يوم الخميس حادي عشر جمادى الثانية عام 1303 / 18 مارس 1886 ودفن بالقياب بروضة العلماء أو قريباً منها.

العباس السجلماسي الحجرتي، الروض الطيب العرف في التعريف بأهل المائة الثانية بعد الألف، مخطوط؛ إ. الإدريسي، وفيات أهل القرن الثالث عشر والرابع عشر، مخطوط؛ ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 8 : 2765.

**السجلماسي الحجرتي، العباس بن محمد بن عبد الرحمن الفيلاي ثم الفاسي.** حلاه صاحب إتحاف المطالع بـ "العلامة المعنى المطلع المشارك المحرر التحرير" وذكر أن له عدة كنانيش علمية وقف على بعضها واستفاد منها مادة لكتابه الإتحاف.

ألف العباس عدة كتب في التراجم، منها الروض الطيب العرف في التعريف بأهل المائة الثالثة بعد الألف، تركه مخطوطاً في مسودته غير مرتب على السنين إلا قليلاً؛ ولوامع الدرر من رجال أهل القرن الثالث عشر، مخطوط كذلك.

توفي بفاس يوم الأربعاء عاشر ذي القعدة عام 1311 / 15 ماي 1894 ودفن بالقباب قريباً من والده أتى الترجمة. العباس السجلماسي الحجرتي نفسه، الروض الطيب العرف، مخطوط؛ إ. الإدريسي، وفيات أهل القرن الثالث عشر والرابع عشر، مخطوط؛ ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 8 : 2797.

**السجلماسي الحجرتي، محمد بن إدريس، حفيد** شيخ الجماعة محمد بن عبد الرحمن أتى الترجمة. ولد بفاس عام 1282 / 1865 وبها نشأ ودرس على عمه أحمد السجلماسي الحجرتي، وعلى الشيوخ محمد كنون وأحمد ابن الحياط والمهدي الوزاني وغيرهم، وتخرج فقيهاً متمكناً كأبيه وجده. وأسند له القضاء على التوالي في مدن ابن سليمان وسيدي قاسم والقنيطرة، وتولى رئاسة مجلس الاستئناف الشرعي بالرباط.

توفي بالقنيطرة وهو قاض بها يوم الخميس سبع عشر جمادى الثانية عام 1366 / 8 ماي 1974، ودفن في الزاوية الدرقاوية.

أ. الإدريسي، وفيات أهل القرن الثالث عشر والرابع عشر، مخطوط؛ ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 9 : 3223.

**السجلماسي الحجرتي، محمد بن عبد الرحمن الفيلاي** أصلاً ثم الفاسي. ولد بفاس عام 1201 / 1787 وبها نشأ ودرس على شيوخ عصره، أمثال الطيب ابن كيران، ومحمد بن عمرو الزروالي، وإدريس العراقي وغيرهم. فتخرج فقيهاً متمكناً من أصول الفقه وفروعه واشتغل بالتدريس طيلة حياته حتى عدّ شيخ الجماعة في عصره.

قال عنه ولده عباس الحجرتي في الروض الطيب العرف

: "انتهت إليه في وقته رياسة التدريس قد أعطي ملكته، وسلم له أهل عصره، وانفرد برياسة العلم في وقته ومصره، جميل المخاطبة، حسن الأخلاق عالي الهمة، كثير التؤدة، مجلسه مجلس سكون ووقار، وخشبة وتذكار، كذلك سمعت من غير واحد ممن حضر مجلسه، ولم يتفق لي أن (أحضره) لصغر سني" وقد اعتذر مؤلف الروض عن التقصير في حق المترجم قائلاً "ولولا الرحم والقرابة لوفيته بعض حقه من غير إظراء". مع أن ترجمته أطول ترجمة في الكتاب، اشتملت على إجازات المترجم والكتب الفقهية التي درّسها من شروح خليل وحواشيه ولامية الزقاق وتحفة ابن عاصم وغير ذلك من كتب فروع المالكية. كما أورد نصوص ما قيل فيه من مراث قصائد كثيرة ومقطعات لأشهر شعراء فاس وفقهائها.

توفي بفاس ضحوة يوم الجمعة 17 محرم عام 1275 / 27 غشت 1858، ودفن بالقباب قرب الشيخ عبد العزيز الدباغ.

عباس السجلماسي الحجرتي، الروض الطيب العرف، مخطوط، إ. الإدريسي، وفيات بعض أهل القرن الثالث عشر والرابع عشر، مخطوط؛ ص. 22، 25؛ ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 7 : 2612.

محمد حجي

**السجلماسي الحسنّي (أسرة) ← شرفاء سجلماسة**

**السجلماسي الحسنّي، أحمد بن عبد الواحد ←**

**الحسنّي السجلماسي، أحمد**

**السجلماسي الحسنّي، عبد الله بن علي بن ظاهر ←**

**الحسنّي السجلماسي، عبد الله**

**السجلماسي الحسنّي، عبد الهادي ←**

**الحسنّي السجلماسي، عبد الهادي**

**السجلماسي الحسنّي، عبد الواحد ←**

**الحسنّي السجلماسي، عبد الواحد**

**السجلماسي الحسنّي، عمر بن هاشم أمير ركب** الحاج من سجلماسة إلى الحجاز، كان رحيماً بالحجاج في السعة والضيقة، يشبع الجائع ويكسي العاري، ويدفع العدو عن الحاج (الأنوار السنّية، 71). قال الزكي العلوي إنه كان أميراً لركب الحاج مركات متعددة (مطالع الزهراء، 115) وتذكر الرواية الشفوية أن عدد إمارته على الركب بلغ ستاً وثلاثين مرة.

كان يسافر إلى الحجاز بأهله وخصوصاً زوجه الشريفة وله عيال بطيبة وعيال ببلده سجلماسة (مطالع الزهراء، 115). يقصد زاوية أو فوس بالرتب وهي الزاوية التي أسسها المترجم له لإطعام ابن السبيل.

ذكره أحمد بن عبد القادر القادري الحسنّي في رحلته

المسماة بنسمة الأس عقب ما ذكره فيها من أنه لما قفل من الحج سنة 1101 / 1689 ونزل بطرابلس رابع عشر شعبان / 17 ماي 1689 مع الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله معن الأندلسي لقي هناك الركب القادم من فاس مشرقاً ومعهم العلامة الحسن اليوسي وابن السلطان مولاي إسماعيل وهو مولاي المعتمد والأميرة ست الملك قال : "وكان للركب أميران : أحدهما مولاي عمر بن هاشم الحسني السجلماسي والأخر الحاج محمد الحسيني كان الله لهما وأعانهما" (سلة الأنفاس، 2 : 270) ورسالة مولاي إسماعيل إلى أمير مكة، (140).

كان عمر بن هاشم يحمل إلى السلطان مولاي إسماعيل مراسلات من شريف مكة أحمد بن غالب كلما زار الحجاز، وكان العاهل المغربي يتقبل هذه الخطابات ويجيب عنها برد السلام وليس أكثر من رد السلام (رسالة مولاي إسماعيل إلى أمير مكة، 140).

توفي عمر بن هاشم سنة 1101 / 1689 أو في السنة التي بعدها. فقد جاء في الرسالة التي بعث بها السلطان مولاي إسماعيل إلى أمير مكة والمدينة سعد بن زيد إثر توليته أميراً سنة 1102 / 1690 ما يلي : "ولقد كان ابن عمنا مولاي عمر بن هاشم رحمه الله أيام قدومه للحجاز تعارف معه - يعني شريف مكة أحمد بن غالب - واضطحبا وعمل معه خيراً كثيراً" (رسالة مولاي إسماعيل إلى أمير مكة، 140). وعليه تكون سنة 1101 / 1689 هي آخر سنة تأمر فيها عمر بن هاشم على الركب السجلماسي، وأنه توفي في تلك الحجة أو بعدها بقليل لكن قبل تاريخ رسالة مولاي إسماعيل أمير مكة المشار إليه أعلاه. وقد خلفه في إمارة الركب السجلماسي ابنه حفيد بن عمر (ركب الحاج، 35) وتذكر الرواية الشفوية أن وفاة عمر بن هاشم كانت بالحجاز وأنه دفن هناك.

المشرفي، الأنوار السنية في نسبة من سجدلماسة من الأشراف الحسنية، نج. ع. الكرم الفيلاي، المحمدية، 1966 : الزكي العلوي، مطالع الزهراء، الجامع لأسما، بني الزهراء، مخطوط خ. ح. رقم 656 : م. الكتاني، سلة الأنفاس، ج 2، فاس، 1316 : م. المنوني، ركب الحاج المغربي، تطوان، 1953 : ع. الهادي التازي، رسالة هامة من السلطان مولاي إسماعيل ملك المغرب إلى الأمير سعد بن زيد أمير مكة والمدينة في بداية القرن الثاني عشر الهجري وأواخر القرن 17 الميلادي، مجلة دعوة الحق، العدد، 282، مارس، 1991.

**السجلماسي الحسني، الفضيل بن علي، ذكره الفضيلي في الفرع السابع من فروع مولاي يوسف بن مولاي علي الشريف وحلاه بالفقيه العالم النحري (الدرر البهية، 1 : 315). أخذ عن جماعة من أعيان علماء عصره يبده خصوصاً أحمد بن عبد العزيز الهلالي وهو عمده (مطالع الزهراء، 153 والدرر البهية، 1 : 315). كان فقيها عاقلاً لبيبا عارفاً بأمر القضاء. ولاه**

السلطان سيدي محمد بن عبد الله قضاء ببلده الرتب بسجلماسة، فحسنت سيرته، وأقام قاضياً مدة من السنين على كبر سنه، سالم الخواص، لبنا في فصال الناس، قولاً للحق، قائماً مع الحق لا يراقب إلا الله (مطالع الزهراء، 153 والدرر البهية، 1 : 316).

ذكره ابن زيدان في سلسلة من أخذ عنهم مولاي العباس بن عبد الرحمن بن هشام دلائل الخيرات (الإتحاف، 5 : 421).

قرط الفضيل بن علي كتاب الأدوية الرواقي من أدواء الاختلافات في ماء السواقي لمؤلفه التهامي بن عبد الله الحسني (الأدوية الرواقي، 77) وعليه، يكون الفضيل قد توفي بعد سنة 1210 / 1795.

الزكي العلوي، مطالع الزهراء، الجامع لأسما، بني الزهراء، مخطوط خ. ح. رقم، 656 : الفضلي، الدرر البهية، نج. أ. ابن المهدي العلوي وم. بن أحمد العلوي، المحمدية، 1999 : عبد الرحمن بن زيدان، الإتحاف، ج 5، الرباط، 1933 : التهامي ابن عبد الله الحسني، الأدوية الرواقي من أدواء الاختلافات في ماء السواقي، نج. ح. حافظي علوي، مراكش، 2001.

### السجلماسي الحسني، محمد الأمين بن جعفر،

يتصل نسبه بمولاي علي الشريف كان له خبرة بعلم الحساب والتنجيم وعلم الأزياج والجداول (الدرر البهية، 1 : 316 ومطالع الزهراء، 153) وكان له إمام بالفقه ويتعاطى طريق القوم، يقرأ كتب التصوف ويتقرب من أهله، ولا يجالس إلا المساكين، وكان أبن الناس جانبا ولأهل الشر مجانبا، يميل للخمول ويتحمل ثقل الكل المملول (مطالع الزهراء، 153). صاهره السلطان مولاي سليمان بابنته السيدة عائشة، ولم تزده مصاهرة أمير وقتها إلا تواضعا (الدرر البهية، 1 : 316 ومطالع الزهراء، 153).

توفي بفاس قبل سنة 1255 / 1839 وهي السنة التي انتهى فيها الزكي العلوي من تأليف كتابه مطالع الزهراء. ففي بداية ترجمته له قال : "ومنهم خليلنا الأود" وفي آخرها قال : "ولم يزل كذلك دأبه - يعني اتباع طريق القوم - إلى أن لقي الله" (مطالع الزهراء، 153).

الزكي العلوي، مطالع الزهراء، الجامع لأسما، بني الزهراء، مخطوط خ. ح. رقم، 656 : إ. الفضلي، الدرر البهية، نج. أ. ابن المهدي العلوي وم. بن أحمد العلوي، المحمدية، 1999.

### السجلماسي الحسني، محمد الصادق بن محمد

الهاشمي المدغري يتصل نسبه بمولاي علي الشريف (الدرر البهية، 1 : 284 : الروضة المقصودة، 2 : 739 والإعلام، 7 : 339). قرأ ببلده سجدلماسة ثم ارتحل إلى فاس، وأخذ عن عدد كبير من شيوخها كالإمام الرهوني وأحمد بن التاودي ابن سوذة المري وعبد القادر بن شقرون والزروالي والطيب ابن كيران (الدرر البهية، 1 : 284 : والإعلام، 7 : 339).

الفنون، إماما حافظا ضابطا ثقة أمينا ثبتا صدوقا، تقيا  
تقيا مهذبيا لا تأخذه في الله لومة لائم (الدرر البهية، 1 :  
310).

اشتغل بالتدريس بأمسيفي، إحدى قرى الغرفة  
بشافيالنت، بلد عبد العزيز المغراوي. ولما كتب السلطان  
مولاي عبد الرحمان لقاضي سجلناسة محمد الصادق بن  
محمد المدغري أن يبعث إليه برجل من أهل العلم والدين  
والشرف ليعلم أولاده بمراكش أشخصه إليه، فطلب منه  
السلطان أن يعلم أولاده مبادئ العلوم كالمقدمة في النحو،  
فأجابته بأنه يصلح لقراءة التفسير والحديث والفقهاء، فأذن له  
بالتدريس بجامع ابن يوسف.

ولاه السلطان عبد الرحمن بن هشام خطة القضاء بفاس  
بعد وفاة القاضي الطالب ابن الحاج وذلك في 7 صفر سنة  
1274 / 18 يوليو 1832 فحسنت سيرته، قالوا : ولا يعرف  
أنه أخذ مدة توليته رشوة، أو حابي في دعوة، إلا أنه كان  
لا يبزم الأحكام عن عجل بل كان يماطل الخصوم رجاء أن  
يتصلحوا، وكان يعاب عليه ذلك فيعتذر بكثرة الفجور،  
وأنه لا يعرف المحق من المبطل.

حج سنة 1282 / 1866 وحضر دروسا كثيرة لشيخ  
المالكية بالديار المصرية محمد عليش في إقرائه للمختصر  
من غير أن يعرف. وكان له اعتقاد في الشيخ العارف  
الزاهد محمد بن علي الحبشي الإسكندري، وأخذ عنه كغيره  
من المتأخرين، وكان الحبشي المذكور يحضر درسه أيضاً  
فيما كان يُقرنه.

توفي في 27 رمضان سنة 1299 / 12 غشت 1882  
ودفن بزاوية الصقليين قرب باب الجيسسة بفاس. قال  
الفضيلي : وقبره الآن مزارة.

إ. الفضيلي، الدرر البهية، م. الكتاني، ملحة الأنفاس، ج. 1،  
فاس، 1316 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج. 7، الرباط، 1997.

**السجلناسي الحسني، محمد بن عبد الله ←**

**الحسني السجلناسي، محمد بن عبد الله**

**السجلناسي الحسني، محمد بن عبد الواحد ←**

**الحسني السجلناسي، محمد بن عبد الواحد**

**السجلناسي الدوري، عمر بن عبد الواحد،**

اشتغل بالتدريس بمسجد سيدي غانم بالزاوية العباسية  
بمراكش. حلاه العباس بن إبراهيم بمفتي مراكش وصنو  
قاضيها (الإعلام، 9 : 306). وهو من الذين أفتوا في  
قضية إمضاء بيع الصفقة التي وقع التداعي فيها بمراكش  
عام 1286 / 1869 وقال بإمضاء بيع الصفقة حيث اتحد  
الدخل ولا يتوهم ضم وقد ثبتت الحاجة وأمضى القاضي  
(الإعلام، 3 : 269).

توفي بعد سنة 1286 / 1869.

اشتغل بالتدريس في فاس وسجلناسة وانتفع به خلق  
كثير (الدرر البهية، 1 : 284). وكان له باع في الأصول  
والفروع والتفسير والمنطق والبيان غير أنه كان لا يجارى  
في أمور الفتوى وأحكام القضاء، كان ملما بكتاب المعيار  
للونشريسي يكاد يلمه من حفظه (الدرر البهية، 2 : 284 ؛  
الإعلام، 7 : 339).

تولى قضاء سجلناسة ونواحيها في عهد السلطان  
مولاي عبد الرحمن وابنه سيدي محمد (الإعلام، 7 : 38)،  
وكانت ترد عليه النوازل من سائر أقطار المغرب ويفتي فيها  
(الدرر البهية، 1 : 284).

وهو شيخ السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن في  
علم الحديث، وكان لهذا السلطان فيه كبير اعتقاد. يدعوه  
كل سنة لقراءة صحيح البخاري (الإعلام، 7 : 341-342).

حلاه في الروضة المقصودة بالعالم الذكي، الفاضل  
السري، الماهر المتفنن الأصيل الجاري على سنن أسلافه في  
علمه ودينه ومروءته وإنصافه وقال بأنه أديب وقته وأورد  
له قصيدة رائية في المديح من البسيط (الروضة، 2 : 739).

كما حلاه الفضيلي بالولي الصالح العامل الناصح،  
وقال بأنه كثير العبادة والأذكار مع جلال قدر ونفوذ وكان  
قد أخذ طريق القوم عن الشيخ سيدي أحمد البدوي زويتن  
الفاسي (الدرر البهية، 1 : 284 والإعلام، 7 : 239-240).

له ختمة على المختصر أخذها مولاي محمد العلوي  
ومولاي عبد المالك الضرير في ختمتهما على المختصر، ثم  
أخذ سيدي محمد العراقي القاضي ختمته على المختصر من  
ختمة مولاي محمد العلوي كما قال محمد القادري  
(الإعلام، 7 : 341-342).

توفي محمد الصادق بمراكش يوم 3 شوال عام 1279 /  
22 مارس 1862 لما وفد على السلطان سيدي محمد بن عبد  
الرحمن لقراءة صحيح البخاري على عادته، ودفن بداخل  
قبة مولاي علي الشريف بجانب ضريح السلطان مولاي  
سليمان. وذكر الفضيلي أن السلطان سيدي محمد بن عبد  
الرحمن هو الذي وضعه في قبره بيده (الدرر البهية، 1 :  
258).

س. الخوان، الروضة المقصودة، تح. ع. العزيز تيلاني، ج. 2، الدار  
البيضاء، 1994 : إ. الفضيلي، الدرر البهية، تح. أحمد بن المهدي  
العلوي ومصطفى بن أحمد العلوي، المحمدية، 1999 : ع. ابن  
إبراهيم، الإعلام، ج. 7، الرباط، 1997.

**السجلناسي الحسني، محمد بن عبد الرحمن**

المدغري من ذرية مولاي محمد بن علي بن طاهر. أخذ عن  
قاضي سجلناسة الصادق العلوي المدغري والقاضي عبد  
الهادي بن عبد الله العلوي وعن الفقيه محمد بن عبد  
الرحمن الحجرتي الغيلالي وأخذ عنه جعفر الكتاني ومحمد  
القادري.

كان آية باهرة في العلوم، وله مشاركة في جميع

"وكان يتعاقبه مع القاضي أبي عبد الله بردلة". كما أسند إليه قضاء مدينة مكناس ومهمة الخطابة والفتيا بالقرويين، وكان يشرف على أوقاف هذه الأخيرة وتجريد حوالاتها التي يصادق عليها قائد المدينة، أبو علي الروسي.

اشتغل ابن ناجي كذلك بالتدريس في سلا، وكان يعظم العلم وأهله، ويعتبر أحمد بن عاشر الحافني السلاوي من أبرز تلامذته. ذكر مترجموه أنه كان من خواص الحضرة الإسماعيلية، وأن كلمته كانت نافذة عند السلطان المولى إسماعيل وغيره، الأمر الذي يفسر تصدي المترجم للدفاع عن وجهة نظر المخزن الإسماعيلي في قضية قتيك الحراطين، والرد على علماء فاس المناهضين لهذه العملية. وكانت فتوى ابن ناجي في هذا الموضوع خلال عامي 1120 و1121، عالج فيها الحيشيات التي ارتبطت بشمليك الحراطين، مبرزاً نية السلطان من جمعهم ومؤكداً احتياج السلطة المركزية لهم.

توفي أحمد بن ناجي السجلماسي بمكناس يوم الجمعة 24 رجب عام 1122 / 17 شتنبر 1710، ودفن بروضة عائشة العدوية.

أ. السجلماسي ابن ناجي، فتوى ابن ناجي، خزنة خاصة : أ. ابن عاشر الحافني، فهرس، تح. م. السعديين، د. ع. كلية الآداب بالرباط، ص. 216. 217 : م. القادري، نشر، 3 : 210 : م. ابن علي الدكالي، الإتحاف الوجيز، تح. م. بوشعراء، 1986، ص. 111، إتحاف أشرف الملا، مخ. خ. ع. 11 د، ص. 64 : ع. التازي، جامع القرويين، 3 : 798 : م. المهناوي، بعض مظاهر أزمة ممارسة الشورى بدولة الإسلام من خلال فتوى ابن ناجي في قضية قتيك الحراطين، جريدة الاتحاد الاشتراكي، الملحق الثقافي، عدد 12، دجنبر، 1993 : م. الحيمر، جيش العبيد والدولة المغربية منذ التأسيس إلى 1757، رسالة د. ع. مرقون كلية الآداب بالرباط، 1996. 1997، ص. 122 وما بعدها.

محمد السعديين

### السجلماسي، عبد الرحمن بن علي "من لا

يخاف" كان عبداً صالحاً كثير الحشية ورعاً زاهداً متزوّباً عن الدنيا وأهلها (التقاط الدرر، 20 ودوحة الناشر، 90). حدث عنه الثقات بأنواع من الكرامات. قال ابن عسكر : وكان الفقيه الأستاذ أبو الحسن بن عبد العزيز إذا ذكره يشني عليه بخير ويقول هو والله من الأولياء (دوحة الناشر، 90 ونشر الثاني، 1 : 41). كان يحفظ كتاب الله العزيز ويجوده للطلبة (درة الحجال، 3 : 100).

اختلف في تاريخ وفاته قال ابن القاضي إنه توفي سنة 999 / 1591 (لقط الفرائد، 323 ودرة الحجال، 3 : 100) وقال القادري إنه توفي سنة 1002 / 1593 حسب ما جاء في مرآة المحاسن (نشر الثاني، 1 : 41) وقبره اليوم مزار معروف بزواية أولاد من لا يخاف جنوب العرقة بالريصاني لكن ابن القاضي قال في درة الحجال إنه توفي بمكناس (درة الحجال، 3 : 100).

### السجلماسي الرباطي، محمد بن أبي القاسم،

الفيلاي الزيزي أصلاً، فقيه متمكن من أصول الفقه وفروع المذهب المالكي، ورع زاهد. أخذ أكثر ما أخذ عن الشيخ المعطى ابن الصالح الشرقي في بوجعد ولازمه حتى مات فبقي ملازماً لولده الفقيه العربي بن المعطى. قال عنه الحجري في الروض الطيب العرف : "كان فقيهاً مجتهداً في القراءة والتدريس، وبلغ مبلغاً عظيماً في نهاية العلم من غير كثرة رواية ولا تدريس" وتصدر للإفتاء فكان الناس يستفتونه من مختلف الجهات، فلا يأخذ عن الفتوى سوى "موزونة" (ربع درهم) لفتوته، لأنه لم يكن يأخذ من بيت المال شيئاً.

طلب منه السلطان المولى سليمان الانتقال لمحاضرته لقراءة صحيح البخاري، فامتثل مكرهاً، وكان بذلك من شيوخ هذا السلطان العالم. وألف السجلماسي عدداً من الكتب في الفقه والتوازل وما جرى به العسل في أحكام القضاء، وكذلك في قواعد اللغة وتراجم المالكية والسير. منها : شرح العسل القاسي لعبد الرحمن بن عبد القادر القاسي، طبع مراراً على الحجر بفاس وعلى الحروف، واعتمد كمرجع أساسي في التدريس والإفتاء : وشرح العسل المطلق المسمى فتح الجليل الصمد في شرح التكميل والمعتمد، وقد طبع كذلك واعتمده الدارسون والمفتون : ومفتاح الأقفال ومزيل الإشكال على ما تضمنه مبلغ الأمان من تصريف الأفعال، طبع كذلك بفاس مرتين : وشرح الجواقيت الثمينة فيمن انتمى لعالم المدينة : ونظم رجال بدر، إضافة إلى مجموعة فتاواه الفقهية.

أقام السجلماسي مدة برباط الفتح فنسب إليه. وأكثر إقامته بأبي الجعد دارساً ومدرساً ومؤلفاً إلى أن توفي هناك عن سن عالية ليلة الأربعاء سابع وعشري رمضان عام 1214 / 22 فبراير 1800، ودفن قريباً من شيوخه المعطى ابن الصالح.

عباس الحجري، الروض الطيب العرف، مخطوط : ع. القادر الكوهن، فهرس، مخطوط : م. مخلوف، شجرة النور الزكية، بيروت، 1349 : م. الحجوي، الفكر السامي، تونس، د. ت. ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1974 : مركس، معجم المطبوعات ترجم له خطأ ثلاث مرات بأسماء مختلفة : إ. الإدريسي، معجم المطبوعات المغربية، سلا، 1988 : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 7 : م. بوجندار، الاغتباط، مخطوط.

محمد حجي

### السجلماسي السلوي، أحمد بن محمد بن ناجي،

فقيه تولى القضاء بسلا والرباط ونواحيهما نحو عشرين سنة. ثم ولي قضاء فاس العليا والسفلى مراراً وعزل عنه،



م. ابن عسكرو، دوحة الناشر، تج. م. حجي، الرباط، 1977؛ أ. ابن القاضي، لفظ الفرائد / ألف سنة من الوفيات، تج. م. حجي، الرباط، 1976؛ دورة المجال، ج. 3، تج. محمد الأحمدى أبو النور، القاهرة، 1970؛ م. القادري، التقاط الدرر، تج. هاشم العلوي القاسمي، بيروت، 1983؛ نشر المثاني، تج. م. حجي وأ. التوفيق، ج. 1، الرباط، 1977.

حسن حافظي علوي

### السجلماسي الفاسي، علي بن الزبير الملقب

بالعُضد، فقيه أديب شاعر. ونحوي متمكن حتى اعتبر إمام النحاة في عصره. أخذ عن مشيخة فاس كالقاضي عبد الواحد الحصيدي، والعارف عبد الرحمن الفاسي ويحيى السراج، وأحمد الزموري ولازمه سنين عديدة، وعبد الرحمن أعراب المكناسي.

درّس بفاس وتطوان، وقال عنه المحيي في خلاصة الأثر: "كان يحسن التدريس، إذا قرر المسألة لا يزال يكررها بعبارة مختلفة حتى تظهر، لذلك كثر الآخذون عنه" وفي مقدمة تلاميذه الشيخ عبد القادر الفاسي.

لقيه أحمد المقري في فاس أثناء رحلته الأولى إليها عام 1600/ 1009، وقال عنه في روضة الآس (ص. 340): الفقيه النحوي الأديب المشارك المتفنن البارع الخط... وأورد له مقطعات ومساجلات شعرية مع أدياء عصره.

يلاحظ في أدبيات المترجم الإكثار من الغزل المذكر وذكر الخمر. ولعل الجانب الأخلاقي هذا في شخصيته هو الذي سبب له المتاعب سواء في جانب التدريس حيث لُطخ كرسيه مرة في تطوان بالنجاسة أو في حياته المهنية حيث أقصى عن مصاف أقرانه الأدياء من الكتاب وغيرهم في مرافق الدولة، وذلك ما تحدث عنه بحسرة أحمد المقري: "آخره الدهر وحقه أن يقدم، وهدم بناء علمه وحقه أن لا يهدم".

توفي بفاس عام 1035 / 1626.25.

أ. المقري، روضة الآس، الرباط، 1983، ص. 340، 341؛ م. المحيي، خلاصة الأثر، مصر، 1284هـ، ج. 1، 116، 117؛ م. الإفرائي، حصة، ط حجر فاس، د. ت. ص. 124، ج. 1، 338. 339؛ م. القادري، نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 3، 1272؛ ع. گنون، النبوغ، ط 2، بيروت، د. ت. ص. 753؛ م. داود، تاريخ تطوان، ط 2، تطوان، د. ت.

محمد حجي

### السجلماسي الفيلالي، عبد الرحمن الفقيه

الصالح البركة، الناسك المتعبد. كان أسمر اللون، طويل القامة، بإحدى عينيه بياض. وكان دأبه الاعتكاف بجامع القرويين بسارية لا يبدلها غيرها، ولا يرى عندها إلا قائما يصلي أو جالسا يذكر الله (سلوة الأنفاس، 3: 297).

توفي بفاس سنة 1195 / 1781.

م. الكتاني، سلوة الأنفاس، 3: 297.

### السجلماسي اللمطي، أحمد بن مبارك بن محمد

بن علي نسبة إلى لمطة، قرية من قرى سجلماسة تعرف اليوم باللماطي، يتصل نسبه بأبي بكر الصديق، ولد في حدود سنة 1090 / 1679 (الروضة المقصودة، 1: 290)، أخذ التقاط الدرر، 393 وسلوة الأنفاس، 2: 203). أخذ بسجلماسة القراءات السبع عن ابن خالته وابن عم جد والده الإمام أحمد الحبيب اللمطي كما قرأ عليه شيئا من النحو. ثم رحل إلى فاس سنة 1110 / 1698، وسنه يومها عشرون سنة، فأخذ عن عامة شيوخها في العلم وقتئذ كمحمد بن عبد القادر الفاسي ومحمد بن أحمد القسنطيني وعلي الحريشي وأحمد الجرندني ومحمد بن العربي بن أحمد بردلة ومحمد المسناوي الدلائي (الروضة المقصودة، 1: 290؛ سلوة الأنفاس، 2: 203؛ التقاط الدرر، 393، Lakhdar، 185، La vie littéraire). أخذ عنهم جميع فنون العلم السائدة وقتئذ من عربية وكلام ومنطق وحساب وفلسفة وأصول وفقه وحديث وتفسير وقراءات.

اشتهر أحمد بن مبارك بسرعة الحفظ وجودة الضبط والاتقان، فانتهت إليه الرياسة في جميع العلوم (الروضة المقصودة، 1: 291). واشتغل بالتدريس وكانت له عارضة فيه، لم تكن لغيره، حفظاً وبحثاً ومعارضة واستنباطاً، وربما أدركه البكاء وهو على الكرسي في مجلس درسه، وربما غلبه الضحك وتماذى به جداً، وكان يصرح لنفسه بالاجتهاد في المسائل، ولا يبالي بمن يخالفه فيما يتفرد به، ويرد على الأكابر من المتقدمين والمتأخرين، ويقول إنهم لو أدركوه لانتفعوا به، وكان يقرأ صحيح البخاري زمن الشتاء قبل طلوع الشمس بضحك سيدي أحمد بن يحيى (الروضة المقصودة، 1: 291؛ التقاط الدرر، 393 وسلوة الأنفاس، 2: 203 و204).

سلك أحمد بن مبارك طريق أهل الحقيقة على يد قربه الشيخ أحمد الحبيب اللمطي ثم اتصل بالولي الصالح أبي فارس عبد العزيز بن مسعود الدباغ قبل سنة 1130 / 1718 ولازمه، وكان يجالسه في الأسواق التي لا يمر بها غير من له فضل علم ومروءة، ويأوله ما يحتاج إليه مما ليس شأن مثله أن يأوله، فظهرت عليه آثار صحبته، وانتفع غاية النفع بمعرفته. وألف في شيخه الدباغ هذا مجلداً ضخماً سماه: الذهب الأبريز في مناقب الشيخ عبد العزيز، وقال الكتاني: "وألف بعضهم في الرد عليه فحاد عن سواء السبيل (سلوة الأنفاس، 2: 204).

وله تأليف أخرى في مختلف الفنون منها: تأليف في تفسير قوله تعالى "وهو معكم أينما كنتم" وكشف اللبس عن المسائل الخمس، ورد التشديد في مسألة التقليد، اختصره تلميذه محمد بن الحسن التتاني، وتأليف في دلالة العالم على بعض أفراده، وهو بحث في الأصول. وطور على شرح سعيد قدورة على شرح السلم في المنطق، وله تقايد عديدة وأجوبة (سلوة الأنفاس، 2: 204 والتقاط

الدر، 393 و394 ونشر الثاني، 4 : 42) وأضاف محمد الأخضر إلى هذه المؤلفات العناوين التالية :

القول المعتبر في بيان أن جملة الحمد إنشاء لا خير ؛ ومبلغ الآمال لطالبي التصريف في الأفعال؛ وتفايد وأجوبة؛ وحاشية على جمع الجوامع ؛ وفهرسة. ووقفت له على عدد آخر من المؤلفات هي :

تقييد في النفقة على العالم على من تكون ؛ ورسالة في أحكام الطاعون ؛ ورسالة في الدلالات وجواب في شأن الفرار من الطاعون ؛ ورسالة في الأفعال الداخلة على المبتدأ والخبر ؛ ورسالة في قول خليل في فرائض الوضوء ؛ وشرح أرجوزة في المجاز والحقيقة للطيب بن كيران ؛ وجواب لمن سأل عن دلالة المعجزة ؛ ومقالة الصواب في بيان حال بني مزاب. ومع هذا كله فإن ما ألفه أحمد بن مبارك ما يزال غير معروف بتسامه.

توفي بالطاعون يوم الجمعة 18 جمادى الأولى عام 1156 على ما ذكره تليسمه محمد بن الطيب القادري وتاريخ 18 جمادى الأولى لا يوافق يوم الجمعة بل يوافق يوم الأربعاء، ويقابله في التاريخ الميلادي 10 يوليوز 1743. وفي السلوة، والتسقاط الدرر وشجرة النور تواريخ أخرى متقاربة..

م. القادري، التساقط الدرر، تح. هاشم العلوي الفاسمي، بيروت، 1983 ؛ نشر الثاني، تح. م. حجي وأ. النوفيق، الرباط، 1986 ؛

ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، بيروت، د. ت.

M. Lakhdar, *La vie littéraire au Maroc sous la dynastie Alawite (1075-1311/1664-1894)*, Rabat, 1971.

### السجلмасاسي المراكشي، محمد بن الطيب، كان

فقيهاً مؤدياً ومجوداً لكتاب الله يعطي مخارج الحروف حقها، ويحسن نطقها. قرأ القرآن بالروايات السبع على الأستاذ المعطي بن أحمد السرغيني المراكشي. وكان صاحب جد ومتجر رابح، حج بيت الله الحرام مرتين (الإعلام، 6 : 315-316).

توفي بالمدينة المنورة في حجته الثانية سنة 1281/1864.

ع. إبراهيم، الإعلام، ج. 6، الرباط، 1977.

حسن حافظي علوي

### السحر في المغرب، حقيقة السحر السعي إلى قلب

قوى النور واستنباط تقيضها منها هي ذاتها، وتحويلها بالتالي إلى قوى من ظلمات أوقوى تضر ولا تنفع، أو تنفع في بعض الأحيان ولكن إلى حين، لأن نفعها مؤقت وزائل، لأنها، وهذا هو الأهم، صادرة عن اعتقاد خاطئ وعن إصرار من لدن الساحر على المعصية وعلى مخالفة الشرع. وهذا وحده كاف لتجريد الفعل السحري من المنفعة.

إن السحر بهذا التعريف ليس إلا تقيضاً للدين، وقلباً لحقائقه الثابت وقواه النورانية. ولذلك كان الكفار قديماً ينعثون الأنبياء بالسحرة لما كانوا يرونه منهم من المعجزات

ويسمعونه من الكلام الحكيم المؤثر في العقول والأفئدة. إن أحسن مثال يمكن أن تضربه لتقريب الفعل السحري من الأذهان لهو مثال الصورة في المرآة. حيث تعكس المرآة الأشياء والموجودات كأنها هي فعلاً، ولكنها في حقيقتها صور مقلوبة بالمقارنة مع واقع الأشياء وحفاتها. ومن هنا تأتي قوة الفعل السحري على الانطلاء على أشد العقول صلابة وأوفرها علماً، ومن هنا أيضاً تأتي فطرة السحرة على الإغواء وعلى تحريف الاعتقاد وتزييف الشعائر بتحويلها إلى طقوس وتطبيقات غالباً ما تكون متلبسة بلباس الحق والنور والخير والفضيلة. وكم من عالم زاهد سار على درب القرب من الحق جل جلاله حتى إذا بلغ من مساره شأواً عالياً نزل فتصدر عنه أعمال سحرية قد يعتقدها هو نفسه من صميم الممارسة الدينية، كأن يصنع الأوقاف والجداول ويستعمل في ذلك آيات بينات وأسماء حسنى ويقول إن ذلك من الأسرار الإلهية التي جعلها الله سبحانه وتعالى هبة لعباده المقربين.

وبما أن الظلمات يحكمها التعدد والتنوع والتضارب والاختلاف، فإن السحر ينصف هو الآخر بهذه الصفات، فتتعدد أنماطه وتطبيقاته وأشكاله بحسب الاعتقادات التي يقوم عليها والأهداف التي يرمي السحرة إلى إصابتها.

من هنا جاء تعدد الطرق السحرية وتنوعها في جميع بقاع العالم عموماً، وفي المغرب على الخصوص. ولو أن الدارس سعى إلى تصنيف الممارسات السحرية في بلادنا وترتيبها بناء على فكرة ارتباط السحر بالعقيدة، لوجد على الخصوص الأشكال التالية :

1- السحر الأسود، كما يسميه سحرة الغرب، وهذا يقوم على استخدام أشياء كانت في ملك الضحية (ضحية عمل الساحر) بجعلها لباساً أو جزءاً من دمية تصنع خصيصاً لهذا الاستعمال، وترافق هذا الاستخدام طقوس أخرى تتعدد وتختلف بحسب الطريقة التي ينتمي إليها الساحر، والمدرسة التي ينحدر منها، كأن تراق دماء أضحى من الحيوانات أو الطيور على الدمية مع ترداد حروف وأعداد وكلمات لها صلة باسم الضحية المراد إصابتها بالفعل السحري، أو غير ذلك من التطبيقات التي من شأنها أن تجعل علاقة باطنية خفية بين الدمية والشخص الذي قتلته، حتى إذا استعملت الدمية في نهاية المطاف لغرض من الأغراض صار ذلك قابلاً للانتقال إلى الشخص المستهدف (بالفتح)، فيستلوي من الوجد أو من الأرق أو تتراجع حالته الصحية أو يأخذ في الهلوسة والهذيان دون سبب ظاهر... وكل ذلك بحسب الاستعمال الذي تخضع له الدمية والتسامم والتعاظم التي ينطق بها الساحر أثناء الفعل السحري.

ويجدر القول إن هذا النمط من السحر إفريقي المنشأ، إذ يكثُر العمل به عند الزوج على الخصوص، وربما كان هؤلاء هم من نقلوه إلى جنوب القارة الأسيوية وإلى بقاع

أخرى كالتهند على سبيل المثال، علماً بالسبق الزمني للحضارة السوداء النابعة في العالم القديم أو القارة القديمة إفريقيا.

2 - السحر القائم على الوفق، ويرجع هذا النوع إلى علم الفلك والتنجيم. ويقوم على استعمال الحروف المكونة لاسم الشخص المستهدف واسم أمه، وإخضاع هذين الإسمين لعمليات حسابية بعد تحويل كل حرف إلى عدد يدلان على ترتيبه الأبجدي وقوته الخفية (مثلاً حرف اللام ترتيبه الأبجدي 12 وقوته 30)، وتوزيع حروف الاسم على خانات جدول من الجداول المستعملة لهذا الغرض (رباعي أو خماسي أو سداسي أو نحوه بحسب عدد الحروف في الإسمين) والسعي من وراء ذلك إلى إدراك الشخص المستهدف من خلال طالعه أو طابعه من أجل التغيير فيها بحسب قوة الساحر ورغبته أو الرغبة المعبر عنها من لدن طالب العمل السحري والمستفيد منه.

وقد لوحظ من خلال العينات المستعملة في هذا النمط استخدام أسماء أخرى لملائكة أو شياطين بحسب نوع العمل المراد إنجازه إن كان خيراً أو شراً، واستخدام بعض الآيات القرآنية أو أسماء الله الحسنى، مما يضيف على العمل والوقف مسحة دينية مغلوطة سرعان ما تنظلي على العامة، كما يلاحظ أن هذه الآيات والأسماء تصير مقلوبة وصحرفة عن مواضعها بمجرد توزيع حروفها على خانات الجداول، ذلك أنها تصير مكتوبة من اليمين إلى اليسار والعكس، ومن أعلى إلى أسفل والعكس، وهذا مالا يصح فعله في أسماء الله عز وجل وآياته الكريمة.

أما السبب في الاستخدام المزدوج لاسم الشخص المستهدف واسم أمه، فإنه يعود بالأساس إلى الرغبة في ضبط لحظة تكون الشخص ذاته عندما كان جنيناً في رحم أمه، وضبط لحظة ميلاده وتوافقاتها الفلكية من برج وسمت وكواكب وحالات هوائية أو مائية أو نارية أو ترابية، ومن حالات الرطوبة والجفاف... إلى آخر قائمة هذه التوافقات، وكل ذلك بغرض توجيه العمل السحري إلى تلك اللحظات والرموز بالذات، فكأنما الساحر يس ويصيب المسحور في لحظة نشوئه الدنيوي الأول أو لحظة ميلاده، وبطبيعة الحال فإن هذا المستهدف يكون في تلك الأوقات بالذات أكثر ضعفاً وتعرضاً لكل الأضرار مهما كانت عليلية كنسائم الأماسي الربعية!

3 - السحر المستعمل (بالكسر) لبعض الشخص المسحور أو المستهدف (بالفتح) للعمل السحري. وهذا يختلف عن النمط الأول القائم على استعمال متاع المسحور وحاجاته وأشيائه. إذ يتعلق الأمر هنا باستخدام جزء من الشخص نفسه، كنبه، أو أظفاره، أو شعره، أو حتى بوله وغائطه، أودمه وهذا يعتبر الأكثر قوة وفعالية في نظر مستخدمي هذه الطريقة.

4 - السحر المستخدم (بالكسر) للأعضاء البدنية

للموتى والذي يقوم على الاعتقاد بقدرة الميت على سلب الشخص الحي المستهدف، فيسلبه صحته وعافيته، أو يسلبه قدرته البدنية، أو فحولته، أو يصيب عمله وتجارته بالبور والموت... الخ.

وقد لوحظ وجود هذا النوع من الممارسة السحرية بكثرة في المغرب على الخصوص، ربما بسبب الانتماء الإفريقي لبلادنا، ولحضارتها وجزء من ثقافتها المتعددة والمتنوعة، وهو الانتماء الذي جعل في موروثنا الثقافي بعضاً من ثقافة "الغودو" السحرية وعقدياتها التي كانت تصل بين الأموات والأحياء فتجعل الأوتال أكثر قدرة على الفعل وعلى التأثير مما كانوا عليه إبان حياتهم!

كما لوحظ تواتر هذا النوع لدى القبائل البدوية من الأعراب، مما يدعو إلى احتمال وجود علاقة بين هذه الممارسة وثقافات الشرق الأوسط (الفرعونية والأشورية والكلدانية والبابلية...).

5 - السحر القائم على الخط والكتابة والرمز وعلى الطلاس. وهذا يقوم على اعتقاد راسخ بأن الحروف والكلمات كائنات حية في الباطن وفي وسعها أن تؤثر بالتالي في أصحابها وفي غيرهم من المستهدفين، ولذلك يكون العمل في هذا النمط من السحر معتمداً على الحروف والكلمات كتابة أو نطقاً أو بهما معاً.

وفي هذا النمط نجد كتابات يطلب سحوها بالماء أو بأي محلول آخر يصفه الساحر، فيُشرب أو يُدهن به أو يُغسل به أو تُرش به الأمكنة أو الملابس... إلى غيرها من الاستعمالات المرتبطة بالسوائل.

وفي هذا النمط أيضاً نجد كتابات تُعلق كالرقيات، أو تحفظ في أماكن معينة، وتحاط بالجلد أو النحاس اعتقاداً بأن ذلك يحفظها من البطلان، وغالباً ما تصاحب هذه الكتابات جداول كتلك المستعملة في النمط التنجيمي، أو صور ترمز إلى أشخاص معينين أو إلى خدام مفترضين من الجان أو غيرهم. وقد لوحظ هذا النوع من الاستعمالات في منطقة سوس على الخصوص، وبدا ذلك دليلاً على وجود علاقة له مع المعتقدات التي سادت لدى السكان الأصليين بالمغرب والشمال الإفريقي، والتي ربما كان لها احتكاك فعال ومؤثر مع حضارات أخرى كالفينيقية والوندالية والبيزنطية والرومانية...

6 - السحر السيميائي (Archimique) القائم على استعمال المعادن والأترية والمحاليل الكيميائية، والذهب بذلك إلى غاية سقيه للشخص المستهدف أو إدخاله إلى بدنه بطرق أخرى مختلفة، لكي يحدث تأثيره الفعال والمباشر داخل أحشاء هذا الأخير وفي مجرى عروقه ودورته الدموية.

ويعتبر هذا النوع من السحر تسيماً بكل معنى الكلمة، وهو الذي يطلق العامة عليه اسم "التوكال" (أي الإطعام السحري) ويغلب على الظن أن الأشخاص

المتعرضين لهذا النوع من السحر يكونون مرضى بدنيين ومصابين بتسمات متعددة ومختلفة أكثر منهم مسحورين ومسلوبو الإرادة. فالرجل الذي ينزف الدم من دبره أو يتقيأ طعامه وشرابه بدون أدنى سبب ظاهر لا يعتبر مسحوراً بل مصاباً بتسم يتسم بكون السبب الأساسي فيما يقع لنفسه وعقله وصوابه من تيهان وقلق وخوف وهلوسة.

7 - السحر القائم على استخدام قوى عقلية يقال إنها من الجن، تكون ساكنة في جسم الساحر فتتحدث من خلال لسانه بلغة أو لغات لا يعرفها الساحر الوسيط ذاته، وتكتب بها، وتغارس بها كتاباتها السحرية، وقد تزيد على ذلك بأن تطلب من الشخص اللاجئ إلى خدماتها القيام ببعض الترتيبات الأخرى والتي قد تكون منتمية إلى أحد الأنماط الستة السابقة الذكر، كأن تطالبه بأضحية مصحوبة بطقوس وتطبيقات معينة، أو يحرق أنواع من البخور ومن المواد القابلة للاحتراق، أو إقامة ليلة زار وحضرة تنضم إليها فرق متخصصة في هذا النوع من النشاط البدني العقلي، مثل غناوة أو عيساوة، أو غيرهم.

8 - السحر القائم على الحركات الجسدية وعلى الغناء أو الإنشاد، وهذا النمط إفريقي لا محالة، ويعتمد على الإيقاع الشديد والحركات الجسدية العنيفة، ولكنه ظهر في مواقع أخرى خارج إفريقيا كالعهد وأمريكا اللاتينية، ويغلب الظن أنه إفريقي المنشأ.

هذه، إذن هي الأنماط السحرية المعروفة والمتداولة في المغرب، وهي كما ذكرنا، ذات أصول عقديّة مختلفة، هي عين الأصول التي فعلت فعلها في الثقافة المغربية المتميزة بالتنوع والتنوع، حيث منها ما يعود إلى الحضارة السوداء أو حضارة الزوج الأفارقة، ومنها ما ينتمي إلى الحضارات الشرق أوسطية، كالفراعونية، والعبرانية، ومنها ما ينحدر من أصول مشتركة هندية إفريقية مايبوية (نسبة إلى حضارة المايا بأمريكا الجنوبية).

ويبقى القول، من باب التذكير، إن السحر هو النقيض الفعلي للدين، ولذلك وردت فيه آيات بينات تصفه بعدم الفلاح وبالكذب والتلبيس والتلفيق، وتصف أهله واللاجئين إليه والمنتفعين من تفاعلاته بالضالين والمشركين لأنهم يتخذون مع الله أرباباً آخرين من الجن والملائكة والشياطين ومن أئمة الطرائق السحرية القدامى ورؤوس أعلام مدارسها الضارية في الضلالة والابتداع.

ع. الفتاح الطوخي، السحر الأحمر، بيروت، م. النهامي الوكيل، السحر، الرباط : الشفيق مفار، السحر في التوراة والعهد القديم، لندن، 1990 : مصطفى محمود، السرا الأعظم، القاهرة : م. الوكيل، المدارس الباطنية بين العلم والفلسفة والعقيدة والدين، أطروحة لنيل دكتوراة الدولة، جامعة محمد الخامس، 1998.

A. Mauny, La magie et l'astrologie, Paris, 1860.

محمد عزيز الوكيل

**سَحِيَّة، الجيلالي مقاوم ولد سنة 1930 بمدينة**

الدار البيضاء، تشبع بالروح الوطنية منذ صغره، الشيء الذي دفعه إلى العمل ضمن منظمة المقاومة السرية المغربية بهذه المدينة تحت مسؤولية المرحوم الزيراي وأحمد بركات.

وقد شارك مشاركة فعالة في تنفيذ العمليات الفدائية صعبة أخيه محمد سحيتة من تاريخ 20 غشت 1953 إلى غاية 7 سبتمبر 1955 حيث استطاعت الشرطة أن تطوق الحي لتلقي عليهما القبض لكن الشهيد رفض الاستسلام، فقتلته الشرطة رمياً بالرصاص أمام المنزل - أما أخوه، فقد جرح واعتقل، وذلك يوم 7 سبتمبر 1955.

المدوية السامية لقدامى المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم، رقم 409197.

**السُّخْرَة لغة كلُّ عمل أُجْز تكليفاً وقهراً بلا أجر.**

بيد أن دلالاته في سياق التداولات الوظيفية للخطاب المخزني المغربي، يحيل على معنى مغاير للمعنى اللغوي، إذ يقصد به المال الذي كان يقدمه قواد وحكام الإدارات المخزنية المحلية نيابة عن جماعات القبائل على وجه الإلزام والوجوب لموظفي وموفدي المخزن المركزي أجرة وتعويضاً عن الخدمات ومشاق التنقل التي تجشموا عنها. وتتقاطع السخرة عبر هذا المؤدى مع المثونة وتتكامل معها من جهة التكليف والفرض، فكلاهما يدفعان للوافدين من ممثلي ومبعوثي المخزن على القبائل برسم تنفيذ أمر سلطاني أو تفقد حال من الأحوال أو القيام بمهمة من المهام، مع فارق شكلي، يتمثل في كون الأولى، تقدم نقداً والثانية عينا في غالب الأحيان، إما على شكل مواد غذائية أو علفوات للبهائم والدواب.

وليس ثمة من شك، في أن السخرة كتكليف ضريبي، لازمت سيرورة الممارسة الجبائية والمالية المغربية عبر حقب تاريخية مختلفة، إذ اقترن وجودها دائماً بأنماط التسخيرات والوظائف والكلف غير الشرعية المتعددة التي كان المخزن لا يتورع عن مطالبة السكان بها في البوادي والحواضر على السواء، وذلك بهدف إنحجاز الأعمال والخدمات الأساسية والحسوبة التي يقتضيها الوجود الوظيفي للمؤسسة المخزنية عبر المجال، أداءً وتسييراً وتنظيماً، ومن جهة أخرى، للاقتصاد في حجم الإنفاقات المالية المسرفة حفاظاً على السبولة النقدية والتوازنات المالية المأمولة.

وإذا كانت الأستغرافيا المغربية لا تتحدث بما يكفي من الوضوح والبيان عن نظام السخرة وحشيات فرضها على المجتمع القبلي تقديراً وتحصيلاً وتكلفة، فإن الوثائق والكتائيش المخزنية إبان القرن الثالث عشر (م) تقدم إفادات بالغة الأهمية والتنوع عن كلف السخيرات وطرق تحصيلها ومقاديرها المالية ورموز الهيئات المخزنية المستفيدة منها والنتائج المترتبة عنها وسط مجموعات القبائل. إذ يتجلى بكيفية أوضح، من خلال مستندات وسجلات تلك الوثائق والكتائيش أن السخيرات كانت

- الرقاصة وأصحاب البريد
- القواد وفرق الجيش
- أعوان المخزن
- المسخرون أو المخازنية التابعون لإدالات الجيش
- الموجودة باستمرار داخل دار المخزن
- رموز وشخصيات مدنية

على أن القضايا والانشغالات التي استأثرت بصورة أساسية بأنشطة وأعمال المسخرين عبر المجالات القبلية ارتبطت بوجه أعم بمسائل التخريف والحماية وخدمة أملاك المخزن، فضلا عن المظالم والنزاعات والحركات العسكرية وغيرها. وعلى الرغم من أن السخرات لم تكن تؤدي إلا في مناسبات استثنائية على عكس باقي الأدوار الجبائية الأخرى المنتظمة والواجبة كالزكاة والأعشار وهدايا الأعياد، فإنها مع ذلك كانت تشكل إلى جانب الفروض والكلف الأخرى الطارئة عبئا ثقيلا ومرهقا لكواهل مجموعات القبائل، مما كان يؤدي بالعض منها إلى الفرار من مواطن استقرارها صوب مجالات أخرى جديدة، أو البحث بشئ الوسائل الممكنة عن امتيازات الإعفاء، وإن كانت هذه الوسائل والمسالك تتعارض أحيانا مع الشرعية القانونية وأسس الانتماء إلى الجماعة الوطنية (الحمايات الفردية). ولعل ما كان يزيد من شدة وطأة هذه السخرات، سطوة القواد وتعسفاتهم أثناء توزيع قسماها وأعبائها على أفراد الجماعات القبلية، إذ كانوا عادة ما يكيلون بمكيالين للسكان، يحايون المقرين وأولي "النسب والحسب" ويتشددون في المقابل، مع عسوام الناس، ناهيك عن الأسلوب المشترط في عمليات التوزيع الذي لم يكن يقيم اعتباراً للتفاوتات القائمة موضوعيا بين وحدات الكوامين والحيام سواء على مستوى حجم ثرواتها الاقتصادية أو على مستوى مكوناتها العددية وهي ظاهرة لسوء ما خلفته من أضرار فادحة على صعيد المجتمع القبلي، ومارافتها من اختلالات جبائية أخرى موازية على صعيد الإدارة المالية، أدت بالمخزن المركزي إلى القيام ببعض المبادرات الإصلاحية للنظام الجبائي والمالي ككل، توجت الأولى على عهد السلطان الحسن الأول بإحداث ترتيب 1884، بينما أثمرت المبادرة الثانية على عهد المولى عبد العزيز ترتيب 1891.

ع. ابن زيدان، العز والصلوة، 1 : 192 - 239، إحصاف أعمال الناس، 2 : 397، 98 : 4 : 24، 423 : م. المتوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، 2 : 64، 66 : ن. هراج التوزاني، الأمان - بالمغرب، 38، 46، 171، 182 : أ. التوفيق، المجتمع المغربي، 513 - 517 : ع. الرحمن المودن، البوادي المغربية، 351 - 353 : ج. عياش، دراسات، 79، 120 : ف. العيسوي، كلف البوادي، ندوة البادية المغربية، 1999 : ف. الإدريسي، الجبائية في عهد الدولة السعدية، 1 : 316، 317، رسالة جامعية، كلية الآداب، 1994 - 1995، ظهر المهرز، فاس.

E. Michaux-Bellaire, *Les impôts marocains*, A.M., vol. 1, n° 1, mars 1904 ; J. Erckmann, *Le Maroc moderne*, Paris, 1895, p. 126 ; G. Catteuz, *La fiscalité*

تستهدف بوجه مخصوص الكيانات القبلية من خلال القواد والعمال الذين كانوا يتولون توزيع أعبائها بسعر متساو على مجموع السكان، كما هو الحال بالنسبة لباقي النفقات الأخرى الطارئة، اعتماداً على أنساق التقسيمات والتفريعات الاجتماعية التي كانت تنتظم عضواً الجبائية القبلية بدءاً بوحدات الكوامين والحيام وانتهاءً بالأرباع والأخماس. وعلى خلاف ذلك، كانت الفئات صاحبة ظواهر الإنعام والتوقير من الشرفاء ورجال الزوايا والعلماء والقضاة، معفاة من هذه السخرات وغيرها من أصناف الأعباء الجبائية الأخرى غير الشرعية اعتباراً لمقتضى الأعراف والعادات المتواترة في هذا الشأن منذ عدة قرون خلت.

ولما كانت السخرة أجرة تدفع تعويضا عن خدمة مخزنية معينة، فإن تحديد سعرها لم يكن موكولا للتلقائية أو لتقديرات الجهة الدافعة، بل كان خاضعا في واقع الأمر، لشروط ومقاييس معيارية ترتبط في الأغلب الأعم بالاعتبارات التالية :

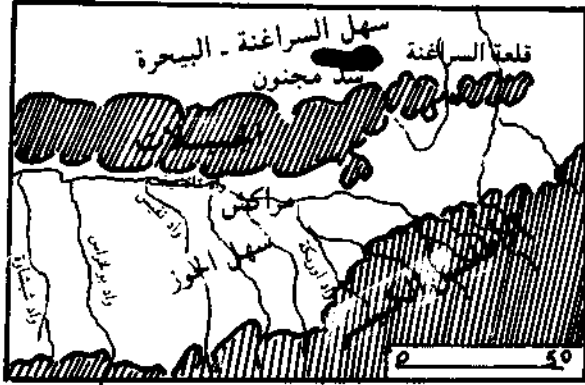
- مكانة ومركز المسخر في بنية الجهاز المخزني
- نوعية وأهمية العمل الموكول للمسخر
- المدة الزمنية المستغرقة في تنفيذ المهمة
- عدد المسخرين
- قيمة صرف العملة

وإذا حصل في بعض الأحيان أن المسخر لم يقتنع بقيمة السخرة المدفوعة له بناء على المقاييس والتقنيات المتداولة، فإن القائد أو الممثل المخزني يطلب في رسالة استشارية تدخل السلطان لتحديد القدر الواجب أدائه لفائدة الجهة المسخرة. غير أن مثل هذه الحالة كانت تمثل في الواقع، وضعا شادا لا يحدث إلا في ظروف نادرة واستثنائية للغاية. لأن ممثلي المخزن في مختلف الإيالات والأقاليم كانوا يحرصون حرصاً شديداً على أن يكون مقدار السخرات المدفوعة مرضيا ومقنعا للأطراف المسخرة، بل كانوا في أحيان كثيرة يمنحون مبالغ إضافية على شكل أعطيات ورشاوي، إذا كان الأمر يتعلق بجهات نافذة في دواليب المخزن المركزي، قد يستعان بها في وقت من الأوقات العصيبة لقضاء حاجة من الحاجات، أو لدرء خطر من الأخطار المحتملة.

ويستفاد من خلال الوثائق المخزنية والمصادر التاريخية التي يزخر بها مغرب القرن الثالث عشر (19م) أن مستويات ودرجات هيئات المسخرين الذين ترددوا في مهمات رسمية على البوادي المغربية كانت تتسم بقدر من التنوع والتراتبية، سواء على مستوى إطارها الوظيفي والمهني أو على مستوى أصولها ومراكزها الاجتماعية. ويمكن رصد عناصر هذه الهيئات على سبيل التسجدة في الفئات التالية :

- الحراسون والأمناء والحجاة

وتوالي سنوات الجفاف منذ بداية عقد الثمانينيات وتراجع معدل الأمطار إذ سجل بأقرب محطة إليها بمركز سيدي بوعثمان 219 ملم في الفترة 1974 . 1994 ، جفت مياه البحيرة ولا تعاود الظهور شتاء بعد هطول الأمطار إلا



على شكل ضايات منفصلة وأراضٍ موحلة، لكنها تتحول صيفا إلى مرعى جماعي وإن كانت نباتاتها هزيلة ضعيفة القيمة الغذائية أهمها الغسول والحمرل وأعشاب صغيرة، ذلك أن المياه سواء السطحية الموسمية أو الجوفية للآبار المجاورة لها تتميز بملوحتها التي تتراوح ما بين 2 غرام / لتر بالهوامش إلى 5 بوسطها حيث تجمعت المياه وتبخرت تاركة أملاحها طيلة آلاف السنين، ويرجع سبب ملوحتها إلى التبخر السطحي لمياه فرشة باطنية كانت عميقة، بل تعتبر مياه السبخة جزءها العلوي، كما أن بعض المجاري المغذية لها خاصة واد غاينو الذي يتميز بحوض واسع 640 كلم<sup>2</sup> يمر على سحبات سطحية ملحية تعود إلى الكريتاسي وأحيانا إلى اللياس والبرموترياس. ويلاحظ أن الملوحة متركرة في الطبقة العليا للمياه الجوفية والتربة حيث يسود طمي حديث ضعيف النفاذية ورصيص وحصى ومواد رملية وقشرات كلسية مستنقعية. أما المياه العميقة التي يتجاوز عمقها 100 متر فإنها عذبة أو ضعيفة الملوحة، توجد في خزانات شبه منفصلة لتكوينات قارية رباعية ويليوفرانشية تتركز فوق طبقات من الإيوسين. إن ملوحة مياه المستنقعة وتربتها ومياهها الجوفية دفعت الدواوير إلى الاستقرار بعيداً عنها بعدة كيلومترات. ويترج استغلالها اليوم إشكالا إذ لا تجود الحبوب ولو كانت شعيراً بضافها ولهذا تحولت منذ القديم إلى أراضي رعي جماعي. وقد أنشأ فلاح مقدم بضافها ضيعة لزراعة القمح الصلب والرطب باستعمال المياه الجوفية في الرش لكن المردودية جاءت ضعيفة جداً. وتقوم حالياً مصالح البحث الزراعي تحت إشراف المركز الفلاحي لقناة السراغنة بتجارب علمية لاستنبات نباتات تتحمل الملوحة، فنشروا بها بذور أعشاب

marocaine, Paris, 1927 ; P. Bernard, Les anciens impôts de l'Afrique du Nord, juin 1924, janvier 1925, p. 59.

الفقيه الإدريسي

**المسخيري**، أسرة تطوانية قديمة انقضت، ورد ذكرها في وثائق القرن الثاني عشر (18م) وكان منها عدول، منهم عبد السلام بن قاسم المسخيري عام 1116 : وعبدالسلام بن محمد المسخيري ورد ذكره بشكله العدلي بين عدول عام 1119 ومحمد بن عبد السلام المسخيري كان يشهد عام 1157 . 1184 .

م. داود، عائلات نظران، مخطوط.

محمد بوخيزة

**السداهي** المكي بن الحاج علي. مقاوم ولد سنة 1925 بدوار تيرانت قبيلة بني بشير قيادة تيرانت إقليم الحسيمة، انضم إلى جيش التحرير بمركز باب الحيط في أكتوبر 1955 وكان ينتمي إلى التشكيلة التي يرأسها علوش والحطاط. وقد قام بأعمال جليلة مع إخوانه المجاهدين حيث أبلى البلاء الحسن إلى أن سقط في ساحة الشرف شهيداً على إثر إصابته برصاص جنود الاستعمار يوم 11 مارس من سنة 1956.

الندوية السابعة للدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 520860.

**سد مجنون** : مستنقعة موسمية سبخة، بقعر سهل البحيرة جنوبي مراكش، وهو مقعر مستطيل محصور بين سلسلة الجبيلات الهرسينية جنوبا وهورست هضبة الرحامنة شمالا، تبلغ مساحته حوالي 2000 كلم<sup>2</sup> قسمه الشرقي منفتح على واد تساوت وأم الربيع، أما قسمه الأوسط والغربي فهو حوض مغلق ذو جريان داخلي، مساحته حوالي 1200 كلم<sup>2</sup> تتجمع به مياه المسيلات الموسمية النابعة من الجبيلات ومياه واد غاينو ذي الجريان الموسمي، والكثير من هذه المجاري يكمل مسيرته بجريان منتشر، تتجمع مياهها بقعر الحوض مكونة مستنقعة أو بحيرة موسمية تتراوح مساحتها ما بين 16 إلى 35 كلم<sup>2</sup> لكن عمقها لا يزيد عن 60 إلى 80 سنتيمتراً هذا إن امتلأت في سنوات غزيرة المطر لكنها تفقد جل مياهها صيفا بالتبخر، يبلغ علوها عن سطح البحر 404م. تنتشر المستنقعة بين جماعة المحرة وواد أملول بدائرة بن غرير بإقليم قلعة السراغنة فوق أراضي جماعة لقبيلة بني حسان ولذلك كانت تعرف قديماً بگلثة بني حسان، كما يسميها سكان سهل البحيرة بسد المسجون باعتبار ماها مسجوناً لاسمك له ليتصل بالوديان المجاورة، لكن الجغرافيين الفرنسيين الأوائل الذين وضعوا الخرائط للمنطقة كتبوا عليها (خطاً) سبخة سد مجنون.

مستوردة وزرعوا عينات من الفصّة تتحمل الملوحة كما شرعوا في برامج تشجير بأشجار لكطف وأنواع من السنط والكيينا والكولزا والزيتون البري وفسقت مهجن من إيران ونوعيات خاصة من الأوكليتوس. إن الجفاف المتزايد يتسبب في إفراغ المنطقة مما يدعو إلى إعادة إعداد المجال الفلاحي على أسس إيكولوجية علمية تساهم في حماية البيئـة وترشيد استغلال مواردها.

بحث ميداني، معلومات من المرشدين الفلاحين لسيدني بومثمان وتقارير علمية حول الدراسات والتجارب العلمية بسهل البحيرة ومستنقعتها من المركز الفلاحي لقلعة السراغنة.

أحمد هوزالي

**سدراتة أو أيت سدرات،** قبائل توجد في وقتنا الحاضر في ثلاث مناطق مختلفة في إقليمي ورزازات وزاگورة، وتحديدا في عالية ووسط وادي دادس، وكذا في عالية وادي درعة جنوب مركز أگدز الحالي. وتفيد المعلومات التاريخية القليلة المنثارة في بعض المصادر أن هذه القبائل نزحت إلى هذه المناطق الجنوبية الشرقية من مناطق أخرى من المغرب الأقصى في فترات معينة. فماذا نعرف عنها ؟ ورد عند ابن أبي زرع في القرطاس أن أيت سدرات هم من القبائل الزناتية الأولى التي استقرت بشمال المغرب الأقصى وكانوا من جملة القبائل التي بايعت إدريس الأول سنة 789/172. أما الباحث الفرنسي جورج كوفروور Georges Couvreur فقد اعتبرها من قبائل المخزن الإدريسي معتقداً أن استقرارها بمنطقة دادس تم خلال القرن الخامس (11 م) وذلك بإيعاز من بعض الشرفاء الأدارسة الذين كانوا قد أحكموا سيطرتهم عليها قبل ذلك. وجدير بالذكر هنا تواتر رواية شفهية لدى أيت سدرات إلى اليوم تزعم أن أصلهم من أيت سادن القرييين من فاس عاصمة الأدارسة، وحسب نفس الرواية فإن قديمهم إلى أسيف - ن - دادس كان يطلب من شريف إدريسي يدعى مولاي بوعمران كان حاكما على المنطقة وقتئذ. ولما توفي دفن في المكان الذي يحمل اسمه إلى اليوم. وظهرت به زاوية لا تزال تحمل اسمه على الضفة اليمنى لوادي دادس قريبا من مركز قلعة مگونة الحالي. وهذه الزاوية يقام بها موسم ديني كل سنة في عاشورا.

غير أن المادة المصدرية المتوفرة لا تؤكد ما تناقلته هذه الرواية الشفهية وتبين بالتالي أن استقرار أيت سدرات بوادي دادس لم يتم في غضون القرن الخامس الهجري كما ذهب إلى ذلك جورج كوفروور، بل تؤدي بنا إلى الاعتقاد أن استقرارهم به ربما تم في فترة متأخرة عن القرنين الخامس والسادس (11 و12 م) بدليل أن المصادر التي أشارت إليهم خلال نفس الفترة ذكرت وجودهم في أماكن أخرى من المغرب غير منطقة دادس. ففي سنة 1062/454 ورد ذكرهم ضمن قبائل فاس التي قامت في وجه يوسف بن تاشفين أثناء محاصرته لهذه المدينة. وذكر ابن أبي زرع أيضاً أن

هذا السلطان المرابطي قاتل أيت سدرات وأهل صفرو سنة 1072 / 465. ويظهر أن أيت سدرات ربما توغلو داخل الأطلس المتوسط في غضون النصف الأول من القرن السادس (12 م). ذلك أن البيذق تحدث عنهم بعد استيلاء عبد المؤمن بن علي على بلدة أزرو بالأطلس المتوسط. وإثر ذلك تفرق جيشه إلى فريقين : فريق توجه إلى بني كانون وآخر إلى تيطاف "فوجد أيت سدرات، وبني أمرسال وأهل ملوية". أما الشريف الإدريسي فقد سجل أن أيت سدرات أو على الأقل فريقا منهم كان يراقب الطريق الرابط بين تلمسان وسجلماسة.

كما نجد بوطنهم في مكان آخر بين مدينتي مراكش وسلا على الساحل الأطلسي. وفي هذا الصدد يقول : "ومن مدينة مراكش إلى مدينة سلا على ساحل البحر تسع مراحل أولها تونين. وتونين قرية على أول فحس أفيح لا عوج به ولا أمنا، وطول هذا الفحص مرحلتان ويسكنه من قبائل البربر قزولة ولطة وسدرات".

ورد في المقصد الشريف لعبد الحق بن إسماعيل البادسي ما يفيد أن فصيلا من أيت سدرات كان موجوداً في المناطق الشمالية قريبا من فاس. ذكر ذلك في ترجمته للفيقيه إسحاق بن مطهر الوريباغلي المعروف "في وقته بالأعرج لأنه خرج عليه اللصوص ليلا في مسجد من بلاد سدراتة، حين قرأته فيها".

وقد ظلت جموع من أيت سدرات متمركزة شمالي فاس أثناء ظهور حركة بني مرين في شمال شرق المغرب في بداية القرن السابع (13 م) وكانوا من جملة القبائل التي بايعت الأمير عثمان بن عبد الحق بعد مقتل أبيه الأمير عبد الحق المريني مع ابنه إدريس من طرف قبائل بني رياح العربية سنة 614 / 1217. ولم يكنف أيت سدرات بمبايعة إخوانهم بني مرين بل وقفوا إلى جانبهم وشدوا عضدهم في القضاء على خصومهم النائرين عليهم. وهكذا اعتمد عليهم الأمير يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني في محاربة الشائر عمر بن عثمان بن يوسف الذي تحصن في قلعة فندلاوة بجبال بني يازغة في بداية ولايته. وفي هذا الشأن يقول ابن أبي زرع : "وأمر الأمير يوسف قبائل بني عسكر ومن في تلك الجهات من قبائل البربر من سدراتة وبني وارثين وبني يازغة وبني سيتان وغيرهم بحصاره وقتله، فحاصروه مدة من شهر ثم خرج أمير المسلمين إليه بنفسه ... [ولما] علم أن لا طاقة له بالحصار ولا مقدرة له على مدافعة أمير المسلمين، فبعث إليه الصلحاء يأخذون له الأمان منه. فأمنه ونزل إليه فبايعه وصرفه إلى تلمسان بجميع أهله وماله".

إن ما يمكن استخلاصه من التحليل السابق، هو أن وادي دادس ربما شهد استقرار أيت سدرات به في غضون القرن السابع (13 م). وهذه الفترة هي فترة عرف فيها المغرب الأقصى انهيار النظام الموحد وقيام النظام المريني محله. وقد صاحب ذلك تحركات بشرية كبرى همت المجال

المغربي برمته شمالا وجنوبا كان من نتائجها إعادة توطين كثير من القبائل في مواطن غير المواطن التي كانت فيها إلى ذلك الحين. وهذه التحركات الكبرى قامت بها خاصة قبائل زناتة بزعامة بني مرين وقبائل عرب بني معقل. ويبدو أن هذه القبائل كانت متنافسة في السيطرة على المجال المغربي. ففي الوقت الذي بسطت فيه قبائل بني مرين نفوذها على مناطق شمال المغرب، نزحت قبائل بني معقل مضطرة إلى سهل سوس عبر ما سماه محمد القبلي "بالمغرب الخارجي" أي مناطق القبلة أو بلاد الواحات. ولمنع تسرب بني معقل إلى السهول الشمالية الغربية قام بنو مرين بإبعادهم عن مداخلة ورصدوا من أجل ذلك حواجز بشرية دونها "على طول وادي ملوية ما بين بلاد الزيز ووادي صا، وذلك إما بواسطة قبائل مرينية أو زناتية أخرى كمكناسة وبني ونجاسة وبني برنيان، وأما بواسطة قبائل حليفة...". ولهذا ليس مستبعداً أن يكون آيت سدرات قد استقدموا إلى دادس من طرف عشيرتهم بني مرين وذلك في إطار هذه السياسة التي كانت ترمي إلى محاصرة بني معقل في مناطق الواحات وسهل سوس التي امتسحوها من قبل. وكونهم سيطروا على دادس الأوسط وكذا عاليته يدل دلالة واضحة على أنهم أحكموا السيطرة عليه لمنع كل تسرب محتمل لهذه القبائل نحو مناطق الشمال عبر ممراته. ومن جهة أخرى، أدى هذا النزوح الزناتي إلى وادي دادس ممثلاً في قبائل آيت سدرات إلى حدوث نزاعات بينها وبين قبائل صنهاجة القبلة التي كانت تستوطنه من قبل وخاصة منها قبائل إيسگون التي تم استيطان هذه القبائل النازحة على حساب بعض أراضيها. وقد اشتدت حدة هذه النزاعات بين الجانبين مع مرور الوقت بسبب التنافس على مجالات الرعي وخاصة في جبل صاغرو الذي حاولت السيطرة عليه قبائل أخرى مثل إيمغران وآيت عطا. ونظراً لتضارب مصالح مختلف هذه القبائل فإن ذلك كان مدعاة للتحالف في ما بينها ضد بعضها البعض. فبرز حلفان قويان في مناطق القبلة والأطلس الكبير والأوسط والشرقي هما حلف آيت عطا وحلف آيت يفلمان. فالأول حسب المهدي الناصري في مؤلفه نعت القطريس كان ينتصر له في المعارك آيت مصاد ومن تبعهم من قبائل إحنصالن وآيت بوجماز وإيمگون وبني محمد وأهل الغرفة ومن تبعهم في تافيلالت وآيت يوسي وآيت نصير وآيت إمكليد وإشقين بالاطلس المتوسط. أما الثاني فكان يقف إلى جانبه في المعارك آيت سدرات وإيمغران وآيت يسري وزيان وإيغروان. ويبدو أن آيت سدرات شكلوا قوة سياسية وعسكرية مهمة كان يحسب لها حسابها في هذه المناطق. ويتجلى هذا الأمر بصفة خاصة في استنجد سكان درعة العليا بهم للوقوف أمام استفزازات وتمسفات قبيلة أولاد يحيى خلال الثلث الأول من القرن الثاني عشر (18 م). وحسب الرواية الشفوية المتداولة فإن الولي الصالح سيدي منديل دفين

قصر تانسبخت هو الذي توسط في أمر تدخلهم هناك لما كان يحظى به لديهم من احترام وتقدير. وتضيف نفس الرواية أن سكان درعة العليا تعهدوا لأيت سدرات بأن يتخلوا لهم عن نصف الأرض التي سيحررونها من قبضة أولاد يحيى. وقد انتهز آيت سدرات الفرصة وأبعدوا أولاد يحيى عن درعة العليا وفرضوا حمايتهم على المنطقة وأقاموا فيها قصورهم. وهذا التوسع زادهم قوة ونفوذاً في هذه المنطقة كلها. كما يظهر أن آيت سدرات استطاعوا إدماج قبائل جديدة ضمن قبيلتهم الكبرى وهذا ما حدث في فترة يصعب تحديدها ويتعلق الأمر بقبيلة آيت توحسين التي يوجد مجالها حالياً في عمالية دادس وتحديداً بين المضايق (تيسضرين) وامسمرين. وهذه القبيلة انضمت إلى آيت سدرات وقدمت لهم تيغرسى (أي الذبيحة) بعدما غادرت موطنها الأصلي في آيت سيدي علي أوبورك بجبل صاغرو. وإذا كنا نجهل أسباب وظروف مغادرتها هناك فمن المحتمل أن يكون آيت عطا الذين سيطروا على جزء كبير من جبل صاغرو هم الذين كانوا وراء ذلك.

وكما سبق الذكر فقد شكل آيت سدرات قوة بشرية وسياسية مهمة في جنوب شرق المغرب ضمن النسيج القبلي لهذه المنطقة. كما أنهم شكلوا وحدة ثقافية متميزة سواء بلهجتهم أو بتراثهم الثقافي المتراكم المتمثل في التقاليد والأعراف المرتبطة بالحياة الخاصة والعامية، فرصيدهم في الغناء الأمازيغي بمختلف ألوانه (تمديازت، وتمنضين أو تيموايين، وأحيدوس بشقيه: إزلي وتكوري) يعتبر غنياً وأصيلاً لبراعتهم فيه أداءً ولغة. وقد اشتهر لديهم شعراء كثيرون أمثال أوردو وأوفارق وحدو أوكمات وآخرون.

ش. الإدريسي، نزعة المسنق، بر سعيد، الظاهر، د. ن. المجلد الأول: البيدق، أخبار المهدي، الرباط، 1971؛ الفقيس من كتاب الأنساب، الرباط، 1971؛ ي. السادلي، التمشيف، نج. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1404 / 1984؛ ع. الحق البادسي، المقصد الشريف، نج. سعيد أعراب، الرباط، 1402 / 1982؛ عارمول كيرخال، إفريقيا، تر. م. حجي وآخرين، الرباط، 1408. 1409 / 1988. 1989، ج. 2؛ مجهول، كتاب الاستبصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، 1985؛ ع. ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1973؛ المهدي الناصري، نعت القطريس الغسيس هيان بن بيان المنتسى إلى السوس، مخطوط؛ م. القبلي، حول التحركات البشرية بمجال المغرب الأقصى فيما بين منتصف القرن الثاني عشر ونهاية القرن الثالث عشر للميلاد، مجلة كلية الآداب، الرباط، عدد مزدوج، 21، 22، 1997. 1997، ص. 74-75؛ م. حمام، جوانب من تاريخ وادي دادس وحضارته، الرباط، 2001.

G. Couvreur, *La vie pastorale dans le Haut-Atlas Central*, R.G.M., n° 13, 1968 ; Charles de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* (1883-1884), Paris, 1985 ; D. Jacques-Meunié, *Le Maroc saharien, des origines à 1670*, Paris, 1982, 2 vol. ; J. Mazel, *Enigmes du Maroc*, Paris, 1971 ; L. Mezzine, *Le Tafilalet, contribution à l'histoire du Maroc au XVII<sup>e</sup> et XVIII<sup>e</sup> siècles*, Rabat, 1987 ; G. Spillman, *Districts et tribus de la haute vallée du Dra*, Paris, 1931 ; H. Zafrani, *Mille an de vie juive au Maroc*, Paris, 1983.

محمد حمام



**السدراتي**، أسرة سلوية عريقة، اشتهر منهم أشخاص احتلوا مكانة مرموقة في القضاء والأمانة، كما اشتغلوا بالحرف والتجارة والفلاحة، منهم أحمد بن الحاج محمد السدراتي من فقهاء سلا توفي سنة 1282 / 1865 وأبو بكر السدراتي من شعراء الملحنون له قصائد في موضوعات متنوعة. توفي سنة 1135 / 1722، وعبد الحق السدراتي كبير رجال المدفعية بسلا توفي بعد سنة 1292 / 1875، والحاج عبد الله بن عبد السلام السدراتي الرئيس البحري والأمين بمرسى العدوتين توفي قبل سنة 1244 / 1828.

أ. الناصري، الاستقصا، ج. 2، ص. 172؛ معلمة المغرب، ج. 5، ص. 1539؛ ع. الرحمن المودن، البوادي المغربية، ص. 64، 81. 171؛ التنظيم، الجماعي والإداري، 1992.  
Villes et tribus du Maroc. Rabat, Tome III, p. 150.

**السدراتي، أحمد بن المكي (الحاج -) فقيه سلاوي**

أخذ عن علماء بلده وعلماء فاس وولي القضاء بمسقط رأسه سنة 1203 وأعفي منه، ثم أعيد إليه سنة 1226 وأخر عنه ثانية وولي القضاء مرة ثالثة سنة 1247 حتى توفي سنة 1253 ودفن قرب ضريح الشيخ الحراثي إزاء مقبرة الشيخ الحاج أحمد بن عاشر.

له تقييد تاريخية، وهو من شراح الموطأ في نحو 850 صفحة وعنوانه تقريب المسالك لموطأ الإمام مالك يوجد بالجزانة الصبغية السفر الأول من أسفاره الأربعة تحت رقم 136.

ومن مآثره أنه حبس أباراً للشرب بين عين إسمير (الولجة) والحندق بسلا.

م. بن علي، الإنحاف الوجيز، 87، 49، ط 2؛ م. بوشعرا، ذيل الإنحاف الوجيز، 260، 259، ط 2؛ التعريف، 2؛ 149، 57، 164، 241، 249؛ أ. الناصري، الاستقصا، 8؛ 21 و 171 و 9؛ 46؛ تاريخ الضعيف، 366 و 368؛ أ. ابن القاضي، درة الحجال، 2؛ 249؛ جعفر الناصري، سلا ورباط الفتوح، 5؛ 963 (مرفون بالجزانة الصبغية)؛ م. بن الطيب العلوي، العلامة محمد السدراتي، دعوة الحق، ماي 1978، ص. 98؛ وثائق بنسعيد؛ وثائق خ. ص؛ رواية شغوبة للحاج محمد بنسعيد شيخ الملحنون مصطفى بوشعرا.

**السدراتي، أبو ثابت عامر بن فتح الله، من أيت**

سدرات إحدى قبائل الأطلس المتوسط. وأسرة السدراتيين معروفة كأسرة مخزنية خدمت ملوك بني مرين منذ قيام دولتهم، وكان من أشهر أفرادها أبو سالم فتح الله السدراتي والد المترجم ووزير السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني (656 / 1258 - 685 / 1286). أما عامر فقد استنطاق، بفضل رصيد أسرته السياسي وتربيته المخزنية وما تمتعت به شخصيته من سماحة وكرم وجود ودهاء، استقطاب اهتمام السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب

(710 / 1310 - 731 / 1331) إليه وخلق موقعا متميزاً له بين حاشيته حتى أدرك المناصب العليا والثقة الكبرى في إسناد خطة الوزارة إليه. وعندما استعاد أبو سعيد نفوذه على مدينة سبتة بعد ثورة بني العزفي بها سنة 728 / 1328 استعمل كبار رجالاته وخوادم مجلسه في أعمالها ومن بينهم وزيره عامر الذي عقد له على حاشيته.

وفي عهد السلطان أبي الحسن (731 / 1331 - 752 / 1351) ظل عامر أحد أبرز وزرائه والأقرب إلى قلبه حتى إنه كان لا يعقد مجالسه السياسية والعلمية إلا بحضوره، كما أنه كان يخصه بمهام خطيرة وأمور ثقيلة دون غيره لثقتة به، ومن ذلك أن ولاه إلى جانب الوزارة النظر في أمور العمال ومعرفة أخبار التواحي والأقطار البعيدة. وقد استمر السدراتي على اتصاله الوثيق بالسلطان أبي الحسن المريني والتفاني في خدمته إلى أن استشهد في وقعة طريف عام 741 / 1340.

مجهول، الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط، 1972، ص. 87، 160؛ ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1973، ص. 298؛ ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، تج. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص. 174، 177، 248، 249، 253، 361، 362؛ ابن الأحمر، روضة النورين، الرباط، 1962، ص. 18، 24، 26؛ النخبة النورنية والساحة المرينية، تج. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص. 37، 48؛ ابن خلدون، العبر، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 515، 636؛ أ. ابن القاضي، جذرة الاقتباس، الرباط، 1973، ص. 461؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954، ج. 3، ص. 44، 115، 177؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1977، ج. 8، ص. 11، 12.  
A. Khaneboubi, Les premiers sultans mérinides. Histoire politique et sociale, Paris, 1987.

رشيد السلامي

**السدراتي، عميد الله بن عبد السلام السلوي، من**

رياس الأسطول المغربي خلال عهد سيدي محمد بن عبد الله، ومن أبرز قواده السلاويين العاملين تحت الإشراف المباشر لقائد الأسطول عميد الله العسري. وقد ورد ذكره في لائحة الرياس الذين أنعم عليهم السلطان بهيته الملكية في سنة 1198 / 1784.

عبد الهادي العسري، كناش في أمور البحر، خ. ع. مخطوط رقم 1907 د، ص. 34.

حسن أسيلي

**السدراتي، محمد (الحاج -) بن أحمد بن الحاج**

المكي فقيه مدرس أخذ عن علماء سلا وفاس، وكان سنة 1282 / 1865 كاتباً لسفارة الشرقي وبنسعيد إلى فرنسا. ولي القضاء بسلا سنة 1316، وبأسفي سنة 1319. كان إماماً وواعظاً وخطيباً بالمسجد الأعظم بسلا، وتوفي في ذي القعدة عام 1330 / أكتوبر - نونبر 1912.

مصطفى بوشعرا.

آسيا بالنسبة للنوع الأول ومن إفريقيا السودانية والساحلية. وقد غرسا كتوعين شجريين مثمرين لأن ثمارهما أكبر حجماً من النبق العادي. وقد انتشرت زراعتهما كما هو الشأن بالنسبة لأنواع أخرى تغرس لثمارها في كل أرجاء بلدان المناطق الحارة وشبه الحارة، لكن في الأراضي المرورية. وهكذا مجدهما يفرسان، وخاصة النوع الأول، في حدائق فاس ووجدة ومكناس ومراكش وفي جل الواحات.

ثمار العناب لحمية وذات لب أبيض ولذيذة المذاق، تؤكل طازجة أو مجففة، وتستعمل لعدة أغراض في الطب التقليدي.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 2000.  
J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997.

عبد المالك بنعيبد

### السُدود بالمغرب، ظلت تمثل على الدوام إحدى

المقومات الحيوية والثابتة التي يتأسس عليها الاقتصاد الحضري والريفي وياقي القطاعات الاجتماعية على حد سواء. وإلى الآن ما زالت البادية المغربية تحفل بعدد هائل من منشآت خزن ونقل الماء. قد شيدت منذ أقدم العصور، من حواجز لتحويل المجاري المائية ونشر مياه الفيضانات وغدران وخطارات وناعورات وشادوفات و "تظفيات" ... لكن السدود القارة والمرتكزة على قواعد تكنولوجية عصرية لم تبرز للوجود إلا مع نهاية العشرينيات من القرن العشرين.

إن افتقار المغرب من جهة إلى مصادر الطاقة، وتوفره من جهة أخرى على شبكة مائية مستقلة وكثيفة نسبياً في المناطق الشمالية وعلى تضاريس متباينة تسمح في العديد من النقط بتخزين المياه قد دفعها سلطات الحماية في أول الأمر إلى استغلال الموارد المائية لأغراض الشرب والإضاءة وتزويد خطوط السكك الحديدية بالطاقة الكهربائية وتشغيل الصناعة العصرية الناشئة. أما قطاع الري فظل مهمشاً ولم يتسأثر بالاهتمام إلا في مطلع الأربعينيات،

وسواء تعلق الأمر بالسدود المشرفة على القطاعات المسقية أو التي تزود المدن، فإن إدارة الحماية لم تعمل على إنشائها وتوطينها إلا بالقدر المحدود الذي يخدم مصالح المعمرين قبل كل شيء. فكانت الحصيلة مع بداية الاستقلال متواضعة: 12 سداً كبيراً وحقينة إجمالية لا تتعدى 1.75 مليار م<sup>3</sup> ومساحة مسقية تبلغ 56.000 هـ وورقة قابلة للري لا تتجاوز 150 000 هـ وإنتاج مائي يتراوح بين 770 و850 كو / س.

تعتبر العشر سنوات الأولى من الاستقلال فترة انتقالية

السُدود، سبق لنا أن عالجتنا هذه المادة تحت مدخل أزگار الاسم الأمازيغي الشائع لنبات السدرة أو النبق أو العناب أو الضال الذي ينتمي إلى جنس زيزيفوس Zizyphus وفصيلة السدریات أو النبقیات Rhamnaceae.

وهو جنس زيزيفوس يضم نوعين طبيعيين من السدرة بالمغرب، ونوعين دخيلين على الأقل من العناب أو الزقيرف أو الزقوف:

النوع السائد من السدرة في المغرب هو زيزيفوس لوتس Zizyphus lotus: إضافة إلى الاستعمالات التي أشرنا إليها تحت مادة أزگار، بعد التفاصيل المتعلقة بالصفات النباتية والتوزيع الجغرافي نود أن نشير إلى أن النبق يعتبر مقوياً ومضاداً للحمي والديدان التي تعيش في الأمعاء، ولمرض الجذري والحصى. بينما تستعمل الأوراق في صيانة الشعر وضد الإسهال ومرض الجهاز البولي. وفي بعض الحالات يستعمل رماد السدرة مخلوطاً مع الحلل لمعالجة لدغات الثعابين.



أما من حيث التغذية فإن ضحين النصار من الممكن أن يعطي خبزاً جيد محبوب عند الرجل الذين يعتبرون كذلك النبق المجفف مادة رئيسية في تكوين زادهم في تنقلاتهم الكبرى.

ينتج النحل الذي يرعى في أزهار السدرة عسلاً رقيقاً وثمانياً.

النوع الطبيعي الآخر هو زيزيفوس موريسيانا Zizyphus mauritiana الذي لا يصادف بالمغرب إلا في السافانات الصحراوية في منطقة وادي الذهب. يتميز هذا النوع عن النوع الأول بأوراقه المكسوة بوبر كثيف على وجهها السفلي، وسيقانه الفتية المزرغبة، ويصغر حجم ثماره.

لا تختلف استعمالات هذا النوع عن تلك التي ذكرت بالنسبة للنوع الأول.

النوعان الدخيلان من العناب هما زيزيفوس فولگاريس Zizyphus vulgaris وزيزيفوس سبينناكريستي Zizyphus spina-christi. إن أصلهما من

ومناسبة إعادة هيكلة الشركة الاستثمارية وتحديد السياسة المائية وتحضير القوانين (قانون الاستثمار الفلاحي) واسترجاع أراضي الاستثمار الرسمي (1963) والقيام بدراسات حول الري بالقطاعات الصغيرة والمتوسطة. خلالها سيفضل المغرب الانتكباب على تجهيز الأراضي القابلة للري وسيكتفي باستهلاك الإرث الاستثماري وبناء ثلاثة سدود فقط ذات مخزون ضعيف لتسديد نفقات الواردات وجلب العملة الصعبة لتحقيق التوازنات والزيادة في الإنتاج الغذائي والحد من النزوح نحو المدن. وتجدر الإشارة إلى أن المكتب الوطني للري، كان يهتم بجميع مراحل الري ويتوفر على صلاحيات واسعة، حيث قام بدراسة مشروع سبو كأول خطة فلاحية - مائية مندمجة واتخذ دائرة تادلة كمخبر لبرامجه، لم يعمر طويلاً (1961 - 1965) بسبب نهجه سياسة إصلاحية عاجلة حسب اعتقاد السلطات العمومية.

أما المرحلة الثالثة (1967 - 1980) فعرفت أوجاً لتكثيف بناء السدود والتجهيزات المائية. ذلك أنه تم بناء 12 سداً كبيراً بمخزون إجمالي يفوق كل ما تم تجميعه في السدود التي شيدت في العهد الاستعماري أربع مرات تقريباً. ولم يتسن ذلك دون رصد نصيب ضخم من ميزانية الدولة بشأن التهيئة المائية وإقامة السدود. فبلغت ذروة 26٪ في مخطط 1968 - 1972 لتراجع في مخطط 1973 - 1977 (13٪).

لقد تم إنشاء المكاتب الجهوية للاستثمار الفلاحي سنة 1966 لجعلها مؤسسات عمومية ذات شخصية معنوية واستقلال مالي، وذلك لتكليفها بالإشراف اللامركزي على تجهيز وتديبر القطاع الفلاحي في الدوائر المسقية الكبرى التوسع. وفي السنة الموالية تم إنشاء مديرية المياه لتصرف على التحكم في الموارد المائية واستغلالها ودراسة وبناء السدود، كما تم الإعلان في خطاب العرش عن سياسة ري مليون هكتار في أفق سنة 2000. وهي سياسة اكتست أبعاداً رمزية في الأول قبل أن تتضمن حقائق تاريخية فيما بعد. فضلاً عن ذلك تم صدور قانون الاستثمار الفلاحي عام 1969 صالحة مجموعة من قوانين الماء، ثم استرجعت كل أراضي الاستثمار الخاص سنة 1973 لتتضاف إلى الأراضي المسترجعة من الملك الاستعماري الرسمي سنة 1963. بهذا الرصيد العقاري ستتمكن الدولة من نهج سياسة تقنقراطية في بداية المرحلة تستهدف الإنتاجية والمردودية (اعتماداً على الري بالخصوص) قبل أن تتخذ سياسة لرأسالية الدولة عبر الشركات العمومية وفي إطار الجهوية المستحدثة ابتداءً من 1971.

غير أن مخطط 1978 - 1985 صادف حلول أزمة غذائية دفعت إلى رد الاعتبار إلى القطاع البوري بهدف الاكتفاء

الذاتي الغذائي وإعادة التوازن بينه وبين القطاع المسقي. المرحلة الرابعة الممتدة في 1981 و1992 تميزت بمواصلة التجهيزات وبناء السدود الكبيرة (10) ولكنها اتسمت على الخصوص بتدشين عهد جديد في هذا الميدان، وهو عهد السدود الصغيرة (54) والمتوسطة (1). وللمحافظة على التقدم المسجل في هذا المجال تمت خلال هذه العشرة مراجعة قانون الاستثمارات الفلاحية ومباشرة البرامج الفلاحية القطاعية والمشاريع المتدمجة بإشراك القطاع الخاص. وبالمقابل كان يتعين على البلاد أن تواجه ضغوط ومخلفات العمل بسياسة التقويم الهيكلي وأن تراجع نسبة الميزانية الاستثنائية التي كانت تحول لقطاع الماء والسدود وأن تعيدها لمستوى قريب من 5٪ من ميزانية الدولة. كما اضطرت أن تقاوم آثار أطول مرحلة جافة في التاريخ المائي المغربي المعاصر.

لقد ترسخت سياسة السدود منذ انطلاق سلسلة الأوامر الجافة والمتعاقبة بداية من 1981، وهي السنة التي تأسس فيها المجلس الأعلى للماء والمناخ. فأوصى بدفعة قوية تقضي بتشديد سد كبير خلال كل سنة ابتداءً من 1987 لاستنفاد المساحة المسقية الموعودة، وكذا لبناء 500 سد صغير في الأفق البعيد للتخفيف من الاختلال القائم بين القطاعات المسقية العصرية الكبرى والتقليدية الصغرى، وذلك بهدف ترقية الوسط الريفي وتثبيت سكانه وتحسين دخلهم ومحاربة البطالة والعمل على تحقيق الاكتفاء الذاتي الغذائي وأيضاً تطوير تكنولوجيا وطنية حديثة في ميدان السدود وهندسة المياه والبناء بمواد مستخرجة عموماً في عين المكان أو مصنوعة محلياً. هكذا، وبعد أولى الدراسات التي ترجع إلى 1973 والتي تم التخلي عن تطبيقها على أرض الواقع لمدة عقد كامل، تقرر الشروع في تشييد السدود الصغرى والمتوسطة ابتداءً من 1984 بتعاون بين وزارات الفلاحة والداخلية والتجهيز، على أن تتكلف هذه الأخيرة بالدراسات التصورية والتأطير والإمداد بالآلات الضرورية للبناء. وبعد إحصاء 352 موقع محتمل آنذاك وقع الاختيار على 210 موقع لدراستها.

وأخيراً تميزت الحقبة الحالية (انطلاقاً من 1993). بانتهاء "العصر الذهبي" للسدود الصغرى (3 فقط) ولكن ب بروز واضح للسدود المتوسطة (8) والاحتفاظ بوتيرة بناء السدود الكبيرة (11). كما شهدت هذه المرحلة وضع مشاريع ودراسات، بل وحتى الشروع في تشييد 23 سداً كبيراً و31 سداً متوسطاً و136 سداً صغيراً. وهو ما يعادل على التوالي، مقارنة بالرصيد الموجود إلى حد الآن النصف و3.5 مرات ومرتين ونصف. في هذه الفترة أيضاً تم إنشاء سد الوحدة الذي يعد أكبر سد في إفريقيا بعد السد العالي المصري، وتم في 1995 تحديث النظام القانوني للماء الذي

أسس بموجبه لإحداث الأحواض النهريّة ومكن إبرام شراكات بين الإدارات والجماعات المحليّة في ميدان الاستغلال وسمح للقطاع الخاص بتدبير القطاع المائي والاستثمار فيه. وقد تبلورت إنجازات هذه الحقبة في ظرفية حافلة بالإكراهات التي ترجع بالأساس إلى تجذّر وتوالي سنوات الجفاف، وكذا استفحال المستلزمات التنموية المتقلّصة بفعل السياسة السابقة للتقويم الهيكلي ومختلف المتطلبات الاجتماعيّة المتراكمة (شغل، تعليم، صحة، سكن ...)، وأيضاً تزايد المنافسة الأوروبيّة لصادراتنا وإغلاق الأبواب دونها عقب تحقيق وحدتها.

الآن وبعد مرور أكثر من 70 سنة على التجربة المائيّة يمكن الإقرار بدون مغالاة واستناداً على المحصلة الكميّة الإيجابية، بأن المغرب يتفرد باكتفائه المائي الذاتي لمدة قد تطول أو تقصر ويتوقّعه وتجنّبه الأزمات المائيّة التي تتخطّط فيها الكثير من دول جنوب البحر المتوسط. فهو حالياً يتوفّر على 112 سدّاً منها 48 كبيرة و9 متوسطة و55 صغيرة، وعلى مخزون يعادل 16.3 مليار م<sup>3</sup> من مجموع الكميّة القابلة للتعبئة (22.5 مليار م<sup>3</sup>)، كما تمكّن من تحقيق منجزات استثنائية في هذا الميدان، حيث يعتبر سد الوحدة ثاني أكبر سد إفريقيّاً والحسن الأول أكبر سد إفريقي مبنّي بالتراب والمركب المائي لسد علال الفاسي - مطماطاً فريداً من نوعه، وذلك علاوة على الأنظمة الكبرى لتحويل المياه بين المناطق (من سبو إلى الجنوب ونحو ملوية، ومن اللكوس نحو الجنوب ومن المجاري المتوسطة نحو ملوية السفلي) والتكثيف من بناء السدود الصغيرة والمتوسطة.

غير أن الاستعمالات القطاعية لمخزون المياه مازالت تتمتع الامتياز المطلق للقطاع الفلاحي على حساب الماء الصالح للشرب والمستغل في تشغيل الصناعات، إذ كانت الفلاحة المسقيّة تستأثر بحوالي 95٪ من مجموع الذخيرة المائيّة قبل أن تتحول النسبة إلى 91.5٪ ابتداءً من 1990 و83٪ انطلاقاً من سنة 2000.

توفر التساقطات المطرية والثلجيّة في المغرب 150 مليار م<sup>3</sup> سنوياً، مع تباينات سنوية في حجم الموارد تخلف دورياً تذبذبات قد تصل نارة إلى أقل من ثلث ذلك المعدل وتارة أخرى أكثر منه بمرتين ونصف. أما "التساقطات النافعة" غير المخزّنة التي تصرف بالمجاري والفرشات المائيّة فلا تتعدى 30 مليار م<sup>3</sup>، والكميّة القابلة للتعبئة السطحيّة تناهز 22.5 مليار م<sup>3</sup> (مقابل 7.5 مليار م<sup>3</sup> من المياه الجوفيّة). الآن يتم استغلال حوالي 70٪ من الاحتياطي القابل للتخزين، والملفت للنظر أن الفلاحة المسقيّة هي أكبر مستهلك للماء، حيث لا تترك للقطاعات الأخرى سوى 17٪ مقسّمة بين الماء الصالح للشرب والماء المستعمل في الصناعات، وذلك في أحسن الأحوال.

بالنظر إلى الاختيارات الاقتصاديّة والاجتماعيّة

المتكاملة أحياناً والمتعارضة أحياناً أخرى، والتي يكنسي بعضها صبغة استراتيجيّة والبعض الآخر طابعاً اضطرارياً واستدراكياً، هناك صراع ملموس حول الماء بين شتى القطاعات. إذ بصرف النظر عن أهميّة القطاع السياحي الذي يعرّف عليه أكثر فأكثر في الأمد القريب والمتوسط، وعلاوة على ضغوطات النمو الديمغرافي والتمدين، مازال قطاع الري يمثل إحدى أهم الأولويات التي تعمل على تحقيق الاكتفاء الذاتي الغذائي وتوفير العملة الصعبة والشغل والتقليل من الهجرة إلى المدن وتقليص الفوارق بين الدوائر المسقيّة الكبرى والصغرى... والتي تبرز بإصرار الحاجة إلى ترقية نمط العيش بالاستهلاك وكذا تحسين أوضاع وظروف عيش الوسط الريفي الذي انتقلت فيه نسبة الأسر المنخرطة في شبكة توزيع الماء الصالح للشرب من 14٪ سنة 1990 إلى 53٪ سنة 2002.

كل هذه العوامل تبرز مدى إلحاح الطلب على الماء والمنافسة على استعماله، والذي من شأنه حث الدولة على البحث عن طرق أمّج لتدبيره وكذا بذل المزيد من الجهود الاستثمارية لمواكبة العرض للطلب.

فضلاً عن ذلك يعرف قطاع السدود عجزاً وتدهوراً في الموارد السطحيّة يرجع بالأساس إلى توحد الحقيقتات وتلوث الماء وتقلبات المناخ التي تسفر عن تباينات بين الفصول والسنوات والمناطق التي يستقبل بعضها 2000 ملم سنوياً (أعالي الريف والأطلس) وبعضها أقل من 100 ملم (الجنوب والجنوب الشرقي). ويجدر التأكيد على أن المغرب يعيش سنوات متواليّة من الجفاف منذ 1981 (باستثناء 1989 و1994 و1996 و1997)، إلى درجة اعتماد تقنين توزيع الماء أحياناً في بعض المدن والإخلال بتطبيق المخططات الاجتماعيّة والإنتاجيّة والسياحيّة والسقويّة. وقد أدى نقص الماء المهول في صيف 1995 إلى تنظيم رحلات مكوكيّة لأربعة سفن لنقل 30 000 طن لكل واحدة منها من الجرف الأصفر إلى طنجة.

وقد نجم عن ذلك مباشرة استمرار تراجع مخزونات السدود التي وصل بعضها إلى درجة الإفراغ التام (ابن بطوطة، الحاشف، الدخيلة...). مما انعكس سلباً على الوضعيّة الاقتصاديّة بالمغرب ودفع سكان الأرياف إلى استغلال المياه الجوفيّة التي لا تفي بالحاجيات. وللتخفيف من وطأة الأزمة تم فتح حساب بنكي عمومي (رقم 111) مخصص لتبرعات المتضامنين سنة 1995.

وبلغت نسبة ملء الخزانات في منتصف شهر فبراير 2002 حوالي 46٪ أي أقل من مشيلتها في سنة 2001 (52٪)، من بينها تسعة سدود كبيرة بلغت نسبة أقل من 20٪ و12 سدّاً كبيراً فاقت نسبتها 80٪.

كما تعتبر ظاهرة التوحد الوجه السيء للتساقطات التي تعرف نظاماً تتناوب فيه الفترات الجافة والفترات المطيرة العنيفة التي تجرف بعمق الشكوبات السطحيّة

السدود الكبرى (إلى سنة 2002)

(الوظائف : إ - مقاومة الإطماء. ت - إعادة تزويد الفرشة المائية. ر - ري. ش - شرب. ص - صناعة.

ف - الوقاية من الفيضانات. ك - كهرباء. م - توريد الماشية)

السدود	المجاري المائية	سنة الشروع في العمل أو التجميع	الأحواض التهرية	طاقة التخزين (مليون م <sup>3</sup> )	الوظائف	المساحة القابلة للري	أقرب مدينة
س. سعيد معاشو	أم الربيع	1929	أم الربيع	2.00	ش - ص - ك	-	أزمور
الملاح	الملاح	1931	الرباط البيضاء	8.20	ر - ش	400	البيضاء
قضية تادلة	أم الربيع	1931	أم الربيع	0.10	ر - ك	27970	ق. - تادلة
علي التهيلات	لاو	1935	الشمال الغربي	30.00	ر - ف - ك	1816	شفشاون
الكنصرة	بهت	1935 (1969)	سيو	273.00	ر - ش - ص - ك	28750	س. سليمان
للأ تاكركوست	نقيس	1935 (1980)	تانسيفت	68.80	ر - ش	9800	مراكش
إصفوت	أم الربيع	1944	أم الربيع	18.20	ر - ش - ص - ك	50000	سطات
زمران	زمران	1950	أم الربيع	0.60	ر	60	خريبكة
الدورات	أم الربيع	1950	أم الربيع	9.50	ك	-	سطات
بين الويدان	العبيد	1953	أم الربيع	1300.30	ش - ك	105120	أزيلال
أيت أوعرضة	العبيد	1954	أم الربيع	4.00	ر - ك	-	أزيلال
تاغذوت	عمارة	1956	جنوب الأطلس	3.00	ر	200	تازناخت
النخلة	النخلة	1961	الشمال الغربي	5.70	ر - ش - ص	700	تطوان
أسفي	سحيم	1965	الجديدة - أسفي	2.00	ش - ص	-	أسفي
محمد الخامس	ملوية	1967	ملوية	410.90	ر - ش - ص - ف - ك	65 400	تاويريرت
أجراس	أجراس	1969	الشمال الغربي	3.00	ر	700	تطوان
مولاي يوسف	تاساوت	1969	أم الربيع	190.00	ر - ك	31 520	دمنات
الحسن الداخل	زيز	1971	جنوب الأطلس	346.80	ر - ف	2750	الرشيدية
المصور الذهبي	درعة	1972	سوس ماسة	528.90	ر - ف - ك	25000	ورزازات
يوسف بن تاشفين	ماسة	1972	سوس ماسة	303.80	ر - ش	18260	تزنيت
إدريس الأول	إناون	1973	سيو	1207.00	ر - ف - ك	72 300	فاس
س. م. ب. عبد الله	بورقراق	1974	أبورقراق	486.00	ش - ص	-	الرباط
ابن بطوطة	مههر	1977	الشمال الغربي	39.00	ش - ص	-	طنجة
واد المخازن	اللوكوس	1979	الشمال الغربي	772.70	ر - ش - ص - ف - ك	39 050	القصر الكبير
تيمى تونين	تاساوت	1980	أم الربيع	5.30	ش	-	دمنات
عبد المومن	إيسن	1981	سوس ماسة	214.60	ر - ش - ص - ف	13 000	أكادير
م. ب. ع. ك. الخطابي	نكور	1981	الساحل المتوسطي	33.50	ر - ش - ص	5 720	الحسيمة
وقاية اللوكوس	اللوكوس	1981	الشمال الغربي	4.00	ر	-	العرانش
سيدي إدريس	لخضر	1983	أم الربيع	3.70	ر - ف	-	قلعة السراغنة
الدخيلة	إيسن	1986	سوس ماسة	0.70	هوازنة	-	أكادير
الحسن الأول	لخضر	1986	أم الربيع	262.60	ر - ش - ص - ك	43 400	أزيلال
علال الفاسي	سيو	1990	سيو	81.50	ر - ش - ص - ك	24 600	صفرو
أولوز	سوس	1991	سوس ماسة	108.20	ت - ش - ص	-	أولوز
سمير	سمير	1991	الشمال الغربي	43.00	ش - ص	-	تطوان
وقاية سيو	سيو	1991	سيو	40.10	ر	11500	القيظرة
9 أبريل 1947	الحاشف	1995	الشمال الغربي	300.90	ش - ص	-	طنجة
الوحدة	ورغة	1996	سيو	3800.00	إ - ر - ش - ص - ف - ك	100 000	وزان
سيدي شاهد	ميكس	1997	سيو	170.00	ش - ص	-	فاس
الحسن الثاني	زا	1998	ملوية	275.00	ر - ش - ص - ف	2000	تاويريرت
أحمد الحنصالي	أم الربيع	2001	أم الربيع	740.00	ر - ش - ص - ك	36 880	زاوية الشيخ
أسفالو	أسفالو	2001	سيو	317.00	ر - ك	8300	فاس
مشرع الحجر	سيو	2001	سيو	18.00	ر	74 000	فاس
الطواهر	إتاون	2001	سيو	40.00	ر - ش	3350	نازة
أبت مسعود	أم الربيع	2002	أم الربيع	13.00	ك	-	قضية تادلة
مداز	سيو	2002	سيو	597.00	ر - ش - ص - ك	16 000	صفرو
عين تيمدرين	سيو	2002	سيو	3.00	ك	-	صفرو

السدود المتوسطة (إلى سنة 2002)

تاريخ	-	ش.	6.50	الشمال الغربي	1992	جمعة	جمعة
أولاد بريجيل	-	ت. رف	11.00	سوس ماسة	1993	برجيل	إمي الختنگ
تاوانات	5000	ت. رش	62.00	سيو	1994	ساحلة	ساحلة
المعون	-	ت. ف	110.00	الصحراء	1994	الساقية الحمراء	الساقية الحمراء
صفرو	-	ف	1.25	سيو	1994	أكاي	أكاي
بولمان	-	ر. ش	12.70	سيو	1995	تاغوشت	أنجيل
تاھلا	-	ت.	56.00	سيو	1999	حوض ورغة	بوھودا
تارودانت	-	ش.	37.00	سيو	1999	حوض ورغة	باب الوطا
تارودانت	-	ر.	50.00	سوس ماسة	2000	حوض سوس	شاكركان

السدود الصغرى (إلى سنة 1998)

أولاد عيو	-	ر.	0.30	أم الربيع	1984	الشككة	غالية القواسم
أزمور	1000	ر. ش. ص	5.50	أم الربيع	1984	أم الربيع	سیدی الضاوي
الماس	-	ر.	0.20	بورفراق	1985	ختازة	أيت المرايطية
الرماني	-	ش.	0.70	بورفراق	1985	عريض	عريض
أيت ودير	80	ر.	0.78	تانسيفت	1985	تانسيفت	إمي الأربعة
أولاد عيو	-	ر.	3.00	أم الربيع	1985	الشككة	ساحلة القواسم
عين بني مطهر	-	م.	3.00	ملوية	1985	مسخخة	مسخخة
س. بوعشان	100	ر.	0.50	تانسيفت	1985	بومرهان	نزالة العزري
أيت باھا	-	ف.	0.70	سوس ماسة	1985	الصفنا	الصفنا
بني مطهر	-	م.	1.00	ملوية	1985	سیدی علي	سیدی علي
أكادير	60	ر.	0.35	سوس ماسة	1986	تاگنزا	تاگنزا
ق. تادله	300	ر.	1.10	أم الربيع	1986	تاغريرت	سیدی المياري
مسور	50	ر.	0.44	ملوية	1986	بوكردان	بوكردان
گلسمبة	30	ر.	0.65	جنوب الأطلس	1986	أكروز	أكروز
أرفود	50	ر.	1.00	جنوب الأطلس	1986	گايز	أشيارو
الرش	30	ر.	0.70	جنوب الأطلس	1986	بوتاعريشت	بوتاعريشت
بوعرقة	-	ش. م.	1.60	جنوب الأطلس	1986	حصو أورزاك	حصو أورزاك
إفران	-	ف.	0.12	سيو	1986	تيزگيت	ساحلة تيزگيت
واد زم	-	ت.	0.94	أم الربيع	1986	واد زم	بني مسير
گنشاوت	-	ر. م.	0.52	تانسيفت	1986	عربة	أگافاي
عين زويرة	250	ر.	3.00	ملوية	1986	إرهان	ثلاث بويكر
بولمان	70	ر. م.	1.00	ملوية	1986	أوسيكس	أفا نوسيكس
بوزنيفة	-	ر. م.	0.07	الرباط البيضاء	1986	رمان	غزالة
سحطات	-	استجمام	0.015	الرباط البيضاء	1986	سحطات	بوموسی
دبدو	-	م.	3.80	ملوية	1986	مسيد	ختنگ الهدا
سدي يحيى	600	ر. م.	2.92	الرباط البيضاء	1987	الرويضات	الرويضات
نيشاوة	-	ر. م.	0.60	تانسيفت	1987	شعبة الابيض	عزيب الدوبراني
تاويرت	-	ر. م.	0.76	ملوية	1987	عين حصو	بطمة الرما
الحاجب	-	ر. ف.	0.35	سيو	1987	الدفالي	أمان سايرين
سبو	50	ر.	0.40	تانسيفت	1987	زدير	إمي الحد
أكلوس	200	ر. م.	0.85	أم الربيع	1987	بالكران	عين تاويرت
بجعد	60	ر. ف.	0.46	أم الربيع	1987	موليخ	موليخ
سحطات	-	ر. استجمام	0.066	الرباط البيضاء	1987	بالأبار	مزمارا
عين العودة	-	ر. م.	1.31	الرباط البيضاء	1987	عكراش	عين كريمة
عين العودة	-	م.	0.12	الرباط البيضاء	1988	سهب عرگوب	عين عودة
واد زم	85	ر. م.	1.00	أم الربيع	1989	طويلتس	طويلتس
إتزر	55	ر.	0.66	أم الربيع	1989	تيفشوت	إتزر
طنجة	300	ر.	0.028-1.10	الشمال الغربي	1989	مصاير. ماگايور	بوخالف 3.2.1
بمحمد	300	ر.	0.002	أم الربيع	1990	سوناريت	عرشة
فريطسا	20	ر. ش. م.	0.30	سيو	1990	عريشة	راس بلخيران
بودنيب	80	ر. م.	0.95	جنوب الأطلس	1991	اللدويس	اللدويس
فاس	-	مخارية التلوت	2.90	سيو	1991	بوفكران	بلاد الكعدة
إفران	-	استجمام	0.75	سيو	1991	تيزگيت	غالية تيزگيت
طنجة	250	ر.	1.10	الشمال الغربي	1991	الصابون	الصابون
طنجة	530	ر.	2.30	الشمال الغربي	1991	الصفير	الصفير
أيرتواغ	-	إ. ش.	0.90	سيو	1992	جرف الغراب	جرف الغراب
طنجة	250	ر.	1.00	سيو	1992	الساف	الساف
بوزاكارن	-	ف.	0.23	جنوب الأطلس	1992	إيمان	إيمان
بوزاكارن	-	ش. ف.	0.28	جنوب الأطلس	1992	أسيف ننفلا	أغريسي
فاس	-	مخارية التلوت	0.62	سيو	1992	مهرار	مهرار
سلوان	-	ش.	1.70	سيو	1995	عربات	عربات
بركان	-	ف.	0.028	ملوية	1997	-	بن يخلف
تاوانات	-	ر. ش. م.	0.75	سيو	1998	-	غربية

لائحة السدود في طريق أو نهاية الإنجاز أو لها دراسات جاهزة (1998 . 2002)

السدود الكبرى

السدود	المجاري المائية (أحواض)	طاقة التخزين (مليون م <sup>3</sup> )	الوظائف	المساحة القابلة للري	أقرب مدينة (إقليم)
مريجة	أم الربيع الأسفل	20.00	ك.	.	(سطات)
مترع الصفا	أم الربيع الأسفل	22.00	ك.	.	(سطات)
إمزديلفان	أم الربيع الأعلى	72.00	ك.	.	(خنيفرة)
تاسكدوت	أم الربيع الأعلى	20.00	ك.	.	(خنيفرة)
تاجموت	أم الربيع الأعلى	7.00	ك.	.	(خنيفرة)
تاغزيرت	درنة (أم الربيع)	235.00	ر. ش. ك.	.	(بني ملال)
أسما	أسما	82.00	ش. ص.	.	(تطوان)
ماريل	ماريل	100.00	ر. ش. ص.	3000	(تطوان)
الروزي	الروزي	30.00	ش.	.	(تطوان)
إفاسيين	غيس	230.00	ر. ش. ص.	13000	(الحسبة)
س. ب. عبد الله	أبورقراق	480.00	ش. ص.	.	(الرباط)
(الزيادة في الارتفاع)		1280.00			
ابن حنر	أوكار	110.00	ش. ص.	.	(أكادير)
نامري	نامري	50.00	ش. ص.	.	(أكادير)
سیدی سعید	ملونة	400.00	إ. ر. ص.	.	.
انسكبير	أنسكبير	130.00	ر. ش.	.	(ميدلت)
طرقة أوصاضي	زيزيت	250.00	إ. ر. ف.	.	(تازة)
تيليدانين	ملونة	800.00	إ. ر. ش.	.	(آزغرف)
كرزسة	كبر	220.00	ر. ف.	1800	(فكيك)
الكلثة الزرگا	درعة	9.50	ر. ش.	.	(طانطان)
الكلوس	(جنوب الأطلس)	.	.	إ. ف.	.
الصباد	الصباد	30.00	ت. ر. ش.	.	(كلم)
الصاكا	الصاكا	65.00	ر. ش.	.	(كلم)
جبل الكحل	بوحنان	430.00	ر.	4800	بوحنان

السدود المتوسطة

شاشا غلاخ	أم الربيع الأعلى	193.00	إ.	.	(خنيفرة)
التكور	التكور	15.60	إ.	.	(الحسيمة)
تيزمال	(الساحل المتوسطي)	21.25	إ. م.	.	(تارگيت)
بوكوكور	(ساحل الرباط البيضاء)	30.00	ر. ش. م.	.	(بتحد)
تغبيخ	تغبيخ	53.00	ش. ف. م.	.	(بنسلمان)
عين كواشيا	إيكم	11.00	ر. ش.	.	(الصخيرات)
الشراط	الشراط	7.00	ش.	.	(بوزنيقة)
خنوسة	خنوسة (أبورقراق)	23.00	ش.	.	(الزماني)
سیدی عمّار	(أبورقراق)	63.00	ش. ف.	.	كهف النور (خنيفرة)
سیدی عمر	(أبورقراق)	35.00	ر.	.	(العازيز)
إيكي تاوعقا	(سوس ماسة)	10.50	ت. ر.	.	أولاد بريحيل (تارودانت)
سیدی عبد الله	(سوس ماسة)	10.37	ت. ر.	.	تاسلوكت (تارودانت)
المداد	(سوس ماسة)	11.30	ت.	.	(تارودانت)
أن زسور	(سوس ماسة)	9.50	ر. ش. م.	.	أمسكود (أكادير)
زا	زا (ملوية)	55.00	إ.	.	كفابت (جرادة)
تيمكت	(جنوب الأطلس)	14.00	ت. ر.	.	(تيجداد)
تيزراكين	(حوض كبر)	10.20	ر. ش.	.	(كوراأمة)
عالت	(جنوب الأطلس)	15.00	ت. ر.	.	(بوغرفة)
خنگه گرو	(خنگه گرو)	90.00	ت. ر.	.	(بوحنان)
تسوين	درعة	.	ف.	.	(روزازات)
ناديفوست	حوض زيز	.	ر.	.	(الرشيدية)
أمزميز	(تانسيفت)	11.00	إ.	.	(أمزميز)
تاسكورت	(تانسيفت)	.	ر.	.	(إمبستانوت)
بولعوان	سكسوة	80.00	ر.	.	(سیدی بوحنان)
مازاران	(سيو)	9.20	إ. ر. م.	.	(باب برة)
عين عيودن	(سيو)	10.50	إ. ر.	.	(تارونات)
أولائي	(سيو)	22.50	إ. ر.	.	(غفاسي)
سیدی عسور	(سيو)	.	ر.	.	(عين عسنة)
أداروش	بهت	48.00	ر. ش. م.	.	(أزوي)
زرور	إسلان	6.00	إ. ر. ش.	.	(تارونات)
أزنجار	(سيو)	.	ر.	.	(رباط الخبير)

+ قناة الساقية الحمراء، (10.5 كلم) صبيب 9 م<sup>3</sup>/ث، تزويد الماشية، العيون

والترتبات العاربة والصخور اللينة، ثم تلقى بها في الأودية في مدة وجيزة. وتتضافر عدة عوامل لتتشد على استفحال عملية زحف الطمي على الخزانات المائية، أهمها شكل التضاريس الجبلية والمتموجة التي تبلغ حوالي 70٪ من المساحة الإجمالية، والضغط البشري الذي يخلف اجتثاث المساحات بما يناهز 100 000 هـ. سنوياً (من بينها 31 000 هـ تقطع كل عام من الغابة).

إدارة هندسة المياه، وزارة الأشغال العمومية، تعبئة المياه بواسطة السدود الكبرى، الخطة الخماسية 1993، 1997، يونيو 1992؛ شوقي يتعزو، الماء ذلك التحدي المستمر، منشورات بانوراما، الرباط، 1994؛ م. كريبوط، الري التقليدي بالمغرب، معلمة المغرب، ج. 14، 2001، ص. 4573-4578.

A. Benhati, *La politique marocaine des barrages, in les problèmes agraires au Maghreb*, Paris, 1977؛ M. Ayad et J. Le Coz, *Vers une nouvelle ère hydraulique au Maroc*, in *Aspects de l'Agriculture irriguée au Maroc*, Rabat, Montpellier, 1991؛ *Les petits barrages, réalisation 1984-1992*, Pub. de l'Administration de l'Hydraulique, Min. des Travaux Publics, fév. 1993؛ *Les grands barrages au Maroc*, Pub. de l'Adm. de l'Hydraulique, Min. des Travaux Publics, 1994؛ *Les barrages du Royaume*, Direction de l'Hydraulique, juin 1998؛ *Annuaire statistique du Maroc*, Direction de la Statistique, Min. de La Prévision éco. et du Plan, 1980-2000.

مصطفى عباد

**سراج، محمد**، مقاوم ولد سنة 1905 بخنيفرة انخرط في صفوف جيش التحرير منذ انطلاقة بجبال الريف تحت قيادة السيد عبد الله الصنهاجي، شارك في عدة هجومات على قوات المستعمر بالمنطقة كما كلف عدة مرات بإيصال السلاح والتعليمات إلى بعض المراكز المجاورة بالناحية.

توفي في 25 شعبان عام 1415 / 26 يناير 1995. المنووية السامية لقداما، المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 516805.

**سراكر، صالح**، مقاوم ولد سنة 1926 بأبي الجعد. انضم لصفوف النضال الوطني عند انطلاق الشرارة الأولى للمقاومة حيث أصبح عنصراً نشيطاً داخل الحركة الوطنية، وهو ما جعله يتحمل مسؤولية خلية المنظمة السرية بأبي الجعد، كما كان صلة وصل بين المنظمة بالدار البيضاء ومقاومي أبي الجعد. وقد قام بأعمال جلية في مجال الفداء والتضحية من أجل استقلال البلاد حيث خطط لثورة 20 غشت التي عرفتها مدينة وادي زم.

توفي في 4 جمادى الأولى عام 1416 / 29 شتنبر 1995.

المنووية السامية لقداما، المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 528308.

**السرراغنة**، المجال السراغيني جزء من المجال الأطلنطي الداخلي. يمتد على سهلين تفصل بينهما سلسلة الجبيلات الشرقية هما: سهل السراغنة - البحيرة شمالا وسهل الحوز

الشرقي جنوبا. يحده من الأطراف الشمالية جزء من منخفض وادي أم الربيع الذي يفصل السراغنة عن هضاب قبيلتي الشاوية وبنى مسكين. وتحده من الشرق النهاية الغربية لأطلس بني ملال ووادي العبيد الذي يفصله عن بلاد تادلا السهلية. تشمل حدوده الجنوبية في الحاشية الشمالية لأطلس دمنات التي تستوطنها قبيلتنا فطاوكة وولتانة. أما حدوده الغربية فتتمثل من الجنوب نحو الشمال في الحوز الأوسط، الجبيلات الوسطى، سهل البحيرة الوسطى، الكنتور. وهي مجالات تشغلها قبيلتنا زمران (جزء من الحوزين الأوسط والشرقي) والرحامنة الذين يشغلون ما تبقى من هذه المجالات. وتنتمي القبيلتان إدارياً لإقليم قلعة السراغنة (انظر الخريطة 1 والخريطة 2). وبذلك تمثل بلاد السراغنة صلة وصل بين عالمين بشريين هما العرب شمالا والبربر جنوبا، بين مجالات الري ومجالات الزراعة البعلية. كما كان يمر منها الطريق التجاري الذي كان يربط بين مراكش وفاس - مكناس. تعتبر بلاد السراغنة حالياً جزءاً من جهة مراكش - تانسيفت الحوز.

#### 1 - التضاريس

يتكون المجال السراغيني من أربع وحدات مورفولوجية هي من الجنوب نحو الشمال: منخفض الحوز الشرقي، الجبيلات الشرقية، الجزء الشرقي من السهل المقعر للسراغنة - البحيرة ثم تضاريس الكويستال المشكلة في الحوض الرسوبي الفوسفاطي للكنتور الشرقي.

#### 1.1 - منخفض الحوز الشرقي:

هذه الوحدة هي الامتداد الشرقي لمنخفض الحوز السهلي الذي يعتبر أخدود فصل من أصل بناتي. وقد لعب هذا المنخفض دور حوض رسوبي قاري تراكمت فيه تدريجياً تكوينات فتاتية غرينية ناتجة عن تحطيم السلسلة الأطلنسية خلال النيوجين والرباعي. يصل سمك هذا الردم إلى أكثر من 200 م. وتشكل هذه المواد الفتاتية رصيصاً عناصره متغايرة القياس والنوع الصخري. تتكون ركيزة من الزمن الأول. تتوضع فوق هذا الأخير مواد حنية طينية حمراء بريموترياسية. في الحاشية الجبلية نجد فوق الترياس مواد كلسية من اللياس تتعاقب من دكات صلصالية. يبرز اللياس بتجاعيد الصهريج المحدية، ثم يفرض شمالاً لينتهي مانلاً.

تشكل المواد الفتاتية النيوجينية والرباعية مخاريط انصباب مختلفة الأحجام أهمها اطلاقاً مخروط واد تساوت، أو منخفضات سهلة كمنخفض الصهريج.

#### 1.2 - الجبيلات الشرقية:

تتكون أساساً من مواد أولية قديمة تتمثل في الصفحت (الفليش) الفيزي الذي تغطيه فرشاة زاحفة أولية كمبرو أردوفيسية. وانطلاقاً من كديتي مولاي علي (747 م) والمنجل (693 م)، وبالضبط شرق واد كيانو، تنظم التضاريس على شكل أعراف متوازية شمالية - جنوبية



في وصف إفريقيا باسم الجبال الخضراء الشبيهة بجبال صخور الرحامنة غرباً (وارد عند 1972 J. Pégurier). وتشكل صخور هذه الجبال (النضيدية والمروية) ركيزة الحدرية الجيولوجية والشبيهة كذلك بما نجده بالمسيطة المغربية الغربية. ويطلق السكان على هذه التضاريس اسم الضلوع أو الصخور.

## 2. البيومناخ والأثرية :

### 2.1.1. البيومناخ :

#### 2.1.1.1. المعطيات المناخية :

رغم أن المناخ لا يمثل سوى عنصر من عناصر النظام الطبيعي ببلاد السراغنة، فإن تأثيره حاسم. ذلك أنه يتحكم في الثروات النباتية الطبيعية التي يتوقف عليها النشاط الفلاحي خاصة النشاط الرعوي، وفي نوعية النباتات التي يمكن زراعتها أو إدخالها، وأخيراً في نوع الأثرية وكمية الثروات المائية.

مناخ المجال السرعيني عامة مناخ قاري طابعه الأساسي الجفاف وعدم الانتظام الزمكاني.

#### 2.1.1.1.1. الحرارة مفردة (انظر الجدول 1)

المتوسطات الحرارية السنوية مرتفعة إذ يصل المعدل الحراري السنوي بمحطة قلعة العاصمة بلاد السراغنة 19.7 مئوية. كما أن معدل الحرارة العليا السنوي قوي في كل مكان إذ يصل 29.2 بنفس المحطة، في حين تكون الحرارة العليا القصوى في فصل الصيف جد عالية إذ تسجل أرقاماً قياسية خاصة أثناء هبوب رياح الشركي. فهي دائماً أكثر من 45°، بل سجلت 50.5° في شهر يوليوز من سنة 1924. معدل الحرارة العليا لأسخن شهر 39°. أما معدل الحرارة الدنيا السنوي فهو 11.7°. والحرارة الدنيا القصوى التي سجلت هي 3° بشهر يناير من سنة 1918. معدل الحرارة الدنيا لأبرد شهر هو 4.5°، مما يجعل المنطقة تتعرض لظواهر الجمد والصقيع "الجريحة" من نونبر إلى أبريل.

كما يتميز مناخ بلاد السراغنة بفرق حرارية يومية وفصلية قوية : المدى اليومي في المتوسط 17° صيفاً و13° شتاءً. أما المدى السنوي فهو 17.5°.

#### 2.1.1.1.2. التساقطات ضعيفة وغير منتظمة زمانياً

ومجالياً (الجدول 2).

يتراوح المعدل السنوي للأمطار بالمجال السرعيني بين 200 و500 ملم. متوسط محطة قلعة السراغنة 257 ملم سنوياً. ويعرف هذا المتوسط تغيرات مجالية إذ تزداد التساقطات من الشمال الغربي في اتجاه الجنوب الشرقي، أي نحو أطلس دمنات : 200 ملم يسد المسجون بالبحيرة الذي يعتبر جزيرة صحراوية حقيقية بهذه المنطقة، يصبح المعدل حوالي 500 ملم بسور العز بالقرب من دمنات ارتباطاً بعامل الارتفاع.

كما تعرف الأمطار تغيرات بيسنوية إذ تتوالى على

الاتجاه مكونة من صخور مقاومة (مروة، حث سيليسي). تفصل بين الأعراف منخفضة مشكلة في صخور هشة مالحة (صلصال مصفر، فليش). تتخللها أحياناً عروق صخرية متواضعة الارتفاع تدعى محلياً "الصخور" مثل صخر علال بن علال وصخر الزو صخيرات القطاع، أو تدعى الريش مثل الصخور التي توجد شرق مدينة القلعة بدوار "الرويش"، تصغيراً للريش. ويستمر هذا التنظيم حتى ثغرة وادي تساوت حيث تقل الارتفاعات وتغوص الأعراف الأولية تحت الغطاء البرعوترياسي والليورباغي. هذا التنظيم هو تنظيم التضاريس الابلاشية.

#### 3.1.1. مقرر السراغنة - البحيرة :

عبارة عن أخدود مقعر عريض محصور بين كتلة الجبيلات جنوباً وتضاريس الكويستا ثم نجد الرحامنة - السراغنة شمالاً. تتكون ركيزته الجيولوجية من صخور أولية تغطيها صخور رسوبية ثانوية تنتمي للثرياس والكريطاسي، وثلاثية تتمثل في الإيوسين ثم في الردم القاري النيوجيني - الرباعي الناتج عن تحطيم سلسلة الجبيلات. ويحمل هذا الأخدود اسم سهل البحيرة - السراغنة. وهو عبارة عن منخفض بنيوي حوضي الشكل شبه مغلف داخلي التصريف، حيث نجد في وسطه غرب مدينة قلعة السراغنة سد المسجون الذي يبلغ طوله 15 كلم وعرضه بين 2 و3 كلم. ويطلق عليه السكان اسم سد المجنون تحريفاً لسد المسجون.

تتكون الجبيلات على طول الحاشية الشمالية من مجموعة من المخاريط الانصبابية أهمها المخروطان اللذان شكلهما كل من واد تساوت بعد خروجه من ثغرتة الحالية بالجبيلات الشرقية وأحد فروعه القديمة بعد خروجه من ثغرة وادي كاينو، حيث خلف تكوينات بليورباغية متراسة بالقرب من قلعة السراغنة.

#### 4.1.1. منطقة الحدرية :

يطلق على المجال الممتد بين جبل خاو بالرحامنة وسافلة وادي تساوت عند مقرته بواد أم الربيع اسم الحدرية. وهي منطقة هضبية فسيحة تعتبر امتداداً لهضبة الشاوية - بني مسكين الكريطاسو إيوسينية نحو الجنوب. ويفصل الحدرية عن هذه الهضبة واد أم الربيع بعد أن تعمق فيها. ومن نتائج هذا التعمق تقطع هضبة الحدرية وخلق مناظر تضاريسية متنوعة هي :

- تضاريس الكويستا التي يطلق عليها وعلى سكانها اسم الحافات والتي تطل على منخفض متضرس شاسع، ينحدر سطحه في اتجاه وادي أم الربيع حيث يوجد سد المسيرة.

- كما نجد هنا وهناك تلالاً شاهدة مسطحة القسم ومتوجة بصخور كلسية صلبة، ودراديق. وتدعى هذه الأشكال محلياً بالأوتاد.

- تضاريس أولية مبعوثة أشار إليها مارمول كريخال

المنطقة سنوات رطبة مثل 1939 حيث تلقت محطة قلعة السراغنة 469 ملم، وأخرى جافة مثل 1982 حيث لم تسقط سوى 92.3 ملم بنفس المحطة أي بنسبة تفوق 5. كما تعرف الأمطار تغيرات فصلية : الشتاء أرطب الفصول (40٪ من الأمطار)، وال الصيف أجفها (5.2٪ فقط)، مما يظهر الحاجة الملحة للماء في هذا الفصل.

#### 2.1.1.2. الرطوبة، التبخر ونظام الرياح :

متوسط الرطوبة عموما ضعيف. الرطوبة النسبية تتراوح بين 73٪ في شهر يناير و33٪ في يوليو. كما أنها تتغير على طول اليوم الواحد وبكيفية مهمة، بحيث يمكن أن تنزل إلى 18٪ بعد الظهر خلال فصل الصيف وأحيانا 0٪ عندما تهب رياح الشرقي والسيروكو الجافة.

الرياح السائدة بالسراغنة غربية وشمالية - غربية، أي رياح محيطية وهي المسؤولة عن التهاطلات المطرية. كما تتعرض المنطقة لهبوب رياح قارية جافة شرقية (الشرقي) وجنوبية (السيروكو أو القبلي) ينتج عنها انخفاض عنيف في الرطوبة وتزايد مفرط في التبخر وحدوث عواصف رعدية وغبارية ومجفيف وذبول للنباتات وسقوط أوراق وثمار وأزهار الأشجار المثمرة. ويبلغ هبوبها في المتوسط أربعين يوما مع انخفاض خلال شهور الربيع وارتفاع خلال شهور الصيف.

لذا فإن مناخ بلاد السراغنة يتميز بضعف الأمطار وانخفاض الرطوبة الجوية، وعدم انتظام التهاطل مجاليا وزمانيا، مما يؤدي إلى حدوث فترات عجز مطري (جفاف) يمكنها أن تؤدي حسب طبيعتها ومدتها إلى كوارث حقيقية. ويتوالى عدة سنوات جافة، يتخذ الجفاف مظاهر فظيعة : هلاك القسم الأعظم من القطيع، هبوط الأثمان وحدوث مسغبات ثم مجاعات. كما يتميز المناخ بمتوسطات و فروق حرارية قوية، وحدوث موجات صقيعية متأخرة غير مرتقبة وغير عادية وموجات ريفية ساخنة وجافة مبكرة أحيانا. كلها عوامل بنوية تشكل عوائق حقيقية يجب التكيف معها من طرف سكان بلاد السراغنة وخاصة مع الأوضاع القصوى لأن المتوسطات أقل أهمية. ذلك أن لهذه الظروف المناخية انعكاسات على النبات والمياه والأثرية والأنشطة البشرية بمجال السراغنة.

#### 2.1.2. الغطاء النباتي :

تتجلى القحولة التي تطبع المجال السراغيني في نوع ومظهر الكساء النباتي السائد، بحيث يتكون من أنواع متدهورة جداً مختلفة عن التشكيلات المناخية. وحسب R. Nègre يجب أن تسود بالسراغنة غابة مفتوحة مكونة من الأصناف التالية : السنط أو الأفاقيا من نوع *Acacia gummifera* الذي يدعى محليا "بالطلع"، والعفصية *Tetraclinis articulata* مصحوبين بالعثم أو الزيتون البري الذي يسمى "الزويج" محليا *Olea europea*، والدوم *Chamaecrops humilis* خاصة بالأطراف الجنوبية المحاذية للأطلس الكبير (صنهاجة، المحمدانة، سور العز)، أي أطلس دمنات.

وحسب L. Emberger تسود بالمنطقة سهوب مفتوحة من العناب أو السدر *Ziziphus lotus*، البطم أو فستق الأطلس *Pistacia atlantica* اللذين يميزان المستوى الجاف. وقد تعرض فستق الأطلس للتدهور الكبير. كما توجد بالمنطقة بضعة عناصر من نبات الخروب *Ceratonia siliqua* كما هو الحال بجبل خروبة بالجبلات الشرقية.

بالإضافة إلى هذه الأصناف توجد أنواع تميز المجال الجاف وهي الهليون بنوعيه الأخضر الذي يدعى محليا "بالسكوم" والأبيض الذي يطلق عليه اسم "الشبرك" *Asparagus stipularis* و *Asparagus alba*. كما نجد نبات "تيرمط" أو "تيرنط" *Withania frutescens*، الحرمل *Peganum harmala*، الشبيح *Artemisia herba-alba*، العلمد *Ephedra fragilis* الذي يتسلق السدر. كما نجد أنواع الفملحة أهمها "القطف" *Atriplex halimus*.

كل هذه الأصناف تعرضت للتدهور الشديد، مما أدى إلى اختفاء بعضها كاللوم والعفصية، أو ندرتها الكبيرة كالزيتون البري والخروب ما عدا بالأطراف الجنوبية الشرقية من مجال السراغنة حيث نجد بعض العناصر لكنها محدودة. كما أن العناصر الأخرى المتبقية بكثرة نسبيا (العناب، السنط، الهليون بنوعيه، و "العلمد" تعرضت للإفقار بفعل التدخل البشري القوي، خاصة في السنوات الأخيرة. وقد أصاب هذا الإفكار كل المجال السراغيني وبخاصة الجبلات والشمال الغربي الذي يطلق على سكانه حاليا اسم أهل الغابة نسبة إلى الغابة التي كانت تغطيه بكثافة حتى القرن الثالث عشر (19 م) كما أشار إلى ذلك الفرجداني قائلًا : "في بلد السراغنة قدام القلعة في محل يسمى ازنادة ... كانت حينئذ غابة من الزرب (السدر) المتصل لا يمكن حرقها لتراكم السدر فيها"، ثم اختلفت لعوامل مناخية (نزوح نحو التحفيف) وبشرية كما أشار إلى ذلك الحسن الوزان. وهكذا يلاحظ حاليا تصحر تدريجي وتصاعدي من الشمال الغربي في اتجاه الجنوب الشرقي.

#### 2.2. الأثرية :

تسبب إفقار الغطاء النباتي وتدهوره في إفقار وتدهور الأثرية وتعرية السطح على مجالات شاسعة. وقد ساهم في هذا التدهور والإفقار الاستعمال البشري المكثف وغير العقلاني للمجال (توسع مهم للزراعة رعي واسع جائر).

وتوجد ببلاد السراغنة مجموعة من الأثرية التي تطلق عليها أسماء محلية كبقاى مناطق البلاد وهي : تربة الحمري، ورقوان، وبياضة، والتيرس واملاحة.

كما نجد أثرية هيكلية قليلة التطور فوق السطوح الأولية أو يظهر الكويسترا بالحدرة.

يعبر المجال السرغيني وادان دائما الجريان هما واد تساوت وواد الأخضر اللذان تتفرع عنهما شبكة كثيفة من السواقي. ذلك أن السراغنة كانوا دائما يعملون على تعبئة وتحريك الماء الذي يعتبر العائق الرئيسي للإنتاج الفلاحي في مثل الظروف المناخية التي تميز مجالهم. وهكذا نجد ما يزيد على أربعين ساقية مأخوذة من الوادين فقط من دخلتهما بلاد السراغنة حتى مقرنهما بالحاشية الجنوبية للجبيلات، بل إن جزءاً من مياهما تم تحريكه وتوجيهه إلى سهل السراغنة - البحيرة شمال غرب قلعة السراغنة. عبر ثغرة واد كاينو بواسطة ساقيتي اليعقوبية نسبة إلى يعقوب المنصور الموحي والغاية نسبة إلى أهل الغابة. هذا بالإضافة إلى شبكة ثانية من السواقي تتفرع عن واد تساوت من مقرن بواد الأخضر إلى مصبه بوادي أم الربيع؛ والتي تروي جزءاً مهماً من سهل السراغنة - البحيرة.

كما يحد المجال السرغيني من الشمال واد أم الربيع. ورغم أن هذه المحاور المائية تعبر أو تحده بلاد السراغنة، فإن هذه الأخيرة تستفيد من مياها بعد تشييد ثلاثة سدود كبرى هي : سد مولاي يوسف (أيت عادل سابقاً) على واد تساوت، سد مولاي الحسن الأول (أيت اشواريت سابقاً) على واد الأخضر ثم سد المسيرة على واد أم الربيع. ويوجد بسافلة كل من سد مولاي يوسف ومولاي الحسن الأول سد احتياطي : سد تيمينوتين بواد تساوت وسد سيدي إدريس بواد الأخضر شرق الصهريج. توجه مياه هذه السدود للشرب أو الري داخل بلاد السراغنة أو خارجها نحو بلاد زمران والحوز الغربي. كما تستقبل بلاد السراغنة جزءاً من مياه واد العبيد (سد بين الويدان) عبر قناة تساوت 2 لري سهل السراغنة شمال مدينة القلعة. كما تجري ببلاد السراغنة سيول موسمية منحدره من الأطلس الكبير نحو وادي تساوت والأخضر، ومن الجبيلات في اتجاه سهل السراغنة - البحيرة الذي تتحول بعض أجزائه لحظياً وخلال فترات التهاطل إلى مستنقعات تجف بفعل التبخر الشديد لدرجة أنها تدعى ببلاد السراب.

## 2.3. الشروات المائية الباطنية :

يمكن التمييز داخل بلاد السراغنة بين أربع مناطق متفاوتة الأهمية من حيث الشروات المائية الجوفية، وهي من الأقل أهمية إلى الأكثر أهمية الحدرة، الجبيلات الشرقية، الحوز الشرقي ثم منخفض السراغنة - البحيرة.

## 1.2.3. الحدرة :

هي امتداد لكتلة الرحامنة الهرسينية نحو الشرق. تتكون هذه الوحدة الهيدروجيولوجية من مواد قديمة قليلة النفاذية جداً. وبذلك فإن السريان الباطني للماء يتم على مستوى الشقوق والتصدعات ومجالات التفسخ التي أصابت الصخور النضيدية والروية (الكوارتزيتية).

وبالتالي فإن امكانية تخزين وتوفير الماء للشرب وورد الماشية قائمة. لكن إمكانات الري تبقى محدودة. ومع ذلك يلاحظ حالياً وتحت وطأة الجفاف، تطور لعمليات حفر الآبار وضخ مياهاها، مما سمح بظهور واحات خضراء وسط مجال بوري قاحل واسع.

2.2.3. الجبيلات - انظرها في المعلمة، ج. 9 : (2921).

3.2.3. الحوز الشرقي جزء من خزان سهل الحوز (انظرها في المعلمة، ج. 11 : 36359).

4.2.3. خزان سهل السراغنة - البحيرة (انظرها في المعلمة، ج. 4 : 1083).

## النشاط الفلاحي :

بلاد السراغنة منطقة فلاحية بالدرجة الأولى كما يظهر ذلك من خلال المساحة المنزرعة أو الانتاج الفلاحي أو التجهيزات الهيدرولوجية واستثمار الأراضي الفلاحية. الرقعة الزراعية المستغلة مهمة وتتنوع كما يلي : 52٪ أراضي بعليية (بورية)، 28٪ مراعي، 19٪ أراضي سفوية و1٪ غابات. ومن حيث إمكانات الانزراع حسب التغيرات المطرية توجد بلاد السراغنة ضمن المجال حيث الزراعة بدون سقي تكون تارة ممكنة وتارة أخرى غير ممكنة، أي ضمن المنطقة شبه القاحلة (Cote Legras, 1966). ذلك أن المناخ يتحكم في التوزيع الزمني للشروات المائية : فكلما كانت التحولات المناخية مرتفعة كلما أصبح اللجوء إلى الموارد المائية غير المطرية ضرورة حيوية. وهذه حالة بلاد السراغنة إذ يلاحظ أن هناك علاقة بين استغلال الشروات المائية وقدم التعمير وانزراع الأرض، بينما قلة الماء أو انعدامه يفسر اللجوء إلى الكسب والرعي.

تحتل زراعة الحبوب الدرجة الأولى من حيث المساحة المخصصة لها. ويحتل الشعير المقدمة من حيث المساحة (53٪) والانتاج (49٪)، ثم القمح الرطب (21٪ من المساحة و32٪ من الانتاج)، القمح الصلب (23٪ من المساحة المخصصة للحبوب و17٪ من الانتاج)، الذرة (3٪ من المساحة و2٪ من الانتاج).

كما يتعاطى السراغنة لزراعة الكمون خاصة بالمجالات البورية ذات التربة الحشنة النسيج كما هو الحال بمنطقة الحدرة. وتخضع هذه الزراعة من حيث الانتاج والمردود للتقلبات المناخية : في السنوات الرطبة يرتفع الانتاج، لكن الثمن ينخفض دون أن ينزل عن 25 درهماً للكيلوغرام. وفي السنوات الجافة حيث يقل الإنتاج ويرتفع الثمن الذي قد يصل إلى 100 درهم.

كما يمارس السراغنة الغراسة أو الشجاعة بكيفية متنوعة. وهي حسب الأهمية : الزيتون، اللوز، المشمش، التين، الحوامض، الرمان، التفاح، البرقوق، ثم أنواع أخرى. وتعتبر شجرة الزيتون رمز بلاد السراغنة التي قتل جزءاً مهماً من مجالات انتشارها بالمغرب. وتمتد مجالات زراعة الزيتون حول مدينة القلعة وعلى طول وادي الأخضر

وتساوت وبالقطاعات السقوية الحديثة. وشجرة الزيتون لا ترتبط بنوعية التربة. فهي كما يقال "نبات غني لتربة فقيرة" بل تطورها مرتبط بحصيلة التربة من الماء أي بإمكانية الري. وإذا كانت شجرة الزيتون منذ قرون الشجرة الأساسية بالمجال السريغيني، فإن الحركة السريعة في غراستها ترجع للخمسينيات ابتداءً من 1950، إذ يعتبر هذا التاريخ بداية ظهور المغارس الجديدة. وفي هذا الصدد قال J. Flouriot : "من الأكيد أنه يتم الغرس أكثر بدائرة السراغنة. في كل مكان نرى الفلاحين بالحقول يغرسون فسيلات جديدة. وتظهر المنطقة وكأنها أصيبت بجنون غراسي" (R.G.M., n° 9, p. 94) وتبقى أسباب هذا التوسع غير واضحة، لكن ترتبط كلها بعوامل اقتصادية وبشرية. ذلك أنه إذا كانت الظروف الطبيعية عموماً ملائمة لشجرة الزيتون، فإن من المؤكد أن مغارسها هي قبل كل شيء من عمل وصنع الإنسان السريغيني. لذا ارتبط انتشارها بالعوامل التالية :

• إمكانية تحريك المياه السطحية.

• غراسة الزيتون وسيلة لتمليك الأرض ذات النظام الجماعي، الشيء الذي يفسر التزايد المدهش للمغارس والذي عززه أيضاً إبطال نظام الكلفة "التويزة" منذ 1956.

• تطور استغلال الثروات المائية بعد تشييد سدي مولاي يوسف والحسن الأول وكذلك توسع عملية حفر الآبار والضخ الآلي للمياه الجوفية.

• اعتبار شجرة الزيتون ثروة أساسية، خاصة بعد ارتفاع

ثمن المنتج.

وتتم هذه الزراعة في إطار استغلاليات متفاوتة الحجم : هناك استغلاليات صغيرة تضم بضعة أشجار وأخرى كبرى. الاستغلاليات الصغرى عديدة جداً هدفها الاستهلاك الذاتي وتسويق جزء من المنتج. ويتم الاستغلال بطريقتين : مباشرة وهي الأكثر انتشاراً وغير مباشرة عن طريق الشراكة بالمغراسة أو بالرباعة أو عن طريق الاقطاع. أما الاستغلاليات الكبرى فيتم استغلالها بكيفية واسعة أو عن طريق البيزرة. وبصفة عامة يتم الاستغلال بتقنيات بسيطة وعتيقة سواء في الجني أو العصر. ولقد شهدت غراسة الزيتون توسعاً ملحوظاً في السنوات الأخيرة من القرن (20م) وبإيقاع سريع جداً لدرجة أنها تسيطر بنسبة 85٪. كما أدخلت بجوار نوع Ascolana، أصناف جديدة إلى بلاد السراغنة مثل البيكوات "Piquate" والمانزاني "Manzani". ويلاحظ كذلك تحسن في تقنيات الاستغلال : استعمال الأسمدة والأدوية، التقليم (الزبير)، تعميم الجني باليد حتى لا تتحطم الفروع المتفتنة المنتجة، إنشاء صناعات تحويلية للمنتج، تسويق نحو الخارج خاصة وأن إنتاج بلاد السراغنة من الزيتون يفوق 100 ألف طن سنوياً.

كما أدخلت إلى بلاد السراغنة أنواع جديدة من التفاح

مثل "Hana"، والمشمش من نوع جيليتانو "Gelliitano"،

واللوز مثل فيسرانيس "Veranisse" وفيرادوي Verradouille، والكروم من نوع الجوهره الملكية "King's Rubis"، التي تستعمل أساساً لإنتاج سائل السكر والزبيب. كما أدخلت لبلاد السراغنة مزروعات صناعية مثل القطن والفلفل الأحمر. كما عرفت زراعة الخضروات أو البقالة وزراعة الكلاً (الفصّة والبرسيم) توسعاً مضطرباً ارتباطاً بأهمية قطاع تربية الماشية.

ومن الناحية البشرية تم تعمير بلاد السراغنة التي كانت خالية أو قليلة السكان إثر توافد وتدفق الموجات العربية. ويحكم الاختلاط وترسبات الفتح الإسلامي وتوالي حكم الدول المغربية الكبرى وتوالي النزوح العربي من الشرق، تعرب الصنهاجيون وامتزجوا وأصبح العنصر العربي هو الغالب.

ومن ترسبات الهلاليين بالسراغنة دريد، أولاد صبيح، أولاد عطية سفيان، بنو جابر، بنو عامر، أولاد عريف، أولاد بوعلي، أولاد يعقوب، أولاد سعيد.

ومن الشرفاء ببلاد السراغنة نجد العلويين المتمثلين في أولاد سيدي أبي الغيث الذين قدموا في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان بالقرن الثالث عشر (19 م) من تافيلالت عبر تادلة، ثم الشرفاء الأدارسة وجلهم متمركزون بشمال ووسط بلاد السراغنة وهم أولاد عطية قرب العطاوية، أولاد الكرن بالوناسدة، الدشرة، أولاد سيدي بوغان، أولاد الشيخ إبراهيم ببني عامر، أولاد سيدي إدريس بواد امهاصر، أولاد سيدي رحال المتمركزون بالسراغنة الغربية بالمجبلات وبالجنوب المجاور لبلاد زمران حيث مدفن جددهم بقرية أنماي (الزاوية الرحالية حالياً).

كما توجد ببلاد السراغنة عناصر مصمودية مثل رگراگة بني عامر إخوة رگراگة الشياظمة.

وهكذا عرفت بلاد السراغنة تعميراً واستقراراً قديماً. كما أنه من الصعب فرز البربر الذين عمروا البلاد قبل مجيء الهلاليين. لذا فإن سكان بلاد السراغنة متنوعون أتوا من جميع الآفاق وأسسوا تنظيماتهم الاجتماعية والاقتصادية بطرق مختلفة. وكانت حياتهم في البداية مرتبطة بالرعي ارتباطاً قوياً. وكان هذا النشاط يعتمد على الترحال والنجعة. ثم بدأوا يتخلون عن حياة التنقل بفعل استئناسهم بحياة الزراعة. إلا أن هذا الاستقرار لم يكن متزامناً في كل أنحاء بلاد السراغنة.

ورغم نوبات الجفاف والمجاعات والأمراض الفتاكة التي مرت على بلاد السراغنة خلال القرن الثالث عشر (19 م)، والتي كانت تؤدي إلى نقصان حاد في أعداد السكان، فإن الكابتن Cornnet ذكر في كتابه "A la conquête du Maroc du sud" أن سكان السراغنة كانوا ستين ألفاً سنة 1912. بكثافة 34 ن / كلم<sup>2</sup>. وبذلك تحتل السراغنة المرتبة الثانية في المغرب بعد الريف وعبدة، كما كانت بلاد السراغنة دائماً أرض لقاء وهجرة (وارد عن J. Pégurier, 1981).

الجدول 1 : الحرارة المتوسطة الشهرية والسنوية (25. 1963 بالسهول، 33. 1963 بالدير)

المعدل السنوي	المعدلات الشهرية بالدرجات المئوية											الموقع الجغرافي	الارتفاع بالمتر	المحطة	
	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2				1
°19,7	12,5	16,2	21,2	25,6	29,4	29,1	25	21,2	17,1	15,6	13	11	السهل قلب بلاد السراغنة	470	قلعة السراغنة
°18,3	9,91	12,43	18,27	22,41	26,56	25,41	21	18	15,11	13,94	11,8	10,8	الدير : الحدود ج. ش. لبلاد السراغنة	950	دمسات
°18,5	12,2	15,8	19,7	24	27,1	27,5	22,3	18,3	15,6	14,4	13,1	10,9	الدير : الحدود ج. غ. لبلاد السراغنة	660	سيدي رحال

الجدول 2 : معدلات التساقطات الشهرية والسنوية

المتوسط السنوي بالمم	المعدلات الشهرية بالمم											الارتفاع بالمتر والموقع الجغرافي	المحطة		
	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2			1	
257	39	30	19	14	3	2	7	14	30	35	32	32	بالسهل قلب بلاد السراغنة	470	قلعة السراغنة
587,6	79,5	66,8	47,8	23,3	3	2,8	13,9	50,3	93,5	86,5	64	56,2	بالدير : الحدود ج. ش. لبلاد السراغنة	950	دمسات
392	52	35	51	17	5	3	7	29	55	53	44	41	الدير : الحدود ج. غ. لبلاد السراغنة	660	سيدي رحال

الجدول 3 : تطور سكان بلاد السراغنة من 1971. 1994

1994		1982		1971		الإحصاء	
العدد	%	العدد	%	العدد	%	المدينة أو المدينة	
14	51373	10,53	33330	7,26	17163	مدينة قلعة السراغنة	الحضرية
2,37	8700	1,10	3498	0,67	1593	مدينة تاملاث	
3,05	11215	1,01	3200	-	-	تعتبر مركزا ريفيا	
38,50	141378	37,48	118613	40,17	94946	دائرة قلعة السراغنة	الريفية
42,07	154453	49,88	157863	51,90	122684	دائرة العطاوية	
100	367119	100	316504	100	236376	المجموع	

وضع الجدول اعتمادا على الجريدة الرسمية

حوالي 70 نسمة / الكلم. غير أنها تختلف من مكان لآخر : فهي تفوق 100 نسمة / الكلم بالقطاعات السفوية، في حين تتراوح بالمجالات البعلية (البورية) بين 20 و100 ان / الكلم. وتزداد الكثافة عموما من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي. عدد المهاجرين السراغنة بالخارج يتراوح حاليا بين أربعة وستة عمال من كل ألف ساكن. وهو في تزايد مستمر خاصة نحو إيطاليا.

بلغ سكان منطقة السراغنة 367119 نسمة حسب إحصاء 1994 جلهم يقطنون في الريف بنسبة 80.58٪ (انظر الجدول 3)، وبالتالي لا يمثل السكان الحضريون سوى 19,46٪.

تراوحت نسبة التزايد السكاني بين 2٪ و3٪ خلال الفترة 1971. 1982 المعدل الوطني 2.6٪. أما خلال الفترة 1982. 1984 فلم تتعد 2.11٪. الكثافة السكانية العامة

A. Lahlimi, *Les terres irriguées et le monde rural dans la Tassaout moyenne*, R.G.M., n° 11, 1967 ; Ch. Allain, *Reconnaissances archéologiques dans le massif des Rehmona et la Bahira*, Hesp., T. XLI, 1er et 2ème trim., 1954 ; Direction de l'Hydraulique, *Carte hydrogéologique de la plaine du Haouz (Maroc occidental)* au 1 : 200.000, Rabat, 1980 ; E. Laoust, *Mots et choses berbères*, Paris, 1920 ; Ed. Michaux-Bellaire, *Villes et tribus du Maroc*, T. I, vol. X, *Région des Doukkala*, Paris, 1932 ; H. Delorme, *Note sur l'origine des Sraghna*, dactylographiée ; H. Delannoy, *Aspects du climat de Marrakech et sa région*, R.G.M., n° 20, 1971 ; J. Flouriot, *L'oléiculture dans la région de Marrakech*, R.G.M., n° 9, 1966 ; J. Pégurier, *Espaces urbains en formation dans le Fensift*, Rabat, 1981 ; L. Emberger, *Aperçu général sur la végétation du Maroc*, commentaires de la carte phytogéographique du Maroc au 1 : 1.500.000 ; M. Cote et J. Legras, *La variabilité pluviométrique inter-annuelle au Maroc*, R.G.M., n° 10, 1966 ; M. Ducrocq et P. Pascon, *La mise en valeur du périmètre de la Tassaout (Haouz de Marrakech)*, H.T.E., n° 6, 1973 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, T. I et 2, Rabat, 1977 ; P. Hevelin, *Carte géologique et géologique des Jbilets au 1 : 200.000 ; Etude géologique et géologique du massif hercynien des Jbilets (Maroc occidental)*, Rabat, 1977 ; R. Negre, *Recherches phytogéographiques sur l'étage de végétation méditerranéen aride (sous étage chaud) au Maroc occidental*, Rabat, 1959.

أحمد زروال

### سراٲو ويكتب أيضاً سراٲو، أسرة تطوانية أصلها

من الأندلس حيث مازالت هناك أسرة إسبانية تحمل نفس الاسم Serrano ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1677 / 1088.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان تطاون* 1999، والمراجع في الرقم 1378.

### السرايري، أسرة تطوانية - رباطية، تنسب - على غير

قياس - إلى صناعة السراير أو الأسرة أي البنادق. وذكر الشيخ داود في كتابه عائلات تطوان أن فرع الرباط أصله من تطوان. وقد انقرضت هذه الأسرة اليوم من تطوان.

م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان*، تطوان، 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

### السرايري، أحمد بن محمد التطاوني، والسرايري

نسبة إلى السراير والمراد به هنا: سراير البندقية (المكحلة) وسرايرها: الخشبية التي تنجر وتجعل فيها الجمعية والزناد، ويربط على الجميع برباط من الفضة أو الذهب أو النحاس أو الرصاص وتستعمل هذه النسبة للمحترفين بهذه الحرفة بتخفيف الهمزة ولعل والد المترجم له أو أحد أسلافه كان يحترف هذه الحرفة، وهو تطاوني المولد والمنشأ والوفاة. قال النقادري: لست أعرفه حق المعرفة إلا أنني سمعت الثقات يُثنون عليه خيراً، وكان خطيباً بليغاً حضرت خطبته لعيد الأضحى في تطوان عام 1151 فرأيت عليه أثر الخشبية والخير والبركة، وخطب يومئذ خطبة حسنة وكانت فيه دعابة خفيفة.

يستقر سكان الريف ببلاد السراغنة في دواوير يزيد عددها على 413 دواراً موزعة على 30 فخذاً وخمسة بطون هي أهل الغاية، بنو عامر، أولاد خلوف، أولاد يعقوب وأولاد سيدي رحال (عبد الوهاب بن منصور 1976). وتشكل هذه البطون قبيلة السراغنة، والدوار أو العظم أو "الجذرة" ببلاد السراغنة وحدة سكنية تضم عدة أسر أو كوانين أو عائلات. وكان الدوار قديماً مؤلفاً من "نوالات" أو خيام، في حين كانت الدور والقصور والقصبات المبينة بالطابية محدودة ومقتصرة على القواد والعمال المخزنين. حالياً يلاحظ تطور عميق في السكن الريفي الذي أصبح صلباً 100٪ تقريباً. وتستعمل فيه بالإضافة إلى المواد المحلية (الحجارة، الأجور الطيني، القصب والخشب) مواد الاسمنت المسلح. وظهرت مساكن من الطراز الحضري العصري.

إدارياً تتجمع الدواوير في إطار دائرتين هما: دائرة العطاوية ودائرة القلعة، تضم كل دائرة عدة قيادات وجماعات قروية إذ يصل عدد الجماعات 37 جماعة قروية بمجموع التراب السراغيني حسب التقسيم الجديد.

أهم التجمعات الحضرية بالمجال السراغيني مدينة قلعة السراغنة مقر لعمالة إقليم قلعة السراغنة وبلديتها، مدينة العطاوية مقر بلدية، ثم تاملت مقر بلدية كذلك. كما عرف المجال السراغيني تجمعات حضرية قديمة بسهل البحيرة - السراغنة والتي كشفت عنها تنقيبات Ch. Allain وهي ستة، للاكارة، بتكفيز والصافي التي تسمى كذلك مدينة الهري. وتعتبر الصافي أهم تجمع سكني قديم. حالياً تعتبر مدينة قلعة السراغنة أهم تجمع حضري ببلاد السراغنة إذ تضم أكثر من 72٪ من الحضريين (الجدول 3). وقد كانت عبارة عن حصن عسكري مرابطي مزامن تقريباً لمدينة مراكش والذي أسس في مجال شبه فارغ وغير آمن لمحاربة البرغواطيين ومراقبة بربر الأطلس وليكون كحصن متقدم على الخط التجاري الرابط بين مراكش وفاس ومكناس. وظل هذا الحصن يحمل اسم لكرار الذي يعني الحصن العسكري المبني بالحجارة والدائري الشكل إلى عهد السعديين وإلى أن جده المولى إسماعيل. ومنذ ذلك الوقت أصبح يحمل اسم قلعة السراغنة.

ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968 ؛ أبو عبيد البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب*، باريس، 1823 ؛ ش. الإدريسي، *المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس*، ليدن، 1823 ؛ أ. التوفيق، *المتجمع المغربي في القرن (19 م)*، إينولتان، 1850. 1912، ط. 2، الدار البيضاء، 1983 ؛ أ. زروال، *الجبلات*، معلمة المغرب، الجزء 9، مطابع سلا، 1998/1419 ؛ دراسة جيومورفولوجية لدير أطلس مراكش، الرباط، 1987 ؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1980 ؛ ح. شوقي، *قبيلة السراغنة خلال القرن (19 م)*، 1822، 1912، الرباط، 1991 ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ مارمول كيرخال، إفريقيا، تر. م. حجي وجماعة من الأساتذة، الرباط، 1984 ؛ م. العجديمي، *التسلسل عن الآفات بذكر الأحوال وما فات*.

من تلاميذة الفقيه محمد بن أحمد العباس نسباً التطاوي، والفقيه الرحالة الشيخ عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري. أخذ عنه وكان ينزل بفندق للمترجم له إذا ورد تطاون، قرأ عليه ألفية العراقي في السيرة، قال : ولم أر من يحسنها مثله، خبيراً بها نصاً وشرحاً على حد تعبيره، وكان يدرسها بجامعة العيون قرب زاوية الشيخ علي بن مسعود الجعدي، واستجاز ابن حمادوش المترجم له فأجازه سنة وفاته، وأثبت نص إجازته في رحلته. والمترجم له هو الذي أخرج حواشي شيخه بركة على شرح المكوذي لألفية ابن مالك في النحو، وهي مخطوطة. كما وقفت له على نسخة من أرجوزة شيخه التي حاذى بها المرشد المعين لابن عاشر مع الذيل عليه.

توفي بالطاعون يوم الخميس 17 شوال 1156 / 4 دجنبر 1743 ودفن خارج باب المقابر من تطاون.

م. القادري، نشر الثاني، تج. حجي والتوفيق، الرباط، 4 : 42 : التناسط الدرر، طبع الرباط، تج. هـ. العلوي، ص. 394 : أ. بن عجبية، أزهار البستان في طبقات الأعيان، مخطوط : رحلة ابن حمادوش الجزائري، الجزائر، ص. 32. 67. 68. 99 : أ. الرهوني، عمدة الراويين، مخطوط، 4 : 132 : م. داود، تاريخ تطاون، تطاون، 3 : 41.

محمد بوخيزة

### السررايري، اليبدي الرباطي، فقيه مدرس خطيب،

بعد تخرجه على يد صهره الفقيه المكي البناني مفتي الرباط رحل إلى فاس فدرس بالقرويين واتصل برجال المخزن فكان له نفوذ ووجاهة. كان خطيباً بجامعة مولاي سليمان ومدرسا بجامعة عطية يدرس فيه المختصر. ومن تلاميذه عبد الله ملين والعربي التهامي الوزاني، ويقال إنه تشرف إلى القضاء في آخر عمره إلا أن المنية أدركته قبل أن ينال أمنيته.

توفي في 28 جمادى الأولى سنة 1295 / 30 ماي 1878.

دبئية، مجالس، مخطوط، ص. 198 : بوجندار، الاعتباط، ص. 278.

### السررايري، عبد الرحمن الرباطي، فقيه مفت نوازي

تولى القضاء بالرباط بعد أن أخذ العلم عن شيوخ وقته ورحل إلى فاس فتتلمذ على شيوخ عصره. ذكره سليمان الحوات من جملة تلاميذ الشيخ بناني. له جملة وافرة من الفتاوى. اضطلع بالإقتناء والإرشاد والتدريس. له عدة تاليف، منها شرح الزقاقية جمع فيه بين شرح شيخه أبي حفص الفاسي وشرح ميارة.

ذكره الضعيف في معرض حديثه عن أحداث جمادى الأولى من سنة 1205 عندما روى الفتنة التي نشبت بين أهل الرباط بمناسبة توجيه محمد البوعزاوي بولقرايح على رأس خمسين فارساً من طرف السلطان مولاي اليزيد إلى

الرباط للبحث عن المال الذي سلبه الوزير قادوس في عهد أبيه سيدي محمد بن عبد الله. وقال الضعيف بأن الفقيه عبد الرحمان السرايري كان على اتفاق مع محمد البوعزاوي والحاج عباس السرايري وابن القاضي التلمساني ضد ثلة معارضة من أعيان الرباط الذين ألقى القبض على بعضهم وجلد بعضهم الآخر كالفقيه ابن إبراهيم فرج والرايس محمد بن مبارك وأولاد مرسيل ومحمد فرج. لكن يظهر أن هؤلاء أقتنعوا السلطان بسرايتهم مما جعل الكفسة تنقلب على عبد الرحمن السرايري وأصحابه الذين أخرجوا بنسائهم من الرباط إلى سلا ثم وجهوا إلى مكناس.

توفي سنة 1207.

م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، تج. ذ العماري، الرباط، 1986، ص. 224 : م. بوجندار، الاعتباط، ص. 365 : دبئية، مجالس، ص. 127.

### السررايري، محمد بن عبد الرحمان لسيت هناك

معلومات عنه سوى ما جاء عند الضعيف الذي قال "وفي يوم الأحد 6 شوال 1230 توفي الطالب محمد ولد الفقيه السيد عبد الرحمان السرايري الرباطي ودفن بوزان".

م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، تج. ذ العماري، الرباط، 1986، ص. 392.

عبد الإله الفاسي

### سرميرة وتكتب أيضاً سلبيرة، أسرة تطاوية أصلها

من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Servira وهو اسم مدينة إسبانية : وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1189 / 1775.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون، تطاون، 1999، والمراجع في الرقم 1380.

محمد ابن عزوز حكيم

### السروج من أهم وسائل تجهيز الخيل وتطوير النقل

والتنقل بواسطة الدواب في مختلف العصور. والسروج والبراذع لها دور مزدوج الفائدة فهي تحافظ على الدابة وتريح الراكب، وصناعة السروج كانت مهمة فيما مضى لشدة الطلب عليها ولما تتطلبه من مهارة وإتقان ومواد أولية؛ وتختص الخيول عند امتطائها بالسروج، أما البراذع فخاصة بالبيغال والحمير. وقد نجد في بعض الفترات والجهات وعند بعض الفئات اختلافا في الاستعمال مثل وضع سروج على ظهور البيغال والحمير. ووضع براذع على ظهور الخيول : أما الإبل فلها سروج وبراذع خاصة بها تلائم طبيعتها الفيزيولوجية.

اشتهر المغرب بسروجه (التشوف، 120 : وصف إفريقيا، 2 : 259. 260. 261) فصناعتها تطورت عبر التاريخ خاصة في المدن والجواضر الكبرى حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم لتصبح تحفة وقطعة فنية تغني تراثنا

الجزائر، 1924، الرباط، 1979 : ابن الخطيب، معيار الاختيار، المحمدية، 1976 : نفاضة الجراب، القاهرة د. ت : الزجالي، أمثال العوام، فاس، 1971 : الضعيف، تاريخ الضعيف، نج. العساري، الرباط، 1986 : ابن مرزوق، المسند الصحيح، الجزائر، 1981 : ح. الزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1980 : مارمول، إفريقيا، الرباط، 1989 : م. الطويل، النقل والتنقل في المغرب الوسيط، أطروحة مرقونة، كلية الآداب بالرباط، 1998.

محمد حجاج الطويل

**السردور**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Sardon و Sardor : وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1156 / 1743.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون، تطاون، 1999. والمراجع في الرقم 1382.

محمد ابن عزوز حكيم

**سرديرا**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Cerdeira و Cerdeira : وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون، تطاون، 1999. والمراجع في الرقم 1383.

محمد ابن عزوز حكيم

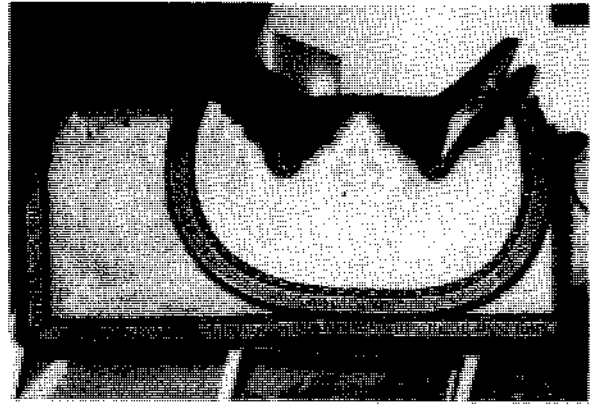
**السردين**، سمك بحري مشهور في المغرب العربي بصفة عامة، يصنف إلى طائفة الأسماك الشائكة الزعانف وفصيلة الصابوغيات Clupeidae. والكلمة معربة تنسب إلى جزيرة سردينيا الإيطالية. يدعى أيضاً البلشار في بعض المعاجم وفي الشرق العربي نسبة إلى اسمه العلمي ساردينا بيلشاردس، Sardina pilchardus walbaum، 1792. يعيش في بحار المناطق المعتدلة وشائع في البحر المتوسط والأماكن الدافئة من المحيط الأطلسي. سمك سطحي وينتقل عمودياً وأفقياً في أسراب متعددة الأفراد ويصاد بكميات كبيرة على طول السواحل المغربية.

الجسم ممدد وتقطيعه بيضوي، تحمل الجانبية البطنية سلسلة من الدورات الصغيرة، الفكمان شبه متساويين : الجهة السفلية للغشاء الخيشومي محززة بـ 3.5 خطوط شعاعية واضحة، مصدر الزعنفة الظهرية في الجهة الأمامية من وسط الجسم. مصدر الزعنفة الشرجية في الجهة الخلفية ومبتعدة من الزعنفة الظهرية، الشعاعان الأخيران أطول بوضوح من الأشعة الأخرى. الطول الأقصى للكبر لا يتعدى 25 سم وشائع بين 15. 20 سم.

الظهر أخضر زيتوني، الجوانب مذهبة إلى فضية جهة البطن، مجموعة من البقع الداكنة على الجهة العلوية من الجانبيتين، يعلوها أحياناً صف ثان أو ثالث من البقع. يعرف لنوع السردين صنفان وعدة سلالات محلية موزعة كالتالي :

الصناعي الأصيل لما أودعه فيها الصانع المغربي من إبداع وفن متنوع من تزويق وتطريز وترصيع وتوشية وما إلى ذلك حتى أصبحت هذه السروج والخيول الفارحة تكون قطعة متجانسة تسر الناظرين وكلاً لا يتجزأ، أي لا تكتمل جودة الفرس وقيمه وأناقته إلا بسروج ثمين.

تختلف السروج باختلاف المستوى الاجتماعي لمقتنيها فالصانع المغربي لم يلب طلب جميع الفئات الاجتماعية وجميع الأذواق، فالمصادر أشارت إلى سروج باهظة الثمن. منها من أشار إلى سروج من الذهب (تاريخ الضعيف)، وهناك السروج المتوسطة والبسيطة، وقد اشتهرت بصناعتها في المدن العتيقة مثل فاس وسلا ومراكش وغيرها عائلات ما تزال بعض ألقاب حفدها تذكر بها (عائلات السراج) (وصف إفريقيا) (موسوعة أعلام المغرب) لشدة إتقان الصانع المغاربة للسروج كان الطلب عليها كثيراً من داخل البلاد ومن خارجها وبلغت أتمنتها في مختلف العصور أرقاماً خيالية (مارمول، 1 : 69 و70 و71) وأرسلها الملوك. ومن الهدايا المملوكية التي يتردد ذكرها في المصادر كثيراً : الخيول بجهازاتها ويقصد بها السروج واللجم والركابات (المسند، 453).



تأخذ الأحزمة التي تشد السروج إلى الخيول أسماء ومصطلحات خاصة : النطاق وهو حزام البطن. الصدرية وهو حزام الصدر وله تواشيع وتزيين يحمل الاسم نفسه.

الظفر أو الشفر (أمثال العوام، 2 : 107) وهو الحزام الذي يشد السروج إلى الخلف ويمر أسفل الذنب؛ وتتدخل في صناعة السروج عدة صناعات فرعية منها الدباغة بجميع أنواعها والنجارة (صناعة القرايس) والنسيج والخياطة والطرز والزواقة والصباغة : السروج العصرية المستعملة في رياضة الخيول اليوم لا علاقة لها بالسروج المغربية الأصيله فهذه ما تزال موجودة في الفروسية التقليدية (التبوريدة) وما تزال صناعتها رائجة في نطاق محدود تقتصر على مدينة أو مدينتين (فاس ومراكش).

ي. النادلي، الشرف، الرباط، 1958 و1984 : ابن عذاري، البيان المغرب، بيروت، 1948، بيروت، 1983 : العمري، مسالك الأبحار،



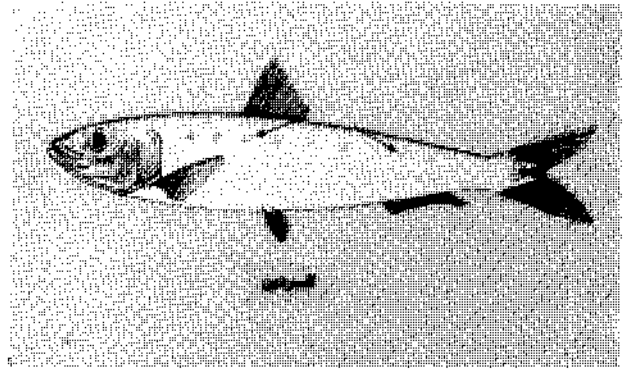
1 - *Sardina pilchardus sardina* في المحيط الأطلسي

من مضيق جبل طارق إلى النرويج.

2 - *Sardina pilchardus sardina* في البحر المتوسط وفي

البحر الأسود وفي المحيط الأطلسي من مضيق جبل طارق إلى موريتانيا.

سمك سطحي ساحلي يعيش على طول الهضبة القارية في أعماق تصل إلى 180 م وتكثر كثافته في أعماق تتراوح بين 25 . 55 م في النهار وبين 15 . 35 م في الليل. تعرف أربعة مخزونات طبيعية للسردين في السواحل المغربية : المخزون المتوسطي ويمتد على طول السواحل المتوسطية من سبتة إلى السعيدية والمخزون الأطلسي الشمالي بين طنجة والمجديدة والمخزون الأطلسي الوسطي بين أسفي والعيون والمخزون الجنوبي بين بوجدور ولگويرة.



تقوم مجموعات المخزونات الأطلسية بتنقلات متزامنة على طول السواحل الأطلسية، نحو الشمال في فصل الصيف ونحو الجنوب في الشتاء. تقترب من السواحل المغربية منذ أواخر الربيع إلى الحريف وتكون أسرابا كثيفة وتبتعد عن السواحل متوجهة نحو أعالي البحار خلال الشتاء وبداية الربيع في أسراب صغيرة الحجم ومتفرقة. يتوالد من نونبر إلى مارس وتعتبر المناطق الممتدة من رأس درعة إلى طرفاية ومن رأس كارنيت إلى رأس يارباس من الأماكن الأكثر استقرارا لتكاثر السردين بالمغرب. يستقر البيض بداخل الكتلات المائية السطحية وتصير الصغار ناضجة جنسيا بعد سنة يتراوح طولها بين 10 . 20 سم. تقدر الخصوبة ب 5300 إلى 38500 بيضة. يتكون غذاؤه من القشريات الصغيرة العالقة ومن حيوانات أخرى من العوالق.

صيد السردين في المغرب تقليدي في شمال البلاد وشبه صناعي وتقليدي في الجنوب. يصاد بحبال الصنانير العميقة والساحلية وبالشباك المزودة بالإتارة وبالجيبيات القعرية والسطحية وبالشباك المستقيمة القعرية والسطحية. وهو سمك موجود بانتظام في الأسواق السمكية الوطنية وبياع طريا، مبرداً، مجمداً، ملحاً، ميخراً، معلباً أو على شكل زيت أو دقن. يستعمل أيضاً طعاماً للصيد.

بدأ استغلال سمك السردين في المغرب بشكل مكثف منذ بداية القرن العشرين مع ظهور صناعة تعليب وتصبير الأسماك السطحية (Industrie de conserve) وكانت الأساطيل آنذاك تتكون من وحدات أجنبية مجهزة بأحدث معدات الصيد والتبريد ومن وحدات مغربية أقل أهمية تقوم بصيد موسمي فصولي لتزويد مصانع التصبير. كشفت وحدات الصيد نشاطها على المخزون الأطلسي الشمالي بين طنجة والمجديدة خلال النصف الأول من القرن العشرين وكانت كمية الصيد السنوية لا تتجاوز 15000 طنا (سنة 1942). عرفت هذه المنطقة انخفاضاً ملموساً في مخزون السردين خلال الفترة الممتدة بين 1960 . 1973 ويعتبر ميناء الدار البيضاء وميناء العرائش من أهم موانئ المنطقة لاستقبال سمك السردين.

شرع استغلال صيد سمك السردين في المنطقة الممتدة بين أسفي وسيدي إفني مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية تلبية لرغبة الحاجيات إلى الأسماك المعلبة خلال 1930 . 1950. وقد كان الأسطول يتكون من الوحدات المغربية فقط. كانت تتراوح كميات صيد الأسماك السطحية الصغيرة بين 100000 . 200000 طنا (300000 طنا سنة 1973 و91000 سنة 1978) يشكل فيها سمك السردين حوالي 94% ؛ وقد عرف المخزون انخفاضاً ملحوظاً خلال العقد الأخير إذ لم تتجاوز كمية الصيد 50000 طنا خلال 1881 . 1992.

عرفت المنطقة الممتدة بين سيدي إفني والعيون نشاطاً مكثفاً لصيد الأسماك السطحية الصغيرة خلال العقود الثلاثة الأخيرة وقد بلغت كمية الصيد 130000 طنا سنة 1977 و1982 و1985. يتكون أسطول الصيد من وحدات مغربية ووحدات الاتحاد الأوروبي حسب اتفاقية الصيد المبرمة بين الطرفين. وقد أعطى ميناء طانطان المشيد سنة 1982 نفساً جديداً لاستقبال الأسماك إذ ارتفعت كمية الصيد من 25000 طنا سنة 1983 إلى 230000 طنا سنة 1991. وبالنسبة لميناء العيون المشيد سنة 1989 ارتفعت كمية الصيد السنوية من 16000 طنا سنة 1989 إلى 235350 طنا سنة 1997.

عرف مخزون الأسماك السطحية الممتد من بوجدور إلى لگويرة استغلالاً مكثفاً من طرف الأساطيل السوفياتية والبولونية خلال السبعينيات والثمانينيات تبعاً لاتفاقيات الصيد المبرمة بين المغرب وهذين البلدين. وهي أساطيل كبيرة تتوفر على معامل للتصبير ومجهزة بمعدات الصيد والتبريد الحديثة. يكثر نشاطها في أعالي البحار حيث تقضي مدة طويلة دون أن تعود إلى الموانئ.

يعطي الجدول التالي مقارنة بين كميات الأسماك الساحلية وكميات سمك السردين المصطادة في البحار المغربية خلال السنوات الأخيرة.

السنة	1994	1995	1996	1997	1998	1999
الأسماك الساحلية الطعمية والناعية	609952	728722	525022	661646	607129	622160
السردين	463681	570914	393362	497821	436048	430715

وعلى الكفة الثانية حروفا قالوا إنها مؤنثة وترمز إلى المرأة، ثم جعلوا للحروف تقسيما يوافق الأبراج السماوية الاثني عشر، وتموضعات توافق مواقع الكواكب السيارة، واستخدموا كل ذلك في الاتصال بأسماء أئمة الكفر القدامى من الأولين والآخرين، واستعملوه كذلك في التأثير على الناس، وفي استجلاب القوى الباطنية الظلمانية والإتيان بكرامات على غرار سحرة فرعون.

اعتمد بنو إسرائيل في هذا الأمر على ترتيب الحروف الأبجدية العبرية (المطابق لترتيب الأبجدية اللاتينية، ثم العربية فيما بعد : أ.ب.ج.د.ه.و.ز.ح.ط.ي.ك.ل.م... الخ) وهذا الترتيب كان نتيجة العلوم التي جاء بها الأنبياء على امتداد الحقب الإسرائيلية، واستخرجوا منه قوى كل حرف يجعل علاقة بين رقمي الترتيب في الأبجدية ومقدار قواه وجعلوا يطبقون حساب هذه القوى والترتيبات لاستخراج الأسرار المتعلقة بالأسماء والأفعال التي تكونها الحروف الخاضعة لعمليات الحساب، للتأثير بها على الأشياء، أو التأثير على أصحابها.

وهكذا جعلوا للحروف المذكورة ترتيبا متابعيا من 1 إلى 22، وترتيباً آخر للقوى يبدأ من الواحد إلى عشرة، ثم من عشرة إلى مائة (بالعشرات) ومن مائة إلى ألف (بالمئات). وأخذوا يضربون ترتيب الحرف في قوته ويضربون الحاصل في حواصل الحروف المكونة للاسم المراد التأثير فيه أو معرفة أسراره، ويستخرجون من عملية الضرب رقما كبيرا يحولون أعدداه إلى حروف من جديد حسب الترتيب التتابعي للحروف، فيعطيهم اسما غريبا يعتبرونه "اسما لخادم الاسم" الخاضع للعملية ("جفرا") فيكون بمثابة العدة الذي يكرّر به ذكر اسم الخادم في كل عملية اتصال به، ويخضعون هذا الجفر لحسابات أخرى معقدة يعرفون بها الكواكب المطابق للاسم، وبرجه، وموقع الكوكب فيه، واليوم والساعة والدقيقة التي ينبغي أن تتم فيها عملية الاتصال وممارسة التأثير، وسما كل ذلك "سحرا عاليا" (أو ساميا) (Haute Magie) ونسبوه إلى من سموه بالسامري الطيب.

وكان بنو إسرائيل بما وصلوا إليه يحاولون معرفة سر اسم الله تعالى بحثا عن الاسم الأعظم أو غير المنطوق الذي يعتقدون بأن الوصول إليه يعتبر منتهى المطلوب لكونه تتحقق به جميع المآرب، فكانوا يخضعون أسماء الله للقلب والتحرير عن المواضيع مع جعل صلة لها بعناصر الطبيعة هكذا مثلا :

الله = ا ل ل ه

العنصر الأول للماء  
العنصر الثاني للهواء  
العنصر الثالث للتراب  
العنصر الرابع للنار

ا	ل	ل	ه
ل	ا	ه	ل
ل	ل	ا	ه
ه	ل	ل	ا

يعتبر السردين من أكثر الأسماك استهلاكاً في المغرب وتتراوح كمية المصايد الشهرية بين 15000 . 70000 طناً يتم توزيعها على مصانع دقيق الأسماك والتعليب ويستهلك منها حوالي 25.30٪ أي ما يعادل حوالي 10000 طن في السنة. ويقدر معدل الاستهلاك السنوي الفردي للأسماك بست كيلوغرامات وهو معدل يقل بكثير عن 9 كغم المتوقع خلال السنوات الأخيرة. ومن باب المقارنة فإن معدل الاستهلاك السنوي الفردي للأسماك في فرنسا يبلغ 20 كغم وفي بريطانيا يبلغ 30 كغم و32 كغم في إسبانيا. يوضح الجدول التالي كميات السردين الموجهة إلى التعليب ودقيق الأسماك خلال سنتي 1998 . 1999 :

	1998	1999
التعليب : الكمية بالطن	164111	190000
عدد وحدات التعليب	61	65
دقيق الأسماك : الكمية بالطن	255309	230000
مجموع السردين المصطاد : بالطن	436048	430715

م. رمضان، الأنثروپ، معلية المغرب، الجزء 3، ص. 642 : أمين العلوف، معجم الحيوان، مطبعة المتكطف، القاهرة، 1932.  
D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, Rome, FAO, 1998 ;  
Ministère des Pêches Maritimes, *Rapport d'activité*, 1999, 63 p. ; *La mer en chiffre*, Rabat, 1999.  
محمد رمضان وعبد اللطيف برحو

**سر الحروف والكلمات**، علم روحاني يرجع أصله إلى ما كان من تركيز أحبار اليهود على الأسلوب الكتابي في التوراة فوجدوا أن الحروف موضوعة بتسبيق محكم يتم عما يرمي إليه من استعمال لقوى النور الكامنة في كل حرف، حسب استعماله في الكتاب المنزل.

ولأنهم كانوا كعادتهم منذ القديم يرمون إلى استخدام تلك القوى بقلبها لتصبح آلة هدم في أيديهم يحققون بها الغلبة، فقد استنبطوا من تموضعات الحرف وشكله وهيروغليفية قاعدة حسابية أطلقوا عليها اسم "علم الحساب"، جعلوا فيها حرف "الياء" وينطق عندهم هكذا "يود" ويكتب بهذا الشكل (لا) أساسا لجميع الحروف، واعتبروه كالأعداد، وأقاموا عليه ميزانا جعلوا على إحدى كفتيه حروفا قالوا إنها مذكرة وترمز إلى الرجل،

فالإحاطة الكلية بالتركيبة الرباعية (1.2.3.4) هي :

4.3.2.1

1.4.3.2

2.1.4.3

3.2.1.4

وليس معنى هذا أن هذه هي الأوضاع الوحيدة المحتملة فهناك مثلاً الوضعان 1.3.2.4 و 2.3.1.4 وهما غير واردين أصلاً، ولكن المطلوب هو عمل دورة كاملة على التركيبة العددية بحيث تبدأ بالعدد الأول إلى الأخير، ثم بالتالي إلى الأول، ثم بالثالث إلى الثاني، ثم الرابع إلى الثالث.

ومن المؤلفين المغاربة في الأوقاف وسر الحرف ابن عزوز المراكشي في مؤلفه ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة : وأبو محمد بن تومرت في مؤلفه قطرة الصانع في سمة الطبائع : ومحمد بن أبي بكر التواتي في مؤلفه السر المغتبط في الخمس الحالي الوسط : وابن البناء في تأليفه بذل المشتاق في علم الأوقاف : جلال الدين السيوطي، كتاب الرحمة في الطب والحكمة، بيروت، ص. 217.

Papus, *La Cabbale* (Tradition secrète de l'occident), Docteur Gerard Encause. p. 17 : *La Cabbale*, p. 74 : *Le tarot des bohémiens Clef absolue de la science occulte. Le plus ancien livre du monde.*

محمد عزيز الوكيل

**السرابية في الشعر الملحون منظومة شعرية يهده بغنائها** غالباً لإنشاد القصائد. وكانت العادة في البدء أن يهده الناظم لقصيدته بسرابية تضبط ميزانها. ولذلك قالوا : "من لا يوزن بسرابٍ ميزانهُ يبقى عابٍ".

وقد كان الشيخ الجيلالي امشير أول من سن هذه العادة، غير أنها انقطعت فيما بعد، فأصبح الأشياخ ينظمون قصائدهم دون اسراب.

وقد ضاعت أغلب السراب المنظومة، وأصبح أكثر الموجود منها مجهول المؤلف، وهي التي يطلق عليها "اسرابٍ احراميين". ومن اختص في نظمها الشيخ نصيلة ومولاي الحسن البوعناني وبعض كبار أشياخ الملحون أمثال الجيلالي امشير، والتهامي المدغري، وسيدي قدور العلمي، والحاج أحمد الغرابلي.

تقوم السرابية من حيث النظم على ثلاثة اجزاء هي :

- الدخول : وهو أبيات قليلة يهده بها للسرابية.

- الناعورة : أبيات قصيرة لاتقل عن الثلاثة، وهي ذات

شطرين من نوع لبيت. وتتلو الناعورة بقية أبيات السرابية.

- الردمة : شطر يتيم من النظم المرسل، تختتم به السرابية،

ويفضي إنشاده إلى الدخول في إنشاد القصيدة.

أما البنية الموسيقية للسرابية فتقوم من حيث اللحن على

نفس الطبع الموسيقي الذي تشده عليه القصيدة المهد لها،

ومن حيث الإيقاع على أحد الأسلوبين التاليين :

وتبعاً لذلك، يلجأ الذين يستعملون أسرار الحروف بالمغرب كما هو الشأن في مختلف البلاد العربية والإسلامية، إلى نفس الأساليب المذكورة باستخدام الأبجدية العربية المرتبة على نسق الأبجدية العبرية ( ا ج ا د ه و ز ح ط ي ك م ن س ع ف ص ق ر ش ت ... ) المكونة من 22 حرفاً فحسب، مع إضافة في العربية تشمل الحروف الهجائية العربية المتبقية ظ، خ ... الخ.

وتستخدم في الطرق الأساليب المشار إليها أسماء لها علاقة بالكائنات التالية :

- الشخص موضوع العمل السحري :

- أمه، من أجل ضبط لحظة الميلاد، وتلك هي اللحظة

الحاسمة التي يتم فيها العمل بصورة بعدية :

- الكواكب المترافقة مع الإسمين الأولين :

- الملائكة المتوافقون مع الكواكب المعنية إن كان العمل

المراد تنفيذه خيراً :

- الشياطين والجنان من المردة أو العفاريت بحسب المهمة،

وحين يكون الفعل المراد إنجازاً لا يدخل في مجالات

اختصاص الملائكة في زعم السحرة.

غير أن النمط الأكثر شيوعاً بين المشتغلين بسر الحروف

المغاربة، المتسكن منهم والمشعور على السواء، هو نمط

الأوقاف القائم على الجداول، والذي تنقسم فيه هذه الأخيرة

إلى خانات بعدد حروف الأسماء المعروضة على الفعل

السحري، وبطبيعة الحال، فإن الحروف تحول إلى أعداد (كما

سبقت الإشارة) ثم إلى أسماء جديدة منبثقة عن ضرب

الأعداد في بعضها وطرحها وقسمتها ... الخ باستخدام

أعداد جديدة لها علاقة بالحروف المكونة لرموز الكواكب

السيارة...

ب	ط	د	و	ا	ح
ا	و	ب	ح	د	ط
د	ح	ط	ا	ب	و
ح	ا	و	د	ط	ب
و	ب	ا	ط	ح	د
ط	د	ح	ب	و	ا

نموذج جدول للموفق يستعمل في علاج "جربان الدم عند

المرأة وقطعه عنها" وفيه تسعة أشكال، والشكل أعلاه لعلاج

الدورة الشهرية الغزيرة عند المرأة.

ويلاحظ استعمال نفس السداسية من الحروف الرامزة إلى

الأسماء والخدام المراد استخدامهم في هذا الفعل السحري

(ب، ط، د، و، ا، ح) وقد تم وضعها هي ذاتها في أوضاع

مختلفة في باقي الخانات، ويراد بهذه الأوضاع المختلفة

الممكنة حصر الأسماء المطلوب استخدامها من جميع جوانبها

والإحاطة بها من كل جهة خلال كل وضع محتمل مثلاً :

الأسلوب الأول : الكباحي، وهو إنشاد حثيث خماسي الإيقاع، يصاحبه ضرب قوي ومتواصل بالأكف.  
الأسلوب الثاني : الحضاري وهو إنشاد سريع مسترسل يقوم على إيقاع ثنائي الضربات.

ومن خلال تتبع نموذج كامل للسرابية يمكن ملاحظة أن أداءها يقوم على حركتين موسيقيتين هما :  
1 - مقدمة آلية تتلوها توشية قصيرة.

2 - غناء أجزاء السرابية، وعبرها يسير الغناء في تجاوب بين المنشد المنفرد وبين المجموعة الصوتية (الشداذة) التي يكاد ينحصر دورها في ترديد القفلات النهائية للأبيات، وكأن غناها صدى لما ينشده المغني المنفرد. وفي نهاية السرابية يجنح الانشاد إلى البطء تهيئاً للدخول في أقسام القصيدة :

ع. المراري، معجم مصطلحات الملحن، مجلة الفنون، السنة الخامسة، العدد الأول، رمضان / 1398 / 1978، ص. 32، م. الفاسي، معلمة الملحن، القسم الأول من الجزء الأول، السفر الرابع عشر، مطبوعات أكاديمية الملكة المغربية، 1986، ص. 91 و 148.  
عبد العزيز بن عبد الجليل

**السُّرَّاج**، أسرة فاسية - تطوانية كبيرة أصلها من حمير من مدينة رندة بالأندلس انتقل فريق منهم إلى فاس في النصف الثاني من القرن السابع (13م) وأشهرهم الشيخ يحيى بن أحمد السراج صاحب *الفهرس الكبير*، وحفيده يحيى بن محمد السراج مفتي فاس وخطيب القرويين أتيا الترجمة.

كما انتقل فريق آخر من أولاد السراج إلى تطوان. وما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Abencerraje ؛ وكانت هجرتها من غرناطة سنة 897 / 1492، ومن بين أفرادها محمد ابن محمد السراج الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1186 / 1772، ومحمد السراج آخر كان يزاول خطة الحسبة سنة 1292 / 1875.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون ؛ م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان، تطاون 1999*، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1377.

محمد ابن عزوز حكيم

**السُّرَّاج**، يحيى بن أحمد الحميري الرندي (الجد). فقيه محدث انتهت إليه راسة الحديث في وقته. انتقل إلى فاس واستوطنها وصحب بها بليديه الصوفي الكبير محمد بن عباد، وكانت بينهما مراسلات وإشارات. وإلى يحيى السراج هذا كتب ابن عباد رسائله الكبرى الشهيرة.

اشتهر السراج بفهرسته التي قال عنها صاحب *فهرس الفهارس* : "أجمع ما ألفه أهل فاس في هذا الباب وأوسع". وكان المترجم واسع الاطلاع كثير القراءة والرواية والسماع قال

عنه ابن القاضي في *المجذوة* : "قلما تجد كتاباً في المغرب ليس عليه خطه، انتهت إليه رياسة الحديث وروايته".  
توفي بفاس عام 805 / 2 . 1403 على الأصح، ودفن مع ابن عباد في ضريحه داخل باب الفتوح.

أ. ابن القاضي، *جدوة*، الرباط، 1974، 2 : 539 ؛ *درة المجال*، تج. م. الأحمدى، القاهرة، 1970 ؛ م. الكتاني، *سيرة*، ط. حجر فاس، 2 : 143 ؛ ع. الحى الكتاني، *فهرس الفهارس*، باعتناء إحسان عباس، ط 2، بيروت، 1982، 2 : 993 . 994 ؛ أ. بابا التنيكي، *نيل الانتهاج*، بيروت، د. ت. ص. 356 . 357.

**السراج**، يحيى بن محمد (الحفيد) مفتي فاس وشيخ الجماعة بها وخطيب القرويين، صاحب كراسي التفسير والفقه والنحو في جامعي القرويين والأندلس ومدرستي العطارين والمخفاويين.

ولد بفاس سنة 921 / 1515 وكان أكثر قراءته الفقهية مختصراً خليل، والنحوية مغنى اللبيب لابن هشام. وكانت طريقته في الإلقاء والتفهم حسنة وصفها تلميذه إبراهيم الكلالتي في كتابه *تنبيه الصغير من الولدان*، ولو أنه كان كثير الصياح على من تكلم في مجلسه بكلام عبي أو ملحون.

توفي بفاس يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى عام 1007 / 17 دجنبر 1597، ودفن يوم السبت الموالي بإزاء الشيخ عبد الرحمن الهزميري.

أ. المنجور، *فهرس*، الرباط، 1976، ص. 79 ؛ أ. ابن القاضي، *جدوة*، الرباط، 1974، 2 : 540 . 541 ؛ *درة المجال*، تج. م. الأحمدى، القاهرة، 1970 ؛ *لقط الفرائد / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 3 : 1098 ؛ إ. الكلالتي، *تنبيه الصغير من الولدان*، مخطوط ؛ ع. التمنارتي، *الفوائد الجسة*، مخطوط ؛ ع. الرحمن الفاسي، *المنع البادية*، مخطوط ؛ إ. الفضلي، *الدور البهية*، ط. حجر فاس، 2 : 332 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978، ج 2 : 362.

محمد حجي

**السُّرَّوْخ**، عبد السلام بن المبارك، قائد كان برأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بني كرفط انضم إلى صفوف المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف أحمد الرسوني؛ وشارك في عدة معارك ولقي الشهادة في المعركة التي جرت باللوزيين يوم 18 مارس 1919.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الرسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

**سوطان البحر**، يطلق في مفهومه الواسع على أجناس وأنواع حيوانات بحرية يفوق عددها مائتي نوع في المياه المغربية، وهي من اللاققرات المفصليات ومن طائفة القشريات ورتبة عشاريات القوائم القصيرات الذيل

وصغيرة. تعيش اليرقات طافية فوق الماء وتسلخ غطاها الكيتيني من وقت لآخر، مغيرة شكلها في كل انسلاخ. وفي النهاية تستقر في القاع وتأخذ شكلها الأخير.

الجنبري الصالح للأكل يدعى علميا سرطان باجارس Cancer pagurus Linnaeus يسمى بالفرنسية Tourteau poupart وبالإنجليزية Ox crab وبالإسبانية Jaiba de roca masera. درقته الظهرية بيضوية الشكل، محدبة وقليلة التجاعيد، يبلغ طولها الأقصى 20 سم وعرضها 30 سم، لونه أسمر محمر شاحب والصغار شديدة الحمرة. مؤخرة القوائم والملاقط سوداء. تحمل الجبهة 5 أسنان منفرجة وصغيرة، تحمل الجهة الجانبية الأمامية 9 أسنان عريضة ومنفرجة ذات رأس دائري. تنتهي زوجة القوائم الأمامية بملاقط كبيرة جداً وملساء خالية من السنينات وخشنة يحمل كفها درينات مستدقة الرأس وبداخلها أسنان حادة. زوجات القوائم الأربعة الأخيرة متشابهة ونحيلة تحمل شعيرات سوداء وعدمية الشوكات.

يقتصر توزيعه الجغرافي على السواحل الأطلسية الشرقية الممتدة من شمال أوروبا إلى شواطئ القنيطرة شمال المغرب التي تمثل الحدود الجنوبية لانتشاره الطبيعي. ويعيش أيضاً في السواحل المتوسطة الشمالية. يعيش قريبا من الشواطئ في أعماق تتراوح بين 6.100 م ويفضل الأماكن الصخرية والرملية. يصاد في المغرب بالجيبات العميقة وبالأقفاص المخصصة لصيد القشريات. تصدر معظم المصايد إلى الأسواق الأوروبية حيث يكثر الإقبال عليها. تؤكل عضلات البطن والملاقط ويستهلك طريا. نادر في الأسواق السمكية المغربية.

م. منوي، بوجنية، معلة المغرب، الجزء 5، ص. 1647، 1648 : أمين العلوف، معجم الحيوان، القاهرة، 1932.  
D. Lloris & J. Rucabado, Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc, Rome, FAO, 1998.  
محمد رمضاني

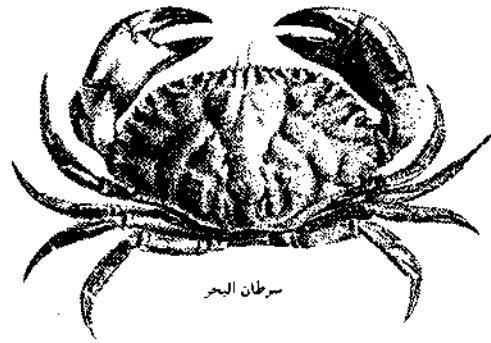
**السرعيني، صالح بن محمد.** مقاوم ولد عام 1918 بقلعة السراغنة. والتحق بصوف جيش التحرير المغربي بصحراء المغرب تحت مسؤولية لمرايط الأنصاري محمد بن المختار وخاض مع رفاقه عدة هجومات منها الهجوم الذي وقع على دار المراكشي بدوار عركوب ناحية إفني واستشهد في الساعة الخامسة صباحا من يوم فاتح يناير 1958.  
الندوية السامية لقدامى المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 501104.

**السرعيني، الكبير** فقيه صالح زاهد، ترجم له صاحب السلوة، وذكره بالعنبري كذلك، ناعتا إياه بالفقيه الإمام العلامة الهمام الزاهد الورع الصوام القوام المذاكر المسبح

الماشيات. تسمى بعض الأنواع منها بوجنية وأبو جلمبو. والكلمة اللاتينية Cancer مشتقة من الكلمة الهندية القديمة كرناتي Crnati وتعني الكسر أو التفتيت أو القتل، ولعل هيئة السرطان التي تبعث الاشمزاز والانزعاج ومنظر درقته الخشنة وقوائمها الخطافية وملاقطه المهدة ومشبه على الجوانب هي سبب تسميته هكذا. ولكن على الرغم من هذه الميزات البشعة فهو حيوان غير شرير يخشى الإنسان بصفة عامة ويستخدم ملاقطه فقط في حالة الدفاع عن النفس والقبض على الفريسة أو في العراك مع بعضه بعضا.

والسرطان Cancer في علوم الحيوانات اسم يطلق في مفهومه الضيق على جنس من فصيلة السرطانيات Canceridae ويشتمل على نوعين يعيشان في البحار المحيطة بالمغرب :

السرطان المسن Cancer billianus Johnston, 1861 يسمى بالفرنسية Tourteau denté وبالإنجليزية Toothed rock crab وبالإسبانية Jaiba de roca dientuda درقته الظهرية بيضوية الشكل ومسطحة تتخللها تجاعيد قوية، يبلغ طولها 13.14 سم ويتعدى عرضها أحيانا 20 سم، لونها أسمر بني شاحب إلى رخامي داكن ومحمر. مؤخرة القوائم سوداء، شعيراته طويلة ومصفرة. تحمل الجبهة 5 أسنان منفرجة وصغيرة، تحمل الجهة الجانبية الأمامية 9 أسنان. تنتهي زوجة القوائم الأمامية بملاقط قوية وخشنة يحمل كفها درينات مستدقة الرأس وبداخلها أسنان حادة. زوجات القوائم الأربعة الأخيرة متشابهة ونحيلة تحمل شعيرات وصفوفا من الشوكات.



سرطان البحر

يقتصر توزيعه الجغرافي على السواحل الأطلسية الشرقية الممتدة من شمال أوروبا إلى شواطئ العيون جنوب المغرب وشائع أيضاً في البحر المتوسط وبضواحي جزر الكناريا ومديرا والأصور. يعيش بعيداً عن الشواطئ في أعماق تتراوح بين 37.620 م. يصاد في المغرب بالجيبات العميقة وغالبا ما يصدر إلى الأسواق الأوروبية حيث يكثر الإقبال عليه.

يتكاثر بالبيض وغالبا ما تضع الأنثى في فصل الشتاء بضعة آلاف من البيض تفقس يرقات غريبة الشكل شفافا

الساجد الراكع في تفرغ أوقاته على الدوام، المدرس المحصل النفاع، المنور التلامذة والأتباع، ذو الخشبية والمراقبة، والدأوب على الطاعة والمواظبة، مواصلا عنه بقوله بأن هذا العالم كان أحد أعلام الزمان المشهورين بالعلم والتحصيل والإتقان والزهدة والورع والولاية والعرفان .

ظهرت ألمعية الكبير السمرغيني بفاس وسط العاصمة والخاصة، فكان أن ولي خطبة جامع الحمراء بفاس العليا، حيث كانت إقامته هناك مدة، بعدها انتقل للاستقرار بفاس الإدريسية، فتصدر لتدريس الفقه وعلم التوفيق والفلك.

توفي بفاس في 4 جمادى الثانية عام 1164 / 30 أبريل عام 1751 ودفن هناك بقبة سيدي أحمد اليميني.

م. القادري، نشر الثاني، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق، 4، ص. 84، الرباط، 1986؛ م. الكتاني، سلوة، ج. 2، ص. 342؛ الحسن شوقي، قبيلة السراغنة خلال القرن التاسع عشر، مرقون.

الحسن شوقي

**السمرغيني، محمد** فنان تشكيلي ولد بمدينة أصيلا

سنة 1341 / 1923 وبها قضى مرحلة الصبا وتلقى الدروس الابتدائية ليرحل بعد ذلك إلى مدينة تطوان قصد متابعة الدراسة الثانوية وبعد نهايتها عاد إلى مسقط رأسه استعداداً للرحيل خارج أرض الوطن من أجل التخصص في الفن التشكيلي. وقد تأتي له ذلك حين التحق بالمدرسة العليا للفنون الجميلة (San Fernando) بمديرية شعبة الحفر (Gravisme) وبمجازاة دراسته الفنية حصل كذلك على الإجازة في العلوم الاجتماعية من جامعة غرناطة. كما كان يؤدي بعض الدروس في مؤسسات إسبانية في الفن التشكيلي وبعد حصول المغرب على الاستقلال التحق بأرض الوطن ليعين أستاذاً للرسيم في التعليم الثانوي وبمدرسة الفنون الجميلة حيث كان أول إطار مغربي يدرس هذه المادة التي كانت حكراً على الأوربيين، وقد تخرج على يده العديد من الفعاليات في ميداني التشكيل والعمار.

يعد محمد السمرغيني رائداً للتشكيليين المغاربة الذين عملوا ومازالوا على الغور في جذور أصالة الثقافة المغربية والبيئة الصرفة التي نشأوا فيها، وقد أهله لذلك المحيط الأسروي الذي نشأ فيه وكذا المدينة الشاطئية الصغيرة أصيلا التي ألهمته بجمالها وبساطتها أهلها.

شارك محمد السمرغيني في عدة معارض جماعية وفردية في كل من الرباط والدار البيضاء وتطوان ومديرية والأسكندرية وتونس والكويت وموريتانيا وفرنسا والسويد والدانمرك وسان فرانسيسكو بالولايات المتحدة وعدة بلدان أخرى.

انتمت أعمال السمرغيني بالأصالة حيث جاءت تعكس رؤيا فاحصة للواقع المعيش وللحياة اليومية التي تعج

بالمعاناة وتكشف عن خبايا المجتمع المغربي من خلال نظرة ناقبة توحى بها رسوماته ومنحوتاته. يعتبر محمد السمرغيني من المؤسسين الأوائل للجمعية المغربية للفنانين التشكيليين .

توفي حوالي سنة 1415 / 1995.

م. أديب السلاوي، أعلام الفن التشكيلي العربي بالمغرب، بغداد، 1982، ع 1، سنة 1999.

محمد بلعربي

**السمرغيني، محمد الصالح** بن محمد المدني بن

المقرئ محمد المعطي بن أحمد ينتهي نسبه - كما ورد في كتاب حذيفة الأزهار - إلى الولي الصالح أبي موسى عمران ابن عمران بن محمد دفين غريس بدادس في ضاحية قلعة مكنونة.

ولد بقبيلة السراغنة، فرقة فطناسة حوالي عام 1267 /

1850 ولما بلغ الرابعة من عمره أخذ والده يعلمه القراءة والكتابة مع تحفيظه القرآن الكريم في الكتاب التابع لمدرسة زاوية جده أبي محمد المعطي ولم يكد يبلغ (14) من عمره حتى كان قد حفظ القرآن الكريم، وأتقن تجويده، مضافاً إلى ذلك حفظ جملة غيير قليلة من الأحاديث النبوية مع إلمام بمبادئ العقيدة والشريعة، وأهم علوم اللغة العربية.

وفي سنة 1281 / 1864 بعثه والده إلى مدرسة سيدي الزوين القرآنية القريبة من مراكش. وقد مكث بهذه الزاوية مدة ثلاث سنوات استظهر فيها القرآن الكريم بالقراءات السبع على يد منشي الزاوية وإمامها الذي أجازده في ذلك وفي استيعاب معطيات علوم القرآن.

وفي عام 1283 / 1866 عاد إلى مسقط رأسه ليمضي هناك زهاء سنتين اختبره والده خلالهما في حصيلته ورحلته العلمية الأولى قبل أن يأذن له في التوجه إلى مدينة مراكش حوالي عام 1284 / 1867 بنية الأخذ عن مشايخ العلم بجامعة ابن يوسف.

ثم شد الرحال إلى مدينة فاس عام 1288 / 1871 للأخذ عن علماء جامعة القرويين. ولم أقف على شيوخه بكلتا الجامعتين. وقد كانت السبع سنوات التي قضاها بفاس كلها كد واجتهاد مما لفت إليه أنظار شيوخه، ولما لمسوا فيه من تضلع في شتى المعارف الإسلامية، والآداب العربية، فأجازوه كتابة، أو ثناء عليه في المجالس العلمية وهذه الحضرة التي نالها من شيوخه جعلتهم يرشحونه للتدريس بجامعة القرويين، وفي بعض المساجد الأخرى، فاستجاب لدعوتهم. وقضى السنوات الثلاث الأخيرة من مقامه بفاس في القيام بمهمة التدريس والوعظ.

ويغادر مدينة فاس عام 1298 / 1880 عائداً إلى مسقط رأسه حيث تأهل ووضع اللبنة الأولى لبناء أسرته، وقضى هناك سنتين تخللتها عدة رحلات إلى مراكش، ورباط شاكرا، ورباط أبي محمد صالح.

وفي سنة 1300 / 1882 حل بمراكش وسكن بحي باب

أَيْلَانٌ، ولم تمض على إقامته بمراكش مدرساً واعظاً مرشداً أكثر من سبع سنوات حتى أجمع علماء المدينة على تقليده منصب شيخ الجماعة للمدينة.

وعندما احتل المغرب من طرف الاستعمار الفرنسي رأى الشيخ محمد الصالح أن يلزم بيته لا يغادره إلا للصلاة في المسجد المقابل لبيته، أو المسجد الكائن قرب درب قايد راسو يتطوع فيه بإعطاء دروس، ويتولى فيه إمامة الخمس وخطبة الجمعة.

وفي أوائل ربيع الثاني عام 1321 / 1903 التحق - على رأس جماعة من علماء مراكش - بالشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني بقصد الرفقة لأداء فريضة الحج عبر البحر.

توفي صبيحة يوم الثلاثاء - لسبع خلون من شهر محرم عام 1347 / 26 يونيو 1928.

أ. متفكر، ذيل الإعلام، مخطوط.

أحمد متفكر

**السرعيني، محمد بن محمد المراكشي**، ولد في أوائل العشرة الأخيرة من القرن (13 هـ / 19 م). وعاش يتيماً في كفالة أعمامه وإخوته (الإعلام، 7 : 177).

درس العلوم الإسلامية على عدد من شيوخ العلم بمراكش وفاس منهم : عمه محمد المدني (تـ 1309 / 1891)، وابن عمه محمد الصالح، وأخوه للأب عيد السلام، والشيخ محمد ازنيط المراكشي. ثم لقي الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني بمراكش وأخذ عنه، فأجازه في العلم والطريقة : (فظهر عليه فضله وانتشرت أسراه) (الإعلام، 7 : 177). وله فيه أمداح. كما حضر دروس الشيخ عبد الحي الكتاني بمراكش ووالده عبد الكبير يقاس.

أشار مترجموه إلى مكانته العلمية وتفوقه في الكتابة الثرية والنظم الشعري، فقال فيه صاحب : (السعادة الأبدية، 1 : 53) : (كان من الحفاظ المحصلين، والفقهاء المحدثين، مليح الخط، جيد الضبط، كثير التقييد، ماهراً، أديباً، شاعراً) وقال فيه صاحب الإعلام (7 : 180) (كان ... ذا قلم بارع في النظم والنثر، وإقدام على شرح الحقائق الصوفية). مؤلفاته :

- ديوان شعر في مدح النبي ﷺ وأمداح شيوخه : أورد صاحب الإعلام (7 : 178) غاذج منها.

- شرح الطلاسم في شرح صلاة القاسم، للشيخ محمد الكتاني (مطبوع بمصر).

- روض الجنان في ما لشيخه من الخصوصية والعرفان.  
- المنحة العظرفية في جواز الرقص للصوفية : قرظه إدرس بن علي السناني.

- شرح على الامتدجية، وآخر على الحكم (لم يكمل).  
توفي يوم 9 أو 10 رجب عام 1329 / 7 يوليوز 1911 بمراكش ودفن بروضة باب اغمات.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، ط. 2، 1974، 1983 : م. ابن الموقت، السعادة الأبدية، طبعة حجرية، 1335.

حسن جلاب

**السرعيني، محمد بن المعطي المراكشي**، ينتسب إلى السادات العمرانيين، جاء أسلافه إلى السراغنة بتاساوت.

ولد في حدود 1245 / 1829. نشأ في بيت محافظ، صرفه العيش، وترعرع في وسط علمي حيث تعهده والده بالرعاية والتربية والتعليم. قرأ القرآن على الشيخ المهدي الدكالي. وبعد حفظه للقرآن الكريم انكب على تلقي العلم، ومجالسة الشيوخ. ويعتبر والده أول شيوخه حيث درس عليه القرآن بالروايات السبع، وسمع منه الشاطبية، وضبط الخراز، وشيئا من مورد الظمان، والمرشد المعين، والأجرومية. كما درس على محمد بن الطيب السجلناسي المراكشي، وعلى أحمد بن حنين السرعيني الحمزاوي، والحاج أحمد الرينيسي والطالب بن حمدون ابن الحاج الفاسي بفاس زمن قضائه بمراكش وغيرهم كثير.

وبعد استكمال الدراسة وحصوله على الإجازة من جل شيوخه تصدر للتدريس والإفتاء بمراكش، وأخذ عنه جماعة من أهل العلم، وختم قراءة صحيح الإمام مسلم بضريح مولاي علي الشريف بمراكش، وحضر هذا الختم علماء المدينة والخليفة ووزراؤه وقال في ذلك قصيدة تضمنت مدح الكتاب ومؤلفه.

توفي ليلة ثاني عشر محرم 1296 / 6 يناير 1879، ودفن بجانب ضريح القاضي عياض عن يسار الداخل. أما تأليفه فهي :

1) حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من الأخبار : فهرسة شيوخه ترجم فيها جماعة من مشايخه وهي أشبه بمجموعة أدبية. مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط.

2) شرح بردة المديح سماه التوشيح لبردة المديح. مخطوط خ.ع.

3) كناية : مشحونة بالفوائد، متنوعة الموضوعات، مخطوط خ.ع.

م. الموقت، السعادة الأبدية، 1 : 91 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 7 : 29 : م. السرعيني نفسه، حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من الأخبار.

أحمد متفكر

**سركوح، يحيى بن أحمد** مقاوم من مواليد سنة 1930 بزني ناحية ططوان. كان شديد الغيرة على وطنه، وعلى الرغم من تنقل عائلته التي تمارس الكسب المستمر بحثا عن الكلا لمأشيتها فقد كان من الأفراد الأوائل الذين التحقوا بصوف جيش التحرير المرابط بالصحراء المغربية حيث عمل بالمقاطعة السابعة تحت قيادة إيدا ولد التامك.

شارك مشاركة فعالة في جميع المعارك التي خاضها جيش التحرير أبان خلالها عن شجاعة صادقة وواصل كفاحه بكل تفان وإخلاص إلى أن استشهد سنة 1959 بالساقية الحمراء.

المنذوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 500495.

**سَرْنُو**، (قرية -) ذكرها ابن الزيات على أنها بدكالة، وزاد مارمول أنها مدينة صغيرة مسورة، ويقول أحمد التوفيق، معلقاً على ما ورد في التشوف إن آثارها معروفة ولا ينطبق موقعها على موضعه عند ماسينيون في خريطة دكالة، كما رسمها في كتابه المغرب في أوائل القرن السادس عشر.

وما تزال أطلال هذه المدينة قائمة على بعد ثمانية عشر كيلومتراً تقريباً من مدينة أسفي، شمال شرقي هذه المدينة وغير بعيد عن سيدي مبارك مولى الوليد. ويظهر من الأطلال التي تغطي مساحة تبلغ اثني عشر هكتاراً أن هذه المدينة كانت واسعة جداً، غير أنه لم يبق منها اليوم سوى سور غليظ كان مبنياً على الطريقة الإفريقية القديمة (النائبية).

وسرنو من الأماكن التي تتوفر على الماء بواسطة الآبار التي كانت موجودة فيها. وفي داخل هذه المدينة، توجد مئات المطامير في حالة إهمال كامل، وهي شديدة الشبه بالآبار، الشيء الذي جعل دوتي يعتقد أن سرنو هي مدينة مائة بئر التي وصفها الحسن الوزان. وفي هذا الصدد يقول بوشرب إنه لا عبارة بهذا الإدعاء، لأن الأوصاف التي أعطاها الرحالة المغربي تنطبق على مدينة كانت على الجرف الرابط ما بين سهل عبدة ونجد الكنتور.

أما الحفر غير المنتظمة التي توجد خارج سور المدينة والتي تبعد عن بعضها بعضاً بخمسة وعشرين متراً، فيظهر أنها كانت مجرد مقاطع لا استخراج الأحجار التي شيدت بها جدران هذه المدينة وأبراجها. وما زلنا نلاحظ آثار بعض هذه الأبراج خارج السور. وتدل آثار المطامير الكثيرة الموجودة في هذه المدينة على كثرة إنتاج الحبوب بهذه الناحية.

ولقد كانت سرنو مقراً للمتعاون يحيى بن تاعفوفت الذي كان يتصرف فيها ويستخلص ريعها كما لو كانت ملكاً خالصاً له، بعد أن وهبها له ولأولاده ملك البرتغال إيما نويل الأول برسالة مؤرخة في 25 غشت 1514، جزاءً له على صموده في وجه الوطاسي وعلى الهزيمة التي ألحقها بقواد هذا الأخير في معركة الجمعة يوم 14 أبريل 1514.

ولما حاول الناصر الوطاسي مطاردة يحيى بن تاعفوفت، تفادى هذا الأخير الاصطدام معه واكتفى بتسميم الآبار وإغلاقتها لإرغام الوطاسي على مغادرة المنطقة، فلم يبق في استطاعة الناصر الوطاسي إلا تخريب سرنو. وتقول بعض المصادر البرتغالية إنه بقي بسرنو بعد تخريبها من الحبوب الشيء الكثير.

وفي سنة 1517، قام أهل عبده وبعض رجال الغريبة

بتهب قرية سرنو. ويقول مارمول إن هذه القرية عمرت مرة ثانية بعد أن أخلى المسيحيون أسفي، لأن البلاد جيدة كثيرة القمح والمراعي.

ي. ابن الزيات، التشوف، تح. أ. التوفيق، الدار البيضاء؛ بوشرب، دكالة، الدار البيضاء؛ دوتي، مراكش؛ مارمول، إفريقيا، الرباط.

محمد الشباطي

### المرنوف العكري أو السرفوق العكري كما هو شائع

في المغرب، وعقاب نسائية كما في بعض معاجم الحيوانات بالشرق العربي، طائر من الكواسر النهارية. كبير الحجم يألف الصخور والأجراف الساحلية وخصاف الأنهار.

ومصبات البحيرات. يصنف في رتبة الجوارح Rapaces falconiformes وفصيلة الصقريات Accipitridae. السرنوف اسمه الشائع في المغرب ويسمى في الشرق العربي وفي مصر المنسوري والناسوري والقريع والكتاف. يدعى علمياً Pandion haliaetus وبالفرنسية Bulbuzard pêcheur وبالإنجليزية Osprey وبالإسبانية Bulbuzard fluviatile. وبالإيطالية Falco pescatore.

يشبه السرنوف العقاب الصغير في شكله؛ وتتميز الذكور منه برأس أبيض متوج بريش بني. العينان محفوفتان بالسواد، فزحيتها صفراء شاحبة، الريش بني داكن على الظهر وأبيض على البطن والصدر. المنقار معقوف وقري أبيض مخضر، المخالب مقوسة بيضاء مخضرة. تتميز الإناث بشريط طويل من الريش البني على الصدر. أسفل الذيل مخطط بالأبيض والبني؛ يبلغ طول الجسم 60-70 سم ويزن 1200-2000 غراماً، تبلغ بسطة الجناحين 150-190 سم. يعيش منعزلاً أو مزدوجاً ونادراً وسط مجموعات قليلة الأفراد. يشتهر بالمهارة في صيد الأسماك ويقدر نجاح حصوله على فريسته أثناء الغطس بـ 90٪. يحلق في الفضاء راسماً حلقات دائرية واسعة ويعد تمييز فريسته بداخل الماء يطوي جناحيه إلى الخلف ويرخي مخالبه ثم ينطلق عمودياً كالسهم ليغطس في الماء بضعة ثوانٍ ثم يعود إلى صخور الأجراف ماسكاً السمكة بين مخالب إحدى القائنتين.



المرنوف العكري



م. رمضان، بوجية، معلمة المغرب، الجزء 6، ص. 1845 : الرخمة، معلمة المغرب، الجزء 13، ص. 4323 : الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان - ط. 3، 1988 : أمين العلوف، معجم الحيوان، القاهرة، 1932.

P. Bergier, *Les falconiformes marocains. Statuts, Répartition et Ecologie. Annales CEEP (ex. CROP), n° 3, 1987* ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North African and the Middle East, 1979* ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris, 1977.

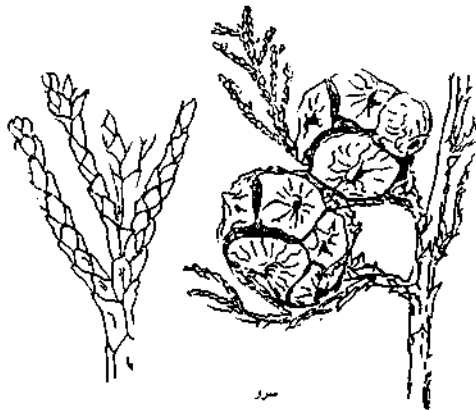
محمد رمضان

**السرو** شجر، أو سروال أو عريش بالعربية، أو أزل أريلاً أو بستان بالآمازيغية، سيبري *Cyprès* بالفرنسية هي أسماء لجنس *Cupressus* الذي ينتمي إلى فصيلة السرويات *Cupressaceae* التي تضم أجناس العرعر (انظر العرعر، أزوغا، أيفس، أوال) والتويا الشرقية أو تويبا الصين وهي علمياً بيوطا أوروبونطاليس *Biota orientalis*. يُمثل جنس السرو في المغرب بعدة أنواع، منها نوع واحد طبيعي وقبسي خاص بالسفوح الجبلية لوادي نفس بالأطلس الكبير الغربي. أما الأنواع الأخرى فهي دخيلة. من أهم أنواع السرو بالمغرب :

- سرو الأطلس بالعربية أو أزل أو أريلاً بالآمازيغية المحلية هو *Cupressus atlantica*. إنه النوع الطبيعي الخاص بالمغرب. ويتميز عن الأنواع الأخرى بجمال هيئته ولون أوراقه.

نوع شجري طويل القامة قد يبلغ 40 م من الارتفاع. وقد يتجاوز قطر جذعه المتر. له هيئة مخروطية الشكل ومنتصبة لكنها متهدلة. لحاء جذعه رقيق أملس في الصغر وقشرته مشققة طولانياً في الكبر وذات لون أشهب ومسمر. أغصانه رشيقة ومتدللة وغير منتصبة. أوراقه حرقفية، مثلثة، فضية اللون. ثماره كروية أو شبه كروية الشكل، صغيرة الحجم إذ يتراوح قطرها ما بين 18 و22 مم.

تصادف الأنظمة البيئية لسرو الأطلس في غابة أغبار الموجودة في حوض وادي نفيس العلوي على مساحة تقدر بحوالي 6000 هـ، ما بين 1100 و1800 م من الارتفاع أي في الطابقين المتوسطي والدافئ والمتوسطي وفي البيومناخين شبه الجاف وشبه الرطب.



سرو

السرنوف العكري طائر نادر على الصعيد العالمي ويرجع إحداث المنتزه الوطني للحسيمة إلى وجود سرب كبير من هذا الطائر يفوق عدده 40 فرداً مستقر طول السنة في المنطقة الوسطى لجبال الريف. وتعتبر هذه المجموعة من أكبر المجموعات في العالم تتوالد غرب الحسيمة وعلى صخور أجراف مناطق بقوية *Massif de Bokkoyas*. يأوي هذا المنتزه الوطني أيضاً عدة مجموعات من أنواع الطيور كنورس أودواني وغيره وتبلغ مساحته 4700 هكتاراً. يحصل خاتم المنتزه الوطني للحسيمة صورة لطائر السرنوف كما يظهر ذلك على الرسم وذلك لتحسيس سكان وزوار المنطقة بحماية هذا الطائر.

يتوالد السرنوف في بضعة مناطق ساحلية بحوض البحر المتوسط وفي شمال أوروبا، ومن بين هذه المجموعات 30. 50 زوجة تأتي من أوروبا كل سنة لتشتو من شتتير إلى مارس في بضعة مناطق رطبة بشمال المملكة نذكر منها مرجة مولاي بوسلهام ومحمية سيدي بوجاية وسد سيدي محمد بن عبد الله ومشرع كليلة وسد القنصرة وسد عبد المومن الذهبي قرب ورزازات ووادي تنكرت ووادي سوس ووادي ماسسة ووادي شبكية ومصب وادي ملوية. يتراوح عدد الأفراد في هذه المناطق بين 5. 1. من المحتمل أن بعض الزوجات تضاف كل سنة إلى السرب المستقر بالحسيمة. يمكن مشاهدة هذا الطائر طول السنة في المنطقة المتوسطية الساحلية الممتدة بين الحدود الجزائرية وسبخة بوعرك ومن الحسيمة إلى وادي مطير. تمت مشاهدة تسعة أفراد تحمل خاتماً وضع في السويد وفرد من فنلندا وآخر من شمال بريطانيا وفردين يحملان خاتمين من السنغال.

يتوالد في المغرب منذ أبريل إلى غاية شهر يوليو. ينصب الزوجان العش بين أطراف صخور الأجراف الساحلية الصعبة المنال غرب الحسيمة وعلى بعض صخور الجزر الجعفرية *Iles Chaffarines* وعلى الصخور المقابلة لها بمنطقة مصب وادي ملوية ورأس كبدانة، وهو عش ضخم قد يبلغ قطره أحياناً متراً ونصف ويتعدى علوه متراً ؛ يتكون من الأغصان اليابسة ومن الطين ويفرش بقطع الأعشاب وأوراق الأشجار. يستعمله الزوجان كل سنة مع إعادة ترميمه. تبيض الإناث 4. 2 بيضات بيضوية الشكل مصفرة ومزركشة أو منقطة بالبني المحمر وأحياناً بالرمادي، يبلغ طول قطريها  $61.6 \times 36.6$  ملم. يحض البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 33. 38 يوماً. تبقى الصغار بداخل العش حوالي شهرين قبل أن تأخذ حريتها تدريجياً بين شهر يونيو وشهر يوليو.

السرنوف طائر محمي لا يصاد، يتكون غذاؤه خاصة من الأسماك ويأكل أحياناً الطيور الصغيرة والقشريات المائية. يعيش في مختلف المناطق الساحلية المغربية وبالمناطق الرطبة القارية بكثافة ضعيفة جداً. بعض المجموعات تتوالد في شمال أوروبا وفي جزيرة كورسيكا وجنوب فرنسا وإسبانيا.

يختلط سرو الأطلس في المستويات السفلى مع العرعر البربري والعرعر الأحمر، وفي المستويات العليا مع البلوط الأخضر.

نظراً لندرة وخاصة هذا النوع القيسي، أحدثت محمية أغيار للمحافظة على أنظمتها البيئية الفريدة، والمحيطه بمسجد تبتمل العتيق مهد الدولة الموحدة.

يعطي سرو الأطلس خشباً متيناً مستديماً غير متعفن يصلح لتجارة الأثاث وللخدمات وللمعادن، ولإنشاء سقف المنازل كما هو الشأن بالنسبة لخشب أنواع العرعر. كما تستعمل أوراقه في التطيب التقليدي.

لكنه نادراً ما يستعمل في عمليات التشجير بالرغم من سعة فوه وجمال هيئته ولونه.

السرو المتوسطي أو السرو دائم الاخضرار هو كوبريسوس سميغرينس *Cupressus sempervirens* الذي هو أكثر شيوعاً في كل المناطق المتوسطية العالمية حيث يوجد طبيعياً واستعمل منذ أقدم العصور للزينة ولإنشاء الأسيجة الحية المحيطة بالضيعات أو بمقابر المسيحيين واليهود.

وموطنه الأصلي هو حوض البحر المتوسط حيث مازال ينظم بعض الغابات في كل من تونس (غابة مكشر) وليبيا بالجليل الأخضر واليونان وسوريا وإيران ...

يتميز السرو المتوسطي عن النوع السابق بقصر قامته إذ لا يتعدى 30 م من الارتفاع، وبأغصانه الكثيفة غير المنتهدة التي تكون إما أفقية بالنسبة للضرب الأفقي *var. horizontalis* أو منتصبة بالنسبة للضرب الهرمي *var. pyramidalis*. كما يتميز أيضاً بأوراقه ذات اللون الأخضر الداكن، وبشماره الكروية أو البيضوية الشكل ذات الحجم المتراوح ما بين 20 و40 مم طولاً. (الهرمي : ما بين 20 و35مم، الأفقي : ما بين 35 و40 مم).

استخدم السرو المتوسطي منذ أقدم العصور للزينة في الحدائق أو بجوانب الطرق أو لإنشاء الأسيجة الحية كمصدات الرياح حول الحقول والضيعات، أو لإحاطة الأماكن المقدسة عند المسيحيين واليهود، وذلك في البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة الحارة منها والمعتدلة والباردة.

يستخدم خشب السرو المتوسطي في الخراطة لصناعة الخزائن وأشياء أخرى وكذلك الأعمدة وصناعة الصناديق. كما تستعمل الصمغة والأوراق والشمار في التطيب التقليدي.

سرو لامبير أو سرو كاليفورنيا أو كوبريسوس ماكروكاربا *Cupressus macrocarpa* وهو أكثر الأنواع استعمالاً في المناطق المتوسطية الساحلية، وذلك لتكوين الأسيجة الحية ومصدات الرياح.

يفرد عن النوعين السابقين بهيئته ذات الشكل الهرمي وقاعدته الموسعة وقسته المسطحة عند تقدمه في العمر الذي لا يدوم طويلاً، وكذلك بأغصانه التي تكون مع الجذع بصفة منتظمة زاوية قدرها 45 درجة. لحاء جذعه أكبر سمكاً. أوراقه

ذات لون أخضر مفتوح يميل إلى الاصفرار، وجد عطرة، وعطرها يشبه عطر الليمون. ثماره ذات حجم يتراوح ما بين 25 و35 مم، ولون أسمر يميل إلى الاحمرار، ومجمعة في أغلب الحالات في مجموعات مشكلة من 6 إلى 10 مخروطات.

الموطن الأصلي لسرو لا مبير هو منطقة خليج سانتوري على ساحل المحيط الهادي بوسط كاليفورنيا ذات المناخ المتوسطي الشكل. ولأنه سريع النمو فقد أدخل بعد اكتشاف أميركا إلى كل المناطق الساحلية من البلدان المتوسطية بحوض البحر المتوسط ووسط الشيلي، وجنوب إفريقيا وجنوب غرب استراليا.

ففي المغرب نجده يفضل عن النوع السابق في استخدامه على طول السواحل حيث تسمح الحرارة اللطيفة والمعتدلة بفرسه لأجل إنشاء مصدات الرياح أو الأسيجة الحية حول الحقول والبساتين.

يغرس بدون ري في البيومناخات شبه الرطبة والرطبة. نظراً لنموه السريع وعمره القصير، يعطي هذا السرو خشباً أقل جودة، لا يستعمل إلا استثنائياً في التجارة والخدمات.

سرو أريزونا أو كوبريسوس أريزونيك *Cupressus arizonica* الذي يتميز عن سابقه بقامته التي لا تتجاوز 15م من الارتفاع وبجذعه القصير وتاجه الكثيف والمخروطي الشكل، وقاعدته العريضة وقمته المستديرة، وبفروعه الأفقية، وباللون الأحمر المفتوح الظاهر على لحاء الأغصان والجزء الأعلى من الجذع، وبقرنه الليفي والمشقق على الجزء السفلي من الجذع. لكن أهم ما ينفرد به هو اللون الأخضر الفضي المائل للزرقة الظاهرة على أوراقه ذات العطر القوي. ثماره شبه كروية وذات قطر يبلغ 20 مم.

الموطن الأصلي لسرو أريزونا هي المناطق الجبلية الجافة أو شبه الجافة المتواجدة في غرب الولايات المتحدة الأمريكية وشمال غرب المكسيك حيث يصادف إلى ارتفاع 2500 م فوق سطح البحر.

أدخل هذا السرو كشجرة زينة نظراً لجمال لونه وهيئته في جل المناطق المعتدلة والمتوسطية وشبه المدارية.

يغرس في المغرب للزينة أو في عمليات التشجير الجبلية في جل البيومناخات ما عدا الصحراوية منها والجافة. وأهم عمليات التشجير بهذا النوع هي التي أنجزت بالجزء الأوسط من الأطلس المتوسط، وخاصة بفرجات غابات الأرز والبلوط الأخضر.

من الممكن استعمال خشبه ذي اللون الأسمر المفتوح والعطر الزكي في التجارة وبعض الخدمات.

A. Benabid, Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité. Paris, 2000 ; A. Metro et Ch. Sauvage, Flore des végétaux ligneux de la Mamora, Rabat, 1955.

عبد الملك بنعبيد

يتكون أساساً من العرعار الأحمر والمجنح والزيتون البري والخروب وينتشر في المنخفضات وفي السفوح الجنوبية الشرقية الجافة، في حين تعرف منطقة ثالرين - كروشن وجزء كبير من هضبة سرو غطاء نباتياً عبارة عن غابة حقيقية تتشكل أساساً من الأرز والبلوط الأخضر.

النظام الهيدرولوجي : يعرف واد سرو نظاماً هيدرولوجياً يتميز بتغيرات فصلية مهمة (الشكل رقم 2) :  
- فترة المياه العليا وتوافق شهور دجنبر، يناير، فبراير، مارس وأبريل.

- فترة المياه الدنيا وتوافق شهور ماي، يونيو، يوليو، غشت، شتنبر، أكتوبر ونونبر.

تعد المياه العليا والدنيا ظاهراً هيدرولوجياً فصلية تتميز بها جميع الأنهار كيف ما كانت ظروفها البيومناخية والصخرية، أما الفيضانات وفتترات الشح فتعتبر من الظواهر الهيدرولوجية الاستثنائية وتتميز بعدم انتظامها في الزمان والمكان : الفيض عبارة عن انتفاخ سريع ومهم للصبيب ويمكن أن يحصل في أي لحظة خلال الدورة الهيدرولوجية، أما الشح فهو عبارة عن صبيب هزيل وضعيف، غير اعتيادي. ولإعطاء صورة واضحة عن الخصائص الهيدرولوجية، نسوق الجدول التالي الذي يمثل مقارنة بين الصبيب الاعتيادي لواد سرو عند محطة شاشا نلح (1400 كلم<sup>2</sup>) ونهر أم الربيع عند محطة نعاط بخينفيرة (1060 كلم<sup>2</sup>) :

المعطات	DCM	DC1	DC3	DC6	DC9	DCE
شاشا نلح	13,5	9,1	5	3,4	1,9	1,4
نعاط	24	22,2	18,8	14	12,6	11,2

DCM : الصبيب الاعتيادي للفيض وهو صبيب يتم تجاوزه 10 مرات خلال السنة.  
DC1 : صبيب يتم تجاوزه 30 مرة خلال السنة.  
DC3 : صبيب يتم تجاوزه 60 مرة خلال السنة.  
DC6 : الصبيب الاعتيادي الوسيط وهو صبيب يتم تجاوزه 6 أشهر خلال السنة.  
DC9 : صبيب يتم تجاوزه 9 أشهر خلال السنة.  
DCE : الصبيب الاعتيادي للشح وهو صبيب يتم تجاوزه 355 يوماً خلال السنة.

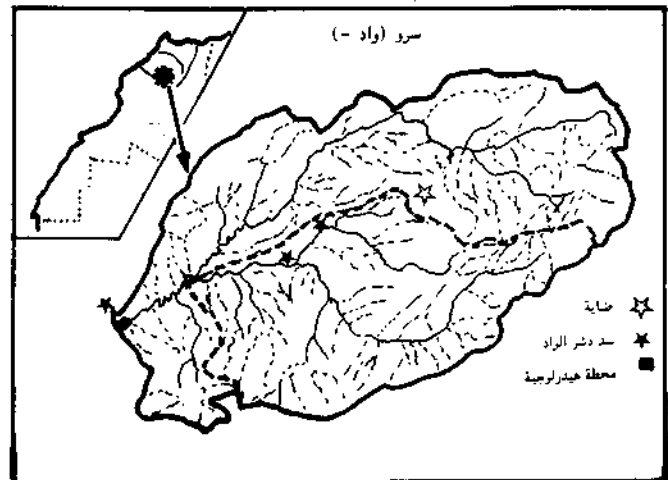
تكمن أهمية دراسة صبيب الشح للأودية في كونها ظواهر هيدرولوجية عادة ما توافق فصل الصيف وهي الفترة التي تعرف فيها المجالات المتوسطة طلباً متزايداً على الماء، لأغراض مختلفة (سقي، تزويد المدن بالماء الصالح للشرب، إنتاج الطاقة الكهرومائية).

ويتضح من خلال الجدول أن واد سرو يعرف فترة شح طويلة وحادة نتيجة عوامل مناخية (جفاف) وعوامل بشرية (السقي) وعوامل صخرية تتمثل أساساً في بروز مواد

سرو (واد -) يحد حوض واد سرو (الشكل رقم 1) شمالاً وغرباً بحوض نهر أم الربيع، شرقاً وجنوباً بواد ملوية العلوي. ويصرف كل المنطقة الجنوبية والجنوبية الشرقية لهضبتي أجدير وسرو، ويأخذ منبعه من المنخفض الطولي للزاد وجبل إكردان (2258 م) حيث يوجد واد زاد الذي يعد من أهم روافده العليا.

يعتبر واد سرو من أهم روافد نهر أم الربيع، ويتميز بحوض شبه طولي ذي اتجاه عام شرق شمال شرق - غرب جنوب غرب، يصل مؤشر تراصه (k) إلى 1,2 وهي قيمة تقترب من المربع (k = 1.12) الشبيء الذي يجعل فيضاناته شبه قوية. فإذا كان مؤشر التراص يساوي 1 فهذا يعني أن الحوض يتميز من جهة بشكل دائري ومن جهة ثانية باستجابة سريعة للتساقطات مما يؤدي إلى فيضانات كارثية، في حين تدل القيم العليا لهذا المؤشر على أحواض طولية وعلى فيضانات ضعيفة وغير مدمرة. ومن أهم روافده نجد واد اشبوكة في الضفة اليمنى وأسيف ندونا في الضفة اليسرى.

تشكل معظم حوض واد سرو فوق صخور طينية ملحية ترياسية غير نافذة، يتلقى تساقطات تتراوح بين 500 ملم (محطة شاشا نلح، 780 م) و900 ملم في المرتفعات الشرقية (Martin, 1981) تتساقط على شكل ثلوج فوق المرتفعات التي يفوق ارتفاعها 1900 م. ويصل معدل الحرارة إلى 20.8°C بمحطة دشر الواد، في حين يمكن للنهائيات العليا أن تسجل 40.3°C خلال شهر شتنبر، و1.3°C بالنسبة للنهائيات الدنيا خلال شهر يناير.



يندرج حوض واد سرو من الناحية البيومناخية ضمن نطاقين : نطاق شبه جاف في الواجهة الغربية من الحوض ونطاق شبه رطب ويوافق المناطق التي تتعدى ارتفاعاتها 1600 م.

يتميز بغطاء نباتي منفتح ومتدهور على شكل ماطورال

تفاعل كل هذه العوامل من شأنه أن يرفع من حدة التعرية التي تزود الواد بحمولة صلبة تتراوح بين 500000 و700000 طن في السنة (مشروع واد سرو، ص. 58). الشيء الذي سيعرض المنشآت المائية، خاصة منها سد دشر الواد، إلى خطر التوحد. ولهذا يجب على المتدخلين في السياسة المائية وضع برنامج تهيئة مندمج للحوض يأخذ بعين الاعتبار جميع مكونات الوسط الطبيعي في علاقاتها مع احتياجات الإنسان القروي، يكون هدفه الأساسي الحد من التعرية ومواجهة التحديات المستقبلية (الماء الصالح للشرب والسقي).

إ. أصراروم، آيت تدارت، 1992، 1993. عالية أم الربيع، دراسة هيدرولوجية بحث لنيل الإجازة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال: المعطيات الهيدرولوجية، وكالة الحوض المائي لأم الربيع، بني ملال.

P. Dubreuil, *Initiation à l'analyse hydrologique*, Paris, 1974 ; J. Martin, *Le Moyen Atlas central : étude géomorphologique*, Rabat, 1981 ; G. Remenieras, *L'hydrologie de l'ingénieur*, 1986 ; *Projet Oued Serou. Etude de base. Rapport général : analyse de la situation actuelle*, Rabat, 1988.

يحيى الحالقي

\* \* \* مشروع واد سرو. يعرف هذا الحوض مشاكل متعددة تظهر على ثلاث مستويات:

المستوى الأول يتجلى في الاستغلال المفرط للموارد الطبيعية التي لا يمكن لوحدها أن تلبى حاجيات ساكنة تتزايد بشكل كبير.

المستوى الثاني اقتصادي يتمثل في قلة المجالات الزراعية وضعف مردوديتها التي لا تعوض المجهود المبذول في الاستغلال (1500 درهم كمعدل سنوي للفرد).

المستوى الثالث يتجلى في كونه مجالا معزولا يعرف فقراً شديداً في التجهيزات الأساسية إذا ما قورن بباقي مناطق المملكة.

نظراً لهذه الأسباب فقد شهد هذا المجال تدهوراً كبيراً خاصة في المجال الغابوي الذي أدى كنتيجة حتمية إلى تراجع إمكانية تسرب المياه وإلى تسريع نشاط التعرية وكلها عوامل ساهمت بالإضافة إلى ضعف الدخل في الزيادة من وتيرة الهجرة التي قدرت ب 10٪ من الساكنة الإجمالية.

ضمن هذه المعوقات يدخل مشروع واد سرو في إطار التعاون الثنائي التقني بين المملكة المغربية والجمهورية الفدرالية الألمانية وقد بدأ العمل به سنة 1987 بتوقيع الاتفاقية بين البلدين تكلفت بتنفيذه عن الجانب المغربي مديرية المياه والغابات والمحافظة على التربة وعن الجانب الألماني Deutsche Gesellschaft für technische Zusammenarbeit GTZ وقد اختيرت 5 محاور أساسية للتدخل بعد جمع وتحليل المعطيات الطبيعية والبشرية وهي : تجهيز المناطق المسقية بمنشآت مائية صغيرة ومتوسطة بإعداد وحفر الآبار، خلق صهاريج شرب الماشية، تجهيز

ترياسية غير نافذة من جهة وفي ضعف الخزان الكارستي المتمثل في فرشات مائية معلقة لا تسمح وضعيتها البنوية بتشكيل خزان مهم يدعم وينظم الصبيب طيلة السنة من جهة ثانية. في حين يتميز نهر أم الربيع بالرغم من صغر مساحته بصبيب شح مرتفع يصل إلى 11.2م<sup>3</sup>/ث، وذلك بفضل الدور الكبير الذي يلعبه الخزان الكارستي في تغذية وديمومة الصبيب. كما يتضح هذا الاختلاف على مستوى الصبيب النوعي إذ يصل إلى 15.8 ل / ث / كلم<sup>2</sup> بنهر أم الربيع، بينما لا يتعدى 4.8 ل / ث / كلم<sup>2</sup> بواد سرو.

الموارد المائية : تشكل العيون والأودية المورد الأساسي داخل الحوض، فسيادة الصخور الكلسية والدلومييتية المتشققة والمكرسة تسمح بتسرب مياه الأمطار التي تخرج على شكل عيون انسكابية عادية، تتمركز أساساً عند اتصال الصخور الكربوناتيية بالمواد الطينية الملحية الترياسية التي تشكل قاعدة غير نافذة للفرشة اللياسية. كما توفر المواد الغرينية على طول الأودية موارد مائية لا بأس بها تتمثل في فرشات طليقة تشتغل بواسطة آبار يتراوح عمقها بين 2 و5 أمتار. سمحت هذه الموارد، خاصة العذبة منها، بوجود فلاحية سقوية تتمثل في الأشجار المثمرة والخضروات، تنتشر بكيفية أساسية على طول أسيف ثومليلين، أروكو وأقا تاشبانث.

إشكالية الملوحة : تشكل ملوحة مياه واد سرو عائقاً كبيراً في تطور القطاع الفلاحي بالمنطقة، إذ تتراوح كمية الأملاح (NaCl) بها بين 3200 و5800 ملغ / ل (أي 3.2 و5.8 غ / ل). أما الموصلية فتتأرجح، من العالية إلى السافلة، بين 11400 و6040 μs / سم. وتعود أهمية الأملاح بمياه واد سرو إلى الانتشار الواسع للمواد الطينية الترياسية الغنية بالملح، وهي مواد تتميز بإذابة سريعة تفوق 1500 مرة إذابة الصخور الكربوناتيية وبدون تدخل غاز ثاني أكسيد الكربون. وهكذا ينقل واد سرو كمية مهمة من الأملاح تتراوح بين 460000 و620000 طن سنوياً (مشروع واد سرو، ص. 57، 58).

إشكالية التعرية : فبالإضافة إلى مشكلة ملوحة المياه، يعرف حوض سرو تعرية مهمة تتمثل أساساً في التعرية المائية وفي الإنزلاقات، وتتداخل مجموعة من العوامل لتفسير هذه الظاهرة، من بينها نجد :

- الصخارة : وتتجلى من جهة في الانتشار الواسع للمواد الطينية الملحية الترياسية في القاعدة ومن جهة ثانية في وجود مواد قصبية دلومييتية المرتفعة النفاذية في الأعلى.

- المناخ : ويتمثل في عدم انتظام التساقطات وتركزها في الزمان والمكان إذ تأخذ خلال فصل الصيف والحريف طابعاً عاصفياً.

- نظام الإنحدارات : ويتجلى في شدتها ووعورتها، الشيء الذي يساعد على قوة وعنف السيل.

- الغطاء النباتي والإنسان : ويتجلى في تدهور وانفتاح الغابة وكذا في طرق الحرث واستغلال الأرض والرعي.

قسمهم القبطان طاري إلى قبيلتين فقط، متجنباً ذكر أيت سعيد.

والى جانب الزراعة وحياة الاستقرار بواد العبيد، اشتهر أيت سري إلى جانب أيت سخمان بحركاتهم الانتجاعية، مستفيدين من شساعة ترابهم وأهمية جريان الماء لديهم والمتمثل في أودية درنة، وواد رنت، ودرنت، وأم الربيع أيت أم البخت. وظلت مراعي القبيلة من الأهمية بمكان، وكان المنتجعون يقيمون في الربيع على منحدراتهم. وينظم السكان كل عام في أحنو وأغبالو نتروسو موسم حيدوس أيت وبرا احتفالاً بمقدم الربيع. واستفاد أيت سري من مراعي أيت داود وأعلى المجاورين في ممر واد العبيد والمنحدرات الجنوبية لجبل غنيم المواجهة للشمس والأقل برداً من بلاد "الظل". وأما مراعي أيت سعيد أعلى من أيت سري فكانت قطعانهم ترعى فيها من ماي إلى غشت على مرتفعات البراكين أو البرائق وفي إيغرغر، وعلى الجانب الشمالي في أمازو تيميسكر. وكانت قيعان الأودية أشبه بسهول صغيرة تتدرج مثل طوابق مسرح وتستغل للزراعة في كل من إيكيس وإيفيرد وغيرها.

وأهم مسالك التوغل في بلاد أيت سري العليا خط درنت - أسارات المطابق لسلسلة تاداوت ناري؛ ثم خط أغزيف - إيفسفس - أغبار المطابق لتاسميطة، وبوحازم، وتاوريرت نيني؛ وأخيراً واد العبيد الذي تجاور مع جبل أسناين وجبل أحنو وجبل أو تروسو، وأدار إيمليوي، وتاماروشت.

وتمثلت وظيفة المواصلات في تنشيط الأسواق، سواء في الدير عند نقطة انطلاق الشرايين الكبرى، أو في محطاتها النهائية بواد العبيد. وأهمها أسواق الدير وهي سوق السبت بزاوية الشيخ، وسوق الحد بقصيبة أحسن أسواق بلاد أيت وبرا، وسوق الخميس بتاگزيرت ومثيله بفرياطة، وسوق اثنين فم العنصر، وسوق أربعاء أدوز، ومثيله بنشرو، وسوق أربعاء ناور.

ثم أسواق واد العبيد : خميس أيت حمزة بتيفرت، وحد إمداحن بتاگلفت، وسوق أيت بوتفردة وأربعاء أيت أو مناسق باغبالا.

وأهم الفجاج التي تسهل مرور المسافرين في واد درنة العليا : تيزي نيفار؛ وتيزي نوسعيد؛ وتيزي نيشوان وتفضي إلى ناور وقصيبة وأنوفي؛ ثم إيمي نوسفو في حوض أغبالا.

H. Catherine, in R.G.M., t. VI, 1927 ; R. Peyronnet, *Tadla, pays Zaïan, Moyen Atlas, Alger, 1922* ; C. Tarvit, Commandant, *Le Cercle de Beni-Mellal, Etude sur le Front Chleuh, Pays Ait Sri, B.S.G.M., 1923, t. III.*

الملكي المالك

**سري، الصديق**، مقاوم ولد سنة 1937 بقصر أولاد غانم قيادة الجرف دائرة أرفود إقليم الرشيدية، من والده أحمد بن حمادي وأمه عائشة بنت حماني.

العيون وإنشاء قنوات سقي إسمنتية. وقد تمت هذه الأوراش بشكل يجعل عملية الاستغلال جماعية تهدف إلى التوافق وتجاوز الصراعات بين السكان.

- المحافظة على التربة عن طريق مقاومة أساليب التعرية بإعداد وتجهيز الخدات ميكانيا وبيولوجيا، بإنشاء أحزمة من الحجارة كسدود لمقاومة الانحراف ويخلق وتطوير مشاتل لتشجيع التشجير داخل الحوض. وقد لعبت هذه التدخلات دوراً كبيراً في حماية المنشآت المائية من التعرية خاصة الموجودة منها في المناطق المنحدرة.

- تنمية وتشجيع الأغراس المثمرة لدورها المزدوج سواء في حماية التربة أو الزيادة من مردود الاستغلاليات الفلاحية.  
- تنمية وتطوير تربية الماشية بتشجيع الزراعات العلفية من جهة وتحسين الموهلات الجينية للأبقار من جهة ثانية.  
- تنمية وتحسين ظروف عيش المرأة القروية.

*Projet Oued Srou (déc. 1988), Rapport Général, Analyse de la situation actuelle, DPA, Khénifra ; Projet Oued Srou (Fév. 2001), Note de présentation du projet Oued Srou, DPA, Khénifra.*

عبد اللطيف حافظ

**سرويل**، أسرة سلوية يظن أن أصلها من الأندلس، من ذوي المروءة والعفاف، كانوا يسكنون بحي حمام الطالعة. واشتغلوا بالتجارة والعدالة والإدارة والجهاد.

وتذكر الوثائق منهم محمد سرويل الطنجي، ورد اسمه تحت عدد 81 في قائمة المجاهدين الطنجيين السلويين الذين أنعم عليهم السلطان الحسن الأول بصلة في 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875؛ ومنهم محمد بن بنعيسى سرويل الذي كان سنة 1292 عدلاً بمرسى العدوتين.

وثائق خ. ص؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996؛ التعريف ببنو سعيد السلاويين، الرباط، 1991، ج 2، 151 و279.

محمد حجي

**سري (أيت -)** إحدى إتحاديات قبائل جنوب الأطلس المتوسط أو مجموعة واد العبيد، إلى جانب اتحادية أيت سخمان واتحادية أم البخت وغيرها.

وكان عدد كواثمها إبان مطلع عهد الاستعمار حوالي 4500 خيمة. وتحدد موقع ترابها من الشرق بواسطة خندق واد واويزغت، وفي الغرب بسهل تادلا، وفي الشمال الشرقي بواسطة إيشقييرن وعيون واد واويزغت وأيت حودي وفي الجنوب الغربي بواسطة جبل تاسميطة الذي يرتفع حتى 2138 متراً.

وبعد جميع أيت سري تقريباً مستقرين لأنهم أقاموا في بلاد غنية مشهورة بسقيها وبزراعة الحبوب ويقطعانها الجيدة. وبينما قسم الضابط بيروني أيت سري إلى ثلاث قبائل هي أيت وبرا؛ وأيت سعيد أعلى؛ وأيت عبيد لولي،

كان عضواً نشيطاً بصرف جيش التحرير، حيث شارك في العديد من المعارك الطاحنة. وعندما أحرز المغرب على استقلاله انخرط في القوات المسلحة الملكية إلى أن أحيل على التقاعد.

وافاه أجله المحتوم بتاريخ 17 ربيع الثاني عام 1416 / 13 شتنبر 1995.

المدوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهيداً -  
لاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 506190.

**سريف (أهل -)** قبيلة جبلية تنسب لجبل سريف، والأسم مشتق من اسم أسرة "سرافة" أو "السريفي" جزء من قبيلة غمارة أو كنامة. كانت قبيلة سريف في الماضي تنقسم إلى خمسة أخماس، ثم أصبحت مكونة من أربعة أرباع هي: ربع اللوطيين، وربع مرقد الضباب، وربع بني إدريس، وربع الجبلية، واليوم بعدما اقتطع منها خمس بني يفتح وضم إلى بني غرفط، وجزء قرب سد وادي المخازن ضم إلى إقليم سيدي قاسم، أصبحت اليوم تضم جماعتين هما: جماعة أبي جديان، وجماعة تظفت.

كانت بلاد سريف تحتوي على عدة أسواق منها ما اندثر مثل سوق أربعا، الجائزة أو سوق سيدي أبي بكر الجتاني الذي كان في الطريق المؤدى إلى سوق اثنين بني زكار والذي كان يأتي إليه تجار البندقية كما أشار إلى ذلك الحسن الوزان. إضافة إلى سوق اثنين سيدي أحمد الجباري، وسوق خيس أبي جديان وسوق تظفت الحاليين.

ويتميز جبل سريف بوجود أنهار مهمة نظراً للتساقطات المهمة التي كانت تتراوح بين 400 و800 مم في الغالب وقد تزيد لأنها تدخل في المناخ الرطب الذي يميز منطقة الشمال الغربي المغربي، رغم ما يعرفه المناخ من تذبذب وجفاف على العموم، وأهسها نهر لكوس الذي أنشئ عليه سد وادي المخازن. ونهر وادي المخازن الذي وقعت على ضفافه معركة وادي المخازن. إضافة إلى أنهار صغيرة مثل وارور، ورشكاوة.

وكان لأهل سريف دور فعال في مقاومة الاحتلال البرتغالي لشغور الشمال، واشتهر من قواد المجاهدين السريفيين ابن غانم السريفي، وشاركوا في معركة وادي المخازن وفي محاصرة سبتة، وأثناء ثورة الأمير ابن عبد الكريم الخطابي كان للسريفيين دور مشرف في مناصرتهم ومهاجمة الإسبانيين المحتلين.

م. أخريف، أخطأ، ميشو بلير في قبيلة أهل سريف، مخطوط :  
وثائق محلية، وروايات شفوية.

E. Michaux Bellaire, *Quelques tribus de montagne de la région du Habt*, A.M., vol. XVII, 1911.  
محمد أخريف

**السريفي، إبراهيم بن محمد**، شهرته بالصياد القصري، أصله من جبل سريف. ذكره مترجموه وخاصة أبناء

الزاوية الفاسية بما يدل على حسن انتسابه لأهل التصوف ورووا من سيرته ما يفيد إدراكه لمرتبة الولاية بما أثر عنه من الأحوال والكرامات وصفات الورع. يعد إبراهيم السريفي أحد أبرز أصحاب الشيخ أبي المحاسن الفاسي فقد انقطع عن داره وأهله منذ أول لقاء بينهما وقضى عشرين سنة في خدمته، ونقل رسائله، والسهرة على أمور زاويته. وقد بلغت بينهما المودة حدا جعل شيخه ينزله منه منزلة الولد ويكسر من الشناء عليه ويقدمه في رفقته.

توفي بفاس عام 1008 / 1599 . 1600 .

ع. الفاسي، البهاج، مخطوط، 287. 289. م. الفاسي، منبع، طبع حجر، 210 : م. الإفرائي، صفوة، 55 : م. الفادري، نشر، ج. 1. 73 : م. الكتاني، سيرة، ج. 2، 325.

نيسة الذهبي

**السريفي، عبيد السلام بن الطاهر بن حمّ**. لا توجد

مصادر تتحدث عن هذا القائد باستثناء ميشو بيلير Michaux Bellaire الذي تحدث عنه ولكنه أخطأ في كل ما يتعلق به، من مقر سكنه وكيفية توليته ومدة حكمه، يقول : "ومن أجل التهجئة المؤقتة لانتفاضة أهل سريف الذين لم تخضعهم الحملة الموجهة ضدهم، قام المخزن بتعيين حاكم خاص ينتمي إلى القبيلة نفسها، هو القائد عبد السلام من مدشر عين بوعامر الذي ابتداءً يحتاط من أعدائه فاتخذ القصر إقامة له في جل الأوقات... كيفما كان الحال فقد حكم القبيلة لمدة سنة واحدة".

جاء في إحدى الوثائق غير المنشورة التي توجد لدينا : "الحمد لله وحده اشترى الخليفة الأسعد الرئيس الأمجد السيد عبد السلام بن الطاهر بن حم الخلف السريفي... أحد عشر وثلاثمائة وألف".

يرى بيلير أن توليته كانت نتيجة لعدم قدرة المخزن على إخضاع قبيلة أهل سريف، في حين أن الفتنة أو الانتفاضة التي قامت بها القبيلة كانت موجهة بالدرجة الأولى ضد عامل العرائش الذي أغلظ عليهم في الضرائب، والذي استدعى الإمدادات لمحاربة القبيلة بدعوى أنها خارجة عن الطاعة. ولما افتضح أمره أثناء المعارك استدعى السلطان أعيان القبيلة فحكوا له، فما كان من السلطان إلا أن عين عليهم قائداً منهم هو عبد السلام بن حم السريفي الذي كان شيخاً على القبيلة منذ سنة 1284.

لم يكن القائد عبد السلام بعيداً عن قبيلته بل كان يعيش في مدشره، وهناك صور أخذتها في عين المكان لإقامته بمدشر الغراف، وكان يقوم بعمله العادي من رسائل وغيرها مثل الرسالة الموجهة إلى الشريف المختار بن الحاج الحراز لتوقيبه واحترامه، تقديراً للعلم والأستاذية.

توفي بعد عام 1311 / 1894 . 93 .

وثائق عند حفيد القائد السيد عبد الحميد بن حم السريفي : رسالة من القائد عبد السلام السريفي إلى الشرفاء الشيليين.

Michaux Bellaire, p. 239 - 240.

محمد أخريف

وعززت سطات مكانتها كمركز تجاري مع الاحتلال الفرنسي الذي أحيا دورها كموقع عسكري لمراقبة الشاوية الداخلية والمحور الطرقي بين الساحل والداخل ولتوفير الحماية للمعمرين الذين جلبتهم خصوبة الأراضي الفلاحية المجاورة لسطات. وبذلك رسخت سطات دورها كعاصمة إدارية للقبائل المجاورة لها. ونتيجة لذلك أصبحت خلال عهد الاستعمار أكبر سوق أسبوعي داخل الشاوية وأول تجمع للتجارة القارة بالشاوية الداخلية وقطبا مهما للهجرة القروية بها. فتطورت ساكنتها بسرعة كبيرة.

تطور ساكنة مدينة سطات خلال عهد الاستعمار

السنة	عدد السكان	السنة	عدد السكان
1913	2032	1931	12804
1916	2975	1936	18146
1926	7834	1952	25205

ومع نهاية عهد الاستعمار دخلت المدينة فترة أزمة حادة ارتبطت بمساعدة التجار اليهود والأجانب وحتى بعض الفاسيين لها، وبيزوغ مراكز حضرية أخرى داخل الشاوية (برشيد وابن أحمد والسروج...). كما أن تطور وسائل المواصلات قلص المسافة الفاصلة بين سطات والدار البيضاء وبالتالي قري من نفوذ هذه الأخيرة داخل الشاوية. فجات محاولة إنعاش المدينة عن طريق تقوية وظيفتها الإدارية. فتمت ترقيتها إلى منصب عاصمة إقليم سنة 1967. ونتج عن ذلك استقطاب المدينة للعديد من المصالح الإدارية والبنات واسعة من الموظفين، وبالتالي ساهمت هذه الترقية الإدارية في تنشيط الحركة التجارية والعمرانية بالمدينة. فانتعشت من جديد وتيرة نموها الديموغرافي :

تطور ساكنة مدينة سطات خلال النصف الثاني

من القرن العشرين

السنة	عدد السكان	السنة	عدد السكان
1960	29617	1982	65203
1971	42325	1994	96217

وعلى إثر التقطيع الجهوي لسنة 1997 أصبحت سطات عاصمة جهة الشاوية - واديغة التي تضم إلى جانب إقليم سطات إقليم خريبكة وابن سليمان. وبذلك أضحت سطات تحتل اليوم مواقع متميزة سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي أو الجهوي، الشيء الذي انعكس إيجابيا على الحياة العمرانية والاقتصادية بها. فمدينة سطات التي ظلت منحصرة داخل قلاع واد

سطات، مدينة تقع على مقربة من الحافة الفاصلة بين الشاوية السفلى (سهل) والشاوية العليا (هضبة). وتمتد على ضفاف واد بوموسي الذي يتعمق داخل الهضبة فيشكل ممرا طبيعيا بين جزبي الشاوية.

يرجع أصل المدينة إلى وجود عين متفجرة على الضفة اليمنى للواد، استغلت قديما كمحطة على الطريق الرابطة بين مراكش والمدن الساحلية وخاصة منها الدار البيضاء والرباط. وتمزت وظيفة هذا الموقع كنزالة مع تشييد السلطان مولاي إسماعيل قصبه بجوار عين سطات في نهاية القرن السابع عشر، ضمن سلسلة القصبات التي أقامها لضمان الأمن والاستقرار بالسهول الأطلننتية الوسطى. وكان لتشييد هذه القصبه دور كبير في نشأة وتطور المدينة بتوفيرها للأمن بالنسبة للمسافرين الذين يضطرون لعبور الحاجز بين طرفي الشاوية عبر المصر الطبيعي الذي يوفره وادي بوموسي، وباجتذابها السكان للاستقرار بجوار أسوارها، وبالتالي بخلقها للظروف الملائمة لتطور تجمع تجاري بهذا الموقع. كما أن تشييد القصبه أعطى لسطات ميكرا وظيفه إدارية باتخاذها مقرا للقواد الذين حكموا الشاوية الداخلية. وكان أبرزهم القائد الغازي بل المدني (1792-1818)، الذي فرض على أعيان القبائل الاستقرار بسطات مع أتباعهم. فظهرت نتيجة لذلك تجمعات سكنية حول القصبه كانت تسمى التزالات وتحمل أسماء أعيانها أو أصول سكانها. ومازالت العديد من أحياء المدينة تنعت بالتزالات وتحمل اسم نواتها الأصلية.

وشهدت سطات انطلاقة جديدة لتوسعتها ونموها خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) مع تطور المبادلات بين المغرب وأوروبا انطلاقا من ميناء الدار البيضاء. فانتصبت كمركز تجاري مهم داخل الشاوية جذب العديد من التجار اليهود ومن فاس لكثافة دوره في تجميع المنتجات الفلاحية (حبوب، صوف، جلود...) وفي توزيع المنتجات المستوردة.



بومرسي إلى غاية العقد الأول من عهد الاستقلال، أصبحت اليوم تمتد على السفوح المشرفة عليه وتتعداها لتنتشر على سطح الهضبة في اتجاه الشرق والغرب والجنوب. فتعددت أحيائها وتباينت أشكالها العمرانية والهندسية. ففي الشمال تشكل حي إداري من مستوى راق جدا. ومع تهيئة وسط المدينة ابتداء من عقد الثمانينيات توسع المركز التجاري واتخذ طابعا عصريا وتهيكل المجال الحضري حول محور حديث من حيث شكله ووظائفه. وفي الجنوب تشكل حي صناعي (20 هكتار) يزداد اتساعا باستمرار. وبشكل عام شهدت المدينة حملات متعددة وواسعة لمحاربة السكن غير اللائق وإعادة هيكلة مجالها الحضري جعلت هذه المدينة تكتسب بنية حضرية حديثة وواضحة المعالم.

فقدت سطات اليوم الكثير من دورها كمركز تجاري وكمحطة طرفية داخل الشاوية، لكنها أصبحت أساسا مركزا إداريا ذا بعد إقليمي وجهوي وتجمع سكاني ارتقى إلى مصاف المدن الكبرى وينوع باستمرار من أنشطته ووظائفه داخل محيطه. فإلى جانب قطاع التجارة والخدمات الذي يتطلبه الحجم الديموغرافي المتنامي للمدينة تطورت العديد من الخدمات المرتبطة بالوظائف الإدارية للمدينة. وبشكل مواز لذلك شهد العقد الأخير من القرن العشرين استقرار العديد من الوحدات الصناعية بها، تجاوز عددها 40 وحدة تهم ميادين الزجاج، النسيج، الدباغة، المواد البلاستيكية، المعدات الفلاحية، الطباعة، الشموع، مواد البناء، المعدات الكهربائية، المواد الغذائية (مشروبات الحبوب، تصبير الحضر، المواد الدهنية...).

وإذا كانت الصناعة لم ترق بعد إلى مستوى قطاع أساسي في ميدان التشغيل حيث تظل الصدارة لكل من التجارة والخدمات، فإنها مع ذلك قد دشت تنوع سوق الشغل بهذه المدينة التي ظلت منذ نشأتها تعتمد بالأساس على الأنشطة المرتبطة بشكل أو بآخر بالفلاحة. وتعزز تنوع وظائف المدينة من خلال ترفيتها إلى مستوى مدينة جامعية مع إنشاء جامعة الحسن الأول التي تتكون من كلية للحقوق وأخرى للعلوم والتقنيات ومدرسة عليا للتجارة والتدبير. هذا فضلا عن معهد للبحث الزراعي ومعاهد للتكوين والتأهيل المهني. وفي نفس الاتجاه تبحث المدينة عن سبل الارتقاء إلى مستوى قطب سباحي من خلال تجهيز مركب سباحي وملاعب للكونفول وللفروسية...

إن مدينة سطات التي شهدت انتعاشا ملحوظا خلال عهد الاستعمار الذي عززت خلاله موقعها كقطب إداري وتجاري قد ارتقت بعده إلى مصاف المدن الكبرى مع تقوية وظائفها الإدارية وتنوع أنشطتها الاقتصادية. وبذلك دخلت نادي المدن التي تواجه مشاكل التطهير السائل والصلب والنقل الحضري والتعمير والتشغيل... وإذا كانت تعتبر من المدن التي استفادت كثيرا من تدخل الدولة، فإن نشأتها وتطورها على مقربة من الدار البيضاء جعل إيجابيات هذا القرب

تتناكل مع مرور الوقت، هذا في الوقت الذي عززت فيه سطات موقعها كقطب محوري للهجرة بالشاوية الداخلية. وذلك ما يفرض على هذه المدينة، اليوم أكثر من الأمس، أن توسع قاعدتها الاقتصادية.

\* \* أما إقليم سطات فقد أحدث سنة 1967 على إثر تفكيك إقليم الدار البيضاء الذي كان يضم أقاليم سطات، الجديدة، خريبكة، بني ملال، أزيلال، بن سليمان. ويحده من الشمال ولاية الدار البيضاء الكبرى وإقليم بن سليمان ومن الشرق إقليم خريبكة وبني ملال ومن الغرب إقليم الجديدة ومن الجنوب إقليم قلعة السراغنة. ويمتد الإقليم على مساحة 9.750 كلم<sup>2</sup> أي ما يفوق 58٪ من مساحة جهة الشاوية - وريغة التي تضم أيضا إقليم خريبكة وبن سليمان.

يطابق إقليم سطات إلى حد كبير منطقة الشاوية المتكونة من سهل برشيد (الشاوية السفلى) والشاوية العليا التي تشكل جزءا من هضبة الفوسفاط. ويتوفر على منفذ ضيق على البحر (جماعة سيدي رحال الشاطي) بين ولاية الدار البيضاء وإقليم الجديدة. ويتميز بمناخ معتدل تتراوح به التساقطات ما بين 450. 500 مم بالساحل و250. 300 مم بالداخل حيث تظهر المؤثرات القارية وتغطي معالم الجفاف.

يتكون إقليم سطات من قبائل : أولاد حريز، أولاد سعيد، المرازمة، أولاد بن داود، أولاد بوزيري، اصزاب بالإضافة إلى بني مسكين الذين لا ينتمون إلى قبائل الشاوية. وقد بلغت ساكنته حسب إحصاء 1994 : 847.500 نسمة، يقطن منها ما يزيد عن 72٪ بالعالم القروي. ويرجع ضعف نسبة التمدن بهذا الإقليم إلى قرب مدينة الدار البيضاء التي تشكل الوجهة الأولى للمهاجرين من الأرياف والمدن على السواء. ورغم ذلك فقد شهد الإقليم تطورا سريعا لساكنته الحضرية التي لم تكن تمثل سوى 4٪ سنة 1931 لتتجاوز 14٪ سنة 1960، أي أن هذه الساكنة التي تزايدت بمعدل 1.100 نسمة في السنة ما بين 1931 و1952 قد أصبحت تتكاثر بمعدل 5.500 نسمة سنويا بين 1982 و1994. ويرجع ذلك إلى ترقية العديد من التجمعات السكانية إلى مستوى مراكز حضرية وتطوير وظائفها الإدارية وتجهيزاتها العمومية، الشيء الذي زاد من جاذبيتها للسكان. وبالتالي فمدينة سطات التي كانت تحتكر حوالي 73٪ من السكان الحضريين للإقليم سنة 1931 لم تتعد نسبتها منهم 40٪ سنة 1994.

بشكل مواز لسرعة التمدن بالإقليم تعرف الأرياف هجرة مكثفة تتجلى أبرز انعكاساتها في تراجع وتيرة نمو السكان القرويين. ومع ذلك تشهد العديد من الأرياف بالإقليم تزايدا ملحوظا في كثافتها السكانية بحيث انتقلت الكثافة العامة بالبوادي من حوالي 30 نسمة / كلم<sup>2</sup> في منتصف القرن العشرين إلى حوالي 65 نسمة / كلم<sup>2</sup> في نهايته. وانتقلت بذلك الكثافة العامة للسكان من مستوى



40 نسمة / كلم2 إلى حوالي 90 نسمة / كلم2 خلال نفس الفترة.

بعد ترقية دائرة بن سليمان إلى إقليم قائم الذات سنة 1975 أصبح إقليم سطات يتكون من أربع دوائر (سطات، برشيد، ابن احمد، البروج) تنقسم إلى 36 جماعة قروية. وإذا كانت الدوائر لم تتغير منذ ذلك الحين فإن عدد الجماعات القروية قد بلغ حاليا 62 جماعة. وبشكل مواز انتقل عدد البلديات من واحدة (سطات) إلى 8 حاليا.

وتبعاً لتزايد عدد السكان وتطور التقطيع الإداري شهدت البنية الحضرية للإقليم تحولا واضحا. فخلال النصف الأول من القرن العشرين لم يكن الإقليم يتوفر على مدن من الحجم الكبير والمتوسط، بحيث كانت أكبر مدينة هي سطات ولم يتجاوز عدد سكانها 25.000 نسمة في منتصف القرن. وحاليا أصبح الإقليم يضم مدينة كبيرة تفوق 100.000 نسمة (سطات) ومدينة متوسطة تفوق 50.000 نسمة (برشيد) و11 مركزا يتراوح حجمها بين 4.000 و20.000 نسمة. لكن هذا التحول لم يؤد إلى تشكل شبكة حضرية قائمة الذات. فالقرب من الدار البيضاء يعوق تطور العديد من مدن الإقليم كما يعوق تطور العلاقات بينها، بحيث تخضع كلها بدون تمييز لنفوذ العاصمة الاقتصادية للمغرب التي لم يفقدها احتلالها لقمة الهرم الحضري للمغرب مكانتها كعاصمة للشاوية، رغم ترقية سطات إلى رتبة عاصمة إدارية لهذا الإقليم.

تتركز أهم ومعظم المراكز الحضرية للإقليم على المحاور الطرقية التي تربط الدار البيضاء بالمناطق الداخلية للمغرب وخاصة منها الحوز وتادلة. وهكذا بحجم موقعه على مشارف الدار البيضاء التي تستقطب أهم المحاور الطرقية للبلاد، يستفيد إقليم سطات من ثلاثة من بين المحاور الأربع الكبرى التي تربط العاصمة الاقتصادية بمختلف جهات المغرب: محور الدار البيضاء - أكادير عبر الجديدة ومحور الدار البيضاء - مراكش عبر سطات ومحور الدار البيضاء - بني ملال عبر برشيد. وهذا ما يجعل الإقليم عبارة عن منطقة عبور، الشيء الذي ساهم في تطور العديد من المراكز الحضرية والتجمعات الطرقية وبالتالي توسع أنشطة التجارة والخدمات.

رغم التحولات العميقة التي شهدتها يحتفظ إقليم سطات بمكانته ضمن الأقاليم الفلاحية ذات البعد الوطني، بحيث ظل إلى عهد قريب يعرف بخزان الحبوب للمغرب. وتبعاً لهذه التحولات أصبح الإقليم يتكون من ثلاثة نطاقات فلاحية متباينة:

النطاق الساحلي حيث تسود زراعة الخضار وتتوسع في ارتباط بالسوق البيضاوية وبالتصدير نحو الخارج. ويتشكل بالأساس من جماعات سيدي رحال الشاطي والسوالم والساحل حيث تمتد زراعة الخضار على حوالي 25.000 هكتار. ويتوسع هذا النطاق باستمرار نحو الداخل على حساب زراعة

الحبوب عبر محاور متعددة: مديونة - برشيد وبرشيد - سطات وبرشيد - أولاد عبو وبرشيد - ابن أحمد، والسوالم - أولاد عبو.

نطاق السهل الداخلي الذي يغطي الجزء الأكبر من الشاوية السفلى أو ما يعرف بسهل برشيد حيث تسود زراعة الحبوب (القمح والذرة) في تناوب مع القطن. ويشهد هذا النطاق منذ حوالي عقدين تحولات عميقة تتمثل في تراجع زراعة الحبوب أمام زراعة الخضر مع توسع السقي عبر استغلال المياه الجوفية.

نطاق الشاوية العليا حيث تتكامل زراعة الحبوب وتربية الماشية. ففي الجزء الشمالي حيث تنتشر تربية التيرس تشكل زراعة الحبوب في تناوب مع القطن النشاط الرئيسي للسكان، أما في الجزء الجنوبي حيث يزداد الجفاف وتقل التربة الصالحة للزراعة فتسود تربية الماشية (الأغنام من فصيلة الصردي التي تشتهر بها بني مسكين). وبين هذين الجزئين (امزاب، أولاد بوزيري، أولاد بن داود) يعتمد السكان على التكامل بين زراعة الحبوب وتربية المواشي (أغنام وأبقار).

لقد أدى توالي سنوات الجفاف خلال العقد الأخيرين من القرن العشرين إلى حدوث تحولات عديدة في النشاط الفلاحي بالإقليم، بحيث أصبح الفلاحون يتجهون أكثر فأكثر نحو زراعة الخضر عبر كل أنحاء الإقليم، في ارتباط بحركة التمدين وبتنامي مكانة الدار البيضاء كأكبر سوق استهلاكية بالمغرب. وتبعاً لذلك تطور اللجوء إلى السقي الذي تعززت مكانته بالإقليم بانتشار تقنية الأذرع المحورية بكل من بوفروج (600 هكتار) وخميسات الشاوية (280 هكتار) وبولعوان (1.500 هكتار) والحمري (6.000 هكتار) ودخل بذلك الإقليم عهد تنوع الإنتاج الفلاحي بإدخال المزروعات العلفية والمعدة للصناعة.

شهد إقليم سطات خلال العقد الأخيرين تطورا ملموسا في الميدان الصناعي إذ أصبح يضم 165 وحدة صناعية يتركز معظمها ببرشيد وعلى مقربة من الدار البيضاء، أي أن القرب من العاصمة الاقتصادية قد مكن من جلب الإقليم للنشطة الصناعية التي لم يعد لها مكان بأكبر تجمع سكاني بالمغرب أو التي تبحث عن الاستفادة من الامتيازات التي يمنحها الخروج عن الحدود الإدارية للدار البيضاء الكبرى. وبذلك أصبحت الصناعة بالإقليم توفر ما يزيد عن 10.000 منصب شغل. وهي بذلك لا ترقى إلى مستوى الفلاحة التي تشغل ما يزيد عن نصف السكان النشيطين أو التجارة والخدمات التي تشغل ما يزيد عن ثلث هؤلاء السكان. ومع ذلك فقد أصبح الإقليم يتوفر على ثلاثة أقطاب (برشيد، سطات، السوالم) التي يمكنها أن توفر المحيط الضروري لانطلاقة فعلية للتصنيع بالإقليم.

في انتظار ذلك يشهد هذا الإقليم تطورا مضطربا لأنشطة التجارة والخدمات. ويرتبط هذا التطور بالدينامية

أسماء عائلات تطوان، تطاون 1999، المراجع العربية والأجنبية في  
الرقم 1385

م. ابن عزوز حكيم

**السطّي،** أسرة تطوانية نسبة إلى قبيلة سطة قرب  
مدينة وزان. انقضت الآن. وكان منها الفقيه السيد عبد  
السلام السطّي التطاوني عام 1192 هـ والفقيه الكاتب في  
الحكومة الخليفة بتطوان السيد العربي السطّي المتوفى عام  
1380 هـ وهناك عائلة طارئة على تطوان تدعى أيضا السطّي  
عن قبيلة بني يحمّد مازالت.

أ. الرهوني، عمدة الراويين، مخطوط : م. داود، عائلات تطوان،  
مخطوط.

**السطّي، العربي،** الفقيه العلامة المشارك الكاتب،  
رائق الخط والإتشاء، قال محمد داود : "أخبرني رحمه الله أن  
أصل عائلته من بني الوزير".

وهو آخر من بقي من أعضاء الحكومة الخليفة التي  
أسست برئاسة الصدر محمد ابن عزوز المراكشي لأول عهد  
الحماية الإسبانية بشمال المغرب بعاصمته تطوان، والخليفة  
السلطاني مولاي المهدي بن إسماعيل العلوي.

انتقل المترجم له بعد انتهاء عمله في الحكومة المذكورة  
من الشمال وتولى القضاء بعدة نغور. واستقر أخيراً بمدينة  
وزان. ولما حصل المغرب على استقلاله أحيل على المعاش  
لكبر سنه.

توفي بمدينة وزان آخر المحرم عام 1380 / 25 يوليوز  
1960

م. داود، عائلات تطوان، نسخته بخطه بخزانته الداودية بتطوان ؛  
ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / مرسوعة أعلام المغرب، بيروت، 9 ؛  
1996، 3354.

محمد بوخيزة

**السطّي، محمد بن علي بن سليمان،** ولد بفاس حيث  
كانت عائلته قد استقرت حديثاً، فنشأ بها وأخذ العلم عن  
كبار علمائها. فقد تتلمذ على أبي الحسن الصغير في الفقه،  
وأخذ الفرائض عن أبي الحسن الطنجي اليقربي، وختم عليه  
كتاب الحوفي ثمانين مرات. كما أخذ الفقه عن إبراهيم  
اليزناسي.

كان أبو عيد الله السطّي من أحفظ الناس للمذهب، حتى  
وصفه ابن مرزوق في المسند بخزانة مذهب مالك مع مشاركة  
تامة في الحديث والأصليين وعلوم اللغة. وقد أثبت له  
الوثريسي في المعيار عدداً من الفتاوى التي تدل على علو  
كعبه في الفقه ومنهجه في الفتوى. له شرح جليل على  
الحرفية، وتعليقان على المدونة وعلى ابن شاس فيما خالف  
فيه المذهب. أخذ عنه خلق كثير من أشهرهم ابن خلدون  
والعقباني والمقري الجد والعبدوسي والقباب ومحمد ابن  
مرزوق، وهم جميعاً من أعلام المغرب.

التي يعرفها القطاع الفلاحي ويدور الإقليم كمنطقة عمير  
على أبواب الدار البيضاء. ويتجلى ذلك من خلال عدد  
الأسواق الأسبوعية الذي يبلغ 35 سوقاً، من بينها 5 تعد من  
أكبر الأسواق بالمغرب (الثين برشيد، الثين بن احمد، أحد  
السوالم، أحد البروج، جمعة قيصصر) ومن خلال التزايد  
المضطرد للمحطات الطرقية وجمعيات التجارة القارة  
بالأرياف. هذا فضلاً عن ارتكاز كل مدن الإقليم على  
التجارة والخدمات كأنشطة أساسية لسكانها وكقاعدة  
اقتصادية لإشعاعها داخل محيطها.

اشتهر إقليم سطات منذ القرن الثالث عشر (19م)  
كمنطقة فلاحية تحتل مكانة متميزة في إنتاج الحبوب  
بالمغرب. وكان لقربه من الدار البيضاء دور كبير في تطور  
النشاط الفلاحي به وفي حركة التمددين التي أعادت هيكلته  
خلال القرن العشرين. غير أن هذا القرب قد تحول إلى مصدر  
من العديد من المعوقات. يتسائل أبرزها في تركيز حركة  
التصنيع بالإقليم على الهوامش المحيطة بالدار البيضاء، وفي  
استقباله للصناعات الملوثة التي اضطرت لقيادة المجال  
الحضري البيضاوي، وفي جلبه العديد من المبادرات الحرة التي  
لا تولى أي اهتمام بالتوازات البيئية من خلال انتشار  
العديد من الوحدات الصناعية داخل المجالات الفلاحية وما  
يصاحب ذلك من انتشار للسكن غير اللائق نتيجة استقرار  
اليد العاملة بطرق عشوائية قرب المصانع. هذا بالإضافة إلى  
تحويل العديد من الصناعات الفلاحية إلى قصور لإيواء  
القنات المسورة من سكان العاصمة الاقتصادية. وبذلك  
يتعزز نفوذ الدار البيضاء داخل هذا الإقليم في اتجاه تحويله  
إلى ضاحية يتخلص فيها عملاق المدن المغربية من العديد من  
مشاكله وتفاياته.

المصطفى شويكي، علاقة مدينة سطات بالشاوية، حوليات كلية  
الأدب والعلوم الإنسانية عين الشق، الدار البيضاء، عدد 5، 1988،  
ص. 77-84.

S. Atraki, *Trois petites villes de la Chaouia intérieure: Sétat, Ben Ahmed, El Gara*, Mémoire de D.E.S., Rabat, 1966 ; C. Barrouquere - Claver, C. Sétat, *centre historique de la Chaouia*, Paris, 1919 ; M. Choukri, *Sétat et son rôle régional*, Thèse de Doctorat de 3ème cycle, Géographie, Université de Tours, 1985 ; Sétat *une ville moyenne au rôle régional compris*, in *Petites villes et villes moyennes dans le monde arabe*, Tours, 1986, T. 2 ; F. Weisgerber, *Casablanca et les Chaouia en 1900*, Casablanca, 1935.

المصطفى شويكي

**السطاش،** وتكتب أيضا بالصاد (الصطاش)، أسرة  
تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية  
تحمل اسم Astaz ؛ وكان مقر سكنها بحومة العيون. وجاء  
في رسم وصية مؤرخ في عام 1193 هـ : "أشهدت السيدة  
خديجة بنت السطاش الأندلسي التطاوني". وقد انقرضت هذه  
الأسرة بتطوان.

م. داود، عائلات تطوان، مخطوط : م. ابن عزوز حكيم، كشاف

عرف محمد بن علي بن سليمان السطفي بحظوته لدى السلطان المريني أبي الحسن الذي اختاره مع آخرين لمصاحبته ومجالسته، فكان يدرس في حضرته ويؤم به ويخطب، ويقوم بإيجاز المهام التي يكلفه بها بين الحين والآخر، كالنظر في المظالم إلى جانبه، حينما كان يجلس بقباب العدل التي أنشأها لتلقي الشكايات؛ أو توزيع صلته على أهل الجزيرة بالأندلس بعد أن استولى عليها العدو صلحا، أو المشاركة في الوفد الذي كلفه السلطان أبو الحسن بخطبة ابنة السلطان أبي يحيى أبي بكر التي عقد عليها قرانه.

كان محمد السطفي، من ضمن كبار العلماء الذين استصحبهم أبو الحسن المريني في حركته إلى إفريقية سنة 1347 / 748. وهناك كان له المقام الرفيع والصيت الحسن، فقد لازمه محمد ابن عرفة وأتم على يده قراءة الحرفية، وجملة من كتاب التهذيب قراءة بحث ونظر، وأخذ عنه محمد ابن خلدون كتاب التبصرة لأبي الحسن اللخمي. كان أبو عبد الله السطفي يحضر مجالس السلطان العلمية بتونس إلى جانب ثلة من الفقهاء والنحاة وغيرهم. وأعجب كثيراً بالفقيهين التونسيين ابن عبد السلام والرماح ونوه بهما.

اشتهر السطفي بمثانة دينه وشدة ورعه حتى وصفه المقرئ في أزهار الرياض، بالرجل الصالح وبولي الله، علاوة على ما يؤثر عنه من كثرة المطالعة والتأمل، والإقلال من الكلام إلى أن يسأل، وكان ذلك دأبه حتى في مجلس السلطان.

حضر موقعة القيروان التي انهزم فيها أبو الحسن سنة 1347 / 748. ثم انسحب صحبة السلطان إلى تونس التي حوصر المرينيون بها مرتين إلى أن قرر أبو الحسن الرجوع إلى المغرب. وفي طريق العودة فاجأت العاصفة الأسطول المريني قبالة ساحل بجاية، وغرق جل من كان فيه ومن جملتهم الفقيه محمد السطفي رحمه الله.

م. ابن مرزوق، المسند الصحيح؛ ج. 1، الرمن ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته؛ أ. بابا التنيكي، نيل الانتهاج؛ أ. بن القاضي، جذرة الاقناس، ج. 1؛ أ. المقرئ، أزهار الرياض، ج. 3، أ. الناصري، الاستقصا، ج. 3.

محمد فتحة

**السطيطو**، بطاء مرققة - أو الستينو أسرة تطوانية أصلها من قبيلة (وادراس) الجبلية القريبة من تطوان من مدينتي (التجالة) ومن غيرها، ما زالت حتى اليوم بتطوان، منهم الفقيه المفتي العربي السطيطو نزيل طنجة.

م. داود، عائلات تطوان، مخطوط.

**السطيطو، العربي بن العياشي بن أحمد بن الطيب** الودراسي التجالي ثم الطنجي، الفقيه العلامة المدرس المفتي النوازي الخطيب المجاهد.

ولد بمجشر (التجالة) من قبيلة ودراس الجبلية التي تقع على بعد خمسة وعشرين كيلومترا من تطوان تقديراً عام 1870 / 1287 وترى في حجر والديه، وحفظ القرآن على

الفقيه محمد بن عبد الرحمن بوتفاح الودراسي، ثم انتقل إلى قبيلة بني حسان فأخذ بها رجزي ابن عاشر المرشد المعين وتحفة الحكام لابن عاصم الغرناطي والفقيه ابن مالك وغيرها. ثم قصد قبيلة بني جرفط مع أخويه الفقيهين أحمد و محمد ومكث بها خمس سنوات بمجشر (لاهورا) يتلقى الفقه وغيره على الفقيه عبد السلام ابن الحاج، وبعدها رحل إلى مدينة فاس لاستكمال دراسته، فأخذ بها عن ألع شيوخها يومئذ الفقيه أحمد ابن الحياط، ولازمه وكان سارد درسه، والمهدي الوزاني وغيرهما، وأجازوه، وأشاروا عليه بالانتصاب للتدريس والفتوى. فرجع إلى مسقط رأسه، ومكث به عاما واحدا إماما ومدرسا بجامعه. ولما رأى اضطراب حبل الأمن واستحالة الاستمرار به، انتقل إلى قرية (العوامة) قرب مدينة طنجة، ومكث بها إماما وخطيباً، إلى أن علم بوجوده السلطان عبد الحفيظ بعد اعتزاله، فاستقدمه لطنجة وأكرمه وعيّنهُ مدرسا لأبنائه، وظل في رعايته يخطب ويدرس ويشهد، ويفتي ويحكم في النوازل المستعصية التي ترفع إليه، إلى أن عزل عن الشهادة والفتوى من القاضي النهاري بسبب امتناعه من مجاراته في قضية، فصار يصدر الفتاوى بأسماء غيره من المفتين للحو. الناس إليه لأن فتواه - كما قيل - كانت تقطع النزاع. هذا مع استمراره في التدريس بالجامع الأعظم. وكانت دروسه تمتاز بالتحقيق واستيعاب ما يقال في الموضوع، ويحضرها تجبا الطلبة والعلماء، ويحكي أن الشيخ شعيب الذكالي زار طنجة وحضر رسالته في الفقه فقال: "إن هذا النفس لا يوجد الآن حتى بفاس".

ومن برور مولاي عبد الحفيظ به أنه ساعده على بناء منزله بضاحية (جامع المقرع) الذي مازال به أولاده إلى الآن وامتحنه الشائر أحمد الريسوني وسُجن مع ثلة من علماء الجيل لامتناعهم عن بيعته ثلاث سنوات. ولما احتل الإسبان قبيلته ودرّاس بعد خروجه من السجن، تولّى قيادة المجاهدين، والإشراف على مقاومة المحتل برياط (الدشّرين) القريب من تطوان.

وبعد تمام الاحتلال اعتزل بمجشر (التجالة) يعبد ربه حتى أتاه اليقين في شهر جمادى الثانية عام 1350 / أكتوبر - نونبر 1931 ودفن ثمة رحمه الله، وخلف أبنا، ولم يترك أثرا إلا فتاواه المتكاثرة بصكوك الدعاوى بأيدي الناس.

م. كنون، سواكب النصر وكواكب العصر، طبع طنجة، ص. 70؛ معلومات شفهية من أخيه السيد الطيب وابنه الأستاذ السيد أحمد بتطوان.

محمد بوخيزة

**سطيك تيرودور** 1868. Steg Théodore 1950، هو

ثاني المقيمين العاميين الفرنسيين في عهد الحماية، خلف المارشال ليوطي، فهو أول من اقتعد كرسي المقيم العام من المدنيين. ولد بمدينة ليبورن Libourne (مقاطعة الجيروند، إقليم بوردو) يوم 19 دجنبر 1868. كان من وجهاء الجمهورية

الثالثة المرموقين. وقد سار في خطي والده جول ستيك الذي كان من بناء الجمهورية ومن مساعدي جول فيري وباقي زعماء الحزب الراديكالي الداعي إلى إخراج فرنسا من التقاليد الواهية والسير بها إلى الأمام بخطى حثيثة. نشأ تيودور ستيك في ذلك الوسط التقدمي نشأة المثقف النابغة، فإنه اجتاز مباراة التبريز في الفلسفة وجاء في الصف الأول على صغر سنه، وأبضا نشأة السياسي المقتنع بأفكاره، المناضل عنها بكل وجوه الجدل. وسرعان ما انتخب نائبا في المجلس الوطني الفرنسي تحت لواء حزبه الراديكالي الاشتراكي الذي كان في العقود الأولى من الجمهورية الثالثة منعوتا بالتطرف إلى اليسار. وتصدر تيودور ستيك المجلس بصفة كونه مقرا عن ميزانية وزارة التعليم. وصار من الخبراء بشؤون الجاسعة. وما لبث أن عين وزيراً للتربية العمومية والفنون الجميلة (مارس 1911 - يناير 1912). وقد عاد إليها بعد ذلك مرتين سنة 1913 ثم سنة 1917، ليتقلب فيما عدا ذلك على عدة كراسي وزارية أخرى، بناء على ما كان يهيمن على النظام الجمهوري من سوء الاستقرار الحكومي.

كان تيودور ستيك وزيرا للداخلية عدة مرات، ووزيرا للعدل، ووزيرا للمستعمرات، بل ورئيسا للحكومة مدة أسبوعين (من 13 إلى 26 دجنبر 1930)، ثم وزيرا للدولة في حكومة الجبهة الشعبية بقيادة ليون بلوم (1936 - 1937). ولكن الذي يعني تاريخ المغرب من شأنه أنه تولى منصب الولاية العامة في الجزائر المستعمرة من 21 يوليوز 1921 إلى أن حل محل ليوطي في الإقامة العامة في الرباط يوم 11 أكتوبر 1925. وظل يمارس وظيفة المقيم العام إلى بداية 1929. وقد كان له بالغ الأثر في مسار الحماية وتاريخ المغرب المعاصر بصفة أعم. ذلك أن الحزب الراديكالي الاشتراكي الذي كان تيودور ستيك من وجهائه وزعمائه لم يبن صرح النظام الجمهوري في فرنسا فحسب، بل إنه بنى أيضا صرح إمبراطوريتها الاستعمارية في آسيا وإفريقيا، علما بأن الرابطة الجدلية بين الأمرين لا صراء فيها. فما كان النظام الجمهوري ليرسو في فرنسا بصفة ثابتة لو لا ما أتيح أمامه من إمكانيات التوسع الاستعماري والانتشار في المعمور، بحيث وجدت الطبقات المتناحرة على الحكم في فرنسا منذ الثورة الكبرى الأولى سنة 1789، متنفسا ومجالا أفرغ فيه ما كان يحفز الشرائح الاجتماعية الفقيرة من أسباب النقمة والغضب. كما وجد أبناء الأرسطراطية الفيودالية مجالاً للقتال وكسب الرتب العسكرية العليا، إذ كان ذلك هو شغلهم وشغل أجدادهم. ووجد البورجوازيون مجالاً لتوظيف أموالهم وتوسيع أفاق الربح السريع. ووجد صعاليك فرنسا مجالاً للتحرر مما كانوا يعانون في أم ديارهم من وجوه الاستغلال والكبت والحرمان. وكان الراديكاليون الاشتراكيون يعتبرون ذلك من أسباب إصلاح خاطر الفرنسيين مع أنفسهم. ومبرره في نظرهم أن رسالة حزبهم على التخصيص ورسالة فرنسا على وجه التعميم رسالة إصلاح ورفي وتقدم. ولا

ينبغي أن تنحصر عند التراب الفرنسي. ولا بد أن تمتد إلى "ما وراء البحار" لتستفيد منها الشعوب التي لم تنعم بعد بفوائد العلم والتقدم العصري. ولذلك كان الراديكاليون الاشتراكيون من أنصار الاستعمار، مدفوعين إلى ذلك بدوافع المصلحة الطبقية ودوافع القناعة واليقين. وبهذه الروح تصرف ستيك بشؤون الجزائر، فهو الذي وضع اللبنة الأولى للاحتفاء بذكرى مرور مائة سنة على احتلال الجزائر، وذلك منذ دجنبر 1923. وبهذه الروح جاء إلى المغرب ليطوي صفحة ليوطي التي كانت أحزاب اليسار قد ستمتها فانتهزت فرصة تفوقها في انتخابات 1924 لتتخلص من المارشال، وتعين مكانه أحد مناضليها تيودور ستيك الذي كان قد عاد من الجزائر في طليعة سنة 1925 ليتقلد مهام وزارة العدل، ثم يعين مقيما عاما في الرباط في أكتوبر من السنة نفسها بقصد تسكين الأوضاع بعد هزة حرب الريف وفتح أبواب الاستعمار أمام كل من هب ودب من الأوربيين خلافا لخطة ليوطي.

وأول ما قام به ستيك من الأعمال أن جعل حداً لحرب الريف. ففتح باب التفاوض مع الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي. ودارت المباحثات في وجدة في مارس 1926. ولكنها انتهت بالفشل نظرا لتعارض ما كان يتوخاه منها كل جانب، فالمجاهدون الريفيون كانوا يرغبون في شكل من الاستقلال الذاتي، بينما كان الفرنسيون ينتظرون منهم استسلاما غير مشروط بعد أن باتت أراضيهم مطوقة بالمجيش الإسباني والفرنسية من كل جانب. وكان يكفي أن تمتد في زحفها داخل أودية الريف ليضطر محمد بن عبد الكريم ورفاقه في الجهاد إلى الاستسلام. وقد فضل الاستسلام كما هو معلوم للجانب الفرنسي. ولعل وجود رجل من اليسار الفرنسي مثل ستيك على رأس الإقامة كان له تأثير في ذلك. وما أن وضعت تلك الحرب أوزارها حتى اشتغل المقيم العام بضمم ما خلفت من الجراح والقلق لتسترسل أعمال استعمار المغرب في تمام الهدوء والاستقرار. ففتح الأبواب أمام كل الراغبين في ذلك، وبخاصة أمام كل من لم يساعدهم الحظ في الجزائر من المرشحين للاستعمار الذين كان ليوطي متحفظا منهم وما تعودوا عليه من الفطرسه والاستخفاف بحقوق أبناء البلد الأصليين. وكان تيودور ستيك على العكس منه يرى أنهم لا يشكلون قواعد حزبه فحسب، ولكنهم أيضا قواعد الوجود الاستعماري الفرنسي فيما وراء البحار، فتخلّى عن كل تحفظات ليوطي وفتح أبواب المغرب في وجه كل من هب ودب من الشرائح الاجتماعية الأوربية الدنيا التي ستدعي بعد حين من الاستيطان أنها هي المالكة للمغرب. وقد اجتهد تيودور ستيك لإرضائها. فإنه تظن بعد ما جرب من شؤون الجزائر أن تدبير شؤون الماء هو سر كل شيء في المغرب. ويعزى له قولة باللغة الشاؤ وهي أن الحكم في المغرب إمطار. وهو الذي أمر ببناء أول سد عصري في البلاد، وهو سد الكتصرة على

وادي بهت، الذي فتح سهول الغرب أمام المعمرين فجعلوها جنات زاهية بشتى أنواع الحوامض. ومن مبادرات تيودور سطيك أيضا، إحداث الغرفة الثالثة في مجلس شورى الحكومة (1926) الذي كان موقوفا منذ نشأته الأولى (1919) على المزارعين وأصحاب التجارة والصناعة من المعمرين، وكان أصحاب المهن الحرة من محامين وأطباء وصيادلة ورجال التعليم لا تمثيل لهم فيه، مع أنه كان بمثابة مجلس استشاري يأخذ المقيم برأيه فيما يرجح لقضايا استعمار المغرب. وكان إحداث تلك الغرفة الثالثة خطوة ملموسة من أجل ترسيخ الوجود الفرنسي. ويرتبط بذلك ما أقدم عليه تيودور سطيك من محاولة تعزيز النظام القضائي الفرنسي في المغرب على حساب الشرائع الإسلامية، وذلك بناء على ما كان متشبعا به من نظريات اليسار العلماني الفرنسي، ومنها أن الأنظمة القضائية الأوروبية متقدمة بكثير على أنظمة الإسلام، وأن السهر على نشرها عبر العالم من أنبل مهام الحركة الاستعمارية. وذهب به الحال إلى حد إدخال الكيوتين (Guillotine) في المغرب، وهي الآلة التي ابتكرها ثوار 1789 لقطع رؤوس المحكوم عليهم بالإعدام. ولكن أخطر ما سار تيودور سطيك إليه، هو التمهيد لإصدار ظهير يفصل القبائل الأمازيغية عن مقتضيات الشرع، على اعتبار أن تلك القبائل غير العربية ليست متمسكة بالإسلام تمام التمسك، ويمكن إدخالها في حيز القضاء الفرنسي كمرحلة أولى على درب العلمنة في المغرب. وهذا الظهير هو الذي أشرف على استصداره خلف تيودور سطيك في الإقامة العامة لوسيان سان. وكان من أسباب تأخر تلك الخطوة الماكرة، مقاومة السلطان المولى يوسف لكل ما كان يعرض عليه من المقترحات التي تمس بقواعد الشريعة الإسلامية ورسوخ جذورها في المغرب. حتى إنه نفر من تيودور سطيك تمام النفور، فإنهما كانا على طرفي نقيض. وامتنع المولى يوسف من التوقيع على ظهير إدخال الكيوتين لمناقضاتها للشريعة، فأمر المقيم العام بالعمل بها دون نشر الظهير في الجريدة الرسمية، لأنها كانت في رأيه أداة ردع مرهبة. كما رفض السلطان الإصغاء لكل ما كان يعرض عليه لفصل القبائل الأمازيغية عن حكم الشريعة. بينما كان للمقيم في ذلك غايات قضائية وأخرى سياسية. وبلغ التناحر بين السلطان والمقيم ذروته بشأن ما لم يخفه تيودور سطيك من التحفظ إزاء الأمير المولى إدريس المقدم لولاية العهد، الذي لم يكن سلوكه لينال رضاه في المغرب، ولا بالأحرى في فرنسا يوم رافق والده في رحلته إلى باريس لتدشين مسجد المحي اللاتيني هناك. ولذلك ما أن توفي المولى يوسف فجأة يوم 17 نونبر 1927 حتى يادر تيودور سطيك إلى السعي في إبعاد المولى إدريس والسعي في بيعه أصغر أبناء السلطان الراحل سيدي محمد الذي كان في السابعة عشرة من عمره، على أن يكون أكثر انصياعا لرغبات السلطات الفرنسية، وأكثر انصياعا مع رياح التجديد التي أثارها الاستعمار. ولم يكن

في حسابان المقيم العام أن هذا العاهل الشاب الذي رضيه الاستعمار أول الأمر هو الذي سيمقتة في نهاية المطاف بعد أن تزعم هو بنفسه حركة المطالبة بالاستقلال. ولكن تيودور سطيك كان من أولئك الذين يرون أن الوجود الفرنسي في المغرب لا شيء - يهدده لا في القريب ولا في البعيد لشدة ما كانت عليه فرنسا من التفوق والمغرب من التخلف. ولذلك دأب على معاملة من ظل يقاوم من القبائل المغربية بتوع من الليونة غير الحالية من الاستخفاف الأبوي. لدرجة أن صهره اختطف في تادلة في خريف 1928. ففضل سبيل التفاوض مع المختطفين وكانوا من قبائل جبال بني ملال، ولم يطلقوا سراح الشخص المختطف إلا مقابل فدية معتبرة من المال ألزموا المقيم العام بأدائها بالسكة المحسنة، مع أن تلك السكة كان قد انتهى التعامل بها في المناطق المحتلة من البلاد، فوجدت السلطات الفرنسية حرجا في جمع المبلغ المطلوب بالسكة المذكورة وفي نقلها إلى حيث طالب المجاهدون بتسليمها. وهل كان لهذه الواقعة أثر على قرار تيودور سطيك في اعتزال الإقامة العامة للعودة إلى احتلال كرسيه عضواً في مجلس الشيوخ؟ الثابت هو أنه غادر المغرب في نهاية سنة 1928 لأنه كان مضطراً للاختيار بين البقاء مقيماً عاماً في الرباط أو المحافظة على مقعده في مجلس الشيوخ، ففضل متابعة مساره السياسي في باريس كما ذكرنا آنفاً. وقد ظل مع ذلك يتتبع أحوال المغرب. حتى إنه جاء في ربيع سنة 1937 على رأس لجنة برلمانية لتقصي وسائل تمويل برامج التنمية الاقتصادية في البلاد بناء على مقترحات المقيم العام يومئذ وهو الجنرال نويس، الذي أدرك أن ما أصبح للحركة الوطنية المغربية من الصيت والنفوذ مرتبط بما حصل من تشردم الجماهير المغربية التي تضررت كثيراً من عواقب الأزمة العالمية ومن الجفاف الذي ضرب المغرب في منتصف الثلاثينيات. وقد كان لتقرير تلك اللجنة ولدعاية تيودور سطيك في صفوف أصدقائه من الجبهة الشعبية تأثير في رصد الأموال اللازمة للنهوض بعدد من الأوراش الاقتصادية والاجتماعية التي ستذكر في ترجمة الجنرال نويس من هذه المعلمة.

توفي في باريس يوم 19 دجنبر 1950.

ع. القاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، طنجة، د. ت : م. ابن الحسن الوزاني، مذكرات، حياة وجهاد، بيروت، 1982، 6 مجلدات.

R. Letourneau, *Evolution politique de l'Afrique du Nord musulmane, 1920 - 1961*, Paris, 1962 ; G. Oved, *La gauche française et le nationalisme marocain, 1905 - 1955*, Paris, 1984, 2 vol. ; D. Rivet, *De l'Avant à Mohammed V*, Paris, 1999 ; J. Luccioni, *Avènement de Sidi Mohammed Ben Youssef au trône du Maroc* (1927), R.O.M.M., XII, 1972.

إبراهيم بوطالب

**السعادة (جريدة -) أسبوعية عربية أسستها المفوضية الفرنسية في طنجة في أكتوبر 1904 وتأتي هذه المبادرة بفعل عوامل مختلفة يمكن حصر أهمها فيما يلي :**

. أدرك الفرنسيون أن الصحافة من الوسائل التي يمكن أن يراهنوا عليها لتحقيق أهدافهم الاستعمارية، فهي تدخل ضمن ترسانة "التدخل السلمي" إلى جانب التعليم والطب وغير ذلك.

. أصبحت الحاجة ملحة في نظر مسؤولي المفوضية إلى إيجاد جريدة عربية تعوض القراء المغاربة عن تلهفهم إلى الصحف العربية المشرقية التي كثيراً ما تتضمن أخباراً وتعليق لا تساير المصالح الفرنسية في منطقة شمال إفريقيا. - اقتنعت هذه المفوضية أيضاً أن الظرف العام، داخليا وخارجيا، كفيل بأن يضمن للمشروع النجاح المرجو لدى القراء المغاربة. فعلى الصعيد الداخلي، كان الناس يتشوقون إلى معرفة تطورات حركة الجيلالي الزرهوني المعروف ببوحمارة. وعلى الصعيد الخارجي، كان من المتوقع أن تشكل الحرب الروسية اليابانية مادة تستقطب اهتمام النخبة المغربية.

القراء المغاربة. فقام الرجل بهذه المهمة حتى 1906 حيث رحع إلى بلده وأنعمت عليه الإدارة الفرنسية بتزقيته إلى منصب قاض شرفي جزاء له على الخدمة التي أسداها للمشروع الفرنسي في المغرب.

وفي السنة ذاتها أسندت الإدارة الفرنسية مهمة تحرير الجريدة للشامي الماروني وديع كرم الذي تفتن بأسلوب أدبي راق في التجاسر على البلاد والعباد. فأنار هذا التوجه على السعادة نقمة صفة من النخبة المغربية التي نعتتها بالشقاوة وبادرت إلى الرد عليها بكتابات أهمها :

- الطاعون : وهي جريدة مخطوطة أصدرها محمد بن عبد الكبير الكتاني سنة 1907.

- مقالة من ستان القلم لتنبية وديع كرم : لصاحبها محمد العابد بن سوذة (طبعة حجرية، فاس، 1908).

- مفاكحة ذوي النبل والإجادة حضرة مدير السعادة. لعبد الحفي الكتاني (طبعة حجرية، فاس، 1908).

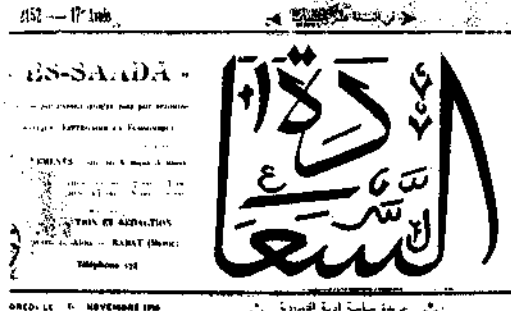
- تنبيه المستبد من حيث على جهله يعتمد (لمحمد بن يحيى الصقلي، طبعة حجرية، فاس، 1908).

- الجيش العرمم لهزم وديع كرم (مخطوطة لمجهول، ألفت سنة 1908).

ولعل أغرب ردود الفعل ضد السعادة تلك التي صدرت عن تجار مغاربة مقيمين بالشرق الأقصى (سنغفورا وجاوا)، ذلك أنهم وجهوا في شأنها رسالة إلى المخزن بتاريخ 3 أكتوبر 1910.

ولما استتب الأمر للفرنسيين بالمغرب بفرضهم لعقد الحماية في مارس 1912، نصب المقيم العام الجنرال ليوطي حاضرة الرباط عاصمة إدارة للبلاد. وفي إطار تنظيم أمورها استقدم إليها جريدة السعادة في أبريل 1913 حيث وكل أمر الإشراف عليها إلى الضابط الفرنسي المستعرب أوجين ماركو، كما تم تزويدها بتعليمات جديدة تجعلها تتفادى المساجلات وكل ما من شأنه أن ينفق قراءها المغاربة المسلمين. وهكذا فإنها أخذت تنشر كل ما يقدم صورة فرنسا على أنها صديقة حميمة للإسلام والمسلمين، وهو ما يتفق تماما مع السياسة التي سلكها ليوطي، خاصة بعد اندلاع الحرب العظمى. ومن جهة أخرى أولت الجريدة للكتابة الأدبية حيزاً كبيراً جعل عدداً غير يسير من القراء في المغرب يقبلون عليها ويساهمون في الكتابة على أعمدتها. وقد تجاوز عدد الذين ساهموا فيها على مدى حياتها الطويلة التي ناهزت نصف قرن خمسمائة كاتب. ولعل أغزر هؤلاء كتاباة الآبية أسماؤهم : محمد الأوراي وعبد الله القباج وعلي العلوي ومحمد بوجندار وصالح أبو رزق ومحمد الغربي وفتي الحفي (اسم مستعار) وأحمد النميشي وعلي الطرابلسي وأحمد الهواري ومحمد السليمانى...

ساهم عدد من الكتاب بأسماء مستعارة وآخرون أغفلوا توقيع مقالاتهم بشكل مقصود لأن السعادة كانت منبراً رسمياً للإقامة العامة ولم يكن المتعامل معها في بعض



التياء الذين يردون الانطواء في حلق شديد الاستسلامات يجب عليهم أن يترنوا في الكفاح الملمح مدة ثلاثة أشهر وبعد ذلك يترنوا مدة شهر آخر بتدبير النبل في مكتب الاستعلامات الأخرى التابع للخدمة العسكرية التي يجهزون بهاها. ومن جهة أخرى في الماسية هو أن نقل عليهم بالخدمة العامة سلماتهم في مراتبهم عطفة ليلتفتروا وما من العدم التي طلب منه مرة أخرى وما من

لم يكن إصدار جريدة السعادة يتجاوز المائة نسخة في بداية مسيرتها. ولكن بعد سنة واحدة ارتفع هذا العدد إلى خمسمائة، وفي السنة التالية بلغ ثمانمائة. وفي أجواء مؤتمر الجزيرة الخضراء، وحرصا على الدعاية لوجهات نظر الدبلوماسية الفرنسية في شأن ما يعرف آنذاك بالمسألة المغربية، تحول إصدار الجريدة الطنجافية إلى مرتين في الأسبوع، وهي وتيرة تسمح بمواكبة التطور السريع للأحداث. وتجدد الإشارة هنا أن القيمين على المشروع سعوا جادين إلى استمالة القراء المغاربة، على قلتهم. ويمكن تتبع وسائل الإغراء بدءاً بعنوان الصحيفة المشحون بفال الخير والتفاؤل في وقت قلت فيه بشائر هذا الأفق. وللغرض نفسه، تم إضفاء رداء إسلامي على الجريدة باستجلاب محرر لها من الجزائر في شخص إدريس الخيزراوي. وقد كلف هذا الأخير، وهو الذي اشتغل بشؤون العدلية في مسقط رأسه تلمسان قبل حلوله بالمغرب سنة 1904، بأن يمر الخطاب الفرنسي على أعمدة السعادة بأسلوب لا يتنافى والمشاعر الدينية لعموم

ومن مناقب ابن سعادة العلمية شهادة أبي الحسن القابسي، التي ذكر فيها أنه "لم يتكلم قط في مسألة حتى يتقنها" (المدارك)، ومنها تفوقه في حفظ الحديث النبوي والفقه على السواء، بحيث فاق غيره في ذلك، مع بلاهة في أمور دينه.

توفي رحمه الله بمصر سنة 355 / 966، وقد بلغ من مكانته عند علمائها في المدة القصيرة التي قضاها هناك أن تنازعه الفقهاء والمحدثون عندما توفي، فكل فريق كان يرى أنه أحق بالصلاة عليه.

ق. عياض، ترتيب المدارك، ج. 6، تج. سعيد أحمد أعراب، الرباط، ط. 1، 1401 / 1981، ص. 277، 279؛ ابن بشكوال، الصلة، تج. السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، ط. 1، 1955، ج. 2، ص. 418، رقم 950؛ ابن الزبير الفرنطاني، صلة الصلة، تج. ع. السلام الهراس وس. أعراب، الرباط، ط. 1، 1414 / 1994، ج. 4، ص. 57، 58؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1974، ج. 1، ص. 174، ج. 2، ص. 279.

محمد المغراوي

**السعداني، هاشم**، من شعراء الملحنون بفاس، وشيخ أشياخها، عاصر مجموعة من فحول شيوخ الملحنون، كالهادي بناني الذي كانت له مساجلات معه في تنويع الراوي على مستوى الموضوع الواحد مع الاحتفاظ بالمرمة.

وقد سماه محمد الفاسي: "محمد بن أبي بكر السعداني، كان له دكان بسوق السبّاط بفاس، وذكر "كولان" في تقييد له أن قصيدة "دُخُولُ وجدة" له مطبوعة على الحجر بفاس. (معلمة الملحنون، ج. 2، ق. 2، ص. 349).

وقد أشار محمد الفاسي في معلمته، أن هاشم السعداني من شعراء الملحنون الذين تنوعت موضوعات قصائدهم، وأدركوا حظوة رفيعة لدى معاصريهم، حتى نالوا لقب "شيخ الشيوخ"، وتعني عندهم "أمير الشعراء"، والشيخ الأثير، الذي يرجع إلى محفوظه وإنتاجاته ومعارفه في كل نازلة من النوازل الأدبية والفنية.

وحين نظم قصيده "دُخُولُ وجدة" وشاع خبرها وذاع، وملأ المحافل والأسماع، لُقّب عند أهل الملحنون، شاعر وجدة، حتى إن البعض جعله من شعراء المنطقة الشرقية، لأنه اشتهر بها أكثر من غيرها وسجل بها احتلال المدينة حيث أدت دوراً كبيراً في الأوساط الشعبية التقليدية، وكانت من الإنتاجات الأدبية التي أسهمت في استنهاض الهمم والتعريف بالقضية الوطنية ويخطر الاستعمار في المنطقة الشرقية يومئذ. ويوجد النص الكامل لقصيدة "دخول وجدة" في الجزء الثالث من "معلمة الملحنون" الصادر لسنة 1990، ص. 143.

وتوجد هذه القصيدة أيضاً مشروحة ومحققة في سلسلة ديوان الملحنون، المحور الثالث، الكتاب الخامس، ص. 206. مطبوعة المناهل للطباعة والنشر - الرباط .. لقد ارتبط هاشم السعداني بعمله اليومي بسوق "السبّاط" بفاس، كما ارتبط

الظروف في متأى عن الغمز واللمز. ومع ذلك، فإن صفحاتها شكلت سجلاً غنياً بمختلف المواضيع التي يمكن ترتيبها حسب أهميتها كالتالي: الآداب - التعليم - الإسلام - الرباط (العاصمة) - السلطان سيدي محمد بن يوسف - فاس المخزن - العلاقات المغربية الفرنسية. وطبعاً، فإن هذا الترتيب يمنح فرصة قراءة تاريخية قد لا تخلو من الفائدة، إنه على كل حال رصيد متنوع عكس مختلف الأنشطة الرسمية وخذ أسماء المسؤولين والأعيان والأدباء والمفكرين. كما شكل مرآة للحياة اليومية للمواطن العادي عندما يقدم للقارئ صورة عن أوضاع السوق والمشاكل اليومية للسكان وتطور العمران، الخ. ولما تزامنت حياة هذه الجريدة مع فترة رزح فيها المغرب تحت الهيمنة الاستعمارية، فإن هذه الجريدة شكلت، علاوة على كل ما سبق، مصدراً أساسياً للتأريخ لهذه المرحلة.

وبعد حصول البلاد على استقلالها، انتهت مهمة جريدة السعادة، فصدر آخر عدد منها يوم 27 دجنبر 1956، وهو العدد 9864.

مجموعة جريدة السعادة، خ. ع. الرباط، أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية في كل من باريس وناظ.

C. René-Leclerc, *La presse au Maroc. Aperçu historique et situation en juillet 1908*, in *Congrès de l'Afrique du Nord tenu à Paris du 6 au 10 octobre 1908. Comptes rendus des travaux*, tome I, Paris, 1909; Margot, *La presse arabe en 1927*, Rabat, s.d. (1927 ?); J. Baïda, *La presse marocaine d'expression française des origines à 1956*, Rabat, 1996.

جامع بيضا

**ابن سعادة، عيسى**، يكنى أبا موسى: فقيه زاهد من أهل فاس، ونسبه ابن بشكوال إلى سجدلماسة. كان من كبار علماء المغرب في القرن الرابع (10 م) وفضلائهم ومشاهيرهم، من طبقة أبي ميمونة دراس ابن إسماعيل الفاسي (ت. 357).

أخذ بفاس عن الفقيه الزاهد جبر الله بن القاسم الأندلسي نزول عدوة الأندلس منها، الذي يعتبر "من أدخل فقه مالك إليها، ومن مشاهير فقهاها ومتقدميهم" (المدارك).

رحل ابن سعادة إلى الأندلس فأخذ عن علمائها مثل أبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم من كبار فقهاء قرطبة وابن الخراز. ثم قام برحلة إلى المشرق سنة 352 / 963 وهو عالم يؤخذ عنه، وصحبه في رحلته عالمان شهيران هما أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي (ت. 392 / 1001) وأبو الحسن القابسي (ت. 403 / 1012) الذي رافقه من القيروان، وقد روى الثلاثة عن حمزة بن محمد الكتاني الحافظ.

وقد تصدر ابن سعادة في طريقه إلى المشرق لنشر العلم، فأخذ عنه بالقيروان الإمام أبو محمد بن أبي زيد القيرواني (310، 386 / 922، 996)، وغيره من علماء عصره. وفي نفس الوقت روى ابن سعادة ورفيقه الأصيلي عن كبار علمائها مثل أبي الحسن بن الإمام، وأبي الحسن علي بن محمد العبدري الدباغ، وأبي العباس عبد الله بن أحمد الأيباني.

بفته. نعم، فإذا كان يدعوهُ إلى التنقل من هنا وهناك، ومن هذه المدينة وتلك، فإن جبه لُفن الملاحون، والتعريف بكتانيته وكراساته، جعله يجمع في رحلاته بين الغابتين معاً : التجارة، والفن. ولعل ظاهرة "شعراء الملاحون الرَّحَّل" انبثقت من ظروف الشعراء الشعبيين الذين كان جلهم يستقر في مدينة واحدة. وهذه الظاهرة تعتبر من الظواهر الاجتماعية، والفنية الفريدة من نوعها، والتي ساعدت بدورها على انتشار فن "الملاحون" في مختلف جهات المغرب وخارجه كالجزائر وتونس وليبيا وموريطانيا.

يعتبر السعداني من شعراء الملاحون الذين استفادوا استفادة كبيرة وهامة من الإنتاجات الأدبية التي كانت تروج لمجموعة من شعراء "المنطقة الشرقية"، مثل الشاعر عبد القادر الجزائري، الذي سبق أن نظم قصيدة طويلة، أرخ بها لاحتلال "الجزائر"، والشيخ الوجدي المعروف بالأكحل، وهو أيضاً من شعراء المنطقة الشرقية الذين ساندوا القضية الجزائرية، كما استفاد السعداني من أشعار أبي عثمان التلمساني، ومن الشاعر أحمد التريكي، والمصمودي، والمغراوي، ومن الشيخ ابن مسايب، والشيخ أحمد عنقود الدالية، ومن غيرهم من فحول شعراء الملاحون القدامى والمعاصرين له. (سلسلة ديوان الملاحون، ع. 1، ص. 206) وحين جاهر الأديب الشعبي، الشيخ الأكحل الوجدي، بالدعوة إلى الجهاد من داخل المنطقة الشرقية، بواسطة قصيدته الزجلية التي ضمَّنها أحداث القطر المجاور "الجزائر"، فإن هذه القصيدة قد فعلت مفعولها في النفوس، وتركت أثراً طيباً في نفس هاشم السعداني، فحذا حذوه، وأخذته الغيرة من الاحتلال الذي تعرضت له مدينة "وجدة" سنة 1907، فنظم قصيدته المعروفة بـ"دخول وجدة" وفي حريتها "أي اللازمة" يخاطب المسلمين عامة، وسكان المنطقة الشرقية خاصة، فهو يستغيث بهم، ويدعوهم إلى البكاء، كما بكى كل غيور على ما أصاب سكان المدينة من إذلال، وخضوع للمستعمر الغاشم، الذي دخل ديارهم، في واضحة النهار، وقد غنمها بدون حرب ولا مواجهة. يخاطب أهل المدينة "وجدة" في لازمة قصيدته التي تتكرر عدة مرات، مع كل قسم من أقسام هذه القصيدة التي بلغ عددها (23) قسماً، واقتربت أبياتها من مائتي بيت، وكل قسم يتكون من مجموعة أبيات، وكل بيت يتألف من شطرين، يلزم كل قسم "عروبي"، يتكون من مجموعة أشطار وردمة، تقول "حرية" هذه القصيدة ما نصّه :

يَا سِلَامُ الْبُكْرَا عَلَى دُخُولِ وَجْدَة

دُونِ حَرْبٍ، اغْتَمَّهَا لَعْدُو، وَقَالَ السُّرَادُ

توفي الشيخ هاشم السعداني بفاس في أواسط شهر رمضان عام 1352 / أوائل يناير 1934.

م. الفاسي، معلمة الملاحون، ج. 2، ق. 2 : الجزء الثالث، الرباط، 1990.

عبد الرحمن المحوني

- السعدي ← أحمد الأعرج ابن محمد القائم بأمر الله  
السعدي ← أحمد بن محمد الشيخ الأصغر (مولاي العباس)  
السعدي ← أحمد المنصور الذهبي بن محمد الشيخ المهدي  
السعدي ← الحران بن محمد الشيخ المهدي  
السعدي ← أبو حسون محمد بن زيدان بن أحمد الأعرج  
السعدي ← داود بن عبد المومن  
السعدي ← زيدان بن أحمد الأعرج  
السعدي ← زيدان بن أحمد المنصور  
السعدي ← عبد الرحمن بن محمد الشيخ المهدي  
السعدي ← عبد القادر بن محمد الشيخ المهدي  
السعدي ← عبد الله بن أحمد المنصور (الزبدة)  
السعدي ← عبد الله الغالب بن محمد الشيخ المهدي  
السعدي ← عبد الله بن محمد الشيخ المامون  
السعدي ← عبد الله بن اليزيد (مقاوم)  
السعدي ← عبد الملك بن أحمد المنصور الذهبي  
السعدي ← عبد الملك بن زيدان بن أحمد المنصور  
السعدي ← عبد الملك بن أبي فارس  
السعدي ← عبد الملك بن محمد الشيخ المامون  
السعدي ← عبد الملك المعتصم بن محمد الشيخ المهدي  
السعدي ← عبد المومن بن محمد الشيخ المهدي  
السعدي ← عثمان بن محمد الشيخ المهدي  
السعدي ← علي بن أحمد المنصور الذهبي  
السعدي ← عمر بن محمد الشيخ المهدي  
السعدي ← أبو فارس بن أحمد المنصور  
السعدي ← محمد الشيخ الأصغر بن زيدان بن أحمد المنصور  
السعدي ← محمد الشيخ المامون بن أحمد المنصور  
السعدي ← محمد الشيخ المهدي بن محمد القائم بأمر الله  
السعدي ← محمد بن عبد القادر  
السعدي ← محمد بن عبد المومن  
السعدي ← محمد القائم بأمر الله (المؤسس)  
السعدي ← محمد المتوكل بن عبد الله الغالب (المسلوخ)  
السعدي ← محمد بن محمد الشيخ المامون (زغودة)  
السعدي ← منصور بن محمد الشيخ المهدي  
السعدي ← الناصر بن عبد الله الغالب  
السعدي ← الوليد بن زيدان بن أحمد المنصور  
السعدية ← مريم بنت محمد المهدي الشيخ

السعديون، أسرة شريفة حكمت المغرب خمسين ومائة عام (1069. 915 / 1509 - 1658) وتعد الدولة المغربية السادسة بعد الأدارسة والمرابطيين والموحدين والمرينيين والوطاسيين. وكانوا أيام سلكهم يُدعون بالشرفاء - الزيدانيين الحسينيين، نسبة لمجدهم زيدان بن أحمد بن قاسم من ذرية الحسن بن علي وفاطمة الزهراء. وأحمد بن قاسم هذا أتى به



وخلال عام 915 / 1509 استدعى الشيخ محمد بن مبارك الشريف محمد بن عبد الرحمن الدرعي إلى زاوية أقا، واتفقا على المبادئ والوسائل، وحضرا في السنة الموالية تجمعا عاما في زاوية تيدسي بضاحية تارودانت، حيث بايع الحاضرون الشريف محمد بن عبد الرحمن أميراً للمومنين ولقبوه بالقائم بأمر الله. فقام بالجهاد هو وولده البكر أحمد الأعرج والصغير محمد أمغار الذي لقب فيما بعد محمد المهدي الشيخ.

طالت مرحلة تأسيس الدولة السعودية خسباً وأربعين سنة (915. 961 / 1509. 1554) لثلاثة أسباب :

أولاً : ضعف الوسائل المادية لديهم في هذه الفترة إذ لم يكن لهم بيت مال منظم، ولا مداخل خزانة غير الزكاة الشرعية نظراً لاحتلال الثغور واختلال شؤون الفلاحة والتجارة، والتعبئة العامة للسكان لمهاجمة المحتلين على طول سواحل سوس وعبد ووكالة، وبالتالي ضعف التسليح.

ثانياً : قوة الخصم المتجددة بما كان يتلقى من إمدادات بشرية وسلاح بواسطة سفن لا تفتأ غادية رانحة بين الموانئ البرتغالية والثغور المغربية المحتلة.

ثالثاً : مناوشات الوطاسيين ملوك فاس الذين كانوا يناصرون في البداية الشرفاء السعوديين كمجاهدين يقاومون الاحتلال الأجنبي في الجنوب، لكن بعد أن حقق السعوديون انتصاراتهم الأولى ووسعوا رقعة نفوذهم في بلاد الحوز قلب الوطاسيون لهم ظهر المجن واستجمعوا قواهم، وهاجموهم أكثر من مرة.

وقد تمكن محمد المهدي الشيخ المقيم في تيدسي ثم في المحمدية (تارودانت) خلال هذه الفترة من تحسين الوضع المادي للدولة الناشئة بتحكمه في تجارة القوافل الصحراوية مع السودان، وتنشيط زراعة قصب السكر وتصفيته، وإعادة فتح التجارة البحرية مع الأوربيين بعد أن طرد البرتغاليين من سواحل سوس وهدم على رؤوسهم حصن فونتي وأنشأ على أنقاضه مدينة أگادير سنة 947 / 1541، ومن ثم تزود بما يحتاج إليه من سلاح ناري بواسطة سفن الهولنديين والفرنسيين الذين قايتهم به السكر والشع والنيلة وغيرها من منتجات سوس. ومهد أحمد الأعرج المقيم في مراكش بلاد الحوز وحرر قبائل عبدة ووكالة من نير البرتغاليين وإتاداتهم الجائرة بعد أن أرغمهم على الاعتصام بأسوار الحصون التي يحتلونها، وأنهى الحروب المتكررة مع الوطاسيين بصلح مشروع بوعقبة سنة 943 / 1536 الذي قسم المغرب إلى شمال للوطاسيين وجنوب للسعديين.

اعتبر محمد المهدي الشيخ أخاه أحمد الأعرج عاجزاً قصير النظر، فاعتقله سنة 951 / 1545، وياشر بنفسه قطع المراحل الباقية لتمهيد البلاد وتوحيدها، يساعده في ذلك ولده البطلان المغواران : الحرآن وعبد القادر، ويسانده شيوخ التصوف، فقضى على نفوذ الوطاسيين في بلاد تامسنا

الدرعيون من ينبع النخل بالجزيرة العربية في أواخر القرن السابع (13 م) كما أتى أهل سجلماسة من بعده بأخيه الحسن الداخل جد الشرفاء العلويين، لتصلح ثمارهم وتسلم من العاهات. ولم تطرح قضية نسب السعديين إلا في أواخر دولتهم لما ضعفوا وتار عليهم العلويون وغيرهم في مناطق متعددة. وجاء في رسالة لسحمد بن الشريف أمير تافيلالت رداً على رسالة عتاب بعث بها إليه سلطان مراكش محمد الشيخ الأصغر بن زيدان بن أحمد المنصور : "وعتابكم أننا عزيزناكم لبني سعد بن بكر بن هوازن ... تالله ما فهنا بذلك عن معايرة لكم ولا جهلا بكم... بل اعتمدنا في ذلك بعد الله على ما نقله الشقاة المؤرخون لأخبار الناس من علماء مراكش وتلسان وفاس ومكناسة الزيتون، ولقد أمعن الكل التأمل بالذكر والفكر فما وجدوكم إلا من بني سعد بن بكر". والحق أن التشكيك في نسب الشرفاء الزيدانيين ونعتهم بالسعديين كان عملاً سياسياً لتحطيم ما بقي من نفوذهم وجاههم، ثم اختفت ظاهرة التشكيك لدى العلويين أنفسهم بعد أن توطد ملكهم وأصبحوا يعلنون شرف الزيدانيين "السعديين" وقرباتهم منهم. وذكر الزباني في الترجمان المغرب (ص. 343) حواراً طويلاً مباشراً مع السلطان سيدي محمد بن عبد الله حين جرى في مجلسه ذكر السعديين وذكر له الخلاف الذي جرى في ثبوت نسبهم "قال لي - رحمه الله - اسكت ولا تعد لهذه المقالة، فإنهم إخواننا وبنو عمنا وجدنا وجدهم واحد، وقربتنا وقربتهم بالينبوع واحدة يقال لها بنو إبراهيم، وجدهم أحمد خرج للمغرب قبل جدنا حسن بنحو الثلاثين سنة، وهما أخوان..."

كان كبير الشرفاء الزيدانيين في مطلع القرن العاشر (16 م) فقيهاً وجيهاً يدعى محمد بن عبد الرحمن يعلم الصبيان القرآن في أحد قصور واحة تاگمادارت في الضفة الشرقية لنهر درعة، في وقت كانت بلاد ما وراء الأطلس موكولة إلى نفسها لا أثر فيها لنفوذ الوطاسيين، والبرتغاليون يعيشون في سواحلها فساداً، ولا سلطة تقف في وجههم إلا جماعات متفرقة من المجاهدين المنتسبين إلى الزوايا الجزولية الشاذلية في تافيلالت ودرعة وسوس. وكان زعيم السوسيين في الجهاد ضد البرتغاليين المحتلين لمنطقتي فونتي وماسة هو الشيخ بركات بن محمد التيدسي، وكان البرتغاليون يفاجئون السكان بغاراتهم فيستفزونهم من قراهم ويأسرون من رجالهم ونسائهم وأطفالهم، فيسعى الشيخ بركات في فداء الأسرى وعقد هدنة لمدة محدودة فيأبى البرتغاليون أن يفاوضوا إلا أميراً سياسياً الأمر الذي دفع سكان الجنوب إلى التفكير في إقامة حكومة جديدة قادرة على مواجهة الأوضاع المتردية وتبني الفكرة الشيخ بركات والشيخ محمد بن مبارك صاحب زاوية أقا. وعرضت عليهما رئاسة هذه الحكومة فأبى إلا مبيعة شريف درعة لشجاعته وكفايته في قيادة المجاهدين ونسبه القرشي الذي لا يعارض فيه أحد من سكان المغرب قاطبة.

والغرب وسائيس، وتم توحيد المغرب تحت سلطة السعديين يوم السبت 24 شوال عام 961 / 22 شتير 1554، وهو اليوم الذي تمكن فيه محمد المهدي الشيخ من صرع آخر الوطاسين أبي حسون على أبواب مدينة فاس، وتمزيق أنصاره من الأعراب وأتراك الجزائر.

ساعت بعد ذلك العلاقات بين محمد المهدي الشيخ وشيوخ الزوايا لماً حرمهم من الامتيازات وفرض عليهم "النائبية"، وبينه وبين أتراك الجزائر الذين طاردهم إلى ما وراء مجرى نهر شلف. ودفع حياته ثمناً لسياسة التحدي هذه حيث اغتيل على يد جماعة من المحتالين الأتراك. وعاش المغرب بعد ذلك نحو عقدين من الزمن في هدوء نسبي مع عبد الله الغالب الذي صرف عنايته للتعبير والتعليم، فرمّم مآثر مراكش وشيّد فيها جامع الأشراف بحومة المواسين والمدرسة العجيبة بجوار جامع ابن يوسف. لكنه لما عهد بالخلافة لابنه محمد المتوكل، أنف من ذلك أخواه عبد الملك المعتصم وأحمد، وكانا لا يجتن عند العثمانيين، فدخلوا إلى المغرب على رأس جيش تركي، واستطاعا أن يزيحا عن العرش محمداً المتوكل الذي التحق بعد هزائمه بسيبستيان ملك البرتغال متطرحاً عليه.

لم يكد عبد الملك المعتصم يستلم مقاليد الأمور ويبدأ في تنظيم الجيش المغربي على صورة الجيش التركي نظاماً ولياساً وأسلحة حتى نزلت القوات البرتغالية في ناحية العرائش والقصر الكبير مع محمد المتوكل المخلوع لا كتساح البلاد.

وجرت معركة وادي المخازن الحاسمة أو معركة الملوك الثلاثة يوم الاثنين مسم جمادى الأولى عام 986 / 4 غشت 1578 هلك فيها غرقاً في الوادي كل من سيبستيان ملك البرتغال، ومحمد المتوكل (المسلوخ). كما مات في بداية المعركة عبد الملك المعتصم، وكان مريضاً محمولاً على محفة، فأخفي خبر موته إلى ما بعد انتهاء المعركة. ومات مع سيبستيان أو أسر معظم نبلاء البرتغال، وافتُدي الأسرى بمبالغ طائلة أخلت بيت مالهم فاضمحل شأن البرتغال وضُمَّت بلادها وممتلكاته إلى التاج الإسباني، وبقي كذلك نيافاً و ستين سنة.

بويح أحمد أخو عبد الملك على أرض المعركة ولُقب بالمنصور ثم الذهبي، وبإيعنته بعد ذلك حواضر المغرب وبواديه، واستمر ملكه ستاً وعشرين سنة (986-1012 / 1578-1603) ويعتبر أحمد المنصور الذهبي واسطة عقد السعديين وعهد أزهى عهود هذه الدولة رخاءً وعلماً وعمراً وقوة وجاهاً. وهو الذي بدأ ربط العلاقات السياسية والاقتصادية مع الأوربيين وبخاصة إنجلترا. ومهد بلاد الصحراء ونظّم قوافلها التجارية وفتح بلاد السودان سنة 999 / 1591 وانتشر نفوذه إلى حوضي النيجر والسينغال، وشيّد خلال سبع عشرة سنة مراكش قصر البديع الذي لم يُسمع بمثله سعة وزخرفة وتذهيباً. وقد هدمه المولى إسماعيل غير تارك منه سوى الأطلال، لكن كتاب مناهل الفشتالي

احتفظ بوصف دقيق واف لهذا القصر العظيم. كما شيّد المنصور أو وسّع وزيّن مساجد وخزان علمية وقلاعاً وحصوناً حربية وقناطر ومصانع السكر بمراكش وحاحه والسوس الأقصى، فكثرت السكر في أيامه وصار يصدر إلى أوربا.

ولما مات أحمد المنصور سنة 1012 / 1603 تنازع أبناؤه على الملك : زيدان ومحمد الشيخ المامون وأبو فارس، وقامت حرب أهلية مريعة في فاس ومراكش وسائر الجهات هلك فيها كبار قواد الجيش ومعظم الجنود، وهلك فيها أيضاً الأمراء أبو فارس ومحمد الشيخ المامون وابنه عبد الله، واستقر زيدان أخيراً في مراكش منهوك القوى صارفاً نظره عن فاس وشمال البلاد.

توارث أبناء زيدان وأحفاده ملك مراكش، فلم تكن تطول مدتهم ويقتلون علناً أو غدرأ، لأن الثورات لم تنقطع. وأشهر الثوار على السعديين في عصر الاضطراب :  
- الدلائيون في الأطلس المتوسط، كونوا إمارة قوية امتد نفوذها شمالاً إلى السواحل الأطلسية وبلاد الغرب بما في ذلك سلا ومكناس وفاس.

- والسملاليون في إيبلغ شمل نفوذهم بلاد السوس وما جاورها جنوباً.

وانتهت دولة السعديين بقتل أحمد العباس حفيد زيدان سنة 1069 / 1658 بيد أخواله الشبانان. ومازال يفاس أستران تَحملان اسم "السعدي" إحداهما شريفة يظن أنها من بقايا الملوك السعديين، منهم آل المنجرة الشرفاء.

وهذه قائمة الملوك السعديين ومدّة حكمهم :  
- محمد بن عبد الرحمن القائم بأمر الله (915 . 923 / 1509 . 1517)

- أحمد الأعرج بن محمد بن عبد الرحمن (923 . 951 / 1517 . 1545)

- محمد المهدي الشيخ بن محمد بن عبد الرحمن (951 . 964 / 1545 . 1556)

- عبد الله الغالب بن محمد المهدي الشيخ (964 . 981 / 1556 . 1573)

- محمد المتوكل بن عبد الله الغالب (981 . 1573 / 983 . 1575)

- عبد الملك المعتصم بن محمد المهدي الشيخ (983 . 986 / 1575 . 1578)

- أحمد المنصور الذهبي بن محمد المهدي الشيخ (986 . 1012 / 1578 . 1603)

- أبو فارس بن أحمد المنصور (1012 / 1603)

- محمد الشيخ المامون بن أحمد المنصور (1012 / 1603)

- زيدان بن أحمد المنصور (1012 . 1037 / 1603 . 1627)

- عبد الملك بن زيدان (1037 . 1040 / 1627 . 1630)

- الوليد بن زيدان (1040 . 1045 / 1630 . 1635)

- محمد الشيخ الأصغر ابن زيدان (1045 - 1056 / 1635 - 1646)

- أحمد العباس بن محمد الشيخ الأصغر (1056 - 1669 / 1658 - 1646)

ع. العزيز الفشتالي، مناهل الصفا، نج. ع. الله كنون، تطاون، 1964 : أ. ابن القاضي، المتنقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، نج. م. رزوق، الرباط، 1986. رائد الفلاح بعوالي الأمازيغ الصحاح، نج. م. البوعناني، د.د.ع. مرقون، كلية الآداب، الرباط ؛ أ. المنجور، فهرس، نج. م. حجي، الرباط، 1979 ؛ أ. ابن أبي محلي، إصليت الحرير، مخطوط ؛ م. ابن عسكو، دوحه الناشر، نج. م. حجي، الرباط، 1976 ؛ قاسم ابن القاضي، تنوير الزمان بقدم مولانا زيدان، مخطوط ؛ أ. بابا التنيكني، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، نج. م. مطيع، المحمدية، 2000؛ ع. التسكروتي، النفحة المسكية في السفارة التركية، طبع مصوراً في باريز، د. ت. ؛ مصطفى الجنابي، البحر الزخار والفيلم التسيار، مخطوط ؛ شهاب الدين الخفاجي، خيايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا، مخطوط ؛ ربحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، بولاق مصر، 1866 ؛ محمود كعت، تاريخ الفتن في أخبار البلدان والجيش وأكابر الناس، نج. هوداس ودولافوس، أنجي، 1913 ؛ مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمادية، نج. كولان، الرباط، 1934 ؛ ع. الرحمن السعدي، تاريخ السودان، باريس، 1898 ؛ أ. المقرئ، روضة الأس، الرباط، 1964 ؛ ع. الرحمن بن عبد القادر القاسي، لمحة في تاريخ دولة الشرفاء، مخطوط ؛ م. الإقراني، نزهة المحادي، نج. ع. اللطيف الشاذلي، الدار البيضاء، 1998 ؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا، تر. م. حجي وم. الأخضر، ط. 2، بيروت، 1983 ؛ مازمول كريبخال، إفريقيا، تر. م. حجي وآخرين، الرباط، 1984، ج 1 و 2 ؛ ديكودي طريس ؛ تاريخ الشرفاء، م. حجي وم. الأخضر، سلا 1988 ؛ س. الحوات، البور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلانية، مخطوط ؛ أ. الناصري، الانتصا، الدار البيضاء، 1954، ج. 5 ؛ م. حجي، الحركة الفكرية، المحمدية، 1976 ؛ الزاوية الدلانية، ط. 2، الدار البيضاء، 1988 ؛ إ. حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعدي، الدار البيضاء، 1987 ؛ إ. شحاتة، معركة وادي المخازن في تاريخ المغرب، الدار البيضاء، 1979 ؛ أ. بوشرب، دكالة والاستعمار البرتغالي، الدار البيضاء، 1984 ؛ ع. الهادي التازي، قصر البديع، البحث العلمي، عدد 28، 1978 ؛ م. العربي الحفظاني، أمير سعدي في خدمة البلاط الإسباني، المناهل، عدد 13، 1978 ؛ ع. القادر زبانية، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، الجزائر، 1971 ؛ ع. الكرم كرم، المغرب في عهد الدولة السعدية، الدار البيضاء، 1977 ؛ ع. السلام ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون.

G. Aimel, Le Palais d'El-Badi, A.B., III, 1918 ؛ P. Berthier, Les anciennes sucreries du Maroc, Rabat, 1996 ؛ A. Cour, L'établissement des dynasties des chérifs au Maroc, Paris, 1904 ؛ J. Démucé, L'Afrique au 16<sup>e</sup> siècle et le commerce anversois, Anvers, 1937 ؛ G. Deverdun, Marrakech des origines à 1912, 3 vol., Rabat, 1959 ؛ A. Dziubinski, L'armée et la flotte de guerre marocaine à l'époque des sultans de la dynastie saâdienne, H.T., vol. XIII, fasc. unique, 1972 ؛ Ch. A. Julien, Histoire de l'Afrique du Nord, Paris, 1952 ؛ R. Le Tourneau, Les débuts de la dynastie saâdienne jusqu'à la mort de Muhammad ach-Chaykh, 1557, Alger, 1954 ؛ L. Massignon, Le Maroc dans les premières années du 16<sup>e</sup> siècle, Alger, 1906 ؛ P. Masson, Histoire des établissements et du commerce français, 1560 - 1793, Paris, 1903 ؛ J. Meunier, Le grand riad et les bâtiments saâdiens du Badi à Marrakech selon le plan publié par Windus, Hesp., 1 et 2 trim, 1957 ؛ Ch. Penz, Les captifs français du Maroc au 17<sup>e</sup> siècle, Paris, 1944 ؛ G. Pianel, Conquête du Soudan par Moulay al-Mansur, Hesp., 1953.

محمد حجي

**سَعُود**، أسرة تطوانية عريقة انقرضت، ذُكر منها عام 1116 قاسم بن محمد سَعُود. وفي أسفل شارع المصلح القديم ضريح عليه قبة من طراز قباب صلحاء البلد الأقدمين يسمى سيدي سَعُود. عده سكيرج والرهوني من صلحاء البلد ولم يذكرنا عنه شيئاً. وأحسب أنه أندلسي لأنه دفن حيث كانت تطوان القديمة في القرن السادس (12 م) فما بعده، وعلى بُعد بضعة أمتار من ضريحه يقع (الجامع الحضراء) من أقدم مساجد تطوان أو أقدمها، وقد تحيفها الناس ولم يتروكا منها إلا القليل، وجُدد الباقي الآن.

أ. الرهوني، عمدة الراويين، مخطوط ؛ م. داود، عائلات تطوان، مخطوط.

محمد بوخيزة

**سعيد** (ابن -) أو بنسعيد، أسرة سلوية عريقة، أصلها من صنهاجة سوس من فرقة الركنيين، قدموا إلى سلا في القرن الثامن (14 م) على عهد السلطان أبي عنان المريني كحرفيين وأنجبت بيوتات منهم ولادة وأمناء وعدولاً. ويوجد أبناء سعيد أيضا في فاس ومكناس وغيرهما، قال صاحب إزالة الالتباس (2 : 186) : "وقفت على أن أولاد ابن سعيد الذين هم بمدينة سلا وفاس ومكناس أصلهم واحد من سلا انتقل البعض إلى فاس وإلى مكناس".

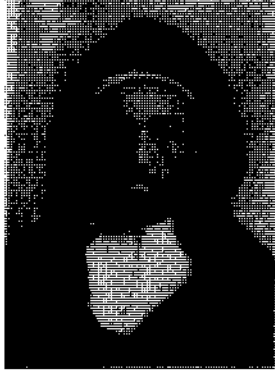
ويرى محمد ابن عزوز حكيم أن أسرة ابن سعيد التطوانية أصلها من الأندلس، حيث ظل هناك بعض أفراد الأسرة بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Zacte - Çahet - Çæet ؛ ولم تهاجر هذه الأسرة مباشرة من الأندلس إلى تطوان بل توجهت إلى مدينة سلا ومنها أتت إلى تطوان حيث تعرف بهذا الاسم ابن سعيد وأولاد السلاوي. ومنهم أحمد ابن سعيد الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1212 إلى سنة 1215 (1798 - 1800).

ج. الناصري، بنو سعيد السلاويون منشور في كتابي التعريف ببني سعيد، 1 : 297؛ م. المختار السوسي، المعسول، 16 : 145 ؛ ع. السلام ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون في جزءين ؛ م. بوشعرا، الأصول الاجتماعية لأهل سلا، مخطوط ؛ م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطوان، تطوان 1999، رقم 345.

**ابن سعيد، إدريس بن عبيد الله السلوي، أديب وصحافي.** ولد بسلا عام 1300 / 1883، وعاش بطنجة. أخذ عن علماء بلده وعلماء فاس، وحضر بعض مجالس الشيخ محمد ابن عبيد الكبير الكنتاني. تعلم الإسبانية بطنجة، وأتقنها بعد انخراطه في أسلاك الإدارة الإسبانية، وتعلم الفرنسية على يد محمد كُدُودُو الغزولي الجزائري ترجمان الحاج محمد المقرئ. ثم شارك في تحرير جريدة "الإصلاح" لسان الإقامة العامة الإسبانية بتطوان. وكلفتها السلطات الحامية بمهام دقيقة للاتصال بأحمد الريسوني فسجن لذلك

من أعيان سلا المرموقين. كان عضواً مستشاراً باللجنة البلدية بسلا في عهد الحماية. وكانت له خزنة كتب ووثائق ورثها عن أبيه وجده فكان يقدمها للراغبين في معرفة تاريخ المغرب.

ولد بطنجة عام 1315 / 1898 وتوفي بسلا فجر يوم الجمعة 4 شوال 1411 / 19 أبريل 1991 ودفن بالزاوية القادرية.



وثائق آل ابن سعيد.

**ابن سعيد، محمد بن أحمد، السلوي، فقيه ومحدث وصوفي،** كان مدرساً بالزاوية الكتانية بسلا، تحول بعدد من مدن المغرب، وسافر إلى مصر وحج عدة مرات، ولما احتلت فرنسا الدار البيضاء سنة 1907 سافر بأهله إلى الحجاز ومات هناك محرماً ودفن بالمعلاة بمكة.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 7: 144؛ م. بوشعراء، دليل الإتحاف الوجيز، ص. 199.

**ابن سعيد، محمد (الحاج -) بن محمد بن محمد (ثلاثاً).** عامل سلا من سنة 1278 / 1862 إلى وفاته سنة 1310 / 1893. كان أول أمره أميناً بأسفي إلى أن سُمي عاملاً على مسقط رأسه؛ وكان سنة 1283 / 1865 سفيراً ثانياً مع الحاج محمد الشركي إلى فرنسا لدى الملك نابوليون الثالث. وقد خلف وثائق كثيرة حفظها حفيده الحاج العربي ابن عبد الله بخزنته وضمها إلى وثائق والده. ومنها أيضاً رحلته إلى فرنسا، نشرت في الجزء الأول من التعريف.

كان فقيهاً نابهاً وكيساً، وتأثر كثيراً.

ج. الناصري، بنوسعد السلاويون؛ م. بوشعراء، التعريف، ج. 1؛ دليل الإتحاف الوجيز، 199، ص. 2؛ وثائق بنسعيد.

مصطفى بوشعراء،

**ابن سعيد، محمد شيخ الملحنون السلاوي،** ولد سنة 1341 / 1923. وقد أحس في نفسه الميل إلى طرب الملحنون وعمره لا يتجاوز الثانية عشرة، ويرجع الفضل في ذلك إلى الجو الفني الذي نشأ فيه. فقد كان خاله الحاج عبد القادر البهلول من مشهورين حفاظ قصائد الملحنون، وكان بيته بسلا

ثلاث سنوات بجزر كبدانة من 1916 إلى 1918، ويرجال ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي في شأن تحرير الأسارى الإسبانين لديه، فتحت مصالح الحماية تحقيقاً في شأن ولاته لها، فأخذت تحسّط منه، ولم تمض شهور قليلة حتى وقع اغتياله عند خروجه من المعسكر الإسباني بالكديّة الحمراء، بقبيلة تافرسيت على يد الجناح المتصلب من الإسبانين، لكنها تظاهرت بعطفها عليه وشيعت جنازته إلى مقبرة سيدي وارياش قرب مليلية.

كان مولعاً بالأدب ومطالعة الصحف، ويقال إنه ترجم إلى العربية مقالات ومسرحيات إسبانية، لكن عليه مأخذ من أجل ولاته لإسبانيا وكتابته بجريدة "الإصلاح"، ثم تلبسه بالحماية الإسبانية، تقيّة أو خوفاً من العودة إلى السجن. وكان يسافر إلى الخارج والتقى مرات عديدة في إسبانيا بالسلطان عبد الحفيظ بن الحسن المنفي هناك.

وتوفي غيلة بنواحي الريف يوم 29 شوال 1342 / 14 يونيو 1923.

م. بوشعراء، التعريف، 1، ص. 44-43؛ م. ابن عزوز حكيم، ومضات مضبنة عن الحرب الريفية من خلال مذكرات شاهد عيان إسباني، 32-35-41-42-44-180-181؛ ع. الفاسي، المحركات الاستقلالية بالمغرب العربي، ص. 118؛ م. بوشعراء، دليل الإتحاف الوجيز، ص. 199؛ وثائق آل بنسعيد.

**ابن سعيد، عبد الله بن الحاج محمد السلوي.** عامل سلا بعد وفاة أبيه سنة 1310. ولد بسلا سنة 1282 / 1865. عين أميناً بمرسى العدوتين ثم أميناً بمرسى طنجة سنة 1312 مع احتفائه بالولاية على مسقط رأسه. وفي سنة 1896 نشب خلاف بينه وبين قاضي سلا الحاج علي عواد فنقل عواد إلى القضاء بالجديدة وعين بنسعيد بدار النيابة بطنجة. وفي سنة 1905 أُقيل من منصبه بعد زيارة إمبراطور ألمانيا غليوم الثاني لطنجة. وبقي عاملاً على سلا إلى أن عزل في السنة نفسها من جميع وظائفه لاتهامه بالميل إلى ألمانيا. ولكن مولاي عبد الحفيظ رده وعينه خليفة لمحمد الكباص نائبه بطنجة، ومكث هناك إلى أن نُفي خلال سنوات الحرب العظمى إلى الجديدة، وما كاد يفرج عنه سنة 1919 حتى أُبعد إلى وجدة طيلة سنتين لأنه كان متضامناً مع تجار العدوتين في رفض فرض ضريبة البطانظا عليهم، وكان كثير النقمة على السلطات الفرنسية.

كان رجلاً قوي الشكيمة، شديد الغيرة على وطنه ولغته وأصالته، وخلف مراسلات ووثائق وبرنامجا إصلاحيا نشر بعضها في "التعريف" يشهد له بذلك. وقد ورث ثروة كبيرة عن أبيه وجده.

توفي بسلا سنة 1342 / 1924.

م. بوشعراء، التعريف، 1 و 2 في صفحات مختلفة؛ دليل الإتحاف الوجيز، 199، ط. 2.

**ابن سعيد، العربي (الحاج -) بن عبد الله، فقيه أديب**

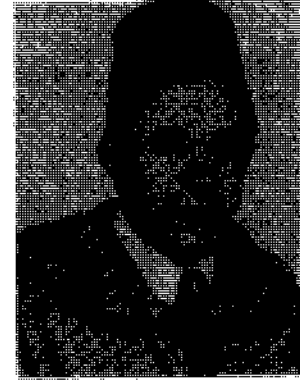
المدوية السامية لقداما، المقاومين وأعضا، جيش التحرير، نهضة،  
الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 521220.

أبو سعيد الأول، عثمان بن عبد الحق المريني، عرف  
بلقبه المختصر وهو أبو سعيد الأول كما اشتهر عند زناتة  
باسم أدريغال ومعناه الأعور. ولد سنة 593 / 1197 أو 597 /  
1201 وعاش في كنف والده وتربى على الفروسية وحمل  
السلح، وعندما اشتد عوده شارك والده عبد الحق بن محبو  
جد ملوك بني مرين في حروبه ضد الموحدين بالشمال الشرقي  
من المغرب الأقصى. وبعد مقتل والده وأخيه الأكبر إدريس  
في معركة واجهران (أو واجرمان) بالقرب من وادي سبو يوم  
الأحد 22 جمادى الثانية من سنة 614 / 26 شتنبر 1217  
بابعه الأتباع أميراً عليهم وزعيماً لبني مرين. تملك أبا  
سعيد رغبة الانتقام من عرب رياح فأنلى والده وأخيه، لذلك  
استجمع قوته من جديد وشرع في مجاربة أعدائه والتنكيل  
بأشرافهم حتى قتل منهم أعداداً كبيرة، الشيء الذي دفع  
بزعماء رياح إلى طلب الصلح والعفو والدخول في طاعة أبي  
سعيد الذي عفا عنهم مقابل إتاحة يدفونها له في كل سنة.  
لقد كان إخضاع الأمير المريني لعرب رياح بمثابة الضربة  
القاصمة التي هدت قوتهم وساهمت في إزاحة أخطر منافس  
وأكبر عائق أمام طموحاته ورغبته في توسيع نفوذ بني مرين  
خارج مجال عصبية زناتة أي في ما وراء نهر ملوية في اتجاد  
فاس والمناطق الغربية والجنوبية.

كان المغرب الأقصى منذ ظهور بني مرين وخاصة بعد  
بيعة أبي سعيد، يعيش في وضعية متأزمة تميزت بانتشار  
الفتن بين قبائله واشتداد الخوف وانعدام الأمن في الطرقات،  
وزاد الأمر تفاقمًا واستفحالًا إهمال وعجز ملوك الموحدين عن  
تأدية دورهم في مواجهة هذه الأزمات والحد من اتساع  
نطاقها، فخرجت عن حكمهم البوادي وكثير من الحواضر  
شمال وادي أم الربيع. وتحركت على خلفية هذه الأزمة جيوش  
أبي سعيد في أنحاء البلاد ونجح منذ سنة 616 / 1219.  
1220 في استقطاب كثير من القبائل إلى جانبه كهوارة  
وتسول ومكناسة وبطوية ومطلاسة وجزناية وبني يرتبان  
وغياثة ومجاجة وصاروية وبني مكود، وفتح بلدانا عديدة  
كبلاد بني كانون وجبال زرهون وبلاد أوربة وصنهاجة وفشتالة  
وسدراتة ولطة وبني وارتيت وجزء كبير من بلاد غمارة وفرض  
عليها الخراج مالا أو زراعا خفارة على بلادهم كل سنة. كما  
خضعت له حواضر كبرى مثل فاس ومكناسة وتازة وقصر  
كتامة وغيرها وفرض عليها ضرائب سنوية مقابل أمنهم  
وسلامتهم. وقد ذكر المؤرخون أن ما كان يجتمع لأبي سعيد  
من المغارم على فاس ومكناسة ورباط تازة فقط يصل إلى  
10.000 دينار في السنة مما يوحي بأن المبالغ المحصلة من تلك  
المناطق الواسعة كانت كبيرة جداً وهو ما جعل أبا سعيد يعين  
حفاظاً لجمع تلك الضرائب وضبطها كمؤشر بداية تكوين  
مخزن مريني يعوض المخزن الموحد القائم. لقد ساهمت هذه

ملتقى أشياخ الكريحة. ولم يفتأ الفتى أن تأثر بما كان  
يسمعه في مجالس خاله، وسرعان ما أشربت نفسه حب  
الملحون والولع بإنشاده.

وفي سنة 1354/1935 ضمه صهره كبير أشياخ الملحون  
أيامئذ بسلا محمد بن غانم إلى جوقه، وأخذ يصحبه معه  
موسداً بيديه، ثم ناقرأ للتعريجة. وفي سنة 1944 بدأ يحضر  
الحصص الإذاعية التي كانت تخصص لطرب الملحون وتبث  
من مركز الإذاعة السابق بمقر وزارة البريد.



وقد تهيأ له في إطار مجموعة ابن غانم أن يتصدر يوماً  
للإشهاد بسبب غياب شيخه، فحظي بالقبول والاحتضان،  
ومنذئذ انخرط في زمرة المنشدين ليصبح فيما بعد من  
المشهود لهم بسعة الحفظ وجودة الأداء.

شارك المرحوم ابن سعيد في كثير من التظاهرات الفنية  
المقامة بأرجاء المغرب، وفي المهرجانات الدولية منشداً  
وعراجاً، ومنها المهرجان الدولي الذي أشرف على تنظيمه  
المجلس الدولي للبحوث الموسيقية ببرلين خلال فبراير 1986،  
بمدن ميونيخ وهامبورغ وبرلين.

كان مثالا لنبل الأخلاق، كثيراً ما يتمثل بفرغ شعر  
الملحون في مجالساته. وقد أفاه الأجل يوم الاثنين 29  
رمضان 1416 / 19 فبراير 1996.

جريدة الأنبا، 24، 2، 1982: معلومات شخصية.

Musik Aus Nordafrika, 1 not Fur Vergleichende  
Musikstudien, 8 - 12 Februar, 1986.

عبد العزيز ابن عبد الحليل

ابن سعيد، محمد بن محمد الريفي، مقاوم ولد سنة  
1916 بدوار اسقيمت ملحقة بني عمارت إقليم الحسيمة.  
ترعرع وسط عائلة متواضعة الحال ومحافظة على القيم  
الإسلامية، وما أن سمع بندا الوطن حتى بادر إلى الانخراط  
في صفوف جيش التحرير.

شارك في عدة معارك واتصف بالشجاعة النادرة خلال  
كفاحه المسلح ضد جنود الاحتلال وقد واصل نضاله دفاعاً عن  
استقلال البلاد إلى أن استشهد بمركز باب الحيط بتاريخ  
23 / 11 / 1955.

النجاحات العسكرية في توفير إكسيات وموارد بشرية ومالية مهمة زادت من قوة الجيش المريني وفتحت أكثر شهية الأمير أبي سعيد للتوسع وفتح مناطق جديدة نحو الأطلس المتوسط كبلاد فازاز ثم نحو بلاد الغرب في أزغار والهيظ حيث أصبحت خيول بني مرين، حسب ابن عذاري، راتحة غادية تستأصل الأعداء في كل حاضرة وبداية (البيان، ق. م. 351) إلى حدود سنة 625 / 1228. وبعد تسع سنوات من الفتوح استطاع هذا الأمير المحارب بسط نفوذ بني مرين على كل شمال المغرب الأقصى من وادي ملوية إلى رباط الفتح على الساحل الأطلسي، كانت مجهودات أبي سعيد العسكرية والتنظيمية انطلاقة حقيقية دعمها خلفاؤه من بعد في أفق تكوين دولة مرينية في كل بلاد المغرب الأقصى. لم تعد المصادر تذكر أخبار أبي سعيد بعده سنة 625 باستثناء حادثه الاغتيال التي تعرض لها سنة 638 / 1240 (أو 636. 637) بوادي ربات (قرب مشرع بلقصور) حيث تمكن أحد أعلاجه، بتحريض من قائد الموحدين عبد الله ابن وانودين، من طعنه بحربة أردته قتيلاً.

أبو فارس اللوزي، نظم السلوك في الأنياس، والخلفاء والملوك، الرباط، 1963، ص. 70-73، ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تج. مجموعة من الأساتذة، بيروت، الدار البيضاء، 1985، ص. 351، 354؛ مجهول، اللخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط، 1972، ص. 34، 53، 58؛ ابن أبي زرع، الأنياس المطرب بروض القسطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، 1973، ص. 287، 289؛ مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تج. س. زكار وع. القادر زمامة، الدار البيضاء، 1979، ص. 172؛ ابن مرزوق، المستند الصحيح الحسن في مائر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تج. ماريبا خوسو بيغفرا، الجزائر، 1981، ص. 112؛ ابن الأحمر، روضة السنين في دولة بني مرين، الرباط، 1962، ص. 16؛ نفسه، النفحة المرينية واللمحة المرينية، تج. عدنان محمد آل طعمة، دمشق، 1992، ص. 33، 34؛ ابن خلدون، العبر، بيروت، 1978، ج 7، ص. 349، 351؛ المريني، السلوك لمعرفة دول الملوك، تج. م. ع. القادر عطا، بيروت، 1997، ج 1، ص. 404؛ الناصري، الاستقفا، ط. 2، الدار البيضاء، 1954، ج 3، ص. 10، 9.

M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986 ; A. Khaneboul, *Les premiers sultans mérinides (1269-1311), Histoire politique et sociale*, Paris, 1987.

رشيد السلامي

**أبو سعيد الثاني، عثمان بن أحمد بن أبي سالم،** درج البعض على اختصار اسمه هكذا : أبو سعيد الثاني لأنه الثاني من ملوك بني مرين الذين حملوا هذا اللقب بعد فتح مراكش سنة 668 / 1269، أو أبو سعيد الثالث وأبو سعيد الأصغر وذلك لأنه ثالث وآخر من تلقب بهذا اللقب من ملوكهم منذ ظهور أمر بني مرين بالمغرب الأقصى سنة 610 / 1211. بويع أبو سعيد بعد وفاة أخيه السلطان أبي عامر عبد الله يوم الثلاثاء 30 جمادى الثانية من عام 800 / 18 مارس 1398 ولم يتجاوز سنه السادسة عشرة، وبقي في الحكم إلى

حين اغتياه هو وأسرته وبعض رجاله من طرف وزيره عبد العزيز بن محمد الليالي وذلك سنة 823 / 1420. اعتبرت فترة حكم هذا السلطان الأسوأ في تاريخ الدولة المرينية، فقد ابتلي منذ بيعته بخروج المتمردين والثائرين عليه طمعا في الحكم، وكان عليه أن يواجه أخطر ثورة هددت أركان دولته بزعامة أحد أقربائه الملقب بالسعيد أي الأمير محمد بن عبد العزيز بن أبي سالم. كان السعيد هذا في بداية أمره معتقلا عند صاحب غرناطة يوسف الثالث (810 / 1408، 820 / 1417) الذي كان يعتبر صاحب فاس وراء الأزمة السياسية التي عرفتها مملكة غرناطة حينذاك خاصة بعد قيام ثورة أهل جبل طارق على بني الأحمر وإعلان رغبتهم في الانضمام إلى السلطان المغربي والدخول في طاعته. فلم يكن أمام يوسف الثالث إلا الانتقام من السلطان المغربي وإذكاء نار الفتنة في بلاده كعادة أسلافه مع أغلب ملوك فاس. في هذا الاتجاه، فسرح صاحب غرناطة الأمير المريني المعتقل لديه وأرسله سنة 813 / 1410 في أسطول على رأس جيش كبير لمحاربة ملك فاس. وعند جوازه إلى بلاد الريف نظم حملة واسعة على العاصمة المرينية وحاصرها مدة طويلة بفضل مساعدة الأعراب، ثم احتل مدينة تازة وعات في أرض المغرب فساداً وخرب القرى والمدائن والمدن والقصور الشي. الذي كان له وقع خطير على استقرار المغرب الأقصى وساهم في انهيار دولة بني مرين. إلا أن محاولة السعيد في الانقضاض على السلطة باءت بالفشل وأنهزم جيشه بضواحي فاس سنة 816 / 1413 ثم فر إلى غرناطة أو إلى تونس حسب رواية ابن حجر، مع جملة من أتباعه. وفي السنة الموالية أي 817 / 1414 قام ثائر آخر هو يعقوب بن عبد الله الجاناتي الفاسي بعد أن حزفي نفسه ما رآه من فساد وخراب بفاس بسبب الفتنة التي تاججت نازها بين السعيد وأبي سعيد، فدعا إلى إزالة أسباب الفتنة وأخذ يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، فازدادت دعوته قبولا وانتشاراً، وتضاعف أتباعه خارج مجال فاس، فاستمر الأمر على تلك الوتيرة حتى بعد مقتل السلطان المريني.

ينفرد ابن فركون بالإشارة إلى ثورة أخرى ضد السلطان أبي سعيد تزعمها أحد إخوته وهو أبو علي الذي كان مستبداً بحكم مراكش. ومنها قام بحركة عسكرية لمحاربة أخيه سنة 819 / 1416، ولم يكن صاحب غرناطة بعيداً عن هذه الثورة بل قدم للتائر دعماً كبيراً وأغراه بالملك، لكن محاولته فشلت بفشل ثورة أبي علي ومقتله بظاهر فاس. إن أخطر مشكلة واجهت السلطان أبا سعيد وكانت لها أبعاد وخيمة على السيادة المغربية فيما بعد هي بداية تعرض السواحل المغربية للتهديدات الأجنبية والتي دشت باحتلال البرتغال لمدينة سيطة سنة 818 / 1415 في الوقت الذي كان فيه أبو سعيد غارقاً في صراعاته وحروبه الداخلية، مشغلاً بولائمه ولهبه. ولم يخف بعض المؤرخين المعاصرين اتهامهم الصريح لأبي سعيد بالاهمال والتردد في الدفاع عن المدينة والتفریط في

واجب الجهاد بالرغم من محاولته استرجاعها سنة 822 / 1419. وإذا كنا نجعل حقائق كثيرة بالنسبة لهذا الموضوع فإن الأمل في معرفة هذه الحقائق مازال قائما حتى يتم العثور على المصادر المعاصرة لذلك الحدث وخاصة انتاجات مؤرخ السلطان أبي سعيد ومدون أخبار دولته وسيرته الكاتب أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الناورتي. لم يكن احتلال سبتة حدثا وحيدا في عهد أبي سعيد بل سبقه هجوم الاسطول القشتالي على مدينة تطاوين سنة 803 / 1399. 1400 وتخریب دورها وتهجير ساكنتها.

كانت حدة المشاكل الداخلية تفرض على السلطان المريني نهج سياسة سلمية في علاقاته الخارجية والتخفيف من وتيرة التوتر خاصة مع جيرانه الحفصيين وكذلك بني الأحمر والذين يظهر أنهما كانا يشكلان تحالفا مناوئا لأبي سعيد وكانا وراء إشعال الفتنة بالمغرب المريني بل والتدخل مباشرة في شؤونه، ومن ذلك مثلا قيام السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز (796 / 1394 - 837 / 1434) بحملة عسكرية سنة 812 / 1409 تمكن خلالها من التوغل إلى داخل المغرب الأقصى ولم يتوقف إلا عند مشارف مدينة فاس عندما عبر السلطان المريني عن رغبته في عقد السلم والصلح مع السلطان الحفصي الذي اضطر بعدها للعودة إلى إفريقية. ومنذ فشل أبي سعيد سنة 804 / 1401 في محاولة السيطرة على تلمسان تمكن أخيراً من فرض مرشح له وهو أبو مالك عبد الواحد سنة 814 / 1411 بالمغرب الأوسط وأن يهدئ الأحوال مرحليا في الجبهة الشرقية. أما العلاقات بين المغرب المريني ومصر المملوكية فكانت طيبة في هذه الفترة كما تؤكد الرسائل المتبادلة بين أبي سعيد والسلطان المملوكي فرج بن برقوق (801 / 1398 - 815 / 1412) والتي تتناول مجموعة من القضايا التي تهم البلدين وخاصة الأخبار والتطورات المتعلقة بحملة تيمور لنك في بلاد الشام ورغبة السلطان أبي سعيد في تقديم العون اللازم لمواجهة هذا الخطر المغولي على بلاد الشام ومصر.

أما فيما يتعلق بالجانب الأوربي من العلاقات المغربية الخارجية فإن بعض المصادر والوثائق خاصة الفرنسية والأراغونية تذهب إلى إعطاء البعد السلمي موقعا متميزاً في العلاقات مع المغرب الأقصى وهذه الوثائق تحكي عن تردد السفارات والبعثات الدبلوماسية بين الطرفين وتؤكد أن مدينة فاس شهدت سنة 804 / 1402 وصول وفود من الفرنسيين والقشتاليين بهدف التفاوض مع السلطان أبي سعيد حول إطلاق سراح 258 أسيراً فكانت استجابة السلطان أسرع في تحقيق مطالب تلك الوفود. وفي سنة 813 / 1410 استطاع السلطان المريني التدخل لإيقاد حياة أحد الفرنسيين المرتزقة بالمغرب من الأسر والإعدام. وبالنسبة لمملكة أراغون، سجلت وثائق أرشيفها أخبارا تتعلق بإرسال أبي سعيد لسفارة مغربية إلى ملك أراغون فيرناندو الأول Fernando I ورسائل وسفارات من قبل هذا الأخير إلى السلطان المريني

وكذلك إلى وزيره عبد العزيز بن محمد الليالي، وهي تهم الفترة ما بين 816 / 1413 و 818 / 1415، تحث جميعها على عقد السلم بين البلدين والسماح لتجار أراغون بحرية التنقل في الموانئ المغربية والعناية بالجنود المسيحيين العاملين في الجيش المريني والإفراج عن الأسرى من رعايا الملوكين.

إ. ابن الأحمر، *روضة التوسرين في دولة بني مرين*، الرباط، 1962، ص. 40. 43؛ ابن خلدون، *التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا*، ضمن كتاب العبر، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 1219. 1222؛ ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث، نج. ع. الله كنون، تطوان، 1958، ص. 50. 52. 55. 62. 67. 134. 136. 147. 148. 179. 180. 184. 186؛ ديوان ابن فركون، تقديم وتعليق م. بن شريفة، الدار البيضاء، 1987، مقدمة المحقق، ص. 69. 94؛ نص الديوان، ص. 161. 174. 198. 201. 207. 216. 331. 334. 370. 379؛ القلفشندي، *صبح الأعشى*، القاهرة، د. ت. ج. 7، 407. 411، ج. 8، 103. 106؛ الزركشي، *تاريخ الدولتين الموحدة والحفصية*، تخ. م. ماضور، تونس، ط. 2، 1966، ص. 123. 126؛ المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، تخ. م. ع. القادر عطا، بيروت، 1997، ج. 6، ص. 368. 369. 400، ج. 7، ص. 22. 23؛ ابن حجر العسقلاني، *انباء العبر*، بيروت، 1986، ج. 3، ص. 395. 404، ج. 4، ص. 258. 259، ج. 6، ص. 236. 237؛ ج. 7، ص. 28. 28. 427. 485؛ ابن الشماخ، *الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية*، تخ. الطاهر المعموري، ليبيا، تونس، 1984، ص. 113. 116؛ السخاوي، *الصور الالامع لآهل القرن التاسع*، بيروت، د. ت. ج. 2، ص. 47، ج. 4، ص. 233. 234، ج. 8، ص. 62، ج. 10، 283؛ ابن غازي، *الروض الهتون في أخبار مكناسة الزنتون*، الرباط، 1952، ص. 15. 16؛ الوزان، *وصف إفريقيا*، تو. م. حجي وم. الأختار، بيروت، 1983، ج. 1، ص. 209. 210. 283. 284. 318؛ الجنابي، *البحر الزخار والعيلم النبار*، ضمن كتاب (E) Fagnan، Maghreb, Alger, 1924, pp. 297-300؛ جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، الرباط، 1974، ص. 87. 457. 474. 539؛ ابن العسباد الحنبلي، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، بيروت، د. ت. ج. 7، ص. 124؛ الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1954، ج. 4، ص. 86. 95؛ ساربانو أبياس بالاد، *بنو مرين في الانقاعات المبرمة بين أراغون وغرناطة*، مجلة تطوان، العدد 8، السنة 1963، ص. 197. 198؛ المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط، 1979، ص. 186. 188؛ م. حجي، (محقق)، *ألف سنة من الوثائق في ثلاثة كتب*، الرباط، 1976، ص. 139؛ ع. الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب*، المحمدية، 1988، ج. 7، ص. 115. 150. 151. 159. 160. 162. 193؛ غ. الله العروبي، *مجلد تاريخ المغرب*، بيروت، 1999، ج. 3، ص. 14. 17. 22؛ ر. السلامي، *وثائق مرينية*، دراسة وتحقيق، رسالة جامعية مرقونة، نوقشت بكلية الآداب، الرباط، 1989، ص. 393. 398.

Mas-Latrie, *Traité de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale du moyen âge*, Paris, 1866, (introduction historique, pp. 260 - 262) ; A. Cour, *Les derniers mérinides*, B.S.G.A., Alger, 1905 ; Ibid, *La dynastie marocaine des Beni Outas*, Constantine, 1920 ; M. Canard, *Les relations entre les mérinides et les mamelouks au XVe siècle*, A.I.E.O., Alger, T. V, 1939 - 1941 ; M. Arribas Palau, *Las treguas entre Castilla y Granada firmadas por Fernando I de Aragón*, Tenuán, 1956 ; Ibid, *Intercambio de embajadas entre Abu Saïd Utman III de Marruecos y Fernando I de Aragón*, Tenuán, 1956 ; Ibid, *Cartas de recomendación cursadas Al Sultán Abu Saïd Utman III de Marruecos por el rey de Aragón*.

Fernando I, El de Antequera, H.T., vol. 1, fasc. 3, 1960 ;  
G. Chovin, Aperçu sur les relations de la France avec le  
Maroc des origines à la fin du moyen âge, Hesp., T.  
XLIV, 3 - 4e trim., 1957 ; R. Arié, L'Espagne musulmane  
au temps des nasrides, Paris, 1973 ; M. Kably, Société,  
pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge, Paris,  
1986.

رشيد السلامي

## أبو سعيد الثالث ← عثمان بن أبي يوسف يعقوب

**سعيد بن اليزيد العلوي (الأمير)**، على إثر هزيمة زيان (1819) ومبايعة أهل فاس إبراهيم بن اليزيد في شهر تونبر 1820 انقسم شمال المغرب بين من بايعوا السلطان الجديد ومن تشبثوا ببيعة عمه المولى سليمان. وبمجرد مبايعة إبراهيم بفاس توجه الثوار الملتفون حول هذا الأمير إلى مدينة تطوان التي انضمت إلى الحركة المناوئة للسلطان سليمان. لكن إبراهيم توفي بعد حوالي أربعة أشهر من مبايعته، وكان وقتئذ بتطوان، فسارع أهل المدينة وحلفاؤهم من أهل فاس وبعض القبائل وأقطاب بعض الزوايا إلى مبايعة أخيه سعيد، وذلك يوم 17 مارس 1821.

وبينما كان سعيد وشيعته متحصنين بمدينة تطوان استنفر المولى سليمان قبائل الحوز وجيش العبيد والودايا وتوجه شمالاً لتضيق الخناق على المتمردين. وقبل أن يضرب الحصار حول تطوان خرج سعيد بن اليزيد وأنصاره وقصدوا مدينة فاس. وقبل أن يصلوا إليها فاجأهم جيش الأوداية فقتل منهم العدد الكثير واستولى على أموال طائلة كان الثوار قد نهبوها من يهود تطوان. لكن سعيد بن اليزيد تمكن من دخول فاس فأغلق عليه أبواب المدينة، وبدأ الترشق بالمدافع بين فاس الجديد الموالية لسليمان وفاس الإدريسية حيث تحصن الثوار واستمرت الحرب ما يقرب من عشرة أشهر ستم على إثرها أهل فاس ويلات الحرب وقلة المدد وانقطاع الاتصال مع الخارج فقرروا الاستسلام وفتحوا أبواب المدينة في شهر أبريل 1822 وتوجهوا إلى المولى سليمان طالبين عفوهم، فعفا عنهم وكان في مقدمة من استفاد من هذا العفو سعيد بن اليزيد والعربي الوزاني شيخ الزاوية الوزانية ومحمد بن الغازي الزموري.

م. داود، تاريخ تطوان، المجلد 3، 1962؛ أ. الناصري، الاستقصاء، الدار البيضاء، 1956، الجزء 8.

محمد المنصور

**سعيدو (المعلم -)**، الطنجي، موسيقي من بين تلامذة "الألة" الأندلسية بدار الجامعي بفاس على عهد السلطان الحسن الأول، وبمعيته محمد بن عبد السلام البريحي، ومحمد منصور، وأحمد الشرقاوي، والطالب عمور، وإدريس بن جلون، وعبد السلام البوسدرابي، ومحمد البلغيثي المعروف بالشقيرن، وعبد الكريم القيوتي.

وقد أصبح من كبار شيوخ الطرب الأندلسي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) وبداية الذي يليه.

اشتهر ببراعته في عزف آلة الكمان "زايد نقت"، وإليه ينسب إدخال هذه الآلة عام 1915 إلى حظيرة الجوق الأندلسي.

أخذ عنه عمر الجعايدي، والحاج عبد السلام بنيوسف، وأحمد بن المحجوب زنيير. وقد شكل هؤلاء الثلاثة امتداداً لأسلوبه في عزف الكمان وتعزيز دوره في الأجواق الأندلسية بمدن المغرب.

صالح الشرقي، أضواء على الموسيقى المغربية، ص. 112؛ حاتم الوكيلي، الموسيقى الأندلسية من خلال مسيرة الفنان مولاي أحمد الوكيلي، ص. 87، 88.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**السعيددي**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني سعيد أقرب القبائل الجبلية إلى تطوان شرقاً على شاطئ البحر المتوسط. وأسلانهم من بني سعيد الذين كانوا بإشبيلية في الأندلس. ولعل منهم سيدي السعيددي صالح تطوان، أ. الرهوني، عمدة الراوين، مخطوط، م. داود، عائلات تطوان، مخطوط.

محمد بوخيصة

**السعيددي، أحمد بن عبد السلام بن محمد بن عبد الواحد باشا مكناس الشهير بـ"الباشا القبلي"**، أصله من أولاد سعيد بالريف. ولد بمدينة طنجة سنة 1293 / 1875. ولا يعرف شيء عن مراحل نشأته وتعلمه.

صاهر أحمد السعيددي قدور بن غبريط الذي كان يعمل مترجماً بالمفوضية الفرنسية بمدينة طنجة، ففتحت له تلك المصاهرة الأبواب لتولي عدة وظائف مخزنية. وهكذا شارك أحمد السعيددي صحة صهره في الفترة ما بين 1902 / 1903 في مسخختلف اللجن التي كلفت برسم الحدود بين المغرب والجزائر. ثم أسندت إليه وظيفة العلاف التي كانت أولى خطواته في الوظائف المخزنية وهي بالتتابع :

- عامل على مدينة فكيك (1907 - 1911).  
- باشا لمدينة الصويرة (1911 - 1915).  
- وظيفة بالبنقة الكبرى بالرباط (1915).  
- أمين للديوانة بالإدارة الشرفية المركزية بالرباط (1915 - 1918).

- باشا لمدينة أسفي (1918 - 1919).  
- باشا لمدينة مكناس (1920 - 1939).  
لعب أحمد السعيددي دوراً هاماً في أحداث بوفكران التي عرفتتها مدينة مكناس سنة 1937، وقد تناقضت مواقفه بين التأييد لمطالب المكناسيين في بداية الأحداث والمعارضة لهاته المطالب بعد الأحداث.

وفي بداية سنة 1940 أرغمه جيرانطو Jiranto المندوب المخزني بمكناس على تقديم استقالته من منصب الباشوية، وانعزل السعيددي بعد ذلك، وضاعت حاله فاضطر إلى بيع أملاكه ليتعيش منها، وظل كذلك إلى أن وافته المنية في 19



صفر 1373 / 22 أكتوبر 1953 ودفن بمكناس بزاوية سيدي الحريشي.

أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية، بياض، 4 inv. 158. Carton ؛ بوشتى بوعسرية، أحداث بوفكران، ص. 197-198 ؛ مكناس المدينة الجديدة، ص. 260 و266.

رقية بلقندم

**السعيدى، عبد المالك بن علي الطنجي.** يتوزع

السعيديون على عدد من الفرق والشعب في جلّ جهات المغرب. ومنهم من يدعى النسب الشريف، ومنهم من يصرّح بالانتساب إلى أصل عربي. على أن الفرع الذي نجد له ذكراً في مصادرنا، هو الذي ينتسب إلى مدينة طنجة، إذ كان منه الأمناء، والقواد على الخصوص، استخدموا في هذه المدينة ومدن أخرى، كمكناس ووجدة مثلاً.

والغالب على الظن أن المترجم من هذا البيت. فقبل تعيينه عاملاً على مدينة وجدة والقبائل التي كانت تابعة لها كبني إزناسن، وأنكاد، وتريفة، والزكار، والمهاية، والشجع، وبني بوزگو، وبني يعلا، في يوليوز 1881، شغل منصب خليفة باشا مدينة طنجة، ثم بعده استقلّ بياشورية مدينة أصيلا.

وبالرغم من أننا لا ندري متى ولا أين ولد، ولا ظروف نشأته وتربيته، وحظه من التعليم، ولا حيثيات وسطه الاجتماعي، فإن ما نقتطفه من معلومات في شأنه، هنا وهناك، يسمح، مع ذلك، بتكوين فكرة عن الرجل والتعريف ببعض المراحل من حياته العملية، بعد انخراطه في الجهاز المخزني، في حدود السبعينيات من القرن التاسع عشر. والسلطان المولى الحسن (1209 / 1311 - 1873 / 1894)، بنوه به ويشي عليه، في رسالة اعتماده سفيراً له لدى رئيس الجمهورية الفرنسية وقتئذ، جول كريفى (Jules Grévy)، في مطلع سنة 1885، حيث قال عنه ما يلي :

"... وقد انتقينا الخديم المذكور من أولي الصدق، والجدة (هكذا)، والنصيحة، والنجدة، وأذكي أقرانه، وأمثل زمانه...". ويدلّ هذا الكلام على مكانة صاحبنا عند العاهل المغربي من جهة، واطلاعه الواسع ومعرفته الدقيقة بمشاكل إبلاته، وبالخصوص المتعلقة منها بالحدود والتي كانت في مقدمة القضايا التي أسندت إليه مهمة التفاوض في شأنها مع الجانب الفرنسي.

وبالفعل، فإن الرجل قد حالفه النجاح حتى الآن، في التخفيف من حدة التوتر "اللّفوفية" التي كانت تعصف بالمنطقة، بين الفينة والأخرى، في دوامة من الحروب والافتتان، غالباً ما كان يتسبب في إضرار نيرانها فرقاء خمسة رئيسيون وأتباعهم وهم بنو إزناسن، وبنو بوزگو، والمهاية، والشجع، وأهل أنكاد للاستفادة أكثر من غيرهم من مياه العيون وأنواع مصادرها الأخرى، أو امتلاك الأرض واستغلال المراعي، أو الأخذ بالنار من ظلم أو حيف، أو إهانة لحقت بالأسرة أو العشيرة من قبل الخصم.

طبعاً، إن ما كان يهم المخزن من هذا كله، في المقام الأول، هو استقرار الأوضاع، واستتباب الأمن في ربوع المنطقة، وتأمين السيل والمسالك، ونشر وترسيخ النفوذ المخزني، والحفاظ على حسن الجوار مع السلطات الفرنسية بالجزائر.

على أنه، في بداية سنة 1886، تآزمت العلاقات بين القائد السعيدى وقبيلة المهاية، إذ اتهمته بالانحياز إلى خصومها من قبائل بني إزناسن، والتحالف معها للوصول إلى أغراضه، متسبباً بذلك في إيفاد عادة اللّفوفية، فثارت ثائرة قائدها بويكر المهيأوي الذي استنفر أتباعه، وتقدم على رأسهم قاصداً مدينة وجدة. وما كادت الطلائع الأولى للمنتفضين تقترب من المدينة، وتبين للعامل أن لا قدرة له على مواجهتهم، حتى يبادر إلى الفرار، حيث التجأ ومن معه إلى القصة السعيدة بعجروود.

ويبدو أن المترجم تسرّع في تنفيذ خطته، وتسرّبت معلومات وتفصيل عنها قبل الأوان، الأمر الذي عرّضه لانتقاد عدد من أعوان المخزن المحليين، ومن بينهم أمين الاستفادة بوجدة وقتئذ أحمد الركينة الذي أخبر السلطان بواقع الأمر.

وأمام استفحال الأزمة، واستعصاء أمر حلها، قرر الخليفة السلطاني بفاس الأمير مولاي إسماعيل، صنو السلطان المولى الحسن، إيفاد مبعوثين رفيعي المستوى إلى المنطقة، ويتعلق الأمر بالشريف العربي بن العباس بن عبد الرحمن بن هشام، والقائد الطيب ولد أب محمد الشراكي. وقد التحق بهما، فيما بعد، الفقيه الكاتب مصطفى الحاشمي، محملاً هو أيضاً بمجموعة من رسائل السلطان إلى قواد ومرابطي قبائل عمالة وجدة.

وأثناء الاجتماع الذي عقده مع القواد النّاقمين على سلوك عاملهم، تسلّم كل واحد منهم خطاب السلطان الموجه له. وبعد أن اطلعوا على مضمونه، وبدا واضحاً أن المخزن واقف إلى جانب خصمهم، إذ نصّ في الرسالة على ضرورة "شد عضده"، غادروا المكان فجأة، معلنين عزمهم على تجهيز حركة كبرى، والزحف بها إلى قصة عجروود لإخراج العامل من مقله.

أمام فشل مجهودات البعثة الأولى، ارتأى المخزن إيفاد مبعوثين آخرين، فعين تسعة من كبار قواد قبائل الريف، وگلعية، وكبدانة، وأمرهم بالانتقال إلى وجدة. بعد أن عهد برئاسة الوفد إلى القائد مبارك الدوبلاي الذي كان يتسق سياسة المخزن في هذه المناطق، ويسهر على تنفيذ أوامره، فضلاً عن اضطلاع بدور الوسيط بينه وبين سلطات الاحتلال بمدينة مليبية السليبية. بيد أن هذه المحاولة باءت بالفشل هي الأخرى، وعاد الدوبلاي ورفقاؤه يخفي حين، أمام تشبث المهاية بمطلبهم المتمثل في عزل القائد السعيدى عن منصبه، وهو الأمر الذي ظل المخزن يرفضه، إذ فيه مس واضح بيهيته وتصل سافر من عمل عونه.

وفي هذه الأثناء حدث ما لم يكن في الحسبان، إذ قُتل

قائد المهاية بوبكر المهيأوي في معركة دارت رحاها على مشارف المدينة، فانتزها المخزن فرصة مواتية لإشاعة خبر تجهيزه حركة كبرى بمدينة فاس، يعهد لها بتأديب المتمردين وقمعهم. وبالفعل، نجحت الخطة، وانطلت عليهم حيلة المخزن، إذ أخذ الخوف يبدب في نفوسهم، والشقاق ينتشر في صفوفهم، وارتدعوا لهذا الخبر، ووضعوا حداً لتمردهم. وفي المقابل، وسعيًا إلى طي صفحة الخلاف والنزاع هذه، اتخذ المخزن قراراً ذكياً وجريئاً في نفس الآن، وذلك بتعيين ابن القائد الهالك، ويُدعى السهلي بن بوبكر المهيأوي، قائداً على إخوانه المهاية، والانفراد بشؤونهم دون حاجة إلى وساطة عامل وجدة.

وهكذا انتهت هذه المواجهة بانتصار المترجم، وهو الأمر الذي يدل على المكانة والحظوة اللتين كان يتمتع بهما في الدوائر المخزنية العليا. وهذا ما تأكدت دلالاته فيما بعد، إذ نجده أواخر سنة 1889 على رأس محلة كبرى، بصفته قائداً عسكرياً لها، كلفت بالتوجه إلى بلاد قبائل هواراة الأحلاف (ناحية غرسيف)، والتسول، والبرانيص، ومكناسة...، لاستيفاء ما تخلد بدمه قوادها من واجبات وفروض لفائدة المخزن.

واضح أن مهمة من هذا الحجم، وفي منطقة كانت حلّ بها المترجم ومن كان بمعيته من الجند وحراك القبائل، وأعوان المخزن، حيث ظلوا ينتقلون في أرجائها مدة تقرب من خمسة شهور، ما بين 26 نونبر 1889 و27 أبريل 1890، دون كلل ولا ملل، لخبر دليل على المكانة الرفيعة التي كانت للمترجم عند السلطان المولى الحسن وأعوانه الكبار، كإدريس بن يعيش مثلاً، قائد المشور وقتئذ، والذي كان يُخاطبه في مطلع رسائله إليه بـ "حَبْنَا...".

ومن ذلك أيضاً تعيينه قائداً للمشور في مخزن الخليفة السلطاني براكش، الأمير مولاي محمد بن الحسن، أواسط شهر مارس سنة 1894. وظل يشغل هذا المنصب إلى أن نودي عليه، أواخر شهر يونيو من السنة الموالية، لتولي عمالة مدينة القصر، في منطقة الهبط، و"أمر عمارة الزاوية"، أي أهل وزان غير الأشراف، ومن كان يسبح في فلكتهم، ويخوض في مساوهم من الأتباع والمتعلقين بهم، علماً بأن عامل العرائش هو الذي كان يختص حتى الآن، بالإشراف على شؤون "عمارة" وزان وعدد من قبائل جوارها، وهو أمر له دلالاته بالنسبة لما ذهبنا إليه من القول من أن السعيدني كان بالفعل رجل الأوقات الحرجة والمهمات الصعبة. فهذه المرة أيضاً، صادف مجيئه إلى منطقة الهبط وجبال "تحرك رياح الفتى بوران ونواحيها، بسبب خوض بعض الشرفاء، وذبحهم على بني مستارة وغزاوة ورهوتة، استنهاضاً لإعانتهم على فاسد قصدهم...".

ويبدو أن مساعيهم كللت بالنجاح، سيما بعد أن عزز جانبه بالقائدين الخلخالي والسريفي اللذين أمرا بالالتحاق به، على رأس حراك إخوانهما، فعماد الهدوء إلى المدينة وناحتها.

ومهما يكن من أمر، فإن المصادر لم تُعد تتحدث عن الرجل بعد هذا التاريخ، إذ كل ما استطعنا الظفر به من معلومات في شأنه، يتلخص في مضمون وثيقة مخزنية بتاريخ 25 ذي الحجة 1318 / 15 أبريل 1901، ويتعلق الأمر برسالة نقيب الشرفاء العلويين بمدينة تازة، عزوز بن حفيد الإمراني إلى الوزير الصدر المختار بن عبد الله بن أحمد، ينعي له فيها وفاة "الفقيه السيد عبد الملك السعيدني..."، الأمر الذي يُحتمل معه أن قد يكون أنهى خدمته في الجهاز المخزني عاملاً على مدينة تازة.

ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس* : ع. برحاب، شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي، 1873، 1907، د. د. ع. ك. أ. ر. جزآن، 1987 : وثائق، ح. كنانيش، أرقام 162، ص. 12 وما بعدها : 348، ص. 283، 423، ص. 3-4، محفوظات، عهد مولاي الحسن، رقم، 78، 105، 167، 236، 238، 242، 244، 245، 248، 249، 250، 251، 252، 254، 256، 258، 260، 261، 267، 268، 269، 403 : عهد مولاي عبد العزيز، محفوظات، رقم، 401 / 1 : 404 / 6 : 427 / 3 : 423 / 5 : وثائق وزارة الحسرب بغانسين.

A.G.V., 3h3, Rapp. en date du 12 août 1881 : A.G.V., 3h3, Rapp. du Cap. Thomas n° 100, du mois de février 1893 : Gouvion, *Kitab Auyane al-Marhib l-Akca*, Paris, 1939.

**السعيدني، العربي بن علي**، يعود أصل أسرته إلى قبيلة بني سعيد الريفية، تقلد العديد من أفرادها مناصب هامة داخل المخزن المغربي من القرن التاسع عشر، خاصة منها منصب عامل مدينة طنجة (طنجة بين سنتي 1900-1912، 1-366). وقد تولاه المترجم خلال مرحلتين، الأولى في عهد السلطان المولى سليمان، والثانية في عهد خلفه السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام.

بالنسبة للمرحلة الأولى ابتدأت بعد خلع المولى سليمان لعبد السلام بن عبد الصادق الذي كان قد ولاء عاملاً على طنجة في بداية 1817 مكان المهدي السعدي، وحتى 1818 كان لا يزال يشغل هذا المنصب (Tanger et sa zone, 101). وقد تزامنت تولية المترجم على طنجة بانتشار وباء الطاعون بها وكذلك بعموم المغرب فيما بين 1818 و1820، مما ساهم في تردي الأوضاع السياسية والأمنية بالبلاد، خاصة بعد هزيمة السلطان المولى سليمان أمام البربر في وقعة طيان في ماي 1819 وتمرد جيش العبيد والأوداية وإقدامهم على خلعهم ومبايعة ابن أخيه المولى إبراهيم بن اليزيد (تاريخ الأويثة والمجاعات بالمغرب، 104، 141). وفي هذا الإطار برز المترجم كأحد أشياع المولى سيمان المخلصين الذين وقفوا إلى جانبه في القضاء على المتمردين، إذ يذكر أكنسوس أن إبراهيم بن اليزيد عندما بويع بفاس في 24 محرم 1236 / 1 نوفمبر 1820 اشترط عليه أهلها إخراج الأوداية من المدينة، ولما فشل في ذلك توجه به البربر إلى المدن الساحلية "وكتبوا لأهل العرائش فأجابهم بالمنع والرد وكذلك أهل طنجة إلا قاضيا السيد أحمد الفلوس أجابهم بالقبول سرا واستدعاهم

وهون عليهم دخولها إذا قدموا إليها فلما تحقق عاملها العربي السعيد وأعيانها فعل القاضي أخرجوه وطردوه ولولا موضعه السيد خالد فلم يقبلهم إلا أهل تطوان فذهبوا إليها وأخذوا ما في خزائن السلطان من مال المرسى والسلاح والمُلف والكتان... (الجيش، 1 : 217-218).

ولما بايع أهل تطوان السعيد بن اليزيد مكان أخيه إبراهيم بعد وفاته لم ينضم إليهم المترجم وظل موالياً للسلطان المولى سليمان، وكان الذي انضم إلى هذه البيعة كما جاء في نصها "من ثغر طنجة، قاضيها السيد محمد ابن الحاج بوعزة أحرار والفقير سيدي ابن أحمد الفلوس وقائدها الشاب السيد محمد بن عبد المالك والقائد محمد بن عمر الشرقي والقائد محمد بن عبد السلام وجم غفير" (تاريخ تطوان، 3 : 262). وبالرغم من موقف هؤلاء، فقد ظل المترجم متحصناً بالمدينة ولم يبرحها، ومنها كان يخبره سلطانه المولى سليمان بمآجريات الأمور. فعندما علم أشياخ السعيد بقرب وصول السلطان إلى تطوان قادما إليها من مراكش خرجوا به نحو فاس فأخبر المترجم المولى سليمان بذلك، فرجع هذا الأخير "بزم فاساً ويسابق السعيد إليها فوافياها في يوم واحد" (الاستقصا، 8 : 153).

وقد استمر العربي السعيد عاملاً على طنجة إلى حين وفاة المولى سليمان وتولي المولى عبد الرحمان بن هشام مكانه فقام بعزله وتولية محمد أميمون الكرواني مكانه (الجيش، 2 : 16) ودام ذلك حتى سنة 1243 / 1827-1828 حيث عزله المولى عبد الرحمان (الإتحاف، 7 : 228)، وولى مكانه المترجم وهي التولية الثانية. وقد ورد خبر هذه التولية في رسالة بعثها المولى سليمان في 29 جمادى الأولى 1244 / 7 دجنر 1828 إلى قائد تطوان محمد بن عبد الرحمان أشعاش يأمره فيها بأن يرسل من تطوان إلى طنجة حيث يوجد القائد العربي السعيد ثلاثمائة مكحلة (تاريخ تطوان، 8 : 173-174)، وهكذا استمر عاملاً على طنجة إلى أن ولئى عليها المولى عبد الرحمان باشا العرائش الكاتب الطالب عبد السلام السلاوي وذلك في 18 ربيع الأول 1253 / 22 يونيو 1837 (محفظة التعيينات والإعفاءات في عهد المولى عبد الرحمان، خ.ح. الرباط)، وطلب منه إبعاد المترجم عن المدينة لكي لا يجد سبيلاً إلى الوسوسة والإفساد، وذلك في رسالة منه إليه بتاريخ 21 جمادى الأولى 1253 / 23 غشت 1837، مما جاء فيها بعد المقدمة (محفظة الأمن الداخلي والخارجي في عهد المولى عبد الرحمان، خ.ح. الرباط) :

"وبعد فاعلم أن خدينا العربي السعيد قد كبر في الخدمة وطعن في السن ولم نرد أن نجمع عليه مرارة العزل والذعيرة في أن واحد حتى تطمئن نفسه [...] وقد بلغنا أنه هو الذي كان يدخل بين ولد ميمون وقنصوات الأجناس أيام ولايته هناك بالوسوسة حتى أفسد عليه العمل معهم...". ولم يقف الأمر عند إبعاده عن طنجة بعد عزله، بل تم في وقت لاحق سجنه هو وأولاده من أجل استخلاص الذعيرة

التي فرضها عليه المخزن كما يبدو ذلك من الأمر السلطاني الصادر لعبد السلام السلاوي في 10 جمادى الثانية 1254 / 21 غشت 1838 بإطلاق سراحه، مما جاء فيه بعد المقدمة (محفظة الأمن الداخلي والخارجي في عهد المولى عبد الرحمان، خ.ح. الرباط) :

"وبعد فإن العربي السعيد طال سجنه وأولاده بلا طائل فبوصول كتابنا هذا إليك سرحهم جميعاً للسعي على أهلهم...".

ويبدو أن عبد الرحمان لم يكن راضياً على طريقة أداء المترجم لعمله في كثير من القضايا، من ذلك النزاع بين أهل أجرة ونصاري سبتة بشأن الحد بينهما، كما يتضح ذلك من رجالة منه إلى عبد السلام السلاوي بتاريخ 13 جمادى الأولى 1253 / 15 غشت 1837 بشأن الكتاب الذي أجاب به القنصل الإسباني مما جاء فيه (تاريخ تطوان، 8 : 302-303) :

"إن الحد الذي جعل أهل أجرة العسة فيه هو الأصل الذي وقع عليه العقد بين سيدي الكبير قدسه الله وجنسكم ونحن إنما جددنا عليه وأقرناه، والحد الذي أحدث خدينا أميمون إنما هو رجل بدوي لا يعرف مثل هذه، ولا يقتدى به في ذلك وتبعه السعيد على ذلك...".

هذا وسوف يستعيد أحد أفراد أسرة المترجم وهو حمان السعيد حكم مدينة طنجة وذلك حوالي (Tanger et 1860) (sa zone, 105).

وثائق خ.ح. بالرباط، محفظة التعيينات والإعفاءات في عهد المولى عبد الرحمان ومحفظة الأمن الداخلي والخارجي في عهد المولى عبد الرحمان : م. أكنسوس، الجيش العرمرم، ط. فاس : ع. ابن زيدان، الإتحاف، ج. 5 : أ. الناصري، الاستقصا، ج. 8 : م. داود، تاريخ تطوان، مجلد 3 و 8 : م. أ. البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، الدار البيضاء، 1992 : ج. أ. العمراني، اظطيار، طنجة بين سنتي 1900-1912، د.د.ع. الرباط، 95. 1996.

Ed. Michaux-Bellaire, *Tanger et sa zone*, in *villes et tribus du Maroc*, vol. 7, Paris, 1921  
مصطفى الشابي

**السعيد، محمد بن موحى والمكي، مقاوم ولد سنة 1933** بأيت بوجدور إقليم خنيفرة. انضم إلى صفوف إحدى فرق المقاومة والتحرير المنبثقة من الدار البيضاء والمتسربة إلى الأطلس المتوسط والصحراء في أوائل شهر غشت 1954 بعدما اتصل بالمكوني الإدريسي مولاي عمر ومحمد بن عمير.

وقد ابتدأ عمله الفدائي مع الفرقة كعضو نشيط ينفذ الأوامر، فقام بعدة أعمال كالإتلافات والحرائق ضد مصالح الاستعمار بخنيفرة، كما كان مهيباً للشورة المسلحة التي كان من المقرر القيام بها في الأشهر الأولى من سنة 1955 وبقي متفانياً في عمله إلى يوم 20 غشت 1955 حيث شارك في المظاهرة التي عرفتها خنيفرة وأبان عن نشاط كبير في

المعارك التي شهدها المدينة في هذا اليوم وسقط شهيدا  
برصاص العدو أمام مركز الشرطة بخنيفرة.

المدنوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهيدا .  
الاستقلال، بطاق مفاوم رقم 525371.

### السعيدى، المهدي، من قبيلة بني سعيد الريفية.

تقلد العديد من أفرادها مناصب هامة داخل المخزن المغربي  
في القرن الثالث عشر (19م)، منها منصب عامل مدينة  
طنجة بين سنتي 1900 و 1912، اشتهر منهم في عهد المولى  
سليمان شخصان كلاهما ولي عمالة طنجة هما : المهدي  
السعيدى والعربي السعيدى.

نكاد لا نعرف شيئا عن المترجم قبل التحاقه بمخزن المولى  
سليمان سوى أنه كان فقيها، وكان أيضا من أعيان المدينة  
(*Tanger et sa zone*, 102). ولعل هذا ما أهله لولوج الإدارة  
المخزنية والتدرج في أسلاكها من خليفة لعامل طنجة الحاج  
عبد الرحمان أشعاش حوالي سنة 1805 إلى عامل طنجة بعد  
وفاة عاملها محمد السلاوي سنة 1815.

في هذا الإطار، يخبرنا السفير النمساوي الكونت دي  
بويي (Le Comte de Pouilly) الذي حل بطنجة في ماي  
1805 في طريقه إلى مكناس حيث يوجد السلطان المولى  
سليمان، أن الذي استقبله هو المهدي السعيدى بمقر إقامته  
بالقصة، وذلك بالنجاة عن باشا المدينة الحاج عبد الرحمان  
أشعاش الذي كان يتولى أيضا حكم مدينة تطوان وبها كانت  
إقامته الاعتيادية (14، J. Caille). كما رافق السفير إلى  
مكناس في يونيو من نفس السنة لتقديم أوراق اعتماده إلى  
المولى سليمان، وبأمر من هذا الأخير انتقل الحاج عبد  
الرحمان أشعاش إلى طنجة للقيام بشؤونها أثناء غيبة المهدي  
السعيدى عنها (نفسه، 47). وكان المولى سليمان قد ولي  
الحاج عبد الرحمان أشعاش على تطوان في 1210 / 1796  
(تاريخ تطوان، 3 : 233). وأضاف إليه في 1800 حكم طنجة  
وما والاها من المراسي الشمالية - 99، *Tanger et sa zone*)  
(100) واستمر في ذلك إلى أن عزله السلطان المولى سليمان  
عنها في 1808 وأسند أمرها إلى عامل العرائش محمد  
السلاوي الذي كان غالب استقراره بهذه الأخيرة، ومنها كان  
يقوم بالاتصال بالقناصل الأجانب الموجودين بطنجة (M.  
El-Mansour, T. I, 80). وفي هذا المضمار لا نعرف ما إذا  
كان المهدي السعيدى قد حافظ على منصبه كخليفة لعامل  
طنجة أم أنه تولى مناصب أخرى في الفترة المحصورة بين  
صيف 1805 ووفاة محمد السلاوي السابق الذكر في 5  
أكتوبر 1815 (الضعيف، 393). ويذكر الضعيف أن المولى  
سليمان بعث الحاج عبد الرحمان أشعاش، الذي سبق أن  
عزله، في محرم 1231 / دجنبر 1815 عاملا على طنجة  
وتطوان، ولما وصل إلى هذه الأخيرة كرهه أهلها وكتبوا  
للسلطان فعزله عنهم. ولعل هذا العزل شمل أيضا مدينة  
طنجة إذ أن الذي كان عاملا عليها هو القائد المهدي

السعيدى كما يستفاد من رسالة من المولى سليمان إلى  
التاجر محمد بن عمر بجة (فنصل المغرب بجبل طارق فيما  
بعد) بتاريخ 25 ذي الحجة 1230 / 28 نوفمبر 1815 (تاريخ  
تطوان، 8 : 40). وكان يقوم، في الوقت نفسه، واسطة  
بين المخزن المغربي وبين القناصل الأجانب بطنجة، وهو ما  
توضحه رسالة من المدعو محمد بن أحمد - لعله عامل  
العرائش - إلى القنصل البريطاني بطنجة جرين (J. Green) في  
29 جمادى الأولى 1231 / 27 أبريل 1816، مما جاء بعد  
المقدمة (M. El-Mansour, T. II, Doc. 70)

"أما بعد فاعلم أن مولانا أمير المؤمنين نصره الله أمرنا  
مشافهة بلسانه أن نبعث إلى جبل طارق ليأتي إلينا لشغل  
العرائش معلم ماهر في رمي المهراس والمدفاع [...] وأنت  
الباب الذي يدخل عليه في هذا فريدك بمحبتك في جانب  
مولانا نصره الله ونظره لك الجميل أن تعنتني بأمره الشريف  
وترسل إلى جبل طارق ليأتي المعلم عزما ولا بد وقد كتبنا  
لقائد المهدي السعيدى بهذا وهو واسطة بيننا وبينك..."

وحتى شهر نوفمبر 1816 كان المهدي السعيدى ما يزال  
عاملا على طنجة ونائبا في نفس الوقت عن السلطان في  
مباشرة الشؤون الخارجية مع القناصل الأجانب بها، كما تبينه  
رسالة من الوزير الصدر أحمد بن مبارك إلى نائب القنصل  
الإنجليزي جرين (J. Green) بطنجة بتاريخ 1 محرم 1232 / 21  
نوفمبر 1816 (المنصور، م. س، II، وثيقة 72). ولم يلبث  
السلطان أن عزل المهدي السعيدى عن طنجة بعد هذا  
التاريخ، وولى مكانه عبد السلام بن عبدالصادق.

ويتضح أن القصد إلى محمد السلاوي والمهدي  
السعيدى، وهو ما يفند ما ذهب إليه ميشو بيلير (Ed.  
Michaux-Bellaire) من أن الذي خلف محمد السلاوي على  
طنجة هو عبد السلام بن عبد الصادق وليس المهدي السعيدى  
(100، *Tanger et sa zone*, ibid.). كما أنه ليس هناك ما  
يؤكد قوله إن المترجم تولى على طنجة في عهد السلطان  
المولى عبد الرحمان بن هشام (نفسه، 102).

م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدية، تح. أ. العساري : م. داود،  
تاريخ تطوان، مجلد 3 و 8 : جمال الدين العساري اشطبار، طنجة  
بين سنتي 1900 و 1912، د. د. ع. الرباط، 1995، 1996.

J. Caille, *Une ambassade autrichienne au Maroc en  
1805*, Paris, 1957 ; Ed. Michaux-Bellaire, *Tanger et sa  
zone*, in *villes et tribus du Maroc*, vol. 7, Paris, 1921 ; *Les  
Habous de Tanger*, A.M., vol. XXII, 1914 ; M.  
El-Mansour, *Political and social developments in Morocco  
during the reign of Mawlay Sulayman (1722-1822)*, Ph. D.  
2 tomes, Londres, 1981.

ميلود احسن

السعيدية (مدينة وقصبة وشاطئ)، مدينة صغيرة تقع  
على ساحل البحر المتوسط في أقصى شمال شرق المغرب  
بمحاذاة الحدود المغربية - الجزائرية، وتعد مركزا إداريا تابعا  
لعسالة أركان. وكانت في الأصل قصبة مخزنية بُنيت في  
عهد السلطان الحسن الأول سنة 1883 لتكون معلمة على خط

الحدود بين المغرب والجزائر عند مصب وادي كيس في البحر (وادي عجرود).

وترجع أسباب تشييد هذه المعلمة إلى اتفاقية مغنية حول الحدود بين المغرب والجزائر سنة 1845، التي أشهرت الخط الحدودي بين البلدين باعتبار مصب وادي عجرود في البحر المتوسط منطلق الحد في أقصى الشمال الشرقي، ويعتبر وادي عجرود امتدادا لوادي كيس، الذي أضحي يمثل حدا طبيعيا في وقتنا الحاضر بين البلدين، انطلاقا من تجمع ينايعة جنوب مدينة أحفير إلى مصبه في البحر. وقد ورد ذكر مرسى عجرود في بعض المصادر التاريخية الوسيطة (البكري، المغرب).

وكان اللوبي الاستعماري في الجزائر المحتلة، يسعى إلى نقل الحدود من وادي كيس (عجرود) إلى وادي ملوية غربا، وحينه أن هذا الأخير كان في عهد السيطرة الرومانية على شمال إفريقيا يشكل الحد بين موريطانيا القيصرية (الجزائر) وموريطانيا الطنجية (المغرب)، وبرر ذلك باعتبار فرنسا هي وريثة المستعمرات الرومانية القديمة في شمال إفريقيا، وهذا تفكير أصبح سائدا منذ احتلال الجزائر في الأوساط الاستعمارية الفرنسية، ووجد امتداده بعد توقيع عقد الحماية بالمغرب سنة 1912، وتناقلته الكتابات الاستعمارية الخاصة بالمغرب فيما بعد.

وقد نص اتفاق مغنية على عدم إشهار معالم الحدود بالحجارة أو ما شابه ذلك، كما نص على عدم البناء بخط الحدود من هذا الجانب أو ذاك. إلا أن السلطات الفرنسية بالجزائر خرقت ذلك في عدة مناسبات، منها إقدامها على بناء برج غير بعيد عن وادي كيس سنة 1882، بدعوى حماية سوق أسبوعي كان يُعقد على الضفة اليمنى للوادي المذكور، ويبعد عن البحر بحوالي 4 كلم (سوق الحيمر)، وفي هذا الوقت بالذات نظم بعض النواب البرلمانيين بوهران وبعض كبار الضباط حملة في الصحف الفرنسية بهدف الضغط على حكومة بلادهم لنقل الحدود إلى وادي ملوية، وادعوا أن المفاوضات الفرنسية قد عُرض بهم أثناء مفاوضات مغنية سنة 1845، وقد حان الوقت في نظرهم لتصحيح هذه الوضعية ومراجعة ترسيم خط الحدود، وواقع الحال - كما تؤكد الوثائق المغربية والفرنسية - يكشف أن المفاوضات المغربية هو الذي عُرض به، ووقع في شبك الإغراءات المالية فوافق على نقل خط الحدود من وادي تافنا إلى وادي كيس.

أثارت هذه الأطماع مخاوف السلطان الحسن الأول، فطالب بإثبات معالم الحدود بشكل لا يترك مجالاً للتزاع في المستقبل، وهو ما رفضته السلطات الفرنسية بالجزائر، لأنها كانت تخطط لضم أجزاء أخرى من التراب المغربي إلى التراب الجزائري، مستفيدة من العموض وعدم الدقة اللذين ميزا اتفاق مغنية. ووعيا من هذا السلطان بخطورة الأوضاع، فقد بادر إلى تشييد قصبة عن مصب وادي كيس (عجرود) لتكون بمثابة شهادة إثبات ومعلمة بارزة تحصن التراب

المغربي من كل توسع محتمل في شمال شرق البلاد، بينما أخفقت كل مساعيها الرامية إلى تحصين الحدود في الجهة الجنوبية الشرقية.

ويُستفاد من الوثائق أن دواقع أخرى حفرت السلطان إلى تشييد قصبة السعيدية، وفي مقدمتها محاربة التهريب الذي كان متفشيا عبر خط الحدود، إذ كان وادي كيس في مجراه الأسفل يعد من المسالك الرئيسية للمهربين بين المغرب والجزائر، إلا أن هذه التجارة المحرمة كانت مصدر نزاع وتوتر بين المخزن والسلطات الفرنسية بالجزائر. كما أن ظاهرة الجفاف والقحط والمجاعة التي كانت من السمات المميزة لشمال شرق المغرب، أدخلت قبائل المنطقة في تبعية شبه دائمة لغرب الجزائر بخصوص التزود بالقوت في أوقات الشدة، نظرا لما كانت توفره السلطات الفرنسية هنالك من إمكانيات لمد الأسواق الجزائرية في فترات الشدة بالحبوب، بينما كانت السبل البرية بين شرق المغرب وغربه غير مأمونة (وجدة وفاس)، وبالتالي كثيرا ما تعذر على المخزن نقل الحبوب من سهل الغرب أو من الشاوية إلى ناحية وجدة. كما أن غياب مرسى مفتوح للتجارة بشمال شرق المغرب فرض ما يشبه العزلة على المنطقة المذكورة. ومن الملاحظ أن جل المراسي المفتوحة للتجارة الخارجية كانت توجد بالساحل الأطلسي، وكانت مرسى الغزوات أقرب مرسى جزائري إلى التراب المغربي. وبدون شك فإن تفكير المخزن اتجه إلى فك العزلة عن المناطق الحدودية عن طريق إقامة محطة تجارية بعجرود، واستمالة قبائل الحدود إليها، وصادف ذلك اقتناء المخزن الباخرة المسماة "الحسنى" (1882)، وعلى سبيل المقارنة فإن القصد من بناء قصبة السعيدية بعجرود بما أقامه المخزن بساحل طرفاية لحراسة المنطقة من أي تدخل أجنبي، ومن المرجح أن تكون هذه العوامل جميعها وراء قرار المخزن القاضي ببناء "القصبة السعيدية"، وقد أبانت السنون فيما بعد أن القرار المخزني كان صائبا وينم عن بعد نظر في تدبير شؤون البلاد.

وتكشف الوثائق الفرنسية عن عنصر آخر شجع المخزن على بناء قصبة السعيدية، حيث كان هذا الأخير مستاء من مواقف فرنسا أثناء انعقاد مؤتمر مدريد سنة 1880 بشأن مشكل الحماية القنصلية، فراجت إشاعات بين الهيئات الدبلوماسية الأجنبية المعتمدة بطنجة (1881، 1882) حول نية سلطان المغرب منح ألمانيا محطة بشاطئ عجرود، بهدف تخزين الفحم الذي تحتاج إليه السفن الألمانية العاملة بحوض البحر المتوسط، وهذا امتياز من شأنه إثارة قلق فرنسا بناء على العداوة التقليدية التي كانت تكنها لألمانيا آنذاك فسارعت إلى خرق أحد بنود اتفاق مغنية وشيدت برجا على مقربة من الضفة اليمنى لوادي عجرود. فقام المخزن بالمثل وبادر إلى بناء قصبة بجوار خط الحدود (السعيدية). وظل مشروع منح بعض الامتيازات لألمانيا بشاطئ عجرود قائما إلى سنة 1907، وكان يشكل بحق مصدر قلق وانزعاج

"السعيدة"، وتحتزن مديرية الوثائق الملكية بالرباط مئات المراسلات بهذا الشأن (انظر ملف وجدة).

وكان العرف المخزني يقضي أن كل ما يُنسب إلى الدولة يُنعت بصفة "السعيد" تيمناً وتفاؤلاً، والأمثلة كثيرة على ذلك في تاريخ المغرب، نذكر منها: "البايور السعيد"، ويُقصد بها سفينة في ملكية الدولة، فكان يقال مثلاً "البايور الحسني السعيد"، و"البايور التركي السعيد"، وهما سفينتان مغربيتان اقتنهما المخزن في نهاية القرن التاسع عشر. كما أن جيش الدولة كثيراً ما كان يُنعت باسم "الجيش السعيد". هذا مجمل ما يُستفاد من الوثائق المغربية، التي لا تتضمن ما يفيد أن القصة كانت تنعت باسم السعيدة، في حين كانت الوثائق الفرنسية تسمي القصة المذكورة باسم السعيدة.

وقد اقترن اسم "السعيدة" بقصة عجرود لمدة تزيد عن ربع قرن، في حين شيد المخزن عدة قصبات في الفترة ذاتها ولم يلتصق بها الاسم السعيد، ويُرجح أن يكون ذلك ناتجاً عن كثرة استعمال اسم "القصة السعيدة" في المراسلات المخزنية، إلى أن صارت تنعت باسم "السعيدة" اختصاراً لاسم القصة السعيدة.

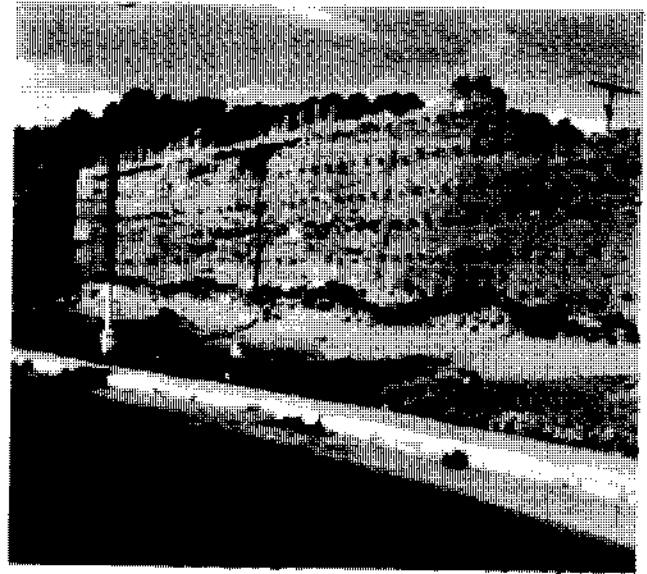
أما اسم السعيدة الذي طغى فيما بعد وأصبح هو الاسم الرسمي لقصة عجرود، فبدون شك أن السلطات الفرنسية بالجزائر كان لها دور في ذلك. فبعد حوالي سنتين من بناء القصة تحول الاسم في الوثائق الفرنسية من برج عجرود أو قصة عجرود إلى اسم السعيدة، وهذا أمر له ما يبرره. وتكشف بعض المؤشرات عن التحريف الذي طال نقل رسم "السعيدة" إلى الحروف اللاتينية، فقد ورد الاسم في النص الفرنسي لاتفاقية الجزائر الموقعة في 20 أبريل 1902 على الشكل التالي: Saïdia d'Adjeroud، بينما النص العربي رسمها على النحو المستعمل في الوثائق المغربية، أي "سعيدة عجرود" (البندان الرابع والسابع). ومن المرجح أن يكون ذلك التحريف مقصوداً أو مبنياً على تأويل مغلوط، إذ من

للحكومة الفرنسية، التي حملته على محل الجد. هذه بعض دواعي بناء "القصة السعيدة" بعجرود، والتي صارت تعرف فيما بعد باسم السعيدة.

كان الشروع في وضع تصميم البناء في شهر رجب 1300/ مايو 1883، حيث حُدد الموقع غير بعيد عن الضفة اليسرى لوادي كيس، وتفصله عن البحر مسافة لا تتجاوز 300 متر. أما البناء فقد انطلق في بداية شهر يونيو من السنة نفسها تحت إشراف عامل وجدة وناحتها عبد المالك ابن علي السعدي. فاستنفر المخزن القبائل المجاورة، وألزمها السخرة والمساهمة بالمال حسب العادة الجارية آنذاك. ورغم الاستعجال في بناء القصة، فإن الأشغال لم تنته إلا خلال سنة 1884. فجاء البناء على شكل مربع قُدرت مسافة كل ضلع من أضلاعه بحوالي 125 متر، وتتخلل الأسوار أبراج كما هو معهود في القصبات المخزنية مع باب واحدة من جهة الشرق، إلا أن داخل القصة كان خالياً من كل بناء، وقد خيمت بالقصة حامية عسكرية بمجرد انتهائها العمل بها.

كانت وثائق وزارة الحربية الفرنسية (قصر فانسين) سبّاقة إلى نعت البناء الجديد باسم برج عجرود، (1883). لكن بعد سنوات معدودة من تاريخ البناء صارت تنعته تارة باسم Saïdia (السعيدة)، وتارة أخرى باسم قصة السعيدة، بينما كانت الوثائق المغربية تنعته بعدة مسميات متقاربة، وهي: قصة عجرود وسعيدة عجرود والقصة السعيدة، والسعيدة، وظل الحال على هذا النحو إلى تاريخ احتلال القصة المذكورة في شهر أبريل 1907.

كل المعطيات التاريخية من الجانب المغربي - منذ التأسيس إلى تاريخ الاحتلال (1883. 1907) - تؤكد أن القصة كانت تُنعت وفق القاموس اللغوي المستعمل آنذاك من كتبة دواوين الجهاز المخزني المركزي، حيث كانت التسميات الأكثر تداولاً في المراسلات بشأن قصة عجرود هي: "سعيدة عجرود - القصة السعيدة - السعيدة"، ومن باب الاختصار نظراً لكثرة التداول جرت العادة بنعتها باسم



السهل إدراك الفرق بين الرسمين من حيث الدلالة والمعنى، وهذا أمر لم يكن يخاف عن التراجمة الفرنسيين.

وقد رجّح بعض الدارسين المغاربة أن يكون اسم "السعيدية" منسوباً لرجل السلطة الذي نفذ الأوامر المخزنية، وقد كان اسمه عبد المالك السعيد، وكان آنذاك عاملاً لمدينة وجدة وناحيتها، إلا أن المراسلات المخزنية في عهده لم تكن تنعت القصبية باسم السعيدية. وليس من المستبعد أن تكون السلطات الفرنسية هي التي أشاعت استعمال اسم السعيدية، خصوصاً بعد السفارة التي ترأسها العامل المذكور إلى باريس سنة 1885، أي بعد مرور سنة واحدة على إنهاء القصبية وكانت المعلمة الجديدة قد أُتجزت على يده، وأبان عن جهود كبيرة بهدف تحسين العلاقات بين القبائل المغربية والسلطات الفرنسية بالجزائر، فكان تشييد القصبية بمثابة إنجاز شخصي يبرهن به أمام السلطات الفرنسية على إرادة المخزن لتحسين العلاقة بين البلدين عبر الحدود، وقد أشادت السلطات الفرنسية بفترة ولايته على وجدة وناحيتها، واعتبرتها فترة تفاهم وصدقة.

وإذا كانت التسمية الأصلية هي "السعيدة" كما سبقت الإشارة إلى ذلك، فإن السلطات الفرنسية بعد احتلال شرق المغرب سنة 1907، فرضت التسمية التي كانت سائدة لديها، وحكمت إدارتها فصارت هي التسمية الرسمية، رغم أن المسنين من أهل البلد ظلوا ينعنون القصبية باسم "سعيدة" إلى وقت قريب (بسكون حرف السين وفتح حرف الدال).

ومن اللافت للنظر أن مدينة جزائرية تحمل الاسم نفسه، وهي مدينة "سعيدة" الواقعة جنوب مدينة وهران بغرب الجزائر. وهذا أمر يثير تساؤلات كثيرة، ويبحث على التفكير في تفسير آخر محتمل لاسم السعيدية، ومفاده أن سلطات الاحتلال قد تعمدت تحريف اسم "السعيدة" إلى السعيدية لتمييز "سعيدة" الجزائر عن "سعيدة" المغرب، وهذا احتمال وارد، لكون السلطات الفرنسية هي التي تحكمت في البلدين معاً آنذاك.

وفي بداية القرن العشرين استحدث المخزن ديوانة بالقصبية لاستخلاص رسوم التعشير، وبذلك صارت مركزاً حدودياً نشيطاً، وكانت في الوقت ذاته تعد محطة رئيسية لنقل الجيوش إلى شرق البلاد، وإمدادها بكل ما تحتاجه بواسطة بعض السفن المخزنية، خصوصاً إبان ثورة الجيلالي الزرهوني المشهور باسم الروكي بوحسار، وفي هذا السياق ورداً على قرار السلطات الفرنسية بإغلاق الحدود سنة 1906، بادر المخزن إلى طلب مساعدة ألمانيا لبنا مرسى بعجود في مقدوره استقبال سفن المخزن التي كانت تتردد على "القصبية" لأغراض مختلفة. ويؤكد هذا المعطى نية المخزن في الاستفادة من قدرات الدولة الألمانية ومنحها موطن قدم قرب مستعمرة فرنسية (غشت 1906)، رغم أن المشروع قد استفذ الحكومة الفرنسية ولم يكتب له النجاح لأسباب كثيرة، حيث بادرت فرنسا إلى احتلال شرق المغرب في أقل من سنة من

بداية المشاورات مع ألمانيا لتنفيذ المشروع (أبريل 1907). وبعد الاحتلال ظلت السعيدية مركزاً حدودياً بين المغرب والجزائر، حيث استأنف مركز الديوانة نشاطه سنة 1908، وظل يشتغل إلى بداية الاستقلال، ومن جهة أخرى شيّدت سلطات الحماية قنطرة على وادي كيس غير بعيد عن باب القصبية لتربط بين السعيدية من جهة المغرب ومرسى بور صاي (مرسى بلّمهيدي حالياً) من جهة الجزائر. وقد ظل الجسر قائماً بعد استقلال البلدين، لكن فيضيات أعوام منتصف الستين جرفته.

وقد شهدت مدينة السعيدية تطوراً عمرانياً كبيراً في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، وتركز نشاطها في ميدان الاصطياف نظراً لاتساع شواطئها وجودة رمالها، فلذلك يقصدها المصطافون من عدة مدن مغربية. وفي إطار فك العزلة عنها، تم ربطها بمشروع الطريق الساحلي انطلاقاً من طنجة في اتجاه وجدة عبر منطقة الريف، وقد تحقّق جزء منه في نهاية سنة 2000، حيث شيّد جسر فوق وادي ملوية قرب مصبه في البحر غرب السعيدية، للربط بين مدينتي وجدة وطنجة عبر منطقة الريف في إطار مشروع متكامل. ويدخل هذا المشروع ضمن برامج وكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية في عمالات وأقاليم الشمال المحدثة منذ سنة 1995.

ع. برحاب، شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي 1873. 1907، الدار البيضاء. 1989: السعيدية أو سعيدة عجود صلة وصل بين المغرب والجزائر، مجلة جمعية تاريخ المغرب. وجدة. العدد الأول سنة 1993: التهريب والحدود في شمال شرق المغرب (1845-1912) ضمن وفتات في تاريخ المغرب، دراسات مهداة للأستاذ إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب، الرباط، 2001، ص. 337-363. جاك كايي، السفارات والبعثات المغربية إلى فرنسا، مجلة تطوان، العدد السادس، 1961.

L. Voinot, Une époque d'entente cordiale avec l'Amel d'Oujda. 1881 - 1885. R.A., 1926; A. Bernard. Les confins algéro-marocains. Paris. 1911; J. Rouch, Saïdia, port méditerranéen du Maroc français. La Géographie, tome LX, n° 1 & 2. 1933; F. Llabador, Port-Say et son fondateur, Oran. 1955; Smâïli Moulay Abdelhamid, Les années terribles du Maroc Oriental. 1844 - 1945. Oujda, 1996

عكاشة برحاب

**سغروشن** (أيت -) اسم موحد لمجموعات بشرية متباعدة ومنشقة حالياً، ومتفاوتة أهمية ومختلفة تركيبة وعيشا، ومن ثم دينامية. يتعلق الأمر أحياناً بقبائل، أو بقحذات أودواوير سغروشنية ملحقّة بقبائل أخرى.

اسم "سغروشن" - كما تتداوله الرواية - مكون من كلمتين أمازيغيتين تعنيان "جمد الذئب" أو "يئسه، علاوة على أيت التي تعني كل من يتبعون شخصاً ما... وهذا اسم له علاقة بما يزعمه هؤلاء من الانتماء إلى الشرفاء الأدارسة. يقال إن الجد الموحد لكل هذه المجموعات كان يصلي ويجواره قطيعه فأراد ذئب مهاجمة القطيع. إلا أن بركة المصلي كانت حاضرة بحيث جمد الذئب بمجرد نظر الشريف إليه.

إذا كان هذا الاسم موحدًا، فتشتت المجموعات وعدم تجانس تركيبته الاجتماعية يشكلان أمرًا محيرًا فيما يخص وحدتهم وتاريخهم. قد يكون سبب تشتتهم مرتبطًا فعلاً برغبة موسى ابن أبي العافية في سفك دمائهم والقضاء عليهم كأداة في مطلع القرن الرابع (10م). مما دفعهم إلى التشتت والاختفاء.

على كل حال فإن اسم أيت سفروشن يحمله عدد من المجموعات البشرية المنتشرة بين الأطلس الكبير الشرقي والأطلس المتوسط المشرف على الساييس مرورا بوادي ملوية.

أهم هذه المجموعات أربع :

- أيت سفروشن سيدي علي (بجبل تيشكوت).

- أيت سفروشن حريرة بكوس المنزل - مطماطة - تاهلة.

- أيت سفروشن إيموزار كندر.

- أيت سفروشن تالسينت (الأطلس الكبير).

أما المجموعات السفروشنية المحدودة فهي :

- أيت سفروشن (الأشرف) داخل إغزران.

- أيت سفروشن السُّغْلَازُ (داخل جماعة تاروطة).

- أيت سفروشن الواتة (داخل جماعة أغبالو أقرار).

وكل هذه المجموعات السفروشنية بإقليم صفرو حاليا

ولها علاقة إما مع أيت سفروشن سيدي علي أو مع حريرة.

- أيت سفروشن تسويت داخل قبيلة أيت ازدك.

- أيت سفروشن (قصر أولاد الطير) داخل قبيلة أيت

أوفلا، وجماعة ميبلك ن حاليا، وهم تابعون لدائرة ميدلت

إقليم خنيفرة.

1 - أيت سفروشن سيدي علي، يستوطنون كتلة

تيشكوت وهوامشها ويتجاورون مع أيت يوسي من جهات

الجنوب والغرب والشمال، ومع مرموشة من الشرق، ومع بني

علاهم من الشمال الشرقي. قد يكون حلولهم بموطنهم هذا تم

في القرون العاشر (16م). أما تقسيمهم من طرف Reisser

et B.، فشبهه بتقسيمه "إخوانهم" بإيموزار كندر، فهم ثلاث

فئات : الأصليون والأخرون والمُلاحقون، كل واحدة تنقسم

بدورها إلى تقسيمات متعددة. فهم إذاً خليط يجمعهم الاسم

والحدود التي سطرها المعمر للقبيلة من أجل هدف إداري

(للإشارة، كان سكان سكورة، وسكان بني غرايم بوادي

غيغو سابقين لمجيء أيت سفروشن).

وبسبب رغبة المعمر في تسهيل الإدارة قسم أيت

سفروشن سيدي علي إلى فخذات جغرافية إدارية. وهي

المعتدة إلى الآن، وبعد الاستقلال وزع المجال بين جماعتين

قرويتين : سكورة (مداز) والمرس.

يغطي مجال أيت سفروشن سيدي علي مساحة تقدر ب

80000 هكتار موزعة كالتالي :

جماعة سكورة مداز 43500 هكتار.

جماعة المرس 36500 هكتار.

وهي أراض تتشكل من كتلة تيشكوت المنتمة للأطلس المتوسط اللتوي حيث توجد إحدى أعلى قمم قمة تيشكوت (2793م) حيث التضاريس جبلية وعرة، والمناخ قاسٍ. فجزء من الكتلة تغطيه الثلوج لشهور عديدة من السنة. وتوجد هذه الظروف وراء الانتشار الواسع للأراضي الغابوية. وتوفر موارد مائية على شكل عيون (مثل عين السخون بقعر وادي غيغو بعالية سكورة، وعين تادوت بهضبة تادوت المشرفة على سكورة) ومجارٍ دائمة مثل واد مداز، ووادي غيغو. وهي التي تفسر التعارض الواضح بين الواجعتين الشمالية والجنوبية للكتلة وبين الأودية وأعالي السفوح من الناحية المناخية والبيومناخية.

في هذا الإطار استقر السكان المنضرون تحت اسم أيت سفروشن سيدي علي معتمدين على تربية الماشية، وعلى الزراعة بما في ذلك الزراعة المسقية القائمة على الحبوب وضمنها الذرة، وعلى الأشجار خاصة الزياتين كما هو الحال بوادي غيغو بين سكورة وبني غرايم.

لكن قساوة الظروف الطبيعية وضعف الموارد الرعي -

زراعية المرتبطة بها قد تكون دفعت أيت سفروشن سيدي

علي إلى البحث عن موارد خارج الكتلة وهو ما تسبب في

صراعات مع جيرانهم نحو الشمال خاصة أيت يوسي.

ونظرا لأهمية ظاهرة انخراط رجال القبيلة في صفوف

الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الثانية، وكإجراء

لإسكات هؤلاء، بعد نهاية الحرب وعودتهم إلى دواويرهم،

أقدمت سلطات الحماية على إعداد القطاع المسقي المسمى

بسكورة بهدف تجزئة الأراضي. وقد شرع في تنفيذ الخطة

واستفادت أسر سفروشنية كثيرة من توزيع الأرض في

البداية، لكن المشروع لم يتقدم كثيرا بعد الاستقلال.

في هذا الوقت تزايدت الساكنة واستفحلت المشاكل

الاقتصادية والاجتماعية والبيئية. ومعها ظاهرة النزوح

(وخاصة النزوح المرتبط بالانخراط في الجيش والقوات

الأخرى).

فعدد سكان أيت سفروشن سيدي علي تزايد لكن بوتيرة

بطيئة بالمقارنة بأيت سفروشن إيموزار كندر وبأيت سفروشن

حريرة. فعددهم الذي كان 8000 ن سنة 1936 ارتفع إلى

10015 في 1960 ثم إلى 14061 ن في 1994. وهو ما رافقته

أرقام منخفضة بالنسبة للكثافة السكانية العامة 10 ن /

كلم<sup>2</sup> في 1936 ثم 12,5 ن/كلم<sup>2</sup> في 1960 و 17.6 ن /

كلم<sup>2</sup> في 1994. وهذا مرتبط مع ضعف الإمكانيات الزراعية

والنزوح.

فالأرض الزراعية لا تغطي سوى 8221 هـ أي 10.3٪

فقط من المساحة العامة والباقي غابات ومصراع وأرض ميتة.

ولا يسقى من الأراضي الزراعية سوى 1751 هكتار أي

21.3٪ معظمها بسكورة، 64٪ منها مخصصة للحبوب.



أما قطاع الماشية فيلعب دورا كبيرا في حياة واقتصاد السغروشينين. بحيث وصل عدد رؤوس الماشية إلى 45281 رأس في 1996 موزعة بين 25130 من الغنم و 19431 من الماعز و 720 من الأبقار.

وبجانب الزراعة والماشية تبقى موارد هجرة الانخراط في الجيش وموارد معاشات قدماء المحاربين ركيزة أساسية لاقتصاد أيت سغروشن سيدي علي. وهذا الوضع قابل للتحسن مع إمكانية تحسين قطاع الزراعة والماشية وتنمية أنشطة أخرى كالسياحة، لكن شريطة فك العزلة عنها وإعادة تقييم مؤهلاتها وإخضاع مواردها لاستغلال معقلن.

2 - أيت سغروشن حريرة، مجموعة قبلية تستوطن جزءا من الهضبة الكلسية (le Causse) شرق خوانق وادي سبو بالأطلس المتوسط الشمالي، يجاورها من الغرب بني سادن والحياينة، ومن الشمال والشرق بني وراين، ومن الجنوب بني يازغة.

تتد أراضيها على مساحة 23700 هـ. وهي مشكلة من هضبة كلسية يقطعها كل من واد مطماطة وواد بوزملان وروافدهما. وهي هضبة يتراوح ارتفاعها بين 450 م شمالا و 950 م جنوبا (بالنسبة لما يهيم أيت سغروشن).

وبالرغم من كون المنطقة تتوصل بكمية مطرية سنوية تفوق 450 مم تسمح بانتشار الزراعة البعلية، فالموارد المائية الدائمة التي تسمح بقيام زراعة مسقية تبقى محدودة.

إن المجال الذي يستوطنه أيت سغروشن حريرة مجال قريب من ممر إيناون الذي سلكته المجموعات البشرية والحركات السلطانية والقوافل التجارية والحجيجية... مجال يبدو أنه استوطن من طرف مجموعات بشرية قوية مثل فندلاوة، وصريرة وبني إيستن... (ومازالت هذه الأسماء قائمة كأسماء أماكن إلى اليوم) وهي ملاحظات تطرح مسألة تاريخ حلول

أيت سغروشن حريرة بالمنطقة والظروف المصاحبة لذلك وكذلك مدى وحدة وتجانس مكونات قبيلتهم.

والواضح أن أيت سغروشن حريرة كانوا خلال القرن الثالث عشر (19 م) حلفاء لبني وراين النازلين من الجبل نحو إيناون، وكانوا في صراع مع بني سادن. وقد يكون لهذا الوضع علاقة بغياب القرى وتقسيم القبيلة على أساس عشائري حتى أيام الاستعمار.

خلال هذه الفترة احتفظ بالقبيلة كوحدة إدارية تابعة لناهله. وفي سنة 1959 أصبحت القبيلة جماعة قروية بدائرة ناهله، إقليم تازة. ومازال الأمر كذلك إلى اليوم (سنة 2002).

ظل سكان أيت سغروشن حريرة، شأنهم في ذلك شأن أيت سغروشن سيدي علي، ريفيين إلى الآن. لكنهم تطورا بسرعة أكثر، الشيء الذي جعل كثافتهم أكثر بكثير كما يظهر في المعطيات التالية :

السنة	1936	1960	1994
السكان ن	5590 ن	9102 ن	17112 ن
الكثافة (كلم <sup>2</sup> )	23.6	38.40	72.2

ومع هذا التطور يلاحظ أن الضغط على الموارد الطبيعية كبير. فالكثافة السكانية مرتفعة بالمقارنة مع المعدل الوطني العام وجد مرتفعة بالنسبة لمعدل الأرياف.

يعتمد السكان على الزراعة وتربية المواشي في إطار يتميز بالازدواجية بين ما هو عصري ورث عن الاستعمار وما هو تقليدي. فمساحة الأراضي الزراعية المقدرة ب 12095 هـ تمثل 51٪ من المساحة الإجمالية للقبيلة لكن لا يسقى منها سوى 371 هـ أي 3٪ فقط. ويتوزع استعمال هذه الأراضي الزراعية بين الحبوب بحصة 68٪ متبوعة بالقطاني بحصة 16٪. ولا تمثل حصة الأشجار إلا 5.4٪. وبما يدل على أهمية الضغط على الأراضي كون حصة الأراضي المستريحة لا تمثل سوى 8,8٪.

أما 49٪ الباقية من المساحة الإجمالية فمعظمها مراعي للماشية المكونة من 2492 رأس من الأبقار، و 25897 رأس من الأغنام و 4826 رأس من الماعز، وكذلك ما يقرب من 3500 رأس من الخيول.

وإذا كان القطاع الفلاحي قد أمن حدا أدنى من التشغيل ومن الموارد للسكان. فهو اليوم عاجز بسبب توالي سنوات الجفاف، ولم يعد أمام الساكنة التي ظلت ريفية سوى التزوج، وهي ظاهرة بدأت انعكاساتها تظهر في تركيز الأسر بمركز بوزملان حيث ينعقد السوق الأسبوعي وحيث مقر الجماعة وبعض الخدمات.



بعض المدن العتيقة بأثمان مرتفعة نسبيا نظرا لكونه يستعمل لتحضير بعض الأطباق المحبذة عند المغاربة. شجرة السفرجل قصيرة القامة لا يتعدى ارتفاعها 8 أمتار، جذ مُدغلة، ذات جذع وفروع متعرجة. أغصانها الفتية مكسوة بزغب قبل أن تتحول إلى جرداء. أوراقها قصيرة العنق، بيضية الشكل، ذات طول من 5 إلى 10 سم. وعرض من 3 إلى 7 سم، ذات وجه علوي أجرد ووجه سفلي مكسو بوبر حريري قصير يعطيه لونا أبيض. أزهارها تظهر منفردة وإبطية ذات لون وردي باهت. ثمارها كبيرة الحجم، مستديرة أو إجاصية الشكل، لحمية، ذات لون أصفر ليموني، ومغطاة بزغب ناعم.



السفرجل شبه طبيعي بالمغرب. وموطنه الأصلي آسيا الغربية والجزء الغربي من آسيا الغربية والجزء الغربي من آسيا الوسطى حيث مازالت ضروريه البرية تعيش في اليمن وإيران ومناطق القوقاز وتوركمانستان وأوزبكستان وقرغستان وتادجيكستان. وقد عُرس كشجرة مشمرة منذ أقدم العصور في المناطق المعتدلة والمتوسطية وشبه المدارية من العالم القديم ثم أدخل إلى أمريكا وأستراليا بعد اكتشافهما.

يفرس السفرجل في البساتين والحقول المروية في جل المناطق المغربية باستثناء تلك التي تشتد فيها البرودة، أي أنه ينمو في كل الطوابق النباتية ماعدا الطابقين الجبلي المتوسطي وفوق الجبلي المتوسطي أما من حيث التربة فإنه يحبذ الأراضي السميكة الموجودة في وديان جبال الريف والأطلس.

يفرس السفرجل خاصة لثماره التي تؤكل طازجة وهي حالة نادرة أو في أغلب الحالات مطهوه مع السكر والقرفة ومصحوبة بالملوخية (انظر الملوخية) بالمعنى المغربي أو البامية بمعنى المشرق العربي وهي هيببيسكوس إسكولانتوس Hibiscus esculentus. كما تستعمل وخصها أو مخلوطة مع التفاح والإجاص في صناعة المربيات والمصبرات الغذائية.

ونظرا لهذا التطور تعمل الجهات المسؤولة مع المجلس المنتخب على تحسين الوضع اقتصاديا واجتماعيا وبيئيا بإدراج الجماعة في برامج التنمية التي أعدتها وكالة تنمية الأقاليم الشمالية.

3- أيت سفروشن إيوزار كندر، يشكلون قبيلة تشغل المجال الممتد بين ضاية إفراح جنوبا، والنهية الجنوبية للساييس شمالا، وهي بذلك تتجاور مع أيت بوسي من الجنوب والشرق والشمال الشرقي ومع أيت عياش في الشمال وبني مطير من الغرب. وتشمل ما يسمى بمقعر إيوزار كندر، وهو مجال ينتمي للأطلس المتوسط المنضدي حيث سيادة الكلس. لتزداد ارتفاعاته من الساييس شمالا نحو الجنوب.

وكونه مجالا مفتوحا نحو الشمال، جعله يستفيد من المؤثرات الرطبة المحيطية، فالأمطار تصل إلى 600 مم على شكل ثلوج أحيانا في الأجزاء الجنوبية المرتفعة. هذه الظروف الطبيعية جعلت مجال أيت سفروشن إيوزار مجالا غنيا بالمياه على شكل ضايات مثل ضاية عوا؛ وعيون مثل عيون الغربي، البرواك، السلطان، الجراح، أيوع، الشفاء...؛ ومجار مائية مكسوة بغابات البلوط الأخضر، وهي ظروف تساعد على تنوع في النشاط الاقتصادي وعلى السياحة وعلى استقرار الساكنة.

4- أما أيت سفروشن تالسينت في الأطلس الكبير فتشتمل على جماعات بوشاون، وتالسينت ويومريم.

علي ابن أبي زرع، القرفاس؛ أ. القديميري، إطلالة على دائرة تاهلة؛ عمالة إقليم تازة، 1982، متوجرافيسيا؛ ع. الموزن، متوجرافيسيا دائرة بولان، إقليم بولان، 1982؛ ح. جباري، الإنسان والأرض في الأطلس الكبير الشرقي (نموذج جماعة كير الأوسط)، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1986؛ إحصاءات السكان والسكنى 1960-1971-1982-1994، مديرية الإحصاء، الرباط؛ خريطة قبائل المغرب أقاليم الشمال؛ خريطة التقسيم الإداري.

Kerbout M, *Quelques aspects de l'évolution quantitative du peuplement dans le Moyen Atlas et le Bassin de la Moulouya*, R.G.M., vol. 12, n°1, 1988, pp 33-49 ; Reissier (C ne) et Bachelot (C ne), *Notice sur le cercle de Sefrou*, n°4, février 1919 ; Ministère de l'Agriculture, du Développement rural et des Pêches Maritimes, *Recensement Général de l'Agriculture. Résultats par commune Régions : Fès-Boulmane ; Meknès-Tafilalet ; Oriental ; Taza-AhHocema-Taounate*, Rabat, janvier 2000.

محمد كريبوط

**السفرجل المستعمل في العربية أُخذ عن الفارسية وهو النبات المسمى علميا سيديونيا مَالِيْفُورْمِيْسُ Cydonia maliformis** المنتسبي إلى فصيلة الورديات Rosaceae التي تشمل التفاح والإجاص والمشمش والوخوخ إلى غير ذلك من الأشجار المثمرة وكثيرا من الأجناس الأخرى البرية منها والمدجنة.

وتجدر الإشارة إلى الضرب ذي الثمار الصغيرة الحجم والمسمى في المغرب بـ"اللقِيم" الذي يظهر نادرا في أسواق

كما يغرس السفرجل لإنشاء الأسبجة الحية إضافة إلى إنتاج الثمار، أو كشجرة مطعمة حاملة للضروب الممتازة من نفس النوع أو من التفاح أو الإجاص.

وتستعمل ثمار السفرجل أو بذورها في التطبيق التقليدي لمعالجة أمراض اللثة والجهاز الهضمي ولتحسين الصوت أو لتلين الشعر.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938 ; A. Metro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*, Rabat, 1955 ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997.

عبد المالك بنعبد

### السفن المغربية

يعتبر جواز طارق بن زياد وجيشه من طنجة إلى الأندلس سنة 92 / 711 م على متن عدد من السفن أقدم إشارة إلى استعمال المغاربة للسفن في العصر الإسلامي. ولا ندري هل كانت هذه السفن من صنع محلي أم من عتاد البحرية الأموية، خاصة وأن القائد موسى بن نصير كان قد أنشأ داراً لصناعة السفن بإفريقية.

ورغم أن دولة الأدارسة والدويلات اللاحقة لها لم تكن دولا بحرية، فقد وردت الإشارة إلى عدد من المراسي المغربية خلال القرون الثالث - الخامس (9 - 11 م) مما يدل على ارتباط المغاربة بالبحر خاصة في التنقل والصيد، في الوقت الذي ظلت فيه سفن الأمويين بالأندلس هي المسيطرة على الملاحة بالمحوض الغربي للبحر المتوسط، باستثناء مدينة سبتة التي احتفظت بتقاليد الراسخة في التعامل مع البحر، حيث نجد مثلاً أن قطعها البحرية بقيادة المعز بن سكوت البرغواطي قد تمكنت من هزم البحرية المرابطية سنة 476 / 1083 قبل أن تتدخل بحرية إشبيلية العبادية لإنقاذ المرابطين.

ومتد استقرار الأمر للمرابطين عرفت صناعة السفن بالمغرب انطلاقاً فبلغ عدد السفن المرابطية في عهد يوسف ابن تاشفين حوالي 100 سفينة ما بين شيني وطريدة وشلندي، وكان أغلبها في البداية معداً لنقل الجنود والعتاد إلى الأندلس وليس للقتال، ثم تطورت السفن المغربية بعد أن أصبح قادة البحر المرابطون، خاصة من أسرة بني ميمون، يهاجمون سواحل شمال إسبانيا وجزر البحر المتوسط الغربية. ثم تعززت تلك الصناعة خلال العصر الموحد، وظل الأسطول الموحد يتكون من نفس العدد تقريباً لمدة لا بأس بها، فعند تحرك عبد المؤمن لفتح المهديّة سنة 554 / 1159 كان عدد قطع أسطوله يتراوح بين 70 و100 سفينة، لكن هذا الخليفة سرعان ما أحس بأهمية الأسطول فشجع صناعة السفن، وبلغت أوجها في عهد ابنه يوسف وحفيده المنصور مما جعل السلطان صلاح الدين الأيوبي يستنجد بالأسطول المغربي للقتال ضد الصليبيين. وخاضت السفن المغربية خلال هذا العصر معارك شتى في الأندلس وفي عرض البحر المتوسط. وبلغ عدد السفن الموحدية في فتح ميورقة سنة 601 / 1204 حوالي 300 سفينة، بين غراب وطريدة، ومراكب كبيرة، وأغلبها قوارب.

ومن بين المدن التي كانت بها دور صناعة السفن خلال هذا العصر سبتة وطنجة وقصر مصمودة والمعصرة، وكانت بنواحي فاس دار لصناعة المراكب الصغيرة. وكانت سفن الأسطول المغربي موزعة بين المراسي الخاضعة للدولة الموحدية (120 في سلا والمعصرة، 100 في مراسي سبتة وطنجة ويادس ومراسي الريف، و100 في مراسي وهران وهنين وتونس، و80 في مراسي الأندلس) (القرطاس).

خلال مرحلة ضعف الدولة الموحدية تضرر نشاط صناعة السفن كثيراً، إلى أن جاء السلطان أبو الحسن المريني (731 / 749 - 1331 - 1348) فقام بتشجيعها من جديد، وبلغت سفن أسطوله عدة مئات. وأنشأ داراً للصناعة بسبتة وأخرى بسلا، وذكر ابن منكلي أنه "لما كان في أيام السلطان أبي الحسن المريني كان بدار الصناعة بسبتة سبعمئة قادم، وأنه عمل له طريدة في يوم وليلة فحملت ثمانين فرسا، وذلك في سنة اثنتين وأربعين أو ثلاث وأربعين وسبعمئة. وكذلك مدينة طنجة بها إنشاء مراكب" (ابن منكلي، ص. 21).

ورغم الكارثة التي تعرضت لها حملة أبي الحسن إلى إفريقية وغرق قطع كثيرة من أسطوله، فقد تابع ابنه السلطان أبو عنان الاهتمام بصناعة السفن، وقد قال الشاعر أحمد بن يحيى بن أبي حجلة التلمساني نزيل الإسكندرية أبيتاً في غراب لأبي عنان توجه إلى مصر برسالة سلطانية :

فله ما أنشأه من مراكب تراهها في البحر منه تكاس  
قطاعها مثل النجوم فلرعها وغربانها قطع من اللبس داس  
كان مجاديف الغراب قوادم يطير بها والنسر في الأفق كاس

وبعد عهد أبي عنان بدأ التدهور يدب في صناعة السفن بالمغرب. واستمر ما يقرب من القرنين، باستثناء دار صغيرة بباسد لصناعة الزوارق والمراكب الصغيرة ذكرها الحسن الوزان. ثم استأنف السعديون الاهتمام بصناعة السفن أواسط القرن العاشر (16 م)، كرد فعل ضد الغزو البحري الأيبيري، فأنشأ عبد الملك السعدي أورشاً لها بالعرائش وسلا، وظهرت محاولات بالجنوب في أكادير، وكانت بعض السفن تصنع بفاس وتنقل إلى سلا عبر نهر المعصرة. وبلغت هذه الصناعة أوجها في عهد أحمد المنصور الذهبي حيث مثلت تلك الخطوة رفعا للتحدي البحري الأوربي الكبير الذي كان مفروضاً على المغرب. ولكنها سرعان ما انكسرت بعده.

وظلت حركة الجهاد البحري التي عرفتها عدد من المدن الساحلية كبادس وتطوان وأصيلا والعرائش وسلا ابتداء من القرن العاشر (16 م) مسؤولة إلى حد كبير عن ازدهار صناعة السفن خاصة الصغيرة والمتوسطة. ومما يؤكد تطور صناعة السفن المغربية في هذه الفترة أن بعضها كان يقوم بمطاردة سفن أوربية مستظورة من نوع الكاراقيل. وكان البرتغاليون يسمون سفن المجاهدين المغربية باسم Fusta. واستمر الجهاد البحري خاصة بمدينة سلا إلى أوائل القرن الثالث عشر (19 م). ومما يؤكد على قوة السفن المغربية تمكّنها خلال ثلاثة قرون من أسر مئات السفن الأوربية.

- أنواع السفن :

من الملاحظ في المصادر المغربية عدم التدقيق في أسماء وأنواع السفن التي كانت مستعملة، كما تغيب المعلومات عن أحجامها وطاقتها في الحمولة، وتقنيات صناعتها. ومن الأسماء الشائعة في المصادر الزوارق والمراكب والأجفان والسفن، وكانت الفروق بينها كبيرة خاصة في الحجم والسرعة. وهناك أنواع أخرى عرفت بأسماء معربة عن اللاتينية والبيزنطية. وقد ذكر ابن منكلي (كان حيا بمصر سنة 778) : "وأما البحر الرومي يركبه من مراكب المسلمين والفرنج مراكب عدة ليس فيها مركب يشبه الأخرى، فيها صنف القراقير بثلاث ظهور ومشى، وهذه أكبر القراقير" (الأحكام الملوكية، ص. 112).

ومن أنواع السفن التي أشارت إليها المصادر المختلفة منذ العصر المرابطي :

- الجفن : مركب كبير لنقل المسافرين والبضائع والحيوانات.

- الزورق أو المركب : قارب صغير يستعمل عادة في الصيد يحركه رجل واحد.

- السفينة : مرادف للجفن.

- القارب (ج. قوارب) : وهو مركب صغير كان يستعمل في الصيد، وأيضاً في الملاحة النهرية بالأنهار المغربية الكبرى مثل لكوس وسيو وأبي رفاق وأم الربيع. وقد يكون من بعض المواد غير الخشب مثل الخب أو السمار.

- القرقورة (ج. قراقير) : سفينة طويلة ضخمة، كانت تقوم بتموين الجيوش في البحر. لها ثلاثة قلاع، وبها ثلاث طبقات، وقد تصل حمولتها إلى 80 فرسا. كما كانت تستخدم في نقل المسافرين. وهي أنواع منها قرقورة سطح تستعمل في النقل وقرقورة حربية.

- الشيطي (في المصادر اللاتينية Saete أو Sagcete) : مركب صغير يستخدم في الاستطلاع البحري، وتقوم بنقل المعلومات بين رؤساء السفن الكبيرة.

- الغراب (ج. أغرية وغربان. في المصادر اللاتينية Guarapi) : سفينة سوداء مقدمتها على شكل رأس غراب، تستعمل لحمل الجنود، وتسير بالقلع والمجاديف التي قد تصل إلى 180 مجدافاً.

- الطريدة أو الطراد (ج. طرائد وطرادات. في المصادر اللاتينية Taride أو Taretis) : وهي عبارة عن مركب حربي صغير وسريع غالباً ما كان يستقله قائد البحر.

- الشيني (ج. شواني) : وهو مركب طويل يسير بحوالي 100 مجداف، ويبلغ متوسط ركابه 150 بحاراً. ويستعمل في الدفاع والهجوم في المعارك البحرية.

- الحراققة (ج. حراققات) : سفينة كانت تحمل أدوات القتال الثقيلة خاصة المجانيق.

- الشلندي (ج. شلنديات، في المصادر البيزنطية Chelandios) : وهي سفينة مسطحة تتكون من طبقتين،

يركب المقاتلون في الطبقة العلوية، ويوجد المجدفون في طبقتها السفلية.

- الفلوكة (ج. فلايك) : وزورق صغير بحمل حوالي 10 رجال كان مستعملاً في الجهاد البحري منذ القرن العاشر (16م).

وقد أصبح المغاربة منذ العصر الموحد يطلقون على سفنهم أسماء خاصة، فقد كان ضمن سفن سبتة مركب يعرف بالمخلوف كان يحمل الحجاج إلى المشرق. أما أبو علي ابن خلاص صاحب سبتة فقد أنشأ سفينة سماها الميمون. وفي العصر العلوي سجد أسماء أخرى منها مثلاً مركب جهادي في عصر مولاي عبد الرحمن بن هشام يحمل اسم الأسكونة، وآخر يحمل اسم مسعودة.

وعرف المغاربة في العصور المتأخرة أنواعاً أخرى مثل الباخرة التي كان يطلق عليها اسم البايور، والغليوطة (ج. غلاتط، Galiote) والبارجة وغيرها. وزيادة على أسماء السفن دخلت لغة المغاربة عدة مصطلحات أوروبية تتعلق بالملاحة وصناعة السفن خاصة من اللغة الإسبانية.

ابن منكلي، (كان حيا سنة 778)، كتاب الأحكام الملوكية والضوابط الناسوبية في البحر، مخطوط بدار الكتب المصرية، المكتبة التيمورية، القاهرة، مصورة عنه بدون رقم : ع. بن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972 : ع. العزيز سالم، وأ. مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، ط 1، 1969 : م. الشريف، الأسطول السبتي بين الجهاد والتجارة في القرن 12. 14 م)، مجلة البحث العلمي، العدد، 45 : 1998، ص. 29، 43 : أ. عزاوي، الأسطول، التجارة، القرصة فيما بين القرنين، 6 و 8 (12-14 م)، ضمن البحر في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب بالمحمدية، 1999، ص. 84.

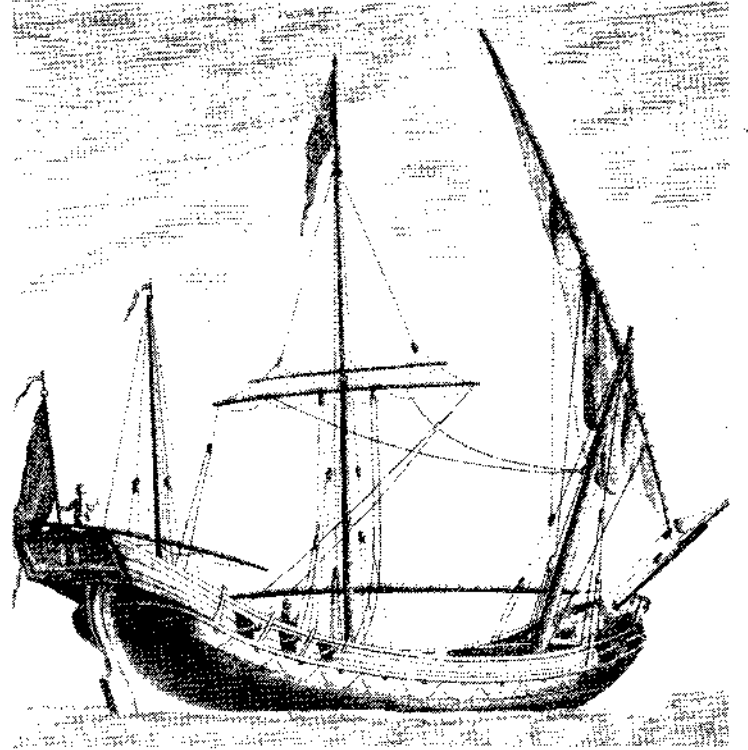
محمد الغراري

\* \* \* وفي العصر الحديث انتعشت السفن المغربية بعد فترة ركود طويلة مرت بها في آخر العهد المريني، اضطلعت بهذا الانتعاش قاعدتا باديس (قبيل الاحتلال) وتطوان، قبل أن تتسلم الريادة منهما قاعدة سلا المستفيدة من وفود جالية أندلسية متحمسة معززة بمن انضم إليها من العلوج، لتوفر للمغرب على امتداد القرنين الحادي عشر والثاني عشر (17 و 18 م) أسطولا جهاديا قويا (قراصنة سلا)، لا يقل شأنًا عن أساطيل الإيبالات التركية في الجزائر وتونس وطرابلس، ويتميز عنها بطابعه الملاحي العامل في مجال أرحب هو المحيط الأطلنטיكي.

لقد تميزت السفن ذات المواصفات المتوسطة الخفيفة الحمولة بعدما أخضعت للعمل المحيطي، وتغززت بالسفن الدائرية المتسمة بانخفاض السطح وضعف الغاطس، والتي كانت أحجامها ونوعياتها تتباين حسب طبيعة المراسي. وقد شكلت هذه الخاصيات سمات سفن الجهاد البحري على امتداد القرنين المذكورين، باعتبارها مراكب تعتمد على أسرع متفاوته ومدعمة بالمجاديف، مما كان يسمح لها باليسر في المناورة وبمجاهاة مختلف الظروف الملاحية،

وبالإفلات من ملاحقة السفن الأوربية الضخمة، حيث كانت ظروف العمل تفرض على الرياس المغاربة الامتناع عن استعمال السفن المتسمة بالنقل وبالصعوبة في الانقياد وهو ما لا يتماشى وعمليات المطاردة والانسحاب، وفرضت عليهم بالمقابل التقيد بالسفن الخفيفة السريعة المجهزة بالمعدات القتالية الضاربة، التي لا تتعدى حمولتها 150 طنة، والمسلحة بدزينة من المدافع وعدد أكبر من المنجانيقات، وبطاقم يصل إلى 100 رجل.

ونظراً للانطلاق المتأخرة للأسطول السلاوي عن أساطيل الجهاد الأخرى، وتركز جولته في مياه المحيط الأطلنטיكي، إلى جانب الصعوبة الطبيعية التي يتسم بها مدخل مرسى سلا الجديد، فرضت على وحداته الاستفادة من الريادة المغاربة في هذا الميدان، وتحليلها من جهة بمواصفات ملاحية تمكن من مجابهة مخاطر المحيط وعواصفه الهوجاء، ومن جهة أخرى التقيد بأحجام محددة يسهل عليها اختيار أفاضل المصنوب.



ولهذا السبب برزت السفن الشراعية بشكل ضارب لمناسبتها للعمل الجهادي، لا سيما وأن الرياس طعموها بالنجاذيف التي مثلت عنصر القوة في القوادس بما توفره من إمكانية التقدم والتراجع حتى في ظروف الرياح غير المواتية. وقد مكنتها هذه الشروط من الحركة المستمرة بدل الارتهاق للعامل الطبيعي، مما كان يساعدها على تنفيذ الملاحقات الناجحة من جهة، والانسحاب اليسير من وجه البوارج العسكرية من جهة أخرى بامتياز مضاعف. ونتج عن هذا أنه في المرت الذي كانت فيه السفن المجذافية تشكل العمود الفقري لأساطيل الجهاد في مراكز البحر المتوسط، كانت

السفن الشراعية أساس البحرية السلاوية باستفادتها من تطور السفانة وصناعتها، وبداية انتشار الأشرعة في وحدات الأسطول التركي بالجزائر منذ 1606م.

ورغم مشكل الدلالات اللفظية التي تجعل تحديد أنواع السفن وأوصاف التقنيات أمراً عسيراً نظراً لعموميات التسميات العربية من جهة، ولتداخل التسميات الأوربية وتعارضها أحيانا وعدم تطابق مواصفاتها الهيكلية والتقنية والبشرية من جهة أخرى، فإن هذه الأنواع لم تخرج إجمالاً عن نطاق مجموعتين متباينتين :

مجموعة السفن المجذافية : وهي من فصيلة القادس والغلبوط، وكانت تجهز للعمليات الموجهة على طول الشاطئ وأساساً في منطقة جبل طارق. وتأتي في الدرجة الثانية من حيث الاهتمام، ولا تبدو إلا لماماً في العمليات المهمة.

مجموعة السفن الشراعية : وهي المجهزة بالصواري، والمتسمة بشكلها الدائري، مثل السنيك والقرقرورة والبيتك والبولاكز ؛ وكانت هي المراكب الأساسية في العمل داخل المحيط الأطلنטיكي وبحار شمال غرب أوروبا، وبها اكتسب السلاويون صيتهم وشهرتهم العالمية. وحسب الأب دان فإن هذه الأنواع بمقابل افتقارها إلى نفس قوة سفن الرياس الجزائرية، مكنت نظراً لهم السلاويين من سرعة أكبر وخفة أكثر.

وحسب الوثائق نجد ذكراً لعدة أنواع كوونت وحدات الأسطول تفوق العشرين، تختلف خصوصياتها بين سفن تتوفر على صارية واحدة إلى أخرى ذات خمس صواري، وحمولة تتراوح بين الخمسين طنة والثلاثمائة، وغاطس بين المترين وثلاثة أمتار، وطواقم تتراوح بين الخمسين والثلاثمائة رجل، ومن مدفعين إلى مائة مدفع، تحت التسميات المتعددة الواردة في الدليل التقريبي أدناه.

وقد كانت أول وحدة في الأسطول السلاوي عبارة عن طراد مجهز للحرب حوالي سنة 1617 م، وهو زورق كبير بهيئة طويلة، حامل لصاري مثلث الشراع، وكان معروفاً استخدامه في البحر المتوسط، مما يجعل أسطول الجهاد السلاوي - باعتبار تأثره بالأسطول التركي في الجزائر - يتكون أصلاً من سفن النوع المتوسطي، قبل أن يجذبه التطور السريع الذي لحقه منذ عشرينيات القرن الحادي عشر (17 م) من جراء تنوع المغامر وحصول المجاهدين على سفن من مختلف الجنسيات إلى جعله مفتوحاً على كل مظاهر السفانة الأوربية الحديثة، وتأثره بها ومحركاته لها، خاصة السفن الهولندية والانجليزية. واستمر الاعتماد على السفانة الأوربية وتجهيزاتها الملاحية المستوردة حتى خلال المراحل الأخيرة للقرن على عهد مولاي إسماعيل.

إن ما توفر من أعداد بخصوص حجم القطع المغربية العاملة موسمياً خلال هذه الفترة لا يمكن أن يشكل إلا مقياساً نسبياً للأنواع الرئيسية للسفن العاملة التي لم تتجاوز فيها أفضل طنة تقديرية لأهم فترات الأسطول (1624، 1640)، عشرة آلاف طنة، في ظرف كانت فيه الطنة

بلغ في عهد عبد المالك المعتصم 40 قطعة. بيد أن هذه التجربة أجهضت مع انشغال السلاطين اللاحقين بالسياسة القارية. باستثناء بعض الجهود المحققة محليا في بعض المراكز، مثل مصب أبي رقراق وتطوان.

ومع بزوغ القرن الحادي عشر (17 م) برزت سلا كقاعدة بحرية رئيسية بصناعتها ونشاطها البحري. ارتقى معها حجم الأسطول في ظرف بضع سنوات إلى 10 قطع في سنة 1620، وإلى ما ينيف عن 60 مركبا عاملا في سنة 1626. باستغلال النجاح المطرد لمواسم الجهاد، وبتحقيق التراكم العلمي والتقني الذي استمر في وتيرته المنتظمة لأزيد من عقد كامل، مع الإشارة إلى مساهمة مرسى تطوان بأقل من 6 فرقاطات خلال تلك الفترة.

وقد أدى الاضطراب السياسي والاجتماعي الذي عرفته منطقة مصب أبي رقراق بين سلا القديمة وسلا الحديثة (الرباط) وحصار الأميرال الإنجليزي وويليام راينسبروه

العامة لأسطول الجزائر عشرين ألفا تقريبا، والطنة السنوية العامة لأساطيل إنجلترا وفرنسا والأقاليم المتحدة وإسبانيا في نهاية القرن العاشر (16 م) معدل مائتي ألف طنة، كل على حدة. وهذا ما كان يمثل عجزاً بليغا يصل نسبة 1 / 20 في الحد الأدنى. على اعتبار أن متوسط التجهيز المغربي لم يكن يتجاوز خمس عشرة إلى عشرين قطعة رئيسية، تتراوح حمولتها بين مائة وخمسين طنة ومائتين، أي ما يمثل ثلاثة إلى أربعة آلاف طنة.

إن أولى الإشارات إلى قوة بحرية مغربية متكاملة نسبيا تعود إلى سنة 944 / 1537، حينما أقدم محمد المهدي الشيخ على إنشاء نواة أسطول عامل في مياه مملكة مراكش انطلاقا من قاعدته تاقظنة، مكون من 10 إلى 12 مركبا من نوع الشراعي (Zabra)، بالإضافة إلى قطع مملوكة للخوارج بقيادة رياس من العلوج. ويبدو أن مقتله لم يحل دون استمرارية الأسطول في عهد عبد الله الغالب (30 قطعة)، ويعتقد أنه

جدول تقريبي لسفن الجهاد المغربي خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر (17 و 18 م)

النوع	المصطلح الأعجمي	البعد أو الحجم	الصواري	الفاطس	المحمولة (طنات)	الطاقم	المدافع	التجهيزات	المجاذيف
إبريق	Brick	صغير	2-3	2-2,5م	100	100	8-18	-	-
بارجة	Vaisseau	9/25م	3-5	2,5-3م	200	150-200	30	26-36	-
بوركاوع	Chebec	8/17م	2-3	2,5م	200	60-200	14-24	-	30
بينك	Pinque	8/15	2-3	2,5م	300-200	200	20	-	-
حصالة	Flûte	صغير	1-2	2,5-2م	100	100-140	16-22	-	-
خفارة	Patache	صغير	1	2م	100-70	100	8-24	-	-
خفاف	Pinasse	12/20م	1-3	2,5م	100	120	20	-	-
خطية	Caïche	صغير	1	2,5-2م	100-50	50-100	4-10	18-24	-
دعومة	Brigantin	متوسط	1-3	2,5م	150-60	50-100	12-24	-	15-20
زورق	Barque	صغير	-	0,5م	30-20	30-50	1	4	12-25
سستي	Saëttie	8/16م	1-3	2,5م	100-60	60-120	10-24	-	-
سنو	Senneau	صغير	1-2	2,5-2م	100-50	50-100	4-10	-	-
صندل	Gabarre	صغير	1	2م	100-80	80-100	2-6	-	4-6
صيادة	Goëlette	صغير	1-2	2,5م	150-100	100	8-12	-	-
طريدة	Tartane	8/15م	1-3	2,5م	300-200	200-140	12-20	-	-
علامة	Galléasse	متوسط	2-3	3م	200	150	20	-	30-50
غليوطة	Galiote	8,5/18م	1-2	2,5-2م	150-100	100-120	2-10	-	26-38
غليون	Galion	متوسط	2-3	4م	200	100-150	24	-	-
فالوشبي	Balancelle	صغير	1-2	2م	100	80-100	6-10	-	-
فرقاطة	Frégate	10/27م	1-3	2,5م	200-100	100-300	14-24	-	-
فليبو	Flibot	صغير	2	2م	100	80-100	6-10	-	-
فيست	Fuste	متوسط	2	2,5-2م	300-200	200	20	-	-
قبايق	Trapu	صغير	1	2م	100-80	80-100	10-20	-	-
قاسد	Galère	6/45م	2	2,5م	150-80	80-150	14-24	4-10	25-50
قارب	Bareasse	صغير	-	0,5م	30	30-50	-	4	20-30
قرقررة	Caraque	متوسط	1-2	2,5-2م	100	70-120	20	-	-
كاراقبلا	Caravelle	8/20م	2-5	2,5-3م	200-150	100-200	8-10	20-25	-
مربع الأشرعة	Polacre	متوسط	2-3	2,5-3م	200	100-200	20	-	-
1/2 قاسد	D. Galère	صغير	1	2م	100-50	50-100	2-6	-	30
يخت	Yacht	صغير	1-2	1,5م	100-80	80-100	10	-	-

(W. Rainsborough) للمرسى إلى تفهيم كفاءة الأسطول العامل إلى بضعة مراكب فقط سنة 1638 من أصل 30 سفينة لسنة 1636. بفعل تعرضها للإحراق والإغراق، دون أن يكون بمقدور المراكز الملاحية الأخرى تقديم أكثر من 5 سفن.

إن هذا ما يفسر لجوء التقارير الأوربية إلى القول بتجديد بناء الأسطول الرئيسي ثانية خلال العهد العلوي مع سيطرة مولاي الرشيد على تلك القاعدة، حيث نهض الأسطول مجدداً من أدنى مستوياته ليبلغ 10 مراكب في ظرف ست سنوات (1666 - 1671). وقد تمركز بالأساس بمرسى سلا، مع مساهمة بسيطة لقاعدتي الوليدية وأزمور، تحت الإشراف المباشر للسلطة المركزية وتحت تأثير المواسم الجهادية، وذلك رغم الضغوط الفرنسية العنيفة بقيادة القائد دو شاطو رونو (Ch. Renaud).

واقتراداً، بهذا الاهتمام، برز عهد مولاي إسماعيل بمثابة اتبعات حقيقي لحجم الأسطول لم تعرفه القاعدة الرئيسية سلا فحسب، وإنما أيضاً مراكز أخرى وعلى رأسها تطوان، ولا سيما خلال العقد الأول من حكمه، حيث ارتفع متوسط الأسطول إلى معدل 16 مركباً، ثلثها بسلا الحديثة، وثلث الباقي بتطوان. وتواصل مجهود السلطة المركزية والخواص على حد السواء للحفاظ على كفاءة المغرب الملاحية، خاصة وأن الأسطول قد تعززت قواعد بتحرير المعسورة والعرائش وطنجة.

وقد شكل عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله مرحلة ازدهار جديدة للأسطول بفعل رغبته الشديدة في مضاهاة القوات البحرية الأخرى، الأمر الذي جعله يبدي اهتماماً خاصاً بالأوراش الملاحية وينفق من أجلها المبالغ الطائلة في مصب أبي رقراق والعرائش، حتى بدأ عهده من أفضل الفترات التي عرفتها السفانة المحلية بعد مرحلة انحطاط، استرجعت خلالها مستوياتها السابقة (10 سفن) بعد عقد من توليته (1766). وانطلاقاً من تلك السنة كان التطور ملحوظاً تضاعف معه العدد الإجمالي للقطع بصورة تدريجية، قبل أن يدرك مستواه الأقصى 50 قطعة منها 20 سفينة كبيرة و30 فرقاطة وغلبيطة.

ورغم ارتفاع حجم الأسطول فإنه كان يتسم نوعياً بضعف الاستغلالية، حيث كان معدل السفن العاملة فعلياً لا يتجاوز 15 مركباً متوسط التجهيز، مما كان يؤشر على استحالة سيره على منوال السفانة المتطورة لاعتماده على الملاحة الجذافية التي أضحت متجاوزة وشبه ميتة لدى الأساطيل الأوربية، ويجبر السلطان على الإقرار بضرورة الاعتماد على مراكب الدول الأجنبية في الضروري من المهام.

ويفسر ازدهار حجم أسطول سيدي محمد بن عبد الله احتفاظه بنصف كفاءته - على الأقل - بعد وفاة السلطان

المذكور، حيث بلغت القوة البحرية في مطلع عهد مولاي سليمان 28 سفينة سنة 1793. ولم تتمكن من الحفاظ على هذا الحجم لأزيد من عقد واحد، حيث ستتراجع بسرعة وتصل في نهاية عهده إلى 10 سفن فقط، كلها في حالة تدهور. وقد سعى خلفه مولاي عبد الرحمن إلى محاولة تأجيل اندثار الأسطول عن طريق الاقتناء من جبل طارق وساردينيا والولايات الأمريكية، وإعادة بعث الأوراش.

ح. أميلي، *الجهاد البحري مصب أبي رقراق خلال القرن (17)*، رسالة د. د. ع. مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 1989؛ إ. التادلي، *زينة النحر بعلوم البحر*، مخطوط خ. ع. رقم 1347 د؛ سرهنك، الميرلاي إسماعيل، *حقائق الأخبار عن دول البحار*، ج. 1، مصر، 1312؛ النخيلي درويش، *السفن الإسلامية على حروف المعجم*، جامعة الإسكندرية، 1974.

S. Bono, *Les corsaires en méditerranée*. Trad. A. Somaï, Rabat, 1998 ; L. Brunot, *La mer dans les traditions et les industries indigènes à Rabat et Salé*, Paris, 1920 ; Henri De Castries [et al.], *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*, 1<sup>o</sup> série et 2<sup>o</sup> série ; L. Chemier, *Journal du consulat général de France au Maroc (1767-85)*, Publié par Charles Penz, Casablanca, 1943 ; R. Coindreau, *Les corsaires de Salé*, Rabat 1993 ; P. Dan, *Histoire de barbarie et de ses corsaires*, Paris, 1649 ; Clas Broder Hansen et Peter Knuth, *ABC de la marine à voile*, Trad. de l'Allemand par Anne-Marie Tattevin, Paris 1990 ; G. Höst, *Histoire de l'empereur du Maroc Sidi Mohammed Ben Abdellah*, Trad. E. Dangaard et P. Gailhanou, Rabat, 1998 (1<sup>e</sup> éd. 1791).

حسن أميلي

\* \* \* لم يكن عدد السفن التجارية المغربية في بداية القرن العشرين يزيد على أربع عشرة وحدة بلغت حمولتها 10000 طن سنة 1932، ثم أضيفت إليها خمس وحدات لا تتعدى حمولتها 3000 طن سنة 1944. وفي سنة 1946 تم اقتناء سفن عصرية متخصصة لنقل الحوامض والبواكر مثل "سعادة" و"مولاي بوشعيب" والباخرة المسماة "المغرب" المخصصة لتجهيز السفن. كما تم اقتناء سفينتين عصريتين تتوفران على مخازن مكيفة : "جرادة" و"الأوداية" سنة 1948 من طرف الشركة الفرنسية الشريفة التي ستأخذ اسم الشركة المغربية للملاحة COMANAV سنة 1959. وبلغ عدد وحدات الأسطول التجاري المغربي سنة 1949، 35 وحدة حمولتها الإجمالية 32000 طن، من بينها ثلاث سفن مهيأة للمسافات البعيدة.

وعرفت السفن المغربية بعد الاستقلال نشاطاً كبيراً تلبية لما يكتسبه قطاع الملاحة البحرية من أهمية في ميدان نقل المسافرين والسيارات والشاحنات ومختلف البواكر والحوامض والمعادن والغازات والبضائع والسوائل والصيد وحماية السواحل الوطنية. وخير دليل على هذا الاهتمام خلال العقود الأخيرة إنشاء وزارة الصيد البحري والملاحة التجارية سنة 1981 وانفصالها إلى وزارتين مستقلتين سنة 2000 وتشبيد عدة موانئ على طول السواحل الوطنية

وإزدهار السياحة. وتتوفر هذه السفن على مرافق ترفيهية ومطاعم ومقاهي ومناجر وملاهي للأطفال. نذكر من بين هذه السفن الباخرة "مراكش" الرابطة بين طنجة وسات الفرنسية و"ابن بطوطة" الرابطة بين طنجة والحزيرات ومالقة. تتوفر المغرب على عدة خطوط بحرية تربط الناظور بالميرية ومالقة، وطنجة بالحزيرات ومالقة وسات وطرابلس، وأكادير بجزر الكناريا.

وتتوفر المغرب في ميدان الصيد بأعالي البحار على أسطول مختلف الأصناف والتخصصات ومجهز بأحدث معدات الصيد. يتكون حاليا من 450 سفينة تبلغ حمولتها الإجمالية 454 ألف طن. ويتكون أسطول الصيد التقليدي الساحلي من 2543 باخرة تبلغ حمولتها الإجمالية 470 ألف طن. يوضح الجدولان التاليان أصناف سفن الصيد وتطور عددها خلال السنوات الأخيرة.

#### أصناف سفن الصيد في أعالي البحار المسجلة في السنوات الأخيرة

1999	1998	1997	صنف السفينة
333	336	336	سفن صد الرخويات
59	60	59	سفن الإريبان - قمرونات
5	5	5	جيبات مثلجة للأسماك الطحينة
4	4	4	سفن صانير التون مثلجة
24	28	28	جيبات مثلجة
21	21	21	سفن مبردة
446	454	453	المجموع

وتجهيزها بأحدث المعدات لاستقبال مختلف أصناف السفن التجارية والنقل والصيد البحري.

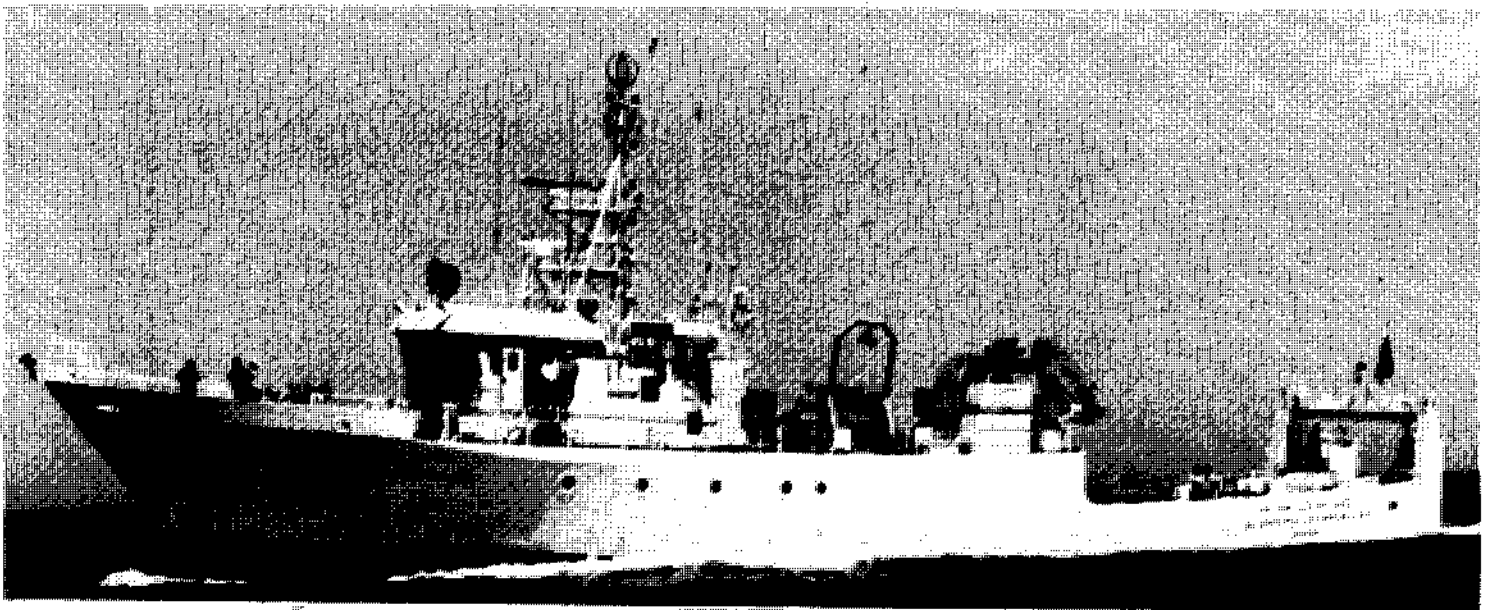
لقد تطور نشاط الأسطول البحري الوطني مع قواعد الاستقلال التي وضعت أسس البحرية العصرية استجابة لتطور نشاط التجارة الخارجية، وعرفت السنوات الأخيرة تكاثر الشركات الصغيرة التي أقبلت على الاستغلال التجاري للسفن الصهاريج وناقلات الركاب وحاملات المنتجات الفلاحية والمعدنية والنفط والغازات والصيد البحري. وهكذا أصبح عدد الشركات الصغيرة في السنوات الأخيرة يفوق 20 وحدة أغلبها مرتكزة في الموانئ التجارية الرئيسية: الدار البيضاء وطنجة وأكادير والمحمدية والقنيطرة والناظور والجرف الأصفر وأسفي. وتعد شركة كوماناف COMANAV أكبر الشركات المغربية نشاطا في قطاع الملاحة التجارية والنقل وتنافسها في هذا المجال عدة شركات نذكر من بينها:

Atlas Navigation, Ciment du Sahara, Comarid, Comapgnie Chérifienne d'Armement, Cotrama, Générale Maritime, Limadet, Maghreb navigation, Navimar, Penav, Servimar, Sofruma, Sonama, Transtour, Unimar, Union Maritime et Minière.

تبلغ الحمولة الإجمالية للأسطول المغربي في الوقت الراهن حوالي 500 000 طن وبهذا يحتل المغرب الصف الرابع على صعيد الملاحة البحرية الإفريقية.

تعد سفينة "بيركان" حاملة الحاويات "containers" وسفينة الحسيمة حاملة البواكر، التابعتان للشركة المغربية للملاحة، من أعظم السفن المغربية، مهيأتان لقطع المسافات الطويلة ولنقل مختلف البضائع التجارية.

عرف قطاع نقل المسافرين والسيارات والشاحنات عبر البحر المتوسط وعبر المحيط الأطلنطي نشاطا مكثفا خلال العقود الأخيرة مع تزايد عدد العمال المغاربة في الخارج





أصناف سفن الصيد التقليدي الساحلي  
في السنوات الأخيرة

صنف السفينة	1997	1998	1999
سفن حيازة (جبان)	428	436	449
سردينات	397	408	426
سفن الصنابير	971	976	970
جبان . سردينات	286	279	287
صنابير . سردينات	214	211	204
جبان . صنابير	87	86	82
سفن الطحالب	22	22	22
سفن المزرية	22	22	22
سفن المرجان	15	15	15
أصناف أخرى	65	65	65
المجموع	2507	2520	2542

والمنافذ العمودية والأفقية لشباك الجر واتساع صفائح شبك  
الجر وكمية الأسماك التي تدخل في الشباك.

والهدف من هذه الأبحاث العلمية تحديد ورصد أهم  
المناطق التي تعمرها ثروات الصيد : تحديد أهم مميزات الحياة  
المائية بالسواحل المغربية : تحديد المميزات البيولوجية للأنواع  
المستهدفة : تقييم الكتلة الحية السمكية المطلقة والنسبية :  
تحليل البنية الديموغرافية للسكانات السمكية : متابعة  
التغيرات التي يتعرض لها المخزون السمكي من خلال  
السلسلات الزمنية : دراسة جودة وسلامة الوسط البحري :  
تجريب تقنيات الصيد (الشباك الجيبية والمعدات السالبة) :  
التنقيب في المناطق الصخرية والأعماق الكبرى : المسح  
الخرائطي للسواحل الوطنية من أجل إنجاز خرائط المصائد  
وأعماقها.

ع. تيمول، البحرية المغربية، معلمة المغرب، ج 4، ص. 1077،  
1080.

Ministère des Pêches Maritimes, *La mer en chiffres, 1997, 1998 et 1999*, 38 p. ; A. Timoule, *Les chroniques maritimes du Maroc : Les statuts du marin et du navire marocains*, Casablanca, 1980.

نجاه الخباطي

**سفيان**، بطن من بطون أئيج بن ربيعة بن نهيك بن هلال

بن عامر بن صعصعة دخلوا المغرب الأقصى سنة 584 / 1188  
على عهد يعقوب المنصور الموحد في ضمن مجموع قبائل جشم  
العربية. وكان المنصور قد نقل جشم من إفريقية إلى المغرب  
الأقصى عقابا لهم على مساندتهم لبني غانية (مادة جشم،  
المعلمة، 9 : 3028 *زهرة البستان*، 42). وأسكنهم تامسنا ما  
بين سلا ومراكش، وأسكن بني عمومتهم رياح بلاد الهبط  
وأزغار (العبير، 6 : 37 *والاستقصا*، 2 : 168 - 169)  
واستفادت دولة الموحدين من عرب سفيان، كما استفادت من  
رافقوهم إلى تامسنا في فترة قوتها، فحاربت بهم برغواطة  
وما كان لها من آثار فكرية بمجالات تامسنا، وجبت منهم  
الجبايات، واستعانت بهم في جهاد الكفار بالأندلس (العبر،  
6 : 37 - 38 *زهرة البستان*، 39). حتى إذا ضعفت الدولة  
الموحدية انقلب هؤلاء الأعراب عليها، واستعملوا على عدد  
من الخلفاء، وساهموا في اضطراب حبل الأمن، وأحكروا  
السيطرة على مجال نفوذهم. ولما أقام المرينيون دولتهم على  
أنقاض حكم الموحدين، لم تكن بالمغرب الأقصى قبيلة أقوى  
من جشم (العبر، 6 : 37 - 38).

وإذا كانت جشم أقوى قبائل العرب زمان قيام دولة  
المرينيين - على حد قول ابن خلدون - فإن سفيان تعد أهم  
بطون جشم وأقربها على الإطلاق. فقد كانت لهم الرئاسة  
على جميع قبائل جشم وقت مجيئهم إلى المغرب الأقصى،  
وكان عرب الخلط ينازعونهم تلك الزعامة. وعليه لا يمكن  
فهم طبيعة العلاقة بين عرب سفيان والموحدين في المائة  
السابعة للهجرة (13 م) بمعزل عن خلفهم مع عرب الخلط  
وصراعهم معهم حول زعامة جشم. فقد تقرب عرب سفيان

تنوفر البحرية الملكية على عدة وحدات من السفن الحربية  
Frégates لحماية السواحل، ومنها سفينة القريب المجهزة  
للأبحاث في علوم البحار كمسح الخرائط وتحديد أعماق  
السواحل المغربية.

تنوفر المعهد الوطني في الصيد البحري على سفينتين  
علميتين : الشريف الإدريسي والأمير مولاي عبد الله،  
لدراسة وتقييم المخزون السمكي ومراقبته المستمرة من أجل  
استغلال رشيد للثروات البحرية والمحافظة عليها وتحقيق  
تنمية مستدامة. تنوفر السفينة الحديثة الأمير مولاي عبد الله  
على تجهيزات ومعدات ضرورية للبحث العلمي من شأنها أن  
تسمح بالإقدام على تقييم ومراقبة المخزون السمكي بكيفية  
دائمة ومستمرة، أي ما يساعد على صيانة المخزون السمكي  
المذكور مع السماح بالصيد المنتظم في حدود كميات هامة  
متزينة بدون إفراط. تم صنعها في اليابان، وسلمت إلى  
المغرب في مارس 2000. بفضل تجهيزاتها ومعداتنا المتقدمة،  
تستطيع هذه الباخرة القيام بمجموعات واسعة ومتنوعة من  
العمليات الاستكشافية والتقنية تتعلق بدراسات علم  
المحيطات وموارد الصيد البحري.

تتلخص مميزات سفينة مولاي عبد الله التقنية كالآتي :  
الطول الكلي 38.5 م والعرض 7.8 م، الحمولة 298 برميلا  
عيار خام وقوة المحرك 1000 فرس (736 كيلواط)، السرعة  
10 عقد، الإيواء 14 عضواً من الطاقم و7 باحثين. تنوفر على  
مختبرات علمية ومنظمة متكاملة لتسجيل الأصوات  
والصدى وتجهيزات لدراسة المحيطات وللصيد البحري وجهاز  
السونار للاستشعار الأفقي لأسراب الأسماك السطحية  
والاستشعار أسراب الأسماك الموجودة في المناطق الضعيفة  
العمق، وجهاز المرجاس CTD (موصلة، درجة الحرارة، عمق)  
ومنظومة الضبط ومسبار الشباك لمعرفة عمق شبك الجر

من خلفاء بني عبد المؤمن كلما كان هؤلاء الخلفاء في خلاف مع الخلط، وشقوا عصا الطاعة عليهم كلما تقرّبوا من أعدائهم الخلط. ولعل هذا ما يفسر تأرجحهم في الطاعة بين الخلفاء من بني عبد المؤمن وأمراء بني مرين (انظر تطور الزعامة في أولاد جرمون، معلمة المغرب، 9 : 2964 . 2968).

ارتبطت قوة عرب سفيان وزعامتهم على جميع عرب جشم بالعصر الموحيدي. ومع حلول العصر المريني تخلت سفيان عن دورها في زعامة عرب تامسنا لعرب الخلط بعد أن أصهر السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني لبني المهلهل في عائشة بنت مهلهل بن يحيى بن مقدم أم السلطان أبي سعيد عثمان الثاني، فانحازت جموع سفيان منذ ذلك الحين إلى أطراف تامسنا بما يلي أسفي ومن بطونها من انتجع ضواحي مراكش وأرض السوس وقفاره كما هي الحال بالنسبة للبحارث والكلايسية (العيسر، 6 : 38 ؛ وصف إفريقيا، 1 : 43 ؛ الاستقصا، 2 : 174 وأثر القبائل العربية، 96).

وفي عهد السلطان مولاي إسماعيل نالت سفيان حظوة كبيرة لما كان لها من فضل خثولة لفرع الدوحة الهاشمية، فهم أحوال مولاي زيدان، ولذلك أفرد لهم محمد بن العياشي المكناسي تأليفاً خاصاً سماه : زهر البستان في نسب أحوال سيدنا المولى زيدان، التقط فيه أخبارهم من كتاب العبر.

ع. ابن خلدون، العبر، ج 6، بيروت، 188 ؛ ح. الوزان، وصف إفريقيا، ج 1، الرباط، 1980 ؛ أ. الناصري، الاستقصا، ج 2، الدار البيضاء، 1954 ؛ معلمة المغرب، ج 9، سلا، 1998 ؛ م. ابن العياشي المكناسي، زهر البستان في نسب أحوال سيدنا المولى زيدان، مخطوط خ. ع. رقم، 2152 د ؛ م. أ. أبو ضيف، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين، الدار البيضاء، 1982.

حسن حافظي علوي

**السفياني**، أسرة سلوية عريقة أصلها من قبيلة سفيان المتفرعة عن جشم الهلالية الكبرى. والمستقرة في سهل الغرب شمالي مدينة سلا. ومن السفيانيين السلويين الذين تحدّث عنهم الوثائق ولم نعرف لهم ترجمة مطولة : أحمد السفياني أحد عدول مدينة سلا، وكان ينظم قصائد الملحون وتوفي في منتصف القرن الرابع عشر (20 م) ؛ عيد السلام ابن المعطي السفياني من عدول سلا المنتصين للشهادة كان حيا سنة 1307 ؛ محمد بن بناصر السفياني تاجر سلاوي عين سنة 1312 أميناً على صائر بناء قصبة القنيطرة ؛ محمد بن حجي السفياني أحد عدول سلا، كان بقيد الحياة سنة 1217 ؛ محمد بن محمد السفياني فقيه مدرس نسخ كتباً بخطه، وكان حياً سنة 1278، ويوجد السفيانيون أيضاً في الحواضر المتاخمة لسهول الغرب مثل مكناس وفاس منذ القرن التاسع (15م).

وذكر مؤلف إزالة الالتباس (2 : 187) أن السفيانيين قديمون في فاس أصلهم "من أيت يوسي أهل حسب ودين

وصلاح ومعاش وحرفة. يدعون الشرف ولاحظ لهم فيه. ومنهم الشيخ الصالح الحسن بن إبراهيم السفياني. أتى الترجمة - وينسب إليه مسجد سيدي الحسن السفياني ... ويوجد جنان السفياني بالمرج خارج باب الخوخة". وجاء في كشف الحجاب أن بفاس فرقة أخرى من السفيانيين شرفاء، أصلهم من الوداغير الحسينيين أهل فكيك، انتقل جددهم محمد بن عثمان الوداغيري إلى فاس في منتصف القرن الحادي عشر (17م) ونزل عند الشيخ الحسن السفياني سابق الذكر فزوجه إحدى بناته ومات محمد الوداغيري وترك زوجه حاملاً بأحمد الذي اشتهر بالسفياني لتربيته في حجر جده لأمه.

شجرة نسب السفيانيين الوداغيريين بفاس، وقف عليها ونقل عنها صاحب كشف الحجاب : أ. سكيرج، كشف الحجاب، ط. 3، 1381 / 1961، ص. 170-171 ؛ ع. ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون ؛ م. بوشعراء، ذيل الإنجاف الوجيز ؛ التعريف، 2 : 57-61 ؛ م. المنوني، تاريخ الوراثة، 193 ؛ التنظيم الجساعي والإداري، 1992 ؛ وثائق بنسعيد ووثائق خ. ص.

محمد حجي

**السفياني، إبراهيم بن محمد**، قائد رئيس جيش حوز مراكش عينه السلطان عبد الملك السعدي عاملاً بالقصر الكبير، وبصفته قائد القواد ترأس مقدمة الجيش في معركة وادي المخازن، وهو الذي تزعم حركة مبايعة أحمد المنصور الذهبي خلفاً لأخيه عبد الملك بأرض المعركة عشية يوم 30 جمادى الأولى 986 / 4 غشت 1578.

ويقول الفشتالي في مناهل الصفا إنه عندما عين مولاي أحمد المنصور ابنه مولاي محمد الشيخ خليفة عنه بفاس وكان آنذاك طفلاً صغيراً، عين بجانبه القائد السفياني الذي يصفه الفشتالي بعظيم الدولة وكبيرها.

ع. العزيز الفشتالي، مناهل الصفا، الرباط، 1972، ص. 34، 43، 47، 58، 61، 62، 66، 98.

Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jordana del Rey Don Sebastian (S.I.H.M. France, I, p. 575 - 627) ; Bautista Morales, Jordana de Africa del Rey Don Sebastian de Portugal, Sevilla 1622 y Madrid 1889.*

محمد ابن عزوز حكيم

**السفياني، أحمد بن الطيب الحسني الفاسي**، التجاني طريقة. أديب شاعر وشاح زجال، صحب الشيخ أحمد التجاني وهو صغير، فكان لا يفارق والده المقدم الطيب السفياني في الحضور عند الشيخ أحمد التجاني ويجلس قرب والده للتمتع بكلام الشيخ والنظر في وجهه والافتباس من مشكاة أنواره، ودعا له الشيخ بخير فظهر أثر ذلك عليه. وكان عمره يناهز ثلاث عشرة سنة حين وفاة الشيخ التجاني.

كادت تكون جميع أشعاره الفصحى والملحونة في مدح الشيخ التجاني. ووقف مؤلف كشف الحجاب على ديوان

له بذلك وقال له : "استعد للفقير جلبايا" فصارت الدنيا تنقص من يده شيئاً فشيئاً وقلبه مطمئن إلى أن وافاه الأجل وهو فقير.

ألف المترجم كتاب الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، جمع فيه بعض ما تلقاه من كلام الشيخ أحمد التجاني مشافهة (وبواسطة بعض الأصحاب ممن حفظه عن الشيخ)، ويذكر السبب الذي صدر لأجله كلام الشيخ، ورتبها على حروف المعجم. وقد أخذ منها الشيخ ابن السائح في كتابه البغية وانتقد بعض الإفادات شاكاً في أن تكون منقولة بالنص من كلام الشيخ التجاني. وكذلك فعل أحمد سكيرج في كشف الحجاب، فأورد طائفة كبيرة من إفادات الطيب السفياني التي سلمها ابن السائح.

توفي صاحب الترجمة بفاس عام 1259 / 1844. 43 ودفن بجبل زغوان خارج باب عجيصة.

الطيب السفياني نفسه، الإفادة الأحمدية، مخطوط : أ. سكيرج، كشف الحجاب، ط. 3، سنة 1381 / 1961، د. م. ص. 170. 184.  
: رفع النقاب، تطوان، د. ت. ص. 235. 249. ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1966، ج. 7. 2567

**السفياني، عبد الرحمن بن محمد الفاسي ← سقّين، عبد الرحمن**

**السفياني، عبد السلام بن عمر السلاوي.** صحافي ساخر وكاتب مسرحي. ولد بسلا في 19 رجب عام 1340 / 20 مارس 1922 ودرس في مدرسة الشيخ زين العابدين ابن عبيد يحيى بامادة سلا، قرأ عليه قواعد اللغة العربية وآدابها، والعلوم الشرعية والعقدية خاصة الفقه أصوله وفروعه. كان رياضياً يهوى الملاكمة وله موهبة في الكتابة يكشفها مع ما جبل عليه من فكاهة وهزل واصطخ ذلك بالسياسة بعد أن أصبح محرراً في جريدة الرأي العام ناقدًا لاذعًا يقلق راحة خصومه السياسيين. وكتب عدة مسرحيات وربما شارك في تخريجها وتثيلها منها مسرحية "بين نارين" التي مثلت على الخشبة في عدة من المدن المغربية.



لأحمد السفياني، ونقل جملة من شعره في هذا الكتاب، وفي رفع النقاب كذلك جملة واقرة من القصائد والمقطعات والموشحات لأحمد السفياني.

توفي يوم الاثنين ثاني صفر سنة 1285 / 25 ماي 1868 ودفن بجبل الزعفران خارج باب عجيصة قرب قبر والده.  
أ. سكيرج، كشف الحجاب، ط. 3، 1381 / 1961، د. م. : رفع النقاب بعد كشف الحجاب، تطوان، د. ت. الربع الثاني : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 7. 2640.

**السفياني، الحسن بن إبراهيم الفاسي، الشيخ الصوفي الكبير،** أصله من قبيلة سفيان سهول الغرب، أخذ عن الشيخ محمد ابن سليمان الجزولي بوسائط. وكان "سالكا ومجنونيا، والجذب أغلب عليه، وكان له أصحاب وأتباع، وتلامذة وأشياخ يأترون عنه كرامات، وخوارق للعادات" (سلوة، 1 : 140).

إليه ينسب السفيانيون الشرفاء الوداغريون حيث نزل عليه جدهم محمد بن عثمان حين هاجر من فكيك إلى فاس، فزوجه المترجم له ابنة فأنجبت له طفلا ولد بعد وفاة أبيه فسمي أحمد ودعي السفياني، فكان رأس السفيانيين الشرفاء بفاس كما سبق.

كان الشيخ الحسن السفياني يربي مريديه بزأوته داخل عين اصليتين من عدوة فاس القرويين، وكانت له زوايا أخرى في البوادي والحواضر.

توفي بفاس في خامس ذي القعدة عام 1098 / 10 شتنبر 1687.

م. القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت 1996، ج. 4 : 1694 : م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 1300، 1 : 140 : أ. سكيرج، كشف الحجاب، ط. 3، عام 1381 / 1961، د. م. ص. 170.

**السفياني، الطيب بن محمد الوداغري الحسني الفاسي.** رفيق الشيخ أحمد التجاني. وكبير مريديه ومقدم طريقته في حياته. حلاه في كشف الحجاب بـ "الفقيه الجليل، الشريف الأصيل، المقدم البركة، المؤيد بتوفيق الله في السكون والحركة". كان أولا على طريق السادة أهل وزان منسوبا إليهم في جميع أموره إلى أن ذهب إلى الحج واطلع على كتاب جواهر المعاني للشيخ أحمد التجاني عند المقدم عبد الواحد بناني المصري وحدثه هذا بكرامات الشيخ ومناقبته. فلما رجع إلى فاس سارع إلى ملاقاته الشيخ التجاني ولقي منه إقبالا عظيما.

كان للمترجم دنيا واسعة وثروة طائلة، تمتد فروع تجارتها من فاس إلى الجزائر وقسنطينة يتفق منها عن سعة في وجوه البر ويصل بسخا، آل البيت الكرام. وقد طلب يوما من شيخه التجاني أن يدعو له أن يتوفاه الله على محبته، فدعا

**السقاوة** طائر من الكواسر النهارية كبير كما هو شائع في الشرق العربي وفي المعاجم، يصنف إلى رتبة الجوارح Rapaces Falconiformes وفصيلة الصقريات Accipitridae. ويعيش منه في المغرب نوعان يغلب عليهما اسم حميمق أو باقة.

. سقاوة وحشية Buteo rufinus تسمى بالفرنسية Buse féroce وبالانجليزية Long-legged Buzzard وبالإسبانية Ratonero moro وبالإيطالية Pioana codabianca. طائر أكبر حجماً من السقاوة العادية ويصعب التمييز بينهما في حالة الطيران. يختلف عنه بلون ريشه الشاحب الموحد على الذيل والأسود الداكن على البطن. المنقار أسود معقوف وقصير، المخالب مقوسة سوداء. الذيل دائري قليلاً وبدون خطوط. يبلغ طول الجسم 60. 66 سم ويزن 600. 1800 غرام، تبلغ بسطة الجناحين 125. 150 سم. الإناث أكبر حجماً ووزناً من الذكور. يعيش منعزلاً أو مزدوجاً.

المجموعات المغربية مستقرة تنحدر إلى ضرب B. rufinus cirtensis وأفرادها موزعة على مختلف المناطق الجافة وشبه الجافة بجبال الأطلس والهضاب العليا الوسطى والشرقية والجزر وتافيلات وتغير وورزازات والساقية الحمراء والعيون ورأس درعة ووادي شببكة وغلطة زمور وشمال موريتانيا. نادر في المناطق الساحلية بخلاف مناطق طنجة والرأس الأسود قرب تطوان ونادر أيضاً في المناطق الغابوية والرطبة التي تفوق تساقطات أمطارها 350 ملم في السنة. تتوالد منذ فبراير إلى أبريل وينصب الزوجان العش على صخور الأجراف وعلى أشجار الأدغال وهو عش ضخم قد يبلغ قطره أحياناً متراً ونصفاً ويتعدى علوه متراً؛ يتكون من الأغصان اليابسة ومن الطين ويفرش بقطع الأعشاب والصفوف. تبيض الإناث 4. 1 بيضات عليها نقط شقراء، يبلغ طول قطرها 44 × 55 ملم. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 28 . 31 يوماً. تبقى الصغار بداخل العش حوالي 40 يوماً قبل أن تأخذ حريتها تدريجياً بين شهر يونيو وشهر يوليو.



وبعد توثيق الرأي العام عمل محرراً في جرائد أخرى وفي الإذاعة المغربية، وأصدر جريدة المطرقة، نقديّة هزلية، وآخر مؤسسة عمل بها هي جريدة الميثاق الوطني. توفي بالرباط يوم الاثنين 29 شعبان عام 1404 / 28 ماي 1984.

وثائق عائلية ومهنية، ومعرفه شخصية.

محمد حجي

**السفياني، العربي بن بوعاشر السلوي.** ولد بمدينة سلا سنة 1339 / 1921. وتلمذ على يد الشيخ زين العابدين ابن عبود وبعض علماء سلا وفاس، وكان يحسن اللغات العربية والفرنسية والإسبانية، والأمازيغية الشلحية... عمل كمستشار فني في شركة الغزل والنسيج "لاساפט" بالرباط وشركات أخرى بالبيضا.

انخرط مبكراً في الحركات الكشفية والسياسية لا سيما في منظمة الكشافة المغربية الإسلامية. وكناضل في حزب الشوري والاستقلال، شارك - ضمن وفد الحزب - في استقبال المغفور له جلاله الملك محمد الخامس - بفرنسا؛ وفي حفلات استقباله بالمغرب.

عرف السجون والمنافي في حوادث 1944 للمطالبة باستقلال المغرب وترسيخ نظام الشوري كأداة للحكم والنهوض بالأمة المغربية إلى مصاف الدول الراقية العصرية. وله دراسات فنية في مجالات صناعة الغزل والنسيج، نُشرت في مجلات كانت تعنى آنذاك بهذه الصناعة العصرية الحديثة.



مات شهيداً في مجزرة سوق أربعاء الغرب وهو يترأس كتيبة كشفية كانت في استقبال أول عامل عُين على عمالة الرباط التي كانت تضم أيضاً ناحية الغرب، وذلك يوم الاثنين 9 جمادى الثانية عام 1375 / 23 يناير 1956.

جريدة الرأي العام، أعداد يناير ويناير، 1956؛ وثائق عائلية.

أحمد بن بوعاشر السفياني

**السفياني، محمد بن عبد الرحمن الفاسي** ← **سُقَيْن،**

**محمد بن عبد الرحمان**

**السفياني، محمد بن عيسى المكناسي** ← **ابن عيسى،**

**محمد (الشيخ)**

يميز للمدينة المغربية قبل 1912. يلاحظ ذلك في كشافة مواقعها في النسيج الحضري لهذه المدينة، وتغطيتها لكل الأماكن التي تعرف فيها حضورا بشريا. وفي وجود درب من دروب كل حومة يحمل اسم درب السقاية.

والسقاية نهاية لشبكة من الآليات والمنشآت. كانت تستخدم في تزويد المدينة بالماء، وجعله قابلا للاستهلاك. بدءاً من مصادر استخراجها الطبيعية، مروراً بتقنيات نقله السطحية - السواقي - أو الجرفية - الخطارات - ثم جمعه وتخزينه في الصهاريج، وأخيراً إعادة توزيعه على المدينة عبر قنوات وسواقي، ليصل إلى السقاية. نقطة الالتقاء بين المستهلك وهذا النتاج الطبيعي الحيوي.

سقايات مراكش، أحصى القاضي عباس بن إبراهيم عدد سقايات مراكش في زمانه بتسع وثمانين سقاية (الإعلام، 1: 99). وليس بمستبعد أن يكون نفس العدد أو ما يقرب منه هو ما كان قبل القرن العشرين. ولعل مما يدعم ذلك أن عدد سقايات فاس في عهد الموحدين بلغ ثمانين سقاية حسب إحصاء مخزني رسمي (جني زهرة الآس، 44)، أما ما أشارت إليه الجزئيات المتوفرة عن سقايات المدينة قبل القرن العشرين، فمحدود جداً ويتلخص في اللوحة التالية :

الزمن	الوحدات		
	موجودة	مندثرة	بقايا آثار
المرابطون			X
		X	
الموحدون		X	
		X	
السعديون	X		
	X		
	X		

سقاية جامع ابن يوسف : هي عنصر من مركب مائي، يقع بجوار جامع ابن يوسف، يتكون من السقاية المذكورة وخزان تنزود منه بالماء وحوض. لا تقدم المصادر المتداولة معلومات عن هذا المركب كلاً أو جزءاً. رغم أنه النموذج الأصلي المحتذى في بناء باقي سقايات المدينة بعده. والإشارة العرضية الوحيدة التي تكررت في بعض من هذه المصادر، ولها فيما يبدو صلة بالموضوع هي : جامع السقاية، كتسمية ثانية لجامع ابن يوسف (المقتبس، 58 ؛ وثيقة وقف موحدة. 415. *Deux Tahbis Almohades*، البيان، 4 : 98 ؛ رحلة الوافد، 182). ومن المرجح أن تكون للتسمية علاقة بالجوار (420 - 419. *Deux Tahbis*).

والسقاية ذات شكل مستطيل يقدر بـ 5.14 x 4.5 متراً، تنوزع إلى أقسام ثلاثة يفصل بينها عقدان (1: Marrakegh).

يقتصر التوزيع الجغرافي لهذا الطائر على إفريقيا الشمالية والشرق الأوسط وآسيا الوسطى ونادر جداً في أوروبا حيث توجد منه حوالي 100 زوجة تعيش في البلقان فقط. يتكون غذاؤه من الجيف والزواحف كالضب والتعابين والضفادع والفئران وصغار الطيور والحشرات كالجراد والخنافس. صيده ممنوع في المغرب وهو طائر محمي.

- سقاوة عادية Buteo buteo تسمى بالفرنسية Buse variable وبالإنجليزية Buzzard وبالإسبانية Ratonero comun وبالإيطالية Poiana. يختلف هذا الطائر عن العقاب برأس دائري وصغير وبجناحين قصيرين نسبياً على شكل V عند التحليق في الفضاء. لون ريشه شاحب بني داكن ويختلف من فرد لآخر. المنقار معقوف وقصير، المخالب مقوسة سوداء. الذيل دائري قليلاً ومحفوف برش أسود ؛ يبلغ طول الجسم 56.50 سم ووزن 500.1400 غرام وتبلغ بسطة الجناحين 110.130 سم. الإناث أكبر حجماً ووزناً من الذكور.

يتوالد في أوروبا وآسيا من سبيريا إلى اليابان ومعظم مجموعات أوروبا الغربية مستقرة، والمجموعات التي تتوالد في الشمال وفي الشرق تهاجر شتاءً إلى الجنوب. يأتي إلى المغرب ما بين 3000-5000 فرد كل خريف عبر مضيق جبل طارق لفضاء فصل الشتاء في إفريقيا ثم العودة إلى أوروبا بين مارس ويونيو. تنوزع الأفراد منعزلة أو مزدوجة على مختلف المناطق المغربية بين أكتوبر ومارس شهدت منه عدة أفراد تحمل خاتماً من أوروبا الشمالية في كل من جولين وماسة وورزازات وأحفير وسيدي علال التازي وسيدي بنور وكرسيف. كما أن عدة أفراد تقطع الصحراء المغربية لتشتو في موريتانيا والسنغال والدول المجاورة.

يستبعد أن يتوالد هذا الطائر في المغرب، ويتكون قوته من مختلف أنواع الزواحف والضفادع والفئران وصغار الطيور والحشرات الكبيرة.

م. رمضان، بولنية، معلمة المغرب، الجزء 6، ص. 1845؛ الرضة، معلمة المغرب، ج 13؛ الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، ط 3، 1988؛ أمين المعلوف، معجم الحيوان، القاهرة، 1932.

P. Bergier, *Les falconiformes marocains. Statuts, Répartition et Ecologie. Annales CEEP (ex. CROP) n° 3, 1987, 160 p.* ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East, 1979.* ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris, 1977.

محمد رمضان

**السقاية**، منشأة معمارية ذات نفع عام تجمع الماء وتخزنه بعد وصوله إليها من مصادره بغرض توفيره للسكان، وتيسير سبل الحصول عليه، لتلبية ما يستلزمه عيشهم اليومي من شرب وطهارة وأشغال. ولذلك فهي مرفق حيوي

105)، تُقابل واجهة التزود منها، الواجهة الجنوبية للجامع، وتستقبل الماء من خزان ملاصق لها عبر فتحات بها أنابيب مصنوعة من البرونز.

سقاية جامع الأشرف بالمواسين : تقع هذه السقاية في وسط المدينة، وبنيت في عهد حكم السلطان السعدي عبد الله الغالب، وبأمر منه، كمرفق من مرافق جامع الأشرف والحومة التي انتظمت حوله، حومة المواسين (نزهة الحادي، 107)، تتوزع إلى ثلاث وحدات متصلة خاصة لشرب الحيوانات، وسقاية منفصلة عنها مغلقة خاصة بالماء الشراب للسكان (Marrakech, 1 : 371 - 372).

سقاية جامع باب دكالة : تقع غرب وسط مراكش، وهي من ملحقات جامع باب دكالة الذي أمرت بينائه مسعودة الوركيتي أم السلطان السعدي أحمد المنصور عام 995 / 1588 (نزهة الحادي، 146). وينسبها بعض أهل المدينة إلى الحسن وعُلي، أحد صلحاء حومة باب دكالة المغمورين. يكاد تصميمها ومكوناتها المعمارية يتطابقان، وتصميم ومكونات سقاية جامع الأشرف، وهي ملاحظة تدعم رجوع تاريخ بنائها إلى عهد السعديين (Marrakech, 415).

سقاية أشرب وشوف : تقع وسط المدينة في حومة أسول العتيقة، لا تعرف بالضبط تاريخ تأسيسها ولا مؤسسها، إلا أن الاطمئنان إلى زمن حكم السعديين، يبدو تاريخاً مقبولاً لنشأتها لكون مميزات المعمارية، طغت عليها هندسة وجماليات معمار الفترة (Marrakech, 461). ولعل لاسم هذه السقاية دلالة مزدوجة، صحية وجمالية، تظهر من خلال

علاقة التسمية بأداة وطريقة الشرب في حالة عدم وجود إناء للشرب، وجمالية الزخرف الذي يعلو الواجهة الخارجية لسقف السقاية. وانعكاس الزخرف في الماء، حيث تتداخل هذه العناصر فيما بينها في زمن واحد، هو زمن تناول الماء لشربه من السقاية، وذلك بعد ملء اليدين مجتمعتين، وانحناء الرأس نحوهما، حيث حوض تجمع المياه. ففي الوقت الذي تتم فيه عملية الشرب تكون العينان مفتوحتين على الحوض الذي تنعكس فيه زخارف سقف السقاية، وهذا الانعكاس يستوجب كشرط لوضوحه صفاء الماء ونقاء الحوض. وهو مؤشر على ما كانت تتوفر عليه سقاية أشرب وشوف من ضمانات صحية وثروة فنية تبرز القيمة الرفيعة التي كان الماء يحظى بها في مجتمع المدينة.

الشراف الإدريسي، نزهة المشتاق، طبعة الجزائر، 1957 : مجهول، الاستبصار، تح. سعد زغلول ع. الحميد، البيضاء، 1985 : البيضي، المقتبس من كتاب الأنساب، طبعة دار المنصور، 1971 : ابن عذاري، البيان، ج. 4، تح. إحسان عباس، بيروت، 1967 : الجزائري، جني زهرة الأس، تح. ع. الوهاب بن منصور، الرباط، 1991 : الإفرائي، نزهة الحادي، تح. ع. اللطيف الشاذلي، البيضاء، 1998 : التاساقي، رحلة الوافد، تح. علي صدقي أزابكو، الرباط، 1992 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الجزء الأول، ط. 2، الرباط، 1974.

G. Deverdu et Mhammed ben Abdeslem Ghiati, Deux Tahbis Almohades, Hesp., XLI, 3° - 4°, tr., 1954 ; Marrakech des origines à 1912, 2 tomes, Rabat, 1959 - 1966.

محمد رابطة الدين



تشكيل أجواق محلية بمدن طنجة وفاس ومكناس سنة 1960  
آثر السقاط أن يرحل إلى فاس للعمل مع المجموعة التي كان  
يرأسها أحمد الشجعي.

ولم تطل إقامة السقاط بفاس، إذ لم يفتأ أن رحل مع  
أسرته إلى الدار البيضاء، وهناك اشتغل فترة قصيرة في  
إحدى المؤسسات البنكية قبل أن يتم توظيفه للعمل ضمن  
جوق الإذاعة الجهوية.

وأكب السقاط مسيرة تطور الأغنية المغربية وهي تسير  
في ركاب قوالب الأغنية المصرية، ثم وهي تنقلت من قيود  
التقليد الأعمى لهذه الأغنية، لتشق طريقها نحو اكتساب  
مقومات الهوية المغربية، وقد أسهم في تطوير الأغنية  
المغربية بما أبدعه من مقطوعات غنائية تعامل فيها مع  
الشعر الفصيح والزجل العامي. وكان موفقا في اختيار  
الأشعار التي لحنها، مثلما كان موفقا في اختيار الأصوات  
التي تؤدي أغانيه. وقد غنى من ألحانه خيرة المطربين  
كالمعطي بلقاسم، وإسماعيل أحمد، ومحمد المزكودي، وعبد  
الهادي بلخياط، وفتح الله المغاري، وعبد الوهاب الدكالي،  
ومحمد الحياتي، وحמיד شكوي، وعبد المنعم الجامعي، كما  
غنى له من المطربات نعيمة سميح، وبهيجة إدريس، وسعاد  
حجي، والمطربة المصرية دلال وحيد. ويتوزع أغانيه غرضان  
أساسيان هما :

العاطفي، ومنه : يا قلبي هذي والتوبة، عيبو عليا،  
اعلاش ياغزالي، اللي بغيتو بغاني، قطار الحياة، كاس  
البلار، والله ما نلومك، والله ما نخون العهد، وشاية، ما يان  
عليه اخبار...

الوطني، ومنه : عش للمنى، العرش يزهر، عيد النور،  
احنا معاك يا بلادنا، يا مليكي، مع النصر موعدنا، يا فرحة  
العيد.

وبعد حياة حافلة بالعطاء، توفي عبد الرحيم السقاط يوم  
الجمعة 17 صفر عام 1406 / 1 نوفمبر 1985.

م. بوهلال، كتاب المهرجان الأول لإبداعات الشباب، تر. السقاط،  
ماي 1998 : معلومات شخصية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**السقاط، علي بن محمد بن العربي الفاسي**، محدث

كبير، وصوفي ناسك. أخذ بفاس عن الشيخ المعمر محمد بن  
عبد السلام بناني ويتطوان عن عمر بن عبد السلام لوكنس  
وأجازوه إجازة عامة، ولما حج سنة 1114 / 1702 أجازه أعلام  
شيوخ المشرق أمثال البصري، والنخلي وإبراهيم الفيومي  
وعبد الباقي الزرقاني ومصطفى البكري وغيرهم.

ألف فهرساً جمع فيه أشياخه ومروياته عنهم الحديثة  
والصوفية، أخذه عنه عدد من علماء المغرب وصوفيته، ثم  
انتقل إلى مصر فأخذه عنه كثير من مشاهير علمائه وترجموا  
له في مؤلفاتهم وفهارسهم وأثنوا على علمه وصلاحه اللناء  
العاطر. منهم المحافظ مرتضى الزبيدي في *الفية السند*،  
والمرازي في *سلك الدرر* الذي قال عنه : "كان فرداً من أفراد  
العالم فضلاً وعلماً وديانة وزهداً وولاية". ووصفه الأمير  
الصغير في رسالته في الحديث المسلسل بعاشورا "بالإمام

**السقاط**، أسرة فاسية عريقة، قال عنها في *إزالة  
الالتباس* : "أهل تجارة ومال ومعاش وحرفة وطلب". وذكر  
صاحب زهر الآس أنهم على فرق كثيرة، منهم فرقة زنقة  
حجامة ودرب الحمام من وسعة رحبة الزبيب ؛ وفرقة أهل  
القطانين واليوم بجزاء، برفوقة ؛ وفرقة الفقيه المدرس محمد  
ابن محمد السقاط بالدرب المقابل للباب الكبرى من زاوية  
الولي سيدي محمد بن الفقيه، ثم درب سيدي حكيم من  
وسعة العيون ؛ وفرقة درب الروم.

ع. الكبير الكتاني، زهر الآس، الدار البيضاء، 2002، ج 1 : 493.  
494 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون.

**السقاط، عبد الرحيم**، موسيقي ولد بمدينة فاس في  
أعوام الثلاثين، وتابع دراسته الابتدائية بإحدى المدارس الحرة،  
ثم التحق بشانوية المولى إدريس حيث حصل على شهادة  
البكالوريا عام 1953. وخلال دراسته الثانوية تفتقت موهبته  
الفنية، وتبدت آمارات تعلقه بالموسيقى، فاقنتى نايأ كان  
يراطب على حملة ظي أدواته المدرسية، تعلقا بالموسيقى،  
فاذا أسعفه الوقت اختلى بأصدقائه وأخذ ينفخ فيه مرجعا ما  
علق بذاكرته من الحان ؛ ثم اقتنى عودا وراح يلامسه بأنامله  
موقعا عليه أولى محاولاته في العزف والتلحين.

وقد تملكه هاجس الانقطاع للموسيقى، فقرر الرحيل إلى  
مصر، محتذيا حذو فئة من شباب المدينة الذين اختاروا  
متابعة دراستهم العليا بالديار الشرقية. وهكذا غادر المغرب  
نحو القاهرة سنة 1953، حيث انخرط في شعبة الموسيقى  
بجامعة فؤاد الأول متفرغا لدراسة قواعد الموسيقى العربية  
والعزف على آلة العود.



وخلال السنوات الأربع التي قضاها في القاهرة، حاول أن  
يسجل أحد أعماله الموسيقية مع إذاعة "صوت العرب"، فلم  
يفلح بدعوى أن عمله لا يعكس الوجه الأصيل للموسيقى  
المغربية، وأن عليه أن يتعامل مع معطيات التراث الموسيقي  
المغربي بدل الاكتفاء بتقليد القوالب المصرية.

وأمام انسداد سبيل الاشتغال في القاهرة لم يجد السقاط  
بديلا عن العودة إلى وطنه، فغادر مصر عام 1957، وحل  
بالرباط حيث التحق بالجوق الوطني لدار الإذاعة، ورئيسه  
يومئذ أحمد البيضاوي ؛ فلما دبت عوامل الخلاف بين عناصر  
الجوق بسبب التهافت على رئاسته، وآل الأمر بعد ذلك إلى

الحافظ ذي الأسانيد العالية. وألف في أسانيد السقاط  
تلميذه شمس الدين بن فتح الفرغلي المصري ثبتاً سماه  
الضوابط الجلية".

توفي علي السقاط بمصر سنة 1183 / 1770.

علاوة على المصادر المشرقية المذكورة داخل النص أعلاه. ترجم  
للسقاط : ع. الحى الكتاني، فهرس الفهارس، ط 2، باعتناء إحصان  
عباس، بيروت، 1986، 2 : 1006 . 1008 : ع. السلام ابن سودة،  
دليل، ط 2، الدار البيضاء، 1960، ج 2 : 319 . 320 : إحصاف  
المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 7 : 2395 .

### السقاط، محمد التاودي بن محمد الفاسي، أديب

كاتب، وفقه مشارك، وصوفي ناسك. ولد بمدينة فاس في  
العشرة الثالثة من القرن الثالث عشر، وبها نشأ وقرأ على  
عدد من شيوخ العلم والأدب، لكن أكثر ما أخذ عن شيوخ  
التصوف الصالحين، وفي مقدمتهم والده (ت. 1242)، والولي  
العارف الحاج المختار البقالي الفاسي، وعبد القادر العلمي  
المكناسي (سيدي قدور العلمي) صحبه سبعاً وعشرين سنة.

عمل السقاط كاتباً عند عامل فاس الطيب البياز، ولما  
قُبض على هذا الأخير سنة 1260 / 1844 ووقع البحث عن  
أصحابه، نجى الله المترجم من التبعة، ثم صار كاتباً مع  
عامل فاس القائد محمد بن الطالب الهنتيفي نحو سبع سنين.  
توجه بعدها إلى الحج صحبة الثري الفاسي الشهير الأمين  
الحاج الطالب بن جلون وكتب رحلة سماها المنح الوهية في  
الرحلة الحجازية، أكثر فيها من مدحه. ثم توجه إلى الجزائر  
سنة 1277 / 1860 رفقة السفير الحاج العياشي بنيس والقائد  
عمر الزراري. وبعد ذلك التحق بمراكش ولقي بها الصالح  
الشيخ محمد الفران، وألف في مناقبه كتاب خرق العوائد  
واستجلاب الفوائد ترجم فيه لنفسه وذكر ما وقع له مع  
الشيخين محمد الفران وقدور العلمي وغيرهما. وفرغ من  
تأليفه في 20 صفر عام 1288.

توفي بفاس بعد سنة 1290 / 1873.

م. التاودي السقاط نفسه، خرق العوائد واستجلاب الفوائد،  
مخطوط : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ط 2، الرباط، 1977، ج 6 :  
328 . 329 : ع. السلام ابن سودة، دليل، ط 2، الدار البيضاء،  
1960، ص. 206 و 365 : إحصاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب،  
بيروت، 1996، ج 7 : 2677.

### سُقَيْن، عبد الرحمن بن علي العاصمي السفياني

القصري الفاسي، نشأ بفاس ودرس على الإمام محمد ابن  
غازي، وهو أول من دخل عليه حين قدم من مكناسة  
لاستيطان فاس، والشيخ أحمد زروق ومحمد الطنجي  
وعيسى الواويسي وعبد العزيز البورجي وغيرهم، وارتحل إلى  
المشرق سنة 909 للهج والتوسع في العلم على قلة ذات يده،  
فلقي في مصر أبا الفتح القلقشندي وغيره من أصحاب  
الحافظ ابن حجر، "وأقام بالحرمين الشريفين مدة طويلة لأخذ

الحديث والتوسع فيه وفي سنده وضبط ألفاظه ومشايخ السند  
حتى حصل له من ذلك علم كثير ورواية واسعة لم تحصل  
لغيره من أهل عصره من علماء فاس (فهرس المنجور،  
ص. 60).

اجتاز في طريق رجوعه إلى فاس ببلاد السودان كما مرّ  
بها في ذهابه ودخل مدينة كَنُو على ضفاف نهر النيجر،  
"وحدث هناك بمحضر ملوكهم فعظموه وأجلسوه يحدث على  
الفرش الرفيعة ووصلوه بالصلوات الجزيلة من جوار أبقار  
وغيرها، وافتض كثيرا جدا، حدث بعض أصحابه عنه أنها  
تقرب من المائة ونال عندهم من المنزلة الرفيعة، وولد بعض  
أولاده هناك، ثم انفصل عنهم بعد سنين كثيرة إلى وطنه  
فاس مملوء الحقائق، موفى الآمال والرجائب، ووصلها سنة  
أربع وعشرين وتسع مائة (924 / 1518)"، (المصدر السابق  
من نفس الصفحة).

عاش سقين في فاس بعد سياحاته في المشرق والسودان  
32 سنة قضاها في التعليم بجامعة الأندلس، يلقي كل يوم  
دروسا عديدة في التفسير والحديث، ويقرى كتابي العمدة  
والموطأ، وصحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي  
والنسائي وابن ماجه، وغيرها متى طلب منه. وقد أخذ عنه  
جيلان من علماء فاس وطلبتها، فكان من تلاميذه الشيخ  
محمد اليسيتني، وعبد الوهاب الزقاق، وأحمد المنجور وأبو  
النعمان رضوان الجنوي وطلبته. فإذا انتهت الدروس وتفرق  
المجلس بقي قاعداً في جامع الأندلس غالب النهار في انتظار  
من يروي عنه شيئا من كتب الحديث. وكان علم الحديث  
ضعيفا في المغرب فأحياه الشيخ سقين ورواه عنه كثير من  
علماء فاس وأجازهم. ومن مجازيه أحمد المنجور الذي أصبح  
شيخ الجماعة بدون منازع، وكان سقين إلى جانب اختصاصه  
في الحديث مشاركا في الفقه والأدب والطب والتصوف.

وكان لسقين كرسي الفقه في المدرسة المتوكلية  
(البوعنانية) قبل خروجه إلى السودان فاستناب عنه الفقيه  
محمد المدغري وتنازل له عنه، وبعد وفاة الشيخ أحمد الزقاق  
سنة 932 / 1526 أسندت إلى سقين الخطابة بجامعة الأندلس،  
وبعد مدة يسيرة أسندت إليه أيضا الفتوى بعد موت الفقيه  
محمد القوري.

"وكان صلاته موجزة في تمام، وكان لا يطول في خطبته  
في الجمعة والعيدين كما هي السنة، وما رأيت أحلى منه  
فيها ولا أرق سيما العيادية، وكانت تكييني بخلاف خطبة  
غيره" (فهرس المنجور، ص. 61).

وقد وصف المنجور شيخه سقين فقال إنه كان رجلا طوالا  
على لون العرب وكان ذا سميت، وقيد بخطه من الفوائد  
الحديثية وغيرها أدبية وغيرها ما لم يقيده أحد من معاصريه  
بفاس، ورأيت كثيرا من ذلك بعد موته، وعلى خطه رونق  
ويشكل ويضبط ما يحتاج إليه، ويقرب من شيخه ابن غازي  
في الضبط والاتقان لمقيداته. كما ذكر أنه كان يستأجر دائما



على نسخ الكتب العلمية ذا الخط والطلب ينفق في ذلك المال الكثير.

توفي بفاس في شهر محرم عام 956 / يناير - يبرابر 1549.

أ. المنجور، فهرس أحمد المنجور، الرباط، 1976، ص. 62-59 : م.  
ابن عسكر، دوحه الناشر، الرباط، 1976، ص. 58 : أ. ابن القاضي، درة المجال، القاهرة، 1974، 3 : 97-96 : أ. بايا، كفاية المحتاج، تج. م. مطبع، المحمدية، 2000 : نيل الابتهاج، بيروت، د. ت : م. الإفرائي، نزهة الحادي، تج. ع. اللطيف الشاذلي، الدار البيضاء، 1998 : م. مخلوف، شجرة، القاهرة، 1930، ص. 279 : م. المحجوي، الفكر الساسي، فاس، 1345، ج. 4 : 102 : ع. المحي الكتاني، فهرس الفهارس، باعتناء إحصان عباس، بيروت، 1984 : ل. بروفسال، مزخرف الشرفاء، تر. ع. القادر الخلافي، الرباط، 1977، ص. 78 والهامش 2.

الأطلسي. نوعان يعيشان في البحار المحيطة بالمغرب، يتنقلان عموديا وأفقيا في أفواج ويشكلان مخزونا مهما للتغذية في المغرب، صيدهما صناعي وشبه صناعي وتقليدي على طول السواحل المغربية. يصاد الاسقمري بالشباك الحلقية الدائرية والشباك المزودة بالإنارة والجيببات العميقة والشاطئية والشباك المستقيمة وحيال الصانير العميقة وشباك الحواجز وصنارة اليد. يوجد بانتظام في الأسواق السمكية الوطنية. يستهلك طريا ومبرداً ومجمداً وملحاً ومجففاً ومبخرأ ومعلبا ومنه كميات كبيرة تستعمل في صنع الدقيق لتغذية المواشي وغيرها. يعطي الجدول الموالي الكميات المصطادة في المغرب خلال السنوات الأخيرة.

السنة	1994	1995	1996	1997	1998	1999
الكمية بالطن - السواحل المتوسطية	980	1756	834	757	361	1604
الكمية بالطن - السواحل الأطلسية	38215	28351	16154	28016	11261	16431
مجموع الكميات بالطن	39195	30107	16988	28773	11622	18035

الكمية المصطادة سنويا في المغرب من سمك سقمري

هناك نوعان شائعان في الأسواق السمكية الوطنية وفي السواحل المغربية :

سقمري عادي يدعى علميا *Scomber scombrus* وبالفرنسية *Maquereau commun* وبالانجليزية *Caballa del atlantico*. يسمى *mackerel* وبالإسبانية *Caballa del atlantico*. يسمى سكومبري في تونس كبايلا في العرائش وطنجة والحسيمة وسقمري وماكرو وزروك وتونينة وبوقة في المحمدية والبيضاء وأكادير والعيون والداخلة. يتميز بجسم طويل ومدد ويختم مستدق الرأس، ظهره أزرق مخضر. تتخلله سلسلة من الخطوط السوداء، الجانبان معدنيا اللسان والبطن أبيض لامع. السوق الذيلي رفيع والجوانب الأمامية والخلفية للعينين مغطاة بجفجف شحمي. الزعنفتان الظهرتان مفصولتان بوضوح، تتكون الأولى من 11-13 شوكة ؛ يحمل السوق الذيلي 5 نتوءات ظهرية و5 نتوءات شرجية وغاطسين صغيرين على كل جانب بقرب قاعدة الذيلية. الأسنان صغيرة ومخروطية على الفكين وعلى القوس الفوهي؛ الأشواك الخيشومية أقصر من الحياوط الخيشومية. الحراشف كبيرة وواضحة خلف الرأس وحول الصدرتين وصغيرة وغير واضحة على الجزء الآخر للجسم. الخط الجانبي معوج بوضوح. الذيلية متشعبة جداً. عائمة السمكة منعقدة يعيش في مجموعات مهمة من حيث العدد ومتجانسة القائمة منذ سطح البحر إلى 250 م من العمق. يفضل المياه العميقة في الشتاء ويقتررب من سطح البحر في الصيف.

**سُقَيْن، محمد بن عبد الرحمن العاصمي السفيناني**

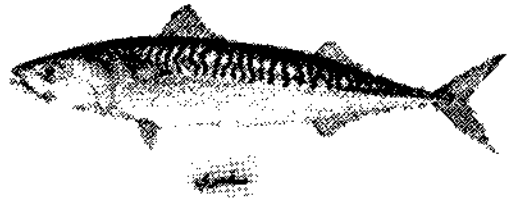
الفاسي، ابن سابق الترجمة، ولد بفاس حوالي عام 944 / 1537 وتوفي والده الإمام والمترجم له ابن اثنتي عشرة سنة فلم يأخذ عنه، وإنما أخذ عن تلاميذه وتلاميذهم. وأشهر شيوخه عبد الرحمن الفاسي العارف. ويبدو أنه كان فقيها متمكنا فقد أسند إليه منصب القضاء، كما كان خطيباً مثل أبيه.

توفي بفاس سنة 1054 / 1644، معمرأ كأبيه عن تسعين سنة.

ع. الرحمن الفاسي، *أزهار البستان*، مخطوط ؛ م. القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 4 : 1420. محمد حجي

**سُقْمَرِي** أو اسقمري، جنس أسماك بحرية يصنف إلى

طائفة شائكات الزعانف وفصيلة الإسقمريات *Scombridae* وجنس *Scomber*. هكذا هو شائع في المعاجم وفي معظم أسواق أسماك الدول العربية، ويدعى في المغرب كبايلا وزروك وماكرو وتونين. إنها أسماك لاحمة شرسة تعيش بين الكتل المائية العميقة والسطحية في بحار المناطق المعتدلة وشائعة في البحر المتوسط والأماكن الدافئة من المحيط



يتوالد في الشتاء وفي بداية الخريف في المياه القليلة العمق بالهضبة القارية. ينضج جنسيا بعد 3.2 سنوات بطول يناهز 30 سم ويتغذى من صغار الأسماك وخاصة منها السردين والأنشوفة.

- سقمري إسباني يدعى علميا *Scomber japonicus* وبالفرنسية *Maquereau espagnol* وبالإنجليزية *Chub mackerel* وبالإسبانية *Estomino*. كثير الشبه بالنوع السابق ويدعى بنفس الأسماء السابقة حسب المناطق. يختلف عنه في الظهيرة الأولى التي تتكون من 10.8 أشواك وفي وجود عائمة السمكة. الظهر أزرق فولاذي تتخلله خطوط سوداء معوجة أو مفوسة، الجهة السفلية للجانبين والبطن صفراء فضية اللعسان وتتخللها عدة بقع سوداء. يعيش في مجموعات مهمة العدد ومتفايسة القامة منذ سطح البحر إلى 300 م من العمق. يقوم بهجرات فصلوية مهمة ويتوالد في الصيف من يونيو إلى غشت. يتغذى من اللافقريات السطحية الصغيرة ومن الأسماك السطحية الصغيرة وخاصة منها السردين والأنشوفة.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي، في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، ط. 3، 1988 : أمين المعلوم، معجم الحيوان، القاهرة، 1932.

D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, Rome, FAO, 1998 ; Ministère des Pêches Maritimes, *La mer en chiffres*, Rabat, 1999.

محمد رضاني

## سكتانة، قبيلة كبيرة وقديمة بحبل جزولة (الأطلس الصغير).

وقد لعبت دورا مهما في تاريخ المنطقة، نظرا لموقعها المتحكم في الممرات التي توصل بين سهل سوس ووحدات باني الشرقية من جهة، ومن جهة أخرى بين أحلاف جبل جزولة وأحلاف آيت واوزكيط وراء جبل سيروا. وتضم قبائل متعددة، جعلتها أكثر القبائل قوة وبأسا، الأمر الذي مكنها من أن يعبر اسمها عن أكبر الأحلاف في منطقة سوس : هو حلف سكتانة العدو للودح لحلف إبيكيزولن، والذي يسمى أيضا حلف "تحكات".

كانت سكتانة مناصرة للدولة الموحدية، غير أن الثورة التي قامت بها آيت واوزكيط سنة 1155 و1182 م جعلت منطقة سكتانة شبه مستقلة عن السلطة الموحدية. وازدادت استقلالاً في الفترة المرينية، عندما أسس حدو بن يوسف مملكة صغيرة، واتسعت سنة 1281 في عهد عمر بن حدو، حيث اتخذ لقب "الكليد". وحكم منطقة تمند من نفيس إلى بيباوان (Montagne, *Les berbères*, p. 76)، وإلى سوس جنوباً، حتى أن عرب الحارث والشبانان كانت مساندة له. وليس من المستبعد أن تنضم إلى حكمه قبائل سكتانة المجاورة.

وفي العهد السعدي، أشار إليها صاحب ديوان قبائل سوس في قوله : "...وسكتانة جبلا وفحصا بما ذكر أي

خمسائة سرجة) (الحساني، ديوان، 15). واشتهرت، هذه القبائل أكثر بزاويتها "زاوية ابن ويسعدان"، التي عرفت شهرة "عظيمة لكثرة من أوى إليها من المريرين والمساكين، والأيتام والأرامل، فضلا عن الطلبة الذين بلغ عددهم سبعمائة طالب..." (حجي، الحركة...، 2 : 565). ولم تكن علاقة سكتانة مع المخزن السعدي جيدة. حيث أيدت الملك المخلوع محمد المتوكل (...). فاعصروصيت من حوله قبائل الأطلس الكبير بإشارة من الشيخ ابن ويسعدان، ولم تنته إلا بمعركة تينزرت الكبرى التي كان الظفر فيها لجيش أحمد المنصور " (حجي، الحركة...، 2 : 566).

وبعد انهيار السلطة السعدية، أصبحت المنطقة شبه مستقلة. ولعلها تكن تعاطفاً لأبي زكريا الحاحي، بحكم انتمائها إلى حلف سكتانة المعارض لحلف إكيزولن الذي يتزعمه السملاليون.

ولا شك أن نفس الوضعية استمرت خلال الفترة العلوية، حيث لم تورد المصادر معلومات عن سكتانة.

ونجد في كناش مخزني، أن قبيلة سكتانة قد أوتت للمخزن سنة 1251 / 1835 ما مقداره 8021 مثقال من المال وعدد مهم من الجمال، والخيول، والبغال، ووزاب، وحلي متنوع (كناش رقم 15 خ / ح، الرباط). ويدل هذا على أن هذه القبيلة تدخل في مجال الأحكام المخزنية.

إ. الحساني، ديوان قبائل سوس، تج. عمر أفا، الدار البيضاء، 1989 : م. حجي، الحركة الفكرية، المحمدية، 1978 : كناش ما يحصل عليه المخزن، ح. رقم 15، الرباط.

R. Montagne, *Les berbères et le Makhzen*, Casablanca, 1989.

محمد حدادين

## السكتاني، أبو بكر بن يوسف، ويعرف في مراكش بالمغارني (صفوة، ص. 112) : العالم الزاهد الرحالة. والسكتاني بكاف معقودة نسبة إلى قبيلة سكتانة، إحدى قبائل سوس المشهورة، الواقعة مواطنها شرقي مدينة تارودانت.

وكما نجعل تاريخ ولادته، نجعل مراحل حياته الأولى، إذ لا تخبرنا عنه المصادر إلا في أثناء مراحل طلبه العليا. أخذ عن بعض علماء عصره، منهم أحمد بابا التنيكي وأبو القاسم الدرعي بالمغرب. ارتحل السكتاني إلى المشرق ثلاث مرات، فجاور بالحجاز سنين عديدة، وحج أكثر من عشر مرات. ثم سافر إلى بيت المقدس، فأخذ بها العلم والتصوف عن أحمد العلمي. كما جاور بمصر التي أخذ بها عن كبار العلماء، منهم أبو الأمداد إبراهيم اللقاني، الذي أنزله بداره من جملة أولاده، وعبد الرحمن اليمني ويوسف الزرقاني.

ثم رجع إلى المغرب، فألقى عصا التسيار بمدينة مراكش، متصدرا للتدريس ونشر العلم، حيث كان عارفاً بفن

توفي بعد عام 999 / 1591.

- أ. ابن القاضي، درة الحجال، تع الأحمدي، القاهرة - تونس، ج. 3 : 131  
ع. ابن إبراهيم، الإسلام، ط 2، الرباط، 1977، ج. 8 : 433  
م. حجي، الحركة، المحمدية، 1977، ج. 2 : 386.

**المسكتاني، عبد الله بن محمد بن علي السوسي** من العلماء المغاربة الذين درسوا في مسقط رأسهم واستكملوا دراستهم خارج الوطن وخاصة في تونس ومصر، فتنلمذ لعدة شيوخ، منهم إبراهيم الجمني (ت. 1134) وعبد الله بن سالم البصري وإبراهيم الفيومي (ت. 1137) ومنصور المنوفي، وأخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ أحمد بن محمد ابن ناصر، وله نظم في سندها من طريقه. وله أيضاً ثبت شيوخه (خ. ع. رقم 1233 ك) وتقرير كتاب ذخيرة المحتاج للشيخ محمد المعطي الشرقي. يوجد التقرير ضمن سفر الاجازات حسب ما ذكره صاحب فهرس الفهارس.

بحلول سنة 1130 حصل على إجازات شيوخه فتميز بمشاركته في النحو والبيان والفقه والحديث وعلم الكلام وتصدر للفتيا والتدريس بتونس وولاه الباشا علي باي مشيخة المدرسة العاشورية وبقي فيها إلى حين وفاته. وخلال اشتغاله بالتدريس تخرج به الكثير من الطلبة منهم ولده أحمد ومحمد وقاضي صفاقس حسن بن أحمد الشرفي وأخوه أحمد الصفاقسي الشرفي والحسين الورتلاني الجزائري ...

توفي بتونس عام 1169 / 1756-55.

- ع. الهي الكتاني، فهرس الفهارس، 2 : 750-751-781 م.  
مخلف، شجرة النور الزكية، 345 : م. المنوفي، المصادر العربية لتاريخ المغرب، 1 : 176.

محمد ماگامان

**السكتاني، علي بن أبي بكر**، من العلماء السوسيين

الذين تكونوا تكويناً متيناً في مدينة فاس على كبار الشيوخ الذين تجتمعوا فيها خلال النصف الأول من القرن العاشر (16 م) : صفارية وأندلسيين وتلمسانيين ووهرانيين وتونسيين، يحكم الظروف السياسية والعسكرية السائدة آنذاك في الضفتين الشمالية والجنوبية للبحر المتوسط. وهو رفيق الشيخ أحمد المنجور في الطلب والأخذ عن الإمام محمد اليبستيني وغيره. ترجم له المنجور في فهرسه ترجمة حافلة وحلاه بصفات رفيعة : الفقيه النحوي الفرضي النوازلي ... كان آية الله في الفصاحة وحفظ النقول في تدريس التفسير والفقه والنحو وغير ذلك، دأباً على التدريس والمطالعة لا يمل ذكراً لنوازل كثيرة من الفقه بحائناً عنها ... سمعت يوماً شيخنا الإمام (اليبستيني) يمدح السكتاني ويقول "سيدي علي نوازلي" ...

لم يقتصر السكتاني على الأخذ عن شيوخ فاس، وإنما عني أيضاً باستخراج أمهات الكتب من أصولها ينسخها بيده ويستأجر ويشترى بالمال الكثير، كما قال المنجور. وهذا يدل على أن السكتاني كان ثرياً موسعاً عليه في الرزق.

القراءات، وله فيه أجوبة نظماً ونثراً. كما برز في علم الحديث ومصطلحه. فانشال عليه الناس للأخذ عنه، وانتفع به خلق كثير (صفحة، ص. 112)، ويرتفع إسناده إلى ابن غازي المكناسي من طريق محمد بن أحمد بن مجير المساري.

ومن أشهر تلاميذه محمد بن سعيد الميرغشي والشيخ محمد بن ناصر الدرعي وأبو سالم عبد الله العياشي، الرحالة الشهير. وهذا هو الذي ترجمه، ولقيه بمصر سنة 1059 / 1649 : ثم صحبه إلى المغرب في الرجوع. وفي أثناء تلك الرحلة سمع عنه بعض الشماليين، وأخذ عنه الذكر بظاهر بسكرة، واستجازه في سائر مروياته في علمي الظاهر والباطن، فأجازه عن جميع أشيائه، وكتب له ذلك بخطه (اقتفاء الأثر، ص. 115-116). لذلك لا غرابة أن يكون ثناؤه على شيخه كبيراً، حيث قال : "شيخنا الموطأ الأكناف، الكثير الإسعاف، العالم العلامة الحاج الرحالة، الفقيه المتفتن، الزاهد المتدين، التزيه المتعفف، النبيه المتصرف..." لا يعرف من آثاره المكتوبة سوى نظم العلوم الشرعية التي جعلها بعضهم اثني عشر، ذكر ذلك الحسن اليوسي في الفهرس (ص، 130).

توفي بمدينة مراكش سنة 1063 / 1653، ودفن خارج باب الدباغ.

- أبو سالم العياشي، اقتفاء الأثر، ص. 115-116 : ع. الله الفاسي، الإسلام بين نمبر...، ص. 71 : اليوسي، الفهرسة : م. بن. ع. الرحمن الفاسي، المنح البادية، ص. 7 : الإفراني، الصفوة، ص. 112، 113 : م. المكي الناصري، فتح الملك الناصر، ص. 87-88 : م. ابن الطب القادري، نشر الثاني، 2 : 66 : النقاط الدرر، ص. 133 : الحضيكي، طبقات، 1 : 162 : ابن الموقت، السعادة، 1 : 135 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 215، 218 : م. حجي، الحركة الفكرية، 2 : 391.

أحمد عمالك

**السكتاني، حسن بن أحمد**، مقاوم ولد بتالوين سنة

1920 إقليم ورزازات، انضم إلى حركة المقاومة السرية بالدار البيضاء وشارك في عدة عمليات مسلحة إلى جانب رفاقه في الحركة. اعتقلته السلطات الفرنسية، وقامت بتعذيبه إلى أن واقتنه المنية تحت التعذيب بمركز الشرطة بالجديدة بتاريخ 10 شتنبر 1954.

المدوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، ورقة مقاوم رقم 400514.

**السكتاني، عبد العزيز بن عبد الله**، ولد سنة 950 /

1543-44. ودرس في مسقط رأسه وفي حاضرة السعديين مراكش، وتخرج عالماً أديباً شاعراً، تميز من بين معاصريه بإتقان الخطوط المغربية والأندلسية والمشرقية، وتصدر لتعليمها بجامع الاشراف بمراكش على غرار ما كان معروفاً في القاهرة، فكانت له مشيخة النساخين في عصره. وألف عدة كتب اطلع عليها ابن القاضي وكانت آنذاك لم تكمل، ولم يعرف عنها شيء بعد ذلك.

وإليه يرجع الفضل في استخراج العيار اللونشريسي من مسودته التي لم تكد تكون تقرراً.

ولي قضاء مراكش حين دخلها الشرفاء السعديون، وكان وثيق الصلة بمؤسس دولتهم محمد المهدي الشيخ يجالسه ويصاحبه في أسفاره إلى أن قُتل معه غيلةً من طرف الانتكشارية الأتراك بالأطلس الكبير يوم 29 ذي الحجة عام 964 / 23 أكتوبر 1557.

ولا يُذكر للسكتاني من تأليف إلا شرح مختصر خليل وصل فيه إلى باب النكاح، حسبما ذكره رفيقه أحمد المنجور. م. ابن عسكر، درحة، تح. م. حجي، الرباط، 1979، ص. 94 و104؛ أ. المنجور، فهرس، تح. م. حجي، الرباط، 1976، ص. 38 و39؛ أ. بابا التنيكي، كفاية المحتاج، تح. م. مطيع، المحمدية، 2000؛ نيل الابتهاج، بيروت، د. ت. ص. 213-214؛ أ. ابن القاضي، درة الحجال، تح. الأحمدي، القاهرة، 3: 256؛ لقط الفرائد / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 2: 897-898؛ م. الإفرائي، نزعة الحادي، تح. ع. اللطيف الشاذلي، الدار البيضاء، 1998، ص. 94-95؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ط 2، الرباط، 1980، ج. 9: 186-187؛ م. حجي، الحركة الفكرية، المحمدية، 1977، ج. 2: 375.

محمد حجي

**السكتاني، عيسى بن عبد الرحمن، الرگراگي النسب،** السكتاني المولد، الروداني النشأة، المراكشي الدار، أبو مهدي، أحد الأعلام المحققين، شيخ المعقول والمنقول المفتي، قاضي القضاة بمراكش. أجمع سائر من ترجموه على علو كعبه في فنون العلم، ونوهوا باستقامته وسمو همته، ومحبيته لأهل الصلاح.

ذكر المحيي (خلاصة الأثر...، ص. 323) أن المترجم ولد بمدينة مراكش، وهو خطأ؛ إذ الراجح أنه ولد بقبيلة سكتانة السوسية؛ ومنها انتقل، في تاريخ غير معروف، إلى مدينة تارودانت، حاضرة سوس أنشد، فقرأ بها. ثم انتقل وهو في سلك الطلب إلى مراكش فأخذ بها عن بعض كبار علمائها، مثل الفقيه محمد ابن أبي القاسم الشريف الفيلاي، خطيب جامع الشرفاء؛ والفقيه مبارك بن علي السكتاني، ومفتي مراكش أحمد بن محمد السملالي. ولما ارتحل إلى فاس أخذ عن جملة من علمائها، منهم، قاضي الجماعة عبد الواحد بن أحمد الحميدي، والمفتي يحيى بن محمد السراج، والفقيه الحسن بن عبدالله بن مسعود الدرعي، والإمام أحمد المنجور وغيرهم.

وبعد مرحلة الطلب، استقر بتارودانت فتصدر بها للقضاء والتدريس. وهنالك أخذ عنه الحسن اليوسي، وعبد الرحمن التمنارتي، وعبد الله بن يعقوب السملالي، وعلي بن أحمد الرسموكي وغيرهم.

وعلى إثر استيلاء يحيى الحاحي على مدينة تارودانت، حين دعا لنفسه، وكان قد استشار العالم أبا مهدي السكتاني "قيما عزم عليه فلم يوافق على ذلك، ولم يساعده على مراده لما فيه من الخروج على السلطان بلا موجب، فغضب عليه أبو

زكرياء حتى أمر بقتله فيسا قبل" (الاستقصا...، 6: 61)؛ خرج إلى مراكش حوالي سنة 1023 / 1614. فاستقر بها وتصدر للتعليم. وعلى الرغم من ولايته لقضاء الجماعة طوال أربعين سنة، فلم يصرفه ذلك عن عقد مجالس العلم، صباح مساء، ومناظرة كبار الفقهاء "في اجتهادات جرى بها العمل في جنوب المغرب كله" (الحركة الفكرية...، 2: 391).

وقد دأب المترجم في كل ذلك دأب العلماء المخلصين الناصحين، الذين لم تكن تأخذهم في الصدع بالحق لومة لائم، كما يتضح ذلك من فتاواه ونصيحته لأبي زكرياء الحاحي. فضلا عن ذلك كان السكتاني يتمتع بحس سياسي قوي، يهدف إلى جمع الشمل، والتمسك بالبيعة للسلطان الشرعي حتى وإن كان جائرا. وهذا واضح من الخطاب الذي وجهه للحاحي، حين قال: "وأن الواجب في حق من رأى منهم ما يكره الصبر والاحتساب، إذ غائلة الجور، وإن تفاحش، أقل بكثير من غائلة الخروج الذي يترتب عليه فساد المهج والأموال والأعراض والأديان..." كما أبدى السكتاني تحاملا شديدا على بعض متصرفة ذلك العصر، من الذين دعوا لأنفسهم كابن أبي محلي، إذ ينبغي - في نظره - أن يكون هؤلاء قدوة في اتباع الإمام ولم الشمل ورتق الفتق.

وبالمجمل، فقد بدأ في ذلك الخطاب وأعاد من حيث الإتيان بالشواهد المتنوعة، من آيات قرآنية وأحاديث نبوية، ومن كلام العرب والأمثال والشعر، والسياسة الشرعية؛ مما يبين عن طول باع صاحبه في ميادين علمية متنوعة (الاستقصا...، م. س. ص. 61-68). واستفتاه بعد ذلك، أبو حسون في قضية البيعة التي ابتناها اليهود بمدينة إيليج، فأفتى بعدم جوازه، لكونها مدينة إسلامية حديثة البناء. فأمر صاحب سوس بهدم البيعة المستحدثة (إيليج قديما وحديثا، ص. 62).

خلف السكتاني مصنفات لاتزال كلها مخطوطة، تعرف منها حاشية على شرح أم البراهين، وكتاب في النوازل، منه نسخة بالحزنة العامة بالرباط (340 د)، والأجوبة الفقهية (خ. ع. 1016 ج).

توفي عيسى السكتاني حسب كل من اليوسي والتمنارتي والإفرائي والقادري عام 1062 / 1652، ووافقهم عليه آخرون؛ وهو مخالف لما جاء به محمد المختار السوسي؛ الذي ضبط تاريخ وفاته، فجعلها في سابع صفر من عام 1061 / 30 يناير 1651 (المعسول، 5: 15)؛ مجاريا المحيي. ودفن خارج باب الخميس، بضريح أبي القاسم الجراوي.

ع. الرحمن التمنارتي، الفوائد، مخطوط، ص. 48، 49، 154؛ م. ابن سليمان الروداني، صلة الخلف، تح. م. حجي، بيروت، 1988؛ ع. الفاسي، تحفة الأكابر، ص. 4؛ ح. اليوسي، فهرسة، ص. 133؛ الإفرائي، صفوة، ص. 111، 112؛ نزعة؛ المحيي، خلاصة الأثر، ص. 323؛ ابن الطيب القادري، الإكليل والتاج...، ص. 79؛ نشر المشائي، 2: 59؛ النقط، ص. 131، 132؛ الحضيبي، طبقات، ص. 322؛ الناصري، الاستقصا...، 6: 61-68؛ ع. ابن

إبراهيم، الإعلام، 9، 413، 416. م. المختار السوسي، المسرور، 5، 15 : يبلغ قديماً وحديثاً، ص. 62 : ع. السلام ابن سودة، دليل، 2 : 314 : خ. الزركلي، الإعلام، 5 : 104 : ك. بروكلمان، ذيل، 2 : 695، 696 : لفي بروفنسال، مؤرخو الشرفاء، ص. 260 هامش 2 : م. حجي، الحركة الفكرية، المحمدية، 2 : 391.

أحمد عمالك

**السكراتي، الحبيب بن عبد السلام،** من كبار علماء تارودانت، وإمام وخطيب مسجدها الكبير، وعضو مجلسها العلمي، إضافة إلى كونه عمل بها كمدرس وكمفت، تلك كانت أعماله وخصاله إلى أن لقي ربه في 2 شوال عام 1397 / 16 شتنبر 1977.

**السكراتي، الزاكي** من حفدة موسى بن الولي الشيخ أحمد السكراتي. قال عنه المختار السوسي : "فقيه حسن من المفتين الآن. ومن البارزين بين جملة العلوم العربية في (تارودانت) عرفناه وجالسناه مراراً وقد حصل على النجاح للقضاء منذ سنين كثيرة (...). نحن يجرون في مضمار الإقناء". وقد ظل هذا العالم مخلصاً لرسالة العلم بتارودانت ونواحيها إلى أن لبي داعي ربه في 2 جمادى الأولى 1407 / 3 يناير 1987.

**السكراتي، علي بن الحبيب،** نشأ في بيت علم وأدب، فاهتم بفنون الأدب منذ صغره وحفظ أشعاراً وقصائد. أخذ عن شيخ كبار كالمحفوظ الأودزي والحسين بن عمر بيبس، وعلى يد أبيه الذي ربي فيه حب العلم، بل كان يوصي أبناءه بالاشتغال بالعلم عوض جمع المال، لأن هذا الأخير يزول والعلم يدوم. وعندما لمع في ميدان العلم والأدب، وبعد وفاة أبيه، اختاره القواد الجراريون مدرسا وقاضيا وخطيبا ومفتيا لمركز قيادتهم "تالعينت"، لذا ظل ملازماً لهم.

هذا هو مؤرخ الأسرة، وأديبها الكبير، يرجع إليه الفضل في جمع وتدوين أخبار العشرات من علماء وأدباء الأسرة السكراتية، ويعتبر كتابه تحلية الطروس وبهجة النفوس في مناقب آل سوس مصدراً هاماً من مصادر التاريخ السوسي، ترجم فيه صاحبه لفئة معينة من السوسيين - الأعيان والعلماء والمتصوفة - فهو بهذا تاريخ إقليمي يدخل ضمن كتب التاريخ الإسلامي تضمن مادة تاريخية إلى جانب ما هو أدبي وماله اتصال بالكرامات.

أشار المختار السوسي أن الدافع لتأليف هذا الكتاب هو القائد عياد الجراري من أجل تخليد مآثره وإنجازاته تشبهاً بالأكابر. غير أنه من الأرجح أن هناك دوافع أخرى وراء تأليف هذا الكتاب ومنها : دفاع السكراتي عن طريقته التجانية، وشيوخها ومريديها بسوس أمام الهجمات التي تتعرض لها من الطرق المنافسة لها، الناصرية والدرقاوية، خاصة بعد اقدام المؤرخ الإكراري على تأليف كتابه المدافع عن الناصريين أكثر من غيرهم، وقد يكون هذا التنافس من بين حوافز المختار السوسي الدرقاوي الطريقة، للكتابة أيضاً في مناقب الدرقاويين.

على كل فهذا الكتاب هو مساهمة في التعريف ببعض جوانب تاريخ سوس، أتى عليه وعلى صاحبه المختار

**السكراتي** أو السكرادي من الأسر العلمية الصوفية بسوس، اعتباراً للدور العلمي والديني الذي لعبه رجالها، وتعد فرعا من فروع الشرفاء الذين استوطنوا هذا القطر. استمدت الأسرة تسميتها من "إسكراد" إحدى قرى قبيلة إغبر ملولن التي توجد على بعد 45 كلم جنوب شرق تزنيث، في منطقة تفصل بين قبيلة آيت جرار وقبيلة تازروالت. وقد اعتاد أبناء الأسرة أن يقولوا في تسمية جدهم - السكراتي - بالنساء لا بالرجال، خلافاً لما كتبه مؤرخ المنطقة المختار السوسي الذي يرى أن الأصل في تسمية الأسرة - السكرادي - نسبة لإسكراد، وهي كلمة لها دلالة محلية إذ يقصد بها الأحجار اللساء من الصفوان التي تغسل فوقها الثياب، والتي اتضح من خلال المعاينة وجودها بكثرة في موطن الشيخ أحمد السكراتي، الجد الأعلى للأسرة، وباني مدرستها وزاويتها.

**السكراتي، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مسعود،** ويتصل نسبه بالحسن السبط بن علي بن أبي طالب، كما تشهد بذلك مشجرات أنساب الأسرة، والظواهر السلطانية التي في حوزتها وكما أثبتتها مؤرخو المنطقة. عاش الشيخ أحمد السكراتي أواخر القرن العاشر وأكثر من نصف الحادي عشر الهجريين، تربى وتعلم على يد كبار شيوخ عصره، خاصة منهم شيخ المشايخ آنذاك وصديق أبيه، الصوفي الكبير داود الدادسي، حيث أخذ عنه علوم العصر إضافة إلى التصوف. لذا لا يستبعد أن يكون الشيخ الدادسي هو الذي أذن للشيخ أحمد السكراتي ببناء زاويته التي اختار لها مكاناً عالياً فوق عين "سكرات" بقبيلة إغبر ملولن ثم أضاف إليها بناء مدرسة بجانبها.

كان هدف الشيخ أحمد السكراتي من تأسيس الزاوية والمدرسة هو مد الإشعاع الديني والصوفي والعلمي، ليسير على نهج طريقة شيخه الصوفي داود الدادسي. وعموماً فقد أدت هذه الزاوية ذلك الدور، حيث أصبحت قبلة للبريديين والطلبة، بل تنازلت قبائل مجاورة لها عن جزء من ملكها لشيخها بقصد مساعدتها وتكوينها. وقد بقيت هذه الزاوية تؤدي نفس الأدوار حتى بعد وفاة قطبها بفضل استمرار أبنائه وحفدته في أداء رسالته، علماً أن هذا الشيخ الصوفي أعقب اثني عشر ولداً من صلبه ظلوا جميعاً سائرين على نهجه في الخير والصلاح. والمعروف أن ذريتهم تفرقوا بسوس وأحواز مراكش خدمة للعلم والدين الإسلامي. توفي بمسقط رأسه سنة 1067 / 1657.

جزولة، تطوان، مجهول، وفيات الرسموكى : م. البعقلي، مناقب  
البعقلي، ت.ج. م. المختار السوسي، الرباط، 1987.  
م. الحسن السكراتي

**سكساوة** (أو إسكساون)، تغطي منطقة سكساوة في وقتنا الحالي تقريبا المنطقة الجبلية لإقليم شيشاوة الواقع غربي مدينة مراكش. وهي تشكل حوضاً لأسيف - ن. سكساون أو وادي إسكساون. وهذا الحوض محاط من ثلاث جهات بجبل عال هو بمثابة حائط طبيعي. وتقع هذه المنطقة في السفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي، وينحدر وادي إسكساون شمالاً في اتجاه الدير والسهل المعروف اليوم ببوجمادة. وهناك يختفي اسم هذا السيل ليحمل - ابتداءً من المكان المسمى تُوْرَمَت (بالزاي المُفخمة) - اسماً آخر هو وادي القاهرة نسبة إلى حصن كان أبو عنان المريني قد بناه هناك سنة 753 / 1352.

ينبع أسيف - ن. سكساون من جبل تيشكا الذي يتراوح ارتفاعه ما بين 3000م و3400م (حسب الأماكن). وللعلم فإن أسيف المال وأسيف نفيس الموازين لوادي سكساوة ينبعان أيضاً من هذا الجبل. وإذا تقف الجبال أمام وصول الرياح الرطبة القادمة مباشرة من الغرب (أي المحيط الأطلسي)، فإن ذلك لم يمنع تعرض المنطقة للسحب الكثيفة القادمة من الجنوب الغربي.

ومن المميزات الطبيعية لمنطقة سكساوة كذلك أنها محصنة من جهة الشرق بحائط جبلي في حين تحيط بها بعض الكتيبان خصوصاً من جهة متوگة وحاجا.

ومنطقة سكساوة بحكم طبيعتها الجبلية تشهد تساقط كميات هامة من الأمطار والثلوج خلال السنة ولا سيما في فصل الشتاء. وهذا ما جعلها منطقة غزيرة المياه مما يعني أننا في منطقة فلاحية أقل ما يقال عنها إنها منطقة استقطاب واستقرار وذات استمرار تاريخي. وقد أشار ابن خلدون إلى هذه الأهمية وذكر بها الزرهوني أو مُرابط تسافت حين نعتها بميزان المياه إشارة منه إلى أنها خزان للمياه. وكما قال جاك بيرك هي كذلك خزان لأشياء أخرى كما هو معروف.

وجبل سكساوة لافت للانتباه، فالذي يصعد نحوه عبر الوادي يلاحظ مدى اتصاله جنوباً وشرقاً وغرباً. ومنطقة سكساوة توجد محصورة بين جبلين في اتجاه الشمال والجنوب : جبل بويباون غرباً من ناحية دمسيرة، وجبل أفوزار شرقاً من جهة إكدميون (كدميو). وفي هذه المنطقة يسير وادي سكساوة في اتجاه الجنوب على نحو مقعر.

ورغم أن منطقة سكساوة تبدو مغلقة إذ تحيط بها تضاريس عالية، فإن ذلك لم يحل دون انفتاحها على المناطق المجاورة البعيدة وذلك عبر الممرات التي تتخللها في أماكن معينة. غير أنها في نفس الوقت استطاعت أن تحتفظ بشخصيتها المتميزة.

السوسي بقوله : "هذا هو الذي له على تاريخ رجال سوس من الفضل العظيم ما لا يقدره قدره إلا أمثالنا الذين ينقطعون على تليق ترجمة عن أحد علمائنا". وأضاف قائلاً : "فتركه لي فوجدته طافحاً بالفرائب والعجائب وهو كتاب منشيء، ساجع، يحلي كلامه بالحكم والأمثال وبطرائف الأخبار والأشعار، مع نزاهة حاول أن يلازمها في كل كتابه".

**السكراتي، عيسى** بن أحمد بن محمد الشيخ، درس بمراكش وأقام بها، وأسس بها في درب ابن صالح زاويته ومدرسته المعروفتين، حيث تصدر للتدريس والتربية الروحية. كان السلطان المولى الرشيد العلوي يحيطه بالكرم والعطف، مما أدى إلى مرافقته له في رحلته لسوس للقضاء على إمارة إبلخ. وعند مرور السلطان بقرية سكرات، أطلععه عيسى على قبر والده الشيخ أحمد السكراتي، فأمر المولى الرشيد بإقامة ضريح عليه مازال قائماً إلى اليوم.

وبعد رجوع السلطان إلى مراكش، نصبه نقيباً على الشرفاء السكراتيين بمراكش وتارودانت وسوس. توفي هذا العالم آخر القرن الحادي عشر الهجري بمراكش، ودفن بمسجد السمارين.

**السكراتي، الماسون** هو أخ الزاكي الروداني سابق الترجمة، ولد عام 1335 / 1917، أخذ علوم عصره على يد شيوخ كبار، وانخرط كاتباً في وزارة الأحباس سنة 1938، وما لبث أن عين عدلاً من الدرجة الأولى بنظارة الأحباس بتارودانت وعندما بدأت بوادر الحركة الوطنية في الظهور، انخرط في صفوفها مناضلاً، فطلت الرقابة العامة تتعقبه إلى أن تم عزله من منصبه في يونيو 1954 كما سجن عدة مرات منذ بداية الخمسينيات.

وبحصول المغرب على استقلاله، عين قائداً على قبيلة هشتوك، ثم في قيادات أخرى بمناطق مختلفة من المغرب إلى أن تقاعد سنة 1978، وقد اشتهر باستقامته ونزاهته في عمله إلى أن لقي ربه عام 1418 / 1997. قال عنه المختار السوسي: "من رجالات الأسرة البارزين في ميدان الرجولة، قدمته أعماله فتسولى القيادة على جميع (هشتوك) بعد الاستقلال (...) وهو من أصحابنا الذين يمثلون ما يطلب من أمثاله أن يمثلوه".

**السكراتية، نجمة** بنت عيسى بن أحمد سابق الترجمة، خلفت والدها على زاويته بمراكش وسارت على سيرته في التربية الصوفية حتى وفاتها بعد والدها بحوالي عشرة أعوام، وضرىحها شهير بزواية والدها بحومة ابن صالح بمراكش.

على بن الحبيب السكراتي، تحلية الطروس وبهجة النفوس في مناقب آل سوس، مخطوط : م. المختار السوسي، الممسول، الدار البيضاء، 1963، ج 11 : رجالات العلم العربي بسوس، طنجة، 1989 : خلال

من سمات أرض منطقة سكاوة أنها تتفاوت لونا وجودة وذلك باختلاف المكونات الطبيعية لها وهكذا، وانطلاقاً من تيزي أوماشو يتغير لون الأرض تدريجياً بحيث يمكن التمييز بين ثلاثة أقسام مختلفة الألوان : هناك أرض بيضاء تليها حمراء وثالثة سوداء.

فالتربة البيضاء تنتشر في اتجاه الشمال الغربي وخصوصاً في مجال قبيلة متوكة وتمتد من هناك إلى إيمنانوت ودويران ومزوضة (إمروضن) وگدمبوة (إگدميون) مروراً بتمسگو وأركوس.

وهذا التدرج في لون الأرض نجد أيضاً حينما نتنقل إلى وسط سكاوة شمالي الجهة السابقة انطلاقاً من المكان المسمى مزاوت. ومن هناك يمكن تتبع الألوان الثلاثة بشكل واضح، فالتربة البيضاء تغطي حوض أيت موسى في اتجاه الجانب المسطح من منطقة دويران وتحديدأ في وأمریغت ووافگا Walfaga وتنتشر إلى أبعد من ذلك لتصل إلى منطقة كطوس (Kattos). وبعد ذلك يظهر الحجر الأحمر المسمى بـ تافزا الذي يكتسح منطقة إميليلن وعلى ارتفاع 1000 م في سافلة هذه المنطقة وبعد أن يمر الوادي بسوق الخميس القديم في اتجاه تايبا يتصادم مع جرف أسود اللون كما هو الحال في العالية.

وحيثما ندرس الغطاء النباتي المنتشر بمنطقة سكاوة يتأكد لنا هذا التدرج الطبيعي ابتداءً من علو 740 م عند سجاز تاگانمآ إلى علو 3400 م عند رأس مولاي علي.

إن التفاوت في التعرض لأشعة الشمس ينعكس على التباين في العلو ونجد لذلك أترأ في أسماء الأماكن مثل أنمر وهو المكان المعرض للشمس وأمالو الذي هو الظل. ومنطقة سكاوة تتعرض للتأثيرات الأطلسية من جهة الغرب وتقل أهمية في اتجاه الشرق خاصة في گدمبوة (إگدميون). وهذا التباين الطبيعي انعكس أيضاً على الغطاء النباتي بحيث يطبعه التنوع ويتأقلم مع التضاريس.

ففي سافلة المنطقة تنتشر شجرة الزيتون عبر الأودية إلى حدود منطقة زينيت (بالزاي الفخمة) ومغدير وتصل إلى حدود علو 1100 م. كما تنتشر بهذه المنطقة شجرة اللوز التي تبدو كأنها في تنافس مع الزيتون ويصل انتشارها إلى علو 1800 م. غير أن شجرة الزيتون نجدها هنا وهناك خاصة في وانشكرير وأضرضرور. غير أن شجرة اللوز انطلق انتشارها خصوصاً عند علو 1400 م ليصل إلى علو 2350 م ونجدها بكثرة خاصة في مناطق أو سيكيس وأيت حديوس وإيدارجيون.

وفضلاً عن ذلك هناك سهب حفاوية تغطي منطقة يتراوح ارتفاعها ما بين 800 و1600 م وخصوصاً في منطقة إميليلن التي تعتبر الحد الفاصل بين سكاوة ودويران. وهذه المنطقة مكسوة بتربة حمراء وغير أهلة بالسكان اتخذتها قبيلة أيت إدمنا منطقة لرعى ماشيتها. تنبت فيها النباتات الشائكة وخصوصاً شجرة الحلفاء التي هي نوعان يسميان بالأمازيغية

تالت وأوري. وهذا النوع الأخير نجده خارج هذه المنطقة ليصل إلى ممر تيكورت حيث بنيت هناك في تنافس مع نباتات علفية أخرى مثل الصنف المسمى أزگري أو ترغا.

وتنتشر الغابة المسماة بغابة مزاوت في المنطقة التي تفصل بين الوادي الرئيسي ووادي أمرن وعندما نخترقها عمودياً نميز فيها مناطق مغطاة باللوز وأخرى بالعناب وثالثة بالعرعر. أما شجر البلوط فينمو بكثرة انطلاقاً من علو 1400 م وخصوصاً منه البلوط الأخضر المعروف بالأمازيغية بتسافت. غير أن هذه الغابة قد اعترها التدهور ولاسيما بين ارتفاع 1500م و1600م. وإذا أصبحت كثيفة عند ارتفاع 2000م فإنها تتخللها هنا وهناك بعض الأماكن المفتوحة المخصصة للزراعة. أما انتشار هذه الشجرة فيصل إلى حدود ارتفاع 2800 م وتنتشر كذلك بهذه الغابة شجرة السرو التي يمتد مجالها إلى حدود ارتفاع 3250 م.

وهناك أصناف أخرى من الأشجار والنباتات بهذا المجال الغابوي منها على وجه الخصوص النبات المسمى بالأمازيغية أزمو Azmu الذي ينمو بكثافة في الأماكن الرطبة والمعلوم أنه يوجد في قسة تيشكا (ارتفاع 2600م) وهو مكان مخصص للرعي. وعموماً يلاحظ أن النباتات الأخرى التي تضمها غابة سكاوة هي ذات أزهار صفراء تظهر في شهري ماي ويونيو (ربيع متأخر) وهي : أغوزير، وأشفود، وأناغود، وأماتر، وألوگو.

والملاحظ أيضاً أن مكان تلاقي الأودية الصغيرة بالوادي الرئيسي له طابعه الخاص. فهذا إيمي أو نسيف يضم غابة الدفلى أشجارها كبيرة.

أما إيمي لكيس فتنمو به أشجار التين والرمان. وفي هذه المنطقة تصادف أيضاً نباتا يسمى أفرت وكال وهو نبات ذو طعم حلو يستعمل في الشاي.

ومن الأشجار الأخرى المثمرة التي لها حضور مهم في أودية هذه المرتفعات شجر الجوز.

وعسوماً، كما سبق الذكر، فإن الغطاء الغابوي بمنطقة سكاوة أصابه تدهور واضح في عدة أماكن وذلك بسبب عوامل متعددة منها الاستغلال المكثف (الرعي والحطب) والتراعات والحروب التي كانت المنطقة مسرحاً لها خلال القرون الماضية، وانحراف التربة وتعرض المنطقة لرياح قوية، والاجتثاث من أجل الحصول على أرض فلاحية، وكذا عدم تجديد أغراسها.

ونظراً لوعورة تضاريس المنطقة، فإن المحاط الزراعي تطلب باستمرار من ساكنة سكاوة جهداً كبيراً لتثبيت الأرض الصالحة للزراعة، والتغلب على جريان المياه المنسابة بقوة من الجبل. وهكذا قام الفلاحون بتشييد عدد من السطوح والمرتفعات لزراعة الحبوب على علو يصل إلى 2000م. واكتسح المجال الفلاحي جنبات الأودية والشعاب الضيقة مما يبرز حيوية السكان والجهود المضنية التي بذلوا

باستمرار في سبيل ذلك. وإذا كان المجال الفلاحي ثمرة مجهودات فردية وعائلية فإن المجال الرعوي ظل مجالاً جماعياً تستفيد منه الجماعات المتساكنة بالمنطقة.

السكان والسكن :

أحصى جاك بيرك بالمنطقة ثمانين تجمعا سكانيا مبنيا في أعماق الأودية التي تخترق المنطقة. وذلك أثناء قيامه بدراسته المشهورة حول سكساوة في الخمسينيات من القرن العشرين وكان مجموع سكانها يمثل آنذ ما مجموعه 12.000 نسمة وهو رقم مهم ينم عن كثافة سكانية عالية. وهذه الكثافة السكانية المهمة تفسرها الظروف والمؤهلات الطبيعية التي توفرها المنطقة للسكان وتتجلى أساساً في غزارة المياه ووجود غطاء نباتي متنوع وكذا توفير الحماية الطبيعية.

ويتجمع السكان في قرى متراسة أقل ما يقال عنها أنها أشبه في تصميمها بتصميم المدن العتيقة. تتكون من عدة منازل تسمى تيگمي (مفردة تيگمي) وكل واحدة منها تقطنها عائلة واحدة. وقد لاحظ جاك بيرك أن تنظيم السكان في هذه المنازل كان لا يخضع بالضرورة إلى الانتماء العظمي ولا يوجد إلا بصورة استثنائية خاصة لدى قبيلة أيت محند، وقد لاحظ في نفس الوقت وجود نوعين من المنازل يختلفان حسب طبيعة مواد البناء : فهناك المنازل المشيدة بالتراب أو الطابية (التابوت بالأمازيغية) ، والمنازل المبنية بالحجر. فالصنف الأول منها ينتشر من الدبر إلى وسط سكساوة تقريباً، وبعد ذلك فيقدر ما يرتفع الجبل بقدر ما تنتشر الدور المشيدة بالحجارة. فإذا كانت المنازل لدى أيت موسى بعضها مشيد بالتراب وبعضها الآخر بالحجر، فإن المنازل المشيدة بالتراب أخذت تقل خصوصاً بزينة (بالزاي المضخمة) وإمتدائن لتختفي تماماً لدى أيت إداما ومن في عاليتهم. وما يميز المنازل المبنية بالحجر في هذه المنطقة معانقتها للسماء بحيث تتكون من طابقين إلى ثلاثة. ومن سمات هذه المنطقة أيضاً أن مجموعة من المنازل بها تكون ملتصقة فيما بينها تسمى تيگمي يگيز وهي شبيهة بخلايا النحل وبماكانها أن تؤوي عدداً من العائلات. ويوجد بهذه المنطقة نوع آخر من البناء المنسق يشبه في مظهره البناء الحضري ولاسيما في زينة (بالزاي المفخمة). وقد وصل إلى ذروته لدى أيت حديوس وخير مثال على ذلك دار أمغار أو موليد الذي كان من كبار شيوخ سكساوة في فترة سابقة.

ويقسم المنزل إلى أجزاء محددة وفق ما تقتضيه ضرورات الحياة القروية. فالطابق الأرضي المسمى أگورود يكون عادة إصطبلات لإيواء البهائم. وفوقه تقام بيوت العائلة أو ما يسمى ينوالين (مفرد توالت : النوال). أما الطابق الثالث فتوجد فيه تنصيرت التي هي مجال حياة ذكورية واستقبال الضيوف. وفي أعلى المنزل يوجد أسقيف الذي هو بمثابة مخزن مفتوح.

\* \* وعن تاريخ سكساوة تفيد المعلومات التاريخية القليلة جداً أن وجود سكساوة (إسكساون) بجبل درن غربي مراكش عرف منذ ما يزيد عن ثمانية قرون. وكما سبق القول فهذا الاسم ينطبق على الوادي الذي ينبع من جبل تيشكا في اتجاه السهل. وهذا الاسم يشير أيضاً إلى المجموعات البشرية المنتسبة إليه والمتناثرة في نفس الحوض. وهي مجموعات كانت تجمعها عادات وتقاليد اجتماعية ومؤسسات سياسية متقاربة. ويتعبير آخر، فإن منطقة سكساوة كانت لها شخصيتها المتميزة. بيد أننا لسوء الحظ لا تتوفر على معلومات دقيقة وكافية تؤرخ لها. وعلى عكس قبائل أمازيغية مغربية أخرى فإن قبائل سكساوة لا يجمعها نسب واحد، بل هي قبائل متعددة الأصول والمشارب.

وهكذا، فاسم سكساوة لا يربط بالقرابة بين الذين ينتسبون إليه بقدر ما هو مجرد لفظ يُنطق به وهو ذو محتوى محدود. ومع ذلك فهذا الاسم، من حيث الدلالة المجالية، يتضمن تدقيقات طبوغرافية يبدو أنها ظلت ثابتة منذ القرن الثاني عشر الميلادي، وهي الفترة التي وصلتنا عنها بعض المعلومات المكتوبة. إننا هنا في إحدى مناطق الاستقرار القديمة بالمغرب. لكن ذلك لا يعني البتة أن السكان ظلوا دوماً هم نفس السكان، وإذا ظل اسم سكساوة ثابتاً لا يتغير فإن المنطقة شهدت باستمرار منذ التاريخ المشار إليه سابقاً، وصول واستيطان سكان جدد قدموا إليها من مناطق أخرى وخاصة من سوس. وهذا الاستقطاب السكاني المهم أدى حتماً إلى تراجع إن لم نقل ذوبان السكان القدامى (الأصليين). وقد لاحظ جاك بيرك في الخمسينيات من القرن العشرين أن عددهم أصبح ضئيلاً أمام السكان الطارئين الذين أصبحوا يشكلون الأغلبية في تلك الحقبة.

واسم سكساوة ربما له دلالة طبوغرافية. ويرى جاك بيرك في هذا الصدد أن سكساوة بهذا الرسم يعود إلى الفترة السعدية. لكنه ورد بنفس الرسم قبل ذلك بكثير خاصة في العهد الموحيدي (البيدق). أما ابن خلدون فقد رسمه "سكسيوة". ويظهر أن سكساوة وسكسيوة هما تصحيف للاسم الأمازيغي إسكساون الذي مازال سكان المنطقة يطلقونه على أنفسهم إلى اليوم. وإسكساون هو صيغة الجمع ومفردة إسيسكو. لكننا نجد في مناطق أمازيغية أخرى بالمغرب كلمة قريبة في نطقها لهذه الكلمة وهي كلمة إسكسا التي هي الأخرى صيغة جمع (مفرد أسكسي) ومعناها أمشاط (مفردة مشط) الصوف. فهل معنى ذلك أن إسكساون يمثل تطوراً للكلمة السابقة في هذه المنطقة ؟ وإذا سلمنا بهذا الأمر فهل معنى ذلك أيضاً أن سكان المنطقة كانوا معروفين بإنتاج الصوف وعزله في فترة تاريخية معينة؟ هذا ما نجعله.

إلا أننا نرجح أن يكون الاسم الأصلي لإسكساون هو إزگزاون ومعناه المخضرون ومصدره يزگزوت أي الخضرة. وجغرافياً فهذه المنطقة ذات خضرة جذابة ويغطيها نبات



متنوع. لهذا ليس مستبعداً أن يكون الاسم القديم إزگراون قد تطور بفعل تغير بعض الصوتيات وخصوصاً تغير الزاي إلى السين، وتغير الكاف إلى الكاف، وأدى ذلك إلى استقرار هذا الاسم على الشكل الذي هو عليه إلى اليوم : إسكساون. وعليه يمكن رسم تطور الكلمة على النحو التالي:

الاسم الأصلي : إ - ز - ك - س - ا - و - ن

الاسم الحالي : إ - س - ك - س - ا - و - ن

ولعل أول من أشار إلى وجود إسكساون (سكساوة) في الأطللس الكبير الغربي قريبا من مراكش هو أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق في كتابه الموسوم بـ "المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب" الذي يعتبر من المصادر الأولى والأساسية لبداية الدولة الموحدية، وحسب ما ورد فيه فإن إسكساون خلال تلك الحقبة كانوا فخذاً من أفخاذ قبيلة گنغفيسة الكبرى التي صنفت ضمن المهاجرين في الترتيب الموحد للقبائل. والملاحظ أن گنغفيسة وأفخاذها كانت من قبائل الأطللس الكبير التي تأخرت في مساندة الدعوة الموحدية، وربما كان هذا سبباً كافياً لتسييرها (تصفيتها) من طرف محمد المهدي بن تومرت إثر وقعة البحيرة الشهيرة التي انهزم فيها الموحدون بزعامة محمد البشير أمام المرابطين خارج مراكش سنة 524 / 1130 أما الاعتراف (التمييز) الثاني الذي قام به خلفه عبد المومن الكومي سنة 541 / 1147 فلم يشمل قبائل گنغفيسة مما ينهض دليلاً على أن هذه القبائل أدمجت نهائياً ضمن التنظيم الموحد وقتئذ.

وخلال العهد المريني وتحديدًا بعد منتصف القرن الثامن الهجري / منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، تحولت منطقة سكساوة إلى ملجأ وملاذ للناقمين والمعارضين للسلطة المرينية. فلما اختل أمر المغرب عقب الصراع المعروف بين أبي الحسن وأبنة أبي عنان توالى الثورات في كثير من مناطق المغرب. ولم تشذ منطقة سكساوة عن هذا المنحى فاستبد بها زعيمها عبد الله السكسيوي الذي استطاع أن يستقطب إليه الأمير أبا الفضل الثائر هو الآخر على أخيه أبي عنان. وقد كان ذلك بعد رجوعه من الأندلس، ولمواجهة هذه الوضعية الخطيرة هناك قام أبو عنان سنة 754 / 1353 ببناء حصن بدير جبل سكساوة سماه القاهرة "لتجسيم كتابه". ومن هناك شدّد عليهما الحصار فاضطر أبو الفضل إلى الفرار نحو درعة التي ألقى القبض عليه بها من قبل عاملها عبد الله بن مسلم الذي سلمه لأخيه أبي عنان ليلقى مصيره المحتوم أياماً قليلة بعد سجنه سنة 756 / 1355.

ومهما يكن من أمر، فيبدو أن أبا عنان لم يتمكن من دحر قائد سكساوة الذي استمر في حكم المنطقة بعد وفاة هذا السلطان بدليل أن عامر بن محمد الهنتاتي المستبد بأمر مراكش وما إليها جهز جيشاً قوياً إليه قدر ابن قنفذ القسطيني أنه كان يزيد على ستة آلاف مقاتل. ويضيف ابن قنفذ في هذا الصدد أن الهنتاتي تراجع عن مقاتلته نزولاً عند رغبة الولية عزيزة السكسيوية التي "ألزمت له طاعة

السكسيوي فرجع وجاءه كتابه بخدمته وطاعته". ويستفاد من المعلومات القليلة التي أوردها ابن قنفذ في كتابه "أنس الفقير وعز الحقير" عن عزيزة السكسيوية السابقة الذكر، أنها كانت عنصرًا أساسياً في الحياة السياسية والدينية بجبل سكساوة خلال نفس الحقبة. كانت لها حظوة كبيرة لدى سكان المنطقة وغيرهم فطبقت شهرتها الأفاق. وأصبح ورعها محط إعجاب وتقدير وأتاهها الناس من كل حدب وصوب للتبرك بها وإصلاح ذات البين.

وإذا لم يعرف تاريخ وفاة للاعزيزة فإن ذكرها ظلت عالقة بأذهان الناس ليس في منطقة سكساوة فحسب بل في مناطق أخرى من جنوب المغرب مثل سوس ودرعة ودانس وتافيلالت وغيرها. وقد استمر ذلك إلى وقتنا الحاضر. وقد ظهرت بسكساوة - وتحديدًا بزنتيت (بالزاي المفخمة) في تاريخ يصعب تحديده - زاوية تحمل اسمها، ويوجد بها ضريحها الذي يستقطب جموعاً غفيرة من الناس من سكساوة وخارجها للاحتفال بموسمها السنوي الذي يتزامن مع عيد المولد النبوي الشريف. وكباقي المواسم الدينية المعروفة في كثير من المناطق المغربية، فإن موسم للاعزيزة تطبعه طقوس احتفالية غنية بالرموز والدلالات التي لها علاقة ما بالتاريخ المحلي للمنطقة. ومن ثمة فهي، إذا ما تمت دراستها دراسة دقيقة، يمكنها أن تساعد الباحث على فهم بعض جوانب تاريخ المنطقة السياسية منها والثقافية. وعموماً تتمثل تلك الطقوس في ذبح عدده معين من الأغنام والأبقار بالزاوية وفق تقاليد مضبوطة. وهذه الذبائح تقدمها بعض القبائل كقرايين للولية وزاويتها. وهناك مظهر آخر لاحترام وتقدير السكان لها يتجلى في الاستفادة الذي يؤدونه لها طيلة السنة. وما يسم هذا الاستفادة تنوعه بحيث يشمل جميع المحاصيل الزراعية التي تنتجها المنطقة.

ويبدو واضحاً على وجه الإجمال، أن الدور الديني والسياسي والاجتماعي الذي اضطلعت به عزيزة السكسيوية في حياتها بجبل درن كان يمضي الوقت وراء نسج أسطورة حول شخصيتها، ظلت متوارثة بين الأجيال إلى عصرنا هذا. وهذه الاسطورة التقطها الرحالة الفرنسي بريف (BRIVES) عندما كان ماراً بهذه المنطقة في بداية القرن العشرين. وقد أوردها - نقلاً عنه - جاك بيرك في كتابه حول "البنية الاجتماعية للأطللس الكبير".

ولحسن الحظ فإننا نتوفر على بعض المعلومات القيمة عن منطقة سكساوة تهم الحياة الاقتصادية والاجتماعية للسكان خلال القرن السادس عشر للميلاد. وهذه المعلومات سجلها كل من الحسن الوزان أو ليون الإفريقي ومارمول كريحال. فالأول وصف سكساوة بأنها "جبل موحش، شديد الارتفاع والبرد، تغطيه غابات كثيرة، ولا يزول منه الثلج أبداً، تعود سكانه أن يضعوا على رؤوسهم قنصوات بيضاء". أما الثاني فأضاف أن تربية المواشي كانت النشاط الأساسي للسكان. أما زراعة الحبوب فهي منعدمة. ولذلك فسكساوة

القرن ويعتبر الشيخ محمد أو منصور من قبيلة أيت باحمو من الشيوخ الذين ترقوا إلى رتبة قائد خاصة في عهد الحسن الأول. لكن الملاحظ أن قيسادته على أيت حدبوس له تدم طويلاً لرفض السكان له. وعيّن محلّه شخص حاجي الأصل من حاشية السلطان يدعى أمشتاك ورفضه السكان أيضاً. في الوقت الراهن تنتمي منطقة سكساوة من الناحية الإدارية إلى دائرة إيمنتانوت التابعة لإقليم شيشاوة المحدث قبل بضعة سنوات. وهي مقسمة إلى ثلاث جماعات قروية رئيسية هي : سيدي غانم، وللعايززة، وأيت حدو - و - يوسف.

أبو بكر بن علي الصنهاجي، البيدق، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، الرباط، 1971 : أخبار المهدي بن تومرت، الرباط، 1971 : ع. الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر، بيروت، 1399 / 1979، ج. 7 : ابن قنفذ، أنس الفقيه، نج. محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط، 1965 : الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1400 / 1980، ج. 1 : مارمول كبريخال، إفريقيا، تر. محمد حجي وآخرين، الرباط، 1989، ج. 2 : م. حمام، النساء في الصلاح والولاية بالمغرب خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري الرابع عشر للميلاد، نموذجاً مؤمنة التلمسانية وعزيرة السكسوية، ضمن كتاب فكر وتاريخ، دراسات وأبحاث مهداة للدكتور ما نويل فايشر، منشورات كلية الآداب بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات، رقم 23، 1998، ص. 97، ص. 115.

J. Berque, Structures sociales du Haut-Atlas, Paris, 1955.

محمد حمام

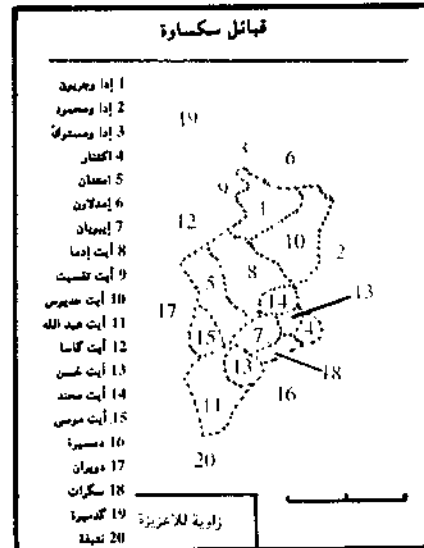
### السكساوية، لالة عزيزة بنت إبراهيم المرابطية

الركراكية، تنتسب إلى عائلة أيت علي العريقة بسكساوة، يجهل تاريخ ولادتها ووفاتها بالمنطقة لكن من المؤكد أنها عاشت في بداية عصر المرينيين في القرن السابع (13 م) حين توالى حملاتهم العسكرية على الحوز الغربي، فقامت اضطرابات والتجأ قسم من السكان إلى أعالي الجبال. ويقال إنها تدخلت لعقد صلح بين القائد عبد الله السكسوي عندما نشب نزاع بينهم وبين أبي عنان المريني الذي دخل المنطقة بجيش لإخضاع سكانها لسلطة المخزن. ويقال إنها كانت في صباها راعية غنم أبيها، وكانت لها أحلام وتطلعات كبيرة، فسافرت خارج المنطقة لطلب العلم ووصلت في ترحالها إلى تلمسان وتلقت العلم والتصوف على يد الفقيه أبي مدين الغوث، ورجعت إلى بلدها كمتفحفة صوفية تعظ الناس خاصة النساء بكلام فصيح، تجيب عن أسئلتهم بذكاء وإقناع، وقد بدأت الزيارة إليها وهي حية حيث كان الناس يقصدونها للتبرك والاستفادة من علمها يستفتونها في مشاكلهم ويطلبون مساعدتها وتحكيمها. وكانت لها بركة "في جلب الحصب بل إنها فجرت الماء من سفح جبل عندما شكوا الناس إليها من أزمة عطش وجفاف" وذلك حسب الروايات الشفوية الشائعة بالمنطقة. وتذكر الروايات أنها لم

كانت وقتئذ مشهورة بإنتاج الجبن والسمن والزبد واللبن وربما حتى الصوف. أما الحبوب فكان يؤتى بها من مناطق أخرى. وقد أكد مارمول "أن اللحم لا ينقصهم طوال السنة". وقد انعكس نمط عيشهم هذا إيجاباً على حياتهم فكانوا يُعمرون طويلاً. ويقول عنهم مارمول بخصوص هذا الموضوع : "يمعيشون (أي سكان سكساوة) كالمثوحشين بصحة جيدة، بحيث إنهم عندما يبلغون من العمر مائة وستة وعشرين سنة لا يظهرون مسنين، ولا يشتغلون بشيء آخر طوال حياتهم سوى رعي قطعانهم. ومن العجب كيف يرتدون ملابس قليلة يتقون بها هذا البرد الشديد، إذ ليس لهم سوى عباءة تلفهم وأحذية نصفية من الجلد الطري وخرق يلفونها حول أقدامهم". أما الوزان فسجل في هذا الصدد أن "شيخوتهم قوية خالية بطبيعتها من العلل التي تحملها معها السنون، فهم يسيرون وراء بهائمهم إلى أن يدركهم الموت...".

وهكذا يتضح بناء على المعطيات السابقة، أن منطقة سكساوة كانت إلى حدود القرن السادس عشر للميلاد منطقة رعوية بالأساس وأن الفلاحة بها لم تنتشر بها إلا بعد ذلك. وربما كان وراء ذلك عدة عوامل كالحصار الذي يمكن أن تتعرض له المنطقة لمدة طويلة بما أجبر السكان على الاشتغال بزراعة الحبوب إلى جانب اشتغالهم بالرعي، أو نزوح بعض السكان إليها ممن لهم دراية بالفلاحة وأشغالها. وعلى أية حال، فانتشار زراعة الحبوب وغيرها بجبل سكساوة زاد السكان قوة وأمناً مهماً ضد أعدائهم وجيرانهم المتربصين بهم للوقوف أمام هجماتهم المتكررة.

وقد أدت هذه الوضعية الانعزالية التي انفردت بها منطقة سكساوة إلى تنامي ظاهرة الزعامة المحلية بها فخضعت بالتالي إلى سلطة بعض الشيوخ (إمغارن) والقواد. ومن جملة الشخصيات التي تركت صدى بالمنطقة نجد بوزرگمان الذي كان أمغاراً على إمتدان خلال فترة معينة من القرن الثامن عشر للميلاد، وإلى جانبه تظهر شخصية الحاج بوجمعة الذي استحوذ على شياخة أيت إداما في نهاية نفس



تنزوج ولم تخلف نسلا. وبعد وفاتها أخذ الناس يتبركون بضرحتها وبنيت فوقه قبة أحاطت بها غرف فتحول بعد زمن إلى زاوية يشرف عليها مقدم يختار لمدة سنة من دوار زنيث ويتوفر مقدم الزاوية اليوم على 16 ظهيرا موجة من مختلف ملوك المغرب يأمررون بالعبادة بهذه الزاوية واحترام موسمها وأملاكها. ويوجد ضريح لالة عزيزة بدوار زنيث، 311 ن، بقلب حوض سكاوطة على ارتفاع 1.050م، وإلى جانبها توجد دار لالة عزيزة وهي بناية متواضعة تشبه منازل الدوار تفتح لخدمة زوار المنزل وخزن الزاد كالحبوب والخطب والسمن كما يتوفر على مظفة لحزن الماء. تحيط بهذا الدوار أرضحة أولياء آخرين وأماكن طبيعية مقدسة. يرتبط بمؤسسة لالة عزيزة موسم ديني صغير يعقد يوم عيد المولد النبوي يخضع لتقويم السنة الهجرية القمرية مما يجعل الموسم يتصادف في بعض السنوات مع أيام الشتاء الباردة، لكن بعض السكان يذكرون أن الموسم كان يعقد في 15 يوليوز الفلاحي في بداية عقود القرن العشرين.

ولم يكن السكان المحليون يطلقون على هذه التظاهرة موسما بل معروفاً وهي كلمة عربية دخلت إلى الأمازيغية، وتعني تظاهرة دينية تقام بالأضرحة والمقابر، عبارة عن صدقة يساهم فيها السكان المستفيدون كل حسب استطاعته على مستوى دوار أو قبيلة أو فخذة لشراء أضحية : بقرة غالبا، تذبح ويتغذى من لحمها المشاركون أو يحملون نصيبهم إلى منازلهم باعتبارها "باروك". ويتخلل المعروف مجموعة من العادات تناول قراءة أذكار وأمداح نبوية وتوزيع الخبز على الأطفال، ويشرف على سير الموسم وممتلكات لالة عزيزة أشخاص من قبيلة إيمتضان الذين يعتبرون أنفسهم خدام لالة عزيزة وتساهم جل أسر أربعة دواوير قريبة من الضريح في اكتتاب لتمويل متطلبات احتفال الموسم، وتوزع الباروك وهو قطعة من اللحم والخبز على جميع الزوار الذين يطلبونها.

يعتقد المشاركون أن روح الولاية الصالحة تحبهم من المصائب والشياطين وتنزل الغيث وتكثر البركات، لكن شباب هذا الجيل بدأ ينصرف عن هذه المعتقدات، ويبدو من شهادات السكان أن موسم لالة عزيزة في تراجع منذ سنوات فلم تعد مدته تتجاوز بضع ساعات فبعد قراءة الفاتحة وذبح البقرة يتفرق السكان ويفضلون الالتحاق ببيوتهم حيث تتم الزيارات العائلية في هذا اليوم الذي هو يوم عيد المولد النبوي ولا يبقى في جوار الزاوية إلا بعض الأطفال. وقد كانت تحج إليه سابقا كل قبائل سكاوطة تقدم كل واحدة أضحياتها، كان الإقبال على الموسم كبيرا تتخلله احتفالات أحواش وغيرها إذ تعقد حلقات الفرجة لترويض الأفاعي والفكاكة ورواية قصص الأنبياء والأحاديث النبوية، كما تحدث منافسة بين فرق أحواش المنتسبة لكل قبيلة، تدوم الاحتفالات عدة أيام، ويشتهر موسمها بالزواج حيث تأتي النسوة الراغبات في ذلك دون ولي أو أقارب غالبا، ومن اختار امرأة من الرجال واتفق على الزواج والصدوق يقسمان عند قبر الولاية ويتعاهدان

بضمان السعادة والوفاء لبعضهما ويتصرفان متزوجين، وقد يكتب لهما عدلان العقد أو يستغنيان عنه وفي كل سنة يقدمان ذبيحة للولية. وما زالت تحدث بضع حالات زواج في كل موسم لكنها ظاهرة في طريق الانقراض خاصة بعد تدخل السلطة التي تفرض شروطا لا يفي بها الأراذل والعوانس. لكن فتيات القبيلة مازالن يزرن الولية ويقدمن لها الصدقة للتعجيل بتزويجهن.

لقد اختلفت جل هذه المظاهر، لكن مازال للولية أراضيها وبساتينها ومياهها المحسنة عليها منتشرة بأراضي سكاوطة بالإضافة إلى مداخلها من صندوق الضريح، ويختلف تقسيم المداخل بين القبائل والجيران والشرفيين من فترة لأخرى، وقد تدخل جاك بيريك وجعل المداخل تقسم بالتساوي بين أكبر عدد من المعنيين.

ويلاحظ اليوم أن نصف الزوار يكونون من سكاوطة والباقي من أبناء البلد المهاجرين الذين أتوا لزيارة أهلهم في الدرجة الأولى ولعل أهم ما يعوق توسع الزيارة الدينية وتحويلها إلى نوع من السياحة الشعبية كما نجد في ستي فاضمة ومولاي إبراهيم هي صعوبة طريق الوصول بالوادي الجبلي : 12 كلم، فأغلب الزوار القريين يأتون مشيا على الأقدام أو الدواب، أما البعيدون فيأتون على الشاحنات أو سيارات البيكاب العاملة بدون ترخيص. وتنعهد كذلك وسائل الترفيه فلا فنادق ولا مطاعم ولا مقام ... لكن مازال للولية تقدير ومحبة في وجدان أهالي سكاوطة، فهم يقسمون باسمها ويتعاهدون عند ضرحتها ولا تزال سيرتها موضوعا لأغاني وأشعار أمازيغية وابتهالات دينية، كما أطلق اسمها على الجماعة القروية الموجودة بها.

ولعل أهم ما يعوق توسع الموسم هو : ضيق المكان، كما في جميع الأودية فإن المساحة المستوية نادرة، فمكان الموسم عبارة عن رقاق طوله 200 م وعرضه 4 م يسمى ناسوكت يخترق دوار زنيث يتكسد بجوانبه التجار والحرفيون بشكل فوضوي رغم إشراف المقدم وأعاون السلطة على تنظيمه، وأهم ما يباع به، مواد التغذية من خضر ولحم وسكر ... ولا وجود لملايس ولا أوان فخارية أو معدنية ... كما أن موضوع الموسم يبعد عن نهاية الطرق حيث تقف السيارات والشاحنات مما يفرض نفقات إضافية لنقل البضائع على ظهور الدواب. كما فقدت الزاوية دورها التعليمي بتقلص عدد الكتاتيب التي كان يدرس بها فقهاء يفدون من سوس غالبا. لكن يبدو أن أخطر عائق يتسبب في تراجع أهمية الموسم هو ارتباطه بالتقويم الهجري : 12 ربيع 1 إذ يتصادف أحيانا مع أيام الشتاء الباردة وقد يفيض الواد ويقطع الطريق، ولا يتفق مع العطل الصيفية وفصل جني المحاصيل عندما يحتاج القرويون إلى تجديد مشترياتهم والتسنع ببعض الراحة والترفيه. فمواسم فصل الشتاء لا يشارك فيها إلا أفراد قلائل من دوار زنيث وقبيلة إيمتضان، فتحول تاريخ الموسم إلى 15 يوليوز للسنة الفلاحية الشمسية كما كان عليه

سابقاً شيء حيوي لبقائه وتوسعه. يضاف إلى كل هذا بعده عن أي مدينة كبرى يمكن أن تنعش حركته بزوارها وأموالها. بحوث ميدانية، معلومات من د. الإمبريقى محمد كلية العلوم، مراكش : أسكور إبراهيم، موسم لالة عزيزة من الزيارة الدينية إلى السياحة الشعبية.

P.N.U.D., Etude monographique de la province de Chichoua, Octobre 1997 : J. Berque, Structures sociales du Haut Atlas Occidental, Sekoaoua, Paris, 1955.

أحمد هوزالي

ابن السكّاك، أسرة فاسية عريقة، أصلها من قبيلة مكناسة الزناتية، ويتهم بيت فقه وعلم وحسب، ومازال بنو السكّاك بفاس، وينطق بهم اليوم "السكّاك". بدون ابن ع. السلام ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون، ج 2 : 178.

ابن السكّاك، علي أحد نساك مدينة فاس وعبادها خلال النصف الثاني من القرن السادس (12 م) ولعله أقدم من عرف من بني السكّاك بفاس، ترجم له محمد التميمي في كتابه المستفاد وهي ترجمة مبنية على المشاهدة العيانية للمؤلف، ومن خلالها نعلم أن علياً السكّاك خرج من فاس لأداء فريضة الحج وأقام بمكة مجاوراً ثم انتقل إلى دمشق وأقام بها أعواماً ثم رجع إلى مكة وأقام بها أعواماً، وهناك لقيه الفقيه محمد التميمي واجتمع به بالحرم الشريف واستمع إلى مواعظه وحكمه، وتركه هناك مجاوراً، وقد انتقل الشيخ ابن السكّاك إلى مدينة حلب وأقام بها، وقد وصفه التميمي بالصلاح والتعب والنسك والاجتهاد في العبادة. توفي بعد 603 / 1207.

التميمي، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، مخطوط خاص، ورقة 126، 127 : إ. ابن الأحمر، بيروت فاس الكبرى، شارك في تأليفه إسماعيل ابن الأحمر، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص. 67.

محمد الشريف

ابن السكّاك، محمد بن أبي غالب المكناسي العياضي، يكنى أبا يحيى، الفقيه المشارك فاضلي الجماعة بفاس، رفيق ابن خلدون في الطلب، أخذاً معاً عن الشريف التلمساني "قيل إنهما باتا عند الشيخ ليلة فُولد له تلك الليلة ولد سماه عيد الرحمن باسم ابن خلدون وكانه أبا يحيى كنية ابن السكّاك.

ألف ابن السكّاك عدة كتب، منها شرح الشفا للفاضي عياض "وأجاد فيما شرح منه"؛ وتأليف في الأذكار؛ ونصح ملوك الإسلام بالتعريف لما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام، في ثلاث نسخ، صغرى ووسطى وكبرى. طبعت الصغرى، ووقف عبد السلام ابن سودة على الوسطى، وأما الكبرى فتعتبر اليوم مفقودة.

توفي بفاس ليلة الثلاثاء الثاني عشر لشهر ربيع الأول عام 818 / 22 ماي 1415، وصلى عليه إمام جامع القرويين

أبو يوسف الخلفاوي وأدخله قبره بروضتهم مع الشيخ محمد ابن عباد الرندي داخل باب الفتوح.

أ. الونشريسي، وفيات : أ. ابن القاضي، لفظ الفرائد / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 2 : 732 - 733 : جذوة الاقتباس، الرباط، 1973، ج 1 : 238 : أ. بابا التنبكتي، نبيل الابتهاج، بيروت، د. ت. ص. 284 ع. الكبير الفاسي، تذكرة المحسنين، موسوعة أعلام المغرب، ج 2 : 732.

محمد حجي

ابن السكّاك، محمد بن محمد بن أبي البركات الفاسي. ولد بفاس عام 720 / 1320. ورحل مع والده إلى تلمسان فنشأ وقرأ بها على العالم الشهير أبي عبد الله الشريف التلمساني، والإمام العالم محمد الأبي العبدري. تولي قضاء سبتة ثم قضاء الجماعة بفاس في أيام حكم السلطان موسى ابن أبي عنان. ثم عاد إلى قضاء سبتة كما امتحن التدريس أثناء ولايته الأولى بمسجد مقربة زجلو، وخلال ولايته الثانية بالمدرسة الجديدة خلفاً للشيخ أبي محمد ابن أبي حجة. كما درس أيضاً بمسجد زقاق ابن عيسى الأسفل وبالجامع الأعظم. فكان يقرئ التفسير والأصول والفروع. ويتحدث عن معاني القرآن وبلاغته المعجزة، وينص كلام شرف الدين في تفسيره، ويستظهر التبيان في علم البيان له، ويأتي بكلام أبي القاسم الزمخشري في الكشاف، وينبه على ما ينطوي عليه من الاعتزال. كما اعتمد في الأصول على أصلي ابن الحاجب والمستصفي للغزالي بقراءة أبي زيد ابن أبي حجة وفي الفقه على الجواهر لابن شاش والواتق لابن القاسم الجزيري وغيرهما. ويلاحظ عليه عدم اعتنائه بالرواية (بلغته، 184 : نبيل، 481).

من مآثر ابن السكّاك أنه كان سكوناً رابط الجأش جزلاً مهيباً لا يعياً بأهل الباطل مهيناً لهم. يذكر أنه حضر بين يديه يوماً والي سبتة في ميراث فنهاه القاضي ابن السكّاك فلم يأبه لكلامه فقال القاضي : "أعوذ بالله من خطاب من لا يفهم، ولعلك تريد الاستبداد والجور". وأغلظ له القول فخرج الوالي منكسر الشوكة من دون أن ينال مطلبه. وفي نهار الغد عاد الوالي مطأطئ الرأس معتذراً عما صدر منه. فقال له الشيخ باقتضاب : "الآن أنت مسلم".

توفي بسبتة في محرم فاتح 800 / 1398 وله من العمر ثمانون سنة.

بُلغة الأمنية ومقصد اللبيب، تح. م. ابن تاويت، مجلة تطران، العدد 9، 1964، ص. 184 : أحمد بابا التنبكتي، نبيل الابتهاج، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1398 / 1989، ص. 481 - 482 : ابن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1349، ص. 251 : الونشريسي، وفيات، تح. م. حجي، ألف سنة من الوفيات، الرباط، 1396 / 1976، ص. 138 : ابن القاضي، درة المجال في أسماء الرجال، تح. م. الأحسدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، 1391 / 1971، الجزء الثاني.

زوليخة بترمضان

## السكّال، أحمد زكريا، أحد رموز المقاومة وجيش

التحرير بالجنوب، من مواليد سنة 1925 بدوار الزاوية بأيت باعمران. تميزت حياته بكفاحه المستميت من أجل كرامة البلاد واستقلال الوطن وقد تكفل كفاحه بأعمال فدائية جلييلة. ونتيجة نشاطه هذا تم اعتقاله عدة مرات من السلطات الاسبانية ونفته إلى الداخلة ثم إلى جزر الخالدات ولم يطلق سراحه إلا بتدخل من السلطات المغربية، وقد ظل وفيًا لمبادئه إلى أن وافاه أجله المحتوم يوم 23 / 11 / 1995. المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 522809.

## السكّان، ولد حميد، هذا هو الاسم الذي اشتهر به

البطل الشريف محمد بن أحمد الخراز شهيد معركة السلالم التي جرت بقبيلة بني عروس يوم 10 رمضان 1340 / 7 ماي 1922.

ولد حوالي سنة 1292 / 1875 بقرية السكان من فرقة الظهر بقبيلة بني عروس في أسرة شريفة تنحدر من سلالة المولى عبد السلام بن مشيش وأفرادها هم سدنة ضريح المولى المذكور.

نجهل الكثير عن حياة هذا المقاوم فيما قبل سنة 1913 لعدم وجود مصادر مغربية تتعلق بالمقاومة المسلحة ورجالاتها في شمال المغرب، الأمر الذي يجعلنا نعتمد أساسا على ما كتبه الأجانب خصوصا منهم الإspanيين والفرنسيين حيث تقول عنه الوثائق الاستعمارية إنه "كان رجلا مقداما يشارك بصفة فعالة في أغلب المعارك منذ أن فرضت الحماية على بلاده".

وجاء في تقرير للإقامة العامة الاسبانية بتاريخ 7 ماي 1922 أنه "كان محبوبا من طرف قومه رغم الرتبة السامية التي كان يحتلها في قيادة الثورة التي كان يترجمها الشريف الريسوني فكان خليفته وبده اليمنى يساعده في جميع الأعمال وينوب عنه في كثير من الأشياء، وينفذ أوامره بكل دقة وأمانة".

والوثيقة الاستعمارية الأولى التي أشارت إلى وجود المترجم له بجانب الشريف الريسوني هي البرقية التي وجهها المقيم العام الاسباني إلى وزير دفاع بلاده يوم 18 ماي 1913 يقول له فيها : "لقد أصبح من المؤكد أن الريسوني استطاع في الجمع الذي دعا إليه وانهقد يوم 7 من الشهر الجاري (بعزيب الحاج قدور يعين الدالية) أن يتفق رؤساء القبائل على الاعلان عن عصيانهم من أجل مقاومة حمايتنا، والجدير بالذكر أن العنصر الأكبر صلاحية الذي يعتمد عليه الشريف الريسوني هو شريف آخر اسمه احמידو السكان".

وهذا يدل على أن المترجم له قد انضم إلى المقاومة المسلحة منذ اليوم الأول الذي اندلعت فيه الثورة فأصبح يقوم مقام زعيمها في جميع الأمور التي لم يتمكن الشريف الريسوني من القيام بها أو مباشرتها بنفسه ؛ وقد شارك في 50 معركة منذ اندلاع الثورة يوم 3 ماي 1913 إلى أن لقي الشهادة في معركة السلاليم التي جرت يوم 7 ماي 1922.

وكان المترجم له رجل الثورة الوحيد الذي كلفه الشريف الريسوني بالقيام بمذكرات سياسية مع ممثلي الدولة الإسبانية مثل المذكرات التي أدت إلى اتفاقية الهدنة المبرمة بقرية أقطوط بقبيلة بني غرفظ يوم 6 غشت 1915.

وتشهد الوثائق الإسبانية بأن للشريف ولد حميد السكان يعود الفضل في التحاق المجاهدين الريفيين بصوف المقاومة المسلحة الهبطية الغمارية الجلييلة حيث التحق الشريف حميدو الوزاني من قضية اسنادة بالريف بمعسكر الشريف الريسوني يوم 9 يونيو 1919.

وفي يوم 20 ماي 1920 انعقد بقبيلة بني يسف مؤتمر مصغر بين قيادة الثورة بالشمال وقيادة الثورة بناحية وزان حضره الشريف الريسوني وبجانبه المترجم له من جهة ومن جهة أخرى الشريف ولد سيدي الحماني زعيم المقاومة بمنطقة الحماية الفرنسية بحوض اللوكوس ؛ وقد أسفرت المذكرات عن تكوين جبهة موحدة للمقاومة المسلحة ضد التدخل الفرنسي والاسباني بالناحية.

وفي يوم 4 سبتمبر 1920 كتب المقيم العام الاسباني الجنرال بيرينغير Berenguer يقول في مذكراته : "لقد فشلت جميع المحاولات التي قمنا بها من أجل جلب حميد السكان إلى جانبنا، ولم نحصل إلا على مقاومته الشديدة لنا".

والجدير بالذكر هنا أن المترجم له كان ذات يوم يتفاوض مع المقيم العام المذكور وقال له هذا الأخير : "عليك أن تعلم أن إسبانيا دولة قوية تتوفر على جيش عظيم لا طاقة لكم به أنتم معشر المجاهدين" فكان جواب ولد حميد هو "والله لولا أن الموت تأكل الموت ما دخلتم بجيوشكم حتى بيت العنكبوت".

وقد أصبحت هذه المقولة على ألسنة الجميع لدرجة أن الأمير شكيب أرسلان كان يذكر بها قادة الحركة الوطنية فيقول لهم في رسائله : "هذه الجملة هي زبدة الكلام عن مصائب الإسلام، جملة قصيرة تفيد أكثر من رسالة ومن كتاب ولا يبلغ مداها كلام بليغ لما فيها من الانطباق على الأحوال".

وقد استشهد البطل ولد حميد السكان بمعركة السلاليم التي جرت بقبيلة بني عروس يوم 10 رمضان 1340 / 7 ماي 1922.

م. ابن عزوز حكيم، بطل جبالة ولد احמידو السكان، الرباط، 1982؛ والمصادر المذكورة في آخر الكتاب.

محمد ابن عزوز حكيم

## السكة الحديدية بالمغرب، عرفت ظهوراً مبكراً

ابتداءً من سنة 1860، حيث وضعت الجيوش الإسبانية 11 كلم من السكة بين ريومارتان وتطوان، اعتبرت من بين السكك الحديدية الأولى بإفريقيا، وقد تم التخلي عنها سنة 1862 بعد أن أحبطت إنجلترا هذه المحاولة الأولى للاستعمار.

انتظار إنشاء سكة قياسية ابتداء من سنة 1923، حيث كانت محاذية لسكك 0.60.

وفيما يخص المعدات الموجودة آنذاك فقد تم استعمالها لأغراض عسكرية وكذلك للحاجيات التجارية على خطوط 0,60 متر التي أنشئت فيما بعد، وهي كالتالي :

- خط فرعي يمتد في اتجاه ملوية العليا بين كرسيف وأوطاط الحاج ابتداء من سنة 1923 ليبلغ ميدلت سنة 1930 .  
- تطعيم خط القنيطرة - ثلاثاء - بلقصيري سنة 1923 بثلاثة خطوط فرعية هي :  
- ثلاثاء - مشرع الحادار في الشمال الغربي للغرب سنة 1924 .

- مشرع بلقصيري - عين الدفالي - فاس البالي - أو تزاغ - عين عائشة والذي يخترق بعنق سلسلة الريف، بين 1923 . 1928 .

- عين الدفالي - وزان عبر سهل ورغة سنة 1924 .  
- خط فرعي يربط بشر طمطم وأهرمومو ليتصل بخط فاس - وجدة ويلج نحو منطقة بني وراين سنة 1925 .  
- خط القائد التونسي - الجديدة بخط مراكش سنة 1927 .  
- خط فرعي يربط كذلك الرباط بتيفلت والخميسات سنة 1927 .

- التمهيد لبناء الخط الفرعي ذي السكة المتريية بين مكناس وأزرو سنة 1928 والذي تم التخلي عن أشغاله قبل الانتهاء منها .

انطلاقاً من سنة 1928 بدأ العمل تدريجياً في بناء الطرق الكبرى وتطوير النقل الطرقي، وتم التخلي عن خطوط 0,60 متر المتفرعة عن الخطوط القياسية. وآخر خط من هذه الخطوط هو خط سهل ملوية الذي تم التخلي عنه سنة 1935، ومن تلك الشبكة ذات تباعد 0,60 متر والتي بلغت أيام توسعها الكبير نحو 1500 كلم لم تبق إلا الذكرى.

2 - خط طنجة - فاس :

تطبيقاً لمعاهدة الجزيرة الخضراء الموقعة يوم 7 أبريل 1906 والمعاهدة الفرنسية - الألمانية الموقعة يوم 4 تونبر 1911، منح سلطان المغرب امتياز بناء واستغلال خط طنجة - فاس للشركة الفرنسية - الإسبانية وذلك في 18 مارس 1914 . وتسببت الحرب العالمية الأولى في تأخير بناء هذا الخط حتى شهر غشت 1917، وقد فتحت مختلف الخطوط في التواريخ التالية :

- سيدي قاسم - مكناس - فاس : 5 أبريل 1923
- سيدي قاسم - مشرع بلقصيري : 12 غشت 1925
- مشرع بلقصيري - سوق الأربعاء : 1 يوليوز 1926
- سوق الأربعاء - طنجة : 25 يوليوز 1927
- طنجة المدينة - طنجة البحرية : يونيو 1934

وبعد 27 سنة حاولت الحكومة البلجيكية إنجاز استعراض سلكي بالمغرب، حيث طلب المهندس "لوكران"، وهو أصل هذا المشروع، من معمل كروپ بميونخ، صنع قاطرة صغيرة، أنزلت بالعرائش في دجنبر 1887 ونقلت إلى مكناس لتقدم هدية إلى السلطان مولاي الحسن الذي حضر إلى تجربتها على سكة (حوالي 1 كلم) وضعت في شكل دائرة بحدائق بأكدال، إلا أن هذه التجربة لم تكمل بالنجاح، الشيء الذي جعل السلطان لا يبدي اهتماماً كبيراً بهذا الإنجاز. وتم الاحتفاظ بهذه القاطرة لتعرض فيما بعد بمحطة الرباط من طرف إدارة شركة السكك الحديدية المغربية. ومن المؤسف أن تختفي هذه القاطرة الأولى في دوامة الحرب العالمية الثانية.

وهكذا، فإن تاريخ السكك الحديدية في المغرب يتميز بتطورات هامة حيث خضع للتقلبات السياسية الدولية التي عرفتها البلاد. خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م). كما طبع التطور الذي عرفته الشبكة الحديدية حدثان من التاريخ السياسي هما : معاهدة الجزيرة الخضراء سنة 1906 والاتفاقية بين فرنسا وألمانيا سنة 1911. وقد نصت هاتان الاتفاقيتان على أنه لا يمكن بناء أي خط سلكي قياسي بالمغرب قبل بداية استغلال الخط الدولي طنجة - فاس.

1 - سكة بتباعد 0,60 متر

ابتداء من سنة 1911 اضطرت السلطة العسكرية الفرنسية إلى بناء سلك حديدية بالمغرب لضمان تنقلاتها، وطبقاً للاتفاقيتين سالفتي الذكر لم يكن ممكناً إنشاء هذه السكك الحديدية بسكة قياسية. وهكذا، انطلقت خطوط الشبكة العسكرية بسكة ذات تباعد 0,60 متر من وجدة في اتجاه موانئ الدار البيضاء والقنيطرة. وقد أنشئت أول الخطوط ذات التباعد 0,60 متر بسرعة وباقتصاد متتبعه تعرجات التضاريس، ومجتنبية كلما أمكن المنشآت الفنية.

وقد بدأ استعمال مختلف الخطوط في التواريخ التالية :

- الدار البيضاء - الرباط : 1912
- القنيطرة - فاس : 1915
- الدار البيضاء - وادي زم لنقل الفوسفات : 1917
- الدار البيضاء - بن جرير : 1918
- بن جرير - مراكش : 1920
- وجدة - فاس 1921

ومن المثير للانتباه أن الشبكة العسكرية ذات تباعد 0,60 متر كانت سنة 1921 تشبه الشبكة الحالية المؤلفة من خطوط قياسية.

فتحت هذه السكك ذات تباعد 0,60 متر في وجه العموم يوم 27 مارس 1916. ومن الناحية التجارية، قدمت سكة 0,60 متر خدمات جلييلة مكنت من تطور البلاد في

### 3 - خطوط شركة السكك الحديدية المغربية

بعد سنة 1918 أُلغيت الاتفاقيتان المبرمتان بين فرنسا وألمانيا سنتي 1906 و1911، وفي 29 يونيو 1920 منحت الحكومة الشريفة لشركة السكك الحديدية المغربية امتياز استغلال الخطوط التالية :

- سيدي قاسم - القنيطرة

- القنيطرة - الرباط والدار البيضاء

- القنيطرة سوق الأربعاء

- الدار البيضاء - مراكش

- سيدي العايدي - وادي زم

- فاس - الحدود الجزائرية (بعد وجدة)

وفي 6 نونبر 1929، وقعت اتفاقية تكميلية مع شركة السكك الحديدية المغربية، تمنح بموجبها خطا سابقا هو خط بن جرير - آسفي.

وقد بدأ تشغيل مختلف الخطوط على النحو التالي :

- يوم 5 أبريل 1923 : خط الرباط - القنيطرة - سيدي

قاسم. وقد مكن هذا المقطع إضافة إلى خط طنجة - فاس من

توفير استمرارية الربط بين الرباط - القنيطرة - سيدي قاسم -

مكناس - فاس.

- في 1 شتنبر 1923 : الدار البيضاء - خريبكة

- في 13 يوليوز 1925 : خريبكة - وادي زم

- في 21 أبريل 1925 : الدار البيضاء - الرباط

- في 7 نونبر 1928 : سيدي العايدي - مراكش

- في 15 ماي 1932 : وجدة - تازة

- في 15 أبريل 1934 : تازة - فاس

- في 7 ماي 1936 : بن جرير - آسفي

ولم يتم بناء خط القنيطرة - سوق الأربعاء

إضافة إلى ذلك، وحتى يتسنى استيعاب نمو حركة نقل الفوسفات، تمت تشيئة السكة على الخط الرابط بين الدار البيضاء - وخريبكة على عدة مراحل :

- 1950 / 1951 : الدار البيضاء - النواصر

- 1957 / 1958 : النواصر - سيدي العايدي

- 1962 / 1964 : سيدي العايدي - خريبكة

4 - خطوط شركة السكك الحديدية للمغرب الشرقي

برسم اتفاقية وقعت يوم 25 نونبر 1928، منحت الحكومة الشريفة امتياز استغلال خط وجدة - بوعرفة إلى شركة السكك الحديدية للمغرب وشركة معادن بوعرفة.

وقد تكونت شركة السكك الحديدية للمغرب الشرقي من هاتين الشركتين لاستغلال هذا الخط الجديد.

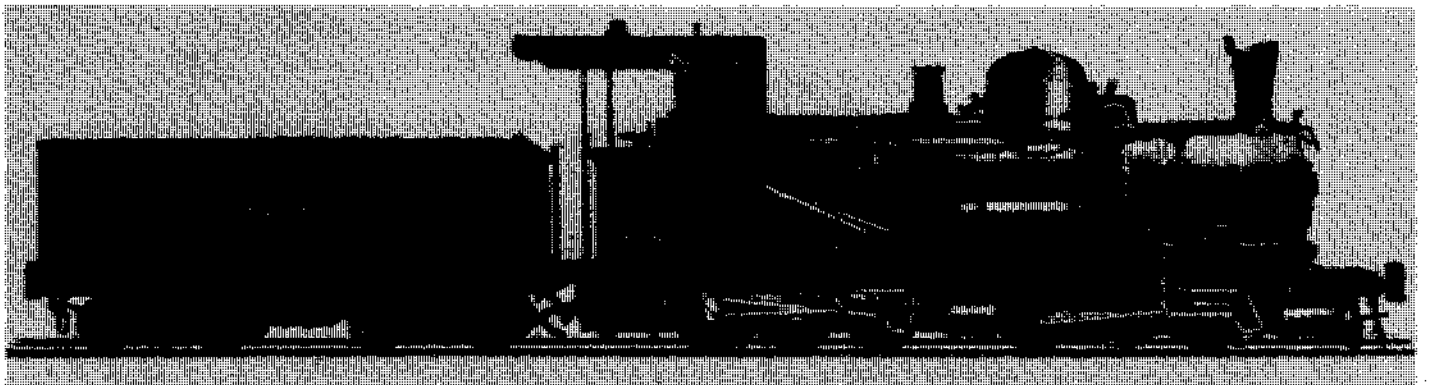
أما أشغال البناء التي بدأت في أكتوبر 1927 فقد تم الانتهاء منها في فبراير 1931.

كما حصلت هذه الشركة على امتياز خط قنفودة - حاسي بلال التي بدأ تشغيلها يوم 18 أبريل 1952.

5 - إنشاء المكتب الوطني للسكك الحديدية (الم.و.س.ح) بعد إعلان استقلال المغرب سنة 1956، انطلقت

المحادثات من أجل استرجاع الدولة المغربية للشركات الحاصلة على امتيازات استغلال الخطوط الحديدية. وابتداء من فاتح يناير 1963 قام المكتب الوطني للسكك الحديدية بمقام شركة السكك الحديدية المغربية وشركة سكك حديد المغرب الشرقي.

أما عن الشركة الفرنسية - الإسبانية لسكة حديد طنجة - فاس، فقد استمر الامتياز الممنوح لها إلى غاية 31 دجنبر 1999. إلا أنه في إطار عقدة أبرمتها مع المكتب الوطني



وفيما يخص توسيع الشبكة تم إنجاز :  
- خط النواصر - الجرف الأصفر (111 كلم) سنة 1987 .  
- ربط مطار محمد الخامس بالشبكة (12 كلم) سنة 1992 .

أما فيما يخص المشاريع المستقبلية، فيجب التذكير بمشروع تاوريرت الناظور (117 كلم) ومراكش العيون (961.6 كلم) وخاصة مقطع مراكش أكادير اللذين سيخرجان إلى الوجود على المدى المتوسط .

#### 6 - الاستراتيجية المستقبلية

تستمد الاستراتيجية التي اعتمدها المكتب لتنمية النقط السككية على المدى القريب والمتوسط خطوطها العريضة من التحولات الجديدة التي يشهدها المحيط الاقتصادي عموماً وقطاع النقل خصوصاً . فهذا المناخ المتغير، أصبح يفرض على المؤسسة تحقيق مستويات مرتفعة من النمو المتوازن والدائم لإنتاجيتها ويقتضي إزالة جميع العراقيل باعتماد استراتيجية هادفة لتطوير النقل السككي عبر نهج سياسة تنموية جديدة موجهة بالأساس نحو الاستجابة للمتطلبات الحقيقية للزبائن، يكون قوامها :

- الرفع من مستوى الأداء التجاري للمؤسسة بالتأثير على مختلف مكونات جودة المنتج السككي وبلورة خدمات لوجيستكية متكاملة وفق منظور يتماشى والمعطيات الحالية والمستقبلية للسوق :

- تنقيح الإطار المؤسساتي والتنظيمي للمكتب بما في ذلك عملية تحويله إلى مؤسسة مجهولة الاسم، وهو ما يعتبر إحدى الوسائل التي ستمكنه من نهج تدبير مطبوع بالفعالية والجودة التنافسية، وكذا تزويده بالآليات القانونية التي

للسكك الحديدية في 12 غشت 1964، فوضت لهذا الأخير ولصالحها التدبير الإداري والتقني والمالي للخط المنوح لهذه الشركة.

وفي إطار الاتفاقيات المصادق عليها في 5 غشت 1965 حولت مجموع أملاك وحقوق والتزامات الشركات سالفه الذكر لصالح المكتب الوطني للسكك الحديدية. ومنذ إنشائه، قام المكتب الوطني للسكك الحديدية فيما بعد بأشغال تجديد السكة وعصرنة المحطات والمعدات ومنشآت الأمن.

أما فيما يتعلق برفع القوة الاستيعابية للشبكة، فقد قام المكتب بأعمال :

- تشيئة الخط بين الدار البيضاء - خريبكة (143 كلم) سنة 1964 .

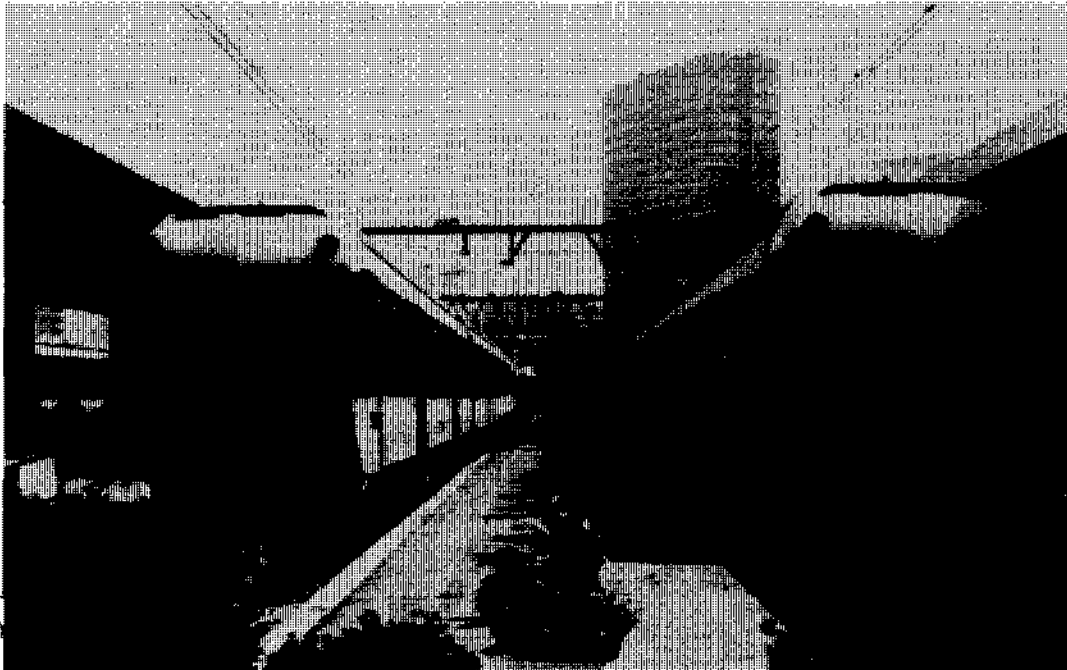
- تشيئة الخط بين الدار البيضاء والرباط أكدال (80 كلم) سنة 1984 وتشغيل قطارات مكوكية سريعة تربط الدار البيضاء والرباط بسرعة تجارية تبلغ 160 كلم / ساعة مما يمثل إنجازاً ينفرد به المغرب في القارة الإفريقية والعالم العربي.

- تشيئة السكة بين الرباط أكدال والقنيطرة (43 كلم) سنة 1996 .

- تشيئة السكة بين القنيطرة وسيدي قاسم (83 كلم) 1999 .

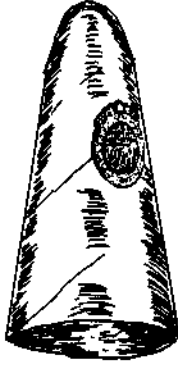
- وفي طور الإنجاز، تشيئة السكة بين سيدي قاسم ومكناس (53 كلم) والتي سيتم الانتهاء منها في متم سنة 2003 .

- مشروع تشيئة السكة بين مكناس وفاس (57 كلم) وسيتم الانتهاء منها سنة 2004 .





فنيزيا" كناية على شكل مدينة ماركو بولو، حيث أصبح يعرف اليوم باسم "قالب السكر".



قالب السكر

وفي المغرب، ظهر السكر خلال القرن السادس (12م)، وكان إنتاجه يتم بواسطة قصب السكر الذي كان يزرع في جهات سوس وشيشاوة، وازدهرت صناعته أيام السعديين خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16-17م).

أما فيما يتعلق بالإنتاج العصري للسكر المصفى انطلقا من السكر الخام المستورد، فإنه يرجع إلى سنة 1929 عند بناء مصفاة كوسومار من الشركة الفرنسية سان لويس، في حين ابتداء إنتاج السكر انطلقا من نبتة الشمندر منذ سنة 1963 وانطلاقا من القصب السكري سنة 1972.

يوجد السكر كمادة سكرية طبيعية في جميع الفواكه والخضرا، وهو المنتج الأساسي للتخليق الضوئي الذي تنتجه النباتات على شكل ذرات من السكر تسمى غلوكوز (سكر العنب) وفروكتوز (سكر الثمار).

ويجمع الغلوكوز والفروكتوز داخل النبات ليشكل ما يسمى بالسكروز (سكر القصب أو الشمندر) الذي نطلق عليه عامة اسم السكر.

ويوجد السكر بكمية وافرة في قصب السكر والشمندر السكري اللذين يستعملان سوا في الإنتاج التجاري للسكر. ويتنصب قصب السكر كنبات طويل القامة ينمو في مناخ حار ورطب ويجمع السكر في ساقه. أما الشمندر السكري فيتناسب أكثر مع المناخ المعتدل ويجمع السكر في جذوره البيضاء.

يلعب السكر عدة أدوار في المنتجات الغذائية، زيادة على مذاقه الحلو، فهو فاعل ضروري في المحافظة على المربيات والمواد المجمدة من حيث وقايتها من الجراثيم.

ويمكن السكر المستعمل في الحلويات، من المحافظة على رطوبتها ووقايتها من فقدان الخضرية التي تتم ملاحظتها عندما تجف. كما يساهم السكر في الرفع من جودة تركيبة أجسام الفواكه والخضر وألوانها عندما تكون معلبة.

كما يمكن السكر من تفادي تجمع الندائف الثلجية في الخلاط المجمدة كالقشدة الثلجة ويساعد على نجاح عملية تخمير بعض المواد كالحبيز وهكذا يلعب السكر دوراً هاماً ومتنوفاً في كل هذه المواد وكذا في مواد أخرى.

تخول المرونة اللازمة في تدبير شؤونه !

بلورة شراكة بناءة مع الفاعلين الاقتصاديين قوامها التعاون المشر لصالح الطرفين وذلك في إطار مواصلة سياسة تفويت الأنشطة الموازية على أساس التحكم في جودة المنتج السككي واحترام مبدأ الاستقلالية والاحتكار للأنشطة المفوتة والرفع من عامل "الجودة التكلفة" ومراعاة الجوانب الاجتماعية !

بناء شبكة سككية قادرة على أن تستجيب بشكل أفضل للتطورات الاجتماعية والاقتصادية، وذلك عبر إعداد آليات الانتاج ومواصلة عصرنتها وتجديدها ضمن مخططات استثمارية محكمة ومتناسقة، مع البحث عن الصيغ الناجمة لإخراج المشاريع السككية الهامة المتعلقة بتوسيع الشبكة.

والجدير بالذكر أن المكتب ينكب حالياً، بمساعدة مكاتب دولية متخصصة، على إعداد دراسات معمقة لتوضيح الرؤية المستقبلية للاستراتيجية التجارية الواجب اعتمادها لتنمية حصة النمط السككي داخل السوق الوطنية للنقل، وكذا التنظيمات الهيكلية التي تتوافق مع الأهداف المتوخاة على المدى القصير والمتوسط. وستكون هذه الدراسات إن شاء الله جاهزة في القريب العاجل.

وثائق المكتب الوطني للسكك الحديدية.

المكتب الوطني للسكك الحديدية

**السكر**، تم اكتشافه في قصب السكر الذي كان ينمو بطريقة طبيعية في جزر المحيط الهادي الجنوبية، وذلك منذ ما يناهز 4000 سنة. وتعتبر الهند أول بلد قام باستخراج العصير الطبيعي لقصب السكر لاستعماله في صناعة السكر الخام الذي كان يسمى آنذاك "الگور" Gur (تمت ترجمة هذا المصطلح بالعبرة التالية "مذاق حلو" وذلك زهاء سنة 500 قبل الميلاد.

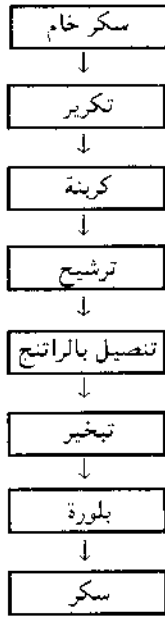
وبعد الهند، انتشر فن استخراج السكر عند العرب في الشرق الأوسط، ثم في أوروبا أثناء الحروب الصليبية. وعلى امتداد عدة قرون، كان السكر يعتبر بمثابة نوع من المواد نفيسة الثمن، يستعمل بالخصوص لدى الملوك والأعيان.

حمل كريستوف كولومب قصب السكر لزراعته في جزر الأنتيل، وبذلك أعطى الانطلاقة لإنتاج السكر في العالم الجديد.

وفي أواسط القرن الثامن عشر، اكتشف عالم ألماني بديلا لقصب السكر، ويتعلق الأمر بالشمندر السكري، الذي أصبح منذ تلك الحقبة أول مصدر لإنتاج السكر في أوروبا وفي بعض دول إفريقيا الشمالية وخاصة المغرب.

وفي أوروبا، خرج السكر إلى حيز الوجود سنة 996، بالضبط في مدينة فنيزيا. وقد تعرف سكان هذه المدينة على تقنيات تصفيته بفضل العرب. وأعطى للسكر اسم "قالب

## عملية التكرير



تشمل صناعة السكر في المغرب ثلاثة أنواع من المعامل:  
- وحدات تصنيع وتكرير السكر : عددها 7 وحدات، منها  
4 وحدات لتحويل الشمندر، ووحدة واحدة لتحويل قصب السكر،  
ووحدة مزدوجة. وتبلغ الطاقة الإجمالية لمجموع هذه الوحدات  
ما يناهز 330.000 طن من السكر سنوياً.

- وحدات إنتاج السكر الخام : عددها 6 وحدات، منها 5  
وحدات لتحويل الشمندر السكري، ووحدة واحدة لتحويل قصب  
السكر. وتقدر طاقتها الإجمالية بحوالي 280.000 طن سنوياً  
من السكر الخام.

- وحدات التكرير : عددها وحدتان تقومان بتكرير السكر  
الخام المستورد والمحلي، لتصنيعه على شكل قالب، وقطع  
وحبيبات (سنيدة)، بطاقة إجمالية تصل إلى 650.000 طن  
سنوياً.

وتتميز هذه الصناعة بإمكانيات توسعية هامة، غير أنها  
تعاني في سنوات الجفاف من صعوبة التموين بالمادة الخام،  
خاصة بمناطق الغرب، واللوكوس وملوية ومؤخراً بتأدلة.  
ويعرف معدل استعمال الطاقة التحويلية للسكر تذبذباً  
هاماً حسب المناطق والسنوات، ويبلغ متوسط استعمال هذه  
الطاقة 84٪.

كما تعرف مصانع السكر اختلافاً كبيراً من حيث نسبة  
التباين التقني في الوسائل.

أما المردودية الحالية فتصل إلى 54 طن / هكتار بالنسبة  
للشمندر و76,8 طن هكتار بالنسبة لقصب السكر.

يستهلك المغرب حالياً ما يناهز 940.000 طن من السكر  
أي بنسبة تفوق 32 كيلوغراماً للفرد الواحد. ويعتبر المغرب

استعمالات السكر غير الغذائية

يستعمل السكر لعدة أغراض أخرى :

- إبطاء تجدد الغراء والإسمنت،

- في صباغة الجلد،

- في مداد آلات الطباعة،

- في صناعة النسيج في أطوار الصباغة والغليات  
النهائية،

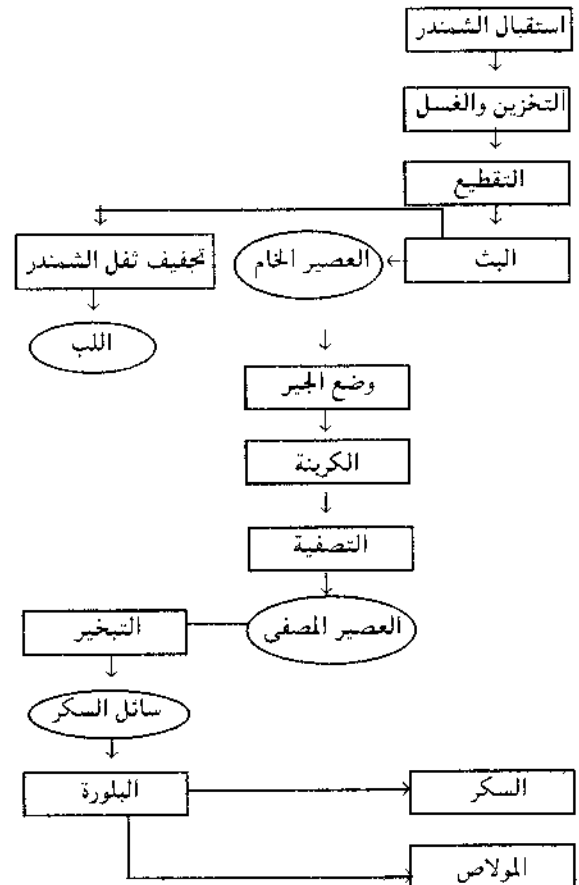
- يعتبر كمادة فعالة في تخمير بعض المواد التي تحتوي  
على الكحول (كمشروب الخمر).

يبتدئ مسلسل إنتاج السكر من عملية فصل السكر  
الطبيعي الموجود في ساق قصب السكر أو في جذر الشمندر  
السكري، عن باقي النبتة.

في ما يتعلق بقصب السكر يتم طحن سيقانه لاستخراج  
عصيره ثم تتم تغلية العصير إلى أن يصبح سائلاً ويتبلور  
لونه، فيتم تمرير البلورات داخل "طاردة نابذة" لإنتاج السكر  
الخام، قبل أن يرسل إلى مصفاة، حيث يتم تذيبه وتطهيره  
وتصفيته قبل بلورته ثم تجفيفه وتعليبه.

أما بالنسبة للسكر الناتج عن الشمندر فإنه يتم تنظيفه  
وتقطيعه وتبليده في الماء الساخن لاستخراج العصير الذي  
يحتوي على السكر. بعد ذلك يتم تطهيره وتصفيته وتركيزه  
وتجفيفه عبر مجموعة من المراحل شبيهة بتلك التي يمر منها  
قصب السكر.

## صناعة السكر من الشمندر



جدول أهم الدول المنتجة  
(إجمالي إنتاج هذه الدول يقارب 62٪ من الإنتاج العالمي)

البلد	مصدر السكر	الكمية x 1000 طن
البرازيل	قصب السكر	21.400
الهند	قصب السكر	16.900
الصين	قصب السكر الشمندر	9.700
الولايات المتحدة	قصب السكر الشمندر	7.530
الطاييلاند	قصب السكر الشمندر	5.500
المكسيك	قصب السكر	5.000
استراليا	قصب السكر	4.800
فرنسا	الشمندر	4.600
ألمانيا	الشمندر	4.400
كوبا	قصب السكر	3.800

أهم الدول المستهلكة

البلد	الكمية x 1000 طن	كلغ / الفرد / السنة
الهند	16.250	14
البرازيل	9.400	16
الولايات المتحدة	9,300	31
الصين	8,500	6
روسيا	6,000	37
المكسيك	4,500	41
الباكستان	3,300	24
ألمانيا	3,100	33
أندونيسيا	3,000	12
اليابان	2,500	18

وثائق كوسومار، وأبحاث شخصية.

جواد الخطابي وعبد الصمد بوزيخ

من الدول الأكثر استهلاكاً لهذه المادة التي تعتبر من المواد الاستراتيجية بالنسبة للمغاربة.

الأهمية السوسيو اقتصادية لقطاع السكر تتجلى أهمية هذا القطاع في المؤشرات التالية :  
- رقم المعاملات الإجمالي للقطاع يتعدى 6 ملايين درهم سنوياً

- يوفر القطاع ما يناهز 5000 منصب شغل قار ومليون يوم عمل في صناعة وتحويل الشمندر وقصب السكر.  
- يمكن القطاع من إنجاز 5.5 مليون يوم عمل في القطاع الفلاحي  
- يستفيد من هذا النشاط ما يناهز 80.000 فلاح.

- معمل كوسومار يعتبر معمل كوسومار من أعرق وأكبر منتجي السكر في المغرب. تاريخ كوسومار حافل بالتجديدات، وبمعضنة آليات الانتاج وكذا ملائمة حاجيات المستهلك المغربي.  
أنشئت وحدة كوسومار سنة 1929 من شركة سان لويس الفرنسية بطاقة استيعابية يومية تقدر بـ 100 طن ومخصصة فقط لصناعة قالب السكر تحت علامة "النمر".  
تعد كوسومار حالياً أكبر وحدة لتصنيع السكر بالمغرب بطاقة إنتاجية تناهز 640.000 طن سنوياً. ويتم إنتاج السكر على أربعة أشكال : قالب السكر، السكر المصنع والمقرط والحبيبات (السنيذة).

ألحقت كوسومار "لمجموعة أونا" سنة 1985 وتم إدخالها لبورصة الدار البيضاء في نفس السنة.  
يحتل قالب السكر مكانة متميزة في الحياة اليومية للمواطن المغربي منذ عقود حيث يتم استعماله كغذاء وكهدية.

- تنتشر نباتات السكر (الشمندر والقصب) في العالم على مساحة تفوق 31 مليون هكتار، وتوجد هذه النباتات في 111 دولة، 38 منها متخصصة في زراعة الشمندر و65 في زراعة قصب السكر و8 في زراعة قصب السكر والشمندر.  
- يوجد في العالم زهاء 2440 مصنع سكر، منها 1560 مصنع لتحويل قصب السكر و790 مصنع لتحويل الشمندر.  
يناهز رقم معاملات هذا القطاع حوالي 65 مليار دولار بدون احتساب الضريبة.

- يضم القطاع 80 بلداً مصدراً و150 بلداً مستورداً.  
- ويمكن القطاع من تشغيل أكثر من مليوني نسمة  
عرف استهلاك السكر في العالم تطوراً هاماً منذ بداية القرن، حيث تزايد من 8 مليون طن سنة 1900، أي بمعدل 5.1 كيلوغرام للفرد، إلى 126 مليون طن سنة 1998 أي بمعدل 20.4 كيلوغرام للفرد.

الموطن الأصلي للنوع هو المنطقة المتوسطية وآسيا الغربية، يصادف في غابات وأحراج ومراعي وحقول وسهوب المناطق الجافة وشبه الجافة وشبه الرطبة ولا يعيش إلا في الطوابق النباتية لتسحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ والمتوسط.

السكوم الأبيض أو أسباراگوس ألبوس Asparagus albus : جنسية يتراوح علوها ما بين 80 و150 سم وتتميز بسيقانها البيضاء، وأوراقها الكاذبة مجتمعة في أحزمة يتراوح عددها ما بين 2 و30 وتظهر في إبط الأشواك.

يتوطن النوع الجزء الغربي والأوسط من المنطقة المتوسطية. أما في المغرب فيصادف في الغابات المنفرجة والأحراج والمراعي والسهوب، وذلك في السهول والجبال المنخفضة الخاضعة للبيومناخين شبه الجاف وشبه الرطب. ويوجد في الطابقين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ. وفي هذه المناطق يفضل العيش في المنظومات البيئية المشككة بالزيتون البري أو العرعر البريري أو غير ذلك.

السكوم المغروس أو أسباراگوس أوفيسيناليس Asparagus officinalis أو السكوم الطبي : يعرف بسيقانه الفتية المستهلكة من طرف الإنسان بعد طبخها طازجة أو مصبرة.

الموطن الأصلي للنوع هو أوربا وآسيا الغربية ومنها أدخل إلى شمال إفريقيا حيث يزرع كخضر في بعض السهول المغربية كسهل الغرب وذلك لتصدير القدر الكبير من الكمية المنتجة نظرا لكون الاستهلاك الداخلي ضعيفا جدا.

أبحاث شخصية.

A. Benabid, Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité. Paris, 2000 ; J. Bellakhdar, La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires. Paris, 1997.

زينب بترحمون وعبد المالك بنعبيد

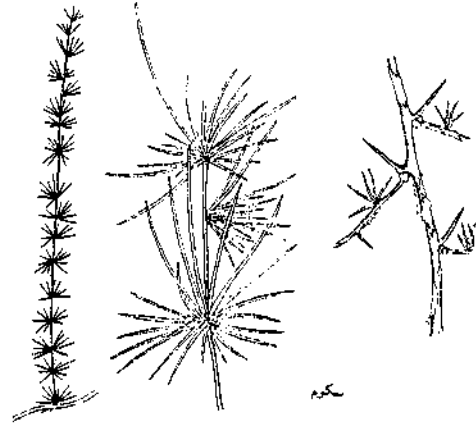
**سكوم الجمل** أو الرتم الرقيق أو الأثلثة أو الشديدة بالعربية أو زازا أو تالگيت أو ذؤادكن بالآمازيغية، أسماء تطلق على أنواع جنس إيفيدرا Ephedra الذي ينتمي إلى فصيلة ورتبة الإيفيدرات Ephedrales, Ephedraceae. ومعلوم أن قسم كلاميديات البذور Chlamydospermae الذي يضم هذه النباتات القليلة العدد يوجد في موضع انتقالي داخل فرع النباتات البذرية ما بين عاريات البذور Gymnospermae التي تشمل المخروطيات من صنوبريات وسرويات وأروكاريات... من جهة، ومستورات البذور Angiospermae التي تضم أغلب النباتات المزهرة غير المخروطيات.

يشمل جنس إيفدرا خمسة أنواع بالمغرب، كلها نباتات غير شجرية لكن خشبية، منها المعتشرة التي تنسلق نباتات أخرى، ومنها المنتصبة السيقان. سيقانها مفصلية، عجرا،

السكوم أو الهليون بالعربية أو أسبرج Asperge بالفرنسية أو علميا أسباراگوس Asparagus الذي ينتمي إلى فصيلة الزنبقيات Liliaceae. يشمل الجنس ثمانية أنواع طبيعية بالمغرب، وأكثر من ثلاثة أنواع دخيلة، نذكر منها نوعا واحدا يفرس كخضر، ونوعان آخران كنبات زينة وهما السكوم الريشي أو أسباراگوس بلوموزا Asparagus plumosa وسكوم سبرينجر Asparagus sprengeri. من المعتقدات الشعبية عند التلاميد أن وضع غصين من السكوم الريشي في الدفتر يسهل عليهم حفظ المواد.

أنواع السكوم جنسيات منتصبة أو معتشرة متسلقة، جذورها جذمورية. أوراقها حشفية أو معوضة بسيقان ورقية أو ورق كاذب. أزهارها صغيرة. ثمارها كروية الشكل حمراء أو سوداء.

تستعمل بعض الأنواع في التطبيق التقليدي. كما تجمع في فصل الربيع السيقان الفتية لجل الأنواع لاستعمالها كخضر تطبخ عادة وحدها أو مع البيض أو غيره.



السكوم ذو الورقة الحادة أو أسباراگوس أكرتيفوليوس Asparagus acutifolius : نوع يتميز بسيقان شبه متسلقة، وأوراقه الكاذبة المجتمعة من 4 إلى 12 والمتصلبة والمنتهية بأطراف حادة من الممكن أن تؤلم، وبأزهاره الصفراء المخضرة وبثماره التي تسود عند نضجها بعد أن تكون خضراء.

يعيش النوع طبيعيا في غابات وأحراج السهول والجبال على أراض سميكة وغنية بالدبال، في مناطق بيومناخية شبه جافة وشبه رطبة ورطبة، وفي الطابقين المتوسطي الدافئ والمتوسط.

السكوم المتسلق أو أسباراگوس ألتيسيموس Asparagus altissimus : يتميز النوع بسيقان معتشرة متسلقة طويلة ورقيقة وجد متفرعة، وبأوراقه الكاذبة المجتمعة في مجموعات عدد كل منها يتراوح ما بين 4 و9. يتسلق أشجار أركان والعرعر البريري والبطم الأطلسي ويعيش في المناطق الجافة وشبه الجافة في الجنوب المغربي.

السكوم المشوك أو أسباراگوس ستيسبولارس Asparagus stipularis : جنسية كثيرة الأشواك، قد يتراوح علوها ما بين 40 و80 سم.

أغصانها المعمرة منعذمة الأضلاع، شهباء أو شهباء مسمرة. أوراقها متقابلة، أو كوكبية من 3 أوراق، ملتحمة في شكل غمد شفاف أبيض. ثمارها عنبية الشكل وبيضاء. نوع قبسي نادر جدا، ولا يوجد إلا في الوديان والأجرف الصخرية الصحراوية ما بين السمارة وأدرار سطوف بوادي الذهب.

- الرتم الرقيق أو إيفيدرا فراجيليس Ephedra fragilis : جنبية ثنائية المسكن، عديمة الأوراق، جد متفرعة، متسلقة، للأشجار والصخور إلى ارتفاع 3 م، أو منتصبية. أغصانها الفتية مضلعة وذات لون أخضر داكن، والمعمرة رمادية أو رمادية مسمرة. ثمارها مجتمعة في كتلتين، شبه كروية الشكل، من 8 أو 9 مم، محاطة بقنابات جد لحمية، حمراء.

يوجد هذا النوع في كل السهول والهضاب والسفوح الجبلية الموافقة للطوائف النباتية تحت المتوسطة والمتوسطة الدافئة والمتوسطة، وخاصة في أحراج العرعر الأحمر والعرعر البربري والطلح المغربي وأركان.

- إيفيدرا ماجور Ephedra major : جنبية ثنائية المسكن، منتصبية وغير متسلقة، لا يتجاوز ارتفاعها 1.5 م. أغصانها رقيقة، جد متفرعة وكثيرة الكثافة. أوراقها متقابلة وشفافة، ثمارها شبه كروية، محاطة بقنابات لحمية حمراء أو صفراء.

يكثر هذا النوع في الأحراج والأجرف الصخرية الجبلية ما بين 800 و3000 م أي في جميع الطوائف النباتية.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 2000 :  
A. Meiro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*, Rabat, 1955.

عبد المالك بنعبيد

### السكنى والتعمير بالمغرب، كلمة "التعمير"

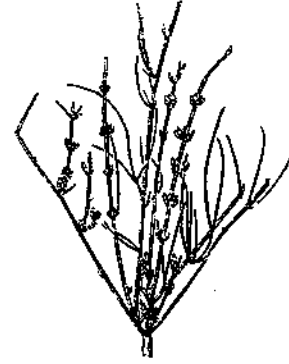
بمفهومها الحديث، هي ترجمة للكلمة الفرنسية Urbanisme. بدأ تداولها في المغرب مع إقامة الاستعمار في أوائل القرن العشرين وتأسيس المدن الأوروبية.

وقد عرّكت وثيقة "معاهدة أئينا" (La Charte d'Athènes) الصادرة عن المؤتمر الدولي للمهندسة المعمارية العصرية (C.I.A.M.) سنة 1933 باليونان، بكون التعمير "تهيئة للمجالات والبنائات التي يجب أن تحتضن نمو الحياة المادية والروحية والوجدانية والفكرية بجميع أشكالها الفردية والجماعية" بعيداً عن كل خصوصية ثقافية وحضارية.

فهذا التعمير الحديث لم يصدر من عدم. فقد استقى مرجعيته الفكرية مناسي "بما قبل التعمير" (Préurbanisme) الذي تبلور من خلال أفكار جاءت بها خيارات إيدولوجية إصلاحية نشأت في القرن التاسع عشر بأوروبا إثر حدوث الثورة الصناعية وتآزم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للبروليتاريا، وتقهر ظروفها السكنية، فضلا عن الفوضى والعشوائية التي انتشرت بضواحي المدن بسبب التحضر المطرد الذي أصبحت مسرعا له.

أي كثيرة العقد، ذات يخضور يمكنها من التمثيل الضوئي. أوراقها متقابلة أو كوكبية، جد صغيرة. أزهارها فردية أو ثنائية المسكن، وفي بعض الحالات خنثية. الأزهار الذكورية في ازهرارات هرية الشكل، إبطية، مكونة من 2 إلى 6 أسدية. الأنثية طرفية منفردة أو مجتمعة في مجموعات من 2 إلى 3 أزهار محاطة به إلى 8 قنابات من الممكن أن تصير لحمية وملونة، محمرة عند نضج الثمار.

تستعمل أنواع سكوم الجمل في التطبيق التقليدي للاجهاض أو غيره أو كمادة صابونية.



سكوم الجمل

- الألتندا أو إيفيدرا ألتندا Ephedra alenda : جنبية ثنائية المسكن، قد يصل ارتفاعها إلى 3 م، منتصبية، جد متفرعة، ذات أغصان رديئة زاحفة في الرمال، وأغصان هوائية غليظة خضراء مصفرة، وأوراق متقابلة وملتحمة في شكل غمد، وثمار من 10 إلى 16 مم.

هذا النوع جد نادر ويعيش في الرمال أو في مناطق الرق الرمالية بالصحاري المغربية والجزائرية والتونسية وأيضا في كل المناطق الصحراوية والسندية.

- إيفيدرا المعتشرة أو إيفيدرا ألتسيما Ephedra altissima جنبية ثنائية المسكن، سرعية من الممكن أن تتسلق الأشجار إلى ارتفاع 10 م، ذات أغصان متدلية ومتهذبة، وأوراق متقابلة أو كوكبية يصل طولها إلى 1.5 سم على الأغصان الفتية. أزهارها الذكورية مجتمعة في عثكولات جد متفرعة، ذات 2 أو 3 أسدية. حجم ثمارها من 7 إلى 9 مم، بيضوية أو شبه كروية الشكل ومحاطة بقنابات لحمية ذات لون أحمر قاتم أو أبيض.

يكثر هذا النوع في الجزء الغربي من حوض المتوسط في جل الغابات المنفرجة والأحراج كتشكيلات العرعر البربري والعرعر الأحمر وأركان والأجرف الصخرية، وذلك في الطوائف النباتية تحت المتوسطة والمتوسطة الدافئة والجزء السفلي من المتوسطي، أي ما بين سطح البحر و1800 م من الارتفاع. أما من حيث البيومناخ فإن النوع يعيش في المناطق الجافة وشبه الجافة الدافئة والمعتدلة.

- إيفيدرا رولانديي Ephedra rollandii : جنبية ثنائية المسكن جد متفرعة، متسلقة في حالة انعدام الرعي، ذات أغصان رقيقة ولون أخضر فضي وأضلاع عندما تكون فتية.

للنظام الجديد : الفصل بين المدينة الأروبية والمدينة الإسلامية مع احترام الانسجام العمراني والاجتماعي للأولى والحفاظ على الطابع التقليدي للثانية خلافا لما تم تطبيقه بالجزائر.

وغداة الاستقلال طمحت القوى السياسية الوطنية إلى إعادة النظر في الإرث الاقتصادي والاجتماعي الاستعماري، وبناء مشروع وطني للتنمية يهدف إلى تحقيق إصلاح زراعي للحد من الهجرة القروية وإقامة صناعة ثقيلة خلّاقة لفرص الشغل (التصميم الخماسي 1960. 1964). غير أن هذا الاختيار لم يكتب له أن يرى النور. وأخذ مكانه توجه ليبرالي (التصميم الثلاثي 1965. 1967) جاء باستراتيجية تنمية استهدفت توسيع القاعدة الإنتاجية للرأسمال في إطار التقسيم العالمي للشغل حيث احتفظ المغرب بدور تصدير المواد الأولية أو مواد تحويلية واستيراد المنتجات الصناعية.

- إن الانفجار الحضري الذي اندلع بالمدن المغربية إبان مرحلة الاستعمار أضحى متواصلا بسبب الهجرة القروية ونزوح أفواج الريفيين إليها. فالأوضاع بالبوادي تشكو من ضعف البنيات الإنتاجية التي زادها تفهقراً الجفاف الذي بات مخيباً على البلاد منذ ما يقرب من عشرين عاماً ابتداءً من شتاء 1981. 1982.

فالإحصاءات العامة تطلعننا على أن الفترة الفاصلة بين 1971 و1982 سجلت هجرة سنوية لما يعادل 65.000 ريفي نحو الوسط الحضري وقد ارتفع هذا العدد إلى 95.000 في المرحلة الواقعة بين 1982 و1994. الأمر الذي ساهم بصفة فعالة في تضاعف ساكنة المدن كل 15 سنة بوتيرة سنوية تعادل 3.6% في الوقت الذي تنخفض فيه هذه النسبة السنوية إلى 0.7 في العالم القروي.

انتقدت هذه الشبكات المدينة الصناعية الرأسالية وسلبياتها الاجتماعية والمجالية، واستهدفت بمقترحاتها، رغم اختلاف نوعيتها، خلق إطار حضري جديد للعمل والسكنى والترفيه تسوده "علاقات إنسانية من نوع جديد".

فالمهندس المعماري الأوربي كان فهمه سلبياً للتعمير المغربي، إذ أوحى له بالغموض وغياب العقلنة، ورأى في المدينة العتيقة مجرد متاهة (Labyrantie) لا تخضع لأي نظام، جاهلاً بذلك مرجعية رموزها وأسس مقوماتها فأدار ظهره عنها وفرض نموذج.

- التعمير الاستعماري : استراتيجية ومنجزات 1912. 1956.

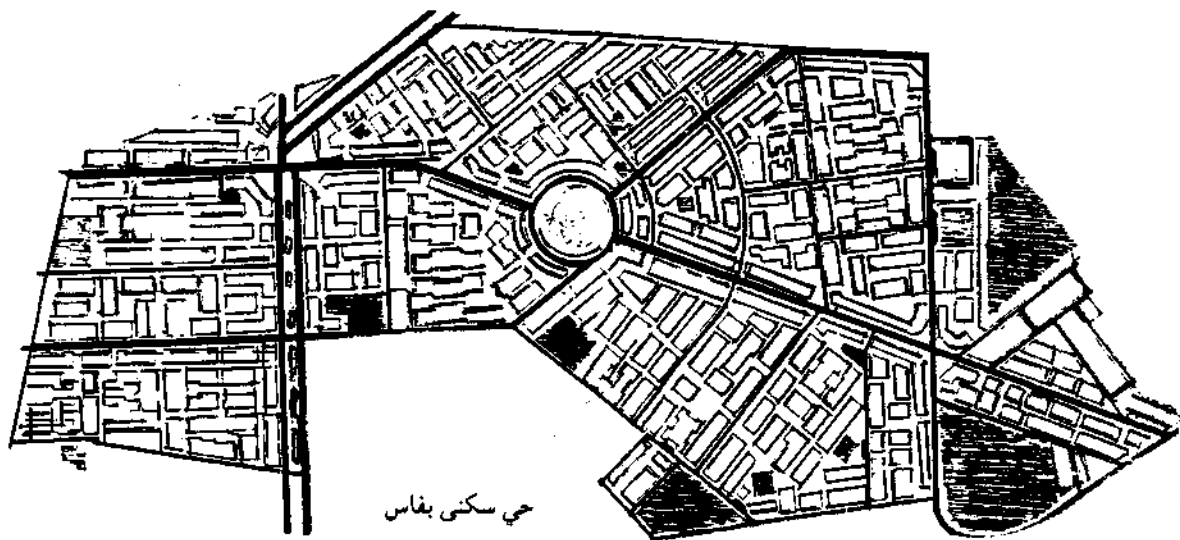
1- التوجهات والاجراءات الكبرى.

لقد أصر الاستعمار غداة إقامته بالمغرب أن يجعل من هذا الأخير فلكا تابعا له، يؤخذ منه المواد الأولية (المعدنية والفلاحية) ويصدر إليه منتجاته الصناعية فضلا عن استعماله ميدانا خصبا لاستقطاب الرساميل الأجنبية وخزانا لليد العاملة الرخيصة.

2- خلق مدن جديدة لفائدة الأوربيين كدعامة للنظام الاستعماري (1912. 1948).

إن تحقيق المشروع الاستعماري هذا كان رهينا بوضع سياسة حضرية تخدم مصالح النظام الجديد. فأول قرار يصب في هذا الاتجاه اتخذه ليوطي، هو إعطاء أوامره إلى المهندس المعماري هنري بروست (H. Prost) سنة 1913 قصد وضع تصاميم نهئية لعشرة مدن جديدة سبق أن قرر تأسيسها وهي: الدار البيضاء، والرباط ومكناس وفاس ومراكش وتازة ووزان وأكادير وصفرو، وبعد ذلك القنيطرة. (Port Lyautey).

حرص بروست على خلق مدن جديدة كدعامة مجالية



تطور الساكنة الحضرية بالمغرب (بالآلاف)

النسبة	1960	1994	2020	النسبة
الساكنة الحضرية	3.400	13.407	30.000	75
الساكنة المغربية	10.000	26.000	40.000	100

السبعينيات تزامنت مع ظرفية سياسية دولية تميزت ببروز حركات وطنية ويسارية مناهضة للامبريالية (فيتنام، صالفا دور، نيكاراوا). ووعيا منها بخطورة المناخ السياسي والاجتماعي العام جاءت بمقترحات جديدة تمنح ظروف الاستقرار والاندماج لأوسع الفئات القاطنة بهذه الأحياء.

- إعادة الهيكلة (La restructuration). إن التجارب التي خاضتها المصالح المعنية في عقد الستينيات في ميدان محاربة مدن الصفيح قد باءت بالفشل وأظهرت عجزها عن تلبية الحاجيات السكنية المتزايدة. فعمليات توزيع الأراضي التي أشرفت عليها لم يستفد منها إلا المحظوظون، وبالتالي كان وقعها الاجتماعي جد محدود.

فالجديد في سياسة إعادة الهيكلة يكمن في وضع مشاريع تنموية حضرية انتقائية، حسب برمجة وطنية شرع في إنجازها ابتداء من التصميم الثلاثي 1978. 1980، وترمي هذه السياسة إلى تحقيق اندماج حضري عن طريق تعبئة إمكانيات وقدرات السكان من أجل تحسين أوضاعهم السكنية وتغيير واقعهم بإسهاماتهم الخلاقة.

اعتمدت هذه الخطة على مبدأ حتى تملك القطعة الأرضية التي تحمل البراكة من طرف الساكن، الأمر الذي ساعد على إشعاع الأمن والاستقرار في نفسه وتحفيزه على تحمل تكلفة التجهيزات التحتية وبناء سكنه بوسائله الذاتية. كما استهدفت التخفيف من الكثافة السكانية بنقل 10٪ من السكان وإعادة إسكانهم في أحياء جديدة، وإقامة برامج تجهيزات اجتماعية، من شأنها أن توفر شروط الحياة اليومية داخل الأحياء (مدارس مستوصفات دور للشباب الخ)، إضافة إلى خلق مناطق صناعية على مقربة من أماكن السكنى، قصد جلب أنشطة صناعية وتشغيل اليد العاملة الوافرة والتقليل من نسبة البطالة المنتشرة.

طبقت هذه المشاريع أساساً على مدن صفيح تتراوح ساكنتها بين 30 و40 ألف نسمة ويمثل كريان سنطرال بالدار البيضاء التجربة الأولى في هذا الميدان والتي استفادت منها 12.325 أسرة أي ما يساوي 72.000 نسمة، وتم بعد ذلك توسيع مجال تطبيقها إلى دوار الدوم بالرباط، وبرج مولاي عمر بمكناس، وسيدي يوسف بن علي بمراكش والساكنية بالقنيطرة إلى غير ذلك، واستصلح على مستوى وطني ما حجمه 63.500 قطعة.

- عمليات تهيئة حضرية كبيرة لإعادة الإسكان (Le recasement).

لعبت الدولة هنا كذلك دور المحفز الأساسي والمحرك الرئيسي لتعبئة القدرات المالية والطاقات الخلاقة في البناء لساكنة الصفيح المتوسط والصغير، قصد القضاء على السكن غير اللائق المتناثر هنا وهناك داخل النسيج الحضري، حيث قامت بتنظيم عمليات تجزئة أرضية، في إطار مشاريع تهيئة حضرية متكاملة الوظائف، من سكنى وتجهيزات اجتماعية وأنشطة اقتصادية، خضعت في إعدادها لمبدأ

فهذا التضخم الهائل لساكنة الحواضر في ظروف بنيات اقتصادية هشّة له انعكاسات سلبية عميقة عمرانيا ومجاليا. ويشكل استفحال ظاهرة مدن الصفيح إحدى الانعكاسات السلبية الناتجة عن التزايد الديمغرافي الحضري على العموم وعن حركة الهجرة القروية المتنامية على وجه الخصوص. فعدا الاستقلال تم إحصاء 414.000 ساكن لمدن الصفيح أي ما يعادل 15٪ من مجموع الساكنة الحضرية. غير أن ما يشير الانتباه هو تزايد عدد هؤلاء السكان بغض النظر عن التراجع النسبي الذي عرفه، حيث وصل سنة 1982 إلى 1.593.720 نسمة (أي 12,8٪ من مجموع السكان الحضريين) وزاد ارتفاعا إلى 2.358.280 نسمة.

إلا أن انتشار مدن الصفيح لا يمثل المشكل الوحيد الذي تعاني منه المدن المغربية باعتباره معضلة اجتماعية وسكنية وبؤرة للفقر والتهيش، بل نجدها عرضة كذلك لتوسع حضري فوضوي وامتدادات مجالية عشوائية في تجاوز تام وخرق سافر لقوانين التعمير المعمول بها. وقد تعاملت السلطات بتساهون واضح إذا لم نقل بغض الطرف عن تنامي هذه الظاهرة، مما أدى إلى انتشار أحياء غير مجهزة فوق أراض ومواقع طيفرافية غير ملائمة على هامش المراكز الحضرية. ففي سنة 1982 وحسب بعض التقادير اتسعت هذه الأحياء فوق ما يقرب من 3000 هكتار تجمع بها ما يزيد عن مليون نسمة: يتوزع معظمها على كبريات المدن.

- الرباط - سلا : 189 000 من مجموع 868.000

- فاس : 129 000 من مجموع 517.000

- مراكش : 110 000 من مجموع 485.000

- وجدة : 90 000 من مجموع 260.000

- طنجة : 55 000 من مجموع 320.000

- تطوان : 55 000 من مجموع 200.000

تأسست وزارة السكنى والتعمير وإعداد التراب الوطني غداة الاستقلال وأسندت إلى الدكتور ابن بوشعيب، لكنها لم تعمر طويلا وألحقت بوزارات أخرى، ثم تكونت من جديد سنة 1972 وتغير اسمها أكثر من مرة، وهي الآن في حكومة عبدالرحمن اليوسفي تحمل اسم وزارة إعداد التراب والبيئة والتعمير والإسكان. وقد أعطت وزارة السكنى الأسبقية لمحاربة مدن الصفيح، وعملت بتوجيه من البنك الدولي على وضع خطة جديدة لمحاربة هذه المدن، تفاديا لأي تفاقم من شأنه أن يؤدي إلى انفجار الأوضاع، علما أن بداية

التنظيف. فعلى مستوى عددي، تم إلى حدود نهاية الثمانينيات توزيع 59.500 قطعة تتراوح مساحتها بين 60 و120 م<sup>2</sup> استفادت منها معظم المدن المغربية.

وبمدينة سلا التي استفحلت بها ظاهرة مدن الصفيح إلى أن وصل عدد السكان بها سنة 1982 أزيد من 52.500 نسمة من مجموع 289 000، عرفت في نهاية الثمانينيات انطلاقة مجموعة من مشاريع تهئية حضرية، تدخل في إطار محاربة التهميش الاجتماعي والتدهور المعماري، عبر القضاء على جزء مهم من الدواوير، وخلق أحياء جديدة تتلاءم ومستلزمات الحياة الحضرية، ومن أهم الأحياء التي نشأت في هذا الإطار نذكر حي مولاي إسماعيل الذي امتد على أزيد من 70 هكتاراً عند مدخل حي القرية (جنوب شرق المدينة) استفادت منه 2707 أسرة، وكذا حي الرحمة، وهو أضخم مشروع إعادة إسكان عرفته سلا، حيث امتد على مساحة 143 هكتار شمال تابريركت في اتجاه بوقنادل، استفادت منه هو الآخر 6512 أسرة.

غير أن أجمع تجربة خاضتها الدولة في إطار محاربتها لأحياء الصفيح عن طريق إعادة الإسكان، هي تلك التي قامت بها في مدينة تازة، حيث تم القضاء بصفة شاملة وسريعة على مجموع الدواوير التي تكاثرت حيث وصل عددها سنة 1983 إلى 25 بقطتها ما يفوق 23.500 ساكن من مجموع 95.000 نسمة. ونظمت بذلك مشاريع تجزئات بين 1983 و1989 وهي السعادة، الكوشة القدس 1، القدس 2 والمسيرة 2، استطاعت أن تقضي على هذه الظاهرة. غير أن هذه التجربة الرائدة كتب لها النجاح لكونها استفادت من أرضية عقارية وافر وإسهامات مسبقة للمستفيدين وتأيير ناجح باشارك فعاليات مختلفة.

وخلالها لما كانت تعمل به وزارة السكنى من تسيير مباشر لمخططاتها الإسكانية عن طريق الصندوق الوطني للتهئية والدراسات التقنية (F.M.A.E.T.) في السبعينيات بهدف توفير شروط نجاح أكثر لسياستها الجديدة، قامت بخلق مؤسستين عموميتين، تتمتعان باستقلالية مالية لتسيير البرامج والسهر على تطبيقها وهما "الوكالة الوطنية لمحاربة السكنى غير اللائق" (A.M.H.I.)، تتدخل على مستوى وطني، وشركة التشارك التي ينحصر مجال عملها داخل الدار البيضاء، كما أنها ركزت على إشراك "المؤسسات الجهوية للتهئية والتجهيز" (E.R.A.C.) ودعم السلطات والجماعات المحلية لوصول هذا الهدف.

فهذه السياسة الجديدة وإن لم تستطع أن تقضي على دور الصفيح لأسباب عديدة أو أن تحد من انتشارها، حيث إن وتيرة تزايد ساكنتها وصلت سنويا إلى 5.6٪ وهي نسبة أسرع من وتيرة تزايد مجموع ساكنة المدن بالمغرب والتي تساوي 4.2٪، فإنها توصلت إلى التخفيف نسبيا من التهميش والطرده بفضل المنجزات الضخمة التي سهرت على تحقيقها والتي ساعدت على التقليل من حدة التناقضات

السوسيوإقليمية الصارخة التي أضحت تميز المدن المغربية، كما ساهمت في نشأة بيئة حضرية ملائمة للإستقرار والاندماج وتحقيق "السلم الاجتماعي".

غير أن آفاق هذه السياسة السكنية التي استفادت منها فئات شعبية واسعة، أصبحت مهددة بحكم التغييرات الاقتصادية التي سيقبل عليها المغرب مع دخوله معركة العولمة وبسط سلطان الشركات العملاقة العالمية، حيث إن الدولة لم تنجح في إيجاد الحلول الشاملة لظاهرة الصفيح، وهي في عز نفوذها، فكيف سيتطور الوضع غداة تخليها عن دورها الاستراتيجي في هذا القطاع الاجتماعي الحساس ؟

ومن الأسباب التي أضعفت دور تصاميم التهئية في توجيه وعقلنة تنظيم المجال الحضري، أنها كانت ولمدة عقود طويلة تنجز في غياب أي دراسة مسبقة أولا تدعمها أية سياسة عقارية من شأنها أن توفر لها ظروف النجاح، فضلاً عن بقاء الإدارة في إصدار النصوص القانونية لتغطيتها.

مخططات توجيهية للتهئية والمعمار لتغطية الفراغ (S.D.A.U.).

ظلت تصاميم التهئية إلى حدود الستينيات في القرن الماضي الأداة الوحيدة لتوجيه التنظيم المستقبلي للمدن فيما يخص توزيع مختلف الوظائف السكنية والاقتصادية وتوطين التجهيزات التحتية والاجتماعية وتحديد المناطق المحظورة للبناء.

إلا أنه أمام حصيلة حضرية اتسمت بالفوضى مع انتشار دور الصفيح والسكن العشوائي، برز وعي انتقادي لضعف سياسة التعمير. وتبلور هذا الوعي في إصدار وثيقة أساسية سنة 1969، تمثلت فيما سمي "بقانون الإطار للتهئية القروية والحضرية (Loi cadre d'aménagement rural et urbain)، من طرف مركز الدراسات والأبحاث والتكوين (C.E.R.F.) جاءت هذه الوثيقة برؤية جديدة ومقترحات حلول لمشاكل السكنى والتعمير تنطلق من مبدأ إدماج التعمير والتخطيط في إطار سياسة التهئية وإعداد التراب الوطني بهدف ترقيب التغييرات الاقتصادية والاجتماعية ووضع التدابير الناجعة للحد من آثارها السلبية والفوضوية.

لم تتم المصادقة على هذا المشروع المتكامل والظروح كأداة للتهئية الشاملة بسبب أنه أُنجز في معزل عن قرارات الدولة، التي كانت آنذاك غير قادرة على نهج سياسة إعداد التراب مبنية على استراتيجيات طموحة إلى ضرب أسس الاختلالات الجهوية والحضرية الموروثة عن فترة الاستعمار.

إلا أنه احتفظ ببعض مقترحاتها ومن ضمنها المخططات التوجيهية للتهئية والمعمار. لقد جاءت هذه الأخيرة لتغطية فراغ كبير في ميدان التوجيهات والاختيارات الأساسية للتنمية الحضرية المستقبلية والتي تفتقر إليها تصاميم التهئية. وتعتمد هذه الأدوات الجديدة في مقترحاتها للتخطيط المستقبلي للمدن على دراسات متعددة التخصصات تهدف إلى البحث عن تنظيم ناجح لمختلف



عن أن الدراسات كثيراً ما تستغرق ستين طوال، مما يجعل نتائجها متجاوزة وبعيدة عن الواقع المتغير.

ومما ساهم كذلك في إضعاف هذه المخططات كونها لم تستفد من مشروعية قانونية إلا بعد تعديل قانون تعميم 1952 وتعويضه بقانون 1992. فلمدة عقدين من الزمن حُرمت هذه الأخيرة من سلطة القانون، ولم يتم استعمالها إلا كإطار توجيهي لتدخلات القطاع العمومي.

وإذا كان للاختيارات اللبرالية دور هام في نشر مظاهر الحضارة الغربية، فإن إغراء وانهار الأهالي "بتفوقها" جعلهم ينغمسون في استهلاك نماذجها المجاهرة.

ويبقى دور المهندسين المعماريين المكونين في المدارس الأوروبية أساسياً (إلا نادراً) في تعميم النماذج الغربية بممارساتهم وإنجازاتهم ذات التصورات الغربية، مكرسين بذلك القطيعة مع الذات، وضارين عرض الحائط بتراث ثقافي وحضاري من أغنى وأروع ما أنتجته عبقرية الإنسان. فأبدل المنزل المفتوح على الصحن المكشوف أو الرياض بالثيلا والعمارة المغلقتين من الداخل وعُوض الزقاق الحسي بفضاء السيارة.

وإذا كانت المشاريع التعميرية تخدم بالأساس أهدافاً اقتصادية واجتماعية، فإنها لا تخلو من أبعاد ثقافية وحضارية. ولكي ندرك هذا البعد يجب أن ندخل مدرسة التاريخ حتى لا نستمر في إعادة إنتاج كتابات وتعايير غريبة عن الذات نجعلنا نساءل بالفعل هل مدينة الاستقلال مدينة مغربية ؟

G. Bardet, *L'urbanisme*, 1959 ; H. Beguin, *L'organisation de l'espace au Maroc*, Bruxelles, 1974, 2 vol. ; A. Belal, *L'investissement au Maroc 1912 - 1964*, Casablanca 1976 ; S. Benzakour, *Essai sur la politique urbaine au Maroc 1912 - 1975, du rôle de l'Etat*, Casablanca 1978 ; L. Benevolo, *Aux sources de l'urbanisme*, 1972 ; I. Cerda, *La théorie générale de l'urbanisation*, 1973 ; F. Choay, *L'urbanisme, utopies ou réalités*, 1980 ; M. Castells, *La question urbaine*, 1972 ; M. Ecochard, *Casablanca, roman d'une ville*, 1955 ; R. Escalier, *Citadins et espaces urbains au Maroc*, Tours 1984, 2 vol. ; A. Lahbani, *Villes et politiques urbaines au Maroc*, Thèse 3 cycle, Grenoble 1976 ; Lecorbustier, *Manière de penser l'urbanisme*, 1963 ; *La charte d'Athènes*, 1971 ; Al Maouil, *Les bidonvilles, où en est on au Maroc*, n° 2, 1991 ; M. Aneur, *Habitat clandestin, problèmes et potentialités*, n° 3, 1992 ; A. El Belghiti Alaoui et L. Rharbi, *Les schémas directeurs pour quoi fuir ? Revue Al Omrane*, n° 2, 1981 ; A. El Belghiti Alaoui et L. Rharbi, *Urbanisation périphériques, évaluation et enjeux*, *Revue de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Rabat*, 1988 ; M. Ecochard, *Notes sur l'habitat*, n° 1680, C.H.E.A.M. ; P. Masson, *Urbanisation et habitat du grand nombre*, *Cahiers d'Ouere-Mer*, n° 9, 1950 ; M. Naciri, *Des formes de l'habitat "sous-intégré"*, *Herodote*, 1980 ; *Etudes des possibilités de restructuration et de prévention de l'habitat clandestin. Synthèse préliminaire*, Ministère de l'Habitat et de l'Aménagement du Territoire, 1983 ; *Etudes démographiques, population et emploi*, Rabat, 1992 ; *Plan quinquennal 1999-2003, Document provisoire* ; *Plan quinquennal 1960-1964* ; *Plan quinquennal 1965-1967* ; *Recensement général de la population et de l'habitat*, 1960, 1971, 1982 et 1994, Direction de la Statistique ; *Textes et circulaires juridiques relatifs à l'urbanisme*, Ministère de l'Habitat et de l'Aménagement du Territoire 1979 ; *Texte du Dahir relatif à l'urbanisme datant du 17 juillet 1992* ; *Enquêtes personnelles*.

عائشة البلغيشي

الوظائف السكنية والاقتصادية وتوزيع منسجم للتجهيزات، مع حماية المواقع الطبيعية والمعالم التاريخية. وتشكل، بطابعها الدراسي العمق هذا، إطاراً توجيهياً أساسياً يدعم تصاميم التهيئة بترقيات وتوصيات أكثر واقعية وأكثر موضوعية، من شأنها أن تُعارض التوسع الحضري التباري (Tendantiel) المتميز بالفوضى والتبذير.

إن أول مخطط توجيهي أنجز كان لفائدة مجموعة الرباط وسلا سنة 1970. وجاءت منذ ذلك الحين مخططات التنمية الاقتصادية والاجتماعية الوطنية ببرامج تغطية، وضعت حسب نظام تراتبي للأسبقيات أخذ بعين الاعتبار ضخامة المشاكل الحضرية وطابعها الاستعجالي. وقد حظيت المدن الكبرى هي الأولى بهذه التغطية واستفادت بعد ذلك منها المدن المتوسطة ولازال المهجود متواصلاً في هذا الميدان، حيث أن آخر مخطط وطني 1999، 2003 يفيدنا ببرمجة مكثفة لمواصلة دراسات جديدة تهم مجموعة من المدن والمناطق ومراجعة القديم منها.

ويبدو من خلال ما سبق أن الدولة استطاعت أن تعزز سياسة التهيئة المجالية الحضرية وتوسع مجال نفوذها. غير أن ما تحمله هذه السياسة من نقط ضعف على مستوى التوجه الوطني العام وكذا على مستوى الدراسة والتطبيق حال دون تحقيق أهدافها أكثر من مرة.

برنامج المخططات التوجيهية في طور الإنجاز حسب مخطط 1999 - 2003

1994	1993	1992	
العيون والشاطئ تيزتيت	ورزازات بني ملال والقطاع السقوي	سيدي قاسم الساحل التطوانني مكناس	المدن والمناطق
سيدي إفني والساحل	طنطان والشاطئ	طنجة	
تارودانت	الصويرة	تطوان	
أولاد تايمة	أصيلة والساحل	شفشاون	
قلعة السراغنة	العرائش		
الساحل	القصر الكبير		
الطنجاوي	الخميسيات		
سيدي سليمان	تيفلت		
سيدي يحيى الغرب			
سوق الأربعاء			

(يحدد الجدول تاريخ انطلاق الدراسات)

إن غياب توجيهات وطنية واضحة للنمو المستقبلي للبلاد براهن بمصادقية خلاصات وملتمسات المخططات التوجيهية، كما أن كثيراً ما يتم الكشف عن المقترحات المجالية المستقبلية قبل الإنجاز النهائي، الأمر الذي يشجع على المضاربة العقارية ويؤدي إلى إفشال أهداف التخطيط، فضلا

المحميين الإيطاليين وبالعدوان على يهود هاته المدينة الأخيرة وسماسرة تجار إيطاليين، وتوترت العلاقات حتى ذهب السويسي سنة 1883 إلى طنجة للتصالح مع نائب إيطاليا في شأن ذلك وفي شأن الديون التي هي في ذمة أهل الرباط. أما بطنجة فقد قدم سكوقاصو لائحة طويلة بمطالب بلاده، مستعلا بكون محتسب المدينة سجن امرأة مغربية محمية كانت تخدمه، ثم أزم جوابا مستعجلا عنها وإلا أنزل علم إيطاليا.

وبلغ عدد الدعاوى التي قدمها سنة 1884 على الولاة والعمال والشيخ من أجل النهب والديون الحقيسية أو الوهمية 111 قضية، تراوح مبلغها بين 245 و250 ألف فرنك، وكان في ذلك يهدد باستجلاب قطع من الأسطول الإيطالي. كان النائب السلطاني برغاش يعرف جيدا طبعه المتقلب، ولذلك كان يتمهل في دراسة مطالبه، مما كان يخرج سكوقاصو عن طوره ويزيد في سورة غضبه، لأنه كان يكره التأخير في بحث دعاويه، وهو الذي اعتاد فصالها بسرعة. عزل سكوقاصو من وظيفته بطلب من المخزن، ومع ذلك بقي في المغرب إلى أن توفي في أكتوبر 1887.

م. بوشعرا، الاستيطان، 586، 589، 745، 746 : التعريف، 1 : 21 : 2 : 174 : الوثائق، 4 : 36 : ابن زيدان، الإتحاف، 2 : 373 : وثائق مخزنية.

M. Bargach, *Une famille au cœur de l'histoire*, p. 131 : J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 2 : 556 : 4 : 81 : 5 : 153 - 154 : A. Laroui, *Les origines...*, 246 : H. de La Martinière, *Souvenirs du Maroc*, p. 126 : Anonyme, Paul Campon, *Ambassadeur...*, p. 107. مصطفى بوشعرا.

**سكوكو** (أيت -) من المجموعات البشرية المستوطنة بين قبائل زيان الغرب الملقين بزبان موحد أوحمو من الجهة الجنوبية والجنوبية الغربية وبين قبائل بني مكيلد في الشمال المنتسبين إلى أيت عبدي في الشرق وقبائل گروان وزمور في الشمال والشمال الغربي وهم جزء من اتحادية قبائل أيت أو مالو.

وبهذا الموقع، وفي غياب معلومات كثيرة عن هوية هذه المجموعات، هناك من ينسبهم إلى زيان ويقدمهم كزيان الشرق أو زيان أو قبلي (قائد معاصر لموحد أوحمو، كان في صراع معه من أجل النفوذ) وهناك من يقربهم من بني مكيلد وقد طرح هذا الإشكال بوضي Beaudet G منذ ثلاثة عقود خلت.

تشكل مجموعة قبائل أيت سكوغو من ثلاث قبائل مقسمة إلى "عظام أو أغصان" وهي : أيت عمر : وتتكون من 5 عظام وتعيش فوق مجال واسع حول ولما س كله بالهضبة الوسطى.

المرابطين : ويتكونون من 3 عظام : أيت سيدي عبد العزيز، وأيت سيدي علي، وأيت سيدي العربي. العسميين (أو العاسيين) : وهم على ما يبدو خليط يتزعمهم عظم أيت عبدوس.

**السكندراني**، أسرة تطوانية عريقة نسبة إلى الإسكندرية، وبعضهم ينطقها : الإسكندراني، وقد انقرضت الآن، كان منهم الفقيه العدل محمد بن أحمد السكندراني عام 1138. وقد وقفت على نسخة من كتاب الدر المنظم في مولد النبي العظيم للزفزيين بخطه الحسن. وفي سنة 1300 ذكر فيه منهم المعلم محمد بن الحاج أحمد السكندراني التطاوني. م. داود، عائلات تطوان، مخطوط.

محمد بوخيرة

**سكورة** ويكتب أيضا شكورة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Segura وهو نفس الاسم الذي تحمله بعض الأسر الإسبانية حاليا نسبة إلى مدينة إسبانية : وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1171 / 1758.

م. ابن محرز حكيم، كتاب أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1387.

محمد ابن عزوز حكيم

**سكوقاصو** (ستيفانو -) Stefano Scovasso، تاجر

إيطالي يجبل طارق، وصل إلى طنجة سنة 1860 للتجارة بها. وعين قنصلا عاما لإيطاليا سنة 1868 خلفا لأدولفو كاستيليناردو A. Castillenardo. وفي 15 غشت 1871 سمي وزيرا مقيما لإيطاليا بالمغرب، ومكث نحو 18 سنة فأصبح كبير الدبلوماسيين بطنجة سنة 1886.

عاش عازبا طول حياته، وربط صلات قوية بأسرة الساقوا الملكية، فكان يشتري لها التمور ويمسحها بنفسه بفرشاة صغيرة ثم يبعث بها إلى الملك. اشتهر بقوته العضلية الهرقلية إلى حد تكسير قطع النقود بين أصابعه.

قد أضاف إلى التجارة المباحة تجارة بيع صكوك الحماية للناس، فقال إنها "مادة تجارية تباع لأكبر مغال في الثمن"، فكان اليهود أعظم متهاقات عليها. فقد ذكر سنة 1882 أن عدد المحتسبين بدولته بلغ 139 فردا، منهم 66 من المحميين القنصليين والاستثنائيين و73 من السماسرة، نواب التجار سواء الإيطاليين منهم أو المحميين.

لم يكن سكوقاصو على أحسن حال مع السلطات المخزنية ولاسيما مع محمد بن عبد الرحمان برغاش نائب السلطان بطنجة الذي كان شديد العتب عليه، ودارت بينهما مشادات ومجادلات كلامية وخصوصا أثناء فترة المشاورات بطنجة قبل اجتماع مؤتمر مدريد سنة 1880 حول قضايا حماية الأجانب للمغاربة.

كان كثير المطالب ضد الولاة ناقما عليهم، ففي سنة 1883 اتهم سكوقاصو أحد قواد قبيلة بني حسن بمنطقة الغرب وباشا الرباط عبد السلام السويسي بخرق حقوق

مصففة تفضلها منخفضات وبين أجزاء هضبية وهذه خصائص مرتبطة بطبيعة صخور وبنية الوحدة. فالأمر يتعلق بوحدة قديمة تنتمي إلى الزمن الأول وهو ما يفسر ضعف انتشار التربة الغنية وضعف إمكانيات تخزين المياه في الباطن. أما الارتفاعات والتضاريس فتفسر ضعف كمية التساقطات بالمقارنة مع الكوس ولطف حرارة الشتاء.

لعب هذا الاختلاف الطبيعي دوراً كبيراً في توحيد نمط عيش وحياة السكان إلى منتصف القرن العشرين وهو نمط نصف الترحال بين الهضبة الوسطى (الأزغار) حيث كان السكان يقضون الشتاء بقطيعهم ويزرعون الحبوب البكرية وبين الكوس (الجبل) حيث يقضون الصيف ويزرعون الذرة في الأراضي المسقية التي غالباً ما كانت بجوار "للأغرمات" والقصباء.

وكتيجة لإرث ثقافي وكذلك لخصيصة طبيعية تميزت محطات المجموعات المكونة لأيت سكوغو بالتفكك والتضاعف بين الجبل والأزغار ويذهب الأمر أحياناً إلى التفتت (G. Beudet). وسادت الأراضي الجماعية وغابت مظاهر التحضر.

بدأ هذا الوضع يتغير منذ بداية القرن العشرين تحت تأثير عوامل عامة همت كل المجالات الريفية بالمغرب وعوامل خاصة بالمجال السكوغوي فقط، وكحصيلة لما يقارب قرناً من التحول يمكن الرجوع إلى استنتاج (G. Beudet, 1969, pp. 56 - 59) القائل بأن "مجال أيت سكوغو هو منطقة متأزمة". وهذا حكم مازال جارياً في الوقت الراهن.

وإذا كان لتحديد الغاية وإدخالها في ملكية الدولة ولتحديد الأراضي الجماعية... وللتقسيم الإداري والجماعي دور واضح في الدفع نحو الاستقرار وفي تنسيق إمكانيات الاستغلال والإنتاج، فدور العامل الديموغرافي يبقى على ما يظهر أكبر.

ويفترض بوضي Beudet أن لعامل القدم النسبي للاستيطان دوراً في تفسير كثافة سكانية أكبر مما كان عند الجيران منذ مطلع القرن العشرين. ويفترض أن سرعة وتيرة النمو الديموغرافي عندهم بالمقارنة مع جيرانهم عملت على ارتفاع الضغط السكاني على الأرض وهو وضع لا يتلاءم وحياة نصف الترحال ويفسر توسيع الأراضي الزراعية على حساب الغابات والمراعي خاصة بالأزغار، وتقليص حجم القطعان، والزيادة في خلط رؤوس أنواع الماشية وتطور السكن، وضيق الحيازات. ونضيف الزواج خلال العشرينتين الأخيرتين.

فأكيد أن العامل الديموغرافي يلعب دوراً كبيراً في تحول المجال السكوغوي بحيث تزايد السكان بين 1936 و1994 بحوالي 3 مرات ماراً من 28.864 ن إلى 83.811 مما زاد في الكثافة السكانية وذلك على النحو التالي :

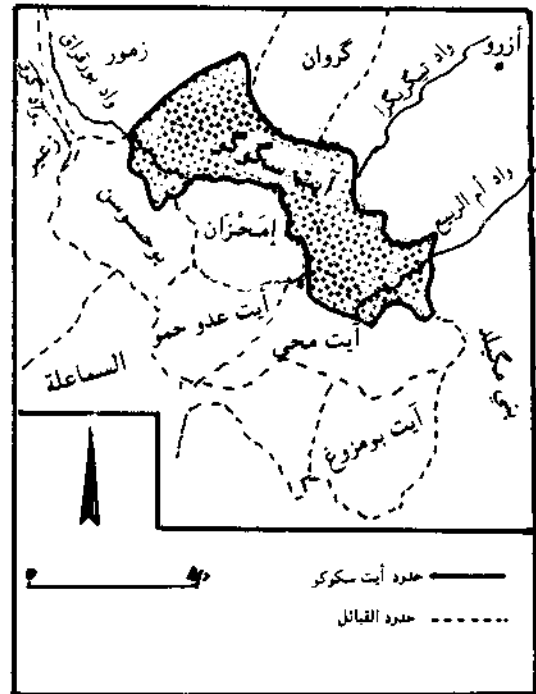
وبهذا التطور وزيادة الضغط على الموارد الرعيزراعية، وتوالي سنوات الجفاف ليس هناك من حل أمام الكثير من

وإذا كان اسما القبيلتين الأخيرتين مصدر إثارة للفضول حول أصلهم، فتوزيع مواطنيهما يزيد في هذه الإثارة بحيث يتقدم هذا التوزيع على شكل فسيفساء. فسكانهما يختلطان تارة وتارة يتفصلان عن بعضهم، كما أنهما يملكان جماعياً أراضي شاسعة نحو الشمال الغربي تفصلهم عن أيت عمر وعلى مقربة من ضاية ويوان في الجبل.

ومما لاشك فيه أن هذا التقسيم وموطن المجموعات ساهما في وضع حدود الجماعات القروية في 1959 وفي التقسيم الأخير 1992 الذي عدل وتمم في 1996. لكن المعطيات الطبيعية هي الأخرى ساهمت فيه.

فالمجال المعمور من طرف أيت سكوغو يمتد على مساحة تقدر بـ 2230 كلم<sup>2</sup> تقريباً في شكل عمود حسب اتجاه جنوبي - شرقي شمالي - غربي مسافة 100 كلم ويعرض 30 إلى 60 كلم وذلك من جوار ضاية أكلسان أزكزا بالكوس إلى مشارف تدأس بالهضبة الوسطى. وهو موزع بين وحدتين طبيعيتين متميزتين :

- الأطلس المتوسط الهضبي المنضدي المثل في هضبة الحمام الكلسية التي تتراوح ارتفاعاتها بين 1600 و2059م وتتوصل بكميات كبيرة من التساقطات وتعرف برودة كبيرة في فصل الشتاء. فهي مجال لغابات الفلين الأخضر والأرز ولساحات رعوية شاسعة وبها توجد منابع نهر أم الربيع.



- الهضبة الوسطى وهو مجال يشرف عليه الكوس لأن ارتفاعاته تبقى دون 1300م. وتضاريسه موزعة بين أعراف

لنفوذ الخميسات كدائرة في إقليم القنيطرة أولاً وكإقليم مستقل ثانياً.

أما المرابطيون والعاميون، فاحتفظ بهم مجتسعين داخل جماعة الحمام نسبة إلى المركز. وهي جماعة ألحقت إدارياً بدائرة أزرو التابعة لإقليم مكناس سابقاً قبل أن تلحق بدائرة وإقليم خنيفرة.

ونظراً للتطور الديموغرافي وما يصاحبه من مشاكل من جهة ولشساعة مساحة الجماعات القروية الأصلية والتباين المتزايد لمصالح السكان ولانشغالاتهم بسبب المسافات من جهة ثانية، وأخيراً رغبة وبحسنا عن إنعاش التنمية خضعت كل من جماعة الحمام وبوقشمير الأصليتين إلى تقسيم جديد شأنهما شأن معظم جماعات المملكة وذلك في 1992 مع تعديل في 1996.

فجماعة الحمام القروية الأصلية توزعت كالتالي :

- جماعة الحمام القروية المتفرعة

- بلدية مريرت

- جزء من جماعة البرج المتفرعة

وكلها موجودة بالهضبة الوسطى

- جماعة أم الربيع القوية المتفرعة. وتهم الجزء الجبلي أي الهضبة الكلسية.

- أما جماعة بوقشمير الأصلية فأعيد تقسيمها بين :

- جماعة بوقشمير المتفرعة

- وجماعة أيت بشو

ومن الأکید أن خلق هذه الحدود في وقت تراجعت فيه حركة الانتجاع سيعجل بانتها ما تبقى من مظاهر ذلك النمط من الحياة المعتمد على نصف الترحال.

إن انطباع كل من تجول بالمجال السگوگوي هو الطابع الريفي شبه المطلق لسكانته ولاقتصادها، وعزلته بالرغم من اختراقه من طرف الطريق الرئيسي رقم 24 الرابط بين فاس

الأسر سوى النزوح بحثاً عن موارد للعيش. وظاهرة الهجرة لم تُعرف قبل السبعينيات من القرن العشرين عند أيت سگوگو وعند جيرانهم. وظهورها وتناميها منذ ذلك التاريخ هو المحرك الرئيسي للتمدين بالمجال السگوگوي.

فإلى حدود الستينيات من القرن الماضي كانت الساكنة السگوگوية تعيش كلها في البادية. وفي 1971 تم إحصاء 7.759 ن بمرکزي مريرت وولماس وفي 1982، أحصي 22.092 ن بالمركزين وبمركز تغزا.

وفي 1994، 35.676 ن منهم 25.942 ن بمريرت التي ارتقت إلى صف بلدية. وهكذا يُمكن تتبع نسبة التمدين التي ارتفعت بالتوالي من 14.6٪ إلى 42.56٪.

وهذا النمو السريع لسكانة المدن الناتج عن النزوح من البادية يطرح عدة مشاكل بسبب تموقع السكان في تجمعات لا تتوفر على البنى التحتية وليس لها ركائز اقتصادية متينة تسمح بتشغيل الباحثين عن العمل. أكيد أن خلق وظائف إدارية بهذه المراكز والرقي ببعضها إلى وضع بلدية قد يساهم بعض الشيء في التنشيط، لكنه لا يحل المشاكل الكبرى. ويكفي الإشارة إلى ما تعانيه مريرت من محنة فيما يخص التزود بالماء وفيما يخص التخلص من الماء المستعمل ومن الأزبال. ووضع واد تغزا الملوث خير شاهد.

كان للعامل الإداري هو الآخر دور واضح في تحول المجال السگوگوي وذلك بالدفع نحو الاستقرار وتكسيير وحدة نمط العيش التي تحدث عنها بوضي Beudet والدفع إلى تصور جديد للمجال العيش والتنظيم.

فإذا كان أيت سگوگو تابعين لنفوذ القائد أو قبلي الذي كان في صراع مع القائد محند أحمو، فهذه الوحدة ستتكسر أيام الاستعمار الفرنسي الذي ألحق أيت عمر بجهة الرباط والمرابطيين والعاميين بجهة مكناس. وهو وضع كرسه التقسيم الإداري والجماعي بعد الاستقلال. فأيت عمر الذين قسموا بين جماعتين قرويتين أصليتين ولماس وبوقشمير ظلوا تابعين

جدول 1 : تطور ساكنة أيت سگوگو (بالنسمة)

المجموعات	السنوات		1994	1982	1971	1960	1936
	1994	1936					
أيت عمر (جماعات ولماس، بوقشمير وأيت يشو القروية)	24.3	8.6	24966	19438	17043	12693	8792
المرابطين والعاميين (جماعتا الحمام وأم الربيع القرويتان)	46.2	15.7	58845	46424	35990	28564	20072
المجموع	36.4	12.5	83811	65862	53033	41257	28864

المصدر : الإحصاءات العامة للسكان والسكن

ومراكش عبر خنيفرة وبني ملال وهو ما يعني تخلف هذا المجال.

فاقتصاد أيت سگوگو يقوم على الفلاحة الجامعة بين الزراعة وتربية الماشية في إطار تقليدي يهدف إلى الاكتفاء الذاتي.

وبالنظر إلى تزايد عدد السكان الذي يستوجب الرفع من الإنتاج ليس هناك من خيار سوى توسيع الرقعة المحروثة وتكثيف النظام الزراعي والزيادة في عدد رؤوس الماشية مع تحسين ظروف تربيتها كلما أمكن ذلك. لكن أمام ضعف إمكانيات التكثيف تبقى الزيادة في الرقعة المحروثة الحل المعتمد. وهو حل يغير من وضع الأرض القانوني، ومن تركيبها من حيث استعمالاتها الكبرى ومن تركيب استعمال التربة بالأرض الزراعية من جهة ومن ظروف تربية الماشية من جهة أخرى.

فأهنية أراضي الملك الخاص تزداد على الأقل بوتيرة متناسبة مع توسيع الأرض الزراعية وذلك على حساب الأراضي الجماعية خاصة التي لم يتم تحديدها وهو ما يقلص المراعي ويفقرها من حيث التنوع النباتي. أما أهنية الأراضي الزراعية فقد تطورت بشكل ملموس إذ تضاعفت مساحتها بما يقرب 4 مرات بالمقارنة مع وضعية 1930.

ففي 1996 وصلت مساحة هذه الأراضي إلى 50.214 هكتار موزعة بين أيت عمر بحصة 21.000 هـ، وهي موزعة بين القطاع البوري بحصة 95% وبين القطاع المسقي بحصة 5% فقط ويتم استعمالها على النحو التالي :

65% مخصصة للحبوب البكرية (القمح والشعير أساساً).

32% تترك للراحة،

03% فقط مخصصة للقطن والحضر والعلف

وللأشجار...

ويبقى استعمال التربة هذا شبيها بما كان عليه الحال في مطلع القرن العشرين أي استعمالاً واسعاً جداً وهو مالا يساير التطور الديمغرافي.

ونظراً لضعف مردود زراعة الحبوب وتذبذب كمية الإنتاج، فالقطيع يبقى ركيزة اقتصاد الأسر ورمز استقرارها واستمرارية الحياة وهو ما يدفع إلى الاعتقاد بأن عدد رؤوس الماشية في تزايد.

لكن التحول الذي يعرفه قطاع تربية الماشية يظهر العكس بحيث يلاحظ بجانب التخلي عن التنقل بالقطيع في إطار حركة نصف الترحال، وخلق أنواع الماشية في القطيع الواحد تراجع في الثروة الحيوانية وهي ملاحظات قام بها بوزي Beaudet.

وبالاعتماد على معطيات دراسته التي لم تدرج أيت عمر (أي المجال الموزع حالياً بين جماعات وأماس، بوقشمير وأيت يشو القروية) ونتائج الإحصاء الفلاحي العام لسنة

1996 يمكن تقدير نسبة تراجع عدد رؤوس الماشية (أبقار، أغنام وماعز) بين 1930 و1996 بـ 740.

فعدد رؤوس الماشية عند مجموع أيت سگوگو في 1996 لم يسجل سوى 218.347 موزعة بين 9.612 رأس للأبقار و148.918 رأس للأغنام و59.817 رأس للماعز. وهو عدد يحدد متوسط حصة كل أسرة في 15 رأس (وفي 24 رأس إذا نحن أخرجنا أسر بلدية مريرت من الاعتبار).

بالنظر إلى المساحة الزراعية واستعمالها وإلى عدد رؤوس الماشية وبنية القطيع حسب الأنواع وإلى الساكنة نخلص إلى كون الأسر السگوگوية المكونة من 6 أفراد كمتوسط تعيش كل واحدة من استغلال 5 هكتارات لا يزرع منها سنوياً سوى 3 مخصصة للحبوب التي قد تأتي غلتها أو لا تأتي ومن منتوج قطع متوسط مكون من 15 رأساً منها بقرة. إنها معطيات تدل على ضعف المدخول وتنبئ بنزوح في المستقبل وبخطر تدهور الموارد الطبيعية.

يدخل المجال السگوگوي ضمن المجالات الجبلية وغير الجبلية التي تعاني من العزلة والتي يتحتم على ساكنتها البحث عن الحلول لإرضاء حاجياتها الأساسية بعين المكان عن طريق تعبئة المواد الطبيعية المتوفرة. وبما أن هذه المجالات هشة وموادها محدودة فهي معرضة للتدهور وجزء من ساكنتها محكوم عليه بالنزوح إلى تجمعات الفقر حيث تغيب البنى التحتية والأسس الاقتصادية المتينة الكفيلة بضمان العمل وحياة أفضل لكل المتوافدين.

إنه جانب من جوانب إشكالية إعداد التراب وإشكالية التنمية المستدامة ببلادنا. وهما إشكاليتان متصاحبتان لن يتأتى حلها بدون معرفة دقيقة للسيدان أولاً وبدون رغبة أكيدة في العمل من أجل إيجاد الحلول للقضايا المطروحة على المستوى المحلي في إطار مقارنة شمولية تراعى فيها مبدأ التكامل والتضامن.

فهل معرفة هذه المجالات وقضاياها في مستواها الحالي كافية ؟ وهل كل الأطراف المعنية والمسؤولة ملمة ومؤمنة بهذه المقاربة ؟ وهل العمل ميدانياً فيما يخص إعداد وتنمية المجالات الريفية المهمشة مثل مجال أيت سگوگو متناسب مع الخطاب ؟

في انتظار جمع عناصر الجواب ومستقبل يكون أفضل يبقى المجال السگوگوي كما لخص وضعيته بوزي منذ ثلاثة عقود حلت "منطقة متأزمة".

الإحصاءات العامة للسكان والسكن، 1936، 1960، 1971، 1982.

1994 : الإحصاء الفلاحي العام، 1996.

M. Abès, *Les Izayan d'Onhès, A.B.*, vol. 1, Fase. 2, 1915 ; G. Beaudet, *Les Beni Mguild du nord, étude géographique de l'évolution récente d'une confédération semi-nomade*, R.G.M., n° 15, 1969 ; *Le plateau central marocain et ses bordures, étude géomorphologique*, Rabat, 1969 ; E. Laoust, *L'habitation chez les transhumants du Maroc central*, Hespéris, n° VI, Paris, 1935 ; R. Peyromet, *Tadla, pays zaïan, Moyen Atlas*, Alger, 1923.

محمد كربوط

**السكوتني، زايد بن حسين،** وينطق به محلياً الشيخ زايد أوسكوتني. وُلد حوالي 1307 / 1890 بقصر تاسكوتيت في منطقة إدموسا، ذات المسالك الوعرة في أعالي نهر غريس. وهي منطقة تابعة لقيادة أملاكو بدائرة الريش، إقليم الرشيدية. وكان والده "حساين أو سكوتني" ينتمي إلى فرقة "أيت طالب" وهي الفرقة التي يطلق عليها أيضاً "إعشاقن"، وتنتمي هذه الفرقة إلى "أيت عيسى إزم" من أقوى أخماس أيت مرغاد بسبب خصالهم الحربية ووفرة عدد الفرسان والمحاربين الذين يمكن استنفارهم في حالة الحرب كما حدث في معركة تيلوين التي وقعت بين أيت مرغاد وأيت عطا سنة 1884 وتفوق خلالها أيت مرغاد. ومكنت هذه المجابهة من إبراز قيادات وشخصيات حربية ضمن "أيت عيسى إزم".

كان والد زايد أوسكوتني ضمن الشخصيات الحربية وضمن أصحاب الرأي السديد في قبيلته. ونظراً لما أبرزه زايد أو سكوتني من ذكاء وشجاعة وقدرة على تحمل المشاق أرسله والده ليستكمل تربيته إلى إحدى بيوتات ميدلت أي لدى "القائد حمو عسو" : أحد أبرز أعيان منطقة زيز. ومكنته الإقامة في ميدلت من الاطلاع على ما يجري في البلاد خاصة وأن ميدلت تعد الممر الأساسي من تافيلالت نحو العاصمة فاس أو نحو مكناس. ومنذ ذلك الحين أدرك "زايد أو سكوتني" الأخطار التي تهدد البلاد وساهم ذلك في تكوين شخصيته الجهادية بالإضافة إلى مجموعة من الأحداث سبقت ولادته بقليل أو رافقتها، ومن ذلك انهيار المجتمع المغربي بعد وفاة السلطان الحسن الأول وفتح المجال لقطاع الطرق وتعرض فقراء الفلاحين للنهب فأصبح التنقل من منطقة إلى أخرى يتطلب الحيطه والحذر. وفي هذا الوقت بدأت تتأكد التهديدات الفرنسية انطلاقاً من الجزائر وبدأت في اقتحام أجزاء من التراب الوطني وإضافتها إلى مستعمرتها سالفة الذكر.

في خضم هذه الأحداث، استشعر الشيخ زايد أو سكوتني ووالده الأخطار المحدقة بالبلاد فانتقلا إلى واحة تاديغوست في سافلة نهر غريس، أحد روافد زيز، وأخذ يعد للدفاع عن الوطن، وحتى يلعب دوراً قيادياً، فقد سعى إلى توفير الشروط المادية لحركته.

وهكذا تزوج من سيدة غنية هي السيدة "عائشة واسو" التي وضعت ثروتها المتواضعة رهن إشارة زوجها لتموين الجهاد. كما لعبت زوجته الثانية "يطو حمو" من أيت عيسى أزم دوراً هاماً في تشجيعه على الجهاد.

فانطلق المجاهد زايد أو سكوتني ينظم جماهير الفلاحين عبر مسافات شاسعة من البلاد تمتد أحياناً من أعالي نهر ملوية وأعالي نهر زيز والأطلس الكبير المركزي إلى تخوم تافيلالت وواحات غريس، وفركلة وتدغة، وانضمت إليه قبائل أيت حديدو وأيت ازدك وأيت مرغاد (أيت يافلمان) وكذلك أيت عطا وأيت سخمان، بحيث وحد خلفه جماهير الفلاحين ونظمهم للنضال الوطني ودخل في حرب طويلة الأمد مع القوات الفرنسية امتدت من 1908 إلى 1933.

وخلال الفترة الممتدة ما بين 1908 و1930 شارك زايد أو سكوتني في كل المعارك التي شهدتها الناحية الوسطى للأطلس الكبير الأوسط والواحات وما بين 1930 و1933 قاد بنفسه المقاومة والجهاد. ومع مرور السنوات أخذت صورته تتألق بفضل الانتصارات المتتالية التي حققها في كل المعارك البطولية على خط يمتد من واحات تافيلالت وغريس وفركلة وتدغة إلى أعالي جبال الأطلس الكبير والأوسط، فقد شارك في معارك بوديب (1326 / 1908)، حيث لبى نداء مولاي أحمد بن الحسن السبعي، الذي نادى بالجهاد لصد الغزو الفرنسي على بوديب وغيره من المراكز التي تعرضت للاحتلال الفرنسي ما بين 1907 و1908، وقد استنفر أو سكوتني ووالده جماعة من المقاومين من أيت مرغاد (أيت يافلمان) فشارك في الانتصار الذي حققه المقاومون على الجيوش الفرنسية في معارك بوديب والمنكوب 1908، إلا أن هذه الانتصارات لم تمنع الجيوش الفرنسية من الزحف على تافيلالت، فأدرك أوسكوتني عدم جدوى المجابهة المكشوفة مع عدو يتفوق في الأسلحة والتنظيم، وزادت معارك تافيلالت من تعميق هذه الفكرة.

وفي معارك تافيلالت 1336 / 1918 استجاب أو سكوتني وجماعة من أيت مرغاد للنداء الذي وجهه مبارك بن الحسين التوزنيني وخليفته بلقاسم النكادي، فالتحق بالمقاومة، وشارك كذلك في الانتصارات التي حققها المقاومون في معارك البطحاء وتيغمارات، إلا أن النزاع حول الزعامة انتهت بمقتل التوزنيني من طرف النكادي مما أدى إلى إضعاف المقاومة، فاستخلص أوسكوتني الدروس من كل هذه المقاومات، فأخذ ينظم أتباعه من أيت مرغاد لتنظيم المقاومة بشكل براعي تفوق الجيوش الفرنسية من حيث العناد الحربي واعتمد في مقاومته على استغلال التضاريس الوعرة للمنطقة ومباغتة طوابير الاحتلال في المسالك الجبلية الوعرة.

أما المعارك التي قادها زايد أوسكوتني ففي بداية 1348 . 1930 التجأت جماعة من المقاومين المتسعين إلى قبائل أيت حمو تالسينت إلى منخفض تاردة، ولما علمت الجيوش الفرنسية بقصر السوق (الرشيدية) بوجود هؤلاء المقاومين، باغتتهم بالهجوم، وقد كان أوسكوتني يقيم بقرية تاديغوست على مقربة من مكان إقامة أيت حمو، ولما بلغه خبر الهجوم الاستعماري استنفر بسرعة أتباعه الذين حاصروا الجيوش المفيرة من كل جانب، ومنعوا عليهم فرص الانسحاب والتقهقر وبذلك حققوا انتصاراً باهراً سجلته صحف الاستعمار وتقارير ضباط الشؤون الأهلية ومنذ ذلك الحين أصبح أوسكوتني مطاردة من جيوش الاحتلال، فالتجأ إلى قم الجبال لتنظيم مقاومته.

وقد وصف العقيد جون صولاي Cl J. Saulay في كتابه تاريخ الكوم المغاربة حصيلة معارك تاردة بقوله "لقد كانت الحصيلة جد مأساوية، وهكذا فقد اللقيف الأجنبي من بين

صفوفه 3 ضباط من رتب عالية، و60 جندياً، وكلهم قتلوا في الميدان، أما الكوم فقد فقدوا 30 جندياً، في حين قتل من المحندين بين القبائل 60 مجنذاً. وظلت أشلاء هؤلاء جميعاً وجثثهم في ساحة المعركة إلى أن تم دفنهم بتارده لاحقاً.

ومعارك بادو سنة 1933 : قبيل مواجهة الجيوش الاستعمارية في جبل بادو الواقع في الأطلس الكبير المركزي الشرقي، خاض أوسكوتني مجموعة من المعارك بغية استدراج القوات الفرنسية إلى قمم جبل بادو ذات المسالك الوعرة ومن بين هذه المعارك : معارك "تالان يغشى" بأعالي نهر غريس - معارك اغبالو نكردوس.

وكانت خطط أوسكوتني تقوم على مهاجمته للقوات الاستعمارية في أماكن مختلفة ومتباعدة نسبياً وذلك لزرع الرعب في صفوف القوات الاستعمارية المغيرة، وتشثيت قواتها، كما استعان بالفقهاء والعلماء وذلك بإصدار الفتاوى وتحريض الناس على الجهاد، وبذلك دحض ادعاءات الكتابات الاستعمارية التي جعلت من مقاومته عملاً من أعمال السببية والانشقاق، ومن أشهر العلماء الذين اقتنوا بضرورة الجهاد "سيدي محمد بن الحاج أوتالت فراوت" والذي ساهم في التفاف الجماهير حول مقاومة أوسكوتني.

وقد حقق هؤلاء انتصارات في مجموعة من المعارك منها معركة "تالان يغشى" التي وقعت يومي 5 و6 غشت 1933، وكتب عنها العقيد فوانو Voinot. يقول : "بعد تكوين وتنظيم القوات المكلفة باحتلال "تالان يغشى" تقدمت هذه القوات نحو هدفها يوم 6 غشت إلا أنها فوجئت بهجمات مباغتة للمنتسقين القادمين من "بادو" وأرغمت هذه الغارات قواتنا على التراجع نحو ضفاف أحد روافد وادي "تالان ن يغشى" وكانت خسائرنا في هذه المعركة قد بلغت 44 قتيلاً و51 جريحاً ومقتل 4 ضباط من رتب متفاوتة بين عقيد ومقدم ونقيب ..."، وقد كان "زايد أوسكوتني" هو الذي خطط لهذا الانتصار الساحق ضد القوات الاستعمارية. وأثارت هذه المعارك معارضة داخلية في فرنسا.

أخذت الجيوش الاستعمارية تضيق الخناق على أوسكوتني وتفرغت للقضاء على مقاومته، بعد إخمد مقاومة جبل صاغرو بزعامه عسو ويسلام خلال مارس 1933، ودفعت هذه الظروف أوسكوتني للاعتصام بقرون الجبل وقسمها الوعرة مثل قمم اسكروسو ويادو. وهي جبال شاهقة تطل على واحات غريس. وقد جندت الجيوش الفرنسية قوات ضخمة يقودها ضباط لامعة أسماؤهم في الغزو العسكري للمغرب بينما لا يتوفر أوسكوتني وأتباعه إلا على حوالي 300 بندقية مزروعة في أغلبها من الجيوش الاستعمارية، وقد عوض المقاومون هذا التفوق الاستعماري بمعرفتهم لتضاريس المنطقة ومباغتة الجيوش الاستعمارية وهي تقنية عسكرية يتفانى أوسكوتني باستمرار في استغلالها لتحقيق

الانتصارات. وإلى جانب ذلك حاول الرفع من معنوية أتباعه باستصدار فتوى من الفقيه المسمى "سيدي محمد بن الحاج أوتالت تافراوت" إذ سأله أوسكوتني بحضور المقاومين عن المستقبل الذي يندر بسيطرة الاستعمار على المغرب فأجابه الفقيه بما معناه :

"الجهاد الجهاد ... إن الله لا يرضى لعباده الكفر ولكن إذا قدر الله وسقطتم تحت نيران المستعمرين فهناك بيت لا يدخله الكفر وهو القلب" وأردف قائلاً "بأن الاستسلام كفر" وقد استشهد هذا الفقيه بجبل بادو والسلاح في يده.

حاصرت الجيوش الاستعمارية جبل بادو ودارت معارك طاحنة خلال النصف الأول من شهر غشت 1933 على ارتفاع 3000م واستعمل الطيران الحربي لقبلة عيون الماء والماشية. كما حل الجنرال جيرو بتتغير وذلك على مقربة من جبل بادو للإشراف على العمليات العسكرية، وتطبيق الحصار على المقاومين وذلك قصد إرغامهم على الاستسلام بفعل الجوع والعطش والأوبئة. وانطلاقاً من 23 غشت 1933 سيطرت جيوش الاستعمار على عيون الماء المتبقية في أيدي المقاومين وأمام هذه الوضعية المتأزمة اضطر أوسكوتني إلى فتح المفاوضات مع قادة الاستعمار. وفي 29 غشت 1933 استقبل الجنرال هوري أوسكوتني بكل ما يستحق من تقدير كبطل من أبطال المقاومة في الأطلس الكبير والمتوسط الوسط. كما حضر فريق سينمائي لتصوير مراسم الاستسلام، وظل أوسكوتني وغيره من أبطال المقاومة يجسدون الروح الوطنية لدرجة أن الأوساط الاستعمارية كانت تهابه وتقدر شجاعته، وتهافت كتاب نظام الحماية ومؤرخوه على بيته المتواضع لدراسة سيرته الذاتية وفي نفس الوقت ظلت هذه الأوساط تكن له العدا - بسبب الهزائم التي ألحقها بجيوشها مما جعلها تستعين بعملياتها لاغتتيال أوسكوتني وذلك بدفعه من أعلى قمة جبل غدرا سنة 1944 أثناء رحلة للصيد. وبذلك انطفاً نجم أحد أكبر زعماء المقاومة العفوية المسلحة.

م. المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، بيروت، 1985 : م. المعزوي وهاشم العلوي، الكفاح المغربي المسلح في حلفاء من 1900 إلى 1935، الرباط، 1986 : ع. القادر بوراس، ملامح عن مقاومة زايد أوسكوتني، مقاومة أهالي تافيلالت والأسطوغرافيا الاستعمارية، مجلة دار الثبابة، العدد 28، 1991، ص. 38، 44.

G. Spillman, *Les Ait Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra*, Rabat, 1936 ; Cl. A. Guillaume, *Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas central*, Paris, 1946 ; Cl. L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939 ; J. Saulay, *Histoire des Gonnis marocains*, t. I, Paris, 1981 ; Cl. B. Lancon, *Les dernières étapes de la pacification dans le grand Atlas marocain, 1931 - 1933*, Revue Militaire Française, Aout-Septembre 1934.

عبد القادر بوراس

السكُونْدُو ويكتب أيضاً الشقْنُدي، أسرة تطوانية

أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Segunti نسبة إلى مدينة السكوندو Secunda

الإسبانية الواقعة قرب قرطبة ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة  
بتطوان سنة 1170 / 1757.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483  
إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع في الرقم 1389.  
محمد ابن عزوز حكيم

**سكيات،** زاوية رگراكية بقبيلة الشياظمة على الضفة  
الجنوبية لوادي تسييفت : اشتهرت في القرن الثالث عشر  
(19 م) بالفقيه الصوفي عبد الله بن علي السكياتي، وابنه  
الفقيه محمد اللذين أضاف عليهما السلطان عبد الرحمن بن  
هشام وابنه محمد سراييل التوقير والاحترام.

**السكياتي، عبد الله بن علي بن مسعود الرجراجي،**  
عالم زاوية سكيات الرجراجية بقبيلة الشياظمة في الضفة  
الجنوبية لوادي تانسييفت، أستاذ إمام مقرئ متفان، قال عنه  
الكانوني : "كان رحالة إماما، رحل لمراكش وفاس، ومصر،  
والحرمين الشريفين، ومكث بمصر سنة، واستغرقت مدى رحلته  
عشر سنين، ورجع بعلم غزير بثه في صدور الرجال..". (أسفي  
وما إليه، ص. 26).

كان السكياتي قد تعاهد مع محبه الشيخ محمد  
التهامي الأوبيري بأن من تقدم منهما موتا يكتب عنه الآخر،  
فمات السكياتي أولا، فكتب عنه الأوبيري كتابا بعنوان :  
إتحاف الخل المواطي ببعض مناقب الإمام السكياتي، قال عنه  
فيه : "كان رحمه الله شيخا حسن العمة (كذا) (ولعلها  
النفمة)، كثير الهمة، مليح الوجه، طاهر اللون، رجلا بين  
الرجلين، أبيض مشوبا بصفرة، مثل لون أهل الجنة، منور  
الشيبة تجللته السكينة والوقار، مشتهرا بالخير، كأنه نار  
على علم أو منار، صدوق للهجة، رافقته أكثر من عشر  
سنين، فما رأيت أصدق لهجة منه، أحرز ملابس الثناء. كثير  
الحياء... ومع حياته الكثير، فهو - رحمه الله - في الحق سيف  
صارم، لا يخاف في الله لومة لائم...".

ومن ورعه أنه امتحن أيام السلطان مولانا سليمان بطلبه  
للقضاء، فذهب إليه راغبا منه أن يعفيه من ذلك، فلم يرفع  
له رأسا، وقال له : مثلك يجبر بالسجن والضرب على تولية  
القضاء، وذلك لما سمعه عنه من صرامته في الحق، وكتب له  
إني وليتك القضاء، ولا يتعرض لك أحد، فسكت، ولما رجع  
عنده فر بنفسه حتى أنجده الله بصدقه في عدم إرادته تلك  
الخطة... فصرف له السلطان بأني أعفيتك من ذلك، فرجع  
إلى موضعه".

أخذ عبد الله السكياتي عن محمد بن أحمد بن العربي  
الرجراجي أصلا المراكشي مولداً ووطناً، كان خيراً ديناً رقيق  
القلب، كثير البكاء، وكان خطيباً بمسجد هيلانة، مات  
بمراكش ودفن بصحن مسجده، ومدرسته المعروفة له هناك  
بباب داره في حومة باب هيلانة أحد أبواب مراكش.  
كما أخذ عن أحمد بن طاهر الأندلسي أصلا المراكشي

مولداً ووطناً وهو عمدة قراءته بمراكش في الفقه والنحو  
والأدب، وكان جامعاً مانعاً موصوفاً بالديانة، والورع  
والصيانة كثير الصيام ؛ وعن علي البوعناني جزءاً من  
الشاطبية في القراءات السبع، وعن أحمد الشاوي لقباً  
التادلي نسباً المراكشي ووطناً، قرأ عليه بعضاً من الألفية لابن  
مالك في النحو، وصدرنا من رسالة ابن أبي زيد القيرواني  
كما أخذ عن السيد محمد بن علي الدكالي الهلالي العيني  
المشارك النحوي أخذ عنه الألفية وتصوير الهمز والضبط  
والدرر اللوامع، وبعضاً من الشاطبية.

ومن مشايخ السكياتي الشيخ السيد علي بن أحمد  
الوزاني، ومحمد بن عبد السلام الناصري قرأ عليه المرشد  
المعين ليلاً في سفره معه لحج بيت الله الحرام عام أحد عشر  
بعد الستين وألف، كما أخذ عن مشيخة فاس : محمد  
التاودي ابن سوادة، ومحمد بن عبد السلام الفاسي، والطيب  
ابن كيران، وعبد القادر ابن شقرون وأضرابهم. وفي مصر أخذ  
عن الشيخ الأمير المالكي وعلي البلي الضري، وعبد العليم  
السنهوري وغيرهم.

كان الشيخ عبد الله السكياتي مسموع الكلمة في بلده،  
وفي الطائفة الرجراجية فهو عالمها الورع المتمكن، الذائع  
الصيت والشهرة، فحظي بالاحترام والتوقير من السلطان  
المولى عبد الرحمان بن هشام، وقد وقفت عند أحفاد  
السكياتي على ظهيرين رحمانيين موجهين إلى الشيخ عبد  
الله السكياتي وولده محمد بالتعظيم والتوقير.

هذه المكانة العلمية للشيخ السكياتي جعلته مرموقاً عند  
أولي الأمر بالإضافة إلى شأن أسلافه المرابطين الرجراجيين،  
فاجتمع له فضل العلم وفضل النسب، فنال بذلك ما هو أهل  
له من التجلة والتوقير والتعظيم والذكر الحسن كما شمل  
ذلك التوقير أسرته وأقاربه.

توفي بمراكش عام 1244 / 1829.

م. التهامي الأوبيري، إتحاف الخل المواطي ببعض مناقب الإمام  
السكياتي، مخطوط : ع. السلام ابن سوادة، إتحاف المطالع /  
موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 7 : 2539.  
إبراهيم الوافي

**سكيجر** أو السكيجر - بالتعريف - من الأسر المغربية  
التي اشتهرت بالعلم والأدب تنتسب إلى الأتصار الخزرج،  
وتنحدر من بعض الحصون الأندلسية المسماة بهذا الاسم  
(سكيجر) هاجر بعضهم إلى المغرب وأستوطنوه، منهم من  
أقام بتطوان، ومنهم من انتقل إلى فاس، وما زالت فروع  
الأصلين إلى الآن بالمدينتين أقدم من عرف منهم بتطوان :  
الحاج عبيد الرحمن السكيجر، ناظر أحباس ضريح سيدي  
السعيد عام 1026 قال الفقيه الرهوني وهذا التاريخ قريب  
من تاريخ الهجرة الأخيرة من الأندلس عام 1017 فيكون هذا  
الفرع قد هاجر إلى تطوان قبل هذا التاريخ، إذ لا يستحق



في الغالب النظارة في البلد إلا من استوطنها مدة مديدة لا من كان طارثاً عليها من نحو تسع سنوات. أخرجت هذه العائلة كثيراً من العدول والعلماء والفقهاء والتجار الأثرياء منهم بنطوان الفقيه المؤرخ السيد عبد السلام وابنه الشري عبد الخالق والمهندس الزبير، والطبيب الدكتور محمد بن أحمد وغيرهم. وما زالوا موفورين بها. أ. الرهوني، عمدة الرايين، مخطوط : م. داود، عائلات تطوان، مخطوط.

محمد بوخيرة

**سكيج، أحمد بن حمو بن عبد الوهاب الفاسي،** من الوراقين المشهورين في أيام المولى سليمان العلوي كان يعني بنسخ كتب السيرة حربصا على إذاعتها، محبا لها لأنها تربطه بالروح الدينية التي شب عليها، فوالده حمو هو الشاعر المشهور بمدح النبي صلى الله عليه وسلم وذكر شمائله ولقد سار على نهجه في المحبة ورغب في إذاعة الكتب الدينية التي لها ارتباط بذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أو بذكر الصحابة رضي الله عنهم يوجد في الخزنة الحسينية السفر الثاني من الاكتفا للكلاعي منسوخا بخطه عام 1237 مسجلا تحت الرقم 7743.

م. المنوني، تاريخ الوراثة المغربية، ص. 212.

محمد عبد العزيز الدباغ

**سكيج، أحمد بن العياشي الخزرجي الأنصاري** الأندلسي الفاسي. الفقيه الأديب الشاعر المؤلف القاضي.



وُلد في حدود عام 1295 / 1878 وتلقى العلم بفاس عن علمائها الأكياس، كالشيوخ أحمد ابن الخياط، ومحمد القادري، وعبد الله البدراري، ومحمد گنون، وعبد السلام الهواري، وأحمد بن الجليلي الأمغاري، ومحمد بن عبد القادر ابن سودة، وقد أجازة هذا اجازة عامة وغيرهم. تولى أولاً الكتابة مع الوزير الكياص بطنجة، ثم القضاء بمدينة وجدة، ثم عضواً بمحكمة الجنايات بالرباط. كما تولى القضاء أيضاً بطنجة الجديدة ثم بمدينة سطات. كما كان عضواً بجمعية أحباس الحرمين الشريفين.

رزق حظاً وافراً في الشعر والنثر، وأعطى جلدأ على الكتابة والتأليف حتى أريت مؤلفاته على المائتين والخمسين فيما قال شقيقه الفقيه محمد. منها : الفذلكة الجامعة في صرف الجامعة، طبعت. وشرح أرجوزة محمد بن الطيب سكيج التي عارض بها (الشمقمقية) لابن الونان وكشف الحجاب عن تلاقى مع التجاني من الأصحاب طبع على الحجر بفاس، وذيله وشرح مختصر بنيس في الطريقة التجانية سماه الكوكب الوهاج بشرح درة التاج طبع بتونس في مجلد. وله نظم كثير جداً منه معشرات على حروف المعجم في المديح النبوي طبعت على الحجر بفاس، ويلاحظ أن معظم مؤلفاته في الدفاع عن الطريقة التجانية وصاحبها مع مبالغة وغلو. وله مدائح مع صديقه المحيم الشيخ عبد الحفي الكتاني.

وله إخوة على رأسهم شقيقه الفقيه الأديب محمد، وأبناء على رأسهم الأديب الشاعر عبد الكريم والطبيب الدكتور محمد. وفي سنة 1352 في شهر جمادى الأولى زار المترجم له مصر في طريقه إلى الحج فاحتفل لمقدمه التجانيون ومدحوه شعراً ونشراً جمع في جزء طبع بمطبعة الصاوي بعنوان ذكرى زيارة سيدي أحمد سكيج. وفي عودته أقيم له احتفال أكبر جمعت مواده في جزء ثان طبع بمطبعة الصدق بالقاهرة بعنوان ذكرى سفر سيدي أحمد سكيج إلى الأقطار الحجازية، وعودته إلى مصر في طريقه إلى بلاد المغرب وفيه تسمية من وافق المترجم له في رحلته. ومن لقيه بالحرمين من العلماء وغيرهم. وأخبار تتعلق بذلك. وكان للدكتور تقي الدين الهلالي المغربي معرفة وثيقة بالمترجم له ومساجلات أدبية. وقد كلفه بتدريس الأدب لابنه عبد الكريم.

وتيف مؤلفاته المعروفة على مائة كتاب، كثير منها مطبوع :

1. الأجابة المرضية عن الألغاز النحوية، وهي نونية أجاب بها عن الغاز أبي سعيد فرج بن لب الثعلبي في النحو وهي نحو الستين لغزاً.

2. الأدلة المقنعة في شرح المنفرجة.

3. إرشاد المتعلم والناسي في صفة أشكال القلم الفاسي، فرغ من تأليفه في غرة عام 1316 هجرية. طبع مع الروضة البانعة والتمرة النافعة في صرف الجامعة بالمطبعة الحجرية بفاس بخط مؤلفه، ترجم إلى اللغة الفرنسية.

4 - أسنى المطالب فيما يعتني به الطالب. كناش جمع فيه بعض الفوائد.

5 - استخراج تراجم النحو من البسملة.

6 - الإنباء بنصح الأبناء.

7 - إيقاظ القرائح لتقييد السوانح. يوميات نحو الأربعة شهور ابتداءً من فاتح محرم 1328 في صفحات 92.

8 - الإيمان الصحيح في الرد على مؤلفات الجواب الصريح. طبع بتونس سنة 1357 صفحاته 132.

9 - البدر المنير في الطب التجاني المرفوع لمولانا الكبير.

10 - بستان المعارف فيما أورده الوارد من اللطائف عند بعض المواقف. تدبر في بعض الآيات من القرآن الكريم في صفحات 63.

11 - نتاج الرؤوس بالتفسيح في نواحي سوس. رحلة منظومة في صفحات 69 طبع بالمطبعة الجديدة بفاس.

12 - تجريد أسئلة الحكيم الترمذي. وهي 155 سؤالاً من الفتوحات المكية لابن عربي.

13 - تجريد أسئلة الشيخ محمد الكتاني. وهي 155 سؤالاً جعلها الشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني ديناً في عنق التجانيين في تأليفه خبيثة الكون وهي التي شرع في الجواب عنها بكتابه المعنون بقرة العين في الجواب على أسئلة مؤلف خبيثة الكون في نحو 100 صفحة.

14 - تحفة الأنام بتراجم من خمّس أبياتاً حفظتها في المنام.

15 - تخميس البردة المسمى بالوردة. مطبوع على الحجر بفاس عام 1333 وصفحاته 28.

16 - الترصيف لما لمؤلفه من التصنيف. تعريف بتأليفه ذكر فيه نحو العشرين تأليفاً.

17 - تطبيب النفوس بما كتبتته من بعض الدروس والطروس (في نحو 300 صفحة)

18 - تفریح الشدة بتشطير البردة.

19 - تنبيه الإخوان على أن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له أذن صحيح طول الزمان ولا يصح تلقينها عمن يلقن غيرها من الطرق كيف ما كان، طبع بتونس في سنة 1339 / 1921 في صفحات 232.

20 - تنوير الأنفهام بختم تحفة الحكام. طبع على الحجر بفاس في قالب صغير صفحاته 48.

21 - تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني.

22 - ثرة الفنون في فوائد تقرّبها العيون.

23 - جنة الجناني بتراجم بعض أصحاب الشيخ التجاني. ترجم فيه لثلاثة عشر من أصحاب الشيخ التجاني في منظومة تصل إلى 360 بيتاً.

24 - الجواهر المنتشرة في الجواب عن الأسئلة الاحدى عشرة.

25 - الجوهر المنظوم من كلام القطب المكتوم. من كلام الشيخ التجاني رضي الله عنه.

26 - الحجارة المفتحة لكسر مرآة المساوي الوقتية، في الرد على ابن الوقت. طبع الجزء الأول بفاس في صفحات 104 والثاني في صفحات 134.

27 - حديقة أنسي في التعريف بنفسه.

28 - حسن الوسائل في الأجوبة عن بعض النوازل. وهو كناش كبير جمع فيه البعض من فتاويه.

29 - حضرة التداني من شرح أبيات الحتم التجاني. طبع على الحجر بفاس صفحاته 14.

30 - الحق المبين في انتصار التجانيين على علماء القرويين. دفاع عن الفقيه التظيفي الذي أفتى علماء القرويين بحرق كتبه.

31 - الحوض المورود في مدح سيد الوجود. ديوان فيه قصائد في مدح الرسول الاكرم عليه السلام.

32 - حياة القلب الفاني بمدح القطب التجاني.

33 - خزنة أدبية وقرائد علمية.

34 - الدراري المنوطة بالشعر المذكور في البخاري.

35 - الدر الثمين من فوائد الأديب بلا مينو الأمين.

36 - الذخيرة للأخرة. ديوان قصائد تقرب من السبعين في مدح الرسول عليه السلام.

37 - ذكرى زيارة أحمد سكيرج للقطر المصري سنة 1352 في طريقه إلى المدينة المنورة. طبعت بالقاهرة في 20 صحيفة.

38 - الذهب الخالص في محاذاة كبرى الخصائص. نظم جلال الدين عبد الرحمن السيوطي.

39 - الراية المنشورة في الجواب عن الأسئلة المنوطة بالصدق والشورة.

40 - الرحلة الحبيبية الوهرانية الجامعة للطائف العرفانية. طبعت بخط المؤلف بالمطبعة الحجرية بفاس سنة 1329 في صفحات 142.

41 - الرحلة الزيدانية.

42 - الرحلة لتدشين مسجد باريس سنة 1925.

43 - رسالة الامتنان والرحمة إلى سائر الأمة. في التصوف صفحاته 29.

44 - رفع النقاب بعد كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب. في أربعة أجزاء.

45 - الروضة البانعة والشجرة النافعة في شرح الفذلكة الجامعة في صرف الجامعة. طبع في المطبعة الحجرية بفاس.

46 - رياض السلوان بمن اجتمعت به من الأعيان.

47 - الزرابي المبتوتة. كناش كبير تقرب صفحاته من 300.

48 - زهر الأفانين في الأجوبة عن الأسئلة الثلاثين.

49 - زوال الحيرة بقاطع البرهان بالجواب عما نشرته جريدة الزهراء تحت عنوان أين حماة القرآن ؟ طبع بفاس سنة 1358 صفحاته 86.

50 - سبيل الرشاد في المحاوراة بين ذوي الانتقاد والاعتقاد. طبع بفاس عام 1358 صفحاته 64.

4 - أسنى المطالب فيما يعتني به الطالب. كناش جمع فيه بعض الفوائد.

5 - استخراج تراجم النحو من البسملة.

6 - الإنباء بنصح الأبناء.

7 - إيقاظ القرائح لتقييد السوانح. يوميات نحو الأربعة شهور ابتداءً من فاتح محرم 1328 في صفحات 92.

8 - الإيمان الصحيح في الرد على مؤلفات الجواب الصريح. طبع بتونس سنة 1357 صفحاته 132.

9 - البدر المنير في الطب التجاني المرفوع لمولانا الكبير.

10 - بستان المعارف فيما أورده الوارد من اللطائف عند بعض المواقف. تدبر في بعض الآيات من القرآن الكريم في صفحات 63.

11 - نتاج الرؤوس بالتفسيح في نواحي سوس. رحلة منظومة في صفحات 69 طبع بالمطبعة الجديدة بفاس.

12 - تجريد أسئلة الحكيم الترمذي. وهي 155 سؤالاً من الفتوحات المكية لابن عربي.

13 - تجريد أسئلة الشيخ محمد الكتاني. وهي 155 سؤالاً جعلها الشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني ديناً في عنق التجانيين في تأليفه خبيثة الكون وهي التي شرع في الجواب عنها بكتابه المعنون بقرة العين في الجواب على أسئلة مؤلف خبيثة الكون في نحو 100 صفحة.

14 - تحفة الأنام بتراجم من خمّس أبياتاً حفظتها في المنام.

15 - تخميس البردة المسمى بالوردة. مطبوع على الحجر بفاس عام 1333 وصفحاته 28.

16 - الترصيف لما لمؤلفه من التصنيف. تعريف بتأليفه ذكر فيه نحو العشرين تأليفاً.

17 - تطبيب النفوس بما كتبتته من بعض الدروس والطروس (في نحو 300 صفحة)

18 - تفریح الشدة بتشطير البردة.

19 - تنبيه الإخوان على أن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له أذن صحيح طول الزمان ولا يصح تلقينها عمن يلقن غيرها من الطرق كيف ما كان، طبع بتونس في سنة 1339 / 1921 في صفحات 232.

20 - تنوير الأنفهام بختم تحفة الحكام. طبع على الحجر بفاس في قالب صغير صفحاته 48.

21 - تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني.

22 - ثرة الفنون في فوائد تقرّبها العيون.

23 - جنة الجناني بتراجم بعض أصحاب الشيخ التجاني. ترجم فيه لثلاثة عشر من أصحاب الشيخ التجاني في منظومة تصل إلى 360 بيتاً.

24 - الجواهر المنتشرة في الجواب عن الأسئلة الاحدى عشرة.

25 - الجوهر المنظوم من كلام القطب المكتوم. من كلام الشيخ التجاني رضي الله عنه.

75 - قدم الرسوخ لما مؤلفه من الشيخ. ترجم فيه لما يقرب من ستين شياً.

76 - قرة العين في الجواب على أسئلة مؤلف خبيثة الكون. هي للشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكناني.

77 - القصيدة الكافية بتضمنين الهمزية في كاملية كافية.

78 - القطوف الدانية بشرح الجامعة العرفانية. وهو شرح رجز للمولى عبد الحفيظ سلطان المغرب سابقاً في فضائل أهل الطريقة التجانية نظمها رحمه الله بغرناطة سنة 1340 وطبعت بتونس سنة 1349 - 1930 في صفحات 44. وقد شرح منها تسعة وعشرين بيتاً فقط في نحو 84 صفحة بخطه.

79 - القول المفهوم في ختم ابن آجروم. في صفحات 10 بخطه.

80 - المجموعة السكيرجية.

81 - مطالع الأسرار لمدارك الأحرار في شرح صلاة الفاتح لما اغلق بالحروف المهملة طبع على الحجر بفاس صفحاته 16.

82 - معارضة مقصورة ابن دريد.

83 - المنتخبات. مثل تطيب النفوس في نحو خمسين ومائتي ورقة من القالب الصغير.

84 - المنفرجة. قصيدة من بحر المتدارك على منوال منفرجة ابن النحوي.

85 - منهل الورود الصافي والهدى من فتح الكافي في شرح الشافي في علمي العروض والقوافي.

86 - مورد الصفا في محاذاة الشفا. هو نظم شفا القاضي عياض رضي الله عنه في أبيات 7747.

87 - مورد الوصول لإدراك السؤل. شرح لجوهرة الكمال بالحروف المهملة طبع على الحجر بفاس سنة 1332 صفحاته 12.

88 - النتائج اليومية في السوانح الفكرية. مذكرات نحو الشهرين ابتداء من يوم الثلاثاء 15 ربيع الأول عام 1330 في 67 صفحة.

89 - نسيمات الأسحار في نظم الأشعار. كناش كبير بل ديوان حفيل من دواوينه الأولى وقد كتب على دفته اليمنى الحمد لله أوراق هذا الديوان إحدى وستون ورقة هكذا 61 ...

90 - نصيحة الاخوان في سائر الأوطان. وهي قصيدة نونية طويلة مطلعها :  
علي أرى فرضا نصيحة اخواني ومن لي بأن يصغوا بقلب وأذان  
طبعت على الحجر بفاس صفحاتها 22 وطبعت أيضاً بالقاهرة على نفقة الشيخ محمد الحافظ.

91 - نصيحة الصبيان في سائر الأوطان. هي تشطير لقصيدة محمد الحجوي الشعالي التي سماها حفظ الرمق بالترية والتهديب.

92 - نظم العهود، في أبيات 291.

93 - نظم النقابة.

94 - النفعات الربانية في الأمداح التجانية.

51 - السحر البائلي الموجه للمعارف التادلي. طبع بالأسكندرية سنة 1347 في صفحات 32.

52 - السحر الحلال في مدح سيد الرجال. طبع بالمطبعة الحجرية بفاس صفحاته 16.

53 - السر الباهر بما انفرد به الجامع عن الجواهر.

54 - السر الرباني في رد ترهات ابن ما يانا العاني، التي تبيح بها في تأليفه مشتبهى المخارف الحاني. طبع بالدار البيضاء في صفحات 58.

55 - شراب أهل الاختصاص من بحر السطة بين الخواص.

56 - شراب المدام بتخميس أبيات رأيتها في المنام.

57 - شفاء الأحران في حديث "الراحمون يرحمهم الرحمن". هذا التأليف تكلم فيه على عدد من العلوم وجمع كثيراً من المواد لتخرجه.

58 - شفاء العليل بتحويل البردة من بحر البسيط إلى بحر الطويل.

59 - الشطحات السكيرجية. طبعت بالقاهرة سنة 1352 في 64 صفحة.

60 - الصراط المستقيم في الرد على مؤلف النهج القويم. طبع الجزء الأول بتونس سنة 1358 في صفحات 95.

61 - ضوء الظلام في مدح خير الأنام.

62 - طرق المنفعة بالأجوبة عن الأسئلة الأربعة. طبع بالقاهرة سنة 1345 - 1927 صفحاته 76.

63 - الظل الوريف في محاربة الريف. أخبصار الحرب الريفية املاها عليه السيد محمد ازرقان عند نفيه إلى الجديدة سنة 1343 / 1924 في نحو ثمانين صفحة لم يطبع.

64 - العبرة بطول العبرة. طبع بالقاهرة قالب صغير صفحاته 32.

65 - العدة من إنشاء همزية من البردة.

66 - عقد المرجان الموجه إلى الشيخ محمد بن سليمان. طبع بتونس صفحاته 16.

67 - غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود. وهي رحلته التي كان رافق فيها سيدي محمود التجاني إلى الرباط وذلك سنة 1329 في صفحات 202.

68 - الاعتباط في الجواب عن الأسئلة الواردة من الغواط.

69 - الغنية الباردة بترجمة سيدنا الوالد مع سيدتنا الوالدة.

70 - غنية المحتاج في شرح واضح المنهاج.

71 - فتح الباري بشرح الحكم بالذاكرة مع عمى الحاج الزكاري.

72 - الفتح المبين في ختم المرشد المعين.

73 - فهارس الشيوخ لصاحب قدم الرسوخ.

74 - الفيوضات العرفانية في الرد على الافريقي مؤلف الأنوار الرحمانية.

95 - نفع العموم بالمسامرة ببعض العلوم. طبعت بتونس سنة 1336.

96 - نهج الهداية. في معنى الختمية التي تظاهر بها الشيخ التجاني صفحاته 120.

97 - نور السراج في شرح إضاءة التاج على منظومة سيدي الغالي السنتيسي لدرة التاج طبع على الحجر بفاس صفحاته 62.

98 - نيل الأرب في أدب العرب. مسامرة ألقاها بالمدرسة العليا بالرباط طبعت سنة 1341 / 1922 في صفحات 28.

99 - نيل الأماني في الطب الروحاني والجسماني المروي عن الشيخ التيجاني. في جزئين.

100 - هدية الزائر لنادي الترقى بالجزائر. مسامرة ألقاها بنادي الترقى بالجزائر عام 1346 موافق 17 نونبر 1927 صفحاتها 28.

101 - الوصية الشافية. وهي منظومة طويلة في الحكم والعلوم.

102 - وقاية العطب ببعض الخطب.

103 - الطريقة التجانية. وهي من إملاء المؤلف على السيد محمد امغار التطواني طبع على الحجر بفاس عام 1333 صفحاته 127.

104 - بواقيت المعاني في مذهب الشيخ التجاني.

105 - النفحة العنبرية في الأجوبة السكيرجية طبع القاهرة 1332 في 160 صفحة.

وقبل وفاته ذهب المترجم له إلى الجزائر العاصمة في شأن يتعلق بجمعية أحباس الحرمين. وبعد رجوعه أصيب بمرض ذهب من أجله إلى مراکش للعلاج، فوافته المنية بعد خمسة أيام من وصوله بأحد مستشفياتها في منتصف ليلة 23 شعبان عام 1363 / 13 غشت 1944 ودفن بضريح القاضي عياض.

أ. سكيرج نفسه، رفع النقاب بعد كشف الحجاب الربع الرابع أثناء الترجمة للسُلطان مولاي سليمان رحمه الله، الرسالة السليمانية : م. ابن العباس القباج، الأدب العربي في المغرب الأقصى : إبراهيم السلمي، الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية : أ. سكيرج : ع. الغني سكيرج، ديوان حب الحصيد، مخطوط : م. المهدي المجوي، حياة الوزان الفاسي، المطبعة الاقتصادية عام 1935 : ع. ابن إبراهيم الإعلام، الجزء السادس، ص. 86 : أ. الرهوني، عمدة الراويين، مخطوط : نقي الدين الهلالي، الهدية النهادية للطائفة التجانية : ع. السلام ابن سودة، سل النصال / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 9 : 3177 : ع. الكريم سكيرج، قائمة مؤلفات سيدي أحمد سكيرج في 16 صفحة.

محمد عبد العزيز الدياغ ومحمد بوخيرة

**سكيرج، الزبير بن عبد الوهاب الفاسي** ثم التطواني الفقيه النزيه المهندس البارح الحيسوبي الميقاتي، السفير، الحَيْر الدِين الفاضل.

ولد بفاس عام 1270 / 1853 وانتقل مع أهله صغيراً إلى تطوان، ونزل على عم له كان بها، فقرأ بها القرآن على الفقيه

الأكحل بكتابه بالسوق الفروي، ثم رجع إلى فاس، ووقع الاختيار عليه ضمن البعثة التعليمية الحسنية إلى لندن، وكان عدد هذه البعثة خمسة عشر طالباً مختاراً وجهوا أولاً إلى طنجة وأقاموا بها ثلاث سنوات تعلموا خلالها مبادئ الحساب واللغات الأجنبية برئاسة السيد محمد الكباص الذي صار بعد صداراً أعظم، ثم توجهوا إلى دول : إنجلترا، وفرنسا، وألمانيا، وإيطاليا. وبعد سنوات في الدراسة ثمة أحرز على الإجازة في الهندسة، وعاد إلى تطوان وأستوطنها نهائياً، وتزوج بها وأنجب. ولم يجد في أول أمره عملاً يعيش منه، فاضطر للاحتراف بالحرازة. حدثني الأستاذ داود أن المترجم له بينما هو منهمك في صنعة الحرازة بالخرازين بتطوان، إذ بصُر به بعض أقرانه في الدراسة من الانجليز. وكان دخل تطوان سانحاً. فوقف عليه وسلم وقال : أنت فلان؟ قال : نعم، قال : ما هذا ؟ كيف تعمل خرازا وأنت مهندس كبير مثلي ؟ فأجابه الزبير : هذا فرق ما بين دولتي ودولتك.

ثم عمل المترجم له ترجمانا بطنجة وقام بمهمات هندسية وإدارية في الحكومة، ثم عين مديراً للاملاك المخزنية بتطوان، وتولى الإشراف على المدرسة الأهلية (أول مدرسة وطنية عصرية بالمغرب) وخدمها بحزم ونشاط، ووضع تصميم الزاوية التجانية بتطوان، وكان من أبرز رجالها، وظل على حاله الحسنة، وسيرته المستحسنة، لطيف المعشر. حلو الحديث، متأنيا في كلامه وسائر أحواله إلى أن توفي بتطوان في 23 شوال عام 1351 / 19 فبراير 1933.

أ. الرهوني، عمدة الراويين في تاريخ تطوان، 6 : 49 مخطوط خاص : ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، 4 : 465، ط. المغرب : ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، 8 : 3019.

**سكيرج، عبد السلام بن أحمد التطواني الفقيه العدل**

المؤقت الموثق المدرس المؤرخ صاحب دعابة وخفة رُوح يخرج بها أحيانا عن حد اللياقة، وقد ذكر الرهوني في ترجمته من (الععدة) طرائف وحكايات تدل على ذلك.

ولد عام 1145 / 1732 تقريبا، وقرأ القرآن على عدة مدررين، وأخذ عن علماء بلده كأبي زيد عبد الرحمن الحايك القاضي، وابن قريش، والجنوي الكبير وغيرهم ممن ضمنهم تاريخه مع مقروأته الكثيرة والمتنوعة. ويلاحظ أنه كثيراً ما يقول : قرأت على فلان صحيح البخاري ومسلم مراراً ومختصر خليل بشروحه لفلان وفلان مراراً. وكذا وكذا مراراً، وهذا يوهم مالا يسعه العمر مهما طال، وتأويله : أنه قرأ من هذه الكتب الكثيرة الطويلة فصولاً وأبواباً.

ثم رحل إلى فاس وأخذ عن شيوخها كالتاودي ابن سودة ومحمد بن الحسن بناني وغيرهم، ثم رجع إلى مسقط رأسه تطوان فتعاطى التدريس والإمامة بجامع العيون حيث سكتاد

النفس وطهارتها من الكذب والنفاق، تلك سمات لا تتوفر إلا عند الذين وهبهم الله شعوراً بالمسؤولية وتقديراً للقيم. كان حريصاً على أن ينقل مبادئه للأخريين وأن يفهمهم بأن السكوت عن الجهر بالحق جريمة لا تغتفر ولقي من أجل ذلك عناء كبيراً أدى به أحياناً إلى أن يتلقى في عهد الحسابة لظمة شديدة على خذه من أحد الفرنسيين المسؤولين عن إدارة مدرسة كان يعمل بها بمدينة فاس نظراً لأن ذلك المدير لاحظ أن هذا المعلم يلحق بعض المبادئ لتلاميذته لا تتلاءم مع السياسة الفرنسية آنذاك وأنه يحث المعلمين على حفظ كرامتهم وعزتهم وعدم قبولهم للذل والصفار وكانت هذه اللظمة من أسباب انتقاله من مدينة فاس إلى مدينة طنجة حيث واصل بها أعماله الإصلاحية والتعليمية والأدبية إلى أن توفي شهر شوال عام 1417 هجرية الموافق عشرين يرباير 1997.



كان مدى حياته مثالا للحرز والعمل ومراعاة الدرس والبحث والمشاركة في مختلف النشاطات الثقافية على الصعيد الوطني والصعيد العالمي بحيث لا يقتصر إنتاجه على ما يهز عواطفه من أحداث داخلية ولكنه كان عالمي الشعور، يغضب من أجل الحق ويترجم غضبه إلى قصائد رائعة وإلى محاضرات مفبدة يشهد بها أهل طنجة في كل محافلهم.

شارك في ميدان التأليف بمؤلفات عديدة منها المطبوع ومنها الذي ينتظر الطبع وقد سجل في دفعة بعض كتبه المطبوعة فاذج نذكر منها ما يأتي :

- 1 - حب الحصيد، ديوان طبع سنة 1987.
- 2 - الطلع النضيد، ديوان طبع سنة 1995.
- 3 - هؤلاء عرفتهم، في النقد الاجتماعي، طبع سنة 1987.
- 4 - أحسن ما قرأت من طرائف الشعر والنثر.
- 5 - الأدب العربي في المغرب الأقصى.
- 6 - الروض المتأرجح في تراجم بعض آل سكيروج.
- 7 - تجرئتي الشعرية، طبع سنة 1991.
- 8 - أقطاب الحركة العلمية بالمغرب (الشيخ أحمد سكيروج).

والزاوية الفاسية، وعمل مؤقتاً بمنار الجامع الكبير في بعض الأوقات والشهادة بالحنوت التي كانت تحت صومعة جامع العيون، وقد أزيلت هذه الحانوت الآن في الإصلاح الأخير الذي غيرت فيه معالم الجامع رأساً على عقب.

والمترجم له أول من كتب في تاريخ تطوان كتابه الشهير الذي سماه : نزهة الإخوان وسلوة الأحران في الأخيار الواردة في بناء تطوان، ومن حكم فيها أو تقرر من الأعيان قال الرهوني : وقد أجاد فيه وأفاد، بل انفرده بأخيار هذه المدينة دون من تقدمه أو تأخر عنه من النقاد .

والموجود الآن من هذا الكتاب نسختان ناقصتان أتمهما نسخة الفقيه الرهوني وهي الآن عند بعض حفدته، والنسخة الأخرى نسخها الأستاذ داود بخظه عن الأولى إلا أنها تنقص عنها قليلاً، وأفاد الفقيه محمد السكيروج الطنجي أنه كان يوجد تاماً بخزانته في مجلدين لا تقل صفحات المجلد منهما عن خمسمائة. إلا أنه اختلس منها حسب قوله. وثمة أوراق منه عند آل العطار وآل الفاسي من نسخة نالته لا أدري مصيرها.

وبلاحظ من يقف على هذا التاريخ أن فيه أوهاما تاريخية وخرافات نبه على بعضها الفقيه الرهوني، كما أنه يبالغ في أوصاف مترجميه بكلام مسجوع بارد، وقد أشار في تاريخه إلى أنه الذي أنشأ وكتب بخظه (وكان جميل الخط) بيعة أهل تطوان لمولاي عبد الرحمن بن هشام، كما أنه انفرده بأخبار وتسمية أعلام، الشيء الذي دفع بعض المتسرعين إلى رميه بالكذب وأنه اختلق أسماء عمال لا وجود لهم في زعمه كالقواد : الوسخ وبوردان والذيب. وهذا كذب مجرد، ومازالت بتطوان عائلتنا الذيب وبوردان ومازالت قصبة الذيب ماثلة للعيان إلى الآن. ومما ينبغي أن يُعلم أنه عشر منذ سنوات على رخامة بضاء نقش عليها اسم لعامل تطوان محمد حسن من أهل القرن الحادي عشر، ولم يذكره أحد من مؤرخي المغرب، إلا أنه ورد ذكره كما قال لي الأستاذ داود في مصادر انجليزية لعلاقات تجارية وسياسية كانت بينه بصفته عامل تطوان وحكام جبل طارق. كان المترجم له ربعة إلى الطول، اشيب، احدودب ظهره في آخر عمره، وكان في يديه انقباض وقصر في ذراعيه وداره بحومة العيون ما زالت معروفة بزقاقه، توفي عن سن يناهز المائة عام 1834 / 1250.

م. سكيروج نفسه، نزهة الإخوان، مخطوط : أ. الرهوني، عمدة الراوين، مخطوط : م. داود، تاريخ تطوان، 6 : 285، طبع تطوان. محمد بوخزة

**سكيروج، عبد الغني الفاسي** ثم الطنجي وُلد بمدينة فاس سنة 1335 / أوائل سنة 1917، وتلقى تعليمه بالقرويين برع في المجال الأدبي وكان ذا روح مرهفة وشاعرية جذابة قادرة على التصوير البديع وهادفة إلى الإصلاح الاجتماعي بحيث يشعر من يقرأ شعره بصدق اللهجة وقوة البيان وسلامة

- 9 - مشاهدات من البقاع المقدسة (1972-1973).
- 10 - من أحاديث الشعر والنثر، حلقات كانت تذاق بمحطة إذاعة طنجة (الجزء الأول).
- 11 - خمسة عشر يوماً بالاتحاد السوفيتي.
- 12 - خمسة عشر يوماً بجنيف.
- 13 - معجم جغرافي لأسماء مدن المغرب وقراء.
- 14 - معركة الوظيفة، طبع سنة 1991 تحدث فيه عن اثنين وثلاثين سنة من ممارسته لمهنة التعليم.
- 15 - سبنة اوغادة الشمال، نال به جائزة تشجيع.
- ونظراً لما أسهم به في الميدان المعرفي والتوجيه الوطني ولمواقفه المشرفة الدالة على التزامه بمبادئه الخلقية أقامت من أجله جمعية ابن بطوطة للثقافة والفن بطنجة حفلاً تكريمياً من 13-15 أكتوبر سنة 1994 شارك فيه عدد من الأساتذة الجامعيين والأدباء على مختلف بلاد المغرب بأبحاث وأبرزوا فيها ما للشاعر عبد الغني سكيرج من فضل على الثقافة المغربية في شتى المجالات.
- توفي بطنجة يوم الخميس 18 شوال عام 1417 / 20 فبراير 1997. وقد أمر ورثته أن يكتبوا على قبره بيتين ختم بهما ديوانه حب الحصيد :

قيل لي ما الذي جمعت ليوم  
فيه كل بما لديه رهين

قلت عندي في الله ظني، وحسبي

أنه لا تخيب فيه الظنون

ع. الغني سكيرج نفسه، ديوان حب الحصيد : إبراهيم السلامي، الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية، ص. 238، الدار البيضاء، مجموعة الباطين، الجزء الثالث، ص. 236.

**سكيرج، عميد الكرم بن أحمد بن العياشي الفاسي**  
الأديب الأنيق والخطاط المبدع الذي جمع بين جمال الأسلوب ورواق العبارة وجاذبية الحديث.



ولد بمدينة فاس ليلة يوم الثلاثاء 15 ربيع الأول عام 1322. ودرس بجامعة القرويين. عُني والده القاضي الحاج أحمد سكيرج بتربيته واعد له عند مغادته لمدينة فاس بعض الأساتذة الخصوصيين الذين كان لهم تأثير واضح في تزويده بأصول الأدب وأمهات الكتب وفي تلقينه لغة أجنبية يستطيع أن يواجه بها الواقع الذي يعيشه المغرب آنذاك.

ولما أطل على سن الشباب وجد نفسه مهتماً للمشاركة في الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي فنظم قصائد في الموضوع تدعو إلى وجوب الاهتمام بالعلم وإلى ضرورة تعليم المرأة يوجد بعضها في كتاب الأدب العربي في المغرب الأقصى لمحمد بن العباس القباج.

ورغم استعداده الذاتي لمواصلة الإبداع الشعري فقد اختار جانباً آخر من الإبداع إنه التوليد الخطي المتجلى في مختلف الأنواع التي مارسها سواء كانت مشرقية أو مغربية ومن آثاره في هذا المجال :

أولاً - الكتابات المنقوشة على جدران ومحراب المسجد الإسلامي في باريس الآيات القرآنية بالخط الكوفي والقصائد الشعرية بالخط المشرفي والأندلسي وهي من انشاء والده.

ثانياً - أنواع الكتابات المنقوشة في قصر السنينية بمراكش.

ثالثاً - رسم عناوين بعض الصحف المغربية مثل جريدة المغرب وبعض المجالات مثل الثقافة المغربية.

رابعاً - ابداعه للخط التعبيري وقد نقل الفقيه المنوني من هذه الخط نموذجين عن مجلة الثقافة المغربية في كتابه تاريخ الوراقة المغربية وسأضيف نموذجاً آخر في هذا البحث سلسنيه إياه ولده محمد الكبير وهو عبارة عن قول الشاعر (يطوف بالحلب قلبي فراشة). وقد جمع بين جمالية الخط وجمالية الانتقاء مما انتجه الآخرون فانه كان ذواقاً للأدب حريصاً على تسجيل ما يسمعه من القوائد وعلى تدوين ما يدور في بعض المجالس العلمية من الحوارات الهادفة والمساجلات القيمة ويتجلى ذلك في بعض ما خلفه من مؤلفات منها :

- دفتر نغم الجديدة لتقييد فوائد عديدة. وهو كتاب مفيد أهم ما فيه ما سجله من شعر بعض شيوخه وأصدقائه وعلماء وقته وفيه ذكر بعض منتجات والده.

- شاعر الجنوب ويقصد به أحمد بوستة يحتوي على قصائد عدة لهذا الشاعر ربما لا توجد في مصدر آخر.

- ملف خاص يحتوي على عدد من اشعاره وعلى كثير من رسائله الموجهة إلى بعض أصدقائه من الأدباء والعلماء.

- معجزة المغرب وهو عبارة عن ذكر سيرة أستاذه محمد بن عبد القادر الفيلاي الذي أصبح فيما بعد معروفاً بمحمد تقي الدين الهلالي وقد كنت أطلعت على هذا الكتاب وأملى علي بنفسه كثيراً مما فيه خصوصاً بعض الرسائل التي وجهها إليه هذا الأستاذ بعد تنكره للطريقة التجانية.

توفي بالدار البيضاء عاشر شعبان عام 1403 / 23 ماي 1983 ودفن بروضه سيدي مسعود بوحيتته بذلك.

م. القبياح، الأدب العربي في المغرب الأقصى : م. المنوني، تاريخ  
الوراقة المغربية : س. حجي، مجلة الثقافة المغربية، العدد الثاني،  
شنتبر، 1941 : تقي الدين الهلالي، سبيل الرشاد، الجزء الأول أثناء  
ذكره لنبذة من حياته : إبراهيم السولامي، الشعر الوطني المغربي في  
عهد الحماية، ص. 202 : م. بنعبد الله، فكرة تأسيس مسجد باريس  
بين اقتراح المولى محمد بن عبد الله وتنفيذ المولى يوسف، دعوة  
الحق، العدد 268، مارس، 1988.

**سكيج، محمد بن الطيب بن عبد القادر بن الحاج حم**  
ابن عبد الوهاب الفاسي الأديب العروضي تلقى دراسته بمدينة  
فاس وكان أحد طلبة جامع القرويين الذين ظهر نبوغهم في  
الدراسات الفقهية والأدبية وكان يصاحبه في الطلب عدد من  
الأعلام الذين تميزوا فيما بعد بمعرفتهم الفقهية والتاريخية  
فقد ذكر الزباني أنه حينما كان يتلقى دروسه في الفقه على  
أبي حفص عمر الفاسي كان من جملة الطلبة الفاسيين الذين  
يحضرون معه مجلس هذا الفقيه جماعة منهم سكيج هذا  
وآخرون كالوليد العراقي ويحيى الشفشاوني ومحمد الهواري  
ومحمد بن عبد السلام الفاسي وعبد القادر ابن شقرون  
وأمثالهم.

وما عُرِف به محمد بن الطيب سكيج أنه كان خبيراً بعلم  
الفلك أديباً شاعراً قادراً على التعبير الدقيق والأسلوب  
السهل الهادف وإلى بلوغ المقاصد من غير تعقيد، الشيء  
الذي خول له أن يكون من أشهر كتاب السلطان سيدي محمد  
ابن عبد الله زيادة على براعته في النظم وعلى حسن  
استخدامه للمحسنات البديعية من غير ابتذال ولا تعسف.

وكان يمتاز بركة الطبع، وجمال الخط وسرعة البديهة،  
ويعتبر ضمن الشعراء الذين كان لهم وجود أدبي في هذه  
الحقبة، وكانت بينه وبين ابن الونان المعاصر له مساجلات  
كلامية بلغت إلى حد الهجاء المتبادل.

ولعل اهتمام أسرة سكيج في مدينة فاس بالعلم  
وانتماءها إلى الأنصار، كانت من بواعت التقدير لهذا الأديب  
الناشيء الذي أضاف إلى ما ورثه عن آياته من عطاءات ما  
يساعد على استمرار نشاطهم العلمي والفني، فقد كان حاضر  
البديهة، دقيق الملاحظة، يجمع بين النظم الأنيق، والنثر  
البديع والقوة على التوضيح، بحيث لا تحس وأنت تقرأ ما  
كتب بغموض في القول، ولا بتعقيد في المعاني، وبذلك  
وصفه كثير ممن ترجموا له قديماً وحديثاً.

قال عنه الجبري شارح الشمقمقية أنه كان آية في علم  
المعقول والمنقول، وهو ابن مقله زمانه في ترصيف الخط وإبداع  
الرسم، مما تضرب به الأمثال في ذلك، وكان مخترعاً فناناً  
في بسط الخط المغربي والمشرقي والكوفي.

وقال عنه المؤرخ الضعيف ما يأتي : "إنه ركب يوماً مع  
السلطان سيدي محمد بن عبد الله القارب للتعديبة بين الرباط  
وسلا في وادي أبي رقراق، فأنشد بيتين أجازه عليهما بمائتي  
دينار، وهما قوله :

ولما رأيت البحر في الجود آيسه  
ومن جوده الدر النفيس المقلسد  
سألته من في الناس علمك الندى  
فقال أمير المؤمنين محمسه  
ووسمه المؤرخ سليمان الحوات بأنه خاتمة أهل الأدب الذي  
كانت قريحته تسهل من البلاغة على كل حذب يتيمة الدهر  
في سلوك جواهر الفخر.

له مؤلفات أغلبها في التوقيت والأدب منها :  
11 حواش على شرح ابن مرزوق على الخرجية.  
2 منظومة في أطوال وعروض بعض مشاهير البلدان  
الإسلامية توجد ضمن مجموع بالخزانة العامة بالرباط مسجلة  
تحت رقم 457.  
3 معينة الطلاب على التوصل للأسطرلاب (خ ع ضمن  
مجموع مسجل تحت رقم 497).  
4 أرجوزة في العروض.  
توفي عام 1194 / 1780.

م. بن الطيب سكيج نفسه، الشافي في علمي العروض والقوافي،  
مخطوطة : ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج. 4، ص.  
122 : أ. سكيج، منهل الورد الصافي والهدى من فتح الباري في  
شرح الشافي في علمي العروض والقوافي، مخطوط : م. المنوني،  
تاريخ الوراقة المغربية، ص. 147 : م. الدباع، بحث حول م. بن  
الطيب سكيج، دعوة الحق، السنة 33، العدد 283، بتاريخ أبريل،  
1992 : ق. الزباني، الترجمة الكبرى : فهرس المخطوطات العربية  
المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط، المجلد الأول أعداد لبني  
بروفتصال ومراجعة صالح التادلي وسعيد المرابطي : ع. الله كتون،  
التبوع المغربي، ج. 3، ص. 704، ط. 2، 1997 / 1998 : ع. ابن  
إبراهيم، الإعلام، ج. 6، ص. 86.

محمد عبد العزيز الدباع

**سكيج، محمد بن العياشي الخرجي الأنصاري**  
الأندلسي الفاسي الفقيه المدرس المفتي الناظم الناثر  
الصفوي.

ولد بفاس عام 1292 / 1875 وحفظ القرآن وبعض المتنون  
العلمية، وتوجه إلى القرويين عام 1304 وأخذ عن علمائها  
ومن شيوخه بها : عبد الملك العلوي الضرير وعبد الله  
البدراوي، وعبد السلام بن عمر العلوي ومحمد بن عبد  
القادر ابن سودة وغيرهم، ثم أصره إلى الفقيه المهندس الزبير  
السكيج من البعثة التعليمية الحسنية إلى أوروبا، فتزوج  
ابنته، ولذلك انتقل لسكني طنجة حيث يعمل صهره، وتولى  
بها الكتابة بدار السلف مع أخيه الفقيه الأديب الحاج أحمد  
الذي انتقل لسكنها أيضاً لنفس السبب ثم غادرها لتوليه  
القضاة بوجدة ثم سطات.

وتعاطى المترجم له الشهادة بتطوان وطنجة، والفتوى  
والتدريس والخطابة، وكان له نشاط في التأليف فألف فهرسة  
لشيوخه ومقرواته. وكتاب رياضة البهجة في تاريخ مدينة  
طنجة يوجد مصوراً (بخزانة الرباط العامة في سبع مجلدات،

الدرر اللآلي في ثبوت النسب البقالي) طبع مرتين الأولى على الحجر بفاس في حياته، والثانية على الحروف بطنجة بعد وفاته و(نبذة التحقيق في ترجمة الشيخ محمد ابن الصديق) و(قرة العين في رحلة يومين) وهي في سفر المؤلف ضمن وفد حكومي تطواني إلى مدريد لتهنئة الجنرال فرانكو بانتصاره عام 1359 / 1940 إلى نحو أربعة وستين مؤلفاً معظمها رسائل، وكانت له مع بعض أصدقائه المتأدبين رسائل إخوانية ومساجلات شعرية، وقفت على مجموعة منها بينه وبين الفقيه الأديب السيد البشير أفيلال التطواني. وكان مقدماً في الطريقة التجانية إلا أنه أقل حماسة فيها من أخيه.

توفي بطنجة بعد مرض طويل في ربيع محرم عام 1385 / 5 ماي 1965 ودفن بضريح الشيخ محمد الحاج البقالي (بو عراقية)

م بن العباسي سكيرج نفسه، قرة العين، رحلة يومين، مخطوط؛ أ. الرهوني، عمدة الرايين، مخطوط؛ ع. الصمد گون، مواكب النصر وكواكب العصر، طبع بطنجة، ص. 58؛ محاند غلال البخلافي، مؤرخ طنجة محمد بن الحاج العباسي سكيرج، بحث مرقون، محمد بوخيرة

## سلا - جغرافيا - من أقدم المدن المغربية على ساحل

المحيط الأطلسي. تتوسط الشريط الساحلي الرابط بين شمال المغرب وجنوبه في موقع يتحكم في الطرق الآمنة التي كانت صلة وصل معتادة بين مراكش وفاس. فكان من أسباب أهميتها هذه الوضعية الاستراتيجية التي تجعل من المدينة مرحلة متميزة في طريق المسافرين العاديين أو مواكب السلطان التي كان يتعذر عليها أحيانا المرور مباشرة من فاس إلى مراكش عبر تادلة والمناطق المحاذية أو العابرة بحبال الأطلس المتوسط.

انشتت هذه المدينة في موقع له دلالات تاريخية وطبيعية فقد ذكرت المصادر المكتوبة كما بينت الحفريات المنجزة في ضفتي أبي رقراق قدم وعراققة الاستقرار العمراني بمصب الوادي حيث توالى الفينيقيون والرومان على إنشاء مراكز عمرانية منها ما اندثر أثره تماما بينما ظلت آثار بعضها قائمة كما هو الحال في شالة على الضفة اليسرى لأبي رقراق.

انطلق العمران الأصلي للمدينة الحالية في القرن الخامس (11 م) من موقع مشرف على البحر وعلى النهر، وذلك على ذروة تل رملي صلب يندرج في منظومة الكثبان الرملية المتحجرة التي تمتد من "بوقنادل إلى جنوب الرباط طولا ومن الشاطئ نحو الداخل عرضا. وتتخلل هذه الكثبان ممرات موازية للشاطئ انتشرت فيها المزارع (السواني) لجودة تربتها وقرب الفرشة المائية فيها من السطح. وقد كونت هذه المنخفضات مسالك سهلة استغلها الطرق المعبدة لربط شمال العدوتين بجنوبهما.

برزت النواة الأولى للمدينة في هذا الإطار التاريخي والطبيعي عندما شيّد بنو عشرة قصرًا في موقع مرتفع مُحاذٍ

لموقع المسجد الأعظم. إلا أن هذه الانطلاقة العمرانية اندثر أثرها فيما بعد. وقد امتد العمران بعد ذلك من هذا المنطلق المشرف إلى حضيض "العقبة" متجها نحو البلدة حيث كان أول المستقرين فيها الوافدون من سوس. امتد العمران بعد ذلك نحو الأماكن المستوية التي توجد فيها الأسواق الحامية، متجها نحو جامع الشبهة الموجود حالياً في حي "سيد التركي". وتجدد الإشارة هنا إلى المستوى المنخفض لهذا المسجد إلى عهد قريب مقارنة بمستوى الحي والمساكن المحيطة به، مما يبعث على الاعتقاد بوجود تراكمات مطبورة لم ينلها بعد البحث الأركيولوجي.

انتظم العمران القديم داخل أسوار تمتد على شكل مستطيل تمتد من البحر إلى الداخل، جانبا من منه يحاذيان البحر من جهة الغرب ووادي أبي رقراق من جهة الجنوب. وقد أثار التناسق الهندسي لأسوار المدينة تساؤلات حول أسبابه. فتصميم المدينة القديمة يتسم بشكل هندسي يتقاطع داخله محوران أساسيان، يربط الأول منهما "الباب الجديد" بـ "باب سبتة"، ويصل الثاني بين الأحياء الموجودة في "راس العقبة" و "باب الحميس" أو "باب فاس" الموجود شرق المدينة، ومن المفترض أن هذا الشكل يعود إلى آثار رومانية لأن استقرار الرومان العمراني في الضفة اليسرى لوادي أبي رقراق (شالة حالياً) كان له امتداد زراعي على الضفة اليمنى. حيث أقام الرومان مزارع (قبلا) اتخذت أشكالاً هندسية متساوية تتعامد في تقاطيعها المنتظمة مع الامتداد الطولي لنظام الكثبان الرملية. وقد خلفت هذه الضيعات بعد انقراضها آثارها على شكل مستطيلات متحاذاة تبدو واضحة المعالم عنه دراسة الصور الجوية للمنطقة المكسوة بالسواني إلى وقت قريب. لكل هذه الأسباب أخذ شكل الأسوار المنحى الهندسي المذكور الذي يتناسق مع إشارات الطبيعة والآثار التاريخي الزراعي القديم. وقد ذكر ابن خلكان أن سلا جديرة بالمقارنة بالإسكندرية لما تتسم به من اتقان في البناء وحسن التقسيم.

تطور العمران داخل الأسوار: تحيط الأسوار بمساحة لا تزيد عن مائة هكتار تقريبا لم يكن معظمها مبنيا في أوائل القرن الرابع عشر (20 م). فلم تحتل بنايات جميع المجال الداخلي للأسوار بل كانت تحيط بها الأجنحة، ولم تأخذ هذه السواني بالتراجع أمام زحف البناء إلا في الثلاثينيات فلم يتبقى منها إلا تلك التي كانت موجودة بالقرب من ضريح سيدي عبد الله ابن حسون والتي كانت بملاصقة مع السور الممتد بين "باب سبتة" و "باب شعفة"، إلا أن فترة ما بعد الاستقلال كانت المرحلة النهائية لوجود السواني في المدينة القديمة حيث انقرضت تحت وطأة الامتداد العمراني الكثيف الذي عرفته سلا بسبب الوافدين على المدينة من كل حدب وصوب. وقد اتخذ هذا الزحف السكني ثلاث مراحل:

• بناء الأراضي الزراعية المتبقية داخل الأسوار

• إعادة بناء المتداعية والأيلة للسقوط

• رفع طبقة أو طبقتين من المنازل فوق المساكن القديمة



في نهاية الخمسينيات جعل معظم الزبناء من تجار الجملة يتوجهون مباشرة إلى الدار البيضاء لشراء الثياب والأقمشة. فاضمحلت تجارة الملابس والأثواب واتجهت إلى توفير هذه المنتجات لاستهلاك القاطنين بها والواقدين من المناطق القروية المجاورة.

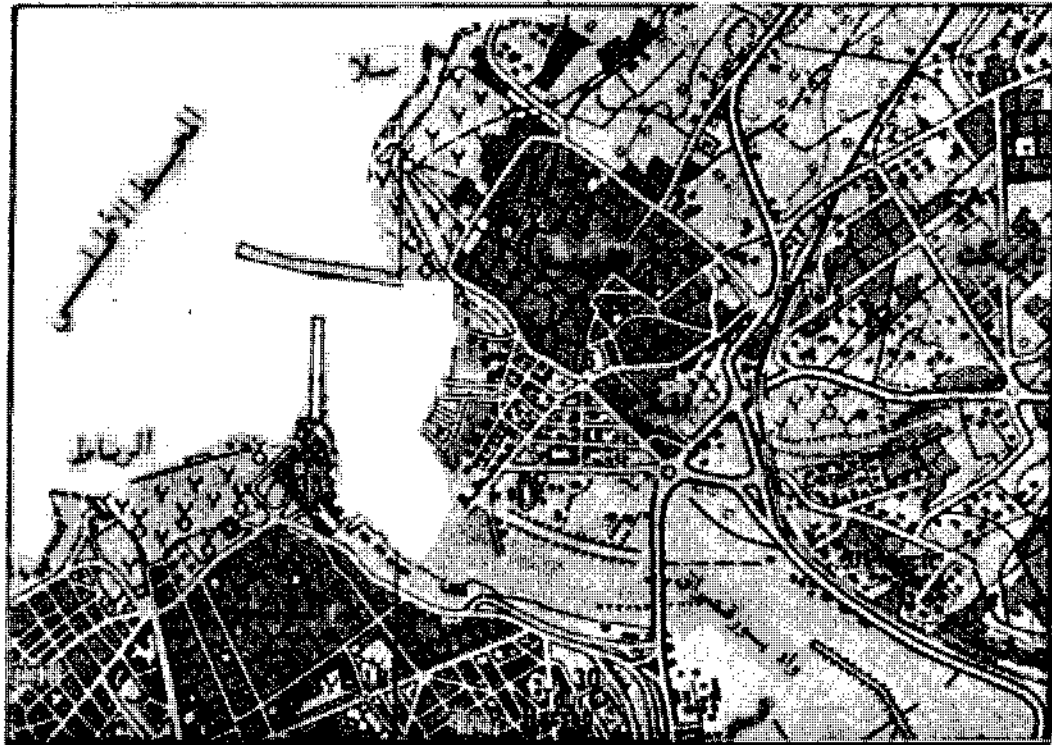
وقد تعرضت الأنشطة الحرفية لنفس التطور، فبعد الأزمة الحادة التي لحقت بالعمل الحرفي في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) بسبب انفتاح المغرب على البضائع المستوردة من الخارج، أخذت الأنشطة الحرفية في التدهور بعد ذلك خلال النصف الأول من القرن العشرين بسبب مزاحمة المنتجات العصرية. فاختفت حرف متعددة من بينها صناعة الجلود والخيال والحُصُر. والمهن التي كانت تُمَد بصفة عامة السكان بحاجياتهم المنزلية أخذت تتقهقر بدورها إلى أن اختفت تماما كصناعة القنب وأدوات الفزدير، وترتب عن هذا التطور عزوف أبناء السلاويين عن تعاطي المهن الحرفية. وقد خلفهم في بعض الحرف متوافدون من أهل سوس في مجال صنع البلغة كما برزت حرف جديدة من جملتها الخياطة، خياطة الأقمشة للاستهلاك القروي أو خياطة الخيام بعد الاستقلال من طرف منحدرين من نواحي دكالة.

استمرت الحيوية في قطاعي البناء والتجارة وذلك لارتباطهما بحركة العمران داخل المدينة. إلا أن أغلبية الأنشطة التجارية غادرت المدينة ولم يلبث منها إلا المعاملات المتعلقة بالتسوين وبيع بعض المرافق الخدماتية التي تحتاجها الساكنة القاطنة في الأحياء القديمة. فأغلبية الأنشطة هجرت المدينة وتضاءل مركزها التجاري الذي كان يمثل "سوق

أدى إلى اكتظاظ السكان وارتفاع الكثافات التي كانت تتراوح بين 750 و1000 نسمة في الهكتار الواحد، حسب الأحياء، حيث ارتفعت إلى 1500 ن / هـ في مركز سلا القديم أي حي "البليدة" وقد نتجت عن اكتظاظ السكان وارتفاع الكثافات مشاكل متعددة في مجال تصريف المياه الحارة وذلك لتداعي الشبكة القديمة واختناق قنواتها، مما كان له انعكاس على الأوضاع البيئية والصحية في المدينة القديمة.

كان لهجرة السلاويين لمساكنهم في المدينة أثر بين على صيانة الدور التقليدية القديمة التي جزئت تارة وتارة أخرى تعرضت للإهمال والاندثار، خاصة في الحالة التي توجد فيها على الشيعاء مما لا يتيح توفر الامكانيات المادية للمحافظة على هيكل ورونق المعمار. فالمحاولات التي بُذلت لإنقاذ بعض هذه الدور لم تنجح لحد الآن كما لم يعرف مشروع إنقاذ الفنادق والبيوتات التقليدية طريقه للانجاز.

التغيرات الاقتصادية والاجتماعية : لعبت سلا دوراً اقتصادياً هاماً في تاريخها كنافذة للمغرب على البحر. وقد ساهم انفتاح المغرب على التجارة الأوربية في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) في قمتين علاقتها التجارية بالمدن الداخلية والساحلية، حيث تمكنت من مد إشعاع تجاري قوي بلغ مداه الأقصى شمالاً وشرقاً العرائش وفاس وذلك عبر أسواق الغرب، إذ كان للسواقة السلاويين حضور متميز في الشبكة التجارية التي تربط البوادي بأهم المدن حينذاك. وقد احتفظت سلا بهذه العلاقة التجارية خلال فترة الحماية، وذلك عن دورها كوسيط بين الدار البيضاء والأسواق في الغرب والسهول وزعير. ولكن التغيير الذي حصل في وسائل النقل



الخميس" المنعقد في عقر سلا أي في السوق الكبير. فقد انتقل بدوره إلى طريق مكناس ليستقر رداً من الزمن بها ولكنه ما لبث أن استقر نهائياً في قرية أولاد موسى.

إن هذا التطور الذي عرفته المدينة القديمة في اتجاهين معاكسين : اكتظاظ المدينة بالسكان وتدهور أنشطتها المنتجة، لم يحجب تماماً ما تعودته المدينة القديمة من تكيف بالأوضاع السائدة وقدرة على إيجاد مخرج من أزمتها في بعض المجالات خاصة التجارية منها. فالتجارة في الحرير والذهب أبانت على ديناميكية غير متوقعة بحيث ربطت في تكيفها بين التقليد والتحديث. فمن المعلوم أن الحرف والتاجر كانت في الماضي منتظمة في أزقة متخصصة لكل حرفة وتجارة متميزة. ولكن بعد انقراض الحنط التي كانت تهيكل هذه الأنشطة اختلعت جميع المرافق بعضها ببعض بحيث فقدت الأزقة طابعها المتميز. إلا أن هناك القليل من الأنشطة التي احتفظت بطابعها المتكامل في زقاق متميز كالحرايين مثلاً الذين احتفظوا بموقعهم ما بين القيسارية ومحكمة القاضي حالياً. إلا أن تجارة الحلبي من الذهب والتي كانت لا تزيد عن ثلاثة أو أربعة متاجر أصحابها من اليهود ما لبثت أن قامت بالزحف الوتيد على المتاجر المجاورة حتى حلوا محل الحرايين الذين انتقلوا بدورهم جماعة إلى زققة الحجامين. وبدل هذا التحول على حركية متميزة تمثلت في استعادة الهيكلة التقليدية للأنشطة في مدينة إسلامية.

التحولات النوعية والكمية في ميدان التعمير والإسكان: وقع تحول أساسي في ميدان التعمير عندما توافقت الهجرة من جميع أنحاء المغرب على المدينة التي لم تطق استيعاب جميع المقبلين عليها. فعندما اكتظمت المدينة وارتفعت كثافتها انتشر العمران حولها بصفة عشوائية وبدون تخطيط مسبق إلا لبعض الأحياء كحي بطانة وتابريكت. فقد قامت الحماية بتخطيط موجه لكلا الحيين، الأول كان من المرتقب أن يستقبل سكاناً أوروبيين، والثاني خصص لأحياء شعبية. ولكن تطلعات المخططين لم تصمد لوقوع الأزمة التي تلت الحصول على الاستقلال. فحتى المنطقة الصناعية التي شيدت لجلب الاستثمارات بخلق شغل وإقامة صناعات مختلفة ظلت فارغة لما تلا سنوات الاستقلال الأولى من مصاعب مختلفة في الفترة الانتقالية التي استمرت إلى أواخر الستينيات. لذا فالتوافد على المدينة حول حي بطانة عن وظيفته الأولى فصار حياً لاستقبال السلاويين النازحين من المدينة القديمة. أما حي تابريكت فقد اكتظمت عماراته بسرعة مما جعل فيض السكان يتجه وجهتين : الأولى بعيداً عن المدار الحضري نحو "الشيخ المفضل" حيث أخذ البناء العشوائي ينمو بسرعة، والثانية إلى مدن القصد "كدوار جديد" ودوار "السماعلة" وقد اتجه التمددين بعد ذلك إلى منطقة السواني حيث أخذت الأنشطة الزراعية تنقرض بصفة حثيثة وتحل محلها الأحياء العشوائية خاصة بين المدينة القديمة وضريح سيدي موسى على الشاطئ.

إن فورة التعمير تقع بصفة متوازية بين ما هو مندرج في

عملية التخطيط العمراني وبين ما هو عشوائي، فكلما أقدم المخططون على عملية عمرانية واسعة النطاق إلا ونشأت في التوازي معها حركة بناء عشوائي. فقد كان بناء حي السلام متزامناً مع انطلاق قرية أولاد موسى في الجهة المقابلة له. فالعمران انتشر في تداخل بين الأحياء على جميع المحاور بين الشاطئ وضة الوادي على شكل نصف مروحة تشتبك في فضائها جميع أنواع السكن القانونية وغير القانونية. إن معظم هذه الأحياء لا تتمتع بالمستوى الضروري من تجهيزات قاعدية ومرافق صحية وخدماتية وتعليمية.

ويمكن ادراك التفاوت الحاصل بين انتشار السكن وقلة التجهيزات إذا اعتبرنا السعة التي تنامت بها الساكنة السلاوية. فقد انتقل عدد السكان في ظرف سبعين سنة من 25 ألف نسمة في بداية الثلاثينيات إلى ما يزيد عن ستمائة ألف في بداية التسعينيات، بحيث صارت هذه الساكنة مرشحة إلى بلوغ المليون نسمة خلال السنوات العشر المقبلة. فوتيرة النمو كانت أكثر سرعة من أي مدينة في المغرب بحيث بلغت 9٪ سنوياً ما بين 1971 و1982 ثم بلغت ما بين هذه السنة و1994 نسبة 5.6٪ في السنة. وهذا يعني أن عدد السكان يتضاعف كل 12 سنة.

ومن الملفت للنظر أن هاته الزيادة السريعة في عدد السكان ناتجة عن تنامي سكان المدينة والتوافد عليها من جميع أنحاء المغرب. فلا توجد أي منطقة ريفية أو مدينة على طول البلاد وعرضها لم تساهم في نمو ساكنة سلا الديموغرافي، بحيث صارت لوحدها تمثل مجموع ساكنة البلاد.

إذن فالمدينة التي كان يقال عنها : "ها سلاها حواتها" صارت من المدن الكبرى في المغرب ولكنها لم تجن من هذه الميزة فوائدها الكبيرة، بل راكمت المشاكل العمرانية أكثر من استفادتها من حجم ونشاط ساكنتها. وذلك لانعكاس أثر الرباط عليها.

لقد ظلت العاصمة خلال عدة عقود في ركود عمري نظراً للحزام العقاري المتشثل في الوضعية القانونية للأراضي المحيطة بها، والتي لم تكن مفتوحة للتعمير، مما جعل سلا ملجأ لكل وأحد يعمل في الرباط ولكن لا يجد له مسكناً فيه. فتمحلت الفئات الفقيرة والمتوسطة للسكن في سلا بينما ظلت تشتغل في الرباط. فصارت عدوة سلا عبارة عن ملجأ للنوم، أما العمل ومردوده من حيث المداخيل والإمكانات فكان من نصيب الرباط. ولقد زاد هذه الوضعية استفحالاً كون التقطيعات الجماعية والإدارية زادت من الأزمة التي تتخبط فيها المدينة فتعدد البلديات وضعف الإدارة وندرة المؤسسات الاقتصادية والإدارية جعل من الصعوبة بمكان القيام بمتطلبات المدينة والنهوض بجميع مرافقها. فإذا أخذنا مثلاً بسيطاً من أمثال الاختلالات التي تتضرر منها المدينة ويكتوى بناها السكان مشكلة النقل بين العدوتين نجد من العاملين في الرباط والقاطنين بسلا من يقضى أكثر من ساعة للتنقل بين المدينتين في حافلات

حانون أثناء رحلته الشهيرة في القرن 5 ق م. ضمن المستعمرات السبع التي سماها ووصف مواقعها ولو أن تحديدها بالضبط يصعب اليوم لتغير الأسماء وتشابه المواقع، لكن علماء الآثار اجتهدوا في عملية التحديد اعتماداً على المسافات والأوصاف الواردة في الرحلة، ومنها أرامبيز arambys التي تعني المصب عند مارسى Marsy وتطابق سلا أو شالة.

وهنا نتساءل عن العلاقة العددية بين المستعمرات السبع في رحلة حانون وما تحتفظ به الذاكرة الشعبية في مدينة سلا وعند شعراء الملحنين عموماً من كون سلا تعدّ من المدن السبع القديمة في المغرب (سبع مدون).

تأتي المرحلة الرومانية بعد ذلك لتجنيس المدن المغربية وإعطائها طابعاً رومانياً بعد القضاء على قرطاجة سنة 146 ق. م وذلك بإسكان مجموعات رومانية في المدن المغربية وإقامة علاقات بينهم وبين الأهالي "المورين" والعمل على تحويل هؤلاء تدريجياً إلى مواطنين رومانيين. وبعد مرور قرنين على احتلال روما للمغرب الكبير وقيام ثورات أتعبتها قررت في حدود سنة 44 م تقليص مناطق نفوذها وترسيخ احتلالها المباشر عن طريق تقسيم موريتانيا الطنجية غرب نهر ملوية (المغرب) وموريتانيا القيصرية شرق ملوية (الجزائر).

كانت مدينة سلا / شالة تكوّن الحد الجنوبي الأقصى لموريتانيا الطنجية تقم فيها فرق من الخيالة والمشاة والرماة ويمر بجنوبها الخط الدفاعي الحدودي "الليمس" الذي يبتدئ من تامسودة (تطوان) شمالاً، وينزل جنوباً إلى سلا / شالة حيث يمتد في الضفة الجنوبية لنهر سلا (أبي رقراق) على مسافة نحو 20 كلم من البحر إلى عكراش.

كانت سلا كولونيا في عهد الرومان على الضفة اليمنى للنهر وتمتد إلى الضفة اليسرى، وربما كانت سلا وشالة في الأصل اسماً واحداً اختلف نطقها بإهمال السين أو إعجمها كما هو الشأن في مدينة قانس وقادش بشبه الجزيرة الإيبيرية، وقد نبّه إلى ذلك بعض المؤلفين العرب القدامى كصاحب الاستبصار.

وعلى أي حال ظلت سلا وشالة قائمتين إلى الفتح الإسلامي. وتذكر كتب التاريخ أن يوليان الغماري حاكم سبتة من قبل قوط إسبانيا قام بتسليم مدينة سلا إلى طارق ابن زياد مولى الفاتح موسى بن نصير والي إفريقية من قبل الأمويين. ثم أصبحت سلا مقر إمارة إدرسية تابعة لمملكة فاس على إثر وفاة إدريس الأزهر سنة 213 / 828 يشمل نفوذها شالة وبلاد تامسنا وزمور. وفي خضم الاضطرابات التي عمّت المغرب في مطلع القرن الرابع (10 م) بسبب انحلال الدولة الإدريسية قام بنو يفرن بزعامة موسى بن أبي العافية بالاستيلاء على فاس والقضاء على المراكز الإدريسية في الأقاليم، ومنها مدينة سلا التي خربوها وعفّوا على آثارها فكان ذلك نهاية سلا القديمة واختفاءها من خارطة

مكتظة ليس لها أوقات مضبوطة ولا ظروف نقل مريحة. إن عدم التكافؤ بين المدينتين في مجال المداخل وتبعثر السلطة بين فاعلين متعددي المشارب والصلاحيات يجعل من الصعب تدبير شؤون المدينة في مجموع مرافقها ناهيك عن استعادتها لدورها المتميز في ميدان الثقافة والعلم والإنتاج.

يتبلور التساؤل المطروح أخيراً حول مستقبل سلا حول آفاق تطورها مستقبلاً. هناك بوادر واحتمالات يمكن أن نتحد من الاختلالات التي تعرفها المدينة في جميع أنواع مرافقها ومصالحها وإمكاناتها المادية والمعنوية. من جملة هذه الإرهاسات :

- خلق تعليم جامعي في المدينة يجب أن يكون بين يد مسؤولين نزيهاً وأكفاءً.

- قرار خلق كل الإدارات المقبلة في مدينة سلا عوض الرباط لاكتظاظها بمرافق ومنشآت الإدارة المركزية.

- إمكانية توحيد المدينة من الناحية الإدارية والمؤسسات البلدية حتى يحل التناسق والتكافل مجموع أطراف المدينة عن طريق وحدة الرؤية وعقلانية التسيير في إطار وحدة المدينة.

- تلبية رغبة السلاويين في مد وضعية العاصمة حتى تشمل مدينة سلا، فيصير التنسيق في ظل المجموعة المدنية كلها بين العدوتين.

- اتساع تخطيط حضري على شاكله "سلا الجديدة" المرشحة لإسكان ما يزيد عن مائة ألف نسمة.

ابن خلكان، وفيات الأعيان، الجزء السابع، الصفحة 9 : كينيث براون : موجز تاريخ سلا، 1000-1800، ترجمه عن الإنجليزية، م. حيدة وأنس لعلو، منشورات أمل، 2001، ص. 128 : م. السمار، مدينة الرباط من التأسيس إلى نهاية القرن السابع عشر الميلادي، أطروحة نوقشت في كلية الآداب بالرباط، تاريخ 8 يوليوز، 2000.

M. Naciri, Salé, étude de géographie urbaine, R.G.M., 1963, n° 3-4 ; Kenneth L. Brown, Les gens de Salé. Les Slavis. Tradition et changement de 1830 à 1930, Préface Mohammed Naciri, Casablanca, 2001 ; El Hassani Abdelamid, Khadiri Abdeslam, Naciri Manoum, Médina de Salé : analyse et propositions. Unité du pédagogie d'architecture de Toulouse, 1980, 211 p. ; Mécanismes et formes de croissance urbaine au Maroc : le cas de l'agglomération de Rabat - Salé, Rabat, 1984, 34 ; Salé, cité millénaire, sous la direction d'Ismail Alaoui et Driss Mrini, 1997, 212 p.

محمد الناصري

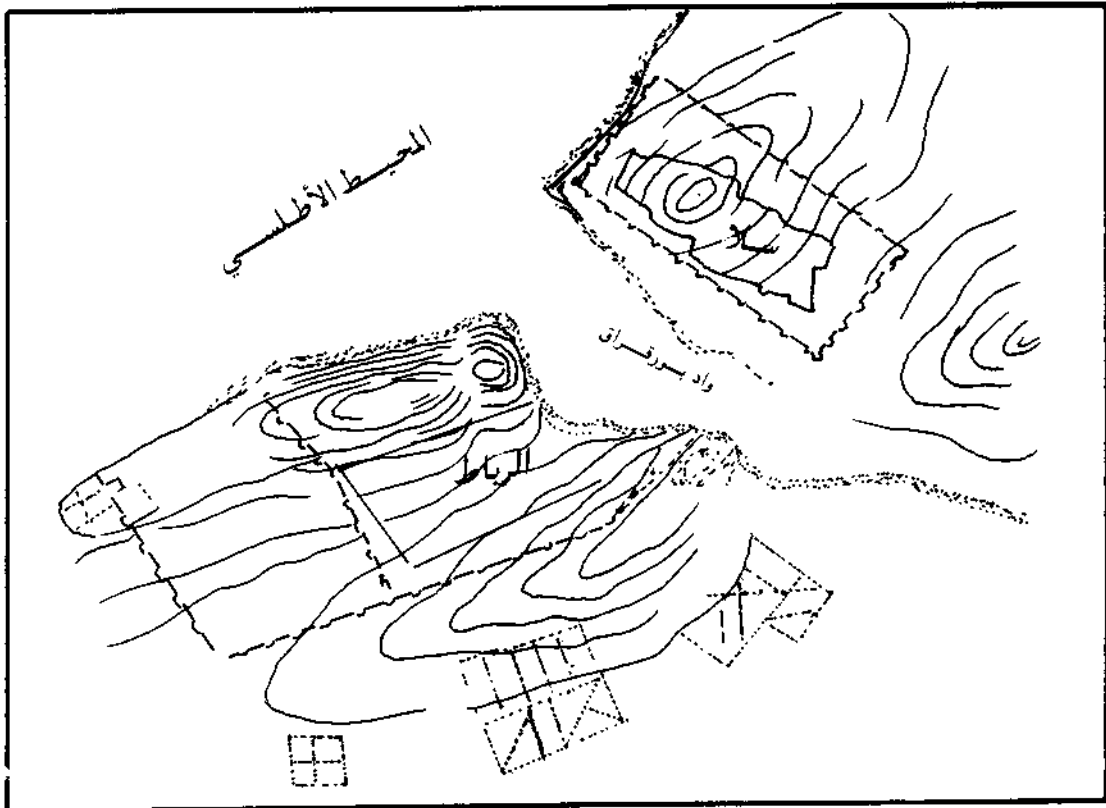
**سلا**، (تاريخ) مدينة أزلية - كما تصفها المصادر القديمة - وتؤكد الأدلة الأثرية وجود حياة إنسانية في منطقة سلا منذ عشرات آلاف السنين، فجمجمة إنسان سلا التي عثر عليها في مقلع دار القايد بلعروسي على بضع كيلومترات من المدينة قدر الجيولوجيون بعدها الزمني به 165.000 سنة. تتفق المصادر التاريخية على أن سلا كانت موجودة قبل مجيء الرومان إلى هذه البلاد لكنها تختلف في تحديد عصر تأسيسها، يذكر البعض أنها فينيقية من المراكز التي أسسها الفينيقيون على سواحل المغرب في القرن 11 ق م. مثل طنجة وليكسوس، ويرى آخرون أنها قرطاجية أسسها

في حومة الطالعة، وبنى الزناتيون حي زناتة في الشمال الشرقي للجامع واتخذوا من سلا الحديثة حاضرة لإمارتهم التي امتد نفوذها من فاس إلى تادلا وأغمات غير الدير وجذور الأطلس الكبير. وإذا كان الزناتيون أبطال حرب أبلوا البلاء الحسن في مقاومة البرغواطيين المارقين في تاسنا، فإن بني عشرة كانوا علماء أدياء كرماء تقاطر عليهم الكتاب والشعراء من الأندلس يمدحونهم وينوهون بحضرتهم سلا وقصرهم المشيد الذي يبدو أنه كان على جانب عظيم من السعة والفخامة. وشجعت الصلات السخية التي كان العشريون يمدون بها قصادهم على تزايد الأدياء في أبوابهم، واستقرار بعضهم في سلا، فكان ذلك منطلق حياة فكرية ستأصل وتتطور في القرون التالية.

ولما جاءت دولة المرابطين وأنهى يوسف بن تاشفين مسألة بورغواطة وشرّد بهم من خلفهم قضى على بني يفرن الزناتيين في سلا في إطار توحيد المغرب، وأكرم مشوي العشريين وجعل منصب القضاء في سلا وفقاً عليهم يتوارثونه، وأسند إلى بعضهم القضاء خارج سلا. وكان القضاء - كما هو معلوم - في قسمة هرم السلطة والجاه والشرورة على عهد المرابطين. وعرفت الحياة المادية والفكرية في مدينة سلا تطورات أساسية خلال القرنين الهجريين السادس والسابع (12-13 م) واندمجت المدينة أكثر في محيطها القريب والبعيد، فبعد فترة قصيرة من النفور ومقاومة الدولة الناشئة قنعت فيها سلا على الموحدين وثار ضدهم محمد ابن هود الماسي السلاوي، انتهى الخلاف بهدم أسوار المدينة، واتخذ الخليفة عبد المؤمن من سلا دار مقاه له بعد مراكش يقيم في

المنطقة. تصّ على ذلك الرحالة العرب المعاصرون لسلا القديمة، كأبي عبيد البكري الأندلسي الذي تحدث في المسالك والمسالك عن وادي سلا ومدينة سلا القديمة عاصمة إمارة عيسى بن إدريس ابن إدريس، وابن حوقل البغدادي الذي زار المغرب والأندلس سنة 331 / 942 وقال في رحلته عن سلا إنها خربت في أوائل القرن الرابع (10 م). كل ذلك يفند ما زعمه بعض المؤرخين والرحالة المتأخرين الفصيري النظر من أن شالة التي ظلت أطلالها قائمة على الضفة اليسرى هي العتيقة ومعها سلا، وأن لا وجود لمدينة في الضفة اليمنى متجاهلين النصوص المشار إليها آنفاً أو مؤوليهما تأويلاً بعيداً. على أن الشاهد الأثري الحاسم هو ما عثر عليه سنة 95. 1996 أثناء تهيئ المدار الخارجي للطريق للسيار بولجة سلا من قاعدة باب روماني كبير وأجزاء من السور مع قطع من الفخار وغيره من الآثار الرومانية، الأمر الذي يحتم - علمياً - القيام بحفريات أركيولوجية في منطقة الولجة لا سيما الربوة الضخمة المجاورة لعين أسمير التي كان المؤرخ السلوي محمد ابن علي الدكالي لا يشك في أنها تغطي معالم مدينة سلا القديمة.

أما سلا الحديثة القائمة بين شاطئ البحر ومصب النهر التي نعيش فيها اليوم، فقد أسست في أواخر القرن الرابع أو أوائل الخامس (10-11 م) واشترك في تأسيسها عنصران : بنو عشرة، وهي أسرة عريقة في المجد والثراء تنتسب إلى الكاتب النابه أحمد بن صدير البغدادي أخي إبراهيم وزير المعتمد على الله العباسي، وبنو يفرن الزناتيون الذين ورثوا ملك الأدراسة. شيد بنو عشرة الحي المحيط بالجامع الكبير.



قصر بني عشرة الأسابيع والشهور لاستقبال وفود الأندلس والإشراف على أطراف دولته الشمالية والشرقية، وتحجيش الجيوش وتعبئة الأساطيل لتمهيد أقطار المغرب. ومات عبد المومن في سلا سنة 558 / 1163 بعد أن اجتمع له فيها 480.000 فارس وراجل انتشروا في الضفة الجنوبية للنهر . وكانت الرباط لم تبعد . إلى عين غبول، وفي ضواحي مدينة سلا إلى حلق المعمورة، كان يريد العبور بهم إلى الأندلس لوضع حد للزحف المسيحي.

هذا الاهتمام وهذه الحركة الغير العادية التي عرفتها مدينة سلا مع طلائع الموحدين كان لهما انعكاس إيجابي على الحياة العامة بالمدينة، واقتصادياتها واتصالاتها بالخارج، وعن ذلك يحدثنا الجغرافي الشريف الإدريسي السبتي في *نزهة المشتاق*، وهو معاصر للأحداث قائلا : "وسلا الحديثة على ضفة البحر الملع منبععة من جانب البحر لا يقدر أحد من أهل المراكب على الوصول إليها من جهته، وهي مدينة حسنة حصينة في أرض رمل، ولها أسواق نافقة وتجارات، ودخل وخرج، وتصرف لأهلها، وسعة أموال، ونمو أحوال، والطعام بها كثير رخيص جداً، وبها كروم وغللات ويساتين وحدائق ومزارع، ومراكب أهل إشبيلية يقصدونها بالزيت الكثير وهو بضاعتهم، ويتجهزون منها بالطعام إلى سائر بلاد الأندلس الساحلية... وفي هذا الوادي أنواع من السمك وضروب من الحيتان، والحوت بها لا يكاد يباع ولا يشتري لكثرتة وجودته، وكل شيء من المأكولات في مدينة سلا موجود بأيسر القيمة وأهون الثمن".

وكان ليعقوب المنصور ثالث الخلفاء الموحدين نفس التجارب والتعاطف مع مدينة سلا، ففيها يبيع بعد رجوعه من الأندلس، وشيد جامعها الأعظم على أنقاض جامع بني عشرة إثر انتصاره في معركة الأرك سنة 593 / 1196. كان يعمل في بناء هذا الجامع ونقل حجارتها سبعمائة أسير من أسارى الإفرنج في قيودهم، وبنى في الجهة الجوفية من الجامع مدرسة عظيمة تعد من أوليات المدارس العلمية بالمغرب. واهتم بمنطقة سلا على العموم، فأسس في نفس الفترة على الضفة الجنوبية مدينة رباط الفتح، وأعمر قبل ذلك سهول تامسنا وأزغار الغرب بقبائل الأعراب الهلالية التي أتت بها من تونس.

كان ذلك كله بردا وسلاما على مدينة سلا الحديثة، التي اتسع عمرانها وازدادت ساكنتها بمن دخلها من طارئين حضريين وبدويين، وأصبحت أم مدن المنطقة ينسب إليها الرباط (رباط سلا) والقصبة (قصبة سلا) وشالة (شالة سلا) وتسمى مجتمعة "مدن سلا" سواء في كتب التاريخ والوثائق الإسلامية والأوروبية إلى القرن الثاني عشر الهجري (18 م). وإذا نظرنا إلى حالة مدينة سلا في العهد المريني، وهو يمتد على نحو ثلاثة قرون (من منتصف القرن السابع إلى منتصف العاشر (13-16 م) فإننا نجد في تطور مستمر بالرغم على الأزمات والكوارث السياسية والطبيعية التي أصابتها، ونلاحظ بروز ظاهرتين حضاريتين أصبحتا منذ هذا التاريخ تطبعان المدينة ولا تنفكان عنها :

أولاهما ظاهرة أخلاقية تتمثل في انتشار الزهد والصالح، وذلك تطور طبيعي للحركة الصوفية النشطة التي عرفتها المدينة خلال القرن السادس (12 م). واشتهرت داخل المغرب وخارجه كمكان مفضل للخلة والعبادة والنسك، وانتقل إليها عدد من الشيوخ العارفين والمردين السالكين، وعلى رأسهم العالم الصالح قمة الزهد والورع سيدي بنعاشر :

يتعذر الحديث عن تطور التصوف في هذه الفترة بمدينة سلا من خلال تراجم رجاله، لذلك نحيل من ينشوف للتعرف على مصدرين أساسيين معاصرين، جاء مؤلفاهما إلى سلا في إطار السياحة الصوفية ومحدثا عن صلحائها وزواياها وأضرحتها، أولهما محمد بن أبي بكر الحضرمي (ت. 787 / 1385) من سبته مؤلف *السلسل العذب والمنهل الأملئ*، نشرته في السنوات الأخيرة الحزانية العلمية الصبحية. والثاني أحمد الخطيب ابن قنفذ (ت. 810 / 1407) من قسنطينة مؤلف *أنس الفقير وعز الحقير* نشره المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط سنة 1965. ولا يمكن إغفال مؤلف معاصر آخر عاش متزهداً متصوفاً في سلا بعد أن ترك الرئاسة والوزارة، هو لسان الدين ابن الخطيب الغرناطي الذي لا يكاد يخلو مؤلف من مؤلفاته، وهي تروى على الخمسين، من حديث عن سلا وصلحائها ومعالها الحضارية.

الظاهرة الحضارية الثانية بسلا في هذا العصر تتمثل في تقدم الصناعات والمعارف بفضل المؤسسات التي أقامها ملوك بني مرين بهذه المدينة. كدار الصناعة من عمل يعقوب ابن عبد الحق، ومدرسة الطالعة من إنشاء أبي الحسن، والمدرسة الطبية أو المارستان من عمل أبي عنان. وأرى أن لنعناية هؤلاء الملوك بسلا علاقة بظاهرة التصوف الأولى، إذ كان لهم اعتقاد في أولئك الصالحين، ومطارحات أبي عنان مع الشيخ ابن عاشر معروفة في كتب التاريخ والمناقب.

أسست دار الصناعة سنة 659 / 1261 لبناء السفن الجهادية والتجارية على المستوى الوطني، وأصبح الصناع السليويون (البلاطية) ينون سفنا شرعية ضخمة لا تتوفر على أعدادها، ولكن الإشارات التاريخية تدل على أن السفن التي خرجت من باب المرسية أمكنها منذ العقود الأولى أن تعيد التوازن إلى الأسطول المغربي. فقد تمكن المؤسس يعقوب ابن عبد الحق المريني من الجواز إلى الأندلس أربع مرات صحبة جيشه الجرار لإنقاذ المسلمين وإيقاف الممالك النصرانية عند حدها. وهاجمت أساطيل أبي الحسن المريني سفن المسيحيين في بحر الزقاق وحطمتها، وفي سنة 740 / 1340 جاز أبو الحسن المريني من سبته إلى الأندلس، ومعه ستون ألفاً من الجند "فانتظمت الأساطيل سلسلة واحدة من العدو إلى العدو... ولما تكاملت العساكر بالعبور أجاز هو في أسطوله مع خاصته وحشمه". ونزل بساحة طريف ولو أن الله محص المسلمين في هذه المعركة. وبعد ثمان سنوات رحل أبو الحسن إلى تونس برا لتفقدتها وتمهيدها، ورجع منها بحرا في ستمائة سفينة.

وبنيت المدرسة المرينية بالطالعة سنة 742 / 1314 من طابقين، طابق أرضي به صحن جميل مفروش بالزليج الرفيع تحيط به أروقة مفتوحة، وتتصدره من جهة القبلة قاعدة للصلاة والدراسة. وطابق علوي به بيوت لسكنى الطلبة، وأكثر من كان يقيم بها الطلبة الأفريقيون الذين يشدون إليها الرحال من البوادي وحتى من الحواضر.

وقد ذكر ابن علي الدكالي في التتبيد الذي خصصه لتاريخ هذه المدرسة بأن عدد أساتذتها وطلبتها كان كثيراً جداً بسبب وفرة الأحباس التي أوقفها عليها أبو الحسن المريني بسلا والرباط فكانت الأموال التي تتجمع من استفادها توزع بسخاء على المدرسين والمتعلمين، وأفاد ابن الخطيب في كتابه مثلى الطريقة أن أهل سلا في عصره (منتصف القرن الثامن (14 م) "كانت لهم مشاركة كبرى في سائر العلوم واختصاص ببعضها التي لا يتعاطاها سواهم إذ ذاك". والدليل على هذا الاختصاص أن أعيان علماء فاس وغيرها كانوا يرحلون إلى سلا لأخذ الطب والتصوف عن أساتذتها وشيوخها.

أما المدرسة البيوعنانية أو المارستان بحومة باب حساين فهي مدرسة متخصصة في الطب والصيدلة أسست سنة 1757 / 1356 على غير نمط المدارس الأخرى، تحيط بفنائها الواسع بيوت أرضية وعلوية، بعضها لتعليم الطلبة وتحضير الأدوية المفردة والمركبة، وبعضها لإيواء المرضى الذين يقيمون بها في سعة من العيش ويتلقون العلاج إلى أن يتم برؤهم. ومن أشهر أطباء هذا المارستان الطبيب عمر ابن غياث السلاوي المعروف في لسان العامة بسيدي مغيبث، والطبيب أبو الفضل العجلاني السلاوي، وكلاهما له تأليف في الطب والتشريع والعلاج. ومن المتخرجين على يد غياث الطبيب محمد القوري المكناسي ثم الفاسي.

وفي العصر الحديث، عصر الشرفاء السعديين والعلويين (القرن الخامسة الأخيرة) وهو عصر التفتح على الخارج والتعامل مع أوربا الجارة وبلاد السودان وراء الصحراء، وما نشأ عن ذلك من عطاءات ومبادرات، ومصاعب وأزمات، فنجد سلا تتفاعل مع الأحداث بحذر وأناة، وتقوم بدورها كاملاً كمدينة عربية أصيلة. وسنجزئ من تاريخها الحضاري الحافل في هذا العهد بإشارات خاطفة.

استوطنت مدينة سلا في هذه الفترة جالية أندلسية مستعجمة بعد قرار الطرد النهائي، وأتت معها باللغة الإسبانية فأصبح السلاويون يتكلمونها في البيوت والأسواق، إلى جانب العربية، حسبما جاء في رحلة الأسير الفرنسي صويط، وطور هؤلاء المهاجرون وسائل الري في الحقول والبساتين، وأدخلوا شجر التوت وتربية دود القز، فقامت صناعة الحرير في سلا إلى جانب صناعاتها القديمة في القطن والكتان والصوف.

وقامت إمارة المجاهد العياشي السلاوي أثناء الفترة العصبية بين نهاية دولة السعديين وبداية دولة العلويين،

فشمملت منطقة نفوذه مدينة فاس ومكناس وتطوان وسائر شمال المغرب من وادي أم الربيع إلى الشغور المحتلة في الشمال، فأسهم بنصيب وافر في إيقاف الزحف المسيحي، وضيق الخناق على محتلي مازاغان (الجديدة) والمهدية والعرائش وطنجة وحقق عليهم انتصارات عديدة، وأشرف في نفس الوقت على تكوين وتسيير أسطول الجهاد البحري الذي يسميه الأوربيون أسطول "قراصنة سلا"، وتطور الجهاد البحري بعد العياشي فأصبح تحت إمرة الدلايين يُسيره ديوان ثلاثي منتخب من أعيان سلا والرباط والقصبة، إلى أن انتزع السلطة منهم المولى الرشيد بن الشريف العلوي بعد أن وحد المغرب تحت سلطته.

وفي الأخير نشير إلى بعض الأعمال الثقافية الإصلاحية التي اضطلع بها رواد الفكر والوطنية في سلا في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن لنصح المخزن ومساعدته على مواجهة الضغوط الخارجية والأطماع الأوربية، أمثال قاضي القضاة عبد الله ابن خضراء مستشار الدولة وأمين مزاريفها، والقائد عبد الله بنسعيد نائب مندوب السلطاني بطنجة، وعلي زنبر صاحب مشروع الدستور الذي اقترح حلولاً ملائمة للمشاكل التي كان المغرب يتخبط فيها.

كما نشير إلى سبق سلا وريادتها في ميدان الصحافة والنشر، فقد صدر فيها خلال الثلاثينيات جريدة المغرب، أول جريدة يومية حرة بالمغرب، ودورية ثقافية ملحقه بها "الثقافة المغربية" لسعيد حجي، وجريدتان أسبوعيتان: الوداد لمحمد اشماعو، والتقدم لمحمد بن حساين النجار. وفي "مطبعة المغرب" التي أسسها سعيد حجي في الثلاثينيات كذلك بحى سيدي التركي نُشرت كتب في تاريخ المغرب وحضارته، واللغة العربية وآدابها، مثل المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي بتحقيق الأستاذ محمد الفاسي، وشرح بحرق الكبير على لامية الأفعال بتحقيق عبد الرحمان حجي، وأجزاء من سلسلة البدائع الأدبية.

وأهم ما يستلفت النظر في سلا بعد الاستقلال، اتساع الأحياء خارج المدينة بحيث أصبحت سلا داخل الأسوار لا تمثل إلا جزءاً بسيطاً من سلا الكبرى، وآخر ما أحدث فيها "سلا الجديدة" في وطا حصين وهي مدينة واسعة بجميع المرافق الضرورية، وتضخمت الساكنة بأفواج المهاجرين من المدن والقرى وحتى الموظفين العاملين بالإدارات العمومية بالرباط.

ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب والأندلس، القاهرة، 1914 : ابن حوقل، المسالك والممالك، لندن، 1873 : البكري، المسالك والممالك، تح. أدريان وآخر، بيروت، 1992 : الشريف الإدريسي، نزعة المشتاق، ط. إيطاليا، د. ت. م. الحميري، الروض العطار، تح. إحسان عباس، بيروت، 1975 : ع. الواحد المراكشي، المعجب، تح. م. الفاسي، سلا، 1938 : ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، بيروت، 1985، ج 3 : ابن أبي زرع، الفرطاس، الرباط، 1973 : ع. الرحمن ابن خلدون، العبر، بيروت، 1956، أجزاء 4 و6 و7 : ل. ابن الخطيب، مثلى الطريقة، الرباط، 1973 : أعمال الأعلام، الدار البيضاء، 1964 : معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار،

الأسكندرية، 1958 : أ. الحضرمي، السلسل العذب والمنهل الأملح، سلا، 1988 : أ. ابن قنفذ، أنس الفقير وعن الحفير، تج. م. القاضي، وأ. فور، الرباط، 1965 : مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تج. سعد زغلول ع. الحميد، الدار البيضاء، 1985 : ح. الوزان، وصف إفريقيا، تر. م. حجي وم. الأخضر، ط 2، بيروت، 1983 : م. كويخال، إفريقيا، تر. م. حجي وآخرين، الرباط، 1989 : أ. المقرري، أزهار الرياض، تج. سعيد أعراب، المحمدية، د. ت. أ. ابن عاشر الحافي، فهرس، مخطوط : تحفة الزائر بنقاب الحاج أحمد بن عاشر، تج. م. بوشعرا، سلا، 1988 : كنانة، مخطوط : مويط، رحلة الأسير مويط، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1990 : أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954 : م. ابن علي الدكالي، تقييد في تاريخ مدرسة الطالعة بسلا، مخطوط : الإتحاف الرجيز، ط 2، الرباط، 1996 : إتحاف أشراف الملا، مخطوط : كنانة، مخطوط : ح. الناصري، ابن الخطيب بسلا، سلا، 1988 : سلا ورباط الفتح وأسطولهما الجهادي، مخطوط : قضاة سلا، مخطوط : م. حجي، النزوية الدلالية، ط 2، الدار البيضاء، 1988 : م. بن شريفة، أسرة بني عشرة، مجلة تطوان، 1965 : ج. كوستي وق. عشاش، بيوتات مدينة سلا، تج. نجاة المريني، سلا، 1989 : ع. اللطيف الشاذلي، الحركة العيسائية، الدار البيضاء، 1982 : ع. العزيز بتعبيد الله، سلا أولى حاضرتي أبي رقرق، سلا، 1989 : مصطفى بوشعرا، علاقة المخزن بأحوال سلا قبيلة بني حسن، الدار البيضاء، 1996.

Association Bou Regreg, *La réhabilitation des cités anciennes*, actes du colloque international - Salé les 6 - 7 - 8 octobre 1988, Casa, 1990 ; K. L. Brown, *An Urban of Moroccan History, Salé 1000 - 1800, H.T.*, vol. XII, 1971 ; *People of Salé. Tradition and change in a Moroccan city, 1830 - 1930*, Manchester U.P. 1976 ; L. Brunot, *La mer dans les traditions indigènes à Rabat et Salé* ; P. Carcopino, *Le Maroc Antique*, Paris, 1943 ; P. Champion, *Le Maroc et ses villes d'art*, Paris, 1927 ; Dr. Chastel, *Rabat - Salé, vingt siècle de l'oued Bou Regreg* ; R. Coindreau, *Lex Corsaires de Salé*, Paris, 1948 ; Collectif, *Salé cité millénaire*, Salé, 1997 ; Collectif, sous la direction de Marcello Balbo, Daniel Pini, *Médina di Salé*, Milano, 1993 ; J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe 1830 - 1894*, Paris, 1961 ; H. Terrasse, *Les portes de l'Arsement de Salé*, Hesp., 4ème trim., 1922.

محمد حجي

## سَلَابُوس Salabos ثائر أمازيغي أيام الرومان. يعدّ

ديون كاسيوس المؤرخ الروماني الوحيد الذي تحدث عن سلابوس عبر فقرة يتيممة. فكان هذا الأخير ثالث ثائر أمازيغي ينال الاهتمام في المصادر الرومانية بعد يوغورطة Jugurtha الذي أفرد له سالستوس Sallustius كتاباً كاملاً وتاكفاريناس Tacfarinas الذي تحدث عنه وعن ثورته المؤرخ تاكيتوس عبر بعض صفحات الكتب الثاني والثالث والرابع من حولياته.

وهكذا أهمل ديون كاسيوس شخصية سلابوس وظروف وملابسات ثورته، ولم يسلط الضوء إلا على فترة جد وجيزة من حياة هذا الثائر وهو في حالة حرب ضد الرومان.

هذا وإذا ما تسامنا عن بليينيوس الشيخ وعن شهادته، فبحري بنا أن نذكر أنه مؤرخ لاتيني الأصل (23، 79 م)، معاصر لأحداث ثورة سلابوس، وأنه هو صاحب المؤلف المشهور "التاريخ الطبيعي" (Naturalia Historia) الذي جعله في سبعة وثلاثين جزءاً، وصلت إلينا كاملة. وأنه أفرد الجزء

الخامس من مؤلفه هذا للحدث عن إفريقيا الشمالية طبيعياً وبشريا وضمته بعض المعلومات التاريخية.

إلا أن شهادته التي أوردها عن حملة سويتونيوس بولينوس إلى ما وراء الأطلس، وإن كانت ذات أهمية، فهي لا تشيع فضول الباحث ولا تشفي غليل تساؤلاته. وذلك لسبب واضح للغاية هو أن هذا "الجغرافي" الذي لم يكن شاهد عيان - لم يأخذ من تقارير سويتونيوس بولينوس عن حملته إلا ما يخدم غايته من مؤلفه وهو يدون أوصافه للمنطقة بكل اقتضاب. فجاءت إشارته عن ثورات شرق المغرب آنذاك إشارة هزيلة أهملت كل شيء عن الأهالي الثوار وعن زعامتهم وعن ظروف وملابسات ثورتهم وما ارتبط بها من الأسباب والحواجز والنتائج.

أما الباحثون المحدثون فقد تجاهلوا سلابوس ونشاطه، فاكتفى بعضهم - وهم قلة قليلة - بالإشارة إلى ثورته وبذكر اسمه، ولم يتعد البعض الإشارة الخفيفة إلى القائدين الرومانيين. وانفرد الباحث دولاشابيل (De la Chapelle) بمقالة عن "حملة سويتونيوس بولينوس"، محورها في إطار يدرس بالدرجة الأولى إشكالية الربط البري بين الموريطانيتين الطنجية والقيصرية. هذا الربط الذي لم يكن في نظره إلا في الحالات الاستثنائية، مؤكداً أن حملة هذا القائد كانت أساساً ضد رعاة رحالة صحراويين كانوا يقضون فصل الشتاء في الصحراء، ويتبعون في الصيف مياه نهر ملوية أو الهضاب المجاورة له قاصدين سهول ملوية السفلى وما جاورها في الشمال، فيسهلون بحركتهم تلك كل ربط وتواصل آمن بين الموريطانيتين. هؤلاء الرعاة الرحالة الذين لم يتورع دولاشابيل عن نعتهم بالتهاب والسراق، مرجحاً أن يكون سويتونيوس بولينوس قد انطلق من غرب موريطانيا القيصرية ليشتن ضدهم غاراته، سالكا طريقه عبر تلمسان دبدو، وتندارة وسهل تاملانت، وعين الشعير عند سفح الأطلس، على امتداد ثلاث مائة كيلومتر بمعدل ثلاثين كيلومترا في اليوم، وتعدى الأطلس بعد ذلك إلى وادي كير بضواحي بوغان وريما دخل تافيلالت نفسها.

وبناء على ما سبق، فإن الأسئلة الملحة التي تفرض نفسها هي : من يكون هؤلاء الأهالي الثوار الذين نعتهم دولاشابيل بالتهاب والسراق ؟ ومن يكون زعيمهم سلابوس ؟ وما هي ظروف وملابسات ثورتهم ؟

مما لا شك فيه أن محاولة التعريف بالمورين الذين حاربهم القائدان الرومانيان سويتونيوس بولينوس وهوزيديوس جيتا أمر صعب جدا، ما دامت النصوص التاريخية التي أوردها بليينيوس وديوس كاسيوس لا تذكر هؤلاء الأقوام بصريح العبارة.

إلا أن الاقتناع برأي دولاشابيل بخصوص انطلاق حملات القائدين الرومانيين من غرب المغرب الأوسط واتجاههما نحو تافيلالت عبر النجود العليا والأطلس، اقتناع يساعد على تحديد المجال الحيوي لهؤلاء الأقوام على الأقل،

ويهدد انطلاقاً من هذا المجال لكشف هوية أولئك الذين كانوا يستغلونه خلال القرن الأول للميلاد .

ولما كان نص بلينيوس يذكر بصريح العبارة الأطلس ونهرا باسم كير Ger، فإن الأقرب إلى الصواب هو أن تنطلق التحريات من هذه المعالم الجغرافية في شكل ثلاث ملاحظات:

أولها : أن القائد سويطونيوس بولينوس قد تجاوز الأطلس ووصل إلى نهر يدعى كير Ger، رأى فيه الباحثون النهر المعروف بنض هذا الاسم - إلى يومنا هذا - إلى الشرق من تافيلالت ؛ منطلقين من أن هذه التسمية في حد ذاتها جذر أمازيغي يعني واداً أو نهراً.

ثانيها : أن الأوصاف التي أوردها بلينيوس عن المنطقة التي عبرها هذا القائد في ظرف عشرة أيام قبل وصوله إلى الأطلس تنطبق إلى حد كبير على جغرافية النجود العليا الشرقية بما فيها من صحاري ذات رمل أسود تتخللها من مكان لآخر أكمات صخرية سوداء، كأنها محروقة، تعرف اليوم باسم الكارات في المنطقة.

ونستبدل على ذلك بأن لفظة بركم أو بركنت - الاسم العتيق لمدينة عين بني مطهر اليوم - تختزل هذه الطبوغرافيا السوداء اللون. ونرجح أن تكون اللفظة بركم / بركنت، مجرد نطق مخفف لللفظة تبركنت التي تعني السوداء - في بعض اللهجات المحلية. كما نرجح أن تكون تبركنت هذه هي تلك المدينة التي أشار إليها جغرافي رافنا باسم لاتاني مركب بصيغة (Ripas Nagrae) (Ripae Nigrae) بمعنى الضفاف السوداء أو المرتفعات السوداء.

ثالثها : أن الأطلس الذي ذكره بلينيوس، وديون كاسيوس كذلك، وانطلاقاً من الملاحظتين السالفتين لا يمكن أن يكون إلا شرق الأطلس الكبير الفاصل بين النجود العليا الشرقية شمالاً وبين وادي كير وتافيلالت جنوباً.

أما بخصوص احتمال وصول أحد القائدين الرومانيين أو كليهما إلى واحات تافيلالت، فإننا نميل إلى تأييد هذه الأطروحة، خاصة وأنها نجد لحملتهما صدى عند المؤرخ الرحالة الحسن الوزان Léon L'Africain الذي ينسب تأسيس مدينة سجلماسة إلى "قائد روماني ذهب من موريطانيا ... ثم زحف شطر الغرب حتى ماسة. فبنى المدينة وسماها سجلوم ميسي لأنها كانت آخر مدن دولة ماسة. ولأنها كانت كالحاتم الذي يسجل نهاية فتوحاته، فحرف هذا الاسم بعد ذلك وتحول إلى سجلماسة. بل أكثر من ذلك نجد لهذه الأطروحة صدى كذلك في الروايات الشفوية التي يتناقلها أهل تافيلالت من جيل إلى جيل إلى يومنا هذا، والتي تعود بتأسيس مدينة سجلماسة إلى الفترة الرومانية.

واعتماداً على ما سبق، يتضح جلياً أننا مقتنعون بأن القائدين الرومانيين قد انطلقوا من غرب المغرب الأوسط وسلكوا الطريق من هناك إلى تافيلالت عبر تلمسان، وسيدو، وعين بني مطهر، وتندراة، وعين الشعير، وبوعنان أو عين

الشواط، فيوذيبي، مخترقين أراضي كان ينتجع فيها أقوام ضمن مجال حيوي أوسع وأشمل. مجال حيوي يمتد ما بين الوهرانية شرقاً والأطلس المتوسط غرباً، ويستدئ من البحر الأبيض المتوسط شمالاً ليتوغل إلى تخوم الصحراء بواحات وادي كير الأعلى وتافيلالت جنوباً. فمن كان هؤلاء الأقوام آنذاك ؟

كان من اليسير علينا أن نعرف هؤلاء الأقوام بسهولة لو أن الأركيولوجيا مدتنا بالنقائش التي تخلد وصول القائدين إلى تافيلالت، وتأسيس مدينة سجلماسة، أو بتلك التي تضبط ظروف وينود معاهدة السلم التي اتفق عليها هوزيديوس جيتا مع الزعيم الموري سلابوس. لأننا متيقنون أنه ما كان من عادة الرومان أن ينجزوا أعمالاً في مثل مستوى تأسيس مدينة أو تحقيق نصر دون تدوين ذلك على الصخر. وما يقوي يقيننا في ذلك كون التاريخ احتفظ لنا في فوروم وليلي بنقيشة ماركوس فاليريوس سفروس (Marcus Valerius Severus) التي كانت تزين قاعدة التمثال الذي أقيم تكريماً لهذا القائد الروماني واعترافاً بجميله وحسن بلاته في القضاء على ثورة إيدمون (Aedemon) المعاصرة لثورة سلابوس.

وهي نقيشة غير مؤرحة تحكي حدث مساهمة سكان هذه المدينة بكافة شرائحهم في إقامة تمثال تذكاري لكايوس فولكينيوس أوبتاتوس (Carius Fulcinus Optatus) الذي أحبط هجوماً بكواطياً على مدينتهم، فاستحق بذلك شرفاً لم ينله أحد قبله في هذه المدينة.

وحول تاريخ هذه النقيشة اختلف الباحثون اختلافاً كبيراً، فهذا كانيا (Cagnat) رأى بتحفظ شديد أنها دونت حدثاً وقع في عهد الإمبراطور سبتيموس سفروس (193 - 211).

وربط توفونو (Thouvenot) تاريخ هذه النقيشة بالاضطرابات التي عرفتتها الموريطانيستان في عهد الإمبراطورين ماركوس أوريليوس (161 - 180) وكومودوس (176 - 192).

واقترح كاركوينو (Carcopino) بعدما فتد ادعاءات سابقه أن هذه النقيشة تؤرخ لحدث معين وقع في عهد الإمبراطور هادريانوس (117 - 138)، ما بين سنتي 117 و122، حدث انتهى برفع تمثال شرفي لكايوس فولكينيوس أو بتاتوس في كارطناي من جهة، وبإقامة السلم مع هؤلاء الباكواط الذين أطلق هادريانوس أيديهم في أراضي الأوطولول - الذين كانوا يستغلون المجال المحصور بين نهر سلا وجبل الأطلس - ضارباً بذلك عصفرين في آن واحد من جهة ثانية.

وإذا كانت نقيشة كارطناي تفهمنا أن حاكم هذه المدينة كايوس فولكينيوس أو بتاتوس قد حارب البكواطيين، ورددهم على أعقابهم وحال دون دخولهم مدينته، فإن كل القرانن السالفة ترجح بطريقة تلقائية أن انطلاق حملات سويطونيوس بولينوس وهوزيديوس جيتا ضد الشوار الموريين



كان من هذه المدينة بالذات.

كما تدل هذه القرائن على أن هذين القائدين حاربا حلفا موريا كان يرأسه الزعيم سلابوس ويضم الباكواطين والمكنيتيين على الأقل. ولعله كان أول حلف معروف بين الطرفين، اقتضته ظروف الثورة ومواجهة الاستعمار الروماني. هذا الحلف الذي تلتته عدة أحلاف أخرى في ما بعد نجد لها صدى واضحا في بعض النقائش التي احتفظت بها مدينة ويلي والمؤرخة بسنوات 173 / 175.

أما عن قيادة الثورة فنعتمد أن كل من وقف عند النصوص التي أوردها بليبيوس الشيخ وديون كاسيوس حول ثورة سلابوس في شرق المغرب قد لاحظ ما تميزت به تلك النصوص من البخل بخصوص المعلومات التي من شأنها أن تسلط بعض الضوء على زعامة هذه الثورة.

إلا أن كل القرائن التاريخية التي تجعل من سلابوس زعيم حلف باكواطي مكيتي، وكل المعارك التي خاضها قادة رومان كبار ضد هذا الحلف (سويطونيوس بولينيوس وهوزيديوس جيتا)، ومعاهدة السلم الموقعة بين الطرفين الموري والروماني في حدود سنة 43، إن كل ذلك كفيلا وحده أن يقنع المتتبع لهذه الأحداث أن قيادة هذه الثورة كانت على غرار قيادات معظم الثورات المورية في يد أمينة قوية مؤمنة بقضيتها المصرية لا ترجع إلا أن يكون صاحبها سلابوس على علاقات وثيقة مع أنصاره، علاقات تطبعها الثقة المتبادلة بينهم، وأن يكون في حد ذاته متميزا بأخلاق عالية أو أن يكون سليل أسرة ذات سمعة طيبة في بيئتها المحلية والجهوية، وأن يكون رجلا شهما ذكيا شجاعا على غرار شهامة وذكاء، وشجاعة كافة قادة المقاومة ورجال المقاومة في كافة عصور تاريخ المغرب.

هذا وما لاشك فيه أن روما عقب اغتيال الملك بظليوس سنة 40 نهجت كعادتها في مثل هذه الظروف سياسة هجومية عدوانية على أراضي المملكة الموريطانية الشاسعة بهدف ضمها نهائيا ورسميا إلى ممتلكاتها في إفريقيا الشمالية آنذاك.

وما لاشك فيه أيضاً أن روما - باعتبارها قوة استعمارية - قد نهجت في سبيل تحقيق أهدافها التوسعية في المنطقة كل الوسائل والأساليب الاستعمارية المعروفة، السياسية منها والحربية على حد سواء.

وما لاشك فيه أيضاً أن الأهالي الموريين قد تصدوا لهذه الهجمة الاستعمارية الرومانية بكل ما أوتوا من قوة وإيمان مدافعين عن كرامتهم وأرضهم طمعا في المحافظة على استقلالهم. فانطلقت إذك - سنة 40 - ثورة إيدمون في شمال ما سيعرف فيما بعد بموريطانيا الطنجية، وكان هجوم الباكواط انطلاقا من النجود العليا على مدينة كارطناي إيذانا بإشعال فتيل الثورة في عموم شرق المغرب إلى تخوم الصحراء بزعماء سلابوس.

إلا أن المكر الاستعماري الروماني كان أقوى من استعداد المقاومة المورية للمواجهة آنذاك إذ عملت روما على عاداتها

في سبيل تنفيذ سياستها الاستعمارية على إثارة أطماع رؤساء بعض القبائل وعملت على ربطهم بمصالحها بواسطة الأمانى والوعود أو بواسطة بذل الأموال لهم بسخاء. فاشترت بذلك ذممهم وولاءهم. بل أكثر من ذلك رفعت روما بعض هؤلاء الرؤساء درجات وجعلت منهم أمراء وملوكا وخلعت عليهم أودية الإمارة والملوكية، وأتخضتهم بالهدايا: صولجان فضة مذهب، وتاج فضي مزين بأحجار كريمة، ومعطف أبيض وقميص أبيض وأحذية مطرزة بخيوط مذهبة. ويفضل هذه الإغراءات ضمنتم روما لنفسها حلفاء موريين - فوق التراب الموريطاني - متواطئين معها كما أشار إليهم ديون كاسيوس بصريح العبارة وهم يرشدون طريق القائد هوزيديوس جيتا ويعززون صفوف جنده ويزحفون معه ضد سلابوس وثواره.

وقد كان هذا التواطؤ من مشبطات المقاومة المورية في المنطقة. مما اضطر الزعيم سلابوس إلى الإنسحاب إلى الصحراء بعد انهزاه في معارك نظامية كلاسيكية وجهها لوجه مع القادة الرومان، وما اضطره كذلك إلى التخاطب في السلام مع روما.

هذا وإذا كانت المصادر المتوفرة حول ثورة سلابوس تنهي حديثها عن ثورات شرق المغرب بعقد معاهدة سلام مع روما سنة 43 فإن كل القرائن التاريخية توحى بأن تلك الحملات العسكرية المتوالية التي جهزتها روما ما بين سنتي 40 و43 على النجود العليا إلى تخوم الصحراء قد كلفت الرومان عدة تضحيات بشرية ومؤونة حربية باهظة الثمن عجزت خزينتهم على تغطية مشيالات لها فيما بعد من جهة. كما توحى نفس القرائن، من جهة ثانية، بأن الرومان - الذين عجزوا عن بسط نفوذهم في هذه المنطقة - قد فهموا جيدا أن المغامرة هناك تعب كبير ونفع قليل.

هذا ويستشف من تاريخ الوجود الروماني في إفريقيا الشمالية بصفة عامة أن المنطقة - الممتدة ما بين مدينة نوميروس سيروروم (مغنية) (Numerus Syrorum) شرقا ومدينة ويلي (Volubilis) غربا وعلى امتداد عمقها من البحر المتوسط شمالا إلى ما وراء تافيلالت إلى تخوم الصحراء جنوبا - أن هذه المنطقة قد بقيت على طول هذا التاريخ منطقة خارج النفوذ الروماني، مما يدل قطعا على قوة واستمرارية صمود أهلها في وجه هذا الاستعمار. بل أكثر من ذلك يفهم من سياق تاريخ إفريقيا الشمالية في العهدين الوندالي المتأخر والبيزنطي أن هذه المنطقة بالذات قد ظلت دوما خارج مناطق نفوذ الوندال والبيزنطيين وأنها حافظت على استقلالها إلى أن دخلها العرب المسلمون الفاتحون في منتصف القرن السابع الميلادي.

وختاما، تكمن أهمية ثورة سلابوس في كونها كانت خلال منتصف القرن الأول للميلاد مقاومة معرقله للوجود الروماني في إفريقيا الشمالية عامة وضد الأهداف التوسعية الرومانية في شرق المغرب خاصة، لكونها كانت سبباة إلى

إعلان الثورة العارمة ضد الاستعمار الروماني في ممتلكات المملكة الموريطانية سابقاً، إن لم تكن هذه المقاومة في حد ذاتها من الأسباب العميقة التي كانت من وراء تقسيم هذه المملكة وتنظيم أراضيها في ولايتين متميزتين : موريطانيا القيصرية وموريطانيا الطنجية.

م. سعود النازي، حرب بوغورطة والمؤرخ اللاتيني سالوست، 1981 : م. اللبار، دور المغرب الشرقي في عرقلة الوجود الروماني في إفريقيا الشمالية، مجلة جمعية تاريخ المغرب، وجدة، العدد الأول، سلسلة جديدة، يونيو، ص. 11-24، 1993 : م. اللبار، الربط البري بين الموريطانيتين الطنجية والقيصرية، مجلة كلية الآداب الرباط، العدد 19، ص. 123، 137، 1994 : م. اللبار، حول مقاومة شرق المغرب للأهداف التوسعية الرومانية خلال منتصف القرن الأول للميلاد، ضمن وقفات في تاريخ المغرب، دراسات مهداة للأستاذ إبراهيم بوطالب، سلسلة بحوث ودراسات رقم 27، الرباط، 2001، ص. 275، 303 : ح. الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر. م. حجي وم. حفص، ج. 2، الرباط، 1982.

Albertini [et al.], *L'Afrique du Nord Française dans l'histoire*, Paris, 1955 ; M. D' Avezac, *Histoire et description de l'Afrique*, Paris, 1844 ; Marcel Benabou, *La résistance africaine à la romanisation*, Paris, 1976 ; Idem, *Taefarinas, insurgé berbère contre la colonisation*, in *Les Africains*, VII, Paris, 1990 ; R. Cagnat, *La réorganisation de l'Afrique sous Dioclétien*, *Mélanges Louis Havet*, Paris, 1912 ; pp. 65 - 75 ; *L'armée romaine d'Afrique*, Paris, 1912 ; Gabriel Camps, *Les Bavares peuple de la Mauritanie césarienne*, R. A., T. XCIX, 1955, pp. 241 - 288 ; J. Carcopino, *Le Maroc Antique*, Paris, 1948 ; F. De la Chapelle, *L'expédition de Suetonius Paulinus dans le sud-est du Maroc*, *Hesp.*, T. XIX, pp. 107 - 124 ; Jehan Desanges, *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; Idem, *Permanence d'une structure indigène en marge de l'administration romaine : la Numidie traditionnelle*, *Ant. Afr.*, T. XV, 1980, p. 77 - 89.

محمد اللبار

## السلح الناري بالمغرب، تفيد كثير من الدراسات

القديمة والحديثة أن السلح الناري بالمغرب قد ظهر في وقت مبكر نسبياً، وبالخصوص آلات الحصار والدقاع، حيث استعمله جيش السلطان المريني يعقوب المنصور، أثناء عمليات اقتحام مدينة سجلماسة في شهر رجب من سنة 672، الموافق لشهري يناير ويناير 1274، لتزعمها من يد يفمراسن ابن زيان، زعيم أسرة بني عبد الواد وقتئذ، بالإضافة إلى ما كان يُستعمل عادة من آلات الحصار والدقاع التقليدية كمدافع الحجارة، وقوس الزبار، والعردات، والأنفاض، والمجانيق.

بيد أن انتشار وتنوع استعمال السلح الناري، من أنفاض، وبُوزات، ومهاريس، وبنادق قسصيرة (Mousquetons)، إلى غيرها من أفواه النار، لم يتم على نطاق واسع في صفوف الجيش المغربي ومن كان ينضم إليه من حراك ومتطوعة القبائل، إلا على عهد السعديين، وبالخصوص أيام السلطانين عبد المالك السعدي وأخيه وخلفه أحمد المنصور الذهبي.

على أنه، ولأسباب متعددة ومختلفة، منها ما هو راجع إلى الجمود والشلل اللذين أصابا بني البلاد السياسية،

والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية، بعد بارقة وادي المخازن سنة 1578، ومنها ما هو مرتبط بالتطورات والإنجازات المادية والتقنية التي تحققت في المجتمعات في أوربا الغربية على الخصوص منذ هذا التاريخ، بل قبله بعشرات السنين، لم يطرأ أي تحول إيجابي يُذكر على قطاع الأسلحة النارية المستعملة من قبل عناصر الجيش المغربي.

ولذلك كان في مقدمة العيوب والنقائص التي ظل يعاني منها الجيش المغربي، على امتداد القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، افتقاره إلى سلاح ناري حديث ومُتطور، على غرار ما كانت تتوفر عليه جيوش عدد من دول أوربا الغربية وقتئذ من عتاد حربي متنوع وفتاك، كان يُساعد على إرهاب وإسكات الخصم، واقتحام معسكره ومعاقله، وتشتيت صفوفه وجموعه. فإذن، والحالة هذه، لا عجب أن ينهزم المغاربة، كلما اضطرتهم الظروف وملابسات الوقائع والأحداث إلى خوض غمار معركة كبرى ضد جيش من جيوش أوربا الغازية، دفاعاً عن العقيدة، والشرف، والكرامة، وحوزة الوطن.

ومن المعلوم أيضاً أن مجهودات الدولة المغربية في مجال تأسيس صناعة حربية وطنية قد مرت بمراحل مختلفة، واضطبغت كل واحدة منها وتأثرت بشخصية، وميولات، وانشغالات العاهل الحاكم، وما يكون قد تخلل فترة حكمه من أحداث ووقائع سياسية وعسكرية على الخصوص. ولما استعاد المغرب عافيته وسكينته على عهد السلطان محمد ابن عبدالله بعد سنوات عديدة من الاقتتال والاضطرابات وعدم الاستقرار، مدة حكم والده السلطان عبد الله بن إسماعيل (1142 - 1171 / 1729 - 1757)، حيث انتشر الهدوء والأمن في ربوع البلاد، ونشطت التجارة البحرية، الأمر الذي ارتأى معه العاهل اقتناء السلاح من الخارج، والسماح للتجار الأوربيين بأداء ديونهم للمخزن في شكل كميات من الأسلحة والذخيرة، عوض التفكير في تأسيس صناعة حربية محلية.

وقد حاول تدارك هذا الأمر السلطان عبد الرحمن بن هشام، فشجع صنَّع البنادق والبارود في معامل بعض المراسي والمدن الداخلية كسطوان، وطنجة، والعرانش، ومكناس... بيد أن هذا كله كان يتم في إطار تقليدي وطائفي وبوسائل عتيقة، أي أن إنتاج البنادق مثلاً كان يتم في إطار تخصصات معينة، حيث كان كلٌّ من "الزنايدية"، وهم الصناع المختصون في صنع صفائح ألبات القذف، و"السرارية" ويختصون في صنع القناة الخشبية التي تُركب في الجعبة، و"الجماعية"، وكانوا يتولون صنَّع الأنبوب الحديدي الذي يملأ بالبارود، يشتغلون في معزل تام بعضهم عن البعض.

وهذا النوع من البنادق هو الذي كان يُدعى "مكحلة بوشفرة"، أو المكحلة العربية التي تزد بالبحجر، وهي التي كانت أكثر انتشاراً من غيرها، سواء في التنظيمات

المستحيل، تقديم أرقام دقيقة عن عدد البنادق، أو بطاريات المدافع المختلفة الحجم والأصل. فضلاً عن باقي المعدات والأدوات الحربية الأخرى، من خرطوش، وبارود... والتي كانت في مخازن العدة، أو بيد الجنود، أو أبناء القبائل، وبالخصوص في منطقة الريف، وجبال بني يزناسن وغبائه، وقبائل التخوم الشرقية، وقبائل زعير، وأعراب الرباط، وسوس.

وتسمح الوثائق المخزنية والمصادر العربية، إضافة إلى وثائق وزارة الحرب الفرنسية بفانسين بياريز وكتابات الأوربيين الأخرى عن المغرب وشؤون، بإيداء بعض الملاحظات والمفردات بمجموعة من الخلاصات، نجملها في النقاط الآتية :

(1) حرص المخزن الدؤوب على فرض مراقبة شديدة ومتواصلة على مسألة الأسلحة والاختصاص بها وحده، ومحاولة عدم تسريها إلى القبائل. ولهذا مثلاً، كانت البنادق والذخيرة لا توزع على الجنود إلا ساعة بداية القتال لتسحب منهم بعد انتهاء مباشرة.

(2) يصحب السلطان، أثناء تنقلاته عبر مختلف جهات البلاد، الجزء الأكبر من العتاد الحربي الثقيل المتكون أساساً من مدافع ومهاريس نحاسية وحديدية. فهذا مثلاً السلطان محمد بن عبد الله، وهو يتأهب لضرب حصاربري على مدينة البريجة (الجديدة فيما بعد)، في غرة شهر مارس من سنة 1768 بهدف استردادها من قبضة المحتلين البرتغاليين. وهذا السلطان المولى عبدالعزيز بدوره يصحب معه ما لا يقل عن 29 مدفعاً، من أنواع وأحجام وعبارات مختلفة، بالإضافة إلى 4 مدافع هون (Mortiers)، و6 مدافع رشاشة من نوع غاردنر (Mitrailleuses Gardner)، خمسة من هذه الأخيرة كانت تستخدم قرطوس من نوع لي مدفورت (Lee Medfort)، وواحدة قرطوس من نوع مارتيني.

(3) تتوزع مخازن السلاح والذخيرة أساساً على العواصم الثلاث، فاس، ومكناس، ومراكش. علاوة على ما كان مودعا منها في أهم المدن الساحلية تطوان، وطنجة، والعرانش، وسلا ورباط الفتح، والجديدة وأسفي، والصويرة...

وكان السلطان يعهد لأمناء الصائر وأمناء المراسي بتدبير شؤون هذه المخازن، وضبط كميات وأعداد ما بها من عتاد حربي وذخيرة، وتسجيل الكتل في كراسة خاصة، وما كانوا يسلمونه من هذه المواد إلى الغبير، أو يبعثون به إلى السلطان، حين يؤمرون بذلك. على أن قائد الحامية العسكرية بالمدينة كان يتحمل جانباً من المسؤولية في تدبير شؤون هذه المخازن، كأن يكون بيده مثلاً، أو بيد من ينوب عنه، مفتاح ثاب لمخزن الذخيرة، زيادة في الاحتياط والحذر. إلا أن ذلك كان لا يمنع من وقوع أحداث مؤلمة، كانت تتسبب في خسائر بشرية ومادية، بسبب وضع هذه المواد المتفجرة رهن إشارة أشخاص غير متمرنين على تداولها. أضف إلى هذا سوء تدبير هذه المرافق وتهاون القيمين عليها في القيام بأعمال

العسكرية المخزنية، أو في صفوف مقاتلي القبائل. وكانت الطلقة النارية تنطلق منها بواسطة شارة يحدثها نوع من الحجر الخاص بالبنادق، يثبت في مطرقة صغيرة، يحركها زنبرك (Ressort) متى شاء مستعملها، وذلك بأن يضغط بأصبعه على الزناد. وكان طولها يصل إلى متر وستين ستمتراً، في حين يبلغ عيارها حوالي ثلاثة عشر ميليمتراً. وبالإضافة إلى هذه البندقية، كان الجنود المغاربة يستخدمون أنواع أخرى من البنادق، أجنبية الصنع، إنجليزية، وبلجيكية، وفرنسية، وأمريكية وهي :



السلاح الناري

الشكبيطة (Escopette)، ويوحيه، ويوحفرة، ويوشكة، ويوذن، ويوغطاء، والبلجن، والمنهبية، والسطاشية، ومارتيني - هنري (Martini - Henry)، وكومبلان (Comblain)، وونشستر (Winchester)، وشاسبو (Chassepot)، ولبل (Lebel)، وموزر (Mauser)، ورمغنتان (Remington).

ونفسهم مما يرد في العديد من الوثائق المخزنية من معطيات وبيانات حول مؤسسة الجيش وشؤونها في القرن التاسع عشر على الخصوص، أن هذه البنادق الحديثة الصنع والتي كانت تجلب من الخارج لم تكن قط بيد جميع فرق الجيش المغربي وتنظيماته، إذ كان المخزن يفضل تسليحهم بالبنادق المغربية الصنع التي تزند بالحجر أو ذات المكبس، فيصبح سلاح الجميع اليدوي عبارة عن خليط عجيب من البنادق. وتنطبق هذه الملاحظة أيضاً على العتاد الحربي الثقيل، أي المدافع، والمهاريس، إذ كانت جل قطعها يعود تاريخ صنعها إلى عدة سنين خلت، وأهديت للسلطان، في مناسبات معينة، من قبل بعض الدول الفرنسية.

وأيا كان الأمر، فإنه من الصعب جداً، إن لم نقل من

الصيانة والتفقد الضرورية كي لا يتعرض ما فيها من آلات، وأدوات، ومواد إلى الضياع والإتلاف.

4) ما من شك أن المغرب كان في الفترة التي تعيننا هنا يفتقر إلى الأسلحة كما وكيفا، ولا تمكنه قط من الدفاع عن النفس، في حال وقوع اعتداء خارجي على أراضيه، كما شاهدنا ذلك في القرن التاسع عشر على الخصوص. ثم لا بُد من الإشارة هنا إلى أنه بالإضافة إلى فقدان الخبرة في القتال، وانعدام الروح العسكرية، وعتاد حربي جل قطعه عاتبة وقديمة، كان لمزوذي المخزن من التجار الأجانب بالأسلحة، دور هام في إفساد عملية تسليح وتجهيز الجيش المغربي، إذ كان معظمهم لا يترددون في بيعه القديم منها، أو العائب، أو ما كان منها على وشك الإقصاء والتعويض بأحدث منها صنعا وأحسن إتقانا.

وثائق خ. ح. : محفوظات المولى عبد الرحمن بن هشام، أرقام 1/19 / 1/38 / 6/15 / 6/24 / 9/7 / 14/24 ؛ الكنائس : ك : 47 ؛ ك : 117 ؛ ك : 347 ؛ ك : 348 ؛ ك : 113 ؛ ك : 467 ؛ ك : 694 ؛ ك : 429 ؛ ك : 374 ؛ ك : 443 ؛ ك : 763 ؛ مديرية الوثائق الملكية بالرباط، محفظة رقم 1، ملف 11، وثيقة رقم 19274، سنة 1263 / 1847 ؛ خ. ص.، سلسلة 3، حرف ب. - محفظة 23، وثيقة رقم 3331، سنة 1305 / 1887 ؛ سلسلة 3، حرف ب. - محفظة 25، وثيقة رقم 3642، بتاريخ فاتح ربيع الأول 1314 / 10 غشت 1896 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، الطبعة الوطنية، الرباط، 1929، 1933، ج. 1، ص. 380، ج. 2، ص. 115، 549، ج. 3، ص. 365، 148، 366-577، ج. 5، ص. 1، 274 ؛ ت. يرادة، الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر، منشورات، ك. أ. ر. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997 ؛ م. ابن الخوجة، رسالة في طريقة تحديث الجيش المغربي، مخطوط، خ. ع. ر. رقم : 2733 ؛ م. بن إبراهيم السباعي، البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عهد مآثر السلطان مولاي الحسن، خ. ع. ر. مع رقم د 1346 ؛ م. المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، الدار البيضاء، 1996 ؛ مظاهر بقعة المغرب الحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ج. 1، م. المهناوي، السلاح الناري بمغرب السعديين، د. د. ع. فاس، 1988 ؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1956، ج. 3، ص. 36 وما بعدها، ج. 8، ص. 72-3 (القسم الثاني) ج. 9، ص. 112.

Archives Ministère Guerre, Vincennes. A.G.V., 3h2, Rapp. sur Organisation de l'Armée marocaine, 7 septembre 1870 ; A.G.V., 3h2, Rapp. Erckmann, n° 7, année 1878 ; A.G.V., 3h3, Rapp. Cap. Martin, mars-avril 1882 ; A.G.V., 3h4, Rapp. Cdt Levallois, 1er mars 1884 ; A.G.V., 3h8, Rapp. n° 17, année 1892 ; A.G.V., Rapp. Schlumberger, année 1894 ; A.G.V., 3h9, Rapp. n° 30, année 1895 ; A.G.V., 3h21, Rapp. Cap. Laras : L'occupation du Maroc, 25 mars 1900 ; Archives Affaires Etrangères, Paris. A.E.P., Corresp. Pol., année 1847 ; A.E.P., Corresp. Pol., vol. 38, année 1872 - 73 ; Cap. Delhomme, Les armes dans le Sous occidental, Arch. Berb., Vol. II, 1917.

مصطفى الشابي

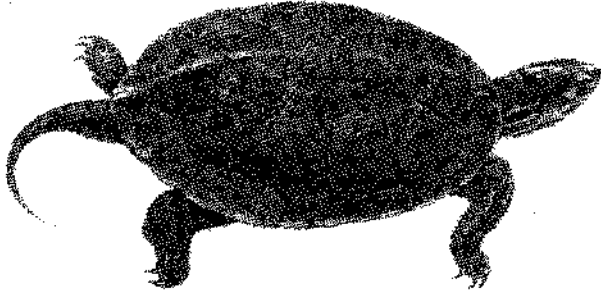
**السلاحف** والسلاحفيات (كلمة فارسية معربة) حيوانات

من الزواحف تضم نحو 250 نوعا أغلبها برية منتشرة في المناطق الاستوائية والمعتدلة وغير موجودة في المناطق

الصحراوية الحارة. للسلاحف البرية أربعة قوائم تمشي عليها بينما تحولت قوائم الأنواع البحرية إلى شبه زعانف تستخدمها في السباحة ولا تستطيع أن تنكش داخل البيت القرني (الترس) كما تفعل سلاحف الأرض. يرجع بظء السلاحف البرية في تنقلاتها إلى القوائم القصيرة رغم قوتها ومثانتها فهي صالحة لدعم الجسم وحمله عن الأرض أكثر مما هي صالحة للمشي والتنقل. يسمى المفرد منها في المعاجم السلحفاة والسلففاء للأثني والغيلم للذكر، والفكرون في الدارج بأقطار المغرب العربي وبالأمازيغية أفكرون ونفكر وثفسر.

تصنف السلاحف علميا إلى الفقاريات من رتبة الزواحف وفصيلة السلحفيات أو السلاحف Cheloniens وتعد من أقدم أنواع الحيوانات الفقارية الموجودة الآن حيث نشأت في العصر الترياسي - حوالي 200 مليون سنة - واستمرت مع تطور بسيط حتى اليوم. تنمو ببطء وتعيش أعمارا مديدة قد تفوق مائة سنة، كما أنها تتحمل الجوع عدة أسابيع. العينان مغطتان بغشاء ولاجن لهما، الرقبة طويلة تتثنى وتذهب بالرأس بعيداً عن الجسم في كل اتجاه لتبحث عن الأكل ؛ الفم عديم الأسنان والفكان مدعمان بمنقار قرني ذي حواف حادة لقطع وتمزيق المأكولات. تختلف بنية الأطراف تبعا لمعيشة الأنواع وعاداتها، فهي قصيرة مثلثة وتنتهي بمخالب قوية عند السلاحف البرية، ومكففة لتستخدم في العموم في حالة سلاحف الأنهار والبحيرات العذبة، وعلى شكل مجاذيف عند الأنواع البحرية. الجسم مغطى جهة الظهر بدرع (Carapace) من الصفائح العظمية وجهة البطن بدرقة سفلية شديدة الصلابة (Plastron) تسمى جوشنا، ملتحمة بالعظم الصدري وملتصدة بالدرع الظهرى تاركة فتحتين من الأمام والخلف يبرز منهما الرأس والذيل والقوائم. الدرقة والدرع جزءان من الهيكل العظمي يتكونان من صفائح عظمية مغطاة عادة بدروع قرنية. الكثير من الأنواع البرية يسحب الرأس والذيل والقوائم إلى داخل البيت القرني (الترس) لحماية نفسه من الأخطار. وهذا الغطاء القرني يتخذ أشكالا جميلة تختلف تبعا للأنواع ويعتمد عليها في التصنيف. السلاحف تشم وتذوق ولكن سمعها ضعيف. تتنفس مثل باقي الزواحف بواسطة رئتين تبتلعان الهواء بدفع الرأس والقائمتين الأماميتين إلى الخلف ثم إلى الأمام مع ضيق وانسباط تجويف الصدر. تبقى سلاحف البحر فترة طويلة من الزمن بداخل الماء وعندما تصعد إلى السطح يظهر منها الجزء الأعلى من الرأس خارج الماء ليبتلع الهواء.

كل السلاحف بيوضة، تحفر الأثني في التراب أو في الرمال لتضع البيض بداخل الحفرة وتردمه وبهذا تنتهي كل واجباتها نحو أجيالها. يفقس البيض تبعا للحرارة والرطوبة (بين 80 - 106 يوما بالنسبة للأنواع البحرية). يأكل الإنسان



تعيش سلحفاة المياه العذبة جزئياً في الماء وجزئياً على الأرض ؛ تسمى في المعاجم الحسنة وبالإنجليزية Terrapin وبالفرنسية Cestude وبالإسبانية Galapago europeo. تنتمي إلى فصيلة إيميددي Emydidae وتسمى علمياً إيميس أوربيكولاريس (Emys orbicularis (Linnaeus 1758). الهيكل العظمي الخارجي محدب قليلاً ويبلغ طوله 16 . 24 سم. القوائم مغطاة بحراشف صغيرة وتنتهي بمخالب ؛ الذيل طويل نسبياً ومستمدق الرأس. يألف هذا النوع البرك والمستنقعات والبحيرات القارية في أغلب المناطق المغربية الشمالية والوسطى. يتغذى من صغار الأسماك والضفادع والحشرات والقواقع وتنبثق منه رائحة قوية تنتهت بيعدها أعداداً. يتوالد في شهر أبريل وتضع الإناث 4 . 16 بيضة في السنة، يبلغ طول قطرها 20 . 22 x 31 . 39 ملم.

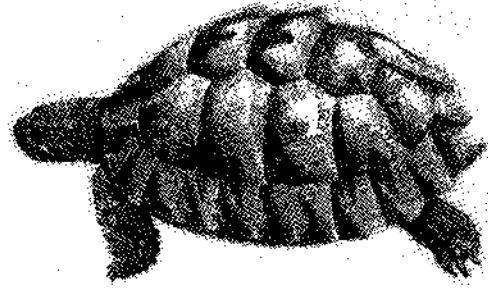
يردم البيض بالتراب وتظهر الصغار بعد 3 . 4 أشهر بطول يساوي 25 . 30 ملم وتصير بالغة بعد عشر سنوات بالنسبة للذكور وبين 15 . 20 سنة بالنسبة للإناث. يعمر حوالي 100 سنة.

تتكون السلاحف البحرية من ستة أنواع في السواحل المغربية، معظمها لاحمة ونشالة. تسمى في المغرب سلحفاة وفكرون البحر. نوعان منها شائعان نسبياً في السواحل المغربية : السلحفاة الخضراء والحفباء. الأنواع الأخرى نادرة على التواجهتين.

تنتمي السلحفاة الجلدية العسلاقة Dermochelys coriacea coriacea (Vandelli, 1761) إلى فصيلة ديرموكيليدي Dermochelidae وتدعى بالإنجليزية Leatherback وبالفرنسية Tortue-luth و Tortue cuir وبالإسبانية Tortuga luth و Tortuga cuir. الجسم أسمر داكن، مسطح ومغطى بترس جلدي سميك صلب أملس بدلاً من الدروع القرنية، تتخلله 7 قترعات طويلة واضحة على الظهر و5 قترعات على البطن، يتجاوز طول الجسم 200 سم وتقدر المسافة بين الزعانف الأمامية بحوالي 270 سم. يبلغ الوزن الأقصى للكبار 750 كيلوغراماً وشائع بين 120 . 160 كلف. القوائم مسطحة على شكل مجاذيف وخالية من المخالب، الأمامياتان كبيرتان جداً والخلفيتان مرتبطتان بغشاء مع

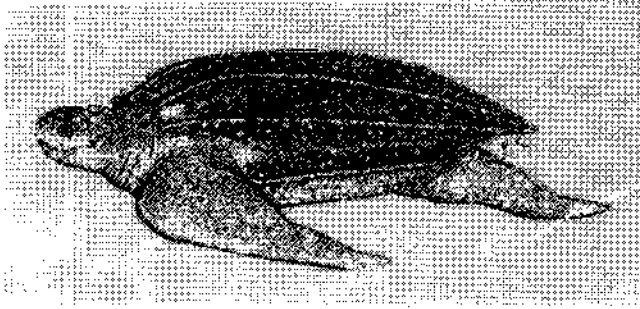
والشعابين والطيور بيض السلاحف كما أن حساء بعض الأنواع البحرية مشهور في أوروبا ويعرف باسم Turtle soup. يكثر الإقبال عليه في بعض مناطق العالم.

ثمانية أنواع من السلاحف موجودة في المغرب، نوع واحد بري والثاني يألف المياه العذبة وستة أنواع تعيش في جميع البحار والمحيطات العالمية بخلاف المناطق الباردة بالقطين الشمالي والغربي، تم ذكرها في عدة محطات بالسواحل المغربية كما أن عدة أفراد جنحت وألقى بها البحر على الشواطئ.

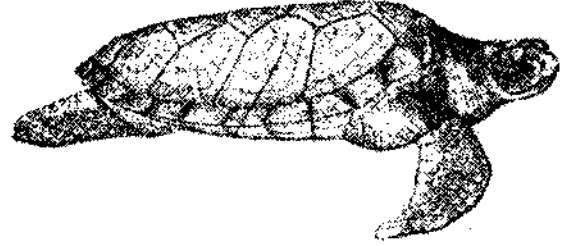


تنتمي السلحفاة البرية أو السلحفاة الاغريقية او المورية (Tortue grecque ou tortue mauresque) إلى فصيلة تستودينيدي Testudinidae وتسمى علمياً تستيدو كريكيا Testudo graeca Linnaeus, 1758 وبالإنجليزية Greek turtle وبالإسبانية Tortuga mora. الدرع الظهري محدب جداً ويبلغ طوله 25 . 30 سم ؛ وزن الكبار بين 3.2 - 4 كلف ؛ الذيل لين وقصير ؛ تحمل القائمتان الخلفيتان زائدة قرنية على شكل صيصة واضحة جهة الخلف. القوائم قصيرة ومدملكة تنتهي بمخالب تستعمل للحفر. يتوالد في أواخر الربيع وبداية الصيف وتضع الإناث بين 4 . 12 بيضة في كل سنة، بيضاء صلبة القشرة، يبلغ طول قطرها 31.5 . 38.5 x 24.5 . 31 ملم. تدوم مدة الحضانة بداخل الحفرة 70 . 90 يوماً. تظهر الصغار عادة في شتبر وتتغذى من الأعشاب فقط وتعمر حوالي 100 سنة. يشتهر هذا النوع غالباً بين أكتوبر ومارس ويعيش في الحدائق والبساتين والمناطق الغابوية المغربية ويتغذى على أوراق الخضراوات وبعض الفواكه ويخشى الحرارة التي تتعدى 35. يقتصر توزيعه على البلدان المجاورة للبحر المتوسط وبعض أقطار آسيا الغربية. تربي عدة أفراد منه في المنازل كحيوان مستأنس يفضله الأطفال. يستعمل الهيكل العظمي الخارجي في النحف الفنية وفي تركيب بعض الآلات الموسيقية التقليدية، الشيء الذي يهدده بالانقراض على الصعيد الوطني.

معظم الدول. توجد نماذج من ترس هذا النوع في المتاحف الوطنية : المعهد العلمي بالرباط والمعهد الوطني للبحث في الصيد البحري.



الذيل عند الكبار. الرأس صغير ؛ يحمل الفك العلوي سنا قرنية على كل جانب ويحمل الفك السفلي سنا واحدة وسطية. الهيكل العظمي غير ملتحم بالترس كما هو الشأن عند سائر أنواع السلاحف.



السلاحف الخضراء - *Chelonia mydas mydas* (Linnaeus, 1758) أو سلاحف ميذا المعروفة بلذة لحميا ويجلدها (الذيل) المستعمل في الحلي التقليدية وصناعة التحف الفنية. تنتمي إلى فصيلة اللجنات Cheloniidae وتسمى بالإنجليزية Green sea turtle وبالفرنسية Tortue verte وبالإسبانية Tortuga verde. سميت بالخضراء للون شحومها ؛ مظهرها الخارجي أسمر زيتوني داكن جهة الظهر وببيض شاحب جهة البطن. الترس مسطح بيضوي الشكل يحمل 4 أزواج من الصفائح الجانبية ويبلغ طوله الأقصى 125 سم وشائع بين 80-90 سم. تحصل القوائم مخلبا واحدا نام أكثر عند الذكور. يحمل الرأس زوجة واحدة من الصفائح على الجبين. تزن الكبار حوالي 250 كلف. تفضل سواحل البحار المدارية وشبه المدارية الدافئة القليلة العمق والغنية بأعشاب زوستيرا وتدخل نادرا الماء الباردة ؛ تقطع بعض الأفراد مسافات طويلا وتقرب أحيانا من الشواطئ المغربية الأطلسية والمتوسطية. يتوالد في الصيف وتخرج الإناث ليلا إلى الرمال الرطبة الشاطئية مرتين أو ثلاث مرات في السنة لتضع 20-240 بيضة تدفنها في حفرة بجانب الشاطئ ثم تعود مباشرة إلى البحر. تقلصت الأماكن الملائمة لوضع البيض على الصعيد العالمي بكيفية مدهشة ولم يبق منها في البحر المتوسط إلا بضعة شواطئ محمية في قبرص وتركيا. والإناث وفيات لأماكن الولادة وتضطر للرجوع إليها بعد قطع مسافات طوال تتعرض خلالها إلى أخطار مختلفة تهدد حياتها. البيض كروي يبلغ قطره 4.5 سم ويحضن بداخل الرمال مدة 45-70 يوما ويبلغ طول ترس الصغار بعد التفقيس حوالي 5 سم. يتم النضج الجنسي بين 8-15 سنة. تتغذى الصغار من بيض الأسماك ومن القشريات الصغيرة وتتغذى الكبار من الأعشاب البحرية والطحالب وأحيانا من الرخويات الصغيرة ويستعمل لحمها وبيضها كتعام وحساء في عدة مناطق من العالم ويستخرج الزيت من شحومها.

حيوان سلمي يألف البحار الدافئة بالمناطق الحارة والمعتدلة ويتحمل الحرارة الباردة التي لا تقل عن 11°C. يقطع مسافات طويلا أثناء الهجرة وتتخذ عدة أفراد منه السواحل المغربية المتوسطية والأطلسية مسلكا لها. يعيش في أعالي البحار ويقرب من الشواطئ للبحث عن الأكل. تغادر الإناث البحر ليلا خلال فترة التوالد لتلتجئ إلى الشواطئ الهادئة وتحفر حفرة بجوار الحد الأقصى لحظ المد والجزر، لا يتجاوز عمقها 80 سنتمترا وتتوفر فيها ظروف ملائمة لعوامل الحرارة والرطوبة لتطور البيض الذي يتطلب 50-72 يوما من الحضانة بداخل الرمال. تضع الأنثى بين 10-20 بيضة وتعود مباشرة إلى البحر. يتكرر وضع البيض من طرف الفرد الواحد 4-10 مرات متتالية ومفصولة بحوالي 10 أيام ليلبلغ عدد البيض 50-150. البيض كروي أبيض يبلغ قطره 5.5 سم ويبلغ طول جسم الصغار بعد التفقيس حوالي 5.5 سم وهي كثيرة الشبه بالكبار.

يتغذى من قناديل البحر وبالأخص منها جنس ريزوستوما Rhizostoma ومن القشريات المختلفة وأحيانا من الأسماك الصغيرة والأخبيوسات والطحالب. وهو مطارد من طرف سمك القرش والأركة Orque épaulard ومن طرف الإنسان الذي يستعمل شحومه لاستخراج الزيوت ويأكل بيضه. لحمه غير مرغوب فيه.

يرجع تقلص عدده على الصعيد الوطني والعالمي إلى شدة مضايقته من طرف الإنسان والتلوث التصاعدي وكذلك إلى اختراس الصغار بعد تفقيسها من طرف الكلاب والذئاب والكواسر من الطيور وغيرها من الحيوانات البحرية الشرسة وهي في طريقها نحو البحر بدون سلاح وبدون أبوين يحميانها. يحظى هذا النوع إلى جانب أنواع السلاحف البحرية الأخرى بحماية تمنع صيده والتقاط بيضه وصغاره في

الذبل أو اللجأة المفرمدة أو المفلسة *Eretmochelys imbricata* (Linnaeus, 1758) من فصيلة اللجنيات كيلونيدية *Chelonidae* وتسمى بالإنجليزية Hawksbill turtle وبالفرنسية Tortue à écailles - Tortue imbriquée - Caret وبالإسبانية *Tortuga de carey*. الترس بيضوي مسطح يتكون من حراشف قرنية متراكبة بعضها يستبدل خلال أطوار النمو. يحمل الترس 4 أزواج من الصفائح الجانبية ويبلغ طوله الأقصى 90 سم وشائع بين 50-70 سم. تحمل القوائم مخلين على الجانب الخارجي، يحمل الرأس زوجة واحدة من الصفائح على الجبين وينتهي الفم بمنقار قرني. تزن الكبار حوالي 120 كلغ.

تخرج الإناث ليلا إلى الشاطئ مرتين إلى أربع مرات في السنة لتضع بين 70-180 بيضة في حفرة لا يتعدى عمقها 50 سم. البيض كروي يبلغ قطره 3.5-4 سم ويزن حوالي 28 غراما. يحضن بداخل الرمال مدة 45-60 يوما ويبلغ طول ترس الصغار بعد التفقيس 4.5 سم. يتم النضج الجنسي بين 8-15 سنة. تتغذى من بيض الأسماك ومن القشريات والرخويات والاسفنجيات والحيوانات المرجانية.

تصنع من حراشف الترس الأمشاط وغيرها من التحف الفنية ويؤكل لحمها وبيضها. شائعة في البحر الأحمر والمحيط الهندي ونادرة جداً على الواجهتين بالشواطئ المغربية.

سلحفاة كيمبي *Lepidochelys kemp* (Linnaeus, 1758) من فصيلة اللجنيات *Chelonidae* وتسمى بالإنجليزية Kemp's Ridley turtle وبالفرنسية *Tortue de Kemp* وبالإسبانية *Tortuga lora*. الترس رمادي مسطح وشبه دائري يحمل 5 أزواج من الصفائح الجانبية ويبلغ طوله الأقصى 75 سم وشائع بين 50-60 سم. تحمل القوائم مخلبها واحدا على الجانب الخارجي، يحمل الرأس زوجة واحدة من الصفائح على الجبين. تزن الكبار حوالي 45 كلغ.

تتوالد على وجه المحصر في خليج المكسيك وتخرج الإناث نهاراً إلى الشاطئ مرتين إلى ثلاث مرات في السنة لتضع بين 55-185 بيضة في حفرة لا يتعدى عمقها 45 سم. البيض كروي يبلغ قطره 3.5-4 سم ويزن حوالي 32 غراما. يحضن بداخل الرمال مدة 45-60 يوما ويبلغ طول ترس الصغار بعد التفقيس حوالي 4.2 سم. يتم النضج الجنسي بعد 8 سنوات. تتغذى من السرطانات والإربيان وقناديل البحر والأسماك.

سلحفاة نادرة في السواحل الأطلسية المغربية الجنوبية ولا يعيش على الواجة المتوسطة. لحمه غير مرغوب فيه وبيضه لذيذ. يعد من الحيوانات المهددة بالانقراض ويوجد حالياً تحت الحماية في جميع الأماكن المنتشر فيها.

السلحفاة الزيتونية *Lepidochelys olivacea* (Linnaeus, 1758) من فصيلة اللجنيات *Chelonidae* وتسمى بالفرنسية Olive-back loggerhead turtle وبالإنجليزية *Olive-back loggerhead turtle* و *Pacific Ridley sea turtle* و *Lora* و *Olive Ridley*.

وبالإسبانية *Tortuga oliva*. يعتبر هذا النوع من أصغر السلاحف البحرية حجماً (60-70 سم) ووزناً (لا يتعدى 30 كغم وشائع بين 20-30 كغم). الترس شبه دائري على شكل قلب، مسطح الوسط وشديد الانحدار على الجوانب، يحمل 5 أزواج من الصفائح الجانبية. الصفائح رمادية فحمية عند الصغار؛ البطن أبيض والظهر رمادي عند الأفراد الغير البالغين؛ الصفائح الظهرية مخضرة زيتونية داكنة عند الكبار والبطن مصفر فاتح. تحمل القوائم مخلبها واحداً على الجانب الخارجي ويحمل الرأس زوجة واحدة من الصفائح على الجبين.

سلحفاة البحار الحارة بالمناطق الاستوائية وشائعة في المحيط الهندي والهادي والأطلسي والبحر الأحمر ومنها مجموعات وافرة العدد في السواحل الشرقية للمحيط الهادي المستدة من المكسيك إلى الإكوادور وكذلك في سواحل الفلبين وماليزيا وشمال أستراليا وفي الخليج البنغالي.

يحتمل وجود بضعة أفراد في سواحل ضواحي الرأس الأبيض ولغوية جنوب المغرب خلال فترة الهجرة وتعد هذه المنطقة الحدود الشمالية القصوى لتوزيعه الجغرافي في السواحل الإفريقية. تخرج الإناث ليلا إلى الشاطئ مرتين إلى ثلاث مرات في السنة لتضع في ظرف ساعة 60-80 بيضة في حفرة لا يتعدى عمقها 45 سم وقطرها 80-100 سم. البيض كروي يبلغ قطره 3.5-4 سم ويزن حوالي 30 غراما. يحضن بداخل الرمال مدة 50-63 يوما ويبلغ طول ترس الصغار بعد التفقيس 3.5-6 سم. تعتبر شواطئ السنغال وأنغولا والمكسيك وكوستاريكا من بين الأماكن المفضلة لوضع البيض.

أنشطة الإنسان المختلفة على الشواطئ والتلوث والإنارة الليلية، من العوامل السلبية التي تهدد هذا النوع.

حيوان لاحم يتغذى من الإربيان والسرطانات الصغيرة والقواقع والمحار الدرية وقناديل البحر والأخينوسات وبيض الأسماك ويبدو أنه يتغذى أحيانا من الطحالب في البحر الأحمر.

الحنفاء سلحفاة بحرية من فصيلة اللجنيات تدعى علمياً *Caretta caretta caretta* (Linnaeus, 1758) وبالإنجليزية *Loggerhead* وبالفرنسية *Caouanne* وبالإسبانية *Tortuga cahuama* (= tonta) وقد سبق ذكرها في معلمة المغرب، ج. 11، ص. 3624.

م. منيوي، الحنفاء، معلمة المغرب، ج. 11، ص. 3624؛ الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988؛ أمين المعلوف، معجم الحيوان، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

M. Ramdani et N. Elkhiafi, *Flore et faune marines du Maroc: Biodiversité, Biologie, Ecologie et Biogéographie*, Expo 98, Lisbonne, Rabat, 1998؛ D. Floris et J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, FAO, 1998.

محمد رضاني

**السلاسي**، أسرة تطوانية نسبة إلى قبيلة (سلاس) الجبلية بإقليم (تاوانات) شمال مدينة فاس بالمغرب، منها فرع يلقب (برغوث) مازال حتى اليوم بتطوان. منهم الفقيه محمد السلاسي. وكان منهم عدول وفقهاء، أقدم من عرف منهم : الحسن بن محمد السلاسي ت. 1197. أ. الرهوني. عمدة الرايين، مخطوط : م. داود. عائلات تطوان، مخطوط.

محمد بوخيزة

**السلاجي**، عيد الوهاب أحد صلحاء مدينة فاس في القرن السادس (12 م) لم تقف على ترجمته فيما رجعنا إليه من كتب المناقب والطبقات والتراجم ومعاجم الأعلام، باستثناء ترجمة مقتضية أفردها له محمد التميمي (ت. 603 أو 604 / 1207. 1208) في كتابه المستفاد وعده "من أصحاب الكرامات". ومن المرجح أن هذا الشيخ ينتمي إلى بيت بني السلاجي الذي يعد من "بيوت الثروة والفقه"، إلا أن "المستفاد" لا يفصح عن هذا الانتماء، مع العلم أن رواية التميمي في هذه الترجمة هم تجار من بيت السلاجي، والكرامات التي بوردها له متعلقة بالميدان التجاري (العثور على المتاع المسروق - إزالة العوائق من على الطريق ...). م. التميمي، المستفاد في مناقب العباد، مخطوط، ورقة، 67، 68 : إسماعيل ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، الرباط، 1972، ص. 45.

محمد الشريف

**السلامات** (في الملحنون) مفردتها "سَلام". وهو أحد أصناف الزجل المندرجة تحت ألوان الشعر الشعبي في المغرب. تشكل السلامات المتداولة - على ندرتها - تراثا شعبيا قائما على العربية العامية، يشق الوقوف على مبدعيه، ومثلها في ذلك - كمثل العيظات الحوزية والجبلية والعروبيات التي تتخلل قصائد الملحنون.

استمدت السلامات تسميتها من استهلال مطالعها بعبارة "صَفَطْتُ لكَ سَلامي" ومعناها : بعثت إليك تحيتي ؛ وبذلك فهي عبارة عن أبيات متتالية، صيغت بدورها في أسلوب خبري تتلوها أعجاز استفهامية ومن نماذجها :

- 1 - صَفَطْتُ لكَ سَلامي فالشماس  
واش احبيبي فالقلب ولا ما ابقاش ؟
- 2 - صَفَطْتُ سَلامي فالنفاح  
واش احبيبي احسنا ولا راح ؟
- 3 - صَفَطْتُ سَلامي فالشمسوم  
واش احبيبي فارجح ولا مهسوم ؟  
(عباس الجزائري، القصيدة، ص. 70)

وفي المسرح الغنائي أطلق لفظ السلامات في نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين على المارشات والأناشيد التي كان المطربون في مصر يرددونها على هامش العروض المسرحية والتمثيليات الغنائية.

وقد اشتهر بابتكارها الملحن المصري الشيخ سلامة حجازي (ت. 1917) الذي كان ينشدها مع أعضاء فرقته المسرحية في بدايات العروض وفي نهاياتها. ومن السلامات التي ألّفها لهذا الغرض : سلام مطلقه :  
مرحبا بالسادة النجب سادة العرفان والأدب  
وأخر مطلقه : دُم يازمان المني.  
وثالث أوله :

حمداً لربّ العالمين قد قرب الفتح المبين  
وقد انتقلت هذه السلامات وغيرها إلى المغرب مع الفرق المسرحية التي توافدت عليه من الشرق في العقد الثاني والثالث من القرن العشرين، وضمنها مطربون ومطربات كان فيهم محمد عز الدين، وفتحية شريف، وليلى حلمي، ومحمد عبد المطلب.

ومن بين السلامات التي تبناها المغاربة سلام "حمداً لرب العالمين"، وهو من نظم شاعر المهجر ميخائيل نعيمة في مدح السلطان العثماني عبد الحميد.

وقد جرى الشباب على ترديده على عهد الحماية الفرنسية، فاقبلوا على مغربة كلماته بما يصبح مناسباً لواقع الحياة الوطنية في البلاد، وبذلك استبدلوا الأبيات التي تنوّد بالسلطان عبد الحميد ومنها :

باربنا كن واقيا عبد الحميد الغازيا

ملك سما وتعززا وعلى الملوك تميزا

بأخرى في الدعاء بحياة ملك المغرب المغفور له محمد الخامس وولي عهده المولى الحسن ومنها :

يسا ربنا كن واقيا مولى البلاد الساميا

بتمام هذا العرش الزاهي ودوام هذا الملك الباهي

بعيش لنا سلطاننا وليحيى ولي عهدنا

جريدة السعادة، العدد 4415، 23 يناير 1937 : 4425 يوليو 1937 : المجلة الموسيقية، العددان 10، أكتوبر 1974، ص. 15، 18، القاهرة : ميخائيل نعيمة، المجموعة الكاملة، المجلد الأول، ص. 79، بيروت : ع. الله شقرون، فجر المسرح العربي بالمغرب، ص. 95، 114، 119، شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، تونس، 1988.

عبد العزيز ابن عبد الحليل

**سَلَامَة** وأين سلامة أسرتان تطوانيتان أصلهما من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Çelma - Çalema - Ben Salema ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Ben Zalema - Zalama, Salama. ؛ وقد هاجرت أول مرة إلى قبيلة أنجرة ومنها انتقلت إلى تطوان. ومنهم محمد بن محمد سَلَامَة فقيه زاول خطة العدالة إلى أن وافته المنية سنة 1225 (1810).

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسما، عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، المراجع في الرقم 1391.

محمد ابن عزوز حكيم



**السلوي،** أسر متعددة في تطوان وفاس وغيرهما. فسلاويو تطوان ينتسبون إلى مدينة سلا، ومن أقدم من عُرف منهم أحمد بن علي السلوي ناظر أوقاف الزاوية العيساوية بالفندان عام 1216؛ والعلامة الكبير أحمد بن محمد السلوي وأخوه الوزير علي بن محمد السلوي آتيا الترجمة. قال الشيخ داود في كتابه *عائلات تطوان*: أخبرني صديقنا الوجيه السيد محمد بن الحاج أحمد السلوي أن جده الرابع الحاج محمد هو الذي وفد على تطوان من مدينة سلا. ويقال بأنهم من عائلة بني سعيد السلاويين الشهيرة وأن النسبة عرضت لهم بعد انتقالهم إلى تطوان.

أما سلاويو فاس فقال في *إزالة الالتباس*: هم "علي فرقتين فرقة من الأندلس رأيت في نشر *المشائي الكبير* صحيفة 321 من نسختنا عند كلامه سنة ثلاث وستين ومائة وألف أن الذي جدد بناء سقاية الشيخ أبي غالب دفين حومة صابرة القائد حد السلوي" انتهى. وهم أهل معاش وحرقة وطلب، منهم الشيخ الصالح الحاج الأبر أبو العباس أحمد السلوي الفاسي أخذ عنه الشيخ التاودي ابن سودة وذكره في فهرسته، توفي بالحجاز عام أربعة وسبعين ومائة وألف. ومنهم العلامة الأديب الشاعر المشارك الطاهر بن علي السلوي توفي في نيف وتسعين ومائة وألف.

والفرقة الثانية من البواخر أهل معاش وحرقة ومال، ومنهم الوزير محمد بن عبد السلام السلوي آتيا الترجمة. ثم صار لا يفرق بينهما لطول العهد وعدم البحث والاعتناء. أ. الرهوني، *عمدة الراويين*، مخطوط؛ م. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط؛ ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون.

محمد بوخيزة

**السلوي، أحمد بن إسماعيل بن لب،** أحد عباد مدينة فاس خلال النصف الثاني من القرن السادس (12) م) ويرجع الفضل لمحمد التميمي (ت. 603 أو 604 / 1207. 1208) في التعريف بهذه الشخصية الصوفية التي لم يرد لها ذكر في المصنفات المناقبية أو كتب الطبقات والتراجم المتداولة. وتكتسي ترجمة التميمي له أهمية خاصة لكونها قائمة على المعايير الشخصية ومستمدة مباشرة من الشيخ السلوي الذي صحبه محمد التميمي مدة من الزمن.

وقد وُصف الشيخ أحمد السلوي بكونه كان "مشتغلاً بحاله لا يعرف شيئاً مما فيه الناس" إلا أن ذلك لم يمنعه من تولي الخطابة بجامع القرويين. حيث كان يخطب يوم الجمعة "وهو على هيئته في ملبسه في سائر الأيام، إلا أنه كان ينظف ذلك ليوم الجمعة. وكان يغتسل يوم الجمعة ولا يترك ذلك، للحديث الذي جاء في ذلك". كما أنه كان "أستاذاً في النحو يقرئه للناس ويقبل الإجابة على ذلك". وكان الشيخ السلوي يفرق الأجرة التي يقبضها على الفقراء ممن يحضر عنده وغيره، مثله في ذلك مثل معاصره وبلديه أبي عبد الله محمد التاودي المعلم. وقد وصفه التميمي بالزهد والتفقل من

الدنيا وأبرز منحاه التقشفي المتمثل في المداومة على الصيام، إذ لم يكن يفطر إلا في الأيام المنهي عن صيامها، ولا يفطر إلا على الخبز والماء دون إدام، إلا أن يكون من المباحات التي لا تُتملَّك بزراعة، مثل البقل وأشباهه. ولم يكن يلبس كتاناً ولا قطناً وإنما كان لباسه عبارة عن "جبة صوف وإحرام صوف وسراويل صوف وغفارة صوف". وكان شديد الحرص على اكتساب الحلال بحيث لم يكن يأكل اللحم لا من أضحيته أو من وجه طيب. وكانت أضحيته تأتيه من موضع يعرف طيبه، ولا يُخالط الناس في شيء مما يأكلون مما هو شهوة، ولا يلبس إلا من غزل زوجته من الصوف من أضحيته، ومن الموضع الذي يرصاه، فكانت زوجته تدبر له ذلك.

وقد شاعت كراماته بين أهل البلد وغيرهم. وأورد له التميمي كرامتين إحداهما متعلقة باستئناس الطير الذي كان يفرخ في الصومعة التي كان يؤذن فيها، والأخرى متعلقة برؤيته للأولياء السابحين في الهواء والمائتين على الماء.

م. التميمي، *المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد*، مخطوط، ورقة 115، 177.

محمد الشريف

**السلوي، أحمد (-) بن محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد التطواني.** الفقيه العلامة المفتي المحقق المدرس الموثق المشارك من فرضت الفتوى عليهم بتطوان زمنا. ولد بتطوان عام 1238 أو 1240 وحفظ القرآن وتلقى عن علماء بلده ما عندهم، ثم أم مدينة فاس وأخذ عن علمائها. ولما وقع احتلال تطوان الأول من طرف الإسبان رحل المترجم له فيمن رحل من المهاجرين عام 1276 / 1860 وكان من العلماء الذين استشارهم الشيخ عبد السلام ابن ريسون في الخروج من تطوان بعد تهديد الإسبان وبلوغهم مشارف البلد، وفشل الجيش السلطاني في ردهم وعجز الأهالي عن المقاومة، ومع هذا صدرت الأوامر المخزنية بعد الهجرة فأفتوا بوجوب الهجرة، وخرج من خرج ومنهم المترجم له خرج ونزل الخ. ونزل مدينة فاس، وتصدى للإقراء والتدريس بالقرويين فأكب عليه الطلبة وطار له صيت لحسن إلقائه، وجودة بيانه، ورجع إلى تطوان بعد مرور أيام المحتنة، واستأنف أعماله في التدريس والفتوى والشهادة والإمامة والخطابة بالجامع الأعظم وكان مما درسه مراراً صحيح البخاري والموطأ، ومختصر خليل والمرشد المعين وتحفة ابن عاصم والزقاقية والألفية وغيرها، وقد أخذ عنه الفقيه أحمد الرهوني فقال يصف درسه: رأيت من حسن تدريسه وفصاحته وتأنيه وإبلاغه المعاني إلى حدود المحسوسات، ما يبهر العقول ولا يبقى لقائل ما يقول. وكان من عاداته أن يكتب على الكتب المقروءة طراً مركزاً جد مفيدة، ولا يخلو كتاب من كتب خزائنه المتوسطة المختارة من صحيح وتوضيب واستدراك، وقفت على كثير منها بين طويل

الوقت الذي كان يتابع فيه دراسته الثانوية في كوليج مولاي إدريس، دون أن تحول الدروس النظرية بينه وبين ممارسة بعض أنواع الرياضة البدنية مثل كرة السلة وكرة الماء. وما أن تأسس حزب الاستقلال حتى كان من الشباب المنخرط في صفوفه. وقد شارك في الإضراب الذي انتظم احتجاجا على ما جرى من اضطهاد الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال في يناير 1944. ثم إنه حصل في السنة التالية على شهادة البكالوريا، فانتقل مع باقي شباب جيله إلى الديار الفرنسية لمتابعة الدراسات العليا. ويبدو أنه تردد فترة بين العلوم الرياضية والعلوم القانونية، إلى إن مال به الخيار إلى القانون فانكب على دراسته، دون أن يتوقف عن البحث عن أنجع سبل النضال، مما جعله يبتعد عن حزب الاستقلال ليقتررب من نظريات الحزب الشيوعي. وذلك يوم عاد إلى المغرب حاملا لشهادة المحاماة سنة 1952، انضم إلى هيئة تحرير الأسبوعية المغربية الشيوعية "إسبوار"، إلى أن منعتها السلطات من الصدور بعد مظاهرات دجنبر من تلك السنة. وكان إدريس السلاوي من تلك الفئة المعدودة من المحامين المغاربة في الدار البيضاء في السنوات الثلاث الأخيرة من عمر الحماية التي كانت كلها قمعا وإرهابا.



ولما استرجع المغرب سيادته، وجدت الدولة في إدريس السلاوي وأمثاله خير خديم. فبادر إلى التخلي عن مهنة المحاماة ليشغل إدارة ديوان المرحوم أحمد باركاش أول باشا على مدينة الدار البيضاء بعد الاستقلال، مما جعله مؤهلا للمهمة التي أنيطت به بعد ذلك وهي مهمة مدير الأمن الجهوي في تلك المدينة، مهمة لم تكن بالأمر الهين في تلك اللحظات الحرجة من الانتقال من السلطة الفرنسية الزائلة إلى إقامة سلطة مغربية ناجعة. لكن إدريس السلاوي أبدى من الرصانة ومن الحزم في غير شدة ما جعله يتغلب على كل الصعاب، ويثير انتباه الملك الراحل إلى ما كان يتحلى به من حميد الخصال. ولذلك عينه كاتباً للدولة في الداخلية سنة 1958، فانفتحت أمامه مسيرة لن تنتهي إلا بوفاته من العمل في أعلى مناصب المسؤولية السياسية والإدارية في عهد محمد الخامس، ثم في عهد المرحوم الحسن الثاني. فكان كاتباً للدولة في التجارة سنة 1959، وفي شهر ماي من سنة 1960، عين وزيراً للتجارة والصناعة. وفي سنة 1961،

كمفاتيح الغيب للرازي، وشرح المواهب للزرقاني، وإرشاد الساري للقسطلاني، وحاشية الرهوني الوزاني على شرح الزرقاني لمختصر خليل. ومتوسط كهجة التسولي والإتقان للسيوطي وغيرها. ولو جمعت تلك الطرر لكانت حواشي قائمة برأسها، ورأيت له على نسخة من سعود المطالع لنجا الأبياري، وهو في مبادئ واحد وأربعين فنا : تحقيقات وتصويبات واستدراكات على فنون رياضية وعلمية يحتم كالهندسة والمساحة والحساب والتوقيت والتشريح مما يستغرب صدور من فقيه مُفْتٍ في مثل بلده، والنسخة الت إلى الخزنة الداودية بتطوان.

وله تقايد ورسائل في موضوعات متعددة إلا أنها لا تأخذ شكل تأليف، وربما كان يفعل ذلك تواضعا، أما فتاويه في الدعاوي فلا تحصى كثرة. وهو الذي تولى كتب وإنشاء بيعة أهل تطوان لمولاي عبد العزيز عام 1311 وقد أورد نصها الشيخ داود في التاريخ.

وفي عام 1289 ولي قضاء طنجة وجلس للحكم أياما فعرضت عليه قضية رجل محمي من دولة أجنبية، يطلب تبني ولد من يهودية صرح أنه زنى بها فقال له القاضي : إقرارك بهذا يوجب إقامة الحد عليك، فأجابه الريفي : السلطان الذي ولاك لا يقدر على إقامة الحد عليّ فضلاً عنك، فطرده وكتب للسلطان يتعفى، وركب بغلته وعاد لبلده، فروجع للعودة إلى القضاء على أن ينفذ حكم الشرع في الرجل الريفي فأبى، واقتصر على أعماله الصالحة من التدريس والإمامة بقية عمره، وأورد له الرهوني في العمدة تقييداً في مسألة رؤية الهلال في موضعين، وغيره، ورتاه بقصيدة رائية.

توفي رحمه الله بعد مرض خفيف يوم الجمعة 11 رمضان عام 1320 / 1902 ودفن يوم السبت بضريح الشيخ علي بركة الشهرير بتطوان.

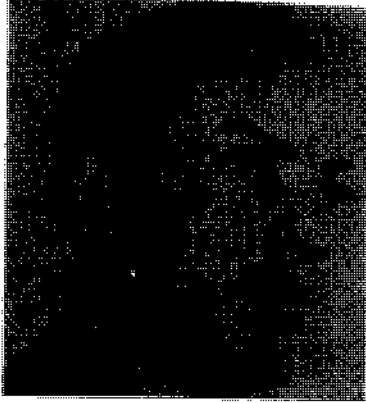
أ. الرهوني، عمدة الرايين، 6 : 124، مخطوط خاص، ع. الرحمن ابن زيدان، 3 : 122، الرباط : م. داود، عائلات تطوان، مخطوط.

محمد بوخيزة

**السلاوي، إدريس** ينتمي إلى أول جيل من الشباب المغربي الذي تخرج من المدارس والجامعات الفرنسية، والذي سخر ما لُقن فيها من المعلومات العصرية لدحض الدعاية الاستعمارية ومقاومة الاحتلال الأجنبي قبل سنة 1955، ولخدمة الوطن وتحديد صرح الدولة المغربية على أسس عصرية متقنة بعد استرجاع السيادة وعودة الملك محمد الخامس من المنفى.

ولد يوم الأحد 6 جمادى الثانية عام 1345 / 12 دجنبر 1926 في مدينة فاس وسط أسرة من التجار الوطنيين المتشوفين إلى الحداثة. وكان منزلهم بدرب ابن يعيش بالطالعة الصغيرة مأوى للتجمعات واللقاءات الهادفة. فنشأ إدريس السلاوي متشبعاً بحب الوطن رغباً في النضال، منذ

سواني سلا، حتى إذا اكتملت له شروط العمل الفني فتحت له الإذاعة المغربية أبوابها، فسجل بها أغانيه، ثم قام برحلة فنية إلى العاصمة الفرنسية حيث سجل أغانيه على أسطوانات خاصة.



وقد خفف الحسين السلاوي مجسونه نبري من الأغاني تطيعها خفة الإيقاع وبساطة الأغان. ومن خلال الاستماع إلى إنتاجه يستطيع المرء أن يتلصص وجوه التأثير التي طبعت ألقانه ووسمت طريقة أدائه الصوتي، الأمر الذي يؤشر من جهة - لزخم المحفوظات - التي اختزنتها ذاكرته، ويعكس من جهة أخرى - تفتحه على ألوان الموسيقى العربية، ونزوعه إلى توظيف القوالب الغنائية العربية في أغانيه ؛ وبذلك يمكن القول : إنه أسس لتوجه جديد ومبتكر في تأليف الأغنية الشعبية لمغرب الخمسينيات، عمدته صيغ لحنية تحمل المستمع إلى أجواء الموسيقى العربية الشرقية أنا بما يكسوها من أرباع النغمات، وأنا آخر إلى أجواء الغناء الأمازيغي الذي يرجع أصداً المقام الحماسي، وقوامه أداء دافئ ينساب عبر نبرات صوتية وديعة معبرة، ويضبطه إيقاع خفيف متدفق، ووشاحه كلمات كان ينظمها بنفسه تعتمد السهولة في اللفظ ورشاقة المقاطع وتخللها حكم ومواعظ. أما موضوعات أغانيه فغالب ما كان يستوحى منها من صميم الواقع المغربي وصلب الأحداث الطارئة، فقد عاصر الحرب العالمية الثانية، فغنى عن "الأسيركان" عندما نزلت جيوشهم بشواطئ الدار البيضاء، وتحدث عن دهاء العروبي في أغنية "العروبية مطورين"، ونقل حدث فرض العمل باليون للحصول على المؤونة، وفي هذا نظم أغنية على نهج الملحن يقول فيها :

أشوا أرجال متسابقين أغلا البونات كاملين

لقد كان الحسين السلاوي بحق أحد رواد الأغنية المغربية الشعبية الحديثة. وقد استطاع أن ينتزع إعجاب الجمهور الواسع، وأن يفرض إنتاجه كلون فني أصيل، وخاصة في المدن التي بدأت آنذاك تعرف غزو الأغنية العربية الشرقية.

توفي الحسين السلاوي في حدود عام 1380 / 1960.

ع. العزيز بن عبد الجليل، مجلة الفنون، ص 5. ع 1 : 1398 / 1978  
وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط : أ. العليج، مجلة  
الفنون، ع 6، ص 2 : 1399 / 1979.

عبد العزيز بن عبد الجليل

أسندت إليه الكتابة العامة لمنظمة البلدان الموقعة على ميثاق الدار البيضاء، وهي المنظمة المهتمة لمنظمة الوحدة الإفريقية. وفي شهر مارس 1961، عاد ليحتل كرسي وزير التجارة والصناعة والمعادن والصناعة التقليدية والملاحة التجارية. وفي سنة 1962، عينه الملك الحسن الثاني مديراً عاماً للديوان الملكي، ثم في طليعة السنة التالية وزيراً للمالية. وفي شهر نونبر من تلك السنة نفسها، عين وزيراً للاقتصاد الوطني والملاحة التجارية والفلاحة، إلى أن عين والياً عاماً على بنك المغرب في شهر غشت من سنة 1964، حيث قضى أربع سنوات على رأس هذه المؤسسة، قبل أن يعين وزيراً للعدل سنة 1968. ثم عاد الملك الحسن الثاني فأناط به مهمة إدارة الديوان الملكي التي ظل يمارسها إلى سنة 1971. وكان إدريس السلاوي وهو يمارس تلك المسؤوليات الجسام، لا يفضّل الطرف عن شؤون الرياضة، ذلك أنه ترأس الفدرالية الملكية المغربية لكرة القدم فيما بين 1963 و1967. وقد ابتعد فيما بين 1971 و1974 عن المسؤوليات الكبرى ليشتغل بالتدريس في كلية الحقوق في الدار البيضاء. لكن الملك الحسن الثاني عاد فعينه ممثل المغرب الدائم لدى الأمم المتحدة. ثم إنه نادى عليه من جديد ليعمل بجانبه بصفة مستشار (أكتوبر 1977). وبعد ذلك أسندت إليه مهمة تسيير الشركة الوطنية للاستثمار التي سيغادرها ليعود في منتصف الثمانينات (1986) إلى تمثيل المغرب في منظمة الأمم المتحدة. ويوم انتهت مهمته هنالك، عاد ليعمل رئيساً لمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود في الدار البيضاء. لكن الملك الحسن الثاني الذي كان يعتبره من أقرب خدام الدولة إليه، ما لبث أن عينه مستشاراً لديه مع ثلثة من ذوي الحظوة لديه. وتلك آخر وظيفة مارسها إدريس السلاوي إلى أن لبي داعي ربي يوم 20 شوال عام 1419 / 7 فبراير 1999، مأسوفا عليه من قبل الجميع، مذكوراً بلسان الخير في سائر الأوساط، ذلك أنه تقلد أعلى المسؤوليات أزيد من أربعين سنة دون أن يتدنس بما يتخللها حتما من الأدان.

K. Naciri, *Vie et œuvre de Driss Slaoui, La communauté internationale et les droits de la personne humaine*, Travaux dédiés à la mémoire de Driss Slaoui, Casablanca, Fondation du Roi Abdul-Aziz Al Saoud, 2000.  
إبراهيم بوطالب

## السلاوي، الحسين. أحد رواد الأغنية المغربية

الشعبية المعاصرة. ولد بمدينة سلا في مطلع القرن الرابع عشر (20 م)، وبها شب وترعرع على حب الموسيقى والغناء، فأقبل على حفظ الأهازيج والأغاني التراثية، ولم يمنعه ولعه بالتراث من الانفتاح على أصناف الموسيقى العربية والمغربية، فحفظ الأغاني المصرية والتونسية عن طريق المحطات الإذاعية.

وفي الثلاثينيات دخل ميدان النظم والتأليف الموسيقي، فجمع حوله نخبة من محترفي العزف والغناء بسلا، وشكل منهم مجموعة موسيقية كانت تقوم بتأديتها في بعض

**السلامي، عبد الرحمن** بن عبد القادر مقاوم من مواليد سنة 1932 بسلا عندما تأسس جيش التحرير بالمنطقة الشمالية ليقوم بمهمة الدفاع عن مقدسات الوطن. التحق بصرفه عدد كبير من الوطنيين المخلصين.

كان عبد الرحمن بن عبد القادر السلامي يعمل في البداية ضمن الجيش الفرنسي دفعته غيرته الوطنية للالتحاق بصرفه جيش التحرير حيث قام باغتيال أحد الحراس والاستيلاء على بعض الأسلحة.

وفي محاولته للالتحاق بمركز جيش التحرير المغربي مع مجموعة من أصدقائه اعترضت دورية إسبانية سيبلهم حيث ألفت عليهم القبض وأعدمتهم جميعا بمن فيهم عبد الرحمن ابن عبد القادر السلامي سنة 1955.

المنذوبة السامية لقدامى المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 505404.

**السلامي، علي** بن محمد بن أحمد التطواني، شقيق أحمد سابق الترجمة. الأديب الأريب، الوزير، السياسي المحنك، الأمين، الفيلسوف.

قال الفقيه الرهوني في وصفه : " كان أعجوبة الزمان في الفصاحة والبلاغة والإغراب بالحكايات والأدبيات، مولعاً بالأمثال العربية، ومنشور الحكم وغيرها".

ولد بتطوان عام 1260 / 1844 وأخذ بها عن علمائها بعد حفظ القرآن على العادة، ثم انتقل مع أهله إلى فاس بعد الاحتلال الإسباني الأول لتطوان عام 1276 / 1860 ثم عاد إلى تطوان ودرس بها، ثم اشتغل بالتجارة مدة واحترف الحرازة.

وفي عام 1315 / 1897 تولى أمانة مدينة وجدة. ولما ألفت الحكومة الخليفية الأولى بتطوان بعد الاحتلال الإسباني الثاني أسندت إليه وزارة الأحباس.

كان المترجم له واسع النظر مفكراً طليعة، يتطلب أخبار الدول، ويتتبع تطورها العلمي والعمراني، ويقرأ الصحف العلمية، ويراقب التقلبات السياسية، مخالطاً للأجانب، على اتصال دائم بالراهب المستعرب (الرشوندي) المقيم بنطجة، وبسبب اطلاعه على أحوال أوروبا وتقدمها الصناعي والمدني.

كان ينتقد أوضاع المغرب ورجاله أشد الانتقاد، ويرى أن حلول الأجانب بالمغرب هو الذي سينقذ المغرب من تأخره وجهله، فكان بهذا سابقاً لأوانه، لم يكن يشبهه في بعض هذا من أعيان تطوان وعلمائها إلا السيد علال الخطيب، ولهذا كان هدفاً لانتقاد المحافظين الذين كان معظمهم غارقاً في الحرافة والجهل، وقد حُكي عنه - مما يترجم عن موقفه من حال أهل بلده - انه لما توفي الشيخ عبد السلام ابن ريسون - وكان لأهل تطوان فيه غلو زائد - قال : لعلمهم - يعني قومهم - يقولون : إنه لم يمت وإنما غاب ليحضر. وكان يلقب الشيخ المذكور بسيد (الأتاني) لأنه كان يومئذ المنفرد بإقامته وشربه في مجالسه.

امتحن المترجم له باختطاف البديويين له من غرسته خارج تطوان، وظل عندهم في الجبل في أسوأ حال إلى أن اقتدى بمال عظيم، ثم عاد إلى عمله في وزارة الأحباس إلى أن توفي بتطوان في 16 شوال عام 1342 / 21 ماي 1924.

أ. الرهوني، عمدة الراويين، 6 : 140، مخطوط : م. داود، تاريخ تطوان، 5 : 229، طبع تطوان.

محمد بوخيزة

**السلامي، عمر** بن أحمد الفاسي، من الرعيل الأول للمثقفين المغاربة الذين درسوا بأوروبا، حيث حصل على شهادة الدكتوراه في الحقوق من إحدى الجامعات الفرنسية، وبعد رجوعه إلى المغرب استقر بالدار البيضاء مع والده الذي كان من أعيان تجارها. وشارك في الحركة الوطنية النشطة بهذه المدينة أيام اشتداد الأزمة المغربية في مطلع الخمسينيات من القرن الماضي.

اغتالت المنظمة الإرهابية التي كونها شبان فرنسيين متعصبون للاستعمار ضداً على منظمة اليد السوداء الفدائية. وذلك صباح يوم الجمعة خامس محرم عام 1374 / 3 شتنبر 1954 وعمره لا يتجاوز ثلاثين سنة. وكان موكب جنازته حافلاً بالدار البيضاء على غرار جنازة الشهيد الطاهر السبتى سابق الترجمة الذي اغتالته نفس المنظمة الإرهابية بعد أربعة أشهر.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3295.

محمد حجي

**السلامي، محمد** بن الراضي، مقاوم ولد سنة 1927 بمدينة فاس وتظم أول تشكيلة للمقاومة السرية بها وألقي عليه القبض يوم 12 يناير 1954، وأصدرت المحكمة العسكرية الدائمة بالدار البيضاء حكماً عليه بالإعدام بتاريخ 7 (11 مارس 1954) بتهمة تكوين عصابة والمشاركة في جرائم القتل وتفجير مفرقات في الأماكن العمومية ثم محاولة الاغتيال.

ونفذ هذا الحكم في حقه بسجن العاذر بتاريخ 23 ربيع الثاني 1373 / 4 يناير 1955.

المنذوبة السامية لقدامى المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 400860.

**السلامي، محمد** بن عبد السلام البخاري أحد موالى السلطان مولاي سليمان الذي أشرف على تربيته وقلده عدة مناصب مخزنية هامة.

بدأ محمد بن عبد السلام السلامي حياته المخزنية ككاتب مع مولاي الطيب، أخ السلطان، عندما كان خليفة

بطنجة خلال السنوات الأولى من حكم المولى سليمان، وإقامة السلاوي بطنجة، وهي آنذاك عاصمة المغرب الدبلوماسية، جعلته يتمرس على إدارة الشؤون الخارجية ويتعرف على ممثلي الدول الأوروبية المعتمدين بمدينة البوغاز. وعندما استدعى السلطان أخاه مولاي الطيب وكلفه بعمالة الدار البيضاء ونواحيها في سنة 1797 ظل السلاوي مباشراً للشؤون الخارجية تحت مظلة الوزير محمد بن عثمان المكناسي على ما يظهر. لكن وفاة هذا الأخير في ويا 1799 جعلت المولى سليمان يعهد إليه كلية مهمة الكلام مع ممثلي الدول الأوروبية فأصبح منذ ذلك الحين يوقع المراسلات المخزنية كـ "مكلف بأمر أجناس النصارى وأمور البحر"، ثم في وقت لاحق: "وزير البحر المكلف بأمر الأجناس".

وبعد سنة 1802 كلفه السلطان بعدة مهام إدارية بالإضافة إلى احتفاظه بالشؤون الخارجية. وهكذا نجده عاملاً بفاس ثم بالعدوتين والقبائل القريبة منها (1804). وفي السنة التالية 1805، عينه المولى سليمان عاملاً على العرائش والقبائل الجبلية. ثم في سنة 1807، وبعد عزل القائد عبد الرحمان عشعاش نصبه السلطان عاملاً على تطوان، أو بالأحرى أضاف تطوان وأحوازها إلى ما كان تحت تصرفه من مناطق، فأصبح السلاوي بذلك يراقب جزءاً هاماً من منطقة الشمال. ومع مرور الوقت اتسعت اختصاصاته فأصبح يشرف على مجموع الشمال الغربي، بما في ذلك منطقة الريف، وهذا دون أن يتخلى عن تسيير الشؤون الخارجية. توفي محمد بن عبد السلام السلاوي عام 1203 / 1815، فكانت وفاته خسارة جسيمة للمولى سليمان الذي لم يجد موظفاً مخزنيّاً في مستواه لإدارة الدبلوماسية المغربية خلال السنوات الأخيرة من حكمه.

ع. الرحمان بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الجزء الرابع، الرباط، 1932؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، المجلد 3، تطوان، 1962؛ أبو القاسم الزباني، *الريضة السليمانية*، مخطوط، خ.ع. محمد المنصور

**السلطان**، مفهوم السلطان من صميم مفاهيم الفكر السياسي الإسلامي. ورد ذكره في التنزيل في عدة آيات، تارة بمعنى المحجة والبرهان، وتارة بمعنى القوة والغلبة. فمن المعنى الأول قوله تعالى: (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً) (آل عمران، 151). وقوله في سورة هود، 96: (لقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين)، وفي سورة إبراهيم، 11: (وما كان لنا أن ناتيكم بسلطان إلا بإذن الله). أما بمعنى الجبروت والإكراه، فقوله تعالى في سورة إبراهيم، 22: (وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي). وفي سورة الإسراء، 33: (ومن قُتِل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل). وفي سورة القصص، 35: (قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا). ولقد عمّ هذا المعنى الثاني مع ترسيخ الدولة الإسلامية وامتداد

نفوذ الإسلام في كل اتجاه، بدليل الحديث الذي أورده البخاري بأن السلطان ظل الله في الأرض بأوي إليه الضعيف والملهوف. فالسلطان إذن هو الجهاز الحكومي الذي وكل به الشرع الإلهي والطبع البشري أمر شؤون الجماعة. ومن ذلك قوله عز من قاتل: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) (النساء، 59). ويرتبط بهذا المفهوم مفهوم الإمامة ومفهوم الخلافة، إذ لا بد لكل جماعة مومنة من إمام يؤم بها في الصلوات، ويأخذ بيدها في الملتمات، كما أنه لابد ممن يخلف النبي المصطفى في الأمة التي بعث فيها. مما يساير عند النصارى مفهوم السوفران Souverain المشتقة من اللفظ اللاتيني سوبيرانوس Superanus يعني المتفوق من كلمة سوبرير Super يعني فوق. ولا سبيل إلى تسع كل ما قيل في هذا الصدد نثراً ونظماً باللغة العربية، فمنه في الحكمة أن سلطاناً تخافه الرعية خير للرعية من سلطان يخافها.

وكان السلطان في العصور الأولى من انتشار الإسلام وبناء صرح الدولة الإسلامية بيد الخلفاء الراشدين الذين كان ثابتهم عمر يدعى بخليفة رسول الله، فاستثقل الناس ذلك، فوقف الكلام على لقب خليفة رسول الله. ثم جاء الأمويون، واحتفظوا باللفظ، وإن خرجوا به عن الشورى وجعلوه ملكاً وراثياً سواء في المشرق أم في المغرب. ثم قام العباسيون معتمدين على أنصارهم من الفرس، فتحول سلطان الإسلام امبراطورية كسروية، بلغت ذروتها وامتدادها في عهد الخلفاء العشرة الأوائل، لتقع بعدهم فريسة ما تكاثرت عليه من التناقضات التي كان من تجلياتها السياسية انقسام المؤسسة الحاكمة الإسلامية إلى خلافة لا سلطان لها، وإلى سلطان لا شرعية له في الخلافة. ذلك بأن اتساع رقعة الدولة وتطاحن العصبيات أو وهن الخلافة حتى لم يعد لها وجود إلا بالصورة. بينما اشتد نفوذ الجند، سواء ذلك الذي كان يحيط بالخليفة أم ذلك الذي كان يقسم في الأقاليم النائية ويكاد يستقل بالحكم فيها. وهكذا ظلت الخلافة واحدة وتكاثرت السلطان. حصل ذلك في بغداد، مثلما حصل في قرطبة، علماً بأن الخلافة الأموية في الأندلس انهارت هي الأولى. بينما ظلت الخلافة العباسية قائمة تحت رماح الجند الديلمي ثم التركي، إلى أن وقعت هي الأخرى تحت سنايك فرسان التتر، شأنها في ذلك شأن الخلافة الفاطمية الشيعية التي قامت تنافسها لأزيد من قرنين في مصر إلى أن انقرضت على يد السلطان الأيوبي الذي خلفه بعد حين سلطان المماليك. وهؤلاء اندثروا بدورهم أمام السلطان العثماني في مطلع القرن السادس عشر من الميلاد. وكان ملوكهم يتلقون بلقب السلطان دون سواه.

وقد جرى شيء من ذلك في المغرب. فسيان الدولة الإدريسية قامت أول الأمر على شكل خلافة معتمدة على ما كان للقبائل الأمازيغية التي ناصرته من سلطان. لكن ما أن انقسمت الخلافة الإدريسية بين أبناء إدريس الثاني وأحفاده،

خطه أو ثقب ذهنه، وإنما مصلحتهم فيه من حيث إضافته إليهم، فإن الملك والسلطان من الأمور الإضافية. وهي نسبة بين منتسبين، فحقيقة السلطان أنه المالك للرعية القائه في أمورهم عليهم، فالسلطان من له رعية والرعية من لها سلطان، والصفة التي له من حيث إضافته لهم هي التي تسمى الملكة، وهي كونه يملكهم، فإذا كانت هذه الملكة وتوابعها من الجودة يمكن حصول المقصود من السلطان على أتم الوجوه فإنها إن كانت جميلة صالحة كان ذلك مصلحة لهم، وإن كانت سيئة متعسفة كان ذلك ضراً عليهم وإهلاكاً لهم".

وهكذا أضحى كل ذي سلطة سياسية عامة في مجال يضيق أو يتسع يدعى سلطاناً. نقف على كيفية الانتقال من مفهوم السلطان إلى الشخص الذي يمارسه مثلاً في الأيس المطرب إذ جاء فيه عن حكام فاس: "وهي الآن قاعدة ملوك بني مرين أطل الله أيامهم وأعلأ أمرهم وخذ سلطانهم" (ص. 33). ثم قال: "وفي سنة 369 دخل بلوكين بن زيري بن مناد المغرب ونزل على مدينتي فاس فقتل سلاطينهم محمد بن علي بن قشوش صاحب القرويين وعبد الكريم بن ثعلبة صاحب عدوة الأندلس" (101). وورد في نفس الكتاب مخاطبة يانشو بن الفونس بالسلطان (359). وجاء في قرار ليحيى أو تاعفوت يوم كان يحكم السهول الغربية الجنوبية تحت حماية البرتغال في مطلع القرن السادس عشر ما يلي: "بيمن الله وتوفيقه ويأذن من له الأمر والأحكام السلطانية بمدينة أسفي". وقد عم اللقب مع الوطاسيين والملوك السعديين في المغرب، مثلما عم في الشرق مع الدولة العثمانية. واختفى لقب الخليفة منذ ذلك العصر. وتمسكت العامة بلقب السلطان، فتلقفه الأوربيون يوم صارت تجارتهم إلى الرواج في ديار الإسلام. ودأب أصحاب القلم يفخمون من ألقاب ملوكهم مثل صاحب مناهل الصفا الذي يقول عن أحمد المنصور: "أمير المؤمنين... إمام الجماعة... وركن الإمامة... والخليفة المخصوص بترات الرسالة ومالك إمرة المؤمنين" (ص. 1). ولكن الإفرائي يكتفي بذكر الخبر عن دولة السلطان أبي العباس الأعرج أو ذكر الخبر عن دولة السلطان الأفخم مولانا الرشيد بن الشريف. وكذلك يفعل الزباني والناصري الذي يكتفي بلقب السلطان ابتداءً من بني مرين، فيذكر "الجواز الأول للسلطان يعقوب إلى الأندلس برسم الجهاد"، ويقول عن سلطان عصره: "خرج السلطان مولاي الحسن أيده الله غازيا صحرا تافيلالت". ويقول ابن زيدان عن المولى إسماعيل في المنزع اللطيف: "فخر سلاطين البسيط السلطان الجليل الهمام الأثيل [...] إمام الدين والدنيا [...] ظل الله في أرضه [...] أعظم ملوك المغرب الذي دانت له سائر الأمم، وخضعت لجلاله سلاطين العرب والعجم" (ص. 23-24). ولما راج هذا اللقب على السن الحاص والعام، تأكد عند الأوربيين أن ملوك ديار الإسلام يدعون بالسلطين. ولعل أول من روج لذلك عندهم الرحالة

حتى تغلب في المغرب أيضاً مفهوم السلطان على مفهوم الخلافة، تنازع وتناحر عليه، في مرحلة أولى، قبائل زناتة وبني إفسرن. ثم جاء المرابطون من أقصى الصحراء فتلقب ملوكهم بلقب أمير المسلمين. وخلفهم الموحدون الذين ادعوا الخلافة وإمارة المؤمنين، بسبب ما ذاع من صيت المهدي محمد ابن تومرت. ولما اتسع سلطانهم في الغرب الإسلامي، فإنهم وحدوا أجزاءه، ورتقوا ما كان قد انصدع منه منذ انهيار الخلافة الأموية. على أنهم سرعان ما دخلوا هم بدورهم أطوار الانحطاط والفسل. وحل محلهم بنو مرين الذين كانوا يتلقبون بأمرء المؤمنين في الغالب، وإن عم لقب السلطان في عهدهم، مثلما عم في ملوك الطوائف في الأندلس في العصر نفسه، وعند دولة الماليك في مصر. يشهد على ذلك في المشرق الفلقشندي في كتابه صبح الأعشى، وفي الأندلس والمغرب لسان الدين ابن الخطيب في مختلف كتبه وبخاصة في كتاب الإحاطة وفي ديوان رسائله الرسمية. ففيه مثلاً خطاب من السلطان بن السلطان بن السلطان من بني الأحمر الغرناطي إلى السلطان بن السلطان بن السلطان من بني مرين أصحاب فاس والمغرب. وبذلك تحول مفهوم السلطان إلى معناه الثالث الذي رسي عليه في الفترة الحديثة، وهو لقب الأمير الحامل للأمانة الكبرى، سواء في الدولة العثمانية أو في الدولة المغربية، علماً بأن السلطنة العثمانية أصبحت في خير كان منذ 1919، وأن السلطنة المغربية لا تزال قائمة الذات والنفوذ على ما دخلها من التغيير في اللقب.

ولما كان مفهوم السلطان متأصلاً في الدين والشريعة، فإن الفقهاء تناولوه بالدرس والتحليل من كل جوانبه ومما يترتب عليه من المسؤوليات. فقد عقد ابن قتيبة أول باب من كتابه عيون الأخبار في السلطان مذكراً بالحكم الفارسية والعربية في شأنه. من ذلك قول عمر رضي الله عنه بأن هذا الأمر لا يصلح له إلا اللين في غير ضعف والقوي في غير عنف. وقد أظن الطرطوشي في هذه المعاني في كتابه سراج الملك. بينما قام الماوردي قبله ببضعة عقود بشرح الأحكام السلطانية، مبتدئاً بالإمامة وبكيفية انعقادها، ومنتهاها بالحسبة والشرطة، بعد ذكر الوزارة والقضاء والإمارات الإقليمية والجهوية والإمارات العسكرية المركزية الذائدة عن النواة السلطانية الأصلية أو المنتقلة في حملات عارضة تأديبية أو جهادية. وما كان ابن خلدون ليغفل موضوع السلطان في مقدمته. فإنه تناولوه بأسلوب لم يسبق إليه. مستنكفاً عن كل اعتبار أخلاقي أو وصف سطحي ليبرز معاني السلطان في المجتمع السياسي وما ينبني على ذلك من القواعد العلمية الموضوعية، وبأنه إذا كان بأمر شرعي، فإنه من أعمال البشر، فلا يتعدى إلا بعصية في مجتمع قائم على التشكيلة القبلية. والسلطان جهاز لازم وليس شخصاً بالذات أو نزوة من النزوات. يقول ابن خلدون: "اعلم أن مصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسمه من حسن شكله أو صلاحه وجهه أو عظم جنماته واتساع عمله أو جودة

الإيطالي ماركو بولو Marco Polo الذي نقل لفظ السلطان محرفاً في لفظ "سودان"، فظل كتابهم يتكلمون عن سودان مصر مثلاً، أو "السودان الأكبر" إشارة إلى السلطان العثماني. لكن رحالة العصر الحديث وفلاسفة عصر التنوير صححو اللفظ وأدخلوه في قاموسهم فعم عندهم تداوله وانتشر بأقلام مونتسكيو Montesquieu وفولطير Voltaire وأقرانهم الذين تعمدوا اعتبار السلطان نموذج الحاكم المستبد الذي يفصل في أمور رعيته بمحض ما يشتهي. وجرت العادة في المراسلات الدبلوماسية بمخاطبة ملوك المغرب على شكل ما جاء في وثائق ابن زيدان مثلاً في القرن التاسع عشر: "إلى حضرة الجناح العالي [...] السلطان الأعظم والمولى الأفخم السلطان عبد الرحمان بن هشام، سلطان مراکشة وفاس ومكناس وسوسة والعدوتين وسجلماسة وسائر بلاد المغرب في إفريقيا: (ص. 100). وقد أبرمت كل المعاهدات بين المغرب ومختلف الدولة الأوربية في العهد العلوي باسم سلطان المغرب بما في ذلك معاهدة الحماية المبرمة بين جلالة السلطان الشريف ودولة الجمهورية الفرنسية. وقد جاء في الفصل السادس من مشروع أول دستور مغربي سنة 1908، والذي بقي حبراً على ورق، ما يلي: "يلقب السلطان بإمام المسلمين وحامي حوزة الدين". أما بعد فرض الحماية، فإن الاحتكاك باللغتين الفرنسية والإسبانية بعد سنة 1912، من جهة، وما جرى من انهيار السلطنة العثمانية غداة الحرب العالمية الأولى وقيام ملكية منفصلة في مصر غداة الحرب العالمية الأولى من جهة أخرى، كل ذلك كان له أثر على التقاليد السلطانية المغربية ابتداء من العشرينيات والثلاثينيات، إذ صار الشباب الوطني يرغب في التملص مما أخذ يتآكل من الماضي لدخول عصر جديد يحتفي فيه بعيد تربع ملك شاب وهو سيدي محمد بن يوسف على العرش العلوي يوم 18 نونبر من كل سنة. واستحسن المغاربة تحيته في اللقاءات الجماهيرية بحمى الملك ووجدوها أحلى في اللسان وأرقى من يحيى السلطان. وتكرس هذا التحول غداة الاستقلال عندما أصبح سيدي محمد بن يوسف يدعى محمد الخامس. وبويع لولي عهده بالحسن الثاني. وأثبت ذلك في الدستور المغربي الذي لا يذكر السلطان إلا بكونه ملك المغرب، ففي الفصل 19 من دستور 1962، جاء: "أن الملك أمير المومنين والممثل الأسمى للأمة ورمز وحدتها وضامن الدولة واستمرارها، وهو حامي الدين والساهر على احترام الدستور، وله صيانة حقوق وحريات المواطنين والجماعات والهيئات، وهو الضامن لاستقلال البلاد وحوزة المملكة في دائرة حدودها الحقة".

بيد أن العامة وبخاصة منها الشرائح المتقدمة في السن لا تزال تستعمل لفظ السلطان. ولا أدل على ذلك من رواج العديد من الحكم الشعبية بهذا اللفظ، فيقال مثلاً: "الشمس والشتا، والسلطان على خاطره" في بيثة مطبوعة بالجفاف وعدم انتظام الأمطار. كما أن الأعراف الشعبية وما يرمز لها

من الأهازيج تجعل من كل ما هو في مرتبة التصدر والترفع سلطاناً ولو للحظات عابرة، مثلما هو الأمر في حفلات الأعراس التي يحتفي فيها بالعريس على أنه سلطان. والدليل العكسي على ذلك، أن الوثائق السلطانية القديمة كثيراً ما كانت تستعمل مصطلحات النكاح وفض الخاتم لوصف دخول السلطان دخول متصغر في المناطق المستعصية.

علي بن محمد الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، القاهرة، 1966: م. بن الوليد الطرطوشي، سراج الملوك، تج. حفتر البياتي، لندن، 1990: أ. العزوي، محقق رسائل موحدة جديدة، القنيطرة، 1995: علي ابن أبي زرع، الفطراس، الرباط، 1973: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة بأخبار غرناطة، تج. ع. الله عنان، القاهرة، 1973، 1975، 3 ج؛ ربحانة الكتاب وجمعية الكتاب، تج. ع. الله عنان، القاهرة، 1980، ج. 2: ع. الرحمان ابن خلدون، المقدمة، تج. ع. الواحد وافي، القاهرة، 1965، 4 ج؛ ع. العزيز الفتشالي، مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفاء، تطوان، 1964: م. الصغبر الإنراني، نزعة الحمادي بأخبار ملوك القرن الحمادي، تج. ع. اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1998: أ. بن خالد الناصري، الاستقصا لتاريخ المغرب الأقصى، ط. 2، الدار البيضاء، 1960، 9 ج؛ ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، الرباط، 1929، 5 ج.

إبراهيم بوطالب

ابن سلطان، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث

مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Soltan وSoltanet؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Sultana؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 342.

محمد ابن عزوز حكيم

سلطان الطلبة بفاس، كان من عادة طلاب القرويين

في فاس عند حلول فصل الربيع من كل سنة أن يقيموا مهرجاناً يروّحون به على أنفسهم، ويلتمسون فيه من السلطان القائم ومن خدامه أن ينعموا عليهم ببعض الإنعامات. وكان المهرجان بمثابة مسخرة يضحك منها الجميع ويتسلى بما كان يتصور فيها من هشاشة السلطة وعرضيتها مهما كان من فخامة ما ترتديه من أردية الجاه والفخر. ففي شهر أبريل من كل سنة، أو في شهر ماي إن كان أبريل شهر صيام، يشتري أحد الطلاب وظيفة سلطان الطلبة التي تعرض ليلة يوم الجمعة على المزاد العلني فترسو على من يستطيع المزايدة فيها إما بوسائله الخاصة وإما بمساعدة من له بعض الأغراض لدى المخزن من التجار أو غيرهم، ويحتاج إلى من يتوسط له في ذلك. وكان السلطان الشرعي لا يرد ملتزمات سلطان الطلبة، ويذوم المهرجان أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع على شكل نزهة تقام تحت الخيام على ضفاف وادي فاس خارج أسوار المدينة. ويكون المنطلق، بعد إرساء الصفقة على من

الذين يجتذبون الغفير من الجمهور في أزقة فاس الضيقة، متجهين إلى مسجد الأندلس لقضاء صلاة الجمعة. ثم يخرج الموكب بعد الصلاة من باب الفتوح إلى ضريح ولي الله سيدي علي بن حرزهم الذي هو سيد العلم وسيد الطلبة. ويتلك المناسبة، يبيع أصحاب سلطان الطلبة شيئا من الفواكه اليابسة أو الطازجة، يشتريها الناس تيمنا وتبركا، ويعزز بها المخزن الطلابي بيت ماله. ويعود سلطان الطلبة عند اقتراب المغرب إلى مدرسته، ليتطلق في اليوم التالي بعد صلاة الظهر في مسجد القرويين نحو مقر النزاهة عبر سوق العطارين والطاعة الكبرى، فيخرج إلى ضفاف وادي فاس على باب المحروق. ويصل إلى مقر محلته في خيام يقسمها باشا حي فاس الجديد الذي كان هو المكلف الرسمي بالسهر على أمن الحفل وسلامته. وكانت المحلة تقام حول خيمة ضخمة متوسطة تكون هي المسجد، وبجانبيها تقام خيمة سلطان الطلبة، يحميها، على سبيل الأزدراء، مدافع من قصب أو طين يصنعها بالمناسبة فخارة المدينة. وحول هاتين الخيمتين، يقم جمهور الطلبة خيامهم. ويوزع عليهم الأمين الوهمي مسابغهم من المونة. وتنطلق بذلك النزاهة التي يشارك فيها السكان، فمنهم من يقيم لنفسه وذويه خياما ويجاور الطلبة طول مدة المهرجان، ومنهم من يكفي بقضاء يوم معهم، يتفرج على ألعابهم ومسخراتهم ويستفيد من الطبيعة في فصل انبعاث معالم جمالها من جديد، وسط أصناف المأكولات الحضرية والبدوية وكؤوس الشاي المنعنع، وما إلى ذلك مما يريح البال وينسي فصل الشتاء الفارط وجميع الهموم. وعادة ما يكون يوم الأحد الأول من المهرجان

تمكن من الزيادة فيها في سوق الكتب بجوار جامع القرويين، من المدرسة التي يقطن فيها. وفيها يجري تعيين أفراد المخزن الوهمي من حاجب وقائد مشور ووزراء وأمين مكلف بجمع الأموال اللازمة لإقامة "النزاهة". ويكون ذلك تقليدا للمخزن الحقيقي، ولكن بلسان السخرية والتهكم، إذ تكتب الرسائل الطنانة الرنانة إلى التجار وإلى كل من يتوسم فيهم القدرة على المساهمة في نفقات الحفل، تخبرهم بأن أمير المؤمنين أصدر أمره المطاع للطلاب بإقامة حفلتهم، وأنه يتعين على رعاياه الأوفياء أداء الواجب لسلطان الطلبة، حتى لا يرميهم بما لا قبل لهم به من كذا وكذا من جيوش البرغوث وحيوش البق وما إلى ذلك من أدوات الفتك. ثم يخرج أمين سلطان الطلبة محاطا بمساعديه ومحتسب وهمي، يطوفون أسواق المدينة مرتدين أردية مضحكة لجباية الأموال بشئ ما تجود به قرائحهم من أشكال الهزل والمسخره. وتنتهز المناسبة للتهكم على الراعي والرعية بكل ما تجود به مخيلة الشباب الطلابي، وعلى ما يكون من تطاول الجباة الحقيقيين في تلك الحالة، وعلى ما يكون من تحايل المزمين بالضرائب من حيل التملص من الأداء، سواء في ذلك الأغلبية المسلمة أو الأقلية اليهودية.

وفي يوم الجمعة، يخرج سلطان الطلبة في موكب رسمي محاطا بما يمدد به السلطان القائم من شارات السيادة ورموزها، من بين جواد بسرجه وكساء سلطاني ومظلة، ومخازنية يذبون عنه الذباب وجنود وحرس باشا المدينة يحملون الرماح. أما الجوق الموسيقي، فإن سلطان الطلبة يكتفي برفقة غباطة المدينة وطباليها والنافخين في النفير.





المقابلة يستأذن السلطان سلطان الطلبة في الانصراف، فيؤذن له. ولكن قبل أن ينصرف يبادر سلطان الطلبة بالترجل والهولة نحو ركابه لاثماً إياه متمسحابه، وهو يتقدم بملتمسه الذي يكون إما طلب وظيف أو إعفاء من الضريبة أو تسريح مسجون، إما لفائدته أو لفائدة عائلته أو رفاقه في المدرسة، أو لصالح أشخاص آخرين ممن تبرع ومكته من شراء منصب سلطان الطلبة. وكان السلطان لا يكتفي بتلبية المطلب، بل يأذن للطلاب بتمديد مهرجاناتهم ونزهتهم أسبوعاً إضافياً. وفي الليلة الأخيرة من تلك الحفلات، كان على سلطان الطلبة أن ينسحب خفية من محلته، ويعود إلى مدرسته تحت جناح الظلام. أما إذا أصبح عليه الصباح وهو لا يزال في المحلة، فإن نعمة السلطنة تنقلب نقمة بما كان يتعرض له صاحبها من الضرب والركل والتنكيل والتغطيس في مياه الواد، عودة به إلى أرض الواقع، وانتقاماً مما قتع به من لذات الجاه، وتذكيراً له بعبثها وقابليتها للزوال. وكان هذا المهرجان إذن مهرجاناً طلابياً يطلق فيه الطلاب العنان لأريحية الشباب ونزواته، ويعبرون فيه عما كانوا يعانون من الحرمان أو يتطلعون إليه من التطلعات. كما كان مناسبة للاحتفال بحلول فصل الربيع، يشارك فيها الخاص والعام، ويتحرر فيها أهل البلد من معاناة الدور المغلقة والأزقة الضيقة ومتاعب الصناعات والتجارات ومختلف الوظائف بالاحتكاك بشباب الطلبة ومساربتهم في ألعابهم وهزلياتهم. وكانت حفلة سلطان الطلبة حفلة رسمية تقام بإذن من السلطان وبرضاه وحضوره، كلما كان مقيماً في فاس، أو حضور خليفته وأعلى سلطات المدينة على كل حال. فهي حفلة طلابية بفصل الربيع مأذون بها من قبل الدولة. مما يحلنا على أسباب قيامها الثلاثة، التي منها ما هو حديث ملموس الظهور، ومنها ما هو ضارب في القدم عريق في المجتمع المغربي بل وفي باقي المجتمعات فتأكلت جذوره حتى صار من المستحيل الوقوف عليها أو تمييز ما هو محلي منها مما هو بشري وكوني.

فأما الأسباب الملموسة، فإنها تتصل بقيام الدولة العلوية وبمؤسسها السلطان المولى الرشيد الذي يبدو أن طلبة المدارس والزوايا الموجودة شرقي المغرب قد قاموا بدور فعال في نصرته والانخراط في جموعه الأولى التي مكنته من التغلب على أخيه المولى محمد (فتحا) أول الأمر، ثم بعد ذلك من افتتاح أطراف المغرب الواحد تلو الآخر حتى اجتمع حكمها في قبضته في بضع سنوات. ولذلك اعتنى المولى الرشيد تمام العناية بشؤون العلم والعلماء، التي منها شؤون طلاب العلم، بأن جدد كراسي التعليم في القرويين ورسم المدرسات التي كانت مأوى الطلاب، وبنى لطلاب الشرق المغربي مدرسة خاصة بهم هي مدرسة الشراطين. وكانت إقامة "نزهة" للطلاب عند حلول فصل الربيع مما أنعم به عليهم، ومن علامات عنايته بشؤونهم وحرصه على الأخذ بيدهم. نعلم ذلك بإشارة مفصلة من قدماء المؤرخين الغاربة الذين كانوا

يوم راحة. لكن الأيام التالية كلها تكون حافلة بالزيارات وبالسهرات المصحوبة لزوماً ببعض الهدايا. وكان من العادة أن يكون أول من يأتي لزيارة سلطان الطلبة، أمير من أمراء الأسرة العلوية الحاكمة، يستقبله السلطان الوهمي استقبالا رسمياً في اليوم الثالث أو الرابع، ويتلقى منه ما أمر به السلطان القائم من الهدية الرسمية للطلبة، قوامها أغنام ودقيق وزيت وسمن وشمع وسكر فضلاً عن مبلغ من المال، ويسلم ذلك بناء على التقاليد المرعية فيما يهدى إلى المخزن من الهدايا. ومن المضحكات الطلابية، أن كان اليهود هم أيضاً يأتون بهديتهم، فيعلن عنها ويطلب ويضم لها على أنها قطعان لا حصر لها من الأغنام والأبقار، فإذا هي أقفاص تنغالي فيها القلط والفئران، أو يقول البراح بأنها مبالغ لاتعد ولا تحصى من المال، فإذا هي صنادق ضخمة مطوية على قطيعات نقدية رديئة. وعلى سلطان الطلبة أن يتظاهر بالاشتغال بما يشتغل به السلطان الحقيقي. فإنه يجلس إلى وزرائه وخدامه محاطاً بكتابه، ويأمر بتدوين أوامره في مراسلات وظهائر يبدي فيها تحبب الطلاب قدرتهم على الكتابة بالأسلوب المخزني الرفيع، ولكن في كل ما لا صلة له بأمر الجيد فلا يشير إلا الضحك والاستملاح. وفي اليوم السادس، كان السلطان القائم يخرج لزيارة سلطان الطلبة في محلته. وتجري الملاقاة في تمام الترتيبات التشريعية، إذ يتقدم كلا السلطانيين أحدهما نحو الآخر، ثم يقفان على بعد ثلاثين خطوة محاطين كل واحد منهما بحاشيته المخزنية وبحرسهما. وتجري تمثيلية سخرية بالمناسبة، إذ يتلقى صاحب سلطان الطلبة مخاطبة السلطان أمير المؤمنين متعجباً من جرأته، وهو مجرد سلطان المغرب على المثول بين يدي أقوى سلاطين الدنيا، سلطان الطلبة المتمد حكمه، كما لا يخفى على أحد، على ما لا يحصى من البق والقمل والبرغوث والبعوض. وكان من العادة أن يمثل الطلاب أمام الحاشية المخزنية الرسمية مسرحية التباهي بالسلطة مستخفين بها ساخرين، مثل أن يتناول مضحك سلطان الطلبة الكلمة وهو على ظهر جمل ماسكا بقصبة طويلة وبسبحة خطها من دوم مفتول وحياتها من تين محفف، وقد ضخم بطنه بركام من الوسادات، وجعل على رأسه مكبا من دوم من الشكل الذي تغطي به الأطباق الكبرى. أما الساعة المعلقة عليه، فهي كسرة خبز مدورة منظومة في سلسلة من قنب، وفي تلك الحالة المشوهة المزرية، ينطق بشبات ووقار، فيقول مثلاً: "الحمد لله الذي جعل لنا الأسنان وألحق بها الأصابع واللسان، وأمرنا بيزداد الدجاج والرمان". أو يقول: "اسمعوا وعوا، يا أيها الناس، فبمجرد ما يخرج مني آخر الأنفاس، الرجاء منكم أن تغسلوني بالألبان وأن تجعلوا كفني من الرغفان، ولتكن عمامتني من القديد وفراشي في القبر من السميد". يقول ذلك وهو ينظر من حين لآخر في ساعته، يعني خبزته، بأن يلتقم منها لقمة، أو يتظاهر بالذكر على سبحته، يعني الشريط المنظم بالتين، بأن يلتهم حبة منه. وعندما تنتهي

دو ماروك " *Le Courier du Maroc* ، التي امتد صدورها من 1929 إلى 1961 ، تنقل بانتظام مراسم الحفلة كل سنة ، وتعرف بها على أنها وقفة من وقفات فاس العريقة التي تستحق الفضول العلمي والسياحي ، إلى أن اشتدت مقاومة الاستعمار في مطلع الخمسينيات من القرن العشرين ، وأقدمت سلطات الحماية على عزل السلطان الشرعي للبلاد سيدي محمد بن يوسف (محمد الخامس) ، وتمكين محمد بن عرفة ، أحد أبناء عمومته ، من العرش ، فكانت الثورة العارمة للشعب المغربي ، وامتنع طلاب القرويين من أن يدخلوا لعية سلطان الطلبة مع سلطان منزوع من الشرعية .

واسترجعت البلاد استقلالها سنة 1956 . ولكن حفلة سلطان الطلبة ظلت معطلة بسبب انشغال الجميع في بناء صرح السيادة الوطنية على أسس جديدة ، ودخول الطلاب المغاربة في عصر لم يقطع العصلة بالقرويين ولكنه جعلها وراء ظهره ، بما كان من إحداثات جامعة محمد الخامس في الرباط سنة 1957 وتوجهاتها نحو العلوم والمناهج الحديثة ، وبما كان أيضاً من نشأة نقابة طلابية عصرية تحت اسم الاتحاد الوطني لطلبة المغرب سنة 1958 ، التي كان أعضاؤها أكثر ميلاً للوقوف في صف المعارضة منهم لتجديد ما كانت حفلة سلطان الطلبة ترمز إليه من تواطؤ حملة السيوف مع حملة الأقلام . وقد رام الملك الحسن الثاني نقض الغبار عن الحفلة وإحيائها ليكف الطلاب عن الإحتراب والشغب ، وليدركوا ما يربط بينهم وبين الدولة من الأواصر الظاهرة والباطنة . وأقيمت الحفلة بأمر منه سنتي 1968 و 1969 . ولكن الأجراء كانت قد تغيرت ، والناس قد تبدلوا ، والوظائف الاجتماعية والسياسية قد حالت من حال إلى أخرى ، فلفظت حفلة سلطان الطلبة آخر أنفاسها ، بعد أن فقد سلطان الطلبة ، ولاشك ، ما كان يحيي به حماة ويرعب به منافسيه وخصومه من الجيوش المدمرة .

P. de Cenival, *La légende du Juif Ibn Mechi'ul et la fute du Sultan des Foltbas à Fès, Hesp.*, T. V. 1925. 2e trim., pp. 137 - 218.  
إبراهيم بوطالب

**سلطان الطلبة بمراكش** ، حفل سنوي كان يقبسه طلبة جامع ابن يوسف على غرار حفل سلطان الطلبة بفاس . يعقد الطلبة اجتماعات تمهيدية بمدرسة ابن يوسف لتنظيم الحفل وإعلان سمرة السلطنة بين الطلبة الأفاقين الذين يتغربون عن بلدانهم وأهلهم السنين الطوال في سبيل العلم ، فتقع المزايدة بين الطلاب إلى أن ترسو على أحد الطلاب ، وعند انتهاء المزايدة وإعلان اسم الطالب الفائز ، يشرع في اختيار هيأته الوزارية ، وحاجبه وقراد المشور ، وأميناً لمصرفات الزهدة التي تدوم أسبوعاً كاملاً ، وتجمع المصروفات من المقدار الذي اشترى به سلطان الطلبة سلطنته ، وهدايا السلطان المحلية ، وتبرعات أعيان وتجار المدينة .

كما يعين محتسباً استعداداً للهزل والمزاح ، يجول في الأسواق ، ويراقب الأسعار ، ويعير الموازين ويحلل المبيعات ،

يرأون بأقلامهم عن الكتابة في سخافات من صنف حفلة سلطان الطلبة ، ولكن نستنبطه مما نقله بعضهم عن أسطورة اليهودي ابن مشعل الذي يقال بأنه استبد بالنفوذ في المناطق الشرقية ، حتى جاء المولى الرشيد وسع بذلك فدفعته الغيرة على الملة والدين إلى الفتك به رفقة جماعة من الطلاب . وتلك أسطورة غامضة المجرى . ولا يصح منها إلا ما كان من استعانة المولى الرشيد ببعض طلاب العلم في منطلق فتوحاته لتأسيس الدولة العلوية . كما أن الثابت الملموس ، هو أن الفرنسيين عند احتلالهم للمغرب وحدوا حفلة سلطان الطلبة من التقاليد الراسخة في فاس باستمرار ، وفي مراكش في بعض الأوقات . وهم الذين اعتنوا بكيفية إقامتها وحاولوا إدراك أصولها التاريخية القريبة والثقافية العريقة .

وتتمزج الأسباب الثقافية ولاشك بما لا سبيل إلى سير أغواره من المعتقدات الوثنية المشتركة بين شعوب البحر الأبيض المتوسط التي يتميز المناخ فيها بانفصاله إلى أربعة فصول ، كان للناس فيها أعراف مبنية على لحام من الطقوس المادية والروحانية . وكان من المعتقد لديهم أن الحياة تتجدد عند حلول فصل الربيع ، وأن الآلهة تلزم الإنسان بمسايرة تلك الدورة ، وبناء عليه فإن الخروج إلى الطبيعة في ذلك الفصل تحول إلى أكثر من نزهة ، إذ صار في أزمته الجاهلية واجبا دينيا وعرفا من الأعراف المزممة . لكن الرسالة التوحيدية في أشكالها الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلامية ، ما لبثت أن أتت على تلك المعتقدات ، حتى لم يبق منها إلا حاجة بشرية مبسطة لتجديد العهد بالأشجار واليادية عند بزوغ فصل الربيع ، وهو ما يسميه المغاربة "نزهة" ، وتبلور في مسخرة حفلة سلطان الطلبة منذ تربع الدولة العلوية على عرش المغرب للأسباب الأنفة الذكر . ذلك بأنه لا إشارة لتلك الحفلة ، أو لما يشبهها ، قبلاً قبل ذلك من كتب التاريخ أو الرحلات . ولو كانت تقام ، لما أغفل الحسن بن محمد الوزان مثلاً ذكرها وهو يصف مدينة فاس في طليعة القرن السادس عشر وصفا مطولا مدققا . ولذلك لا نجد ذكراً وافيًا عن ما جريات حفلة سلطان الطلبة إلا في كتب بعض الفرنسيين قبل عقد الحماية أمثال كابريل شارم Gabriel Charmes أو بيير لوتي Pierre Loti ، أو المكلفين بالتمشيل القنصلي أمثال أوجين أوبان Eugène Aubin أو هانري كايار Henri Gaillard ، الذين كان الفضول الاستغرابي أو الوظيفة الاستعلامية يلزمهم باستكناذ الشادة والفاذة من أحوال المغرب .

وقد اعتنت سلطات الحماية تمام العناية بحفلة سلطان الطلبة ، وأدركت ما كان فيها من فوائد الترويج عن المكونات الاجتماعية للتخفيف من حدتها وإثارة انتباه أولى الحل والعقد إلى درجة خطورتها . وكانت الحفلة مناسبة يتنفض فيها المجتمع الفاسي انتفاضة تشارك فيها كل الشرائح بقيادة النخبة الطلابية ، التي كانت تمثل باقي أقاليم البلاد بما يتوافد على القرويين من الراغبين في استكمال الدراسة العليا . وظلت جريدة الاستعمار في فاس "لو كوريي

ويستحصل الضرائب والذعائر التي يتعمدها والتي يؤديها جميع التجار بارتياح كبير تنشيطا للطلبة، ومشاركة منهم في نزهة سلطان الطلبة.

وعندما تهباً جميع لوازم الحفل يغادر سلطان الطلبة مدرسة ابن يوسف في موكب رسمي، ممتطياً فرساً وبرفقته جميع وزرائه وحاجيه، قاصدين جنان الحارثي المهياً لإقامة هذا الحفل البهيج. وهنا يصعد خطيب يتسم بالمرح وخفة الروح فيلقى أمام السلطانين وأمام الجماهير الغفيرة خطبتين هزليتين في التنويه (بالزرد) والحمد للذي أوجدها وهبأها للمعدة... وعندما ينتهي الخطيب يقدم سلطان الطلبة مرغوبه الذي يحظى بالقبول وهو: إما اطلاق سراح سجين من عائلته، أو نيله لووظفة... ويكتب هذا المرغوب في صورة ظهير يخفيه سلطان الطلبة.

وفي آخر ليلة من النزهة يغادر سلطان الطلبة مكان النزهة سراً إلى مدرسته قبل أن يثور عليه رعاياه الطلبة هازلين مازحين حيث يصبح بعد انتهاء حفلات النزهة مثلهم.

ملحق جريدة المغرب، عدده 5، ص. 69، 5 ماي 1938 : جريدة السعادة، 16 أبريل 1950 : م. عبد الرحيم غنيمة، تاريخ الجامعات الإسلامية.

أحمد متفكر

## السلطانة زيدانة ← عائشة مباركة

**السلفية بالمغرب** مصطلح أخذ مكانه ضمن تاريخ الفكر الإسلامي ليدل على كل محاولة تجديد تدعو للرجوع إلى الأصول الإسلامية الأولى لإصلاح حالة من حالات واقع مناطق العالم الإسلامي في مرحلة من المراحل، ويتوالي مراحل التاريخ الإسلامي المختلفة تعددت الحركات السلفية التي تتبنى الفكر الإسلامي الأصيل التابع من الكتاب والسنة لترتبط بينه وبين الواقع الذي تعيشه، فتحاول إصلاح ما فسد من أوضاعه وما ظهر فيه من بدع وضلالات مهتدية بالمبادئ الإسلامية الصحيحة، محاولة الاجتهاد في ضوء فهمها لتلك المبادئ، وقد جاءت تلك المحاولات في غالب الأحيان كرد فعل على وضعيات أزمة وتدهور مر منها تاريخ العالم الإسلامي شرقاً وغرباً. إلا أن أهم مرحلة اكتسب فيها هذا المصطلح شهرته هي مرحلة نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين الميلاديين حينما اشتهرت الحركة السلفية المشرقية التي تزعمها رواد النهضة في المشرق الإسلامي في الوقت الذي أصبح فيه العالم الإسلامي عموماً يواجه خطر التدخل الأجنبي والاستعمار، فتبلورت في مختلف بقاعه حركات سلفية حاولت مواجهة هذا الواقع بالدعوة للرجوع إلى الأصول الإسلامية للبحث عن الحلول الناجعة لمختلف المشاكل التي تخبط فيها المسلمون آنذ.

لقد عرف المغرب بدوره كغيره من بلدان العالم الإسلامي حركة موازية للحركة السلفية في المشرق يمكن إبراز أهم جوانب تطورها التاريخي كالتالي :

تستند السلفية المغربية في نهاية القرن التاسع وبداية العشرين إلى أصلين داخليين أساسيين بالإضافة إلى بعض التأثير الذي اكتسبته من المعطيات الخارجية المرتبطة بالسلفية المشرقية إضافة إلى التطورات العامة في البلاد حين مواجهتها للأجانب في نفس المرحلة.

يتجلى الأصل الداخلي الأول للسلفية المغربية في المعطيات التي تراكمت من خلال التجارب التاريخية السابقة في عهود سالفة والتي أنتجت عدة معطيات فكرية ساهمت في بلورة خصوصية الفكر السلفي المغربي ويمكن إجمال مظاهر هذه التجارب التاريخية في ظهور عدد من المصلحين المجددين في أمور الدين وعلاقته بالسلوك الاجتماعي للأفراد والجماعات وقد حاول هؤلاء التنبيه إلى بعض المفاسد والبدع التي كان المجتمع مسرحاً لها وذلك من خلال دعواتهم الإصلاحية التي ضمنوها في الغالب بعض مؤلفاتهم، ونادوا فيها إلى الرجوع للكتاب والسنة انطلاقاً من تطبيقهم للمبدأ الإسلامي الشهير : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن أشهر هؤلاء :

1 - أبو عبد الله محمد بن الحاج (ت. 737) من خلال كتابه "المدخل" إلى تسمية الأعمال.

2 - إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي (ت. 790) من خلال كتابيه "الموافقات" و"الاعتصام بالكتاب والسنة".

3 - أبو العباس أحمد بن أحمد زروق (ت. 899) صاحب كتابي : "التصيحة الكافية" وعدة المرید الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وذكر حوادث الوقت".

4 - عبد الله الهبطي صاحب الألفية المشهورة "في قمع البدع".

5 - أبو عبد الله محمد بن أحمد المسناوي الدلاني مؤلف كتاب "جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر" الذي دافع فيه عن آراء ابن تيمية منتصراً للعقيدة الحنبلية.

وعلى الرغم من أن كل واحد من هؤلاء وغيرهم قد ساهم في بلورة الفكر السلفي والدعوة إلى الالتزام بالأصول الإسلامية الأساسية أي الكتاب والسنة والاحتكام إليها في كل شيء، فإن أكثرهم تأثيراً في ذلك هو الشيخ الشاطبي الأندلسي الذي ابتكر منهجاً في التفكير انطلاقاً من أصول الفقه وأعطى للعقل مكانة مهمة في التعامل مع التراث الإسلامي نابذاً بذلك التقليد وداعياً إلى التجديد والمرونة في التعامل مع المشاكل الطارئة.

أما الأصل الداخلي الثاني لنشأة الفكر السلفي في المغرب فيستجلى في السياسة الدينية للدولة والتي ابتدأت بالمحاولة الأولى للدولة الموحدية لإحياء السنة والعمل بالحديث بعد أن كان الفقهاء في عهد المرابطين قد ركزوا الدراسات الفقهاء المحضة التي تعتمد على كتب الفروع دون الأصول. وإذا كانت هذه المحاولة لن تتجاوز العهد الموحدية بسبب خروجها عن إطار المذهب المالكي السائد في المغرب، فإن هذا الاتجاه في الإصلاح الديني السياسي سيظهر مجدداً مع سلاطين الدولة العلوية بصورة أكثر وضوحاً خصوصاً مع

السلطان سيدي محمد بن عبد الله ومن جاء بعده منهم، حيث ارتكزت هذه السياسة الدينية على محاولات عدة لإصلاح التعليم والقضاء ومحاربة بعض ممارسات الطرق الصوفية وانتشار بعض المنكرات والأمراض الاجتماعية. وهكذا ألف هذا السلطان عدة كتب وضح فيها رأيه الذي يجمله في قوله إنه "مالكي مذهباً حنبلي اعتقاداً". كما شدد السلطان مولاي سليمان في الإنكار على أهل البدع والطوائف الضالة رغم ما واجهه في سبيل ذلك من صعوبات داخلية تزعمها بعض العلماء المحافظين، ومع ذلك فقد تواصلت مظاهر هذه السياسة الدينية في عهود بقية السلاطين العلويين خصوصاً بعد تزايد التدخل الأجنبي في البلاد وما واكبته من تأثير بالأجانب وتزحزح في الثوابت الاجتماعية فتم التركيز منذ ذلك الوقت على تثبيت الاخلاق الإسلامية داخل المجتمع وفي هذا الصدد تشتهر الوصية القرنية للسلطان الحسن الأول الموجهة إلى عموم الرعية وإلى العمال خاصة من أجل تفعيل مقتضياتها التي ترمي إلى الإصلاح الديني والاجتماعي وقد تكرر مثل هذا الاتجاه في سياسة كل من السلاطين المواليين بعد ذلك.

لقد أثرت هذه السياسة الدينية بالخصوص في الدفع بالسلفية إلى التطور بالنظر لعلاقتها بمجالات اهتمامات العلماء وبنواحيهم الاجتماعية والعلمية. وفي هذا الصدد اشتهرت مجالس الدروس الحديثية التي كان يتأسسها السلاطين أنفسهم حيث أصبحت تقليداً علمياً مخزناً يشجع العلم ويوجه العلماء نحو الاهتمام بالحديث والسنة بالإضافة إلى الفقه الذي كان يستأثر به جل اهتماماتهم، وقد تركزت عادة إقامة هذه الدروس منذ العهد الحسني الذي بلغت فيه 36 مجلساً حسنياً. واتبقت عن ذلك عناية خاصة بعلما.

الحديث الذين كانوا ينفردون بمبايعة خاصة لهم للسلطان، هذا بالإضافة إلى العناية الخاصة التي كان يوليها مولاي الحسن بالخصوص لبعض فحول العلماء الذين اشتهروا باتجاهاتهم السلفية مثل الشيخ عبد الله السنوسي وأبي شعيب الدكالي. بالإضافة إلى كل ما سبق لاشك أن هذه الأصول الداخلية المبلورة للفكر السلفي المغربي قد تطعمت ببعض المؤثرات الخارجية التي تراكمت بدورها بشكل تدريجي منذ أصداء الحركة الوهابية المشرقية في القرن (18 م) التي لم يتجاوز تأثيرها بعض الانتشار الجزئي لأخبارها في المغرب دون التجاوب مع أفكارها التي لاقت الكثير من التحفظ إلى درجة تأليف رسائل في الرد عليها مثل ما قام به أبو الحسن علي بن طاهر الوترى في مؤلفه "ما أبرزته الأقدار في نصرة ذوي المناقب والأسرار" منتصراً فيه للمتصوفة ومبيناً أوجه الاختلاف بين الوهابيين والطرفيين.

إلا أن المؤثرات الخارجية المساهمة في تطوير الاتجاه السلفي المغربي ستبرز بشكل خاص خارج مدينة فاس وبعيدا عن جامع القرويين المثل الرسمي لاتجاهات العلماء الفكرية وذلك في المدن الساحلية وبالخصوص عدوتي الرباط التي

اشتهر فيها علماء حاولوا ترسيخ بعض التقاليد العلمية المختلفة عن مثيلاتها في فاس خصوصا في ميدان التعليم حيث جنح هؤلاء إلى التبسيط والسهولة كمنهج تدريسي واستخدام بعض الكتب الأكثر وضوحا وبساطة في مجالها والعناية بتدريس الحديث دراسة بحث وتحقق بعد أن كان الاكتفاء بسرده فقط للتبرك بتلاوته وكذلك بالاهتمام بدراسة التفسير والتأليف فيه كما فعل إبراهيم التادلي الذي ألف حاشيتين على تفسيرين هامين هما تفسير الجلالين وتفسير البيضاوي، هذا بالإضافة إلى إحياء تدريس بعض العنوم الأخرى مثل الأدب والرياضيات والتاريخ.

ولعل السبب في تزايد مثل هذه التوجهات الجديدة في أوساط بعض العلماء ما كان يصل إلى المغرب من صحافة مشرقية وتونسية بدأت تحظى باهتمام البعض من النخبة العلمية المغربية بالنظر لما تنقله من أخبار التطورات الفكرية والسياسية المشرقية وآرائها في أوضاع المغرب الداخلية وعلاقتها مع الأجانب، بالإضافة إلى تواصل المغاربة مع المشاركة عن طريق رحلات الحج والعلم والمراسلات الخاصة، ولاشك أن مجلة المنار المصرية التي كان يصدرها محمد عبده قد لقيت اهتماما من طرف بعض المغاربة رغم أن محمد عبده لم يزر المغرب رغم وصوله إلى كل من تونس والجزائر.

إذا أضفنا إلى كل ما سبق أن التدخل الأجنبي الأوربي في المغرب قد بلغ أوجه في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وبداية العشرين وترتبت عليه جملة من القضايا التي كانت تمس رتابة الاتجاهات الفكرية عند العلماء وتستنفر مشاعرهم الدينية وتطرح عليهم جملة من النوازل التي يجب البث فيها بطريقة لا تتعارض مع الشريعة وفي نفس الوقت تأخذ بعين الاعتبار مصلحة المغرب وضرورة الخروج بحلول ملائمة لهذه المشاكل تكون في صالح البلاد والعباد خصوصا في علاقاتهم بالأجانب التي أصبحت أمراً واقعاً يجب التعامل معه بحذر.

- هكذا واجه العلماء معضلات متعددة من أبرزها :
- مفهوم الجهاد وضرورة الأخذ به في هذه الظروف.
- الحماية الشخصية الأجنبية.
- حدود التعامل مع الأجانب في التجارة وغيرها.
- النظام الضرائبي وعلاقته بالشرع عند اضطراب المخزن لتطبيق الإصلاحات المالية بدءاً بالمكس والمعونة والتوظيف ووصولاً إلى الترتيب.
- تجديد الفقه انطلاقاً من إصلاح التعليم ونظام القضاء والاتقاء.
- ضرورة مواجهة التدخل الأجنبي الذي تطور إلى استعمار سياسي وحماية.

لقد ساهمت القضايا السالفة الذكر وغيرها كثير في بلورة الاتجاه السلفي المغربي ودفعته إلى التغيير والتطور واكتساب التراكمات الفكرية التي أعطتنا في نهاية المطاف حركة سلفية مغربية لها خصوصياتها وسياقها التاريخي

الذي أفرز ثلاثة اتجاهات رئيسية انبثق كل منها من سابقه ثم تجاوزه ليختلف عنه مع ملاحظة مزامنة القديم منها للجديد وعدم اندثاره بشكل كلي، وهي كالتالي :

#### 1 - السلفية الدينية المحضة

يعتبر هذا الاتجاه الأول من نوعه من حيث السياق التاريخي فهو مرتبط ببداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقد واكب البدايات الأولى للتوغل الأجنبي في البلاد، وبعد امتدادا لحركات الإصلاح والتجديد عند علماء المغرب في العهود السابقة.

وقد انبثق بالخصوص من داخل جامع القرويين باعتبار أقطابه من أعلام المدرسين داخل القرويين الذين تميزوا بعدم تعاملهم مع المخزن في أية وظيفة لها علاقة بالسياسة باستثناء مجالات التعليم والقضاء والافتاء باعتبارها حظوظا دينية محضة.

لقد اعتبر هذا الاتجاه الإصلاح تطبيقا للشرع حسب ظاهر النصوص وهذا ما جعل بعض الباحثين ينعت سلفيته بسلفية النصوص لابتعادها عن أي اجتهاد ومحاولة للتأويل والاستنباط وهو بهذا يقترب من الوهابية من حيث المنهج إلا أنه يختلف عنها كثيراً لتشبهه بالمذهب المالكي وبتفريعاته الفقهية المختلفة، كما يختلف عنها في كونه لا يرفض التصوف مطلقاً بل بعض جوانبه الطرقية ومغالاة بعض أقطابه بالإضافة إلى محاربتة جوانب من الممارسات الشعبية لأتباع المتصوفة الطرقيين.

بالنظر لمحدودية الاجتهاد في هذا الاتجاه فهو لا يتطلع إلى أي تحديث أو ملاءمة للوقائع مع الشرع. لهذا كانت موافقه من القضايا الطارئة مع التدخل الأجنبي متشددة إلى درجة الرفض الشامل لكل ما له علاقة مع الأجانب فتبلورت فيه فكرة رفض الغرب وقوانينه الوضعية خوفاً على الإسلام والهوية العربية الإسلامية، وهكذا كانت دعوته إلى الجهاد ضد الأجانب دائمة ومستمرة بغض النظر عن تفوقهم وضعف المسلمين والمناذرة باستمداد القوة والعون من الله عن طريق تطبيق الشريعة والرجوع إلى أصولها في الكتاب والسنة، ومن خلال هذا الرأي تبنيت كل الآراء الأخرى لهذا الاتجاه الممانعة في التعامل مع الأجانب تحت أي ظرف من الظروف وملاحقة أصحاب الحمايات الشخصية القصلية والمناذرة بالهجرة من الأماكن التي يوجد فيها النصارى هروبا بالدين وخوفاً من الفتنة إلى غير ذلك من المواقف التي تسيير في نفس هذا المسار بخصوص التجارة واستعمال المخترعات الغربية وأساليب التعامل الوضعية.

أبرز من تزعم هذا الاتجاه الفقيه محمد بن المدني كون وعلماء الزاوية الكتانية كمحمد بن عبد الكبير الكتاني ومحمد بن جعفر الكتاني وغيرهم الذين كان هم سلفيتهم نبياً محضاً لا يدرك سوى حقيقة واحدة هي الدفاع عن الإسلام، في محاولة للمقارنة بين ما كان عليه تطبيق الدين في عهد السلف الصالح وما أصبح عليه تطبيقه في عهدهم

المتأخر رافعين ثلاثة شعارات أساسية هي :

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

- مقاومة كل البدع والمحدثات

- ضرورة العودة إلى تطبيق الإسلام الصحيح حسب

مواصفات كتب السنة وظاهر النصوص.

وقد ألف أقطاب هذا الاتجاه عدة كتب اشتهر بعضها في إبراز جوانب اتجاههم السلفي نذكر منها على سبيل المثال : مجموعة كتب النصيحة لمحمد بن المدني كتون التي لقيت عناية خاصة في محاولة لنشرها بين الناس عن طريق طبعها طباعة حجرية بفاس حينما ازدهرت هذه الوسيلة في النشر نهاية العهد الحسني وأيام السلطان مولاي عبد الحفيظ بالخصوص. وقد ركزت هذه الكتب على إبداء الرأي في كثير من نوازل الوقت كمخالطة الأجانب والحجر الصحي وفساد الافتاء والقضاء وظلم المخزن والتسري بالجوازي وغيرها... كما اشتهر بعد ذلك بتوضيح هذا الاتجاه كتاب محمد بن جعفر الكتاني : "نصيحة أهل الإسلام" الذي طبع بدوره على الحجر بفاس.

وعلى الرغم من كون رائد هذا الاتجاه محمد بن المدني كتون من كبار العلماء المدرسين بالقرويين حيث تنلمذ على يديه جم غفيرة من العلماء إلا أن قلة منهم ممن اتبع نفس خصوصيات سلفيته من أمثال قريبه محمد بن عبد السلام كتون الذي كان يدرس الحديث والتفسير بشرح البيضاوي.

#### 2 - السلفية الإصلاحية السياسية

تطورت السلفية بعد ذلك في اتجاه آخر ارتبط بصفتي الإصلاح والسياسة نظراً لأن أهم ما يميز أقطابه هو الاشتغال مع المخزن في مهام ووظائف لها علاقة بالسياسة وتديبر الشأن العام، بالإضافة إلى المهام التقليدية لمجمل العلماء في مجالات التعليم والقضاء وما يتعلق بها، وقد ساهمت هذه الخاصية في تطوير الاتجاه السلفي الديني من اتجاه راديكالي صرف إلى اتجاه واقعي مرن لا يرفض منطلقات الاتجاه الأول ولكنه ينطلق منها ويكيفها حسب منهجية جديدة استفادت كثيراً من قواعد الفقه والتراث الإسلامي بالاعتماد على مبادئ وقواعد وأصول كلية مقبولة شرعاً وتعطي للعقل حيزاً مهماً في التعامل مع النوازل والمشاكل، وذلك باستغلال تلك المبادئ والقواعد مثل : درء المفسدة وجلب المصلحة ارتكاب "أخف الضررين" الضرورات تبيح المحظورات، وغير ذلك من القواعد الفقهية المستعملة في فقه النوازل وما جرى به العمل في إطار الفقه المالكي وحتى خارجة.

وقد اعتمد هذا الاتجاه كثيراً على منهجية التفكير التي عرفت عند الشيخ الشاطبي الأندلسي التي تماثل في أهميتها أهمية قواعد علم العمران عند ابن خلدون، باعتبارها غايات ومقاصد التشريع في التعامل مع الوقائع والنوازل أولى من الوقوف عند النصوص في خصوصيتها بل النظر إلى النصوص في إطار نظرة شاملة تستحضر كلية الشريعة وأهدافها العامة.

هذا الاتجاه أعطى آراء وتحمل مواقف كلها تأييد للمخزن وبحث عن المبررات الممكن إعطاؤها لإضفاء الشرعية الفقهية والسوغات الدينية للمواقف التي اضطر المخزن لتبنيها منذ العهد الحسيني وإلى الثلث الأول من القرن العشرين، ابتداء بما أعلنه الناصري وانتهاء بما وصل إليه الحجوي في مواضع عدة يحملها الخطوط الرئيسية التالية :

- ضرورة التخلي عن فكرة الجهاد وإعطاء مبررات لذلك تحول الجهاد ضد الأجنبي إلى جهاد داخلي لإصلاح النفس من أجل الوصول إلى مرتبة الآخر من أجل مقاومته.

- ضرورة الأخذ بكل ما يبت إلى التحديث والتطور والتقدم بصفة في مجالات : التجارة والضريبة والتعليم والمرأة وغيرها واقتباسه من الغرب ما لم يتناقض مع أسس الشريعة الإسلامية وما دام يسير في نفس اتجاه مقاصدها وغاياتها الهادفة إلى إصلاح المجتمع وتقويم سلوك الناس وممارساتهم.

- ضرورة مهادنة فرنسا والاستفادة من تنظيماتها والبحث عن حلول لتطوير المجتمع والمحافظة على اللغة العربية والهوية الإسلامية في إطار هذه المهادنة.

بين الناصري والحجوي برزت داخل هذا الاتجاه الثاني عدة أسماء لكل منها خصوصيته داخل الإطار العام نذكر منها :

علي السملالي السوسي - عبد الله السنوسي - أحمد بن المواز - أبو شعيب الدكالي وغيرهم. إلا أن الموقف من فرنسا المستعمرة هو ما سيخلق بين هؤلاء وغيرهم من العلماء السلفيين المتورين كذلك في ظل نظام الحماية فارقاً أساسياً سيؤدي إلى خلق وبعث اتجاه جديد للحركة السلفية المغربية سيركز على نفس مبادئ الاتجاه الثاني ولكنه سيقتف موقف المتشدد من كل ما له علاقة بتأييد سياسة الحماية أو مؤازرتها أو على الأقل تجاهلها ليدخل الحركة السلفية في إطار سياسي جديد يعنم على مناهضة أساليب الحماية وإدارتها ومحاولة الضغط عليها لتحقيق غاية أساسية هي الاستقلال وقد كان حلقة الوصل في هذا الاتجاه الشيخ محمد ابن العربي العلوي الذي تتلمذ على يديه جيل السلفيين الجدد بزعامة علال الفاسي، وبذلك دخلت السلفية المغربية في طور جديد مع الاتجاه الثالث الذي اشتهر باسم السلفية الوطنية الجديدة.

### 3- السلفية الوطنية الجديدة

في هذا الاتجاه الثالث تكمن خلاصة التطور الذي آلت إليه الحركة السلفية المغربية باحتفاظها بأصولها التاريخية وتكيفها مع الوقائع والأحداث وبروز اختلافاتها الواضحة مع السلفية المشرقية المعاصرة لها والمركزة على مبدأ التوفيق بين الغرب والإسلام فقط.

لقد تجاوزت السلفية المغربية في هذا الاتجاه غاياتها الأساسية التي دعا إليها الاتجاهان السابقان وحققت فيها تراكمها مهما لتصبح وسيلة لا غاية وأداة عمل عند مجموعة من روادها الذين سيعملون بواسطتها من أجل تحقيق الانعتاق

والتحرر من الاستعمار وبذلك نعتها كل الباحثين بأنها الإطار الفكري الذي تبنته الحركة الوطنية أي إيديولوجيتها الفكرية التي تربط السياسي بالديني ربطاً جدلياً، تدرج جعلت السلفية والوطنية تعنيان شيئاً واحداً عند المتبعين لهذا التطور، فقد أصبح بعدها السياسي، أكبر من ذي قبل، مرتبطاً بتحقيق مفاهيم سياسية جديدة تتجاوز قبول الأمر الواقع وتحقيق النظام والأمن إلى توسيع مفهوم الإصلاح وربطه بمفاهيم التحرر وبناء الاستقلال، وفي هذا الإطار ركزت السلفية في اتجاهها الجديد هذا على الجوانب الأكثر خدمة لهذه الغاية كمحاربة الفكر الغيبي والتخلص من ممارسات الطرفين التي يستغلها المستعمر لتثبيت وجوده، واعتبار العمل السياسي والنضال الوطني جهاداً جديداً ضد المستعمر لا بد من مزاجته مع الفكر السلفي.

لقد أوضح علال الفاسي هذا التطور في عدد من مؤلفاته نخص بالذكر منها : الحركات الاستقلالية - مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها - دفاع عن الشريعة - النقد الذاتي وفي غيرها من كتاباته وقد ركز بالخصوص على دور العقل في التحرر الفكري والسياسي وبالتالي تدعيم غايات السلفيين الجدد لتحقيق مشروع النهضة والتحديث وبناء الدولة الوطنية، وهذه الدعوة إلى العقل يتم تأصيلها بالرجوع إلى التراث الإسلامي وفهمه بكيفية لا تعارض فيها مع ما يقتضيه العقل والعلم، وذلك بالنظر إلى الأمور انطلاقاً من مقاصد الشريعة وأصولها لا بدلالات النصوص القطعية وبالتالي الخروج باجتهاادات تتسجم مع هذه المقاصد ولا تعارض مع العلم والتطور والمعاصرة.

عموماً فإن الربط بين التجديد والتغيير والتحرر والتحديث هو ما شغل هذا الاتجاه في ربط للحياة والوسائل العصرية بالبيئة الإسلامية لجعلها قادرة على التأثير والتأثر. وبهذا حافظت السلفية في نهاية المطاف على كل الجوانب الإيجابية في الاتجاهين السابقين من بدايتهما عند الشيخ محمد بن المندي كنون إلى تطورهما عند محمد بن الحسن الحجوي وتجاوزت كل ذلك باستخدامه كوسيلة للتحرر من الاستعمار وبناء مجتمع إسلامي عصري بعد ذلك.

لقد كانت أبرز مميزات هذا الاتجاه الثالث ما يلي :

- دعوة صريحة للاعتماد على العقل والعلم والابتعاد عن

التفكير الغيبي التقليدي

- اعتماد الفقه المقاصدي في البحث عن حلول لكل

المشاكل الاجتماعية والاقتصادية في علاقتها بالشريعة الإسلامية.

- ربط الإصلاح الديني بتغييره الاجتماعي والسياسي

- الدعوة إلى الاجتهاد واستنباط الأدلة اعتماداً على

الأصول الكلية للشريعة

- السعي لمحاربة الاستعمار وبناء الدولة الوطنية في

أبعادها العربية والإسلامية

- محاربة كل مظاهر السلوك الاجتماعي والسياسي التي

تتنافى والغايات السالفة الذكر.

أما الفترة المفضلة لحفظ القرآن الكريم فهي فترة الطفولة؛ أي المرحلة الدراسية الأولى، فقد حفظه بعض العلماء فيما بين السنتين السابعة والعاشر، ومنهم من تجاوز ذلك. وهذا راجع أساساً إلى تفاوت درجات تركيزهم ومدى قوة ذاكرتهم واختلاف ظروف نشأتهم وتربيتهم، إلا أنه وجد من حفظ القرآن في كبره (في سن الكهولة مثلاً) (فهرس المنجور، 63، 64).



ومعظم القراء بالمغرب حفظوا القرآن برواية برسن، ومنهم من ختمه حفظاً بالقراءات السبع، والطلاب الذي ختم القرآن بالقراءات السبع يسمى "السبع"، كما وجد من ختمه بالقراءات العشر (مفتون، 17، 45، 50، 97).

أما مدة ختم القرآن حفظاً فإنها قد تطول أو تقصر حسب همة واجتهاد كل طالب ومدى قوة ذاكرة الحفظ لديه، فمن الطلبة من استغرق عدة سنوات، ومنهم من تمكن من حفظه في مدة أقل كسنة أو سنتين.

وتجدر الإشارة إلى أن عملية الحفظ تلك لم تقتصر على الذكور فحسب، بل تعدتهم إلى الإناث، فمنهن من حفظن القرآن المحسد على أيدي آبائهن أو أقاربهن من العلماء، ومنهن من استفدن من فقهاء أجانب في إطار من الحياة والحشمة.

ولتقريب صورة الاحتفال بالسلكة نقدم نموذجاً مما جرت به العادة في بلاد سوس، خاصة بمدرسة الملود، فعندما يحصل الطالب على سلكة لأول مرة يعمه الفرح والابتهاج، ويعمد إلى محو إحدى جهتي لوحته، ويرسم فيها دائرة في وسطها، يتراوح قطرها ما بين 15 و11 سم على حسب عرض اللوحة وطولها، ثم يسطر داخل الدائرة ويكتب فيها الآيات الأخيرة من سورة البقرة انطلاقاً من "آمن الرسول..."، هذا إن ختم القرآن من الأسفل إلى الأعلى؛ أي من سورة الناس إلى سورة البقرة، أما إن فعل العكس، فإنه يكتب في الدائرة المذكورة سورة الإخلاص والمعوذتين، وبعد كتابته ذلك يذهب

لقد تبلورت مجمل هذه الأفكار بالخصوص عند علال الفاسي في مرحلة ما بعد إعلان الظهير البربري سنة 1930، وأصبحت السلفية منذ ذلك الحين مرتبطة بالحركة الوطنية وبالتطورات السياسية التي أدت في نهاية الأمر إلى إنشاء الأحزاب السياسية ليتمنى أفكارها مع كثير من التطوير والتحوير والدمج مع أفكار أخرى حزب الاستقلال إلى حين وفاة زعيمه السلفي علال الفاسي.

الكتب المذكورة داخل النص : ع. الجليل بادو، الأثر الشاطبي في الفكر السلفي بالمغرب : سعيد بن سعيد العلوي، الاجتهاد والتحديث، دراسة في أصول الفكر السلفي في المغرب : م. الفلاح العلوي، جناح القرويين والفكر السلفي : ع. القادر الشاوي، السلفية والوطنية : ندوة، الحركة السلفية في المغرب العربي، مجموعة مقالات : مجلة المناهل عدد خاص، السلفية ثوابت وسيادات.

محمد الفلاح العلوي

**السلكة** في اصطلاح القراء المغاربة هي ختم القرآن إما حفظاً وإما قراءة، وقد اختص هذا المصطلح بالمغاربة دون المشاركة، ولذلك يطلق على السلكة اسم "الختمة"، وتعرف أيضاً بـ "الحذقة". والحذق والحذاقة : المهارة في كل عمل. وحذق الغلام القرآن : مهر فيه وتعلمه كله، ويقال لليوم الذي يختم فيه الصبي القرآن : هذا يوم حذاقه (المعيار، 8 : 240 : المعسول، 1 : 34) "الحذقة".

وكذلك ختم القرآن في وقت واحد وفي جلسة واحدة، يسمى سلكة، ويكون هذا الختم جماعياً، أي يتم توزيع أجزاء القرآن على الأفراد المحاضرين في منزل صاحب الوليمة أو صاحب السلكة، كل فرد يتكلف بقراءة جزء معين. والهدف من هذا ختم القرآن أو إتمام سلكة في ذلك المنزل لتعم أهله البركة وينالون الأجر والشواب. وتسمى هذه الختمة بـ "تحزأيت" أو "التفريق" وهي محدثة (م. السوسي، مدارس، 35، 36).

وقد يطلق مصطلح السلكة أيضاً على ختم المتن عن طريق الحفظ، كسلكة خليل (التازي، جامع، 3 : 751 الهامش، والأجرومية والألفية (م. الهبطي، مفتون، 21-119). ويصف الفقيه أيت بومهات هذه السلكة بأنها "عبارة عن سادية تقام ويدعى إليها حفظة القرآن الكريم لتلاوة أجزاء القرآن "التفريق" وما تيسر من الأمداح النبوية، وتقام غالباً بعد المناسبات الدينية والاجتماعية كالوليمة والعقيقة والرجوع من الحج..." (منار السعود، ص. 358).

وقبل حصول الطالب على السلكة فإنه يختم عدة ختمات صغرى؛ أي يختم جزءاً بعد جزء حتى ينهي حفظه للقرآن كله، وبذلك يكون قد ختمه الختمة الكبرى النهائية (السلكة). وقد يكرر حفظه للقرآن من جديد عدة مرات حتى يستقر في صدره جيداً ويضبطه رسماً وترتيباً، بل كان من الفقهاء من يختم القرآن في اللوح كل سنة خشية أن ينساه (ابن مريم، البستان، 91).





المغرب ومجتمعه في بداية الثلاثينيات، ارتفع عدد الوفيات بالسل سنة 1932 بشكل خطير كما في الجدول التالي المتعلق بمن تأويهم مستوصفات بعض المدن من المصابين بالسل :

عدد المتوفين منهم بالسل	عدد المرضى بمستوصفها	المدينة
100	189	فاس
33	59	مراكش
32	50	مكناس

ساهم جفاف 1937 . 1938 في تفاحش الإصابات بالسل وارتفع عدد من قضاوا به من المغاربة مسلمين ويهودا في المدن البلديات وحسدها إلى 1652 سنة 1937 و1660 سنة 1938. أما الأوربيون فقد ذهب الداء بـ 30 شخصا منهم من ضمنهم 19 فرنسيا فيما بين دجنبر 1937 وماي 1938. وتفيد تقارير بعض المستشفيات لسنة 1938 بأرقام حول نسبة الوفيات من بين المرضى المسجلين بتلك المستشفيات وهو ما يتضح من الجدول الآتي :

نبة المتوفين منهم	عدد المرضى	المستشفى
٪50	239	مولاي يوسف (الرباط)
٪67	201	كوكار (فاس)
٪35	110	موشان (مراكش)

وخلقت الحرب العالمية الثانية ظروفًا ملائمة لاستفحال السل بما تسببت فيه من تدهور في أحوال المغاربة ونقص في سواد التغذية والنظافة واللباس، وزاد من حدة الوضع ما أصبحت تعانيه إدارة الصحة من تقلص في عدد الأطباء والمستخدمين وقلة في الأدوية والعقاقير، فأعطل أمر السل وارتفع عدد الوفيات من جرائه بشكل غير مسبوق كما يتضح ذلك من الأرقام أسفله :

عدد الوفيات بالسل	السنوات
1371	1939
1427	1940
2074	1941
2676	1942
2868	1943
2533	1944
3541	1945

وحاربت سلطات الحماية داء السل في إطار برنامجها

غير أن أعداد المصابين بالسل على قلتهم كانت تتصاعد، كما يستفاد من إحصاءات المستشفى الفرنسي بطنجة في الجدول التالي :

السنوات	عدد المرضى بالسل الرئوي المقبولين بالمستشفى	عدد الوفيات بالسل الرئوي
1903-1900	15	2
1907-1904	28	4
1911-1908	88	22
1915-1912	96	22
1919-1916	121	33

وأمام تكرار المصابين بعد أن كانوا قلة، طرحت على المهتمين بالصحة مسألة ما إذا كان داء السل قد طرق المغرب مع من أمه من الوافدين الفرنسيين، أم أن له أسباباً داخلية ساهمت في تفشيه. والظاهر أن العاملين معا ساهما بشكل فعال في نشر السل ومدد بأسباب التكاثر والاستشراء. ذلك أن الطيبية دولانوي Delanoé، وهي من الطبيبات اللاتي عملن بالمغرب منذ سنة 1913، قد لاحظت أن مصالحي الإعانة الطبية واجهت منذ سنة 1919 كارثة خطيرة هي داء السل، حيث ساهم وباء "الزكام الإسباني" الذي ألم طائفته بالبلاد متسللا من أوروبا وأهلك قرى بكاملها في منطقة جبال، إذ جعل ربات من أصيبوا من المغاربة بهذا الداء أقل مقاومة لبعث العصبية المسببة للسل.

وتفيد تقارير المستوصفات في بداية العشرينيات أن عدد الاستشارات الطبية الخاصة بالسلوليين كانت تسيير في تصاعد كما يلاحظ من الجدول التالي الخاص بمستوصف فاس:

المعدلات العامة			الاستشارات العامة
1923	1922	1921	
1833	1618	808	الاستشارات العامة
460	351	217	استشارات السلوليين
٪25,1	٪21,7	٪26,9	النسبة المئوية لاستشارات السلوليين

وأدى تفاحش السل وعلى الخصوص في الأوساط الحضرية إلى تركيز الاهتمام على مكافحته فظهرت مستوصفات خاصة بمقاومته أردفتها سلطات الحماية في سنة 1924 بخلق العصابة المغربية لمكافحة السل، وسنت ظهير أبريل 1925 الذي يصنف السل ضمن الأمراض ذات الإعلان الاجباري.

ومع ما خلقته الأزمة الاقتصادية لسنة 1929 من اضطراب في الأحوال انعسكت آثاره سلبا على اقتصاد

الصحي الذي كان يرمي إلى الحفاظ على الأوربيين ومن يتصل بهم من العمال والمستخدمين المغاربة، فأنشأت مجموعة من المستوصفات بفاس والدار البيضاء ومكناس والرباط ومراكش، كانت تعمل بتنسيق مع العصابة المغربية لمكافحة السل. واحتراراً من هذا الداء ولوقاية الأطفال من شره ظهر ما كان يسمى يومئذ حدائق الشمس، وهي دور تعنى بمن نال منهم الهزال وضعف البنية من الأطفال، حيث تؤويهم طيلة النهار وترجعهم إلى عائلاتهم مساءً بعد أن يكونوا قد استمروا طعاماً متوازناً وتعلموا بعض مبادئ النظافة وحفظ الصحة. واشتهرت من هذه المؤسسات اثنتان: الأولى بالرباط وكانت تضم 35 طفلاً، والثانية بسلا وتؤوي 48 من الأطفال ذكوراً وإناثاً وعلى الرغم من تولي العصابة المغربية لمكافحة السل هذه الحدائق بالتعهد والرعاية فإن ما كان يقدم لها من إمكانيات ظل محدوداً لا يسمح بإيواء عدد أكبر من الأطفال.

وبادرت إدارة الحماية من جهة أخرى إلى جمع التبرعات لمكافحة الداء فنظمت حملات لبيع الطوابع الخاصة بداء السل، وهي طوابع بريدية كانت تباع في الأسواق والدكاكين والمدارس والإدارات في ما بين فاتح دجنبر وفاتح يناير من السنة، وقد تآتى من خلال هذه العملية جمع 94.995,85 فرنك في ما بين دجنبر 1935 ونهاية يناير 1936.

واعتمد القائمون بشؤون الصحة على عملية التلقيح باستعمال مصل ب س ج (B C G). واعتمدت الحماية باتفاق مع منظمة الصحة العالمية والصندوق الوطني لانقاذ الطفولة، على برنامج يقضي بتنظيم حملات للتلقيح في ما بين 1949 و1950 تستهدف ثلاثة ملايين شخص. ونظراً لارتباط داء السل بالفقر وسوء الأحوال الاجتماعية، فإن محاولات الحماية لتطويقه والقضاء عليه ظلت محدودة. واستمر يعيث في الأوساط الفقيرة من المغاربة بعد الاستقلال حيث بلغ عدد المصابين به في سنة 1980: 24.000 شخصاً، وفي 1995: 29.939 شخصاً، وجاء في بعض قصاصات الجرائد أن السل في المغرب يذهب كل سنة ب 600 شخص من ضمن 30.000 مصاب.

داود الأنطاكي، تذكرة أولى الألباب والجامع للمعجب العجائب، بيروت، د. ت: عثمان الكاديكي، الأمراض المعدية، بتغازي، د. ت: أبو القاسم الزباني، الترجمة الكبرى، مخطوط: جريدة الاتحاد الاشتراكي، 4. 11. 1997؛ جريدة الأحداث المغربية، 3. 12. 2001، العودة، 20 نونبر و6 دجنبر 1930.

Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc, 1931 - 1950; Maroc - Médical, 1920 - 1950 : G. Fasserrie, Contribution à l'étude de la tuberculose au Maroc. Thèse pour le doctorat en médecine. Paris, 1921. بوجمعة رويان

ابن سلام، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Zellam. م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع في الرقم 340.

**سلامة (أولاد -)** قبيل معروف بعدد من الجهات مثل إقليم فكيك حيث يوجدون في تندرارة ويعيشون إلى جانب أولاد بادة وأولاد بلقاسم وأولاد بنعمرو. وهناك أولاد سلامة العمرىون من فرقة عامر التحتية المشتملة على عامر السفلى وأولاد سلامة وكناهما بشمال مدينة القنيطرة، ومن قبيلة بني حسن. وقد بلغ عدد خيامهم في مطلع القرن العشرين 169 وحدة تتألف من أولاد سعود وأولاد زيد وأولاد عمرو وأولاد منصور وأولاد الطيبة زيادة على الغزاةة وهم أولاد سلامة. بتشديد اللام. فخذة من قبيلة عرب الصباح جنوب الرباط. وأشهر قوادهم في القرن التاسع عشر هم عبد الله ولد مريم (ت. بعد 1295 / 1878) والحاج بوسلهام بن الحياط (ت. 1314 / 1896) ويوعزة بن علي ولد الرواينة (ت. بعد 1313 / 1896) ومحمد (فتحا) بن عبد القادر الحشلافي (ت. بعد 1321 / 1904) وبوسلهام بن حميدة بن المعطي الذي ولي قبل انتصاب الحماية ومكث بعدها سنوات أخرى.

م. بوشعراء، علاقة المخزن بأحياز سلا، 153. 157. 162. 166. 170. 174. 208. 210. التقسيم الإداري والجماعي، 1992.

Villes et Tribus du Maroc, Rabat, Tome III, Tome I Banlieue de Salé, passim et surtout p. 183 : Tribus et fractions de tribus de la zone française du Maroc, p. 11, Rabat, août 1955.

مصطفى بوشعراء

ابن السلطان، محمد السلطان مقاوم من مواليد سنة 1931 بالعيون انخرط في صفوف جيش التحرير بالمقاطعة التاسعة مركز تافودارات وذلك سنة 1956. عرف بين رفاقه بالإخلاص والتفاني في العمل، شارك في عدة معارك أبان فيها عن روح تضالية قوية إلى أن استشهد في معركة نكل سنة 1956.

المدونية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم، رقم 514225.

**سلمون** وابن سلمون أسرتان تطوانيتان أصلهما من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Salmon ومعناه سمك سليمان؛ وهناك فرقة أخرى من قبيلة ودرأس القربية من تطوان غرباً بدعون (سلمونش) وقد انقرضت هاتان الأسرتان بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع في الرقم 343 و1395. محمد ابن عزوز حكيم

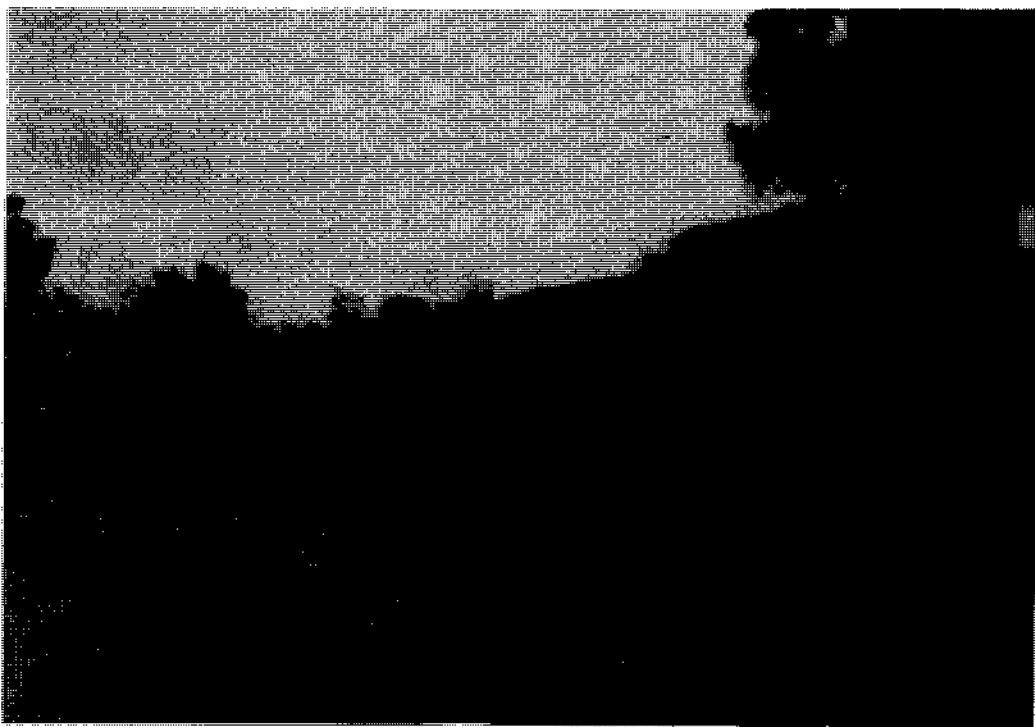
**سلوان**، قصبية تاريخية ومدينة. ظهرت القصبية بتراب حُسن بني بويقرور القلعي على الضفة اليسرى من واد تياوت الذي يحمل اسم واد سلوان أيضاً، بعد أن أمر المولى إسماعيل سنة 1090 / 1679 بتأسيسها. غير أن تأسيس القصبية لم يشر فضول أحمد بن القاضي الكعداوي القلعي في تقييده ولا المصادر الإسبانية.

وسيتم تعمير قصبة سلوان من جديد على عهد السلطان محمد بن عبد الله تبعاً لما كان يصدده من تخطيط مشروع حصار مليلة. حل السلطان بالقصبة يوم 4 شوال عام 1188 / 8 ديسمبر 1774، ليتجه نحو ميدان مليلة في اليوم الموالي. وتضال شأن القصبة بعد محمد بن عبد الله، ولم يعد إليها سابق عهداً إلا أيام المولى الحسن، حيث حل بها وقضى بها رمضان سنة 1291 / 1875، في نطاق حولته بالشمال الشرقي المغربي ومحاربة الثائر بوعزة الهبري المتحصن آنذاك بحروب الريف الشرقي. وقد حضر استقبال القلعيين للسلطان بقصبة سلوان الفقيه المدرس الشيخ علال التانوني القلعي وهو صبي ضمن فتيان كتاتيب قلعية، في نطاق استدراج شفقة السلطان على أهل القبيلة. وشهدت القصبة أثناء إقامة المولى الحسن صدور دفعة من تعيينات قواد المنطقة، طبق ما كان يجري في ذهنه من تفكيك سلطة القيادات القبلية الكبرى إلى وحدات صغرى تصل إلى حد الفرقة الجامعة لعدد من المداشر فقط. ويتعلق الأمر بالنسبة لقبيلة قلعية من تلبص نفوذ أسرة القائد المختار ألغم المحتكرة إلى ذلك الحين قيادة قبيلة قلعية منذ أواخر عهد السلطان عبد الرحمن بن هشام.

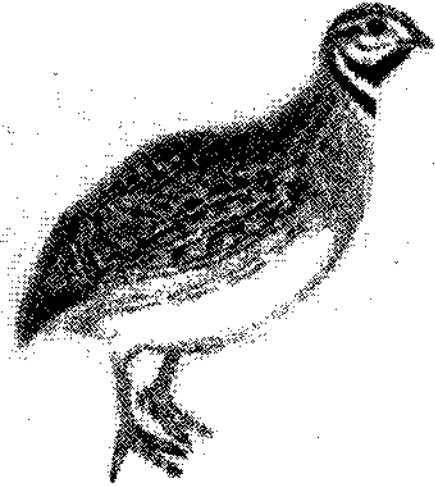
تخصصت قصبة سلوان ابتداءً من عهد المولى الحسن وما بعده في استقبال رؤساء الحركة المخزنية المعروفة بالحركة الريفية، سواء أثناء توجيهها لجمع الزكوات والأعشار والدعائر، أو أثناء إرسال الأدوات الخاصة بمعالجة أحوال القبيلة وحوادث حدود مليلة. وإلى غاية سنة 1310 / 1892 التي زارها مخبر أوغست موليراس كانت ما تزال وحيدة منعزلة بالمكان، وليس بها من الجنود سوى ما يكفي لحراستها، مما استعجل الروكي بوحارة للاستيلاء عليها واتخاذها مركزاً لشورته في أوائل سنة 1903 لإخضاع قبيلة

وشكل القصبة شبه مربع، سورها مشيد من الطين المذكور يصل علوه إلى سبعة أمتار، وعرضه نحو المترين، تبرز منه مجموعة من الأبراج المربعة الموزعة على أبعاد السور الأربعة وزواياها. ولها ثلاثة أبواب، فالباب الرئيسي شرقي الوجهة، ثم الغربي فالجنوبي. وقد بُنيت بداخلها عدة مساكن مخصصة لإقامة قواد الحركة المخزنية وللوافدين عليهم من قواد الريف الشرقي، لا سيما على الجناح الجنوبي، حيث ما تزال آثارها باقية، بينما بقي معظم المساحة الداخلية فارغاً. وما يزال في الوقت الراهن بالقرب من امتداد السور الشمالي أثر حفير طولي مجزأ إلى قسمين، نعتقد أن واحداً منهما كان مخصصاً لتخزين الزرع المستخلص من الجباية، أما الآخر فقد اتخذ معتقلاً مؤقتاً للمساجين. وتحدث الوثائق عن وجود مسجد بداخل محيط القصبة حيث لا وجود له اليوم، بعد أن انفى أثره على عهد الحماية.

ومن المؤكد أن الشعور الوطني المناهض للوجود الأجنبي بمليلة هو الدافع إلى تأسيس القصبة، على عكس المعروف عن ظهور القصابات الإسماعيلية بمختلف أرجاء البلاد، إذ أنها كانت مركز القوات الرسمية المساهمة في حراسة حدود مليلة، منذ أن ظهر عبيد البخاري بالقصبة أول مرة سنة 1106 / 1694، متزامناً مع مشروع حصار سبتة. كان عبيد البخاري سنة 1110 / 1697 بالقصبة تحت إمرة المولى محمد ابن إسماعيل. ومنهم كانت المقاومة تستمد قوتها، خاصة ما يعود إلى السلاح الناري، وسيستمر وجود العبيد بالقصبة إلى أن اضطرتهم ظروف ما بعد وفاة المولى إسماعيل للاتسحاب. وقد حاول رئيس المجاهدين وقائد قلعية الظاهر ابن عمر القيطوني المتوفى سنة 1148 / 1735 استعادة العبيد إلى القصبة على عهد المولى عبد الله.



طائر ريشه بني مصفر اللون ومخطط بالأسود على الظهر وفاتح مصفر جهة الصدر، يحمل الجناحان خطوطاً طولية منقطعة سوداء. تتميز الذكور بحلقة سوداء وبيضاء على العنق وتتميز الإناث ببقع سوداء بنية على الصدر. المنقار رمادي قصير وقوي يساعد على أكل الحبوب بمختلف أنواعها ويراعم النباتات والحشرات الصغيرة والديدان. يبلغ طول الجسم 17.18 سم وتزن الكبار 80-125 غرام. بسطة الجناحين لا تتعدى 36 سم. يعيش مزدوجاً ونادراً وسط مجموعات قليلة الأفراد. عدة مجموعات تغادر المغرب لتشتو في إفريقيا الوسطى ثم تعود إلى المغرب وأوروبا خلال فترة الشتاء.



تتكون المجموعة عادة من عدة إناث وذكر واحد وتتوالد خلال الفترة الممتدة بين مايو ويوليوز في المناطق الزراعية والمراعي العارية. والعش عبارة عن حفرة تصنعها الأنثى بين الأعشاب وتفرشه بقطع مختلفة من النباتات اليابسة. يبلغ عدد البيض 7.16 بيضاء مصفرة لساء ومنقطة بالسواد، يبلغ طول قطرها 23 x 30.4 ملم وتزن 8.9 غرام. يحضن البيض من طرف الزوجة 16-21 يوماً ويقوم الزوج بالحراسة. تغادر الفراخ العش مباشرة بعد التفقيس وتأخذ حريتها تدريجياً وتحسن الطيران بعد 19 يوماً.

طائر من القواطع مفضل عند الصيادين. يطير غير بعيد عن سطح الأرض ويفضل المشي والاختفاء في المناطق الزراعية. يعيش في مختلف المناطق الجافة وشبه الجافة المغربية. ويعيش أيضاً في أوروبا بخلاف الدول الاسكندنافية وفي شمال إفريقيا والشرق العربي وآسيا الغربية. ومنه عدة مجموعات تشتت في ليبيا ومصر وبعض الدول الإفريقية. طائر السلوى محبوب جداً عند الصيادين للحبه اللذيذ وتشير معطيات الصيد الأخيرة إلى انخفاض ملحوظ في عدده خلال العقود الأخيرة: تم صيد 12.000 وحدة سنة 2000 مقابل 17.000 سنة 1999. عرفت تربيته نجاحاً هاماً في كل من بوزنقة ومهدبة هديفا تكاثر طائر السلوى وتزويد مناطق الصيد في مختلف المناطق المغربية. يفتح

قلعية وقبائل الريف الشرقي وملاحقة القوات المخزنية العزيزية بقصبة جنادة فرخانة والاتصال بالإسبان لتسهيل مناورتهم في الاستحواذ على معدن جبل إكسان، إلى أن تم طرده منها على يد مجاهدي الشريف محمد أمزيان في آخر سنة 1908. غير أن القصبة تم احتلالها من طرف الجيش الإسباني في خريف سنة 1909 في نطاق التوسع الاستعماري الذي أدى إلى القضاء على الثورة وفرض الحماية.

كان للقصبة أرضها الفلاحية المحبسة عليها، وهي المحيطة بها من جهة الشرق في اتجاه ضريح سيدي علي الحساني، يقوم العمال بحرقها بإذن من السلطان على طريقة التورية. قسم من تلك الأرض مسقي بساقية ثم أسندت فلاحتها للسكان المجاورين للقصبة من بني بوفورور على يد عاملهم.

أما مدينة سلوان فنشأت لما بدأ تعمير الأراضي المجاورة لقصبة سلوان منذ أوائل عهد الحماية نتيجة تركز القوات الإسبانية بها، وبذلك ظهرت النواة العمرانية إلى جانب القصبة. وقد لاحظنا كشاهد عيان في الأربعينيات أن العمران اقتصر على محطة وقوف الحافلات المنظمة من مليلة أو الناظور في اتجاه أسواق الريف الشرقي، إلى جانب الإدارة وبعض الحوانيت التي وجدت لتلبية حاجات السكان وحامية القصبة. وهي مشهورة بانعقاد سوق السبت الذي يقصده أهل القبائل المجاورة.

وعرف عمران المدينة النمو منذ سنة الاستقلال، نتيجة الهجرات الوافدة من مختلف جهات الريف الشرقي، فأصبحت حدودها الإدارية الحالية ممتدة إلى سبخة بوعرك وبني وكيل وأولاد ستوت وجبل إكسان وأغروي، ويبلغ عدد سكان المدينة حسب إحصاء 1994 نحو 18.334 ساكن، وتتألف من جماعة سلوان التي انشئت سنة 1959 ويتكون المحيط الإداري من 23 مديراً أو جماعة انتخابية.

وثائق خ. ح. ومديرية الوثائق الملكية: أ. الناصري، الاستقصاء: ضابط الأمور الوطنية للمنطقة الخليفية: معلمة المغرب: ح. الفكيكي، المفاتيح المغربية للوجود الإسباني بمليلة، مذكرات المغرب، التحري الميداني: مستندات جماعة سلوان الحضرية.

Recensement 1994, Population légale du Maroc, 1995; Moulieras, Maroc Inconnu.

حسن الفكيكي

**السلوى** أو السُماني طائر من القواطع يصنف إلى رتبة

الدجاجيات Galliformes وفصيلة التدرجيات Phasianidae. إسمه الشائع في شمال إفريقيا السلوى والملاح وإسمه في مصر والعراق السُماني والسمان والسمن والقرى في لبنان وسوريا. ويقول القزويني في عجائب المخلوقات إن هذا الطائر أنزله الله تعالى على بني إسرائيل كما جاء في القرآن. يدعى علمياً Coturnis coturnis وبالفرنسية Caille وبالإنجليزية Quail وبالإسبانية Codorniz وبالإيطالية Quaglia.

وكثير الصمت ولا ينبع إلا نادراً ويمتاز بحدة في النظر وبقوة فائقة في حاستي الشم والسمع. لطيف مع مربيه وبليبي رغباته في ميدان القنص باحثاً عن الطريدة بكيفية ذكية ويأتي بها في فمه. يقول المثل المغربي في شدة ذكائه واحتياله مقارنة مع الذئب "اللي قراه الذئب حفظه السلوقي".  
انتشر السلوقي العربي في جميع بقاع العالم وقد أثبتت أخيراً أبحاث الفيدرالية العالمية لمحبي الكلاب أن السلوقي على التراب الأوروبي ينحدر من سلالة مغربية الأصل وليس من سلالة فرنسية كما كان يزعم من قبل.

E. Dechambre, *Les chiens : origine, histoire, évolution*, Paris, 1971 ; J.L. de Waziers, *Chiens d'aujourd'hui, de chasse, de défense et autres ; élevage et dressage*, Paris, 1967

محمد رضاني

**السليلطن،** أسرة مراكشية معروفة بانتسابها إلى الشرفاء السملالين، أصلهم من سوس، وكان أول استقرارهم بمدينة مراکش أواخر القرن الثاني عشر (18 م) حين قصدوا جدهم الأول محمد السملالي طلباً للعلم ومكث فيها إلى أن تخرج عالماً كبيراً. ويقال في سبب لقبه أن قومه أخبروه حين أراد الخروج إلى مراکش أن المراكشيين سيلقبونه - على عادتهم - فاختر لنفسه لقب السلطان. وقيل إنه لُقب بذلك للمكانة التي كان يحظى بها وسط طلبه جامع ابن يوسف، حيث كان يؤمر عليهم وقت التزهة الربيعية التي كان يقيمها طلبه ابن يوسف وكانوا يلقبونه استملاحاً "السليلطن" تصغير "سلطان" وأصبح معروفاً بهذه اللقب.

**السليلطن،** محمد السملالي المراكشي، حلاه صاحب الإعلام بقوله : "كان استاذاً فقيهاً مجوداً حافظاً للعشرين، مدرساً مفتياً حيسوباً محققاً، عدلاً موثقاً، ورعاً زاهداً، شيخ الجماعة بمراكش في القراءات". (ج 6 : 314-315) ألف كتاباً مرحاً سماه *دواء الموت*، على غرار مختصر الأفريد. وكان معروفاً بمواقفه الصلبة في نصرة الحق والدفاع عن العدل، مهما كلفه ذلك من ثمن، وكثيراً ما كان يعترض في فتاويه على أحكام القاضي أبي عبد الله عاشور، ويفتي بنقضها، ووقع بينهما لجاج فتضايق منه القاضي، ومنعه من الفتوى، بل أمر بسجنه، ولما بلغ السلطان المولى عبد الرحمن ما وقع أمر بتسريحه، لما كان يعلم من فضله وورعه، واضطر في آخر حياته إلى التخلي عن خطة العدالة، حيث أمر بالشهادة في قضية فامتنع من ذلك، وعاش بقية حياته "ورعاً زاهداً".

عاش نحو مائة سنة وتوفي في حدود سنة 1270 / 1845.  
م. السليلطن نفسه، *دواء الموت*، مجلة البنية، ع 10، سنة 1936،  
تقديم م. الفاسي؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1977، ج 6 :  
315-314.

المصطفى فنتير

**سليولوز المغرب،** شركة مغربية متخصصة في صنع عجين الورق. أنشأت سنة 1957 وتوجد إدارتها المركزية في

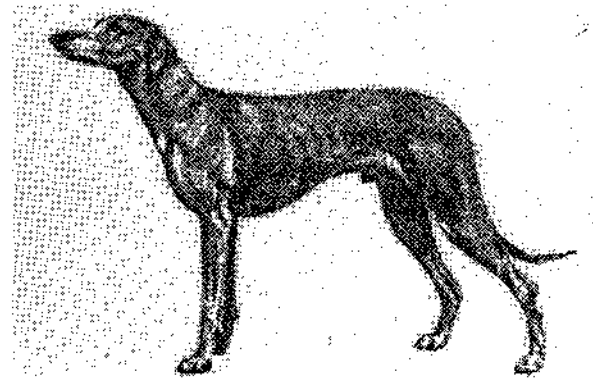
موسم صيد السلوى ابتداءً من فاتح أكتوبر وينتهي في 18 فبراير. يرخص صيده للمغاربة كل يوم أحد ويرخص صيده للسواح الأجانب الغير المقيمين بالمغرب أيام الجمعة والسبت والأحد والاثنين شريطة أن لا يتجاوز عدد طرائد السلوى 20 وحدة لكل صياد في اليوم الواحد المرخص للصيد. تقدمت الجامعة الملكية المغربية للصيد باقتراحات تتعلق بتقليص فترة موسم صيد السلوى بين فاتح نونبر و15 فبراير ابتداءً من سنة 2001 وباستبدال يوم السبت عوض الأحد مع إضافة أيام العطل ويحذف يوم الاثنين بالنسبة للأجانب.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، بيروت، ط 3، 1988؛ أمين المعلوف، معجم الحيوان، القاهرة، 1932.

*La chasse au Maroc, Revue de la Fédération Royale Marocaine de Chasse, n° 9, juillet 2000* ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East, 1979* ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur, Paris, 1977*.

**السلوقي العربي،** نوع من الكلاب تُنسب إلى قرية في اليمن، وتنحدر من سلالة كلاب سريعة العدو تستعمل للسباق بداخل الحلبة ولقنص الحجل والحمام والتدرج والأرنب والشعلب وابن أوى وغيرها من الطرائد.

يدعى بالفرنسية Sloughi و*Lévrier arabe* وبالإنجليزية Saluki. يتميز باستطالة الجسم والقوائم ويبلغ علوه عند الغارب 55. 75 سم ويتراوح وزنه بين 29-32 كغم. الجلد رقيق يكسوه شعر قصير ناعم، أبيض متسخ إلى مصفر شاحب وأسمر، تتخلله عدة بقع سوداء متفاوتة الحجم. الرأس مسطح وطويل، الخطم مستدق الرأس وطويل، العينان كبيرتان وداكنتان، الأذنان كبيرتان نسبياً، مثلثتان ومتهدلتان، الظهر مستقيم وطويل، الصدر طويل وقوي، الخصر نحيل، القوائم طويلة جداً، الذيل طويل ومستدق الرأس، العضلات نامية وقوية.



موطنه الأصلي الغيافي والسهوب الآسيوية وقد عرفه الفراعنة منذ القرن الثالث ق. م. وأدخله العرب بعد ظهور الإسلام إلى شمال إفريقيا. اعتنى المغاربة بهذه السلالة وحافظوا عليها وطوروها في مجال القنص. شديد الحذر

بلورية وأخرى لا بلورية وأن نسبة هذه المناطق البلورية تتغير حسب أنواع السليلوزات كما يوضح الجدول التالي :

نوع السليلوز	نسبة المناطق البلورية (%)
قطن	73
عجين الخشب	66
عجين الخيزران	60
مركب سليلوزي	45
سليلوز متجددة	35

إن معرفة نسبة تبلور السليلوز ودرجة نشاطها مهمة جداً لكونها تساعد على توجيه واتخاذ القرار من حيث كيفية استعمالها. يتبين من الجداول السابقة أن القطن يتميز بنسبة عالية للتبلور ودرجة النشاط. ويعني هذا أن سليلوزه متين وصلب فهو إذن صالح لصنع خيط النسيج. أما السليلوز الذي يتوفر على أماكن لابلورية فإنه يكون سهلاً للتفكيك بواسطة المواد الكيماوية التي لا تجد أية صعوبة لتنفيذ داخل التشكيلة من أجل التفاعل التحليلي للسليلوز وتحويله إلى أبسط المواد التي ستكون مصدر مواد لصنع عدد كبير من مشتقات السليلوز.

إن مادة السليلوز في حالتها الخالصة كما في حالة القطن تكون بيضاء اللون. فلهذه البنية تُستخلص السليلوز من الخشب الورقي أو الصنوبري على شكل عجينة لغرض صنع أنواع الأوراق المختلفة والورق المقوى كما هو الشأن في معمل سليلوز المغرب الذي كان ولازال يستعمل خشب الأوكالبتوس (Eucalyptus) كمادة أولية لصنع عجينة الورق ذي الألياف القصيرة.

كان معمل سليلوز المغرب في أوائل إنشائه ينتج حوالي 7.000 طن من عجينة الأوكالبتوس الموجه إلى صنع عدة أصناف من الأوراق. نذكر كذلك أن ما بين 1959 و1962 كان المعمل ينتج نوعاً آخر من العجين : العجين الخالص للذوبان المستعمل غالباً في صناعة النسيج ومشتقات السليلوز. ولكن نظراً للصعوبات التي واجهها المعمل في إنتاج هذا العجين بالجودة العالية المطلوبة على مستوى السوق العالمي فقد قررت الشركة التخلي نهائياً على صنع هذا النوع من العجين والتخصص في إنتاج عجينة الورق العادي فقط ومن ذلك الوقت بدأت القدرة الإنتاجية للمصنع تتصاعد تدريجياً لتصل في 1988 - 1989 تقريباً إلى 108.000 طن من العجين سنوياً. أما معدل الإنتاج فيبلغ 90.000 طن سنوياً ويتطلب سنوياً 280.000 طن من المادة الخام وهو الخشب، كمعدل للفترة ما بين 1981 و1985 والتي كانت كلها تنتج محلياً أو وطنياً و325.000 طن للفترة ما بين 1986 و1991 استورد نصفها من البرازيل والأرجنتين، والكونغو.

الرباط. أما المعمل المنتج للعجين فإنه يوجد على بضعة كيلومترات من سيدي يحيى الغرب على الطريق المؤدي إلى سيدي سليمان الغرب. أختير اسم سليلوز المغرب لأن عجينة الورق كبقية كان مصدره الخشب الأصلي (ورقي أو صنوبري) فإنه مكون من السليلوز وهو المعمل الوحيد بالمغرب.

أما السليلوز فإنها مادة عضوية تحتوي عليها النباتات. من حيث الكم، تعتبر سليلوز أكبر مادة عضوية تنتجها الأجسام الحية. إنها تتكون المركب الجوهري في بنية الخشب بحيث تتراوح نسبتها ما بين 40% و60% (من الوزن الجاف) حسب أنواع أخشاب الأشجار واختلاف قوامها داخل نفس الجذع لشجرة ما. يمكن أن تصل هذه النسبة إلى 100% تقريباً في القطن مثلاً. الجدول التالي يعطي فكرة عن معدل نسبة السليلوز لبعض المنتجات الطبيعية.

المنتجات الطبيعية	نسبة سليلوز (%) من الوزن الجاف للمادة
القطن (Coton)	98
الخشب (Bois)	50
الخيزران (Bambou)	45
اللحاء (Ecorce)	25

من حيث التشكيلة فإن السليلوز مكونة من عدد كبير من وحدات الغلوكوز (Glucose) المنتج من طرف التخليق الضوئي (Photosynthèse). إذن فالسليلوز هو شينط من نوع السكريات العديدة (Polysaccharides) مكون من عدد من سلسلات خيطية أولية كل واحدة منها مكونة من 200 وحدة من الغلوكوز. هذه السلسلات الأولية تتكثف في ما بينها لتكوّن وحدات تركيبية تتجمع بدورها على شكل ميكروئيفات تتكثف هي أيضاً بالتلاصق في ما بينها طولانياً لتعطي اللبقات. وتكثف هذه اللبقيات للمرة الأخيرة لتكوّن ما نسميه بالسليلوز. تكثف السليلوز بهذا الشكل يكون خاصية مميزة بدرجة النشاط (Degré de polymérisation = DP) التي تدل على عدد الوحدات من الغلوكوز الموجودة في واحد مول السليلوز. لقد وجد أن هذه الدرجة (D.P.) تتغير حسب أنواع المواد الطبيعية كما يبين الجدول التالي :

المادة	درجة النشاط DP
القطن	15.000
الخشب	10.000
عجين الورق	أقل من 1.200

أكدت الدراسات الفيزيائية للسليلوز بواسطة الأشعة السينية أنها تتميز بتشكيلة فيزيائية مكونة من مناطق

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإنتاج الوطني لخشب الأوكالبتوس بدأ يتقلص تدريجياً منذ أوائل النصف الثاني من الثمانينات. ولقد عاشرت شركة سليلوز المغرب هذا النقص الحاصل في إنتاج الخشب المغربي باتخاذ قرارين مهمين. أولهما إستيراد أصناف الأوكالبتوس لتغطية حاجيات المعمل فوراً من الخارج. والقرار الثاني يتعلق بإنشاء شركة الإنتاج للخشب "Eucalforest" التابعة لشركة سليلوز المغرب. والهدف من إنشاء هذه الشركة هو الاعتماد على إنتاجها للخشب لفائدة المعمل. ففي هذا الإطار ستقوم الشركة بتشجير وصيانة 25.000 هكتار وهي المساحة الموكلة لها من طرف الوزارة المكلفة بالمياه والغابات حسب العقدة المبرمة بينهما.

يتضح من خلال دراسة مبيعات الشركة من العجين ما بين 1981 و1991 أن السوق الداخلي المغربي يستهلك تقريبا ما بين 20 و25٪ من الانتاج السنوي للمعمل. ويرتقب أن ترتفع هذه النسبة بصفة تدريجية استنادا على التحديات التي تنتظر الحكومات المغربية المقبلة من أجل محور الأمية في المغرب. أما معدل كمية العجين المصدرة إلى الخارج فإنها تتراوح ما بين 70 و80٪. يُكوّن المخزون داخل المعمل حوالي 3٪ من الإنتاج ولقد عرف هذا المخزون تراكما ملحوظا منذ 1989 وصل إلى 27٪ سنة 1991، ويرجع هذا إلى التنافس الشديد الذي عرفته شركة سليلوز المغرب على صعيد السوق العالمي للعجين ولاسيما في شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا والبرتغال) على الساحة الأوروبية وكذلك البرازيل على ساحة أميركا اللاتينية. هذه المشكلة أرغمت سليلوز المغرب على شراء معمل "وراقة تطوان" المتخصصة في صنع جميع أنواع ورق الطباعة مما ساعد الشركة في توجيه فائضها من العجين إلى وراقة تطوان لتحويله إلى ورق الطباعة لتصديره إلى بلدان عديدة ليس لها مصانع للورق.

يُصدر عجين خشب الأوكالبتوس أساساً إلى سوق أوروبا الموحدة خصيصاً إلى بريطانيا وإيطاليا وفرنسا وإلى تركيا وتونس الخ.. تجدر الإشارة إلى أن المغرب يستورد عجين الورق ذا الألياف الطويلة غالباً من الدول الإسكندنافية كالسويد وفنلندا. والمعروف أن خشب الأوكالبتوس يحتوي على الألياف القصيرة فقط، غير أن صنع ورق الطباعة يستوجب خليطاً من العجين ذي الألياف القصيرة والعجين ذي الألياف الطويلة. وهذا النوع الأخير من العجين لا يصنع في المغرب لحد الآن.

أما في ما يخص الأفاق فيمكن القول إن شركة سليلوز المغرب شركة كبيرة ولها إمكانيات للتطور والإزدهار في هذا الميدان ولا سيما في مجالين مهمين وهما :

أ - إنتاج عجين الورق ذي الألياف الطويلة. إن هذه الألياف الطويلة موجودة في خشب جميع أصناف الأشجار الصنوبرية التي اعتدت عليها سياسة التشجير في المغرب وكذلك في الحلفاء التي أكدت دراستها أنها تعطي عجيناً

يتوفر على جودة عالية في ميدان صنع الورق الممتاز. وسيصير إنتاج عجين الورق ذي الألياف الطويلة مربحاً للمغرب من حيث العملة الصعبة وكذلك لسليلوز المغرب لأنه سيشجعها على التقليل من إنتاج عجين الأوكالبتوس الذي يعرف منافسة شديدة على مستوى السوق العالمي. كما سيعطيها توازناً بين الإنتاج والتسويق في الداخل والخارج على حد سواء..

ب - عودة إلى الإنتاج الجزئي للعجين الخالص للذوبان من أجل توسيع استعمالاته في صنع مشتقات السليلوز التالية :

- نترات السليلوز (Nitrates de cellulose) : المستعملة في عدة مجالات حسب درجة الاستبدال بنترات ونذكر منها اللدائن (Matières plastiques)، صباغة اللاك (Laque)، الأفلام (Pellicule)، الغراء (Colle)، المتفجرات (Explosifs)...

- كبريتات السليلوز (Sulfates de cellulose) : التي تستعمل كعامل لتخثير السوائل كالصباغة مثلاً (Agent épaisseur).

- فوسفاتات السليلوز (Phosphates de cellulose) : المستعملة في مجال معالجة الأخشاب من حيث تعطيل الاحتراق وكذلك في صناعة النسيج.

- خلاصات السليلوز (Acetates de cellulose) : التي لها تقريبا نفس استعمال نترات السليلوز ويكون نوع الاستعمال مرتبطاً كذلك بدرجة الاستبدال بالخلاصات.

- أثيرات السليلوز (Ethers de cellulose) : التي تحتوي على خمسة أنواع حسب المواد المتفاعلة المستعملة ودرجة الاستبدال الكيميائي. استعمالها كثيرة نذكر منها تحضير الأقراص الصيدلية، مراقبة تصلب الاسمنت، النسيج، أوراق عازلة حرارية، مواد غذائية أو تحميلية، منظفات، مستحلب الصباغة (Emulsion de peinture)، صناعة الخزف (Céramique)...

- زانتات السليلوز (Xanthates de cellulose) : مشتق مهم جداً يدخل في تحضير المركز السليلوزي (Fibre viscosse) المستعمل في النسيج وفي صناعة أوراق سلوفان (Papier cellophane).

- ورق سليلوزي مبدّل الأيونات (Papier échangeur d'ions) المستعمل بكثرة في المختبرات من أجل الفصل الأحيائي أي البيولوجي أو الكيميائي.

M. Hachmi et A. Sesbou, *Pâte à papier du bois des eucalyptus : Bilan et situation du Maroc*. In : *Les Eucalyptus au Maroc*, édité par M. Fechtal et A. Achhal El Kadmiri, Rabat., 1994 : D. Fengel et G. Wegener, *Wood chemistry ultrastructure reactions*. Berlin, 1984 : Ja M'Hamaed A., *Les déterminants internationaux du marché de la pâte à papier "place du Maroc dans le marché international*, Mémoire de 3ème cycle de l'Ecole Nationale Forestière d'Ingénieurs, Salé, 1993.

محمد هشي

**سليمان بن محمد بن عبد الله العلوي السلطان**، أحد الأبناء المتأخرين للسلطان سيدي محمد بن عبد الله. ولد بمراكش سنة 1180 / 1766 وتلقى تربيته الأولى بمراكش حيث حفظ القرآن، ومنها انتقل إلى زاوية ببلاد أحمر حيث تعلم رسم القرآن. ثم أرسله والده إلى مدينة القصر الكبير حيث تتلمذ على الشريف سيدي محمد بن عبد الصادق الريسوني قبل أن يأمره والده بالاستقرار بتافيلالت مع اثنين من إخوته وذلك سنة 1197 / 1783. وهناك عين له والده فقيهاً يشرف على تعليمه. وكان سيدي محمد بن عبد الله يقصد من وراء هذا الاجراء أن يوفر لأبنائه تعليماً لا يقل جودة عن ما يتلقاه الطلبة بالحواضر لكن في منطقة نائية لا يتعلق فيها البال بالانشغالات السياسية.

وبالفعل حرص سيدي محمد على إرسال ألمع علماء فاس لتعليم أبنائه بتافيلالت، منهم عبد القادر بن شقرون ومحمد ابن الطاهر الهواري وحمزون ابن الحاج. وعلى يد هؤلاء العلماء وغيرهم تلقى المولى سليمان تعليمه الديني الذي طبع شخصيته فيما بعد، فدرس تفسير القرآن والحديث ومبادئ التصوف من خلال إحياء علوم الدين للغزالي. أما تعليمه بمدينة فاس فلم يستغرق إلا وقتاً قصيراً وتم بعد وفاة والده سنة 1204 / 1790. إن هذا التكوين الديني الذي تم بعيداً عن الساحة السياسية هو الذي يفسر ضعف اهتمام المولى سليمان بالأمر المخزنية إذ لم يتقلد منصباً سياسياً إلا بعد أن تولى أخوه اليزيد حكم البلاد في سنة 1204 / 1790 فعينه حينئذ خليفة عنه بمراكش. لكن المولى سليمان لم يمكث طويلاً في هذا المنصب إذ سرعان ما تدرع برغبته في أداء مناسك الحج، لكنه في الواقع انتقل إلى مدينة فاس حيث اشتغل بتحصيل العلوم من جديد. والإقامة بالمحاضرة الإدريسية، وإن كانت قصيرة، فقد سمحت له بحضور مجالس أشهر علماء المغرب آنذاك، وفي مقدمتهم شيخ الجماعة محمد التاودي ابن سوادة وولده أحمد، ومحمد الطيب ابن كيران.

المخلافه المفروضة : الحقيقة أن المولى سليمان عندما طلب منه تولي زمام الأمور في شهر مارس من سنة 1792 لم يكن يتوفر على أي تكوين سياسي أو خبرة إدارية تسمح له بتحمل مسؤولية السلطنة. وحسب صاحب تذكرة المحسنين عبد الكبير بن المجذوب الفاسي، فإن المولى سليمان "لم يكن مرشحاً للخلافة ولاهمة له إليها، وإنما همته تعلم العلم حتى كان الناس يظنون أنه لا يحسن ركوب الفرس".

إن التربية التي تلقاها المولى سليمان كان لها أثر قوي على شخصيته كسلطان وتفسر إلى حد كبير اختياراته السياسية والدينية. فصولاي سليمان اتخذ من الشريعة مرجعاً دائماً لقراراته، وكثيراً ما كان يخضع اختياراته السياسية هامة لجانب الشريعة، من ذلك مثلاً إلغاؤه للمكوس ومنعه لزراعة التبغ رغم ما كان هذان الموردان يوفرانه من دخل هام لبيت المال. وتحلت اهتماماته الدينية كذلك في الاتصال الدائم الذي كان له بحملة الشريعة عبر مجلسه العلمي أو

عبر مشاركته لهم في نقاش الكثير من القضايا الدينية من ذلك حضه المتواصل للعلماء لقراءة إحياء علوم الدين للغزالي وتدرسه، أو الكتابة في مواضيع معينة، أو إسهامه هو نفسه بالتأليف في بعض القضايا كمسألة السماع واستعمال الغناء من طرف بعض الصوفية، كما ألف رسالة في مسألة الكسب بيّن فيها التزامه بالعقيدة الأشعرية.

سياسة المولى سليمان الداخلية :

إن أهم ما يميز سياسة المولى سليمان الداخلية هو محاولته حكم البلاد بجهاز مخزني محدود وإصراره في نفس الوقت على نهج سياسة تطبيعها المركزة الشديدة، وهو الأمر الذي سبب له متاعب جمة سواء في علاقته مع القبائل أو مع القوى التقليدية ذات التأثير في المجتمع.

كانت السياسة التي اتبعها السلطان سيدي محمد بن عبد الله في المجال الداخلي تقوم على تعامل مرن مع القبائل يتجنب حضوراً مخزنياً متشدداً غالباً ما يكون مكلفاً للدولة، ويسمح بنوع من الاستقلال أو "السيبة" المحدودة إذا كان ذلك لا يمس بالمصالح الحسرية للمخزن. وتقتصر هذه السياسة بتخفيف الضغوط الجبائية على القبائل والبحث عن مصادر دخل أخرى. لكن المولى سليمان عكس هذه السياسة فألقى المكوس وبدل الاعتماد على التجارة البحرية اختار أن يعتمد على جباية القبائل، الشيء الذي يتطلب مراقبة العيصان القبلي. هذه السياسة المتسمة بالتصلب والتشدد كثيراً ما جعلته يسقط في مواجهات خطيرة مع بعض القبائل الصعبة المنال كقبائل زيان وأيت أو مالو والتي جرت عليه هزيمة نكراء في سنة 1819.

وما يميز سياسته القبيلة كذلك إخفاقه في استغلال التناقضات القبيلة والمحافظة على حلفاء الدولة التقليديين كبرابرة السهول والدير، الذين ينعتهم الزباني "برابرة الدولة". فسياسة العلويين، بدءاً بالمولى إسماعيل، كانت تقوم على كسب هؤلاء البرابرة للتصدي لقبائل الجبل، لكن المولى سليمان لم ينجح سياسة واضحة تعزز حلف برابرة الوطاء وتجعل منهم حاجزاً بينه وبين القبائل الأطلسية العاصية، بل نجده يجهز الحركات ضد بني مطير وكروان أو يحجم عن مؤازرتها عندما تتعرض لاكتساح برابرة الجبل. وهذا التخاذل المخزني كان له دور في الدفع بهؤلاء الحلفاء التقليديين إلى أحضان المرابط أبي بكر أمهاوش (انظر) الذي استطاع أن يوحد معظم القبائل الأطلسية تحت زعامته وأن يسدد الضربة القاضية لمخزن المولى سليمان في ربيع 1234 / 1819.

وانعكست سياسة المولى سليمان الهادفة إلى مركزية أكبر بشؤون الدولة على علاقته بالقوى الاجتماعية الأخرى كالشرفاء والزوايا والأعيان المحليين. وهنا كذلك عكس المولى سليمان سياسة والده الذي يفوض صلاحيات مخزنية واسعة لشيوخ الزوايا والأعيان المحليين متغياً من وراء ذلك تخفيف أعباء الدولة وإشراك هذه القوى في تسيير الشؤون



ومع ذلك فما أن وضعت الحروب الأوربية أوزارها في سنة 1814 حتى ظهرت بوادر الانفتاح بوتيرة أكبر على العالم الخارجي. لكن المغرب عاش بعد سنة 1816 وضعية اقتصادية صعبة ثقلت في سنوات متتابة من الجفاف وهو الأمر الذي لم يسهل حركة التبادل التجاري مع الأسواق الخارجية. كما أن وباء 1818-1820 دفع بالكثير من التجار الأوربيين إلى توقيف نشاطهم بالموانئ المغربية (تماماً كما حدث خلال الوباء الأول، 1799-1800). لكن المولى سليمان الذي كان في حاجة إلى المال لمواجهة التمردات الداخلية لم يجد بدأ من فتح الموانئ المغربية أمام التجارة الأوربية، فكانت السنوات الأخيرة من حكمه سنوات اتسمت بإرادة قوية لتشجيع التجارة مع العالم الخارجي.

سياسته الدينية وعلاقته مع الزوايا والشرفاء :

ورث المولى سليمان من والده توجهاً نحو إصلاح الدين، لكن اختياره في هذا المجال تم في إطار المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية عكس سيدي محمد الذي عبر عن ميول حنبلية واضحة. وهذا الاختيار المتمشي مع التقاليد الدينية الموروثة تم في انسجام مع العلماء الذين رحبوا بتراجع السلطان الجديد عن التوجه الحنبلي لوالده.

وقد أوضح المولى سليمان في بعض مؤلفاته تشبته بمبادئ العقيدة الأشعرية سواء في ما يتعلق بمسؤولية الإنسان عن أفعاله، أو فيما يتعلق بمسألة تكفير مرتكب الكبائر. ومن المسائل التي خالف فيها المولى سليمان والده مسألة علم الكلام والخوض في العقائد. فالمولى سليمان لم يجد حرجاً في الكتابة في هذا المجال كما شجع العلماء على تناول قضايا تتعلق بالعقيدة. وعُرف عن المولى سليمان تشجيعه لقراءة ودراسة إحياء علوم الدين للغزالي، وهو أمر لم يكن والده يحبّه إطلاقاً.

ولكن هذا التشبث بالشوايات المالكية والأشعرية لم يمنع المولى سليمان من محاولة إصلاح الدين بالرجوع إلى سنة السلف ومحاربة البدع الشائعة في أوساط العامة على الخصوص. ومن أجل هذا شجع العلماء على التنديد بالعديد من الممارسات الشعبية التي تتنافى مع الدين، كما كتب هو نفسه خطباً موجهة ضد بدعة المواسم واجتماع المتصوفة للغناء والرقص. ومع ذلك فإن المولى سليمان لم يكن معادياً للتصوف بل كان يعارض التصوف كما تمارسه بعض الطرق الشعبية ويحث على تصوف سُني يوجد في متناول الخاصة فقط.

ولقد رأى المولى سليمان في الدعوة الوهابية بعض الجوانب الإيجابية المتمثلة في محاربة البدع ونهي العامة عن بعض الممارسات المتعارضة مع العقيدة السنية، لكنه لم يشارك الوهابيين المنطلقات والأسس التي بنوا عليها مذهبهم كمسألة تكفير مرتكب الكبائر، وإنكارهم لكرامات الأولياء وعداوتهم للتصوف والمتصوفة. لكن تعاطفه المحدود مع الوهابيين وإقدامه على محاربة البدع والممارسات الشعبية

المحلية. ويكفي أن نفث على حالة واحدة ليتضح الفرق بين السلطانيين، وهي حالة الزاوية الوزانية التي فوّض سيدي محمد لشيخها صلاحيات واسعة تتعلق بتعيين القواد والقضاة ومراقبتهم في المناطق المحيطة بمدينة وزان. ولكن المولى سليمان تراجع عن ذلك كله وأفهم شيخ الزاوية أن "وزان بلد من المغرب" يجري عليه ما يجري على غيره، محرمة من الامتيازات التي منحها أباه والده، وألقى ما كانت المدينة تتمتع به من "حرم" بحيث أصبح يلاحق الفارين من عدالة المخزن حتى وإن استحصروا بالزاوية وهذا أدى بالضرورة إلى توتر شديد في علاقة الدولة بالزاوية الوزانية ودفع بشيخها مولاي العربي إلى الوقوف ضمن الأعيان الذين خلّعوا المولى سليمان وبايعوا سلطاناً آخر عقب هزيمة وزان.

وفي نفس الإطار تدخل سياسة التهميش التي اتبعتها المولى سليمان تجاه أعيان الحواضر، خاصة بمدينة فاس التي فرض عليها قواداً برانيين على حساب الرؤساء التقليديين، وخاصة رؤساء الرماة، وهنا كذلك نجد هؤلاء الرؤساء يتزعمون حركة التمرد بالمدينة على إثر هزيمة وزان وبلعبون دوراً قيادياً فيما يسمى بفتنة فاس التي أدت إلى خلع المولى سليمان في سنة 1820.

سياسته الخارجية :

تولى المولى سليمان حكم البلاد في ظروف دولية صعبة تميزت بحروب الثورة الفرنسية والصراع الفرنسي - الانجليزي في حوض البحر المتوسط الذي لم يسلم المغرب من انعكاساته، كما شهدت المرحلة الأولى من حكم المولى سليمان (1792-1797) تدخلاً إسبانياً سافراً في شؤون البلاد أدى إلى تقسيم المملكة إلى مملكتين وأخر توحيد البلاد تحت حكم واحد.

وعلى الرغم من السياسة الإسبانية هذه فإن المولى سليمان أبقى على باب المغرب مفتوحاً أمام التجارة الخارجية وحاول بشكل خاص أن يكسب إسبانيا إلى جانبه عن طريق الامتيازات التجارية الهامة التي منحها لها خلال العقد الأخير من القرن الثامن عشر. لكن استكمال توحيد البلاد تزامن مع احتداد الصراع الفرنسي - الانجليزي وتزايد المخاوف المغربية من سياسة التوسع النابوليونية، خاصة بعد احتلال مصر ثم ضم إسبانيا إلى الدولة الفرنسية فأصبحت الشغور المغربية المحتلة بالشمال بحكم ذلك تمثل منطلقات محتملة لعملية احتلال فرنسية شبيهة بتلك التي وقعت بمصر. ونظراً للمواجهة البحرية بين الأساطيل الأوربية في المتوسط أصبح من الصعب جداً على السفن المغربية أن تغامر بالسفر، إذ غالباً ما كانت تقع فريسة سهلة في يد أحد المتصارعين، فتضيق أموال التجار وتكبر التطلعات والاحتجاجات الدبلوماسية. إن هذه الوضعية الدولية الصعبة هي التي أدت إلى إضعاف الاتصال بالعالم الخارجي أكثر من غيرها من العوامل.

كما كانت تتم في إطار "إسلام الزوايا" جعلت العديد من الطرق الصوفية والشرفاء يقفون ضده ويُعلنون عداؤهم لتوجهاته الإصلاحية. ولم يكن من باب الصدفة أن نجد في مقدمة من أقدم على خلعه في سنة 1236 / 1820 شيخى الزاويتين الوزانية والدرقاوية وأقطاب العديد من الأسر الشريفية.

توفي بمراكش يوم ثالث عشر ربيع الأول عام 1238 / 28 نونبر 1822.

أبو القاسم الزباني، الروضة السليمانية، مخطوط، خ. ع. ق. م. د. خ. ع. 1339، م. أ. كنسوس، الجيش العرزم، مخطوط، رقم د 1275 الرباط : أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1956، الجزء الثامن.

M. El Mansour, *Morocco in the Reign of Mawlay Sulayman*, Londres, UK, 1990.

محمد المنصور

ابن سليمان، أسرة تطوانية - فاسية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية وما زالت بإسبانيا أسر مسيحية تحمل هذا الاسم ؛ وقد انقرضت بتطوان. وهناك أسرة أخرى بتطوان تحمل نفس الاسم أصلها من إحدى قبائل جباله ويوجد بالمدينة مسجد كان يعرف بجامعة ابن سليمان ويعرف اليوم بجامعة الحداد يقع بحومة بين الخنادق. وذكر في إزالة الالتباس أن أسرة ابن سليمان الفاسية فرقتان : فرقة أصلها من الأندلس من غرناطة أهل علم وجاه وثروة ومعاش وحرفة، إليهم ينتسب الشيخ أحمد ابن العربي ابن سليمان أتى الترجمة. وعقبه هم القاطنون بحي جزاء ابن عامر من عدوة فاس القرويين وعندهم نسخة صحيح البخاري المعروفة بالشيخة التي كانت في ملك الشيخ أبي المحاسن الفاسي، انتسخت له من نسخة ابن سعادة ؛ وفرقة ثانية تعرف بأولاد ابن سليمان الطنجي، وهم الساكنون في حومة المعادي أهل مال وفلاحة ومعاش.

ع. السلام ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون، 2 : 181 : م. ابن عزوز حكيم، كشكاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع في الرقم 344.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن سليمان، عبد الكريم بن محمد الفاسي، كاتب ووزير من أبرز وجوه الدولة العزيرية. قال عنه صاحب فواصل الجمان : "كاتب رفيع الجنب من بيت رياسة مديد الأطناب، مليح الخط والشارة، ومصيب الفراسة والإشارة، إلى وقار يوده تبير ورضوي، وتمسك بالتنقوي بالسبب الأقوى".

خلفه والده طفلا في كفالة أمه وكانت من الإماء السودانيات. "فنشأ الولد، كما قال صاحب فواصل الجمان، على ما يقتضيه وصف يتمه، إلى أن حصل من العلم ما حصل، وتوسل بأبيه فتوصل"، إذ استُكُتِب من قبل باشا

فاس يومئذ، وهو عبد الله ابن أحمد من بيت الحجابة الملوكية أباً عن جد منذ المولى سليمان. ثم إنه دخل في زمرة كتاب الحاجب أحمد بن موسى الذي استكثبه في بنسقة وزارة الشؤون الخارجية، فصار على اتصال بنواب الأجناس ويقناصلهم وتجارهم. ولما توفي الحاجب المذكور استقل عبد الكريم ابن سليمان بتلك الوزارة. وأوفده السلطان المولى عبد العزيز في سفارة كبرى إلى الديار الفرنسية ثم الديار الروسية في صيف سنة 1901. وقد استطاعت السلطات الفرنسية أن تقنعه بوجهات نظرها، وأن لا أحد من باقي الأقطاب يمكن أن يتقدم على فرنسا في مساعدة المغرب على الإصلاح. وكان من نتائج سفارته إلى باريس أن تم التوقيع على اتفاقية الحدود بين الدولتين (يوليوز 1901) التي أطلقت يد الفرنسيين ليتدخلوا في شؤون المغرب من الجهة الشرقية، فضلا عما انتزع بمقتضاها من الأقاليم الصحراوية في الجنوب الشرقي انطلاقا من وادي زوزفانة إلى واحات توات وتيديكلت، واشتدت الوطأة الفرنسية باتفاقية إضافية وقعها عن المغرب مساعد المترجم له وصهره محمد الجياص في السنة التالية (ماي 1902). ومعلوم ما كان لهاتين الاتفاقيتين من الوقع السيئ على عموم المغاربة الذين اعتبروا ذلك بمثابة خيانة وصفقة فاضحة بيعت أجزاء من التراب المغربي بمقتضاها للفرنسيين. وكان عبد الكريم ابن سليمان ممن بحث المولى عبد العزيز على دخول باب الإصلاح دون تردد. وهو الذي أشار عليه بإصلاح نظام الجباية، فنصح على حد قول صاحب فواصل الجمان "بترتيب الجباية على نهج سوي ونمط أوربوي، واستحلاف الموظفين على المصحف الكريم على أن لا يقبضوا رشوة من مدع ولا من غريم لينقطع تظلم الرعية من عمالها وتثق بالأمن على أموالها".

كما يفيد أن عبد الكريم ابن سليمان وجد نفسه من حيث كان يدري أو لا يدري في قلب العاصفة الهوجاء التي صارت تعصف يومئذ بسيادة الدولة المغربية، وهو يحاول أن يوفق بين حاجة البلاد إلى الإصلاح مع عجزها عن القيام به بوسائلها الذاتية، وضرورة الاستعانة بالأجانب الذين كان الإصلاح في يدهم وسيلة من وسائل الاستعمار. وقد راوغ ما استطاع أن يراوغ، يشهد له بالذكاء وعلو الكعب في الممارسات الدبلوماسية كل من اتصل به من القناصل الأوربيين، وبخاصة منهم الفرنسيون، مثل سان ريني طاياندييه Saint-René Taillandier وسانتولير Saint-Aulaire الذي تقلب على عدة بعثات دبلوماسية فرنسية في أمريكا وأوربا واتصل بكبار الدبلوماسيين، ويقول في مذكراته بأنه لم يتعرف في مساره الطويل على من كان يفوق أو يضاهي ما كان عليه عبد الكريم ابن سليمان من الفطنة والدهاء والقدرة على الدفاع عن مصالح دولته بمنتهى اللياقة في منتهى الحزم. مما زاد رتبته علواً لدى المولى عبد العزيز الذي أسند إليه الصدارة العظمى غداة مؤتمر الجزيرة الخضراء، بعد إبعاد الفقيه فضول غريط عنها. ولكنه

لم يستمرئ المنصب إلا لوقت وجيز، ذلك بأن الثورة عمت البلاد، وقام المولى عبد الحفيظ على أخيه في مراكش. والتقى الحزبان بإقليم السراغنة في معركة دارت دانتها على المولى عبد العزيز. ونجا عبد الكريم ابن سليمان من الواقعة بمعجزة، وعاد مسلوبا إلى الرباط، ومنها تعلق بأصدقائه الفرنسيين الذين نقلوه إلى فرنسا حيث مكث بضعة أشهر، إلى أن استتب الأمور للمولى عبد الحفيظ، فعاد المترجم له إلى فاس، ونزل منزله الفاخر الذي كان قد شيده قريبا بعقبة الفيوان. وطسحت نفسه إلى خدمة السلطان القائم. لكنه لم يلق منه إلا النفور والصدود. فاهتم لذلك واشتد همه بما نزل به من المرض الذي سرعان ما قضى عليه.

مات منبوذاً مهجوراً يوم 15 من ذي القعدة عام 1326 / 9 دجنبر 1908 وكان من علامة سخط الراعي والرعية عليه أن نُشِب قبره في روضتهم بالقباب. بعد وفاته بأيام، وقطع رأسه وأحرق شلوه. فهل فعل ذلك بعض السفهاء ممن أصر على التشفي فيه ولو بعد موته، أم فعله من جاء بأمر السلطان المولى عبد الحفيظ الذي سبق منه يمين بقطع رأسه، على ما قال الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور نقلا عن الحاجب محمد حسن ابن يعيش؟ وفي رواية ثالثة سمعتها من السيد يحيى بن الفاطمي ابن سليمان أن مدير تلك الفعلة الشنعاء هو عبد الحفيظ الكتاني الذي كان المولى عبد الحفيظ قد نفذ له دار عبد الكريم ابن سليمان الفاخرة، ثم تراجع عن التنفيذ، فأبى عبد الحفيظ إلا أن ينتقم ولو من شلو الوزير الراحل. وكان من مصير تلك الدار أن اشتراها الملك سيدي محمد بن يوسف من الورثة في الثلاثينيات من القرن العشرين وأقام بها مدرسة.

وخلاصة القول أن عبدالكريم ابن سليمان كان من رجالات الدولة العزيبية، وكان لايد أن يجسد ما اعتراها من الإحباط وهي تتصدى للزحف الاستعماري.

إ. الفضيلي، الدرر البهية، الطبعة الحجرية القاسية : م. غريط، فواصل الحسان، فاس، الطبعة الجديدة، 1348 / 1930 : ع ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1977، الجزء 8 : ع، السلام ابن سودة، إتحاف المطالع، سل النصال / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996.

Georges Saint-René Taillandier, *Les origines du Maroc français, Récit d'une mission*, Paris, 1930 ; C. Saint-Aulaire, *Confession d'un vieux diplomate*, Paris, 1953.

إبراهيم بوطالب

ابن سليمان، المغالي بن المكي بن أحمد الغرناطي القاسي، مؤرخ وأديب وكاتب وموسيقي، يتحدر من أصول أندلسية. كان أبوه محتسبا أما جده فكان فرضيا. لقي عدداً من الشيوخ بمدينتي فاس ومراكش أخذ عنهم الفقه والأصول والتصوف والمنطق والتوثيق والعروض وغيرها من المعارف، من أبرزهم محمد بن المدني گنون، المهدي بن الحاج، وجعفر الكتاني، وعبد الواحد ابن المواز والقاضي أحمد بن سودة.

كان ابن سليمان من الموظفين في الشؤون الخارجية ثم الداخلية في عهد السلطان مولاي الحسن، اتهم باختلاس مال للدولة فأرسل إلى مراكش، وحبس وضيق عليه فأدى ما اتهم باختلاسه (الزركلي، الإعلام، 6 : 324).

ترك ابن سليمان عدداً من التأليف المنظومة والمنثورة في معارف متنوعة : تاريخ، تراجم، لغة، مساجلات أدبية، أمثال وغيرها. فقد وضع في التاريخ "أرجوزة في دول المغرب"، عرّف فيها بإيجاز بدول المغرب الأقصى إلى بداية عهد السلطان مولاي عبد العزيز وقد اعتمد على "المعتمد المعين" لابن زاكور في خمس دول من الأدارسة إلى المرينيين، وهي الأرجوزة التي شرحها عبد القادر بناني المراكشي ضمن كتابه "تلخيص ما عليه المعول في أخبار من بالمغرب من الدول"، كما وضع في المجال ذاته قصيدة من البحر الطويل في تاريخ الدولة العلوية تتكون من 100 بيت، فرغ منها سنة 1310 / 1892، هي التي قام بشرحها المؤرخ القاضي محمد المشرفي في كتابه "الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية". كما نظم في رحلة السلطان مولاي الحسن إلى تافيلالت سنة 1311 / 1893، مقدما تفاصيل دقيقة عنها لأنه كان مصاحباً للركب السلطاني.

ومن مؤلفاته، التحفة العرائشية على الصلاة المشيشية ألفه لما كان في العرائش، وترك في مجال المناقب بدائع الاقتباس في مناقب أبي العباس، أي أبي العباس السبتي دفين مراكش، وبادرة الاستعجال في مناقب السبعة رجال وضعه زمن رحلته بمعية السلطان مولاي الحسن إلى مراكش سنة 1294 / 1877، وله الجواهر الحسان في نغم الأبحان، عالج فيه الموسيقى الأندلسية، وله كذلك تأليف في الأمثال المغربية، وأرجوزة في ذكر أشياخه وما أخذ عنهم من علوم في حوالي مائة بيت، وديوان شعر في مجلد رتبته على حروف المعجم. ونظم اللثال في اللغة، وألف السيف المشرفي بقطع لسان المشرفي، وهو في الرد على المؤرخ العربي المشرفي الذي ذم أهل فاس في تقييد صغير.

ومن حواشيه وشروحه حاشية على المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل لمحمد الإفرائي، وشرح قصيدة ابن الفارض زدني بفرط الحب فيك تحميرا، ونزهة الأبصار في شرح قصيدة الأنصار، وله منادمة الأقيال في معنى طيف الخيال ولوامع الغرر في جمع الطرر. كما شرع في شرح قصيدة المالقي المسماة بأعجم السياسة، غير أنه لم يكمله.

توفي ابن سليمان بمراكش يوم الأحد 13 شعبان 1317 / 17 ديسمبر 1899، ودفن بضريح أبي إسحاق ابن الحاج بمراكش.

ع. القادر بناني، تلخيص ما عليه المعول في أخبار من بالمغرب من الدول، مخطوط، خ. ح رقم 12385 : م. المشرفي، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية، مخطوط، خ. ع رقم د 1463 : ع. الرحمان

ابن زيدان، إحصاف، ط 2، الرباط، ع. ابن إبراهيم، الأعلام، ط. 2، الرباط، ج 10 : خير الدين الزركلي، الأعلام، ط 7، ج 6 : ع. السلام ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، الدار البيضاء، 1960، ج 1 : م. المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ج 2 : أحمد المكاوي

**ابن سليمان، الفاطمي بن محمد ابن أخ وزير السلطان**  
المولى عبد العزيز والصدر الأعظم لديه، سابق الذكر، ولد في فاس يوم 9 شتنبر 1898، ونشأ في أحضان والده الذي كان من أمناء الدولة واشتغل في مراكش في عهد المولى عبد العزيز، ثم في طنجة في عهد المولى عبد الحفيظ. وفي طنجة التحق الفاطمي ابن سليمان بالثانوية الفرنسية الحديثة قريبا (والتي مازالت قائمة إلى يومنا تحت اسم أوجين رينسو السفير الفرنسي الموقع على عقد الحماية)، فكان من الأفواج الأولى ممن دخلها من الشباب المغربي لتعلم اللسان الفرنسي. ثم إنه عاد إلى فاس ليلتحق بثانوية المولى إدريس. لكنه ما لبث أن فضل الانخراط في جامعة القرويين، تمسكا بثقافته العربية الإسلامية ورغبة في الحصول على الشواهد الأصلية. ولما تخرج من القرويين، اشتغل عدلا بأمانة الجمارك بميناء الجديدة، سيرا على نهج والده ونهج أصهاره من آل الكباص. وقضى في تلك المهمة بضع سنوات، إلى أن اقتضى نظر السلطان سيدي محمد بن يوسف تعيينه خليفة باشا مكناس، وذلك على إثر أحداث وادي بوفكران في خريف سنة 1937.



وأصبح المترجم له منذ ذلك الحين من خدام المخزن المحمدي المرموقين. ففي سنة 1944 أسند السلطان سيدي محمد بن يوسف إليه مهمة المندوب لدى الصدر الأعظم في التعليم، نيابة عن أحمد بركاش الذي أبت سلطات الحماية إلا أن يعزل نظراً لمواقفه الوطنية في أحداث المطالبة بالاستقلال في يناير من تلك السنة. ثم اشتغل الفاطمي ابن سليمان بعد ذلك رئيسا للمحكمة العليا الشريفة التي لم يقض فيها إلا أشهراً معدودة، إذ أسندت إليه في شهر غشت 1945 باشوية فاس خلفا للباشا محمد النازي. وجرى حفل التنصيب بقراءة ظهير التعيين أمام الملأ في القرويين. ثم جاء المقيم العام الفرنسي، وهو يومنث كابريل بييرو Gabriel Puaux، ليدلي بدلوه في

التعريف بالباشا الجديد وكأنه يود التكفير عما أنزل من العقاب بالمدينة في أحداث السنة السابقة. وامتدت إدارة الفاطمي ابن سليمان لباشوية فاس ثماني سنوات، مسك خلالها بزمام الأسور بحزم خال من كل شدة ولين لا يشوبه الوهن، مع إخلاص تام لدينه ووطنه وملكه. ويوم صارت سلطات الحماية تحوكم خيوط المؤامرة لعزل السلطان سيدي محمد عن عرشه، تصدى الفاطمي ابن سليمان رفقة باشا صفرو مبارك البكاي وباشا مكناس أحمد الجنان وباشا الرباط العباس النازي وباشا سلا محمد الصبيحي لتلك المناورة، منددين بمديريها من المغاربة ومسفيين مقاصدهم. ولما نفذت المؤامرة وعزل السلطان الشرعي في غشت 1953 ونفي إلى جزيرة كورسيكا ثم إلى جزيرة مدغشقر، بادرت السلطات الاستعمارية إلى عزل أقرب خدامه إليه، ومن جملتهم الفاطمي ابن سليمان الذي كان يومئذ كعادته منذ عدة سنوات في مكة المكرمة على رأس وفد الحجاج المغاربة إلى بيت الله الحرام. ولكن سرعان ما تبين للدولة الحامية أنها وقعت فيما لا تحمد عقبا، إذ انتفض الشعب المغربي انتفاضة من لم يعد يطيق صبرا على الضيم والقطرسة. وتبين أن أمثال الفاطمي ابن سليمان ممن لا يمكن الاستغناء عنهم لتجديد الصلة بالسلطان المنفي، وخاصة في صيف 1955 عندما اقتنعت الحكومة الفرنسية بضرورة الاستماع إلى تمثلي الرأي المغربي. ودارت تلك المباحثات غير الرسمية في مدينة إيكس ليان Aix-Les Bains في فرنسا، وكان الفاطمي ابن سليمان من جملة من بدأ من الضروري استطلاع وجهة نظرهم في النزاع الحائق بين فرنسا والمغرب. وتقرر أن يبعد السلطان محمد بن عرفة المفروض قهرا، وأن يحل محلّه مجلس وصاية على العرش، على أن يعين ذلك المجلس حكومة انتقالية تفتح باب التفاوض الرسمي مع الحكومة الفرنسية لجعل حد لعهد الحجر والحماية. ووقع الإجماع بين المسؤولين الفرنسيين وبين قادة الحركة الوطنية على اختلاف مشاربهم على أن تسند رئاسة تلك الحكومة إلى الفاطمي ابن سليمان الذي كان من أول من سافر إلى مدغشقر لملاقاة السلطان الشرعي سيدي محمد بن يوسف والأخذ بأرائه وتعليماته. وتم تعيينه لرئاسة الحكومة في منتصف أكتوبر 1955، دون أن يسفر الأمر عن تشكيل الهيئة الوزارية، بفضل ما كان من تطور الأحداث بسرعة جعلت السلطان سيدي محمد يعود منصوراً نصرأ مجدداً إلى فرنسا في طليعة شهر نونبر، ثم إلى المغرب وإلى عرشه في منتصف الشهر نفسه، ذلك أن الحكومة الفرنسية كفت عن التلكؤ فاعترفت بحق المغرب في استرجاع سيادته كاملة وتحرره من التبعية الاستعمارية. وتشكلت حكومة من أعضاء الأحزاب الوطنية التي كان من قراراتها الأولى أن قسمت البلاد إلى مجموعة من العمالات المقامة حول الحواضر الكبرى. وكان من شبه الطبيعي أن تسند عمالة فاس إلى الفاطمي ابن سليمان. فهو الذي وضع اللبنة الأساسية فيها في أقل من سنة ليلتحق بعد ذلك بسلك

الدبلوماسية المغربية الناشئة، ويعمل سفيراً للمغرب في بغداد ثم في عمان ثم في بيروت ثم في الكويت ثم في جدة التي انتهت به فيها المطاف الإداري.

وكان الفاطمي ابن سليمان من ذلك الجيل المعدد الأفراد الذين كتب لهم أن يفتحوا أعينهم على المغرب المستقل القديم وأن يواكبوا فترة الحماية الأجنبية برمتها فيقفوا عن كتب بل ويشاركوا في كل ما طرأ على الوطن من أسباب التغيير بعد أن أدركوا باكراً أن لا مناص من الإمساك بها. وكان من رضى الله على هذا الجيل أن امتد بهم العمر حتى شاركوا في معارك الاستقلال وفي بناء صرح الجهاز الحكومي المغربي الحديث. وكان من حظهم أن قاموا في تاريخ المغرب في القرن العشرين بصلة الوصل بين الأصالة والحداثة، وبين السلف الصالح والأجيال النواقة إلى التفتح على المستقبل. وأمثال هؤلاء هم رموز الاستمرار والمحافظة ودعاة الانعتاق من التزمّت للنهول من العلوم العصرية بأوفر نصيب، في ظل ما أصاب المغرب من مصائب الاستعمار. وكما كان الفاطمي ابن سليمان من أول من ولج الثائويات الفرنسية، فإنه كان في الثلاثينيات من أول من أدخل بناته أسلاك ذلك النوع من التعليم في مدينة الرباط، ساهراً في الوقت نفسه على أن لا يتغافل فلذات كبده عن ثقافتهم الأصلية، وواعياً بما للمرأة من خطورة الشأن في بناء المجتمع الجديد. وقضى السنوات الأخيرة من عمره مهاجراً في الديار المقدسة. وكان قد أوصى بأن يدفن هناك، أو إذا أدركه الموت في دار من ديار الإسلام فليكن فيها متواذ الأخير.

ولما لبي داعي ربه يوم 4 ربيع الثاني عام 1401 / 9 فبراير 1981 في الرباط دفن في مقبرة الشهداء، حيث رثاه عبد الرحمان الفاسي بكلمة وقعت من الجميع بأحسن موقع. كما خصه السيد أحمد العلوي في صحيفة "لوماتان" بافتتاحية ذكرت بما أسدى الفقيه لوطنه وملكه من صادق الخدمة وبما كان عليه من حميد الخصال.

استجاب الأستاذ يحيى بن الفاطمي ابن سليمان في جلستين، الجمعة 14 دجنبر 2001 و *Le Courrier du Maroc*، عدد 4969، 26 شتنبر 1945؛ عدد 4971، 28 شتنبر 1945؛ عدد 4977، 5 أكتوبر 1945؛ *Le Matin*، عدد 3381، 11 فبراير 1981؛ عدد 3382، 12 فبراير 1981؛ عدد 3383، 13 فبراير 1981.

G. Grandval, *Ma mission au Maroc*, Paris, 1956; G. Spillman, *Du protectorat à l'indépendance, Maroc, 1912 - 1956*, Paris, 1967; C-A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes, 1415-1956*, Paris, 1978.

إبراهيم بوطالب

ابن سليمان، محمد بن إدريس (الحاج -) الفاسي من المَع شيوخ الملحنون في القرن الثالث عشر (19 م) نشأ في أسرة كان ربها مولعا بالطرب الملحن يحيى لياليه في بيته على عادة كثير من الأسر الفاسية المترفة يومئذ ومن حوله شيوخ الملحنون من مدينة فاس أو ممن كانوا ينزلون بها. وفي هذا الجو الفني ترعرع الفتى وشب على تذوق الشعر الملحن، وما فتى أن برع في نظمه حتى أصبح ينافس خيرة

الأشياخ من معاصريه ويحظى منهم بالتقدير والأعجاب. وتتفق الروايات على أن ابن سليمان تتلمذ على شيخ الملحن حامل لقب "المعلم" محمد بن علي العمراني الشهير بولد رزّين والمتوفى حوالي عام 1240. وربما كان مبدأ هذه التلمذة في بيت والده الحاج إدريس يوم كان الفتى ما يزال في مقتبل الشباب.

وقد تطورت العلاقة بين ابن علي وابن سليمان، ثم تحولت فيما بعد إلى تنافس شديد أفضى بهما إلى الدخول في معارك هجائية أفرزت قصائد رائعة في هذا الغرض تحفل بمساجلات فنية بليغة. فمما نظمه ابن سليمان في هجاء أستاذه ابن علي قصيدة "ليل الزهو" التي منها:

رجلي على أوقات الظالم من لا يكون فارس ناجم

واني على لحروب ملازم

وقصيدة "القرصان" التي تقول حريتها:

هكذا قول للدعي ابدير قرصان ويخرج

كيف من سافر بين أمواج

واغم وانجا

ومع حدة هجاء ابن سليمان لشيخه ابن علي لم ينكر فضله عليه.

ويحكى عن ابن سليمان أنه كان في أول شبابه ولوعاً بالحياة الماجنة، وقد دفعه إلى ذلك سعة من المال ورثه عن أبيه بعد وفاته، فانطلق يتترع من متع الحياة حتى اعتل قلبه وأصابه الوهن، فلزم فراش المرض وعاجلته المنية وهو في ريعان الشباب لم يتجاوز من العمر ثلاثاً وثلاثين سنة، وذلك حوالي سنة 1248 / 1832.

وتعتبر السنوات الأخيرة من عمره أخصب الفترات إنتاجاً، ففيها نظم - وهو تحت وطأة المرض وضك الأثم - أروع قصائده وأبلغها وأصدقها معاناة. ومنها قصيدة "الوردة" التي جاء في دخولها قوله:

أه من رشكات انبال الأوقاس والحجاب صردى

عند رامي دغت انشبابي جات مُجهدة

والتي تقول حريتها:

لا تُلوموني في ذا الحمال جبت نَشهدُ ونوذي

أعدولي في الموت اسبابي خال نسي وردة

ومنها أيضاً قصيدة "الطيبيب"، وهي صرخة حرى في أعماق النفس، وكأنما كان ابن سليمان يحس بدنو أجله، وهو يعاني سكرات الموت ولا يملك من نفسه القدرة على مغالبة المرض كما لا يملك من حطام الدنيا ما يدفع به غلواء الداء وغلاء الدواء يقول في حربة هذه القصيدة:

الطيبيب عرف دابا والعلاج سوموغالي

عاجلوني باناسي لا نسوت موت الغفلة

وله قصائد أخرى كثيرة في مختلف أغراض الشعر الملحن، منها: الزين الفاسي - الوصاية - الرعد - الربيعية - الغزيل - الطير - الحمام - حجوبة - الحجام - الباقي.

توفي أوائل القرن الرابع عشر (20 م).

ع. الحزازي، *القصيدة*، ص. 404، 406، 625، 627؛ م. الفاسي،

معلمة الملحن، القسم الأول من الجزء الأول.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن سليمان، محمد التطواني، الفقيه الكاتب

الأديب اللغوي الشاعر المطبوع ولد بتطوان أواخر القرن الحادي عشر الهجري (17 م)، ودرس بها على الشيخ علي بركة وطبقته. وانتقل إلى فاس وقرأ بها، واتصل بال قائد علي بن عبد الله الريفي، وعاش في عهد هذا وابنه اليشا أحمد وفي كنفه. وعمل لهم وسما قدره بينهم. ويظهر أنه كان موسعا عليه في الدنيا، لأن بتطوان زقاقا يحي الصياغين (بين الفنادق) كان يحمل اسمه. (درب ابن سليمان) ومنتهاه مسجد صغير يسمى (جامع ابن سليمان) كما أن ترجمته الحافلة التي خصصها له صديقه الحميم الأديب الشاعر محمد بن الطيب العلمي في كتابه العُجاب الأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب تتضمن معلومات وإشارات إلى ما كان يقدمه المترجم له إلى العلمي من مساعدات ورفد، حتى إنه ألف كتابه باسمه ونزولا على رغبته، فقال في صفحة 336 إنه هو الذي كان السبب فيه وهو الذي أشار علي بتأليفه وتلافيه، ووعدني بالصلة إن رأه وتلا فيه، فوجبت علي مساعدته الجائزة، وقلت : علي التأليف و عليك الجائزة.

قال محمد داود بعد هذا في تاريخه : يرحم الله الأديب ابن الطيب، لولاه ما عرفنا شيئا عن الأديب ابن سليمان ولقد بحثت عن مصدر آخر أعرف منه شيئا عن ابن سليمان هذا فلم أعثر عليه، ومن يدري فكم من جواهر كانت تسطع، وسيوف كانت تقطع، فأنحى أثرها، واندثر ذكرها، وصارت نسيا منسيا، ولله الأمر من قبل ومن بعد. ثم انحى الأستاذ داود باللائمة على أثريانا، وذوي الجدة من أغنيانا. ولفت نظرهم إلى المترجم له وكيف خُلد ذكره، ودونت مناقبه وأثاره، بسبب إحسانه إلى عالم حتى ألف باسمه كتابا سار مسير الشمس. أودعه من أخباره ورسائله وأشعاره المرقص المطرب بينما يموت ذكر الأغنياء بموتهم، وإن ذكروا لمأثرة فإلى حين.

وقد أورد ابن الطيب من قصائد المترجم له ومساجلاته وألغازه، ونثره الفني الجميل ما يذكر بالفتح ابن خاقان في قلاته ومطمحه، وابن الخطيب وابن زمرك وهذه الكوكبة، كما أشار إلى تمكنه من اللغة والبيان واقتداره على التصرف في فنون الشعر والنثر، نذكر شعراً أهملت كلماته من النقط وآخر أعجمت كلماته إلى رسائل وطرائف ونوادر، وفقر وحكم مختارة سارت مسير الأمثال، منها مما لازال دائراً على الألسنة : إذا حصلت الألفة، سقطت الكلفة.

وكان المترجم له صنّاع اليد، مولعا بصناعة التسطير والتشجير. بلغ فيهما الغاية وهما من صنائع زخرفة الخشب، وله في التفضيل بينهما شعر.

ولعل ابن سليمان هذا من عائلة ابن سليمان التي مازال بعض أفرادها بتطوان على أن الرهوني ذكر أن أصله من القصر الكبير، ولم يذكر مستنده. أما تاريخ وفاته ومكانها

فلم يعرفا، ولعله لم يتأخر عن العقد الخامس من القرن الثاني عشر الهجري والله أعلم.

م. العلمي، الأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب. طبع حجر بفاس، ص. 204 : أ. الرهوني، عمدة الراويين، مخطوط : م. داود، تاريخ تطوان، طبع تطوان، 3 : 42.

محمد بوخيزة

ابن سليمان، محمد اللمطي من رؤساء أهل فاس خلال مرحلة الاضطرابات التي تلت وفاة أحمد المنصور. تزعم إحدى الثورات وحاول أن يشار لمقتل والده الذي سبق أن قام بفاس فتوعد معارضيه بالانتقام ومن بينهم الشيخ عبد الرحمن الفاسي (العارف) الذي هدد زاويته بالقتل، غير أن انتفاضة انتهت بمقتله بطريقة شنيعة في مواجهة مع أهل فاس سنة 1029 / 1620.

م. ابن عيشون، الروض العطر. 156 : م. العادري، نشر، ج 1، 232.

نقصة الذهبي

السليمان، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا - Çuleyma Çuleymen.

وتوجد بتطوان أسرة أخرى تحمل نفس الاسم ولكنيا تعرف بأسرة "الغمنية" وهم شرفاء حسنيون يوجدون أيضاً بفاس هاجرت إليها من معسكر الجزائر، ينتسبون إلى سليمان بن عبد الله أخي إدريس الأكبر.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطوان 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1396.

محمد ابن عزوز حكيم

السليمان، عبد المالك بن محمد الغريسي الحسني. ولد بفاس في 14 ربيع الثاني عام 1332 / 12 مارس 1914، وبعد وفاة والده في نفس السنة انتقل مع أخيه الأكبر إلى الرباط فدرس في مدرسة أبناء الأعيان وأتم دراسته بثانوية



مولاي يوسف، ثم حصل على الإجازة في الآداب، قبل أن يشتغل بالتعليم، ففتش المعلمين وإرشادهم. وأصدر سنة 1366 / 1947 بالرباط مع زميليه المفتشين محيي الدين المشرفي والعربي المسعودي كتاب *نصائح وإرشادات في التربية والتعليم لمدري اللغة العربية*. فكان فتحاً جديداً للمدرسين باللغة العربية في المدارس العصرية، بما قدم لهم من مبادئ بيداغوجية حديثة نظرية وتطبيقية. ولشدة الإقبال على هذا الكتاب أعيد طبعه بالمطبعة الدولية بطنجة سنة 1371 / 1952.

كان عبد المالك السليمانى كسا وصفه مؤلف معجم *المطبوعات المغربية*: هيناً ليناً كريم الأخلاق، طيب الأعراق، من الذين يعملون بجد واجتهاد وإخلاص مع هدوء وسكون وتواضع وحياء ولطف. اختير مدة لإلقاء دروس في الترجمة بمعهد الدراسات المغربية العليا بالرباط، ثم أسند إليه في آخر عهد الحماية منصب مندوب الصدر الأعظم في المعارف. وأنهى مسيرته المهنية مشرفاً على المصالح التربوية في وزارة التعليم.

توفي بالرباط في 21 حجة عام 1397 / 3 دجنبر 1977. ع: المالك السليمانى نفسه، *نصائح وإرشادات*. الرباط، 1947: إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*. سلا، 1988.

محمد حجي

### السليمانى، محمد بن عبد القادر المدعو ابن الأعرج

الشريف الحسنى الغريسي، فقيه محدث. وقد على فاس واستوطنها ضمن كوكبة من الأسر التلمسانية وغيرها التي هاجرت من المغرب الأوسط إلى فاس وعدد من المدن المغربية منذ بداية الغزو الفرنسي.

وهو سليل أسرة مجاهدة، استشهد جده خلال حصار مدينة وهران التي كانت محتلة من قبل الإسبان، كسا استشهد عدد من أقرانه في المواجهات مع قوات الاحتلال الفرنسي. وكان الأمير عبد القادر الجزائري يخاطبه بقوله "الأخ في الله، محمد بن عبد القادر ابن المجاهدين"، وظلت العلاقات وطيدة بينهما وتبادلا الخطابات حول قضايا عامة وعائلية.

كان محمد بن عبد القادر أول من لقب من هذه الأسرة بابن الأعرج، وذلك لأنه تربي في حضانه خاله الأعرج لموت الجد وجميع القرابة في الدفاع عن الوطن". *اللسان العرب*، (34)، وتدل تقاريط كتاب *مجله الموزج محمد السليمانى اللسان العرب على أن محمد بن عبد القادر عاش طويلا، وتحليله بالفقيه المسن الصالح*.

توفي سنة 1332 / 1913.

ع: الحفظ الفاسي، *معجم الشيخ*. الرباط، 1931، ص. 68 - 69. 1931، ج. 1: م. السليمانى، *اللسان العرب*. الرباط، 1971.

E. Michaux-Bellaire, *Lex musulmans d'Algérie au Maroc*, A.M., T. 2, 1907.

**السليمانى، محمد بن محمد بن عبد القادر** الغريسي العسكري الحسنى، المعروف - كآبيه - بابن الأعرج، مؤرخ كاتب شاعر من أصل جزائري، يتصل نسبه حسبما ورد في "عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس" بسليمان بن عبد الله الكامل، الذي تملك أبناؤه المغرب الأوسط أيام أخيه إدريس الأكبر.

ولد السليمانى بمدينة فاس في 10 ذي القعدة 1285 / 22 فبراير عام 1869. عنى به والده محمد بن عبد القادر، الذي كان فقيها ومحدثا، فقرأ عليه الفقه والتوحيد والعربية، وقرأ القرآن بمدرسة درب السعود بحومة الجزيرة بعدوة الأندلس، على شيخه أحمد بن محمد الفشتالي. وبعد أن حفظ الأمهات ومختصر خليل كالعادة، ولج جامعة القرويين سنة 1305 / 1887، ومن جملة المصنفات التي درسها صحيح البخاري والموطأ ومختصر خليل وكان من أبرز شيوخه في القرويين التهامي بن المدني گنون، وعبد الله بن التهامي الوزاني، وأحمد ابن الجليلي الأمازيغي.

اضطر محمد السليمانى أن يتنعد عن التحصيل العلمي، فاتجه إلى التجارة، ونزح عن فاس إلى تلمسان، حيث كان يقيم عدد من التجار الفاسيين، فاتخذها مقراً له، مقتصراً على زيارة فاس بين الفينة والأخرى. لكن تجارته كانت متواضعة، وقد زواج بينها وبين المطالعة والكتابة، إذ كان شغوفاً بالاطلاع على الصحافة الدولية ولاسيما التي لها نزعة تحريرية. وأسس في تلمسان نادياً لتبادل الآراء والأفكار، عرف لاحقاً بنادي الشبيبة الجزائرية. وقد أم هذا النادي الأعيان والقضاة والمثقفون لمناقشة قضايا تاريخية واجتماعية.

عاد السليمانى إلى فاس وقت اشتداد الضغط الفرنسي على المغرب، وكان من المناوئين للسياسة الفرنسية إزاء المغرب، فكتب ونظم مثيراً الحماس لمجابهة هذه السياسة، من ذلك قصيدته البائية، التي نظمها وهو في وجدة سنة 1329 / 1911. لما حوصرت فاس، استنهض فيها الهمم لقاوسة المدين الفرنسي والإسباني *(اللسان العرب*، 151 - 153).

كان للسليمانى تعاطف مع قضايا العالم الإسلامي، من ذلك نشوته بانتصار الأتراك على اليونانيين في موقعة إزمير، فنظم بهذه المناسبة قصيدة دالية عنوانها بـ "تركيا الجديدة". وأرتبط السليمانى بالكتابة في بعض الصحف، مثل "السعادة"، التي نشرت له عدة مقالات في قضايا مختلفة، كما نشرت له بعض الصحف التونسية قصائد منها قصيدة عن الحرب العالمية الأولى.

وبسبب النشاط الوطني للسليمانى تعرض للمضايقة من قبل سلطات الحماية الفرنسية، وكان من أبرز إسهاماته في العمل الوطني، مشاركته الفعالة في إنشاء مدرسة حرة في حومة رأس الجنان بفاس سنة 1340 / 1921. ووضع دليلاً لأساتذة هذه المدرسة، شمل كذلك توجيهات وإرشادات ونماذج من الدروس في القراءة والكتابة والتربية الخلقية والعلم

الأعلام، ج 7، بيروت، 1986؛ مصطفى بوشعرا، الاستيطان والحماية بالمغرب، ج 4، 1989؛ أ. الكاوي، مسألة الإصلاح عند المفكرين المغاربة في النصف الثاني من القرن 19 من خلال بعض النماذج، د. ع. ك. كلية الآداب، فاس، 1988.

أحمد الكاوي

### السليمانيون، طائفة بدعية ذكرها الفقيه المحافظ

يوسف بن موسى المحساني السبتي (كان حياً عام 686 / 1287، وكان يقرئ بجامعة باب السلسلة بفاس) وذلك في شرحه على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، والموسوم "بالإفادة". وفسر نحلتهم بأنهم يجمعون بين النساء والرجال، وجعلهم الطائفة البدعية الثانية الموجودة بالمغرب على عهد بني مرين، خلال القرن السابع (13 م) إلى جانب العكازين أتباع المهدي بن تومرت (ت. 524 / 1129)، وأفتى فيهم بأن يتقدم إليهم فإن تابوا وإلا قتلوا. ومثله عند إمام جامع القرويين الشيخ يوسف بن عمر الأنفاسي (ت. 761 / 1359) في تقييده على الرسالة أيضاً. وكان فقيهاً صالحاً، وقد بلغ مائة سنة. وقريب منه عند قاضي القضاة عصر الفقيه محمد ابن إبراهيم التتائي (ت. 942 / 1535)، وذلك في شرحه على الرسالة وعنوانه تنوير العقالة. ونقله عن أبي يعقوب المحساني، واقتصر على ذكر السليمانيين ولم يفسرهم. ووقف قاضي الجماعة بفاس الفقيه محمد بن الحسن المجاصي (ت. 1103 / 1691) على نسخة من الشرح المذكور وبها على هامش النقل الذي بهننا، ويخط الشيخ عبد الرحمن بن محمد الفاسي "العارف" (ت. 1036 / 1626)، طرة نصها: الذين يجمعون بين النساء والرجال.

وقد تم النظر إلى السليمانيين في سياق التيارات الفكرية التي عرفها المغرب المريني، وأسلكوا ضمن الجماعات المتطرفة التي سجل إمامان من أعلام العصر قلة وجودها بالبلاد، وهما المحساني المذكور والإمام محمد ابن الحاج العبدري (ت. 36 / 737 - 1337)، وذلك في كتابه "المدخل"، الذي قرر فيه فضل العلماء في ارتداد كثير من أهل البدع وفي اختفاء كثير من العوائد الحادثة في المائة السادسة للهجرة وما قبلها. حيث لم تعد الجماعات المتطرفة التي عاصرها هذان العلمان الفاطمية المتفرعة إلى أكثر من فرقة، والعكازون أتباع المهدي بن تومرت، والسليمانيون.

وإذا كانت العبارة التي فسر بها المحساني نحلة السليمانيين ضيقة لا تزيد على القول إنهم أهل إباحة. فإن افتناء باستنابهم ينفي عنهم النسبة إلى أهل الإباحة العامة، وهم الزنادقة المطلقون الذين لا يرون تكاليف الشرع على الإطلاق، ويستبيحون المحرمات بدون تقييد بشرط ولا شخص مع التستر بظاهر الإسلام، والذين يقتلون ولا تقبل توبتهم. ويقطع حكمه بنسبتهم إلى أهل الإباحة الخاصة من الغلاة المتسللين من شتى النحل، والقائلين ببلوغهم حالة بينهم وبين الله ترتفع معها الشرائع عنهم، ويباح كل شيء لهم.

ولا يزيد تواتر ذكر السليمانيين في الشروح الفقهية المذكورة، والمصنفة خلال القرون 7 و8 و10 و13 و14 و15، عن

العصرية وغيرها. ويذكر أن السليمانيين تمسح لإصلاح التعليم خاصة إدخال النظام إلى القرويين. وقد نوه بما عزم عليه معاصره محمد الحجوي حينما شرع في ذلك سنة 1333 / 1914، فنظم قصيدة شعرية أشاد فيها بما أقدم عليه الحجوي، وحينما فشل المشروع بعث إليه بقصيدة أخرى تأسف فيها على مآل إصلاح نظام التعليم في القرويين (الفكر السامي، 198، 199).

ازدادت مضايقة سلطات الاحتلال الفرنسي للسليمانيين إبان الحرب الريفية، التي حرص على تتبع مجرياتها بتعطش وانفعال شديدين، فكان يتأثر بالأخبار التي تفيد حصول الوهن أو التصدع في صفوف المجاهدين.

خلف السليمانيين عدة تأليف، أكثرها تداولاً للسان المغرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب، وهو في التاريخ، تطرق فيه إلى أحوال الأندلس والمغرب الأوسط، وتتيح تدخل الأوربيين في شؤون المغرب، وأورد فيه ما عاينه من وقائع قبيل فرض الحماية الفرنسية مثل تمرد الجيلالي الزرهوني "بوحمارة" وبيعة مولاي عبد الحفيظ وحصار مدينة فاس. ومثل هذا الكتاب، حسب مؤلفه، عملاً توجيهياً، إذ اعتبر نفسه مرشداً للناشئة المغربية يقدم لها إطاراً للعمل من أجل النهوض، فنصح بالتعليم لتحقيق هذه المهمة، وعرض في هذا الكتاب تصوراً متكاملًا عن المعارف العصرية التي يجب اكتسابها، حاثاً على إجبارية التعليم، مفصلاً في ترتيب المدارس وبرامج القراءة والفنون، بما لم يسبق له أي مؤلف مغربي آخر.

وحض في إطار دعوته إلى الإصلاح الاقتصادي على الاستغناء عن الأجانب في الحاجات الضرورية واستهلاك المنتجات المغربية ممزاً بين التجارة السلبية والتجارة المربحة، مقدماً مجموعة اقتراحات بشأن إزالة الخلل في الميدان الاقتصادي. وناقش في هذا الكتاب مفهومي الحرية والمدنية والشبه الناشئة عن الفلسفة الحديثة.

ومن مؤلفاته المخطوطة "زبدة التاريخ وزهرة السماريح"، في أربعة مجلدات، و"تسهيل المطالب لبغية الطالب"، وهو شرح لمنظومة الإمام الغبريني، المسماة "بغية الطالب في ذكر الكواكب"، ويضم تراجم عدة أعيان من أشرف وعلماء وأعيان غريس في القرن العاشر (16 م)، وخلف محاضرات في التاريخ وعلم الاجتماع كان يلقيها في نادي الطلبة بفاس. وديوان شعر، نشرت منه بعض القصائد في عدد من الكتب.

توفي بفاس يوم الأحد ثالث وعشري حجة عام 1344 / 4 يوليو 1926، ودفن بقدان الغريا - قرب قبة الشيخ علي ابن حرزهم خارج باب فتوح.

م. السليمان، اللسان المغرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب، ط. الرباط، 1971؛ زبدة التاريخ وزهرة السماريح، 4 أجزاء؛ م. الحجوي، الفكر السامي، ط. المدينة المنورة، 1397 / 1977، جزآن؛ ع. الله الجبراري، التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين، جزآن، الرباط، 1406 / 1985؛ خسر الدين الزركلي،



نقل وتكرار ما جاء في "الإفادة" بصددهم. ولا سبيل إلى معرفة المسالك التي تسللوا منها إلى بدعتهم، وهل ينتمون إلى أهل التصوف أو غيرهم من الطوائف التي تنوعت مشاربها وتعددت اتجاهاتها على عهدهم ومن قبلهم، في المغرب وفي غيره من بلاد الإسلام؟ وهل الاتفاق في اللقب الواقع عليهم وعلى بعض الفرق المشهورة مثل السليمانية شيعة سليمان بن جرير، والذين يعرفون بالجريرية أيضاً، يسوغ القول بوجود جامع ومثابرة أوجبت إطلاق لقب هؤلاء الراضية عليهم؟ أم أنهم على حالة غير حالتهم؟ وهل نحللتهم - كما رجح المجاصي - مطلق بدعة وتهاون في الدين؟ وتجدد الاهتمام بالسليمانيين خلال القرن الحادي عشر (17 م)، لكن في سياق لا يمت بصلة لتاريخهم. وذلك في مناسبتين، وإن تباعدتا في زمانهما، وتعارضتا في قصدهما، إلا أنهما تتفقان في توظيف وإسحام خبير السليمانيين في تاريخ طائفة أخرى نشأت بالمغرب خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م)، واتهمت في نهايته بالإباحتة والجمع بين النساء والرجال. والطائفة المقصودة هي اليوسيفية التي تفرعت عن الطريقة الراشدية، واتهم شيعتها بالغلو في محبة الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 931 / 1524) صدر الطبقة الزروقية الأولى، وأن غلوهم ترتب عنه القول بالإباحتة. وقد عرفت هذه الطائفة بتسميات متعددة، منها ما ارتضاها أتباعها لأنفسهم مثل اليوسيفية والأحمدية والملاينة، ومنها ما أطلقها خصومهم عليهم مثل البضاضة والشرافة والعكاكرة أو العكازين.

وتعود المناسبة الأولى إلى مطلع العقد الثاني من القرن الحادي عشر (17 م)، وبالضبط عام 1012 / 2-1603 الذي يؤرخ لنشوب الخصومة الشديدة بين الفقيه الثائر أحمد بن أبي محلي (ت. 1022 / 1613) وصهره عبد القادر بن محمد بوسماحة المعروف بسيدي الشيخ (ت. حوالي 1030 / 1641)، ومؤسس الطائفة الشيخية، ولما أصبحت بدعة اليوسيفيين تهمة تلقى لمن نظمت بينه وبينهم صلة من الصلات، وصلة الشيخين بهم وثيقة. فهم اخوانهم في الراشدية، وشيخهم أبو سماحة تلميذ الشيخ محمد بن سليمان السهيلي (ت. 936 / 1530) أحد كبار تلامذة الشيخ أحمد بن يوسف. فقد استخدم ابن أبي محلي هذه التهمة ضد صهره وشيعته الذين جعلهم يؤولون في بعض صورهم إلى نحو ما عليه اليوسفيون، وقال باستباحتهم الزنى وسفك دماء المسلمين. وأوصل حبلهم أيضاً بالطائفة السليمانية التي تهمتا، وفي هذه الصلة إشارة إلى جامع صريح وهو الاشتراك في النساء، وفيها تلميح إلى مثابرة مضمرة وهي المواطأة في اللقب الواقع على الطائفتين، إذ يعرف أولاد سيدي الشيخ بأولاد سيدي سليمان أيضاً.

وإذا كنا لا نعرف سليمان الذي نسب إليه معاصرو الفقيه أبي يعقوب المحساني، فإن اسم سليمان قد تعدد في أجداد الشيخ عبد القادر السماحي. فأول من انتقل من

أسلافه البكريين من الحجاز إلى المغرب، وذلك أواخر القرن الثامن (14 م) أو أوائل القرن الذي يليه، يعرف بمحمد بن سليمان العلي. وجده المباشر اسمه أيضاً سليمان بن بوسماحة، وهو جد أولاد سيدي الشيخ كافة، وهو يعد من كبار صحب الشيخ أحمد بن يوسف، ومن أعلام الطبقة الراشدية الأولى التي ينتمي إليها شيخ حفيد سيدي الشيخ. وكما اشتهر اسم سليمان في عمود نسب الشيخ عبد القادر السماحي حتى عرف حفدته به، فإن نفس الاسم قد سلف في آباء بعض مشايخ الطبقة الراشدية الأولى: فشيخه السهيلي ينسب إلى سليمان، وقد يكون والده أوجده. كما يعرف مؤسس الطائفة اليوسيفية بعمر بن سليمان، وهو مذكور الاسم في السيرة المبكرة والمفردة في الشيخ أحمد بن يوسف غداة انتصاف القرن العاشر (16 م). ويجعله مؤلف هذه السيرة من كبار الطبقة من صحب الراشدي، ومن المقربين من أتباعه الذين كانوا يقضون الليل في بيته، وذلك في قرية مصراتة المجاورة للقلعة من البلاد الراشدية. ودأب اليوسفيون، أباً عن جد، على ذكر شيخهم بهذا الاسم حتى مطلع القرن الرابع عشر (20 م) وهذا وجه آخر من وجوه التداخل بين تاريخ الشيخين اليوسفيين، ومن مسوغات القول بمآلهم إلى السليمانيين تسمية ونحلة.

وتمت المناسبة الثانية عام 1080 / 69-1670 الذي شهد محاكمة اليوسفيين في خلافة السلطان المولى الرشيد، وجاءت في الأجوبة المحررة في نازلتهم من قبل قاضي الجماعة بفاس الفقيه محمد بن الحسن المجاصي. وقد ذهب فيها إلى القول بردة اليوسفيين، وساق من جملة الشواهد لصحة هذا الحكم الفتاوى التي أصدرها فقهاء القرنين السابع والثامن (13 و14 م) في العكازين شيعة المهدي بن تومرت، لمواطأة لقبهم للقب العكاكرة التي اشتهر به اليوسفيون وأواخر القرن الحادي عشر (17 م)، وأقدمها فتوى الفقيه المحساني. ولما كانت الطائفة الثانية المنبه عليها في هذه الفتوى هم السليمانيون كما أسلفنا، فقد اهتبل المجاصي بالجامع بينهم وبين اليوسفيين في الجمع بين النساء والرجال، وقال إن نحلة هؤلاء هي نحلة أولئك تحقيقاً، وإن زاد أصحاب النازلة خبائث آخر كترك الصلاة والصيام وأكل الميتة. ولم يكنف المجاصي بفتوى المحساني وحدها، بل تتبع النقل عنها عند كل من الأنفاسي والتتائي، وجمع النقل المتفرقة في الشروح التي صنفا، والتي تواتر بها ذكر السليمانيين خلال القرون السابع والثامن والعاشر (13 و14 و16 م).

ويحتمل تاريخ السليمانيين سياقاً يتسع عن سابقه من قبل ومن بعد، ويفيض عن زمان وجودهم في المائة السابعة للهجرة، وزمان استحضارهم في المائة الحادية عشر للهجرة. وهو سياق التحل التي تواضع المحدثون على تسميتها بالمراسيم والشعائر الجنسية، والمتواترة في مصادر تاريخ المغرب من عهد القديس أغسطين (ت. 430 م) إلى هلم جرراً. م. المجاصي، نوازل، ط. حجرية، فاس، 91، 95، 111، 112، 125:

م. المنوني، *ورقات*، 245، 247، 255؛ إسماعيل العربي، *معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، الدار البيضاء، 1993، 213، ع. نجحي، التصوف والبذعة بالمغرب، 381.*

J. Berque, *Ulémas*, 56-65.

عبد الله نجحي

**السليثي أو السلويون أو السلاطيون** نسبة إلى نهر سلا (أبي رقراق) ويذكرهم جغرافي رافينا تحت اسم ساليثيس (Salensis). وكلمة السليثي قريبة من كلمة السلاطي (Salathi) الذين يضعهم بطليموس في ليبيا الداخلية. بينما يضع بليمنوس الشيخ مواطنهم شمال الماساتيين الذين كانوا يستقرون على مشارف نهر ماسة في الجنوب من جبال الأطلس. كما تم العثور على كلمة ساليثيس في نقاش لانيثية بفوروم موقع سلا (شالة). نشر بعضها جيروم كاركوينو والبعض الآخر لوي شاتلان. وبما أن بطليموس يذكرهم جنوب (الأمازيغ) والقيريبيكي، فمن المحتمل أن نحدد مواطنهم حول موقع سلا (شالة) وضاف نهر سلا. إلا أنه يبدو أن القسم الأكبر من أبناء القبيلة كانوا موجودين خارج النفوذ الروماني، وأن مجالهم فلاحي مما جعلهم عرضة لهجمات الأوطولول حسب بليمنوس الشيخ. هذا والمجدير بالإشارة إلى أن كاركوينو حاول أن يحدد مواطنهم في نواحي سبتة اعتماداً على افتراض يدعي فيه وجود مدينتين تحملان نفس الاسم أي سلا. إلا أنه مستبعد مادام ليس هناك ما يؤكد.

م. أعشي، *العلقات السياسية والعسكرية بين المور والرومان في موريطانيا ما بين 140 و285 ميلادية، د. د. ع. الرباط، 20 / 06 / 1980، الفصل الثاني.*

Proleméc, *Géographie* ; Plin L'Ancien, *H. N.*, V, 17 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, 1943 ; L. Chatelein, *Le Maroc des Romains*, Paris, 1968 ; R. Rogei, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1929 ; J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962.

مصطفى أعشي

**سماتة**، إحدى قبائل منطقة الهبط، تنحصر أراضيها الجبلية بين مجرى واد المخازن من جهة الشمال حيث تمتد أراضي بني عروس وتنتهي حدودها الغربية عند جبل بني كرفط، تقف عند حدودها الجنوبية قبيلتنا بني يسف وأهل سريف. وتشغل أراضيها تجمعات الشناتفة وشفراوش وكدية الحيط وزعرورة وسيدي مزوار وبوحمصى والرميلات.

يرتبط تاريخ القبيلة وتعميرها بالانتشار الإدريسي إثر انتهاء ملكهم بفاس، فهي التي تلقت أولى الهجرات الإدريسية بالشمال الغربي المغربي، باستقرار سيدي مزوار، أحمد بن علي حيدرة بن محمد بن إدريس بجيل الحجر، وما تلا بعد ذلك من تأسيس قلعة حجر النسر بأرضها في حدود سنة 313، وخوض الحرب الأولى مع موسى بن أبي العافية ما بين سنوات 317، 321. ثم ما كان من حرب ثانية على يد

الحسن بن كنون ضد التدخل المرواني الأندلسي بالمغرب ما بين 360 و375 وما آل ذلك إلى الصراع على القلعة الإدريسية السماتية.

لم تشر كتب الجغرافيا للعصر الوسيط الأول ولا حوليات ابن حيان الأندلسي إلى اسم سماتة، مما أدى إلى خلو المصادر التالية من الاسم، مكتفية بالإشارة جميعها إلى قلعة الحجر كنقطة سكانية حربية. وأغلب الاعتقاد أنها مثل جاراتها القبائل الجبلية المحيطة بها، كانت في طريق التكوين والوحدة الجغرافية، إلى أن عرفت تجمعاتها باسم سماتة، وذلك قبل القرن الثامن الهجري، ودون أن تعرف سبب ذلك وعلاقته باسم سباطة الواقعة بناحية تونس حسب الوارد عند البكري. وثبت في منتصف القرن الثامن الهجري أن جماعات سماتية كانت يحوز غرناطة على عهد أبي الحسن المريني، منتظمة في جيش النصريين من بني الأحمر.

وكيفما كان الأمر فإن اسم القبيلة كان بارزاً في القرن العاشر (16 م)، وحدود القبيلة ومواقع تجمعاتها معروفة بأسمائها لدى برتغاليي أصيلا وطنجة. غير أن الحسن الوزان ورديفه مارمول كاربخال لم يعرفها بسماتة مثلما سلكا مع جارتها قبيلة بني عروس. وتبدأ المعلومات التي لدينا بما قدمه بيرناردو رودريكييس البرتغالي، صاحب حوليات أصيلا، وهي تخص غزوات جنود أصيلا البرتغاليين للقبيلة، ذلك أن حاكم أصيلا نظم نحو القرية غارتين خلال سنة 1519، كانتا من نصيب قريتي تولا وخربة الشناتفة على سفح جبل سريخ. واغتنم الحاكم مرة أخرى فرصة غياب السلطان أحمد الرطاسي لمحاربة محمد الشيخ السعدي في مايو 1526 لتنظيم حملته الأولى على سماتة، بتوجيه من المنتصر ضيوغو دي سلفيرا الكرفطي في اتجاه قريتي وارموت والهوتة. والمعروف لدينا أن حاكم أصيلا عاد إلى الغارة على أرض سماتة في غشت سنة 1529 عبر طريق قب النيش بإرشاد من المنتصرين أرتور رودريكييس وأنطونيو سلفيرا. ولم تنج قرية عين بيضا من هذا الغزو. ونظراً لما جمعه البرتغاليون من سماتة من رؤوس الماعز البالغ عددها خلال جميع الغارات نحو 2000 رأس فإنهم أضافوا إلى اسمها كونها بلد الماعز.

وتعرف من السماتيين الشيخين سيدي مالك، جد الشرفاء الحراقيين وعمر الشنتوف المشارك في معركة وادي المخازن، وإليه تنسب اليوم فرقة الشناتفة. وتعرفنا أيضاً منها على كاتب السلطان محمد بن عبد الله المدعو محمد السماتي.

ولم يتعرف مخبر مولييراس على قبيلة سماتة، نتيجة عزلتها في داخل المنطقة. وحسب الروايات الشفوية المحلية المنتمة إلى القرن الثالث عشر (19 م)، منها ما قصه عالم سماتة السيد عبد السلام حسون سنة 1880 من أن القبيلة السماتية كانت في حرب دائمة مع جاراتها قبائل بني يسف والأخماس وبني عروس وآل سريف وبني زكار بسبب الحدود، مما ترتب عنه تحالف هذه على أخرى. ومن ذلك حربها مع بني يسف وحليفها الأخماس على قرية الحرشة.

واشتهر بسماتة معاهد للدراسات الفقهية خلال أواخر القرن الثالث عشر وبداية الموالي له، منها معهد عين بيضا الذي كان على رأسه الشيخ أحمد بن يرمق الذي تتلمذ عليه عدد من فقهاء الريف الشرقي، والمرابط أحمد التلمساني. وحسب مصادر فترة الحماية قبل سنة 1936 أنها تكونت من ثلاث فرق وهي شنانقة والحيط وسيدي مزوار، وبلغ عدد دورها نحو 700 دار، أي ما يعادل 3500 ساكن. وقد عدت سماتة من الجهات ذات الخطورة على الزحف الإسباني في نطاق إخضاع قبائل جباله، ووصلت إليها القوات الإسبانية يوم 6 مايو 1921.

ابن خلدون، العبر : ح. الفكيكي، المقاومة المغربية للوجود الأجنبي بالشعر النسالية الغربية، أطروحة مرقونة، الرباط 1991 : م. عمراني، الشرف والمجتمع والسلطة السياسية، أطروحة مرقونة، الرباط، 2001 : ع. المنصوري، العلاقات المغربية البرتغالية، أطروحة مرقونة، الدار البيضاء، 2001 : معلمة المغرب : المريني العياشي، صور من التاريخ البطولي لمنطقة جباله : ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية، تطوان، 1951.

Geografia de Marruecos, t. 2, Madrid, 1936 : B. Rodrigues, Anais de Arzila.

**السماتي، أحمد بن المكي اليرمقي،** من أولاد بني يرمق السماتيين القاطنين بمدشر عين بيضا، فقيه وإمام الأئمة وشيوخ علماء جباله وغمارة والريف. لا نعلم عن بداية أمره سوى أنه ولد وعاش بقريته "عين بيضا" بين أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر (19-20 م) اعتباراً لكون شيخه الفقيه عبد الله بن الحاج علي زيطان الخمسي كان حياً سنة 1285 / 1865. ويمكن أن نساير امتداد حياته من خلال روايات عدد من تلامذته الغماريين والريفيين خاصة، بدءاً من الشيخين علال التانوتي القلعي والحاج محمد التوزاني سابق الترجمة، وذلك قبل سنة 1909. كما أن القاضي حمو بن محمد الشكري القلعي أتى الترجمة درس عليه ما بين سنة 1915 و1919 على أقل تقدير، وكان آنذاك شيخاً وقوراً في نظر الفقيه الشكري. وستكون النتيجة المستخلصة من كل ذلك أنه كان في مستهل العقد الثالث من القرن العشرين مازال على قيد الحياة، معاصراً للزحف الإسباني الاستعماري على قبيلته واحتلالها يوم 6 مايو 1921.

يرسم اتصال أحمد بن يرمق بالشيخ عبد الله بن الحاج علي زيطان من أحياء سنة 1285 / 1869، أولى خطوات رحلته الدراسية، وذلك بمسجد لهري الكرفطي، ثم تابع الدراسة بقبيلة بني يدر، حيث تتلمذ على الشيخ أحمد شتوان بمدشر اشتوغة، وعلى الفقيه السرحاني اليديري. توجه أحمد السماتي إلى فاس ودرس بالقرويين على محمد بن المدني غنون، (ت. 1326 / 1909). ومنه نعرف أن إقامته بفاس كانت قبل هذا التاريخ، إذ من الثابت أنه كان بسماتة مشتغلاً بالتدريس سنة وفاة شيخه، حسبما نعلمه من رواية تلميذه علال التانوتي ومحمد التوزاني.

وكانت إقامته بفاس مناسبة لتوثيق الصداقة مع الشيخ ماء العينين، (ت. 1910) مما حمله على زيارته بعد ذلك بزواية أسمارة في العقد الأخير من القرن الثالث عشر (19م)، إذ أن بناء المدينة والزواية بدأ حوالي سنة 1885، ثم بالشريف المهدي بن محمد الوزاني (ت. 1342 / 1924)، صاحب النزول الكبرى والصغرى.

عاد أحمد السماتي إلى وطنه بسماتة متشبعاً بفكرة تأسيس المراكز العلمية فشرع في إحداث عدة مجالس دراسية بمساجد المنطقة، مثل مسجد طردان ببني عروس ومسجد أورسوت ببني كرفط وعين بيضا بسماتة. والمشهور عن مداشر سماتة، الشرفاء الأدارسة بالشمال، أنها كانت تتيارى منذ القديم في مجال الشرف واحتضان المراكز العلمية كغيرها من قبائل الشمال الغربي المغربي، حتى إنه يكاد يكون لكل مدرس رئيسه العلمي ودليل شهرته ونوع أبنائه، مثلما أصبح المترجم عالم ومدشر عين بيضا، فقد عرف أنه هو الذي استغل جامع مدرسه لتأسيس معهد لدراسة العلوم الفقهية واللغوية، ليكون منه مركزاً ثقافياً مشهوراً في آخر القرن الثالث عشر والنصف الأول من الموالي له.

ومدشر عين بيضا السماتي، أصغر مداشر فرقة سيدي مزوار، واقع على السفح الشمالي من جبل الخلوة، يقابله من جهة الشمال السفح الجنوبي من جبل الصريح. كان المدشر في عصر الشيخ أحمد السماتي صغيراً لم يتجاوز عدد دوره الثمانية والعشرين داراً أو أسرة، وهو ما يعادل مائة وأربعين نفراً غير أن شهرته تجاوزت المنطقة بفضل ظهور شيخ العلم السماتي.

وعرف عن هذا الشيخ أنه كان ضليعاً في مختلف الفنون والعلوم، واهتم إلى جانب ذلك بضبط التوقيت بالمساجد، فلم يجد فرصة لتلبية حاجات الناس أفضل من الإشراف على صناعة الساعة الشمسية في كل مسجد حل به لإقامة الخطبة. ويروى عن الشيخ أنه كان يتقن كل علوم عصره حتى ما يتعلق بالموسيقى، وممارسة القضاء، والإفتاء بالإضافة إلى التدريس الذي كان عمله الأساسي الدائم بالمساجد الكبرى بجباله.

وقد شهد تلميذه الفقيه حمو الشكري أتى الترجمة في نهاية العقد الثاني من القرن العشرين أن المسجد كان معروفاً في أوساط جباله بمعهد ابن يرمق، وعن تدرسه، قال : "يدرس الفقه كالشيخ خليل والتحفة ثم البلاغة والمنطق والنحو، وكان سلس العبارة ميالاً إلى الإطناب" وحسب نفس الرواية كان "قوي الشخصية طويل النفس في الجمل، يحث على الاستقصاء في البحث والتعمق في الدرس والصبر على الرجوع إلى المراجع".

نعرف من طلبته بالشمال الغربي كلا من عبد السلام بن الطاهر الشاوي المتوفى عام 1910 ومحمد العمراني المجلاوي المتوفى 1933، وهو من قرية ميجلاو المنتسبة إلى قبيلة الساحل الشمالي وأحمد بن عبد السلام الحراق (ت. 1344 /

**السماحي، أبو بكر** بن محمد بن المحجوب السلاوي، شارك في الحركة الوطنية بسلا مشاركة فعالة، فكان أمين مال جمعية المحافظة على القرآن الكريم بسلا. وسهر سنة 1933 على تنظيم أول حفل لعيد العرش بالمغرب غير متهيّب لما يتوقعه من ردود فعل سلطة الحماية، ولا تعقبها فيما بعد للنشاط التجاري للعائلة وعرقلتها، ولا الحسارة المادية التي ستلحق المنسوجات التي رصدها للحفل والزينة ذلك اليوم.



لم يتوقف أبو بكر عند ذلك، بل زاده نجاح تظاهرة عيد العرش عزمًا وإصراراً على المضي قدماً في حقل الكفاح الوطني، وتقبل التضحيات بشأنه.

دخل أبو بكر السماحي السجن بسبب نشاطه السياسي سنة 1936 و1937 و1944. وكان أحد الثلاثة بالمدينة الذين اعتقلوا في الوطنية ثلاث مرات متتالية، وبعد الاستقلال ولى وجهه شطر الوظيفة فالتحق بالتعليم وللضرورة أحكامها. إلى أن وافته المنية سنة 1413 / 1993 عن سن تناهز الثانية والثمانين سنة.

ونائق عائلية، تعرفت بحضرة.

محمد السماحي

**السماحي، عبد القادر** بن محمد بن سليمان الفكيكي الشيخ الصوفي المدعو بوسماحة نشأته الأولى غامضة، وربما كان ظهوره حوالي سنة 940. ومن المؤكد أن جده سليمان تعهده واعتنى بتربيته وتثنته، بدأ بحفظ كتاب الله، ثم أسلمه إلى الشيخ المنصور محمد بن عبد الجبار على أساس التأهيل للانخراط في سلك التصوفة، لكن محمد مات، فخلفه على كرسي التحصيل ولده أبو القاسم، وعنه أخذ المترجم صحيح البخاري ومسلم وشفاه القاضي عياض وبعضاً من النحو والأدب.

ونقلًا عن أحمد ابن أبي محلي، فإن السماحي قضى شطراً مهماً من حياته بفكيك بينما قضى الشطر الباقي متنقلاً بين مختلف مدن ومدائر الجنوب الشرقي كبو سمغون، وبنى عباس وگورارة، وأبيض سيدي الشيخ، وبهذه الأخيرة كانت آخر أيامه ووفاه بها الأجل.

وتقول الكاتبة الفرنسية Anne Levinck في مذكراتها

(1925) والفقير الدغاي من بني يسف المتوفى عام 1958 والفقير العبد العروسي والفقير المزلدي ومحمد بن عبد السلام بن أحسان الصروخ الكرفطي والفقير محمد النخشة (ت. 1351 / 1932). ومحمد الناصري والفقير الحاج عبد السلام المرابط (ت. 1985). ومن درس عليه من طلبة الريف الشرقي مجموعة من فقهاء، منهم الشيخان محمد التوزاني وعلال التانوتي والفقير القاضي حمو بن محمد الشكري والفقير قاضي القضاة محمد ابن عبد الله التوزاني شرقي (ت. 1937).

ومن الآثار المكتوبة التي تُذكر له : شرح على قصيدة ابن بري في القراءات، وآخر على مقدمة ابن أجيروم وثالث على أرجوزة المفتح، وكلها مفقودة إلى حد الساعة.

وبمسجد عين بيضا بقي الشيخ أحمد السماحي يدرس إلى وفاته في تاريخ لم يتحقق بعد، مع الترجيح أن يكون التاريخ المحدد هو سنة 1339 / 1921، ودفن في زاوية من المسجد بجانب ولده سيدي الأمين، الشهيد ضد الاستعمار الإسباني بمعركة سيدي اليماني.

ع. الحى الكتاني، فهرس الفهارس، بيروت، 1982 : الميرني العياشي، صور من التاريخ البطولي لمنطقة جبالة : م. الهبطي المواهي مفتون منسيون بعمارة وشفشاون، الرباط، 2000 : م. بن عبد الرحمن بن خليفة، أعلام القصر الكبير، طنجة، 1994 : ع. الصمد العشاب، أحمد بن المكي يرماق : حمو بن محمد الشكري، تقييد : م. بن حمو البنيحياتي، مذكرات مرقونة : ع. الله عاصم، العلامة محمد التوزاني، الرباط، 1999، معلمة المغرب، ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليجية، تطوان، 1952. Geografia de Marruecos, I, 2.

حسن الفكيكي

**السماحي، أسرة** سلوية أصلها من قبيلة بني مالك المتفرعة عن قبيلة بني هلال العربية، لذلك يُوجد آل السماحي اليوم ببلاد المشرق وبالمغرب الكبير.

نزل بنو مالك ببلاد المغرب، على مقربة من حد كرت، وإليها ينتسب آل السماحي الذين دخلوا إلى مدينة سلا، في أواخر العهد السعدي، ويعرفون بأل السماحي المالكي الزياني، تمييزاً لهم عن غيرهم الذين يختارون التسمية أسما شخصياً فقط، يضيفونه إلى أسانهم العائلية، تمييزاً لهم كذلك عن أبناء عمومتهم بالمغرب، الذين يسمونهم الزيانية ! وقد كانوا أهل علم وتقوى وزهد، آخر عالم منهم الفقيه السيد عبد الله السماحي الزيوني، تولى القضاء على عهد السلطان الحسن الأول، وتوفي قبل الحماية وعاصره في سلا ابن عمه المحجوب السماحي.

يعتبر المحجوب بن الحاج محمد بن الحاج الطاهر السماحي من حفدة المجاهد السلوي محمد العياشي، كما أكد ذلك المؤرخ محمد بن علي الدكالي لابن المحجوب الأصغر أحمد السماحي، وقال له : إرائتكم عندي، وكذا رسم ملكية المجاهد العياشي للسانية، مقر مدرسة أبناء الأعيان بالسور. (مدرسة مولاي المكي العلوي حالياً).

التي دونتها في كتابها *L'Oasis de Figuig, revue géographique* سنة 1884، سيدي الشيخ ولي صالح عاش في القرن (16 م) كان معروفاً في التل والصحراء، أسس زاويته في قصر بالغرب بالبيوض. وفيه مات حوالي سنة 1614 كانت له سبع نساء، أنبلهن من عذراوات فجيح، خلف 14 ولداً، وبعد وفاته بنيت له قبة (ضريح) وكانت مقدسة ومعظمة من طرف سكان القصور. كانت لهذه القبة نهاية مأساوية وأهنية سياسية غير منتظرة ولا متوقعة، فبعد تدميرها من طرف الجنرال Negrimier سنة 1881 أعاد بناءها الجنرال Thomassin بالرغم من رفض سكان الجزائر الفرنسيين...

بعد هذه الإشارات تنتقل الكاتبة الفرنسية إلى نقطة أخرى وتقول "والذي يهنا هنا هو أن بوعمامة من سلالة سيدي الشيخ والذي ينتمي إلى أكبر أسرة بالجنوب الغربي، وبحكم تعدد زوجاته أصبحت له علاقة مصاهرة مع السلطان المغربي عبد الرحمن"...

وبالرجوع إلى ما كتبه ابن أبي محلي نستفيد بأن مترجمنا السماحي، كان يتمتع بشهرة واسعة في المنطقة الشرقية وأن زاويته التي ما تزال إلى يومنا هذا بفجيح في مكان يسمى أجدل شرق الحمام الفوقاني كانت مورداً مورداً يغص بالمريدين الذين خلدوا اسمه بأمايح لازالت محفوظة بين ثنايا المخطوطات في الخزانات العامة والخاصة، ومن بين الذين مدحوه شعراً ونثراً ابن أبي محلي نفسه.

ولكن في نفس الوقت نلاحظ بأن العلاقة بين الشخصيتين انقلبت من المودة والصفاء إلى العداوة والحفاء والهجاء، فابن أبي محلي الذي خلع على السماحي حللاً سندسية من أرفع الصفات وأنبل الشيم، قلب له ظهر المجن. وزماه بكل ساقطة وفاسدة وألف كتباً ومقالات تحمل من التشنيع عليه والتعريض به، ما يكفي لأن يجعل من السماحي خزيبا ظاهر العار. ومن الواضح أن هناك دوافع وأسباباً جعلته ينقلب على السماحي، وحسب ابن محلي فإن المترجم حاد عن طريق الهدى واتبع هواه وارتكب ما يوجب جب الأنف وذاقة الحنث.

ولكن، رغم هذه الثورة، وهذه النعوت والأوصاف، فقد ذاع صيت السماحي. وامتلات بذكره بقاع المنطقة الشرقية الجنوبية، ولا تزال العامة تحتفظ ببعض أخباره، وترد على مقامه بالحمام الفوقاني وفود الزوار من العائلات والأسر تبركا به، بينما يردد الناس في ضريحه بالنراب الجزائري ببيض سيدي الشيخ، كل جمعة قصيدته المشهورة التي تعرف تارة باسم السلسلة وتارة أخرى باسم الياقوتة وهذا الاسم الأخير أشهر بين الناس. وقد نظمها لينخرط بها في سلك المتصوفة الأبرار والأولياء الصالحين الأخيار، معارضا تائبة المتصوف الشهير الشيخ عبد القادر الجيلاني. والمعروف عنها أنها من الطوال تتجاوز 160 بيتا ومطلعها :

بدأت بحمد الله قصدا لنجح ما

أروم من افتتاح نظم قصيدتي

ومن المعروف أن ابن أبي محلي طعن في هذه القصيدة واعتبرها منحولة عليه من طرف أحد تلامذته.

وحسب المخطوط السابق الذكر يشير نقل ذيل به في الصدر الثاني بأن السماحي كان ثريا له 18 ناقة لا تخدم إلا للزاوية، وكان له أصول في فكيك أجنة وماء، كان له 80 جانا ومن الماء 60 خروبة (والخروبة ساعة مائية تساوي 43 دقيقة).

توفي يوم الجمعة ثاني جمادى الثانية عام 1025 / 17 يونيو 1616.

أ. ابن أبي محلي، الإصليت، الفصل الأول، مخطوط : سم ساعة، مخطوط : الفسطاس، مخطوط : مهران، مخطوط : م. الإفرائي، صفة، طبع حجر فاس، د. ت.

لالى مصطفى

**السماد** ربما أمكن تقريب معنى التسميد من التسمين، حرفا ومعنى، وعليه يصير أقرب ما يكون إلى معناه بالإفرنجية، الذي يفيد الرفع من المقدور التغذوي للأتربة. ومعلوم أن الأتربة تضم أصلا عناصر غذائية، تنحدر بها انطلاقا من مكوناتها العضوية والمعدنية. وقد دعت الرغبة في تقوية المردود الزراعي إلى استعمال التسميد المعدني. لذلك نلاحظ تعاطف صناعة موازية في ميدان إنتاج الأسمدة. تحتاج الزراعات إلى ستة عشر من العناصر الغذائية الأساسية، ومنها الأزوط والفسفور والبوتاسيوم التي تعتبر عناصر كبيرة أو جوهريّة، يحصل استهلاكها بمقادير أكبر. أما العناصر الدقيقة (الحديد، المنغنيز، البور، النحاس، ...) فيكون تقديمها بمقادير خفيفة. بل وإن الجرعات المطلوبة منها أقرب ما تكون من جرعات التسميم النباتي. لذا وجب التزويد بهذه العناصر على أساس من الدقة يحترم متطلبات الزراعة المعتبرة والمعطيات التحليلية للتربة.

أصناف الأسمدة الأكثر استعمالا من أجل التزويد بالعناصر المغذية الأساسية هي : سلفات الأمونيوم، نترات الأمونيوم، ثلاثي الفوسفات الممتاز، فوسفات أحادي الأمونيوم، سلفات البوتاسيوم وأسمدة أخرى مثلثة التركيب (N-P-K) كما هو الشأن بالنسبة لتركيبية 14-28-14. تصاغ جل هذه الأسمدة في شكلها الصلب وحسب فئات حبيبية مختلفة. توجد كذلك أسمدة سائلة، بغرض الاستعمال الورقي.

من الملاحظ أن تنامي اللجوء إلى تقنية السقي التسميدي، التي تقتضي الاستعمال المختلط للأسمدة مع ماء السقي، قد سمحت باقتصاد السماد وتقسيم التزويد به. كما نتج عن هذا التعاطي تطوير أشكال أخرى من السماد متلائمة مع الذوابية السهلة والسريعة.

يتم تحديد المقادير الواجب تقديمها ومختلف فترات التزويد بالنظر إلى معطيات تحليل الأتربة، التي تعبر عن المستوى الراهن للخصوبة، وكذلك حسب الصيغة الزراعية المزمعة والمردود الاقتصادي المنتظر.

عرف الاستهلاك السنوي للأسمدة (N - P - K) بالمغرب تزايداً يادي السرعة منذ "عملية الأسمدة" التي دعمت مكانة هذه المواد عند المزارعين. ويناهز الآن 700.000 طن الموافقة لحوالي 350 000 طن من العناصر الغذائية (N+P<sub>2</sub>O<sub>5</sub>+K<sub>2</sub>O). والواقع أن استهلاك الأسمدة، باعتبار وزن الوحدات المخصصة (N+P<sub>2</sub>O<sub>5</sub>+K<sub>2</sub>O)، قد عسرف تزايداً هاماً ما بين 1980 و1990.

لكن حصل بعض التراجع في الاستهلاك بعد هذه المرحلة نظراً لضعف التساقطات المطرية المسجلة خلال المواسم المذكورة. وقد هم التراجع بصفة خاصة تسميد الأساس، إذ يتجنب الفلاحون الاستثمار في تسميد الأساس الذي يوافق بداية الموسم، ولا يتدخلون من أجل تقويم المردود لا عندما تتضح ملامح السنة المطرية في الاتجاه الإيجابي، وذلك بالقيام بتسميد التغطية بواسطة المواد الأروطية.

أما بالنسبة لاستهلاك الزراعات، فيبلغ المعدل الإجمالي 45 كلف (N+P<sub>2</sub>O<sub>5</sub>+K<sub>2</sub>O) /هكتار، وهو قسدر شديد التواضع. إلا أن هذا الاستهلاك يعرف تفاوتاً هائلاً عبر المجال الجغرافي، إذ يتم استعمال 58٪ من الوزن الإجمالي للأسمدة على مستوى الأراضي السقوية التي لا تمثل إلا 10 إلى 12٪ من الأراضي الزراعية، مقابل 42٪ في أراضي البور التي تحتل 90٪ من أصل المساحات الزراعية النافعة.

كما يتفاوت الاستهلاك حسب الزراعات، حيث تستعمل قسابة 32٪ من الأسمدة من طرف الحوامض والزراعات السكرية وزراعات البقول التي لا تهم إلا 5٪ من المساحات المنزرعة، وجلها بالمجال المسقي. وعلى النقيض، فإن زراعات الحبوب التي تشمل 76٪ من الأراضي الزراعية لاستهلاكها 40٪ من المقادير الإجمالية للأسمدة.

معلوم كذلك أن فائض التسميد، غير المستعمل من طرف المزروعات، يمكن أن يتسبب في خلق التلوث. من ذلك أن الفسفور والأزوط، المنقولين على شكل شتيت أو محلول، يعرضان مياه السطح إلى التآجين، أي إلى رفع تركيزها من المواد الغذائية. أما في حالة الأزوط، فإن الزائد يتحلل إلى عمق التربة متسبباً في التلوث النيتري للمياه الباطنية.

ومن جهة أخرى، وعلى مستوى التسويق، فإن الأسمدة بالمغرب تعرف ثلاثة مسارات تجارية وهي البيع المباشر من طرف شركات الأسمدة، البيع لدى الوسطاء المرخصين، والبيع عبر شركات الإنتاج.

عرف القطاع ما جرى على غيره من إجراءات التطبيع. ذلك أنه، ابتداءً من يوليو 1990، وفي إطار التقلص من تدخل الدولة وسياسة التقويم الهيكلي، قررت السلطات العمومية تحرير استيراد وتسويق الأسمدة. وتبعاً لذلك، تكاثرت عدد المتدخلين فأصبح لزاماً تنميط الأسمدة من أجل ضمان جودة المنتج الذي يباع للفلاحين.

في هذا الإطار، باشرت هيئة وزارية إعداد نص تنميط الأسمدة بالمغرب. يضم النص 26 مواصفة، تم نشرها في الجريدة الرسمية. وتشمل المواصفات المصطلحات المستعملة في الموضوع، التصنيف، التكييف، ومناهج تكوين العينات وإجراء التحاليل على الأسمدة.

يمثل التنميط الخطوة الأولى فقط في سبيل ضمان جودة الأسمدة التي تباع عبر البلاد، ذلك أنه لا يتصنع بقوة القانون. لاشك أن حال الجودة سيكون أفضل لما يرتفع شأن التنميط إلى مستوى التقنين الملزم.

يعاني القطاع حالياً من بعض النقص في موضوع تقنين ظروف وطرق التخزين والتوزيع. كما يلاحظ القصور في المستوى التقني المتوفر لدى وسطاء البيع، الأمر الذي يحرم المستعملين من الاستفادة من النصح المناسب والخبرة المطلوبة. بجوار الأسمدة المعدنية، يوجد السماد العضوي أو مواد الدمل والتخصيب العضوي. يأتي على رأسها روث مختلف الأنواع الحيوانية (الأبقار، الضأن، الماعز، الدواجن، ...). يستعمل الروث (الغببار بالمغرب) خصوصاً في غراسة الأشجار المثمرة وفي زراعة البقول. ويتمتع بقيمة تخصيبية عالية، تسمح بالتزويد التدريجي بالمواد المغذية عن طريق التعدين.

لكن للتزويل التلقائي بعض السلبات التي تكمن في إشاعته للعوامل المرضية ولبذور النباتات الدخيلة المنافسة للزراعة. ينصح حالياً استعمال محضرات الأزيال الروثية والنفايات الزراعية المخضراء من أجل القضاء على هذه العيوب.

تسمح الإداملات العضوية، إضافة إلى التزويد بالعناصر المغذية، بتحسين الخاصيات الآلية للتربة وعموم البنية، وترقية طاقة احتجاز الماء. وقدرة التبادل الكاتيوني. نشهد حالياً بالمغرب تطور وحدات متخصصة في إنتاج خلاط التسميد العضوي. لكن هناك فراغاً بمستوى تنميط الجودة في خليط التسميد الناتج.

إبراهيم السودي

**السمار** أو الأسل اسمان يُطلقان على أنواع جنس يونكوس Juncus من فصيلة الأسليات Juncaceae. يشمل الجنس حوالي 30 نوعاً طبيعياً بالمغرب. كما يطلق الاسم أيضاً على بعض أنواع جنس السعد أو سيبيروس Cyperus الذي يضم 11 نوعاً طبيعياً بالمغرب. وسيريوس Scirpus الذي يحوي 7 أنواعاً طبيعية بالمغرب. والجنسان الأخيران من فصيلة السعديات Cyperaceae.

جل هذه الأنواع تعيش في المستنقعات أو على ضفاف الأنهار أو البحيرات أو الضبابات الموجودة في المناطق الرطبة ذات المياه العذبة أو قليلة الملوحة واستثنائياً المالحة لبعضها. وذلك في أغلب أنحاء العالم.

من بين هذه النباتات أنواع عشبية حولية وأخرى

جُنَيْبِيَّةٌ أو جُنَيْبِيَّةٌ معمرة تستعمل في صناعة الحصائر والسلال والقبعات وغير ذلك (انظر المادة الموالية). كما تستعمل بعض الأنواع للزينة كالتنوع الدخيل البردي *Cyperus papyrus* الذي يغرس في أحواض الحدائق في المناطق الساحلية.

تتميز الأنواع المعمرة بجذور جذمورية مشكلة من المفاصل السفلية للسيقان، ويثمار عليية. تختلف أشكال الأوراق حسب اختلاف الأنواع فبالنسبة للأنواع الجنبية والجنبية تكون الأوراق صلبة وملساء ولامعة ذات شكل شريطي أو مستطيل أو في غالب الحالات اسطوانية. تظهر الأزهارات في قمة السيقان.

ونذكر من أهم هذه الأنواع :

الأسل أو السمار الحاد أو يونكوس سوبولاتوس *Juncus subulatus* : ويتميز بسيقان صلبة ومنتصبة من الممكن أن تبلغ أو تتجاوز متراً واحداً من الطول. تبلغ أوراقه 20 سم من الطول.

الأسل أو السمار المعروف أو يونكوس كونكلميراتوس *Juncus conglomeratus* : وينفرد بكثافة ازهاراته المتواجدة في أطراف السيقان التي يتراوح علوها ما بين 30 و75 سم.

الأسل أو السمار الشائك أو السمار الغنمي أو يونكوس أكتوس *Juncus acutus* : ويسير بسيقان شديدة الصلابة وذات علو كبير قد يصل إلى 180 سم، وتحمل في طرفها السفلي أعمدة سمراء أو شقراء لامعة. وكذلك بأوراقه ذات الطرف الحاد أو الشائك.

الأسل أو السمار البحري أو السمار البقري أو يونكوس مارتيموس *Juncus maritimus* : نوع ذو سيقان صلبة وملساء وذات طول يتراوح ما بين 60 و100 سم وأوراقه كلها قاعدية وذات أطراف شائكة.

الأسل أو الديس البحري أو سيربوس مارتيموس *Scirpus maritimus* : نوع ذو سيقان يتراوح علوها ما بين 30 و100 سم. أوراقه شريطية.

أبحاث شخصية.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 2000 ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997.

عبد المالك بنعبيد وزينب بنرحمون

## سماط العدول بسبته، مكان داخل المدينة العتيقة

على نحو ما كان وما يزال موجوداً في الحواضر المغربية الكبرى القديمة مثل فاس ومراكش وسلا ووعدة وغيرها. وبالنظر إلى وظيفته الاقتصادية والاجتماعية أخذ مكانة وسط الأسواق المتخصصة. فهو يتصل بسوق العطارين الأعظم حيث توجد المدرسة الجديدة التي ابتناها السلطان أبو الحسن المريني (731، 752 / 1331، 1351)، شمال الجامع الأعظم. وهو عبارة عن زقاق تصطف على جانبيه دكاكين

العدول الموثقين الذين يقومون بتوثيق عمليات البيع والشراء والقران والديون وغيرها.

الأنصاري، اختصار الأخبار عما كان يشغرتة من سني الآثار، الرباط، 1403 - 1983، ص 36.

زليخة بترمضان

السماط، أحد أنماط الموسيقى المغربية، ويراد به إنشاد القصائد والمولدات على طبع الموسيقى الأندلسية من قبيل البردة والهمزية للإمام البوصيري، والقصيدة البغدادية لابن رشيد البغدادي المتوفى عام 663، وقصيدة المنفرجة لابن النحوي.

وتندرج هذه القصائد ضمن المستعملات الغنائية التي يتناشدها المسمعون من رجال الزوايا دون استخدام للآلات الموسيقية.

ويقابل فن السماط عند هؤلاء ما يعرف بفن المديح، وهو إنشاد مقطعات شعرية مديحية من صناعات واجال وبراول وتواشيح مما يرجعه أهل الذكر المزمزون بالرقيق من كلام الشيخ أبي الحسن الششتري وكلام غيره من المتصوفة.

ويرجع ظهور فن السماط إلى عهد الموحدين عندما استحدثت أسرة العزفيين التي كان رجالها من أعلام سبته ورؤسائها عادة الاحتفال بالمولد النبوي ... وألف كبيرهم أحمد بن محمد المتوفى سنة 633 / 1236 كتاب الدر المنظم في مولد النبي العظيم الذي أكمله فيما بعد ولده الرئيس أبو القاسم المتوفى عام 677 / 1279.

والى هذا الفن يلمح صاحب الاستقصا إذ يقول : إنه ظهر على عهد الموحدين نوع جديد من الغناء يعرف بالسماط أواخر هذا العهد وتولع به الخلفاء مثل المرتضى من أواخرهم. كما يرد ذكره في شعر ابن المحلي السبتي إذ يقول في إحدى قصائده :

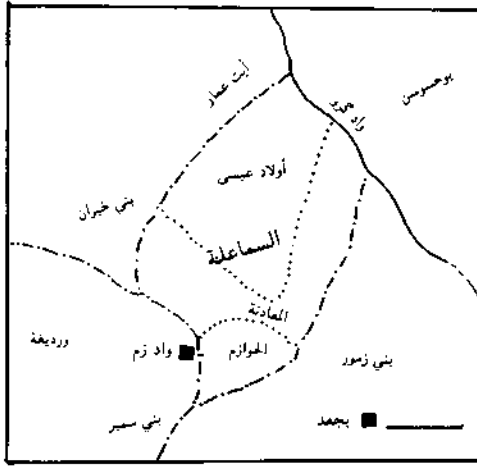
إذا هز أرباب السماع تواجد فحظي منه رفدة وصباح  
وفي قصيدة مدحية لأحمد بن الصباغ الجذامي :  
يا شاديا بشدو بأمداح أحمد

سماعك طيب ليس بعفيه نكس

وفيما يخضع أداء فن المديح لأنساق الصناعات المتداولة في النوبة الأندلسية، فإن مستعملات السماط تقوم على نسق خاص تواضع المسمعون على اتباعه في حلقاتهم وفق ما أقره رجال هذا الفن ومنظوره في سياق التساميل مع طبع الموسيقى الأندلسية المغربية.

وفي وسعنا بهذا التصدد الوقوف على مدرستين أو اتجاهين هما :

1 - اتجاها يعكس طريقة الزاوية الفاسية. ويمثله كل من محمد المهدي بن الطالب ابن سودة المتوفى عام 1294 وابن أخيه محمد العابد بن أحمد بن الطالب ابن سودة المتوفى عام 1359 صاحب كتاب استنزال الرحمات بإنشاد بردة المديح بالغمات.



في سنة 1909، كان التنظيم الإداري والحجم الديمغرافي للسماعلة على الشكل التالي :

الفرقة	الفخدة	عدد الحيام	القائد
المعادنة	العشاشكة	250	محمد ولد الدريوش العربي البركوسي
	الطرش	400	
	البراكسة	350	
	أولاد الديك	290	
أولاد عيسى	ولاد فنان	370	محمد ولد السريوت محمد ولد بوعزة
	الحوازم	250	
	السيالفة	230	
	أولاد حصادي	210	

وشاركت قبيلة السماعيلة بقوة في مقاومة الغزو الفرنسي. كانوا الأغلب في عدة معارك وكانوا في أخرى إلى جانب مقاومي قبائل المنطقة من بني خيران وورديفة وزابان... وبرز "ولد كردة" كقائد عسكري في صفوفهم. وهكذا واجهوا المستعمر في عدة معارك طاحنة، نذكر منها على سبيل المثال.

16 دجنبر 1912	معركة بيار مزوي
16. 18. 23 فبراير 1913	معارك واد زم
2. 3. 26 مارس 1913	معركة سيدي محمد لبصير
19 فبراير 1913	معركة كدية الريح
15 مارس 1913	معركة دشرة بني سمير
17 مارس 1913	معركة دشرة بني سمير
25. 26 مارس 1913	معركة وارغوس

وخلال فترة الحماية، انقسم تراب السماعيلة إلى قيادتين تابعتين لدائرة واد زم، التابعة بدورها لجهة الدار البيضاء.

وتقوم هذه الطريقة على تقسيم البردة إلى أقسام، يشد القسم الأول منها على طبع موسيقى معين، وتشد بعده جملة من المقطعات الشعرية المديحية على نفس الطبع، ثم يتم التحول إلى انشاد القسم الثاني وملحقاته من الأشعار المديحية على طبع آخر. وهكذا تتعاقب أقسام القصيدة وملحقاتها وتتعدد بتعدد الطبع إلى نهاية الحصة الغنائية.

2. اتجاه يمثل كل من أحمد بن محمد بن العربي أحضري (ق 13) في مجموعة ديوان الأمداح النبوية وذكر النغمات والطبوع وبيان تعلقها بالطبائع الأربعة، ومحمد بن العربي الدلاني المتوفى عام 1285 صاحب كتاب فتح الأنوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار.

وتقوم هذه الطريقة كسابقتها على تقسيم القصيدة إلى أقسام بعد كل قسم جملة من الأشعار المديحية، غير أن إنشاء هذه الأقسام وملحقاتها يجري على طبع واحد إلى نهاية الحصة الغنائية. ويبدو هذا الاتجاه أكثر التصاقا بتقاليد أداء النوبة في موسيقى الآلة حيث يجري العمل بوحدة الطبع من بدايتها حتى نهايتها.

ع. العزیز الشالی، مآهل الضفا، ص. 237؛ ع. الله كنون، النبوغ الغربي، ج 1، ص. 132، ط 2؛ الناصري، الاستقصا، ج 1، ص. 208؛ ابن إبراهيم المراكشي، الإسلام، ج 3، ص. 151؛ ديران ابن الصباغ الجذامي، خ. ع. رقم 109؛ م. المتوني، مجلة البحث العلمي، ع 14 و 15، يناير 1969، ص. 169.

عبد العزيز بن عبد الجليل

### السماعلة، مجموعة قبلية تنتمي إلى قبائل تادلة رقمة.

تستوطن القسم الشمالي الشرقي لدائرة واد زم. يحملون هذا الاسم نسبة إلى جدهم : إسماعيل أو الشماعل بن علي ورديع بن جابر الرقمي. ينتمون إلى القبائل العربية التي استقدمت إلى المغرب زمن الموحدين. واستوطن بنو جابر منهم دير الأطلس المتوسط وسهل تادلة.

شكلوا إلى جانب جيرانهم "بني خيران" خمسا قائما بذاته إلى جانب باقي أحماس تادلة. ومثلوا قوة أساسية أواخر القرن 19. فكانوا حاضرين بقوة في مختلف اللقوف التي عرفتها المنطقة في إطار استراتيجيات مجالية محلية. ففي سنة 1846، لم يتوقف "أولاد محمد والأعشاش من إعانة السماعيلة على مقاتلة ورديفة وشد عضدهم على بعضهم...". وتشير المراسلات سنة 1848 إلى "هؤلاء السماعيلة الذين غلبوا على بني خيران وأخرجوهم من بلادهم وسكنوا بها". وفي ماي 1883، تعرضت دشرتهم بالبراكسة إلى هجوم عنيف من طرف المخزن المركزي، خلف عدداً كبيراً من الضحايا من الطرفين. ومازالت السماعيلة تؤرخ لهذا الحدث بأغنية تعرف بـ"الشجعان". في بداية القرن العشرين، شكلوا إلى جانب مجموعات بشرية أخرى أحد أعمدة الفرع العربي من الزاوية الشراوية.



إلى الاستعمال العشوائي للسلاح بغية خلق الرعب في نفوس المتظاهرين وبالتالي فرض سيطرتها على الوضع الأمني، ومن بين الضحايا الذين سقطوا في ميدان الشرف السماعلي البصير بن محمد الذي أطلق عليه النار أحد المعمرين الحاقدين المسمى "أطروشيك" حيث أزداه قبلا في نفس اليوم 20 غشت 1955 المشوم على الذكر الوطنية.

المدوية السامية لقدامى المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 520855.

**سمامة**، جنس طيور برية طويلة الجناحين قصيرة القائمتين والمنقار مسطحة الرأس سريعة الطيران، تقضي النهار محلقة في الفضاء وتكاد تكون دائمة الطيران. تشبه خفاف الشعر السنونو في هيأته وتشعب ذيله لكنها من غير رتبته وفصيلته. لا تميز العامة بينها وبين خفاف الشعر، وتسمى حُطْفٌ وصيص في لبنان وأببيل في الهند وخفاف جبلي وخشاف في العراق ومصر وعُوار وعوهق وبلسك في الشرق العربي، وهو طير أببيل الوارد في القرآن الكريم في سورة الفيل. تعد من أنفع الطيور لما تلتمه في طيرانها من حشرات مضرّة للإنسان ولا سيما البعوض. طيور مسرولة القائمتين تصنف إلى رتبة مشقوقات المناقير Apodiformes وفصيلة السمامت عديمات القوائم Apodidae. لا تقف ولا تمشي على الأرض بتاتا ونادرا ما تستريح على قضبان وأسلاك الكهرباء وأغصان الأشجار. الجناحان طويلان جدا منجليا الشكل ومستدقا الرأس يساعدان على السرعة حيث تتعدى أحيانا 100 كلم في الساعة. الإناث شبيهة بالذكور.

• السمامة السوداء تدعى علميا Apus apus وبالفرنسية Vencejo وبالإسبانية و Martinet noir وبالإنجليزية Swift وبالإسبانية Randonne. تعد السمامت الشائعة في المغرب، سوداء المنقار قصيرة، ريشها بني أسود على سائر الجسد وعلى أسفل المنقار بقعة فاتحة. يبلغ طول الجسم 16. 17 سم وتزن الكيلو 30. 50 غراما وتبلغ بسطة الجناحين 40 سم. الذيل مشعب قليلا وقصير، تعيش في أسراب متعددة الأفراد وأحيانا مزدوجة وتألّف الصخور والأجراف وجدان القرى والمدن وتبني العش على حاشية سقف المنازل وبين صخور الأجراف. تتوالد بين مارس ويونيو وتبيض مرة في السنة 2. 3 بيضات ناصعة البياض يبلغ طول قطرها 16 x 25 ملم وتزن 3.2. 4.2 غرام، يحضنها الزوجان بالتناوب 16. 21 يوما. تبقى الصغار بداخل العش 5. 8 أسابيع ويندم لهم الأبوان الأكل على شكل كريات صغيرة تتكون من 200. 300 حشرة صغيرة. يتوالد هذا النوع في شمال المغرب وتونس والجزائر وفي أوروبا وبهاجر إلى إفريقيا الوسطى والجنوبية في بداية أكتوبر ليقتضي الفصول الباردة.

• السمامة الشاحبة تدعى علميا Apus pallidus وبالفرنسية Martinet pâle وبالإنجليزية Pallid Swift وبالإسبانية Vencejo palido وبالإيطالية Rondone pallido. تتوالد في المغرب بصفة منتظمة وهي نادرة جدا في أوروبا،

القائد	عدد الخيام	القيادة	المعادنة
بوشعيب بن رحال	17193		
	9563 خيمة	العشاشكة	
	3657 خيمة	البراكسة	
	3973 خيمة	الطوش	
بلحاج بن بوغزة	10111 خيمة		أولاد عيسى
	2024 خيمة	الحوازم	
	879 خيمة	أولاد الديك	
	3730 خيمة	أولاد فنان	
	950 خيمة	أولاد حمادي	
	2528 خيمة	السيالفة	

شكل السماعلة عماد ثورة 20 غشت 1955 بواد زم، فهاجموا رموز الاستعمار من تجهيزات ومصالح ومزارع... فخربروا وأحرقوا وقتلوا، وفي المقابل سقط منهم شهداء وأسرى كثيرون. تنقسم اليوم إلى عدة جماعات، تابعة لدائرة واد زم، إقليم خريبكة، جهة الشاوية وريديغة. وفيما يلي معطيات إحصائية حسب إحصاء شنتبر 1994.

الجماعة	عدد المنازل	عدد السكان	نسبة الذكور %	نسبة الإناث %	أقل من 15 سنة %
البراكسة	1164	7653	50,36	49,64	42,13
الطرش	1324	9077	51,09	48,91	41,57
المعادنة	1194	8062	50,06	49,94	40,14
أولاد عيسى	901	6149	48,15	51,85	45,16
أولاد فنان	1416	9273	50,95	49,05	39,09

مؤلف مجهول، مراحل رحلات مولاي الحسن، مخطوط خ. ح ؛  
الوثائق الملكية.  
Peyronnet, Tadda, pays Zaïn, Moyen Atlas, Alger, 1923  
; Recensement général de la population et de l'habitat de 1994, Rabat.  
صالح شكاك

**السماعلي، البصير بن محمد**، مقاوم ولد سنة 1914 بدوار الاحوازم قبيلة السماعلة ناحية وادي زم. كان من الذين حركتهم الغيرة الوطنية فواجهوا المستعمر أشد مواجهة. ولما اختيرت مدينة وادي زم الشهيدة ونواحيها لتكون مسرحا للسماعلة يوم 20 غشت 1955 كان السماعلي مشاركا متحمسا وبطلا باسلا حيث أظهر قدرة فائقة في مجابهة المستعمر وقوات أمنه لكن السلطات الفرنسية عندما اشتد بها الأمر وأصبحت غير قادرة على التحكم في الوضع لجأت

**السماهري، الظاهر بن محمد بن عبد الله**  
 الباعمراني، نسبة إلى الساهرة بأيت باعمران، وبذلك لقب  
 واشتهر، وهو عالم أديب، قال فيه المختار السوسي : "أحد  
 الأدياء العلماء الذين رفعوا راية العلم في أزغار اليوم،  
 ضواحي تيزنيت.. وبهم بقيت هناك صياحة من العلوم  
 والآداب لاتزال تدرس وتتداول، ولولاهم لأفقرت تلك البلاد  
 من قبس يسترشد به الجيران". وكان هذا العالم يدرس بجد  
 في مدرسة أكلو الوكاكية وله كتاب في ترجمة شيخه علي  
 الدرقاوي.

توفي عام 1369 / 1950.

م. المختار السوسي، رجال العلم العربي في سوس : المعسول،  
 13: 336، 345 : خلال جزولة، 1- 90 : أوراق أحمد أبي القاسم،  
 مخطوطة.

أحمد أبو القاسم

**سميل، صامويل** يهودي مغربي، من مواليد مدينة  
 أسفي، عمل لحساب تاجر من مارسيليا. تمكن بعد استقراره  
 بسلا من نيل الحظوة لدى السلطان محمد بن عبد الله  
 العلوي، إلى أن أصبح دوره في العلاقات الخارجية المغربية  
 أساسيا في ربط العلاقات مع إسبانيا والسويد والدانمرك  
 والبرتغال. ودوره بارز أيضاً في المجال الدبلوماسي الخاص  
 بالتفاوض في شأن العلاقات التجارية والتدخل في مسألة  
 حدود الثغور مع حاكم سبتة والحكومة الإسبانية، على عهد  
 كارلوس الثالث. كان من نتائج تلك التدخلات ظهور اتفاق  
 28 مايو 1767. استمر صامويل سميل في نفس المهمة خلال  
 حياة السلطان محمد بن عبد الله، ثم انقطعت عنا أخباره بعد  
 ذلك.

ح. الفكيكي، مقاومة الوجود الإسباني بمليلة : عثمان المنصوري.  
 العلاقات المغربية البرتغالية، أرشيف القنصلية البرتغالية بطنجة.  
 P. Grillon, *La correspondance du Consul Louis Chénier*, Archivo Historico Nacional de Madrid.  
 حسن الفكيكي

ابن **سمجون**، أسرة طنجية عالمة من قبيلة لواتة استقر  
 فريق منهم بسبتة، وتوارثوا الفقه والقضاء بالمغرب والأندلس  
 أجيالاً عديدة. وأول من لقب منهم بسمجون هو عبد الملك بن  
 إبراهيم والد محمد ومروان أتبي الترجمة. وفي هامش السفر  
 الخامس من كتاب الذيل والتكملة ينقل محققه إحسان عباس  
 لأحد النسابة السبتيين : "وبنو سمجون الطنجيون لواتيون،  
 وابن الزبير وغيره من الأندلسيين ينسبهم "هلاليون" وليس  
 بصحيح، ولهم عندنا بسبتة بقية".

ابن **سمجون**، **عبد الرحمن بن علي بن عبد الملك**  
 اللواتي الطنجي. روى عنه ابنه عليّ أتبي الترجمة : كان  
 فقيهاً حافظاً ؛ ولي القضاء بمكناسة مدة طويلة إلى أن توفي  
 في حدود سنة 500 / 1107 (المبارك).

سوداء المنقار واسعته، ريشها بني أسود على الظهر  
 والجناحين والبطن وأبيض شاحب على العنق. كثيرة الشبه  
 بالسمامة السوداء ويصعب التمييز بينهما. يبلغ طول الجسم  
 16 سم وتزن الكبار حوالي 50 غراماً، وتبلغ بسطة الجناحين  
 40 سم. تعيش غالباً في أسراب متعددة الأفراد وتأنف  
 الصخور والأجراف وجدران القرى والمدن وتبني العش على  
 حاشية سقوف المنازل العالية القديمة وبين الصخور الأجراف.  
 تتوالد بين مارس ويونيو وتبيض 3.2 بيضات ناصعة  
 البياض تحضنها 19-20 يوماً. يقضي هذا النوع فصلي  
 الربيع والصيف في المغرب والجزائر وتونس وفي الشرق  
 العربي وتركيا ويهاجر بعد التوالد إلى إفريقيا الوسطى  
 والجنوبية في بداية أكتوبر.

• سمامة فلسطين تدعى علمياً Apus affinis وبالفرنسية  
 Martinet à croupion blanc وبالإنجليزية Little swift  
 و House swift وبالإسبانية Vencejo real وبالإيطالية  
 Rondone alpino. أصغر الأنواع حجماً إذ لا يتعدى طول  
 الجسم 12 سم وتتميز بذيل غير متشعب وبقعة كبيرة من  
 الريش الأبيض على الردف. الريش على الظهر والجناحين بني  
 شاحب إلى أسود. تتوالد في المغرب والجزائر وتونس وفي  
 الشرق العربي وتركيا وتشتو على السواحل الأطلسية المغربية  
 والجنوبية.

• سمامة بيضاء الردف تدعى علمياً Apus cafer  
 وبالفرنسية Martinet de cafriere وبالإنجليزية  
 White-rumped Swift وبالإسبانية Vencejo cafro  
 وبالإيطالية Rondone cafro. أكبر بقليل من سمامة فلسطين  
 وتختلف عنها في تشعب الذيل وفي صغر حجم البقعة  
 البيضاء على الردف. يبلغ طولها 14 سم ومنها مجموعة  
 كبيرة تتوالد في الأطلس المتوسط والكبير ولا وجود لها في  
 أوربا والشرق العربي. تشتو في إفريقيا الجنوبية.

• سمامة السهول تدعى علمياً Apus unicolor  
 وبالفرنسية Martinet de plaine وبالإنجليزية Plain swift.  
 أصغر من السمامة السوداء وريشها بني داكن موحد على  
 الجسم. يبلغ طولها 15 سم ومنها عدة مجموعات تشتو على  
 السهول الساحلية الأطلسية. لا تتوالد في المغرب ولا وجود  
 لها في أوربا وفي الشرق العربي. تشتو أيضاً على سواحل  
 إفريقيا الوسطى والجنوبية.

تخطي طيور السمامة بعطف واحترام من الإنسان الذي  
 يعتبرها من الطيور المقدسة كطيور خطاف الشعر فلا يؤذيها  
 ولا يقترب من أعشاشها.

م. رمضان، خطاف الشعر، معلمة المغرب، الجزء 11، ص. 3773.  
 3774 : الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات  
 العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، ط. 3، 1988 : أمين العلوف، معجم  
 الحيوان، القاهرة 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Brian and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris, 1977, 430 p.

محمد رمضان

ذلك - صباح يوم الثلاثاء السادس من رمضان عام 596 / 20  
يونيه 1200.

ابن سمجون، محمد بن مروان؛ فقيه زاهد، ولي قضاء  
مكناسة لكن لم يمكنه الاستمرار لشدته في الحق، فنقل إلى  
قضاء ألمرية فعدل في أحكامه أيضاً فلم يقدر مع فساد  
الزمان على الاستمرار، فارتحل إلى مراکش مستعفياً، غير  
أن أمير المسلمين علي بن يوسف المرابطي جعله على قضاء  
إشبيلية فاستعفى فنقل إلى قضاء غرناطة، فبقي بها إلى  
وفاته في الطريق عائداً من ألمرية في حدود عام 517 / 1124.

ابن سمجون، مروان بن عبد الملك بن إبراهيم اللواتي  
الطنجي، كنيته أبو محمد، ولد سنة 421 وتقل في سكناه  
بين سبتة وطنجة، وتحوّل في طلب العلم، فأخذ عن بعض  
علماء الآفاق؛ سجلماسة والأندلس ومصر؛ فتنوعت معارفه  
وأصبح من أهل العلم والفقه والأدب، وصفه القاضي عياض  
بزعم المغرب وشيخه، ومن قصيدة لبعض تلامذته قالها  
فيه:

وَضَمَّ إِلَى الرَّأْيِ مَتَى الْحَدِيثِ وَعَلِمَ الْكَلَامَ وَفَهِمَ الْمَجْدَلِ  
اشْتَغَلَ بِالْإِقْرَاءِ بِسَبْتَةِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ وَخَاصَّةً تَدْرِيسَ  
الْمَدُونَةِ، ثُمَّ وَلِيَ الْفَتْيَا وَالْخُطْبَةَ وَالصَّلَاةَ بِهَا أَيَّامَ الْبِرْغَوَاتِيِّينَ،  
وَلَمَّا دَخَلَ يَوْسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ سَبْتَةَ دَعَاهُ لِلْقَضَاءِ بِهَا فَامْتَنَعَ،  
وَانْتَقَلَ إِلَى طَنْجَةَ فَكَلَّفَهُ بِالْقَضَاءِ فِيهَا إِلَى جَانِبِ الْخُطْبَةِ  
وَالصَّلَاةِ، ثُمَّ أَسْنَدَ إِلَيْهِ أُمُورَ الْقَضَاءِ فِي الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ  
مُفَوَّضاً إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ؛ وَكَانَ صَلْباً فِي دِينِهِ، مَهِيْبَ الْجَانِبِ،  
يَدْعَى بِالْفَقِيهِ.

أخذ عنه أبنائه الفقهاء، وخلفه منهم ثلاثة على قضاء  
طنجة: عبد الخالق بن مروان أكبر الأبناء، ولي قضاء طنجة  
مكان أبيه، وكان محمود السيرة، توفي بطنجة؛ وعبد  
الوهاب بن مروان، ولي قضاء طنجة بعد أخيه عبد الخالق،  
وكان لا يخاف في الله لومة لائم، توفي أيضاً بطنجة؛ وعبد  
الرزاق بن مروان، حصل علومها متنوعة منها الفرائض  
والحساب والأدب، ولي قضاء طنجة وبقي بها قاضياً إلى  
وفاته كذلك (المبارك). كما تتلذذ على أبي محمد مروان  
بعض شيوخ القاضي عياض.

توفي مروان بطنجة يوم الأربعاء 20 رجب سنة 491 / 23  
يونيه 1098.

القاضي عياض، الفقيه، ط، بيروت، 1982، 197، 198، للمبارك،  
تج. س. أعراب، المحمدية، 1983، جز 8، 177، 178؛ ابن  
الأبّار، التكملة، تج. النهاس وس. أعراب، بيروت، د. ت. ق 2؛  
ص. 253، 303، 304، ق 3، ص. 153، ق 4، ص. 130؛ م. ابن  
ع. الملك، الذليل والتكملة، تج. إ. عباس، بيروت، 1965، 5، ق 1،  
ص. 192، 3؛ ابن الزبير، صلة العلة، تج. ع. السلام النهاس  
وس. أعراب، المحمدية، 1993، ق 3، ص. 6، العدد 64، ق 4؛  
24، 154، 155؛ ابن عذاري، البيان، 4، تج. إ. عباس، بيروت؛  
مجهول، مفاخر البربر، ص. 210، ضمن كتاب ثلاثة نصوص عربية

ابن سمجون، عبد الله بن علي بن عبد الملك الطنجي،  
لا تعرف له ولاية منصب قضاء ولا غيره، ولد سنة 444 أو  
آخر سنة 447، نسبه ابن الأبّار في التكملة إلى عيسى بن  
صالح الهلالي، وكذا فعل ابن الخطيب في الإحاطة؛ لكن  
ابن الأبّار عندما ترجم له ثانية في الغرباء بالتكملة نسبه  
لبنى سمجون اللواتيين. روى عن أبيه علي وعن عمه مروان  
وغيرهما.

كان فقيها حافظاً للفروع، وقد أقرأها بقرناطة، وبها  
تفقه عليه أكثر شيوخها، وصفه ابن الأبّار بكونه من جلة  
العلماء وحفاظ المسائل؛ ولأه يوسف بن تاشفين قضاء  
الجزيرة الخضراء، ثم نقله إلى قضاء غرناطة في شعبان سنة  
490 (في الإحاطة عام 470 ولعله مجرد خلط بين الرقمين؛  
تسعين وسبعين)، وخلال سنة 503 شارك في غزوة طلبيرة مع  
الأمير علي بن يوسف، واستمر في قضاء غرناطة إلى 20 من  
ربيع الثاني سنة 508 حيث استعفى، فولّي قضاء تلمسان  
وبها توفي سنة 524 / 1130، وبقي عقبه بقرناطة.

ابن سمجون، عبد المنعم بن مروان بن عبد الملك،  
كنيته أبو محمد، روى عن ابن عم أبيه القاضي عبد الله بن  
علي بن سمجون سابق الترجمة وعن القاضي أبي بكر بن  
العربي وغيرهما صلة العلة، وهو فقيه جليل نبيه ذكي ولي  
قضاء إشبيلية ثم نقل إلى قضاء غرناطة خلال عهد الأمير  
المرابطي علي بن يوسف، ثم نقل إلى قضاء ألمرية سنة 517.  
كان عادلاً في حكمه، لا تأخذه في الله لومة لأثم، فاشتد  
على أهل الفساد، ثم أعيد إلى قضاء إشبيلية بقرناطة،  
ورفض الأمير إعفاءه من قضائها لما استعفى.

أصاب الناس قحط أيام قضائه بقرناطة سنة 524  
فاستسقوا به فسكّوا. وبعدها انتقل إلى ألمرية فتوفي بها في  
شهر شعبان عام 524 / يوليو - غشت 1130.

ابن سمجون، علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن، جعل  
ابن الخطيب نسبه هلالياً ووصفه بكونه "شيخاً جليلاً عارفاً  
تليلاً... من بيت حسب وعلم ودين... وكانت له كتب  
كثيرة"؛ وقد أورد إحسان عباس في تحقيقه للسفر الخامس  
من كتاب الذليل والتكملة أنه وجد بهامشه ترجمة لأبي  
الحسن بن سمجون لأحد النسابة السبتيين ورد فيها ما يلي:  
"علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن علي بن سمجون...  
منكبي، طنجي أصل السلف؛ لقي أشياخاً جلة وأخذ عنهم،  
وكان فقيها عارفاً جليلاً، ذا مروءة كاملة وحسن خلق،  
وكانت له خزنة كتب حافلة".

ومن غير المستبعد أن يكون هو نفس الشخص الذي ذكره  
صاحب مفاخر البربر بصيغة "ابن سمجون قاضي المنكب"  
ووصفه بكونه عالمي الرواية.

توفي بمدينة المنكب بالأندلس - وشك ابن الخطيب في

عن البربر في الغرب الإسلامي، تج. م. بعلی، مدريد، 1996 : ل.  
ابن الخطيب، الإحاطة، تج. ع. الله عنان، القاهرة، 1977، 4 : 185.  
186 : ع. السلام سقور، ملحق الإحاطة، طنجة، 1988، ص. 80.  
213.

أحمد عزوي

### سمبسون جيمس (James Simpson) قنصل أميركا

بجبل طارق. على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله عندما اعترف المغرب باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية في 20 دجنبر 1777. ولم يتم توقيع أول اتفاقية سلم بين البلدين إلا في 26 دجنبر 1786، وهي الاتفاقية التي صادق عليها الكونغرس في السنة الموالية، ولم يعضدها أي تمثيل دائم لأمريكا بالمغرب. وفي سنة 1795 دعا السلطان المولى سليمان الأقطار الأجنبية إلى ضرورة تجديد اتفاقياتها، لكي يتم السماح لسفنها بالمرور عبر المياه الإقليمية المغربية، ولهذا الغرض قررت واشنطن في 28 مارس 1795 أن تدخل في مفاوضات مع دولة المغرب، وعينت لهذه المهمة قنصلها بجبل طارق جيمس سمبسون. وقد وصل هذا المبعوث الأمريكي إلى طنجة في يوليوز من نفس السنة لتجديد اتفاقية 1786، وقدم بعد ذلك الهدايا للعاهل المغربي كما تقتضيه الأعراف الدبلوماسية. واستمرت المفاوضات مدة شهرين. وبعد أخذ ورد بشأن تحديد شروط الاتفاقية تم توقيع المعاهدة بين البلدين، وتكفل سمبسون بإبلاغ رسالة السلطان المغربي إلى الرئيس الأمريكي لتأكيد استمرار أواصر المحبة والصداقة بين القطرين.

وتم عقب ذلك تعيين جيمس سمبسون قنصلا دائما لأمريكا بالمغرب ما بين 1797 و1820، وهي مدة طويلة إذا ما قورنت بقصر الفترات التي سبقضيها من سيتولى المهام القنصلية فيما بعد. وترتبط أسباب ذلك إجمالاً بضعف الراتب ورداءة المسكن حيث يقيم القناصل الأمريكيون. وقد عرفت العلاقات المغربية الأمريكية توترا حادا أثناء أداء سمبسون لمهامه، ومرد ذلك محاصرة الولايات الأمريكية لطرابلس سنة 1801، وإعلان المولى سليمان تضامنه مع ليبيا ورغبته في إرسال بعض السفن المحملة بالحبوب إليها. وإمام رفض القنصل سمبسون تسليم جوازات سفر لتلك السفن تم طرده ليتم بعدئذ إعلان الحرب مباشرة ضد أمريكا. وكان رد فعل واشنطن قويا على هذه التطورات إذ احتجرت سفينتين مغربيتين، اضطر معهما المغرب إلى الجنوح إلى السلم وقبول وساطة الإنجليز لتسوية النزاع سنة 1803.

م. بنهاشم، العلاقات المغربية الأمريكية، دراسة في تاريخ التمثيل الدبلوماسي الأمريكي بالمغرب، 1786، 1912، أطروحة دكتوراة الدولة، تاريخ كلية الآداب طهر المهراز - فاس، 1999، 2000 : ع. الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المجلد التاسع : المنصور، أمريكا الشمالية والمغرب، معلمة المغرب، الجزء 3.

J. B. Bookin - Weiner and M. El Mansour (éd.), *The Atlantic Connection*, Rabat, 1990 ; R. Irwin, *The Diplomatic Relations of the United States with the Barbary Powers*, 1931.

خليل السعداني

**السَّمْعَانِي، محمد الحاج الأبر الشيخ الصوفي**  
المشهود له بالخير والصلاح، من أصحاب الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي الفهري. والسمعاني نسبة إلى سمعان ولا أدري من هو هنا.

أثنى عليه عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي في *إبتهاج القلوب*، فقال : "منهم - أي أصحاب الشيخ أبي المحاسن - السيد الفاضل، السالم الدين، الحسن النية، القاطع للطبع في المخلوقين، الحاج الأبر، أبو عبد الله محمد السمعاني التطاوني، من فقراء أهل الحزب هناك. ومن المشهود لهم بالفضيلة، المشهورين بالخير والصلاح، توفي سنة تسع عشرة وألف".

وذكر محمد بن الطيب القادري في *نشر المثاني والتفاظ الدرر* أنه توفي عام 1015 / 1606 وذكر مرة أخرى في النشر أنه توفي عام 1019 / 1610.

ووقع في نفس الاضطراب أيضا المستشرق كروول في ترجمته للنشر.

قال محقق *التفاظ الدرر* : لعل الأرجح أنه توفي عام 1019 / 1610.

م. القادري، *نشر المثاني*، تج. م. حجي وآ. التوفيق، الرباط، 1 : 156 : *التفاظ الدرر*، الرباط، ب. العلوي، ص. 48 : أ. الرجوني، عمدة الراويين، مخطوط : ع. الرحمن الفاسي، *إبتهاج القلوب*، مخطوط : م. داود، *تاريخ تطوان*، طبع تطوان، 1 : 321.

محمد بوخيرة

**السّمك أو الأسماك**، طائفة من الحيوانات الفقارية تعيش في مختلف الأوساط المائية وتتميز بتنوع كبير في أشكالها ومقاييسها وألوانها وعاداتها وقدرتها الحسية. تسميه العامة الحوت في شمال إفريقيا، والحوت في اللغة السمك وقد غلب على الكبير منه والحيتان ليست من الأسماك بل من الثدييات البحرية (انظر مادة الحوت والحيتان في المعلمة).

والسمك رأس وجذع وذيل ولا رقبة له، ينتهي الرأس حيث ينتهي غطاء الغلاصم ويندمج عضل الجذع في عضل الذيل فلا يكاد يتضح بينهما فاصل. من بين خصائص الأسماك الجسم المغزلي وطبيعته الهيدرودينامية التي تساعد على التنقل السريع مع توفير كبير للطاقة وتنفسه الأوكسجين الذائب في الماء بواسطة فتائل تضمها أنسجة مقوسة تدعى الحياشيم وتقلاته بواسطة ذيل وزعانف تختلف كما وكيف حسب الأنواع. تستعمل الزعانف الصدرية والبطنية للغوص والتوجيه والموازنة وتستعمل الزعانف الظهرية للتثبيت والاستقرار. يقع الفم في الرأس ويحتوي على أسنان بدون جذور وعلى لسان قصير يحمل أسنانا عند بعض الأنواع. تقع العينان عادة على جانبي الرأس أو على الظهر كما هو الشأن بالنسبة لسمك موسى والراية والرعاد والترس. تدرك الأسماك تغيرات الضغط واهتزازات الماء بواسطة الخط الجانبي فتحس بالحواس الطارئة وتتجنبها.

والشرن واللاتشا والتون والإستمري والروجي والروبيرو والصول وغيرها.

أدت الانعكاسات السلبية الناتجة عن تلوث الأنهار والشواطئ ومجهودات الصيد المكثفة على السواحل المغربية من طرف الأساطيل الأجنبية والوطنية إلى انهيار يبلغ في معظم المخزونات السمكية في المياه الإقليمية، تضرر بفعلها حوالي 90 نوعاً تنصدها أنواع الشابل والسردين والأنكليس والميرو.

يبين الجدول الكميات السنوية للأسماك الساحلية المتصادة في السواحل المغربية خلال السنوات الأخيرة :

السنة	1994	1995	1996	1997	1998	1999
الأسماك الساحلية	609952	728722	525022	661646	607129	622160
السطحية والقاعية	39200	13938	13280	38178	3393	23419
أسماك أعالي البحار	463681	570914	393362	497821	436048	430715
السردين	39195	30106	16988	28775	11622	18035
إسقمري - مأكور -	7894	11181	12447	24955	40992	40220
للأنشوفة	29468	30475	15471	12512	9936	12799
الشرن	3212	6305	5727	8780	8605	6715
التونيات	107	80	167	153	138	169
الدرعي - الفاروس	127	138	229	111	133	147
الزريقفة - دنيس	1823	2012	2286	2216	2834	3160
الروبيرو (دجاج)	4910	5491	2750	2074	1070	1988
سلك النازلي - سرلا	1385	904	869	1542	1263	2462
القرب	7655	7568	6971	7876	7456	7228
الجابو	1407	1545	1340	1675	1513	2622
سلك موسى - الصون	85	55	29	21	27	28
الأنكليس						

الأخير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، ط 3، 1988 : أمين العلوف، معجم الحيوان، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.  
D. Lloris & J. Rucibado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, Rome, FAO, 1998.  
محمد رمضان

## سملالة (قبيلة) ← إدا وسملال

**السملالي، إبراهيم بن بلقاسم** من العلماء السوميين الذين لهم ضلع في علم الحساب، أُلّف في ذلك منظومة تعرف "بالسملالية"، وهي مشهورة كان يدرس بها في المدارس السوسية إلى عهد قريب. فقد انحدر من بيت تسلسل فيه العلم والصلاح، وله أخ إسمه يعزى بن بلقاسم، وهو عالم كبير أيضاً.

توفي إبراهيم في أواخر القرن التاسع (15 م).  
م. المختار السوسي، رحلات العلم العربي في سوس، طنجة، 1989 : سوس العالمة، ص. 177.

أحمد أبو القاسم

**السملالي، إبراهيم بن محند بن محند مكررا**، قال عنه مؤرخ أسرتهم العدل سيدي إدريس : الأستاذ العالم

الجلد مغطى على العموم بحراشف يختلف حجمها وشكلها حسب الأنواع وهي قشور تثبت في نظام وتشكل خطوطا طولية متوازية كما أنها تتركب من حلقات بعضها فوق بعض تعبر كل حلقة منها عن مبلغ النمو كل سنة فيعتمد الدارسون عليها لمعرفة عمر الأسماك. تملك معظم أنواع الأسماك مثانة سابحة على شكل جراب بداخله غاز شبيه بالهواء تفرزه غدة تسمى الجسم الأحمر، والمثانة عضو هيدروستاتي ضمن التوازن والضغط المائين بالقدر المطلوب، تملئ بالغاز فتصعد السمكة إلى السطح والعكس بالعكس كما أنها تستعمل لدى بعض الأنواع للتنفس فترة من الزمن خارج الماء. تعوز هذه المثانة عدة أنواع نذكر من بينها سمك القرش الذي يملك ما يغني عنها : كبد كبير مليء بالزيت يساعد على الطفو.

موطن الأسماك الملونة بحار المناطق الحارة التي تتوفر على صخور مرجانية ملونة وتفتقر السواحل المغربية لهذه الأنواع.

الأسماك على جنسين منعزلين على العموم لا يتصلان عند الإخصاب وتتوفر بعض المجموعات الخثي على مناسل أنثوية وأخرى ذكورية في آن واحد. تتجمع الأعداد الكثيرة من الذكور والإناث في أماكن التوالد فتزخر المياه بالخلايا التناسلية من الجنائين ويتم الإخصاب في المياه المكشوفة. يختلف التكاثر الجنسي حسب الأنواع فمنها البيوضة أو السروة تبيض ومنها السرودة (البيوضة الولودة) تحضن بيضها داخل بطنها إلى أن يكتمل نمو صغارها التي تفتت من مع البيض نفسه كما هو الشأن عند عدة أنواع من سمك القرش.

تنقسم الأسماك إلى مجموعتين : الأسماك الغضروفية أو الشلقيات والأسماك العظمية أو العظميات. تعتبر الأسماك الغضروفية من الأنواع البدائية لا تتوفر على هيكل عظمي وتنقسم بدورها إلى رتبة القرشية ومنها أنواع سمك القرش وأبو منشار ورتبة الشفنينيات المتميزة بغرابة أشكالها وكثرة تنوعها ومنها أنواع الراية والرعاة.

تنتمي أغلبية أنواع الأسماك بالسواحل المغربية إلى العظميات التي تنقسم بدورها إلى عدة رتب وفصائل منها الصابروغيات التي تضم السردين والشابل والرنجة ومنها أيضا الاسبوريات والسلمونيات والأنقليسيات وغيرها من الفصائل وردت عدة أنواع منها بالتفصيل في هذه المعلمة.

البحار والمحيطات والبحيرات القارية والأنهار بيئات متعددة وأعماق متفاوتة وحرارات متباينة لها تأثيرات بالغة على العادات ونمط العيش وشكل الأنواع وألوانها، تنج عن هذه العوامل نوع حيوي مرتفع إذ تم جرد حوالي 25.000 نوع من الأسماك في العالم، من بينها ما يقرب من 1.200 نوع تعيش في المياه المالحة والعذبة المغربية. تستغل من بينها السردين والشابل والبيرو والأنشوفة وسمك النازلي

السالم سيدي إبراهيم... كان عالما مدرسا مشاركا في العلوم كلها، ربانيا... يُلقب "بأقرب" لكثرة حفظه للقرآن وللعلوم : عقليها، ونقلها... يقضي ويشارط. وسبب انتقاله من سملالة هو الوباء الواقع سنة 1214 هـ، فاستقر ببني بعمرانة، حيث بنى داره ومسجدا أمامها، (المعسول، ج. 12، ص. 299).

ووصفه الإكراري روضة الأفنان (ص. 217) بقوله : وأما سيدي إبراهيم - أقرب - فهو ولي كبير، كما شهد بذلك غير واحد...

أورد المتوكل عمر الساحلي، أن سيدي إبراهيم بن محند - أقرب - من الذين شارطوا في مدرسة الخميس بأيت بونكر، وهو نزبل - إدوانكيضا - بالساحل.

أقول : زرت موضع إسمالان عدة مرات، وما زال الفقهاء والمدرسون فيهم، وقد عمروا بالتعليم المدرسة العتيقة - بتيفانمين - حتى الآن، ولهم مجموعة من المخطوطات في الأهميات الفقهية والعربية.

توفي بأيت باعمران سنة 1243 / 27 - 1828.

إ. السلاي، تقييد في رجال سملالة، مخطوط : الإكراري، روضة الأفنان، تح. حمدي أنوش، أكادير : ع. المتوكل الساحلي، المدارس العلمية العتيقة بسوس، ج. 3 : 360، م. المختار السوسي، المعسول، المحدث، ج. 12 : 299، ح. جهادي، جانب من تاريخ أيت باعمران، مخطوط.

### السلاي، أحمد بن إبراهيم الباعمراني، من قبيلة

أيت إخلف، وله أخوان : علي بن إبراهيم، سافر إلى فاس، فجاور هناك حتى شوقي (المعسول، ج. 12، ص. 301)، وله رسالة من فاس إلى اهله تعد من أهم النصوص التاريخية في بابها والأخ الثاني هو محند بن إبراهيم أقرب قال عنه صاحب المعسول : اتقن القراءة وألم بمعلومات توفي سنة 1350.

أما المترجم فكان كنور على علم وعلى سوس كلها، وليس كئار كما يقال، قال عنه المؤرخ أرفناك : "الفقيه التازلي، البياني المنطقي الأصولي، أبو العباس، سيدي أحمد ابن إبراهيم السلاي... كان رحمه الله عالما صالحا كاملا، تقيا كبيرا صوفيا شهيرا فقيها دينيا خيرا ناسكا بينا، فاق أهل عصره تحقيفا، وفي المسائل تدقيقا...

أخذ عن أشاخ فاس... وعليه تدور أحكام سوس، وبالحق الصسم بسوس، لا معارض حقا لفتواه، ولا مقارع لفتواه... يعمر مجالسه بالفوائد، بعد أن ملأها بالموائد... (روضة الأفنان، ص. 215).

وقال عنه صاحب المعسول : "هو ثالث أولئك الإخوة، وياقوتتهم بل ياقوته العلماء كلهم (بسوس) أخذ أولا عن العربي الأدوزي، ثم استتم بفاس... وكان يديم نسخ الكتب، وقد خلف خزانة عظيمة ذهبت نهبا لجيش ابن دحان (المعسول، ج. 12، ص. 303).

و"كان يحضر مجالس المرلي الحسن في سنة 1303، فجرت يوما مذاكرة في المنطق، فأفاض فيه بما يحفظه، فانقطع دونه من حضر... وفي تلك الليلة مات فجأة، فنشأت خرافة أن العلماء من حاشية السلطان قتلوه". (رجال العلم العربي في سوس، ص. 143).

أقول كان هذا الفقيه مصاحبا لمجدي القائد أحمد الخنفي وبفضل ذلك اطلعت على بعض أحكامه، من ذلك حكمه بين القبيلة وأل با الشيخ.

أما الإطراء الذي أورده الإكراري فليست فيه مبالغة، ومن شك في ذلك فليراجع كلا من المجموعة الفقهية الإلغية، وكذلك المحاوراة بين مترجمنا هذا، وشيخه الأدوزي، حول غاية باحمان - في الموضوع إسك بأيت باعمران، وقد اطلعت على نسخ من تلك الأحكام لدى عائلة - حمايدوش الباعمرانية - (المعلمة، ج. 11، ص. 3578)، وكذلك المدارس العلمية العتيقة بسوس، ج. 3، ص. 363 المتوكل عمر الساحلي، ومهما قيل : فإن سمعة هذا الفقيه بين العامة والخاصة، وعلمه الغزير في المنقول والمعقول، وما عرف به من كرم الضيافة وأصاله مَحْتَدَه، والظروف السياسية في ذلك الوقت، هي التي تضافرت كلها مع اتسبها الأجل، في تعجيل موته.

وما سجلنا هنا إلا ما اطلعنا عليه، أو سمعناه، وما كنا للغيب حافظين.

المصادر المذكورة داخل النص.

الحسين جهادي الباعمراني

### السلاي، أحمد بن الطاهر، أصله من مدينة أزموير.

وتلقى التعليم بمراكش على يد علمائه. ثم اشتغل بنسخ الكتب إلى أن رجع إلى بلده فصار كاتبيا لعمال أزموير والجديدة الحاج موسى بن محمد الغربي، ولما توفي هذا سنة 1263 / 1847 أصبح السلاي عاملا مكانه، فدامت ولايته إحدى عشرة سنة أي إلى سنة 1274 / 1858، وفيها عزل وأودع السجن لأنه يروي أنه اشتط في حكمه مثل سلفه، وسطا على أموال الدولة والخواص، حتى كرهه الناس وسموه "سَمُّ لئالي" أي "سَمُّ بضي"، ويقال إنه وجد عندد يوم اعتقاله نحو من ثلاثة ملايين ونصف مليون ريال. ولكنه بعد ذلك استعمل على مراكش، وأدى على ما يظهر الغرامة التي يفرضها المخزن عادة على الولاة الفاسدين أو المتأثلين بدون حق. انتقل إذن إلى مراكش فوصفه العباس ابن إبراهيم السلاي بأنه كان "فقيها متضلعا نبيها ذا سمت حسن، مهيبا وفورا، جميلا في الهيئة والملبس، رفيع الهمة، ذا شبية حسنة، وله حظ رائق وإنشاء فائق".

مكث في ولايته أربع سنوات من 1863 إلى 1866 وهي سنة وفاته. فلما مات أمر السلطان بإحصاء متخلفه فحيز ولم يبق شيء لأولاده الذين انتقلوا إلى الجديدة فصاروا فقراء مهملين.

تلقى تدريبه المهني في مكتب النقاب المعطي بوعبيد، وظل يشتغل بالمحاماة إلى غاية سنة 1981، حيث تم تعيينه كاتباً للدولة في الشبيبة والرياضة في الحكومة التي كان يرأسها المحرم المعطي بوعبيد.

وفي 30 نونبر من سنة 1983 عين عبد اللطيف السملالي وزيرا للشبيبة والرياضة، ليظل في هذا المنصب رغم تعاقب الحكومات طيلة اثنتي عشرة سنة وإلى غاية 10 غشت من سنة 1992.



كان عبد اللطيف السملالي من ضمن المجموعة القليلة التي بادرت إلى جانب المعطي بوعبيد إلى إنشاء حزب الاتحاد الدستوري سنة 1983، علما أنه كان أيضا من قياديي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

وقد انتخب عبد اللطيف السملالي عضوا في أول مكتب تنفيذي للاتحاد الدستوري منذ المؤتمر التأسيسي المنعقد بالدار البيضاء في أبريل من سنة 1983، وظل عضوا قياديا في الاتحاد الدستوري إلى أن انتخب أمينا عاما للحزب في المؤتمر الاستثنائي المنعقد بتاريخ 10 ماي من سنة 1998 بالدار البيضاء.

وكان السملالي نائبا برلمانيا على دائرة أزموور لولاييتين تشريعيتين، كما كان رئيسا لجهة عبدة دكالة منذ أكتوبر 1997. كما شغل عدة مناصب، وتحمل عدة مسؤوليات وطنية ودولية في المجال الرياضي، فقد شغل منصب رئيس الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم على الصعيد الوطني. كما شغل منصب الرئيس الأول للاتحاد العربي للرياضة، وكان عضوا في الإدارة العامة للألعاب العربية الثالثة لسنة 1961، وذلك على الصعيد القومي. أما على الصعيد الدولي فقد عين السملالي عضوا في اللجنة التقنية للجامعة الدولية لكرة القدم، وعضوا معيناً من طرف اللجنة التنفيذية في اللجنة التنظيمية لكأس العالم لكرة القدم خلال دورتي 1994 و1998.

ومما يذكر عنه أنه كان يتعاطى تجارة التصدير، فكان يطالب من التاجر الفرنسي المستعرب پول لامبير P. Lambert المقيم بمراكش والمجددة أن يترجم له الجرائد لمعرفة أسعار المنتجات القطنية وغيرها.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 2 : 416 : م. بوشعراء، الاستيطان، 3 : 969، 1120، 1135 : الوثائق، 4 : 214 : وثائق مخزنية.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 129 : 3 : 29 - 138 : *Villes et tribus du Maroc*. Doukkala, tome II, 170. مصطفى بوشعراء

## السملالي، الحسين بن محمد بن عبد الرحمان وقد

سقط اسم والده محمد في إتحاف المطالع، وفيه أنه كان ققيها مدرسا مفتيا، أكثر تدريسه مع طلبة البادية، ملازماً لضريح المولى إدريس بن إدريس بفاس". وهو مؤلف كتاب الفتوحات الروحية في سيرة مولانا الحسن السنية ومفاخر اختراعاته البهية، تناول فيه مجمل الأحداث التي وقعت في عهد السلطان الحسن الأول، ويبدو من السرد أن المؤلف كان معجبا بسياسة هذا السلطان، وأنه ربما كان من بين العلماء المقربين من المخزن بفاس. والكتاب مازال مخطوطاً بخزانة مؤسسة علال الفاسي وتتضمن هذه النسخة رسالة لنفس المؤلف بعنوان ذكر الخبر عن فارق الجماعة واستعان بالكفرة (16 ص) وهو جواب على سؤال وجهه السلطان الحسن الأول إلى علماء المغرب حول قضية حماية شيخ الزاوية الوزانية الشريف عبد السلام الوزاني بفرنسا سنة 1300 / 1883. تبنى السملالي في رسالته تكفير الوزاني بترجيحه لبعض النصوص والأحكام، وبين أضرار الحماية الفرنسية على الدولة المغربية. وتابع المؤلف تطور قضية الشريف إلى غاية ظهور أسباب فشله وبداية عزلته، وأشاد بالأسلوب الدبلوماسي المعتمد من طرف السلطان في حل المشكل.

توفي بفاس يوم الأربعاء ثاني عشر جمادى الثانية سنة 1309 / 13 يناير 1892. ودفن بضريح الشيخ أبي عبد الله الحياط بالدوح.

ح. السملالي نفسه، الفتوحات الروحية في سيرة مولانا الحسن السنية ومفاخر اختراعاته البهية، مخطوط، ع. مؤسسة علال الفاسي، رقم 314 ع : م. المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، 1989، الجزء الثاني، ص. 96 : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 8 : 2787.

محمد عمراني

## السملالي، عبد اللطيف، ولد بمدينة أزموور بإقليم

الجديدة سنة 1357 / 1938، وكان أكبر إخوته السبعة، تلقى تعليمه الابتدائي بأزموور والثانوي بالدار البيضاء قبل أن يرحل إلى سوريا لمتابعة دراسته الجامعية ضمن الرعيل الأول في عهد الاستقلال للبعثات الطلابية التي كانت تلتحق بالبلاد العربية قصد الدراسة.

وبعد حصوله على الإجازة في الحقوق عاد إلى أرض الوطن ليلتحق بسلك المحاماة ابتداء من سنة 1965، بعد أن

توفي عبد اللطيف السملالي يوم الجمعة 24 شوال عام 1421 / 19 يناير 2001 مخلفاً ثلاثة أولاد وبنات واحدة.  
معرفة شخصية : رثاني عائلية وإدارية.

حزبة الكتاني

**السملالي، علي بن محمد السوسي الفاسي،** حلاه في إتحاد المطالع بأنه "كان عالماً نحوياً مشاركاً أديباً يقول الشعر. له شرح على ألفية ابن مالك ؛ ومعارضة همزية البوصيري واشتغل أيضاً بتدوين تاريخ المغرب السياسي على عهد السلطان الحسن الأول وهو من المعجبين بالعهد الحسني. له مؤلفات عديدة أهمها مطالع الحسن واتباع السنن، بطلوع راية سولاي الحسن، دون فيه أخبار السلطان المذكور إلى أيامه. وتتخلل الموضوع الرئيسي استطرادات كثيرة مفيدة. وكتاب مطالع السعادة في فلك سياسة الرياسة، استعرض فيه قواعد السياسة السلطانية بشكل عام وسياسة السلطان مولاي الحسن الأول بشكل خاص، وهو مخطوط توجد نسخة منه بالخرزانة الحسنية رقم 11445. وتأليف منتهى النقل ومشتهى العقول. وهو عبارة عن رحلة تمت في إطار البعثة التي وجهها السلطان الحسن الأول برئاسة أخيه الأمير عرفة وكان المترجم المؤلف من بين أعضائها إلى منطقة وجدة لمراقبة الحدود بين المغرب والجزائر سنة 1301. 1884. وله رسالة بعنوان عناية الاستعانة في حكم التوظيف والمعونة كجواب على سؤال السلطان الحسن الأول حول الحكم الشرعي في توظيف المعونة لأجل تحديث الجيش.

نظم علي السملالي قصائد عديدة في مناسبات مختلفة مدح بها نفس السلطان كالفتح الرباني الذي يطمع فيه الأول والثاني، نظمها بمناسبة الرحلة الحسنية إلى جبال الأطلس المتوسط سنة 1305 / 1886، وأخرى بعنوان نهاية المقول في تنبيه هم الفحول.

توفي بفاس ليلة السبت تاسع وعشري جمادى الثانية 1311 / 6 يناير 1894. ودفن بمطرح الأجلة بالقياب خارج باب الفتوح.

علي السملالي نفسه، مطالع الحسن واتباع السنن بطلوع راية مولاي الحسن، مخطوط، خ. ح. رقم 11445 : ع. ابن سوادة، إتحاد المطالع / سرسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 8 : 2796 : م. المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، الجزء الثاني، 1989، ص. 96.

محمد عمراني

**السملالي، محمد بن عبد الكريم،** شيخ القراء في سوس، أتمن العشرين وعلمها، ولد بقرية آيت طالب إبراهيم بالأخصاص عام 1303 من أسرة تسلسل فيها العلم والصلاح. وينتهي نسبه إلى العباسيين السملاليين. أخذ القراءات عن المشاهير الكبار أمثال الشيخ أحمد بن ملود العبدلاوي الباعمراني في مدرسة الجمعة، ومحمد بن العربي الهوارى بمدرسة سيدي بوالبركات، ثم أخذ معارفه عن الفقيه

محمد بن إبراهيم في مدرسة سيدي إبراهيم بن علي 1328 وما بعدها، ثم شارط في مدرسة سيدي محند بن الحسن الأخصاصية منذ عام 1335 / 1917 يدرس القراءات بجد واجتهاد، وقل من لم يأخذ عنه من قراء سوس وحاحه المشهورين.

توفي وهو يزاول التعليم بالمدرسة يوم 2 شوال 1387 / 2 يناير 1968، عن عمر يناهز التسعين.

أوراق صهره الأستاذ العبدلاوي حسي الباعمراني، ومن خطه قلت وقائه : روايات شفهية عن كثير من عارفه من القراء والعلماء، السوسيين : م. المختار السوسي، العصور، 18 : 113-134. إبراهيم الوافي

**السملالي الهرواشي، محمد بن إبراهيم،** من أسرة سملالية وگاگية تقطن بسوق جمعة إداوسملال بالأطلس الصغير شرق مدينة تزنيث، وقد أقيم السوق الأسبوعي المذكور على جزء من أرض أجدادهم، ومازال من هذه الأسرة بقايا وأبناء عمومة بموطنهم الأصلي إلى اليوم.

ولد المترجم بقرية هرواش بأيت بعمران حوالي عام 1270 / 1853 وحسب الروايات الشفهية للأسرة طلبة ومسنيين، فإن الجد الأعلى الذي نزع من الموطن الأصلي بسملالية إلى آيت بعمران بهرواش هو "السيد داود" الجد الثالث للمترجم، وقيل جده الثاني المدعو (إبراهيم)، وأيا كان سنهما فإن سبب مجيئه هو ذهاب بعض أعيان آيت سيدي يوسف البعمرانيين إلى فقيه زاوية سيدي وگاگ بأگلو يطلبون منه أن يعين لهم طالبا من بين طلبته الحفظة لكتاب الله قصد المشاركة في مسجدهم سيدي يوسف، فاختار لهم "داود" الوگاگي حسب ما أشير إليه، وكان من دواعي اختيار شيخه له ما ظهر عليه من صبر وتواضع، وتوقف أحواله وظروفه على ذلك التشارط؛ فما كان من أعيان آيت سيدي يوسف إلا أن أكرموا وفادته بعد أن تبين لهم جده وإخلاصه وتفانيه في القيام بالواجب من إقراء وتربية وتوجيه ولم شمل الجماعة على إعمار المسجد والعصل الجاد، فقاموا من أجل الإبقاء عليه عندهم بالمصاهرة معه وتزويجه منهم، ولما ولد له ولده البكر اتفقوا على أن يهبوا له أرضا صالحة للإقامة وشي، من الحرث، وخبروه بين جهتين إحداها قريبة من موقع المسجد ومخالطة لهم والثانية نائية من مساكن الجماعة نسيبا، فاختار الجهة النائية حتى يحافظ على الاحترام بينه وبين جماعته، ومازالت تلك الأرض التي منحوه تدعى "بحيرة سيدي داود" إلى اليوم. ثم استقروا في السفح الجبلي المعروف بهرواش وهو جزء من جبل "تلو" الواقع على الطريق المعبدة اليوم، والرابطة بين أربعة الساحل وسوق الحد "بيفورنا" و"تيفزي" على مقربة من موضع يدعى (تمكرضت نهرواش) أي رقية هرواش.

وهرواش اسم لصخور حمراء بارزة هناك من جبل تلو، وفي أسفلها يقع منزل الوگاگيين السملاليين الذين عرفوا بالهرواشيين، وتكونت اليوم منهم ساكنة هناك يشكلون وحدة



سلالية ينتمي جميع أعضائها إلى جد واحد مشترك، ثم تفرعت منهم فروع أولاد وأحفاد، نساء ورجال أذكر من مواطنهم الرياط والبيضاء وأقرمود بالشياطمة، وأغادير، وإنزكان وأيت ملول وأكلميم وأيت عميرة بهشتوكة وتارودانت وغيرها...

نشأ محمد بن إبراهيم السملالي الهرواشي في حجر والديه على العفاف والصيانة والمحافظة على الأخلاق الكريمة، وكان والده من الأعيان يتاجر ويفلح الأرض ويرعى المواشي، واشتهر ببيع اللبارود، وتفرغ ولده المترجم في بداية الأمر إلى القراءة في المسجد ورعى الماشية ولما شب على الطوق قصد المدرسة البوكرية بخميس أيت بوكر التي كان قد أحيها وأنعشها سيدي حسين الشرجيلي في جملة ما أحيها من المدارس والأسواق (روضة الأفتان، ص. 69). ثم انتقل إلى المدرسة البونعمانية بأيت بريم قريبا من تزيت جهة الجنوب، فلازم شيخه مسعود بن محمد السملالي قبلا، الطالب إيعزا فصيلا نسبة إلى أيت الطالب إيعزا من تاجات مجاطة وهو موطنهم الأصلي (المعسول، 13 : 20). ومن أشهر تلامذة الهرواشي محمد بن أحمد الإكراري الرفاكي صاحب كتاب روضة الأفتان، ومحمد بن عبد الله بن يرشيل الكلفاني، والجامع اليعزاي، ومحمد بن علي البوكراوي، والفقير المؤرخ محمد بن المؤذن السملالي (ت. 1339).

لا شك أن ولوع الفقيه الهرواشي بالتاريخ والتوثيق والتدوين والتدقيق في ذلك قد انتقل منه إلى تلامذته، وجاروه في ذلك، ومنهم من تفوق عليه وفاته بمزيد العناية والاهتمام مثل المؤرخ الإكراري، وكذا ابن المؤذن هذا، علما بأن الفقيه الهرواشي كان قد اهتم في كتابته بتسجيل أحداث عصره الخطيرة، وجاء ما كتبه غاية في الضبط والشمول والموضوعية مقارنة مع ما كتبه غيره في نفس الأحداث.

كُون الفقيه السملالي الهرواشي نفسه تكوينا علميا وأخلاقيا أهله للظهور في الساحة العلمية بين أعلام وقته، وكُون خزانة علمية عيشت بها الأيدي، فصارت أثرا بعد عَيْن، فوجدت من تلك البقايا رسوما تعكس ذلك الكد والجهد الذي بذله الفقيه الهرواشي شأن أي عصامي آخر الذي انطلق من بيت قفر من رائحة العلم والكتب، فما كان منه إلا أن صيره منتدى للعلم والعلماء، وزينه بخزانة طافحة بالفائس والنوادر من المخطوطات والمطبوعات...

ومن آثاره العلمية طرر على تفسير الجلالين وتقييده التاريخي المركز الجامع والمناع لأحوال المحابين بسوس، خصوصا القائد سعيد الكيلولي (1314. 1318)، وقد غطى الفقيه هذه الفترة تغطية شاملة لأثر هذه الحركات الخطيرة في سوس في العهد العزبي.

توفي في رجب 1331 / يونيه - يوليوز 1913.

الإكراري، روضة الأفتان، الدار البيضاء، 1998 : م. المختار السوسي، المعسول، ج. 11.

إبراهيم الوافي

السّم. كل ما يقتل أو يساعد على القتل باستعمال مواد تدخل جسم الإنسان إما بالأكل أو الشرب أو النفت. كان الأطباء العرب قد تعرفوا عن طريق ديمسكوريد Dioscoride وجالينوس Galien من خلال أعمال الترجمة على "كتاب السموم" لأحد الهنود، ونهلوا منه بعض معلوماتهم عن السم. وأفرد ابن سينا القسم السادس من الكتاب الرابع من كتابه "القانون" لمبحث السم، وذكر اللسعات واللدغات المسومة، وكذا السعار.

تقل المعلومات عن موضوع السم وآثاره في المصادر المكتوبة عن تاريخ المغرب، إلا ما كان من بعض الإشارات المتفرقة التي ترد عند وفاة أحد السلاطين مسوما، كما هو الشأن بالنسبة لإدريس الأول، أو بالنسبة لبعض حكام الدولة المرينية بما تجده في روضة التشرين.

وذكر لامبريير Lemprière الذي زار المغرب سنة 1789 أن السم كان شائعا بين الجوارى وحريم السلطان، وأنهن كن يشترين الزرنخ لاستعماله في التسميم، ويورد هذا الطبيب الأنجليزي أن إحدى زوجات السلطان سيدي محمد بن عبد الله كانت ضحية تسمم من بعض نساء البلاط الأخربات، فانتابتها اختلاجات وانحرف صحي ذبل على أثره جمالها واعتراها الوهن والهزال وتقلحت أسنانها، وأصبحت على شكل هيكل عظمي.

وأورد ليناريس Linares في ما كتبه عن رحلته مع مولاي الحسن إلى تافيلالت أن القائمين بأمر المحلة، اضطروا في المرحلة التاسعة من الرحلة (من تجام إلى الخفوخات) إلى تحريك الافراغ نحو منطقة أخرى، لكثرة ما رآه السلطان هناك من العناكب (بوصيحة) المعروفة بلسعاتها السامة القاتلة.

وأولت الحماية الفرنسية بالمغرب اهتماما كبيرا بموضوع السم، لكثرة ما كان يصيب جنودها ومعمرها من لدغات العقارب والأفاعي أو من تناول بعض النباتات السامة في بيئة مجهولة، فالتجته إلى دراسة السموم بالمغرب أملا في درء ما قد تسببه من أخطار.

وكان من أشهر من تصدوا لدراسة السموم، أحد الصيادلة المتخصصين في العلوم الطبيعية، يدعى شارنو A. Charnot الذي كتب في سنة 1934 مقالا صنف فيه العقارب الموجودة بالمغرب، ثم أرفقه في سنة 1945 بكتابه الشهير "مبحث السامة بالمغرب La toxicologie au Maroc" وفيه صنف السموم إلى ثلاثة :

- سموم من أصل حيواني

- سموم من أصل نباتي

- سموم من أصل معدني

فأما السموم ذات الأصل الحيواني فتنتمن الذبابة الهندية، وبيض الحرياء بالإضافة إلى سموم العقارب والأفاعي والعناكب وبعض الزنابير. ويمكن هنا أن نفصل بين نموذجين من هذه السموم وهي الأفاعي والعقارب. ففيما

الإنسان أثناء ديبب السم في عضوه الملسوع كما لو أن النمل يمشي على ذلك العضو أو كأنما تسقط عليه قطرات من المطر البارد. وكلما سرى السم في أوصال الانسان اعترته اضطرابات معدية متباينة مع غزارة اللعاب والغثيان والقيء المرئي، بالإضافة إلى الإسهال المتكرر والعرق واطراب ضربات القلب. وقد يعود المذوغ إلى حالته الطبيعية ما بين 24 و48 ساعة، كما قد يلقي حتفه من جراء اللدغة.

سموم من أصل نباتي

- تكاوت : وهي نبات يشبه الصبار، وهو خطير بحيث إذا أصاب ماؤه العين تسبب في العمى. تستعمل النساء هذه المادة لإعطاء الشعر لونا فاحما، غير أنها مع الأيام تلحق الضرر بمنابت الشعر وتسبب في التهابات بجلد الرأس. وتستعمل تكاوت كذلك كمادة للتسميم في إطار ما يسمى عند عامة الناس "التوكال"، إذ بمجرد وصولها إلى أحشاء الإنسان تنتفخ كليته ويتناهب انحراف صحي يؤدي به إلى موت محقق.

- بيض الغول : ويسمى أيضا تفاح الجن، عبارة عن نبات تتوغل جذوره في التراب على شكل جسم الانسان. تستعمل النساء هذه النبات لزيادة الوزن وعلاج البرودة الجنسية. وإذا دُس لشخص في الطعام تسبب له في تسمم قد يؤدي بحياته. وقد وقعت في سنة 1932 حالة تسمم بسبب بيض الغول في معسكر من معسكرات الحاجب، ذلك أن أحد الجنود الفرنسيين أقدم على تقطيع أوراقه ليجعل منها سلطة مكان أوراق الخس ربما ظنا منه أنها نوع من الخس ويعد ساعتين من تناوله اعتراه دوار وقيء وجف ريقه ولم يعد يقوى على المشي مستويا، كما ثقلت أعضاؤه وعلت بصره غشاوة. ولم تغب عنه هذه الأعراض إلا بعد يومين من المعاناة، ولم يعد بصره عاديا إلا بعد ستة أيام.

- الداد : وهي جذور نبتة مشوكة، تستعمل كثيرا في "التوكال" حيث يصاب من دست له مع طعام بارتفاع في محلول الدم (Glycémie) ثم ارتفاع كبير في ضغط الدم مع الوهن والاسترخاء وقد يصاحب ذلك انتفاخ في الدماغ وتشنج، وربما أدى إلى الموت على إثر انحباس التنفس. - شدة الجمل : كان يستعمل كدواء ضد التشنج والربو، كما استعمل كمادة مثيرة للرغبة الجنسية، لكنه مادة سامة يكفي قدر قليل منها للقضاء على حياة شخص.

سموم ذات أصل معدني

أورد شارنو Chamot أحد عشر نوعا منها، غير أن أشهرها :

- الرهج، أو الزرنينج الأصفر، وهو حجر صغير ذو لون أصفر في حجم الحمص، وكان يستخدم في أغراض طبية لمعالجة الجرب والقضاء على القمل، كما كان يستخدم للتسميم والقتل، حتى إن عامة الناس تكاد تشفق على أن فعل "رهج" يعني "تكلل" من التوكال، أي دس السم لأحد في الأكل أو الشرب.

يخص الأولى أي الأفاعي، قام أحد المهتمين بهذا الميدان في سنة 1933 بمحاولة لتصنيفها فعدد خمسة عشرة نوعا، لم تكن كلها سامة ولكن معظمها يحتوي على لوزة رضائية لإفراز السم. وأهم هذه الأنواع وأكثرها سما :

- أفعى مونيولي Montpelier ويصل طولها إلى 1.98م لونها مخضر مع لطف سمرء، تعيش في الأحرش. وعندما تلدغ عضوا ينتفخ وتعترى صاحبه حصى واضطرابات عصبية. - الناجا أو الصلّ أوبوسكة عند عامة الناس، وهي سامة جدا تكفي بعض القطرات من سمها لقتل كلب في ربع ساعة. تعيش في سوس وما يتولاها من المناطق الصحراوية.

- أفعى لاتاست Lataste وتوجد في الأماكن الصخرية من الأطلس المتوسط، تعيش على القوارض، وسمها أقل خطرا على الإنسان والحيوان.

- أفعى مينوت Minute، رمادية ضاربة إلى الصهبية مع خطوط سمرء متموجة، تسكن المناطق الصخرية لسعتها خطيرة جدا، إذا لم تقتل الملسوع فإنها تترك آثارا على صحته.

- الأفعى اللاطمة Heurtante توجد في سوس، كثيرة السم وسمها يقتل في بضع دقائق وعلى الخصوص عندما يسري مع شريان رئيسي.

- أفعى ذات قرنين، وهذه تعيش في الصحراء، سمها خطير وسريع القتل، يؤدي بحياة جمل أو حصان في وقت وجيز.

أما العقارب فكثيرة بالمغرب قد تصل إلى ثلاثين نوعا منها الأصفر والأسود، وتتكاثر في ما بين ماي وأكتوبر من السنة، وغالبا ما تصنف العقارب إلى صفراء وسوداء.

فبالصفراء على نوعين :

Heterometrus maurus Linné : وتنتشر في ضواحي

الرباط وأزرو ووزان وحتى مراکش وأوريكة.

Buthus occitanus Amoreux : توجد في المناطق

الساحلية وكذا في المناطق الداخلية من المغرب. كما وجدت في رمال شواطئ الرباط وفي منطقتي ولما وأزرو.

وتكون لدغة العقرب الصفراء ذات مفعول محلي، تبدأ بألم حاد وسريع يشبه ما تحدثه لسعة الزنبور، ولا يتعدى اشعاع الألم المناطق المحيطة بالعضو المذوغ، ثم يعود الشخص بعد 24 ساعة إلى حالته الطبيعية.

أما العقارب السوداء فهي أخطر من الصفراء حيث يشتمل سمها على عناصر أقوى من المواد الموهنة والميتة، وهي نوعان كذلك :

Prionurus tingitanus Pallary : وهذه قليلة الانتشار،

وجد بعضها في خراب حسان وشالة خلال فترة الحماية، ووجدت في مناطق ارتفاع 2000 م وفي تادالا.

Prionurus Liouvillei Pallary : وينتشر هذا النوع

بكثرة في مناطق زعير - أزور - الحاجب، وإد زم. وتتسبب لدغة العقرب السوداء في ألم حاد جدا، فيشعر

الزنجار أو صداً النحاس، كان الناس يستعملونه لعلاج القروح وإبادة الحشرات والجرذان، كما استعمل سما قاتلاً تكفي كمية قليلة منه لجلب الموت.

الزواق : استعمله الأطباء القدماء في معالجة قروح الزهري، واستغله الكيويون في تحضير وصفات الموت.

وقد شاع بين الناس استخدام السم لأغراض إجرامية في ما عرف "بالتوكال" وهو كل ما يتم دسه للإنسان في الطعام من مواد سامة بغاية إلحاق الأذى به". وأشهر الأطباق الصالحة لدس السم هي :

الكسكس : حيث أن طريقة تحضيره والمواد المكونة له بالإضافة إلى ذوقه، ميزات تجعله قابلاً لاحتواء كل أنواع السم دون أن ينتبه لذلك أحد. ويشير شارنو في هذا الصدد إلى أنه عشر في معدة أحد ضحايا التوكال على قطعة من الرهج ذات لون أصفر في حجم جليان مكسر.

الحريرة : شكلت الحريرة بمذاقها اللذيذ وإقبال الناس بنهم على شربها، غذاءً مَسْوَعًا للسم، ويعود شارنو ليتحدث عن فحص قام به حريرة تقيأها أحد المستهدفين حيث وجد فيها أطرافاً من الرهج الأصفر. ولعل عبارة "شاربو في الحريرة" التي تتردد أحياناً عند عامة الناس مما يؤكد شيوع دس السم في الحريرة.

الشاي والقهوة : مشروبان صالحان لدس السم لأن لونهما يخفيان ما قد يشوبهما من مواد دخيلة، ويذكر شارنو مرة أخرى أنه وجد في أوراق شاي مستعملة أي ما يسمى عند المغاربة "الطبخة"، بعضاً من أوراق السيكران وحبوبه، وهو نبات تكفي 15 إلى 20 من حياته إذا نزلت إلى معدة الإنسان لترديه قتيلاً.

ولم تكن وصفات الموت، التي كانت تدبر باستعمال بعض ما أتينا على ذكره من أنواع السموم، تردى الإنسان لتوّه، حتى ولو كان بعضها زعافاً يقطع الأمعاء، بل أنها كانت تمهل المبتلى بها أيام معدودات، بل لبضعة شهور تنحرف خلالها صحته، وتعتريه نوبات متتالية من الغثيان والقيء، فيزمن به الداء ولا تدركه المنية إلا بعد أن ينال منه الهزال ويصبح غير قادر على المقاومة، وتلك طريقة غالباً ما تبعد عن الجاني ما قد يحوم حوله من شكوك.

وكان المغاربة يعالجون ما كان يلم بهم من عوارض السموم بطرق مختلفة فتراهم عندما يتعلق الأمر ببلدغات الأفاعي أو العقارب أو العناكب يلتجئون إلى شرط المنطقة الملسوعة واستخلاص ما خلط بدمها من سم عن طريق المص مع ربط العضو الملدوغ بخيط محكم مما يلي الشرايين المؤدية إلى القلب. ثم يحسى على مكان اللدغة بالنار.

ولاحظ لنياريس قبل ذلك في رحلته مع مولاي الحسن كيف كان سكان بعض مناطق المغرب يعالجون من لسعة بوضيحة (نوع من العناكب السامة)، حيث يحفرون حفرة ويوضع فيها الملسوع ممتدداً ثم يرد عليه التراب حتى الدفن، وتوقد فوقه النار لبعض الوقت ثم يخرج من تحت التراب بعد أن يكون قد تبلل من العرق.

أما عندما يتعلق الأمر بالتوكال فكان أهل المصاب يهينون له وصفات تشير الغثيان لعل التقيؤ يساعد على إخراج ما بأحشائه من سم، وقد أخبرنا بعض الناس أن ذلك يتم بمزج ماء البحر مع أوراق الدفلى وفليو. ويتناول المصاب جرعات من تقيع ذلك.

وشاع بين الناس استعمال مادة ضد السم تسمى "بيض المهر"، ويطلق عليها بادزهر، وهي كلمة فارسية تعني غسل السم، وهي عبارة عن أحجار بيضوية الشكل نسجت حولها كثير من الأساطير حيث ظن البعض أنها تخرج من أحشاء الطباء، وقال آخرون أنها بيض طائر الرخ الذي ورد ذكره في رحلات السندباد. وكان المغاربة يثقون كثيراً في نجاعة هذا البيض في شفاء المسمومين، لكن دراسة الطبيب أرنو Arnaud المعتمدة، قد كشفت النقاب عن سر هذا البيض، فإذا هو حجر كالأحجار لا يجدي فتيلاً في معالجة السم.

وعلى الرغم من تقدم الطب، ووجود مصلحة خاصة بالسموم، فإن العقارب ما زالت تميث في سكان القرى المغربية النائية والدواوير المنزوية، لبعدها عن مراكز الاستشفاء، وما زال الانتقام بدس السم من الأمور الجارية في مجتمعنا.

جلال الدين السيوطي، كتاب الرحمة في الطب والحكمة : داود الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجائب، بيروت، د. ت. : نادية بلحاج، التطبيب والسحر في المغرب، الرباط، 1986 : جريدة الأحداث المغربية، 7 أبريل 2001 : 20 يوليوز 2001 : رواية شفية.

M. Akhuisse, *Medecine, magie et sorcellerie au Maroc*, Casa, 1985 ; L. Arnaud, *L'aveug du faim ou la survivance inattendue du Bézouard*, in *Maroc Médical*, oct. 1926 ; A. Charriot, *La toxicologie au Maroc*, Paris, 1945 ; *Les scorpions du Maroc, leur venin, leur danger pour l'homme et les animaux*, BHM, oct. - déc. 1934 ; F.J. Linarès, *Voyage au Tafilale avec S.M. le sultan Moulay Hassan en 1893*, BHM, juillet-sept. 1932 ; L. Raynaud, *Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc*, Alger, 1902 ; *Serpents venimeux du Maroc*, in *Maroc Médical*, mars 1933 ; A. Sigelmassi, *Les plantes médicinales du Maroc*, Casablanca, 1993.

**السمار**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Çamar - Asmar ؛ وما زالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Azamar ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان. وما تزال بمدينة سلا مجموعة من آل السمار.

وفي تطوان أسرة أخرى تدعى السمار أصلها من الجزائر، ومنهم علي بن محمد السمار فقيه كان حياً سنة 1172 / 1759، وعبد الله بن محمد السمار، زاول خطة العدالة من سنة 1133 إلى 1170 (1721. 1757)، وعبد الرحمن بن العربي السمار، زاول العدالة من سنة 1161 إلى 1182 (1748. 1768)، ومحمد بن محمد السمار، فقيه توفي سنة 1173 / 1760، وعبد السلام بن محمد السمار، فقيه كان

بقيد الحياة سنة 1194 / 1780، ومحمد بن أحمد السمار،  
زاوّل خطة العدالة سنة 1273 / 1857.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483  
إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع في الرقم 1397.  
محمد ابن عزوز حكيم

### السّمَار، محمد بن زيد السبتي، وصفه صاحب بلغة

الأمنية بالفقيه المشارك. جلس للإفراء بالمسجد الأسفل من  
زقاق أبي يحيى حيث كان يوجد مقر سكناه. كما امتهن  
التوثيق بالسماط. ثم تخلى عن ذلك كله فارتدى لباس الزهد  
والخمول وعكف على طلب رزقه بتسمير الدواب وكان لا  
يقرب الخيل والبغال خشية أن يقصده الأعداء وذوو الجاه، ومن  
ثم جاء لقبه بالسار. فانطوى على نفسه واستصغرت الدنيا  
في عينيه وهانت نفسه عليه. يذكر صاحب بلغة الأمنية أن  
الشيخ الزاهد الشهير محمد بن موسى الحلفاوي الإشبيلي  
نزّل فاس، أحد تلامذة المتصوف الشهير يعقوب الزيات  
صاحب الطريقة المعروفة، لما علم بحاله، استدعاه للسكنى  
معهم. فرحل من سبتة بأهله وولده ونزل بفاس بجاوره.

وكانت وفاته بعد سنة 750 / 1349.

مجهول، ن. ح. م. ابن تاوت: مجلة تطاون، العدد التاسع،  
1964.

زولبخة بزمضان

### السّمَار، محمد السلاوي، أحد المجاهدين البحرين

الذين كانوا أسرى بفرنسا واستخدموا في سفنها وأورشها ما  
بين أعوام 1111 - 1139 / 1699 - 1727. وكان عبد الله ابن  
عائشة طالب بإطلاق سراح محمد السمار لما كان سفيرا  
بفرنسا فلم يتيسر له ذلك. ولما كان ببريصة Brest راجعا  
إلى المغرب كتب رسالة إلى صاحبه التاجر جوردان بتاريخ 11  
قعدة 1110 / 16 ماي 1699 يلح فيها عليه بالتدخل لإطلاق  
سراح المترجم. ثم كتب رسالة أخرى بتاريخ فاتح رجب 1111 /  
23 دجنبر 1699 إلى القنصل الفرنسي J.B. Estelle في نفس  
الموضوع، ولم تسعنا المصادر في معرفة مآل هذا الأسير وهل  
أطلق سراحه أم لا.

محمد السعدي

### السّمَارين (باب -) بفاس، أحد الأبواب الرئيسية

بالمدينة البيضاء، المسماة أيضا فاس الجديد التي شيدها  
السلطان المريني أبو يوسف يعقوب عام 674 / 1276 لتكون  
مقراً لحكمه. وقد أحاطها بسورين غاية في المثانة والضخامة  
لضمان حمايتها من الأعداء. وأقام فيها مجموعة من  
الأبواب من أشهرها باب الدكاكين وباب الأمر وباب  
السمارين.

يقع هذا الأخر في السور الداخلي، وكان معروفا باسم  
باب عيون صنهاجة، بقول صاحب الذخيرة في هذا الموضوع :

"وفي سنة 679 هـ بنى (أبو يوسف يعقوب) في المدينة  
المذكورة الأسواق من باب القنطرة إلى باب عيون صنهاجة"  
(الذخيرة، ص. 162).

ويعد باب السمارين المدخل الأساسي لفاس الجديد من  
الجهة الجنوبية، إذ يفضي إلى شارع رئيسي، فسمح نسيبا،  
يبلغ طوله حوالي نصف الميل، وتنتشر حوله الدكاكين والمرافق  
الاجتماعية والاقتصادية بفاس الجديد (الوزان، ج. 1، ص.  
282).

وتوحي تسمية باب السمارين - التي لا يعرف متى  
أطلقت عليه - إلى أمرين :

- وجود الحرفيين الذين يقومون بدق المسامير في أرجل  
الخيول والدواب، وقد أشار الحسن الوزان إلى انتشار  
اصطبلات الخيول حول باب الدكاكين وفي ناحية باب عيون  
صنهاجة (وصف إفريقيا، ج. 1، ص. 282).

- وجود الحراس الليليين بالباب المذكور، حيث يقضون  
الوقت في المسامرة والأحاديث.

وقد شهد باب السمارين تغيرات هامة منذ تشييده خلال  
النصف الثاني من القرن السابع (13 م). ويشير بعض  
الباحثين إلى أن الباب فقد كثيرا من ملامحه الأصلية بفعل  
التعديلات التي توالفت عليه. (Declarosière et Bressoletc.  
(p. 260).

ابن أبي زرع، الذخيرة...، الرباط، 1972؛ ح. الوزان، وصف  
إسريغيا، تر. م. حجي وم. الأخضر، بيروت، الرباط، ص. 2،  
1983.

H. Bressoletc et J. Declarosière. *Fès-Jlid de sa fonda-  
tion en 1276 au milieu du XXe siècle. H.T.*, Fasc. om. 1982 -  
83.

الحاج موسى بخني

### السمارين، يراكش مجموعة أسواق تجارية تمتد على

جانبي ممر محوري تجاري يقلب مدينة يراكش العتيقة، صار  
مقصورا على الراجلين فقط، يمتد من جامع الفناء وبالضبط  
من سوق التمر المرتبط بها، يتجه مستقيما إلى الشمال نحو  
المركز التاريخي للمدينة : جامع ابن يوسف. طوله 500 م  
ينتهي عند باب الطالعة، لينحرف قليلا إلى الشمال الشرقي  
ليشرف على أبواب جامع ابن يوسف وماآثره التاريخية.

هذا الطريق الذي لم يرق إلى مستوى شارع بالمفهوم  
الحديث، وتجاوز كثيرا مستوى زئقة تقليدية، يعتبر اليوم ممر  
حيويا وسوقا ومركبا اقتصاديا لأنشطة تجارية وساحية  
وحرفية وترفيهية عديدة، فهو أشهر ممر يراكش يعرفه جل من  
زارها سواء كان سائحا أجنبيا أو وطنيا، فهو يكون مركز  
الثقل الاقتصادي والاجتماعي للمدينة العتيقة، يربط بين  
نواطين رئيسيتين هما :

جامع ابن يوسف : الذي انطلقت منه المدينة كنواة  
لتوسعها التاريخي فأحاطت به أقدم الأحياء التاريخية من  
جهة الشمال والشرق والغرب : حي أسول وقاعة بناهض  
وحارة السورة وزاوية الحضر، ومجموعة أسواق وفنادق حرفية

وتجارية تاريخية تنطلق منها محاور طرقية تنجبه إلى الأبواب الرئيسية لمراكش، مثل طريق بين الفنادق شرقا الموصل إلى ساحة الموقف المتصلة ببابي الدباغ والخميس، وطريق باب تاغزوت شمالا وطريق روض العروس فباب دكالة، وطريق المواصلان والقصور المتجه غربا إلى جامع الكتبية والأسوار الغربية.

جامع الفناء : وهي ساحة تاريخية كبرى بجنوب المر تفصل بين أحياء الشمال الحرفية والسكنية الشعبية، وأحياء الجنوب الراقية حيث المشور والقصر الملكي وحي القصبة وأحياء رياض الزيتون والفنارية والملاح. وكانت هذه الساحة مخصصة لعرض منتوجات ذات حمولة ثقيلة كالحطب والخشب والفحم الواقد من بساتين الدير والغابات الجبلية، والزيتون واللوز والجوز والصوف والحبوب والجلود... كانت تحمل على الدواب، يطرح بعضها للبيع بالساحة مثل الخشب والفحم وينقل الأخر إلى الأسواق الحرفية والتجارية المتفرعة من ممر السمارين. ولم تطلق هذه التسمية سوى على المقطع الأول من المر حيث كانت محلات عدد من الحدادين مختصين في تصفيح الدواب بالصفائح والمسامير التي تفرغ حمولتها بمختلف الأسواق وتقل راجعة للمبيت مع أصحابها بفنادق فحل الزفريتي وباب فتوح المنتشرة شمال جامع الفناء. وينتهي مقطع السمارين عند باب الفحل بمنتصف المر، أما بقيته فتطلق عليه أسماء أخرى مشتقة من النشاط السائد بها، في مقدمتها السوق الكبير، ثم يتفرع المر إلى فرعين ينحرف أحدهما يسارا يعرف بسوق خراز البالي وهو الاسم الذي يطلق اليوم على كل الممر الذي كان يبتدىء بسوق السطابلية وينتهي بسوق الحناء التي اختفت نهائيا، ويفضي هذا الممر للأسواق المهمة كسوق السماط (البلغفة والأحذية المتنوعة) وسوق اللبادين (ج. لبدة وهي بساط صوفي صغير للصلاة) وسوق العطارين الذي صار متخصصا في الأواني النحاسية والمفضضة الخاصة بالشاي، وسوق الحدادين وسوق القشابين (خياطو الجلابيب). أما الفرع الآخر الذي يمتد شمالا على استقامة الجزء الأول، فيطلق على المقطع الأول منه سوق الرباعية (ج. ربيعة : وهي صندوق خشبي شائع لحزن الملابس وغيرها). يأتي بعده مقطع سوق الشكايرية (الشكارة : محفظة جلدية يحملها الرجال) ثم سوق الشراطين (صانعو القنب) الذي ينتهي بباب الطالعة وكان ولا يزال به مجموعة دكاكين صغيرة للبقالة وبيع التغذية الشعبية للحرفيين، ويعرف قسم منه بسوق الشعيرة (حيث تبيع النسوة ما يحضره بمنازلهن من الشعيرة المصنوعة من العجين).

وعلى طوله تتوزع على اليمين واليسار عدد من الأسواق الفرعية مثل سوق الرحبة القديمة حيث كانت تباع الحبوب وقد تحول الآن إلى سوق العشابين وبارارات، وسوق الغزل حيث كان يعرض قديما العبيد والجواري وتُحول إلى سوق الصوف الخام في عهد الحماية ويباع به حاليا الملابس الجديدة والقديمة والقليل من الصوف. ويتفرع من الرحبة القديمة سوق البطاين

(ج. بطانة) وهي جلود المواشي وقد انتقل مؤخرا إلى باب الخميس حيث فتح له باب بالسور يشرف على واد إيسيل وحل محله سوق الملابس الشعبية، وسوق الزرابي الذي توسع على حساب سوق العدة أي الأسلحة بعد اختفائها من السوق. وفي الهامش الغربي للرحبة القديمة يوجد أقدم سوق لبيع السمك الذي لازالت به بعض الدكاكين لهذا النشاط بينما انتشر في بقيته دكاكين لصناعة أنواع الغريال والرابوز (منفاخ لإيقاد النار بالفحم والحطب). كما يتفرع من ممر السمارين عدد من السويقات المعلقة بها عدد من الحوانيت لا تتجاوز عشرين كانت تباع بها الأتواب أو تزاول بها بعض الأنشطة الحرفية تعرف بالقيسارية أو السوق، تسمى باسم النشاط المزاول بها كسوق الفخارين وسوق الدلالة وسوق أحياك (الحياك) وسوق الشراطين (صانعو القنب) وسوق السراجين وسوق الحرارين الجديد (صانعو الحرير) وسوق التكموتيين (نسبة إلى قبيلة تكموت)، يصنع ويبيع به الحلوى الذهبية والفضية وسوق الغريال. ومنها ما يسمى بالأشخاص مثل قيسارية مولاي علي، والتبر، والحاج عبد السلام والأحباس والقيسارية الوسطى. والفرق بين السوق والقيسارية هو أن الأول يصنع به الحرفيون منتوجاتهم ويبيعونها بالتفصيل أو الجملة أما القيسارية فهي سوق تجاري، ووردت هذه التسمية من الشرق العربي، اقتبست من الرومان الذين كانوا يطلقونها على أسواق (قيصرية) للمنتوجات الراقية كالملابس والحلوى والعطور، لكنها تعني هنا مجرد سوق لمنتوج تجاري معين.

لقد كتب اسم السمارين على بداية الطريق بأولى الخرائط التي وضعها الأوربيون لمراكش في نهاية القرن الثالث عشر (19 م). وباعتبار السمارين أول ما يصادفه الزائر المنطلق من جامع الفناء، فقد توسع مدلول الاسم تدريجيا حتى صار يطلق على كل المركب التجاري الحرفي السياحي لوسط المدينة العتيقة الذي اشتهر بسوق السمارين.

بحث ميداني : تحليل تصميم مدينة مراكش : معلومات من التجار المحليين ومن تاريخ المغرب.

**السمن**، مادة دهنية حيوانية تستخرج من الزبدة الحيوانية، وهو شائع الاستعمال في جميع أرجاء المغرب لاهتمام الريفيين من فلاحين مستقرين ورحل وأنصاف الرحل بتربية المواشي ومعالجة حليبها. يعرف عند القبائل الأمازيغية بأودي أو السمن كذلك. وكانت جميع الأسر بالمدن والأرياف تحرص على اختزان كمية من السمن بقوارير من الفخار كاحتياطي غذائي باعتبار السمن أهم مادة دهنية يمكن أن تخترن مدة شهور أو سنوات، وتكون أنواع الخبز أو الرغيف المدهون بالسمن وجبة غذائية دسمة للمناسبات العائلية المهمة والوجبات السريعة قديما.

وللحصول على السمن، يترك الحليب الطازج في أواني بضعه أيام حتى يتخثر بفعل خصائص طبيعية من الهواء ثم

يخض في قربة خاصة (الشكوة) وحاليا في براميل بلاستيكية معلقة بقتب، فتتفصل المادة الدهنية وتلتصق جزئياتها مكونة الزبدة وهي المادة الخام لجميع أنواع السمن، وهي ثلاثة أنواع رئيسية :

- السمن المدوب أو الحلو : كانت الأسر الريفية تجمع كمية من الزبدة التي تحصل عليها لعدة أسابيع بإضافة كمية قليلة من الملح ثم تطبخ على النار في قدر كبير فتتخلص مما تبقى فيها من الماء بالتبخير وبقايا الحليب وغيره بالترسب في قعر القدر، فتحصل على سمن مدوب نقي معقم، وينقص وزن الكمية الابتدائية بحوالي 20-25٪ تضيف بعض الأسر أعشابا مثل الزعتر أو الشيع وغيرهما مما يعطي رائحة ومذاقا خاصا للسمن فيتميز ببعض الأسماء تختلف حسب الأقاليم. والسمن المدوب لا يقبل الحزن لأكثر من سنة.

- السمن الحار أو سمن بودراع : يتكون من زبدة تضاف إليها كميات من الملح بالتدريج كلما أضيفت إليها كمية جديدة، ثم يعجن المنتج ويدلك لتكوين مادة متجانسة وهو لا ينضج على النار لذا يبقى محافظا على وزنه الأصلي، له رائحة نفاذة قوية، يمكن أن يخزن لبضع سنوات.

- السمن الحابل : عندما يترك السمن الحار مدة تتجاوز السنة تظهر به فطريات خاصة قبيل إلى الخضرة، ثم يعجن ويدلك لإعطائه تجانسا فيكتسب لونا يميل إلى البرتقالي ويصبح له طعم مر لاذع خاص، ويستعمل كنوعية غذائية متميزة أو كدواء لتحفيز حيوية الجسم أو معالجة بروذته ولمقاومة بعض أمراض الروماتزم والمعدة... وهذا النوع قل عليه الطلب كثيرا ويكاد يختفي من الأسواق.

أما المادة المعروفة بالخليج فهي لا تحتوي على سمن حقيقي إذ تتكون من لحم مقعد بدون عظام ينضج مع قدر محدد من زيت الزيتون والشحم الحيواني.

كان السمن بأنواعه إنتاجا عائليا عاديا، تنتجه الأسر الريفية للاستهلاك الذاتي وتقدم جزءا منه كهدية لأقربائها الحضريين أو كنصيب من ثمرات الشراكة أو استغلال بستان. لكن الحاجة إلى النفود تدفع بعض الأسر إلى بيع قسم منه خاصة عندما يكثُر في فصل الربيع أو في سنوات الخصب. وكان هناك تجار وسطاء يجمعون منه ما يعرض للبيع في بعض الأسواق الريفية لتزويد البقالة بالمدن، وكان بكل المدن التقليدية خاصة الكبرى منها أسواق بقالة، مختصة في بيع الزيوت وأنواع السمن، توضع الزيوت في قددور وقرب من جلد الأبقار والماعز أو في قرعات وهي قوارير كروية الشكل سعتها 5-12 لتر، تصنع من نبات القرعيات الذي يترك حتى يبس فيثقب من أعلاه ويفرغ جوفه بتقنية خاصة، ومنها استمد المغاربة تسمية القرعة التي يطلقونها على كل زجاجة لحزن السوائل. أما السمن فيخزن في قددور فخارية ونادرا يقرب من جلد الماعز.

ضمت أسواق البقالة بالمدن الكبرى عشرات الدكاكين لكن تطور الاقتصاد وظهور الزيوت النباتية وأنواع الزبدة

المستوردة والمحلية ومنها الزبدة النباتية، التي تعرض بكل دكاكين الأحياء غير الأوضاع، وهكذا تحول سوق البقالة بمراكش مثلا إلى سوق الملابس والأحذية البلاستيكية والأواني المنزلية ولم يبق به من البقالة سوى سبعة دكاكين صارت متخصصة في بيع الزيتون وزيته والسمن.

لقد تزايد الطلب على السمن في السنوات الأخيرة لسبب رئيسي هو استعماله في دهن طعام الكسكس الذي شاع استهلاكه لدى الأسر المغربية يوم الجمعة، وهكذا يشتد الطلب على السمن في هذا اليوم وفي رمضان والأعياد الدينية حيث يستعمل في دهن رقيق : المسمن كفظور يوم العيد. ويلاحظ أنه في الوقت الذي تزايد فيه الطلب على السمن تراجع إنتاجه كثيرا بعد أن صار جل الريفيين يبيعون حليبهم للتعاونيات وشركات معالجة الحليب التي تصنعه وتغني بمشتقاته المتنوعة الإنتاج الاستهلاكي الحضري. فلم تعد الأسر المغربية الريفية تقوم بمخض حليبها واستخراج الزبدة لصناعة السمن إلا في المناطق الريفية المنعزلة أو لدى الأسر الفقيرة التي تنتج منه كمية قليلة لا تستحق عناء التسويق. لكن بدأ يعوض هذا النقص ظهور تجار متخصصين يشترون ما توفر من الزبدة البلدية أو السمن وتحويلهما إلى نوعيات السمن المطلوب، وهكذا ظهر تجار جملة للسمن يزودون زبناهم من البقالة بالأسواق الحضرية، وبذلك تتوسع تجارة داخلية إقليمية له تحاول تلبية طلب السوق وتم غالبا بين المدن التقليدية الكبرى والأقاليم الزراعية المرتبطة بها، فجد بقالة مراكش يحصلون على حاجتهم من السمن المدوب من سوس، والسمن الحار من دكالة. بل تصدى لإنتاج السمن شركات معالجة الحليب خاصة عندما يكثُر الحليب والزبدة في بعض الفصول، فتحول كميات من الزبدة إلى سمن يباع خاصة في الأسواق الممتازة وبقالة الأحياء، لكن يحد من توسع هذا النشاط حاليا ضعف إنتاج الزبدة الطازجة ومحدودية الربح لأن ثمن السمن 60 درهم والزبدة الطازجة 40-50 درهما. وعملية تحويلها يفقد جزءا من وزنها. ولا توجد للسمن تجارة وطنية لحد الآن فهو لا يصدر ولا يستورد لأن الكميات الرائجة في الأسواق مازالت محدودة، فحسب تقدير بعض التجار المختصين، يباع بمراكش من أنواع السمن ما يتراوح بين 7.000 و10.000 كلغرام سنويا.

معلومات من بعض البقالين ومنتجي السمن بمراكش.

أحمد هوزالي

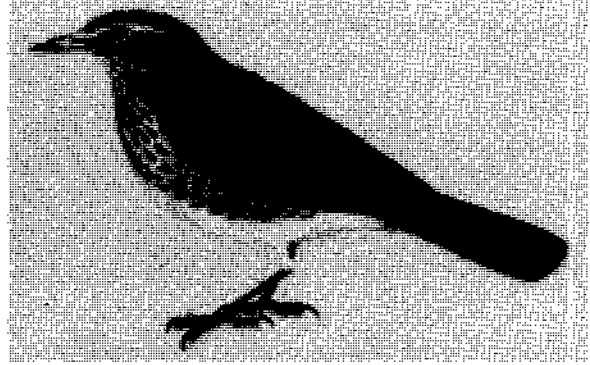
**السُّمْنَةُ**، جنس من الطيور البرية متوسطة القند إلى صغيرة، جميلة المنظر طيبة اللحم حسنة الصوت، (ج. سمان وسُمان)، وهي غير السماني الذي ذكر في مادة - سلوى -. تصنف السُّمْنان إلى رتبة الجوارثم المشرومات المناقير أو العصفوريات Passeriforme وإلى فصيلة الشحوريات Turdididae. من بين الأنواع الشائعة في المغرب خمسة من جنس توردس Turdus ونوعان من جنس مونتيكولا Monticola :

المناطق الشمالية المغربية - سهول وجبال الريف والأطلس المتوسط وسهول الغرب. يهاجر إلى أوروبا في بداية الربيع ليتوالد منذ أبريل إلى يونيو. ينصب العش على الأشجار. تبيض الإناث 4-6 بيضات ملساء زرقاء مخضرة، يبلغ طول قطرها 20,8 x 27,4 ملم. تحضن الإناث البيض 12-14 يوما ويقوم الزوج بالحراسة. تتغذى الصغار من الديدان والحشرات يأتي بها الآباء وتبقى بداخل العش حوالي أسبوعين قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا. يتوالد بعض الأفراد أكثر من مرتين في السنة. بعض الأفراد تقترب من المدن والقرى والمزارع والحقول. صيده مرخص بين أكتوبر وفبراير.

سمنة حمراء - *Turdus iliacus* تدعى بالفرنسية Grive mauvis وبالإنجليزية Redwing وبالإسبانية Zorzal malviz وبالإيطالية Tordo sassello. ينحدر أصلها إلى الشحرور الأسود والعندليب وأبو الحناء وهي أصغر أنواع السمنة حجما. تتميز عن سائر أنواع السمنة ببقعة كبيرة من الريش الأشقر الزاهي تحت الجناحين وبحاجب أبيض مصفر متواصل من المنقار إلى مؤخرة الرأس. الريش أغبر داكن موحد على الظهر والجناحين. تتخلل الصدر والبطن بقعا منتظمة من الريش البني. يبلغ طول بسطة الجناحين 34 سم وطول الجسم 21 سم وتزن الكبار 50-80 غراما. الذيل قصير ومستقيم المؤخرة. تألف الغابات والأدغال وتقضي الفصول الباردة في أوروبا الجنوبية ومنها عدة مجموعات تأتي إلى غابات وأدغال جبال الأطلس وجبال الريف وتمثل المناطق المتوسطة المغربية والجزائرية والتونسية الحدود الجنوبية لتوزيعها الجغرافي. تهاجر إلى أوروبا الوسطى والشمالية منذ بداية الربيع لتتوالد مرتين في السنة وتبيض 4-6 بيضات تحضنها 13-14 يوما. تغادر الفراخ العش بعد أسبوعين. تتغذى من الحشرات والقواقع الحلزونية ومن الثمار العنبية. يكثر الإقبال على صيدها في فصل الخريف في مختلف الأقطار المتوسطة.

سمنة مطوقة أو دج مطوق الصدر كما هو شائع في الشرق العربي *Turdus torquatus* تدعى بالفرنسية Merle à plastron وبالإنجليزية Ring ouzel وبالإسبانية Mirlo collarizo وبالإيطالية Merlo dal collare. الذكور تشبه الشحرور الأسود - جحوم - في حجمه ولونه وتختلف عنه بلقافة عريضة من الريش الأبيض تطوق الصدر، ريشه بني داكن على سائر الجسد. تختلف الإناث عن الذكور في الحجم واللون فهي أصغر حجما، رمادية بنية على الظهر وبقعة البطن، صدرها مطوق بريش أبيض مصفر؛ يبلغ طول بسطة الجناحين حوالي 34 سم وطول الجسم 24 سم وتزن الكبار حوالي 60 غراما. المنقار بني مصفر والذيل طويل ومستقيم المؤخرة. يعيش مزدوجا وتألف الصخور والغابات بالمناطق الجبلية. يتغذى من الحشرات ومن الثمار العنبية. تهاجر كل المجموعات التي تعيش في المغرب إلى أوروبا الجنوبية منذ بداية الربيع لتتوالد مرتين في السنة وتبيض 3-6 بيضات زرقاء فاتحة ومنقطة بالبني، طول قطرها 21,5 x 31,4.

سمنة الدبق أو سمنة الهدال كما في المعاجم تسمى علميا *Turdus viscivorus* وبالفرنسية Grive draine وبالإنجليزية Mistle thrush وبالإسبانية Zorzal charlo وبالإيطالية Tordela. تعد من أكبر الأنواع حجما وتتميز ببقعة كبيرة من الريش الأبيض أسفل الجناحين. الريش رمادي بني موحد على الظهر والجناحين. تتخلل الصدر والبطن بقعا



كبيرة ومنتظمة من الريش البني. يبلغ طول بسطة الجناحين 44 سم وطول الجسم 27 سم وتزن الكبار 80-120 غراما. الذيل طويل مستقيم المؤخرة وينتهي ببقعة صغيرة بيضاء. إنها السمنة الوحيدة التي تستقر وتتوالد في المغرب. تألف غابات وأدغال جبال الأطلس وجبال الريف والهضاب الوسطى. تمثل المناطق المتوسطة المغربية والجزائرية والتونسية الحدود الجنوبية لتوزيعها الجغرافي، وتعيش أيضا في أوروبا الوسطى والجنوبية ومنها عدة مجموعات تتوالد في أوروبا الشمالية. تتوالد مرتين في السنة من مارس إلى يونيو وتبني الأنثى العش وحدها على الأشجار وهو مكون من الطين المبلل ومفروش بدقة من قطع الأعشاب الدقيقة. تبيض 3-6 بيضات زرقاء مخضرة منقطة بالبني، طول قطرها 22 x 31 ملم وتحضنها 12-15 يوما. تغادر الفراخ العش بعد أسبوعين. تتغذى من العناكب والحشرات والقواقع الحلزونية ومن الثمار العنبية. صيدها مرخص في المغرب بين فاتح أكتوبر و25 فبراير يومي السبت والأحد وأيام العطل شريطة أن لا يتعدى العدد 20 فردا لكل قنص.

سمنة مطرية تدعى علميا *Turdus philomelos* وبالفرنسية Grive muscienne وبالإنجليزية Song thrush وبالإسبانية Zorzal comun وبالإيطالية Tordo bottaccio. موطنها أوروبا الوسطى والشمالية وآسيا الغربية ومنها عدة مجموعات تشتت في غابات وأدغال جبال الريف والأطلس. تتميز بريش رمادي زيتوني على الظهر والجناحين، الصدر والبطن مبقع بانتظام بريش بني ومصفر. بقعة كبيرة من الريش المصفر البرتقالي أسفل الجناحين. تتغذى من الثمار العنبية والحشرات والديدان والعناكب والقواقع. يبلغ طول بسطة الجناحين حوالي 36 سم وطول الجسم 21-22 سم. الذيل طويل ومستقيم المؤخرة. يشتهر من شتبر إلى فبراير في

تحتضنها 13 - 14 يوما. تغادر الفراخ العش بعد أسبوعين. تتغذى من الحشرات والقواقع الخلزونية ومن الثمار العنبية. طائر غير شائع في المغرب ولا يقترب من القرى والمدن.

سمنة أو طائر الشحارير أو الدج كما يسمى في الشرق العربي. اسمه العلمي *Turdus pilaris* وبالفرنسية Merle litorne وبالإنجليزية Fieldfare وبالإسبانية Zorzal real وبالإيطالية Cesena. طائر يشبه الشحور الأسود - جحوم - في حجمه ولونه ويختلف عنه بلقافة عريضة من الريش الأبيض تطوق الصدر، ريشه رمادي أزرق رصاصي على الرأس وعلى مؤخرة الجسد وبني رمادي داكن على الجناحين، الذيل أسود طويل ومستقيم المؤخرة. يبلغ طول بسطة الجناحين 70 سم وطول الجسم 25.5 سم وتزن الكبار حوالي 90 غراما. يعيش مزدوجا أو في مجموعات لا تتعدى 30 فردا ويألف الغابات والبساتين وضايف الأنهار والبحيرات ويتغذى من الحشرات ومن الثمار العنبية. موطنه أوروبا وآسيا ومنه مجموعات قليلة تشتت في المغرب منذ أكتوبر إلى فبراير. يعد من الطيور النادرة في المغرب الذي يمثل الحدود الجنوبية لتوزيعه الجغرافي.

سمنة زرقاء أو سكلّة زرقاء كما تسمى في الشرق العربي *Monticola solitarius* تدعى بالفرنسية Merle bleu وبالإجليزية Blue roch thrush وبالإسبانية Roquero solitario وبالإيطالية Passero solitario. طائر يعيش في المناطق الصخرية والجبلية الجافة المجاورة لحوض البحر المتوسط. كل المجموعات التي تشتت في المغرب بين شتبر وفبراير تهاجر إلى أوروبا الجنوبية لتتوالد. تتميز الذكور بريش أزرق رصاصي زاهي في الصيف وبريش أزرق داكن في الشتاء. تتميز الإناث بريش بني أزرق على الظهر وبني فاتح مخطط بالرمادي على الصدر. الذيل قصير ومستقيم المؤخرة. يبلغ طول بسطة الجناحين حوالي 30 سم وطول الجسم 19 - 20 سم وتزن الكبار حوالي 50 غراما، يعيش مزدوجا ويفضل أكل الثمار العنبية والحشرات والعناكب ويألف الأجراف والصخور والمنازل المهجورة. تبيض الإناث 3 - 6 بيضات زرقاء شاحبة طول قطرها 20 X 27 ملم تحتضنها حوالي 14 يوما. طائر مستقر في مختلف الأماكن الصخرية الساحلية والجبلية بالمغرب ومنه عدة أفراد يشتتون في جنوب المغرب. يعيش أيضا في أوروبا الجنوبية والشرق العربي وشمال إفريقيا.

سمنة الصخور أو سكلّة الصخور *Monticola saxatilis* يدعى بالفرنسية Merte de roche وبالإجليزية Roch thrush وبالإسبانية Roquero rojo وبالإيطالية Codirossone. طائر تشبه الذكور الشحور الأسود في حجمه، الريش أزرق رصاصي على الظهر والجناحين وأشقر برتقالي على الصدر والبطن والذيل. ريش الإناث بني أشقر مبقع بالبني الفاتح. الذيل قصير ومستقيم المؤخرة. طول الجسم 19 سم وتزن الكبار حوالي 50 غراما. يعيش مزدوجا ويفضل العيش

مختفيا بين الصخور، يتغذى من العناكب والحشرات ومن الثمار العنبية. يتوالد في الأطلس المتوسط وجبال الريف وفي أوروبا الجنوبية وآسيا الغربية ويشتت في إفريقيا من أبريل إلى يونيو وينصب العش بين الصخور وحفر الجدران. تبيض الإناث 4 - 6 بيضات زرقاء شاحبة وكبيرة نسيبا، يبلغ طول قطرها 19.5 x 26 ملم. تحتضن الإناث البيض 14 - 15 يوما ويقوم الزوج بالحراسة. تبقى الصغار بداخل العش حوالي أسبوعين.

م. رمضاني، الليل، معلمة المغرب، الجزء 4: الجحوم، معلمة المغرب، الجزء 9: الأمير مصطفى التهاوي، معجم التهاوي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988: أمين المعلوف، معجم الحيوان، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow. *The birds of Britain and Europe with north Africa and the Middle east*, 1979; C. Harrison. *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1977.

محمد رمضاني

**سَمُوْگَنُ**، أو سَامُوْگَنُ قبيلة سوسية تقع مواطنها على وادي سموگن جنوب شرق تافراوت. يحدها بالشمال إگونان وبالعرب كل من أيت موسى المجاطين وإدراهم التاغيجيتين، وبالشرق صحراء تاگراگرا وبالجانب ثمارت. اختلف حول أصل السموگنين، كما هو الحال بالنسبة للحريليين، وتتحاشي بعض العائلات الانتماء إلى هذا الأصل، كما هو الحال بالنسبة للإلغيين، ويتحفظون من رواية الحضيكي في هذه النازلة.

وتفيد الرواية المحلية أن العائلات التي استقرت بسموگن نزحت إليها من تامدولت، واستقرت أول الأمر بحصن أكادير ن. ن. تبيستت. لكنهم طردوا منه حوالي القرن العاشر (16م) على يد أيت علي المجاطين الذين استغلوا مناعته للتخزين، وبذلك اشتدت صولتهم. ويُعد هذا الحصن الآن من القصور المندثرة. ومنذ استقرارهم به اقترن باسمهم.

ويبدو أن عمليات الطرد للأصلاء لم تنوقف، إذ طردت فروع أخرى إلى تاگجگالت، مما يفسر حركية بنية السكان المستمرة والمتجددة. لكنها إذا قورنت بمحيطها نجد غلبة عنصر البيضان ومعظمهم من الجزوليين.

في إحصاء 1926 كان عدد الدور خمسمائة دار ومن أهم المراكز: أنامر وأوگرضا.

لقد كانت القبيلة مثار قلاقل، إذ يستشف من وثائق محلية متناثرة وقليلة، أنها في تجاذب بين جيرانها من التسنارتيين والأمانوزيين والمجاتين والتاغيجيتين.

ولعل ضعف جانبها يرجع إلى انقسام فروع القبيلة بين لفي تاحگات (سكسانة) ولف تاگزولت. وكانت الغلبة للتاحگاتيين وتراجع نفوذ الإلغيين والتسنارتيين خاصة بعد انهزامهم أمام صقور أيت علي وأيت موسى المجاطين.

لقد حاول المخزن تعضيد صولة القيادة الكثيرة التسنارتية بالمنطقة لكنه فشل لضعف الإمكانيات المتاحة. ولا يعني هذا أن إمكانيات سموگن الدفاعية ذات بال، فقد



تقوى جانبها باعتمادها على لف تاحكات. ويفيد تقرير  
دونيس Denis أنها لم تكن تتوفر سنة 1926 إلا على أربع  
بنادق سريعة الطلقات، وعدد المحاربين بها ضعيف جدا  
بالمقارنة مع محيطها القبلي (الأطلس الصغير وباني  
الغرب). ورغم ذلك لم تستسلم إلا سنة 1934 حين دخلتها  
الجيش الفرنسية في إطار احتلال الأطلس الصغير.

على مستوى التسيير الداخلي أثرت القبيلة نظام انفلاس  
على نظام المشيخة، وعدد النفاليس أحد عشر يتداولون تدير  
شؤون القبيلة بالتناوب، ويبقى القرار النهائي بيد الجماعة.  
وثمة عرف يحمل تاريخ آخر ربيع الثاني 1309 شبيه بأعراف  
الجهة، وكفيل بتفسير البنى السائدة.

في ظل تردي الوضع الداخلي والخارجي بالقبيلة اضطرت  
ثلة من العلماء والفقهاء والمرابطين إلى الهجرة إلى مدارس  
سوسية قريبة مثل دوكادير وقنارت... أو بعيدة مثل تيزنيت  
وظاظا وحواضر أخرى وأهمها تارودانت.

ويبدو أن من أهم الزوايا التي لها نفوذ كبير على  
سُموكن هي زاوية دوكادير.

م. الحضيكي، طيفات الحضيكي، ومقدمة التحقيق، الترجمة 600،  
ص. 14؛ الأكراري، روضة الأفتان؛ م. المختار السوسي، المعسول،  
الأجزاء: 1، 2، 8، 9، 11، 13؛ أرشيف أكرض بتسمارت؛  
أرشيف فانسين، تقرير دونيس Denis.

### السُّموكني أو الساموكني، الحسن بن الطيفور بن

محمد، التيزنيتي استقرارا، من عائلة طافحة بالعلم، ترجم  
الحضيكي لجدّه إبراهيم بن إبراهيم السموكني، وكان والده  
عدلا.

تخرج على يد الشيخ أحمد بن محمد التمكدشتي وبه  
اشتهر عوده في الفقه وعلوم اللغة العربية، واشتغل مدرسا في  
مدرسة زاوية الهناء بطاظا، وكان له يد في تكوين زمرة من  
الطاطائين والسموكنيين بها. ثم مدرسة آيت صواب إلى أن  
نزل به عصا التسيار بتزنيت وعمرها بالتدريس لأنواع العلوم  
عقدين ونيفا.

ولم يمنعه هذا الجولان من المشاركة في الفتاوى والنوازل  
بشكل لافت للنظر، ودخل في مناخزة مع أعلام أدوزية  
وإغرارية وجشتيمية، بل وأعلام تمكدشتية (الحسن بن  
أحمد). وكان النقاش حول قضايا سوسية على رأسها قضية  
بيع الشيا. لقد أثبت جزءا منها في كتابه الردود الزنجفورية  
عن الأسئلة الطيفورية، طبع بتونس. وتناثرت نوازله كذلك  
في مظان المجموعة الفقهية للمؤرخ السوسي وفي مخطوطات  
بقيت حبيسة خزانات خاصة.

خلف كذلك شروحا ونظما في قضايا لغوية كانت خير  
معين للطلبة السوسيين، وكانت له اليد الطولى كذلك في علم  
الأوقاف.

وعلى غير العادة، اختلف مع شيوخه، فأثر الطريقة  
الأحمدية التجانية، وكان محمد أكنسوس نبراسه، وعلى يد

السموكني - حسب رواية السگرداي في تحلية الطروس -  
انتشرت التجانية بالسوس الأقصى في ظرف انحصرت صيتها  
بين فطاحلة العلماء وعلية التجار والرؤساء.

توفي بتاريخ 20 جمادى الثانية عام 1278 / 23 دجنبر  
1861.

م. المختار السوسي، المعسول، 2: 5، 6: 209-92، 231، 8؛  
251، 9: 105-43، 11: 157-156، 13: 282-266، 12: 234،  
305، 313؛ رجالات العلم العربي، المجموعة الفقهية، ص. 28-  
17؛ ح. العبادي، فقه النوازل في سوس، أكادير، 1999، ص. 318-  
310.

شفيق أرفاق

### السموكني، العربي بن محمد، أحد أعلام سوس

الكبار في ميدان العلم والأدب والتدريس، قال عنه محمد  
المختار السوسي: "كان علامة كبيرا غواصا على المعاني،  
حللا للمشكلات، مستحضرا في النحو واللغة غاية  
الاستحضار... كما كانت له بالفقه وما إليه مقالات لا  
تجهل، أما الأدب فهو فيه ربحانة الأتيس، وزهرة الجليس...  
كان مطالعا كبيرا مستحضرا للتاريخ عامة وللأدب الأندلسي  
خاصة، دارسا للأشعار العربية. (المعسول، 9: 48).

ولد هذا العالم بدوار "تامسولت" من وادي "ساموكن"  
سنة 1279 / 1863-62 وحفظ القرآن الكريم على يد والده  
المشارط بمسجد "إمتضي".

أما العلوم العربية والشريعة فقد تلقاها على يد عدد من  
الشيوخ: محمد بن عبيد الله الإلغي، والشيخ علي  
الدرقاوي، والحاج محمد الزبيدي، وأبي الحسن الإلغي،  
وأحمد أمزركو، واستجاز الأستاذ أحمد الجيشتيمي هو  
ورفيقه الطاهر الإفرائي لما زارا تارودانت سنة 1306 هـ.

أظهر العربي الساموكني نبوغا وتفوقا في الدراسة، بما  
أهله لأن يكون مساعدا لأستاذه الزبيدي في تعليم المبتدئين.  
وانخرط في الطريقة الدرقاوية ضمن مريد الشيخ الحاج  
الحسن التاموديزتي، وهو مازال في طور الطلب، بيد أن  
أستاذه صرفه عن مهيع التصوف وأرجعه إلى الميدان العلمي  
الذي له خلق.

كما أنه اشتغل فترة بفض النوازل ببلده. كما اشتغل  
كاتبيا للقائد الحاج أحمد التامانارتي، بيد أن المدني الناصري  
لقيه صحبة القائد بتاغيجت، وأثبه على خدمة هذا القائد  
الأمي، فصرفه عن تلك الخدمة.

أعمل الرحلة مع رفيق عمره الشاعر الكبير الطاهر  
الإفرائي إلى فاس سنة 1314 هـ، فلقيا هناك عددا من  
العلماء منهم الحاج محمد گون الصغير، والأديب كالبليغي  
وابن شقرون. بيد أنهم لم يجلسوا إلى أي شيخ من الشيوخ  
لإضراب الطلبة عن القراءة بالقرويين لمدة ثلاثة أشهر.

بدأ المترجم مرحلة التدريس بمدرسة أداي الحربيلية التي  
كانت أولى محطات مشاركاته، وبعدها انتقل إلى المدرسة  
الإغشانية، وفيها بدأت شهرته تطير وهمته في التعليم ونشر

وورد في وثيقة رسمية اشتملت على أسماء أفراد البعثة البالغ عددهم أربعين، مع ذكر مساقط رؤوسهم وأعمارهم، أن سنة كان إذاك 19 سنة، أي أنه ربما يكون قد ولد في سنة 1338 / 1919.

التحق بالمدرسة السعيدية في مصر، ثم بجامعة فؤاد الأول التي نال فيها الإجازة في الآداب في نوفمبر 1945. وفي 1955 نال الدبلوم العالي لمعهد الدراسات العربية العليا التابع للجامعة العربية في القاهرة أيضاً. وفي 1958 انتقل إلى باريس ليلتحق بمعهد "الألبانيس فرانسيز". وفي 1960 سجل في السوربون دراسة موضوعها *آداب الحياة التكاملية عند أبي العلاء المعري*. لكنه قطع ذلك المشروع والتحق بسلك وزارة الخارجية المغربية في 1961. وفي 1977 عين بسفارة المملكة المغربية بتونس كاستشار، وبقي هناك حتى سنة 1985.

بدأ حياته الأدبية في القاهرة بالنشر في الصحف منذ سنة 1940، كما تردد على النوادي الأدبية هناك. واشتغل بدار الكتب المصرية من 1950 إلى 1985. ونشر في رسالة *المغرب والأنوار*، ويعد ذلك في العلم، ودعوة الحق، وأفانق، ومجلة *القصة والمسرح*، والاتحاد الاشتراكي.

أبرز مصطفى يعلى في رصد جيولوجيا لأعمال السبكي، تضمن استقصاء جيوغرافيا استقينا منه المعطيات المذكورة سلفاً، أن إنتاج السبكي متنوع في مجال الأدب والفن. فبالإضافة إلى الكتابة كان له اهتمام بتصميم واجهات الكتب، حيث نظم في 1971 و1972 و1991 معارض لأغلفة الكتب التي صممها، وهي منشورات لكتاب وشعراء مشهورين من المغرب وغيره من الأقطار العربية.

نشر فيما بين 1946 و1995 أعمالاً سردية منها : *أشباه لا تنتهي*، رواية 1983. ومجموعة قصصية بعنوان *في انتظار الذي لن يأتي* 1988. وله أعمال قصصية منشورة مثل *الرايس خبزة والطفل يمضي أخيراً* و*بيكاسو الصغير والأطفال لا يكبرون*. وقد ترجم بعضها إلى الإسبانية والسويدية والإنكليزية. وله سيرة ذاتية لم تنشر بعنوان *أسفار من ذاكرة الأيام*.

وفي المسرح نشر عدة نصوص في الجرائد والمجلات، منها *الطاحونة الحمراء* و*الفاكهة المحرمة* و*السقوط* : آه من يظن نفسه هامان. كما ألف في تاريخ المسرح المغربي، وخاصة بطنجة، كتاب *نشأة المسرح والرياضة في المغرب*.

وفي الشعر نشر نصوصاً ذات طابع ملحمي وفلسفي. سجل الناقد المصري محمد مندور أنها تستقي نفسها ورمزيتها من أسفار العهد القديم. وقال عن نص له بعنوان *في الهجران ونهاية الصمت* : نرى المؤلف بعيد صياغة عدة آيات من سفر أيوب البالغ الروعة، وهذا الحجاه لا أدري لماذا لا نحمده كثيراً عند الأدباء المسلمين بالرغم من أن ديننا يعترف بهذه الأسفار. وذكر مندور أن أدبا المهجر، وأغلبهم مسيحيون، متأثرون بما في كتبهم المقدسة، وأما المسلمون

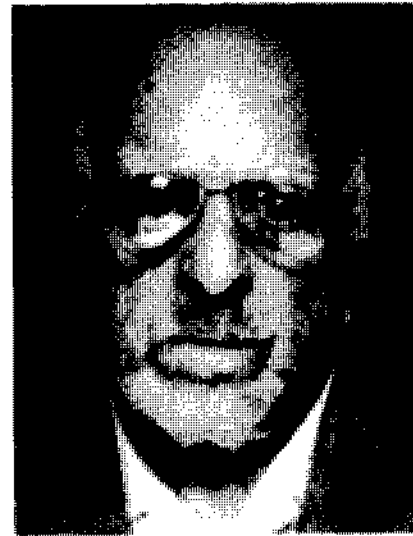
العلم تسير بها الركبان، ثم غادر هذه المدرسة إلى مسجد أيت موسى بجباط، ثم غادره لييرجع إلى المدرسة الإغشانية ثانية، وثالثة ورابعة، فكان كلما غادرها إلا ورجع إليها، وهي التي انتهى فيها مظافه التعليمي سنة 1327 هـ. وكان في كل مدرسة يحل بها يتحلق عليه العشرات من الطلبة الذين يأخذون عنه العلوم العربية والشعرية، وكان يسير في تعليمه على نهج أستاذه أبي عبد الله الإلغي، فيتمشى في تلاميذه بالتدريج، ويأخذهم بالاستظهار وتلاوة كتب الأدب أوقات الراحة، وبالإنكباب على مطالعة الدروس وإعادتها، فبذلك نجح منهم كثيرون. (المعسول، 9 : 48 - 49).

لم يُخلّف العربي الساموگني وراءه سوى مجموعة من الأشعار والرسائل كان يتبادلها مع معاصريه ولا سيما رفيقه الشاعر الطاهر الإفرائي. وهذا الإنتاج الأدبي مازال مشتمتا في الخزانة الخاصة، وقد ألم بطرف منه محمد المختار السوسي في *المعسول*.

لزم في آخر عمره بيته بدوار تابوحتايفت بعدما أثل أملاكاً اشتغل باستثمارها إلى أن توفي عام 1329 / 1911. م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء 9 : الإفراري، روضة الأفتان، تج. حمدي أنوش.

محمد الهامني

**السميحي، عبد القادر**، روائي، مسرحي شاعر. ولد بطنجة في 11 شوال عام 1343 / 5 مايو 1925 وتلقى تعليمه الأولي في مسقط رأسه، في الكتاب يحي بني يدر، وفي مدرسة الجمعية الخيرية، وفي المدرسة الإسلامية الحرة التي أسسها عبد الله گنون. كما كان يغشى الدروس الحرة التي كانت تنظم بالمساجد، ويتردد على دروس مسائية لتلقي الإسبانية.



وفي سنة 1357 / 1938 كان ضمن البعثة الطلابية التي توجهت من تطوان إلى القاهرة لاستكمال الدراسة الجامعية.

ففيما عدا المسيحي لم يجد مندور مثالا آخر سوى إبراهيم المازني.

ولاحظ محمد برادة أن كتابات المسيحي تتميز بسخريتها وجرأتها. واستغرب خلو قصصه من ذاكرته المصرية. ولاحظ عليه كذلك صمته الطويل عن الكتابة. ولم يفتته أن يشير إلى معاناة الكاتب مع الناشرين. كما أن نصوصه لا تحتفلها الجرائد السيارة. وقد لاحظ محمد أنقار أن رواية *أشياء لا تنتهي* التي طبعت في 1983، قد سبق للمسيحي أن نشر فصلين منها في 1946، وفصلا في 1965. صنف هذا الباحث عبد القادر المسيحي ضمن الواقعية، وسجل أن المؤلف قام بالتنظير لواقعيته في مقدمة وطأ بها للرواية. وأكد الباحث أن واقعية المسيحي المختلفة عن واقعية غلاب في *دنيا الماضي*، وواقعية مبارك ربيع في *رفقة السلاح والقمر*، تقع ما بين فكي الالتزام والوجودية، وهما قطبان فكريان سادا الثقافة العربية خلال عقدي الستينيات والسبعينيات. ويقول: تبقى واقعية المسيحي رافدا من روافد واقعية الرواية المغربية الحديثة، وظاهرة ثقافية وأسلوبية في حاجة ماسة إلى الدراسة والتحليل.

ويقول من كتبوا نقدا عن أعمال المسيحي أنها لم تتل حظها من لادن الجمهور والخاصة معا، فهو من الكتاب الذين همشوا أو اختاروا طوعا منطقة الظل. ويكفل تأكيد فإن انعزاليته وزهده في اللمعان قد أثارا انتباه كل من عرفوه. وقد سجل ذلك أستاذ المستعربين الإسبان بيدرو مارتينيث مونتافيث، الذي عايش المسيحي سنوات طويلة في القاهرة، فكتب عنه: المسيحي محدث ممتاز، صاحب الكلمة الطيبة الودودة، عميق المفاهيم والهموم، يتمتع بالفضيلة الكبيرة التي تمنعه من أن يكون بطل الحديث، في حين يكاد يستحق دائما تلك الرتبة. بفضل حساسيته ومعلوماته، فهو صاحب التواضع السامي الرفيع، عندما يتكلم، وعندما يصمت، وعندما ينصت.

توفي سنة 1421 / 2001.

مؤلفات المترجم والكتب والمفالات التي تحدثت عنه المذكورة داخل النص؛ وناق عائلية؛ معرفة شخصية.

م. ع. المساري

**سمير، عبد الله**، ولد سنة 1892، بمدينة برينبون في فرنسا، وكان اسمه Henri Raynaud. تخصص في الصيدلة، ونال فيها درجة الدكتوراة، كما حصل على إجازتين في العلوم.

في سنة 1923 كان من أعضاء اللجنة الصحية لمدينة مراكش، التي كلفت بدراسة موارد المياه الصالحة للشرب بالمنطقة. وفي شتنبر 1938 التحق بالمغرب بصفته قبطانا. صيدليا بالمستشفى العسكري بمراكش. وبعد اندلاع الحرب أرسل إلى تونس، لكنه ما لبث أن عاد لأسباب صحية، فاستقر بمراكش واشتغل بالصيدلة، إذ فتح صيدلية بجوامع الفنا سماها "Croix d'or".

أسلم وأدى فريضة الحج، وحصل على الجنسية المغربية سنة 1961، وغير اسمه فصار: سمير عبد الله.

كانت له ثقافة موسوعية، فبالإضافة لتخصصه، درس الجيولوجيا والتاريخ والموسيقى، وكانت له دراية كبيرة باللغات القديمة: الهيروغليفيية، السومرية، الأكادية، الأثورية، لغة المايا. ومن مؤلفاته:

- *Contribution à l'étude hydro-géologique du Haut-Atlas occidental et de la plaine du Haouz: Les Eaux de Marrakech*. Lyon, 1925.

- *Le Tetracorde en musique*. مخطوط.

- *La Musique Orientale*. مخطوط.

- مخطوط، مبتور، حول الميثولوجيا المقارنة.

- مخطوط، حول المغرب وشمال إفريقيا (ما قبل التاريخ، والتاريخ القديم).

كما ألف مقطوعات موسيقية لألة البيانو التي كان يعزف عليها.

توفي بمراكش في 24 قعدة عام 1398 / 26 أكتوبر 1978.

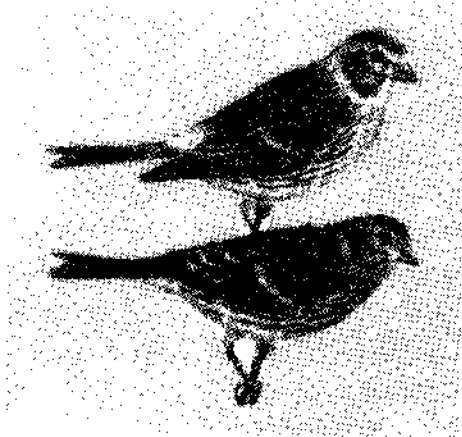
كتب المترجم المذكورة في النص؛ معرفة شخصية.

حياة الغراس

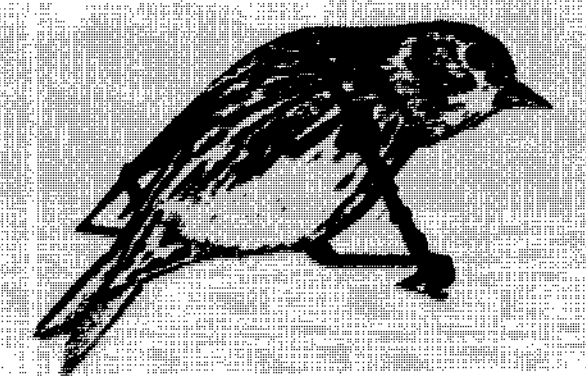
### سميرس (أسرة -) ← بناني

**سميرس**، طائر يدعى أيضا في المعاجم ونغر ونجار، جنس طير حسن الصوت من رتبة الجواثم Passeriformes ومن فصيلة الشرشوريات Fringillidae التي تضم 247 نوعا في العالم منها 11 نوعا يعيش في المغرب. سمي بالترنج لصفة لونه ويطلق عليه في المغرب اسم سميرس أو سميرس وترنجي في الشام ومصر. يدعى علميا *Serinus serinus* وبالفرنسية *Serini cini* وبالإنجليزية *Serini*.

يبلغ طوله 11,5 سم ويزن 10-12 غراما. ريشه أصفر مخضر جهة البطن والعنق والرأس وفوق العجز عند الذكر ورمادي مصفر مخطط بالسواد عند الأنثى. المنقار قصير وقوي. الجناحان مخططان بالرمادي والأسود عند الزوجين.



موطنه الأصلي أوروبا، ومنه عدة مجموعات تشتت في سهول المغرب الساحلية وجبال الريف، وقد قت مشاهدة عدة أفراد تحل خاتماً وضع عليها في هولندا وبلجيكا وذلك في كل من المحمدية ومغشوش والضويات وضواحي تطوان. يأتي إلى المغرب عبر مضيق جبل طارق في بداية أكتوبر ثم يعود إلى أوروبا في بداية الربيع ليستوالد في الغابات الصنوبرية منذ فبراير إلى غاية شهر مايو. يتكون العش من قطع الأشن والنباتات والأغصان ويفرش بالصوف والريش. تبيض الإناث عادة 5.3 بيضات زرقاء شاحبة ملساء، ولامعة تتخللها نقط شقراء، طول قطريها 12.3 × 16.4 ملم. تحضن الأنثى البيض حوالي أسبوعين وتغادر الفراخ العش بعد حوالي أسبوعين.



الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العنود الزراعية، مكتبة لبنان، ط. 3، 1988.  
H. Heinzel, R. Fiter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979 ;  
C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1977.

محمد رمضاني

**السَمِيحُ، عبد السلام بن محمد بن أحمد أعرجان،** السمرغيني الأصل، ولد بمدينة مراكش عام 1332 / 1913، ونشأ في بيئة متمسكة بالتعاليم الإسلامية. ولما بلغ سن السادسة من عمره أدخله جده أحمد إلى كتاب الفقيه الحاج محمد بن علال، وقد أظهر الطفل نجابة وقدرة على التحصيل. ولما أتم حفظ القرآن الكريم مع مجموعة من المتون، التحق بالجامعة اليوسفية فانكب إلى مجالسة الشيوخ، والتنقل بين حلقاتهم. فمن شيوخه والده الفقيه محمد بن أحمد، والصوفي الورع أحمد ولد الحاج المحجوب وهو عمده، ومولاي أحمد العللي، ومحمد بن عمر بن نوح السمرغيني السملالي، والحاج الحسن الشاوي، ومولاي أحمد القاضي صهر السلطان مولاي يوسف.

وكان كلما ختم أشياخه فنا من الفنون المدروسة نظم قصيدة يذكر فيها فضل المؤلف والشارح والشيخ. وقد أجازته مجموعة من الشيوخ، منهم : العلامة أحمد ولد الحاج المحجوب الذي حلاه بقوله : (... وكان الفقيه البركة الذكي

يتغذى من الحبوب وخاصة منها الصغيرة الموجودة في النباتات الشوكية. يعيش في المزارع والحقول والبساتين والأدغال والغابات ويبنى عشه بين أغصان الأشجار ابتداءً من شهر فبراير. تتكون الأعشاش من قطع الجذور والأغصان والحشائش وتفرش من الداخل بالريش والصوف أحياناً. تمتد مدة الولادة من فبراير إلى ماي وتضع الأنثى من 3 إلى 5 بيضات بيضاء مخضرة منقطة بالأسود يبلغ طولها 16.7 x 11.9 ملم. تدوم مدة الحضانة 13 يوماً وتبقى الفراخ وسط العش بعد التفقيس 14 يوماً يغذيها ويحرسها الآباء ويستمر تقديم الأكل للفراخ أسبوعاً واحداً بعد مغادرة العش.

يعيش سميرس في جميع مناطق المغرب من شمال البلاد إلى جنوب الأطلس الصغير وتقضي بعض المجموعات فصل الربيع في بعض المناطق الصحراوية. يقتصر توزيعه الجغرافي على الدول المحاطة بالبحر الأبيض المتوسط وأوروبا الوسطى والغربية.

تضاف إلى المجموعات المغربية المستقرة مئات الأزواج المهاجرة تأتي من أوروبا عبر جبل طارق ابتداءً من شتبر لتشتت في المغرب.

أ. معلوف، معجم الحيران، القاهرة، 1932.

محمد رمضاني

**السميري، قدور عبد القادر،** مقاوم ولد سنة 1919 بمدينة وادي زم إقليم خريبكة.

كان منتسباً لمنظمة اليد السوداء ويعتبر من المقاومين البارزين الذين قاموا ببطولات كبيرة أثناء مظاهرة 20 غشت 1955 بمدينة وادي زم حيث شارك في التهييء لهذه المظاهرة. في صبيحة نفس اليوم انطلق السميري حاملاً بندقيته من نوع "الجويج" وظل يقاتل جنود الاستعمار إلى أن أصيب برصاص في يده وعاد إلى منزله حيث ضمد جراحه، والتحق من جديد بساحة المعركة وبقي يجاهد حيث سقط شهيداً على إثر إصابته برصاص المستعمر.

المدوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 521974.

**سَمَيْلي،** طائر صغير القد من القواطع، كما هو شائع في اللسان الدارج، يصنف إلى رتبة الجواثم مخروطيات المناقير Passeriformes وإلى فصيلة الشرشوريات Fringillidae. يألف الغابات والمناطق الزراعية ويتغذى من الحشرات ومن الفواكه العنابية. يدعى علمياً Carduelis spinus وبالفرنسية Tarin des aulnes وبالإنجليزية Siskin وإسبانية Lugo و إيطالية Lucherino.

تختلف الإناث عن الذكور في اللون، ريش الذكور مخطط بالأخضر المصفر والأسود وريش الإناث رمادي مخضر مبقع بالأسود. يبلغ طول الجسم 12 سم ولا يتعدى وزن الكبار 20 كرام. الذيل قصير نسبياً ومتشعب، القائمتان رماديتان ونحيلتان جداً. يعيش في مجموعات قليلة الأفراد.

5 - تحفة الانجاب في تسهيل علم الفرائض ومسائله  
الصعاب : نشرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عام  
1413 / 1993 .

توفي بالمدينة المنورة أثناء أداءه مناسك الحج، ودفن  
بالبقيع يوم 22 ذي الحجة سنة 1396 / 14 دجنبر 1976 .

ع. السلام السبع نفسه، مقدمة تحفة الانجاب في تسهيل علم  
الفرائض ومسائله الصعاب، مخطوط : أ. متفكر، ذيل الإعلام،  
مخطوط.

أحمد متفكر

## السناني، إدريس ← الحنش

السناني، محمد الرضى، مجل الأديب إدريس بن

علي الفاسي المعروف بالحنش سابق الترجمة. ينتسب إلى  
أولاد سنان أحد بطون قبيلة بني مالك وسفيان. كان جده قد  
رحل من قبيلته في الغرب إلى فاس على عهد السلطان عبد  
الرحمان ابن هشام.

ولد محمد الرضى السناني بفاس وبها تعلم مبادئ  
القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم. كما نال قسطا من  
التعليم الأولي في مكناس. بعد ذلك شرع في دراسة العلوم  
بجامع القرويين وغيره، وكان من شيوخه والده إدريس الحنش  
والفقيه محمد ابن جعفر الكتاني، والفقيه خليل الخالدي  
العامري العسكري، والقاضي عبد السلام الهواري، والبيقاني  
محمد بن علي الأغزاوي وغيرهم. ولازم الفقيه أحمد بن  
الجيلالي الأمغاري، اثني عشر عاما. وبعد أن أنهى تعليمه  
سنة 1329 / 1911، تحول إلى إلقاء الدروس بجامع القرويين  
وغيره، متدرجا في المراتب العلمية إلى أن نبأ إصدارتها،  
وقام بوظيفة إمام بالزاوية الناصرية بحي السياج بمدينة فاس  
لمدة عشرين عاما حيث جمع بين الإمامة والخطابة.

وحينما أسس النظام الدراسي الجديد بالقرويين سنة  
1350 / 1931 طلب منه الالتحاق بهيئة التدريس، لكنه أبى  
وواصل تقديم الدروس في القرويين بشكل تطوعي إلى أن  
غادر فاسا باتجاه الدار البيضاء مكرها بسبب تهمة ملفقة  
ضده سنة 1351 / 1932 .

استقر في الدار البيضاء حوالي عشرة أعوام، كان خلالها  
يعطي دروسا بجامع الحمراء بالمدينة القديمة، ثم رحل إلى  
أزمور عام 1362 / 1943 حيث كان يقدم دروس الفقه  
والتفسير والحديث بمسجد سيدي الخادم. ويذكر أنه لما ختم  
دروس الأربعين النبوية سنة 1367 / 1947 احتفل أهل أزمور  
بذلك الاختتام بالطعام والشاي (الشدرات، ج. 2 : 129)،

الحبي النبيه سيدي عبد السلام بن سيدي محمد السمرغيني  
يكنى بأعرجان، جعله الله عن فتح عليهم في السر  
والاعلان...). كما أجازته العلامة محمد بن عمر السملالي  
والعلامة سيدي المدني بن الحسن...

ولما بلغ سن العشرين من عمره أسندت إليه إمامة  
الصلوات الخمس بمسجد روض الزيتون الجديد، والخطابة  
بمسجد القنارية القريب من سكناه، وقد أعطى دروسا تطوعية  
في كلا المسجدين - لطلبة العلم، ودروسا وعظية لسكان  
الحي. ففي مسجد روض الزيتون درس المواد التالية :  
رسالة ابن أبي زيد القيرواني - ابن عاشر - المرشد المعين -  
مختصر الشيخ خليل - لامية الزقاق - نظم السلم للخضري -  
موطأ الامام مالك - الالفية - قطر الندى - الشفا - الجوهر  
المكنون .

وفي مسجد القنارية كان يعطي دروسا بعد صلاة الجمعة،  
وتارة بين العشاءين.

وعندما أسس النظام بالجامعة اليوسفية عام 1358 /  
1939 أخذ يعطي دروسا تطوعية، أو ينيبه رئيس الجامعة  
العلامة محمد بن عثمان أثناء مرض بعض الشيوخ. ولما لمس  
فيه الكفاءة العلمية، والقدرة على التدريس إلى جانب  
الاخلاص والنصح ألح عليه بالانضمام إلى سلك الأساتذة  
بصفة رسمية، أقبل عليه الطلبة وتزاحموا على حلقته، حين  
وجدوا فيها ضاللتهم. فقد كانت دروسه تتسم باليسر، وعدم  
التعقيد، وكثيرا ما كان ينظم الدروس المسندة إليه ليسهل  
على الطلبة حفظها وفهمها. وقد حباه الله بحب الناس له،  
وجعل له القبول وليس هذا بغريب على رجل نشأ نشأة صالحة  
لم ينزل في فيها مزالق الشباب، ولم تستهوه زخارف الحياة.  
وقد أجمع الذين عايشوا طفولته وكهولته على أنه قطع حياته  
في طاعة الله وخشيته.

وفي سنة 1365 / 1945 اختاره محمد الخامس - رحمه  
الله - لتدريس العلوم الدينية للأمرء والأميرات بالمدرسة  
المولوية، كما كان يلقي دروسا وعظية في الفقه والسيرة  
النبوية بين العشاءين بمسجد أهل فاس بالمشور الذي كان  
يسكن بجواره. وكان يسلك في هذه الدروس مسلك البساطة  
والتيسير، وتقريب المفاهيم لرواد مجلسه.

كما عين قاضيا بمحكمة الاستئناف القسم الشرعي، ثم  
بالمجلس الأعلى للقضاء، ثم مستشارا به. وأظهر من التفاني  
والإخلاص والعفة ما لفت إليه الأنظار لهذا السلوك المثالي  
الزريه.

من آثاره :

1 - نظم لكتاب التزامات الخطاب : يقرب من 800 بيت.  
ولما اطلع عليه بعض علماء الرباط طلبوا منه وضع شرح لهذه  
النظومة، فلبى رغبتهم بوضع شرح.

2 - نظم كتاب الورقات : في علم الأصول لإمام الحرمين.

3 - شرح الطريقة في مصطلح الحديث .

4 - الفوائد الجامعة في عدة مسائل نافلة : جمع فيه

ذم - إند كـ ثـ بـ من أدب، ونحو، وحديث، وتاريخ،  
ومستملحات، ومواعظ. طبعته وزارة الأوقاف والشؤون  
الإسلامية المغربية عام 1411 / 1991 .

133)، وأقرأ بهذه المدينة توحيد المرشد المعين عام 1382 /  
1960.

ألف محمد الرضى السناني في معارف شتى، لكنه كان يضيّق بالنقاش، وأهم مؤلفاته المطبوعة *الشذرات والتقاط الفوائد* و*غمر العوائد*، وهو شبيه بمحاضرات الحسن البوسي. اشتمل في جزئه على شذرات لغوية، صوفية، حكمية، طبية، نصحية، أدعية، كرامات، وصايا، فرائض، أشعار، ألغاز، تراجم ومعلومات عامة، جلها منشور وبعضها منظوم، وقد دلت هذه الشذرات على تنوع معارفه، وإن كان بعضها لا يستند إلى أساس علمي. وذكر السناني أن له كتابا آخر يحمل نفس العنوان لكن مضمونه مختلف "هو خاص بالمسائل الفقهية حاذينا به حذر مختصر خليل". وورد في كتابه *الشذرات* إشارات إلى بعض مؤلفاته وسياق تأليفها أحيانا، وكثيرا ما وضع لها أزيد من عنوان، ومن هذه المؤلفات :

- تقييد في تسهيل ما عنتت إيضاها للهمزة والنون من قبل ابن أجروم أنبت، وقد وضعه بمناسبة قراءة المؤلف لمقدمة الإصماف أبي عبيد الله محمد بن داود الصنهاجي الفاسي المعروف بابن أجروم في أزمو سنة 1376/1956.

- إبداء التيسير لقراءة التفسير، سماه كذلك إزالة التعسير عن قراءة التفسير.

- المقالة المرومة في الرحلة إلى تلمسان وندرومة.

- الأوجية المرضية عن أسئلة عالم مدينة مشربة.

كان السناني في بعض آرائه مسايرا لظروف العصر وقضاياه الجديدة مثل قوله بجواز تركيب الأسنان الاصطناعية (شذرات، 2 : 123) وحلية الخميرة الرومية (شذرات، 2 : 158، 159)، كما أجاز الضمان التجاري أو ما كان يعرف آنذاك بالسكّرة، وقد وافقه بعض علماء الوقت على فتواه منهم المفتي العباس التازي الذي عمل قاضيا في مدينتي وجدة والدار البيضاء (شذرات، 2 : 244، 256).

أما مؤلفاته المخطوطة، فهي السيف الباتر في التنبيه على أن الشيخ مولانا عبد القادر أعلى مقاما من أوائل الأولياء والأواخر، الحنافة فيما يتعلق بالحنفانية، تأليف في الانتصار للشيخ العلامة الميقاتي سيدي محمد العلمي فيما وقع بينه وبين الفلكيين من معاصريه. وطبع له، فضلا عن الشذرات، الإتحاف والرواد ببعض متعلقات الأولاد، التودد ببيان حكم الفسخ عند التعدد، تنبيه الأمة على حكم زكاة السهمية، تنبيه الكبير والصغير على غلط فاحش وقع لسراخ الجامع الصغير، تنبيه الحاضر والمسافر على مقدار مسافة القصر بالمياتر، إغاثة ذوي الخصاصة والأملاق بإخراج واجب زكاة الأوراق، وقد خالف في هذا المؤلف مفتي مصر الشيخ عليش الذي أفتى بعدم وجوب الزكاة في الأوراق المالية، وذبل هذا التأليف بتقييد رد فيه على بعض معاصريه ممن لم يوافقوه الرأي أي حواز زكاة الأوراق النقدية.

نظم السناني الشعر، ويحفل كتابه الشذرات بالعديد من

القطع المنظومة في أغراض مختلفة، لكن جلها في المواعظ والتصائح.

توفي في مدينة أزمو صباح يوم الخميس 24 صفر 1385 / 24 يونيو 1965، ودفن في مسجد ضريح مولاي أبي شعيب السارية.

م. الرضى السناني نفسه، الشذرات والتقاط الفوائد و*غمر العوائد*، الدار البيضاء، د. ت. جزآن ضمن سفر واحد : إغاثة ذوي الخصاصة والأملاق بإخراج واجب زكاة الأوراق، فاس، 1341 هـ : ع. الله الجرازي، التأليف ونهضة المغرب في القرن العشرين من 1900 إلى 1972، الرباط، ط. 1، 1985 : م. المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، الفترة المعاصرة، 1790، 1930، ج. 2، مطبعة فضالة، المحمدية، 1989 : د. ابن الحاج السلي، إصعاف الأخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين، الدار البيضاء، 1992.

أحمد المكاري

**السنبك** (Chebec)، مركب يدعى أيضا سيك وسنيوق، وعاميا "صندوق" و"بوكراع". وهو مركب من السفن الشراعية المتوسطة المنحدرة من القادس والغليوطة، مجهز بصارين إلى ثلاثة، وذو سطح مجسر وبهينات دقيقة حيث تبدو حافة الجوّج بارزة على شاكلة مقدمة سمك السيف (BS-padon)، ويقوم كوثلها على أرضية خارجية مكونة من خشبة بين جناحين جاعلة المتراس ممتدا ومحاطا بجسر، الشيء الذي يميزه بصورة أفضل عن غيره من السفن الأخرى، وجعله أكثر قدرة على مجابهة ظروف الطقس، لا سيما وأنه كان إلى جانب الأشرعة. مجهزا بقوة مجدافية تصل إلى ثلاثين وحدة. وقد شكلت خفة السنبك وضعف غاطسه دافعين أساسيين ليصبح أكثر السفن ملاءمة للإبحار في المياه الضحلة، وخاصة لتجاوز خطورة الموج عند الأفاصير. ولذلك بادر المغاربة إلى استبدال دوره من مركب للصيد إلى سفينة حربية صغيرة، مجهزة ببطارية مدفعية تتراوح بين عشر قطع وخمس وعشرين، وجاهدوا من أجل جعلها أقل حجما وأكثر سرعة من النوع المتوسطي منذ منتصف القرن الحادي عشر (17 م). ويشير بعض الباحثين إلى أن استعماله الناجح في النشاط الجهادي هو ما دفع البحريّات الأوربية إلى اعتماده بدورها كسفينة مطاردة للسفن المعادية. وقد صار السنبك على امتداد قرنين - إلى جانب الفرقاطة والغليوطة - نوعا رئيسيا في السفانة المعتمدة في الأسطول الجهادي المغربي، يتراوح طاقمها بين مائة ومائتي رجل، وحمولة لا تتجاوز في الأقصى مائتي طن.

ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف... ج. 3، ص. 260، 259 : مجهول، الرئاسة البحرية ورجال القوة الجهادية في المغرب، مخطوط خ. ع. ميكروفيلم رقم 43، ص. 1 - 2 : درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، الإسكندرية 1974، ص. 70، 71، 73، 74.

L. Chenier, *Journal du Consulat Général de France à Maroc (1767 - 85)*, Publié par Charles Penz, Casablanca, 1943 ; *Recherches historiques sur les Maures et histoire du Maroc*, T. III, Paris, 1787 ; L. Brunot, *La mer dans les*

العربي سنجاب وبعضهم يقول قرقدون وقرقدان. مذكور في عدة معاجم. والكلمة فارسية معربة ؛ يتخذ من جلده الفراء المشهورة. يصنف إلى رتبة القوارض Rongeurs وفصيلة السنجاب Sciuridae. يعيش في المغرب نوعان :



السنجاب المغربي ويسمى علمياً *Atlantoxerus getulus*.  
Linné وبالفرنسية Ecurcil de Barbarie وبالإنجليزية Barbary ground-squirrel وبالإسبانية *Ardilla moruna*.  
موطنه على وجه الحصر إفريقيا الشمالية (المغرب والجزائر).  
متوسط القامة وذيله طويل غزير الشعر ؛ رأسه دائري وأذناه قصيرتان. شعره رمادي أسمر على الظهر ويحمل الجانبان خطوطاً طولية بيضاء. البطن رمادي فاتح. يتراوح وزن الكبار بين 60 و120 غرام ويبلغ الطول جسماً بين الرأس والجسم 16. 22 سم وطول الذيل 12.5 - 17.5 سم.  
صيغة أسنانه كالتالي : 1/1 أسنان، 0/0 أنياب، 2/2 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 22 سنناً.

نشط نهاراً ويعيش بداخل الجحور أو بين الأحجار المتراكمة في الحقول الزراعية والمراعي. يألف الأماكن الصخرية غالباً على وجه الأرض رغم حسن تسلقه الأشجار. يعيش منفرداً أو مزدوجاً أو في مجموعات صغيرة ويتكون غذاؤه من مختلف الثمار وبالأخص منها ثمار الزيتون والفسق والعرعر مع ميول كبيرة لثمار الأركان والحبوب القمح والشعير والخرطال. يعيش في المناطق الصخرية وخواصر الجبال ذات الكسور والحقول المزروعة والمنازل المهجورة في الأرياف في كل من جبال الأطلس المتوسط والكبير والصغير وفي الهضاب العليا بالمغرب الشرقي وفي سهوب وادي درعة والساقية الحمراء باستثناء الأوساط الصحراوية الحارة. يقترب نادراً من الغابات باستثناء غابة الأركان بناحية سوس ويخشى الكواسر الليلية والنهارية والإنسان.

يتوالد في الربيع وبداية الصيف وتدوم مدة الحمل 36-40 يوماً وتلد الإناث 3-7 صغار عارية تفتح عينيها بعد 30 يوماً وتدوم مدة الرضاعة 5-6 أسابيع. تصير بالغة بعد سنة وتعمر حوالي 10 سنوات.

السنجاب الأرضي السنغالي يسمى علمياً *Xerus*.

*traditions et les industries indigènes à Rabat et Salé*, Paris, 1920 ; R. Coindreau, *Les corsaires de Salé*, 1993 ; P. Chack, *Du Maroc à l'Océan indien*, Paris, 1939 ; H. Des Champs, *Pirates et flibustiers*, Paris, 1973, et Salvatore Bono, *Les corsaires en Méditerranée*, Trad. A. Somaï, Rabat, 1998.

حسن أميلي

السنطيسي، أسرة مكناسية أصلها أمازيغي، وتوجد فرقة منها بفاس. وهم "أهل تجارة ومال ومعاش وحرقة".

السنطيسي، الفغالي بن المكي المكناسي. حلاه ابن زيدان في الإتحاف بقوله : "فقيه أديب كاتب شاعر معقولي مدرس" دَرَسَ في مسقط رأسه على الشيخين المفضل السوسي والمفضل ابن عزوز، ورحل إلى فاس فأخذ عن الفقيه محمد كنون مُختصر الرهوني على خليل ومحمد بن النهامي الوزاني ونظرائهم. عمل كاتباً في بلاط الحسن الأول وابنه عبد العزيز، ثم ناظراً للأحياس بمكناس في عهد عبد الحفيظ. فتصدر للتدريس وأخذ عنه جماعة وافرة من نبيهاء طلبة مكناس. وألف في اللغة والأدب والسيرة شروحاً وحواشي، منها حاشية على الرسموكي على الجمل ؛ وتأليف في إعراب أما بعد ؛ وهدية المنهاج في شرح قصيدة الهمزية المعنونة بكفاية المحتاج ؛ في جزين ؛ وشرح همزية النبهاني ؛ وديوان شعر في الأمداح النبوية رتبته على حروف المعجم، في كل حرف قصيدة من عشرين بيتاً ؛ وتحفة الأشياخ والأطفال بما بقصة الزباء من الأمثال، وهي أرجوزة مطلعها :

حمداً لمن زان بحلقة الأدب جيد الفنون وبه نسل الأرب

توفي بمسقط رأسه ليلة الاثنين سابع عشر شعبان عام 1338 / 6 ماي 1920 ودفن بالزاوية الكتبية من حومة صدراته.

ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف، ط 2، الرباط، 1990، ج 5 : 508. 515 ؛ ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 8 : 2912.

السنطيسي، المختار بن محمد بن المكي المكناسي، فقيه مشارك حلاه في إتحاف المطالع بالعلامة المشارك المطلع، الخير الناسك... مع دين متين وأخلاق كريمة، قضى حياته في التدريس بمسقط رأسه، وتولى إدارة المعهد الديني، وأصبح رئيس المجلس العلمي بمدينة مكناس.

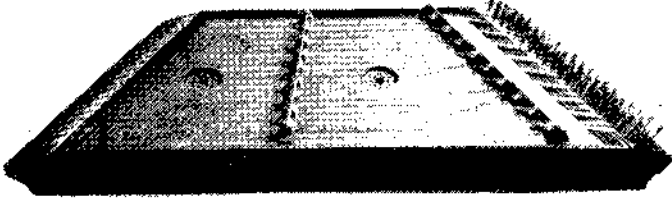
توفي يوم الجمعة خامس وعشري شعبان عام 1389 / 6 نونبر 1969 ودفن بزاوية الشيخ ابن عبد الصادق بمكناس.

ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 9 : 3417 ؛ ع. ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون، 2 : 184.

محمد حجي

السنجاب، حيوان من الثدييات الوحشية، كما هو في كتب اللغة، ويوسيلة في مناطق سوس، واسمه في الشرق

والأندلسية باسم القانون حيناً والسنطور أو السنطير حيناً آخر : ذكرها الشافعي المتوفى عام 629 هـ باسم القانون واعتبره من بين الآلات التي ليس في العدة منها شيء إلا ما جلب من الأندلس. وذكره بعد ذلك بسنوات قليلة عبد الرحمن ابن خلدون، فجعله مربع الشكل يعزف عليه فرعاً يعود أو تمريراً بقوس وبذلك جاء أقرب إلى صورة العود. أما محمد بن الطيب العلمي فقد أورد هذه الآلة تحت اسم السنطير، وساق إبراهيم التادلي الرباطي ذكرها تحت اسم القانون.



ولعل مما يبرر تسمية هذه الآلة بالسنطير عند العلمي بدل القانون أن يكون قد نقل ذلك عن شيخه محمد البوعصامي الذي نعلم أنه قضى فترة من الزمن بمصر حيث درس الموسيقى وتلقى جملة من المعارف الموسيقية الشرقية التي يبدو أثرها في رسالته إيقاد الشموخ.

تدل شهادة أوردتها المؤرخ الرباطي محمد الضعيف (ت. 1239) في كتابه على شيوع استخدام السنطير بالرباط في عهد السلطان المولى سليمان حينما قال : "في ليلة الأحد 17 صفر عام 1226 بعث السلطان المولى سليمان في طلب الحاج أحمد بن الطيب بناني الرباطي، فطلع عليه لأنه يعرف ضرب السنطير مع الآلة، فبات يضرب السنطير مع العود والرباب" وسوف يأتي التادلي ليؤكد استخدام هذه الآلة بالرباط ويحلها الرتبة الرابعة من بين أحسن آلات الطرب.

أ. المقرئ، نغم الطيب، 2 : 51، الطبعة الأزهرية المصرية 1988.  
الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ص. 424، مصر : م. العلمي، الأبيس المطرب نيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب، ط. حجرية، فاس، ص. 1 : التادلي، أغاني السقا ومعاني الموسيقى : م. الضعيف، 178، تاريخ الدولة السعيدة، تع. العساري، ص. 370.

عبد العزيز بن عبد الحليل

**السنوسي**، أسرة فاسية، "فرقة منها من قبيلة شراغة ينتسبون إلى الشرف الحسن بن أهل جاد ومال ومعاش وحرفة، وفرقة ليسوا بشرفاء وأصلهم من تلمسان أهل تجارة ومعاش وحرفة" (إزالة الالتباس). ويذكر الشيخ عبد الحفيظ الفاسي أنه سأل شيخه العالم السلفي عبد الله السنوسي دفين طنجة عام 1350 عن أصلهم ومحل وفادتهم، فلم يجزم له بشيء،

Rat palmiste erythropus (Geoffroy, 1803) وبالفرنسية Ecreuil terrestre du Sénégal وبالإنجليزية Stripped ground-squirrel. يعيش في المغرب على وجه الخصوص في مناطق سوس فقط ولا علاقة له بالنخيل كما جاء في تسميته بالفرنسية. موجود أيضا في المناطق الصحراوية الإفريقية من موريتانيا والسنغال إلى إثيوبيا وكينيا وأوغندا.

تكبير قامته نسبيا عن قامته السنجاب المغربي ويتراوح طول الجسم بين 22-30 سم وذيله طويل غزير الشعر بني مصفر ضارب إلى اللون الأحمر والأسود، يبلغ طوله 18-27 سم؛ رأسه طويل، شعره على ظهره غزير بني اللون يتخلله خط أبيض رفيع على الجانبين تصعب مشاهدته في الميدان. البطن أبيض فاتح. مخالبه طويلة مقوسة وقوية. صيغة أسنانه شبيهة بصيغة أسنان السنجاب الأسود.

تعتبر المجموعات التي تعيش حاليا في مناطق سوس من بقايا المجموعات الكبيرة التي كانت منتشرة قديما على طول سهوب الساحل الأطلسي من سوس إلى السنغال. نشيط نهارا ويعيش في سهول سوس بين أشجار الأركان ويقرب حقول الفلاحة. لا يتسلق الأشجار ويبحث عن الأحجار المترامكة ليتخذها مسكنا له كما يفعل السنجاب المغربي. فط العيش والتكاثر متشابه عند النوعين.

يبقى توزيعه الجغرافي المتقطع والمنحصر على سهول سوس أمرا غامضا يحتاج إلى دراسة بيئية وفيزيولوجية للتمكن من معرفة دقيقة لتأقلم هذا النوع في المنطقة الجنوبية.

الأمير مصطفى الشاهي، معجم الشاهي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، ط. 3، 1988 : أمين المعلوم، معجم الحيوان، القاهرة، 1932.

A. Lakhdar Ghazal, J.P. Fartouat et M. Thevenot, Faune du Maroc, les Mammifères. Albums didactiques, Rabat, 73 p. : S. Aulancier et M. Thevenot, Catalogue des mammifères sauvages du Maroc., Rabat, 1986.

محمد رمضاني

**السنشولي**، محمد من الرياس العلوج العاملين في أسطول سيدي محمد بن عبد الله. وكان خلال الفترة الممتدة من سنة 1769 إلى 1772 يعمل انطلاقا من مرسى تطوان، رايسا لسفينة غليوطة صغيرة مجهزة بثلاثين مجذافا وبمذفعين اثنين فقط، وتحت إمرته طاقم مؤلف من مائة رجل. Chenier, Journal... pp. 103 - 104, 111 - 112, 117 - 118, 125 - 127 ; Coindreau, Les Corsaires, p. 92.

حسن أميلي

**السنطير**، آلة موسيقية وتربية من أنواع القانون - بطاء مرققة -، يشد عليها في العادة أربعة وخمسون وترًا تسوى كل ثلاثة منها على نغمة واحدة، ويضرب عليها بضربين من خشب على هيئة شفرة السكين، بينما يضرب على القانون بالاصبع نقرأ.

وقد ورد ذكر هذه الآلة في بعض المصادر المغربية



وأن عائلتهم السنوسية الفاسية لا علاقة لها بمشاهير السنوسيين الموجودين بتلمسان والذين منهم الشيخ محمد بن يوسف السنوسي (ت. 895) صاحب العقائد، ولا بالسنوسيين الخطايين الموجودين في شلف بالجزائر والذين منهم الشيخ العالم محمد بن علي السنوسي (ت. 1276) صاحب الطريقة السنوسية نزيل الحجاز أولاً ثم جغوب بليبيا ثانياً. ولا علاقة بينهم وبين السنوسيين الموجودين بتونس، الذين منهم الحفيد محمد بن عثمان السنوسي (ت. 1318 / 1900) صاحب كتاب *مسامرات الظريف* وغيره.

ذكر الشيخ المهدي بنسودة في فهرسته أنه وقف على كتابة بخط شيخه سيدي محمد بن أحمد السنوسي يصرح فيها بانتسابه للشرف، "وهو لسان صدق، والناس مصدقون في أنسابهم". ولم يُعلم أنهم نوزعوا في هذا الانتساب، كما يحدث للكثير من الأسر الدعية للشرف. غير أنه لم تعرج على ذكرهم بالشرف أو بغيره كتب الأنساب الحسينية والحسينية التي اقتصت بشرفاء فاس والمغرب.

ولا ذكر لأسرة السنوسي الفاسي بمدينة فاس قبل القرن الثالث عشر للهجرة، إلا أن بيتهم خلال هذا القرن وما بعده سيكون "بيت علم ومجد وجاهة". وأول من نبغ من أبناء هذه الأسرة بالعلم هو شيخ جماعة القراء والمحدثين بفاس محمد بن أحمد السنوسي (ت. 1257)، ثم نبغ بعده ابنه العلامة المحدث الراوية إدريس السنوسي (المتوفى بالمدينة المنورة عام 1295 هـ). ونبغ بعده أبنائه الثلاثة: المفكر الداعية العلامة السياسي إبراهيم بن إدريس السنوسي (ت. 1304 بالاسكندرية) سفير الخليفة العثماني إلى السلطان المولى الحسن الأول. ثم أخوه الشيخ السياسي عمر بن إدريس الذي قام مقام أخيه، فكلف بمهمة السفارة بين العثمانيين وسلطين المغرب: الحسن الأول، وخلفه عبد العزيز. ثم أخوهما العالم السلفي الداعية المجدد الشيخ عبد الله بن إدريس نزيل طنجة والمتوفى بها عام 1350. ثم ولد هذا الأخير أحمد بن عبد الله السنوسي الأديب الشاعر.

ويوجد هذا النسب السنوسي في غير موضع في المغرب، ولا سيما في الجهة الشرقية: تازا ووعدة، وما يحيط بها، إذ يجري اسم السنوسي ليدل على الاسم الشخصي تارة، وعلى اللقب العائلي تارة أخرى. ومن هذه الجهة فقيه وجة وعلامتها الشيخ العربي السنوسي المتوفى بوجدة عام 1389/1969.

وقد توارث الأبناء والأحفاد في هذه الأسرة شهرة العلم والجاه. وما يزال عدد من أفراد هذه الأسرة اليوم في كل من مدن طنجة والرباط وفاس. ومنهم من تصدر في مناصب كبرى في الدولة.

م. ابن سودة، فهرسة، مخطوط: ع. الحفيظ الفاسي، رياض الجنة، ط. فاس، 1350.

**السنوسي، إبراهيم بن إدريس من مواليد فاس.** نشأ بها وقرأ على شيوخها. في مقدمتهم القاضي محمد بن عبد

الرحمن السجلماسي الحجرتي (ت. 1275). واستفاد من والده الشيخ إدريس السنوسي كثيراً فلأزمه في الحضر والسفر وتخرج به.

ورحل أكثر من مرة إلى المشرق لأداء فريضة الحج ولقاء علمائه. وكان ذلك في رفقة والده الشيخ إدريس السنوسي وأسرته في بعض المرات.

وإذا كان والده الشيخ إدريس قد توفي وهو بالشرق في المدينة المنورة منتصف عام 1295، فإن بقية أبنائه: إبراهيم وعمر وعبد الله قد فضلوا الاستقرار بالشرق، ولم يعد منهم بصفة نهائية إلا الشيخ عبد الله بن إدريس السنوسي الذي توفي في وقت متأخر بطنجة عام 1350.

وقد كان الشيخ إبراهيم ما يزال في المغرب عام 1275 حين حضر وفاة شيخه القاضي محمد بن عبد الرحمن الحجرتي، ورتاه شعره. غير أنه رحل بعد هذا التاريخ إلى تونس ليقضي به وقتاً ليس قصيراً. وهناك أقام علاقات صداقة وأخوة مع الظليعة المشقفة في تونس فكانت له مراجعات شعرية مع الشيخ الشاعر التونسي محمود بن علي الشريف قابادو (ت. 1288 / 1871).

ولم يفادر إبراهيم السنوسي تونس إلا بعد فتننة تدخل الفرنسيين في تونس، وبعد مخنة أقلقته ظروفها كثيراً ليرحل إلى مصر ويستقر بها.

ويتصل في القاهرة بالشيخ الحبابي وكيل المغرب آنذاك بمصر، فيقره إليه ويختاره ليكون ممثلاً للإسكندرية. وهناك ويتنسيق مع الداعية الإسلامي الشيخ طاهر الأزدي المدني صاحب الطريقة المدنية الدرقاوية، يبدأ نشاطه السياسي فيتصل بالباب العالي ويصبح من دعاة الجامعة الإسلامية في ظل الخلافة العثمانية.

وإذا كانت عيون متطلعي الاستعمار الفرنسي قد فطنت إلى خطورة ما تمثله شخصية إبراهيم السنوسي في الواجهة السياسية، وراقبت حركته في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، فوسمته في كتاباتها وتقارير رجالها بالمغامر، ووصفت حياته بأنها مليئة بالمؤامرات والدسائس الكثيرة التعقيد. فإنه في إطار موقفه السلفي المتجدد، وفي إطار دعوته السياسية إلى الوحدة الإسلامية في ظل الخلافة العثمانية، قد حاز ثقة دعاة الجامعة الإسلامية ليصبح أحد المفكرين المتميزين بينهم. وحاز ثقة الخلافة العثمانية، فاستقدم إلى الأستانة ليكلفه الخليفة العثماني بمهمة السفارة، والاعتماد عليه في الخطاب وإدارة حوار الإقناع السياسي.

وهكذا كلف بالسفارة إلى المغرب عام 1296، فحمل أكثر من رسالة كتابية وشفوية من الخليفة العثماني عبد الحميد. ومن كبير وزرائه إلى سلطان المغرب المولى الحسن الأول وإلى بعض كبار المشهد السياسي في المغرب آنذاك. وكان الخطاب فيها جميعاً هو تنسيق الموقف الإسلامي والحض على التمسك بتعاليمه وخدمته وحمايته، مع الدعوة إلى خلق تقارب سياسي يقضي إلى قيام وحدة إسلامية.

قضى المترجم بنية حياته بمصر مشغولاً بالسياسة والدعوة إلى الوحدة الإسلامية، وخدمة العلم، منتقلاً بين الفينة والأخرى إلى بلاط الخلافة بالباب العالي حين يستقدمه الخليفة ويستدعيه، ويصير توطدت علاقات السنوسي بمشغفي عصره فتبادل وإياهم المكاتبات والرسائل.

من مؤلفات إبراهيم السنوسي :

- 1 - سيف النصر بالسادات الكرام أهل بدر، نظماً ونشراً. وهو من كتبه التي طبعت بمصر عام 1305.
- 2 - تفسير القرآن الكريم، لم يتم.
- 3 - شرح صحيح البخاري.
- 4 - شرح مختصر خليل.

وفي هدية العارفين أنه لم يوافقه الأجل لإتمام تأليفها. غير أن أشهر كتبه هو :

5 - النور الالامع في بيان الأصل الجامع. ولا ذكر له في هدية العارفين ولا عند معجم المؤلفين لكحالة. وهو كتاب حاول أن يبين فيه أفاق الدعوة إلى الجامعة الإسلامية عن طريق إقامة وحدة سياسية إسلامية تجمع شعوب الإسلام تحت نظام الخلافة العثمانية.

والكتاب في حجم متوسط، صفحاته 78 صفحة في النسخة المخطوطة التي اطلعت عليها. وقد بناه مؤلفه كما بين في طالعته على : مقدمة وباين وختامه.

توفي إبراهيم السنوسي في القاهرة عام 1304 وأقبر بالأسكندرية حيث ما يزال مشهده مشهوراً.

إ. السنوسي نفسه، النور الالامع في بيان الأصل الجامع، مرقون : سيف النصر، ط. مصر عام 1305 بعناية ع. السنوسي، رسالة الخليفة عبد الحميد العثماني وجواب السلطان الحسن الأول عليها، مخ. ع. ج 845، والرسالتان منشورتان بمجلة الإيمان، 1980، أعداد، 91، 99، إصدار جمعية شباب النهضة الإسلامية، الرباط : بيم التونسي، صفوة الاعتبار، 4 : 80 : ع. الرحمان ابن زيدان، الاتحاف، 2 : 361، 5 : 378 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 8 : 74 - 387، المطبعة الملكية، الرباط : ع. الحفيظ الفاسي، رياض الجنة، 2 : 81 : إسماعيل البغدادي، هدية العارفين، 5 : 44 : رضا كحالة، معجم المؤلفين، 1 : 11 : م. المنوني، مصادر تاريخ المغرب، 2 : 129.

**السنوسي، إدريس بن محمد بن أحمد ولد بفاس في العقد الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) ونشأ بها في حضن والده المشتغل بالعلم والدرس آنذاك، فأخذ عن مشيخته واستفاد منها. في مقدمة شيوخه والده الشيخ محمد بن أحمد السنوسي (ت. 1257)، والشيخ محمد صالح الرضوي في رحلته إلى المغرب عام 1261، وأجازته كتابة، وغيرهما.**

واشتغل إدريس بالعلم والرواية، وإن لم يذكر له تأليف أو يعرف له تقييد. ولا تسعفتنا المصادر المتيسرة بين أيدينا في الكشف عن أوجه نشاطه وهو في فاس، أو عن تحديد مستواه وأسلوبه في الدرس، إلا أن وصفه في بعض الكتابات بالعلامة المحدث، وورود اسمه في أسانيد بعض الروايات

الحديثية، يجعلنا أمام شخصية علمية متميزة يحرص معاصروه من الراغبين في العلم، على الأخذ عنه واللقاء به والاستفادة منه.

وهكذا كان من تلامذته الآخذين عنه : أبناؤه الثلاثة، العلماء إبراهيم وعمر وعبدالله والأمير العباس ابن السلطان عبد الرحمن بن هشام، والشيخ محمد المدني ابن جلون الكومي (ت. 1298) وأجازته كتابة عام 1286، والشيخ أحمد بن الطالب بنسودة (ت. 1312) والقاضي العربي بن رحال الرحمانى المراكشي (ت. 1354) وعبد الملك ابن عبد الكبير العلمي (ت. 1320) ومحمد بن محمد العلوي المدغري (ت. 1325)، ومحمد الظاهر بن عبد الكبير الفاسي (ت. 1324) وغيرهم كثير.

ويبدو أن جاذبية المشرق وإغرامات تأدية مناسك الحج كانت لها قوة تحريك شوق الرحلة عند إدريس السنوسي، فكانت له أكثر من رحلة نحو المشرق صحب فيها أسرته وأبناء الذين فضلوا الاستقرار هناك.

توفي إدريس السنوسي بالمدينة المنورة، في منتصف ربيع الثاني عام 1295 / 18 أبريل 1878.

ع. الحفيظ الفاسي، رياض الجنة، فاس، 1350، 2 : 81، 120 : استتزال السكينة الرحمانية، تطوان، 1373 - 1853 : ع. الحفيظ الكتاني، فهرس الفهارس، ط. 2 بيروت، 1 : 434، 2 : 1054 : ابن زيدان، الاتحاف، 5 : 421 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ط. 2، الرباط، 7 : 140 - 145 : ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996.

**السنوسي، محمد بن أحمد الفاسي** اشتهر بابن السنوسي من الفرقة التي تنسب للشرف. وقد وقف تلميذه المهدي ابن سودة على نسبته الشريفة بخطه، "وهو لسان صدق، والناس مصدقون في أنسابهم". وهو أول من نبغ في أسرته.

نشأ بفاس وقرأ على شيوخها، إذ أدرك منهم زمرة شهيرة في مقدمتهم : الشيخ التادوي بنسودة (ت. 1209)، وقد اعتبر من آخر تلامذته بالمغرب، والشيخ محمد بن عبد السلام الفاسي (ت. 1214) وقد أصبح شيخ جماعة القراء بفاس بعده، والشيخ النحوي محمد العثماني الطرناطي (ت. 1214) والشيخ عميد الكريم النيازغي (ت. 1199) والشيخ عبد القادر بن شقرون الفاسي (ت. 1219) وهو عمده، وكان القارئ عنده بحلقته، وغيرهم.

واستوى الرجل عالماً متمكناً يجمع بين العلم الواسع والسلوك الحسن. ولذلك فهو في نظر تلميذه ابن حسون الوزاني "شيخ كبير ومحدث شهير"، وهو في الصورة التي رسمه بها في كتاب السلوة "الفتية العلامة، البركة الفهامة، ذو الأفعال الحسنة والأخلاق المستحسنة، السري الصالح، الساعي في المصالح...".

اشتغل بالعلم والتعليم، فكان يدرس صحيح البخاري ومختصر خليل في جامع القرويين، وكانت له مجالس درس

أخرى يقرئ فيها البلاغة بالسعد، والنحو، وعلوم الآلة. ويذكره الشيخ المهدي بنسودة، وقد قرأ عليه في هذه المجالس وحضر عنده واستفاد منه، بأنه "ذو فهم رائق وتعبير شائق". وبأنه يسير معهم أحسن السير. واختصه السلطان فقربه منه، وكلفه ببعض المهمات للفصل فيها، ثم قلده خطة الإمامة والخطابة وقراءة البخاري بالضريح الإدريسي، وبقي بها إلى وفاته حيث خلفه فيها الشيخ الوليد العراقي (ت. 1265).

كان محمد السنوسي "من تُرد إليه مشكلات الخصام، وهو أحد المجتمعين على فصل ما طال عند القضاة من النزاع والكلام. يعينه مع غيره لذلك السلطان أبو زيد، لأنه معروف في الفضل بالزهد. وكان رحمه الله لا تأخذه في الله لومة لائم، يغير جهر المناكر والمآثم، ويصدع بالحق، وله التقدم والسبق".

وإذا كان الشيخ السنوسي قد حظي بالحضور العلمي لصدقه، واتساع روايته الإسنادية، وازدهار حلقة التدرسية بكثرة طلبته والراغبين في الجلوس إليه، فإنه قد حظي بالاعتبار عند شيوخ التصوف في بيته. ولذلك اعتبر من خاصة الخاصة عند التجانية وشيخها. فكتبوا عنه، ونوهوا بصلاحه. ونسب له تلامذته كرامات ومراتي حسان. ولم يحفظ عن محمد السنوسي اشتغاله بالتأليف والكتابة. إلا أنه خلف طلبة متميزين بالعلم والرواية والتصنيف، وبضع إجازات خص بها بعض هؤلاء الطلبة. في مقدمتهم: ولده الشيخ إدريس بن محمد السنوسي (ت. 1295)، والشيخ التهامي ابن رحمون (ت. 1263)، وكتب له إجازة عامة، والشيخ المهدي بن سودة المرّي (ت. 1294)، والشيخ علي بن أحمد بن عبد الصادق الركراكي الصوري (ت. 1308) وقد كتب له إجازة تاريخها عام 1256، والشيخ محمد بن عبد الواحد الكتاني (ت. 1289) والشيخ الحسن كنبور اللجاني (ت. 1283)، والشيخ أحمد بن حسون الوزاني (ت. 1282) والشيخ القاضي أحمد بن محمد بناني الشهير بحميد (ت. 1327)، وغيرهم.

توفي بفاس سادس عشر ربيع الأول عام 1257 / 7 ماي 1841 وأقبر خارج باب الفتوح بأعلى روضة العلماء.

أحمد ابن حسون الوزاني، فهرسة، 69 مخطوطة؛ المهدي بنسودة، فهرسة، 44 مخطوطة؛ م. بن جعفر الكتاني، سلوة، 2، 369، ط. فاس الحجرية؛ أ. السكيج، كشف الحجاب عن تلاقى مع التجاني من الأصحاب، ط. 2، 1381، 1961؛ ع. الحفيظ الفاسي، رياض الجنة، 2، 81، فاس، 1350، ع. السلام بنسودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1966، 7 / 2561، 1417، 1996؛ ع. الهي الكتاني، فهرس الفهارس، ط. 2، بيروت، 3، 155.

عبد الله المرابط الترغي

ابن سهل، إبراهيم، وهو كما في المسلك السهل، للإفراني المراكشي إبراهيم بن أبي العيش بن سهل، فمعرفة ابن بابين سهل، إما هو من قبيل جده الأدنى أو الأعلى الذي صار علما على الأسرة أو البيت، مما لم يكن يعدو إلى أكثر من

جد واحد أو جدين غالبا، والكنية بأبي العيش، مما يرغب فيه اليهود، في المغرب الذين لم يكونوا يدعى لهم من قبل المسلمين إلا بالعيش، هكذا: "الله يعيشك" لأنهم كانوا، كما يوخذ من القرآن الكريم، حريصين على الحياة فيسا عرف لأبناء إسرائيل (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) ومخداهم الله بتبني الموت، فقال: (فتمتوا الموت إن كنتم صادقين).

وقد عرف إبراهيم في المغرب بابن سهل الإشيلي أو الإسرائيلي بحسب ما كان عليه من دين يلازمه الجنس، فلم تكن الإسرائيلية، مقصوداً بها اليهودية، بعرفها عندنا من الالتصاق بالدين خاصة، بل كان المراد الأصل الجنسي غالبا.

وقد اختلف في صدقه وإخلاصه للإسلام الذي اعتنقه وأطال الناس في ذلك والاستشهاد له أو عليه. وسئل هو عن ذلك، فأجاب بما كان عليه أن يجيب، حقيقة وهو في قفص الاتهام الغيبي، ففهم من إجابته هذا وفهم منها غير هذا. ونحن لا نضع في أهميتنا شيئا من الاثنين، بل الذي يهمنا أن الرجل كان شاعرا، شهر شعره في الأندلس والمغرب والمشرق، بل إنه كان، إلى جانب شعره، كاتباً مترسلاً؛ وإلا لما رتبته أبو علي ابن خلاص في ديوان كتابته بسببته المدينة التي لم تكن تخالف الأندلس في شروط كتابتها الرسميين الذين نجد منهم جهابذة، وأواخر العهد الموحد، وطيلة العهد المريني. مما لم تكن تتوفر عليه عواصم المغرب لذينك العهدين، وإن ظهر شيء من ذلك فإنما هو من الأندلسيين أنفسهم...

نعود إلى التعرف على الرجل فهو إشيلي، من ناشئة القرن السابع الهجري، ظهر نبوغه في هذا العصر في الشعر خاصة. وكان له زملاء لهم وزنهم في هذا الفن، منهم، أو على رأسهم علي بن موسى ابن سعيد الحصبي، أو الذي عرف في المشرق بالمغربي صاحب التأليف العديدة في التراجم الأندلسية، الأدبية والمتعلقة بالشعر خاصة.

وقد ربطت الرمال بين الرجلين في ميولهما الجامحة وفي سعيهما نحو الاستجداء بفنهما، فكان من مواقفهما في هذا ما كان منهما على أعتاب حاكم سبتة المستبد بها اليانفتي قمدحه ابن سعيد بقصيدة قال فيها:

بالعدل قمت وبالسمح فدن وجد

لا فارقتك كفاية وعظما

وقال ابن سهل قصيدة عامرة في خمسة وأربعين بيتا ومطلعها:

طاول بجذك فالأقدار عنوان

واحكم فما لصروف الدهر عصيان

وكأني بهما كانا على اجتماع عند هذا المدح، فهو في لهجته واحد وإن كان ابن سهل، استعان بابن هانيء في مدحه للفاسي وبالجراوي في مدحه للخليفة الأول الموحد زيادة على تلبسه بلباس ابن دراج القسطلي المغربي الأصل.

وقد كان ابن سهل في انتجاعه، كابن دراج فطاف البلاد واتجه إلى إحدى الجزائر الشرقية الأندلسية "مترقة"؛ كما

اختصوا في فاس بالمكتبات التجارية التي كانت منها ثلاث كبار تواجه أحد أبواب جامع القرويين فيما مضى.  
حقيقة أن العناية بأشعار الأندلسيين، كانت منذ قدم الشعر الأندلسي وكان الشريف الغرناطي السبتي يقدم على شرح مقصورة القرطنجي في القرن الثامن. لكن هذا السبتي الشريف لم يكن يفرقه عن الأندلسيين فارق، بل أقام بالأندلس نفسها فنسب لغرناطة. لكن الإفرائي المراكشي كان يختلف عنه تمام الاختلاف واهتمامه كسغريي بآبن سهل ربما أتى من إسلامه وإقباله على مدح النبي وفيما عدا التشيخ فهذا نموذج تأتي به تمثيلاً لشعره وتثره معا ففي القدح المعلى أنه كتب لصديق له بالجزيرة الخضراء، بهذه الرسالة مظهراً أن البعد أقل صبره واحتماله :

إلحكم بحر القلب في كل ساعة

ونحو مغانيكم تلقت ناظري...

نداء ما له جواب إلا لتنفس الصعداء من المنادي والكتم بها من شماتة أعدائي في محفل النادي فقد فقدت والله بعدك بهجة الأنس التي كنت بين هذه المنازه أعتادها، وحالت في عيني أحوال الأيام حتى ودعت منها جمعها وأعيادها. أين تلك المجالس المونقة الأرجاء الملوثة من المحاسن بكل ما هو أحسن من بلوغ الأمل والرجاء..

لظائف آداب فكاهة مجلس

موائد أمثال نوادر أشعار

سراير آيات جيتت بفضلهما

تبين ما خصت به قدرة الباري

ثم أن البذل التحوي ومنه العوض فيه لا يزيد إلا بهتا في هذا البيت :

وكيف أصبر عنكم بعد معرفتي

أن ليس لي عوض منكم ولا بسدل

وفي النشر تنفس الصعداء من المنادي والكتم بها من شماتة الأعداء في محفل النادي تبرج طالما تربت به شمطاء العواجز فقيل فيها :

عجوز تمننت أن تكون فتية

وقد يبس الجنيان واحدوب الظهر

وهكذا نصدق ابن سهل حينما يتجلى في نشره فيقول :

"حالت في عيني أحوال الأيام حتى ودعت منها جمعها وأعيادها" فهو في تصدعه لا يملك إلا أن يتكفي على عسا الحريري في قوله "رميت منه بدهاية حل لها كل صبر حياة".

وقسمه مدين للبيد في كون أيدي الشباب تطرز أيامه، هذه الأيام نفسها التي أفرغت ليلاليه في قوالبها "بمواصلة النعيم المستطاب" كل ذلك أسمال يالية من كل جدة خالية. ومعذرة فقد تسلطت على الأنسجاع السهلية، وهلك عني سلطانية ونعوذ بالله من العلى. الحقيقة أن الأدب العربي في الأندلس ضرب بعضا الذل يوم ذلت الأندلس نفسها، فكان القرن السابع نذيراً بالانهيار فاخفت هذه الأرواح ولم تبق إلا الأشباح فلا غرابة أن يقول ابن سهل :

كان ابن دراج قبله بنيف ومائتي سنة اتجه إلى شرق الأندلس "دانية" حيث مدح صاحبها العامري ثم أم سبتة حيث صاحبها الحمودي. وكلاهما كان كاتباً مرسماً في حضرة الإمارة والخلافة. نعم حتى إن ابن سهل عمل في الخلافة الموحدية وفي حضرة "مراكش" كما يذكر ذلك زميله ابن سعيد في كتابه "المغرب". وإن كان ذكره بشاعر الخلافة براكش فإننا نستظهر أنه لم يكن شاعراً فحسب، بل كان في تلك الفترة المضطربة كذلك كاتباً للموحدين. بعد أن كان كاتباً لصاحب سبتة ابن خلاص أبي علي الحسن الإشبيلي الشاعر كما في القدح المعلى لابن سعيد. وهذا الوصف بالشورة لاشك أنه تلبس به، بعد أن خرج عن طاعة الموحديين الذين أقاموه على سبتة، فبايع لأبي زكرياء يحيى الحفصي الذي كان قد انفصل عن الموحديين أيضاً وأعلن استقلاله بحكم إفريقية.

وتقدم أن ابن سهل من رجال القرن السابع ولكن تاريخ ميلاده لا يعرف بالضبط والغالب أنه كان في العقد الثاني من هذا القرن، أما تاريخ وفاته، فقد أجمع السابقون على كونه كان في حادث غرق الأسطول السبتي الذي كان يقل ابن المستبد أو القائم على حكم سبتة وفيه ابن هذا الحاكم وكانته ابن سهل. وكان ذلك الأسطول متوجهاً إلى إفريقية بهدايا يقدمها لأبي زكريا الحفصي الذي كان قد بايعه ابن خلاص، وكان أقوى أمير بالشمال الإفريقي عامة.

وقد اختلف في إخلاصه للإسلام، وسواء كان إسلامه حقا أم كان ظاهرياً، فإن ثقافته الاسرائيلية الإسلامية بادية بقوة في شعره بقوة ليست لشاعر أو أديب، غير ابن سهل اليهودي النشأة. بل وجدنا الاقلال من ذلك هو الواقع وفي لمحات من أوائلها قول الحطيئة في مدح عمر بن عبد العزيز :

أتى الخلافة أو كانت له قدراً

كما أتى ربُّه موسى على قدر

ومن أواخرها قول معاصر ابن سهل، ميمون الخطابي في رثاء ابن الوزير ابن الجند مدوح ابن سهل كذلك :

أرجة الصعق يوم الصعق في الصور

أم ذكة الطود يوم الصعق في الطور

وإلى جانب شهرته بالشعر وقرضه له منذ الحداثة، كما يذكر ابن سعيد في القدح المعلى وأشاد به، وجعل غيره في عصره دونه، فإنه اشتهر كذلك في الموشحات التي أبدأ فيها وأعاد، وتفنن في نظمه لها، بكل الفنون التي سبق بها وغالبها، إن لم يكن كلها من الفصيح وبكاد يستأثر بالقدح المعلى في هذه الموشحات خاصة وفي مقدمتها :

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى

فلب صب حله من مكس

ومما تجدر ملاحظته كذلك، أن المغرب لم يهتم بشاعر أندلسي اهتمامه بآبن سهل الذي ألف في شرح توشيحته المذكور محمد ابن الصغير الإفرائي المراكشي.

كما أنه أخيراً أقدم على طبع ديوانه طبعة غير حجرية منذ نصف قرن ولعله كان من قبل أبناء القصاديين الذين

إني له عن دمي المسفوك معتذر

أقول حملته في سفكه تعباً

ولابد لليهودية والذمة في هذا الكلام إنه كلام الجميع وقد ارتفعت الأفلام وطويت الصحف ولم يبق في الأدب إلا ذمًا ولادما. فكان في نزعه الطويل ينتظر اللفظة الأخيرة، فكانت آخرًا قد لفظها حتى فحول الكتاب والشعراء وعلى رأسهم ابن الخطيب، وما أدراك ما ابن الخطيب. معارض ومعارض كثيرة وشخص وشخص متزاحمة متناكبة ولا خير في هذه ولا في تلك إلا أن تكون نائية...

هذا هو ابن سهل في شعره ولاشك أنه هو في نثره وإن لم يكن بيدنا منه نماذج تمكننا من الحكم النهائي. غير أن الأشباه والنظائر تقول لنا ما قلنا وإن كانت له قصائد عوامر فهي ببضاعة السابقين وحتى اللذيد منها والطيب لنا إنما هو اجترار لما كان قبلنا طعاما طعمه الأولون، فكان الأخيرون هررهم تتلقف منهم مضغهم فلنعد إلى تلك القصيدة العامرة فنجدها بعد الأبيات الثلاثة تستمر هكذا :

تري المقاتل أنصارا وربتسا

أصغت لأمر المنايا فهسي آذان

إن الملوك وإن عزوا وإن كثروا

وخالفوك فقد ذلوا وقد هانوا...

توفي ابن سهل سنة 45 / 643 - 1246 حسب ما ذكره ابن عذاري في الجزء الثالث من تاريخه البيان المغرب. ولكن هذا التاريخ بنص صراحة على المبايعة، ثم يذكر أن ابن خلاص بعث بهدية مع ولده في غراب جديد، فغرق الغراب بها وبالولد ولم يخرج منه أحد وفيه الكاتب أبو إسحاق بن سهل وفي غيره تأخر عن هذا التاريخ فيحتمل أن واقعة الغرق تأخرت عن البيعة إلى سنة ست وأربعين، كما نقل عن تحفة القادم لابن الأبار أو سنة تسع وأربعين، كما نقل عن فوات الوفيات لابن شاكر. وعلى كل الاحتمالات والنقول فإن وفاة ابن سهل حصلت في العقد الخامس من القرن السابع، وهو لم يسلك العقد الرابع من حياته.

ابن سعيد المغربي. القدر العلوي. تج. إبراهيم الأبياري، مختصر : المغرب في حلى المغرب، تج. الأستاذ شوقي ضيف : أ. القرني. نفع الطب. الطبقات المصرية : م. الإفريقي المراكشي، المسلك السهل، تج. م. العسوي : ديوان ابن سهل، نشر دار صادر : البيان المغرب، الجزء الثالث، تج. ويسي بمساهمة م. إبراهيم الكتاني وم. ابن تاويت.

محمد ابن تاويت التطوانى

**السهلي، عمر بن علي**، مقاوم ولد سنة 1934 بقبيلة

بني أحمد ملحقة تيرانت إقليم الحسيمة.

تشبع بالروح الوطنية منذ صغره، الشيء الذي دفعه إلى الالتحاق بصفوف جيش التحرير الثائر بشمال المغرب و عمل ضمن الفرقة التي كانت تحت قيادة محمد لحطاط.

وقد عرف بين أفراد فرقته بالشجاعة والإقدام، إذ شارك في عدة معارك وهجومات إلى أن استشهد يوم 24 / 11 /

1955 بجبل جرفات بتيرانت عندما كان في طريقه إلى مركز

باب الحيط حاملا بعض الأسلحة.

المنودية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهيداً،

الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 513735.

**السهلي، محمد الصغِير**، - بالتصغير - (دوحة، 135

؛ تمتع، 28) بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم العمري بسكون الميم من أولاد عمرو، من قبائل عرب سوس.

ويعرف بالسهلي نسبة إلى أخواله عرب السهول (ممتع، 28).

اشتهر أمره في عالم التصوف في أواخر القرن التاسع (15 م)، وبداية المائة الموالية. وكان دخل هذا العالم على يد الشيخ محمد بن سليمان الجزولي، صاحب الطريقة الجزولية الشاذلية، وهو الذي لقبه بالصغِير (ممتع، 28). وهذا يعني أن محمد الصغير السهلي كان جزولي السند والطريقة، ومن رجال الطائفة الجزولية الأوائل. بل لقد اعتبره محمد المهدي الفاسي "كبير" أصحاب الشيخ الجزولي، وأكد على ذلك عندما وضع ترجمته في ممتع الأسماع على رأس تراجم رفاقه في صحبة الشيخ المذكور (ممتع، 28).

وترجم علو مقام الصغير السهلي في الطائفة الجزولية قربة الشديد من شيخه، والدور الكبير الذي قام به هذا الرجل في نشر الطريقة الجزولية، ولنا على هذا الدور وذلك القرب دلائل قوية، منها اعتماد شيخه الجزولي عليه في الدعاية للطريقة الجزولية، إيماناً منه، ولا شك، بقدرة تابعه هذا على كسب الأنصار. وقد لخص صاحب ممتع الأسماع هذا الدور في ترجمته للصغير، فقال : "كان عند شيخه بصطاد الرجال بهسته ويتصرف فيهم بنظرته" (ممتع، 28 : سلوة، 2 : 211).

كما يستفاد من الأخبار التي أوردها محمد المهدي الفاسي عن هذا الرجل أن نشاطه لم ينحصر في الدعاية للمشروع الجزولي، وإنما شارك في وضع عدة الطريقة للمريدين الجزوليين. حيث أشار إلى أنه أدخل زيادات مهمة على النص الأصلي لحزب الجزولي، وأن شيخه أقره على ذلك (ممتع، 25). كما ذكر صاحب سلوة الأنفاس من جهته، في هذا الصدد، أن الصغير السهلي "هو صاحب النسخة السهلة من دلائل الحيرات، وهي أصح نسخة وأعلاها" (سلوة، 2 : 211). وهذه إشارات هامة تدل على أن الشيخ الصغير السهلي كان من المقربين جداً من صاحب الطريقة الجزولية، الشيخ محمد بن سليمان الجزولي، وأن مقامه في الطريقة الجزولية كان عالياً جداً. دون أن ننسى، طبعاً، تصدر الشيخ الصغير السهلي للمشيخة في زاويته في حياة شيخه.

وبعد وفاة ذلك الشيخ، صار الصغير السهلي كبير الجزوليين وشيخهم جميعاً. نسجل هذا الأمر، رغم أن المصادر لا تشير إليه بصريح العبارة. لكن إذا علمنا أن الشيخ عبد العزيز التبايع، المشار إليه باعتباره صاحب الإرث من بعد الشيخ الجزولي، إنما كمل حاله، وقت تربيته على يد الصغير السهلي، في زاوية هذا الأخير، بوصية من شيخهما الجزولي (سلوة، 2 : 211، 212)، فليس من الخطأ القول بذلك الحكم.

بل لم يكن محمد الصغير السهلي كبير رفاقه في الطائفة الجزولية فحسب، وإنما كان أيضا "من أكابر الأولياء المحققين، وأحد الأفراد الواصلين، ومن ذوي الهمم العالية، ومن المقربين" (ممتع، 28). وكان منزله بخندق الزيتون، قرب وادي اللبن، بأحواز فاس. وفي هذا المنزل - الزاوية قصده المتشرفون إلى التصوف الجزولي، والزائر الرغابيون في البركة، "فاتنغ به كثيرين، وتخرج على يده رجال عديدون، أشهرهم قطب الجزوليين من بعده الشيخ عبد العزيز النباغ دفين مراكش (دوحة، 137)، والشيخ أبو عثمان سعيد السايح المالكي دفين موضع يقال له المرجومة بأحواز فاس (دوحة، 73)، والشيخ أبو محمد عبد الحق الزليجي دفين جبل زهون، والشيخ أبو البقاء عبد الوارث البصوتي دفين مدشر بني دركول في قبيلة بني زروال، والشيخ الكامل محمد بن عيسى الفهدي دفين مكناس (ممتع، 54، 56)، وغيرهم.

توفي عن سن عالية، سنة 918 هـ / 1514 م، ودفن بزوايته، وقبره بها مشهود مشهور.

العهدة: حة الناشر، تج. م. حجي، الرباط، 1397 / 1977؛ م. المهدي، ص. ممتع الأساع، طبعة حجرية بفاس، 1313 هـ؛ م. بن جعفر الكتاني، ص. طبعة حجرية بفاس، 1318 هـ، ج. 2؛ ع. السلام بن ع. الله الحياط القادري، التحفة القادريّة، مخطوط. ع. الرباط، رقم 2321، ج. 1.

أحمد الوارث

**السهوب**، جمع سهب، يدل على المستوي من الأرض في سهولة أو على السهول الشاسعة الانتشار أو على الأراضي المنخفضة أو على ما يغطيها من الاستبس أو استيبا وهو المفهوم الذي نتطرق إليه هنا.

فالسهب أو الاستبس تشكيلة نباتية مكونة من الحشائش الصلبة أو الجنيبيات القرمزية الجفافية تصادف عموماً في المناطق الجافة أو شبه الجافة من قارات الكرة الأرضية، وخاصة في النصف الشمالي منها، حيث تمتد على مساحات شاسعة من قلب أوراسيا وأمريكا الشمالية.

لفظ استبس رُوسي الأصل لأن جنوب روسيا والبلدان التي كانت تكوّن الاتحاد السوفياتي في حدوده الجنوبية تتميز بسهوبها الواسعة الانتشار التي عرفت تطوراً كبيراً في علوم التربة وفي ميدان بعض المزروعات الفلاحية، وتربية المواشي. واعتماداً على هذا اللفظ سُمّي جنس الحلفاء باستيبا *Stipa* (انظر حلفاء)، الذي ينتمي إلى فصيلة التّجليليات *Poaceae* والذي يشمل عدة أنواع تعيش جلها في المناطق التي تقل فيها الأمطار. لكن المفهوم الحالي للسهب اتسع ليشمل التشكيلات النباتية المكونة من أجناس أخرى من التّجليليات أو غيرها من الفصائل الأخرى كالتجميات أو المركبات *Asteraceae* والسرمقيات *Chenopodiaceae*.

بالرغم من كون السهوب الأورواسيوية والأمريكية تعيش في المناطق الجافة أو شبه الجافة القارية الموجودة ما بين

المنطقة المعتدلة وسافانا المنطقة المدارية، إلا أنها تعطي تربة جد خصبة استغلها الانسان للرعي أو للزراعة البورية أو المروية بواسطة مياه حقونات السدود، وذلك بعد اجتثاث التشكيلة النباتية. ومن أهم الزراعات التي تطورت على حساب السهوب نذكر زراعة الحبوب بأمريكا وروسيا، وكذلك أيضاً زراعة القطن في هذين البلدين وفي أوزباكستان حيث أدت هذه الزراعة إلى كارثة بيئية ثقلت في تصحّر مناطق شاسعة من البلاد وتقلص مهول لمساحة بحر الآرال وتقهقر سواحلها إلى مسافات بعيدة جداً عن مواقعها في الثلاثينيات من القرن العشرين. وذلك نتيجة إنشاء السدود على الأنهار التي تصب في هذا البحر من أجل ري زراعة القطن. وقبل انتشار الزراعة في مناطق الاستبس كان الرعي وما يزال النشاط السائد في السهوب التي لم تحتج بعد. ففي بعض البلدان كأستراليا والأرجنتين وبلدان آسيا الوسطى، تعتمد الحياة الاقتصادية في السهوب اعتماداً رئيسياً على الرعي وتربية الخيول.

أما في المغرب فإن السهوب تمتد على مجالات شاسعة من البيومناخات الصحراوية والجافة وشبه الجافة في شرق وجنوب البلاد بالإضافة إلى قسم الجبال العالية للأطلس المتوسط الشرقي والأطلس الكبير حيث تصادف السهوب المتميزة بتواجدها في ظروف مناخية قاسية جداً تتمثل في شدة البرودة لفصل الشتاء.

من حيث المساحة المكسوة بالسهوب المغربية، لم يتم بعد تقييمها إلا بالنسبة للحلفاء التي يقدر اتساعها بحوالي ثلاثة ملايين من الهكتارات. أما التشكيلات السهبية الأخرى فهي تغطي عدة أضعاف من مساحة سهوب الحلفاء.

تعتبر الهضاب العليا وعالية وادي ملوية أهم مجالات سهوب الحلفاء، والشيح أو أرطيسيا *Artemisia inculata* (انظر شيح) اللتين تنظمان عدة عشائر نباتية خاصة بكل واحد من النوعين. ففي هذه المجالات يكاد ينعدم وجود الأشجار باستثناء المنخفضات ذات التربة الخصبة والتي تتجمع فيها مياه الأمطار، وضاف الأنهار الجارية.

يتميز مناخ هذه المجالات بشدة برودة فصل الشتاء، وبالحرارة المفرطة لفصل الصيف، وبقلة الأمطار. ويعود انعدام الأشجار إلى جفاف المناخ الذي يستفحل بقوة وكثرة الرياح.

تصادف عشائر الحلفاء على الأراضي المنحدرة والحصوية أو الصخرية، بينما تكسو عشائر الشيح الأراضي المستوية والمنخفضات الطميية والطينية.

أما السهوب المغربية الأخرى فمنها ما يصادف في المناطق الصحراوية على جل امتدادات الرق التي تكسوها بصفة متناثرة عشائر تنظمها على الخصوص أجناس السرمقيات *Chenopodiaceae* المتحملة لأقصى ظروف الجفاف، تاركة بذلك المنخفضات الطميية الرملية لتشكيلات أنواع الطلح (انظر طلح)، ومنها تلك التي تعيش في

- أولاد عزيز (260 خ) : أولاد الشرقي وأولاد عيسى والزلاجة والعزويون والمفالحة.  
ومن أشهر قوادهم في القرنين الثالث عشر والرابع عشر (19-20 م) :

أحمد الصغير (ت. 1296). محمد بن إبراهيم الجابري (ت. بعد 1284). بنحسون بن العربي (ت. بعد 1285). محمد بن الجيلالي الهياضي (ت. بعد 1307). عبد القادر الجيهاني (ت. قبل 1306). الحنفي بن بوغزة العلواني (ت. 1309). التهامي بن ميمون البورزني العلواني (ت. بعد 1295). المصطفى العززي العلواني (ت. بعد 1296). بوغزة السهلي (ت. بعد 1296). العربي بن بوغزة بن قدور الجيهاني (ت. 1304). محمد بن زينة الجابري (ت. بعد 1317). محمد بن أحمد السهلي (ت. بعد 1311). أحمد بن رحال الجاني (ت. بعد 1327). أحمد بن الكناري الجيهاني (ت. 1315). إبراهيم بن حسادي البورزني الجاني (ت. بعد 1329). عبد الحگ الجابري (ت. بعد 1320). علال بن البقال الجاني (ت. بعد 1330). علال بن حسون الجيهاني (ت. بعد 1332). محمد بن الطاهر العززي العلواني (ت. بعد 1328). محمد (الكبير) بن محمد الجابري (ت. 1328). بوغزة بن الجيلالي العلواني (ت. بعد 1329). محمد (الصغير) بن محمد الجابري (ت. بعد 1330). خشان بن المعطي العززي (ت. 1379 بمكة). محمد بن الحاج البشير (ت. بعد 1375)

م. بوشعراء، علاقة المخزن بأحوال سلا، 175، 190، 209، 211 : وثائق مخزنية.

Villes et Tribus du Maroc, Rabat et Salé, Tome I, p. 243 et passim.  
مصطفى بوشعراء-

**السهول**، منطقة تقع على الهضبة الواقعة بين وادي أبي رقراق في الشمال الغربي ورافد وادي كرو في الجنوب الغربي والغرب، أما من جهة الشرق فإن مكان تقارب الواديين جنوب مولاي إدريس أغبال، يشكل نهاية لمنطقة السهول. تخترق الهضبة مجموعة من الشعاب الرافدة لأبي رقراق مثل الصفصاف، والمسدادية، والوزغات. وشعبنا الحرشة وعين الخنثبة الرافدتان لوادي كرو.

تتميز سفوح وادي كرو والسفوح الشمالية الشرقية المظلة على أبي رقراق بقوة انحدارها، يفعل تعمق الأودية في صخور القاعدة الأولية مما يعطي أشكال الخواتم الضيقة. بينما السفوح الشمالية الغربية يصبح شكلها مركباً أو محدباً أحياناً، ذات انحدار خفيف، تتكون ضمن صخور الصلصال الميولبوسيني، وتعطي تربة جيدة للاستغلال الزراعي، خصوصاً تلك المظلة على منحفضي أربعا، السهول وبحيرة السد، حيث يتسع مجرى الوادي ويشكل مصاطب غرينية، ذات تربة خصبة من الناحية الزراعية.

يغطي سطح هضبة السهول تربة متحدرسة حمراء ومغسولة ذات تطور قديم، تكون رملية في الشمال الغربي،

المرتفعات الأطلسية في ظروف بيئية تتميز أحياناً بأقصى البرودة. وتتكون هذه الأخيرة من أنواع نباتية مختلفة تنتمي إلى فصائل الفوليات أو الفراشيات Fabaceae، والنجميات أو المركبات Asteraceae أو الخيميات أو البقدونسيات Apiaceae.

من حيث الجانب الدينامي للسهوب المغربية نجد من بينها التشكيلات المناخية أي التي تتكون حسب الظروف المناخية المحلية للمنطقة المتواجدة بها، ويتعلق الأمر هنا بجل السهوب. أما السهوب الأخرى فهي تنتج عن تدهور تشكيلات شبه سهبية أو شبه غابوية للعرعار البربري أو للعرع الأحمر أو للبيظ الأطلسي أو للبلوط الأخضر.

يوجد جزء من السهوب المغربية في حالة جيدة يستعمل للرعي وخاصة سهوب الحلفاء والشح (انظر حلفاء وشح) في الهضاب العليا التي تعتبر المراعي الخاصة بأغنام سلالة بني كليل المتميزة بلحمها المعطر بفضل أكلها للشح. أما الجزء الآخر فهو إما اندثر أو في حالة جد متدهورة، وذلك لعدة أسباب منها الرعي المفرط ومنها الاجتثاث للزراعة أو لتحسين المراعي كما حدث في مناطق ميدلت وبوعرفة وبني مطهر حيث اجتثت على مساحات شاسعة تشكيلات الشح لتعويضها بنباتات دخيلة لم تتحمل الظروف البيئية المحلية فاندثرت. وتطورت عملية تحسين المراعي إلى عملية تدمير من طرف الدولة لهذه الموارد الطبيعية المتجددة المحلية التي تعيش في توازن مع الظروف البيئية لهذه المناطق (انظر شح).

فيما يخص الاستعمالات الأخرى لموارد سهوب الحلفاء والشح توجه القارئ لمراجعة هاتين المادتين في المعلمة.

أبحاث شخصية.

L. Emberger, *Aperçu général sur la végétation du Maroc*, Berne, 1939 ; A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 2000.

عبد المالك بنعبيد

**السهول**، قبيلة معدودة من بني حسن، ينتمي أهلها إلى

عرب معقل وهلال، استوطنوا أحوار سلا في عهد أبي نابت المريني على الراجح، وهم اليوم جزء من عمالة سلا الجديدة يكونون جماعة قروية تحمل اسم "السهول".

كان عدد خيام السهول في العقد الأول من القرن العشرين يبلغ 1037، ويتوزعون على خمسة بطون هي :

- الجوانب (210 خ) : بنو عبد اللي، وأولاد الحمراء وأولاد بورزين وبنو بوز.

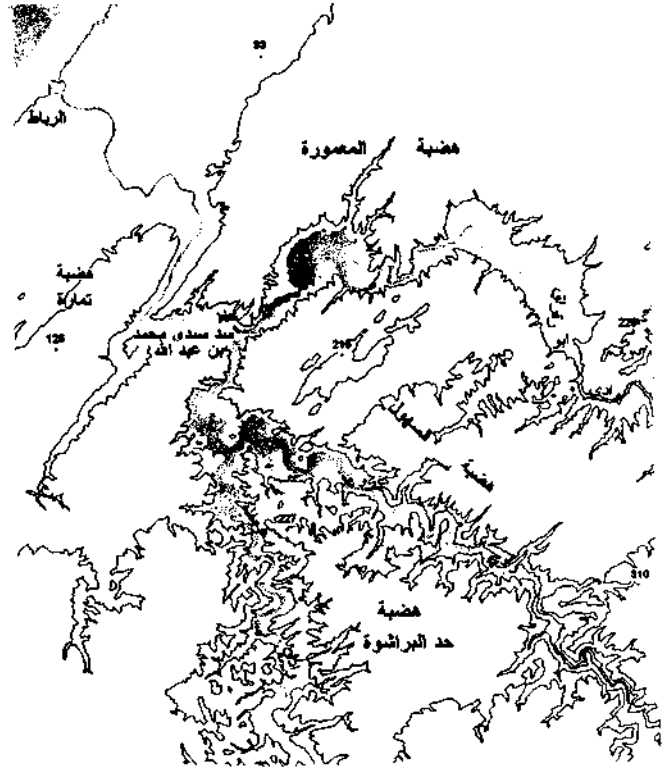
- الجياهنة (200 خ) فخودة (الكعابة) والعبايدة والخلالقة.

- أولاد جابر (214 خ) : الجيابرة (أولاد البهلول) وأولاد إبراهيم وأولاد كامل وأولاد عكيل.

- أولاد علوان (153 خ) : الأشياخ وأولاد يحيى والهايضة.

وتصبح رملية حصوية في الجنوب والجنوب الغربي، كما تظهر على شكل تربات ميهية ومستحددة في مواقع انتشار الضايات.

تخضع المنطقة لمناخ شبه جاف، يتراوح معدل تساقطاته السنوية ما بين 474 ملم في السنة عند أربعا السهول، و487 ملم عند مولاي إدريس أغبال. وتعرف تركزاً فصلياً حيث يسقط جلها في الشتاء، وخصوصاً خلال شهري دجنبر ويناير. في حين يسيطر الجفاف خلال فصل الصيف، ويصل المتوسط السنوي لعدد أيام المطر في السنة إلى 66 يوماً.



معدل الحرارة السنوية بالنسبة لشهر يونيو 23 ، وبالنسبة للشهر الأبرد 11° وبالتالي فإن الفارق الحراري متوسط إلى ضعيف بفعل القرب من البحر. كما تصيب المنطقة رياح الشرقي بمعدل 10.5 أيام في السنة في نهاية الصيف وبداية الخريف.

تغطي غابة السهول جزءاً من سطح الهضبة وتتألف أساساً من البلوط القليني حيث تصل مساحتها إلى 8.500 هكتار تتشكل غالبيتها من البلوط الذي يغطي حوالي 5.270 هكتار والباقي من الأنواع المشجرة مثل الصنوبر والأكالبتوس والأكاسيا. وتشكل الغابة مورداً مهماً لسكان المنطقة سواء للرعي أو للاستعمال المنزلي.

تستقر في المنطقة قبيلة السهول العربية حيث تظهر على سطح الهضبة عدة مراكز قروية من أهمها، مركز مولاي إدريس أغبال وسبت عين الخشبة وسيدي عزوز وسيدي عبد العزيز، بينما يوجد مركز أربعا السهول في المنخفض على وادي أبي رقرق. أما مركز العرجات الحديث فيوجد في

الهوامش الجنوبية للمعمورة، حيث يضم المركز الإداري والاقتصادي لجماعة السهول حالياً، التي تشمل بالإضافة لهضبة السهول جزءاً من الضفة اليمنى لوادي أبي رقرق المشرفة على منخفضي أربعا السهول وبحيرة السد.

من الناحية الإدارية تتبع جماعة السهول لعمالة سلا الجديدة وتضم مجموعة من الدواوير تمثل فخذات القبيلة هي الجياهنة، العزوزيين، أولاد عزيز، الجوانب، أولاد علوان، أولاد عيسى. ويصل عدد سكان الجماعة حسب إحصاء 1994 إلى حوالي 20.000 نسمة، لكن النمو الديمغرافي ضعيف بمعدل 15.5٪ خلال ثلاثين سنة من 1960 حتى 1994، بينما كان معدل النمو الوطني لنفس الفترة بحدود 7.55٪.

يقطن السكان في سكن هش ومتفرق على هوامش الغابة والسفوح ومع تحول حديث نحو السكن الصلب، ويمارسون الرعي الواسع كنشاط أساسي داخل الغابة وعلى السفوح حيث يعتبر من تقاليد قبيلة السهول، مع زراعة بورية أساسها الحبوب لكن مردودها ضعيف. أما منطقة العرجات فعرفت منذ الثمانينيات تكثيفاً للاستغلال الزراعي وتحولاً نحو الزراعة المسقية وتربية الأبقار والدواجن، وذلك انطلاقاً من الآبار التي تضح مياه الفرشة المائية.

تعاني منطقة السهول من عدة مشاكل حالياً من أهمها :  
- شبه عزلة بعد بناء سد سيدي محمد بن عبد الله حيث تكونت بحيرة واسعة عند مقرن وادي أبي رقرق ورافده كرو، مما أدى إلى قطع الطريق الرابطة بين السهول ومدينة سلا، وأصبح لزاماً على سكان السهول قطع مسافة 40 إلى 50 كلم للوصول إلى المدينة.

- ضعف التجهيزات الأساسية : كالطرق والكهرباء، والماء الصالح للشرب، والصرف الصحي.  
- ارتفاع نسبة الأمية (62 ٪) وانخفاض نسبة التمدرس إلى (44 ٪)

- نقص فرص العمل وارتفاع معدل البطالة في جماعة السهول (15.7 ٪) مما يدفع بالكثير من الشباب للهجرة نحو المدينة القريبة سلا.

كل ذلك يجعل معطيات التنمية البشرية بمنطقة السهول أدنى من المعدل الوطني للعالم القروي على الرغم من كون المنطقة تشكل جزءاً من عمالة حضرية كبرى هي سلا الجديدة. تحريات ميدانية.

عبد الرحيم وطفة

**السُهَيْلي** (الإمام -) **عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثمي الملقب ثم المراكشي الضرير**، يكنى أبا القاسم وأبا زيد وأبا الحسن وأبا علي، إلا أنه اشتهر بأبي القاسم وأبي زيد. والسهيلي نسبة إلى سهيل واد بالأندلس من كورة مالقة، (معجم البلدان، 3: 291) ويذكر ابن الخطيب أنه "حصن حصين يضيق عن مثله هند وحين" (معيان الاختيار، 85).



حدد السهيلي تاريخ ميلاده بنفسه جواباً على سؤال تلميذه ابن دحية إذ أخبر أنه ولد سنة ثمان وخمسة مائة بمدينة مالقة، وتكاد تتفق المصادر على أن بصره قد كف وهو ابن سبع عشرة سنة أو نحوها (بغية الملتبس، 367، ومحاضرات الأبرار، 1: 140). وذلك لمرض عضال ألم به كما جاء عند ابن الأثير: وكف بصره بما نزل به (التكملة، ترجمة رقم 1613) لذا أدرجه الصفي ضمن المؤلفين العميان في كتابه نكت الهميان.

نشأ السهيلي بمالقة فقيراً معوزاً "يتسوغ بالعفاف ويتبلغ بالكفاف" كما قال عنه تلميذه ابن دحية (المطرب، 233) وكان من أسرة علم ودين وفقه: فقد كان والده وجده معدودين من العلماء، لذا قال عنه بعض مترجميه بأنه كان من بيت علم وخطابة. واستطاع بذكائه وطموحه أن يتعلم ويكون أسرة من عدة أولاد، كما تشهد على ذلك كتابه، ويصبح من أعلام اللغة والحديث والفقه في الغرب الإسلامي، ولم يحد من هذا الطموح لا عاهته ولا فقره.

حفظ القرآن وتعلم مبادئ العربية على يد والده، وأخذ باقي العلوم المتدولة في عصره على يد مجموعة من كبار الفقهاء والعلماء من مالقة وغيرها من الحواضر الأندلسية الشهيرة، إذ كانت له رحلات علمية إلى قرطبة وإشبيلية وغرناطة، وأحصى له بعض مترجميه أزيد من ثلاثين شيخاً، منهم:

ابن الأبرش: أبو القاسم خلف بن يوسف الشنتري (ت. 532 / 1137) أخذ عليه النحو واللغة (المطرب، 232)؛ وابن الرماح: أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد (ت. 541 / 1146) أخذ عنه النحو بإشبيلية، وكان لغويًا مبرزًا، بارعاً في شرح كتاب سيبويه (المطرب، 232)؛ وابن سرحان: أبو الحسن عباد (ت. 540 / 1145) أجازته في الحديث (المطرب، 232)؛ وابن الطراوة: أبو الحسن سليمان بن محمد السبائي (ت. 528 / 1133) من أكبر حفاظ كتاب سيبويه بالأندلس. أخذ عنه السهيلي النحو، ولزمه طويلاً، وأثر في منهجه في التأليف، وتناول القضايا، وكان يحترمه ويفدر علمه إذ لم يذكره في مؤلفاته إلا بلفظ "شيخنا" (المطرب، 231)؛ وأبو بكر ابن العربي المعافري (543 / 1148) أخذ عنه السهيلي الحديث والأصول والتفسير، ولزمه بإشبيلية طويلاً، وتبنى كثيراً من مواقف وآرائه العلمية ولم يكن يذكره في تاليغه إلا بعبارة "شيخنا الحافظ" (المطرب، 231).

تصدر السهيلي للتدريس بمالقة وكان يدرس السيرة والحديث واللغة، وأملى بعض كتبه على طلبته، ويشهد على مستوى هذه الدروس وأهميتها العدد الكبير من الطلبة والعلماء الذين أخذوا عنه، وتخرجوا على يديه، ومنهم الأزدي: أبو الحسن سهل بن الحاج أبي عبد الله محمد بن سهل الغرناطي (ت. 639 / 1241) أخذ عنه الموطأ، والسيرة والقراءات وسمع عليه كتابه الروض الأنف وغيره من كتب اللغة والأدب، (برنامج الرعييني، 60)؛ والأموي: أبو

القاسم أحمد بن يزيد ابن عبد الرحمن بن بقي بن مخلد (ت. 625 / 1227) سمع عنه تاليغه الروض الأنف. (المركبة العليا، 117-118)؛ والبكري: أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد الملقى (ت. 616 / 1219) روى عن السهيلي واختص به، وتادب عنده في العربية، وكان الشيخ معجباً بذكائه وفقهه (الذيل والتكملة، قسم 1 ترجمة 236)؛ وابن حوط الله: أبو محمد الحجاج بن سليمان بن داوود الأنصاري (ت. 607 / 1210) أشار الذهبي في تذكرة الحفاظ، (4: 1397 وما بعدها) إلى أخذه عن السهيلي وهو محدث الأندلس وحافظها الكبير؛ وابن دحية، أبو الخطاب بن دحية الكلبي (ت. 633 / 1235) أكبر طلبة السهيلي ترجمه في كتابه (المطرب، 231-239) ترجمة وافية، أخذ عنه الحديث والسيرة واللغة وسمع عنه كتابه الروض الأنف وغيره.

خلف السهيلي مؤلفات في الحديث والسيرة واللغة والفقه، إلى جانب شعره الجيد الرقيق في موضوعات المدح والتصوف، وقد جمع الأستاذ بن يوسف الزاكي شعره وأحصى له 28 مقطوعة أهمها عينيته المشهورة:

يامن يرى ما في الضمير ويسمع

أنت المرجى لكل ما يتوقع

التي تم ترييعها وتخسيسها ومعارضتها من طرف الشعراء على مر العصور وقد دأب أهل المغرب على إنشادها في المناسبات الدينية. ومن مؤلفاته:

1- الروض الأنف والمرشع الروي، في تفسير ما اشتمل عليه حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتوى: نيه فيه على ما في السيرة من لفظ غريب أو إعراب غامض أو كلام مستغلق أو نسب عويص، أو موضع فقه ينبغي التنبيه عليه، أو خبر ناقص يوجد السبيل إلى تمتته. طبع عدة مرات بالمطبعة الجمالية بمصر سنة 1914 وطبعة دار الفكر بتقديم وتعليق طه عبدالرؤف سعد وطبعة دار النصر بالقاهرة سنة 1970 بتحقيق عبدالرحمان الوكيل.

نتائج الفكر: اعتنى فيه بخمسة أشياء: الدلالة والعللة والعامل، ونظم القرآن، ونقد المصطلحات والتعريفات. حققه محمد إبراهيم النا. ونشر مرتين الأولى بليبيا سن 1978، والثانية بمصر سنة 1986.

كتاب الفرائض وشرح آيات الوصية: اهتم بذكر مصادر الموارث في كتب السنة وأقوال الصحابة. حققه محمد إبراهيم النا، وصدر عن جامعة قار بونس بليبيا سنة 1980.

التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام: عرف فيه بمبهمات القرآن، وقد ذبله واستدرك عليه عدد من العلماء كابن عسكر الملقى وابن فرتون السلمي، ويدر الدين ابن جماعة ومحمد بن علي البلنسي وغيرهم. نشر مرات في بيروت وطرابلس.

مجموعة من الأمالي والمسائل المفردات: نشر محمد إبراهيم النا قطعة منها سماها أمالي السهيلي، مطبعة السعادة 1970 تضم مسائل في النحو واللغة والفقه.

- مسائل في النحو واللغة والحديث والفقه : تضم مسائل عديدة في هذه العلوم، نشرها طه محسن في مجلة المورد العراقية، م 18 عدد 3 سنة 1989. واعتبرها مكملة لما نشره محمد إبراهيم البنا.

وللسهيلي مسائل أخرى كثيرة في موضوعات مختلفة ذكرها في بعض مؤلفاته أو وردت في مؤلفات غيره.

وقد تميزت مؤلفات السهيلي بالجدة في تناول، والتوسع والاستقصاء في البحث، والموسوعية. هذه المكانة العلمية كانت من أسباب استدعاء الموحدين للسهيلي، فقد اشتهر يوسف بن عبد المومن باستدعاء العلماء البارزين وجمع الكتب النادرة كما أفاد ذلك صاحب المعجب، (ص. 236 و242) : "ولم يزل يجمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب، ويبحث عن العلماء، وخاصة أهل علم النظر إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك المغرب".

لذا وقد وجدت الدعوة هوى في نفس السهيلي الذي كان بحاجة إلى كرم الخليفة وعطفه لأنه - كما هو معروف - كان فقيراً ضريراً محتاجاً، كان من مؤيدي الدعوة الموحدية المقتنعين بمذهبها، عبر عن ذلك صراحة في مقدمة كتاب الروض الأنف عندما قال : "الحمد لله الذي الحقنا بعصاية الموحدين، ووفقنا للاعتصام بعروة هذا الأمر التين، وخلقنا في إبان الإمامة الموعود ببركتها على لسان الصادق الأمين، إمامة سيدنا الخليفة أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين..." كما أنه نظم أمداحاً في يوسف وبعض الأمراء الموحدين (الإحاطة، 2 : 328).

كان انتقال السهيلي إلى مراکش حدثاً كبيراً أضفى عليه الخليفة هالة عظيمة عندما أرسل إليه المراكب كما وصف ذلك تلميذه ابن دحية عندما قال : (فأمروا بوصوله إلى حضرتهم وبدلوا له مراكبهم وخيلهم ونعمتهم) وكان ذلك سنة 579 / 1183 لأن الثابت أنه قضى بها زهاء ثلاث سنوات.

والمعروف أنه تصدر للتدريس بمراكش : علوم الحديث والسيرة واللغة. وكذا كتابه الروض الأنف حسبما ذكر ابن مفرج اللخمي شيخ الرعييني (برنامج شيوخ الرعييني، 142). أما مسألة توليه لقضاء الجماعة فمشكوك فيه لأن أخص طلبته وملازميه لم يذكرها. كما لم يذكره صاحب المعجب ضمن قضاة الموحدين، ولم يترجمه النباهي ضمن قضاة الأندلس فضلاً عن أنه كان ضريراً يفتقد شرطاً أساسياً من شروط صحة تولي القضاء وهو البصر.

وبالمقابل فإن المصادر التي ذكرت خبر توليه القضاء متأخرة ترجع إلى القرنين الثامن (الصفدي، ت. 764 / 1262) والتاسع (ابن الجرزي 833 / 1429). بينما عاش السهيلي في القرن السادس (12 م).

كانت علاقة الإمام السهيلي بالموحدين جيدة في البداية حسبما ما أفاده تلميذه ابن دحية (...). وفي كل يوم كان يجنيهم من حديثه أزهاراً، ويقتطفهم من ملحه أساً وبهاراً، حتى حسده الطلبة، وجرّدوا لمامه حساماً، وحددوا للكلام فصلاً (...). (المطرب، 232، 233).

وفي كلام ابن دحية إشارة إلى ما سيتعرض له السهيلي من إقصاء سواء كان ذلك بسبب حسد الطلبة المذكور أو بسبب ما أشارت إليه مصادر أخرى من خطأ وقع فيه السهيلي في كتابه عن الموحدين عندما جعل المنصور من آل البيت.

المهم أنه لم يلق منهم ما كان ينتظره من حفاوة وتكريم، أما ما انفرد ابن المؤقت بذكره عن إعداد سكن خاص للسهيلي يحيي القنارية يشبه سكنه بالقة، وإحضار أهله إليه دون علمه (السعادة الابدية، 2 : 104) فلم يذكره غيره بمن سبقوه.

وقد عوّضت الأقدار للإمام السهيلي إهمال الموحدين له باختياره ضمن رجال مراکش السبعة.

توفي الإمام السهيلي بمراكش يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان عام واحد وثمانين وخسمائة 22 نونبر / 1185، ودفن وقت الظهر بروضة باب الرب. (المطرب، 233). وقد ذكر كل مترجميه هذا التاريخ باستثناء صاحب بغية الملتبس، (ص. 367) الذي جعل تاريخ وفاته سنة 583 / 1187 وتبعه في ذلك صاحب نفع الطيب، (4 : 370) والتاريخ الأول هو الصحيح.

أمالي السهيلي، تج. م. إبراهيم البنا، ط. 1، مصر، 1970 : أبو الحسن علي الرعييني، برنامج شيوخ الرعييني، تج. إبراهيم شيوخ دمشق، 1962 : أبو الحسن النباهي، الرقبة العليا، تاريخ نقضاة الأندلس، 5، بيروت، 1983 : م. الدين ابن عربي الحاشمي، محاضرات الأبرار ومسامرات الأخبار، بيروت : أ. الضبي، بغية الملتبس، القاهرة، 1967 : م. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، نشر عزت العطار الحسيني، مصر، 1956 : أ. بن الزبير أبو جعفر، صلة الصلة، نشر ليفي بروفتال، الرباط، 1938 : م. بن عبد الملك المراكشي، الدليل والتكملة، تج. م. بنسريعة، 1 و8 وإحسان عباس، 5 و6، ط. بيروت، 1965-1973 : ش. الدين الذهبي، تذكرة الحفاظ، ط. 3، بيروت، 1374 : ع. بن يوسف القفطي، إنباء الرواة عن أنباء النجاة، تج. م. أبو الفضل إبراهيم، مصر، 1952 : ع. الواحد المراكشي، المعجب، تج. م. س. العريان وم. العربي العلمي، ط. القاهرة، 1949 : باقوت الحسوي، معجم البلدان، بيروت : ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، بيروت، د. ت. : ابن عسكروا بن خميس، أدياء مألقة، مخطوط : م. بن ع. المنعم الحسيري، الروض المعطار في خبر الأنظار، تج. إحسان عباس، ط. 2، بيروت، 1984 : ح. خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بيروت : أبو الخطاب بن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، تج. إبراهيم الأبياري، ط. مصر، 1955 : ص. الدين الصفدي، نكت الهميان، مصر، 1911 : ابن الخطيب، الإحاطة، تج. م. ع. الله عنان، ط. 1 القاهرة 1973-1977، معيار الإخبار، تج. م. كمال شبانة، المحمدية، د. ت. : م. الكتاني، سلوة، ط. حجرية فاسية، 1316 : إ. باشا البغدادي، هدية العارفين، بيروت، 1982 : م. ع. الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، ط. 2، القاهرة، 1961 : م. المؤقت المراكشي، السعادة الابدية، ط. حجرية فاسية، 1335 : بينونس الراي، أبو القاسم السهيلي مفسراً، د. ع. مرقونة بكلية الآداب وجدة : م. بنسريعة، أبو المطرف أحمد ابن عميرة الخزرومي، الرباط، 1966 : ع. السلام ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، الدار البيضاء، 1960 : ح. جلاب، الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب، مراكش 1994، 3 أجزاء.

حسن جلاب

## السواحل المغربية (إعداد) موضوع مركزي ضمن

مواضيع إعداد التراب في المغرب، وذلك لسببين، امتداد الساحل على حوالي 3500 كم، من السعيدية إلى الكويرة، وتركز ساكنة هامة في المجالات الساحلية، وخاصة منها ساكنة المدن، إضافة إلى تلاقى أنشطة متنوعة، قد تكون متناقضة على شريط مساحي ضيق.

ويميل الساحل المغربي، كما هو الحال في جل البلدان المتوسطية إلى أن يصبح مجالاً مستعملاً بإفراط، بسبب اتساع رقعة المدن، واستقرار الأنشطة الصناعية، والترفيهية، وموانئ التجارة والصيد البحري. وغالباً ما تنتج عن هذا التركيز المفرط، مظاهر إتلاف، قد تستحيل معها إمكانات تدبير أجود وإعداد أفضل في المستقبل.

ذلك أن عملية التركيز الساحلي للسكان والأنشطة، متقدمة وسريعة، إلى درجة خلق عدم توازن صارخ، في مجال الإعداد، بين الجهات الساحلية النامية، والمناطق الداخلية التي تشكو من التراجع وضعف الاستثمار. ويخفي هذا النمو الساحلي مشاكل عدة، تتمثل في التلوث الحضري والصناعي المركز حول المستوطنات البشرية والمنشآت الصناعية، وفي تضائل بعض الموارد البحرية، وتنشيط انجراف بعض الشواطئ الرملية، والتي تعتبر القاعدة التي يبنى عليها النشاط السياحي. كل هذا يؤدي إلى طرح قضية مستقبل الساحل والوسط البحري، باعتبار الاختيارات الأساسية في ميدان الإعداد، بحثاً عن سياسة تضمن التدبير المتزن لهذه الأوساط الحيوية.

ويتضح أن التدخلات من أجل الحفاظ على السواحل، أو إعادة تأهيل ما تدهور منها، لا يمكن أن تتم إلا ضمن خطة مندمجة، تبني على مبادئ واضحة وبسيطة، وفي إطار قانوني قوامه الإنصاف والتعاقد، تسبقها حملة واسعة من أجل التوعية تهدف إلى ظهور سلوكات جديدة.

يعرف النظام الساحلي تغيرات عميقة للأسباب التالية :  
- التغير المناخي الشمولي، المؤدي لارتفاع مستوى البحار، سينتج عنه إذا ما تحقق بسرعة تقلبات أحيائية، من أهمها إتلاف العديد من الموارد والتنقيص من التنوع البيولوجي.

- الاكتظاظ الساحلي للسكان والأنشطة، بسبب الهجرة

نحو السواحل وتركز الاستثمار الصناعي والسياحي والخدمات فيها، يؤدي إلى اتساع رقعة المجالات المبنية على حساب المواقع الطبيعية. كما أن هذا الضغط المفرط بلوت المجالين الساحلي والبحري ويخلف متاعب صحية وبيئية.

- الاستثمار الخاص والتشييد في المجال الساحلي، الذي يعتبر ثروة عمومية يقصي العامة ويمنعها من الاستفادة، ولو بالترفيه والمشاهدة من هذا المورد الأساسي.

- التنافس بين الأنشطة المختلفة وطبيعة كل منها، قد يتسبب في تجاهه ميداني، ينتج عنه إقصاء البعض منها. فالصناعة بملوثاتها تقصي السياحة، وإمكانات الحفاظ على المواقع الطبيعية أو الأركيولوجية النادرة.

لذا فإن الأعداد مطالب بمراعاة هذه الجوانب المختلفة :

- الساحل ثراث طبيعي نادر، بسبب طبيعته المبنية على النقاء اليابسة والبحر، ولذا نجد به فصائل نباتية وحيوانية وأنظمة حيوية خاصة، إضافة إلى مشاهد رائعة، على الساحلين المتوسطي والأطلنطي، نذكر منها هور كبيدانة، وأجراف الريف (بقوية، جبل موسى، رأس سبارطيل) وأهوار مولاي بوسلهام، والوالدية وخنيفيس، ومصب درعة، وخليج الداخلة). كما تتميز البحار المجاورة بشروة سمكية جد متنوعة.

- الساحل ميدان عمومي يضم مواقع لها أهمية اقتصادية خاصة، نذكر من بينها الموانئ المحمية، ومصبات الأنهار والشواطئ الرملية. وكل هذه المواقع رهينة باستقبال أنشطة ومستوطنات خاصة. فالموانئ مجال تركيز لأنشطة الصيد والتجارة والصناعة وتمثل إلى جانب ذلك مواقع للمدن الاقتصادية الكبرى. وهذا حال الدار البيضاء وطنجة وآسفي وأكادير. والشواطئ الرملية والأهوار الساحلية مجال استقبال السياحة بنوعها الشاطئي والبيئي.

وهذا ما يبرز أهمية المورد الساحلي وضرورة إعداد متزن، يسعى إلى تلاقى أوضاع التدهور. فعلى الساحل المغربي تتركز 61% من ساكنة المدن الكبرى، و80% من العمال الدائمين في الصناعات الكبرى، و53% من الطاقة الاستيعابية للسياحة إضافة لى النقل البحري والصيد والبحر مجال استقبال جل المياه الحارة التي تنتجها مدن ومصانع الشريط الساحلي. والإشكال يزيد تعقداً بسبب ضعف التحكم في النمو الحضري، وفي الامتداد العقاري للمنشآت السياحية، وفي قذف المياه الحارة والأزبال وهذا ما جعل مياه كثير من الشواطئ غير صالحة للاستحمام، وأسماك وقواقع كثير من المواقع غير قابلة للاستهلاك. إضافة إلى انجراف رمال الشواطئ العديدة، والذي ينتج عنه تحول جذري في ميزانية النقل والارساب، بسبب تصليب أعالي الشواطئ بالبنائيات والطرق، أو بسبب اقتلاع الرمال من أجل البناء. فمن بين 47 شاطئاً تمّت دراستها من طرف الجهات المختصة، يتضح أن سبعة منها قد أمتحت كلياً وصارت صخرية، وتسعة عشر أخرى في طور الانجراف السريع. ولذا فإن النشاط السياحي القائم على هذه الشواطئ الرملية مهدد بدوره بالتراجع.

من هنا تبرز أهمية خطة مديريةية للسواحل، تراعي كل هذه الجوانب، وتبني على اختيارات سياسية هامة، تمثل الإطار الذي يبنى عليه الإعداد المستقبلي للمجال الساحلي. ومن الواجب أن يهيئ هذا الإصلاح الأدوات القانونية والتشريعية اللازمة لتلاقي التنافس بين الأنشطة، والتدهور المفضي إلى الإتلاف، واختيار مواقع الأنشطة غير المتكيفة، والسلوكات غير المتزنة.

عبد الله العوبنة

قدبرت مكيدة لقتله وروجت دعاية مفادها أنه سقط من أعلى الجبل.

وكان استشهاده سنة 1955.

المنوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 520593.

**السوالم**، مركز يقع داخل جماعة السوالم، في الجزء المشرف على البحر من إقليم سطات، أي في الجنوب الغربي لمدينة الدار البيضاء، على الطريق الوطنية رقم 1 الرابطة بين الدار البيضاء وأكادير عبر الجديدة.

ويحتل موقعا متميزا بين مجال الكثبان الرملية الساحلية المتناسكة والتي تشكل نطاقا لزراعة الحضر والسهل الداخلي للشاوية الذي يشكل نطاقا لزراعة الحبوب. ويقع بالضبط على الحدود بين جماعتين قرويتين (السوالم وأولاد احريز الساحل) اللتين تفصل بينهما الطريق الوطنية رقم 1. ونتيجة لذلك جاء المركز يتكون من شطرين منفصلين إداريا، رغم أنهما يشكلان في الواقع وحدة حضرية متماسكة تهيكلها الطريق الوطنية رقم 1 التي هي في نفس الوقت الشارع الرئيسي للمركز والحاجز الإداري بين شطريه. فالجزء الشرقي يدعى مركز أولاد احريز الساحل ويقوم بدور مقر للجماعة القروية التي تحمل نفس الاسم. والجزء الغربي يشكل مركز جماعة السوالم ومقرا لقيادة السوالم التي تضم الجماعتين. غير أن هذا التقسيم لن يدوم طويلا لأن تصميم التهيئة العمرانية التي وضع مؤخرا للمركز يعتبر السوالم وحدة حضرية متماسكة ستصبح مستقلة عن الجماعتين القرويتين معا.

حسب إحصاء 1994 يضم مركز أولاد احريز 1.616 نسمة ومركز السوالم 1.849 نسمة. وبذلك يظل المركز في مجموعته صغير الحجم (3.465 نسمة) لكنه شهد تطورا هائلا خلال السنوات الأخيرة وخاصة بعد إحداث منطقة صناعية به، في إطار سياسة تخفيف الضغط على الدار البيضاء التي لا تفصله عنها سوى مسافة 35 كلم. ونتيجة لذلك أصبح يستقطب الباحثين عن الشغل من الشاوية ودكالة وحتى من الدار البيضاء. مما أدى إلى استفحال ظاهرة السكن العشوائي به. فتم وضع مخطط عمراني يتوقع أن ترتفع السوالم إلى مستوى مدينة قد يبلغ حجمها الديموغرافي 60.000 نسمة في أفق 15 سنة. وفي هذا الصدد تعرف

السوالم منذ خمس سنوات حركة نشيطة في ميدان البناء تجلب الباحثين عن الارتقاء إلى ملكية السكن من بين الفئات الوسطى من الدار البيضاء وخاصة في إطار الوداديات. إن مركز السوالم الذي نشأ وتطور كسوق أسبوعي (الخامس في إقليم سطات بعد اثنين برشيد، اثنين بن احمد، أحد البروج، جمعة أولاد عبو) وكسحطة طرقية على أبواب الدار البيضاء وبين إقليم سطات والجديدة، يتجه اليوم نحو

**السواك**، يطلق على المواد النباتية التي تستعمل لتنظيف الأسنان أو لتجميل الشفاة واللثات أو ضد أمراض الفم. ومنها نوعان معروفان :

- سواك قشرة جذور الجوز أو *يوغلاتس ريجيا* Juglans regia (انظر مادة الجوز) الواسعة الاستعمال في الدول العربية والإسلامية كما هو الشأن في المغرب.

تنزع القشرة فتجفف لكي تباع على شكل رزم من القطع المستطيلة.

يمضغ أو يدلك سواك الجوز في أقطار الوطن العربي لأجل تبييض الأسنان وتحمير الشفاة واللثات أو لمحاربة الروائح الخبيثة للفم أو التهاب اللثة.

- السواك أو المسواك والمعروف أيضا بالآراك أو عود الآراك أو سيقان السواك هو النبات المسمى علميا *سالفادورا بيرسيكا* *Salvadora persica* الذي يصادف بصفة نادرة جدا بالمغرب حيث لا يعيش إلا في بعض المناطق الصحراوية. لكن موطنه الأصلي يمتد من المحيط الأطلسي إلى الهند التي يستورد منها عجين الأسنان المسمى المسواك والمصنوع من خلاصة الآراك. كما يستورد عود الآراك من السنغال ومن شبه الجزيرة العربية وخاصة من طرف الحجاج.

ونبات الآراك شجرة أو شجيرة كثيفة الأغصان. يتراوح ارتفاعها من 2 إلى 5 م. أغصانها متدلية ومتهدلة. أوراقها متقابلة، بيضية الشكل، خضراء وفضية اللون، جرداء، وعصارية. أزهاراتها عنقودية. أزهارها صغيرة خضراء، مركبة من 4 سلات و4 بتلات. ثمارها لحمية، وحيدة النواة، بيضية الشكل.

يتميز عود الآراك بفعاليته لضمان صحة الفم. ولذلك

كان يستعمله الرسول سيدنا محمد ﷺ، مما جعل الإنسان يحترم البعض من أشجار هذا النوع فيتركها تعمر طويلا. إضافة إلى هذه المزايا تعطي شجرة الآراك ثمارا تؤكل أو كما هو الشأن بالنسبة للأوراق تستعمل في التطبيب التقليدي.

ونظرا لكل هذه المنافع نجد في الجنوب المغربي أن بعض أشجار هذا النوع تصير جد ضخمة عندما تكون قريبة من القصور، كتلك التي تصادف بتين تَنَازَرْتُ بناحية طاطا.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc. évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 2000 ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle. médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997.

عبد المالك بنعبيد

**سؤال**، **حمّو** بن محمد، مقاوم من مواليد 1916 بقبيلة أبت عيسى بني تاجيت إقليم فكيك. انخرط في صفوف المقاومة ضمن تشكيلة ثورة الأطلس بواد غريس، فكان يفقد الاتصالات والاجتماعات بين المقاومين والوطنيين بسرية في منزله، وتم التخطيط للقيام بهجوم شامل على مراكز القوات الاستعمارية إلا أن السلطات الاستعمارية علمت بالأمر

تعزير مكانته كتجمع سكاني وكمجمع صناعي مندمج في الدار البيضاء الكبرى. ومن خلال ذلك يمكنه أن يرسخ موقعه المتعددة داخل إقليم سطات وعلى أبواب الدار البيضاء الكبرى وبين مجالات فلاحية متباينة ومتكاملة وبينها وبين الدار البيضاء وإقليمه. وقد ظهرت بوادر هذا التوجه من خلال أهمية الصناعات الغذائية التي استقرت به والمرتبطة بتحويل المنتوجات الفلاحية لمحيطه المباشر (إنتاج البيض، الدواجن، تصبير الخضر ومشتقات الحبوب...) والصناعات المرتبطة بالسوق البيضاء (مواد البناء، المعدات الكهربائية، النسيج، المواد البلاستيكية...). ويتعزز موقعه كمحطة طريقية من خلال التطور الكمي والنوعي الذي تشهده التجارة والخدمات المرتبطة بحركة النقل والعبور عبر الطريق الوطنية رقم 1 والمحور الطرقي الذي يربط إقليم سطات بالبحر (برشيد - سيدي رحال)، هذا فضلا عن تعزيز موقعه كقطب إداري للجزء الغربي من قبائل أولاد حريز الذي سيتسع مع ترقيته المرتقبة إلى رتبة بلدية.

وهكذا يعتبر مركز السوالم من التجمعات التجارية والسكنية الصغرى القليلة بإقليم سطات التي استفادت وتستفيد من قربها من الدار البيضاء. لذلك يتوقع مخطط التهيئة الذي وضع له أن يشكل مكونا أساسيا من مكونات الحزام الحضري الذي يعول عليه مستقبلا في هيكلة ضواحي العاصمة الاقتصادية للمغرب. وسيساعده في ذلك كونه المركز الوحيد الذي يحتل موقعا متميزا في الجنوب الغربي لهذه المدينة.

دراسة ميدانية

المصطفى شوكي

## السودان (جمهورية -). أقامت المملكة المغربية علاقات

دبلوماسية مع جمهورية السودان منذ استقلالها، سنة 1956 / 1375. وضع لبننة هذه العلاقات محمد الخامس ثم تطورت واتسعت أفاقها بعد ذلك. وتميزت المراحل الأولى للعلاقات المغربية السودانية بالصعوبة نتيجة للأوضاع الداخلية للبلدين، الموروثة عن الاستعمارين الإنجليزي بالسودان والفرنسي بالمغرب.

ومع ذلك ظلت العلاقات المغربية - السودانية قائمة على مبادئ الاحترام المتبادل للسيادة الوطنية، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية والتعاون المشمر في كل المجالات : السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والثقافية، على أساس القوانين والمعاهدات الدولية. وتندرج تلك العلاقات أيضاً في إطارها الدولي، ضمن العلاقات العربية - العربية، والعربية - الإفريقية، والعربية - الإسلامية.

وفي سياق ذلك، ارتبط البلدان بعدة اتفاقيات ثنائية وبيروتوكولات التعاون في جميع المجالات التي لا تخرج عن الأبعاد السالفة الذكر. وسُجل تبادل الزيارات بين الوفود الرسمية لكلا البلدين للتشاور والتنسيق بين الحكومتين في المجال السياسي. وعرض مشاريع التعاون المشترك وأفاق

توسيعها. وتقيم جالية سودانية بالمغرب، تضم كثيراً من الطلبة الذين يتابعون دراساتهم في عدة تخصصات بعدة كليات ومعاهد : وأطراً وعاملين في مجالات مختلفة يعملون بالقطاع الخاص، كما تقيم جالية مغربية بالسودان، تضم بعض الطلبة، وأطراً عليا كالمهندسين والتقنيين والخبراء، المتخصصين في المجالات الزراعية والصناعية، والتجارية.

ويمكن القول بأن سنة 1958، هي التي شهدت انطلاق التعاون بين البلدين في المجال السياسي، وتمثل ذلك في حضور البلدين إلى جانب تونس ومصر وليبيا وغانا وليبريا، المؤتمر الأول للدول الإفريقية المستقلة في مدينة أكرا بغانا. وكان هذا المؤتمر مهماً لأنه أشار إلى أن " لا الإسلام ولا الصحراء الكبرى يشكلان حاجزاً لا يمكن عبوره بين إفريقيا السوداء والعربية..."، وبرزت في القمة النظرة القائلة بأن لدى بعض الدول الإفريقية السوداء قواسم مشتركة على الصعيد السياسي مع بعض الدول العربية أكثر مما لها مع جاراتها المباشرات، (العرب وإفريقيا، 102). وشارك السودان إلى جانب المغرب في إنجاح عدة مؤتمرات إقليمية ودولية، ومن بينها :

- مؤتمر تأسيس منظمة الوحدة الإفريقية، سنة 1963.

- مؤتمر تأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي بالرباط، سنة 1967.

- المؤتمرات الخاصة بالجامعة العربية.

- المؤتمرات الخاصة بالأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها.

ويشترك المغرب والسودان في تبني مواقف سياسية ثابتة مثل : دعم الكفاح الوطني للشعب الفلسطيني، مكافحة الاستعمار في إفريقيا وآسيا ومساندة حركات التحرر فيها، مناهضة العنصرية بكل أشكالها وتفعيل آليات التعاون والتضامن العربي - الإفريقي (مؤتمرات : 28 / 7 و 8-1. 1975 لكامبالا بأوغندا ؛ 19 / 22 / 4 / 1976 بدكار بالسنتغال؛ يناير 1977 بلومي بالطوغو) ... الخ.

وقد حظي السودان باحتضان المقر الرئيسي للبنك العربي للتنمية الاقتصادية في إفريقيا، تطبيقاً لقرار مؤتمر القمة العربية السابع المنعقد في الرباط من 28 إلى 29 أكتوبر 1974 (العرب وإفريقيا، 101 - 120).

وقد عرف عقد الثمانينات بروز التكتلات الاقتصادية القوية، وتطور ظاهرة العمولة، فصار العالم متشابهاً بما استدعى حل عدة مشاكل خطيرة، والبحث عن سبل حل أخرى كانت ما تزال قائمة، وأدى ذلك إلى نشوء رغبة للتعاون في كل المجالات بين الدول الفقيرة والغنية، وتطور منتدى باريس للحوار بين الشمال والجنوب (الذي ظهر سنة 1975 بفرنسا)، فصار منتدى الحوار العربي - الإفريقي -

الأوروبي الذي يهدف إلى إرساء قواعد جديدة للعلاقات بين الدول المشاركة فيه لمحاربة التخلف والفقر والبطالة. ولم تفت البلدان فرصة الالتئام إلى مثل هذه المنتديات لتطوير اقتصاديهما استعداداً للدخول في مرحلة اقتصاد السوق.

وتتعدد اللجنة العليا المختلطة المغربية السودانية بين الحين والآخر، لدراسة أوجه العلاقات الثنائية بين البلدين، وبحث مشاريع الاتفاقيات والبروتوكولات الخاصة بالتعاون في كل الميادين، والاستثمار، وما إلى ذلك. ففي سنة 1995، حمل وزير الثقافة المغربي رسالة من جلالة الملك إلى رئيس دولة السودان قصد دعم علاقات البلدين (4 / 4 / 1995)، وحصل نفس الشيء مع سفير السودان بالمغرب يوم 25 / 6 / 1995؛ ووصل وفد حكومي سوداني إلى المغرب، يرأسه وزير التجارة للمشاركة في أشغال اللجنة المختلطة المغربية السودانية يومي 29 / 30 / 6 / 1995. وقد وقّع الجانبان على عدة اتفاقيات في المجالين الاقتصادي والثقافي. وكانت بعد ذلك لقاءات عديدة بين المسؤولين المغربية والسودانيين.

يسري الجوهري، شمال إفريقية، دراسة في الجغرافية الإقليمية، مصر، د. ت. جماعة من الأساتذة، العرب وإفريقيا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط. 1، 1993؛ مركز الدراسات والأبحاث في العلوم الاجتماعية، التقرير الاستراتيجي للمغرب، 1995 / 1996؛ مجلة أبحاث، عدد خاص، ص. 13، 1997، الرباط، المغرب؛ م. العربي المساري، المغرب ومحيطه، الجزء الأول، الرباط، 1998.

R. et M. Cornevin : *Histoire de l'Afrique, des origines à nos jours*, Paris, 1956 ; G. P. Murdock : *Africa, Its Peoples and their Culture History*, New York, 1959 ; I. W. Zartman : *Government and Politics in Northern Africa*, London, 1963 ; A. T. Grove : *Africa South of Sahara*, Oxford University Press, 1967 ; M. F. Thomas and G. W. Whittington : *Environment and Land Use in Africa*, London 1969 ; Viviana Pâques : *Les Peuples de l'Afrique*, Paris 1974 ; M. Morsy : *North Africa 1800-1900*, London and New York 1974.

خالد أوشن

## السودان الغربي والمغرب. يُطلق اسم السودان

الغربي علي النطاق الفاصل ما بين الضفة الجنوبية للصحراء الكبرى ومقدمة الغاية الاستوائية. وبذلك فالسودانيون يشغلون - تقريبا - المجال المنحصر فيما بين خطي عرض 11 و 17 درجة شمالا. وفيما شكل المحيط الأطلسي حداً طبيعياً من جهة الغرب، امتد مجال انتشار السودان شرقاً إلى غاية بحيرة كوري (تشاد) وهوامشها الشرقية.

فوق هذه الرقعة الجغرافية، قامت وتعاقت عدة وحدات سياسية سودانية خلال العصر الوسيط، وهي : مملكة غانة، وسلطنة التكرور، وإمبراطورية مالي، وإمبراطورية سنغاي.

يصعب تحديد تاريخ مملكة غانة ونشأتها أو الحديث عن مؤسسيها الأوائل، وكل ما يمكن تأكيده بهذا الصدد، هو أنها كانت قائمة الوجود كوحدة سياسية في منطقة أوكار قبل القرن الثاني (8 م) (المسعودي، ج. 2، ص. 377). وحسب رواية البكري (ص. 184)، فإن اسم غانة يُطلق على المملكة وعاصمتها، كما أنه يمثل لقباً للملك.

وإنطلاقاً من غانة العاصمة (كوميبي صالح). كان الملك يباشر سلطته، ويساعده في مهامه عدد من الوزراء والموظفين. كما كان للملك ولاية يتوبون عنه في تسيير شؤون الجهات والأقاليم.

ويظهر أن علاقة الملك برعاياه، كانت تستند على قيم اجتماعية - ثقافية أصيلة، لعل أهمها سمة العدل التي تطبع بشكل متميز سلوك العاهل تجاه رعيته. وفي المقابل كانت الرعية تبادل له صدق الولاء، وتترجم إجلالها له في عادة التنزيب. يقول البكري، (ص. 176) : "فإذا دنا أهل دينه منه [أي الملك] جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤوسهم فتلك تحيتهم له".

وبحكم مجاورة أهل غانة لصنهاجة الصحراء من جهة الشمال، فقد نشأ بينهما احتكاك، كان يأخذ في بعض الأحيان طابعا صداميا مثلما وقع أثناء صراعهما على مدينة أودغشت خلال القرن الرابع (10 م). على أن الصراع بينهما حول المصالح الاقتصادية لم يؤدي إلى تنافر أو قطيعة ثقافية، بل شكل عنصراً مساعداً في تزايد احتكاك وتشاقف اليرير المسلمين (صنهاجة) من جهة والسودانيين من جهة أخرى. الشيء الذي أدى إلى اعتناق عدد من السودانيين للإسلام، وذلك حتى قبل قيام الحركة المرابطية (ابن حوقل، ص. 98، البكري، ص. 174).

ومما يشهد على هذا الاحتكاك الإيجابي أن السودانيين كانوا يرحبون بالإسلام، ويقدرون أيما تقدير كل مسلم تاجر أو فقيه دخل بلادهم. ولا غرو والحالة هذه أن يحتل المسلم مكانة رفيعة في السودان، حتى إن الملك الغاني كان يستعين بالمسلمين في تسيير دواليب الحكم، حيث كان يتخذ منهم تراجمته وصاحب بيت ماله وأكثر وزرائه (البكري، ص. 175).

إن الصورة الدينية التي حاول البكري أن يرسمها لنا عن غانة في منتصف القرن الخامس (11 م)، تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن المملكة كانت غارقة في تقاليد الوثنية (الأرواحية)، شأن باقي الإمارات السودانية الأخرى (كوكو، ومثلل، وتكرور)، بيد أن الحضور الجيني للإسلام سواء في العاصمة أو غيرها من مدن السودان، كان يؤثر على تحولات عميقة لاحقة. وهذا ما ستبرهن عليه شهادات الشريف الإدريسي في منتصف القرن السادس (12 م)، حيث أصبح جل أهل غانة يعتنقون الإسلام، ويعتمدونه كمرجع أساسي في حياتهم. وأكثر من ذلك أصبح أهل غانة يصرون على القيام بفريضة الحج. في حين أخذ ملوكهم يتهافتون على ادعاء النسب لآل البيت، ويعلمون عن تبعيتهم للخلافة العباسية (الإدريسي، ص. 6 الزهري، ص. 125).

وتندرج هذه المواقف في إطار التنافس الديني فيما بين مملكة غانة وسلطنة تكرور المصاحبة لها من جهة الغرب. وتكرور عاصرت مملكة غانة، وقد ظهرت كإمارة صغيرة على نهر السنغال. وبفضل التعامل التجاري الكثيف مع صنهاجة الصحراء، اعتنق أهل تكرور الإسلام منذ بداية القرن الخامس (11 م) ومنذئذ وهو يعملون بدورهم على نشر الإسلام بموازاة مع توسيع مجال نفوذهم. وفي منتصف القرن السادس (12 م)، أصبحت الإمارة عبارة عن سلطنة إسلامية

منافسة لمملكة غانة (البكري، ص. 172 : الإدريسي، ص. 43).

إن ما عرفته مملكة غانة من تطورات وتحولات إبان القرن السادس (12 م). لا يستقيم مع ما شاع لدى بعض الإخباريين - ومن سعى سعيهم من الباحثين - من أن المملكة تعرضت لغزو كاسح ومدمر من طرف المرابطين أدى إلى انهيار دولة غانة عام 1076 / 469.

لقد عاشت مملكة غانة بعد الإدريسي عدة عقود، وربما امتد عمرها حتى مطلع القرن السابع (13 م)، حيث أنهارت واضمحلت على إثر هجوم شعب الصوصو عليها. وحينئذ اختفت المملكة نهائياً وتركت المجال مفتوحاً لبروز قوة سياسية جديدة هي إمبراطورية مالي (العير، م 6 ص. 434). يستفاد من الشهادات المصدرية العربية والبرتغالية أن ملل أو مل أو مالي شهدت عدة تطورات فيما بين منتصف القرن الخامس (11 م) ومستهل القرن العاشر (16 م) على أن مرحلة ظهورها على الساحة السودانية كقوة بارزة، لا تتجاوز الفترة المتراوحة ما بين عام 628 - 834 / 1230 - 1430. ففي خلال ذينك القرنين عرفت مالي نشأتها الحقيقية، واتسعت حدودها لتشمل جل الإمارات والممالك السودانية : مملكة غانة، وسلطنة تکرور، وإمارة كوكو (كاغ). وبانصهار هذه الوحدات في كيانها، أصبح نفوذ الإمبراطورية يغطي جل مناطق بلاد السودان.

ويعتبر قبيل الماندينغ أو الماندنغ (Manding) المتمركز في أعالي نهرى السنغال والنيجر (النيل السوداني)، يعتبر العنصر الأساسي الذي ساهم في تأسيس وتكوين الدولة. ويظهر أن طسوح الماندينغ في الحصول على جزء من أرباح التجارة الصحراوية، دفع بهم خارج مجالهم في اتجاه الشمال، وذلك على طول مجرى النيل السوداني وروافده المتشعبة. فكان لهم احتكاك بالمغرب والمغاربة وليس لدينا شك في أن انتشار الإسلام ببلاد السودان خلال القرنين السادس والسابع (12 - 13 م) كان له أثر في توحيد القبيل وتركيز قوته تجاه أعدائه الصوصو.

وكان الماندينغ قد تعرفوا على الإسلام خلال النصف الأول من القرن الخامس (11 م)، حيث أشار البكري (ص. 178) إلى أن أول ملك مالي اعتنق الإسلام كان يُعرف بالمسلماني. وقتها كانت ملل عبارة عن إمارة صغيرة توجد في أقصى جنوب بلاد السودان. وعند نهاية القرن السادس (12 م)، عرفت الدعوة الإسلامية انتشاراً واسعاً بين قبائل الماندينغ، بفضل نشاط اللمتونيين الصنهاجيين وتحركات تجار الونجرا.

والونجرا أو الونفارة يشكلون إحدى أهم قبائل الماندينغ. ويحكم تعاطيهم التجارة، انتشروا في جل المراكز والمدن السودانية المتأثرة بالإسلام، الشيء الذي يفسر كثرة الإشارات المصدرية إليهم (J. Cuq, Recueil, p. 135-136). وقد أدى احتكاكهم المستمر بالمسلمين إلى اعتناقهم للإسلام،

ثم في مرحلة لاحقة، أصبحوا رسل الدعوة الإسلامية في بلاد مالي. وبما أن الأمر تجاوز نطاق العمل الفردي المحدود للفقهاء أو التاجر المسلم، وارتبط بفعالية فئة عريضة من المجتمع (الونجرا)، فقد انعكس ذلك إيجابياً على سيرورة انتشار الإسلام بين قبائل الماندينغ، حيث شملت الدعوة فئات واسعة منهم، وعلاوة على ذلك لم يتطلب أمر انتشارها وقتنا طويلاً. لقد تغلب الصوصو على مملكة غانة، واستعبدوا أهلها وأصاروهم في جملتهم على قول ابن خلدون. ويستشف من خلال الرواية الشفوية أن شعب الصوصو الوثني بقيادة سوما تجورو، كانت له طموحات سياسية كبيرة. ذلك أنه بمجرد إخضاع غانة وربما كذلك سلطنة تکرور، توجهوا نحو الجنوب للسيطرة على بلاد مالي حيث مناجم الذهب، ثم بسطوا نفوذهم على قبائل الماندينغ لبضعة عقود أذاقوهم خلالها مرارة القهر والتسلط (أحمد الشكري، ص. 179).

وفي خضم هذه الأحداث برزت شخصية ماري جاطة (سندياتا) كزعيم مسلم، استطاع أن يقود قبائل الماندينغ في مواجهة الصوصو. وتمكن في نهاية الأمر من الانتصار عليهم حوالي 633 / 1235. وبذلك حرر البلاد من سطوتهم، ودغم مكانته بين زعماء القبائل، مما حدا بهم إلى تنصيبه كإمبراطور عليهم (العير، 5، ص. 413).

وبعد وفاة ماري جاطة عام 652 / 1255، استمر خلفاؤه في توطيد أركان الدولة وتوسيع حدودها إلى نهاية القرن السابع (13 م). وتهيأت البلاد بعدئذ لتلج منعطفاً جديداً، اتسم بالازدهار والانفتاح على العالم الإسلامي. والمغرب الأقصى بصفة خاصة وتصدر هذه المرحلة كل من السلطان منسا موسى (712 - 737 / 1312 - 1337) وأخيه السلطان منسا سليمان (741 - 761 / 1341 - 1360)، اللذين كانت لهما علاقة وطيدة مع السلطان أبي الحسن المريني وولده أبي عتار. وبلغت إمبراطورية مالي في عهدهما قمة ازدهارها وأوج عظمتها (محمود كعت، ص. 38).

وقد وقف ابن بطوطة أثناء سياحته بالمنطقة على مظاهر مختلفة تبرز تعلق أهل مالي بالعقيدة الإسلامية، تجلّت في سواظبتهم على الصلوات، وحرصهم الشديد على حضور صلاة الجمعة، وحث الأبناء على حفظ القرآن، وإحاطة حرمة المسجد بهالة من القدسية يصعب حتى على السلطان أن يمسه أو يخدمها.

وإذا كان السودانيون قد تعرفوا على الإسلام بفضل أهل المغرب، واستمروا في الاستعانة بالفقهاء المغاربة خاصة في الحفظ الدينية، فليس غريباً أن تصطبغ مجموع المظاهر والاحتفالات الإسلامية لديهم بالصيغة المغربية، كما ليس غريباً أن يأخذوا مثلهم بالذهب المالكي.

لقد امتدت التأثيرات المغربية لتشمل جوانب مختلفة من حياة السودانيين سواء منها الدينية مثل التي وقفنا عندها، أو الحضارية (العمارة). وفي المقابل برهن السودانيون على استعداد لتجاوز مرحلة استيعاب قواعد الشريعة الإسلامية،

فأصبحوا يتشوقون إلى فضاءات الثقافة العربية الإسلامية. وفي هذا الإطار أخذ بعض الطلبة من أهل مالي يتطلعون لاستكمال دراستهم بفاس ومراكش، كما كانت الرحلة الحجية للسودانيين، تتيح لهم فرصة الاستزادة بالقاهرة أيام الممالك (السعدي، ص. 57 ابن خلدون، ج. 6، ص. 416).

ثم قامت امبراطورية سنغاي على أنقاض مالي، وارتبطت نشأتها في بداية الأمر بمدينة كوكو، لكن سرعان ما تحول عنها السنغيون إلى مدينة كوكو (كاغ أو غاو) حيث أصبحت مستقر أمرانهم في منتصف القرن الرابع (10 م)، واستمرت عاصمة لهم طيلة عهدهم.

وقد عرفت إمارة سنغاي بكوكو أحداثاً سياسية عند منتصف القرن السابع (13 م) أدت - في ظروف تجهل الكثير عنها - إلى تقلد أسرة سُنّي للحكم مكان أسرة زا. (672 / 898 / 1275 / 1493) مع صعود الماندينغ وتأسيسهم لامبراطوريتهم كما رأينا سابقاً. والأکید أن إمارة سنغاي خضعت للحكم مالي، خاصة أيام قوتها وازدهارها، شأن غانة وتكرور. غير أن أمراء سنغاي لم يستسلموا بصفة نهائية وظلوا يعملون على التخلص من هيمنة الماندينغ كلما سمحت لهم الظروف بذلك (السعدي، ص. 6، 7).

و بمجرد ما بدأ الضعف يدب في جسم امبراطورية مالي على نحو ما رأينا، استغل السنغيون الفرصة، وأعلنوا عن استقلالهم وإن ظلوا تابعين لها شكلياً.

و حينما استقرت الأوضاع السياسية، وأخذت الطبقة الحاكمة تتطلع لترتيب أمور الدولة وتنظيم أحوال المجتمع، برزت شخصية الحاج أسكيا محمد كقائد عسكري مسلم، استطاع بحنكته أن يهزم خُلف سني علي ويستولي على الحكم عام 899 / 1493. وبذلك أسس لمرحلة جديدة من تاريخ امبراطورية سنغاي في ظل أسرة جديدة عُرفت بأسرة أسكيا.

أصبحت سنغاي جزءاً لا يتجزأ من دار الإسلام، بفعل انتشار الدين الحنيف بين فئات واسعة من الناس. كما أن حصيلة اتصالات السودانيين بالمراكز العلمية الإسلامية مثل قاس والقاهرة أفضت في بداية القرن العاشر (16 م) إلى تشكيل نخبة من العلماء والفقهاء السودانيين تركزوا في تنبكت وجني وغيرهما من حواضر السودان.

وكانت هذه النخبة العاملة تتمتع بتقدير رفيع عند الناس، مما حذى بالأسكيين إلى التقرب والتودد إليها، للاستعانة بها في توجيه دفة الحكم على النمط الإسلامي.

وحسب الشهادات السودانية كان السلطان أسكيا محمد ابن أبي بكر توري، رجلاً تقياً ورعاً، حريصاً على القيام بمصالح المسلمين وإعانتهم على طاعة الله وعبادته. كما كان محباً لأهل العلم والصلاح، فاتخذ منهم بطانته، يستشيرهم في أمور دينه أو فيما يلزمه من أمر الحل والعقد (السعدي، ص. 72 ومحمود كعت، ص. 59).

وموازة مع جهاده للموشي كانت للحاج أسكيا محمد تحركات عسكرية، استهدفت المناطق الشرقية في بلاد

الجوس، وهمت أغدس وكشن وكنو، حيث أخضعها وعمل على ترسيخ الإسلام بها. وبفضل توسعته أصبحت امبراطورية سنغاي تسيطر نفوذها على جل مناطق بلاد السودان. وعم الأمن والاستقرار، مما شجع على ضغ دماء جديدة في المحاور التجارية الصحراوية، وذلك على الرغم من الأحوال السياسية المضطربة في الشمال سواء في مصر أو المغرب الأقصى.

وقد حاول الوطاسيون ملوك فاس - بالرغم على الظروف الداخلية الصعبة إنعاش العلاقات التقليدية بين المغرب والسودان، فبادر محمد الوطاسي البرتغالي بإرسال سفارة إلى الحاج محمد أسكيا حوالي عام 918 / 1531. وكان ممن سار في الوفد السفاري المغربي الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي، الذي ذوّن لنا الكثير من مشاهداته وملاحظاته حول بلاد السودان في مؤلفه وصف إفريقيا، (ج. 2، ص. 116). وانتقل بعد ذلك عدد من الفقهاء المغاربة إلى السودان، في مقدمتهم عبد الرحمن سقّين (ت. 956 / 1549). ومحمد بن عبد الكريم المغيلي (ت. حوالي 930 / 1523) صاحب الفتاوى المنشورة بعنوان أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي. وبعد موت أسكيا الحاج محمد سار ابنه أسكيا داوود على نهجه في التقرب من العلماء ومهاداتهم والتودد إليهم، وإلى جانب ذلك كان مولعاً بالثقافة العربية الإسلامية ومهتماً برجالها. ولهذا الغرض اتخذ النسخ ينسخون له مؤلفات الفقه المالكي (محمود كعت، ص. 94).

وبعد وفاة أسكيا داوود عام 990 / 1582، عادت أحوال الامبراطورية إلى ما كانت عليه من الضعف والوهن، وتعرضت الكثير من جهاتها لهجومات الفولانيين والبسر والطوارق، وفي خضم ذلك أخذت بعض الأقاليم تعلن استقلالها عن الحكم المركزي. وفي ظل هذه الأوضاع المتدهورة، وصلت طلائع الحملة العسكرية التي أرسلها أحمد المنصور الذهبي إلى بلاد السودان عام 999 / 1591 ولم يتمكن أسكيا إسحاق 2 (996 / 1588 - 1591) من مواجهة الجيش السعدي، فانهارت امبراطورية سنغاي على إثر ذلك، ونزح ما تبقى من أمراء الأسكيين إلى دندي في أقصى جنوب شرق الامبراطورية المتهاوية (السعدي، ص. 153).

وبالجملّة فإن الصلات بين السودان الغربي والمغرب الأقصى ظلت قائمة منذ أن أخذ السودانيين في اعتناق الإسلام خلال القرن الهجري الثاني (8 م)، تضعف تارة وتقوى أخرى، وانتقل إلى بلاد السودان عبر القرون عدد من العلماء المغاربة أقاموا فيه مدداً قصيرة أو طويلة، ينشرون لغة القرآن وتعاليمه، بل استقر بعضهم هناك نهائياً وأنجبوا الأولاد، وبخاصة في تمبكتو. كما انتقل عدد آخر من الطلبة السودانيين إلى الشمال فدرسوا على أعلام الصحراء وسوس ومراكش وفاس.

وقد مكث الباشوات المغاربة الذين حكموا السودان الغربي باسم السعديين منذ مطلع القرن العاشر (16 م)



ومعهم عدد غبر قليل من الأسر المغربية، وتأقلموا مع محيطهم، وانصهر عقبتهم في الوسط السوداني وبقوا على رأس السلطة هناك إلى أن أطاح بهم المستعمرون الأوروبيون في مطلع القرن الرابع عشر (19 م). وبالمقابل دخل إلى المغرب عدد كثير من السودانيين في ظروف مختلفة طوال العهد الإسلامي، واندمجوا اندماجا تاما مع السكان الأصليين.

أ. البكري، كتاب المغرب، باريس ميزونوف، 1965؛ المسعودي، مروج الذهب، بيروت، 1979؛ ابن حوقل، صورة الأرض، بيروت، 1979؛ ش. الإدريسي، نزهة المشتاق، لندن، 1968؛ العمري، مسالك الألبان، الابواب 8، 14، الدار البيضاء، 1988؛ ع. الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر، بيروت، 1961؛ م. ابن بطوطة، تحفة، بيروت، 1985؛ الحسن الوزان، وصف إفريقيا، بيروت، 1983؛ م. كعت، تاريخ الفتاش، أبي بريدن، 1913؛ ع. الرحمان السعدي، تاريخ السودان، أبي بريدن، 1898؛ م. حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، المحمدية، 1976؛ أ. الشكري، الإسلام والمجتمع السوداني، أبوظبي، 1999.

Djebril Tamsir Niane, *Le Soudan occidental au temps des grands empires*, Paris, 1975; J. Cuq, *Recueil des sources arabes concernant l'Afrique occidentale*, Paris, 1985.

أحمد الشكري

ابن **سودة** أو بنسودة (أسرة -)، بيت بني سودة من أعرق البيوتات العربية في فاس، ينتسبون إلى بني مرة القرشيين، انتقل هذا الفرع منهم إلى دمشق الشام ثم منها إلى الأندلس واستوطنوا إقليم إلبيرة (وهو إقليم غرناطة) وربة (وهو إقليم مالقة) على حد قول ابن حزم في جمهرة *أنساب العرب*. وقد ذكر ابن الخطيب في الإحاطة من وجوههم محمد بن سودة بن إبراهيم بن سودة المري من أهل القرن السابع الهجري فقال عنه: "كان شيخاً جليلاً كاتباً مجيداً بارع الأدب رائق الشعر سيال القريحة سريع البديهة عارفاً بالنحو واللغة والتاريخ ذاكرة لأيام السلف طيب المحاضرة مليح الشببة حسن الهيئة مع الدين والفضل والطهارة والوقار والصلمت"، إلى أن قال: "أصابه في آخر عمره نكبة ثقيلة أسر وأولاده فكانت وفاته أسفاً لما جرى عليهم"، وقد توفي في حدود سنة 637 من الهجرة. وذكر أيضاً محمد بن محمد بن علي بن سودة المري فقال إنه "من نبهاً بيوتات الأندلس وأعيانها، سكن سلفه البشارة، بشارة بني حسان، وولي جده الأشغال، حميد السيرة معروف الإدانة"، ثم قال: "و هذا الفتى من أهل الخصوصية وانسكون والحيا - المانع من كثير من الأعراض، مال إلى العلوم العقلية [...] فتصدر للعلاج وعانى الشعر وأرسم الكتابة وعد من الفضلاء، وظهرت على عباراته اصطلاحات الحكماء وتشوف إلى العهد للرحلة الحجازية والله يبسر قصده". وقال عن شيوخه: "قرأ الطب والتعديل على الحبر طبيب الديار السلطانية، فارس ذنك الفنين إبراهيم بن زرزار اليهودي، ورحل إلى العدو فقرأ على الشريف العالم الشهير رحلة الوقت في المغرب أبي عبد الله العلوي وبلقياه فنجح.

وقد أورد ابن الخطيب قصيدة له في مدح سلطان العصر من بني الأحمر قائلًا "قالجل معدود من السراة بيتنا وتخصصا". ويبدو أن محمد بن محمد بن علي بن سودة المري هذا هو الذي استقر بفاس في حدود سنة 754 من الهجرة، فهو الذي ورد ذكره في روضة التسرير لابن الأحمر بصفة كونه أحد كتاب السلطان المريني المتوكل على الله موسى بن أبي عنان الذي ولي الأمر فيما بين 786 و788، فهو مؤسس البيت السوداني في الحضارة الفاسية، ومنه تفرعت فروعهم المنتشرة إلى يومنا في المغرب، حيث لا تزال هذه الأسرة العريقة تستمد من نبوغ أفرادها هنا وهناك عبر البلاد ما يثبت صدارة رجالها منذ أزيد من سبعمائة عام في ميادين العلم والتأليف والقضاء والخطابة وإساسة الصلاة، مع ما ترتب على تلك المهام من النعم والخيرات، حتى أضحت لقبها العائلي من الأعلام الجغرافية تعرف به بعض أحياء فاس وبعض القرى من أحوالها.

وما الأسرة السودية إلا نموذج ناصع من تلك الأسر العربية التي انتقلت من الأندلس بسبب تفكك أحوال العروبة والإسلام هنالك، واستقرت بالمحاضر المغربية صوتا لدينها ولكرامتها ومساهمة منها في دعم أركان الحضارة العربية الإسلامية في العدو الجنوبية من مضيق جبل طارق، حيث اتصلت مصائرهما بمصائر البلاد، ولم يلبث شيوخها أن تصدروا مجالس الحل والعقد فارتسم ذكر أعمالهم وأصحاظهم باسترسال في كتب التاريخ والتراجم، مثل القاضي أبي القاسم ابن سودة المتوفى سنة 1004 الذي أورد اليفراني في الصفوة والقادري في نشر المشاني ظهيرين لأحمد المنصور الذهبي يسند بمقتضاها له وللقاضي ابن أبي النعيم قضاء مكناش وتازا والقبائل المجاورة: "لما قاما به من أوصاف زائدة على وصف العلم، وهي الانتماء بصريح الخدمة وصحيح المحبة إلى الجانب العلوي الإمامي وإعمال رحلة الشتاء والضيف سنين عديدة إلى باب الكرم السامي حتى انتظموا بذلك في سلك من شملته عنايتنا واختصته بالإيثار وتبنيه المقدر عنايتنا". وورد أيضا لدى هذين المؤرخين ذكر حفيده القاضي الذائع الصيت في عصره، وهو محمد بن محمد بن أبي القاسم الذي مازال درب من دروب فاس، وهو درب القاضي في حي العيون، ينسب إليه. قال عنه اليفراني إنه كان: "متوسعا في العلوم بارع الحفظ، له السد الطولي في الأدب بحيث كان يحفظ ديوان المتنبي عن ظهر قلب، ولي الفتوى وقضاء الجماعة بفاس سنين عديدة ودارت عليه الشورى"، ولد سنة 1003 وتوفي سنة 1076، قبل دخول المولى الرشيد مدينة فاس بقليل، وهو الذي قال عنه صاحب *العمل الفاسي*:

وحلف ابن سودة الشهدا وفي الليف لفجور زيدا

وله أبيات رد بها بأمر من المولى محمد (فتحا) بن الشريف العلوي على قصيدة من نظم محمد أجانا، بعث بها السلطان السعدي أبو العباس أحمد الشيخ الصغير إلى

الأمير العلوي يحذره من أهل فاس والغرب عامة عند احتلاله لتلك الأقاليم سنة 1059 وهو الذي ذكره اليوسي في *المحاضرات*، قائلا إنه كان يؤخر صلاة الصبح في القرويين حتى : "لا تمشي بها إلا بالمضلة"، يعني بعد طلوع الشمس بكثير، إشارة لطيفة إلى مكانة هذا القاضي في عصره.

وبنفس الخطوة أو أكثر منها حظي الشيخ الجليل والعالم النحرير قاضي القضاة الفقيه المفتي أبو عبد الله محمد التاودي بن الطالب بن علي بن قاسم بن محمد بن علي بن قاسم بن أبي قاسم بن محمد بن عبد الله ابن سودة، الذي كان من مفاخر دولة سيدي محمد بن عبد الله في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري الموافق للنصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي. فقد ذاع صيته حتى صار راية توحى بعلو كعب المغاربة في العلم. وقد خصه المؤرخ المصري عبد الرحمان الجبرتي بترجمة واقية، جاء فيها : "كانت فتاويه وأحكامه مؤيدة مع غاية التحرز والصيانة والإنتقان، وبالجمله كان عين الأعيان في عصره، شهير الذكر، وافر الحرمة، مهيب الصورة، يغلب جلاله على جماله، قليل التبسم". ثم قال : "ولما توفي مولاي محمد سلطان المغرب ووقع الاختلاف والاضطراب بين أولاده اجتمع الخاصة والعامة على رأي المترجم فاختار المولى سليمان وبايعه بشرط السير على الخلافة الشرعية والسنة المحمدية". وأخبار الشيخ التاودي مدونة بجمع تفاصيلها في الكتاب الذي ترجم له به تلميذه المعجب به أبو الربيع سليمان الحوات الشريف الشفشاوني الموسوم بالروضة المقصودة والحلل الممدودة في سائر بني سودة، ذكر فيه نشأته وسيرته وغازاته علمه وشيوخه ومصنفاته ومن تخرج على يديه. ومن تخرج على يديه أولاده محمد وأبو بكر وأحمد، وبعض حفدته من ولده أحمد هذا، الذي ظهر نبوغه في حياة والده فتقدم للأحكام وسنه لم تتجاوز حدود الثلاثين، وربما فاق والده من حيث ما أغدق عليه في عهد المولى سليمان من المن والنعيم. ومقابر هذا الفرع الكريم من النسبة السودية بزواوتهم التي أسسها الشيخ التاودي بحومة زقاق البغل في فاس.

ولقد كان منهم ثلاثة فروع حسب ما وقف عليه صاحب *الدرر البهية* في مطلع القرن الثالث عشر (أواخر التاسع عشر من الميلاد) متفرقين بين حومة المعادي من زقاق البغل وزنقة الرطل وحومة المخفية. وقد نبغ من فرع المخفية شيوخ كبار وعلماء أحبار في ذلك العصر، وهم يلتقون مع فرع الشيخ التاودي : "في الجد الخامس وهو علي بن قاسم" على ما قال صاحب *الدرر*، ذكر منهم الطالب بن محمد : "أحد الأفراد المشار إليهم الملحوظين بعين التعظيم والإجلال الموصوفين بأوصاف الكمال وأحد عدول هذه الحضرة الميرزين". وقد أنجب هذا الشيخ "خمسة أمجال كرام أفضال" محمد وعمر والمهدي وعبد القادر وأحمد كانوا كلهم من العلماء الفقهاء تخرج على أيديهم أجيال من حملة العلم الشريف، فضلا عن أولادهم وأحفادهم الذين تنظر ترجمة بعضهم في الأعمدة

اللاحقة، وفي كتاب ابن عمهم المؤرخ الموثق الكبير عبد السلام بن سودة، دأبوا في عهد الحماية الأجنبية على المحافظة على الأصول وتبليغ الرسالة المحمدية من حيث كلياتها والفروع ووعظ الأمة وإرشادها والتضال في الحركة الوطنية. فقد كان الأستاذ محمد بن محمد بن عثمان بن سودة من مؤسسي حزب الاستقلال في فاس. كما ذاع صيت الأستاذ أحمد بن يحيى بن سودة مناضلا في صفوف حزب الشورى والاستقلال قبل 1956 ثم في الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية سنة 1959، ووزيرا في حكومات الاستقلال الأولى وسفيرا، ملحوظا بعين العطف والرضى من لدن الملك الحسن الثاني الذي جعله من جملة مستشاريه ومازال يتمتع بتلك الصفة بالرغم مما أقعده من المرض شفاه الله. أما باقي أفراد الأسرة السودية فلا سبيل إلى تتبع سيرهم بما حصل من تكاثرهم وهجرة عدد كبير منهم إلى مختلف مدن المغرب، بل وإلى بلدان السودان الغربي مثل كاميرون والسينغال وكوت ديفوار، سعيا في كسب أسباب الرزق إما من الوظائف العمومية وإما من المهن الحرة كالتب والصيدلة والمحاماة وإما من ممارسة الصناعات والتجارات العصرية، مسأرين بذلك ما طرأ على المجتمع المغربي جملة وتفصيلا من أسباب التطور والتغيير.

ابن حزم، *جبهة أنساب العرب*، القاهرة : ل. ابن الخطيب، الإحاطة، القاهرة، 1956 : ابن الأحرار، *روضة النرين*، 1991 : م. الإفرائي، *نزعة الحادي*، تج. عبد اللطيف الشاذلي، الدار البيضاء، 1998 : م. القادري، *نشر الثاني*، تج. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1979، الجزء الأول : س. الحوات، *الروضة المقصودة*، تج. ع. العزیز تيلاني، الدار البيضاء، 1994.

ابن سودة، **أحمد بن التاودي** (1153-1235)، الفقيه العلامة القاضي الدراكة، خير خلف لخير سلف، نهل من علوم والده الشيخ التاودي مفتي الديار المغربية، وأخذ عن جميع شيوخ عصره. تجلى نبوغه باكرا وتصدر للتدريس والإفادة منذ العشرينات من عمره في حياة والده. تعرف عليه صاحب *الروضة المقصودة* عن كتب، وأفاض في ترجمته مشينا بعض ما قبل في محامده وفضائله. كما أورد ظهير تعيينه قاضيا على فاس سنة 1206، جاء فيه بلسان الأمر السلطاني : "وقد انتخبناه وتخبرناه لهذا المنصب الشريف وطوقناه إياه لما تعلم من علمه ودينه أن المسلمين لن يصيبهم معه إن شاء الله حيف ولا تحريف، ويكون عنده في مقطع الحق سواء الفري والضعيف والشريف والمشروف [...]". وقال عنه صاحب *الدرر البهية* : "كان من الأعيان الكبراء والسراة الفضلاء له عارضة قوية ويد في صناعة الفتوى وباع وحسن ملكة واتساع، جالت أفكاره في غوامض القضايا وجاب منها الوهاد والشنايا". وقال عنه صاحب *سلوة الأنفاس* : "الإمام العالم العلامة المشارك القدوة الفهامة، السيد الأعمد والهمام العلم الأحمد [...]". نشأ في حجر أبيه في عفة وحيانة ورسوخ وديانة، لا يلعب الصبيان في ملعب ولا يخالطهم

جعفر الكتاني، سلوة، فاس، الطبعة المحجّرة : أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1960، 9 أجزاء، الجزء الثامن : ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، تج. م. حجي، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء السابع.  
Mansur Mohammed, *Morocco in the Reign of Mawlay Sulayman*, Wisbech, Menas Press, 1990, 248 p.

**ابن سودة، أحمد بن عبد السلام، بن الشيخ القاضي أبي عيسى المهدي بن الطالب.** كان فقيها عالمًا مشاركًا ميلا إلى القنوت والذكر والتبتل. تخرج على يد عم والده الشيخ القاضي أحمد بن الطالب، وعمه الشيخ المكي بن المهدي، وعمه الشيخ التاودي بن المهدي، والشيخ أحمد بن محمد بن الحياض الزكاري، والشيخ عبد الله البدرابي الحسني، والشيخ عبد السلام بن محمد الهواري، وآخرين من كبار شيوخ العصر. أقام بعض حلقات التدريس في جامع الرصيف حيث قرأ عليه صاحب إتحاف المطالع مختصر البخاري لابن أبي جمرة، فقال : "فاستفدت منه بما عاد عليّ نفعه". لكن الغالب عليه حب الخمول وعدم الدعوى.

توفي يوم الاثنين 13 ذي الحجة عام 1371 / 3 شتنبر 1952.

ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع، ثم سل النصال، موسوعة أعلام المغرب، تج. م. حجي، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع

**ابن سودة، إدريس بن عبد السلام (1282 - 1319)،** حفيد القاضي الشيخ أبي عيسى المهدي، علامة مشارك مدرس متقن مطلع، له كنانة علمية. ولد سنة 1282 وتوفي في سهل ربيع الثاني عام 1319 / 18 يوليوز 1901. ودفن بزويتهم أسفل العقبة الزرقاء.

ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع، وسل النصال، موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

**ابن سودة، أبو بكر بن التاودي،** من أبناء الشيخ التاودي قطب البيت السوداني والمفتي الكبير. كان من رجال العلم المبرزين، مشاركًا مطلعًا. قال عنه صاحب الروضة المقصودة : "نشأ في حجر أبيه ساعيا فيما يعنيه، فقرأ القرآن بالروايات السبع، وأحكم أحكامه على طريق الأفراد والجمع، وحفظ المتنون العلمية المتداولة بحسب العناية الوقتية، وتآدب وتهذب وحفظ من الأشعّار والنواريخ والأجفّار بما تعلق به الرتب". تولى الخطبة في جامع الشراييين، ثم مسجد القصبة السلطانية بدار الديبغ، ثم بالمدرسة المتوكلية. كان ذا حظوة كبرى لدى السلطان المولى يزيد الذي ساعده على أداء فريضة الحج في أحسن الظروف. توفي سنة 1215 / 1800 - 1801، ودفن في زاويتهم بزقاق البغل.

س. الحوات، الروضة المقصودة، تج. ع. العزيز تيلاني، فاس، 1994؛ ع. السلام ابن سودة، سل النصال، موسوعة أعلام المغرب، تج. م. حجي، 10 أجزاء.

في غير مكتب". أخذ كل منطوق ومفهوم من المتداول بين الناس يومئذ من تلك الفنون على والده وهو عمده في التفسير والحديث والفقّه والأصول والكلام والمنطق والبيان والتصريف والتصوف وغير ذلك. كما أخذ عن الشيخ محمد الحسني الجنوي والشيخ محمد بن الحسن بناني والشيخ عمر الفاسي والشيخ عبد القادر بوخريص الفيلاي وآخرين. ولما اشتد ساعده وتجلت موهلاته، أذن له والده في التصدر للتدريس فاستفاد منه كبار طلبة فاس وأخذ منه علماء الربع الأول من القرن الثالث عشر. ولي قضاء فاس في حياة والده، وبقي على الخطة سنين وعقودا بما كان له من المهارة في ممارسة الأحكام ومن الخطوة لدى ملوك العصر، وبخاصة منهم المولى سليمان الذي كان يعظمه ويجله ويشاوره في كبريات الملمات. كما أنه خلف والده في الإشراف على فرع الزاوية الناصرية بإذن من شيخها أبي الحسن علي بن يوسف ابن ناصر الدرعي.

ثم إن القاضي أحمد بن التاودي أصيب في بصره فلم يعد قادرا على ممارسة الأحكام فاستعفى فأعفى من الخطة. واستأذن السلطان المولى سليمان في إجلال ولده العباس بن أحمد مكانه فصدر الإذن له بذلك. وكان ولده لم يتجاوز سن الثلاثين بعد، فمارس الوظيفة بمساعدة والده، إلى أن اضطرت الأحوال العامة في فاس وتسيبت سكانها. وجرى نزاع بين القاضي الشاب وبين المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم بسبب شريفين من آل الشفشاوني والعراقي. ولما رفع الأمر إلى السلطان، رأى الحق مع القاضي، وأخر المفتي عن خطته، فقامت قائمة جماعة من المدرسين والطلبة، وتعصبوا للمفتي وكتبوا رسالة للسلطان يشكون من القاضي العباس بن أحمد. ولما جاء فيها نظما من الهجاء الموحى بما كان يتخلل المدينة من التناقضات الباطنية

جاء الولاية وهو من شبيته

يرى القضا حرفة يجني بها وطرا

يأتي الحكومة عباسا ومنقبضا

لما به من سقام يجلب الكدرا  
واطلع السلطان على ذلك، واعتبره من باب ما يقع بين الأقران من التنافس فأغضى عنه. لكن حالة الشغب التي كانت عليه فاس يومئذ والمغرب عامة الذي ثارت فيه عدد من القبائل على المولى سليمان، لم تكن ليرتدع بها خصوم القاضي العباس بن أحمد. فقد هجم عليه في مجلس حكمه الشريف محمد الطاهر الكتاني ورماه بكابوس، لكنه أخطأه. فدخل القاضي منزله. وأقام أهل فاس قاضيا آخر من انتخابهم، ثم راموا مبايعة الأمير المولى إبراهيم بن يزيد دون أن ينجحوا في مسعاهم.

توفي القاضي أحمد بن التاودي سنة 1235 / 1820، وتوفي والده العباس بعده بقليل سنة 1241 / 1829.

س. الحوات، الروضة المقصودة...، تج. ع. العزيز تيلاني، فاس، 1994؛ إ. الفضلي، الدرر البهية، فاس، الطبعة المحجّرة : م. بن

كل عام ليسردوا بحضورها صحيح البخاري يوميا إلى تمام رمضان، ويكون الختم في آخره، وتحتفل بهم كل يوم وتستقصيهم عن بعض المشاكل فيشرحوا ذلك ويفسرود. كما كانت تقيم عيد المولد النبوي بحضور العلماء ووجود القوم والمسمعين، وتنفق على ذلك بسخاء المومنات الصالحات.



وبعد أن رزئت في ولدها الأوحد محمد من زوجها وابن عمها الشيخ العابد بن أحمد بن الطالب، احتضنت حفيدها من ابنتها، المؤرخ المرحوم الأستاذ عبد السلام ابن سودة. فإنه أقر بما كان لها عليه من الفضل دينا ودنيا إلى أن بلغ الحلم فزوجته من مالها.

توفيت يوم 10 قعدة 1344 / 22 ماي 1926، ودفنت بزواوية والدها أسفل العقبة الزرقاء.

ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع، وصل النصال، موسوعة أعلام المغرب، تج. ج. حجي، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع، إبراهيم بوطالب

**ابن سودة، الطالب بن محمد (1297-1375)،** بن القاضي المهدي بن الطالب بن محمد - فتحا، الفقيه العلامة المشارك المطلع الشاعر، تخرج على يد والده وهو عمده، وعلى يد عمه الشيخ المكي، وابن عمه الشيخ إدريس بن عبد السلام، وعم والده القاضي الشيخ أحمد بن الطالب، وعلى يد الشيخ عبد السلام الهواري، والشيخ أحمد بن الحياط الزكاري، والشيخ أحمد الجليلي الأمغاري، كما أجازة الشيخ محمد - فتحا - القادري الحسني إجازة عامة، فعنه كل مروياته. حج مرتين، الأولى في حياة والده سنة 1328، والثانية بعد وفاته في نهاية الأربعينيات ومهل الخمسينيات من القرن الرابع عشر. وما أن تجلى نبوغه وسعة إدراكه حتى تصدر للتدريس بالقرويين. وكان يدرس النحو والآداب والبلاغة، ثم إنه عين قاضيا في أكادير، لكنه سرعان ما أخرج عن الخطة لتزاع وقع بينه وبين بعض الحكام الفرنسيين، انتهى بصفع القاضي لهذا الحاكم. فكان ذلك سببا في رحلته الثانية إلى المشرق. ولما عاد منها اعتكف على التدريس في القرويين طبقا للنظام الجامعي الذي أحدثه السلطان سيدي محمد بن يوسف، محمد الخامس. وظل مخلصا لمملكه ووطنه

**ابن سودة، جعفر بن الطالب،** من حفدة الشيخ التاودي، فهو جعفر بن الطالب بن أحمد بن الشيخ التاودي. كان عالما مشاركا أديبا يقرض الشعر، خطيبا يليغا مجيدا. له ديوان شعر ومجموعة خطب.

توفي يوم 12 حجة عام 1276 ودفن بزوايتهم بزقاق البغل.

ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، تج. ج. حجي، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء السابع

إبراهيم بوطالب

**ابن سودة الجلود، محمد بن عبد الواحد،** من حفدة الشيخ التاودي، فهو محمد بن عبد الواحد بن القاضي أحمد ابن الشيخ التاودي، عرف بالجلود. كان من العلماء المشاركين والمدرسين النافعين. تولى خطة الخطابة بمسجد الديوان أولا، ثم بمسجد الأندلس إلى أن وافاه الأجل المحتوم. حج وزار وتبرك بالوقوف على خير المشاهد وأزكى الآثار.

أما سبب تسميته بالجلود، فلأن بعض عمال السلطان سيدي محمد بن عبدالرحمان أخذ منه بزرا جلد بقرة كان الفقيه ذبحها لصناعة الخليج وهو القديد المصبر، فاغتناظ من ذلك حتى ذهب به الأمر إلى التشنيع بتلك العملية الابتزازية في خطبته يوم الجمعة مبتهلا إلى الله داعيا: "يا ودود أهلك كل من كان سببا في أخذ الجلود". وطار الخبر بذلك إلى السلطان وهو يومئذ في مراكش. فصدر الأمر بإرجاع الخطيب من فاس إلى عاصمة الجنوب، فرحل وهو شبه يائس من النجاة من سطوة المخزن. لكن العكس هو الذي حصل، ذلك بأن السلطان المذكور استقبله أحسن استقبال، وطلب منه فقط أن يعيد على أسماعه الخطبة بحذافيرها. فلما وصل إلى الجملة المذكورة من الدعاء، قال له السلطان لقد لبي الله دعوتك، فإن المسؤول عن انتزاع الجلود قد انتقم الله منه. ورجع الفقيه محمد بن عبد الواحد إلى فاس معززا مكرما، محملا بظهير توفير واحترام حتى لا يعود أحد من العمال إلى التجرد على ساحته.

توفي يوم الجمعة 9 ذي القعدة 1299 / 22 شتنبر 1882، ودفن بزوايتهم بزقاق البغل.

ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء السابع.

**ابن سودة، زينب بنت الشيخ المهدي،** المرأة الصالحة العابدة المتبذلة، نشأت في أحضان والدها الشيخ القاضي أبي عيسى المهدي، وإخوتها الأربعة محمد والتاودي والمكي وعبد السلام، وكلهم من علماء عصرهم، فكرعت من مناهلهم الفياضة، وتفقهت بما كانوا يحملون من علوم الشريعة حتى كانت تنطق بمصطلحاتها في الفرائض والسنن. وقد دأبت على جمع أبناء إخوانها في مفتتح شهر رجب من

توفي يوم الجمعة 15 شوال عام 1346 / 6 أبريل 1928،  
ودفن بزاويتهم الأخرى بالقباب.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سل النصال* / موسوعة  
*أعلام المغرب*، تج. م. حجي، 1996، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

**ابن سودة، عبد الرحمان (1302 . 1365)**، بن علي بن  
عبد القادر بن الطالب بن محمد - فتحا - ، قال عنه صاحب  
*إتحاف المطالع* : "العلامة المشارك الفرضي الحيسوبي المفتي  
النبية المطلع". اشتهر بالإفتاء في فاس فكان يقصده الجميع.  
أخذ عن والده وعن عمه الشيخ محمد بن عبد القادر، وعن  
الشيخ محمد بن عبد السلام بناني الطيب، وعن الشيخ  
محمد - فتحا - القادري الحسني وعن الشيخ محمد الهواري  
وغيرهم. كان ماهراً في علم الوثائق والحساب والفرائض.  
أدركته وأنا في العقد الأول من عمري فارتسم في ذهني منه  
صورة العالم العامل الشهم الحازم الذي حلب الدهر أشطره.  
توفي يوم الجمعة 15 ذي القعدة عام 1365 / 11 أكتوبر  
1946، ودفن بروضة السويديين في رأس الفليعة داخل باب  
الفتوح.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سل النصال* / موسوعة  
*أعلام المغرب*، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

إبراهيم بوطالب

**ابن سودة، عبد السلام** بن عبد القادر المري القاسي.  
يتصل نسبه بأبي القاسم بن محمد بن علي ابن سودة  
الغرناطي، وغرناطة مقر أسلافه منذ قدموا إلى الأندلس من  
الشرق مع الفاتح بلج بن بشر القشيري أوائل القرن الثاني  
(8م). وانتقل أبو القاسم هذا إلى المغرب ليكون كاتباً في  
بلاط بني مرين بفاس، وله ترجمة في *الإحاطة لابن الخطيب*،  
حلاه فيها بالمري.

ولد المترجم بفاس عام 1319 / 1902 ورباه جده للأم  
الشيخ العابد بن أحمد ابن سودة، لأنه لم يكن له ولد، فصار  
لايفارقه حضراً ولاسفيراً. ذهب معه إلى الجديدة لما عين  
الشيخ العابد قاضياً بها، ثم عاد إلى فاس فالتحق المترجم  
بالقرويين وهو ابن ثمان عشرة سنة. واشتغل بعد ذلك  
بالتدريس في المدارس العصرية، ثم بالشهادة في سماء  
العدول، وناب عن جده العابد في الخطابة بضمير المولى  
إدريس الأزهر. لقي في مراحل وظائفه مضايقات كثيرة من  
السلطات الاستعمارية ليوه الوطنية. وكان أثناء ذلك كله  
ذا حس تاريخي مرهف يقرأ كتب التاريخ والتراجم المغربية  
والأندلسية والمشرقية، ويؤمن النظر فيما يقع بين يديه من  
رسوم عدلية قديمة ويقتني منها ما استطاع، ثم عين للبحث  
في الخروم بخزانة القرويين، فاطلع على عدد وافر من بقايا  
المؤلفات المغربية النادرة، وتجمعت له من ذلك كله مادة  
تاريخية وافرة عن الحياة الفكرية والاجتماعية في المغرب  
عامة ومدينة فاس خاصة.

يوم أقدمت سلطات الاستعمار على عزل السلطان المذكور في  
مطلع السبعينيات (1953 م)، ولم يبايع السلطان ابن عرفة  
المنتزعي على العرش، وصدر الأمر بتأخيرته عن التدريس،  
فالتزم بيته إلى أن وافاه الأجل المحتوم يوم الاثنين 17 شوال  
عام 1375 / 28 ماي 1956، ودفن بزاوية جده أسفل العقبة  
الزرقاء. أدركته وتبركت بلثم يديه فهو عم الوالدة، وزودني  
بدعائه الخالص مراراً رحمه الله، ولم أنهل من فيض علمه  
شيئاً، لما صار أبناء الجيل الذي أنتسب إليه يقتحمونه من  
أساليب التعليم العصري الموسوم آنذاك بالتعليم الفرنسي  
الإسلامي.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سل النصال* / موسوعة  
*أعلام المغرب*، تج. م. حجي، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

**ابن سودة، الطاهر بن محمد**، من حفدة الشيخ  
التاودي، فهو الطاهر بن محمد بن أحمد بن الشيخ  
التاودي، فقيه عالم مطلع مشارك فصيح خير ذاك. قال عنه  
المؤرخ المرحوم عبد السلام ابن سودة بأنه : "من آخر من مثل  
السلف الصالح ديناً ودنيا وسمتاً". أخذ عن والده وهو  
عديته، وعن الشيخ المهدي ابن الحاج، والشيخ عبد السلام  
ابن الطائع بوغالب، والقاضي أبي عيسى المهدي بن الطالب  
ابن سودة والقاضي محمد - فتحا - بن عبد الرحمان العلوي،  
والشيخ محمد بن المدني كنون، والشيخ أحمد بن أحمد بناني  
كلا، والشيخ عبد الهادي بن أحمد الصقلي وآخرين من  
شيوخ العصر. تولى الخطابة والإمامة في جامع الأندلس  
والصلاة بمصلى باب الفتوح في الأعياد بعد وفاة والده عام  
1299، وبقي على ذلك إلى أن وافاه الأجل المحتوم عام  
1335 / 16 . 1917. وكان يقصده الخاص والعام، ويجله  
الجميع، "يذهب في الشفاعات ويصالح الخصوم"، لما كان  
عليه من سلامة اليقين والعقل الرصين. وقد حلاه بعض  
المعجبين به قائلاً بأنه من : "فاق بحكمته أرسطو وجالينوس  
وبذكاء عقله بقراط وبطليموس". وكان يتعاطى الشعر في  
المناسبات. ودفن بروضتهم بالقباب.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سل النصال* / موسوعة  
*أعلام المغرب*، تج. م. حجي، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء  
الثامن.

**ابن سودة، العباس بن أحمد**، من حفدة الشيخ  
التاودي، فهو العباس بن أحمد بن العباس بن الشيخ  
التاودي، علامة مشارك، صاحب الخط الحسن، على حد قول  
المؤرخ المرحوم عبد السلام ابن سودة. أخذ عن ابن عمه الشيخ  
محمد بن عبد الواحد المدعو الجلود، وعن الشيخ المدني  
كنون، وعن الشيخ عبد السلام الهواري، وعن الشيخ محمد  
الوزاني، وعن الشيخ عبد الله البدرأوي. كان ينسخ كتب  
الحديث، وبخاصة منها صحيح البخاري. كما كان ناظراً على  
زاوية جده الشيخ التاودي.

وبعد ذلك لزم بيته زهاء ربع قرن منقطعاً للقراءة والتأليف، مهتماً بكتب الطبقات والفهارس والمناقب والإجازات وغيرها، وتأثر بصفة خاصة بعلّمين من أعلام المترجمين المغاربة، هما أحمد ابن القاضي المكتاسي الفاسي ومحمد بن الطيب القادري الفاسي. ذلك أن أحمد ابن القاضي أكمل الكتابين الشهيرين في التراجم: وفيات الأعيان لأحمد ابن خلكان، وشرف الطالب في أسمى المطالب لأحمد ابن القنفذ: ذيل وفيات الأعيان بكتابه دورة المجال في أسماء الرجال مبتدئاً بترجمة ابن خلكان نفسه المتوفى عام 681، ومنتهاً بعام 999. كما ذيل كتاب شرف الطالب بكتابه لقط الفرائد من لفاظة حلق الفوائد، مبتدئاً بعام 700، ومنتهاً كذلك بعام 999. معتبراً هذه السنة نهاية القرن العاشر.

وسلوة الأنفاس لمحمد بن جعفر الكتاني الفاسي، وإتحاف أعلام الناس لعبد الرحمان ابن زيدان العلوي المكتاسي، والإعلام بمن حل بمراكش وأغصمات من الأعلام لعباس ابن إبراهيم المراكشي، والعسول لمحمد المختر السوسي. هذه الكتب وغيرها - على أهميتها وطول نفسها - بقيت جزئية محلية محدودة، وأذخر الله لعبد السلام ابن سوادة فضل ربط سلسلة تراجم أعيان هذه البلاد من عصر النبوة إلى أيام الناس هذه، فتهياً بذلك ليكون ثالث أعلام التراجم البارزين بالمغرب دون منازع: أحمد ابن القاضي في القرن العاشر، ومحمد بن الطيب القادري في القرن الثاني عشر، وعبد السلام ابن سوادة في القرن الرابع عشر.

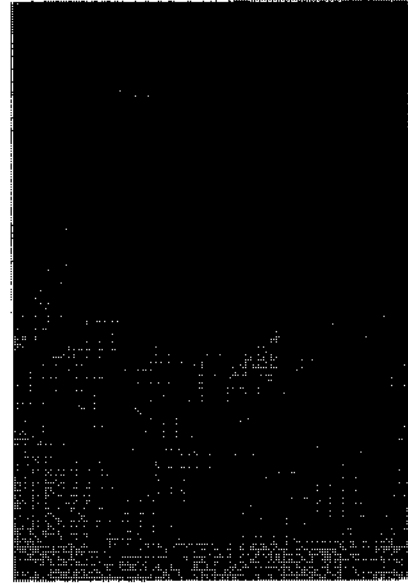
ترجم عبد السلام ابن سوادة لنفسه في آخر فهرسه سل النصال وذكر من مؤلفاته سنة عشر، وأغفل كتاباً قيماً له هو قصة بأهدراز، ربما لأنه كتبه بعد الفهرس. وهذه مؤلفاته:

- (1) الدروس النحوية كتبها عندما كان مدرساً
- (2) الزهر من أكامه في الشطرنج وأحكامه
- (3) دليل مؤرخ المغرب الأقصى، أول كتاب في مصادر تاريخ المغرب، تجاوز عدد المصادر فيه 2300 بين مخطوط ومطبوع. طبع الدليل أولاً في تطوان سنة 1950 ثم في الدار البيضاء سنة 1960 في جزئين فاعتمده الباحثون بالمغرب والمشرق.

(4) زبدة الأثر، مما مضى من الخبر، في القرن الثالث والرابع عشر، وهو الكتاب الأساس الذي ذيل به عبد السلام ابن سوادة نشر الثاني. يبتدئ من حيث وقف القادري، أي من عام 1171، وينتهي بعام تمام تأليفه وهو 1370. يتفق كتاب ابن سوادة هذا مع كتب ابن القاضي وابن الطيب القادري في المزاجية بين تراجم الأشخاص، والإشارة إلى أهم الأحداث التاريخية المعاصرة لهم، سياسية كانت أو طبيعية أو اجتماعية، ويتفق أكثر مع كتب القادري في ترتيب التراجم على السنين، ويختلف كتاب زبدة الأثر عن مؤلفات ابن القاضي والقادري في اقتصاره على تراجم رجال المغرب الأقصى، في حين يترجم الآخرون لعدد من غير المغاربة.

(5) إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع. وهو اختصار لزبدة الأثر، بين المؤلف سبب اختصاره في مقدمة الإتحاف بقوله: "فجاء - يعني زبدة الأثر - كتاباً كبير الحجم، عظيم العلم، يسع نحو أربعة أسفار ضخم، يصعب على المستعجل البحث فيه والاستفادة منه، وهو على منوال نشر الثاني وأسلوبه... ولما جمعته وخرجته من مسودته، ظهر لي أن أختصره في هذه العجالة". وإتحاف المطالع، فضلاً عن كونه جيداً في بابه، لا يحل غيره محله، ولا يسد مسده، يمتاز بمحاسن كثيرة، نشير إلى بعضها:

أ - تثبت المؤلف في تحلية المترجمين، إلا عندما يجمع به القلم للتحامل على بعض المنحرفين في نظره - وتحريه غالباً فيما يستحقون من ألقاب علمية أو دنيوية، بحيث



وجاء محمد بن الطيب القادري فذيل كتاب ابن القاضي دورة المجال ولقط الفرائد بكتابه المطول نشر الثاني لأهل القرن الحادي والثاني، ومختصره التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر، من أخبار أعيان المائة الحادية والثانية عشر، بدأهما معاً بعام 1001، معتبراً سنة 1000 نهاية القرن العاشر. وانتهى إلى عام 1170. وهنا يستلم الزمام عبد السلام ابن سوادة.

نعم ألف المغاربة بعد محمد بن الطيب القادري عشرات الكتب في التراجم، لكنها لم تصطبغ بصبغة الشمولية والإحاطة، فلم ترق إلى درجة كتب ابن القاضي وابن الطيب القادري. ومن أشهرها الدرر المرصعة، في أخبار أعيان درعة لمحمد المكي الناصري الدرعي، وطبقات الحضيكي السوسي،

يتمكن القارئ من أن يعرف دون عناء هوية المترجم، ويدرك ما إذا كان فقيهاً أو أديباً أو مشاركاً أو شيخاً متصوفاً أو حاكماً صالحاً أو فاسداً، أو قائداً حربياً.

ب - حرصه على ذكر تأليف المترجم لهم، ووصف ما وقف عليه منها، والتنبيه على ما عرّف من عناوينها ومحتواها أثناء مطالعته وقراءته في الكتب المخطوطة بصفة خاصة.

ج - أمانته في النقل، إذ يعزو كل شيء اقتبس به إلى صاحبه، ويتوقف عندما لا يقف على تاريخ وفاة، أو تحديد مكان، أو تعليل حادثة.

6) الذيل التابع لإتحاف المطالع. يزداد التشابه فيه ويشدد التقارب بين معاجم التراجم لكل من ابن القاضي والقادري وابن سودة، ذلك أنهم جميعاً كانوا كتبهم في تواريخ محددة، وأمد الله في أعماهم فأضافوا تراجم أخرى ألحقت بكتبهم. فابن القاضي الذي توقف في درة الحجال ولقط الفرائد عام 999، كتب تراجم من توفوا في العشرة الأولى من القرن الحادي عشر، وأدمجها هو أو أدمجت بعده في الكتابين. ومحمد بن الطيب القادري الذي أتم نشر الثاني والتقاط الدرر عام 1170، كتب بعد ذلك تراجم أخرى أثبتتها في المقصد الثاني من خاتمة التقاط الدرر، استمرت إلى عام 1180.

أما عبد السلام ابن سودة فقد عاش بعد إنهائه إتحاف المطالع ثلاثين سنة كتب فيها ثلاثة ذبيل :

أ - يتناول الذيل الأول - وهو الذي سماه الذيل التابع لإتحاف المطالع - فترة ست سنوات : 1371. 1376 / 1951. 1956. أطلق فيه لقلمه العنان في تسجيل الدواهي والفواجم التي عرفها المغرب مع نهاية عهد الحماية والأحداث المجيدة التي عاشتها البلاد في فجر الاستقلال، وأثبت عدداً من النصوص والوثائق، خوفاً على ضياعها - كما قال - وبذلك طغت الحوادث على الوفيات، وأربى الذيل على الأصل، إذ خرج في مجلدين تنيف صفحتهما على 700. لكنه اختصره في كتيب مفيد سماه وفيات الذيل التابع.

ب - ويسجل الذيل الثاني وفيات ووقائع إحدى وعشرين سنة (1377. 1397).

ج - بينما يختص القسم الثالث من الذيل بالسنوات الثلاث الأخيرة : 1398. 1400 لأن المترجم ظل يكتب إلى ما قبل وفاته ببضعة أيام. وقد طبع إتحاف المطالع بذيوله في بيروت سنة 1996 مفرداً وضمن موسوعة أعلام المغرب.

7) إزالة الالتباس عن عائلات سكان مدينة فاس، جمع فيه أكثر من ألفين وخمسمائة عائلة استوطنت مدينة فاس وكان لها بها ذكر. سواء كانت ما تزال موجودة أو اضمحلت ولم يبق إلا أسماؤها. في جزئين.

8) أمثال أهل فاس وما إليها، جمع فيه ما يقرب من خمسة عشر ألف مثل يستعملها أهل فاس سواء باللغة الدارجة أو باللغة الفصحى، مع شرح بعضها، في ثلاثة أجزاء.

9) قضاة مدينة فاس، حوى كل من تولى القضاة بمدينة فاس مع فاس الجديد من تأسيس العدوتين إلى الآن، مرتب حسب السنين، وفيه كثير من توقيعات هؤلاء القضاة. يقع في مجلدين.

10) معجم تأليف رجال المغرب الأقصى ضم أسماء ما وقف عليه من تأليف رجال المغرب من أول الإسلام إلى الآن. مرتب على حروف المعجم جمع فيه أكثر من عشرة آلاف اسم كتاب مع نبذة عن حياة المؤلفين.

11) شعر أبي حفص الفاسي المتوفى عام ثمانية وثمانين ومائة وألف.

12) إخراج كتاب تاريخ الطب العربي في عصور دول المغرب الأقصى من مسودته، من تأليف محمد بن أحمد العبيدي الكانوني المتوفى عام سبعة وخمسين وثلاثمائة وألف.

13) مجموعة مقالات كتبها، منها ما نشر في الجرائد والمجلات ومنها ما لم ينشر.

14) مجموعة الرسائل الواردة عليه من الأساتذة والعلماء يتعلق جلها بأسئلة تاريخية وأدبية واجتماعية تفيد الباحث.

15) لب الغيبة إلى مكة وطيبة، وهي رحلة إلى البقاع المقدسة عام ثلاثة وثمانين وثلاثمائة وألف.

16) سل النصال للنضال بالأشباح وأهل الكمال، فهرس ذكر فيه بعض شيوخه.

أما قصة بآهدراز فهي من أفيد ما كتبه المترجم، بأسلوب مزيج من الفصيح والعامي، قدم فيها صوراً حية جذابة للمجتمع الفاسي خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر. (20 م) في جده وهزله وكده ومرجه، وأفراحه وأتراحه، وكان بعض أصدقائه الفنانين عازماً على إخراج قصة بآهدراز فيلماً سينمائياً.

توفي عبد السلام ابن سودة بمركز بوقنادل في ضاحية سلا فجر يوم الأحد 29 شوال عام 1400 / 12 يوليوز 1980 بعد وعكة خفيفة ألمت به بضعة أيام، ودفن بعد ظهر نفس اليوم بسلا في المقبرة المشرفة على البحر التي تحدث عنها لسان الدين ابن الخطيب، غير بعيد عن قبر المؤرخ السلوي أحمد بن خالد الناصري.

ع. السلام ابن سودة نفسه، ترجمته بقلسه، سل النصال / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1997، ج 9، ص 228، 232 : جماعة من الأساتذة أصدقاء المترجم، أعمال حفل تأبينه بمدينة سلا يوم 11 قعدة 1400 / 21 سبتمبر 1980. مخطوط عند أبنائه : إ. الإدريسي، معجم الطبرعات المغربية، سلا 1988، ص 167، كُتبه الأخرى المذكورة في نص الترجمة : م. حجي، جولات تاريخية، بيروت، 1995، ج 1 : 445، 450.

محمد حجي

ابن سودة، عبد القادر بن محمد بن الطالب (1301 - 1389)، والد المؤرخ المرحوم عبد السلام ابن سودة، ولد يوم

توفي سنة 1395 / 75 . 1976 .

ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع، ثم سل النصال / موسوعة  
أعلام المغرب، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

**ابن سودة، عيد الهادي بن محمد بن عبد القار بن**  
الطالب (1309 . 1370 )، عم المؤرخ المرحوم عيد السلام ابن  
سودة، العلامة المطلع المقنن المحرر التحرير، ذاع صيته في  
فنون التوثيق فكان الطلاب يتهافون على دروسه للنهل من  
علمه. وكان يقول الشعر على الطريقة الأندلسية. أخذ عن  
والده الشيخ محمد بن عبد القادر وهو عمده، وعن شقيقه  
سمي والده الشيخ محمد، وعن الشيخ محمد بن رشيد  
العراقي، وعن الشيخ القاضي أبي عيسى المهدي بن الطالب  
ابن سودة، وعن الشيخ محمد بن عبد السلام ابن سودة، وعن  
الشيخ العباس بن أحمد ابن سودة. تصدر للتدريس، ثم تركه  
لعله بدنية أفعده عن المشي. له ديوان شعر في مجلد  
ومجموعة فتاوي في مجلد أيضا. ذكره المؤرخ المرحوم عيد  
السلام ابن سودة من جملة شيوخه.

توفي سنة 1370 / 50 . 1951، ودفن بروضة العبدلاوين  
بالقياب.

ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع، ثم سل النصال / موسوعة  
أعلام المغرب، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

**ابن سودة، العربي بن أحمد بن النواوي، خير خلف**  
خير سلف، أسهب صاحب الروضة المقصودة في ترجمته  
وأطنب في ذكر خصاله الطيبة ومحامده فقال: "ربي في  
كفالة أبيه وجده، في أطيّب نشأة وأجمل وصف، وأدخل  
الكتاب لتعلم القرآن، وكان له الظهور في النجاية على  
الأقران، فحفظه تجويدا في أقرب مدة، وأخذ في حفظ أمهات  
العلوم بعده، فحصل منها ما هو متداول في هذه الأزمان،  
معتيا بتكرارها في كل وقت مخافة النسيان، ونور مجابته  
لائح ومسلك صيانتها فائح، لا يشارك الصبيان في ملعب،  
وليس له في غير القراءة مأرب". تصدر للتدريس والتأليف.  
فله عدة تأليف، منها شرح على الموطأ لم يكمل، والمنح  
القدسية في شرح الوظيفة الزرقية، ونهاية المنى والسؤل في  
حب آل الرسول، وفتح الملك الجليل في حل مقفل فرائض  
الشيخ خليل، وتحقيق الأنبا، فيما يتعلق بطاعون الوباء،  
والقول الكاشف في التخصص والتقسيد لنبة الحائف،  
وتسهيل المطالب للطالب في الرد على من حرم سكر القالب،  
وحاشية على شرح المكودي للألفية. كان معظما محترما لدى  
السلطان المولى سليمان الذي استفاد في عدة قضايا وتبادل  
المراسلة معه.

توفي يوم الأحد 10 شوال 1229 / 25 شتنبر 1814 في  
حياة والده، ودفن بزوايتهم بزقاق البغل.

س. الحوات، الروضة المقصودة، تج. عيد العزيز تيلاني، فاس،  
1994 : ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام

السبت 28 رجب عام 1301. العلامة المحدث المشارك المطلع  
المدرس الفصيح الرحالة الذائع الصيت. أخذ عن والده وعن  
عمه القاضي أحمد بن الطالب، وعن الشيخ محمد - فتحا -  
بن قاسم القادري الحسني، وعن الشيخ عبد السلام الهواري،  
وعن الشيخ عبد السلام بناني الطيب، وعن الشيخ أحمد بن  
عيد الواحد بن الماز، وعن شقيقه الشيخ محمد، وعن عمه  
الشيخ علي بن عبد القادر وآخرين. حج سنة 1328 في حياة  
والده. ثم جال عدة أقطار، منها السنغال وفرنسا وتونس  
وطرابلس الغرب، إذ كان مولعا بالرحلة والأسفار.



قام بتدريس الفقه والحديث وعلوم الآلة في الفرويين.  
وولي خطابة الجامع الذي أسسه الملك محمد الخامس  
بالفخارين. له تأليف عديدة، منها الرحلة الكبرى في أخبار  
هذا العالم برا وبحرا، طبع السفر الأول منها. وله رحلة إلى  
باريز، وصول الرسول نظاما، وهو مطبوع، وتائية على طريق  
أهل التصوف. اعتقل سنة 1335، على يد شرطة الاستعمار  
بتهمة التعامل مع الألمان أثناء الحرب العالمية الأولى، فقال  
في تائبته المذكورة، من جملة ما قال :

لقد ربطوني بالرباط وما دروا بأن رباط الحق يطلق وربطني

توفي يوم 12 محرم 1389 / 31 مارس 1969.

ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع، ثم سل النصال / موسوعة  
أعلام المغرب، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

**ابن سودة، عيد الكريم بن محمد بن عبد القادر بن**  
الطالب ابن سودة (1311 . 1395)، فقيه مشارك عالم أديب  
شاعر تولى القضاء سنين ممتدة. أخذ عن والده وهو عمده،  
وعن عمه الشيخ علي بن عبد القادر، وعن شقيقه الشيخ  
محمد بن محمد، وعن الشيخ عبد الله العلوي الفضيلي،  
وعن الشيخ أحمد بن الجليلي الأمغاري وغيرهم. مال إلى  
العمل فعزف عن التدريس، ورغب في التوظيف فكان أمينا  
للأملاك في بني ملال. ثم تولى القضاء في بني عميسر  
بتادلة، ثم قضاء تاونات إلى أن توفي. له ديوان شعر ضاع  
جله، ومجموع أحكامه في مجلدين. اتهم بالتعامل مع  
الاستعمار في الزمارة المدبرة على الملك محمد الخامس، فنفر  
منه الناس صده، إلى أن تبينت براءته من تلك الوصمة فسرح  
ما كان قد ثقف من أمواله بعد أخذ ورد طويل.



يحبونه لفصاحته وحسن تبيغته.  
توفي يوم فاتح شوال عام 1359 / 2 نونبر 1940، وشيعه  
أهل فاس في محفل رهبب. ودفن بزواية جده الشيخ المهدي  
الكائنة أسفل العقبة الزرقاء.  
ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع، نم سل النصال / موسوعة  
أعلام المغرب، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

#### ابن سودة، محمد التاودي بن الطالب بن محمد .

فتحا - بن علي بن محمد بن علي بن أبي القاسم بن محمد  
ابن أبي القاسم بن محمد القادم المدعو أبا القاسم بن محمد  
بن علي المري القرشي التجار الغرناطي ثم الفاسي الدار.  
والتاودي نسبة إلى تاودة قرية من أقاليم فاس، صار أهل  
المغرب عامة وأهل فاس خاصة يلقبون بها أبناءهم، تبسنا  
بولي الله محمد التاودي دفين خارج باب الجيسة. والشيخ  
التاودي ابن سودة واسطة عقد البيت السوداني دون منازع،  
تبلور في شخصه أمجاد السلف كأنه يخبر عما كان عليه  
الخلف من الصيت والظهور. حلاه كل من ترجم له بأسمى  
عبارات الإجلال والإكبار، لما كان عليه من سعة العلم وحسن  
الطوية وسلوك النهج القويم في كل ما يقدم عليه. أفردته  
تلميذه سليمان الحوات بترجمة ضخمة وسمها بالروضة  
المقصودة والحلل المسدودة في مآثر بني سودة، جعلها على  
تسعة أبواب، لا تخلو من حشو واستطراد، لكنها تصور  
بأوضح تصوير لمسيرة الشيخ التاودي العلية، ولما كان له  
من التأثير في مجتمعه ونيل الخصال وخفة الروح والمكانة،  
حتى صار قدوة عصره والمدار الذي تدور عليه الفتوى في  
نوازل الدين والدنيا. فإنه كان أبهى صورة العالم المسلم  
الثابت اليقين المتضلع في علوم الشريعة المتشبع بأدق علوم  
الإسلام، من تفتحت أبصارهم وقلوبهم على حد سواء، فلا  
يقولون إلا ما يفعلون ولا يفعلون إلا ما يقولون.

أخذ علوم الوقت من نحو ولغة وتفسير وحديث وفقه  
ومنطق وبلاغة وعروض من جماعة من الأشياخ ذكرهم في  
فهرسته من أمثال أحمد ابن جلون وأحمد الوجاري وأحمد  
الشرادي وأحمد السلجماسي اللمطي وهو عمدته، والشيخ  
محمد ابن الكندوز والشيخ يعيش بن الرغاي الشاوي  
والشيخ محمد التماق والشيخ محمد بن قاسم جوسوس، هذا  
في المنقولات والمعقولات. أما في التصوف والروحانيات  
التي كان يميل إليها ميلا في بعض لحظات حياته حتى كاد  
أن يغوص في بحارها لولا نهي بعض شيوخه عن ذلك، وهو  
الحاج بوجيدة بن قاسم الزموري، الذي كان له فيه اعتقاد  
وإرادة، طلب الشيخ منه الدعاء ذات يوم فقال له الشيخ  
بوجيدة: "عليك بالعلوم، عليك بالقراءة، ولا تتبع المتفكرة،  
فإن ما قدر لك من ذلك يأتيك، والعلم إذا فوت طلبه لم  
تجد". وهكذا تذوق الشيخ التاودي حلوة السياحة الروحانية  
دون أن يفص بها، وركب بحار التصوف على متن ما انطوى  
عليه صدره من علوم اليقين، فخرج ناجيا بالرغم مما اغترف

ابن سودة، العربي بن الطالب بن عثمان ابن سودة  
(1309 - 1392)، العالم المشارك، الشاعر المطلع، صاحب  
الخط الحسن. أخذ عن والده وهو عمدته، وعن الشيخ حماد  
الصنهاجي، وعن الشيخ محمد الإبراري، وعن الشيخ عبد  
السلام الهواري، وعن الشيخ أحمد ابن الحياض الزكاري،  
وعن الشيخ أحمد بن الجبالي الأمغاري، وعن الشيخ محمد  
- فتحا - بن قاسم القادري الحسني، وعن الشيخ أحمد بن  
المامون البلغيشي، وعن الشيخ عبد الرحمان ابن القرشي  
الإمامي، وعن الشيخ شعيب الدكالي، وعن الشيخ محمد بن  
جعفر الكتاني وآخرين. له تأليف كثيرة وشعر متوسط الجودة  
في نظر المؤرخ المرحوم عبد السلام ابن سودة الذي يعده من  
شيوخه. مارس الوظيفة وتقلب على عدة خطط مخربنة في  
فاس والرباط، إلى أن عين خطيبا في مسجد باريس مناوية  
مع خطباء الجزائر وتونس.

توفي عام 1392 / 72. 1973.

ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع، ثم سل النصال / موسوعة  
أعلام المغرب، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

#### ابن سودة، علي بن عبد القادر بن الطالب (1254 -

1333)، عالم آخر من علماء هذا البيت، مطلع دراية  
حيسوبي شاعر. ناب عن قاضي مكناس مدة. له شرح على  
هزمية البوصيري، ونظم في مصطلح الحديث، وديوان شعر.  
توفي يوم الخميس 17 محرم 1333 / 4 دجنبر 1914.  
ودفن بزواية الشراذي قبالة درب الدروج.

ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع، ثم سل النصال / موسوعة  
أعلام المغرب، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

#### ابن سودة، عمر بن محمد بن المهدي بن الطالب بن

محمد - فتحا - (1288 - 1359)، سيدي وجدي الذي أدركت  
منه لحظاته الأخيرة في هذه الحياة الدنيا، فمازلت أحس يده  
الليينة تمسح على رأسي وهو يدعو لي بخير. كان من علماء  
التلقين والتدريس والوعظ والإرشاد. تخرج على يده من  
القرويين أجيال المغرب الجديد. وتولى خطبة جامع الرصيف  
سنين عديدة. أخذ عن والده الشيخ محمد بن المهدي، وعن  
الشيخ محمد - فتحا - بن قاسم القادري، وعن الشيخ عبد  
المالك العلوي الضرير، وعن عمه الشيخ المكي بن الشيخ  
المهدي، وعن الشيخ عبد السلام بن محمد الهواري، وعن  
الشيخ المهدي الوزاني وغيرهم من علماء نهاية القرن الثالث  
عشر وبداية القرن الرابع عشر. كان رحمه الله نموذج العالم  
المسلم، دمث الأخلاق، نقي الظاهر والباطن، حليما رؤوفا.  
كانت خزانة كتبه تبهرني بامتداد رفوفها طولا وعرضا.  
ويقول المؤرخ المرحوم عبد السلام ابن سودة إنه قرأ عليه من  
أول المختصر إلى آخر البيوع والألفية مرتين. وكان الطلبة

من تلك المناهل على يد أمثال المولى أحمد بن محمد الصقلي وشيخ الطريقة الناصرية الذي وكل به أمر الإشراف على فرع زاويته بفاس، وغيره من الشيوخ، بمن فيهم ثلاث نسوة من الصالحات العابدات الفاتنات. وقد أوعى الشيخ التاودي بالقطب المولى عبد السلام بن مشيش. كان يزور ضريحه بانتظام بحيث تبرك بالوقوف على قبره أكثر من سبعين مرة، ومن إنشاده في ذلك قوله :

أتيتكم شبيحا وكهلا وناشئا

وفي كلها أرجو نوالكم الحسا

ولما عاد من تلك الزيارة لحقه ما يلحق في مثل تلك الأحوال بذوي الرغبة الخالصة في الفناء والإيمان حتى لزم الفراش أزيد من سنة.

وقد حج الشيخ التاودي سنة 1191 / 1778، فاستفاد من علماء المشرق كالشيخ السمان والشيخ المرتضى الحسيني، شارح الإحياء والقاموس. وأفاد كل من سمع منه في مصر وفي الديار المقدسة. وتخرج على يده في المغرب أقطاب الجيل اللاحق، وفي طبيعتهم ولده أحمد وجماعة أحفاده المبرزين. وأيضا الشيخ الحسن الجنوي والشيخ محمد بن علي الوزاني والشيخ أحمد الملوي والشيخ الطيب ابن كيران والشيخ إدريس العراقي والشيخ يحيى الشفشاوني والشيخ محمد الزروالي والشيخ حمدون بلحاج والشيخ سليمان الحوات مترجمه والشيخ محمد الرهوني وآخرون. وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على ما كان عليه الشيخ التاودي من الصيت العظيم والرتبة السامية لدى الخاص والعام حتى صار القطب الذي بيده الحل والعقد في كل الملمات. فإنه على حد قول صاحب سلوة الأنفاس : "كان مجتهدا في العبادة، حسن الخلق، محبا لآل البيت، شديد الاعتناء بأمور الناس، رقيق القلب، كثير اليكاء غزير العبارة، وله مآثر شهيرة ومناقب كثيرة وبركات حميدة ومكاشفات عديدة". وهو في قول صاحب الدرر البهية : "الإمام الهمام العالي المقام والظود الشامخ السنام فخر الليالي والأيام، من فسات الأتراب والأقران وساده، وتوسده هذا القطر فكان نعم الوساد".

له تأليف عديدة منها حاشيته على شرح الزرقاني لمختصر خليل وعنوانها طالع الأماني. وشرح على التحفة لابن عاصم، أقبيل الناس عليه إقبالا كبيرا منذ تأليفه إلى يومنا، وله فهرسة ذكر فيها من أخذ عنهم من العلماء غربا وشرقا، وتقييد بمن انتفع بهم من الأولياء والصلحاء. ولذلك كان معظما مبيجلا لدى الجميع. قال تلميذه سليمان الحوات : "وهو شيخ ظاهر النفع كثير التلميذ [...] بلغ من الرئاسة مع السلطان مولانا محمد ابن مولانا أمير المؤمنين عبد الله ما لم يبلغه غيره حتى اكتسب من ذلك هو وأولاده أموالا كثيرة وأكسبوا غيرهم من تعلق بهم ما به الغنى، واجتمع له وأولاده أيضا من المناصب والولايات والأخذ من وفقر الأوقاف ما لم يتفق لغيره قط". وقد تأتي له ما لم يتأت لأحد قبله أو بعده، أن قدم ولده أحمد للتدريس، وهو مازال

في العقد الثالث من عمره. ولم يكن ذلك من التسلق والانصياع المغرض. وإنما كان من عمق دراية الشيخ التاودي بمقاصد الشريعة وألفاظها ويقينه بأنه لا يخشى الله من عباده إلا العلماء. فإنه استفتى من قبل السلطان سيدي محمد من جملة من استفتى من العلماء سنة 1176، في العمل بالمكوس، فأفتى بجوازها خلافا للجسهور ليقينه بحاجة بيت المال يومئذ إلى ذلك، إذ كان السلطان سيدي محمد بن عبد الله مقوما على تجديد صرح الدولة بعد ما نال منها من الفتن في عهد والده المولى عبد الله بن إسماعيل. ولكن يوم استفتى السلطان المذكور العلماء سنة 1187 فيما رغب فيه من طرد سكان الرباط من مدينتهم لما تمادى عليه منهم من وجود العصيان والشغب، يدعوى أنهم مقيمون على أرض من أراضي الدولة، لم يتردد الشيخ التاودي في الإفتاء بعدم شرعية ذلك لفظا ومعنى. وقد غضب السلطان عليه وأمر بتجريدته من كل الرتب والوظائف. لكنه سرعان ما تراجع، مدركا أن الشيخ التاودي محضه النصيحة، فرد عليه كل ما كان ينعم به. واستمر ذلك في عهد المولى يزيد بن محمد على قصر عهده المنحصر بين سنتي 1204 و 1206 / 1790. 1792. وبعد مقتله، هاجت أحوال المغرب وماجت بسبب تنافس الأمراء على العرش. وكانت البلاد في حاجة إلى من يدلها على من يصلح لإمارة المؤمنين. فوقع الإجماع على تطبيق الشيخ التاودي بتلك المسؤولية، فأفتى بمبايعة تلميذه المولى سليمان فانهقد له الأمر وصار على نهج والده من الصلاح والإصلاح. وكان الشيخ التاودي قد بلغ من العمر عتيا، ممتعا بحاستي السمع والبصر على نحافة جسمه. وكان من إكبار السلطان المولى سليمان لشيخه أن أمر ببناء مسجد قرب منزله بزقاق البغل ليؤدي فيه الصلوات الجامعة بأقل عناء. وهذا المسجد هو الذي دفن فيه الشيخ التاودي بعد وفاته يوم الخميس 19 ذي الحجة 1209 / 7 يوليو 1795، وصار زاوية خاصة بدفن أولاده وأحفاده.

س. الحوات، الروضة المقصودة، نج. عبد العزيز تلاتي، الدار البيضاء، 1994 : إ. العلوي القضيبي، الدرر البهية، فاس، الطبعة الحجرية : م. بن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس، فاس، الطبعة الحجرية : أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1960، 9 أجزاء، الجزء الثامن : ع. الرحمان الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، القاهرة، 1386 / 1967، 9 أجزاء، الجزء الرابع : ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع، / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

ابن سودة، محمد التاودي بن المهدي (1247).  
(1319)، أحد أبناء القاضي الشيخ أبي عيسى المهدي، علامة مشارك مدرس مطلع فصيح اللسان. تولي قضاء طنجة مدة. له رحلة إلى بلاد الأستانة. أورد المؤرخ ابن زيدان رسالة مخزنية تشير إلى أنه رام الانتساب إلى آل البيت النبوي، فرفع جريدة عدلية في ذلك إلى نظر السلطان المولى عبد العزيز سنة 1318، فجاء الجواب بعدم ثبوت ذلك في أي عصر من العصور. ولما علم عمه القاضي أحمد بالقضية

تنصل منها بصريح العبارة.

توفي عام 1319 / 1902. 1 ودفن بزاويتهم الكائنة أسفل

العقبة الزرقاء.

ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، فاس، المطبعة الوطنية، 1350 / 1932، 5 أجزاء، الجزء الرابع؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سبل النصال* / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع.

**ابن سودة، محمد بن الظاهر** (1305 - 1382)، من

حفدة الشيخ الناودي، فهو محمد ابن الظاهر بن عبد الواحد ابن القاضي أحمد بن الشيخ الناودي، عالم مشارك، خطيب فصيح، خير ذاكر، مبتتل شاعر، عامل رضي مرضي. أخذ عن والده الشيخ الظاهر وعن الشيخ المهدي الوزاني، والشيخ أحمد بن الجيلالي الأمغاري. قام مقام والده في خطبة مسجد الأندلس منذ سنة 1335. وكان لخطبه بالغ الأثر على المصلين، تبيكهم في الغالب وتحملهم على التذكر والاتعاظ. وكان يخطب أيضا في مصلى باب الفتوح في الأعياد وصلوات الاستسقاء. ولما أبعده السلطان محمد الخامس عن عرشه على يد سلطات الاستعمار، امتنع الفقيه المترجم له من الدعاء للسلطان ابن عرفة، فأُخِر عن الخطبة وأمر بإجلاء الدار المحيطة على الخطيب في ظرف أربع وعشرين ساعة، فامتحن بذلك امتحاناً، ولجأ إلى السكنى لدى بعض المحبين المحسنين، إلى أن عادت الأمور إلى نصابها، فأكرمه الملك محمد الخامس وعرضه عما حل به من تجاوزات الاستعمار.

توفي يوم الجمعة 2 رجب عام 1382 / 9 نونبر 1962، ودفن بروضتهم الكائنة بالقباب.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سبل النصال* / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء التاسع. إبراهيم بوطالب

**ابن سودة، محمد العابد بن أحمد الفاسي**، من

علماء فاس خلال القرن الرابع عشر (19 م)، له مؤلفات في مختلف العلوم والفنون، ومنها كتاب *الأنبا المشهورة في شمانتل رجال بيت بني سودة* الذي أمته عام 1352 / 1933. وقد عرّف فيه بالأسرة وترجم لعلمائها. ومن مؤلفاته أيضا :  
- بغية الأدبا - والأكياس في معرفة قسم وادي فاس.  
- مسامرة الأعلام وتنبيه العوام بكراهية القيام.  
- مقامة في تفضيل فاس على سائر المدن.

وقد وضع محمد العابد في الموسيقى كتابا سماه *استنزال الرحمات بالطبع والنفحات أو بإنشاد البردة بالنفحات*، وفرغ من تأليفه عام 1359 / 1940. وهو ما يزال مخطوطا. مهد المؤلف لكتابه هذا مقدمة مسهبة عرف فيها بالموسيقى عموما والموسيقى الأندلسية خصوصا، ثم انتقل إلى ذكر الطبوع، فصنّفها وعرف بمتكرّرها، كما ألمّ بفترات انتقال موسيقى الآلة إلى المغرب معرّفا ببعض مصطلحاتها. وبعد المقدمة انتقل المؤلف إلى صلب موضوع الكتاب الذي هو "فن السماع"، فسقط القول في طريقة السمعين من أهل فاس في

إنشاد البردة والهمزية للإمام البوصيري.

وتتلخص هذه الطريقة في تقسيم البردة إلى ثلاثة عشر قسما، يلحق بكل قسم منها إنشاد "بيتين" ومجموعة من الموشحات والأزجال والبراول، فينشد القسم الأول على طبع معين، وتتلوه الأقسام الأخرى بتوايها مغناة على طبوع أخرى إلى أن يستوفي المنشدون الأقسام كلها في ثلاثة عشر طبعا من طبوع الموسيقى الأندلسية، وهي على التوالي : الحجاز المشريقي، والصيكة، والاستهلال، والمائة، والرصد، وغريبة الحسين، والغريبة المحررة، ورمل المائة، والأصهبان، والحجازي الكبير، ورصد الذيل، والعشاق، وعراق العجم.

توفي محمد العابد بفاس عام 1359 / 1940.

ع. السلام ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، رقم 2036، ج. 2، ص. 441؛ م. المنوني، *مجلة البحث العلمي*، العدد 14 و15، ص. 169، السنة 1969.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**ابن سودة، محمد بن عبد القادر** (1261 - 1338)،

جد المؤرخ المرحوم عبد السلام ابن سودة. العالم المحدث المشارك، القاضي المدرس النفاة المفتي المحرر المطلع. أخذ عن كبار شيوخ العصر، من أمثال الشيخ عبد السلام بن الطائع بوغالب الحسني، والشيخ محمد بن المدني كنون، وعن الشيخ المهدي بن الطالب بن سودة وشقيقه القاضي أحمد، وهما عماد، والشيخ أحمد بناني كلا، والشيخ عبد الله بن إدريس البدرابي وغيرهم. تولى قضاء طنجة مدة وحمد الجميع سيرته. ثم كان قاضيا على فاس الجديد. وكانت له اليد الطولى في الإفتاء، يعينه قاضي فاس الإدريسية الشيخ محمد بن رشيد العراقي لحل المشاكل العويصة، لما كان عليه من الذهن الثاقب والفراة النامة. له حاشية على صحيح البخاري، جمعها من تلقينه للكتاب في القرويين. لحقه حفيده المؤرخ عبد السلام فأخذ عنه شيئا من علمه.

توفي يوم 29 شعبان عام 1338 / 18 ماي 1920، ودفن بروضة الشيخ ابن عباد بكدية البراطيل داخل باب الفتوح.

رثاه محمد بن المفضل غريظ بقصيدة مطلعها :

وما كان إلا سيف فصل لمشكل أصار الردي بطن  
التراب له غمدا

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ثم *سبل النصال* / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

**ابن سودة، محمد بن أبي القاسم** (1003 - 1076)،

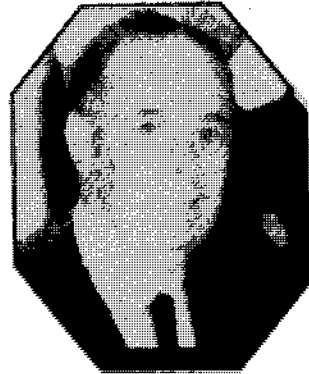
الفقيه الجليل العلامة الفاضل، آخر قضاة العدل والدين وكمال المروة بفاس. أخذ عن الشيخ عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي، وقال سمعت منه جملة من التفسير والرسالة والحكم لابن عطاء الله وتحفة ابن عاصم بشرح ميارة. ثم ولي قضاء فاس الإدريسية مهل شعبان 1057. وكان من الرعيل الأول من المياعين للدولة العلوية في طور نشأتها. فإنه كتب على لسان المولى محمد بن الشريف العلوي، لدى

دخوله مدينة فاس سنة 1059، إلى آخر ملوك الدولة السعيدية محمد الشيخ الصغير رداً على رسالة بعث له بها ينصح له بالهذر من أهل فاس خاصة ومن أهل الغرب بصفة أعم، والرسالة نشر ونظم. تصور لما اشتد من التنافس على الحكم في المغرب يومئذ بين الدولة السعيدية الأقل نجمها والدولة العلوية التي كانت في نضالاتها الأولى والزاوية الدلائية التي رام آخر شيوخها ملء الفراغ السياسي في البلاد وجعل حد للفتنة والشغب والتناحر.

وللقاضي محمد بن أبي القاسم تقييد وأجوبة. وإليه ينسب درب القاضي حيث كانت دار سكناه على يمين الداخل للدرب.

توفي يوم الأحد 25 ذي القعدة عام 1076 / 29 ماي 1666. وأوصى بأن يدفن في روضة سيدي علي بن حرزهم خارج باب الفتوح، وأن تنشئ في جنازته أبيات مطلعها :  
إلاهي المالك الناصر أتاك عبدك القاصر  
م. القادري، نشر الشان، نج. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1402 / 1982، 4 أجزاء، الجزء الثاني : م. الإفرائي، نزعة الحادي، نج. ع. اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1419 / 1998 .

**ابن سوادة، محمد بن محمد بن عزوز الوطني الغيور** والمناضل الكبير الذي تفرغ في الدفاع عن حرية الوطن وكرامته. كان في طليعة الصفوف الوطنية الأولى في مدينة فاس منذ أواخر العشرينيات من القرن العشرين. تابع دأسته بالتعليم العصري، وكان من الأفواج الأولى التي التحقت بثانوية المولي إدريس. ولما كان على جانب كبير من موهبة التنظيم والتأطير، فإنه جعل تلك الموهبة في خدمة جيله من الشباب الفاسي. فكان من مؤسسي ومنشطي الجمعيات الرياضية أول الأمر، وبخاصة منها جمعية النجاح الرياضي، التي كان لها الفضل في بث روح التباري الرياضي العصري في الناشئة الفاسية الصاعدة. ثم كان من ركائز جمعية قداماء تلاميذ ثانوية المولي إدريس. ولا يخفى ما كان لهذه الجمعية من الأدوار الملموسة في استقطاب الشباب في صفوف الحركة الوطنية، ومن المواقف المذكورة في تنوير العقول وفتح الآفاق على باقي الثقافات.



كان المترجم من مؤسسي ومسيري الحزب الوطني ثم حزب

الاستقلال في فاس، فهو من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، بحيث كان منزله قبلة للمناضلين ونادياً لتلقي فيها الإيرادات وتشحن فيه الهسم. مما حمل عيون السلطات الاستعمارية ومسامعها على تتبع حركاته وسكناته دون فتور، فلا تقع واقعة وطنية نضالية إلا وكان أول من يلقي عليه القبض في فاس. فدخل السجن بعد أحداث يناير 1944، ولقد رأى كاتب هذه السطور بأم عينيه من أعلى سطح الدار الذي كان يقطنها والتي تطل على دار المترجم الزبانية الاستعمارية تفتشها تفتيشاً دقيقاً وتنبش ركاما صلداً من الرمل بقي من بعض الترميمات السابقة بحثاً عن المناشير والوثائق الحزبية. ثم كانت أحداث دجنبر 1952 فكان من أول من أودع السجن مرة أخرى.

ولما استرجعت البلاد استقلالها، انضم على التو ومن تلقاء نفسه إلى أطر وزارة الشبيبة والرياضة حيث أسندت إليه مسؤوليات عليا فيها، فمارس شينا منها في الدار البيضاء، ثم في الإدارة المركزية في الرباط، بنفس الروح التي ما فتئ طيلة حياته يؤدي بها واجباته الوطنية وينفس القدرات التنظيمية التي كانت من خصاله المتميزة.

وافاه الأجل المحتوم فجاءة في القطار سنة 1390 . 89 / 1970 وهو في طريقه من باريز إلى فيينا لقضاء العطلة لدى صديقه عبد الكبير الفاسي سفير المغرب يومئذ في النمسا. ونقل جثمانه من هناك ووروي في مشواه الأخير بمقبرة ابن مسيك في الدار البيضاء.

ع. السلام ابن سوادة، إجماع المطالع : مل النصال للتصال / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 9.

إبراهيم بوطالب

**ابن سوادة، محمد بن محمد بن محمد بن عمر الملقب** بالشيخ التاودي. ولد بفاس عام 1330 / 1911 وبها نشأ ودرّس في النظام الجديد بالقرويين إلى أن أحرز على شهادة العالمية من القسم الشرعي عام 1358 / 1938 وانخرط في سلك القضاء وعمل في جهات مختلفة، منها قبيلة زعير جنوب الرباط، وانتهى به المطاف قاضياً مستشاراً بالمجلس الأعلى، وشارك في تخريج المعيار للونشريسي في طبعته الثانية إلا أنه توفي قبل إنهاؤه الجزء الموكل إليه فأتمته



عنه. كما كان هاوياً للتاريخ وخلال توليه منصب القضاء بزعرير خلال السنوات السبع التي سبقت إعلان الاستقلال ألف كتاب قبيلة زعير، وهي أصعب فترة في تاريخ مواجهة المغربية الفرنسية، تفجرت فيها طاقات الوطنية والمقاومة وثار فيها بركان الاستعمار فأصابت حممه مختلف الجهات ومن بينها بلاد زعير.

اعتمد المؤلف في هذا الكتاب على مصادر متنوعة، بعضها مكتوب وبعضها مسوع من أفواه "الطاعنين في السن وأكابر القبيلة وأعيانها الذين لهم خبرة ومعرفة وإطلاع بشؤون قبيلتهم" واهتدى - بحكم تكوينه الفقهي التوثيقي - إلى نقد هذه المصادر وتمييز الصحيح المقبول من الباطل المرفوض. "وكتت أحرص كل الحرص - يقول المؤلف في المقدمة - على ألا أقيّد في تلك الدفاتر إلا ما صح عندي من الأخبار والآثار، وأبتعد عن نقل وحفظ ما لا ترجى من ورائه كبير فائدة، وعلى هذا المنهج سرت في عملي".

ينقسم الكتاب إلى قسمين أو جزئين، أولهما - وقد طبع منذ بضعة سنوات - في تاريخ القبيلة وذكر أصولها وفروعها ومواطنها القديمة والحديثة، ولغاتها المستعربة والمستعجمة، وعاداتها، وأسواقها وفلاحتها وعلاقتها بمن يجاورها من القبائل والعشائر. وخصص الجزء الثاني لترجم أعلام زعير في العلم والجهاد والسياسة والرئاسة، وابتدأه بترجمة مطولة لعبد الله بن ياسين شيخ المرابطين دفين كريفلة من بلاد زعير، كما ترجم لجماعة من الفقهاء الذين تولوا منصب القضاء في زعير وترجم لنفسه من بينهم.

توفي بالرباط يوم الجمعة 20 محرم عام 1401 / 28 نونبر 1980.

م. ابن سودة نفسه، كتاب قبيلة زعير، الجزء الثاني، ص. 157.  
164 : م. حجي، جولات تاريخية، بيروت، 1995، ج 2 :  
455.451

محمد حجي

ابن سودة، محمد بن المهدي بن الطالب بن محمد - فتحة - (1257. 1344)، العلامة المشارك المطلع المدرس النفاة التحرير الخطيب المصقع، صاحب الذهن الناقد والعلم الصائب. أخذ عن والده وهو عمدته، وعن عمه القاضي الشيخ أحمد بن الطالب، وعن الشيخ عبد السلام بن الطائع بوغالب الحسني، وعن الشيخ أحمد بناني كلا، وعن الشيخ محمد بن المدني كنون، وعن الشيخ المهدي بن الحاج، وعن الشيخ عبد المالك العلوي الضريبر وآخرين من كبار شيوخ العصر. له تأليف عديدة، منها شرح علي اليوسي في رثاء الزاوية الدلانية في نحو ثمانية أسفار ضخام، وشرح على الألفية في مجلد. وما يسترعي الانتباه من مؤلفاته، أنه كان يحرر ما يجري بينه وبين أشياخه وأقرانه من المذاكرة، فخرج من ذلك مؤلف قريب مما يسمى اليوم بالمذكرات. تولى خطابة جامع الرصف. وكان أهل فاس يتهافتون للإصغاء إلى

خطبه. ولما سئل عن ذلك قال إنها تعجيبهم لعدم طولها، ولما تنبني عليه من الأحاديث الصحاح دون غيرها. فإنه كان سلفي العقيدة، نفورا من كل من يدعي الوساطة بين الخالق والمخلوق، مفوضا أمره إلى الله، مدركا لعيوب المجتمع مثل آفة الاسترقاق متنعلا منها. التزم بيته من يوم فرضت الحماية على المغرب، ولم يبرحه إلى أن وافاه الأجل.

توفي قبل مولدي بأزيد من عشرين سنوات. ومع ذلك يخيل إلي أنني عرفته عن كتب، لما سمعت من أوصافه الجليلة، ومن سيرته الصارمة الهازمة على لسان الأخوال والحالات، فإنه آخر من تمثلت في شخصه الأيو القديمة بين أولاده وأحفاده، وقد تزوجوا وأنجبوا تحت رعايته، في غرسته الممتدة في حي الدوح التي توزعها الورثة بعد موته ليقيم كل واحد منزلا لأسرته المنحصرة على الطريقة العصرية.

توفي يوم 3 رمضان عام 1344 / 17 ماي 1926.

ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع، ثم مل التنال / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

ابن سودة، المهدي بن المهدي (1263. 1317)، أحد أبناء القاضي الشيخ المهدي، عالم مشارك مطلع مدرس، له شرح على تائية الشيخ الحراق، وشعر متوسط، تولى قضاء فاس الجديد والضويرة.

توفي عام 1317 / 1899. 1900.

ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع، ثم مل التنال / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

ابن سودة، المهدي بن الطالب بن محمد (1220).

(1294)، القاضي الجليل والعالم الحبير التحرير. ذاع صيت الشيخ المهدي في ديار الإسلام غربا وشرقا بما كان عليه من سعة العلم والتثبت في الفقه والتمكن من كل أصناف المعقول والمنقول. حلاه كل من ترجم له بأعلى عبارات التحلية، فقال عنه صاحب الدرر البهية: "هو العالم العلم الذي لا يجهل، وعليه العمل الذي يحمل ولا يجهل". وقال عنه صاحب سلوة الأنفاس: "كان فقيها محدثا أصوليا منطقيبا نحويا مشاركا، درس فأفاد، ونفع العباد، وكان بديع الدقائق والفهرومات، غريب الأبحاث والإشكالات، سع اتساعه في العلم وتجرده والغوص على نفاثته وإشارته وتديرة". وقال عنه صاحب الإتحاف: "ضابط متقن راوية ذرب اللسان ثبت الجنان سياسي ماهر مطلع خبير بصير بالعواقب حاصل لواء التحقيق في زمانه مشار له بالبنان بين أقرانه درس العلم بأقطار المشرقين والمغربيين فأجاد وأفاد". أدار المجالس العلمية التي كانت تقام بحثا في صحیح البخاري في شهر رجب وشعبان ورمضان في حضرة ملوك عصره، الملوي عبد الرحمان بن هشام وسيدي محمد بن عبد الرحمان والملوي حسن بن محمد.

رحل الشيخ المهدي إلى الديار المقدسة مرتين، مرة أولى

سنة 1269 من الهجرة، فحج وزار واجتمع بعلماء المشرق الكبار وألقى الدروس بمصر وبالحرمين فأعجب الجميع به ولهجت الألسن بذكره ومدحه أكثر من واحد، منهم الحسن بن علي اللقاني الذي قال :

هيام له في الفضل والعلم والعلو

خصائص قد جلت على الحصر والعد

هو البحر بحر العلم والحلم والتقى

وكشاف ما تخفي العبارة من قصد

وحج مرة ثانية سنة 1274 رفقة أنجال السلطان المولى عبد

الرحمان، مكلفا بأن يصل شيوخ الأزهر على اختلاف

طبقاتهم ومذاهبهم بما أمر لهم به هذا العاهل من الهيئات

النقدية، وقد ذكرهم صاحب الإتحاف بأسمائهم. وكان الشيخ

المهدي قد ولي قضاء الجماعة من مدينة مكناس سنة 1272،

فيما بين تلك الحجنتين، وبقي على الخطة إلى أن لبي داعي

ربه، رغم ما كان عليه من شديد التنصل منها وميله إلى

الوقوف عند التدريس والتأليف، وكان يتوسل في ذلك

بالوزير الطبيب بن اليمني بعشرين. لكن السلطان ظل

يفضل تقديم حقوق الأمة على حقوق الشخص بما تميز به

الشيخ المهدي في ممارسة واجبات القضاء من غزارة الحكمة

وصفاء الطوية والسير على السنن الشرعية القويم.

تخرج على يد كبار علماء العصر من أمثال عبد السلام

الأزمي، وهو عمده في العقول، وعبد القادر الكوهن، وهو

عمده في الفقه، ومحمد الحراق، وهو عمده في التفسير

والحديث، وعلي بن إدريس قصاره الذي أخذ عنه النحو

والحساب والعروض، ويذر الدين الحمومي شيخ الجماعة،

ومحمد بن عبد الرحمان الفيلاي وغيرهم.

أما المتخرجون على يده، ففي المغرب أخوه أحمد بن

الطالب قاضي مكناس من بعده، ومحمد گنون وأحمد بن

الخطاط الزكاري والعباس بن أحمد النازي وجعفر الكتاني

والقاضي حميد بناني، هذا في فاس، وأما في مكناس،

فممن أخذ عنه فضول ابن عزوز وفضول السوسي وابن

الجيلالي السقاط والمختار الأجرأوي وآخرون. وأخذ عنه في

مصر الشيخ عليش والشيخ عبد الهادي نجا الأبياري، وفي

دمشق الشيخ دكدوك.

وكان الشيخ المهدي ابن سوذة من جملة من استفنهم

السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان من العلماء بعد هزيمة

الجيوش المغربية في حرب تطوان سنة 1276 / 1860، عندما

صم عزمه على إصلاح شؤونها بكفها عن أساليب الكر والفر

وقربنها على حرب النظام. فكتب الشيخ المهدي في ذلك

جوابا نشره المرحوم محمد بن عبد الهادي المنوني، بيدي مدي

خبرته بالأصول وملازمته لها ومدى تفتح وإدراكه لضرورات

الإصلاح في مجتمع تجمد على الثوابت خوفا من البدعة حتى

دخل عليه الاستعمار، مستدلا على محاسن فنون القتال

العصرية بالآيات البينات والأحاديث الصحيحة. وله إلى ذلك

تأليف أخرى، منها حاشية على شرح الحرشي على المختصر،

وحاشية على شرح المحلي على جمع الجوامع، وحاشية على

شرح بناني على السلم وحاشية على رسالة الوضوح، وفهرسة.

توفي الشيخ المهدي يوم 4 رمضان سنة 1294 / 12 شتنبر

1877 ودفن في زاويته الكائنة أسفل العقبة الزرقاء التي هي

مدفن أبنائه وحفدته.

إ. العلوي الفضيلي، الدرر البهية، فاس، الطبعة الحجرية - 1900.

الكتاني، علوة الأنفاس، فاس، الطبعة الحجرية : أ. التامري.

الاستقصا، ط 2. الدار البيضاء، 1960، 9 أجزاء، الجزء التاسع : ع.

الرحمن ابن زيدان، إتحاف، فاس، 1350 / 1932، 5 أجزاء، الجزء

الرابع : ع. السلام ابن سوذة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام

المغرب، بيروت، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

### ابن سوذة الهندي، محمد، فريد القاضي الشيخ أبي

عيسى المهدي من ولده محمد التاودي، فقيه جليل وعالم

فاضل وطبيب ماهر. أخذ عن والده وهو عمده، وعن عمه

الشيخ المكي المتوفي عام 1319، وعن الشيخ محمد بن

التهامي الوزاني، والشيخ أحمد بناني كلا. وعن عم والده

القاضي أحمد بن الطالب، وعن إدريس البدرأوي وآخرين.

اشتغل بالتدريس مدة. ثم توجه إلى الحج فأدى الفريضة،

وأبعد في الرحلة فذهب إلى الهند، فمن ذلك لقبه بعد عودته

إلى فاس محملا بالتحف والعجائب، وقد أتقن صناعة

الطب. وصار يداوي الناس يدون مقابيل. ودفن بزوايتهم

بالعقبة الزرقاء.

توفي بفاس عام 1331 / 12 - 1913.

ع. السلام ابن سوذة، إتحاف المطالع، ثم سل النصال / موسوعة

أعلام المغرب، بيروت، 1996، 10 أجزاء، الجزء الثامن.

إبراهيم بوطالب

### السور الجديد بالدار البيضاء. وهو سور طويل

يحيط بميدان فسيح يشمل مساحة كبيرة من عدة هكتارات،

أمر ببنائه السلطان مولاي الحسن إلى الغرب من مدينة الدار

البيضاء القديمة. وكان الدافع لبنائه هو ضيق المدينة،

ومنافسة الأجانب للمغاربة في الحي الشعبي "التناكر". فقد

كانت البناءات المخصصة للمتاجر الأجنبية تضائق الحي

الشعبي وتتوسع على حساب، ولإبعاد الاحتكاك بين الطرفين

ولعزل سكنى التجار الأجانب حتى لا يضيقوا على السكان

الفقراء، أمر السلطان ببناء السور الجديد، وخصص مساحته

للجالية الأوروبية لتبني فيه مساكنها وأهرتها. لكن

الأجانب فضلوا البقاء قرب المرسى بالمدينة ورفضوا الانتقال

إلى السور الجديد. وقد تكلف بالصراف على البناء في

البداية الأمين محمد بن سعيد الرباطي، ثم بعده الحاج عبد

الحالق فرج الرباطي.

ولما بقيت أرض السور الجديد فارغة من البناء، أصبحت

مكانا لتخميم الحركات السلطانية عند مرورها بالدار

البيضاء، ومنتزها لسكان المدينة، حيث كانت تقام

الاحتفالات الشعبية، خاصة الاحتفال بزهة سلطان الطلبة.

وقد حاول التجار الأجانب، وفي مقدمتهم التجار الألمان اتخاذ ساحة السور الجديد محلاً لغسل ونشر الجلود. وتدخلوا لدى السلطان مولاي عبيد العزيز (1894-1908) من أجل ذلك، لكن السلطان رفض وأمر بتعيين محل لما طلبوه، مبيناً بأن "بقعة السور الجديد حوطها المخزن لغرض مهم ولا يمكن استعمالها في ما طلبوه"، (من رسالة سلطانية، أنظرها في *إتحاف أعلام الناس*، 1: 443).

وفي سنة 1907 لما اضطرت أحوال الشاوية نتيجة للتوتر بين المغاربة والفرنسيين، الذين شرعوا في بناء مرسى الدار البيضاء، خيمت محلة من الجيش بقيادة مولاي الأمين عم السلطان بالسور الجديد. وبعد حادث مقتل تسعة عمال أوروبيين بمرسى الدار البيضاء، انتهزت الحكومة الفرنسية الفرصة لتحل المدينة، ولهذا تدخل الأسطول الفرنسي قصف المدينة ووجهت قنابل البوارج إلى الحي الشعبي "التناكر"، ففر سكانه إلى السور الجديد حيث توجد القوات المخزنية للاحتما. لكن السفن الحربية الفرنسية، ارتكبت مجزرة بشعة بين السكان الذين التجأوا للسور الجديد، وبين أفراد الجيش المغربي المخيم بعين المكان. والشابت أن تلك المجزرة ارتكبت عن قصد وسبق إصرار بهدف إرهاب المغاربة. لأن القنصل الفرنسي كان قد اتفق مع مولاي الأمين على أن يلتجئ السكان المخائفون إلى السور الجديد، ولما تجمعوا هناك بلا نظام هارين من قنابل البوارج الحربية، ووجهت تلك البوارج مدافعها نحو السور الجديد فأحالت جمعهم إلى ركاب من الجثث (التدخل الأجنبي والمقاومة، 261-262).

ع. الرحمن بن زيدان، *إتحاف*، الجزء الأول: ع. الحديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، 1991.

G. Bourdon, *Ce que j'ai vu au Maroc, les journées de Casablanca*, Paris, 1908.

علال الحديمي

**سورية والمغرب.** سبقت سورية المغرب إلى التحرر، إذ ألغى الانتداب الفرنسي عليها سنة 1941 والحرب العالمية الثانية مازالت مستعرة، وتم استقلالها بجلاء الجنود الأجنبية عن ترابها سنة 1946. وقد عملت سوريا مع الدول العربية المستقلة الأخرى آنذاك على تأسيس جامعة الدول العربية (7 ربيع الثاني عام 1364 / 22 مارس 1945) ولما استقل المغرب بمقتضى التصريح المشترك المغربي الفرنسي الذي وضع حداً للحماية الفرنسية على المغرب (18 رجب 1375 / 2 مارس 1956) يادر محمد الخامس بالانضمام إلى الجامعة العربية وربط علاقات دبلوماسية مع الدول العربية المستقلة، ومنها سورية الشقيقة، ووقع تبادل السفراء بين البلدين منذ البداية.

سارت العلاقات المغربية السورية سيراً طبيعياً طوال العقود الماضية رغم ما كان يخيم عليها من ظلال بسبب قضية تحرير الأراضي العربية وإشكالية قيام الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف والممارسات العدوانية الإسرائيلية.

وبهذا الصدد يمكن القول إن هناك تطابقاً في وجهات النظر بين المغرب وسورية تجاه هذه الثوابت التي ينبغي أن تحكم العمل العربي المشترك، وتبايناً غير معلن في أدوات الإنجاز وكيفية التعاطي مع ما يستجد بخصوص القضايا المطروحة.

المغرب وسورية كانا ولازالا يلتقيان على أرضية واحدة لا بديل عنها بالنسبة للصراع العربي الإسرائيلي، وتتمثل في تنفيذ قرارات الشرعية الدولية، وهو مطلب سوري ومغربي لا يلين، فيما تظل الجوانب الإجرائية لتحقيقه موضع تباين في المواقف بين البلدين الشقيقين.

ناهيك عن قيام الجنود المغاربة مع نظرائهم في الجيش السوري، وخوضهم لمعارك حرب رمضان 1393 / أكتوبر 1973 في سبيل إجلاء الجيش الإسرائيلي المحتل عن مرتفعات الجولان السورية، وهي المعارك التي أبلى فيها المغاربة البلاء الحسن في القتال بشجاعة قل نظيرها، والاستشهاد إلى جانب إخوانهم السوريين كما تدل على ذلك أضرحتهم في مقبرة الشهداء قرب العاصمة السورية.

وبعد فتور خيم على العلاقات بين البلدين على إثر قيام المغرب باسترجاع صحرائه بعد انسحاب الإسبان منها ومعاكسة الجزائر له، وتباين مواقف الدول العربية، عرفت العلاقات المغربية السورية تطورات سعيدة خلال السنتين الأخيرتين.

شكلت زيارة الرئيس بشار الأسد إلى المغرب في أبريل 2001 بدعوة من جلالة الملك محمد السادس محطة رئيسية لتعزيز العلاقات المغربية - السورية في مختلف الميادين، وتوجت بالتوقيع على اتفاقية إنشاء لجنة عليا مغربية سورية مشتركة برئاسة الوزيرين الأولين في البلدين.

وأعطت الزيارة دفعا قوياً للتعاون بين البلدين، حيث تلتها حركة دؤوبة للوفود المغربية باتجاه سورية، توجت بزيارة الوزير الأول لها على رأس وفد وزارى هام، وذلك في إطار انعقاد الدورة الأولى للجنة المشتركة العليا في دمشق بتاريخ 21 أكتوبر 2001 بمشاركة رجال الأعمال المغاربة.

وقد اختتمت أشغال هذه الدورة بالتوقيع في 23 أكتوبر 2001 على أربعة عشر اتفاقاً وبرنامج تنفيذي ومذكرة تفاهم بالإضافة للاتفاقية المتعلقة بإنشاء اللجنة المشتركة العليا التي كان قد وقع عليها بفاس بتاريخ 11 أبريل 2001، أما بقية الاتفاقيات والبرامج فهي كما يلي دون ترتيب :

- اتفاق إنشاء مجلس رجال الأعمال السوري - المغربي.  
- اتفاقية حول تشجيع وحماية الاستثمارات وملحقها.  
- مذكرة تفاهم بشأن إقامة منطقة تجارية حرة.  
- اتفاق تعاون بين المركز المغربي لإنعاش الصادرات والمركز السوري للتجارة الخارجية.  
- اتفاق تعاون في مجالات التشغيل والعمل والتنمية الاجتماعية.

- البرنامج التنفيذي لاتفاق التعاون السياحي.

- اتفاق للتعاون العلمي والفني في مجالات المواصفات والمقاييس ومراقبة الجودة ومنح شهادات المطابقة بين مصلحة المواصفات الصناعية المغربية وهيئة المواصفات والمقاييس العربية - السورية.

- مذكرة تفاهم للتعاون في مجال الصحة والعلوم الطبية.

- اتفاقية في مجال الصحة البيطرية.

- برنامج تعاون علمي وفني في المجال الزراعي.

- مذكرة تفاهم في مجالات النقل المختلفة بين وزارة النقل والملاحة التجارية المغربية وبين وزارة النقل في الجمهورية العربية السورية.

- اتفاق بين حكومة المملكة المغربية وحكومة الجمهورية العربية السورية بشأن الاعتراف المتبادل برخص السياقة.

- اتفاق التعاون في مجال حماية البيئة بين البلدين.

- اتفاق تعاون في مجال إعداد التراب والإنشاء والتعمير بين البلدين.

وقد عرفت المبادلات التجارية بين المغرب وسورية في السنوات الأخيرة نمواً ملحوظاً، حيث يستورد المغرب من سورية القطن وخيوط النسيج والتوابل والمواد المنجمية، فيما يصدر إليها مصبرات السمك والأسمدة والعطور... وستعزز العلاقات أكثر بين البلدين الشقيقين بالزيارة التي قام بها جلالة الملك محمد السادس لسورية في شهر يونيو 2002 والتي تؤكد اتجاه نية البلدين إلى مرحلة جديدة من العلاقات تُقدم فيها المصالح الأتنية المتبادلة على الاعتبارات الجيوسياسية التي حكمت السياسة الخارجية للبلدين والعلاقات بينهما خلال حقبة من الزمن. ويتنظر أن تكون الترسانة الدبلوماسية والقانونية التي تم ويتم توقيعها وإقرارها من قبل المسؤولين في البلدين حافزاً مساعداً على تطوير العلاقات الأخوية القائمة بين المملكة المغربية والجمهورية العربية السورية من أجل الوصول بها إلى المستوى المطلوب.

عباس بوازة السني

**سوريكا** (Souriga) مدينة قديمة حدد بطليموس موقعها على خط طول 8 وخط عرض 29 بين أس أوسادبون ونخر أونة.

وهي تطابق حسب تيسو موقع قوية الموجود على نهر تيديسي، على بعد سبعة أميال إلى الجنوب من رأس مسيح. ويشكل وادي تيديسي ما يشبه واحة في هذا الساحل الجذب.

Ptolémée, *Géographie*, IV, 1, 2 : Tissot, *Géographie comparée de la Mauritanie Tingitane*, p. 253.

عبد العزيز بل الفايدة

السوري، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Suri أو Soriano نسبة

إلى مدينة صوريا Soria شمال إسبانيا، منهم المهدي السوري بن محمد زاول خطة العدالة سنة 1171 (1758). وكان فريق منهم بتطوان عام 1284 / 67. 1868 يقطنون حي "المظفر" ويوجد منها بقية في بني زيات الغمارية إلى الآن، منهم الفقيه المقرئ محمد السوري.

ج. داود، *عائلات تطوان*، مخطوط؛ م. ابن عزوز حكيم، *كناف أسا، عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999*، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1407.

محمد ابن عزوز حكيم ومحمد بوخيرة

**سوس**، مصطلح جغرافي قديم في المغرب. وهو أيضا من المصطلحات التي ما يزال مدلولها اللغوي غامضا، فجل الدراسات التي اهتمت بسوس، لم تشر إلى الجانب الطوبونيمي للمصطلح إلا بشكل عرضي، الشيء الذي يجعل البحث في هذا الباب تكتنفه صعوبات جمة.

وعندما تقوم بتتبع كلمة "سوس" في المكان، فإن أول ملاحظة يمكن الانتباه إليها هي تكرارها في مناطق عديدة خارج المغرب. حيث نجدتها في كل من تونس (سوسة) والنيجر (أوس) وتشاد... كما نجدتها في إيران. فقد ذكر البكري (ق. 11) أن "السوس بضم أوله ويسين مهمله أيضا في آخره، وهو مدينة الأهواز في قديم الدهر..." (البكري، معجم... ص. 767) وهو أيضا "بلدة من بلاد خوزستان..." (الحصوي، معجم البلدان... ص. 280 / 282).

ويربط اللسانيون انتشار هذا المصطلح الجغرافي، باللغات الحامية / السامية Chamito-sémitiques، التي نقلتها شعوبها بين الشرق والغرب، تاركة بصاتها وأثارها على أسماء الأماكن الجغرافية التي مرت منها أو التي استقرت بها. وكلمة "سوس" التي يرجع جذرها اللساني (S.S) إلى الأصل الحامي/السامي تعني شيئا مسطحاً (J. Pérugia) أي الأرض السهلة التي تنعدم فيها التضرسات. وإن كلمة ssu تعني "سطح" plat. وهذا المدلول هو ما تطابقه الكلمة، في أغلب المناطق التي تطلق عليها. ففي جنوب فرنسا تم إحصاء كلمات عديدة من نفس عائلة "سوس" وهي sus, souss, suse... وكلها تطابق عموما سهلا قابلا أن يسقى، وهو ما تطابقه في المغرب، وتونس، والنيجر والتشاد. أما في الأهواز، فقد أشار البكري إلى أن "السوس [...] بالفارسية شوش أي جيد..." (معجم... ص. 767). وأضاف ياقوت الحموي (ق. 12-13) أن "السوس تعرب الشوش [بالفارسية] بنقط الشين ومعناه الحسن والنزه والطيب، واللطف" (معجم... ص. 280 / 281).

ونجد أن المناطق السهلية الساحلية بالمغرب والمعروفة بتماسنا، كان يطلق عليها "السوس" (البيان، ج. 1 : 6).

إن هذه الأوصاف (الجيد، الحسن، النزه، الطيب) التي قدمها لنا هؤلاء الجغرافيون القدامى، عن المكان الذي يطلق عليه "السوس"، ينطبق على الأراضي السهلية، والجيدة.



والخصبة، والطبية. كما أن ما قدمته لنا الدراسة اللسانية يدل على أن هذه الكلمة، تأخذ مضمونها يطابق الأراضي السهلية. وبين لنا الرصد الجغرافي لكلمة "سوس" أن العنصر المشترك بين المناطق التي تطلق عليها هذه التسمية هو كونها مجالا سهليا. ولم نعثر من خلال جرد للمناطق التي تحمل اسم "السوس" على ما يدل على أنها غير سهلية وغير خصبة، وأن أغلب الجغرافيين يجمعون على أن تلك المناطق هي أراض جيدة، وخصبة.

يمكن أن نخلص الآن إلى القول بأن كلمة "سوس" - اعتمادا على هذه المعطيات السابقة، اللسانية، والجغرافية والتاريخية - تعني "السهل الجيد" كمصطلح جغرافي. ومع ذلك، ليس في وسع الباحث، إلا أن يطمئن اطمئنانا أوليا لهذا الاستنتاج، إذ يتعذر علينا أن نحسم بشكل مطلق، في مثل هذه الدراسة التي تتطلب وسائل معرفية وعلمية أخرى، لم تكن دائما سهلة المثال.

وكلمة "سوس" من المصطلحات التي لها حمولة تاريخية عميقة، حيث واكبت التاريخ المغربي، منذ بدايته إلى الآن. وعرفت تحولات في المكان، من حيث الامتداد والانكماش الجغرافيين، وتغيرات من حيث الاسم، من السوس الأقصى إلى السوس الأدنى. هذه التحولات والتغيرات ميزت مصطلح "سوس" عن باقي المصطلحات الجغرافية المغربية الأخرى.

في الفترة القديمة، اهتم الجغرافيون القدامى بالسواحل المغربية منذ رحلة حانون. وتركوا لنا معلومات نادرة عن القبائل والمدن والأنهار المغربية في العهد القديم. ويعتبر الجغرافيين والمدن والأنهار المغربية في العهد القديم. ويعتبر الجغرافيين القدامى الذين تركوا لنا بعض المعلومات عن المنطقة الجنوبية، فقد أشار بلين، إلى استقرار أتوتولول Autoioles في ساحل موكادور (الصويرة) أمام الجزر الأرجوانية (Iles purpuraires) (Le Maroc... p. 259). ثم في منطقة سوس بين روسادير Rusaddir (Agadir) وواد سوس [Quosemun] ثم دفعوا بعيداً إلى جوار السود (Aethiopas).

لم نعثر في هذه النصوص القديمة على أية إشارة واضحة إلى كلمة "سوس". لكننا نجد Pline قد أشار إلى نهر سوس الذي سماه (Flumen-Quosemun). هل يمكن القول إن كلمة "قوسينوم" Quosenum هي فقط تحريف بسيط للكلمة المحلية سوس؟ أم أن كلمة "سوس" هي التي انحرفت عن الأولى؟

إننا إذا ألقينا نظرة، على أغلب أسماء الأنهار الأخرى المغربية، كما ذكرها بلين Pline، نجدها لا تبتعد كثيرا من الناحية الصوتية عن الأسماء التي تحملها حاليا. منها Molochath (ملوية) Lixus (لكوس) Sububus (سببو) Quosémus (تانسيفت) (Thouvenot, La côte...) وMasatat (ماسة) Darat (درعة). كما أن أغلب أسماء المناطق التي

توجد بها هذه الأنهار أخذت من أسماء أنهارها، مما يؤكد أن كلمة "سوس" بدورها قد تكون مشتقة من اسم النهر "Quosemun". وقد أشار مارمول (ق. 16) إلى ذلك بقوله: "اتخذ إقليم سوس اسمه من نهر هو أكبر أنهار بلاد البربر في جهة الغرب... (مارمول، إنترقيا...، ص. 33). واعتمادا على مصادر العصر الوسيط، أشار ماسينيون Massignon إلى أن "...اسم سوس مشتق من اسم نهر سوس" (Massignon, Le Maroc... p. 193).

وبخصوص قوسينوم "Quosemun" فإننا لم نجد في المصادر التي جاءت بعد الفترة القديمة، أية إشارة إلى هذه الكلمة، باستثناء ما انفرد به ياقوت الحموي (ق. 12) إذ يقول: "والسوس أيضا: بلد في المغرب كانت الروم تسميها قمونية... (الحموي، معجم...، ص. 280 / 281). هل لكلمة قوسينوم "Quosemun" علاقة مع كلمة "قمونية" الواردة عند ياقوت الحموي؟

إن ندرة المصادر في هذه النقطة، تجعلنا نتحفظ في تأكيد وجود علاقة ما بين الكلمتين. غير أنه من الممكن القول: إن الحموي اعتمد على معطيات معينة لتأكيد قوله. وإن الشيء المؤكد عندنا هو أن الحموي يعرف معرفة جيدة أن "للروم" علاقة بسوس وأن لهم اسما خاصا بهم لسوس وهو "قمونية". هذه المعطيات تسمح لنا بالقول بأن كلمة "قمونية" قد تكون تحريفاً لـ "Quosemun" الواردة عند بلين Pline.

في العصر الوسيط، نجد أن المصادر العربية تشير إلى كلمة سوس، بنوع من الإسهاب. فقد أشار ذ. عمر أفا إلى معظم المؤلفين العرب الذين تحدثوا عن سوس في العصر الوسيط (مسألة...، ص. 66). ونستنتج من ذلك أن أغلب نصوص أولئك المؤلفين حول سوس تتشابه وتكرر. ونستنتج أيضا أن مصطلح "السوس" كان يشمل المغرب تقريبا، من وراء طنجة إلى درعة، ومن غرب سجلماسة إلى البحر، ومن تلمسان إلى سجلماسة. وهذا المجال الواسع لم تتفق حوله كل النصوص، ولكنه يشكل الحد الأقصى لسوس في النصوص الوسيطة. وتشير كذلك إلى السوس الأدنى والسوس الأقصى. فالسوس الأدنى يمتد من الشمال خلف طنجة، وتامسنا... إلى نواحي مراكش. أما السوس الأقصى فهو يمتد في ما وراء مراكش إلى مصب درعة، وتوصل أحد الباحثين إلى نفس الاستنتاج قائلا: "كان اسم السوس يطلق في العصور الوسطى على جميع البلاد التي تمتد جنوب مراكش بين المحيط ووادي درعة. والقسم الشمالي يسمى غالباً بالسوس الأدنى والآخر بالسوس الأقصى (شبانة، الدولة الموحدة...، م. البحث العلمي، ص. 144).

هذا هو امتداد سوس في العصر الوسيط كما تورده النصوص. وسيعرف تغييرات كبيرة في العصر الحديث. وأما في العصر الحديث، فنجد أن النصوص تتجه نسبياً إلى تحديد أكثر دقة وأقرب إلى واقعه الحالي. ففي بداية القرن التاسع (15 م) أصبح مصطلح سوس

ينطبق فقط على ما سمي في القرن الماضي بالسوس الأقصى. "ويبدو أن مصطلح السوس الأدنى - الذي كان يشمل شمال المغرب مع إدخال طنجة كعاصمة - قد عوض بمصطلح الغرب" (Meunié, *Le Maroc*, T. 1, p. 338). ولذلك فإن أغلب النصوص الحديثة، ستتحدث عن السوس الأقصى، وأن السوس الأدنى سيختفي مؤقتاً قبل أن يعود في القرنين السابع عشر والثامن عشر، ليشمل فقط القسم الشمالي لسوس بين واد سوس إلى واد والغاس. أما الحسن الوزان (ق. 16) فهو يحدد سوس فيما وراء جبل درن، ويقول: "تأحية سوس الواقعة وراء الأطلس إلى جهة الجنوب، المقابلة لبلاد حاحة أي في أقصى إفريقيا، تبندئ غرباً من المحيط، وتنتهي جنوباً في رمال الصحراء وشمالاً في الأطلس عند حدود حاحة، وشرقاً عند نهر سوس الذي سميت به هذه الناحية" (الوزان، وصف... 113).

وفي نفس الفترة كتب إبراهيم بن علي الحساني (ق. 16) "ديوان قبائل سوس"، حدد فيه ضمناً حدود سوس الأقصى حسب القبائل التي أحصاها الديوان، وهي تمتد "من السفوح الجنوبية للأطلس الكبير إلى وادي درعة ومن رأس الواد إلى المحيط الأطلسي" (الحساني، ديوان... ص. 11). وهو تحديد لا يختلف كثيراً عن التحديد الذي وضعه الحسن الوزان. ولاشك أن هذا التحديد هو الذي استمر طيلة القرنين السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر على الأقل، لدى الجغرافيين ولدى المخزن كذلك.

أما في القرن الثاني عشر (18 م)، فهناك مصدر مهم،

أشار إلى سوس بشكل واضح فيه حدوده وأقسامه: وهو رحلة الوافد لصاحبه عبد الله ابن إبراهيم التاسفتي (18/12)، فهو يقول: "وعدد ما في سوس الأقصى والأدنى والمغرب والفاتحة إلى أرض الصحراء وبلاد الأندلس كله بل إفريقيا كلها من الفراسخ ثلاثة آلاف فرسخ طولاً على ما قاله صاحب الجغرافية. كما عد ذلك في الجزء السادس منها قائلاً: "وبين بلاد نول من سوس إلى أرض جناوة مسيرة ثمانين يوماً (...). وعرض سوس من جبل درن في الشمال إلى مدينة نول في الجنوب ثمانون فرسخاً ومن الأيام ثمانية أيام...". (التاسفتي، رحلة... ص. 165).

ومن خلال هذا النص، نجد أن حدود سوس تتخذ مجالا جديداً، تمتد فقط "من جبل درن في الشمال إلى مدينة نول في الجنوب" على أبواب الصحراء، فلم يشر التاسفتي إلى المجال الذي يحتله سوس في القرون السابقة في شمال وادي العبيد، مما يدل على أن مجاله قد تقلص ليقترب من مجال المنطقة الجنوبية التي يحتلها حالياً. ويقدم لنا هذا المؤلف نصاً آخر يبين فيه حدود قسيمي سوس: السوس الأقصى والسوس الأدنى فيقول: "...وببلاد سوس عندهم على قسمين: سوس الأقصى وسوس الأدنى، فالأقصى من بلاد ماسة قرب تارودانت، وهو على يمين القبلة من جبل درن إلى أن ينصل بأرض الصحراء، والأدنى من وادي العبيد قرب مراكش إلى ماسة" (رحلة... ص. 195). وتلاحظ أن سوس الأقصى قد اتخذ حدوده النهائية في نهاية القرن الثاني عشر (18 م)، بينما مازال السوس الأدنى يشمل جزءاً شمال جبل

جدول يبين التطور التاريخي لمصطلحي المغرب وسوس

المصطلح	العصر الوسيط	الفترة الحديثة	الفترة المعاصرة
المغرب	يشمل مصطلح المغرب أثناء الفتوحات الإسلامية رقعة جغرافية واسعة غرب الإسكندرية. بعد ذلك أخذ يطلق فقط على ما يشكل حالياً الجزائر والمغرب. - ياقوت الحموي (ق. 13) يطلق المصطلح على المناطق التي يعيش فوقها البربر وأحياناً المغرب الحالي. (ذ. ع. العروبي، أصول، 59-57).	ق. 16 أصبح مصطلح المغرب يقتصر فقط على المغرب بعد تقسيمه إلى منطقتين: منطقة خاضعة للأتراك ومناطق خاضعة للدولة الشريفة. ويتكرر في النصوص مصطلحا: - المغرب الأدنى - المغرب الأقصى (نفس المصدر).	المغرب أصبح يطلق بوضوح على المغرب الحالي وأن المغاربة يعرفون أنفسهم بـ"أرياب المغرب"، ويتكرر أحياناً المغرب الأقصى. ع. العروبي، أصول، 59-57.
سوس	يشمل مصطلح سوس مناطق واسعة تكاد تقارب المغرب كله. أبوحيان التوحيدي يجعل سوس تمتد من طنجة إلى تلمسان وسجل ماسة نحو الصحراء، وينقسم إلى سوس الأدنى وسوس الأقصى. هذه المعلومات يكررها الجغرافيون العرب طيلة هذه الفترة.	ق. 16 أصبح سوس يشمل مناطق ما وراء جبل درن إلى الصحراء. وتكرر النصوص سوس الأدنى وسوس الأقصى. (الحسن الوزان، مصادر العصر الحديث) النصوص المخزنية تتحدث عن أهل سوس.	استقر مصطلح سوس. وأصبح يطلق على سوس الحالية. ويطلق سوس الأدنى في القسم الذي يمتد من واد سوس إلى واد ماسة، بينما يطلق سوس الأقصى من واد ماسة إلى واد نون والصحراء.

درن لكنه يمتد إلى وادي ماسة (والغاس) وهو الحد الذي اتخذته في نهاية القرن الثامن عشر، وبداية القرن التاسع عشر. وهو ما حدده المؤرخ السوسي المخضرم محمد الإكراري القرن الثالث عشر (19. 20 م) بقوله : "سوس الأقصى من وادي أولغاس إلى الساقية الحمراء" (روضة... ص. 61).

أما السوس الأدنى، فنجد أنه يتأرجح بين الجزء الشمالي لسوس مع جزء آخر شمال جبل درن، ويمكن تفسير ذلك بالتقسيم الإداري الذي نجده عند المخزن الإسماعيلي في النصف الثاني من القرن الحادي عشر والنصف الأول من القرن الثاني عشر (17. 18 م). حيث نجد أن سوس أصبح ينضوي تحت إقليم مراكش الذي يشمل : دكالة، حاحا، أكلالة، زانبي، وطاطا. هذا رغم أن الزباني يشير إلى إقليم سوس قاتلا : "...وفي عام عشرة ومائة وألف (1110) (...) ولي (المولى إسماعيل) على إقليم السوس ولده محمد العالم..." (البيستان... ص. 41).

في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، أصبحت الوثائق الرسمية والنصوص تتحدث عن سوس وراء جبل درن، إلى أبواب الصحراء، بقسميه : الأدنى الذي يمتد من جبل درن ورأس الواد، إلى واد والغاس، والأقصى الذي يمتد من واد والغاس إلى الصحراء. ونجد هذا التمييز بين السوسين حتى في المراسلات المخزنية، الشيء الذي لم يكن معهوداً في ما قبل. ففي مراسلة المولى يزيد المؤرخة في ديسمبر 1205 / 1790 يقول : "من عبد الله أمير المؤمنين محمد المهدي اليزيد الحسيني كان الله له أمين سلطان فاس ومراكش وتافيلالت ودرعة وسوس الأقصى وسوس الأدنى وسائر ممالك المغرب..." (Arribas, Cartas, p. 122).

وعندما ستظهر إمارة تازروالت من جديد سنة 1810 سيتكرس هذا التقسيم، حيث سيكون السوس الأدنى قسماً تابعاً للمخزن، بينما سيكون السوس الأقصى تابعاً لسيد هاشم. وسيستمر هذا التقسيم فيما بعد. ففي رسالة السلطان المولى عبد العزيز المؤرخة في 10 صفر 1321 / 8 ماي 1903 خاطب المخزن أعيان جنوب أولغاس بقواد سوس الأقصى، وفي وثيقة أخرى جاء : "وبعد فقد اتفق عمال سوس الأقصى كافة، عربيها وعجمها، من حد وادي نول إلى وادي والغاس على..."

تخلص إلى القول إن مفهوم سوس قد انتقل من الدلالة على مجال واسع، يمتد في العصر الوسيط من طنجة شمالاً إلى تامسنا إلى جبل درن، وفي الفترة الحديثة، يمتد إلى ما وراء جبل درن حتى الصحراء. ثم انقسم إلى قسمين : السوس الأدنى والسوس الأقصى، ليشمل في القرن الثامن عشر المجال الذي أنشأنا إليه سابقاً، وهو المجال الذي تشمله هذه الدراسة التي نحن بصدها : سوس والمخزن في القرن الثامن عشر.

ولكن ما هي الأسباب التي جعلت مصطلح "سوس" يتخذ هذا البعد ويشمل القسم الأكبر من المغرب ؟ وما هي العوامل

التي جعلته يتفصل ليشمل القسم الجنوبي من المغرب، ويتخذ صفة سوس الأقصى ؟

أليست هناك علاقة بين تطور مصطلح سوس وتطور مصطلح المغرب ؟

إن وضع تقابل بين التطور التاريخي للمصطلحين يعطي الانطباع بأن هناك تزامناً وتساوياً في التطور. فتطور مصطلح المغرب - كما عرضه ذ. العروي - كان يشمل مناطق شاسعة من شمال إفريقيا، قبل أن يتقلص مجاله ليشمل المغرب فقط، ويتخذ صفة "الأقصى". وهو ما عرفه مصطلح سوس تقريباً.

ويبدو من خلال هذه المقارنة، أن المصطلحين عرفا نفس التطور التاريخي. فبقدر ما يتقلص المجال الذي يشمل مصطلح المغرب في شمال إفريقيا ليستقر مدلوله في القسم الغربي للمنطقة، بقدر ما يتراجع مصطلح سوس بدوره ليشمل المناطق الجنوبية نحو الصحراء.

إن هذا التلازم يعطي الانطباع بأن مصطلح سوس كان يطلق على المغرب في فترة زمنية محددة. لكننا لا نستطيع التأكد من ذلك من دون الاعتماد على علوم أخرى مساعدة كالحفريات واللسانيات المقارنة.

ع. أفا، مسألة النفود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر (سوس 1822.1906)، الدار البيضاء، 1988 : أ. البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، الجزء الثالث، تج. مصطفى السقا، ط. 3، 1983 : ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الثالث، بيروت، 1979 : ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، الجزء الأول، بيروت، ط. 2، 1980 : مارمول، إفريقيا، تر. م. حجي وم. زبيسر، الجزء الأول، الرباط، 1984 : شبانة عمر كسال، الدولة الموحدة وأعمالها في تاريخها، مجلة البحث العلمي، عدد 21/20 السنة العاشرة، 1972/1973 : ح. الوزان، وصف إفريقيا، تر. م. حجي وم. الأخضر، الجزء الأول، بيروت، ط. 2، 1983 : الحساني إبراهيم، ديوان قبائل سوس، تج. ع. أفا، الدار البيضاء، 1989 : ع. الله ابن إبراهيم التاسفتي، رحلة الوائد، لحظات من تاريخ أدرار ن درن (أطلس مراكش) وسوس في القرن 18/12، تج. علي صدفي أزيكوكو، الرباط، 1992 : م. الإكراري، روضة الإفئان، تج. أنوش حمدي، د.د.ع، الرباط، 1989 : أبو القاسم الزباني، البيستان الظريف، مخطوط، خ. ع. د 1577.

Jean del Pérugia, *Noms de lieu d'origine berbère dans le sud-ouest de la France, H.T.*, vol. XVIII, fasc. unique, 1978-1979 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, 1943, 24 ; *La côte océanique du Maroc, ce qu'en ont connu les anciens*, Séance du 29 avril 1949, p. 8 pub. services des antiquités du Maroc, s. d. ; D.J. Meunié, *Le Maroc saharien des origines au XVI<sup>e</sup> siècle*, 1982, tome 1 ; L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du XVI<sup>e</sup> siècle*, Alger, 1906 ; Arribas Palau Mariano, *Cartas arabes de Marruecos en el tiempo de Maulay Al Yazid (1790/1792)*, Tetuan, 1961.

محمد خنداين

**سوس**، منطقة بأقصى بلاد المغرب. ترد هذه الكلمة

مُعرِّفةً (السوس) كلما تعلق الأمر باستعمالها بمعنى إقليم، في حين تسقط ال الشمسية عنها كلما تعلق الأمر بالحديث عن النهر الذي يخترق الإقليم، أي وادي سوس. ويغلب على الظن أن تاريخ استعمال لفظة سوس بدون تعريف للدلالة

بلاد جلييلة قد تضاف إلى السوس وقد تضاف إلى سجلماصة (تقويم البلدان، 130). ومعنى ذلك أن سلجماصة ليست من السوس كما زعم كل من الزهري وابن سعيد الغرناطي في الرواية الواردة أعلاه.

كما يشمل السوس الأقصى الصحاري الواقعة إلى الجنوب منه في اتجاه بلاد السودان. قال ابن الفقيه إن بلاد أنبية، التي هي عنده صحرا، لمتونة، من السوس الأقصى. وقال بأنها مسيرة سبعين ليلة في براري ومفاوز (مختصر كتاب البلدان، 64 و81) وعليه، فإن ما أصبح يعرف في العصور الحديثة ببلاد شنقيط هي من السوس الأقصى. وشنقيط في الأصل تطلق على مدينة من مدن أدرار، واقعة فوق جبل، في جهة غرب الصحراء الكبرى، ثم سمي به الفطر كله، فصار من باب تسمية الشيء باسم بعضه (الوسيط، 422). وقد ناقش أحمد بن الأمين الشنقيطي في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) مسألة مغربية بلاد شنقيط وجزم بمغربية تلك البلاد وساق العديد من الحجج التي تثبت ذلك (الوسيط، 422 و424).

وذكر شارل دوفوكو أن لفظ سوس يطلق في شمال المغرب على المناطق الواقعة جنوب حوض واد سوس، في حين يطلق هذا اللفظ عند المحليين على المناطق الواقعة في حوض هذا الوادي (124). *Reconnaissance*. وميز J. Meunié في هذا المجال بين ثلاثة نطاقات متباينة من الناحية الهيدروغرافية والنباتية وهي النطاق الأطلنטיكي والنطاق الصحراوي لجبال الأطللس الصغير ثم نطاق جبال باني والسياسب المجاورة لها (15). *Groniers citadelles*.

يُحد السوس الأقصى، حسب ما ورد في المصادر الجغرافية القديمة، بالبحر الأعظم في المغرب، وبالصحراء المتصلة ببلاد لمتونة التي تتصل ببلاد زناتة في المشرق وبجبل الذهب ببلاد السودان في الجنوب، وبالجبل الأعظم المسمى بجبل درن في الشمال (الجغرافية، 113 و117) و*تحفة الملوك*، 177 من خلال *Fagnan. Extraits* والقرطاس، 157).

ذكر المقدسي أن قصبة السوس هي طرفانة ومن مدنها أغمات وبلا وريكة تدلي ماسة وغيرهن (أحسن التقاسيم، 221). وذكر البكري من قواعد السوس المهمة مدن إيجلي وماسات وتامدلت ونول لمطة (المسالك والممالك، 2/ ف 1425) وذكر ابن سعيد الغرناطي أن بالسوس من المدن تارودانت وهي قاعدته وتافريست وهي الآن خربة (تحفة الملوك من خلال 18 - 19). *Fagnan. Extraits* كما أكد ابن سعيد المغربي أن قاعدة السوس في زمانه هي تارودانت (الجغرافيا، 124). وذكر ابن الوردي أن بالسوس الأقصى مدنا عظيمة أشهرها تارودانت (خرينة العجائب، 17، 18). وقال ابن خلدون إن قصور الصحراء بالسوس من اختطاط زناتة تماما كما هي الحال مع قصور توات وقصور جودة (العبر، 6: 78).

أشتهرت السوس بإنتاج كميات وفيرة من التمر في

على الإقليم يعود إلى القرن السابع (13 م)، كما في المعجب الذي يستعمل تسمية : سوس الأقصى، وأقصى سوس للدلالة على ما كان عند غيره بالسوس الأقصى (المعجب، 337 و483 و489) واستعملت هذه اللفظة بمعاني كثيرة في كتب الجغرافيا وكتب التاريخ. فقد سمي الزهري القسم الغربي من بلاد المغرب باسم السوس الغربي وقال إن من مدنه مدينة تاهرت (الجغرافية، 113) ولم يشر في تقسيمه لأقاليم بلاد المغرب إلى المغرب الأوسط، وقال إن بلاد المغرب ثلاثة أصقاع هي : صقع إفريقية وصقع المغرب الأقصى وصقع السوس الأقصى (الجغرافية، 117). واعتبر المقدسي السوس كورة بأقصى المغرب تارة ومدينة بأوله تارة أخرى (أحسن التقاسيم، 221) وهو ما ذهب إليه القلقشندي حين جعل موقع مدينة السوس حيث الطول 8° والعرض 26°، وقال إنها على طرف من البر داخل في البحر أربعين ميلا، ومن جانبها الشسالي نهر يأتي من المشرق من جبل لمطة (صبح الأعشى، 5: 169 و170).

ميز الكثير من المؤرخين القدماء في السوس بين منطقتين هما : السوس الأدنى والسوس الأقصى، وخير من عبر عن ذلك ابن عساري حين قال : "وإذا جزت سلا، وأخذت على ناحية الجنوب تركت مغرب الشمس يمنة، وأخذت منها قافلا إلى القبلة، فتسمى تلك البلاد بلاد تامسنا، ويقال لها أيضا بلاد السوس الأدنى، وحدها إلى جبل درن" (البيان، 1: 5 و6). أما السوس الأقصى فيشمل كل ما يقع إلى الجنوب من جبل درن، ويتصل ببلاد الصحراء إلى بلاد السودان، ومنهم من كان يسمي السوس الأقصى ببلاد ماسة (البيان، 1: 5 و6) وأعمال الأعمال، 1 وفتح العرب للمغرب، 4 ومجتمع المغرب الأقصى، 1: 58).

يعود هذا التمييز بين السوس الأقصى والسوس الأدنى إلى فترة الفتوحات الإسلامية للمغرب الأقصى على الأقل. فقد ورد ذكر السوس الأقصى عند الرقيق القيرواني في معرض حديثه عن حملة حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع على المناطق الجنوبية للمغرب الأقصى. وسمى الرقيق القيرواني السوس الأقصى بالسويس الأقصى، وانفرد بذلك، وهو عنده مرادف لصحراء المغرب الأقصى التي هي صحراء الملتئمين (تاريخ إفريقية، 72 وابن عبد الحليم، 17). وعلى هذا فإن السوس الأقصى عند القدماء يشمل المناطق التي تقع إلى الجنوب من جبال درن، أي ما كان يعرف ببلاد القبلة بما فيها درعة وسجلماصة. قال الزهري : "وفي بلاد السوس من المدائن سجلماصة وتافريست وهي الآن خراب وكانت حاضرة وادي درعة، وفيه مدينة تارودانت وتاشكة وأتفركان ونول" (الجغرافية، 117) وهذا ما أكده أيضا ابن سعيد الغرناطي (تحفة الملوك، 177 من خلال *Fagnan. Extrait*). وقال أبو الغدا إن السوس يطلق على ما وراء جبل درن من جهة الجنوب إلى الصحراء. ومن المناطق التابعة له لمطة وقاعدتها أنون وتارودانت وبلاد درعة، وهي

العصر الوسيط. قال البكري : وهي كثيرة الفواكه، وربما بيع حمل التمر بها بثمان دون ثمن كراء الدابة من البستان إلى السوق (المسالك والممالك، 2 : 854 والروض المعطار، 71). وقال الزهري : والتمر أكثر فاكهتهم، ومن بلدهم كان يجلب إلى بلاد المغرب والأندلس وبلاد الروم (الجغرافية، 118 - 119) وقال الوزان إن تمر سوس غير جيد لأنه لا يحتفظ به طول السنة (وصف إفريقيا، 1 : 90).

كما اشتهرت السوس بإنتاج كميات وفيرة أيضا من قصب السكر، ومنها كان يحمل السكر إلى جميع بلاد المغرب في القرن الخامس (10 م) (المسالك والممالك، 2 : 853). قال البكري وقصب السكر أكثر شيء بها يحمل الرجل بربع درهم ما يؤذيه ثقله، ويعمل بها السكر كثيرا، وقنطار سكرها يباع بمشقالين وأقل (المسالك والممالك، 2 : 854 والروض المعطار، 71). وقال ابن الوردي إن قصب السكر الذي بالسوس ليس على وجه الأرض مثله طولاً وغلظاً وحلاوة، حتى قيل إن طول العود الواحد يزيد على عشرة أشبار في الغالب ودوره شبر وحلاوته لا يعادلها شيء، حتى قيل إن الرطل الواحد من سكره يحمل عشرة أرتال من الماء وحلاوته ظاهرة. ويحمل من بلاد السوس من السكر ما يعم جميع الأرض لو حمل إلى البلاد ويصل فاضله إلى أقصى خراسان (خريدة العجائب، 17-18 والروض المعطار، 329).

كما اختلفت السوس بإنتاج زيت أرگان، لأنه لا يوجد هذا الزيت في معمور الأرض إلا بها، وهم يأكلونه ويسرجون منه، ويبيعونه بأغمات ومراكش، وبالسوس أيضا غسل يعرف بالمناني يجنيه النحل من نوار شجر أرگان وقد سمي المختار السوسي هذا الغسل باسم الزمردى (الجغرافية، 118 - 119 وخلال جزولة، 164). وهي بلاد حنطة وشعير وأرز يمكن بأيسر قيمة، (الروض المعطار، 330).

واشتهرت بعض مناطق السوس بوفرة العنبر بها. قال الوزان ويوجد بماسة على شاطئ البحر العنبر الجيد يباع بأحسن الأثمان إلى التجار البرتغاليين والفاسيين لا يكاد يقل ثمن الأوقية منه عن مشقال (وصف إفريقيا، 1 : 90 - 93).

وبالسوس تصنع الدرق اللمطية التي تهدي إلى ملوك المغرب والأندلس، وهي من جلود حيوان اللبظ الذي لا يوجد إلا في هذا الصقع (الجغرافية، 118 - 119). ويصنع بها الحز العتيق، ويعمل بها الأكسية الرقاق، ومن الثياب ما لا يقدر أحد على عمله، ولنسائهم حذق بصناعات أيديهن (الروض المعطار، 329). واشتهرت إيجلي بإنتاج النحاس المسبوك الذي كان يتجهز به التجار إلى بلاد الشرق وبلاد السودان (المسالك والممالك، 2 / ف 1426 والروض المعطار، 71 و330).

والغالب على أهلها الجفاء، وغلظ الطبع، وهم أخلاط من البرابر والمصامدة، وزبهم لباس أكسية الصوف التفافا، ولهم

بشعرهم اهتمام يغسلونه بالحناء، في كل جمعة مرتين بريقين البيض والطين الأندلسي، ويأكلون الحمراد أكلا لما مقلبا وملوحا. وفي نسائهم جمال فائق، وحسن بارع (الروض المعطار، 329 و330).

ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ليدن، 1302 ؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة، 1991 ؛ البكري، المسالك والممالك، ج. 2، نخ. أدريان فان لوفن وأندري فيري، تونس، 1992 ؛ الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، نخ. ع. الله العلي الزيدان وعز الدين عمرو موسى، بيروت، 1990 ؛ الزهري، كتاب الجغرافية، نخ. محمد حاج صادق، الإسكندرية، د. ت. ؛ ابن عبد الحلیم، كتاب الأنساب، نخ. محمد يعلى، مدريد، 1996 ؛ ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، نخ. إساعيل العربي، بيروت، 1970 ؛ المراكشي، المعجب، تقديم ممدوح حقي، الدار البيضاء، 1978 ؛ ابن عذاري المراكشي، البيان، ج. 1، بيروت، 1983 ؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، نشر دوسلان، باريس، 1840 ؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وخريدة الغرائب، القاهرة، 1939 ؛ الفلقشندي، صبح الأعشى، ج. 5، القاهرة، د. ت. ؛ الحميري، الروض المعطار، نخ. إحسان عباس، بيروت، 1984 ؛ ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1970 ؛ ابن خلدون، العبر، ج. 7، بيروت، 1988 ؛ الوزان، وصف إفريقيا، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1982 ؛ الشنقيطي، الوسيط، القاهرة، 1958 ؛ المختار السوسي، خلال جزولة، تطوان، د. ت. ؛ حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، القاهرة، 1947 ؛ هاشم القاسمي العلوي، مجتمع المغرب الأقصى، فضالة، 1995.

E. Fagnan, *Extraits inédits relatifs au Maghreb*, Alger, 1924 ; Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc 1883 - 1884*, Paris, 1888 ; J. Meunier, *Greniers-citadelles au Maroc*, Paris, 1951.

حسن حافظي علوي

## سوس - ماسة - درعة (جهة)، إن جهة سوس - ماسة -

درعة بموقعها وسط المغرب، وبامتدادها بشكل مستعرض بين الساحل الأطلنطي والتخوم المغربية الجنوبية الشرقية، تشكل بالفعل مجالا انتقاليا تتداخل عنده خاصيات المغرب الصحراوي بمميزات المغرب المتوسطي طبيعيا وبشريا واقتصاديا.

### 1. التنظيم الإداري

#### 1.1 المكونات الإدارية

بناء على التقسيم الإداري الأخير الذي عرفته المملكة سنة 1997، أحدثت جهة سوس - ماسة - درعة لتشكل إحدى أهم الجهات التي تغطي التراب الوطني. تحدها من الشمال جهتا مراكش - تانسيفت - الحوز وتادلة - أزيلال، ومن الجنوب جهة كلميم - اسماة، ومن الشرق جهة مكناس - تافيلالت، ومن الغرب المحيط الأطلنطي. تمتد هذه الجهة على مساحة 70.653 كلم<sup>2</sup>، أي حوالي 9.9٪ من مجموع مساحة التراب الوطني. وتتشكل من الأقاليم التالية :

- إقليم أكادير - إداوتنان يغطي 3.2٪ من مجموع مساحة الجهة ؛

- عمالة إنزكان - أيت ملول تشغل حوالي 0.4٪ من هذه المساحة ؛

- إقليم شتوكة - آيت باها يغطي 4.9٪ ؛

- إقليم تزنيث يمثل 9.8٪ ؛

- إقليم نارودانت ويمثل 22.4٪ ؛

- إقليم ورزازات يغطي 27.8٪ ؛

- إقليم زاكورة يغطي 31.4٪ ؛

## 2.1 التقسيم الإداري

مجموع هذه الأقاليم السبعة المكونة للجهة تشكل من 20 دائرة، و212 جماعة قروية، و27 جماعة حضرية. وتتوزع هذه الدوائر والجماعات على النحو التالي :

الإقليم	عدد الدوائر	عدد الجماعات	
		الحضرية	القروية
أكادير - إداوتان	1	4	12
إنزكان - آيت ملول	1	3	3
شتوكة - آيت باها	3	2	20
تزنيث	5	4	40
نارودانت	5	7	82
ورزازات	3	5	32
زاكورة	2	2	23

2. جهة سوس - ماسة - درعة : تضاريس معقدة ومؤهلات طبيعية متنوعة

2.1 البنية والتضاريس : بنية جيولوجية معقدة وتضاريس شديدة التعرير

بنينا، يشكل ميدان الأطلس الصغير والميدان الأطلسي وما عرفه مجال اتصالهما من تطورات، العمود الفقري لجيلوجية وتضاريس جهة سوس - ماسة - درعة. وعليه فإن هذه الجهة تتركب من ثلاث وحدات تضاريسية كبرى متوازية هي الأطلس الصغير والأخدود الجنوب - أطلسي والسفح الجنوبي للأطلس الكبير الغربي والأوسط.

2.1.1 الأطلس الصغير : وحدة بنيوية قديمة

هذه الوحدة المرفبوتية هي عبارة عن تقيب كبير يمتد بين الساحل الأطلسي وتافيلالت، تطور عند قدم الدرع الإفريقي القديم، تعود تكويناته الصخرية إلى ما قبل الكامبري والزمن الأول. ونظرا لاتساع مجال امتداد هذه الوحدة وقدمها، فإنها تتميز بمظهر تضاريسي متنوع يجمع بين مظهر الكتل القديمة المشكلة من الأعراف والقسم الجبلية الحادة المتوافقة مع البروزات الصخرية البلورية والمتحولة، والمنخفضات المغلقة عند مختلف البهرات، وذلك إلى جانب العارضات الكوارتزيتية الطويلة والهضاب الكاربونانية التي تقطعها الأودية العميقة. وإذا كان الأطلس الصغير يتميز بنوع من التكتل عند قسمه الغربي، فإنه يعرف عند القطاع الشرقي تقطعا كبيرا نتج عن تأثير واد درعة وروافده الذي يعتبر النظام النهري الوحيد الذي يستطيع اختراق وحدة الأطلس الصغير من الشمال إلى الجنوب.

وبالقياس إلى الاستقرار البنوي الذي يميزه، وإلى قدم

تضاريسه، فإن الأطلس الصغير يتميز بارتفاعات متواضعة يصل أقصاها إلى 3.304 م عند كتلة سيروة البركانية التي تجعله يتقدم شمالا نحو الأطلس الكبير، ويقطع بذلك استمرارية الأخدود الجنوب - أطلسي المتوافق مع سهلي سوس وورزازات.

## 2.1.2 الأخدود الجنوب - أطلسي

لقد تطور هذا الأخدود على شكل بحر طويل بفعل نهديل مهم لحق بالهامش الشمالي لوحدة الأطلس الصغير. وينقسم هذا المر إلى منخفضين تفصل بينهما كتلة سيروة الشاهقة :

### أ - منخفض سوس

يشكل منخفض سوس في الواقع وهدة واسعة عند الهامش الشمالي - الغربي للأطلس الصغير، تطور على شكل مثلث منفتح على المحيط الأطلسي. عند قسمه الشمالي يتخذ مظهر سهل غريني منحصر بين قدمي الأطلسين الصغير والكبير ليشكل السهل المعروف بسهل سوس - ماسة، ويتحول في اتجاه الجنوب الغربي، أي جنوب واد ماسة، إلى هضبة حقيقية تعرف بهضبة تزنيث، وبسبب وضعه الطبوغرافي المنخفض فإن سهل سوس تمكن من تطوير غطاء ترابي غني، ومن استقطاب وخرن مياه المناطق الجبلية العليا الرطبة المحاذية له، الأمر الذي أهله لاحتضان قطاع زراعي مسقي كثيف.

وتسجل هذه الظروف الجيدة تدهورا واضحا في اتجاه الساحل بسبب سيادة التكوينات السطحية الرملية، وأيضا في اتجاه الجنوب بسبب تزايد حدة الجفاف وما يترتب عن ذلك من ندرة في الموارد المائية.

### ب - منخفض ورزازات

بشكل متماثل مع منخفض سوس وشرق كتلة سيروة، تطور منخفض ورزازات المعروف أيضا بسهل الخلا، وذلك على شكل بحر ضيق منحصر بين سفحي الأطلس الصغير الشرقي والأطلس الكبير الأوسط. وقد استقبل هذا المنخفض طمرا سميكا من المواد الغرينية الثلاثية والرباعية، تعرضت للقطع على شكل قادات وعناصر هضبية متدرجة، وذلك تحت تأثير عمل روافد أودية درعة وواد دادس وتودغة وغريس المنحدرة عبر السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط.

## 2.1.3 الأطلس الكبير : وحدة جبلية شاهقة

تغطي أراضي جهة - سوس - ماسة درعة قسما هاما من وحدة الأطلس الكبير، يتوافق مع السفح الجنوبي لوحدة الأطلس الكبير الغربي والأوسط.

يتشكل الأطلس الكبير الغربي من ركائز صخرية قديمة عسارة عن شست وحث وكوارتزيت من الزمن الأول، مع بروزات من الغرانيت وعناصر صخرية بلورية أخرى مرافقة. ويعتبر هذا القسم أعلى وحدات الأطلس الكبير بسبب حركة الرفع القوية التي تعرض لها عند هذا القطاع وجعلته يحتضن قمة تويقال الشهيرة الموجودة عند علو 4.165 م، وهي أعلى قم إفريقيا الشمالية.

فالأطلس الكبير يشكل شريطا رطبا يبلغ معدل ما يتلقاه من تساقطات مطرية 800 مم في السنة، ويتعدى هذا المعدل هذا الحد بكثير إلى حدود 1.200 مم عند المستويات الجبلية العليا عند كتلة توبقال وكتلة جبل مكنون. أما عند الأطلس الصغير، وبسبب تواضع ارتفاعاته وموقعه الجنوبي البعيد عن محرات اضطرابات النطاق المناخي المعتدل، فإن القطاعات الرطبة لا تشكل بداخله سوى مجالات منعزلة وضيقة حول جبل سيروة وجبل الكست.

في اتجاه الجنوب يمتد شريط شبه جاف يتلقى 250 مم كمعدل مطري سنوي. ويعرف هذا الشريط امتدادا واسعا عند القطاع الغربي من جهة سوس - ماسة - درعة، إذ يغطي حوضي سوس وماسة وسلسلة أحواض إداوتنان وكتلة إفني. وفي اتجاه الشرق يعرف هذا الشريط تراجعاً واضحاً ليقصر فقط على مرتفعات الأطلس الصغير الشرقي، وعلى شريط ضيق من السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط.

ما تبقى من أراضي جهة سوس - ماسة - درعة يشكل مجالا جافا لا يتعدى معدل التساقطات المطرية بداخله 100 مم في السنة. وفي نفس الوقت يتميز بحرارة مرتفعة تجعل معدل الحرارة العليا يتجاوز 36° بكثير. ويشغل هذا المجال قطاعات مهمة من منخفض ورزازات وحوض درعة الأوسط بإقليم زاكورة.

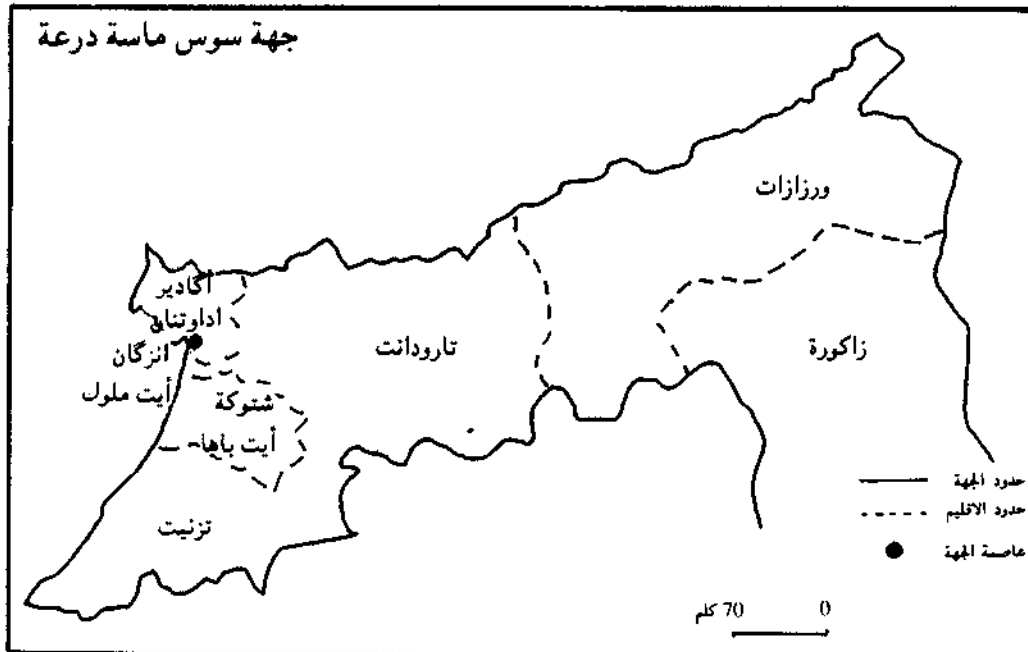
عند كل هذه المناطق يتميز نظام التساقطات المطرية بطابع متوسطي، فالنسبة العالية من الواردات المائية المطرية تنزل خلال فصل الشتاء البارد بينما يسود خلال فصل الصيف الساخن جفاف حاد. غير أن هذا لا يمنع من حدوث اضطرابات صيفية عنيفة ذات نشأة محلية أو ذات أصل

في اتجاه الغرب يتناقص الارتفاع تدريجيا وتختفي المواد الصخرية الأولية تحت غطاء رسوبي سميك من الزمن الثاني والثالث متنوع الطبقات، تعرض لحركات التوائية متنوعة، وعرف تعمقا قويا للشبكة المائية عند قطاع إداوتنان الذي يشرف على المحيط الأطلنطي بأحراف قوية السمك.

إلى الشرق من ممر تيزي - ن - تشكا يمتد الأطلس الكبير الأوسط، وهو عبارة عن نفق كبير تغطيه طبقات كربونانية سميكة تنتمي للباس والجوراسي. ويتميز الأطلس الكبير الأوسط بتضاريس وعرة عبارة عن هضاب متقطعة وأعراف وقمم حادة، ويحافظ على ارتفاعات شاهقة يصل أقصاها إلى 4.071 م عند جبل مكنون الذي يشكل الحد الشمالي لحوض درعة الأعلى.

وجدير بالذكر أن الأطلس الكبير يتصل عموما بميدان الأطلس بواسطة الحادث البنيوي الكبير المعروف باسم "الحادث الجنوب - أطلسي"، وهو عبارة عن عنصر بنيوي يتخذ مظاهر متنوعة إما على شكل انكسارات أو انثناءات أو طيات... وهو حادث لا يزال لم يحقق بعد استقراره البنائي مما يجعله يتميز بزلزالية نشيطة، يبقى من أشهر حركاتها حادثة زلزال أگادير الذي دمر هذه المدينة بشكل يكاد يكون تاما سنة 1960.

2.2 ظروف مناخية سريعة التغير وغطاء نباتي فريد إن الامتداد الواسع لجهة سوس - ماسة - درعة وموقعها الوسطي والتنوع التضاريسي الذي يطبع تضاريسها، كلها عوامل تجعلها تتميز بمناخ شديد التغير يتدرج بين المناخ الجبلي الرطب المفرط في البرودة والمناخ الصحراوي الساخن المفرط في الجفاف.



مداري تأتي بواردات مائية تختلف أهميتها حسب السنوات، وتتخذ أحيانا طابعا كارثيا.

نفس التدرج المناخي يتبعه تدرج نباتي، بحيث إن الشريط الرطب الممتد عبر سفوح الأطلس الكبير الغربي والأوسط تكسوه غابات كثيفة مشكلة أساسا من البلوط والعصفية (التوبيا)، وفي اتجاه الجنوب تنتشر تشكيلة البراري الواسعة الغنية بالنباتات الشوكية المتكيفة مع الجفاف الحاد والحرارة المفرطة.

وبين هذين التشكيلتين تظهر عند القسم الغربي من جهة سوس - ماسة - درعة تشكيلة أركان التي تمثل غابة فريدة من نوعها على الصعيد الوطني والدولي. وتعتبر شجرة أركان التي تكسو سفوح الأطلس الأطلنطي وتتوغل بعيدا داخل سهل سوس وتغطي مساحات هامة من الأطلس الصغير الغربي، نوعا نباتيا مداريا كان مجال انتشاره يغطي في السابق مساحة أوسع داخل التراب الوطني، لكنه تراجع حتى الحدود الحالية بسبب التغيرات المناخية التي عرفتها المنطقة خلال الزمن الرابع.

لقد تمكن السكان، عبر الزمن، من تطوير نظام عيش متكيف ومتوازن مع غابة أركان الفريدة. لكن التحولات التي عرفتها المنطقة وعرفها باقي التراب الوطني خلال العقود الأخيرة، والمتمثلة في تزايد عدد السكان وفي تزايد الطلب بالتالي على الموارد الطبيعية، جعل الغابة تسجل تراجعا متواصلا، الأمر الذي دفع بالهيئات الوصية نحو تبني مسألة صيانة وتنمية الرصيد الغابوي في إطار برنامج "الإنسان والمحيط الحيوي" المعروف باسم (الماب) الذي تسهر على تنفيذه منظمة اليونسكو. وقد تم ذلك بالفعل بعد اعتراف هذه الهيئة الأهمية بـ"محمية أركان للمحيط الحيوي"، والعمل جار حاليًا على تفعيل هذا المشروع بمشاركة السكان. وفي نفس السياق، ومن أجل صيانة وحماية المجال الواحي من آثار التصحر، فإن مصالح وزارة الفلاحة والتنمية القروية منهمة في إعداد دراسة معمقة في سبيل إدراج المجال الواحي ضمن شبكة محميات المحيط الحيوي السالفة الذكر.

### 3.2 الموارد المائية بين الندرة وعدم انتظام التوزيع

إن الشريط الجبلي المرتفع الذي يشكله الأطلس الكبير الغربي وجزء من الأطلس الصغير الغربي يعتبران المصدر الرئيسي للمياه داخل الجهة. وذلك بسبب الواردات المائية المطرية والثلجية التي تتمكن قسمهما من استقطابها وتصريفها لتغذية الجريان السطحي وكذلك الجيوب المائية الجوفية المستقرة عند قدم هذا الشريط التضاريسي المرتفع.

### 3.2.1 المياه السطحية : أهمية الواردات وتركز الجريان

تهيكّل أراضي جهة سوس - ماسة - درعة ثلاثة أحواض رئيسية هي سوس وماسة ودرعة، إضافة إلى حوضات قطاع إداوتان وكتلة إفني. وما يميز هذه الأحواض هو كونها نافذة نحو البحر، وتعرف تفاوتات كبيرة من حيث مساحتها ومن

حيث شكلها الهندسي، مما ينعكس على حجم وارداتها المائية، إضافة إلى كون أنظمة جريانها تنطبع بشكل تام على نظام التساقطات المطرية الذي يجعلها تتميز بتركز كبير. فالجريان يتم على شكل فيضانات عنيفة تقوم بصرف حمولة ضخمة في فترة قصيرة، لذلك فإن جل عمليات الإعداد المائي التي استفادت منها الجهة جاءت على شكل سدود كبرى خازنة شيدت على محاور الجريان الرئيسية قصد جمع وتركيب أكبر حجم ممكن من مياه الفيضانات وإطلاقها عند الحاجة.

إن جهة سوس - ماسة - درعة اليوم تتوفر على أربعة سدود كبرى تبلغ حقيقتها الإجمالية حوالي 1.2 مليار متر مكعب، وتوزع على النحو التالي :

- سد أحمد المنصور الذهبي، شيد منذ سنة 1972 على واد درعة بحقينة 454 مليون م<sup>3</sup> لتنظيم سقي سلسلة الواحات الممتدة حول مجرى واد درعة الأوسط بين أكدز والمحاميد ؛

- سد يوسف بن تاشفين بدأ يشتغل خلال نفس السنة على واد ماسة لتغذية مشروع شتوكة الزراعي العصري، وضمان استمرار تزويد قطاع ماسة التقليدي، انطلاقا من حقينة تتجاوز 310 مليون م<sup>3</sup> ؛

- سد عبد المومن الذي أصبح جاهزا للعمل منذ سنة 1981 لتحويل حوالي 216 مليون م<sup>3</sup> من مياه واد إس، أحد أهم روافد واد سوس المنحدرة عبر سفوح الأطلس الكبير، وذلك قصد سقي قطاع زراعي عصري مستحدث، وقصد إنقاذ قطاع الحمضيات عند سافلة سهل سوس الذي كان مهددا بالتراجع بفعل تزايد نضوب الفرشة المائية الجوفية المحلية ؛

- سد أولوز الذي أُنجز سنة 1990 على واد سوس قبل خروجه إلى السهل، وجاء هذا السد بحقينة 110 مليون م<sup>3</sup> للعمل على تغذية فرشة سهل سوس الجوفية ورفع مستوى سطحها الذي يعرف نزولا متواصلا فاق كل التصورات. وبالإضافة إلى هذه المنشآت المائية الكبرى، فإن الجهة تتوفر على مجموعة من السدود الصغرى، وعلى شبكة ري واسعة تضمن تزويد الدوائر السقوية التقليدية والعصرية، كما أن هناك مجموعة من السدود المبرمجة على المدى القريب.

3.2.3 تمثل فرشة سهل سوس المكمن المائي الجوفي الرئيسي نظرا لطبيعة بنية أراضي جهة سوس - ماسة - درعة التي تسود بها الركائز الصخرية غير النافذة، وبسبب خضوع مجالات واسعة من أراضيها لمناخ جاف، فإن فرص توفر الجيوب المائية الجوفية تبقى محدودة. وفي غياب فرشات عميقة ذات جودة كيميائية مقبولة، فإن الفرشات القريبة من السطح المرتبطة بالتكوينات السطحية الحديثة تبقى هي المصدر الأساسي للمياه العذبة، وهي فرشات تنتشر على مساحات محدودة على طول محاور الجريان الرئيسية أو عند المنخفضات الغرينية.



### 3. النمو السكاني والتوسع الحضري

#### 3.1 الوزن الديموغرافي لجهة سوس - ماسة - درعة

إن عدد السكان المستقرين حاليا بجهة سوس - ماسة - درعة يناهز ثلاثة ملايين نسمة، وهو ما يعادل حوالي 10,1٪ من مجموع سكان المغرب، بكثافة متوسطها حوالي 42 نسمة/ كلم<sup>2</sup> وهي كثافة متساوية مع متوسط الكثافة الوطنية، كما أنها تمثل أعلى كثافة تسجلها المناطق الواقعة جنوب الأطلس الكبير. وتتميز هذه الجهة بدينامية ديموغرافية نشيطة على الصعيد الوطني جعلت حجم ساكنتها تنتقل من حوالي 1.2 مليون نسمة سنة 1960 إلى أكثر من 1.5 مليون نسمة سنة 1972، ثم إلى ما يناهز مليوني نسمة سنة 1982، وأصبحت تتجاوز 2.6 مليون نسمة حسب نتائج إحصاء 1994، أي بنسبة نمو سنوي لا يقل معدلها عن 2,4٪ ما بين 1960 و1994، وهي نفس النسبة المسجلة على الصعيد الوطني.

توزيع ونمو ساكنة جهة سوس - ماسة - درعة

إقليم / عمالة	عدد السكان		النمو السنوي %	الكثافة ن/كلم <sup>2</sup>
	1994	1982		
أكادير - إداوانان	227.638	365.965	4.04	159.7
أنزكان - أيت ملول	150.007	292.799	5.73	979.3
شونكة - أيت باها	202.096	240.092	1.45	72.3
تزنيت	313.140	347.821	0.88	50.0
تارودانت	558.501	693.968	1.85	42.2
ورزازات - زاغورة	533.892	694.884	2.22	16.7
المجموع	1.985.274	2.635.529	2.39	37.2
الوسط الحضري	386.403	896.140	7.26	-
الوسط الريفي	1.598.871	1.739.389	0.70	-

مصدر المعطيات : مديرية الإحصاء - الرباط

يرتبط بالطبع هذا النمو الديموغرافي بالتزايد الطبيعي للسكان، لكنه يرجع في نسبة عالية منه إلى كون هذه الجهة أخذت تتحول من حوض مغذٍ للتيارات الهجرية الوطنية والدولية إلى قبلة لتوافد السكان من كل الجهات المغربية، خاصة في اتجاه مراكز الحضرية التي يعرف توسعا مضطردا. وقد أدت هذه النزعة إلى توسع المدن القائمة وظهور مراكز حضرية جديدة، وجعلت نسبة التمدين تتوسع تدريجيا إلى أن أصبحت تتجاوز 34,1٪ سنة 1994، بعدما لم تكن تتجاوز 5٪ عند السنوات الأولى من الاستقلال. أما السكان الريفيون فعلى الرغم من تباطؤ وتيرة تزايدهم، فإن عددهم لا يقل اليوم عن 1.7 مليون نسمة، ويتركزون بشكل خاص بالمجالات السهلية حيث تتوفر مصادر المياه مثل سهل سوس، وداخل المجالات الواحية مثل حوض درعة الأوسط حيث تتجاوز الكثافة 100 نسمة /

وتعتبر فرشة سهل سوس أشهر وأهم هذه الفرشات المعروفة جنوب الأطلس الكبير على الإطلاق. وهي عبارة عن سديمة حرة ومستمرة منفتحة على البحر، يلعب واد سوس وروافده دورا أساسيا في موازنتها نظرا لكونه يساهم في تغذيتها عن طريق حقنها بقسم من مياه الفيضانات. وتقدر مصالح هندسة المياه احتياطي هذه الفرشة بحوالي 40 مليار م<sup>3</sup>، لكن هذا الحجم لا يتجدد في الظروف المناخية الحالية إلا بشكل محدود.

إن فرشة سهل سوس دخلت خلال العقود الأخيرة في وضعية عجز لم تستطع الخروج منها بسبب توالي السنوات الجافة، وبسبب الضغط المتزايد الذي تتعرض له من أجل سد حاجيات مياه السقي والماء الشروب. وقد قدر متوسط العجز خلال الثلاث عقود الأخيرة بحوالي 260 مليون م<sup>3</sup> في السنة. لا توجد أية مكان مائية جوفية خارج سهل سوس بنفس المواصفات، سواء من حيث الغزارة أو النوعية. فالجيوب المائية المتوفرة في الغالب هي عبارة عن جريان خفي للمجري المائية أو عبارة عن فرشات سطحية محدودة الامتداد والمخزون. وعلى الرغم من ضعف مردودية هذه المكائن فإن لها دورا أساسيا في تزويد السكان بمياه الشرب، وفي توفير المياه اللازمة لنشاط تربية الماشية، وتمثل في بعض الأحيان مصدرا مائيا تكمليا لسقي القطاعات التقليدية المنتشرة على طول المجاري المائية المنحدرة عبر سفوح الأطلسين الكبير والصغير.

#### 2.4 الموارد الطاقية والمعدنية

إن طبيعة بنية الجهة الجيولوجية التي تتميز بالاتصال بين ميدان الأطلس الصغير والميدان الأطلسي، لم تقدم إلى الآن أية مؤشرات واضحة حول إمكانيات توفر مكائن مهمة للمحروقات داخل الحوض الرسوبي الشائبي - الثلاثي الواسع والمستمر تحت المياه البحرية. غير أنه في غياب مصادر الطاقة الأحفورية فإن الجهة تتوفر على طيف معدني واسع اشتهرت باستغلاله منذ القديم.

إن الامتداد الواسع للقاعدة القديمة وغطاءها المتحول عند الأطلس الصغير والأطلس الكبير، يجعل الجهة تتوفر على طيف واسع من المعادن تجمع بين كل الفلزات المعروفة بالمغرب: الذهب والفضة والزنك والرصاص والمنغنيز والنحاس والكوبالت والحديد... إضافة إلى معادن كيميائية مثل البارتين والجبس والرخام بأصناف متعددة. ويختزن جوف أرض هذه الجهة عند حوض الأخدود الجنوب - أطلسي بسهل سوس وسهل ورزازات عروقا من الرمال الفوسفاطية، لكنها لا تقدم نفس ظروف الاستغلال المعروفة عند مثيلاتها بمناجم الهضاب الفوسفاطية بشمال البلاد ومناجم الساقية الحمراء بالجنوب.

توزيع استعمال التربة بجهة سوس - ماسة - درعة والمغرب

المغرب		جهة سوس - ماسة - درعة		الاستعمالات
هكتار	%	هكتار	%	
9.291.000	13,1	616.500	8,7	الأراضي الزراعية
8.411.000	11,8	431.500	6,1	- البورية
880.000	1,2	185.000	2,6	- المسقية
8.969.600	12,6	1.092.940	15,5	أراضي الأعراس والغابات
52.824.400	74,3	5.355.860	75,8	الأراضي الرعوية والغبر صالحة للزراعة
71.085.000	100,0	7.065.300	100,0	المجموع

مصدر المعطيات : - المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بسوس - ماسة وورزازات  
Annuaire statistique du Maroc

#### 1.1.4 الإنتاج الفلاحي

ارتباطا بظروف النشاط الفلاحي تقدم الجهة إنتاجا شديد التنوع يجمع بين مواد الفلاحة المعاشية التقليدية المسوقة محليا، ومواد الزراعة العصرية المسقية المضاربة الموجهة للتصدير بالدرجة الأولى.

تعتبر زراعة الحبوب النشاط الفلاحي الرئيسي الممارس داخل الجهة، ويقدر متوسط المساحة التي تغطيها هذه المزروعات بحوالي 260 ألف هكتار/ سنة، يقدر متوسط إنتاجها بحوالي 2.4 مليون قنطار / سنة. يحتل الشعير حوالي 54٪ والقمح الطري حوالي 33٪ من مجموع المساحة المخصصة لزراعة الحبوب. والمساحة المتبقية يتم تخصيصها لأنواع أخرى مثل القمح الصلب والذرة لكن في إطار تقليدي وأحيانا عصري.

إن المنتجات الفلاحية ذات القيمة المضافة العالية هي التي يوفرها القطاع المسقي العصري على الخصوص والمتمثل في المحيطات السقوية العمومية المعتمدة على مياه السدود أو المياه الجوفية، وهي محيط شتوكة ومحيط إسن ومحيط عالية سهل سوس، وذلك إلى جانب القطاع المسقي الخاص الممتد بسهلي سوس وماسة وحوض درعة الأوسط.

وإذا ما تم الاعتماد فقط على المساحة التي تغطيها المزروعات داخل هذه المحيطات السقوية، فإن الأشجار المثمرة تأتي على رأس القائمة، فهي تغطي أكثر من 110 ألف هكتار، وتنتج حوالي 2.6 مليون طن من الغلال المتنوعة. وفي مقدمة هذه الغلال يوجد النخيل الذي يغطي أكثر من 35 ألف هكتار ويجعل بذلك جهة سوس - ماسة - درعة تحتل المكانة الأولى على الصعيد الوطني في هذا القطاع.

الحمضيات تتجاوز مساحتها 26 ألف هكتار، أي أكثر من ثلث المساحة المخصصة للعوامل على صعيد كل التراب الوطني. تتركز هذه الزراعة بسهل سوس، وتنتج في المتوسط أكثر من 630 ألف طن في السنة، يصدر منها ما يناهز النصف ويغذي الباقي السوق الوطنية والوحدات الصناعية المحلية.

كلمة. وتخف هذه الكثافة بشكل واضح داخل المناطق الجبلية العالية والمناطق الجافة حيث تشع وتخفت مصادر المياه كما هو الأمر في هضاب الأطلس الصغير.

3- 2 أكادير الكبرى نحو المدينة المتربولة

إن الظاهرة الحضرية ليست غريبة عن جهة سوس - ماسة - درعة، ويعود ظهور المستوطنات البشرية الحضرية إلى العصور القديمة. غير أن التحولات الاقتصادية والاجتماعية العميقة التي عرفتها هذه الجهة أدت إلى تبلور جهاز حضري يتكون اليوم من 33 مدينة تحتضن قرابة مليون شخص، أي حوالي 7٪ من مجموع السكان الحضريين بالمغرب. ويتشكل هذا الجهاز من مدينة واحدة يتجاوز حجمها 100 ألف نسمة، و13 مدينة تتراوح ساكنتها بين 20 ألف و100 ألف نسمة، و19 مركزا حضريا يقل عدد ساكنها عن 20 ألف نسمة. عند بداية الستينيات لم يكن عدد المراكز الحضرية يتجاوز 7 مراكز، وكانت كلها عبارة عن مراكز صغيرة لا يتعدى مجموع ساكنتها 62 ألف نسمة، ولا يمثلون إلا 1,8٪ من مجموع السكان الحضريين المغاربة.

وتتميز هذه المراكز الحضرية بنمو وتوزيع غير متكافئ، فالمدن القديمة مثل تارودانت وتزنيت تعرف نموا بطيئا على عكس المراكز الناشئة مثل ورزازات وأكادير التي تسجل دينامية سريعة جعلت جهة سوس - ماسة - درعة تعرف انفجارا حقيقيا للظاهرة الحضرية. وقد جعل هذا النمو مدينة أكادير والمراكز المحيطة بها تتطور نحو تجمع مدني متراس يأوي حاليا أكثر من نصف مليون نسمة حول مصب واد سوس، أي حوالي 20٪ من مجموع سكان الجهة، وأكثر من 56٪ من ساكنتها الحضرية. وإن هذا التجمع المدني مرشح للتوسع أكثر في المستقبل القريب بسبب قوة الجذب التي يتوفر عليها بالنسبة للاستثمارات الوطنية والأجنبية وما يتبع ذلك من تيارات هجرية.

4- ركائز الاقتصاد الجهوي : الفلاحة، السياحة والصيد البحري

إن جهة سوس - ماسة - درعة بموقعها وتعدد مواردها الطبيعية والبشرية والثقافية، استطاعت أن تبني وتطور قاعدة اقتصادية تتركز بالدرجة الأولى على الفلاحة والسياحة والصيد البحري، وعلى قطاعات أخرى متعددة منها ما يحتل مركزا جيدا على الصعيد الوطني مثل النشاط المعدني.

#### 1.1.4 الاقتصاد الفلاحي

تحتل الأراضي الزراعية بجهة سوس - ماسة - درعة أكثر من 600 ألف هكتار، وهي حصة محدودة إذا ما قورنت مع مجموع مساحة هذه الجهة. غير أن المثلث للنظر هو أهمية حصة الأراضي السقوية التي تمثل حوالي ثلث هذه المساحة ممتدة على مساحة حوالي 180 ألف هكتار. باقي تراب الجهة تحتله مجالات غابوية بنسبة 15٪ ومجالات رعوية شاسعة.

باقي مساحة قطاع الأشجار المثمرة يحتله الزيتون واللوز والجوز إضافة إلى غلال أخرى أخذة في التوسع كالموز مثلاً الذي أصبح يغطي حوالي 2.100 هكتار، أي أكثر من نصف مساحة زراعة الموز بالمغرب.

وتبقى زراعة البقوليات البكرية هي أشهر قطاعات الزراعة المسقية العصرية بالجهة وأكثرها مردودية على الإطلاق، ومع أنها لا تغطي إلا 11 ألف هكتار لكنها تنتج حوالي 600 ألف طن / سنة، أي 3/4 الإنتاج الوطني، وتصدر حوالي 170 ألف طن / سنة، أي حوالي ثلثي مجموع الصادرات الوطنية من البواكير. وتعتبر الطماطم هي الإنتاج الرئيسي إذ أنها تغطي حوالي ربع المساحة المخصصة للبقوليات بالجهة، أما البقوليات الموسمية فإنها وإن كانت لا تغطي سوى 2/ من المساحة المخصصة لها على الصعيد الوطني فإنها تساهم بحوالي 4/ من الإنتاج، أي حوالي 145 ألف طن / سنة.

تحتل الزراعات العلفية في الواقع الدرجة الثانية من حيث المساحة بحيث تغطي أكثر من 25 ألف هكتار، وهي زراعة تتركز بالدرجة الأولى على الفصة، وتزدهر على الخصوص داخل القطاعات السقوية التقليدية حيث تحتل تربية الماشية وإنتاج الحليب النصيب الأوفر من دخل الفلاحين.

#### 4.1.2 تربية الماشية

إن شساعة المساحات الرعوية وتنوعها، وأهمية المساحات الغابوية وخاصة منها غابة أركان التي تخضع لنظام قانوني نوعي يضمن للسكان حق استغلالها بشكل مستمر، كلها عوامل تجعل من قطاع تربية الماشية نشاطاً أساسياً داخل نظام الإنتاج الزراعي ولدى شريحة عريضة من سكان الأرياف بجهة سوس - ماسة - درعة. ويتخذ هذا النشاط أوجهاً مختلفة تجمع بين النمط المستقر ومطفي تصف - الترحال والترحال، وبين النمطين المغلال والمقلال.

يرتبط حجم القطيع بشكل وثيق بالتغيرات البيئية السنوية للتساقطات المطرية، وقد بلغ خلال موسم 97. 1998 حوالي 2.5 مليون رأس، مثلت فيه الأغنام 47٪، والماعز 44٪، والأبقار 10٪، أما الإبل فإنها لا تمثل إلا نسبة محدودة وتتركز بإقليمي ورزازات وزاگورة. وجدير بالذكر أن الجهة تتوفر على أصناف خاصة من الأغنام مثل صنف سيروة المعروف بجودة صوفه، وصنف الدمان المعروف بإنتاجيته المرتفعة. كما أن الجهة، وخاصة مناطقها الشمالية - الغربية، تستقبل خلال فترة طويلة من السنة قطعان الرعاة الرحل القادمين من الجهات الصحراوية الجنوبية.

تساهم تربية الماشية في تغطية جزء هام من حاجيات المنتجات الحيوانية، فقد تجاوز على سبيل المثال، خلال نفس الموسم المذكور، حجم إنتاج اللحوم 14 ألف طن، وتعدى حجم الحليب المعالج داخل الوحدات الصناعية المحلية 47 مليون لتر.

وارتباطاً مع المنتجات الحيوانية نذكر أن الجهة تتوفر على ما يقارب 0.16 مليون خلية للنحل، في ملكية حوالي 7 آلاف مستغل، تنتج أكثر من 660 طن من العسل. كما تتوفر على عدد من وحدات تربية الدواجن التي تنتج حوالي 5.700 طن من اللحوم، وأكثر من 42 ألف بيضة في السنة.

#### 4.2 الصيد البحري

إن طبيعة سواحل جهة سوس - ماسة - درعة وانفتاحها على أهم المصايد البحرية الأطلنتية المغربية أو قريبا منها، جعلت الصيد والنشاط البحري بشكل عام أحد الدعائم الرئيسية في اقتصاد هذه الجهة. وقد سمح لها توفرها على مركب مينائي كبير بأغادير بأن تلعب دوراً ريادياً في هذا المجال على الصعيد الوطني، ويستعزز هذا الدور أكثر حينما يتم الانتهاء من أشغال وضع التجهيزات الساحلية المبرمجة مثل ميناء إفني وميناء إمسوان، وأيضاً توسيع قاعدة وحدات معالجة وتحويل المنتجات البحرية.

يتشكل أسطول الصيد حالياً من أكثر من 3 آلاف وحدة، وتغلب عليه قطع الصيد الساحلي التي تمثل أكثر من 90٪ من مجموع الوحدات، لكنه لا يمثل إلا 3.5٪ من السعة الإجمالية للأسطول. ترسو غالبية هذه الوحدات بميناء أغادير، ولا ينال منها ميناء سيدي إفني إلا حظاً ضئيلاً لا يتجاوز 10٪. أما قطع الصيد في أعالي البحار فهي في حدود 267 وحدة، تبلغ سعتها الإجمالية أكثر من 95 ألف برميل، وتشكل في غالبيتها من سفن الجر المتخصصة في صيد الرخويات التي تمثل 83٪ من مجموع الوحدات و87٪ من السعة الإجمالية.

تجاوز حجم الكميات المصطادة بواسطة أسطول الصيد الساحلي 78 ألف طن سنة 1997، وهو ما مثل آنذاك حوالي 12٪ من الحجم المصطاد على الصعيد الوطني، وحوالي 27٪ من مجموع مداخيل الصيد البحري الوطنية. نصف حجم ناتج الصيد البحري تتم معالجته داخل وحدات التصبير المحلية، وحوالي 40٪ تتم تحويلها إلى مواد صناعية، والباقي يوجه للاستهلاك المباشر. أما حجم صيد أسطول أعالي البحار فإنه قد بلغ سنة 1996 حوالي 69 ألف طن، وجلب حوالي 300 مليون دولار من المداخيل المالية.

ويبقى قطاع الصيد البحري من القطاعات الاقتصادية الواعدة داخل الجهة، وذلك بسبب ما يتوفر عليه من موارد، وبسبب تزايد المواد البحرية الحية في الاقتصاد العالمي، وبسبب ما يتميز به من انعكاسات اجتماعية على مستوى خلق فرص التشغيل المباشر وغير المباشر، وأيضاً بما له من قدرة على إثارة وتنشيط القطاعات الأخرى مثل الصناعة والتجارة.

#### 4.3 النشاط السياحي

إن جهة سوس - ماسة - درعة بمؤهلاتها السياحية الجذابة، استطاعت في وقت وجيز أن تستقطب حجماً مهماً من الاستثمارات الوطنية والأجنبية، وتبارا سياحياً دولياً كشيفا،

#### 4.4 استغلال الطاقة والمعادن

في غياب أية مؤشرات إيجابية تتعلق بوجود مكامن للمحروقات، فإن المعادن الفلزية تبقى هي القاعدة الأساسية داخل هذا القطاع. وقد جعلت طبيعة البنية الجيولوجية جهة سوس - ماسة - درعة تتمتع بأغنى طيف معدني داخل المغرب، عمل السكان على استغلاله منذ القديم، إلى درجة أن صدى خبيرة سكان الجهة في ميدان استخراج وسباكة المعادن ترد في مصادر حقب تاريخية متعددة.

حاليا يتم استغلال معادن متنوعة من المناجم المتوفرة بالجهة، وخاصة بإقليم ورزازات وزاگورة، من أهم المعادن المستغلة هناك النحاس والحديد والمنغنيز والكوبالت والباريت والرصاص والفضة... غير أن هذا النشاط المعدني يعاني من عدم الانتظام بسبب التغيرات المفاجئة التي تطرأ على أثمان بيع المعادن الخام على صعيد الأسواق العالمية.

إن جهة سوس - ماسة - درعة بموقعها الانتقالي بين المغرب الصحراوي والمغرب المتوسطي، تمثل مجالا غنيا بموارده المتنوعة، لكنه يمثل في نفس الوقت مجالا طبيعيا هشاً يتعرض لضغوطات متزايدة تحت تأثير التزايد الديموغرافي وتضخم الظاهرة الحضرية، وكل ما يتولد عن ذلك من متطلبات تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية. واليوم فإن النمو المتوازن للجهة لن يحصل دون التوصل إلى الصيغ التنموية القادرة على حل مشاكل تراجع الموارد الطبيعية المحلية مثل المياه والغابات بسبب استمرار تزايد حجم الطلب عليها، وبسبب استفحال مظاهر التصحر والتلوث، وأيضاً البحث عن السبل الكفيلة بتفليص التفاوتات الاجتماعية والاختلالات المجالية في ميدان سياسة إعداد التراب الوطني.

ح. الحداد، الماء بحوض سوس : إسهام في دراسة نظام صني مغربي جنوب أطلسي، أطروحة دكتوراه الدولة مرقونة في كية الآداب، الرباط، 1999، 740 ص. ؛ ولاية أكادير. منوغرافية جهة سوس - ماسة - درعة، 1999.

E. El Mahdad et L/ Ouhajou, *Le patrimoine hydrique face aux dangers de l'explosion urbaine dans les milieux arides et semi-arides. Cas du Maroc sud-atlasique.* Colloque International des Chaires maghrébines UNESCO-GAS NATURAL, "Le Développement durable du Maghreb. L'ouverture sur la Méditerranée et la valorisation du patrimoine écologique, humain et culturel", Rabat, 27-29 avril 2000 ; J. Ouhajou, *Espace hydraulique et société au Maroc, les systèmes d'irrigation dans la vallée du Dra.* Agadir, 1996 ; M. El Mountasser, *Collectivités traditionnelles et espaces montagnards dans les zones d'arrière-pays atlasiques méridionaux : Cas de la communauté Ait Seddrate-Dadès.* Thèse de Doctorat en Géographie, Aix-Marseille II : Ministère de l'Habitat et de l'Aménagement du Territoire, Atlas des ressources naturelles, Rabat, 1984 ; Direction des Statistiques, *Résultats des différents recensements de la population et de l'Habitat*, Rabat : Annuaire statistique du Maroc 1999, Rabat, 2000.

الحسن الحداد

**سوسان**، أسرة فاسية - بإشباع فتحة السين الثانية

ويدون ابن - تتكون من عدة فرق : فرقة تنتسب إلى الشرف،

مما أهلها لتحتل المكانة الأولى على الصعيد الوطني في هذا المضمار سواء - من حيث عدد الأسرة أو من حيث عدد الليالي السياحية المسجلة، وبالتالي من حيث المداخيل المالية.

فالواقع الجنوبي الشمس، والمناظر الطبيعية الخلابة المتنوعة، والسواحل الطويلة حيث تتواتر الشواطئ الرملية الواسعة الامتداد والأجرف الصخرية السمكة، والانفتاح الواسع على المشاهد الصحراوية الفسيحة، والموروث الثقافي المتنوع والغني... كلها عوامل ومؤهلات جعلت الدولة تهتم بهذه الجهة منذ أن قررت الاعتماد على السياحة الدولية كوسيلة للتنمية عند بداية الستينيات، وخاصة بمحطة أكادير التي كانت قد عانت حينئذ من زلزال مدمر.

إلى حدود سنة 1997 بلغت الطاقة الإيوائية السياحية الممتلئة في الفنادق المصنفة 27.640 سريرا، وهو ما يمثل حوالي ثلث الطاقة الإيوائية الوطنية المصنفة. هذه الأسرة تتوزع على 117 وحدة فندقية، أي بحجم معدله 236 سرير بالنسبة لكل وحدة سياحية، وفي ذلك دلالة على نوع المنتج السياحي الذي تخصصت فيه الجهة وهو سياحة إقامة المجموعات الكبرى عند الشاطئ. لذلك فإن 77٪ من الطاقة الإيوائية تم تركيزها بمدينة أكادير، والباقي ينتشر داخل المجال الواسع للجهة مع نوع من التركيز الذي يطبع حوض درعة الذي استطاع أن يجذب إليه 19٪ من مجموعة الأسرة المصنفة المتوفرة بالجهة، وخاصة محطة مدينة ورزازات التي أصبحت تشكل قطبا سياحيا واعدة في نمو متواصل عند هوامش محطتي أكادير ومراكش.

تمشيا مع خصوصيات سياحة الإقامة، فإن بنية الطاقة الإيوائية تتميز بسيادة الفنادق الكلاسيكية التي توفر 56٪ من مجموع الأسرة، 21٪ منها من فئة فنادق الدرجات الدنيا والمتوسطة من صنف 1 و2 و3 نجوم، و36٪ تقدمها فنادق الدرجات العليا من صنف 4 و5 نجوم. وتأتي في الدرجة الثانية القرى السياحية بنسبة 29٪ من مجموع الأسرة، ثم الإقامة السياحية التي تقدم حوالي 14٪ من الأسرة المصنفة المتوفرة بالجهة.

وقد استطاعت الجهة خلال نفس السنة، تسجيل أكثر من 4 ملايين من الليالي السياحية، وهو ما يمثل 37٪ من مجموع الليالي السياحية المسجلة على الصعيد الوطني. وبالطبع فإن 87٪ من هذه الليالي سجلت بمحطة أكادير الشاطئية مما يجعل منها المحطة الأولى داخل البلاد. وعلى رأس الجنسيات الوافدة يوجد الفرنسيون متبوعين بالألمان، وفي ذلك تأكيد على أن الجهة تعتمد على السوق الأوروبية في المقام الأول.

وعلى غرار الأنشطة الاقتصادية الأخرى، فإن جهة سوس - ماسة - درعة لاتزال لم تتمكن من استثمار كل إمكانياتها السياحية، ومن الممكن أن يزدهر هذا القطاع أكثر في حالة تنوع المنتج المقدم وتطويره نحو البعد الثقافي والبيئي، وفي حالة الانفتاح على أسواق سياحية أخرى بالإضافة إلى السوق الأوروبية التقليدية.

من أهم استعمالاته نذكر استخدامه كنبات زينة في الحدائق أو في التطبيق التقليدي أو في صناعة مواد التجميل بواسطة أفعال الجذور بعد تجفيفها.

- سوسن الماء أو إيريس بسوداكوروس *Iris pseudacorus* :  
عشب أخضر اللون أجرد جذوره جذمورية لحمية وجد متشعبة. سيقانه قائمة وملساء، ذات طول يتراوح ما بين 50 و130 سم، متفرعة في أجزائها العلوية. أوراقه طويلة وذات طول يتراوح ما بين 50 و100 سم. أزهاره ذات لون أصفر فاقع، تظهر ما بين مارس وأبريل.

يصادف هذا النوع في أوروبا وشمال إفريقيا وآسيا الغربية، حيث يعيش في المستنقعات لكن بصفة نادرة. ويستعمل لنفس الأغراض المذكورة بالنسبة للنوع السابق.

- السوسن الجرمانى أو إيريس جرمانىكا *Iris germanica* :  
عشب أخضر ضارب إلى الزرقة أجرد يبلغ ساقه ما بين 60 و80 سم. أوراقه سيفية الشكل. أزهاره بنفسجية اللون أو ضاربة إلى البياض.

يعتقد أن الموطن الأصلي لهذا النوع هو الجزء الشرقي من المنطقة المتوسطية ومنها أدخل في مناطق شاسعة من المنطقة الأروبية وشمال إفريقيا. وذلك كنبات زينة ونبات طبي وعطري. وهكذا ولهذا الغرض اشتهرت مدرجات الأطلس الكبير المغربي بزراعته كنبات عطري وطبي. كما يصادف في الحدائق المغربية كنبات زينة.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997 ; R. Maure, *Flore de l'Afrique du Nord*, Paris, 1952.

زيت بنرحون

**السوسي**، أحد بحور القصيدة في شعر الملحنون. وتخضع فيه أقسام القصيدة من وجهة النظر لشق محدد تتسلسل فقراته وفق الآتي :

- 1 - استهلال القسم بيت مشئى تتحد قافيته مع روي الأقسام السابقة في القصيدة.
  - 2 - يتلو ذلك مجموعة من المطلعات (الكراسا)، وهي عبارة عن اشطار أقرب إلى النثر المرسل، لا بوحدها وزن ولا قافية، وإنما يتحكم في إيقاعها الإنشاد.
  - 3 - يتلو ذلك بيتان أو ثلاثة أبيات موزونة ومقفاة.
- ومن أمثلة بحر "السوسي" القسم الأول من قصيدة الزمنية والعصرية لحسن اليعقوبي :

(1) البيت الأول :

يا حضرا سمعوا ما صار بين زوج ابنا افلكحار

(2) المطلعات :

شابا عصريا بكرا \* والأخرى زمنية عذرا \* فرجوني بين

الحضرا \* وكنت حاضر \* نصغي لمخامهم

نسمع العصريا \* اتقول للزمنية \* يا جارتى اهنيا

سمعي مني اخبار ...

(3) بيتان

وهم أبناء أعمام اليعقوبيين أولاد خبيزة المعروفين بناس، وفرقة من تلمسان انتقلوا إلى فاس وقف مؤلف *إزالة الالتباس* على ذكرهم في وثيقة في رق غزال مؤرخة بعام 1041. ونزل بعضهم بمدينة زرهون. ووقف في رسم مؤرخ بعام 1092 على اسم سوسان الهروسي ؛ وفي آخر مؤرخ بعام 1199 على مسعود بن علي سوسان الأندلسي. قال : "والآن لا يمكن أن يفرق بينهم".

**سوسان، علي الفاسي**. كان كبير سكان عدوة الأندلس أيام الفتن التي أعقبت وفاة أحمد المنصور الذهبي، وفي خضم الحرب الأهلية الطويلة التي عرفتها فاس بين أبناء المنصور وحفدته قُتل على سوسان غدرًا بحومة جرنيز عام 1037 / 1628.

م. القادري، *نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 189.

محمد حجي

**السوسن أو السوسان**، زهر يسمى علمياً *إيريس Iris* جنس نباتي ينتمي إلى فصيلة السوسنيات Iridaceae ويشمل أكثر من عشرين نوعاً طبيعياً بالمغرب وبعض الأنواع الدخيلة وكل الأنواع أعشاب معمرة بجذورها البصلية الشكل أو الجذمورية. ومن أهم الأنواع تلك التي تستعمل للزينة أو في التطبيق التقليدي.

- السوسن الطنجاي أو *إيريس تينجيطانا Iris tingitana* :  
عشب أجرد وذو لون أخضر ضارب إلى الزرقة. يتراوح طول ساقه ما بين 50 و100 سم. أزهاره طرفي. أوراقه ملساء، مستطيلة يتراوح طولها ما بين 30 و70 سم. أزهاره زرقاء بنفسجية ضاربة إلى اللون الأرجواني.



يوجد هذا النوع في الجنوب الغربي من المنطقة المتوسطية. خاصة في شمال المغرب أي في الريف والغرب والأطلس المتوسط والأطلس الكبير.

يعيش هذا النوع على أترية طينية على العموم، وفي بيومناحات شبه رطبة ورطبة.

ع. الجرازي، القصيدة، ص. 144، مجلة الفنون، س 5 رمضان، 1398، غشت، 1978، ص. 33 - 34، المغرب؛ ع. العزيز ابن ع: الجليل، مجلة التراث الشعبي، ع 10، س 11، ص. 115، 1980، بغداد.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

**السوسي، أحمد بن إبراهيم**، مقاوم ولد سنة 1357/ 1938 بمدينة فاس والتحق بصفوف المقاومة السرية، وعمل ضمن الخلية التي كانت تحت مسؤولية الحبيب بن العربي يدرب أولاد البقال بفاس الجديد.

ومن أهم الأعمال الفدائية التي نفذها :

توزيع المناشير، ورسائل التهديد... وحث الجماهير على المظاهرات في كل المناسبات وتخريب مصالح المعمرين الفرنسيين والأضرار بها، وكان وطنياً مخلصاً استشهد سنة 1373 / 1954 في مظاهرة بمدينة فاس. الندوية السامية لقدامى المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 526.086.

**السوسي، أحمد بن إبراهيم**، مقاوم وكُد بأولاد عيسى قيادة برجيل، بإقليم تارودانت وتلقى التعليم الديني في تلك الناحية ثم هاجر إلى الدار البيضاء سنة 1353 / 1934 واستقر بالمدينة القديمة حيث امتهن الحياطة. انخرط في كتلة العمل الوطني، وقد بشه حزب الاستقلال في حي عمال "كوسيمار" (Cosumar) سنة 1945 معلماً لأبنائهم، فقام بدور وطني لهم في حشد همم العمال على الخصوص إلى غاية أواخر 1952، إذ تعرض للاعتقال إثر الإضراب العام الذي دُعي إليه احتجاجاً على اغتيال النقابي التونسي فرحات حشاد يوم 5 دجنبر 1952 من قبل أفراد تنظيم "اليد الحمراء" الإرهابي. اقتصد إلى السجن المدني بالدار البيضاء (اغبييلة) ثم إلى سجن القنيطرة. أطلق سراحه أواخر عام 1954.

توفي سنة 1420 / 2000.

شهادة من حسن ثابت المداوي ابن أخت صاحب الترجمة؛ م. وحيد، مساهمة في دراسة الحركة الوطنية، مقاومة الدار البيضاء، 1952. أطروحة دكتوراه، مرقونة بكلية الآداب، الرباط، 2001. محمد وحيد

**السوسي، أحمد بن علي المراكشي** أصله من قبيلة مداس المصردية، من بيت فضل وورع. ولد بمراكش في سنة 1050 / 40 - 1641، وبذلك تكون حياته قد امتدت طيلة سبع وسبعين سنة، شكلت فترة مسهمة من بداية الدولة العلوية. لانساعتنا المصادر المتوفرة، لمعرفة مراحل حياته الأولى غير جده لأمه، قد حجج معه وهو صبي (الإعلام، 2 : 363) وبعد أن رجع إلى مراكش مات جده فانقطع عن طلب العلم ومال إلى التصوف فاتصل أول الأمر بالشيخ أبي

القاسم بن اللوشة السفيناني الإدريسي بفاس. ومكث بصحبته مدة ثم انفصل عنه واتصل بأحد نساك هذه المدينة، وطلب منه إرشاده إلى شيخ يشد بيده ويقوده إلى مبتغاه. فنصحه بالعودة إلى أبي القاسم، فقبل نصيحته، ورجع إليه. وتمكنت صحبة هذا الشيخ منه. فصار من أقرب الناس إليه. أخذ عنه الكثير في ميدان العلم والصلاح. وأصبح من أخلص خدام زاويته ثم رحل إلى الشرق صحبة علي بن عزوز، أحد كبار تلامذة شيخه اللوشي فجاور مدة في الديار المقدسة. وأتاحت له الإقامة بها الاتصال بالعديد من علمائها، وصلاحها، وفي طريق عودته إلى المغرب، أقام بمصر مدة وأخذ عن صلاحها، ثم انتقل إلى تونس صحبة علي بن عزوز، الذي ظهر بها بعد ذلك، كشيخ صوفي، له سمعة واسعة بين أهلها "فشاعت بركاته وكثر زائروه" فصار السوسي من تلامذته. وبعد أن قضى مدة من التلمذة والتحصيل، أذن له علي بن عزوز بالعودة إلى مراكش والتصدر للمشيخة فيها. فجاءها سنة عام 1080 / 69 - 1670.

"كان - رحمه الله - عالي الهممة على بصيرة من أمره، متعففاً غير مكترث بولاية الأمر ولا مداهن لهم ولا يغشى أبوابهم، وظالماً حاولوا منه ذلك فلم يحصلوا منه على طائل، ورزق من الفهم في طريق التصوف والخبرة بكلام القوم ما لم يكن لغيره، فتجده يفرص على دقائق الإشارات ويهتدى لأسرار كلام الأولياء، بحيث تجد عند مجالسته سائر الكلام واضحاً جارياً على القانون" (الإعلام، 2 : 364).

وما كاد يستقر بمسقط رأسه حتى اشتهر بجودة الفهم. وبلاغة التعبير. وأصبح مشهوداً له برسوخ قدمه في العلم. وينظر إليه بعين التعظيم والإكبار، خاصة عند طلابه وتلامذته الذين كانوا يترددون على دروسه. (الإفراني، درر المجال، 59) ولما تبين من كثرة أتباعه كَوْن زواية صارت من أكبر الزوايا بهذه المدينة تتلمذ عليه فيها، علماء وشيوخ ومنهم المؤرخ محمد بن الصغير الإفراني.

توفي بمراكش سنة 1130 / 1717 - 1718 وضريحه بهذه المدينة كشير الزوار ويقع بدرب يحمل اسمه، قرب ضريح الشيخ الجزولي.

م. الإفراني، صفوة، ط. حجرية، درر المجال في مناقب سبعة رجال، تع. حسن جلاب، مراكش، 2000، ص. 59؛ م. الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة، تع. أ. العمري، الرباط، 86 (صفحات، 11 - 46 - 55)؛ م. الوقت، السعادة الأبدية، ع. ط. حجرية، 1335؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1974، ج 2، ص. 364 - 366 - 365؛ إ. حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 3، البيضاء، 1985، ص. 551.

عبد السلام السعيدى

**السوسي، أحمد بن موسى** بن العربي الرسموكي أصلاً الروداني إقامة، من علماء سوس الكبار، تولى نيابة القضاء بتارودانت. فقد تخرج بكل من داود الرسموكي الشاعر، ثم انتقل إلى فاس، وأخذ عن بعض علمائها. وفي

أواخر عمره تولى خطة العدالة بتارودانت بعد أن كان نائب القاضي مدة. له مجموعة شعرية ورد بعضها في المعسول، 18 : 23 وما بعدها.

كان المترجم محافظاً على خزانة أبيه القيمة الضخمة إلى أن توفي فيدها أبنائه إذ باعوها للساسرة. على ما قيل لي - بضمن بخص، لا يساوي ثمن مخطوط واحد فيها. فضع بذلك تراث ضخم لا يقدر عدده ولا قيمته.

م. المختار السوسي، المعسول : خلال جزولة، 4 : 174 : البيزيد الراضي، شعر داود الرسموكي، ص. 250، جمعية الإيج، 1992. أحمد أبو القاسم

### السوسي البهاوي، أحمد بن الحسين خطاط ماهر،

ولد سنة 1346 / 1928 بقرية "الملايين" بأحواز تطوان. وبهذه القرية استقر والده بعد أن هاجر في شبابه من مسقط رأسه الكائن بآيت باها أو ملال بقبيلة هشتوكة السوسية .. درس أحمد في طفولته بكتّاب القرية، ثم انتقل إلى مدينة تطوان حيث تابع دراسته الابتدائية والثانوية بمعهد مولاي المهدي. وعمل في بداية حياته العملية موظفاً بأحد مكاتب المشور الخليفي، ثم عمل عدة سنوات بإدارة الأشغال العمومية بتطوان. واتجه بعد تقاعده النسبي إلى أعمال حرة. ظهرت موهبة أحمد السوسي في فن الخط العربي منذ أواخر الأربعينيات، ولم يتلق قواعد الخط وأصوله على أحد، وإنما اعتمد - هو وشقيقه محمد - على مجهودات ذاتية تتمثل أساساً في التقليد ومحاكاة نماذج خطية لكبار الخطاطين في المشرق والمغرب.

شارك أحمد في مسابقة للخط العربي والزخرفة نظمها نيابة التربية والثقافة بتطوان سنة 1949. وهو الذي رشّح لكتابة "المصحف الحسني" من لدن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، فكتبه بخط مغربي مبسوط رائع سنة 1967. وكتب مصحفاً ثانياً بخط النسخ تولت طبعه دار النشر بالدار البيضاء. وفاز بالجائزة الأولى في مسابقة للخط المغربي والتزويق نظمها وزارة الشؤون الثقافية بالرباط سنة 1969. كما كان أحد الفائزين في المسابقة الدولية الثانية التي نظمتها باستانبول خلال سنة 1989 للجنة الدولية للحفاظ على التراث الحضاري الإسلامي، وهي تعمل كأحد الأجهزة التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي.. وكان هذا الخطاط يجيد بالإضافة إلى الخط المغربي جل أنواع الخطوط العربية المعروفة. ومن ثم فقد خلف - علاوة على المصحفين المذكورين - أعمالاً خطية متنوعة كثيرة (عناوين كتب، لوحات فنية، شهادات، كتابات ببعض المساجد والأضرحة، بطاقات دعوة، عناوين مؤسسات ومحلات تجارية، الخ).

توفي بتطوان إثر سكتة قلبية يوم 23 صفر عام 1421 / 27 ماي 2000، ودُفن بمسقط رأسه قرية الملايين.

معرفة شخصية ووثائق عائلية.

محمد السوسي البهاوي

السوسي، سليمان مقاوم من مواليد سنة 1345 / 1927 بأيّت باعمران أفا تيزنيت كان من المنخرطين الأوائل في صفوف المقاومة وجيش التحرير منذ سنة 1954 في المنطقة الجنوبية بأيّت باعمران حيث خاض معارك عديدة ضد المستعمر الفرنسي والإسباني مدافعاً عن أرض الوطن. كما أنه كان عضواً في صفوف المقاومة بالدار البيضاء حيث ساهم في عدة عمليات فدائية وعمل على توزيع الأسلحة بين المجاهدين، وعلى إثر نشاطه هذا تم اعتقاله لمدة بمدينة الداخلة من طرف السلطات الإسبانية ورغم ذلك ظل مقاوماً إلى أن أحرز المغرب على استقلاله وتم استرجاع باقي الأجزاء المحتلة.

توفي يوم 2 شوال عام 1415 / 4 مارس 1995. التذوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 006 522.

### السوسي، علي بن محمد السملالي الفاسي، من ذرية

محمد التزكورتى من بني يعقيل بسوس، فقيه نوازلي نحوي مؤرخ وشاعر. درس بسوس والصوربة ومراكش ثم بفاس. وكان من أبرز شيوخه في العاصمة الإدريسية الفقيه النوازلي علي التسولي ومحمد الحراق. كلفه السلطان عبد الرحمان بن هشام بتدريس الحساب لبعض العساكر المتخصصين في المدفعية بمدينة تطوان، وعيّن خلفه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان معلماً للعلوم بالقصر الكبير، وتولى مهمة كاتب ومستشار ضمن البعثة التي ترأسها مولاي عرفة، وقد عهد إليها السلطان مولاي الحسن بمراقبة الحدود الشرقية سنة 1301 / 1884 والقيام بدور الوساطة لدى القبائل الحدودية وتهدئتها وأجابوا بالطاعة والامتثال.

نتج عن هذه المهمة أن ألف المترجم كتاب منتهى النقول ومشتهى العقول عرف فيه بالقصور من فكيك إلى توات، والطريق من هذه الأخيرة إلى تنبكت، وتضمن التأليف إشارات عن التنظيمات الإدارية في فكيك معرقاً بالوضع الاقتصادي للمغرب الشرقي معالجاً مدى ارتباط السكان بالمخزن وصودهم في وجه المد الفرنسي، كما احتوى على استطرادات في مواضيع مختلفة مثل حديثه عن علماء وأشرف فاس. وقد نقل المؤلف جزءاً من هذه الرحلة وضمّنه كتابه اللاحق نهاية القول في تنبيه همم الفحول.

أوعز باشا فاس عبد الله بن أحمد إلى السوسي الفاسي بالإجابة عن استشارة السلطان مولاي الحسن بخصوص الحكم الشرعي لتوظيف المعونة لإقامة جيش حديث، وكان جل العلماء قد تهربوا من الإجابة عن الاستشارة المذكورة ماعدا محمد بن عبد الوهاب ابن سودة. وألف السوسي السملالي،

استجابة لطلب الباشا، كتاب *عناية الاستعانة في حكم التوظيف والمعونة*، الذي يحمل عنواناً آخر هو *قمع أهل الرعونة في اطلاق المكس على المعونة*، نقل فيه فقرات مطولة عن شيخه السنولي للاستشهاد بها في تبرير سياسة المخزن الحسني بشأن فرض جباية إضافية على الرعية، وتشدد في موقفه، إلى حد أنه رأى ضرورة ضرب أعناق العلماء الذين يظهرون المعارضة لما عزم السلطان على تنفيذه "وقال أن للإسام أن يسوسهم بما تقتضيه سياسته في التوظيف حتى في إزالة دماغ من فسد مزاجه، ولم تنفع فيه المداواة" (عناية، 65).

إن عدداً من مؤلفات السوسي الفاسي تهم عهد السلطان مولاي الحسن جزئياً أو كلياً، منها *نهاية القول في تنبيه همم الفحول*، وهذا المؤلف شرح لقصيدة من البحر الكامل نظمها السملالي في سيرة السلطان المذكور، وضمن هذا الشرح استطرادات كثيرة، وقد فرغ منه سنة 1302 / 1885، ومنها *مطلع السعادة في فلك سياسة الراسة*، تناول فيه سياسة السلطان المذكور كذلك ضمن معالجته لقواعد السياسة السلطانية بشكل عام، ومنها *مطالع الحسن واتباع السنن بطولوع راية مولاي الحسن*، تضمن أخبار السلطان واستطرادات كثيرة، منها تفاصيل رحلة المؤلف إلى الأطلس المتوسط سنة 1305 / 1885. ومنها *قصيدة من البحر الطويل من 265 بيتاً عن حركة مولاي الحسن إلى سوس عام 1299 / 1981*، وأخرى في مدح الرسول "صلعم"؛ وشرح لألفية ابن مالك، وتقاييد وطرر في مسائل نحوية وفقهية ومقامات. توفي بفاس منتصف ليلة 19 جمادى الثانية سنة 1311 / 28 دجنبر 1893.

ع. السوسي الفاسي نفسه، *عناية الاستعانة في حكم التوظيف والمعونة*، مخطوط خ.ع، الرباط، رقم 480؛ م. بن جعفر الكتاني، سلوة، طبعه حجرية، فاس، 1316، ج 3؛ ع. بن إبراهيم، الإعلام، ج 9؛ ع. الله الجرازي، *التأليف ونهضته بالمغرب في القرن 20* (من 1900 إلى 1972)، الرباط، ط 1، 1985؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن 19 (ابنوسان 1851 - 1912)*، ط 2، الرباط، 1983؛ أ. العمالي، *نظرية التحديث والمواجهة عند علي السوسي السملالي*، حسن أعمال ندوة، الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن 19، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1986؛ أ. المكاوي، *مسألة الإصلاح عند المفكرين المغاربة في النصف الثاني من القرن 19* (من خلال بعض النماذج)، د. د. ع. كلية الآداب، فاس، 1988.

A. Laroui. *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain 1830/1912*, Paris, 1978.

أحمد المكاوي

**السوسي، محمد بن أحمد الزاهد** المعروف بالمغربي، من أقدم الزهاد المغاربة الذين احتفلت المصادر المشرقية بذكورهم، وقد ذكره السلمي في الطبقة الثانية من الصوفية، طبقة أبي القاسم الجنيد البغدادي (ت. 297).

انتقل من المغرب إلى إفريقية واستوطن القيروان مدة، ثم

غادرها في رحلة إلى المشرق، فأخذ عن علي بن رزين (ت. 225) من أصحاب الحسن البصري. وصار من أعلام التصوف المرموقين فأخذ عنه من شيوخ التصوف بالمشرق إبراهيم الخواص (ت. 291)، وإبراهيم بن شيبان العراقي الذي لازمه 30 سنة.

بلغ السوسي درجة متقدمة من الزهد، فاعتبرته الأدبيات الصوفية من الأوتاد، "وكان متجرداً من الدنيا... دائم الأسفار على التجريد والتوكل" (معالم)، ويكتفي بأكل العشب.

كان تصوفه سنياً، وقد نقل عنه تلاميذه أقوالاً كثيرة في التصوف تترجم الدرجة العالية التي بلغها فيه علماً وسلوكاً، منها تعريفه للزهد بقوله: "الزهد تجريد القلوب وتزوع النفس بالانصراف سراً وجهرًا"، ومنها قوله: "أفضل الأعمال عمارة الأوقات بالموافقات". ومنها أيضاً: "يحتاج الفقير إذا سافر إلى أربعة أشياء: علم يحرسه، ووجد يحمله، وورع يسوسه، وذكر يؤنسه". وكان يقول الشعر أيضاً، ومن شعره:

يا من بعد الوصال ذنباً كيف اعتذاري ولي ذنوب  
إن كان ذنبي إليك جسي فإنني منه لا أتوب  
توفي سنة 299 / 912 بجبل طور سينا بعد أن عمر حوالي 120 سنة، ودفن بجوار قبر شيخه ابن رزين.

ع. الرحمن الدياغ، (ت. 696)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج 2، نج. محمد الأحمد أبو النور ومحمد ماحنور، تونس، د. ن. ص. 285، 287؛ السلي أبو عبد الرحمن (ت. 412)، *طبقات الصوفية*، نج. نور الدين شريعة، القاهرة، ط 3، 1418 / 1997، ص. 242، 245؛ أبو بكر المالكي (ت. 464)، *رباض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية*، نج. بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي، بيروت، 1983، ج 1، ص. 196 - 197؛ عمر ابن الملقن (ت. 804)، *طبقات الأولياء*، نج. نور الدين شريعة، القاهرة، ط 1، 1393 / 1973، ص. 402 - 403.

محمد الغراوي

### السوسي، محمد بن عبد الله أحد كبار شيوخ

التصوف في القرن الحادي عشر (17 م)، أصله من تلميت الواقعة في المجرى الأسفل لواد تمارت أحد روافد نهر درعة ببلاد سوس الأقصى. ألف فيه وفي أتباعه أحمد بن يعقوب الولاوي *مباحث الأنوار*، في أخبار بعض الأخيار. تربي المترجم في وسط أسرة غلب عليها طابع العلم والزهد والورع، وقد حرص والده عبد الله بن يعقوب على تعليمه قصد ظهوره بالعلم، لكنه تخلى عنه عندما رآه مجتهداً إلى ناحية أخرى (مباحث الأنوار، 4). حلاه مترجموه بصفة الخمول وكثرة التنستر. أما طريقته فسمّاها "الطريقة العمرية" نسبة إلى عمر بن الخطاب وعن أصل هذه الطريقة ذكر صاحب الترجمة أن الكتاب يأمره وينهاه والسنة تربيته. لذلك كان تارة يلازم قراءة القرآن الكريم، وتارة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يسمع منه غيرهما. وترد عليه الواردات.



وفي محرم - صفر عام 1338 / أكتوبر من سنة 1919 التحق بجامعة ابن يوسف، وقضى فيها خمس سنوات من الدراسة، وقد وصف قدومه لأول مرة لمدينة مراكش بقوله : "في عشية يوم أقبل هذا الفتى راكبا على "فرس أحمر" يتطلع من بعيد إلى صومعة الكنيسة العالية، ويقارن ما إذا كانت مراكش أكبر من الصورة التي زارها منذ أيام". وقد سكن إذ ذاك في مدرسة ابن يوسف، فأنصرف إلى القراءة، وأخذ عن ثلثة من العلماء أمثال : ابن عمر السرغيني، وبوشعيب البهلول، والحسن السرغيني، وعمر الجارري، وأحمد العلمي، واليزيد الروداني.

كما تميزت هذه المرحلة أيضا بتأثره بدروس الشيخ أبي شعيب الدكالي، فكان ذلك فتحا جديدا في حياة المختار السوسي، يقول : "في سنة 1342 / 1925 طلع علينا السعد يطلوع الشيخ أبي شعيب الدكالي، فكان ذلك في حياتي إجابة (إغلاقا) لباب وفتحا لباب آخر" (الإلغيات، 2 : 225).

والباب الجديد الذي فتحه الشيخ أبو شعيب الدكالي في حياة المختار السوسي هو باب الفكر السلفي بعد أن كان المختار السوسي غارقا في التصوف الطرقي. فها هو يعيش تجرية الصراع بين القديم والحديث بين الطريقة التي كان غارقا فيها ومتسوبا إليها وبين رياح التغيير السلفي الإصلاحية.

تحت طائلة هذا الإحساس قرر محمد المختار الرحيل إلى جامعة القرويين، وبقي بها أربع سنوات بين 1925 و1928. وفي فاس اتضحت غلبة الفكر السلفي في شخصيته، نظرا لكون فاس تعتبر في هذه الفترة من بين المدن التي تركز فيها التفكير في فجر المغرب الجديد، وبعث النهضة الحديثة.



عُرف محمد بن عبد الله السوسي بمحبته الشديدة في آل البيت ولما اشتهر أمره بمراكش، وشي به إلى السعديين فأوقفوه عن نشاطه الصوفي ثم توجه إلى البقاع المقدسة للمجاورة فيها، ومر في طريقه بالزاوية الدلانية فأقام عند سلطانها محمد الحاج الدلاني عشرة أيام (الزاوية الدلانية، 135). كما دخل الصومعة من تادلا ورحب به أهلها والفقهاء محمد بن عبد الرحمان الصومعي التادلي وعظموه وأخذ طائفة منهم عنه.

أخذ عن صاحب الترجمة أحمد بن سعيد الكنسوسي المراكشي، والشيخ يحيى الهشتوكي، ومحمد ابن سعيد الميرغشي - مؤلف المقنع - والشيخ علي العكاري الذي طلب منه تيسير العلم والعمل. وكان يدعو لمريديه بالأوصاف الواردة في الآيات "قد أفلح المومنون" إلى "الذين يرثون الفردوس".

توفي محمد بن عبد الله السوسي بمكة عام 1079 / 1668.

أ. ابن يعقوب الولا، مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار، نج. ع. العزيز بوعصاب، رسالة د. د. ع. مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 1984/1407 : أ. بن عاشر الحافي، فهرس، نج. م. السعديين، رسالة د. د. ع. كلية الآداب بالرباط، 1991، ص. 222.221 : م. حجي، الزاوية الدلانية، 135.

محمد السعديين

**السوسي، محمد المختار بن علي الإلغي.** ولد في قرية "دوكادير" في بسيط "البع" صبيحة أحد أيام صفر سنة 1317 / يونيو سنة 1900 من والده الشيخ علي بن أحمد ابن محمد، ومن والدته السيدة رقية بنت محمد بن العربي الأدوزي، وهذه الأم هي التي علمت ابنها محمد المختار وجميع إخوته القراءة والكتابة وحفظ أجزاء من القرآن الكريم، ثم حفظ القرآن بعد تنقله في عدة كتاتيب قرآنية لمدة سبع سنوات.

بعد وفاة الشيخ علي الدرقاوي أصبح محمد المختار تحت كفالة أخيه الأكبر محمد الخليفة الذي كان يتولى مشيخة الزاوية ورئاسة الأسرة، ورعاية أمه وزوج أخته سعيد التتاني. هذه الرعاية كانت بمثابة زاد معنوي أمدده بالتشجيع الكافي لتابعة الدراسة في عدد من المدارس العتيقة بسوس. وفي تعليمه الابتدائي تنقل بين عدد من هذه المدارس وتلقى العلوم لدى عدد من أساتذتها، ومنها :

- المدرسة الإلغية في قريته سنة 1911 عند الفقيه الولوقي التزنيشي لمدة سنة.

- مدرسة إبعشان في سنتي 1912 - 1913 عند عبد الله الإلغي لمدة سنتين.

- مدرسة بونعمان، الواقعة جنوب تزنت بحوالي 20 كلمترا لمدة سنة 1914.

- مدرسة تانكرت بإفراان الأطلس الصغير لدى العلامة المشهور الطاهر الإفرائي إلى سنة 1918. وفي هذه المدارس تلقى مبادئ العلوم الشرعية واللغوية، ثم التحق بمدرسة السعيدات شرق مراكش بحوالي ثمانين كيلومترا لمدة سنة كاملة.

ولتحديد موقع فاس في ثقافته يقول : "في فاس استبدلت فكرا بفكر، فتكون لي مبدأ عصري على آخر طراز، قد ارتكز على الدين والعلم والسنة القوية".

أخذ عن الشيوخ الرسومي، والحجوجي، والعباس بناني، ومحمد ابن جعفر الكتاني، ومحمد بن الطيب البكراوي، ومحمد بن العربي العلوي، وعبد السلام الفاسي.

وقد شمل نشاطه الطلابي الاهتمام بالقضايا الثقافية والسياسية، حيث بادر إلى الإسهام في تأسيس جمعيتين : الأولى هي "جمعية الحماسة"، وكان يتولى رئاستها بنفسه ؛ والثانية جمعية "سياسة سرية" تعمل في إطار الدفاع عن القضية الوطنية، وترأسها علال الفاسي. كما تطوع للتدريس في المدرسة الناصرية التي شكّلت ملجأ يستقطب الوطنيين في تلك الظروف التي اتهمت فيها حماسة السكان ضد الاستعمار في فاس، وفي أغلب مدن المغرب وقراه، وقد بادرت سلطات الاستعمار إلى نفي مدير هذه المدرسة عن فاس، وضايقت كل الطلاب الناشطين سياسيا، وكانت هذه المضايقة سببا في مفادرة المختار السوسي فاسا إلى الرباط.

حل بالرباط في يونيو 1928، فاستقر بها حوالي سنة كاملة اعتبرها أغنى سنوات تعليمه، حيث كان في هذه المرحلة قد اندمج في بيئة مدنية متحضرة عرفت مختلف وسائل التشقيف، فسائر التطور الذي تشهده بلاده بصفة خاصة والعالم بصفة عامة ملازما لدروس شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي والمدني ابن الحسني، ومحمد السايح ؛ مقبلا على شتى فنون المعرفة، مخالطا لنخبة المثقفين أمثال محمد بن العباس القبايج، ومحمد بن أبي بكر التطواني، وأبي بكر بناني، وعبد الله بن العباس الجراري، وعبد الرحمن الدكالي ؛ مساهما بنشاطه في مختلف الأندية الثقافية والفكرية.

وهكذا قضى في مرحلة التعليم زهاء تسع عشرة سنة، تنقل خلالها عبر بيئات مختلفة بدوية وحضرية، وقد حدد بإحصاء دقيق مجمل العلوم والفنون التي حصلها خلال هذه المرحلة من التعليم، مما جعله مؤهلا لأداء رسالته التربوية والوطنية والحضارية، ولا بد من تقديم ملاحظات حول هذه المرحلة قبل الانتقال إلى ما بعدها.

في شهر يونيو سنة 1929 رحل محمد المختار السوسي إلى مراكش، وحل بزاوية والده بباب دكالة حي الرميثة، وبدأ مرحلة جديدة من حياته قرر فيها مع نفسه أن المهمة التي خلق من أجلها هي : التعليم والتربية وتكوين الرجال، كيفما كانت الظروف زمانا ومكانا، فأينما حل وارتحل يسرع إلى تكوين حلقات دراسية في المدارس والمساجد والمعتقلات، وهو في هذا المجال صاحب طاقة علمية وقدرة بيداغوجية تؤهله لأن يصل إلى أذهان مستمعيه، فيبلغ النتائج التي تجعله دائما يشعر بالرضى والاطمئنان.

كان سلوك محمد المختار السوسي وهو يُحوّل زاوية والده بحي الرميثة بباب دكالة من زاوية إلى مدرسة داخلية يترجم بوضوح التحولات العميقة التي وقعت في تفكيره، والانتقال من العمل الصوفي الطرقي إلى العمل السلفي، وقد أوجد لمدرسته الوسائل الكفيلة بإغماح مشروعه التعليمي من توفير

المأوى والمأكل والملبس للتلاميذ الوافدين من خارج المدينة من سوس والصحراء والسيظامة وعبدة الرحامنة وسائر جهات المغرب، وبلغ عددهم في فترة وجيزة ثلاثمائة طالب، فاستعان في ذلك بعائدات اشتراكه في الفلاحة مع بعض الفلاحين في السراغنة والرحامنة، وبمساعداة بعض تجار المدينة ممن يقدمون العون، ويدفعون منحا خاصة للطلبة على شكل "وجبات يومية"، فتحمل كل منهم نفقات طالب أو أكثر طيلة مدة انتسابه إلى المدرسة.

دام جهاده التعليمي في هذه المدرسة حوالي أربع عشرة سنة استمرت المرحلة الأولى منها ما بين سنوات 1929 و1937، ثم نفي وعاد إليها لتستمر المرحلة الثانية (1946 و1951)، حيث انتقل بعد ذلك إلى الدار البيضاء للإقامة وممارسة التدريس بها أيضا.

وتخرج من هذه المدرسة على يد المختار السوسي طوال هذه المدة كثير من العلماء والأدباء ورجال الحركة الوطنية، منهم : محمد بن عبد الله الروداني، وعبد القادر حسن، وسعيد التتاني، وعلي بن المعلم، والأخوان محمد الدكالي، وأحمد شوقي، وغيرهم كثير.

وبموازاة التدريس كان محمد المختار السوسي يقوم بنشاطات أخرى : فمن الناحية الدينية كان يلقي دروسا عمومية للوعظ والإرشاد في مختلف المساجد، ومن الجانب التعليمي وقع الاعتراف به كمدرس في جامعة ابن يوسف سنة 1935. وفي المجال الاجتماعي ساهم في تأسيس الجمعية الخيرية بمراكش، وترأس مكتبها، وفي هذه الفترة تزوج برفيقة عمره السيدة صفية بنت إبراهيم، وقد ساهمت إلى جانبه بصورة فعالة في مختلف المراحل والمواقف، فكانت نعم المعين والرفيق.

ونتيجة الدور الذي قام به المختار السوسي في الساحة السياسية بمراكش تعرض لعدة اعتقالات، وعاش حياة القمع والمنافي. ومن الصعب تحديد إجابة دقيقة عن طبيعة التزامه السياسي، دون الاقتناع بمبدأ التوفيق، وإن قبوله الالتزام داخل جمعيات سرية في فاس ومراكش وهي من تأسيسه، يعتبره التزاما علميا وخلقيا وفريضة، لأن الأمر يتعلق بمواجهة الاحتلال الأجنبي الذي يمس تطلعات الأمة وهويتها الوطنية والإسلامية واللغوية، فيجعل العلم إلى جانب السياسة أداة للوصول إلى نفس الهدف، وهو محاربة الاستعمار والقهر، والدفاع عن كيان الأمة، وهذا الاقتناع يؤكده في إطار الالتزام الحزبي في نطاق حزب الاستقلال بقوله : "وإن كنت لا أعدو أن أكون فقيها في الحزب وليس زعيما من زعمائه".

نظراً لنشاطه السياسي بمراكش قررت السلطات الفرنسية نقله إلى مسقط رأسه بقرية "دوكادير" في منطقة "الع" بتاريخ 11 مارس 1937، وقد حمل في سيارة قديمة عبر مدينة تارودانت وإبغرم ليصل إلى مسقط رأسه، وهناك عهدهت الحكومة إلى أخيه الأكبر محمد الخليفة بمراقبته، وفي هذه الأثناء ونظرا لما كان للرجل من أهمية في العمل الوطني احتج سكان مراكش بقوة على هذا النفي، كما استنكرت الجرائد الوطنية هذا التعسف مثل جريدة الأطلس وغيرها.

ورفع السكان عرائض احتجاجا للسلطان محمد الخامس، وأخرى للمقيم العام بالرباط.

وقد تميزت مرحلة هذا النفي بانقسامها إلى قسمين : ففي القسم الأول منه وقع تشديد الحراسة عليه، بحيث لا يتصل بأي شخصية أجنبية من غير أسرته أو بعض فقراء الطريقة الدراقوية، فكان مشتغلا بالكتابة، وقد استغرق هذا القسم خمس سنوات.

أما القسم الثاني فقد استغرق أربع سنوات أخرى، وتميز بأن سلطات الحماية سمحت له بالتنقل داخل إقليم سوس، فقام بأربع رحلات سجل مذكراته عنها في كتابه خلال جزولة، وفي هذه الفترة جمع معلومات ساعدته على كتابة مؤلفاته، بحيث تمكن من الاطلاع على ما في الخزائن السوسية من كتب ومخطوطات ووثائق، وكان قد اهتم بتاريخ سوس والمغرب والعالم بصفة عامة، في وقت هيمنت فيه على الأحداث وقائع الحرب العالمية الثانية التي عايشها المختار السوسي بعواطفه، وظهرت آثار ذلك في إنتاجه الأدبي، سواء في مجال النثر أو فيما نظمه من قصائد، وأخيرا رفع عنه قرار النفي في نهاية سنة 1945، فتوجه إلى مراكش صحة زوجته وأطفاله الثلاثة الذين ولدوا في النفي.

استمرت مرحلة ما بين المنفيين سبع سنوات (1946 و1952) أمضى خمس سنوات منها في مراكش، ثم انتقل إلى الدار البيضاء، وأثناء عودته إلى مراكش زاول نشاطه المعتاد فقام بعدة أعمال : حيث عاد إلى التدريس في مدرسة الرميبة، وإلقاء الدروس العمومية في المساجد، وأسس جمعية لينا مدرسة محمد الخامس، وأرسله السلطان محمد الخامس في وفود رسمية منها : وفد الحجاج إلى الديار المقدسة 1946، ووفد جمعية أحباس الحرمين الشريفين إلى تونس 1948، وزاد نشاطه الوطني بعدما عرفت الحركة الوطنية انتشارا في عموم مدن المغرب، وكان على رأس الموقعين على عريضة الاحتجاج على حملات الاستعمار التعسفية.

ونظرا لتحرشات السلطات الاستعمارية نقل على وجه السرعة إلى الدار البيضاء بواسطة تنسيق رجال المقاومة بين المدينتين في آخر دجنبر سنة 1950، فاستأنف نشاطه الوطني هناك، وكان يمارس التدريس والإرشاد والتوجيه في بعض مساجد المدينة، حتى قامت مظاهرات في صفوف العمال احتجاجا على اغتيال الزعيم التونسي فرحات حشاد يوم 7 دجنبر 1952، فقامت الحماية بسلسلة من الاعتقالات في صفوف الزعماء الوطنيين، وشمل الاعتقال المختار السوسي وبعض أصدقائه، وتم نفيهم إلى تافيلالت.

استغرق الاعتقال الثاني بتافيلالت حوالي سنة ونصف سنة، ابتداء من 10 دجنبر 1952 أمضى سبعة أشهر منها بمركز "تينجداد" حيث ذاق مع غيره من الوطنيين أصنافا من المعاملة السيئة والتشديد، وكان يملا وقتته بقراءة القرآن والانصراف إلى الكتابة والتأليف. أما القسم الثاني من هذا الاعتقال فقد قضاه بمركز "أغبالو نكردوس" إلى جانب بقية المعتقلين الذين ناهز عددهم خمسين معتقلا، وتميزت هذه الفترة بإعطاء المعتقلين حريسة التصرف داخل المعتقل،

فوضعوا برنامجا يوميا يشتمل على دروس ومحاضرات، وسماع الأخبار ومناقشتها، وبرامج ترفيهية رياضية، وكتب مذكرات هذا المعتقل ضمنها كتابه معتقل الصحراء. وقد كان ختام هذه الاعتقالات بتاريخ 10 يوليوز 1954.

وبعد عودة محمد الخامس من المنفى سنة 1955 شكلت أول حكومة مغربية في عهد الاستقلال تقلد فيها المختار السوسي منصب وزير الأوقاف، وبقي في هذا المنصب مدة استمرار الحكومة الوطنية الأولى، وهي أحد عشر شهرا، وفي الحكومة الوطنية الثانية تقلد منصب وزير الساج، كما تقلد مهمة القاضي الشرعي للقصور الملكية. وقام بمهام وأنشطة ثقافية كثيرة، مثل حضوره بعض المؤتمرات الخاصة بالقضايا الإسلامية، وإلقاء محاضرات ودروس دينية يومية، وتسجيل أحاديث إذاعية بالعربية والأمازيغية، لكن أهم عمل انكب عليه وكرس له كل أوقاته هو إقام تأليفه بالمراجعة والتنقيح، ثم دفعها للطابع المتعددة والعمل على نشرها بين القراء بكل الوسائل.

للمترجم مؤلفات كثيرة منها المطبوع والمخطوط :

أ - المؤلفات المنشورة في حياته :

- العسول، طبع بالدار البيضاء والمحمدية والرباط ما بين 1960 - 1963، (20 جزءا).
- سوس العالمة، المحمدية، 1960، أعيد طبعه.
- خلال جزولة، تطوان، (1961 - 1963)، (4 أجزاء).
- الرسائلتان البيونعمانية والشوقية، تطوان، (د. ت.)، (ملحق بكتابة خلال جزولة، ج. ا).
- الترياق المداري في أخبار الشيخ الحاج علي السوسي الدراقوي، تطوان، 1960.
- منية المتطلعين إلى من في الزاوية الإلغية من الفقراء المنقطعين، تطوان، 1961.
- أصفى الموارد في تهذيب الرحلة الحجازية للشيخ الوالد، الدار البيضاء، 1961.
- من أفراء الرجال، في عشرة أجزاء، طبعت ثلاثة، تطوان 1962.
- الإلغيات، الدار البيضاء، 1963، 3 أجزاء.
- على قسمة الأربعين، (انظر الإلغيات، 1963، ج. 3، ص. 207 وما بعدها).
- بين الجمود والجحود، رواية في أفكار إسلامية نشرت في تسع حلقات، مجلة دعوة الحق، أعوام الستينيات.
- إيليق قديما وحديثا، تج. محمد بن عبد الله الروداني، الرباط، 1966.
- معتقل الصحراء (الجزء الأول)، الرباط، 1982، (الجزء الثاني مازال مخطوطا).
- حول مائدة الغذاء (مذكرات)، الرباط، 1983.
- ذكريات، الرباط، 1984.
- طاقة ربحان من روضة الأفتان، مختصر روضة الأفتان للرفاكي، الرباط، 1984.
- مدارس سوس العتيقة، نظامها وأساتذتها، طنجة، 1987.
- رجال العلم العربي في سوس، طنجة، 1989.

- المجموعة الفقهية في الفتاوى السوسية، إعداد الأستاذ عبد الله الدرقاوي، الدار البيضاء، 1995.
- كيف عرفت الأدب؟، محاضرة ألقاها على أدياء مراكش سنة 1936. نشرت بالرباط.
- 2. المؤلفات المخطوطة (مرتبة حسب المواضيع):
- أدوار سوس التاريخية، كتاب تناول فيه العصور الأخيرة بسوس.
- مجموعة في أنساب السوسيين.
- الصالحون المتبرك بهم في سوس.
- الرؤساء السوسيون.
- الثوار السوسيون، محاضرة.
- من الحمراء إلى الغ، رحلة تتضمن معلومات تاريخية عن حاحة وإداوتان وأكادير.
- مراكش في عصرها الذهبي.
- الرد على كولان، حول جامعة القرويين.
- معتقل الصحراء، (الجزء الثاني).
- دروس أغبالو نكردوس، ألقاها على المعتقلين هناك.
- توفيق الرحمن إلى مراجعة القرآن، في كيفية تعليم القرآن بسوس.
- مواقف مخجلة، ألفه في منفاه بتنجداد.
- حياة الشيخ الوالد.
- إنحاف النبيه ببعض مآثر سيدي أحمد الفقيه الركني.
- وصف الغطريس، مختصر كتاب المهدي الناصري في أخبار المقاومين في تافيلالت.
- مترعات الكؤوس في بعض آثار أدياء سوس.
- جوف الفرا، مجموعة أدبية، قصائد ورسائل ذات طابع تاريخي.
- حاشية على الكشاف للزمخشري، مخطوط.
- وشي المطارف في ثبوت الهلال بالحجير الرسمي من الهاتف.
- حديث سيدي حمو، في شكل رواية.
- قطائف اللطائف في الحكايات والنوادر السوسية.
- نضائد الديباج في المراسلات بين المختار والقباج.
- الألفاظ العربية في الشلحة السوسية.
- أمثال الشلحيين وحكمهم نظماً ونشراً، بلغت 1050 مثلاً.
- مشيخة الإلغيين من الحواضر من فاس ومراكش والرباط، 17 إجازة.
- إجازات المختار السوسي.
- أسانيد وإجازات سوسية.
- عقود العقيان في إجازات الإخوان.
- أحاديث إذاعية دينية، باللغة العربية والأمازيغية، بلغت 90 حديثاً.
- توفي يوم الأحد 29 جمادى الثانية عام 1383 / 17 نوفمبر 1963، ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط.
- م. المختار السوسي، المعسر، الدار البيضاء، 1960؛ الإلغيات؛ الترياق المداوي، مقدمة؛ معتقل الصحراء، الرباط، 1982؛ دليل مخطوطات مؤلفات المختار السوسي، الرباط، 1988؛ أنا والأدب.

تقديم ع. الله الدرقاوي، زهرة الأس في فضائل العباس، الرباط، 1997؛ عمر أفا، عبد المجيد الصغير، صدقي علي أزابكو، عبد الغني أبو العزم، أحمد التوفيق، دراسات حول المختار السوسي، أعمال ندوة المختار السوسي، الذكرى المستعادة، الدار البيضاء، 1986؛ م. خليل، محمد المختار السوسي، دراسة لشخصيته وشعره، الدار البيضاء، 1985؛ عمر أفا، أرصدة التراث المخطوط بسوس، أعمال ندوة التراث الإسلامي المخطوط بسوس، أكادير؛ ع. المتوكل الساحلي، المعهد الإسلامي والمدارس العتيقة بسوس، الدار البيضاء، 1985؛ ح. أفا، الشعر العربي في سوس بين الاتباع والابتداع، دكتوراة دولة مرقونة بكلية الآداب، أكادير، 2001؛ ديوان البونعماني، الرباط، 1996؛ مجلة الإيمان، يناير - فبراير، 1982؛ م. الشليح وآخرون، محمد المختار السوسي، سلسلة أعلام المغرب، الدار البيضاء، 1996، رواية شقوية عن عبد الله الدرقاوي بالرباط، والمهدي الدرقاوي بأكادير.

عمر أفا

### السوسي، المختار (الحاج -) ابن الوزير عبد الله بن

أحمد بن مبارك، سليل الأسرة المخزنية المعروفة "آل بآ أحماد"، ولد بمدينة مكناس ونشأ بها، وتعلم على يد كبار علماء عصره من أمثال المحدث عبد القادر العراقي والقاضي أحمد بن سوادة وإبراهيم التادلي الرباطي والمفضل السوسي وغيرهم ..

كان المختار، إلى جانب عمله، يتصف بأخلاق سامية وسجيا حميدة، بشوشاً كريماً حسن السميت، هينا لطيف المحادثة والمجاملة (ابن زيدان، الإنحاف، 4، ص. 306).

كما كان يتمتع بمهارة في السياسة وحسن التدبير للأمر، لذلك استوزره السلطان الحسن الأول مع ولده وخليفته مولاي محمد، وعينه السلطان عبد العزيز وزيراً لعمه وخليفته بفاس مولاي عرفة. ثم أسندت إليه مهمة الكاتب الأول بالصدارة العظمى خلفاً للظاهر اليفيشتي. ورشح لمنصب الصدارة العظمى خلفاً لابن عمه أحمد بن موسى بعد وفاته في فاتح عام 1318 / 7 ماي 1900 إلا أنه عزل أواخر ذي الحجة من نفس السنة، وامتنحن وصودرت أملاكه وسلبت ضمن المصادر التي شملت كل المقرين ممن لهم أدنى اتصال أو قرابة من الوزير أحمد بن موسى. وأخرج من مراكش إلى مكناس بعد أن سلبت كل أملاكه، ومع ذلك لحقت به كتيبة من الخيل بالطريق وفي معيتها مكلف من قبل المخزن للإتيان بجميع ما خرج به من مال ومنتول فسلب منه ذلك كله على وجه التعنيف والانتقام كما صدرت الأوامر المخزنية لفاس بإحصاء جميع أملاكه ومصادرتها (الإنحاف، 4، ص. 307).

وعند وصوله إلى مدينة الرباط اعتقل من قبل عاملها ومنع من التوجه إلى مكناس، ثم نفي إلى تطوان، وهناك تصدر للتدريس إلى أن أذن له بالعودة إلى مكناس حيث أقبل على نشر العلم والتفرغ له غير مكترث بما حصل له من امتحان وعزل وسلب. فأخذ عنه كثير من علماء مكناس فذكر منهم: الفقيه عبد السلام الطاهري ومحمد العرائشي، وعبد القادر بن زيدان، والمولى راشد بن علي الشبيهي، والمؤرخ عبد الرحمن بن زيدان.

وتعرض المختار لمحنة أخرى أثناء ترمد القبائل المحيطة بمدينة مكناس ضد مولاي عبد الحفيظ (1909 - 1911) الذين اعترضوا طريقه وهو متوجه ضمن قافلة إلى مدينة مكناس قادماً إليها من فاس فسلموهم حتى من ملابسهم ولم يتركوا لهم إلا ما يسترون به العورة.

توفي بمكناس أواسط شعبان عام 1335 / أوائل يونيو 1917 ودفن بالزاوية الكتنبية من حومة صدراته.

ع. الرحمن ابن زيدان، الإنحاف، 4، ص. 306. 307 : مصطفى الشابي، النخبة المخزنية، المحمدية، 1995.

### السوسي المكناسي، أحمد بن علي رأس الأسرة

السوسية المكناسية، أصله من الساقية الحمراء، فقيه عالم مدرس مشارك في كثير من المعارف والعلوم، بلغت شهرته العلمية السلطان المولى سليمان، فأرسل إليه من يأتيه به من مسقط رأسه بالساقية الحمراء، ولما ورد وجد السلطان بالحضرة المكناسية، فرحب به ترحيباً كبيراً وأكرم مثواه، وأنزله بمدرسة الجامع الأزهر المعروف اليوم بجامع الروي بناء على رغبته، وهناك تصدر للتدريس.

ولما علم عبد القادر العلمي (سيدي قدور) بمقدمه سعى إليه واجتمع به وأخذ عنه خاصة كما يقول ابن زيدان "سر أسماء الله الحسنى" (الإنحاف، 1، ص. 362).

وبعدما طالت مدة إقامته بمدينة مكناس طلب من السلطان أن يرده إلى مسقط رأسه فرفض، وزوجه من إحدى الشريفات، وعندما توفيت زوجته بأخرى رگراكية.

وبقي أولاده بمكناس يحملون نسبة السوسي.

لا يُعرف تاريخ وفاته ولا وفاة ولده المكي الذي كان من أعيان علماء، وقته وعدولهم الميرزين، إلا أنهما عاشا في النصف الأول من القرن الثالث عشر (19م).

ع. الرحمن ابن زيدان، الإنحاف، ج 1، ص. 362.

### السوسي المكناسي، محمد بن أحمد بن المكي بن

أحمد بن علي فقيه علامة مشارك في علوم التفسير والحديث ومصطلحه، والسيرة النبوية والأصليين واللغة والبيان كما كان بارعا في اللغة وفي النحو والصرف والعروض والقوافي، عالماً بالفقهيات.

ولد بمكناس سنة 1285 / 68 - 1869، بدأ مسرأله التعليمية الأولى في الكتاب العلوي بالخطارين على يد محمد بن العياشي القبري (ت. 1312). وتابع دراسته فنهل من روافد متعددة على يد ثلة من الفقهاء المكناسيين منهم عمه محمد المفضل السوسي (ت. 1320) وهو عمده، وأخوه الفقيه محمد بن أحمد السوسي (ت. 1316)، ومحمد المفضل بن عزوز (ت. 1319)، ومحمد القصري العبدري (ت. 1324) ومولاي عبد الله بن إدريس البدرابي (ت. 1317) وقاضي مكناس أحمد بن الطالب ابن سودة المرى (ت. 1319)، وغير هؤلاء، من علماء مدينتي مكناس وفاس.

وفي طريقه إلى الحج سنة 1330 اتصل في مصر بالشيخ عبد الجليل بن عبد السلام برادة الفاسي الأصل وأخذ عنه وعن الشيخ عبد الحميد الشهير بسلامة المصري، ويوسف بن إسماعيل النيهاني.

بعد ذلك تصدر للتدريس الذي لم يتوقف عنه طيلة حياته منذ أن سجل في قائمة طلبة علماء مكناس عام 1311 حتى وفاته. وتقلد عدة وظائف إلى جانب التدريس أهمها : العدالة بسماط العدول بمدينة مكناس سنة 1311، والنيابة عن قاضي مكناس أحمد بن بويكر عواد السلاوي (1341-1386)، ثم العضوية بمجلس الاستئناف الشرعي الأعلى بالرباط (1342 - 1346). وأخيراً قاضي مدينة مكناس في شعبان 1346 ظل يشغله حتى أوائل عام 1359 حيث أحيل على المعاش. وكان له دور محمود في أحداث بوفكران.

له مؤلفات عبارة عن شروح وحواش وختامات، منها :

شرح موسع لهزمة البوصيري، حاشية على شرح أرجوزة مصطلح الحديث للعربي الفاسي، ختم الرسالة القيروانية باسم : عون الموصوف بالجلالة على ألفاظ ختم الرسالة، ختم المرشد المعين، والشامائل الترمذية بعنوان : عون الطالب السائل على فهم الأثرين المختوم بهما الشامائل، وختم المختصر والألفية.

توفي في 3 شوال 1369 / 19 يوليو 1950 ودفن بالزاوية الكتنبية بمكناس.

م. النوني، دعوة الحق، العدد 7، السنة 16 غشت، 1974، ص. 151 - 159 : ب. بوعسرة، أحداث بوفكران، ج 1، ص. 216.

### السوسي المكناسي، محمد بن الحسين النيهي

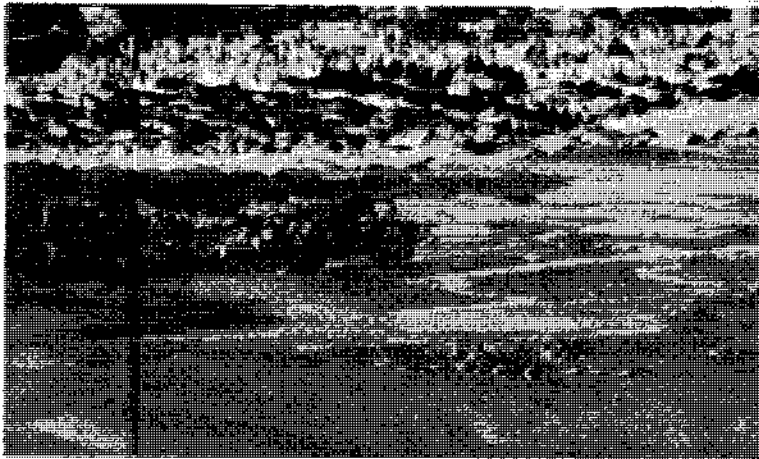
الزيادي الشهير بأبي مدين، ولد بمكناس ونشأ بها وأخذ العلم عن علماء عصره، وقرأ على الحسن بن مسعود اليوسي، وهو عمده، فظهر نبوغه واشتهرت براعته. وكان يتميز بفهم ثاقب وذهن وقاد وذكاء نادر وسرعة بديهة. إلى جانب براعة كبرى في الخطابة والكتابة وكان على حد تعبير ابن زيدان مقتدراً على الترسيل فصيحاً بليغاً سيال القلم خطيباً مصقفاً بل أخطب أهل زمانه.

كل ذلك مكّنه من تصدر مكانة مرموقة ضمن علماء المدينة الاسماعيلية وقرّبه المولى إسماعيل إليه وقلده خطة القضاء والفتوى. بمدينة مكناس. إلا أن جفاء حدث بينهما لا تتحدث المصادر عن سببه فعزله عن القضاء في أواسط شوال عام 1088 وولي مكانه بالتتابع كلا من أحمد بن سعيد المجلدي (1094)، ومحمد بن الحسن المجاطي (1103).

إلا أن القاضي محمد السوسي ولما كان يتمتع به من براعة كبرى وباع طويل في الخطابة والبلاغة إلى جانب الذكاء وحضور البديهة، انتهز فرصة إمامته للصلاة يوم عيد النحر من سنة 1089 فألقى بين يدي السلطان إسماعيل خطبة بليغة أطراه فيها وقال: "لو رأه والده الجليل، في هذا الجمع الحفيل، لقال : الحمد لله الذي وهب لي على الكبر

**السوق** عبارة عن تجمع تجاري يعقد مرة في الأسبوع في الهواء الطلق، ويعرف باسم اليوم والمكان اللذين يقام فيهما. وعادة ما يوجد مقر السوق على حافة الطريق أو قريباً منها، على حدود مجموعة من القبائل أو الفخذات، قريباً من الماء، أو من ضريح ولي من الأولياء يحججه سكان المنطقة، وأحياناً فوق أنقاض مدينة قديمة.

يشهد انعقاد الأسواق على وجود علاقات تبادل تجارية قديمة ومستمرة بين مختلف المناطق التي كانت كل منها في حاجة إلى الأخرى لتسويق منتجاتها والحصول على ما لا تنتجها من مواد. ونظراً لأهمية الأسواق، فإنها كانت تعقد تحت حماية المخزن، أو زاوية من الزوايا خصوصاً عند ما يتعلق الأمر بالمواسم / المعارض (موكار) الكبرى، أو في المناطق غير الخاضعة مباشرة للمخزن (بلاد السبية) تحت رقابة أحد كبار القيادة. لتوفير الأمن للتجار والمترددین على السوق، لذلك كانت المبادلات تخضع لتقنين محكم متعارف عليه.



وللسوق، كمؤسسة موهلة في القدم، أبعاد أساسية ثلاثة : بعد اقتصادي وبعد اجتماعي وبعد سياسي. على الصعيد الاقتصادي، يمثل السوق مجالاً لتبادل ما ينتجه سكان القبائل التي تحججه من ماشية ومواد فلاحية ومنتجات حرفية، وما يعرضه تجار المدن المجاورة من سلع مصنعة أو مستوردة يحتاجها القرويون ولا يستطيعون إنتاجها (سكر، شاي، شمع...).

على المستوى الاجتماعي، كان السوق مجالاً للتواصل بين سكان المنطقة والقبائل المجاورة، لتبادل الأخبار وإبرام الصفقات وتحرير العقود العدلية، وإعلان التحالفات أو عقد المعاهدات بين الأفراد والأسر، لتكوين الرأي العام، لمحاكمة المجرمين ومعاقبتهم، كما كان كذلك مكاناً للفرجة والتسلية. أما سياسياً، فقد كان السوق مجالاً ومناسبة للقبائل لحل نزاعاتها، لاتخاذ القرارات الحاسمة المتعلقة بالسلم أو

إسماعيل... " فأعجب به السلطان وخلع عليه وأعادته إلى منصبه قاضياً للجماعة ومفتياً إلى أن توفي.

إلى جانب القضاء والفتيا تصدر محمد السوسي للتدريس فأخذ عنه كثيرون أمثال : محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بصري وابن عاشر الحافي السلوي، وعبد الوهاب العرائشي وعبد الوهاب بن أحمد بن محمد بصري.

وترك شرحاً على منظومة الأخضرى في المنطق وله كذلك في الأصولين أبحاث وتحقيقات ؛ وفوائد وتدقيقات؛ وله الخطب التي لم يسبق بثقلها ؛ والمنشآت التي يقف فحول الأدباء عند حدها. كما ترك شعراً جميل النظم، يوجد في الإنحاف (4، ص. 86 - 88) بعض من نظمه ونثره.

توفي مكناس في شوال 1120 / دجنبر 1708 - يناير 1709.

حوالة أحباس المساكن مكناس، ج 3، ص. 11 ؛ ابن زيدان، الإنحاف، ج 4، ص. 85 - 88 ؛ م. الفادري، النشر، ج 3، ص. 201؛ ر. بلنقدم، أوقاف مكناس، ج 1، ص. 191.

### السوسي المكناسي، المفضل بن المكي. المعروف

أيضاً بفضول، ولد بمدينة مكناس ونشأ بها، وتعلم على يد شيوخها من أمثال : شيخ الجماعة الحاج مبارك الفيضي، والعباس بن محمد بن كيران، والمهدي بن سودة والهادي بادو وغيرهم. وعرف عنه أنه حاد الذكاء، قروي الإدراك جم التحصيل. ميرزاً على الخصوص في العلوم اللسانية ما جعل ابن زيدان يصفه بقوله : "كان صدراً شهيراً عالماً علماً أصيلاً... منطلق اللسان مشاركاً نقاداً حسن العبارة، مقتدرًا على التفنن في أفانين التعبير، إماماً في العربية...". يقرأ في دروسه الليلية عدة مؤلفات في مجلس واحد يتخلص من فن لأخر بأبرع تخلص وأحسنه لا يجارى في ذلك ولا يبارى، فلا يقدر أحد على حد تعبير ابن زيدان من الأخذين عنه في حلقة درسه أن يتحرك أو يتنحج أو يفوه ببنت شفة يجلسون أمامه كأنما على رؤوسهم الطير (الإنحاف، 4، 328)، وقد تخرج على يده عدد من العلماء الأعلام كالشيخ محمد الفصري المكناسي، والفقير الحاج المعطي بن عبود، والعلامة الغالي بن المكي الستيسي والوزير أحمد بن موسى وعبد القادر بن زيدان. له قصائد شعرية، وتقاييد أدبية يضم الإنحاف غاذج منها.

ترك المفضل بن المكي السوسي كرسي التدريس في آخر عمره، ولازم الخدمة المخزنية مع تلميذه الوزير أحمد بن سوسى إلى أن لبي داعي ربه ثم لازم بعده المهدي المنبهي وكان يظعن بظعن السلطان ويقم بإقامته إلى أن وافته المنية بمدينة فاس في 7 ربيع الثاني عام 1320 / 14 يوليوز 1902. ودفن بالزاوية الناصرية هناك.

ابن زيدان، الإنحاف، ج 4، ص. 328 - 333.

رقية بلنقدم

marocains, Marchés ruraux et organisation de l'espace dans la moitié nord du Maroc. Aix-en-Provence, 1975; Vision et utilisation des souks au Maroc : histoire d'un décalage, Connaissances du Maghreb. Sciences sociales et colonisation, Paris, 1984.

عبد الجليل حليم

### سوق أربعاء الغرب، مدينة صغيرة (43269 نسمة

سنة 2000) تقع شمال منطقة الغرب وهو رابع مدينة داخل الترابية الحضرية للمنطقة بعد القنيطرة وسيدي قاسم وسيدي سليمان. ترجع نشأتها إلى بداية القرن الرابع عشر (20 م) بسبب استغلال إمكانيات سوقها الأسبوعي من طرف بعض المعمرين خاصة "بواسي" Boisset وقد تأكد ذلك فعليا سنة 1923 عندما تقرر ترقية سوق الأربعاء لتصبح مقراً لدائرة سبو مكان مشروع بلقصور. مازالت المدينة إلى اليوم تفرض نفسها على تنظيم المجال الجهوي على مستوى الغرب الشمالي. وترجع أسباب قوتها إلى مستوى تجهيزها التجاري (سوق أسبوعي نشيط جدا). والخدماتي، غير أن دورها كمركز طرقي تأثر سلبا بنشاط الطريق السيار الرباط - طنجة.

### سوق ثلاثاء الغرب، مركز قروي صغير (حوالي

2000 نسمة) يوجد على بعد 15 كلمتر جنوب سوق الأربعاء مازال يظهر بمظهر الدوار الريفي لولا وجود بعض المصالح ذات الطابع الحضري : القيادة، المدرسة، البريد، مركز التنسية الفلاحية، وبعض الدور ذات الطابع الحضري كحي بام، غير أن أغلب ساكنته مازالت تعتمد على أنشطة القطاع الأول. مبارك الشيكو

سولانا، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Solana ؛ وهو اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1408.

محمد ابن عزوز حكيم

### السوئي، عيد السلام مقاوم ولد سنة 1926 ببني

زروال غفسي، دفعته غيرته الوطنية لينضم إلى صفوف المقاومة السرية حيث ساهم في العديد من العمليات الهجومية ضد الاحتلال وعلى اثر انطلاق جيش التحرير انخرط في صفوفه تحت قيادة محمد الكناسي وظل يناضل إلى جانب إخوانه إلى أن حصل المغرب على استقلاله.

توفي في 11 شوال عام 1416 / 2 مارس 1996.

الندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 505650.

الحرب، لمناهضة المخزن، ولربط المتمردين عليه بباقي أفراد الأمة ؛ كما كان السوق مكانا ومناسبة للمخزن للاطلاع على أحوال الساكنة، لإبلاغ قراراته، ومراقبة ما يحدث على صعيد القبائل قصد التحكم فيها وتطويرها، إذ كانت محاصرة الأسواق تمثل وسيلة لإرغام القبائل المتمردة على تأدية الضرائب والامتثال للمخزن.

لهذه الأسباب أولى الفرنسيون الذين كانوا بالجزائر - قبل عقد الحماية - أهمية كبرى للأسواق المغربية (خصوصا بالمناطق المحادية للجزائر)، لم يكونوا يروجون فيها بضائعهم التي تنافس الإنتاج المحلي فقط ولكنها تجعل التعامل النقدي يحل أكثر فأكثر محل المقايضة، بل كانوا كذلك يعتقدون صفقات شراكة مع بعض المغاربة بخصوص الأرض أو الماشية، ويبيعون بطاقات الحماية القنصلية ؛ كما كانوا يجسسون نبض السكان لمعرفة موقفهم من الأجنبي وتهيئهم لتقبل الحماية كحل لمختلف مشاكلهم.

وفي فترة الاستعمار، أصبح التحكم في الأسواق من الأهمية بمكان، إذ من خلالها يمكن مراقبة السكان والتحكم فيهم وإحصاء ما ينتجونه وفرض الضرائب عليهم، تسوية النزاعات التي تنشأ بينهم، وإخضاعهم للإدارة الجديدة. ولتحقيق هذه الأهداف حولت الأسواق إلى جانب الشككات العسكرية أو إلى جوار المكاتب الإدارية (مكتب الحاكم والفايد، الضرائب، مستوصف، مدرسة...)، مما سيحول تدريجيا الأسواق إلى قري صغيرة سينمو بعضها لتصبح فيما بعد مراكز حضرية ثم مدنا صغيرة ومتوسطة أحيانا.

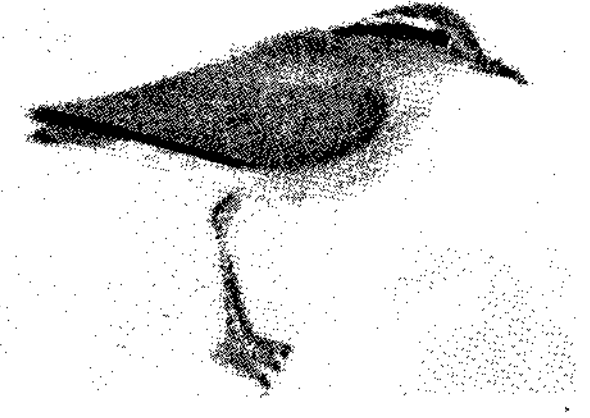
ومع انتشار وسائل النقل الحديثة، أضحت السوق نقطة عبور للاتصال بالمدن والهجرة القروية، مما سيؤدي إلى نوع من المشاقفة يتجلى أساسا في انتشار منتجات جديدة وعادات استهلاك جديدة، وأفكار لم تكن من قبل متداولة بين القرويين. هكذا ستمثل المدينة عامل جذب بالنسبة للقرويين الراغبين في الاستفادة من إيجابيات الحضارة الحديثة.

بعد الاستقلال، تعززت وظيفة السوق الإدارية، إذ استقرت به مجموعة من المصالح الممثلة للسلطة بغية مراقبة السكان سياسيا. لكن سير البلاد في الاتجاه الديمقراطي مكن الأحزاب السياسية والجمعيات المدنية من التقرب من القرويين وتأطيرهم.

A. Adam, Etude économique et sociologique d'un souk du Haut Atlas occidental : Amin-Tanout. Actes du IV<sup>e</sup> Congrès international des sciences anthropologiques et ethnologiques, Vienne, 1952 (publié en 1956) ; J. Berque, Note sur l'histoire des échanges dans le Haut Atlas occidental, A.E.S.C., n° 3, 1953 ; B. Desmazières, L'évolution des grands courants commerciaux à l'intérieur du Maroc. Mémoire C.H.E.A.M., 1948 ; E. Douté, Marrakech, 1905 ; R. Montagne, Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc. Essai sur la transformation politique des berbères sédentaires (groupe Chleuh), Paris, 1930 ; F. Olivier, Mémoire sur l'évolution économique des tribus de la banlieue de Meknès depuis l'occupation française. Mémoire C.H.E.A.M., 1937 ; P. Pascon, La maison d'Illigh et l'histoire sociale du Tazeroualt, Rabat, 1984 ; J.-F. Troin, Les souks

## سَوَاقُ الْجَمَالِ، طائر من رتبة طوال الساق الزقزاقيات

Charadriiformes ومن فصيلة Glareolidae وهو طائر أكبر اللون، يألف الأماكن الرملية بالمناطق الصحراوية وشبه الصحراوية الجافة. يسمى هكذا في المغرب وفي أقطار شمال إفريقيا لطول ساقيه وتسرعته الفائقة في المشي والركض. توجد منه عشرة أنواع تعيش في آسيا وإفريقيا ونوع واحد شائع في المغرب يدعى علمياً Cursorius cursor وبالفرنسية Courvite isabelle وبالإنجليزية Cream-coloured courser وبالإسبانية Corredor وبالإيطالية Corrione biondo.



يتميز بخصلة صغيرة من الريش الرمادي على مؤخرة العنق والرأس محفوفة بلفافتين رقيقتين من الريش الأبيض والأسود خلف العينين. سائر الجسد مغطى بريش بني أغبر شبيه بلون الرمال. الجناحان محفوفان بريش أسود. المنقار مقوس قليلاً، رمادي مصفر، مستدق الرأس يساعد على أكل الحشرات والديدان والفواقع والزواحف الصغيرة. الإناث شبيهة بالذكور : يبلغ طول بسطة الجناحين حوالي 42 سم وطول الجسم 21 - 23 سم. الذيل قصير ومستقيم المؤخرة. القانمتان طويلتان رماديتان مصفرتان. لا تنوفران على الأصبغ الرابع المتوجه نحو الخلف عند معظم أنواع الطيور، وهذه ميزة الطيور الراكضة السريعة المشي كالنعامة والحبارى. يعيش في مجموعات قليلة الأفراد وتصعب مشاهدته لشدة تشابه لونه بالترية. يركض بسرعة قوية عند الإزعاج ليحتجب عن أعدائه ويحسن الطيران أيضاً.

طائر مستقر في المناطق المغربية الجنوبية والشرقية ويتوالد منذ فبراير إلى غاية شهر مايو. تضع الإناث البيض مباشرة على الأرض دون أن تتخذ فراشا لأعشاشها. تبيض 2 - 3 بيضات بيضوية الشكل ملساء غير لامعة، رمادية مصفرة ومنقطة بالأسود، طول قطرها 27.1 x 34.7 ملم. يحضن الزوجان البيض بالتناوب ويجهل إلى حد الآن عدد أيام الحضانة. تتغذى الصغار من الديدان والحشرات يأتي بها الآباء وتغادر العش مباشرة بعد التفقيس.

يعيش هذا النوع في جميع المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية بالمغرب وفي إفريقيا والجزيرة العربية وآسيا

الجنوبية، ومنه مجموعات تهاجر صيفا شمال تركيا. يعد من الطيور المفضلة عند الصيادين لصعوبة قنصه.

م. رمضان، الحبارى، معلمة المغرب، الجزء، 10، ص. 3303 - 3304 : الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، ط. 3 - 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979 ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1977.

محمد رمضان

**سويد**، قبيلة عربية من فروع قبيلة بني مالك المستوطنين اليوم في سهول الغرب شمالي مدينة سلا. وهم من زغبة من بني هلال المضريين وكانت لهم خدمة ومكانة مكنية عند بني مرين لا سيما أبا الحسن وأبا عنان. وافترقت أسرة السويدي المكناسية القديمة إلى فرقتين فرقة عرفت بابن الأكلح (انظر ابن الأكلح إبراهيم في المعلقة). عاش أفرادها في القرنين التاسع والعاشر (15 - 16 م) وبعد ذلك ظهرت فيها فرقة أخرى من أسرة سويد، غير أن هذه تحمل لقب الشاهد، فيعرضها الديوان الإسماعيلي هكذا : "أولاد الشاهد من سويد"، ويعرف الآن من أفرادهم خمسة أسماء :

1 - علي بن ضيف الله : عدل ثان في وثيقة مؤرخة بأواسط القعدة عام 1016. حوالة الأحباس الكبرى بمكناس، مصورة خ، ع، 5، ص. 182.

2 - عبد القادر بن ضيف الله السويدي : بوثيقة وصية مؤرخة في 8 شعبان 1048. المصدر، ص. 273.

3 - عبد الرحمن بن عبد القادر بن ضيف الله السويدي: مترجم في الدرر المرصعة، مخطوط، خ، ع، ك 265 ص.

4 - العربي بن عبد القادر بن ضيف الله، المعروف بالشاهد، ناظر الأوقاف بمكناس، حيث يسجل - بوصفه واسمه - في وثيقة شراء للجامع الكبير للسيوطي، حسب مخطوطة، خ، ع، ق 26.

5 - محمد بن العربي الشاهد : عدل في وثيقة إثبات نسب، بتاريخ أواسط صفر عام 1141. حوالة الأحباس الكبرى بمكناس، مصورة، خ، ع 5 ص ومن القريب أن تسلسل هذه الأسماء من الثاني إلى الخامس : قد يشير إلى أن أربعتهم يؤلفون بيتا واحداً يتدئ من عبد القادر، فابنه عبد الرحمن، فحفيدة العربي، والد محمد بن العربي.

والى هؤلاء يوجد اسم إبراهيم بن عبد السلام بن كحلة: عدل ثان في نسخة رسم مؤرخ في عام 1126 / (حوالة أحباس الزوايا بمكناس، مصورة خ ع ص 251 - 252). عدل شاهد على تسجيل القاضي في وثيقة إثبات نسب بتاريخ أواسط صفر 1141. ( حوالة الأحباس الكبرى بمكناس، مصورة خ ع 5). فهل يكون هذا من أسرة الأكلح الذي نعلق على ترجمته، بعدما طرأ على لقبه العائلي تحريف من الأكلح إلى كحلة؟

والآن : فإن أسرة السويدي - بفرقتيها - انقطع ذكرها بين عائلات مكناس.

محمد المنوني



**السويدي، أبو زيان** عريف بن يحيى بن عثمان من  
سويد أحد بطون زغبة من عرب بني هلال. وهو أمير سويد  
وشيوخها، كان له حضور متميز في البلاط المريني خلال حكم  
كل من أبي سعيد عثمان وأبي الحسن علي وأبي عنان  
فارس. فمنذ أن نشب خلاف بين عرب بني هلال وصاحب  
تلمسان أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو (718 / 1318  
- 737 / 1337) نزح عريف وعشيرته إلى بني مرين  
وأصبحوا من شيعتهم، واتصل بالسلطان المريني أبي سعيد  
سنة 720 / 1320 وقربه إليه وأكرمه وجعله من جلسائه  
وخاصته. وبعد وفاة أبي سعيد اتخذه خليفته أبو الحسن  
بطانة له وكان منه "بمنزلة الصاحب والخليل الذي تسقط معه  
مؤونة التكلف في الغالب" (السند، 367). وكان أبو الحسن  
"لا يصدر أمراً إلا وله فيه معرفة، فكان مولانا لا يخفي عنه  
من أسوره القليلة والجليلة شيئاً" (السند، 368). ولذلك  
أصبح عريف من أبرز رجالات المخزن المريني وأكثرهم مصدراً  
للثقة وأحسن من يكلف بالمهام الصعاب.

عندما أصهر السلطان أبو الحسن إلى السلطان الحفصي  
أبي بكر أبي يحيى (718 / 1318 - 747 / 1346) في  
إحدى بناته المسماة عزونة، بعث في ذلك عريف بن يحيى مع  
وفد من رجالات دولته ونجح في خطبتها للسلطان المريني  
وزفها إليه سنة 746 / 1345. كما بعثه سنة 738 / 1338  
في سفارة إلى سلطان مصر الناصر محمد بن قلاوون ضمن  
وفد من خواص أبي الحسن وكبار دولته يحصلون هدية عظيمة  
ونسخة من المصحف الكرم كتبها بخط يده ليوقفها بالحرم  
الشريف بمكة. لم يقتصر دور عريف على السفارة إلى  
إفريقية ومصر والأندلس بل شارك أيضاً إلى جانب مخدومه  
في حصار تلمسان سنة 737 / 1337 ثم في حملته على  
إفريقية سنة 749 / 1348، كما تكلف بقمع بعض الثورات  
التي قامت ضد أبي الحسن كثورة ابن هيدور.

استمر أبو زيان عريف في ولاته وخدمة ملوك فاس إلى  
أن وافته المنية سنة 755 / 1354 بسلا وهو بصحبة السلطان  
أبي عنان ودفن بشالة إلى جانب قبر السلطان أبي الحسن.

ونظراً لأهمية هذه العلاقة الحميمة بين عريف وسلطين  
بني مرين المذكورين حظي أولاده أيضاً بمكانة متميزة خاصة  
وزمار الذي خلف والده على إمارة بدو زغبة ثم أبو بكر  
ومحمد. ولأولاد عريف هؤلاء قصة مع المؤرخ ابن خلدون  
الذي يذكر أنه لجأ إليهم وأقام بينهم في قلعة ابن سلامة  
وسكن بالضبط في قصر أبي بكر مدة أربعة أعوام يكتب  
مقدمته المشهورة.

ملعبة الكفيف الزهوني، نج. محمد بن شريفة، الرباط، 1987،  
ص. 97، 99، 126، 133؛ م. ابن مرزوق، السند، نج. مازيا  
خيوسوس يغيرا، الجزائر، 1985؛ ع. الرحمن ابن خلدون، العير،  
بيروت، 1968، ج 6، و 7؛ التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً

**السويد والمغرب.** السويد من أقدم شعوب أوروبا.

ارتبط تاريخه القديم بشعب الفينجيين، وهم الذين بلغوا إلى  
شاطئ بلاد البربر بسفنهم لأغراض التجارة والغصب ولا  
سيما في القرون الوسطى.

أما في العصر الحاضر فيوجد في السويد الحديثة 11000  
شخص من أصل مغربي منهم وكثروا بالمغرب. ويوجد  
حوالي ثلثي هؤلاء المهاجرين في وضعية مواطنين سويديين،  
يحتفظ معظمهم بالجنسية المغربية. ويوجد حوالي 70٪ من  
المهاجرين المغاربة إلى السويد في العاصمة سطوكهولم وفي  
كوتنبيرغ ومالمو.

ترجع علاقات المغرب بالسويد إلى عام 1763 عندما  
انعقدت أول معاهدة بين البلدين، ثم عرفت العلاقات فتوراً  
لا سيما في عهد الحماية الفرنسية بالمغرب. وبعد حصول  
المغرب على الاستقلال فتحت السويد سفارة بالرباط.

يعتبر المغرب من أهم الدول الإفريقية التي تربطها  
علاقات تجارية بالمغرب إذ يأتي في الدرجة الثالثة بعد  
جنوب إفريقيا ومصر، فهناك عدد كبير من الشركات  
السويدية تشغل في المغرب وتتخذ فيه مقراً ومنها سكانيا  
Scania وأب ABB و إريسكون Erison وطيطرا . باك  
Tetra Pak، إلخ. وتبلغ صادرات السويد إلى المغرب حوالي  
مائتي مليون في وحدات العملة السويدية، وتشمل  
الشاحنات ومواد الموصلات والخشب المستعمل في البناء  
ومنتجات مصنعة متنوعة. أما مستوردات السويد من  
المغرب فتبلغ حوالي 209 مليون سيك (عام 2000)،  
وتشمل الحوامض والخضر وغيرها من المنتجات الفلاحية.  
وللأوساط السويدية اهتمام كبير بقضية الصحراء المغربية.

وفي ميدان محاربة داء السيدا غول الوكالة السويدية  
الدولية للتنمية عدداً من المشاريع بالمغرب.

وما تجدر الإشارة إليه أن سفيراً سابقاً للسويد بالمغرب  
وهو كنوت محمد برنستروم Knut Mohamed Bernstroem  
قد اعتنق الإسلام عندما كان يزاول مهامه بالمغرب، ولكنه  
كتم إسلامه إلى أن تقاعد عام 1983. وقد نشر عام 2000  
أول ترجمة للقرآن إلى اللغة السويدية الحديثة، وتلقى من  
الحكومة السويدية معونة قدرها 58000 دولار بقصد نشر  
ترجمته للقرآن في 900 صفحة.

على نجيب

**السويدي، رحيمي** مقاوم، ولد سنة 1932 بصوبية أيت

باعمران إقليم تزنت.

انخرط في صفوف جيش التحرير بمنطقة أيت باعمران  
منذ سنة 1956 ضمن المقاطعة الحادية عشرة بمركز گولين تحت  
إمرة قاضي ملال. وقد عمل بكل اخلاص وشجاعة إلى جانب  
اخوانه المجاهدين حيث خاض معارك ضارية ضد الاستعمار  
الإسباني تسببت في إعاقته إلى أن لبي داعي به. بسويدي  
إفني يوم 28 / 7 / 1995.

وغرباً ضمن كتاب العبر، الجزء 7، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزائر، 1903، ج 2) : القلقشندي، صبح الأعشى، مصر، د. ت. ج 8 : ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، بيروت، د. ت. ج 2 : ص. 454 : الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدة والمختصة، نج. محمد ماضور، تونس، 1966، ص. 64 : أ. الناصري، الاستقصا، ص. 2، الدار البيضاء، 1954، ج 3 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، ط. 2، 1997، ج 9 : ص. 40، 41 : م. المنوني، وثائق عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، الرباط، 1979، ص. 146 - 156 - 158.

M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986.

رشيد السلامي

**السويدي، عميرة بن محمد مقاوم** ولد سنة 1934 بالساقية الحمراء، انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956، فكان مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله، نشيطا في عمله قوي الإيمان معروفا بغيرته الوطنية متفان في الجهاد من أجل استرجاع ما تبقى من أرض وطنه.

شارك في جميع المعارك منذ التحاقه بصفوف جيش التحرير إلى أن استشهد سنة 1957.

المدوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال؛ بطاقة مقاوم رقم 501839.

**السويدي، ونزمار بن عريف أبو يعقوب.** يمكن الحديث

عنه من خلال موقفين متكاملين يعبران عن قوة شخصيته وأهمية مكانته، هما على الخصوص الجانبان العسكري والسياسي :

الدور العسكري للشيخ ونزمار : برز الدور العسكري لقبيلة سويد تحت زعامة شيخها ونزمار في خدمة الدولة المرينية بسبب ما كان يشير ضدها أعداء الدولة خاصة بني زيان من صعوبات : فقد عقد السلطان أبو الحسن في أول عهده للشيخ ونزمار على قبيلة من سويد وبني مالك وجعل له رئاسة البدو حيث كانوا من أعماله "لواجهة بني عبد الواد وحلفائهم واستعداداً لحصار تلمسان التي كانت تثير المشاكل للسلطان أبي الحسن بدعم أخيه المتمرد عليه في سجلماسة واستقبال المتمردين على السلطة : هذا بينما كان أبوه عريف ملازماً لمجلس السلطان أبي الحسن : فكان ونزمار يكلف بمهام عسكرية نيابة عن أبيه، ومن ذلك تكليفه بحاربة بني عامر - لانحيازهم إلى بني زيان بعد انحياز عريف وقومه سويد إلى جانب المرينيين منذ أيام السلطان أبي سعيد، في الوقت الذي كان أبوه عريف يقيم في المنصورة مع السلطان أبي الحسن ويتحرك معه خارجها لتفقد أحوال جيشه المحاصر لتلمسان، هذا الحصار الذي استمر فيما بين سنوات 735 و737 (العبر، 7 : 353 - 540).

وبعد حادثة القيروان وتحرك بني عبد الواد سنة 749 غربا لاستعادة إمارتهم واجههم ونزمار بن عريف في قومه من سويد وقبيلتي الحارث وحصين من أجل إعادة تلمسان

إلى الطاعة، وكان معه في هذه الحركة الناصر بن السلطان أبي الحسن، غير أن الجيش المريني تعرض للهزيمة (العبر، 7 : 588 : بغية الرواد، 1 : 236) : وعلى إثرها التحق شيخ سويد عريف بن يحيى بالمغرب، وكان غير راغب في البقاء بإفريقية تاركا ابنه ونزمار بجانب السلطان أبي الحسن (العبر، 7 : 246).

عند نزول أبي الحسن بالجزائر أوائل سنة 751 بعد كارثة الأسطول عمل ونزمار على تجميع القبائل لنصرتة فالتفت حوله قبائل توجين والعطاف والديالم وحصين ... (بغية الرواد، 1 : 243) : غير أن أبا عنان أرسل من فاس دعما إلى بني زيان لينتمكتوا من منع أبيه من الوصول إلى المغرب، فكان لقاء أبي الحسن بهم في معركة شلف التي انهزم فيها وفقد ابنه الناصر في المعركة : فسار مع سويد إلى مواطنهم قبلة جبل ونشريس ثم إلى جبل راشد ومنه إلى سجلماسة ومعه ونزمار "حيث ارتحل معه بالناجعة من قومه" (العبر، 7 : 594)، بينما عاد أمير بني زيان بالغنائم التي جمعها من معسكر أبي الحسن إلى تلمسان فدخلها في مفتتح شوال 751 (بغية الرواد، ص. 244).

رحب أهل سجلماسة بالسلطان أبي الحسن غير أن ابنه أبا عنان جهز نحوه جيشا لا طاقة له به، "فأجفل عنه ونزمار وليه في قومه سويد بعدما هدد أبو عنان أباه عريف بن يحيى وأخاه عنتر، فأثر ونزمار رضى أبيه فلتحق بالزاب" إلى أن انضم إلى أبي عنان فيما بعد (العبر، 7 : 594).

عاد عريف بن يحيى إلى المغرب في الفترة بين حادثة القيروان والحادثة البحرية لأسباب لا نعرفها واكتفى ابن خلدون بقوله إنه كره المقام في إفريقية، ويظهر أن الأسباب تتعلق بتوزيع المواقف بينه وبين ابنه موازاة مع توزيع الوضع السياسي بين أبي الحسن وابنه أبي عنان ضمانا لمستقبل وضع قبيلة سويد، فبينما كان عريف في المغرب قريبا من أبي عنان، كان ابنه في إفريقية ثم المغرب الأوسط يجمع الانتصار حول أبي الحسن خاصة في منطقة الجزائر، ثم رأيناه يشارك معه في معركة شلف، ويتحرك معه إلى سجلماسة، إلى أن ينس من انتصار أبي الحسن، فانسحب نحو الشرق بدعوى أنه لا يريد مخالفة موقف والده المهدد من أبي عنان : وتغير الموقف بعد موت أبي الحسن سنة 752 وصفا الجو لأبي عنان، حيث جدد ونزمار ارتباطه به وهو في المغرب الأوسط يستكمل فتحه.

وبعد فرار الأمير أبي ثابت قائد جيش تلمسان شرقا، تتبع فلوله السويديون بزعامة ونزمار وبعض أنصار المرينيين وهزموا بني عبد الواد في أحواز الجزائر، وبعد أن تم القبض على زعيمهم من طرف أمير بجاية الحفصي سلمه لوزنمار الذي جاء به إلى أبي عنان فقتله (بغية الرواد، 1 : 246 - 247 : العبر، 7 : 599 - 600).

بعد موت أبي عنان استقر ونزمار بقومه في منطقة أكرسييف واتخذ هذه المدينة مكانا له، وكان موقفه الداعم

للدولة المرينية يجعله عرضة لهجمات بني زيان كلما أمكنتهم الفرصة خاصة وأنهم يشعرون بتضييق هذه العصبية عليهم من الغرب ومن الشرق، فقد كانت منطقة حوض شلف وما شرقها حيث عصبية سويد وأحلافها بما فيها مدينة الجزائر تحافظ على ارتباطها بالمرينيين وتستنجد بهم ضد بني زيان مما جعل أمير هولاء ـ يثن سنة 770 حملة خربت جهاتهم وخاصة "قلعة ابن سلامة بما كانت أحسن أوطانهم" والقبض على زعيمهم هناك محمد بن عريف، فالتجأ أخوه الأكبر أبو بكر (وهو أصغر من ونزمار) إلى المغرب بيني مالك أجمعهم من أحياء سويد والدياليم والعطاف واستقروا ببسائط ملوية طالبين العون من السلطان المريني أبي فارس عبد العزيز بواسطة ونزمار، (وكان السلطان أبو فارس اكتشف مراسلات بين عامر الهنتاتي الثائر بمنطقة مراکش وبني زيان)، فوجه حملة كان طليعتها سويد بقيادة ونزمار انتهت بإعادة فتح تلمسان أول سنة 772 فبقي بها السلطان المريني إلى وفاته سنة 774 (العبر، 7 : 274 - 275 : 7 : 682).

خلال انشغال السلطان أبي العباس أحمد المريني بحصار مراکش حيث الأمير عبد الرحمن هاجم أبو حمسو صاحب تلمسان الثغور الشرقية حتى تازة، فحرك الشيخ ونزمار عرب الأحلاف المعقلين معه لدعم الوزير المستخلف على فاس علي بن مهدي العسكري، فلما تمكن السلطان من فتح مراکش تراجع الزياتي نحو تلمسان بعد أن خرب قصر مرادة الذي ابتناه ونزمار في نواحي بطوية، ثم تحرك السلطان نحو تلمسان ومعه ونزمار مع قومه سويد ففتح تلمسان 785، وهذا ما دفع ابن الأحمر لتوجيه أمير مريني منافس تمكن من دخول فاس في غياب أبي العباس وهو موسى بن أبي عنان (العبر، 7 : 727).

أما بالنسبة لتلمسان فقد استعاد السلطان أبو العباس فتحها سنة 791 مدعماً لابن أميرها الثائر على أبيه فنصبه في الإمارة مباحاً للسلطان المريني (العبر، 7 : 757 - 758)، واستمرت تبعية تلمسان بشكل مباشر أو غير مباشر حتى نهاية العقد الأول من القرن اللاحق (9) على الأقل أي إلى حين انهيار الوضع المريني الذي أدى إلى سقوط سبتة وبداية الضغط الأجنبي على السواحل المغربية.

\* الدور السياسي لوزمار :

وصفه ابن مرزوق بـ "الشيخ الفاضل الأصيل الماجد الذي خلف والده وأحیی طريفته .. كان إذا قدم (على مجلس السلطان) يخلي له والده العشييات، فيقوم مقامه، ويجري حسن الوساطة وجميل الطريقة على ما عهد من أبيه بل زاد سراوة ومكارم، وله في الخدمة المرضية الأعمال التي لا تداني والفعالات التي قصر عنها كثير من فضلاء الأوائل" (المسند، ص. 246) ؛ وصفه ابن الخطيب عندما دعاه وقومه ـ باسم سلطانه ـ إلى الجهاد في الأندلس بـ "الشيخ الأمير الزاهد الصالح" (نفاضة).

سار ونزمار بعد وفاة أبيه على سيرته مع السلطان أبي

عنان مدعماً له في حركاته ومناهضا لخصومه إلى أن توفي هذا آخر سنة 759، ووقع انقسام داخل البيت المريني الحاكم واستبد الوزراء على السلاطين فانصرف ونزمار مؤقتاً إلى المغرب الأوسط بعد أن حاول أمير تلمسان استمالته وتغيير موقفه من قبائل سويد في المغرب الأوسط المعادية بشكل شبه دائم لأمير تلمسان، فأقطعه قلعة ابن سلامة وجباية المنطقة حولها "فأصبحت بطون توجين كلها خولا لسويد وعبدا لجبايتهم ... (العبر، 7 : 282 - 283).

غير أن ونزمار لم يلبث أن ارتبط بالسلطة المرينية فكان خير ناصح وأحسن وسيط في المهام التوفيقية والسياسية الناجحة التي تخدم غالباً السلطة المركزية وتحث على تجنب العصيان، خاصة في فترة ضعف السلطة المركزية، وقد اكتسب الكثير من خصال أبيه في هذا الباب، فمن مواقفه الحسنة :

ـ أنه ساهم خلال سنة 763 في تقليل التوتر بين السلطة المركزية بفاس وكل من أبي ثابت عامر شيخ هنتاتة المدعم لأحد الأمراء المرينيين بمراكش، وكذا أبناء الأمير عبد الحلیم (ابن عمر المعروف بصاحب سجلماسة الذي ترد بها على أبيه أبي سعيد ثم على أخيه أبي الحسن)، فحاول أبناء عبيد الحلیم مزاحمة سلطان فاس فيما قرب منها كتنازة ومكناسة مدعمين من طرف أمير تلمسان. (نفاضة، 3 : 69 - 70 ؛ الغرب الإسلامي ـ دراسة تاريخية، ص. 189 - 191) (مرفونة).

ـ ثم توسط ونزمار بين الوزير عمر بن عبد الله والأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ـ من أحفاد عمر صاحب سجلماسة المذكور ـ المتمرد بمنطقة دبدو طالبا الاستعانة بقبائلها، وإقناعه مع وزيره ابن ماساي المحرض له على التمرد بتخليهما عن الفتنة وتوجههما للجهاد بالأندلس، فانتقلا إليها في أول سنة 767 (العبر، 668 - 669 ؛ الغرب الإسلامي، ص. 192 - 193، دراسة تاريخية، مرفونة).

ـ وفي سنة 776 بعد استقرار السلطان أبي العباس أحمد بفاس أراد التقرب إلى سلطان غرناطة الذي ساعده على تولي العرش فأغرى وزيره محمد بن عثمان على قتل ابن الخطيب في معتقله بفاس، ثم وجه الشيخ ونزمار مع الوزير المذكور رسولين عنه إلى ابن الأحمر سنة 778 (العبر، 7 : 711).

وعندما تمرد الوزير المخلوع أبو بكر بن غازي سنة 779 مدعماً من أمير تلمسان وعرب الأحلاف المعقلين حتى وصل إلى تازة، ثم تراجع أمام جيش السلطان، تدخل ونزمار لإقناعه بالتوقف عن التمرد، فاستجاب لنصيحته (العبر، 7 : 712 - 713).

وخلال إبعاد السلطان أبي العباس إلى الأندلس بعد الانقلاب عليه، ثم حدوث انقلاب آخر ضد الوزير محمد بن عثمان وسلطانه، حاول هذا الوزير اللجوء إلى ونزمار لحمايته، فرفض تجنباً لإثارة المشاكل مع سلطان فاس الجديد

وحفاظا على الوحدة كما نهدفه يحرض عليها عادة (العبر، 7: 733).

ولما أعيد أبو العباس إلى السلطنة وجد في ونزمار خير معين في المهام التوفيقية رغم أنه دعم أبا العباس في حركته هذه نحو فاس. من ذلك أنه توسط بين أبي العباس المذكور وهو محاصر للبلد الجديد وبين الوزير مسعود بن ماساي المتحصن داخله، فحصل على الأمان من السلطان أبي العباس بواسطته وسلم البلد الجديد (رمضان 789).

توفي ونزمار بعد سنة 1387 / 789.

م. ابن مرزوق، السند الصحيح الحسن، الجزائر، 1981؛ ابن الخطيب، نفاضة الجراب، الدار البيضاء، 1989؛ يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، الجزائر، 1980؛ ع. الرحمن ابن خلدون، العبر، بيروت، 1956، ج. 6.

أحمد عزوي

**السوير** (أد نوفاس) موقع أثري يعود للقرن الثاني الميلادي عُثر به على آثار رومانية وذلك في الضفة اليسرى لوادي الخروب، في بلاد بني عروس، على بعد 41 كلم من مدينة طنجة.

إن تطابق المسافات والأهمية الزراعية لهذه المنطقة الأهلة بالسكان منذ القديم تجعل من المنطقي أن نوطن المحطة الرومانية "Ad Novas" بهذه النقطة والتي من الممكن أن تكون محطة وسطى بين طنجة والقصر الكبير (أو بيدوم نوقوم).

M. Euzennat, *Les voies romaines du Maroc dans l'itinéraire d'Antonin*, Mélanges A. Grenier, II, p. 602 - 603 ; Ch. Tissot, *Géographie comparée de la Mauritanie Tingitane*, p. 299-300 ; T. Garcia Figueras, *La ignognita del valle del jarub : las ruinas romanas de suiar*, I. Congreso arqueológico del Marruecos Español, Tetouan, 1953, p. 331-335.

عبد العزيز بلقفايدة

**سويسرا** والمغرب، أو الاتحاد التعاهدي السويسري La Confédération hélvétique جمهورية اتحادية تأسست في القرن الثالث عشر سنة 1291 وتكونت بالتدرج إلى أن أصبحت تتألف من ثلاث وعشرين مقاطعة أو محافظة Canton لكل واحدة منها استقلالها الذاتي. يحدد الدستور الفدرالي واجبات وصلاحيات الاتحاد بينما يترك للمقاطعات السيطرة التامة على أهم الشؤون، ويحقق بذلك أسلوباً فريداً من الديمقراطية المباشرة. يرتكز الدستور السويسري على ثلاثة مبادئ أساسية : المبدأ الديمقراطي حيث يعتبر الشعب صاحب السلطة العليا، والمبدأ الاتحادي ويكرس الدولة الكونفيدرالية التي تتمتع بصلاحيات خارجة عن صلاحيات المقاطعات، والمبدأ الليبرالي الذي يضمن حقوق الفرد وحرياته.

يتجسم النظام السياسي السويسري في مجلسين منتخبين : الجمعية الاتحادية (بمشاركة مجلس النواب) ومجلس الدولة (بمشاركة مجلس الشيوخ) ومن مجلس الاتحاد

(الحكومة) ؛ ينتخب رئيس الدولة من بين أعضائه بصفة دورية لمدة سنة واحدة. ومن الخصائص الهامة للنظام السياسي السويسري ممارسته للديمقراطية مباشرة. فالمواطن السويسري يحق له التدخل في شؤون الدولة مباشرة حيث تخضع القوانين والقرارات الاتحادية ذات الأهمية العامة للتصويت الشعبي La votation والاستفتاء La référendum لتعديل الدستور حسب شروط معينة.

يعتبر الحياد ركيزة للسياسة الخارجية السويسرية منذ القرن السابع عشر، فلم تشارك في الحربين العالميتين ولم تنضم لهيئة الأمم المتحدة وإن كانت تعتبر عضواً مراقباً فيها. ويحتضن كانطون جنيف المكتب الأوروبي للمنظمة العالمية وأغلب اللجان المختصة التابعة لها وتنعقد بها المؤتمرات الدولية التي تهم الحاجة إليها وكثيراً ما يقع الاختيار عليها.

هذه المواصفات أهلت سويسرا لاحتلال مركز خاص في السياسة الدولية، وجعلت الدول تكثف قسائلها على الصعيدين الثنائي والدولي.

وقد سارع المغرب منذ الاستقلال في أواخر سنة 1955 إلى اعتماد سفارة بعاصمة الكونفيدرالية السويسرية وتبادل التمثيل الدبلوماسي معها، وتعيين سفارة في أوائل الستينيات بالمكتب الأوروبي لهيئة الأمم المتحدة. وكلنا السفارتين تعتبران من الأهمية بمكان بارز، كما يعتبر المغاربة الذين تعاقبوا عليهما من المقام الرفيع وعباً من المسؤولين بأهمية سويسرا في حد ذاتها وكمركز مراقبة هام من الوجنتين السياسية والدبلوماسية.

يضاف إلى هذا وذاك أن جنيف تتوفر على تمثيل لجامعة الدول العربية ومكتب إعلامي تابع له. ولما طلب من الحكومة المغربية أن تسهم بأحد سفرائها في التمثيل الخارجي للجامعة عينت أحد المواطنين مندوباً دائماً ورئيساً لمكتب الجامعة في جنيف. وكان ذلك في أواخر الستينيات، وقد أدى المكتب خدمة متميزة في حرب الستة أيام بوجه خاص (يونيو 1967).

وما يجدر التذكير به أن سويسرا وجنيف بالأخص لعبت دوراً إعلامياً متميزاً بالنسبة للعرب بعد الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918 وفي عهد عصبة الأمم، وكذلك أثناء النضال المغربي والأزمة الفرنسية - المغربية (1930 - 1944) وبطول الحديث عن هذه الفترة وعن النضال الذي قام به القادة العرب دفاعاً عن حرية بلادهم. من بين هؤلاء الشيخ محمد عبده، مصطفى كامل، محمد فريد، رياض الصلح، جميل مردم، إحسان الجابري، خير الدين الزركلي، محمد باش حامبا، وبالأخص شكيب أرسلان. كلهم استقروا بسويسرا بعض الوقت لمكافحة الاستعمار الذي كان في أوج طغيانه بعد إبرام معاهدة سايس - بيكو الفرنسية الانجليزية عام 1916 ووعد بلفور 1914. ومن بين العديد من الاصدارات التي نشرها أولئك المهاجرون مجلة مغرب، الجزائر، تونس،

المغرب، طرابلس "Algérie, Tunisie, Maroc, Tripoli" التي كان يصدرها محمد باش حامبا التركي الأصل التونسي مقرأ وكفاحاً.

لكن أمير البيان شكيب أرسلان هو الذي كان له الفضل الكبير في الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي والانجليزي في المشرق والمغرب حيث اتخذ جنيف مركز عصابة الأمم مقرأ له وأصدر صحيفة الأمة العربية التي أصبحت لسان حال الحركات التحريرية في الثلاثينيات وخلفت "مجلة مغرب" الآتفة الذكر ومجلة "La tribune d'Orient" منبر الشرق" التي كان يصدرها علي الغاياتي المصري. كانت الأمة العربية لسان حال الوفد السوري - الفلستيني لدى عصابة الأمم في الأصل، لكن الأمير شكيب أرسلان سخرها في سبيل تحرير العالم العربي كافة وخص صفحات كثيرة منها في الدفاع عن المغرب بعد ما اتصل بقيادة الحركة الوطنية، إذ ذاك الحاج أحمد بلاتريج، الزعيم علال الفاسي، الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني، الأستاذ محمد الفاسي وكان يعتبرهم من أبناء الروحانيين. وقد أبلى الأمير شكيب أرسلان البلاء الحسن في سبيل الدفاع عن القضية المغربية إلى أن وافاه الأجل.

خير الدين الزركلي، الأعلام، بيروت، 19 : مختار الوكيل، جنيف والسياسة الدولية : روجي باسكي، سويسرا بين يديك : أنطوان فلوري، الحركة القومية في جنيف : ق. الزهيري، جنيف والعالم العربي.

فاسم الزهيري

**السويسن**، آلة موسيقية من ذوات الأوتار، وهو أصغر أنواع الفرخ بعد آنتي الههوج والكيتري. يستخدم هذه الآلة أصحاب طرب الملحون، ويطلقون عليها، أحياناً السويسدي أو الفريخ.

والسويسن عبارة عن قطعة من خشب على شكل إحاطة يحفر جزؤها الأسفل في وسطه، فتصبح على شكل الرباب، ثم تلف بقطعة من الجلد وعلى وجه الجلد يوضع وتران ممتدان من الحمار إلى أعلى العنق، وهما مشدودان على نعمتي الرمل (صول) والذيل (ضو).

ويتم العزف على السويسن بواسطة مضراب كالمريشة يسك بالسبابة والابهام، وهو ما يعرف بالسطعة.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

**السويسني**، أسرة رباطية عريقة يقال إن أصلها من الساقية الحمراء، برز فيها عدة شخصيات خلال القرن الثالث عشر (19 م) على الخصوص وابتداءً من عهد السلطان مولاي سليمان. وإليهم ينسب الحي الأرسنوقراطي بضاحية مدينة الرباط.

**السويسني، أحمد**، تولى عمالة الرباط سنة 1318 / 1900. وعندما احتل الجيش الفرنسي مدينة الدار البيضاء ظهر رد فعل سكان الرباط - كغيرهم من المغاربة - الذين أرادوا تفجير غضبهم ضد الأوربيين القاطنين بالمدينة مما جعل هؤلاء يخافون على أنفسهم ويحتمسون بالقائد أحمد السويسني، ونظراً لوجوده في موقع المسؤولية لم يجد بدا من حماية هؤلاء الأوربيين الذين أقام أمام أبواب دورهم الحراس. قتل أحمد السويسني في المعركة التي جرت بين السلطان مولاي عبد العزيز وأخيه مولاي عبد الحفيظ سنة 1326 / 1908. وحمل إلى الرباط ودفن بمقابر سيدي الخطاب.

م. دينية، مجالس الانبساط، ص. 289. ع. الإله الفاسي، مدينة الرباط، ص. 191.

Mission scientifique du Maroc, Villes et Tribus du Maroc, Rabat et sa région, V.I, p. 11.

**السويسني، عبد السلام** بن محمد الرباطي، ولي عمالة الرباط بعد والده المتوفى سنة 1855. وقد حقق أطول مدة في العمالة حيث عمل مع ثلاثة سلاطين وهم مولاي عبد الرحمن وسيدي محمد بن عبد الرحمان ومولاي الحسن. وكان السلطان الأخير يسند إليه النظر في تعيين الأبناء بالمراسي. توجه سفيراً إلى مدريد عام 1294 ومعه العالم علي دينية ككاتب خاص له، بقي في العمالة مدة تقرب من ثلاثين سنة إلى أن توفي عام 1302 / 1885.

م. دينية، مجالس الانبساط، ص. 210. ع. الإله الفاسي، مدينة الرباط، ص. 114.

**السويسني، عبد الله** ولد بالرباط حوالي سنة 1909، وبها درس وتعاطى في شبابه لتجارة الزرابي في شارع القناصل. وكان يستعين به بعض كبار تجار الزرابي ليقوم بالعمليات الحسابية التي تخص تجارتهم.

شارك في الحركة الوطنية وبعد الاستقلال التحق بوزارة الداخلية وعين قائداً بالمقاطعة الأولى بالرباط. ثم أصبح مديراً لديوان عامل الرباط. وفي سنة 1975 أحيل على التقاعد، وألف كتاب تاريخ رباط الفتح الذي نشر سنة 1979. اهتم فيه بتطور المدينة منذ تأسيسها وذكر مظاهرها الاجتماعية وعادات سكانها ومآثرها العمرانية وأشهر عائلاتها ورجالها. وجاء في تقديم ناشر الكتاب : "فقد اطلع المؤلف على كثير مما كتب عن الرباط وأفاد منه، ثم أضاف من معلوماته الخاصة الشيء الكثير مما عرفه كرباطي صميم من عادات اجتماعية تكاد تنقرض، ومعالم عمرانية تتغير أو توشك أن تختفي. وسجل بأمانة ما عاين في مسقط رأسه - كرجل سلطة - من تغييرات إدارية، وأنظمة مستحدثة، واحصاءات مدققة، فجا - كتابه هذا موفياً بغرض الافادة عن تاريخ رباط الفتح في القديم الحديث. وفي خزانته عدد من وثائق أسرة السويسني وهي عبارة عن ظهائر تعيين أجداده العمال ومراسلات مخزنية.

توفي يوم الثلاثاء 29 رمضان 1421 / 26 دجنبر 2000  
وودفن بالرباط.

ع. الله السويسي نفسه، تاريخ رباط الفتح، الرباط، 1979 : وثائق  
عائلية ومعرفة شخصية.

توفي غلال السويسي بمكناس يوم الاثنين 14 الثاني عام  
1421 / 17 يوليوز 2000.  
بطاقة شخصية من المجازي.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**السويسي، محمد الرباطي**، ذكره الضعيف عندما  
حكى التمرّد الذي قاده أهل الرباط والخرازون منهم على  
الخصوص على عاملهم الحاج عبد الرحمان عشعاش  
التطواني. وانضاف العوام وعدد من الأطفال إلى الخرازين  
وتبعوا العامل ورموه بالحجارة فاضطر السلطان مولاي  
سليمان إلى استبدال عشعاش بالحاج محمد السويسي سنة  
1226 / 1811 الذي بقي في الخطة إلى 19 ربيع 1  
1229 / 11 مارس 1814.

الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، تح. العماري، ص. 392.  
الفاسي، مدينة الرباط، ص. 111.

**السويسي، محمد بن القائد محمد ولي عمالة**  
الرباط بعد أخيه عبد السلام وبقي عاملاً أربع عشرة سنة من  
1302 إلى 1317 / 1885 إلى 1899. عشر محمد بن علي  
دينية على رسالة كان وجهها له العالم عمر عاشور يعزبه بها  
في أخيه المتوفى ونعلم منها الاحترام والتقدير اللذين كانا  
يشملان القائدين المتوفى والجديد خصوصا وأن الرسالة هي  
خطاب عالم له وزنه الكبير. وقدم له فيها نصائح ووصايا  
دينية وأخلاقية لممارسة مهنته.  
م. دنيبة، مجالس الانبياء، ص. 210. ع. الإله الفاسي، مدينة  
الرباط، ص. 141.

**السويسي، محمد بن محمد تولى عمالة الرباط قبل**  
1244 / 1829، وبقي فيها أكثر من 15 سنة إلى أن ثار عليه  
أهل الرباط وعزله أعيانها بزعامة محمد بن الطاهر الزبيدي  
الذي حل محله سنة 1261 / 1845.  
أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1956، ج 9، ص. 55. ع.  
الإله الفاسي، مدينة الرباط، ص. 114.

عبد الإله الفاسي

**سويتونيوس بولينيوس** Caius Suetonius Paulinus

والمغرب القديم. هو قائد روماني شهير وصفته المصادر القديمة  
بالقائد النزيه الرزين المتزن. شارك في العديد من الحروب  
الإفريقية في العقد الرابع من القرن الأول للميلاد والحروب  
البيزنطية خلال العقد السادس من نفس القرن.

اعتقد الكثير من الباحثين خطأ أن روما كلفته ما بين  
سنتي 41 و44 م بحاربة الزعيم الموري ايدسون الذي ثار في  
موريطانيا الغربية عقب اغتيال بطليموس ملك موريطانيا  
أنداك، على غرار تكليفها خلفه هوزيديوس جيتا Hosidius

**السويسي، عبد النبي** عينه السلطان مولاي عبد  
الحفيظ قائداً على الرباط بعد وفاة أخيه أحمد سابق  
الترجمة، غير أنه لم يستمر سوى سنة واحدة حيث انتهت مدة  
ولايته سنة 1327 / 1909، ليعوض بشخص من أسرة أخرى  
هو الصديق برگاش الذي كان خليفة للعامل.  
ع. الإله الفاسي، مدينة الرباط، ص. 141.

عبد الإله الفاسي

**السويسي، غلال بن التهامي بن القائد المحجوب**. ولد  
بمكناس حوالي عام 1344 / 1925، ونشأ في بيئة موسيقية  
منذ طفولته، فأحب الموسيقى وولع بها، كان والده التهامي  
من حفاظ الملحون، يمارس العزف على الكنتري بمعية الفقيه  
المدرّس الشيخ المحجوب الملقب بـ "بوگنير"، كما كان عمه  
الحاج عبد القادر وجده من والدته الحسين الغريسي من رواد  
الزاوية العلمية.

أخذ غلال السويسي عن هؤلاء، كما تعلم العزف على  
العود، ثم استبدل به الكمنجة بتشجيع من شيخ الملحون  
بنعيسى الدرّاز، وأصبح منذ الأربعينيات متفرداً بالعزف  
على هذه الآلة بين أشياخ الملحون، وخاصة بعد وفاة أقطابها  
يومئذ بمكناس : محمد بن الحسن، وسيدي المدني بلكورة،  
وفتح دادة، ومحمد الرزمية.

من رجال الملحون الذين عاشهم السويسي في شبابه :  
عازفو الكنتري : الجليلي التوروكي، والتهامي التوروكي،  
وبنعيسى الكدار، ومحمد الريفي. ومنهم الشيخ محمد  
الوالمجلي المنشد وضارب الهندقة، ومحمد بن عمرو ضارب  
الطّر والتعريجة، والمنشد عازف الكمان محمد الحياطي،  
والكراخ المنير الشيخ المحجوب الملقب "بوحمارة".

ويذكر السويسي أن عدد عازفي الكمنجة في أجواق  
الملحون كان قليلا، ثم تكاثر بعد الاستقلال، كما يذكر أن  
شيخ الملحون كان يستقبل في أبواب الدور بالزغاريد احتفاء  
به وتكريما له.

ومن شيخات الملحون بمكناس اللواتي عرفهن السويسي  
أيضاً : الشيخة الوشام، والشيخة بنت هاشم، والشيخة  
الإدرسية، وكن يستخدمن التعريجة في مصاحبة الإنشاد.

التحق السويسي منذ السبعينيات بجوق الحسين  
التولالي، فكان عمدته في العزف على الكمنجة، وشارك إلى  
جانبه في إنحاز الأشرطة التي سجلها بدار الإذاعة الوطنية أو  
في الاستوديوهات الخاصة، كما شارك في جل الرحلات  
والجولات الفنية التي قام بها داخل الوطن وخارجه.

Geta بنفس المهمة. إلا أن دقة الأبحاث التاريخية التي اهتمت بوضعية المغرب القديم بعد اغتيال الملك بطليموس سنة 40 م أوضحت أن القادة الرومان الذين تصدوا لمحاربة إيدمون هم Marcus Valerius Severus و Marcus Licinius Crassus Frugi .

تقلد سويتونيوس في حياته السياسية والعسكرية عدة مناصب سامية، منها منصب بريطور Préteur حسب ديون كاسيوس ؛ ومنها منصب القنصل حسب ما أورده بليونس، وأكدته تاكيتوس مضيفاً أن ذلك كان سنة 66 م بمعية لوكيوس تلبسينوس Luceius Telisinus ؛ ومنها كذلك أنه كان حاكماً لولاية بريطانيا مدة ثلاث سنوات ما بين سنة 59 وسنة 61 م، وأنه استطاع خلال هذه المدة أن يسحق العديد من الثورات المحلية هناك.

تجمع العديد من الأبحاث واعتماداً على نصوص مصدرية لبليوس الشيوخ وديون كاسيوس أن سويتونيوس انطلق من غرب موريطانيا القيصرية إلى ما وراء الأطلس الكبير ليشن غارات ضد موربي شرق المغرب آنذاك سالكا طريقه عبر تلمسان وسيدو وعين بني مطهر وتندراة وسهل تاملالت، وعين الشعير عند سفح شرق الأطلس الكبير، على امتداد ثلاثمائة كيلومتر بمعدل ثلاثين كيلومتراً في اليوم وتعدى الأطلس الكبير بجيوشه بعد ذلك إلى وادي كير Ger بضواحي بوغان وعين الشواطر، وربما دخل تافيلالت نفسها. والراجع أن كايوس سويتونيوس بولينوس كان في حملته هاته يحارب حلفاء موربا يضم قبائل البكاوطين والمكنبتيين برأسة زعيم ذكرته المصادر باسم Salabos سالابوس.

م. اللبار، دور المغرب الشرقي في عرقلة الوجود الروماني في إفريقيا الشمالية، مجلة جمعية تاريخ المغرب، العدد الأول، السنة الأولى، سلسلة جديدة، يونيو، 1993، ص. 24 ؛ حول مقاومة المغرب للأهداف التوسعية الرومانية خلال منتصف القرن الأول للميلاد، الأعمال المهداة للأستاذ إبراهيم بوطالب، الرباط، 2000 ؛ أ. البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، دوسلان، الجزائر، 1857، طبعة منقحة، باريز، 1956 ؛ إ. بوطالب، وبوغالب العطار، سبتة ومليلية، تاريخ وواقع، الدار البيضاء، 1981.

J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, 1948 ; F. De la Chappelle, *L'expédition de Suetonius Paulinus dans le sud est du Maroc*, Hesp, T. XIX, 1934 ; Dion Cassius, *Histoire romaine*, LX, 9, 1 - 6 ; Plin l'Ancien, *Histoire naturelle*, Livre V, 14 - 15 ; Tacite, *Les Annales*, Livres I - XVI ; *Vita Agricola* ; Vivien De Saint Marin, *Le Nord de l'Afrique dans l'antiquité grecque et romaine. Etude historique et géographique*, 1863 ; *Carte topographique du Maroc au 1/500.000, Feuille d'Oujda*, Paris, 1954 ; P. Ricard, *Maroc. les Guides Bleus*, Paris, 1948 ; R. Rogel, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; *Index de topographie antique du Maroc*, Paris, 1938 ; C. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1878.

محمد اللبار

**السياحة بالمغرب، كانت تعتبر نشاطاً ثانوياً لا**

**يساهم فيه سوى نخبة من الأثرياء، لكن بعد التحولات**

الاجتماعية والحضارية لمنتصف القرن العشرين، التي حولت الشعوب إلى مجتمعات استهلاكية، صارت في متناول كل شخص واكتست أهمية اقتصادية عالمية إذ صارت من أهم صادرات العالم وتحولت إلى سياحة جماهيرية، فعرفت أنظمتها توسعاً مذهلاً وتزايد أعداد السواح بوتائر عالية.

تحظى السياحة في المغرب اليوم بأهمية كبرى نظراً للدور الذي تلعبه في التنمية من خلال مساهمتها في التشغيل وإعداد المجال وتنشيط قطاعات اقتصادية كثيرة. وقد حققت تطوراً كبيراً بفضل مميزات المغرب الذي يتميز بتنوع تضاريسه ومناظره، فهناك السواحل المستدة على طول 2.936 كلم تختلف إمكانياتها السياحية، فالسواحل المتوسطية : 512 كم يغلب عليها الأجراف والصخور لكن يوجد بينها سواحل رملية ضيقة تتميز بجماليتها ودفئها وهدوء مياه بحرهما. وتتسع الشواطئ الرملية كثيراً على الساحل الأطلنטיكي 2.422 كلم لكنها تعرف عوايق كهبوب الرياح وبرودة المياه وقوة الموج ووجود سواحل صخرية أو أحزمة تلال رملية قديمة متصلبة أو حديثة متحركة يصل ارتفاع بعضها إلى 80 م كما نجد بالساحل بين العرائش وسلا وأحيانا أشرطة رملية واسعة يصل عرضها إلى 3 كم بين الصويرة ومصب واد تنسيفت. كما تنتشر بها الأجراف العالية خاصة بالجنوب، لكن هناك شواطئ محمية من هذه السلبات أفضلها شواطئ أكادير والجديدة والصويرة المحمية بخليجان أو جزر، والسواحل المنخفضة المنحصرة بين المهديّة والجديدة. لكن كل السواحل المغربية تتميز بكثرة الأيام المشمسة 210 - 270 يوماً في السنة ولا تنزل حرارتها الدنيا عن 16 درجة وتظل مرتفعة في خليج أكادير مما يسمح بالسياحة طول السنة.

وهناك مجالات جبلية واسعة غنية بتنوع مناظرها، تتجاوز مساحتها 100.000 كم<sup>2</sup> تضم 350 قمة + 3.000 م وثمانية قمم تزيد عن 4.000 م تكثر بها أودية جبلية رطبة وشلالات وبحيرات طبيعية واصطناعية وغابات متنوعة الأشجار، تغطي قممها وهضباتها العالية الثلوج عدة أشهر في السنة، توفر مجالات غنية لممارسة أنشطة سياحية ورياضية.

وتتمثل المناظر الصحراوية بيئة فريدة من نوعها تجتذب بأفاقها الواسعة ومناظرها ودفئها وتنوع عمرانها هواة كثير من الأوروبيين وغيرهم. كما تقدم الطرق والمسالك الجبلية الوعرة والصحراوية بصعوباتها وأخطارها المثيرة نموذجاً آخر لأنشطة سياحية ورياضية يتزايد مجبها باستمرار لتنظيم رحلات على دراجات نارية وسيارات متنوعة. كما أن الطريق الصحراوي سواء الداخلي أو الساحلي الرابط بين المغرب الشمالي وإفريقيا الغربية، يعد ببرامج سياحية رياضية مهمة

مستقبلا، وقد صار ميدانا مفضلا للزالي الشتوي : باريس - دكار.

يزخر المغرب بتراث حضاري عريق يتجلى غناه في النقوش الحجرية بالجبال ومآثر الحضارات الفينيقية والقرطاجية والرومانية، والتراث المغربي الإسلامي الذي يغني الكثير من المدن العريقة، أضيف إليه مخلفات فترة الحماية من مآثر ومنشآت عمرانية وثقافية واقتصادية عديدة. وهناك مظاهر حضارية أخرى تستهوي السياح تتجلى في تحف الصناعة التقليدية والفنون الشعبية وكثرة الأسواق الريفية والمواسم والمهرجانات السياحية وتنوع العادات والتقاليد التي تذكّر البعض بجو ألف ليلة وليلة، بالإضافة إلى منشآت ترفيهية جديدة كملعب الغولف والكازينوهات والمسابع وغابات الصيد السياحي...

ومع هذا يجب التحفظ من المؤهلات السياحية لأنها ليست هي العامل الأساسي في إنجاح المشروع إذ يرجع أساسا إلى العلاقات السياسية الدولية بين الدولة المستقبلية والدولة اليباعثة للسياح، كما أن الاستقرار الاجتماعي والسياسي ووعي السكان يلعب دوره في جلب السياح وكذلك العلاقات التاريخية، واللغوية. كعلاقة الدول المستعمرة بمستعمراتها السابقة حيث خلفت أجيال مستعمرها السابقين بصاتهم العمرانية والاقتصادية والثقافية. لكن الذي يلعب الدور الحاسم هو خطط الشركات السياحية التي غالبا ما تكون تابعة لشركات النقل الجوي أو شركات فندقية فهي التي تخلق الجو السياحي وتروج له وتكيف أذواق السياح وتضطر الدولة المستقبلية لتلبية هذا الذوق وتكييف بنية الاستقبال والخدمات والترفيه لتستجيب له. فالمنتوج السياحي يدخل في الصادرات يستهلك من أجنب لكن يجب على المستهلك أن ينتقل إلى داخل البلد لاستهلاكه، ومن أمثلة ذلك ادعاء نادي البحر الأبيض المتوسط خلق الإنتاج السياحي : أكادير، وجلب السياح للإقامة بركبه هناك، غير أن الواقع يثبت أن أكادير استفادت كذلك في انطلاقتها من إسقاطات السياحة الأوروبية نحو جزر كناريا.

تنقسم السياحة من حيث المضمون إلى قسمين :

. سياحة دولية : تحظى باهتمام الدول النامية لأنها تجلب العملة الصعبة، وتفترض وجود مناطق إرسال خارج المغرب تنطلق منها فئات لها من الدخل ما يمكنها من التجول خارج مجال استقرارها الأصلي. وتلعب الوضعية الجغرافية والاقتصادية دوراً في تحديد نوعية السياحة واختيار السياح، كقرب المغرب من أوروبا الغربية التي تكون أهم مصدر للسياح في العالم إذ يمكن للسائح أن يصل إليه عن طريق السيارة بالإضافة إلى الجو والبحر، وهنا تتجسد علاقات التبعية شمال - جنوب، فالتجهيزات السياحية الجديدة موجهة لخدمة الأجنب مقابل عملة صعبة يحتاجها المغرب لدفع تكاليف مشترياته من الخارج. فسياحة المغرب تدخل في إطار العلاقات بين المركز والهامش، فجل السياح يأتون من

بلاد بعيدة مما يتطلب وسائل مهمة تكون غالبا بين أيدي شركات الدول اليباعثة. فالمبادرة هي غالبا بيد شركات سياحية وطنية أو متعددة الجنسية، فالسائح يثق ويرتاح لشركته الوطنية وأحيانا يكون زبونا مخلصا لها كأعضاء نادي البحر المتوسط، ويصبح المشكل أكثر حدة كلما ابتعد البلد اليباعث للسياح حيث تصعب المبادرة كليا بيد شركاته السياحية المهتمة بالإشهار وبيع التذاكر كما يحدث في دول اسكندفانيا وألمانيا. وهكذا يشكل المغرب في إطار السياحة الدولية منطقة استقبال بالدرجة الأولى، يساعد انخفاض أسعار الخدمات والفنادق والنقل وبالتالي رخص الرحلات على جلب زبناء معظمهم من الفئات المتوسطة والمتفاعدين والشبان غير النشيطين.

ورغم وقوعه بمنطقة سياحية عالمية، فإن له منافسين أقرباء يتوفرون على مؤهلات وبنية سياحية أفضل، مثل إسبانيا وإيطاليا واليونان ومصر وتونس. كما أن التيار السياحي المعاصر يتجه من بلدان متقدمة إلى بلدان متقدمة أخرى توفر للسائح ظروفًا مادية أفضل وحرية أكبر مثل الولايات المتحدة بالنسبة لليابانيين والأوروبيين، وبحر الكرايب وجزر المحيط الهادي والهندي بل الصين وجنوب شرق آسيا وكذلك أوروبا الشرقية التي انفتحت مؤخراً وتحتاج إلى عملة صعبة، بحيث لا يحظى حوض البحر المتوسط إلا بحوالي 5٪ من السياحة الدولية والمغرب 0.38٪ (1999) ويلاحظ أنه أضاع مرتبته السياحية الأولى على مستوى إفريقيا بعد 1988 لصالح مصر وتونس التي استقبلت 5 مليون سائح. إن نصيب السياحة بكل الدول النامية لا يتجاوز 10٪ من السياحة العالمية وغالبا ما يزورها السائح للوقوف على خصائصها الحضارية ومظاهر تخلفها مرة واحدة، كما يلاحظ أن الكثير من دول إفريقيا والشرق الأوسط تعرف وتائر نمو سياحي يبلغ 15٪ تفوق مشيلتها بالمغرب. ويعرف هذا النشاط من أن لأخر أزمات خطيرة تهدد بتوقفه لانعكاساتها السلبية مثل حرب الخليج 1990 - 1991 أو تدهور العلاقات مع إسبانيا أو فرنسا، ومؤخراً انعكاس أحداث 11 ستمبر 2001 بأمريكا، مما يؤدي إلى إلغاء كثير من الرحلات المبرجة بالمغرب.

ويلاحظ أن سياحة المغرب بدأ يغلب عليها طابع سياحة البحر والشمس بعد أن كانت سابقا تنسم بطابع الجولات الاستكشافية والثقافية والاستجمام، فأغلبية السياح صاروا يأتون من نفس المجموعات الدولية والاجتماعية في إطار رحلات منظمة جماعية، لهم أهداف وتصرفات متشابهة فحوالي 76٪ منهم يطلبون ثلاثية S : الشمس والبحر والرمال 15٪ تحتذبهم المناطق الصحراوية و11٪ الجبال. فجل التجهيزات الجديدة تتجه للسواحل حتى المشاريع التي تنجز ضمن "قانون الإطار" الجديد لإنعاش السياحة المتفق عليه بين الحكومة المغربية والكونغرس العامة للمقاولات المغربية، ورفع قدرة الاستقبال بالمغرب سنة 2010 إلى 10



ملايين سائح، تركّز على إعداد شواطئ جديدة وتوسيع المنشآت السياحية بالسواحل الجنوبية خاصة خليج أكادير بالسهيدية وخمس الساحل والحوزية والصورة وتاغزوت وگلميم.

لم تكن الطاقة الإيوائية عند الاستقلال تتجاوز 200 فندق و7.300 سرير، وظل هذا العدد يتزايد إلى أن وصل إلى 461 فندقاً مصنفاً بطاقة 74.383 سريراً سنة 1980 وبلغ في 1 / 1 / 2000 : 568 فندقاً مصنفاً و39 إقامة سياحية و26 قرية سياحية طاقتها 93.383 سريراً منها 14,25٪ تعود لفنادق 5 نجوم و27,15٪ لفنادق 4 نجوم حيث يبيت 45٪ من الأوربيين و20,33٪ لفنادق 3 نجوم و9,25٪ لفنادق 2 نجوم و6,63٪ لفنادق نجمة واحدة. يضاف إلى هذا حوالي 20.000 سرير بفنادق غير مصنفة وعدد متزايد من المخيمات ومركبات الاستجمام ذات الطابع الاجتماعي فملكها مؤسسات عمومية وشبه عمومية والأندية الرياضية بالإضافة إلى الإقامات الثانوية الخاصة، كما تنتشر بالمناطق الجبلية ماو تابعة لهيات رياضية وسياحية وغرف المبيت لدى السكان المحليين. وكان المسؤولون بالمغرب يعملون على رفع الطاقة الإيوائية إلى 100.000 سرير بالفنادق المصنفة سنة 1992 لكن ذلك لم يتحقق حتى في سنة 2000. ويتوقع "قانون الإطار" استثمار 30 مليار دة 70٪ منها بالسواحل وإضافة بناء 80.000 غرفة إلى غاية سنة 2010.

توزيع التجهيزات والمجالات السياحية: بعد أن كانت معظم المنشآت مركزة في مثل طنجة إفران الجديدة، فإنها عرفت خلال العقود الأخيرة توزيعاً تميز بالدفع بالسياحة نحو السواحل والجنوب، كما ظهرت مجالات سياحية جديدة كالواحات والمراكز الجبلية. وأصبحت أكادير هي قطب السياحة المغربية إذ ارتفعت طاقتها الإيوائية إلى 187.21 سرير و76 فندقاً، وظهرت بها فنادق كبيرة : 1.000 سرير، وتمثل اليوم حوالي 25٪ من الطاقة الإيوائية بالمغرب مقابل 6,8٪ سنة 1964 بعد أن عرفت انفجاراً سياحياً في عقدي السبعينيات والثمانينيات. ولهذا تعزز دور المنطقة الجنوبية الساحلية التي ستعرف أهمية أكبر بعد إنجاز مشاريع خليج أكادير حيث يتوقع إنشاء خمس وحدات سياحية على طول 100 كلم بين رأس غير ومصب واد ماسة، يساهم في هذا المشروع شركات أجنبية وأبنائك ومنظمات تنمية عالمية. وهذا يعزز سياحة الإقامة الشاطئية، ومع ذلك مازالت أكادير بعيدة عن حيوية جزر كناريا التي يزورها سنوياً 15 مليون سائح. كما بدأت تظهر مراكز أخرى بأقصى الجنوب مثل العيون : 8 فنادق و619 سرير وتارودانت 5 فنادق و745 سرير، وبهذا يكون نصيب جهة سوس ماسة درعة أو الجنوب الكبير الساحلي والداخلي 28.580 سرير تمثل 3,60٪.

كما عرفت المنطقة المتوسطة نمواً متوسطاً وتديداً نحو الشرق إلى السعيدية وظهرت بها أقطاب جديدة كالحسيمة وواد لاو وبساحل تطوان، يتركز خاصة في طنجة : 7.050

سرير بـ 38 فندقاً مصنفاً، وتطوان 4.213 سرير و22 فندقاً وبالحسيمة 2.146 سرير بـ 10 فنادق تعززت بنادي البحر المتوسط : 1.200 سرير تنتشر منشآته فوق 90 هكتاراً. وبهذا تكون الطاقة الإيوائية للشمال : العرائش طنجة الحسيمة 15,66٪. ويلاحظ أن إقبال الأجانب على الساحل المتوسطي يتزايد بوتيرة أقل مما في الجنوب رغم قرابه من قطب سياحي دولي هو إسبانيا حيث يمكن الدخول معها في برامج للاستفادة من ثروتها السياحية. ويلاحظ أن طنجة فقدت الكثير من أهميتها كإب للمغرب السياحي بعد تراجع أعداد السياح القادمين على سياراتهم عبر المضيق إذ صار جدهم يحلون بمطارات المراكز التي اختاروها كأكادير ومراكش، إلا أن هذا الفراغ بدأ يسده السياح العرب والجزائريون والمغاربة المهاجرون خاصة العائدون إلى بلددهم على سياراتهم. وكذلك السياح الوطنيون القادمون من مختلف مدن المغرب مثل مراكش والدار البيضاء وفاس الذين يتزايدون بوتائر كبيرة للاصطياف والاستفادة من تجارة الأسواق شبه الحرة بالشمال.

يلاحظ تقلص نسبي للسياحة الأجنبية بالشواطئ الأطلسي بين طنجة والصورة، رغم محافظة المدن الكبيرة على بنية فندقية مهمة كالدار البيضاء : 7.809 سرير بـ 50 فندقاً والرباط 3.714 سرير في 25 فندقاً والجديدة 648 سرير في 7 فنادق. لكن تعرف هذه المنطقة توسعاً كبيراً للإقامات الخاصة والقرى السياحية ومخيمات رسمية أو تلقائية. وتضم منطقة الوسط الأطلسي ما بين القنيطرة والصورة 17,43٪ من الطاقة الإيوائية تستأثر الدار البيضاء بـ 53,52٪ منها.

ومن المناطق التي عرفت نمواً سياحياً كبيراً منطقة الجنوب الداخلي خاصة مراكش : 18.007 سرير بـ 72 فندقاً مصنفاً ويوجد بها فندق اللوكس فوق التصنيف هو الماسونية و8 فنادق من فئة 5 نجوم و15 من فئة 4 نجوم و15 فندقاً من فئة 3 نجوم. وتبلغ الطاقة الإيوائية بجهة مراكش تانسيفت الحوز 10.013 سرير أي 20,36٪. يلاحظ اتجاه عام نحو الفنادق الكبرى التي تتسع لمئات السياح خاصة بالمناطق التي تسودها سياحة الإقامة كأكادير والحسيمة أو سياحة المؤتمرات والأعمال كمراكش والدار البيضاء، فجل الفنادق الجديدة بأكادير تتسع لأكثر من 400 سائح لتستجيب للسياحة الجماعية إذ يجب أن يتسع الفندق لحمولة طائرة كبيرة على الأقل، فالفنادق تنتج نحو الضخامة، ففي 1964 كان معدل حجم الفنادق المصنفة 80 سريراً وارتفع إلى 131 سنة 1978 ثم وصل 164,40 سنة 1999. ويبلغ معدلها في أكادير 214,88 بعد إنشاء فنادق كبرى تتسع لأكثر من 1.000 سرير مثل "الموگار"، لكن مراكز سياحة العيون لا تزال فنادقها صغيرة. ونظراً لموسمية هذا النشاط فإن معدل استهلاك الطاقة الإيوائية السنوية يبلغ 63٪ لكن الطلب يتميز بعدم المرونة إذ يتكدس في قمة الموسم مما يجعل الطاقة الإيوائية غير كافية.

الخامس بالدار البيضاء، و11.5 مطار مراكش المنارة و9.6 بمطار أكادير المسيرة و2.3 بمطار طنجة و0.8 بمطار الرباط سلا و0.5٪ بمطار فاس سايس. ويأتي حوالي نصف السياح إلى المغرب على طائرات شارطر مكرترة خصيصاً لرحلة جماعية. الطريق البحري : 36.2٪ منها بطنجة و0.3٪ بالدار البيضاء. أما حركة سبتة فلا تدخل حالياً ضمن الإحصاءات المغربية.

#### نمو الحركة السياحية :

حقق تزايد السياح وتأثر نمو كبيرة لكنها دون الظموحات الوطنية التي كانت تتوقع استقبال 10 مليون سائح سنة 2000. لقد تزايد عددهم بالفعل من 189.236 سنة 1962 إلى 2.350.895 سنة 1999 وإذا ما أضيف إليهم المهاجرون المغاربة وسياح الرحلات البحرية يصل العدد إلى 4.095.256. حقق تزايد السياح قفزة كبيرة خلال عقدي الستينيات والسبعينيات حيث تضاعف 11 مرة بين 1961 و1973 إلا أن هذه الزيادة ليست منتظمة إذ تتبع منحني متسارعا، تتراجع في بعض السنوات بسبب أزمات سياسية أو اجتماعية أو خلاف مع شركات سياحية...

وإعطاء السياحة دفعة قوية عقد في مطلع سنة 2001 مؤتمر مراكش لدراسة مشاكلها وأبعادها وأصدرت السلطات المختصة "قانون إطار" جديد لإنعاش الاستثمارات السياحية أملا في استقبال 10 ملايين سائح سنة 2010.

تعرف بنية السياح تحولاً نوعياً في السنوات الأخيرة إذ بدأت نسبة الأوروبيين تتراجع نسبياً وتتزايد نسبة سياح الدول العربية وأمريكا الشمالية وجنسيات أخرى، لكن مازالت أوروبا الغربية تعتبر أكبر باعث للسياح بنسبة 82.83٪. ومازال السياح الفرنسيون يحتلون المرتبة الأولى 1999 :

- 1 - الفرنسيون 811.805 سائح يمثلون 34.53٪ من المجموع.
- 2 - إسبانيون 255.333 سائح يمثلون 10.86٪.
- 3 - ألمانيون 228.620 سائح يمثلون 8.62٪.
- 4 - إنجليز 134.635 سائح يمثلون 5.72٪.
- 5 - بلجيكيون 88.443 سائح يمثلون 3.76٪.
- 6 - هولنديون 82.122 سائح يمثلون 3.49٪.

مازال السائح الفرنسي هو الزبون التقليدي، وقد عرف المغرب قبل عهد السياحة الجماهيرية، ويفسر ذلك بالعلاقات التاريخية وبثقل القرى السياحية والأندية الفرنسية مثل نادي البحر الأبيض المتوسط. وللسياح الفرنسي تصرفات خاصة فهو يمارس سياحة عبور وإقامة وسياحة ثقافية. ويعتبر أهم زبائن مراكش + 60٪ ولوحظ أن بعضهم تربطهم علاقات عاطفية بالمغرب كمولد بعض أفراد أسرهم خلال الحماية أو من اليهود المغاربة الذين استوطنوا فرنسا وغيرها ولبعضهم علاقات عائلية مع المغاربة كما يأتي بعضهم كرجال أعمال ومتعاونين. تبلغ عندهم نسبة إعادة زيارة المغرب أعلاها 40٪ سنة 1995.

ويلاحظ أن عدد الأسرة الحقيقي الموجه للسياحة خاصة الوطنية يفوق كثيراً هذا العدد بعدة أضعاف إذا ما أدخل في الاعتبار الفنادق غير المصنفة والمخيمات، والاقتناء المتزايد للإقامات الثانوية وكراء منازل وغرف بالأحياء الشعبية وتخصيص بعض الأحياء الجامعية وداخليات بعض المدارس العليا والمنشآت الخصوصية الموجهة لاصطياف العاملين بها. ويلاحظ أن معظم التجهيزات السياحية مازالت ترتبط بالمدن وذلك على ثلاثة مستويات :

• اندماج المجال السياحي داخل المجال الحضري كما في بعض الأحياء بالدار البيضاء ومراكش وأكادير، مما يطرح منافسة بين المجالين السكني والسياحي، ويوجه جزءاً من ميزانية البلدية لفائدة السياح.

• توطئ المنشآت السياحية بضواحي المدن كما في طنجة وحي المشتى بمراكش لكنه يطرح مشاكل عند توسيع المدينة. • استقرارها بعيداً عن المجال الحضري كما هو الحال في محطات الساحل المتوسطي بين مارتيل وسبتة ومنطقة النخيل بصفاء تانسيفت قرب مراكش أو بالأطلس الكبير. وهذا يطرح مشكل سكن عمال الفنادق، ويتسبب في استلاب الريفيين إذ تغري أجور المرتفعة والسهلة نسبياً الشباب بترك العمل الزراعي، وسلب مساحات زراعية ومياه. النقل السياحي :

يشمل الاهتمام بالسياحة جانباً آخر هو النقل وما يرتبط به من تأمين وحوادث... فعلى المستوى الداخلي طور المغرب النقل البري بتوسيع شبكة الطرق السيارة وترصيف المزيد من الطرق وإصلاحها وكذلك النقل الحديدي والبحري والجوي، ويقدم قروضا وتشجيعات لاقتناء عربات النقل المريحة وتكوين شركات السيارات والجيبيات 4 × 4 للقيام بجولات حضرية وريفية. وفيما يخص النقل البحري ازداد عدد البواخر التي تنقل الركاب والسيارات عبر المضيق من الجزيريات وموانئ جنوب إسبانيا وفرنسا إلى طنجة والناظور والدار البيضاء زيادة على سبتة وتستأثر بحوالي 50٪ من حركة عبور المضيق، كما بني عدد من موانئ البحوث خاصة بالساحل المتوسطي بين مارتيل وسبتة. وحققت النقل الجوي أكبر تقدم وذلك بتوسيع المطارات وتجهيزها وتوسيع نشاط الخطوط الجوية الملكية التي تقوم بتكثيف الرحلات مع البلاد الموفدة للسياح، إلا أن الشركات العالمية تلعب دوراً مهماً في نقل السياح من بلدها إذ تمتلك وكالات الأسفار وفنادق وتنظم حملات الإشهار وبيع التذاكر.

في سنة 1999 تم دخول السياح الأجانب عبر الطرق التالية :

- الطريق البري 17.6٪ منها 16.1 من باب سبتة و0.3٪ من بني نصار قرب مليلية أما محطة زوج بغال قرب وجدة فقد تراجع كثيراً بسبب إغلاق الحدود وسجلت مساهمتها 19٪ سنة 1989.
- الطريق الجوي : 46.8٪ منها 18.9 بمطار مسحمد

يشل السائح الألماني نموذج سياح شمال أوروبا، تتزايد أعدادهم بنسب كبيرة يقومون بأسفار جماعية تهيمن عليها شركات قوية تفرض نموذجاً هو سياحة الإقامة بالشواطئ، يعتبرون أهم زبناء أگادير، يتوزع قديمهم على طول السنة خاصة في الشتاء، يفضلون الابتعاد عن السكان إلى آفاق رحبة مشمسة.

برزت أهمية السياح الإسبان والإيطاليين في السنوات الأخيرة لتفتح بلدانهم على المغرب والعمل على قنن العلاقات الاقتصادية معه، يغريهم انخفاض الأسعار النسبي، تجتذب الإسبان سياحة إقامة بالشمال ويصلون في تنقلاتهم جنوباً إلى الدار البيضاء بل مراكش وتوكال إذ تعتبر نواديهم الجبلية من زبنائه الرسميين، كما يقبل الإيطاليون على زيارة العواصم التاريخية.

يتذبذب عدد السياح الأمريكيين الشماليين من سنة لأخرى وإن كان يعرف نسبة نمو لا بأس بها إذ بلغ عدد الأمريكيين 129.707 سائح والكنديين 30.686 سائح يأتي 90٪ منهم من أوروبا، وسياحتهم ثقافية أكثر مما هي ترفيهية إذ يرغب الكثير منهم في وضع قدمه بإفريقيا.

أما السياح العرب فقد تراجع عددهم بسبب إغلاق الحدود الجزائرية فتراجع عدد الجزائريين من حوالي مليون سائح إلى 17.965. ويبلغ عدد سياح المغرب العربي الكبير 60.368 منهم 28.193 تونسياً و9.235 ليبيا. أما سياح الدول العربية بالشرق الأوسط فقد بلغ عددهم 69.648 منهم 32.891 سعودياً و12.277 مصرياً و2.617 كويتياً. يأتي معظمهم لقضاء عطلات ترفيهية بالمدن الكبرى خاصة طنجة والدار البيضاء وأگادير حيث يجدون وسائل الترفيه والمتعة التي يفتقدونها في بلدانهم.

وقد أبعاد إحصاء المغاربة العاملين بالخارج ضمن السياح إذ يقيمون في منازل لدى عائلاتهم وليس بالفنادق. وسياح الرحلات البحرية الذين يتوقفون ببعض الموانئ فإنهم يحصون على حدة إذ يبيتون بيوتهم وقد يقضون في المدينة الشاطئية بضع ساعات أو أيام لكنهم يتبضعون منها، بلغ عددهم 271.274. ولتشجيع هذا النشاط أنشأ المغرب عدداً من الموانئ الترفيهية لهؤلاء السياح بطنجة وقارة وأگادير، لكن أهمها يوجد بالساحل المتوسطي بجنوب سبتة. ويلاحظ أن 80٪ من السياح رجال نصفهم من الأطر الإدارية العليا والمتوسطة والربع من ذوي المهن الحرة. 70٪ منهم متوسطو الأعمار 40 سنة و10٪ شيوخ (دراسة لوزارة السياحة 1995).

لقد أنجز كل هؤلاء السياح 13.063.800 مبيتة سنة 1999 بزيادة 9٪ عن سنة 1998 منها 35,73٪ بمنطقة الجنوب الساحلي و27,47٪ بالمنطقة الجنوبية الوسطى حيث مراكش و14,48٪ بالمنطقة الوسطى حيث الدار البيضاء والرباط و7,85٪ بالمنطقة الوسطى الشمالية، و8,84٪ بالساحل المتوسطي و4,09٪ بالجنوب الصحراوي الكبير. ويقدر معدل

إقامة السائح في المغرب بـ 5,55 أيام سنة 1986 (مراكش 3,1 أيام وأگادير 8,3). وهي تتجه نحو تمديد أكبر إذ بلغت 11 يوماً سنة 1995. ويلاحظ أن القسم الأكبر من السياح يزور المغرب بين مارس وشتنبر لكن بالنسبة للجنوب : أگادير مراكش ورزازات، تتم أغلب الزيارات في الشتاء والربيع بين أكتوبر وماي وهذا ما يدل على أن الشمس والشاطئ هما اللذان يجتذبان السياح.

وأما السياحة الجبلية فتحتل بجاذبية خاصة إذ تبدو الجبال المغربية بغاياتها ووديانها وقممها المكلفة بالثلوج كجزر من الحضرة والرطوبة بين سهول شبه جافة، اشتهرت منذ القديم بجاذبية صيفها بطقسه المعتدل ومياهه الباردة. لذا كانت تجتذب الزوار دائساً للاستجمام والنزهة، كما تجتذب أسواقها ومواسمها أعداداً من الزوار، لكن شتاءها كان فصلاً عيبوساً تشتد فيه البرودة، وكان ارتياد الجبال عملية صعبة بالنسبة للحضرين. لكن التطور الحديث وانفتاح المناطق الجبلية لمختلف التيارات والمواصلات الحديثة وتطلع الإنسان إلى آفاق جديدة للاستطلاع والترفيه وتعميم الذوق الاستهلاكي الذي جعل من المجالات الواسعة والفاخرة ومن البرودة والمنحدرات الصعبة والغابات والوديان والقمم العالية والثلوج النقية التي تعد من النفاس في بلد إفريقي مجاور للصحراء، عنصراً ثميناً للسياحة والرياضات الجبلية خاصة وأن معظم المساحات بقيت مجالاً للحياة الطبيعية. ذلك أن تدخل القرويين لإعداد المجالات الفلاحية ظل مقتصرأ على مساحات ضئيلة يقعور الأودية والسفوح الدنيا وبعض المراعي. ولما كانت السياحة مرتبطة أساساً بالجغرافية فإن المميزات التضاريسية منححتها إمكانيات سياحية ورياضية مهمة، أدرك الأوروبيون الوافدون على المغرب منذ بداية عهد الحماية أهميتها، فناظر القمم والأودية والغابات والإرث الحضاري الذي ينعكس على القرى والأسواق والملابس والعادات، اجتذب الباحثين والمستكشفين ثم السياح والرياضيين والمستثمرين، فاستثمروا أموالهم وخبراتهم لاستغلال المناجم والغابات وتكوين مزارع حديثة بالأودية والأحواض، وأنشأت السلطات العمومية مراكز إدارية وتجارية وفتحت الطرقات التي عبرت الأودية والفجاج للتنقل والاستطلاع والاستثمار، وأقام بعض الأجانب محطات استراحة على الطرق تطور بعضها إلى مراكز اصطياف واستجمام مثل أسني وويرگان... كما عمل المسؤولون على إنشاء مراكز عمرانية جديدة لاستقبال المصطافين وهواة الرياضة الجبلية مثل إفران وأنشأوا حولها عدداً من محطات الترحلق، كما أنشأوا محطة أوكايمدن للترحللق، ويتوسع شبكة الطرق الوطنية تم ربط عدد من مدن الدبر المشهورة مثل أزرو والحاجب وصفرو والقصبية ودمنات بتسيارات السياحة الحديثة. فظهرت بها فنادق ومنشآت سياحية متنوعة، وهكذا بدأت المجالات السياحية الجبلية تتوسع تدريجياً.

وينمو مجالات السياحة والرياضات الجبلية تميزت بينها نماذج عديدة أهمها :

- مدن للاصطياف والاستجمام قديمة مثل أزرو وإيجوزار والقصيبة أو جديدة مثل إفران ومراكز وادي أوريكما، بنيت بها فنادق وإقامات متنوعة ومخيمات ومنازل للكراة.  
- مراكز طربية للاستراحة والتغذية خاصة بالطرق العابرة للفضاج وطرق الأودية.

- مجالات ريفية واسعة يتم التجول فيها بين القرى والغابات والجمال عبر طرق ومسالك والميت بمآو للقرويين غالبا أو مخيمات خفيفة، وغالبا ما تتم الجولات هنا في إطار منظمات متخصصة.

- مجالات جبلية فارغة من السكان تتناول القمم والأودية العليا ينجز رحلاتها هواة صعود القمم والتسلق التقني وتزحلق الأعماق بالسفوح غير المجهزة.

- محطة التزحلق المجهزة مثل أوكايمدن وميشلبين تربطها طرق جيدة بالمدن الكبرى الباعثة لهواتها من الأسر والأطفال والشباب وممارسي رياضة التزحلق.

- محطة البحيرات الاصطناعية والطبيعية لممارسة الرياضات المرتبطة بالمياه : سباحة، قوارب، صيد، وغالبا ما يبيت هواتها بخيامهم الخاصة يقيمونها بمخيمات منظمة أو عشوائية.

وهناك مجالات جبلية احتياطية تتميز بأصالتها وجمالها لكن الإقبال عليها مازال ضعيفا فهي تنتظر دورها عندما تكتظ المجالات السابقة، ذلك أن السياحة الجبلية والبيئية تنفر من الازدحام والتلوث، فسادامت تبحث دوما عن المجالات الطبيعية النقية فإنها متوفرة بمناطق عديدة بالمغرب، مثل كتلة العياشي بالأطلس الكبير الشرقي حيث تبرز قسة جبل العياشي المشرفة على مدينة ميدلت وعلى الحوض الأعلى لوادي ملوية، والريف الأوسط حيث تغطي سلاسل منطقة واسعة تشمل كل شمال المغرب المشرف على البحر المتوسط شمالا كما تشرف على سهل الغرب بتلال مقدمة الريف.

وثائق متنوعة ودراسات قطاعية لوزارة السياحة، أفكار حول السياحة المغربية من المرائد الوطنية خاصة الاتحاد الإشتراكي والعلم والأحداث المغربية، بحوث طلبة السنة الرابعة جغرافية حول السياحة، كلية الآداب، مراكش : أحمد هوزالي، التحولات الجبلية والاقتصادية وحركة التمدن بالأطلس الكبير المراكشي، كلية الآداب، الرباط، 1987 : وزارة التربية الوطنية، الجغرافية للسنة الثانية ثانوية، الدار البيضاء، 1989 : وزارة التوقعات الاقتصادية والتخطيط، مديرية الإحصاء، المغرب في أرقام، 1999.

J. Dresch et J. Lepiny. *Guide alpin de la montagne marocaine : le massif du Toubkal*, Rabat, 1938. Ministère du Tourisme. *Randonnées pédestres dans le massif du Mgoun*, Idéal, Casablanca, 1989. *Villes et montagnes marocaines* (guide touristique), Rabat, 1964 : M. Berriane. *L'espace touristique marocain*, D.E.S. Université de Tours, 1979 ; *Tourisme national et migration de loisirs au Maroc*, Etude géographique, Rabat, 1992. *Réflexions à propos du tourisme national*, Lamalif, n° 142, janvier 1983. R. Lanquar. *Le tourisme international*, Paris : R. L. et Y. Raynour, *Le tourisme social*, Paris : *L'Atlas du Maroc : Tourisme international et espace touristique*, notice + carte.

أحمد هوزالي

**السي المودن**. «الكاتب الفقيه، الأديب اللبيب النبیه، الحاذق الإخباري النسابة المؤرخ». بهذا حلاه القادري في *نشر المثاني*، ولم يستحضر اسمه قال : «جرى على ألسنة الناس تعيينه بنسبه». وأهله بنو المودن من سجماسة أصبحوا من أعيان قبائل حضور فاس وقدماء سكانها.

كان المترجم شاعراً ناثراً يحسن الانشاء والترسيل، بديع الخط سريع البديهة خفيف الروح ينشئ الكلام اللائق بالمجلس ويأتي في الجواب بالعجب العجاب. أراد السلطان المولى الرشيد بن الشريف أن ينسخ كتابا لنفسه، فكان السي المودن ممن استؤجر لكتابة بعضها، فاستحسن السلطان خطه فاتخذ كتاباً له وصار من جلسائه يُضحكه وينطق بين يديه بما لا يقدر أحد أن ينطق به أمامه، يستشير السطان في مهمات الأمور فإذا أشار عليه بأمر كانت عاقبته خيراً.

ولما توفي الرشيد خدم السي المودن أخاه المولى إسماعيل وتمتع لديه بنفس الحظوة. وأورد القادري نماذج من الخدمات الدينية والسياسية والاجتماعية التي تمت في فاس أيام المولى الرشيد والمولى إسماعيل بواسطة السي المودن الذي كان يشير على العاهلين بما تقتضيه المصلحة العامة في بعض الأحداث الداخلية بسبب اختلاطه بعامة الناس واطلاعه على الأحوال.

لم يذكر القادري تاريخ وفاة السي المودن، بالضبط وإنما أورد ترجمته في خاتمة الكتاب ضمن الذين لم يقف على تعيين وفاتهم. ولعله توفي في أواخر عهد المولى إسماعيل حوالي سنة 1135 / 1723.

م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 6 : 2272 - 2274.

محمد حجي

**سيباستيان، ضون** Don Sebastian ملك البرتغال. ولد

بليشونة يوم 20 يناير 1554 بعد ثمانية عشر يوماً من وفاة والده الأمير خوان Juan ابن الملك خوان الثالث Juan III فكان حفيده سيباستيان وارث عرشه الوحيد ؛ وحيث إنه لم يكن له من العمر آنذاك سوى ثلاث سنوات فقد تولت وصاية العرش جدته الملكة كاتالينا دي أو سطرنا Catalina de Austria أرملة الملك خوان الثالث وابنة امبراطور قشتالة كارلوس الخامس Carlos V ثم تولى الوصاية على العرش البرتغالي سنة 1562 الأسقف إتركي Enrique أخ الملك خوان الثالث وذلك إلى غاية يوم 20 يناير حيث بويع سيباستيان ملكا على البرتغال.

تقول المصادر البرتغالية إن سيباستيان تربى في وسط تهيمن عليه روح الكنيسة وبخاصة بعد أن تولى الأسقف إتركي وصاية العرش ؛ هذا بالإضافة إلى أن الملك الشاب كان له ولوع كبير بمطالعة كتب التاريخ خصوصا منها الكتب المتعلقة بالفشوحات البرتغالية ؛ وكان الأسقف الملازم له

غاسبار ماوريشيو يوهمه بأن الله يريد منه أن يتابع الحرب المقدسة ضد "الكفار" ببلاد المغرب.

وكان سيباستيان يقارن بين ما كانت عليه بلاده من صولة بأرض المغرب حيث كانت تحتل عدة جيوب، وما آلت إليه في زمانه حيث لم تعد البرتغال تمتلك بالشواطئ المغربية سوى ثلاثة مراكز هي : ستة وطنجة ومازاگان (البريجة) ؛ وحيث إن سيباستيان كان قد تربى وترعرع في جو مفعم بالعداء للإسلام والمسلمين، فقد اعتقد بأنه مطالب ليس فقط باسترجاع مكانة بلاده بأرض المغرب، بل عليه أن يستولي على المملكة المغربية برمته.



وفي هذا الصدد تقول المصادر البرتغالية إنه منذ سنة 1570 أصبح سيباستيان يستعد لتنظيم حملة صليبية ضد المغرب لم يسبق لها مثيل في تاريخ الفتوحات البرتغالية، حيث "صار يعمل ويخطط بل ولا يعمش إلا من أجل تحقيق حلمه حيث إن فكرة الاستيلاء على المغرب لم تعد تفارقه لحظة واحدة".

وفي 24 غشت حل بسبحة للاطلاع على ما يجري فيها وظل بها إلى يوم 30 يسطاد الخنزير بأرض أنجرة ؛ ثم توجه إلى طنجة فمكث بها إلى يوم 25 أكتوبر، يقوم يوميا بجولة تفقدية بضواحي المدينة.

ولما علم السلطان المتوكل بالاستعدادات التي كان يقوم بها عمه عبد المالك بالجزائر ؛ اقترح على ملك إسبانيا فيليبي الثاني إبرام حلف دفاعي بين المغرب وقشتالة ضد الأتراك العثمانيين.

وفي يوم 28 يناير 1576 اجتمع مجلس الدولة القشتالية وقرر قبول اقتراح المتوكل وإخبار الملك سيباستيان به قصد انضمامه إلى الحلف المقترح ليكون حلفا ثلاثيا.

وكان لانتصار عبد الملك على المتوكل في معركة الركن ليوم 17 مارس 1576 واستيلائه على فاس حيث تمت مبايعته يوم 31 من نفس الشهر أثر كبير على كل من ملك قشتالة

والبرتغال، وأعلن سيباستيان أنه يفضل الاستيلاء على العرائش.

لم يكن فيليبي الثاني يشاطر سيباستيان رأيه في غزو المغرب، وقام بعدة محاولات من أجل أن يقنعه بالتخلي عن ذلك دون جدوى.

وفي يوم 20 نوفمبر 1577 التجأ المتوكل إلى قصبية أسنادة بالريف لكي يكون بالقرب من جزيرة بادس المحتلة من طرف قشتالة ويمكنه اللجوء إليها عند الحاجة. وانتهت سنة 1577 ولا حديث للعامه والخاصة في البلدان الأوربية إلا على الحملة الصليبية التي يستعد لها الملك سيباستيان لغزو المغرب.

وفي يوم 14 يونيو ترأس سيباستيان القداس الذي أقيم بكاتدرائية لشبونة لتلاوة الصك الباباوي الذي يبارك الحملة الصليبية ويغفر ذنوب جميع من يشارك فيها.

وفي نفس اليوم ركب سيباستيان السفينة الرئيسية لأسطول الحملة مينا لشبونة وظل على متنها إلى يوم 25 حيث غادر الأسطول العاصمة البرتغالية وكان يتكون من ألف قطعة بين كبيرة وصغيرة ويرأسه الأميرال بيغو ذي صوتا.

حل سيباستيان بطنجة يوم 7 يوليوز وفي اليوم التالي استقبل المتوكل على ظهر سفينته، فكانت هذه المقابلة الأولى بين الرجلين، فلا صحة لما يؤكد بعض المؤرخين بأن المتوكل كان قد سبق له أن توجه من سبحة إلى لشبونة ؛ وفي يوم 11 يوليوز غادر سيباستيان مينا طنجة متوجها إلى أصيلا صحبة المتوكل، وفي اجتماع الضباط الذي ترأسه سيباستيان بأصيلا يوم 20 يوليوز تم الاتفاق على احتلال القصر الكبير ثم العرائش لكن معركة وادي المخازن أو تامده Tamida جرت يوم الاثنين 30 جمادى الأولى 986 موافق 4 غشت 1578 وفيها لقي حنفة الملك سيباستيان والسلطان المتوكل المخلوع، وأما السلطان عبد المالك المعتصم فقد وافته المنية أيضا وقت المعركة على إثر مرض ألزمه الفراش.

م. ابن عزوز حكيم، معنسة معركة وادي المخازن، تحت الطبع وبها بيبليوغرافيا تحتوي على 605 مصدر ومرجع بجميع اللغات.  
محمد ابن عزوز حكيم

**السيبية**، حالة عدم الخضوع للحاكم أو التمرد عليه في المغرب. تستعمل كلمة السببية في عبارات مثل "بلاد السببية" و"بلاد المخزن" أي البلاد التي لا تنالها أحكام السلطة المركزية (المخزن) والبلاد التي هي تحت مراقبة هذه السلطة. ويتذكر الناس أيام السببية ويقصدون بها على الخصوص أيام ضعف سلطة الدولة مما جعل بعض القبائل تتحلل من سلطتها، وتجلي ذلك في عدم أداء الضرائب أو عدم الاستجابة لأنواع أخرى من المطالب والفروض أو حتى القيام بأنواع من أعمال الشعب تستهدف على الخصوص القواد والشيوخ المخزنيين. ولا يعني هذا أن القبائل السببية تبقى

على حالة الفوضى، بل إنها في غالب الأحيان ما تنصب متولين لتسيير أمورها حسب أعرافها، وقد يكون حكمها بالتناوب بين مختارين من الأقسام التي تتكون منها القبيلة السائبة.

ما من شك أن أصل الكلمة في القاموس العربي حيث يعني السائب المهمل ففي معجم مفاتيح اللغة لابن فارس: السائبة: "العبد يسبب أي يترك في غير ولاء، يضع ماله حيث يشاء". والسببة باللسان العربي الدارج بالمغرب هي حالة ناس خرجوا من وضع الرعية المتقادين لأمير هو صاحب السلطة المخزنية المركزية.

وقع تزويج مبالغ فيه لكلمة سببة في الكتابات الأوربية الواصفة لأحوال المغرب في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وكانت تعني على العموم الوضعية التي كانت توجد فيها عدة مناطق لم يكن فيها ممثلون مخزنيون يحصلون الجباية لبيت المال ويتولون استنهاض الحركات العسكرية وتنفيذ الأوامر المخزنية بصفة مباشرة. وهذا الغياب راجع إما لانقراض أولئك المشلين وعدم تجديدهم على يد المخزن أو لانقطاعهم عن الاتصال بالمخزن استضعافاً له ولقيام جماعة القبائل باستبدالهم بأخرين عندما يقدر أن يد السلطة المركزية أضعف من أن تصل إليهم أو طمعا في اغتنام ولو فرصة قصيرة تتنفس فيها الجماعة الصعداء بعد ضغط قد يكون فيه شيوخ مخزنيون من بني جلدتها مستعملين فيه.

غير خاف أن ما يمكن أن نسميه بالحضور المخزني في مختلف مناطق البلاد، ولا سيما في البوادي النائية والجبال الوعرة، كان على امتداد التاريخ حضوراً غير متساو في كثافته ولا تامة، وذلك بسبب طبيعة وسائل الدولة في استعمال الإكراه وهذا النقص ليس ظاهرة جديدة في القرن التاسع عشر، ذلك أن نفوذ الدولة كان دوماً في تمدد وتقلص حسب عدد من العوامل كقوة شخصية السلطان ومدة حكمه، وظروف الرخاء أو الشدة السائدة في البلاد، وبحسب ما إذا كانت الدولة في بدايتها وعنفوانها أو في طور شيخوختها واضمحلالها، وبالنظر إلى ضغط مشاغلها الخارجية، وتعرضها للتقلبات المناخية أو الكوارث الطبيعية، وتبعاً لحكمة الحاكم أو تهوره. وكيفما كان الحال فإن الدولة التي كان لها أكثر من مركز تاريخي واحد كانت تربطها بمختلف نواحي البلاد خيوط تدق كلما ابتعدنا على المركز في فترة من الفترات. ولطالما اضطرت إلى الاكتفاء بالولاء المعنوي من طرف عدد من القبائل أو بهدية موسمية رمزية تكون بمثابة اعتراف بنفوذها وسيادتها غير المنازعة سياسياً من حيث المبدأ. أما المجتمع، ولا سيما في البوادي فله بناء سياسية محلية ونظمه الشرعية والعرفية وتقاليد الاجتماعية، ينصب شيوخه أو يقترحهم على المخزن ويحتكم في كثير من نزاعاته إلى عرفائه أو فقهاءه أو مرابطيه أو مجالس أعيانه، كما كان يكفل طلبته (مدرسيه) وأئمة مساجده. ومتى عين المخزن

قاضياً في بادية واسعة فإنما يحتكم إليه من يريد أن يحتكم أو يستطيع الوصول إليه.

إن من بين ما يميز البنية السياسية للقبائل عن البنية المخزنية هو أن القبائل قد تختار شيوخها لمدة محددة، مالم يستبد بعضهم، بينما كان المخزن يزكي بعض الأعيان المقترحين في القبائل أو المستبدين بها من الشيوخ فيعنتهم عمالاً. وإذا لم يتوفروا، ووصل نفوذ المخزن إلى القبائل البعيدة ولا سيما في الجبال، فقد يعين عليها، أشخاصاً أجانب من خارجها يسمون حينئذ عمالاً أو قواداً، فيكون عليهم أن يحاولوا أن ينتزعوا من المجالس العرفية للجماعات بعض سلطتها في التحكيم والتقرير، لأنها في الغالب سلطات مشمرة. أما ما عدا هذا من الأنظمة والشؤون فقلما يتدخل فيه المخزن، لأن هذا الموقف يخفف من أعبائه ويتناسب مع طبيعته، إذ كان يحدّ ترك الأمور تصرف على عوائد حتى عندما تتوفر له وسائل التدخل. وما أن تضعف القوة المخزنية في المراكز حتى تنقلب القبائل على حكامها ولا سيما إذا كانوا قد تعسفوا مستنصرين بقوة الدولة، وحينئذ ترجع هذه القبائل إلى نظام الشيوخ المختارين المؤقتين أو نظام العرفاء المسومين في بعض جهات الجنوب بالنفاليين.

ولا شك أن النقطة الحساسة في هذا التمهيد هي الجباية والتسخيرات إذ أن القبائل لا ترفض المخزن مالم يطالبها بأموال وخدمات لا تطيقها، وهي قلما تطيق نظراً لضعف إنتاجها. وإذا اضطرت إلى الرضا فإن شرطة الدولة تخرج إليها في "حركات" قد ينتج عنها الاصطدام. أما إذا كان للمخزن جهاز أسس عاملاً على إذلال الرقاب فإنه ما يزال يبتز الأموال ويعتصر الذمم إلى أن يقع الانفجار، وقد تكون وفاة سلطان هي الفرصة المواتية لهذا العصيان الذي يدخل القبائل في حالة "سببة" فيعود بعضها بعودة السلطان الجديد إلى الطاعة أو يضطر إلى الخروج عنها، وهو ما يستغرق بعض الوقت.

غير أن مسألة الجباية وحدها لا يمكن أن تخفي وجود عناصر ثقافية ونفسية كامنة وراء هذا الصراع، عناصر لا يمكن للمؤرخ أن يتلمسها إلا من خلال نتف إشارات عارضة في الوثائق، ولكنها تنبئ عما كوّن على الدوام مدار التفاهم أو عدم التفاهم بين الحاكمين والمحكومين، بين القبائل على الخصوص وبين المخزن، ذلك أن نفور المحكومين الذي يؤدي إلى الحسالة التي يحكم عليها المخزن والمالون له بحالة "السببة" هو نوع من التعبير على الاعتراض لم يطرح بكيفية واقعية من طرف المنظرين لسلوك المخزن أي الذين يبررونه في جميع حالات العنف ومن هذا القبيل ما تجده من عبارات بعض الكتاب المخزنيين أو المؤرخين أو حتى الفقهاء، من الحكم المطلق على القبائل بأنها بطبيعتها فاسدة على الدوام أو مسجولة على العصيان. وهكذا يطرح صراع تاريخي بصيغة الصلاح والفساد. وقد تشعب بهذا المنظور حملة ثقافة الخوف من الفتنة حتى ولو كانوا من صفار الطلبة الكنبية.

فالمعتون بالسببة هم طرا جميع المخالفين على صاحب السلطة مهما كان ويقطع النظر عن الملابس والدوافع والظروف.

وهكذا فكلما السببة لم ترد في المراسلات والوثائق المخزنية لأن استعمالها من باب استعمال تابوات بعد ترويجها إقراراً بواقعيتها. ولكن الكلمة حملت مع الأيام مضامين خوارجية ورفضية حتى إن السكان كانوا يستعملونها في حق أنفسهم فيقولون : "نكا السببت" أي نحن سائبة أو دخلنا حالة السائبة ولا يعنون بها سوى أنهم صاروا غير محكومين من طرف وال مخزني.

والحقيقة أن كلمة "السائبة" التي تقابل "الرعية" أي الذين لا حاكم عليهم لسبب من الأسباب قد وردت في كتابات الفقهاء التوازليين منذ أواخر العصر المريني. فإذا كان ابن خلدون لم يستعملها فإنه أقر الظاهرة وهو يتحدث في مقدمة تاريخه عن تدرج قوة الحكم في الضعف بقدر الابتعاد عن مركز الدولة. بيد أن الفقهاء المتخصصين قد طرحوا منذ هذا الوقت على الأقل مسألة الإشهاد ومسألة صحة العقود المترتبة عليها ومسألة الحيازة وصحتها في علاقة مع جهات البلاد التي لا تجري فيها الأحكام أي تلك التي ليس فيها ممثل مخزني، قاضياً كان أو عاملاً. وقد وردت كلمة "السياب" أي الذين هم في حالة "السببة" خمس مرات في تاريخ الدولة السعودية التاغمادرتية الذي ألفه مجهول في النصف الثاني من القرن السابع عشر لتعني المتنوعين عن الخضوع للسلطان أو العصاة أو المتأمرين أو الثوار وأطلقت حتى على المعتصمين داخل أسوار فاس عندما حاصرها محمد الشيخ السعودي. أما في القرن الثامن عشر فقد استعمل هذا المصطلح فقيه في فرقة كروول من قبيلة إينولتان التي مركزها دمنات اسمه محمد الكيكي (ت. 1185) حيث وضع فتوى تتعلق بحكم الحيازة بعنوان : "مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال". وقد شرح معنى البلاد السائبة بأنها "البلاد التي تجري فيها الأحكام لشغورها عن الإمام أو لبدء الجور والإهمال في الحكم". ويظهر أن هذا هو التعريف الدقيق لحالة "السببة" لا كما كان ينظر إليها الفقهاء فحسب بل كما يمكن للمؤرخ أن يستقصى طبيعتها ويوضح الظروف التي تؤدي إليها، فهي ثلاث حالات :

- حالة غياب ممثل للمخزن في حالة قصور المخزن عن تعيين هذا الممثل أو إقراره ؛

- حالة وجود حاكم ولكنه جائر، أي لا يمثل العدل السلطاني ؛

- حالة غياب ممثل للمخزن لأن القبيلة طردته أو استعصت عن قبوله، لتعصفه في غالب الأحيان.

ومنطق الفقيه المشار إليه ومن استند إليهم كيوسف بن عمر الأنفاسي (661 - 761) ومحمد بن إبراهيم التتاني المتوفى عام 942 يقتضي أن نتصور أن الوضع الطبيعي هو

أن يكون الناس رعية يرعاهم نائب عن الأمير الشرعي ويقيم فيهم العدل حتى تكون كل عقودهم جارية في شروط صحة وهي شروط الحرية واستبعاد الإكراه وكل أنواع المفسدة المخلة. أما مجالس الجماعات فحتى لو "عدلت" فلا عبرة بها لأنها إنما تحكم بالأعراف، بينما يعتقد هؤلاء الفقهاء أن الطلاب (كتاب العقود) المفتين والمرابطين الذين يرجع إليهم رجال القبائل في شؤونهم يعتبرون غير كفاة مادامت آراؤهم غير معززة بأنواع الزجر والإلزام الذي لا يوفره إلا وجود الحاكم.

يشهد الواقع التاريخي أن القبائل كانت دائماً في إحدى هاتين الحالتين، فإما هي متروكة لأمرها وهي "حالة الشغور" نظراً لضعف الجهاز المخزني، وإما هي نائرة ضد حاكم متعسف أو مهمل وهي "حالة الجور" وفيما عدا هاتين الوضعيتين فالقبائل كانت رعية ولم تكن "سائبة". وعلى كل حال فإن أحداً لا يستطيع أن يتحدث في حالة "السببة" إلا إذا نظر من مركز حكم في حالة عجز أي أنها إداة للمخزن قبل أن تكون اتهاماً للقبائل. أما إذا نظر من داخل القبائل فأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية لا تتغير إلا بقدر ما تتعرض له من المطالب أو التعسفات. وفي حالة الاعتدال فهي متفاداة ومرتبطة بالدولة بخيوط ولاء متعددة. ولهذا السبب نفخت بعض الكتابات الأجنبية كلمة السببة (قصد الظعن في فعاليات الدولة في أواخر القرن 19 وأوائل القرن 20 في حين أن الانتقادات ذات النزعة الوطنية جاءت ردوداً إنكارية قاطعة، أو بين المحدثين (توجد السببة أو السائبة) أمراً واقعاً كمصطلح له أصله وكوضعية لها جذورها في نط اقتصاد معين وفي طبيعة دولة لا تتوفر إلا على وسائل هيمنة محدودة. فإذا استبعدت من حقل الدراسة ميول النزعة الاستعمارية المفرضة والوطنية المدافعة بقي على الباحث أن يستقصى في كل زمان حالات السببة التي تعود إلى قصور في وسائل الدولة وتخلص القبائل لامن الطاعة بل من الواجبات المترتبة عليها، وحينئذ ينصرف الاهتمام إلى كشف البنى الذاتية للقبائل وآليات تنظيمها بدون تدخل مباشر للدولة المركزية وأن يستجلي الحالات التي نتجت فيها السببة عن القيام والانتفاض ضد حكام جائرين أو مهملين، وبهذه الوضععية ترتبط ظاهرة تاريخية أخرى هي ظاهرة الفورات الشعبية التي عرفها المغرب كما عرفتها بلدان أخرى.

م. الكيكي، مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال، تج. أ. التوفيق، بيروت، 1997، أ. التوفيق، المجتمع المغربي في القرن 19 إينولتان، 1850 - 1912.

De Lachapelle, *La formation du pouvoir monarchique dans les tribus berbères du Haut Atlas Occidental*, Hesp., T. 8, 3ème et 4ème trim., 1928 ; M. Laibabi, *Le gouvernement marocain à l'aube du 20ème siècle*, Rabat, 1958 ; Michaux-Bellaire, *L'organisme marocain*, R.M.M., n° 23 ; R. Montagne, *Les berbères et le nakhtzen dans le sud du Maroc*, Paris, 1932 ; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain, 1830-1912*, Casablanca.

أحمد التوفيق

**السييتي (Saëttie)** سفينة من النوع المتوسطي المستعملة منذ القرن الخامس (11 م)، وهي عبارة عن مركب صغير خفيف غير مغطى يصل طوله إلى عشرين متراً، ويتميز بغاطسه الضعيف الذي كان ييسر له الملاحة في الخلجان والمصبات؛ لكنه منذ القرن العاشر (16 م) عرف تعديلات مهمة جعلت منه مركباً مجسراً، وزادت من كفاءة حمولته وعدد مجاذيفه وتصريته من صار واحد إلى ثلاثة.

ظلت السييتي ضمن السفن الصغيرة المستعملة في الأسطول المغربي طوال القرن الحادي عشر (17 م)، وكانت حمولتها تتراوح بين ستين ومائة طن، وطاقم مؤلف من مائة رجل، لكن وجودها سوف يندثر في القرن الثاني عشر (18 م).

S.I.H.M., 2e série, France, T. I, p. 279-80 et A. du Sein, Histoire de la marine de tous les peuples, Paris, 1879, p. 41.

حسن أميني

**السيحل،** قبيلة تنتشر فوق جزء من الأطلس الصغير الغربي، وتمتد من الشرق إلى الغرب في الضفة اليسرى لوادي "أودودو" حتى المحيط تحدها قبائل أكلو في الشمال، وأيت باعمران إلى الجنوب، وأيت برايم في الشرق، والمحيط الأطلسي في الغرب.

تعني الكلمة في النطق المحلي المجال المشرف على البحر أو الأكثر ارتباطاً به، ينتسب سكانها الأصليون إلى الغور اللمطي القديم (صنهاجة)، انضادت إليهم مجموعات من القبائل المجاورة وخاصة من قبائل اتحادية إيداولتيت. وتنقسم قبيلة السیحل إلى أربع وحدات: إيفردا، أيت الريح، إيدوانغيضا، تيغانيمين، كما أُلحق بها سنة 1934 جزء من قبيلة أيت النص الباعمرانية. تعد القبيلة ممراً أساسياً للقوافل التجارية القادمة من منطقة واد نون. كما عرفت بتحالفاتها مع قبائل أيت باعمران وأكلو في إطار لف تاكوزولت. ومما يبين الأهمية العسكرية للقبيلة أنها كانت تتوفر خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) على 1800 بندقيّة و200 فارس. ومن أبرز الأحداث التي شهدتها القبيلة:

- تعيين حسون بن عمارة قائداً على قبيلة السیحل خلال رحلة السلطان الحسن الأول إلى سوس 1882.

- مساندة محمد بن الحسين الأليغي في مواجهة القائد الكيلولي سنة 1315 / 1897 - 1898.

- دعمها لحركة أحمد الهيبة وأخيه مريه ربه.

- تصديها لحملتي حسيده بن مآيس 1916، والجنرال دولاموط 1917 نحو أيت باعمران.

- استعمال أراضيها من طرف جيش التحرير بتمرير الأسلحة إلى أفراد المقاومة بأيت باعمران.

**سيبيل (Cybèle)** معبودة فريجية دخلت عبادتها إلى روما بعد الأزمة التي عرفتها خلال الحرب البونيقية الثانية أثناء مواجهتها لجيوش حنبعل. اعتبرت عبادتها بمثابة عبادة وطنية وأخذت مكانة هامة، وعلى نطاق واسع طوال فترات تاريخ روما. فما هي المكانة التي حظيت بها في إفريقيا الشمالية وفي المغرب على الخصوص؟

إن الشواهد الأثرية المتعلقة بعبادتها كثيرة في إفريقيا حيث إنها تغطي هذا المجال من حدوده الشرقية إلى حدوده الغربية أي من لبّس ماكنّا في الطرابلسية إلى بنّاصا في المغرب.

حملت سيبيل لقب "أم الكبرى" أو "أم الآلهة"، فهي في اعتقادهم أم كل الأشياء التي تمنح الحصوية وتشرف على عالم الأرواح والأموات.

إنها عادة ما تجسد إلى جانب عشيقها أتيس (Attis) ويبدو أن الإغريق والرومان والفريجيّين كانوا يقدسون هذا الأخير في صورة روح للطبيعة وتبدو هذه العلاقة بينهما كذلك من خلال بعض الأهداءات التي تم العثور عليها في مختلف المواقع.

ويبدو أن عبادتها احتفظت في ظل الامبراطورية بمظهرها الرسمي الذي تبنته عند دخولها إلى روما وكان يشرف على ممارسة الطقوس جهاز كهنوتي منظم بالإضافة إلى جمعيات كهنوتية مثل الدندروفورس (Dendrophores) والمتدينين (Religiosi) وجمعية الارشغاليس (Archigales) التي تنحصر مهمتها في إعطاء التعليمات أثناء إقامة الطقوس القرمانية.

ومعلوم أن أهم قرمان يقدم لسيبيل هو قرمان الثور والكيش (Taurobole et Crisbole) وتشير النقائش أيضاً إلى بعض اللوازم التي تصاحب الطقوس مثل الكرنوس (Cernos) وهو عبارة عن مزهية من الفخار تستعمل لاحتواء الأشياء المقدسة.

لقد أقيمت لها معابد في المجال الرسمي للمدينة مثل معبدها في لبّس ماكنّا الذي أقيم جنوب الفوروم ومعبد قرطاج الموجود في السفح الشرقي لتل بيرصا ومعبد مكتار في الجهة الشمالية من المدينة.

أما في موريطانيا الطنجية فقد أقيم لها معبد في مدينة بنّاصا خلال حكم انطونيوس الورع بقرار من المجلس المحلي وعلى نفقة المدينة (IAM, 2, 93) ويمكن أن نستنتج من خلال الشواهد التي عثر عليها في كل من بنّاصا وقرطاج أن عبادتها دخلت إلى إفريقيا ابتداءً من الفترة الانطونية لكن يبدو أن الازدهار الذي شهدته العبادة تزامن مع فترة السيبيريين (Sévères) وخلاصة القول إن عبادة سيبيل عرفت انتشاراً واسعاً نظراً لكونها أصبحت ربة حامية للامبراطورية وفقدت مقوماتها الشرقية وأصبحت معبودة رسمية.

M. Graillet, Le culte de Cybèle, mère des Dieux à Rome et dans l'empire romain, BEFAR, 1912 ; Les dieux tout puissants Cybèle et Attis et leur diffusion dans



النتيجة وقوع سبعة من جنود الإسبان أسرى يوم 22 يوليو 1858 على يد مقدم بني شكر محمد الخطري وتم تسليمهم للمقدم القائد محمد السيدالي، حيث بقوا معتقله بني سيدال، كان منهم كاتب قصة الاعتقال خوان ديانا Juan Diana، إلى أن تم نقل السجناء إلى فاس، ليتأني للقتل الإسباني تسلمهم يوم 16 مارس 1859 بحضور محمد السيدالي، غير أن القائد القلعي لم ينج من مكيدة اغتياله أثناء طريق العودة في 26 شعبان عام 1275 / آخر مارس 1859.

ح. الفكيكي، قلعية ومشكل الوجود الإسباني بليبلة، الرباط، 1997 : وثائق خ. ح. ومديرية الوثائق الملكية بالرباط ؛ ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الحليفية، تطوان، 1951.

Juan Diana, *Un prisionero en el Rif*, Madrid.

حسن الفكيكي

### السيفي، الحسن بن محمد البكري الدغمي فقيه

مشارك متمكن، اهتم بعلم التنجيم، حسن الكتابة ماهر في الخط يعدّ من أعلام الوراقين بالمغرب في القرن الثاني عشر (18 م). استقر بزواوية بجعد من تادلا، وصحب محمد الصالح الشرقي وأخذ عنه ولازمه مدة إقامته بها واستمر بجعد بعد وفاة صاحبه وفي إبان ولاية خليفته محمد المعطي صاحب "ذخيرة المحتاج" كما تذكر المصادر الشرقاوية.

كان من رفقائه سيدي محمد بن يوسف الدلاني والسيد أحمد بن الصغير السمعلي البركوسي والزايدي السمعلي الريكي، والفقيه محمد بن الحنيشي السالمي. ونفاجاً بسكوت كبير فيما يخص حياته ومسيرته العلمية غير أن مصادر شرقاوة تذكره في ثنايا أحاديثها عن رجالات الزاوية خلال القرن (12 هـ) .. أما قبل هذا التاريخ الذي اتصل فيه السيفي بزواوية شرقاوة فإننا لا نعرف عنه شيئاً ... ويرجع أن يكون قدم إلى بجعد في عهد ولاية محمد الصالح على زاوية أجداده إثر رجوعه إليها من مراكش بعد وفاة والده.

وعن ظروف اتصاله بالشيخ المذكور تحكي مناقب شرقاوة أنه سمع بمحمد الصالح في أحد المجالس واستمع إلى كراماته في هذا الشأن وأحب أن يرى ذلك رأي العين فليس الخبر كالعيان.. فكان أن قدم عليه واجتمع به فأصبح من خاصته وأهل وداده.

منتهى القول في شأن اتصال السيفي بمحمد الصالح أنه استقر لديه طويلاً، وحضر مجلسه وصحبه في بعض رحلاته إلى أحواز الزاوية... بل إنه حضر وفاته وشهد سره بحضور بعض أصحابه ومنهم العهداني صاحب "الروض البانغ في مناقب أبي عبد الله المدعو بالصالح"، والفقيه علي بن المنصور السمكتي وهو من أصحاب أبي علي الحسن بن مسعود البوسي.. وآخرون.

وقد كان السيفي مقيماً بمصرية قرب دار الشيخ المذكور بجعد كان قطن بها الفقيه أحمد بن فتوح النازي أيام إقامته بالزاوية. وتذكر مصادر زاوية بجعد أن السيفي رحل إلى

ومن مزارات القبيلة سيدي أبو الصدقات، وهو مجهول الأصل والنسب، وإنما تروج عنه عدة كرامات. بنيت عليه قبة عام 1278 / 1862. ويقام على مشهده موسم ديني خلال شهر غشت من كل سنة. وبجانبه تقع مدرسة إفردا العلمية، وهي مشهورة بأدوارها التعليمية. كما نجد مدرسة الكريمة بوسط مدشر إخرين، ومدرسة تيغانيين، وكلها مازالت تؤدي رسالتها التعليمية والإرشادية. ومن العلماء البارزين داخل القبيلة سوا في مجال التدريس أو التأليف : أحمد بن إبراهيم الكريمي (مجنوط)، الطاهر الساهري، إبراهيم التيفانيني (بيرعمان)، محمد بن الحسين بشوارين، اليزيد بن محمد أبلوش، إبراهيم كزور المعدري، أحمد بن يابلوقت...

ع. المتوكل الساحلي، المدارس العلمية العتيقة بسوس، الدار البيضاء، 1990، ج. 3، ص. 195، 221، م. المختار السوسي، المعسول، ج. 13، 188، 201، 190، 309، م. الأكراري، روضة الافنان، نج. حمدي أنوش.

Alfred le Chatelier, *Tribus du Sud-Ouest marocain : bassins côtiers entre Sous et Draa*, Paris, 1891, p. 19.

أحمد بومزكو

### السيدا بالمغرب ← فقدان المناعة

السيدالي، الحاج علال وُقُدور، قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني سيدال انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف سيدي محمد أمزيان ضد التدخل العسكري الإسباني بناحية الناظور وقد شارك في عدة معارك واستشهد في معركة سيدي ورياش بقبيلة مزوجة يوم 24 شوال عام 1327 / 7 نوفمبر 1909.

أعمال ندوة الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي، 1909 - 1912) تطاون، 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

### السيدالي، محمد قائد قلعية على عهد المولى عبد

الرحمن بن هشام، وهو من فرقة القضايا المتدرجة في خمس الكعدة أو بني سيدال من قبيلة قلعية. سبق لمحمد السيدالي أن كان مقدم مجاهدي خمس بني سيدال المرابطين بميدان مليلة بناء على طريقة النوبة حسبما اقتضته عادة قبيلة قلعية، ثم اختير قائداً للقبيلة كلها. ظهر بالوثائق أول مرة بتاريخ أوائل ذي الحجة 1264 / أواخر أكتوبر 1848، كان ذلك بسبب احتلال الإسبان لجزر كبدانة، حين أمره السلطان بالاستعداد للجهاد، فور وصوله إلى قرية عين زورة من قبيلة المطالسة، إحدى قبائل الريف الشرقي.

صادف قائد قلعية محمد السيدالي تصاعد استعدادات جنود مليلة لغزو الأراضي القلعية، محاولة منهم للقضاء على المقاومة، وكان تحت قيادته استعدادا لمواجهة هذا التطور الحربي الجديد قوة وصلت إلى تسعة آلاف محارب، فكانت

الشرق رفقة الفقيه علي بن محمد العوني.. وهما من خيار أصحاب سيدي صالح.. فخرج يشيعهما وأظهر لهما محبته ودعا لهما بالدعاء الصالح..

شغل السيفي شغل الإمامة في عهد سيدي محمد الصالح كما ذكر في "الروض البانع" (ص. 211)، يصلي به الأوقات الخمسة، وهو وظيف أهله لملازمة الشيخ وحضور مجالسه التي كانت عاصرة بالعلم والعلماء جمة الفوائد.

وكان هو الكاتب الرسمي لرسائل الشيخ التي يبعثها لمن أراد إن لم يتول الشيخ ذلك بيده، ولذلك تجدد بخطه من غالب الرسائل الصادرة عن الشيخ آفاً مؤلفة من كل ناحية كان فيها الفقراء، إذ أن هذا علاوة على القيام بأغراض أخرى مثل كتابة بعض المؤلفات العلمية التي يحتاج إليها الشيخ. ومن منتسحات السيفي :

- 1 - خلاصة الوفا للمسيودي عام 1131 (خ ع. 27 ك).
- 2 - السفر الأول من "بهجة النفوس" لابن أبي حمزة عام 1140 (خ ح. 9707).
- 3 - تفسير النسفي في سفرين عام 1143 (خ ع 2062 ك).
- 4 - السفر الأول من "تحفة الباري بشرح البخاري" لتركيا الأنصاري (خ ح 3874).
- 5 - السفر الأخير من "بهجة النفوس" لابن أبي حمزة (خ ع 4017).
- 6 - شرح البردة البوصيرية للغبريني في سفرين (خ ع 776 ز).

7 - صحيح البخاري، ن. خ (بدون تاريخ).

هذه فضلاً عن مؤلفات أخرى انتسخها من أسهما "النسخة العشارية" من صحيح البخاري التي كانت معتمدة بزواية بجعد.

وتدل بعض الإشارات في أدبيات شرقاوية أن السيفي كان على قيد الحياة في أعوام الخمسين من القرن الثاني عشر الهجري... وفي هذا التاريخ كان محمد المعطي الشرقي يؤلف كتابه الشهير "ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والنساج" ويروي أن السيفي رأى رؤيا في شأن هذا الكتاب وقصها على المؤلف في سياق إظهار سر هذا الكتاب وبيان مزيته لذوي الألباب (بتيسة، ص. 289).. مما يعني أن السيفي استمر في الإقامة ببجعد بعد وفاة صاحبه سيدي محمد الصالح عام 1139.

محمد المعطي الترقى، سفر المراني والشارات، بذيبة تيممة العقود الوسطى (17 نيليا)، ص. 371 : المعداني، الروض البانع الفانع في مناقب أبي عبد الله المدعو بالصالح، ص. 175 - 180 - 211 ومواضع أخرى، (86 ج) خ ع : العبدوني، تيممة العقود الوسطى في مناقب محمد المعطي، 289 - 391، 392، 305 ك : الشرقي، المكى بن المعطي، اختصار تيممة العقود الوسطى، ورفقات، 33، 34 - 35، 47 ط، ومواضع أخرى (905 ج)، خ ع؛ م. المنوني، تاريخ الوفاة المغربية، ص. 132 - 133.

عبد المجيد بوكاري

سيدي أحمد أموسي ← أحمد أموسي

**سيدي إسماعيل**، مركز وزاوية وسط دكالة على بعد 50 كلم جنوب مدينة الجديدة في طريق أسفي. نسبة إلى دفينهما الشيخ الصالح المجاهد إسماعيل بن سعيد بن محمد الدكالي المشتراي، المدعو أيضاً، كأبيه، بوسجدة (انظر بوسجدة في المعلمة) أخذاً من كنية جدهما الشيخ الصوفي علي بن أبي القاسم السبخاني المعروف بأبي سجدة دفين مراکش (انظر أبا سجدة في المعلمة).

انظر خريطة التقسيم الإداري لجهة دكالة عبدة (دكالة / المعلمة).

م. الكانوني، أسفي وما إليه، مصر، 1353 : محمد مكمل ومحمد سديري، زاوية سيدي إسماعيل، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، كلية الآداب بالجديدة، 1991.

أحمد الوارت

- 1 - سيدي إفني ← إفني
- 2 - سيدي بوزكري ← بوزكري
- 3 - سيدي بوزيد ← بوزيد
- 4 - سيدي بوسجدة ← بوسجدة (إسماعيل وسعيد)
- 5 - سيدي بوعبيد ← الشرقي
- 6 - سيدي بوعثمان ← بوعثمان
- 7 - سيدي حرازم ← ابن حرازم
- 8 - سيدي حماموش ← حماموش

**سيدي رحال** (المركز) ويسمى أيضاً أنثاي، ينتمي مركز سيدي رحال إلى إقليم قلعة السراغنة، ويقع ضمن مجال قبيلة زمران على الطريق الثلاثية رقم 6205 الرابطة بين مراکش ودمنات، يبعد عن مراکش بحوالي 50 كلم نحو الشرق بمحاذاة الحاشية الشمالية للأطلس الكبير وعن قلعة السراغنة بحوالي 52 كلم في اتجاه الشمال على امتداد سهل الحوز الشرقي.

يقع على الضفة اليمنى لمخروط وادي غدات أحد أهم روافد واد تانسيفت، يشغل المركز جزءاً هاماً من منطقة الدير المنحصرة بين الحاشية الشمالية للأطلس الكبير وسهل الحفر. تشرف على المركز من الجنوب تضاريس تلية تنتمي إلى الحاشية الشمالية للأطلس الكبير أهمها تل يدعى "كُدبة العفو" بارتفاع يقدر بـ 700 م، تتكون أساساً من صخور بركانية وطينية تنتمي للزمن الجيولوجي الثاني - الترياس". يمتاز مناخ سيدي رحال بحرارة مرتفعة خلال فصل الصيف حيث تصل إلى 46 بينما تنزل في فصل الشتاء إلى حدود 3 درجات.

أما التساقطات فهي نادرة وغير منتظمة تتركز بين شهري دجنبر وأبريل ولا يتعدى معدلها 300 ملم.

يرتبط تاريخ هذا المركز بمؤسسه الشيخ سيدي رحال البدالي (انظر البدالي في المعلمة) وكان يدعى قبل ذلك

تتعدى 10,2٪ رغم موقع المركز ضمن مجال فلاحي، بينما لا يتجاوز عدد المشتغلين في قطاع الصناعة نسبة 1,7٪ وفي المقابل تشكل نسبة المشتغلين في القطاع الثالث التجارة والخدمات والإدارة أزيد من 88٪.

أ. زروال، دراسة جيومورفولوجية للحاشية الشمالية لأطلس مراكش ما بين وادي الزات وغمدات، الرباط، 1987؛ م. الأكلع، دراسة جيومورفولوجية للنهاية الشرقية للمحوز، الرباط، 1989؛ الحسن شوقي، تاريخ قبائل السراغنة في نهاية القرن (19 م)، الرباط، 1991؛ بن المرش المحجوب، سيدي رحال، مركز هامشي في طريق التمدن، مراكش، 1996، بحث لنيل الإجازة.

محمد الأكلع

**سيدي الزوين (زاوية -)** تقع غرب مدينة مراكش في الكيلو متر 36 على الطريق الرئيسية إلى أكادير، أسسها الشيخ محمد بن محمد الشراذي العمري الفحلي الشهير بسيدي الزوين في منتصف القرن الثالث عشر (19 م) بأمر من شيخه محمد الحاج الشريف الإدريسي الهواري ومباركة شيخه محمد التهامي الأوييري الحمري. تلاحق بها الطلبة والمريدون وبنوا حولها بيوتهم بالطين والقصب.

كان الشيخ سيدي الزوين يطعم الطلبة اعتماداً على ما يقدمه الوافدون من صدقات، وما يقدمه سكان القبائل المجاورة من أعشار وهبات، أو يقومون به من حرث الأراضي السابعة للزاوية ورعى غنمهم مع أغنامهم. وكانت تصله إعمانات وهبات من المخزن مساعدة له على تعليم كتاب الله تعالى حفظاً وقرائناً. وكلما توفر له مال اشترى به أملاكاً وحبسها على الزاوية دون أفراد أسرته، إلى أن دعاه السلطان مولاي الحسن إلى إدخال أبنائه ضمن المجلس حتى لا يتكفون.

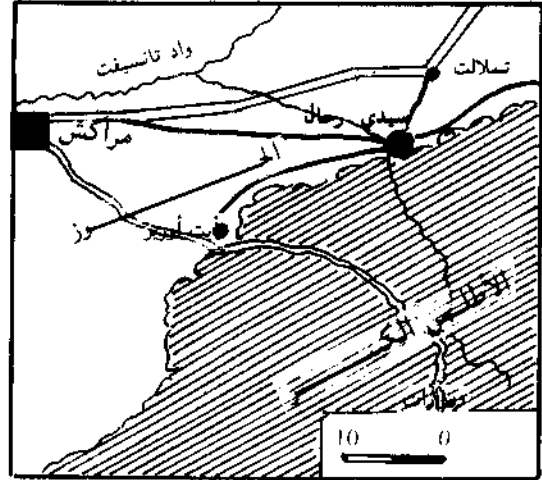
وبعد وفاة سيدي الزوين وسع ابنه محمد المدرسة وسكنى الطلبة والمسجد، وشيدت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في منتصف الستينيات من القرن العشرين قاعات للدرس وغرفاً حديثة لسكنى الطلبة، وخزانة للكتب ومكاتب إدارية ومرافق صحية.

وخلال التسعينيات أضيفت إلى الزاوية عمارات حديثة تشرف المدرسة وتاريخها المجيد وتوفر للطلبة المناخ الملائم للحفظ والتعلم.

يبدأ الطلبة الوافدون على الزاوية بحفظ القرآن الكريم على الطريقة التقليدية: كتابة الألواح وتصحيحها وحفظها على يد الفقيه وبعض مساعديه من الطلبة المتقدمين في الدراسة. وبعد حفظ القرآن يتعلمون القراءات السبع الواحدة بعد الأخرى، ومبادئ النحو والفقه والتفسير والحديث... على الطريقة التقليدية.

وكان الشيخ سيدي الزوين يحرص على ختم صحيح البخاري كل سنة ويستدعي لذلك الفقهاء والعلماء من مدينة مراكش. ومن أشهر المدرسين بهذه الزاوية بعد الشيخ المؤسس وابنه محمد، وإخوته شيوخ الزاوية عبد الله وحامد والعربي، وبوطيب حفيد الشيخ. والمعطي المسكني، وحمادي العيشي

«أنماي» نسبة إلى ربي يهودي "يعقوب ناحيماس" الذي كوّن خلية سكنية تقطن داخل حي الملاح، وما يزال قبر الربي اليهودي موجوداً إلى الآن جنوب "كدية العفو"، بالإضافة إلى معبد صغير. وعن أنماي المركز يقول الحسن الوزان الفاسي في وصف إفريقيا: "أنماي بلدة صغيرة واقعة في منحدرات السهل على بعد نحو أربعين ميلاً من مراكش في الطريق الذاهبة إلى فاس المحاذية لسفوح الجبل، ويمر نهر أغمات على نحو خمسة عشر ميلاً من هذه البلدة، والبادية فيها بين النهر وأنماي متنازة كبادية أغمات تماماً".



ولما قدم سيدي رحال إلى المنطقة نزل في أنماي وربطته علاقة ودية مع الربي لكن سرعان ما تدهورت فأسس سيدي رحال زاوية بضاحية البلدة، تمت العمارة حولها واحتوت أنماي القديمة. وأصبح المركز يعرف بسيدي رحال، وبوسطه قبة مشيدة على هذا الصالح.

عرف مركز سيدي رحال تطوراً ملحوظاً بعد الاستقلال، تضاعفت ساكنته ثلاث مرات تقريباً في أقل من 30 سنة حيث انتقل من 2708 ن سنة 1971 إلى 6292 ن سنة 1994.

كان مركز سيدي رحال يتكون سنة 1971 من ثلاثة أحياء فقط وهي الزاوية، الملاح، الحي الإداري. إلى حدود سنة 1982 حيث أضيف حي البهجة وحي بياضة.

وعلى مستوى التعمير ظل المركز يعاني من نقص كبير رغم التطور السكاني الذي عرفه ورغم قدم استقرار السكان بالمركز الذي لم يعرف إلا تشييد خمسة أحياء هي حي الملاح، الزاوية الرحالية، الحي الإداري (المنزه) البهجة ثم بياضة وهي أحياء بسيطة جداً تعدم في أغلبها مواصفات أحياء المدينة بالمفهوم الصحيح.

ومن الناحية الاقتصادية تسجل سيادة القطاع الثالث المتمثل في الخدمات والمبادلات التجارية حيث نجد حسب إحصاء 1994 أن نسبة المشتغلين في قطاع الفلاحة ضعيفة لا

وعروب المسفيوي، ومحمد المصلوحي، وبلغالي الرحماني، وسعيد الجرهموني، وعلال بن إسمايل العشاروي الفاسمي، والحاج غابيد بن محمد الكرسيفي الفاسمي والمختار بوستة العجداي. وعبد الكريم بن صالح الراحي الشيطمي ومحمد ابن أحمد الزبدي الأموي، محمد بن العروسي بلعواد، وسهير ابن محمد بن محمد الزوين وإبراهيم بن عبد الرحمن العاطفي الذي دَرَسَ بالزاوية ثم عين أستاذاً بها سنة 1401 / 1980.

وقد كانت زاوية سيدي الزوين دائماً محط عناية ملوك الدولة العلوية بنعمون على شيخوها بظواهر التوقير والاحترام، ويرسلون إليها الهدايا والهبات في المواسم والأعياد. وما زالت الزاوية تؤدي هذه الرسالة النبيلة إلى اليوم.

أ. الناصري، الاستقصا، ط. 2، الدار البيضاء، 1954 - 1956؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ط. 2، الرباط، 1977؛ المهدي الحياي، مدرسة سيدي الزوين، نشأتها ومنهجها في القراءات، بحث مرقون براكش، 1986.

حسن جلاب

**سيدي سعيد**، مركز أثري بمنطقة الغرب، يعتقد الباحث ريبفا (Rebuffat) أنه يطابق المدينة القديمة : بابا يوليا كمبيستريس "Babba Iblia Compestris" نظراً للطور التكنيكي لأبراج المراقبة التي تشرف على الموقع ونظراً للموقع الذي احتله المكان في لاتحة جغرافي راثنين، لكنه لا يؤكد قطعاً هذه المطابقة ويترك الباب مفتوحاً للنقاش.

وقد مكنت البعثة المغربية - الفرنسية المشرفة على التحريات في حوض سبو من إعادة توطين هذا الموقع قرب سيدي قاسم إذ تم الكشف عن معسكر روماني مستطيل الشكل حيث كانت ترابط الكتبية الثالثة المكونة من الغالين بالإضافة إلى مخلفات أثرية أخرى وجدت على الضفة اليسرى لوادي الردم.

ومكنت عملية الانتقال السطحي من القول إن الموقع يمتد على مساحة 12 هكتاراً تقريباً.

R. Rebuffat, *Histoire de l'identification des sites urbains antiques du Maroc. Africa Romana XIII*, Djerba, 1998 ; *L'implantation militaire en Maurétanie Tingitane. Africa Romana IV. Atti del Convegno di Studio Sassari*, Dic., 1986.

عبد العزيز بل الغايدة

**سيدي سعيد بن أبي بكر** المشناني، صاحب الضريح الشهير بالحلي الذي يحمل اسمه بمدخل مدينة مكناس. سلك طريق التصوف على يد الشيخ أبي عثمان سعيد الداعي، دفين مدينتي المرقمة، على وادي إيناون من حوز فاس (متمتع، 93). ونعلم أن هذا الأخير من أصحاب الشيخ محمد بن سليمان الجزولي، أو مريده الشيخ عبد العزيز النبايع (مرآة، 191، متمتع، 94).

اشتهر المترجم بالزهد والتقشف، حتى قيل إنه ما كان "يلبس سوى مرقعة خشنة، وقلنسوة كذلك من الصوف"، وشدة التوكل، حتى قيل إنه لم يكن يُرى له سبب ولا حراقة،

ومع ذلك كان يطعم الطعام، بل يكفل الضعفاء والأيتام. كما اشتهر أيضاً بأنه كان "كثير الخشية، لا يفتر عن ذكر الله تعالى... كثير الصمت والفكرة، له موضوع بزوايته يلزم الجلوس فيه، فلا يرى قائماً إلا إلى الصلاة" (دوحة، 77)، حتى "إذا كان يوم الجمعة... يجتمع الفقراء في زاويته، ويذكرون، فيهتز الشيخ لذلك ويتواجد" (متمتع، 93).

حظي سيدي سعيد بشعبية واسعة في صفوف العامة، الراغبين في نيل البركة "ترد زاويته الوفود في كل يوم وليلة، ونعم الله تشمل جميعهم وتعمهم". وقد اعتبر ذلك من باب الفتح الرباني، لأن الله ييسر الرزق لمن يشاء (دوحة، 77). كانت زاويته تضم مرافق عديدة منها خزائن الزرع، ووزيبة للبهائم، وله مكلفون بتلك الخزائن، ورعي تلك المواشي.

كان لزاوية سيدي سعيد حرم معروف، يحترمه الوطاسيون وعمالهم حتى إن الذي يفعل ما عسى أن يفعل من عظام الجنائيات ويلجأ إلى ساحة الزاوية فلا يتبعه أحد، وحد الحرم من ناحية البلد (مكناسة) الساقية الجارية بالء، وهي إلى البلد أقرب منها إلى الزاوية. ولقد رأيت الحكام (يقول ابن عسكر) يتبعون الجاني حتى إذا وصل الساقية رجعوا عنه... وما رأيت بزوايا المغرب ومصارع الأولياء حرماً مثل حرم زاوية هذا الشيخ. وإن الأمراء يتحامون حماها احترازاً... من غضب شيخها (دوحة، 78).

ظل سيدي سعيد، موالياً لبني وطاس، رغم انتقاده لسياساتهم السلبية، ولا سيما الضريبية والجهادية، مثل غيره من أرباب الزوايا في مملكة فاس التابعة لبني وطاس. غير أن تنامي حركة الأشراف السعديين على حساب بني وطاس، ثم اختيار الوطاسيين، نتيجة ذلك، سياسة التحالف مع الأتراك العثمانيين، بعد انهزامهم في معركة دونة سنة 952 / 1545، جعل سيدي سعيد المشناني، وباقي أرباب الزوايا الجزولية في الشمال يقلبون ظهر المجن للوطاسيين، ويعلنون الدعوة للأشراف السعديين. (الألبياء، 653 - 655).

توفي سيدي سعيد عام 956 / 1549، ودفن في زاويته. وروضته شهيرة بها في الربع الغربي الجنوبي من مكناس خارج باب يعرف باسمه : باب سيدي سعيد، ويقال له باب الملاح وباب وجه العروس. كما صار الحلي الذي بني حول ضريحه يحمل اسمه كذلك : حلي سيدي سعيد. وقد اعتمنى بضريحه الأمير زين العابدين بن الحسن الأول، الذي أمر بتزليج أرض ضريحه، وما انضم إليه، وبناء الصفة الواقعة خارج بابه، "وذلك أيام الفتنة التي حدثت في دولة أخيه السلطان مولاي عبد الحفيظ عام 1327".

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، ج 10؛ م. ابن عسكر، دوحة، تم. محمد حجي، الرباط، 1977؛ م. العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ط. حجرية فاس، 1906/1324؛ م. المهدي الفاسي، متمتع الاسماع، طبعة حجرية بفاس، 1896/1313، ع. الحسن ابن زيدان، إحصاء الرباط، 1990/1410؛ أ. الوارث، الأولياء ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرن العاشر (16م)، رسالة جامعية مرقونة، كلية الآداب بفاس، ظهر المهرز.

أحمد الوارث

**سيدي سعيد معاشو**، بن علي، من آل الشيخ عامر المكني أبا السباع دفين سوس الأقصى، الذي ينتهي نسبه إلى إدريس بن إدريس (تحفة الحواشي، 6 - 7).  
ويذكر أن والد سيدي سعيد، أبا الحسن علي معاشو، ولد في بلاد أولاد بوالسباع بمحل يدعى أيت الصغير (الزاوية المعاشية، 9)، ثم رحل إلى الشياظمة، وبقي ينتقل فيها من مكان إلى آخر، إلى أن استقر به المقام في أفوغال، مقر الشيخ محمد بن سليمان الجزولي، وبه توفي حوالي عام 1464 / 870.

وفي أفوغال، بعيدا عن الصويرة بنحو 30 كلم في اتجاه الشمال، أسس سيدي علي معاشو زاويته، المعروفة بزاوية المعاشات الأم، التي قامت بجوار ضريح الشيخ محمد بن سليمان الجزولي. وفي أفوغال نفسها ولد سيدي سعيد معاشو. وفي زاوية والده نشأ وتعلم، وتفقه وتصوف، حتى غدا عالما كبيرا، وصوفيا كاملا، ولاشك أنه كان جزولي الطريقة مثل والده.

لكن سيدي سعيد معاشو سرعان ما فارق أفوغال ومن فيها من أب وإخوة، وراح يمشي في الأرض إلى أن استقر به المقام في الشاوية. واختار النزول على الضفة اليمنى من شط أم الربيع، في جهة الحدود مع دكالة.

حظي سيدي سعيد بسمعة فائقة، وأدركت زاويته شهرة واسعة بالنظر إلى ما استقطبته من أعداد وفيرة من طلبة العلم والمريدين. وتجدد صدى ذلك واضحا في شهادة أافية بالمرام، قال فيها أحدهم بأنه: "كان رضي الله عنه كثير التلميذ والأتباع..."، وكان له "... التصيت العظيم والذكر الضخيم والرسوخ في العرفان والولاية" (تحفة الحواشي، 12).

وإذا كنا لا ندري العلوم التي درسها في الزاوية، فإنه كان "... له أورااد ودعوات وأسماء وأحزاب معروفة" (تحفة الحواشي، 12). مما يفيد تصدره للمشيخة وتربية المريدين في زاويته.

وإلى جانب طلبة العلم والمريدين قصده عامة الناس وخاصتهم للإستشفاء، إذ اشتهر بعلاج المصابين بداء الكلب أو السعار، على غرار والده، وسائر المعاشيين في حاحا ودكالة والشاوية.

توفي في منتصف القرن العاشر (16م).

سعيد بن عسر معاشي، تحفة الحواشي في مناقب سيدي علي معاشي، الرباط، د.ت؛ زينب الشيكول وكوات نجية، الزاوية المعاشية ودورها الإجتماعي والسياسي، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، كلية الآداب بالجديدة، 1994، 93، روايات شفوية محلية ومشاهدات عينية.

أحمد الوارث

\* \* أما سدّ سيدي سعيد معاشو فهو آخر سدّ على نهر أمّ الربيع صوب سافة مجراء، حيث لا يبعد عن المصب إلا بحوالي 35 كلم، وتفصله عن سدّ الدورات (1946 - 1950)

مسافة 60 كلم. لكنه يعد أول سد تم بناؤه على الصعيد الوطني بين 1925 و1929.

في هذا الموقع يرسم المجرى المائي ثلاثة منعطفات واسعة ذات شكل نفلي تمتد على طول 13 كلم، وفي هذا المستوى يشكل النهر حداً فاصلاً طبيعياً بين الكتيبان المتصلة لساحل دكالة وسهل الشاوية الأسفل؛ مما جعل سد ودوار سيدي سعيد يتموقعان بالقرب من مفترقين طرفيين يربطانهما بالجديدة وأولاد سعيد - سطات وإثنين الشوكة - أزموور وبيير الجديد - الدار البيضاء.

إن الطبيعة المتموجة للتضاريس المتاخمة من جهة دكالة وتعمق النهر حتى حدود المحيط، وكذا تموضع السد في سافة الوادي، كلها عوامل حالت دون تمكين استعمال مياهه لري جزء من سهل دكالة. وقبل كل شيء، كانت سلطات الحماية في أمس الحاجة آنذاك إلى الطاقة الكهربائية دون اهتمامها بعد بالسقي، وذلك لتوفير الإنارة للمدن التي أخذت تتوسع باطراد ولكهربية السكك الحديدية الحديثة العهد وكذا تشغيل الصناعات الناشئة، وبالأخص في الدار البيضاء. كما كان طلبها ملحاً على وجه التحديد على الطاقة المائية التي ظل إنتاجها يفوق حجم الطاقة الحرارية بأربع مرات في المتوسط على مدى فترة الحماية، نظراً لافتقار المغرب لمصادر الطاقة الحرارية من فحم ونفط وغاز.

لقد بنيت المنشأة السدّية على صخور صلتالية تنتمي إلى حقبة الترياس وتعلوها هنا وهناك مدرجات نهريّة طبيعية ترجع إلى الرباعي الأوسط أو تكوينات رصيصية نهريّة وبحرية تعود إلى حقبة البليوسين. ويمتد السد التحولي على طول إجمالي قدره 150 م وعلى ارتفاع عن الأساس بمقدار 20 م. وهكذا يستطيع رفع منسوب الماء إلى علو 8,6 م وبالتالي تخزين مليوني م<sup>3</sup>.

يتكون الجزء الأوسط من السد من خمس سدقات تخترقها أربعة أسكار مزدوجة علوها 8 أمتار. وكل سكر يشتمل في جزئه الأعلى على أجنحة متحركة بارتفاع 2,5م تسمح بإفراغ 500 م<sup>3</sup> في الثانية. فضلاً عن ذلك قد وضع حاجز ترابي في الضفة اليسرى تغطيه خرسانة على سلك مترين، وبني كذلك جدار مصرف على الضفة اليمنى. وتعلو كل هذه المكونات قنطرة طرقية تمكن من تصريف مياه الفيضانات التي يبلغ صبيبها الأقصى 4500 م<sup>3</sup> في الثانية.

لذلك يطلق على هذا الصنف من المنشآت اسم السد القنطرة. تتم عملية إنتاج الكهرباء، على النحو التالي. يؤخذ الماء من نقطة على الضفة اليمنى ليدفع عبر سرداب صراف باطني قطره 6,5 م وطوله حوالي 1500 م نحو حجرة ماء سعنتها 24000 م<sup>3</sup>. ومن هذه الحجرة ينسكب الماء على شكل شلال ارتفاعه الصافي 17 م لينصب على العتقات الأربع المولدة للكهرباء.

يتميز إنتاج المحطة الكهربائية بتذبذب كبير خلال السبعين عاماً من عمرها. ذلك أن متوسط الانتاج كان يعادل

إلى حدود الثمانينيات 65 مليون كيلواط في الساعة، قبل أن يتقهقر وينزل إلى 15 مليون منذ 1981، بسبب توالي الجفاف، حتى إن السد أضحى يعتبر الآن ثاني أصغر سد بحوض أم الربيع الذي يضم 12 منشأة مائية وأصبحت المحطة الكهربائية تعد ثاني أصغر وحدة أيضاً بنفس الحوض الذي يشمل تسع محطات، أي تقريباً نصف عدد المحطات المائية بالمغرب.

السنوات	إنتاج الكهرباء مليون ك. و / س
1979	51
1981	33,6
1983	10,5
1985	1,2
1987	8,5
1989	33,8
1991	38,2
1993	1,2
1995	0,3
1997	0,4
1999	--

إضافة إلى الخط الكهربائي الرابط بين محطة سيدي سعيد والدار البيضاء عبر البير الجديد، ينطلق من العمل الكهربائي خطان آخران نحو الجديدة (ثم مولاي عبد الله)، الأول مباشرة والثاني عبر أزموور. وابتداءً من 1952 تم جلب مياه السد بواسطة ست مضخات لمعالجتها محلياً وجرها بعد ذلك نحو شبكة الماء الصالح للشرب بالدار البيضاء عبر قناة طولها 175 كلم.

شوقي بنعزّو، الماء ذلك التحدي المستمر، منشورات بانوراما، الرباط، 1994؛ مصطفى عباد، أم الربيع (نهر -)، معلمة المغرب، عدد 3، 1991، ص. 781 - 785.

J. Loup, L'Oum-Er-Rebia, Rabat, 1960; *Les barrages du Royaume*, Direction Générale de l'Hydraulique, Ministère de l'Équipement, Juin 1998; *Annuaire statistique du Maroc*, Direction de la Statistique, Ministère de la Prévision Économique et du Plan, 1980-2000. مصطفى عباد

**سيدي سليمان**، مدينة متوسطة (79339 نسمة سنة 2000) وهي ثاني مدينة بإقليم القنيطرة، تعود نشأتها إلى فترة الحماية حينما قررت السلطات الاستعمارية خلق تجزئة حضرية أولى عند ملتقى خط السكة الحديدية والطريق المؤدية إلى مشرع بلقصيري، وبذلك ستصبح سيدي سليمان مقراً إدارياً واقتصادياً لأولاد يحيى - الصفاة وعندما تقرر بناء سد القنطرة - الذي سيمسح الكهرباء ومياه السقي - نجد أن

سيدي سليمان ستكون أكبر مستفيد من هذا الإنجاز لأنها توجد في قلب القطاع السقوي المبرمج (قطاع بهت). وهكذا ستشهد المدينة أول توسع سنة 1937 بإضافة 20 هكتار جديدة لمدارها الحضري.

وغداة الحرب العالمية الثانية، لعب عاملان حاسمان لصالح توسع المدينة: توسيع تجهيز القطاع السقوي لبهت وإقامة القاعدة الجوية الأمريكية.

وبعد الاستقلال، ارتفع عدد ساكنتها بوتيرة سريعة جدا: من 11484 نسمة سنة 1960 إلى 69645 نسمة 1994 الشيء الذي يؤكد مكانتها داخل التراتبية الحضرية لمنطقة الغرب.

ويبدو أن لهذه الأهمية علاقة وطيدة بالموقع الجغرافي لسيدي سليمان وسط القطاع السقوي لبهت الذي ينتج أساسا زراعات صناعية (شمندر، حوامض، فلفل، تبغ قطن...) وبمستوى تجهيزها التجاري والخدماتي. مبارك الشكر

**سيدي العايدي**، مركز سكني ومحطة طرقية وضريح وجماعة قروية بإقليم سطات. يقع على الطريق الوطنية رقم 7 الرابطة بين الدار البيضاء ومراكش على بعد 57 كلم من الدار البيضاء. وقد ظهر كمركز طريقي في بداية عقد الثلاثينيات واتخذ أهمية استراتيجية باعتباره نقطة تفرع الخط الحديدي المكهرب والمزدوج المنطلق من الدار البيضاء - إلى فرعين، خط متفرع مكهرب يتجه جنوباً إلى مراكش وخط مزدوج مكهرب يتجه شرقاً إلى مناجم الفوسفات بخربيجة وواد زم. وقد اتخذ اسمه من ضريح الولي سيدي العايدي الذي وفد قبل قرون من فاس ومنحه السكان أرضاً خصص جزءاً منها لقبيرة لازالت تحيط بضريحه على بعد 5 كلم شمال المركز، وكان مزاراً مهماً باعتبار "بركته التي تحمي السكان والمواشي من عين الحسود كما تشجع على الزواج والإنجاب" وذلك حسب ادعاء بعض السكان.

وبتوالي العقود ازدادت أهمية المركز كمحطة طريقية حديدية وبرية وتكاثرت دكاكينه ومقاهيه ومنشأته الخدماتية العمومية والخصوصية كما جدد سوقه الأسبوعي، إذ يمر به حالياً كل يوم آلاف الحافلات والشاحنات والسيارات الخصوصية، أما محطة القطار فيمر بها 18 قطاراً للركاب و24 قطاراً للفوسفات و8 قطارات للبضائع في حركات ذهاب أو إياب. لكن منازلها السكنية ظلت محدودة إذ اقتصر على سكن بعض التجار والموظفين ولازال جل العاملين بمنشأته من مقاء وحرف إصلاح... يسكنون القرى المجاورة، فالمرکز ذو طابع قروي محض بلغ عدد سكانه 245 بالمركز التجاري و288 بالمحطة (1994) ولم يرق التجمع بعد إلى مستوى مركز حضري، لكن الإقبال المتزايد عليه دفع السلطات إلى إنشاء ثلاث تجزئات سكنية ومنطقة صناعية مساحتها 10 هـ تقع بالزاوية الجنوبية الشرقية بين الطريق

الرئيسي المتجه إلى مراکش وسكة الحديد إلى خريبكة بها مطحنة عصرية ومخزن للحبوب يتكون من عدة صوامع ومعمل لمعالجة الزيتون ومحطة معالجة الماء الشروب التي تستمد ماءها من عدة آبار وثقوب بجوارها.

أما المنشآت العمومية فتتكون من القيادة ودار الجماعة القروية يعمل بها 47 موظفاً بنيت سنة 1990 ومسجد لصلاة الجمعة ومراكز للأشغال العمومية والفلاحة والمياه والغابات والبريد ومركز جهوي للبحث الزراعي ومركز لبيع البذور المنتقاة والأسمدة ومدرسة ابتدائية وإعدادية ومستوصف كما يوجد بالمركز طبيب خاص وصيدلية وطبيب بيطري. أما البنية التجارية فقد توسعت بعد بناء مركز تجاري حديث ومحطة واسعة لوقوف السيارات أمامه تتكون من حوالي 50 دكاناً منها 24 للجزارة، إذ يشتهر المركز ببيع اللحوم ويتوفره على 6 مقاهي تميز بشي قضبان اللحوم على الفحم ولهذا يتوقف المسافرون والسياح به للاستراحة وتناول وجبات شهية. كما يتوفر المركز على سوق أسبوعي حديث ينعقد يوم الخميس مجهز بمجزرة وأروقة ودكاكين ببابه لبيع التجهيزات الفلاحية تفتح أبوابها طيلة الأسبوع، وكل منشآت المركز مجهزة بالماء الشروب والكهرباء، لكنه لا يتوفر على نظام قنوات الصرف مما يفرض على كل منشأة دفن فضلاتها السائلة في مضمورة خاصة بذلك. ويلاحظ أن كل منشآت المركز تمتد بشرق الطريق الرئيسي وتتوسع شرقاً. أما بالجهة الغربية فيحد توسعها وجود الخط الحديدي ومحطته، إذ لا يوجد بينه وبين الطريق الرئيسي سوى شريط ضيق من الأرض لا يتجاوز 25 م خصص للنباتات الطبيعية وأشجار الظل والزينة.

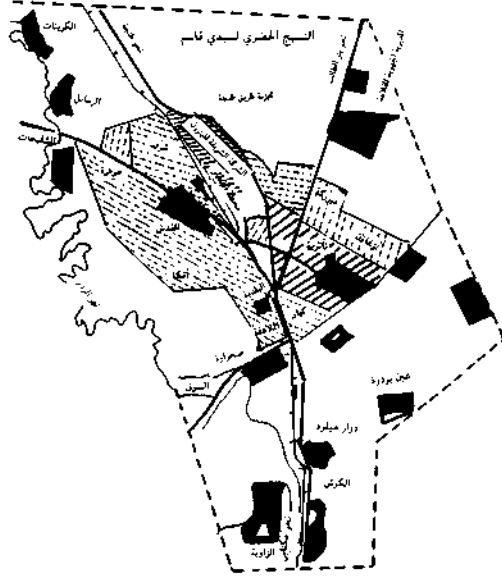
تبلغ مساحة جماعة سيدي العايدي 135 كلم<sup>2</sup> تنتشر فوق جزء من سهل الشاوية السفلى، مستو ذي تربة طينية سوداء خصبة : التيرس كلها صالحة للزراعة باستثناء 94 هـ. وتمتد أراضيها على طول الطريق الرئيسية لمسافة 16 كلم وعلى طول السكة الحديدية لمسافة 19 كلم يحدها جنوباً ضواحي مدينة سطات وحادورها الذي يفصل بين الشاوية العليا جنوباً والشاوية السفلى شمالاً وهو ينطبق على خط ساحل قديم عندما كانت مياه البحر تغمر كل أراضي الشاوية السفلى. تتميز الجماعة بمناخ معتدل شبه قاري رطب نسبياً يصل معدل أمطاره إلى 400 ملم / السنة، يستفيد من المؤثرات المحيطية التي تنعش زراعته بندي ليلي يغذيها برطوبة وبلل يعادل 200 ملم من الأمطار مما يجعل الإقليم مناسباً لزراعة القمح.

بلغ سكان الجماعة 13.540 (1994) وكان في حدود 17.578 (1982) ويرجع سبب هذا التراجع إلى تقسيم الجماعة، ينتسبون كلهم إلى قبيلة المزامزة وتذكر المعطيات التاريخية أنهم ينحدرون في معظمهم من قبائل أمزمير (مونغرافية الجماعة) يتوزعون على أربع مشيخات و47 قرية أكبرها قرية أولاد منصار الترس : 737 نسمة ولا زالت

القرى هنا تعرف بالدوار الذي شاع منذ أن كان سكان الشاوية الوافدون إليها بعد خراب تامسنة يهتمون بتربية الشاة ومنها استمدوا تسميتهم، كانوا يقيمون خيامهم على شكل دائري تتوسطها قطعان أغنامهم لتشديد الحراسة عليها.

تعتبر الزراعة وتربية المواشي النشاط الرئيسي للسكان، وذلك بتطبيق أساليب عصرية ورأسمالية، فالملكية الخاصة هي السائدة أما أراضي الجموع السلالية فلا تتجاوز أربع بقع مساحتها الكلية 400 هـ تستغل كمراعي. وبعد أن تفتت الملكيات الزراعية بتوالي التقسيم بين الورثة عبر الأجيال حتى فقدت أهميتها، فإنها أصبحت تندمج تحت الضغوط الاقتصادية والاجتماعية الجديدة، ذلك أن الملاكين الجدد وجلهم حضريين من مدينة سطات والدار البيضاء وبرشيد أو من أبناء المهاجرين المحليين، يشترون ملكية صغيرة ثم يضيفون إليها بالشراء تدريجياً هكتارات مجاورة بإغراء الملاكين الصغار والورثة خاصة الجدد، وبهذا تكونت ضيعات عصرية كبيرة وصغيرة 5 - 20 هكتاراً بها إقامات ذات منظر حضري تزود غالباً بمولدات كهربائية وخزانات مائية، كما تجهز الضيعة بأموال الأنشطة الحضرية والهجرة بالآبار والمضخات التي بلغ عددها في منتصف عقد التسعينيات 300 بئراً وحوالي 100 ثقب عميق كلها مجهزة بمضخات بخارية وأحياناً هوائية إذ شاعت المضخات التي تشغلها مراوح فوق أعمدة فولاذية بالشاوية منذ عهد الحماية بضيعات بعض المعمرين الأوروبيين، وآبار قروية لتزويد سكانها بالماء الشروب، وتتميز الجماعة بفرشة مائية غنية كان عمقها 25 م لكنها اليوم انخفضت بسبب الاستنزاف إلى 50 م أو أكثر. يشجع بالجماعة العمل الفلاحي الآلي إذ تتوفر على 82 جراراً و26 آلة حصاد و10 وحدات للبذور و10 وحدات لجمع اللبن، كما تتوفر على تعاونية لجمع الحليب وثلاث تعاونيات لتسويق الحبوب. وتقدر المساحات المسقية بمياه الآبار وأنابيب البلاستيك أو الرش والتنقيط بحوالي 11.000 هـ، ويهتم المزارعون بزراعة الخضر لتزويد المدن خاصة الدار البيضاء وسطات : بطاطس جزر بصل جلابان بطيخ قرعيات ... كما يستفيد القمح كذلك من السقي ويعطي مردوداً مرتفعاً بإضافة الأسمدة والمبيدات : 40 - 50 ق / هـ أما القمح البوري المعتمد على الأمطار فقط فلا يتجاوز مردوده 15، وقد انخفض عن ذلك كثيراً في السنوات الجافة الأخيرة، كما يهتم المزارعون الجدد بزراعة الأشجار المثمرة التي بلغ مجموع مساحتها 160 هـ يستخدم المزارعون العمل المأجور من طرف عمال وعاملات القرى المجاورة التي صارت كل مبانيتها صلبة بعد أن كانت أكواخاً وخياماً في بداية عهد الحماية. أما المواشي فتربي في حظائر مجهزة معتمدة على مخازن علفية وتبن لأن جميع الأراضي تزرع بالحبوب وغيرها شتاءً، فلا يبقى هناك مجال للرعي، ولوفرة الحصاد صيفا فإنها تتركى للكسابين الذين يأتون بقطعان

**سيدي قاسم**، مدينة متوسطة (67.622 ن سنة 1994، حوالي 80.000 ن في 2002) تلعب دور المركز الجهوي لمنطقة الغرب، تتميز عن باقي مدن المنطقة بتوفرها على نواة حضرية قديمة (قبل القرن العشرين) ممثلة بزاوية سيدي قاسم. وقد فرضت سيدي قاسم نفسها كمركز جهوي نشيط منذ بداية القرن (حينما كانت تسمى Petit-Jean) بفضل دافع نشاط المعمرين بالأرياف المجاورة واكتشاف البترول وأخيراً بفضل موضع المدينة في مفترق الطرق والسكك الحديدية ويرتبط غوها في الوقت الراهن بتطور وظيفتها الإدارية (عاصمة إقليم منذ 1982) وبوظيفتها التجارية (جمع المنتجات الفلاحية وخاصة الحبوب) وأيضاً بنشاطها الصناعي المتميز (تكرير البترول). وكذلك بتمركز شبكة للطرق والمخطوط الحديدية بين الرباط وفاس وطنجة.



\* \* \* يمتد إقليم سيدي قاسم على مساحة 4060 كلم مربع، ويكون مع إقليم القنيطرة جهة الغرب الشاردة بني حسن. بلغ عدد سكان الإقليم 645.872 نسمة حسب إحصاء 1994، ويفترض أن يصل سنة 2010 إلى 779.000 نسمة (على أساس نسبة نمو 1.2٪ بين 1994 و2010) وتوزع ساكنة الإقليم إلى 470512 قرويا و175 360 حضريا، بينما يصل معدل الكثافة السكانية إلى 159 نسمة في الكيلومتر المربع. من أهم القبائل الموجودة بالإقليم هناك :

- قبيلة الشاردة حول سيدي قاسم.
  - قبيلة بني حسن حول مشرع بلقصابري ودار الكداري.
  - قبيلتنا بني مالك وسفيان حول أحد كُرت وجرف الملح.
  - قبيلة صنهاجة حول وزان.
- يضم الإقليم ست جماعات حضرية وأربعة وثلاثين جماعة قروية تنتظم إداريا حول أربع باشويات وأربع دوائر وأربع عشرة قيادة وأثنى عشرة مقاطعة حضرية. من الناحية الاقتصادية تعتبر الفلاحة أساس الاقتصاد بالإقليم، وينقسم مجاله الفلاحي إلى قطاعين مختلفين :

الأغنام لتسمينها من مناطق بعيدة خاصة من أقاليم السراغنة والحوز وتادلة، ولهذا يهتم المزارعون بزراعة العلف كما يحولون فضلات القمح والذرة والخضر إلى علف. ويقدر قطع الأبقار بحوالي 4200 رأس والأغنام 15.500 رأس. أما الدواب من خيل وبغال وحمير وإبل فإنها في تراجع مستمر إذ لم يعد القرويون يعتمدون عليها لا في العمل ولا في التنقل، ويقدر ما تبقى منها بحوالي 1.000 رأس وتعرف تربية الدجاج الاصطناعي في حظائر عصرية توسعا لازال مستمرا إذ تجدد في الدار البيضاء والمدن المحيطة بها سوقا كبيرا مغريا.

الجماعة القروية، منوغرافية سيدي العايدى، بحث ميداني. أحمد هوزالي

**سيدي علال التازي** مركز قروي صغير (2500 نسمة سنة 2000) يتوسط المسافة الفاصلة بين القنيطرة وسوق الأربعا، يتخذ صفة تجمع طرقي ثانوي ويستفيد من نشاط سوق أسبوعي مهم "سوق أحد أولاد جلول" ومن النشاط الصناعي لمصلي السكر "سوناك" ومعالجة الأرز "سكاري". مبارك الشكر

**سيدي الغازي**، أبو القاسم بن محمد درعي الأصل سجلماسي الدار والقرار. شيخ صالح ومرب شهير. أسس هو وأتباعه زوايا في الحواضر والبادي المغربية. كان له عدد غفير من المريدين أشهرهم تلميذه المجذوب، أبو حامد سيدي الحاج العربي الرندي الأندلسي المتوفى سنة 1177 / 1716 المدفون بدار برأس "الشراطين" من قاسم. ويصعد إليها الآن بالأدراج في مقابلة وجه الداخل للزئقة المقابلة لباب مدرسة الشراطين بانحراف، وهي أيضاً المكتنفة بين زاوية سيدي مسا الخير ودار الحبس. (روض الأنفاس العالية، ص. 13).

وقد تحولت تلك الدار فيما بعد، إلى زاوية يجتمع فيها أتباع سيدي الغازي،، ويقيمون «المحضرة» أثناء الذكر بالشطح والنقر على بعض الآلات الجلدية (الطبل) جيلا بعد جيل. وصارت أيضاً مقبرة دفن بها عدد من الصلحاء. وكانت تقام بها الصلاة ولها أوقاف يستفيد منها الإمام والمؤذن والمكلف بوظيفة التدريس. وهناك زوايا غازية عديدة في سلا وغيرها من المدن والقرى.

توفي سيدي الغازي في شعبان سنة 981 / نونبر - دجنبر 1573. ودفن بتبوكوت بسجلماسة وقبره هناك مشهور يتردد عليه عدد من الزوار.

أحد تلامذ الشيخ سيدي الغازي، مناقب الشيخ أبي القاسم، مخطوط : م. المكي الناصري، الدرر المرصعة، تج. النوحى، د. د. ع مرقون : ع. الكبير، الكتاني، روض الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية، ميكروفيلم الحزاة العامة بالرباط، رقم 63.

العربي اكنينج



لتوسيت (CMT). تتمتع التعدادات الرصاصية لسيدي  
لحسن بضمون مرتفع من الفضة يصل إلى 1000 غ في الطن  
الواحد.

عدي عزى

**سيدي محمد بن عبد الله** (سد -)، يوجد في  
المنخفض المسمى باسمه على وادي أبي رقرق بضاحية مدينة  
سلا. كان دواراً مسكوناً قبل أن تغمره مياه بحيرة السد.  
وقد تم التفكير ببناء السد لسببين رئيسيين :

- الحد من خطورة فيضانه على مدينتي الرباط وسلا،

- تجميع المياه لأجل استغلالها في التصفية وتأمين الماء  
الصالح للشرب للشريط الساحلي بين الرباط والدار البيضاء،  
وتم اختيار موقعه على مقرن وادي أبي رقرق مع رافديه  
كرو وكريفلة، حيث توجد خنادق ضيقة منحوتة في صخور  
الحث التحول الأولى لأبي رقرق وصخور صلبة أخرى من  
أهمها الكلس الديفوني، والتي تشكل موقعاً نموذجياً لبناء  
السد.

تم تدشينه سنة 1974، حيث يبلغ ارتفاعه 5.67م، وطوله  
340 م، ويصل ارتفاع الماء فيه إلى حدود 50 م فوق مستوى  
البحر. يستطيع تخزين ما قدره 480 مليون م<sup>3</sup>. تقدر مساحة  
البحيرة في حالة الملء ب 28 كلم<sup>2</sup>، ويصل أقصى عمق فيها  
إلى 35 م.

أقيمت على السد محطة تستطيع أن تضخ 860000 م<sup>3</sup>/3  
اليوم، وترفعها إلى محطة التصفية في سطح الهضبة المشرفة  
على وادي عكراش، عند ارتفاع 150 م، والتي تبلغ قدرتها  
على تصفية 720000 م<sup>3</sup>/اليوم. وهي أكبر محطة للماء  
الصالح للشرب بالمغرب.

لكن بحيرة السد تعاني من مشكلين أساسيين :

المشكل الأول التوحد : تقدر مصلحة تدبير المياه بإدارة  
هندسة المياه أن معدل ما يتسرب في قعر بحيرة السد من  
أحوال حوالي 889 مليون م<sup>3</sup> / السنة، أي بمعدل 2.28 م<sup>3</sup> /  
ثا. تتوزع على قعر البحيرة بمعدل 271 م<sup>3</sup> / كلم<sup>2</sup>، وتزداد  
في السنوات الرطبة، في حين تتناقص في السنوات الجافة.  
وهذا ما يقلل من عمر بحيرة السد ويجعل المدى العمري  
المؤقت للسد لا يتعدى 50 سنة منذ 1983.

المشكل الثاني تلوث مياه بحيرة السد : يأخذ التلوث  
أهمية كبيرة في سد سيدي محمد بن عبد الله من كون مياهه  
مخصصة أساساً للماء الصالح للشرب. ومن أهم مظاهر  
التلوث فيها ما يلي :

1. ازدياد كمية المادة العضوية في بحيرة السد بمعدل 3  
6 غ / م<sup>2</sup> / اليوم. بمعدل سنوي يصل 5.1 مليون طن.
2. تزايد نسبة الفوسفور ((P04 في الشريحة العليا  
لسطح مياه البحيرة.
3. ارتفاع حدة الأملاح وخصوصاً النترات ((NH4 في  
أعماق البحيرة.

قطاع سقوي يديره المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي  
للمغرب (وتبلغ مساحته 55.000 هكتار) وقطاع بوري تابع  
للمديرية الإقليمية للفلاحة. وتشغل الفلاحة عدداً من الأسر  
بالإقليم أي حوالي 50.000 فرد، وتكون قطاع الصناعة  
الغذائية النشط الذي يتضمن 16 مؤسسة بالإقليم. تشكل  
الحبوب الزراعة الأولى بالإقليم (55٪ من المساحات)  
متبوعة بالزراعات الصناعية (22٪) المكونة أساساً من  
الشمندر وقصب السكر. ويفضل توفيره على المياه ينتج  
الإقليم نسبة مهمة من الإنتاج الوطني من الحوامض والقطن  
والأرز.

وفيما يخص تربية المواشي فالإقليم يتوفر على أزيد من  
700.000 رأس، تعتبر الأغنام والماعز الأكثر عدداً (61,5٪)  
وبالرغم من قلة عددها (29٪ من المجموع الإقليمي) فإن  
الأبقار تساهم مساهمة فعالة في تلبية حاجيات السوق  
الداخلية من الحليب (حوالي 20 مليون لتر سنوياً) واللحوم.  
ومن شأن إنشاء سد الوحدة (3، 8 مليار متر مكعب من  
المياه، منها 1,1 مليار مخصصة لسقي الشطر الثالث للري  
بالمغرب) أن توأجه حتماً زيادة كبيرة للإنتاج الفلاحي  
بالإقليم.

في مجال الصناعة، تعتبر الصناعة الفلاحية أهم عنصر  
في هذا الميدان حيث يضم الإقليم معملًا لتحويل الشمندر  
إلى سكر وآخر لمعالجة قصب السكر بمشروع بلقصابي، ومعملًا  
لملح القطن (كومابرا) ووحدتين لمعالجة الحوامض، ووحدة  
عصرية لمعالجة الزيتون بوزان.

ورغم العدد البسيط للمؤسسات ولما تصبب الشغل المرتبطة  
بها، فإن إقليم سيدي قاسم يتوفر على ظروف مثلى لتنمية  
القطاع الصناعي، كما يتوفر على مؤهلات سياحية هائلة  
مثلة أساساً في مآثره التاريخية (مدينتنا بناصاً الرومانية،  
والبصرة العربية الإسلامية) وفي أصالة صناعته التقليدية  
خاصة في مدينة وزان.

مبارك الشيكور

**سيدي الحسن**، منجم رصاص - فضة يوجد في بهرة  
دبدو، على بعد 50 كلم إلى الجنوب الشرقي من تاوريرت،  
بالمغرب الشرقي.

تعدادات الرصاص المحتوي على الفضة، معروفة بسيدي  
الحسن منذ العصر الوسيط حيث انصبت الأشغال على الركاز  
الرئيسي، فوصلت إلى عمق 30 م اضطرت معه إلى التخلي  
عن الاستغلال بسبب العرقلة المائية.

حصل استئناف للأبحاث في سنة 1918، لكن لم يتيسر  
الاستغلال إلا سنة 1979، على يد شركة مختصة (مكتب  
الأبحاث والمساهمات المعدنية BRPM والشركة العربية  
للمعادن ARMICO) زاولت العمل لبضع سنين فقط ثم  
توقفت.

شرح حالياً في البحث من جديد بواسطة الشركة المنجمية

4- ارتفاع حدة PH التي تتراوح بين 7.7 و 4.9 وتعرف أقصاها في فصل الصيف وذلك ارتباطاً بتمثيل Co2 بواسطة عملية Phytoplancion والتي يؤثر فيها عاملان أساسيان هما الأوكسجين الذائب والنترات. ويقوم المكتب الوطني للماء الصالح للشرب بالتعاون مع منظمات دولية ووطنية من أجل حل هذه المشاكل أو التخفيف من حدتها.

رفع القدرة التخزينية للسد : أدى تزايد احتياجات سكان الشريط الساحلي للمياه الصالحة للشرب من جهة، وتناقص القدرة التخزينية للبحيرة بفعل التوحد من جهة ثانية، إلى التفكير في الرفع من مستوى ملء البحيرة من 50 م إلى 70 م، وذلك لرفع القدرة التخزينية من 480 مليون م<sup>3</sup> إلى 5.1 مليار م<sup>3</sup>، وبالتالي مضاعفة مساحة البحيرة لتصل إلى 56 كلم<sup>2</sup>، مما سيوفر كمية مائية تصل إلى 245 مليون م<sup>3</sup> سنوياً لكنه في نفس الوقت سيغمر أراضي زراعية واسعة تشمل عدة دواوير في عمالتي سلا الجديدة والصخيرات قارة تضم 224 أسرة.

دراسة ميدانية.

عبد الرحيم وطفة

**سيدي يحيى الغرب**، مدينة تحتل الرتبة الخامسة ضمن التراتبية الحضرية لمنطقة الغرب (33840 نسمة سنة 2000) وترجع نشأتها هي أيضاً إلى ظروف الحماية التي قررت سلطاتها سنة 1926 خلق مركب استعماري عند سيدي يحيى على مشارف المرجة الكبيرة المجففة، ثم بعد ذلك خلق تجزئة غابوية شاسعة لأشجار الأوكليبتوس بين سيدي يحيى وسيدي سليمان.

ما زالت المدينة حتى اليوم تركز أهم أنشطتها على استغلال خشب الأوكليبتوس وأيضاً على وجود معمل عجين الورق (سيليلوز الغرب)، بينما يشكل سوقها الأسبوعي نشاطاً مكثلاً. ولكن مدينة سيدي يحيى تعاني كثيراً من قرب القنيطرة (28 كلم) التي تتعامل معها كتاب حقيقي. مبارك الشبكر

**سيدي يوسف بن علي الصنهاجي المراكشي** المعروف بالميتلّي وبصاحب الغار، لأنه كان يعيش في كهف بعد ما ابتلى بالجذام، وقد اطلق على ذلك المكان رابطة الغار، وحارة الجذمي، يقع خارج باب أعمات شرقي مدينة مراكش. وتعرف المدينة رابطة أخرى شبيهة هي : رابطة أبي إسحاق داخل باب أيلان، ورابطة الصالحين بحومة التجارين.

أخذ سيدي يوسف بن علي الطريقة عن شيخه أبي عصفور يعلى بن وين يوفن الأجدم، أحد مشايخ مراكش وسادات العارفين في وقته، وكان عبداً صالحاً (ت. 583 / 1187). وهو تلميذ أبي يعزى يلنور بن ميمون، وعاش سيدي يوسف بن علي في عصر الموحدين الذي انتشر فيه

التصوف، وكثرت الرباطات ويمكن الوقوف على ذلك من خلال ما ورد من أخبار الصوفية ومواقفهم في كتاب الشوف.

واعتبر من رجالات مراكش السبعة المشاهير، واطن المؤرخون في ذكر أسباب البدء به، واعتباره أولهم، فالتاس إنما اصطلاحاً على جعل أبي يعقوب أولهم لأنه يميني. ولعل من أسباب هذا الاختيار كذلك تقليد الطواف حول الكعبة فضريح المترجم يقع قبلي مراكش. فأشبه الركن البستاني من كونه قبلي البيت، لأنه ناظر إلى جهة الشرق والانطلاق منه إلى باقي الأضرحة (بأدلة الاستعمال، 20).

وهو قريب كذلك من القصر السلطاني بالقصبة منطلق السلاطين ورجال الدولة للزيارة، فهم يخرجون منه يمينا لبدء الطواف الذي ينتهي بالإمام السهيلي.

توفي في شهر رجب عام 593 / ماي - يونيه 1197 ودفن خارج باب أعمات برابطة الغار. إلى جانب شيخه أبي عصفور يعلى بن وين يوفن كانت هذه الرابطة حارة للجذمي بمراكش قبل أن تنقل خلال العصر السعدي إلى الحي المسمى حالياً بالحارة خارج باب دكالة.

وعند الإفراني أن سيلا جارفا أصاب المدينة سنة 1134 / 1721 ودخل رابطة الغار وجرف البيوت الموجودة حولها، فأعيد بناء الضريح من جديد من طرف والي المدينة، بحضور المؤرخ المذكور (درر الجمال، 140).

ي. ابن الزيات، الشوف، تج. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1984؛ م. الإفراني، درر الجمال في مناقب سبعة رجال، تج. جلاب، مراكش، 2000؛ م. ابن الموقت، المعادة الأبدية، طبعة حجر فاس، 1335؛ أ. ابن العريف، محاسن المجالس، نشره اسين بلاسيوس، باريس، 1933؛ ع. العزيز بنعبد الله، معلسة المدن والتسائل، المحمدية، 1977؛ ع. ابن إبراهيم، إظهار الكمال في تميم مناقب أولياء مراكش سبعة رجال، مخطوط؛ الإعلام، الرباط، 1974؛ م. الغالي بن المكي الأندلسي، بأدلة الاستعمال في مناقب سبعة رجال، مخطوط؛ ح. جلاب، الحركة الصوفية بمراكش، 1994. حسن جلاب

**السيروا (جبل -)** تتحدد إحداثيات القمة من جبل السيروا بخط عرض 42 30 شمالاً، وخط طول 7 37 غرباً، وبارتفاع 3305 م. وهي كتلة جبلية متميزة، تمثل نقطة الربط بين الأطلسين الكبير والصغير، فاصلة بذلك ما بين سهل سوس إلى الغرب، وياقي المنخفض الجنوب أطلسي الممتد من ورزازات إلى ما بعد الرشيدية.

تنتمي القمة بالتأكيد إلى الأطلس الصغير بمختلف المقاييس الطبيعية. لاشك أن أهمها أنه من الجبال الموجودة إلى الجنوب من "الحادث البنيوي الجنوب أطلسي". وهو بذلك يخرج من ميدان النظام البنيوي الأطلسي الصرف، المنتسب للمجال المتوسطي، ويدخل في عداد الميدان الإفريقي الأكثر رسوخاً واستقراراً. وعلى هذا الأساس، تكون كناية الأطلس في تسمية الأطلس الصغير إشارة لإقليم جغرافي بدون أية

إحالة على الوضع البنيوي. حيث من المعلوم أن المسدان البنيوي الأطلسي يقتصر في المغرب على الأطلسين المتوسط والكبير، من نفس المطلق الذي يجعل سلسلة الريف تنتسب للنظام الألبى.

لكن يبقى جبل السيروا، رغم خروجه عن النظام الأطلسي الحقيقي، شديد التأثير به نظراً لقربه الكبير منه. وذلك بسبب وضعه اللصيق بالشفة الجنوبية لنطاق الانفصال الجنوب أطلسي، تماماً كما هو الشأن في كتلة توبكالك الوثيقة الصلة بالشفة الشمالية.

وقد تصح المقابلة بين الكتلتين على مستويات عدة.

فكما أن توبكالك محصور بين الحادث الجنوب أطلسي والانكسار الكبير للنيزي تناست شمالاً، فإن السيروا معزول بين نفس الحادث الجنوب أطلسي وما يسمى بالحادث الرئيسي للأطلس الصغير جنوباً. وكلها انكسارات نشيطة، تأججت حركيتها على الخصوص في سياق البنائية الأطلسية في الحقب الثالث، مع احتدام في الميوجين والرباعي.

لكن هذا الأمر أعطى امتيازاً خاصاً للسيروا، إذ حسم في مصيره وأحاله إلى بركان حديث العهد، باعتبار المقاسات الجيولوجية، غطى القاعدة القديمة للركيزة المحلية بفويض من الأدفاق البركانية. زلزال مدينة أكادير، سنة 1960، شاهد حالي على النشاط الانتهاضي العميق الجذور لهذا النطاقي البنائي المحدودي، والذي يهز بحركته، ليس القشرة الأرضية وحدها، ولكن المعطف الأعلى كذلك.

ومن جهة أخرى، فإنه لولا السيروا، لكان توبكالك هو آخر مجال إلى الجنوب، في مجموع الحوض المتوسطي، يتميز بمظاهر التشكيل الجمدي الموروثة عن الحقب الرابع، وإن كانت هذه الأشكال خافتة في السيروا بسبب الارتفاع الأقل والمواجهة الأقرب للصحراء. كذلك الحفوت النسبي للغطاء النباتي. لكن تبقى عادات السكان، في تربية الماشية والزراعة وأنماط السكن، شديدة التشابه.

وتكاد المقابلة مع توبكالك تتوقف عند هذا الحد.

أما من حيث الأساس البنيوي، فلا تختلف قاعدة السيروا عن باقي مكونات الأطلس الصغير، القديم التركيب. فهي أولاً بهرة شديدة القدم، شبيهة بكل تلك التي تكون السلسلة، من جناحها الغربي إلى امتداداتها في الوسط والشرق، وصولاً إلى الصاغرو والوكنات. تهم البهرة تقبُّ الأساس الهرسيني المغلف بالطبقات الكمبرية الشيبستية والكلسية، التي تكشف عن القلب المكون من الصخور قبل - الكمبرية، وأساسها الكرانيت مع بعض الشيبست والكوارتزيت والحجم القاعدية.

لكن أهم حدث مميز للكتلة هو التشييد المتأخر، من فوق القاعدة القديمة، لمخروط تراكمي هائل مكون من أدفاق الفونوليت، تتخلله طبقات قارية ميو - بليوسينية.

ولقد تشكل، من جراء هذه الأزمت الاختراقية النيوجينية ومن تراكبها مع حطام التعرية والمواد القارية

عموماً، ذلك البركان الطبقاتي الذي أعطى الهيئة والحجم النهائيين للجبل، والذي قدرت له القياسات النظائرية عمراً من فشة 10,5 إلى 6,5 مليون سنة (A. Rique, *Géol. Mar.* 1994). وقد اكتسبت المنطقة من وضعها البنيوي مشاهد بركانية فريدة من نوعها اتساعاً وجمالياً. ومن أهم مظاهرها حقول أنابيب الأرغن النادرة في غيرها من المناطق المغربية بكل الأعمار. والتي تناهز ارتفاعاتها هنا الخمس مائة متر (تيكيبوين).

لذا جاءت القصة مخالفة لكل ما حولها شكلاً ونظوراً.

وقد زاد من تفردها انعزالها عن السلسلتين الجبلتين بفجاج عميقة، هي دون قمتها بألف متر عند الاتصال بالأطلس الكبير وألفي متر جهة الأطلس الصغير. أما بالنسبة للقادم من سوس في الغرب أو من مقدمة الصحراء في الشرق، فإن القمة تبدو شامخة، فاصلة بين عالمين.

يتجلى الاعتراض في كل شيء، ظاهر، إذ تستمع قصة السيروا، مع بقع قليلة أخرى محدودة تخص أعلى ما في الأطلس الصغير، بتساقيات من فشة 500 م، لكن مع تناقض صريح بين السفحين الغربي، المنفتح على التأثيرات المحيطية، والشرقي، الملفوح بالرياح المتناحرة الأتية من الصحراء، الشديدة الحر والجفاف. تستقبل مدينة أولوز، إلى غرب الجبل وفي أقصى عمق السوس، معدلاً مطرياً بـ 360 مم، تليها تاليوسين، في القدم الجنوبية الغربية، بمعدل 240 مم، لكن تازناخت، في القدم الجنوبي الشرقي لا يتعدى 120 مم. على أن التضارب لا يتوقف عند التفاوت في مقادير التساقطات، بل هو حقيقة الحد الفاصل بين نظامين بيومتاخيين واضحين الاختلاف.

إلى الغرب، يمثل الفصل الرطب في الفترة بين أكتوبر وأبريل، مع أقصى مستوى له في دجنبر - يناير. أما في الشرق فلا ينتظر المطر إلا في شتير إلى نونبر أو دجنبر، ويكاد لا يكون إلا على شكل زخات عاصفية شديدة التآرجح في الزمان. فيكون عدد أيام التساقط النافع بحدود الثلاثين يوماً في الغرب، في حين أنها لا تتعدى العشرة أيام في الشرق. وتبلغ على القمم الخمسين يوماً، مع نصيب من الثلوج منتظم في فصل الشتاء.

لذا فإن الطريق الرئيسية الرابطة بين تارودانت وورزازات، التي تحف في وسطها بقدم الجبل من جهته الجنوبية، تصل في وقت وجيز بين طرفي نقيض. فهي إذ تأتي من الغرب، صاعدة وادي سوس الأعلى، الينابيع الحضرة، سرعان ما تواجه المجال الشرقي القاحل، وإن كان به بعض الشعاب الرافدة لوادي درعة.

بين أولوز ووادي تيفنوت، من عالية سوس، والجبل، توجد روائح نباتية لا مثيل لها من حيث التنوع. منها آخر تجمع كبير للأركان (*Argania spinosa*) في اتجاه الشرق، الشجرة الشمينة الفريدة بجنسها في العالم، والتي استطاعت أن تعطي سهل سوس رغم جفافه (حيث يبقى التساقط في

كل مكان منه دون 300 مم) خضرة وكشافة الحياة في الغابات.

وتجدر الإشارة، إلى أنه آخر موقع إلى الشرق من "محمية أركان للمحيط الحيوي". وهي محمية تشكل كل الإقليم الطبيعي للتشكيل الغابوي لشجرة أركان. حظيت بالاعتراف الدولي بوصفها إحدى أهم الجهات الطبيعية والحضارية في العالم. وتأتي الخطوة من كونها تضم شجرة الأركان بالذات، وذلك لما للشجرة من التفرد المطلق بالجنس، وهو بالطبع إسهام فريد في تراث التنوع الحيوي الكوني، وما تتميز به من أدوار في مكافحة التصحر. وقد تم التسجيل باللائحة الدولية لمحميات المحيط الحيوي، المقامة من طرف منظمة اليونسكو، وبالضبط في إطار برنامجها البيئي التنموي الهام الذي يحمل اسم الإنسان والمحيط الحيوي، المعروف بالماب (Man and Biosphere : MAB)، وذلك بمقر المنظمة بباريس في ثامن دجنبر من سنة 1988.

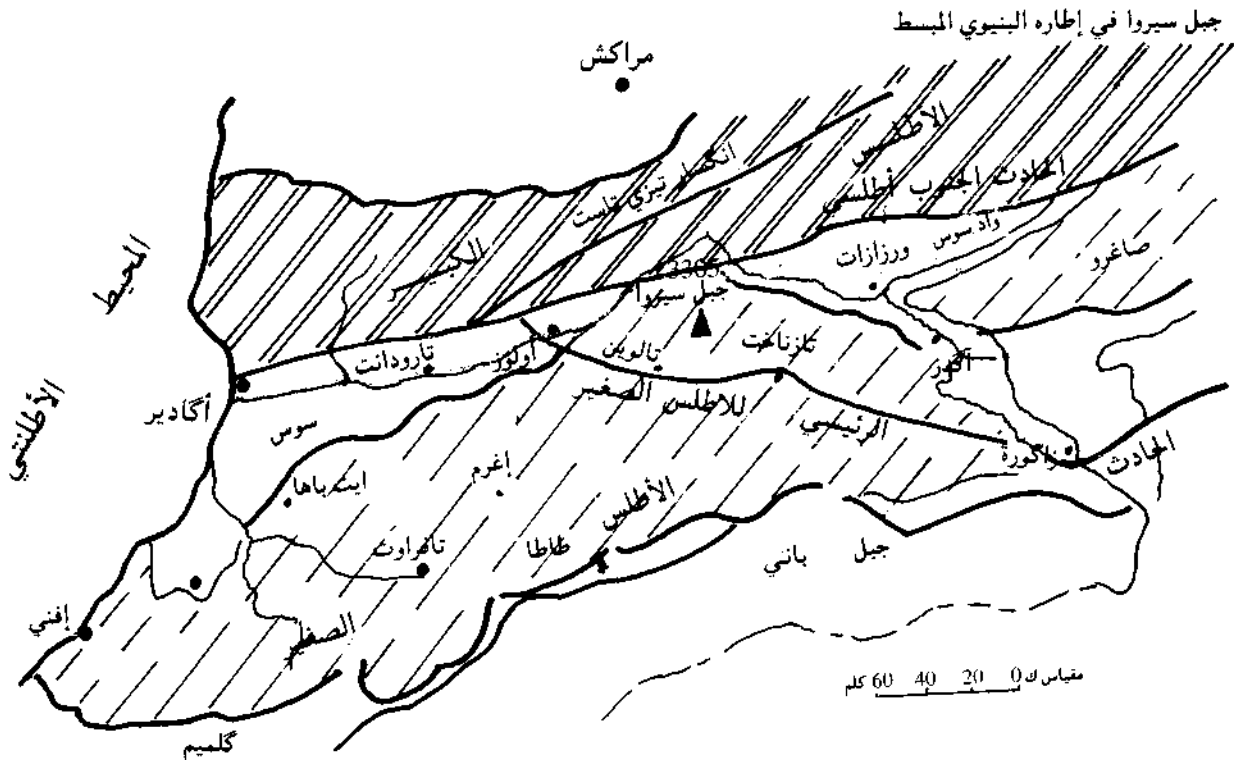
أما إذا وصلنا التحرك صوب قمة جبل السيروا انطلاقا من مدينة تاليوين، وهي بالضبط المدخل الرئيسي لكيانه الضيق، يلاحظ تكاثر العرعر المغاربي (Tetraclinis articulata) مع عناصر ثانوية من العرعر الأحمر (Juniperus phoenicea) والخروب (Ceratonia phoenicea) والضرو (Sistacia Lentiscus) وغيرها. ثم صعوداً إلى القمم، تنتشر غابات زگموزن والسيروا من قواعد العرعر المغاربي إلى البلوط الأخضر (Quercus rotundifolia)، (Boudy P. 1958). ولا شك أنها آخر مناسبة إلى الجنوب بين فيها البلوط الأخضر عن بعض الحيوية، إذا ما استثنينا بعض العناصر المشتتة والمتداعمة التي لا يعتد بها.

ومعلوم، من جهة أخرى، أنه انطلاقاً من هنا سرعان ما يتراجع ظهر العرعر المغاربي، يعرضه في اتجاه الشرق، بصفة كلية، العرعر الأحمر.

وفي جل الحالات هنا، عندما تختفي التشكيلات الشجرية، تحت الضغط الحثيث للإنسان، خاصة عندما تتصافر القارية والارتفاع لجعل تدهورها لارجعياً، يتحول الغطاء النباتي الطبيعي إلى سهوب الشيح (Artemisia) والزعتر (Thymus). كما تبدو بعض أعالي السفوح على شكل حافات انهيار، حطامها مهيكلم منتظم التفريش. وينتهي التشكيل على القسم إلى تجويفات جمادية عريضة موجهة صوب الشمال والشمال الشرقي. وكلها شواهد، ثمينة في هذا الموقع رغم تواضعها، تدل على ما سلف من الفترات الرطبة والباردة من الرباعي.

يعتبر الموقع العام للسيروا من الوجهة المشهدية مجال إمتاع طبيعي. ولخلوه من الطرق المعبدة، فإنه يرتاد من أجل الاستجمام أو التزهة الرياضية. وهو في مجمله عبارة عن مخروط هائل مفلطح القمة، تعلوه تشكيلات بدبعة من أعمدة الصخر البركاني، وتنحدر منه أودية عميقة بشكل شعاعي، تشكل العاليات منها خواتم سحيقة تتخللها العزيان وملاجئ القطعان المنتجعة صيفا. أما ما دون حوالي الألفي متر، فتتقاسمه الأحراج وما تبقى من الغابات، على البيأنهار، والمنشآت الريفية المتكاثفة في الأودية.

المشهد الريفي بسيط، تقليدي في الإقليم، قوامه حقول الشعير الشتوي المنسلقة للمصاطب السفحية والمقراة بالدعامات الحجرية، وهي في الغالب مصحوبة بأشجار أو جنان اللوز.



الكبير، والعناية الفائقة بما لازال قائما من المهارات البشرية وبالمرور الحضاري من أجل الإدراك الحقيقي لدواليب التنمية المستدامة في الإقليم ومنها في مجالات المحاصيل المائي بصفة عامة.

ومن جهة أخرى، عرف الموقع، منذ عهد بعيد، العديد من الأنشطة في القطاع المعدني، ولازال يعرف بعضها ولو جزئيا. الآثار الفلزية الغالبية من حول الجبل هي ولا شك المغنيز، الذي عرف استغلالا مكثفا إلى عهد قريب حول مركز بوتازولت بالمنجم المعروف بإيمني في الشمال الشرقي. ومن العناصر الأخرى، القابلة للاستثمار، الجبس والرصاص والزنك. ولاشك أن من أهم المواقع وأقدمها منجم الفضة بالزكوندر، مباشرة إلى الشمال الغربي من القمة. وهو من القدم والرسوخ إلى حد أنه أكسب الساكنة مهارات في صياغته (الزكوندر : المعلمة).

في الواقع، تتمتع الجهة بالعديد من مبادئ الخبرة، جعلت السكان يبرزون في منتوجات تستحق إفاضة في الإشهار على الصعيد الوطني وحتى العالمي. فبالإضافة إلى عمل الفضة، يتميز الإقليم، من جملة ما يزرع به، بزراعة الزعفران (*Crocus sativus*) وصناعة الزرابي النفيسة.

تسمى الحقول المتخصصة في استنبات الزعفران محليا بالزعفرانيات، ويمارس هذا النوع من الزراعة تقليديا بالأساس في واحات الجنوب، وفي الأطلس الكبير. كما أن للزعفران عاصمة، تضم تعاونية المنتجين، هي مدينة تاليوين، عند المدخل الجنوبي الغربي لجبل السيروا. مشاهد رائعة يمكن أن تكتشف إلى الجنوب من قمة السيروا (3305 م) وقمة كيليز (2905 م) والخوانق المحدقة، حيث قرية تاكويامت، أكبر تجمع سكني بالكتلة الجبلية، ومن حولها حقول الزعفران الدائبة النشاط. يعتبر الزعفران المغربي من أجود الضروب نكهة، لكنه لا يمثل إلا النزر القليل جدا، بالمقارنة مع الجارة إسبانيا مثلا التي تسيطر على الإنتاج العالمي، ويحتاج بالتالي إلى دفع جديد حتى ترتفع مردوده ويتسع تسويق.

كما أن كل المجتمع البشري المحيط بالسيروا، من أولوز غربا إلى تازناخت وما بعدها شرقا، يبدي حذفا متناهما في صنع الزربية. وقد عرفت بها قبائل سكتانة وزكيطة، واتخذت من تازناخت عاصمة لأئمن الزرابي، وهي عاصمة أصغر حجما من سجاد الأثاث المتعارف عليه. تستعمل بسطا لتغليف الفرش وكذلك للتزيين. وتباع بالمدينة كذلك أنواع البرنس الأمازيغي الصوفي المصنوع محليا. عمل الصوف هنا متقن بديع، يضع المنتج الأصيل من ضمن أعلى ما يوجد في السوق المغربية على الإطلاق.

بالنظر لكل هذه الخاصيات، فإن جماليات المشهد لست حكرًا على مظاهر الطبيعة وحدها، وإن كانت تجلب في حد ذاتها سنويا العديد من الزوار العارفين، خاصة في فصل الربيع تجنبا لبرودة الشتاء في الأعالي. بل تنضاف المنشآت البشرية إلى البيئة الطبيعية من أجل الإمتاع المتكامل. هناك

أحدث ما في الجبل، القطاع السقري لسد تاغدوت في جنوبه الشرقي، في العالية المباشرة لمدينة تازناخت. وهو أقدم السدود العصرية جنوب الأطلس، وأصغرها (*Ressources en eau du Maroc*, t. 3, 1977). انتهى من بنائه سنة 1956، ولا يروي إلا مائتي هكتار، يبدو أنها قابلة للزيادة إلى الضعف بشيء من الإصلاح. يقوم بتنظيم مياه وادي عمارة، راغد واد نايت دوشان وراغد لهذا الأخير هو واد ورزازات. توجد جل أراضي القطاع على المصاطب الدنيا بالضفة اليسرى من الوادي. تنمو بها مغارس اللوز وتتواتر على حقولها منتوجات الخضر والأعلاف وخاصة الحبوب ومنها الذرة.

تلزم الإشارة إلى أن هذا السد العصري، القديم نسبيا، والذي يكاد يكون مجهولا لصغره ومحدودية مساحته، يطرح مع ذلك الإشكالية المعقدة والمفيدة المتسائلة عن النسق التقني المناسب وظيفيا والذي يجب أن تتميز به سدود المناطق الجافة، وخاصة منها الموجودة في مقدمة الصحراء. ذلك لأنها مطالبة بأن تفيدي في كل الأغراض المعروفة التي تضطلع بها السدود على العموم، لكن مع أقل ضرر ممكن بالبيئة الطبيعية، ذات الموصفات الخاصة هنا، والموسومة بالهشاشة الشديدة، وكذلك بأقل تدخل غير عارف ولا مسؤول بالبيئة البشرية الشديدة الغنى بالمكونات الحضارية ذات الأهمية (التصحر : الجزء السابع من المعلمة، ص. 2384).

لاشك أن سد تاغدوت يتميز بالحجم التجريبي المناسب، وبالعمر المعياري للتقويم، من أجل استشرف المقاسات المواتية لحقيقتنا هذه الفصائل من أساليب التخزين، وذلك في علاقتها مع طاقة التبخر السائدة، وسلاسة تصريف الفائض حتى يعبر إلى المخطارات مثلا ويطعم زراعات السافلة ويوزد بما يمكن أن تحتاجه مواقع الصود الأمامي في وجه التصحر.

جدير بالذكر، هنا كذلك، الإشعار بأنه بمجرد المرور إلى السفح الشرقي من السيروا، وبالتالي إلى الحوض الأكبر لوادي درعة، يتحقق الولوج إلى المحمية الثانية من محميات المحيط الحيوي المغربية. وتعتبر أكبر محمية من هذا الطراز في ما يسمى بالجهة الغربية من التقسيم المعتمد باليونسكو، لكونها تجمع بين الحوض الأعلى والأوسط لدرعة والحوض الإجمالي لوادي زيز واغريس وما بينهما. وقد أعلن عن المصادقة في عاشر شهر نونبر من سنة 2000 بتسمية محمية المحيط الحيوي لواحات الجنوب المغربي.

واستحقت المحمية الاعتراف والعناية الدوليين بوصفها آخر نموذج واسع ونشط من نماذج نطاق مقدمات الصحراء، الموجود في حاجة ماسة إلى الصون والدعم حتى يتمكن من مواصلة مكافحة الزحف الصحراوي. وتقتصر خطاظة تدبير المحمية أن يكون الاعتماد المادي في بلوغ ذلك، بالأساس، على إعادة التأهيل الطبيعي للسفح الجنوبي من الأطلس

تحالفات واتحادات عدة إلى أن استقر الوضع بانفصال السودان (مالي) وقيام الجمهورية السنغالية وبداخلها جمهورية غامبيا، وبجانبها جمهورية مالي. وفي بداية سنة 1961 يادر المغرب بربط علاقات دبلوماسية مع السنغال على مستوى تبادل السفراء.

علاقات المغرب بالسنغال كانت وثيقة الارتباط في الواقع على مدى قرون بعد الفتح الإسلامي للمغرب وامتداده إلى السنغال بواسطة الفتوحات الواردة عليه مما جعل تاريخ البلدين يلتقي في فترات عديدة وتعاطفهما يزداد. وتبلغ نسبة المسلمين في السنغال تسعين في المائة، الكثرة الكثيرة منهم أتباع الطريقة التجانية من يهون بأفئدتهم إلى فاس حيث ضريح الشيخ أحمد التجاني صاحب الطريقة. وإلى جانب هؤلاء أتباع الطريقة القادرية المعروفون بالمريدين الذين يتمتعون بنفوذ كبير اعتباراً للدور الاقتصادي وخاصة الزراعي الذي يقومون به.

لذلك ظلت علاقات الود والتعاون وطيدة بين السنغاليين والمغاربة بالرغم من الزخوف الاستعمارية وما أقامته من حواجز بينهم. ولقد أقامت جالية مهمة من المغاربة في ربوع السنغال أباً عن جد يتعاطون التجارة، وكانوا يستمعون بالاعتبار والتقدير. اختلطوا بالسنغاليين وتصارهوا معهم.

رغباً لكل هذه الاعتبارات، اتجهت حكومة المغرب المستقل إلى تفتين علاقاتها مع إفريقيا السمراء وخاصة مع السنغال، وصدرت أول محاولة لتوحيد الدول الإفريقية حديثة العهد بالاستقلال قام بها جلالة محمد الخامس في يناير 1960 فانعقد أول مؤتمر للقمة بالدار البيضاء. ولأول مرة كذلك امتد حصر بين ما كان يسمى بإفريقيا السوداء وإفريقيا البيضاء حيث كان الاستعمار يحرص كل الحرص على التفريق بينهما. وتابع مناوئاته. فكانت تقوم تكتلات مفتعلة لا تلبث أن تنهار.

وفي آخر سنة 1960 بعث جلالة محمد الخامس "وفد ود وصداقة" إلى الدول الإفريقية قام برحلة إلى اثنتي عشرة دولة ما بين 10 نوفمبر إلى 10 دجنبر. كان من ضمن مهام الوفد: الحصول على دعم كفاح الجزائر في سبيل الاستقلال، والدعوة للنضام الإفريقي وتعاون المغرب مع جميع الدول الإفريقية، والتنسيق في القضايا الدولية، والحوار حول قضية موريتانيا التي كانت موضوعاً.

ولقد حصل الوفد المغربي على نتائج طيبة سواء في الأقطار الإفريقية التي كانت تعرف بالدول المتكلمة بالانجليزية أو الناطقة بالفرنسية. ولقي حفاوة كبيرة في السنغال من لدن الرئيس ليوبولد سيدار سنغور الذي سبق أن تابع القضية المغربية إبان اشتداد الأزمة بين المغرب وفرنسا حين كان عضواً في حكومة ايدغار فور التي أسهت في حلها بقبول عودة محمد الخامس من المنفى وما ترتب عن ذلك من إعادة المشروعية والاستقلال. لم يمر شهر على رجوع

بالطبع مناظر التدبير الزراعي، التي تندرج من الإطار البدعي للدرجات النهرية وللزعفرانيات، إلى رياض اللوز التي تبهر الزائر بألوان إزهارها الشتوي، غير المألوف في ما عداها.

روعة من نوع آخر يصبغها التناسق الحاصل بين الحواش والأجراف العالية والقصبات المعلقة من فوقها، التي تبدو عاتية ممتعة، كما هو الشأن في تيسكي، جنوب شرق قمة كليز، حيث تطل المنازل القديمة من أعلى شاطئ بمشآت الأمتار، وقد استحال في الحاضر إلى خزانات للحبوب.

مناظر من هذا القبيل، تنمقها أنواع الصخور في ألوانها الزاهية واختلاف تشكيلها، بزخم لا يوجد لا في القواعد القديمة والبنيات البركانية، تزينها خضرة الأودية والغابات، والأعراف المتوجة بالثلوج، المشرفة على المجالات الرحبة الوضاعة، وشموخ القصبات وحميمية الأسواق التي تبدو، ومعها الحياة النشيطة بها، كما لو كانت موروثاً عن حكايات الأزل، هي التي استدعت صانعي السينما العالمية لإنجاز بعض أضخم الأفلام التاريخية بها، وبعض أروع إنتاج المتخيل البشري.

معلوم أن ورزازات، في شرق المنطقة، تعتبر "هوليود" المغرب. كما يمكن أن نسوق من بين الأمثلة كيف أن قسم الأطلس الكبير والقصبات المجاورة، إلى الشمال، قد استعملت في إنتاج سينمائي ضخم حديث (1996) لتشخيص جبال الهيمالايا والتبت! وقبل ذلك، سنة 1952، وإلى المغرب هذه المرة، استعيرت مناظر سوسية، جنوب شرق تارودانت (تيوط) لالتقاط مشاهد الفيلم الدولي الكبير علي بابا، الذي قام بالبطولة فيه الأمريكي بول بايتر والفرنسي فرنانديل، ونخص بالذكر من شارك فيه من الفنانين المغاربة المرحوم البشير العليج (انظره في العلمة).

سيطرح جبل السيروا باستمرار، ورغم حجمه الصغير نسبياً، مسألة انتمائه الإقليمي. ذلك لأن أهميته الحقيقية تكمن في العوالم التي يربط بينها، والتي تمثل جل سحنات المغرب الواسع الممتد جنوب الأطلس جمالاً وروعة وعبقورية. إدريس القاسي

## السنغال والمغرب، السنغال قطر صغير مساحته تزيد

قليلاً عن مائتي ألف كلمتر مربع، يقع على شاطئ المحيط الأطلسي في مجموعة إفريقيا الغربية. جوه معتدل بالمقارنة مع بقية الأقطار المجاورة له. تحقق تقدمه في العمران والتجهيزات الاقتصادية والاجتماعية على مدى ثلاثة قرون عاشها الشعب السنغالي تحت الاستعمار الفرنسي. كما تكونت نخبة من المعلمين والثقفيين السنغاليين أكثر عدداً من سائر الأفرقة. توفقوا في ميادين التعليم والإدارة والعسكرية، ونبع منهم كتاب ومفكرون لا معدون. انتشروا في فرنسا وفي غيرها من الأقطار.

حصل السنغال على الاستقلال سنة 1960 وأصبح جمهورية على رأسها الرئيس ليوبولد سيدار سنغور. مر من

وفد الورد والصداقة المغربي إلى الدول الإفريقية حتى تقرر فتح سفارة مغربية في دكار في 13 يناير 1961.

على مدى كل هذه العقود ظلت الوشائج طيبة لا يشوبها شيء بين المغرب والسينغال، وكذلك التعاون في شتى المجالات. خاصة في المجال الثقافي والدبلوماسي والسياسي. وقد ساعد الرئيس سنغور على التوفيق بين المغرب وموريتانيا، واستمر السنغال في تأييد وحدة المغرب. وقام كل من المغفور له جلاله الحسن الثاني وجمالة محمد السادس بزيارة دولة للسينغال كما قام الرئيسان عبده ضيوف وواد بزيارة المغرب. وأبرمت عدة أوقاف بين البلدين. ويوجد المئات من الطلبة السنغاليين يدرسون في المغرب.

ق. الزهيري، مذكرة دبلوماسية، الرباط، 1990.

قاسم الزهيري

المسيئما بالمغرب. تعرّف المغرب على السينما خلال السنوات الأولى لظهورها بأوروبا. فبعد أقل من عامين على تنظيم أول عرض سينمائي عمومي بباريس يوم السبت 28 دجنبر 1895، شهد المغرب سنة 1897 تنظيم أول عرض سينماتوغرافي به، وقد تم ذلك بالقصر الملكي بمدينة فاس. وابتداءً من توقيع معاهدة الحماية بين فرنسا والمغرب عام 1912 أخذت العروض السينمائية ودور العرض في الظهور والانتشار بمختلف المدن المغربية.

إلا أنه قبل هذا التعرف، وبالموازاة معه، مثل المغرب فضاء مفضلاً للتصوير السينمائي، حيث بعث الأخوان لومبير بطاقم تصوير إلى المغرب في الفترة المتراوحة بين 1895 و1905 قصد إنجاز أفلام قصيرة لأماكن وسحن وعادات تبدو غريبة إذك في أعين المشاهد الأروبي (تتوفر قائمة المشاهد الخاصة بشركة الأخوين لومبير على "فيلم" قصير يحمل عنوان "راعي الماعز المغربي"، كما قام المصور والصحافي فيليكس ميسغيش بتصوير مدينة الدار البيضاء عام 1907، أثناء مهاجمة القوات البحرية الفرنسية لها وشروعها في احتلالها، فيما يمكن اعتباره لحد الآن أول وثيقة سينمائية مصورة عن بدايات الاحتلال الفرنسي للمغرب، وهي وثيقة تملك، فوق ذلك، أهمية خاصة بسبب ما تؤثر إليه من علاقة بين السينما والاستعمار.

وفعلاً، فقد عرف المغرب ابتداءً من سنة 1919 وإلى حدود حصوله على استقلاله سنة 1956 تصوير قرابة 80 فيلماً روائياً غربياً طويلاً، يدخل تصوير معظمها في إطار النظرة العجائبية المتعالية التي يحملها الغرب تجاه العالم العربي الإسلامي، إلا أن هذا التصوير كان يؤكد، في الوقت ذاته، نجاح السلطات الاستعمارية الفرنسية في السيطرة على البلاد، وتحويلها إلى مكان آمن بالنسبة للغربيين.

إن أول فيلم أجنبي تم تصويره بالمغرب، وهو "مكتوب" للفرنسيين ج. بانسون ودانيال كانتان، يعود تاريخه، كما سلف، إلى عام 1919. وهي فترة كانت قد مرت فيها 7

سنوات على إعلان الحمايةين الفرنسية والإسبانية على المغرب في 30 مارس و27 نونبر 1912 على التوالي، بما يعني أن السلطة قد استقرت في يد قوات الاحتلال بمدن مغربية مختلفة، مما مكن من تصوير الفيلم دون أي مشكل في مدن الدار البيضاء وطنجة ومراكش.

لقد صار تصوير الفيلم الأروبي على أرض المغرب، بهذا المعنى، تأكيداً لنجاح سلطات الحماية في "تهدئة" البلاد وإخضاعها. لذلك لم تتوان هذه السلطات عن تقديم مختلف أشكال الدعم لهذا النوع من الأفلام، ففي عام 1922 ولأجل تصوير فيلم "دم الله" للفرنسي لوتزمورا، قامت السلطات المحلية لمدينة مراكش بتجنيد حوالي 12.000 فرد، واحتجاز قرابة 4.000 حصان، و2.000 جمل لمدة 3 أشهر قصد تصوير الفيلم. كما أن المقيم الفرنسي العام، المارشال ليوطي، قام بالشيء نفسه بالنسبة لفيلم "الرجال الجدد" (1922) للفرنسيين دوناتيان وقيولي، حيث جند جميع مصالحيه المدنية والعسكرية للمساعدة على ظهور الفيلم في أحسن صورة ممكنة. يضاف إلى ذلك أن فيلم "الغرب" (1928) للفرنسي هنري فيسكور تم تصويره بمساعدة القوات العسكرية الاستعمارية وعرض في باريس وسط ضجة كبرى، وبحضور عدة جنرالات على رأسهم وزير الحربية الفرنسي، والمقيم العام لفرنسا بالمغرب.

لا يعني ذلك أن كل الأفلام التي صورت بالمغرب كانت أفلاماً دعائية لصالح السلطات الاستعمارية، وإنما هو يعني فحسب أن عدد الأفلام التي برزت عالمياً وسط ذلك الكم قليلة جداً ومعدودة على أصابع اليد الواحدة، مثل: "اللعبة الكبرى" (1934) لجاك فايدر، "عظيل" (1949) لأورسون ويلز، "الوردة السوداء" (1949) لهنري هاتاواي، و"الرجل الذي كان يعرف أكثر مما يلزم" (1955) لألفريد هيتشكوك. ومثلما فتحت فرنسا الفضاء المغربي لتصوير أفلام أجنبية، أنشأت أولى قاعات العرض السينمائي بالمغرب. ومع أن هذه القاعات كانت موجهة بالأساس إلى جمهور المعمرين الفرنسيين المقيمين بالبلاد، قصد التخفيف من إحساسهم بالعزلة والاعترا، ومواصلة ربطهم ثقافياً وفسياً ببلدهم، فإنها استطاعت أن تجد لها جمهوراً آخر وسط "الأهالي" الذين لم يخفوا افتتاحهم بالفرجة الجديدة أو الفن الجديد. هكذا سيرتفع عدد قاعات العرض ليصل إلى 50 قاعة سينمائية قبيل الحرب العالمية الثانية، ثم إلى 131 قاعة بالمدن الكبرى و61 قاعة في المناطق القروية سنة 1954. وإذا كانت السلطات الفرنسية رأت في هذا الانتشار نجاحاً لها ولسياستها في "تجديد" المجتمع المغربي، مثلما رأى فيه مالكو القاعات إمكانية استثمار مريحة من الناحية الاقتصادية، فإن المشاهد المغربي اتخذ منه وسيلة للتواصل مع سينما أخرى (غير غربية) هي السينما المصرية، مقيماً، بذلك، وشائج ثقافية فنية جديدة ومتينة مع عمقه القومي العربي الذي حاولت الحماية الفرنسية فصله عنه، وموفاً

المزيد من أسباب المقاومة ورفض الاحتلال. هكذا تحول عرض الأفلام بدور، وبشكل عفوي وغير منتظر، إلى مجال لصراع سياسي قوي بين الاستعمار الفرنسي وحركة المقاومة الوطنية، بلغ أوجه في مطلع عام 1944.

ففي نفس الفترة، تقريبا، التي عرفت توقيع "عريضة المطالبة باستقلال المغرب" وتقديمها إلى الإقامة العامة بالرباط (11 يناير 1944) صدر بالجريدة الرسمية (يوم 8 يناير 1944). ظهير يقضي بإنشاء المركز السينمائي المغربي، ووضعه تحت سلطة "مدير الشؤون السياسية" الخاضع مباشرة لسلطة المقيم العام. كما أنشئت في السنة نفسها "استوديوهات السويسي" بتمويل هام من "البنك الوطني (الفرنسي) للتجارة والصناعة (الذي سيحمل، فيما بعد، اسم "بنك باريس الوطني)".

فمن جهة، كانت هناك "عريضة الاستقلال" التي تطالب بجلاء الاستعمار الفرنسي عن المغرب، ومن جهة أخرى كان ظهير 8 يناير يهدف، وعلى العكس من ذلك، إلى توفير مقومات جديدة لمواصلة الاستعمار، انطلاقاً من فهم للدور الذي يمكن أن يلعبه الفن السابع في الحد من تنمية الحس الوطني، وفك الارتباط بين المواطن المغربي وعمقه القومي العربي.

لقد استطاع المواطن المغربي أن يوطد صلته بهذا العمق العربي انطلاقاً من مشاهدة الأفلام المصرية التي كانت تحظى بإقبال شديد في المغرب منذ أواخر ثلاثينيات القرن الماضي، بخلاف الأفلام الغربية التي لم تكن تحظى بمتابعة وإعجاب سوى نخبة قليلة من المشاهدين المغاربة، لذلك تمثلت إحدى المهام الرئيسية للمركز السينمائي المغربي آنذاك في إنتاج أفلام ناطقة بالعربية الدارجة المغربية، شبيهة في مضمونها وبنائها بالأفلام المصرية.

إلا أن الفرنسيين المشرفين على إنجاز هذا المشروع لم يكونوا قادرين على فهم كنه الفيلم المصري وطبيعة علاقته بالمشاهد العربي، فاختزلوه في الرقص والغناء وقصص الحب والغرام، التي تدور في أجواء غرائبية ترتبط بالتخييل الاستشراقي أكثر مما ترتبط بالتخييل العربي.

هكذا، وخلال سنتين فقط (1946 - 1947)، ساعد المركز السينمائي على ظهور أزيد من عشرة أفلام من هذا النوع، منيت بفشل شديد عند عرضها في القاعات السينمائية المغربية. ويقول الناقد الفرنسي غي هانبيال تفسيراً لذلك إن هذه الأفلام لم تحظ بالإقبال المنتظر لسببين: أولهما غياب الواقعية عنها، بحيث إن المشاهد المغربي لا يجد فيها حقيقة وضعه ولا أصالة مطامحه السياسية؛ وثانيهما "عجز الأفلام الكولونيالية عن تمكك الميلودراما وإعادة توجيهها بما يتيح لها استقطاب الأهالي" (السينما الكولونيالية، انظر قائمة المراجع أدناه، ص. 11 - 12).

وفعلاً، فمن قراءة للملخصات الأفلام المذكورة يتبين أنها أخفقت في التواصل مع المشاهد المغربي، بالضبط لأنها

اختارت مضامين لا تتعد عن مضامين الأفلام الكولونيالية، بحيث ركزت على الخرافات والحكايات الشعبية المحلية (أو ما تعتقد أنه كذلك)، مبتعدة عن الواقع وقضايا، بل ومبتعدة عن "النزعة الواقعية" كما تعرف عليها الجمهور المغربي انطلاقاً من عدد لا بأس به من الأفلام المصرية.

ومن اللافت للنظر أن الغالبية العظمى من الأفلام الفرنسية المصورة بالمغرب، حتى وإن كان أصحابها من المخرجين المسميزين في وقتهم، ظلت سجيئة الروية الاستشراقية في أكثر صورها تطرفاً: فموضوعات هذه الأفلام لا تخرج عن الغرابة والهوى والسحر والغيرة القاتلة والتطرف في الانفعال بوجه عام، كما لم يخرج مجالها البصري عن الرمال والنخيل وقوافل الجمال ومآذن المساجد وقبابها والأزقة الضيقة والشمس الحارقة، الخ... ولم تتعد مضامينها مجال الخرافة أو الحكاية الشعبية.

هذه الخاصية التي ميزت الأفلام المسماة "كولونيالية" لم ينتبه إليها أصحابها، مثلما لم ينتبه إليها أفراد من النخبة المغربية ذاتها، أعجبوا بالسينما وعبروا عن اهتمامهم بها، نشير هنا، مثلاً، إلى فيلم "وردة السوق (أو الريح الشرقية)" (1930)، الذي أخرجه جاك سيفيراك عن حكاية شعبية رواها له محمد المعمرى، وكيف أن هذا الأخير بعث برسالة إلى المخرج يوم 29 يوليوز 1931 يقول فيها (فيما يمكن اعتباره أول نص مغربي في النقد السينمائي): "أجدد لك كل تهانئي. إن فيلم "وردة السوق"، وأكرر لك، هو من تلك الأفلام النادرة التي لا تجرح كرامة المسلم. لقد عرفت كيف تتجنب عقبة مزج الشخصيات الأوروبية بشخصيات أهلية. فبالى حدود اللحظة، كان الدور الجليل يعطى للأوائل، وهو شيء مفهوم بقدر ما يبعث على الأسف.

"إن فيلمك يظل ضمن إطار مغربي، بشخصيات مغربية، والحكاية قابلة للتصديق، كما أن طريقة عرضها فنية جداً. وفي ظني أنه، إذا نحن استثنينا بعض المسائل التفصيلية، فإنه لاشي، بحاجة إلى إعادة تناول وتنقيح" (م. م. ص. 55 - 56).

ومن المحتمل جداً أن تكون وجهة النظر الشخصية هذه مشتركة بين صاحبها وعدد من أفراد النخبة المغربية، الذين كان أقصى ما يطلبونه من السينما كما يتصورونها، هو أن تعبر عن الفضاء المغربي، انطلاقاً من حكايات شعبية محلية، وبشخصيات مغربية، وذلك دون أن تخطر على بالهم مطلقاً إمكانية تصوير فيلم محلي يتناول مجال الواقع لا الخرافة، وبإمكانيات أبناء البلاد أنفسهم لا بإمكانيات الأجانب.

ولعل ما يظل غائباً عن هذه المحاولة الفرنسية لإخراج أفلام "مغربية" هو التفكير في إنجازها بأيدي مغاربة، حيث لم تكن هناك أية محاولة جدية من طرف سلطات الحماية للعمل على تكوين مغاربة في إحدى مهن السينما، وأقصى ما قدمته هذه السلطات من تنازل يتمثل في ظهور مغاربة



كمثلين يلعبون أدواراً رئيسية في أفلام المرحلة الجديدة، بعد أن كان وجودهم في الأفلام "الكولونيالية" السابقة مجرد تكملة لديكورها ومناظرها الطبيعية.

إلا أن هذا الموقف، الذي ينم عن نظرة متعالية تعتبر "الأهالي" مجرد تابعين منفصلين، لم يحل دون ظهور "مخرجين" وتقنيين عصاميين في مجال السينما استفادوا من الاحتكاك بسينمائيين أجانب، أو كونوا أنفسهم وصمموا على ولوج ميدان الإخراج السينمائي، مثل المخرج محمد عصفور.

فهذا المخرج الذي قدم إلى الدار البيضاء من البادية واشتغل في مهنة يدوية عديدة سرعان ما استهواه الفن الجديد، فعمل على اقتناء كاميرا تصوير هاوية أنجز بواسطتها، بعد عدد من التمارين الفاشلة، مجموعة من الأفلام القصيرة ابتداء من مطلع الأربعينيات، وشرع في عرضها على الأطفال في مراتب لا يتطلب تجهيزها أكثر من مقاعد طويلة للجلوس، وملاة بيضاء على الحائط وآلة عرض هاوية. وبما أن محمد عصفور لم يكن يتوفر وقتها على حمولة جمالية وإيديولوجية تجعله يختط لنفسه طريقه الخاص ويختار موقعه تجاه الواقع المغربي لذلك الوقت، فقد اكتفى بتقليد أفلام غربية شاهدها ونالت إعجابيه: "ابن الغاية" (1941) الذي يقلد فيه طرزان، "أموك الذي لا يقهر" (1948) ويقلد فيه "روبن هود"، إضافة إلى سلسلة أفلام "حجية" التي قلد فيها شارلي شابلن.

وقد حافظ محمد عصفور على تصوره هذا للسينما، أي باعتبارها مجرد تقليد لمشاهدات سابقة، حين أتيح له أن يخرج فيلمه الروائي الطويل "الكنز المرصود" (1970)، فجعل من هذا خليطاً من أفلام الغرب الأمريكي والمصارعة والميلودراما الهندية والفيلم الغنائي المصري وأفلام المغامرة... بما يجعل الفيلم عنده مجرد أداة للتسلية والترويح عن النفس، ويحصر جمهوره في الأطفال أساساً، في عمل أقرب إلى الهواية منه إلى الاحتراف، يقع على هامش دوائر الإنتاج والتوزيع القائمة.

من هنا يمكننا أن نتحدث عن إخفاق عام للسلطات الاستعمارية في توظيف السينما من أجل تثبيت دعائم سيطرتها على البلاد، وإن كان هذا لا يمنع من الاعتراف، مع ذلك، بفضلها في إدخال هذا الفن إلى المغرب، رغم ما يمكن تسجيله على طريقة دخوله تلك من مأخذ، على رأسها ربط السينما في المغرب باللغة والثقافة الفرنسيين، مما جعلها عاجزة لحد الآن عن الاندماج ضمن باقي مكونات الثقافة المغربية التي تعبر عن نفسها أساساً باللغة العربية (القصة والرواية والمسرح، بوجه خاص).

بعد حصول المغرب على استقلاله بما يزيد قليلاً عن سنتين، أعيد النظر في وظيفة المركز السينمائي المغربي ابتداء من 7 نونبر 1958، بحيث أصبح مكلفاً بمراقبة مهنة السينما بالمغرب، والسهر على تطبيق التشريع المنظم لها

ولمارستها، والإشراف على عملية توزيع الأفلام وعرضها، إضافة إلى "إنتاج أفلام سينمائية".

ويكتسي النص على هذه المهمة الأخيرة طابعاً خاصاً، وذلك لكونها، رغم التساؤل المحدود الذي أعطي لها، والمتمثل في إنجاز نشرة أسبوعية مصورة لتغطية الأخبار الرسمية وإخراج أفلام دعائية قصيرة للإنجازات الحكومية، فإنها تفتح المجال واسعاً أمام إلقاء مسؤولية إنتاج الأفلام في المغرب المستقل على عاتق القطاع العام.

لقد ظهر أول فيلم روائي مغربي طويل عام 1968، تحت عنوان "الحياة كفاح"، ومنذ ذلك الحين إلى الآن ظهر قرابة مائة فيلم مغربي طويل وأزيد من مائتي فيلم قصير، تم إنتاج معظمها بفضل المركز السينمائي المغربي، إما مباشرة أو عن طريق "صندوق الدعم السينمائي" (العامل ضمن المركز) في صيغته الجديدة التي عرفت النور ابتداء من سنة 1980.

ففي سنة 1954، كانت سلطات الحماية الفرنسية قد أنشأت في إطار المركز السينمائي المغربي صيغة لتشجيع انتشار السينما بالمغرب أطلق عليها اسم "صندوق دعم السينما". وقد استمر العمل بهذه الصيغة ست سنوات، دون نتيجة تذكر، إلى أن تم إيقافها عام 1959. تتمثل هذه الصيغة في فرض رسم ضريبي إضافي على تذاكر الدخول إلى قاعات العرض السنمائي، يخصص لإنعاش استغلال القاعات وإنتاج الأفلام. لكن الذي حصل، عملياً، هو تخصيص مبالغ الدعم لترميم القاعات وتحسينها وتطويرها من الناحية التقنية، دون أن يذهب أي قسم منها لمجال الإنتاج.

وبعد حوالي عشرين سنة على إيقاف هذه الصيغة، قدمت غرفة مهنيي السينما، المنتزعة من ضريبة إضافية عام 1963 وبلغت نسبتها 21 بالمائة من المداخيل، مجموعة من المقترحات إلى المركز السينمائي المغربي على رأسها ضرورة العودة إلى صيغة صندوق الدعم القديمة، مع إيلاء أهمية خاصة لإنتاج الأفلام.

هكذا ظهر "صندوق الدعم" في صيغته الجديدة ابتداء من عام 1980، على أساس أن تأتي وارداته من الرسم الضريبي الإضافي على تذاكر السينما، وتقسم نسبة تتراوح بين 94 و93 بالمائة من مداخيله بالتساوي بين الإنتاج السينمائي وترميم القاعات السينمائية القائمة وإنشاء قاعات سينمائية جديدة. وإذا كانت هذه الصيغة الجديدة غير مكتملة، مما حتم تعديلها مرتين، مرة أولى عام 1988، ومرة ثانية عام 1997، فإن المهم هو أنها أدت إلى ظهور كم هام من الأفلام يقدر بحوالي 80 فيلماً روائياً طويلاً و60 فيلماً قصيراً خلال الفترة المستدة من 1980 إلى 1999. علماً أن مداخيل القاعات السينمائية في تناقص مستمر، بحكم الإحجام المتزايد عن ارتياد القاعات السينمائية وتناقص أعدادها، مما حتم تدخل الدولة ممثلة في وزارة الاتصال (ثم الثقافة والاتصال، فيما

بعد) من أجل ضخ مبالغ إضافية في صندوق الدعم رفعت المبلغ الإجمالي السنوي الذي يتصرف فيه إلى 20 مليون درهم.

وبحكم هذا الوضع الخاص للفيلم المغربي، يعتبر المهرجان الوطني للسينما المغربية أداة هامة لترويجه والتعريف به داخل المغرب وخارجه. وقد أنشأ المركز السينمائي المغربي هذا المهرجان لأول مرة عام 1982، وإلى حدود شهر فيبراي من العام 2001 عقدت منه، وعلى نحو غير منتظم، ست دورات، كانت أولاها بالرباط، والثانية بالدار البيضاء (1984) والثالثة بمكناس (1991)، والرابعة بطنججة (1995)، والخامسة بالدار البيضاء (1998) والسادسة بمراكش.

لكن رغم ذلك يلاحظ أن معظم الأفلام التي تم إنتاجها خلال الثلاثين سنة الأخيرة لاتجد طريقها إلى قاعات العرض، أو تعرض لوقت وجيز قبل أن تسحب لتخلي مكانها لأفلام أخرى، أجنبية في الغالب. ويمكن تفسير هذا الأمر بأعداد الحوافز، التشريعية والمادية، التي تشجع مستغلي القاعات على إعطاء الأولوية للفيلم المغربي، إلا أنه يمكن تفسير الأمر كذلك باندراج الفيلم المغربي، بوجه العموم، ضمن جماليات تختلف عن تلك التي تعود عليها المشاهد المغربي ونحتت ذائقتهم على مر السنين.

إن هذا المشاهد، الذي ارتبط منذ نعومة أظفاره بنوع خطي من السرد، يعتمد على القصة البسيطة سريعة الإيقاع، ذات البداية والوسط والنهاية، والتي تحقق الانتقال بين المشاهد بسيولة يساعد عليها توظيف الموسيقى والمؤثرات الصوتية، يجد صعوبة في متابعة أفلام ذات سرد متقطع، وإيقاع رتيب أو غير منتظم، يسودها صمت قاتل. كما أن المشاهد المتعلم، الذي تلقى تكوينه في أحد الأندية العاملة ضمن الجامعة الوطنية للأندية السينمائية (تأسست عام 1972، وكانت تضم في النصف الأول من ثمانينيات القرن الماضي قرابة 40 ألف منخرط)، يجد صعوبة في الحكم على الفيلم المغربي انطلاقاً من مشاهداته لروائع السينما العالمية.

لذلك كانت الأفلام السينمائية المغربية التي حظيت بترحيب الجمهور أو هواة السينما أو هما معا قليلة جداً، نذكر من بينها: "وشمة" (1970) لمحمد بناني "ألف يد ويد" (1972) لسهيل بنبركة، "أحداث بدون دلالة" (1974) لمصطفى الدرقاوي، "الشركي، أو الصمت العنيف" (1975) لمومن السميحي، "الأيام الأيام" (1978) لأحمد المعنوني، "السراب" (1979) لأحمد البوعناني، "عرائس من قصب" (1981) للجيلالي فرحاتي، "حلاق درب الفقراء" (1982) لمحمد الركاب، "باديس" (1988) لمحمد عبد الرحمن التازي، "أيام من حياة عادية" (1991) لسعد الشرايبي، "البحث عن زوج مراتي" (1993) لمحمد عبد الرحمن التازي.

خالد الحصري، موقع الأدب المغربي من السينما المغربية، الرباط، 1981، دليل المخرجين المغاربة، الرباط، 1999، مصطفى السنوي، أبحاث في السينما المغربية، منشورات الزمن العدد، 27، الرباط، 2001، أ. سجلماسي، المغرب السينمائي، منشورات شراع العدد،

65. الرباط، 1999: المركز السينمائي المغربي، الفيلم المغربي الطويل، جرد فيلموغرافي، الرباط، 2000. الفيلم المغربي القصير جرد فيلموغرافي، الرباط، 2000.

P. Boulanger, "Le cinéma colonial: de l'Atlantide à l'Avance d'Arabie", Paris, 1975; D. Maillot, "Le régime administratif du cinéma au Maroc", Rabat 1961; Souffles (revue), n°2, 1966, Rabat. "Dossier sur le cinéma marocain"; My Driss Jaidi, "Le cinéma au Maroc", Rabat, 1991; My Driss Jaidi, "Publicités et cinéma", Rabat, 1992; "Cinégraphiques", Rabat, 1995; "Vision(s) de la société marocaine à travers le court métrage", Rabat, 1994; F. Souiba, F. Z. El Alaoui, "Un siècle de cinéma au Maroc: 1907-1995", Rabat, 1995; Gallatoni (Mohamed), "La critique au pluriel", Casablanca, 2002.

مصطفى السنوي

## السيار، العربي، موسيقي ولد بمدينة طنجة عام

1309 / 1892 ومنذ طفولته ظهر تعلقه بالموسيقى الأندلسية وولعه بحفظ مستعملاتها، فكان يواظب على حضور منتديات الفنانين، حتى إذا شب عن الطوق لم يتردد في الترحال إلى المدن المغربية وخاصة فاس رغبة في تعلم العزف وأخذ الصناعات من أفواه رجال الفن، وهكذا تعرف على الفقيه محمد المطيري وغيره، ولم يمض بعض الوقت حتى أتقن الضرب على آلة الطرب، ومهر في الإنشاد، فضلاً عن حفظه للنوبات الأحدى عشرة؛ وبذلك تجمع لديه رصيد هام من مستعملات الآلة ساعد على تفتق موهبته وملكته في التلحين.

وقد شغله إلى حد كبير هاجس استكمال ميازين النوبات وشجعه على ذلك ما لمس في نفسه من نزوع إلى التلحين، فقام بإحجازين فنيين أسهسا في إغناء الرصيد الكسي للموسيقى الأندلسية المغربية:

أولهما تلحينه لبعض صناعات ميزان القائم ونصف من نوبة الحجاز الشرقي. وقد جاء عمله هذا على نحو مغاير لما سيصنعه من بعده محمد بن عمر الجعايدي. ولعل الحاج إدريس بن جلون يكون قد استفاد من صنعه واتخذ نواة لما أثبتته في تحقيقه لكناش الحايك.

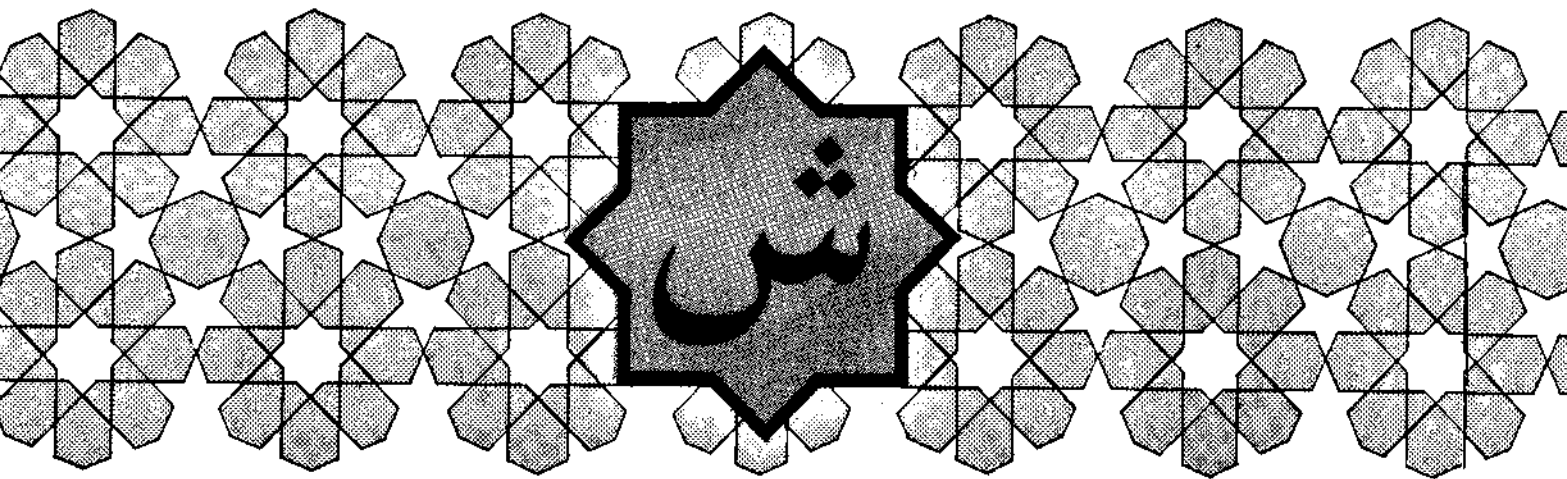
وثاني الإنجازين تلخيص ميزان درج العشاق، وقوامه ثلاث عشرة صنعة، وقد أطلع السيار أستاذه الفقيه المطيري على هذا الإنجاز في لقائهما بفاس بمناسبة احتضانها للمؤتمر الأول للموسيقى المغربية في ماي 1939.

وبالرغم على المكانة الفنية التي بلغها السيار فقد عرف بأنه كان يأبى على نفسه التكبس بالموسيقى، ومن ثم أثر تعاطي التجارة فاتخذ له متجراً بمدينة الدار البيضاء.

وقد عاد في أواخر حياته إلى مسقط رأسه طنجة، ومكث بها إلى أن وافته المنية في 13 حجة عام 1383 / 26 أبريل 1964 عن عمر يبلغ الثانية والسبعين.

الوكيلي، الموسيقى الأندلسية من خلال مسيرة الفنان مولاي أحمد الوكيلي، سلسلة المعرفة للجمع، مارس، 1999، ص. 61؛ معلومات شخصية.

عبد العزيز بن عبد المجيد





**شابل**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت

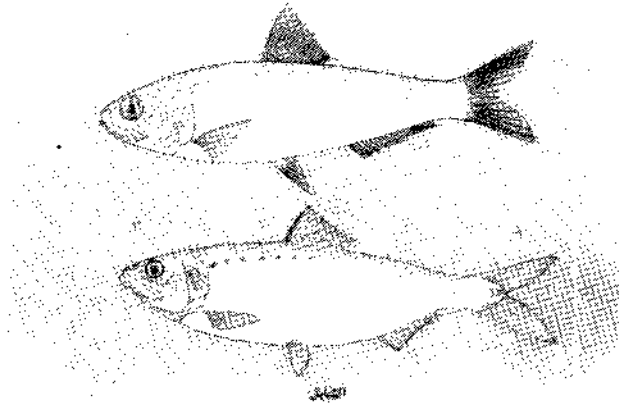
هناك أسر إسبانية تحمل اسم Chavez و Chaves ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1189 / 1775.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطوان، 1999. والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1467.

محمد ابن عزوز حكيم

**الشابل** كما هو شائع في المغرب، أو الصابوغة في بعض

المعاجم، حيوان من الأسماك العظمية شائكات الزعانف وفصيلة الصابوغيات Clupeidae، يسمى بالفرنسية Alose وبالإنجليزية Shad. منه نوعان يعيشان في السواحل المغربية:



الشابل الكبير أو الشابل الحقيقي ألوزا ألوزا يدعى

بالفرنسية Alosa alosa, Linnaeus, 1758 وبالإنجليزية Allis Shad وبالإسبانية Sabalo comun. ظهره أزرق قاتم وجوانبه فضية، بقعة داكنة على مؤخرة الزاوية العلوية لغطاء الخياشيم متبوعة أحيانا ببقعة أو بقعتين تكميلتين، مغزلي الشكل مضغوط جانبيا شيئا ما. مصدر الزعنفة الظهرية متقدم قليلا عن وسط الجسم. مصدر الزعنفة الشرجية في الجهة الخلفية من قاعدة الزعنفة الظهرية. يحمل القوس

الخيشومي الأول 85.130 شوكة خيشومية، طويلة ورقيقة. جانبيته البطنية محفوفة بدرقات متسلسلة ويحمل الفك العلوي فتحة متوسطة تلج فيها مقدمة الفك السفلي. لا يتعدى طول الكبار منه 70 سم وشائع بين 25.50 سم.

الشابل الصغير ألوزا فالاكس 1803 Alosa fallax Lacepède

يدعى بالفرنسية Alose feinte وبالإنجليزية Twaite Shad وبالإسبانية Saboga. أصغر حجما من الشابل الكبير ولا يتعدى طوله 60 سم. ظهره أزرق داكن وجوانبه فضية، بقعة داكنة على مؤخرة الزاوية العلوية لغطاء الخياشيم متبوعة بعدة بقع على طول الخط الجانبي، الجسم مغزلي الشكل ومضغوط جانبيا شيئا ما يحمل القوس الخيشومي الأول 30.80 شوكة خيشومية، قصيرة وغلظة.

يعيش النوعان في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ويلجآن أعالي مياه الأنهار العذبة لوضع البيض فيها حيث يقطعان أحيانا حوالي 700 كلم بداخل الأنهار. يعود الكبار إلى البحر مباشرة بعد وضع البيض. والشابل سمك سطحي بحري، يعيش في مجموعات متعددة الأفراد ويقوم بهجرات طويلة المسافة. يصير بالغاً بعد 4 سنوات بالنسبة للإناث.

يوضع البيض على سطح الماء ثم يستقر في الأعماق. تخرج الصغار من البيض بعد 4.8 أيام في مياه تتراوح حرارتها بين 17.18، تبقى الصغار سنة أو سنتين في الأنهار قبل الذهاب إلى البحر. سمك لاجم يتغذى من العوالق وخاصة منها القشريات مجدافيات القوائم وعشاريات القوائم والأفوزباسيات وصغار الأسماك. تتغذى الصغار في الأنهار من القشريات مجدافيات وبراعيت الماء ومن يرقات الحشرات. صيد النوعين تقليدي في المغرب ويصاد في مصبات الأنهار بشباك الحواجز وفي الهضبة القارية بحبال الصنانير والشباك المزودة بالإنارة والجيبات العميقة والسطحية والشباك المستقيمة القعرية والسطحية. سمك نادر في أسواق المغرب بعد أن كان شائعا خلال النصف الأول من هذا القرن. يستهلك طريا ولحمه لذيذ المذاق يكثر الإقبال عليه.

صيد أنواع الشابل مرخص لشركات وتعاونيات الصيد في مصبات الأنهار والبحيرات الساحلية بواسطة الظهر الشريف الصادر بتاريخ 23 يناير 1957 و16 يونيو 1961. ومن أهم الشركات نذكر شركة صيد الشابل بالقبليطة (COPAK). والشابل سمك مهاجر يدخل الأنهار للتوالد بين دجنبر - مايو فيتم صيده بكيفية مكثفة في معظم مصبات الأنهار المغربية وعرف هذا النشاط ازدهاراً في قطاع الصيد البحري والتبادل التجاري بين مختلف البلدان منذ القرن السادس عشر الميلادي.

والصيد الحرقي للشابل كان متمركزاً في مطلع القرن العشرين بالأساس في المناطق الوسطى لمصبات أنهار أم الربيع وأبي رقراق وسبو واللوكوس وملوية بواسطة مراكب خشبية ذات مجاذيف لا يتعدى طولها 5 م. ثم تطورت باستعمال الشباك المستقيمة الثابتة أو الهائمة البالغ طولها 180-230 م وعرضها مترين. تنصب الشباك متعامدة مع النهر خلال فترة الجزر وتجمع على حوالي كل نصف ساعة لاستخراج المصايد المتكونة من الشابل والشبوط والبوروي وأحياناً من الدرعي وسمك موسى (الصول).

لقد عرفت كمية مصايد سمك الشابل بالأنهار المغربية خلال أواخر القرن العشرين تراجعاً مدهشاً، فقد انخفضت من ألف طن سنة 1917 إلى 671 طن سنة 1965 و19 طن سنة 1986 وبين 8.3 أطنان خلال العشر سنوات الأخيرة 1990-1999. يرجع هذا الانخفاض أساساً إلى الصيد المكثف من طرف الشركات خلال موسم التوالد وإلى حدة التلوث لهذه الأنهار من طرف الأنشطة البشرية المختلفة (نفايات معاصر الزيتون ومعمل السيلولوز والدباغة) وإلى بناء السدود؛ لقد انقطع نشاط صيد الشابل في نهر أم الربيع مباشرة بعد بناء سد سيدي سعيد معاشو سنة 1929 وفي ضواحي فاس على نهر سبو سنة 1970 على إثر تلوث المياه.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، ط. 3، 1988؛ أمين المعلوف، معجم الحيوان، القاهرة، 1932.

D. Lloris & J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, Rome, FAO, 1998.

محمد رضاني

### الشابلي، الحاج عبد السلام التطواني، ولد هذا

الرحالة بمدينة تطوان حوالي عام 1773/1187. ونشأ بها وتعلم. ولما بلغ الرابعة عشرة من عمره، رافق والده التاجر في سفر طويل من فاس إلى تنبكتو حيث مكث ثلاث سنوات ثم انتقل إلى مدينة الهوسنة وأمضى بها كذلك ثلاث سنوات ثم عاد إلى تنبكتو وبقي فيها سبع سنوات آخر قبل أن يعود إلى المغرب، وقد بلغ من العمر سبعة وعشرين سنة وحقق أرباحاً طائلة بتجارته في السودان.

التحق الشابلي بمسقط رأسه تطوان، وخرج منها في قافلة متوجهة عن طريق مصر إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج

وسمياً كذلك في طلب الربح بواسطة التجارة، ففضى في الذهاب من تطوان إلى مكة والرجوع إلى فاس سنتين، أدى الفريضة وحقق بعض الأرباح في تجارته.

استقر الشابلي في تطوان مع والده وأصبح يتاجر مع جبل طارق في الأبقار والدجاج وغيره. وفي تلك الأثناء تعرف على القنصل الإنجليزي لوقا Lucas الذي كانت له علاقة طيبة مع عائلته. وفي أحد الأيام، ركب البحر قاصداً الميناء الألماني هَمْبُورج Hambourg لشراء الأقمشة، وفي طريق عودته اعترض القراصنة مركبه وسبق إلى الميناء البلجيكي أوستاند Ostende ومنه إلى الميناء الإنجليزي دُوفر Douvre، حيث تم إطلاق سراحه بفضل تدخل القنصل الإنجليزي لوقا الذي لم يكتف بذلك، بل قدم الشابلي إلى بُوَوا Beauvois، كاتب الجمعية الإفريقية، فأنس به وحكى له الشابلي ما شاهده طوال أكثر من ثلاث عشرة سنة بتبكتو والهوسنة فأعجب بُوَوا بالقصة ودونها باللغة الإنجليزية من إسماء الرحالة. وقد ترجمها بعد ذلك إلى الفرنسية الكاتب أ. جاكسن A. Jackson، صاحب كتاب وصف المغرب *Description du Maroc*، ونشرها في مجلة الحوليات الجديدة للأسفار.

ظلت هذه الرحلة مجهولة عند المغاربة. لم يتحدث عنها أحد. وقد قمت بترجمتها إلى العربية منذ أكثر من عشر سنوات لقيستها التاريخية، إذ يحدثنا الشابلي فيها عن التجارة التي كانت تُمارس في العبيد والذهب بالسودان وعن الصعوبات التي كانت تواجه القوافل في الصحراء، وعن الحياة الاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في تلك الديار أثناء الربع الأخير من القرن الثاني عشر (18م). يقدر تاريخ وفاة الشابلي في منتصف القرن الثالث عشر (19م).

Beauvois, *Nouvelles annales des voyages*.

محمد الشياطي

### شابو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت

هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Chavo؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1779/1193؛ غير أنه كانت بتطوان أسرة أخرى شريفة النسب تحمل نفس الاسم وإليها ينتمي الفقيه محمد بن محمد شابو الذي زاول خطة العدالة من سنة 1254 إلى 1280 (1838، 1864).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطوان، 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

### شاتلان (لويس) فرنسي متخصص في التاريخ القديم

والآثار. من مواليد 1883، حاصل على دبلوم المدرسة التطبيقية للدراسات العليا (E.P.H.E.) وأحد أعضاء المدرسة الفرنسية بروما.

كغيره من الأثريين الفرنسيين، فقد ساهم في وضع لبنات البحث الأثري في المغرب.

توفي حوالي سنة 1950.

ع. العزيز بركات، الأركيولوجية المغربية من خلال أعمال لويس

شاتلان، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، الرباط، 1988 - 1989.

E. Lenoir, V. Bronquier-Reddi, *Bibliographie du Maroc antique Africa Romana : Atti del XIII Convegno di Studio*, Djerba, Dicembre 1998.

عبد العزيز بل القابدة

**شاجعي، ميلود** مقاوم ولد بمدينة سيدي قاسم سنة

1931 انخرط في صفوف جيش التحرير منذ سنة 1955 وذلك بعد فراره من صفوف الجيش الفرنسي الذي كان يعمل به كجندي حيث سجن عدة مرات وذلك لرفضه المشاركة في الهجوم على مراكز جيش التحرير بأكنول وتازة وتاونات وحين وجوده بالسجن خطط للهروب مع مجموعة من المجاهدين حيث التحقوا بصفوف جيش التحرير بمركز باب الحيط الذي كان يرأسه مصطفى بن عثمان. وقد شارك في عدة هجومات منها معركة الخندق وفرحلة كما عمل تحت قيادة بلبلال الذي حل محل مصطفى بن عثمان. وقد ظل يكافح إلى أن أحرز المغرب على استقلاله.

توفي بتاريخ 14 يوليوز 1995.

المدوية السامية لقداما - المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 504472.

**الشادلي، إسماعيل** بن محمد الربيفي تولى تسيير

الحركة الجهادية بقبيلة قلعية ضد الإسبان ابتداء من سنة 1328 / 1910، بعد وفاة والده القائد محمد الشادلي آتي الترجمة، وذلك بتفسته شيخ قبيلة قلعية. ولد سنة 1297 / 1880 وهو أكبر إخوته، بقي وحيدا في الميدان بعد أن اشتهد اثنان منهم سنة 1908 خلال العمليات الحربية الدائرة بقلعية، أحدهما أخوه عبد العزيز، أما الثاني فلا تعرف اسمه والأخياء منهم كانوا سنة 1909 مازالوا صغاراً.

يظهر أن إسماعيل كان في بداية سنة 1910 مستقراً بأرض صيرة من قبيلة أولاد ستوت، على الضفة اليسرى من واد ملوية بعد نزول الإسبان برأس الماء بكبدانة واحتلالهم لأراضي قلعية سنة 1909. هذا ما ظهر من مراسلة وهران، 16 يونيو 1910، التي أعلنت مجيء عدد من أقربائه (عمر بن ميمون أخي المتوفى محمد الشادلي وحمو أحدو عم أو خال أبناء الشادلي) إلى حاكم بركان الفرنسي لطلب الدخول في حماية منطقة النفوذ الفرنسية.

وربما رغب الإسبان في استمباق الفرنسيين إلى احتضان الأسرة الشادلية. ففي الوقت الذي كان الشيخ إسماعيل الشادلي معسكراً خلال شهري غشت وشتمبر 1910 بصيرة مع 300 من الحميم القلعية المهاجرة بعثوا إليه قصد استملاكه إلى الخدمة لقاء راتب مهم. وكان مما أجاب به الشيخ إسماعيل: "إنه لا يمكن أن يتعامل مع أولئك الذين هدموا

يعتبر شاتلان مؤسس مصلحة التاريخ القديم والاركيولوجيا بالمغرب إذ كان أول مدير لها. وقد لعب دوراً بارزاً في تدوين العديد من المخلفات الأثرية المكتشفة بالمغرب خلال فترة الحماية.

عينه المارشال ليوطي سنة 1915 مسؤولاً عن الأبحاث الأثرية في وليلي وهكذا أشرف على تنظيم حفريات منظمة في وليلي وتاموسيدا وأخرى في بناسا.

وقد كللت أعماله باكتشاف نماذج فنية مثل الكلب البرونزي، ورأس الفتى الجميل بوليلي، والعديد من النقائش اللاتينية أهمها نقشية ماركوس فاليريوس سيفوس بالإضافة إلى بعض الأشكال الفسيفسائية. ومكنت حفرياته بشالة من التعرف على ساحتها العمومية وعلى بعض نقائشها فضلاً عن نقائش أخرى تم اكتشافها في مدينة طنجة.

وقد مكن هذا الكم الهائل من التحف الفنية من التفكير في بناء متحف لعرض هذه الآثار، وهو المتحف الذي سيحمل اسمه خلال عهد الحماية (متحف لويس شاتلان بالرباط) قبل أن يحمل اسم المتحف الأثري في عهد الاستقلال.

رجع شاتلان إلى فرنسا سنة 1941 حيث عين أستاذاً محاضراً بجامعة Rennes، وفي سنة 1942، قدم أطروحة بعنوان *مغرب الرومان* ولم ينقطع اتصاله بالمغرب إذ ظل على ارتباط دائم به إلى حين وفاته عن سن يناهز 67 سنة.

ترك شاتلان العديد من الأعمال والمنشورات التي تتعلق بالمجال الأثري المغربي - لا يسع المجال لذكرها - وسنكتفي بأعطاء فكرة عن طيماتنا، وقد صدرت في شكل مقالات في مجلات أثرية متخصصة أهمها: (CRAI) و(B.C.T.H) و(B.S.A.F) و(HESPERIS) و(PSAM).

ويبقى كتابه *مغرب الرومان* من أهم مؤلفاته وهو عبارة عن تعريف بأهم المدن والمراكز الرومانية بالمغرب حيث أخذت مدينة وليلي حيزاً كبيراً من هذه الدراسة، وهو نتيجة خمس وعشرين سنة من البحث والتقصي كما ساهم في نشر جامع *النقائش اللاتينية المغربية* (I.L.M.).

ومن خلال قراءة المواضيع التي تطرق لها، يتضح أنه أعطى اهتماماً كبيراً للمواقع الرومانية، مثل بناسا وتاموسيدا وسلا وطنجة، ووليلي وغيرها، كما أنه كان من الباحثين الذين اهتموا بمجال الأبيغرافيا حيث نشر العديد من النقائش. أما بالنسبة للمعالم الأثرية، فقد كان له دور في إبراز الفوروم بمدينة شالة، وقوس النصر بوليلي بالإضافة إلى قصر غورديانوس بنفس المدينة.

وعلى مستوى التحف الفنية وخاصة البرونزية منها، فقد كتب مقالات عن الحصان البرونزي وعن مجموعة أخرى من البرونز اكتشفت في مدينة بناسا. وتجدد الإشارة إلى أن شاتلان اهتم كذلك بمجال الفسيفساء حيث كتب مقالا خصصه لفسيفساء وليلي.

كتب لويس شاتلان ما يقرب من 140 مقالا، كلها تصب في حقل الآثار. وبالرغم مما يؤخذ عليه من نظرة كولونيالية

دار والده ولو أنهم وعدوا بإعادة بنائها". وزاد "إنه مستغني عن منحة الإسبان ومترفع عن هداياهم، وأنه سيعبر قريبا مجرى واد ملوية إلى الضفة اليمنى للعيش في نطاق النفوذ الفرنسي إذا لزم الأمر ذلك. وهذا القرار الأخير هو الذي لجأ إليه إسماعيل الشادلي على ما يبدو خلال عهد الحماية أو فترة منها، إذ أن بعض أفراد الأسرة كانوا في بداية الاستقلال ما يزالون بمدينة زاو، حسب شهادة تقييد الحاج حمو الشكري آتي الترجمة، كان منهم في يناير 1954 الأخوان علي الشادلي والحضر الشادلي.

ضابط الأمور الوطنية بالناطقة الخليفة، تطوان، 1952 : معلمة المغرب؛ الحاج حمو الشكري، تقييد 26 يناير 1954.

Affaires du Maroc, Documents des Affaires Étrangères de la République Française : G. Calvo, España en Marruecos; A. Riera, España en Marruecos; E. L. Alarcon, Melilla 1909; Documentos Presentados a las Cortes en la Legislatura de 1893.

### الشادلي، محمد الريفي أحد أعيان قبيلة مزوجة

القلعية وقوادها خلال العقد الأول من القرن العشرين. ولد حوالي سنة 1864/1281 ولا نعرف إلى حد الساعة شيئا عن أسلافه. ينتمي من حيث الموطن إلى فرقة بني أنصار المزوجية، ومدشر سيدي محمد المجاهد المشرف على مدينة مليلة المحتلة التي لا يبعد عنها سوى بخمس كيلومترات، وعن الحدود المختصبة إلا بنحو ثمانمائة متر. ومنزله هناك بارز ومشهور يماثل منظره القلعة المحصنة. ومن موقع مدشره وموضع منزله كان يراقب لحساب الروكي بوحمارة القسم الشمالي من سبخة بوغرك (البحر الصغير) وموقع تل تاليوين ومعر الفتق الشمالي من الجزيرة.

لا تشير الوثائق إلى ماضي محمد الشادلي قبل التحاقه بركب بوحمارة، وفي غالب الاعتقاد أنه كان من الأعيان التجار الأثرياء. ويمكن إبراز دورين في حياته، أولهما المدة التي قضاها مناصرا للروكي بوحمارة ما بين سنة 1903 وسنة 1908، وقد لعب أثناءها دوراً مزدوجاً بين الإسبان وبوحمارة، ثم المدة التي قضاها مجاهداً ضد الإسبان إلى وفاته سنة 1909.

ففي الوقت الذي كان فيه بوحمارة ما يزال يتأزأ كان محمد الشادلي، إلى جانب كل من حميدة بنشلال البويفروري والحاج عمر بوطيب السيدالي، من الأوائل الذين مهدوا له الطريق لامتداد نفوذه إلى قلعية، فأصبح من قواده معتدداً على خمس مزوجة وعلى مساعديه من مدشره ومن جماعة فرخانة المجاورة خاصة.

ومحمد الشادلي من الذين قادوا الحملة العسكرية الروكية التي حاصرت المخزن العزيزي بقصبة جنادة فرخانة في 20 محرم 18/1321 أبريل 1903 ومن المساهمين فيما تعرضت له من التخريب. وكانت حراسة ممر جزيرة سبخة بوغرك أو الناظور من مهامه، وذلك لاعتراض طريق القوات المخزنية المتسربة من كبدانة والحيلولة بينها وبين الوصول إلى قصبة

جنادة فرخانة عبر ذلك الممر، مثلما فعل عدة مرات في أكتوبر سنة 1905 ومارس 1906.

لعب محمد الشادلي دور الوسيط بين حاكم مليلة والروكي بوحمارة في مشروعهما بقلعية بخصوص التعاقد في شأن استغلال معدن جبل ن إيسان (إكسان) إلى أن تم بنجاح في يوليو 1907. وقد قدمت له الشركة المعدنية هدايا نقدية عدة مرات لتسهيل مد الخط الحديدي عبر أراضي مزوجة إلى جبل ن إيسان. (مراسلة بوحمارة إلى الشادلي بتاريخ 1908/1326).

وتبعاً لتلك الخدمات رقيه بوحمارة إلى مرتبة أمين مزوجة بعد 4 يوليو 1906، غير أنه سرعان ما قرر عزله يوم 13 يونيو 1908 وسجنه ثم أطلق سراحه يوم 18 من نفس الشهر والسنة. ويعود العزل إلى عدة أسباب تناقلتها المراجع الإسبانية. فقبل إن من جملة تلك الأسباب ما لوحظ عليه من عدم رضاه عن نزول الإسبان بفتق "الريستينكا" من جزيرة سبخة بوغرك ثم برأس الماء من كبدانة. كما كان محمد الشادلي قد غير رأيه في تمكين الإسبان من استغلال معدن الحديد بقلعية. وهذا كان في نظره تدخلا أجنبيا يستلزم المقاومة.

وهناك رأي مرتبط بسابقه وهو ظهور ميل محمد الشادلي إلى مياعة المولى عبد الحفيظ، إذ أن مناسبة بيعه قبيلة قلعية قت في أكتوبر 1908 بسوق خميس جزولة بني بويفروري بحضور الشريف محمد أمزيان لأول مرة بعد دخول السلطان إلى مدينة فاس في أول يونيو 1908 (المعلمة، 9)، إذ أن محمد الشادلي كان نتيجة لقرار قلعية قد بعث إلى فاس أربعة فرسان مع رسائل الاعتراض والبيعة، مكلفا بهذا الأمر ابنه عبد العزيز.

استقر محمد الشادلي بعد العزل بمليلة برهة، ما بين صيف 1908 وآخر خريف نفس السنة. كان في أغلب الاعتقاد خلال تلك المدة يرتب سراً مع الشريف محمد أمزيان وزعماء الريف الشرقي لطرد بوحمارة أولاً. وقال الإسبان إن أصداء قوله بلغت إلى قبيلتي تسمان وبني ورباغل مشيرة إلى ما صدر منه عن كشف حقيقة ما ادعاه من النسب العلوي، مضيفاً إلى ذلك ما قام به من بيع معدن جبل وكسان للإسبان وما ترتب عن ذلك من احتلال أراضي قلعية (415)، وسيساعده في كل ذلك مجله إسماعيل.

يعتبر طرد بوحمارة من قصبة سلوان آخر سنة 1908 بداية نجاح تنسيق محمد الشادلي مع الشريف محمد أمزيان ضد الإسبان، ويظهر ذلك بافتسام الرعامتين الحربية والروحبة بقلعية التي كانت من نصيب الثاني. وهذا هو الطريق الذي سلكه الشريف أيضاً أثناء ثورة بوحمارة، إذ أنه احتفظ بسر العداوة الدفينة للإسبان، ثم أظهرها بمجرد اختفاء الشار من قلعية. وإثر إعلان تضامن محمد الشادلي مع الشريف محمد أمزيان سارع الأول إلى نقل أفراد أسرته من منزله ببني أنصار إلى أعلى جبل أوكسان ومعها جميع أسلاكه من



رؤوس الأغنام، وقد رد الإسبان عن هذا الموقف الجديد أن هدمت المدفعية الإسبانية مسكنه ومسكن المجاورين له إلى أن استأصلت أسسه ولم تترك حجراً قائماً بالمكان.

وحسب الرواية الإسبانية في 2 يوليو 1909 وما أدلت به وثيقة مخزنية بتاريخ 2 ذي القعدة عام 1327 أن محمد الشادلي كان قد سار في خط مقاومة الشريف محمد أمزيان لتدبير توقيف توسع الجهاز الحربي الإسباني ببني أنصار. ورواية محمد ابن أحمد الشكري تحكي عن أول اجتماع شارك فيه الزعيم القلعي يزوية سيدي محمد أمزيان بأزغنغان لترتيب ما يوجه تنظيم الجهاد والمقاومة. وتظهر نتيجة قرار الاجتماع المذكور في الخطة الحربية المتفق عليها قبل يوم 9 يوليو 1909 لتخريب السكة الحديدية التي شق طريقها الإسبان من مرسى مليلة إلى المكان المعروف لديهم في بني أنصار بالمحطة الثانية (Segunda Caseta)، تمهيداً لمد الخط عبر أراضي مزوجة وبني بويرفور في اتجاه جبل ن إكسان لاستغلال منجم الحديد.

وتبعاً للأحداث تعرف من رواية الفقير محمد الشكري أن تطبيق تعليمات الاجتماع أدى إلى تكوين الخلية الجهادية الأولى في تاريخ مقاومة الشريف محمد أمزيان، مؤلفة من ستة وعشرين مجاهداً بمساهمة جميع أخماس قلعية، فكان منهم إلى جانب محمد الشادلي بصفته قائد مزوجة، السيد عبد القادر بن الحاج الطيب الشكري، شيخ قبيلة بني شكر ومحمد النصري، أحد شيوخ بني أنصار.

وتظهر استعدادات 20 يوليو 1909 أن محمد الشادلي كان زعيم حركة المقاومة، مسموع الكلمة في عموم الريف الشرقي، ولا ينتظر سوى اكتمال تعبئة جميع الريف ووصول رجالها إلى الميدان. المقاومة يقوم بها بني بفرور بني بوكافر ومزوجة وبني شكر وبني بويحيى ومطالسة وأولاد ستوت. ويشهد ما أسفرت عنه معركة 27 يوليو 1909 من الخسائر البشرية التي مني بها الجيش الإسباني بمكانة تاريخ المقاومة بالشمال الشرقي المغربي ضد توسعات حكام مليلة، وذلك بمقتل العديد من ضباطه، في ميدان خندق سيدي موسى من بني أنصار في مساء ذلك اليوم وعلى رأسهم الجنرال بينتوس.

استمر محمد الشادلي بعد معركة 27 يوليو الشهيرة في تأطير المقاومة، ففي منتصف غشت كان المجاهدون مسيطرين على الوضع ببني أنصار. ولكن الأهم هو الخبر الذي أعلن في 18 شتمبر 1909 عن توجهه سرا إلى فاس للقاء المولى عبد الحفيظ وتقديم الوضع الراهن بالميدان وإشعاره بخطورته والمتمثل في خطة الزحف الإسباني المدير على أراضي قلعية. وهذا هو ما تم بالفعل.

فحسب التقارير الصادرة بين 20 و28 شتمبر 1909 قصد الإسبان بني شكر بقوة 24.000 عسكري ووصلوا إلى تيفرغاتين على حدها الجنوبي الغربي ونزلوا بحرا بالقرب من زاوية الشرفاء القادريين بهورك على الساحل الشرقي،

وعميدها الحاج محمد القادري. رفيق الشادلي ثم قصدوا سوق أحد بني شكر، كما أنهم احتلوا جبل أكركور (سيدي أحمد الحاج) مروراً بأراضي مزوجة يوم 2 أكتوبر 1909.

ربما عاد محمد الشادلي من فاس على عجل ليقابل التوسع الإسباني بقلعة، لكنه لم يلبث أن عاد سريعاً برفقة الحاج محمد القادري لإتمام مهمته بفاس الحفيظية، إذ أننا نعرف أنه غادر قلعة قبل 22 أكتوبر، وكان بالعاصمة يوم 25 أكتوبر 1909. هذا ما علمناه من التصريح الذي انتزعه منه فنصل فرنسا بفاس يوم 25 أكتوبر 1909. ومن جواب محمد الشادلي نفهم أن أمه كان كبيراً لإيقاف الزحف الإسباني تجاه البادية، كما أن مجيئه إلى فاس كان من أجل الحصول على المعونة الحربية. وحسب مراسلة بركان الصادرة يوم 7 ديسمبر 1909: فإن الشادلي كان ما يزال بفاس في انتظام صدور ما كان ينتظره من مساعدة المولى عبد الحفيظ. غير أننا من جهة أخرى نشعر من خلال التصريح أن هناك جديداً مبعثه من خيبة أمل الحصول على المساعدة المذكورة. ويعبر عن هذا مطلبه من الفرنسيين الترخيص له لسكنى الضفة اليمنى من واد ملوية. والمفاجأة التي لم نجد لها صدى في الوثائق الإسبانية هي الإعلان عن وفاة محمد الشادلي بفاس، بناء على ما صرحت به مراسلتنا الإدارة الفرنسية ببركان يومي 16 أو 17 أبريل 1910 وما رددته مراسلة وهران يوم 16 يونيو 1910. وسرعان ما خلفه في الزعامة الجهادية ابنه البكر إسماعيل سابق الترجمة.

ح. الفكيكي، وثائق مديرية الوثائق الملكية؛ جنادة، جزولة معلمة المغرب؛ ضابط الأمور الوطنية باللطفة الخليفية، تطوان، 1952؛ حسو بن محمد الشكري، تقييد؛ وثائق خاصة في ملك محمد البنيحياتي.

*Documents des Affaires Étrangères de la République Française* : G. Calvo. *España en Marruecos* : A. Riera, *España en Marruecos* : E. L. Alarcon, *Melilla 1909* : *Documentos Presentados a las Cortes en la Legislatura de 1909*.

حسن الفكيكي

**الشادلي، أبو الحسن علي بن عبد الله الغماري،**

ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب (طائف المتن، 51)، راس الطائفة الشاذلية. ولد بقبيلة الأخماس ببلاد غمارة، فرقة بني زرويل، شمال المغرب سنة 1195/591. وفي بعض المصادر سنة 1197/593.

نشأ بقرينته وحفظ بها القرآن، ثم رحل إلى فاس فدرس على كبار علمائها من أمثال محمد بن علي ابن حرزهم. ولم يسلك طريق القوم حتى أخذ قسطاً وافراً من العلم الظاهر وكان يعدد للمناظرة في العلوم الظاهرة؛ ثم تزهد وتنسك، وخرج من بلاده باحثاً عن الشيخ المريني، وقاصداً حج بيت الله الحرام حوالي سنة 1223/620.

حل بشاذلة قرب مدينة تونس واستقر بها مدة، فنسب إليها، وكان خلال ذلك يلجأ إلى جبل زغوان للخلوة برفقة صاحبه أبي عبد الله بن سلامة الحبيبي من أهلها، وكان هدفه

من ذلك التفرغ للعبادة قصد معالجة علل نفسه وغيوبها والتغلب على هواه، والابتعاد عن كل أنواع الفتنة.

وكان يعيش على نبات الأرض وعشيبها أثناء ذلك مع صاحبه المذكور، وكانت سلطات شاذلة تتعقب خطاه وتحركاته لما له من تأثير في عامة الناس في شخص ابن البراء قاضي الجماعة. وقد خرج الشاذلي بسبب ذلك إلى تونس حيث لقي عدداً من الأصحاب والأتباع، ومكث مدة ثم توجه إلى الإسكندرية على نية الحج والبحث عن الشيخ، إلا أنه لم يجد بها ما كان ينتظره من اهتمام بسبب وشاية ابن البراء التي سبقته إلى الديار المصرية. فترك الإسكندرية إلى القاهرة حيث لقي استقبالا أفضل، واعتذر له السلطان بنفسه عما بدر منه، وبقي بها زمناً ثم تابع طريقه إلى الديار المقدسة حيث أدى فريضة الحج، ومن الحج دخل بغداد، واجتمع بالصفوية بسألهم عن القطب فقال له أحدهم - ولعله أبو الفتح الواسطي - أنت تبحث عن القطب في العراق وقد تركته في بلادك، يقصد الشيخ عبد السلام ابن مشيش (درة الأسرار، 123).

عاد الشاذلي إلى بلاده للالتقاء بالشيخ ابن مشيش دفين جبل العلم سنة 1225/622، وكان متمسكا بالكتاب والسنة عاملا بهما، فلازمه مدة إلى أن فتح الله عليه. ثم عاد إلى تونس واستقر بها مدة قبل التوجه من جديد إلى الديار المصرية لتربية المريدين اعتماداً على رؤية رأها في منامه تحسه على ذلك. فنزل بالإسكندرية في برج من أبراج السور حبسه عليه سلطان مصر. ومعه عدد كبير من الفقراء يعبدون الله ويذكرونه.

وهناك تزوج ورزق أولاداً ذكرت بعض المصادر أسماءهم وهم: شهاب الدين أحمد، وأبو عبد الله محمد شرف الدين، وزينب وعريفة الخير (درة الأسرار).

وكانت حياته بمصر هادئة، تفرغ فيها للتربية والتوجيه والعبادة، والتف حول المريدين وروي عنه قوله عن حياته بمصر (ذهبت أيام المحن، وأقبلت أيام المنن) (درة الأسرار). وفي سنة 1258/656 عزم على السفر لأداء الحج من جديد. فوافته منيته بصحراء عيذاب، بين قنا والقصير. وعند احتضاره جمع أصحابه وزودهم بوصاياهم ومن أهمها: مداومة تلاوة حزب البحر، بعدما استخلف عليهم تلميذه أبا العباس المرسي، (درة الأسرار).

كان أبو الحسن آدم اللون، نحيف الجسم، طويل القامة، خفيف العارضين، طويل أصابع اليدين، ... فصيح اللسان، عذب الكلام، غير متمزمت في المأكل والمشرب، يحب الخيل ويقتنيها ويركبها ويرتدي الشباب الحسنة، وكان يقول: لا تسرف بترك الدنيا فتغشاك ظلمتها، أو تتحلل أعضاؤك لها، فترجع لمعانقتها بعد الخروج منها، (لطائف المنن، 129). وكان يكره من المرید البطالة وسؤال الناس.

وقد قيلت فيه أقوال كثيرة تصف حاله، وعلمه، وطرق معاملته لمريديه، ومن أهمها قول تقي الدين بن القشيري

عنه: (ما رأيت أعرف بالله من الشيخ الشاذلي) (لطائف المنن، 51). وقول ابن عطاء الله الاسكندري (لم يختلف في قطبانيته ذو قلب مستنير، ولا عارف بصير).

وبعد الشاذلي مجدداً للطريقة الصوفية في القرن السابع الهجري، والناشر لها والداعي إليها، في عصر شهد أقطاب التصوف على اختلاف اتجاهاتهم: كابن عربي، وابن سبعين، وأبي مدين الغوث، وأبي يعزى، وأبي الحسن الششتري، وغيرهم.

ترتكز الطريقة الشاذلية على العمل بالكتاب والسنة ومحاولة التوفيق بين الشريعة والتصوف، وكل ما عارضها تركه ولم يعتبره، وإباحة الاستفادة من الخيرات في الطيبات من مأكّل ومشرب ومركب، فقد كان الشاذلي يقول عن طريقته: ليس هذا الطريق بالرهبانية، ولا بأكل الشعير والنخالة ولا بتيقن الصناعة، وإنما هو بالصبر على الأوامر، واليقين في الهداية، والتيسير والتبسيط ونيل الرموز الفلسفية الغامضة، والشطحات الصوفية المشينة، والدعوة إلى الجهاد في سبيل الله ومحاربة الغزاة الأجانب المحتلين لبلاد الإسلام. أعطى المثال من نفسه عندما شارك في موقعة المنصورة بالرغم من تقدمه في السن.

وللشيخ الشاذلي مؤلفات وأحزاب وأدعية وردت في كتب التصوف كلطائف المنن، ودرة الأسرار وغيرها، منها: نزهة القلوب وبغية المطلوب؛ والسر الجليل في خواص حسنا الله ونعم الوكيل؛ وحزب رواد عنه ابن عطاء الله ولم يضع له عنواناً، أوله: الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم؛ وحزب الفتح أو حزب الأنوار؛ وحزب البحر؛ وحزب اللطيف؛ والحزب الكبير.

وسند الشاذلي في التصوف متعدد الطرق، أشهرها المتصلة بالشيخ أبي مدين الغوث دفين العباد، عن علي ابن حرزهم عن القاضي ابن العربي دفيني فاس مسلسل إلى أبي القاسم الجنيد ثم إلى الحسن البصري عن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ.

وقد انتشرت الشاذلية في العالم الإسلامي كله من جنوب شرق آسيا إلى غرب إفريقيا وتركيا وغيرها من بلاد الإسلام.

توفي أبو الحسن الشاذلي بصحراء عيذاب بمصر في صفر عام 656/ فبراير 1259.

ابن عطاء الله الاسكندري، لطائف المنن، بيروت، 1998؛ أ. ابن قنفذ، أسس التقيير، نج. م. الفاسي وأ. قنور، الرباط، 1963؛ ج. ابن العباس السوسي، المواهب القدسية في أسانيد المشايخ الصوفية، مخطوط؛ عمر ابن الملقن، طبقات الأولياء، نج. مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، 1998؛ ع. التليدي، المطرب في مشاهير أولياء المغرب، ط. 2، 1987؛ ع. الحليم محمود، المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي، القاهرة، أبو الحسن الشاذلي الصوفي، القاهرة، 1967.

حسن جلاب

**شاراتات، محمد الخلفي** في موضع إدِّ بَادِنِيا، من شهداء معركة تيزي سنة 1917، يعد من رجال الحرب ومن أعيان القبيلة ومن الذين يخططون كيفية إجراء المعركة إلى جانب الداهية عيسى بن عثمان الخلفي.

كان المترجم شجاعاً ومحارباً ورامياً بشكل دقيق، ويعد من القلائل الذين يملكون البندقيات المتطورة، مثل - تانبييت TAMNABHIT والرابعة. وكان شاراتات هذا هو الوحيد في تلك الجهة الذي يستعمل السيف في المعركة.

ولشجاعته كان يعلن في - أجموع - قبل المعركة: من يشتري مني البندقية من نوع كذا التي سأخذها غنيمة من العدو، وكان يتوغل في الصحراء المغربية غازيا الجيوش الفرنسية في جهة تيندوف، كما كان يتصل ببرابرة الأطلس المتوسط الذين غنموا من فرنسا البندقيات المتطورة وينقلها إلى أيت باعمران.

كان هذا الرجل يلازم المجاهد القائد محمد بن علي الخلفي حتى استشهدا معا في معركة - تيزي - ضد حملة الجنرال - دو لاموط - سنة 1917 إلى جانب 600 شهيد (ستمائة شهيد) وبتلك المعركة، انتقلت سلطة الحماية من أيت باعمران لحملة الباشا - حيدا - في معركة - إيگالفن في نفس السنة.

فإذا كان شاراتات وأمثاله الشعبيون الشجعان، لم يحظوا بمداد أقلام الفقهاء فإن ما تسجله الثقافة الشعبية، يكون أبلغ أحيانا من الرسميات ومن ذلك قول الناظمات المتداول حتى الآن: شعر:

- أجيگ وزاغار - لبركت - نة مية أتوفيت - بسد - لقاید  
- محند أكسون يساكان آيسس - نساد - شاراتات - د - أيت - ربي غ و غاراس.

ترجمة معنى ذلك:

- أي نور وأي نور وأي نور نلتها يازهور - أزاغار -  
- فهل بفضل مرور فرس القائد محمد وشاراتات وأهل الله معهما في الطريق ؟

بحث ميداني، الروايات الشعبية، جانب من تاريخ أيت باعمران  
الحسين جهادي الباعمراني

**الشارف:** أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Xerafi و Xarafi؛ وقد هاجرت هذه الأسرة أول مرة إلى قبيلة بني يدر ومنها انتقلت إلى تطوان. منهم أحمد بن محمد الشارف، زاول خطة العدالة سنة 1055 (1645).

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900). تطوان، 1999، والمراجع العربية والأجنبية الرقم 1412.

محمد ابن عزوز حكيم

**الشاري، علي بن محمد السبتي**، اشتهر بكنيته أبي الحسن، واختلف الكتاب في إيراد نسبه. يقدم ابن رشيد السبتي نسبه على هذا النحو: علي بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى الغافقي (إفادة، 105). أما ابن عبد الملك المراكشي فيورد نسبه على الشكل التالي: علي بن محمد بن علي بن يحيى ابن عبد الله [بن يحيى ابن يحيى الغافقي]. ويرفع نسبه اعتماداً على أحد النباه، من أهل بيته وهو أبو مروان عبد الملك بن محمد، إلى أمير الأندلس عبد الرحمان بن عبد الله بن مخش بن زيد بن جبلة بن [ظهري بن] العائد بن غافق بن الشاهد بن علقمة بن عك بن عدنان (الذيل، 196). يكنى أبا الحسن ويعرف بالشاري. أصله من شارة فليين بجوفي مرسية. انتقل أبوه منها أيام فتنة 1167/562. واستقر بسبته وبها ولد يوم الخميس من شهر رمضان عام 1176/571 وبها نشأ وتعلم علوم عصره (إفادة، 105؛ جنوة، 486).

أخذ أبو الحسن الشاري عن شيوخ بلده أولهم أبو محمد ابن علي بن محمد الغافقي الشاري الذي علمه القرآن. كما كان يرشده في اقتناء الكتب وينهاه عن كتب الجاحظ (التكملة، 2: 687). وأخذ القراءات السبع عن أبي بكر الهوزني الإشبيلي. وسمع الموطأ والكتب الخمسة والمسند الكبير لأبي بكر البزار وسيرة ابن هشام وغيرها من كتب الحديث والفقه. وتلا بالسبع في ختمة واحدة وهو ما يزال يافعا على يد الفقيه عبد الله بن حجر بن محمد بن علي الحجري المعروف بأبي محمد بن عبيد الله (إفادة التصح، 106). ومن مشايخه أيضاً أبو الصبر أيوب بن عبد الله بن أحمد الفهري الذي سمع عليه من أول كتاب البخاري إلى كتاب المغازي، ومحمد بن حسن بن عطية الشهير بأبي عبد الله بن غازي السبتي. ثم رحل إلى فاس حيث تتلمذ في علم الكلام وأصول الفقه عن الإمام الأصولي أبي عبد الله محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي المشهور بابن الكتاني. ولقي بفاس أبا الحاج ابن نموي وسمع منه. كما أخذ عن أبي القاسم عبد الرحيم ابن الملجوم، وأبي محمد عبيد الله بن محمد بن عيسى التادلي. كما لقي بفاس علي ابن محمد بن علي بن محمد الحضرمي الإشبيلي النحوي المكنى بأبي الحسن والمعروف بابن خروف، فحضر مجالسه العلمية وأخذ عنه كتب العربية. كما التقى بالرحالة الزاهد أبي الحسن أحمد بن جبير الأندلسي وسمع منه بعض أشعاره. كما أخذ عن أبي القاسم ابن جيش، وأبي زيد السهلي، وأبي عبد الله ابن الفخار المالقي وغيرهم كثير. وأجاز له معظمهم (إفادة، 108؛ الذيل، 186؛ الإحاطة، 4: 1189؛ جنوة، 486).

عندما استكمل تكوينه عاد إلى مسقط رأسه سبته حيث بدأت مرحلة العطاء من حياته العلمية الحافلة. "وأحبا بها العلم حيا وميتا" كما يقول ابن رشيد الفهري بحيث شيد المدرسة والمكتبة المنسوتين إليه، وقد بنى المدرسة بقرب باب

القصير أحد أبواب سبته، وأوقفها للطلبة من أهل العلم، وحبس عليها خبار أملاكه وأفضل رباعه متتبعا في ذلك طريقة أهل المشرق. وهي المدرسة التي أكثر علماء عصره حولها وحول صاحبها القول نظما ونشراً تخليداً لهذه المنقبة النبيلة التي تنبأ لها وسبق إلى التفرد بها بين أهله وفي بلده، من بينها القصيدتان اللتان كانتا من نظم كل من القاضي الأديب أبي القاسم بن عمران وأبي الحسن بن إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الأغماني مهيتين بها شاكرين صاحبها عليها (الذيل، 197 - 199). وقد عرف عن أبي الحسن عنايته بجمع الكتب وباقتناء الأعلاق الثمان، ونافس في ذلك وبذل الأموال الطائلة لاقتنائها وربما ارتحل من أجل ذلك. وحبس منها جملة بالمكتبة المذكورة (الإحاطة، 4 : 188؛ إفادة، 105 : اختصار، 29).

جلس أبو الحسن للإقراء والتحديث ب مدرسته وبجامع سبته الأعظم وغيرهما، فكانت له مشاركة في القراءات ومعرفة بطرق التحديث والتاريخ. كان جيد التقييد حسن التعريف بالأشياخ والمصنفين. وما يؤثر عنه أنه كان كامل المروءة والعدالة، سنيا، مبغضا لأهل البدع. وما يذكر عن نزاهته أنه لم يباشر قط ديناراً ولا درهما، إنما كان يتصرف له في ذلك وكلاؤه والقائمون بأعماله (الإحاطة، 4 : 188؛ الذيل، 201). فكان معظماً لدى الخاصة والعامة من أهل بلده. وقد تتلمذ على يديه جملة من العلماء من بينهم أبي الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الإشبيلي الذي قرأ عليه بالجامع الأعظم من سبته صحيح البخاري وكتاب الاماع في تصحيح الرواية والسماع لعباض، وأبو فارس عبد العزيز بن إبراهيم ابن عبد العزيز بن أحمد بن نبيه الذي أخذ عنه جميع الجامع الصحيح بقراءة الرعيني (إفادة، 109).

ظل أبو الحسن الشاري بسبته إلى أن غرب مجبراً عن وطنه إلى ألمرية وذلك قبل أن يتم مشروعته الذي بدأه من أجل الزيادة في المدرسة التي ابتناها. وقد حدث ذلك في منتصف سنة 1244/641. وقد يخطئ ابن الخطيب عندما ينسب محنة تغريب أبي الحسن الشاري إلى اليانشتي الذي انتهت فترة حكمه لسبته سنة 1238/635 : إذ الصحيح أن الظرفية تناسب فترة حكم ابن خلاص المستقل بحكم سبته (1238 . 37/635 . 1248 . 47/646). وبالضبط فترة إعلان هذا الأخير التبعية لأبي زكرياء الحفصي. يقول ابن الزبير "فعاق عن كمال غرضه في ذلك قواطع الفتى الموجهة لإخراجه عن بلده وتغريبه" (صلة، 153). قد يكون لابن خلاص يد في هذا الإزعاج الذي امتحن به أبو الحسن الشاري، وربما عكس الحدث موقفاً معيناً لأبي الحسن مخالفاً لسياسة ابن خلاص الذي خرج عن طاعة الدولة الموحدية الأم، وارتقى في أحضان حكام إفريقية. لا تفسد المصادر المترجمة له أي شيء حول الموضوع سوى أنه قضى بقية حياته في الأندلس. نزل أول الأمر في ألمرية حيث استقبله أميرها ووزرائها وأعيانها وأهل العلم منها بما يليق بعالم مثله من كرم الحفاوة وجزيل العطاء.

وقد مكث بألمرية أعواماً. لكن عندما اختلت أحوال المدينة خاصة وشرق الأندلس عامة غادرها فراراً من الفتنة (الذيل، 201). وقد قضى بقية حياته متنقلاً بين كبريات حواضر الأندلس: غرناطة وألمرية ومالقة. يقوم بتدريس معارفه أينما حل. وقد حاول العودة إلى بلده سبته لكنه لم يفلح. وفي آخر عمره استقر به المقام في مالقة مع نهاية محرم أو أوائل صفر من سنة 1250/648. ومكث بها إلى أن أدركته المنية ضحوة يوم الخميس 29 من رمضان سنة 1251/649. وكان من بين أهل مالقة وغيرهم ممن أخذوا عنه أبو جعفر بن الزبير المترجم له والمحدث أبو عبد الله الطنجالي وأبو بكر القرطبي المدعو بحميد وأبو العباس بن علي الماردي وأبو القاسم عبد الكريم بن عمران. كما حدث بالإجازة عنه أبو عبد الله بن الأبار (الإحاطة، 4 : 189؛ الذيل، 197 : صلة، 152). ثم يخلف أبو الحسن أي تأليف على ما يبدو سوى ما ذكره الرعيني من أن له استدراقات نبيهة على كتاب الصلة لابن بشكوال أطلعه على بعضها. كما أطلعه على بعض أسانيده في الجامع الصحيح للبخاري (برنامج الرعيني، 75).

ابن الأبار. التكملة لكتاب الصلة، تج. عزت العطار، 1955، القسم الثاني؛ ابن رشيد السبتي، إفادة الصحيح في التعريف بسند الجامع الصحيح، تج. م. الحبيب ابن الحوافة، الدار التونسية للنشر، ص 105، 112 : علي الرعيني، برنامج شيخ الرعيني، تج. إبراهيم شيوخ، دمشق، 1962/1381، ص 74، 75 : أ. ابن الزبير، صلة الصلة، ط. بروكسسال، الرباط، ص. 149، 153 : الأنصاري، اختصار الأخبار عما كان يتغير سبته من سني الأبار، الرباط، 1403/1983، ص. 29 : ابن الخطيب، الإحاطة، تج. م. عبد الله عنان، القاهرة، 1975/1395، ج. 4، ص. 187، 190 : م. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، تج. محمد بن شريف، 1984، القسم الأول : أ. ابن القاضي، جذوة الانقياس، الرباط، 1974. زليخة بنرمضان

**شَارِيَّة** ويكتب أيضاً شَرِيَّة أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Sarria وهو نفس الاسم الذي تحمله حالياً بعض الأسر الإسبانية نسبة إلى مدينة Sarria الإسبانية.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطوان، 1999، والمراجع العربية والأجنبية ذكرها في الرقم 1413.

محمد ابن عزوز حكم

**شاسبو،** نوع من البنادق الأوربية كمارتيني - هنري (Martini Henry)، وكومبلان (Comblain)، وگرا (Gras)، ووينشستر (Winchester) ... وكان أول عاهل مغربي قد استخدم بندقية شاسبو في جيوشه هو السلطان محمد بن عبد الرحمن (1276 - 1290/1859 - 1873).

وقد أعطي لها هذا الاسم تكريماً لصانع ماهر في السلاح

Y. Cadiou, *La Winchester 1895*, la *Gazette des Armes*, n° 24, 1975 ; J. Florentin, *Histoire du Fusil*, Paris, 1975 ; P. Lorain, *Petite Histoire du Projectile*, *Gazette des Armes*, n° 24, 1975 ; D. Venner, *Les Armes à feu françaises*. Ed. Grancher, Paris 1979.  
مصطفى الشابي

**الشاشية أو غطاء الرأس.** لم يكن هندام الشخص في المغرب يكتمل إلا بوضع الشاشية على الرأس وتعتبر الجزء الرئيسي في اللباس كله، وهذا تقليد متوارث في المغرب من عدة قرون ولم يكن بوسع أحد أن يخزفه. وكانت أغطية الرؤوس المتداولة في المغرب قبل انتشار اللباس العصري وما ارتبط به من كشف للرأس وحلق للشعر وكشط للحي تتألف من أربعة أصناف هي العمائم والطرايش والطاقيات ثم الشاشيات. وما تجدر الإشارة إليه أن الشاشيات التي تختلف وظيفتها وجودتها باختلاف الإمكانيات المادية والمواقع الاجتماعية تنتمي إلى أصل فارسي. فالشاشية مذكرها شاشي وهما في الأصل سكان مدينة شاش "الموجودة فيما وراء النهر من بلاد فارس" (المسعودي، مروج الذهب، الجزء الرابع، ص. 319). هذه المدينة التي توارث أهلها التخصص في نسج الصوف وحياسة الزرابي وتفننوا في تلييد الصوف لصناعة السجاجيد وأغطية الرؤوس ومنها انتقلت إلى العراق وبلاد الشام وتركيا ثم إلى باقي بلدان شمال إفريقيا بانتشار الحضارة الإسلامية وازدهار صناعاتها. وكانت أول مدينة انتشرت فيها صناعة الشاشيات المغربية هي مدينة فاس فتراكمت لدى صناعها الخبرة الكافية واجتمع فيها ما لا يحصى عدده من اللبادين والشواشين ومنها انتقلت هذه الصناعة إلى مكناس والرباط ومراكش. لكن صناعة الشاشيات بدأت تتلاشى في البلاد ابتداء من 1898 منذ أن بدأت المصانع الفرنسية والنمساوية تحاكي صناعة هذا النوع من الطرايش الأهلية وتنتجها في المعامل الأوروبية وتوزعها في سائر أرجاء العالم الإسلامي بأسعار منخفضة وبجودة صنع كبيرة.

تنقسم الشاشيات المستعملة في المغرب إلى ثلاثة أنواع هي:

1. الشاشية المخزنية: وهي عبارة عن غطاء رأس مقعر من صوف ملبد مخروطي المنظر لونه أحمر يشبه إلى حد كبير شكل ولون فلفل حمر، مجوفة من الوسط، وتكون في أعلى قمته هدب سوداء متدلّية تسمى "الشوشة" أو ينتهي بقطعة صوف ملبدة سوداء ناتئة في حجم قلم الرصاص تدعى "البلوطة". وقد كان هذا النوع من غطاء الرأس خاصا بالمستخدمين في القصور السلطانية والمرتبطين بالوظائف المخزنية من مشاورة وفرسان ومخازنية ومسخرين وأصحاب حنط داخلية (عبد الرحمان بن زيدان، *العز والوصول*، الجزء الأول، ص. 144). كان هؤلاء وغيرهم ممن يعمل في وظيفة مخزنية يضع الشاشية وجوبا على رأسه وحدها دون غيرها

الناري الخفيف في وقته يُدعى أنطوان - ألفرنس شاسبو (Antoine Alphonse Chassepot) (1833 . 1905).

بدأ تعلّمه في هذه المهنة على يد والده الذي كان يشتغل مُراقبا لصنع السلاح بمعمل بمدينة موتزيگ (Mulzig) الواقعة في حوض نهر الرين الأسفل (Bas-Rhin) بمقاطعة الألزاس (Alsace) بفرنسا، وهو المنصب الذي أسند إليه، بعد أن أتمّ تكوينه، واتضح موهبته وقدرته على الإبداع والابتكار.



وبالفعل، ما إن بلغ سن الأربع والعشرين سنة من عمره، حتى قدم مشروعاً منظوراً للبندقية التي تشحن من الخلف (Culasse)، وذات إبرة ومكبس، وهي من اختراع خبيرين ماهرين في الأسلحة النارية، وهما صامويل بولي (Samuel Pauly) السويسري الأصل، وتلميذه ومساعدته يوحنا نيكولوس فان دريز (Johann Nickolaus Dreyse) ومن خصوصيات هذه البندقية التي أجريت عليها تجارب تقنية سنتي 1858 و1862، أنها تشحن بالبارود من الخلف، وزنادها منعزل عن باقي أجزائها الأخرى، يسدّ بواسطة قطعة من المطاط دائرية الشكل، كما أن خلفها طويل الشكل وإزلاج مغلاقه دائري هو الآخر.

وبعد ذلك، عكف صاحبنا على تطوير وتحسين أداء بندقيته، وبالخصوص فيما يتعلق بقدراتها الباليستية، فأنتمت جهوده بندقية سنة 1866 التي زوّدت بقذيفة جديدة، فاقت مشيلاتها جودة وإتقاناً. فبفضل هذا الإنجاز، اكتسب شهرة واسعة. في أوساط صناعة الأسلحة في فرنسا وخارجها، إذ وُفق كل التوفيق في تقدير وضبط التناسب الأمثل ما بين شحنة البارود الأسود، ووزن وكثافة وعبء القذيفة (Projectile) من جهة، ووزن البندقية الإجمالي من جهة أخرى.

وهكذا، إذا كانت سرعة القذيفة عند خروجها من جعبة البندقية تبلغ 480 متراً في الثانية، فإن وزنها يجب أن يُساوي 25 غراماً، كما يخفّض عيارها إلى 11 ميليمتراً، الأمر الذي يمثل في حدّ ذاته إنجازاً عظيماً، إذا ما قيس بما كان معمولاً به وقتئذٍ في هذا المجال.

أضف إلى هذا أنّ التسميات دورة (Rotation) التي تنجزها في الثانية، كانت تكسبها قوة قاتلة فظيمة.

باستثناء قائد المشور وقواد الفرسان وقواد المسخرين وقواد المخازنية الذين كانوا يلفون حولها عمامة بيضاء.

الشاشية التونسية: وتدعى أيضاً الطربوش التونسي وطربوش الشوشة وطربوش الطاسة، وسميت كذلك لأن أحسنها وأجودها كان ومازال يُصنَعُ في تونس وكان شكلها يشبه شكل الوعاء النحاسي الذي كان السقاء يمنح فيه الناس الماء ليشرّبوا ويدعى عند المغاربة بالطاسة، وتنتهي في أعلاها بهدبة من صوف ملبّد أسود أو في الغالب الساند بخيوط مجدولة سوداء تتدلى على جانبيها أو في مؤخرتها تسمى الشوشة. وكان استعمال هذا الغطاء في مغرب القرن (19 م) مقتصرأ على الجنود حيث كان يوضع على الرأس تحيط به عمامة بيضاء ثم انتقل في مرحلة لاحقة إلى صفوف المدنيين، وفي عهد الحماية الفرنسية ساد تداوله لدى عامة الناس من الفئات الوسطى من الحرفيين والتجار والبحارة وسائر الناس.

شاشية اليهود: كان اليهود المغاربة يتميرون عن المسلمين بلباسهم الأسود بما في ذلك غطاء الرأس. وكانت الشاشية اليهودية تشبه إلى حد كبير الشاشية التونسية فيما عدا اللون فإنه كان أسود. وكان الذكور من اليهود يضعونها في أعلى قمة الرأس فوق شعر كثيف وغير مخلوق ولحية كثة سوداء. إلا أن الفصائل الشابة منهم تخلت عن هذه الشاشية منذ مطلع القرن 20 وعوضتها بالبرنيطة كما عوضت البيلكة والجوخة والهندام الأسود التقليدي بالبذلة الأوربية.

ص. العبيدي، اللباس العربية الإسلامية، بغداد، 1980؛ م. بن أحمد شماعو، المجمع المغربي كما عرفته خلال خمسين سنة، الرباط، 1980؛ م. عناني، الشاشية التونسية، مجلة الأمل الثقافي، دون عدد ولا مكان الطبع، أكتوبر، 1970؛ م. فهد يدي، العاصمة، مطبعة الحكومة، دون مكان، 1968؛ ع. الحميد العلوي، تاريخ وجدة وأنكاد في دوحه الأمجاد، الجزء الأول، الدار البيضاء، 1958؛ محمد السليمان، اللسان المغرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب، الرباط، 1971؛ م. رضا شرف الدين، لباس الرأس في

المغرب، د. ت. و. د. م.

M. Heim, *A travers le vieux Maghreb*, Paris 1926; J. BALDOUI, *L'artisanat marocain à la croisée des chemins*, Alger, [s.d.]; L. Golvin, *Aspects de l'artisanat en Afrique du Nord*, Paris, 1975; P. Ghiho, *La nationalité marocaine*, Paris, 1961; J. Goulven, *Les melhahs de Rabat-Salé*, Paris, 1927; J. Mathias, *L'artisanat marocain*, B.E.S.M., n° 96 et 97, 1963; M. Eisenbeth, *Les juifs au Maroc*, Alger, 1948; H. Basset, *Les rites du travail de la laine à Rabat*, Hesp., tome 2, 1er et 2e tri. 1922; M. Bencheneb, *Origine du mot Chéchia*, R.A., n° 51, 1907.

محمد بوسلام

**الشاط، أسرة عربية أنصارية أندلسية كان موطنها في**

القرن الخامس الهجري بجهة مرسى الشاط على ساحل مالقة وبه سميت. وقد ذكر محمد الأنصاري السبتي أن معنى اللفظ هو الطويل. وقد انتقلت الأسرة إلى شمال المغرب في فترة تالية. وما تزال أسرة الشاط إلى يومنا هذا بالمنطقة،

بواد راس، وقد تعرفنا منها على عدة أفراد، منهم: الشاط شيخ أنجرة أثناء غزوات المجاهد محمد العياشي. كان من الداخلين في الحركة الجهادية العياشية ضد سبته ووطنه. فحينما كان سليمان بن يوسف أخديم وأحمد أبو علي وآل المفضل، من مجاهدي جبل حبيب يستعدون للغزوة انضاف إليهم أهل أنجرة ووادراس بزعامة الشيخ الشاط، ومن جبل حبيب نظم الجميع الغزوة الأولى في نفس الشهر على سبته بنحو 1000 من الفرسان و6000 من المشاة الهبطين. والشاط سيدي لا يعرف اسمه كذلك، وهو من موريسكيي إشبيلية التجار، هاجر من إشبيلية من مرسى سانت ماريا بقادس واستقر بتيطاوين. لا ندري متى عبر ولا الظروف التي مر بها، لكن من المعتقد أن ذلك تمّ خلال السنوات الأولى من القرن الحادي عشر الهجري. ففي سنة 1606/1004 كان بتطوان مشتغلاً بالتجارة مثلما كان بإشبيلية، وبعد سنتين كان بجوار القائد أحمد النقسيس. والأسرة معروفة بأنجرة الداخلية منذ ما قبل القرن الحادي عشر الهجري (17 م).

**الشاط، علي مجاهد حظي باهتمام زوارا خلال غزوة**

أبي زكريا، يحيى الرطاسي، وقد استعنا لرد الاسم إلى أصله المغربي بناه علي ما علمناه عنه من وصفه بضخامة الجثة وطول القامة، اعتماداً على ما أفادنا به محمد الأنصاري في معنى لفظ الشاط. ربما كان أصله من قبيلة وأدراس، عبلاً بما علمناه بعد ذلك من ظهور أفراد الأسرة بالقبيلة الوردانية.

م. الأنصاري، اختصار الأخبار؛ أبو عبيد الله البكري، المغرب في أخبار المغرب؛ ع. الحلي الكشاني، فهرس الفهارس؛ ح. الفكيكي، الموريسكيون بمنطقة مضيق جبل طارق، الثالث الأول من القرن 11 هـ/17 م) الأكاديمية، عدد، 15.

G. lanes de Azurara, C. de D Pedro, *Archivo General de Simancas*, Estado, Legajo 2639; F. de Meneses, *Historia de Tanger*, حسن الفكيكي

**ابن الشاط، قاسم بن عبد الله بن محمد الأنصاري،**

يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن الشاط نسبة إلى جده الذي يقال عنه إنه كان طوالاً، فجرى عليه هذا الاسم. ولد بمدينة سبته عام 643 / 1246، وبها نشأ وتلمذ على علماء عصره متأثراً بالمنهج الفكري الذي كان يطبع عصره. فغرف من العلوم الدينية والعربية والعقليات. قرأ على الأستاذ أبي علي الحسين بن أبي الربيع، وعلي المحافظ أبي يعقوب المعاسبي. أجازه أبو القاسم بن البراء، وأبو محمد بن أبي الدنيا، وأبو العباس بن الغماز، وأبو جعفر الطباع، وأبو بكر ابن فارس، وغيسره (درة، 3: 271؛ الديباج، 226؛ برنامج، 170). جلس للإفراء بسبته واعتبر إمام الأصول والفرائض والحساب. كما عد نسيج وحده في أصالة النظر، ونفوذ الفكر، وجودة القريحة، وتسديد الفهم إلى حسن الشائل، وعلو الهمة، والعكوف على العلم والاقتصار على

الأدب السنية، والتحلي بالوقار والسكينة. وكان مجلسه حافلاً بالطلبة والنبل، من العامة (الديباج، 226). أخذ عنه جملة من أجلة العلماء مغاربة وأندلسيين من بينهم محمد ابن أحمد بن علي بن موسى الحسيني (الإحاطة، 2: 184)، ومحمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري (الإحاطة، 3: 135)، ومحمد بن علي هاني اللخمي السبتي (الإحاطة، 3: 134). كما أخذ عنه أبي زكريا بن هذيل، وأبي الحسن بن الحباب، والقاضي أبي بكر بن شبرين، وغيرهم. التقى به ابن الزبير الأصغر بسبته عام 1287/686 (درة، 3: 270). من تأليفه أنوار البروق في تعقب مسائل القواعد والفروق، و غنية الرائن في علم الفرائض، و "تحرير الجواب في توفير الثواب"، و"برنامج ابن أبي الربيع" وغيره. توفي بسبته عام 1323/723 (الديباج، 226).

ابن فرحون، كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، بيروت، ص. 225، 226: الأنصاري. اختصار الأخبار عما كان يتفر سبته من سني الآثار، تج. ع. الوهاب بن منصور، الرباط، 1983/1403، ص. 18: ابن القاضي. درة المجال في أسماء الرجال، تج. م. الأحدي أبو النور، تونس، القاهرة، الجزء 3، ص. 270، 271: ابن الخطيب، الإحاطة، تج. م. عبد الله عنان، القاهرة، 1975/1395، الجزء الثاني، ص. 184، الجزء الثالث، ص. 134. 135: الوادي أشي، برنامج ابن جابر الوادي أشي، تج. م. الحبيب الهيلة، تونس، 1401 / 1981، ص. 170.

Z. Benramadane, *Centu aux XIIIe et XIVe siècles*, Thèse de Doctorat de 3 cycle, Aix-Marseille I, 1987; P. Chalmeta, *Le Barnamaç d'Ibn Abi l-Rabi'*, Arabica, juin, 1968, fasc. 2. زليخة بزمضان

**الشاطبي**، أسرة فاسية أصلها من مدينة شاطبة الأندلسية. قال عنهم صاحب إزالة الالتباس كان لهم ذكر بفاس، وما زالت تنسب إليهم أرض خارج باب الفتوح بفاس إلى الآن، وانتقل بعضهم إلى مراكش على عهد السعديين. ع. ابن السلام ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون، 2: 192.

**الشاطبي، أحمد بن أبي القاسم المراكشي**، من الفقهاء الشباب الذين نشؤوا في عهد المنصور الذهبي وتحت رعايته. درس على والده أبي القاسم، قاضي الجماعة بمراكش وعلى أقرانه كبار الفقهاء المتوافرين بالحاضرة السعدية، أمثال عبد الواحد بن أحمد الحسني وعبد الوهاب ابن إبراهيم الدكالي المشزائي ومحمد بن علي السالمي وغيرهم. برع في الفقه، أصوله وفروعه، وحقق الكتابة والنوشتق على حداثة سنه، فكان ينوب عن والده في القضاء والخطابة والتدريس بجامعة المنصور بقصبة مراكش.

توفي بالوباء المنتشر في مراكش، بعد سنة 1010/1602.

أ. ابن القاضي، درة المجال، القاهرة، 1970، ج 1: 172؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1974، ج 2: 243؛ م. حجي، الحركة الفكرية، المحمدية، 1978، ج 2: 385.

**الشاطبي أبو القاسم بن علي بن قاسم بن مسعود المراكشي**، يكنى أبا محمد، قاضي الجماعة بحاضرة السعديين زهاء ثلث قرن، وخطيب جامع المنصور بالقصبة السلطانية والمدرس به، وقارئ صحيح البخاري بين يدي أحمد المنصور بحضور أعيان علماء المغرب وكبار رجال الدولة أيام رمضان، حتى كان يحفظ الصحيح من كثرة التكرار.

ولد سنة 1527-26/933. ذكره معاصره أحمد المنجور في فهرسه ضمن من ذكروهم واستفاد كل من صاحبه، وحلاه بالفقيه العلامة القاضي الخطيب. وأثنى عليه كذلك من معاصريه أحمد ابن القاضي، وعبد العزيز الفشتالي الذي قال عنه في مناهل الصفا: "العلامة جملة الفضل الصلب العود القوي الشكيمة، صدر الفتنة أثير الخلفاء سفير الأئمة خطيب الخطباء، بلبل منابر الجمع والأعياد". وذكروا له قصائد في مدح أحمد المنصور ومولدياته كان يُقدِّمُ في إلقائها بين يديه في الاحتفالات المشهودة التي كانت تقام بقصر البديع بمناسبة المولد النبوي الشريف.

كان المترجم محط عناية المنصور وتقديره، وأرسله سفيراً عنه إلى الخليفة العثماني بالقسطنطينية سنة 1581/989، وكانت العلاقات قد تدهورت بين المغرب وتركيا، فلما وصل الشاطبي أمام الخاقان "صنع كلاماً بليغاً أعرب فيه عن فضل الدولتين، وقرر فيه حق أهل البيت، وأطرى المنصور غاية الإطراء، وحض على اتحاد كلمة الاسلام". ففرح بذلك الخاقان واهتز لسماعه، وأحسن إلى السفراء المغربية. (المحرمة، 2: 378).

وقد حرف محمد الطيب الفاسي في كتابه مطمح النظر اسم المترجم فجعله علي ابن مسعود واعتبر أبا القاسم كنية له، وتبعه في ذلك الإفراني في الصفرة، والحضيكي في الطبقات. والصواب ما ذكرناه نقلاً عن معاصريه المذكورين.

توفي بمراكش عام 93/1002. ودفن قريباً من ضريح الشيخ أبي عمر القسطلبي بحي رياض العروس.

أ. المنجور، فهرس تج. م. حجي، الرباط، 1976، ص. 79؛ أ. ابن القاضي، درة المجال، القاهرة، 1974، ج 3: 284، 285؛ المنقى المنصور، تج. م. رزوق، الرباط، 1986، ج 1: 249 و 409؛ ع. العزيز الفشتالي، مناهل الصفا، تج. ع. الله غون، تطوان، 1964؛ م. الطيب الفاسي، مطمح النظر، مخطوط؛ م. الإفراني، حشرة، ط. حجر فاس، د. ت. نزهة الحادي، تج. ع. اللطيف الشاذلي، الدار البيضاء، 98، ص. 157؛ م. القادري، نشر الثاني / سوسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 3: 1077؛ م. الحضيكي، طبقات، تج. أ. بومزكرو، د. ع. مرقون كلية الآداب، الرباط، أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1956، ج 5: 154، 155؛ ع. المراكشي، الإعلام، ط 2، الرباط، ج 9: 193، 195؛ م. حجي، الحركة الفكرية، المحمدية، 1977، ج 2: 378.

**الشاطبي، محمد القاسي**، حلاه مؤلف السلوة "بالفقيه الأرضي المشارك المرتضى، الأستاذ" ولم يذكر مشيخته ولا مهنته إلا ما يفهم من الأستاذ أنه كان يدرس

علوم القرآن، ولا ندري إن كان له اتصال بنوّة بشاطبي  
مراكش سابقى الترجمة.

توفي بفاس يوم تاسع شعبان عام 12/1079 يناير 1669  
ودفن بباب الجيسة قرب ضريح الأستاذ محمد بن محمد  
البوعناني.

م. القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996،  
ج 4 : 1557؛ م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 1300، ج 1؛  
200؛ م. الطالب ابن الحاج السلي، الإشراف على من بفاس من  
الأشراف، 3 : 306.

محمد حجي

**شاطبيير** Chatinières Paul من الأطباء العسكريين الذين  
عملوا بالمغرب خلال النصف الأول من فترة الحماية. من مواليد  
1884، التحق بالمغرب قبيل الحرب العالمية الأولى كطبيب  
مساعد. وكانت أولى مهامه إلى سوس حيث قطع جنوب  
المغرب في ما بين 1914 و1916 وسجل مشاهداته وأعماله  
هناك في كتاب صدر له سنة 1919 تحت عنوان: "Dans le  
"grand Atlas marocain" عمل شاتبيير منذ 1917 على رأس  
المجموعة الصحية بمراكش (G.S.M)، ولعب دوراً مهماً في عملية  
التدخل السلمي بالمغرب وذلك بما كان يقوم به جاهداً من  
أعمال تقريه من المغاربة وفتح قلوبهم نحوه، حتى نشأت بينه  
وبين سكان تارودانت الذين كان يقيم بين ظهرانيهم علاقة  
خاصة جعلته يساهم بنصيب وافر في بسط إشعاع فرنسا ونشر  
نفوذها الروحي في تلك الربوع.

توفي شاتبيير وهو يقاوم التيفوس الذي طرقت المغرب في  
سنتي 1927 و1928 حيث مسه طائف منه أودى بحياته في  
فبراير 1928، ودفن بتارودانت. وقد جاء في برقية المقيم  
العام تيودور ستيغ Théodore Steg إلى المفوض لدى  
الإقامة أوربان بلان Urbain Blanc "لقد تلقيت ببالغ الألم  
وفاة الدكتور شاطبيير الذي مات ضحية مجهوده الرائع.  
أرجو أن تكونوا المعبر عن عرفان الحكومة وامتنانها لدى  
عائلته وزملائه".

سجلت الحماية الفرنسية هذا الطبيب ضمن لائحة من  
سقطوا خدمة للواجب وجعلته من الحاصلين على ميدالية  
الذهب في مقاومة الأوثنة.

Le Figaro artistique illustré, Mai 1931, p. 36-37;  
Maroc Médical, Février 1928, p. 67 ; Maroc Catholique,  
Mars 1928.  
بوجمعة رويان

**الشاعر** (أولاد -) شرفاء يسلميون من جبل العلم كان  
لهم ذكر بفاس، ولم يبق لهم اليوم ذكر بها. قال في إزالة  
الالتباس: "ويوجدون بمدينة تطوان بكثرة وبمدرسة بني كرفط  
القريب منها، وهو موطنهم الحقيقي".  
ع. ابن السلام ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون، 2 : 193.

**الشاعر الجرفطي، عبد السلام الحسني الفاسي.**

حلاه في السلوة بالفقيه الأستاذ الشهيد. كان مقيماً بفاس،  
يخالط رجال المخزن، وفي أثناء الاضطرابات التي قامت في  
أواخر أيام المولى سليمان وقسام السعيد بن اليزيد عليه في  
فاس اتهم المترجم ببله إلى المولى سليمان وقتل صبراً بحي  
الصفارين سنة 1236 / 1820. 21.

م. الطالب ابن الحاج، الإشراف على من بفاس من الأشراف،  
مخطوط : م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 1300، 3 : 306.  
307؛ ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام  
المغرب، بيروت، 1996، ج 7 : 2510.

**الشاعر البيجمي، أحمد،** من قبيلة بني بجم المعروفة  
اليوم باسم بني حزمرة المقابلة لتطوان. كان يقيم بمدرسة بوخلاد  
القريب من مدرّس دار بن قريش. حلاه معاصره ابن عسكر في  
الدوحة بقوله: "كان فقيهاً نزيهاً عارفاً بالله تعالى كثير  
الورع والزهد حافظاً للتاريخ ومولعاً به كثير الاطلاع، شأنه  
الفكرة والاعتبار" ولم يذكر الكتب التي كان يرجع إليها  
المترجم لكن يبدو من السياق أنه كان يهتم بكتب التراجم  
والحوليّات.

كانت له عُريضة - يقول ابن عسكر - بإزاء داره يزرع فيها  
شيثاً من الزرع وينشها بفاس بيده فما جاء فيها من الزرع  
فذلك عولته وعولته عياله، وبطعم منها الطعام لكل من نزل  
بالمسجد الذي بإزاء داره على مسجحة الطريق من أبناء  
السبيل. وكان يذهب كل يوم جمعة على قدميه مسافة اثني  
عشر ميلاً من مدرّسه إلى مدينة تطوان ليصلي بها الجمعة  
حاملأ قفة في يده ليشتري ما يحتاج إليه ويحمله فيها حتى  
ورمت يده اليسرى فإذا أراد أحد المارين أن يحملها عنه  
امتنع من ذلك وقطب وجهه.

يعتبره ابن عسكر من شيوخه في التاريخ والاعتبار،  
صحبه سنين كثيرة فكان إذا لقيه لا يتكلم معه إلا في علم  
التاريخ وأخبار من تقدم من العلماء والصالحين والملوك  
وغيرهم، فإذا فرغ من حديثه قال: البقاء لله. ألا إلى الله  
تصير الأمور. كل شيء هالك إلا وجهه. ثم يصفر لونه  
ويعتره حال وينصرف.

وما زال عقب الشيخ البيجمي حتى اليوم يقيمون بجوار  
ضريح المترجم المعروف بجوار مسجده بضاحية تطوان. وقد  
لقي محمد داود أحد حفدته بهذا المسجد، وهو على سن جده  
نسكاً وحسن سميت، وسمع منه أخبار وكرامات ذكرها في  
تاريخ تطوان.

توفي في حدود سنة 1558/965، ودفن بإزاء مسجده في  
ضاحية تطوان.

م. ابن عسكر، دوحة الناشر / موسوعة أعلام المغرب، بيروت،  
1996، ج 2 : 901؛ م. داود، تاريخ تطوان، ط 2، تطوان، د. ت. ج  
1 : 153 - 156.

محمد حجي

**الشافعي** (ابن -) أحمد المسكني القائد، أصله من



دوار أولاد محمد أحد مداخل فخذة أولاد العكارية، المنصورية تحت لواء قبيلة بني مسكين، إحدى قبائل الشاوية الجنوبية الكبرى (Répertoire alphabétique, p. 42). يعرف بالقائد الشافعي.

على الرغم من أن قبيلة بني مسكين لم تكن "تخرج عن الجادة" إلا قليلاً؛ حيث مجدها ضمن القبائل التي تدفع للمخزن باستمرار "ما نابها" من جبايات؛ فإن قوادها لم يكونوا من بين المشاهير. وهكذا فإن القائد الشافعي المترجم كان من القواد المغمورين، إلى غاية عام 1876/1293، حين بعث به السلطان المولى الحسن ليأخذ له الثأر من قبيلة غيائة، التي كان المتمردون من رجالها قد نصبوا لجيشه كميناً ذهب ضحيته عدد كبير منهم؛ وجرح أثناءها الأمير المولى عرفة. ولم ينج السلطان بنفسه إلا بأعجوبة (الاستقصا، 9: 108-109؛ الإتحاف، 2: 160).

ولما بعث إليهم بجيش ثان لقي نفس مصير الجيش الأول. فتوجه إليهم القائد الشافعي "في خصوص أبطال إخوانه"، فأوقع بهم وقعة شنعاء، ورجع سالماً منصوراً، حاملاً لرووس من مات منهم، فشكر السلطان صنيعة، وأثنى على شهامته. ويسبب شهرة هذا القائد أصبح مدشر أولاد محمد يدعى دار الشافعي.

وتنقطع أخباره بالمرة، مما يدل على أنه لم يعمر بعد ذلك إلا قليلاً، حيث تفيد رسالة سلطانية مؤرخة بعام 1302/1885 أن ابنه أحمد بن الشافعي مصاب في يده اليمنى، مما تسبب له "في الوهن وضعف في حركته". وهذا ما دعا السلطان إلى أن يأذن له في التوجه إلى طنجة بقصد التداوي؛ حيث بعث برسالة إلى النائب محمد برغاش يأمره بمساعدته على إيجاد من يعالجه إما بطنجة، وإما بجبل طارق، "وإما بغير ذلك من بلاد النصارى، حتى يرجع مجبور الحاطر واليد مسروراً.." (رسالة سلطانية مؤرخة في 25 ذي الحجة عام 1302/1885 خ.ج. ك 364 ص. 231). وما يدل على المكانة التي أصبح هذا القائد بدوره يتبوؤها لدى السلطان، ما خاطب به برغاش موصياً به: "واعتن به ولا تقصر في البرور به وتبصرته". فلا يدل هذا العطف إلا على تفاني القائد في خدمة المخزن. وتزداد تبينا من حذب السلطان على مخدومه حين يردف قائلاً: "فإنه رجل حيي غير عارف بما يأتيه في ذلك وما يذره بحيث إذا سافر لأي محل يكون تحت نظرك وإشارتك حتى لا يقع له شيء...". والغالب على الظن أن عملية الاستفتاء قد أتت أكلها، لأن القائد أحمد بن الشافعي رجع إلى مباشرة المخزنية؛ إذ تخبر رسالة أخرى أنه دافع المهاجمين من الرحامنة والسرراغنة وأولاد بوزيدي، و"فساد بني مسكين" الذين هاجموا داره ونهبوا كل ما وجدوه من متاع المخزن، وأحرقوا وخرّبوا. جاء ذلك في سياق الهرج الذي نزل بالمغرب على إثر وفاة السلطان المولى الحسن، حيث قصدت القبائل مختلف رموز المخزن للاشتقام منهم. ويعزو الشافعي ما فعل به إلى تفانيه في خدمة المخزن

حيث يقول: "ما فعلوا بنا هذا الفعل إلا لما تحققوا من نصحننا واستغرافنا في خدمة أعتاب مولانا خلفاً عن سلف...". (رسالة سلطانية مؤرخة في 19 ربيع الثاني عام 1312 خ.ج. مع 13). وقد صمد الشافعي في وجه المهاجمين طويلاً، حتى إذا انفض من حوله مختلف خدامه ولم يبق معه إلا ابنه، لاذ بالفرار لاجئاً عند أخواله الموجودين في عين بلال - إحدى فخذات قبيلة بني مسكين، على بعد حوالي ساعتين من داره.

ويبدو أن الشافعي لم يستطع إعادة الاستقرار لإبائه إلا بعد أن جاءت الإمدادات من قواد تادلا وبعض عمال المراسي، الذين شدوا له العضد "على فساد قبيلته". وتنقطع أخباره منذ عام 1897/1314، حيث تفيد رسالة سلطانية مؤرخة في 17 رمضان 1315 أن الذي ولي قيادة بني مسكين هو ابنه محمد بن أحمد بن الشافعي (خ.ج. مع 415).

استمرت القيادة في عقبه حتى سيطرة السلطات الفرنسية على تراب قبيلة بني مسكين سنة 1914، حيث تم خلع القائد حسن ابن الشافعي، وصودرت أملاكه، وأجبر على الانتقال إلى مدينة مراكش التي مكث بها حتى وفاته سنة 1916؛ فأل هذا المنصب إلى أسرة بوخافة المنتسبة إلى فخذة لياسافه.

وللشافعي خط جميل ورسائل مبهورة بأسلوب جيد، مما يدل على أن بضاعته العلمية لم تكن مزجاة. وكان يوقع رسائله بالعبارة التالية: "خديم المقام العالي بالله أحمد بن الشافعي آمنه الله".

وثائق خ.ج. ح.ع. الرحمان ابن زيدان، إتحاف، ط. 2، الرباط، 1990، 2: 160؛ الناصري، الاستقصا، ط. 2، الدار البيضاء، 1956، 9: 108-109.

### الشافعي الشاوي، أحمد الرباطي، فنان موسيقي

ظهر ولعه بالطرب الغرناطي وهو ما يزال فتى يافعا، فأقبل منذ مطلع الثلاثينيات على مجالس هذا الفن بالرباط، ومعه ثلة من شباب المدينة، يحدوهم ما كانوا يلقونه من تشجيع عشاق هذا الفن على تعلم أصوله وحفظ مستعملاته. وسرعان ما ظهر تفوقه بين أقرانه في العزف على العود، وفيهم يومئذ أحمد بيرو، والحسين بن المكي الحجام، ومحمد ابن عبد الله، والحسين التازي وآخرون.

وقد أهله نبوغه ليكون من بين أعضاء فرقة الطرب الغرناطي التي مثلت المغرب في معرض باريس للفنون الشعبية الذي أقيم بغاية بولوني تحت شعار "القرية المغربية" عام 1935/1353، وإلى جانبه محمد بن صالح على آلة الطرب، ومصطفى المعروفي عازقا على الرباب، والحسين بساطة منشداً وعازفاً على الكمان وآخرون.

اشتغل لفترة أستاذاً للطرب الغرناطي في معهد مولاي رشيد بالرباط إلى جانب الحسين بلمكي، ومحمد امبيركو، والحاج أحمد الدكالي، وأحمد بنغريظ، وأحمد بناني.

وقد انضم إلى جوق الإذاعة الوطنية للموسيقى الأندلسية الذي أسندت رئاسته إلى الفنان الفاسي مولاي أحمد الوكيل عام 1952، فكان عمده في العزف على العود، وإليه بوكل أداء الوصلات الآلية الفردية في الجوابات والتغطيات.

وقد بلغ من تمكنه في استخدام هذه الآلة أن أصبحت طوع أنامله، تتغل بين أوضاع دستانها بسهولة ويسر، وتبدع في "تصوير الطبوع وتحويل درجات قراراتها إلى درجات نغمية أخرى؛ غير أنه كان شديد التكتيم على أسرار مهنته، إذ قلما ينشرح صدره للبحر بها لزملائه.

توفي يوم 11 أكتوبر 1983 بعد حياة حافلة بالعطاء، وخاصة في مجال العزف على العود، وذلك ما تشهد عليه التقاسيم الرائعة التي تحتجزها الأشرطة المودعة بدار الإذاعة الوطنية.

رواية شفوية لعازف العود المختار المرحم التطواني.

عبد العزيز بن عبد الجليل

**الشافعي الشاوي، الحسن بن المكي الرباطي.** درس

على شيخ الجماعة بالرباط إبراهيم التادلي واختص به مدة طويلة منكباً على نسخ مصنفاته وتعليقاته. وقد كتب هوامش على مؤلفات الشيخ التادلي. وأكثرها تعليمية. منّا سمعه منه حولها في تقريراته بالمجالس العلمية. وبعد وفاة الشيخ التادلي تصدر الشافعي للتدريس بمساجد الرباط إلى أن وافته المنية في حدود سنة 1897/1315.

ع، ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 8 : 2813، ع. الله المراري، من أعلام الفكر المعاصر، الرباط، د. ت. ج 2 : 294.

محمد حي

**الشافعي (ابن -) مبارك بن محمد،** مقاوم ولد سنة

1920 بدوار مسعود بني خلف إقليم خريبكة. كان معروفاً بين رفاقه بالغيرة الوطنية حيث قام بعدة أعمال من أجل الحرية والاستقلال إلى أن استشهد رمياً بالرصاص وذلك يوم 20 غشت 1955 في أحداث مظاهرة ذكرى نفي رمز الأمة جلالة المغفور له محمد الخامس بوادي زم حيث تم إحراق جثمانه من طرف جنود الاستعمار الفرنسي كما تمّت مصادرة جميع ممتلكاته.

المدوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 524285.

**الشافعي، أبو مدين (الدكتور -)** شعلة ذكاء وفطنة،

وطاقة جياشة متفجرة، وانتهازية متوثبة لاقتناص الفرص، مهتما كانت وفي أي نطاق بدت، حضر إلى المغرب من الجزائر، إثر نياله لشهادة "الباكلوريا" بإحدى مدارس تلمسان. وكان حضوره إلى تطوان أواخر سنة 1938 وهي تحتفل بتوديع البعثة المغربية، التي كانت ستوجه إلى مصر بعد يوم أو يومين، فحضر الحفل الذي أقيمت فيه خطب بهذه المناسبة،

أنهت إحداهما بتحية الجزائر.

فما كان من الضيف الكريم، إلا أن صعد المنصة، وقال: بم تحيي الجزائر؟ أتحي وهي مكبلة في أغلال العبودية، أتحي وهي ترسف في قيود الاضطهاد؟ أتحي... أتحي... وهي كذا وكذا؟

كلاً، إنها لن تحيي إلا إذا كانت لها بعثة كبعثتكم هذه، تحيي... إن قدر لها مصير كهذا المصير الذي ينتظر من هؤلاء الشباب، القاصدين إلى المعاهد والديار، للارتواء من المعارف والاهتداء بنور العلم الوهاج...

يمثل هذا المضمون صار يركز كلامه، وينطلق بقلب خطابه، فتأثر الجميع أن يكون أبو مدين محروماً من هذه المائدة الشهية التي سيتناول منها إخوانه الطلبة المغاربة.

وودعنا المغرب في حفل مؤثر، كان يجيش به رصيف سبتة، وقد امتطينا باخرة كانت ستحملنا إلى مدينة الجزيرة الخضراء... ملوحن بأيدنا إلى اهلينا وأبائنا... وأستنتهم تبتهل بالدعاء إلى الله، وقلوبهم تتخفق لفلذات الأكباد، الذين كان فيهم من يودع الوداع الأخير، ولللقاء الا في البرم الآخر.

وبعد أسبوع كنا نرسو على رصيف بور السعيد، وكان بعض الزملاء السابقين، وبعض الأساتيد من المصريين في استقبالنا. وامتطينا القطار الذي حملنا إلى القاهرة، حيث وجدنا "بيت المغرب" قد أعد لنا، وأثن بأدواره الثلاثة ورجال الخدمة قائمين عليه.

وفي اليوم الثاني أو الثالث، كان احتفال بنا يقام، شارك فيه كبار رجالات الفكر والعلم والسياسة والصحافة والفن من المصريين، وخطب الخطباء، وكان فيهم أنذاك وزير المعارف (محمد هيكل باشا)، الذي فاجأنا بشورته على العربية، التي كنا نحترم قواعدها، فكان هو يهضم حقيها هضماً... وانتهى الحفل، بقطعة موسيقية عزفها سامي الشوا، الذي لم يكن في الموسيقين من يباريه في عزف الكمان خاصة.

في هذا الحفل، كان أبو مدين يحضر إلينا، فابتهجنا لحضوره، ووجم القائمون بمهام الأمور والعاملون بمجاريها، لحضوره... وبدأت المحاولات والمناورات، التي لم تجد في اقتلاع هذا الجذر، الذي كان قد ارتكز على فرصة عداة سافر كان المقيم العام الإسباني "بيكبيدر" يحمله لفرنسا، ويمد يده المطلق إلى كل من يطربه بهذه النعمة، وكان صاحبنا يحسنها ويختار لها إيقاعها وموقعها، فسلم إليه المقيم بعد أن تمكن هذا من لقائه، تذكرة الطائرة "طاوا"، ولاشك أنه سلم إليه نقوداً "محترمة" تسعفه وتسعده في رحلته إلى مصر...

وحطت الطائرة في "روما" حيث التقى بالزعيم عبد الحالق الطريس، الذي احتضنه كهادة منه كريمة، فارتبط به ارتباطاً جعله يبيع التذكرة التي كان بها سيتابع رحلته هذه إلى مصر، ولذلك احتفظ بشئها، وصار في ركاب الطريس "سيدي لا أفارقك..."

لقد كان الطريس في طريقه إلى مصر، سيركب سفينة من إحدى الموانئ القريبة من "روما"، فأركب معه الشاب الوطني الجزائري، ليلتحق هذا بنا، وليمثل هو المغرب في ذكرى وعد "بلفور" المشنوم، التي حضر إليها رجال العالم العربي والإسلامي، فأقيمت بمصر...

وأخيراً وزعت أفراد البعثة على المعاهد التي سيلتحقون بها، بعد امتحان عقد لها بدار المغرب، على يد جماعة من العلماء الرسميين، أذكر منهم إسماعيل مظهر، فكنا الأربعة، أبو مدين، وابن تاويت الطنجي، ومحمد مشبال، وأنا العبد لله، توجه إلى جامعة فؤاد الأول. والتحق كل منا، بشعبته من كلية الآداب فكان الشافعي من نصيب قسم الفلسفة، فواظب على التلقي من محاضراته، التي كان بعضها يضم كل الأقسام بالكلية فكنا نحضر معاً، محاضرات المرحوم "أبو العلاء عفيفي" ومحاضرات الدكتور إبراهيم مذكور بيومي. وكان هذا يعجب الشافعي جداً، خصوصاً أنه كان يعتمد على رجال الفلسفة من الفرنسيين، بخلاف عفيفي الذي كان يعتمد على رجالها من الإنجليز، ولم يكن أبو مدين يحسن أو يعرف شيئاً من الإنجليزية ولكنه تداركها بجهد واجتهاد فيما بعد.

كان أبو مدين على قدرة عظيمة في الفرنسية، تضاهي قدرته في العربية. فكان لهذا تأثير في نفسه وفي غيره، حيث أصبح إلى جانب دراسته، يقوم بتعليم الفرنسية للمصريين، الطلبة والطالبات، في البيوت، فيتلقى على ذلك مقابل مالياً سيتفعه فيما بعد، وقد احتفظ به وضمه إلى ما كان له من ذي قبل...

وشق طريقه المستقيم، وأدى امتحاناته بكل نجاح وتوفيق، فنال شهادة "الليسانس"، ثم حضر رسالة نال بها درجة "ماجستير" وفي النهاية أحرز درجة "دكتوراة" في الفلسفة.

وكان ينال الإعجاب من الجميع في قدرته العربية وإطلاعه على قديمها، وهو من الشباب الذين كونهم مصلحو الجزائر من الإبراهيمي وسلفه ابن بادس، رحمهما الله.

طلبت منه أن يكتب لي مقولات الفيلسوف "كنت" التي جعلها اثنتي عشرة، بدل عشرة، قال بها أرسطو وأتبعه في عددها من أتى بعده من المسلمين وغيرهم قديماً ومحدثين، فكتبها لي منظراً بها، تلك التي رمز لها بالبيتين اللذين كان يحفظهما :

زيد الطويل الأزرق ابن مالك في بيته بالأمس كان متكي  
بيده سيف لسواه فالتسوى فهذه عشر مقولات حوى

فاستغربت لهذه الموسوعية، وإن كان موضوعه الفلسفي ورجال تدريسه على اضطلاع ما قيل فيه، ولقد استغربت يوماً من "إبراهيم مذكور" استأذنه بعض الطلبة في طبع محاضرات، فأجابهم بيت للمقري في "إضاءة الدجنة" كنا نحفظه ونحن ندرسها بالقرويين :

ومن يقل بالطبع أو بالعلمة فذاك كفر عند أهل الملّة

وكذلك قدر لأبي مدين الشافعي، فقد حدث إثر العدوان الثلاثي على قناة السويس، أن شرّد اليهود من حاراتهم التي كانت بياب اللوق بالقاهرة، وسجن بعضهم لخطرهم المكتشف أو لتلبسهم بتهم مريبة.

فكان من هؤلاء الاخيسرين من كانت زوجته يعالجهما الدكتور الشافعي. ولخوفها على نفسها أو من زوجها عند السراح، فإنها طلبت من الدكتور أن يعمل على مغادرتها لمصر، فأسعفها في ذلك. ولما أطلق سراح زوجها اكتشف الأمر الذي دبّر عليه.

فما كان من هذا اليهودي إلا أن حمل خنجراً حاداً معه، وتوجه لزيارة الدكتور في مستوصفه أو مصحته، فلما اجتمع معه أخرج خنجره وذبحه واقفاً على قدميه فخر بشخبط في دمه الفضولي، ولم يثر له أحد في هذا المصير المحزن، كما لم يثر لزميله الورتلاني سابقاً.

لم يكن هذا من اليهودي انتقاماً لعرضه، فإن الشافعي كان أبعد الناس عن انتهاك الأعراض، من هذا النوع، فلم يكن من أولئك "الفسحور" الذين يفستون بغيرية المرأة، أو يفستون بغيرائزهم المرأة، بل كان أبعد الناس عن هؤلاء، وأولئك، كل البعد، لكن الفضول، وقبح الله الفضول، هو الذي أوقعه في هذه المصيبة الشنيعة، التي دنست كل ما كان من طاهر، وطمس كل ما كان له من محاسن وذهب هكذا، ما بكت عليه السماء والأرض، وما دمعت لمصرعه عين أو خفق له قلب - رحمه الله - ووقانا شر ما لقي من هذا المصير الأليم.

لقد ألف الدكتور كتباً متوسطة، تتصل باختصاصه، إلى جانب رسالتيه المذكورتين، وطبع الجميع بمصر، وليس بيدنا من كتبه إلا كتابه "الاطمئنان النفسي" الذي ضمنه تجاربه الخاصة، وتناوله تناوولا تجريبياً، أكثر من كونه تناوولا علمياً أو نظرياً. وهو مفيد للغاية في إعادة الاطمئنان إلى النفوس الحائرة، التي يعصرها عالمنا الحالي، الذي تفسخت فيه عقد الدين، فتركت فراغاً، استولى على الكبير والصغير. وصار كل ينعى على غيره، وقد اهتقد الزمام، وصارت الأفكار تتصارع مع نفسها، والأخلاق تتناحر فيما بينها، والمجتمع العالمي في هرج ومرج لا يدري ماذا يصنع، وإن درى فإنه لا يقدر، وإن قدر فإنه لا يثبت ولا يستمر ولله الأمر من قبل ومن بعد.

محمد ابن تاويت التطواني

**شاكِر، محمد القصار** دمشقي السلاوي، ولد ونشأ

في دمشق بالشام، درس بها ثم في بيروت، وتخرج في الكلية الطبية العثمانية في بيروت، ثم نزع إلى المغرب أوائل القرن (14 هـ) ليستقر بسلا، حيث زاول مهنة الطب ولقي إقبالا ونجاحا كبيرين بفعل علمه وأخلاقه ولسوته مع المرضى من العدوتين (سلا والرباط).

ظل شاكر الدمشقي على صلة بالشرق، يتلقى من هنالك

الصحف والدوريات العلمية والمطبوعات الجديدة الصادرة في الشام، وكان يقوم بإطلاع النخبة المثقفة بالعدوتين عليها، وبذلك أسهم في التواصل الفكري بين المغرب والمشرق وفي نشر الثقافة العصرية في العدوتين.

كان لشاكر الدمشقي خزانة علمية حافلة بالمطبوعات العلمية والتاريخية والأدبية، تشتت بعد مماته. ذهب إلى أداء مناسك الحج وزيارة موطنه الأصلي سنة 1314 / 1896، ثم عاد إلى سلا، التي تزوج بها مخلفاً ولداً واحداً، توفي في هذه المدينة ودفن بها سنة 1323 / 1905.

م. ابن علي الدكالي، *إنحاف الأشراف الملا ببعض أخبار الرباط وسلا*، مخطوط خ. ع. الرباط، رقم 11 : م. ابن علي الدكالي، *الإنحاف الرجيز*، تاريخ العدوتين، تح. مصطفى بوشعراء، سلا، 1986 : ع. الله الجبراري، *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*، الرباط وسلا، ج 2، ط 1، الرباط، 1971.

أحمد المكاروي

**الشاكري، التهامي بن عبد الله بن إبراهيم بن عثمان**

بن طاهر بن الحسن بن يوسف بن مولاي علي الشريف، من شرفاء أولاد شاكر بالرتب، إحدى مناطق تافيلالت، ينسب إليها بالشاكري. يوقع أجوبته ب: وكتب عبد الله محمد التهامي بن عبد الله (الأدوية الرواقي، 76 أ). ذكره محمد الطالب بن حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمي (ت. 1273/1857) في ترجمته لمعاصره، حفيد المترجم له، عبد الهادي بن عبد الله، قاضي الجماعة بفاس، وصهر السلطان مولاي عبيد الرحمن بن هشام. وقال عنه: "كان علامة مشاركاً، محققاً في جميع علوم العربية والمنطق والحساب والفرائض والميقات والتعديل، متبحراً في التفسير والحديث والنسب والأصول، أقعد أهل عصره بمعرفة الفقه، مستحضرًا للنوازل، مشاركاً في الفتاوى والأحكام، شاعراً، ورعاً زاهداً" (الإشراف، 146). وحلاه الزكي العلوي بالعالم المشارك، الحافظ الضابط، الشاعر الناثر، المعقولي المنقولي، الفقيه المحدث، الأصولي البياني وقال: "اجتمع فيه ما افتقر في غيره، توجه الهلالي بتاج المعرفة التامة، ورداه برداء الفهم الثاقب والبصيرة النافذة، وصاغه في قالب لا يدرك شأوه" (مطالع الزهراء، 183). وحلاه الفضيلي بالإمام الحافظ وبالعالم العلامة المشارك النافعة، الناظم الناثر، ذو التأليف العديدة والتقايد المفيدة (الدرر البهية، 1 : 298).

أخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي، وهو عمده في سائر الفنون، ولا ينتسب إلا إليه. وبعد وفاة شيخه الهلالي رحل إلى قاس، وأخذ علم التعديل والميقات عن خاتمة الحكماء بالديار المغربية الشيخ سليمان بن أحمد الفشتالي (ت. 1208 / 1793). كما أخذ أثناء حجه عن بعض شيوخ المشرق الإسلامي. فقد ذكره صاحب فهرس الفهارس فيمن أخذ من المغاربة عن أبي الفيض مرتضى الزبيدي الحسيني المصري، وفيمن أغفل هذا الأخير ذكرهم من كبار الأخذيين عنه في كتابه المعجم المختص (فهرس

الفهارس، 2 : 341) وأجازه الشيخ مرتضى بجميع مروياته في سائر الفنون (الإشراف، 146). وذكره الكتاني أيضاً في معرض حديثه عن مروياته لفهارس الهلالي أبي العباس أحمد، وكل ما له، إجازة وسامعاً، عن أبي العلاء إدريس بن قاضي فاس أبي محمد عبد الهادي بن عبد الله عن والده عن جده أبي محمد التهامي بن عبد الله عن الهلالي.

ولي القضاء بمدغرة والرتب بتافيلالت كما ولي الفتيا وانتهت إليه الرياسة فيها (الإشراف، 146).

كان التهامي بن عبد الله الحسيني ولياً صالحاً ورعاً زاهداً، أخذ بيد أقوام بتلقيق الورد الجبلاني، انتفع به خلق كثير ظاهراً وباطناً، وكان كثير البكاء والخشية، سيما إن كان يخطب، يكون دمعه ساكباً، وقلبه على فرس الخوف راكباً، وكان له في الإحسان يدٌ طويلة (مطالع الزهراء، 183 والدرر البهية، 298).

ألف التهامي بن عبد الله الحسيني عدداً من الكتب ذكر منها حمدون بالحاج: *أرجوزة نظم فيها تلخيص المفتاح* (الإشراف، 164). وهي في علم المباني وأحوال الإسناد الخبري، وأحوال المسند، وأحوال المسند إليه، وأحوال متعلقات الفعل والقصر والإنشاء والإيجاز والإطناب؛ وفي علم البيان في التشبيه والحقيقة والمجاز، وفي علم البديع، وقفت على نسخة منها ضمن مجموع يحمل رقم: 2893 بالخرانة الحسينية. كما له أيضاً *أرجوزة تعرض فيها لنسب الأشراف العلويين*، وقال إنه استقرأ فيها جل فروعهم وأصولهم (الإشراف، 164)، ومختصر فتح القدوس في شرح خطبة القاموس (الإشراف، 164). وذكر الفضيلي أنه نظم جمع الجوامع (الدرر البهية، 1 : 289).

ووقفت له على عدة تأليف منها: *نظم سماه سبل الفلاحة لمن أراد الحكم في الملاحه موضوعه كراء المصلحات وأجوبة فقهية عن مسائل أصولية وكلامية ومنطقية ونحوية، وأبيات متلوة بشرحها في قسمة الكسر، وأبيات ستة في علم الحساب والفلك والتوقيت مع شرحها ونظم من ثلاثة أبيات في تركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتوي في المختصر في باب الاستحقاق منه أو المجهول الحكم بخط يده، وتخميس همزية البوصيري ألفها بإشارة من الولي الصالح سيدي الطيب الدرعي، وقصيدة في رثاء شيخه أحمد بن عبد العزيز الهلالي نقلها محمد بن الطيب القادري في الدر السني في معرض حديثه عن شيخه الفقيه الهلالي المذكور، وقصيدة يرثي فيها فرسا للسلطان مولاي اليزيد نظمها بطلب من السلطان المذكور. وقصائد في زيارة بعض المزارات كمنار الولي الصالح سيدي أبي نعامة : أبو عبد الله محمد، ومنار الولي العلامة مولاي عبد الله بن علي طاهر بمدغرة، والأدوية الرواقي من أدواء الاختلافات في ماء السواقي.*

توفي التهامي بن عبد الله الحسيني الشاكري ضحى يوم الخميس 6 جمادى الأولى عام 1210 / 19 نونبر 1796 كما وقف عليه الفضيلي بخط حفيده الفقيه العلامة القاضي عبد

الهادي بن عبد الله. قال الفضيلي: "وحدث عنه أنه لما دنت وفاته كان يقول: نصعد إلى الرفيق الأعلى اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن طلعت روحه رحمه الله ورضي عنه" (الدرر البهية، 1: 298). وذكر حمدون بالحاج أنه توفي وهو ابن ست وستين سنة (الإشراف، 164).

التهامي بن عبد الله الحسيني الشاكري، الأدوية الروائي من أدواء الاختلافات في ماء السراقي، تح. حسن حافظي علوي، مراكش، 2001 م. الطالب ابن الحاج، الإشراف على بعض من بفاس من الأشراف، مخطوط، خ. ح. رقم 11732؛ الزكي العلوي، مطالع الزهراء الجامع لأسماء بني الزهراء، مخطوط، خ. ع. رقم 656؛ الفضيلي، الدرر البهية والجواهر النبرية، قابله وراجعه أحمد بن المهدي العلوي ومصطفى بن أحمد العلوي، الرباط، 1999؛ الكتاني، فهرس الفهارس، تح. إحسان عباس، بيروت، 1982.

### الشاكري، عبد الهادي بن عبد الله الحسيني من

شرفاء أولاد شاكرك بالرتب من بيت قديم في العلم والعمل. ولد بأولاد شاكرك ونشأ في حجر جده مولاي التهامي، ولازمه في جبل الفنون المتداول، ولما توفي جده ارتحل إلى فاس، وأخذ عن جمع من الأعلام بها كالشيخ أبي محمد عبد القادر بن شقرون والطيب بن كيران وغيرهما (الإشراف، 164). وأخذ عنه جم غفير من طلبة فاس كحمدون ابن الحاج وجعفر الكتاني ومحمد بن حمادي المكناسي (الإشراف، 164) وسلوة الأنفاس، 1: 117 والإعلام، 8: 507.

قال في الإشراف: شيخنا مولاي عبد الهادي أحد الأئمة المعتبرين، والأعلام المشهورين، مشارك في عدة فنون، بصير بالمذهب وفروعه، ضابط لقواعده، عارف بصناعة الأحكام، فصيح اللسان، صحيح النظر، قوي الحجّة، جماع للدواوين، متبحر في معرفة أسماء الكتب، كثير المطالعة (الإشراف، 164) والإعلام، 8: 506). وذكر مولاي إدريس ابن المترجم له أن والده كان له حفظ بارع، وروى أنه دخل عليه مرة في المحكمة فقال له: اذهب إلى خزانة الكتب واتني بشرح الخطاب، فبانتني حكمت في قضية وقع لي الشك فيها، ثم راجع فوجد النص فيه كما حكم به، وقال له إنني طالعت فيه هذه المسألة بالصحراء تحت النخلة الفلانية في اليوم الفلاني (الإعلام، 8: 507).

انتهت إليه رياسة العلم في وقته ورياسة الفتوى وصار من أهل الشورى، وكان لا يقبض على عمله مرتباً قبل أن يتولى خطة القضاء (مطالع الزهراء، 183) وسلوة الأنفاس، 1: 117).

تولى خطة القضاء بسجلماسة ونواحيها، ثم وليها أيضاً بفاس وما والاها مرتين المرة الأولى في 10 جمادى الأولى سنة 1240 / الجمعة 31 دجنبر 1825 بعد عزل الفقيه محمد بن إبراهيم الدكالي، ثم آخر في 6 ربيع الأول عام 1247 / الأحد 15 غشت 1832 وولي بعده العربي بن الهاشمي الزرهوني، ثم ولي بعد الزرهوني أبو الحسن علي التسولي. والمرة الثانية

عام 1835/1250، لما أصغى التسولي، وبقي بها إلى أن توفي، وقد بلغت مدة اشتغاله بخطة القضاء أزيد من عشرين سنة أحس فيها موات هذه الخطة وجدد معالمها، وكان ينوب عنه إذا تغيب لسبب من الأسباب محمد الزعري المباركي (سلوة الأنفاس، 1: 117 والإشراف، 163) والدرر البهية، 1: 299 والإتحاف، 5: 225. 226 والإعلام، 8: 506).

صاهره السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام بنته الأميرة خديجة، ولم تزل عنده إلى أن توفيت في حياته، فلم يتزوج بعدها إلى أن لقي ربه (الدرر البهية، 1: 300) وسلوة الأنفاس، 1: 117).

كان عظيم الحرمة شديد المهابة، وكان يقول الحق ولو في نفسه أو في عظماء أبناء جنسه، لا يواجه أحداً ولا يداريه، ولا يحاذي الجور ولا يجاربه، وكان يخاطب السلطان وحواشيه بكلام لا يقدر أحد أن يخاطبهم به (الدرر البهية، 1: 299) وسلوة الأنفاس، 1: 117).

خلف عبد الهادي بن عبد الله الحسيني عدداً كبيراً من الكتب أكثرها تداولاً كتاب: شرح جمع الجوامع وشرح اختصار الكتب الست المسمى بتيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن الديبع الشيباني (الدرر البهية، 1: 300) ومطالع الزهراء، 183) وسلوة الأنفاس، 1: 117) وذكر الفضيلي أن له غير هذا غير أنه مخدر، أي أن كتبه غير مشهورة (الدرر البهية، 1: 300).

وذكر العباس بن إبراهيم الذي ترجم لعبد الهادي بن عبد الله باسم عبد الهادي بن عبد الرحمن العلوي أنه قرأ في ديوان الوزير ابن إدريس العمراني عدة قصائد في مديح المترجم له (الإعلام، 8: 507 و508).

توفي عبد الهادي بن عبد الله الحسيني ضحوة يوم الأربعاء 9 تاسع رمضان المعظم سنة 1272/14 مايو 1856. وذكر الفضيلي أن وفاته كانت في أواخر رمضان من نفس العام (الدرر البهية، 1: 300) ودفن عصر يومه بزواوة التاودي بن سودة قريباً منه، وحضر جنازته أهل فاس على التسام وأهل الدائرة السلطانية وولد السلطان مولاي عبد الرحمن سيدي محمد (سلوة الأنفاس، 1: 117).

م. الطالب ابن الحاج، الإشراف على بعض من بفاس من الأشراف، مخطوط، خ. ح. رقم 11732؛ الزكي العلوي، مطالع الزهراء الجامع لأسماء بني الزهراء، مخطوط، رقم 656؛ الفضيلي، الدرر البهية والجواهر النبرية، تح. أ. بن المهدي العلوي ومصطفى بن أحمد العلوي، الرباط، 1999؛ م. الكتاني، سلوة الأنفاس، ج 1، فاس، 1316؛ ع. الرحسن ابن زيدان، الإتحاف، ج 5، الرباط، 1933؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ج 8، الرباط، ط. 2، 1977. حسن حافظي علوي

تسم طبع الجزء 15 من معلمة المغرب  
بسطابع سلا ومطبعة النجاح الجديدة  
في رجب عام 1423 / شتنبر 2002



مطابع سلا

قسمة 14، زنقة عثمان بن عفان

الحي الصناعي لتابريكت

ص.ب. 596 سلا

Directeur de publication : Mohamed Hajji

Comité de rédaction : Ahmed Toufiq  
Mohamed Hajji

Comités scientifiques :

Pour les sciences humaines

Mohamed BENCHERIFA, Faculté des Lettres, Rabat.  
Brahim BOUTALEB, Faculté des Lettres, Rabat.  
Salem YAFOUT, Faculté des Lettres, Rabat.  
Mustapha NAIMI, Institut Universitaire pour la Recherche  
Scientifique, Rabat.

Pour la géographie et les sciences de la nature

Abdellah LAOUINA, Faculté des Lettres, Rabat.  
Dris EL-FASSI, Institut Agronomique et Vétérinaire Hassan II, Rabat.  
Mustapha AYAD, Faculté des Lettres, Rabat.  
Abdelmalek BENABID, Ecole Nationale Forestière, Salé.  
Mohamed RAMDANI, Institut Scientifique, Rabat.

Tous droits réservés, y compris le droit de traduction ou de reproduction  
même partielles sous quelque forme que ce soit.



IMPRIMERIE DE SALÉ

Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane

Zone Industrielle de Tabriquet

B.P. 596 SALÉ

# Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.



Publiée par

**L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication**

Editée par

**L'Imprimerie de Salé**

**"SALA"**

**2002 - 1423**



**Copyright © IMPRIMERIE DE SALÉ "SALA" 2002**  
**ISBN 9981 - 03 - 000 - 7 (Ensemble)**  
**ISBN 9981 - 03 - 021 - X (Tome 15)**

**Encyclopédie  
du  
Maroc**